(الجزء الاول)

من نسيم الرياض * في شرح شفاء القاضي عياض * للعالم الفاضل * شتيت الفضائل * الذي هو بانواع المدائح حري * مولانا أحمد شهاب الدين الخفاجي المصري * تغمده الله برحمته * وأسكنه في فراديس جنته بمنه وكرمه آمين

وبهامشه شرح الشفا لعلي القاري رحمه الله تعالى

الناشر
دار الكتاب العربي
بيروت - لبنان

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذى نور الخافقين ببعثة النور المبين * وجعلها شفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين * فازال ظلمات الضلال المدلهمه * فاذا همت أفواه الاباطيل باطفاء نوره أبى الله الا أن يتمه * حين أشرق به مصباح الهداية * وقد كادأن يهم بالانطفاء * واتضح منهج الحق بعد ما اندرس رسمه وعفا * برسالته التى شرح الله بها الصدور وشفا * وانهار به ركن الباطل بعدما صار من الغواية على شفا * فاكمل الله به المنة على البرية * وأحيى به موؤدات المعارف الالهية فى فترة الجاهلية * فصلى الله عليه وزاده تبجيلا وتكريما * كما أمر بذلك فقال صلوا عليه وسلموا تسليما * وعلى عترته وصحبه الذين باعوا له أرواحهم بالجنة وسلموها تسليما * ماذر مسك المداد على كافور الطروس * فعطر اردان الاذهان والنفوس * (هذا وان كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى) * كتاب قدره جليل * وهو على جلالة مصنفه أدل دليل * فانه كما فى مطمح الانفس أجل أعيان الاندلس * جاء بها على قدر * وسبق لنيل المعانى وابتدر * فاستيقظ لها والناس نيام * وورد ماءها وهم صيام * فتحلت به للعلوم نحور * وتجلت له منها عرائس حور * كأنهن الياقوت والمرجان * لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان * وألحقته الاصالة ردائها * وسقته درها وندائها * وألقت اليه رياسة مقاليدها * وملكته طريفها وتليدها * وهو على اختصاصه بهذه المرتبة الرفيعة * واعتنائه باعلاء معالم الشريعة * يعتنى باقامة أود الادب * وينسل اليه أربابه من كل حدب * مع عفاف وصون * أعدم الفساد بعد الكون * وقد وفى ببيان بعض ما يجب من آياته * ونشر على كاهل الدهر ألوية الثناء بين يدى صفاته * مما يحق له ان يكتب بالنور * فى صحائف وجنات الحور * وينقش بقلم العقل معانيه * ويخط على ألواح الاذهان لاطفال الارواح مبانيه * صحف أنزعت بشهد حلا * فى كل ذوق لذلك كان شفا * ولعمرى

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذى أنزل القرآن شفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين * وشفى به من كان أشفى على شفا جرف جهنم من الكافرين * والصلاة والسلام على سيد المرسلين وسيد الاولين والآخرين * وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين وأتباعه أجمعين الى يوم الدين * (أما بعد) * فيقول أفقر العباد الى كرم ربه البارى * على ابن سلطان محمد القارى لما رأيت كتاب الشفاء فى شمائل صاحب الاصطفاء * اجمع ما صنف فى بابه مجملا من الاستيفاء * لعدم امكان الوصول الى انتهاء الاستقصاء * قصدت ان أخدمه بشرح

لقد نشر الدر فيه من فيه * وبلغت أمانيه ما كانت تنويه من التنويه * حديث لو أن الميت نودى
باسمه لاصبح حيا بعدما ضمه القبر * فلما كنت قديما وحديثا * يحثني حادى الشوق نحوه
حثيثا * وقطب الصبا غضة مورقة الافنان * ورياضه الزاهرة محفوفة بروح وريحان
لشغفي بصفاته وموصوفه * وطربى بسماع تليده وطريفه * فلا بحميا سقت عنها ظروف
حروفه لا أزال أقف العين بالاثر * منشدا وقد ناب السمع عن البصر * فانى ان أرى الديار بطرفى
فلعلى أرى الديار بسمعى * وكان يصدنى عنه ما فى الباع من القصر * وزمان لا يعرف فيه
وردمن صدر * فلما رأيت له شروحا ربما تنشرح لها الصدور * وان لم تخل قصورها المشيدة
من قصور * وفى بعضها أغاليط * وتطويل ممل وتخليط * الان تقليد الناس لى صريح ندائها
والبحث قد أمن على دعائها * فتلا لا ما فيها من تلاعب الظنون (قل بفضل الله وبرحمته
فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون) فسودت بعض الامالى رجاء لان يبيض بها صحف أعمالى
فيسر بها كاتب اليمين * وترفعها أيدى الكرام الكاتبين * فلما رآه بعض الاصحاب سألنى
أن أبرز مخدراته من خلف الحجاب * وألح على فى ذلك دفعة بعد دفعة * وانا أقول له هذا ياسمين
لا يساوى جمعه * وهو يمديد أمله لاقتطاف ورده لا تجتنى * ويهم بذوق ثمراته الغضة الجنا * وقضبه
بريح القبول ماترنحت * وورده بنسيم السحر ما تفتحت * كعذراء أبصرها مبصر * فغطت باكمامها
رأسها * ثم عرض لى بغتة ما عرض * مما أضر بجوهر القوى من العرض * فقصدت شفاء الروح
والبدن * باسناد الجسم الضعيف لحديث الصحيح الحسن * رجاء للظفر بسعادة الدارين * مما فيه من
عين القرة وقرة العين * لتشفى به أمراض القلب اذا أتت الساعة * فنلت منه بحمد الله ترياقا مجربا وبرء
ساعة * ولما انجلى على منصة التمام * وفض منه مسك الختام * (سميته نسيم الرياض * فى شرح شفاء
القاضى عياض) * رجاء أن يهب عليه ريح القبول * وان كانت نسمات الآمال عليله * وتشمله
نفحة من نفحات الرسول * صلى الله تعالى عليه وسلم فتشفى من الظماء غليله * واعلم ان سندى فى هذا
الكتاب وغيره من كتب الحديث سلسلة الذهب من طرق عالية اعلاها روايتى عن خاتمة المحدثين
الشيخ ابراهيم العلقمى وهو عن أخيه الشمس العلقمى شارح الجامع الصغير عن مؤلفه الجلال
السيوطى بقراءتى عليه من أوله الى آخره بالجامع الازهر وسند السيوطى رحمه الله أشهر من الشمس
فى رابعة النهار وعن شيخ الاسلام شافعى زمانه الشيخ العلامة شمس الدين محمد الرملى عن والده الشيخ
أحمد الرملى عن شيخ الاسلام زكريا الانصارى وعن والدى قدس الله روحه عن الشيخ الشهاب الدين
ابن حجر الهيثمى وهكذا كابرا عن كابر الى المصنف وهو عياض بن موسى بن عياض بن عمر بن موسى
ابن عياض اليحصبى السبتى الغرناطى المالكى قاضى سبتة بالمغرب صاحب التصانيف الجليلة كشرح
مسلم وغيره كالمشارق أى فى تفسيره وله مدة طويلة ثم نقل الى غرناطة فى سنة احدى وثلاثين وخمسمائة
ولم يطل أمده بها ثم ولى قضاء سبتة ثانيا وكان مولده بسبتة فى شهر شعبان سنة ست وسبعين وأربعمائة
فهو سبتى الدار والميلاد أندلسى الاصل فان أصوله نشأوا قديما بالاندلس ثم انتقلوا الى مدينة فاس
وكان لهم استقرار بالقيروان وانتقل الى سبتة بعد سكنى فاس وهو بحر فى العلوم النقلية والعقلية
وأما أدبه وبلاغة شعره فحدث عن البحر ولا حرج ووفاته يوم الجمعة بمراكش فى جمادى الآخرة سنة أربع
وأربعين وخمسمائة وماقيل من انه لا أصل له وفيه قول على بن هارون

ظلموا عياضا وهو يحلم عنهم * والظلم بين العالمين قديم
جعلوا مكان الراى عينا فى اسمه * كى يكتموه وشانه معلوم

يشرح بعض ما يتعلق
به من تحقيق الاعراب
والبناء * رجاء أن اسلك
فى سلك مسالك العلماء
يوم الجزاء * فاقول وبالله
التوفيق * وبتاييده
ظهور التحقيق * ان
المصنف رحمه الله تعالى
كان وحيد زمانه وفريد
آوانه * متقنا لعلوم
الحديث واللغة والنحو
والآداب * وعالما بايام
العرب والانساب * ومن
تصانيفه المفيدة الاكمال
فى شرح مسلم * كمل
به المعلم فى شرح مسلم
* للمازرى ومنها مشارق
الانوار فسر به غريب
الحديث ومنها الشفا فى
حقوق المصطفى ومنها
شرح حديث أم زرع الى
غير ذلك وله اشعار لطيفة
متضمنة لمضامين منيفة
مولده منتصف شعبان
سنة ست وسبعين
وأربعمائة وتوفى يوم
الجمعة سابع جمادى
الآخرة وقيل فى شهر
رمضان سنة أربع
وأربعين وخمسمائة قال

لولاه مافاحت أباطح سبتة * والروض حول فنائها معدوم

وفى طبقات ابن فرحون لعلماء المالكية انه كان اماما فى الفقه والتفسير والحديث وسائر العلوم خطيبا بليغا وذكر من تآليفه نحو ثلاثين تأليفا جليلة وأنشداه من شعره.

الله يعلم انى منذ لم أركم * كطائر خانه ريش الجناحين
ولو قدرت ركبت الريح نحوكم * وان يكن بعدكم حين جناحين

(وقال)

انظر الى الزرع وخاماته * يحكى وقد ماست امام الرياح
كتيبة خضراء مهزومة * شقائق النعمان فيها جراح

قال واليحصبى بفتح المثناة التحتية وسكون الحاء المهملة وتثليث الصاد المهملة نسبة الى يحصب بن مالك أبو قبيلة باليمن والغرناطى نسبة الى غرناطة بفتح الغين المعجمة وسكون الراء المهملة ونون وألف بعدها طاء مهملة وهاء ويقال اغرناطة بالف قبل الغين أيضا انتهى ويأتى لذلك مزيد بيان وسبتة مدينة مشهورة * وقرأت فى ديوان ابن المقرى الشافعى رحمه الله ان كتاب الشفا مما شاهدوا بركته حتى لا يقع ضرر لمكان كان فيه ولا تغرق سفينة كان فيها وانه اذا قرأه مريض أو قرئ عليه شفاه الله وهو مما جرب وكان ابتلى بمرض فقرأه فعافاه الله منه وقال فى ذلك

ما بالكتاب هواى لكن الهوى * أمسى بمن أمسى به مكتوبا
كالدار يهوى العاشقون بذكرها * شغفا بها لشمولها المحبوبا
أرجو الشفاء تفاؤلا باسم الشفا * لحوى الشفاء وادرك المطلوبا
وبقدر حسن الظن ينتفع الفتى * لا سيما ظن يصيح مجيبا

ويأتى لذلك مزيد بيان * (وأنا ممن جرب بركته وشاهدها ولله الحمد وانا الرجو فوق ذلك مظهرا) * واعلم ان فى الشفا بعض أحاديث ضعيفة وقليل ممن قيل انه موضوع تبع فيه ابن سبع فى شفاءه وقد نبه على ذلك كله الجلال السيوطى رحمه الله تعالى فى كتابه مناهل الصفا فى تخريج أحاديث الشفا ولم ينصف الذهبى فى قوله انه محشو بالاحاديث الموضوعة والتأويلات الواهية الدالة على قلة تفقده مما لا يحتاج قدر النبوة له ثم قال فعليك بدلائل النبوة للبيهقى رحمه الله فانه كله هدى ونور قال الذهبى أيضا انه قلد فيما ذكره ابن سبع وكفى المرء نبلا ان تعد معايبه وهو تحامل منه لا ينبغى وسترى ان شاء الله ماذكره فى محله فانا لم نترك شيئا يحتاج اليه قارئ هذا الكتاب ان شاء الله تعالى (بسم الله الرحمن الرحيم) ابتدأ بالبسملة مردفة بالحمدلة عملا بالحديث المشهور وهو (كل أمر ذى بال لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو أقطع) وفى رواية ببسم الله الرحمن الرحيم وفى أخرى بذكر الله والاشكال فى تعارض هذه الروايات مشهور وكذا التوفيق بينهما بحمل الابتداء على العرفى الممتد أو مجرد التقديم على المقصود وهما متقاربان وكذا ماقيل من ان رواية البسملة يرد عليها الاذان والخطبة ونحوهما من بعض الامور المهمة مما لم يبدأ بها فيه * وأجيب بأن المراد فى الروايات كلها الابتداء باحدهما أو بما يقوم مقامه بدليل الاكتفاء تارة بالبسملة وتارة بالحمدلة وتارة بغيرهما فاندفع الاشكال واشكال التدافع أيضا أو بحمل المقيد على المطلق وهو ذكر الله والكلام على هذا أشهر من قفا نبك فلا فائدة فى الاعادة وهنا اشكال أبداه شيخ مشايخنا السيد عيسى الصفوى رحمه الله وتلقاه من بعده بالقبول من عامة من رأيناه وهو ان جملة البسملة لا تخلو اما أن تكون خبرية أو انشائية ويتجه على الاول ان من شان الخبر الصادق ان يتحقق مدلوله بدونه فى نفس الامر ويكون الخبر حكاية عنه كما اتفقوا عليه وما نحن فيه ليس كذلك لان مصاحبة الاسم والاستعانة به من تتمته وهما لا يتحققان الا بهذا اللفظ اللهم الا ان يجوز مثل ذلك فى نحو قولك أتكلم

(بسم الله الرحمن الرحيم) اقتداء بالكلام المجيد واقتفاء بالحديث الحميد ثم قال (اللهم صلى على محمد وآله) أى واتباعه المتضمنين لاصحابه (وسلم) وهذا طريق المغاربة حيث يأتون بالتصلية والتحية بين البسملة والحمدلة كما فى الشاطبية ولعل فيه اشعارا بان البسملة المشتملة على نعت الالوهية وصفات الرحمانية والرحيمية بمنزلة شطر الشهادتين من كلمة التوحيد فلابد من انضمام الشطر الاخير لاتمام معنى التمجيد ليترتب على توفيق تحصيل هذا المقام مقام التحميد فى بعض النسخ المصححة قبل قوله الحمد لله

(قال الفقيه) وفى نسخة الشيخ الفقيه (القاضى الامام الحافظ أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض) بكسر العين (اليحصبى) بتثليث الصاد والفتح أخف وبه ثبتت رواية الشاطبى وهو نسبة الى يحصب ابن مالك قبيلة من حمير باليمن (رحمة الله تعالى عليه) ولاشك ان هذا الادخال من المقال صدر من بعض أرباب الكمال من تلاميذ المصنف أومن بعده ولكن اللائق فى فعله ان يأتى به قبل البسملة ليقع الكل من مقوله ولعله تحاشى من تقديم ذكره فوقع وهم فى حقه فالاولى ان يفعل مثل هذا العنوان وراء الكتاب على قصد التبيان أو بقلم آخر اولون مغاير فى هذا المكان ثم تحقيق مباحث البسملة والحمدلة ومايتعلق بهمامن وجوه التكملة قد كثر فى تصانيف العلماء وتأليف الفضلاء وقد ذكرنا طرفا منها فى بعض تصانيفنا كما هو دأب البلغاء والمقصود بعون الملك المعبود هوان المصنف قال (الحمد لله) بالجملة الاسمية لافادة الديمومية لان الفعل دال على اقتران مدلوله بزمان والزمان لاثبات له فكذا ماقارنه واللام فيه للاستغراق عند أهل السنة خلافا للمعتزلة اذ كل كمال انما هو لله سبحانه وتعالى فى حقيقة الحال أو طريقة المآل

أو أقوم متكلما مخبرا انتكلم حصل بهذا اللفظ وفيه توقف وعلى الثانى ان من شان الانشاء أن يتحقق مدلوله به وأصل جملة البسملة ليس كذلك غالبا اذ الاكل والسفر ونحوهما ممالس بقول لايحصل بالبسملة فان كانت لانشاء المصاحبة أو الاستعانة يلزم ان تكون الجملة لانشاء يتعلقها والاصل أى ويكون الاصل غير مقصود بوجه ولو قيل ان المعنى ابتدأ أو افتتح أى اجعله بداية الفعل والجملة لانشاء الجعل وانه بداية كل شئ كما نقل عن الامام لايلزم مامر الا أنه خلاف المشهور ولايتم أيضا على تقدير الخبرية لان المصاحبة والاستعانة به من تتمة الخبر وهما لايتحققان الا بهذا اللفظ وهو شان الانشاء على انه لايجرى حقيقة الا فى نحو التأليف ممايمكن ان يكون بدائية له حقيقة واجراؤه فيما سواه يحتاج للمسامحة فى جعله بدأ له * أقول الظاهر ان هذه الجملة انشائية لانشاء التبرك الموقوف على التلفظ بالبسملة وماتوهمه هذا القائل على تقدير الانشاء من الخيالات الواهية والاوهام الفارغة وقوله انها حينئذ لانشاء المتعلق ومثله فى غاية الندور وعدم صحته فى غاية الظهور ألا ترى ان أدوات الاستفهام باسرها تدخل على الجمل المتحقق مضمونها خارجا فتصير بجملتها انشاء كما يقول من رأى شخصا قائما لم يحط بتشخصه وأحواله خبرا من قام أو على أى حال قام وهكذا ممالم يحط به نطاق الحصر ولم يحم حوله الندور ولايقال انه مع تحقق القيام فى الخارج انه لانشاء المتعلق وكذا كم غلط وقع منك ورب صواب صدر من غيرك كما صرح به الرضى واما كونه لانشاء الجعل فتعسف من غير داع لارتكاب مثله وأنا أعجب من هذا الفاضل كيف زعم ورود ماقال وممن ارتضاه بعده من فحول الرجال

وعين الرضا عن كل عيب كليلة * كما ان عين السخط تبدى المساويا

وفى النسخ (قال القاضى الفقيه الامام أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض) بكسر العين المهملة وفتح الياء المثناة وبعدها ألف وضاد معجمة (اليحصبى رضى الله عنه) قال فى القاموس يحصب مثلثة الصاد حى والنسبة مثلثة أيضا لا بالفتح فقط كما زعم الجوهرى ويحصب قلعة بالاندلس انتهى وفى لباب الانساب لابن الاثير اليحصبى بفتح الياء وسكون الحاء المهملة وكسر الصاد المهملة وقيل ضمها و كسر الباء وهذه النسبة الى يحصب وهى قبيلة من حمير سميت باسم أبيها يحصب بن مالك قلت هكذا ضبطه أبو سعيد بالصاد المكسورة والصحيح فتحها الان يحصب بالكسر فتفتح فى النسب كنمرى وتغلبى انتهى * قلت بهذا عرفت ان رد صاحب القاموس على الجوهرى مردود لا لانه قول بل لانه القياس المطرد فى امثاله وماخالف شاذ لايعول عليه وهذه الاوصاف ليست من كلام المصنف رحمه الله تعالى وانما كتبها من بعده توقيرا له ولقب بابى الفضل كما قيل

أبى الفضل من أجرى الى الفضل يافعا * فصار به يدعى وصار به يكنى

(الحمد لله) الحمد هو الوصف بالجميل على الجميل الصادر بالاختيار حقيقة أو حكما على وجه التعظيم ظاهرا وباطنا بان لايصدر مايخالفه ولايلزم اعتقاد اتصاف المحمود بالجميل المذكور عند متأخرى المحققين وفى هذا المقام كلام طويل الذيل ليس هذا محله والله اسم للمعبود بحق المستوجب لجميع المحامد وفى علميته وفى أصله ما يغنيك عن ذكر شهرته والمراد ان جنس الحمد أو جميع افراده مختصة به تعالى فان قلنا الاختصاص الذى يدل عليه اللام بمعنى الانحصار وضعا أو بمعونة المقام يحمل الاختصاص الذى ذكر على الفرد الكامل اما على المبالغة تنزيلا لغيره منزلة العدم أو منزلة حمده تعالى لانه مبتدأ كل جميل أو على الحقيقة لان المحمود عليه بحسب صدوره بالاختيار بالذات ولا اختيار لغيره بالذات عند البعض وهذا بناء على حمل الاختيار على الحقيقى الذاتى والاول بناء على حمله على العرفى الظاهرى ولكل وجهة ولو أريد بالاختصاص هنا العلاقة والمناسبة الكاملة فلا تكلف على مافصله

شراح المطول والعضد وفى شرح السيد ان جملة الحمد لانشاء الحمد لانها من صيغ الحمد شرعا أو لدلالتها على الاتصاف بجميل ولو عرفا فيصدق تعريف الحمد عليها وفيه نظر * وههنا بحث أبداه ابن الهمام رحمه الله فى شرح البديع فقال جملة الحمد صيغة انشاء معنى كصيغ العقود وبالغ بعضهم فى انكار كونها انشاء لما يلزم عليه من انتفاء الاتصاف بالجميل قبل حمد الحامد ضرورة ان الانشاء يقارن معناه لفظه فى الوجود ويبطل من قطعتين احداهما ان الحامد ثابت قطعا بل الحامدون والاخرى انه لا يصاغ لغة للخبر عن غيره من متعلق اخباره اسم قطعا فلا يقال لقائل زيد ثبت له القيام قائم فلو كان الحمد اخبارا محضا لم يقل الحمد لله حامد ولا ينفى الحامدون وهما باطلان فبطل ملزومهما واللازم من المقارنة انتفاء وصف الواصف المعين لا الاتصاف وهذا لان الحمد اظهار صفات الكمال الثابتة لا ثبوتها نعم يتراآى لزوم كون كل مخبر منشئا حيث كان واصفا للواقع مظهراله وهو توهم فان الحامد ماخوذ فيه مع ذكر الواقع كونه على وجه ابتداء التعظيم وهو ليس جزء ماهية الخبر فاختلف الحقيقتان وظهر ان الغفلة عن اعتبار هذا القيد جزء ماهية الحمد هو منشأ الغلط أو بالغفلة عنه ظن انه اخبار لوجود خارج يطابقه وهو الاتصاف ولا خارج للانشاء وأنت تعلم ان هذا خارج جزء المفهوم وهو الوصف بالجميل وتمامه وهو المركب منه ومن كونه على وجه ابتداء التعظيم لا خارج له انتهى * أقول هذا اصنوما مر فى البسملة وهو تعسف لا وجه له فان هذه الجملة يصح فيها الخبرية والانشائية من غير ارتكاب لمثل هذه الاوهام فان انكاره الانشاء لانه يلزمه الاتصاف بالجميل واجد الانه انما انتفى الوصف لا الاتصاف وشتان ما بينهما وقد كفانا بيان مزيته واما ابطاله الخبرية بقولهم حامد وحماد فغالطة عجيب لانه ليس نظير من قال زيد قائم بل نظير من قال زيد متكلم فانه مخبر ويصح ان يوصف بانه متكلم أيضا الاتصاف المخبر بما أخبر به عن غيره ومشاركته له فى ذلك كما ان المخبر عن الحمد والاتصاف بالجميل واستحقاقه للتعظيم مع اعتقاده لذلك ظاهر معظم فهو حامد وواصف له وهو ظاهر لمن نور الله تعالى بصيرته وهو ان الحامد الخ ممنوع فانه انما يوجد فيه ذلك اذا لم يتمحض للاخبار فحينئذ يكون التعظيم وابتداؤه لازم له لا جزؤه وقد بسطناه هذا فى العناية فحسبك من القلادة ما أحاط بالعنق (المنفرد) قال الراغب المفرد الذى لا يختلط بغيره وهو أعم من الوتر وأخص من الواحد وجمعه فرادى قال الله تعالى (لا تذرنى فردا) أى وحيدا ويقال فى الله فرد تنبيها على انه مخالف للاشياء كلها فى الازدواج المنبه عليها بقوله تعالى (ومن كل شئ خلقنا زوجين) وقيل معناه المستغنى عما عداه فهو كقوله تعالى (ان الله لغنى عن العالمين) فاذا قيل هو فرد فمعناه منفرد بوحدانيته مستغن عن كل تركيب وازدواج تنبيها على انه مخالف للموجودات كلها ومنفرد فى كلام المصنف ضبط بالنون والتاء الفوقية من باب الانفعال والتفعل ومعناه ما مر وفسر أيضا بعدم مشاركة غيره له فى ذاته وصفاته وكل ما يختص به من نعوت جلاله والمراد هنا تفرد مخصوص بمتعلقه الآتى واطلاقه على الله تعالى اما لثبوته كما يشعر به كلامهم أو للاكتفاء بورود ما يشاركه فى مادته ومعناه أو بناء على جواز اطلاق ما لا يوهم نقصا مطلقا أو على سبيل التوصيف دون التسمية كما ذهب اليه الغزالى رحمه الله والانفعال للمطاوعة والمراد انه بدون صنع فتفرده بذاته لذاته وكذا التفعل للصيرورة بدون صنع أيضا كتحجر الطين أى صار حجرا صلبا من غير مدخل للغير كتكون وتولد وكذا توحد الا انه قيل فيه انه فى الاصل للتكلف فاريد به غايته وهى الكمال والمبالغة لان المتكلف يبالغ فيما تكلفه ويتأنق فيه كما قيل فى المتكبر (باسمه الاسمى) الباء صلة المنفرد والاسم اما من السمة بمعنى العلامة أو من السمو كالعلو لفظا ومعنى قيل وفى قوله الاسمى ايماء الى الثانى والباء اما للتعدية لانه يقال تفرد وانفرد بكذا اذا استقل به أو للملابسة والاول الارجح ويرجح

(المنفرد باسمه الاسمى) وفى نسخة المتفرد من باب التفعل بمعنى المتوحد فآلهما واحد فى المعنى وان اختلفا فى المبنى والاسمى افعل التفضيل من السمو وهو الارتفاع أى الممتاز عن المشاركة فى اسمه الاعلى والاضافة للتعميم فان لله الاسماء الحسنى وكل واحد منها فى مرتبته هو الاعلى والاغلى واغرب الشمنى فى تفسير الاسمى بالعالى

الثانى بافادته التفرد المطلق وتضمنه الرد على من يقول بمشاركة ذاته لسائر الذوات فى الماهية وتميزها بالصفات العلية والاسمى أفعل تفضيلا بمعنى الاعلى من السمو وهو العلو والاضافة تاتى لما يأتى له اللام فان كانت للعهد بان يراد به لفظ الله لاشتهار انه اسم الذات وماسواه أسماء صفات فالمفضل عليه ماسواه من أسمائه الكريمة وفيه اشارة الى انه الاسم الاعظم كما ذهب اليه كثير وفيه أقوال أخر مشهورة أو للجنس فالمراد به أسماؤه المختصة به كالرحمن والرزاق أو مطلق أسمائه لاختصاصها به فى الحقيقة وان أطلق بعضها على غيره كالملك فانه بمعنى آخر فى البدائع لابن القيم أسماؤه تعالى التى تطلق عليه وعلى غيره كحى وسميع هل هى حقيقة فيه تعالى مجاز فى غيره أو مجاز فيه حقيقة فى غيره أو حقيقة فيهما أقوال أظهرها الاخير فتدبر وعلى الثانى المراد ان كل اسم من أسمائه أشرف مما سواه وشرف الاسم بشرف مسماه * فان قلت قال أبو حنيفة رحمه الله تعالى فى الفقه الاكبر أسماء الله تعالى وصفاته مستوية فى العظم والفضل لا تفاوت بينها وهو مناف لما ذكر * قلت مراده روح الله روحه انها من حيث اضافتها الى المسمى والموصوف لان مسمى جميع الاسماء والموصوف بجميع الصفات واحد وهو الله تعالى وهذا لا ينافى التفاوت فى حقائقها من حيث ان بعضها فى حيطة بعض لتقدمه رتبة وبحسب الظهور كالالوهية التى تشمل حيطتها أكثر الصفات والعلم وقد صرحوا أيضا بتفاوت الصفات فى نفس معانيها وحقائقها كالعلم بالنسبة للقدرة والقدرة بالنسبة للارادة فعدم التفاوت بين الاسماء ليس الا لاستوائها بحسب الاضافة الى الذات كما فصله الشيخ بهاء الدين فى شرح الفقه الاكبر وفيه أيضا ان آيات القرآن متساوية فى الفضل قال الشارح تساويها من جهة القرآنية واضافتها الى الله تعالى وان كان لبعضها فضيلة الذكر والمذكور كآية الكرسى وآيات القصص وعليه يترتب ماروى فى فضائل السور (المختص) اختص يكون لازما ومتعديا يقال اختصه بكذا فاختص فيجوز فى المختص ان يكون اسم فاعل ومفعول على التقديرين فيه قبل الادغام والاظهر انه اسم فاعل من اللازم بمعنى منفرد ومستقل وفى الصحاح خصه بالشئ خصوصا وخصوصية والفتح أفصح وخصيص واختصه بكذا خصه به وفى شرح السيد القياس ان تدخل الباء التى هى صلة الاختصاص على مالا يوجد الشئ فى غيره فتقول المختص به الملك كما يقال اختص السواد بزيد وكثيرا ماتدخل على مالا يوجد فى الغير كما فعله المصنف وهو فصيح أيضا والمعنى على التقديرين واحد أى هذا الملك لا يكون لغيره والثانى أكثر استعمالا والاختصاص حينئذ مجاز عن التمييز أى تمييز عن غيره بالملك وهذا ملخص ماقاله القوم كما فى شروح الكشاف وحواشى المطول وهو مع اشتهاره وتلقيه بالقبول عند من يرى التقليد شريعة منسوخة غير مقبول وفى شرح المفتاح للسعد ادخال الباء فى المقصور عليه هو الاستعمال العرفى العام وادخالها فى المقصور هو الاستعمال الشائع العربى وقال قدس سره الاصل فى لفظ التخصيص والاختصاص والخصوص ان يستعمل بادخال الباء فى المقصور عليه فيقال اختص الجود بزيد أى صار مقصورا عليه الا ان الاكثر فى الاستعمال ادخالها على المقصور بناء على تضمن ذلك معنى التمييز والافراد وقيل انه مجاز صار بمنزلة الحقيقة لشيوعه هذا زبدة ماتمخضته الافكار * وأنا أقول هذا كلام غير محرر لان الظاهر انه يسند حقيقة لكل منهما وقد يترجح احدهما بحسب المقام فان الفاعل الحقيقى من قام به الفعل لا من أوجده كما حقق فى الاصول فاذا أسند الى أحدهما حقيقة تعين دخول الباء على الآخر لان قيام الاختصاص به اما بحسب الامر والاستحقاق أو بقهر وتغلب فعلى الاول يسند حقيقة للمقصور لانه اختص بنفسه وعلى الثانى يسند للمقصور عليه حقيقة لانه بفعله مثاله لومات رجل عن ابن وخال يختص المال بالابن فتقول اختص

(المختص) صفة لله كالمنفرد ويجوز قطعهما بنصبهما أو رفعهما أى المخصوص

مال فلان بابنه دون خاله فلو كان له ابنان وحاز أحدهما المال كله تغلباً فالأليق ان تقول اختص الابن بالمال فيتعين دخول الباء على المقصور عليه وفى الثانى بالعكس فالظاهر ان كلا منهما فصيح صحيح لغة حقيقة فيهما وليس المعنى فيهما واحدا كما تقرر وزعمه مع هذا انه مجاز خبط وفى كلام اللغويين ما يصرح بما قلناه ثم ان قوله تعالى (يختص برحمته من يشاء) يختص فيه متعد واسناده الى الله وادخال الباء على الرحمة اشارة الى انه بمحض كرمه ولطفه ولو أسنده لمن أو للرحمة أوهم خلافه فتامله فانه دقيق جدا (بالملك) الظاهر انه هنا بضم الميم وان جوز فيه الكسر والفتح وهو أبعدها وهو الاختصاص بقدرة التصرف فى الامور المملوكة بتنفيذ الاوامر والنواهى وفسر بالاحتواء على الاشياء قادر على الاستبداد بها وقد يراد به الاشياء المحتوى عليها او العظمة والفرق بين المضموم والمكسور له تحقيق بديع فى كشف الكشاف وبينهما عموم وخصوص فان الاول السلطنة والثانى ملك الاعيان وقد يجتمعان ويأتى ان الملكوت فسر بالملك والسلطنة وتاؤه للمبالغة كرحموت وجبروت وقد فرق بينهما بان الملك عالم الشهادة والاجسام والملكوت عالم الغيب والارواح وهو فرق لغوى وقيل الاصطلاحى لاهل الحكمة والتصوف والباء داخلة على المقصور وقد سمعته آنفا (الاعز) افعل تفضيل من العز والمنعة قال الراغب العز حالة مانعة للانسان عن ان يهان أو يقهر ويغلب من قولهم ارض عزاز أى صلبة كانه فى عزاز أى محل يصعب الوصول اليه كالجبل الشامخ وهذا ما قاله أهل اللغة قاطبة ومن لم يقف عليه قال فى شرحه معنى كونه أعز ان احتواءه عليه أغلب من كل احتواء ولا ينبغى ان يفسر الاعز هنا بالاشد لانه لا معنى لوصف الملك بالشدة والصلابة (الاحمى) افعل تفضيل من حميته حماية فهو محمى وحمى اذا صنته والحمى مصون واصله ارض تمتنع من قطع نباته ورعيه وكانوا يفعلونه فى الجاهلية كما يريدون فلما جاء الاسلام نهى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم فقال لا حمى الا الله ورسوله فلذا منع شرعا الا باذن الامام لمصلحة واحمى اسم تفضيل على خلاف القياس ان كان بمعنى المفعول كاشغل من ذات النحيين أى ذات زقى السمن وهى امرأة من تيم الله بن ثعلبة كانت تبيع السمن فى الجاهلية فاتاها خوات ابن جبير الانصارى قبل اسلامه فساومها فحلت له نحيا مملوأ فقال امسكيه حتى انظر الآخر فحل الآخر وقال امسكيه فلما شغلها بشغل يديها غشيها وهى لا تقدر على الدفع عن نفسها فى النحيين وشحها بضياع السمن فلما قام عنها قالت له لا هناك الله فهى فى هذا المثل مفعولة لانها شغلت بالنحيين أو على القياس بمعنى الفاعل بجعله كانه يحمى نفسه لعظمته ان يصل اليه أحد فحمايته أعظم من حماية كل حام لملكه كجوهرة نفيسة وجدها فقير لا ينفعه ان يدعى انه ملكه لعظمة قدرها عنده كانها حمت نفسها عن تمليك مثله لها كما قيل فى مقدمة الكتاب اذا كانت من قدم المتعدى كانها قدمت نفسها وهو المناسب لقول الاعز فاسناده مجازى والمعنى على الاول ان ملك غيره اذا كان محميا فملكه تعالى محمى بحماية أقوى من كل حماية لانه ملك لا يصير لغيره ألا الى الله تصير الامور ولا حاجة لتجريده عن معنى التفضيل على انه وما قبله بمعنى العزيز المحمى كقوله * بيتا دعائمه أعز واطول * على رأى وان قيل بانه مقيس لان المسموع خلافه كقوله

اكر واحمى للحقيقة منهم * واضرب منا بالسيوف القوانسا

وما قيل من انه على القياس من غير حاجة لما مر لان ملك الله احتواؤه على العوالم أكثر منعا لغيره من التوصل اليه وأشد منعا لغيره من التوصل اليه بما يضره فهو أشد منعا من سائر املاك المالكين لا محصل له ولا وجه له لانه ان اراد الادعاء فهو بعينه ما قدمنا وتوهم انه غيره من قلة التدبر وان ادعى غير ذلك فلا معنى له (الذى) صفة لله أو للملك يعنى مالك الملك لا شئ قبله ولا بعده (ليس دونه) دون لها

(بالملك الاعز الاحمى) أى الموصوف باختصاص الاستيلاء على البلاد والعباد باطنا وظاهرا على وجه الاعزية الذى لا يحوم حوله ذل ومغلوبية لانه فى غاية المنعة ونهاية الحماية بحيث لا يقسر به أحدا ولا آخرا والملك بضم الميم فانه ابلغ من كسرها وعليه النسخ الصحيحة والاصول المعتمدة وقال التلمسانى هو بضم الميم وكسرها (الذى ليس دونه) أى قريب منه

معان

(منتهى) أي موضع غاية ومحل نهاية فيفيد معنى البقاء فانه أول قديم بلا ابتداء وآخر كريم بلا انتهاء أو المراد انه

معان قال الصاغاني يكون بمعنى عند ونقيض فوق وبمعنى امام ووراء فهي من الاضداد ويكون بمعنى غير وبمعنى خسيس وشريف والاول مشهور وعليه قوله

اذا ما علا المرء رام العلاء * ويقنع بالدون من كان دونا

ولا فعل له وقيل يقال دان يدون دونا وهي هنا بمعنى فوق وامام ولا يجوز ان يكون بمعنى وراء أو غير (منتهى) اسم مكان أو مصدر ميمي من انتهى اذا بلغ النهاية ويكون انتهى بمعنى انزجر وانكف كما في قوله

لا تنتهي الانفس عن غيها * مالم يكن منها لها زاجر

وكونه اسم مفعول مع لزومه ولا صلة معه تكلف بغير داع (ولا وراءه) وراء نقيض قدام ويكون بمعناه أيضا فهو من الاضداد وهو ما وراك سواء وارى عنك غيرك أو واراك عن غيرك فهو مشترك بينهما اشتراكا معنويا وليس من الاضداد ويكون بمعنى بعد وبمعنى غير (مرمى) بميمين مفتوحتين بينهما راء مهملة ساكنة وهو مقصور مفعل من الرمي وقد ورد استعمال هذا اللفظ بعينه واطلاقه في حق الله تعالى في الحديث فروى المصنف رحمه الله تعالى في مشارقه وابن الاثير في نهايته ليس وراء الله مرمى وتكلمت به العرب العرباء وبما هو بمعناه قديما كقول النابغة

حلفت فلم تترك لنفسك ريبة * وليس وراء الله للمرء مطلب

قال في النهاية أي ليس بعد الله لطالب مطلب لان العقول وقفت ثمه فليس وراء الله ولا وراء معرفته والايمان به غاية تقصد انتهى كما قيل

على نفسه فليبك من ضاع عمره * وليس له منه نصيب ولا سهم

في المشارق ليس وراء الله مرمى أي مطلب المطالب والمرمى الغرض الذي يرمى اليه واليه ينتهي سهم الرامي وبه يحوز السبق كما الى الله انتهت العقول ووقفت فليس وراء معرفته والايمان به ملتمس ولا غاية يرمى اليها انتهى فالذي ان كان صفة للملك فالمراد انه ليس قبل ملكه شئ ينتهي اليه ويتصل آخره باوله وليس بعده شئ تتصوره العقول وان كان صفة لله فالمراد انه الدائم الواجب الوجود وما عداه فهو حادث أوجده وأبدعه فهو بمعنى الاول الآخر فيتصل بما بعده اتصالا ظاهرا وعلى الاول يكون كالاحتراس المتمم لما قبله لانه لما ذكر اختصاصه بالملك الاعز قد يتوهم مشاركة غيره أو اختصاصه بملك غير اعز فقال ليس قبل ملكه شئ ولا بعده شئ فهو مالك كل ملك وخالقه فلا يخرج شئ عن حوزة ملكه وعلى كل حال فالمرمى محل الرمي والهدف اريد به الغرض الاقصى الذي ترمى اليه الآمال وتتوجه نحوه وجوه التضرع والابتهال فهو استعارة تمثيلية استعيرت من حال الرامي في توجهه لاصابة المرمى بحال العارف الذي معرفة الله اقصى مطالبه ومطمح خواطره كما قيل

يا مطلبا ليس لي في غيرك ارب * اليك آل التقصي وانتهى الطلب

ولك ان تقول ان كلام المصنف رحمه الله في فاتحة خطابه كقول رب العزة في فاتحة كتابه فان قوله الحمد لله المختص الى آخره اشارة الى المبدأ الفياض وان الكل منه وله كالحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم وقوله وليس دونه منتهى الى آخره اشارة الى المعاد كقوله (مالك يوم الدين) ولما كان ذكره بصفاته وتأمل في الدارين المقتضي للتوجه اليه بكل وجه حتى يصير كالمشاهد المحسوس الذي يوجه اليه الخطاب كقوله (اياك نعبد الى آخره) وأتى هنا بما هو منزلته وهو قوله (الظاهر) هذا هو المناسب للمقام وبما ذكرناه من انه على سبيل التمثيل لا يرد عليه ان وراء ودون وما معه امور تقتضي التحيز والجهة ومثله لا يجوز استعماله في حقه تعالى لان الاستعارة التمثيلية لا تجوز في شئ من مفرداتها واجزائها

ليس للقرب منه نهاية يدركها أحد ولو كان من أهل العناية ويلائمه قوله (ولا وراءه مرمى) مقتبس من قوله صلى الله تعالى عليه وسلم ليس وراء الله مرمى ولا منتهى أي ليس غيره أو بعده مقصد للورى واصل المرمى بفتح الميمين موضع الرمي شبه بالغرض والهدف الذي ينتهي اليه سهم الرامي قال النابغة

وليس وراء الله للمرء مذهب

وفي النهاية أي ليس بعد الله لطالب مطلب فاليه انتهت العقول ووقفت فليس وراء معرفته والايمان به غاية تقصد وحاصل الجملتين انه تعالى ليس في جهة ولا حيز ومسافة ليكون للقرب غاية وللبعد منه نهاية وأما القرب والبعد الثابت في نحو حديث ولا مقرب لما باعدت ولا مباعد لما قربت فانما هو القرب والبعد المعنوي لا الصوري والحسي وانما كمال القرب في الحب بحيث لا يشهد السالك الا الله ويفنى عن شهود ماسواه حتى يفنى عن نفسه ويبقى ببقائه ونهاية البعد هو الغفلة عن الله على وجه

يشاركه ما خلقه وسواه (الظاهر) أي بالادلة الدالة على وجوده وكمال كرمه وجوده لعين الحقيقة في شهوده (يقينا) وقطعا

وماقيل من ان معناه ليس تحته محل انتهاء ولا بعده مرمى ومنتهى بمعنى مجاز مرسل كمرمى لانه مقصد الرمى اريد به مطلق القصد صحيح لكن ماذكرناه انسب بالمقام واولى باداء المرام وماقيل عليه من انه خطا لانه لابد فيه من كونه فردا من افراد المطلق والهدف قد لا يكون مقصودا مع ان ابن الاثير رحمه الله تعالى جعل العلاقة فيه المشابهة كلام لا وجه له ولا طائل تحته لان الهدف دائما يقصد للرمى والقصد بالفعل ليس بلازم وماقاله ابن الاثير رحمه الله مخالف للجمهور ولا يلزمنا اتباعه وقيل المعنى انه ليس فى جهة ولا حيز فنفى الشئ بنفى لازمه والظاهر من اسمائه تعالى وهو فى الاصل اسم فاعل من ظهر اذا بدا ولم يخف ويقابله الباطن ثم عم كل محقق معلوم بالبصر او البصيرة وهو المراد هنا المقابلته بالباطن ويصح ان يفسر بالغالب من ظهر عليه اذا غلبه وقد صح وسمع كما ورد أنت الظاهر فليس فوقك شئ وفى شرح المواقف الظاهر المعلوم بالادلة القاطعة فهو صفة اضافية وقيل الغالب فهو صفة فعلية من ظهر عليه اذا قهره والباطن المحتجب عن الحواس بحيث لا يدرك اصلا فهو صفة سلبية وقيل العالم بالخفيات انتهى * وقال الراغب الظاهر الباطن من صفات الله ولا يقال الا مزدوجا كالاول والآخر فالظاهر قيل انه اشارة الى معرفته البديهية فان الفطرة تقتضى فى كل نظر انه موجود ولذا قال بعض الحكماء طلب المرء فى الافاق ماهو معه والباطن باعتبار معرفته حقيقته وذاته ولذا قال الصديق غاية معرفته القصور عن معرفته وقيل هو ظاهر بآياته باطن بذاته وقال المرتضى تجلى لعباده من غير ان يروه فاراهم نفسه من غير ان يتجلى لهم انتهى (أقول) قد عرفت مما ذكرناه ان للظاهر اذا اطلق على الله معانى هو باعتبار بعضها مقابل للباطن ولا يستعمل حينئذ الا مزدوجا وباعتبار الآخر يطلق عليه مفردا كما قاله الراغب رحمه الله تعالى ليس على اطلاقه وفيه كلام حققناه فى شرح أسماء الله الحسنى (لاتخيلا ولا وهما) يعنى ان ظهوره تعالى متحقق مكشوف للعقول ويقين صادق عند من له بصيرة لقيام الادلة القاطعة والبراهين البينة الدالة على وجوده ووحدانيته لابحسب التخيل والوهم وقيل لابحسب الظن أو السهو وقيل لابحسب الطرف الراجح أو المرجوح أو لابحسب ادراك القوة المتخيلة أو الواهمة فان من شانهما ادراك مالاتحقق له فغلبت المتخيل والموهوم على كل مالاتحقق له فنفى ان يكون ظهوره كذلك انتهى وهذا الاخير هو الاصوب وذكر السهو لا وجه له وان وقع ذلك فى كلام أهل اللغة لان الاستعمال على خلافه وقال الراغب التخيل تصوير خيال الشئ فى النفس والتخيل تصوره وخلت بمعنى ظننت يقال باعتبار تصور خيال الشئ المظنون فى النفس وفى حواشى شرح المطالع الفكر حركة النفس فى المعقولات والتخيل حركتها فى المحسوسات والوهم خطرات القلب ومرجوح طرفى التردد والغلط وفى المقتنى الوهم بسكون الهاء وفى الصحاح وهمت فى الحساب أوهم وهما بسكون الهاء اذا غلطت فيه وسهوت ووهمت فى الشئ بالفتح أوهم وهما بسكون الهاء اذا ذهب وهمك اليه وانت تريد غيره وقال ابن القطاع وهمت الى الشئ ووهمه وأوهم بمعنى ونصبهما على الحال أو التمييز أو بنزع الخافض فالمعنى مامر وقيل المراد ان معرفته بحسب اليقين لا بادراك القوة المتخيلة أو الواهمة التى تدرك مالاتحقق له والفرق بينهما ان المتخيلة هى القوة المتصرفة فى الصور والمعانى بالتركيب والتفصيل كتصور شخص برأسين واختراع مالاحقيقة له كالغول والواهمة القوة المدركة للمعانى الجزئية الموجودة فى المحسوسات كادراك الشاة عداوة الذئب ورد بان هذا مبنى على فلسفة لا يرتضيها اسلام أهل السنة الا ان يقال انه ابطال ونفى له ولا ضير فى مثله وليس فى وصف الله بانه ظاهر مايدل على ان ذات الله معلومة للبشر بالكنه وان اختلف فى وقوع ذلك وامكانه على مافصل فى الاصول فلاحاجة للتعرض له

(لاتخيلا) أى لاظنا بالقوة الخيالية (ووهما) بسكون الهاء أى ولا وهما كما فى نسخة مصححة ولا غلطا بالقوة الوهمية والمراد ان الله تعالى ظاهر بصفاته لدلالة مصنوعاته وظهوره لنا ليس على جهة ظن ووهم منا بل ظهورا يغلب نورا أدركناه بعيون بصائرنا فى الدنيا وسيرونه الاحباء بعيون ابصارهم فى العقبى والحاصل ان جميع المخلوقات دالة على وجود ألوهيته وتحقيق وحدانيته *(ففى كل شئ له آية تدل على انه واحد)*

هنا على ان فى اقترانه بقوله (الباطن) ما يدل على خلافه لانه بمعنى الذى لا يدرك بالابصار ادراك الاحاطة لقوله (لا تدركه الابصار) كما حقق فى محله وقد وقع فى اكثر النسخ بدون عاطف كما ذكرناه وهو الصحيح رواية لان الصفات كلها وقعت متصلة بدون عاطف لما بين المنفرد والمختص من كمال الاتصاف ولما بين الظاهر والباطن من التقابل فلو عطف هنا توهم انهما لا يجتمعان كما فى قوله عز وجل (مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات وأبكارا) فان عطف الصفتين الاخيرتين فيه لعدم اجتماعهما وهنا ليس كذلك لان المراد انه فى حالة واحدة ظاهر بكثرة الادلة وقوتها وبنعوت ذاته وأفعاله التى لا تخفى باطن خفى عن ادراك كنه ذاته وحقيقة صفاته وحجب انوار اللاهوتية فى عالم الغيب والشهادة عن مشاهدته وهذا مما اهمله أهل المعانى فى مباحث الفصل والوصل بل فى كلام بعضهم ما يدل على خلافه وقد تعرض له بعض المتأخرين رحمه الله واشار اليه العلامة الزمخشرى فى مواضع من كشافه كاول سورة غافر وقال السيد فى الصفات الجارية على واحد قد تذكر بالعطف للمناسبة والتصريح بالاجتماع وقد يترك عطفها اشعارا بالاستقلال كل منها وقد يذكر فى موضع و يترك فى بعض تفننا فانه يوجب توجه الذهن أولزيادة مناسبة فرعاية الانسب ابلغ والابلغ انسب ولما كان الظهور والبطون متقابلين كان التصريح بالاجتماع انسب انتهى وهذا بناء على ما فى النسخة الاخرى من ذكر العاطف ولا يخفى ما فى توجيهه من القصور لاهماله العطف لعدم الاجتماع كما مر فى ثيبات وابكارا وكانه اعتبر ما وقع لهم فى قوله تعالى (حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول) والذى ذكره الزمخشرى فى نزغة اعتزالية كما نبه عليه شراحه وليس محل تفصيله وقد علمت مما قلنا معنى الظاهر والباطن وقال السهيلى معناه العالم بما ظهر وبما بطن (تقدس الاعدما) اعرابه كاعراب ما قبله والتقدس تفعل من القدس وهو الطهارة والتنزه اى ان بطونه وخفاءه لتنزهه وعلوه من ان تحيط به البصائر والابصار لا لكونه معدوما أوغائبا أولا من جهة عدمه أوعدم كمال منه بل لقصور غيره وتنزهه عن ان يحيط بكنهه ان أريد بالباطن الخفى عن البصر فى الدنيا فالتقدس التنزه عن مشابهة الحوادث عن قبول الرؤية فيها والعدم بضم فسكون من عدمته اعدمه كعلمته اعلمه عدما وعدما بفتحتين بمعنى فقدته واختار الاول هنا للسجع وما قيل من ان معنى العدم هنا الفقد كما فى الصحاح أى ليس خفاؤه لافتقاره كما يختفى بعض الفقراء لفقره فهذيان محض ولبعض الشراح هنا كلام لا معنى له تركناه لانه غنى عن النقد والتزييف (وسع كل شئ رحمة وعلما) العلم مطلقا معلوم وفى صفات الله تحقيقه فى الكلام والرحمة ميل الطبع ورقته وهو مما لا يوصف الله تعالى به فيعتبر باعتبار غايته ولازمه فيراد به الانعام أو ارادته وذهب الباقلانى رحمه الله الى انه تجوز به عن معاملته معهم معاملة الراحم بمن يرحمه وذهب الاشعرى رحمه الله الى انه تجوز به عن ارادته ذلك فعلى رأى القاضى يجوز ان يقال اللهم اجمعنا فى مستقر رحمتك وعلى رأى الشيخ لا يجوز وفى القرآن مواضع تناسب كلا من الرأيين فقوله (ربنا وسعت كل شئ رحمة وعلما) يناسب بحسب الظاهر الارادة لاقترانها بالعلم الذى هو صفة ذاتية وقوله (هذا رحمة من ربى) اشارة الى ان السيد يناسبه الاحسان كذا فى شرح الاربعين الرازية للقرافى ولبسط الكلام فيه مقام آخر يأتى فى اوائل الباب الاول ووجه ارتباط هذا بما قبله انه لما كان مطمح نظره فى هذا الكتاب بيان شرف المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم وانه النعمة العظمى على جميع المخلوقات بدأ بحمد الله تعالى ونعمته مما يدل على عظمته فى ذاته وان الملك له لا تصرف فيه لاحد سواه ثم ثنى ببيان حال خلقه فى ملكه وما يعاملهم به على وجه ينساق الى المراد يقال وسع الى آخره ولو قال الذى وسع كان أولى والسعة ضد الضيق استعيرت للشمول والشئ الموجود مطلقا أوأعم

(الباطن) وفى نسخة والباطن أى باعتبار ذاته دون صفاته (تقدسا) أى تنزها فانه كما قال الغزالى وغيره كل ما خطر ببالك فالله وراء ذلك (لاعدما) بضم فسكون لغة فى المفتوحين أى لا فقدا وعدما اذ لا يقتضى عدم ظهوره نفى وجوده ونوره لانه قد ثبت بالدليل القطعى قدمه وما ثبت قدمه استحال عدمه والتحقيق المتضمن للتدقيق على وجه التوفيق انه باطن لا يدرك احد حقيقة ذاته ولا يحيط احد بكنه صفاته وهذا بالنسبة الى ماسواه فانه لا يعرف الله الا الله ونصبهما على التمييز واما قول الدلجى المفاد تعليل لكونه باطنا فهو وان كان صحيحا فى هذا المبنى لكن التعليل لا يصح بحسب المعنى فى قوله (وسع كل شئ رحمة وعلما) أى احاط بكل شئ رحمته وعلمه فان كل شئ لا يستغنى عن رحمته ايجادا وامدادا وعلمه شامل للجزئيات والكليات احصاء واعدادا والجملة مقتبسة من قوله تعالى ربنا وسعت كل شئ رحمة وعلما والاقتباس ان يتضمن الكلام شيئا من القرآن أو الحديث على وجه لا يكون فيه اشعار بانه منه

منه على الخلاف المشهور فيه وهو هنا ماسوى الله وان صح اطلاقه عليه كما فى قوله تعالى (قل اى شئ أكبر شهادة قل الله) لان شمول الرحمة للذات لا يصح وان شمله العلم وشموله لما سواه ظاهر لان كل شئ منعم حتى المعذب بترك الاشد والمعدوم ورحمة وعلما منصوبان على التمييز والجملة مستأنفة وتعلق العلم بكل شئ كليا وجزئيا مبرهن عليه فى الاصول * وفى شرح السيد هنا نقلا عن التفسير الكبير انا لا نعلم كنه صفات الله كما لا نعلم كنه ذاته وانما المعلوم لنا انا لا نعلمها الا بلوازمها وآثارها وذاته لم تكمل بها الا ان الذات كالمبدأ لها فيلزم استكمال الذات بالممكن بالذات بل كمال الذات يستلزم الصفات * وفى عوارف المعارف أجمع الصوفية على ان له تعالى صفات ثابتة لا بمعنى انه محتاج اليها ويفعل بها بل بمعنى نفى الضد وثبوتها قائمة به وهذه مسئلة نفيسة سكت عنها الاصوليون وربما أوهم كلامهم خلافها وتوضيحها انه لا احتياج له تعالى الى الصفة الموجودة فى تحقق اثرها بل لو لم تكن موجودة كان الاثر بحاله الا ان وجودها الكل لاقتضاء كمال الذات لها ويدفع قول الحكيم الكمال بالذات اعلى من الكمال بما سواه لاستلزامه الاستكمال وظهر ان مذهب اهل السنة اعلى عقلا ونقلا الا ان فيه ايهام تعطيل الصفة ويدفعه ان مجرد وجودها فائدة وان سلم فليكن سببا عاديا للآثار كسائر الاسباب عند الاشعرى رحمه الله فلا استكمال ولا تعطيل فتدبر واحفظه فانه عزيز انتهى * أقول قوله لاستكمال الذات بالممكن بالذات اشارة الى ما قاله فى تعليقه له ان الخلق هو الايجاد بعد العدم مطلقا ولذا لا يقال صفات الله تعالى مخلوقة لانها لم تسبق بالعدم وان كان التحقيق انها ممكنة بالذات أى محتاجة الى الغير لان كل محتاج ممكن فليست واجبة بالذات بذواتها والا لزم تعدد الواجب لذاته وذلك لا يجوز والصفات ليس شئ منها مسبوقا بالعدم بل موجودة ازلا وأبدا وان جاز ان يقال فى سائرها انها مخلوقة وان الذات خلقتها او اوجدتها ونحوه لكن بمعنى انها محتاجة الى الذات لا انها أوجدتها بعد العدم * لكنهم يتحاشون عن استعماله وان كان صحيحا ويرون الخوض فى مثله سؤالا وجوابا بدعة لعدم وروده فى الشرع فلا محذور فى تلك التعرض له الا اذا الجأت له الضرورة ولذا قال فى التفسير الكبير الذات المقدسة كالمبدأ للصفات وقد استشكل ظاهره لانها اذا لم تكن مبدأ لم تكن الصفات ممكنة بل واجبة فيلزم تعدد الواجب وهو لا يجوز * (واجيب بان المتبادر من المبدأ انه موجد بعد العدم والصفات غير مسبوقة بعدمها بل لم تزل موجودة الا ان الذات تقتضيها وتحتاج اليها وتتوقف عليها فالذات بالنسبة اليها كالمبدأ الا مبتدأ لما مر انتهى) * واعلم ان بعض علماء المغاربة قال ان الفلاسفة اجمعت على نفى الصفات لشبه تقرب مما قاله المعتزلة فقالوا لو وجدت الصفات لزم افتقارها للذات لاستحالة قيامها بنفسها او بعضها شرط لبقاء بعض كالحياة للعلم فيلزم الافتقار والتأخر وهو مناف للوجوب * واجيب بمنع الملازمة فان الافتقار للغير ان كان فى افادته الوجود كان حادثا ونحن لا ندعى هذا بل نقول جميع صفاته واجبة الوجود غنية عن مقتضى الوجود فان عنيتم بالافتقار عدم الانفكاك فهو لا ينافى الوجوب ولما اعتقد الامام رحمه الله صحة قول الفلاسفة ان الافتقار مطلقا يوجب الامكان وان وجود الصفات تقتضى التركيب والمركب مفتقر لجزئه فلا يكون الا ممكنا واستشعر النقص بصفاته تعالى فقال نستخير الله فى القول بامكانها لذاتها ثم جزم به وفاه بكلمة والعياذ بالله تعالى لم يسبق اليها فقال هى ممكنة باعتبار ذاتها واجبة بوجوب ذات الله تعالى والذات قابلة لصفاتها وفاعلة لها وهى زلة شنيعة * اقول هذا من نفائس الذخائر المستودعة خزائن القلوب وقد تكلم فيها قدماء الحكماء والمتكلمين كما نقله الامام فى المسائل الاربعين عن الرئيس وجزم بان علة الامكان الافتقار ونازعه فيه العلامة القرافى فى حواشيه على هذه المسائل فقال الصفات يجب قيامها بالموصوف ويستحيل عليها القيام بنفسها فان عنيتم بالافتقار هذا القدر

فسلم

(وأسبغ) اى أكمل بالرحمة الخاصة والعلم المختص بالهداية (على اوليائه) اى المؤمنين على قدر كمالاتهم ومراتب حالاتهم (نعما) بكسر ففتح جمع نعمة وفى نسخة بضم فسكون مقصور الغة فى النعمة لكنه يكتب باليلمع انه غير ملايم لقوله (عمما) بضم المهملة وتشديد الميم جمع عميمة وهى العامة الشاملة التامة ووهم من قال من المحشين انها جمع عمة فانه يقال نخل عم ونخلة عميمة والحاصل ان رحمته وسعت كل شئ فى أمر الدنيا لكن له رحمة خاصة بارباب العقبى كما قال ورحمتى وسعت كل شئ فسأكتبها للذين يتقون الآية وكذا علمه بكل شئ محيط بمعنى المعية كما قال وهو معكم أينما كنتم ونحن أقرب اليه من حبل الوريد لكن لارباب الخصوص معية خاصة كما يدل عليه قول موسى عليه الصلاة والسلام ان معى ربى وقول نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم للصديق الاكبر رضى الله تعالى عنه لاتحزن ان الله معنا وتأمل التفرقة بين الكلامين فان الثانى مشير الى مقام جمع الجمع والاول مشير الى مقام التفرقة والمنع واما ماذكره الدلجى من ان تصدير هذه الفقرة بالواو الموضوعة للجمع دون ماقبلها مع ان اجزاء الصفات المتعاقبة على موصوف واحد مشعرة به يلوح بزيادة جمعية وارتباط معية ففيه مناقشة خفية لان اجزاء الصفات المفردة يؤتى بها من غير واو الجمعية فى الجمل الاسمية كقوله تعالى وهو الغفور الودود مع جواز اتيان العاطف بخلاف الجمل الفعلية ولهذا قال

فسلم لكن العبارة ردية ولا يلزم منه الامكان اذ الافتقار على هذا التقدير فى القيام لا فى الوجود ولا يلزم من الافتقار فى القيام الافتقار فى الوجود فان العرض مفتقر للجوهر فى قيامه ومستغن عنه فى وجوده فانه من الله فلا يلزم من مطلق الافتقار الامكان فبطل قوله كل مفتقر ممكن بل المفتقر يكون افتقاره باعتبار كيه وباعتبار قيامه ومنه افتقار الصفة لموصوفها وباعتبار وجوده كافتقار الاثر للمؤثر وهذا هو المقتضى للامكان فالافتقار اعم والامكان اخص والاستدلال بالاعم على الاخص غير مستقيم انتهى * أقول تحرير محل النزاع مع بيان الحق فيه ان مطلق الاحتياج للغير مستلزم للامكان او الاحتياج فى الوجود فقط فالرئيس ومن حذا حذوه جزموا بالاول والقرافى ومن نحا نحوه كالسنوسى منعوه وقالوا بالثانى وشنعوا على من خالفهم ولا يتم لهم هذا بسلامة الامر فان كل ما احتاج لسواه حاجة تامة بحيث لا يوجد بدونه سواء كان علة اوشرطا لوجوده كالجوهر للعرض مثلا لا يمكن وجوده بدونه فيلزم امكان عدمه بالذات وان لم يكن حادثا وهذا الامحذور فيه فى صفات الله القائمة به وان كان الادب ترك التصريح به كغيره وهذا من مخدرات الاسرار التى لاتدرج لغير محرم فنقول الذات المقدسة غير مفتقرة للصفات التى ليست عينها بل الصفة مفتقرة للذات لاسنادها له وعدم صحة استغنائها عنه بديهة واذا كانت الذات غير محتاجة للصفات ولا مستكملة بها لا يلزم تعطيلها ايضا لان وجودها فائدة لكونها صفات كمال فليست مؤثرة بالذات ولا واجبة بالذات بل بالاسناد للذات التى هى كالمبدأ لها الا انها قديمة ليست منفكة لكن وجوبها ليس لذاتها بل لغيرها وهذا لا ينافى الامكان ولا يقتضى الحدوث الزمانى وبقولنا كالمبدأ ظهر ان قول المعترض انها مبدأ وفاعل تقول عليه وقال الاسنوى فى شرح منهاج البيضاوى بعدما نقل قول الامام فى الاربعين ان صفات الله ممكنة لذاتها واجبة الوجود لوجوب الذات قد تلخص مما قاله الامام ان الصفات واجبة للذات لا بالذات اى واجبة لاجل الذات المقدس لا ان ذات الصفات اقتضت وجود نفسها انتهى * وقال بعض فضلاء العصر فتكون الصفات ممكنة فى حد أنفسها معللة بالذات القديم لكن يجب ان يكون الذات موجبا بالنسبة اليها وان كان مختارا بالنسبة الى ماسواها من مخلوقاته والا لزم حدوثها بناء على ماتقرر من ان الصادر عن المختار حادث البتة انتهى (واسبغ) اى اتم واكمل وهو فى الاصل صفة للدرع والثوب الطويل استعيرت من الطول والسعة لما ذكر ثم صار حقيقة فيه لشيوعه (على اوليائه) جمع ولى فعيل بمعنى فاعل او مفعول اى موالى ويطلق على الله وعلى غيره نحو (الله ولى الذين آمنوا * الا ان اولياء الله لاخوف عليهم ولاهم يحزنون) وهو من الموالاة وهى الاتصال والقرب ويكون ذلك فى النسب والدين والصداقة والنصرة وله معنى يعم كل مؤمن وآخر يختص بمن اخلص لله فولاه امره واخص منه وهو من افاض الله عليه ما فضله به على غيره من أسرار ومعارف الهيئة أنار بها بصيرته حتى يشاهد صنعه وينكشف لنفسه القدسية خفايا الملك والملكوت وهى مرتبة جليلة ويأتى لذلك مزيد بيان وكل نبى ولى ولا عكس وقيل ولاية النبى افضل من نبوته كما ان نبوته افضل من رسالته ولا يلزم منه تفضيل الولى على النبى كما توهم والمراد هنا الاول او الثانى ويحتمل ان يكون الاسباغ هنا على حقيقته بان يشبه النعم المسبغة بملبس يصونه على انه استعارة مكنية وتخييلية كما فى قوله

اذا ما عزادهرى وخفت خطوبه * على دروع من نداء سوابغ

(نعما) جمع نعمة وهى ما انعم الله به واعطاه من فواضل احسانه ويكون بمعنى الانعام والاحسان والحمد على الانعام أمكن من الحمد على النعم كما فصل فى محله (عمما) هو بعين مهملة مضمومة وميم مفتوحة

مشددة تليها الف اما زائدة كالف زيدا فى قولك رأيت زيدا حالة الوقف فالفه زائدة او بدل من التنوين كما فى سائر المنصوبات المنونة او هى ألف مقصورة كالف حبلى ومعناه عميمة اى عامة شاملة لكل شئ من الاجزاء والجزئيات قال ابن عصفور فى شرح شواهد الايضاح عند الكلام على قول الشاعر

طافت به الفرس حتى بذ ناهضها * عم النخيل لقاحا غير منتشر

العم الطوال من النخل واحده عميمة عن ابى حاتم ويعقوب وكانه خفف من عمم ثم ادغم لاجتماع المثلين وقال اللحيانى نخلة عم ونخيل عم اى طوال فعم على هذا مصدر وصف به الواحد وغيره ويبعد ان يكون من باب ذلك لقلته وقال ابن دريد العم العظام واحدها عمى كحبلى وهذا أقيس الوجوه انتهى * واقتصر على التسهيل على انه فعل بضم فسكون جمع عميمة لان فعيلة تجمع على فعل قياسا وفى كتاب النبات للدينورى فى باب لنخل العمة النخلة التى يصعد اليها اذا جنيت وهى العميمة ايضا والنخل العم الذى استحكمت وكملت وطالت وكذا فى جميع النبات وفى العم يقول * فعم كعمكم يافى * وطفل كطفلكم يومل * اى كبار بلغ نفعهم ككباركم وصغار تومل كصغاركم فسمى صغارها اطفالا انتهى * ومما قصصناه عليك علمت ان قول المصنف عما اما منون او غير منون مقصور وانه يجوز فيه ان يكون جمعا ومفردا بمعنى عظيمة او عميمة شاملة فافاد وصف نعم الله بالزيادة فى الكم والكيف وللشراح رحمهم الله فيه كلام غير واف بحق المقام ثم لما كانت بعثة الرسل اجل النعم واجلها بعثة خاتم الرسل عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام عطف على قوله اسبغ الخ قوله (وبعث فيهم) من عطف الخاص على العام لبراعة الاستهلال وما قبله تمهيد له والبعث فى الاصل الاثارة او الايقاظ من النوم وبمعنى الاحياء والنشر من القبور وبمعنى ارسال الرسل وهو المراد هنا فاذا تعدى بفى فمعناه انه جعله بين اظهرهم واذا تعدى بالى فمعناه انه مرسل لدعوتهم سواء كان فيهم ام لا وقد يستعمل كل منهما بمعنى الآخر وضمير فيهم للاولياء بمعنى المؤمنين من غير تكلف لانه ليس قبله ما يصلح للرجوع له غيره والمراد مطلق المؤمنين وبعثه صلى الله تعالى عليه وسلم فيهم لا يقتضى تخصيص البعثة بهم فينبغى ان لا تجعل فى بمعنى الى حتى يرد عليه ان البعثة عامة للثقلين غير خاصة بهم وانه ينبو عنه قوله الآتى عربا وعجما وقيل ان ضمير فيهم يفسره قوله عربا وعجما وليس راجعا لغيره وقيل انه راجع لكل موجود من الثقلين المفهوم من قوله قبل كل شئ وقيل بعث بمعنى ارسل فيما بينهم بان أوحى اليه بتبليغ الشرائع والبعث وان كان فى الكفار فان كثيرا منهم قد علم منه انه سيصير من أهل ولايته ومنهم من اشرف عليها وهو المراد بالاولياء أو هذا ليس بيانا لاول البعثة ثم ان البعثة انما هى فى العرب بل فى أهل مكة والمبعوث فيهم جاء هو بين اظهرهم فضمير فيهم لاولياء العرب وضمير انفسهم الآتى للعرب والعجم لقوله عربا وعجما فلا تكون الاولياء مرجعا لهما الا بالتكلف بان يقال كان فيهم العجم والاوجه انه استخدام أو اريد بالبعثة فيهم وجودهم فى زمنها ويكون مبعوثا فى الكل أو فى بمعنى الى أو يراد مطلق الاولياء اعم من الكل والبعض والبعثة باعتبار فرده الانفسية باعتبار الجميع * اقول هذا تعسف نحن فى غنية عنه والحق انه لما ذكر عموم الرحمة اتبع ذلك ببيان ان رحمته الكاملة الشاملة مخصوصة باوليائه وهم مطلق المؤمنين وان من أعظمها عليهم بعد الايمان بالله بعثة هذا الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فيهم واتباعهم له ولا يلزم منه تخصيص الرسالة بهم كما فى قوله تعالى (لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم) كما ياتى وهو مبنى على ان مطلق النعمة عامة للبر والفاجر والنعمة التامة مخصوصة كما قيل لا نعمة لله على كافر وعموم رسالته صلى الله عليه وسلم مشهور معلوم من غير هذا وقوله (رسولا) مفعول بعث ولم يذكر المرسل اليهم اشارة الى عموم رسالته صلى الله تعالى عليه وسلم والرسول

(وبعث) أى ارسل الله (فيهم) اى فى اوليائه ولاجل احبائه ولذا قيل انه لم يرسل فى الحقيقة الى اعدائه ثم المؤمنون هم المراد باوليائه لقوله تعالى لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم (رسولا) أى نبيا مرسلا أمر بتبليغ الرسالة موصوفا بكونه

بمعنى المرسل وهو نبي أوحي اليه ما امر بتبليغه والنبي من أوحي اليه مطلقا فبينهما عموم وخصوص مطلق وذهب صاحب القاموس رحمه الله الى انه وجهي وفيه نظر وسيأتي تفصيله عند كلام المصنف عليه في الباب الرابع من القسم الاول (من أنفسهم) بضم الفاء جمع نفس ولها معان منها العين والذات الشاملة للروح والجسد ومنها الروح ومرجع الضمير كالسابق والمراد انه من جنس البشر وانما امتاز عنهم بالرسالة والخصائص المودعة في ظاهر عنصره التي أهله الله تعالى بها الان يكون أهلا لامانته ولم نفسره بما فسربه قوله تعالى (لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم) بانه من جنسهم عربي مثلهم لان المخاطب ثمه العرب امتنانا عليهم واقامة الحجة لديهم وان فسر ايضا بما هنا ولكل مقام مقال لانه لا يناسب التعميم بعده وفيه تجنيس لما بعده وبعثه في الجنس يحمل ما للبعض للكل كما يقال بنو فلان قتلوا قتيلا والقاتل واحد منهم فلا ينافي كون المبعوث فيهم طائفة مخصوصة وبعضهم فتح هذه الفاء قالوا وهو خطأ رواية ودراية (انفسهم) بفتح الهمزة والفاء والنصب على البدلية من قوله رسولا لجواز ابدال المعرفة من النكرة أو بتقدير عامل له ويجوز رفعه على انه خبر مبتدأ مقدر ووجهه على البدلية من أنفسهم قبله ورجح بانه المروي والموافق لقراءة الآية وفيه اشارة الى القراءتين وهو افعل تفضيل من النفاسة من نفس بالضم صار مرغوبا فيه فهو نفيس عظيم في النفوس يحرص عليه وقيل الانفس الاعلى والاشرف ومنه الحديث سئل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أي الرقاب أفضل قال أنفسها عند أهلها أي أفضلها وفيه نظر وهو قريب مما قبله (عربا وعجما) بضم أولهما وسكون ثانيهما هنا للفاصلة وفيه لغة أخرى بفتحهما والعرب الجيل المعروف والعجم من عداهم وهو المراد ثم غلب على صنف من فارس والعرب اسم جنس جمعي واحده عربي وقيل لا واحد له وقد يخص بسكان القرى والامصار منهم كما يخص الاعراب بسكان الاخبية والبوادي ولذا قيل لا واحد له لان العرب مغاير لهم أو اعم فلا يصح ان يكون مفردا له حتى غلط سيبويه رحمه الله تعالى في القول به وقال الراغب في توجيهه الاعراب جمعه في الاصل ثم صار اسما لسكان البادية والغلبة بعد الجمعية كالانصار ولذا انسب له بلفظ فلا يرد ما قالوه وسميت العرب لسكناهم في بلدة تسمى عربة كما قاله الازهري وما قيل من ان أولهم اسمعيل صلى الله تعالى عليه وسلم وكلهم من نسله ليس بمقبول عندهم لانهم كانوا قبله بنواحي اليمن وأبوهم قحطان وأمهم أو مقدمهم جرهم والعمالقة واسمعيل صلى الله تعالى عليه وسلم تزوج منهم فتكلم بالعربية كما يأتي بيان ذلك والعرب قسمان عاربة ومستعربة فالعاربة بمعنى الخلص وعرب عاربة كليل أليل والمستعربة ولد اسمعيل عليه السلام ومن بعده طرأت عليه العربية وعليه حمل أول العرب أي المستعربة وقحطان بن سام بن نوح عليه الصلاة والسلام وكونه من ولد اسمعيل عليه الصلاة والسلام غلط نشأ من اشتراك اسمي كما في الروض الانف وغيره ونصبهما على التمييز أو بنزع الخافض (وأزكاهم) افعل تفضيل من الزكاة وهي الزيادة محسوسة كانت أو معنوية والطهارة الحسية والمعنوية أيضا أي هو صلى الله تعالى عليه وسلم أكثرهم عبادة وتقوى ومعرفة بالله وشرفا وأطهرهم وأنزههم عن القبائح عنصرا وخلقا وخلقا لعصمته صلى الله تعالى عليه وسلم من دنس البشرية كما سيأتي (محتدا) بفتح الميم وسكون الحاء المهملة وكسر التاء الفوقية وآخره دال مهملة وهو والجرثومة والارومة والمنصب والعنصر والضئضئ بمعنى وهو أصل النسب كما في فقه اللغة وفي الصحاح حتد بالمكان محتدا أقام وثبت والمحتد الاصل وفي القاموس من معانيه الاصل والطبع فاصل معناه الاصل مطلقا وظاهر كلام الثعالبي ان حقيقته أصل النسب فكانه مشترك وعلى كل حال فما في شرح المواقف من انه مكان أقام به والعرب تقول لله بلد اطلعتك يعنون به شرف النسب كقولهم لله درك

(من أنفسهم) بضم الفاء من جنسهم العربي أو البشري دون الملكي للحكم الالهي

(أنفسهم) بفتح الفاء ونصب السين أي أشرفهم واعظمهم في نفوسهم فالاول جمع النفس بسكون الفاء والثاني أفعل من النفيس وجمع بينهما كما قرئ في الآية بهما ونصب أنفسهم الثاني على انه صفة رسولا أو بدل أو حال وفي بعض الحواشي ضبط بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف أي هو أنفسهم من نفس بالضم صار مرغوبا فيه لشرفه (عربا وعجما) بضم فسكون فيهما وهو لغة في فتحهما والمراد بالعرب هنا اعم من سكان القرية والبادية كما ان المراد بالعجم ضد العرب الشامل لاهل الفارس والترك والهند وغيرهم ونصبهما على التمييز وقال الدلجي حالان لا زمان من ضمير أنفسهم وردا بيانا للنوعي المنفوسين واما قول بعضهم في حاشيته وأنفسهم بفتح الفاء أي اعلاهم وخيارهم وهو من النفاسة ولا يجوز ضمها لان الضمير عائد الى الاولياء فخطأ ولعله مبني على ان لفظ أنفسهم لم يكن مكررا عنده والا فان اراد عدم جواز الضم في أنفسهم الثاني فلا كلام فيه الا ان تعليله لا يصح وان اراد مطلقا فغلط محض (وأزكاهم) أي أطهرهم وانماهم (محتدا) بفتح الميم وكسر الفوقية أي أصلا وطبعا

لايخلو مافيه من القصور لمن تدبر والمراد انه صلى الله تعالى عليه وسلم أشرف العرب والعجم وأعظمهم نسبا فما قيل من انه لايناسب عموم التفضيل ليس بشئ يحتاج للرد (ومنمى) بميمين مفتوحتين بينهما نون ساكنة اسم زمان أو مكان أو مصدر ميمى من نميته اذا نسبته أو من نمى المال اذا زاد أى حسبه صلى الله تعالى عليه وسلم ونسبه الذى انتمى اليه أزكى من جميع الاحساب وأشرف من سائر الانساب فلا وجه لما قيل ان المراد به انه أزكى من جميع المؤمنين الذى بعث فيهم أو ان محل نمائه أى مكة أو المدينة أزكى مما عداه لازدياد الدين وظهوره بها ويجوز ان يراد أن ذاته فى نماء العمر والصبا أطهر على انه مجاز عقلى لما عرف منه صلى الله تعالى عليه وسلم فى طفوليته من نزع حظ الشيطان منه وشق صدره ورفع خفة الصبا عنه ولا يرد عليه ان عيسى عليه الصلاة والسلام كان نبيا فى الصغر كما قيل ونصبهما على التمييز أيضا (وأرجحهم عقلا) رجحان العقل زيادته ووصفه به مشهور فى الكتب القديمة وسيأتى ويقابله الخفة والنقص وهو فى الاصل يستعمل فى الموزون ثم صار حقيقة عرفية فى مطلق الزيادة الممدوحة تمثيلا أو مجازا مرسلا أو استعارة مكنية من رجحت كفة الميزان اذا زيد مافيها فارديفه لازمه والاستعارة فيه أحسن كما قال الاخطل

واذا وزنت حلومهن الى الصبا * رجح الصبا بحلومهن فمالا

وفيه اشارة لما فى الحديث كما يأتى من انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما شق صدره قال أحد الملكين للآخر زنه بعشرة الى ان قال لو وزنته بجميع أهل الارض رجح والوزن فيه كما قالوه اعتبارى والرجحان انما هو فى الفضل وفائدة فعل الملكين ذلك ليعلمه الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وامته فالعقل يقال للقوة القابلة للعلم ولما يستفاد بواسطتها وقيل هو نور روحانى تدرك به النفس ومحله القلب أو الدماغ أو هو مشترك بينهما فيه خلاف مشهور ويقال العقل عقلان مستفاد ومكتسب ومطبوع ومسموع وهو من عقل الدابة لمنعه الانسان عن القبائح كما قال الشاعر فى التلميح لاصله

قد عقلنا والعقل أى وثاق * وصبرنا والصبر مر المذاق

(وحلما) وهو قوة توجب الصبر على الاذى وقال الراغب الحلم ضبط النفس عن هيجان الغضب وقيل الصبر على الاذى وقيل الحليم من عفا بعد ما ستر وقيل من لايعجل بالانتقام ان عزم عليه فهو حقود وان عزم على عدمه فهو عفو وغفور فان الحلم ومعناه الآن يقال انه من يعزم على ان لاينتقم البتة بشرط أن لايظهر ذلك فان أظهره فهو عفو وبهذا يظهر الفرق بين الحلم والعفو وقد فهم من كلام السلف ان الحلم صفة تعارض الانتقام وتمنعه ومنع الانتقام وحده هو العفو وقد يمنع الحلم تعجيل العقوبة مع القدرة عليه ويؤخر لحكمة خفية ويفارقه بان صاحبه لايقدر على الانتقام حالا مع انتظاره للفرصة ولايخفى مافيه وهو فى صفات البشر ان يملك نفسه فلا يغضب اذا أوذى أو رأى مايكره مع تمام الوقار فاذا وصف به الله أريد غايته لامتناعه عليه فهو ترك الانتقام أو تعجيله مع القدرة عليه ومغايرة الاول للحقد والعفو ظاهرة وأما الثانى فلا مناسبة بينه وبين الحقد فانه تعالى لايوصف به وكذا مغايرته للعفو بحسب المفهوم وبحسب الماصدق فانه قد يحلم ولا يغفر كما فى حلمه على الكفرة فى الدنيا وقد يقال غفر له ولا يقال حلم فتدبر (وأوفرهم) أى أكثرهم وأتمهم من الوفرة وهى الكثرة والسعة (علما وفهما) العلم هو الادراك الجازم وحصول صورة الشئ فى العقل أو الصورة الحاصلة فيه أو عنده مفردا كان أو مركبا وقد يراد به المعلوم الحاصل فى الذهن والملكة والتهيؤ وأكثريته ظاهرة والفهم هيئة للنفس يتحقق بها مايحس قال الله تعالى (ففهمناها سليمان) وقول الجوهرى كغيره الفهم العلم على عادتهم فى التسامح فليسا مترادفين حتى يكونا هنا كقوله * وألفى قولها كذبا ومينا * اذ العلم مطلق الادراك

فقياس المصدر منه مفعل مثل نمى منمى ورمى مرمى وسرى مسرى انتهى وفيه ان مصدر الثلاثى المجرد مطلقا يجئ على مفعل بفتح العين قياسا مطردا كمقتل ومضرب ومشرب كما فى الشافية فلا وجه لقيده بالمعتل نعم هذا التقييد يعتبر فى اسمى الزمان والمكان منه والله أعلم واختار الدلجى انهما اسما مكان فحتد من حتد اذا أقام والمراد بهما مكة المشرفة فان للامكنة دخلا مافى شرف الاخلاق وطهارتها وحسن الافعال ونجابتها (وأرجحهم) بالنصب عطفا على أنفسهم الثانى أى أوزنهم (عقلا) أى تعقلا (وحلما) أى تحلما (ووافرهم) أى أتمهم (علما وفهما) وفى نسخة بالعكس رعاية لحلما والفهم هو العلم وسرعة ادراك الشئ فالحمل على المعنى الثانى أولى واختلف فى حقيقة العقل والاقرب قول القاضى أبى بكر العقل علم ضرورى بوجوب الواجب وجواز الجائزات واستحالة المستحيلات ولعله أراد به تعريف العقل الكامل والله تعالى أعلم وقيل الفهم ازالة الوهم

(وأقواهم) أي أشدهم وفي نسخة أوفاهم أي أزيدهم (يقينا) أي علما زال فيه الريب تحقيقا (وعزما) أي اهتماما بالغا ليس فيه رخصة مافقيل جدا وقيل صبرا (وأشدهم) أي بهم كما في نسخة صحيحة (رأفة) أي زيادة رحمة (ورحما) بضم فسكون أي رحمة وعطفا قال تعالى وأقرب رحما قرأ الشامي بضم الحاء والباقون بسكونها وفي نسخة مقصور وهو تعميم بعد تخصيص لا لمجرد تغاير لفظي كما ذكره الحلبي وفيه ايماء الى قوله تعالى بالمؤمنين رؤف رحيم ثم من قوله لا تخيلا وهما الى هنا منصوبات على التمييز خلافا لما بعده ولذا فصله بقوله (زكاه) بتشديد الكاف أي طهره (روحا وجسما) فهما بدلان من الضمير فانه عينهما لا غيرهما على خلاف التمييز وقال الدلجي مميزان حولا عن كونهما مفعولين وايراده هذه الفقرة بلا عاطف دون ماقبلها لكمال انقطاع بينهما لاختلافهما ثبوتا وسلبا انتهى وهو وهم منه وغفلة صدرت عنه لان هذا الكلام انما يصح لو عطف في زكاه وترك العطف في حاشاه ثم المراد بالجسم الجسد وهو جسم كثيف ظاهري بخلاف الروح فانه جسم لطيف باطني أما تزكية روحه صلى الله تعالى عليه وسلم فلكونه أشرف الارواح المطهرة لانه أشرفها كما قال المحشي فانه كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم أول ماخلق الله روحي وسائر الارواح انما خلق ببركة روحه ونور وجوده كما روى لولاك لما خلقت الافلاك فانه صحيح معنى ولو ضعف مبنى وأما تزكية جسده فلشق

جبريل عليه السلام صدره واستخراج حظ الشيطان منه وغسله بماء زمزم لا بماء الجنة كما قاله المحشي الا انه ان صح رواية يجمع بينهما دراية ويمكن أن يكون الروح والجسم كنايتين عن الخالق والخلق فانهما مزكيان من جانب الحق وأغرب المحشي حيث قال في رأفة ورحما اشترط من أجاز العطف ان لا بد من زيادة معنى في المعطوف وقال هنا فيه دلالة على جواز العطف وان تغاير اللفظان والمعنى واحد من غير زيادة وأبعد الحلبي حيث تبعه في الموضعين وقال هنا وهذا لا زائد ولا مساو ولعله فعل ذلك للسجع انتهى

والفهم سرعة انتقال النفس من الامور الخارجية لغيرها فالمعنى انه صلى الله تعالى عليه وسلم أعلم الناس وأحذقهم وفيه اشارة الى أن علمه صلى الله تعالى عليه وسلم كعلم غيره من البشر ضروري وكسبي وقول بعض الصوفية ان العلوم كلها بالنسبة اليه ضرورية قد رده الشيخ زروق بانه ان حمل على ظاهره لزمه ان ينتفي عنه التكاليف لان العلوم الضرورية لا يكلف بها ولا يؤجر عليها وان أريد انه لشدة ذكاء نفسه القدسية علمه بالكسبيات كغيرها فهو صحيح (وأقواهم يقينا) اليقين والايقان اتقان العلم بنفي الشبه عنه فلا يوصف به الضروري ويتفاوت قوة وضعفا ولذا قال المصنف رحمه الله أقواهم ويشهد له الوجدان وقيل انه لا يتفاوت وانما التفاوت في آثاره ولذا قيل لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا ونسب للحنفية وامام الحرمين فما يتخيل انه أقوى انما هو أجلى عند العقل (وعزما) العزم والعزيمة عقد القلب على امضاء الامر يقال عزمت الامر وعليه وبه ومنه أولوا العزم من الرسل لقوة باسهم وامضاء عزمهم في تنفيذ أوامر الله وتبليغ شرائعه فمن توهمه معنى آخر فقال ليس المراد بالعزم مطلق عقد القلب بل ما في قوله تعالى فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل لم يصب وعزم الله ايجابه وفي التهذيب عزمة من عزمات الله أي حق من حقوقه واجب مما أوجبه والعزم الصبر وقول السيد عيسى قال المرزوقي والعزم توطين النفس وعقد القلب على ماقصد فعله ولا يجوز اطلاقه على الله والعرب تمدح بقوته لدلالته على قوة الطبيعة وعدم التزلزل في الرأي والتدبير والا لربما يظهر أولوية غير ما عزم عليه فيتردد وقد علمت ما يخالفه من انه ورد اطلاقه على الله تعالى كما ورد في مسلم وصححه شراحه الا ان يريد انه لا يطلق بالمعنى المذكور ولا يخفى بعده (وأشدهم بهم رأفة ورحما) الرحم بضم الراء وسكون الحاء المهملتين يقال رحمه رحمة ورحما كقفل ورحمى كرجعى فهو هنا منصوب أو مقصور والرحمة العطف والشفقة والانعام والرأفة بمعناه فذكره هنا للتأكيد أو هو عطف تفسيري أو الرأفة أخص لانها أشد الرحمة كما في الصحاح وغيره وعلى هذا قدم الاخص الاعلى في الاثبات على عكس المعروف في استعمال البلغاء للفاصلة كما قاله الشراح وتبعا للقاضي في التفسير وغيره ولا وجه له كما بيناه في حواشيه لان الرأفة حيث قارنت الرحمة قدمت عليها ولو في غير فاصلة كقوله تعالى رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها حيث قدمت في الحشو والذي غرهم كلام الجوهري وغيره والحق تغايرهما حيث اجتمعا فان معنى الرحمة الانعام أو ارادته والرأفة التلطف والمعاملة برفق لانه يقابله العنف والتجبر كما يعرفه من يفهم كلام العرب فلا بد من تقديمها على الرحمة كما قيل في المثل الايناس قبل الابساس وكما قال * اضاحك ضيفي قبل انزال رحله * وقال الحسن الكرم التبرع بالمعروف قبل السؤال والرأفة مع البذل ويوضحه قول قيس الرقيات

ملكه ملك رأفة ليس فيه * جبروت منه ولا كبرياء

ومن تتبع مواقعه وعرف مقابله جزم بما قلناه ويأتي لهذا مزيد بيان أيضا في الباب الاول وقال أشدهنا تفننا وايهاما للمطابقة كقوله تعالى أشداء على الكفار رحماء بينهم (زكاه روحا وجسما) التزكية

وقد بينت لك الفرق بين الرأفة والرحمة واما الفصل بين الروح والجسد فظاهر للعامة فضلا عن الفضلاء الخاصة (وحاشاه) اى نزهه الله وبرأه (عيبا ووصما) اى عارا على ماصرح به فى القاموس فهو تخصيص بعد تعميم خلافا لمن زعم انهما متساويان وتبعه الحلبى والدلجى ثم نصبهما بنزع الخافض اى من عيب ووصم (وآتاه) بالمد اى اعطاه الله تعالى (حكمة) وهى فى الاصل مايمنع من الجهالة فانها مأخوذة من الحكمة بفتحتين وهى اللجام المانع من النفور اى علما بالشرائع المشتملة على الحكم

المبنية على الاتقان والاحكام (وحكما) بضم فسكون اى قضاء بالاحكام قال المحشى وتبعه الدلجى فيه تجنيس التحريف وهو تحريف من احدهما والصواب التطريف وهو ان يختلف المتجانسان فى اعداد الحروف وتكون الزيادة فى الآخر على مافى شرح مختصر التلخيص ثم هما منصوبان على المفعولية الثانية واغرب التلمسانى بقوله هما مترادفان وجمعهما للتاكيد (وفتح به) اى فتح الله تعالى بسبب نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم (اعينا عميا) اى عن رؤية الحق وهو بضم فسكون جمع عمياء بفتح فسكون ممدودا وابعد التلمسانى حيث قال عميا صفة للاعين وهو جمع اعمى وقال المحشى كان الاولى ان يأتى بجمع كثرة لكن قد يأتى جمع القلة بمعنى الكثرة كقوله تعالى جنات عدن بمعنى جنان وقد يأتى الكثرة بمعنى القلة كقوله تعالى ثلاثة قروء اى اقراء وتبعه الحلبى وقال الاولى ان يأتى به جمع كثرة لكنه تبع الحديث الصحيح والمراد به هنا وبالحديث الكثرة انتهى وقال الحافظ العسقلانى الكثرة العددية من الامور النسبية فيحتمل ان يكون العدول عن جمع الكثرة فى الحديث الى جمع القلة للاشارة الى ان الكفار اكثر من المسلمين

التطهير والتقديس والتنمية والزيادة اى خلقه زائدا على من سواه منزها عن دنس البشرية ووسخ العناصر والكلام على الروح وانه جوهر مجرد او سار فى البدن سريان ماء الورد فى الورد اوهى مالا يدرك كنهه ولا ينبغى الخوض فيه مبسوط فى تأليف مستقل به والنفس تكون بمعنى الروح ايضا فتزكيته صلى الله تعالى عليه وسلم كونه فى اكمل تقويم واحسن صورة مكملا بالقوى الظاهرة والباطنة مطهرا من حظ الشيطان ودنس فى نفسه وبدنه بشق قلبه وغسله كما سيأتى وفصل هذه الجملة واتى بها فعلية لانها كالمؤكدة لما قبلها ولتلوين الخطاب (وحاشاه) فعل ماض يقال حاشاه بمحاشيه قال * ولا احاش من الاقوام من احد * وليس هذا مأخوذا من حاشا الاستثنائية فانها مشتركة بين معان ثلاثة فيكون فعلا متصرفا بمعنى جنب وباعد واداة تنزيه كما فى قوله تعالى حاش لله وتكون للاستثناء واحكامها مفصلة فى بابها وليس هذا محله وهل هو بمعنى اخرج او بمعنى نزه فنصب مابعده على نزع الخافض اى من عيب او عن عيب او بمعنى جنب فنصبه على انه مفعول به وهذا اقرب سواء ورد عن العرب ام لا وهذا تجوز أو تضمين فمعناه منزه وعزله عن النوع السابق الانسانى الذى هو عيبة العيوب والضمير راجع للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل نصب مابعده على التمييز كامتلأ الاناء ماء وفى الحديث اسامة احب الناس الى ماحاشا فاطمة وليس هذا محل الكلام فيه فالمعنى جنبه (عيبا ووصما) اى كل عيب ووصم لان النكرة فى سياق النفى معنى للعموم مع ان النكرة قد تعم فى الاثبات والوصم بفتح الواو وسكون الصاد المهملة ان فسر بالعيب فهو من عطف احد المترادفين على الآخر اطنابا فى مقام الخطابية تتميما للفاصلة وان فسر بالعار كما فى القاموس فهما متغايران والتوصم فى الجسد كالتكسر والفترة والكسل فعلى هذا يعمم بالتوانى وهو ابلغ والمعنى ان الله نزهه عن العيوب الحسية والمعنوية ووفقه للجد فى اموره من غير توان لتوفيقه للجد فى اموره (وآتاه) بالمد بزنة اعطاه بمعناه فيتعدى لمفعولين (حكمة) فى القاموس انها العدل والحكم والنبوة والعلم والقرآن والكلام الحق وهى من احكمه عن كذا اذا منعه لانها تمنع صاحبها عن النقائص ومن حكمة الدابة وقال البيضاوى هى فى عرفهم استكمال النفس الانسانية باقتباس النظريات وكسب الملكة التامة والمداومة على الافعال الفاضلة بقدر الطاقة البشرية قيل ولم يشمل ماذكره القاضى فى تعريفه حكم الله قال بعض المحققين انها العلم بالاشياء كما هى والعمل به كما ينبغى وفيه نظر (وحكما) اى قضاء وفصلا للامور على الحق سواء كان الزاما للغير ام لا ويجوز ان يراد به خطاب الله المتعلق بافعال المكلفين والاول اظهر ولذا اقتصر عليه الشراح ويكون بمعنى الحكمة وليس مرادا هنا وهى مساوية لها للاشتقاق السابق وبينهما نوع من الاشتقاق يجوز ان يكون من جناس التحريف ومافيه من السؤال والجواب بعد النظر لها امر سهل لا ينبغى تكثير السواد بمثله (وفتح به) اى بسببه والباء للآلة (أعينا عميا) جمع عين وفتح العين بمعنى فتح اجفانها وهو كناية او مجاز عن جعلها مبصرة بعد ان لم تكن كذلك أو هو عبارة عن كونه واسطة فى نيل سعادة الدارين بسبب دعوته صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل انه سبب عادى لان الله تعالى جعل ارسال الرسل عليهم الصلاة والسلام

امارة

امارة لخلق الهداية فيمن ارسل اليهم كالشبع والري والاعين جمع قلة وكان مقتضى المقام جمع الكثرة لكنه اتبع اللفظ الوارد فيه كما ستراه وجمع القلة قد يكون للكثرة كعكسه اه وهنا النكتة كعده قليلة بالنسبة لقدرته تعالى اولكونها كانت قليلة في الابتداء وسيأتي تحقيقه وعميا جمع عمياء ويكون جمع اعمى وهو صفة من العمى وهو عدم البصر عما هو من شانه فان لم يرد المعنى الاول فهو استعارة لا تمثيل وتشبيه جعلت الحواس التي لا ينتفع بها كالمفقودة فمن توهم ان ذكر الاعين المشبه مانع من استعارة لم يفتح عينه وليس هذا كقول المتنبي

انا الذي نظر الاعمى الى أدبي * واسمعت كلماتي من به صمم

لان معناه ان كلامه لبلاغته وحسنه شاع وذاع وملأ الاسماع حتى كان الاعمى يراه والاصم يسمعه (وقلوبا غلفا) جمع قلب وهو العضو المعروف ويراد به العقل وقد فسر به هنا وهو الظاهر لقوله غلفا بضم الغين المعجمة وسكون اللام جمع اغلف بمعنى ذي غلاف وغطاء فهي مغطاة في أكنة ومنها غلام اغلف بمعنى اقلف من غلفت السيف ونحوه ويكون جمع غلاف فاصله غلف بضم اللام فخفف وبه قرئ قوله تعالى وقالوا قلوبنا غلف ويصح ارادته هنا على انه بدل اشتمال فيكون المفتوح غلافه وغطاؤه وعلى الوجه الاول الاولى عطفه على الاعين المفتوحة تغليبا او بتقدير وازالة غباوة قلوب غلف على نهج قوله * متقلدا سيفا ورمحا * وهذا مبني على ان القلب محل العلم والقوة المدركة قائمة به لا بالدماغ وتغطية المحل يلزمها تغطية ما فيه ومعناه ان قلوبهم كانت محجوبة عن الهداية فازال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حجابها وكشف غطاءها حتى اهتدت ففيه استعارة تمثيلية او تخييلية او مكنية كما حقق في الكشاف وشروحه وهو لا ينافي قوله تعالى وما انت بهادي العمى عن ضلالتهم لانه فيمن طبع على قلبه وهذا في غيره او المنفي الدلالة الموصلة والمثبت مطلق الدلالة والاول اولى (وآذانا صما) آذان جمع اذن بضمتين وتسكن تخفيفا وهي الجارحة المعروفة وصما بالضم ثم التشديد جمع صماء كعمى وعمياء ويجوز فتح صاده على انه مفرد مؤنث ممدود وقصر للوقف وصف به الجمع كجبال راسية والصمم آفة تمنع السمع وفتحه ازالته مجاز مشهور ويقال في ضده انسدت استعير هنا لعدم الاذعان للحق والانتفاع به لانها لم تسمع السمع المعتد به فنزل سمعها منزلة العدم فلما ارشدوا للحق وكشفت عنهم الحجب المظلمة وانقادوا مذعنين كانوا كمن زال صممه (فآمن به) اي بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وحقيقة الايمان جعل الغير في امان فهو متعد بنفسه ثم ضمن معنى الاقرار والاعتراف فعدي بالباء كآمن بالله بمعنى صدقه واعترف به وقد يعدى باللام وهو في الشرع التصديق بما علم مجيء النبي صلى الله تعالى عليه وسلم به ضرورة تفصيلا فيما علم تفصيلا واجمالا فيما علم اجمالا وتلفظ القادر به شرطه فمن اخل به فهو كافر فهو كالعمل خارج عنه وذهب بعضهم الى انه جزء منه داخل في حقيقته الا انه عند بعض المحققين جزء لا يلزم من عدمه عدمه كالشعر والظفر من الانسان والاوراق والسعف من الشجر كما ذهب اليه بعض السلف وتفصيله في كتب الكلام (وعزره ونصره) بعين مهملة وزاي معجمة ثم راء مهملة بمعنى وقره وعظمه ويكون بمعنى أعانه على عدوه والاول المراد لما فيه من التأسيس واصل العزر بفتح فسكون المنع فاستعمل فيما ذكر لما فيه من المنع عن الاهانة ونحوها وكذلك التعزير المعروف اطلق عليه لمنعه عن العود للجناية ولم يعدل عنه لايهامه المعنى الاخير لدفع السياق له ويرجحه موافقته للقرآن في قوله عز وجل وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي انزل معه مع ما فيه من الاعتماد على أقوى الدليلين وهو اللفظ والفعل ولا يلتفت لما قيل لولا القرآن لكان الاولى ان يقال عززه بمعجمتين احترازا عن المشترك بين الاهانة وضدها وسيأتي انه قرئ بهما في آية الفتح والاعانة النصر والدفع عنه

(وقلوبا) جمع قلب وسمي به لتقلبه في ايدي مقلب القلوب كما قال الشاعر (وماسمى الانسان الالنسيه * ولا القلب الا انه يتقلب) (غلفا) بضم فسكون جمع اغلف كانه جعل في غلاف فهو لا يعي وقالوا قلوبنا غلف اي ذوات غلف لا تعي كلمة الحق ولا تفهمها لانها لا تصل اليها (وآذانا) بمد الهمزة جمع اذن (صما) بضم فتشديد الميم جمع صماء لا اصم كما سبق اي لا تسمع النصيحة والحاصل أنه صلى الله تعالى عليه وسلم اتاهم بآيات واضحة ومعجزات لائحة فاجتلت ابصارهم ووعت قلوبهم وقبلت اسماعهم (فآمن به) اي صدق بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وما جاء به (وعزره) اي عظمه ووقره وهو بتشديد الزاي ووهم التلمساني حيث قال تخفف وتشدد ففي القاموس العزر اللوم والتعزير التعظيم او المعنى منعه من عدوه اذ أصل العزر المنع ومنه التعزير لانه يمنع من معاودة القبيح (ونصره) اي ايده واعانه ايماء الى قوله تعالى لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه والضمير في الآية يجوز ان يكون لكل منهما والاظهر ان يكون الى الاخير فان الايمان به متضمن للاول فتامل ثم الفاعل قوله

(من) أي الذي (جعل الله تعالى له في مغنم السعادة) أي في غنائم السعادة الايمانية وحيز السيادة الايقانية

(قسما) بكسر فسكون أي حظا ونصيبا مقسوما وأما بفتح القاف فهو مصدر (وكذب به) أي كفر بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم (وصدف عن آياته) أي أعرض عن معجزاته البرهانية أو مال عن قبول آياته القرآنية (من كتب الله) أي قدر وقضى وأوجب (عليه الشقاء) بالمد مفتوحا ويكسر أي الشقاوة كما في نسخة وهي الاولى من الاولى كما لا يخفى وقال التلمساني الشقاء العذاب وهو ممدود انتهى ولا يخفى عدم الملاءمة بالمقابلة للسعادة مع أن صاحب القاموس قال الشقاء الشدة والعسر ويمد والظاهر ان معناه التعب كما فسر به قوله تعالى فتشقى وقوله ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى لا بمعنى العذاب المتعارف والله أعلم (حتما) أي حتما مقضيا يعني وجوبا متحتما لازما لا بدله من فعله ولا تبديل ولا تحويل فيه أصلا وقطعا (ومن كان في هذه) أي في الدنيا الدنية التي هي محل تحصيل الكمالات الدينية (أعمى) أي عن الامور العلمية والعملية أوعن طريق الحق وبصيرة الصدق (فهو في الآخرة أعمى) فاعل أو خبر أي فهو فيها أعمى بالطريق الاولى أو أشد عمى للسجع عما كان في الدنيا أو أعمى عن النجاة ورؤية سبيل أهل الهدى والحاصل ان أعمى في الموضعين أفعل وصف والمعنى من كان في الدنيا

ما يضره ويقال نصرت السحابة اذا أمطرت ونصره اذا أعطاه وقدم التوقير على النصر لموافقة الواقع ودفع الاحتمال * (تنبيه) * في القاموس ان التعزير في اللغة من أسماء الاضداد لانه يطلق على التفخيم والتعظيم وعلى التاديب وعلى أشد الضرب وعلى ضرب دون الحد قال شيخ مشايخنا ابن حجر الهيثمي والظاهر ان هذا الاخير غلط لان هذا وضع شرعي لا لغوي لانه لم يعرف الا من جهة الشرع فكيف ينسب الى أهل اللغة الجاهلين بذلك من أصله والذي في الصحاح بعد تفسيره بالضرب ومنه تسمى ضرب ما دون الحد تعزيرا فاشار الى ان هذه الحقيقة الشرعية منقولة عن الحقيقة اللغوية بزيادة قيد هو كون ذلك الضرب دون الحد الشرعي فهو كلفظ الصلاة والزكاة ونحوهما المنقولة لوجود المعنى اللغوي فيها بزيادة وهذه دقيقة مهمة نظر لها صاحب الصحاح وغفل عنها صاحب القاموس وقد وقع له نظير ذلك كثيرا وكله غلط يتعين بالتفطن له انتهى وقوله فكيف ينسب الى آخره قال شيخنا ابن قاسم لا يقال هذا لا ياتي على ان الواضع هو الله تعالى لانا نقول هو تعالى انما وضع اللغة باعتبار ما تعارف الناس مع قطع النظر عن الشرع وقوله (من) موصول تنازعه الفعلان (جعل الله له) أي قضى وقدر كما علم بالنص كقوله أولئك هم المفلحون وكل ميسر لما خلق له

واذا يسر الاله سعيدا * لاناس فانهم سعداء

وليس في هذا ايجاب ولا جبر كما توهم (في مغنم السعادة) مغنم كمقعد بمعنى الغنم والغنيمة وهي الفوز بما يطلب من الفيء ونحوه ويطلق على ما يغتنم من كل شيء والسعادة ضد الشقاوة ويختص بالفوز بالنعيم الاخروي واضافة المغنم بالمعنى المصدري لامية وهي بيانية ان كان بمعنى ما يغتنم ويجوز ان يكون كلجين الماء كما قيل وهو حسن لان المغنم والغنيمة ما أخذ من العدو وقهرا فكان المؤمنين لما اختصوا بالسعادة دون غيرهم كانهم سلبوهم اياها والجامع بينهما ان كلا منهما له فائدة عظيمة لا تحصل الا بجد وجهد ولا وجه لما قيل ان وجهه خفي أو أقوى في المشبه فانه ظاهر لمن له أدنى تامل (قسما) بكسر القاف بمعنى الحظ والنصيب ويجوز فتحها قال في المصباح قسم من باب ضرب والقسم بالكسر اسم مصدر ثم أطلق على الحصة والنصيب ومناسبته للمغنم ظاهرة (وكذب به) يقال كذب بكذا تكذيبا اذا أنكره وجحده وكذبه اذا جعله كاذبا في كلامه هذا هو المعروف في الفرق بين المتعدي بنفسه وبالباء فالمراد انه أنكر ذاته صلى الله تعالى عليه وسلم من حيث النبوة والرسالة ولم يقل كذبه لانه بمعنى ما بعده فمن فسره بانه جعله كاذبا أو أنكره فقد خالف الظاهر وقيل المراد ان هذا الوعيد والشقاء الابدي ثابت لمن أنكره كان وصفه بغير صفته كاسود أو غير قرشي فقد فسره بغير مراده (وصدف) بمهملتين وذا بمعنى أعرض (عن آياته) جمع آية وهي العلامة والامارة وآية القرآن ألفاظ منه ذات مقطع ومبدأ وتكون بمعنى المعجزة التي هي علامة النبوة ويجوز ارادة كل من معانيه هنا ووزنها فعلة ساكنة أو محركة أو فاعلة ويأتي بيان ذلك مع زيادة أي أعرض عن تدبر علامات نبوته صلى الله تعالى عليه وسلم مكابرة كما قال الله تعالى فمن أظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها والآية تضاف الى الله تعالى والى الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم كما هنا لانه جاء بها وجرت على يديه تصديقا له صلى الله تعالى عليه وسلم (من كتب عليه الشقاء حتما) كتب بمعنى حكم وقدر في الازل أو أوجب أو كتبه في اللوح المحفوظ وقيل انه يكتب السعادة والشقاوة في بطن أمه على جبينه أو بين عينيه أو في رق لا يرى في عنقه كما ورد وهو اما تمثيل لسبق شقاوته وسعادته أو هو على حقيقته وظاهره وحتما بمعنى لازما وواجبا لا بد منه ولما كان الشقي لا يهتدي لعمى بصيرته نبه على حاله مقتبسا من القرآن فقال (ومن كان في هذه) الدار الدنيا (أعمى) عن مشاهدة الآيات الظاهرة (فهو في الآخرة أعمى) وأضل سبيلا أتى بالصيغة البديعة من الاكتفاء

للسجع وعماه لعدم رؤيته طريق النجاة وهذه اشارة للدنيا أى من كان فى الدنيا أعمى القلب والبصيرة لا يبصر رشده كان فى الآخرة أعمى على طريق النجاة لا يراها وأضل سبيلا منه فى الدنيا لزوال الاستعداد أو لان الاهتداء بعد لا ينفعه والاعمى مستعار من فاقد الحاسة وقيل أعمى الثانى أفعل تفضيل كاجهل وابله ولذا لم يمله أبو عمرو ويعقوب فان أفعل التفضيل تمامه بمن فالفه فى حكم المتوسطة كاعمالكم بخلاف النعت فان ألفه متطرفة لفظا وحكما فكانت عرضة للامالة من حيث انها تصير ياء فى التثنية وأما لهما حمزة والكسائى وورش على أصله بين بين فيهما وأورد عليه انه ينتقض بمثل قوله الذى هو أدنى الكافرين ألا ترى أن حمزة والكسائى وأبا بكر اما لوها فى الموضعين مع قيام هذا الاحتمال فى الثانى ويمكن ان يقال مراده ان ألفه فى حكم المتوسطة والموضع اللائق للامالة آخر الكلمة حيث تصير ياء عند التثنية فنبه أبو عمرو ويعقوب على الفرق بين الكلمتين بامالة الاول دون الثانى أو يقال من أمال الثانى راعى المشاكلة بينه وبين أصله وهو المعنى الحقيقى وفى بعض الشروح قالوا لكونه اسم تفضيل أمال أبو عمرو الاول دونه لان ألفه غير متطرفة لما مر كما قاله الفارسى والزمخشرى وفيه انهم اما لوا ولا أدنى من ذلك مع التصريح بمن لا يميلوه اذا قدرت معه أولى وأحرى * (أقول) * ذكروا للامالة أسبابا كمجاورة الكسرة أو الهاء ولا يشترط فيه تطرف وكونها منقلبة عن ياء أو تصير ياء فى التثنية ونحوها وهذا يشترط فيه أن يكون ألفه متطرفة كما فى التسهيل ثم انهم قالوا أسباب الامالة مجوزة لا موجبة فاذا اتصل بها ما يجعلها فى حكم المتوسطة وقارنت ما هى متطرفة حقيقة فترك امالته اذا أميل الثانى للفرق بينهما أرجح من الامالة فيه فسقط ما ذكر برمته لانهم لم يعنوا ان أفعل التفضيل مع من ظاهرة أو مقدرة فيه مانع من الامالة بل مرجح لتركها لا سيما مع قصد الفرق بين أفعل التفضيل وغيره وليس فيما ذكر ما يأباه وأما الكافرين فلا يحتاج للعذر لما مر * فان قلت شرط أفعل التفضيل ان لا يصاغ وصفه على أفعل فعلى كالعيوب وما قابلها والالوان لان حق فعله ان يكون ثلاثيا وفعل هذا النوع افعل المشدد اللام ولذا صحت عينه اذا كان ثلاثيا كعور رعاية لاصله وقال ابن مالك رحمه الله تعالى الاقرب أن يقال لما كان بناء الوصف من هذا النوع على أفعل كاعور لم يبن منه اسم تفضيل لئلا يلتبس أحدهما بالآخر * قلت قد أجيب عنه بانه فى العيوب الظاهرة وهذا من العيوب الباطنة وهذا على التعليل الاول ظاهر وأما على الثانى فغير تام الا أن يقال حق وصفه ان لا يكون على أفعل فعلا ويشهد له قول الجوهرى عمى وما خالفه محمول على غيره شذوذا فاذا أريد بالعمى عمى البصيرة فلا اشكال فيه فان أريد عمى البصر عقوبة لهم فوجه التوفيق بينه وبين قوله فاذا هم قيام ينظرون ان فى القيامة مواقف مختلفة باختلاف أحوالهم والاقتباس هنا مبين لما قبله ومثبت له وعطفه رعاية للنظم فانه لما ذكر أن من كذبه وأعرض عن آياته متحتم الشقاوة عقبه بما يدل عليه من كلام الله وفى الكشاف ان العمى حقيقة فى البصر والبصيرة والعمه مخصوص بالثانى فحينئذ يجوز بناء اسم التفضيل منه فان كان حقيقة فى البصر فقط لم يتجه بناؤه كما فى درة الحريرى لان ما يمتنع فى الحقيقة فى مجازها لانا اذا قلنا لا يجوز بناء التعجب من الموت لا يصح أن يقال ما أموته فمن منع بناء التفضيل من الالوان والعيوب لا يجوزه بعد التجوز فيه وأما القول بانه تمثيل فلا يجدى الا الفساد اذ لا تجوز فى مفرداته فهو غفلة من قائله وسياق الكلام على الاقتباس فى آخر الخطبة ولما ذكر انه صلى الله تعالى عليه وسلم وصل الى أعلى مراتب الكمال وان كمال غيره انما هو بهدايته والاقتباس من نور شريعته ناسب ان يعظمه ويدعو له أداء لبعض حقه وتوسلا به الى الله فى قبول حمده واتمام قصده فقال (صلى الله عليه وسلم) والصلاة فى العرف عبادة معروفة وفى اللغة الدعاء وفى اشتقاقها كلام مفصل فى محله كما سيأتى

لا يبصر طريق هدايته لا يرى فى العقبى سبيل عنايته وقيل أعمى الثانى للتفضيل كاجهل وابله ولهذا عطف عليه فى الآية وأضل سبيلا ولم يمله أبو عمرو ويعقوب لان أفعل التفضيل تمامه بمن فكانت ألفه فى حكم المتوسط كما فى أعمالكم ولا يبعد أن يراد بالعمى فى الدنيا الجهالة والضلالة فى الامور الدينية وكونه أعمى فى الآخرة بالطريق الصورية والمعنوية (صلى الله تعالى عليه وسلم) جملة خبرية مبنى انشائية معنى

(صلاة تنمو) بفتح فسكون فضم من النمو أي تزيد عددا دائما (وتنمى) بصيغة المجهول من الانماء أي

بعض الكلام عليه وما اشتهر من أنها من الله رحمة ومن الملائكة استغفار ومن الآدميين تضرع ودعاء صح عن السلف وبه تمسك الشافعي في الجمع بين معنيي المشترك ورده صاحب التوضيح بما هو مذكور في كتب الاصول ولما فيه من معنى التعطف عدي بعلى للمنفعة مع تعدي الدعاء بها للمضرة وعقب الحمد بالصلاة لقوله تعالى ورفعنا لك ذكرك فان السلف فسروه بلا اذكر الا وتذكر معي كما سيأتي الكلام عليه واذا ذهب كثير من الشافعية الى كراهة افراد الصلاة عن السلام لفظا وكتابة أو هو خلاف الاولى كما سيأتي بيانه والسلام اسم مصدر بمعنى التسليم وخص الانبياء عليهم الصلاة والسلام بالصلاة والسلام استقلالا كما خص الصحابة رضوان الله تعالى عليهم غالبا بالترضية وغيرهم بالترحم كما سيأتي في محله والاصح انه لا يكره الدعاء بالرحمة للنبي صلى الله عليه وسلم كما لا يكره التسليم على الصحابة رضي الله تعالى عنهم وان كان من آداب الشريعة تركه رغما للشيعة في التسليم على آل البيت وعندي انه يكره الدعاء بالرحمة للنبي صلى الله عليه وسلم من العامة في موطن لم تؤثر فيه لاسيما منفردا (صلاة) اسم مصدر منصوب على المفعولية المطلقة لافادة تقوية عامله وتقرير معناه (تنمو وتنمى) كذا في غالب النسخ كما قاله التلمساني وفي بعضها تنمى بفتح المثناة وكسر الميم وتنمى بضم المثناة الفوقية وفتح الميم وفي المقتفى ان الاول أصح وأوضح رواية ودراية وفي المصباح نما الشيء ينمى من باب رمى نماء بالفتح والمد كثر وزاد وفي لغة نما ينمو من باب قعد وعيته الى أبيه نسبته نميا وانتمى انتسب وضبط الثاني على الرواية الاولى بفتح المثناة والميم مضارع نمى ينمى كأبى يأبى وعلى ضمة تائه وفتح ميمه وهو مجهول من نمى الحديث ينميه أي رفعه وبلغه فالمراد بالاول انها تكثر وتضاعف تضاعف الحسنات أو هو دعاء بتكثيرها الى غير النهاية والثاني بمعنى ترفع الى الملأ الاعلى لقبولها اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه * وقيل تنمى الاول بصيغة المعروف أي تزيد وترفع بنفسها كالشجرة وفي نسخة صحيحة تنمو بالواو وضعف بان صاحب الصحاح ضعفه ويرده حكايته في القاموس وغيره انتهى والظاهر أن تنمو الاول بمعنى تزيد والثاني بمعنى تبلغ وترفع وتبلغه لما سيأتي من أن لله ملائكة تبلغه صلى الله تعالى عليه وسلم صلاة من صلى عليه فلا حاجة لما قيل من أن الثاني بصيغة المجهول أي يزاد عليها بانضمام مثلها معها فاندفعت المناقشة بان كل رحمة تنمى فهي تنمى على انه يحتمل التأكيد انتهى فانه تعسف أنت في غنية عنه بما قدمناه وكذا ما قيل من أن المطلوب صلاة مستقرة مستمرة تنميها فتنمو وتزيدها فتزيد وهذه الجملة للانشائية والخبرية نبهناك عليه (وعلى آله) عطف على قوله عليه وقيل على المجرور باعادة الجار واصل معناه الاتباع ولذا فسره بهم فيما سيأتي ولم يضف في الاكثر المطرد الا الى العقلاء الاشراف وزيد قيد الذكور والكل أغلبي لقولهم آل الله وآل البيت قال

وانصر على آل الصليب * وعابديه اليوم آلك

فهو أخص من الاهل ثم خص في العرف ببني هاشم وبني المطلب وقيل هم عترته وأهل بيته وقيل هم جميع أمته كما سيأتي في كلام المصنف مع الكلام عليه واختاره الامام مالك والنووي والاصح جواز اضافته الى الضمير وان زعم المبرد انه من لحن العامة وانه اذا أضيف يقال أهله وأصله أول من آل يؤول الى كذا اذا رجع اليه بقرابة ونحوها لان الكثير يرجع اليه في المهمات وقيل أصله أهل فقلبت الهاء همزة والهمزة ألفا واستدل بتصغيره على أهيل ولا دليل فيه لانه قيل أهل وأهيل وآل وأويل قيل كان ينبغي ذكر الصحب مع الآل لان الصلاة عليه تستحب عليهم وأجيب بان معناه هنا الامة والاتباع فهم فيشملهم مع الاختصار وهو مذهب مالك والمصنف رحمه الله مالكي المذهب وقد تفرد ابن عبد السلام رحمه الله بانه لا يستحب الصلاة الا على من ورد ذكره في الحديث من الآل والازواج والذرية وهو غير مرضي (وسلم تسليما) سلم بصيغة الماضي أو الامر وهذا موجود في أكثر النسخ وقد سقط من بعضها كما في

ويزيدها الله أو يزيد ثوابها أبدا والمعنى تزيد في نفسها ويزاد فيها وفي نسخة صحيحة بدل الاولى تنمى كترمى بالياء بدل الواو وهو الاولى من جهة صنيع الجناس المستحسن في المبنى مع انه اللغة الاشهر عند الاكثر ففي الصحاح نمى المال وغيره ينمى نماء وربما قالوا ينمو نموا وأنماه الله تعالى انماء انتهى وفي غالب النسخ المصححة تنمو بالواو وعن الخليل انه الافصح وبهذا يتبين ان قول الحلبي وفي لغة ينمو وهو ضعيف هو الضعيف لمخالفة الجمهور ولمعارضة شيخه مجد الدين الفيروزابادي صاحب القاموس حيث قال نما ينمو زاد كنمى ينمى وأما ما نقل عن الكسائي لم أسمعه بالواو الا من أخوين من بني سليم ثم سألت بني سليم فلم يعرفوه فالجواب عنه انه على تسليم صحته يكون لغة لغيرهم ومن حفظ صار حجة على من لم يحفظ (وعلى آله) أي اتباعه ولذا لم يقل وأصحابه وفي نسخة وصحبه على انه تخصيص بعد تعميم أو المراد بالآل أقاربه والعطف لزيادة التشريف والتكريم (وسلم) بفتح اللام عطف على صلى (تسليما) أي تسليما عظيما

ووقع فى بعض النسخ زيادة كثيرا وهو مخل بالسجع المرعى فى الفواصل ثم ظاهر آية يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما
دال على وجوب الصلاة والسلام عليه كما ذكر وكذا حديث من ذكرت عنده فلم يصل على دخل النار فابعده الله تعالى وحديث رغم
أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل على وبه قال الطحاوى من الحنفية والحليمى من الشافعية واللخمى من المالكية وابن بطة من
الحنابلة والجمهور على انها فى العمر فرض مرة والمحققون على انها فرض فى كل مجلس ذكر صلى الله تعالى عليه وسلم فيه والله تعالى أعلم
(أما بعد) بضم الدال مبنيا لحذف المضاف اليه وكونه منويا وقال الحلبى وبفتحها اجازه هشام وقال النحاس انه غير معروف ورفعها
منونة وكذا نصبها انتهى وذكر النووى فى باب الجمعة من شرح مسلم انه اختلف العلماء فى أول من تكلم باما بعد فقيل داود عليه
الصلاة والسلام وقيل يعرب بن قحطان وقيل قس بن ساعدة وقال بعض المفسرين أو كثير منهم انه فصل الخطاب الذى أوتيه داود
وقال المحققون فصل الخطاب الفصل بين الحق والباطل انتهى وفى الكشاف ويدخل فيه يعنى فى فصل الخطاب أما بعد فان المتكلم
اذا أراد أن يخرج الى الغرض المسوق اليه فصل بينه وبين ذكر الله تعالى بقوله أما بعد انتهى وفى غريب مالك للدارقطنى بسند
ضعيف أن يعقوب عليه الصلاة والسلام لما جاءه ملك الموت قال من جملة كلامه أما بعد فانا أهل بيت موكل بنا

بعض الشروح وهو يحتمل أن يكون تسليما على من ذكر قبله تاكيدا له بحسب المعنى لفعله ومصدره
أو لقوله وعلى آله بعطفه على صلة الصلاة السابقة على السلام بعد تشريكه معهم فى أصل الصلاة والتسليم
تمييزا لشرفه وعلو قدره ولما كان المستحب أن لا يفرد الآل بالصلاة عن السلام أردفه به تتميما للمقام
كما ارتضاه الشارح الفاضل ويحتمل أن يفيد العطف التشريك فى الصلاة والسلام أى على النبى وآله اذ
لفظ سلم فى الصلاة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ليست من كلام المصنف وان اقتضى كلام الشارح
انه ثابت فى كلامه ويكون ماذكرناه تاكيدا له وهذا دعاء المقصود به تعظيمه صلى الله تعالى عليه وسلم
ومعناه السلام عليه أو جعله سالما من النقائص والآفات وأما تاكيد السلام بالمصدر دون الصلاة اقتداء
بالنظم المجيد فلان الصلاة من الله ومن الملائكة رحمة وتعظيم واقعة منهم بلا تردد وأما البشر فلما صدر عن
بعضهم كالكفرة ما صدر من أذيتهم وتنقيصهم أمروا مع الصلاة بالتسليم من النقائص والانقياد واكد
لوقوع الانكار وما يخالفه وهذا خفى على بعض الناس وقال القاكهانى فى الصلاة لما أكدت بالاعلام بان
الله وملائكته يصلون عليه وبتقديمها اعتناء بشانها ولا كذلك السلام فحسن تاكيده بالمصدر جبرا له وهو
لا يجرى هنا كما توهم لانه أخبر ان الله عز وجل صلى عليه بقوله صلى الله عليه فيكون قوله بعده وسلم بصيغة
الامر أى سلم أى أوجد السلام عليه فيطابق الآية لفظا ومعنى وهو تعسف غنى عن الرد * ثم ان المصنف
أتى بسجع الخطبة على روى واحد ولم يجعل كل فاصلتين على حدة وهو أسلوب من أساليب السجع ثم
ذيله بما هو خارج عن السجع ومثله كثير فى الخطب فمن توهم انه منه وأورد عليه أنه يطول بعض فقره وهو
معيب فقد توهم اذ لا يتوهم ان تسليما كالقافية هنا الا بتكلف (أما بعد) أما حرف شرط لوقوع الفاء

البلاء وهذا يدل على ان
أول من تكلم به يعقوب
لا داود عليهما الصلاة
والسلام ونظير فصل
الخطاب كلمة هذا فانه
يفصل بها بين الكلامين
كقوله تعالى هذا وان
للطاغين لشر مآب أى
الامر هذا أو هذا كما ذكر
أو خذ هذا المعد للمتقين
وأما تنظير المحشى بقوله
تعالى هذا وان للمتقين
لحسن مآب فغفلة عن
لفظ التنزيل وهو قوله
تعالى هذا ذكر وهو ليس
من هذا الباب نعم نظيره
ما قال الشاعر

* (هذا وكم لى بالحبيبة سكرة * أنا من بقايا خمرها مخمور) فانه أشار بهذا الى كلام تقدم ثم استانف كلاما ثانيا والله
تعالى أعلم * ثم اعلم ان قس بن ساعدة الايادى بضم القاف وتشديد المهملة بليغ حكيم ومنه الحديث يرحم الله قسا انى لارجو
يوم القيامة أن يبعث أمة وحده قيل هو أول من كتب من فلان الى فلان وفيه نظر لقوله تعالى انه من سليمان وأول من خطب بعصا
وأول من أقر بالبعث من غير سماع قيل انه عاش ستمائة سنة وقد رآه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بسوق عكاظ وهو راكب جملا
له أحمر وورد رحم الله قسا انه كان على دين أبى اسمعيل بن ابراهيم عليهما الصلاة والسلام رواه الطبرانى عن غالب بن ابجر وفى رواية
رحم الله قسا كأنى أنظر اليه على جمل أورق تكلم بكلام له حلاوة ولا أحفظه رواه الازدى فى الضعفاء عن أبى هريرة رضى الله تعالى
عنه ومن قوله أيها الناس اسمعوا وعوا من عاش مات ومن مات فات وكل ما هو آت آت ثم هو من أهل الفترة وأما يعرب بن قحطان فهو
أبو اليمن وقيل هو أول من تكلم بالعربية وههنا قولان آخران فى أول من قال أما بعد فقيل كعب بن لؤى وقيل سحبان وهو بليغ
يضرب به المثل لكن هذا القول غير صحيح لان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كان يقولها فى خطبته وهو قبل سحبان اجماعا لانه كان فى
زمن معاوية وما أجيب عنه بانه أول من قالها بعد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى الاسلام لا يخفى بعده لانى ما أظن ان الصحابة رضى
الله عنهم كانوا لا يتركونها فى خطبهم بعد ما سمعوها منه صلى الله تعالى عليه وسلم فى خطبته والله تعالى أعلم

بعدها لفظا أو تقديرا وتوكيدلان معناها مهما يكن من شئ فقد علق مشروطها على وقوع شئ ما فى الكون مما لا يخلو عنه ضرورة فكانه قال انه واقع على كل حال البتة وتفصيل غالبا أو دائما بتقدير معادل فيما لم يذكر ويفصل بينها وبين الفاء بامور ذكرها النحاة منها الظرف كبعدهنا والعامل اما فعل مقدر أو ما فى حيز الجواب وهو مبنى على الضم كغيره من الظروف المقطوعة عن الاضافة وأجاز فتحه من غير تنوين وقال ابن النحاس انه غير معروف وروى عن سيبويه رفعها ونصبها كما فصل فى محله وأما بعد قيل انها فصل الخطاب واختلفوا فى أول من تكلم بها على أقوال (أشرق الله قلبى وقلبك) أشرقت الشمس ونحوها بمعنى أضاءت وهو لازم كما قال الله تعالى وأشرقت الارض بنور ربها وقد استعمل متعديا فى كلام المولدين كما هنا فيكون اما حملا له على اضاء لانه بمعناه والشئ يحمل على نظيره وضده وأضاء جاء متعديا ولازما كما صرحوا به أو هو متضمن معناه أو معنى التصيير أى صير الله قلوبنا مشرقة كما قيل به فى قوله

ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها * شمس الضحى وأبو اسحق والقمر

والخطاب هنا للسائل الآتى وهذه جملة دعائية معترضة بين الشرط والجزاء لانه بعد ذكر الظرف لا يذكر فاصل آخر والقلب معروف ويطلق على العقل والروح وما قيل انه لطيفة ربانية لها تعلق بالقلب الجسمانى لا يوقف على حقيقتها تبع فيه بعض الصوفية وكانه أراد الاخير ثم ان المصنف رحمه الله تعالى بدأ بنفسه فى الدعاء كما ورد فى القرآن رب اغفر لى ولوالدى وفى حديث رواه الترمذى كان صلى الله تعالى عليه وسلم اذا ذكر أحدا ودعا له بدأ بنفسه وقد وقع ما يخالفه كثيرا فقال الزركشى فى حواشى ابن الصلاح بان ذلك اذا كان المدعو به واحدا فان تغاير فهو مخير وقال النخعى رحمه الله تعالى كان يقول اذا دعوت فابدأ بنفسك فانك لا تدرى فى أى دعائك يستجاب لك فبين العلة فيه وهذا ليس مخصوصا بالحديث الآخر وهو كان صلى الله تعالى عليه وسلم اذا ذكر أحدا من الانبياء عليهم الصلاة والسلام بدأ بنفسه فقال رحمة الله علينا وعلى أخى كذا فانه لم يذكر للتخصيص وفى شرح العقيدة البرهانية للتفريني انه يقدم الدعاء للاخوان ايثارا لهم لما ورد فى الحديث ان العبد اذا دعا لاخيه المسلم قال الله تعالى لبيك عبدى ولك أبدا فأى فضيلة تلتمس وراء هذه وهى كونه مبدوأ به فى الاجابة فمقام الايثار مقام عال شريف فان شاء بدأ بنفسه وان شاء بدأ بغيره انتهى فقد علم مما قالوه انه اذا دعا لنفسه وغيره فى الافضل من طرقه أقوال قد يجمع بينها بانها بحسب المقام ولكل امرئ ما نوى (بانوار اليقين) الانوار جمع نور وهو كالضوء الا أن بينهما فرقا ولذا قال الله تعالى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وفيه تفصيل ذكرناه فى حواشى البيضاوى وهل هو جرم أم لا فيه كلام فى كتب الحكمة فقيل عرض يحصل فى الاجرام عند مقابلة النير بتوسط جرم شفاف كالهواء والماء والمفيض له المبدأ الفياض للصور بالشروط المعدات للافاضة فلولا قصور البشرية ما احتاجت الى واسطة وقد قيل ان مشاهدة كل ما يرى بتوسط نور على ما يقبل الاضاءة بمثابة علم اليقين ومعاينة جرم النار المفيض للنور على ما يقبل الاضاءة بمثابة حق اليقين والاتصال به عين اليقين ثم ان النور لما كان ظاهرا بنفسه مظهرا لغيره شاع اطلاقه على ما ضاهاه كالرسل والعلم والعقل فان فهمت فنور على نور واليقين ايقان العلم بنفى الشك والشبه عنه بالاستدلال ولذلك لا يوصف به علم الله والمعنى الحضورى والضرورى فنور اليقين اما من قبيل لجين الماء أى اليقين الذى هو كالنور فى قوة الظهور وقيل المراد الادلة المبينة له استعارة أو العقل أى رزقنا الله عقلا سليما نهتدى بنوره الى سبيل الرشاد وشرح مشكاة صدورنا لنعلم علوما نافعة ساطعة البرهان ودعا بذلك لان ما ساله يتوقف عليه وقيل المراد بنور اليقين العلم اللدنى وهو معرفة الذات والصفات

(اشرق الله) أى اضاء ونور (قلبى وقلبك بانوار اليقين) أى بانواع انواره من علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين على قدر مراتب العارفين فى ميادين الدين والاصل فى النور الظهور * واعلم ان مقتضى القواعد العربية واستعمال الفضلاء الادبية ايراد الفاء بعد اما بعد بل بعد بعد أيضا اما التقدير اما وأما لتوهم اما مع رفع توهم الاضافة وافادة الدلالة التعقيبية وقد قال سيبويه ان معنى اما بعد مهما يكن من شئ بعد فتعين اتيان الفاء الجزائية وسياتى فى قوله فانك فالجمل المذكورة دعائية اعتراضية واما قول التلمسانى فى قوله تعالى اما السفينة فكانت لمساكين يعملون فليس فى محله لان اما هذه تفصيلية لا شرطية

(ولطف لى ولك) باللام فيهما على الاصول المصححة لا بالباء الموحدة (بما) أى بمثل ما وفى نسخة كما (لطف باوليائه) فما مصدرية وفى نسخة صحيحة بما لطف لاوليائه فما موصولة وفى نسخة بعباده المتقين بالباء جمعا بين اللغتين وتفننا فى العبارتين فمن الاولى قوله تعالى ان ربى لطيف لما يشاء ومن الثانية الله لطيف بعباده يرزق من يشاء ولطف بفتح الطاء من اللطف وهو على ما فى المجمل بمعنى الرفق والرأفة وعلى ما فى الصحاح بمعنى التوفيق والعصمة وقيل بمعنى الهداية واما بالضم فمعناه دق وصغر والالطف ما قال

بعضهم من ان اللطف فى اللغة الرقة وهو من الله تعالى زيادة بره للانام بامور تدق عن الافهام منها هدايتهم للايمان والاسلام وتوفيقهم لطاعاته ومراعاة الاحكام وكفهم عن المعاصى والآثام وتيسير أسباب الراحات الدنيوية والاخروية عليهم ودفع المضار المانعة عنهم وجلب المنافع اليهم ثم التقوى هو التوقى عن مخالفة المولى (الذين شرفهم) أى الله تعالى كما فى نسخة (بنزل قدسه) بضمتين ويسكن الثانى فيهما الا ان السكون فى الثانى اقل وفى الاول أكثر ثم النزل ما يهيأ للضيف من الكرامة لانسه وقيل النزل المنزل وبه فسر قوله تعالى جنات الفردوس نزلا وقد جزم المحشى بانه مراد المصنف هنا والظاهر انه لامنع من الجمع كما أشار اليه صاحب القاموس النزل بضمتين المنزل وما هيئ للضيف ان ينزل عليه كالنزل والمعنى بالنزل الحال

بمشاهدة كشفية لا بمجرد ادلة عقلية ونقلية ومنه علم الخضر عليه الصلاة والسلام وهذه مرتبة فوق مرتبة الايمان بالغيب ولا يخفى بعده (ولطف لى ولك) لطف كقعد من اللطف وهو الرفق والرأفة وهو من صفات الله تعالى وفيه تفاسير منها التوفيق والبر والاحسان أو معاملة عباده بذلك وايصاله من حيث لا يشعرون ولذا يوصف بالخفاء وجعل تذييلا لقوله تعالى لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير ومن ثمة قيل انه من اللطافة المقابلة للكثافة وقيل انه العلم بالدقائق التى لا يهتدى لها والمشهور تعديته بالباء كقوله تعالى الله لطيف بعباده وجاء تعديه باللام فى قوله ان ربى لطيف لما يشاء لما فيه من معنى التوفيق والتيسير أو ضمن لهذا أو لمعنى الايصال كما ذهب اليه صاحب العمدة والراغب وذهب صاحب المجمل الى انه حقيقة وفى النهاية يقال لطف به وله اذا رفق واليه أشار من قال هو اجتماع الرفق فى الفعل والعلم بدقائق المصالح وايصالها لمن قدرت له وكذا جمع المصنف رحمه الله تعالى بين حرفى التعدية فقال (بما لطف به لاوليائه المتقين) وهو انما يتعدى باحدهما فاما ان يقدر لاحدهما متعلق أو تجعل الباء سببية لا معدية وفى نسخة بما لطف به بعباده بالباء فيهما وهو أيضا تمام فلا غبار على كلامه كما توهم والاولياء جمع ولى فعيل بمعنى فاعل لانه موال لله أو بمعنى مفعول لانه تعالى تولى أمره وله معنى عام وهو كل مسلم منقاد لله وخاص وهو العارف بالله وصفاته المواظب على طاعته المجتنب للمعاصى المعرض عن اللذات والشهوات المستغرق فى شهود الذات المتجلى بكل خلق محمود وله مراتب الا انه لا يشترط فيه ان يكون له كرامة وقال الدوانى وهو المتقى العارف بالله وصفاته المتوجه بكلية قلبه الى جناب قدسه قالوا والمراد بالمعرفة ما كان عن كشف صريح صحيح بعد التهذيب أو ملاحظة ذاته وصفاته فى كل افعاله وعند الصوفية هو الفانى فى الله الباقى به والفناء لاستغراق فى شهادته القلبية حتى لا يشعر بغيره حتى بنفسه وعدم شعوره وهو انتهاء السير اليه والبقاء به لكونه مظهر الافعال الله وارادته من غير اختياره فى غير اختياره والمتقين صفة كاشفة أو المراد بها معنى خاص لان المتقى اسم فاعل من الوقاية وهى الصيانة وفى العرف من يقى نفسه عما يضره فى الآخرة وله مراتب أولها التوقى عن العذاب بالتبرى عن الشرك وعليه قوله والزمهم كلمة التقوى وثانيها التجنب عما يؤثم فعلا وتركا حتى الصغائر عند قوم وعليه قوله ولو ان أهل القرى آمنوا واتقوا وثالثها ان يتنزه عما يشغله عن الحق فينقطع اليه بكليته وهو المراد بقوله اتقوا الله حق تقاته فهو دعاء بان يوفقه لتيسير ما يسره (الذين شرفهم الله عز وجل بنزل قدسه) الشرف فى الاصل المكان العالى نقل لعلو المرتبة والمنزلة والنزل بضمتين ويخفف بتسكين ثانيه وهو الفضل والريع فى الطعام يقال طعام كثير النزل فاستعير للحاصل من الشئ وهو أيضا ما يهيأ للضيف اذا نزل ثم قيل لمطلق الزاد والكرامة وهذا هو المراد هنا ويكون بمعنى المنزل والمسكن قال الله تعالى كانت لهم جنات الفردوس نزلا ويصح ارادته أيضا والقدس بضمتين ويخفف ثانيه مصدر بمعنى الطهر واسم جبل القدس لطهارته بالعبادة فيه والقدس من اسماء الله تعالى بمعنى المنزه عما لا يليق به والمبارك وقدس الله وحظيرة قدسه الجنة وهو المراد أى شرفهم باكرامه لهم فى جنته أى باسكانه اياهم فيها أو بكرامة تطهيره اياهم أو بجعل الطهارة

المقدس عن الدنس وفى نسخة بنور قدسه وهو اظهر معنى لان المراد به وبما بعده مقامات العارفين فى الدنيا وان كانت سبب درجات فى العقبى فلا يلائم تفسير نزل قدسه بالجنة لنزاهتها عن الكدورات الدنيوية كما اختاره الدلجى ثم قال ويجوز ان يريد به ما يهيأ لهم من الطعام اذا دخلوها الوارد به نزل أهل الجنة زيادة كبد الحوت واما ما هو فى ولكم فيها ما تدعون نزلا فحال من ضمير تدعون تلويحا بان ما يتمنونه بدعائهم بالنسبة الى عطائهم مما لا يخطر ببالهم كالنزل للضيف

(وأوحشهم) من الوحشة ضد الانسية يقال أوحشه فاستوحش أى جعلهم ذوى وحشة (من الخليقة) وفى نسخة من بين الخليقة (بانسه) لان الاستئناس بالناس من علامة الافلاس ولا يمكن دفع العوائق الا بقطع العلائق فالمعنى أبعدهم الله تعالى عن الخليقة وقربهم منه على مراعاة الشريعة والطريقة والحقيقة فيكونون كاثنين باثنين قريبين غريبين عرشيين فرشيين مع الخلق فى الصورة ومع الحق فى السريرة كما هو دأب الانبياء وعادة الاولياء به آنسون ومن غيره آيسون (وخصهم من معرفته) أى جعلهم أهل الخصوص من أجل معرفته وفى نسخة بمعرفته أى جعلهم مخصوصين بها بحيث لا يلتفتون الى معرفة غيره أصلا (ومشاهدة عجائب ملكوته) فعلوت من الملك بزيادة الواو والتاء للمبالغة وفرق بين الملك والملكوت اذا اجتمعا بان يخص الاول بظاهر الملك والثانى بباطنه أو الاول بالعالم السفلى والآخر بالعالم العلوى قال الله تعالى وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وقال عز وجل فسبحان الذى بيده ملكوت كل شئ ومعنى المشاهدة المعاينة واغرب التلمسانى حيث فسرها بالحضور مع قوله مصدر شاهد بمعنى رأى ثم العجائب جمع عجيب وهو ما يتعجب فيه من الامر الغريب (وآثار قدرته) أى من مطالعة مصنوعاته (بما ملأ قلوبهم حبرة) بفتح المهملة وسكون الموحدة أى مسرة من الحبور وهو السرور وقيل معناها النعم والكرامة ومنه قوله تعالى فهم فى روضة يحبرون أى ينعمون ويسرون ويكرمون ثم الجار متعلق بخص أو بالمشاهدة وما مصدرية أو موصولة وقلوبهم مفعول به وحبرة مفعول ثان كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم فى حق الكفار يوم الاحزاب ملأ الله قبورهم نارا أو منصوب بنزع الخافض وايصال الفعل كقوله تعالى لاملأن جهنم من الجنة وقيل منصوب على التمييز واما ماذكره التلمسانى من انه يقال بفتح الباء الموحدة وتسكينها فوهم لان الفتح انما جاء بدون التاء على ما فى القاموس أو بضم الحبرة وهى سرور ظهر حبره أى أثره على وجوههم فكساها بهاء وجاء فى الحديث يخرج من النار رجل قد ذهب حبره وسبره بكسرهما وقد يفتحان أى بهاؤه وجماله (وولّه) بالتشديد (عقولهم) أى جعلها والهة بتدبرها وتفكرها (فى عظمته) وفى نسخة من عظمته (حيرة) أى ذوات تحير بما غشاها من ضياء جمال وبهاء كمال وفى نسخة وذرعقولهم أى تركها متحيرة ولا يخفى صنعة التجنيس بين حبرة وحيرة

نزلا على الاضافة البيانية كما قيل والحاصل انه خصهم بتشريفه وعلو منازلهم وتطهيرهم عن النقائص ولتقدم التخلى على التحلى عقبه بقوله (وأوحشهم عن الخليقة بانسه) فى نسخة من بدل عن وأوحش ماض بمعنى صيرهم فى وحشة ونفرة عما لا يلائم ومنه الوحش والانس ضده وهو التقرب مع الانبساط لما يهوى ولذا قيل الانس ارتفاع الحشمة مع وجود الهيبة وقيل هو انبساط المحب الى المحبوب والوحش بالسكون والوحش بكسر الحاء صفة منه بمعنى المتوحش وشاع فى العرف بمعنى القبيح ولذا تظرف القائل

ووحشة لم تزل تحركها * يد النوى فهى دائما وحشه

والخليقة بمعنى الخلق والناس ويكون بمعنى الخلق والطبيعة وبمعنى الجديرة يقال طبيعة خليقة بكل مدح وخليقة جديرة والباء بانسه سببية يعنى ان انسهم بالله واستغراقهم فى مشاهدته تفرقهم عمن سواه والانس هنا روحانى كما قيل

فالجسم منى للجليس مؤانس * وحبيب قلبى فى الفؤاد أنيس

(وخصهم من معرفته) من بيانية مبينة لما الآتية ان قلنا يجوز تقديم البيان على المبين كما ذهب اليه بعض النحاة والمانع يقول هو بيان لامر مقدر والآتى تفصيل له أبهم وأجمل فى ذلك المقدر ومعرفة الله معرفة ذاته وصفاته بوجه ما ولها مراتب وهذا مما لا خلاف فيه انما الخلاف فى معرفة الذات بالكنه هل هى واقعة أم لا ممكنة أم لا كما فصل فى الكلام ومعنى المعرفة معروف (ومشاهدة عجائب ملكوته) المشاهدة المعاينة من الشهود وهو الحضور والملكوت صيغة مبالغة من الملك كالرحموت من الرحمة وقد يخص بما يقابل عالم الشهادة ويسمى عالم الامر كما ان مقابله يسمى عالم الشهادة وعالم الملك قيل وهو المراد هنا فهو ما غاب عن الحس وقيل بل المراد هنا الملك المشاهد ومن فى قوله من معرفته ابتدائية لا بيانية أى ان الله خص أولياءه بما سر هم وولههم لانهم لما عرفوه ونظروا فى عجائب مصنوعاته فنشألهم ما ملأهم نضرة وسرورا ثم نزلت بهم حيرة بين الطمع فى الوصول واليأس

حيرة عمت فاى فتى * رام عرفانا فلم يحر

ومن تحتمل البيانية بناء على جواز تقديمها كما مر ففيه احتمالان لكل منهما وجهة (وآثار قدرته) الآثار بالمد جمع أثر وآثار القدرة المقدورات البارزة فى الوجود بعد تعلق القدرة بها من بين الممكنات وقد حمل هذا على عالم المشاهد المحسوس وما قبله على عالم الغيب كما سمعته آنفا وهو الاحسن من حمله على الثانى (بما ملأ قلوبهم حبرة) بفتح الحاء المهملة وسكون الباء الموحدة ويجوز فتحها كما قال التونسى ثم راء مهملة تليها هاء تانيث وملأ مهموز اضد فرغ والحبرة السرور وهو منصوب على التمييز وما الموصولة عبارة عما انكشف لهم من المعارف الالهية وتفسيره بلطيفة روحانية تكلف كما مر (وولّه عقولهم فى عظمته حيرة)

وله مشدد اللام تفعيل من الواه يقال وله يوله ولهـا من باب تعب وفى لغة قليلة من باب وعد والذكر والانثى واله ويجوز فى الانثى والهة كذا فى المصباح والوله الحزن أو ذهاب العقل الناشى منه وفى المصباح واه اذا ذهب عقله من باب فرح أو حزن وقيل الوله لغة نفس الحيرة والعقل قوة للنفس بها ادراك الانسان وتمييزه عما سواه

لولا العقول لكان أدنى ضيغم * ادنى الى شرف من الانسان

والحيرة بفتح الحاء المهملة وسكون المثناة التحتية والراء المهملة قال فى المصباح حار فى أمره يحار حيرا من باب تعب وحيره الامر لم يدر وجه الصواب فيه فهو حيران وقال الازهرى أصله ان ينظر الانسان الى شئ فيغشاه ضوؤه فيصرف بصره عنه وفى الصحاح الواه ذهاب العقل والتحير من شدة الوجد وهو فى العرف كونه مبهوتا واقفا بين المعرفة والذهول فان اعتبر فيه الفعل أو الحيرة فلا بد فيه من التجريد والا فلا وهو منصوب على انه مفعول مطلق لواه وتمييز والمعنى انهم عجزوا عن ادراكها فلما ازدادت العظمة ازداد العقل تحيرا وثبورا فان العظمة جلال الله وكبرياؤه التى تقف العقول دونها وفى التفسير فى حديث الكبرياء (ردائى والعظمة ازارى) اشارة الى الفرق بينهما وهو ان الكبير من هو فى ذاته كبير سواء استكبره غيره أم لا وسواء عرفت هذه الصفة أم لا والعظمة عبارة عن كونه بحيث يستعظمه غيره فالصفة الاولى ذاتية لا الثانية والذاتية أعلى وأشرف فلذا جعلها ازارا وتلك رداء وقيل له متكبر دون متعظم فتأمله وفى العبارة تجنيس ولف ونشر ان قلنا الذى ملأ القلوب سرورا معرفته والذى حير العقول عجائب ملكوته وآثار قدرته لان من عرفه ابتهج بعبوديته وترقب فيضه والعبد يزهو على مقدار مولاه وأثرت تلك المشاهدة الواه والحيرة لان عيون البصائر لا تطيق النظر لاشعة أنوار القدس (فجعلوا همهم به واحدا) الفاء تعقيبية أو تفريعية والهم فى الاصل مصدر بمعنى الحزن والعزيمة والارادة وكل مطلوب يهمك ويعنيك وكل من المعانى غير الاول جائز هنا أى لما شاهدوا باهر قدرته تحيرت عقولهم فى كبرياء عظمته علموا ان ماسواه كلاشئ فوجهوا جميع وجوه الارادة والعزيمة اليه وجعلوا قبلتهم واحدة فلا مراد لهم سواه لاشتغالهم به عما عداه

تملك بعض حبك كل قلبى * فان ترد الزيادة هات قلبا

وفى التفسير الكبير ورد عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال من جعل همومه هما واحدا كفاه الله هم الدنيا والآخرة فكان العبد يقول همومى فى الدنيا والآخرة غير متناهية فلا يقدر عليها الا الموصوف بقدرة غير متناهية فانا لا أقدر على دفع حاجاتى ولا تحصيل مهماتى بل القادر عليها الله سبحانه فانا لذلك أجعل همى مشغولا بذكره ولسانى واقفا على ذكره فاذ فعلت ذلك كفانى برحمته مهمات الدنيا والآخرة قلت أنا فى معناه

من صير همه جميعا هما * يكتال به السرور كيلا جما
والحر فتى بذاك ختما هما * من يسبح لا يخاف بحرا طما

وباؤه سببية لا صلة الهم أى جعلوا قصدهم واعتناءهم به تعالى حال كونه واحدا فى القصدية فلا مقصد سواه أو حال كون قصدهم واحدا والمآل واحد * وقيل المعنى انهم جعلوه واحدا فلم يريدوا منه الا اياه الا أن فيه قصورا فعرفوا انهم لم يبق لهم طلب وتطلب فقصدوه لا لشئ وهذا معنى قولهم آخر ما يخرج من قلوب الصديقين حب الجاه فتجلى لهم جمال ذى الجلال حتى نسوا أنفسهم ونسيانهم وهو كلام نفيس لكنه لا يناسب كلام المصنف رحمه الله تعالى والجار والمجرور يجوز أن يكون مفعولا ثانيا لجعل وواحدا حال من الضمير المجرور أو من الضمير المستتر فى الجار والمجرور وهو الاولى (ولم يروا) حقيقة لا مجازا وقيل لا حقيقة ولا مجازا (فى الدارين) الدنيا والآخرة وأصل معنى الدار معروف وقد شاع فى لسان الشرع استعماله فيما ذكر حتى صار حقيقة فيهما فكأنهما القاتهما عند الله بمنزلة دار أنزل

(فجعلوا همهم به) أى بالله ودينه قائمين بحقوق ألوهيته ووظائف عبوديته (واحدا) أى هما واحدا اشارة الى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم من جعل الهموم هما واحدا كفاه الله تعالى هم الدنيا والآخرة والمراد بالهم هنا القصد والهمة والعزم والجزم التام ولا يبعد ان يكون بمعنى الحزن الموجب للاهتمام فى سبيل الله أو بسبب دينه فالضمير له سبحانه وأبعد التلمسانى فى جعل الضمير للواه المفهوم من واه (ولم يروا) أى لم يعتقدوا أو لم يبصروا (فى الدارين

غيره شاهدا) بضم الميم وفتح الهاء أي مشهودا لانه كما قال بعض العارفين من أرباب الاسرار ليس في الدار غيره ديار وقال آخر من أصحاب الشهود سوى الله والله ما في الوجود وزاد أبو يزيد على من سواه وقال ليس في جبتي غير الله ومن هذا المقام المحقق منصور الحلاج نطق وقال أنا الحق وقال مجنون بني عامر في هذا المعنى أنا من أهوى ومن أهوى أنا * نحن روحان حللنا بدنا فهذا مقام وحال لارباب الكمال بلا حلول ولا اتحاد ولا اتصال ولا انفصال ويؤيد هذا المقال قول الملك المتعال كل شيء هالك الا وجهه ويقويه ما ورد عن النبي النبيه عليه الصلاة والسلام أصدق كلمة قالها لبيد * ألا كل شيء ما خلا الله باطل * وفي نسخة بكسر الهاء وهو لطيف جدا موافق للفظ واحد فانه يفيد بانضمام الفتح لارباب الفتوح انه شاهد ومشهود كما انه حامد ومحمود وقد علم كل اناس مشربهم وفهم كل طائفة مذهبهم وكل حزب بما لديهم فرحون ولعل بعض أرباب النسخ استنكر لفظ مشاهدا فاسقطه مع انه لم يتم بدونه التسجيع بقوله واحدا وكانهم اكتفوا بلفظ غيره حالة وقفه (فهم بمشاهدة جماله وجلاله يتنعمون) وفي أصل التلمساني يتمتعون أي يتعيشون والمعنى انهم بمطالعة صفات انعام ولائه ونعوت بلائه وابتلائه يتلذذون فاستوى عندهم المنحة والمحنة في ثبوت كمال المحبة خلافا للناقصين في المودة على ما أخبر الله تعالى في حقهم من الحرف بقوله تعالى ومن الناس من يعبد الله على حرف فان أصابه خير اطمأن به وان أصابته فتنة انقلب على وجهه وفي هذا الحال قال بعض أرباب الكمال لا

وليس لي في سواك حظ * فكيف ما شئت فاختبرني

وفي القضية اشارة خفية الى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم ان قلوب بني آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن أي بين صفتي الجمال والجلال ونعني البسط والقبض المعبر عنهما بالبقاء والفناء والتفرقة والجمع وأمثال ذلك من اصطلاحات الصوفية والسادات السنية وفي كثير من النسخ المصححة كماله بدل جماله وهو غير ملائم لمقابله لان الكمال هو الجمع بين الجمال والجلال وقد يوجه باتيان الاخص بعد الاعم والله تعالى أعلم * ثم لما ترقى الى أعلى المقامات وهو مشاهدة الذات تنزل الى ملاحظة الصفات فان تلك الحالة العالية قد تكون لحظة ولمحة لا تستمر في الازمنة الماضية فقال (بين آثار قدرته) أي من صفات الافعال (وعجائب عظمته) أي من صفات الذات ولو قال وأنوار عظمته لكان له وجه حسن في بلاغته (يترددون) أي تارة الى هذا ينظرون وأخرى بهذا ينتظرون بخلاف أهل الحجب والغفلة فهم في ريبهم يتحيرون

فيها بعض عبيده والغافل يظنه محا ناسكنها والحال نقد عمره كراؤها (غيره مشاهدا) الضمير لله وجملة لم ير وامعطوفة على جملة جعلوا الانهم اذا لم يهتموا بغيره ذهلوا عما عداه ويحتمل عطفها على أول الجمل وهذا محتمل لمعنيين الاول ان يريد ان في الكون مشاهدات سواه ولكن العارف المستغرق في مشاهدة جماله وجلاله لا يراها وهذه مشاهدة الصديقين وتسميها الصوفية الفناء في التوحيد والثاني ان يريد انه ليس في الوجود غيره لان كل شيء هالك الا وجهه وكان الله ولا شيء معه وهو الآن كما كان على ما قاله أرباب الشهود فالمراد انه لا مشاهد حتى يروه على حد قوله * لا ترى الضب بها ينجحر * ورجح بعضهم الاول والمشاهد اسم مفعول بمعنى المدرك بحاسة البصر من الشهود وهو المعاينة أو الحضور وفي الشروح هنا كلام طويل ولا حاجة لنا به (فهم بمشاهدة جماله وجلاله يتنعمون) الجمال الحسن الذاتي لا الصوري والمتبادر من الحسن الثاني ولذا لا يوصف به الله بدون تقييد وورد وصف الله به في الحديث فقال (ان الله جميل يحب الجمال) وليس للمشاكلة كما فصله شراحه والجلال العظمة يعني انهم يشاهدون جمال ربهم وأنوار ذاته بعيون البصائر والبصر في الآخرة يرونه دون احاطة كرؤية غيره ويومي اليه جعل المشاهد نفس الجمال والتنعم الترفه والتلذذ فلا نعيم لهم بغير تلك المشاهدة كما قال الله تعالى (ورضوان من الله أكبر) على ما بينه المفسرون ولم يخلق الجن والانس الا للعبادة وبها تصفية الباطن وصقل الحواس حتى يعبد الله كانه يراه وقوله بمشاهدة متعلق بيتنعمون قدم عليه للحصر ولرعاية الفاصلة وفي نسخة كماله بدل جماله والتنعم بالجمال والكمال ظاهر واما بالجلال فقيل انه يقتضي الادب والخوف فلا يناسب التنعم فيحتاج للتاويل أو التغليب وليس كذلك فان القرب ممن عظم وجل من ان يتقرب لحظائر قدسه أعظم وقعا من غيره فان من تقرب من سلطان جليل يسر ويفتخر بقربه وفي حكم ابن عطاء الله النعيم وان تنوعت مظاهره انما هو بشهوده واقترابه والعذاب وان تنوع انما هو بوجود حجابه (وبين آثار قدرته) أي مقدوراته (وعجائب عظمته يترددون) يعني انهم قائمون في مقام جائلة فيه أفكارهم لا يفترون عن الجري في ميادين الاعتبار فتذهب تارة الى بدائع المصنوعات المشاهدة في مرائي آثار باهر قدرته وتارة ترقى لسرادق عظمته فتظل أعناقهم خاضعة وعيون أبصارهم خاشعة والتردد المجيء والذهاب فشبهت حركات الافهام المعنوية بحركات الاجسام الجسمية ومنه التردد بمعنى الشك قال الشاعر

لا تنكرن عدم الزيارة سيدى ❊ فمحبتى طبع بغير تردد

والمراد انهم مواظبون على التفكر فى عظمة الله ففيه استعارة تمثيلية (وبالانقطاع اليه) الانقطاع مطاوع قطعه اذا فصله فانقطع ثم شاع فى التوجه لاخذ من شئ لامر وترك غيره وهو المراد هنا واذا عداه بالى و يتعدى باللام ايضا يعنى انهم لما توجهوا الى الله ظاهرا وباطنا وقطعوا علائق الخلائق لتوكلهم عليه ورضاهم بما قضاه وقدره وبجعلهم امورهم مفوضة الى الله عزوا وتقووا لان عبد الملك العظيم الملازم لسدته قوى عزيز ولذا ورد فى الحديث من خاف الله خاف منه كل شئ (والتوكل عليه يتعززون) والتعزز تفعل من العز ضد الذل ويكون بمعنى القوة ومنه قوله تعالى فعززنا بثالث وكل من المعنيين جائز هنا (لهجين) جمع لهج بزنة حذر اى ملازمين مداومين لذكر الله وقولهم هذا من اللهجة بفتح الهاء وسكونها وهى فى اللغة اللسان او طرفه ويطلق على الكلام يقال هو فصيح اللهجة ولهج بالشئ من باب تعب اولع به ولزمه كما فى المصباح (بصادق قوله قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون) يعنى ان هؤلاء المخلصين لله المختصين به الذين شغلوا ظاهرهم وباطنهم بمحبته وردهم دائما ذكر الله والاعراض عما سواه متمثلين بهذه الآية يعنون انهم مراقبون لله معرضون عن غيره فلذا يأمرون أنفسهم او يأمر بعضهم بعضا بما ذكر والصدق مطابقة الخبر للواقع مع الاعتقاد كما هو معروف وصفت هذه الجملة الانشائية به نظر الما تضمنته او القول مقدر كربنا الله ونحوه اولان الامر للتارك كما له نحن لا نعبأ بكم ومقصود المصنف التمثل به كما تمثل به الشبلى رحمه الله تعالى لمن قال له اوصنى فقال عليك بالله ودع ماسواه وكن معه ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون ❊ وبهذا سقط ما اورده الشراح من انه كيف وصف الانشاء بالصدق وان الآية ليست مناسبة هنا فانها هكذا وماقدروا الله حق قدره اذقالوا ما انزل الله على بشر من شئ قل من أنزل الكتاب الذى جاءبه موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا الى آخره اى قل الله الذى انزل التوراة او انزلها الله فامره الله بجواب منكرى الوحى اما لتعين الجواب او تنبيها على انه لا يمكن غيره او تنبيها على انهم مبهوتون لا يقدرون على الجواب لهم ثم قال ذرهم فى اباطيلهم فاعليك الا البلاغ وجملة يلعبون حالية فتمثل بها المصنف رحمه الله تعالى لترك ماسوى الله والانقطاع له كما تمثل بها الشبلى رحمه الله تعالى وان كان سياقها فى التلاوة لمعنى آخر اذ يكفى لمثله المناسبة بوجه ما ❊ وقيل وصف هذا القول بانه صادق وصف له بصفة صاحبه مثل كتاب صادق وقيل الصدق هنا هو الخلوص او الثبات والكمال الصادق الحلاوة ومنه الصداقة ولا حاجة اليه لما مر واضافة صادق كجرد قطيفة واستعارة الخوض من المشى فى الماء للاقتحام فى الباطل كما قدره المفسرون ونحوه استعارة الحياض وفى بعض النسخ بعد قوله تعالى وهى جملة معترضة او حالية للتعظيم والتمييز والاشارة الى ان ضمير اليه لله فليس هذا اقتباسا كما توهم لان شرطه ان لا يذكر انه من كلام الله ثم انه قيل ان معنى هذه الآية قل يا محمد جوابا لهم عن قولهم من انزل التوراة الله انزلها ثم ذر الكفار فى أباطيلهم وهو لا يناسب هذا المقام الا ان يقال ما له الامر بقول الحق والاعراض عن الباطل ❊ اقول ما ذكروه لا يترا آى فى بادى النظر وليس بشئ لما مر وان سلمه الشراح واجابوا بان المراد لهجين بمثل هذا اقتداء بقوله تعالى فى دفع المنكرين المغرورين بالدنيا التى امرها لهو ولعب باطل الا ما فيها من ذكر الله فيتم الاقتباس من نور التنزيل ويناسب المقام ومقام المصنف اجل من ان يخفى عليه مثله وهو على طرف الثمام وههنا بحث وهو انه قيل ان ذكر الله بتكرير الجلالة بدعة لا ثواب فيها قال

(وبالانقطاع اليه) لقوله تعالى وتبتل اليه تبتيلا (والتوكل عليه) لقوله عزوعلا فاتخذه وكيلا (يتعززون) وفيه اشارة لطيفة الى انهم الى غيره ما يتذللون لانهم بما آتاهم الله تعالى يرضون و يقنعون (لهجين) بفتح فكسر اى حال كونهم مولعين ملازمين ومواظبين مداومين متمسكين (بصادق قوله) من اضافة الصفة الى الموصوف اى بقوله الصادق المطابق (قل الله) اى موجودا ومعبودا ومشهودا وقل الله وليس فى الكون سواه (ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون) اى اترك اهل الغفلة واللعب والاشتغال بما لا يعنيهم فى دينهم وما لا يحملهم على الحضور مع ربهم حال كونهم فى شروعهم فى الباطل وهو ماسوى الحق يضيعون اعمارهم ويخربون آثارهم عبثا بلا فائدة عائدة فى امر اولاهم وفى حال اخراهم وهذا المعنى الذى أومأ ليه الشيخ من الاشارات الصوفية لا ينافى ماذكره المفسرون وارباب العربية من أن لفظ الجلالة فاعل لفعل مقدر او مبتدأ خبره محذوف لما يدل عليه السياق والسباق بالاتفاق لانه جواب عن سؤال تقدم فى قوله تعالى فى حق اليهود وماقدروا الله حق قدره اى ماعظموه حق عظمته او ماعرفوه حق معرفته اذقالوا ما انزل الله على بشر من شئ قل من انزل الكتاب الذى جاءبه موسى نورا وهدى للناس الى ان قال قل الله اى امتنعوا عن الجواب وعجزوا عن الكلام الصواب قل الله اى انزل الكتاب وفى هذا كفاية لاولى الالباب

الخطاب فى شرح مختصر الشيخ خليل سئل العز بن عبد السلام رحمه الله تعالى عمن يقول الله الله مقتصرا على ذلك هل هو مثل سبحان الله والله اكبر ونحوه فاجاب بانه بدعة لم ينقل مثله عن احد من السلف وانما يفعله الجهلة والذكر المشروع لا بد فيه كله من ان يكون جملة مفيدة والاتباع خير من الابتداع ونحوه ما افتى به البلقينى رحمه الله فى قوم لا يزالون يقولون محمد محمد كثيرا ثم يقولون فى آخره مكرم معظم فاجاب بانه ترك أدب وبدعة لم ينقل ولا يثاب عليها وكذا قولهم على محمد وتابعه عليه كثير من علماء * أقول ماذكره فى اسم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم مكررا من كونه بدعة ظاهر لانه مع كونه لم يتعبد به لمثله داخل فيما نهى عنه لقوله لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا كما سيأتى بيانه ولم يرد تعظيم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الا بالدعاء له والصلاة والسلام عليه فلو عظم بمثل ذلك كان مراغما للسنة ولو ذكر احد سلطانا باسمه زجر وهو وأهانوه فما بالك باشرف الخلق واعظمهم واما ذكر الله تعالى فقد ورد الامر به ووعد ذاكره بالثواب فى آيات واحاديث لا تحصى كقوله تعالى الذاكرين الله كثيرا والذاكرات وفى الحديث القدسى من شغله ذكرى عن مسئلتى اعطيته افضل ما اعطى السائلين الى غير ذلك مما لا يحصى ولم يقيد بقيد على ان الذاكر قصده التعظيم والتوحيد فهو اذا قال الله ملاحظا لمعناه فكانه قال معبودى واجب الوجود مستحق لجميع المحامد ولم يزل اهل الله من العلماء والصلحاء يفعلونه من غير نكير وكان الاستاذ البكرى رحمه الله يفعله ويقول أستغفر الله مما سوى الله وكل شئ يقول الله وفى مجلسه اجلة العلماء والمشايخ وهذا هو الحق وقد صنف فى رد مقابلة ابن عبد السلام هذه عدة رسائل رأيناها وممن صنف فيها القطب القسطلانى والعارف بالله المرصفى والشيخ عبد الكريم الخلوتى وبه افتى من عاصرناه اللهم احشرنا فى جملة الذاكرين ولا تجعلنا من الغافلين (فانك) جواب اما واكده لان المسئول عنه يحسن توكيده والخطاب لسائل معين محقق سائله أو لغير معين مفروض وما قيل من ان مقام المصنف رحمه الله اعلى من ان يفرض سائلا يخاطبه وان قوله الاتى كررت السؤال وما بعده يأباه ليس بشئ لانه كثيرا ما يقع من المصنفين مثله وفرض الامور لنكت واقع فى القرآن والحديث كثير كقوله (ولو ترى اذ المجرمون) وغيره مما لا يحصى ويجوز ان يكون من باب التجريد كقوله * طحا بك قلب فى الحسان طروب * وما بين اما والجواب معترض (كررت على السؤال) التكرار اعادة ذكر الشئ مرة فصاعدا ويطلق على الذكر الثانى والاول ومجموعهما والجار متعلق بكررت لما فيه من معنى الالحاح والسؤال الطلب ويكون سؤال استفهام وسؤال استعظام وهما معروفان (فى مجموع) المجموع اسم مفعول من الجمع ضد التفريق وفى العرف كتاب يجمع من كلام الغير كما فى قوله

لله مجموع له رونق * كرونق الحبات فى عقدها
كانت مجامع الورى عنده * تموت للخجلة فى جلدها

ففى عبارته هضم لنفسه بانه ليس فيه الا الجمع والتقدير فى تأليف مجموع وتقدير فى شأن مجموع ركيك وفى متعلقة بالسؤال لا بكررت لانه لا يتعدى بفى بخلاف السؤال فانه يتعدى بنفسه وبعن ومن وفى اذا كان بمعنى الرجاء والشفاعة دون الاستعطاء فتقول سألت الامير فى كذا ويحتمل ان يكون للتعليل كدخلت امرأة النار فى هرة فيصح تعلقه بكررت ايضا (يتضمن) التضمين جعل الشئ فى ضمن الشئ وداخله فالتعبير به لانهم يجعلون اللفظ ظرفا للمعنى لانه المقصود منه اوهو من ظرفية الكل للجزء لما فيه من زيادة شرح وبيان وغير ذلك وقد يعكس كما فى شرح المفتاح فالمعنى انه يحتوى عليه وتفسيره بيتحصل منه وبسببه فيه تسمح (التعريف بقدر المصطفى) التعريف الاعلام واصله جعل الغير عارفا والتعريف فى الميزان معروف ويجوز ارادته هنا على بعد فيه وقدر الشئ مقداره غلب فى رتبة شرفه

(فانك) سبق انه جواب اما والجملة الدعائية معترضة بينهما (كررت على السؤال) اى راجعتنى كثيرة (فى مجموع) اى فى مصنف جمع فيه صنف من الشمائل النبوية ومؤلف اجتمع فيه نوع من الفضائل المصطفوية (يتضمن التعريف) اى يحتوى الاعلام (بقدر المصطفى

وأصله تقدير الشئ بوزن ونحوه والمصطفى المختار المنتخب افتعال من الصفوة وهو صفة غلبت على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وتبلغ لحد العلمية كالرحمن ولو كان علما بالغلبة لزم تعريفه باللام أو الاضافة وليس كذلك وانما ذكر في الاسماء لانهم يخصوها بالاعلام كما سيأتي فما قيل من انه لقب وضعي أو بالغلبة واللام للمح الاصل ليس بشئ لانه لم يسمع في عهده وأسماؤه صلى الله تعالى عليه وسلم توقيفية على المشهور كما سيأتي قيل ولو قال ببعض قدر المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم كان أحسن ولا يخفى انه لا يلزم من سؤاله وقوع مسؤاله وكذا قال فيما يأتي حماتي أمرا أمرا على أنه اذا أريد الاجمال سقط القيل والقال (عليه الصلاة والسلام) وفي نسخة صلى الله تعالى عليه وسلم لانه لم يقصد السجع حتى يرد عليه ان الاوفق بالسجع الاولى وانه يلزم طول الفقرة الاخيرة ويعتذر له بانه اشارة لجوازه والامر فيه سهل واسناد الصلاة لله كما سيأتي أكثر تعظيما (وما يجب له من توقير) تعظيم (واكرام) افعال من كرم بمعنى نفس بالضم وعز أي عده موقرا معظما لمحبته وتعظيم آله وأصحابه (وما حكم من لم يوف) أي يتمم ويكمل من وفاه حقه اذا أعطاه اياه وافيا تاما والحكم ما حكم به العلماء فيه أو خطاب الله المتعلق به (واجب عظيم ذلك القدر) أي مقامه الشريف وهو من اضافة الصفة لموصوفها أي والقدر العظيم واضافة واجب لامية وواحد مفعولي يوف محذوف أي لم يوفه أو يوف النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أو لم يوف واجب قدره حقه فالمحذوف الاول أو الثاني أو هو بمعنى يتمم ويكمل فلا حذف لتعديه لواحد وما يجب في محل نصب معطوف على تعريف وكذا ما حكم وما استفهامية أي يتضمن جواب هذا السؤال وقيل موصولة والعائد مقدر على الاول المضاف المقدر هو المفعول وهو وان اكتسب الصدارة مما أضيف اليه لا يصح عمل ما قبله فيه الا انه قصد به لفظه على طريق الحكاية أي جواب قولك ما حكم الى آخره فلا يلزمه عمل ما قبل الاستفهام فيه ولا تعليق العامل عن المعطوف دون المعطوف عليه وتعليق يتضمن وليس من أفعال القلوب فيجاب بانه ضمن معناه وذلك من وضع الظاهر موضع المضمر وتعليق العامل بواسطة حرف حتى يجاب باثبات النحاة له كما في شرح التسهيل ومنه تعليق فكر ونظر نحو فلينظر أيها أزكى طعاما لتعديهما بفي والواجب ما يجب اعتقاده في حقه صلى الله تعالى عليه وسلم (أو قصر في حق منصبه الجليل) التقصير والاقصار ترك ما لا بد منه وفي المحكم قيل قصر عنه اذا تركه وهو لا يقدر عليه واقصر اذا تركه وهو يقدر عليه وحقه ما يستحقه مما لا بد منه والمنصب بفتح الميم وكسر الصاد المهملة في كلام العرب بمعنى الحسب والشرف كما ذكره أهل اللغة واستفاض في كلام الفصحاء كما قال أبو تمام * ومنصب عناه * ووالد سما به * وفي المصباح يقال له منصب وزان مسجد أي علو ورفعة وفلان له منصب صدق يراد به المنبت والمحتد ومن لم يقف على هذا قال انه لغة المرجع ويطلق على المرتبة وقيل القدر فكأنه من نصب اذا جد وارتفع وأما المنصب بمعنى العمل فمولد لم يرد في كلامهم أصلا كقوله

نصب المنصب أوهى جلدي * وعناي من مداراة السفل

فكأنه لانه نصب فيه للنظر في الامور أو هو من النصب والحيلة واطلاقه على ما يوضع عليه القدر كقول أبي تمام

كم تلت لما فار غيظا وقد * أزيح عن منصبه المعجب
لا تعجبوا ان فار من غيظه * فالقلب مطبوع على المنصب

وفيه مع استعماله المولد تحريف آخر (قلامة ظفر) أي تقصير قليل بمقدار قلامة ظفر فنصبه لاقامته

(عليه الصلاة والسلام) أي بتعظيمه كقوله تعالى وما قدروا الله حق قدره وتوهم الحلبي بان المراد بالقدر هو المقدار فقال لو قال ببعض قدره لكان أحسن والمراد بالمصطفى المختار المجتبى المرتضى لحديث مسلم ان الله اصطفى كنانة من ولد اسمعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم وهذا بحسب النسب واما بطريق الحسب فلقوله تعالى الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس ولقوله تعالى وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار ولا شك انه الفرد الاكمل في هذا المعنى (وما يجب له من توقير) أي ويتضمن بيان ما يجب له من تعظيم واحترام (واكرام وما) أي وبيان أي شئ (حكم من لم يوف) بالتخفيف ويجوز التشديد أي من لم يكمل ولم يوقر (واجب عظيم ذلك القدر) الاضافة بيانية أي القدر الواجب من تعظيم ذلك القدر العظيم (أو قصر) أي أو ما حكم من فرط (في حق منصبه) بفتح الميم وكسر الصاد أي مقامه (الجليل) بالجيم وهو الشريف المنيف (قلامة ظفر) بضم فسكون واختير للسجع والا فبضمتين هو الافصح ويجوز بكسر الظاء وسكون الفاء أيضا وقد قرئ بهن في الآية لكن السكون مطلقا شاذ والقلامة بالضم ما يسقط من الظفر وهو كناية عن الشئ الحقير والامر اليسير

(وان أجمع لك ما لاسلافنا) أى لعلمائنا المتقدمين (وأئمتنا) أى لمشايخنا المتأخرين (فى ذلك من مقال) أى فيما ذكر من وجوب تعظيم قدره والحكم فيمن صدر عنه بخلافه من الاقوال (وأبينه) أى المقال (بتنزيل صور وأمثال) أى بتصوير صور وامثال وتقرير محامل يزول به الاشكال ايضاحا للمعنى وايصالا الى الذهن فى المبنى (فاعلم) أى أيقن وتنبه أيها المخاطب (اكرمك الله تعالى) أى كما قصدت اكرام النبى المكرم (انك حملتنى) بتشديد الميم أى كلفتنى بالجهل

مقام المصدر أو بنزع الخافض بعد حذف المضاف وقلامة فعالة من القلم وهو القطع من الاطراف سواء كانت من ظفر أو غيره كالشجر ولذا سمى القلم به لقطعه وهو وقبل القطع يراع ونصبه كما ذكره أهل اللغة واضافته الى الظفر لامية كيد زيد فلا وجه للقول بانه تجريد وزنة فعالة تكون لما يلقى من الشئ كالقمامة والكناسة وشذ منه الخلاصة مع ما فيه والظفر للانسان معروف وفيه لغات أفصحها ظفر بضمتين وتسكن للتخفيف وجمعه اظفار وربما جمع على أظفر ويقال ظفر بزنة جمل وأظفور كاسبوع وقول الجوهرى انه جمع ظفر سهو أو من طغيان القلم أراد أن يقول أظفر فزاد الواو وقلامة الظفر كناية عن القلة والحقارة كما قال أبو نواس

أيها المدعى سليمى شفاها * لست منها ولا قلامة ظفر

وبقلامة الظفر يشبه الهلال وتظرف فيه سعد الدين بن عربى حيث قال

ناديت من أهواه وهو مقلم * أظفاره يا نزهة المتأمل

أبعدت ظفرك وهو بعضك فالذى * يهواك أجدر بالبعاد الاطول

فاجابنى انظننى قلمتها * عن حاجة لكن لمعنى عن لى

لاريك يا من بالهلال تقيسنى * ان الهلال قلامة من انملى

يعنى انه حقير مبتذل عنده والمراد بعدم توفية حقه ترك ما حقه ان يذكر كله أو بعضه والتقصير ترك ذكره على ما ينبغى فهو مغاير لما قبله فلا يلزمه عطف الخاص على العام بأو وقد أباه النحاة أو يعتذر بان الاول بمعنى كثيرا وهذا بمعنى قليلا ونحوه (وان أجمع لك ما لاسلافنا) جمع سلف وسلف جمع سالف وهو من مضى من أصولك وأقربائك ثم عم لكل متقدم من الناس والمراد من تقدمه من العلماء وهو المتبادر عند الاطلاق وهذا فى محل جر معطوف على مجموع (وأئمتنا فى ذلك) أى أئمة الدين المقتدى بهم من أصحاب الكتب والمذاهب جمع امام وأصله أأممة بهمزتين فابدلت الثانية ياء وقيل ويجوز ان يراد أئمة مذهب المالكية (من مقال) بيان لما (وابينه بتنزيل صور وامثال) أبين بالنصب عطف على أجمع أى يوضح ما ينقله عن المتقدمين بذكر بعض افراده أو صفاته أو أمثلته فاستعير التنزيل وهو الاهباط من علو الى سفل لذكر الافراد الخارجية فان الكلى لعدم تحققه فى الخارج بعيد عن الافهام كالعالى والجزئى محسوس فهو كالسافل والصور بزنة كبر بصاد مهملة جمع صورة وهى النوع أو الصفة أو الفرد كما ذكره أهل اللغة ومنه قول العلماء صورة المسئلة كذا والامثال جمع مثال أو مثل وفى بعض النسخ سور بسين مهملة كما ذكره ابن رسلان قال والمراد الآيات من تسمية البعض باسم الكل مجازا أى التنزيل معروف والفرق بينه وبين الانزال مشهور على ما فيه وقيل انه هنا بمعنى الترتيب كما ذكره وهذا كله تكلف فالحق انه بالصاد فان المراد توضيحه بتصويره بما يحاكيه فى الخارج وذكر نظائره (فاعلم) أى اذا لم ترجع عن الحاحك فى الطلب فاعلم أمره بالعلم لصعوبة ما طلبه قبل الشروع فيه ليلقى فكره له وسمعه اعتناء به وبجوابه وكثيرا ما يأتى به المصنفون لذلك ويأتى الكلام عليه وانه قد استعملته العرب كما فى قوله

فاعلم فعلم المرء ينفعه * ان سيوف يأتى كل ما قدرا

فلذا خصه بالدعاء له بالاكرام فقال (أكرمك الله) بعد ما دعا لنفسه وله سابقا وهى جملة معترضة دعائية أى جعلك الله تعالى معززا مكرما لحسن سؤالك وعظم ما سألت عنه وكونك باعثا لى على تدوين مثله ويجوز أن يقال انه أكرمه بسؤاله له لاعتقاده انه أهل لما طلبه منه مخصوص به فى عصره فلذا جازاه بهذا الدعاء (انك حملتنى) بالحاء المهملة أى كلفتنى ما يشق كحمل الاثقال فهو استعارة تمثيلية كما فى قوله

(من ذلك) أي الامر الذي سالتني (أمر امرا) بفتح الهمزة في الاول وكسرها في الثاني أي أمرا شاقا أو شيأ عظيما او ماقوله تعالى لقد جئت
شيئا امرا أي عجيبا أو منكرا (وارهقتني) أو قعتني (فيما ندبتني) أي دعوتني (اليه عسرا) بضم فسكون وبضم أي أمرا عسيرا لا أقدر
عليه من التحفظ عن السهو واليسير كما قيل في قوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام ولا ترهقني من أمري عسرا (وارقيتني) أي
أصعدتني واطلعتني من الترقي بمعنى الصعود وهو يائي وفي القاموس رقى اليه كرضي رقيا صعد كارتقى وترقى

تعالى انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها (من ذلك) الاشارة للمسؤل
عنه ومن بيانية على أحد القولين في جواز تقدمها على المبين كما مر او ابتدائية لان جمله لذلك ابتداء مما
يطلبه منه ثم انتهى الى الزيادة ويحتمل ان تكون تعليلية (أمر امرا) أمرا الاول بفتح الهمزة واحد
الامور ويحتمل ان يكون واحد الاوامر والاول أولى والثاني بكسرها وهو بمعنى عظيم أو منكرا وعجيب
والكل محتمل هنا الا الاول أولى أي كلفتني أمرا عظيما لا أصفه أو منكرا عندي أو عجيبا طلبه مني
لاني لست باهل له ففيه تواضع وهضم لنفسه (وارهقتني) بتاء الخطاب والارهاق والرهق تكليف
ما لا يطاق وأصل معنى رهق غشيه وقد فسر قوله ولا ترهقني من أمري عسرا بلا تكلفني أمرا صعبا لا أقدر
عليه وهو التحفظ عن التقصير فيما ساله (فيما ندبتني اليه) أي طلبته مني ومنه المندوب (عسرا) بزنة
فعل وهو الامر العسير (وارقيتني) من الرقي وهو الصعود للمكان العالي أي الجاتني اليه بتكرير سؤالك
والحاحك على في طلب الاجابة (بما كلفتني) ما مصدرية أي بتكليفك ما سالته وهو من الكلفة
وهي المشقة والتكاليف المشاق وكلفته الامر حملته بمشقة ويتعدى لمفعول ثان بالتضعيف والكلف
تغير في الوجه كالبهق كما قلت في قصيدة

للبدر قات وقد حكى وجهاله ※ فضح التكلف شيمة المتكلف

(مرتقى) مصعدا أو صعودا (صعبا) وعرا شاقا (ملأ قلبي رعبا) خوفا وفزعا وفيه استعارة مكنية
وتخييلية وفي جعله عاليا اشارة الى علو قدره وشرفه (فان الكلام في ذلك) المسؤل وهو تعليل لما ذكر
من الصعوبة والمشقة (يستدعي تقرير أصول) أي يقتضي ما لا بد منه من التقرير وهو التحقيق
والتثبيت وفي النهاية التقرير ترديد الكلام على المخاطب حتى يفهمه ومنه تقرير الدرس للطلبة وأصل
معناه جعل الشئ قارا في مكانه والمراد قراره في الذهن أو الخارج والاصول جمع أصل وهو في اللغة
الاساس وفي الاصطلاح ما يبتنى عليه غيره والقاعدة الكلية والدليل ويصح ارادة كل منها هنا وتقدمه
على ما بعده ظاهر (وتحرير فصول) أي تهذيب أمور مفصلة والفصول جمع فصل بمعنى فاصل أو
مفصول وتحرير الشئ تلخيصه واظهار زبدته وأصل معناه جعل الشئ حرا أي خالصا ومنه حر الوجه
لاكرم موضع منه وحر الطين ما لم يخالطه غيره والحر مقابل العبد واما التحرير بمعنى الكتابة فخاص اريد
به عام وأصله الكتابة الملخصة أو كتابة العتاقة والحرية كما في كشف الكشاف (والكشف) أي
الاظهار والتبيين وهو منصوب معطوف على مفعول يستدعي لا على الكلام كما توهم فانه تعسف لركاكة
المعنى وان صح (عن غوامض) جمع غامض أو غامضة وهو خلاف الواضح واصله المكان المنخفض من
الارض فاريد به ماذكر لخفائه وجعله غامضة ليناسب الحقائق في التانيث أمر تافه لا يلتفت لمثله لا لان
فاعل الصفة لا يجمع على فواعل لانه مخصوص بصفات من يعقل بشروطه اما اسماء الاجناس
وصفات ما لا يعقل فيجوز فيها لجعلها بمنزلة الاسماء غفلة (ودقائق من علم الحقائق) جمع دقيقة فعيلة

أو مهموز حيث قال
رقأ في الدرجة صعد لكن
النسخ المصححة بالمركز
تؤيد الاول فتامل
والحاصل انهما لغتان
والاول هو الاشهر في
البيان واما قول التلمساني
بهمز ويسهل والهمز
أفصح وقيل التسهيل
فيتوهم منه ان الاصل
هو الهمزة وهو غير صحيح
لان التسهيل بمعنى
الابدال غير مطابق لقواعد
الاعلال فانه انما يكون
على طبق ما قبله من
الحركة كما لا يخفى على
أرباب الكمال والله تعالى
أعلم بالحال (بما كلفتني
مرتقى) بضم مصدرا أي
ارتقاء (صعبا) أي شديدا
وليس كما توهم التلمساني
بقوله وكان المعنى ارقيتني
فارتقيت مرتقى صعبا
أي محلا عسيرا حيث
جعل المرتقى اسم مكان
فاحتاج الى تقدير فارتقيت
والله تعالى أعلم (ملأ قلبي
رعبا) بضم فسكون
ويضم أي خوفا وفزعا

 ووقع في أصل التلمساني خوفا ورعبا فقال معناهما واحد لكنه مخالف لسائر الاصول من النسخ المصححة
ثم الضمير في ملأ راجع الى ما أو المرتقى والثاني أقرب لكن يؤيد الاول قوله (فان الكلام في ذلك) أي المكلف (يستدعي تقرير
أصول) أي تمهيد قواعد مقررة (وتحرير فصول) أي تشييد فروع محررة مما يجب له صلى الله تعالى عليه وسلم ويجوز ويمتنع كما سياتي
(والكشف) أي ويستدعي البيان (عن غوامض) جمع غامضة وهي ما لا يدرك الا بعد روية (ودقائق) جمع دقيقة وهي أدق مما
قبلها مما يدق فهمه في كل قضية (من علم الحقائق) بيان لما قبلها وهي جمع الحقيقة وهي الامور الثابتة من الادلة النقلية
والعقلية وقد ابعد الحلبي والتلمساني في عطف الكشف على الكلام مع عدم ظهور خبره في المقام

(ممايجب) أى اثباته (للنبى عليه السلام ويضاف اليه) أى وجوبا (أويمتنع أويجوز) أى اطلاقه (عليه ومعرفه
النبي والرسول) أى بالحدود الفارقة بينهما ومعرفة مجرورة معطوفة على مدخول عن أومن أومنصوبة على انها معمولة ليستدعى أيضا (والرسالة والنبوة) بالجر لاغير والمراد بهما الحالان فهما مغايران لماقبلهما (والمحبة والخلة) بضم الخاء وهما نعمتان كاملتان ما اجتمعتا فى غير نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم (وخصائص هذه الدرجة العلية) بالجر جمع خصيصة وهى مايختص به الشخص والدرجة المنزلة والمرتبة والرفعة ودرجات الجنة ارفع منازلها والدرجات ضد الدركات وقد سومح فى التسجيع بين العلية وماقبلها فانه من الامور الرسمية ثم رأيت ابن السكيت قال العلية بفتح العين وكسر اللام وكسر العين وسكون اللام فتعين الثانى موافقة المرام (وههنا) أى وفى هذه المواضع المذكورة فها للتنبيه وهنا اسم اشارة للمكان القريب (مهامه فيح) أى مفازات واسعة ومهامه بفتح الميم الاولى وكسر الثانية جمع مهمه بفتحتين مفازة بعيدة وخلاء ليس فيه ماء والفيح بكسر الفاء جمع فيحاء بفتح ومد لا جمع افيح كما توهمه التلمسانى أى الارض الواسعة (يحار

من الدقة وهى خلاف الغلظة أوصغر الجرم فاستعير لما يصعب ادراكه ثم شاع حتى صار حقيقة عرفية لان الدقيق كذلك والمراد به بعض أحواله التى لاتدركها العقول القاصرة ممايدرك بالكشف ومشاهدة عين البصيرة الصافية فليست هى الغوامض السابقة لاسيما اذا فسرت بامره قبل البعثة فليستا بمعنى لان المقام يغتفر فيه التكرار وكيف يتاتى هذا مع قوله من علم الحقائق وهى جمع حقيقة وهى الذات والماهية المركبة من الذاتيات أوالعلوم المدركة بتصفية الباطن كما اصطلح عليه أرباب السلوك وهى غير منافية للمعنى الاول وهى فى كلام العرب الامور التى يحق حمايتها والانفة عن تركها عن الرؤساء وقال الخليل الحقيقة مايصير اليه حق الامر ووجوبه كما قال

ألم تدرانى قدحميت حقيقتى * وباشرت حدالموت والموت دونها

قاله المرزوقى (ممايجب للنبى) صلى الله تعالى عليه وسلم بيان لماقبله وقيل انه بيان للمكشوف وما يجب له كالعظمة وعموم الرسالة وشرفه ذاتا وحسبا ونسبا ونحوه (ويضاف اليه) أى ينسب له ويوصف به وعطفه بالواو لانه غير مقابل لماقبله وهو كالقيد له وقيل المراد به خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم ولايرد عليه ماسيصرح به لما سياتى (أويمتنع عليه) كالعيوب والنقائص ومالايليق بمقام الرسالة (أو يجوز عليه) من أمور البشر كالاسقام والامراض التى لاتورث نفرة ويضاف ومابعده معطوف على الصلة لاصلة موصول محذوف كماجوزه الكوفيون فى نحو قوله

أمن يهجو رسول الله منكم * ويمدحه وينصره سواء

كمابين فى محله (ومعرفة معنى النبى والرسول والرسالة والنبوة والخلة والمحبة) روى بالنصب عطفا على مفعول يستدعى وروى بالجر عطفا على مايجب لاعلى دقائق كمافى المقتفى وقيل على المضاف اليه تقرير والمراد بالمعرفة هنا معناها المشهور لاالتعريف وان جاز وانما استدعى الحال معرفة هذه لابتناء كثير من صفاته صلى الله تعالى عليه وسلم عليها (وخصائص هذه الدرجة العلية) مجرور معطوف على النبى والدرجة واحدة الدرج وهى المراقى والمراد بها هنا رتبة النبوة والرسالة لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وغيره ولذا لم يقل خصائصه وقيل الجامعة لهذه الصفات كلها والخصائص مايختص به ولايتعداه لغيره جمع خاصة أوخاصية على كلام فيه فى شرح المفتاح (وههنا مهامه) ههنا اشارة الى المسلك الذى سلكه للوصول لمقصده والمهامه جمع مهمه كجعفر وهو القفر والمفازة البعيدة قيل انما سميت بها لانها لكونها مخوفة يخفض فيها الاصوات فيقول كل لرفيقه مهمه كماسميت المفازة اصمت (فيح) بفاء مكسورة وياء ساكنة وحاء مهملة جمع أفيح أوفيحاء وهى الارض الواسعة والمهمه يذكر ويؤنث كما قال

* ومهمه مغبرة ارجاؤه * وفى هذا الاستشهاد نظر وهذه استعارة تمثيلية شبه بيان ماذكر لصعوبته بفلاة لاحتياجه لسعة الاطلاع وتوقفه على انظار دقيقة فى معرفته مقام النبوة فانه قد يقع فيها مالايليق به صلى الله تعالى عليه وسلم أو يصفه بماليس فيه فيدخل فى زمرة من كذب عليه صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا من عطف القصة على القصة لبيان صعوبة ماكلفه السائل بطريق آخر حيث جعله أولا جبلا شامخا وعر اصعوده ثم بعد النزول منه مفازة بعيدة كما قيل

كيف الوصول الى سعاد ودونها * قلل الجبال ودونهن حتوف

ومما يقضى منه العجب ماقيل انه جواب سؤال مقدر أى كيف زعمت انك كلفت أمرا عظيما صعبا وهذا أمر لاصعوبة فيه فاجاب بانه كيف لايصعب وسالكه محتاج لاقتحام مهامه فيح هذا شانها وكيف يصح جعله جوابا لسؤال مقدر مع اقترانه بالواو مع انه لاوجه للسؤال ولا للجواب سوى تسويد وجه الصحف

(تحار) بفتح التاء أي تتحير (فيها) أي في سبيل معرفتها افهام ذوي النهى كما قد تحار في سير المفازة المحسوسة اذا سلكتها (القطا) وهو بفتح القاف مقصور طائر يضرب به المثل في كمال الهداية فيقال هو اهدى من القطا سمي بصوته

(تحار فيها القطا) حار يحار كخاف يخاف اذا لم يهتد لقصده وضمير فيها للمهامه والقطا طائر معروف واحدته قطاة وهي توصف بسرعة الطيران والاهتداء في الظلمات والتبكير حتى يقال انها ترد الماء من مسيرة عشرة أيام ثم تعود من ليلتها فلا تخطئ صادرة ولا واردة ولذا ضرب بها المثل فقيل اهدى من القطا كما قيل

والناس اهدى في القبيح من القطا * وأضل في الحسنى من الغربان

وهذا اما داخل في التمثيل أو ترشيح له للمبالغة في بعد هذا المقصد والمراد انه مما يضل أرباب الهداية وتتحير فيه وقيل انه استعارة أخرى تصريحية (وتقصر عنها الخطا) وفي نسخة بها بدل عنها وتقصر بفتح التاء وسكون القاف وضم الصاد مضارع قصر بزنة كرم ضد طال والخطا بضم الخاء جمع خطوة بضم الخاء وفتحها وهي ما بين القدمين والمعنى أن هذه المهامه مع سعتها وكونها لا يعلمها سالكها وغيره أو لكونها وعرة ذات شوك وصخور تمنع الماشي فيها من مد الخطا والباء بمعنى في أو سببية وعلى النسخة الاخرى قصرها عنها بمعنى العجز عنها المسافر أو لطولها أو هو على حد قوله

* ولا ترى الضب بها ينجحر * فالمراد انها لا تسلك أصلا وهو من جملة الترشيح أو التمثيل أو هو تمثيلية أخرى وعلى كل حال فالمراد صعوبة ما كلف به وان الافكار فيها بطيئة الحركات أو عاجزة عنها رأسا وما بعده كالتجريد كما ستراه (ومجاهل) مرفوع غير منون جمع مجهل وهو المفازة التي لا اعلام فيها كما في المقتفى وهو المراد هنا وقيل المجهل المفازة أيضا وفي القاموس المجهل ما يحملك على الجهل وجهله تجهيلا نسبه اليه وأرض مجهل كمقعد لا يهتدى فيها ولا يثنى ولا يجمع انتهى وقال ابن سيدة في قوله

* انا لنصفح عن مجاهل قومنا * مجاهل فيه ليس له واحد بكثر غلبة الاقول لهم جهل وفعل لا يجمع على مفاعل فهو من قبيل ملامح ومحاسن انتهى وفيه نظر لا يخفى وعلى القول بان مجهل اسم الارض لا يثنى ولا يجمع فجمع المصنف له اما على القياس لان مفعل ومفعلة يجمعان اطرادا على مفاعل أو يكون ثبت ذلك عنده فان قلت ما معنى قوله في القاموس ما يحملك على الجهل قلت يريد ما ذكره أهل اللغة والعربية من ان صيغة مفعل تكون للزمان وتكون في كلام العرب لا يقتضي وقوع ما اشتق منه ويدعو اليه وان لم يقع بالفعل كقولهم الولد مجبنة ومبخلة أي يجعل المرء جبانا لتخلفه بسببه عن الحرب وبخيلا لحرصه على بقائه ليربي ولده وبخيلا ليبقى ماله لولده وهو من نوادر العربية فاعرفه (تضل فيها الاحلام) تضل بفتح الفوقية وكسر الضاد المعجمة مضارع ضل اذا لم يهتد أو بمعنى هلك والاحلام جمع حلم بكسر الحاء وسكون اللام بمعنى العقل أي العقول غير مهتدية لمعرفتها على الاستعارة المكنية والتخييلية أو هو اسناد مجازي وهو أحسن من تقدير ذوي الاحلام لانه يزيل بهاء ورونق الكلام وجعل الاحلام مجازا عن أصحابها والمراد الصعوبة بعيد (ان لم تهتد بعلم علم) تهتد مبني للفاعل أي ان لم يحصل لها الهداية لتمسكها بها وسلوكها دليلها ويجوز بناؤه للمجهول وعلم بفتحتين العلامة المنصوبة في الطريق لتعرف بها ولذا سميت نصبا ويكون بمعنى الجبل أيضا لانه يهتدى به كما قالت الخنساء

وان صخرا لتأتم الهداة به * كأنه علم في رأسه نار

وفي قولها صخرا وهو اسم أخيها لطيفة اتفاقية هنا لمناسبة الجبل وعلم ضد جهل لاضافة المشبه به للمشبه كقوله * ذهب الاصيل على لجين الماء * وقد يضاف المشبه للمشبه به كما تقول

نهر شربت منه ماء الدر المذاب ولك ان تقول انه استعار العلم بفتحتين للكبير من العلماء لاهتداء الناس بعلمه كما يقال فلان جبل في العلم أو لعلو قدره واشتهاره كما فسر به في البيت وبين بعلم وعلم

وقد قيل انه يترك فراخه ويطلب الماء مسيرة عشرة أيام وأكثر فيرده ويرجع فيما بين طلوع الفجر وظهور الشمس ولا يخطئ صادرا ولا واردا وهو اسم جنس وقول الجوهري على ما نقله الحلبي غيره انه جمع قطاة فيه تجوز والحاصل ان القطا يعرف في المجاهل مظان المياه فلا يكاد يخطئها فاذا رأت الماء قالت قطا قطا فتعرف العرب دنو الماء ولهذا يقال فلان أصدق من القطا (وتقصر) بضم الصاد (بها) وفي نسخة فيها (الخطا) بضم ففتح جمع الخطوة بضم وفتح أي تعجز في تلك المفازة أو بسيرها الخطوات من الاعياء (ومجاهل) بفتح الميم وكسر الهاء عطفا على مهامه وهو جمع مجهل للمكان الذي لا علم فيه يهتدى به (تضل) بفتح فكسر أي تضيع وتهلك (فيها الاحلام) بالفتح جمع الحلم بالكسر أي العقول (ان لم تهتد) أي الاحلام (بعلم علم) بفتح العين واللام في الاول وبكسر فسكون في الثاني أي بعلامة يعلم بها العلم بمعنى العلوم أو المراد به نوع من العلوم وأغرب الحلبي بقوله الظاهر ان المراد بالعلم الجبل وأبعد محشٍ آخر بقوله المراد به الراية ولعل مجمل كلامهما قصد الاستعارة بهما وقال الدلجي من اضافة المشبه به الى المشبه من التشبيه المؤكد أي بعلم كالعلم

(ونظر سديد) بسين مهملة أي ويتامل على صوب صواب (ومداحض) بالرفع أي مزالق (تزل) بفتح فكسر فتشديد (بها) أي بسببها أو فيها (الاقـدام ان لم تعتمد) أي الاقـدام مجازا أو أصحابها (على توفيق من الله وتايـد) بياءين أي تقويه واعانة على نيـل المـراد من التحقيق (لكني) أي مع هـذا كله من صعوبة الحال ومزلة أقدام الرجال بحيث كاد قبولها أن يكون مـن المحـال تحـملت المقال وقبلت السـؤال (لمـا رجـوته) بكسر اللام وتخفيف المـيم على ان اللام للعلة وما موصوفة أو موصولة وهو بصيغة المتكلم وفي نسخة بالخطاب وهو بعيد ولا يبعـد ان يضـبط لمـا بفتح اللام وبتشـديد المـيم على الظرفية كما عليه جمهور القراء في قوله تعالى لمـا صبروا الا انه يمنعه وجود من البيانيـة بعـده والحاصل ان خـبر لكن مقدر كما أشرنا اليه وقوله (لي ولك) متعلق برجوته (في هـذا السـؤال والجواب) أي بسببهما لف ونشر غير مرتب وقدم نفسه في الدعاء لانه الادب المستحب وقدم السؤال لان وجوده مقـدم على الجواب وشـهوده (من نوال) بيـان لمـا أي حصول حسن منال وطيب حال وما آل في الدنيا (وثواب) أي وتحصيل جزاء وعطاء في العقبي

تجنيس وقيـل في عبارة المصنف رحمه الله تعالى ان علم الاول بكسر فسكون والثاني بفتحتين عكس المشهور وهو وان لم يخل من وجه صحة خلاف الاولى (ونظر سديد) النظر بمعنى الابصار والفكر وهو ترتيب أمور معلومة للتادي الى مجهول وقيل ملاحظة المعـقول لتحصيل المجهول والملاحظة توجـه النفس نحو المعلوم الحاضر في ذهنه والسديد ما له سداد بفتح السـين وهو الصواب من القول والعمل وان لم يحصل بالنظر (ومداحض) معطوف على مهامه وهو مكان الدحض بدال وحاء مهملتين وضاد معجمة وهو الزلق وسقوط المـاشي ونحوه مما يزيل الاقدام عن محالها الوحل ونحوه وفيه اسـتعارة تصريحية بتشبيه الوقوع في الخطا لغموض المطالب ودقتها بزلة القدم في المزالق المؤدية للسقوط وقوله (تزل بها الاقـدام) بفتح حرف المضارعة وكسر الزاي المعجمة أو فتحها من الزلل وهو الزلق في الطين ونحوه ومتحرز به عن الخطا فهو تأكيـد للمداحض وترشيـح أو تجريد نحوي والاقدام جمع قدم وهو معروف وهو استـعارة تمثيلية لكثرة الخطا وما قيل من ان المراد بالاقدام المعقول في الاذهان المدركة بجامع الايصال الى المرام على انه استعارة تصريحية غير سديد واستعارة الرجـل للعقل لا تخفى ركاكتها على من له عقل (ان لم تعتمد على توفيق من الله عز وجل وتأييـد) لاعتماد افتعال من العمدة وهي في الاصل ما يتكا عليه ويستند اليه ثم شاع في كل ما يعول عليه وهو بمعناه الاصـلي مناسب للمداحض والثاني مناسب للمقصود ففيه تورية والتوفيق خلق القدرة على الطاعة وقيل خلق الطاعة وقيـل تسهيل سبيل الخير وأصله جعل الاسباب على وفق المسببات وهو تفعيل من الوفق كما ان الاتفاق افتعال منه ثم خص بما ذكر وهو أوفق باصله من قول المعتزلة انه اظهار الآيات الدالة على وحدانيتـه وابداع ما يعرف به في الانسان كالعقل والسمع والبصر لطفا منه تعالى والتأييد التقوية والاعانة من الايد وهو القوة والمعنى انه ان لم يعنه الله بتوفيقه وتاييده زل وأخطأ وما أحسن تذييل الحيرة والضلال بقوله لم يهتد الخ وتذييل الزلل والدحض بقوله ان لم يعتمد ولما كان ما ذكر للسائل من صعوبة [illegible] توقفه على أمور خطيرة يشعر بعدم اجابته استدرك دفعه بقوله (لكني لما رجوته) بكسر اللام الجارة وتخفيف ما الموصولة والعائد لها الهاء ويجوز أن تكون موصوفة وليس لما بفتح اللام وتشديد الميم ولا ما المصدرية لاحتياجه للتكلف والجار والمجرور متعلق بمقدر مقدم أو مؤخر للحصر أي اجبتك له لا لغيره أو دون غيرك والرجاء بالمد ترقب ما يرجى حصوله والفرق بينه وبين الطمع ان الراجي مؤمل لعدم الفوت بسبب رجائه له وقد يستعمل كل منهما بمعنى الآخر كقوله تعالى والذي اطمع أن يغفر لي خطيئتي (لي ولك) قدم نفسه لمطابقته للمقام ولان المرء يبدأ بنفسه في الخير وليس الايثار مطلوبا في كل محل ولذا استحب تقديم المرء نفسه في الدعاء كما مر لا لما قيل من ان النفس تراعي حالها أولا الا من شرفت نفسه فانه يؤثر غيره (في هذا السؤال والجواب من نوال وثواب) فيه لف ونشر غير مرتب لان النوال والثواب ناظر لقوله لي والسؤال والجواب لقوله لك والنوال العطاء كالنائل والمنال والتناول تفاعل منـه والثواب من ثاب اذا رجع وهو الجزاء بخير أو شر لكن العرف والشرع خصصه بالخـير كما في النهاية وهو المراد هنا ومن بيانية مبينة لمـا على الوجهين وقد يقال ليس فيه توزيـع لتعلق كل منهما بكل منهما كما ذهب اليـه بعض الشراح لان للمصنف رحمه الله تعالى عطاء من الله لمـا صنفه وله ثواب عليه وللسائل نوال وعطاء لوصوله لمسـؤله وثواب لتسببه لايجاد هـذا الكتاب والدال على الخـير كما سياتي كفاعـله ووجـه الاول ان النوال عطاء دنيـوي عاجـل للسائل بسـؤاله والثواب أخروي للمصـنف رحـمه الله تعالى عـلى اجابتـه لان المتبادر من النـوال الدنيـوي ومن الثـواب الاخروي فـلا وجـه لمـا قيـل من انه لا دليـل عليـه وفي بعض النسـخ ثواب النوال بالاضافـة وهو مؤيد

للثانى (بتعريف قدره الجسيم) التعريف التبيين والباء سببية والقدر شرف الرتبة والجسيم العظيم الجسم فاريد به مطلق العظيم على انه مجاز مرسل أو استعارة بتشبيه العظيم المعنوى بالحسى والقدر الجسيم ان كان علو مرتبة عند الله والناس فهو مغاير لما بعده وعطفه عليه ظاهر وان أريد اتصافه بكل صفة حميدة فهو من عطف الخاص على العام والى كل منهما ذهب بعض الشراح (وخلقه العظيم) الخلق بضمتين و يسكن ثانيه تخفيفا وهو الطبيعة والسجية وقد عرفوه بانه ملكة للنفس تصدر عنها الافعال بسهولة من غير فكر وروية فخرج بالملكة كل عارض غير قار من الاحوال و بصدوره عن النفس مايصدر عن الجوارح كالكتابة وغيرها من الصنائع و بقيد السهولة ما كان بصعوبة كالصبر على بعض النوائب وكذا ماصدر بغير تفكر فكله لايسمى خلقا والخلق للنفس بمنزلة الخلق للبدن والخلق الحسن من أعظم المنن من الله وفى الحديث أكثر مايدخل الناس الجنة تقوى الله وحسن الخلق وخلق النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أعظم الاخلاق قال الله تعالى وانك لعلى خلق عظيم وسيأتى الكلام فيه (وبيان خصائصه) جمع خصيصة وهى ماخصه الله تعالى به فانفرد به عن كل ماسواه أو انفرد به عن غيره من الانبياء عليهم الصلاة والسلام أو عن أمته والاولى خصائص مطلقة حقيقية وما عداها اضافية وليس جمع خاصة لانها كالخاص خلاف العامة لابمعنى ماتفرد به ولا الخاصة بمعنى الاثر الذى لايظهر سببه كجذب المغناطيس الحديد فى مصطلح الاطباء وكخواص التراكيب عند أهل المعانى على مافصل فى شرح المفتاح وماذهب اليه بعض علماء الشافعية من منع الكلام على الخصائص النبوية أو كراهته قيل انه متاول وقيل غير صحيح كما فى الخصائص الكبرى للسيوطى وسيأتى بيانه وقيل محل الخلاف بيان ماحرم عليه كنزع لامته وخائنة الاعين وفيه نظر والحق ان منها مايلزم ذكره لئلا يقتدى به غيره أو يدفع توهم ارتكابه لغير المشروع كزيادة زوجاته على أربع وماهو مستحب كغيرها و يدخل فيها مااختصت به أمته عليه الصلاة والسلام واذا عرفت هذا فقوله (التى لم تجتمع قبله فى مخلوق) بيان شامل لسائر الاقسام لان المراد انه تفرد بمجموعها دون كل فرد فرد منها فاعرفه (ومايدان الله تعالى به) أى يعبد و يطاع لامره به من الدين المعروف وهو معطوف على خصائصه وقيل على قدره (من حقه) بيان لما وقد ورد فى الادعية المأثورة أسألك بحق محمد فقالوا المراد بحقه رتبته ومنزلته أو الحق الذى جعل الله له على أمته تفضلا به عليه كما فى الدر المنظم لابن حجر والمراد هنا الثانى وهو مايجب له صلى الله تعالى عليه وسلم على أمته من حق بمعنى ثبت ويجوز أن يراد به مايقابل الباطل من اليقين الثابت حقيته بالدليل كما قيل وفيه تكلف كالقول بان من للتبعيض لان اضافته للعموم فلو كانت بيانية لزم ادعاء بيان جميع حقوقه أو المراد جنس الحقوق فتأمل (الذى هو أرفع الحقوق) صفة مادحة والمراد انها أرفع من غيرها من حقوق البشر لاممـا عداها حتى حقوق الله وارفع من الرفعة وهى العلو والشرف فتعريف الحقوق للعهد أو الاستغراق العرفى ويجوز أن يكون صفة مخصصة للحق وتخصيص الارفع منها بالذكر اهتماما به والمراد بيانه على طريق الاجمال اذ التفصيل يضيق عنه الحصر (ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا ايمانا) الاستيقان استفعال من اليقين من يقن كفرح واستيقن وتيقن وأيقن بمعنى علم علما محققا لاشبهة فيه لاتقانه بالادلة النافية للشبه ولذا قيل انه لايوصف به علم الله و يقال بلج اليقين دون العلم كما فصلناه فى عناية القاضى وقوله ويزداد افتعال من الزيادة وفيه دليل على ان الايمان يقبل الزيادة والنقص والكلام فيه مفصل فى محله لاحاجة لنا به هنا واقتبس المصنف رحمه الله الآية هنا تعليلا لتعريف قدره وخلقه وخصائصه الذى به يتيقن ذلك أو لكون أنعمه بدت ببيان حقوقه فكانه قال بتعريف فضائله

(بتعريف قدره الجسيم وخلقه العظيم) بضمتين و يسكن الثانى أى بسبب تبيينهما (وبيان خصائصه) أى فضائله المختصة (التى لم تجتمع قبل) أى قبل خلقه (فى مخلوق) ومن المعلوم استحالة وجود مثله بعده (ومايدان) أى وبيان مايطاع (الله تعالى به) أى ويتخذ دينا (من حقه الذى هو أرفع الحقوق) أى بعد حق الحق (ليستيقن) متعلق بتعريف أى ليثبت أو يتيقن (الذين أوتوا الكتاب) أى نبوته ايقانا يريد العلماء به (ويزداد) أى بذلك (الذين آمنوا ايمانا) يريد العوام أو الاعم والله أعلم ثم قوله ليستيقن علة لقوله بتعريف قدره وبيان خصائصه وأما قول التلمسانى أى لكنى أفعل لما رجوته وليستيقن فخالف للنسخ المصححة حيث لم يوجد فيها الواو العاطفة

وخصائصه بتحقق تيقن أهل الكتاب حقية رسالته لموافقته لنعمته المذكور في كتبهم و يزداد ايمان
المؤمنين من أمته بتحقق ماله صلى الله عليه وسلم من المحامد فالمراد باهل الكتاب اليهود والنصارى
والكتاب التوراة والانجيل وغيرهما من الكتب السماوية وتخصيص هؤلاء بالذكر ليس للحصر
لان المراد تعميمه وشموله لجميع أهل العلم باحوال الانبياء عليهم الصلاة والسلام لا بمجرد اتباع
معنى النظم القرآني وان لم يطابق السياق كما قيل وقد يقال المراد بالذين أوتوا الكتاب أهل العلم
بالتفسير والحديث وبمن بعدهم من عداهم من المؤمنين والمعنى ان هذا التعريف المتيقن ما تضمنه
العلماء و يزيد ايمان العوام ويجوز للمقتبس ان يقصد غير المراد به على طريق التمثيل وان كانت
هذه الآية وردت في عدد خزنة جهنم وكونهم تسعة عشر فانه مما استيقنه أهل الكتاب لموافقته ما عندهم
وازداد ايمان غيرهم لعلمهم بذلك وفي الآية دليل على أن الايمان يقبل الزيادة والنقصان والكلام
فيه مشهور فلا حاجة لذكره اذ لا يخفى ان ايمان الانبياء والملائكة عليهم الصلاة والسلام ليس كايمان
غيرهم فان قلنا بدخول الاعمال فيه فهو ظاهر كما بين في الاصول (ولما) بكسر اللام وتخفيف الميم
من ما الموصولة أو الموصوفة وتقدير العائد كما مر وهو علة ثانية للتعريف المستفاد من هذا الكتاب
(أخذ الله على الذين أوتوا الكتاب) المراد الذين أوتوا الكتاب هنا أيضا أهل العلم مطلقا أو أهل
الكتب المتقدمة في النزول أو اليهود كما هو أحد التفاسير في هذه الآية وقد استدل بها على وجوب نشر
العلم والمراد بما العهد والميثاق الذي أخذه الانبياء عليهم الصلاة والسلام على أممهم ان يبلغوا ما
سمعوه كما قال نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم الا ليبلغ الشاهد منكم الغائب ونحوه وقيل المراد ما أخذ
من العهد يوم الست بربكم في عالم الذر (ليبيننه للناس ولا يكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا
قليلا) ولم يتل الآية بتمامها لعدم مناسبة باقيها لما أراده والضميران المنصوبان للنبي صلى الله تعالى
عليه وسلم لعلمه مما سبق في كلام المصنف رحمه الله تعالى وان كان في النظم بخلافه فلا حاجة الى
القول هنا بانه علم من السياق وان لم يجر له ذكر كما قيل وقيل هما للكتاب وهو عام للعلوم والعلماء
ويدخل فيه أمر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم دخولا أوليا ولم يؤكد يكتمونه كما أكد ليبيننه لانه
جملة جوابية ولا يكتمونه حالية وليست كما قيل بتقدير مبتدا أي وهم لا يكتمونه لاجل الواو الحالية
لان الحال المنفية يجوز فيها الوجهان وليست كالمضارع المثبت كما صرح به النحاة أو هو معطوف على
الجواب فهو جواب والجواب المنفي لا يؤكد كما قيل وهو أصوب *(تنبيه)* قال الزركشي في قواعده
تصنيف كتب العلم لمن منحه الله فهما واطلاعا فرض كفاية ولن تزال هذه الامة مع قصر أعمارها
في ازدياد وترق في المواهب والعلم فلا يحل كتمه فلو ترك التصنيف لضيع العلم على الناس وقد قال
الله تعالى واذا أخذ الله ميثاق الخ وفي التوراة علم مجانا كما علمت مجانا انتهى * فان قلت قوله
ليبيننه هل هو جواب قسم معلوم من السياق أو مقدر * قلت هذا محتمل الا أن ابن الاثير قال في
البديع ان للعرب ألفاظا تتلقاها تارة بما يتلقى به القسم كقوله تعالى واذا أخذ الله ميثاق الذين أوتوا
الكتاب لتبيننه للناس الآية وتارة لا تتلقاها به كقوله تعالى واذا أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور
خذوا ما آتيناكم بقوة وتارة يكون الذي بعدها محتمل الامرين كقوله تعالى واذا أخذنا ميثاقكم
لا تسفكون دماءكم وفي معنى هذه الآية قوله تعالى ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى
من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون قال شيخ والدي الشهاب ابن
حجر قال ابن عباس وجماعة انها نزلت في اليهود والنصارى وقيل في اليهود لكتمهم صفته صلى الله
تعالى عليه وسلم التي في التوراة وقيل هي عامة وهو الصواب لان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص
السبب ثم ذكر الآية التي ذكرها المصنف رحمه الله تعالى وقال انها نزلت في اليهود وكتمهم صفته

(ولما) عطف على لما
رجونه أي ولاجل ما
(أخذ الله على الذين أوتوا
الكتاب) أي من الميثاق
وفي نسخة ميثاق الذين
أوتوا الكتاب أي من
العلماء (ليبيننه) بفتح
اللام على انه جواب للقسم
الذي ناب عنه قوله أخذ
الله ميثاق الذين أي
استحلفهم والمعنى ليظهرن
أمر محمد صلى الله تعالى
عليه وسلم جميعه (للناس
ولا يكتمونه) أي شيأ
منه وهو المناسب للمقام
أو الضمير للكتاب وهو
مشتمل على المرام وفي
بعض النسخ بالخطاب
فيهما وهو صحيح وقد قرأ
بهما السبعة في الكتاب فالياء
لغيبتهم والتاء حكاية
لمخاطبتهم وتتمة الآية
المقتبس منها فنبذوه وراء
ظهورهم واشتروا به ثمنا
قليلا فبئس ما يشترون
وعن علي كرم الله تعالى
وجهه ما أخذ الله على
أهل الجهل ان يتعلموا
حتى أخذ على أهل العلم
أن يعلموا

صلى الله تعالى عليه وسلم وغيرها والعبرة فيها أيضا بعموم اللفظ والبينات ما نزل على الانبياء عليهم الصلاة والسلام من الكتب والوحى والهدى الادلة العقلية والنقلية قال وقوله فى الآية الثانية من بعد ظرف لقوله يكتمون لا لانزلنا لفساد المعنى يعنى ان البيان متأخر عن الكتم لا عن الانزال لسبقه عليه وهو وغيره مسلم لجواز أن يراد بما أنزل وبين ما أنزل فى التوراة وبين لاسلاف بنى اسرائيل وبالكتم كتم اليهود الذين كانوا فى زمن نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى هذا يجوز تعلقه بكل منهما ولما استدل على مدعاه بالنظم الكريم عقبه بالاستدلال بالحديث فقال (ولما) بكسر اللام وتخفيف الميم أيضا (حدثناه أبو الوليد هشام بن أحمد الفقيه رحمه الله) هو الامام القرطبى الزاهد المحدث المعروف بابن العواد أحد شيوخ المصنف وقد اجتمع للمصنف من الشيوخ بين من سمع منه وبين من أجازه مائة شيخ وهو ممن عرض عليه القضاء ولم يقبله وتوفى بقرطبة سنة تسع وخمسمائة وولده سنة اثنين وخمسين وأربعمائة وفى نسخة هو ابن هشام بن خالد الاندلسى الوقشى بفتح الواو والقاف وبالشين المعجمة نسبة الى وقش قرية من قرى طليطلة بالاندلس الكنانى الحافظ الفقيه ولد سنة ثمان وأربعمائة واشتغل بالفنون وسمع من أبى عمر الطليطلى وابن عمر السفاقسى وأبى عمر بن الحداد وروى عنهم ومهر فى النحو والعربية واللغة وفنون الادب واعتنى بالحديث قال القاضى عياض كان فى غاية الحفظ والاتقان وله تنبيهات وردود على كبار المصنفين فى بعضها فقال وكان ينظر فى الاصول واتهم بالاعتزال وقال الرشادى ولى القضاء ببلاد من بلاد الاندلس وكان من المتقنين فى ضروب المعارف وكان يعرف الشروط والهندسة والفرائض وغيرها مات فى جمادى الآخرة سنة تسع وثمانين وأربعمائة (بقراءتى عليه) قال المحدثون من سمع من لفظ شيخه يقول حدثنا وأخبرنا وأنبأنا قال العراقى وهو متجه ومن قرأ عليه أو سمع بقراءة غيره عليه فالاجود أن يقول قرأت على فلان أو قرئ عليه وأنا أسمع وفى العرض يقول حدثنا فلان بقراءتى عليه أو قرئ عليه وأنا أسمع كما فصل فى مصطلح الاثر ولذا قال المصنف بقراءتى عليه (قال حدثنا الحسين بن محمد) هو الحافظ أبو على الغسانى المشهور وقال (حدثنا أبو عمر) أى قال الحسين حدثنا أبو عمر وهو شيخ الاسلام حافظ المغرب ابن عبد البر بن عاصم (النمرى) القرطبى صاحب الاستيعاب وغيره من الكتب الجليلة ولد فى ربيع الآخر سنة ثمان وستين وثلثمائة بقرطبة وتوفى بشاطبة ليلة الجمعة سلخ ربيع الآخر سنة ثلاث وستين وأربعمائة وعمره خمس وتسعون سنة وقوله النمرى بفتح النون والميم نسبة الى نمر بفتح النون وكسر الميم اسم قبيلة وهو فى الاصل اسم جدهم نمر بن قاسط بن هنب وفتحت ميمه فى النسبة تخفيفا لثلاث توالى كسرتان وياء مشددة على القياس المطرد فى كل مكسور العين مضموم الفاء أو مكسورها أو مفتوحها فان كان مكسورها كابل

(ولما) اى وللحديث الذى (حدثناه ابو الوليد هشام بن احمد الفقيه رحمه الله تعالى بقراءتى عليه) وهو هشام بن احمد بن هشام بن خالد الاندلسى الوقشى بفتح الواو والقاف وبالشين المعجمة نسبة الى وقش قرية من قرى طليطلة بالاندلس الكنانى الفقيه الحافظ ولد سنة ثمان واربعمائة واشتغل بالفنون وقرأ على المشايخ ومهر فى النحو والعربية واللغة وفنون الادب واعتنى بالحديث قال القاضى عياض كان غاية فى الضبط والاتقان وله تنبيهات وردود على كبار المصنفين فى بعضها قال وكان له نظر فى الاصول واتهم بالاعتزال وكان من المتسعين فى ضروب المعارف وكان يعرف الفرائض والهندسة وغيرهما ومات فى جمادى الآخرة سنة تسع وثمانين واربعمائة كذا ذكره الحلبى وقال التلمسانى وهو هشام بن أحمد بن هشام الهلالى يعرف بابن بقوة ٣٩ بالباء الموحدة المفتوحة والقاف الساكنة بعدها واو مفتوحة وتاء مقلوبة فى الوقف هاء وهو امام حافظ وشيخ من شيوخه الذين اعتمد على النقل عنهم فى هذا الكتاب وغيره وكثرت الروايات عنه فى أسانيد القاضى رحمه الله تعالى وتكرر السماع عليه ذكره الحافظ أبو محمد بن عبيد الله الحجرى وأبو العباس أحمد بن الزبير الثقفى وللقاضى رحمه الله تعالى شيخ آخر على نحو هذا الاسم هو القاضى أبو الوليد هشام بن أحمد بن سعيد الكنانى الوقشى الضابط صاحب كتاب غريب الموطأ جليل النفع كبير القدر والله تعالى أعلم (قال) أى هشام (حدثنا الحسين بن محمد) زاد فى نسخة الجيانى بجيم مفتوحة فسكون تحتية فهمزة ممدودة فنون فياء نسبة وهو الحافظ أبو على الغسانى وستأتى ترجمته مبسوطة كذا ذكره الحلبى وقال التلمسانى له كتب مفيدة جدا توفى فى سنة ثمان وتسعين وأربعمائة (حدثنا أبو عمر) بضم العين (النمرى) بفتح النون والميم نسبة الى نمر بكسر الميم وهو أبو قبيلة وانما فتح فى النسب استيحاشا لتوالى الكسرات وهو حافظ المغرب وشيخ الاسلام أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمرى القرطبى الاندلسى الشاطبى ولد فى شهر ربيع الآخر سنة ثمان وستين وثلاثمائة وترجمته شهيرة وتصانيفه كثيرة توفى بشاطبة ليلة الجمعة سلخ شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وستين وأربعمائة واستكمل خمسا وتسعين سنة وخمسة أيام واعلم انه وقع فى أصل التلمسانى زيادة حدثنا أبو بكر أحمد بن على بن ثابت الخطيب الشيبانى التبريزى البغدادى مات فى ذى الحجة سنة ثمان وستين وأربعمائة حتى قال الناس مات فى هذه السنة حافظ المشرق وحافظ المغرب يعنون أبا بكر الخطيب

وأباعمر رحمهما الله تعالى (حدثنا أبو محمد بن عبد المؤمن) أي القرطبي من قدماء شيوخ ابن عبد البر قال الذهبي في الميزان كان تاجرا صدوقا لقي ابن داسة والكبار كذا ذكره الحلبي وقال التلمساني يعرف بابن الزيات شيخ أبي عمر بن عبد البر روى عنه في المسند الكبير (حدثنا أبو بكر محمد بن بكر) أي ابن محمد بن عبد الرزاق بن داسة بمهملتين وتخفيف الثانية عند الجمهور بصري وهو أحد رواة أبي داود وعنه مشهور الترجمة وقد روى عنه بالاجازة أبو نعيم الاصبهاني (حدثنا سليمان بن الاشعث) وهو الامام الحافظ صاحب السنن أبو داود السجستاني قال أبو عبيد الآجري سمعته يقول ولد سنة اثنتين ومائتين وكتب عنه شيخه أحمد بن حنبل حديث العتيرة وأراه كتابه فاستحسنه ومناقبه معروفة قيل الين الحديث لابي داود كما ألين الحديد لداود عليه السلام مات في سادس عشر شوال سنة خمس وسبعين ومائتين بالبصرة (حدثنا موسى بن اسمعيل) وهو أبو سلمة التبوذكي نسبة الى تبوذك دار اشتراها الحافظ روى عن شعبة وهمام وخلق وروى عنه البخاري وأبو داود وقال عباس الدوري كتبنا عنه خمسة وثلاثين ألف حديث توفي سنة ثلاث وعشرين ومائتين ثقة ثبت أخرج له الجماعة أصحاب الكتب الستة (حدثنا حماد) وهو ابن سلمة بن دينار الامام أبو سلمة أحد الاعلام روى عن أبي عمران الجوني وغيره وروى عنه شعبة ومالك وغيرهما صدوق يغلط وليس هو في قوة مالك وأخرج له مسلم والاربعة كذا ذكره الحلبي وقال التلمساني هو حماد بن زيد بن درهم يكنى أبا اسمعيل الازرقي مولى لجرير بن حازم البصري الازدي أخو عبد سعيد مات سنة تسع وتسعين ومائة (أخبرنا علي بن الحكم) أي البناني البصري روى عن أنس وأبي عثمان النهدي وطائفة منهم نافع وعنه الحمادان وعبد الوارث وعدة أخرج له البخاري والاربعة (عن عطاء) أي ابن أبي رباح أبو محمد القرشي مولاهم المكي أحد الاعلام يروي عن عائشة وأبي هريرة وخلق وعنه الاوزاعي وابن جريج وأبو حنيفة والليث وأمم توفي وله ثمانون سنة أخرج له الائمة الستة كذا ذكره الحلبي وقال التلمساني هو ابن يسار أبو محمد مولى ميمونة بنت الحارث زوج النبي صلى الله عليه وسلم وهو هلالي مدني

جاز فيه الفتح وابقاء كسرها كما ذكره النحاة قال (حدثنا أبو محمد بن عبد المؤمن) في المقتني هو أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد المؤمن القرطبي من قدماء شيوخ ابن عبد البر وفي الميزان انه كان تاجرا صدوقا لقي الكبار وأخذ عنهم الا انه لم يكن جيد الضبط فربما وقع له الخلل والمصنف رحمه الله نسبه لجده قال (حدثنا أبو بكر محمد بن بكر) المعروف بابن داسة من مشايخ الحديث المشهورين وداسة بدال مهملة تليها ألف ثم سين مهملة بعدها هاء تأنيث وهو أحد رواة سنن أبي داود قال (حدثنا سليمان بن الاشعث) هو الامام الحافظ أبو داود سليمان بن الاشعث بن اسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الازدي السجستاني صاحب السنن ولد سنة اثنتين ومائتين وسمع بمصر والحجاز والعراق من خلق كثير وروى عنه ابن داسة وغيره وله ترجمة مفصلة في التواريخ ومات في سادس عشر شوال سنة خمس وسبعين ومائتين بالبصرة قال (حدثنا موسى بن اسمعيل) هو أبو سلمة بن اسمعيل المنقري التبوذكي نسبة لتبوذك بمثناة فوقية مفتوحة وموحدة مضمومة فذال معجمة مفتوحة تليها كاف اسم موضع نزل قوم من أهله عند أبي سلمة هذا فقيل له تبوذكي أولانه كان له دار بها وأصل معنى التبوذكي من يبيع ما في بطون الدجاج ككبدها ونحوه وقيل انه نسبة أيضا لبيع التبوذك وهو السرجين وموسى هذا روى عنه أصحاب السنن ووثقوه وقيل انه فيه لين توفي سنة ثلاث وعشرين ومائتين قال (حدثنا حماد) أطلقه والمراد به كما قاله البرهان الحلبي حماد بن سلمة بن دينار أحد الاعلام مولى قريش أو تيم وهو ثقة لم يتهمه الامن رق دينه وقيل انه كان من الابدال لانه تزوج كثيرا ولم يولد له وهو من عادتهم كسرعة الصلاة لطي الزمان لهم أو لغيره كما ذكره السيوطي في ترجمة ابن الهمام رحمه الله وكان مجاب الدعوة ولم يرد حماد بن زيد وان كان من الكبار أيضا الا ان التبوذكي تفرد بالرواية عن حماد بن سلمة ولم يرو عن حماد بن زيد كما قاله ابن الجوزي في كتاب الجمال في اسماء الرجال فما في بعض الحواشي من انه حماد بن زيد وهم توفي سنة مائة وسبع وستين وله ترجمة في الميزان (قال حدثنا علي بن الحكم) البناني البصري وقد روى عنه الحمادان وعداه من المحدثين توفي سنة احدى وثلاثين ومائة وهو ثقة وقيل فيه لين (عن عطاء) هو اسم مشترك بين جماعة منهم ابن أبي رباح أبو محمد المكي القرشي مولاهم أحد الاعلام روى عن عائشة وجابر وابن عباس وزيد بن ارقم رضي الله تعالى عنهم وروى عنه الاوزاعي وأبو حنيفة وغيرهما وعاش ثمانين سنة وتوفي سنة خمس أو أربع عشرة ومائة وهو من كبار التابعين المتفق على توثيقه وجلالته وفي المقتني انما ميزته لاشتراك اسمه بين جماعة رووا عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه وهذا هو المراد هنا دون غيره وقال التلمساني المراد به عطاء بن يسار الهلالي مولى ميمونة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها ورجح الاول بان الذهبي وابن الجوزي لم يذكر العطاء بن يسار رواية له عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ولا يخفى انه لا يلزم من عدم ذكرهما أن لا يكون له رواية عنه في الواقع مع ان النووي وغيره قالوا له رواية عنه * أقول هذا كله خبط عشواء فان المصنف رحمه الله روى هذا عن ابن

(عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه) وهو عبد الرحمن بن صخر على الاصح من بين نيف وثلاثين قولا وقد رأى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في كمه هرة فقال يا أباهريرة فاشتهر به وقد بسطنا ترجمته في المرقاة شرح المشكاة والاوجه في وجه عدم انصراف هريرة في أبي هريرة هو ان هريرة صارت علما للتلك الهرة ونقل التلمساني في كنيته انه هل يجر أولا قال أبو الفضل قاسم بن سعيد العقباني انه يجر و رواه عن الائمة المشارقة منهم ابن حجر يعني العسقلاني ونصره الشيخ أبو عبد الله بن مرزوق وقال هريرة اسم جنس مصروف اضيف اليه فهو على ما هو عليه وهو جزء اسم وجزء الاسم يجر وذكر لي بعض اصحابنا ان ابا الفضل هو الذي افاد المشارقة صرفه فانهم كانوا لايجرونه فابدى لهم علة الجر واستحسنوها وصوبوها وقال قوم انه لايجروبه قال الشمني المشرقي وأبو عبد الله من شيوخنا وألف فيه وقال انه بعد التركيب حدث فيه المنع لانه علم وفيه تانيث وهما مانعان ومنه قوله في أبي خراشة

ابا خراشة اما انت ذا نفر * فان قومي لم تاكلهم الضبع

وروى أبو شاة في قوله فقال رجل يقال له أبو شاة واكتبوا لابي شاة بالوجهين وهو كابي هريرة (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) وهو سيد العالمين وسند العالمين محمد بن عبد الله بن

(٦ - شفا ل) عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان على هذا النسب وقع اجماع الامة وقد ضبطت هذه الاسماء في رسالتي المسماة بالمورد في المولد وقد ولد صلى الله تعالى عليه وسلم بالشعب وقيل بالدار التي عند الصفا التي بنتها زبيدة مسجدا

عبد البر وقد ذكره في كتاب العلم وصرح بانه ابن أبي رباح كما رأيته فيه وعبارته قال قرأت على عبد الوارث بن سفيان بن قاسم بن اصبغ حدثهم قال حدثنا بكر بن حماد قال حدثنا مسدد قال حدثنا الوارث عن علي بن الحكم عن رجل عن عطاء بن أبي رباح عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عنه صلى الله تعالى عليه وسلم وساق الحديث والرجل الذي يرويه عن عطاء يقولون ان الحجاج بن ارطاة وليس عندي كذلك والحجاج بن ارطاة مشهور بالتدليس ورواه حماد بن مسلمة عن علي بن الحكم ولم يقل به رجل وكذلك رواه عمارة الصيدلاني عن علي بن الحكم عن عطاء عن أبي هريرة رضي الله عنه ثم ذكر له طرقا أخر وقال الحسن دخلنا فاغتممنا وخرجنا فلم نزدد الاغما اللهم اليك نشكو هذا الغثاء الذي كنا نحدث ان أجبناهم لم يفقهوا وان مسكنا عنهم وكلناهم الى غي شديد لولا ما اخذ الله على العلماء في علمهم ما انبأناهم بشئ ابدا وكان أبو هريرة رضي الله تعالى عنه يقول لولا آيتان في كتاب الله ماحدثتكم شيأ ان الذين يكتمون ما انزلنا والتي تليها الحديث انتهى * فاخذ المصنف رحمه الله ماقاله ابن عبد البر وقدم فيه وأخر وغير والمراد انه في اصله صرح بان عطاء هو عطاء بن أبي رباح فما في الحواشي ناشئ من عدم الوقوف على ما تقول الائمة (عن أبي هريرة) الدوسي وهو ممن غلبت كنيته اسمه ولذلك اختلف فيه وقيل ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كناه بها لما رآه يحمل هرة في كمه وقيل المكني له غيره صلى الله عليه وسلم وفي اسمه اقوال نحو الثلاثين أشهرها انه عبد الله أو عبد الرحمن وكان اسمه في الجاهلية عبد شمس واسلم عام خيبر وشهدها ولازم مجلس النبي صلى الله تعالى عليه وسلم صابرا زاهدا ولذا عد من احفظ الصحابة رضي الله تعالى عنهم وروى عنه مالم يرو غيره وفي البخاري عنه انه قال لم يحفظ احد أكثر مني الا عبد الله بن عمرو بن العاص فانه كان يكتب وانا لا اكتب وكان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم دعا له بالحفظ فلم ينس شيأ سمعه بعد والحديث فيه معروف ومات بالمدينة وقيل بالعقيق وفي الشروح الجديدة نقلا عن الحافظ ابن حجر ان هريرة مجرور بالكسرة لان المجموع علم منقول والمنقول يبقى على أصله قبل النقل لان جزء العلم غير علم فلا يخرج عن تنكيره وصرفه ولو اعطى مثله حكم العلم لم تدخل اللام في مثل شمس الدين فيجوز أبو الهريرة وأبي هريرة بالتنوين وكونه غير منصرف للعلمية والتانيث لان المضاف والمضاف اليه ككلمة واحدة ورد عليه انه يلزمه رعاية الاصل والحال في لفظة واحدة فيعرب اعراب المضاف اليه نظر الاصله ويمنع صرفه نظرا للحال ثم قال ان البرهان الحلبي قال هريرة لا ينصرف لكثرة الاستعمال واطال فيه من غير طائل وانا اقول هذا كلام ناشئ من عدم التامل وهو مما يقضى منه العجب فان السماع فيه منع الصرف وكتب العربية مشحونة بنقله عن علماء العربية وهو مصرح به في ايضاح ابن الحاجب وفي كتب ابن مالك ونقله شراح التسهيل واتفق عليه شراح الكشاف فانهم بقاطبتهم قالوا في شهر رمضان المركب الاضافي اذا جعل علما فجزؤه الثاني هو المنظور اليه في احكام العلمية ولزوم أل اذا قارنت الوضع وامتناعها في غيره كابن داية وصرح به سيبويه وأبو علي رحمهما الله تعالى وانما غرهم فيه كلام بعض المتاخرين من المغاربة نعم في بعض حواشي المفصل انه لا مانع من لمح اصله الا انه يأباه السماع وقد اشبعنا الكلام عليه في السوانح فان اردت شفاء الغليل فانظره (قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

(من سئل عن علم) اى مما يتعين تعليمه وقيل الحديث ورد فى الشهادة وقيل فى تبليغ الرسالة عند الحاجة والاظهر ان المراد به العلم الشرعى كما قال به الحليمى وكثيرون يؤيده حديث ابن ماجه من كتم علما مما ينفع الله به الناس فى الدين الجمه الله بلجام من نار والعلوم الشرعية ما يستفيدون من الكتاب والسنة من اصولها وفروعها ومقدماتها التى تتوقف على معرفتها بقدر الحاجة اليها دون التوغل فيها (فكتمه) اى بعد ما علمه (ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة) اى عند قيامهم من قبورهم واللجام بالكسر ما تلجم به الدابة ليمنعها عن النفور شبه ما يوضع فى فيه من نار بلجام فى فم الدابة وهو انما كان جزاء امساكه عن القول الحق وخص اللجام بالذكر تشبيها له بالحيوان الذى يسخر ويمنع من قصد ما يريده فان العلم من شانه ان يدعو الناس الى الحق القويم ويرشدهم الى الطريق المستقيم وقد اخرجه ابو داود والترمذى وابن ماجه والنسائى وقال الترمذى حسن واخرجه ايضا احمد وابن حبان والحاكم وصححه وفى حديث ابن مسعود فكتمه عن اهله وعن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من كتم علما علمه الله او اخذ عليه اجراجىء به يوم القيامة ملجما بلجام من نار وقال الشافعى

ومن منح الجهال علما اضاعه
ومن منع المستوجبين فقد ظلم

وسئل بشر عن هذا الحديث فقال اياى تعنى دع هذا اللجاج هنا حتى يأتى اهله فان نشره فى غير اهله كمنعه عن اهله وروى عن انس مرفوعا قال لا تطرحوا الدر فى افواه الكلاب يعنى الفقه والعلم فى ايدى الظالمين والمرائين وطالبى الدنيا وعن انس ايضا مرفوعا طلب العلم فريضة وواضع العلم فى غير اهله كمعلق الجوهر واللؤلؤ على الخنزير وروى مرفوعا ان عيسى عليه السلام قام خطيبا فى بنى اسرائيل وقال لا تكلموا بالحكمة عند الجهال فتظلموها ولا تمنعوها عن اهلها فتظلموهم ومما ينسب لعلى كرم الله تعالى وجهه

وناشر العلم بين الجاهلين به * كموقد الشمع فى بيت لعميان

من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة) قال السيوطى رحمه الله فى تخريج احاديث هذا الكتاب هذا الحديث اسنده المصنف رحمه الله من طريق ابى داود واخرجه الترمذى وحسنه وابن حبان والحاكم وابن ماجه بسند صحيح من طريق محمد بن سيرين انتهى واسنده ايضا ابن عبد البر من طرق كلام فما نقل عن الامام من انه لم يصح وعن غيره من انه ضعيف لا يلتفت اليه وفى الفاظ طرقه اختلاف ففى بعضها كتم علما مما ينفع الله به الناس وفى بعضها ثم كتمه بدل فكتمه والمراد كما قالوا ان العلم المتوعد على كتمه ما يلزم تعليمه ويتعين كتعليم حديث عهد باسلام ما يتعلق بالصلاة ومستفت فى الحلال والحرام ولا حاجة لتقييده باهلية السائل لحديث واضع العلم عند غير اهله كمقلد الدرر رقاب الخنازير لانه ليس على اطلاقه فان الافتاء فرض كفاية فان تعين كان فرض عين وقال الفقهاء ايد الله الدين ببقائهم يجب على الامام فى كل مسافة قصران يضع فيها من يعلم الناس امر دينهم ومن العلم ما هو فرض كفاية كالفقه وما هو فرض عين كمعرفة الله وما يجب له وما يستحيل عليه ومباح كالعلوم التى ليست بدينية وحرام كالسحر والشعبذة والكتم الاخفاء ولجام بزنة ركاب ما يوضع فى فم الدابة معروف وهو معرب لكام اولغام وقيل انه عربى لتصريفه كالجم وملجم وهو فى المعرب نادر والجمه اذا وضعه فى فيه والجمه الغرق اذا وصل الماء لفمه ويقال الجم اذا سكت قال ابو نواس

مت بداء الصمت خير * لك من داء الكلام
انما السالم من الـ * ـجم فاه بلجام

والالجام فى السكوت والغرق مجاز شاع حتى صار بمنزلة الحقيقة والجمه الغرق بمعنى اهلكه ابلغ من علا عليه الماء لما فيه من بيان سبب هلاكه بمعنى النفس والمقصود هنا انه يحرق جملته كما فى الجمه الغرق وان يراد احراق لسانه بدخول النار لفيه أو بوضع حديدة محماة فيه ويجعل ذلك علامة عليه كالحيوانات العجم فخوزى من جنس عمله لفظا ومعنى فهو مستعار لما يمنع الكلام كاللجام المانع من الجماح او هو مجاز مرسل والاستعارة التخييلية غير مناسبة هنا وباء بلجام للآلة او المصاحبة وقيل ان الله يخلق له صورة لجام من نار يوضع فى فيه وقيل انه تشبيه لما وصل لفيه من النار وخص اللجام لتشبيهه بدابة منعت عما تريده وهو تكلف وهذا لا ينافى قوله يوم تشهد عليهم ألسنتهم الآية لان فى القيامة مواقف متعددة لكل منها حال يخصه يوم القيامة سمى به اليوم الموعود لقيام الناس فيه من قبورهم او لوقوفهم فيه كما يقال له الموقف وهو يوم الحشر والحساب من قام بمعنى ظهر * (تتمة وفائدة مهمة) * قال النووى فى الاذكار ذكر الفقهاء والمحدثون انه يجوز ويستحب العمل فى الفضائل والترغيب والترهيب بالحديث الضعيف ما لم يكن موضوعا واما الاحكام كالحلال والحرام والمعاملات فلا يعمل فيها الا بالحديث الصحيح او الحسن الا ان يكون فى احتياط فى شىء من ذلك كما اذا ورد حديث ضعيف بكراهة بعض البيوع او الانكحة فان المستحب ان يتنزه عن ذلك ولكن لا يجب انتهى وخالف ابن العربى المالكى فى ذلك فقال ان الحديث الضعيف

الضعيف لا يعمل به مطلقا وقال السخاوي في كتابه القول البديع سمعت شيخنا ابن حجر رحمه الله تعالى مرارا يقول شرائط العمل بالحديث الضعيف ثلاثة الاول متفق عليه وهو ان يكون الضعيف غير شديد كحديث من انفرد من الكذابين والمتهمين من فحش غلطه والثاني ان يكون مندرجا تحت اصل عام فيخرج ما يخترع بحيث لا يكون له اصل اصلا والثالث ان لا يعتقد عند العمل ثبوته لئلا ينسب الى النبي صلى الله عليه وسلم ما لم يقله والاخيران عن ابن عبد السلام وابن دقيق العيد والاول نقل العلائي الاتفاق عليه وعن احمد انه يعمل به اذا لم يوجد غيره وفي رواية عنه ضعيف الحديث احب الينا من رأى الرجال وذكر ابن حزم الاجماع على ان مذهب ابي حنيفة ان ضعيف الحديث اولى عنده من الرأى والقياس اذا لم يجد في الباب غيره فتحصل ان في العمل بالحديث الضعيف ثلاثة مذاهب لا يعمل به مطلقا يعمل به مطلقا يعمل به في الفضائل بشروطه وقيد ابن الصلاح رحمه الله تعالى جواز رواية الضعيف باحتمال صدقه في الباطن وهل يشترط في الاحتمال ان يكون قويا ام لا فيه خلاف وظاهر كلام مسلم رحمه الله تعالى انه اذا لم يكن قويا لا يعتد به انتهى وللعلامة الدواني في انموذجه على هذه المسئلة اشكال اورده على القوم وحاول الجواب عنه بما زاده اشكالا وليس بشئ وهو انه قال اتفقوا على انه لا يعمل بالحديث الضعيف ولا يثبت به الاحكام الشرعية ثم انهم ذكروا انه يجوز بل يستحب العمل به في فضائل الاعمال كما في الاذكار وفيه اشكال لان جواز العمل واستحبابه من الاحكام الخمسة الشرعية فاذا استحب العمل به كان ثبوت ذلك بالحديث الضعيف وهو ينافي ما تقدم ويناقضه وحاول بعضهم التفصي عنه بان المراد انه يجوز روايته وهو لا يرتبط بما قالوه والذي يصلح للتعويل عليه ان يقال اذا وجد حديث في فضيلة عمل من الاعمال لا يحتمل الحرمة والكراهية يجوز العمل به ويستحب لانه مأمون الخطر ومرجو النفع اذ هو دائر بين الاباحة والاستحباب فالاحتياط العمل به رجاء الثواب فان دار بين الحرمة والاستحباب لا يعمل به وان دار بين الكراهة والاستحباب فلينظر ايهما اقوى خطرا يرجع اليه وان دار بين الاباحة والاستحباب فهو اسهل لان المباح يصير بالنية مستحبا فجواز العمل به واستحبابه مشروط بعدم احتمال الحرمة الا انه اذا لم توجد الحرمة فجواز العمل به ليس لاجل الحديث على ان الاباحة ايضا من الاحكام الخمسة فالحق ان الجواز معلوم من خارج والاستحباب معلوم من القواعد الشرعية الدالة على استحباب الاحتياط في الدين فلم يثبت شئ من الاحكام بالحديث انتهى

* اقول اذا احطت خبرا بما قدمناه في كلام الحافظ السخاوي عرفت ان ما قاله الجلال مخالف لكلامهم برمته وما نقله من الاتفاق غير صحيح مع ما سمعته من الاقوال والاحتمالات التي أبداها لا تفيد سوى تسويد وجه القرطاس والذي اوقعه في الحيرة توهمه ان عدم ثبوت الاحكام به متفق عليه وانه يلزم من العمل به في الفضائل والترغيب انه يثبت به حكم من الاحكام وكلاهما غير صحيح اما الاول فلان من الائمة من جوز العمل به بشروطه وقدمه على القياس واما الثاني فلان ثبوت الفضائل والترغيب لا يلزمه الحكم الا ترى انه لو روى حديث ضعيف في ثواب بعض الامور الثابت استحبابها والترغيب فيه او في فضائل بعض الصحابة رضوان الله تعالى عليهم او الاذكار المأثورة لم يلزم مما ذكر ثبوت حكم اصلا ولا حاجة لتخصيص الاحكام والاعمال كما توهم للفرق الظاهر بين الاعمال وفضائل الاعمال واذا ظهر عدم الصواب لان القوس في غير يد باريها ظهر انه لا اشكال ولا خلل ولا اختلال (فبادرت) بادر فاعل بمعنى فعل والمبادرة العجلة الى فعل ما رغب فيه وهو يتعدى بنفسه وبالى يقال بادرته وبادرت اليه ولما كانت الفاء لا تدخل في خبر كان لا سيما اذا كان ضميرا فلا يعمل ما بعدها فيما قبلها قالوا انه معطوف على مقدر هو الخبر المتعلق به قوله لما اى لكني اجبتك لما رجوته فبادرت

(فبادرت) عطف على الخبر المقدر لقوله لكني قبلت وما تأخرت بل اقبلت فبادرت

الى آخره (الى نكت) أى الى جمع نكت وتاليفها ونكت جمع نكتة كنقط ونقطة ويجمع أيضا على نكات بالكسر كبقعة وبقاع وعليه اقتصر فى القاموس وسمع فيه أيضا نكات بالضم وقيل ألفه للاشباع والنكتة المعنى الدقيق النادر والكلام القليل الحسن وهى فى الاصل فعلة من النكت وهو النبش الخفيف فى التراب بعود ونحوه والانسان يفعله اذا تفكر فى أمر خفى فنقلت لما ذكر اما لتأثيره فى النفس أولانه يحتاج لفكر وتامل أوهى منقولة من النكتة بمعنى نقطة من لون تخالف ما هى فيه اما لدقتها فى النظر بالنسبة لما هى فيه أولمخالفتها لغيرها من الكلام وما قيل من أنها تطلق على قليل صدا فى وجه المرآة أو السيف كالوسخ كما ورد فى حديث الجمعة لا يناسب المقام مع انه مأخوذ مما مر (مسفرة) وفى نسخة سافرة وفى أخرى مسفرة سافرة بالجمع بينهما وهو الكشف مطلقا وقوله فى القاموس سفرت المرأة كشفت عن وجهها تمثيل لا تخصيص حتى يكون تجريدا كما قيل لقوله تعالى والصبح اذا اسفر وفى المقتفى سفر بمعنى كشف قال * سفرن بدورا وانتقبن أهلة * وملن غصونا والتفتن جآذرا وعلى نسخة سافرة مسفرة ينبغى ان يتغاير فسفرة بمعنى مشرقة مضيئة وسافرة بمعنى كاشفة للغرض بحيث لا يحتاج لكتاب آخر قيل وفى وصف النكت بالاسفار لطافة ونكتة أى لانها تكشف ما تحت التراب وهو أمر سهل (عن وجه الغرض) الوجه بمعنى الجهة المقصودة والوجه الذى به المواجهة ويستعار لخيار الشئ وأوله ولرئيس القوم والغرض بغين وضاد معجمتين بينهما راء مهملة مفتوحة كاوله الهدف ويتجوز به عن الفائدة المقصودة من الشئ وهو حقيقة عرفية لكونه مقصدا وهو قبل الشيوع استعارة أو مجاز مرسل من استعمال المقيد فى المطلق أو الشئ فى لازمه والنكت المسفرة العبارات الدالة على المراد والوجه ان كان بمعنى الجارحة ففى الغرض استعارة مكنية يرشحها سافرة أو هو استعارة أيضا (مؤديا من ذلك الحق المفترض) مؤدى اسم فاعل من أداه تادية اذا أوصله من الاداء وهى حال من فاعل باردت أو من وجه الغرض والاشارة على الاول للغرض الذى هو تعريف حق المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم ومن الداخلة عليه بيانية بناء على جواز تقدمها على المبين أو تبعيضية لان حق المصطفى أكثر من أن يحيط به كتاب وهو الحق وعلى الثانى الاشارة للحق الذى هو نعت اسم الاشارة وهو على الوجهين مفعوله لتعديه لمفعولين والثانى على الاول الحق والمفترض صفته وعلى الثانى هو المفترض ويصح ان يفسر هنا بموصلا الى السائل مراده أو قاضيا لحقه كانه ليقين اجابته عليه دين فى ذمته يلزمه أداؤه والافتراض افتعال من الفرض والمراد به اللازم جعله فرضا مبالغة والكلام فى الفرض والواجب مشهور ولا فرق بينهما عند الشافعية وعندنا ما ثبت بنص قطعى فرض وغير واجب وما ثبت بدليل ظنى واجب وقد يستعمل كل منهما بمعنى الآخر واعتقادما فى هذا الكتاب واجب جملته لا بيانه كتابة وتاليفا ولذا قيل انه هنا فرض كفاية وأعاد المصنف رحمه الله تعالى اللام الجارة فى قوله لما اشارة الى استقلال كل منهما بالعلية لاجابة سؤاله ولا شك فى كفاية كل واحد منها فان الاجر الجزيل والعطاء الجليل اذا ترتب على فعل يكفى فيه تقريره وان لم يدون والمقصد اذا كان له طريقان فالسالك مخير فى سلوك أيهما شاء لا سيما وهذه الطريق أكثر ثوابا وأحسن لعدم انقطاعها وفى الحديث اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث صدقة جارية أو ولد صالح يدعو له أو علم ينتفع به وأما كراهة بعض السلف تدوين الكتب فلا صحة له على اطلاقه فان السلف على خلافه وقد أمر عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه وناهيك به الزهرى بتدوين الحديث وكتابته كما فى البخارى وكان مالك أول من صنف فى الحديث لا أول ما كتب منه فان من الصحابة رضى الله تعالى عنهم من كتبه كما مر ولذا حكى بعضهم الاجماع على جوازه وانما منع بعضهم منه فى العصر الاول لخوف التباسه بالقرآن اذ لم يكن حينئذ

(الى نكت) بضم ففتح جمع نكتة وهى ما خفى ادراكه حتى يفتقر الى تفكر ونكت فى الارض أى طعنها وأما قول بعض هى كل نقطة من بياض فى سواد وعكسه فليس فى محله المراد أى الى بيان لطائف (مسفرة) بكسر الفاء أى مضيئة ومنيرة وموضحة ومبينة وفى نسخة سافرة أى كاشفة (عن وجه الغرض) أى المطلب والمقصد (مؤديا من ذلك) أى حال كونى مؤديا من أجل ما ذكر (الحق المفترض) بفتح الراء

يدون غيره مع عدم الاحتياج له فسقط ما قيل من ان العلتين الاخيرتين لا يقتضيان المقصود هنا واقتضاء اعادة العامل الاستقلال في غاية الظهور فلا حاجة لاثباته كما قيل (اختلستها) الاختلاس الاخذ بسرعة خفية فقوله (على استعجال) تأكيد وتجريد فان فسر بالاخذ خفية أو بالاستلاب كما في القاموس فهو تاسيس ومنهم من أخذ فيه قيد القهر أو المكابرة ففيه لطف لجعله كالمحارب للزمان لينال فرصة ينتهزها كما قيل

انتهز الفرصة ان الفرصه * تصير ان لم تنتهزها غصه

وفي المقتنى اختلسوها بضمير الجمع وتكلفوا التوجيه بان المراد ان القوم اختلسوها من يد العوائق وانا تلقيتها منهم ودونتها وصحح رواية هذه النسخة وقال السيد المشهور خلافه وهو الوجه لا الصواب كما توهم (لما المرء بصدده) المرء مثلث الميم الانسان وفسره بعض اللغويين بالرجل والاول اظهر وليس هذا التفاتا ولا تفننا لان المراد التعميم ولذا لم يقل لما أنا والصدد بفتحتين ومهملات بمعنى المقابلة أو القرب والثاني أقرب وهو تعليل للمبادرة والاستعجال أو للاختلاس يعني انه أسرع فيه لخوف ان تحول العوائق بينه وبين مراده (من شغل البدن والبال) الشغل بضم الشين المعجمة ويجوز فتحها والغين المعجمة المضمومة واسكانها يقال شغله اذا عاقه واشغله بالهمزة لغة رديئة وكتب بعض أعمال الصاحب له في رقعة فوقع عليها من يكتب اشغالي لا يصلح لاشغالي ولا وجه لترديد صاحب القاموس فيه والبدن معروف والبال له معان منها الفكر والحال والقلب وهو أقرب هنا ولو فسر بالقلب صح أي الامراض والهموم عائقة عما يريد وقلما يخلو عاقل من مثله فان الهموم بقدر الهمم (بما طوقه) ماض مجهول بضم الطاء المهملة وكسر الواو المشددة ويتعدى لمفعولين أولهما المستتر القائم مقام الفاعل والثاني ضمير الغائب وهو من الطوق بمعنى الطاقة والوسع فالمعنى بما كلف وابتلي به أو طوق العنق فهو استعارة لما الزم به ومنه طوق الحمامة لبياض في عنقها كما قال المتنبي

اقامت في الرقاب له أياد * هي الاطواق والناس الحمام

وهذا ورد في كلام العرب لكل أمر لازم محمودا كان أو مذموما وقوله في كشف الكشاف انه لم يرد الا في الذم لا وجه له لانه سأل حاتما ابن له عن ابل له أفناها القرى فقال له طوقتك مجد الدهر طوق الحمام كما ذكره في مرآة الزمان ويأتي له في الفصل الثالث مزيد بيان في الشرح هنا كلام طويل بغير طائل (من مقاليد المحنة) بيان لما والمقاليد جمع لا واحد له من لفظه أو واحده مقليد أو مقلاد أو اقليد وهو معرب اكليد بمعنى القفل ومعناه بعد التعريب المفتاح أو الجزء منه والاول أنسب باصله وورد بمعنى الحبل المفتول ومنه ضاقت مقاليده أي أموره هذا محصل ما قالوه في معناه وحينئذ فالمراد به ما كلفه ولزمه من الامور الشاقة ومنه تقليد الاعمال السلطانية من الامور الدنيوية على انه ماخوذ من المعنى الاول والثاني لانها كالمفتاح لغيرها واسباب لغيرها أو كالخزانة أو كالحبل المفتول في عنقه الذي يربطه على ما كلف به ويعوقه عن السعي فيما يريده أو هو كناية عن كل محنة لان من أعطي مفتاح شئ فكأنه مسلم له فالمعنى انه ابتلي بجميع المحن أو بكثير منها فان فسر طوقه بجعله طوقا له أو جعلت المقاليد بمعنى الحبال المفتولة وجعل كونها في خناقه بمنزلة العقود والاطواق التي يتحلى بها على انه استعارة تهكمية كما قاله السهيلي في قوله تعالى في جيدها حبل من مسد كان وجها وجيها واما جعل المقاليد بمعنى القلائد لاقتضاء التطويق له كما قيل فلو ساعدته اللغة كان حسنا والمحنة اسم للامتحان بمعنى الاختبار والتجربة ويكون بمعنى المصيبة أو البلية اما لان المرء مختبر بها فيعرف صبره وتجلده أو لان الله يختبر بها عباده أي يعاملهم معاملة المختبر ليجزيهم الجزاء الاوفى أو لان المبتلى بها يختبر بها زمانه وأصدقاءه واخوانه

جزى الله المصائب كل خير * عرفت بها عدوي من صديقي

وفي المقتنى المراد بالمحنة هنا مباشرة القضاء الذي ابتلي به المصنف رحمه الله تعالى وكانه صح له بنقل عنه

(أختلستها على استعجال) وكان الاولى ان يقول الاستعجال ليلائم تعريف البال وفي نسخة اختلسها بالمضارع المتكلم ووقع في نسخة اختلسوها بالواو أي المفروض من نشر العلم واظهاره لاسيما بعد السؤال وتكراره وهو خطأ ظاهر ثم الاختلاس بالخاء المعجمة اختطاف الشئ بسرعة ففي الكلام تأكيد وتجريد (لما) بكسر اللام علة للمبادرة أو الاختلاس وما موصولة أي للامر الذي (المرء بصدده) أي في سبيله مما استقبله (من شغل البدن والبال) أي من الاشتغال المتعلق بالقالب والقلب والمال والحال وحسن المآل ثم الشغل بضمتين وبضم فسكون وقرئ بهما في السبع وبفتح فسكون وقيل بفتحتين ضد الفراغ والبال بالموحدة القلب والحال ويصح ارادة كل منهما خلافا لما قاله الحلبي من ان المراد به الاول لذكر البدن (بما طوقه) أي الانسان كما في نسخة صحيحة هو بضم طاء وكسر واو مشددة أي بسبب ما حمله الله وكلفه وفي نسخة صحيحة بما قلده الانسان أي الزمه كالطوق في عنقه (من مقاليد المحنة) أي مفاتيح المشقة والبلية

(التي ابتلي بها) بصيغة المجهول والظاهر انه أراد بالمحنة جميع الامور التكليفية والحوادث الكونية النازلة على الافراد الانسانية والحلبي حملها على محنة مباشرة الاحكام والقضاء وأورد حديث من جعل قاضيا فقد ذبح بغير سكين رواه أصحاب السنن الاربعة عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه وقال الترمذي حسن غريب وقال الحاكم صحيح الاسناد وفي رواية للنسائي من استعمل على القضاء فكانما ذبح بالسكين وقال التلمساني أراد المصنف بذلك كونه في حيطة القضاء التي هي محنة وبلية كما قال بعضهم (فكادت) اى قربت مقاليد المحنة (تشغل) أي الانسان (عن كل فرض ونفل) وهو بفتح التاء والغين واما اشغل فهو لغة جيدة أو قليلة أو رديئة على ما في القاموس (وترد) أي وكادت ترد السالك (بعد حسن التقويم) أي باستقامته على الطريق القويم (الى أسفل سفل) وهو بضم السين وكسرها ضد العلو والمعنى الى قبح التنزيل بارتكاب الفعل الذميم ايماء الى قوله تعالى لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم أي من الفطرة المستقيمة ثم رددناه أسفل سافلين أي من ارتكاب المعصية الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون يعني وهم في أعلى عليين

وثوابهم غير مقطوع في كل زمان وحين (ولو أراد الله بالانسان) أي بفرد من هذا الجنس وفي نسخة بعبده (خيرا) أي في تحصيل كماله وتحسين ماله (لجعل شغله) أي جعل اشتغال خاطره (وهمه) أي مايهم به الانسان ويروى ووهمه أي باله يعني اهتمام باله

فانه ثقة والقضاء أعظم مصيبة لكونه على خطر عظيم (التي ابتلي بها) صفة كاشفة أو مؤكدة ان فسرت المحنة بالبلية والابتلاء مختص بما يسوء الناس وان كان في الاصل بمعنى الاختبار والمرء قد يختبر بما يحب لينظر هل يشكر وبما يكره لينظر هل يصبر أم لا فالبلاء يكون حسنا وسيئا ولذا قيل ابلى بلاء حسنا فالصفة حينئذ مخصصة (فكادت تشغل عن كل فرض ونفل) أي عوائق الدهر ومحنه قاربت ان تعوقه عما يهم من أمور الدين ولم يقل شغلت لانه غير واقع والادعاء ليس بمناسب للمقام وتشغل بفتح المثناة الفوقية والغين المعجمة الحلقية بمعنى تعوق وضم التاء وكسر الغين لغة رديئة وقال كل فرض ليدخل فيه المطلوب والفرض والواجب والمكتوب متقاربة المعاني وقد فرق بينها كما مر بان الاول ماثبت بدليل قطعي وغيره بخلافه وقيل الفرض مالاخلاف فيه أو ثبت بذلك والنفل والسنة والمستحب والتطوع مالم يطلب طلبا جازما ومنهم من فرق بينها كما فصل في محله (وترده بعد حسن التقويم الى أسفل سفل) أي تردني تلك الشواغل والعوائق بعد حسن ونضارة روض شبابي واستقامة غصن قوامي اعكس ذلك من تعويج قناتي وتصوب ماء حياتي أو تعدل بي عن الطريق المستقيم المستبين الى أسفل سافلين وسجن سجين ليثة لها عن عبادة رب العالمين أو المراد ترد نوع الانسان بعدما كان في أحسن صورة مستجمعا لخواص الكائنات لانه النسخة الكبرى قائما بوظائف عبوديته الى ضد ذلك لان المراد بقوله السابق لما المرء بصدد ما استعد له كل أحد بالطبع في أمور دينه ودنياه وذكر الامر العام المسلم يقتضي دخول المتكلم فيه بطريق برهاني وهو ابلغ واسفل سفل كاسفل سافلين وقد فسره المفسرون بالنار وارذل العمر والهرم بعد الشباب والضعف بعد القوة والمراد هنا الاخير وفيه لف ونشر بقوله بما طوقه ناظر لشغل البال وترده الخ لشغل البدن فانه نهاية ضعفه وظهور عجزه فان فسر بالنار على ان شغل البدن داخل في المحنة والمشغول عن جميع الفرائض والنوافل من أهل الدرك السافل وليس هذا المصنف ولا الانسان معين بل للجنس كقوله تعالى ان الانسان لفي خسر ومع ذلك كان في الاثبات نفي فلا يرد عليه شئ كما يتوهم وهو لم يذكر الآية حتى يرد عليه ماقيل المراد بالتقويم الاستقامة في الدين واسفل سفل اتباع الهوى وايثار الدنيا على مرضاة ربه كاكثر من تولى القضاء وهو المذكور في قوله تعالى ولكنه أخلد الى الارض واتبع هواه فهو الاسفل هنا لا المذكور في سورة التين لانه غير ملائم هنا لاختصاصه بالكفرة وقد مر لك مايتضح به ما في هذا الكلام من الخلل والسفل ضد العلو ويكون حسيا ومعنويا ثم شرع في التاسف على ما ابتلي به نوع الانسان وعلى ماضاهاه بما ابتلي به هو في نفسه فقال (ولو أراد الله بالانسان خيرا) أي لو أراد الله تعالى بجنس الانسان وجميع افراده خيرا حتى أكون منذرا جافيهم وخيرا بمعنى خير محض بحيث لا يصدر عنه سواه كما قال الله تعالى ولو شاء لهداكم أجمعين وهذا مراد من قال خيرا كاملا ومن ظن تغايرهما فقد وهم اذ الخير انما يكمل اذا لم يكن معه شر كما لا يخفى (لجعل شغله) فاعل شغل المستتر الظاهر انه لله ويجوز ان يكون للانسان واما الضمير المضاف اليه فهو للانسان لا غير والمراد بشغله ما يشغل به نفسه من افعاله وأقواله لوقوعه في مقابلة همه وقيل المراد به ما يشغل قلبه وقالبه من العبادة فان منها قلبية كمعرفة الله وبدنية كالحج فلا وجه لتخصيصه (وهمه) أي مايهتم ويعتني به أو ما يعزم عليه عزما مصمما من هممت بالشئ اهم بالضم من باب قعد يقعد فعطفه على الاول من قبيل عطف المتغايرين وعلى الثاني

من

من عطف الخاص على العام ويجوز ان يراد به الحزن فهو من عطف المتغايرين والحزن وبينهما فرق وقع بحيثان بمعنى لكن الاول أقعد لان هذا الايلام مابعده لان الحزن لايكون الامستقبلا ولذا احتاجوا لتاويل قوله انى ليحزننى ان تذهبوا به وأيضا الحزن لايكون فيما يحمد الابتكلف كاعتبار فواته فمن اقتصر عليه فقد قصر حيث قال الهم الحزن والمراد بالشغل الفعل الاختيارى والحزن انفعال النفس لخوف ماسيأتى وليس المراد به الارادة كما توهم من وهم بكذا اذا أراده فان كلام المصنف مقتبس من الحديث وهو قوله صلى الله تعالى عليه وسلم تفرغوا من هموم الدنيا ما استطعتم فان من كانت الدنيا أكبر همه أنساه الله صنيعته وجعل فقره بين عينيه ومن كانت الآخرة أكبر همه جعل الله غناه فى قلبه وجمع شمله وأتته الدنيا راغبة ولايخفى ان ما فسر به الحزن غير مستقيم وان لكلام المصنف رحمه الله معنى آخر بدليل سياقه وسباقه مع ان الهم فى الحديث أيضا يجوز أن يكون بمعنى الارادة و يعضده ماوقع فى بعض طرق الحديث وكانت الآخرة نيته فتدبره وقوله (كله) تأكيد للشغل والهم معا أو تأكيد للثانى وتأكيد الاول مقدر كما قيل ولم يتعرض صاحب المغنى فى أنواع الحذف له فان حذف التأكيد ينافى المقصود منه مع انه لامانع منه ويجوز جعله تأكيدا للثانى كما قيل لان الهم اذا لم يكن فى شئ يدل على عدم الاشتغال به بفحوى الخطاب وجعل مبنى للفاعل وبناؤه للمجهول خلاف الظاهر وان احتمل وقوله (فيما) متعلق بجعل أو بالشغل والهم على التنازع فيقدر فى أحدهما (يحمد غدا أو يذم محله) بفتح الحاء لابكسرها فانه غير مناسب هنا وهو بمعنى المكان الذى يحل فيه وسيأتى المراد منه والحمد والذم ضدان معروفان والغد اليوم الذى بعد يومك ويكون بمعنى المستقبل مطلقا وقد يراد به يوم القيامة وهو المراد هنا وفى المثل لكل يوم غد وأما قوله *وسوف ترى يوما وليس له غد* فهو كناية عن يوم الموت وأصله غدو وربما جاء على الأصل فى ضرورة الشعر كقول ذى الرمة

وما الناس الا كالديار وأهلها * بها يوم حلوها وغدوا بلاقع

وفى الشروح يجوز فى يحمد ويذم أن يبنيا للفاعل وينصب محل على التنازع و يجوز بناؤهما للمجهول والرفع وضميره لله أو للانسان أيضا والمحل مكان الاقامة * وليس المحل بمعنى كالمقام فى قول الشماخ

وماء قد وردت بغيت عنه * مقام الذئب كالرجل اللعين

وهذا هو الظاهر الا ان زيادة الاسماء ممنوعة ولذا قيل ان حمد المحل وذمه كناية عن حمده وذمه فى نفسه على أبلغ وجه أو بجعل حمد جزاءه وذمه كحمده فتجوز فى نسبته وقيل المراد بمحله من صدر عنه وعبر به عن الفاعل ايماء لما عليه الاشعرى رحمه الله من أن الفاعل الحقيقى هو الله والعبد محل للكسب ومباشرته لما خلقه الله أو جده * فان قلت كيف يكون شغل العبد الذى يريد الله به خيرا مما يذم وهو الحرام وما يقرب منه * قلت أجيب بان الشغل أعم من الشغل بالفعل وبالترك فيشغله فيما يحمد بفعله وفيما يذم بتركه فيجعل شغله واهتمامه بفعل ما يحمد من الواجب والمندوب وترك ما يذم من الحرام والمكروه وقيل انه تكلف والمراد بالشغل بما يذم اشتغال قلبه به ويؤيده عطف الهم عليه فالاشتغال بالطاعة بفعلها وبالمعصية الحذر منها ولايخفى انه لافرق بينه وبين ماقبله وقد يقال الاشتغال فيما يحمد والهم بمعنى الحزن فيما يذم وهو حسن أو التقدير فى معرفة ما يحمد ويذم كما قيل

عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه * ومن لايعرف الشر من الخير يقع فيه ولك أن تقول المراد بما يحمد و يذم الامور المهمة التى من شأنها ذلك يعنى ان اشتغاله وهمته فى معالى الامور دون سفسافها وغدا قيد لهما كما هو معروف فى القيد المتوسط وقد يفسر غدا بالمستقبل للانسان بعد موته كما قيل

وانما المرء حديث بعده * فكن حديثا حسنا لمن وعى

(كله فيما يحمد) بصيغة المعلوم أى فى فعل مامور وترك منهى مما يمدحه الانسان (غدا) أى يوم القيامة (أو يذم) أى مما يكره السالك (محله) بفتح الحاء ويجوز كسرها والحاصل أن يكون شغله وهمه فى بيان الامر الممدوح والمذموم بان يرتكب الاول ويجتنب الثانى وقال الشمنى أى فيما يحمد بفعله واجبا كان أو نفلا أو فيما يذم بتركه وهو الواجب انتهى وبعده لايخفى وفى نسخة صحيحة ولايذم بصيغة المجهول فيه وفيما قبله وهو ظاهر جدا ومحله مفعول ليحمد و يذم على التنازع خلافا للتلمسانى حيث جعل العائد على الموصول فيما يحمد منصوبا محذوفا وأما بناء الفعلين على صيغة المجهول ورفع محله كما قاله الدلجى فخل للتسجيع بقوله كله

(فليس ثم) بفتح فتشديد و يوقف عليه بلاهاء السكت كما فى قوله تعالى واذا رأيت ثم رأيت وقال التلمسانى والك

او يقدر مثله فى الثانى واذا اشتمل الشغل القلبى فاولا تاباه ولا حاجة لجعلها بمعنى الواو وقيل المراد بما يحمد و يذم التجرد عن العلائق مما يحمد فى القيامة و يذم اليوم لفقر صاحبه نغدا قيد للاول فقط او لتغاير محليهما وفاعليهما وفى بعض النسخ محله مرفوع نائب عن الفاعل وجعل مجهول ومابعده مرفوع ايضا رعاية للفاصلة وهو متجه ايضا وفى بعض النسخ اولا يذم بزيادة لا فيه على ان ما يحمد الطاعات ومالا يذم المباحات اى شغله وهمه المباحات او الطاعات فلا يلزم وقوع او بين المترادفين لبعده الاان همه فى المباحات لايناسب المقام فان نصب روى الاولى وبنى جعل للفاعل نصب محله على الظرفية اشارة الى اعتبار الزمان والمكان فى كليهما كما قيل فى قوله تعالى لا أملك لكم ضرا ولا رشدا اذلم يقابل الضر بالنفع والرشد بالغى والاظهر ان يقال انه لما ذكر انه مطوق بالمحن الشاغلة عن الخيرات عقبه بان هذا مقتضى النظرة الاولى ومن اراد الله به خيرا صرفه عن الالتفات الى المصائب وجعل شغله مقصورا على كسبه الخير وحزنه على مافرط فيه من اشتغاله بما يذم فانه قل ما يخلو منه احد ومن حاسب نفسه قطع العلائق ولم تقعده العوائق كما قيل

ارالك تطلب دنيا لست تدركها * فكيف تدرك اخرى لست تطلبها

(فليس ثمه) بفتح المثلثة والميم المشددة وهو اسم اشارة مبنى على الفتح وترسم بهاء السكت لانها ملحقة فى الوقف وقيل انها تاء تأنيث فى لغة قليلة واختلف فيه هل هو موضوع للبعيد أو القريب وكل منهما صحيح هنا وفى شرح التسهيل كونها للقريب أقرب وهى من قولهم ومن ثمه كان كذا اشارة لمعنى يكون منشا لغيره وكذا فسروها بمن أجل وهو استعارة بجعل منشأ الشئ كمكانه و يؤخذ منه التعليل فان كانت من تعليلية فهو ظاهر وان كانت ابتدائية فالتعليل يفهم من السياق كما أفاده شيخنا رحمه الله تعالى فى الآيات البينات والفاء فصيحة أو تعليلية تفريعية والاشارة للدار الآخرة ومكان القيامة كما قيل لانها نصب عين المؤمن وهى تعلم من قوله غدا والاحسن انها اشارة الى الزمان الدال عليه فانها قد يشار بها اليه أى اذا انكشف الغطاء فى ذلك اليوم عرفت انه ليس فيه غير ماذكر (سوى حضرة النعيم) سوى بمعنى غير والحضرة مصدر حضر ضد غاب كالحضور وفى النهاية حضرة الرجل قربه و يكون بمعنى المجلس والفناء والكتاب فى الانشاء يستعملونه للتعظيم كالمقام العالى وحضرة الخليفة تأدبا باضافة ماله لمحله فالمراد هنا تعظيم النعيم أو المراد به الجنة لمقابلته بالجحيم والنعيم المسرة والترفه فى العيشة وفى نسخة نضرة النعيم أى بهجته وحسن منظره (أو عذاب الجحيم) العذاب العقاب الشديد والجحيم المكان الشديد الحر والنار المتاججة واسم لجهنم والاضافة لامية لا بمعنى فى ولا لادنى ملابسة كما قيل لانه عدول عن الظاهر بغير فائدة والحصر بالنسبة لما يجزى به المرء أى ليس فى الآخرة الا أحد هذين الامرين وليس فيها تصرف لاحد فينبغى الاهتمام بامرها وبهذا ظهر المراد وانه ينبغى للعاقل ان لا يزال مفكرا فى الآخرة ومعرفة ما يذم و يؤدى للعذاب الاليم وما يحمد فيؤدى للنعيم المقيم فيدأب فى الطاعة والعمل الصالح حتى تحمد عاقبته وعذاب بالجر عطف على حضرة أو النعيم تهكما به والاول أولى وهذا اما بناء على عدم الاعتراف أو بادخاله فى النعيم باعتبار المآل للنعيم أو يعد نعيما بالنسبة للجحيم (ولكان عليه بخويصته) وفى نسخة بخويصة نفسه وهو عطف على جواب لو وأعاد الكلام فيه اشارة الى انه جواب آخر مستقل وليس من تتمة ماقبله والضمير المستتر فى كان للانسان وجعله لله بتقدير لكان الله متصرفا فى شانه ايلزم خويصته تعسف من غير داع وعليه متعلق بمقدر وكذا بخويصته اى لكان الواجب عليه اهتمامه بنفسه لانه لما ذكر انه استعجل بما طلب من الخير وخاف من محن الدهر الشاغلة عنه وعروض ما يضعف عزمه و بدنه العائق عنه وعن غيره من العبادة

الاتيان بهاء السكت وهو الاكثر اى هنالك غدا (سوى حضرة النعيم) اى حضوره وفيه اشارة الى قوله تعالى واذا رايت ثم رايت نعيما وملكا كبيرا وفى نسخة صحيحة نضرة النعيم واقتصر عليه التلمسانى اشعارا الى قوله تعالى تعرف فى وجوههم نضرة النعيم اى بهجته وحسنه وابعد من قال انه اضافة الشئ الى نفسه ويمنعه البصرى ويجوزه الكوفى على ماذكره التلمسانى (او عذاب الجحيم) اى لانحصار المنزلتين كما قال الله تعالى ان الابرار لفى نعيم وان الفجار لفى جحيم (ولكان) عطف على لجعل (عليه) اى لوجب عليه الاشتغال (بخويصته) بضم ففتح فشددة تصغير خاصة والمراد بها نفسه او الامر الذى يختص به من المهمات الدينية والدنيوية وروى بخويصة نفسه وقد قيل المراد بها الموت وفيه ايماء الى قوله تعالى عليكم انفسكم والى ماورد عليك بخاصة نفسك ودع عنك امر العامة ومن غريب ماوقع ان بعض الناصحين قال

لمن كان فى صدد ان يكون من السلاطين عليك بخويصة نفسك فاما تولى بعد مدة من الزمان قال اقتلوه

كالقضاء

كالقضاء وأمور الدنيا عقبه بان من يرد الله به خيرا وفقه لاشتغاله بما هو خير لان مآله لجزاء عمله من خير وشر فينظر ما يقدم عليه و يتقيد باصلاح نفسه بالعمل الصالح والعلم فيدع العوائق من أمور غيره وأمور نفسه التى لا تهمه فان من حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه فعلى هذا عليه ليس مفعولا للأمر وقيل انه اسم فعل للاغراء وهو الحث والطلب لانه يقال عليك وعليه وعلى بمعنى الزم والاخير شاذ وعلى هذا يتعدى بنفسه وقد يتعدى بالباء نحو عليك بذات الدين فيفسر بما يناسبه وقال الرضى الباء زائدة وهى تزاد كثيرا بعد أسماء الافعال لضعفها فى العمل لانه فسر على بناء ولين وعليه بيلزم وقال ابن عصفور فى حديث من لم يستطع فعليه بالصوم الصوم مبتدأ خبره عليه والباء زائدة واعترض بانه يقتضى ايجاب الصوم وزيادة الباء فى مبتدأ غير حسب وفيه كلام طويل فى كتب العربية فعليه متعلق بمقدر أو اسم فعل و بخويصة متعلق بمقدر كما مر أو بعليه أو هو مبتدأ والباء زائدة وعليه خبر مقدم لتأكيد الحصر والجملة خبر كان كما بيناه وخويصة بضم الخاء وفتح الواو وسكون الياء لان ياء التصغير لا تحرك وصاد مهملة تصغير خاصة وهى ما يختص وحيث وقع خويصة مع النفس وأريد به النفس لم يرد الا مصغرا والتصغير للتقليل والتحقير وقد يرد لغيره والاول هو الاصل ففيه اشارة الى أن من تقيد بنفسه قلت أموره وخفت أحواله فلم يصرف زمانه الا فى المهمات وفى الحديث عليك بخويصة نفسك فالمراد بالخويصة النفس واضافتها لتغاير اللفظ والمفهوم كعرق النساء أو هو من اضافة العام للخاص كمدينة بغداد والمراد عوارضها الذاتية المختصة بها و بنفعه دون الناس ومالا يفيد وقيل هو ذكر الموت وتهيئة أسبابه ولا يخفى بعده (واستنقاذ مهجته) المهجة لها معان منها الروح وهو المراد والاستنقاذ والانقاذ التخليص أى عليه بتخليص روحه من العذاب باصلاحها وصونها عن القبائح (وعمل صالح يستزيده) الاستزادة طلب الزيادة وليس الطلب مرادا بل المراد المبالغة فى زيادته ويجوز ابقاؤه على أصله و وصفه بالزيادة اشارة الى أنه ليس بفرض والصالح المحمود شرعا وقدمه على العلم لانه المقصود أو للترقى (وعلم نافع يفيده أو يستفيده) من العلوم الشرعية ومالا بد منه كالعقائد الحقة وقدم الافادة وان كان مؤخرا عن الاستفادة لانها أنسب بالمقام وأشرف (جبر الله صدع قلوبنا) الجبر اصلاح ما انكسر ومنه الجبيرة والصدع الشق وهو الكسر الذى لم يبن فى الاجرام الصلبة كالزجاج والعظم وفيه اشارة الى أن هذه القلوب كالحجارة قسوة ففيه استعارة فى الجبر أو تجوز بالاطلاق فى المقيد أى أزال الله ما فى قلوبنا من النقائص وأصلح ما فيها من العيوب والاحسن ان يقال دعاء بان يزيل الله ما فى قلبه من الغفلة والقسوة المانعة عن قبول ما ينفعه فشبه القلوب القاسية باناء صلب مكسور لا يقر فيه شئ ففيه استعارة مكنية فى قلوبنا وتخييلية فى صدع والجبر ترشيح وهذا أولى مما فى الشروح (وغفر عظيم ذنوبنا) من اضافة الصفة للموصوف بحسب الاصل وخص العظيم اما لان الصغائر من الله بمغفرتها بالمكفرات المشهورة كالصلوات الخمس ونحوها أو لان من يغفر الذنب العظيم يغفر غيره بالطريق الاولى أو لان كل ذنب عظيم نظرا لعظم من عصى كما قيل ان الذنوب كلها كبائر * فان قلت ما الفرق بين العفو والمغفرة * قلت بين مفهوميهما بحسب الوضع عموم وخصوص فان المغفرة من الغفر وهو الستر والعفو بمعنى المحو ولا يلزم من الستر المحو وعكسه كأن يحاسبه بذنب على رؤس الاشهاد ثم يعفو عنه أو يستره و يجازيه عليه اما بالنظر بكرم الله فهو اذا ستر عفا فبينهما عموم وخصوص مطلق ولذا يقال فى مقام الملاطفة فى الاكثر عفا الله عنه كما سيأتى فى تفسير قوله تعالى عفا الله عنك (وجعل جميع استعدادنا) معنى الاستعداد طلب العدة بالضم وهى مالا بد منه لوجود الشئ ثم شاع فى لازمه وهو التهيؤ وهو المراد هنا ويكون بمعنى الاستحقاق كما فى المحاكمات وهما متقاربان (لمعادنا) أى جعل

فان صفير صاده فى أذنى الى الآن (واستنقاذ مهجته) بضم الميم أى استخلاص روحه مما يرديه (وعمل صالح يستزيده) أى الانسان بان يجعل ذلك العمل سببا لزيادة درجته (وعلم نافع) أى شرعى (يفيده) أى لغيره فيكون معلما (أو يستفيده) بنفسه بان يكون عالما أو من غيره فيكون متعلما (جبر الله صدع قلوبنا) أى أصلح الله كسرها بما اعتراها من طوارق محن وبوارق أحن (وغفر عظيم ذنوبنا) أى ومحا عيوبنا العظيمة وسترها (وجعل جميع استعدادنا) أى عدتنا فى أمر زادنا (لمعادنا) أى ليعود نفعه لنا فى مرجعنا وآخر أمرنا

اشتغالنا بما فيه عوننا على النجاة والفوز بالسعادة فى الآخرة والمعاد محل العود فخص بالمحشر لعود الارواح لابدانها فيه أو تعود للقاء الله ليجزيهم بأعمالهم كقوله تعالى اليه مرجعكم وللمفسرين فى قوله تعالى ان الذى فرض عليك القرآن لرادك الى معاد أقوال منها ماذكر ومنها انه الجنة لانهم كانوا فيها فى عالم الذر أو لكونها معدة لهم كأنهم كانوا فيها فان العرب تجرى ماهو بالقوة الممكنة مجرى ما بالفعل فيقولون جفنته يقعد فيها ثلاثة رجال أى واسعة وعليه قول ابن القيم

فحى على جنات عدن فانها * منازلك الاولى وفيها المخيم

(وتوفر دواعينا) معطوف على جميع أو استعداد والتوفر الكثرة والدواعى جمع داع أو داعية وهى ما يحمل على فعل الشئ قال الاسنوى فى شرح منهاج البيضاوى اذا علم الانسان أو ظن أو اعتقد ان له فى الفعل أو الترك مصلحة راجحة حصل فى قلبه اليه ميل جازم فهذا العلم ونحوه هو المسمى بالداعية مجازا من دعاه لكذا اذا طلبه فكان علمه بالمصلحة طلب منه الفعل وقد يسمى الداعى غرضا وهذا هو المراد لانه المعروف فى كلامهم * قيل المراد دعوتنا وطلبنا ودواعى الدهر ما يستدعيه من الحوادث والمراد أعمالنا وما نطلبه انتهى فالمقصود الدعاء بان يجعل الله ميله مصروفا لما ذكر وهذا كله بيان لما قدمه (فيما ينجينا) هو أفعال أو تفعيل من النجاة وهى الخلاص مما يخشى كعذاب الله وما يبعد عنه وكان الظاهر ان يقول لما ينجينا لانه على المعنى الاول يتعدى باللام لكنه جعل شدة ميله له كانها متمكنة فيه فالظرفية مجازية كقوله تعالى لاصلبنكم فى جذوع النخل وقيل الدواعى تضاف لما يترتب عليه كدواعى الوماق وليس بلازم كقولهم دواعى الدهر وكما فى عبارة المصنف (ويقربنا اليه زلفى) زلفى فعلى من أزلف بمعنى أدنى وقرب قال الله تعالى وأزلفت الجنة للمتقين فالمراد قربا أو تقريبا كاملا فهو مفعول مطلق منصوب بالفعل المذكور من معناه كجلس قعودا أو بمقدر من لفظه ففيه ايجاز بليغ كما فى تبيان الطيبى لان معنى انبته نباتا أنبته فنبت نباتا والمراد قرب المنزلة والرتبة المعنوية باكرام الله تعالى الذى هو أقرب من حبل الوريد (ويحظينا) بضم المثناة التحتية من الحظوة بضم الحاء وكسرها وهى القبول وعلو المرتبة عند من تحب وهى قريب معنى مما قبله لان القرب المكانى ينزه عنه البارى وما ورد فى حقه فى القرآن والحديث المراد به قرب معنوى باعتبار علمه به أو كرامته لديه وهذا هو المراد هنا ولذا فسر بعضهم الحظوة بالتفضيل على الغير فالمعنى انه طلب من الله ان يكرمه ويفضله على غيره لتغاير الجملتان بحسب الظاهر وان تقاربا معنى وما أورد عليه من أنه لا يفيد ماذكر هنا لانه انما يفيده اذا تعدى بعلى كما قاله الجوهرى رحمه الله ولا صلة له هنا لا وجه له لانه غير مسلم مع ان باب التقدير واسع (بمنه) متعلق بما قبله وهو خبر وقيل تنازع فيه هو وما بعده على القول بتوسط المتنازع فيه ولا حاجة الى جعله متعلقا بمصادر ثلاث الافعال لانه تقدير لا داعى اليه والمنة تكون بمعنى تعداد الجميل وهى تحسن من الله ومن أسمائه المنان ويقبح من غيره ولذا قيل المنة تهدم الصنيعه والظاهر انها مكروهة لغير من كفر النعمة وجحدها وقيل انها حرام من كل أحد وقيل حرمتها مخصوصة بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم لقوله تعالى ولا تمنن تستكثر فانكاره من عدم الاطلاع وتكون نفس الانعام (ورحمته) بالجر معطوف على منه وهى فى الاصل رقة القلب ولامتناع ذلك فى حقه تعالى أريد بها غايتها وهى اللطف والاحسان فهى من صفات الافعال أو ارادته فهى صفة ذاتية والباء فى قوله بمنه سببية وقيل انها للاستشفاع وأورد عليه انه معنى غريب لم يقله أحد من النحاة ورد بان مراده انها للتعدية ولكن أريد التشفع بمدخولها كما يقال فى باء البسملة انها للتبرك فالمراد انه توسل الى الله به كما ورد أعوذ بك منك ولك ان تقول انها للقسم الاستعطافى وما له الاستشفاع وتمثيله له بقوله بحياتك صريح فيما قلناه فلا غرابة

(وتوفر دواعينا) أى وجعل تكثير مكاسبنا ومطالبنا (فيما ينجينا) من الانجاء أو التنجية أى فيما يخلصنا وفيه ايماء الى الدعاء المأثور ولا تجعل الدنيا أكبر همنا وفى نسخة بفتح الفاء فى توفر على انه جملة دعائية معطوفة على ماقبلها من الجمل ولو روى بصيغة المضارع المعلوم لناسب قوله (ويقربنا الى الله زلفى) أى تقريبا خاصا وفى التنزيل مانعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى قال البيضاوى زلفى مصدر أو حال وأغرب التلمسانى فى قوله انه جمع مفرده زلفة اذ الصواب ان جمع زلفة زلف ككلف جمع كلفة (ويحظينا) بضم أوله وكسر الظاء المعجمة أى يرفع قدرنا ويخصنا بالمنزلة العلية والمرتبة الحظية (بمنه) أى بسبب امتنانه وهو متعلق بيحظينا ويقربنا أيضا وأبعد التلمسانى فى قوله أى متوسلين بمنه (ورحمته) أى باحسانه والمعنى انه لا يعاملنا بأعمالنا ولعل الجمل المضارعية أحوال من الجمل الدعائية

(ولما نويت تقريبه) أى وحين أردت تقريب التصنيف أى عالم وجوده بفضل الله وجوده (ودرجت تبويبه) بتشديد الراء أى جعلت تبويبه مرتبا ومدرجا يعنى درجة درجة فى التاليف (ومهدت تاصيله) بتشديد الهاء أى صيرت أصوله ممهدة مؤسسة واغرب التلمسانى حيث قال مهدت أى فرشت وتاصيله أى تفريقه (وخلصت تفصيله) أى وجعلت فصوله مبينة معينة (وانتجيت) أى وقصدت (حصره وتحصيله) أى تبيينه فى الامور التى ذكرها قال التلمسانى وفى رواية بالخاء المعجمة والباء الموحدة من الانتخاب وهو التصفية الا ان الرواية الاولى اظهر من الثانية قلت بل لا يظهر له معنى أصلا لقوله انتخبت حصره فهو تصحيف وتحريف بلاشبهة (ترجمته) جواب لما أى سميته (بالشفا) وهو بكسر الشين ممدودا وقصر وقفا أو مراعاة للسجع بقوله (بتعريف حقوق المصطفى) وقد أجازوا للناثر ما يجوز للشاعر من الضرائر وقصر الممدود سائغ اتفاقا وأجاز عكسه الكوفيون ومنعه البصريون حجة الاولين *فلا فقر يدوم ولا غناء* ورد بان الرواية الصحيحة *فلا فقري يدوم ولا غنيا كا* واغرب الحلبي فى نقل كلام ابن مرزوق بقوله و يقال انه قصر لان هذا الكتاب

ولا استغراب الامن عدم التدبر نعم يبقى الكلام فى ان القسم الاستعطافى الواقع فى السؤال هل يختص بالباء والوقوع بعد الامرام لا ظاهر كلامهم انه لم يسمع الا كذلك وفى الكشف فى أول سورة النساء انه غير لازم (ولما نويت) لما بالفتح والتشديد ظرف زمان عامله جوابه والنية القصد وفى العرف القصد المقارن للفعل وغير المقارن عزم (تقريبه) أى جعله تقريبا الى الافهام أو الى الحصول بالتدريج الآتى ونحوه والتقريب عند أهل المعقول سوق الدليل على وجه يقتضى المطلوب (ودرجت تبويبه) أصل التدريج جعل درجة بعد درجة وفى الصحاح درجه اليه أدناه على التدريج وتبويبه مصدر مبنى للمفعول أى جعله ذا أبواب والمراد انه رتبه بابا بابا وقد يراد بالتدريج التأنى والمهل كما قال

درج الايام تندرج * وبيوت الهم لا تلج

يعنى انه سهله ورتبه ترتيبا حسنا متناسبا (ومهدت تاصيله) أصل التمهيد بسط المهاد وهو الفراش والتاصيل ذكر القواعد والاصول يعنى انه ذكر فيه قواعد وأدلة تبتنى عليها مسائل أبوابه فليست مجرد دعوى خالية عن الادلة والنقول الصحيحة وليس المراد انه سهله وأوضحه كما لا يخفى (وخلصت تفصيله) أى ميزت فصوله أو فروع قواعده وتفاصيلها عن الاجمال والادلة وأصل التخليص الاخراج والابعاد من الخلاص قيل ويحتمل ان يراد بالتاصيل الاجمال وعبر به رعاية للفاصلة ولو قيل انه على هذا من الاصول والقواعد كان أظهر (وانتحيت حصره) بالحاء المهملة أى قصدت من نحا نحوه اذا قصده وأصله انتحوت وفى نسخة انتخبت بالخاء المعجمة والباء الموحدة والحصر أصل معناه الحبس والمراد به حصر الكل أو الكلى فى اجزائه أو جزئياته أى قصدت أو اختصرت حصر أنواعه فى هذه الابواب أو الابواب المعينة فلا وجه لتفسيره بالاختصار على النسخة المشهورة وحصر الكل فى اجزائه ظاهر وقوله فى عروس الافراح انه لا يمكن لان الحصر جعل الشئ فى محل محيط به فالمحيط حاصر والمحاط محصور مظروف وشان الكل مع اجزائه على العكس لان الكل محيط بالاجزاء والاجزاء منحصرة فى الكل فكيف يجعل الكل منحصرا فيها ليس بشئ لانه اصطلاح لا مشاحة فيه والمراد ان الاجزاء المفصلة لا يخرج عنها الكل كما لا يخرج المظروف عن ظرفه وهو أمر سهل (وتحصيله) أى جعله حاصلا فيه بعد جمعه من الكتب المعتبرة وقيل المراد ان الناس يحصلونه لاختصاره وضبطه فان ما كل من طلب العلم حصله ولا كل من حصله أصله ولا كل من أصله فصله ولا كل من فصله وصله (ترجمته) جواب لما والمراد سميته وأصل معنى الترجمة التعبير عن لغة باخرى ويكون بمعنى التبليغ لما خفى من الكلام لبعد قائله أو الحائل بينه وبين سامعه أو لقصور فهمه كما فى شرح البخارى ومنه قوله

ان الثمانين وبلغتها * قد احوجت سمعى الى ترجمان

واطلاق الترجمة على التسمية على طريق التشبيه لجعل معرفة المسمى باسمه كمعرفة المعنى بالتعبير عنه بلغة أخرى وهو مجاز متعارف والقول بان التسمية قبل الخروج من الذهن الى الخارج لانه لما كان غير معلوم عبر عنه بالترجمة لجامع بينهما تكلف لا حاجة اليه لما عرفته والترجمان هو المبلغ عربى وقيل انه معرب درغمان تصرفوا فيه وفيه لغات فى كتب اللغة (بالشفا) متعلق بترجمته بمعنى سميته (بتعريف حقوق المصطفى) الباء سببية متعلقة بالشفا أو بمعنى فى قال ابن الجوزى رحمه الله تعالى فى كتاب نزهة العيون الشفا ملايم للنفس يزيل عنها الاذى ويستعمل فى القرآن على ثلاثة أوجه الفرح كقوله تعالى ويشف صدور قوم مؤمنين أى يسرهم والعافية كقوله تعالى واذا مرضت فهو يشفين والبيان كقوله شفاء لما فى الصدور وهو مع ما بعده هنا علم منقول والكلام فى أسماء الكتب هل هى أسماء جنس أو أعلام جنسية أو شخصية ومسماها المعانى أو الالفاظ أو النقوش أو مجموعها احتمالات ليس هذا تفصيلها والشفاء ممدود وقصر هنا للوقف على فواصل السجع كالقوافى والممدود يجوز ان يقصر اذا

وقف عليه حقيقة أو تقدير أو هو لمشاكلة مصطفى وهو مجوزة محسنة فلا غبار عليه وما قيل من انه قصر لانه قصر عن شان هذه الحقوق لطيفة لا تصلح للتوجيه وقيل انه ضرورة والضرورة كما تجري في الشعر تجري في السجع كما في شروح التسهيل وهو غريب من قائله واغرب منه تجويز مد المصطفى وغيره مما لا طائل تحته راسمه موافق لمسماه فان السلف الصالحين قالوا انه جرب قراءته لشفاء الامراض وفك عقد الشدائد وفيه أمان من الغرق والحرق والطاعون ببركته صلى الله عليه وسلم واذا صح الاعتقاد حصل المراد وقد كنت حال كتابة هذا المحل في ضيق صدر وحرج وانا الآن منتظر لكل خير وفرج كما قلت

يارب ظهري مثقل بالعنا * وما أقاسي من شديد الجفا
والمتن قد كل وصدري به * ضيق فوسعه بشرح الشفا

اللهم صلي على محمد وعلى آل محمد النبي الامي الطاهر الزكي صلاة تحل بها العقد وتفرج بها الكرب (وحصرت الكلام فيه في أقسام أربعة) ضمير فيه للكتاب أو لتعريف حقوق المصطفى والجار والمجرور متعلق بالكلام أو حال منه والحصر والقصر بمعنى الحبس لغة واصطلاحا تخصيص شئ بشئ بحيث لا يتجاوزه ووجه الحصر في مثله استقرائي وجعله عقليا بالعناية تكلف وضمير فيه ان كان للكتاب كما هو المتبادر فهو من حصر الكل في أجزائه وتسمية الكل جزأ باعتبار معناه لغة والفرق بين الجزء والجزئي ان الاول لا يطلق المقسم عليه اذ كل واحد منها لا يسمى كتابا حقيقة وفي الاصطلاح القسم الجزئي لا الجزء فان أطلق عليه فهو مجاز لمشابهته له كما يقال تقسيم الكل الى أجزائه وادعى بعضهم انه حقيقي أيضا ولا مانع منه وان لم يرتضه بعضهم فان اعاد الضمير للتعريف فهو من تقسيم الكلي لجزئياته والاقسام على ظاهرها (القسم الاول في تعظيم العلي الاعلى لهذا النبي) الكريم صلى الله تعالى عليه وسلم (قولا وفعلا) التعظيم والتبجيل والتفخيم بمعنى وهو توقيره وتكريمه بما يرفع قدره أو يظهر رفعته والعلي من أسمائه تعالى من العلو اذ هو جل شانه هو العلي حقيقة علوا منزها عن الجهة والحلول ويوصف بالاعلى أيضا وان كان لا علو لغيره بالنسبة اليه وأعلى المقادير بعد قدر الله قدر نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم ولا يخفى موقع العلي الاعلى هنا فان التعظيم انما يعتد به من العظيم وعلو رتبة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وان ناسبت ان يشار اليها بما يدل على البعد الا ان المصنف رحمه الله آثر اشارة القرب اشارة الى ان تعظيم الله له قربه منه وأدنى منزلته وانه ينبغي لمن يحبه ان يكون نصب عينه كانه حاضر عنده ولذا قال النبي دون الرسول لان النبوة اتصال صرف بالله والرسالة وساطة بينه وبين الخلق وبهذا الاعتبار كانت أفضل كما في قواعد القرافي وسيأتي مفصلا الكلام فيه والاشارة تاتي للتعظيم كما بينه أهل المعاني (وتوجه الكلام فيه) توجه بصيغة الماضي أي تم وكمل من قولهم توجه اذا صار ذا جاه وليس المراد كما في بعض الشروح انه حصل وجه الكلام فيه والوجه السبيل والجهة المقصودة بالتوجه لما فيه من التكلف وقوله (في أربعة أبواب) من حصر الكل في اجزائه لا الكلي في جزئياته كما توهم

(الباب الاول في ثنائه عليه واظهاره عظيم قدره لديه وفيه عشرة فصول)

الباب يطلق على الفرجة التي يدخل منها الدار وعلى ما يسد به ويغلق من خشب ونحوه ويطلق في عرف المصنفين على مسائل من الكتاب متناسبة أفردت بترجمة لان مافيها من المسائل والقواعد يتوصل به لمعرفة جزئياته أو لانه يصونها ويحفظها وقيل انه بمعنى البابة وهي النوع وهو سمج بارد وهو قد يشتمل على الفصول جمع فصل وهو نوع من المسائل مفصول عن غيره أو ترجمة فاصلة بينه وبينه فهو مصدر بمعنى فاعل أو مفعول كما يشتمل الكتاب على الابواب غالبا والثناء الوصف بالجميل ولا يختص باللسان في المشهور لقوله أنت كما أثنيت على نفسك على مافيه وقدر الشئ مقداره وشرفه رتبته ويكون بمعنى التعظيم كما في قوله وما قدروا الله حق قدره أي ما عظموه حق تعظيمه في أحد الوجوه فيه فيجوز تفسيره

يقصر عن حقوقه صلى الله تعالى عليه وسلم والله أعلم (وحصرت الكلام فيه) أي في هذا الكتاب (في أقسام أربعة) وفي نسخة أربعة أقسام وهذا بيان بعد الاجمال والله تعالى أعلم بالحال (القسم الاول) بكسر القاف وهو النصيب والجزء واما بالفتح فهو مصدر قسمت الشئ (تعظيم العلي الاعلى) من باب اضافة المصدر الى فاعله أي الله سبحانه وتعالى (لقدر هذا النبي) صلى الله تعالى عليه وسلم نسخة الكريم والاولى زيد في وجود المصطفى (قولا وفعلا) كما سياتي كذلك (وتوجه الكلام) بصيغة الماضي أي انحصر (فيه) أي في القسم الاول ولا يبعد ان يكون مصدرا مبتدأ خبره قوله (في اربعة أبواب الباب الاول) أي من القسم الاول (في ثنائه تعالى) أي حسن ذكره (عليه واظهاره عظيم قدره) أي مرتبته (لديه) وهو مع مراعاته للسجع أخص من عنده على ماقاله النحويون من ان عنده يجوز ان يكون بحضرته وفي ملكه واما لديه فيختص بالحضرة (وفيه عشرة فصول) سياتي تفصيلها

هنا بكل منهما ولديه بمعنى عنده وبينهما فرق مشهور واذا قيل عند الله فله معان لاستحالة حقيقته عليه تعالى فيكون بمعنى علم الله او حكمه كما في قوله تعالى فاولئك عند الله هم الكاذبون وبينهما فرق دقيق بيناه في حواشي القاضي في سورة النور ويكون بمعنى فضل الله كما في قوله تعالى قالت هو من عند الله

* (الباب الثاني في تكميل الله له المحاسن خلقا وخلقا) *

المحاسن جمع حسن على خلاف القياس أو هو جمع لواحد مقدر كمحسن بزنة مقعد أولا واحد له وهي الامر الحسن مطلقا أو الحسن الخفي وخلقا وخلقا بفتح فسكون وضم وسكون منصوبان على التمييز والخلق الايجاد والخلق السجية والطبيعة وهي ملكة راسخة في النفس لا تقبل الزوال بسهولة على الاصح وهي للنفس كالخلق للجسم لان أحدهما صورته الباطنة والآخر صورته الظاهرة وبحسن الاخلاق وقبحها يكون الحمد والذم وما يترتب عليه وحسن الصورة يدل على حسن السيرة ولذا يمدح به كمل الرجال ولذا أخطأ الامدي رحمه الله تعالى من اعترض على أبي تمام في وصف ممدوحه بالجمال لانه يليق بالغزل لما ذكرنا (وقرانه جميع الفضائل) القرآن بوزن العيال مصدر بمعنى الجمع وجميع مفعوله والفضائل جمع فضيلة وهي الصفة الحميدة مطلقا سواء كان لها أثر متعد أم لا وقد يختص بالثاني الفضائل وبالاول الفواضل وكان شيخنا الزيادي رحمه الله تعالى يقول في مثله اذا افترقا اجتمعا واذا اجتمعا افترقا كالفقير والمسكين وهو كلام حسن (الدينية والدنيوية) الدينية منسوبة للدين وهو وضع الهي سائق لذوي العقول باختيارهم المحمود الى ما هو خير لهم بالذات في العقبى فيخص بالدين الحق الذي جاءت به الرسل عليهم الصلاة والسلام ويستعمل فيما يشمل الباطل كما في قوله تعالى (لكم دينكم ولي دين) ان لم تقل انه تشاكل أو بحسب اعتقادهم والمراد الاول هنا وللدين معان أخر كالجزاء والطاعة والدنيوية منسوبة للدنيا وهي الارض وما عليها من المخلوقات وأحوالها ويطلق على المال وما يملك وفي النهاية انه اسم لهذه الحياة والمراد بالاول العبادة ونحوها وبالثاني نحو حسن خلقه صلى الله تعالى عليه وسلم وصحة بدنه وغير ذلك وهي فعلى مؤنث أدنى من أفعل تفضيل لكنها جرت مجرى الاسماء وجردت من معنى التفضيل ولوازمه ولذا ورد تنوينها شذوذا وفي النسبة اليها ثلاث لغات حذف ألفه فيقال دنى وقلبها واوا فيقال دنيوي وزيادة ألف فيقال دنياوي كما بين في علم التصريف وداله مضمومة وقد يكسر من الدنو بمعنى القرب وقيل من الدناءة كما قال الشاعر

أعاف دنيا تسمى من دناءتها ✽ دنيا والافمن مكر وهها الداني

ووجه التسمية ظاهر والدنيا قد تقابل بالدين كما ورد في الحديث وغيره وقد تقابل بالآخرة أيضا وكل منهما صحيح فصحيح فلا وجه لما قيل من ان الدنيا بمعانيها لا تقابل بالدين لكن ساغ مقابلتها له وهو المراد بقرينة المقابلة أو المراد ما نسب الى الدنيا فقط فان المنسوب الى الدين منسوب الى الآخرة أيضا ولا يخفى ما فيه من الخلل فتدبر (فيه نسقا) ضمير فيه للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو متعلق بقران أو بقوله نسقا بناء على جوازه ونسقا حال من جمع فان كان مصدرا فهو مأول بصفة والا فهو على ظاهره يقال درنسق وكلام نسق على نظام واحد فالمراد انه جمعها على وجه متناسب يأخذ بعضه بحجز بعض وفسرها التلمساني تبعا ولا وجه له (وفيه سبعة وعشرون فصلا) قال السيد ليس في الكتاب الاستة وعشرون فالظاهر انه عد ما بين ترجمة الباب الى الفصل فصلا وان لم يسمه به وكذا الحال في جميع ما عد من الفصول الاما في موضعين يقل الكلام فيهما بين الترجمة والفصل فلا تغفل لكنه لم يعد ما بين القسم الى الباب بالان العادة تسميه المسائل الجمة بالباب ولم يدخل في باب لتعلقه بالابواب كلها وقد سبقه اليه التلمساني وزاد عليه انه لم يذكر أوصاف الفصول بالعدد بحيث يقول الاول أو الثاني الخ فيعلم منه ان الصدور عنده من جملة الفصول وبذلك يستقيم الامر ويتم العدد

(الباب الثاني) أي من القسم الاول (تكميله تعالى له المحاسن) أي المناقب الصورية والمعنوية جمع حسن على غير قياس وكانه جمع محسن (خلقا) بالفتح (وخلقا) بضمتين وبسكون الثاني وقدم الاول لسبق وجوده الناشئ منه اظهار كرمه وجوده (وقرانه) بكسر القاف أي وفي مقارنته وجمعه (جميع الفضائل الدينية والدنيوية) بحذف الالف عند مباشرة ياء النسبة والمراد بها الفضائل الدنيوية التي تنفع في الامور الاخروية والافقد قال أنتم أعلم بامور دنياكم ثم الدنيا على ما قاله المصنف في مشارق الانوار اسم لهذه الحياة لدنوها من أهلها وبعد الآخرة عنها انتهى وقيل لدناءتها (فيه) أي في حقه (نسقا) بفتحتين أي جمعا متتابعا ولا معنى لقول التلمساني هنا أي عطفا وتبعا ولقد أجاد الدلجي حيث أفاد أي متناسبا بعضها بعضا مستوية في كمالها كجواهر منتظمة في نظام واحد زيادة لجمالها (وفيه سبعة وعشرون فصلا) قال التلمساني بل هي ستة وعشرون فصلا أقول ولعله أتى بالسابع فصلا (الباب الثالث) أي من القسم الاول من

(الباب الثالث فيما ورد من صحيح الاخبار ومشهورها)

الخبر فى العرف واللغة ما ينقل عن الغير وزاد فيه أهل العربية واحتمل الصدق والكذب فى حد ذاته
والمحدثون يستعملونه بمعنى الحديث وقد يفرقون بينهما فيقولون الحديث ما جاء عن النبى صلى الله
تعالى عليه وسلم والخبر ما جاء عن غيره ولذا قيل لصاحب التاريخ اخبارى بصيغة الجمع وقيل بينهما
عموم وخصوص فكل حديث خبر ولا عكس وعبر به المصنف رحمه الله تعالى هنا لانه أشمل واذا كانا
بمعنى فالمراد به ما أضيف اليه صلى الله تعالى عليه وسلم قولا أو فعلا أو تقريرا أو نحوه ويدخل فيه ما هم به
قلبه اذا علم به بوجه من الوجوه وكذا ما يتعلق بحليته الشريفة وفى هذا المقام تفصيل مذكور فى
مصطلح الحديث والصحيح والحسن كل منهما اما لذاته أو لغيره لانه اذا رواه عدل تام الضبط واتصل
سنده ولم يكن معللا ولا شاذا فهو الصحيح لذاته فان لم يسلم مما يضعفه وانجبر بتعدد الطرق ونحوه
فهو الصحيح لغيره وما لم يشتمل على أعلى صفات القبول فهو حسن والمشهور ما تعددت رواته ولم يصل
الى حد التواتر ويطلق على ما شاع مطلقا وان لم تتعدد طرقه سواء كانت شهرته بين المحدثين أم لا وهو
الذى عناه المصنف هنا ولذا عطفه على الصحيح وأهل الحديث يستعملونه بهذا المعنى أيضا كما ذكره
ابن حجر ويدل عليه قول المصنف فى أول هذا الباب * اعلم أن الحديث الواردة فى ذلك كثيرة جدا وقد
اقتصرنا على صحيحها ومشهورها انتهى وقيل المراد اشتهر بين المحدثين على انه من عطف الخاص على
العام (بعظيم قدره) متعلق بورد لانه مصدر بمعنى رفعته أو منزلته وقيل انه حال من قدره وجاء من المضاف
اليه لان المضاف صفة له فكأنه هو والمعمول لان تقديره قدره العظيم حال كونه كائنا (عند ربه) فتدبر
(ومنزلته) أى رتبته الرفيعة عنده أيضا والعرب تقول المنزلة فى المعنوى كالمكان والمكانة فكان
التاء للنقل (وما خصه به فى الدارين) الدنيا والآخرة تسميتهما بهذا شائعة كما مر لانهما مسكن ابن آدم
فاما أن تكون الدار حقيقتها هذا ثم خصت بما يحيط به بناء ونحوه أو تكون مجازا صار حقيقة عرفية
وخواص النبى صلى الله تعالى عليه وسلم منها ما خص به عن سائر الخلق حتى الرسل ومنها ما هو بالنسبة
للرسل عليهم الصلاة والسلام ومنها ما هو بالنسبة لامته كما مر وسيأتى (من كرامته) أى مما فيه تكريم
وتبجيل له صلى الله تعالى عليه وسلم فمن بيانية أو تعليلية كقوله (مما خطيئاتهم اغرقوا) وهو بيان
لان المذكور هنا بعض الخصائص التى خص بها تعظيما له صلى الله تعالى عليه وسلم دون ما خص به
صلى الله تعالى عليه وسلم من بعض الاحكام الجزئية المخصوصة بالتحليل والتحريم مما لا يظهر فيه
التكريم وان تضمنه فى الجملة ولم يذكر لذلك وهو غير مناسب لغرض التأليف (وفيه اثنى عشر فصلا)
هكذا هو فى النسخ كلها وهو المروى عنه مع ان الفصول خمسة عشر وقد سلك الشراح فى الجواب عنه
مسالك منها ما قاله التلمسانى ان الثلاثة الزائدة بعد ما أكمل العدد أجنبية من هذا الباب مناسبة للباب
الاول لانه ذكر جملة من أسمائه صلى الله تعالى عليه وسلم فى أثنائه كقوله (رؤف رحيم * وما أرسلناك
الا رحمة للعالمين * ذى قوة عند ذى العرش * الله نور السموات الخ) الى آخر ما ذكره فى حقه صلى الله
تعالى عليه وسلم ففهم منه ان الفصول الثلاثة انما وضعها بعد ان تم مراده ولاح فى خاطره أمر يعذر
تركه أوجب ذكرها وجعلها ذيلا لهذا الباب وذكر من كلامه ما يدل عليه ومنها انه كان عازما على
جعلها اثنى عشر فلما وصل الى الباب الثالث اقتضى الحال زيادتها وهذا بناء على ان الخطبة مقدمة
على التأليف والقول بان قوله السابق نويت ودرجت بابا غير مسلم وهكذا كما انه جعل القسم الرابع
بابين مع انه زاد عليه ثالثا ومنها ان مفهوم العدد غير معتبر وهذا أضعفها لان كلامهم فى الاستدلال به
فى النصوص وأما فى المخاطبات فلا فالحاصل انها ذيل للاثنى عشر المقصودة أو أمر زاده على ما كان فى
تصوره وذهنه

(الباب الرابع فيما أظهره الله على يديه من الآيات والمعجزات)

الكتاب (فيما ورد من صحيح الاخبار) أى الاحاديث والآثار (ومشهورها) أى مشهور الاخبار عند الاخيار (بعظيم قدره عند ربه ومنزلته) أى مكانته وهو عطف تفسير لعظيم قدره (وما خصه) أى الله تعالى كما فى نسخة يعنى وما جعله مخصوصا (به فى الدارين من كرامته وفيه اثناعشر فصلا) هكذا فى النسخ كلها التى عليها الرواية والتصحيح والمقابلة والذى فى هذا الباب من الفصول خمسة عشر ولعله زاد بالاثنى عشر فصولا مهمة وبزيادة الثلاثة مكملة ومتممة وهذا ما اخص كلام التلمسانى (الباب الرابع) أى من القسم الاول (فيما أظهره الله تعالى على يديه) أى بسببه (من الآيات) أى العلامات التى هى خوارق العادات (والمعجزات) وهى تختص بالتحدى

(وشرفه به من الخصائص والكرامات) تعميم بعد تخصيص وإيماء الى ان كرامات أولياء أمته بمنزلة معجزاته وفي مرتبة كراماته (وفيه ثلاثون فصلا) قال التلمساني الذي فيه من الفصول تسعة وعشرون ولعله عد ما صدر من الباب الى الفصل فصلا (القسم الثاني فيما يجب على الانام) قال المحشى فيه أقوال فقيل كل من يعتريه النوم وقيل الانام الاناس وقيل الانام المخلوقات قلت يرد القول الاول انه مهموز لا معتل العين ففي القاموس الانام كسحاب الخلق أو الجن والانس أو جميع ما على وجه الارض انتهى ولعل الخلق خصه بالحيوانات أولا ولا يخفى ان المعانى الثلاثة محتملة في قوله تعالى والارض وضعها للانام وأما هنا فيراد به الانس والجن أو جميع الخلق على القول بانه بعث الى الخلق كافة كما في رواية مسلم فيجب على كل فرد من المخلوقات ما يناسبه في كل مقام من حقوقه عليه الصلاة والسلام (ويترتب القول) قال التلمساني أي يتمكن والظاهر ان المعنى يجيء الكلام مرتبا (فيه) أي في هذا القسم (في أربعة أبواب)

الآية جمع آية ولها معان منها العلامة الدالة على نبوته صلى الله تعالى عليه وسلم وفي أصلها أربعة أقوال لاهل العربية * أحدها للخليل رحمه الله تعالى وهو ان أصلها أيية بفتحتين بزنة فعلة فقلبت الياء الاولى ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها على خلاف القياس اذ هو يقتضى قلب الثانية أو الادغام لتقدمه على الاعلال * الثاني للكسائي رحمه الله تعالى ان أصلها آيية على وزن فاعلة فحذفت عين الكلمة والقياس الادغام كدابة * الثالث للفراء رحمه الله تعالى أصلها أيية بسكون الياء الاولى فقلبت الفاء على خلاف القياس * الرابع لبعضهم أصلها أيية بكسر الياء الاولى فقلبت الفاء لثقل التضعيف والمعجزة أمر خارق للعادة معجز للبشر أظهره الله على يديه صلى الله تعالى عليه وسلم واسناده الى الله تعالى لانها من أفعاله كما قال ابن الهمام رحمه الله تعالى وأما كونها قد تكون من قبيل الترك كان يقول نبي آية صدقي ان أضع يدي على رأسي ولا يقدر أحد على ذلك فلندوره لا يعتد به أولانه باعتبار انه كف كالفعل الوجودي وكذا اخباره عن الغيب وانما أسند الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم باعتبار صدوره عنه وان كان بايجاد الله وخلقه على ما عليه أهل السنة والآية والمعجزة يشتركان في الدلالة على صدقه لكن الآية أعم لانه لا يشترط فيها مقارنة النبوة والتحدى فكل معجزة آية ولا عكس فشق صدره صلى الله تعالى عليه وسلم وتسليم الحجر عليه قبل البعثة ونحوه آية وليس بمعجزة وأما قول السهيلي رحمه الله تعالى في بعض الخوارق أنها علامة للنبوة لا معجزة بناء على عدم اقترانها بالتحدى المشروط عنده فرده ابن الهمام رحمه الله تعالى بان أمره مبنى على دعوى النبوة في كل زمان وهو غير وارد عليه وسيأتي للمصنف رحمه الله تعالى كلام في هذا (وشرفه به من الخصائص والكرامات وفيه ثلاثون فصلا) المذكور في الكتاب تسعة وعشرون لكنه عد صدر الباب فصلا كما مر ونبه عليه التلمساني والخصائص جمع خصيصة وهي الصفة الخاصة به سواء كانت في ذاته أو صفاته أو فيما يصدر عنه صلى الله تعالى عليه وسلم من معجزاته وكراماته فهي تشتمل على أمور كثيرة ذكر منها في الباب الثالث تفضيله في ذاته وسيادته صلى الله تعالى عليه وسلم لبنى آدم في الدارين وقربه من ربه بالاسراء والمحبة والخلة وذكر هنا ما جرى على يديه من المعجزات وما ضاهاها من الكرامات فقصد البابين وما ذكر هنا مختلف معنى وان تشابه العنوان كما يعرف بالنظر في الكتاب فلا يرد عليه ان ما ذكر هنا هو بعينه في الثالث من قوله وما خصه وهو قبيح وغاية ما يقال في توجيهه انه أراد في كل موضع بيان سابقه فالمراد بالثالث الكرامات التى لم يقصد بها اثبات النبوة وكونها علامة كاسراء الامور الاخروية وفي الثاني ما يقصد به ذلك وفيه ما فيه انتهى وقد عرفت سقوطه وانما أوقعه فيه اتحاد العنوان ظاهرا وهو على طرف الثمام على انا نقول انهما متغايران معنى كما يعرف بالتأمل الصادق وقيل ان الخصائص والمعجزات آيات كما سيأتي في بابه والكرامة لغوية لا اصطلاحية فلا تنافي المعجزة وأما الكرامة التى خص بها صلى الله تعالى عليه وسلم في الدارين المذكورة قبله فقد قيل انها مما لم يقصد به اثبات النبوة ولا كونها علامة عليها كالاسراء ولا طائل تحته وقيل ان الكرامات هنا الخوارق التى قبل دعوى الرسالة وفي شرح المواقف انها تسمى كرامة وارهاصا وهو التأسيس ولسبقها على اظهار الرسالة كانت كالتأسيس لها فان قلت اخباره عن المغيبات كيف يعد معجزة قلت هو على قسمين ما وقع في حياته صلى الله تعالى عليه وسلم كعير قريش ونحوه ولا شبهة في كونه معجزة وما وقع بعده كاخباره صلى الله عليه وسلم بالخوارج وذى الثدية وتسميته كرامة أقرب لعدم مقارنته للتحدى والقول بانه معجزة لعجزهم عنه سواء كان العجز عدميا أم لا لا يجدى (القسم الثاني فيما يجب على الانام) أي يلزمهم حتى يأثموا بتركه والانام الخلق أو الانس والجن أو كل ما على وجه الارض والمناسب هنا الثاني وقيل انه ما يعتريه النوم (من حقوقه) صلى الله تعالى عليه وسلم جمع حق وهو الامر الثابت له وقدم تفسيره (ويترتب القول فيه في أربعة أبواب) يترتب أي يتمكن أو يذكر

مرتبا من الترتيب وهو جعل كل شيء في مرتبته اللائقة به وكونه من تقسيم الكل أو الكلي تقدم مع ما فيه

(الباب الاول في فرض الايمان به) أي كون التصديق برسالته صلى الله تعالى عليه وسلم فرضا فالاضافة للمفعول أو هي لامية أو بيانية فيجب الايمان به صلى الله تعالى عليه وسلم وبشريعته وانها ناسخة لغيرها ووجوب ذلك على كل من بلغته الدعوة (ووجوب طاعته) أي اطاعته صلى الله تعالى عليه وسلم والانقياد له (و) وجوب (اتباع سنته) أي طريقته صلى الله تعالى عليه وسلم التي أمرنا باتباعها أمر ايجاب (وفيه خمسة فصول) وقد أجاد في تفننه فعبر بالفرض تارة وبالوجوب أخرى كما قال في القسم الاول وتوجه الكلام فيه وفي الثاني ويترتب القول فيه وفي الثالث وتحرير القول فيه وفي الرابع وينقسم الكلام فيه

(الباب الثاني في لزوم محبته ومناصحته) صلى الله تعالى عليه وسلم (وفيه ستة فصول) النصح والنصيحة والمناصحة ارادة الخير للغير وارشاده له وهي كلمة جامعة كما سيأتي والمفاعلة على حقيقتها لانها ان يفعل ويقول لصاحبه ما ينفعه الآخر به وان لم يتحد فنصيحة الامة ايمانهم بما جاء به صلى الله تعالى عليه وسلم وانقيادهم لاوامره ونواهيه ونصيحة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لهم بتبليغهم ما أمر بتبليغه وارشادهم للخير وقيل انه بمعنى النصح كالمخادعة في قوله (يخادعون الله) وما ذكر في الكتاب من ثواب محبته ونحوه استطرادي وله تحقيق في شروح الكشاف

(الباب الثالث في تعظيم أمره) أي شانه وحاله كتعظيم حديثه وآله صلى الله تعالى عليه وسلم قيل اللائق هنا تقديم اللزوم الآتي لا توسيطه فيقول لزوم تعظيم أمره وتوقيره فكأنه أشار الى تقديمه تقديرا لان من اللازم تعظيم أمره وتوقيره فهو من عطف العام على الخاص وليس الامر بمعنى الطلب هنا وفي ذكره ايماء الى ان توقيره أشد لزوما من توقير أمره مع ما في تركه أولا من المبادرة الى ذكر تعظيمه لشدة الاعتناء بنفس التعظيم ففي كلامه ترق من الادنى الى الاعلى (ولزوم توقيره وبره وفيه سبعة فصول) توقيره تعظيم ذاته وأحواله ومن ينسب اليه وأمته ومعاهده وآثاره بحيث لا يدانيه أحد فيه فدل صراحة على لزوم تعظيمه صلى الله تعالى عليه وسلم فلا وجه لما مر وبره بكسر الباء وأصل معنى البر السعة ومنه البر بالفتح مقابل البحر ثم شاع في الشفقة والاحسان والصلة وهو المراد هنا وصلته صلى الله تعالى عليه وسلم بصلة اتباعه من أهله وغيرهم ممن مر ذكره

(الباب الرابع في حكم الصلاة عليه) صلى الله تعالى عليه وسلم (والتسليم) من الفرضية والاستحباب على كيفية مخصوصة فقوله (وفرض ذلك) أي فرضيته أو المفروض منه من عطف الخاص على العام (وفضيلته) أي فضيلة المذكور من الصلاة والسلام ولتأويله بما ذكر أفرد الضمير ويكثر مثله في اسم الاشارة كقوله تعالى عوان بين ذلك (وفيه عشرة فصول) مع ما ذكر معه استطرادا كفضيلة المدينة وسكناها ومسجدها وفضل الصلاة فيه وفي مسجد مكة وزيارته صلى الله تعالى عليه وسلم

(القسم الثالث فيما يستحيل في حقه) صلى الله تعالى عليه وسلم أي يمتنع امتناعا قويا حتى يلحق بالمحال عقلا كالكذب ونحوه وأصل معنى الاستحالة التغير من حال الى حال ومنه استحال الخمر خلا ويقال استحال اذا صار أعوج وقد ورد في كلام العرب استعماله في كلامهم كثيرا كما وقع في عبارة الكتاب ومن لم يقف عليه اعترض على قول المتنبي كانك مستقيم في محال (وما يجوز عليه) أي يصح ان ينسب اليه سواء كان واجبا أو جائزا أو المراد ما يصح اتصافه به صلى الله تعالى عليه وسلم كالاعراض لا تشين رتبته العلية من الامور المتعلقة بالدين وغيرها لان الجواز بمعنى الاباحة من الاحكام الشرعية فقوله (وما يمتنع ويصح من الامور البشرية ان يضاف اليه) المراد به الامور المتعلقة بالدنيا دون الدين فيصح التقابل لان معناه ما يعرض لنوع الانسان في بدنه ويجوز ان يريد به ما يستحيل ويجوز على انه عطف تفسيري

(الباب الاول) أي من القسم الثاني (في فرض الايمان به) أي في بيان كون الايمان به فرضا عينيا على جميع الاعيان (ووجوب طاعته) أي في سائر ما أمر به ونهى عنه (واتباع سنته) أي متابعة طريقته أي قولا وفعلا وتخلقا (وفيه خمسة فصول) قال التلمساني بل هي أربعة والعذر تقدم (الباب الثاني) أي من القسم الثاني (في لزوم محبته ومناصحته) أي مصادقته وموافقته ومخالصته (وفيه ستة فصول) بل هي خمسة (الباب الثالث) أي من القسم الثاني (في تعظيم أمره) أي شانه أو حكمه (ولزوم توقيره) أي تعظيمه ونصره (وبره) أي زيادة احسانه وعدم مخالفته فانه فوق منزلة الاب وفي قراءة شاذة وهو أب لهم فيجب بره ويحرم عقوقه ولو في أمر مباح في حده وقيل طاعته (وفيه سبعة فصول) بل ستة (الباب الرابع) أي من القسم الثاني (في حكم الصلاة عليه والتسليم وفرض ذلك) بالجر أي وفي بيان فرض ما ذكر (وفضيلته) أي وفي ثواب ما ذكر وزيادة فضله (وفيه عشرة فصول) بل تسعة *(القسم الثالث فيما يستحيل) أي لا يمكن وجوده (في حقه) أي عقلا ونقلا (وما يجوز عليه شرعا) أي قولا وفعلا (وما يمتنع) أي في الجملة أو ما لا يجوز عليه شرعا (ويصح) أي وما يصح (من الامور البشرية ان يضاف) أي ينسب خلاصة فائدتها (اليه)

فلا

فلا يرد عليه ماقيل انه لم يذكر مايجب واللائق ذكره أولانه اذا بين مايستحيل منه فقد بين مايجب لان استحالة الشئ تستلزم وجوب نقيضه فلذا أجمل واختصر والمراد باضافته أن يقول انه متصف به واما انه ذكر مايجب وقد تعرض له فيما يأتى فيأباه جعله ثمرة ولبابا لانه من أعظم الثمرات كما لايخفى (وهذا القسم أكرمك الله) جملة دعائية والمعنى جعلك الله مكرما مبجلا (هو سر الكتاب) أى خلاصته أو أفضله والخفى منه والمراد انه المقصود بالذات منه ولما كان ماتضمنه من بيان ماتصح اضافته اليه ومالاتصح مماتمس الحاجة اليه فى تعريف عظيم مقامه وجليل مقداره هو المقصود من التأليف لئلا يقع أحد فيما لا يليق بمقامه أو يترك مالابد منه كان ماذكر هنا زبدة الكتاب ولبه وقيل السر بمعنى الاصل لان ماسبقه مبنى على العصمة من الرذائل ولا تساعده اللغة (ولباب ثمرة هذه الابواب) لباب كل شئ خالصه كما قال الزبيدى ومنه اللب للعقل ولبيك أى أجابه مع اخلاص والثمرة بمعناها الاصلى وتكون بمعنى الفائدة والنتيجة والغاية وهو مجاز مشهور والابواب المشار اليها جملة أبواب الكتاب أو البعض السابق من الابواب بناء على انه كالقواعد لما بعده ومابعده كالامور المبنية عليه فهو كالثمرة له فاضافة اللباب بيانية كما قيل وهذه استعارة مصرحة بتشبيه مقصوده بثمرة ذات لب وقيل انها مكنية وتخييلية بجعل الكتاب بمنزلة شجرة مثمرة تشبيها مضمرا فى النفس واثبات الثمرة تخييل واضافته كذهب الاصيل ورد بان القواعد تأباه اذلاذكر للكتاب فى هذه الفقرة ولايخفى ان مراده بالكتاب هذه الابواب لان الكتاب عبارة عنها وقيل المراد بالثمرة مايستفاد من غيره أو المقصود ولما كان غيره كالدليل عليه كان كالدليل أو المراد ان ثمرته أى تعلمه والانتفاع به لباب الثمرات (وماقبله له) أى ماذكر قبل هذا القسم من الابواب والاقسام ماهو (كالقواعد) القواعد فى الاصل الاساس وخشبات تركب الهودج فيها والعمد وأتى بالكاف لانها ليست قواعد كلية بل شخصية اذ موضعها ذات النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كما قيل والاظهر تشبيهها بالقواعد الحقيقية (والتمهيدات) جمع تمهيد أى أمر تمهد وهو فى الاصل مصدر بمعنى اتخاذ المهاد والفراش كما مر والمراد انها مقدمة وتوطئة له (والدلائل على مانورده فيه) ضمير فيه للقسم ونورده بمعنى نذكره من ورد الماء وهو الذهاب للشرب ويقابله الصدر ثم تجوز به عن الاتيان بشئ ما والدلائل جمع دليل على خلاف القياس وفى الآيات البينات انه جمع دلالة فان فعالة يجمع على فعائل قياسا وذكر امام الحرمين انها تكون بمعنى الدليل والظاهر انه مجاز ويأتى ايضاح ذلك مبسوطا عند قوله فصل ومن دلائل نبوته وعلامات رسالته (من النكت البينات) قد مر ان النكت الامور الدقيقة الغامضة فجعلها بينات جمع بينة بمعنى واضحة بالنسبة للاذكياء ولما كان ماقبله من استحقاق التوقير والجلالة وثبوت النبوة والرسالة كالدليل على مايجب له صلى الله تعالى عليه وسلم ويمتنع عليه لانه اذا قيل يستحيل عليه النقائص لعلو قدره وظهور شرفه صح جعله دليلا الا انه لما لم يكن مستلزما له استلزاما عقليا جعل كالدليل والاستدلال عليه يعلم من علم الكلام ومافى غيره اقناعى وان كان لاشبهة فيه لمن جلا الايمان مرآة ذهنه ويحتمل البينة هنا أن تكون بمعنى بينة المدعى أو هو ايهام وتورية لقوله بعده (وهو الحاكم على مابعده) تشبيه بليغ أى كالحاكم على القسم الرابع من جزاء سابه ومنقصه صلى الله عليه وسلم والحكم خطاب الله المتعلق بافعال المكلفين واجراؤه وابرازه أيضا ولايخفى موقعه هنا والحاكم فى الحقيقة هو القاضى ونحوه لا هذا القسم ونحوه فان مسائله ومن يعلمها اذا حقق مايجب له ويجوز تبين له ذلك فجعل تبين ذلك كالحكم فى شانه صلى الله تعالى عليه وسلم وشان منقصه (والمنجز من غرض هذا التاليف وعده) الوعد معروف وانجازه ايقاع ماوعد به واعطاؤه وأصل معناه الاتمام أو الاحضار

وهذا القسم) أى الثالث (أكرمك الله) جملة اعتراضية بين المبتدأ وخبره وردت دعاء لمن خوطب به كما فى قوله (ان الثمانين وبلغتها قد أحوجت سمعى الى ترجمان) وقد يرد الاعتراض للتنزيه كما فى قوله تعالى ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم مايشتهون أو للتنبيه فى مثل (واعلم فعلم المرء ينفعه ان سوف يأتى كل ماقدر) (هو سر الكتاب) أى خلاصته (ولباب ثمرة هذه الابواب) أى أبواب هذا القسم كما فى ذكره الدلجى والصواب أبواب هذا الكتاب والمعنى انه زبدة نتيجتها وخلاصة فائدتها (وماقبله) أى من القسمين (له كالقواعد) جمع القاعدة وهى الاساس فى المنقولات والمعقولات من قوانين كلية مشتملة على مسائل جزئية (والتمهيدات) أى التوطئات (والدلائل) أى وكالدلائل العقلية والنقليه (على مانورده فيه) أى فى حقه مايجب ويستحب ويباح ويحرم وغير ذلك مما يعذر قائله أو يؤدب (من النكت البينات) أى اللطائف الواضحات (وهو) أى هذا القسم الثالث أيضا (الحاكم على مابعده) أى من القسم الاخير (والمنجز) بصيغة الفاعل مخففا أى وهو الموفى (من غرض هذا التاليف وعده) أى الذى سبق وعده

من نجز الامر والغرض هو المقصود من الشئ ومن ابتدائيـة أو بيانيـة والمراد بالغرض هنا تعريف حقوق المصطفى وضمير وعده راجع لما رجع له قوله هو أو للحاكم لا للغرض والمنجز بصيغة الافعال أو التفعيل وفاعله مارجع اليه الضمير أيضا والفاعل الحقيقي هو المصنف رحمه الله تعالى فالنسبة مجازية أو استعارة مكنية مخيلة مرشحة بجعل هـذا القسم لتتميمه غرض التاليف كانه كريم وعده التفضل بمقصوده واجابة السائل لما سال منه من تاليف جملة الكتاب فكانه بهذا منجز للوفاء بالكلي أو هو من قبيل الحج عرفة والسائل وان لم يسئل مافي هذا القسم صريحا الا انه لما استدعى ذلك كان كانه مقصود له بالذات فلذا اعتنى به المصنف رحمه الله (وعند التقصي) هو تفعل من الاستقصاء بالقاف والصاد المهملة وهو بلوغ أقصى الشئ وغايته أو طلبه كما في قوله

يامطلبا ليس لي في غيره أرب * اليك آل التقصي وانتهى الطلب

وفي بعض النسخ التقضي بضاد معجمة من تقضى الامر اذا تم ومضى أو بمعنى التقاضي والالحاح ويحتمل على الوجهين أن يكون أصله تقضض فابدل احدى المثلين ياء للتخفيف كما قيل في تظننت تظنيت واللام في قوله (لموعدته) بمعنى وعده أو وعوده صلة له أو تعليلية والانجاز الموعد مقابل لخلافه قال الله تعالى (انه لايخلف الميعاد) وتقرر عندهم ان الوعد يكون في الخير والثواب والوعيد في ضده ويجوز الخلف فيه ولو من الله وقد يكون الكلام الواحد وعدا ووعيدا باعتبارين كقول الله تعالى لاهلكن من عادى رسلي فانه نصرة لهم وههنا اشكال مشهور وهو وان تخلف الوعيد كذب غير جائز على الله تعالى وعن أنس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال من وعده الله على عمل ثوابا فهو منجزه له ومن أوعده على عمل عقابا فهو بالخيار * وسئل أبو عمرو بن العلاء رحمه الله أيجوز أن يعد الله على عمل ثوابا ثم لا ينجزه قال لا قال فاذا أوعد عقابا أفلا بد ان ينجزه فقال له من قبل العجمة وأنبئت ان العرب كانت شرفها ان تفي بالوعد وان لا تفي بالوعيد قال

واني وان أوعدته أو وعدته * لمخلف ايعادي ومنجز موعدي

قالوا ولا يلزمه الكذب لا لان الكذب يكون في الماضي والخلف في المستقبل لان فساده ظاهر لانه عدم المطابقة مطلقا بالاتفاق بل لان الوعيد مشروط بشروط مقدرة مسلمة معلومة من شئ آخر كعدم الاصرار أو عدم التوبة أو عدم العفو فيكون في قوة الشرطية فلا يلزم الكذب أصلا وقيل ان الوعد والوعيد انشاء لا يتصف به كما ذكره علماء الرسوم في مثل قولهم الصبي يقاوم الاسد انه لانشاء التعجب وفي قوله تعالى رب اني وضعتها انثى لانشاء التحسر وقال بعض المشايخ الوعد حق العبد والوعيد حق الله والكريم قد يترك حقه ولا يشاحح فيه وفي قواعد القرافي اختلف في لزوم الوعد والوفاء به الفقهاء فقال مالك لا يلزم وبه قضى عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه وقال سحنون يلزم اذا دخل في أمر كقوله لآخر بع دارك وأنا أقرضك دراهم تشتري بها دارا تسكنها هذا ما قالوه برمتهم في هذه ولها تتمة لعل الدهر ينجز ميعادها (والتفصي عن عهدته) هو تفعل بالفاء والصاد المهملة منقوص بمعنى الخروج والخلاص وبينه وبين ماقبله تجنيس والعهدة بضم العين المهملة وهاساكنة يليها دال مهملة ضم ان مايتعهده العاقل في ذمته فيلزمه وأصل معناه الوثيقة فجعل المصنف رحمه الله اجابة سائله كامر التزمه في ذمته يلزمه أداؤه ففيه استعارة تصريحية وعن متعلق بما بعده من قوله (يشرق به صدر العدو اللعين) يشرق من شرق يشرق كفرح يفرح من الشرق وهو وقوف الشراب ونحوه في الحلق والغصة مثله لكن استعمالها في غير المائعات أكثر والمعروف اسناده للحلق الذي هو مجراه كقوله

لو بغير الماء صدري شرق * كنت كالغصان بالماء اعتصاري

(وعند التقصي) بالقاف بمعنى الاستقصاء والتتبع أي وعند بلوغ المقصد الاقصى (لموعدته) بفتح الميم وكسر العين والتاء فيه للوحدة وهو بمعنى الموعد والمراد به المصدر وان كان يصلح أن يكون زمانا أو مكانا وقيل الموعدة اسم للعدة (والتفصي) بالفاء أي التخلص والتفلت (عن عهدته) أي التزامه وتحمله (يشرق) بفتح الياء والراء أي يضيق (صدر العدو) أي قلبه وأغرب التلمساني بقوله هو مقدم كل شئ وأوله (اللعين) أي الملعون حسدا منه والمراد بالعدو الجنس أو ابليس واقتصر عليه التلمساني والاول أظهر وأتم لشموله كل كافر كما يدل عليه مقابلته بالمؤمن في قوله

و يسند للانسان نفسه وأما اسناده للصدر كما في عبارة المصنف رحمه الله فغير معروف فكأنه قصد به المبالغة في كثرته وعدم الخلاص منه لان الغصة تكون سائغة لسعته فاذا كان الصدر نفسه شرقا لا يدفع وشرق هنا بمعنى تالم واغتاظ كما في قول الاعشى

وتشرق بالقول الذي قد أذعته * كما شرقت صدر القناة من الدم

وليس في قوله صدر القناة شاهد للمصنف رحمه الله وتعريف العدو جنسي أو استغراقي وهم اعداء الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ووصفه باللعين للذم لا للتقييد اذ كل عدو له صلى الله تعالى عليه وسلم كافر مستحق اللعنة وأصله المطرود مطلقا كما في قول الشماخ

ذعرت به القطا ونفيت عنه * مقام الذئب كالرجل اللعين

ثم خص بالمطرود عن رحمة الله أو للعهد والمراد به ابليس بقرينة اللعين لانه مطوق باللعنة ليوم الدين وقيل يشرق بمعنى يضيق كضيق صدره من شرق بريقه عند موته وفي المقتفى يضيق صدره حسدا (و يشرق قلب المؤمن باليقين) مضارع أشرق اذا أضاء وهو لازم وجوز بعضهم تعديه كما في قوله

ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها * شمس الضحى وأبو اسحق والقمر

والباء آلية أو سببية كما في قوله تعالى (وأشرقت الارض بنور ربها) والقلب مشبه بما يقبل الاضاءة أو بمشكاة واليقين مشبه بالنور كما يشبه به مطلق العلم ويشبه الجهل بالظلمة ويجوز فتح ياء يشرق لانه يقال شرقت الشمس وأشرقت بمعنى والمعروف المزيد وان أثبت أهل اللغة ثلاثية أيضا والاشراق صفة الكواكب ونحوها وما يقع عليه الضوء من الاجرام (وتملأ أنواره) الضمير المضاف اليه لليقين والاضافة له مع انه جعل قبله النور عين اليقين اما لانه من قبيل لجين الماء اشارة الى أن الاضافة لا تخص القلب بل تفيض على ما حوله فتملؤه أو المراد بالانوار أنوار أخر حاصلة من ذلك النور أيضا كالهداية الى الحق ودفع الشبه الى نحوه كما ان نور الشمس الذاتي يحصل منه أنوار أخر تملأ الكون والمراد بكونها مالئة له انها عامة شاملة له وهو استعارة مكنية تخييلية حيث شبهت الانوار بالمياه الفائضة من البحار وأثبت لها الملء ويجوز عود الضمير للقلب (جوانح صدره) جمع جانحة وهي الضلوع التي تلي الصدر تحت الترائب كالضلوع مما يلي الظهر ولذا أضيف للصدر واضافة الصدر بضمير القلب لما بينهما من الملابسة التامة والقلب معروف وتفسيره بلطيفة مدركة مرتبطة بهيكل الانسان وقع لبعض الصوفية وهو مخالف للغة ومراد المصنف رحمه الله فلا وجه له كما مر (ويقدر العاقل النبي) صلى الله تعالى عليه وسلم (حق قدره) يقدر بزنة ينصر يعرف مقداره ويتصور عظيم مقامه صلى الله تعالى عليه وسلم كما هو وقد فسر ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قوله تعالى وما قدروا الله حق قدره بما عرفوه حق معرفته والعاقل بعين مهملة وقاف وفي حواشي التلمساني انه بغين معجمة وفاء قال المراد انه يكون سببا لتنبيه الغافل وقدرته ولولم يقل انه رواية قلنا انه تحريف من الناسخ ومن له لب اذا تنبه لما قاله المصنف وأحاط به خبرا عرف اجمالا جلالة شأنه صلى الله تعالى عليه وسلم ولمعت من أفق اليقين له بوارق برهانه وان لم يحط بجملته فانه لا تسعه العقول ولا يحيط به نطاق البيان كما قال

انما مثلوا صفاتك للناس * كما مثل النجوم الماء

ويقدر معطوف على يشرق (ويتحرر) الكلام فيه أي يتم ويجيء محررا مهذبا في هذا القسم وفيه متعلق بالكلام لانه مصدر أو اسم مصدر يعمل عمل فعله أو حال منه وقوله (في بابين) متعلق بيتحرر

(الباب الاول فيما يختص بالامور الدينية) أي الامور المتعلقة بما يجب ويجوز ويمتنع عليه بحسب الشرع والدين (ويتشبث به القول في العصمة) التشبث بمثناة فوقية وشين معجمة وباء موحدة مشددة

(و يشرق) بضم أوله وكسر الراء أي يضيء ويستنير (قلب المؤمن باليقين) قيد مخرج للمنافقين وفي الكلام تجنيس تحريف (وتملأ أنواره) أي أنوار يقينه (جوانح صدره) بفتح الجيم وكسر النون جمع جانحة أي أضلاعه التي تحت الترائب مما يلي الصدر كالضلوع مما يلي الظهر والمراد الاحاطة بجميع جوانب صدره (و يقدر) بضم الدال وقول التلمساني بضم و بكسر ليس في محله أي يعظم أو يعرف (العاقل) المهملة والقاف وفي نسخة بالمعجمة والفاء (النبي حق قدره) أي حق عظمته أو حق معرفته

(اذ مبلغ العلم فيه انه بشر وانه خير خلق الله كلهم) ولذا قال بعض العارفين الخلق عرفوا الله تعالى وما عرفوا محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم (وليتحرر) يتلخص و يتلخص (الكلام فيه في بابين الباب الاول) أي من القسم الثالث (فيما يختص بالامور الدينية ويتشبث) أي يتعلق (به القول في العصمة) وهي خلق الله تعالى الامتناع من المعصية والامور الدينية

(وفيه ستة عشر فصلا) هذا صحيح ليس فيه اعتراض أصلا (الباب الثانى) أى من القسم الثالث (فى أحواله الدنيوية ومايجوز طرؤه) بضمتين فسكون واو فهمز وفى نسخة بالادغام أى وقوعه وحدوثه (عليه من الاعراض البشرية) أى من العوارض الانسانية فان الاعراض جمع عرض بفتحتين وهو مايعرض للانسان من مرض ونحوه من السهو والنسيان ثم اعلم ان صاحب القاموس ذكر مادة طرأ مهموز اومعتلا وعلى تقدير الهمز يجوز الابدال والادغام (وفيه تسعة فصول) بل ثمانية (القسم الرابع فى تصرف وجوه الاحكام) أى تنوع أنواعها من مسائلها ونوازلها (على من تنقصه) أى من عد فيه نقصا أو تكلم بما يتضمن نقصه (أوسبه) تخصيص بعد تعميم أى شتمه (عليه الصلاة والسلام) وفى معناه سائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام) وينقسم الكلام فيه فى بابين (الباب الاول) أى من القسم الرابع (فى بيان ماهو فى حقه سب ونقص تعميم بعد تخصيص (من تعريض) أى كناية وتلويح (أونص) أى ظاهر وتصريح وقال محش نص عليه إذا عينه وعرض اذلم يذكره منصوصا عليه بل يفهم الغرض بقرينة الحال (وفيه عشرة فصول) بل تسعة أى

ومثلثة التعلق والتمسك بما فيه ضعف كقولهم الغريق يتشبث بالحشيش أى النبات وضمير به لما فهم مما قبله أى بما ذكر أو بما يختص الى آخره وجعله لكونه مرتبطا به كانه متمسك به وفى التعبير به مع العصمة لطف لانها فى الاصل بمعنى الربط ثم صارت بمعنى المنع وخصت عرفا بمنع الله عبده عن جميع مالايرضاه من الذنوب بمجرد حفظ الله له أو بخلق الله له صفة نفسانية تمنعه من ارتكابها ولكونها بخلق الله لمن يختار تفضلا منه لايتوهم انه مبنى على القول بالايجاب وان النبوة كسبية وهو ليس بمذهب أهل السنة ويكون أيضا بمعنى صونه عن أذية أعدائه بحيث لايقدرون عليها كما فى قوله تعالى والله يعصمك من الناس كما سيأتى واذا وقع لبعض الاولياء تسمى حفظا لاعصمة فلا يقال لغير الانبياء عليهم الصلاة والسلام انه معصوم ولذا اختلف فى الدعاء بالعصمة لغيرهم هل يجوز أم لا والصحيح كما قاله ابن حجر فى الزواجر انه يجوز لانه ورد فى الادعية المأثورة اللهم اعصمنا فى الحركات والسكنات لكنه بمعنى مطلق الحفظ وسياتى تحقيقه وتعلق العصمة بما ذكر لانها مبدأه ومنشاه (وفيه) أى فى هذا الباب (ستة عشر فصلا) ياتى بيانها

(الباب الثانى فى أحواله الدنيوية) أى الطارئة عليه صلى الله تعالى عليه وسلم فى الدنيا من جهة الاشباح لامن جهة الارواح ولذا قال (ومايجوز طرؤه عليه) أى عروضه وحدوثه يقال طرأ مهموزا بزنة ومد طرؤا كقعودا وتبدل همزته واوا فتدغم فى مثلها فيقال طرو كعلو وقد سمع ذلك كما فى كتب اللغة القاموس وغيره ولافرق بينهما وان كان فى كلام ابن القطاع مايقتضيه وفى المقتفى انه ضبط هنا بتشديد الواو واذا أسند الى الناس كان بمعنى القدوم يقال طرأ علينا فلان أى قدم فلذا قال (من الاعراض البشرية) جمع عرض بفتحتين وهو مايعرض له من جهة ظاهرة سواء كان عرضا قارا أم لا والاطباء يخصونه بغير القار فيقولون عرض ومرض ووصف الاعراض بالطرو الحدوث حقيقة ولو فسر بالقدوم كان مجازا لكنه لاداعى له لما مر والبشرية المنسوبة للبشر ففيها اشارة الى انها غير مختصة به وما يجوز احترازعن الاعراض المنقصة التى لاتجوز عليه فلا اطناب فيه كما توهم

(القسم الرابع فى تصرف) هو تفعل من التصريف الذى هو التحول (وجوه الاحكام) ومعنى الحكم والوجوه جمع وجه له معان مجازية منها النوع والقسم يقال الكلام على أربعة أوجه وتصرفها تحولها وتبدلها كتصريف الرياح وقبل تدنها وكونه بمعنى تنويعها وذكر الوجوه تجريد عدول عن الجادة بلافائدة والمراد بيان أنواع الاحكام المتعلقة بها ومايلزم من قالها (على من تنقصه) متعلق بتصرف أى نسبة مافيه نقص لجنابه صلى الله تعالى عليه وسلم المبرأة عن النقائص (أوسبه) السب الشتم أى بيان حكم من سبه صلى الله تعالى عليه وسلم والفرق بينه وبين ماقبله ان السب المجاهرة بالصفات الذميمة والتنقيص أعم منه فان من قال له يا محمد فقد تنقصه وليس بشتم له وينبغى ان يخص بغير الشتم فليسا متساويين ولابينهما عموم وخصوص حتى يرد عليه انه لايصح العطف باو هنا أو يتكلف فيقال حكم العام غير حكم الخاص أو يقال السب بمعنى اللعن وعلى متعلقة بتصرف أو بالحكم وكونها بمعنى الى أى تحول وجه الاحكام اليه على انه استعارة تعسف من غير داع ويجوز كون الجار والمجرور حالا (وينقسم الكلام فيه فى بابين) ضمن ينقسم معنى يتحرر ويتم كما عبر به قبيله فمن قال معناه الى بابين أو حال كونه فيهما الى أمور فقد تكلف

(الباب الاول فى بيان ماهو فى حقه سب ونقص) النقص هنا أعم من السب أو بمعناه كما مر فلذا عطف بالواو وليسا بمعنى كما قيل وقيل الواو بمعنى أو كما يفهم من كلامه الآتى (من تعريض أونص وفيه عشرة فصول) المراد بالنص هنا التصريح وله معان أخر كلفظ القرآن ولفظ الحديث والدلالة على مالايحتمل اللفظ غيره والتعريض مايفيد معنى يلوح له الكلام ويومئ اليه كانه يؤخذ من عرضه

أي جانبه يقال نظر اليه بعرض وجهه وهو قسم من أقسام الكناية والمراد هنا مايقابل النص لوقوعه عدلاله وفيه كلام طويل في كتب المعاني والتفسير بيناه في حواشي البيضاوي

(الباب الثاني في حكم شانئه) هو اسم فاعل مهموز الآخر من الشنآن وهو البغض والعداوة ويجوز ابدال همزته ياء وفتح نونه وتسكينها (ومؤذيه) هو الآتي بما فيه اذية له قولا أو فعلا يقال أذاه يؤذيه ايذاء واذاء ولا عبرة بما في القاموس من انكاره للايذاء كما بيناه في كتابنا شفاء الغليل (ومنتقصه) بتشديد القاف وفي نسخة صحيحة منتقصه بتقديم النون على المثناة الفوقية يقال انتقصه ونقصه وتنقصه اذا أتى بما فيه نقص لكمال قدره من قول أو فعل أو ترك يقتضي ذلك (وعقوبته) بالجر عطف على حكم أو على شانئه والضمير عائد على كل واحد لتأويله بالمذكور أو على أحدهما لانه عين الاخير والعقوبة ضد العفو مايقع في مقابلة ذنب واما قوله تعالى وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ماعوقبتم به فهو مشاكلة أو بمعناه اللغوي (وذكر استتابته) معطوف على حكم والمراد به مايتعلق بتوبته من القبول وعدمه اثباتا ونفيا وأصل معناه طلب التوبة وقيل الاستفعال للتحويل عن أصله الى غيره كقوله *ان البغاث بأرضنا تستنسر* أي يتحول من البغاثية الى النسرية فالمراد به التحول الى التوبة بعد الكفر فتدبر (والصلاة عليه) أي الصلاة على جنازة من ذكر بعد موته (ووراثته) أي حكم وراثته نفيا واثباتا كما في ميراث المرتد وهل يرث هو من غيره أولا وتأخير الصلاة والوراثة عن الاستتابة في غاية الاحكام لصادقته محزه (وفيه عشرة فصول) كذا في كثير من النسخ وهو سهو من قلم الناسخ والصواب كما في بعض النسخ خمسة فصول وهو الذي صححه مغلطاي والشمني في حواشيه وهو الظاهر ولا يتأتى فيه مامر في الزيادة كما قيل اذ لو كان زيادة لم يضر بخلاف النقص فكان المصنف بيض له ولم يلحقه بعد أقول هذا ماقالوه برمتهم وسيأتي قريبا مايرشدك الى الصواب فيه (وختمناه) أي جعلنا ختام هذا القسم لا الباب الثاني كما قيل أو الضمير للكتاب (بباب ثالث جعلناه تكملة لهذه المسألة ووصلة للبابين اللذين قبله) أي لما ناسب هذا القسم جعله مكملا لما قبله من المسائل ومتصلا به بان عده بابا ثالثا من هذا القسم وان لم يكن منه والوصلة بضم الواو الاتصال وهو اسم مصدر بمعنى اسم الفاعل فلولا ماقصده كان هذا خاتمة الكتاب أو قسما خامسا (في حكم من سب الله ورسله) عليهم الصلاة والسلام مطلقا أو غير نبينا صلى الله عليه وسلم (وملائكته وكتبه وآل النبي) عليه الصلاة والسلام (وصحبه) رضي الله تعالى عنهم أي في حكم من صدر منه سب لواحد من هؤلاء أو للجميع أو الفريقين منهما مجتمعا أو منفردا ولا ينافيه كون من الموصولة تفيد العموم حتى يتوهم انه بقي حكم من سب فردا من هؤلاء غير مذكور والعطف بالواو لا يقتضي انه في حكم من سب هؤلاء على سبيل الاجتماع مع ان المراد الاعم من ذلك كما لا يخفى ولا حاجة الى ان يقال الواو بمعنى أو فان العموم يكفي لصحة امكان شموله سواء كان ذلك في الواقع أولا مع ان مثله انما يدقق فيه اذا كان في كلام يستدل بلفظه كالقرآن والحديث اما في كلام المصنفين فلا مع ان تعريف الموصول كاللام فيجري فيه أقسامها فسقط مافي بعض الشروح هنا من التعسف (واختصر الكلام فيه) بالماضي المجهول وفي بعض النسخ نختصر بالمضارع والاختصار تقليل اللفظ مع تكثير المعنى أي جعل الكلام متصفا بالاختصار فيما ذكر (في خمسة فصول) قيل الصواب في عشرة كما في بعض النسخ وهو المطابق للواقع واما كون الزيادة بدت له بعده بناء على تقدم الخطبة على التاليف أو العدد لا مفهوم له فلا ينافي الزيادة فقدمر مافيه ولك أن تقول ان ضمير فيه ليس للباب الثالث حتى يرد عليه ماذكر بل لما تقدم اجمالا والمعنى انه كان هم ان يجعل الباب الثاني عشرة فصول فاختصره في خمسة وأفرد للخمسة الباقية بابا ثالثا فصارت فصوله خمسة وهذا وان كان في غاية الخفاء أحسن من حمله على

(الباب الثاني) أي من القسم الرابع (في حكم شانئه) بهمز بعد النون أي مبغضه ومنه قوله تعالى ان شانئك هو الابتر (ومؤذيه) بالهمز ويجوز ابداله أي مضره وهو أخص مما قبله وبعده وهو قوله (ومنتقصه) وفي نسخة منتقصه (وعقوبته) أي وفي بيان عقابه وجزائه في الدنيا (وذكر استتابته) أي طلب توبته (والصلاة) أي وذكر صلاة الجنازة (عليه ووراثته) أي من المسلم أو المسلم منه (وفيه عشرة فصول) قال الحلبي هكذا في الاصول لكن بخط مغلطاي ان صوابه خمسة يعني عوض عشرة (وختمناه) أي القسم الرابع (بباب ثالث جعلناه تكملة) أي تكميلا (لهذه المسئلة ووصلة) بضم الواو أي توصيلا (للبابين اللذين قبله) أي من القسم الرابع (في حكم من سب الله تعالى) متعلق الباب الثالث (ورسله) وكذا حكم أنبيائه (وملائكته وكتبه) أي المنزلة (وآل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وصحبه) عموما أو خصوصا (واختصر الكلام) بصيغة المجهول الماضي وفي نسخة بصيغة المتكلم وفي أخرى واختصرنا الكلام أي بالاقتصار على المقصود (فيه) أي في هذا الباب (في خمسة فصول) بل في عشرة فصول على ماذكره التلمساني وقال الحلبي هكذا وقع أيضا في الاصول وصوابه عشرة فصول لانه فيما يأتي ذكره عشرة

الخطاوهذاماوعدناك به فان صادف محز القبول والافاطرحه فى زوايا الفضول و يكون هذا معنى قوله (و بتمامها) أى بتمام هـذه الفصول المكملة لما قبلها (ينتجز الكتاب) تفعل من نجز بجيم وزاى معجمة أى تم وانقضى فهو مطاوع نجز قال ابن القطاع نجزت الحاجة وأنجزتها فتنجزت قضيتها وقالوا نجز بالفتح والكسر أشهر وفى غيره انه بمعنى يحضر أو يتم أو ينقطع وفى المقتنى أنجزت حاجتك قضيتها والكتاب حاجة للسائل موعود بها وهو مختلف فى النسخ ففى بعضها من الافتعال وفى بعضها من التفعل والكل بمعنى واختار المزيد لانه أبلغ وقيل ليفيد انه بفعله (تنبيه) فى الملائكة أقوال لاهل اللغة فقيل جمع ملك بزنة فعل شذوذا وقيل مفرده ملأك كشملال حذفت همزته بعد القاء حركتها على ما قبلها ثم ردت للجمع فوزنه فعائله وهمزته زائدة وقيل ملأك على وزن مفعل فيمه زائدة ووزن جمعه مفاعلة وقيل مفرده مألك فنقلت فوزن جمعه مفاعلة وقيل مفرده ملاكة كفعالة من لاكه يلوكه فحذفت عينه تخفيفا ووزنه مفعل وملائكة وزنه مفاعلة ويقال فيه ملائك أيضا (وتتم الاقسام) يعنى الاربعة المذكورة (والابواب ويلوح فى غرة الايمان لمعة منيرة) يلوح بالحاء المهملة بمعنى يبدو و يظهر والغرة فى الاصل بياض فى جبهة الفرس و يطلق على كل شئ وأوله واللمعة بضم اللام من لمع الشئ يلمع لمعانا اذا أضاء وجمعه لمع ولماع كبرمة وبرام واللمعة أيضا البقعة فيها كلأ والقطعة من النبت اذا يبست فابيضت وموضع لا يصيبه ماء الغسل ذكره الصغانى وعليه استعمال الفقهاء واما اللمعة بالفتح فمصدر لمع والرواية هنا على الضم ومنيرة من أنار ويكون لازما ومتعديا أى ذات نور ويكون بمعنى بين واضح ومبين ومظهر والمراد انه اذا تم ما فى كتابه وانتقش فى صحائف الاذهان ازداد نور الايمان لان الايمان بالله و رسله عليهم الصلاة والسلام اذا قرن بتعظيم هذا النبى الكريم ومحبته والعلم بما تؤدى اليه مخالفته من النكال أوصل صاحبه لاعلى عليين اذا عرفت هذا فيلوح ان قرئ بالمثناة الفوقية ففاعله لمعة وان كانت بالتحتية ففاعله ضمير ما ذكره ولمعة الموصوف تمييز أو حال وغرة الايمان أشرفه وأظهره فاضافته حقيقية أو هو كلجين الماء لانه به يشمر صاحبه وتظهر سعادته فى الدارين أو يظهر انه جواد سابق فى حلبة السابقين الاولين ففيه استعارة مكنية وتخييلية وعلى الرفع فيه تجريد كقوله * وفى الرحمن للضعفاء كاف * واللمعة هى الغرة أو غرة الايمان بمعنى ظاهره واعلاه على انه استعارة مصرحة وجعل ما ذكر فيه لمعة فيه أى نورا لانحاء ليه لانه زيادة فى ايمانه واشار بانه لمعة الى انه من جنسه لا يكاد يتميز عنه وان كان البياض يقبل الزيادة حتى يتميز بعضه عن بعض بشدة بياضه ولذا وصفه بالانارة فان فهمت فهو نور على نور وفى بعض الشروح انه شبه الايمان بفرس ينجى صاحبه من المهالك والاغر محمود فى جنسه ففيه استعارة مكنية واثبات الغرة تخييل أو شبه كتابه هذا بلمعة منيرة فى غرة فرس على نهج الاستعارة المصرحة وكنى بغرة الايمان عن الكتب المؤلفة فى شانه صلى الله تعالى عليه وسلم وكنى باللمعة عن كتابه وان له من بينها شانا لجمعه ما تفرق فيها أو فاعل تلوح لمعة لا ضمير الكتاب كما توهم أو الغرة مطلق البياض والايمان التصديق بما جاء به النبى صلى الله تعالى عليه وسلم واضافته من اضافة الصفة لموصوفها أى فى الدين النقى يلوح لمعة منيرة واللمعة كتابه فكانه زاد بياض الدين ونوره وتنكير لمعة للتعظيم أو للتقليل بالنسبة لشرف مقامه والاول أولى ولا يلزم من كون كتابه منيرا سلب النور عن غيره من الكتب حتى يكون ذماله غايته ان له زيادة عليها واعترض على المصنف رحمه الله تعالى بجعله لمعة فى الغرة بانها لا تظهر فيها فكان عليه ان يقول يلوح فى جبهة الايمان غرة وبما قررناه علم ان هذا بمراحل عن المرام وله غنى عن الرد ولك ان تقول اللمعة هنا جزء من الغرة لا أمر زائد عليها والمعنى ان الايمان كالغرة المميزة لصاحبها لان هذه الامة غر محجلون و يعنى ان هذا الكتاب شعبة من شعبه

(وبتمامها) أى باتمام فصول هذا الباب الثالث من القسم الرابع (ينتجز الكتاب) أى ينقضى وينتهى (وتتم) أى وتكمل (الاقسام) أى الاربعة (والابواب) أى الثلاثة عشر جميعها وهو كالتفسير لما قبله (وتلوح) أى تضىء وتظهر به (فى غرة الايمان) أى بياض جبهته ومقدمة طلعته (لمعة) بالضم أى قطعة (منيرة) أى منورة لمن اطلع عليها وقد يقال الغرة استعيرت للشرف والشهرة

وهذا أحسن وأوضح مما قالوه وقوله (وفي تاج التراجم درة خطيرة) أي عبارته الدالة عليه لاستلزامها لاظهار الايمان والاقرار به بمنزلة تاج على رأس عظيم لدلالتها على رفعة قدره وما يدل منها على هذه المعاني كدرر مكللة بها التاج ومناسبة الغرة للتاج والدرة ظاهرة فهو على هذا خبر مبتدأ فتدبر عبارته أو هي درة على الاستخدام لان ما تقدم معان وهذه ألفاظ وكونها زينة ظاهر وفيه استعارة مكنية لتشبيه العارف بها بذي سلطان واثبات له ما هو من لوازمه والتراجم جمع ترجمة بمعنى العبارة في كلامهم كثير كقوله في ادب الكاتب ترجمة تروق بلا معنى وقدم انه معرب وفي شرح ادب الكاتب انه عربي وهي تفعلة من الرجم يقال رجمت اذا ظننت قال الله تعالى رجما بالغيب قال

ماكان من غيب ورجم ظنون * فكان الترجمان الذي يصيب

بظنه معنى كلام المتكلم بلسانين ويقال ترجمان وترجمان وفي النهاية تراجم جمع ترجمان بفتح التاء وضمها وهو المترجم وفيه نظر وخطيرة بخاء معجمة وطاء وراء مهملتين بمعنى ذات قدر عظيم وقيل التراجم ما ألف في معناه كدلائل النبوة لترجمتها عن نعوت النبوة وجوز بعضهم ان يراد بالتراجم العلماء بناء على انه جمع ترجمان وهو بعيد جدا ولما ذكر ان كتابه من الانوار الربانية أردفه بجعله من بين نظائره كدرة باعها اما على انه شبه التراجم أي الكتب بالملوك للانقياد لها والعمل بما يقتضيه أو تشبه كتب السير بتاجها الذي به محزها وكتابه بدرة نفيسة تشبيها بليغا أو استعارة تمثيلية أو مكنية تخييلة مرشحة وتاج التراجم كلجين الماء وفيه اشارة الى ان كتب المتقدمين في غنى عنه وفي تاج معطوف على قوله في غرة فهو متعلق بيلوح (تزيح كل لبس) تزيح كتزيل وزنا ومعنى والضمير المستتر فيه راجع لما رجع له ضمير يلوح وهو جملة الاقسام والابواب ويجوز رجوعه للمعة وهو أولى من رجوعه لدرة لازالتها بضيائها ظلمة اللبس وان رجحوه لقربه وعدم العاطف ومثل هذه الجمل بعد النكرات المتبادر انها صفات وان جاز ان تكون استئنافية واما كونها حالا فبعيد واللبس في الاصل الخلط والاختلاط قال الله تعالى ولا تلبسوا الحق بالباطل فالمراد الاشتباه أو الشبه يعني ان كتابه يزيل الاشتباه في احواله صلى الله تعالى عليه وسلم أو في الدين في الجملة وقيل اللبس هنا بضم اللام الشبهة (وتوضح كل تخمين وحدس) لفظ حدس سقط من بعض النسخ ووقع في بعضها على انه قافية فهو فقرة مستقلة وفي المقتفي انه سقط من نسخة المصنف فتخمين قافية مع ما بعدها على نمط واحد وله وجه والتخمين والحدس متقاربان وهما الاعتقاد بمجرد الظن والتوهم وعند أهل الميزان الحدسيات أمور يحكم فيها العقل بما يلوح للنفس من الامارات الدالة عليه كالحكم بان القمر يستفيد الضوء من الشمس بواسطة تشكلات نوره بحسب قربه وبعده منها فالمراد هنا ان كتابه هذا يوضح الامور المتوهمة بحيث يشرق عليها انوار اليقين فيضمحل التخمين ويطلق الحدس أيضا على سرعة الانتقال من المبادي للطالب والمراد الاول لانه حقيقة لغة (وتشفي صدور قوم مؤمنين) مناسبة هذا الكتاب وللمعنى المقصود في الآية ظاهر لان المراد انه يشفيهم من مرض الجهل والشبه والغيظ حيث حكم بقتل العدو كما حكم هنا بقتل الساب الا انه وقع هنا في نسخة يشف بدون ياء في آخره لانه مجزوم في النظم الكريم وفي نسخة بياء في آخره لانه مستأنف مرفوع في كلام المصنف رحمه الله اذ لم يتقدمه ما يقتضي الجزم قالوا وهو مصحح هكذا في نسخ المشايخ كمغلطاي والنسخة الاولى لا وجه لها هنا الا قصد حكاية لفظ التلاوة والاقتباس وأورد عليه انه جعله من كلامه ولا موجب للحذف فيه وكيف تقصد التلاوة والضمير في الآية لله لا للدرة واللمعة حتى يرد عليه انه ينبغي ان تكون العبارة تشفي بالتاء الفوقية لان فاعله ضمير المؤنث ويعتذر عنه بانه عائد عليها باعتبار كونها كناية عن الكتاب كما قيل فانه تكلف انت في غنى عنه بما سمعته آنفا وأول الآية

(وفي تاج التراجم) بكسر الجيم أي ويلوح في تاج تراجم الايقان (درة خطيرة) أي ذات خطر وقدر ويعني بها جوهرة نفيسة أو لؤلؤة ليس لها قيمة لمن وقع بيده عليها ثم كل من لمعة ودرة مرفوعة على الفاعلية لان لاح فعل لازم ففي القاموس ألاح بدا والبرق أومض كلاح وجعل التلمساني ضمير يلوح الى الكتاب المتقدم ذكره وانتصابهما على الحال (تزيح) استئناف مبين أو جملة حالية من الازاحة أي تزيل اللمعة وفي معناها الدرة (كل لبس) بفتح فسكون أي اشكال وخلط وشبهة وخبط (وتوضح) أي تكشف وتظهر (كل تخمين) أي قول من غير تحقيق (وحدس) أي صادر عن ظن ووهم وهو قد سقط من أصل المؤلف على ما قاله بعضهم لكن لابد من ذكره لتمام السجع وهما بمعنى واحد (وتشفي صدور قوم مؤمنين) عطف على تلوح وفي نسخة بحذف الياء ولعله قصد التلاوة لكنه مع ما بعده بصيغة التانيث في نسخة صحيحة

قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين وهو مجزوم فيها في جواب امر غير مذكور ولا يقدر في كلام المصنف رحمه الله تعالى ولا يخفى ان الحكاية مسوغة لما ذكر والمقتبس قد يبقى بلفظه وقد يتغير كما في قول ابن الرومي

فقد أنزلت حاجاتي * بواد غير ذي زرع

فان المراد به في القرآن واد لا نبات فيه وفي الشعر رجل لا خير فيه كما ان المراد في النظم بالقوم بنو خزاعة وهنا مطلق المؤمنين والمراد انه يشفي صدورهم بما يقفون عليه من صفاته صلى الله تعالى عليه وسلم لايمانهم حتى يقال ان المؤمنين قلوبهم مشفية ويجاب بان الايمان يقبل الزيادة وزيادة الشفاء شفاء فانه كلام ناش من سوء الفهم وقد اختلفوا في جواز الاقتباس فاجازه بعضهم مطلقا ومنعه آخرون مطلقا وفصل بعضهم فقال الحق جوازه ولو مع تغيير لفظه اذا لم يقصد التلاوة ولم ينقل الى معنى سخيف من هزل ونحوه فان فيه تلاعبا بالقرآن لا يجوز ولذا نقل عن الامام مالك رحمه الله انه لا يجوز التفاؤل من المصحف وما وقع في فتاوى الصوفية من ان عليا كرم الله وجهه فعله لا أصل له اه وفي كتب فقه الشافعية جواز ذلك مع الكراهة (وتصدع بالحق) أي تجهر بما يدل على الحق وهو الامر الثابت في حقه صلى الله تعالى عليه وسلم وقال ابن عرفة رحمه الله تعالى في قوله فاصدع بما تؤمر أي فرق بين الحق والباطل يقال تصدع القوم اذا تفرقوا أي يظهر به أو يحكم أو يفصل ويأتي الكلام على هذه الآية عند ذكر المصنف لها وما قيل انه يحتمل ينشق بالحق أي يظهره من خلال تراكيبه تعسف لا داعي له وقيل المراد بالحق هنا القرآن لما فيه في كثير من آياته وقد جاء الحق مرادا به القرآن في الآيات وهو تكلف أيضا وهو في الاصل استعارة من صدع الاناء اذا شقه وقيل المراد ينشق القلوب بما فيه من الادلة القاطعة والبراهين الساطعة (ويعرض) بضم أوله وكسر ثالثه رباعي أي يصد (عن الجاهلين) بحقوق الله ورسوله والغافلين عن علي قدره واعراض الكتاب عنهم استعارة لعدم التفاته لاقوالهم ذكر وردا كمنكر الحشر ونحوه فلا يعبأ بهم فانه انما صنف كتابه للمؤمنين أو المراد عدم انتفاعهم به فانهم كتبت عليهم الشقاوة والسامع للحق اما مؤمن يستشفي به صدره ويزداد ايقانا أو كافر له عقل سليم يرتجي قبوله الحق أو ذو غباوة مفرطة أو معاند فاشار الى الاول بقوله تشفي والى الثاني بقوله تصدع والى غيره بقوله تعرض الخ وهذا لا يلاحظه المصنف في كلامه لان كتابه انما صنفه للمؤمنين كما صرح به وقد يراد في بعض الاقسام من يضاهيهم في بعض الصفات (وبالله سبحانه لا اله سواه استعين) في النسخ هنا اختلاف ففي بعضها بدل سبحانه وتعالى وفي بعضها اسقاطهما وفي بعضها لا اله الا الله الحق المبين وليس فيه اختلاف معنى والتسبيح التنزيه عما لا يليق وسبحان مصدر سبح والكلام عليه ليس هذا محله وطلب المعونة من الله على ما قصده من التاليف والانتفاع به وسبحه لان السائل ينبغي ان يقدم الحمد والتعظيم قبل الطلب كما وقع في الفاتحة فنزهه أن يخيب قاصده ولذا قال لا اله سواه أي لا معبود ولا مقصود في المهمات سواه والجملتان معترضتان بين استعين ومعموله المقدم للاهتمام وافادة الحصر لان الاستعانة الحقيقية لا تكون الا من الله وغيره وسائط ولذا استشكل حصر الاستعانة في اياك نستعين مع الاستعانة باسمه في باء بسم الله على أحد الوجوه * وأجيب بان طلب المعونة لا يكون الا من الله واما معونة الشفاعة والتوسل فيكون من غيره كانبيائه ورسله كما ذكره شراح الكشاف والمعونة اما ضرورية يتوقف عليها الفعل كالآلة أو مسهلة كالراحلة للقادر على المشي كما فصله القاضي في تفسير واياك نستعين قيل وعلى نسخة بالله لا سواه اشكال لان التقديم يفيد الحصر والعطف بلا يفيده أيضا ولذا منع أهل المعاني العطف به بعد الحصر كما في عبارة المصنف وقالوا انه غير صحيح عندهم ثم أجاب بان الذي منعوه بعدما

(وتصدع بالحق) أى تجهر به وتظهره (وتعرض عن الجاهلين) أى تتركهم ايماء الى قوله سبحانه وتعالى فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين (وبالله تعالى لا اله) أى توكلنا اذ لا معبود بحق موجود (سواه) أى غيره والجملة معترضة حالية (استعين) أى أطلب المعونة به لا بغيره من المخلوقين بقوله تعالى اياك نستعين أى نخصك بالاستعانة لان غيرك عاجز عن الاعانة وفى نسخة وبالله لا سواه استعين لا اله الا هو الملك الحق المبين

والا فلا يقال ماقام الا زيد لا عمرو واما بعد حصر التقديم ونحوه فلم يقف عليه فيجوز ان يفرق بينهما مع افادته الحصر وقصده غير متعين الى آخر ماقرره فاطال فيه * أقول هذا عجيب منه فان هذه المسئلة ذكرها عبد القاهر والسكاكى ووقع فى كلام الزمخشرى فى مواضع مايخالفه كقوله تعالى فى سورة آل عمران ماهى الاشهوات لاغير وذكر شراحه كلهم ان هذا لم يقم عليه دليل عند العلامة والخلاف انما هو بعد ما والا والنفى الصريح لافى غيره فالسؤال والجواب ساقط وقد تكلمنا عليه فى السوانح ثم انه شرع فى المقصود فقال

(القسم الاول فى تعظيم العلى الاعلى)

أسماء الكتب وألفاظ التراجم فيها احتمالات مشهورة أقرب بها ان المراد بها الالفاظ والمعروف انها ظروف وقوالب للمعانى فاذا عكس كما هنا فهو بتقدير مضاف أى فى بيان تعظيم الخ والبيان يكون بهذا اللفظ وغيره فهو من ظرفية الخاص فى العام لدخوله فيه وشموله له فشبه احد الشمولين بالآخر على المشهور المعنى لما يخيل أولا وأتى له بلفظ تقديره كان كالظروف المقصود الذى يؤتى له بظرف مناسب أو هو كاللباس كما فصلوه وقيل فى بمعنى اللام والمراد بكونه فيه انه مقصود منه فلا ينافى ذكر غيره بطريق التبعية والعلى هو العالى شانه فى نفسه والاعلى عما عداه فالاول بالنظر لذاته فلذا قدم والثانى بالنظر لغيره وليس للتفضيل على معنى انه لا يشاركه ولا يدانيه شئ ولذا عدى بعن فقال الله تعالى (عما يقول الظالمون) لبعده عن مخلوقاته ولذا قال الله تعالى سبح اسم ربك الاعلى * فان قلت لما نزلت هذه الآية قال اجعلوها فى سجودكم ولما نزل (فسبح باسم ربك العظيم) قال اجعلوها فى ركوعكم فما وجهه * قلت هو الهام والهام الانبياء عليهم الصلاة والسلام وحى وقد فهمه من الموحى به لان تنزيه الخالق المنعم عن مشاركة مخلوقاته فى علوه وتعظيمه يكون قولا واعتقادا وفعلا ومشاركة القول للاعتقاد والفعل بالتلبس بما يدل عليه واظهره وضع أشرف اعضائه فى تراب الذل الذى ينبت العز وكل مكان ينبت العز طيب فلذا كان العبد أقرب مايكون من ربه وهو ساجد وكان دعاؤه مستجابا ولما كثر تعظيم العظماء بالانحناء قائما امر بان يقول سبحان ربى العظيم فى الركوع ومن هنا يفهم وجه ذكر الاسم والرب وفى تعبير المصنف رحمه الله من البلاغة ماعرفته فان تعظيم العظيم اعظم والعلو فى المكان فعله علا يعلو كدعا يدعو وفى الرتبة على كرضى يرضى (لقدر النبى المصطفى) صلى الله تعالى عليه وسلم وتقدم معناه (قولا وفعلا) وفى نسخة لقدر المصطفى وهو متعلق معنى بتعظيم واللام للتقوية وفى تعظيم قدره أى رتبته تعظيم أبلغ من تعظيم ذاته والمراد بالقول ماورد فى القرآن والكتب السماوية والاحاديث القدسية وبالفعل ماخصه به من التاييد ورفع ذكره ودينه ونسخ شريعته لما عداها واكرامه صلى الله تعالى عليه وسلم بالمعجزات وغيرها ولا وجه لتخصيص الاول بالقرآن والثانى بالمعجزات الا ان يكون قد اقتصر على أعظم ما أعظم به فليس بسهو كما قيل (قال القاضى الامام أبو الفضل وفقه الله تعالى وسدده) هو عياض ابن موسى السبتى بفتح السين نسبة لسبتة بلدة بالمغرب لانه كان بها قاضيا كما مر ولذا اشتهر بالقاضى اليحصبى بالحركات الثلاث فى الصاد كما مر وهى قبيلة من العرب وقد قدمنا ترجمته وقد أفردها بعض أهل العصر بجزء سماه * زهر الرياض * فى محاسن عياض * وماوقع فى النسخ من قوله الامام من تلامذته النساخ لانه لايمدح نفسه كما تقدم (لاخفاء على من مارس شيأ من العلم) أى ليس شئ من الخفاء والاستتار عند من له علم ومارس بمعنى عالج ولازم من الممارسة وهى وضع الحبل فى البكرة للسقى ويقال مرس الشئ اذا عركه كما فى افعال ابن القوطية ثم شاع فى كل ملابسة

(فصل)
(فى تعظيم العلى الاعلى) أى رفعة ورتبة (لقدر النبى المصطفى) وفى نسخة بحذف النبى ووجوده أولى كما لا يخفى (قولا) ورد به القرآن الكريم والفرقان القديم (وفعلا) من معجزات باهرة وآيات ظاهرة ونصبهما بنزع الخافض (قال الفقيه) على مافى نسخة (القاضى الامام) على مافى أخرى (أبو الفضل رحمه الله تعالى) ففيه اشعار بانه ملحق من كلام غيره وفى نسخة صحيحة وفقه الله وسدده ففيه تصريح بانه من كلام نفسه لكن لا يلائمه حينئذ وصف الامام (لاخفاء) بفتح الخاء أى لا يخفى (على من مارس) أى لازم ودارس (شيئا) أى قليلا (من العلم

مع المزاولة والملازمة وشيأ المراد به شئ قليل أوشئ يعتد به والاول أبلغ والثانى أنسب بالممارسة ونفس الامر والمراد بالعلم المعلومات أو الاصول والقواعد مطلقا أو الشرعى منها وليس المراد به الملكة ولا الصورة الذهنية والشئ ما يصح ان يعلم ويخبر عنه والوجود فى الخارج ويصح ابقاؤه على عمومه كما يقال فلان ليس بشئ أى ليس مما يصدق عليه لفظ شئ ولا مانع منه كما قيل (أوخص بادنى لمحة من فهم) خص بضم الخاء على صيغة المجهول الماضى بمعناه الاصلى من التخصيص وقيل انه بمعنى فضل أى صار ذا فضل ان لم يكن التخصيص اضافيا والمقام يأواه لان المراد ان الله تعالى خصه بشئ قليل من الفهم دون ان يعطيه شدة فهم وذكاء فان ماذكر اذا لم يخف على مثله لم يخف على أحد غيره واو على أصلها لاحد الشيئين أى لا يخفى على مثل هذين ولا حاجة الى جعلها بمعنى الواو والفهم تصور المعنى من اللفظ أو سرعة الانتقال ويجوز أن يكون أو بمعنى بل كما فى قول جرير

كانوا ثمانين أوزادوا ثمانية * لولا رجاؤك قد قتلت أولادى

فهى للترقى ممن عنده علم الى من له أدنى فهم وأدنى يكون بمعنى أصغر مقابل الاكبر وبمعنى أقل مقابل الاكثر وبمعنى أخس وأرذل مقابل أشرف كما فى قوله تعالى (تستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير) والكل من مادة دنى وقيل الاخيرة مقلوب أدون من الدون وهو الردى أى أردأ ولمحة بفتح اللام من اللمح وهو كما فى القاموس اختلاس النظر وسرعته فلذا كنى بها عن القلة كقوله تعالى (وما أمر الساعة الا كلمح البصر) وقال التلمسانى اللمحة بالضم قليل النظر وبالفتح المرة قيل فان صح الضم هنا فالمراد بالادنى الاقل وبالفهم قليله وهذا بطريق الكمية والاول بطريق الكيفية ومن فى قوله من فهم ان كانت بيانية فهو استعارة بجعل ما للبصر للبصيرة ويؤيده انه وقع فى نسخة بادنى لحظة واللحظ النظر بمؤخر العين وان كانت ابتدائية أى لمحة ناشئة من فهم فهو ويجوز فيه أن يكون باقيا على حقيقته وفى نسخة من الفهم معرفا (بتعظيم الله قدر نبينا) أى مرتبته وشرفه صلى الله تعالى عليه وسلم والباء قيل انها للملابسة وقيل بمعنى فى وقيل بمعنى من أى من جهته وقيل انها سببية وهل هو مستقر ولغو فى متعلقه احتمالات ووجوه أشار اليها الشراح وعلى كل حال لم يأتوا بما يثلج الصدر والظاهر ان مراد المصنف رحمه الله تعالى انه لا خفاء فى تعظيمه صلى الله تعالى عليه وسلم عند من له أدنى بصيرة وحينئذ فخفاء اسم لا وقوله على آخره متعلق به لانه يتعدى بعلى يقال خفى عليه كذا فهو وحينئذ منون لشبهه بالمضاف بتعلق الجار ويجوز بناؤه على الفتح على لغة حكاها نحاة بغداد وقد روى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم (لا مانع لما أعطيت) بلا تنوين فقال المحقق الحفيد رحمه الله تعالى جمهور النحاة على وجوب التنوين فى مثله بجعل الظرف معمولا له فيكون شبيها بالمضاف وأما جعله معمولا لمقدر على انه خبر لا فلا يناسب المعنى اذ المقصود كونه للاسم لا للخبر كما لا يخفى لكن بعض النحاة جوز ترك التنوين وكذا جوزه الزمخشرى وتبعه القاضى فى قوله لا تثريب عليكم اليوم الا انه منعه فى قوله لا غالب لكم اليوم فكأنه مال الى المذهبين فى الموضعين انتهى فان قلنا على متعلقة بخفاء على الوجهين فقوله بتعظيم الى آخره خبر لا والباء بمعنى فى أو للملابسة أو بمعنى من والظرف مستقر فان قلنا انه لغو فالباء متعلقة بعلم أو بفهم لان العلم قد يتعدى بالباء وقدر بالنصب متعلق بتعظيم (وخصوصه اياه) أى تخصيصه نبيه الكريم صلى الله تعالى عليه وسلم من بين سائر الناس فالخصوص بمعنى التخصيص لا بمعنى التفضيل كما توهم فانه عدول عن الظاهر بغير داع وهو مصدر مضاف للفاعل وهو ضمير الله والضمير المنفصل للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهو مفعوله (بفضائل

أوخص) بصيغة المجهول أى خصه الله تعالى من بين العوام (بادنى لمحة) بفتح اللام وهى النظرة الخفية ويروى لحظة واما قول التلمسانى هى بضم أوله أى شئ قليل من النظر وأصله من لمح البصر وهو نظر لا تردد فيه واللمحة بالفتح المرة وهو والاولى هنا لانه اذا كان يفهم ذلك مرة فيظهر فذو المراد أولى وأشهر فهو كلام غير محرر اذ ضم اللام غير مشهور فتدبر (من فهم) ويروى من الفهم وهو أظهر (بتعظيم الله تعالى قدر نبينا عليه الصلاة والسلام) الباء ظرفية متعلقة بخفاء وقدر منصوب على المفعولية (وخصوصه اياه) أى وتخصيص الله تعالى نبينا (بفضائل) أى بزوائد من الكرامات

ومحاسن ومناقب) كلها مجرورة بالفتح لمنع الصرف والجار والمجرور متعلق بخصوص والمراد ما أعطاه الله له من الكمال النفسي والبدني خلقا وخلقا وصورة وسيرة من الامور الدينية والدنيوية التي لا يدانيه فيها أحد وهذه عبارات متقاربة معنى متغايرة مفهوما وقد تفسر بمعان متغايرة متباينة فيقال المراد بالفضائل ما تفرد به من العلم والعمل وبالمحاسن ما يتعلق بذاته الكريمة وبالمناقب ما يفتخر به من عموم رسالته صلى الله تعالى عليه وسلم وسيادته وشفاعته في المحشر كما هو مقتضى العطف وأصل الفضائل جمع فضيلة وقد يخص بما لا يتوقف تحققه على تعدى أثره ويقابله الفواضل كما مر والمحاسن الحسن في الصورة جمع حسن على خلاف القياس أو جمع محسن وهو الموضع الحسن من البدن كما في القاموس والمناقب ما يفتخر به كما مر وضده المثالب وحاول بعضهم اثبات تغايرها بما لا تساعده اللغة عليه ويأتي في الحديث (انا سيد ولد آدم ولا فخر) أي انا لا أفتخر به كعادة الناس وان كان لا فخر أعظم من فخره وقوله ولا فخر احتراس وتكميل وهو يكون في الاول والآخر والوسط خلافا لمن خصه بالاخيرين فالاول كقوله

ألا يا اسلمي يا دارمي على البلا ✽ ولا زال منهلا بجرعائك القطر

والآخر كالحديث والوسطى كقوله

فسقى ديارك غير مفسدها ✽ صوب الحياء وديمة تهمى

فان الدعاء بالسلامة أولا احتراس ولا ينافيه قوله لا زال كما صرح به بعض الادباء وان غفل عنه من فضل بيت طرفة عليه (لا تنضبط بزمام) فتضبط بالتاء الفوقية ويجوز بالتحتية على ان الضمير للفضائل وما معها أو للمذكور وأصل الضبط الحفظ بالامساك بيد ونحوها واما كونه بمعنى الاحصاء والحصر ومنه الضابط للقضية الكلية وقيل بينهما فرق عرفي فلم يرد في اللغة وانما استعمله المصنفون والمولدون كان الكلي يجمع افراده حافظ لها وممسك وللتجوز وجه أي ما ذكر لا يمكن احصاؤه وتفصيله وبزمام روى بالباء واللام كما قال التلمساني والاول أظهر والثاني أشهر فان باء السببية ولام التعليل متقاربان معنى والزمام بكسر الزاي المعجمة ما يزم به أي يشد البغل والناقة ولا تختص بالثاني كما في القاموس وفي كلامه هنا استعارة تصريحية أو تمثيلية فالقول بانه لا استعارة فيه وان فسر بمطلق الشد لا وجه له وانما هو كما قيل في المثل كثرة الشد ترخي فافهم وأما جعله استعارة مكنية بتشبيه الفضائل بناقة قوية تغلب صاحبها فركيك جدا (وتنويه من عظيم قدره) يقال نوهت اسمه اذا رفعت ذكره وأشعت تعظيمه قال الله تعالى ورفعنا لك ذكرك وفي حديث عمر رضي الله تعالى عنه انا أول من نوه بالعرب أي رفع ذكرهم بالديوان والاعطاء وهو مجرور بالعطف على التعظيم أو الخصوص وعظيم قدره بمعنى قدره العظيم وفي نسخة لعظيم قدره باللام والمشهور من المبينة لمقدر يفسره قوله (بما تكل عنه الالسنة والاقلام) أوله بناء على جواز تقديم البيان على المبين كما ذهب اليه بعض النحاة فلا وجه لرده بمنع تقديم ما في حيز الصلة عليها لانه على هذا متعلق بمقدر أو حال من الموصول وقيل من بمعنى اللام أو زائدة وبما متعلق بتنويه وما عبارة عن أمور أو وجوه وتكل بمعنى اعيي وتعجز الالسنة والاقلام عن احصائها أو على تشبيه الالسنة والاقلام بالناس أو هو من كل السكين بمعنى عدم قطعها فهو أيضا استعارة مصرحة أو مكنية وبين الالسنة والاقلام مناسبة تامة فانهم قالوا القلم أحد اللسانين فيشبه أحدهما بالآخر وينسب له كما قيل

وألسنة الاقلام تشكر دائما ✽ صنيع الذي أوليت في اليد والفم

(ومحاسن) أي ومستحسنات من الاخلاق المكرمات (ومناقب) أي وبنعوت وصفات كثيرات من الكمالات العلمية والعملية التي أسناها معرفة الله سبحانه وتعالى من حيث الذات والصفات (لا تنضبط) أي لا تجتمع لكثرتها ولا تنحصر ولا تدخل تحت ضبط (لزمام) بكسر الزاي قال التلمساني روى بالباء واللام انتهى لكنه في النسخ المصححة باللام فقط أي لضابط يريد ضبطها ويقصد ربطها ويجتهد في احصائها ويتوهم امكان استقصائها وهو مستعار من زمام الناقة وهو ما يجعل في حلقه مسكوكة في أنفها لحصول انقيادها (وتنويه) أي ورفع ذكره ومن تبعيضية وأبعد الدلجي في قوله من زائدة (من عظيم قدره) أي من قدره العظيم وفي نسخة صحيحة من عظم قدره وفي أخرى بعظيم قدره (بما تكل) بفتح فكسر فتشديد أي بما تعجز وتعيى (عنه الالسنة) أي ألسنة الانسان في البيان (والاقلام) أي وتبيان البنان

(فمنها) أى مما عرعنه بما من الفضائل (ماصرح به فى كتابه) الضمائر لله أى نص عليه وأظهره وقال المرزوقى رحمه الله تعالى فى قوله * فلما صرح الشرأمسى وهوعريان * فقال صرح الشر بالنصب اذا أظهره وصرح هو اذا انكشف ومثله بين الشر و بين هو فيكون لازما متعديا بالباء ومتعديا بنفسه (ونبه به) أى بما ذكر فى كتابه وأصله معنى ايقاظ النائم وتذكير الغافل ويراد به مطلق الذكر كما هنا والمصنفون يخصون بذكر أمر تبين أوسبق ذكره ومنه تنبيه فى التراجم وقال التلمسانى أصل التنبيه أن يكون فى شئ وقعت فيه الغفلة عنه من قول أوفعل فلا اشكال ولا التباس (عن جليل نصابه) فى المصباح كغيره من كتب اللغة النصاب والمنصب كمسجد العلو والرفعة وله منصب صدق أى منبت ومحتد وامرأة ذات منصب أى حسب وجمال لانه رفعة لها انتهى فأصل معنى النصاب والمنصب العلو والشرف حسبا ونسبا من الانتصاب وهو القيام أى ان الله جل وعلا بذكره له صلى الله تعالى عليه وسلم فى كتابه المنزل نبه على جليل رفعته وشرفه وهذا هو أصل معناه فى استعمال العرب فما قيل انه لم يظهر له معنى هنا الا أن يكون مأخوذا من نصاب الزكاة مجازا عن مقامه الذى ساد فيه الخلق كلهم كلام ناش من عدم فهم كلام العرب وعدم معرفة اللغة وقد سبق الكلام فيه فتذكره ويأتى أيضا الكلام عليه (وأثنى به عليه من اخلاقه وآدابه) بيان لما أى مامدحه الله به مما ذكر والثناء ممدود بتقديم المثلثة قال الجواليقى هو تكرير الحمد ولا يكون فى الذم وهو فعال من ثنيت تقول ثنيت وأثنيت عليه ثناء حسنا والثناء الاسم وربما استعمل فى الشر قال زهير

سيأتى آل حصن حيث كانوا * من الكلمات مافيه ثناء

ولقائل أن يقول انما سمى الذم ثناء على سبيل التهكم والنثا بتقديم النون والقصر فى الخير والشر والفعل منه نثا ينثو ويأتى فى صفة مجلس النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لاتنثى فلتاته فلا يلتفت الى من قال انه لايبنى منه فعل وقال بعض أهل اللغة الثناء يكون فى الخير والشر والنثا لايكون الا فى الذكر الجميل والقول الحق هو الاول انتهى فالصحيح ان الثناء مخصوص بالمدح والنثا عام فيه وفى مقابله وليس مخصوصا باللسان كما عرفت فثناء الله حقيقى ولا دخل للاصطلاح فيه كما توهم فهو واظهار الصفات الكمالية مطلقا والله تعالى لما مهد بساط الوجود ومد مائدة الجود فى ساحة الامكان كشف كمال صفاته وأظهر نعم مبدعاته والاخلاق جمع خلق بضمتين وبضم فسكون الطبع والسجية التى فطره الله عليها والآداب بالمد جمع أدب والادب فى اللغة كما قاله البطليوسى أدبان أدب نفس وأدب درس ويقال أدب خبرة وأدب عشرة كما قيل

يا سائلى عن أدب الخبرة * أحسن منه أدب العشرة

وقال الجواليقى فى شرح أدب الكاتب الادب الذى كانت العرب تعرفه هو مايحسن من الاخلاق وفعل المكارم كترك السفه وبذل المجهود وحسن اللقاء قال الغنوى

لم يمنع الناس منى ماأردت ولا * أعطيهم ماأرادوا حسن ذا أدبا

كانه ينكر على نفسه أن يعطيه الناس ولا يعطيهم واصطلح الناس بعد الاسلام بمدة طويلة على أن يسموا العالم بالنحو والشعر أديبا ويسموا هذه العلوم أدبا وهو من كلام المولدين واشتقاقه من الادب وهو العجب أو من الادب مصدر أدب القوم اذا دعاهم قال طرفة

نحن فى المشتاة ندعو الجفلا * لاترى الادب منا ينتقر

فكانه تعجب منه لحسنه أو من صاحبه لفضله اذ يدعو الناس الى المحامد والفضل وينهاهم عن القبائح والجهل والفعل منه أدبت فانا أديب انتهى فالادب هنا بمعناه اللغوى وهو اجتماع خصال الخير

(فمنها ماصرح به تعالى فى كتابه ونبه به على جليل نصابه) أى عظيم منصبه (وأثنى) أى وما أثنى (به عليه) أى فى كتابه (من أخلاقه) أى أحواله الباطنة (وآدابه) أى أفعاله الظاهرة كما أخبر به عنه صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله أدبنى ربى فاحسن تاديبى

والفقهاء

والفقهاء يطلقونه على مايقرب من السنن في العبادة وفي بعض الشروح الادب حسن التناول والاخذ (وحض العباد على التزامه) الحض بحاء مهملة وضاد معجمة والحث بمثلثة الطلب الشديد السريع والالتزام افتعال من اللزوم فهو بمعنى الالزام البليغ ويكون بمعنى المعانقة وهو مجاز عن اللزوم أيضا أو كناية متفرعة على المجاز وعلى كل حال فالمراد به عدم المفارقة لما كان عليه من الاخلاق والآداب كما قال الله تعالى لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة فانه صلى الله تعالى عليه وسلم كانت له طاعات ومحاسن فأمر الناس باتباعه فيها وأمرهم الله تعالى أيضا بذلك بقوله وما آتيكم الرسول فخذوه وفيه اشارة الى انها على قسمين قسم أمر باتباعه وقسم لم يؤمر به كالامور الجبلية والخصائص النبوية ولذا وصف الاسوة بحسنة وان كان كل ماهو عليه حسن قيل والمراد به ما كان فرضا ونفلا الا فان التزم ذلك فرضا فنحن نلتزم فعله وفريضيته وان التزمه نفلا فنحن نلتزمه ونلتزم كونه نفلا والحاصل انا نلتزم ما التزمه على الوجه الذي التزمه اذا لم يختص به كما يعلم من مقابله وهذا كلام حسن الا انه ينبو عنه قوله (وتقليد ايجابه) لمنافاة الايجاب للنفلية ولك ان تقول انما عنى المصنف ان ما أمرنا باتباعه فيه على قسمين مستحب أشار اليه بقوله حض العباد على التزامه فان الطلب يكون ايجابيا وغير ايجابي كما بين في الاصول وواجب أشار اليه بقوله تقليد ايجابه فليس هذا تأكيدا لما قبله كما قيل وحمل الفقرتين على الايجاب يخل بالآداب والتقليد وضع القلادة في الجيد استعير للالتزام استعارة تصريحية أصلية لا تبعية ويجوز جعله مجازا مرسلا والتقليد والايجاب مصدران مضافان للمفعول ويجوز في الثاني أن يكون مضافا للفاعل وماقيل من ان الثاني أخص من الاول والايجاب ليس بمعناه الحقيقي بل هو مبالغة في الاحتراز عن تركه أو مجازا عن الاتيان من أوجب اذا أتى بالوجبة والضميران لما صرح به أولا للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم أي ماحض به على التزام أمره تعسف لا ينبغي ان يصدر عن مثله (فكان جل جلاله) الجلال العظمة وفي جعل الجلال جليلا مبالغة في تعظيمه كما حققه الامام المرزوقي في جدجده وقال الاصمعي الجلال لا يوصف به غير الله لغة وقيل انه قد يوصف به غيره كقول الحماسي

ألمم على أرض تقادم عهدها * بالجزع واستلب الزمان جلالها

ويجوز أن يكون المعنى جلت عظمته عن ان يساويها عظمة غيره مما يسمى عظمة عند الناس فالاسناد حقيقي فان أريد جلت ذاته من جهة كبريائها فالاسناد مجازي كجد جده والتفريع على ماقبله على ماأعطاه الله لرسوله صلى الله تعالى عليه وسلم والثناء عليه وأعلا مقامه فانه يدل على انه (هو الذي تفضل وأولى) أي أنعم وأعطى أفضل رسله عطايا جزيلة جليلة بان خلقه أعظم الناس حسبا ونسبا وجعله أشرف الرسل وأكثرهم أمة وهذا ناظر لقوله تعظيم قدره وأولى بمعنى أعطى وفي النهاية أن العطاء من غير مكافاة فعلى الاول هو عطف تفسيري وعلى الثاني من عطف الخاص على العام (ثم طهر وزكى) الطهارة الحسية معلومة والمعنوية نظافة الظاهر والباطن من الاوصاف الذميمة والاخلاق الرديئة وزكى يكون بمعنى طهر وبمعنى نمى ويجوز ارادة كل منهما فالمعنى انه طهره وزاد طهارته وهذا ناظر لاخلاقه وآدابه صلى الله تعالى عليه وسلم والعطف للتراخي الزماني أو الرتبي لما بين التخلية والتحلية من البعد وليست هذه التحلية مؤخرة على ما فسرناه (ثم مدح بذلك وأثنى) على رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم في مواضع كثيرة من القرآن كقوله تعالى وانك لعلى خلق عظيم ونحوه مما يأتي وهذا ناظر لقوله وأثنى الخ والمدح الثناء بكل جميل اختياريا كان أولا ولذا اختاره وأما كونه للاشعار باختصاص الحمد بالله فبعيد جدا والكلام على الثناء قدمر وقيل المراد بالتفضل هنا التفضل علينا بهذا النبي الكريم والرسول العظيم الذي هو نعمة ورحمة والتطهير تطهيرنا من الشرك

(وحض) بتشديد المعجمة أي ورغب وحث (العباد على التزامه) أي حملهم على قبول تكليفه بوصف دوامه (وتقليد ايجابه) أي باطاعة جنابه فيما أوجبه في كتابه (فكان جل جلاله) أي عظمت عظمته وعز جماله (هو الذي تفضل) أي أعطاه من فضله (وأولى) أي أنعم عليه بما علم المولى بانه الاولى وهذا قبل ظهوره وجوده لما تعلق به من كرمه وجوده (ثم طهر وزكى) أي طهره بالتخلية وزينه بالتحلية في عالم دنياه بما ينفعه في عقباه من التحلية وأما قول الدلجي ثم طهره من عبادة الاصنام فلا يناسب لمقامه عليه السلام (ثم مدح) أي مدحه (بذلك وأثنى) أي عليه مع انه من آثار فعله وأنوار فضله فهو الحامد والمحمود كما انه هو الشاهد والمشهود في جميع ميادين الوجود فليس في الدار غيره موجود

والآثام والثناء علينا بكنتم خير أمة وغيره وهو لايناسب السياق والسباق (ثم أثاب عليه الجزاء الاوفى) اثاب بمعنى أعطى الثواب وهو الجزاء فامانه تجريدا وأثاب بمعنى أعطى أو الجزاء مفعول مطلق من غير لفظه كجلست قعودا فلا حاجة اليه مع الاوفى وهو يتعدى لمفعولين فالاول مقدر أى أثابه وعليه ضميره راجع لما تفضل عليه والوافى بمعنى التام والاوفى أفعل تفضيل منه (فله الفضل عودا وبدأ) أى أولاء آخرا والبدء الابتداء والعود الرجوع والابتداء يقابل بالانتهاء ويقابل بالعود أيضا وعنه المبدئ والمعيد والفضل الانعام والاحسان مطلقا أو من غير مقابل وهما منصوبان على الظرفية وقيل على نزع الخافض أى انه تعالى ابتدأ بانعامه على نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم بان خلقه على أتم خلقه وأكملها أتم زكاء وطهره ظاهرا وباطنا ثم عاد على احسانه فتممه وزاده الثناء الجميل والثواب الجزيل ولو لم يشبه لانه أوجده وأقدره تفضلا منه كان ذلك له وقيل المراد بالبدء الخلق والايجاد وبالعود الجزاء والمعاد كقوله تعالى انه هو يبدى ويعيد والسياق يأباه لتفرعه على ماقبله بالفاء الواقعة أحسن موقع فالمراد انه تفضل عليه بما أولاه من المحاسن والمناقب ونسب مافعله تكرماله ثم مدحه به وأثابه عليه أتم ثواب فكان بذلك متفضلا في البدء والعود (والحمد أولى وأخرى) أى هو مستحق للحمد في أول الامر وآخره أوفى الدنيا والآخرة لانه المتفضل دائما في الدارين وقيل تقديره أولى الحمد وأخراه لانه صيغة تفضيل وقد حقق أهل اللغة انه يكون اسما للتفضيل وظرفا بمعنى قبل فيجرى عليه أحكامه ووزنه على الاول افعل وعلى الثاني فوعل وهذا ينون فيقال أولا واذا كان اسم تفضيل تجرى عليه أحكامه ومؤنثه أولى ومؤنث الاول أولة وقد ثبت ذلك عن العرب كما ذكره المرزوقي في شرح الفصيح ومقابلهما أخرى وآخرة وقد تغلب عليهما الاسمية للدارين فيصيران بمنزلة اسمين جامدين يستعملان استعمالهما لان اسم التفضيل يلزم التذكير والافراد ان لم يضف أو يقترن بالالف واللام ولذا خطئ أبونواس في قوله

كان صغرى وكبرى من مواقعها * حصباء در على أرض من الذهب

وان أجابوا عنه كما فصلناه في شرح الدرة وأما كونه وصفا مجردا عن التفضيل ومثله يجوز فيه المطابقة وعدمها فورد بانه سماعى كما في التسهيل وغيره وبان معنى التفضيل مراد منه بلا شبهة لان الدنيا متقدمة والاخرى متأخرة فلا يصح أن يقال انهما تجردا عنه ولا يخفى ما فيه فانه سمع في القرآن والكلام مثله كاف في ثبوته مع انه يرد على مدعاه بالنقض لانه اذا كان التفضيل مرادا منه كيف يقال انه غلبت عليه الاسمية فهل هذا الا جمع بين الحادى والملاح * واعلم ان ماذكره المصنف معنى بليغ فانه ذكر انه تعالى ينعم بانواع ثم يمدح عبده ويثنى لقوله لنعمائه ويجزيه على ذلك أتم جزائه وهو أحسن من قول ابن طباطبا لممدوحه

لاتنكرن أهداءنا لك منطقا * منك استفدنا حسنه ونظامه

فالله عز وجل يشكر فعل من * يتلو عليه وحيه وكلامه

وله نظائر في معناه في كتب الادب وفي لئام الخلق عكسه فان منهم من اذا رأى من أنعم عليه متجملا قد يحسده ويؤذيه وهو أحد الوجوه في قول المتنبى

وأظلم أهل الارض من بات حاسدا * لمن بات في نعمائه يتقلب

(ومنها ما أبرزه) أى أظهره ظهورا تاما لان أصله جعله على براز بالفتح أى مكان مرتفع (للعيان) ما يشاهد بفتح العين ولا تفتح فيه العين لانه مصدر عاينه معاينة وعيانا كقتال وفي المثل كما سيأتى في كلام المصنف ليس الخبر كالعيان بل ورد في الحديث وروى كثيرون منهم أحمد وابن حبان (يرحم الله أخى

(ثم أثاب) أى جازاه (عليه الجزاء الاوفى) أى بالجزاء الاوفر والحظ الاكبر أو نصبه على المصدر من غير فعله (فله الفضل بدأ وعودا) أى فله الاحسان على وجه الزيادة في الابتداء والاعادة (والحمد لله أولى وأخرى) أى في الدنيا والعقبى وفي نسخة والحمد أولى وأخرى عطفا على الفضل أى وله الحمد كما في قوله تعالى وله الحمد في الاولى والآخرة فهذه النسخة أولى من الاولى كما لا يخفى ويجوز أن يكونا اسمى تفضيل أى وله أولى الحمد وأخراه والمراد استيعابه كقوله تعالى ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا وأما قول بعضهم ان اسم التفضيل لا يستعمل الا مضافا أو موصولا بمن أو معرفا باللام فمنقوض بقوله سبحانه ولعذاب الآخرة أخزى كانوا هم أظلم وأطغى اللهم الا ان يعتبر من المقدرة في حكم المذكورة (ومنها ما أبرزه) أى أظهره (للعيان) بكسر العين أى للمعاينة

موسى ليس العاين كالمخبر أخبره ربه تبارك وتعالى ان قومه فتنوا به فلم يلق الالواح فلما رآهم وعاينهم ألقى الالواح فتكسر منها ما انكسر) وروى للعيان ما أبرزه الله للعيان فاللام للتعدية أو للتعليل قيل والمراد به ما علم يقينا سواء كان مشاهدا أو منقولا نقلا صحيحا بحيث يتيقن ويصير كالمشاهد لانه عد منها تأييده بالمعجزات وليست كلها مشاهدة مع انه بالنسبة لمن بعد عصره غير مشاهد الا أنه بمنزلته لصحته لا لتواتره لأن أعاده فى جميعها التواتر غير مسلم ولك ان تقول انه تغليب لقوة المشاهد ولكثرته (من خلقه) بفتح الخاء وسكون اللام كما قيده الشمنى وفى المقتفى انه بضمها وهو بارز للعيان بالمعنى السابق والمعطوف هو التخصيص به فلا تكرار فما قيل انه غير سديد لانه ما أبرزه للعيان ولانه سيذكره غير سديد قيل والمناسب لقوله وتخصيصه وتأييده ان يكون الخلق بمعنى التخليق والايجاد وهو تأويل من غير حاجة وضمير خلقه لله أو للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم *واعلم ان هذا كله انما يحتاج اليه اذا جعل قوله وتخصيصه الآتى مجرورا معطوفا على خلقه اما لو رفع وعطف على ما أبرزه لم يحتج الى تكلف وعلى الاول كيف يعترض على من جعل الخلق بضم الخاء فتدبر (على أتم وجوه الكمال والجلال) الجار متعلق بخلقه سواء كان بمعنى تخليقه أم لا أو صفة مقدر أى خلقا كائنا على آخره أو حال من المضاف قيل والتقدير اذا قرئ بالضم المطبوع على أتم الوجود أو هو متعلق بمضاف مقدر أى ابراز خلقه أو هو حال والوجوه الانواع والمراد أتم الوجوه المتحققة فى زمن ما أو الوجوه الممكنة وهو أحسن اذ لم يوجد مخلوق يدانيه صلى الله تعالى عليه وسلم فضلا على أن يساويه ولا داعى لهذه التكلفات فانه غنى عن التأويل والمراد بالجلال مهابته فى عين رآيه (وتخصيصه بالمحاسن الجميلة) مر بيان المحاسن والجميلة من الجمال وهو الاتصاف بالصفات الحميدة ولذا ورد اطلاقه على الله كما فى حديث (ان الله جميل يحب الجمال) وفى عرف اللغة حسن الصورة المشاهد وهو بهذا المعنى لا يطلق على الله وهو مراد المصنف وفى الحواشى التلمسانية الجميلة والحميدة كلاهما نعت فالاول بمعنى فاعل لان الفعل منه جمل بضم الميم أى لازم والثانى بمعنى مفعول ولا بد من لحوق التاء فى آخر كل واحد منهما لانه صفة للجمع ولا يجوز ان يوصف الجمع بمفرد بخلاف ما اذا كان للواحد فانه لا يخلو اما أن يكون بمعنى فاعل كعليم بمعنى مفعول كجريح وفى المحصول للفخر التاء فى فعيلة للنقل من الوصفية الى الاسمية الصرفة فلا يقال شاة أكيلة ونطيحة يعنى لغلبة الاسمية وتقديره ان هذه التاء من فعيل بمعنى مفعول اذا كان تابعا للموصوف لم يلفظ بالتاء وقد ثبتت كخصلة حميدة وصفة حميدة فاذا حذف موصوفه جرى مجرى الاسماء فتثبت فيه التاء كهذه جريحة وأما اذا كان فعيل بمعنى فاعل فانه بالتاء فتحققه فانه مفيد أقوال فهم من كلامه ان الموصوف اذا كان جمعا تثبت تاؤه على كل حال ولم نر من ذكره غيره وبقية كلامه ظاهر (والاخلاق الحميدة) أى المحمودة وهى الصفات المعنوية التى هى للباطن كالصورة للظاهر وعليها مدار كمال البشرية والثواب والعقاب قيل وهو مبالغة أو مجاز والتخصيص فى الجملة لانه لم يرد عد الخصائص هنا فقط ولذا فسر التلمسانى التخصيص بالتعيين ولا مانع من حمله على ظاهره نظرا لكمالها أو مجموعها (والمذاهب مذهب الكريمة) المذاهب جمع وهو الطريق ويطلق على ما اختير من الافعال وغيرها كما يقال مذهب الفقهاء والمراد مسالكه صلى الله عليه وسلم فى أحواله مع أمته أو فى نفسه* وللناس فيما يعشقون مذاهب * وهو مأخوذ من الذهاب وهو الخروج الى المقاصد سواء وصل اليها أم لا ولذا اختلف فقهاؤنا فيه فقيل لا يشترط الوصول وقال نصير يشترط لقوله تعالى اذهبا الى فرعون فانه بمعنى ائتياه والكريمة بمعنى الحسنة النفيسة المطلوبة لاهل الكمال وقيل هى بمعنى العزيزة

(من خلقه) بفتح الخاء المعجمة خلافا لمن توهم وضبطه بالضم اذ المراد هنا شمائله الظاهرة ومن لبيان ما الموصولة (على أتم وجوه الكمال) أى أكمل أنواع وجوه كمال الجمال وهى صفات اللطف والاكرام (والجلال) وهى صفات القهر والانتقام أو المراد بالكمال النعوت الثبوتية وبالجلال الصفات السلبية وهى قولنا فى حقه ليس بجسم ولا جوهر ولا عرض ولا فى زمان ولا فى مكان وسائر الامور الحدوثية فحينئذ يقال معناه المنزه عن شوائب النقصان فى نظر أرباب الحال وفى نسخة بكسر الخاء المعجمة بمعنى الخصال (وتخصيصه) أى ومن جعله مخصوصا (بالمحاسن الجميلة) أى الحسنة من الأفعال (والاخلاق الحميدة) أى المحمودة من الاحوال (والمواهب الكريمة) أى المرضية من الاقوال

المنزهة عن النقائص (والفضائل العديدة) أى المعدودة من المفاخر من قولهم فلان عديد بنى فلان اذا كان يعد فيهم ويعتد به أو المراد الكثيرة قال صاحب المحكم فى قوله تعالى سنين عددا جعله الزجاج مصدرا وقال المعنى تعد عددا ويجوز ان يكون نعتا لسنين والمعنى ذوات عدد والفائدة فى قوله عددا فى الاشياء المعدودة انك تريد توكيد كثرة الشئ لانه اذا قل فهم مقداره وعدده فلم يحتج الى ان يعد واذا كثر احتاج الى العد فالعدد فى قولك أقمت أياما عددا تريد به الكثرة انتهى فقول بعض الشراح هنا نقلا عن التلمسانى انه من العد بالكثر للماء الكثير تكلف نشأ من ان ذكر العدد يدل على القلة كما ذكره ابن هشام عن ابن عبد السلام فى هذه الآية من ان عددا بمعنى معدودة ذكر ليدل على القلة لان ما كثر فى الغالب لا يمكن عده ولا يمكن هذا هنا لانها ذكرت لتعظيم القصة فلعل ذكرها لمناسبة رؤس الآى انتهى (وتأييده بالمعجزات الباهرة) التأييد النصر والتقوية من الايد وهو القوة والمعجزات جمع معجزة اسم فاعل من الاعجاز افعال من العجز ضد القدرة والمراد اثبات العجز واظهاره ممن شانه التحدى وقيل العجز مجاز عن عدم القدرة كالجهل لعدم العلم وهما فى الاصل أمر وجودى أو متعلق به فيمن شانه القدرة فلا يقال عجز الحجر عن الحركة وهو أمر خارق للعادة مقرون بالتحدى أو بزمانه على وجه يدل على صدق مدعى النبوة لذى من شانه التحدى ولا يشترط فيه التحدى بالفعل والباهرة بمعنى العجيبة أو الظاهرة ظهورا لا يمكن ستره ومنه قمر باهر أى تام الاضاءة أو الغالبة لمن يهم بمعارضتها وبه فسر قوله

ثم قالوا تحبها قلت بهرا * عدد الرمل والحصى والتراب

(والبراهين الواضحة) جمع برهان وهو الدليل القوى الذى يحصل به اليقين وليس المراد به البرهان المنطقى ليا وانيا وان شمله والواضحة بمعنى الظاهرة (والكرامات البينة) جمع كرامة وهى أمر اكرم الله به من اصطفاه من عباده المتقين بدون تحد ودعوى نبوة فيكون للنبى والولى وأعم من المعجزة لاشتراط مقارنة النبوة والتحدى بالقوة أو بالفعل وبقولنا أكرم الخ خرج السحر وما يصدر من الكهنة والشياطين وجعل الوصف بها شاملا لما قبلها حتى البراهين تعسف ركيك (التى شاهدها من عاصره) أى كان فى عصره ومدة حياته والمشاهدة الرؤية بالعين من الشهود وهو الحضور عنده أو المراد علمها علما متيقنا فيدخل فيه نحو ابن أم مكتوم رضى الله تعالى عنه ويشمل ما سبق مما لا يدرك بالبصر (ورآها من أدركه) أصل معنى الادراك اللحوق يقال أدرك زمنه اذا لحقه ومنه أدرك الطعام والثمر أى لحق حال النضج وادراك الغلام بلوغ حال الرجولية فادراك البصر لشئ لحوقه برؤيته ثم شاع فى معنى العلم مطلقا وهذه الجملة مفسرة لما قبلها فليست حشوا زائدا كما توهم ويمكن الفرق بينهما بان يراد بالاولى من طالت صحبته له صلى الله تعالى عليه وسلم وشاهد حاله كله من الاولين والسابقين وبهذه من بعدهم على ان الاطناب فى مقام الخطابة مستحسن وفى نسخة عاصرها وادركها والاولى أولى (وعلمها علم يقين من جاء بعده) من التابعين فمن بعدهم لتواتر بعضها واشتهار بعض آخر منها ونحو ذلك مما ينفى الشبه وعلم اليقين كشجر الاراك فاضافته لامية أو بيانية على رأى ويلحق به ما كان بطريق الكشف (حتى انتهى علم حقيقة ذلك الينا) أصل معنى انتهى بلغ النهاية ولذا يكون كما فى قوله

* وكل شئ بلغ الحد انتهى *

والمراد انه بلغنا ووصل الينا الان من انتهى اليه شئ وصله وضمير الينا للمتاخرين ومن بعدهم الى الحشر وهذا لا يناسب ما مر من تفسير من أدركه بمتاخرى الصحابة ممن ولد

(والفضائل الغديدة) أى الكثيرة التى عدها من المحال وهو من العدو ومعناه الكثير لا من العدد فيتوهم انها حصرت واحصيت وروى السديدة أى الفضائل الواقعة على سنن السداد (وتاييده) أى ومن تقويته (بالمعجزات الباهرة) أى البارعة الفائقة الغالبة القاهرة (والبراهين الواضحة) أى وبالادلة الظاهرة (والكرامات البينة) أى الخوارق اللائحة وهى أعم من المعجزات فانها مقرونة بالتحدى مع عدم المعارضة مما يصدق الله تعالى بهما أنبياؤه فى دعوى النبوة وسميت معجزة للاعجاز عن الاتيان بمثلها وسميت آية لكونها علامة داله على تصديق الله تعالى لهم مع ان المقام مقام يذم فيه الايجاز ويمدح الاطناب سيما فى خطاب الاحباب (التى شاهدها) أى عاينها واغرب التلمسانى بقوله أى حضرها ففاعل بمعنى فعل أى شهدها (من عاصره) أى من أدرك عصره وزمانه وروى من عاصرها أى البراهين والكرامات (ورآه من أدركه) أى صادف أوانه يروى من أدركها (وعلماء علم اليقين) وفى نسخة علم يقين أى من غير شك وتخمين قال بعض العارفين علم اليقين ماكان بشرط البرهان وعينه بحكم البيان وحقه بنعت العيان فعلم اليقين لاصحاب العقول وعينه لاصحاب العلوم وحقه لاصحاب المعارف (من جاء بعده) أى من التابعين واتباعهم (حتى انتهى) أى الى ان وصل (علم حقيقة ذلك) أى بلغ حقيقة ماهنالك (الينا

بعد

وفاضت أنواره) أى ظهرت آثاره وكثرت أنواره ويروى أنوارها (صلى الله تعالى عليه وسلم تسليما كثيرا حدثنا) وفى بعض النسخ أخبرنا (القاضى الشهيد أبو على الحسين بن محمد الحافظ) رحمه الله تعالى وهو الاندلسى المعروف بابن سكرة بضم فتشديد ترجمته معروفة استشهد بثغر الاندلس سنة أربع عشرة وخمسمائة وكان من أهل العلم بالحديث (قراءة منى عليه) نصب قراءة على نزع الخافض أو على انه تمييز أو حال أى حدثنا بقراءة أو من جهة قراءة أو حال قراءة منى عليه لا بقراءته ولا بقراءة غيره وهذا على مذهب من لا يرى بين حدثنا واخبرنا وانبأنا فرقا كالبخارى ومن تبعه (قال حدثنا أبو الحسين المبارك بن عبد الجبار) أى ابن أحمد الحمامى بفتح مهملة وتخفيف وهو من أهل الخير والصلاح على ماذكره ابن ما كولا فى اكماله (وأبو الفضل أحمد بن خيرون) بفتح معجمة فسكون تحتية ممنوعا وقد يصرف ثقة عدل متقن له ترجمة فى الميزان توفى سنة ثمان وثمانين وأربعمائة قال الحلبى رأيت عن المزنى ان الاصل فى خيرون الصرف ولكن المحدثون لا يصرفونه لشبهه بالجمع المذكر السالم انتهى والاظهر انه بناء على اعتبار المزيدتين مطلقا عند بعضهم كالفارسي كما قالوا فى سيرين وغلبون

بعد الهجرة لان لفظ الادراك يشير اليه اشارة ما فتكون عبارته شاملة لجميع الامة تفصيلا والا فهذا داخل فيما قبله لانهم ممن جاء بعده (وفاضت أنواره علينا) أصل معنى الفيض فى الماء ونحوه من المائعات يقال فاض السيل اذا كثر وأفاض بالالف لغة وفاض الاناء فيضا امتلأ وافاضه صاحبه ملأه وفاض الخير كثر واستفاض الحديث انتشر واشتهر فهو مستفيض ولا يقال مستفاض وهو لحن عند الاصمعى وأثبته بعضهم فشبه الانوار وانتشارها بماء سائل متدفق والمراد بانواره ماظهر من بركته صلى الله تعالى عليه وسلم والضمير للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم أو للعلم لانه ورد اطلاق النور على كل منهما أو أراد بالنور الايمان وما يترتب عليه من العلوم الشرعية الموصلة لسعادة الدارين المنقذة من ظلمة الضلال وفى نسخة وفاضت حقيقته وأنوارها أى الحقيقة المحمدية وما لها من الكمال فى نفس الامر وضمير أنوارها للحقيقة أو للكرامات (صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا) أى دائما عقب ماذكر مما وصل للامة من خيره بالدعاء له صلى الله تعالى عليه وسلم ولآله الذين هم واسطة بيننا وبينه صلى الله تعالى عليه وسلم فيما وصل الينا ففيه شبه لف ونشر (حدثنا القاضى الشهيد أبو على الحسين بن محمد الحافظ قراءة منى عليه) قراءة منصوب بنزع الخافض أى بقراءة منى عليه أو مفعول مطلق أى وانا اقرأ قراءة منى عليه صفتان له وهذا الحديث أسنده المصنف رحمه الله تعالى من طريق الترمذى وهو حديث حسن أخرجه أحمد والبيهقى فى سننه والقاضى المذكور شيخ المصنف قرأ عليه بالاندلس وهو ابن فيرة بن حيون الصدفى السرقسطى الاندلسى المعروف بابن سكرة وهو من المشهورين بعلم الحديث وترجمته مفصلة فى اسماء الرجال وقال الشهيد لانه استشهد ببعض ثغور الاندلس فى وقعة قتندة وقعت فى سادس ربيع الاول سنة أربع عشرة وخمسمائة وله من العمر نحو من ستين سنة والحافظ وصف لكل من أكثر رواية الحديث واتقنها وقد انقطع هذا فى عصرنا وكان آخر الحفاظ السيوطى والسخاوى وبين بقوله قراءة الخ وجه الاخذ عنه فانه كما تقدم يكون بقراءة الشيخ وقراءة التلميذ عليه وقراءة غيره وهو يسمع والغالب الاول فاذا كان غيره احتاج للبيان حتى منع ابن الصلاح رحمه الله تعالى ان يقول من قرأ على الشيخ حدثنا مطلقا وان أجازه غيره كما فصلوه (قال حدثنا أبو الحسين المبارك بن عبد الجبار) ابن أحمد المعروف بالحمامى بفتح الحاء المهملة وتخفيف الميمين سمع من ابن شاذان وخلق كثير بعده وكان من أهل الخير والصلاح (وأبو الفضل أحمد بن خيرون) فى المقتنى هو الحافظ الناقد أبو الفضل أحمد بن الحسن بن أحمد بن خيرون البغدادى الباقلانى سمع من أبى على بن شاذان وأبى بكر البرقانى وروى عنه خلق كثير وروى عنه شيخه الخطيب أبو بكر وأبو على بن سكرة وأبو عامر العبدرى وترجمته مشهورة وهو عدل متقن توفى فى رجب سنة ثمان وثمانين وأربعمائة وله من العمر أربع وثمانون سنة وقد ذكره فى الميزان وصحح عليه وخيرون بفتح الخاء المعجمة تليها مثناة تحتية ساكنة وعن المزنى ان الاصل فى خيرون الصرف الا ان المحدثين لا يصرفونه لشبهه بجمع المذكر السالم انتهى يعنى ان هذه الصيغة لما لم تعهد فى الاعلام المفردة اشبه من الاسم الاعجمى وهو أحد الوجوه فى أمثاله من الاعلام التى على هذه الزنة كزيدون وعبدون كما فى شرح التسهيل فان فيه لغات فيعرف بالحروف اعراب الجمع حكاية لاصله و يعرب بالحركات مع لزوم الياء كغسلين أو الواو كهارون ويمتنع حينئذ من الصرف كما ذكرناه وقال أبو العلاء المعرى فى كتاب عبث الوليد ان بعض العرب يجعل ألف نحو الصلاة واوا فهذا منه ولذا منع

(قال) أى كلاهما (حدثنا أبو يعلى البغدادى) بالمعجمة فى الثانية وهو الاصح والا فيجوز بمهملتين ومعجمتين وباهمال احداهما واعجام الاخرى وهو أحمد بن عبد الواحد بن محمد بن جعفر يعرف بابن زوج الحرة (قال حدثنا أبو على السنجى) بكسر مهملة وسكون نون فجيم نسبه الى بلدة تسمى سنج مرو (حدثنا محمد بن أحمد بن محبوب) هو أبو العباس المحبوبى المروزى التاجر الامين راوى جامع الترمذى عنه مشهور (قال حدثنا أبو عيسى بن سورة) بفتح مهملة وسكون واو فراء (الحافظ) أى الترمذى وهو صاحب الجامع الضرير قيل ولد اكمه قال الذهبى ثقة مجمع عليه ولا التفات الى قول أبى محمد بن حزم انه مجهول فانه ما عرفه ولا أدرى بوجود الجامع ولا الى علل انتهى ولاشك ان تجهيل الترمذى يضر ابن حزم بلا عكس كما لا يخفى (قال حدثنا اسحق بن منصور) هذا هو الكوسج الحافظ روى عن ابن عيينة فمن بعده وعنه الشيخان والترمذى والنسائى وابن ماجه (حدثنا عبد الرزاق) أى ابن همام بن نافع أبو بكر الصغانى الحافظ أحد الاعلام روى عن ابن جريج ومعمر وابى ثور وعنه أحمد واسحق صنف الكتب أخرج له أصحاب الكتب الستة (أنبانا معمر) بفتح الميمين ابن راشد أبو عروة البصرى عالم اليمن أخرج له الجماعة قال معمر طلبت العلم سنة مات الحسن ولى أربع عشرة سنة (عن قتادة) هو ابن دعامة أبو الخطاب السدوسى الاعمى الحافظ المفسر روى عن عبد الله ابن سرجس وأنس وخلق وعنه أيوب وشعبة وخلق (عن أنس رضى الله عنه) أى ابن مالك خادم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وترجمته شهيرة ومناقبه كثيرة (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أتى) أى جىء (بالبراق) بضم الموحدة وتخفيف الراء سمى به لسرعة سيره كالبرق أو لشدة بريقه وقيل لكونه أبيض وقال المصنف لكونه ذا لونين يقال شاة برقاء اذا كان فى خلال صوفها الابيض طاقات سود وقد وصف فى الحديث بانه أبيض وقد يكون من نوع الشاة البرقاء وهى معدودة فى البيض انتهى وهو دابة دون البغل وفوق الحمار ويضع حافره عند منتهى طرفه كما فى الصحيح وفى رواية على ما نقله ابن أبى خالد فى كتاب الاحتفال فى أسماء خيل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان وجهه كوجه الانسان وجسده كجسد الفرس وقوائمه كقوائم الثور وذنبه كذنب الغزال لا ذكر ولا أنثى وفى تفسير الثعلبى جسده كجسد الانسان وذنبه كذنب البعير وعرفه كعرف الفرس وقوائمه كقوائم الابل واظلافه كاظلاف البقر وصدره كانه ياقوتة وظهره كانه درة بيضاء وله جناحان فى فخذيه يمر كالبرق

صرفه وهو غريب جدا فقول بعضهم كانه أراد بمنع الصرف مجرد منع الكسر والتنوين والا فشرطه صيغة منتهى الجموع وتبعه الشارحان خبط ناش من عدم الوقوف على كلام النحاة فى أمثاله (قال حدثنا أبو يعلى البغدادى) أحمد بن عبد الواحد بن محمد بن جعفر ويعرف بابن زوج الحرة كما ذكره ابن ماكولا رحمه الله تعالى وقال انه سمع على بن على السنجى جامع الترمذى ببغداد ويعلى بفتح المثناة التحتية وسكون العين المهملة واللام المفتوحة مقصورة (قال حدثنا أبو على السنجى) بكسر السين المهملة ثم نون ساكنة ثم جيم ثم ياء نسبة لسنج مرو وهو كما قال ابن ماكولا أبو على الحسين بن محمد بن أحمد ابن شعبة المروزى السنجى ورد ببغداد وحدث عن الترمذى بجامعه عن أبى العباس محمد بن أحمد ابن محبوب عن الترمذى وسمع منه وروى عنه زوج الحرة وغيره (قال حدثنا محمد بن أحمد بن محبوب) هو أبو العباس المحبوبى المروزى راوى جامع الترمذى (قال حدثنا أبو عيسى بن سورة الحافظ) سورة بفتح السين المهملة تليها واو ساكنة ثم راء مهملة وهاء والد أبى عيسى الترمذى الضرير المحدث المشهور هو وتصانيفه كالجامع والسنن قيل انه ولد أكمه وسمع ابن قتيبة وغيره مات بترمذ فى رجب سنة مائتين وتسعة وسبعين قال الذهبى فى الميزان انه ثقة مجمع عليه ولا عبرة بطعن ابن حزم فيه لانه لم يعرف أحواله وترمذ بفتح المثناة الفوقية وكسر الميم وبكسرهما وهو المشهور وبضمهما كما قاله السمعانى ونصبهما كما قاله النووى فى التهذيب (قال حدثنا اسحق بن منصور) الكوسج الحافظ المشهور توفى فى سنة احدى وخمسين ومائتين وهو ثقة فى الرواية (قال حدثنا عبد الرزاق) بن همام بن نافع أبو بكر الصنعانى أحد الاعلام الثقات الذين يروى عنهم أصحاب الكتب الستة وهذا حديث حسن مسند فى الترمذى وغيره ولم يروه الا عن عبد الرزاق فهو غريب كما قاله صاحب المقتفى والسيوطى فى تخريج أحاديث هذا الكتاب قال (أخبرنا معمر) هو بفتح الميمين بينهما عين ساكنة مهملة وبالراء معمر بن راشد بن عروة البصرى عالم اليمن ثقة له أوهام معروفة احتملت له فى سعة ما أتقن وله ترجمة فى الميزان توفى فى رمضان سنة ثلاث أو أربع وخمسين ومائة باليمن أخرج له الجماعة قال معمر طلبت العلم سنة مات الحسن ولى أربع عشرة سنة (عن قتادة) هو ابن دعامة أبو الخطاب السدوسى الاعمى الحافظ المفسر روى عن عبد الله بن سرجس وأنس وخلق كثير وعن أيوب وشعبة وخلق توفى سنة سبعة عشر بعد المائة وقيل غير ذلك وله ترجمة فى الميزان (عن أنس بن مالك) الصحابى المشهور رضى الله تعالى عنه وستأتى ترجمته فى الباب الثانى (ان النبى صلى الله عليه وسلم أتى بالبراق) بصيغة المجهول أى أتاه جبريل عليه الصلاة والسلام

والسلام به فحذف فاعله لشهرته كما صرح به في غير هذه الرواية ولانه يعلم من آخر الحديث وبراق كغراب دابة فوق الحمار ودون البغل سمي به لشدة سرعته كما يقال مركانه برق خاطف أو لشدة تلألئه وبريقه أو بياضه وقال المصنف رحمه الله تعالى انه سمي به لانه ذو لونين كما يقال شاة برقاء اذا كان خلال بياض صوفها طاقات سود وأورد عليه انه مخالف لما صرح به في بعض طرق هذا الحديث من انه أبيض الا أن يقال انه باعتبار الاغلب فيه وفي كتاب خيل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان وجهه كوجه الانسان وذنبه كذنب الغزال وقوائمه كقوائم الثور وجسده كالفرس وقال الثعلبي جسده كالانسان وذنبه كذنب البعير وعرفه بعين مضمومة وراء مهملتين وفاء كعرف الفرس وقوائمه كالابل واظلافه كالبقر كانها ياقوتة وظهره كدرة بيضاء وله جناحان في فخذيه يضع حافره عند منتهى طرفه كما ورد في الصحيح وهو مذكر وسمع تأنيثه باعتبار الدابة وقيل تذكيره كتذكير الملك وتذكير وصفه فان مبنى التذكير على عدم التانيث لانه الاصل لفظا ومعنى وقال ابن الملقن انه ليس بذكر ولا أنثى وقول جبريل في رواية تأتي يا براقة لا تنفري لا ينافيه لانه نظر الظاهر حاله واحتمال التأويل أو نظرا للحوق تاء الوحدة اذ لم يقم دليل على أحد الشقين وقوله تعالى ومن كل شئ خلقنا زوجين أغلبي أو مخصوص بدواب الارض وصيغة المذكر لا تختص بماله مؤنث لانها أصل فلا جمع بين معنيين متنافيين في قائم وقائمة كما توهمه الكندي وهو ملك خلق على هذه الصورة لحمل الانبياء عليهم الصلاة والسلام ولا مانع منه كديك العرش أو هو دابة مخلوقة في الجنة وقد قالوا انها تدخلها بعض دواب الارض أيضا وبلغوها نحو عشرة ونظموها في شعر مشهور (شعر)

براق شفيع الخلق ناقة صالح * وعجل لابراهيم كبش لنجله
وهدهد بلقيس ونملة بعلها * حمار عزير كلب كهف لمثله
وحوت ابن متى ثم باقورة لمن * يبر بام في رحاء ومحله
فهذه عشر في الجنان وغيرها * يكون ترابا يوم حشر لكله

(ليلة أسري به) بصيغة المجهول والجار والمجرور قائم مقام فاعله وليلة منصوب على الظرفية لان في والاسراء كان ليلا في سبع وعشرين من ربيع الاول وقيل لسبعة عشر خلت من رمضان وقيل سبع وعشرين من ربيع الآخر وقيل من رجب وقيل انه كان في شوال وكان ليلا لانه أدل على القرب وسنه صلى الله تعالى عليه وسلم خمسون سنة وتسعة أشهر وأسرى وسرى بمعنى وهما سير الليل وقيل أسرى لاوله وسرى لآخره واختار السهيلي ان سرى لازم وأسرى متعد ترك مفعوله والاسراء والمعراج كانا في ليلة واحدة يقظة بجسده على الاصح وبينهما فرق سيأتي لان ما ذكر هنا استطرادي (ملجما مسرجا) مخففان بزنة مصحف أي مهيأ للركوب بسرجه ولجامه وهما حالان من البراق وهل هو علم أو اسم جنس منحصر في فرد كالشمس الظاهر الثاني لوروده معرفا ومنكرا والقول بتعدده والاستدلال عليه بقوله ومن كل شئ خلقنا زوجين مما لا ينبغي الاشتغال به لكن الامام السهيلي رحمه الله تعالى أفاده انه كان قبل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم تركبه الانبياء عليهم الصلاة والسلام ذكره في شرح السيرة وستسمعه عن قريب (فاستصعب عليه) ضمير استصعب للبراق أو للركوب المعلوم من السياق وضمير عليه للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم أي انه صلى الله عليه وسلم لما أراد ركوبه لم يقر حتى يركبه ويجوز عود ضمير عليه للبراق أيضا أي صار الركوب صعبا على البراق كما قيل وهو تكلف والفعل مبني للفاعل ويجوز بناؤه للمفعول لانه

(ليلة أسرى به) ظرف بني على الفتح لاضافته الى الجملة الفعلية الماضوية المبنية للمجهول (ملجما مسرجا) اسما مفعول من الالجام والاسراج وهما حالان مترادفان أو متداخلان (فاستصعب) أي استعسر البراق (عليه) أي لبعد عهده بالانبياء من جهة طول الفترة بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام على ما ذكره ابن بطال في شرح البخاري وهي ستمائة سنة على ما ذكره التلمساني أو لانه لم يركبه أحد قبل نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم بناء على خلاف ما سيأتي في ذلك وقيل استصعب تيها وزهوا بركوبه عليه السلام

سمع من العرب لازما ومتعديا يقال استصعب الامر علينا بمعنى صعب واستصعبت الامر أى وجدته صعبا يعنى انه امتنع وأبى ان يركب بسهولة ولذا فسر بنفر أى شمس كما ورد فى بعض الروايات ويقال دابة شموس وشموص بمعنى حرون وروى ان جبرائيل عليه الصلاة والسلام مسك ركابه وميكائيل عليه الصلاة والسلام زمامه ومن هنا علم ان قول بعض الشعراء فى مدحه صلى الله تعالى عليه وسلم * جبريل خادمه وميكائيل * ليس بمنكر لما فيه من ترك الادب كما توهم وسبب استصعابه فيه وجوه منها انه لم يركبه أحد قبله قال الشمنى رحمه الله تعالى وهو مبنى على ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام لم يركبه أوهو لبعد عهده بالركوب لطول زمن الفترة وما قيل من ان الخلاف فيه الظاهر انه فى ركوب هذا النوع لجواز تعدد شخصه وهذا الشخص لم يركبه أحد منهم وان ركبوا غيره أولما فى جبلة الفرس الاصيل من عدم التذلل كلام واه رواية ودراية وقيل انه كان نشاطا وفرحا بركوبه صلى الله تعالى عليه وسلم ويأباه ماروى من انها انفرت ونفشت عرفها وقيل كان خوفا من تقصيره فى حقه صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل انما توقف حتى يأخذ عليه العهد أن يركبه فى الجنة كما فى قصة الجزع وحنينه ومن القريب ما فى تذكرة القرطبى فى تفسير قوله تعالى خلق الموت والحيوة ان الموت خلق فى صورة كبش والحياة فى صورة فرس انثى بلقاء وقد كانت الانبياء عليهم الصلاة والسلام يركبونها وحكاه ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وطعن الحلبى فى صحته عنه وقال السهيلى فى الروض الانف بعد ما نقل الخلاف فى ان البراق هل كانت الانبياء عليهم الصلاة والسلام تركبه قبل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أولا وما ورد فيه ان سبب نفاره ما ورد فى كتاب البعث ان جبريل عليه الصلاة والسلام قال له يا محمد هل مسست الصفراء اليوم فقال ما مسستها ولكن مررت بها فقال تبا لمن يعبد من دون الله وقد اختلفوا فى المراد بالصفراء فيه فقيل الذهب وعبادتها احبها كما يقال عبد الدرهم والدينار وقيل لكل شئ مغناطيس ومغناطيس الانسان الذهب وقيل هو صنم مذهب كسره صلى الله تعالى عليه وسلم يوم الفتح وسببه اما اهانة أولارادة كسره أو غير ذلك وقال ابن حجر رحمه الله تعالى هذا واه جدا * أقول فى الخصائص الكبرى ان ابا يعلى وابن عدى والبيهقى وابن عساكر أخرجوا عن جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنهما ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم شهد مع المشركين بعض مشاهدهم فسمع ملكين خلفه احدهما يقول لصاحبه اذهب بنا حتى نقوم خلف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال كيف نقوم خلفه وانما عهده باستلام الاصنام قريب فلم يعد بعد ذلك لمشاهدهم قال الطبرى والبيهقى معنى قوله انما عهده الى آخره انه شهد من استلم الاصنام لا أنه صلى الله تعالى عليه وسلم استلمها أو المشاهد مشاهد الحلف ونحوه لا مشاهد الاصنام وقال ابن حجر هذا الحديث أنكروه وانما المنكر منه قوله انما عهده الى آخره فان ظاهره انه باشر الاستلام وليس بمراد انما المراد انه شهد استلام المشركين لها وروى أيضا ان بوانة صنم كانت لقريش تشهده يوما فى السنة وأبو طالب معهم فكلم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى ان يحضره فأبى فغضب هو وعماته فقالوا له يا محمد ما تريد ان تحضر لقومك عيدا أو تكثر لهم جماعة فلم يزالوا به حتى ذهب وغاب فعاد مرعوبا فزعا فقالت له عماته ما دهاك قال انى أخشى ان يكون بى لمم فقلن له ما كان الله ليبتليك بالشيطان وفيك من خصال الخير ما فيك فما رأيته قال انى كلما دنوت من الصنم منها تمثل لى رجل أبيض يصيح وراءك يا محمد لا تمسه فما عاد صلى الله تعالى عليه وسلم الى عيدلهم حتى تنبأ وانما فصلنا هذا لان الامام السهيلى تردد فيه فى الروض بقى هنا انه هل أردف النبى صلى الله تعالى عليه وسلم جبريل أم لا فذكر البرهان

انه أردفه خلفه وفى رواية انه ركب قدامه والذى ظهر لى انه انما استصعب لما لم يعرف النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وظن انه غير نبى فلذا عرق خجلا لما اعلمه جبريل عليهما الصلاة والسلام بانه نبى الله (فقال له جبريل) عليه الصلاة والسلام للبراق لما فعل هذا وجبريل علم للملك المشهور وفيه لغات وصلت أربعة عشر لغة جبريل وجبرين وغيرهما مما يأتى فى اثناء الباب الثانى وبعضها قرئ وهو عبرانى أو سريانى ومعناه عبد الله على الاصح وايل اسم الله تعالى فى لغتهم وليس بمعنى عبد وما قيل من ان ايل لا يعرف من أسماء الله تعالى ليس بشئ (أبمحمد تفعل هذا) فى نسخة زيادة يا براق وفى رواية ابن حبان ما حملك على هذا ما ركبك خلق قط اكرم على الله منه وروى البيهقى يا براق والله ما ركبك مثله وروى البزار يا براقة لا تنفرى من محمد فوالله ما ركبك ملك مقرب ولا نبى مرسل افضل من محمد ولا اكرم على الله منه فقال قد علمت انه كذلك وانه صاحب الشفاعة وانى أحب أن اكون فى شفاعته فقال انت فى شفاعتى ان شاء الله قيل ففى رواية المصنف رحمه الله تعالى اختصار فان قيل بتعدد الاسراء فالامر سهل وليس كما قال فانه اختلاف رواية لا اختصار والاستفهام انكارى وقدم الظرف لتخصيص الانكار أو زيادته به لانه صلى الله تعالى عليه وسلم أجل من علاه فلا يليق النفار منه والاشارة راجعة لمصدر استصعب أو لما فهم منه كما أشار اليه بقوله (فما ركبك أحد أكرم على الله منه) ألفاء للسببية وأكرم افعل تفضيل من الكرم وهو وصف جامع لكل خير وشرف وضده اللؤم والكرم فى العرف بمعنى الجود فيقابله البخل والمراد هنا الاول فان قلت المراد انه ليس أحد عند الله أكرم منه ولا أفضل ولا مثله ولا يدانيه والعبارة قاصرة * قلت قال فى شرح المقاصد استدلوا على تفضيل الصديق بحديث ما طلعت شمس ولا غربت بعد النبيين والمرسلين على أحد أفضل من أبى بكر رضى الله تعالى عنه ومثله وان كان ظاهره نفى أفضلية الغير لكن انما يساق لاثبات أفضلية المذكور ولهذا أفاد أفضلية أبى بكر رضى الله تعالى عنه والسر فيه ان الغالب فى حال كل اثنين هو التفاضل دون التساوى فاذا نفى افضلية احدهما ثبت أفضلية الآخر انتهى وقيل اذا قيل ليس فى البلد افضل منه فالمراد ليس فيها من يساويه ويدانيه فضلا عمن يزيد عليه وهو معروف فى استعمال البلغاء وروى هنا ما ركبك مثله وهو يؤيده فهو كناية اذ الافضل لا بد له من مساواة المفضول من بعض الوجوه وان زاد فى بعض آخر فقصد بنفيه نفى لازمه وهو المساواة وفيه بحث وظاهر الحديث ان البراق ركبه غير نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وقد مر انه ثابت وقال النووى انه لم يصح وقال ابن حجر رواياته كلها واهية ولذا قيل هنا ان المعنى هنا انه لم يركبك احد فكيف ركبك اكرم منه على حد قوله * ولا ترى الضب بها ينجحر * وقيل الذى رواه النسائى والسهيلى وابن هشام والقرطبى انه ركبه غيره من الانبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام حتى قيل ان ابراهيم صلى الله تعالى عليه وسلم كان يحج عليه فى كل سنة حتى قيل له براق ابراهيم وقول النووى اشتراك جميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام فيه يحتاج لنقل صحيح يحتمل انه انكار لعموم المشاركة ثم ان ركوبه صلى الله تعالى عليه وسلم له انما هو لبيت المقدس ثم ربطه فى الصخرة ولم يصعد عليه بل على رفرف أى معراج من نور وقال الشيخ عز الدين بن غانم المقدسى فى كتاب شجرة الايمان ان مركبه صلى الله تعالى عليه وسلم الى بيت المقدس الاول البراق ثم مركبه الثانى الى سماء الدنيا المعراج ثم مركبه الثالث من سماء الدنيا الى السماء السابعة أجنحة الملائكة ثم مركبه الرابع الى سدرة المنتهى جناح جبريل ثم مركبه الخامس

(فقال له جبريل) وفيه ثلاث عشرة لغة والمتواتر منها أربع معروفة (أبمحمد تفعل هذا) أى يا براق كما فى رواية وضبط تفعل بالخطاب المذكر ولو روى بصيغة المجهول الغائب لكان له وجه والهمزة للانكار التوبيخى والاشارة الى الاستصعاب المفهوم من استصعب (فما ركبك) بالخطاب المذكر تعظيما له (احد اكرم) بالرفع والنصب (على الله تعالى منه) وفى رواية فوالله ما ركبك ملك مقرب ولا نبى مرسل افضل ولا اكرم على الله منه فقال قد علمت انه كذلك وانه صاحب الشفاعة وانى أحب ان اكون فى شفاعته فقال أنت فى شفاعتى

(قال) النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أو أنس رواية عنه (فارفض) بتشديد الضاد المعجمة أي فسال البراق (عرقا) نصب على التمييز المحول من الفاعل أي تبدد عرقه حياء وخجالة مما صدر عنه بمقتضى طبعه فهذا يؤيد القول الاول فتامل وقد قال الزبيدي في مختصر كتاب العين في اللغة وصاحب التحرير وهي دابة الانبياء عليهم الصلاة والسلام والثناء قال النووي وهذا الذي قالاه من اشتراك جميع الانبياء معه يحتاج الى نقل صحيح انتهى وقد قال ابن بطال ما معناه ركبها الانبياء وأقره السهيلي على ذلك وفي سيرة ابن هشام انه بلغه عن عبد الله يعني ابن الزبير في حج ابراهيم البيت وفي آخره وكان ابراهيم يحجه كل سنة على البراق انتهى ونقل القرطبي في تذكرته قبيل أبواب الجنه بيسير عن ابن عباس ومقاتل والكلبي في قوله تعالى خلق الموت والحياة ان الموت والحياة جسمان فتجعل الموت في هيئة كبش لا يمر بشئ ولا يجد ريحه شئ الا مات وخلق الحياة في صورة فرس انثى بلقاء وهي التي كان جبريل والانبياء عليهم الصلاة والسلام يركبونها خطوها مد البصر فوق الحمار دون البغل لا تمر بشئ يجد ريحها الا حيي الى أن قال حكاه الثعلبي والقشيري عن ابن عباس والماوردي عن مقاتل والكلبي وفيها أيضا في صفة الجنة ونعيمها ان البراق يركبها الانبياء مخصوصة بذلك في أرضها وهذا من كلام الترمذي الحكيم وحديث فما ركبك أحد أكرم على الله من محمد صلى الله عليه وسلم صريح في ذلك وكل هذا يرد على النووي كذا قاله الحلبي لكن فيه بحث اذ ليس فيما ذكر نقل صحيح ولا دليل صريح على ان البراق واحد مشترك فيه فعلى تقدير صحة التعدد ينبغي أن يجعل اللام للجنس جمعا بين الروايات وان يكون لكل نبي براق لكن أخرج الطبراني عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه مرفوعا وأبعث على البراق فهذا يشير الى اختصاصه عليه السلام يومئذ به واشتراكه قبل ذلك اليوم وقد ذكر السيوطي في البدور السافرة قال معاذ وأنت تركب العضباء يا رسول الله قال لا تركبها ابنتي وأنا على البراق اختصصت به دون الانبياء يومئذ الحديث فهذا ظاهره اتحاد البراق مع احتمال اختصاصه بركوبه صلى الله تعالى عليه وسلم دون الانبياء حينئذ

الرفرف الاخضر من النور مد ما بين الخافقين (قال) هو من كلام الراوي عن أنس رضي الله تعالى عنه (فارفض عرقا) أرفض بهمزة وراء ساكنة مهملة وفاء وضاد معجمة مشددة بزنة أحمر بمعنى سال وتصبب وعرقا تمييز محول عن الفاعل وعرقه لخجله أو مهابته من استصعابه وثبوت الخجل لنحوه غير مستبعد وقيل ارفض بمعنى ترشرش عرقه وقال ابن رسلان عن المصنف رحمه الله ارفض بمعنى خر على الارض

والله تعالى أعلم وقد جاء في بعض الروايات ان جبريل عليه الصلاة والسلام أيضا ركب معه عليه الصلاة والسلام والظاهر انه ركب خلفه بل جاء صريحا فيما رواه الطبراني في الاوسط من رواية محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن و برك أبيه ان جبريل أتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بالبراق فحمله بين يديه الحديث قال الطبراني لا يروى عن أبي ليلى الا بهذا الاسناد قال الحلبي وهو معضل ويرده قول العسقلاني انه ليس بمعضل بل سقط عليه قوله عن جده وهو ثابت في أصل الطبراني انتهى وفي مسند أبي يعلى عن علقمة ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال أتيت بالبراق فركب خلفي جبريل عليه السلام الحديث قال الحلبي فهذا نقل في المسئلة ولكنه مرسل قلت والمرسل حجة عند الجمهور وقد ذكر ابن حبان في صحيحه ان جبريل عليه السلام حمله على البراق رديفا له قال الحلبي هذا وما تقدم يتعارضان لكن حديث أبي يعلى ضعيف ولو صح لجمع بينهما بانه تارة ركب هذا ذاهبا أو آيبا والآخر كذلك اذا قلنا ان الاسراء مرة وهو الصحيح على ما قاله بعضهم قلت الصواب في دفع التعارض والجمع بين التناقض ان يجعل رديفا حالا من الفاعل في حمله على ما هو الظاهر ليكون الضميران المستتران لجبريل عليه السلام والبارزان له صلى الله تعالى عليه وسلم وهو المقتضى للادب خصوصا في الرسول بالنسبة الى المطلوب المحبوب ويؤيده انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لابي ذر وقد رآه يمشي امام أبي بكر أتمشي أمامه وهو خير منك ثم اعلم أنه اختلف في الاسراء والمعراج هل كانا في ليلة واحدة أولا وأيهما كان قبل الآخر وهل كان ذلك في اليقظة أو المنام أو بعضه كذا وبعضه كذا أو يقال أسري به ولا يتعرض لمنام ولا يقظة على ما في أوائل الهدى لابن القيم فتصير الاقوال خمسة وهل كان المعراج مرة أو مرات واختلفوا في زمانه فقيل للسابع والعشرين من شهر ربيع الاول وقيل من الآخر وقيل لسبع عشرة خلت من شهر رمضان وقيل ليلة سبع وعشرين من رجب وبه جزم النووي في الروضة في السير وخالف في الفتاوى فقال انهما ليلة السابع والعشرين من شهر الربيع الاول وخالف المكانين المذكورين في شرح مسلم فجزم بانهما ليلة السابع والعشرين من شهر الربيع الآخر تبعا للقاضي عياض وعن الماوردي انهما في شوال وسيأتي أقوال سبعة في تعيين السنة

وبرك كما روى انقض أيضا والمعروف في كتب اللغة الاول وفي بعض الروايات ارفض عرقا وقر وفي السيرة ثم قر وفسر بانه جرى عرقه ثم سكن وانقاد وترك النفار وقلت في معناه بديهة (شعر)

عرق البراق وقد أراد محمد * يعلو عليه لاجل جل مصالحه
فكانه لنفاره خجلا غدا * لتأسف يبكي بكل جوارحه

واعلم أن المصنف رحمه الله تعالى انما ذكر هذا الحديث مسندا على خلاف دأبه في هذا الكتاب وغير أسلوبه في غيره من الاقسام والابواب لانه لما كان هذا أول الاقسام وتاج التراجم والمرام وتقديمه له لاهتمامه به صدره بحديث ثابت فيه من الدلالة على ما أراد بيانه من التعظيم قولا وفعلا ما لم يتيسر لغيره من الانبياء عليهم السلام مما يقصر عنه الافهام وتتحير فيه العقول والاوهام وهو دعوة الملك الجليل له ليلا لحظائر قدسه كما يدعى المقرب المطلع على الاسرار وأرسل لدعوته عظام ملائكته ببراق مسرج ملجم على عادة الملوك اذا عظموا من دعوا وأرسلوا له بعض المقربين بمركوب كانوا يسمونه فرس النبوة فاوصله الى حرم عزته لمكان لا يصل اليه سواه وكلمه بغير واسطة وتجلى له بلا حجاب ولذا قال جبريل عليه الصلاة والسلام انه أكرم خلقه عليه وسيأتي تفصيله في بابه ان شاء الله تعالى

* (الباب الاول في ثناء الله تعالى عليه) * الثناء المدح كما تقدم تقريره (واظهاره عظيم قدره لديه) بقول غير ثناء ظاهرا كالقسم به والامر باتباعه فهما متغايران اذ الاصل في العطف التغاير أو أراد بالفعل القول الصريح في ثناء وغيره والمراد عظيم قدره صلى الله تعالى عليه وسلم بالنسبة لغيره من الانبياء عليهم الصلاة والسلام أو مطلقا فبينهما عموم وخصوص وجهي وهو تباين جزئي فالثناء من غير تفضيل ينفرد به الاول وينفرد الثاني بالاسراء ونحوه ومادة الاجتماع تفضيل بالقول على غيره فان اريد بالثناء ما يدل على الكمال مطلقا بطريق المجاز فالعطف للتفسير والتوضيح (اعلم ان كتاب الله العزيز) بالجر صفة لله أو للكتاب لان العزيز معناه القوي الغالب ويقال عزه اذا غلبه وفي المثل من عزيز وهو من أسمائه تعالى ويوصف القرآن به وهو المراد بالكتاب لانه بمعانيه واعجازه فان كل كتاب وغلبه واعلم أمر من العلم يصدر به ما يعتني به من الكلام تقوية وتأكيدا وحثا على القاء البال لما بعده تنبيها على انه مما ينبغي ان يعلم ولا يترك وقد ورد كذلك في القرآن وكلام العرب كقوله (فاعلم أنه لا اله الا الله) ولذا التزم بعده غالبا ان المؤكدة كقوله

فاعلم فعلم المرء ينفعه * ان سوف يأتي كل ما قدرا

(آيات كثيرة) اسم ان كثيرة وصفته جمع آية وأصل معناها العلامة والجماعة ثم خصت بمقدار من القرآن وجمع من الحروف له مبدأ ومنقطع مندرجة في سورة في الاكثر وفي اشتقاقها وتصريفها ما مر شيء منه (مفصحة بجميل ذكر المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم) أي مبينة له والافصاح لغة الكشف ويقال أفصح اذا أتى بكلام فصيح وهو يتعدى بعن والمصنف رحمه الله تعالى عداه بالباء ولم يسمع فهي بمعنى عن فانها تأتي بمعناها ولا يختص هذا بمادة السؤال كما في قوله عز وجل فاسئل به خبيرا أو هو مضمن معنى ناطقة أي دالة أو محمول على ما هو بمعناه كانبي أو المراد انها مبينة في حد ذاتها والباء للملابسة من أفصح اللبن اذا ذهبت رغوته وجميل ذكره بمعنى ذكره الجميل وتفسيره بان الذكر الجميل يظهر بها لا يخفى ما فيه والجميل المحمود من الصفات وخصه بعضهم بالاختياري ولنا فيه كلام في حواشي التهذيب (وعد محاسنه) أي تفصيلها لما بينهما من الملازمة في الجملة وفيه ايماء الى ان تفصيلها لا يحيط

(الباب الاول) أي من القسم الاول (في ثناء الله تعالى) أي حمده (عليه واظهاره عظيم قدره لديه) أي عنده في مقام قربه كما يفهم من الآيات المتلو والاحاديث النبوة وقال الدلجي أي عنده في اللوح المحفوظ لتعلم الملائكة زيادة شرفه وتميزه على غيره اذ هي المرادة هنا فيلتزموا توقيره وتعظيمه انتهى لكنه يحتاج الى نقل كما لا يخفى ثم قال الدلجي الثناء هنا باعتبار غايته فهو اما نعام بانواعه من تكريم وتعظيم فيرجع الى صفات الافعال واما ارادة ذلك فيرجع الى صفات الذات والا فهو في الاصل اما بمعنى الحمد والشكر أو المدح أو عام فيهما ومورد ذلك كله الجوارح وهو في حقه محال فيكون مجازا مرسلا لكون العلاقة غير المشابهة ففيه بحث ظاهر اذ الثناء من باب الكلام وهو في حقه سبحانه وتعالى ثابت حقيقة على ما عليه أهل السنة والجماعة خلافا للمعتزلة فلا يحتاج الى اعتبار مجاز الغاية بخلاف صفتي الغضب والرحمة لما حقق في محلهما والله تعالى أعلم (اعلم) خطاب عام وهو الاحق أو خاص بالسائل كما سبق (ان في كتاب الله العزيز) أي النادر في بابه أو الغالب على سائر الكتب بنسخه في خطابه (آيات كثيرة مفصحة) أي موضحة مصرحة (بجميل ذكر المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم) أي المجتبى في باب الصفاء والوفاء (وعد محاسنه) أي وبتعداد مكارم أخلاقه

(وتعظيم أمره وتنويه قدره) أي رفعة شانه وحكمه (اعتمدنا منها) أي من تلك الآيات (على ماظهر معناه) أي من منطوق الدلالات (وبان فحواه) أي تبين مقتضاه من مفهوم العلامات على ماله من الكمالات (وجمعنا ذلك) أي ماذكر من الاصول في عشرة فصول (الفصل الاول) أي النوع الاول من هذا الباب (فيما جاء) أي في كتابه (من ذلك) أي مما ذكر من الآيات (مجيء المدح والثناء) نصب مجيء على المصدر (وتعداد المحاسن) بفتح التاء أي ومجيء تكرار أخلاقه الحسنة وهو جمع حسن على غير قياس ونصبه على ما في نسخة غير مستقيم (كقوله تعالى)

وفي نسخة لقوله تعالى باللام وهو غير ملائم للمرام (لقدجاءكم رسول من أنفسكم الآية) بدأ بها فانها مشتملة على جملة من امتنانه سبحانه مما يوجب تعظيم رسوله ويعلي شأنه منها القسم المستفاد من اللام المقرونة بقد الدالتين على تحقيق الكلام ومنها الايماء في جاء الى ان رسولنا لو كان في الصين لكان الواجب عليكم المأتي اليه لتعلم علم الدين ومعرفة اليقين فيكون اتيانه فضلا منا عليكم واحسانا منه اليكم فيجب حسن استقباله واطاعة أمره واقباله ومنها تنكير رسول فانه يشير الى انه رسول عظيم تفخيما لشأنكم وتأييدا لبرهانكم ومنها انه جعل من جنسكم البشري فانكم لن تطيقوا على التلقين الملكي وليكون ادعى الى متابعته حيث يفعل هو أيضا بمقتضى مقالته ولو كان ملكا لربما قيل ان القوة البشرية ليست كالقدرة الملكية ومنها انه جعل من صنفكم العربي والالقلتم أرسل اليه عربي والرسول اليه أعجمي ثم بقية الآية عزيز عليه ماعنتم أي شديد شاق عليه عنتكم وتعبكم ووقوعكم في عذابكم حريص عليكم ان تؤمنوا كلكم بالمؤمنين منكم ومن غيركم رؤف رحيم والرأفة أشد الرحمة فذكر الرحيم تذييل أو عكس مراعاة للفواصل لالكونه أبلغ كما توهم الدلجي

به نطاق البيان (وتعظيم أمره) أي شانه وماله في نفسه أو هو مقابل النهي والمراد ايجاب اتباعه فترك النهي اكتفاء لان الامر بالشيء نهي عن ضده أو المراد مطلق الطلب مجازا (وتنويه قدره) أي رفعه باشاعته على وجه التعظيم والتكريم يقال نوه باسمه تنويها اذا رفعه كما قال الله تعالى ورفعنا لك ذكرك قيل هو تصريح باللازم أو تعميم بعد التخصيص (اعتمدنا منها) أي من الآيات والمراد اعتماده على بعضها اقتصاره عليه أو جعله عمدة مقصودا بالذات وغيره بالتبع ويقال اعتمد على كذا اذا اتكأ عليه وليس بمراد هنا وجملة اعتمدنا صفة آيات وجمعنا الآتي بعده معطوف عليه وقيل انها حال من المجرور بعدها على رأي من جوز تقديم الحال على صاحبها المجرور وفيه نظر (على ماظهر معناه وبان فحواه) ظهر وبان بمعنى أي اتضح وانكشف والمعنى مافهم من اللفظ ويراد به مايقابل الذات والمراد الاول والظهور ضد الخفاء لا ما اصطلح عليه الاصوليون والفحوى لغة كالمعنى والفحوى عند الاصوليين بمعنى مفهوم الموافقة ويمد ويقصر والاشهر فيها القصر كذا قال أبو علي في المقصور والممدود ماخوذ من الفحا وهي التوابل والابراز قيل وينبغي ان يراد به هنا مطلق المفهوم وهو معتبر بلاخلاف ولذا اعتبره فقهاؤنا في ظاهر الرواية وانما الخلاف في صحة الاستدلال به من النصوص فلا وجه لما قيل ان المصنف مالكي المذهب ومالك رضي الله تعالى عنه لايقول بالمفهوم حتى يجاب بان صاحب الملخص نقل عنه انه قائل به لخروجه عن سنن السداد وقيل انه بمعناه اللغوي فهو من عطف أحد المترادفين على الآخر وقد تخص الفحوى بما يفهم قطعا أو من خلال التراكيب وان لم يكن بالمطابقة (وجمعنا ذلك) المعتمد عليه (في عشرة فصول الفصل الاول فيما جاء من ذلك مجيء المدح والثناء) وليس من قبيل الفصول المذكورة والمدح والثناء متقاربان وليس من عطف الخاص على العام كما قيل (وتعداد المحاسن) بالجر عطف على المدح وذكر الحلبي انه صحح نصبه ووجه بان أصله ومجيء تعداد على انه مفعول مطلق معطوف على مثله بعد حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه وكونه منصوبا على الحانية سهو وتعداد بفتح التاء مصدر بمعنى التعديد (كقوله) تعالى (لقدجاءكم رسول من أنفسكم الآية) بالنصب بتقدير أعني أو أذكر أو أقرأ اشارة لبقية الآية اختصارا قال بعض المفسرين هذه الآية آخر آية نزلت وقد قيل يستفتونك في آخر النساء وآخر سورة براءة وقيل آية الربوا وأراد بعضهم التوفيق فلم يساعده التوفيق ووقع في حديث جمع القرآن ان هذه الآية لم توجد الامع خزيمة الانصاري رضي الله تعالى عنه ووقع في البخاري مثله في قوله تعالى رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه الى آخره واستشكل ذلك بانه ينافي اتفاقهم على تواتر القرآن وأجيب بان المراد التثبت في تلقيها ممن تلقاها عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بغير واسطة والمبالغة في استظهار ما كتب بين يدي النبي صلى الله

تعالى عليه وسلم أو انه وجد من شاركه في حفظها فتواترت وقيل المنفي وجودها مكتوبة لا محفوظة فتدبر (قال أبو الليث السمرقندى) رحمه الله تعالى نسبة لسمرقند مدينة معروفة بما وراء النهر قال التلمسانى المصحح في النسخ بفتح السين والراء وسكون الميم والمعروف فتح الميم وسكون الراء وتبع فيه صاحب القاموس اذ قال اسكان الميم وفتح الراء لحن وفيه نظر وهى معرب شمر كند وشمر اسم رجل وكند بمعنى قرية والسمرقندى هذا هو الامام الجليل المعروف بامام الهدى وهو نصر بن محمد بن احمد بن ابراهيم الفقيه الحنفى المشهور صاحب التصانيف الجليلة كالتفسير والنوازل وخزانة الفتاوى وتنبيه الغافلين والبستان توفى ليلة الثلاث لاحدى عشرة خلت من جمادى الآخرة سنة ثلاث وسبعين وثلاث مائة ومن أئمة الحنفية أيضا آخر يدعى بابى الليث السمرقندى متقدم على هذا كما قاله السمعانى وهذا يعرف بالحافظ وبهذا اللقب يفرق بينهما (وقرأ بعضهم من أنفسكم بفتح الفاء وقرأ الجمهور بالضم) أى بفتح الفاء وضمها وانما أوفى قوله وقرأ من المحكى فهو معطوف على مذكور فى أصله وفى عبارة المصنف على مقدر وفى المحتسب لابن جنى انها قراءة عبد الله بن قسط المكى ومعناها على الفتح من خياركم وأشرفكم ومنه قولهم هو من أنفس المتاع أى اجوده وخياره ومنه المنافسة وهى اشتداد الرغبات فى أمر يقتضى التحاسد عليه والغبطة وهى كما فى شرح ادب الكاتب مأخوذة من النفس فكان المنافس فيه لرغبته وحرصه عليه مثل نفسه عنده وهذه القراءة شاذة كما يعلم من نسبة الضم للجمهور وعزاها بعضهم لابن محيص ورويتها فاطمة رضى الله عنها عنه صلى الله عليه وسلم وانفس على الفتح أفعل تفضيل وجوز التلمسانى فيه ان يكون اسم فاعل وهو بعيد وعلى الضم جمع نفس لانه ما من قبيلة الا وقد ولدت من نسله صلى الله عليه وسلم كما يأتى الا بنى تغلب لتمسكهم بالنصرانية والجمهور بالضم كثير من الخلق جمعه جماهير وحكى التلمسانى فتح جيمه وهو غريب (قال القاضى الامام أبو الفضل عياض) وهو رواية بالمعنى لانه لا يمدح نفسه وعبارة المصنف كما فى بعض النسخ قال أبو الفضل وفقه الله تعالى وقد سقط كله من بعض النسخ المتداولة (أعلم) ماض من الاعلام (الله تعالى المؤمنين) جعل المخاطب هنا المؤمنين لقوله تعالى فى سورة آل عمران (لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم) والقرآن يفسر بعضه بعضا وهذا الخطاب هو المسمى فى الاصول بخطاب المشافهة وهل هو مختص بالموجودين منهم فى زمان النزول أو النازلين فى مهبط الوحى أو يعم الموجودين منهم وغيرهم ممن سيوجد من هذه الامة اقوال اختلف فيها بعد الاتفاق على دخولهم فى حكمه وانما الخلاف فى كونه يدل عليهم وضعا أولا فالدلالة هل هى قياس أو اجماع أو دليل آخر وليس هذا محل تفصيله وهو شبيه بالخلاف المذكور فى المنطق بين الفارابى وأبى على فى عنوان موضوع القضية وان لم ينتبهوا له ووجه التخصيص بالمؤمنين انهم المنتفعون ببعثته صلى الله تعالى عليه وسلم فى الدارين وان كان رحمة لجميع العالمين والمقصود بهذا الخطاب الامتنان عليهم أو اعلامهم بمضمونه وان كان منهم من يعلمه تغليبا اهتماما بارشادهم ولذا أكد بالقسم أوه وللاشارة الى ان نطاق علمهم لا يحيط بعظيم قدره وقيل انه

(قال السمرقندى) بفتح سين مهملة وميم وسكون راء هو المشهور على الالسنة واما ما ضبطه بعض المحشين كالتلمسانى وغيره من سكون ميم وفتح راء فهو لحن على ما صرح به القاموس وهو الامام الجليل الحنفى المحدث المفسر نصر بن محمد بن أحمد بن ابراهيم السمرقندى الفقيه أبو الليث المعروف بامام الهدى تفقه على الفقيه أبى جعفر الهندوانى هو الامام الكبير صاحب الاقوال المفيدة والتصانيف المشهورة العديدة توفى سنة ثلاث وسبعين وثلثمائة له تفسير القرآن أربع مجلدات والنوازل فى الفقه وخزانة الفقه فى مجلدة وتنبيه الغافلين وكتاب البستان وذكر التلمسانى انه أبو على واسمه الحسن ابن عبد الله منسوب الى بلدة سمرقند من أهل الظاهر روى عن داود ابن على الظاهرى لكن المعتمد هو الاول وسيأتى فى مواضع من كتاب الشفاء حيث يروى عنه القاضى بواسطة واحدة والله أعلم أبو الليث السمرقندى متقدم يلقب بالحافظ وهو الفرق بينهما ذكره التلمسانى (وقرأ بعضهم من أنفسكم بفتح الفاء) وهى قراءة شاذة مروية عن فاطمة وعائشة رضى الله تعالى عنهما وقرأ به عكرمة وابن محيص وغيرهما فى المستدرك عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه صلى الله تعالى عليه وسلم قرأها كذلك (وقراءة الجمهور بالضم) وضبطه بعضهم بالفتح وهو غير مشهور وضبط قراءة بصيغة المصدرية ويمكن قراءته بالجملة الفعلية ثم رأيت فى حاشية انهما روايتان والجمهور بالضم معظم الناس (قال القاضى الامام أبو الفضل وفقه الله تعالى) أى المصنف (أعلم الله تعالى المؤمنين

لتنزيل العالمين منهم منزلة غيرهم لغفلتهم عن عظيم هذه النعم والتقصير عن شكرها وقيل هو لقصد
اعلام الجاهل واظهار المنة على العالم واستبعد وقيل ان قوله بالمؤمنين التفات مراعى فيه نكاته أوهو
من وضع الظاهر موضع المضمر تشريفا لهم واهانة لمن عداهم وفي الالتفات بعدهنا ورد بان المؤمنين
لاسيما الصحابة رضي الله تعالى عنهم عالمون بمدلول هذا الخبر فلا اعلام لهم بحسب الحقيقة الا ان ينزلوا
منزلة غيرهم لغفلتهم عن هذه النعمة وشكرها والعمل بمقتضاها أو اراد مجرد توجيه الكلام نحوهم
والاظهر ان المقصود هنا اظهار المنة وتنبيه من غفل عن هذه الصفات وفوائدها كما مر أقول هذا زبدة
القيل والقال هنا وتحت الرغوة اللبن الفصيح فان هذا مع ما فيه من التكرار والتقصير يحتاج
للتنقيح والتقفير فان وضع الظاهر موضع المضمر لا يخرجه عن الالتفات وان جاز ان يقال انه تجريد
بناء على عدم المغايرة بينهما ولما كان الكلام هنا ليس محل التأكيد لعدم جهل المؤمنين وترددهم في
مضمونه احتاج للتوجيه فتدبر (أو العرب) على ان المراد بانفسهم جنسهم وانه صلى الله تعالى عليه
وسلم عربي مثلهم وقد رجح هذا أكثر المفسرين لتبادره ولان قوله بعد فان تولوا فقل حسبي الله
يدل على عموم اختصاصه بالمؤمنين وقول ابراهيم عليه الصلاة والسلام ربنا وابعث فيهم رسولا منهم
قد فسر بما ذكر لان ضمير منهم عائد على الامة المسلمة السابقة في قوله من ذريتنا أي ابراهيم
واسمعيل اذ أمة من ذريتهما الا العرب كما قيل واحتمال اختصاص بعثته صلى الله تعالى عليه
وسلم بهم مدفوع بالقرائن والادلة القاطعة وهذا لان العرب كلهم من ذرية اسمعيل عليه الصلاة

أوالعرب أوأهل مكة

والسلام والصحيح عند أهل التاريخ خلافه وقال ابن قتيبة في كتاب تفضيل العرب اسمعيل
ليس أول من نطق بالعربية لان العرب من ولد قحطان وهو أول من تكلم بالعربية حين
تبلبلت الالسن ببابل وسار حتى نزل باليمن هو وأولاده ثم نطق بعده ثمود بلسانه وشخص حتى نزل
بالحجر فكان منهم تسعة قبائل قديمة فنطقت ألسنتهم بالعربية وبعث فيهم هود وصالح وشعيب
عليهم الصلاة والسلام ولما أوى الله اسمعيل الحرم وهو صغير وأنبط له زمزم مرت به رفقة من جرهم
فرأوا ما لم يكونوا رأوه فاخبرتهم أمه بنسبه وحاله فتبركوا به وبمكانه ونزلوا معه فنشأ اسمعيل عليه
الصلاة والسلام معهم بين ولدانهم وتكلم بلسانهم فانكحوه منهم وقالوا نطق بالعبرية ثم غيروه فقالوا
بالعربية لسان العجمي ويقال لهم العرب العاربة ولغيرهم المتعربة والمستعربة الداخلة في العرب كتبر ز
و بعاس انتهى والذي قاله الازهري كما مر انهم نزلوا بقعة أو سكنوا بلدة يقال لها عربة فسموا بها عربا
(أو أهل مكة) لانهم أقرب نسبا اليه صلى الله تعالى عليه وسلم أو لانهم أول من جاء اليه أو لانهم أشرف
العرب وهو أشرفهم فهو خيار من خيار وهذا لا يقتضي تخصيص بعثته صلى الله تعالى عليه وسلم بهم
لان التخصيص المذكور لا يفيد الحصر وانما يقتضي الترجيح وعموم الرسالة مخصوص به
صلى الله تعالى عليه وسلم كما صرحت به النصوص واتفقوا عليه ولا يرد عليه ان نوحا عليه
الصلاة والسلام كان مبعوثا لاهل الارض كافة بعد الطوفان لانه لم يبق على الارض الا من كان
معه فعموم رسالته لهم لعدم وجود غيرهم كآدم صلى الله عليه وسلم واما نبينا صلى الله تعالى
عليه وسلم فعموم رسالته من أصل بعثته على ان دعوة نوح عليه الصلاة والسلام لم تعم من بعده وكون
نوح عليه الصلاة والسلام أول الرسل كما ورد في الحديث الصحيح فقد بينه شراح البخاري بما لا مزيد عليه
واستدل لعموم رسالة نوح صلى الله تعالى عليه وسلم بدعائه على جميع أهل الارض حتى هلكوا غير
أهل السفينة وأجيب بجواز بعثة غيره في زمانه وعلمه بانهم لا يؤمنون به فدعا على من لم يؤمن

من

من قومه وغيرهم الا انه لم ينقل لنا وأيضا شريعة نوح عليه الصلاة والسلام لم تبق الى يوم القيامة لنسخها وقال ابن عطية انه دعا قومه للتوحيد وبلغهم فاشركوا فدعا عليهم لانه عليه الصلاة والسلام لطول مدته اشتهر أمره في جميع الارض وقال ابن دقيق العيد رحمه الله بالدعوة للدعو يجوز ان تكون عامة في حق بعض الانبياء عليهم السلام وان لم تعم فروع شريعته لان منهم من قابل غير قومه على الشرك وهو كلام حسن (أو جميع الناس) من بني آدم الموجودين في عصره ومن بعدهم الى يوم القيامة لامن تقدمه لان المذكور هنا ليس البعثة وحدها بل بعثته لمن صعب عليه عنته وحرص على هدايته لشفقته التامة عليهم وقد رجح بعضهم هذا التفسير على غيره لما في الثلاثة الاول من ايهام الاختصاص وان دفع بان الادلة قد قامت على خلافه وقدم ان في الاول وضع الظاهر موضع المضمر لتشريفهم والاشارة الى منشئ ما ذكر ولذا وجهه بعضهم وقدم الكلام في ترجيح بعض هذه الوجوه والمنة عليه بكونه من جنسهم لمشاهدتهم معجزاته التي تدعوهم للسعادة مع ما فيه من الرفق بهم لان الجنس لجنسه أميل وآنس به ولذا قيل لو كان ملكا بهيئته الاصلية لم يتيسر لهم التلقي عنه ولا التلبس عليهم * فان قلت ما وجه قول بعض الشراح المراد بالناس جميع المكلفين فيشمل الجن وقد صرح في الناموس باطلاقه عليهم قلت قد صرح به جماعة من أهل اللغة والتفسير وصرح به ابن خالويه رحمه الله تعالى والعرب تقول ناس من الجن وفي الحديث جاء قوم فوقفوا فقيل لهم من أنتم فقالوا ناس من الجن ولذا جوز بعضهم في قوله تعالى من الجنة والناس ان يكون بيانا للناس ومن الغريب قول السبكي انه مشترك بينهما فتارة يكون بمعنى الانسان واصله اناس وتارة يكون شاملا لهما واصله على هذا نوس بمعنى تحرك وقيل الناس هنا شامل لمن تقدم عهد الرسالة بنظر دقيق والظاهر على الثلاثة الاخيرة انه نزل الكل منزلة الجاهل فاعلمهم أو العالم فقصد اظهار المنة أو غلب وقيل قصد اعلام الجاهل واظهار المنة للعالم وفي صحته نظر اقول وجه جعل المجيء شاملا لمن تقدم انه أخذ عليهم الميثاق على ان يؤمنوا به ويخبروا أممهم بانه سيبعث فلما جاءهم خبره جعل كأنه جاءهم حقيقة أو لانه سيشفع لهم في المحشر فكان مجيئه لهم كغيرهم ولا يخفى بعده وان صح ثم ان اعلام الله بفائدة الخبر أو لازمها اذا كان لكثيرين لامانع من قصد اعلام بعض والامتنان على بعض كما انه لامانع من قصدهما معا للجميع بان يعلمهم بما فيه نفع عظيم ويمتن به فالتردد في صحته لاوجه له (على اختلاف المفسرين) أي اعلامنا مبنيا على اختلافهم في اختيار بعض لبعض هذه الوجوه وآخر لآخر لما بدا لهم من وجوه الترجيح كما أشرنا اليه (من المواجه بهذا الخطاب) من بفتح الميم اسم استفهام نونه مكسورة لالتقاء الساكنين وكونه بكسر الميم حرف جر بيان للمؤمنين أي من الذين وجه اليهم الخطاب بعيد غير لائق والمواجه بضم الميم اسم مفعول مرفوع خبر أو مبتدأ على القولين والمواجه المخاطب لمقابلة وجهه لوجهه أو لخطاب مصدر خاطبه اذا شافهه بالكلام ويطلق على توجيه الكلام للغير وعلى الكلام الموجه وعلى ما يدل عليه كالكاف ويصح ارادة كل منها هنا وعلى مامر متعلق بمقدر صفة أو خبر مبتدأ مقدر أي هذا وماذكر مبني الى آخره واصله في جواب القائل من المواجه الى آخره والاختلاف مصدر متعد بالحرف يقال اختلف في كذا والاختلاف مامر من التخصيص والتعميم فالمطلوب تعيين أحد الوجوه للسائل وهو كما قيل معلق عنه عامله وان تعدى بالحرف تعليق افعال القلوب اما لتضمنه معنى العلم كما قالوه في قوله تعالى ليبلوكم أيكم أحسن عملا أو على قول يونس يجريه في جميع الافعال أو الجملة الاستفهامية مستأنفة كما في قوله تعالى

أو جميع الناس على اختلاف المفسرين من المواجه) أي من الذي وقع له المواجهة من المؤمنين أو غيرهم (بهذا الخطاب) يعني جاءكم فمن بفتح الميم موصول وكسر نونه في الوصل لالتقاء الساكنين والمواجه بصيغة المفعول مرفوع ثم الظاهر العموم الشامل لجميع الانس بل والجن أيضا على وجه التغليب اما من اختار المؤمنين فلانهم المرادون في الحقيقة والمنتفعون بمتابعته في الطريقة واما من اختار العرب فلما يدل عليه ظاهر قوله تعالى حريص عليكم ولما يتبادر من قوله أنفسكم جنس العرب ولا ينافي ما اخترنا من العموم فتح الفاء لانه اذا كان أشرف جنس العرب فيكون أفضل سائر الاجناس فانهم أكرم الناس لما تقرر في محله واما من اختار أهل مكة فلما أشار اليه المصنف بناء على قراءة الضم

ولقد نجينا بنى اسرائيل من العذاب المهين * من فرعون فى قراءة من بفتح الميم فتعلق الاختلاف متروك أو مقدر كانه لما ذكر الآية قيل فيما اختلفوا فقيل فى جواب القائل كما قدروه وقد قيل عليه انه مع سماجته فيه ان هذا السؤال المقدر لا يتولد من ذكر الاختلاف وأيضا المصنف رحمه الله تعالى لم يقصده وليس مرادا فى هذه الآية الى آخر ما طواه بغير طائل مع ذكره أمورا مفصلة من العربية ليس هذا محلها والخلاف والاختلاف متقارب بان الا ان علماء الحنفية فرقوا بينهما كما ذكره الخصاف فى أدب القضاء فقال الخلاف ما وقع فى محل لا يجوز فيه الاجتهاد وهو ما كان مخالفا للكتاب والسنة والاجماع والاختلاف بخلافه بان يكون فى محل يجوز فيه الاجتهاد فالاول لو حكم به قاض ورفع لغيره يجوز له فسخه بخلاف الثانى وهذا معنى قولهم خلاف لا اختلاف (انه بعث فيهم رسولا من أنفسهم) ان بالفتح وهو مع ما بعده ساد مسد مفعولى اعلم وان كان مصدرا مفردا بحسب التأويل الا انه لاشتماله على النسبة فى حكم الجملة فليس كالمصدر الصريح من جميع الوجوه كما بينه النحاة كما ذكروه وقد أفردناه بالتأليف فى الرسائل ولذا قال المحققون انه لا يحتاج لتقدير مضاف اذا وقع خبرا كما توهموه وأنفسهم هنا بضم الفاء جمع نفس والضمير فى بعث راجع لله وكون انه بعث الخ بدلا من قوله بهذا الخطاب بدل كل أو اشتمال تكلف غير محتاج اليه وهذا جار على الوجوه كلها فان كان الخطاب للمؤمنين فالمراد بكونه من أنفسهم انه على طريقتهم ومعتقدهم وان كان للعرب فالمراد انه من صميمهم ونوعهم وان كان لاهل مكة فالمراد انه نشأ من تربتهم وبين أظهرهم وان كان للناس فالمراد انه من جنسهم وليس هذا على بعض الوجوه كما توهم وفيه اشارة الى شرف من بعث منهم ومن هنا تعلم ان شموله للجن غير مناسب للمقام (يعرفونه) بيان لفائدة كونه منهم وهى معرفتهم لذاته وصفاته وأحواله وذكره فى الكتب القديمة وتواتر اخباره واضاءة أنواره وهذا جار على الوجوه كلها أيضا والمراد بالمعرفة المعرفة بالفعل أو بالقوة لان عندهم ما لا يخفى من ذلك وبالفعل على التغليب ولم يرد معرفة نبوته حتى يكون كفرهم عنادا كما قيل وان صح بالتأويل السابق (ويتحققون مكانه) أى قدره ورتبته ويحتمل ان يراد محله الحقيقى خصوصا اذا كان الخطاب لاهل مكة وهذا ليس تحته كبير فائدة الا ان يكنى به عن معنى بعيد مثل انهم يهابونه ولا يقدرون على أذيته أو انهم يعلمون انه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يأخذ ما جاء به عن أحد وفى نسخة مكانته بالتاء وهى أولى لان المكان الحقيقى والمجازى بخلاف المكانة فانها تختص بالثانى كما صرح به أهل اللغة فكان التاء فيه للنقل وهذه النسخة أنسب بالمقام وبقوله يتحققون فتدبر (ويعلمون صدقه وامانته) لانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان معروفا بذلك حتى كان يدعى قبل البعثة بالامين وتوضع عنده الودائع والامانات وهذا على اطلاقه من غير نظر لدعوى النبوة ولما قبلها فلا حاجة الى ان يقال المراد ما عداها ويؤيده حديث هرقل مع أبى سفيان رضى الله تعالى عنه المذكور فى الصحيحين (ولا يتهمونه بالكذب) أى لا يصفونه به ولو افتراء وتهمة لانه نشأ بين أظهرهم وجربوه فلم يسمع من أحد منهم ما يتهم به ولذا قال هرقل فى حديث البخارى ما كان ليدع الكذب على الناس ويكذب على الله تعالى ووهم يهم بمعنى غلط أو ظن واتهمه أدخل التهمة عليه أو نسبها اليه وفى القاموس تهمة كهمزة ما يتهم به وفى مغنى التقريب ان هاءه قد تسكن وفى النهاية أتهمته ظننت فيه ما نسب اليه وباء بالكذب للسببية أو للملابسة أى لا ينسبون ولا يظنون ملابسته بالكذب أو لا يتهمونه بسبب الكذب وقيل انها للتعدية (وترك النصيحة لهم) ترك بالجر معطوف على الكذب أى لم يتهمه أحد بترك النصيحة حتى كانوا

(انه بعث فيهم رسولا من أنفسهم يعرفون) أى محله ومرتبته بحليته ونعته (ويتحققون مكانه) أى مكان ولادته ونسبه ورتبته أو رفعة قدره وعلو شانه ويؤيده ما فى نسخة مكانته وهو مخل بالتسجيع لما قبله ملايم لقوله (ويعلمون صدقه وامانته فلا يتهمونه بالكذب) فى دعوى رسالته أى ولذا كانوا يسمونه محمد الامين لكمال ديانته (وترك النصيحة لهم) أى وترك اراده الخير لهم

يرجعون اليه فى مشكلهم ومشاورتهم قبل الدعوة للنبوة والنصيحة ضد الغش وفى معناها لغة اختلاف فقيل وهو الاشهر معناها الخلوص يقال نصحه اذا أراد له الخير وأظهره وغشه فى ضده ومنه التوبة النصوح وهى الخالصة ظاهرا وباطنا الذى لا يرجع صاحبها عنها أصلا ورأيت فى فتاوى ابن تيمية ان من الناس من قال ان نصوحا اسم رجل كان فى زمن عيسى صلى الله تعالى عليه وسلم تاب توبة مشهورة فأمر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان يتوب الناس توبة كتوبته قال وهو كذب من قائله اذ لم يسمع بأحد سمى نصوحا فى الاعصر المتقدمة ولم يقل هذا أحد من المسلمين فضلا عن العلماء وانما ذكرت هذا لانى سمعت بعض جهلة الوعاظ من الروم يذكرونه فى مجالسهم فاياك ان تغتر بمثله (لكونه منهم) متعلق بيعرفون أو به وبما بعده على التنازع لانه تعليل لمجموع الكلام أو هو خبر مبتدأ أى وهذا لكونه الى آخره وهو جار على الوجوه كلها وقيل انه متعلق بيعلمون فان القريب يعرف حال القريب أو بلا يتهمون فتكون دليلا له وقدم أن الكلام يحتمل أن المراد انهم يعلمون نبوته صلى الله تعالى عليه وسلم بالقوة أو بالفعل وقد تقدم ما فيه فتذكره (وانه لم يكن فى العرب قبيلة الا ولها على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولادة أو قرابة) انه بالفتح وهو وما بعده فى محل جر عطف على كونه وهو عطف مغاير أو تفسيرى تفصيلى وهذا أولى من عطفه على ان الاول لبعده ولانه لم يعلم به الا بتكلف بان ينزل وقوعه منزلة الاعلام وقبيلة بفتح القاف بنو أب واحد وجمعه قبيل وقيل هما بمعنى وهو الجماعة وقيل بينهما فرق فالاول بنو أب واحد والثانى من آباء مختلفة أو هو أعم وطبقات أنساب العرب ستة وهو الشعب بالفتح وهو أكبرها ثم القبيلة ثم العمارة ثم البطن ثم الفخذ ثم الفصيلة وهى العشيرة وقد نظمها التاذفى فى قوله شعر

شعب بفتح الشين والقبيله * من بعدها عمارة أصيله
وهى بكسر العين تروى ثم قل * بطن وفخذ بعدها ولا تحل
وسادس فصيلة تؤويه * وهى العشيرة التى تليه

والشعوب بضم العين جمع شعب بفتحها فى العجم والاسباط فى بنى اسرائيل كالقبائل فى العرب ولذا قيل لمن يفضل العجم على العرب شعوبية ونسبة له وهو جمع لانه كانصارى وقوله الا ولها الى آخره يعنى به ان فى كل قبيلة من العرب له صلى الله تعالى عليه وسلم أب أو جد أو أم ولو جدة بدون واسطة أو بواسطة وفى هذه الجملة الواقعة بعد الا مع الواو قولان فذهب الزمخشرى الى انها صفة والواو لالصاقها بالموصوف تشبيها لها بالحال والجمهور على انها حالية والمعنى لم تكن قبيلة على حال من الاحوال الا على هذه الحال من اتصال النسب لامتناع الواو والتفريغ فى الصفات كما فصل فى محله والمراد بالقرابة القرب من عمود النسب الفرعى والاصلى مطلقا الا انها فى العرف اذا أطلقت خصت بالفرعى ولذا لو أوصى أو وقف على أقاربه لم تدخل فروعه وأصوله والفرق ظاهر بينه وبين أقرب أقاربه والقرابة بالفتح تكون مصدرا بمعنى القرب يقال هو ذو قرابة ولا يقال من قرابته الا تجوزا أو يكون اسم جمع بمعنى الاقارب وانكار الحريرى له فى الدرة ببنا رده فى شرحها والمراد فى عبارة المصنف رحمه الله تعالى بالقرابة المعنى العرفى لانه لو كان بمعناه الحقيقى لغة لزم عطف العام على الخاص بأو وهو انما يكون بالواو كعكسه وفى شرح السيد انه يكون بأو نادرا والاول هو المعروف عند النحاة كما فى المغنى وغيره وقوله لم يكن فى العرب الخ ورد فى الاثر كما أخرجه أبو نعيم فى الدلائل من طريق الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فى تفسير هذه الآية قيل ومثله لا يكون من قبل الرأى فهو فى حكم الحديث المرفوع وفيه

(لكونه منهم) وهو أبعد للتهمة فى ترك النصيحة فى حقهم (وانه) بالفتح عطف على انه السابق الواقع مفعولا ثانيا لاعلم ولا يبعد أن يكون مجرور المحل معطوفا على كونه والحاصل انه (لم تكن فى العرب قبيلة الا ولها على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) على الصاحبة قوله تعالى وآتى المال على حبه أى مع رسول الله (ولادة) أى قرابة قريبة (أو قرابة) أى بعيدة

بحث الا انه سيأتي رفعه أيضا وأخرج البخاري عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لم يكن بطن من
قريش الا وله صلى الله تعالى عليه وسلم به قرابة كما قال حسان رضي الله تعالى عنه

وسطت نسبتي الذوائب منهم * كل دار فيها أب لي عظيم

ووقع في بعض نسخ الشفاء عند بعض الشراح هنا زيادة وهي قوله (وهو عند ابن عباس وغيره معنى قوله
تعالى) قل لا أسئلكم عليه أجرا (الا المودة في القربى) قال السيوطي رحمه الله في تخريج أحاديث هذا
الكتاب ان هذا له طرق كثيرة استوفيناها في الدر المنثور ومنها ما أخرجه البخاري من طريق طاوس عن
ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال (لم يكن بطن من قريش الا كان
لي فيهم قرابة ألا تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة) وأخرج الطبراني نحوه من طريق سعيد بن جبير عنه
فالقربى على هذا قرابة أهل مكة خاصة وعلى ما رواه أبو نعيم في الدلائل كما مر قرابة جميع العرب لاتصال
نسبه صلى الله تعالى عليه وسلم بهم كما مر فمعنى الآية عند ابن عباس رضي الله عنهما ألا تودوني لاجل
القرابة بيني وبينكم والخطاب بقريش خاصة لما رواه الضحاك من ان المشركين كانوا يؤذونه فنزلت
وما روي من انها نزلت في آل البيت خاصة فقال ابن حجر انه موضوع وما روي من انها نزلت في
الانصار لانه لما قدم المدينة قالوا له يا رسول الله انك تنوبك نوائب وقد جمعنا لك ما تستعين به عليها
فنزلت قال ابن حجر انه ضعيف ويبطله ان الآية مكية وأقوى ما ورد في سبب نزولها ما أخرجه قتادة
من أن المشركين قالوا لعل محمدا يطلب أجرا على ما يتعاطاه فنزلت وهذا محصل ما قالوه في سبب نزولها
وقيل الآية مكية والذي صححه ابن حجر يخالفه وفي قوله في القربى تعليلية كما في ان امرأة دخلت النار
في هرة الحديث أو هي للظرفية المجازية وهو حال أو صفة ان جوزنا تقدير المتعلق معرفة فكان القربى
ظرف للمودة * واعلم انهم اختلفوا في هذا الاستثناء هل هو متصل أو منقطع فقيل انه متصل والآية
منسوخة بقوله تعالى قل ما سألتكم من أجر فهو لكم وقيل هو منقطع لان الانبياء عليهم الصلاة والسلام
لا يبغون على تبليغهم أجرا فالمعنى اني أذكركم المودة في القربى وفي زاد المسير انه اختيار المحققين فلا
يشوبه نسخ وفي شرح البخاري أن الآية نزلت لاستكشاف شر الكفار فهي منسوخة بآية القتال وهو
لا يتم على كونها مدنية ويعضد الانقطاع ما في الكشاف عن أن المودة ليست أجرا حقيقة لان قرابته
قرابتهم وصلته لازمة لهم مودة وهو مقتضى السياق فما في بعض الشروح من ان الصحيح الذي يرتبط
به كلامه ما أخرجه البخاري من انه لم يكن بطن من قريش الا وله صلى الله تعالى عليه وسلم فيهم قرابة
لا ما ذكره المصنف رحمه الله تعالى كما أخرجه أبو نعيم ليس بصحيح وفيما ذكره الزمخشري نظر اذ لزوم
اتصال شئ لاحد لا ينافي كونه أجرا مطلوبا بعمل نعم المتبادر من الاجر انه ما لا يستحق الا بالعمل وما لزم
بدونه لا يسمى أجرا والثواب لازم للعمل فيه وذهب بعضهم الى جواز الوجهين فان نظر الى الظاهر
أو ان المراد بالاجر مطلق ما يترتب على شئ أو بالمودة لوازمها يكون متصلا وهو المراد في هذه الآية
وان أريد حقيقته فهو منقطع وهو المنفي في الآية الاخرى فلا منافاة ولا نسخ وهو كلام حسن أقول
هذا زبدة ما محضه التتبع وقد ظهر لك منه جواز الوجهين وان المودة اما مودة أقاربه أو مودة
بعضهم لبعض وما طلب أجره بتبليغ الرسالة واداء الامانة وهو صلى الله تعالى عليه وسلم لحرصه
على هدايتهم وشفقته عليهم عد طاعتهم نفعا له لما فيها من كثرة اتباعه وقوة شوكته والقربى ذوي
القرابة القريبة أو البعيدة كما قيل

اذا كان أصلي من تراب وكلها * بلادي وكل العالمين أقاربي

(وهو) أي هذا المعنى المستفاد من قوله وانه الخ (عند ابن عباس) كما رواه عنه البخاري والطبراني (وغيره) أي من المفسرين (معنى قوله تعالى الا المودة في القربى) في قوله تعالى قل لا أسئلكم عليه أي على التبليغ أجرا الا المودة أي لكن المودة في القرابة لازمة من الجانبين وأنا لا أقصر في نصيحتكم وارادة الخير لكم ومحبتكم فيجب عليكم أيضا ان تجتهدوا في متابعتي ونصرتي ودفع الاذى عن أهل ملتي

فكلام المصنف رحمه الله تعالى منزل على الاقوال كلها والضمير فى قوله وهو عند الخ لجميع ماذكر قبله أو للاخير فلاغبار عليه ثم شرع فى توجيه القراءة بالفتح الشاذة فقال (وكونه) ولم يعطفه باء لتحقق المعنيين والقراءتين كما قيل وقد جوز اعرابه أن يكون عطفا على مدخول اللام فى قوله لكونه والنصب لعطفه على مفعول اعلم أو تعلمون والرفع على انه مبتدأ خبره قوله نهاية الى آخره واقتصر عليه فى المقتفى واستبعده بعضهم ولا وجه له فان الدراية والرواية تؤيده لان ابتداء كلام لبيان القراءة الشاذة ولذا أخره (من أنفسهم وأرفعهم وأفضلهم على قراءة الفتح) أى بناء على قراءة الفتح للفاء وهذه المتعاطفات متقاربة ولك أن تفسرها بما يجعلها متقاربة والامر فيه سهل وأفاده النظم لزيادة شرفه وفضله لانه أخبار من الله تعالى الذى لا يتوهم عاقل خلافه فلا يرد عليه ما قيل من ان المبنى على القراءة كونه معلما به ومرادا من فحوى النظم لا أصل له ولا ماتوهم من أن الامر كذلك قطعا فلا ينبغى على القراءة الشاذة نعم يرد على رفع كونه و يدفع بالتأويل وكذا ماقيل من أنه مبنى على القراءة المتواترة أيضا فلذا قدمها وهو ظاهر السقوط بغير دفع (وهذه) أى المنقبة والصفة الجميلة التى تضمنتها الآية على هذه القراءة أو على القراءتين أو هذه الآية باعتبار ما تضمنته وكون الاشارة للوصف بالانفسية والتأنيث لرعاية الخبر ا تكلف لما يحتاج للتأويل من غير داع له (نهاية المدح) فى بابه ونهجه المقصود منه وهذا يمكن عوده الى القراءتين وان كان الظاهر الثانى فقط فعلى القراءة الاولى نهاية المدح بعلو الحسب والنسب لان العرب أشرف الناس وقد حازت كل قبيلة نوعا من ذلك فمن اتصل بجميعهم حاز جميع محاسنهم وحلاوة ألسنتهم فكان صلى الله عليه وسلم أجل منهم كلهم وهذا هو المقصود بكونه منهم وكذا اذا قلنا المراد جميع الناس وان توهم خلافه فى قولك هو واحد من الناس أو من بنى فلان ونحوه وعلى الثانى هو نهاية النهاية لانهم أنفس الناس وهو أجلهم وافادته لهذا من بديع الكناية على نمط قوله عز وجل كانت من القانتين وقوله فلان من العلماء فانه أبلغ من كانت قانتة وفلان عالم ولذا عدل عنه مع انه أوجز لافادته انه مع اتصافه به له قدم راسخ فيه لا دخيل كقوله مثلك لا يبخل كما فى شرح المفتاح وهو مأخوذ من كلام ابن جنى فى المحتسب وعبارته العرب تقحم لفظ مثل توكيدا وسببه انهم يريدون جعله من جماعة هذه أوصافهم تبيينا للامر وتوكيدا له ولو كان فيه وحده لعلق منه موضعه ولم ترسخ فيه قدمه ولم يؤمن عليه انتقاله الى ضده ومثله قولهم فى مدح الانسان أنت من القوم الكرام أى لك فى الفضل سابقة وأول وأنت مقيم عليه محفوف به لست دخيلا فيه من غير أول ولا أصل فيخشى بنوك عنه ولما أريد مثل هذا فى الثناء على الله ولم يجز أن يكون تابعا فيه لسلفه ولا موجودا فيه نظير عدلوا به الى وجه ثالث وهو أن يجعل قديما وراسخا عليه فكان أثبت له وذلك نحو وكان الله سميعا بصيرا انتهى اذا عرفت هذا فقول بعض الشراح هنا انه يفهم من هذا الاعلام أم أن كونه من أشرفهم لان من كان أشرف وهو رسول الله فهو أشرف من الاشرف وهو نهاية المدح بالنسبة لغيره فلا يرد عليه أن كونه من جملة أشرفهم ليس نهاية المدح انتهى ليس بشئ فانظر الى هذا مع سماجته وافلاسه من افادته وانظر بعين الانصاف لا بعين الرضاء فيما قلناه * واعلم ان دخول من على أفعل التفضيل كما فى عروس الأفراح على وجهين الاول أن تكون جماعة فاضلة مستوية فى الرتبة فى زيادتها على غيرها فتقول فى كل منها هو من الافضل ولا يقال ذلك عند تفاوتها الثانى أن يكون نوع أفضل الانواع فيقال فى كل فرد منه انه من الافضل كما فى قوله (من أنفسكم) على قراءة الفتح فتنبه لهذه الدقيقة انتهى * أقول هذا على ما قاله انما يفيد مدح قوم النبى صلى الله عليه وسلم أولا ولا يلزم من شرف قوم شرف جميع افراده كما لا يخفى فالحق ما قدمناه فانه أنفس وأعجب من هذا ما قيل ان فى كلام المصنف رحمه الله

(وكونه) قال الحلبى هو بالرفع لكن الظاهر كما اقتصر عليه الدلجى انه بالجر عطفا على قوله والمعنى وهو معنى كونه عليه السلام (من أشرفهم) أى نسبا (وأرفعهم) أى حسبا (وأفضلهم) أى سخاوة ونجادة (على قراءة الفتح) أى بناء عليها (وهذه) أى المنقبة (نهاية المدح) أى من هذه الجهة

تعالى بحثنا ظاهر الان ما فى الآية على هذه القراءة ليس نهاية المدح لان قولك هو أنفس الخلق وأفضلهم أبلغ منه مع ان الخطاب لم يشمل الانبياء عليهم الصلاة والسلام وانما يتم اذا كانت من بيانية لا ابتدائية أو تبعيضية كما هو المتبادر فكونها نهاية مدح فى القرآن فيه خفاء فالاظهر انه مبالغة أريد بها الكمال انتهى فانظره فانه مع عدم وقوفه على مراد المصنف لامحصل له ويقتضى ان الآية فيها عدول عن الابلغ وهذا مما يقتضى منه العجب (تنبيه) قال بعض الفضلاء رحمه الله تعالى عليه هنا فى حديث (أنا أفصح من نطق بالضاد بيد أنى من قريش) أى من نطق بالضاد العربية وبيد بمعنى من أجل ولا يلزم من كونه من قريش الذين هم أفصح العرب أن يكون أفصحهم وممدوحا بالفصاحة وقد ترددت فيه زمانا حتى رأيت الفاضل الكورانى فى شرح جمع الجوامع قال بعد ماذكر الحديث وان بيد بمعنى من أجل وفيه نظر قوى وهو ان كونه من قريش لا يقتضى كونه أفصح من قريش فالحق انها بمعنى غير من المدح الذى يشبه الذم أقول هذه غفلة على غفلة لانه ترك آخر الحديث وهو تربيت فى بنى سعد والذى صححه ابن حجر فى تخريج أحاديث الرافعى (أنا سيد ولد آدم بيد أنى من قريش ونشأت فى بنى سعد واسترضعت فى بنى زهرة) وروى أنا أفصح العرب الخ واللفظ الاول مقلوب فانه نشأ فى بنى زهرة واسترضع فى بنى سعد وامّا أنا أفصح من نطق بالضاد فلم يصح يعنى انه انفتق لسانه فى قبيلتين هما أفصح العرب وأملحهم فحاز لب اللسانين المليحين وكل أحد انما يفوق فى لسانه قومه فقط فلزم منه أن يكون أفصح فى جميع العرب ثم ان ماظنه منجا الامنجا فيه فانه لا يفيد أولا كونه أفصح من سائر قريش فقد وقع فيما فر منه ثم ان شيخنا الشهاب أحمد بن قاسم رحمه الله من الآيات البينات ذكر كلام الكورانى ورده على عادته فى التصعب عليه انتصار الاجلال بما حاصله ان فيه جملة مقدرة ومثله كثير تقديرها وأنا أفصح منهم فزاد فى الطنبور نغمة لا تطرب ولا تضحك (ثم وصفه بعد) أى بعد الاعلام المذكور (باوصاف حميدة) أى محمودة أو حامدة على التجوز فى النسبة (وأثنى عليه بمحامد كثيرة) قيل ثم هنا بمعنى الفاء كما فى قوله جرى فى الانابيب ثم اضطرب لعدم الفاصلة بين الاعلام والوصف فالترتيب فى الاخبار دون الحكم كما قاله النحاة ورده ابن عبد السلام فى كتاب المجاز بان فى صحته نظرا لان الترتيب فيه ان ثم لا تفيد التراخى الا بتعسف يرجع لغيره من الوجوه فالاحسن أن يقال انها للتفاوت الرتبى لان بعثة الرسل عليهم الصلاة والسلام وأشرفهم نعمة عظيمة لكافة الخلق وحرصه على هدايتهم وشفقته دونها بمراتب ولك أن تقول وجه ماقاله النحاة ان الترتيب المذكور لما كان على مايقتضى من الالفاظ يعطى حكم البعيد كما قرره الزمخشرى فى الاشارة اليه بذلك فى قوله ذلك الكتاب لاريب فيه على ان ماذكر كل منهما أمر ممتد يجوز عطفه باعتبار آخره بالفاء وباعتبار غيره بثم كما قالوه فى قول السكاكى فاوضح ثم ليقل فهو تأسيس لا تأكيد والاوصاف جمع وصف بمعنى الموصوف به لا المصدر وحميدة بمعنى محمودة عند الله والناس والمحامد جمع محمدة وهى المحمود به أيضا والثناء بالمحامد لا يغاير الوصف بالصفات الحميدة ولا يعاب مثله فى مقام الخطابة مع انه لما كانت الاوصاف جمع قلة عقبه بجمع الكثرة دفعا للايهام والاول مطابق لظاهر الآية والثانى لما تضمنته مما لا يحصى (من حرصه) صلى الله تعالى عليه وسلم (على هدايتهم ورشدهم واسلامهم) من بيانية مبينة لما قبلها من الاوصاف وما بعده والحرص فرط الشره وقيل هو الشح على الشئ أن يضيع وفيه نظر والمراد هنا شدة الطلب لما يريده ويحبه والهداية الدلالة مطلقا أو الموصلة وقيل المراد بها هنا الاهتداء لعطف الرشد عليها وقيل المراد ماقاله الاشاعرة من انها خلق الاهتداء الى الايمان لا الدعوة اليه والطاعة كما ذهب اليه المعتزلة لان حرصه صلى الله تعالى عليه وسلم ليس على الدعوة التى على عادته

(ثم وصفه) أى الله سبحانه و(تعالى بعد) بالضم أى بعد قوله من أنفسكم (باوصاف حميدة وأثنى عليه بمحامد) بالمنع جمع محمدة بمعنى مدحة (كثيرة) أى عديدة (من حرصه على هدايتهم) أى دلالتهم على العقائد الدينية (ورشدهم) أى ارشادهم الى مافيه صلاح أمورهم من الاحكام الشرعية (واسلامهم) أى انقيادهم واستسلامهم للحوادث الكونية بقوله حريص عليكم

ولايخفى مافيه وحرصه صلى الله تعالى عليه وسلم على الدعوة المراد طلب تأثيرها لامجردها والرشد وان كان ضد الغى فهو الهداية فينبغى تفسيره بالصلاح ظاهرا وباطنا لتغايرها كما يقتضيه ظاهر العطف وههنا بحث وهو ان ابن عبد السلام رحمه الله قال فى القواعد فى قوله تعالى فان آنستم منهم رشدا أكثر الاحكام تبنى على ظاهر الامر حتى يظهر خلافه ومايبطله لانه لوشدد بطلت التجارات والمعاملات وهذا يشكل على اشتراط الشافعية فى الرشد حسن التصرف فى المال والصلاح فى الدين بحيث لايلم بكبيرة ولايصر على صغيرة فان اجماع المسلمين على معاملة المجهولين والحكم لهم وعليهم وقبول اعتاقهم وهداياهم مما يأباه والآية لاتدل على ماذكروه والعجب من الامام فانه قال فى النهاية اذا بلغ الصبى ولم يوجد منه مايخالف الرشد انفك الحجر عنه * أقول قد رد كلام الفقهاء بوجوه ثلاثة مخالفة الاجماع ونص القرآن ومناقضة كلام النهاية له مع انه تبعهم فيه فكلامهم فاسد والله يعلم المفسد من المصلح * فان الذى قالوه معنى الرشد وحقيقته وهو صلاح الدين والدنيا بلاشبهة والمشروط فى الآية استئناس الرشد وهو كما قاله المفسرون احساسه وابصاره وذلك بظهور اماراته فآل له النظر لظاهر الحال وهو الذى عول عليه الفقهاء وأشار اليه فى النهاية فلامخالفة بين ماقالوه والاسلام معروف وهو مغاير لما قبله ولذا عطف بالواو ثم انه قيل ان المصنف قدم هذه الصفة مع تأخيرها فى الآية لان المقام مقام مدح وهو فى الحرص أتم وأكمل وسياق الآية للامتنان وهو كونه يعز عليه حالهم فاشار الى تفاوت المقامين * فان قيل المنة فى الحرص أتم * قلنا مسلك الآية على الترقى وماهنا بخلافه للتفنن فتدبر تدر مقاصد المصنف ولطف نظره أو يقال لما كانت العزة منشأ الحرص صلى الله تعالى عليه وسلم قدمت فى الآية على وفق الواقع لبيان حاله فى ابتداء أمره فلما حكاه المصنف رحمه الله بيانا لمحامده قدم المقصود بالذات الذى به الحمد ثم انه جعل متعلق الحرص فى كلامه هدايتهم للايمان وصلاح شأنهم كما ذهب اليه المفسرون لدلالة السياق عليه ولقوله فى غير هذه الآية ان تحرص على هداهم فان القرآن يفسر بعضه بعضا والحرص لايتعلق بالذوات (وشدة مايعنتهم) من الاعنات قال الله تعالى (ولوشاء الله لاعنتكم) أو من التعنت وبكل منهما روى كلام المصنف رحمه الله وأثبتهما أهل اللغة فقالوا يقال عنته وأعنته والعنت المشقة أو الوقوع فيها ويجى بمعنى الاثم والفساد والهلاك وقد اعترض صاحب المواهب رحمه الله تعالى على عبارة المصنف رحمه الله هذه بان ظاهرها ان قوله شدة معطوف على مجرور على التى تعلقت بالحرص ولايستقيم عليه المعنى ولذا قيل انه بتقدير مضاف مجرور معطوف على الحرص المجرور بمن أى وكراهة شدة الى آخره أقول هو كما قال معطوف على حرصه ولكن لاحاجة فيه الى تقدير لان معنى شدته عليه انه صعب شاق عليه فيراد به انه مكروه تأباه نفسه فالمعنى من حرصه على هدايتهم ومن كراهته لما يضرهم وصاحب المواهب لم يخف عليه العطف ولكن أوقعه التقدير فيما وقع فيه وعزته عليه الآتية معطوف عليه وقد تنازع الشدة والعزة قوله عليه وما موصولة أو مصدرية وفى قول المصنف المذكور اشارة الى جواز الموصولية فالتقدير ماعنتموه لاماعنتم به لان حذف العائد المجرور ضعيف فماقيل من أن المصنف أشار الى ان المراد فى الآية ماعنتم به وقد جعلت مامصدرية أى عنتكم فيتفاوت المعنيان وانه لازم لاوجه له قال فى المصباح تعنته أدخل عليه الاذى وأعنته أوقعه فى العنت وفيما يشق عليه تحمله انتهى (ويضربهم فى دنياهم وأخراهم) يضر بفتح الياء وضم الضاد المعجمة مضارع ضر وروى بضم الياء وكسر الضاد مضارع أضر لانه يقال أضره وأضر به فلايلتفت لمن أنكره لظنه ان همزته انما تكون للتعدية ومعنى أضره وأضر به أوقعه فى الضرر والدنيا تقال فى مقابلة آخرة وأخرى كما فى عبارة

(وشدة مايعنتهم) من الافعال أو التفعيل أى مايشق عليهم ولايطيقونه (ويضربهم) ضبط فى نسخة بضم الياء وكسر الضاد وهو غير صحيح لوجود الباء زائدة فى مفعوله وقول الدلجى ان الباء زائدة غير صحيح ففى القاموس ضره وبه وأضره والصواب ضبطه بفتح وضم والتقدير ومايضرهم (فى دنياهم وأخراهم

المصنف (وعزته عليه) عطف على شدة عطف تفسير لقوله تعالى (انما أشكو بثى وحزنى) ففيه
اشارة الى تفسير عزيز فى الآية وانه من عز عليه كذا اذا صعب وشق كما قال
* يعز علينا ان نفارق من نهوى * وله معان أخر مفصلة فى كتب اللغة تركناها لعدم مناسبتها هنا
قيل كان المناسب للتفسير وعطفه أن يؤخر الاشهر الاظهر فيقول عزته وشدته لكنه عكس للمبادرة لما
يعتمد المراد حتى يسلم السامع من عنت الانتظار ولا حاجة لجعل الشدة غير العزة للتنازع فى عليه فان
التفسير لاينافى التنازع (ورأفته) صلى الله تعالى عليه وسلم (ورحمته بمؤمنيهم) معطوف على حرصه
وقوله بمؤمنيهم متعلق بما قبله على التنازع ولا تنازع فى الآية الا على رأى من يجوز التنازع فى
المتقدم والرأفة مع الرحمة حيث وقعت مقدمة لا للفاصلة كما قاله القاضى ومن تبعه لوقوعه كذلك
فى الحشو كقوله تعالى (رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها) بل لان أصل معنى الرأفة التلطف والشفقة
ويقابلها العنف والجبروت كما شهد له كلام فصحاء العرب كقول قيس الرقيات

ملكه ملك رأفة ليس فيه * جبروت لهم ولا كبرياء

فلذا قدمت على الرحمة بمعنى الانعام كما فى المثل الايناس قبل الابساس والذى غرهم قولهم فى كتب
اللغة الرأفة أشد الرحمة كما فى الصحاح وغيره والرحمة فى كلامهم بمعنى رقة القلب فى حق البشر وهى فى
حقه تعالى بمعنى الانعام أو ارادته نظرا لغايتها وقد قلت هذا بطريق البحث ثم رأيت الامام القرطبى
قال فى شرح الاسماء الحسنى مانصه قال الله تعالى وجعلنا فى قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة
الآية وحيث ذكر هذان الوصفان قدم الرؤف على الرحيم فى الذكر وسببه ان الرحمة فى المشاهد انما
تحصل بمعنى فى المرحوم من فاقته وضعفه وحاجته والرأفة تطلق عندنا على مايحصل الرحمة من شفقة
على المرحوم وقال المشايخ الرؤف المتعطف والذى جاد بلطفه ومن يعطفه انتهى فحمدت الله تعالى
على موافقة الصواب ثم اضافة مؤمنيهم للضمير ظاهر فى ان الضمير ليس للمؤمنين فقط ودخوله تحت
قوله السابق أعلم الله الى آخره يشعر بان رأفته ورحمته صلى الله تعالى عليه وسلم بمؤمنى المخاطبين على
الاقوال كلها حتى على القول بان المخاطبين المؤمنين وبينهما تدافع كما قيل ودفع التدافع بان الاضافة
بيانية أى بالمؤمنين الذين هم المخاطبون وأتى بالظاهر ليبين علة الرأفة والرحمة ولو قال بهم لفات هذا
أو قصد عود الضمير على ذكر غير المؤمنين فى الوجه الاول ولا يخفى بعده وركاكته والاولى أن يقال
الضمير عائد على شئ مفهوم من الكلام كالمخاطبين أى من ذكر او الامة (وقال بعضهم) القائل
هو الحسين بن الفضل (أعطاه) أى أعطى الله نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم فى هذه الآية ثم بقاله
صلى الله تعالى عليه وسلم (اسمين من أسمائه رؤف رحيم) الظاهر رفعه موافقة للنظم على انه خبر
مبتدأ مقدر أى هما رؤف رحيم ويجوز نصبه بمقدر هو أعنى ونحوه أو على انه بدل من اسمين وجره على
انه بدل من أسمائه والاسم يكون بمعنى العلم ومايقابل الفعل والحرف ومايقابل الصفة المشتقة والمراد
هنا مايطلق على ذات ومسمى صفة كان أم لا وفى بدائع ابن القيم الاسماء التى تطلق على الله وعلى غيره
كحى وعليم هل هى حقيقة فى الله مجاز فى غيره أو على العكس أو حقيقة فيهما أقوال ثلاثة أظهرها
الاخير انتهى وقول المصنف رحمه الله تعالى أعطاه الى آخره فيه ميل الى القول الاول * فان قلت
كيف يصح ماقاله عقلا ونقلا وبعض الاسماء مجاز فيهما كالنور وبعضها مجاز فى الله حقيقة فى غيره
كالرحيم لان الرحمة رقة القلب أو بالعكس كالملك وقاضى القضاة * قلت لم يعن بالحقيقة الوضعية
اللغوية ولو أراد ذلك لم يصح بل العقلية أو العرفية الشرعية وقيل انهما مشتركة اشتراكا لفظيا لعدم
تشاركهما فى معنى ونقل عن الغزالى رحمه الله تعالى * فان قلت كثير من أسمائه تعالى يطلق على غيره

(وعزته عليه) أى ومن
غلبة مايعنتهم على النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم
لقوله عزيز عليه ماعنتم
وكان الاولى مراعاة
الترتيب القرآنى كما
لايخفى بان يقدم قضية
العزة على الشدة ثم يقول
(ورأفته ورحمته بمؤمنيهم)
أى ومؤمنى غيرهم وفى
نسخة بمؤمنهم بصيغة
الافراد على ارادة الجنس
بطريق الاستغراق
بقوله بالمؤمنين رؤف
رحيم والرأفة أدق من
الرحمة ولعل التفاوت
بحسب القابلية والرتبة
(قال بعضهم أعطاه) أى
الله (اسمين من أسمائه
رؤف) بالاشباع ودونه
فمن الاول قول كعب
ابن مالك الانصارى
(نطيع نبينا ونطيع ربا
هو الرحمن كان بنا رؤفا)
ومن الثانى قول جرير
(يرى للمسلمين عليه حقا
كفعل الوالد الرؤف الرحيم)
(رحيم) أى على وصف
التنكير وأما بصيغة
التعريف فالظاهر انه
لايجوز اطلاقهما على
غيره سبحانه

كحى وكريم وسميع وغيرها فكيف يكون هذا من خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم * قلت قال الغزالى المراد انه تعالى أعطاهماله بمعنى من المعانى التى أطلق بها على الله فجعله صلى الله تعالى عليه وسلم متجليا ببعض صفاته كما جعله متخلقا باخلاقه بوجه ما وان لم يكن على الوجه الاكمل اللائق بجناب العزة كما قيل كل ما يصلح للمولى على العبد حرام والمقصود انه لما ذكره صلى الله تعالى عليه وسلم فى القرآن وصفه بصفتين خلع عليه منها خلعتى اكرام دال على تميزه عما عداه وفى تفسير ابن المنير المسمى بالبحر الكبير * فان قلت ما وجه اختصاصه صلى الله تعالى عليه وسلم بتسميته باسمين من أسمائه تعالى وقد سمى موسى عليه الصلاة والسلام كريما فقال تعالى وجاءهم رسول كريم وبالاعلى حيث قال لا تخف انك أنت الاعلى وسمى ابراهيم عليه الصلاة والسلام حليما واسمعيل عليه الصلاة والسلام عليما حليما فقال فى آية وبشرناه بغلام عليم وفى أخرى حليم * قلت وجه الخصوصية ايرادهما معا فى سلك واحد ونسق متصل فى القراءة ولا يكاد يوجد هذا الا فى وصف الله تعالى لنفسه فهى كرامة أكرمه الله تعالى بها ليدل على مكانته صلى الله تعالى عليه وسلم وان رتبته فوق سائر الرتب * (تتمه) * اعلم ان الآيات القرآنية حيث ختمت باسمائه تعالى وقعت مكررة وما كرر اما فى معنى ما قبله كغفور رحيم فيفيد مبالغة فى تلك الصفة على وجه يليق بالربوبية أو مغاير له كعزيز حكيم لافادة احتراس وتكميل لان العزيز قد يفعل بعزته ما لا تقتضيه الحكمة فلما أجرى ما هو من خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم كان من الاختفاء به ما لا يخفى فتدبر (ومثله فى الآية الاخرى قوله تعالى) سقط هذا من بعض النسخ ووقع بدون واو (لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم الآية) بالنصب كما مر أى اقرأ الآية أو اذكرها فانها مماثلة لتلك فى الدلالة على انه مبعوث فى قوم هو من جنسهم سواء ضمت الفاء أو فتحت لانه اذا كان صلى الله تعالى عليه وسلم من أشرفهم كان منهم ضرورة وفى تفسير ابن المنير من أنفسهم من جنسهم يعرفون حاله وانه ما قرأ ولا درس وقد جاءه العلم دفعة فقص سير الاولين والآخرين على ما هى عليه حرفا بحرف فيعلم العاقل انه أمر خارق من عند الخالق كل ذلك ابلاغ فى ظهور حجته ووضوح معجزته فكيف يليق أن يجعل المقتضى مانعا فيلحدون ويجحدون انتهى وقوله فى الآية الاخرى صفة مثله لانه نكرة متوغل فى الابهام لا يتعرف بالاضافة وليس بحال لانها لا تجىء من المبتدأ على الاصح لا لان مثله لا يكون ذا حال كما توهم لان الاضافة والنكرة مسوغة له بلا خلاف ويجوز أن يكون مثله مبتدأ خبره فى الآية وما بعده بدل منها والمن الانعام مطلقا أو على من لا يطلب ويكون بمعنى تعداد النعم استكثارا لها وهو غير محمود الا من الله تعالى لانه بمنه يذكر العبد فيبعثه على الشكر ومن الخلق قبيح مطلقا ولذا نهى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عنه لقوله (ولا تمنن تستكثر) حتى قيل ان من خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم حرمة المن وهو مكروه من غيره ولذا قيل انه حرام أيضا فان كان لغرض صحيح جاز ولذا قيل المنة تهدم الصنيعة كما قال الله تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى وكما قال الشاعر

وان امرأ أهدى الى صنيعة * وذكرنيها انه لبخيل

(وقال آخر)

اذا زرعت جميلا فاسقه غدقا * من المكارم حتى يثمر الشجر

ولا تشنه بمن منك تتبعه * فشيمة المن أن تؤذى به الثمر

والمنعم المالك الحقيقى وعطاؤه عز وعطاء غيره ذل لآخذه يجعل يده سفلى (وفى الآية الاخرى * هو الذى بعث فى الاميين رسولا منهم الآية) فى هذه الآية امتنان وثناء عظيم كما تقدم والامى هو الذى لا يكتب ولا يقرأ الخط وان قرأ ما حفظه بالسماع من غيره وانما سمى أميا نسبة الى الام كناية كيوم

(ومثله) أى ومثل معنى الآية الاولى (فى الآية الاخرى فى قوله تعالى لقد من الله على المؤمنين) خصوا لكونهم المنتفعين (اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم الآية وفى آية أخرى هو الذى بعث فى الاميين) أى العرب الذين غالبهم ما قرأ ولا كتب (رسولا منهم) أى أميا مثلهم لكن الامية فى حقه عليه الصلاة والسلام معجزة ومنقبة وفى حق غيره معيبة ومنقصة (الآية) تمامها يتلو عليهم آياته أى مع كونه أميا فهذا أظهر معجزاته ويزكيهم أى من خبائث الاحوال والاعمال ويعلمهم الكتاب والحكمة أى السنة والشريعة (وقوله) أى وفى الآية الاخرى قوله

ولدته أمه فانه يكون على جبلته من غير ان يحسن كتابة ونحوها أو لامة العرب لانهم كانوا أميين الكتابة مفقودة فيهم الا النادر الا حكم له كما ورد فى الحديث بعثت الى أمة أمية ثم أطلق الاميون على من كتب منهم ومن لم يكتب كما قاله ابن عباس رضى الله تعالى عنهما تغليبا وقيل الامى الذى يقرأ ولا يكتب والمراد بكونه منهم انه صلى الله تعالى عليه وسلم أمى مثلهم قال الله تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا الارتاب المبطلون ففيه اشارة الى حكمته وانه معجزة له صلى الله تعالى عليه وسلم لكونه مع ذلك اظهر علم الاولين والآخرين وقصص سيرهم وأخبارهم وفيه أيضا موافقة ما تقدم من بشارة الانبياء عليهم الصلاة والسلام به ونعته فى كتبهم بانه أمى واليه اشار البوصيرى رحمه الله تعالى بقوله كفاك بالعلم فى الامى معجزة * فى الجاهلية والتأديب فى اليتم

وبالاشارة الى الوجه الاول تظرف القائل

من أعجب الاشياء انى امرئ * عمى خالى وأبى أمى

(تنبيه) قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى فى كتاب تخريج أحاديث الرافعى عد فقهاء الشافعية رحمهم الله تعالى ان مما حرم الله عليه صلى الله تعالى عليه وسلم الخط والشعر وانما يتجه التحريم ان قلنا انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يحسنهما واستدل بالآية المذكورة وبحديث انا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب والاصح انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان لا يحسنهما ولكن يميز بين جيد الشعر ورديه وادعى بعضهم انه صلى الله تعالى عليه وسلم صار يعلم الكتابة بعد ان كان لا يعلمها لقوله من قبله فى الآية فان عدم معرفته صلى الله تعالى عليه وسلم بسبب الاعجاز فلما نزل القرآن واشتهر الاسلام وكثر المسلمون وظهرت المعجزة وأمن الارتياب عرف حينئذ الكتابة وقد روى ابن أبى شيبة وغيره مامات رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حتى كتب وقرأ قال مجاهد ذكرت هذا للسدى فقال قد سمعت أقواما يذكرون ذلك وليس فى الآية ما ينافيه وروى ابن ماجة عن أنس رضى الله تعالى عنه قال قال رسول صلى الله تعالى عليه وسلم رأيت ليلة أسرى بى على باب الجنة مكتوبا الصدقة بعشر أمثالها والقرض بثمانية عشر والقدرة على قراءة المكتوب فرع معرفة الكتابة وأجيب باحتمال أقدار الله تعالى له على ذلك من غير تقدم معرفة الكتابة وهو أبلغ فى المعجزة أو فيه تقدير أى سألت عن المكتوب فقيل لى هو كذا وفى حديث سهل بن الحنظلة انه صلى الله عليه وسلم لما أمر معاوية رضى الله تعالى عنه ان يكتب للاقرع بن حابس وعيينة بن حصين قال عيينة أترانى أذهب الى قومى بصحيفة كصحيفة المتلمس فاخذ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الصحيفة فنظر فيها فقال قد كتب لك بما أمر قال يونس بن ميسرة نراه يقول انه صلى الله تعالى عليه وسلم كتب بعد ما أنزل عليه ومن الحجة عليه ما أخرجه البخارى فى صلح الحديبية أنه صلى الله تعالى عليه وسلم أخذ الكتاب وليس يحسن ان يكتب فكتب هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله الحديث وقال ابن دحية واليه ذهب أبو ذر وأبو الفتح النيسابورى وأبو الوليد الباجى وصنف فيه كتابا وسبقه اليه ابن شيبة وقال انه صلى الله تعالى عليه وسلم كتب بيده فى الحديبية وقال أبو بكر بن عربى لما قال الباجى هذا طعنوا عليه ورموه بالزندقة وكان الامر عندهم مشتنا فعقد مجلس المناظرة فاقام الباجى الحجة ونسبهم الى عدم المعرفة فكتب بذلك لعلماء الآفاق افريقية وصقلية وغيرهما فجاءت أجوبتهم بموافقته ومحصل ما توار دوا عليه وان معرفة الكتابة بعد معرفة أميته صلى الله تعالى عليه وسلم لا ينافى المعجزة بل هى معجزة أخرى بعد معرفة أميته وتحقق معجزته وعليه تتنزل الآية السابقة والحديث فان معرفته صلى الله تعالى عليه وسلم من غير تقدم تعليم معجزة وصنف أبو محمد بن مغوز كتابا رد فيه على الباجى وبين خطأه وحكى ان أبا محمد الهورى كان يرى الباجى فرأى فى النوم ان قبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انشق وماج فلم يستقر فاندهش لذلك

وقال

وقال لعله لاعتقادي لهذه المقالة ثم عقدت التوبة مع نفسي فسكن واستقر ثم قص الرؤيا على ابن معوز فعبرها بذلك واستظهر بقوله تعالى تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا الآية ومحصل ما أجاب به ابن معوز عن ظاهر حديث البراء ان القصة واحدة والكاتب فيها على بن أبى طالب كرم الله وجهه وقد وقع فى رواية البخارى من حديث البراء أيضا لما صالح النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أهل الحديبية كتب على رضى الله تعالى عنه بينهم كتابا فكتب فيه محمد رسول الله فتحمل الرواية الاولى على ان معنى كتب أمر الكاتب ويدل عليه رواية المشهور فى هذه القصة أيضا والله انى لرسول الله وان كذبتمونى اكتب محمد بن عبد الله وقد ورد كثيرا فى الاحاديث بمعنى أمر كحديث انه صلى الله تعالى عليه وسلم كتب الى قيصر وكتب الى النجاشى وكتب الى كسرى ونحوه وكلها محمولة على انه أمر بالكتابة ويشهد له قوله فى بعض طرق هذا الحديث لما امتنع الكاتب ان يمحو محمد رسول الله قال له صلى الله تعالى عليه وسلم ارنى فاراه موضعه فمحاه ثم ناوله لعلى رضى الله تعالى عنه فكتب بامره ابن عبد الله بدله واجاب بعضهم بانه على تقدير حمله على ظاهره يحتمل أن يراد انه كتب مع عدم علمه بالكتابة وتمييز الحروف كما يكتب بعض الملوك علامتهم وهم اميون والى هذا ذهب القاضى أبو جعفر السمنانى انتهى ولا يخفى بعد هذا الجواب وان شاهدنا مثله نادرا وقوله تعالى كما أرسلنا فيكم رسولا منكم الآية فى هذه الآية غاية المدح كالتى قبلها لما فيهما من انه يعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم ولذا صرح بالمنة فيها كما بين فى التفسير فلا حاجة الى اعادته كما فى الشرح الجديد وفى هذه ايذان بانه تعالى أتم النعمة بارساله صلى الله تعالى عليه وسلم كما أكمل دينه وفى الكاف وجهان أحدهما ما ذهب اليه ابن جرير من انها متصلة بما قبلها من دعوة ابراهيم عليه الصلاة والسلام وقوله ربنا وابعث فيهم رسولا منهم فبعث الله محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم ووعده بان يجعل من ذريته امة مسلمة فمعنى الآية لاتم نعمتى عليكم بالشريعة الحنيفية وأهديكم لدين ابراهيم عليه الصلاة والسلام كما أرسلنا فيكم رسولا منكم اجابة لدعوته فهو متصل بما قبله كما ذهب اليه الفراء وهى متعلقة بما بعدها وهو فاذكرونى أذكركم والخطاب جار على الوجوه السابقة فبعثه بانه كما قاله ابراهيم تاليا الكلام ربه مزكيا لامته معلما لحكمته وقدم يزكيهم هنا وأخر فى دعوة ابراهيم عليه الصلاة والسلام نظر اللقصد والفعل فيهما كما قاله القاضى أحمد رحمه الله تعالى يعنى ان التزكية هى المقصودة بالذات من تعليم الكتاب والحكمة فلذا قدمت فى الآية الآتية لانها أهم وبالفعل لا توجد الا بعده فلذا اخرت فرقا بين المقامين قيل لو استشهد المصنف رحمه الله تعالى بآية دعوة ابراهيم لكان أحسن وأوفى بالمقصود لما اشتملت عليه من المدائح مع افادة ذكره على ألسنة الانبياء السابقين عليه وعليهم الصلاة والسلام وليس كما قال لان ما هنا اخبار من الله تعالى عما ذكر فيفيد وقوعه والدعاء لا يفيده والباب معقود لثناء الله عليه صلى الله تعالى عليه وسلم لا لثناء الانبياء عليهم الصلاة والسلام وان حكاه الله تعالى فهذا ناش من عدم معرفة مقاصد الكتاب (وروى عن على رضى الله تعالى عنه عنه صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى من أنفسكم) قال الفاضل الحلبى يعنى فى قراءة من فتح الفاء كما قاله ابن رسلان ويعضده ما فى المواهب اللدنية عن ابن مردويه انه صلى الله تعالى عليه وسلم قرأ من أنفسكم بالفتح وقال انا أنفسكم نسبا الى آخر ما ذكره المصنف رحمه الله تعالى من الحديث المرفوع وهذا مما أهمله المخرجون لاحاديث هذا الكتاب فلذا (قال نسبا وصهرا وحسبا) تمييز لاسم التفضيل لايهام المفضل به الذى يفسر بتمييزه وقد فسره النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كما عرفته والنسب القرابة مطلقا أو من جهة الاباء وفى النهاية النسب الولادة القريبة وهو صلى الله تعالى عليه وسلم أشرف الخلق نسبا وكذلك سائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام كما ورد فى الحديث لم يبعث

كما أرسلنا فيكم رسولا منكم الآية الى قوله فاذكرونى بالطاعة أذكركم بالمثوبة (وروى عن على ابن أبى طالب كرم الله تعالى وجهه عنه عليه الصلاة والسلام) أى كما رواه ابن أبى عمر العدنى فى مسنده (فى قوله تعالى من أنفسكم قال نسبا) أى قرابة مختصة بالآباء على ما فى القاموس ونصبه على التمييز وكذا قوله (وصهرا) قال البيضاوى فى قوله تعالى وهو الذى خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا أى قسمه قسمين ذوى نسب أى ذكورا ينسب اليهم وذوات صهر أى اناثا يصاهر بهن والحاصل انه شريف الجانبين وكرم الطرفين ثم قوله (وحسبا) أريد به ما يعده الانسان من مفاخر آبائه من الدين أو الكرم أو المال وقيل الحسب والكرم قد يكونان بمن لا شرف لآبائهم والشرف والمجد لا يكونان الا بهم

(ليس فى آبائى) أى اسلافى من الاب والجد والام والجدة (من لدن آدم) بفتح لام وضم دال وسكون نون ويجوز وسكون الدال وكسر النون أى من عند ابتداء زمن آدم عليه الصلاة والسلام الى وجود الخاتم صلى الله تعالى عليه وسلم (سفاح) بكسر السين وهو صب ماء الرجل بلا عقد على ماقاله المحشى والاولى ان يقال المراد به الوطئ من غير مجوز لان السرية لا عقد لها والحاصل ان المراد به الزنا ومالا يجوز وطؤه شرعا (كلنا نكاح) أى ذو عقد أو كل واحد منا ناكح أو قصد به المبالغة كرجل عدل وهو واقع على التغليب والافام اسمعيل عليه الصلاة والسلام سرية اللهم الا ان يقال قد اعتقها وعقد عليها قال المحشى ويروى كلها نكاح وهو كذا فى نسخة ولعل التقدير كل المجامعة ذات نكاح وفى حديث لما خلق الله تعالى آدم اهبطنى فى صلبه الى الارض وجعلنى فى صلب نوح فى السفينة وقذف بى فى النار فى صلب ابراهيم ثم لم يزل ينقلنى من الاصلاب الكريمة الى الارحام الطاهرة الى ان أخرجنى من بين أبوى لم يلتقيا على سفاح قط

نبى الاوهو ذو نسب فى قومه وفى المصباح النسب مصدر مطلق الوصلة بالقرابة يقال بينهما نسب أى قرابة سواء جاز بينهما التناكح أولا وجمعه أنساب ومنه استعيرت النسبة فى المقادير والصهر واحد الاصهار وقال الخليل أهل بيت المرأة وقال الازهرى رحمه الله تعالى الصهر يشتمل على قرابات النساء من ذوى المحارم وذوات المحارم كالابوين والاخوة وأولادهم والاعمام والاخوال والخالات فهؤلاء اصهار زوج المرأة ومن كان من قبل الزوج من ذوى قرابته فهم اصهار المرأة أيضا وقال ابن السكيت كل من كان من قبل الزوج من أبيه أو أخيه أو عمه فهم الاحماء ومن كان من قبل المرأة فهم الاختان ويجمع الصنفين الاصهار وصاهرت اليهم اذا تزوجت منهم والحسب بفتحتين مايعد من المآثر وهو مصدر حسب بالضم وقال ابن السكيت الحسب والكرم يكونان فى الانسان وان لم يكن لابائه ورجل حسيب أو كريم بنفسه واما المجد والشرف فلا يوصف بهما الشخص الا اذا كان ذلك فيه وفى آبائه وقال الازهرى رحمه الله تعالى الحسب الشرف الثابت له ولآبائه وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم تنكح المرأة لحسبها الانه مما يعتبر فى مهر المثل والحسب الفعال الجيدة له ولآبائه مأخوذ من الحساب وهو عد المناقب لانهم كانوا اذا تفاخروا عدوها (ليس فى آبائى من لدن آدم) عليه الصلاة والسلام (سفاح كلنا نكاح) وفى نسخة كلها نكاح بالهاء بدل النون وكذا وقع فى سنن الترمذى مرويا بالوجهين أى ليس فى آبائى من حيث أبوتهم فيلزم ان لا يكون فى امهاته صلى الله تعالى عليه وسلم أيضا ذلك كما يدل عليه السياق ولدن ولدى ظرف مكان بمعنى عند الا انهما لا يستعملان الا فى الحاضر يقال لدنه ولديه مال اذا كان حاضرا وجاء من لدنا رسول أى من عندنا وقد يستعمل لدا فى الزمان واذا أضيف لمضمر قلبت ألفه ياء الا فى لغة بنى الحارث وماقيل من ان لدن بمعنى عند الا انها لا تصح الا فى ابتداء الغاية كما فى عبارة المصنف رحمه الله تعالى الحصر فيه لا وجه له فانه اغلبى والسفاح الزنا والفجور من سفحت الماء اذا صببته فكأنه أراق ماءه واضاعه وعلى رواية كلها الضمير المؤنث للوطئات واسناد النكاح لها حقيقة ان كان بمعنى الجماع ومجاز ان كان بمعنى العقد فلا وجه للاطلاق فى محل التقييد وعلى الاخرى وهى أصح الضمير للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم لآبائه واسناد النكاح لهم بتأويل ذى نكاح ونحوه أو على التجوز فى الاسناد كأنهم تجسموا من النكاح كقوله فانما هى اقبال وادبار والنكاح يطلق على الوطئ والعقد بلا خلاف انما الخلاف فى انه حقيقة فيهما أو فى أحدهما على اقوال مفصلة فى الفروع والاصول وقيل ولم يرد فى القرآن الا بمعنى العقد لانه فى الوطئ صريح فى الجماع وفى العقد كناية عنه وهى أوفق بالبلاغة والادب كما ذكره الزمخشرى والراغب واذا كان بمعنى العقد هنا فالمراد به عقد صحيح موافق لدين الاسلام أو لغيره من الاديان السالفة وحيث أخبر عنه صلى الله تعالى عليه وسلم فهو بوحى من الله أنبأه الله به انه صانه واسلافه عما يشين وطهر أرحامهم عن دنس السفاح فلم يزل كما قال ابن الجوزى رحمه الله تعالى فى الوفاء ينقل من الاصلاب الطاهرة الى الارحام الطيبة مصفى مهذبا لم يتشعب شعبتان الا كان فى خيرهما وقال السيدان المؤرخين اتفقوا على ان هاجر أم اسمعيل عليه الصلاة والسلام كانت ملكا لابراهيم عليه الصلاة والسلام فان لم يكن هناك عتق وزواج تعين ان يكون المراد من الحديث النكاح بعموم المجاز عقد صحيح يبيح الوطئ اذ المقصود نفى الفجور فيشمل الزواج وغيره من غير محذور كما حققه وهذا وظاهر الحديث انه لا فجور فى الآباء مطلقا لكن الاظهر بشهادة ماسبق وما يأتى وما فى المواهب مرفوعا من انه لم يلتق أبواى على السفاح ان المراد طهارة النسل كما أشرنا اليه وتبعه تلميذه ابن الحنبلى أقول ويمكن ان معنى لم يلتق نسب أبواى بقرينة

(قال ابن الكلبي) وهو محمد بن السائب أبو النصر المفسر النسابة الاخبارى ترجمته معروفة فى الميزان وغيره (كتبت للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم خمسمائة أم) لعله أراد به التكثير والافحال أن يكون بينهما خمسمائة أم اذ بينه صلى الله تعالى عليه وسلم وبين عدنان أحد وعشرون أبا اجماعا وبين عدنان وآدم على ما بينه ابن اسحق وغيره ستة وعشرون أبا فيكون بينه صلى الله تعالى عليه وسلم و بين آدم عليه الصلاة والسلام سبعة وأربعون أبا وسبع وأربعون أما ولا يبعد أنه عد أمهاته وأمهات أعمامه وأمهات أعمام آبائه الى آدم والله تعالى أعلم (فما وجدت فيهن سفاحا) أى ذات سفاح (ولا شيأ مما كانت عليه الجاهلية) أى من أخذ الاخدان لشهادة حديث ابن عدى والطبرانى خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح وقد نقل عن أكثر أهل السير كزبير بن بكار وغيره أن كنانة خلف على برة بعد أبيه خزيمة على عادة العرب فى الجاهلية فى أن أكبر ولد الرجل يخلف على زوجته اذا لم يكن منها وهذا مشكل لان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول كلنا نكاح ليس فينا سفاح ما ولدت من سفاح أهل الجاهلية وذكر السهيلى وغيره فى هذا اعذارا منها أن الله تعالى يقول ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف أى من تحليل ذلك قبل الاسلام وفائدة هذا الاستثناء أن لا يعاب نسب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انتهى وبعده لا يخفى وذكر الحافظ أبو عثمان عمرو بن بحر فى كتاب له سماه كتاب الاصنام قال وخلف كنانة بن خزيمة بن مدركة على زوجة أبيه بعد وفاته وهى برة بنت اد بن طابخة تحت كنانة بن خزيمة فولدت له النضر بن كنانة وانما غلط كثير من الناس لما سمعوا ان كنانة خلف على زوجة أبيه لاتفاق اسمها وتقارب نسبها قال وهذا الذى عليه مشايخنا من أهل العلم بالنسب قال ومعاذ الله أن يكون أصاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مقت بنكاح وقال من اعتقد غير هذا فقد أخطأ أو شك فى الخبر ويؤيد ذلك قوله صلى الله تعالى عليه وسلم نتقلب فى الاصلاب الزاكية الى الارحام الطاهرة

الروايات الاخر جميعا بينهما (قال ابن الكلبي) هو محمد بن السائب الكلبي أبو نصر المفسر النسابة المحدث أخرج له الترمذى وستأتى ترجمته مفصلة ونسبته الى كلب وهى قبيلة معروفة وتوفى فى السنة التى مات فيها الشافعى وهى سنة أربع وثمانين ومائة قاله الحلبى وصاحب المقتفى هذا والمشهور أن الشافعى توفى شهيدا يوم الجمعة سلخ رجب سنة أربع ومائتين وقال التلمسانى وصاحب المواهب انه هشام بن محمد بن السائب فالكاتب هو الولد فلعله نسب الكتابة الآتية تارة الى نفسه حقيقة أو تجوزا فرواه المصنف كذا قال السيد (كتبت للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم خمسمائة أم فما وجدت فيهن سفاحا) أى وطئا بطريق الزنا قيل أراد بالام ما يشمل الجدات ومن فى حكمهن كام العم والعمة وأم عم الاب ونحوه فان الجدات الحقيقية لا تقارب ذلك وقد عدوا الى آدم عليه السلام سبعة وأربعين أبا ويعلم من هذا النقل أن السفاح لم يقع فى الاقارب كما فى الشرح من ان ذلك النقل أحط رتبة لا طائل تحته ✽ أقول هذا اشارة الى السؤال المشهور على ما قاله ابن الكلبي رحمه الله تعالى من أن أمهاته صلى الله تعالى عليه وسلم وجداته لا تبلغ هذا العدد فكيف ما قاله وأنت اذا تأملت قول المصنف السابق لم تكن قبيلة من العرب الا ولها على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قرابة أو ولادة عرفت انهم لم يقفوا على المراد فانهم جعلوا النسب شجرة لها ساق وعمود وشعب وأغصان متفرقة متفرعة فان نظرنا الى عمود النسب وما عليه ومحاذيه لم يبلغ عدد الامهات ما يدانيه فضلا عن ان يساويه وان نظرنا الى الفروع والشعب وسائر قبائل العرب فجميعهم لهم به صلى الله تعالى عليه وسلم اتصال نسبى ونساؤهم أمهات له واحاطة ابن الكلبي واضرابه بمثل ذلك غير مستبعدة فانهم لهم اعتناء بالانساب يعدونها من أعظم علومهم وتوضيحه انك اذا نظرت لقبيلة وجدتها من نسل رجل واحد فجميع ذكورهم آباء له صلى الله تعالى عليه وسلم أو أعمام أو أخوال وجميع نسائهم جدات أو عمات أو خالات لعده قرابتهم وولادة له والمراد أن نسبه صلى الله تعالى عليه وسلم بحواشيه وأطرافه جميل لم يمسه دنس عار فاذا فتحت عين البصيرة لم تجد غبارا فاعرفه وانما اطلت الكلام لانى رأيتهم استشكلوه ولم يأت أحد فيه بما يشفى الغليل (ولا شيأ مما كانت عليه الجاهلية) وفى نسخة مما كان وفى نسخة أهل الجاهلية وعلى النسخة الاخرى أهل مقدر أو المراد الامة أو المراد بالجاهلية أهلها كما يطلق المجلس والمقام على أهله والجاهلية زمان كثرت فيه الجهالة أو ناس كذلك وهى ما قبل الاسلام أو أيام الفترة وقد تطلق على زمان الكفر مطلقا وعلى ما قبل الفتح والمراد أنه ليس فى نسبه صلى الله تعالى عليه وسلم زنا ونحوه مما يعاب وعطف قوله ولا شيأ الخ من عطف العام على الخاص لا من عطف الخاص على العام كما قيل فانهم كانت لهم أنكحة لا يعدونها سفاحا فحرمها الشرع كنكاح المصافحة وعدها فى بعض الشروح أمورا أكثرها زنا وأطال فيها من غير طائل ومنها نكاح المقت وهو نكاح زوجة الاب وأورد عليه الزبير ابن بكار ما ذكره المؤرخون أن كنانة خلف على برة بنت اد زوجة أبيه خزيمة على ما كانت عليه الجاهلية تفعله اذا مات الرجل خلف على زوجته بعده أكبر بنيه من

غيرها ورد بما روى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال ما ولدنى من سفاح الجاهلية شئ ما ولدنى الانكاح
كنكاح الاسلام وبما ذكره المصنف رحمه الله تعالى عن الكلبى وقد أجيب عنه باجوبة منها انه لم يكن
سفاحا محرما قال السهيلى رحمه الله تعالى ويدل عليه قوله تعالى ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء
الا ما قد سلف فان الاستثناء يدل على تحليله وانه ليس فى نسب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
ما يعاب وانه لم يكن فى نكاح أجداده صلى الله تعالى عليه وسلم سفاح ألا ترى أنه لم يقل فى شئ نهى عنه فى
القرآن الا ما قد سلف نحو ولا تقربوا الزنا ولا تقتلوا النفس التى حرم الله ولم يستثن من المعاصى التى
نهى عنها الا فى هذه وفى الجمع بين الاختين لانه كان مباحا فى شرع من قبلنا كما جمع يعقوب بين راحيل
واختها اليا فقوله الا ما قد سلف التفات الى هذا المعنى وتنبيه على هذا المعزى ونقل هذه النكتة عن ابن
العربى وهذا بناء على ان نكاح زوجة الاب كان جائزا قبل الاسلام وكانوا اذا مات أحدهم ورث أولياؤه
نكاح زوجته ولو كرها فأنزل الله تعالى لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها وظاهر كلام بعض المفسرين
أن نكاح زوجة الاب كان جائزا فى أوّل الاسلام ويأباه قوله تعالى انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا فان
كان هنا بمعنى لم يزل وهو أحد معانيها الزائدة فانها لا تزداد اذا عملت وذهب بعض المفسرين الى أنه
لم يكن حلالا أبدا وقوله الا ما قد سلف لا يدل عليه ولذا اعترض على من استدل به ودفع ما مر بما نقله
الجاحظ من أن كنانة من خزيمة وان خلف على زوجة أبيه بعده وهى برة بنت ادبن طابخة وهى أم أسد
فهى لم تلد منه ذكرا ولا أنثى حتى تكون جدة للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم ولكن كانت ابنت أخيها
وهى برة بنت مر بن ادبن طابخة أخت تميم بن مرة عند كنانة بن خزيمة فولدت له النضر بن كنانة وانما غلط
كثير من الناس لما سمعوا أن كنانة خلف على برة لاتحاد اسمهما وتقارب نسبهما قال وهو الذى عليه
أهل العلم بالنسب ومعاذ الله أن يكون أصاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم نكاح مقت وقد قال
ما زلت أخرج من نكاح كنكاح الاسلام ومن اعتقد غيره وشك فى هذا الخبر فقد أساء وأخطأ وكذا
ما قيل من أن هاشما خلف على واقدة زوجة أبيه فانه رد بانها ليست جدة للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم
فان أم عبد المطلب انصارية ولذا كانت الانصار أخواله صلى الله تعالى عليه وسلم كما فصل فى السير
* واعلم أن المصنف رحمه الله تعالى لما ذكر آيات قرآنية فيها الثناء على رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم سردها فى ترتيب أنيق لم ينبه عليه أحد ممن تكلم عليه فانه بدأ بقوله تعالى لقد جاءكم رسول من
أنفسكم الآية الدالة على أن الرسول الذى جاءهم أزال عنهم العنت والمشقة وهداهم للنور المبين وهو
منهم معروف فيما بينهم ثم عقب ما ذكر من التخلية بما يدل على التحلية من قوله تعالى لقد من الله الخ
فدل على أنه منة ونعمة عظيمة لتعليمه وارشاده للعلوم والحكم والاتيان بكتاب لم يشرف بما بدأ منه أحد
من الامم ثم يختمه بما يؤكد هذه المنة من انهم أميون لا قدرة لهم على القراءة والكتابة مع أن الكتب
السالفة ليست بلسانهم فلو لم يبعث منهم هذا النبى الكريم صلى الله تعالى عليه وسلم لم ينقذوا من
الضلالة ويهتدوا للسعادة فاعرفه (وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فى قوله تعالى وتقلبك فى
الساجدين قال من نبى الى نبى حتى أخرجتك نبيا) وروى أخرجك قال السيوطى هذا الحديث أخرجه
ابن سعد والبزار وأبو نعيم فى الدلائل بسند صحيح عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وهو عبد الله بن
عباس بن عبد المطلب الصحابى المشهور حبر هذه الامة وترجمان القرآن الفائق فى العلم والكرم أحد
العبادلة توفى سنة ثمان وستين فى أيام ابن الزبير وقد كف بصره كما سيأتى والتقلب تفعل من القلب وهو
التحول من جهة الى أخرى وجعل أعلى الشئ أسفله وهو بالمعنى الاول فى الآية وفيها وجهان آخران

(وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فى قوله تعالى وتقلبك فى الساجدين) أى كما رواه ابن سعد والبزار وأبو نعيم فى دلائله بسند صحيح عنه انه (قال من نبى الى نبى حتى أخرجك) وفى نسخة صحيحة حتى أخرجتك (نبيا) ولا يخفى أن المراد به أن بعض الآباء كانوا من الانبياء وفى الآية عنه وعن غيره معانى أخر

أن

غيرماذكره ابن عباس أحدهما ان المراد تردده فى تصفح أحوال الصحابة فى تهجدهم بعدما نسخ فرضية قيام الليل فان بيوتهم مملوأة بالذكر والصلاة ولهم دوى كدوى النحل أو تصرفك بين المصلين قياما وركوعا وسجودا ولذا قيل انه لم يذكر صلاة الجماعة الافى هذه الآية وعلى هذا اقتصر أكثر المفسرين وعلى الاول اقتصر الرازى فى أسرار التنزيل واستدل بها على اسلام آباء النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وأجداده فقال انه كان ينتقل ذرة من ساجد الى ساجد فتدل على أن آباءه صلى الله عليه وسلم لم يكونوا مشركين ويدل عليه أيضا ما ورد فى الحديث من انه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يزل ينقل من أصلاب وأرحام طاهرة وقد قال الله تعالى انما المشركون نجس وسيأتى تفصيله فى حال الابوين ولا دلالة فيما ذكر لان المراد بتقلبه انتقاله من صلب نبى الى نبى ولو مع الوسائط والمراد بالحديث انه ليس فى أصوله سفاح كما مر وفى الحديث تصريح بان هذا هو المراد فالمراد تعظيمه صلى الله تعالى عليه وسلم والثناء عليه بعد مدحه بان الله طهر أصوله كما طهر فروعه وملاءمة هذا لما قبله وهو فتوكل على العزيز الرحيم الذى يراك حين تقوم وتقلبك الخ ظاهرة لان المعنى فوض أمورك كلها فى جميع أحوالك الى من يراك اذا قمت لكل صلاة أو لصلاة الليل ويراك فى أخفى من هذا ان كنت ذرة فى أصلاب المصلين وعبر عن الصلاة بالسجود لانه أعظم وأقرب الى الله فان العبد أقرب ما يكون من ربه وهو ساجد فالمراد انه يراك فى ظهورك وبطونك لاستواء الظاهر والخفى فى علمه خلافا لمن توهم انه لا ملاءمة بينهما وبهذا ظهر أيضا مناسبة هذه الآية لما قبلها فى كلام المصنف ووجه تأخيرها والمراد بالرؤية ظاهرها أو الحفظ والكلاءة والرعاية كما يقال نظر الله اليك أى حفظك فى جميع حالاتك من حين كنت نطفة فكيف لا يحفظك من أعدائك وينصرك عليهم وسقط أيضا ما يتوهم على هذا التفسير انه ان جميع الاصلاب التى حوته كذلك فالواقع خلافه والا فلا فرق بينه وبين غيره من بنى اسمعيل عليه الصلاة والسلام وقد روى عن ابن عباس أيضا ماذكره غيره من المفسرين ففيه روايتان عنه (وقال جعفر) هو جعفر الصادق أبو عبد الله (بن محمد) بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهم وأمه أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنهم روى الحديث عن أبيه وعن نافع وعطاء والزهرى وغيرهم وروى عنه كثير كمالك والسفيانين وابن جريج وابن اسحاق واتفقوا على امامته وجلالته وسيادته ولد سنة ثمانين وتوفى فى سنة ثمان وأربعين ومائة قيل مسموما ودفن بالبقيع مع أبيه وجده وعمه فى قبر واحد ويقال انه ولد فى الصديق مرتين لان أمه أم فروة بنت القاسم بن محمد بن الصديق وأمها أسماء بنت عبد الرحمن بن الصديق وكذا يقال ولد مرتين لمن انتسب من جهتين ووثقه فى رواية الشافعى وابن معين وأبو حاتم والذهبى وهو من فضلاء أهل البيت وعلمائهم والاحاديث المروية عنه مقبولة الا رواية أولاده اذا لم ترد من طريق آخر فانهم رووا عنه مناكير كثيرة حتى ذهب بعض الناس الى تمريضه ولا تزر وازرة وزر أخرى وكانه لذلك لقب بالصادق (علم الله تعالى وتقدس عجز خلقه عن طاعته) فى نسخة ضعف خلقه والطاعة اسم مصدر وهو الاطاعة من أطاع اذا انقاد واتبع الامر فلم يخالفه قال ابن فارس اذا مضى لامره فقد أطاعه اطاعة واذا وفقه فقد طاوعه والاستطاعة الطاعة والقدرة أى انه عز وجل علم عجز القوى البشرية عن اطاعته كما ينبغى من غير أن يكون بينهم وبينه واسطة من جنسهم لها تجرد باعتبار وتعلق بمقتضى الفطرة به يفيض على من هو دونه ولذا كانت الرسالة سفارة بين يدى الله وبين العقلاء يزيح بها عللهم فيما قصرت عنه عقولهم من مصالح الدنيا والآخرة ولا حاجة هنا كما قيل الى تفصيل معنى النبوة والرسالة (فعرفهم ذلك) العجز وانهم لو لم يكونوا عاجزين لم يقم بينهم وبينه رسولا موصوفا بما سيأتى ولذا أقام الله عذر من لم يأته رسولا فقال وما كنا

(وقال جعفر بن محمد) أى ابن على بن الحسين بن أبى طالب الهاشمى المدنى المعروف بالصادق أمه أم فروة بنت القاسم ابن محمد بن أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه وأمها أسماء بنت عبد الرحمن بن أبى بكر وكان يقول ولدت فى الصديق مرتين متفق على امامته وجلالته وسيادته قال البخارى فى تاريخه ولد سنة ثمانين وتوفى سنة ثمان وأربعين ومائة انتهى وقد أخرج له مسلم والاربعة وكذا البخارى فى كتابه أدب المفرد (علم الله تعالى عجز خلقه عن طاعته) أى عن معرفة ما يطلب منهم فعلا وتركا من طاعته بغير واسطة رسول وبعثته لبيان عبادته (فعرفهم) بتشديد الراء أى فاعلمهم (ذلك) أى العجز

معذبين حتى نبعث رسولا (لكي يعلموا أنهم لا ينالون الصفو من خدمته) ينالون بمعنى يصلون ويأخذون والصفو بمعنى الصافي الخالص بفتح الصاد المهملة والصفوة مثلثة وخدمته بمعنى عبادته وطاعته وصفوتها خلوصها من الحظوظ النفسية فلا يشوبها ما يكدرها من التقصيرات (فاقام بينهم وبينه) وفي نسخة بينه وبينهم بتقديم المفيض على المستفيض لتقدمه ذاتا ورتبة وفي الاولى قدمهم لانهم المحتاجون للوساطة فقدموا رعاية للمقام واقامته بينهم جعله قائما موجودا بينهم أو أقامه خليفة له (رسولا مخلوقا من جنسهم) وسقط رسولا من بعض النسخ أي بشرا منهم فليس الجنس منطقيا بل لغوي وهو أعم من المصطلح لشموله النوع وغيره وما قيل من أن المراد من جنس أشرافهم اذا صل الكلام بالنظر الى الانسان الاشرف أو المراد من العناصر ونحوها مما يعم الثقلين ولذا عدل للجنس كلام لا يناسب المقام وفيه تعقيد من غير حلاوة فتركه خير وفي الاخير يكون الظرف لغوا والقصد بهذا زيادة الالتئام وسهولة الاتباع وقوله (في الصورة) أي جنسيته صلى الله تعالى عليه وسلم انما هو بحسب الصورة الظاهرة لا المعنى الباطني لما سيأتي في القسم الثالث لتتكرر له المناسبة بين الجانبين فيتأهل للوساطة بين الله وعباده (وألبسه) أي كساه الله حللا (من نعته الرأفة والرحمة) ففيه استعارة مكنية والنعت والصفة بمعنى ورأيت في بعض كتب العربية ان بعض النحويين فرق بينهما فقال النعت لا يقال الا في غير الله لقولك نعت الثوب ونعت الفرس ولا يقال نعت الله بخلاف الوصف والصفة والمشهور هو الاول وعليه كلام المصنف رحمه الله والضمير المضاف اليه نعته لله والرأفة مفعول ألبس الثاني وقد قدمنا لك الفرق بين الرأفة والرحمة ووجه تقديمها وما وقع لهم من الغلط فيه فليكن على ذكر منك فان بعض الشراح أطال فيه هنا بغير طائل * (تنبيه) * قال القرافي في التقييد شرح مسائل الاربعين الرحمة أصلها ميل الطبع ورقته وهو مستحيل على الله تعالى فيصرف للمجاز وهذه الرقة لها لوازم لان من رق طبعه أراد الاحسان وأحسن فكلاهما يصح التجوز به وذهب الباقلاني الى أن التجوز عن الفعل فقال رحمته معاملته معاملة الراحم المرحوم وذهب الاشعري الى أنها ارادته فعلى رأي القاضي الرحمة محدثة وعلى رأي الشيخ قديمة وعلى رأي القاضي يجوز أن يقال اللهم اجعلنا في مستقر رحمتك وهو عنده الجنة وعلى رأي الشيخ يحرم ذلك لان مستقرها لذات وفي القرآن مواضع لا تستقيم الا على أحد الرأيين فقوله تعالى ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما يتعين فيه الارادة لاقترانها بالعلم وهو صفة ذاتية والوسع وقوله هذا من رحمة ربي الاشارة الى السد وهو من باب الاحسان انتهى وهل هي مجاز مرسل أو استعارة تبعية أو تمثيلية احتمالات بينها في حواشي القاضي * واعلم أن المصنف رحمه الله تعالى لما ذكر في هذا الفصل آيات دالة على نهاية الثناء على نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم وكان معناها كلها ان الله بعث في هذه الامة الامية رسولا هو أعظم مخلوقاته حسبا ونسبا أودعه في الاصلاب الطيبة والارحام الطاهرة وجعل واسطته أنبياء ورسلا وأوحى اليه بكتاب هو أعظم الكتب السماوية وجعله مشتملا على علوم الاولين والآخرين فاقام به الملة السمحة وأتم به دينه ونصرهم على أعدائهم وملكهم الدنيا ولطف بهم اذ جعله بشرا امثالهم يخاطبهم بلسانهم وفي ذلك رأفة بهم وأتم نعمة عليهم وعلى نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم مثل ذلك اذ رأف بهم وأنعم عليهم بنعم الدنيا والآخرة ولذا وصفه بصفتين متجاورتين في قوله تعالى بالمؤمنين رؤف رحيم ومثله مما خص الله به نفسه فلما جعل خليفة الله خلع عليه خلعة فوق خلعة تمييزا له وتكريما كما يفعله الملوك فقوله ألبسه من نعته الرأفة والرحمة يعني به المذكور في الآية السابق ذكرها ولم يجمع له غيرهما * فان قلت كيف هذا وقد وصفه بصفات غيرهما وجمع له بين صفتين أيضا في قوله تعالى في آية الاسراء لنريه من آياتنا

(لكي يعلموا انهم لا ينالون الصفو من خدمته) أي الخالص من طاعته بل انما ينالون بالواسطة من فضله ورحمته كما قال الله تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا وفي قضية ابليس ايماء الى أن كثرة الخدمة غير مفيدة مع قلة الرحمة (فاقام الله بينهم وبينه مخلوقا من جنسهم في الصورة) أي مباينا لصنفهم في السيرة (ألبسه من نعته الرأفة والرحمة

انه هو السميع البصير بناء على ان الضمير لعبده * قلت هذا انما ذهب أكثر المفسرين الى خلافه وان الضمير لله تعالى ولو قلنا انه له فهاتان الصفتان لم يجز لهما ذكرهنا ولا مناسبة لهما بهذا المقام فلذا خصهما المصنف بالذكر فما قيل معنى الباسه الرأفة والرحمة انه وصفه بهما بما شاركه في أصل المعنى وان تغايرا في الحقيقة وان بينهما مشاركة لفظية ومناسبة ما وانما خصهما من بين الصفات لكمال مناسبتهما البعثة للثقلين وواسطته بينهما مع شدة الاحتياج لذلك كما قال صاحب معيار المريدين في قوله (تخلقوا باخلاق الله) معناه اتصفوا بالصفات المحمودة وتنزهوا عن الصفات المذمومة وليس معناه أن يأخذ من صفات القديم شيئا ومثاله من يوقد سراجا من سراج أو يأخذ علما من عالم فانه لا يأخذ عين سراجه ولا عين علمه بل يحصل له من أشراق سراجه سراج ومن افاضة علمه علم آخر هو كلام من لم يصل الى العنقود مع انه لا تحصل له وليس تحته كبير فائدة (وأخرجه الى الخلق سفيرا صادقا) المراد انه أخرجه من العدم والتقدير الى الوجود الخارجي العيني أو من الاصلاب والارحام والسفير الرسول والمصلح بين القوم والمراد الاول أي رسولا من الله لهم وهو مأخوذ من سفرت الشيء سفرا اذا كشفته وأوضحته لانه يوضح ما أمر به ويظهر ومنه اسفار الصبح والمراد بالخلق جنسهم أو جميعهم لعموم رسالته صلى الله تعالى عليه وسلم كما سيأتي وصدقه صلى الله تعالى عليه وسلم لان الله تعالى عصمه من الكذب ولم يؤثر عليه تهمته به فضلا عن وقوعه كما مر في حديث هرقل (وجعل طاعته طاعته وموافقته موافقته) طاع وأطاع بمعنى انقاد وأذعن وقيل طاع بمعنى انقاد وأطاع بمعنى اتبع الامر ولم يخالفه وليس بينهما بعد بحسب المآل والموافقة ضد المخالفة ومعناها الاتفاق والتظاهر أي من اتفق معه على ما كان عليه في دينه وقبول ما جاء به فقد وافق الله والضمير الاول للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم والثاني لله ويجوز العكس لانه لا طاعة لله الا بطاعة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم ولا طاعة للرسول الا بطاعة الله والمراد الاتحاد الحقيقي لانه لا ينطق عن الهوى فهو مبلغ والآمر هو الله أو لانه لا يامر الا بما فيه طاعة الله وعبادته فاطاعته عبادة وقيل المراد ان طاعته مثل طاعته في الوجوب لان الله أمرنا باطاعته قيل وهو قصور أو خفاء وذكر الموافقة بعد الطاعة وهي بمعنى الاطاعة للتأكيد قيل وتوضيح الاتحاد الحقيقي ان من أطاع الرسول عليه الصلاة والسلام ليس له اطاعة لا يكون مطاعها الحق وهذا كما قيل ان وجود العرض في نفسه هو وجوده في الموضوع فليس للسواد وجود لا يكون تابعا للموضوع ولذا امتنع انتقاله عنه بخلاف وجود الجسم في الحيز فلذا انتقل عنه كما قاله التفتازاني ورد بانه لا يستقيم هذا لان الاتحاد الحقيقي هو ان يصير شيئا بعينه شيئا آخر من غير أن يزول عنه شيء أو ينضم اليه شيء وهنا قد انضم الى أوامره ونواهيه كونها وحيا من الله تعالى ليست كاوامره ونواهيه بامور طبيعية قبل النبوة وهذا كقول السلطاني لوزيره مر الناس عني بكذا فانه صادر من الوزير صورة وبعد أمر اللوزير وهو في الحقيقة أمر السلطان فالاتحاد مجازي بطريق الانتقال والتغير كما يقال صار الماء هواء أي زالت عن هيولاه صورة وخلقتها أخرى أو هو من قبيل صار الابيض اسود أو انضم اليه شيء آخر كصار التراب طينا وما قيل في توضيحه أيضا غير صحيح لان الاتحاد الحقيقي وعدم المغايرة والعرض له حقيقة مغايرة لحقيقة موضوعه فلا يقال ان حقيقة السواد هي حقيقة الجسم وهذا الفاضل جعل حقيقة طاعة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم هي طاعة الله وأين الوجود من الحقيقة وقد تقرر أن وجود العرض والجوهر زائد على ماهيتهما ولهذا لم يصدق تعريف الجوهر بانه ماهية اذا وجدت في الخارج لم يكن في موضوع على ذات الباري لان وجوده عين ذاته ثم ان معنى قولهم ان وجود العرض هو وجوده في موضعه انهما لا يتمايزان في الاشارة الحسية وقد توهم

(وأخرجه الى الخلق سفيرا) أي وأظهره مرسلا اليهم حال كونه رسولا مصلحا لما بينهم (صادقا) أي مطابقا قوله فعله وموافقا حكمه خبره (وجعل طاعته طاعته) بنصبهما أي كطاعة الله تعالى أي فيما يامره وينهاه وهو تشبيه بليغ مفيد للمبالغة وهو ان طاعته عين طاعته وكذا قوله (وموافقته موافقته) أي في أمر دينه ودنياه فلا تجوز مخالفته في طريق مولاه كما قال سبحانه وتعالى في حقه فليحذر الذين يخالفون عن أمره

من هـذه العبارة ان وجود السواد مثلا في نفسه هو وجوده في الجسم وليس بشئ اذ يصح ان يقال وجد في نفسه فقام بالجسم وهـذا يقتضي المغايرة * أقول انما قلت هـذا مع طوله لئلا يظن ان في السويداء حالا وتحقيقه ان المدلولين اذا تغايرا بحسب المفهوم واتحدا في الخارج بحسب الماصدق كالحيوان والمتحرك بالارادة يكون الاتحاد حقيقيا بحسب الخارج واطاعة الله واطاعته كذلك من غير شبهة فان الله تعالى اذا أوجب الصلاة وأمر بها فأمر الرسول عليه الصلاة والسلام بها الخلق فامتثلوا فاطاعة الله واطاعة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم اقامة الصلاة وهي أمر واحد في الخارج وان تغاير مفهوماهما فانه أمر اضافي يختلف باختلاف المضاف اليه وكذا وجود العرض في نفسه ووجوده في موضوعه لعدم التمايز والانتقال بخلاف وجود الجسم وما انضم اليه شئ آخر كالخشب والسرير والماء المنقلب هواء ليس من هـذا القبيل لتغايرهما في الخارج فهذا القائل خبط عشواء وأطال من غير طائل * فان قلت كيف يتم هذا ان قلنا باجتهاده صلى الله تعالى عليه وسلم فاذا أمرهم باجتهاده هل يقال اطاعة أمره اطاعة لله مع احتمال أمر بخلافه كما في قصة الاسراء * قلت نعم هو اطاعة الله لقوله (وأطيعوا الرسول) من غير قيد ولذا عقبه المصنف رحمه الله تعالى قوله (فقال تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله) تقدم ان ضميري طاعته طاعته فيهما وجهان وقد قيل هنا ان جعل الضمير الاول لله يفيد ان طاعة الله منحصرة في طاعة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم لتعريف الطرفين لان المعتبر منها ماوافق الشرع والشرع من الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فهو أبلغ الا أن دلالة هذه الآية عليه ليست بظاهرة وتوضيحه كما قيل ان معناها ليست له صلى الله تعالى عليه وسلم اطاعة الا وهو لله بتنزيل الموجود منزلة المعدوم كما في قوله تعالى (وما رميت اذ رميت) ويحتمل أن يكون معناها من يطع الرسول عليه الصلاة والسلام في تفاصيل ماجاء به فقد أطاع الله في قوله تعالى (قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول) الا أن هذه الآية هي الدالة على انه جعل طاعته كطاعته في أصل الوجوب لا في ذاته ووصفه لا الآية التي تلاها المصنف رحمه الله تعالى فلا يصح ان يقال معنى جعل طاعته طاعته انه جعلها قبلها في الوجوب لان قوله فقال الخ بالفاء لتفسيره أو تفريعه عليه مايخالفه كما سيأتي ورد بانه لا ينفي قصر الدلالة على وجوب طاعته في الآية الثانية لان الآية التي تلاها المصنف رحمه الله تعالى دالة على ذلك أيضا فان مضمونها انه جعل طاعته صلى الله تعالى عليه وسلم طاعة الله وطاعة الله واجبة شرعا وعقلا فطاعته صلى الله عليه وسلم كذلك وان لم يكن مثلها في كل الوجوه فدل ذلك على انه يجوز ان يكون مراده جعفر الصادق بقوله انه جعل طاعته مثل طاعته في الوجوب وهو كلام حسن والذي جنح اليه القائل ان القاضي وغيره قال في تفسير قوله تعالى (من يطع الرسول) الآية ان الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم مبلغ والآمر هو الله وهذا الحصر يقتضي انه لا آمر ولا ناهي سواه وانه لا طاعة لغيره الا بحسب الظاهر وأنا أقول هـذا كله من ضيق العطف فان كون الامر كله لله ليس فيه اشتباه وما على الرسول الا البلاغ لكن لما كان العباد لا تطلع على ذلك الا بامر الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وكانت اطاعته وتصديقه واجبان علينا جعل أمره ونهيه ومثله بعد حقيقة بحسب اللغة كما قال في البردة

نبينا الآمر الناهي فلا أحد * أبر في قول لا منه ولا نعم

وفي هذا التفريع خفاء ليس هـذا محل بيانه فاي ماس في النظر بهذين الامرين وقوله طاعته تشبيه بليغ كقولك أبو يوسف أبو حنيفة ويجوز عكسه وجعل عينه ادعاء فلا ينافي الآية لان الشرط والجزاء متغايران نظر المنافي نفس المقام ولكل مقام مقال (وقال الله تعالى وما أرسلناك الا رحمة للعالمين) هذا اما ابتداء كلام في ذكر ماجاء في الثناء من الله تعالى على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أو من تتمة

(يقال من يطع الرسول فقد أطاع الله) وقد روى من أحبني فقد أحب الله ومن عصاني فقد عصى الله تعالى وكذا قوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله (وقال الله تعالى وما أرسلناك الا رحمة للعالمين) وكذا قوله صلى الله تعالى عليه وسلم انما أنا رحمة مهداة على مارواه الحاكم عن أبي هريرة

كلام جعفر رضى الله تعالى عنه وبه جزم فى الشرح الجديد وهو حينئذ متصل باول كلامه أى لما علم عجزهم عن نيل صفو خدمته أقام بينه وبينهم سفيرا من جنسهم رحمة لهم فانه انما بعث رحمة للعالمين أو بقوله ألبسه من نعته الرأفة والرحمة وهو أقرب والعالمين عام شامل للمتقين والعصاة والكافرين كما سيأتى من انه صلى الله تعالى عليه وسلم رحمة للكافرين بتأخير العذاب ومنع الاستئصال فمن خالفه فعذابه من نفسه كعين جرت فانتفع بها قوم وكسل آخرون فهى رحمة لهما وما قيل ان المفسرين لم يتعرضوا لبيان نفى الغضب مع وقوعه منه صلى الله تعالى عليه وسلم كثيرا وقد قصد الله تعالى ببعثته ان لا يؤمن به قوم فيعذبهم وليس الحصر هنا نظر العموم العالمين لانه لو اريد به هذا قيل وما أرسلناك الا رحمة للعالمين أو يقال القصد بالذات الرحمة والغضب بالتبعية وهو فى جنب الرحمة كالعدم أو المعنى لاجل للرحمة على الكل لا الغضب على الكل الى آخر ما قاله واطال فيه من غير طائل ولعمرى ان ما ظنه مشكلا فى غاية الظهور فانه صلى الله تعالى عليه وسلم رحمة عامة شاملة كماء دائما أنا رحمة مهداة فانه لم يرد لاحد ضررا وقد اجتهد فى نفع كل احد ولكن من يضلل الله فما له من هاد وكان صلى الله تعالى عليه وسلم لا يغضب لنفسه وانما يغضب لانتهاك حرمات الله كما سيأتى بيانه ولعمرى ان صاحب الكشاف أجمل وأجمل فلا حاجة للاطالة هنا ورحمة مفعول له وللعالمين متعلق به أى ما أرسلناك الا لترحم بك العالمين بهدايتك اياهم لسعادة الدارين وفى مسلم قيل يا رسول الله ادع الله على المشركين فقال انى لم ابعث لعانا انما بعثت رحمة ويجوز ان يكون حالا من الكاف أى الا ذا رحمة أو هو عين الرحمة وليس للعالمين متعلق بارسلناك لان ما قبل الا لا يعمل فيما بعدها الا فى الاستثناء المفرغ نحو ما مررت الا بزيد والمعنى الا لارحم بالبناء للفاعل لا للمفعول كما قيل (قال أبو بكر بن طاهر) قال الشمنى والبرهان الحلبى هو أبو بكر بن طاهر بن مفوز بن أحمد بن مفوز المغافرى الشاطبى وقال التلمسانى هو عبد الله بن طاهر الابهرى وهو من أقران الشبلى ومن مشايخ الجيلى عالم ورع مات قرب الثلاثين وثلاثمائة وهناك أبو بكر بن طاهر واسمه محمد بن أحمد بن طاهر الاشبيلى القيسى يروى عن أبى على الغسانى وروى عنه السهيلى والاول أقدم من الثانى وهو المراد والله أعلم والذى عند سيدى أبو الحسن أبو بكر بن طاهر بن مفوز بن أحمد بن مفوز المغافرى الشاطبى والله أعلم أيهم هو انتهى (زين الله محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم بزينة الرحمة) يعلم من هذه العبارة ان فى قوله السابق ألبسه الرأفة والرحمة استعارة مكنية بجعل كل منهما كالحلة والخلعة البهية (فكان كونه رحمة وجميع شمائله وصفاته رحمة على الخلق) الفاء هنا للتفسير والتفصيل وكونه مرفوع اسم كان وهو مصدر كان التامة أى وجوده ورحمة منصوب خبرها وكونه لا خبر له وتقديره من ربنا قبيح وما بعده معطوف عليه والزينة ما يتزين به لباسا أو غيره واضافته للرحمة كلجين الماء أو بيانية وقيل الزينة هنا اللباس أى ألبسه الله رحمة رحمانية شاملة له وفيه اشارة الى انها منة من الله بها عليه غير الجبلية البشرية والشمائل جمع شمال بالكسر مثل شمال خلاف اليمين قال الازهرى الشمال خلقة الرجل أى خلقه وجمعه شمائل ورجل كريم الشمائل أى فى اخلاقه ومخالطته انتهى وبه سمى كتاب الشمائل وما ألطف قول ابن الوردى فيه مضمنا

يا ألطف مرسل كريم * ما ألطف هذه الشمائل

من يسمع لفظها تراه * كالغصن مع النسيم مائل

فعطف صفاته من عطف العام على الخاص ان لم يخصص بالصفات الظاهرة والشمائل بخلافها وقال الشراح صفاته صلى الله تعالى عليه وسلم تشمل غضبه وظاهر مرآه لانه لا يغضب لنفسه وانما يغضب لله وغضبه للاصلاح وهو رحمة فى ذاته وامام آه الحسن فانه لمحبته والتصديق به ألا ترى ان عبد الله بن

(قال أبو بكر بن طاهر) وفى نسخة محمد بن طاهر أى ابن محمد بن أحمد بن طاهر الاشبيلى القيسى وبهذا يعرف ان ليس المراد به عبد الله بن طاهر الابهرى الذى هو من أقران الاشبيلى خلافا لما توهمه التلمسانى قال العسقلانى هو معافرى شاطبى روى عن أبيه وابن على النسائى وغيرهما وأجازله أبو الوليد الباجى (زين الله تعالى محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم بزينة الرحمة) أى بزيادة المرحمة (فكان كونه) أى وجوده (رحمة) واغرب الدلجى فى قوله مكان كونه موصوفا بالرحمة رحمة (وجميع شمائله) جمع شمال بالكسر وهو الخلق بالضم والمراد بها أخلاقه الباطنة (وصفاته) الظاهرة من نحو كرمه وجوده (رحمة) الاولى مرحمة لتغاير الاولى والمعنى محل رحمة نازلة (على الخلق) أى عامة وخاصة

(فن أصابه شئ من رحمته فهو الناجي) قال التلمساني أي الخالص (في الدارين) أي حالا ومآلا (من كل مكروه) أي مغضوب (والواصل فيهما) أي وهو الواصل في الكونين (الى كل محبوب) وفيه ايماء الى ماورد من ان الله تعالى خلق الخلق في ظلمة ثم رش

عليهم من نوره فمن اصاب من ذلك النور اهتدى ومن أخطأه فقد ضل وغوى (ألا ترى) بصيغة الخطاب المعلوم ويجوز ان يقرأ بصيغة الغائب المجهول أي ألا تعلم (ان الله تعالى يقول وما أرسلناك الا رحمة) أي ذا رحمة وأريد بها المبالغة (للعالمين) أي من غير تقييد للمؤمنين ولامته دون غيرهم من المخلوقين ويستفاد من نسبة الرحمة الالهية انها ليست من الامور العارضية (فكانت حياته رحمة ومماته رحمة) بل وليس هناك موت ولا فوت بل انتقال من حال الى حال وارتحال من دار الى دار فان المعتقد المحقق انه حي يرزق (كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم) فيما رواه الحارث بن أبي أسامة في مسنده والبزار باسناد صحيح (حياتي خير لكم) وهو ظاهر (وموتي خير لكم) قال الدلجي بشهادة وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم حيا وميتا انتهى وغرابته لا تخفى فالاظهر ان يقال لانه يعرض على أعمالكم فاشفع في غفران سيئاتكم وادعو لكم في تحسين حالاتكم والمعنى اني متوجه اليكم وراحم عليكم وشفيع لكم حيا وميتا بالنسبة الى حاضركم وغائبكم أو التقدير وموتي قبلكم خير لكم فيوافق ما أراده المصنف بقوله

سلام رضي الله تعالى عنه لما رآه صلى الله تعالى عليه وسلم آمن به وقال اني لما رأيت وجهه الشريف تبينت انه ليس بوجه كذاب فان أريد بالخلق جميعهم كما مر فقوله (فن أصابه شئ من رحمته فهو الناجي في الدارين) أي في الدنيا والآخرة والناجي بمعنى السالم من اصابة ما يكرهه ويضره وقيل المراد به من انتفع انتفاعا معتدا به بان يكون مصدقا به أو انتفع بشئ معتد به أو ان وجوده صلى الله تعالى عليه وسلم وصفاته هداية فمن اهتدى بشئ منهما نجا وقيل المراد بشئ من رحمته انه اهتدى بهدايته لان من لم يهتد كانه لم تصبه الرحمة كما ان من شرب الماء ولم يرو كانه لم يشرب وهذا هو التفسير الصحيح وما قبله تكلف فالمعنى ان من هداه الله للايمان به صلى الله تعالى عليه وسلم سلم من كل مكروه ونال كل مرغوب فاسقام الدنيا وآلامها لا تعد مكروها بعد العلم بما فيها من تكفير السيئات ونيل الحسنات (من كل مكروه) يلحق من لم يهتد فلم يؤمن به في الدنيا كالقتل والسبي واخذ الجزية وفي الآخرة العذاب المخلد (والواصل فيهما الى كل محبوب) اما في الدنيا فان كان ذا غنى ونعمة فظاهر والا فالمؤمن العاقل اذا صبر وقام بوظائف العبودية في دنيا سريعة الزوال كان ما أصابه من المكروه لايصاله للنعم الاخروية محبوبا عنده واما ماله في الآخرة فغني عن البيان فما قيل انه يشكل عمومه بالمؤمن العاصي المعذب وبان مصائب المؤمنين في الدنيا كثيرة الا أن يقال في الدارين متعلق بالمكروه والمحبوب أو المراد انه سبب في الجملة أو ان كل بمعنى الجل لا وجه له فانه من قسم الوسواس (ألا ترى ان الله يقول وما أرسلناك الا رحمة للعالمين) وفي نسخة ألم تره في نسخة اسقاط ان أي ألم تعلم ان الله لما قصر بعثته على الرحمة علم انه من اصابته هذه الرحمة لم ينل مكروها اذ نيله ينافي الحصر وهذا ترغيب كما في حديث (من قال لا اله الا الله دخل الجنة) فلا مسامحة في المدعى حتى يحتاج للتأويل وهذه العبارة تسميها العلماء تنويرا لانها تشير الى ان ما بعدها موضح لما قبلها ولذا عبر بالرؤية لجعله كالمحسوس وهذا من كلام ابن طاهر فلا تكرار فيه والكلام على الآية مبسوط في التفسير وشهرته تغني عن ذكره (فكانت حياته رحمة ومماته رحمة كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم حياتي خير لكم وموتي خير لكم) هذا الحديث رواه ابن مسعود رضي الله عنه بسند صحيح ورواه الحارث ابن أسامة في مسنده بسند صحيح أيضا والحديث الذي بعده في صحيح مسلم وفي رواية موته بدل مماته أي كل منهما نافع لامته صلى الله تعالى عليه وسلم فلا يتوهم انقطاع نفعه صلى الله تعالى عليه وسلم عنا بموته لان كثيرا منا اذا مات انقطع عمله عنه وعن غيره الا ما استثنى والخير النفع الذي يرغب فيه وهو يكون صفة مشبهة وافعل تفضيل مخفف من أخير كشر من أشر ولا ينطق باصله الا نادرا كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم (بلال خير الناس وابن الاخير) وقرئ في الشواذ سيعلمون غدا من الكذاب الاشر ويكون صفة كالخير بالتشديد ويجوز كل منهما هنا أي كل من حياته صلى الله تعالى عليه وسلم وموته نفع لمن دخل تحت الخطاب أو ان حياته أنفع من موته في وقتها وموته انفع في وقته من وجه لنفعه صلى الله تعالى عليه وسلم لهم لنحو وشفاعته عند عرض اعمالهم عليه يوم الاثنين وفتح باب الاجتهاد وترك الاتكال والمشي على الاحتياط وكالاثابة بالحزن لموته وتسهيل كل مصيبة بمصيبته والاعتبار به والرحمة الناشئة من اختلاف أمته وارتفاع الشديد بتوقيره وفي الحديث زيادة في بعض التعاليق وهي اما حياتي فابين لكم السنن وأشرع لكم الشرائع وأما موتي فان أعمالكم تعرض علي فما رأيت منها حسنا حمدت الله وما رأيت منها سيئا استغفرت وأيضا فان الملائكة عليهم الصلاة والسلام تعرض عليه صلى الله تعالى عليه وسلم صلاة من صلى عليه وتبلغها له في وقت واحد وان لم يحص عددها كما سيأتي

كالشمس في كبد السماء وضوئها * يغشي البلاد مشارقا ومغاربا

كما في بعض الشروح ونقل في بعضها ما لامساس له بالمقام وفيه نقلا عن ابن عربي انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال اذا مت لا أزال أنادي في قبري أمتي أمتي حتى ينفخ في الصور فطنين الآذان لما تدركه الروح المتمكنة في قلبه ورأسه من ذلك النداء فلذا استحبت الصلاة عليه اذا طنت الآذان اذ اداء الشيء من حقه كما في العطاس كما قاله الترمذي رحمه الله تعالى ولعظم الاجر على مصيبته صلى الله تعالى عليه وسلم ولدا سادت فاطمة أمها خديجة رضي الله تعالى عنهما وجميع اخواتها ممن مات في حياته صلى الله تعالى عليه وسلم لما في صحفها من مصيبتها به صلى الله تعالى عليه وسلم وقد قيل عليه انه لا شبهة في ثوابها بهذا الرزء العظيم ولكنها لم تفضل أمها بذلك بل بكونها بضعة من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولذا قال في سنن أبي داود لا أعدل ببضعة من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أحدا واما تفضيلها على اخواتها فلحديث فاطمة أفضل نساء العالمين الا مريم بنت عمران ونحوه ولو كان تفضيلها بهذه المصيبة فضلت عائشة رضي الله تعالى عنها خديجة رضي الله تعالى عنها والاكثر على خلافه ثم أورد على حد الاجتهاد من الخير الذي حصل بموته صلى الله تعالى عليه وسلم ان الاجتهاد من الصحابة رضي الله تعالى عنهم كان في زمنه أيضا كما بين في كتب الاصول ولك ان تقول المراد كثرته مع ما يتفرع عليه من المذاهب والتآليف قيل وعرض الملائكة عليهم الصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وسلم ممن لا يحصى في وقت واحد لم يثبت وهو مردود بانه ورد من طرق صحيحة كما سيأتي مفصلا فلا وجه لانكاره والاحسن ان رحمته لهم في حياته لانه هداهم لسبيل الخير وما دام صلى الله تعالى عليه وسلم بين أظهرهم فهم آمنون من عذاب الاستئصال والمسخ والخسف ونحوه كما قال الله تعالى وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم ورحمته لهم في مماته لتقدمه صلى الله تعالى عليه وسلم فرطا لهم كما سيأتي وبه فسر قوله تعالى وبشر الذين آمنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم ثم ان تفضيل فاطمة وعائشة رضي الله تعالى عنهما بما مر لا ينافي كون خديجة رضي الله تعالى عنها أفضل لانه قد يكون في المفضول ما ليس في الفاضل كما لا يخفى واعلم انه حكي عن الاشعري والقشيري وأصحابه انهم قالوا ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ليس بنبي في قبره وان رسالته صلى الله تعالى عليه وسلم انقطعت بموته وقد شنع عليهم بذلك جماعة وقالوا بتكفيرهم وقال السبكي انه افتراء عليهم وقد كتب بذلك الى الآفاق وكيف يقال مثله مع ما صح في الحديث من ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام أحياء في قبورهم يصلون وانما فهم هذا عنهم الكرامية وادعوا انه لازم لمذهبهم ولازم المذهب ليس بمذهب فانه صلى الله تعالى عليه وسلم حي في قبره باق على ما كان عليه حتى سئل النووي رحمه الله تعالى عمن رآه صلى الله تعالى عليه وسلم في منامه يأمره بامر هل يجب عليه أم لا فاجاب بانه ان لم يخالف الشرع وكان له في خاصة نفسه ينبغي العمل به وانما لم يجب لان النائم لم يضبط ما قيل له وربما لم يفهمه أو يكون اشارة لما يحتاج للتأويل وهو كلام حسن فلا ينافي قوله صلى الله تعالى عليه وسلم من رآني فقد رآني حقا الحديث (وكما قال صلى الله تعالى عليه وسلم اذا أراد الله رحمة بامة قبض نبيها قبلها فجعله لها فرطا وسلفا) هذا الحديث صحيح متنا وسندا رواه مسلم عن أبي موسى الاشعري رضي الله تعالى عنه فقال اذا أراد الله تعالى رحمة أمة من عباده قبض نبيها قبلها فجعله لها فرطا وسلفا بين يديها واذا اراد هلكة أمة عذبها ونبيها حي فاهلكها وهو ينظر فاقر عينه بهلكتها حين كذبوه وعصوا أمره وهكذا في النسخ بتقديم الفرط ووقع في بعضها مؤخرا وكانه من الناسخ والذي في مسلم اضافة رحمة لامة مخالف لما في الشفاء فقول المخرجين انه حديث مسلم لا يخفى ما فيه فلعله رواه من طريق آخر الا ان يقال انه رواه بالمعنى واقتصر على بعضه والامة الجماعة ثم شاع فيمن بعث اليهم الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم

(وكما قال) أي على ما رواه مسلم (اذا أراد الله تعالى رحمة بامة) قال الحافظ المروزي المعروف رحمة أمة وكذا رواه مسلم كذا ذكره الحجازي قلت وفي الجامع الكبير أيضا بلفظ ان الله تعالى اذا أراد رحمة أمة من عباده (قبض نبيها قبلها) أي قبل موته جميعها فجعله لها فرطا وسلفا) أي بين يديها كما في الصحيح وهما بفتحتين أي متقدما وسابقا فانها اما اصيبت بمصيبة أعظم من موت نبيها واصل الفرط هو الذي يتقدم الواردين ليهيئ لهم ما يحتاجون اليه عند نزولهم في منازلهم ثم استعمل للشفيع فيمن خلفه ثم تتمة الحديث على ما في صحيح مسلم عن أبي موسى مرفوعا واذا أراد هلكة أمة عذبها ونبيها حي فاهلكها وهو ينظر فاقر عينيه بهلكتها حين كذبوه وعصوا أمره

ووجب عليهم اتباعه فان اتبعوه فهم أمة الاجابة وهم وغيرهم أمة الدعوة والمراد الاول والقبض في الاصل أخذ الشئ واستيفاؤه يقال قبض المال والمتاع ويقال قبض الله أو الملك زيدا أو روحه والمشهور في الاستعمال الاول وكان العدول عنه هنا اشارة الى ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام أحياء في قبورهم ولا تأكل الارض أبدانهم فموتهم ليس كموت غيرهم فهم كمن أرسله الملك لامر فاتمه وعاد اليه والفرط بفتحتين أصله من يرسله الناس قدامهم لمنزل رحلتهم ليهيئ لهم لوازمهم أولينظر وامابه من ماء وعشب وانه هل يحسن نزول السفراء به أم لا أو ليزيل ما يخاف وينظر هل به عدو أم لا من فرط بمعنى تقدم فهو فعل بمعنى فاعل كتبع بمعنى تابع لا جمع له كخدم وخادم لاطلاقه على الواحد وغيره ويطلق على الطفل الذي يموت قبل أبويه أو أحدهما كما ورد في دعاء الجنازة وهو من هذا القبيل لا معنى آخر فهو اما لانه يحصل بسببه أجر كمنافع المنازل أو لما ورد من انه يقف على الحوض ليسقي أبويه وفيه استعارة بديعة بجعله القبر منزلا كل أحد سائر اليه ومورد او كل وارد عليه ولذا يقال حيا من الدنيا وموردها من صيرته الحياة في ظهر فالموت ورد لابدان يرده وان الناس مسافرون ليست الدنيا دار اقامة لهم

وانا الى الدنيا كركب سفينة * نظن وقوفا والزمان بنا يسري

ويقال أفرط فلان ابنه اذا مات قبله والسلف بوزنه معناه ما تقدم اعطاؤه في المال كالسلم ورد بمعنى القرض وسلف المرء من مضى من آبائه واقربائه لتقدم موته ولذا يسمى الصدر الاول السلف الصالح فكان ما أصاب الامة بفقد نبيها صلى الله تعالى عليه وسلم جعل سلما أو قرضا للاجر الذي يجازوا به على الصبر

والصبر يحمد في المواطن كلها * الا عليك فانه مذموم

ولذا قيل لما قدم من العمل الصالح فرطا والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم اب لامته لانه سبب لحياتهم الابدية كالاب الذي هو مبدء الحياة ولذا كانت زوجاته صلى الله تعالى عليه وسلم أمهات المؤمنين ففي حياته صلى الله تعالى عليه وسلم من الرحمة ما لا يخفى كما مر فاذا ارتحل ومات انتقل لجوار ربه مع الرفيق الاعلى وهو راض عنهم لقبول ما بلغهم ونصرتهم ومحبتهم له وشهادتهم على ابلاغه ولولا ذلك لاهلكوا فكانت رحلته صلى الله تعالى عليه وسلم رحمة لهم مع ما اصابهم من الاجر بمصيبة وحمده واستغفاره لهم اذا عرضت عليه أعمالهم قريبا فجزاه الله حيا وميتا خير الجزاء (وقال السمرقندي) الامام الحنفي وقد تقدمت قريبا ترجمته (رحمة للعالمين يعني الجن والانس) هذا تفسير للآية المذكورة بان المراد به جنس العقلاء من الثقلين بقرينة صيغة جمع المذكر السالم وان كان جمع عالم وهو كل ما يعلم به الصانع من العقلاء وغيرهم فالمفرد أعم من جمعه فخص ثم جمع بجعله صفة أو ملحقا بها لان فاعل بالفتح اسم آلة كالخاتم والطابع وقيل غلب العقلاء أو جعل اسما لذوي العلم من الثقلين أو الثقلين والملك أو الانس قال الشريف الجرجاني يطلق على كل جنس لا فرد فهو للقدر المشترك بين الاجناس فيصح اطلاقه على كل جنس وعلى مجموعها الا للمجموع واذا عرف بلام الاستغراق شمل كل فرد من جنس كالاقاويل فمن فسره بجميع الخلق فعلى الاصل ومن فسره بالجن والانس فعلى بعض الوجوه أو خصه لانه صلى الله تعالى عليه وسلم مبعوث اليهما ومن فسره بالمؤمن والكافر أراد انه يشملهما لا ان معناه ذلك وهذا يقتضي ان هذا غير مخالف لقوله (وقيل لجميع الخلق) وسياقه مع تمريضه يأباه فالحق كما في بعض الشروح انه لما اختار تفسير العالمين بالثقلين ذكر تفسيرا لم يرضه ثم أخذ في بيان ما به تكون الرحمة على ما اختاره فقال (للمؤمنين رحمة بالهداية) أي أرسله صلى الله تعالى عليه وسلم لمن آمن بهداية تزيد على هداية الايمان أو ان قدر ايمانه قيل وهو على الثاني عام شامل للملائكة والجماد ان قلنا انه صلى الله تعالى عليه وسلم مرسل اليهم على أحد القولين فيه وسيأتي تحقيقه وان عمته رحمته أيضا وقوله

(وقال السمرقندي) أي أبو الليث امام الهدى الحنفي كما ذكره الدلجي (رحمة للعالمين) بالنصب على الحكاية (يعني) أي يريد سبحانه وتعالى بالعالمين (للجن والانس) أي المؤمنين بقرينة تقابله بقوله (وقيل لجميع الخلق) أي المكلفين لقوله (للمؤمن رحمة) بالنصب ويجوز رفعها أي رحمة خاصة (بالهداية) وكان الاولى ان يقول رحمة للمؤمن بالهداية ليطابق الآية وليوافق قوله

(ورحمة للمنافق بالامان من القتل ورحمة للكافر بتأخير العذاب) أى الى العقبى ولا يبعد ان يكون تقديم المؤمن اشارة الى حصر الرحمة المختصة بالهداية كما قال الله تعالى هدى للمتقين أى بالدلالة الموصلة التى هى خلق الهداية فى خواص الانسان من أهل الايمان مع انه هدى للناس باعتبار عموم الهداية بالدلالة المطلقة التى هى بمعنى البيان (قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما) أى فيما رواه جرير وابن أبى حاتم فى تفسيرهما والطبرانى والبيهقى فى دلائله (هو رحمة للمؤمنين والكافرين اذا عوفوا مما ١٠٥ أصاب غيرهم من الامم المكذبة) أى من أنواع العقوبة ومآل هذا القول الى ما قبله ثم الاظهر ان العالمين يشمل الملائكة أيضا ويدل عليه قوله (وحكى) بصيغة المجهول وقال الحجازى ويروى (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال لجبريل عليه الصلاة والسلام هل أصابك من هذه الرحمة) أى المنقسمة على هذه الامة من نبى الرحمة (شئ) أى من الرحمة مختص بك فالاشارة الى موجود فى الذهن اذ الرحمة معنى يوجده الله تعالى فيمن يشاء من خلقه وفيها يتفاوتون (قال نعم كنت أخشى العاقبة) أى آخر امرى من سوء الخاتمة لما وقع لابليس من الزلة (فامنت) بفتح فكسر وضبطه الدلجى التلمسانى بصيغة المجهول ففى القاموس الامن ضد الخوف أمن كفرح وقد أمنه كسمع ائتمنه واستأمنه انتهى ولا يخفى ان بناء المجهول غير ظاهر

فى المعنى اذ المراد فصرت آمنا ببركة القرآن الذى نزل عليك (لثناء الله عز وجل على بقوله ذى قوة عند ذى العرش مكين) أى صاحب مكانة (مطاع) له أى بين الملائكة (ثم) أى فيما هنالك (أمين) أى على أمر الوحى غيره ووجه استدلاله به انه تعالى حيث مدحه فى محكم كتابه العظيم وأخبر عن حسن حاله للنبى الكريم لا يتصور تبدل حاله ولا تغير مآله ولا يبعد ان يجعل قوله أمين بمعنى مأمون العاقبة وقد سنح بالبال والله تعالى أعلم بالحال انه صلى الله تعالى عليه وسلم وشرف وكرم رحمة لجميع خلق الله تعالى فان العالمين لا شك انه حقيقة فيما سواه ولا صارف بالاتفاق يصرفه عن دلالة الاطلاق ثم من المعلوم انه لولا نور وجوده وظهور

للمؤمن الى آخره بدل من قوله للعالمين أو متعلق بمقدر وعلى الاول هو بيان لمختاره وهو الظاهر وعلى الثانى يصلح لهما (ورحمة للمنافق بالامان من القتل) مطلقا بخلاف الكافر فانه لا يأمن الا بالامان أو اداء الجزية والنفاق اسم اسلامى معناه اخفاء الكفر واظهار الاسلام مأخوذ من نافقاء اليربوع أو من النفق بمعنى السرب (ورحمة للكافر بتأخير العذاب) وفى نسخة المؤمنين والمنافقين والكافرين بالجمع والمراد تأخيره لما بعد الموت واما عذاب الدنيا بالقحط وغيره فلا يختص بطائفة وقيل المراد نفى الاستئصال والمسخ والخسف وأورد عليه أيضا ان الزنديق سواء ادخل فيه أو فى الكافر عذابه مؤخر أيضا فالظاهر اشتراكهما فيه وتمييز المنافق باجراء احكام الاسلام عليه ظاهرا أو يقال انه أراد فى كل قسم ذكر رحمة مخصوصة من غير تخصيص والامان انسب بالمقام للعموم ثم ذكر ان من رحمة الكافر أيضا الشفاعة له من هول الموقف ورحمته صلى الله تعالى عليه وسلم لسائر المخلوقات فائقة اذ لولاه ما خلقت فتأمله (وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما) فى تفسير هذه الآية وبيان من شمله العالمين (هو رحمة للمؤمنين والكافرين اذ عوفوا) أى عافاهم الله تعالى بالعفو عنهم عاجلا (مما أصاب غيرهم من الامم المكذبة) أى المكذبة للانبياء السالفة فان الله عاقب من كفر منهم بالاستئصال والخسف والمسخ وما نزل عليهم من السماء فلا يرد من قتل فى غزوات نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم واما النفاق فلم يشتهر فى الامم السالفة حتى يعلم حكمه وقول ابن عباس رضى الله تعالى عنهما هذا مسندا اليه فى الطبرانى ودلائل البيهقى وفى تفسير ابن جرير وابن أبى حاتم (وحكى ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال لجبريل) عليه الصلاة والسلام حكى بالبناء للمجهول كما صححه البرهان فى المقتفى فهو مقطوع عن كلام ابن عباس وما قيل من ان كونه مقطوعا غير مقطوع به بعيد ويجوز بناؤه للفاعل وهذا لم يوجد فى شئ من كتب الحديث نقله كما فى تخريج السيوطى وغيره (هل أصابك من هذه الرحمة شئ) فيه اشارة الى انه مرحوم مقرب وانما السؤال عن رحمة زائدة نالته من رحمة النبى صلى الله عليه وسلم وهذا ان كان من كلام ابن عباس رضى الله عنهما ناظر لما فى الآية على مختاره الاول فكانه قال هل دخلت فى العالمين فناسب السؤال لارادة الثقلين وان كان على الثانى فكانه قيل هل دخل فى الخلق فاصابه شئ من هذه الرحمة وقيل لا شبهة فى انه صلى الله عليه وسلم واسطة كل رحمة وخير وان رحمته أصابت جبريل وسؤاله اما ليعترف ويتحدث بالنعمة أو للتلذذ أو من باب طرح المسئلة والاختبار وهذه كلها أمور واهية وجبريل عليه السلام غير محتاج للاعتراف وكثرة اجتماعه به صلى الله عليه وسلم تغنى عن التلذذ وطرح المسئلة ليس بشئ (قال) جبريل عليه الصلاة والسلام (كنت اخشى العاقبة) بتقدير مضاف أى سوء العاقبة أو المراد بالعاقبة السيئة بجعل التعريف للعهد بقرينة الخشية فانها بمعنى الخوف وانما يكون فى المكروه والعاقبة ما يعقب الشئ ويحصل منه خيرا كان أو شرا (فامنت) بفتح الهمزة المقصورة وكسر الميم الخفيفة مبنى للفاعل من الامن ضد الخوف وسيأتى فيه ضبط غير مقبول (لثناء الله عز وجل على بقوله) انه لقول رسول كريم (ذى قوة عند ذى العرش مكين مطاع ثم أمين) عند الله فى علمه

كرمه وجوده لما خلق الافلاك ولا أوجد الاملاك فهو مظهر للرحمة الالهية التي وسعت كل شيء من الحقائق الكونية المحتاج الى نعمة الايجاد ثم الى منحة الامداد ويتصره القول بانه مبعوث الى كافة العالمين من السابقين واللاحقين فهو بمنزلة قلب عسكر المجاهدين والانبياء مقدمته والاولياء مؤخرته وسائر الخلق من أصحاب الشمال واليمين ويدل عليه قوله تعالى تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا ومن جملة انذاره للملائكة قوله سبحانه وتعالى ومن يقل منهم انى اله من دونه فذلك نجزيه جهنم ويقويه قوله صلى الله تعالى عليه وسلم بعثت الى الخلق ١٠٦ كافة وقد بينت وجه ارساله الى الموجودات العلوية والسفلية في رسالتي المسماة بالصلاة العلية في الصلاة المحمدية

(وروى عن جعفر بن محمد) أي الباقر (الصادق) نعت لجعفر (في قوله تعالى فسلام) أي فسلامة من كل ملامة (لك) أي لرحمتك (من أصحاب اليمين) خبر سلام أي حاصل من أجلهم ولو كان من أعظمهم واجلهم (أي بك) أي أي بسبب وجودك أو كرمك وجودك (انما وقعت سلامتهم من أجل كرامة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) أي بالشفاعة العظمى فانها شاملة للنفوس العليا والسفلى من الاولى والاخرى فشملت رحمته في الابتداء والانتهاء في الدنيا والعقبى وقال التلمساني لمحمد روى باللام والباء واللام تعليلية والباء سببية فتكون كرامته مضافة الى ضمير الفاعل وهو الله سبحانه وتعالى انتهى والنسخ المصححة والاصول المعتمدة على الاضافة الى المفعول وهو الظاهر في المعنى قال الدلجي أي من أجل اكرام الله اياه فوضع الظاهر موضع المضمر والاظهر انه التفات من الخطاب الى الغيبة ثم أغرب الدلجي ان من على هذا زائدة ويجوز ان تكون بمعنى لام التعدية أي لسببك وقع السلام لاصحاب اليمين من أجل اكرام الله تعالى اياك وماقاله تكلف بعيد انتهى والكل تكلف بل تعسف والتحقيق انه أراد ان الخطاب في ذلك صلى الله تعالى عليه وسلم والتقدير فسلامة عظيمة لاجلك وبسببك حاصلة لاصحاب اليمين وقوله من أجل توضيح لقوله بك اما بطريق عطف البيان أو على سبيل الاستئناف والالتفات في التبيان وهذا التأويل خلاف ماقاله أهل التفسير فسلام لك يا صاحب اليمين من اخوانك أصحاب اليمين أي يقال له سلام لك أي مسلم لك انك منهم أو يا محمد انك لاترى فيهم الا ما تحب من سلامتهم من العذاب وان منهم من يقول يوم القيامة سلام عليك

أي في حكمه وقضائه اذ ثناء العظيم يقتضي رضاه وقبوله وهو لا يرضى ويقبل الا من كان مرحوما مقربا فلما علم ذلك من القرآن الذي هو رحمة نازلة بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم اطمأن خاطره وامن سوء الخاتمة واما ما ورد من انه قال ماجفت لي عين منذ خلقت النار مخافة ان أعصى فيقذفني فيها وان الله تعالى قال له لم تبكي قد أمنتك فقال من يأمن مكرك كما في الاحياء فهو لا ينافي ماذكر لان المقرب لا يزال خائفا ممن يهابه فانه لا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون أو لانه من عظمة الله هل يذهل عن الامان وقد مدح في الآية بامور منها القوة وهي معلومة من الاحاديث الواردة في اقتلاع المدائن والجبال واهلاك صيحة كل من سمعها وهبوطه الارض وصعوده في طرفة عين الى غير ذلك ومكانته منزلته عند الله جلت عظمته وشانه ولذا قال عند ذي العرش ولم يقل الله ونحوه وقربه من سرادقات عزه الى مالم يصل اليه غيره من المقربين وهو مطاع في السماء والارض أمين على سر الغيب والوحي وموازين القيامة لكن سيأتي انهم اختلفوا في رسول كريم وان الاصح انه جبريل عليه الصلاة والسلام لقوله (ولقد رآه بالافق المبين) فان الرائي هو النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو المعبر عنه بصاحبكم والمرئي جبريل في صورته الاصلية واكثر المفسرين ان المطاع الامين سيد العالمين وقدم ان أمنت بزنة علمت مبني للفاعل وقال التلمساني انه مبني للمفعول بضم الهمزة ولم يزد على ذلك ولم يسنده لرواية والمشهور خلافه وعليه فان كان بتشديد الميم فهو ظاهر وان كان بتخفيفها فهو ركيك جدا لانه ان كان من الامانة ضد الخيانة فهو غير مناسب للمقام وان كان من الامن فكذلك لان أمن لازم فانه متعد ألا ترى (قوله لا يأمن مكر الله) بل لان مفعوله الثاني يكون من المعاني دون الذوات فيحتاج لتقدير وحذف على ان اصله أمن سوء عاقبتي ومثله لا داعي له وكريم بمعنى جامع لانواع الخير ففيه شهادة له بعلو الرتبة وليس المراد كريم مرسله كما قيل به في ألقي الى كتاب كريم وان جاز وفسره المصنف رحمه الله تعالى فيما سيأتي في الكلام على هذه الآية في الفصل الخامس من هذا الباب بقوله أي كريم عند مرسله (وروى عن جعفر بن محمد الصادق) تقدمت ترجمته قريبا في قوله تعالى في سورة الواقعة (فاما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم وان كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين) في هذه الآية وجوه ذكر منها هنا ما روى عن جعفر الصادق لمناسبته لكونه صلى الله تعالى عليه وسلم رحمة ونعمة تامة ولما عقد له الفصل من ثناء الله عليه وهو قوله (فسلام) أي سلامة (لك) يا محمد (من أصحاب اليمين أي بك) فسره به بناء على ان اللام تعليلية والعلة والسبب متقاربان وان فرق بينهما أي لاجلك واجل كرامتك ومعناه انه (انما وقعت سلامتهم من أجل كرامة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) قد جعل الله في هذه الآية

الآية من حضره الموت ثلاثة أقسام مقربين وأصحاب اليمين ومكذبين ضالين والمقربون فسرهم ابن عطية بوجهين الاول الاصناف الاربعة المنعم عليهم فى قوله تعالى أولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين والثانى من لا حساب عليهم من المؤمنين وقد فسر به السابق أيضا فى قوله تعالى ومنهم سابق بالخيرات وأصحاب اليمين من غلبت حسناته سيئاته أو عفى عنه ولو بعد حين والمكذبون الضالون الكفرة والمنافقون وله تفصيل فى التفسير لا ينبغى تكثير السواد به هنا وفسر مكى قوله (فسلام لك من أصحاب اليمين) بان الله سلمه من عذابه قيل وعليه المخاطب بقوله لك المحتضر المذكور أولا وأصله فسلم أيها المحتضر سلاما حاصلا لك فحذف الفعل ورفع سلام بعد نصبه مفعولا مطلقا ليدل على الدوام والاستمرار وقوله صفة سلام ومن تعليلية أى من أجل انك من أصحاب اليمين وقيل المخاطب بقوله النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وسلام مبتدأ ولك خبره ومن أصحاب اليمين حال من الضمير المستكن فى الخبر أى فلك يا محمد سلامة من جهة أصحاب اليمين أو من أصحاب اليمين خبره ولك حال واللام تعليلية أى سلامة وأمن من عذاب الله من جهة أصحاب اليمين حال كون ذلك لاجلك لشفاعتك فيهم وهذا مراد جعفر وقدم الجار والمجرور الذى هو حال على عامله وهو متعلق من أصحاب اليمين لافادة الحصر أى انما سلم أصحاب اليمين لاجلك ومن للابتداء أى سلامة ظهرت منهم انما هى لاجلك فليست انما المجرد المبالغة لان أصحاب اليمين لم يكونوا مقربين فغيهم مما يقتضى عدم السلامة فكانه قيل انما سلموا لاجلك ولكرامتك على الله تعالى ولا قلب فى الآية وقال قتادة المعنى سلموا من عذاب الله وسلمت عليهم الملائكة أو المعنى لك يا محمد منهم سلام تحية اذ يزورونك فى الجنة وقيل المعنى يدعون لك بان يصلى الله ويسلم عليك أو هو تحية أصحاب اليمين فى السلامة هنا أقوال هذا محصل ما فى بعض الشروح على طول فيه وهو رد لما فى شرح ابن الحنبلى من انه على قول جعفر الصادق فى الآية قلب والمعنى فسلام منك حاصل بالمعنى المذكور لهم ففسر لك بقوله بك لانه واقع موقع منك أى من أجلك وفى القلب تنبيه على شرف أصحاب اليمين كما فى عكس التشبيه فى نحو قوله

وبدا الصباح كأن غرته * وجه الخليفة حين يمتدح

فان افادة الآية ان ليست سلامتهم الا من أجل كرامتك بمعونة المقام فانما المبالغة مع الحصر والا فلمجرد المبالغة كما فى الجنى الدانى عن ابن عطية ان انما لا تفارقها المبالغة فان ساعد المعنى على الاصح صح والا بقيت للمبالغة وقيل المعنى فسلام لك منهم لانهم معك فى الجنة واللام بمعنى على وقيل معناه تقول الملائكة لمن مات من أصحاب اليمين مبشرين له ببشارة بين سلام لك انك من أصحاب اليمين انتهى أقول الظاهر ان مراده ان السلام بمعنى السلامة من العذاب واللام تعليلية بمعنى الباء كما مر وقوله انما الى آخره بيان لحاصل المعنى المراد وأصحاب اليمين بمعنى الفائزين لان اليمين يتبرك بها كما يتشأم بالشمال ولك متعلق بمقدر وهو كائن ومن متعلقة بمعدود أى سلامة المعدود من أصحاب اليمين لاجلك أولك متعلق به مقدم من تأخير لافادة الحصر أى لم يجعلهم الله تعالى من أصحاب اليمين الا بسببك أى لاتباعهم أو لشفاعتك لهم وفيه اقامة الظاهر مقام الضمير وتوضيحه ان فى الآية معان كما مر اختار منها المصنف رحمه الله تعالى ما ذكر لافادته من ثناء الله على نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم فان اما فصل بينها وبين جوابها بشئ من اجزاء الجواب مفردا وفى حكمه كجملة الشرط فما بعد الفاء جملة هى جواب الشرط وسلام مبتدأ لان أصله سلامتهم ولك خبره ومن أصحاب الخ حال من المضاف المقدر أو من الضمير المستتر فى الخبر والمعنى ان كان من أصحاب اليمين فسلامتهم لاجلك وان كانوا من أصحاب اليمين والحصر من سياق التقسيم أو من التعليل ولا قلب كما توهم فتدبر

(وقال الله تعالى الله نور السموات والارض) أى منورهما كما قرئ به ومظهر ما خلق فيهما أو موجد أنوارهما (الآية) بالنصب ويجوز رفعها وخفضها أى اقرأها أو هى معلومة أو الى آخرها والمراد ما بعدها وهو قوله تعالى مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح فى زجاجة الزجاجة كأنها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء ويضرب الله الامثال للناس والله بكل شئ عليم وقد أوضحت معنى الآية فى الرسالة المسماة بالصلاة العلية فى الصلاة المحمدية عند قوله اللهم صل وسلم على نورك الاسنى واعلم أن النور فى الاصل كيفية تدركها الباصرة ويستحيل اطلاقه على الله تعالى الا بتقدير مضاف ونحوه من نوع تأويل (قال كعب) وفى نسخة كعب الاحبار بالحاء المهملة وهو كعب بن ماتع بالمثناة فوق أدرك زمن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يره وأسلم فى خلافة أبى بكر رضى الله تعالى عنه وقيل فى خلافة عمر رضى الله تعالى عنه وقيل أدرك الجاهلية وصحب عمر وأكثر ما روى عنه وأيضا روى عن جماعة من الصحابة وروى عنه أيضا جماعة من الصحابة والتابعين وكان يسكن حمص وكان قبل اسلامه على دين اليهود ويسكن اليمن توفى فى خلافة عثمان سنة اثنتين وثلاثين متوجها للغزو ودفن بحمص ويقال له كعب الحبر أيضا بفتح الحاء وكسرها الكثرة علمه أخرج له البخارى وأبو داود والترمذى والنسائى وأغرب شارح حيث قال هو كعب بن مالك الانصارى (وابن جبير) وهو سعيد بن جبير أحد أكابر التابعين والعلماء العاملين روى عن ابن عباس وغيره وعنه أمم من المحدثين أخرج له الجماعة فى كتبهم الستة وكان أسود الصورة وأنور السيرة مستجاب الدعوة قتل سنة خمس وتسعين وهو ابن تسع وأربعين شهيدا فى شعبان ومما يدل على كماله فى اليقين وتمكنه فى الدين ما روى انه لما دخل على الحجاج بعد ارساله اليه قام بين يديه

فقال له أعوذ منك بما استعاذت مريم اذ قالت أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا فقال له ما اسمك قال سعيد بن جبير وقال شقى بن كثير فقال أمى أعلم باسمى قال شقيت وشقيت أمك فقال الغيب يعلمه غيرك قال لابدلنك بالدنيا نارا تلظى فقال لو علمت ان ذلك بيدك ما اتخذت الها غيرك قال لاوردنك حياض الموت فقال اذا أصابت اسمى أمى يعنى اذا كنت شهيدا أكون سعيدا قال فما تقول فى محمد قال نبى ختم الله تعالى به الرسل وصدق به الوحى وأنقذ به من الجهالة امام هدى ونبى رحمة قال فما تقول فى الخلفاء قال لست عليهم بوكيل وانما استحفظت أمر دينى قال فأيهم أحب اليك فقال أحسنهم خلقا وأرضاهم لخالقه وأشدهم منه فرقا قال فما تقول فى على وعثمان أفى الجنة هما أم فى النار قال لو دخلت فرأيت أهلهما لاخبرتك فما سؤالك عن أمر غيب عنك قال فما تقول فى عبد الملك بن مروان قال فمالك تسألنى عن امرئ أنت واحد من ذنوبه قال فمالك لم تضحك قط قال لم أر ما يضحكنى من خلق من التراب والى التراب يعود قال فانى أضحك من اللهو قال ليست القلوب سواء قال فهل رأيت من اللهو شيئا قال لا فدعا بالزمر والعود فلما انفخ فيه بكى فقال له الحجاج ما يبكيك قال ذكرنى يوم ينفخ فى الصور وأما هذا العود فمن نبات الارض وعسى ان يكون قطع فى غير حقه وأما هذه المثانى والاوتار فان الله سيبعثها معك يوم القيامة قال فانى قاتلك قال ان الله قد وقت وقتا أنا بالغه فان أجلى قد حضر فهو أمر قد فرغ منه ولا محيص ساعة عنه وان تكن العافية فالله أولى بها قال اذهبوا به فاقتلوه قال أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له استحفظها يا حجاج حتى ألقاك يوم القيامة فأمر به ليقتل فلما تولوا به ليقتلوه ضحك فقال له الحجاج ما أضحكك قال عجبت من جراءتك على الله وحلم الله عنك ثم استقبل القبلة فقال انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفا وما أنا من المشركين قال حولوه عن القبلة قال فأينما تولوا فثم وجه الله ان الله واسع عليم قال اضربوا به الارض قال منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى قال اضربوا عنقه قال اللهم لا تحل له دمى ولا تمهله بعدى فلما قتله لم يزل

(وقال الله تبارك وتعالى الله نور السموات والارض الآية) أى اقرأ الآية أو اذكرها وهى (الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح) الى آخره وفى هذه الآية اسرار ولطائف أفردها بالتأليف الامام الغزالى فى كتاب سماه مشكاة الانوار وفيه فوائد جمة وكذا الامام السهيلى (قال كعب) هو كعب الاحبار بن ماتع بالمثناة الفوقية ابن هينوع ويقال عمرو بن قيس بن معز بن جسم بن عبد شمس بن وائل بن عوف بن حمير بن قطن بن عوف بن زهير بن أيمن بن حمير بن سبا الحميرى الشافعى أدرك زمن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يره وأسلم فى خلافة أبى بكر وقيل فى خلافة عمر وصحبه وأكثر الرواية عنه وعن غيره من الصحابة وروى الصحابة عنه أيضا وكان أدرك الجاهلية على اليهودية وسكن اليمن ثم سكن حمص بعد اسلامه وبها توفى فى خلافة عثمان سنة اثنين وثلاثين ويقال له كعب الحبر بفتح الحاء المهملة وكسرها الكثرة علمه ويأتى فيه كلام متعلق به وأخرج له أصحاب السنن وغيرهم (وابن جبير) هو سعيد بن جبير الوالبى مولاهم أبو عبد الله أو أبو محمد التابعى العابد الزاهد الثقة أحد اعلام رواة الحديث وروى عن ابن عباس وغيره وروى عنه من لا يحصر وخرج له أصحاب السنن وغيرهم وقتله الحجاج ظلما فى سنة خمس وتسعين ولم يسلط على أحد بعده بدعوته رضى الله تعالى عنه

دمه يغلي حتى ملأ أثواب الحجاج وفاض حتى دخل تحت سريره فلما رأى ذلك هاله وأفزعه فبعث الى بياذوق المتطبب فسأله عن
ذلك فقال لانك قتلته ولم يهله ذلك ففاض دمه ولم يخمد في نفسه ولم يخلق الله شيئا أكثر دما من الانسان فلم يزل به ذلك الفزع حتى منع
منه النوم فيقول مالي ولك يا سعيد بن جبير ستة أشهر ثم ان بطنه استسقى حتى انشق فمات فلما دفن لفظته

عنه عليه بذلك وقصته معه مشهورة (المراد بالنور الثاني هنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) النور من
نار ينور اذا نفر ومنه نوار للظبية وبه سميت المرأة فوضع لانتشاره أو لازالته الظلام فكأنه ينفر منه ثم
أطلق على الله وعلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى القرآن كما في هذه الآية وكان صلى الله تعالى
عليه وسلم يقول في دعائه اللهم لك الحمد نور السموات والارض ومن فيهن والنور كما بينته في عناية
القاضي عند الحكماء كيفية تدركها الباصرة أولا وبواسطتها سائر المبصرات كما يفيض من النيرات على
الاجرام الكثيفة وزعم بعضهم انه اجرام صغار تنفصل من المضيء وتتصل بالمستضيء كما فصلوه في
كتبهم ويقرب منه الضوء الا أن الزمخشري قال الاضاءة فرط الانارة فقيل انه جعل الضوء أبلغ من
النور لقوله تعالى (جعل الشمس ضياء والقمر نورا) وأنكره في الفلك الدائر وقال ليس له في اللغة
شاهد ولا في الاستعمال مساعد وقد سوى بينهما ابن السكيت ولا دليل في الآية وأجيب بان كلام ابن
السكيت بحسب أصل الوضع وما ذكر بحسب الاستعمال كما في الاساس والتحقيق ما في الكشف من
أن الضوء فرع النور وهو الشعاع المنتشر ولذا أطلق النور على الذوات دون الضوء ولكون الابصار بعد
حلية الضوء كان فيه مبالغة من جهة أخرى وتنويره ما حققه في الروض الانف في قول ورقة

ويظهر في البلاد ضياء نور * يقوم به البرية أن تموجا

بان في البيت ما يوضح الفرق بينهما فان الضياء الشعاع المنتشر عن النور فالنور أصله ومبدؤه كما قال
تعالى (فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم) وجعل الشمس ضياء لان القمر لا ينتشر عنه ما ينتشر
عنها لاسيما في طرفي الشهر ولذا سمى الله القمر نورا دون ضياء فعلم أن بينهما فرقا لغة واستعمالا وان
في كل منهما أبلغية من جهة وان اطلاق النور على الله وجهه ظاهر فسقط ما قيل ينبغي أن يكون
النور على الاطلاق أقوى لقوله تعالى (الله نور السموات) لكنه انما يتجه اذا لم يكن بمعنى المنور
والظاهر ان اطلاق النور على الله مجازا اما بمعنى المنور أو استعارة الا ان الغزالي رحمه الله تعالى قال في
المشكاة انه حقيقة لان النور معناه الظاهر بنفسه المظهر لغيره ثم ان فهمت فهو نور على نور وهو ميل لما
قاله الاشراقيون قال العلامة في شرح حكمة الاشراق (الله نور السموات والارض) لا بمعنى منورهما
على ما قاله بعض المفسرين هربا من اطلاق اسم النور عليه بل بمعنى انه محض النور البحت وان سائر
الانوار من نوره انتهى وقد عرفت ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم سمى نورا أيضا فتفسير النور
الثاني به كما قالوه ظاهر الا ان قوله يأتي ما فيه (وقوله تعالى مثل نوره أي مثل نور محمد صلى الله تعالى عليه
وسلم) والمثل المماثل والمشابه والصفة العجيبة وللامام الغزالي كلام لطيف في النور نورده وان طال
لان كلام الحبيب لا يمل وهو النور يشير الى الظهور وهو أمر اضافي فقد يظهر الشيء لانسان ويبطن
عن غيره واضافة الظهور الى الحواس الدراكة أقوى وأجلاها حاسة البصر والاشياء بالنسبة اليها
ثلاثة أقسام منها ما لا يبصر بنفسه كالاجسام المظلمة ومنها ما يبصر ولا يبصر به غيره كالشمس
والسراج والنور اسم لهذا القسم الثالث وهو عبارة عما يبصر بنفسه ويبصر عنده غيره وقد يطلق على
ما يفيض منه على ظواهر الاجسام الكثيفة فيقال وقع نور الشمس على الارض ولما كان من النور
وروحه هو الظهور للادراك كان الادراك موقوفا على وجود النور فهو الظاهر المظهر واسم النور

الارض وبقي بعد سعيد
ابن جبير ستة أشهر ونقل
ان السجون عرضت
بعد موته فوجد فيها ثلاثة
وثلاثون ألفا من المظلومين
وقد أحصي من قتله
صبرا فوجد مائة ألف
وعشرين ألفا (المراد
بالنور) أي بنوره
(الثاني هنا) أي في تتمة
هذه الآية (محمد صلى الله
تعالى عليه وسلم) لقوله
(وقوله مثل نوره أي نور
محمد صلى الله تعالى عليه
وسلم) على انه عطف بيان
لما قبله وبهذا يندفع
ما قاله الدلجي في قوله هنا
أي في هذه الآية من
قوله مثل نوره هو محمد
صلى الله تعالى عليه
وسلم فضميره لله تعالى
وقوله مثل نوره أي نور
محمد عليه الصلاة
والسلام ان كان قولهما
فهو مناقض لما قبله الا
أن يقال الاضافة بيانية
أي مثل محمد الذي هو
نوره وهو بعيد أو لغيرهما
فلا تناقض انتهى
والاظهر أن يقال المراد
بالنور محمد والتقدير
مثل نور الله الذي هو
مشرق ظهوره ومظهر نوره في عالم الكون بخلقه وأمره حسب قضائه وقدره كمشكاة الى آخره فان النور عبارة عن الظهور وقد انكشف
به الحقائق الالهية والاسرار الاحدية والاستار الصمدية وبه أشرقت الكائنات وخرجت عن حيز الظلمات وبه صلى الله تعالى
عليه وسلم فسر بعض المفسرين قوله تعالى قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين

بالنور الباصر أحق منه بالنور فلذا أطلقوا على نور العين المبصرة وقالوا للاعمى فقد نور البصر فسموا الروح الباصرة نورا الا أنه موسوم بانواع النقصان فان يبصر غيره ولا يبصر نفسه ولا ما بعد ولا هو وراء حجاب ويبصر الظاهر دون الباطن ولا يبصر ما لا يتناهى ويغلط كثيرا فيرى الكبير صغيرا وعكسه والبعيد قريبا وعكسه والساكن متحركا والمتحرك ساكنا ثم ان قلنا ان في قلب الانسان روحا ونفسا انسانية وعقلا وهو أولى باسم النور لسلامتها من تلك النقائص الا ان المبصرات ليست عندها متساوية لتفاوتها بالبداهة ونحوها وعند اشراق أنوار الحكمة يصير العقل مبصرا بالفعل بعد ان كان مبصرا بالقوة وأعظم الحكمة كلام الله تعالى فنزلة آيات القرآن عند عين العقل منزلة نور الشمس عند العين الظاهرة اذ يتم به الابصار فلذا سمى القرآن نورا فقال والنور الذي أنزلنا فالعين عينان عين ظاهرة هي من عالم الشهادة وعين باطنة هي من عالم الغيب دقيقة اذا كان ما يبصر نفسه وغيره أولى باسم النور فان كان من جملة ما يبصر به غيره أيضا مع انه يبصر نفسه وغيره فهو أولى باسم النور ومن الذي لا يؤثر في غيره أصلا بل بالحرى وان يسمى سراجا منيرا لفيضان أنواره الى غيره وهذه الخاصة توجد للروح القدسي النبوي اذ تفيض بواسطته أنوار المعارف على الخلائق وبهذا ظهر معنى تسمية محمد صلى الله تعالى عليه وسلم سراجا منيرا وكذا الانبياء العلماء وان تفاوتوا والذي يقتبس منه السراج جدير بان يكنى عنه بالنار وهي التي تونس من جانب الطور وهذه السرج الارضية انما تقتبس من أنوار علوية والروح القدسي النبوي يكاد زيته يضيء ولو لم تمسسه نار ولكن انما يصير نورا على نور اذا مسته النار ويقابل النور الظلمة ولا ظلمة أشد من كتم العلم انتهى وقد اعترض على عبارة المصنف رحمه الله تعالى بانها غير محررة وآخرها مناف لاولها لان أولها يقتضي ان النور أطلق على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم هنا فانه يطلق عليه كما مر فاذا كان المراد بالنور في قوله مثل نوره صلى الله تعالى عليه وسلم فاللائق التفريع وان يكون الضمير راجعا لله سبحانه والمعنى مثل نوره أي نور محمد صلى الله تعالى عليه وسلم لا يصح بوجه والموافق ان يقول نور الله أي محمد وأجيب بانه غير وارد لانه ليس كلاما واحدا صدر من كعب وابن جبير بل كلامان أولهما لابن جبير وثانيهما لكعب على اللف والنشر المشوش وذلك مغن عما قيل من أن اضافة النور لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم بيانية فالنور منحصر في ذاته وعلى غيره الاضافة للتشريف والتعظيم بانه ليس في كلامه قرينة تدل على ما قاله ولم يقله غيره والمنقول عن كعب وابن جبير ان الضمير المجرور لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم كما نقله المصنف عنهما وهو المنقول في تفسير القرطبي والوقف الحسن على الله نور السموات والارض فقول المصنف رحمه الله تعالى المراد بالنور الثاني محمد يعني به المقصود من النور الثاني ما هو شأن محمد فليس محمولا عليه حملا هو وغايته انه تجوز في العبارة وهذا أقرب وأسلم من التكلف الا أنه لا ينبغي منع كون الاضافة بيانية أيضا أقول هذا محصل ما قالوه من الاعتراض والجواب وأنت اذا تأملته رأيته متعسفا ومثله لا يخفى على هؤلاء والذي ظهر لي ان النور الثاني محمد صلى الله تعالى عليه وسلم بطريق المجاز والاول هو الله أضيف لجميع مخلوقاته للتعميم والثاني مضاف لله للتشريف والتعظيم والثالث اضافته كلجين الماء أتى به بيانا للتشبيه الذي بنيت عليه الاستعارة فالمعنى انه نور عم نوره جميع مخلوقاته وخص نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم باوفر اسم منه فسماه باسمه وألبسه حلته كما ألبسه الرأفة والرحمة ثم فسره بنور محمد أي هو محمد النور المبين وبهذا ترتبط الآيات بما قبلها وما خذ كلام المصنف بعضه بحجز بعض فينشط من الاشكال كما ينشط الفحل من العقال وفي نسخة أي محمد باسقاط مثل ولا غبار عليها (وقال سهل بن عبد الله) بن يونس بن عيسى بن عبد الله بن رفيع التستري كما سيأتي الصالح المشهور الذي لم يسمح الدهر بمثله علما وورعا وله كرامات مشهورة صحب

(سهل بن عبد الله) هو التستري منسوب الى تستر قال النووي هو بمثناتين من فوق الاولى مضمومة والثانية مفتوحة بينهما سين مهملة مدينة بخوزستان وقال التلمساني والتاءان مضمومتان وقيل بضم الثانية وتفتح وقيل بفتح فقط وقيل بفتح الاولى وبضم الثانية ويقال ششتر بشينين معجمتين من أعمال الاهواز وقيل بخوزستان انتهى وفي القاموس تستر كجندب بلد وبشينين معجمتين لحن وسورها أول سور بعد الطوفان وقد روي انه كان صاحب الكرامات العالية ولم يكن في وقته له نظير في المعاملات ولم يزل يشتغل في الرياضة العملية الى أن كان يفطر في كل يوم على أوقية من خبز الشعير بلا ادام فكان يكفيه لقوته درهم واحد في عام وهو مع ذلك يقوم الليل كله ولا ينام وأسلم عند وفاته يهود نيف على التسعين لما رأوا الناس انكبوا على جنازته وشاهدوا أقواما ينزلون من السماء فيتمسحون بجنازته ويصعدون وينزل غيرهم فوجا بعد فوج وقد توفي سنة ثلاث وثمانين ومائتين

ذاالنون المصرى بمكة وتوفى سنة ثلاث وثمانين فى المحرم وقيل سنة ثلاث وسبعين ومائتين بالبصرة ومولده سنة مائتين وقيل احدى ومائتين بتستر وهى بلدة من كور الاهواز ويقال ششتر بمعجمتين وبها قبر البراء بن عازب وقال النووى رحمه الله تعالى هى بمثناتين من فوق الاولى مضمومة والثانية مفتوحة بينهما سين مهملة ساكنة مدينة بخورستان (المعنى الله هادى أهل السموات والارض) هذا التفسير هو المأثور عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وقال الامام الرازى فى شرح الاسماء الحسنى هذا حسن الا أن تفسيره بما ذكر فى الاسماء الحسنى التسعة والتسعين لا يجوز لانه يصير تكرارا محضا واجيب بانه يجوز ان يكون الهادى اعم كما قالوه فى الرؤف الرحيم أو يعتبر فيه هداية بالغة الى حد لا يتناهى فيحصل به المغايرة فى الجملة كالرحمن الرحيم. قوله لا يجوز لا وجه له فان له نظائر فى هذه الاسماء وفى شروح الكشاف معنى نور السموات والارض هادى العالمين مبين ما يهتدون به ويتخلصون من ظلمات الكفر والضلال بوحى منزل ونبى مرسل والتأويل الذى عليه التعويل ما يساعده النظم سياقا وسباقا وماقبله من قوله تعالى (سورة أنزلناها) الى هنا اشارة الى ضمن ما بين من الاحكام الى نزاهة المؤمنين وطهارة ساحة أفضل المرسلين هدانا بها الى معالم الحكم. ذكر بعدها انه الهادى ثم قال (يهدى الله لنوره من يشاء) فاخذ الكلام بعضهم بحجز بعض فما قيل من ان تشبيهه بالنور فى الهداية وبناء كلام ابن عباس رضى الله تعالى عنهما عليه مستبشع عندى كلام لا وجه له فاى استبشاع فى مثله وفى ذكر أهل اشارة الى ان الاضافة فى الآية للسموات والارض مجازية تجوز فى نسبتها الاضافية كما فى قوله تعالى (مالك يوم الدين) أو هو بتقدير مضاف والاول أولى وفى بعض الشروح الرواية عن المصنف رحمه الله تعالى قراءة عليه نصب أهل والمعروف الكسر ثم (قال) أى سهل رضى الله تعالى عنه (مثل نور محمد) صلى الله تعالى عليه وسلم (اذ كان مستودعا فى الاصلاب) وفى نسخة فى اصلاب آبائه وهذا من تتمة تفسيره المذكور وقيل انه على تفسير آخر منقول عن سهل أيضا كما نقله عنه البغوى فى تفسيره والظاهر الاول لان قوله ثم الى آخره نص فيه والضمير المستتر فى كان راجع لنور محمد أو لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم نفسه ورجحه بعضهم بان محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم كان فى صلب آبائه لا نوره وفيه نظر أى مثل نور محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وصفته العجيبة وقت كونه فى الى آخره والاصلاب جمع صلب بضم فسكون وقد تضم اللام اتباعا وفيه لغات تقدمت وأصل معناه الشديد فسمى به الظهر وعظم فيه ممتد ما بين الكاهلين الى عجب الذنب وهى فقار الظهر الممتدة فيه كالسلسلة قيل كان نوره صلى الله تعالى عليه وسلم فى جبهة آبائه من آدم الى أبيه عبد الله وهو نور حسى كالقمر فى الليلة الظلماء والمستودع فى الاصلاب مادة جسمه اللطيف والنور تابع لتلك المادة وكان يظهر فى أمهاته أيضا كما ورد فى صحيح الاخبار واستيداعه فى الاصلاب وجوده فيها كما قيل

أنواره كانت بجبهة آدم * لا تختفى عن له عينان
وبصلب آدم كان وقت هبوطه * وبصلب نوح وهو فى الطوفان

*قلت أنكر اولا أن يكون النور فى الاصلاب ثم اعترف به وكونه تابعا للمادة يقتضيه اقتضاء ظاهرا والمستودع بالفتح سيأتى بيانه (كمشكاة صفتها كذا) فى نسخة وصفها كذا وكذا كناية عن قوله (فيها مصباح) الى آخره فانها استعملت كذلك أى صفة نور محمد صلى الله عليه وسلم كصفة نور مشكاة والمشكاة كوة غير نافذة والكوة بفتح الكاف وضمها اسم ما لا ينفذ ولا يخرج وقيل انها معربة من الحبشة وقيل هى القنديل وقيل هى موضع الفتيلة وقيل معلاقه والمصباح القنديل وقيل الفتيله مأخوذ من الصباح أو الصباحة والسراج الفتيلة الموقودة والناس يطلقه على محلها وهو مجاز مشهور

(المعنى) أى معنى الآية كما قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما (الله هادى أهل السموات والارض) أى فهم بنوره يهتدون وبظهوره يوحدون ففسر النور بالهادى لان النور هو الظاهر بنفسه المظهر لغيره وقدر المضاف ليتعلق كمال هدايته بارباب ولايته (ثم قال) أى سهل بن عبد الله (مثل نور محمد) أى صفة نوره العجيبة الشأن الغريبة البرهان (اذا كان) أى حين صار (مستودعا) بفتح الدال أى مودعا (فى الاصلاب) أى اصلاب الآباء أولهم آدم عليه الصلاة والسلام من الانبياء فنوره صلى الله تعالى عليه وسلم فى كل صلب انتقل اليه (كمشكاة صفتها كذا) أى كصفة كوة غير نافذة موصوفة بكونها فيها مصباح أى سراجا أو فتيلة المصباح فى زجاجة أى قنديل من الزجاج الزجاجة كانها الى آخرها فشبه مادة جسمه وقالبه فى اصلاب الآباء السالفة بالكوة فى الحائط التى ليست نافذة فصح قوله

(وأراد بالمصباح قلبه والزجاجة) أى وأراد بالزجاجة (صدره أى كأنه) يعنى صدره المعبر به عن الزجاجة (كوكب) أى نجم (درى) بضم أوله وتشديد آخره أى مشرق يتلألأ كأنه منسوب الى الدر المضىء وتخفيف ياء فهمز نسبة الى الدرء بمعنى الدفع فكأنه يدفع الظلام بنوره ويرفع الحجاب لظهوره وبكسر أوله مع التخفيف والهمز ولعله من تغيرات النسب كما يقال فى بصرى بصرى (لما فيه من الايمان والحكمة) أى من نور الايمان والايقان والمراد بالحكمة نور النبوة والايقان على وجه العيان (توقد) بصيغة المجهول من أوقد مذكرا ومؤنثا وتوقد بصيغة الماضى المعلوم فقراءة التأنيث مرجعها الزجاجة وقراءة التذكير مرجعها مصباح الزجاجة على حذف المضاف (من شجرة مباركة) أو مبتدأة منشئة من شجرة كثيرة البركة زيتونة لا شرقية ولا غربية (أى من نور ابراهيم عليه الصلاة والسلام) اذ هو اصل شجرة التوحيد وفضل ثمرة التفريد (وضرب) بصيغة المفعول أو الفاعل أى بين وعين (المثل بالشجرة المباركة) وعين قطو بى الشجرة لهاهذه الثمرة فحمل عليه الصلاة والسلام لكونه معدن اسرار عوارف المنافع وأنوار لطائف الشرائع الذين هم أكابر الانبياء واتباعهم الاصفياء اذ غالبهم بل كلهم بعده من ذريته فهو شجرة النبوة مشبهة بشجرة مباركة زيتونة لكثرة نفعها اذ هو فاكهة وادام ودواء ودهن له ضياء والحاصل ان نور محمد صلى الله تعالى عليه وسلم انتقل من آبائه الكرام الى ان ظهر ظهورا بينا فى ظهر

هذا معناه لغة وأما المراد هنا فاشار اليه المص بقوله (وأراد بالمصباح قلبه وبالزجاجة صدره) الزجاجة بالضم وهى مثلثة لكن هذا أعرفها وأفصحها وعلى ماذكره المص تكون المشكاة جسده الشريف وكون القلب فى الصدر أى فى جانبه الايسر مما لا شبهة فيه وهذا من تتمة كلام سهل وقيل انه ليس منه وللسلف تفاسير أخر هنا منها ان المشكاة ابدان آبائه والزجاجة اصلابهم والمصباح نوره صلى الله عليه وسلم المستودع فيهم كما سيأتى فى شعر العباس رضى الله تعالى عنه وانما جعل المصباح فى المشكاة لانه يكون فيها أقوى ضوأ وقيل المشكاة ابراهيم عليه الصلاة والسلام فالزجاجة اسماعيل عليه الصلاة والسلام والمصباح محمد صلى الله تعالى عليه وسلم (أى كأنه) أى صدره الشريف (كوكب درى) فى الزاهر لابن الانبارى الدرى الكوكب المضىء وفيه خمس لغات ضم الدال وكسرها وفتحها مع الهمز وبدونه مشدد الياء قيل انه منسوب الى الدر لحسنه وصفائه فوزنه فعلى وهو بالضم والهمز فعيل من درأ الكوكب جرى أودفع أوطلع بغتة وهو شاذ لان فعيل من ابنية العرب ومريق اسم العصفر أعجمى وعده سيبويه رحمه الله تعالى من أبنيتهم وقال أبو عبيدة أصله درو كسبوح فجعلت الضمة كسرة والواو ياء كما قالوا فى عتو عتى ومن قال درى بكسر الدال كسره من اجل الياء التى بعد الراء مجانسة لها ومن قال انه منسوب للدر بناه على عدم فعيل فالهمزة من تغييرات النسب وعلى الكسر وفعيل كشريب وسكيت صفة مشبهة وهو أفصحها والضم نادر والقول بانه لحن غير صحيح بعد وروده فى القرآن واما درىء بفتح الدال والهمز فشاذ لا نظير له الا سكينة بفتح السين فى لغة حكاها أبو زيد فدرى بمعنى متلألئ مشرق غاية الاشراق ولم يجعلوا الضمير للقلب لاستناره قيل ولم يشبه بالشمس أو القمر لما يعرض لهما من الخسوف والكسوف ورد بان المصباح يعرض له الانطفاء بالكلية وهو قابل له فى كل أوقاته فالصواب ان يقال ان هذا أوفق بالتشبيه باعتبار ان النيرين لا يحويهما مكان ضيق منيران فيه وأيضا اشراقهما عام للبر والفاجر بخلاف المصباح ولو تركوا هذا كله لكان أحسن وقوله (لما فيه من الايمان والحكمة) ضمير فيه للصدر وجعل ذلك فيه بواسطة القلب ولو ارجع للقلب لم يبعد والحكمة العلم النافع ولا وجه لتخصيصها بعلوم القرآن وقيل المراد بها هنا النبوة كما فى قوله تعالى ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة (يوقد من شجرة مباركة) فى يوقد قراآت بالفوقية والتحتية والضم والفتح على الماضوية والمضارعية ولا تعين لشىء منها هنا وذهب بعضهم الى انه بالفوقية المفتوحة ماض كتكسر وايثاره على قراءة توقد بضم المثناة الفوقية وفتح القاف المخففة لان الضمير فيها اما للمشكاة أو للزجاجة والضمير فى الاول انما هو للمصباح مرادا به القنديل الذى فيه الزجاجة ونسبة التوقد اليه أولى من نسبة الايقاد اليهما وان قيل أوقد المسجد مع ما فى التوقد من النسبة المكملة للاصل المشبه به السارية الى فرعه ومن للابتداء أى ذلك المصباح يوقد من زيت هذه الشجرة ومباركة بمعنى متيمن بها لكثرة منافعها وثبتها وللزيتون بركة عظيمة مشاهدة حتى ذكر فى كتاب الفلاحة ان الحكماء يصفون شيئا من أغصانها فى بيوتهم فى كل رأس كل سنة تبركا بها (أى من نور ابراهيم) المراد بتوقد المصباح من هذه الشجرة وصول نور النبوة من أبيه ابراهيم اليه عليهما الصلاة والسلام لان النسب يشبه بالشجرة وابراهيم عليه الصلاة والسلام أبو الانبياء وجد نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم ودعوته (وضرب المثل بالشجرة المباركة) المثل كلام شبه مضربه بمورده وضربه ذكره كذلك من ضرب

اللبن

ابراهيم عليه الصلاة والسلام اذ صار علما في علم التوحيد ولاسيما في باب التفويض والاستسلام فهو شجرة كثيرة الخير لان من بعده من الانبياء كلهم من ذريته وكان أكثرهم في جهة الشام من الارض التي بارك الله تعالى حولها وكان الزيتونة اشارة اليها وقوله لاشرقية ولا غربية أي حيث لاتقع الشمس عليها حينا دون حين بل حيث تقع عليها طول النهار كالتي تكون على قلة جبل مرتفعة أو صحراء واسعة فان ثمرتها تكون أنمى وزيتها أصفى أولا نابتة في شرق المعمورة ولاغربها بل في وسطها وهو توابع الشام فان زيتونه أجود الزيتون في غيرها وهذا بطريق العبارة وأما بتحقيق الاشارة فايماء الى قبلة أهل التوحيد وكعبة أهل التفريد حيث انها ليست شرقية كقبلة النصارى ولاغربية كقبلة اليهود وبالجملة اشارة الى أن الملة الحنيفية أعدل الملل الاسلامية فأهلها متوسطون بين الخوف والرجاء فلا خوف لهم يزعجهم الى بعد القنوط ولا رجاء يجرهم الى بساط الانبساط وقال بعضهم لادنيوية ولا أخروية بل جذبة الهية الى مكانة معنوية (وقوله يكاد زيتها يضيء أي يكاد نبوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) أي المقتبسة من شجرة النبوة (تبين) بفتح فوقية وكسر موحدة أي تظهر (للناس قبل كلامه) أي بادعاه النبوة حالة الرسالة لقوة مافيها من الانوار الالهية ولكونه مظهر الاسرار الصمدية (كهذا الزيت) أي في صفاء ظاهره وباطنه حيث يضيء ولو لم تمسه نار من الانوار الحسية وبعد اجتماع النبوة والرسالة والجمع بين الخلوة والجلوة نور على نور كما في اجتماع النار مع ضياء الزيت في كمال الظهور يهدي الله لنوره أي لاجل نوره وبواسطة ظهوره أو الى حضرة نوره وأخذ النور من حضوره من يشاء من خواص أوليائه وأكابر أصفيائه ويضرب الله الامثال للناس فيه أشعار بان ماقبله انما هو مثل للاستئناس ليدرك المعنى في قالب المبنى لكن لا يعقلها الا العالمون العاملون المخلصون الكاملون رضي الله تعالى عنهم وجعلنا بفضله منهم

اللبن والخاتم اذا صنعه على قالب مخصوص فضربه بمعنى بيانه ويكون المثل تشبيها واستعارة تمثيلية في الاكثر والمراد هنا الثاني لانه شبه ظهور نبوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم المتصلة بابيه ابراهيم عليه الصلاة والسلام وتشبيه المتصل به بمصباح أضاء بزيت من شجرة مباركة واقتصر على بعض أجزاء التمثيل لظهور مافيه وفائدة التمثيل كما في الكشاف ابراز المعقول في هيئة المخصوص لتتضح وترسخ في الاذهان ولذا أكثر في الاحاديث والكتب الالهية وفي بعض الشروح كما ضرب صدر محمد صلى الله تعالى عليه وسلم بالزجاجة وقلبه بالمصباح ومافيه من الايمان والعلم والحكمة بالنور وضوء المصباح الذي تتحقق توقده من نار زيت هذه الشجرة ووضعها بلاشرقية ولاغربية اشارة الى أن ابراهيم عليه الصلاة والسلام لم يكن يهوديا ولانصرانيا بل حنيفا مسلما كما فسره به ابن عمر رضي الله تعالى عنهما لان النصارى تصلي للشرق واليهود للغرب وعلى ما اختاره المصنف رحمه الله تعالى بعد قول سهل لابد من اعتبار أن التقدير في الآية كمثل نور مشكاة كما قدرنا على قول سهل فسقط ماقيل من أن التقدير كمصباح في مشكاة أي كمثل ضوء في مشكاة بناء على أن في جانب المشبه قلبا كقوله

وكان النجوم بين دجاها * سنن لاح بينهن ابتداع

وفي شرح البخاري أن هذا الذي حكاه المصنف من أن المصباح كناية عن قلب محمد صلى الله تعالى عليه وسلم والزجاجة عن صدره والشجرة عن ابراهيم عليه الصلاة والسلام تأويل بعيد عن ظاهر القرآن والصحيح ماعليه جمهور المفسرين من أنه تعالى ضرب هذا مثلا لنوره وتمثالا لقصور أفهام الخلق اذ لولاه ماعرف الله قال وما أشبه هذا التأويل بتأويل المفضل قول الفرزدق

أخذنا بأطراف السماء عليكم * لنا قمراها والنجوم الطوالع

لما سأله الرشيد عنه فقال أراد بالقمرين ابراهيم ومحمدا صلى الله تعالى عليهما وسلم وبالنجوم الطوالع أنت وآباؤك فقال له أحسنت انتهى وفيه نظر (وقوله تعالى يكاد زيتها يضيء أي يكاد نبوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم تبين للناس قبل كلامه) أي تكليمه ودعواه النبوة وتحديه (كهذا الزيت) تبين مضارع بان بمعنى اتضح والكلام يكون مصدرا بمعنى التكلم كقوله * فان كلامها شفاء لما بيا * أو المراد به مايتكلم به فيقدر مضاف أي قبل ايراد كلامه الذي يتكلم به وقيل ان يوحى اليه فعلى هذا شبه نبوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم بزيت أخذ من شجرة للاضاءة فان النور المحمدي المأخوذ من النور الخليلي سبب لاضاءة سراج قلبه الذي أضاء به الكون وشبه الكلام بالنار لاظهاره النبوة والدين وأورد عليه أن نور محمد صلى الله تعالى عليه وسلم كان في الاصلاب قبل خلق جسمه الشريف ومافيه من قلب وصدر فكيف يصح تشبيه القلب والصدر بما مر الا أن يقال أصل المادة موجود مع كل واحد من أجزائها الاصول موجودة في الاصلاب كما سبق أي من تعلق لروح به فيتم التشبيه والاوجه ماروى عن كعب من انه مثل ضربه الله لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم ثم قال المشكاة صدره والزجاجة قلبه

(وقد قيل في هذه الآية) أي على ما ذكره المفسرون وأرباب العربية (غير هذا) أي غير ما ذكرنا مما يتعلق بالعبارة والعاقل تكفيه الاشارة لان الزيادة على العلامة ربما تورث الملالة والسآمة (والله تعالى أعلم وقد سماه الله تعالى في القرآن في غير هذا المواضع نورا) أي عظيما مطلقا (وسراجا منيرا) أي شمسا مضيئة حقا ولعل وجه التذكير انها كوكب والظاهر انه من باب التشبيه البليغ وكون المشبه به أقوى من حيث شهرته ووضوح دلالته العامة للخاص والعام من عالم الخلق (فقال) أي الله تعالى (قد جاءكم من الله نور) أي لظهور الحق وابطال الباطل وأطلق عليه الصلاة والسلام لانه يهتدى به من الظلمات الى النور (وكتاب مبين) بين الاعجاز ومبين الاحكام بالايجاز وهذا شأنه للمدعى الاول وبيانه أن الاصل في العطف المغايرة وقد حاول بعض المفسرين بأنه من باب الجمع بين الوصفين باعتبار تغايرهما اللفظى وان المراد بهما القرآن وقد يقال في مقابلهم وأى مانع من أن يجعل النعتان للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فانه نور عظيم لكمال ظهوره بين الانوار وكتاب مبين حيث انه جامع لجميع الاسرار ومظهر للاحكام والاحوال والاخيار (وقال) أي الله سبحانه مخاطبا له صلى الله تعالى عليه وسلم (يا أيها النبي انا أرسلناك شاهدا) أي على من بعثت اليهم بتصديقهم وتكذيبهم أو شاهدا على جميع الشهداء من الانبياء كما يستفاد من قوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا وهو وما بعده أحوال مقدرة مخبرة بحيازته جميع الجهات المعتبرة (ومبشرا ونذيرا) أي منذرا ولعل وجه العدول رعاية الفواصل أو تفنن لانه العبارة في المحل القابل فهو بشير ونذير ومبشر ومنذر للمطيعين بالجنة والوصلة وللعاصين بالحرقة والفرقة (وداعيا) أي جميع الخلق (الى الله) أي الى دينه وحبه ومقام قربه (باذنه) أي بأمره وتيسيره (وسراجا منيرا) يميز بين الحق والباطل في المعتقدات وبين الحلال والحرام في المعاملات وبين محاسن الاخلاق ومساويها في الرياضات فهو الداعي بالشريعة والطريقة والحقيقة الى المراتب الحقية والدرجات العلية عليه أفضل الصلاة وأكمل التحية

والمصباح نبوته وقدمن شجرتها ومحاسنه تظهر قبل الكلام وان يوحى اليه واذا فسر النور بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم المشكاة بالصدر فالمراد كمثل ذى مشكاة أو ان التشبيه باعتبار الاجزاء فلا تقدير انتهى وقيل اضاءة الزيت قبل أن تمسه النار اشارة الى ان نبوة ابراهيم التى هى بمثابة زيت تلك الشجرة وهكذا ايمانه يكاد يبين للناس قبل كلامه ولما كان قلب محمد صلى الله تعالى عليه وسلم بمثابة المصباح الذى يوقد مما فيه من زيت تلك الشجرة التى يكاد تضىء ولو لم تمسسه نار وكان ما فيه من نور الايمان والنبوة بمثابة نور ذلك الزيت كانا بحيث يبينان للناس قبل كلامه فأشار الى ذلك مكتفيا بذكر أحدهما احالة للآخر على المقايسة بقوله كهذا الزيت والاشارة للذى في الآية الموصوف بالاضاءة (1) قبل اقتباس النار فالايضاح كالاضاءة كما ان الخفاء كالاظلام والتكلم كامساس النار في ترتب ظهور شئ ما عليه (وقد قيل في الآية غير هذا والله تعالى أعلم) من الوجوه المنقولة في التفاسير واقتصر المصنف رحمه الله تعالى على ما ذكر لما فيه من الثناء على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (وقد سماه الله في القرآن في غير هذا نورا وسراجا منيرا) لما ذكر أن بعضهم فسر النور في مثل نوره بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم وهو مما استبعده كثير من العلماء أردفه بما يغنى عنه أو يدفع الاستبعاد عنه فقال ان الله أطلق عليه النور في غير هذه الآية حيث سماه نورا على ما تقدم في كلام الغزالى وغيره من انه المرشد الهادى للناس بما يفيض عليه من الانوار القدسية والمنير الزائد النور أو المظهر لغيره ما خفى عليه (فقال تعالى قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين) الخطاب لاهل مكة في قوله يا أهل الكتاب قد جاءكم الخ وقد فسر النور بالاسلام والكتاب شامل للتوراة والانجيل وكانوا يخفون ما فيهما من صفات النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وغيره فلذا فسر النور به وبالقرآن فسماه نورا لكشفه ظلمات الجهل والضلال ولذا وحد الضمير لاتحاد الطريق في هدايتهما فان خاتمه صلى الله تعالى عليه وسلم القرآن كما سيجىء (وقال الله تعالى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه) الاذن على ظاهره لان أمره أذن له أو المراد به الارادة فانه كثيرا ما يتجوز به عنها وعن الامر كما في مجاز القرآن لابن عبد السلام رحمه الله تعالى وفسر بتوفيقه أيضا وتيسيره (وسراجا منيرا) واطلاق النور ثم بيانه واطلاقه على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم والاسلام والقرآن فان بكل منها تتقوى البصيرة على ادراك المعقولات كما يتقوى بالنور على ادراك المحسوسات وسماه شاهدا لانه صلى الله تعالى عليه وسلم يشهد على أمته بالقبول والانكار وعلى الرسل بالتبليغ وعلى أممهم وهو المبشر لهم بالجنة ونعيمها والنذير بضده لمن كفر وهو الداعى الى توحيد الله وطاعته وتشبيهه صلى الله تعالى عليه وسلم بالسراج في غاية الوضوح والبلاغة

---

(1) قوله قبل اقتباس النار هكذا وجدنا النسخ كلها حيث راجعناها وهو وان كان مناسبا من جهة المعنى الا أن سياق الآية يأبى عن ذلك فالظاهر قبل امساس النار حتى يكون موافقا للآية لمصححه

(ومن هذا) أي من الباب أو النوع أو القبيل (قوله تعالى ألم نشرح لك الى آخر السورة) استفهام أفاد انكار نفي الشرح مبالغة في اثباته اذ انكار النفي نفي له ونفي النفي اثبات أي قد شرحناه لك ومن ثم عطف عليه قوله ووضعنا عنك وزرك اشارة الى المبنى ورعاية للمعنى (ومعنى قوله شرح وسع) بالتشديد (والمراد بالصدر هنا القلب) لان الصدر غير قابل للتضييق والتوسيع أي وسع قلبه لتجليات ربه وتنزلات حكمه بعد ما كان يضيق صدره لما ينعكس عليه من غبار غيره لقوله تعالى ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون أي فينا أو في القرآن أو فيك ثم قال تعالى كتاب أنزل اليك فلا يكن في صدرك حرج منه فهذا نهي تكوين كما ان قوله تعالى كن أمر تكوين فيكون المأمور ولا يكون النهي وبه ينتفي التلوين ويتحقق التمكين المعبر عنه بمرتبة جمع الجمع بين مناجاة الحق ومفاداة الخلق بحيث لا يحجبه الكثرة عن الوحدة ولا عكسه (قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما) أي كما رواه ابن أبي حاتم عن عكرمة وابن مردويه وابن المنذر في تفسيرهما عنه انه قال (شرحه بنور الاسلام) وفي نسخة بالاسلام وفي أخرى بالايمان والمعاني متقاربة البيان أي فسح قلبه ووسعه بسبب نور الانقياد وتفويض الامر الى المريد المراد العالم بالعباد والعباد في جميع البلاد وفيه ايماء الى قوله تعالى أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه (وقال سهل بنور الرسالة) أي شرحه به خصوصا فلا ينافي ما تقدم عموما

لانه يستضيء من الوحي ويضيء للناس بما أتاهم به ففيه من البلاغة ما ليس في قوله شمسا وقمرا ووصف السراج انه منير للتوكيد وقيل لان من السراج ما لا يضيء اذا أرق فتيله وقل زيته وقد قيل ثلاثة تضر رسول بطيء وسراج لا يضيء ومائدة ينتظر اليها من يجيء (ومن هذا) القبيل الذي عقد هذا الفصل لذكره من ثناء الله على نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم (قوله تعالى ألم نشرح لك صدرك الى آخر السورة) الهمزة لانكار النفي ونفي النفي اثبات فناسب عطف المثبت عليه وقوله الى آخر السورة يقتضي انها كلها ثناء من الله على نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم فان الكلام فيه والثناء بحسب الظاهر انما هو في أوائلها الى قوله تعالى (ورفعنا لك ذكرك) قلت هذا بحسب بادي النظر كما قيل وعند التحقيق هي كذلك بأسرها فانها تدل على نعم أنعم الله بها على رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم وهي متضمنة للثناء عليه بما أعطاه الله تعالى من الكمال الذي لم ينله سواه ولا يدانيه فيه واحد وهو من أبلغ الثناء ففي قوله تعالى (ان مع العسر يسرا) اشارة الى أنه ثبت جأشه لما اقتحمه من الشدائد كضيق الصدر والوزر المنقض للظهر في مكابدة قومه وايذائهم له وهو مداوم على الدعوة والتبليغ ثم انه بشره بانه كرر يسره وزاده على عسره فانه لا يغلب عسر يسرين على قاعدة اعادة النكرة والمعرفة المشهورة وفي قوله تعالى (فاذا فرغت فانصب) أي اذا فرغت من التبليغ فاتعب في العبادة اشارة الى أنه صلى الله عليه وسلم أدى الامانة ونصح الامة وتمت له النعمة المستحقة لابلغ الشكر وهو العبادة فالسورة كلها متضمنة لتعديد النعم عليه صلى الله تعالى عليه وسلم مع مدحه والثناء عليه وأمره بالشكر على ما أولاه والابتهال اليه لا الى غيره في كل ما ينوبه وبهذا تبين ان السورة كلها من هذا القبيل (شرح أي وسع) الشرح قال الراغب أصل معناه بسط اللحم ونحوه ومنه شرح الصدر وهو بسطه بنور الهي وقال غيره التوسعة مطلقا ولا تختص بالظرف كما قيل انه من صفات الظروف باعتبار امكان ظرفيتها لامور فوصف القلب به باعتبار اتصافه بامور فاذا قيل شرحه أوله فهو متصف به واذا أطلق كما في الآية فالمراد تخليته لليقين وتحمل المشاق من غير قلق ونحوه من الكمال ويراد به الفرح وعدم الانقباض ومنه شرحت الحديث اذا بينته وفسرته وشرحت اللحم قطعته طولا وقد فسر ما هنا بالاخير بناء على انه بيان لشق قلبه في صباه كما ذكره القاضي ومما يدل على ان أصل معناه الاتساع المقابل للضيق قوله تعالى (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا) وتفسير المصنف له بالماضي المثبت لان الاستفهام الانكاري نفي معنى ونفي النفي اثبات كما مر ولم يقلب المضارع ماضيا واختاره في النظم على شرح وهو أوضح وأوجز لانه أبلغ لانه ذكر الشيء بلازمه وهو اثبات بينة لانه كناية عن الاثبات اللازم له أي ان الله وسع قلبه صلى الله تعالى عليه وسلم لما جاء الحق ودعوة الخلق أو بما أودع فيه من العلم والحكمة أو بما يسره من تلقي الوحي بعد ما شق عليه كما ذكره المفسرون (والمراد بالصدر هنا القلب) فهو تسمية للحال باسم المحل والظرف باسم المظروف والقلب معروف وتفسيره بلطيفة يمتاز بها الانسان عمن عداه ليس بشيء كما مر (وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما شرحه بالاسلام) وروي بالايمان أي التصديق الكامل المقرون بالعمل والكلام عليه وعلى الاسلام ليس هذا محله أي بحلوله فيه وقبوله واذعان حقيقته واتباع مقتضاه وهذا أخرجه عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ابن مردويه وابن المنذر من طريق عطاء وابن أبي حاتم عن عكرمة (وقال سهل) قد تقدمت ترجمته وقوله (بنور الرسالة) رواه الطيبي والرسالة هي ارسال الله اياه لتبليغ وحيه والمعنى انه شرحه برسالة شبيهة بالنور لاظهارها الشريعة وسائر العلوم فهو كلجين الماء أو المراد

(وقال الحسن) أى الحسن البصرى وهو من أفاضل التابعين ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر رضى الله تعالى عنه ومات بالبصرة سنة عشر ومائة وهو ابن ثمان وثمانين سنة وكانت أمه خادمة أم سلمة رضى الله تعالى عنها من أمهات المؤمنين فكان اذا بكى فى صغره جعلت ثديها فى فه فاصاب لذلك بركة عظيمة حتى صار عالما زاهدا يضرب به المثل فى كمال العلم والعمل أخرج له الجماعة فى الكتب الستة (ملأه) بالهمزة أى ملأ قلبه (حكما) أى ما يحكم من الاحكام (وعلما) أى بجميع ضروريات الانام وفى نسخة بكسر الحاء وفتح الكاف جمع الحكمة فلعله أراد بها السنة وبالعلم ما يتعلق بالكتاب من جهة دلالة المعنى وقراءة المبنى (وقيل معناه ألم نطهر قلبك) من الاستئناس بالناس (حتى لا يؤذيك) وفى نسخة لا يقبل (الوسواس) أى لا يشوش عليك الموسوسون من الانس والشياطين فى حالة الحضور وفى حضرة العيان وهو أتم وأعم من تفسير بعضهم الوسواس بالشياطين والحاصل ان الهمزة للتقرير فى البيان والمعنى قد طهرنا لك صدرك ولذا عطف عليه قوله

آثارها المضاهية له لجعله معدنا للحقائق والباء للتعدية أو للسببية (وقال الحسن) هو الحسن بن أبى الحسن البصرى التابعى واسمه يسار بالتحتية والمهملة وهو من أجل التابعين وهو فى الزهد والعلم واظهار الحق بمرتبة عالية غنية عن البيان مكث ثلاثين سنة لم يضحك ولم يخرج من محل الطاعة ولقى كثيرا من الصحابة وتروى عنه أحاديث كثيرة وحيث أطلق المحدثون الحسن فهو المراد وجلالته لم يختلف فيها ولم يخرج وانما اختلفوا فى كونه لقى عليا رضى الله تعالى عنه وروى عنه فذهب كثير منهم الى أنه لم يثبت رؤيته له ولانه ألبسه حرقة المشايخ الصوفية قدس الله أرواحهم ونفعنا بسرهم على الطريقة المعروفة بينهم وذهب كثير من المحدثين الى أنها بدعة لم تصح ولكن الجلال السيوطى رحمه الله تعالى صنف فيها جزأ لطيفا وقال انها ثابتة وأثبت أيضا ان الحسن رحمه الله تعالى اجتمع بعلى كرم الله تعالى وجهه وكذا ذكره الحافظ بن حجر فلا عبرة بانكار مثله وسن الحسن متحمل له والمثبت مقدم على النافى فانه مولى للانصار وولد لسنتين بقيا من خلافة عمر رضى الله تعالى عنه ومات بالبصرة سنة ستة عشر ومائة وهو ابن ثمان وثمانين سنة وكانت أمه تخدم أم سلمة زوجة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ورضى عنها فكان اذا بكى عندها فى صغره وضعت ثديها فى فه فاصابه بركتها حتى صار يضرب به الامثال فى العلم والزهد والفصاحة وله قصة مع الحجاج مشهورة (ملأه حكمة وعلما) وروى كما فى بعض النسخ حكما بضم الحاء المهملة وسكون الكاف أو بكسرها وفتح الكاف جمع حكمة وهى العلم بالحقائق النافعة والشرعية والحكم بالضم أيضا يكون بمعناها كما ورد فى الحديث ان من الشعر لحكما وحكمة وقيل أنه يريد رواية الحكمة هنا ما فى حديث الشق لصدره من أنه حشى ايمانا وحكمة والحكم بالضم الفقه أو القضاء بالعدل أو التصديق أو الكمال والعطف للتأكيد والتتميم وملؤه مجاز عن عدم سعة شئ غيره أو عن كثرته وقيل انه جعل على صورة جسم ثم ملئ به فهو حقيقة وبعض أهل البصيرة يرى الايمان والعلم مجسما شعاعا ومصباحا ومشعلا وأنا أرى ذلك من ثمرتهما كما سيجئ انتهى (وقيل معناه ألم نطهر قلبك) أى ننظفه من حظ الشيطان ودنس الاوهام وهو اشارة الى ما ورد فى شق صدره الشريف واخراج علقة سوداء منه وقوله هذا حظ الشيطان منك وسيأتى مفصلا مشروحا وفى بعض النسخ لك قلبك كما فى الآية وزيادة لك مع عدم الحاجة لها قيل للاشارة الى أن الله غنى عن العالمين فاللام للتعليل أى فعلنا ذلك لاجلك لا لاجلنا لعدم احتياجنا لشئ من المخلوقات وفى تفسير القاضى انه للابهام قبل الايضاح فيفيد مبالغة وهذه النكتة جارية فى ألم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك الذى أنقض ظهرك ورفعنا لك ذكرك يعنى انه لما ذكر الفعل علم ان ثمة مشروح ومرفوع ولما قبل لك اشتد ابهامه وتوهم انه أعرض عن ذكره فلما ذكر بعده صار أوقع فى النفس وآكد لانه فى قوة ذكره مرتين مجملا ومعينا الان لك بمعنى شيئا لك ثم قال صدرك عينه قيل والفضل للمتقدم (حتى لا يؤذيك الوسواس) قال ابن مالك فعلل ضربا صحيح كدحرج وثنائى مكرر نحو كبكب ولهما مصدران مطردان فعللة وفعلال بالكسر كزلزال وهو أقيس فيه وأما الفتح فورد فيه شاذا لكنه كثير فى المكرر كتمتام وفافا وهو للمبالغة كفعال فى الثلاثى والحق أنه صفة وجعله مصدرا أريد به الفاعل أو بتقدير ذو مما لا داعى له كما جنح اليه الزمخشرى ومن تبعه انتهى فعلى ما اختاره هو الوسواس بالفتح بمعنى الموسوس صفة حقيقية من غير تأويل فهى بمعنى الشيطان وعلى ما اختاره الزمخشرى يفسر بالوسوسة لانه مصدر عنده ويجوز تفسيره بالشيطان على انه مجاز وتطهير قلبه مما ذكر من حظ الشيطان والوسوسة اما بان خلقه سالم الصدر أو هو اشارة الى ما ورد فى الحديث الصحيح من شق صدره وقلبه واخراج علقة سوداء منه وقول الملك هذا حظ الشيطان منك وغسله لما أراد الله تقديسه وتنويره بنور منه حال طفوليته ليستعد لقبول الوحى ومشاهدة

(ووضعنا عنك وزرك) أي اثمك وأصله ما يحمل على الظهر ولذا قال (الذي أنقض ظهرك) أي أثقله حتى ظهر نقيضه ونقيض الظهر صوته (وقيل) أي في المراد من قوله وزرك (ما سلف من ذنبك) يعني من التقصيرات أو الهفوات والغفلات (يعني) أي يريد صاحب القيل بهذا القول (قبل النبوة) لانه كان بعدها في مرتبة العصمة (وقيل أراد) أي الله تعالى به (ثقل أيام الجاهلية) وهو بكسر المثلثة وفتح القاف ضد الخفة ويجوز تسكينها تخفيفا وهو ولا ينافي ان الثقل بالكسر والسكون واحد الاثقال لانه لاشك ان المراد به نوع من أثقال الاحمال وهو الواقع في أزمنة الجاهلية من أصحاب الفترة قبل ظهور نور الدولة الاسلامية وقبل اعلاء اعلام العلوم الدينية ولعل فيه ايماء الى قوله تعالى ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان أي تفاصيل ما يتعلق به على وجه الايقان ومنه قوله تعالى ووجدك ضالا أي جاهلا عن كمال المعرفة فهدى أي فهداك هداية كاملة وهدى بك جميع الامة واما الثقل بفتحتين بمعنى متاع المسافر فلا يبعد ان يكون مرادا هنا اشعارا بانه صلى الله تعالى عليه وسلم حال سلوكه وسيره كان حاملا لامور ثقيلة على ظهره فعرفها الله تعالى عنه حتى تمكن في مقام تفويضه وتسليم أمره (وقيل أراد ما أثقل ظهره من الرسالة) أي اعبائها فانه من باب التوجه من الحق الى الخلق وهو مستثقل عند أرباب الولاية الا بعد حصول مرتبة جمع الجمع الذي يزيل تفرقه بالكلية بحيث لا تشغله الكثرة عن الوحدة ولا الوحدة عن الكثرة (حتى بلغها) بتشديد اللام أي حتى بلغ الرسالة بعدما بلغ تلك الحالة (حكاه الماوردي) من علماء الظاهر وهو ممن تفقه على أبي حامد الاسفرايني وصنف في الفقه والتفسير والاصول توفي سنة خمسين وأربعمائة وهو أبو الحسن علي بن

الملكوت ونحوه مما لا تطيقه القوى البشرية وهذا مما يؤذن بانه على حقيقته وظاهره ولا يحتاج لتأويله وقد فسر شرح الصدر بهذا وقيل بقوة المجاهدة وقيل بعدم التوجه لغير الله وقال بعض الشراح الاولى شرح الشرح بجمع الكمالات القلبية الشاملة لجميع ما ذكر جمعا بين الاقوال فان التخصيص بلا مخصص غير متجه وبهذا يندفع الاشكال في هذه التفاسير وامثالها من انه ان ثبت كل منها بنقل فاوجه الجمع بين المنقول والا فاوجه العدول عن التعميم مع ظهوره فنقول مقصود السلف ان ما ذكر مراد من غير حصر والوسوسة وحديث النفس والهواجس والخواطر القلبية واصل معناها الهمس والاصوات الخفية ولذا قيل لصوت الحلي وسواس وقد اشتهر ذلك في كلام العرب وما أحسن قول علي الباخرزي في المعنى

وخريدة تكسو الجمال لباسا * قاسي الفؤاد لجسمها ما قاسى
حنت خلاخلها بنغمة ساقها * ولذاك سمي جرسها وسواسا

وما أحسن قول أبي الفتح الطبي يقال شعرك وسواس هذيت به * وقد يقال لصوت الحلي وسواس

وفي الحديث ان الله تجاوز عن أمتي ما وسوست به صدورها ما لم يعمل به أو تتكلم والكلام في ان جميعه معفو عنه وفيه تفصيل كما بين في محله لا حاجة للتطويل به هنا كما في بعض الشروح وما شق الصدر وما فيه فسيأتي فلا حاجة لتلقي الركبان به (ووضعنا عنك وزرك الذي أنقض ظهرك) الوزر الحمل الثقيل ووضعه ازالته عنه لانه اذا تعدى بعلى كان بمعنى التحميل واذا تعدى بعن كان بمعنى الازالة وقال ابن عبد السلام في مجاز القرآن شبه اسقاط مؤاخذته بما سبق النبوة باسقاط مشاق الاحمال الثقيلة والوزر يكون بمعنى الذنب أيضا والانقاض حصول النقيض وهو صوت فقرات الظهر وقيل صوت الجمل أو الرجل أو المركوب اذا أثقل ما عليه ولا يدل هذا على عظم وزره بل المراد استعظامه لشدة خوفه واجلاله لله انتهى فالانقاض التثقيل في الحمل حتى يسمع له نقيض أي صوت كما قاله الازهري وقال ابن عرفة هو اثقال يجعل ما حمل عليه نقضا أي مهزولا ضعيفا قيل وهذا تمثيل فان الظهر اذا أثقل حمله فله نقيض والفعل بالمعنى المجازي على ظاهره أو على ارادة القرب أي يكاد ينقض أو على التشبيه البليغ أو على تقدير لو كان وفيه بعد ولا يخفى ما فيه من التكلف فاختر لنفسك ما يحلو وسيأتي للمصنف كلام في هذه الآية (قيل ما سلف من ذنبك يعني قبل النبوة) مرضه لما سيأتي من عصمته صلى الله عليه وسلم من الصغائر والكبائر قبلها وبعدها وهذا بناء على جواز صدور تقصيرات تعرف عقلا أو شرع سابق انه خلاف الاليق أو من أمور حرمت عليه في دينه فعدها أوزارا وان لم تكن كذلك فاندفع ما قيل من غير مناسب لكلامه الآتي فتدبر (وقيل أراد ثقل) هو ضد الخفة بكسر المثلثة وفتح القاف ويجوز تسكينها تخفيفا وللاثقال معان أخر مذكورة في كتب اللغة أي أراد بالوزر (أيام الجاهلية) هي زمن الفترة بعد عيسى عليه الصلاة والسلام الى بعثته صلى الله تعالى عليه وسلم وثقلها عدم رضاه بما هم عليه منها من الشرك وعبادة الاصنام والحروب والمقاتلة للحظوظ النفسانية وغير ذلك مما استقبحه صلى الله تعالى عليه وسلم لسلامة فطرته (وقيل المراد بذلك ما أثقل ظهره من الرسالة حتى بلغها حكاه الماوردي) أي الوزر مستعار من الحمل الثقيل لما قاساه من المشقة في ابتداء تلقيه الوحي من هيبة الملك وحفظ ما يلقى اليه وتكذيب قومه وغيرهم لما عرض نفسه على القبائل

وشدة أذيتهم له صلى الله تعالى عليه وسلم ولاصحابه رضي الله تعالى عنهم ووضع ذلك عنه بما فيه من قوة الصبر وتسهيل الله ذلك عليه بعدما كان يخاف ان لا يبلغ الامانة ولا يقوى على مقاومتهم وهو بين أظهرهم لان هذه السورة مكية ووضع الوزر في القولين السابقين مجاز عن عدم خلق الذنب أو خلق القدرة عليه كالحذف المستعمل عند المصنفين في عدم الاتيان بالمحذوف حقيقة عرفية وحقيقته اللغوية اسقاطه بعد ذكره وقيل المراد بالوزر ثقل ذنوب أمته الاجابة الموضوعة عنهم بالشفاعة والماوردي هو علي بن حبيب القاضي أبو الحسن الماوردي نسب أبوه لعمله أو لبيعه والقياس الوردي وهو صاحب التصانيف الجليلة في التفسير وفقه الشافعية والاصول والحديث كالحاوي والاحكام السلطانية وهو كتاب جليل لم يصنف في بابه مثله ولم ينصفه امام الحرمين حيث قال في تصنيفه المسمى بالغياثي انه قال في الاحكام يجوز ان يكون الذمي وزيرا ومن هذا مبلغ علمه ومنتهى فهمه كيف يتصدق للتصنيف والفتوى قال ابن الملقن في طبقاته والذي جوزه أي الماوردي انما هو وزارة التنفيذ لا التفويض فتنبه له قلت قد تنبهنا لذلك فرأينا جوابه غير صحيح وله رحلة لابي حامد ودرس بالبصرة وبغداد واتهم بالاعتزال مع انه خالفهم في بعض أقوالهم مات رحمه الله تعالى سنة خمسين واربعمائة وقد بلغ ستا وثمانين سنة (والسلمي) بضم السين المهملة وفتح اللام منسوب لسليم بالتصغير وهو أبو عبد الرحمن السلمي صاحب الحقائق واسمه محمد بن الحسين بن موسى النيسابوري شيخ الصوفية وصاحب تاريخهم وطبقاتهم وتفسيرهم ولد سنة ثلاثين وثلاثمائة وتوفي في شعبان سنة اثنتي عشرة وأربعمائة ونقل الذهبي عن يوسف القطان انه قال كان يضع الاحاديث للصوفية وقد خالفه فيه الخطيب وقال انه ثقة صاحب علم وحال كما نقله السبكي في طبقاته واطال في ترجمته بما لا يناسب الكتاب (وقيل عصمناك ولولا ذلك لاثقلت الذنوب ظهرك حكاه السمرقندي) قيل انه يعني ان الوضع مجاز عن ان لا يخليه بتحمل الذنوب وهذا القول بعيد والتعليل بان العصمة ثابتة له صلى الله تعالى عليه وسلم فاسد اذ المقصود اذكار النعمة والثناء عليه وسيأتي الكلام على هذا في القسم الثالث أقول لا بعد فيه فانه تقدم ان وضعه بمعنى رفعه وازالته فاذا أريد منعناك منها لعدم خلق الذنب ودواعيه فيك أو لعدم أقدارك عليه لم يبعد لما في كل منهما من عدم تلبسه بالوزر وأي بعد في هذا وقد ورد مثله كثيرا لتنزيل ما بالقوة منزلة ما بالفعل ألا ترى الى قوله في الحديث رفع القلم عن ثلاث ولم يوضع عليهم قلم حتى يرفع والقول بان أحدا من أهل اللغة لم يفسر وضع بمعنى عصم عجيب من قائله ومثله غني عن الرد وقد نقل هذا القرطبي في تفسيره والسمرقندي تقدم الكلام عليه (ورفعنا لك ذكرك قال يحيى بن آدم بالنبوة) يحيى بن آدم بن سليمان الاموي مولاهم الكوفي أبو زكريا أحد الاعلام الذين أخرج لهم أصحاب الكتب الستة وقد وثقه ابن معين وغيره وتوفي سنة ثلاث بعد المائتين وروى عنه أحمد بن حنبل وغيره ومن فسر رفع الذكر بالنبوة فشرح الصدر عنده اما مفسر بالرسالة أو المراد قبولها أو يفسره بغير ذلك ولذا فيه كلام سنبينه ولا يلزم من رفعه صلى الله تعالى عليه وسلم بالنبوة تفرده بها عن غيره من الانبياء عليهم الصلاة والسلام اذ يكفي رفعه على من في عصره وقيل المراد بالنبوة ما سبق بها سائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام في الازل وآدم عليه الصلاة والسلام بين الماء والطين حيث أخذ الميثاق على ان من أدركه صلى الله تعالى عليه وسلم منهم اتبعه ولا دليل عليه في كلام المصنف أقول هذا كلام شراح هذا الكتاب وانما يحتاج اليه اذا نقل المراد سواء تعلقت الباء برفع أو بذكر انه شرف ذكره صلى الله تعالى عليه وسلم حيث خاطبه بيا أيها النبي و يا أيها الرسول فعظمه وقال الله تعالى (لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا) وهو المذكور في شروح الكشاف اما اذا قلنا بذلك فلا يحتاج اليه ولكن هذا غير ما ذكره المصنف عندهم ولا وجه له

وغيرهما توفي في زمن بشر بن مروان بالكوفة سنة اثنتي عشرة واربعمائة وهو بضم السين وفتح اللام منسوب الى سليم كذا ذكره التلمساني وهو غير صحيح فانه متناقض الآخر والاول فتأمل والصواب ما ذكره الحلبي بقوله هو أبو عبد الرحمن السلمي النيسابوري شيخ الصوفية وصاحب تاريخهم وطبقاتهم وتفسيرهم مولده سنة ثلاثين وثلاثمائة وتوفي في شعبان سنة اثنتي عشرة واربعمائة له ترجمة في الميزان (وقيل عصمناك) أي حفظناك من ارتكاب الذنوب في فعلك (ولولا ذلك) أي عصمتنا لك (لاثقلت الذنوب ظهرك) وهذا معنى بديع (حكاه السمرقندي) أي أبو الليث وبقي قوله تعالى (ورفعنا لك ذكرك قال يحيى بن آدم) أي ابن سليمان الاموي مولاهم الكوفي أحد الاعلام اخرج له أصحاب الكتب الستة توفي سنة ثلاث ومائتين (بالنبوة) أي ورفعنا لك ذكرك بسبب النبوة بين الملائكة أو بالنبوة المقرونة بالرسالة بين جميع الامة أو بالنبوة الروحانية المختصة قبل خلقة آدم بين أرواح المرسلين والملائكة المقربين

(وقيل

(وقيل اذاذكرت) بضم التاء والضمير لله (ذكرت معى) بفتحها والخطاب للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم والفعل مجهول فيهما (قول لا اله الا الله محمد رسول الله) قول بالرفع بدل من الجملة قبله أوخبر مبتدأ مقدر بهو ويجوز نصبه بتقدير أعنى ومايضاهيه أى أعنى بذكرك معى ذكر لا اله الى آخره وفى بعض النسخ روى قول الى آخره قيل وهذا بناء على العادة الغالبة أوعلى الافضل المأمور به وهذا جواب عن سؤال انه قد يقول المؤمن لا اله الا الله مقتصرا عليها وايضا كثيرا مايذكر الله وحده نحو سمع الله لمن حمده وربنا ولك الحمد كما ورد فى كثير من مواطن العبادة وأجيب بان اذا الشرطية لاعموم لها ولذا قال المنطقيون ان قضيتها جزئية وليس قول لا اله الا الله من جملة كلام من فسر ورفعنا الى آخره بقوله اذاذكرت ذكرت معى لما سيذكره المصنف عن الخدرى وكذا هو فى زاد المسير وفيه عقبه قال قتادة فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة الا يقول أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله الآتى فى كلام المصنف رحمه الله وهذا تفسير مأثور عليه الجمهور والحصر فيه مشكل بما مر والظاهر ان يحمل ذكره تعالى على أفضل الذكر وهو لا اله الا الله الى آخره حتى ورد انه يقوم مقام كل الاذكار وكل الصيد فى جوف الفرا والقرينة على هذا ان المقام مقام امتنان وتذكير بالنعم وكونه مذكورا معه اذا ذكر أفضل الذكر أليق بمقامهما وتوسيط المصنف هنا قيل وهى صيغة تمريض والقول للجمهور لايخفى مافيه انتهى ولم يرض هذا الشارح الجديد فقال المراد ذكر المؤمن وهو لايذكر الله الا ويذكر معه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فالمصلى اذا قال سمع الله لمن حمده هل يقولها الا وفى ذهنه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لانه الذى أمر بها فليس المراد بالذكر الذكر القولى فقط بل الاذكار الفعلية والتركية والقلبية والقائل فهم ان المراد بالذكر اللفظى وهذا فهم من لم يتتبع مقاصد الشريعة ثم أطال فى هذا بما محصله ماذكر ولم يأت بشئ غير ان زاد فى الشطرنج بغلة وفى الطنبور نغمة ❊ أقول هذا جملة ماقالوه فى هذا التفسير المأثور ولم يأتوا بما تقرر به عين التقرير فان قوله اذاذكرت ذكرت معى ان أخذ كلية خالف الواقع فانه كم ذكر الله وحده وكم ذكر الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وحده وان عين موضعا فهو ترجيح بلا مرجح وان جعلت القضية مهملة فلا يخفى مافى الاهمال من الركاكة وقد أمعنت فيه النظر فلم أر مايثلج الصدر وترديد السائل غير صفر حتى لاح لى ان الجواب الحق ان يقال الذكر محمول على الذكر فى مجامع العبادة ومشاهدها فان ذكره صلى الله تعالى عليه وسلم مقرون بذكره فيها فى الواقع فى الصلوات والخطب فلا ترى مشهدا من مشاهد الاسلام الا وهو كذلك فلا ينفك ذكره صلى الله تعالى عليه وسلم عن ذكره تعالى فى يوم من الايام ولا ليلة من الليالى بل ولا فى وقت من الاوقات المعتد بها فتتجه الكلية ❊ فان قلت من أين لك هذا التقييد فهل هو الا ترجيح من غير مرجح ❊ قلت المقام ناطق بهذا القيد فان المراد التنويه بذكره صلى الله تعالى عليه وسلم واشاعته على قدره الدال على قربه صلى الله تعالى عليه وسلم من ربه كقرب اسمه من اسمه وانما يكون هذا بذكره فى المحافل والمشاهد والجوامع والمساجد وأى اشاعة أقوى من الاذان لا فى الاسواق والطرق التى يطرح فيها كل ذكر ثم انهم اعترضوا على المصنف رحمه الله تعالى باتيانه بقيل فى تفسير الجمهور المأثور وليس بمناسب وهذا أيضا من قلة التيقظ فانه بالنظر الى تمامه وقول لا اله الا الله وهو كذلك وقوله (وقيل فى الاذان) دال عليه فسقط ماقيل الوجه التقديم بدون التمريض ثم الترديد فى البيان وفى الاذان ظرف لذكرت أو رفعنا قيل وهو الاظهر على مانقله فى المعالم عن مجاهد وروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فى الاذان والاقامة والخطب والتشهد ولعل ذكر مجاهد الاذان ليس للتخصيص أو لتخصيصه برفع الصوت على المبالغة وقيل فى الآخرة وقيل باخذ الميثاق على الانبياء عليهم الصلاة والسلام بالمتابعة

(وقيل) أى فى معناه (اذاذكرت ذكرت معى) وسيأتى ان هذا حديث مرفوع (قيل فى قوله) كذا بالاضافة الى الضمير أى فى قول القائل والاظهر ان يقال فى قول (لا اله الا الله محمد رسول الله) كما فى نسخة وهو مجرور كما هو ظاهر واغرب الحلبى حيث تبع ضبط بعضهم بالرفع وحاول وجهه بما لاطائل تحته ولعله مبنى على انه وجد فى نسخة قول بلا حرف الجر (وقيل فى الاذان) والاول اعم ولا يبعد ان يقال المراد برفع ذكره انه جعل ذكره ذكره كما جعل طاعته طاعته ولا مقام فوق هذا فى المرتبة وهو تشبيه بليغ يمنع الاتحاد القائل به أهل الالحاد

قيل وهذا مبنى على الغالب أيضا والا فقد يقتصر فى الخطبة على ذكر الله تعالى وهو جائز عند أبى حنيفة ومثله نادر فى حكم العدم وفى بعض النسخ فى الاذان والاقامة والنسخة الاولى أشهر ولما كانت الاقامة كالاذان وصفا وحكما ادخلت فيه بطريق التغليب وقد ورد اطلاق الاذان على الاقامة أيضا والشئ بالشئ يذكر * واعلم ان تحقيق هذا المقام ماقاله الامام الشافعى فى أول رسالته الجديدة وبينه السبكى فى تعليقه على الرسالة فقال رحمه الله تعالى قال الامام رضى الله تعالى عنه عن مجاهد فى تفسير الآية لاأذكر الا ذكرت معى أشهد أن لا اله الا الله أشهد أن محمدا رسول الله قال الشافعى يعنى ذكره عند الايمان بالله والاذان ويحتمل ذكره عند تلاوة القرآن وعند العمل بالطاعة والوقوف عن المعصية قال السبكى هذا الاحتمال من الشافعى جيد جدا وهو مبنى على أن المراد بالذكر الذكر بالقلب وهو صحيح فعلى هذا يعم لان الفاعل للطاعة أو الكاف عن المعصية امتثالا لامر الله تعالى به ذاكر النبى صلى الله عليه وسلم بقلبه لانه المبلغ لها عن الله وهذا أعم من الذكر باللسان فانه قاصر على الاسلام والاذان والتشهد والخطبة ونحوها قال الشافعى فلم تمس بنا نعمة ظهرت ولا بطنت نلنا بها حظا فى دين أو دنيا أو دفع عنا بها مكروه فيهما أوفى واحد منهما الا ومحمد صلى الله عليه وسلم سببها انتهى * أقول علم من هذا انه ان أبقى العموم والحصر على ظاهره حمل الذكر على الذكر القلبى فيشمل كل موطن من مواطن العبادة والطاعة فان العاقل المؤمن اذا ذكر الله تذكر من دل على معرفته وهداه الى طاعته وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قيل فانت باب الله أى أمرء أتاه من غيرك لا يدخل ومن كلام النبوة الاولى من أراد الوصول الى الله تعالى من غير باب النبوة قطعه الله تعالى عنه ولك ان تقول المراد برفع ذكره تشريفه صلى الله تعالى عليه وسلم بمقارنته لذكره فى شعائر الدين الظاهرة وأولها كلمتا الشهادة وهما أساس الدين ثم الاذان والصلاة والخطب فالحصر اضافى (قال القاضى أبو الفضل) عياض المؤلف وقد مر ان هذا من تصرف النساخ والا فهو يقول يقول الفقير ونحوه (هذا تقرير من الله جل اسمه لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم) الاشارة لما وقع فى سورة ألم نشرح وهو بيان لحاصلها قال فى المغنى التقرير حملك المخاطب على الاقرار والاعتراف بامر قد استقر ويجب ان يليها أى الهمزة الشئ الذى يقرره به وحمل الزمخشرى قوله ألم تعلم ان الله على كل شئ قدير على التقرير مرادا به التقرير بما بعد المنفى لا بالنفى وغيره يجعله انكارا ابطاليا فيكون اثباتا للنفى والمصنف رحمه الله تبع فيما ذكره الزمخشرى (ولكل وجهة هو موليها) فعلى هذا التقرير تفعيل من الاقرار وقد يكون من قر قرارا فيكون بمعنى تثبيت الحكم قيل وفى حمل ما هنا عليه تكلف لانه لابد فيه من ايلاء المقرر اداة الاستفهام نحو أزيدا ضربت فى تقرر المفعول وهنا وليها المنفى ولم يقصد تقريره فينبغى ان يحمل على الاول ويؤيده ما ورد فى الحديث من انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال سألت ربى عز وجل فقلت يارب انه قد كان أنبياء قبلى منهم من سخرت له الريح الى آخره فقال يا محمد ألم نشرح لك صدرك الحديث * أقول يجوز ان يراد بتثبيت ما بعد النفى كما أريد فى الاول الاقرار بما بعده فان كلا منهما تأويل على خلاف الظاهر كما صرح به ابن هشام وادعاء الظهور فى احدهما دون الآخر تحكم وقد فسر التقرير هنا بالتمهيد (على عظيم نعمه لديه وشريف منزلته عنده وكرامته عليه) على متعلقة بالتقرير سواء كان من الاقرار أو بمعنى التثبيت اما الاول فلتأويله بحمله على الاقرار وحمل يتعدى بعلى فلما كان مؤولا به عدى تعديته واما على الثانى فظاهر وقيل ان على بمعنى الباء لان الاقرار يتعدى بها فتقول اقر بكذا وهو كقوله تعالى حقيق على أن لا أقول وهذا منه وليس بمعنى التثبيت والا لقال المصنف رحمه الله تعالى تقرير من الله تعالى جل اسمه لعظيم نعمه وقيل عليه انه من التثبيت أى تثبيت من الله عز وجل لنبيه على ما أحاط به علمه من عظيم

(قال القاضى أبو الفضل الفقيه رحمه الله) أى المصنف (هذا) أى ماذكر فى هذه السورة من شرح الصدر ووضع الوزر ورفع الذكر (تقرير) أى تثبيت وتمهيد (من الله جل اسمه) أى عظم اسمه فضلا عن مسماه (لنبيه محمد صلى الله تعالى عليه وسلم على عظيم نعمه لديه) أى دال على عظمة نعمه السابقة الظاهرة والباطنة له عنده سبحانه وتعالى (وشريف منزلته) أى قربه ومرتبته (عنده) أى عنديته المعبر بها عن المكانة (وكرامته) أى وعلى شريف اكرامه واعظامه (عليه) سبحانه وتعالى

(بان شرح قلبه للايمان) أى الكامل الايقان (والهداية) أى الموصلة الى مقام الاحسان أو هداية أفراد الانسان

الى مراتب حقائق الايمان (ووسعه) بتشديد السين أى وجعل قلبه وسيعا (لوعى العلم) أى حفظه (وحمل الحكمة) أى وتحمل ما يحكم العلم به من أمر النبوة (ورفع عنه صلى الله تعالى عليه وسلم ثقل أمور الجاهلية عليه وبغضه) بتشديد الغين المعجمة أى جعله مبغوضا (لسيرها) بكسر ففتح جمع سيرة والضمير الى الجاهلية أى لقواعدها وكان الظاهر أن يقول وبغض سيرها اله ولعله من باب القلب على قصد المبالغة وأما ماضبط بصيغة المصدر فى بعض النسخ فلا وجه له أصلا لا نوعا ولا فصلا (وما كانت) عطف على سيرها أى ولما كانت الجاهلية (عليه بظهور دينه) متعلق برفع أى بغلبة أمر دينه وتعليته (على الدين كله) أى على الاديان جميعها (وحط) أى وضع الله (عنه عهدة اعباء الرسالة والنبوة) أى تكاليف ثقلهما وحملهما وهو الجمع بينهما بالاخذ عن الحق وهو مرتبة النبوة والايصال الى الخلق وهو منزلة الرسالة وهو أمر صعب الامن

وفقه الله تعالى وقواه ومنه قوله تعالى انا سنلقى عليك قولا ثقيلا والاعباء بفتح الهمزة جمع عبء

نعمه وذلك لان هذه النعم علمها وخشى لعدم شكره أن لا يكون منعما فثبت فؤاده على مشهوداتها نعم جسيمة ولا يخفى ما فيه والباقى بان شرح الآتى للسببية أوهى متعلقة بالتقرير على انه من الاقرار وعلى متعلقة بمقدر أى منبها على عظيم الى آخره فلا حاجة الى ما قيل ان على بمعنى الباء والمنزلة تقدم انها الرتبة العلوية علوا معنويا باكرامه عليه يعنى كونه مكرما معززا عنده موقرا (بان شرح قلبه للايمان والهداية) تقدم معنى الشرح وان شرح بمعنى وسع وفسح فهو لسعته يقبل ما يدخل من ايمانه وتصديقه بالله فى أول أمره وزيادة مراتب ايمانه والهداية بمعنى الاهتداء أو المراد قبول الهداية أو هدايته الناس كما قال الله تعالى فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام (ووسعه لوعى العلم وحمل الحكمة) معطوف على شرح عطف تفسير والوعى الحفظ والحكمة فسرت بالنبوة وبالفقه فى الدين وفهم القرآن والاتباع له وقيل الورع وحملها العلم بها والعمل مع الاتقان وهذا ناظر لتفاسير الآية السابقة وترك بعضها اكتفاء بحكمة فتذكره (ورفع عنه ثقل أمور الجاهلية عليه) أى أزالها وثقل بزنة عنب ويجوز تسكينه وعليه متعلق به وهذا ناظر لقوله ووضعنا عنك وزرك وتفسيره بمعنى عام شامل لما مر والجاهلية ما كانت العرب عليه قبل الاسلام من الجهل بالله والشرائع وارتكاب أمور رفعها الله لما جاء الحق وزهق الباطل كما مر (وبغضه لسيرها ولما كانت عليه) السيرة فعلة من سار يسير ويكون لازما ومتعديا ويقال منه سار وأسار وسير والسيرة جمعها سير كسدرة وسدر وهى الهيئة والحالة وشاعت فى الطريقة يقال سار سيرة حسنة أو قبيحة كما قال * وأول راض سيرة من يسيرها * وغلبت السير والسيرة فى السنة أهل الشرع على المغازى كما فى المصباح والضمير المضاف اليه للجاهلية وقال التلمسانى سيرها عوائدها وبغضه فى النسخ فعل ماض مشدد مبنى للفاعل وفى الطرة بغضه مصدر أى بضم الموحدة وسكون المعجمة وعليه صح والصواب أن يقال بغض له سيرها بالتضعيف والفاعل هو الله قال الشارح ولكن لم يوجد فى نسختى سوى ما ذكرته أولا انتهى وفى بعض الشروح الذى فى النسخ المقروءة على أبى ذر المحدث أو البرهان الحلبى بغضه بصيغة الفعل المشددة المعطوف على رفع عنه وليس بالاسم المجرور بالعطف على أمور الجاهلية لانه لم يرفع عنه ثقل بغضه لسيرها لبقائه وبقاء لوازمه وأما عطفه على وعى ففاسد مع ما فيه من ذكر معنى الوضع من اثناء معنى الشرح وذكر معنى الشرح فى معنى الوضع اذ معناه الرفع والحط الا أن ثقل البغض اذا قارن العجز عن ازالته زاد وهذا كما قيل مع تكلفه غير مناسب لمعنى الآية أو هو اشارة الى انه عبارة عن العصمة عن حينه أقول ما فى الحواشى التلمسانية من تصحيح بغضه بصيغة المصدر المجرور هو الصحيح وهو معطوف على العلم المضاف اليه وعى بمعنى فهم وضمير بغضه المضاف اليه راجع لله أى وسع الله قلبه لفهم العلوم والحكم وفهم بغض الله لما هم عليه حتى كان لا يخالطهم فى أعيادهم ومجامعهم قبل البعثة كما قال الله تعالى ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه فى قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان وهذا كله ناظر لشرح صدره للاسلام ولا ادخال فيه لتفسير فى تفسير كما توهموه وعلى قراءة بالفعل يكون فى كلامه قلب من غير نكتة وحق العبارة بغض له سيرها (بظهور دينه على الدين كله) متعلق بشرح وقيل برفع وقيل الباء للمصاحبة بمعنى مع والظهور بمعنى الغلبة عليه حيث قهر أهله وأبطل حكمه ولذا تعدى بعلى وأصله ضد الخفاء والدين للجنس الشامل للاديان ولذا أكده بكل (وحط عنه عهدة أعباء الرسالة والنبوة) معنى الحط التنزيل وهو قريب من الوضع فهذا اشارة لتفسير قوله ووضعنا عنك وزرك والرسالة والنبوة غير محتاجة للبيان لا سيما هنا والاعباء بالمد كالاحمال والاثقال وزنا ومعنى جمع عبء بكسر العين المهملة وسكون الموحدة وهمزة والعهدة بضم فسكون فعلة من العهد وله معان

منها الامان والموثق والذمة ويقال تعهدته وتعاهدته اذا ترددت اليه وأصلحته وحفظته وتسمى وثيقة البيع عهدة لانه يرجع اليها عند الاحتياج ويقال العهدة هذا عليك أى تبعته وما تلزم منه فالمعنى هذا ان الله حمله احمال الرسالة ولذمته باجراء أحكامها وتبليغها فكان فى أول الامر فى حرج ومشقة من خوف التقصير فلما يسر الله له ذلك انشرح صدره واستراح من نقلها وبرئت ذمته من عهدتها لما بلغ الامة وأدى الرسالة فامتن الله عليه بما يتضمن الثناء العظيم من انه أقدره على التحمل والصبر ولذا قيل ان حط العهدة مجاز عن توفيقه لمعالجة تلك الاثقال وتحملها على الوجه اللائق وهو كلام حسن (لتبليغه للناس مانزل اليهم) وروى بتبليغه بالباء بدل اللام وهما متقاربان أى حط عنه تلك الاحمال وأراحه من الاثقال لاجل انه بلغ ما أمر به وما على الرسول الا البلاغ وقيل معناه فعل ذلك لاجل التبليغ فالسببية غايته أو أراد بيان الحط بان وفقه على التبليغ على الكلام ولا يخفى انه غير مناسب للمقام مع ما فيه من التعقيد بلا فائدة وانما خص الناس وهو مبعوث للثقلين بالاتفاق وللملائكة أيضا كما سيأتى بيانه لان حط الاعباء انما هو بتبليغ الناس وتسخيرهم وكسر شوكتهم فانهم الذين عادوه وحاربوه وكذبوه وأما الجن فجر دسماع القرآن أطاعوه ولم يقع منهم ما يتبعه وان كان منهم من لم يؤمن وليس الكلام فى بيان رسالته وعمومها حتى يعترض بتركهم عليه وقيل انها اكتفاء كقوله سرابيل تقيكم الحر وقيل المراد بالناس ما يشمل الجن فانه ورد اطلاقه عليهم وفى الحديث ناس من الجن وبه فسر قوله تعالى قل أعوذ برب الناس وجعل قوله من الجنة والناس بيانا له وروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وذهب بعضهم الى انه حقيقة وقال السبكى انه لفظ مشترك بحسب الظاهر وهما معنيان متقاربان ولفظان متغايران فالناس بمعنى بنى آدم أصله أناس ومادته ان الناس من الانس ضد الوحشة وبالمعنى العام للثقلين أصله نوس بمعنى تحرك وقيل انه اقتصر على الاشرف المقصود بالذات وأنت فى غنى عنه كله بما مر (وتنويهه بعظيم مكانه وجليل رتبته ورفعة ذكره وقران اسمه اسمه) قدم انه يقال ناه بالشئ نوها ونوه به تنويها اذا رفع ذكره وعظمه ومر فى حديث عمر أنا أول من نوه بالعرب أى رفع ذكرهم بالديوان والاعطاء كما فى المصباح وهذا اشارة لمعنى قوله تعالى ورفعنا لك ذكرك وتنويهه بالجر معطوف على قوله لتبليغه لان تعظيم الله له ورفع ذكره له يروح قلبه ويسره لانه يدل على قبول رب العزة لما فعله من أدائه ما فى عهدته وبذل جسمه وروحه فى تتميم خدمته وهذا فى غاية الظهور وقيل معطوف على ان شرح وقيل على تقريره فهو مرفوع والداعى لارتكابه مع بعده انه كان الظاهر أن يقول نوه تفسيرا لرفعنا على سننه السابق وانما عدل عن التعبير بالفعل الى عطف المصدر الصريح على المأول لئلا يتوهم انه كلام مستأنف والباء فى قوله بعظيم متعلقة بتنويهه وليست زائدة فانه قيل نوهه ونوه به كما قيل لان الاشهر هو التعدية بالباء كما فى كلام سيدنا عمر رضى الله تعالى عنه وقوله رفعة ذكره بكسر الراء وآخره تاء تأنيث مضاف لذكره وروى بفتحها واضافته للضمير ونصب ذكره وروى رفيع عطف على جليل ورفعة ذكره اما بهذا الرفع أو برفع زائد عليه واسمه الثانى منصوب مفعول قران بكسر القاف مصدر بمعنى الضم والجمع ومنه قران التمر واقران غلط فيه وقيل رواية وفى نسخة وقرانه اسمه مع اسمه (قال قتادة رفع الله ذكره فى الدنيا والآخرة فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة الا يقول أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله) قد مرت ترجمة قتادة رحمه الله تعالى وتأتى أيضا ومر أيضا تحقيق هذا الكلام الا انه بقيت أمور ينبغى التنبه لها وهى ان بعضهم قال هنا ان ما ذكرهنا هو الاكمل الجارى فى العرف والعادة بعد البعثة اذ الشهادة ليست شرطا فى أصل الخطبة وهذا فى الدنيا ويعلم أمر الآخرة بالمقايسة عليها وفى الحديث كل خطابة ليس فيها شهادة فهى كاليد

بكسر فسكون فهمز (لتبليغه) باللام وفى نسخة بالباء وما لهما واحد اذ اللام تعليلية والباء سببية أى لابلاغه صلى الله تعالى عليه وسلم (للناس مانزل اليهم) أى متلوا كان أو غيره من أمر ونهى ووعد ووعيد وهذا مقتبس من قوله تعالى وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم (وتنويهه) أى ولرفعه قدره المشعر (بعظيم مكانه) أى مكانته وشأنه (وجليل رتبته) أى عظيم مرتبته (ورفعه) أى ولرفع الله (ذكره) وفى نسخة ورفعة ذكره ويروى ورفيع ذكره (وقرانه) أى ولجمع الله أى فى كلامه بامره وحكمه (مع اسمه اسمه قال قتادة رفع الله عز وجل ذكره فى الدنيا والآخرة) أى رفعة حسية ومعنوية (فليس خطيب) أى فوق منبر (ولا متشهد) أى عند ايجاد الايمان أو تجديد الايقان (ولا صاحب صلاة) أى فى قعدة أخيرة (الا يقول أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله) أو عبده ورسوله وان الاولى مخففة من المثقلة

الجذماء والمراد بالصلاة الفرد الكامل المتبادر فلا ترد صلاة الجنازة والمتشهد من تشهد بالوحدانية سواء كان بهذا اللفظ كن يقول أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله المروى عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه وعليه أبو حنيفة فلا يرد انه قد يقتصر فى خطبة الجمعة والعيدين وغيرهما على ذكر الله بالتسبيح ونحوه فيهل وهذا انما يرد لو كان قتادة رحمه الله تعالى قائلا به فى عصره وهذا ليس بشئ يتصدى بجوابه وقيل ان مراد قتادة بيان رفعة ذكره فى الدنيا التى هى عنوان رفعة الآخرة وقوله فليس خطيب الى آخره يريد ان الخطباء قبله كانوا يعدون مآثرهم ومفاخر قومهم فلما محاه الاسلام صارت الخطبة اسما للمشروعة باى مذهب كان وأى خطبة كانت كما فى الحج والخسوف والعيد والجمعة وغيرها وفاعل ذلك كله يعتقد وحدانية الله تعالى شاهدا بان محمدا رسول الله ممتثلا لامره مقتديا بهديه والمصلى لا يعتد بصلاته حتى يعتقد ذلك وأنت ترى ما فى هذا الكلام الذى لا محصل له ولا يجدى شيأ فالقول ما قالت حزام والتمرة تدل على الشجرة وقوله الا يقول مستثنى من أعم الاحوال أى ليس يوجد فى حال من الاحوال الا قائلا وما قاله قتادة رواه عنه البيهقى وابن أبى حاتم فان قلت ما وجه التفريع فى قوله فليس الى آخره وأمر الآخرة لا يعلم بالمقايسة والمتشهد أعم من الخطيب والمصلى فكان ينبغى تقديمه أو تأخيره قلت أخذه من اطلاق الآية والحديث والتفريع وجهه ان من رفع الله ذكره فى الدارين حقيق بان يشهد له بذلك والمتشهد المراد منه الآتى بكلمة الشهادة فى غير الخطبة والصلاة لان غيره يقال له خطيب ومصل فتدبر (روى أبو سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه) وهو سعيد بن مالك ابن سنان بن عبيد بن ثعلبة بن عبيد بن الابجر وهو خدرة المنسوب اليه على الاصح وسيأتى الصحابى الانصارى ونسبته بخدرة بضم الخاء المعجمة وسكون الدال المهملة يليها راء مهملة وهاء وهو حى من الانصار سمى باسم جدهم ثم نسب اليه كتميم فلا منافاة بينهما وقيل خدرة أمه وهذا الحديث كما قاله السيوطى والشيخ قاسم فى تخريج أحاديث هذا الكتاب أخرجه أبو يعلى فى مسنده وابن حبان فى صحيحه والطبرى فى تفسيره واسناده حسن فلا وجه لما قيل من ان فى زاد المسير ما يخالفه فان ذلك من واد وهذا من واد ولا لما قيل ان فى المعالم انه صلى الله تعالى عليه وسلم سأل جبريل عن هذه الآية فقال قال الله تعالى الى آخره فلعله بعد السؤال جاء وقال ان ربى الى آخره وقوله قال الله نقل بالمعنى لان الرواية المسندة اما فى كلام المصنف رحمه الله وقوله (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال أتانى جبريل فقال ان ربى وربك يقول تدرى كيف رفعت ذكرك) تقديره أتدرى فحذف من حرف الاستفهام وهو جائز مع القرينة فى النظم والنثر كما فى المغنى وغيره وقول التجانى انه قليل مخصوص بالشعر مخالف للرواية والدراية وقد روى هذا الحديث أيضا أتدرى بثبوت الهمزة على أصلها سواء كان الاستفهام حقيقيا كقوله وان زنا وان سرق أو غير حقيقى كقوله تعالى سواء عليهم أأنذرتهم على قراءة والاستشهاد بهذه الآية للحقيقى سهو والاستفهام هنا غير حقيقى لاستحالته على علام الغيوب والسرائر بل هو تقريرى ليقر بعد علمه فيعلمه من لدنه والمشهور فى مثله ان معناه أتدرى جواب هذا السؤال وليست كيف فيه خارجة عن معنى الاستفهام على ان المعنى كيفية رفع ذكرك وان كانوا يقولونه فى بيان حاصل المعنى فما قيل من انه مخرج عن معنى الاستفهام أى تدرى كيفية الرفع وهذا من الانبساط مع المحبوب لاجل زيادة التوجه والانتظار لكنه أعجمية مع ان لفظ الكيفية لم يسمع من العرب كما صرح به أهل اللغة وتدرى متعلق عن الجملة التى بعده كما فى قول زهير

وما أدرى وسوف أخال أدرى * أقوم آل حصن أم نساء

وكيف فى محل نصب على الحال من المفعول على القاعدة المشهورة فى اعرابها من انها ان وقعت قبل

(وروى أبو سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه) كما فى صحيح ابن حبان ومسند أبى يعلى (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال أتانى جبريل) عليه الصلاة والسلام (فقال ان ربى وربك يقول تدرى) أى أتدرى كما فى نسخة صحيحة (كيف رفعت ذكرك قلت) وفى نسخة فقلت

(الله ورسوله أعلم) الظاهر ان قوله ورسوله سهو قلم وان وقع في نسخة زيادة يعني جبريل فانه لا يلائم المقام (قال)

كلام تام فهي حال والا فهي خبر الا ان هذه القاعدة غير مسلمة كما في المغني وشروح الكشاف وهي سؤال عن الحال والصفة أي على أي حال ومعنى رفعت لك ذكرك وليست منصوبة بتدري لان لها الصدر ووقع في بعض النسخ فقلت الله ورسوله المراد به هنا جبريل عليه السلام لانه من رسل الملائكة الذين يرسلون بالوحي لانبيائه ورسله عليهم الصلاة والسلام اعلم كذا عندي في نسخة مصححة مقروءة على المشايخ وفي نسخة شرح عليها الشارح الجديد اسقاطها وقال لم أجدها في نسخة من الشفاء واللائق عدم ذكرها وليس كما قال والتفضيل اما في الزيادة في مطلق العلم فلا يلزم ثبوت أصل العلم له في هذه المسألة أو المراد اعلم فيها نظرا الى ان حصول بعض الوجوه له تجوز او ظنا فالترجيح في الكيفية والمطلوب حصول اليقين أو وجه آخر واعلمية جبريل عليه الصلاة والسلام منه صلى الله تعالى عليه وسلم مع انه علم علم الاولين والآخرين كما ثبت في الصحيح أو بالنظر الى علم الله فعلمهما أتم من علمه وان كان علمه أتم من علم أحدهما أو بالنظر الى ان تلك الحالة لم تكن دائمة له صلى الله تعالى عليه وسلم كذا قاله الشارح المدقق أقول الظاهر انه أراد تفضيلهما عليه صلى الله تعالى عليه وسلم في خصوص هذا العلم أو على الاطلاق اما على الله فظاهر واما جبريل فلعلمه ببعض الامور التي لم يعلمها النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لاعلام الله له بها ولكونها في الملا الاعلى ولا يلزم من هذا شك ونقص لمقام النبوة حتى يلزم تكلف ما دعاه واما ما ورد في الحديث من انه صلى الله تعالى عليه وسلم علم علم الاولين والآخرين فليس المراد به ما فهمه لانه لو كان كذلك علم المغيبات كلها وقد أمره الله بان يقول لا أعلم الغيب ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وقال لا أدري ما يفعل بي ولا بكم وهذا مما لا يشك فيه وانما المراد انه علمه كل علم عند الاولين والآخرين متعلق بمعرفة الله وأحوال الامم السالفة والآتية اجمالا من خير وشر وأوحى اليه ببعض المغيبات أيضا وأخبر بها بعض أصحابه كما في حديث حذيفة فتعلق أفعل مني أو من كل أحد غيرهما أولا متعلق له كما في قوله الله أكبر في أحد الوجوه وقيل المراد اعلم من كل عالم نحو الله أكبر أو اعلم مني بناء على انه علم رفع ذكره وهذا مما لا ريب فيه أو فهم من جبريل عليه الصلاة والسلام انه عالم بكيفية الرفع دونه وانه جاء مخبرا بها له ولو كانت مما استأثر الله به قال لجبريل ما المسؤل عنها باعلم من السائل كما في حديث آخر أو المراد انهما سيان في عدم العلم لان قولك ما زيد باعلم من عمرو المراد به نفي المساواة كما مر وهو أحد احتمالات في مثله واما ما ورد من علم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم علم الاولين والآخرين فلعله كان آخر أحواله بعد انقطاع ايحاء جبريل له وقيل المراد ان الله أعلم من كل عالم ومنه يستمد العلم أي لا أعلم الا ما علمني ربي واما كونه علم الاولين والآخرين فهو نعمة من الله خصه بها ولم يرد انها انقطعت عنه والكريم لا يقطع عوائده كما أنعم الله فيما مضى كذلك ينعم فيما بقي واحتياجه صلى الله تعالى عليه وسلم الى الوحي مقتضى مقام العبودية واظهار الافتقار من لوازمها وكون هذا آخر أحواله غير سديد لان هذه القصة وقعت ليلة الاسراء وهي من أول أحواله وجبريل عليه الصلاة والسلام لم ينقطع عنه حتى فارق الدنيا ومع هذا ابتناؤه على ما عنده من الطراز الاول وكذا ما قبله ولولا خوف ان يظن ان بالسويداء رجالا لتركته رأسا (قال اذا ذكرت ذكرت معي) قدم شرحه (قال ابن عطاء جعلت تمام الايمان بذكري معك) لم يسم المصنف رحمه الله تعالى ابن عطاء فلم يدر ما مراده به لان المشهور به اثنان فلذا قال التلمساني هو أبو عبد الله محمد بن عطاء شيخ وقته وهو مات كما قاله القشيري سنة تسع وتسعين وثلاثمائة وقال الشمني انه أبو العباس أحمد بن محمد بن سهل بن عطاء الزاهد البغدادي الآدمي وجزم بانه المراد هنا الشارح الجديد لان المشايخ قالوا ان له لسانا في فهم القرآن يختص به وكان صحب الجنيد وسئل رضي الله تعالى عنه عن الوجد والسماع فقال هو صحيح فقيل له انه لم يبلغنا عن أحد من الصحابة رضي الله عنهم والتابعين انه

أي الله سبحانه وتعالى (اذا ذكرت ذكرت معي قال ابن عطاء) هو أبو العباس أحمد بن محمد بن سهل بن عطاء الآدمي الزاهد البغدادي أحد مشايخ الصوفية بالعراق كان قانتا مجتهدا في العبادة لا ينام من الليل الا ساعتين ويختم القرآن في كل يوم وله أحوال ومعارف وكرامات سنية مات سنة تسع وتسعين وثلاثمائة كذا ذكره الحافظ ابن حجر العسقلاني والحاصل انه قال معنى ورفعنا لك ذكرك (جعلت تمام الايمان بذكري معك) وفي نسخة بذكرك معي وهو الاظهر فلا يصح ولا يعتد به شرعا ما لم يتلفظ بكلمتيه اقرارا بحقية وحدانيته تعالى وحقية رسالته صلى الله تعالى عليه وسلم بناء على اشتراط التلفظ بهما في صحته من قادر وبه قال الجمهور والحق ان اشتراطه مع اظهاره انما هو لاجراء احكام الاسلام عليه في الدنيا من عصمة دمه وماله ونحو ذلك فمن آمن بقلبه ولم يتلفظ بهما نفعه ايمانه عند الله تعالى وكان تاركا للافضل كذا ذكره الدلجي وفيه ابحاث ليس هنا محلها

تواجد

تواجد فقال أما الصحابة فكوشفوا بالشريعة فى سرهم فكانوا لا يغلبون عن تحمل الاحوال بخلاف من بعدهم فانه لم ينل هذه الرتبة وقوله بذكرى معك روى بذكرك معى وهذه النسخة واضحة والاولى مشهورة مخالفة للظاهر لان مع تدخل على المتبوع وقد تجى لمطلق المصاحبة وقد تقدم انه باعتبار الاكثر المعتاد فى مواطن وأقوال مخصوصة كقول المتشهد أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وقد قيل ان فى كلام المصنف رحمه الله تعالى تكرارا وانتشارا واللائق بالمصنف ذكر الاقوال ثم حاصل معنى الآيات وفى بعض العبارة قلب ايماء الى شرفه صلى الله تعالى عليه وسلم كقوله لا يذكرك أحد بالرسالة الا ذكرنى بالربوبية فان الظاهر عكسه كما قيل وانا أقول هذا من عدم الوقوف على مراده لانه لما ذكر السورة لما فيها من الثناء عليه صلى الله تعالى عليه وسلم الذى هو بصدده عقبها بذكر أقوال المفسرين فيها ثم لخصه ووضحه بعبارة فصيحة ثم ذكر الدليل على ما قالوه رواية مسندة ثم ختمه بكلام أرباب الطريقة من مشايخ الصوفية فانه مسك الختام ونقل لهم عبارات ثلاثة فقال ذكرك معى وذكرى معك وذكرك عين ذكرى وهذا بحسب المقامات كقولهم ما رأيت شيئا الا رأيت الله قبله أو معه أو بعده اما الاول فظاهر لانه صلى الله تعالى عليه وسلم رسوله وخليفته وهذا بحسب الحقيقة فى نفس الامر واما الثانى فلانهم انما عرفوا الله منه وبعد معرفته كما قيل وقد تقدم

فانت باب الله أى امرئ * أتاه من غيرك لا يدخل

وأما الثالث فلانه من ذكره من حيث كونه رسولا مبلغا عن الله فقد ذكر الله ومن هنا قيل من رآنى فقد رأى الحق فلا تكرار ولا قلب الا لمن ليس له قلب ينظر بعين الحق وجعل ذكره تمام الايمان اما لان الايمان عنده تصديق بالجنان وتصديق باللسان كما هو قول لاهل السنة وأما من يقول بانه مجرد التصديق فجعله تمامه باعتبار انه لا يعتد به بدونه ولا يترتب عليه الاحكام ما لم يأت به لسانا لان الامر مبنى على الظاهر والله أعلم بالسرائر وقيل وهذا قول غير قتادة لانه لم يعتبر كونه من تتمة الايمان فتوهم العينية فاسد وفيه نظر فتدبر (وقال أيضا) أى وقال ابن عطاء المعرى قولا كالذى قبله وأيضا مفعول مطلق لفعل مقدر من آض اذا عاد ورجع وقيل واستعير هنا لمجرد الانضمام وللثانى تبقيه على معناه الحقيقى لانه عاد لكلام ابن عطاء رحمه الله تعالى (جعلتك ذكرا من ذكرى فمن ذكرك ذكرنى) ذكرا مفعول ثان لجعل والظرف بعده صفة أو تمييز محول عن المفعول والجار والمجرور هو الثانى والمعنى واحد أى كان ذكرك عين ذكرى لعدم انفكاكه عنه غالبا أو هو مثله فى التقرب به والاجر وهو معدود من افراده لما ورد ان كل مطيع لله ذاكره والاسناد مجازى والفاء تفسيرية أو تفريعية (وقال جعفر بن محمد الصادق) تقدم بيانه قريبا (لا يذكرك أحد بالرسالة الا ذكرنى بالربوبية) الاستثناء من أعم الاحوال والجملة التى بعد الا حالية ولا حاجة لتقدير قد معها كما ذكره النحاة والربوبية صفة مصدر من الرب وهذه الياء تسمى الياء المصدرية ولا بد معها من تاء التأنيث وفى هذه الياء بحث ذكرناه فى رسالة المصدر والسوانح ومعنى كلام جعفر رضى الله تعالى عنه انه لا يعترف أحد برسالتك الا بعد ان يعترف بوحدانية الله وربوبيته لانه يجب معرفة الله عقلا قبل ذلك لئلا يلزم الدور كما ذهب اليه الماتريدية أو سمعا كما ذهب اليه غيرهم كما تقرر فى الاصول وقيل المراد الا وقد أراد ذلك أو عبر بالماضى عن المضارع مبالغة فى تحقق وقوعه وفى الاول اشكال لعدم مقارنة الحال العامل وذلك لان المراد بالرسالة انه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والعادة ان يقال رسول الله ورسول رب العالمين ونحوه أو لان معنى الرسالة شرعا انه انسان بعثه الله لتبليغ أحكامه والالوهية جامعة للربوبية وخصت الربوبية هنا لمناسبتها للرسالة لمربوبية الرسول للمرسل اليه وقيل المراد ان من آمن بك آمن بى وفيه تكلف ظاهر ثم ان ما قاله الصادق وغيره يشترك

(وقال) أى ابن عطاء (أيضا جعلتك ذكرا من ذكرى) أى نوع ذكر من اذكارى (فمن ذكرك ذكرنى) أى فكأنه ذكرنى وهو قريب مما قدمناه (وقال جعفر بن محمد الصادق) بالرفع (لا يذكرك أحد بالرسالة) أى بالارسال للعبودية (الا ذكرنى بالربوبية) أى وبتوحيد الالوهية

فيه الانبياء عليهم الصلاة والسلام بحسب الظاهر فالانسب حمله على ما يظهر فيه الاختصاص والتمييز انتهى وقد عرفت معناه وانه محمول على الايمان بالله ورسوله والاعتراف بذلك المقتضى لمقارنة اسمه لاسمه مع التعبد باظهاره والنداء به على رؤس الاشهاد كما يفصح عنه التعبير بالرفع الذى بينه وبين الوضع صنعة الطباق واما عدم مقارنة الحال فظاهر السقوط لتقدم الايمان بالله أو ارادته على الايمان بالرسول صلى الله تعالى عليه وسلم واما التلفظ بما يدل على ذلك فلذكره عقبه من غير فاصل بعد مقارنا عرفا ومثله يكفى عند النحاة فلا حاجة الى جعل الحال مقدرة واما ما ادعاه من عدم الاختصاص بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم فقد علم مما مر ان هذه المقارنة فى نداء الاذان والاقامة والخطب والصلاة والاتيان بكلمة الشهادة المعتبر فى الاعتداد بالايمان وهذا كله مختص بهذه الامة فيختص القرآن الواقع فيه بهذه الكيفية بسيدها ونبيها عليه أفضل الصلاة والسلام اختصاصا حقيقيا بالنسبة لكل من عداه من الرسل والامم وهذا فى غاية الظهور (وأشار بعضهم فى ذلك الى مقام الشفاعة) المراد بالبعض من فسر قوله عز وجل ورفعنا لك ذكرك المشار اليه بقوله فى ذلك جعلنا ذكرك مرفوعا فى الدنيا والآخرة فانه فى الآخرة بالشفاعة وهو أحد أقوال خمسة فيه وقيل هو الماوردى وقال البرهان لا أعرفه (تتمة لطيفة) لما ذكر الله عز وجل فى آخر السورة التى قبل هذه قوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى الى قوله تعالى وأما بنعمة ربك فحدث ثم أتى بعدها بقوله ألم نشرح لك صدرك قال بعض المشايخ اشارة الى ان شكر النعمة والاعتراف والرضا بها مما ينشأ منه انشراح الصدر ورفعة الذكر ثم وسط بينهما اعباء الرسالة التى تنقض الظهر فذلك عسر بين يسرين فلذا قال فان مع العسر يسرا الى آخره ثم أشار الى ان مقصوده من الدنيا انما هو اداء خدمة الامانة وانه لا راحة للمؤمن دون لقاء ربه الذى هو مطلبه لا ما سواه فلذا قال تعالى فاذا فرغت فانصب ولم يقل له استرح بل اجتهد فيما يقربك والى الله تعالى فارغب كما قال الله تعالى اذا جاء نصر الله والفتح الى آخرها فتنبه لاسرار التنزيل (ومن ذكره معه ان قرن طاعته بطاعته واسمه باسمه فقال أطيعوا الله والرسول وآمنوا بالله ورسوله) لما قرر الثناء من الله برفعة قدره وذكره فانه اذا ذكر ذكر معه كما مر وذكر القرآن فى كلام الناس وما يحكى عنهم اتبعه بما هو من قبيله وهو ذكر الله جل وعلا لنفسه وذكر الرسول معه معطوفا عليه من غير فاصل كما فى الآيتين المذكورتين وفيهما زيادة على ما ذكر لابن عطاء لفظا قران طاعته لطاعته لان أحدهما لا ينفك عن الآخر كما قال الله تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله والمقارنة المصاحبة كما قال

عن المرء لا تسل وسل عن قرينه ❊ فكل قرين بالمقارن يقتدى

ومصاحبة الاسمين ظاهرة فيما ذكروا أما مصاحبة الطاعة للطاعة فهى معنوية لا لفظية هنا بمعنى انها لا تنفك عنها بل هى عينها كما مر وجعل هذين من قبيل الذكر المقارن لذكره أمر حقيقى لا من قبيل عموم المجاز ولا من قبيل الجمع بين الحقيقة والمجاز كما قيل فانه فى الآيتين كذلك لاقتران الطاعة لله بطاعته فى قوله تعالى أطيعوا الله والرسول لانه بمعنى وأطيعوا الرسول وأما قوله آمنوا بالله ورسوله فمثال لمقارنة الاسم على اللف والنشر المرتب وبعضهم جعل كل آية مثالا لهما فاحتاج الى التكلف فقال معنى الطاعة الانقياد وقد يكون بحسب الظاهر كالاسلام الذى هو الانقياد والاستسلام وقد يكون بحسب الظاهر والباطن كما قدمنا فى الايمان ومنهم من قال الذكر هنا عدم الغفلة ومطيع الله ذاكر له كمطيع الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فكل من قرن طاعته بطاعته وقرن اسمه باسمه ذاكر لله عز وجل ولرسوله صلى الله تعالى عليه وسلم معه حقيقة وليس هنا ذكر مجازى فمن زعم ان الذكر الاول مجاز والثانى حقيقة وان الآية من باب عموم المجاز

(وأشار بعضهم) كالماوردى (بذلك) أى بقوله ورفعنا لك ذكرك (الى مقام الشفاعة) فانه يظهر رفعته فى تلك الحالة على جميع البرية ثم لا منع من ارادة الجميع (ومن ذكره) جار ومجرور ومضاف (معه تعالى) أى مع ذكره (ان قرن) بفتح ان المصدرية (طاعته) صلى الله تعالى عليه وسلم (بطاعته) سبحانه وتعالى (واسمه باسمه فقال وأطيعوا الله والرسول) وكان الاظهر ان قال وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول كما فى نسخة (وآمنوا بالله ورسوله) وربما يقال الآية الاولى هى الاولى للدلالة على الاتحاد فى المدعى بحسب المعنى

اذا المراد بالذكر هنا معنى يعمهما فرارا من الجمع بين الحقيقة والمجاز فقد ارتكب شططا انتهى والحاصل ان المصنف رحمه الله تعالى ان قصد اقتران الاسمين وزاد الطاعة لوقوعها فى الآية والحديث فالامر فى الحقيقة ظاهر من غير ارتكاب شئ مما قالوه وان أراد بيان كل منهما على اللف والنشر لان فى كليهما اقتران الاسمين فظاهر أيضا وان أراد اقتران الطاعتين والاسمين فى كل منهما فهو الذى يحتاج للتكلف ومن ذكره خبر مقدم وان قرن مبتدأ مؤخر واما كون من مبتدأ لانها بمعنى بعض كما قيل فى قوله تعالى (ومن الناس من يقول آمنا) فى البقرة فلا وجه له (فجمع بينهما بواو العطف المشرك) بكسر الراء المشددة وضمير بينهما للاسمين وقيل للاسمين والطاعتين وجعلها مشتركة لافادتها المشاركة المتعاطفين فى الحكم من غير ترتيب والجمع به دال على التعظيم والمناسبة بخلاف ثم لدلالتها على تفاوت الرتبة لا التسوية وكذا الفاء والواو محتملة للامور الثلاثة التقدم والتأخر والمعية على الصحيح (ولا يجوز جمع هذا الكلام فى غير حقه عليه السلام) قيل أى جوازا من غير نهى فلا يباح * واعلم ان الجواز يطلق فى لسان حملة الشرع على أمور كرفع الحرج أعم من ان يكون واجبا أو مندوبا أو مكروها وعلى مستوى طرفى الفعل والترك وعلى ما ليس بلازم وهو اصطلاح الفقهاء فى العقود وهذا كما هو ظاهر والغريب ما فى قواعد الزركشى ان جاز كذا استعملوه فى الوجوب قال وهو ظاهر فيما اذا كان الفعل دائرا بين الحرمة والوجوب فيستفاد من قوله يجوز رفع الحرمة فيبقى الوجوب أى تشريك الله تعالى وغيره بالعطف بالواو فى حكم من الاحكام لا يجوز الا فى حق النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لانه أمر شرف به رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم كما مر فى تفسير ورفعنا لك ذكرك وقد اعترض بعض الشراح على هذا وقال ان القاضى وهم فيه فان الذى لا يجوز لغير النبى صلى الله تعالى عليه وسلم جمع اسم الله واسمه مع اسم غير النبى فى ضمير يعود على الله وعلى صاحب الاسم فلا يجوز لنا ان نستعمله الا أن يرد عن الله كقوله (ان الله وملائكته يصلون على النبى) واما عطف اسم ظاهر بالواو على اسم الله فما أظن ان أحدا منعه وكيف يختص هذا بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم مع قوله (من كان عدوا لله وملائكته ورسوله) وقوله (كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله) وفى الحديث القدسى (قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين) وقيل أيضا ان أراد أن مثله لم يرد فى القرآن وغيره فليس كذلك وان أراد انه لا يجوز لنا فأى مانع من ان يقال أطع الله وأطع القاضى أو الامير لقوله تعالى (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم) وأجاب بعضهم بان مراده انه منهى عنه تنزيها وأدبا لورود الحديث بما يدل على رعاية الادب فى اللفظ وترك ما يوهم خلافه بالاتفاق وأطلق نفى الجواز اعتمادا على تصريح الخطابى وغيره ولا دليل فى الآية لما سيجئ ولاحتمال الجواز بالتبعية نعم يشكل هذا بقوله تعالى (كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله) و(من كان عدوا لله وملائكته) و(أن اشكر لى ولوالديك الى المصير) ومثله فى الحديث الا أن يقال انه لبيان الجواز وهو من الشارع بالفعل أولى وأقوى وان يختص النهى بالامة والله تعالى يفعل ما يريد كما ذكره القرطبى فى معنى الجمع بالضمير وان تكون المواضع الواردة مختصة أو الممنوع جمع الامة معه فلا يرد الاول فتأمل وقال تلميذه ابن الحنبلى قوله (اطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم) فيه التشريك بين الطاعتين طاعة الله وطاعة غيره بالواو فى حق غير الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم لكنه بالتبعية ولذا لم يكرر أطيعوا مرة أخرى كما لم يكرر اللام فى حديث (الدين النصيحة لله ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم) فى العامة فاندفع ما مر وقيل كلام الغزالى فى الاحياء يدل على انه حرام كما ذكره فى باب آفات اللسان الا أن الله تعالى يعفو عن العوام مثله ونقل كلامه وأطال بما هذا محصله وسيأتى تحقيق هذا المقام فى شرح الحديث الآتى بما يثلج به الصدر

(فجمع بينهما) أى من غير اعادة العامل (بواو العطف المشركة) بتشديد الراء وفى نسخة بتخفيفها أى الجاعلة للمعطوف اشتراكا فى المعطوف عليه بالنسبة الى الفعل المسند اليه وهو لا ينافى ان بينهما تفاوتا فى المرتبة حيث ان الايمان بالله يقتضى الاصالة والايمان برسوله يوجب التبعية (ولا يجوز جمع هذا الكلام فى غير حقه) أى فى حق أحد غير حقه (عليه الصلاة والسلام) أى ممن لا يكون فى مرتبته من وجوب الايمان والاسلام والا فقد قال آمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وأمثاله وكان الاظهر أن يقال ولا يجوز لاحد غير الله سبحانه وتعالى أن يجمع هذا الجمع فى الكلام كما يدل عليه استدلاله بالاحاديث الواردة عنه عليه الصلاة والسلام حيث قال

(حدثنا الشيخ أبو علي الحسين بن محمد الجياني) بفتح الجيم وتشديد التحتية نسبة الى بلدة بالاندلس مات سنة ثمان وتسعين وأربعمائة له كتب مفيدة في تقييد الالفاظ وغيرها (الحافظ) وهو في اصطلاح المحدثين من أحاط علمه بمائة ألف

حديث (فيما أجازنيه وقرأته على الثقة) بكسر المثلثة وهو المعتمد وهو أبو علي بن سكرة الصدفي أو غيره من مشايخه (عنه) مرويا عن الجياني وقد أجاز وكان يمكنه السماع منه (وقال) أي الجياني في الاجازة أو الراوي عنه في القراءة (انبأنا أبو عمر النمري) بفتحتين وقد سبق انه الحافظ ابن عبد البر (قال حدثنا أبو محمد بن عبد المؤمن حدثنا أبو بكر بن داسه) سبق ذكره (حدثنا أبو داود السجزي) بكسر مهملة وسكون جيم فزاي نسبة الى سجستان بكسر أوله وقيل بفتحه على غير قياس وهو أقليم ذو مدائن بين خرسان والسند وكرمان (حدثنا أبو الوليد) هشام بن عبد الملك الباهلي (الطيالسي أخرج له الجماعة الستة قال أحمد هو اليوم شيخ الاسلام مات سنة سبع وعشرين ومائتين (حدثنا شعبة) هو ابن الحجاج سمع كثيرا من التابعين ومات سنة مائة وستين (عن منصور) أي ابن المعتمر أبو عتاب السلمي توفي سنة احدى وثلاثين ومائة (عن عبد الله بن يسار) بتحتية مفتوحة وسين مهملة هذا هو الجهني الكوفي أخرج له أبو داود والنسائي وهو اخو سليمان وسعيد توفي عام احدى وثلاثين ومائة (عن حذيفة) أي ابن اليمان (عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) اسنده المصنف هنا من طريق أبي داود ورواه أيضا النسائي وابن أبو شيبة عن

ان شاء الله تعالى قال (حدثنا الشيخ أبو علي الحسين بن محمد الجياني الحافظ فيما أجازنيه وقرأته على الثقة عنه) الشيخ من طعن في السن ثم شاع في كل من تصدر لافادة العلوم وأبو علي الحسين بن محمد بن أحمد الغساني الجياني بفتح الجيم وتشديد الياء التحتية وألف ونون تليها ياء النسبة الى جيان وهي بلدة بالاندلس ولد في المحرم سنة سبع وعشرين وأربعمائة وحمل عن ابن عبد البر وغيره من الائمة وروى عن ابن الحكم وابن سكرة وزهير وخلق وتوفي في ليلة الجمعة لاثني عشر خلت من شعبان سنة ثمان وتسعين وأربعمائة ولم يخرج من الاندلس وقوله وقرأته على الثقة عنه الثقة كعدة مصدر وثق به ومنه اذا ائتمنه واستوثق أحكم ثم تجوز بالمصدر عن المؤتمن على الحديث وغيره وشاع حتى صار حقيقة ولم يعين المصنف رحمه الله تعالى من أراد قال البرهان لا أعرفه وكانه ابن سكرة وقد تقدمت ترجمته وقوله أجازنيه يعني انه روى عنه بالاجازة وان كان يمكنه السماع منه فذكر ان روايته عنه بواسطة قال السيد رحمه الله تعالى وتوثيق مثل المصنف رحمه الله تعالى لشخص يخرجه عن حكم المجهول وايهام التعديل فيه خلاف في كتب المصطلح فمنهم من قبله بناء على الاحتجاج بالمرسل ومنهم من قال لا يكتفى به ومنهم من فرق بين تعديل العالم وغيره كقول مالك أخبرني الثقة وكذا يقوله الشافعي رضي الله تعالى عنه وقيل يقبل ممن عرف انه اذا أطلق يعني به معينا وقال أبو حاتم الرازي اذا قال الشافعي حدثني الثقة عن ابن جريج فهو مسلم بن خالد الزنجي واذا قال أخبرني الثقة عن ابن أبي ذئب فهو ابن أبي فديك واذا قال أخبرني الثقة عن الليث بن سعد فهو يحيى بن حسان واذا قال أخبرني الثقة عن الوليد بن كثير فهو عمرو بن أبي سلمة واذا قال أخبرني الثقة عن صالح مولى التوأمة فهو ابراهيم ابن أبي يحيى والاجازة يأتي الكلام عليها وهي أن يقول له أجزتك أن تروي عني كذا أو جميع مروياتي وفي تصحيح لفظها كلام في ابن الصلاح فيه كلام كتبناه في حاشية ليس هذا محله وهي مقبولة ولا عبرة بقول أبي طاهر الدباس انها لا تقبل نعم هي انزل من غيرها وانما قدمها المصنف رحمه الله تعالى لعلو سنده فيها على السماع الذي بعدها وان كان بينهما فرق قال (حدثنا أبو عمر والنمري) هو العلامة الحافظ ابن عبد البر وقد تقدمت ترجمته قال (حدثنا أبو محمد بن عبد المؤمن) هو عبد الله بن محمد بن عبد المؤمن أحد شيوخ ابن عبد البر تقدم ذكره أيضا وكذا أبو بكر بن داسة الذي ذكره بقوله (حدثنا أبو بكر بن داسة قال حدثنا أبو داود السجزي) وهو سليمان بن الاشعث صاحب السنن وسيد الحفاظ كما تقدم والسجزي بكسر السين المهملة تليها جيم ساكنة وزاي معجمة منسوب الى سجستان على خلاف القياس وقيل انه منسوب الى سجز وهو اسم سجزستان أو بلدة منها قال في جامع الاصول وهو الاشبه وهو أقليم بقرب خراسان قال (حدثنا أبو داود الطيالسي قال حدثنا شعبة عن منصور عن عبد الله ابن يسار عن حذيفة) رضي الله تعالى عنه (عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) الطيالسي هو هشام ابن عبد الملك الحافظ الامام المتقن الثبت ومن ظرف أخباره انه روى عن سبعين امرأة وهذا في غاية الغرابة وروى عنه أحمد وأبو داود وقال أحمد انه كان في عصره شيخ الاسلام وأخرج له أصحاب الكتب الستة توفي سنة سبع وعشرين ومائتين وله من العمر أربعة وتسعون سنة كما في الميزان واما عبد الله ابن يسار فبمثناة تحتية ثم سين مهملة الجهني الكوفي أخرج له أبو داود والنسائي توفي عام احدى وثلاثين ومائة ولهم عبد الله بن يسار كنيته أبو همام لكن قال الحافظ البرهان انه لم نر لواحد منهما رواية

عن حذيفة في الكتب الستة وأما خارجها فلا أدري وليس في الكتب الستة أحد يقال له عبد الله بن بشار بالموحدة والشين المعجمة انتهى وهذا الحديث روي من طرق كثيرة وأما حذيفة فترجمته مسطورة مشهورة فلا حاجة لذكرها وشعبة هو ابن الحجاج بن الورد الحافظ أمير المؤمنين في الحديث كما قال ابن الجوزي وممن يقال له هذا اللقب أيضا سفيان الثوري (قال لا يقولن أحدكم ماشاء الله وشاء فلان ولكن ماشاء الله ثم شاء فلان) قال التلمساني وقع في نسخة باثبات ما بعد ثم أي ثم ماشاء وعليه صحح العرفي وفي الطرة ثم شاء بدون ما وهو كذا بخط القاضي وهذا هو الاشهر وهو المروي في شرح مسلم للنووي وهذا النهي تنزيهي لرعاية الادب بترك العطف بالواو الموهمة للتساوي كما سيأتي بخلاف ثم الدالة على البعد رتبة وزمانا وفي شرح التجاني انما جاء النهي عن التشريك في المشيئة بين الله وغيره لايهامه ان مشيئة الله تعالى موقوفة على مشيئة غيره تعالى عن ذلك فاذا وخلصت المشيئة لله جاز أن يعلق الفعل على مشيئة غيره مجازا ثم التي للتراخي وعطف مشيئة العبد على مشيئة الله على أن يكون ما موصولة أو عطف مشيئة العبد على مشيئة الله على أن تكون مصدرية وعلى الوجهين الخبر محذوف أي كائن أو كائنة انتهى ثم انه قيل ان هذا وان لم يكن فيه عطف غير اسم الله على اسمه فيه التنفير عما يوهم سوء الادب لفظا واستنباطه مما ذكر على أن قوله ماشاء الله الى آخره وقوله ماشاء الله وفلان هو شامل لماشاء الله ومحمد ويعضده ما ورد في الحديث عن الطفيل انه رأى ناسا من اليهود والنصارى فقالوا له نعم القوم أنتم لولا قولكم ماشاء الله وشاء محمد وفي رواية أنهم قالوا له انكم تشركون ولا تدرون فاخبر به النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقام خطيبا ونهى عن ذلك وسوغ ان يقال ماشاء الله وحده ثم محمد وقول المصنف رحمه الله السابق لا يجوز هذا الجمع في غير حقه لا يوجب جوازه في حقه في الاماكن كلها وانما يدل على جواز الجمع بين الاسمين والطاعتين وقد صرح بعضهم بكراهة أعوذ بالله وبك ولولا الله وفلان انتهى * ثم أن هذا الحديث روي بلفظ آخر وهو ولا تقولوا ماشاء الله وشاء محمد بل قولوا ماشاء الله ثم شئت قال العلامة الطوفي في كتاب اللآلي هذا تنبيه على تراخي رتبة المخلوق عن الخالق والواو تفيد الجمع والتشريك بلا ترتيب * فان قيل قد أقرهم صلى الله تعالى عليه وسلم على قولهم الله ورسوله أعلم ولم يأمرهم أن يقولوا ثم رسوله * أجيب بان في ماشاء الله وشئت تسوية بينهما في أصل المشيئة وقوتها لفظا ولا كذلك الله ورسوله أعلم فان أعلميته بالنسبة اليهم حق وبين الله ورسوله اشتراك في أصل الاعلمية لان الله أعلم من الرسول وكل أحد والرسول أعلم من غيره من الصحابة وغيرهم ولانه تعالى صرح بتبعية الخلق له في المشيئة لقوله وما تشاؤن الا أن يشاء الله وفيه نظر لان علم الخلق متأخر عن علمه تعالى أيضا وبقي في هذا المقام كلام سنذكره بعد شرح الحديث الآتي (قال الخطابي) بالمعجمة والتشديد والموحدة وهو أبو سليمان حمد بفتح الحاء المهملة وسكون الميم وقيل اسمه أحمد بن محمد بن ابراهيم البستي المعروف بالخطابي وجاء عنه أنه قال ان اسمي الذي سميت به حمد لكن الناس كتبوا أحمد فتركته قيل انه نسبة الى زيد بن الخطاب بن نفيل العدوي أخي امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه وقال الذهبي لم يثبت هذا وكان رأسا في سائر العلوم لاسيما الحديث والفقه والادب شافعي المذهب أخذ العلوم عن كثيرين فالفقه عن القفال واللغة عن أبي عمر والزاهد وصنف التصانيف الجليلة المشهورة ومنها معالم السنن وغريب الحديث وشرح أسماء الله الحسنى وغير ذلك وله شعر حسن توفي ببست سنة ثمان وثلاثمائة رحمه الله (أرشدهم صلى الله تعالى عليه وسلم الى الادب في تقديم مشيئة الله على مشيئة من سواه) أرشده دله وهداه لما فيه الرشاد والصلاح وفي المصباح عن أبي زيد يقال أرشده اليه وله وعليه والادب رياضة النفس ومحاسن الاخلاق وفعله أدبته وأدبته ومنه أدبه تأديبا اذا

لا يقولن أحدكم ماشاء الله وشاء فلان) أي مع اعادة الفعل بصريحة فكيف مع حذفه وتقديره لتوهم الاشتراك في معية المشيئة وان كانت الواو مفيدة [illegible] الجمع والاشتراك لاشك انه من الاشتراك وفلان يشمل جميع الخلق ولو من الانبياء والاصفياء (ولكن) أي يجوز له أن يقول (ماشاء الله ثم شاء فلان) على ما في الاصول المصححة أي متابعة لمشيئته موافقة لارادته لان للمشيئة ولو تأخرت تأثيرا في قضيته فان شاء الله كان سواء شاء وأبى فلان وما لم يشأ لم يكن سواء شاء أو ماشاء فلان مع أن العبد لم يكن له مشيئة الا بعد تعلق مشيئة الله بمشيئته كما قال سبحانه وتعالى وما تشاؤن الا أن يشاء الله (قال الخطابي) بفتح معجمة وتشديد مهملة هو الامام الحافظ أبو سليمان البستي نسبة الى جده ويقال انه من سلالة زيد بن الخطاب كان اماما كبيرا تفقه على القفال وغيره توفي ببست سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة (أرشدهم صلى الله تعالى عليه وسلم الى الادب) أي الواجب مراعاته من جهة الرب (في تقديم مشيئة الله تعالى على مشيئة من سواه)

عاقبه على اساءته لانه يدعوه الى حقيقة الادب أى دلهم على رعاية الادب فى كلامهم هذا وأما الادب المعروف بين الناس ومنه العلوم الادبية فاصطلاح لم يرد فى كلام العرب العرباء والمشيئة الارادة وفرق الحنفية بينهما كما فصلوه فى الاصل والفرع لكنهما متقاربان معنى وليس هذا محل تحقيقه وقال ابن عطاء الله الادب الوقوف مع المستحسنات (واختارها بثم التى للنسق والتراخى بخلاف الواو التى هى للاشتراك) ضمير اختارها لمطلق المشيئة أو لمشيئة الله أو لمشيئة من سواه أى اختار المشيئة ملتبسة بثم على المشيئة بالواو وليس هذا من باب الحذف والايصال وأصله اختار لها كقوله تعالى عز وجل واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا فانه لا داعى له هنا أى أرشدهم الى أن يراعوا الادب فى هذا بتقديم مشيئة الله وتأخير مشيئة غيره معطوفة بثم والنسق العطف بأحد الحروف المشهورة من نسقه اذا ضمه والتراخى تفاعل من الرخاء وأصل معناه الاتساع ومنه تراخى الامر تراخيا امتد زمانه وفى الامر تراخ أى فسحة كما فى المصباح والواو لمطلق الجمع والاشتراك فى الحكم ونحوه من غير دلالة على ترتيب ولا تنافيه فى الواقع أيضا فليس فى ذكرها رعاية الادب والدلالة على عدم المساواة بل ربما توهم خلافه لاسيما اذا لوحظ العدول عن ثم اليها فاندفع ما قيل من ان الواو لمطلق الجمع لا للمساواة الدالة على ترك الادب وما ذكره المصنف رحمه الله تعالى هو الصحيح عند النحاة وقد أنكر الفراء دلالة ثم على التراخى وقال بعضهم ان الواو تفيد الترتيب والترتيب يكون حقيقيا ورتبيا وذكريا ولابن عبد السلام كلام فيه فى كتاب المجاز كفانا ترك المصنف له مؤنة ذكره وهذا الحديث أخرجه أبو داود والنسائى وغيرهما وهو حديث صحيح ثم انه قيل هنا أن المنع فى الحديث ان كان لاجل الجمع بين الله وغيره فى حكم الاتيان بالواو فالاستشهاد به ظاهر وان كان الامر فى المشيئتين فهو يدل على النهى عما يوهم خلاف الحق وترك الادب فيفيد مدعى المصنف استنباطا فلا يرد عليه أن المنع فى الحديث انما هو لاجل أن مشيئة العبد متأخرة عن مشيئة الله تعالى لا للعطف والجمع وأيضا فى الكلام ايهام توقف مشيئة الله على مشيئة العبد فمنع لهذا لانه على التقديرين يفيد مدعاه أيضا كما مر ثم ان ظاهر كلام المصنف يقتضى انه لا يمنع الجمع بين مشيئة الله ورسوله بالواو وينافيه ما رواه البيهقى رحمه الله تعالى فى حديث طويل لا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد فان صح خص بما ذكره المصنف من الطاعة والايمان ونحوه مما لم يرد فيه نهى * (فائدة) * فى بعض الشروح أن قوله صلى الله تعالى عليه وسلم ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن اذا ضم لقوله تعالى وما تشاؤون الا أن يشاء الله أنتج ان ما تشاؤون كائن لا محالة وهو خلاف لتخلف كثير من مشيئتهم وأجيب بان المعنى ما تشاؤون شيأ كائنا الا ما شاء الله كينونته (ومثله الحديث الآخر) أى هو مثله فى التنزيه عما يوهم من العبارة وهو حديث صحيح فى صحيح مسلم وسنن أبى داود مسندا (أن خطيبا خطب عند النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) هذا الخطيب هو عدى بن حاتم كما قاله الطوفى وقال البرهان الحلبى لا أعرف اسمه وقال بعض الحفاظ انه ثابت بن قيس بن شماس وهو خطيب الانصار الصحابى الانصارى الذى شهد له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالجنة وان فى عبارة المصنف مفتوحة ويجوز كسرها على الحكاية والخطبة مصدر خطب ويطلق على الكلام نفسه وهى معروفة وهذا الخطيب كان قد خطب قومه عند النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على عادة العرب فى الخطب للامور المهمة وللنكاح قاعدا أو قائما وكذا كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يخطب للامور ثم حدث المنبر بعد الهجرة (فقال من يطع الله ورسوله فقد رشد) قال فى المصباح الرشد الصلاح وهو خلاف الغى والضلال ورشد رشدا من باب تعب ورشد يرشد من باب قتل فهو راشد والاسم الرشاد ويتعدى بالهمزة انتهى وقد قال مثله غيره من أهل اللغة فشين رشد فى الحديث مفتوحة وهو المشهور رواية ويجوز كسرها وروى من

واختارها) قال الحجازى وروى واحتازها بمهملة وزاى والظاهر انه تصحيف أى اختار العبارة فى تغييرها التعبير بها (بثم التى هى للنسق) بفتحتين أى للعطف بالترتيب (والتراخى) أى المهلة فى الوجود والرتبة (بخلاف الواو التى هى للاشتراك) وهو قد يكون بالمعية والقبلية والبعدية وبخلاف الفاء التعقيبية (ومثله) أى مثل الحديث المتقدم فى النهى (الحديث الآخر ان خطيبا خطب عند النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) قيل هو ثابت بن قيس ابن شماس (فقال من يطع الله ورسوله فقد رشد) بفتحهما وبكسر الثانى بمعنى اهتدى

باب علم أيضا ومن الغريب ما حكاه السبكي في طبقاته أن شهاب الدين بن المرحل قرأ على الحافظ المزي
رشد بكسر الشين فرد عليه وقال رشدا بالفتح وقال له قال الله تعالى لعلهم يرشدون فقال ابن المرحل
وكذلك قال فأولئك تحروا رشدا فسكت يعني الحافظ أن يفعل المضموم مضارع فعل مفتوحا أو
مضموما والثاني غير محتمل فتعين الاول فأجابه بأن مصدره ورد على فعل بالتحريك وهو مصدر فعل
المكسور قال ابن هشام والذي في كتاب سيبويه رشد كسخط بخط السماع على وفق سماع ابن المرحل
فلله دره قال السبكي رحمه الله ولا وجه للقياس مع الرواية فان المروي في الحديث هو المشهور في اللغة
انتهى وكذا نقله السيوطي في شرح سنن أبي داود وإذا جاء نهر الله بطل نهر معقل (ومن يعصهما)
قيل آثر المصنف رحمه الله تعالى رواية الوقف على يعصهما ليظهر منشأ القول بأن المنع للوقوف وان لم
يرض به كما ستراه وقد خفي هذا على المعلقين انتهى قلت كيف يخفى وقد ذكره الدلجي فلا ينبغي مثله من
مثله (فقد غوى) في النهاية غوى يغوى من باب ضرب والغي والغواية الضلال والانهماك في الباطل
وفي شرح سنن أبي داود وغوى روي بفتح الواو وكسرها قال عياض والصواب الفتح انتهى (فقال له
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بئس خطيب القوم أنت قم أو قال اذهب) وفي سنن أبي داود قم اذهب
بئس خطيب القوم أنت فان لم تتعدد القصة فبعضها رواية بالمعنى الا أن قوله أو قال يقتضي شك الراوي
ويحتمل أنه اختلاف في الرواية ان كان القائل غير الراوي الاول وهو معطوف على مقدر مثله أو هو
معطوف على الاول فتدبر ولم يكتف بقوله بئس الى آخره حتى زاد طرده للزجر تنبيها على ان من لا أدب
له لا يصلح لصحبته والتكلم بحضرته والمراد بقم أيضا اذهب من مجلسي كما قال

كأس اذا أبصرت في القوم محتشما * في الحال قالت له قم غير مطرود

وأما على الرواية الاخرى فاذهب بدل من قم مفسر له أو باسقاط العاطف أي قم فاذهب وبئس مستوف
لجميع الذم كاستيفاء نعم لجميع المدح وقم لما كان المراد به الطرد كما عرفته لم يقتض كونه قاعدا وهذه
الخطبة يخطبها القاعد والقائم كخطبة النكاح فمن قال لعله كان يخطب قاعدا ولعلها لم تكن خطبة
مشروعة كالجمعة فانها يجب فيها القيام لغير عاجز بل خطبة نصيحة أو مفاخرة على عادتهم فقد أخطأ في
فهم المراد وكيف يتوهم أن يخطب للجمعة غيره بحضرته صلى الله تعالى عليه وسلم (قال أبو سليمان)
هو الخطابي (كره) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (منه الجمع بين الاسمين بحرف الكناية) أي كره
أن يعبر عنهما بضمير واحد ففيه مضاف مقدر أي بين مسمى الاسمين بكلمة واحدة وهي ضمير
التثنية في قوله يعصهما والحرف لها معان منها الوجه والكلمة المخصوصة عند النحاة ومطلق الكلمة
والطريقة قال الازهري في التهذيب كل كلمة تقرأ على وجوه من القرآن تسمى حرفا فيقال هذا حرف
ابن مسعود رضي الله تعالى عنه أي الكلمة التي قرأها أو قرأته ومنه الحديث أنزل القرآن على سبعة
أحرف في أحد الاقوال وللناس فيه كلام كثير حتى أفرد بالتأليف وأما مجيء الكناية بمعنى الضمير
فاصطلاح كما في الكشاف في أول سورة البقرة وقال الرضي الكناية في اللغة والاصطلاح أن يعبر عن معنى
لفظا كان أو معنى بلفظ غير صريح في الدلالة عليه اما للابهام على السامع كجاء فلان أو للاختصار
كالضمائر الراجعة الى متقدم انتهى فحرف الكناية بمعنى وجه الكناية أو طريقة الكناية أو كلمتها وهي
الضمير وهذا هو الاشبه فيه وان نوقش في الاختصار بأن بعض الضمائر أطول من بعض الظواهر كزيد
واياه فقيل بأنه أغلبي وعدل عنه الشريف في شرح الكشاف وعلل بدفع التكرار والامر فيه سهل فمن قال
هنا حرف الكناية آلته وهي ضمير الغائب بأن أراد معناها من ضمير واحد والحرف لغوي أفرد لارادة
الجنس أو لشدة الاتصال ولانه الاصل لها أو قال الرضي الكناية غير الصريح لدلالته على المعنى بواسطة

(ومن يعصهما) أي فقد غوى كما في نسخة صحيحة أي ضل عن طريق الهدى (فقال له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بئس خطيب القوم أنت قم) أي من هذا المجلس أي فانك قليل الادب والحديث أخرجه النسائي في اليوم والليلة وأبو داود في الادب ورواه مسلم أيضا (قال أبو سليمان) أي الخطابي (كره) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (منه) أي من الخطيب (الجمع بين الاسمين بحرف الكناية) مأخوذة من الكن وهو الستر تعبير كوفي بمعنى الضمير المأخوذ من الضمور والضمار الذي هو الخفاء ويقابلها الظهور والظاهر وهو ضد المضمر وهو تعبير بصري (لما فيه) أي في الجمع بينهما بالكناية

(من التسوية) أي توهمها المقتضي للشركة بينهما وفيه ان توهم التسوية موجود ظاهرا في المظهر أيضا مع ان طاعتهما وعصيانهما متلازمان في ترتب الهداية والغواية كما يشير اليه قوله تعالى والله ورسوله أحق أن يرضوه بافراد الضمير الشامل لكل منهما وان كانت رتبته تعالى أجل وأعظم من تقابل بمرتبة مخلوق وان كان تشرف وتكرم ولذا قال النووي والصواب ان سبب النهي والذم هو ان الخطيب شأنه الايضاح واجتناب الرمز والاشارة لا كراهة الجمع بين الاسمين بالكناية لانه ورد في مواضع منها قوله عليه الصلاة والسلام أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما ومما يقوي كلام النووي ان كلام الخطيب جملتان مستقلتان (وذهب غيره) أي غير الخطابي وأراد بعضهم (الى انه انما كره الوقوف) أي التوقف (على بعضهما) لو صح هذا الوقف سواء أتى بعده بقوله فقد غوى أو اقتصر اكتفاء بما يعرف من الضد فانه مقصر لا محالة لعدم تمام الكلام ونظام المرام ووجود الايهام (وقول أبي سليمان) أي الخطابي (وأصح) أي من قول القائل السابق (لما روي في الحديث الصحيح انه قال ومن يعصهما فقد غوى ولم يذكر) أي في هذا الحديث (الوقوف على بعضهما) وأنت قد عرفت

المرجع ولا يخفى ان أنا وأنت فيهما تصريح بالمراد وقال التلمساني الضمير مطلقا يسمى كناية من الكن وهي الستر انتهى فقد نفخ في غير ضرم فانه كيف يعد صريحا وهو صادق كل متكلم ومخاطب وانما يدل صريحا بواسطة حضور معناه والعجب ممن نقل اطلاق الحرف على الكلمة عن حواشي الشمسية للعماد وممن تبعه وقال انه اصطلاح منطقي وفي الشرح الجديد ان الكراهة هنا تنزيهية وكلام الاحياء يقتضي انها تحريمية وفيه ان ثابتا كان خطيب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كما كان حسان رضي الله تعالى عنه شاعره ولما قدم وفد تميم على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقام خطيبهم فخطب وافتخر قام ثابت رضي الله تعالى عنه فخطب بكلام جزل وهو من كبار الصحابة الانصار شهد المشاهد فبشره النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بالجنة كما ورد في الحديث فكيف يقال له بئس خطيب القوم أنت وأجاب عنه بانه لا ينافي ذلك زجره لخطائه بمخالفة الادب لا سيما وقد ورد في الحديث الصحيح انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال شارطت ربي فقلت اللهم انما أنا بشر فاي المسلمين لعنته أو سببته أو آذيته وشتمته فاجعله له زكاة وأجرا ورحمة وفي رواية اجعله كفارة له يوم القيامة وفي رواية أبي داود في السنن بدل قوله فقد غوى فانه لا يضر الا نفسه (لما فيه) أي الجمع (من التسوية) والآتي في بيان المراد بها (وذهب غيره الى انه انما كره له الوقوف على بعضهما وقول أبي سليمان أصح لما روي في الحديث انه قال ومن يعصهما فقد غوى ولم يذكر الوقوف على بعضهما) وقال النووي الصواب ان سبب النهي ان الخطبة شأنها الايضاح واجتناب الرمز ولهذا كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثا لتفهم لا كراهة الجمع بين الاسمين بالكناية لانه ورد في مواضع منها قوله صلى الله تعالى عليه وسلم أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما وقال العلائي في كتاب الفصول المفيدة قيل في الجمع بين هذه الاحاديث وجوه * منها ان هذا خاص بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم فانه يعطي مقام الربوبية حقه ولا يتوهم فيه تسوية له بما عداه أصلا بخلاف غيره من الامة فانه مظنة التسوية عند الاطلاق والجمع في الضمائر بين الله وغيره فلذا جاز الجمع بينهما في كلام النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في قوله من كان الله ورسوله أحب اليه مما سواهما وغير ذلك وأمر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الخطيب بالافراد لئلا يوهم كلامه التسوية والمخاطب الوفد الذين قرب عهدهم بالاسلام ومثله قوله لا تقولوا ما شاء الله وشئت الى آخره ويعلم منه ما في كلام الله بالطريق الاولى ويرد عليه حديث ابن مسعود رضي الله تعالى عنه الذي علم فيه الامة ما يقولونه عند الحاجة فان فيه ومن يعصهما فيدل على عدم الخصوصية الا أن يقال يؤخذ من مجموع الحديثين انهم يقولون في خطبة الحاجة ومن يعص الله ورسوله ولا يجمع فيها وفيه نظر * ومنها ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حين أنكر على ذلك الخطيب كان هناك من يتوهم منه التسوية بين المقامين عند الجمع في الضمير ولعل هذا أقرب مما قبله * ومنها ان ذلك الجمع لم يكن على وجه التحتم بل على وجه الندب والارشاد الى الاول لما في افراد اسم الله عز وجل من التعظيم له بدليل انه ورد خلافه في الاحاديث وهو قريب مما قاله الاصوليون من ان الواو لا تفيد الترتيب * ومنها ان ذلك الانكار كان مختصا بذلك الخطيب لانه فهم من التسوية فيختص بمن كان حاله كذلك ولعل هذا الجواب هو الاقوى لانها واقعة حال وذلك احتمال الا انه اذا انضم اليه حديث أبي داود الذي علم فيه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أمته كيفية خطبة الحاجة قوي الاحتمال ومثله قيل في حديث لا تفضلوني على موسى عليه الصلاة والسلام انتهى أقول في هذا المقام اضطراب واشكال لان مقصود المصنف رحمه الله تعالى ذكر ثناء الله على رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم وما يدل على رفعة قدره فلما انتهى الى انه رفع ذكره حيث قرنه بذكره وأدرج فيه انه قرن طاعته بطاعته بالواو والمشركة عقبه بحديث النهي عن قول ما شاء الله وشاء فلان

مؤيدا به انه لا يجوز العطف بالواو فى حق غير النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بناء على هذه الرواية والنهى عن عطف مشيئته بالواو دون ثم ترقى الى النهى عن جمع اسم الله وغيره فى كلام واحد وهو كلام متجاذب الاطراف بحسب الظاهر سواء قلنا النهى تنزيهى على الصحيح أو تحريمى لكن اذا تأملت كلامه وجدته مخالفا لما فى نفس الامر فان العطف بالواو على اسم الله لا يختص بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم لوروده فى حق غيره صلى الله تعالى عليه وسلم كثيرا فى القرآن والحديث ولا مانع منه عقلا وشرعا والحديث الاول فيه رواية أخرى صحيحة كما مر ماشاء الله وشاء محمد فلا يكون مؤيدا له بل مخالفا وجمع الضمير ورد فى القرآن والاحاديث كقوله أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما ولما رأى الناس هذا مخالفا للمأثور ذهب بعضهم الى التوفيق وبعضهم انه كان فى ابتداء الهجرة ثم نسخ وقيل الخطبة شأنها الافصاح وان كلام الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم جملة واحدة لايقاع الظاهر فيها قليل لغة بخلاف كلام الخطيب وان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لو أفرد كان معظما وهو أعظم الناس تواضعا وقيل انه أدب شرعى مخصوص بغير كلام الله ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم فلا يرد ما فى القرآن والحديث وقيل فعله النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لبيان الجواز وأما الحديث الاول فذهب بعض المحققين الى انه مخصوص بالمشيئة لقوله ماشاء الله كان ومالم يشأ لم يكن وقوله وما تشاؤن الا أن يشاء الله فانه ندب لتعليق الامور بمشيئة الله وحده فلا يجوز تشريك مشيئة غير الله بمشيئته سواء فى ذلك النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وغيره الا بثم الدالة على التراخى ثم ان نفس مشيئة العبد بمشيئة الله أيضا لانه الذى خلق فيه الدواعى وغاية ماوجه به كلام المصنف انه مكروه عنده فى حق غير النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اذا كان فى كلام غير الله وكلام الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم لما فيه من الابهام وانه لما ذكره فى العطف أى بالمشيئة وما بعده استطرادا اذا عرفت هذا فقوله لما فيه من التسوية أى فى تثنية الضمير وجمعه تسوية بينهما لانه لفظ واحد متصل لاسيما اذا لوحظ العدول عن العطف الدال على التفاوت بالتقديم والتبعية ولذا قال ليقل (من يعص الله ورسوله) وليس فى الواو تسوية عند المصنف رحمه الله تعالى كما قيل بل تشريك اذ الواو تقتضى التغاير والاستقلال لقيامها مقام تكرار العامل أو تقديره معها وقول النحاة العطف بالواو بمعنى الضمير لم يريدوا من جميع الوجوه وقوله ذهب غيره أى غير الخطابى الى انه كره من الخطيب وقوفه على يعصهما بناء على انه فعل ذلك لعى أو سعال أو نحوه فيوهم عطفه على الفاعل فيكون العاصى راشدا وهو فاسد وقيل المراد بالوقوف سكتة خفيفة بقطع النفس لا قطع الكلام مرة واحدة كما مر وانما سكت اشارة لمحل الذم واكتفاء بالمقصود وتنبيها على جواز الحذف أو ذهولا ونسيانا ولا حاجة لما تكلفه وصرفه عن ظاهره وقوله وقول أبى سليمان أصح أى من القول بان الانكار عليه لوقفه لا للجمع فى الضمير لان قوله له قل ومن يعص الله ورسوله صريح فيه وأما القول بان الجمع وارد أيضا الى آخره فقد عرفته وما فيه فلا حاجة للتطويل به وأما قوله أصح دون هو الصحيح فلان عدم ذكره الوقوف والرد عليه بما مر والرد عليه بما ذكر لا يعينه لاسيما مع احتمال تعدد القضية (وقد اختلف المفسرون وأصحاب المعانى) قال بعض الشراح لم يرد بعلم المعانى هنا علم البلاغة المشهور بل أراد من لهم زيادة اختصاص بالبحث عن معانى الكتاب والسنة غير المفسرين بقرينة المقابلة وجوز أن يراد المعنى المعروف لما فيه من المجاز الذى هو من مباحثه كما سيأتى (فى قوله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبى هل) واو (يصلون راجعة) وعائدة (على الله تعالى والملائكة أم لا) وفى نسخة وعلى ملائكته ورجع يتعدى بعلى والى والمراد بالرجوع والعود ارادتهما منه بقرينة ما قبله وهو معروف غنى عن الشرح وهل هنا بمعنى الهمزة فلذا عادلتها أم كما ورد

الاحتمالين ومن حفظ حجة على من لم يحفظ والاثبات مقدم على النفى (وقد اختلف المفسرون) للقرآن (وأصحاب المعانى) أى من أرباب البيان (فى قوله تعالى ان الله وملائكته) الاكثر على النصب عطفا على اسم ان (يصلون على النبى هل يصلون) أى جملتها باعتبار كنايته العائدة (راجعة الى الله تعالى وملائكته جميعا) وخبر عنهم مشتركة بينهم فى ضمير واحد (أم لا) أى بل هى راجعة الى الملائكة فقط ويقدر لله عامل آخر لتغاير الصلاتين

في الحديث هل تزوجت بكرا أم ثيبا والكلام عليه مبسوط في محله وقوله في قوله متعلق باختلف والتقدير المشهور في أمثاله اختلفوا في جواب هل الى آخره اذ لا اختلاف في الاستفهام وانما الخلاف في الرجوع وعدمه فهل الضمير عائد على الله تعالى والملائكة أم على الملائكة فقط وخبر الجلالة محذوف أي ان الله يصلي وملائكته يصلون (فأجازه) أي الرجوع اليهما (بعضهم ومنعه آخرون لعلة التشريك) أي للزوم التشريك بين الله والملائكة والتسوية بينهما في عبارة واحدة وهو ضمير الواو وان كان معنى الصلاة في حقهما واحدا كما مر من انه ممنوع لما فيه من عدم رعاية التعظيم الدال على التفريق بالتفريق أو بنفسه على ما فيه فان كان هذا التعليل نقل مذهبا لبعض من منع فلا كلام فيه والمصنف رحمه الله تعالى ثقة وأجل من أن يكون لم يفهم مرادهم فسقط ما في بعض الشرح من انه لم يقله أحد سواه والمنع له علة أخرى مذكورة في كتب أصول الفقه وهي لزوم استعمال اللفظ المشترك في معنييه أو الجمع بين الحقيقة والمجاز فانهم قالوا الصلاة من الله تعالى رحمة ومن الملائكة استغفار ومن الآدميين تضرع ودعاء فان كانت هذه معان حقيقة لزم الاول والا بان يكون في واحد منها حقيقة وفي غيره مجاز الزم الثاني *وأجيب بانه على تسليم صحة النقل من عموم المجاز وهو استعماله في معنى عام مجازي شامل لهما على الاحتمالين أو من عموم المشترك فلا يلزم ما ادعاه المجوزون الذين استدلوا بهذه الآية وبان المنع على ما ادعاه المصنف رحمه الله تعالى انما هو في غير الله ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم في مقام توهم تسوية الله بغيره لانه حق لهما يفعل الله فيه ما يشاء ويخلعه عمن يشاء وهو لا يسأل عما يفعل كما مر تحقيقه وقد صرح به القرطبي في تفسيره هنا وفي تفسير القاضي لقوله تعالى هو الذي يصلي عليكم وملائكته يصلي عليكم بالرحمة وملائكته بالاستغفار لكم والاهتمام بما يصلحكم والمراد بالصلاة المعنى المشترك وهو العناية بصلاح أمركم وظهور شرفكم مستعار من الصلاة بمعنى الدعاء وقيل الترحم والانعطاف المعنوي مأخوذ من الصلاة المشتملة على الانعطاف الصوري وفي دقائق المنهاج للنووي ان التفسير المذكور للصلاة شرعي وكلام شيخ الاسلام زكريا يقتضي انه لغوي *واعلم ان في تفسير الصلاة السابق كلاما لنا فيه رسالة مستقلة وليس هذا محلها فحسبك من القلادة ما أحاط بالجيد (وخصوا الضمير بالملائكة وقدروا الآية ان الله يصلي وملائكته يصلون) أي من ذهب الى ان العلة التشريك ولم يجوزه مطلقا خص الضمير بالملائكة وقدر في الاول خبرا فالتقدير عنده ان الله يصلي وملائكته يصلون فحذف من الاول ما يدل عليه الثاني على عكس المشهور في الحذف والتقدير ولكن مثله جائز ان قرأ بنصب ملائكته عطفا على اسم ان فان رفع تعين كونه كذلك وعلته عند المصنف رحمه الله تعالى الهرب من التشريك وعند غيره ما مر وكون الحذف من الاول لدلالة الثاني عليه ضعيف غير مسلم مع انه قيل عليه أيضا انه على هذا التقدير وان اندفع التشريك لم يندفع ايهامه بحسب الظاهر من اللفظ (وقد روى عن عمر رضي الله تعالى عنه انه قال من فضيلتك عند الله أن جعل طاعتك طاعته فقال من يطع الرسول فقد أطاع الله) من فضيلتك خبر مقدم وعند متعلق به وان جعل مبتدأ مؤخر والعكس بجعل من التبعيضية لكونها بمعنى بعض مبتدأ أخرق للسياج من غير احتياج وان ذكره بعضهم

في

(فاجازه بعضهم) أي ممن قال بالجمع بين المعنيين المشتركين في اطلاق واحد فان الصلاة من الله تعالى انزال الرحمة ومن الملائكة الاستغفار والدعوة ومنهم الشافعي وأتباعه (ومنعه آخرون) أي منع رجوعها اليهم (لعلة التشريك) أي بين المعنيين ومنهم أبو حنيفة وأشياعه أو لاجل توهم الاشتراك في الفعل وأجازه الاولون لظهور المغايرة عند أرباب العقل ونهي الخطيب انما كان لترك الادب الذي هو كما مر شان الخطبة من الايضاح واجتناب الرمز (وخصوا) أي البعض الآخرون (الضمير) أي في يصلون (بالملائكة وقدروا الآية) أي هكذا (ان الله يصلي وملائكته يصلون) أي وجعلوا خبر الثاني دليلا على خبر الاول كما في نحن بما عندنا وأنت بما عندك راض والرأي مختلف والمحققون يجعلونه من باب عموم المجاز ويقولون التقدير ان الله وملائكته يعظمون النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كل بما يناسبه من أنواع التعظيم وأصناف التكريم والاولى عندي أن يقال الضمير راجع الى الكل والمعنى يثنون عليه فالله تعالى عند المقربين وفي كتابه المبين وعلى لسان جبريل الامين والملائكة فيما بينهم لاسيما اذا قلنا انه أيضا مبعوث اليهم فيجب حينئذ تعظيمه لديهم وثناؤه عليهم وهذا المعنى لغوى حقيقى على ماذكره صاحب القاموس من ان الصلاة هي الرحمة والدعاء والاستغفار وحسن الثناء هذا وقراءة ابن عباس ورويت عن أبي عمرو وملائكته بالرفع اما عطفا على محل اسم ان مبتدأ خبره محذوف وهو مذهب البصريين (وقد روى عن عمر رضي الله تعالى عنه) قال الدلجي ولم أدر من رواه (انه قال) أي مخاطبا للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم (من فضيلتك عند الله تعالى) أي من جملة فضائلك في حكمه (ان جعل طاعتك طاعته فقال من يطع الرسول فقد أطاع الله

وقد قال تعالى) الظاهر انه ليس من قول عمرو عطفه عليه لقربه منه معنى (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله الآيتين) يعنى ويغفر لكم والله غفور رحيم قل اطيعوا الله والرسول فان تولوا فان الله لا يحب الكافرين فالآية الثانية تدل على ما تقدم من ان اطاعة الرسول كاطاعة الله وقوله فان تولوا أى أعرضوا أو تعرضوا عن كل من اطاعة الله وطاعة الرسول فان الله لا يحب الكافرين بالاعراض عن طريق المؤمنين المطيعين واما الآية الاولى فهى فى رتبة مقام المحبوبية أولى حيث جعل متابعة حبيبه شرطا لتحقق محبته ثم رتب على محبته المقرونة باتباعه محبة ثانية مجازاة من الله سبحانه وتعالى على محبتهم فمتابعتهم له محفوفة بمحبتين لله سابقة ولاحقة أزلية وأبدية علمية وتنجيزية بل المحبة الاولية هى التى أوجبت المحبة الآخرية كما أشار اليه قوله سبحانه وتعالى يحبهم ويحبونه والحاصل انه تعالى سد باب المحبة على جميع الخلق الا بملازمة باب الحبيب ومتابعة آداب الطبيب الجامع بين مرتبة المحبة والمحبوبية والمريدية والمرادية والطالبية والمطلوبية والسالكية والمجذوبية فابواب أرباب الهدى سدت السدى ومن جاء هذا الباب لا يخشى الردى ثم المحبة ميل نفس الى ما فيه كمال يحملها على ما يقرب اليه فاذا علم العبد ان الكمال الحقيقى ليس الا الله وان كل كمال فى نفسه أو غيره انما هو من الله وبه واليه لم يكن حبه الا له تعالى وفيه تعالى وذلك يدعو الى طاعته المستلزمة لطاعة رسوله ولكونها بالارادات أشد منها بالادراكات فسرت بارادة طاعته والتحرز عن معصيته ومحبته تعالى لعباده ارادة هدايتهم وتوفيقهم فى الدنيا وحسن ثوابهم فى الاخرى والعقبى

فى قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله كما مر وهذا الحديث قال المخرجون انهم لم يجدوه فى شئ من كتب الحديث وان ورد ما هو بمعناه فى صحيح البخارى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه من أطاعنى فقد أطاع الله ومن عصانى فقد عصى الله ومن أطاع أميرى فقد أطاعنى ومن عصى أميرى فقد عصانى (وقد قال الله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله الآيتين) هذا يحتمل ان يكون استئنافا من المصنف رحمه الله تعالى ويحتمل ان يكون من كلام عمر رضى الله تعالى عنه أيضا وهو المقصود بالذكر هنا وانما نقل أول كلامه ليكون مذكورا بتمامه فلا يرد عليه ما قيل من انه قد سبق بلفظه فلا فائدة فيه غير الاطالة وقيل انه لا تكرار فيه على كلا التقديرين لاختلاف المقامين فانه أولا ذكر اقتران اسمه باسمه وطاعته بطاعته لرفع ذكره واعلاء قدره وذكره هنا لان الله عظمه مع تأدبه مع ربه بجعل طاعته نفس طاعته ولا يخفى انه لا محصل له نعم لك ان تقول ان ما نحن فيه أبلغ مما مر فيكون ترقى فى مدحه لان اقتران شئ بشئ دون كونه عينه بحيث لا يمكن انفكاك أحدهما عن الآخر وان من عصى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عصى الله فان كان هذا مراده فمرحبا بالوفاق وعلى كل حال فليس فى ذكر هذا مع ما مر كبير فائدة فلو اقتصر على أحدهما حصل المراد وقال القاضى فى تفسيره المحبة ميل النفس الى الشئ لكمال أدرك فيه بحيث يحملها على ما يقربه اليه والكمال الحقيقى ليس الا الله عز وجل وان ما يراه العبد كمالا من نفسه أو من غيره فهو من الله وبالله والى الله فلا ينبغى المحبة الا لله وفى الله وذلك يقتضى ارادة طاعته والرغبة فيما يقربه له فلذا فسرت المحبة بارادة الطاعة وجعلت مستلزمة لاتباع الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ومطاوعته وبهذا علمت وجه الملازمة فى الشرطية وقال الامام اتفق المتكلمون على ان المحبة نوع من أنواع الارادة وان الارادة لا تعلق لها الا بالحوادث والمنافع فيستحيل تعلقها بذاته وصفاته فاذا قيل العبد يحب الله فمعناه يحب طاعته وثوابه ونحوه وأما محبة الله له فهى عبارة عن ارادة الخير له فى الدارين ونقل الشارح الفاضل ان العارفين قالوا بان العبد يحب الله لذاته واما حبه لشئ آخر فدرجة نازلة والقول الاول ضعيف لانه لا يمكن ان يقال ان كل شئ انما كان محبوبا لمعنى آخر اذ لا بد من الانتهاء الى شئ يكون محبوبا لذاته فكما نعلم ان اللذة محبوبة لذاتها كذلك نعلم ان الكمال محبوب لذاته فمن سمع أخبار رستم فى شجاعته مال قلبه اليه مع القطع بان محبته معصية فعلمنا ان الكمال محبوب لذاته واكمل الكمال لله فيقتضى انه محبوب لذاته من ذاته وقيل المراد هنا ان صدقتم فى دعوى المحبة فاتبعونى فان اتباعى علامة ذلك فاذا اتبعتمونى يزيدكم الله فضلا فيحبكم فتتم الملازمة أو هى أمر اعتبارى أى انما تعتبر محبتكم باتباعى أو هى قضية اتفاقية أو بواسطة قضية ضرورية عرفية أقول هذا محصل ما قالوه وفى الشرح الجديد هنا كلام طويل من غير طائل والحق الحقيق بالقبول ان المصنف رحمه الله تعالى قصد بعد ما ذكر ان الله رفع ذكره وطاعته قرينى ذكره وطاعته ان يبين ان طاعته تقتضى محبة الله تعالى ورضوانه الذى هو أكبر من جميع ما مر لان محبة الله واجبة اذ بها يكمل الايمان فانه لا يؤمن أحد حتى يكون الله أحب اليه من نفسه

وحبه لا يكون الا بطاعته * ان المحب لمن يحب مطيع

وطاعته انما تكون بطاعة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم لانها أعظم مامور به لقوله أطيعوا الله وأطيعوا

الرسول) ومتابعة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم اتباعه فى أوامره ونواهيه فاذا كان هذا تحقق محبة الله ومن أحب الله أحبه كما قيل

لا وحق الخضوع عند التلاقى * ما جزا من يحب الا يحب

وبهذا علمت ان ذكر آية الطاعة أمر لازم هنا ليتم الدليل على انه صلى الله تعالى عليه وسلم أحب الخلق الى الله تعالى لانه يحب من اتبعه فادعاء التكرار من قصور الانظار وما بعده من فتق الديباج وترقيعه بالخيش وبهذا عرفت معنى محبة الله لعبده ومحبة عبده له * (وروى) كما رواه ابن الجوزى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وابن المنذر عن مجاهد وقتادة (انه لما نزلت هذه الآية قالوا) أى الكفار أو المنافقون والقائل منهم عبد الله بن أبى سلول لعنه الله نزل قوله منزلة قولهم كلهم لعظمته عندهم (أن محمدا يريد أن نتخذه حنانا كما اتخذت النصارى عيسى) صلى الله تعالى عليهما وسلم (فانزل الله تعالى قل أطيعوا الله والرسول فقرن طاعته بطاعته رغما لهم) الحنان بفتح الحاء المهملة بعدها نون مخففة يليها ألف ونون ومعناه الرحمة والعطف ومنه قوله تعالى (وحنانا من لدنا) وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ما أدرى ما الحنان وفى النهاية أن ورقة مر ببلال رضى الله تعالى عنه وهو يعذب فى الله فقال والله لئن قتلتموه لاتخذنه حنانا والحنان الرحمة والعطف والرزق والبركة أى لاجعلن قبره موضع حنان أى مظنة رحمة وبركة فاتمسح به كما يتمسح بقبور الصالحين الذين قتلوا فى سبيل الله من الامم الماضية والمعنى على هذا هنا ان محمدا صلى الله عليه وسلم يريد أن يجعلنا ممن نتبرك به ونخضع له خضوعا يؤدى لعبادته كما عبدت النصارى عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام لان محبة الله بالاطاعة والخضوع له بالعبادة وقد جعل اتباعه يتوقف عليه محبة الله قيل وفيما ذكره صاحب النهاية نظر لان بلالا رضى الله تعالى عنه انما عذب بعدما أسلم وورقة مات قبل البعثة وفيه تأمل فانه قيل ان القائل ذلك زيد بن عمرو ابن نفيل وانما قول المعترض ان ورقة أسلم قبل البعثة فليس بصحيح لما فى البخارى مما يخالفه صريحا (٢) وانما الذى لم يدرك البعثة زيد المذكور والنصارى مفرده عند سيبويه نصران ومؤنثه نصرانة ولم يستعمل بياء النسبة وقال الخليل واحده نصرى كمهرى ومهارى وقيل هو منسوب الى نصرة وهى قرية نزلها عيسى عليه الصلاة والسلام وقال قتادة هى ناصره ولكنه غير فى النسب ونصارى ممنوع من الصرف للالف وهم قوم عيسى عليه الصلاة والسلام وقد افترقوا فرقا بسطت قصة يونس المفصلة فى التواريخ وذكرها هنا التلمسانى أيضا وعيسى بن مريم بنت عمران بن ماثان قال التلمسانى لم يذكر الله امرأة فى القرآن باسمها الا مريم ذكرها فى نحو ثلاثين موضعا والحكمة فيه ان الملوك والاشراف لا يذكرون حرائر زوجاتهم باسمائهن بل يكنون عنهن بالاهل والعيال ونحوه فاذا ذكروا الاماء لم يكنوا ولم يحتشموا عن التصريح فلذا صرح باسمها اشارة الى أنها أمة من اماء الله وابنها عبد من عبيد الله ردا على اليهود الذين قالوا فى عيسى عليه الصلاة والسلام ومريم ما قالوه وهو كلام حسن جدا وعيسى ليس بمشتق من العيس بمعنى البياض لانه اسم عجمى معرب والاشتقاق مختص بكلام العرب وان كانوا اذا عربوه ألحقوه بكلامهم وتصرفوا فيه فقد يفرضون اشتقاقه لبيان وزنه وحكمه وعيسى عليه الصلاة والسلام رفع وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة أو أربع وهو الاشهر عند المفسرين والمحدثين وقيل ثمانين سنة وقيل مائة وعشرين سنة كما نقله ابن حجر فى الاصابة واختلف أيضا فى مكثه فى الدنيا بعد نزوله من السماء فقيل سبع سنين وقيل أربعين وقيل غير ذلك ونزول الآية رد لما قالوه لامره بطاعته وتوقيره بما يليق به ففيه تكذيب لهم وتسفيه ورغما بالراء المهملة والغين المعجمة والميم مثلث الراء بمعنى تذليل

(وروى) أى عن جماعة كابن المنذر عن مجاهد وقتادة (أنه لما نزلت هذه الآية) أى قل ان كنتم تحبون الله (قالوا) أى بعض الكفار (ان محمدا يريد ان نتخذه حنانا) أى ربا ذا رحمة (كما اتخذت النصارى عيسى حنانا) ومنه قوله تعالى وحنانا من لدنا وقيل متحببا وقيل متمسحا به ومنه قول ورقة بن نوفل حين مر ببلال وهو يعذب والله لئن قتلتموه لاتخذنه حنانا أى لاجعلن قبره موضع حنان أى مظنة رحمة من الله فاتمسح به متبركا كما يتمسح بقبور الصالحين الذين قتلوا فى سبيل الله من الامم الماضية فيرجع ذلك عارا عليكم ومسبة عند الناس راجعة اليكم (فانزل الله عز وجل) أى بعد تلك الآية (قل أطيعوا الله والرسول) تأكيدا للمتابعة (فقرن طاعته بطاعته صلى الله عليه وسلم) أى تعظيما لقدره وتشريفا لامره (رغما لهم) بفتح الراء وهو الاشهر أى غيظا لانوفهم وكرها لالوهم فى القاموس الرغم الكره ويثلث وأصل هذه الكلمة من الرغام وهو التراب يقال رغم أنفه بالكسر اذا ألصق بالرغام فالمعنى الصاقا لانوفهم بالتراب جزاء لانفتهم من ملازمة هذا الباب ومتابعة هذا الجناب على وفق الكتاب وآداب

وقوله

(٢) وما فى النهاية ذكره ابن اسحق فى السير وأيده ابن حجر بما فى البخارى نسخه

رب الارباب لاولى الالباب (وقد اختلف المفسرون فى معنى قوله تعالى فى أم الكتاب) أى أصل الكتاب المشتمل على اجمال جميع الابواب من الثناء على الله والتعبد له والاستعانة به وطلب الهداية اليه والوعد والوعيد منه وهو سورة الفاتحة الخاتمة (اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم) أى من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وهذا أولى ماقيل فى الآية وهو

صلى الله تعالى عليه وسلم يدخل فيه دخولا أوليا بلا مرية (فقال أبو العالية والحسن البصرى) أما الحسن بن أبى الحسن البصرى فقد تقدمت ترجمته مجملة وأما أبو العالية فهما اثنان تابعيان من أهل البصرة فاحدهما أبو العالية الرياحى بكسر الراء وبالتحتية واسمه رفيع بن مهران أسلم بعد عامين من موت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم روى عن عمر وأبى وابن عباس رضى الله تعالى عنهم وروى عنه قتادة وغيره أخرج له الجماعة توفى فى سنة تسعين والثانى أبو العالية البراء بفتح موحدة وتشديد راء بعده همزة واسمه زياد روى عن ابن عباس وغيره وروى عنه أيوب السختيانى وغيره أخرج له الشيخان والنسائى والثانى بالكنية أشهر والمراد هنا الاول وله تفسير وكان ابن عباس رضى الله تعالى عنهما يعظمه ويجلسه معه على السرير ويفرش تحته

 (الصراط المستقيم) بالنصب على الحكاية وهو أولى من الرفع المبنى على الاعراب بالابتدائية (هو رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وخيار أهل بيته وأصحابه) بشهادة حديث خير القرون قرنى وحديث أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم ولا يخفى انه لا يصح الحمل الا بتقدير وهو طريق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وخيار أتباعه أو يحمل عليه مبالغة كرجل عدل فكأنه صلى الله تعالى عليه وسلم وأتباعه لكمال اتباعه عين الطريق فى عالم التحقيق فان من المعلوم انه ليس هنالك صراط حسى

وقهر واكراه وأصله من الرغام وهو التراب لان المهان يسحب فى الارض على التراب ثم عم فقيل له أرغم الله أنفه ورغما عليه أى قهرا وذلا وغيظا وهو منصوب مفعولا له أى ارادة ذلك بهم وتحصيله وفيما ذكر من تعظيمه صلى الله تعالى عليه وسلم وتذليل أعدائه أتم مناسبة بغرض المصنف رحمه الله هنا (وقد اختلف المفسرون فى معنى قوله تعالى فى) سورة (أم الكتاب) وهى سورة الفاتحة ولها أسماء كثيرة مذكورة مبينة فى محلها لا حاجة لنا بذكرها هنا ووجه هذا التسمية فيه وجوه أشهرها انها سميت به لانها مبتدؤه ومفتتحه فكأنها أمه أو لاشتمالها على مقاصده اجمالا ووجه التسمية لا يلزم اطراده مع مافيهما من المرجحات وفيه تحقيقات تكفلت بها شروح الكشاف فعليك بها ان أردتها (اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم فقال أبو العالية والحسن البصرى) تقدمت ترجمته وأما أبو العالية فهو اسم مشترك والذى رجحه الشراح انه رفيع بن مهران التابعى الذى أسلم فى خلافة الصديق رضى الله تعالى عنه فانه خرج له الشيخان وله تفسير مات فى سنة تسعين على الصحيح وقيل هو زياد بن فيروز البراء بتشديد الراء المهملة لانه كان يبرى النبل وهو أيضا ممن خرج له الشيخان ومات فى سنة تسعين أيضا وتردد بعضهم فى المراد به هنا ورفيع بالتصغير كما قاله النووى فى تهذيبه الرياحى نسبة لامرأة من بنى رياح أعتقته سائبة فهو مولاها أسلم بعد عامين من موت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وروى عنه أصحاب الكتب الستة ومعنى السائبة ان يعتق ويترك ولاؤه وميراثه طلبا للاجر وهذا انما كان فى الجاهلية ونهى عنه فى الاسلام وهذا التفسير مما أخرجه ابن جرير وابن أبى حاتم عن أبى العالية عن ابن عباس رضى الله عنهما وصححوه ورواه الحسن البصرى كما ذكره المصنف رحمه الله تعالى وتسميتها أم الكتاب وأم القرآن على طريق الاستعارة أمر مشهور وان أطلق الاول على غيره كاللوح المحفوظ والقول بان هذه التسمية مكروهة مما لا يلتفت اليه وان ذكره بعضهم تكثير للسواد وقيل وانما صرح المصنف رحمه الله باسم السورة مع ظهوره وكونه على خلاف عادته فيما يذكره من الآيات لما فيه من تعظيم الله له واعتنائه بشأنه حيث ذكره فى أول كتابه ومبدأ خطابه (الصراط المستقيم هو رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وخيار أهل بيته وأصحابه) جملة اهدنا الدعائية بيان للمعونة المطلوبة والكلام على الهداية وتعديتها ومراتبها مفصلة فى حواشينا على تفسير البيضاوى والصراط جادة الطريق من السرط وهو الابتلاع ومثله تسميته لقما لانه يلتقمه وقرئ بالصاد والسين وباشمامها زايا وبها خالصة فى رواية ضعيفة وهو يذكر ويؤنث والمراد به هنا طريق الحق وهو ملة الاسلام أو القرآن أو الايمان وتوابعه والاسلام وشرائعه أو السبيل المعتدل أو طريق النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وأبى بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما أو النبيين عليهم الصلاة والسلام أو طريق الجنة أو طريق السنة والجماعة أو طريق الخوف والرجاء أو جسر جهنم وهذا ما عليه أكثر المفسرين قال الامام السهيلى ويرد على بعضها أن المراد بهذا ما بعده من قوله صراط الذين الى آخره * قلت هذا ليس بمتفق عليه نعم يرد على ماذكره المصنف انه اذا فسر بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وأصحابه يصير المعنى اهدنا النبى وصحبه ولا معنى له الا بتقدير طريق النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ونحوه وفيه ركاكة لا تخفى ولذا قيل الظاهر على هذا انه شبههم بالطريق الحق فى ايصاله للمطلوب أى اهدنا اياهم لنؤمن بهم ونتبعهم وقيل سمى المرشد للطريق

فليس المراد الا أنه طريق معنوي فمن تبعه أوصله الى مطلوبه و بلغه الى محبوبه (حكاه) أي روى هذا التفسير (عنهما أبو الحسن الماوردي) تقدم ذكره أي عن أبي العالية والحسن ورواه في المستدرك عن أبي العالية وصححه (وحكى مكي عنهما نحوه) أي بمعناه لا بلفظه ومكي هذا هو أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي أصله من القيروان وانتقل الى الاندلس وسكن قرطبة وهو من أهل التبحر في علوم القرآن والعربية كثير التآليف في علم القرآن توفي سنة سبع وثلاثين وأربعمائة بقرطبة (وقال) أي مكي (هو رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وصاحباه أبو بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما) ولعل وجه تخصيصهما انهما مما اتفق الامة على حقيتهما وجلالتهما وعلى ثبوت أحكامهما بمحضر بقية الصحابة في مجالسهما فكان أقوالهما وأفعالهما بمنزلة الاجماع التقريري أو السكوتي بخلاف من بعدهما فانه وقع الاختلاف في أمورهم من حيث تنكير بعض الصحابة وتقرير آخرين منهم في شأنهم ولا عبرة بطعن كلاب أهل النار من المبتدعة الرافضة طريق الابرار الخارجة عن الصراط المستقيم والدين القويم (وحكى أبو الليث السمرقندي مثله) أي مثل المحكي السابق في الصراط المستقيم عن المكي راويا له (عن أبي العالية في قوله عز وجل) أي في تفسير قوله (صراط الذين أنعمت عليهم) أي انه رسول الله وصاحباه وما لهما واحد لان الثاني بدل أو عطف بيان للاول

وبناء

طريقا تسمية للدال باسم المدلول أي المسبب باسم السبب فهو مجاز مرسل كما قيل وفي المعالم حكاية هذا القول بلفظ طريق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فهو امار واية أو اشارة الى حذف مضاف فيه كما ذكر والمستقيم المستوي من غير اعوجاج والاستقامة تكون حسية ومعنوية وقوله وأصحابه يجوز فيه الرفع عطفا على رسول الله أو خيار ورجح هذا لما سيأتي والجر عطفا على أهل بيته وبه جزم في المقتفى فالمعنى خيار أصحابه والاضافة بيانية هنا وهناك اذ جميع أهل بيته وأصحابه خيار عدول حتى من لابس الفتن منهم لاجتهادهم وعلى عدالتهم مشى ابن الهمام في تحريره وجزم به العراقي وابن عبد البر وعليه الاكثر وحكى اجماع أهل السنة والجماعة عليه ويجوز أن تكون الاضافة لامية سواء جعلت الخيرية بمعنى العدالة أم لا لتفاوت مراتبهم فيها والنعمة لين العيش وخصبه وأصلها من النعومة وهمزة أنعم للتصيير وهو أحد معاني صيغة أفعل وهي نحو أربعة وعشرين معنى (حكاه عنهما أبو الحسن الماوردي) وقد تقدمت ترجمته وهذا الاثر رواه الحاكم في المستدرك عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وصححه (وحكى مكي نحوه عنهما) وهو أبو محمد بن أبي طالب شيخ الصوفية وأهل السنة المتبحر في التفسير وغيره من العلوم وله تفسير كبير وكتابه القوت كتاب جليل توفي بقرطبة سنة سبع وثلاثين وأربعمائة وأصله من القيروان ولد بها ثم انتقل الى الاندلس وسكن قرطبة وبها توفي ودفن (وقال) مكي (هو) أي الصراط المستقيم في الفاتحة (رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وصاحباه) العطف اما تفسيري فالجملة المبنية للحكي أو هو قول آخر فللمكي فيه قولان وليست الجملة مستانفة الا ان يراد انها معطوفة على جملة مستانفة وقوله (أبو بكر وعمر رضي الله عنهما) بدل من صاحباه أو عطف بيان وأبو بكر رضي الله تعالى عنه أفضل الصحابة وأسبقهم في الصحبة وهو أفضل من طلعت عليه الشمس بعد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم باتفاق أهل السنة ولا عبرة بخلاف الشيعة فيه أسلم هو وأبواه وابنه وحفدته وهو الصاحب في الغار وفي السر والجهار ولم يزل ملحوظا بعين الرضى موحدا لم يسجد لصنم قط وقال أبو الحسن الاشعري لم يزل بعين الرضا منه وقد اختلف في مراده فقيل لم يزل مؤمنا قبل البعثة وبعدها وقيل لم يزل بحالة غير مغضوب عليه فيها لعلم الله بانه سيؤمن ويصير من خلص الابرار وقال السبكي لو كان كذلك لساواه كثير من الصحابة رضي الله تعالى عنهم في ذلك وهذه العبارة لم تثبت عنه والصواب ان يقال لم يثبت عنه كفر بالله * قلت هذا هو المعنى الاول بعينه والذي أراه ان ضمير منه للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم والمراد انه لم يفارقه طرفة عين ولم يخالفه بشعرة وبهذا استحق التقدم على غيره وتوفي سنة أربع عشرة وله أربع وستون سنة وعمر هو ابن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رباح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي العدوي أبو حفص أمير المؤمنين روى عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أحاديث كثيرة وروى عنه كثير من الصحابة والتابعين وقد صنف ابن كثير كتابا مستقلا في ترجمته وسيرته وما روى عنه مات رضي الله تعالى عنه سنة ثلاث وعشرين وعمره ثلاث وستون على المشهور وفضائله غنية عن البيان (وحكى أبو الليث السمرقندي) تقدمت ترجمته (مثله عن أبي العالية) السابق ذكره والمراد بالمماثلة مشاركته في تفسير الصراط بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم وان اختلفا في تخصيص الاصحاب وعدمه (في قوله صراط الذين أنعمت عليهم) هو بدل مما قبله أو عطف بيان فهو عين الاول وقال السبكي رحمه الله تعالى من الغريب ما قيل انه غير الاول فكأنه على رأي من يجوز حذف حرف العطف واختلف هل لله على كافر نعمة فاثبتها المعتزلة ونفاها غيرهم

وبناء أنعمت للفاعل استعطاف لقبول الدعاء بالهداية وغير وصف عند سيبويه وبدل من الذين عند أبي علي ومن الضمير عند غيره على معنى انهم جمعوا بين النعمة المطلقة والايمان والسلامة من غضب الله تعالى انتهى فالمراد عند هذا القائل بالذين أنعمت عليهم النبي صلى الله عليه وسلم وخيار أهل بيته وصحبه فهو بدل أو هذا التفسير مع ماسبق على الاحتمال والبدل فلا حاجة الى القول بان أبا العالية هذا غير القائل بان الصراط النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فيما سبق لتنافيهما ولا يخفى ان قوله مثله يأباه (قال) أي أبو الليث (فبلغ ذلك) أي سمع هذا التفسير (الحسن) السابق ذكره (فقال صدق والله ونصح) أي صدق أبو العالية فيما قاله وانه تفسير للآية والقسم لتأكيد صدقه وجزمه بما قاله أو غلبة ظنه وقال بعض الشراح أكثر المفسرين على ان المنعم عليهم في هذه الآية هم المذكورون في قوله تعالى فاولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وهو قول ابن عباس رضي الله تعالى عنهما واذا نظرت الى قوله وحسن أولئك رفيقا وجمعت بينه وبين قوله صراط الذين أنعمت عليهم تجده شرحا له لان الصراط الطريق وهو محتاج للرفيق وفي الحديث خير الرفقاء أربعة يعني قوله من النبيين والصديقين الى آخره فانهم أربعة وهذا مما نبه عليه الامام السهيلي أقول ونحوه من اللطائف ماقاله الحوي تلميذ الفخر الرازي في كتاب له سماه أقاليم التعاليم ان بسم الله الرحمن الرحيم اشارة الى حقيقته الكاملة التي لا يحيط بها ادراك مدرك وهو في الازل خلق الخلائق برحمته ولذا لا يقال رحمن لغيره ثم بعد الخلق أبقى المخلوق بالرزق ورزقه بالرحمة فهو رحيم أي له رحمة بها يرزق ولذا قيل لغيره رحيم لانه قد يجري الرزق على يد غيره فهو اذا رحمن رحيم خلق ورزق فتمت نعمته فوجب شكره فلذا قال الحمد لله رب العالمين ثم انه تعالى في مرة أخرى بعد الموت والفوت يخلق المكلفين كما كانوا ويرزقهم في الدار الآخرة فهو رحمن رحيم كما كان فلذا قال ثانيا الرحمن الرحيم باعتبار المعاد الذي هو مالكه فلذا قال مالك يوم الدين فاذا تبين انه الخالق الرازق أولا وآخرا فلا عبادة الا له فقال اياك نعبد ولما كانت النعمة لا تفنى ولا يفي بها الشكر من عباده الضعفاء قال واياك نستعين لتكون العبادة كما يرضى لعباده ويليق بجلاله فاذا عبدناه وأعاننا ينبغي الوصول اليه ليحصل الشرف الاقصى بالمثول بين يديه وذلك بسلوك طريق يوصل اليه فقال اهدنا الصراط المستقيم ومن أراد سلوك طريق بعيد لابد له من رفيق فقال صراط الذين الى آخره أي النبيين والصديقين فهم أحسن الرفقاء ثم اذا وجد الطريق خيف قطاع الطريق فقال غير الى آخره واذا أمن منهم خيف الضلال في الطريق لاشتباه معالمه فقال ولا الضالين انتهى (وحكى الماوردي) السابق ذكره (ذلك في تفسير صراط الذين أنعمت عليهم عن عبد الرحمن بن زيد) بن أسلم المدني وهو يروي عن أبيه وابن المنكدر وروى عنه أصبغ وقتيبة وهشام وضعفوه وله تفسير وترجمة في الميزان وأخرج له أصحاب السنن وتوفي سنة اثنين وثمانين بعد المائة وفي تفسير الصراط بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم واتباعه من الثناء والتعظيم مالا يخفى لاسيما ذكره في أم الكتاب ومبدئه الواجب قراءته في كل صلاة وهو ذكر اسم السورة على خلاف عادته كما مر (وحكى أبو عبد الرحمن السلمي) مر ذكره وترجمته (عن بعضهم في تفسير قوله تعالى فقد استمسك بالعروة الوثقى انه محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) أول الآية (فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد) الى آخره والطاغوت ما يعبد من دون الله وقيل الشيطان وفي وزنه واشتقاقه كلام في التفسير واستمسك مبالغة في التمسك يقال مسك وأمسك وتمسك واستمسك بمعنى والعروة في الاصل النبات الثابت في الارض ويقال لما تعقد في الحبل ليدخل فيه اليد للتمسك ومنه عروة القميص والكوز

(قال) أي أبو الليث (فبلغ ذلك) أي فوصل تفسير أبي العالية هذا (الحسن) أي من عاصم (فقال صدق والله) أي في البيان (ونصح) أي الامة في هذا التبيان وحكى الماوردي ذلك أي القول المذكور (في تفسير صراط الذين أنعمت عليهم عن عبد الرحمن بن زيد) أي ابن أسلم المدني روى عن أبيه وابن المنكدر وعنه أصبغ وقتيبة وهشام ضعفوه له تفسير وقد أخرج له الترمذي وابن ماجه ووالده زيد روى عنه البخاري بواسطة (وحكى أبو عبد الرحمن السلمي عن بعضهم) أي بعض العارفين (في تفسير قوله تعالى فقد استمسك) أي تمسك (بالعروة الوثقى انه) أي العروة الوثقى وتذكيره باعتبار خبره وهو (محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) اذ من وثق به نجا ومن تبعه اهتدى

(وقيل) أي المراد بالعروة (الاسلام وقيل شهادة التوحيد) والمآل متحد عبارا تناشتى وحسنك واحد (وقال سهل) أي التستري (قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لاتحصوها قال) أي سهل (نعمته بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم) ويروى نعمته محمد عليه الصلاة والسلام والاول هو الصحيح لعدم صحة الحمل في الثاني اللهم الا أن يقال التقدير نعمته نعمة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم والاضافة الى الجلالة نظرا الى الحقيقة والاصالة والمراد بنعمته انعامه به علينا اذ انعامه أصل النعم لصدورها عنه فائضة علينا لايحصى عد أنواعها اجمالا فضلا عن افرادها تفصيلا

ثم استعيرت لكل مايستعصم به ويلتجأ اليه ووثقى فعلى من الوثاقة وهي الاحكام والشد الوثيق الربط المحكم الذي لا انفصام له أي لا انقطاع ولا انفصال فاذا أريد بها النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فهو استعارة ومجاز على المجاز لشهرة الاول والتحاقه بالحقيقة والمراد ان من صدق وآمن به سلم من كل سوء في الدنيا والآخرة فهو استعارة تصريحية والاستمساك ترشيح أو استعارة تبعية فان فسرت بالتوحيد والاسلام كما روى عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في صحيح البخاري فالمراد ان نفعه والسلامة بسببه محكمة متصلة في الدارين وصاحبه آمن من السقوط والانقطاع وقوله عن بعضهم قال بعض الشراح لم يسمه ولم أره ولا وجه لاستبعاد ماذكر مع صحته وظهور وجه التجوز فيه (وقيل الاسلام وقيل شهادة التوحيد) أي قال بعضهم هذا معنى العروة الوثقى وهو ظاهر مما مر وشهادة التوحيد قول أشهد أن لا اله الا الله وقريب منه تفسيره بلا اله الا الله وهي كلمة التوحيد أي الايمان بوحدانية الله تعالى عز وجل قيل وأول هذين القولين الصق بقوله تعالى فمن يكفر بالطاغوت) الى آخره وعليهما ففيه ثناء على ماجاء به محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ويلزمه الثناء عليه نفسه والظاهر عند التجاني غيره وان الآية استعارة لعقده لنفسه عقدا وثيقا لايزل معه قدمه ومن شان العرب تشبيه المعاني بالذوات المرئية فيشبه في الآية التمسك بالدين بالتمسك بعروة وثيقة لاتنقطع ونحوه قول السعد في شرح الكشاف شبه التدين بالدين الحق والثبات على الهدى والايمان بالعروة الوثقى في الحبل المحكم المامون من انقطاعه فذكر المشبه به وأريد المشبه ولايمتنع كون العروة استعارة للعهد أو الكتاب كما في قوله تعالى واعتصموا بحبل الله انتهى وعد هذا أقرب من استعارته لذات النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لايرد عليه شيء مما مر (وقال سهل) هو سهل بن عبد الله التستري وقد قدمنا ترجمته (في قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لاتحصوها قال نعمته بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم) في هذه الآية بلاغة عظيمة حيث قال نعمة الله ولم يقل نعم الله والتاء للوحدة بحسب الاصل والعد يقتضي الكثرة ولذا قال الحساب او احد ليس بعدد الا أنه قد يعم ويستغرق نوعية أو جنسية فلك أن تقول فيه ايماء الى ان النعمة الواحدة ولو كانت الواحدة حقيقة تشتمل على نعم لاتحصى فالصحة نعمة واحدة مثلا وهي تشتمل على صحة كل جزء جزء في كل حين ظاهرا او باطنا فلو أراد أحد تفصيلها عجز وفي حواشي المطول للسيرامي المعنى ان تشرعوا في عد افراد نعمة من نعم الله لاتطيقون عدها وانما أتى بان وعدم العد مقطوع به نظرا الى توهم انه يطاق انتهى وأصل معنى الاحصاء العد بالحصا وكانت العرب تفعله كما قال الاعشى

ولست بالاكثر منهم حصى ☆ وانما العزة للكاثر

ثم صار حقيقة في العد مطلقا والمراد هنا الحصر والاستقصاء لان مالا يستقصى كذلك لايعد والا لكان المعنى ان تعدوا نعم الله لاتعدوها أو المراد ان تريدوا عدها وقوله قال أعاده تأكيدا للاول وللفصل بين كلام الله وتفسيره والقائل هو سهل والنعمة تكون بمعنى الانعام والمنعم به فان أريد الاول فالباء للتعدية تقول أنعم عليه بكذا او محمد صلى الله تعالى عليه وسلم هو المنعم به لانه النعمة العظمى لكونه رحمة لسائر الخلق كما وقع في نسخة مروية عن المصنف نعمته محمد من غير باء وان أريد الثاني فالباء سببية فالمعنى نعمته كائنة بسببه أو انعامه ففيه فوائد ومنافع لاتحصى فلا منافاة بين عدم الاحصاء وكون المنعم به محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم فلا وجه لما قيل من انه من أعظم النعم والمراد بالمعنى الاعم المتناول لها بقوله لاتحصوها والا فالنعمة به من أعرف المعارف المعلومة والاحصاء انما يكون في المعدود لقوله تعالى وأحصى كل شيء عددا انتهى واضافة نعمة يجوز ان تكون للعهد أو الاستغراق لان الاضافة تاتي لما تاتي له اللام كما تقرر في الاصول فعدم الاحصاء لها أو لما يترتب عليها

(وقال

(وقال الله تعالى والذى جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون الآيتين أكثر المفسرين على ان الذى جاء بالصدق هو محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) وفى المراد بالذى هنا تفاسير منها انه محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وعليه أكثر المفسرين وهو فى غاية الوضوح واقتصر عليه المصنف رحمه الله تعالى لمناسبته لما عقدله الفصل من المدح والثناء عليه بانه صادق مصدق وقيل هو جبرائيل عليه الصلاة والسلام وقيل انه مفرد لفظا جمع معنى لان تقديره الفريق أو الجنس الذى بعضه جاء بالصدق وهو النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وبعضه صدق به وهم المؤمنون وقيل معنى جاء بالصدق آمن بالصدق الذى هو لا اله الا الله أو القرآن فاولئك هم المتقون مبنى على ان المراد هو ومن تبعه كما فى قوله تعالى ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون أو تنزيل الواحد منزلة الجماعة تعظيما اه وقال التفتازانى الاوجه ان يراد بالثانى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم والامة فاولئك على ظاهره وفيه نظر واختلف فى تفسير الذى صدق به كما أشار اليه المصنف رحمه الله تعالى بقوله (وقال بعضهم وهو) أى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم (الذى صدق به) المراد بالبعض ابن عباس رضى الله تعالى عنهما لانهم نقلوا هذا التفسير عنه ومعنى صدق به آمن به كما فى الكشاف وفى المعالم معناه صدق الرسول به أى بلغه الى الخلق وقال البيضاوى صدق به الناس فاداه اليهم كما نزل أو صار صادقا بسببه لانه معجز يدل على صدقه انتهى وقيل فى [illegible] اخفاء الا ان يقال معناه جعل الخلق مصدقا به وهو بالتبليغ فليتأمل وقيل ضمير به للصدق فيتناول الرسول والمؤمنين والذى مبتدأ خبره أولئك وهذه الآيات قد دلت على انه صلى الله تعالى عليه وسلم جاء من عنده به بصدق دلت معجزاته على صدقه قطعا وانه صدق جبرئيل عليه الصلاة والسلام فيما آتاه به ووصفه بانه متق وحصر التقوى فيه لان المراد به تقوى كاملة لا تتيسر لغيره والحصر من تعريف الطرفين وفيه مدح عظيم له واعلم ان الذى قد يأتى بمعنى الذين ويغنى عنه فى غير تخصيص كثيرا اذا أريد به الجنس لا افرادا منه مخصوصة فلفظه مفرد ومعناه جمع لتقدير موصوف له مفرد اللفظ مجموع كالفريق ونحوه كما مر وفى شرح التسهيل التقدير فى هذه الآية الجمع أو الفريق الذى جاء الى آخره فله جهتان بحسب اللفظ والمعنى روعى اللفظ فوصف بالمفرد وروعى المعنى فعاد عليه ضمير الجماعة كقوله تعالى كمثل الذى استوقد نارا وليس الذى أصله الذين فخفف بحذف النون كما جوزه بعض النحاة لانه لو كان كذلك لم يجز افراد عائده فان أريد بالموصول جماعة معينة لم يجز افراده الا نادرا كقوله

وان الذى حانت بفلج دماؤهم * هم القوم كل القوم يا أم خالد

قال ابن مالك فى شرح التسهيل (وقرئ) فى الشواذ والقارئ هو عكرمة وأبو صالح (وصدق على التخفيف) قال فى المصباح صدق خلاف كذب وصدقته يتعدى ولا يتعدى وصدقته بالتثقيل نسبته الى الصدق وقلت له صدقت انتهى والصدق يكون فى الافعال أيضا فيقال حمل حملة صادقة كما قاله الراغب أى أخبر عن الله بما هو صحيح نسبته الى الله مطابق لما فى الواقع وهو أيضا معتقد ومصدق به كانه قد يقول الانسان أمرا واقعا لا يعتقده كقول الدهرى العالم حادث أوجده الله أو المراد انه صدق فى تبليغه الوحى كما أنزل اليه وقيل المعنى انه صادق بسببه لكونه معجزة له فسقط ما قيل من أنه مكرر مع قوله الذى جاء بالصدق والتأسيس أولى من التأكيد مع ما فيه من الخطا وترك الادب لان القراءة لا يعترض عليها ولو كانت شاذة (وقال غيرهم) وفى نسخة قال غيره والافراد نظرا لافراد لفظ البعض والجمع نظرا الى المعنى لانهم جماعة والقائل قتادة ومقاتل (الذى صدق به المؤمنون) يعنى على القراءتين وتفسير الذى جاء بالصدق بمحمد صلى الله تعالى عليه

(وقال تعالى والذى جاء بالصدق) أى بالحق المطابق للواقع (وصدق به) أى جمع بين مجىء الصدق واتيان التصديق (أولئك هم المتقون) أى فى التحقيق وجمع المشار اليه بالنظر الى ان معنى الموصول الجنس المفيد للعموم فالمراد بهم الانبياء عليهم الصلاة والسلام أو نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم والجمع من حيث انه الفرد الاكمل للتعظيم أو المراد هو وأمته وهذا أظهر فى باب التكريم (الآيتين) فيه ان البقية ليس لها دخل فى القضية (أكثر المفسرين على ان الذى جاء بالصدق هو محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) أى لان الكلام فيه والمراد هو وحده أو ومن معه من الانبياء أو أمته من الاصفياء (وقال بعضهم وهو الذى صدق به) وهو الظاهر لعدم اعادة الموصول (وقرئ صدق به بالتخفيف) وهو يؤيد انه هو الذى صدق به لان الثانى متعين فيه (وقال غيرهم الذى صدق به المؤمنون) وفيه اشعار بتقدير الموصول وهو جائز عند بعض أرباب الاصول

منه التصديق على خلاف بين المرتضى والتصديق (وقيل غير هذا من الاقوال) ومن جملتها ما أشرنا اليه في سابق الحال (وعن مجاهد رضي الله تعالى عنه) أي ابن جبير بفتح جيم فسكون موحدة وقيل جبير بالتصغير وروى عن أبي هريرة وابن عباس وعنه قتادة وابن عون كان اماما في القراءة والتفسير حجة في الحديث قال كان ابن عمر يأخذ لي بركابي ويسوي على ثيابي اذا ركبت قيل انه رأى هاروت وماروت وكاد يتلف أخرج له الستة (في قوله تعالى الا بذكر الله تطمئن القلوب قال بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم وأصحابه) أي بما يذكر ويروى عنه وعن أصحابه لما يفيد من الدلالات اليقينية والافادات العلمية في الامور الشرعية مما تطمئن به القلوب وتسكن به النفوس أو بمجرد ذكره وذكر أصحابه فان عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة وعند نزول الرحمة يحصل للقلوب الاطمئنان والسكينة

وسلم فالاخبار باولئك الى آخره على ظاهره لكنه كما قيل يلزم فيه تقدير موصول أي والذين صدقوا به وهو ممنوع عند بعض النحاة وجوزه آخرون وقال انه الحق رواية ودراية اذا دل عليه دليل ومنه قوله تعالى وقولوا آمنا بالذي أنزل الينا وأنزل اليكم أي وما أنزل اليكم وقول حسان رضي الله تعالى عنه

فمن يهجو رسول الله منكم * ويمدحه وينصره سواء

وارتضاه ابن مالك والمانعون يمنعون تخريج الآية عليه ويقولون هي حالية بتقدير قد أو يقولون الذي بمعنى الجنس الذي الخ من غير حاجة الى التقدير (وقيل أبو بكر رضي الله تعالى عنه وقيل علي كرم الله تعالى وجهه وقيل غير هذا من الاقوال) كتفسيره بجبريل أو بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل الذي جاء بالصدق وصدق به المؤمنون الذين يجيئون في القيامة بالقرآن ويقولون هذا هو الذي جاء بالصدق وقد اتبعناه واما تخصيص أبي بكر رضي الله تعالى عنه فلانه الصديق الاكبر الذي سبق الناس كلهم لتصديقه صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يصدر منه غيره قط وكذا علي كرم الله وجهه فانه يسمى الصديق الاصغر الذي لم يتلبس بكفر قط ولم يسجد لغير الله مع صغره وكون أبيه على غير الملة ولذا خص بقول كرم الله تعالى وجهه وقيل تخصيصهما للاولية في التصديق أو للتصديق في أول اللقاء وهذا منقول عن مجاهد ولا يرد على هذا ولا على ما قبله انه يلزمه حذف الموصول بدون الصلة أو ان يراد بموصول مع صلة شيء ومنه مع صلة أخرى آخر لان الموصول هنا واحد لفظا جمع معنى بتقدير موصوف كذلك كفريق ونحوه والصلة له على التوزيع أي جمع بعضه جاء به وبعضهم صدقه فلا محذور فيه كما ذكره الطيبي وهذا جار في الوجه الاخير اذ لا مانع منه فلا وجه لقول القاضي ومن تبعه انه اذا كان الجائي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والمصدق أبو بكر ونحوه يلزم اضمار الذي وهو غير جائز مع انه ذكر هذا في الوجه السابق وليس بينهما فارق والفرق بانهما فردان متشخصان هنا لا يجدي نفعا للماهر ولا حاجة الى ان الذي أصله الذين فخفف بحذف النون لطوله بالصلة أقول الذي غر هؤلاء ان الذي لا يراد به متعدد الا اذا كان غير مخصص بمعين قال في التسهيل يغني عن الذين الذي في غير تخصيص كثيرا وفيه للضرورة قليلا انتهى (وعن مجاهد) قال السيوطي رواه عنه ابن جرير وابن أبي حاتم ومجاهد من كبار التابعين وهو أبو محمد بن جبر بفتح الجيم وسكون الموحدة والراء المهملة المقرئ المفسر الزاهد العابد روى عنه أصحاب السنن وغيرهم وهو ثقة المحدثون كما ذكره الذهبي في ترجمته ومولده في خلافة عمر رضي الله تعالى عنه سنة احدى وعشرين وتوفي بمكة سنة اثنين أو ثلاث ومائة وهو ساجد وقيل كنيته أبو الحجاج وان اسم أبيه جبير بالتصغير وقيل انه رأى هاروت وماروت فكاد يتلف (في قوله تعالى ألا بذكر الله تطمئن القلوب قال بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم وأصحابه رضي الله تعالى عنهم) قيل انه مبالغة لكونه سببا للذكر آمرا به جعل عين الذكر كرجل عدل أو على تقدير مضاف أي ذكر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كقوله تعالى ذكر رحمت ربك ولا وجه لما قيل من انه بعيد خارج عن النص وافراده على المعنى الاول نظرا الاصله فانه يستوي فيه الواحد المذكر وغيره واطمئنان القلب سكونه وعدم اضطرابه يقال اطمأن بالموضع اذا قام به واتخذه وطنا وموضع مطمئن منخفض واختلف أهل اللغة فيه فقيل ان اطمأن كاجار ثم همز وقيل كانت الهمزة مقدمة على الميم فقلبت والمشهور ان الذكر على ظاهره واطمئنان القلب به لاستئناسه به والتعبير بالمضارع للاستمرار التجددي لدوام ذكره وروى عن مجاهد أيضا أن المراد بذكر الله هنا القرآن وفي الحديث القدسي اذا كان الغالب على

(الفصل الثاني) (في وصفه تعالى له) وفي نسخة في وصفه له تعالى وهو خطأ فاحش (بالشهادة وما يتعلق به من الثناء والمدح والكرامة) المراد بالشهادة شهادته صلى الله تعالى عليه وسلم بالتزكية للامة أو بالتبليغ للانبياء في موقف القيامة بناء على الاحتمالين المفهومين من قوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا وقوله

وما يتعلق به أي بوصفه فهو تعميم بعد تخصيص ببعضه ونسخة صحيحة وما يتعلق بها والمتبادر أنها ترجع الى الشهادة والتحقيق أنها لمعنى ما المبين بما بعدها (قال الله تعالى يا أيها النبي انا أرسلناك شاهدا) أي على ما بعثت اليهم بتصديقهم وتكذيبهم ونجاتهم وضلالهم يوم القيامة أو شاهدا لله بالوحدانية أو مشاهدا له بالصمدانية (ومبشرا) أي للمؤمنين بالجنة والوصلة (ونذيرا) أي منذرا ومخوفا للكافرين بالحرقة والفرقة ولعل وجه العدول عن منذرا الى نذيرا مراعاة للفاصلة أو تفنن في العبارة ولذا لم يقل بشيرا مع انه بمعنى مبشر (الآية) وتمامها وداعيا الى الله أي الى الاقرار به وبتوحيده باذنه أي بتيسيره أو بامره وهو قيد لجميع ما تقدم لا للدعوة وحدها كما يستفاد من البيضاوي والله تعالى أعلم وسراجا منيرا أي يستضاء به من ظلمات الجهالة ويقتبس من نوره ما يتخلص به عن الضلالة (جمع الله تعالى له في هذه الآية) أي بعد ما يتعلق به عين العناية وتحقق له كمال الرعاية (ضروبا) أي أنواعا وأصنافا (من رتب الاثرة) بضم راء وفتح تاء جمع رتبة بمعنى المنزلة والمرتبة المخصوصة والاثرة محركة وبالضم وبالكسر ما يستأثر به على غيره والاثرة بالضم المكرمة المتوارثة كالمأثرة على ما في القاموس وقال النووي بالفتحتين هو الافصح (وجملة أوصاف) أي وجمع له نعوتا مجملة أو كثيرة (من المدحة) بكسر الميم أي الثناء والذكر الحسن واذا افتحت الميم قلت

عبدي الاشتغال بذكري جعلت همه ولذته في ذكري اللهم اجعلنا ممن تطمئن قلبه بذكرك ويكون همته مصروفة بحمدك وشكرك

(الفصل الثاني في وصفه تعالى له بالشهادة) أي بانه صلى الله عليه وسلم شاهد على أمته بالتبليغ اليهم وعلى سائر الامم بتبليغ أنبيائهم لهم وفي بعض النسخ الصحيحة في وصفه له تعالى بتقديم له والمعنى ظاهر وليست احدى النسختين جديرة بالحك والحكم بالسقم كما قيل لظهور المعنى وان ضمير وصفه والمستتر في قوله تعالى لله وضميراه للرسول وتوهم خلافه بعيد كما في قوله تعالى لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلا فانه لا يتوهم عود ضمير تسبحوه لرسوله والقول بعوده له على أن المعنى يسبحوا معه مستبعد جدا والشهادة مشتقة من المشاهدة وهي المعاينة والمراد بها الخبر القاطع تقول شهد على كذا ويكون شهد بمعنى حضر (وما يتعلق بها من الثناء والكرامة) أي الاكرام له ويكون اسم مصدر بمعنى الحاصل بالمصدر وهو الاكرام يعني أن المقصود في الفصل الاول ثناء الله ومدحه لنبيه صلى الله عليه وسلم بكونه أنفس الناس ذاتا وحسبا ونسبا وكونه خيرا ورحمة عامة في حياته ومماته وكونه نورا محضا منور العالم وكونه ذا صدر واسع منشرح ورفعة قدره واسمه بمقارنته لاسم ربه وذكره وانه الصراط المستقيم والمقصود هنا ان الله جعله شاهدا على أمته وسائر الامم وأنبيائهم وما ذكر فيه من الثناء والاكرام مذكور بالتبعية للشهادة استطرادا لمناسبته له وبهذا تبين مغايرة ما عقد له الفصلان فلا تكرار ولا عموم ولا خصوص بقرينة المقابلة كما قيل وستقف عليه قريبا (قال الله تعالى يا أيها النبي انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا الآية) أي وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا كما مر وشاهدا وما عطف عليه حال مقدرة ومن عادة المصنف رحمه الله أن يذكر الآية في محل لغرض ثم يسوقها في محل آخر لغيره فذكر هذه الآية أولا لتأييد كونه نورا ثم ذكرها هنا لكونه شاهدا على التبليغ فلذلك قال (جمع الله تعالى له) صلى الله عليه وسلم (في هذه الآية ضروبا) أي أنواعا جمع ضرب أي صنف أو هو جمع ضرب وضرب بالفتح والكسر وهو النظير أي أمورا متناسبة متماثلة (من رتب الاثرة وجملة أوصاف من المدحة) رتب بضم ففتح جمع رتبة وهي كالمرتبة والمنزلة المقام المعنوي والاثرة كما في المقتفى بضم الهمزة وسكون المثلثة ثم راء مهملة يليها تاء تانيث كذا ضبط هنا والاثرة بالفتح في الهمزة والثاء وبضم الهمزة وكسرها مع اسكان الثاء الاستبداد بالشئ والانفراد به والمدحة بكسر الميم الثناء والذكر الحسن فاذا افتحت الميم قلت المدح انتهى وقيل الاثرة بضم الاول وكسره وسكون المثلثة وبفتحهما وهو الافصح كما ذكره النووي الانفراد بالشئ ويكون اسما لما به الانفراد كذا قرروه ومقتضاه أن في الآية أمورا مخصوصة انفرد بها صلى الله عليه وسلم وليس كذلك فالوجه أنها بالضم المكرمة كما في القاموس أو المراد الافراد بالذكر أو في الجملة أو تحمل الاوصاف على معنى يختص به يعني أنها اذا فسرت بالمكرمة والفضيلة فلا اشكال في كلام المصنف رحمه الله تعالى وان فسرت بالانفراد اقتضى أن ما ذكر هنا من خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم وليس كذلك فيحتاج للتاويل بما قاله وقد تبعوا فيه بعض الشراح في اعتراضه بقوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك

على هؤلاء شهيد الان قوله هؤلاء المبعوث اليهم اللهم الا أن تحمل الاشارة على جميع أهل المحشر ولا دليل فيه انتهى ولا يخفى ان ماذكر من الجواب والسؤال لا وجه له أما الاول فلان قوله الآتي وهي من خصائصه يا باه وأما الثاني فلانه بعد تفسير الشهادة بانها شهادة على الامة بابلاغهم ما أرسله الله تعالى به والبشارة لمن أطاعه في ذلك والنذارة لمن عصاه كيف يتوهم مشاركة غيره له في ذلك وهذا مما يقتضى منه العجب عندي وهذا حديث اجمالي فلذلك فصله فقال (فعله شاهدا على أمته لنفسه بابلاغهم) مصدر مضاف الى مفعوله الاول أي بسبب ابلاغه اياهم (الرسالة) مفعوله الثاني وأعجب منه أنه فسره بقوله أي مقبولا قوله عند الله من غير طلب بينة كما هو شان الشاهد العدل صرح به الزمخشري فالشهادة مجاز انتهى (وهي) أي شهادته عليهم لنفسه (من خصائصه) صلى الله تعالى عليه وسلم وقال الفاضل ابن الحنبلي انما كانت الشهادة المذكورة من خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم لان غيره من الانبياء عليهم الصلاة والسلام وان كان ذا شهادة بمقتضى قوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا الا أنه مطالب بالبينة وشهادته لا تقبل الا بشهادة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وأمته له بالتبليغ لقومه لانه صلى الله تعالى عليه وسلم أخبرنا بالتبليغ لامهم فنحن نشهد بذلك وقد بين الله تعالى هذا بقوله تعالى لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا فقد ولانا الله ببركته الشهادة على جميع الخليقة وجعلنا أولا مكانا وان كنا آخر زمانا فلله الحمد على ذلك وفي البخاري انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال يدعى بنوح عليه الصلاة والسلام يوم القيامة فيقول لبيك رب فيقول هل بلغت فيقول نعم فيقال لامته هل بلغكم فيقولون ما أتانا من نذير فيقول له من يشهد لك فيقول محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وأمته فيشهدون الحديث وقيل الشهادة في هذه الآية شهادة للانبياء عليهم الصلاة والسلام بتبليغهم وهي من خصائصه أيضا بالنسبة لبقية الانبياء عليهم الصلاة والسلام لشهادة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم عليهم بذلك وقدم في الفصل الاول عن اللباب ما فيه تعميمها لشهادات متعددة وهو الوجه حيث لا مخصص انتهى وفي شرحه هنا خبط وخلط لا حاجة لنا به (ومبشر الاهل طاعته ونذير الاهل معصيته) فيه كلام سيأتي في الفصل التاسع والانذار والتخويف والاعلام بما يحذر منه والتبشير الاخبار بما يظهر سرور المخبر به ولذا قالوا لو قال شخص لعبده أيكم بشرني بقدوم زيد فهو حر فبشروه فرادى عتق أولهم لانه هو الذي أظهر سروره فلو قال أخبرني عتقوا جميعا ومنه البشرة وتباشير الصبح وأما قوله تعالى فبشرهم بعذاب أليم فعلى التهكم كقوله تحية بينهم ضرب وجيع فهو مجاز من استعمال اللفظ في ضد معناه كذا في الشرح الجديد وفيه خطأ فاحش تبع فيه غيره فان أردت تحقيقه فانظره في حواشينا على البيضاوي فانك لا تجده في غيرها (وداعيا الى توحيده وعبادته) داعي اسم فاعل من الدعوة وهي طلب الاقبال أي انه صلى الله تعالى عليه وسلم دعا الناس الى اعتقاد وحدانية الله تعالى ونفي الشريك والايمان به تعالى وعبادته قال في المصباح دعوة الله تعالى ابتهلت اليه بالسؤال ودعوت زيدا ناديته وطلبت اقباله فمن قال ان أصل الدعوة للطعام لم يصب والعبادة خدمة الله والخضوع له ولا يتم الا بالاخلاص فلذا قال تعالى وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين وتفسير التوحيد هنا بالدين عدول عن الظاهر بلا سبب وقيل ان المصنف رحمه الله أشار الى أن الدعاء الى الله يراد به الدعاء الى الاقرار بوجوده وتوحيده وما يجب الايمان به من صفاته وما يجب تنزيهه عنه وقيده بقوله باذنه أي تيسيره اشارة الى أنه أمر صعب لا يتأتى الا بمعونته ويجئ بمعنى العلم كقوله تعالى وما هم بضارين به من أحد الا باذن الله وقوله تعالى وما كان لنفس أن تموت الا باذن الله أي بعلمه وتوفيقه انتهى أقول هذا كلام غير منقح والتحقيق فيه ما قاله العز بن عبد السلام في كتاب

مجاز

المدح (فعله) أي الله تعالى (شاهدا على أمته لنفسه) أي لذاته الشريفة (بابلاغهم الرسالة) من اضافة المصدر الى مفعوله أي بابلاغه اياهم ما يتعلق بامر الرسالة (وهي) أي هذه الخصلة التي هي الشهادة لنفسه على الامة بدون البينة (من خصائصه عليه الصلاة والسلام) أي حيث لم يجعل غيره شاهدا بنفسه لنفسه على أمته فان الانبياء عليهم الصلاة والسلام اذا جحدت أممهم تبليغهم اياهم فشهدوا لانفسهم به فان الله تعالى يطالبهم بالبينة وهو أعلم فنشهد لهم به فتقول أممهم لنا بم عرفتم ذلك فنقول باخبار الله تعالى لنا في كتابه فيسئل الله تعالى نبينا عنا فيزكينا بشهادة وكذلك جعلناكم أمة وسطا الآية وكفى بها حاكما على كون الاجماع حجة (ومبشر الاهل طاعته) أي بالثواب العظيم (ونذير الاهل المعصية) أي بالعقاب الاليم (وداعيا الى توحيده وعبادته) أي من الدين القويم وفي أصل الدلجي وداعيا الى الله باذنه على وفق الآية أي بتيسيره

وتسهيله

(وسراجا منيرا) أي مضيئا (يهتدى به للحق) بصيغة المجهول أي يهتدي الخلق به الى الحق كما يهتدى بنور السراج نور الابصار والى صراط مستقيم (حدثنا الشيخ أبو محمد بن عتاب رحمه الله) بفتح مهملة وتشديد فوقية فوحدة قال الحجازي ليس للقاضي عياض رواية عن محمد بن عتاب وانما يروي عن أبي محمد بن عبد الله بن محمد بن عتاب انتهى وكذا قال التلمساني هو عبد الله بن محمد بن عتاب سمع منه القاضي في رحلته الى الاندلس انتهى وقال العسقلاني هو مسند الاندلس في زمانه عبد الرحمن بن محمد ابن عتاب القرطبي الاندلسي سمع من أبيه وكان واسع الرواية فاكثر عنه وعن حاتم بن محمد الطرابلسي وغيرهما وأجازله جماعة من الكبار منهم مكي ابن أبي طالب المقري وكان ابن عتاب عارفا بالقراآت ذاكرا الكثير من التفسير والعربية واللغة والفقه كريما متواضعا زاهدا ومات سنة عشرين وخمسمائة (حدثنا أبو القاسم حاتم بن محمد) أي ابن عبد الرحمن بن حاتم التميمي المعروف بابن الطرابلسي وقد قرأ عليه أبو علي الغساني صحيح البخاري مرات (حدثنا أبو الحسن) أي علي بن محمد بن خلف المغافري القروي (القابسي) بكسر الموحدة وانما قيل القابسي لان عمه كان يشد عمامته شدة أهل قابس توفي سنة ثلاث وأربعمائة بمدينة القيروان ودفن بباب تونس (حدثنا أبو زيد المروزي) وهو محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد الامام البارع المحقق النحرير المدقق الزاهد العابد المجمع على جلالته وعظمته قال الحاكم جاور بمكة وحدث بها وببغداد بصحيح البخاري عن الفربري وهو أجل الروايات بجلالة أبي زيد توفي بمرو سنة احدى وسبعين وثلثمائة

مجاز القرآن ان أذن الله مشيئته وارادته لان الغالب في الاذن أن لا يقع الا بمشيئة واختيار والملازمة الغالبة تصحح المجاز أو بامر التكوين فان الامر يلازمه مشيئة الامر غالبا وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله تعالى فهزموهم باذن الله بامر الله وقوله كن وهو من مجاز التمثيل شبه سهولة الاشياء بقدرته بسهولة هذه الكلمة على الناطق بها تفهيما لسرعة نفوذ مشيئته وقدرته فيما يريده ويعبر بالاذن عن التيسير والتسهيل كما في قوله تعالى والله يدعو الى الجنة والمغفرة باذنه أي بتيسيره وتسهيله اذ لا يحسن أن يقال دعوته باذني ولا قمت وقعدت باذني ولذا قال الزمخشري يجوز أن يراد بالاذن هنا الامر أي يدعوكم الى المغفرة بامره اياكم بطاعته وكلاهما من مجاز الملازمة انتهى (وسراجا منيرا يهتدى به للحق) وروى يهدى به وهو اشارة الى وجه التشبيه وتنويره وكلاهما مجهول مضموم الياء مروى عن المصنف رحمه الله تعالى وقدم تفسيره وانه صلى الله تعالى عليه وسلم يهتدى به في ظلمات الجهالة ويقتبس من أنواره وقد وصفه الله تعالى في هذه الآية بخمس صفات قابل كلا منها بما يناسبها غير صفة الشهادة اذ لم يقل له راقبني لان الامر بالمراقبة يناسب المشاهدة فما بعده كالتفصيل له فقابل البشارة ببشارة المؤمنين بالفضل الكبير وقابل الانذار بالنهي عن متابعة الكفار والمبالات باذاهم وقابل الدعوة بتيسيره بالامر بالتوكل عليه والسراج المنير بالاكتفاء به لان من أتاه الله برهانا حقيق بان يكتفى به عمن سواه وقال ابن عطية رحمه الله تعالى هذه الآية أرجى آية في القرآن لانه أمره بتبشير المؤمنين بالفضل الكبير وقد فسر هذا الفضل بقوله في آية أخرى والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات لهم ما يشاؤن عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير (حدثنا الشيخ أبو محمد بن عتاب) بفتح العين المهملة وتشديد المثناة الفوقية وألف وباء موحدة علم منقول من صفة بمعنى كثير العتب والشيخ فوق الكهل وهو في العرف اسم لكل من تصدى لافادة العلم كما مر وهو عبد الرحمن بن عتاب شيخ المصنف رحمه الله تعالى سمع منه في رحلته للاندلس وهو من علماء الحديث توفي في جمادى الاولى سنة عشرين وخمسمائة وله سبع وثمانون سنة قال (حدثنا أبو القاسم حاتم بن محمد) وهو أبو القاسم حاتم بن محمد بن عبد الرحمن بن حاتم التميمي المعروف بابن الطرابلسي تلميذ أبي علي الغساني قرأ عليه البخاري مرات وروى عنه وعن القابسي وغيره قال (حدثنا أبو الحسن القابسي) وهو الحافظ الفقيه العلامة أبو الحسن علي بن محمد بن خلف المغافري أخذ بافريقية عن ابن مسرور بن الدباغ ودارس بن اسمعيل وبمصر عن حمزة بن محمد الحافظ ولد سنة أربع وعشرين وثلاثمائة وتوفي في ربيع الآخر سنة ثلاث وأربعمائة بمدينة القيروان وكان ضريرا وكتبه في نهاية الصحة ضبطها له ثقات أصحابه والقابسي بقاف وألف وباء موحدة وسين مهملة وياء نسبة لقابس وهي بلدة بالمغرب بين سفاقس وطرابلس ولم يكن منها ولكنه عرف بعمه وعمه كان يشد عمامته شد أهل القابس قال (حدثنا أبو زيد المروزي) وهو محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد الامام النحرير الزاهد العابد المجمع على جلالته وعظمته جاور بمكة وحدث بها وببغداد بصحيح البخاري عن الفربري وهي أجل الرواية عنه لجلالة أبي زيد وتوفي بمرو يوم الخميس ثالث عشر رجب سنة احدى وسبعين وثلاثمائة وترجمته مشهورة ونسبته لمرو البلدة المعروفة واذا نسب اليها الناس زيدت الزاي على خلاف القياس وفي الثياب وغيرها يقال مروى فرقا بينهما ومن اللطائف قولي في هذا في أرجوزة

(حدثنا أبو عبدالله محمد بن يوسف) بتثليث السين و بالهمز والابدال كيونس وهو ابن مطر بن صالح بن بشر بن ابراهيم الفربري وكان ثقة ورعا توفى سنة عشرين وثلاثمائة قال أبو نصر الكلاباذي كان سماعه لهذا الكتاب يعني صحيح البخاري من محمد بن اسمعيل البخاري مرتين مرة بفربر سنة ثمان وأربعين ومائتين ومرة ببخاري سنة اثنتين وخمسين ومائتين انتهى وروى انه قال سمعت الجامع بفربر فى ثلاث سنين وفربر مدينة بخراسان بكسر الفاء أو بفتحها وفتح الراء الاولى فقيل الكسر أكثر وقيل الفتح أشهر (قال حدثنا البخاري) وهو أظهر من أن يذكر وهو أبو عبدالله محمد بن اسمعيل البخاري وقد روى عنه الترمذي وابن خزيمة وجماعة والصحيح ان النسائي لم يسمع منه وكان اماما حجة حافظا فى الحديث والفقه مجتهدا من أفراد العالم مع دينه وورعه وتالفه ذهب بصره فى صباه فرده الله تعالى عليه بدعاء أمه ومات يوم الفطر بعد الظهر سنة خمسين ومائتين (حدثنا محمد بن سنان) بكسر السين مصروف وممنوع وهو أبو بكر العوفى الباهلي ١٤٦ البصري روى عنه البخاري وأبو داود والترمذي وابن ماجه (حدثنا فليح) بضم فاء وفتح لام وسكون تحتية تصغير فالح أو أفلح مرخما وهو ابن سليمان العدوي روى عن نافع وغيره وعنه جماعة وأخرج له الائمة الستة (حدثنا هلال) أى ابن على وهو هلال بن أبي ميمونة يروى عن أنس وعطاء ابن يسار وأبي سلمة وعنه مالك وفليح وغيرهما أخرج له أصحاب الكتب الستة (عن عطاء بن يسار) بفتح تحتية وخفة مهملة وروى عن ميمونة وأبي زيد وأبي ذر وعدة وعنه زيد بن أسلم وشريك وخلق وكان من كبار التابعين وعلمائهم أخرج له الائمة الستة (قال لقيت عبدالله بن عمرو بن العاصي) اختلف فى كتابته والجمهور كما قاله النووي على كتابته بالياء وهو الفصيح عند أهل العربية ويقع فى كثير من كتب الحديث والفقه وأكثرها بحذف الياء وهى لغة انتهى وقال ابن الصلاح فى الاملاء على المسلسل بالاولية بقول كثير من أهل الضبط فى حالة الوصل بالياء جريا على الجادة والمتداول على الالسنة والمشهور حذف الياء وهو مشكل على من استظرف من العربية ولم يوغل وربما أنكره ولا وجه لانكاره فانه لغة لبعض العرب شبه ما فيه الالف واللام بالمنون لما بينهما من التعاقب وبها قرأ عدة من القراء السبعة كما فى قوله تعالى الكبير المتعال وشبهه انتهى وقد أثبت ابن كثير ياء المتعال وصلا ووقفا والجمهور على حذفها فى الحالين وأراد بشبهه التلاق والتناد فان قالون بخلاف عنه وورشا وافقا ابن كثير فى اثبات الياء وصلا لا وقفا والحاصل أن المنقوص لا خلاف فى جواز حذف لامه فى اسم الفاعل واثباته وانما الكلام على ان العاص هل هو اسم الفاعل من عصى بمعنى مرتكب العصيان أو حامل العصا أو الضارب بها أو هو معتل العين فلا يكون من هذا الباب وحينئذ اثبات الياء فيه خلاف الصواب وهو الذى اقتصر عليه صاحب القاموس حيث قال فى الاجوف والاعياص من قريش أولاد أمية بن عبد شمس الاكبر وهم العاص وأبو العاص والعيص وأبو العيص هذا وترجمة عبدالله مشهورة فى الكتب المطولة مسطورة قيل بينه وبين أبيه عمرو فى السن اثنتا عشرة وقيل احدى عشرة سنة وقد أسلم قبل أبيه وأخرج البخاري هذا الحديث منفردا عن بقية أصحاب الكتب

ومروزي جاء فى الاناسي * والثوب مروي على القياس

قال (حدثنا أبو عبدالله محمد بن يوسف) هو الفربري المشهور سمع البخاري من مصنفه مرتين مرة بفربر ومرة ببخاري ورواه وفربر بكسر الفاء وفتحها وفتح الراء المهملة وسكون الباء الموحدة تليها راء مهملة قرية من قرى بخاري وهو ثقة ورع زاهد حافظ ترجمته مشهورة ولد سنة احدى وثلاثين ومائتين وتوفى سنة عشرين وثلاثمائة لعشر بقين من شوال ويوسف اسم أعجمي مثلث السين وليس مشتقا من الاسف وان وافق ذلك لفظه فى قول الله تعالى يا أسفا على يوسف قال (حدثنا البخاري) وهو الامام الحافظ محمد بن اسمعيل بن ابراهيم الجعفي البخاري الامام الورع الزاهد المتفق على جلالته وتاليفه أصح الكتب بعد كتاب الله وترجمته مشهورة ولد سنة أربع وتسعين ومائة وتوفى بقرية خرتنك من أعمال بخاري سنة ست وخمسين ومائتين قال (حدثنا محمد بن سنان) هو محمد بن سنان العوفي الامام أبو بكر يروى عن همام وجرير بن صارم وفليح وروى عنه أصحاب السنن قال (حدثنا فليح) بفاء ولام وحاء مهملة وهو لقب له تصغير فلح صفة مشبهة من الفلاح ويحتمل أن يكون تصغير مفلح أو أفلح تصغير ترخيم وهو فليح بن سليمان بن أبي المغيرة بن حنين واسمه عبد الملك توفى سنة ثمان وستين ومائة وهو عدوي مدني روى عن سعيد بن الحارث وضمرة بن سعيد ونافع وغيرهم وروى عنه ابنه وأصحاب الكتب الستة وقال ابن معين وأبو حاتم والنسائي انه ليس بالقوي وقال الحافظ بن حجر صدوق لكنه كثير الخطا لكن الشيخان اعتمداه قال قال (حدثنا هلال) هو هلال بن على وهو هلال بن أبي ميمون يروى عن أنس وعطاء بن يسار وأبي سلمة وعنه مالك وفليح وغيرهما وأخرج له أصحاب الكتب الستة وقال النسائي ليس به باس قال الواقدي مات فى آخر خلافة هشام بن عبد الملك (عن عطاء بن يسار) بفتح الياء التحتية والسين المخففة المهملة أبو محمد المدني من كبار التابعين توفى سنة أربع وتسعين أو ثلاث ومائة وهذا الحديث تفرد به البخاري وأخرجه فى التفسير بغير هذا السند أيضا (قال لقيت عبدالله ابن عمرو بن العاص) واو عمرو مشهورة قال ابن التلمساني جوز بعضهم تركها وعبدالله هذا هو

هو أبو محمد ويقال أبو عبد الرحمن القرشي السهمي الزاهد العابد الصحابي كان بينه وبين أبيه في السن اثنتى عشر سنة وأمه ربطة بنت منبه وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يقول نعم أهل البيت عبد الله وأبو عبد الله وأم عبد الله أسلم عبد الله قبل أبيه وكان كثير العبادة والرواية عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حتى قيل انه أكثر رواية من أبي هريرة رضي الله تعالى عنه لانه كان يكتب وأبو هريرة لم يكتب وانما لم تشتهر روايته كابي هريرة لانه سكن مصر والواردون اليها قليل وأبو هريرة سكن المدينة والمسلمون يقصدونها من كل وجهة وتفصيل ترجمته مشهورة توفي بفلسطين وعمره ثلاث وسبعون سنة وعمرو أبوه اشهر من ان يذكر والعاصي يرسم بالياء وبدونها واثباتها أولى وقال ابن الصلاح كتبه كثير في حالة الوصل بالياء وفي حالة الوقف بحذفها ولا وجه لمن أنكره فانه لغة لبعض العرب شبهوا مافيه الالف واللام بالمنون لتعاقب اللام والتنوين وبها قرئ في السبعة الكبير المتعال ونحوه والذي غر المنكران النحاة خصوه بالمنكر كما ذكروه في باب الرسم (فقلت أخبرني عن صفة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) يعني صفته صلى الله عليه وسلم المذكورة في التوراة بدليل قوله في الجواب انه لموصوف في التوراة فان السؤال يعاد في الجواب صراحة أو ضمنا وهو من القواعد الاصولية كما وقع مصرحا به في الرواية الصحيحة وأخبر يتعدى للامر المسؤول عنه وللمنقول عنه الخبر أيضا كالخبر عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وان كان المشهور في الاول تعديته بالباء وهذا ما الاشبه فيه عندي فلا حاجة لما قيل من انه انما تعدى بها هنا وهو مخبر به لا عنه لتضمنه معنى الكشف أي أخبرني كاشفا عنها وموضحا لها وقوله انه يجوز ان يريد جعل صفة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم موضوعا يحمل عليه ما ذكر في التوراة وانه لا يصح تضمينه معنى السؤال تعسف خارج عن جادة الصواب وكذا ما قيل انه نظر للفظ فتدبر (قال أجل والله انه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن) أي قال عبد الله رضي الله تعالى عنه لمن قال له أخبرني عن صفته صلى الله تعالى عليه وسلم في التوراة أجل أي نعم هي مذكورة فيها لان كلامه يقتضي ان صفته صلى الله تعالى عليه وسلم مذكورة فيها وأجل كما في المغني لتصديق المخبر واعلام المستفهم ووعد الطالب وصرح في القاموس بانها تجيء بعد الاستفهام وغيره فقال أجل كنعم الا انه أحسن منه في التصديق ونعم أحسن منه في الاستفهام وقال الرضي هي لتصديق المخبر ولا تجيء بعد مافيه معنى الطلب وهو المنقول عن الزمخشري وجماعة فالوجه على هذا كما قيل انه بعد خبر ضمني وهو انه موصوف في التوراة واما تقدير الاستفهام أو جعله لتصديق خبر عن نفسه فليس بشيء انتهى وهو رد على بعض الشراح حيث قال أجل بمعنى نعم حرف ايجاب وهو مؤول عند من شرط فيه تصديق الخبر أو هو تصديق لخبر نفسه ولذا أردفه بقوله والله والتأكيد لا القسم للاعتناء به لان السائل غير منكر أو لتنزيله منزلته لغفلته عنه أو لما شاع من انكار اليهود وتحريفهم وفي شرح التسهيل أجل لتصديق الخبر ماضيا أو غيره مثبتا ومنفيا ولا تجيء بعد الاستفهام وعن الاخفش انه يجيء بعده الا انه في الخبر أحسن من نعم ونعم في الاستفهام أحسن منها ولم يذكر مجيئها بعد الطلب كما في هذا الحديث الا انه يقطع النزاع كما قيل صحح نحوك بالحديث ولا تصحح الحديث بنحوك وهذا بناء على جواز اثبات الاحكام النحوية به وفيه تفصيل في شرح المغني وفي قوله والله دليل على جواز الحلف من غير تحليف بلا كراهة وقد ورد كثيرا في الاحاديث والتوراة اسم لكتاب الله المنزل على موسى صلى الله تعالى عليه وسلم وهي كلمة غير عربية بل معربة وفي وزنها وأصل معناها كلام طويل ليس هذا محله * فان قلت عبد الله

السنة في موضعين أحدهما في التفسير وثانيهما في البيوع وهو الذي ساقه القاضي أبو الفضل منه حيث قال (فقلت) وفي نسخة قلت (أخبرني عن صفة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) قال الحلبي وقع في روايتنا أخبرني عن صفة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في التوراة ولم يذكر ههنا القاضي يعني بل ذكره فيما سياتي (قال) أي ابن عمرو (أجل) أي نعم أخبرك فكان قوله أخبرني متضمنا لمعنى أتخبرني أو الاتخبرني على ماهو مقتضى حسن الادب في العبارة وان كان الامر أيضا هنا محمولا على الالتماس دون التحكم والاجبار (والله) قسم ورد ردا للكذبين من اليهود والنصارى والمشركين (انه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن) وفيه اشعار بانه حافظ للكتابين وان ماوجد في القرآن مع ايجازه واعجازه أكثر مما يوجد في غيره من التوراة ونحوه أو ايماء الى ان اليهود حذفوا بعض صفاته من التوراة أو غيروا مبانيه أو معانيه قال الحلبي فان قيل ما الحكمة في سؤال عطاء بن يسار لعبد الله ابن عمرو عن صفة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في التوراة وهو قرشي سهمي قيل لانه كان يحفظها وقد روى البزار من حديث ابن لهيعة عن وهب عنه انه رأى في المنام كان في احدى يديه عسلا وفي الاخرى سمنا وكانه يلعقهما فاصبح فذكر ذلك لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال تقرأ الكتابين التوراة والقرآن فكان يقرأهما انتهى والظاهر ان العسل معبر بالقرآن حيث فيه شفاء للناس وايماء الى حلاوة الايمان واشعار بانه أعلى وأغلى من الادهان وان الجمع بينهما نور في عالم الاتقان بالنسبة الى أهل الايقان

رضى الله تعالى عنه قرشى عربى فلا يناسب سؤاله عما فى التوراة والتوراة وغيره من الكتب القديمة قال الفقهاء لا تجوز قراءته فأوجه هذا * قلت ان عبد الله كان يقرأ ويكتب كما مر وقال البرهان الحلبي فى المقتفى انه رضى الله تعالى عنه كان يحفظ التوراة وقد روى البزار من حديث ابن لهيعة عن وهب ان عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنهما رأى فى المنام فى احدى يديه عسلا وفى الاخرى سمنا وهو يلعقهما فلما أصبح ذكر ذلك للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال له تقرأ الكتابين التوراة والقرآن فكان يقرؤهما ذكر هذا الحديث بعض شيوخى انتهى واما النهى عن قراءتها وان صرح به الفقهاء فليس على اطلاقه لوقوعه فى زمن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لكثير من الصحابه رضى الله تعالى عنهم من غير انكار فهو مقيد بمن لم يميز المنسوخ والمحرف منها او يضيع وقته فى الاشتغال بها واما غيره فلا يمنع منه بل قد يطلب لالزامهم فيما أنكروه منها كما فى قصة الرجم ويأتى لذلك مزيد بسط عن هذا وقوله ببعض صفته فى القرآن فى بعض النسخ ببعض ما فى القرآن وفيه دلالة على ان وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم فى القرآن أكثر مما فى التوراة لتفصيله وان تفرق فى آيات وسور متعددة وهذا مما لا شبهة فيه فما قيل من ان فيه كلفة تامة الا ان يقال المراد توافق الكتابين على بعضها وان زاد كل منهما على الآخر لا وجه له عند من له أدنى بصيرة وقوله فى التوراة كما سيأتى أهب لك كل خلق كريم ولو سلم انه اشتمل من قوله تعالى وانك لعلى خلق عظيم مخصوص بمدح خلقه صلى الله تعالى عليه وسلم والصفات أعم منه فلا حاجة الى تكلف الجواب بانه وعد يحتمل عدم التنجيز أو التعليق والتخصيص وقد وقع فى الشروح هنا كلام طويل بلا طائل وقوله تعالى (يا أيها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا) بدل من بعض أو بيان له وقد تقدم تفسيره ولفظ النبى صادق بحذوه مع قوله انا أرسلناك وخطاب نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم بما فى التوراة خطاب للحاضر فى العلم بما جعل كالماضى لتحققه أو حكاية لما يقال فى المستقبل أو لجعله على نهج استحضار الصورة الآتية والتعبير بما يعبر به فى ذلك الزمان على قياس حكاية الحال الماضى أو نادى الكليم ثم خاطب الحبيب التفاتا قيل كونه بتقدير سيقول له فى المستقبل كما قيل فى قوله تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس ان تقديره يقال لهم فى القيامة كنتم فى الدنيا يأباه ان ما سيقال فى المستقبل ليس فيه حرز اللاميين والذى فيه داعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا وما ذكره من الالتفات انما يتمشى على رأى السكاكى كذا قيل وفى الشرح الجديد هذا نوع من الالتفات غريب ذكره ابن أبى الاصبع وسماه الالتفات فى الضمائر كان يذكر ضميرين لمخاطبين أحدهما لواحد والآخر لغيره أو ضميرين لغائبين كذلك وهنا ضمير فى أصل النداء أى أدعوك أيها النبى وهو للكليم صلى الله عليهما وسلم والآخر فى قوله أرسلناك لمحمد صلى الله عليه وسلم وهذا هو المراد بالالتفات المذكور لا ما ذهب اليه الجمهور ولا السكاكى انتهى أقول الغرابة منه فان ما ظنه غريبا ذكره جميع أهل المعانى وهو عندهم يسمى الافتنان وتلوين الخطاب والادباء سموه التفاتا والاعتراض انما يأتى اذا وقف على أول عبارة التوراة فان كان قبله خطاب لموسى صلى الله تعالى عليه وسلم فاعتراضه وارد والا فلا (وحرزا للاميين) الحرز بكسر الحاء وسكون الراء المهملتين ثم زاى معجمة هو فى الاصل مصدر بمعنى الحفظ ثم شاع وصار حقيقة فى المكان الذى يحفظ به فيقال حرز حريز كحصن حصين ومنه احترز عن كذا أى تحفظ منه وأحرز قصب السبق أى حازه فجعله نفسه حرزا مبالغة لحفظه أموالهم وأنفسهم فى الدارين والمراد بالاميين العرب لغلبة الامية فيهم وقيل لانهم لا كتاب لهم وخصهم مع عموم دعوته صلى الله تعالى عليه وسلم لشرفهم أو لارساله صلى الله تعالى عليه وسلم بين أظهرهم أو لان الحفظ من العجم اختص بهم وقيل المراد حفظهم من آفات النفوس وغوائل الدهر أو من آفات العجم وتغلبهم أو من مطاق العذاب مادام

(يا أيها النبى انا أرسلناك شاهدا) حال مقدرة من الكاف (ومبشرا ونذيرا) وهذا منصوص فى القرآن ولعل معناه مذكور فى التوراة (وحرزا) أى حفظا أو حافظا (للاميين) أى يمنعهم بهدايته اياهم من كل مكروه والاميون جمع الامى وهو من لا يحسن الكتابة والقراءة نسبة الى أمة العرب حيث كانوا لا يحسنونهما غالبا أو الى الام بمعنى انه كما ولدته أمه وهذا المعنى مستفاد من القرآن حيث قال هو الذى بعث فى الاميين رسولا منهم الآية وفى تخصيصهم تشريف لهم

(أنت عبدي ورسولي) وهذا أيضا موجود في القرآن حيث أضافه بوصف العبدية والرسالة اليه سبحانه وتعالى (سميتك المتوكل) حيث قال وتوكل على الله أو لكونه رئيس المتوكلين في قوله سبحانه وتعالى وعلى الله فليتوكل المتوكلون (ليس بفظ) فيه التفات تنشيطا للسامع والمعنى ليس هو سيئ الخلق قليل التؤدة (ولا غليظ) أي قاسي القلب قليل الرحمة كما قال سبحانه وتعالى ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك وأما تفسير الحلي وغيره الغليظ بالشديد القول فلا يلائم مبنى الآية وان كان شدة القول والجفاوة متفرعة على غلظ القلب والقساوة (ولا صخاب) صاد وتشديد معجمة وهو سخاب بالسين المهملة من السخب وهو لغة ربيعة بمعنى رفع الصوت وصيغته فعال للنسبة كتمار لان المراد نفيه مطلقا من غير قيد قليل وكثير وقوله (في الأسواق) قيد واقعي لان الغالب ان يقع فيها ارتفاع الصوت للمخاصمة والمشاجرة على وفق المشاهدة أو احترازي فانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يرفع صوته في التلاوة حال الامامة وفي الموعظة حال الخطبة

صلى الله تعالى عليه وسلم فيهم لقوله تعالى وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم أو من عذاب الاستئصال لحديث سألت ربي عزوجل ثلاث خصال فاعطاني اثنتين ومنعني الثالثة والاثنتان هلاك السنة والقحط والغرق والثالثة كون بأسهم بينهم (أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل) قدم العبودية لشرفها كما قال

لا تدعني الا بيا عبدها * فانه أشرف أسمائي

ولذا خص وصفها بالذكر في الاسراء وليست بالمعنى العام الذي يتصف به كل مخلوق بل بالمعنى الخاص الذي رضيه الله لعبده حتى أطلعه على حظائر قدسه وجعله رسولا مبلغا عنه وكفاه جميع مؤناته فقال أليس الله بكاف عبده فان الملك لا يرضى بوقوف عبده بباب غيره واحتياجه لسواه واهانة أحد له فانه هو الذي يؤدبه فلذا قال سميتك المتوكل دون جعلتك أو وصفتك وقدم العبودية هنا تشريفا وتعظيما اذ المراد الكامل في العبودية وانظر قوله سميتك دون جعلتك أو وصفتك المنادي بشدة توكله الذي صيره علما له ولذا قيل ان فيه اشعارا بشدة توكله صلى الله تعالى عليه وسلم الساري في أمته (ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق) فيه التفات من الخطاب اذ مقتضى الظاهر ان يقول لست ان لم يكن هذا كلام آخر من التوراة ضمه عبد الله رضي الله تعالى عنه الى الاول وفي الالتفات هنا بعد النظر فيه هنا حسن الاقتباس اذ لم يوجه بمثله وان كان منفيا والفظ كما في المصباح الرجل الشديد الغليظ القلب يقال منه فظ يفظ من باب تعب فظاظة اذا غلظ حتى يهاب في غير موضعه وغلظ خلاف رق غلاظة بالكسر وحكى في البارع التثليث وعذاب غليظ شديد الالم وغلظ الرجل اشتد واغلظ له في القول عنفه وغلظ بالتخفيف أكدها انتهى فمعنى ليس بفظ انه ليس له قسوة قلب ولا تشديد على الناس لانه ملته سمحاء وليس بغليظ اما تأكيد له أو بمعنى انه لا يعنف الناس والمراد انه ليس بسيئ الخلق قال الله تعالى ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ولذا قيل المعنى ليس بسيئ الخلق ولا غليظ القلب ليوافق الآية وقيل ليس شديد القول فلا تكرار فيه ولا ينافيه وقوع الغلظة والشدة اللائقة أو الواجبة احيانا لانها لا تنافي حسن الخلق فالمراد نفيهما بحسب الطبيعة والخلقة أو في غير محلهما وأما ما وقع في الصحيح في حق عمر رضي الله تعالى عنه أنت أفظ وأغلظ من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقيل لم يقصد قائله التفضيل بل هو لاصل الفعل قيل ولفظ من يأباه وقيل انه من قبيل الخل أحلى من العسل واختاره الدماميني في حواشي البخاري أي غلظتك يا عمر أشد من رقته صلى الله تعالى عليه وسلم والوجه انه بالنظر الى الفظاظة اللائقة في محلها فما وقع من أمير المؤمنين رضي الله تعالى عنه أزيد مما وقع منه صلى الله تعالى عليه وسلم لانه رحمة للعالمين وشفيع للمذنبين فهو يختار الايسر الاحسن فيما هو محل له والفاروق رضي الله تعالى عنه اختار الفظاظة اللائقة فاختار كل منهما الاحسن له وغايته ان الفاروق ترك في بعض الاوقات الاولى لاحتياجه لما لم يحتج له صلى الله تعالى عليه وسلم ولا محذور في مثله والسخاب والصخاب صيغة مبالغة من الصخب وهو ارتفاع الصوت وشدته وهما لغتان في كل صاد لاصقت حرف الحلق وهو من غير داع أمر مذموم جدا والصاد أفصح والسين لغة ربيعة وقد روي بالوجهين هنا وقوله في الأسواق جمع سوق وهو موضع يجتمع فيه الناس للبيع والشراء ونحوه وهو يذكر ويؤنث والسوق خلاف الملك ولما كان في الغالب محلا لارتفاع الاصوات والصياح لاسيما من الدلالين قيده به والمراد نفيه عنه صلى الله تعالى عليه وسلم مطلقا لانه اذا انتفى في المحل المعتاد فيه انتفى في غيره بالطريق الاولى وهو أبلغ من الاطلاق وأفصح لانه نفي بدليل على حد قوله * ولا ترى الضب بها ينجحر * وللعرب في مثله ثلاث مقاصد نفيهما ونفي القيد ونفي المقيد وهذا هو الارجح هنا لان فيه اثبات دخوله صلى الله تعالى عليه وسلم للاسواق تواضعا وتركا لعادة الجبابرة من الملوك وردا لقولهم مال هذا الرسول

(ولا يدفع بالسيئة) أى منه (السيئة) أى الواصلة اليه من غيره مع انه جائز لقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها وسميت الثانية
سيئة للمشاكلة والمقابلة أو بالاضافة الى التحمل والصبر كما أشار اليه سبحانه وتعالى بقوله فمن عفا وأصلح فأجره
على الله وهى مقابلة
السيئة بالحسنة لكن
الافضل والاكمل ماقاله
سبحانه وتعالى لنبيه
عليه الصلاة والسلام
ادفع بالتى هى أحسن
وهى المقابلة بالاحسان
وهذا طريق أهل العرفان
(ولكن يعفو) أى ولكن
يدفعها بالتى هى أحسن
فكان يعفو أى عن
الخطائين فى الباطن
(ويغفر) أى فى الظاهر
وكان حقه ان يقول ثم
ويحسن اليهم على ماهو
المتبادر مما سبق ومما يفهم
من قوله تعالى والكاظمين
الغيظ والعافين عن
الناس والله يحب
المحسنين ولذا حكى ان
بعض الاكابر دخل عليه
خادم بطعام حار فانكب
على بدنه فقرأ الخادم
والكاظمين الغيظ قال
كظمت فقرأ والعافين
عن الناس قال عفوت
فقرأ والله يحب المحسنين
قال أعتقتك وقد وقع
مثل هذا كثيرا فى نعته
صلى الله تعالى عليه وسلم
حيث حلم على جفاوة
الاعراب فيما أغلظوا له
بالقول والفعل وأحسن
اليهم بالمال الكثير (ولن
يقبضه الله حتى يقيم) أى الله (به) أى بسببه وببركته (الملة العوجاء) أى غير المستقيمة ولان العرب غيرتها عن النهاية
استقامتها فصارت كالعوجاء والمراد بها ملة ابراهيم عليه الصلاة والسلام وهى العادلة المائلة عن الاديان الباطلة الى دين الحق الذى
هو التوحيد المطلق كما أشار اليه بقوله

يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق لانهم قالوا لما أظهر صلى الله تعالى عليه وسلم الدعوة انه ينبغى أن لا يأكل ولا يشرب ويكون ملكا أو لا يدخل السوق ليكون ملكا وفى الشرح الجديد المراد انه ليس بسخاب فى موضع من المواضع فالنفى للقيد لانتفاء المطلق وانما نفى المقيد ابتداء للتصريح بنفى ماهم عليه من التقبيح أو للمبالغة فى نفى المطلق بجعله دليلا لكونه مقررا معروفا وقال الطيبى رحمه الله المراد نفى الصخابية وكونه فى الاسواق وهو عجيب لان نفى الصخابية فيها لا ينافى كونه فيها بلا صخابية ولا الصخابية من غير كونه فيها بشهادة الذوق قال شيخنا الاقرب الى الفهم انه نفى المقيد لشناعته مع انه مظنته وموضع اعتياد الناس ليفيد انه لا يفعله فى غيره بالاولى ولا يرد ان صخابا صيغة مبالغة فبتقدير توجه النفى الى قيده وهو فى الاسواق تثبت له الصخابية لانا نمنعه بان الصيغة هنا للنسبة كخياط ومنه وما ربك بظلام فى أحد الوجوه ولا ضير اذا كان المراد نفى الصخابة المقيدة لانتفائها مطلقة لان نفى مطلقها لا ينافى ثبوت أصل الصخب له وهو قد ثبت فى محله كالخطبة والتلبية ونحوهما انتهى اقول فيه نظر من وجهين الاول ان رده على الطيبى وتعجبه ليس فى محله لما عرفت من انه أحد الاحتمالات فى أمثاله وماذكره أمدح لانه نفى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم اعتياد صخب واعتياد دخول الاسواق كارباب الدنيا الثانى انه ادعى ان المبالغة لا تناسب هنا والتجأ الى جعل الصيغة للنسب وليس بلازم لجواز كون المبالغة فى النفى لا فى المنفى كما ذهب اليه خاتمة المفسرين فى الآية الا أن فيه نظرا لان صرف المبالغة للقيد الذى فى الصيغة ليس بالسهل مع امكان التفصى عنه بوجه وفى هذا المقام مباحث أخر مذكورة فى غير هذا المحل وقد أفردناها فى رسالة مستقلة (ولا يدفع بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر) لان خلقه صلى الله تعالى عليه وسلم القرآن وقد قال الله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفى وأصلح فأجره على الله فلذا قال ولكن يعفو ويغفر فلا يسىء لمن أساء اليه ويدفع بالتى هى أحسن وفى الآية مشاكلة وكذا فى كلام المصنف وان كان نفيا فتدبر وفى ذكر المغفرة بعد العفو تأكيد ان كان بمعنى أو يعفو تارة ويستر أخرى فلا يفصح فيقول فى خطبه مابال أقوام يفعلون كذا كذا قيل وفى كلام التفتازانى ميل للاول وقيل بين العفو والمغفرة فى حق غير الله فرق فان العفو لغة بمعنى المحو فهو ازالة السيئة من ظاهره وخاطره والمغفرة مشتقة من الغفر وهو الستر ولا يلزم من سترها ازالتها وقوله ولكن الى آخره استدراك بانه لا يلزم من عدم جزائها بمثلها العفو لجواز ان يكله الى الله تعالى ويؤخره للآخرة انتهى أقول قد ورد العفو الغفور فى اسماء الله عز وجل وتغاير مفهوميهما واشتقاقهما مما لا شبهة فيه ثم بعد ذلك قيل انهما متساويان وهو المشهور والتحقيق ان بينهما فرقا من وجوه منها ما نقله الامام القرطبى رحمه الله تعالى فى شرح الاسماء الحسنى عن بعض العلماء ان الغفران ستر لا يقع معه عقاب وعتاب والعفو انما يكون بعد عقاب أو عتاب فان استعمل فى غيره فهو بطريق المجاز ومر فى الخطبة الكلام فيه أيضا فتذكره (ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء) الملة الدين وبينهما فرق والعوجاء مؤنث أعوج وهو ضد المستقيم ولكثرة اطلاق الملة على الكفر فسرها بعضهم هنا به وقال الشارح المحقق العوج ضد الاستقامة وهو كما فى النهاية بفتح العين فى المرئى وبالكسر فى غيره وكلام القاموس يدل على التعميم واقامة المعوج جعله مستقيما والمراد بالملة هنا ملة ابراهيم عليه الصلاة والسلام التى عوجتها العرب بتغييرها كما قال الله تعالى ان اتبع ملة ابراهيم لا ملة الكفر كما توهم فانه أزالها انتهى وفى

النهاية الملة العوجاء ملة ابراهيم عليه الصلاة والسلام التي غيرتها العرب عن استقامتها لانهم ذرية اسماعيل بن ابراهيم عليهما الصلاة والسلام وكانوا يزعمون انهم على ملته الحنيفية والحنيف من يوحد الله ويعبده لان الحنف في اللغة الاستقامة وانما قيل للمائل الرجل أحنف تمليحا أو تفاؤلا وكان ابراهيم عليه الصلاة والسلام حنيفا أي مستقيما وبهذا تعين المراد بالملة وقبضه الله أي توفاه وقبض روحه وأصل القبض أخذ المال واستيفاؤه فاطلاقه على هذا بتشبيه الحياة والروح بالمال كما قال عمارة

اذا كان رأس المال عمرك فاحترس * عليه من الانفاق في غير واجب

أو هو من باب استعمال المقيد في المطلق ثم شاع فصار حقيقة فيه (بان يقولوا لا اله الا الله) اقتصر على هذا وجعله عبارة عن الدين القيم لان العوج الواقع عموده الشرك وعبادة الاصنام وبهذا يستقيم وقيل المعنى انهم يأتون بكلمة التوحيد وذلك كما قيل عصمة دمائهم وأموالهم غير ان المنجي هو التصديق بها عن صميم القلب والعالم يقل محمد رسول الله وهي قرينة كلمة التوحيد التي لا تكاد تنفك عنها اكتفاء على حد سرابيل تقيكم الحر والقول بانها زيادة على الملة الابراهيمية فلذا لم يذكرها هنا فيه انه يجب على أمة الخليل قبل وجود محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ان تصدق بان محمدا رسول الله كما صدق به ابراهيم نفسه وقيل المراد الرجوع الى التوحيد ولا ينافيه زيادة الايمان بشيء آخر ففيه اشارة الى ان الاعوجاج من جهة الشرك هذا محصل ما في الشرح وفيه بحث لانا لا نسلم انه بعينه داخل في الايمان التفصيلي للامم السابقة ومثله لا يقال بالرأي وما ذكر لا يناسب ما نحن فيه (ويفتح به أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا) قدم هذا في الخطبة وهذا الحديث مروي في البخاري بتأنيث ضمير بها على انه راجع لكلمة التوحيد والمصنف رحمه الله ذكره فجعله عائدا عليها باعتبار اللفظ أو للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وروى البيهقي عن كعب ليبصر الله به أعينا عورا ويقيم به ألسنة معوجة حتى تشهد الخ وهو هنا بنصب أعينا وما عطف عليه ويفتح بالتحتية وعلى رواية البخاري بالفوقية المضمومة ورفع الاعين وما بعده ووقع في رواية أعين عمي بالاضافة وكذا الكلام في الآذان والقلوب وعلى هذا فالعمي جمع أعمى وكذا الصم جمع أصم وعلى الاول جمع عميا وصما قيل والظاهر ثبوتهما في التوراة فلا اشكال أقول لا يخفى ان التوراة عبرانية وهذه ترجمة وان اختلف لفظها معناها واحد فلا اشكال فيها لعدم تغايرها الا في العمي والعور والذي في القرآن صم بكم عمي وكان النكتة فيه ان التوحيد اثبات الله ونفي ماسواه فهم لما أثبتوا الله تعالى والشريك كانوا كفاقد احدى عينيه أو العور عبارة عن ذهاب العين مطلقا ثم ان العمي يوصف به العين وصاحبها حقيقة فقصره على الثاني تقصير وفتح العين عبارة عن الابصار أما لما فيه من فتح الاجفان أو لتشبيه الابصار بفتح الباب وقد شاع هذا حتى صار حقيقة وعكس حتى شبهت الابواب المغلقة بالاعين كما قيل

قد أغلقت أبوابه دائما * كأنها أجفان عميان

وقال وأقسم لو جاد الخيال بزورة * لصادق باب الجفن يفتح مقفلا

وفيه معنى دقيق ليس هذا محله وازالة الاحساس في الحواس المذكورة بآفات تصيبها فشبهت لعدم نفعها بالموت الا انه لا يقال فتح أذنه وقلبه فهو على حد قولهم متقلدا سيفا ورمحا والغلف جمع أغلف وهو الذي عليه غلاف أي غشاء وغطاء كقوله تعالى وقالوا قلوبنا غلف بضم فسكون وقرئ بضمتين على انه جمع غلاف كحمار وحمر أي هي أوعية للعلم وليس هذا بمناسب هنا فهو بالسكون لا غير اذ المعنى لا ينظر ولا يسمع ولا يعي ما جئت به (وذكر مثله) ذكر بصيغة المجهول والذي في البخاري ذكره في

(بان يقولوا لا اله الا الله) أي ومحمد رسول الله فهو من باب الاكتفاء أو من اطلاق الجزء وارادة الكل أو على ان الكلمة المذكورة هي علم للشهادتين ولذا قال صلى الله تعالى عليه وسلم من قال لا اله الا الله دخل الجنة ومن كان آخر كلامه لا اله الا الله دخل الجنة اذ من المعلوم ان اليهود والنصارى وأمثالهم يقولون لا اله الا الله ولا تفيدهم هذه الكلمة من دون اقرارهم بان محمدا رسول الله وفي الحديث ايماء الى قوله سبحانه وتعالى هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله (ويفتح) بالنصب عطفا على يقيم أو يقولوا (به أعينا) جمع عين (عميا) جمع أعمى (وآذانا) بالمد جمع أذن (صما) جمع أصم (وقلوبا غلفا) جمع أغلف والغلف غشاء القلب وغلافه المانع من قبول الحق ووصول الصدق وتعقل أمر المبدأ والمعاد كما أخبر الله تعالى عن أحوالهم بقوله صم بكم عمي أي عن سماع الحق والنطق به وادراكه ببصرهم فهم لا يعقلون أي الحق ولا يعلمون الصدق ولعله لم يقل وألسنة بكما لانه يلزم من الصمم الاصلي البكم الفرعي والله أعلم (وذكر مثله) بصيغة المجهول ولعل مثله مروي لابن عمرو ولعطاء بن يسار كما في البخاري تعليقا وأسنده الدارمي

(عن عبد الله بن سلام) بتخفيف اللام وقيل تشدد ابن الحارث الاسرائيلي ثم الانصاري الخزرجي الصحابي كان حليفا لبني الخزرج كنيته أبو يوسف بابنه وهو من ولد يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم ع م وكان اسمه في الجاهلية حصينا فسماه عليه الصلاة والسلام عبد الله أسلم أول قدومه عليه الصلاة والسلام المدينة ونزل في فضله قوله تعالى وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله وكذا قوله سبحانه وتعالى قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب شهد مع عمر فتح بيت المقدس وشهد له صلى الله تعالى عليه وسلم بالجنة روى عنه ابناه محمد ويوسف وغيرهما توفي سنة ثلاث وأربعين أخرج له أصحاب الكتب الستة (وكعب الاحبار) بالحاء المهملة وسبق بعض ترجمته والمعنى وذكر مثله أيضا عن كعب الاحبار فيما رواه الدارمي من طريق أبي واقد الليثي (وفي بعض طرقه) أي طرق هذا الحديث (عن ابن اسحق) كما رواه ابن أبي حاتم في تفسير سورة الفتح عن وهب بن منبه وفي بعض النسخ أبي إسحق بالياء وهو تصحيف وصوابه بالنون وهو الامام صاحب المغازي رأى عليا واسامة والمغيرة بن شعبة وأنسا وروى عن عطاء والزهري وطبقته وعنه شعبة والحمادان والسفيانان وخلق وكان من بحور العلم صدوقا وله غرائب في سعة ماروى تستنكر واختلف في الاحتجاج به وحديثه حسن بل وفوق الحسن وقد صححه جماعة مات سنة احدى وخمسين ومائة أخرج له البخاري في التاريخ ومسلم والاربعة في سننهم

صحيحه تعليقا (عن عبد الله بن سلام وكعب الاحبار) عبد الله بن سلام بفتح السين المهملة ولام مخففة لا غير ونقل التلمساني انه يخفف ويشدد وكذا سلام بن أبي الحقيق ومحمد بن سلام شيخ البخاري وسلام ابن مشكم وماعداه بالتشديد وقال العراقي في ألفيته

نحو سلام كله فثقل * لا ابن سلام الحبر والمعتزلي

وابن سلام هذا أسلم في عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لما قدم المدينة وكان حبرا عالما بالتوراة والقرآن وشهد له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بالجنة وتوفي سنة ثلاث وأربعين وهو اسرائيلي من ولد يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم الصلاة والسلام وكان اسمه في الجاهلية حصينا فسماه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عبد الله ونزل في فضله قوله تعالى وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله وقوله تعالى قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب وحضر مع عمر رضي الله تعالى عنه فتح القدس والجابية وهو انصاري خزرجي بالولاء وكان من كبار الصحابة روى له أصحاب الكتب الستة وغيرهم وقد مر أن كعب الاحبار هو كعب بن ماتع بالمثناة من فوق ابن هينوع يكنى بابي اسحق الحميري التابعي المشهور أدرك زمن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يره وأسلم في خلافة أبي بكر رضي الله تعالى عنه وقيل في خلافة عمر رضي الله عنه وكان على اليهودية وصحب عمر رضي الله عنه وروى عنه كثيرا وعن غيره كصهيب وابن المسيب وسكن حمص بعدما كان باليمن واتفقوا على سعة علمه وشدة دينه وتوثيقه وتوفي في خلافة عثمان سنة اثنين وثلاثين متوجها الى العراق وقيل توفي بحمص كما مر وكما يقال له كعب الاحبار يقال له كعب الحبر بكسر الحاء وفتحها كما مر باضافة الاسم للقب ولقب به لكثرة علمه أو لكثرة كتابته فالحبر بمعنى المداد الذي يكتب به والحبر أيضا بمعنى العالم كذا في المصباح وتهذيب الاسماء للنووي وفي مثلثات ابن السيد فقوله في القاموس كعب الحبر ويكسر ولا تقل الاحبار غير صحيح وهذا الحديث أخرجه البيهقي في السنن الكبرى ودلائل النبوة وذكره ابن ظفر في كتابه خير البشر الذي أفرده كما في الكتب السالفة من التبشير بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو كتاب بديع في معناه رأيناه ورويناه ومر ان هذا الحديث رواه البخاري مسندا عن عبد الله بن عمرو بن العاص كما ذكره المصنف رحمه الله ورواه عن ابن سلام تعليقا على عادته في تعليق ما كان بعض رجاله على غير شرطه كما بينه شراحه وفيما ذكروه مخالفة لما في فتوح الشام للواقدي (وفي بعض طرقه عن ابن اسحق) الطرق جمع طريق وهي معروفة وتطلق على الروايات والاسانيد لاتصالها بالحديث وتلمح القائل

له حديث في الجود مشتهر * ترويه عنه الركبان من طرق

وفي المقتفى للبرهان كان هذا في الاصل عن أبي اسحق فضرب عليه وكتب في الهامش ابن اسحق وهو الامام محمد بن اسحق بن أبي بكر ويقال له أبو عبد الله المطلبي مولاهم المدني صاحب المغازي رأى أنسا رضي الله تعالى عنه وروى عن عطاء والزهري وطبقته وعن شعبة والحمادان وخلق كثير وكان من بحور العلم صدوقا وله غرائب وربما تستنكر لسعة حفظه ولذا اختلف في الاحتجاج به وحديثه حسن وفوق الحسن صححه جماعة وأخرج له أصحاب السنن وله ترجمة في الميزان توفي سنة احدى وخمسين ومائة وقيل اثنين وقيل سنة خمسين وجده من سبي العراق وهو أول سبي دخل المدينة منها وقد طعن فيه هشام

لروايته

(ولاصخب) بفتح فكسر على الوصف وسبق معناه ويفهم من بعض الحواشي انه رفع الصوت في السوق فقوله (في الاسواق) للتأكيد أو لقصد التجريد (ولامتزين بالفحش) بالضم أي ولامتجمل ولامتخلق ولامتصف بالقول الفاحش والفعل الفاحش قال الحجازي ويروى ولامتدين وكذا قال التلمساني بابدال من الدين والزاي من الزينة والظاهر انه مصحف وان تكلف له السيد قطب الدين عيسى بان معناه لايجعله دينا وطريقة انتهى ولايخفى انه لايفيد

نفي الفحش عنه بالكلية وهو المطلوب في المدحة الجلية وفي حاشية المنجاني ولامتزي بالفحش أي متصف به والزي غالبا انما يكون في الاوصاف الحسنة وقد يجيء في خلافها وقرئ قوله تعالى هم أحسن أثاثا ورئيا بالراء والزاي وعين زي واو وانما قلبت واوها ياء لسكونها وانكسار ماقبلها وفيما تصرف منه من الافعال لطلب الخفة والفحش البذاء بالمنطق وأصل الفحش في كل شيء الخروج عن المقدار والحد حتى يقبح وقيل نفي تزينه به عنه مع كونه لايراه زينة انما هو باعتبار كون أهله يرونه زينة وفخرا بشهادة أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا فزين لهم الشيطان أعمالهم (ولاقوال) بتشديد الواو (للخنا) بفتح الخاء المعجمة مقصورا الكلام القبيح ومنه قول زهير شعر اذا أنت لم تقصر عن الجهل والخنا

لروايته عن فاطمة بنت المنذر وقال كيف يراها وليس بشيء لجواز ان يسمع منها وهي خلف الحجاب كما روى الناس عن عائشة رضي الله تعالى عنها وغيرها وكذلك طعن فيه الامام مالك وقال انه دجال من الدجاجلة الا انه روى عنه انه رجع عن ذلك والقادح فيه غير منصف لانه كان أعلم الناس بالانساب وانما أنكر عليه ماكان يأخذه عن أولاد اليهود الذين أسلموا بعض ماذكر في الغزوات من عورات المسلمين واشعار الهجاء فيهم لحرصه على الرواية مع ان عليه المعول في المغازي وكان شعبة وسفيان يوثقانه ويقولان هو أمير المؤمنين في الحديث قال السيوطي هذه الطريق أخرجها ابن أبي حاتم عن وهب بن منبه في تفسير سورة الفتح ووقع في حواشي التلمساني هنا زيادة وعبد الرحمن بن يزيد وقال هو عمرو بن عبد الله بن علي السبيعي رأى عليا واسامة بن زيد والمغيرة بن شعبة رضي الله تعالى عنهم ولم أر هذه في النسخ (ولاصخب في الاسواق) بكسر الخاء صفة مشبهة تفيد المبالغة باعتبار افادة الثبوت وقد مر بيانه (ولامتزين بالفحش) فحش كقمع وزنا ومعنى في كل شيء جاوز الحد فهو فاحش والفحش القول السيئ ويطلق على الزنا وقيل في تفسير قوله تعالى ولايأتين بفاحشة أي لايزنين والحاصل انه كل قبيح قولا كان أو فعلا ومتزين روي براء معجمة ومثناة تحتية ونون وروي بدال مهملة من الدين وروي منقوصا متزين بياء بدل النون من الزي وهو اللباس والهيئة أي لايتلبس بأمر قبيح أو يتجمل به ويباهي به ولايرد على ظاهره انه يوهم انه قد يأتي به غير متجاوز أو غير متزين به لانه لامفهوم له لجريه على عادة أرباب الفحش في المباهات بها وقيل انه استعارة تهكمية وقيل التزين بمعنى الاتصاف على التجريد أو المراد انه لايرى الفحش زينة فهي مكنية وهذا علامة من علاماته صلى الله تعالى عليه وسلم لانه نشأ بين قوم يتزينون بالفواحش كالقتل والزنا والطواف عراة فأتى بما يخالف عادتهم (ولاقوال للخنا) قوال فعال صيغة مبالغة أي كثير القول والخنا بخاء معجمة ونون مقصور قبيح الكلام وهذا مع ماقبله يفيد انه لايصدر عنه صلى الله تعالى عليه وسلم شيء منه قليلا أو كثيرا لان الفحش بمعناه وقيل فعال هنا للنسبة أي ليس بذي قول للخنا كتمار ونبال وليس المراد انه اشارة الى انه ربما يقوله لموجب لان ماكان لموجب ليس بفاحش وقيل المراد نفي المبالغة ولم ينف أصل قوله للصيانة عن توهم الكذب في كلامه تعالى لو صدر عنه مايوهم فحشا وعن الهلاك الذي يثمره ذلك التوهم فوق الهلاك الذي يثمره توهم انه ربما يقول الخنا ولما ذكر صفات التخلية بقوله ليس بفظ الى آخره أخذ في صفات التحلية بطريق الوعد ممن لايخلف وعده فقال (أسدده لكل جميل) مستأنفا لمقصد أعلى مما قبله ولذا لم يعطفه وقيل انه جواب سؤال تقديره فما تفعل به بعد ان صنته عن النقائص فقال أسدده الى آخره والجميل الحسن صورة كان أو معنى ومر في الحديث ان الله جميل يحب الجمال والتسديد التوفيق للسداد وهو الصواب والقصد من القول والعمل وتسديده يشمل تسديد جميعه وبعضه فقوله بكل جميل ليس تجريدا كما قيل والكلية للمبالغة أو هو كاستغراق جمع الامير الصاغة أي بكل جميل يليق به (وأهب له كل خلق كريم) أهب بفتحتين مضارع

أصبحت حليما أو أصابك جاهل * فهو من باب التخصيص بعد التعميم وفعال ليس للمبالغة بل للنسبة كما في قوله تعالى وما ربك بظلام للعبيد واللام في الحديث والآية لمجرد التقوية (أسدده) قطعه عما قبله لكمال انقطاع بينهما لانه حكاية عن صفات نفسية سلبية وهذا عن هبات الهية ثبوتية أي أقيمه وأوفقه (لكل جميل) أي نعت جزيل (وأهب له) بفتح الهاء أي أعطيه من فضلي (كل خلق كريم) أي من مكارم الاخلاق المتعلقة بالخالق والمخلوق ولذا قال تعالى وانك لعلى خلق عظيم

وهب بمعنى أعطى والخلق بضمتين وتسكن اللام السجية والطبيعة التى فطره الله عليها وهو يوصف بالكرم بمعنى الخير والكمال يقال كرم كرما اذا انفس وعز ويكون بمعنى العطاء الكثير وليس بمراد ههنا وان أوهمه قوله أهب ففيه تورية وقيل هو من قبيل عطف الخاص على العام للاهتمام ويقال لكل صفة خلق ولذا يجمع على أخلاق فلا حاجة الى تقدير كل فرد خلق كما توهم وهو وعد منه تعالى وهو لا يخلف الميعاد وفيه نظر وكونه جامعا لمكارم الاخلاق غير محتاج للبيان وسيأتى نبذ منه (واجعل السكينة لباسه والبر شعاره) اجعل مضارع المتكلم وهو الله والسكينة بفتح السين وكسر الكاف المخففة ثم ياء ونون وهاء وفيها لغة بكسر السين وتشديد الكاف نقلها المصنف رحمه الله تعالى فى مشارقه وبها قرئ فى الشواذ وهى فعيلة من السكون والمراد بها هنا الوقار والطمانينة ووردت فى القرآن فى قوله عز وجل هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين ووردت فى الاحاديث الصحيحة بمعان أخر قيل انها مشتركة فيها وللمفسرين فيها أقوال فعن على رضى الله تعالى عنه انها ريح هفافة وقيل انها ملك له وجه انسان وله رأسان وعيون ذات أشعة وطست من ذهب تغسل فيه قلوب الانبياء عليهم الصلاة والسلام وقيل انها شئ كان يلقى فيه موسى عليه الصلاة والسلام الالواح والعصى وقيل هى رحمة وقال السيوطى رحمه الله تعالى انها اسم ملك مخصوص وفى حديث الوحى غشيته صلى الله تعالى عليه وسلم السكينة وهى ما كان يلحقه عند نزوله وقيل انها صورة هو مع بنى اسرائيل اذا ظهرت انهزمت أعداؤهم وفى حديث بناء الكعبة فارسل الله السكينة وهى ريح سريعة المرور والمراد ههنا الاول وأما هذه المعانى فيحمل عليها ما ورد فى الاحاديث ولا حاجة لذكرها هنا ولما كان السكون والوقار مبدؤه ما يلوح لقلبه فى مراقبته جعله فى الآية فى القلب ويلزمه ما يظهر عليه من الخشوع والتثبت وباعتباره جعله لباساله من باب تشبيه المعقول بالمحسوس فكل منهما وجه وجيه بليغ فلا حاجة الى التوفيق بينهما بان ما فى الآية بمعنى ملك يسكن قلب المؤمن ويؤمنه أو العقل كما قيل والبر الطاعة والاحسان أو زيادته والخير والرحمة والشعار بمعنى اللباس الذى يلى الجسد سمى به لانه يمس شعره وبدنه ويكون بمعنى العلامة أيضا والمناسب هنا الاول لذكره مع اللباس ويقابل الشعار بهذا المعنى الدثار وهو ما يتغطى به الانسان وفى الحديث الانصار شعار والناس دثار أى هم خاصة له صلى الله تعالى عليه وسلم والناس عامة أو هم أقرب اليه من غيرهم وهو بزنة اللباس ولما كانت السكينة ظاهرة فيه صلى الله تعالى عليه وسلم فى سائر أحواله ويراه كل أحد برا وفاجرا جعلها لباسا والبر والخير والرحمة وان لازمه أيضا وعم أحواله انما يقف عليه المؤمنون ببصائرهم جعله شعارا فانظر حسن موقعه مع ما قبله وما بعده أيضا وهو قوله (والتقوى ضميره) لان الضمير ما يضمر فى القلب وينوى فى خاطره بحيث لا ينساه والاسم الضمير المضمر الموضع والمفعول قال

مستقر لها فى مضمر القلب والحشا * سريرة ود يوم تبلى السرائر

ويسمى القلب ضميرا لخفائه أو لانه محله فانظر كيف انتقل من الظاهر للخفى ثم الاخفى مع ما فيه من شبه اللف والنشر مع الامور السلبية والتقوى عبارة عما يقى من العذاب فى الآخرة ولها مراتب أولها التبرى عن الشرك والثانى التنزه عن كل ما يؤثم والثالث أن يتنزه عما يشغل سره عن الله وبهذا علمت التئامها مع الضمير (والحكمة معقوله) الحكمة كالحكم كل كلام جامع لما يرشد الى الحق فيشمل المواعظ والامثال لانتفاع الناس بها وتطلق على العلوم الشرعية وتطلق على القضاء بالعدل وبه فسر قوله تعالى ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة والقرآن تفسيرها هنا بالعلم باحوال

الموجودات

(ثم اجعل) ويروى واجعل (السكينة) أى سكون القلب واطمئنانه ورزانة القالب ووقاره فهى فعيلة من السكون والكاف منها مخففة عند الكافة الا ما حكاه القاضى فى مشارق الانوار عن الكسائى والفراء من جواز تشديدها قال المنجانى وهو نقل غريب وتدفع غرابته بحمل التشديد للمبالغة كما فى السكيت والسكين ثم رأيت صاحب القاموس قال السكينة والسكينة بالكسر مشددة الطمانينة وقرئ بهما فى قوله تعالى فيه سكينة من ربكم أى ما تسكنون به اذا أتاكم (لباسه) أى دثاره وهو مما يظهر آثاره (والبر) أى الطاعة لله والاحسان بخلق الله (شعاره) بكسر أوله أى دأبه وعادته (والتقوى ضميره) أى فى صدره كما فى الحديث التقوى هنا وفيه ايماء الى ان كمال التقوى محصور فيه (والحكمة) أى العلمية والعملية (معقوله) أى بحيث يظهر وجه معقوله فى معقوله وقال التلمسانى الحكمة أى النبوة والعلم معقوله ومكتومه وسره ولا يخفى خفاء أمره

الموجودات على ماهى عليه بقدر الطاقة أومطلق المعلومات كما قيل غير مناسب وان صح والمعقول يكون مصدرا واسم مفعول فالمراد انها بعقله وادراكه أوما يعقله كله حكم ومواعظ وعلوم نافعة لانه لا ينطق عن الهوى (و) اجعل (الصدق والوفاء طبيعته) أى لا ينطق بغير ما وافق الواقع واذا عاقد أحدا أووعد وعدا لا يخالفه وهذا أمر طبيعى له جعله الله فيه (والعفو والمعروف خلقه) المعروف والعرف قال فى المصباح هو الخير والرفق والاحسان ومنه قولهم من كان آمرا بالمعروف فليأمر بالمعروف أى من أمر بخير فليأمر برفق انتهى ويقابله المنكر والمعروف ما تعرفه وتألفه العقلاء ولذا قيل المعروف كاسمه معروف (والعدل سيرته) العدل القصد فى الامور وهو ضد الجور والسيرة فعلة فهى فى الاصل الهيئة فى السير ثم صارت اسما للطريقة يقال سار سيرة حسنة أى طريقة وحالة العدل وعدم الخروج على الحق قال الله تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان قيل فى تفسيره العدل الفرائض والاحسان النافلة وقيل العدل استواء السريرة والعلانية والاحسان أن تفضل السريرة العلانية وقيل العدل الانصاف والاحسان التفضيل وقال ابن عطية العدل فعل كل مفروض من العقائد والعبادة وأداء الامانات والانصاف والاحسان فعل المندوب وقال البغوى العدل بين العبد وربه ايثار حقه على حظ نفسه واجتناب الزواجر وامتثال الاوامر وبينه وبين نفسه منعها عما فيه هلاكها والصبر بينه وبين غيره بذل النصيحة وترك الخيانة وانصافهم من نفسه والصبر على أذاهم قيل جعل العدل سيرته صلى الله تعالى عليه وسلم لا ينافى أن يكون الاحسان سيرته فى محل يليق به ولا أن يكون العفو طبيعة له صلى الله تعالى عليه وسلم لمصلحة تليق بانتقام وقيل عليه أن الاحسان أخص من العدل فان تمثيل المشركين بحمزة رضى الله تعالى عنه فى أحد وعدم تمثيل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بقتلاهم احسان ولو فعله كان عدلا ومقتضى هذا الاحسان ينفرد عن العدل وليس كذلك وأما العفو فان كان باذن الشرع كعفوه صلى الله تعالى عليه وسلم عن الذى اخترط سيفه ليقتله فهو عفو وعدل وعفوه عما لم يؤذن فيه كالحدود لم يقع منه لعصمته صلى الله تعالى عليه وسلم عن مثله أقول هذا القائل فسر العدل بالمساواة فى المكافاة ان خيرا فخير وان شرا فشر والاحسان أن يقابل الخير بمثله وزيادة والشر باقل منه ومقتضاه تغايرهما ومراده المقابلة فيما لا بد من مقابلته وترك العفو عنه فلو أذن له فى العفو أو التقليل وفعل ذلك لم يكن عدلا ولا جورا بل مرتبة زائدة على العدل والمعترض ظن ان كل ما ليس بعدل جور وليس كذلك (والحق شريعته) الذى رأيناه فى النسخ المقروءة بنصبهما عطف على مفعول اجعل وحينئذ لا يرد عليه شئ كما أورد على الرفع فان تعريف طرفى المسند والمسند اليه يقتضى الحصر فيقتضى بمفهومه ان ما عداه من الشرائع باطل وليس كذلك ولذا قال بعضهم المراد الحق الكامل الذى لا ينسخ وقيل الحصر على ظاهره ولا يحتاج فى تصحيحه الى تقدير ذلك الوصف أو جعل التعريف عهديا عبارة عنه لان شريعته فى زمن موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام لم يكن فى الشرائع حق غيرها وما سواها باطل كذا فى النسخة التى عندى ولا محصل لها ولا يندفع السؤال بما قاله ولك أن تقول ان شريعته فى زمانه هى الحق لا غيرها لانتساخ الشرائع بها والكلام يفيده هذا بدون تقدير والحق الثابت وخلاف الباطل وما يستحقه الانسان على غيره والشريعة دينه صلى الله تعالى عليه وسلم الذى شرعه الله لامته وهى قانون الهى وضعه الله على لسان رسله عليهم الصلاة والسلام ليسوقهم الى خير الدارين والشريعة قيل انها فى الاصل الطريق الواضح المستقيم كالشرعة قال الله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ويكون بمعنى المشرعة والموردة أى المحل الذى يشرب منه من خافة نهر ونحوه ثم نقلت للدين أما لانه طريق الخير والسعادة أو لتضمنها ماهو سبب للحياة الباقية كالموردة المتضمنة لسبب الحياة

(والصدق) أى فى المنطق (والوفاء) أى بالوعد (طبيعته) أى غريزته وجبلته التى لا يمكنه مخالفتها (والعفو) أى عن الاساءة (والمعروف) أى الاحسان فى محله شرعا وعرفا (خلقه) بالضم أى دأبه وعادته (والعدل) أى فى حكمه أو الاعتدال فى حاله (سيرته) أى طريقته (والحق) أى اظهاره (شريعته) أى دينه وملته

الفانية ورد بان معناها الماء والطريق والموردة انما سميت بها لانها موصلة للماء وفيه نظر لايخفى (والهدى أمامه) والهدى الدلالة بلطف ولذا اختصت بالخير ولها أنواع أولها اخلاق القوى والمشاعر الظاهرة والباطنة التى لايتمكن بها من الاقتداء لصالحه والثانى نصب الدلائل الحقة والثالث ارسال الرسل عليهم الصلاة والسلام وانزال الكتب والرابع أن يكشف عن قلوبهم حتى يشاهدوا الاشياء * فان قلت كيف تشمل هذه الانواع والاول لم يدلهم الله عليه * قلت هذا من سوء الفهم فان المراد ان خلقها بمنزلة الدلالة فيها وقوله أمامه بكسر الهمزة بضبط البرهان الحلبى وهو الظاهر وضبطه بعضهم بفتحها وهو بمعنى قدام احدى الجهات الست ومعناه على الاول مقتداه ومتبعه وبه سمى الامام للاقتداء به وقال تعالى لابراهيم عليه الصلاة والسلام انى جاعلك للناس اماما أى انه متبع للهدى وهو كناية عن ملازمته له وعدم انفكاكه عنه وقيل ان تعريفه للعهد أى هدى الانبياء عليهم الصلاة والسلام لقوله تعالى أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده والمراد بهداهم ما اتفقوا عليه من التوحيد والاصول لا الفروع ويجوز أن يراد بالامام الطريق كما قيل فى قوله تعالى وانهما لبامام مبين وعلى الفتح فالمراد بطريق الكناية أى انه ملاحظه كما يقال فى ضده أنه ظهرى وخلف ظهرى (والاسلام ملته) بنصبهما ورفعهما كما مر والاول هو المصحح فى النسخ التى عندنا وهو الاحسن قيل المراد ان الاسلام اسم لهذه الملة فالمعنى انه جعلها خير الملل وسماها بهذا الاسم أو هو عام والمراد الكامل منه وهذه التسمية فى التوراة صريحا أو ضمنا لقوله تعالى هو سماكم المسلمين من قبل أى من قبل نزول القرآن سماهم بهذا فى الكتب الالهية والظاهر ان هذه الصفات السلبية والايجابية ذكرت فى التوراة والانجيل تعريفا له صلى الله تعالى عليه وسلم فينبغى حملها على الكامل منها ليكون من خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم التى تميز بها عن غيره والملة كالدين والشريعة تطلق على الاسلام وغيره وهى متغايرة بحسب المفهوم متحدة بحسب الخارج والاسلام أصل معناه اللغوى الاستسلام والانقياد ثم خص فى لسان الشرع بالانقياد لما جاءت به الرسل والانبياء عليهم الصلاة والسلام بلا خلاف انما الخلاف فى اختصاص الاسلام بامة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم والمشهور انه لايختص بهم فيقال لكل ملة الاسلام ولاهلها مسلمون ولكل نبى أنه مسلم لقوله تعالى فى حق لوط عليه الصلاة والسلام فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين وقيل انه توصف به هذه الامة ويوصف به غيرهم من الانبياء عليهم الصلاة والسلام دون أممهم وارتضى هذا السيوطى وصنف فيه رسالة مستقلة وأطال فيها وتبعه بعض الشراح هنا ثم قال ان الاسلام بالمعنى الشرعى المتضمن للشهادتين وسائر الاحكام المفروضة على هذه الامة يختص بهذه الامة دون جميع من عداهم من الامم والانبياء عليهم الصلاة والسلام وهو اسم منقول كالصلاة وأما بالمعنى اللغوى وهو الانقياد فهو عام لكل منقاد لشريعة من الشرائع ويؤيده قوله تعالى هو سماكم المسلمين من قبل أقول فيما قاله السيوطى نظر لايخفى ثم ان معنى الاسلام والفرق بينه وبين الايمان مفصل فى كتب الاصول فلا حاجة لذكره (وأحمد اسمه) أى جعل اسمه أحمد وسماه به فى الكتب القديمة قبل وجوده وهو علم منقول من اسم التفضيل أى هو أكثر حمدا لله من سائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام وجميع الخلق وهو صاحب لواء الحمد يوم القيامة كما سيأتى وقال السخاوى فى سفر السعادة انه صفة كاحمر وأبيض نقلت لهذه وسيأتى الكلام عليه فى أسمائه صلى الله تعالى عليه وسلم ولما ذكر صفاته الموصوف بها فى نفسه شرع فى صفاته التى لوحظ فيها غيره وهو جواب

(والهدى) بضم الهاء أى الهداية (امامه) بكسر الهمزة أى قدوته مما يقتدى به فى جميع حالاته وفى نسخة معتمدة بالفتح أى قدامه ونصب عينيه لايتعدى منه ولايميل عنه (والاسلام) أى الاستسلام الظاهر والباطن (ملته) أى دينه الذى عليه ويقرره (وأحمد اسمه) أى فى التوراة والانجيل وهو لاينافى أن يكون له أسماء أخر بل فيه ايماء بانه أبلغ الاسماء وذلك لافادة المبالغة الزائدة التى لاتوجد فى غيره من الابنية ولو كانت من هذه المادة كحمد ومحمود فانه بمعنى أحمد كل من حمد وحمد فله النسبة الجامعة بين كمال صفتى الحامدية والمحمودية المترتبة على جمال نعتى المحبية والمحبوبية فتامل فانها من الاسرار الخفية والانوار الجلية

(أهدى به) بفتح الهمزة أى أرشد الخلق بسببه (بعد الضلالة) أى بعد تحقق حضور حصولها منهم أو بعد تعلق ثبوت وصولها بهم وفيه ايماء الى ان ظلمة ضلالتهم لا ترتفع الا بنور هدايته لهم مشيرا الى الحديث القدسى والكلام الانسى ان الله خلق الخلق فى ظلمة ثم رش عليهم من نوره فمن أصابه من ذلك النور اهتدى ومن أخطاه فقد غوى وارتدى ولا يبعد أن يكون المراد بعد ضلالته مشيرا الى قوله تعالى ووجدك ضالا فهدى أى جاهلا بالطريق أو عاشقا بالتحقيق (واعلم) بتشديد اللام المكسورة أى اجعل الناس ذوى معرفة (به) أى بالوحى وانزال القرآن عليه (بعد الجهالة) أى بعد ظهور زمان الجاهلية أيام الفترة أو بعد جهالته لقوله سبحانه وتعالى ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان يعنى تفصيله (وارفع به) أى ببركته رتبة هذه الامة (بعد الخمالة) بفتح الخاء المعجمة بمعنى الخمول أى بعد ان لم يكن لهم ذكر وقدر وشان و برهان فى الظاهر وان كانوا فى علم الله تعالى وفى اللوح خير أمة أو أرفع شانه بتعليمنا اياه ببيانه بعد خمول ذكره وخفاء أمره كقوله تعالى ورفعنا لك ذكرك (واسمى به) بتشديد الميم المكسورة كذا ضبطه الشراح ولا يبعد ان يجوز بتخفيف الميم أى أشهره بالمعرفة (بعد النكرة) بضم النون (وأكثر به) من التكثير ويجوز من الاكثار أى اجعل الكثرة ببركته (بعد القلة) أى فى ماله وفى عدد اتباعه

لسؤال مقدر تقديره هل ينفع بهذا الظاهر المطهر الكامل فى نفسه غيره فقال (أهدى به بعد الضلالة) كما قيل وقيل انما فصله لعلو رتبة الهداية سواء كانت الايصال أو الدلالة الموصلة وأهدى بفتح الهمزة مضارع هدى وفيه تقوية لمدحه السابق والمراد الهداية الى ما به النجاة والى ما به تكميل الناجى فلذا قال (وأعلم به بعد الجهالة) والضلالة بمعنى الضلال وهو سلوك غير الطريق الموصلة ويقال أضل الشئ اذا ضيعه وهى تكون عن قصد وعمد وبغير قصد كقوله تعالى فعلتها اذا وأنا من الضالين أى المخطئين وبين الهداية والضلالة صنعة الطباق البديعية والباء للسببية أو للتعدية واعلم مضارع بضم الهمزة وتشديد اللام كما فى المقتفى والجهالة بفتح الجيم مصدر كالضلالة بمعنى الجهل والجهل والجهالة ضد العلم وهو الاعتقاد الذى لا يطابق الواقع وفى المصباح جهلت الشئ جهلا وجهالة خلاف علمته وفى المثل كفى بالشك جهلا انتهى (وارفع به بعد الخمالة) ضبطه ابن رسلان بفتح الخاء المعجمة والميم ونقل عن بعض النحاة انه لا يقال خمالة وانما هو خمولة وفى الصحاح الخامل الساقط الذى لا نباهة له وقد خمل يخمل خمولا وأخملته أنا وفى الجمهرة رجل خامل الذكر بين الخمول والخمولة وهو ضد النبيه والنابه * أقول هذا الحديث صحيح وثبوت هذه اللفظة فيه يكفى دليلا لصحتها أو هو لمشاكلة الضلالة وللازدواج معها ولو قلنا انه غير قياس والمراد برفعه جعل الدين والتوحيد بعد ما ترك فى الفترة لغلبة الجهل مشهورا شائعا فهو مجاز كقوله تعالى عز وجل ورفعنا لك ذكرك وبين الجهالة والخمالة طباق أو شبهه (وأسمى به بعد النكرة) يقال أسميته كأكرمته وسميته بالتشديد ككرمته ويتعدى بنفسه وبالباء كسميته زيدا وبزيد اذا جعلته اسماله وعلما وبالتشديد ضبطه البرهان فى المقتفى وروى بضم الهمزة وسكون السين المهملة والنكرة بضم النون وسكون الكاف وبفتح النون وكسر الكاف خلاف المعرفة ويطلق بمعنى المجهول كقول الشاعر فى مجهول النسب

وأمه معرفة * لكن أبوه نكرة

والباء للسببية أى أعرف الناس بسببه أو بما أوحيه اليه الناس المجهولين أو أعرفهم ما جهلوه من التوحيد أو أعرف الناس ما لم يعرفوه من الانبياء وقصصهم وقيل الاولى التعميم وقيل المراد أعرف به من هو فى حكم النكرة غير معروف ولا بشهرة موصوف وهو تكلف وبين التعريف والتنكير شبه الطباق ومعنى هذا وما قبله انى أرسله فى زمان جهالة وضلالة وفترة فيؤمن به أول ما كان الناس ضعفاؤهم على عادة الرسل عليهم الصلاة والسلام فيصيرون به بعد خمولهم وكونهم مجهولين أعز الناس وأكرمهم فان من الصحابة رضى الله تعالى عنهم من كان بدويا واعرابيا وبعد اشراق نور النبوة عليه صار صدرا تقبل الجبابرة يديه ورجليه وقد كان الدين والعلم قبيل بعثته عليه الصلاة والسلام نكرة لكن لا تقبل التعريف فأفاض الله منه على أمته ما لم تسمع به الامم حتى أبدعوا علوما وتآليف تحار فيها الافكار فجزاه الله خير الجزاء وهذا من خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم (وأكثر به بعد القلة) أكثر بضم الهمزة وسكون الكاف وكسر المثلثة وتخفيفها أو بفتح الكاف وتشديد المثلثة المكسورة لانه يتعدى بالهمزة والتضعيف قال الله تعالى قد جادلتنا فأكثرت جدالنا وقولهم أكثر من الاكل يحتمل زيادة من وحذف المفعول أى أكثر الفعل من الاكل كما فى المصباح والمراد انه يكثر به الارزاق مطلقا أو على من اتبعه أو أكثر أمته بعد قلتها فى ابتداء أمره أو بعد عدمها لان القلة ترد فى كلام العرب بمعنى العدم أيضا وهو بعيد وقيل المراد أكثر به قواعد الملة بعد القلة لانهم كانوا اذلة وجاء

(وأغنى) من الاغناء أي اجعله غنيا أو أمته أغنياء (به) أي بنبوته وجهاده ورياضته وصبره على فاقته (بعد العيلة) بفتح العين وهي الفقر ومنه قوله تعالى وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء (وأجمع به بعد الفرقة) ايماء الى قوله تعالى واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا وهذا معنى قوله (وأؤلف) أي أوقع الالفة والمودة (به بين قلوب مختلفة) أي في اغراض فاسدة (وأهواء متشتتة) أي آراء مبتدعة غير مجتمعة (وأمم متفرقة) وجماعات من قبائل متباينة قال التلمساني وقع هنا بخط المصنف بتقديم التاء على الفاء من التفرق وبتقديم الفاء على التاء من الافتراق وهي نسخة العوفي (واجعل أمته خير أمة أخرجت للناس) كان حقه ان يقول به هنا أيضا لان خيرية أمته انما هي لاجل أفضلية نبوته بناء على الملازمة العادية لكن جعله سببا أولى من عكس القضية كما أشار صاحب البردة الى هذه الزبدة بقوله

لما دعا الله داعينا لطاعته ... بافضل الرسل كنا أفضل الامم

(وفي حديث آخر) رواه الدارمي عن كعب موقوفا والطبراني أحمد وأبو نعيم في دلائله عن ابن مسعود (أخبرنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن صفته في التوراة عبدي) أي المخصوص عندي

فاقامها وأعاد منها ما انقص بكلمة التوحيد وهو تكلف (وأغنى به بعد العيلة) أغنى مضارع من الاغناء وهو اعطاء الغنى والعيلة بفتح المهملة وسكون التحتية الفقر قال الله تعالى ووجدك عائلا فأغنى من عاله اذا قام بامره وكفله والعامة تقول عيلة بمعنى عيال جمع عيل كجياد وجيد ولو استعمله بليغ كان له وجه من المجاز والصحيح ورود العيلة بمعنى عيال كما فصله البيهقي في كتاب الانتصار للشافعي والمراد ما كان هو وأمته عليه في ابتداء أمره ثم صار بعد ذلك لهم من النعم والسعة بما أحل لهم من الغنائم وفتح من الممالك ما هو غني عن الشرح والبيان (وأجمع به بعد الفرقة) أي أجمع به بين الناس بعد افتراقهم وتنافر قلوبهم لما بينهم من العداوة المؤدية للحروب وترك الديار كما كان بين العرب والعجم وبين قبائل العرب وبين القبيلة الواحدة ألا ترى ما كان بين المسلمين والمشركين مما أدى الى الهجرة وترك الاوطان وبين الاوس والخزرج من الحروب والمهاجاة بل بين الاب والابن والاخ وأخيه كما قال أبو قراش

وقبلي كان الغدر في الناس شيمة ... وذم زمان واستلام خليل
وفارق عمرو بن الزبير شقيقه ... وخلى أمير المؤمنين عقيل

فلما جاء الاسلام ألف الله بين قلوبهم وسل أحقادهم وضغائنهم حتى صار الواحد منهم ينزل عن احدى زوجتيه للآخر ويقطع برده نصفين أو المراد انه جمع العقائد والملل على التوحيد وملة الدين أو المراد الاعم منهما فقوله (وأؤلف به بين قلوب مختلفة وأهواء متشتتة وأمم متفرقة) عطف تفسير لما قبله ومتفرقة كما قال التلمساني بتقديم التاء على الفاء من التفرق وبتقديم الفاء على التاء من الافتراق في نسخة العوفي والتاليف جعل الاشياء مؤتلفة مجتمعة أي أجمع بينهم على مودة وائتلاف بعد الافتراق والعداوة كما قال الله تعالى واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا واسناد التاليف الى الله في الآية لا ينافي كون التاليف بسبب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لانه السبب الظاهري والفاعل الحقيقي هو الله تعالى عز وجل والتاليف بين القلوب يستلزم التاليف بين الذوات فلا منافاة بينهما كما توهم أو المراد التاليف بين عقائدهم بحيث تكون عقيدتهم واحدة متفقة على الحق والتوحيد والاهواء جمع هوى وهو ميل النفس لما تشتهيه وتحبه والمتشتتة المتفرقة أي أجعل هويهم واحدا متفقا محمودا والهوى غلب اطلاقه على المذموم كما قال الله تعالى ولئن اتبعت أهواءهم بعد ما جاءك من العلم والامم جمع أمة وهي الفرقة من الناس وغيرهم يعني ان كل أمة كانت على دين واعتقاد وعلى طريقة فمنهم من يعبد الاصنام ومنهم من يعبد الكواكب ومنهم من هو على دين موسى عليه الصلاة والسلام ومنهم من هو على دين عيسى عليه الصلاة والسلام فنسخ الله بشريعته صلى الله تعالى عليه وسلم جميع الشرائع وجعل الدين دينا واحدا قيما من حاد عنه هلك وشقي في الدارين (واجعل أمته خير أمة أخرجت للناس) كما قال الله تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس أي أنه تعالى قضى بذلك وقدره في الازل وعالم الذر وأخرجت بمعنى أوجدت وخلقت وأخرجت من العدم والمراد أمة الاجابة وهم من آمن به صلى الله تعالى عليه وسلم ويطلق على أمة الدعوة وهم جميع الناس الموجودين بعد بعثته صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل المراد كنتم مذكورين في الامم الذين قبلكم موصوفين بانكم خير لخيرية نبيكم ودينكم أو بما بينه من قوله بعده تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله وفي هذه الآية دليل على ان اجماعهم حجة (وفي حديث آخر أخبرنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن صفته في التوراة) رواه الطبراني وأبو نعيم في الدلائل عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه والدارمي عن كعب موقوفا ورواه باسناد ضعيف (عبدي

(أحمد المختار) أى على سائر الاخيار وفى نسخة بالجر فاللام للجنس الاستغراقى أى أحمد كل من اخترته واصطفيته من الانبياء والملائكة والاصفياء (مولده) أى مكان ولادته وظهور رسالته (بمكة ومهاجره) بضم الميم وفتح الجيم أى موضع هجرته ومحل نقلته (بالمدينة) ليحصل للحرمين الشريفين بركته أولا وآخرا وباطنا وظاهرا وليكون زيارة البقعتين بمنزلة اداء الشهادتين (أوقال طيبة) بفتح الطاء وهو اسم من أسماء المدينة كطابة والتقدير انه قال بالمدينة أو بطيبة كما فى نسخة فاو للشك فى الاسم لا فى المسمى وقد روى ان لها فى التوراة أحد عشر اسما هذا منها وكانت قبل الاسلام تسمى بيثرب باسم رجل من العماليق قبيلة منسوبة الى عملاق كان يسكنها فلما جاء الاسلام وسكنها عليه الصلاة والسلام كره لها هذا الاسم لما فيه من لفظ التثريب فسماها طيبة وقد جاء فى القرآن لفظ يثرب ولكن الله سبحانه وتعالى لم يسمها بذلك وانما قاله حكاية عن الكفار والمنافقين وقال واذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا فنبه سبحانه وتعالى بما حكى عنهم انهم قد رغبوا عن اسم سماها به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأبوا الا ما كانوا عليه من جاهليتهم وقد سماها الله سبحانه وتعالى المدينة بقوله ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب أن يتخلفوا عن رسول الله وقد روى فى معنى قوله تعالى وقل رب أدخلنى مدخل صدق انه المدينة وان مخرج صدق مكة وسلطانا نصيرا الانصار وقد ورد من سمى المدينة بيثرب فليستغفر الله هى طابة رواه أحمد فى مسنده عن

البراء (أمته الحمادون لله) أى المبالغون فى حمده سبحانه وتعالى تبعا لنبيهم أحمد فكما انه أحمد الخلق فهم أحمد الامم ومما يدل على كثرة حمدهم ودوام شكرهم تقييده بقوله (على كل حال) أى من السراء والضراء وفى حاشية المنجانى أمته الحمادون يحمدون الله على كل حال وفى رواية حماد بن سلمة عن كعب انه قال وجدت فى التوراة زيادة على هذا وهى يوضئون أطرافهم ويتزرون على انصافهم فى قلوبهم أناجيلهم يصلون الصلاة لوقتها رهبان بالليل ليوث بالنهار ولم تزل اليهود بعد ما غيرت من صفات رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم تغار على ظهور شئ مما بقى فيها وتكتم أشد الكتم وقد أخرج ابن أبى شيبة عن عبد الله بن مسعود فى مسنده انه قال ان الله تعالى عز وجل انبعث نبيه لادخال رجل الجنة وذلك ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم دخل كنيسة فاذا هو بيهود فاذا يهودى يقرأ التوراة فلما أتوا على صفة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أمسكوا وكان فى ناحيتها رجل مريض فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما لكم أمسكتم فقال المريض انهم أتوا على صفة نبى فامسكوا يعنى على عادتهم أو لاجل حضورك عندهم قال ثم جاء المريض يحبو حتى أخذ التوراة وقال للقارئ ارفع يدك فرفع يده فقرأ حتى أتى على صفة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أى بكمالها فقال هذه صفتك وصفة أمتك ثم قال أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أنك رسول الله فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لوا أخاكم وأخرج الواقدى فى مصنفه مما يتعلق بصفات رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال كان النعمان السابى حبرا من أحبار اليهود فلما سمع بذكر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قدم عليه فساله عن أشياء ثم قال ان أبى كان يختم على سفر ويقول لا تقرأه على يهود حتى تسمع بنبى قد خرج بيثرب فاذا سمعت به فافتحه قال النعمان فلما سمعت بك فتحت السفر فاذا فيه ما يحل وما يحرم واذا فيه انك خير

أحمد المختار) أضافه اليه تشريفا له وأحمد عطف بيان أو بدل والمختار الذى اختاره من جميع خلقه وهو بمعنى المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم (مولده بمكة) أى موضع ولادته صلى الله تعالى عليه وسلم فى هذه البقعة الشريفة (ومهاجره) أى محل هجرته الذى هاجر اليها صلى الله تعالى عليه وسلم (بالمدينة أوقال طيبة) والمدينة المصر الجامع ووزنها فعيلة لانها من مدن وقيل مفعلة بفتح الميم من دان غلبت على مدينة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم والجمع مدائن بالهمزة على القول باصالة الميم ووزنها فعائل وبغير همزة على القول بزيادتها ووزنها مفاعل لان للياء أصلا فى الحركة فترد اليه كما قيل فى معائش والهجرة فى اللغة الترك ثم خصت بترك مكان الى آخر وكانت واجبة قبل فتح مكة وللمسلمين هجرتان للحبشة وللمدينة وغالب الانبياء عليهم الصلاة والسلام وقع لهم الهجرة لعداوة الناس لهم وكان اسم المدينة يثرب فكره النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ذلك لما فيه من ايهام معنى التثريب ولها اسماء منها ما ذكروه وطيبة بفتح الطاء وتخفيف الياء الساكنة مؤنث طيب بالفتح لغة فى الطيب بمعنى الرائحة الطيبة أوهى مخففة من طيبة بالتشديد ويقال طابة أيضا والمراد انها مطهرة من الشرك والخباثة وقوله أوقال شك من الراوى فيما قاله النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وطيبة مجرور بالفتح لمنعه من الصرف تقديره أوقال بطيبة لا مرفوع تقديره مهاجره طيبة وان جاز على بعد فيه قيل وظرفية طيبة لمهاجره بضم الميم وفتح الجيم من ظرفية الكلى للجزئى كما يقال الانسان فى زيد وكذا مولده بمكة ولو قيل انه مصدر ميمى لم يبعد فتدبر (أمته الحمادون لله على كل حال) الحمادون الكثيرون الحمد وتعريف الطرفين يفيد الحصر فكثرة الحمد مختصة

الانبياء وان أمتك خير الامم واسمك أحمد وأمتك الحمادون قربانهم دماؤهم وأناجيلهم فى صدورهم لا يحضرون قتالا الا وجبريل معهم يتحنن عليهم تحنن الطير على فراخه ثم قال اذا سمعت به فاخرج اليه وآمن به فكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يحب ان يسمع أصحابه حديثه فاتاه يوما فقال له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يا نعمان حدثنا فابتدأ النعمان الحديث من أوله فرؤى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يتبسم وقال أشهد أنى رسول الله والنعمان هذا هو الذى قتله الاسود العنسى وقطعه عضوا عضوا وهو يقول أشهد أن محمدا رسول الله وانك مفتر كذاب على الله (وقال تعالى) أى فى حق المتقين من المؤمنين (الذين يتبعون الرسول النبى) أى الجامع بين مرتبة النبوة وهى أخذ الفيض من الحضرة بالحق المسمى بالولاية وبين مرتبة الرسالة وهى تبليغ الاحكام الشرعية الى الخلق فهو برزخ جامع بين الاستفادة والافادة وبين الكمال والتكميل الذى هو أعلى مقامات أرباب السعادة ولعل وجه تقديم الرسالة فى الذكر مع تأخر تحققها فى الوجود هو الاهتمام بنعت الرسالة أو الترتيب بحسب التدلى لا الترقى فى المرتبة (الامى) أى مع كونه بعيدا عن الكتابة والقراءة السابقة الدالة على ان معارفه كلها من العلوم اللدنية والفتوحات الغيبية (الآيتين) أى الى آخر الآيتين الدالتين على نعوته الجلية وصفاته البهية وهو الذى يجدونه أى يصادفون نعته ويعلمون صفته مكتوبا

عندهم فى التوراة والانجيل وهما زبدة الكتب المنزلة على اليهود والنصارى يأمرهم بالمعروف استئناف مبين لاوصافه المزبورة عندهم أو مطلقا أى يأمر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بما يعرفه جميع أرباب المعرفة بالمنقولات ويستحسنه أرباب الطبيعة المستقيمة من أصحاب المعقولات حيث يأمرهم بمكارم الاخلاق ومحاسن الصفات وينهاهم عن المنكر أى جنس المنكرات شرعا وعرفا نقلا وعقلا ويحل لهم الطيبات أى الحلالات والمستلذات ويحرم عليهم الخبائث أى المحرمات والمضرات ويضع عنهم أى عن من تبعه من اليهود والنصارى خصوصا اصرهم أى عهودهم الثقيلة التى أخذ عليهم العمل بها فى التوراة من العبادات والرياضات والسياحات والاغلال التى كانت عليهم من التكاليف الشاقات كقطع الاعضاء الخاطئة وقرض مواضع النجاسات وتعين القصاص فى العمد والخطا واحراق الغنائم وظهور الذنوب على أبواب فاعليها فالذين آمنوا به وعزروه أى عظموه فى نفسه ونصروه على عدوه واتبعوا النور الذى أنزل معه أى مع رسالته وهو القرآن أو الوحى الشامل للكتاب والسنة أولئك هم المفلحون الفائزون بالرحمة الابدية قل يا أيها الناس أى الشامل لليهود والنصارى وغيرهم عامة انى رسول الله اليكم جميعا أى كافة بخلاف موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام فانهما كانا مبعوثين الى بنى اسرائيل خاصة ولعله من هنا قال عليه الصلاة والسلام لو كان موسى حيا ما وسعه الا اتباعى يعنى لما كان هو وغيره كعيسى الا اتباعى الذى له ملك السموت والارض أى حيث يعم ملكه العلويات والسفليات شملت رسالته جميع الموجودات على ما بيناه فى بعض المصنفات لا اله الا هو فكانه لا رسول له الا هو فانه لولاه لما خلق غيره ولما وجد من يعرف معنى هو لا من حيثية مبناه ولا من طريقة معناه يحيى ويميت بالابقاء والافناء وبالهداية والاغواء فآمنوا بالله ورسوله النبى الامى تأكيد وتثبيت أو تبكيت لتوقفهم عن الايمان بمثل هذا النبى الذى يؤمن بالله ايمان مشاهدة وعيان ومراقبة وايقان وكلماته وبجميع

بهذه الامة على كل حال من قيام وقعود واضطجاع وسفر وحضر فى السراء والضراء لان الله تعالى مستحق الحمد استحقاقا ذاتيا فلا يختص بحال دون حال وهو بالنظر للمجموع أو الغالب أو المتعين منهم أو هذا من شأنهم وحمله على الكل تكلف كما قيل والحمد لا يلزم ان يكون فى مقابلة النعمة كالشكر فلا يحتاج الحمد فى الضراء للتوجيه وان كان العبد منعما عليه فى كل حال بنعمة الايجاد والجوارح والحواس والضراء منفعة بالثواب عليها وحفظه عن الاضر ولك أن تقول كثرة الحمد فى هذه الامة لما فى أوقات الصلوات من قراءة سورة الحمد والثناء على الله فيها على أبلغ وجه لم يقع لغيرهم من الامم واعلم ان فى بعض الشروح الاعتراض على المصنف وغيره ممن أكثر النقل من التوراة وغيرها من الكتب المنسوخة وقد حرم الفقهاء قراءتها والنظر فيها فانها محرفة مبدلة وبالغ بعض الفقهاء فقال يجوز الاستنجاء بأوراقها وهذا مما لا ينبغى التلفظ به ثم انهم اختلفوا بعد ذلك فى تحريفها وتبديلها هل هو بتغييرها بالزيادة والنقصان أو بتأويلها وتفسيرها بغير المراد منها وقالوا الاشتغال بها ينافى الغرض من نسخها فلا يجوز وذهب بعضهم الى أن التحريف فى التأويل لا غير لاستحالته بعد انتشارها وكثرة نسخها ولا مانع من قراءتها لمعرفة صفة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فيها ولالزامهم بما أنكروه وكيف يحرم هذا وقد قال الله تعالى قل فأتوا بالتوراة فاتلوها ووقع فى الاحاديث النقل عنها ولو حرفوها لحرفوا آية الرجم التى ألزمهم عبد الله بن سلام رضى الله تعالى عنه بها وقد ارتضى هذا ابن تيمية وفى شرح التجانى اذا وجد فيها ما يقوم النظر على عدم تبديله وأفاد النظر فيه مقصدا شرعيا فلا يبعد ان يباح النظر فيه والاشتغال به وهو كلام حسن (وقال الله تعالى الذين يتبعون الرسول النبى الامى الآيتين)

أى اقرأ واذكرها تين الآيتين بتمامهما أعنى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم أصرهم والاغلال التى كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون قل يا أيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا الذى له ملك السموات والارض لا اله الا هو يحيى ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبى الامى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون وانما اقتصر المصنف على بعضهما للاختصار ونحن ذكرناهما ايضا حالمن لم يحفظ وادخار الثواب التلاوة وانما ذكر المصنف هاتين الآيتين لان الفصل معقود للشهادة أى لكونه عليه الصلاة والسلام شاهدا على أمته وغيرهم ولما يتعلق بها فذكر أولا ما يدل على مقصوده من القرآن العظيم ثم بين بانه موصوف بذلك فى الكتب الالهية كالتوراة والانجيل ثم ذكر هذه الآيات لتعلقها بما ذكر لانها تدل على صحة ما نقل من التوراة فى ذكره فيها وقد قال فى الترجمة ذكر الشهادة وما يتعلق بها وقد قيل انه ذكر استطرادا لما فى الآية الاولى من التنبيه على ان وصفه واسمه مذكور فى التوراة كما نقله وفى الثانية ذكر كونه رسولا ونبيا أميا كما فى التوراة وقيل ذكرت لما فرض من الثناء والمدح له صلى الله تعالى عليه وسلم ولما نزل قوله تعالى ورحمتى وسعت كل شئ قال ابليس لعنه الله تعالى أنا شئ فطمع فى الرحمة فلما سمع قوله تعالى فسأكتبها للذين يتقون أيس من أن تناله الرحمة وقالت اليهود والنصارى نحن متقون داخلون فى هذه الرحمة فلما سمعوا قوله تعالى الذين يتبعون الرسول الى آخره خرجوا عن العموم وهذا كما روى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه قال كتبها الله لهذه الامة وهو كما قيل مبنى على ان الذين يتبعون خبر مبتدأ تقديره هم الذين الخ أو بدل بعض ان كان تعريف الموصول هنا للاستغراق فان كان للعهد فهو بدل كل من كل فان جعل الذين مبتدأ وقوله يأمرهم الى آخره خبره فلا تخصيص الا أنه يخالف التفسير المأثور عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما والقول بان البدل مخصص ذهب اليه كثير من الاصوليين كابن الحاجب وغيره وأنكره الهندى لان المبدل منه فى نية الطرح ولا حجة له فيه لانه وان لم يكن مطروحا من كل الوجوه فطرحه يدل على خلاف مدعاه ونقل عن الشافعى رحمه الله تعالى انه كان يقول بدل البعض والاشتمال من المخصصات وهو الحق والامى هو الذى لا يقرأ ولا يكتب وهو صفة مادحة للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقدم تقريره والقول بانه صلى الله تعالى عليه وسلم كتب بيده بعد ذلك تقدم ما فيه وانه نسبة لام القرى أو لامه التى ولدته وفى شرح التجانى أنه قرئ فى الشواذ الامى بفتح الهمزة منسوب الى الام بمعنى القصد لانه مقصود كل أحد باتباعه وأتباع شريعته وفى تقديم الرسول على النبى مع انه أخص منه مخالفة للظاهر فقيل لانه أرسل فانباء عن الله يعنى انه بمعناه اللغوى وهو المنبئ لا بمعنى من أوحى اليه بشرع سواء أمر بتبليغه أم لا وقيل قدم الرسول للاهتمام به ولذا رد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على البراء بن عازب رضى الله تعالى عنه لما قال آمنت بكتابك الذى أنزلت وبرسولك الذى أرسلت وقال له قل ونبيك الذى أرسلت ليكون الكلام جاريا على الترتيب اللائق به وليسلم من التكرار وقيل انما أخر النبى لدفع احتمال أن يراد بالرسول معناه اللغوى واحتمال أن يراد بالنبى معناه وحقيقته اللغوية أيضا أجيب عنه بانه يحصل من الاجتماع معنى ليس فى الانفراد وقيل ليس الصفة مجرد النبى بل النبى الامى لاشتهاره بذلك فى الكتب السالفة فالمقصود الاخبار بمجموعهما كالرمان حلو حامض فهو أخص من الرسول أو ذكر النبى للتعميم فذكر أولا الاعلى ثم الادنى ليستوعب جميع صفاته لا للترقى ومعنى وجدانه فى التوراة والانجيل انهم يجدونه فيهما اسما وصفة والمعروف ضد المنكر وهو ما عرف

كلمات الله المنزلة على الانبياء مجملة ومفصلة واتبعوه لان متابعته تورث المحبة لعلكم تهتدون لكى تهتدوا ببركة متابعته الى طريق محبته وآداب مودته

(وقد قال تعالى فبما رحمة) قيل ما مزيدة للمبالغة والاظهر انها مبهمة مفسرها رحمة والمعنى فبرحمة عظيمة ونعمة جسيمة كائنة (من الله لنت لهم) أي تلطفت للخلق وتوجهت اليهم من الحق حيث وفقك للرفق وفيه اشارة خفية الى أنه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يريد الثبات على النبوة التي هي ١٦٢ الولاية الخاصة الموجبة أن لا يغفل صاحبها عن الحضرة لحظة ولا لمحة عما يوجب التفرقة المانعة

عن مقام الجمعية وأراد الله سبحانه وتعالى له الترقي الى مقام جمع الجمع بحيث لا تحجبه الكثرة عن الوحدة ولا تمنعه الوحدة عن الكثرة وبهذا تبين أن مقام الرسالة أعلى مرتبة من ولاية الرسول المعبر عنها بالنبوة خلافا لمن توهم خلاف ذلك فقال الولاية خير من الرسالة وان أول كلامه بان المراد بالولاية النبوة لا لجنس الولاية معللا بان الولاية هي أخذ الفيض اللازم منه توجه صاحبه الى الحق وان الرسالة هي الافادة بالاضافة المستلزمة للاقبال على الخلق فانا نقول اذا استغرق في عين الجمع بحيث انه فني عن الجميع ولم يوجد في عين الشهود غيره موجود ولا في الدار غيره ديار فاني يتصور منه الاقبال والادبار وهذا بحر بلا قعر فيرجع الى ساحل بلا وعر (الآية) وتمامها قوله ولو كنت فظا أي سيء الخلق مع الخلق بناء على ان الاستئناس بالناس من علامة الافلاس من

غليظ القلب أي شديده بالعزلة عنهم لانفضوا من حولك أي تفرقوا عن مجلسك ولم يحصل لهم حظ من أنسك فاعف عنهم ما صدر من الغفلة منهم واستغفر لهم فيما يختص بحق الله تعالى اتماما للشفقة عليهم وشاورهم في الامر تلطفا بهم فاذا عزمت بعد المشاورة أو الاستخارة فتوكل على الله ولا تعتمد على ما سواه ان الله يحب المتوكلين المعتمدين على ما قدره وقضاه فيهديهم الى

انه طاعة لله من ترك الاوزار ومن الاتيان بمكارم الاخلاق كصلة الرحم والطيبات كل حسن حلال والخبائث ما كان بخلافه كالخنزير وكل مستقذر ويدخل فيه الربا والسحت بمعنى الرشوة التي تسحت البركة ووضع الاصر بمعنى الثقل أو العهد لان بني اسرائيل أخذ عليهم العهد بالتزام أمور شاقة كقرض موضع النجاسة وتحريم الغنائم فخفف الله عن هذه الامة بعدم التكليف بها وعزروه بمعنى وقروه وعظموه ونصروه بدفع أعدائه عنه والمراد بالنور الذي أنزل معه القرآن أي اتبعوا القرآن مع أتباعه اشارة الكتاب والسنة والمفلحون الفائزون بكل خير (وقال الله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم الآية) ذكر هذه الآية لتعلقها بما تقدم في التوراة من قوله ليس بفظ ولا غليظ أي فبرحمة من الله وما مزيدة لتأكيد الكلام وتزيينه وزعم ابن كيسان انما نكرة تامة في محل جر ورحمة بدل والاول هو الوجه أي برحمة الله لك وتوفيقه ولطفه بك ان خلقك لينا مهذب الاخلاق سمحا صبورا لا يؤاخذ الناس بما فرط منهم حتى جبلت القلوب على محبتك ولو لم تكن كذلك كنت فظا أي شديدا غليظ القلب متجاوزا الحد لا يالفونك فيتفرقون عنك يقال فضضت الشئ فضا فانفض اذا فرقته قيل فامتناع التفرق عنه لامتناع كونه فظا غليظا كما هو شان لو فالشرطية ينتج فيها استثناء نقيض التالي لزوم نقيض مقدمه أي لم ينفضوا من حوله فلم يكن فظا غليظا فانتفاء كونه فظا غليظا اللازم لانتفاء الانفضاض ثابت بابطال الانفضاض المرتب على كونه فظا غليظا بطريق قياس الخلف لانه اثبات مقصود بابطال نقيضه وقيل الاولى أن يقال المعنى لكن لم تكن فظا فلذلك لم ينفضوا والمقصود اظهار المنة وان عدم الانفضاض من اللين الذي هو من رحمة الله ففيها ترهيب وترغيب ولكل وجهة وقيل ليس المراد الاستدلال بانتفاء الانفضاض على لينه وانتفاء كونه غليظ القلب كما في قوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله الخ حيث استدل بانتفاء الفساد على انتفاء تعدد الالهة لان التحقيق ان لو لا تفيد امتناع الشرط لامتناع الجزاء وانما تقتضي انتفاء ما يليها واستلزامه لتاليه كما قرره على انه صلى الله تعالى عليه وسلم عالم بحاله وانه ذو لين وقوله فبما رحمة الخ ليس لافادة أنه ذو لين وانما هو لافادة أن لينه ليس الا برحمة منه تعالى وما ذكر انما يكون استدلالا لو لم يكن عالما بحاله الا أن يقال المقصود بالاستدلال غيره تعريضا ولو قيل لان الغيبة لم يكن تعريضا أصلا فتدبر وقال في الكشاف ما مزيدة للتوكيد والدلالة على ان لينه صلى الله تعالى عليه وسلم لهم ما كان الا برحمة من الله ونحوه قوله تعالى فبما نقضهم ميثاقهم وقال المحقق التفتازاني في شرحه الحصر انما استفيد من تقديم الجار والمجرور وزيادة ما انما تفيد تأكيد ذلك فلذا قيل ان في كلامه حذفا أي ما مزيدة والظرف مقدم للتأكيد والدلالة الى آخره انتهى فهو من باب اللف التقديري وتبعهم بعض الشراح هنا أقول ما ارتكبوه من التكلف من عدم الوقوف على مذهب الزمخشري في هذه المسئلة فانه ذهب الى أن زيادة حرف في التركيب يفيد الحصر والذوق السليم شاهد له فان تقوية الحكم قد يقتضي الحكم أن لا يشاركه غيره فيه وقال ابن هشام في رسالته المشهورة في اعراب لا اله الا الله ذهب الزمخشري الى أن الله مبتدأ واله خبره وقال في أثناء تقريره أن نحو ما جاءني رجل يفيد نفي واحد غير معين فيجوز السامع مجيء اثنين فاذا قيل ما جاءني من رجل علم انه لم يجئه أحد من جنس الرجال ومن ثمة صح أن يقال ما جاءني رجل بل رجلان ولم يصح ما جاءني من رجل بل رجلان وكذا فبرحمة

من الله لنت لهم وفيما نقضهم ميثاقهم لعناهم لولم يؤت بما جوزنا ان اللين واللعن كانا للشيئين المذكورين ولغيرهما وحيث دخلت ما قطعنا بان اللين لم يكن الا للرحمة وان اللعن لم يكن الا لنقض الميثاق انتهى ويؤيده قول الفقهاء ان السبب الموهوم لا يعتبر الا في مقابلة السبب الظاهر كما اذا رأينا قتيلا في محلة أعدائه لا يقال ان غيرهم قتله وحمله الى محلتهم كما في شرح الهداية ثم قال فاذا كنت مجبولا على اللطف واللين فاعف عنهم ما صدر منهم في حقك واستغفر الله واطلب منه المغفرة لهم وطيب قلوبهم بمشاورتهم فيما تريد فاذا اتفقت الشورى على أمر أعزم وتوكل فانك منظور بعين الرضى والمحبة (قال السمرقندي) رحمه الله تعالى تقدم بيانه وترجمته (ذكرهم) أي ذكر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والمؤمنين وفي نسخة ذكره وذكر مشدد فيهما وقيل انه مخفف (منته) أي انعامه أو امتنانه عليهم (انه جعله رسولا رحيما رؤفا لين الجانب) بفتح الهمزة بدلا من منته أو بتقدير بانه والضمير لله أو للشان وخص المؤمنين بالذكر مع عموم رحمته لان الآية في حقهم والضمير راجع اليهم وقد تقدم الفرق بين الرأفة والرحمة في موضعين وقوله لين الجانب يصح ان يكون تفسير الرؤف والجانب أي الذي يليهم منه وهو كناية عن معاملته لهم ومواجهته لهم ولين بتشديد الياء وروى بتخفيفها من اللين بكسر اللام ضد الخشونة (ولو كان فظا خشنا في القول لانفضوا من حوله) المعروف ان الخشونة ضد النعومة والملاسة الا ان الجوهري جعلها ضد اللين وهو الواقع في كلام العرب كقول الحماسي

اذن لقام بنصري معشر خشن * عند الحفيظة ان ذو لوثة لانا

لان اللين في الغالب من الرقة والملاسة فهي عبارة عن الشدة في القول والفعل وقد يمدح بها اذا كانت على من يستحقها كما في البيت وقوله تعالى أشداء على الكفار رحماء بينهم وكونها طبعا وسجية مطردة غير ممدوح وقد قيل ان ظاهر قول المصنف رحمه الله تعالى هنا ان خشونة القول صفة مبينة للفظاظة فيكون التفرق مرتبا على مجرد الخشونة على أمر واحد وهو في الآية مرتب على أمرين الفظاظة وغلظة القلب فما فسر به الآية غير موافق لها فيحتاج هذا للتصحيح والتوفيق فاما ان يقال انه أشار الى ان التفرق مترتب على الاول وحينئذ يلزمه ترتبه على ما تركب منه مع غيره من جنسه وفيه ان لزوم ترتبه على خشونة القول الفعل غير مسلم ويجوز ان يكون فظا في كلامه بمعنى غليظ القلب وخشنا بمعنى فظا ولما كان منشأ الخشونة هذه الغلاظة قدمها في الآية واقتصر عليها المصنف رحمه الله تعالى فان الامر القلبي انما يثمر بعد قول أو فعل فتامل أقول لك ان تقول ترتب التفرق في الآية على أمرين الذي سلمه المعترض غير مسلم لان الجوهري قال الفظ الغليظ وقال في المصباح رجل فظ شديد غليظ القلب يقال منه فظ القلب يفظ من باب تعب فظاظة اذا غلظ حتى يهاب في غير موضعه انتهى فتكون الصفة الثانية في الآية مبينة للاولى كقوله تعالى ان الانسان خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا ففظا في التفسير بمعنى غليظ القلب وقوله خشنا في القول بيان لما به تظهر الفظاظة ففي الآية صفة واحدة وفي التفسير اثنتان عكس ما توهمه المعترض ومن دأبه ان يستسمن الورم على ان ما بنى عليه كلامه من كون خشنا صفة اساس في الهوى وما بناه عليه كبنيان القصور على الامواج (ولكن جعله الله سمحا سهلا طلقا برا لطيفا) سمح بوزن ضرب مصدر كالسماحة بمعنى سهلا ومنه الحديث آتيتكم بالملة الحنيفية السهلة وفسره بعضهم بجواد كريم والسهل بزنته وكذا كل ما بعده الذي لا صعوبة فيه أو لا فظاظة ولا غلاظة والطلق بالفتح هنا ويجوز تثليثه صفة مشبهة وهو في الاصل يوصف به فيقال طلق الوجه أي غير عبوس فيه بشاشة وسرور ويوصف به صاحبه أيضا كما هنا ويكون بمعنى الجواد وليس بمناسب للمقام كما قيل وفيه لغات نظمها ابن مالك رحمه الله تعالى في قوله

من دأبه الافصاح حين ينطق * طلق طليق طلق وطلق

الصلاح وينصرهم بالنجاح والفلاح (قال السمرقندي ذكرهم الله تعالى) وفي نسخة ذكر الله تعالى بتشديد الكاف (منته) أي امتنانه وفي نسخة منونين على صيغة الجمع لاشتمال هذه المنة على منن كثيرة (انه) أي سبحانه وتعالى (جعل) ويروى ان جعل (رسوله رحيما بالمؤمنين رؤفا) أي للمتقين فان الرأفة أرق من الرحمة (لين الجانب) أي مع الأقارب والاجانب في جميع المراتب (ولو كان) أي بالفرض (فظا) أي سيئ الخلق في الفعل (خشنا) أي غليظا (في القول انفرقوا من حوله) أي ولم ينتفعوا بفعله وقوله (ولكن جعله) أي الله سبحانه وتعالى (سمحا) أي جوادا زيادة على ما طلب منه في معاملاتهم أو مسامحا لهم في فرطاتهم وزاد في نسخة سهلا أي لينا (طلقا) بفتح فسكون أي منبسط الوجه (برا) بفتح الباء أي بارا كثير الاحسان الى أمته كالولد البار بابويه وقرابته أو جامعا للخير كله فانه من البر الذي هو وسيع الفضاء (لطيفا) أي رفيقا شريفا يراعي قويا وضعيفا

والبار من فيه خير وشفقة ورفق واحسان ورحمة واللطيف الشفيق لانه صلى الله تعالى عليه وسلم أشفق الناس على أمته وهو من أسمائه تعالى قال الله تعالى الله لطيف بعباده وفسر بالخبير العالم بخفيات الامور وهذه الصفات تفهم من اللين ونفي غلظة القلب فان البخل في محل الانفاق من عدم الشفقة وطلاقة الوجه من عدم الفظاظة لانها تلزمه غالبا والباقي ظاهر (هكذا قاله الضحاك) قال البرهان الحلبي هو ابن مزاحم الهلالي الخراساني التابعي روى عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه وابن عباس رضي الله تعالى عنهما وغيرهما من الصحابة ضعفه بعضهم لكن أحمد وابن معين وثقاه وروى عنه أصحاب السنن وغيرهم وله ترجمة في الميزان وتوفي سنة خمس ومائة وقيل غير ذلك ومن أجلة التابعين أيضا الضحاك بن قيس المعروف بالاحنف واشتهر بالاحنف لم يجوز أحد من أرباب الحواشي أن يكون المراد به هذا ومن حسن الاتفاق موافقة معنى اسم الراوي للمروي وهكذا بمعنى مثل هذا وها للتنبيه والكاف للتشبيه وذا اسم اشارة والمماثلة والمغايرة باعتبار ان اللفظ القائم بمتكلم غير القائم بآخر وان اتحد نوعهما أو حرف التشبيه مقحم غير مقصود أي هذا وسترى تحقيقه قريبا (وقال الله تعالى عز وجل * وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) سيأتي تفسير هذه الآية وفسر بعض الشراح رحمه الله تعالى قوله كذلك فقال اسم الاشارة المجرور بالكاف التي للتشبيه واللام قبل كاف الخطاب لبيان كون المشار اليه بعيدا وهو ما فهم من الآية قبلها أي وكما جعلناكم مهتدين الى صراط مستقيم أو جعلنا قبلتكم أصل القبل أقول هذا خلاف ما ارتضاه المحققون من شراح الكشاف فيه وفي أمثاله قال العلامة التفتازاني رحمه الله تعالى في قول الكشاف أي ومثل ذلك الجعل يريد ان ذلك اشارة الى مصدر الفعل المذكور بعده لا الى جعل آخر يقصد تشبيه هذا الجعل العجيب به على ما يتوهم من ان المعنى ومثل جعل الكعبة قبلة جعلناكم أمة وسطا واذا تحققت هذا فالكاف مقحمة اقحاما كاللازم لا يكادون يتركونه في لغة العرب وغيرهم هكذا ينبغي ان يفهم هذا المقام انتهى أقول هكذا قاله الطيبي وغيره ولم أزل أبحث عن هذا كل من ناقشته من الفضلاء فلم أظفر بما يثلج الصدر فتصفحت الدفاتر وراجعت خزائن الضمائر فرأيت في شرح القصائد الطوال في شرح قول زهير

كذلك خيمهم ولكل قوم * اذا مستهم الضراء خيم

نقلا عن الجرجاني انه قال لفظ كذلك يكون تثبيتا للخبر متقدم أو متأخر فهي نقيض كلا لانها تنفي ذلك فمعنى البيت ان هرما وأباه ثبت لهم حسن في دفع الملمات اذا نزلت بقومهم وان كانت الاخلاق تتغير عند نزول الشدائد وحلول العظائم ومثله قوله تعالى كذلك نسلكه في قلوب المجرمين انتهى فقد علمت من هذا ما ذهب اليه أهل المعاني من ان كذلك يكون في كلام العرب لتثبيت ما بعدها وتقريره من غير نظر للتشبيه وانه طريق مسلوك لبلغاء العرب وتوضيحه ان وجه الشبه يكون كثيرا في النوعية والجنسية كقولك هذا الثوب كهذا الثوب في كونه خزا أو بزا وهذا التشبيه يستلزم وجود امثاله وثبوته في ضمن النوع فاريد به على طريق الكناية مجرد الثبوت لما بعده ولما كانت الجملة تدل على الثبوت كان معناه موجودا بدونه وهي مؤكدة له فكانت كالكلمة الزائدة وهذا معنى قولهم انها مقحمة وامادلالتها على كون ما بعدها عجيبا غريبا فلان ما ليس كذلك لا يحتاج لبيان فلما اهتم باثباته في الكلام البليغ علم انه أمر غريب وبهذا تبين لك معنى قوله ومثل هذا الجعل العجيب * فان قلت ما مناسبة كونهم أمة وسطا شهداء على الناس لما سبق له النظم من تحويل القبلة * قلت وجهه ان أهل الكتاب لما أنكروا تحولهم عن قبلة من قبلهم ردعليهم انكارهم بان هذه الامة وأهل هذه الملة شهداء عليكم يوم الجزاء وشهادتهم مقبولة عند الله فانهم أحق باتباعهم والاقتداء باهل قبلتهم ولا وجه

(هكذا) أي مثل ما سبق لفظا أو معنى (قاله الضحاك) وهو ابن مزاحم الهلالي الخراساني روى عن أبي هريرة وابن عباس وابن عمر وأنس رضي الله تعالى عنهم وعنه خلق وثقه أحمد وابن معين وضعفه شعبة أخرج له أصحاب السنن الاربع وتوفي سنة خمس ومائة (وقال تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطا) أي خيارا أو عدولا أو معتدلين في الاخلاق غير واقعين في طرفي الافراط والتفريط من التشبيه والتعطيل والاسراف والتقتير والتهور والجبن وامثال ذلك (لتكونوا شهداء على الناس) أي بتبليغ رسالة أنبيائهم اليهم (ويكون الرسول عليكم شهيدا) أي مطلعا ومشاهدا ومشرفا

(قال أبو الحسن القابسي) بكسر الموحدة وسبق ذكره (أبان الله تعالى) أي أظهر وأبينا (فضل نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وفضل أمته بهذه الآية) أي بسببها أو فيها بقوله (وفي قوله) أي سبحانه وتعالى (في الآية الاخرى وفي هذا) متعلق بما قبله (وهو) أي الله سبحانه وتعالى (سماكم المسلمين من قبل) يعني في الكتب المتقدمة (وفي هذا) أي القرآن (ليكون الرسول شهيدا عليكم) بالتبليغ اليكم (وتكونوا شهداء على الناس) بتبليغ رسلهم اليهم (وكذلك) أي ومثل هذا المعنى يفيده (قوله فكيف) أي كيف حال الكفرة يوم الحسرة (اذا جئنا من كل أمة بشهيد) أي بنبي يشهد على أمته (الآية) وفي بعض النسخ تمامها وجئنا بك على هؤلاء أي على الشهداء من الانبياء أو على أمتك من الاصفياء والاولياء شهيدا حين يشهدون على الامم المكذبة بتبليغ الانبياء اليهم الرسالة (وقوله وسطا) أي (عدولا) وفي نسخة عدلا أي موصوفين بالعدالة والديانة (خيارا) أي مختارين من هذه الامة ان كان الخطاب للصحابة وان كان الخطاب لجميع الامة فهم خيار الامم السالفة (ومعنى هذه الآية) أي بناء على مبنى هذه العاطفة على الجملة المقدرة المعبر عنها بقوله

لانكاركم عليهم لان قولهم وفعلهم مقبول دونكم وهذا التحقيق لم أسبق اليه فعليك بادخار جواهره في حقاق الاذهان فانك لا تراه في غير هذا المكان (قال أبو الحسن القابسي) تقدم الكلام في ترجمته ونسبته (أبان الله تعالى) أي بين واظهر (فضل نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وفضل أمته بهذه الآية) الباء للتعدية أو السببية واختار بعضهم كونها ظرفية بمعنى في لقوله (وفي قوله في الآية الاخرى) وهي قوله تعالى هو سماكم المسلمين من قبل (وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس) ضمير هو لله أي الله عز وجل سماكم المسلمين فيما أوحاه لرسله عليهم الصلاة والسلام في الكتب القديمة ثم سماكم به في هذا القرآن كما تقدم وقيل المعنى ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام سماكم المسلمين قبل هذا الوقت في قوله تعالى ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك أو ابراهيم عليه الصلاة والسلام سماكم مسلمين كما نقل عنه في هذا القرآن وقوله ليكون متعلق بسماكم وفسرت شهادته بتزكية شهادة المخاطبين وتصديقها على ان على الاولى بمعنى اللام وشهادتهم للانبياء عليهم الصلاة والسلام على أممهم وعلى الثانية على أصلها ان كان المراد بالناس أممهم أو بمعنى اللام ان كان المراد اياهم فتطابق هذه الآية وما قبلها كما سيأتي في كلام المصنف وتعاكسهما لفظا لان التزكية مؤخرة زمانا عن الشهادة في الاولى والمزكي مؤخر رتبة عن المزكى في الثانية وترقى في مدح المخاطبين في الثانية ببيان انهم سيشهدون ويزكيهم من لا ينطق عن الهوى وللاهتمام به قدم ذكره في الثانية وان مثله سيزكيهم ومنهم من فسر شهادتهم بما مر وشهادته على المخاطبين بالتبليغ فيتطابق الآيتان على هذا والظاهر ان شهادتهم هذه قبل شهادتهم تلك فلذا قدمت في احديهما وأخرت في الاخرى لان السياق لهم بدلالة صدرها وان ذكر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فيها وشهادته بالتبليغ وهم غير منكرين لانهم لم يقضوا حق ما افترض عليهم فنزلوا منزلة من لم يبلغه لعدم الجري على موجبها فهي كالشهادة عليهم واستشكلوا كون لام ليكون للتعليل اذا أريد شهادة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم بالتبليغ على المخاطبين لانها لا تتوقف على تسميتهم مسلمين وجعلهم مسلمين بدليل ان من الرسل عليهم الصلاة والسلام من يشهد على أممهم بالتبليغ ولا اسلام لهم فلذا فسرت بالشهادة بالتبليغ مع الاطاعة وقيل مناط العلية الشهادة الثانية وفيه ما لا يخفى ومنهم من جعلها لام العاقبة (وكذلك) أي كما أبانت الاولى فضلهم أبان (قوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد الآية) المراد بالامة جماعة فيها نبيها والشهيد هو النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الذي يشهد على ما عملوه أي كيف يكون حالهم اذا شهد بصلاحهم وفسادهم أو بالاخير فقط أو على التبليغ ويجوز التعميم واقتصر أكثرهم على الاول لانه أنسب بالتوبيخ والآية بالنصب أي أذكرها أو بقيتها وهو قوله تعالى وجئنا بك على هؤلاء شهيدا أي جئنا بك يا محمد على هؤلاء الشهداء شهيدا على صدقهم أو على الامم أو على التبليغ أو على أمتك بالتزكية ولا منافاة بين كون النبي صلى الله تعالى عليه وسلم شاهدا للانبياء عليهم الصلاة والسلام وعلى الامم وبين ما سيأتي من ان أمته صلى الله تعالى عليه وسلم يشهدون وهو يزكيهم اما لانه صلى الله تعالى عليه وسلم يشهد معهم ثم يزكيهم أو انه جعل التزكية شهادة لانها في حكمها (وقوله تعالى وسطا أي عدلا خيارا) الوسط بفتح السين ما وقع بين الطرفين بحيث تكون نسبته اليهما متساوية وقد يراد به ما يكشف من جوانبه ولو من غير تساو كما في المصباح وبسكونها بمعنى بين وفي الفرق بينهما كلام لاهل اللغة بيناه في شرح الدرة ثم استعير لاحسن الشيء وخياره ولذا قيل خير الامور أوسطها وقال الشاعر

حب التناهي غلط * خير الامور الوسط

وردهذا الامام السهيلى فى الروض الانف وقال الوسط يكون مدحا وذما كقولهم أثقل من مغن وسط وقالوا الوسط أخو الدون وانما يمدح به فى مقامين أحدهما لشهادة توسط الشاهد فى الحق وعدم ميله الى أحد الجانبين والثانى النسب كما قيل فى وصف أم المؤمنين خديجة رضى الله تعالى عنها انها كانت وسيطة فى قومها لان وسط القبيلة أعرفها وصميمها لاحاطة الاباء والأمهات به من كل جانب فلذا كان مدحا والاطراف يتسارع اليها الخلل والاوساط محمية عنه وعلى هذا المعنى أشار الطائى بقوله فى وصف قلعة

كانت هى الوسط المحمى فاكتنفت * بها الحوادث حتى أصبحت طرفا

وأورد عليه التجانى فى شرحه أنه مخالف للغة فانهم متفقون فيها على أن الوسط صفة مدح ومنه الصلاة الوسطى وليس واردا عليه فان استعمال الوسط فيما ذكر مجاز فلا يلزم اطراده والسهيلى رحمه الله تعالى لا ينكر كونه بمعنى الخيار وانما ينكر لزوم ذلك له كما قاله بعضهم ومن هنا عرفت انه يرد بمعنى العدل وبمعنى الخيار وبهما فسرت الآية والعدل معناه ظاهر والخيار يكون اسما مفردا بمعنى المختار والاختيار ويكون جمعا لخير كسهم وسهام كما صرح به فى المصباح والعدل فى الاصل مصدر فاذا أطلق على الواحد والجماعة وقد يجمع فيقال عدول ولذا أفرده المصنف رحمه الله هنا وجمعه فيما سياتى فلا منافاة بينهما وقيل على المصنف ان النبى عليه السلام فسر الوسط فى هذه الآية بالعدل فى حديث رواه الترمذى وصححه وثبت تفسيره به فى صحيح البخارى والعدل والخيار معنيان متغايران وقد رجح الاول بتقديمه لشمول الثانى للجماد ولذا أخره وعطفه الزمخشرى باو فجمع المصنف بينهما ان أرادانهما مرادان معا فى الآية فالاكثر على منع مثله وان أراد أحدهما فلا ينبغى العدول عما صح عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اذ الظاهر أنه يبين مراد الله حتما لا احتمالا والمصنف أعلى شانا من أن لا يعرف مثله الا أن يقال أنه ذكر الثانى بالتبعية للاول للزومه له انتهى أقول قد ظهر لك مما قدمناه ان الخيار بمعنى الخير والمختار وكل عدل فهو خير مختار فذكر المصنف له بعد العدل دون عطفه بالواو أو باو لجعله صفة مادحة للعدل لان العدل من هذه الامة لا بد أن يكون خيرا فلا منافاة بين ماذكره وبين الحديث وليس مثله مما يستشكل ويستصعب وفيه اشارة الى أن التفسيرين مآلهما واحد وعطف الزمخشرى اه باو للتخيير بين التفسيرين اللذين ذكرهما السلف فان مآلهما واحد فان اختيارهم للشهادة يدل على انهم عدول فلا ينافى التفسير المأثور بل يناسبه مناسبة تامة فلا وجه لما قيل هنا من أن كلام المصنف رحمه الله تعالى محل تامل حيث أفرد عدلا هنا ووصفه بخيار وهو جمع خير مع جمعه بعده فى قوله عدولا خيارا لما عرفته والعدل يطلق على الواحد وغيره كما فى الصحاح يقال قوم عدل وعدول فما ذكره كله من ضيق العطن وقحط الفطن وفى تركيبه هنا حزازة لانه يحتاج الى تقدير أى قوله وسطا أى عدلا خيارا فيه تفضيل لهم ومدح وقوله (ومعنى هذه الآية وكما هديناكم كذلك خصصناكم وفضلناكم بان جعلناكم أمة وسطا خيارا عدولا لتشهدوا للانبياء عليهم الصلاة والسلام على أممهم ويشهد لكم الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم بالصدق) اشارة الى أن المشبه به فى هذه الآية وهى قوله تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطا الى آخره الهداية المذكورة قبله فى قوله تعالى يهدى من يشاء الى صراط مستقيم وقيل المعنى كما اصطفينا ابراهيم عليه الصلاة والسلام أو كما فضلناكم بهذه القبلة وقد بينا لك أن المحققين من شراح الكشاف على أن المشار اليه ما بعده ولم يقصد التشبيه بما قبله وقدم تفصيله وهو على هذا صفة مصدر مقدر للفعل المذكور بعده والجار والمجرور فى محل نصب أى جعلناكم جعلا كذا وهذا مع ظهوره غفل عنه من قال اسم الاشارة هنا على هذا فى محل رفع على الابتداء على ان جعلناكم بتاويل جعلنا اياكم فيكون كالضمير الذى يفسره خبره ونحو ان هى الا حياتنا الدنيا وهذا تعسف لا معنى له وقوله بان الى آخره تنازعه الفعلان

(وكما هديناكم) أى المستفاد من قوله تعالى يهدى من يشاء الى صراط مستقيم فالمعنى كما هديناكم الى الصراط المستقيم والدين القويم المشترك بين عامة أهل التوحيد والتسليم (فكذلك خصصناكم) بتشديد الصاد ويجوز تخفيفها (وفضلناكم) أى على عامة الامم الماضية (بان جعلناكم أمة) أى جماعة مجتمعة غير متفرقة بل متفقة على حقيقة واحدة (خيارا) أى مختارين بخير الرسل (عدولا) عادلين عاملين بافضل الكتب (لتشهدوا للانبياء) أى الرسل (على أممهم) أى بتبليغ الرسالة يوم القيامة (ويشهد لكم الرسول بالصدق) أى بصدق القول وحق الامانة والديانة (قيل) قد ثبت بطرق متكاثرة كادت أن تكون متواترة فكان حقه أن يقول صح ونحوه ولا يعبر بقيل المشعر بضعفه اذ رواه البخارى وغيره

(أن الله جل جلاله) أي عظم كبرياؤه (اذا سأل الانبياء هل بلغتم) أي أممكم فيما أرسلتكم به اليهم (فيقولون نعم فتقول أممهم ما جاءنا من بشير ولا نذير فتشهد أمة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم للانبياء ويزكيهم النبي عليه الصلاة ١٦٧ والسلام) ويخبر الله تعالى شهادتهم بتزكيته لهم (وقيل معنى الآية انكم) بالفتح ويجوز الكسر أي أيها الامة (حجة) أي ذو شهادة ثابتة (على كل من خالفكم) أي من الامم المكذبة (والرسول حجة) أي بينة واضحة دالة (عليكم) أي على صدقكم وصدق من وافقكم (حكاه السمرقندي) أي نقل هذا القول عن بعض المفسرين (وقال الله تعالى) أي فيما أثنى عليه وبين اكرامه لديه (وبشر الذين آمنوا) أي من امتك لا من غيرهم (ان لهم قدم صدق عند ربهم) ما قدموه من الاعمال الصالحة كما قاله الخطابي وغيره من المفسرين وقال بعضهم ما قدم لهم عند ربهم من السعادة السابقة في اللوح المحفوظ وقد قال حسان بن ثابت

لنا القدم الاولى اليك وخلفنا
لاولنا في طاعة الله تابع

(وقال قتادة والحسن) تقدم ذكرهما (وزيد بن أسلم) هو أبو أسامة مولى عمر بن الخطاب توفي سنة ست وثلاثين ومائة

ويشهد بالنصب والتخصيص بهذه الامة من فحوى الخطاب لانهم اذا كانوا شهداء على جميع الامم السالفة وأنبائهم والرسول شاهد لهم لم يبق أحد من بني آدم غيرهم يشهد هذه الشهادة فانحصرت أو نقول المصنف رحمه الله تعالى مالكي المذهب ومذهب مالك رحمه الله تعالى افادة لام التعليل الحصر كما نقله الخطابي في شرح الآثار عنه في استدلاله بقوله تعالى والخيل لتركبوها على حرمة أكلها فان أردت تفصيله فانظره فما قيل من ان التخصيص من السياق أو نظر اللواقع الى آخر ما ذكره وأطال فيه من غير طائل بعد ما استشكله غير ظاهر وفي قوله ليشهدوا الخ اشارة الى ان على بمعنى اللام لا للمضرة لانها اذا دخلت على المشهود به لا تكون للمضرة وقيل ضمن الشهيد معنى الرقيب وقدم للتخصيص متعلقة وعليه فالناس في الآية بمعنى الانبياء عليهم الصلاة والسلام ولا باس به (قيل ان الله جل جلاله) هذا أبلغ من قوله جل وعلا فانه على نهج جد جده (اذا سأل الانبياء) عليهم الصلاة والسلام (هل بلغتم) ليظهر حال الامم وفضل هذه الامة فانه يعلم السر وأخفى (فيقولون نعم فتقول أممهم ما جاءنا من بشير ولا نذير فتشهد أمة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم للانبياء) عليهم الصلاة والسلام (ويزكيهم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) قال السيوطي رحمه الله في تخريجه هذا حديث مرفوع أخرجه البخاري من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه وقيل عليه ان البغوي روى ان الله يجمع الاولين والآخرين في صعيد واحد ثم يقول للكفار ألم يأتكم نذير فينكرون ويسئل الانبياء عليهم الصلاة والسلام عن ذلك فيقولون كذبوا قد بلغناهم فيسئلهم البينة واقامة الحجة فيؤتى بامة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فيشهدون انهم قد بلغوا فتقول الامم من أين علموا هذا وهم أتوا بعدنا فيقولون يا ربنا أرسلت الينا رسولا وأنزلت علينا كتابا أخبر تنا فيه بتبليغ الرسل ثم يؤتى بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم فيسال عن حال أمته فيزكيهم ويشهد بصدقهم وما ذكره المخرج فيه نظر واضح اذ ما أخرجه البخاري انما هو في نوح عليه الصلاة والسلام وامته لا ما ذكره المصنف رحمه الله تعالى ولذا قال قيل والحكمة في هذا اظهار فضل نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم على سائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام وفضل أمته على سائر الامم بقبول شهادتهم وتزكية أفضل الخلق لهم والله تعالى عالم غني عن السؤال وفيه معنى حسن لكونهم وسطا لتوسطهم بين الامم والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم ولظهور علمهم وعدالتهم واقامة الحجة على غيرهم (وقيل معنى الآية انكم حجة على من خالفكم) (١) قال في المقتفي انكم بفتح الهمزة وفي النسخة التي ذكرت بفتحها وكسرها بالقلم أي اجماعهم حجة وشهادتهم مقبولة معتبرة والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم حجة على الجميع كما قال السمرقندي أيضا (وقال الله تعالى وبشر الذين آمنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم) أي لهم تقدم ورتبة رفيعة عند الله عبر عنها بالقدم لان السبق بها كما سميت النعمة يدا لان بها العطاء واضافة الى الصدق لبيان فضله ومزيته وقال أبو عبيد كل سابق خير قدم وفيه اشارة الى ان الصدق هنا بمعنى الخير مجازا قيل كان حقه ان يذكر هذا في فصل الشفاعة وأجيب عنه بان هذا الفصل لما كان معقودا لوصف الله له بالشهادة وما يتعلق بها كالتبشير بما يدل على فضله وفضلهم عند الله تعالى استطرد التبشير بالشفاعة مع احتمال ان يراد بقدم الصدق تزكيته المقرونة بتصديقه ففيه مناسبة تامة لما نحن فيه (قال قتادة والحسن وزيد بن أسلم) قتادة هو أبو الخطاب ابن دعامة الدوسي الحافظ المفسر وروى عنه خلق كثير وهو ثقة ثبت الا انه قيل فيه انه مدلس توفي كهلا سنة سبعة عشر أو ثمان عشرة بعد المائة وترجمته مفصلة في الميزان والحسن البصري تقدمت

(١) وفي نسخ المتن وشرح القاري وقع هنا قوله والرسول حجة عليكم حكاه السمرقندي والشارح هذا وان أتى به على طريق النقل في طرز آخر الا انه يرى من الشرح كما هو عادته والظاهر من عبارته (لمصححه)

(قدم صدق هو محمد صلى الله تعالى عليه وسلم بشفع لهم وعن الحسن أيضا) أى فى رواية أخرى (هى) أى قدم صدق وأنث الضمير لتانيث خبره وهو قوله (مصيبتهم بنبيهم) سواء أدركوا وقت الموت أو حصل لهم جملة الفوت فانه صلى الله تعالى عليه وسلم حينئذ يكون لهم فرط حق وقدم صدق عند ربهم وقال الحجازى يروى هى فضيلتهم بينهم أى فيما بينهم ولا يخفى عدم ملائمته للمقام ولعله تصحيف أو تحريف ولو كان فضيلتهم بينهم لكان وجها وجيها فانه حينئذ لهم سبق حال صدق وتقدم مقام حق عند ربهم وهذا معنى نسخة هى محبتهم لنبيهم (وعن أبي سعيد الخدرى) نسبة الى خدرة بضم الخاء المعجمة وسكون الدال المهملة قبيلة (هى شفاعة نبيهم محمد صلى الله تعالى عليه وسلم هو شفيع صدق عند ربهم) ولعل التعبير بها عن القدم لاقدامه عليها وتقدمه على سائر أهلها (وقال سهل بن عبد الله التسترى هى سابقة رحمة أودعها فى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) يعنى وفى أمته ببركة متابعته على وفق محبته ووجه الاختصاص مع ان الرحمة بكل أمة لاحقة على وفق سابقة لان سبق وجوده وأثر كرمه وجوده وظهور نوره ونشر سروره مما لا يلحقه أحد من اخوانه كما أشار اليه بقوله كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد ثم قوله أودعها بصيغة الفاعل وهى نسخة المصنف وفى نسخة العوفى على بناء المفعول وجعله التلمسانى مضارعا وهو مستقيم باسناد الفعل اليه سبحانه وتعالى واما قوله ويتجه اذا سقط فى من الكلام ومحمد مرفوع اذ هو النائب محل عن الفاعل وهو الله سبحانه وتعالى فكلام ساقط الاعتبار كما لا يخفى على المعربين الاخيار (وقال محمد بن على الترمذى) هو من كبار المشايخ له تصانيف فى علوم القوم ومن تاليفه نوادر الاصول فى الحديث باسانيده وهو عبد الله محمد بن على بن الحسن بن بشر الزهدى المؤذن روى عن أبيه وقتيبة بن سعيد وغيرهما واعتنى بهذا الشان ورحل فيه وروى عنه يحيى بن منصور وخلق كثير من علماء نيسابور وفانه قدمها سنة خمس وثمانين ومائتين وعاش نحوا من ثمانين سنة وهو معظم جليل علما وعملا واعتقادا عند أكابر ما وراء النهر من العلماء والسادة الصوفية لاسيما الطائفة السادة النقشبندية وتكلم على اعتقاده أبو العباس ابن تيمية من أجل كتابه ختم الولاية ولعله ما فهم مقصوده من الاشارات الخفية وقد سبق تحقيق الترمذى مبنى ومعنى ومنها أبو عيسى الحافظ الترمذى كما تقدم والله أعلم

ترجمته وزيد بن أسلم هو الفقيه مولى عمر رضى الله تعالى عنه وهو ثقة حديثه صحيح توفى سنة ست وثلاثين بعد المائة وله ترجمة فى الكامل والميزان (قدم صدق) مبتدأ خبره المفسر له قوله (هو محمد صلى الله تعالى عليه وسلم يشفع) فى نسخة لهم وروى ليشفع وشفيع فالقدم على هذا الشفيع سمى قدما لتقدمه وسياتى قريبا تفسيره بالشفاعة عن أبى سعيد الخدرى بتقدير قدم انسان صدق أى صادق كرجل عدل والشفاعة طلب نفع للغير ومثله لا يوصف بالصدق والكذب فاما ان يتجوز بالصدق عن القبول لمشابهته لتحقق ما شفع فيه فيصير كالخبر المطابق للواقع أو يقال المراد شفاعة يقدم صاحبها على رجائها كما فى قولهم حمل حملة صادقة وقيل المراد ان الشفيع صادق فى خبره ومن يكون كذلك تقبل شفاعته (وعن الحسن أيضا هى مصيبتهم بنبيهم) أى وفاته صلى الله تعالى عليه وسلم قبلهم كما تقدم انه فرط لهم وسابقة ينفعهم حياته ومماته

كالغيث ان جئته وافاك ريقه * وان تاخرت عنه لح فى الطلب

(وعن أبى سعيد الخدرى) رضى الله تعالى عنه تقدم ان اسمه سعد بن مالك بن سنان بن عبيد بن ثعلبة ابن عبيد بن الابجر بموحدة وجيم وهو ابن خدرة بضم الخاء المعجمة واسكان الدال المهملة الذى نسب اليه على الاصح وقيل خدرة أم الابجر الصحابى الرفيع القدر المشهور من فقهاء الصحابة ومن أصحاب الشجرة توفى بالمدينة ودفن بالبقيع سنة أربع وستين وقيل أربع وسبعين وروى عنه أحاديث كثيرة (هى شفاعة نبيهم محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وهو شفيع صدق عند ربهم) جعلت الشفاعة سابقة لتقدمها أو تقدم صاحبها وقوله وهو شفيع الى آخره اشارة الى ان الصدق صفة مضاف مقدر والصدق بمعنى الصادق أو بمعناه المصدرى وقيل انه اشارة الى جواز تفسير القدم به صلى الله تعالى عليه وسلم باعتبار الشفاعة أيضا كما مر أو الى المسامحة فى تفسيره بالشفاعة فتتوافق الاقوال (وقال سهل بن عبد الله التسترى) تقدم الكلام عليه (هى سابقة رحمة أودعها الله تعالى فى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) قال التلمسانى أودعها بفتح الهمزة والدال والعين وفى نسخة العزفى بضم الهمزة وكسر الدال وضم عين المضارع وفتحه اذا سقطت فى ورفع محمد على أنه نائب عن الفاعل وهو الله وليس ما قاله بشئ لان ودع يتعدى بنفسه لمفعولين على كل حال فتضمن معنى الحفظ ونحوه هنا ولا باس به ومعناه اجعله متصفا بها لينتفع الناس بها عند الحاجة والسبق لما مر أو فى الازل سابقة رحمة بمعنى رحمة سابقة أو الاضافه بيانية وقيل هى رحمة قدمها بوفاته لما فى الحديث اذا أراد الله بامة رحمة قبض نبيها قبلها فجعله فرطا لها وسلفا أو تقدم تفصيله ومثل القدم هنا ما ورد فى الحديث فى صفة النار يضع الجبار فيها قدمه أى من تقدم فى علم الله خلقه لها والجبار اسم الله وقيل الجبار بمعنى الجبارين والقدم على ظاهره وليس هذا

محل تفصيله (وقال محمد بن علي الترمذي) الامام الحافظ أبو عبد الله محمد بن علي بن الحسن بن بشر الزاهد المؤذن الحكيم وليس هو صاحب السنن وهذا روى عن أبيه وقتيبة بن سعيد وغيرهما وروى عنه خلق كثير لما قدم نيسابور سنة خمس وثمانين ومائتين وعاش نحوا من ثمانين سنة وقد طعن الناس في اعتقاده لكلام صدر عنه في بعض تصانيفه والله أعلم بالسرائر وترمذ فيها لغات تقدمت (وهو امام الصادقين والصديقين الشفيع المطاع والسائل المجاب صلى الله عليه وسلم حكاه عنه السلمي) بضم السين وفتح اللام أبو عبد الرحمن شيخ الصوفية وقد تقدم الكلام عليه وهو ضمير عائد على قدم صدق وتذكيره رعاية لمعنى العضو ونحوه والصادق معناه ظاهر وقال الفاضل الزملكاني الصديق فعيل من الصدق وأصله في القول والخبر واختلفوا في تفسيره وورد في الشرع لمعان يجمعها كلها المبالغة في الصدق وتكثيره فاما اقوال العلماء فيه فقيل الصديق من كثر منه الصدق وقيل من لم يكذب قط وقيل من لم يتات منه الكذب لتعوده الصدق وقيل من صدق بقوله واعتقاده وحقق بصدقه فعله واشتهر حتى بلغ درجة تلي درجة الانبياء عليهم الصلاة والسلام وورد في القرآن العظيم في مواضع كقوله تعالى أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم وأولئك اشارة لمن اتصف بالصفات السابقة فمن اتصف بها هو الصديق والشهيد ويعني بالشهداء الانبياء عليهم الصلاة والسلام الذين هم شهداء على الناس يوم القيامة فلهم أجر ونور لم تره عين ولا أذن به سمعت الى آخر ما فصله ونقل فيه كلام أرباب الكشف والصديقية مرتبة قبل النبوة ليس فوقها درجة الا النبوة فهي الولاية وتنضم للنبوة أيضا كولاية النبي ولذا قال الله تعالى في حق ابراهيم عليه الصلاة والسلام انه كان صديقا نبيا ووصف به النبي هنا ومناسبة هذه الآية وتفسيرها لما عقد له الفصل ظاهرة لان العدل في الشهادة المقبول قوله لا يكون الا صادقا صديقا وقد قرنت الشهادة بالصديقية في القرآن على القول المرضي فما قيل من ان هذه الآية ليس فيها الوصف بالشهادة وما يتبعها وانها ليست من الفصل وتخصيصها بالاستطراد غير واضح لا وجه له لا سيما وكونه صلى الله تعالى عليه وسلم اماما مطاعا مجابا لما سال يدل على قبول كلامه وعدم رد شهادته

*(الفصل الثالث فيما ورد في خطابه اياه) أي خطاب الله تعالى لنبيه الكريم صلى الله تعالى عليه وسلم والخطاب في الاصل مصدر بمعنى المخاطبة وهي توجيه الكلام لغيره ويطلق على الكلام المخاطب به وعلى الاول هي نسبة بين المتخاطبين وهي بالنسبة الى الكلام الازلي القائم بالنفس محال ولذا اختلف في صدق الخطاب على الكلام النفسي كما حكاه ابن الحاجب ويصح ارادة المعنيين هنا فالظرفية مجازية من ظرفية الخاص في العام وقيل انه بتقدير حين والورود بمعنى المجيء والوقوع مجاز مشهور أو حقيقة عرفية وقيل انه تجوز في اسناد الورود الى ما خوطب به مجازا عقليا بتشبيه المبرة والملاطفة بشريعة الماء بجامع الانتفاع ففيه استعارة مكنية وتخييلية ولا يخفى ما فيه فتدبر تدر وكون في بمعنى من تأويل من غير داع (مورد الملاطفة والمبرة) مورد اسم مكان أو مصدر ميمي بمعنى الورود والملاطفة المعاملة بلطف وشفقة والمفاعلة مجازية لتنزيل استحقاقه له منزلة فعله أو هي لاصل الفعل من غير مشاركة ولذا عطف عليه المبرة بمعنى البر وهو الاحسان والخير ولا يخفى ان الفصول معقودة لمعان متغايرة وتغايرها ظاهر فلا حاجة لما قيل ان المراد هنا لطف وبرة لم يكن عما سبق من المدح والشفقة أو القسم (فمن ذلك قوله تعالى عفا الله عنك لم أذنت لهم) في نسخة بدل قوله تعالى عز وجل وضمير لهم للمنافقين المتخلفين عن غزوة تبوك وذلك اشارة لما ورد على الوجه المذكور قال في الكشاف وتبعه البيضاوي ان هذا كناية عن الخيانة لان العفو مرادف لها ومعناه أخطأت وبئسما فعلت وقد شنع الناس

(هو) أي قدم صدق (امام الصادقين والصديقين) بكسر الهمزة أي قدوتهم ومقتداهم أو بفتحها أي مقدمهم خلقة ورتبة وقدامهم في مقام الشفاعة كما أشار اليه بقوله (الشفيع المطاع) أي المقبول الشفاعة ولعله عدل عن الشفيع المشفع للايمان الى قوله سبحانه وتعالى ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع يعني بخلاف المؤمنين فانه لهم شفيع مطاع مع ان النفي في الآية منصب على القيد والمقيد جميعا (والسائل المجاب) أي المستجاب في سؤاله الاعم من الشفاعة وبقية أحواله (محمد صلى الله تعالى عليه وسلم حكاه عنه السلمي)

(الفصل الثالث)

(فيما ورد من خطابه اياه مورد الملاطفة والمبرة) أي في عتابه المنزل في كتابه والمورد بفتح الميم وكسر الراء محل ورود الكلام ومقصد المرام والمبرة بفتحتين وتشديد الراء بمعنى البر وهو الاتساع في الاحسان على ما في القاموس (من ذلك) أي من هذا القبيل (قوله تعالى عفا الله عنك) معاتبة على وجه الملاطفة (لم أذنت لهم) أي للمنافقين حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين

عليه في هذا حتى كان سببا لمنع الناس من قراءة كتابه كما حكى عن الامام السبكي لما فيه من ترك الادب وقال ابن المنير في تفسيره المسمى بالبحر عفا الله عنك دعامة في الكلام يقصد المتكلم بها ملاطفة المخاطب وهو عادة العرب في التلطف بتقديم الدعاء لاستدعاء الاصغاء أو خبر معناه لا عهدة عليك لانه تعالى غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر فهو تخصيص وتمييز لا ان الاذن ذنب متعلق به العفو لان تحمله ومسامحته لهم مع أذاهم جلا للشفقة على نفسه واسقاطا للحظوظ فهو عتب عليه بلطف لا ملامة فيه أي قد بلغت في الامتثال والاحتمال الغاية وزدت ما أجحف بك في محبة الله وطاعته والرفق بالبر والفاجر وأين هذا من التخطئة والزمخشري نزع به هنا عرق العجمة لاساءة الادب على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأراد بعضهم أن يصلح ذلك فافسد فقال بدأ بالعفو قبل الذنب ولو عكس انقطع نياط قلبه وكله ذهول عن عتب الحبيب في حيفه على نفسه وهو تخفيف لا تعنيف ومدح لا قدح وهذا كما قيل له اجهد وجد في العبادة طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ولعلك باخع نفسك الخ وان كان يستدعي ذنبا كاستدعاء رضي الله تعالى عنك لغضب سابق فهو تنبيه على انه أمر أن يرفق بنفسه فكانه قيل له أن أبيت الى الحلم والاحتمال فانت غير مؤاخذ بل مثاب كمن يرخص له في لذة وراحة فيعمل بالعزيمة فيقال له ما كان هذا بلازم لك فاذا احتملته فلا عهدة عليك ايجابا لحقه ورفعا لقدره لا لترامه ما لا يلزمه وذلك أنهم ادعوا الطاعة وزاحموا المطيعين في رتبتهم فاستأذنوا ليكون قعودهم باذن لا ينافي دعواهم ولو لم يؤذن لهم هتكوا حجاب الهيبة وخلعوا ربقة الطاعة وقامت الحجة عليهم فانهم ليسوا في ورد ولا صدر فلما أذن لهم تمت مكيدتهم واليه الاشارة بقوله تعالى حتى يتبين لك الى آخره وليس في هذا المخالفة مصلحة مرضية فان الله تعالى بين أنه باذنه لهم طبق نحو الكراهة فانه لا مصلحة في خروجهم بل فيه مفسدة شوهاء وعاقبة شنعاء لانهم لو خرجوا كانوا مخذلين باعثين للفتنة يمشون بالنمائم ويثيرون غبار الضغائن مشتتين للشمل كالظربان فانهم ذباب يقعون على الدبر القذر فكانت المصلحة العظمى في قعودهم وان كان فيه مسترة أمرهم واحتمال مكرهم وغاية الغائلة التباس أمرهم وقيام حجتهم وهو قد عرفهم وانكشفت له عورتهم ولكن لم يفضحهم حلما وكرما واتساع صدور كم ضاق نطاق عمر رضي الله تعالى عنه عن ذلك وأشار بضرب أعناقهم فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم لا يا عمر تتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه فانه قد يخدش الصدور السليمة ويرقع في حصائد الالسنة فاشفق على العدو فاستبقاه وعلى اولى أن تزحزحه الشبه عن رتبة تقاه وجل عما ذلك نفسه في ذات الله تعالى انتهى * أقول جزاه الله خيرا عما أعداه للعقول السليمة من أنفس التحف * ودافع به عن حرم النبوة العالي الرتبة لمن عرف * وأنت اذا تاملت ما بعده من النظم تراه مصرحا بما أفاده ألم تسمع قوله تعالى لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا ولاوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم فاي رأي أشد من الاذن في تخلفهم وأي حلم أعظم من الستر عليهم فكيف يكون في أول الكلام عتاب وآخره بيان لان ما وقع عين الصواب ولو كان هذا في رسالة كاتب مزقها سلطانه * فما ظنك بمالك الملك تعالى شانه (قال أبو محمد مكي قيل هذا افتتاح كلام) أي هذا جار على نهج البلغاء وأرباب الترسل والانشاء في ابتداء كلامهم بالدعاء توقيرا وتعظيما وفيه اشارة الى ان هذه الجملة انشائية دعائية على أرجح الاحتمالين فيها كما سمعته آنفا (بمنزلة أصلحك الله وأعزك الله) أي هو مثله في أنه دعاء للتعظيم لم يلتفت اليه لما يوهمه الدعاء بالصلاح من الفساد ولغيره من الذل كما ورد في الحديث لقد عجبت من يوسف عليه الصلاة والسلام

(قال أبو محمد المكي) مر الكلام عليه وفي نسخة مكي (قيل هذا) أي قوله عفا الله عنك (افتتاح الكلام) أي ابتداء كلام الله سبحانه له في كتابه عند خطابه (بمنزلة أصلحك الله) وما صنعت في حاجتي (وأعزك الله) هلا شرفتني بزيارتك لي ونحو ذلك فيما يخاطب به الملوك والعظماء بتقديم الدعاء والثناء على أبناء الانبياء ونظيره ما ورد في الحديث لقد عجبت من يوسف وكرمه وصبره والله يغفر له حين سئل عن البقرات العجاف والسمان ولو كنت مكانه ما أخبرتهم حتى اشترطت أن يخرجوني والحاصل أن العادة جارية في مقام التبجيل والاكرام لمخاطبة الكرام بنحو هذا الكلام وان لم يكن هناك شيء من الاثام ثم التشبيه لا يقتضي المشابهة من جميع الوجوه فلا يرد أن مثل هذا الكلام انما يكون بين المتساويين في الاقدام أو من الادنى في مخاطبة الاعلى لا بالعكس كما لا يخفى

والسلام وكرمه وصبره والله يغفر له وقد قدم هذا المصنف لانه التحقيق المرضي عنده لما ستعرفه في قوله (وقال عون بن عبد الله أخبره بالعفو قبل أن يخبره بالذنب) عون هذا هو ابن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي الكوفي الزاهد الفقيه أخو عبيد الله الراوي عن أبي هريرة وابن عباس وجمع وقيل روايته عن الصحابة مرسلة وليس بتابعي لكن له حديث عن ابن عمر رضي الله عنهما في مسلم وروى عن الزهري وأبو حنيفة وأبو العميس وأخرج له أحاديث كثيرة وهو ثقة توفي في حدود الستين بعد المائة وفي نسخة خبره بدل أخبره والمعنى واحد وكذا يخبره لكن في المنتهى أن يخبره في النسخة المصححة بالتشديد وهو الصحيح وهو وهم أخبره من تنويع الكلام لان أخبر وخبره بمعنى والتنويع أن يكون في الكلمة لغتان فيجمع بينهما كقول بشار

إذا أنكرتني بلدة أو نكرتها * خرجت مع البازي على سواد

في العبارة ثلاثة أوجه قيل المراد بالذنب هنا خلاف الاولى والاليق لان حسنات الابرار سيئات المقربين والوجه هو الاول بعض الشراح ارجع هذا لما قبله ورد بان بينهما فرقا ظاهرا لانه على الاول لاذنب أصلا والجملة انشائية دعائية وعلى هذا هي خبرية فان أراد أن المآل واحد صح ماقاله ثم ان هذا كيف يعد ذنبا وان لم نقل الجهاد فرض كفاية فتخلف بعضهم بالاذن لا باس فيه لاسيما اذا كان في ذلك مصلحة ونفع وقال نفطويه بالآتي ذكره اذا أمر الملك أحدا على جيش كان ذلك تخييرا له فيما يأمرهم وينهاهم فيمتنع العتب عليه فيما فعله لمصلحة لاسيما اذا كان مقامه في غاية الجلالة عنده (وحكى السمرقندي عن بعضهم أن معناه عافاك الله ياسليم القلب لم أذنت لهم) فيه ايهام لان عفا من المعافاة لاشتراكهما في أصل المادة وليس بمراد بل قصد التجنيس للفرق بينهما ولذا ورد الجمع بينهما في الحديث نسألك العفو والعافية والمعافاة الدائمة وفيه اشارة الى أن الذنب كالمرض والعفو عنه بمنزلة الطب الشافي له الا أنه قيل عليه أن سليم القلب ليس بمناسب هنا لانه وان كان مدحا في نحو قوله تعالى الامن أتى الله بقلب سليم لان معناه خلوصه من الغل والغش الا أنه صار في الاستعمال عبارة عن الغفلة وضعف الرأي وقلة الحزم والعزم كما في لباب التفاسير وأجيب عنه بان ماورد مدحا في القرآن يجوز التعبير به في مقام المدح وان أوهم خلافه لعرف طارئ عليه وفيه نظر وقد تقدم الكلام على السمرقندي وترجمته (قال ولو بدأ النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله لم أذنت لهم) بدأ مبني للفاعل وفاعله ضمير يعود على الله والنبي منصوب مفعول وبدأ مهموز بمعنى ابتدأ لامعتل بمعنى ظهر (لخيف عليه) أي لخاف عليه من يحبه لا الله (أن ينشق قلبه من هيبة هذا الكلام) لتأثيره في قلبه وجلالة قائله ومهابته خصوصا ممن هو أخوف الناس منه لعلمه بما لم يعلمه غيره وسيأتي الكلام عليه وفيه مبالغة والمراد كما قيل انه كاد أن يخاف عليه أو يخاف عليه من لا يعرف أنه آمن مغفور له أو خيف عليه بحسب الظاهر أن يكون شأنه ذلك في ذاته ومثله لا يوجب خللا في المقصود كما توهم وهذا مبني على أن خوف النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من العقاب بعد تأمين الله له غير جائز وسيأتي تفصيله وانفطار القلب وانشقاقه عبارة عن الخوف المهلك كما تنشق الاجسام من خشية الله تعالى كما قال الله تعالى لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله (لكن الله تعالى برحمته أخبره بالعفو حتى سكن قلبه) سكن ماض بالتشديد والتخفيف وفي نسخة سكن وقلبه مرفوع

(وقال عون بن عبد الله) أي ابن عتبة بن مسعود الهذلي الكوفي الزاهد الفقيه أخو عبيد الله الذي هو أحد الفقهاء السبعة بمدينة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم روى عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه وابن عباس رضي الله تعالى عنهما وقيل روايته عن الصحابة مرسلة لكن حديثه عن ابن عمر في مسلم ولم يلحقه وعنه الزهري وأبو حنيفة وقد أخرج له مسلم والاربعة توفي في حدود ستين ومائة (أخبره الله بالعفو قبل أن يخبره بالذنب) تسلية له في هذا الباب وملاطفة معه في مقام العتاب وقوله يخبره من باب الافعال أو التفعيل وهما بمعنى واحد وأما قول الحلبي وكأنه أراد التنويع في الكلام ليس له نتيجة في المراد لان التشديد في هذا المقام ليس للتنويع المتفرع على التكثير بل للتعدية كما صرح به صاحب القاموس والجوهري في التقرير (وحكى السمرقندي) أي أبو الليث (عن بعضهم ان معناه عافاك الله تعالى ياسليم القلب) عن غير ذكر الرب كما فسر به قوله تعالى الامن أتى الله بقلب سليم (لم أذنت لهم قال) أي السمرقندي أو بعضهم المنقول عنه ماتقدم (ولو بدأ) بالهمزة أي ابتدأ الله (النبي) أي له صلى الله تعالى عليه وسلم وفي نسخة ولو بدأه (بقوله لم أذنت لهم لخيف عليه أن ينشق قلبه) أي ينصدع وينقطع (من هيبة هذا الكلام) أي المشعر بانه وقع في الآثام (لكن الله تعالى برحمته أخبره بالعفو) أي مبتدئا بالمسامحة عن اجازته (حتى سكن قلبه) أي وسلم من الدهش به وفي نسخة يسكن قلبه وفي بعض النسخ بتشديد الكاف فقلبه منصوب

أو منصوب وروى يسكن مضارع مضموم الاول مشدد وقلبه منصوب مفعول ويجوز تخفيفه ورفع قلبه يعني أنه تعالى لرأفته به صلى الله تعالى عليه وسلم ورحمته قدم العفو أولا ليسكن قلبه أي يطمئن ويامن قيل المراد به يدوم له السكون وعدم الاضطراب لامنه أوهو من قبيل سبحان من صغر البعوض واعترض عليه بعض الشراح بانه لاطائل تحت هذا الكلام لانه خوطب باشد منه نحو فلا تكونن من الجاهلين ولم يضطرب لتامين الله له بقوله ليغفر لك الله ونحوه ورد بانا لانسلم أنه أشد منه أو مثله فانه نهي عن الوقوع فيه من غير عتب وتخويف كما سيجيء ولو سلم فهذا اعتراض أشد تخويفا من النهي مع انه لايلزم من عدم الرعاية في مقام عدمها في مقام آخر ولا من الرعاية الرعاية واللازم الامن من النار ونحوها على أن الوعد لايمنع الدهشة والخوف من الصدمة كما سيقع للانبياء عليهم الصلاة والسلام في يوم القيامة والعشرة المبشرة بالجنة يخافون من سوء العاقبة لاحتمالات وسياتي تحقيق هذا ان شاء الله تعالى في محله (ثم قال له لم أذنت لهم بالتخلف حتى يتبين لك الصادق في عذره من الكاذب) ثم هنا لمجرد الترتيب الذكري بغير مهملة أو بمهملة لتنزيل ما تقتضي وانعدم بمنزلة البعيد كما حقق في قوله تعالى ذلك الكتاب في أحد الوجوه ويتبين بمعنى يتضح ويظهر وتميز هذا من هذا وينفصل فيتعلق من به باعتبار ما تضمنه من الانفصال وحتى متعلق بمقدر لا باذنت لفساد المعنى أي حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين أي لم أذنت للمنافقين بالتخلف عن تبوك كان عليك أن لا تاذن لهم حتى يتبين الى آخره كما في لباب التفاسير وغيره والاستفهام فيه اشعار بما قدروه (وفي هذا) المذكور من تقديم العفو وتاخير السؤال (من عظيم منزلته عند الله ما لا يخفى على ذي لب) المنزلة المرتبة المعنوية وعند ظرف مكان اذا أضيف الى المنزه عن المكان فهي بمعنى في علم الله أو في حكمه كما في قوله تعالى كان عند الله عظيما وبينهما فرق دقيق وتكون للقرب المعنوي كما في قوله تعالى ابن لي عندك بيتا في الجنة وبمعنى احسانه وانعامه كما في قوله تعالى قالت هو من عند الله كما مر فاختر لنفسك ما يحلو واللب العقل والمراد الكامل أوهو على ظاهره مبالغة ومن بيان مقدم على المبين عند من أجاز تقديمه أو هو بيان لقدرهم وما بعده بيان أو صفة أخرى للمبهم (ومن اكرامه تعالى اياه) صلى الله تعالى عليه وسلم (وبره به) لرعاية خاطره والتسلية له وتقديم الدعاء والعفو في أول خطابه كما مر فتذكره (ماينقطع دون معرفة غايته نياط القلب) نياط فعال من النوط وهو التعليق ومنه المناط فقلبت واوه ياء لانكسار ما قبلها وهو عرق غليظ علق به القلب من الوتين وقيل هو الوتين نفسه فاذا انقطع مات صاحبه فلذا كني به عن الموت قال ابن خالويه في كتابه ليس في أسماء المنية قال الله عز وجل الا أن تقطع قلوبهم معناه الا أن يموتوا يقال قطع قلبه ورمى بنيطه ورماه الله بذنبه وطالبه بحقه اذا مات انتهى وللنياط معان أخر كالعرق المستوطن الصلب والمراد أن له صلى الله تعالى عليه وسلم منزلة عند الله ورتبة أكرمه بها وأنعم عليه بما لاتطيق العقول معرفة كنهه وغايته ولا تفي الاعمار بتحصيله

وعلى تفنن واصفيه بحسنه * يفنى الزمان وفيه ما لم يوصف

فانقطاع النياط كناية عن تعذره وصعوبة مسلكه أو عبارة عن عدم وفاء الاعمار به وحيلولة الموت دونه وما قيل من أنه يجوز أن يكون اشارة الى أنه من عرف كمال اكرام الله تعالى عز وجل ورعايته له عرف أنه في غاية التقصير فيخاف خوفا يثمر الهلاك تعسف وارتكاب لما يأباه فحوى الكلام والغاية هنا النهاية وتفسيرها بالفائدة غير مناسب ومنهم من فسرها بجملة الشيء وجعله استعارة وهو بعيد ودون هنا بمعنى قبل كقولك دون الدار منازل (قال نفطويه) هو لقب لابي عبد الله ابراهيم

لما حكي عن مجاهد ان بعضهم قالوا في غزوة تبوك نستاذنه في الاقامة ان أذن لنا قعدنا وان لم ياذن لنا أقمنا واعتذرنا له بعد ذلك بعذر يقبله منا (وفي هذا) أي الخطاب في مقام العتاب وفي نسخة وهذا (من عظيم منزلته عند الله تعالى مالا يخفى على ذي لب) أي صاحب عقل سليم من وهم سقيم (ومن اكرامه اياه وبره به) أي انعامه له (ماينقطع دون معرفة غايته نياط القلب) بكسر النون عرق من الوتين ينوط القلب به من جانب الصلب اذا قطع مات صاحبه وقال بعض المفسرين هو الوريد ويروى في غير الشفاء مناط القلب (قال نفطويه) بكسر نون وسكون فاء وفتح طاء مهملة وواو فسكون تحتية فهاء مكسورة وفي نسخة بضم الطاء وسكون الواو وفتح الياء والتاء المنقلبة عنها الهاء وقفا على وفق القياس وقيل بسكون الهاء وصلا أيضا ويؤيده ما ذكره ابن الصلاح ان أهل العربية يقولون فيه وفي نظائره بواو مفتوحة مفتوح ما قبلها ساكن ما بعدها ومن ينحو بها نحو الفارسية يقولها بواو ساكنة مضموم ما قبلها مفتوح ما بعدها وآخرها هاء على كل قول والتاء خطأ وسمعت الحافظ أبا محمد عبد القادر بن عبد الله يقول سمعته

الحافظ أبا العلاء يقول أهل الحديث لايجيبون و يه أي يقولون نفطويه مثلا بواو ساكنة تفاديا من ان يقع في آخر الكلام و يه انتهى
وهو أبو عبد الله محمد بن ابراهيم بن محمد بن عرفة الازدي النحوي الواسطي ظاهري المذهب له التصانيف الحسان في الآداب توفي في سنة
ثلاث وثلثمائة ببغداد ودفن بباب الكوفة (ذهب ناس) أي من المفسرين (الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم معاتب بهذه الآية)
بصيغة المفعول (وحاشاه من ذلك) أي منزه عن ان يعاتب أو ينسب اليه ذنب (بل كان مخيرا) ضبط بضم الميم وسكون

الخاء المعجمة وفتح الموحدة في حاشية الحلبي وهو تصحيف وتحريف والصواب انه بتشديد التحتية المفتوحة أي مختارا بين الاذن وعدمه اذ لم يتقدم له في ذلك نهي من الله سبحانه كما ذكره الزمخشري وأقول بل التخيير مصرح به في قوله تعالى فاذا استأذنوك لبعض شانهم فأذن لمن شئت منهم (فلما أذن لهم) أي في هذه القضية وفي نسخة فلما ان أذن (أعلمه الله) بما أضمروه عما هو من دأبهم (انه لو) وفي نسخة ان (لم يأذن لهم لقعدوا لنفاقهم) أي وظهر خلافهم وتحقق شقاقهم (وانه لا حرج) أي لا اثم (عليه في الاذن لهم) زاد القشيري بعد ذكر هذا المعنى في تبيين المبني ان عفا ههنا ليس بمعنى غفر بل كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم عفا الله لكم عن صدقة الخيل والرقيق وهي لم تجب

عليهم قط فكذلك قوله تعالى عفا الله عنك أي لم يلزمك ذنب أو انما يقول العفو لا يكون الا عن ذنب من لم يعرف كلام العرب انتهى
ولعل الاولى ان يقال وقع العتاب ولا يلزم من العتاب تحقق العقاب المحتاج الى العفو وانما هو بيان ان عدم أذنهم كان أصلح
بخصوص شانهم لفضاحة حالهم وخزية مالهم خلاف ما اختاره صلى الله تعالى عليه وسلم من الاخذ برضاهم بدناءة أفعالهم استبقاء لهم
على أحوالهم واعتمادا على الله في ادبارهم واقبالهم (قال الفقيه القاضي أبو الفضل) أي المصنف (يجب على المسلم) أي الكامل
(المجاهد نفسه) أي في مرضاة ربه (الرائض بزمام الشريعة خلقه) بضمتين و يسكن الثاني وهو منصوب والمراد به تدريبه وتمرينه

ابراهيم بن محمد بن عرفة بن سليمان بن المغيرة بن حبيب بن المهلب بن أبي صفرة الازدي النحوي الواسطي صاحب التصانيف الجليلة توفي في صفر سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة وقيل سنة أربع ببغداد وقيل بواسط وولد سنة أربع وأربعين ومائتين وقيل خمسين ولقب به لدناءة منظره والنفط معروف معرب وفي هذا وأمثاله كسيبويه الاصل الصحيح فيه فتح الواو وسكون الياء وبعضهم يسكن الواو ويفتح الياء وقيل انه من تغيير المحدثين تجنبا من لفظ ويه ولذا قيل في هجائه

أحرقه الله بنصف اسمه * وصير الباقي صياحا عليه

وقال المعري ان هذا مما أحدثه المولدون وويه بلغة أهل البصرة اداة تصغير ويجوز فيه كسر النون وفتحها ويجوز في مثله الاعراب والبناء على كسر الهاء لتركيبه تركيب مزج وهو الاقيس (ذهب ناس الى أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم معاتب بهذه الآية وحاشاه من ذلك) أي والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم منزه عن ان يفعل ما يستحق العتاب عليه وقد تقدم الكلام على حاشا مفصلا وانه لا عتاب في هذه الآية بل فيها اعزازه واكرامه بالدعاء له وتصويب لفعله والتعبير بالعتاب فيه اشارة الى ان ما فعله خلاف الاولى عند صاحب القيل (بل كان مخيرا) بين الاذن وعدمه اذ لم يتقدمه نهي كما قيل وفيه نظر والاولى ان يقول لنزول وحي عليه صلى الله تعالى عليه وسلم في ذلك لقوله تعالى فأذن لمن شئت منهم كما سيأتي في أول القسم الثالث الا ان ابن الجوزي قال ان هذه الآية منسوخة بقوله تعالى فأذن لمن شئت منهم الى آخره ولفظ مخيرا هنا قد علمت انه بالمثناة التحتية وقال البرهان الحلبي انه في بعض النسخ مخبرا بموحدة مخففة وهما نسختان مصححتان عنده فالاولى أولى والمعنى على هذه انه صلى الله تعالى عليه وسلم مأذون له بوحي غير متلو لم يخبرهم به تحريضا لهم على الجهاد (فلما أذن لهم أعلمه الله انه لو لم يأذن لهم لقعدوا لنفاقهم) وهم يدعون بطلب الاذن انه لو لم يأذن لهم ما تخلفوا فاذا ظهر كذبهم وانكشف مغطاهم لزم شق العصا وما يترتب عليه فكان ما فعله أولى وأصوب (وانه لا حرج عليه في الاذن لهم) أي ليس فيما فعله ضيق واثم لكن لو صبر تبين أمرهم وفيه اشارة الى كمال الرفق به صلى الله تعالى عليه وسلم والرعاية له وانه لم يقع منه تقصير يقتضي العتاب ولا خطأ في الاجتهاد ولا ارتكاب لخلاف الاولى كما توهم (قال الفقيه القاضي أبو الفضل) هو المصنف عياض كما مر (يجب على المسلم المجاهد نفسه) بتهذيب الاخلاق والصبر وكسر شهوتها كما يدل عليه ما بعده فانه الجهاد الاكبر قيل الوجوب هنا أعم من الشرعي بل ما لا يليق تركه وهو شائع بهذا المعنى كما صرح به في شرح المواقف وغيره فيشمل المسنون والمندوب وفي تعبيره بالمسلم المجاهد لطف لم ينبهوا عليه لتعريضه بانهم منافقون تاركون للجهاد (الرائض بزمام الشريعة خلقه) هو من رضت الدابة أروضها اذا ذللتها للانقياد لما تريد وتليين شكيمتها والزمام ما يقودها كاللجام ففيه استعارة مكنية وتخييلية والزمام بمعناه الحقيقي أو عبارة عن الاحكام الشرعية على حد ينقضون عهد الله وفسر التلمساني الرياضة بالتعليم والزمام بالسبب

بمـاشرعه الله لنا من أنواع تهذيبه والرائض بهمزة مكسورة اسم فاعل من رضت المهر أروضه رياضة ذللته وجعلته طوع ارادتك والزمام بالكسر بمعنى اللجام وهو مستعار للاحكام (ان يتادب بآداب القرآن) أى من المستحسنات كما قال الله تعالى واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم وفى نسخة بآداب القرآن فهو مصـدر بمعنى المفعول أى بما يتادب به منـه (فى قوله وفعله) أى مع الحق فيتسم بالعدل والصدق فى معاملاته (ومعاطاته) أى عطائه وأخذه ومناولاته (ومحاوراته) بالحاء المهملة أى مخاطباته ومجاوباته ومراجعاته ومعارضاته مع الخلق فان الصالح من قام بحقـوق الله وحقـوق العباد وكلها مستفاد من القرآن على أحسـن البيان ولذا لما قيل لعائشـة رضى الله تعـالى عنها عن خلقـه صلى الله تعالى عليه وسلم قالت كان خلقه القرآن تعنى كان يمتثل لمأموراته ويجتنب عـن منهياته وفيه ايماء الى أنه لا يكون كمن قال لاخيـه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا مفتخرا بذلك متغررا به كافرا لنعمة ربه معـرضا نفســه لسخطه مستوليا عليـه حرصه متماديا فى غفلته تاركا نظره فى عاقبتـــه ولعـمرى ان أكثر الاغنياء الاغبياء وان لم يلهجوا بنحوه فالسنة أحوالهم ناطقة مع شهود أفعالهم (فهو أى القرآن عنصر المعارف الحقيقية) أى أساسها ومنبعها من العلميـة والاحـوال العملية بضم العـين والصاد وبفتح الاصل (وروضة الآداب الدينية والدنيوية) أى المحتاج اليها فى أمور الدين والدنيا مما له تعلق بامر العقبى وطريق المولى لقوله تعالى ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين ما فرطنا فى الكتاب من شئ أولم يكفهم انا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم والعجب كل العجب من المؤمن بالكتاب والسنة المبينة للخطاب ان يعـدل عن تعلمهما والعمل بهما مع ان بعضـهما فرض عين خاصـة ومنه ما فرض كفاية عامة وهو يقدم عليهـما اكتساب العلوم المـذمومة أو المباحة من المنطق والكلام والهيئـة والحساب والفلسفة ودقائق العربية وغيرهما مما كان السلف لم يتداولوها ولم يتناولوها بل طعنوا فيها وفى من أقبل عليها (وليتامل)

والطريقة وفى كلامه تسامح ولا يستغرب مثله (ان يتادب) فاعل يجب (بآداب القرآن) وفى نسـخة بآداب القرآن بصيغة الجمـع والآداب كما قاله الازهرى وغـيره يقع على كل رياضة محمودة يتخرج بها الانسان فى فضيلة من الفضائل ومنه أدبه اذا عاقبه على اساءته لانه داع لحقيقـة رياضة محمودة فيخرج الانسان فى فضيلة الادب وأدب أدبا من باب ضرب صنع صنيعا كالطعام به ودعى الناس اليـه فهو أدب بزنة فاعل قال نحن فى المشتاة ندعو الجفلا * لا ترى الادب فيها ينتقر ومنه المادبة للمائدة والقرآن مادبة الله وهو الداعى اليها وفى كلام المصنف رحمه الله اشارة الى الحط على مثـل الزمخشرى مما خاطب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وأساء الادب فى مقامه الشريف بما لم يقله له رب العزة اذ قال له عفا الله عنك ودعا له وقال له هذا أخطأت وبئسما فعلت وقـد تقـدم ذلك بما فيه (فى قوله وفعـله ومعاطاته ومحاوراته) الجار والمجرور متعلق بيتادب ومعاطاته من العطاء والعطيـة وهى ما تعطيه وقال فى المصباح ومنه المعاطاة لانها مناولة لكن استعملها الفقهاء فى مناولة خاصة ومنه فـلان يتعاطا كذا اذا قدم عليه انتهـى فالمعاطاة هنا مصـدر المراد به الافعال الواقعـة معـه فهـى أخص من الفـعل كما ان المحاورة مخاطبته ومصاحبته فهـى أخص من القول فما قيـل من ان المعاطاة الفعليـة جمع معاطة كمعادة ومعادات فى قوله * موكل بمعاداة المعاداة * على ما فيه من احتمال افرادهما وربط تاءيهما بمحاوراته القوليـة جمـع محاورة بالحاء المهـملة وهى المجاوبة ومعاطاته وان احتملت الافراد الا ان محاوراته جمـع قطعا فناسب أن يكون مقابله جمعا انتهـى لا وجه له كما لا يخفى (فهو) صـلى الله تعالى عليه وسلم (عنصر المعارف الحقيقية وروضة الآداب الدينية والدنيوية) ضميرهو للنبى صـلى الله تعالى عليه وسلم كما علم أو للقرآن وهذا أرجح وعليه الشراح والعنصر بضم الصاد المهـملة ويجوز فتحها بمعنى الاصـل وفسره التلمسانى بالمنبع ولا وجـه له والمعارف العـلوم أو المعلومات والحقيقـة المتحققة فى نفس الامر والروضـة أرض ذات مياه وأشـجار وأزهار طيبـة منتزهة والمراد بالدينيـة هو ما يتعلق بالعبادة والتوحيد ونحوه من الامور الشرعية والدنيوية ما يؤخذ من الشريعة متعلقا بالدنيا فهـى دينيـة أيضا ككرم الاخـلاق وحسن العشرة وتدبير المعيشـة شبهة بالرياض لما فيـه مما يدفع الكدورات البشرية ويسر الارواح الزكية أو شبه الآداب بالمياه والازهار فهو تشبيه لذكر الطرفين فيه لا لان وصفه بالدينية والدنيوية يأباه كما قيل ولا يصح كونه استعارة كما قيل الا على قول أو تاويل بعيـد فتدبر (وليتامل) التامل تفعل من الامل وهو رجاء ما يبعد حصوله من الخير نقل لمعنى آخر وهو كما فى المصباح التدبر واعادة النظر فى الشئ مرة بعد أخرى حتى تعرفه والمصنفون رحمهم الله تعالى يستعملونه فيما فيه دقة أو شـبهة واللام لام الامر الغائب وفاعله ضمير راجـع للمسلم وفى العبارة حزازة ولو أسـقط اللام وعطفه على يتادب كان أولى وعلى هذه النسـخة قال بعض الشراح انه أمر معطوف على يجب ان يتادب ميلا مع المعنى لانه فى معنى ليتادب فهو كما قيل فى قوله تعالى ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات وليذيقكم من رحمته أى ليبشركم وليـذيقكم وان كان الاولى انه بتقدير أرسلها ليذيقكم كما فى المغـنى ومن العجب

أى وليتدبر المسلم المذكور (هذه الملاطفة العجيبة) أى والمخاطبة الغريبة الكائنة (فى السؤال) أى فى سؤاله سبحانه وتعالى بصورة الاستفهام عنه عليه الصلاة والسلام (من رب الارباب) أى المنزه عن المناسبة بينه وبين ماخلق من التراب (المنعم على الكل) أى عموما وخصوصا (المستغنى عن الجميع) أى جميع العباد من السعداء والاشقياء أوعن عبادة جميعهم هذا وقال الجوهرى كل وبعض معرفتان ولم يجيئا عن العرب بالالف واللام وهو جائز لان فيهما معنى الاضافة أضيفت أولم تضف انتهى وقال ابن فارس كل اسم موضوع للاحاطة يكون مضافا أبدا الى مابعده وقد صرح الزجاج بقوله بدل لبعض من الكل كما حكاه عنه أبو حيان (ويستثير) بفتح التحتية وسكون المهملة وفتح الفوقية وكسر المثلثة من ثار الشئ اذا ارتفع وانتشر واستثاره

طلب ظهوره ويروى ويثبين وجعله الحجازى اصلا كما فى نسخة والظاهر ان يكون مجزوما العطف على يتامل كما جزم به الدلجى ويجوز رفعه كما فى نسخة أى يظهر وينتشر ويبحث ويستخرج (مافيها) أى فى هذه الملاطفة العجيبة (من الفوائد) اى المنافع الغريبة

م قيل انه أمر معطوف على يتأدب ولو قيل انه من عطف القصة على القصة كان أسهل (هذه الملاطفة العجيبة) كما قدم حيث قدم الدعاء والتبشير على مايوهم الاعتراض والعتاب مراعاة لخاطره صلى الله عليه وسلم وتطييبا لقلبه وهو العلى الغنى عن عباده الفعال لما يريد فكيف بالامة الذين يجب عليهم التادب معه (فى السؤال من رب الارباب) متعلقة بملاطفة أوصفة لها بتقدير الكائنة والرب الموجد المربى والسيد المالك مصدر وصف به مبالغة أوصفة مشبهة وفى اختصاصه به تعالى أقوال فقيل يختص به اذا أطلق من غير اضافة وكان مفردا فاذا جمع كما فى عبارة المصنف رحمه الله تعالى جاز لعدم الايهام بالواحد الاحد كقوله تعالى أأرباب متفرقون خير واما قوله

وهو الرب والشهيد على * يوم الحوارين والبلا بلا

(وقوله)

ارب يبول الثعلبان برأسه * لقد ذل من بالت عليه الثعالب

فنادر جاهل لا يعتد به وليس الكلام فى صحته بحسب اللغة بل الشرع هل هو حرام أومكروه وقيل انما ينهى عن كثرة استعماله واضافته العقلاء بخلاف رب العرش والدار والاصح انه ينهى عنه اذا أوهم معنى المعبود فمحل التعجب كون السؤال من الرب العالم الغنى عن خلقه كما أشار اليه بقوله (المنعم على الكل المستغنى عن الجميع) لم يبين ما أنعم به واستغنى فيه ليفيد العموم وكذا كل اطلاق لم تقم قرينة على تقييده والسين هنا ليست للطلب بل للتاكيد للغناء وعرف الكل الالف واللام كقولهم بدل الكل والبعض وهما لم يسمعا معرفين بها فى كلام العرب كما ذكره الجوهرى وغيره من أئمة اللغة وقد جوزه الجوهرى فقال كل وبعض معرفتان ولم يجئ عن العرب بالالف واللام وهو جائز لان فيهما معنى الاضافة أضفته أولم تضف انتهى يعنى انه يلزم الاضافة لفظا وتقديرا (١) الا ان الالف واللام قد تقوم مقام الاضافة وتسد مسدها كما صرح به النحاة والقياس يقتضى صحة دخولها عليهما الا انه تسمح فى قوله معرفتان وتجوزبه عن مضافين لانهما يضافان للنكرة كثيرا مطردا نحو كل رجل يقول كذا مع ان فيما قالوه نظر الان كل مالم يسمع بعينه يمتنع وقد ذكر ابن خالويه فى كتاب ليس انه سمع نادرا فالحق ماقاله الجوهرى ولا اعتراض عليه واردف المصنف المنعم بالمستغنى اشارة الى انه لم يرد بانعامه فائدة ولا حاجة له به وعلم مما تقرر انه انما أمر بالتامل حثا على رعاية الادب فى حقه تعالى (ويستثير مافيها) أى فى الملاطفة أوالآداب القرآنية (من الفوائد) ويستثير بالمثناة الفوقية والمثلثة بعد سين الطلب من أثار

(١) وقد وجدنا فى بعض النسخ هنا ماياتى ذكره ان لم نجده فى غالبها ورأينا درجه فى الهامش مناسبا اعتمادا عليه وهو قوله هذا فكأنه جمع بين أل والاضافة وهو تابع فى ذلك للزجاجى وقد اعتذر عنها الزجاجى ان ذلك مجاز وكان الاولى به ان يتركها ولا يعتذر وقد نكت الاديب ابن سهل الاسرائيلى الاندلسى على الشيخ أبى القاسم الزجاجى فى قوله حيث قال

أموسى أيا كلى وبعضى حقيقة * وليس مجازا قولى الكل والبعضا
خفضت مكانى اذ جزمت وسائلى * فكيف جمعت الجزم عندى والخفضا

(٢) وهذا دليل على ان يهود الاندلس كانوا يشتغلون بعلم العربية فان ابراهيم بن سهل قال هذين البيتين قبل اسلامه والله أعلم وروى انه مات مسلما غريقا فى البحر فان كان حقا فان الله رزقه الاسلام فى آخر عمره والموت على الشهادة قلت وكان شيخنا أبو الحسن بن على يقول سمعت شيئان لا يصحان اسلام ابن سهل وتوبة الزمخشرى من الاعتزال فان تصانيفه طافحة يمدح بها أهل التوحيد والعدل وهم اخوانه المعتزلة مع انه فى كثير من المسائل يخالفهم وهو لا يدرى لانه على ما قال كان ينفى حماقتهم وان كان لبلاغته قد صار منهم رأسا وقال أيضا واما ابن سهل فالمشهور عنه ورأيته بخط أبى حيان انه عشق بعد موسى شابا يسمى محمدا فنقل تغزله فى موسى الى محمد وأسلم من أجله والله أعلم (٢) أقول قال فيه أيضا

تسليت عن موسى بحب محمد * ولولا هدى الرحمن ما كنت أهتدى
وما عن قلا فارقت ذاك وانما * شريعة موسى بدلت بمحمد

(وكيف) أى ومن جملتها ان يعلم انه سبحانه وتعالى كيف (ابتدأ) أى فى الخطاب (بالاكرام) أى بتعظيمه بقوله عفا الله عنك مصدرا فى الكتاب (قبل العتب) بفتح وسكون أى قبل بيان العتاب (وآنس) بالمد وفى نسخة بالفتح والشد وأصل الايناس ضد الايحاش فالمعنى كيف اذهب وحشة الانس وأظهر لذة الانس من حضرة القدس (بالعفو) أى بذكره (قبل ذكر الذنب) من اضافة المصدر الى مفعوله وفى نسخة قبل ذكره الذنب وجعله الحجازى أصلا والآخر رواية والمراد الذنب باعتبار لصورة الظاهرة المأخوذة من المعاتبة المعبر عنها بخلاف الاولى لما قيل حسنات الابرار سيئات المقربين من حيث الغفلة فى تلك الحالة عن مشاهدة المولى ولذا استدركه المصنف بقوله (ان كان) أى بالفرض والتقدير (ثم) بالفتح فتشديد أى هنالك (ذنب) والمعنى انه لا ذنب هنالك حقيقة وانما وقع فى صورة المعتبة (وقال تعالى ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا) المعنى ولولا ثبوت تثبيتنا اياك لقد قاربت ان تميل اليهم شيئا يسيرا من أدنى الميل اذ ذاك لكن امتنع قرب ميلك وهواك لوجود تثبيتنا اياك ونظيره لولاك لما خلقت الافلاك وهذا لان لولا حرف امتناع للشئ لوجود غيره وان مع الفعل فى تأويل المصدر والجملة فى محل الرفع على الابتداء والخبر محذوف لعلم السامع به واللام جواب لو كقولهم لولا زيد أى موجود فلا لهلك عمرو والمحققون يقدرون مضافا قبل المبتدأ ليستغنى به عن تقدير الخبر مع قيام لو مقامه واختلفوا فى سبب نزول الآية فقيل وهو المحكى عن مجاهد وابن جبير ان قريشا قالوا لا ندعك تستلم الحجر الاسود حتى تمس أوثاننا فخطر فى باله انه يفعل ليتمكن من استلام الحجر فى مآله وقيل فى استدعاء الاغنياء طرد الفقراء وقيل غير ذلك وقد روى انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما نزلت هذه الآية قال اللهم لا تكلنى الى نفسى طرفة عين (قال بعض المتكلمين) أى من جملة المفسرين

الارض كما قال الله تعالى عز وجل وأثاروا الارض وعمروها أى يحركه ويبرزه كاثارة الصيد من مكمنه والتراب من مقره ومنه اثارة الفتنة والشر والمعنى يظهره لنفسه وغيره وفى نسخة ابن رسلان يستبين بالنون بدل الراء وفى نسخة بعض الشراح يتبين ويستثيره وكالعطف التفسيرى كما قال وهو مجزوم معطوف على يتامل أى يتعرف ويتفحص ويجوز رفعه وقد وقع فى نسخة ويستثير بمعنى يبحث ويستخرج مرفوعان انتهى فيجوز جزمهما عطفا على يتامل ونصبهما عطفا على يتادب أو فى جواب الامر بتقدير ان بعد الواو أى ليكن منه الامران التامل والاستثارة وتعيين هذا كما فى بعض الشروح لا داعى له * والفوائد جمع فائدة وهى ما ينتبه له الزكى من ملاطفة الله له وحسن خطابه ولينه والسؤال عما هو أعلم المشير الى انه خبير بما صدر منه واقف على ما حققوه من مكائدهم حارس لضباب حقدهم من نائقتها وتعظيمه ورونق خطابه فى المبدأ أو الختام المقتضى للزوم الادب معه (وكيف ابتدأ بالاكرام قبل العتب وآنس بالعفو قبل ذكر الذنب ان كان ثمة ذنب) كيف اسم استفهام يسئل به عن الكيفية والحالة وقد يخرج عن الاستفهام والصدارة كما فصله شراح البخارى فى باب كيف كان بدء الوحى ولا حاجة لنا به هنا وابتدأ بفتح التاء والهمزة وثمة تقدم الكلام عليها وانها اسم اشارة بمعنى هنالك والهاء المرسومة للسكت والوقف وفيه لغة أيضا بتاء التانيث وهى احتمال هنا وفى قوله ان كان ذنب اشارة الى انه لا ذنب له صلى الله تعالى عليه وسلم بل هو من محاسنه كما قال البحترى

اذا محاسنى اللاتى أدل بها * كانت ذنوبى فقل لى كيف أعتذر

واذا لم يكن ذنب ولا ارتكاب لخلاف الاولى لم يكن عليه ملامة وعتب فهذا يدل على ان قوله قبل العتب المراد منه ان كان هنالك عتب ولظهوره استغنى المصنف عن ذكره فهذا من بدائع الاكتفاء وقد حام حول هذا من قال لم يقل المصنف رحمه الله ان كان عتب كما قال ان كان ذنب اكتفاء بالثانى عن الاول لانهما نظيران وشيخنا حمل العتب على ما هو صورته لئلا ينافى ما سيذكره من انه لا عتب عليه أصلا وغلطوا من ذهب اليه والمراد بالذنب خلاف الاولى وهذا كله من ضيق العطن فتدبر وكذا من الزوائد جعله كيف مقحمة وآنس بمد الهمزة بزنة قاتل وروى بالقصر وتشديد النون وقوله وكيف قيل انه معطوف على ما فيها والظاهر انه معطوف على هذه الملاطفة أى وليتأمل كيف الخ وبعينه قوله فيما سيأتى ثم انظر كيف بدأ الخ فتنبه له (وقال الله تعالى ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا) أى لولا ان ثبتناك على الحق والصواب والسداد قاربت الميل الى مرادهم ميلا ما قليلا وفى الآية تصريح بان الله عصمه صلى الله عليه وسلم على الميل الى خلاف الصواب فضلا عن الوقوع فيه وفيه دليل ظاهر على ما قدمه من انه لا ذنب له رأسا وفيما فسروه به اشارة الى ان العفو ليس عن ذنب وتقصير (قال بعض المتكلمين) أى المفسرين الذين تكلموا على هذه الآية وكثيرا ما يستعمله المصنف رحمه الله وغيره بهذا المعنى اللغوى ويجوز ان يراد المعنى المصطلح أى أهل علم الكلام وأصول الدين لتعلق هذا بعصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام وهى من مباحثه

فلا وجه لما قيل ان المنقول عنهم من غير ذلك العلم (عاتب الله الانبياء) عليهم الصلاة والسلام (بعد الزلات (وعاتب نبينا) محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم (قبل وقوعه) العتب والعتاب مخاطبة من توده بما صدر منه مما لا يناسب ليزيله أو يترك العود له وهو يكون ناشئا عن المحبة والادلال والزلات جمع زلة بالفتح من الزلل وأصله دحوض القدم ثم عبر به عن الوقوع فيما لا يرضى من غير قصد ولذا فسر بالخطا وفى التعبير بالوقوع بمعنى الصدور فى الواقع مع الزلل لطف لان من زل يقع وضمير وقوعه للذنب ويجوز عوده لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم بتقدير قبل وقوعه فى الذنب وللث ان تقدره قبل احتمال وقوعه كما يدل عليه تعبيره فى الآية بقوله كدت تركن اليهم أى تميل لان القرب من الميل للذنب يقتضى عدم وقوعه والمراد بزلات الانبياء عليهم الصلاة والسلام خلاف الاولى الذى هو بالنسبة لعلو مقامهم كالزلة من غيرهم ولخفائه قيل كان اللائق مع عدم وقوعه فان القبلية تقتضى الوقوع بحسب الظاهر وان صرحوا بانه غير لازم بدليل قوله تعالى لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربى وفى بعض الشروح معترضا على ما نقله المصنف رحمه الله تعالى بانه لاعتب فيما ذكر وانما هو تذكير بنعمة العصمة له صلى الله تعالى عليه وسلم وهو مناف لما سيأتى من عصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام عن الكبائر والصغائر ومقامهم منزه عن الزلات وان صدر عنهم ما هو بصورتها فهو لحكمة كبيان الجواز والتشريع للامم وقال الصفوى العتاب قبل وقوع الذنب يستلزم أمرين أحدهما وقوع العتاب فى زمن لم يقع فيه الذنب والآخر وقوع الذنب بعده فاستعماله فى لازمه الاول فقط مجازا فان قلت العتاب مخاطبة الادلال ومذاكرة الوحدة يقال عاتبه وعتب عليه قال

اذا ذهب العتاب فليس ود ✱ ويبقى الود ما بقى العتاب

قلت جزم محققوا المفسرين بانه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يهم بالركون اليهم والعتاب عتابان عتاب منجز كما قال لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا وهذا انما يكون مع كيدودة الركون وعتاب معلق كما فى قوله تعالى ولولا ان ثبتناك الى آخره وهذا انما يكون مع عدمه أى لولم نثبتك وقع منك ذنب القرب من الركون لكنا ثبتناك فلم يقع والمنقول عن بعض المتكلمين وان أقره المصنف رحمه الله تعالى لاينافى ما جزم به من انه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يعاتب أصلا لان المنفى المنجز المستلزم للوقوع والمثبت خلافه كذا قيل ولا يخفى ما فيه فتامل (ليكون بذلك) المذكور أو العتب على ما ادعاه (أشد انتهاء) أى أقوى فى تركه لما ذكر مما لا يليق به والانتهاء افتعال من النهى يقال نهاه فانتهى لا من النهاية (ومحافظة لشرائط المحبة) أى مداومة لما تقتضيه المحبة من قصر الهمة على ما يرتضيه المحبوب (وهذه غاية العناية) من الله به صلى الله تعالى عليه وسلم وهذه اشارة الى المعاتبة قبل الوقوع لما ذكر من الفوائد ولذا أنث أو هو لرعاية الخبر والعناية قصد المساعدة والاعتناء بحفظه وأمره يقال عنيت بام فلان بالبناء للمفعول عناية وعنيا شغلت به وهذه أقوى من عناية الله بغيره من الانبياء فلذا جعلها غاية وقيل انما جعلها غاية مبالغة (ثم انظر كيف بدأ بثباته وسلامته قبل ذكر ما عاتبه عليه وخيف ان يركن اليه) أتى بثم لبعد مرتبة هذا عما قبله لان فى المعطوف عليه احتمال صدور الزلة وفى هذا اكرامه وتامينه من صدورها منه وهو اما من كلام المصنف رحمه الله تعالى أو من تتمة كلام ذلك البعض ملتفتا من الغيبة الى الخطاب ايقاظا للمأمور وحثاله على التامل وهو من عطف القصة على القصة أو عطف على مقدر أى تامل ما ذكر ثم انظر والنظر بمعنى التفكر والتدبر مستعار من نظر البصر وقيل ثم مجردة عن المهلة ولان الفراغ من ذلك التامل انما يكون بعد مهلة وبدأ بثباته أى لم يقل لقد كدت تركن لولا ان ثبتناك وقال بثباته ولم يقل بتثبيته كما فى الآية لان قوله كدت يدل عليه وهو محل المدح

الصورية فان الزلة ما صدر من سالك الطريقة من غير قصد المخالفة (وعاتب نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم قبل وقوعه) أى قبل وقوع الزلل وحصول الخلل (ليكون) أى النبى عليه الصلاة والسلام (بذلك) أى بسبب ذلك العتاب على وجه الاهتمام (أشد انتهاء) أى على المخالفة (ومحافظة الشرائط المحبة) أى وأكثر مراعاة لشرائط المودة من الموافقة والمتابعة فى الطاعة (وهذه) أى الحالة (غاية العناية) أى ونهاية الرعاية فى الحماية فان المعاتبة انما تكون على حسب المكانة اماترى ان الله تعالى أخذ الانبياء عليهم الصلاة والسلام بمثاقيل الذر لقربهم عنده وحضورهم وتجاوز عن العامة امثال الجبال لمكان بعدهم وغيبتهم فان الزلة على بساط الاداب ليست كالذنب على الباب كما لا يخفى على أولى الالباب (ثم انظر) أى ايها الناظر بعين الاعتبار وتفكر فيما يشار اليه من علو المقدار لاحمد المختار صلى الله تعالى عليه وسلم (كيف بدأ) أى الله (بثباته) أى على الموافقة (وسلامته) أى من المخالفة (قبل ذكر ما عتبه عليه) وفى نسخة عاتبه عليه (وخيف ان يركن اليه

ففي أثناء عتبه براءته وفي طي تخويفه) أي في ضمن اخافته (تامينه) أي جعله مامونا من المخالفة (وكرامته) أي بالثبات على الموافقة (ومثله) أي في هــذا المعنى (قوله تعالى قد نعلم انه) أي الشان (ليحزنك الذي يقولون) قرأنافع مــن احزنه يحــزنه والباقون من حزنه يحزنه بفتح الزاي في الماضي وضمها في الغابر وكلاهما متعديان بمعنى واحـــد واماحزن يحــزن مــن باب عــلم فهو لازم فاعلم والزم والمعنى بالتحقيق أو في بعض أوقاتك من التضييق نعلم ان الشان ليوقعــك في الحزن ما يقولون في شاننا أو في حق القــرآن أو في حقك كقوله تعالى ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون (فانهــم لا يكذبونك) بالتشــديد للجمهور وبالتخفيف لنافع والكسائي والمعنى لا ينسبونك الى الكذب ولا يتهمونك به ولا ينكرون امانتــك وديانتك أو لا يكذبونك في الحقيقة (الآية) أي ولــكن الظالمــين بآيات الله يجحــدون يعني ينكرونهــا أو ينكرون عليك بسبب اتيان آياتنا فقط وفي هذا نوع تسلية له صلى الله تعالى عليــه وسلم وتهديدهم ولــكن لم يظهر لايرادها وجه مناسبة ولا جهة ملايمة لمــا نحن فيه من مرتبة المعاتبة وقضية الملامة (قال علي كرم الله وجه) كما رواه الترمذي وصححه الحاكم (قال أبو جهل للنبي صــلى الله تعــالى عليه وســلم

أولان تثبيت الله يلزمه الثبات والسلامة عمــا خيف عليه والمعاتب عليه الركون وخيف مبني للمجهول أي وقع الخوف مما هو شانه وقيل فاعله المقدر هو الله وان كانت حقيقة الخوف مستحيلة عليه لان المراد معاملته معاملة من يخاف عليه ما ذكر كما قالوا في قوله عز وجل ليبلوكم أيكم أحسن عملا ليعاملكم معاملة المحبة ولا اختبار ولا ابتلاء أي خاف عليه القرب من الركون وفيه مبالغة لانه اذا خيف عليه القرب من شيء خاف عليه ذلك الشيء بالطريق الاولى وهذا لا محذور فيه حتى يقال المراد بالركون في عبارة المصنف رحــمه الله تعــالى الوقوع لانه هو الخوف فهو غــير الركون المذكور في الآية وقيــل ان كدت من أفعال المقاربة وقد أخبر به مؤكدا بقوله لقد ومثله ممــا يعتب عليه الا ان قوله شيئا قليلا يدل على انه ممــا لا يضر لقلته وهو عناية به صلى الله تعالى عليه وسلم ونعمة عظمى لانه تعالى صفاه وحماه من شوائب الخطرات القلبية التي لا ثبات لها وانمــا يؤاخذ بمــا وقع عن عزم وتصميم كما قالوه في تفســير قوله تعالى وان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله وله تفصيل ليس هذا محله (ففي أثناء عتبه براءته وفي طي تخويفــه تامينه وكرامتــه) اثناء الشيء بالمدخلاله وتضــاعيفه يقال جاء في اثناء الناس أي بينهم جمع ثنى بكسر فسكون وياء تحتية أو ثنى بالقصر والمراد بكون البرأة في اثنان العتب انهــا معه في كلام واحد بلا فاصل فلا يعترض عليه بانه مقدم هنا كما قيــل لان الدال على البرأة قوله لولا ان ثبتناك وفي طيــه أي داخــله أو في ضمنه أو في تخويفه للطي فيما ذكر اذ لم يفهم منه صريحا قيل وفيه بعد وتامينه وكرامتــه تثبيت الله تعالى له وتنزيهه عن القرب الى الميل يعني انه عتب بالركون للاعداء وتخويفــه بقوله اذا لاذقناك العذاب معلق بمــا هو صريح في عصمة الله تعــالى له صــلى الله تعــالى عليه وســلم عن القرب فضــلا عن الوقوع فيه تعريضــا بالمنافقين واسماعا لهم على حد قوله * اياك عني فاسمعي يا جارة * وقد تقدم انه لا عتب ولا ذنب وانمــا هو تــكريم فلذا قيل انه كان ينبغي للمصــنف رحمه الله تعــالى تركه وكلامه في غاية الظهور فلا حاجة لان يقدر فيه اثناء الــكلام الدال على العتب والتخويف فانه لا داعي له (ومثله قوله تعالى قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون فانهم لا يكذبونك الآية) أي مثــل ما تقدم في اللطف به أو مثــل لولا ان ثبتناك في الشفقة والتسلية وهو أقرب أو مثــل عفا الله عنك في الملاطفة والتهوين وضميرانه للشان وقد للتحقيق والمضارع بمعنى المــاضي أو بمعنى ربمــا بالنسبة لسائر معلوماته والذي يقولونه انه ســاحر أو مجنون أو شــاعر أو كذاب ونحوه ممــا لا يضره أي لا تحزن لنفســك كما في الــكشاف ويدل عليه ما بعده ولــكن الظالمين بآيات الله يجحدون وهو خبر أريد به لازم الفائدة كقوله اني وضعتها انثى اذ المقصود تطييب قلبه صلى الله تعــالى عليــه وســلم (قال علي رضي الله عنــه) وكرم وجهه وهذا رواه الترمــذي وصححه الحاكم (قال أبو جهل) هــذه كنيته كناه بهــا رسول الله صــلى الله تعالى عليه وسلم وكان يكنى أبا الحــكم فالله كناه أبا جهل والناس كنوه أبا الحــكم والجهل وان كان ضــد العلم فالمعروف في كلام العرب انه ضد الحلم كما قال

الا لا يجهلن أحد علينا * فنجهل فوق جهل الجاهلينا

وهو عمرو بن هشــام فرعون هــذه الامــة وقد قيــل انه مع جهــله وكفــره كان يحمي العصــاة ولذا قيــل له مصــغر استــه وكان صــلى الله تعــالى عليــه وســلم في أول الاســلام يرجو اســلامــه ويقول اللهــم أعز الاســلام باحــد الرجلين أبي جهــل وعمر بن الخطاب فلما أســلم عمر رضي الله تعــالى عنــه علــم انه هو الذي أجيبت فيــه دعوته صــلى الله تعــالى عليــه وســلم واما أبو جهــل أشقاه الله تعالى فقتل ببدر واختلف في قاتله كما فصــل في الســير وأســلم ابنه عكرمة وحسن اســلامه ونصر الله به الدين تحقيقا لرجاء النبي صــلى الله تعالى عليه وســلم (للنبي صــلى الله تعــالى عليــه وســلم

انا

انا لا نكذبك) أي في الصدق والامانة (ولكن نكذب بما جئت به) أي من القرآن الدال على التوحيد والديانة (فانزل

الله تعالى فانهم لا يكذبونك الآية) وفي نسخة فنزلت وانما هو شهادة من الله تعالى له بالصدق والديانة وبيان ان هذا مما اتفق عليه الامة عامة (وروى انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما كذبه) وفي نسخة أكذبه (قومه حزن) بكسر الزاي أي اغتم (فجاء جبريل عليه الصلاة والسلام فقال ما يحزنك) بالوجهين السابقين (فقال كذبني قومي فقال انهم يعلمون انك صادق) لكن جئت بشيء ليس لغرضهم موافقا (فانزل الله تعالى الآية) أي المتقدمة قال الدلجي وحديث جبريل هذا أورده بصيغة روى ولم أعرف من رواه (في هذه الآية منزع) بفتح ميم فسكون نون وفتح زاي أي ماخذ ومشرع (لطيف الماخذ من تسليته تعالى عليه الصلاة والسلام) أي باذهاب حزنه وجلب أنسه (والطافه) بكسر الهمزة أي اكرامه (في القول) أي في قوله (بان قرر عنده) أي بما اطمانت به نفسه (انه صدق عندهم وأنهم غير مكذبين له) أي في الحقيقة بل مكذبين لنا أو غير مكذبين في الباطن لانهم معترفون بصدقه قولا واعتقادا وقد كانوا) أي عامة المشركين (يسمونه) سماه واسماه بمعنى والمراد هنا يصفونه ويعدونه (قبل النبوة الامين) أي من الامانة في القول والفعل والعهد والوعد ضد الخيانة

انا لا نكذبك ولكن نكذب بما جئت) وفي نسخة مصححة من الشفاء ماجئت به دون بالجحد لآيات الله تعالى عنادا وبغيا أي ننكره ونجعله كذبا مع انك صادق عندنا في لباب التفاسير قال أبو ميسرة أن النبي صلى الله عليه وسلم مر بأبي جهل وأصحابه فقال والله يا محمد انا لا نكذبك انك عندنا الصادق ولكنا نكذب ما جئت به فنزلت هذه الآية فهذا هو سبب نزولها كما قال المصنف رحمه الله تعالى (فانزل الله تعالى *فانهم لا يكذبونك* الآية) وعزاه ابن الجوزي الى ناجية بن كعب من المفسرين وقد فسره به على قراءة يكذبونك بالتشديد وما في الكشاف واللباب من قوله وانك عندنا الصادق مروي في الحديث قال السيد عيسى وهذا بظاهره فاسد لان كذب القول يستلزم كذب قائله الا أن يكون ناقلا غير ملتزم للصحة والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم انما ذكره على أنه حق من عند الله وقال الطيبي لا نعتقدك كاذبا وانما ننسب الكذب لما جئت به عنادا أو حسدا فقوله لكن نكذب ما جئت به في موضع نجحدك اقامة للسبب مقام المسبب وفيه بعد لانهم لا يقرون بذلك وقيل المعنى لا نقصد نسبتك للكذب وتعبيرك به لانا جربناك فوجدناك على خلافه وانما غرضنا ابطال الكلام أو لا نقول أنت من عادتك الكذب لكن نذكر النبوة فلا يلزم أن يكون كذابا أو انك غير مفتعل متعمد للكذب بل تخيلت أمرا باطلا فالتكذيب بالنسبة لافتعاله فما كذبناك ليكون عيبا وهذا أحسن التاويلات وقيل أنت ناقل ونحن نكذب المنقول لا الناقل وفيه ما مر انتهى وفي اللباب المعنى لا يخصك بالتكذيب ونقل ابن الجوزي عن قتادة لا يكذبونك بحجة بل بهتانا وعنادا ولا يكذبونك اعتقادا بل قولا وهذا ما ارتضاه الطيبي هذا زبدة كلامهم وسياتي في كلام المصنف رحمه الله تعالى ما يوافقه (وروي أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لما كذبه قومه حزن فجاءه جبريل عليه الصلاة والسلام) قال السيوطي في تخريجه هذا لم أجده وكذا قاله غيره قيل وهذا من قصوره ولم يزد على هذا وهو غريب منه (فقال ما يحزنك قال كذبني قومي) لما حرف وجود لوجود أو وجوب لوجوب كما فصله النحاة والاكثر الافصح في جوابه عدم اقترانه بالفاء ورد اقترانه بها ومن يأباه يقدر لها جوابا محذوفا وقوله حزن هو الجواب وحزن واحزن لغتان شائعتان فصيحتان بهما جاء التنزيل فقوله يحزنك يجوز فيه فتح الياء وضمها وقوله كذبني بالتشديد وروي أكذبني وهي لغة أيضا وارد تكذيبهم حيث قالوا ان ما جاء به كاذب دون أن يقولوا انه كاذب أو حيث قالوا انه كاذب واليه أشار المصنف رحمه الله تعالى بما سياتي من أنهم معترفون بصدقه صلى الله تعالى عليه وسلم قولا وفعلا واعتقادا وروي أو اعتقادا اشارة الى القولين السابقين كما (فقال انهم يعلمون انك صادق فانزل الله تعالى الآية) فهو سبب النزول على أحد القولين وفيه دليل على أن المنفي في الآية العلم (في هذه الآية منزع لطيف الماخذ) منزع بفتح الميم والزاء المعجمة والعين المهملة محل النزع مصدر ميمي بمعنى المفعول فسره التلمساني بالماخذ ورد بان ما بعده يأباه فالمراد به شيء يرجع اليه قال في القاموس المنزعة ما يرجع اليه الرجل من أمره ورأيه واقتصر عليه صاحب المقتفي والمنزع بكسر الميم السهم يقال نزعت في القوس نزعا وأنزع بمنزع أي سهم وفي المثل عاد السهم الى النزعة أي رجع الحق الى أهله قاله الامام المرزوقي ولطيف الماخذ أي حسن دقيق أخذه واستنباطه منها (من تسليته تعالى له عليه الصلاة والسلام والطافه في القول) قال البرهان الطافه بكسر الهمزة في النسخ التي وقفت عليها مصدر من ألطفه بكذا اذا أبره به كما في الصحاح والتسلية تطييب القلب بما يذهب حزنه ويفرج كربه ومن لبيان المنزع بتقريره أنه صادق عندهم قولا واعتقادا كما أشار اليه بقوله (بان قرر عنده انه صادق عندهم وانهم غير مكذبين له معترفون بصدقه قولا واعتقادا وكانوا يسمونه قبل النبوة الامين) الباء سببية أو آلية وقرر بمعنى بين وحقق هذا

(فدفع) أي الله سبحانه وتعالى (بهذا التقرير) أي المذكور في الآية بالتحرير وهو في أصل المصنف بالراءين

وجعل التلمساني أصله بالدال بعد القاف بمعنى الفرض والتصوير وقال وبالراء بمعنى تبيينه وتمهيده وكل منهما قريب من الآخر فتدبر (ارتماض نفسه) أي اقلاقها واحراقها (بسمة الكذب) بكسر السين أي بوسمته وعلامته من الوسم وأصلها في المكي للامارة والكذب بفتح فكسر هو الأفصح ويجوز بكسر فسكون وهو أنسب اذا قوبل بالصدق للمشاكلة اللفظية كما قال به بعض أرباب العربية في الأبواب الأدبية (ثم جعل) أي الله سبحانه وتعالى (الذم لهم بتسميتهم) أي بتسميته اياهم (جاحدين) أي منكرين عنادا (ظالمين) أي بوضع التكذيب موضع التصديق (فقال الله تعالى ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون فحاشاه) أي نزهه سبحانه وتعالى (من الوصم) أي العيب وهو بسكون الصاد وضبط في حاشية بكسر الصاد وهو وهم لانه حينئذ وصف لا مصدر ولا وجه له هنا (وطوقهم) أي ألزم أطواقهم في أعناقهم (بالمعاندة) أي بسبب المناظرة على وجه العناد

بحيث قرر وثبت في نفسه لما في الآية من بيان ذلك مؤكدا بان و جعلهم ظالمين جاحدين لما قالوه و كونهم غير مكذبين له من تحقيقه وستسمعه قريبا ومن أنه روي أو اعتقادا اشارة الى القولين في الآية و روي أن الأخنس قال لأبي جهل لعنه الله يوم بدر ليس هنا غيري وغيرك أخبرني عن محمد أصادق هو أم كاذب فقال انه والله لصادق وما كذب قط ولكن اذا ذهب بنو قصي باللواء والسقاية والحجابة والنبوة فماذا يكون لسائر قريش ثم انه قيل هنا ان عدم الكذب يستلزم الصدق عند الجمهور فالاعتراف بأحدهما كأنه اعتراف بالآخر فلا يرد ان عدم الكذب أعم وان ورد ان عدم نسبة الكذب اليه لا يستلزم نسبة الصدق لجواز أن لا يعترفوا بأحدهما ولو سلم فالآية فسرت بالنفي اعتقادا وقولا فمن أين تقرر الامرين الا أن يقال أن المراد بعدم الكذب الحكم بعدم الكذب لانهم لم يسكتوا في حقه وهو بمنزلة الحكم بالصدق فالمصنف رحمه الله تعالى جمع بين التفسيرين وهو عادته والاوجه أن عدم التكذيب وان لم يستلزمه لكنه قد يكون كذلك فحمل عليه بقرينة ما عرف منهم لا بطريق اللزوم وهم وان كذبوه لكن منهم من لم يكذبه في بعض الاحيان كما مر والاظهر أن المراد نفي التكذيب بأحد الوجوه والتأويلات السابقة فلا ينافي التكذيب ظاهرا كما أشار اليه البيضاوي وهذا غاية ما يمكن هنا انتهى ملخصا وقوله واعتقادا على نهج قوله * وزججن الحواجب والعيونا * وكلام النحاة فيه مشهور وتسميته صلى الله تعالى عليه وسلم قبل البعثة بالامين مشهور في كتب الحديث ويسمى يتعدى بنفسه وبالباء (فدفع بهذا التقرير ارتماض نفسه بسمة الكذب) الدفع بالدال المهملة منع الشيء قبل وصوله و بعد الوصول يكون رفعا ولذا قالوا الدفع أسهل من الرفع وفي التعبير به اشارة الى عدم تلبسه صلى الله تعالى عليه وسلم بما افتروه والتقرير براءين مهملتين هو ما تضمنه قوله بأن قرر الى آخره وفي بعض النسخ التقدير بالدال بدل الراء كما ذكره التلمساني وقال ان الذي في أصل القاضي بالراء ومعناه على تلك النسخة فرض الشيء وتصويره وبالراء بمعنى تبيينه وتمهيده وكل واحد منهما قريب من الآخر والارتماض براء مهملة ساكنة وآخره ضاد معجمة افتعال من الرمضاء وهي شدة الحرارة شبه بها ما اشتد عليه وأقلقه من ألم قلبه والسمة العلامة وأصلها وسمة فحذفت فاؤه كعدة والمراد وصفهم له بها والاضافة لامية أو بيانية أي سمة هي الكذب في قولهم انه كاذب (ثم جعل الذم لهم بتسميتهم جاحدين ظالمين فقال تعالى ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون) الخ عطف على قرر وثم للتراخي الرتبي والاشارة الى بعد الذم عنه أو هي للترتيب الذكري ولا حاجة لتجريدها لمجرد العطف كما قيل والمراد بتسميتهم وصفهم بما ذكر وعبر به اشارة الى ان ذلك صار كالعلم لهم وبين التسمية والسمة تجنيس وتسميتهم جاحدين لانه لما أخبر عنهم بأنهم يجحدون فكأنه قال جاحدين وقدم الجحد مع تأخره في الآية لانه المقصود بالذكر ولان ظلمهم هنا بجحدهم ولذا وضع الظاهر موضع المضمر ولم يقل ولكنهم تنبيها على أن جحدهم نشأ من ظلمهم الثابت فيهم لان ترتب الحكم على وصف يشعر بعليته ولذا عدل عن جاحدين الى يجحدون وجحدهم بآيات الله اما انكار حقيقتها أو انكار كونها من الله والباء قيل انها لتضمين الجحد معنى التكذيب الا انه قال في القاموس جحد حقه وجحد بحقه اذا أنكره وهو يقتضي خلافه (فحاشاه من الوصم) حاشا فعل ماض أي نزهه الله عز وجل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وبرأه من الوصم بالصاد المهملة في اللغة مطلق النقص والعيب والمراد به الكذب المذكور في الآية (وطوقهم بالمعاندة) طوق فعل ماض من الطوق وهو ما أحاط بالعنق ثم صار مثلا للزوم قال في كشف الكشاف في شرح قوله طوقهم بها طوق الحمامة * انه لا يقال الا للامر المذموم الذي لا يفارق من اتصف به فخصه بالذم كقول حسان رضي الله تعالى عنه * لولا سوابق طوقتك بها طوق الحمامة * أي هجوتك أقول في اختصاصه بالذم نظر لما نقل في مرآة الزمان عن حاتم الطائي انه قال لابنه لما سأله عن ابله التي نحرها للقرى وقال له ما فعلت الابل فقال طوقتك مجد الدهر طوق الحمامة وعليه

(بتكذيب الآيات) متعلق بالمعاندة (حقيقة المعاندة) منصوب على المفعول الثاني لطوق وفي بعض النسخ حقيقة للظلم أي تحقيقا للظلم (اذ الجحد انما يكون ممن علم الشيء ثم أنكره كقوله وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا) أي تعديا وتكبرا ونصبهما على العلة لجحدوا والجملة بينهما معترضة بالحالية لا يقال ان الجحد بمعنى الانكار في الماضي مطلقا كما هو مقرر في علم التصريف

قول المتنبي
أقامت في الرقاب له اياد * هي الاطواق والناس الحمام
والباء للتعدية وقيل انها للسببية (بتكذيب الآيات حقيقة الظلم) هذه الباء متعلقة بالمعاندة وحقيقة منصوب مضاف للظلم مفعول ثان لطوق بمعنى جعلها لهم كالطوق في أعناقهم للزومها لهم ففيه استعارة مكنية وجعله حقيقة الظلم الذي هو وضع الشيء في غير موضعه لانهم وصفوه صلى الله عليه وسلم بالكذب وهم كاذبون وعبر عنه بالاسم الدال على الثبوت وكون اسم الفاعل للحدوث كما ذكره النحاة غير مسلم عند أهل المعاني كما قيل أقول ماذكره غير واضح لان اسم الفاعل انما يدل على الثبوت اذا ألحق بالاسماء كالمؤمن والكافر ولا خلاف في هذا بين النحاة وأهل المعاني كما مر (اذ الجحد انما يكون ممن علم الشيء ثم أنكره) ثم للتفاوت الرتبي أو الحقيقي كما مر وهذا ما صرح به أهل اللغة ففي القاموس والصحاح وغيرهما جحد أي أنكر مع العلم فما قيل انه بعيد بعيد ووجه استبعاده أنه يكون ممن جهل كما قاله ولذا ذكر أئمتنا الحنفية في الاصول انه لو قال للخصم أمقر أنت أم جاحد فان قال مقر أو جاحد فقد أقر و ينبغي أن يقيد هذا بمن كان من أهل اللسان (كقوله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا) أتى بهذه الآية استدلالا على ما ادعاه وقيل عليه انا لا نسلم دلالتها على مدعاه فانه لو قيل أنكروها واستيقنتها أنفسهم كان صحيحا فيكفي لمدعاه النقل من أئمة اللغة كما مر ولذا ذهب بعض الشراح الى انه تمثيل لا استدلال وفيه نظر واستيقن وتيقن بمعنى وقال الزمخشري الاستيقان أبلغ من الايقان ولم يقل استيقنوها مع انه لبيان انهم أخفوا علمهم وأسروه لان فائدة ذكر الانفس انهم جحدوا بالسنتهم واستيقنوها في قلوبهم وضمائرهم والعلو هنا بمعنى التكبر عن الانقياد للحق عنادا وفي شرح الصفوى أقول اليقين في اصطلاحهم الاعتقاد الثابت الجازم المطابق للواقع والعلم أعم موردا فلو أريد بالجحود الانكار مع العلم كما ذكره المصنف رحمه الله أفاد قوله واستيقنتها معنى جديدا على هذا الاصطلاح فلا بعد فيما ذكره لكن اللغويين وأهل العربية فسروا اليقين بالعلم والاظهر حينئذ أن يكون المراد في الآية مجرد الانكار ليكون قوله استيقنتها تاسيسا لا تاكيدا لما فهم ضمنا ولذا فسر كثير من المفسرين الجحود بالانكار واليقين بالعلم ويمكن أن يكون مراد المصنف رحمه الله تعالى ان الجحود يطلق على الانكار بشرط أن يكون مع العلم وهو خارج عن مفهومه شرط لصحة اطلاقه وهو في الآية كذلك قطعا لقوله واستيقنتها فيتم الاستشهاد بالآية بلا نزاع واستيقنتها تصريح بما يمكن أن يفهم منه فتامله فانه دقيق انتهى قيل وهو مبني على أن الشاهد والمثال سيان في جواز وقوعهما بعد الكاف ويعضده مجيء الكاف للتعليل كقوله تعالى واذكروه كما هداكم وعلى أن اليقين بمعنى العلم شرط خارج عن مفهوم الجحود وانه انما يتم الاستشهاد على التقدير الاول لا الثاني مع انه لا يتم الاستشهاد عليهما جميعا والحق انه تمثيل أقول اذا علمت ان حقيقة الجحد انكار عن علم فادعاء انه شرط خارج تعسف وجرءة والآية الثانية انما أجابها المصنف للاستشهاد المعنوي وبيانه انه تعالى قال في الآية الاولى ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون والدليل النقلي والعقلي دال على أن المراد انكارهم عن علم والا لم يكونوا ظالمين بجحدهم لان الجهل قد يعذر صاحبه لكن لما كان فيها اخفاء أتى بالآية الثانية لما فيها من التصريح بانهم كانوا عالمين فالاستدلال بمعناها لا بلفظ الجحد فيها كما توهموه فوقعوا فيما وقعوا فيه نعم في ذكر اليقين تاكيدا ان لم يكن أخص من العلم وهذا ظاهر فانظر كيف خفي على من يدعي انه بيضة البلد (ثم عزاه وآنسه بما ذكره عمن قبله ووعده النصر بقوله * ولقد

فوجود العلم يؤخذ من جملة واستيقنتها الا انا نقول الجحد في اللغة هو انكار مع العلم كما صرح به صاحب القاموس ففي الآية تجريد أو تاكيد ثم حاصل كلام المصنف رحمه الله تعالى أن الجمع بين الامرين وهو نفي تكذيبهم واثبات جحدهم انهم كانوا غير مكذبين له بقلوبهم فانهم يعلمون صدقه في كل قضية ولكنهم جحدوا بناء على عندهم كما تدل عليه الآية الثانية وهذا تاويل حسن ومسلك مستحسن ويصححه ما روي أن الاخنس بن شريق لقي أبا جهل يوم بدر فقال له يا أبا الحكم أخبرني عن محمد أصادق هو أم كاذب فانه ليس ههنا غيري وغيرك فقال له والله ان محمدا لصادق وما كذب محمد قط ولكن اذا ذهب بنو اقصى باللواء والسقاية والحجابة والنبوة فماذا يكون لسائر قريش وقيل وجه ثان في الجمع بينهما وهو أن يكون معنى الآية ان الله عز وجل قال لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم انهم لما أصروا على تكذيبك مع ظهور المعجزات الخارقة على وفق دعواك لم يكذبوك وانما كذبوني أنا وهذا كما يقول القائل لرجل أهان عبد له انك لم تهن عبدي وانما أهنتني وهنا وجه ثالث وهو أن الظالمين ما خصوك بالتكذيب بل عم تكذيبهم لسائر المرسلين ويلائمه ما ذكره المصنف بقوله (ثم عزاه) بتشديد الزاي أي سلاه وصبره (وآنسه) بالضبطين أي سكنه وأزال وحشته (بما ذكره عمن قبله) أي من الانبياء (ووعده النصر) أي على الاعداء (بقوله ولقد

كذبت رسل من قبلك * الآية) التعزية من العزاء وهو الصبر ومعناها تسلية المصاب بما يخفف حزنه قال

هي الشمس مسكنها في السماء * فعز الفؤاد عزاء جميلا

وتختص في العرف بما يقع عند الموت كقول أبي فراس

كن المعزي لا المعزى به * ان كان لا بد من الواحد

وآنسه بفتح الهمزة من غير مد وتشديد النون أو بالمد وتخفيفها أي اذهب وحشته وقلقه مما القيه منهم ورجع الأول لمشاكلته لعزاه ووعده النصرة في الآية لقوله تعالى فيها ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله أي مواعيده بنصر أنبيائه وأوليائه بقوله تعالى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وقوله تعالى فيها انا لننصر رسلنا والوعد فيها له ولهم ظاهر ولا حاجة لما قيل أن في هذه الآية دليلا على تحقيق مقام النبوة فانه غني عن البيان وقوله بما ذكره عمن قبله روى عمن كان قبله أي فهون عليك واصبر حتى يأتيك النصر فقد كذب اخوانك وصبروا حتى نصروا وهذه الآية تدل على أن نفي التكذيب في الآية السابقة ليس على اطلاقه كما ذكره البيضاوي ويحتمل أن يكون المعنى هون عليك جحودهم لآيات الله وما جئت به واصبر فان اخوانك قد كذبوا وأوذوا حتى نصروا فلا تدل الآية على ما ذكر وقد قيل في معنى الآية انها كقول السيد لعبده ما أهانوك بل أهانوني قاصدا تعظيم الأمر وتقريره ان اهانتك اهانتي لا نفي الاهانة وهو كلام حسن جدا (فمن قرأ لا يكذبونك بالتخفيف فمعناه لا يجدونك كاذبا) هي قراءة نافع والكسائي من أكذبه كأبخله اذا وجده كاذبا وبخيلا وهذا أحد معنى صيغة الافعال كما ذكره النحاة في أبنية الفعل ومعناه أن صيغة الثلاثي موضوعة للاتصاف الفاعل بالحدث فاذا دخلت عليه الهمزة كان لمعان أخر منها وجد أن الفاعل للمفعول متصفا بالحدث الذي دل عليه الثلاثي وهو معنى حقيقي وضعت له هذه الصيغة ويلزم من كونهم لا يجدونه متصفا فانهم لا يعتقدون كذبه سواء قالوا انه كاذب أم لا ففيه تسلية له صلى الله تعالى عليه وسلم أيضا (وقال الفراء والكسائي لا يقولون انك كاذب) الفراء هو الامام أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الاسلمي الدولي الكوفي النحوي اللغوي المفسر كان أبرع الكوفيين وأعلمهم بفنون الأدب وتفسيره من أجل التفاسير وعليه اعتماد الزمخشري توفي سنة سبع ومائتين بطريق مكة وعمره ثلاث وستون سنة وانما لقب بالفراء لانه كان فصيحا يفري الكلام ويفصله فليس نسبة للفراء لعلمها أو بيعها * والكسائي هو أبو الحسن علي بن حمزة بن عبد الله بن بهمن ابن فيروز الاسدي الكوفي أحد القراء السبعة امام النحو واللغة والقراآت عاش سبعين سنة ومات في سنة ثلاث وثمانين ومائة برنبوية قرية من قرى الري وقيل بطوس والذي لقبه بالكسائي حمزة شيخه لانه كان يحج ملتفا بكساء وقيل لانه أحرم في كساء ولما لم يجد هذا المعنى السابق في كتب النحو المشهورة السيد الصفوي قال هنا ان هذا بناء على ان أكذب ككذب للنسبة كما صرح به الامام والقاضي أو ان معناه بين كذبه كما في القاموس ويؤيده ما نقله الواحدي عن الفراء أن معناه لا يجعلونك كذابا بل يقولون ان ما جئت به باطل وفي الصحاح نقلا عن الكسائي ان أكذبته بمعنى أخبرته انه جاء بالكذب وهو لا يوافق المنقول وبالجملة ان في هذه النقول اضطرابا وتبعه ابن الحنبلي في شرحه وهو كله من قصر الباع وقلة الاطلاع فان هذا المعنى صرح به أئمة العربية قال ابن عصفور في كتاب الممتع من معاني أفعل التسمية كقولهم اكفرته واخطأته أي سميته كافرا ومخطئا انتهى وهو معنى النسبة في العرف لانهم يقولون نسبه للزنا اذا قال انه زان فالاضطراب انما هو من عدم الوقوف على الصواب (وقيل لا يحتجون على كذبك ولا يثبتونه) عطف تفسير لان معنى يحتجون يقيمون حجة مثبتة لما ادعوه وفي بعض النسخ لا يجتمعون قيل كأنه تفسير باللازم فان من معانيه لا يجعلونك كاذبا والجعل انما يكون اذا أثبتوا كذبه فيلزم من نفي الجعل نفي الاحتجاج ومعناه على

(فمن قرأ لا يكذبونك بالتخفيف) وهو نافع والكسائي (فمعناه لا يجدونك كاذبا) فهو من باب أبخلته وجدته بخيلا (وقال الفراء) بتشديد الراء وهو الامام الكوفي النحوي اللغوي مات سنة سبع ومائتين في طريق مكة ولم يكن يعمل الفرو ولا يبيعها وانما قيل له ذلك لانه يفري الكلام أي يصنعه ويأتي بالعجب منه (والكسائي) بكسر الكاف لانه كان ملتفا بكساء عند قراءته على حمزة وقيل لانه أحرم بكساء وهذا القول جزم به أبو عمرو الداني في التيسير ونظمه الشاطبي في كتابه وهو أحد القراء السبعة والامام في النحو واللغة من أهل الكوفة روى عن أبي بكر بن عياش وحمزة الزيات وابن عيينة وغيرهم وعنه الفراء وأبو عبيد القاسم بن سلام وغيرهما توفي سنة تسع وثمانين ومائة بالري وقيل بطوس والحاصل أنهما قالا في معنى لا يكذبونك بالتخفيف (لا يقولون أنك كاذب) فيكون معناه بالنسبة كالاكفار والتكفير وهو أنسب للجمع في المعنى بين القراءتين (وقيل لا يحتجون) أي لا يستدلون (على كذبك ولا يثبتونه) أي شبهة فضلا عن حجة وهو راجع الى قولهما في المعنى وان اختلاف في

النسخة

المبنى (ومن قرأ بالتشديد) وهم الباقون (فمعناه لا ينسبونك الكذب وقيل لا يعتقدون كذبك) وهو خلاصة المعنيين وزبدة القراءتين (ومما ذكر من خصائصه) أي الدالة على زيادة قدره (وبر الله تعالى به) أي اكرامه له من بين أصفيائه (ان الله تعالى خاطب جميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام) أي المذكورين في القرآن (باسمائهم) أي

باعلامهم دون أوصافهم الدالة على

النسخة الاخرى ان منهم من يعرف بطلان قوله فلا اعتداد به الا انه لا يناسب قوله ولا يثبتونه * أقول الصحيح الاول وتوجيهه ان أفعل يكون للدلالة على الشئ والايصال اليه وهو انما يكون بالبيان والحجة لا بما ذكره قال في المغني تقول أبصره أي دله على وجود المبصر وأغفلته أي وصلت غفلته اليه وأما على النسخة الاخرى فالمعنى ظاهر وبما قررناه علمت سقوط ما قيل من ان هذا التفسير لا يناسب المقام ولا يلائم الجحد (ومن قرأ بالتشديد فمعناه لا ينسبونك الى الكذب) كقولهم فسقته اذا نسبته الى الفسق وتممته اذا نسبته لبني تميم وهذه النسبة أعم من النسبة المصطلح عليها وهذا أعلى الوجوه السابقة (وقيل لا يعتقدون كذبك) وهذا توفيق بين ما ورد فيه التصريح بتكذيبهم له صلى الله عليه وسلم وما في هذه الآية من قولهم لا يكذبونك بان المثبت قولهم والمنفي اعتقادهم لمعنى ما قالوه وأورد عليه أن الاعتقاد المنفي لا يخلو من أن يكون جازما فيكون عين التفسير الاول وحكايته تقتضي انه غيره أو غير جازم بان يظنوا اصدقه ويتوهموا كذبه وهذا مما يشق عليه فليس فيه تطمين له كما في الاول ورد بان المراد الاول بلا شبهة واحتماله للثاني بعيد وقصد المصنف بعد ما قرره نقل أقوال المفسرين في القراءتين لينزل ما قاله عليه بدليل تفريعه عليه بالفاء في قوله فمن قرأ الى آخره والمعترض توهم ان ما هنا مخالف ومغاير لما قبله فقال ما قال والظاهر انه لا اختصاص لهذين القولين بقراءة دون قراءة ولو قيل بالاختصاص لم يكن فيه باس فان منهم من جعل القراءتين بمعنى كما قالوا اقللت وأقللت وكثرت وأكثرت ولك أن تقول المعنى على هذا ان نفي تكذيبهم مطلقا لجعل ما قالوه بمنزلة العدم لعلمهم بخلافه كما قيل في قوله تعالى لا ريب فيه مع كثرة المرتابين فيه وهذا يدل على انهم معترفون بصدقه اعتقادا فقط الا ان قولهم بمنزلة العدم وما قرره المصنف وارتضاه مبني على أنهم معترفون بصدقه حقيقة قولا واعتقادا فلا غبار عليه (ومما ذكر من خصائصه) صلى الله تعالى عليه وسلم (وبر الله تعالى به) الخصائص جمع خصيصة وهي ما خص به دون غيره تمييزا له صلى الله تعالى عليه وسلم وتفضيلا له على غيره كما مر وأتى بمن اشارة الى كثرتها حتى أفردت بالتضعيف وبر الله به احسانه ولطفه كما مر (ان الله تعالى خاطب جميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام باسمائهم فقال يا آدم) بدأ به لانه أبو البشر صلى الله تعالى عليه وسلم المقدم عليهم وهو علم ممنوع من الصرف بالاتفاق للعلمية والعجمة ووزنه فاعل كآزر وعاذر وجمعه أوادم وآدمون وقيل انه عربي مشتق من أديم الارض أو من الادمة لون بين السواد والحمرة وأصله على هذا أأدم بالهمزة فابدلت الثانية ألفا ووزنه أفعل ومنعه من الصرف للعلمية ووزن الفعل ومن الغريب ما قيل انه منقول من فعل الرباعي كما حكي عن الطبري وفيه نظر (يا نوح يا ابراهيم يا موسى يا داود يا عيسى يا زكريا يا يحيى) وروى تقديم يا عيسى على ما قبله وهذه الاعلام ووقوع الخطاب بها في القرآن كقوله تعالى يا آدم أنبئهم باسمائهم) غنى عن البيان (ولم يخاطب هو) بصيغة المجهول وضمير هو للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم أي لم يخاطبه الله في القرآن باسمه وفي نسخة لم يخاطبه بالبناء للفاعل والضمير المتصل وقيل هو الاولى والاوجه له (الا) بعبارة في ندائه دالة على تعظيمه وملاطفته لمنزلته عند ربه كقوله (يا أيها النبي يا أيها الرسول يا أيها المزمل يا أيها المدثر) معنى النبي والرسول معلوم وقدم

اعظامهم (فقال يا آدم) أنبئهم بأسمائهم (يا نوح) اهبط بسلام منا (يا ابراهيم) قد صدقت الرؤيا (يا موسى) انى أنا الله (يا داود) انا جعلناك خليفة (يا عيسى) انى متوفيك (يا زكريا) انا نبشرك (يا يحيى) خذ الكتاب بقوة وأمثال ذلك (ولم يخاطب) بفتح الطاء ويروى ولم يخاطبه كذا ذكره الحجازي لكن لا يلائمه قوله (هو) ولعله غير موجود في تلك الرواية (الا يا أيها النبي يا أيها الرسول يا أيها المزمل يا أيها المدثر) يعني فهذا كله دال على رفعة منزلته عنده فان السيد اذا دعا أحد عبيده بأوصافه المرضية وأخلاقه العلية ودعا غيره باسمه العلم الذي لا يشعر بوصف من الاوصاف الجلية دل على ان عزته عنده أكثر من غيره كما في عرف المخاطبة وآداب المحاورة ومعنى المزمل وأصله المتزمل المتغطي بالثوب وكذا المدثر لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم لخديجة رضي الله تعالى عنها حين رجع من غار حراء بعدما حاوره الملك ما حاوره زملوني زملوني وفي رواية أخرى دثروني دثروني على ما ورد في الصحيح وانما خوطب بالمزمل والمدثر في هذا المقام للملاطفة والتأنيس اذ من عادة العرب اذا قصدت الملاطفة أن تسمي المخاطب باسم تشتقه من الحالة التي هو فيها كقوله عليه الصلاة والسلام لحذيفة قم يا نومان ولعلي بن أبي طالب وقد نام في التراب قم يا أبا تراب هذا بحسب دلالة الخطاب ومن ذلك أنه تعالى منع الخلق صريحا أيضا في الكتاب أي لسد هذا الباب حيث قال لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا وقد قال كثير من العلماء أي لا تقولوا يا محمد يا أحمد ونحوهما ولكن قولوا

النبي لانه أعم كقوله تعالى يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال * يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر * يا أيها المزمل قم الليل الا قليلا * يا أيها المدثر قم فانذر قيل الخاصة انما هي عدم الخطاب بالاسم وجعله خاصة بحسب الظاهر المشهور لئلا يشكل بما سيجيء من ان يسين بمعنى يا محمد ونحوه ما قيل في طه أيضا فيعتذر عنه بانه بناء على عدم ثبوت هذا وفي العدول عن الاسم الى الصفات الحسنة تعظيم في العرف يعرفه كل أحد وفي شرح التجاني أنه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يذكر باسمه في النداء وذكر في الخبر كقوله تعالى محمد رسول الله * وما محمد الا رسول لانه ورد مورد التعيين والتعليم لان صاحب هذا الاسم هو الرسول ونحو قوله تعالى لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لما لم يرد هذا المورد لم يذكر اسمه والمزمل أصله المتزمل أي الملتف بثوب ونحوه وفيه تفاسير أخر والمدثر أصله المتدثر أي لابس الدثار وهو البرد الذي فوق الثياب وفيهما تلميح الى قوله لخديجة رضي الله عنها حين رجع من حراء زملوني زملوني وفي رواية دثروني دثروني والقصة مشهورة في كتب الحديث أي غطوني وفي ذكر المدثر والمزمل للملاطفة والتانيس على عادة العرب بخطابهم بما يدل على حاله حين الخطاب كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم لعلي رضي الله تعالى عنه يا أبا تراب لما رآه نائما عليه فلو ناداه سبحانه باسمه وبأعار عن مثل هذه الملاطفة وفؤاده يرجف شق عليه فلذا بدأ بما يؤنسه وفيه نكتة ذكرها الامام السهيلي وذلك لانه صلى الله تعالى عليه وسلم قال أنا النذير العريان وهو مثل للعرب فتمثل به صلى الله تعالى عليه وسلم وكان يقول من بالغ في الانذار بقرب العدو لان المستغيث كان يتعرى ويرفع ثوبه ليرى من بعيد لا يسبق العدو صوته وقيل أصله أن رجلا سلبه العدو فجاء قومه منذرا على تلك الحالة فقوله تعالى يا أيها المدثر قم فانذر وقوله أنا النذير العريان أي مثلي مثله فيه اشارة الى أن المدثر يضاد النذير ففيه تمليح وتلميح وتطرق للملاطفة كما في الاستعارة التمليحية التي ذكرها أهل المعاني وان لم يكن منها وما ذكره المصنف رحمه الله في خطاب الله له باسمه في القرآن فلا يرد عليه كما توهم خطاب الله بقوله تعالى انك لا تهدي من أحببت وقوله له في المحشر ارفع رأسك وقل يسمع لك يا محمد ولم يقل يا أيها النبي ويا أيها الرسول فان قيل الحكمة فيه انه أخصر ففيه سرعة اجابته وتطويل الكلام غير مناسب في مقام الاذن في الشفاعة وقال السيوطي ان الله شرف أمته صلى الله تعالى عليه وسلم بخطابهم في القرآن لقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا وخاطب الامم السالفة بيا أيها المساكين * واعلم أنه قال في الامتاع ان من خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم انه لا يجوز لاحد أن يناديه باسمه فيقول يا أحمد يا محمد بل يقول يا نبي الله يا رسول الله لقوله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا وقوله تعالى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض وبهذا فسرها مجاهد والضحاك ومقاتل وسعيد بن جبير وأجيب عن قول الاعرابي يا محمد أتانا رسولك الحديث بانه قبل النهي أو هو صدر منه قبل اسلامه وهل مثله الكنية نحو يا أبا القاسم فيه نظر انتهى ويأتي الكلام على ذلك والظاهر أن ذلك مخصوص بخطاب المشافهة في حضوره حال حياته

(الفصل الرابع في قسمه تعالى) وفي نسخة عز وجل (بعظيم قدره صلى الله تعالى عليه وسلم) وفي نسخة تسليما والقسم يكون بمعنى الاقسام وهو الاتيان بالقسم وهو المراد ويكون بمعنى المقسم به وقال النحاة أنه مصدر ليس بجار على فعله وقياسه الاقسام وهو في عرفهم جملة انشائية يؤكد بها جملة أخرى لا على جهة التبعية (قال الله تعالى لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون) المقصود من هذا الفصل بيان القسم نفسه والمقسم عليه كما في الفصل الذي بعده فيغايرهما والفرق بينهما ظاهر فالباء في بعظيم قدره متعلقة بالقسم لا سببية حتى يتداخل المقصدان فيحتاج لارتكاب تكلفات في الفرق بينهما وعظيم قدره اما بمعنى قدره العظيم أو الاضافة بيانية والمقسم به حياته وذاته ونحوهما والمقصود من المقسم به تعظيمه

يا رسول الله يا نبي الله وان ناداته عليه الصلاة والسلام باسمائه الاعلام من نوع الحرام في الاحكام *(الفصل الرابع)* (في قسمه تعالى بعظيم قدره) القسم بفتحتين الحلف (قال الله تعالى لعمرك) أي قسمي يا محمد لعمرك (انهم لفي سكرتهم) أي غمرتهم وغفلتهم (يعمهون) أي يتحيرون ويترددون والضمير لقوم لوط وقيل راجع الى قريش وهو بعيد جدا غير ملائم للسابق واللاحق على ما ذكروه والاظهر أن الجملة قسمية معترضة فيما بين القصة فلا يبعد أن يكون الضمير راجعا الى كفار قومه صلى الله تعالى عليه وسلم وهو الملائم لخطابه وحكاية غفلتهم عن جنابه ثم رأيت الطبري جزم بان ضمير يعمهون لقريش والجملة اعتراض بين الاخبار بقبائح قوم لوط وبين الاخبار بهلاكهم تنبيها على ان من كان هذا دأبه فجدير ان لا ينفعه تاديب ولا يؤثر فيه تانيب وتنفير للسامع عن هذه القبائح المورثة للفضائح

وتقرير المقسم عليه في الذهن وتمكينه والعرب من عادتها أن تقسم بالشيء إذا أرادت تعظيمه حتى تجعل الجمل قسما من غير حرف القسم وهذا هو القسم الذي عدوه من أنواع البديع كقوله

بقيت وفدي وانحرفت عن العلا * ولقيت أضيافي بوجه عبوس
ان لم أشن على ابن حرب غارة * لم تخل يوما من نهاب نفوس

قال المرزوقي هذا من الايمان الشريفة ولفظه لفظ الخبر وظاهره الدعاء ومحصوله القسم وكرر هذا في مواضع من شرح الحماسة وأشار اليه الزمخشري وقل من تنبه له وهذه الآية في قصة لوط عليه الصلاة والسلام وماذكره المصنف رحمه الله تعالى مبني على أن هذا الخطاب لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم على أحد الوجهين فيها وفي الكشاف أنه على ارادة القول أي قالت الملائكة للوط عليه الصلاة والسلام لعمرك وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فرجح الاول لانه المناسب للسياق ورجح المصنف رحمه الله تعالى الثاني لانه تعالى لما قص عليه قصته بتمامها الى قوله هؤلاء بناتي ان كنتم فاعلين خاطبه ببيان ماهم عليه من الضلالة مقسما بحياته واختاره لموافقته لمقتضى الحال وضمير انهم لقوم لوط وسكرتهم غفلتهم وغلبة الهوى والشهوة عليهم حتى صاروا سكارى لايميزون الخطا من الصواب ويعمهون يتحيرون لعمى بصائرهم والعمى في البصر والعمه في البصيرة كما مر وفيه استعارة تحقيقية مرشحة بالعمه وشبه تمكنهم في الغفلة المحيطة بهم بتمكن المظروف في الظرف لانهم لم يفدهم النصح للامة طبائعهم وحسة أنفسهم ففيه استعارة أخرى تبعية حرفية وقيل ان ضمير انهم لقريش وقال التجاني أنه بعيد لانقطاع الآية عما بعدها وماقبلها ولذا قيل أن الجملة على هذا معترضة وعبر بالمضارع حكاية للحال الماضية أو لتشبيه الماضي بالحال فتدبر (اتفق أهل التفسير في هذا) الكلام أو اللفظ الذي هو لعمرك (انه قسم من الله جل جلاله) هو اسناد مجازي كجد جده وسعد سعده كما مر وتحقيقه في كتب المعاني (بمدة حياة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) المدة بالضم مقدار من الزمان قليلا كان أو كثيرا من مده اذا بسطه وفي بعض الشروح القسم للتعظيم اذ لم يقسم بحياة أحد غيره والكلام مسوق للاخبار بقبائح قوم لوط عليه الصلاة والسلام واهلاكهم تنبيها على أن من كان هذا دأبه لم ينفع انصحه وتنفيرا عن ارتكاب مثله من المفاسد ودعوى المصنف رحمه الله تعالى الاتفاق دعوى بينتها غير مقبولة لقول جماعة من المفسرين انه قسم بمدة حياة لوط عليه الصلاة والسلام اذ قالت له الملائكة ذلك بشهادة السياق انتهى وكذا القول بانه تعالى لم يقسم بمدة حياة أحد غير محمد صلى الله تعالى عليه وسلم على ما يأتي وقيل أيضا العمر مطلق الحياة أي سواء كانت المدة بتمامها أو بعضها وقيل المراد البقاء فلا اتفاق أيضا على أحدهما الا أن يريد بمدة الحياة معنى يشملهما وفيه نظر والجواب بان المراد اتفاق من عليه المدار ولو عند المصنف لايجدي نفعا كالقول بان الاتفاق انما هو على القسمية ولو قيل المراد باهل التفسير مفسروا السلف الذين اقتصروا على التفاسير المأثورة كابن عباس رضي الله تعالى عنهما لكان وجيها وعلى هذا فتأخيره وحكايته بقيل غير مناسب وعلى كل حال فالكلام لايخلو من الكدر (وأصله ضم العين من العمر ولكنها فتحت لكثرة الاستعمال) قال ابن مالك رحمه الله تعالى في باب المبتدأ والخبر يحذف الخبر وجوبا اذا كان المبتدأ صريحا في القسم ومثلوا له بقولهم لعمرك لافعلن كذا أي لعمرك قسمي أو ما أقسم به وقال الدماميني في شرح التسهيل جواب القسم ساد مسد الخبر والعمر والعمر بمعنى ولايستعمل مع اللام الا المفتوح لان القسم موضع التخفيف لكثرة استعماله واحترز بالصريح عن نحو عهد الله فيجوز حذف خبره واثباته لانه غير صريح في القسم واستشكله شيخنا ابن قاسم بان الفقهاء صرحوا بأن كلا منهما كناية لاينعقد به اليمين الا بالنية وقالوا المراد بالعمر البقاء والحياة وأجاب بان المراد

(اتفق أهل التفسير في هذا) أي في قوله لعمرك (انه قسم من الله تعالى بمدة حياة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) وقيل المراد به لوط كما ذكره البيضاوي فالمراد باهل التفسير أكثرهم وجمهورهم مع أن البغوي أيضا اقتصر على الاول ثم اذا كان المراد به لوطا فالقائل الملك لئلا ينافي مارواه البيهقي وابن أبي شيبة وابن جرير عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ماحلف الله تعالى بحياة أحد الا بحياة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم قال لعمرك بل أخرجه ابن مردويه عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه مرفوعا قال ماحلف الله بحياة أحد الا بحياة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم قال لعمرك (وأصله) أي أصل استعمال لعمر (بضم العين من العمر ولكنها فتحت لكثرة الاستعمال) والاظهر ان يقال العمر بضمتين وهو الافصح الوارد في القرآن وبالضم والفتح أيضا على ما في القاموس الا انه لايستعمل في القسم الا بالفتح لخفة لفظه وكثرة دورانه كما في البيضاوي وغيره

بصراحة الاول اشعاره بالحلف مطلقا في استعمالهم وأرادوا بنفي كونه يمينا انه لا يعتدبه شرعا وقالوا في باب القسم يقال عمرك الله بنصب عمرو يجوز في الله النصب والرفع وعمر مصدره محذوف الزوائد لان فعله عمر بالتشديد ويقال عمرتك في القسم أيضا ومعناه ذكرتك بالله أو عمرت قلبك بذكره قال الشاعر

أيها المنكح الثريا سهيلا * عمرك الله كيف يلتقيان

وفيه كلام في شروح الكشاف لا يسعه هذا المقام وقال السيوطي في مختصر نهاية ابن الاثير المسمى بالدر النثير في الحديث خرجوا عمارا أي معتمرين جمع عامر من عمر بمعنى اعتمر وان لم يسمع فلعل غيرنا سمعه قال الزمخشري وعمرك الله أي اساله ان يطيل عمرك ولعمر بالفتح العمر ولا يقال في القسم الا بالفتح ولعمر الله قسم ببقاء الله ودوامه انتهى وفي شرح الصفوي قال في المواهب انه قسم عند الحنفية والمالكية وكناية عند الشافعية واللام لتأكيد القسم وانهم جوابه ووقع في بعض النسخ بفتح العين وجعل الضم أصلا لم يذكره أهل اللغة لكن في تفسير القاضي ان الفتح لغة في الضم وهو يشعر بما ذكره المصنف انتهى ملخصا ومثله في شرح التجاني وقال ان المصنف رحمه الله تعالى لم يحقق هذا الموضع وفي التقريب في شرح الغريب العمر بضم وبضمتين الحياة وهو يشعر بعكسه * أقول هذا ما قاله الشراح برمته وهو لم يصف من الكدر وتحقيق هذا المقام على وجه ينفض عنه غبار الاوهام ان العمر بالفتح مصدر عمر المشدد وأصله التعمير فحذفت زوائده وله معنيان تعمير الله اياك أو قلبك وهو على هذا صفة من صفات الله فيصح القسم به حقيقة وهذا ما جنح له ساداتنا الحنفية والنحاة والعمر بضم العين مخصوص بالانسان وهو مدة وجوده في الدنيا فلا يصح القسم به شرعا لكن الله ان يقسم بما شاء كقوله تعالى والضحى والليل اذا سجى) فالضم أصل في هذا المعنى لاختصاصه به في غير القسم فاذا أريد بالمفتوح هذا لا بأس ان يقال انه من قبيل معناه أو معدول به عنه ويؤيده ما في شرح أدب الكاتب للاقليلي انه سمع نادرا لعمرك بضم العين واذا لم يرد هذا المعنى في قسم الناس صح ان يقال ان كناية لتوقفه على النية كالمشترك وأما العرب فيقسمون بما أرادوا فلا منافاة بين ما ذكره النحاة وما ذكره الفقهاء ولا حاجة لما قاله شيخنا مع ما في قوله لا يعتدبه شرعا من الوهم وبهذا اتضح ما قاله القاضي (ومعناه وبقائك يا محمد وقيل وعيشك وقيل وحياتك) البقاء بمعنى حياته في الدنيا وتمام عمره والحياة أعم منه لصدقها على البعض والكل فالمغايرة بينهما ظاهرة والعيش له معان في اللغة منها الحياة فان فسر به هنا كانت المغايرة بينه وبين ما بعده لفظية ولذا فسره التلمساني به هنا لئلا يتكرر مع ما بعده وقيل انه بعيد ولو فسر بالمعيشة في دنياه وجعل عبارة عن الزهد والتقشف لم يبعد وقيل المراد معيشته الواسعة الفائضة على غيره فهو عبارة عن سخائه وجوده وهذه التفاسير كلها ماثورة عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما من طرق مختلفة ونقل الاخفش معنى آخر وهو وحقك على أمتك قيل وعرض لوط صلى الله تعالى عليه وسلم بناته انما هو اشارة الى نساء أمته لانه كالاب لهم أي ان كنتم تريدون قضاء الشهوة فعليكم بالحلال ولو حمل على ظاهره من تزوجهم بناته لا مانع منه وقيل المراد دوام أبد الآباد معه كما قيل

وانما المرء حديث بعده * فكن حديثا حسنا لمن وعى

وهو بعيد ومن الغريب ما نقل عن مجاهد ان المعنى لعمرك من قولهم لعمر الله أي بعيده والمعاني التي ذكرها حقيقة لتصريح أهل اللغة بها فلا وجه لدعوى التجوز فيها (وهذه نهاية التعظيم وغاية البر والتشريف) تانيث الاشارة لانها الكلمة المقسم بها أو باعتبار الخبر وانما كان كذلك لان العظيم اذا قال لاحد عبيده وحياتك كان ملاطفة وتكريما فكيف برب الارباب في مثل هذا الكتاب وقيل وجه كونه نهاية التعظيم كونه ربه اقسم به وقيل انه في خصوص القسم بالحياة لانه في العرف يدل على كمال الالفة

(معناه) أي كما رواه أبو الجوزاء عن ابن عباس (وبقائك) أي ومدة بقائك في الدنيا (يا محمد) كقوله تعالى والعصر أي عصر نبوته في قوله أو بقائك بناء بعد فنائك فينا (وقيل) أي كما رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس أيضا وعزى الى الاخفش (وعيشك) أي وطيب معيشتك في الكونين لقوله تعالى فلنحيينه حياة طيبة أي في الدنيا بالزهد فيها والتقليل منها والصبر على مرها والشكر على حلوها (وقيل وحياتك) أي باسمنا المحيي والتخصيص للتشريف والكل بمعنى واحد وانما ذكرها لاختلاف ألفاظها (وهذه) أي المعاني كلها (نهاية التعظيم وغاية البر) أي التكريم (والتشريف

والمحبة كما يشهد به الذوق والطبع السليم فتامله (قال ابن عباس رضي الله عنهما ما خلق الله وما ذرأ وما برأ نفسا أكرم عليه من محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) الخلق الايجاد وذرأ وبرأ بالهمزة فيهما وان كان بمعناه فيكون ذكرهما للتوكيد وقد يفرق بينهما بالاعتبار بان يكون ذرأ من الذرية وبرأ بمعنى صور أي لم يوجد أحدا أشرف منه ذاتا ونسبا وصورة أكرم من محمد صلى الله عليه وسلم وقد عرفت فيما سبق ان مثل هذه العبارة يفيد انه ليس أحد أفضل منه ولا مساويا له وقد حققناه قبل هذا ودخل فيه الملائكة عليهم الصلاة والسلام مطلقا حتى خواصهم كجبريل عليه الصلاة والسلام بناء على المذهب الحق انه صلى الله تعالى عليه وسلم أفضل منهم ولا عبرة بمن اختار خلافه كالزمخشري وغيره من المعتزلة وقد سئل بعض البصريين عمن يقول بتفضيل الملائكة على البشر على الاطلاق هل يفسق بذلك فاجاب ان عنى هذا القائل بالاطلاق دخول المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم في ذلك فهذا أمر فوق الفسق لمخالفته للاجماع وان عنى من عداه صلى الله تعالى عليه وسلم فالخلاف فيه مشهور والامساك اسلم كما قال الشافعي رضي الله تعالى عنه لما سئل عن مثل ذلك كنا نتكلم في فضول الاصول فصرنا نتكلم في أصول الفضول فقيل له اجزم بالصواب من الجواب فقال هذا اعار عظيم المصارع يخشى على قناعه من المقارع والمسئلة طويلة الذيل وما وقع من صاحب الكشاف في سورة التكوير من تفضيل جبريل على محمد عليهما الصلاة والسلام فهو خرق لاجماع من يعتد باجماعه وقد تصدى للرد عليه فيه ابن خليل السكوني وغير واحد فليحذر كلامه أعني الكشاف كله من أمثال هذا مما يخالف السنن القويم انتهى وسيجيء تحقيقه الآن بعض الشراح تعقبه المصنف بانه لو قال روحا أي ذا روح كان أصرح في تفضيله على الملائكة عليهم الصلاة والسلام أي لان النفس ربما يقال انها لا تطلق عليهم لتفسير بعض أهل اللغة لها بالجسد وان جاز تفسيرها بالروح فانه أحد معانيها وعلى هذا يتجوز أو يقدر في قوله من محمد من نفس محمد كما قيل (وما سمعت الله تعالى) قيل المراد ما علمت من اطلاق السبب على مسببه اذ السماع قد يفيد العلم وقيل انه هنا من النواسخ الداخلة على المبتدأ والخبر على ان المفعول الاول مصدر الخبر المضاف الى المبتدأ واليه ذهب الرضي وغيره في فعل السماع الداخل على الذوات كسمعت زيدا يقول كذا بشرط كون الخبر مما يسمع والتقدير ما سمعت أقسام الله تعالى لا من نبي ولا من كتاب يتلى وقصره على الثاني قصور والجملة مبنية للقدر وفيه انهم شرطوا فيه ان يكون السماع بغير واسطة كما صرح به في حواشي المطول وفيه كلام فصلناه في طراز المجالس (أقسم بحياة أحد غير محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) وفي بعض النسخ غيره وبعد ما ذكر هذا ابن عباس رضي الله تعالى عنهما تلى الآية لعمرك الى آخره وكلمة غير مجرورة صفة أحد او بدل منه الا انه على هذا كما قيل لا يفيد انه اقسم بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وانما يفيد انه لم يقسم بغيره ولذا تلى الآية ليستفاد منها المعنيان معا بخلاف ما لو نصب على الاستثناء فانه يفيدهما صراحة ولا وجه له فانه يفيدهما على الوجهين بقرينة السياق كما مر في قوله ما خلق نفسا أكرم من محمد وأما أحد فقال شراح الكشاف في قوله تعالى لا نفرق بين أحد من رسله انه يستوي فيه المفرد والجمع والمذكر والمؤنث وهو في حيز النفي يعم القليل والكثير مجتمعا ومنفردا بخلاف الواحد فانه يقال ما في الدار واحد بل اثنان ولا يقال مثله في أحد وذكره التفتازاني وقال معناه ما ذكره أهل اللغة من أن أحدا اسم لمن يصلح ان يخاطب فيستوي فيه الواحد المذكر وغيره فاذا أضيف اليه بين وأعيد اليه ضمير جمع ونحوه فالمراد به جمع من الجنس الذي يدل عليه الكلام فمعنى لا نفرق بين أحد لا نفرق بين جمع الرسل ومعنى فما منكم من أحد ما منكم من جماعة وكثير من الناس يسهو فيزعم

قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما) أي فيما رواه البيهقي في دلائله وأبو نعيم وأبو يعلى (ما خلق الله) أي ما قدر (وما ذرأ) أي خلق وكانه مختص بالذرية وفي الحديث انهم ذرء النار أي انهم خلقوا لها (وما برأ) أي خلق الخلق من البر أو هو التراب أو مختص بذات الروح ولذا يقال يا بارئ النسمة أو معناه خلق خلقا بريئا من التفاوت أو أريد بالثلاثة معنى واحد وكرره للتاكيد كما في الحديث نعوذ بالله الذي يمسك السماء ان تقع على الارض الا باذنه من شر ما خلق وذرأ وبرأ والمراد ما أوجد من العدم (نفسا) أي شخصا ذا نفس (أكرم عليه) أي أنفس عنده وأفضل لديه (من محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) ثم كان كالدليل عليه (وما سمعت الله عز وجل) أي ما علمته (اقسم بحياة أحد غيره

ان معنى ذلك انه نكرة وقعت في سياق النفي فعمت فكانت بهذا الاعتبار في معنى الجمع كسائر النكرات وفي التلويح نقلا عن النحاة أنك اذا قلت خذ أحد هذين فالفه منقلبة عن واو و يستعمل في الاثبات واذا قلت ماجاءني أحد فالفه ليست منقلبة عن واو ولا يجوز استعماله في الاثبات وهذا مشكل لان اللفظين صورتهما واحدة ومعنى الوحدة موجود فيهما والواو فيها أصلية فيلزم قطعا انقلاب الالف عنها فيهما واذا كانا مشتقين من الواحدة وأما جعل أحدهما مشتقا منها دون الآخر فترجيح من غير مرجح ولم أر من تعرض لهذا حتى رأيت العلامة القرافي في كتابه العقد المنظوم في ألفاظ العموم أجاب عنه بان أحدا الذي لا يستعمل الا في النفي معناه انسان باجماع أهل اللغة وأحد الذي يستعمل في الاثبات معناه الفرد من العدد واذا كان مسمى أحد اللفظين غير مسمى الآخر غايره في الاشتقاق فانه مناسبة بين اللفظين في الحروف والمعنى ولا يكفي فيه أحدهما فعلم من هذا ان أحدا الذي لا يستعمل الا في النفي ماهو واحد المستعمل في النفي والاثبات فان كان المقصود منه انسانا فهو الاول وألفه ليست منقلبة عن واو وان كان المقصود منه نصف الاثنين فهو الصالح للنفي والاثبات وألفه أصلية انتهى وفيه بحث وقد أشار الى هذا هنا بعض الشراح ولم يهذبه (وقال أبو الجوزاء) بفتح الجيم و واو ساكنة وزاي معجمة يليها المد وهم أبو الجوزاء أيضا غير هذا وأبو الحوراء بمهملتين راوي حديث القنوت وهذا اسمه أوس ابن عبدالله الرابعي البصري يروي عن عائشة رضي الله عنها وصفوان بن عسال رضي الله تعالى عنه وغيرهما وهو ثقة كما قاله الحاكم وأخرج له الستة وتوفي سنة ثلاث وثمانين مقتولا في الجماجم (ما أقسم الله تعالى بحياة أحد غير محمد صلى الله تعالى عليه وسلم لانه أكرم البرية عنده) صلى الله تعالى عليه وسلم قيل غير هنا منصوب على الاستثناء وقد سمعته آنفا مع ماله وعليه وقد مر أيضا ان عند ظرف مكان فلا يضاف اليه تعالى حقيقة و ورد في القرآن لمعان منها الحلم والعلم كما في آية الافك في قوله تعالى وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم وقد يراد بها القرب و رفعة المرتبة وهو يكون بالثواب على أنواعه و يصح ارادة كل منها هنا والبرية الخليقة من برأ النسمة فيجوز همزه وتخفيفه والثاني أفصح وأكثر وهو يدل على انه غير معتل من البرى بمعنى التراب كما ذهب اليه بعض أهل اللغة ثم انه قيل ان الاكرمية لا تقتضي حصر القسم فيه دون غيره ولا قصرها على حياته دون ذاته فالتعليل غير تام الا أن يقال عادة العرب لمن أحبوه وعظموه أن يقسموا بحياته دون ذاته فان القسم بالذات انما يقتضي العظمة والشرف ولا يلزم من التعظيم القسم ولا التخصيص به فان القسم مطلقا قد يتعدد القسم به وقد يقسم بفاضل مع وجود الافضل وكون الاكرمية تقتضي التخصيص ببعض الامور فلا اخص بما ذكر لانها تقتضي هذا بخصوصه لا يخفى ما فيه أقول هذا كله من التعسفات التي لا حاجة اليها فان فيما ذكر تكريما وتعظيما خصه الله به على ما اختاره المصنف رحمه الله تعالى فلا يحتاج الى اقامة برهان منطقي عليه وكله من ضيق العطن وانما تعرضت له لئلا يظن ان في السويدا رجالا وأكرم من الكرم وهي صفة جامعة لكل خير و يقال هذا تكرم على أي هو عزيز عظيم في قلبي ونظري وهو في العرف يختص بالجود وليس بمراد هنا لا بمعنى انه أكثر جامعية لكل خير عنده (وقال الله تعالى يس والقرآن الحكيم الآيات) لم يصرح ببقية الآيات لانها ليست مما نحن فيه بل باعتبار المقسم عليه من الفصل التالي ولم يذكرها هناك اكتفاء بما ذكره هنا وتفننا في التصريح ببعض المقاصد والتلويح لبعضها والتفنن في التعبير فن من فنون البلاغة وسيأتي في أسمائه صلى الله تعالى عليه وسلم ما يتعلق بيس (اختلف المفسرون في معنى يس على أقوال فحكى أبو محمد مكي) رحمه الله تعالى تقدم الكلام في ترجمته والاقوال فيه كثيرة حكى منها بعض الشراح ستة وهي أن معناه يا سيدا أو يا انسان في لغة طي كما يأتي أو هو اسم

وقال أبو الجوزاء) بجيم وزاي مفتوحتين بينهما واو ساكنة فألف بعده همزة أوس بن عبدالله الربعي البصري يروي عن عائشة وغيرها وعنه قتادة وعدة أخرج له الجماعة الستة وأما أبو الحوراء بالحاء المهملة والراء فراوي حديث القنوت (ما أقسم الله عز وجل بحياة أحد غير محمد صلى الله تعالى عليه وسلم لانه أكرم البرية عنده) والبرية بالهمزة والتشديد بمعنى الخليقة ومنه قوله تعالى أولئك هم خير البرية وهي فعيلة بمعنى مفعولة وأنثت لانها خرجت عن الصفة واستعملت استعمال الاسماء المحضة وأما ما جزم به المنجاني من أنها غير مهموزة فغفلة عن القراءة لان نافعا وابن ذكوان قرآ في الآية بالهمزة (وقال تعالى يس والقرآن الحكيم) عطف على يس أن جعل مقسما به والا فواوه للقسم وأسند اليه الحكمة لانه صاحبها أو ناطق بها (الآية) أي انك لمن المرسلين على صراط مستقيم (اختلف المفسرون في معنى يس على أقوال) أي صدرت من بعض المتأخرين أقوال فالجمهور من السلف وجمع من الخلف على أن الحروف المقطعة في أوائل السور مما استأثر الله تعالى به علما ويقولون الله أعلم مراده بذلك (فحكى أبو محمد مكي) وقد مر ذكره

من

(انه روى) أى فى دلائل أبى نعيم وتفسير ابن ابى مردويه من طريق أبى يحيى التيمى قيل وهو وضاع عن سيف بن وهب وهو ضعيف عن أبى الطفيل (عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال لى عند ربى عشرة اسماء) وهو لا ينافى الزيادة لانها قاربت الخمسمائة (وذكر) أى أبو محمد مكى ويحتمل أن يكون مرفوعا لكن عبارته تابى عنه وهى (ان منها طه ويس اسمان له) ومع هذا ليس الحديث

من أسماء الله تعالى لانه السيد الحقيقى أو يا محمد أو يا رجل أو هو اسم من أسماء القرآن كله أو سورة منه وما عدا الاخير فى كلام المصنف رحمه الله تعالى وفيه قرا آت فتح الياء وكسر النون وفتحها وكسر الياء واظهار النون وهل هو معرب أو مبنى وجهان أيضا ومعنى الحكيم ذو الحكمة أو الحكيم صاحبه أو المحكم (انه روى) بصيغة المجهول وفى شرح الشيخ قاسم انه أخرجه ابن عدى فى الكامل من حديث على وجابر واسامة بن زيد وابن عباس وعائشة رضى الله تعالى عنهم وفى سنده مقال وقال السيوطى انه رواه أبو نعيم وابن مردويه باسناد فيه أبو يحيى الوضاع وسيف بن وهب وهو ضعيف ولكن سياتى عن قتادة مرفوعا وتعدد طرقه قد يجبر ضعفه وليس مما يتعلق بالاحكام (عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال لى عند ربى عشرة أسماء) تقدم ان عند الله بمعنى فى علمه فالمعنى انه هو الذى سماه به لاعتنائه به وتكريمه ولذا قال ربى دون الله والعدد لا مفهوم له فلا ينافى الزيادة واليه أشار بقوله (ذكر ان منها طه ويس) وورد تسميته بهما فى لسان العرب كقول الشريف الحميرى

يا نفس لا تمحضى بالنصح جاهدة * على المودة الا آل ياسينا

أى الا آل محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وزاد قوله ذكر امالان فى الحديث زيادة على ماذكر أو لانه لم يحفظ لفظه بعينه وطه قيل معناه يا رجل وقيل أصله طاها أى الارض وسياتى الكلام عليه (اسمان له) أى هما اسمان فى صلى الله تعالى عليه وسلم بحذف حرف النداء أو القسم ويجوز على بعد أن يكون خبران (وحكى أبو عبد الرحمن السلمى عن جعفر الصادق انه أراد يا سيد) فيه اطلاق السيد على غير الله وقد قيل بامتناعه لحديث رواه البيهقى مسندا فى كتاب الصفات عن مطرف قال انطلقت فى وفد بنى عامر الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقلنا أنت سيدنا فقال السيد الله الى آخره وتحقيقه ان فيه للسلف أربعة أقوال * الاول وهو الصحيح انه يجوز اطلاقه على الله وعلى غيره مطلقا فاذا أطلق على الله فمعناه العظيم المحتاج اليه وفى غيره بمعنى الرئيس المتبع وله شواهد فى الكتاب والسنة وكلام العرب * الثانى وهو منقول رحمه الله تعالى انه لا يطلق الا على غير الله اذ لم يثبت اطلاقه عليه فى الاحاديث المشهورة ولانه من السودد وهو الرياسة على قومه وفخره ولذا لما أطلق على الله فسروه بغير هذا كامر * الثالث انه مختص بالله لان معناه المحتاج اليه المتصرف على الاطلاق وهذا لا يليق بغيره تعالى * الرابع التفصيل فى المعرف بال فيختص بالله وغيره يجوز اطلاقه عليه وعلى غيره * فان قلت ما تصنع بالحديث وهو قوله عليه السلام السيد هو الله المفيد للحصر بتعريف الطرفين * قلت اذا ثبت وصف لشئ وأريد سلبه عن غيره حقيقة أو ادعاء فلهم فيه طرق الاول التصريح باداة الحصر كقولك لا معبود الا الله الثانى أن يعرف الطرفان وهو فى معنى ما قبله الا أن فيه ايماء الى ذكاء المخاطب لاستغنائه به عن التصريح فقد يكون أبلغ من الاول الثالث وهو أدق طرقه أن يجعل من أثبته الزاعم له الصفة على من هى له حقيقة فيقال للدهر الذى يضيف الامور للدهر الدهر هو الله أى لا تصرف لغير الله فى جميع الامور سواء الدهر وما سواه فاثبت التصرف كله لله ونفاه بطريق برهانى عما سواه على حد قوله تعالى قل ان كان للرحمن ولد فانا أول العابدين وهو نوع من اخراج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر يسمى التلوين فصله عبد القاهر فى دلائل الاعجاز وهو مذكور فى الكتاب

المذكور بصحيح وقد ضعفه القاضى أبو بكر بن العربى على ماذكره المنجانى ثم قال وأما هذا القول وهو أنه اسم للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم ذهب اليه سعيد بن جبير وقد جاء فى الشعر ما يعضده وذلك قول السيد الحميرى * (يا نفس لا تمحضى بالنصح جاهدة على المودة الا آل ياسينا) * يريد الا آل محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ويكون حرف النداء على هذا محذوفا من الآية وكان الاصل أن يكتب ياسين على أصل هجائها ولكن اتبعت فى كتبها على ما هى عليه المصاحف الاصلية والعثمانية لما فيها من الحكمة البديعية وذلك أنهم رسموها مطلقة دون هجاء لتبقى تحت حجاب الاخفاء ولا يقطع عليها بمعنى من المعانى المحتملة ومما يؤيد هذا المعنى قوله تعالى سلام على آل ياسين بمد الهمزة على قراءة نافع وابن عامر فقد قال بعض المفسرين معناه آل محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ثم قيل أصل طه معناه طأ من الوطئ فابدل الهمزة هاء وأجرى الوصل مجرى الوقف وقيل معناه يا رجل بالحبشية أو العبرانية أو القبطية أو اليمانية (وحكى ابو عبد الرحمن السلمى عن جعفر الصادق أنه أراد) بقوله يس (يا سيد) أى بطريق الرمز

أي كتاب سيبويه رحمه الله تعالى كقولهم عتابه السيف وتحية بينهم ضرب وجيع وما نحن فيه ان جرى على ظاهره فهو من هذا القبيل فلو دليل فيه وقدم بيانه أيضا فاعرفه فانه من نفائس الذخائر المستودعة في دفاتر الخواطر ولنا دعوة الى ذلك في الكلام على الاسماء الشريفة عند قوله سيد ولد آدم (مخاطبة لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم) بفتح الطاء منصوب بدل مما قبله أو مصدر فعل مقدر أي خاطبه به مخاطبة مخصوصة به (وعن ابن عباس) رضى الله تعالى عنهما (يس يا انسان أراد محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم) رواه ابن أبي حاتم وعن مقاتل انها لغة حبشية يسمون الانسان يس وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انها لغة طي فقيل ان أصله يا انيسين مصغرا فاقتصر على بعضه لكثرة النداء به كما قاله الامام تبعا للزمخشري وتعقبه أبو حيان بأن المنقول عن العرب في تصغير انسان انيسيان بياء قبل الالف واستدل به على ان أصل انسان انسيان لان التصغير يرد الاشياء الى أصولها ولم يسمع في تصغيره انيسين ولو سلم تصغيره لذلك فلا بد من بنائه على الضم مع أن التصغير أصله التحقير فيمتنع في حق الانبياء عليهم الصلاة والسلام ولذا لما قال ابن قتيبة في المهيمن انه تصغير مؤمن وأصله مؤيمن أبدلت همزته هاء قيل انه قريب من الكفر فليتق الله قائله وأيضا الحذف من أول المنادى غير معروف وسيأتي الكلام عليه في فصل أسمائه صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى هذا المنوال ما تقدم من أن أصله يا سيد فانه قيل انه اكتفاء ببعض الكلمة عن باقيها وهو مذهب للعرب مسموع في كلامهم حكاه سيبويه وغيره فيقولون الاتا بمعنى الا تفعل فيقول بلى فا أي أفعل فيكتفون عن الكلمة ببعض حروفها وورد في الحديث كفى بالسيف شا أي شاهدا وقال التجاني التحقيق انهم يكتفون ببعض حروف الكلمة معبرين باسم بعض حروفها كقولهم قلت لها قفي فقالت قاف أي وقفت فيحتمل ياسين أن يكون عبر عنه باسمين من أسماء حروفه لا بمسماه كما قاله الرازي وان كانت العرب قد تكتفي ببعض الكلمة كقوله

كانت مناها بارض لا تبلغها * لصاحب الهم الا الناقة الاحد

أي مناياها وقوله * درس المنا بمتالع فابان * أي المنازل وله نظائر كثيرة أقول هذا محصل ما قالوه هنا وقال الادباء كما نقله النواجي في كتاب الشفاء في بديع الاكتفاء ان الاكتفاء كما قال علماء البديع أن يدل موجود الكلام على محذوفه وهذا الحد صادق على نحو واسئل القرية على أحد القولين فيه ثم قسمه الى الاكتفاء بكلمة كقوله تعالى سرابيل تقيكم الحر أي والبرد والى الاكتفاء ببعض الكلمة قال وهذا النوع مما اخترعه بعض المتأخرين من أصحاب البديع وأكثر منه الشعراء المتأخرون والتزموا فيه التورية كقول الدماميني رحمه الله تعالى

يقال مصاحي والروض زاه * وقد بسط الربيع بساط زهر
تعالى نبا كر الروض المغدى * وقم نسعى الى ورد ونسر

وقول ابن حجر رحمه الله تعالى

دع يا عذولي رق الملام فذسرى * عني الحبيب فنيت دام له البقاء
والطرف مذ فقد الرقاد بكى بما * يحكي الغمام فليس يهدى بالرقا

وأمثاله مما لا يحصى وفيه اشكال لان النحاة اتفقوا على أنه لا يجوز الترخيم في غير المنادى بشروطه المذكورة في بابه فيكون هذا وأمثاله مخلا بالفصاحة لمخالفته القياس فكيف يجوز أن يعد هذا من المحسنات البديعية التي انما تستحسن بعد الفصاحة وكيف يجوز أن يخرج على مثله القرآن الكريم وان كان فيه تورية لانها لا يجوز مثله اللهم الا أن يقولوا انه مقيس يغتفر في الشعر وما وقع في القرآن

(مخاطبة لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم) أي ملاطفة ومطايبة ومخافتة وهذا مختصر مما نقله السلمي عنه بقوله قال الصادق في قوله يس يا سيد مخاطبا لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم ولذا قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنا سيد ولد آدم ولم يمدح بذلك نفسه ولكن أخبر عن مخاطبة الحق اياه بقوله يس وهذا شبيه بقوله صلى الله عليه وسلم حيث قرأ على المنبر ونادوا يا مال فلما أخبر الله تعالى عنه بالسيادة وأمره بتصريحه صرح بذلك فقال ان الله تعالى دعاني سيدا وأنا سيد ولد آدم ولا فخر أي ولا فخر لي بالسيادة لان افتخاري بالعبودية أجل من اخباري عن نفسي بالسيادة انتهى والحاصل أن الياء منها للنداء والسين اشارة الى لفظ سيدا كتفاء ببقاء الكلمة لدلالتها على باقيها وهذا مذهب العرب يستعملونه في كلامهم وأشعارهم وقد حكى سيبويه ان الرجل منهم يقول للآخر الاتا أي الا تفعل فيقول الآخر بلى سا أي بلى سافعل ويكتفون بذلك عن ذكر الكلمتين بكمالهما وقد ورد في الحديث كفى بالسيف شا واستغنى بذلك عن أن يقول شاهدا (وعن ابن عباس) أي على ما رواه ابن أبي حاتم (يس) أي معناه (يا انسان) ولما كان الانسان اسما للعموم أفراد الانس قال (أراد محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم) أي لانه الفرد الاكمل والمقصود من الخلق الاول

ليس

(وقال) أى ابن عباس كما رواه ابن جرير (هو) أى يس (قسم) أى أقسم به سبحانه وتعالى بحذف حرف القسم فالواو فى قوله والقرآن الحكيم عاطفة أو معادة (وهو) أى يس اسم على ما رواه ابن أبى طلحة عنه (أيضا من أسماء الله تعالى) أى تصريحا أو تلويحا وهو لا ينافى أن يكون من أسمائه صلى الله تعالى عليه وسلم لان الاسماء بمعنى الاوصاف لا بمعنى الاعلام وقد أطلق بعض صفات الله تعالى على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كالرؤف والرحيم وأمثالهما مع الفرق بين أوصافه سبحانه وتعالى ووصفه صلى الله تعالى عليه وسلم وغيره (وقال الزجاج) هو أبو اسحق ابراهيم النحوى نسبة الى الزجاج لصنعته مات سنة عشر وثلاثمائة ببغداد (قيل معناه يا محمد) أى بطريق الايماء كما سبق فى ياسيد وغيره (وقيل يا رجل) أى بالحبشية كما روى عن الحسن وسعيد ابن جبير ومقاتل انها لغة حبشية يعنى انهم يسمون الانسان سين (وقيل يا انسان) بلغة طى كما رواه الكشاف وعن ابن عباس على أن أصله يا انيسين بالتصغير فاقتصر على شطره لكثرة النداء به (وعن ابن الحنفية) كما رواه البيهقى فى دلائله وهو محمد بن على بن أبى طالب نسبة الى أمه وهى خولة بنت جعفر بن قيس ابن مسلم من سبايا بنى حنيفة واشتهر بها وهو من كبار التابعين دخل على عمر ابن الخطاب وسمع عثمان بن عفان وغيره وأخرج له الجماعة مات سنة ثمانين وولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر (يس يا محمد) أى باحد التاويلات السابقة (وعن كعب) أى كعب الاحبار (يس قسم أقسم الله تعالى عزوجل به قبل أن يخلق السماء والارض بالفى عام) الظاهر أن المراد به الكثرة الخارجة عن التعديد لا التحديد وان المقصود به هو انه سبحانه وتعالى أقسم برسوله الكريم صلى الله تعالى عليه وسلم فى كلامه القديم

ليس منه بل هو من ذكر اسم حرف من كلمة ايماء الى بقيتها وليس من قبيل الترخيم وهو الذى أشار اليه المفسرون فانظره فانه مما حاك فى صدرى ولم أر من تعرض له وفى كلام التجانى الذى مر آنفا اشارة ما اليه وان لم يفصح به (وقيل هو قسم من أسماء الله تعالى) قال السيوطى رحمه الله تعالى أخرجه ابن جرير وحرف القسم مقدر معه والقسم بمعنى المقسم به (وقال الزجاج) أبو اسحق ابراهيم بن محمد شيخ العربية الامام فى الادب صاحب التصانيف الجليلة وتفسيره مشهور وكان متينا فى الدين توفى ببغداد سنة ست أو احدى عشرة وثلاثمائة وقد بلغ سنه الثمانين واليه ينسب الزجاجى صاحب الجمل (قيل معناه يا محمد وقيل يا رجل وقيل يا انسان) فسين أو يسين علم له والمراد بالرجل والانسان محمد صلى الله تعالى عليه وسلم أيضا وأما ارادة النوع وانه التفات كما قيل فبعيد لا ينبغى حمل التنزيل على مثله وتقديريا وجعل العلم مجموع يس لاشتهار علميته لا يرد عليه انه شاذ كقولهم أصبح ليل كما قيل لانا نحمل جعله بمعنى انسان ورجل فى أصل وضعه ثم نقل وجعل علما أو نقول هو بالغلبة التقديرية فلا يحتاج الى أن يقال أن بعض هذه المعانى تقدم وانما أعيدت هنا تتميما لكلام الزجاج (وقال ابن الحنفية) رواه البيهقى فى دلائل النبوة وابن الحنفية هو أبو عبد الله محمد بن أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه والحنفية أمه واشتهر بنسبته اليها تمييزا عن السبطين رضى الله تعالى عنهما وهو امام عظيم أخرج له الشيخان وغيرهما ولد لسنتين بقيا من خلافة عمر رضى الله تعالى عنه وتوفى بالمدينة فى سنة ثمانين على الاشهر وفيه أقوال أخر فصلها البرهان فى المقتفى وترجمته مفصلة فى التواريخ وهو من كبائر التابعين رضى الله تعالى عنهم (يس يا محمد) أى معناه هذا لانه وضع له ابتداء أو بواسطة كما مر وانما ذكره وان تقدم لبيان قائله وتعدد طرقه (وعن كعب الاحبار) تقدم الكلام عليه (يس قسم) أى مقسم به أو جعله قسما لتضمنه له أو مبالغة (أقسم الله به قبل أن يخلق السماء والارض بالفى عام) لم يبين المقسم به ففيه الاحتمالات السالفة وفى المواهب فى نقل كلام ابن الحنفية أقسم الله باسمه وكتابه وفيه فائدة ستراها والعام والسنة متقاربان معنى وللسهيلى رحمه الله تعالى كلام فى الفرق بينهما والمراد بمقدار الفى عام والافقبلهما لا تتحقق السنين والاعوام لان الزمان مقدار حركة الفلك أو المراد مجرد الكثرة أو عدم النهاية مجازا فلا يقتضى الحصر وينافى الزيادة قيل ولو سلم ان الزمان مقدار حركة الفلك لا يرد هذا لان الفلك الاعظم العرش وهو مخلوق قبل السماء والارض لقوله تعالى وكان عرشه على الماء كما قال زين العرب فى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم كتب الله تعالى مقادير الخلائق كلها قبل أن يخلق السماء والارض بخمسين ألف سنة وفيه نظر ثم انه قيل انه مشكل أيضا لان كلام الله تعالى قديم فلا قبلية فيه ولا بعدية وخلقه ما محدث * وأجيب بان المراد أبرزه فى أم الكتاب أو اللوح المحفوظ المكتوب فيه جميع الكائنات ولم يرتضيه التجانى فقال الاولى أن يضعف مثل هذه الروايات ما أمكن فان صحت ترك علمها الى الله تعالى اذ مثله لا يقال بالرأى ولا يدرك بالاجتهاد وقيل القبلية المذكورة متعلقة بالاقسام وليس المراد معناه النفسى القديم بل احداث ما يدل عليه عند الاشعرية وتعلقه باسماعه

(يا محمد انك لمن المرسلين) فكأنه أراد ان التقدير اقسم بك يا محمد انك لمن المرسلين (ثم قال تعالى) أى اظهارا بعد ما ذكره اضمارا وتاكيدا بعد اقسامه تاييدا (والقرآن الحكيم انك لمن المرسلين) على انه لا بدع انه سبحانه اقسم به صلى الله تعالى عليه وسلم قبل خلق الكائنات بالفى عام عند ابداع روحه الشريف وابداء نوره اللطيف صلى الله تعالى عليه وسلم ثم قال فى كتابه القديم مطابقا لما اقسم برسوله العظيم صلى الله تعالى عليه وسلم وبهذا يندفع ما ذكره المنجانى من ان هذا القول عندى فى غاية الاشكال لان القرآن كلام الله وكلامه صفة من صفاته القديمة فلا يصح ان يذكر فى تقدمه عن خلق الارض مقدارا معينا لان خلقها محدث فالاولى ان تضعف الروايات الواردة عن كعب بهذا اما أمكن فان صح ذلك عنده فليترك علمه الى الله سبحانه وتعالى اذ لا يقول كعب هذا الا بتوقيف وليس ذلك مما يدرك بالاجتهاد والرأى انتهى وفيه ان كعبا ممن ينقل عن الكتب السالفة والعلماء الماضية فلا يقال فى حقه انه لا يقول الا بتوقيف فان هذا الحكم مختص بالاقوال الموقوفة المروية عن الصحابة رضى الله تعالى عنهم ممن ليس لهم رواية عن غيره صلى الله تعالى عليه وسلم فوقفهم حينئذ حكم مرفوعهم كما هو مقرر فى علم أصول الحديث حتى لم يعدوا عمرو بن العاص ممن لا يقول الا بالتوقيف فافرق بين القول الصحيح والضعيف وقد يجاب بان المراد به انه ابرزه فى أم الكتاب أى اللوح المحفوظ اذ ما من كائن الا وهو مكتوب فيه ثم قال المصنف (فان قدر) أى فرض وفى نسخة قرر (انه) أى يس (من اسمائه صلى الله تعالى عليه وسلم وصح فيه) أى فى القول (انه قسم) أى أيضا (كان فيه من التعظيم ما تقدم) أى من ان الله تعالى ما اقسم بحياة أحد غيره صلى الله تعالى عليه وسلم (ويؤكد فيه القسم) أى المستفاد من المقدر المرموز (عطف القسم الآخر) بالفتح وجوز الكسر وهو المذكور المصرح (عليه) أى على

وفى

وعروض اضافة مخصوصة بلا واسطة معتادة وهذا التعلق حادث قبل خلقهما ولا محذور فيه غير كون الزمان موجودا قبل خلقهما وقد عرفت اندفاعه وكون التعلق حادث ارتضاه بعض أئمتنا كالنفسى ومن لم يقل به يدخل من باب التاويل وهو واسع مع ان منهم من جوز تعلق الكلام الازلى بالمعدوم الذى سيوجد فلا ينافى الاقسام به أزليته ألا ترى الى قولك الزمان الماضى قبل المستقبل حيث يقصد مجرد بيان تقدمه لا يخطر ببالك أى للزمان زمان أو ظرفية لنفسه أقول مثل هذا ورد فى الحديث وهو كثير فالطعن فيه لا يليق ولا بد من تاويله وهو ظاهر لان المراد انه اطلع عليه ملائكته عليهم الصلاة والسلام قبلهما بهذا المقدار أو قديما وهو المناسب هنا لافادته اظهار عظم قدره فى الملأ الاعلى ومجرد تقدم العرش لا يقتضى الزمان بالمعنى المتعارف فتدبر (يا محمد انك لمن المرسلين) ليس قوله يا محمد تفسيرا ليسين لانه غير مناسب لما سيق له الكلام من ان الله اقسم به ولذا ذكر انك لمن المرسلين الذى هو جواب القسم توضيحا لمراده بل هو بيان للمخاطب وليس مراده انه جواب مقدر للقسم بيسين حتى يلزم عليه اجتماع قسمين من غير عطف على جواب وهو مما أباه النحاة كما صرح به فى الكشاف وقال ان العرب تكرهه وبينة الذوق لا تسمع الامع شاهد فالقسم واحد والواو عاطفة لا قسمية وقد خطر لى توجيهه بان القسم جملة فاذا تعدد كان بين الجملتين مناسبة تامة لان كلا منهما قسم يقسم به على شئ واحد فيقتضى العطف واجتماع واوين وهو ثقيل أو حذف أحدهما وفيه لبس وترك المصنف رحمه الله تعالى بقية التفاسير ككونه اسم السورة لانه ليس مما هو فيه وجوز بعضهم ان يكون اشارة الى جواز تعدد القسم لزيادة التعظيم والتاكيد وهو مخالف لما قالوه (ثم قال والقرآن الحكيم انك لمن المرسلين) هذا من كلام المصنف رحمه الله تعالى أى قال يس والقرآن الى آخره وما قيل من انه تنبيه على ان هذا قسم مستقل والمذكور جوابه وجواب الاول مقدر وهو مراد كعب أيضا وان خالف كلام النحاة لا وجه له (فان قدر) بكسر الدال المهملة المشددة أى ان قيل بهذا وعبر به لان فيه وجوها اخر (انه) الضمير ليسين والفاء فصيحة أى اذا عرفت ما مر فان قدر الى آخره انه (من اسمائه صلى الله تعالى عليه وسلم وصح انه قسم) كما سمعته عن كعب ومكى وصح بمعنى ثبت أو أريد به ذلك فى نفس الامر لا حتماله عقلا وان فى قوله فان قدر ليست للشك بل هى شرطية وجوابها قوله (كان فيه) أى فى القسم وقيل فى يس وقيل فى التخصيص ورد بانه لا تخصيص فيه الا ان يريد التخصيص بالذكر (من التعظيم ما تقدم) من القسم بقوله لعمرك وأورد عليه ان القسم بالحياة فيه من التعظيم ما مر ولذا اقسم الله بذات غيره ولم يقسم بحياته فالمراد ما تقدم من التعظيم العظيم وكانه نسى قوله قبل هذا باسطر ان كل احد يحلف بالعظيم عنده وعلى هذا فهو منصوب بنزع الخافض لانه فى محل الجر لانه لم يرد فى غير لفظة الله الا شذوذا وفيه بحث (ويؤكد فيه القسم عطف القسم الآخر عليه) عطف مرفوع فاعل يؤكد والقسم منصوب على انه مفعول مقدم والقسم بمعنى الاقسام وضمير فيه ليسين أو للنظم فالمعنى مظروف فى اللفظ والآخر بالمد وفتح الخاء وكسرها كما قاله البرهان الحلبى

وفى شرح الصفوى المعنى انه ذكر بعده مقسما به بالواو والمتبادر منه العطف و يسين اذا كان مقسما به فهو معطوف على مثله والا لم تكن الواو عاطفة ولا القسم تلو مثله أو كان المقسم به عطفا على غيره والاول أحسن وانسب وفى العبارة مؤاخذات لان عطف قسم ثان على الاول مثله مبنى على ان يسين قسم فكيف يؤيده مع انه مقسم به لا قسم فالوجه ان تقول يؤكد ذكر المقسم به الآخر وعطفه عليه لو كان قسما وذلك العطف أولى فكذا تسميته أقول هذا مما لا ينبغى ان يصدر من مثله لان يكون القسم بمعنى المقسم به ظاهر فاعتراضه ساقط وعطف القسم على المنادى الذى زعم انه حسن باطل وتعين قسمية الثانى لجره فان كانت الواو عاطفة وقد فرض قسمية الاول أيضا كان مؤكدا له فلا معنى لما اعترض به وتوضيحه ان المصنف رحمه الله تعالى لما نقل ان يس بمعنى محمد اتبعه بيانه على وجه اختيار العطف لمزيته فقدمه والمعترض توهم ان قوله ويؤكد الى آخره استدلال على القسمية بالعطف والتاكيد وهما انما يتحققان اذا كان قسما والاستدلال على الشئ بما يتوقف وجوده عليه فاسد فقال ماقال وكم له مثل هذه مما قرعت له العصا فيه ومما يدلك على ماقلته قوله (وان كان بمعنى النداء فقد جاء قسم آخر بعده لتحقيق رسالته والشهادة بهدايته) أى ان كان يسين متلبسا بمعنى النداء وهو منادى بتقدير يا أو بدون تقدير كما مر وفيه أى فى الكلام قسم آخر بالقرآن المنزل عليه فلا يكون مما نحن فيه بل مما يتعلق بالفصل الخامس لكنه مناسب لما هنا لما اشتمل عليه من تعظيمه وتحقيق ذلك بقوله تعالى انك لمن المرسلين والشهادة بهدايته فى نفسه وغيره بقوله تعالى على صراط مستقيم فالمقسم عليه رسالته وتحققها الدال عليه ان واللام والجملة الاسمية لانه بمعنى رسالته المحققة والقسم المؤكد لها ثم استانف لتوضيح معنى الرسالة والطريق المستقيم فقال مبينا له على هذا الوجه وهو كون يس قسما (أقسم الله تعالى باسمه) أى اقسم الله قسما متلبسا باسمه وهو يس العلم الدال على ذاته ولا بعد فيه كما قيل لان الظاهر ان يقول اقسم به أو بذاته كما يقال والله والجزم بالقسم باسمه وهو يسين العلم الدال على ذاته انما يتمشى اذا كان لفظ الاسم مقحما أو المراد ما يراد اسمه وهو بعيد انتهى وقوله (وكتابه) بالجر عطف على اسمه لا على الضمير المجرور من غير اعادة الجار لما فيه من مخالفة الافصح والاحتياج الى التاويل والقسم بكتابه متعين واما بذاته فعلى الارجح عنده كما سمعته آنفا والضمير ان للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم لا لله لما فيه من مخالفة الظاهر وانتشار الضمائر وعلى النداء لا ينافى ما مر من انه لم يناده باسمه كما مر فتذكره (انه لمن المرسلين بوحيه الى عباده) بكسر ان لتقدير القول والحكاية بالمعنى أى قائلا انه الى آخره ولذا لم يقل انك والارسال بمعناه اللغوى ولذا ذكر الوحى بعده لتخصيصه أو بمعناه الشرعى على التجريد ومجرد ملاحظة الثانى لا يكفى كما قيل (وعلى طريق مستقيم من ايمانه) بيان للطريق وان المراد بها التوحيد وهى تعليلية وزاد الواو اشارة الى انه خبر ثان مقصود مقسم عليه لا متعلق بالمرسلين أى ممن أرسل على هذه الطريقة فالقسم على أمرين كما قال قبله ان الارسال على أمرين رسالته والشهادة بهدايته لا أمر واحد وهو انه صلى الله تعالى عليه وسلم رسول مهدى على طريقة مستقيمة ولا حال كما قيل لانه قريب من هذا وان كان جعله قيدا لا ينافى القصد لان هذا أوضح وأتم فى المدح (أى طريق لا اعوجاج فيه ولا عدول عن الحق) أى بفتح الهمزة وسكون الياء المخففة مفسر للطريق المستقيم وهذا أعم من الايمان فهو تفسير ثان على الاول وتشديد الياء على ان المعنى طريق وأى طريق لانه لا اعوجاج فيه ولا عدول الى آخره تفسير لعدم الاعوجاج مخالف للرواية وللظاهر وان جاز وقد تذكرت هنا قولى

من أحسن العشرة فليلتزم * سماحة النفس وترك اللجاج

ذلك القسم فتكون الواو الثانية عاطفة أو مؤكدة كما أشرنا اليه (وان كان) أى مجموع يس (بمعنى النداء) يعنى وليس المراد به أنه من الاسماء وان كان يس بمعنى المنادى (فقد جاء قسم آخر فيه) أى قسم آخر ليس وجهه مما يظهر (بعده) أى بعد ندائه (لتحقيق رسالته) أى بقوله انك لمن المرسلين (والشهادة بهدايته صلى الله تعالى عليه وسلم) أى حيث قال على صراط مستقيم (أقسم الله تعالى باسمه) أى بناء على القول الاول فى يس (وكتابه) أى فى قوله والقرآن الحكيم (انه لمن المرسلين بوحيه الى عباده وعلى صراط مستقيم من ايمانه) أى الموجب لايقانه والمقتضى لاكمال أعمال أركانه (أى) يعنى معنى صراط مستقيم انه من الثابتين (على طريق لا اعوجاج فيه) أى لا ميل الى طرفى الافراط والتفريط من تشبيه وتعطيل وجبر وقدر (ولا عدول عن الحق) أى عن الحكم الثابت بالوجه الصدق أو عن الوصول اليه سبحانه وتعالى والحصول على رضاه عز شانه

(قال النقاش) أبو بكر محمد بن الحسن بن محمد بن زياد الموصلي البغدادي المفسر المقري توفي سنة احدى وخمسين وثلاثمائة وقد أثنى
عليه أبو عمرو والداني وقد طعنوا في رواية حديثه (لم يقسم الله تعالى لاحد من أنبيائه عليهم الصلاة والسلام بالرسالة في كتابه) أي القرآن
لعدم علم النقاش بسائر خطابه ولا يبعد ان يراد به جنس كتابه (الا له) صلى الله تعالى عليه وسلم (وفيه) أي وفي هذا التخصيص

ويستر المعوج من خلقهم * أي طريق ليس فيه اعوجاج

(قال النقاش) هو أبو بكر محمد بن الحسن بن أحمد الموصلي البغدادي المقري المفسر روى عن أبي مسلم الكجي وطبقته وقرأ بالروايات حتى صار شيخ المقرئين في عصره على ضعف فيه وقيل انه كان يكذب في الحديث فلذا قالوا ان روايته منكرة وتفسيره ليس فيه شفاء للصدور والغالب عليه القصص الا ان أبا عمرو الداني اثنى عليه وروى عنه حكاية تقتضي رده وفي حاشية التلمساني انه مغربي توفي سنة احدى وخمسين وثلاثمائة وله ترجمة في الميزان وطبقات القراء وقال أبو شامة في شرح الشاطبية انه ضعيف عند أهل النقل وقال الجعبري رحمه الله تعالى المضعف له غالط (لم يقسم الله لاحد من أنبيائه) عليهم الصلاة والسلام (بالرسالة في كتابه الا له) أي بسبب الرسالة أو لم يقسم على رسالة احد غيره كما في هذه الآية وهذا وان دل على ان غيره مرسل أيضا الا أن المقسم عليه بالقصد الذاتي رسالته صلى الله تعالى عليه وسلم وعدل الى قوله تعالى انك لمن المرسلين عن قول رسول الله أو مرسل وهو أخصر لتثبيت رسالته وانه عريق فيها على نهج قوله تعالى كانت من القانتين لان فلانا من العلماء أبلغ من عالم كما قرره علماء البيان وفصلناه في غير هذا المحل أي لم يذكر هذا القسم في القرآن لغيره تشريفا له صلى الله تعالى عليه وسلم وتعظيما له ولشدة انكار قومه لرسالته فلذا جاء مؤكدا بتأكيدات (وفيه من تعظيمه وتمجيده على تاويل من قال انه ياسيد مافيه) التمجيد تفعيل من المجد وهو العز والشرف والتاويل حقيقته في اللغة معرفة ما آل الشئ ومايرجع اليه من آل ثم شاع في معنى التفسير مطلقا وقد يخص التفسير بما كان منقولا عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والصحابة رضي الله تعالى عنهم والتاويل بغيره وقد يخص بحمل الكلام على المعنى الخفي دون الظاهر وقال القرافي رحمه الله تعالى الماول هو الكلام الذي فيه الاحتمال الخفي مع الظاهر كالحقيقة والمجاز والعموم والخصوص والاطلاق والتقييد وضمير فيه الاول ليس وقوله مافيه فيه المجاز ومبالغة أي فيه أمر عظيم لا يمكن الوقوف عليه كقوله تعالى الحاقة ما الحاقة لوصفه بالسيادة المطلقة المفيدة للعموم في المقام الخطابي فيفيده تفوقه على من سواه لانه صلى الله تعالى عليه وسلم واسطة كل خير وقد تقدم في الكلام في اطلاق السيد على الله ومعناه ووزنه فيعل بكسر العين من السودد فاصله سيود وقيل انه فيعل بفتح العين فغير على مامر وحملهم على هذا انهم لم يجدوا في الصحيح فيعلا بالكسر بل الفتح كصيقل وضيغم ولذا ذهب بعضهم الى أن أصله فيعل ورد بانه لامانع من الاختصاص المعتل بوزن يخصه ثم عقب هذا الحديث يناسب السيادة ويدل على عمومها في حقه صلى الله تعالى عليه وسلم فقال (وقال صلى الله تعالى عليه وسلم أنا سيد ولد آدم) أي جميع أولاد آدم وكل البشر لان الولد يكون واحدا وجماعة كما قاله التلمساني وفي نسخة (ولا فخر) الفخر ادعاء العظمة والشرف والاعلان بذكره أي لا أقوله تبجحا ولا افتخارا بل تحديثا بنعم الله وشكرا له كما قاله ابن الاثير وقال ابن قرقول أي لا أفخر في الدنيا عندي أي لا أتعظم ولا أتكبر بذلك فيها وان كان له الفخر الاكبر في الدنيا والآخرة وفي هذا الحديث روايات منها أنا سيد ولد آدم يوم القيامة كما رواه مسلم والترمذي قال التجاني فيه اشارة الى التجاء جميع الخلائق له صلى الله تعالى عليه وسلم في ذلك اليوم من غير منازع كما في الدنيا وهو كما قال الله تعالى لمن الملك اليوم وفيه دلالة على جواز

(من تعظيمه وتمجيده) أي تكريمه صلى الله تعالى عليه وسلم (على تاويل من قال) أي في يس (انه ياسيد مافيه) أي الذي فيه من غاية التفخيم الذي يعجز عن بيانه نطاق التكليم (وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم أنا سيد ولد آدم ولا فخر) قال المنجاني وأكثر الروايات في هذا الحديث أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وهكذا رواه مسلم والترمذي قلت وفي الجامع الصغير أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من ينشق عنه القبر وأول شافع وأول مشفع رواه مسلم وأبو داود عن أبي هريرة ورواه أحمد والترمذي وابن ماجه عن أبي سعيد ولفظه أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر وبيدي لواء الحمد ولا فخر ومامن نبي يومئذ آدم فمن سواه الا تحت لوائي وأنا أول من تنشق عنه الارض ولا فخر وانا أول شافع وأول مشفع ولا فخر انتهى ولاشك ان زيادة الثقة مقبولة والمعنى لا أقوله افتخارا المقامي بل تحديثا بنعمة ربي أو المعنى لا أفخر بهذا بل بما فوقه مما لا يعبر ثم السيد في اللغة الشريف مدح الذي فاق قومه في الخير وهو فعيل بكسر العين من ساد يسود وهو المعتمد الذي عليه البصريون ونظيره صيب وثيب والحاصل ان المصنف أتى بهذا الحديث عاضدا للقول بان المراد في الآية ياسيد كما بيناه سابقا

(وقال جل جلاله) أي عظم شانه وعز سلطانه (لا أقسم بهذا البلد وأنت حل بهذا البلد) ادخال النافية للتاكيد شايع في كلام العرب وسائغ عند علماء الادب فالمعنى انه سبحانه وتعالى اقسم بالبلد الحرام وقيده بحلول رسوله عليه الصلاة والسلام به اظهارا لمزيد فضله واشعارا بان شرف المكان بشرف أهله وهذا المعنى باعتبار مفهومه يفيد ما عبر عنه المصنف بقوله (قيل لا اقسم به اذا لم تكن فيه بعد خروجك منه حكاه مكي) أي هذا القول عن بعضهم وبما قررناه وبيناه وحررناه اندفع ما قاله المنجاني من ان هذا الذي حكاه عن مكي لا يستقيم تنزيله على الآية لانه عكس مقتضاها ألا ترى ان الواو من قوله تعالى وانت حل واو الحال واذا كانت كذلك فيكون معنى الآية لا اقسم بهذا البلد اذا كنت فيه وهو ضد ما قال مكي وانما تتناول الآية على ان تكون لا زائدة فيها أي اقسم بهذا البلد وأنت حل به ساكن فيه والى هذا ذهب الزجاج انتهى ولعل منشا هذا الاعتراض هو المقابلة بقوله (وقيل لا زائدة) وليس كذلك فان مراده مستقيم على تقدير عدم زيادة لا أيضا كما قال مجاهد انها رد لكلام تقدم والمعنى ليس الامر كما توهم من توهم واقسم بعدها اثبات للقسم ويؤيده قراءة الحسن البصري لاقسم بدون الالف وعلى التنزل يمكن ان يكون مراده المغايرة في معنى حل على القول بزيادة لا أيضا ولذا قال (أي اقسم به وانت به يا محمد حلال لك) أي من دخول الحرم بغير احرام والمعنى أنت به حلال حال كونه خالصا لك (أو حل لك ما فعلت فيه) أي من قتل بعض المشركين في عام الفتح حيث قال صلى الله تعالى عليه وسلم ان مكة حرمها الله تعالى يوم خلق السموات والارض لم تحل لاحد قبلي ولا تحل لاحد بعدي وانما أحلت لي ساعة من نهار ثم عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالامس (على التفسيرين) أي على القولين للمفسرين في معنى الحل

مدح المرء نفسه اذا قصد التحدث بنعم الله تعالى وقد قيل انه واجب عليه صلى الله تعالى عليه وسلم لتبليغ أمته ما يجب في حقه ولذا قال الله تعالى وأما بنعمة ربك فحدث وهذا لا ينافي سيادته صلى الله تعالى عليه وسلم على الملائكة وما سوى الله تعالى وقوله ولا فخر احتراس عما يتوهم من الكبر على حد قوله

فسقى ديارك غير مفسدها * صوب الحيا وديمة تهمي

وهذا مذكور على طريق الاستطراد والتتميم ومر في الخطبة الكلام فيه وان الاحتراس على ثلاثة اقسام وقال الله تعالى لا أقسم بهذا البلد وأنت حل بهذا البلد يعني لا نافية للقسم واقامة الظاهر مقام المضمر ولم يقل وأنت حل به استعظاما لحلوله فيه والبلد مكة حرسها الله تعالى كما أشار الى توضيحه بقوله قيل لا أقسم به اذا لم تكن فيه وروى ان لم يكن وهما بمعنى هنا أي بعد خروجك منه حكاه مكي رحمه الله تعالى تقدمت ترجمته اشارة الى ان عدم القسم به لخروجه منه ولو قال اذا خرجت كان أوضح واخصر وفيه ايماء الى ان القسم في سورة التين بقوله تعالى وهذا البلد الامين لكونه فيه فلا تنافي بين الآيتين اذا كانت البلد فيهما بمعنى فاذا كان صلى الله تعالى عليه وسلم فيها فهي حقيقة بالاقسام بها لان شرف المكان باهله كما قيل

وما حب الديار شغفن قلبي * ولكن حب من سكن الديارا

وهو منتظم مع ما بعده من قوله ووالد الى آخره أي لا اقسم بالبلد واقسم بغيره أو أقواله بغير قسم بناء على انسحاب النفي عليه أو لا اقسم بهذا لجلالة القسم والمقسم عليه وان كان ما يذكر مما يقسم به لعظمته ففيه تعظيم لما نفي القسم عنه فلا وجه لتوهم عدم الانتظام وقدم هذا الوجه لرجحانه عنده كما ذهب اليه الامام رحمه الله تعالى وقيل لا زائدة أي اقسم به زيادتها نظرا للمعنى المقصود وليست لغوا لافادتها تاكيد الكلام وتقويته وتحسينه وان كان حذفها لا يغير اصل المعنى فاندفع قول الامام انه مانع من الانتظام وموهم لجعل الاثبات نفيا ويلزمه عدم الاعتماد على القرآن مع ان لا تاتي زائدة مع القسم كثيرا وقد تزاد في غيره أيضا وذهب بعض النحاة والمفسرين الى انه لا يطلق على مثله انه زائد بل يقال تادبا صلة وهو كلام حسن وقيل لا أنا فحذفوا أنا واشبعت اللام ويؤيده انه رسم في الامام بلا ألف وانه قرئ شاذا لاقسم بلام الابتداء (وأنت به يا محمد حلال أو حل لك ما فعلت فيه) جملة حالية وهذا مبني (على التفسيرين) في هذه الآية بالاثبات والنفي أو في معنى الحل أو على كليهما ليكون الكلام أفيد وحل له معان فيكون ضد الحرمة وبمعنى الاقامة بالمكان والاسم منهما حل بالكسر وحلال بمعنى جائز ومقيم وفعل يكون اسما كجذع وصفة كنقض ومصدرا كعلم والى كل من المعنيين هنا ذهب بعض المفسرين فالمعنى اقسم بهذه البلدة وأنت مقيم بها شرفك وعظمتك عندي أو اني حللت لك ما لم أحل لغيرك في هذه البلدة من القتل وغيره وهذا اما لنسخ حرمتها أو هو خصوصية له صلى الله عليه وسلم لقول الله عز وجل ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام سواء حمل على ظاهره أو فسر بالحرم وهذه الآية محكمة عند ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد لما رواه الشيخان من قوله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح ان الله تعالى حرم مكة يوم خلق السموات والارض ولم تحل لاحد قبلي ولا بعدي وانما أحلت لي ساعة من نهار ثم عادت حراما الى يوم القيامة وقتاله

صلى الله تعالى عليه وسلم وأمره بقتل من لجأ الى الحرم كابن خطل من خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم كما روى عن السلف واورد عليه الجعبرى فى كتاب النسخ بان قوله احلت يدل على الحرمة فيكون نسخا ولو كان لاستمر فيكون رخصة لانها استباحة مع المانع وبه قال أبو حنيفة رحمه الله تعالى وقال قتادة والضحاك هى منسوخة بقوله تعالى اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وبآيات أخر فى معناها وتمسك بفعله صلى الله تعالى عليه وسلم ولا دليل فيه لتصريحه بالتخصيص وبه قال الشافعى انتهى وفى الآية تسلية له صلى الله تعالى عليه وسلم أى ان أخرجوك منها فستعود لها وتفعل فيها ماتريد وتثبيت ووعد بالنصر والاول على تقدير ثبوت القسم والثانى على انتفائه أو كل منهما جار على التفسيرين وفيه تفاسير أخر فقيل المعنى وانت حلال أى غير محرم مقيم بها أو المعنى يستحلون ايذاءك واخراجك منها وهو تثبيت له منه وتعجيب مما جرى عليه أو اشارة الى علة عدم القسم فاندفع الاعتراض بان الحال يقتضى عدم القسم بعد الخروج فيتنافيان ويجوز اجراؤه على الوجهين وقيل المعنى لا اقسم وانت مستحل أو أنت حال فانه حينئذ ينبغى القسم لك الا انه لا يناسب كلام المصنف رحمه الله تعالى وهو أمر سهل وقال القسطلانى فان قلت هذه السورة مكية أى على ماياتى وأنت حل بهذا البلد أخبار عن الحال والواقعة التى ذكرت فى آخر هجرة المدينة فكيف الجمع بين الامرين واجيب بانه قد يكون اللفظ للحال والمعنى مستقبلا كقوله تعالى انك ميت وانهم ميتون واستشكل هذا بانه يلزمه اختلاف زمنى الحال وعاملها الا ان يقال الجملة معترضة لا حالية فتتضمن وعدا فيه مبالغة بواسطة تنزيل المستقبل المحقق منزلة الحال لا الماضى كما يدل عليه قوله أو حل لك ما فعلته فيه قيل وفيه اشارة الى عظم شانه صلى الله تعالى عليه وسلم بعد التنبيه على عظم مكانه دفعا لما يتوهم من ان المكان اشرف وان شرفه مكتسب فيه والمراد بالبلد عند هؤلاء المفسرين مكة وقيل غيرها كما سياتى وقال الواسطى نسبة لواسطة مدينة مشهورة وهو الامام العارف بالله تعالى أبو بكر بن موسى وهو ممن صحب الجنيد وتوفى بعد الثلاثمائة والعشرين وهو من أجلة العلماء والصوفية (أى نحلف لك بهذا البلد الذى شرفته بمكانك فيه حيا وببركتك ميتا) نحلف بنون مفتوحة وحاء مهملة تليها لام مكسورة وفاء كذا ضبطه فى المقتفى ولو قرئ بالياء التحتية صح أيضا وفاعل الحلف على كل حال هو الله تعالى وتسمى هذه النون نون العظمة لان أصلها للتكلم مع الغير كنحن الان العظيم يتكلم بها ويطلقها عليه غيره تعظيما له لعده بمنزلة جماعات كثيرة أو لان له اتباعا فى خدمته اذا أراد فكنى عنه وعنهم ولذا قال الراغب فى مفرداته ان الله تعالى انما يوردها فى كلامه فيما يفعله بواسطة ملائكته عليهم الصلاة والسلام كقوله تعالى انا نحن نزلنا الذكر وفى شرح التسهيل انه مقصور على السماع لايهامه التعدد فلا يجوز استعمالنا له وبه أفتى علماء الحنفية فالاولى حينئذ الغيبة هنا وعلى نون العظمة تذكرت ما تظرف به ابن نباتة المصرى فى قوله

أغمزه بناظر ولم أفه بكلمه * يحيبنى بحاجب لكن بنون العظمه

وقوله الذى شرفته بمكانك أى حصل له ذلك لاجلك ولاجل تعظيمك فتشريفه لانه بحلوله فيها صارت حرما ومهبطا للوحى ومنبعا للدين وقد قالوا ان هذا القسم ادخل فى تعظيمه صلى الله تعالى عليه وسلم من القسم بذاته وبحياته كما أشار اليه عمر رضى الله تعالى عنه بقوله بابى أنت وأمى يارسول الله قد بلغت من الفضيلة عنده ان أقسم بتراب قدميك فقال لا أقسم بهذا البلد ومكانك بمعنى كونك وحلولك فيه مصدر ميمى ولذا اعمله كقوله أظلوم ان مصابكم رجلا * أهدى السلام تحية ظلما

ولو كان اسم مكان لم يعمل كما صرحوا به ولو قال المصنف بمكانك وبركتك حيا وميتا كان أولى لان الانبياء عليهم السلام احياء فى قبورهم حياة حقيقية وان قيل انه تفنن

انه من الحلول أو من الحلال لا تفسيرى كونها زائدة ونافية كما ذكره الدلجى (والمراد بالبلد عند هؤلاء مكة) وهو المشهور عند الجمهور (وقال الواسطى أى نحلف) كان الاولى احلف (لك) وقال الحجازى يروى بحلولك (بهذا البلد الذى شرفته بمكانك) أى بكونك واقامتك (فيه حيا وببركتك ميتا

يعني المدينة) فيه بحث لانه يحتمل انه أراد به مكة أيضا لانه شرفها بكانه فيها حيا و يصل اليها بركاته ميتا وان بعد عنها دفينا بل هذا
هو الاظهر معنى والاوفق مبنى فلا يحتاج الى قوله (والاول) أي من قولي البلد هي مكة أم المدينة (أصح لان

لان بركته صلى الله تعالى عليه وسلم في حياته كنار على علم يعني المدينة والاول أصح (لان السورة مكية) يعني ان هذا القائل أراد بالبلد المدينة لانها مكانه صلى الله تعالى عليه وسلم في حياته ومماته وهي على القول الاصح عند المفسرين مكية لان هذه السورة نزلت بمكة فالاشارة في حال النزول تعين انها مكية لان هذا ايشار به للقريب الحاضر وقت الخطاب والمدينة على هذا ليست كذلك ولذا قيل انه مجمع عليه وتنزيلها منزلة الحاضر القريب مخالف للظاهر رواية ودراية واشار بالاصح الى قول ضعيف نقله ابن عطية ان السورة مدنية فلا وجه للاعتراض به على المصنف رحمه الله تعالى كما في شرح التجاني ولشدة ضعفه وضعف ما بني عليه لم يعتد به مدعي الاجماع (وما بعده يصححه) مبتدأ وخبر أي ما بعد القسم وهو قوله تعالى وأنت حل بهذا البلد يدل على صحة ان المراد مكة وفساد قول الواسطي فقوله (قوله حل بهذا البلد) خبر مبتدأ مقدر مع الاقتصار على مناط الدليل واصله وهو قوله تعالى وأنت حل بهذا البلد ويجوز ان يكون بدلا مما قبله بلا تقدير وفيه بحث كما أشار اليه بعض الشراح لان القائل لا يسلم ان السورة مكية فالبلد في الموضعين عنده المدينة والاشارة فيهما لها وحل بمعنا حال مقيم فكيف يقام الدليل عليه بما لا يسلمه فالا لائق الاقتصار على رواية خلافه لصحتها واشتهارها وقيل ان قوله لان السورة الى آخره مجموعه علة للاصحية وهو قوله تعالى وأنت الخ وكونها مكية الا انه انما يتم على تفسير حل بما لا يتصور في حق المدينة كالحلال غير المحرم ومن الجائز ان يفسره الواسطي بالحال النازل ويقول البلد فيهما المدينة كالحلال غير المحرم والسورة مدنية فلا يلزمه شيء مما مر ولا يخالفه قاعدة اعادة المعرفة معرفة كما اذا أريد بالاول المدينة وبالثاني مكة على انه وعدله صلى الله تعالى عليه وسلم بانه سيكون بها حلالا غير محرم على ما فيه من الاشارة في كلام واحد لغائب وحاضر بتنزيل الغائب منزلة الحاضر لنكتة والمراد بالاول القول بانها مكية كما بيناه وقيل يجوز ان يريد به القول الحاكم بان لا نافية للقسم وما بعده القول الحاكم بانها زائدة ويصححه قوله تعالى وأنت حل بهذا البلد اذ في كونه حالا به اشعار بثبوته مع كونها زائدة انتهى ولا يخفى ما فيه من التكلف ونحوه قول ابن عطاء في تفسير قوله وهذا البلد الامين أصل معنى النحو القصد ومنه علم النحو لانه يقصد نهج كلام العرب أفرادا وتركيبا ثم استعمل للناس بمعنى مثل وشبه وشاع حتى صار حقيقة فيه أي مثل ما تقدم من القسم بمكة لتعظيمه صلى الله تعالى عليه وسلم أو نحو قول الواسطي في ان محله صفة مدح بواسطة قول ابن عطاء وان كان قول الواسطي في حق المدينة وقول ابن عطاء في حق مكة وذلك بسببه وهذا التشريف بما فيه من الامان بدعوة الخليل وتعليق الاقسام على صفة الامان تفيد عليته له والامين فعيل بمعنى فاعل فهو آمن لقوله تعالى ومن دخله كان آمنا وقيل بمعنى المامون على ما أودعه من البركات أولانه مامون عن الغائلة وتحقيقه في الكشاف وشروحه (قال آمنها الله لمقامه فيها وكونه بها) في المقتفى امنها بقصر الهمزة وتشديد الميم كما في النسخ ولا اعرف فيه الامد الهمزة وفتح الميم يعني ان المعروف في اللغة مجيئه ثلاثيا ومن باب التفعيل واما الافعال فمن الايمان وقوله لمقامه بضم الميم بمعنى اقامته ويجوز فتحها بتكلف والوجه الاول وعطف كونه بها على ما قبله مرادف بمعنى وجوده فيها وفي نسخة بمقامه بالباء السببية فالامان بسببه وقد فهم من الآية ان الاقسام لاشعار الترتب بالعلية فيكون الاقسام لسببه أيضا (فان كونه) أي وجوده (أمان) أي موجب للامان (حيث كان) أي حيث وجدت ذاته الشريفة والحيثية

السورة مكية) أي اتفاقا (وما بعده يصححه) أي يؤيده ويوضحه (قوله تعالى) بدل مما بعده (وأنت حل بهذا البلد) وفيه انه لا تظهر وجه تصحيحه ولا بيان توضيحه لان حلوله في المدينة أظهر لشموله حيا وميتا ولا يدع ان الآية نزلت بمكة اشارة الى ما سيقع من القضية (ونحوه قول ابن عطاء في تفسير قوله تعالى وهذا البلد الامين) أي الآمن أو المامون فيه يامن فيه من دخله (قال) أي ابن عطاء (آمنه الله تعالى) بهمزة ممدودة ويجوز بالقصر والتشديد في القاموس آمنه وآمنه فاندفع به اعتراض الحلبي أي جعل مكة ذات آمن (بمقامه) أي بسكناه (فيها وكونه بها فان كونه) أي وجوده فيها (أمان حيث كان) صلى الله تعالى عليه وسلم وأغرب التلمساني حيث قال والامين فعيل كفعل أو مفعول وهذا على زيادة لا وعلى نفيها فالقسم به دونها انتهى و وجه غرابته لا يخفى لان البلد

الامين في سورة التين وليست هي مصدرة بلا اقسم حتى يستقيم هذا القسم والله أعلم وفي نسخة زيادة ثم هذا القول من ابن عطاء لا يخلو عن نوع غطاء فان الله سبحانه وتعالى جعله بلدا آمنا قبل ظهوره صلى الله تعالى عليه وسلم كما قال تعالى أولم يروا انا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم والمراد بالبلد الامين مكة باتفاق المفسرين وهذه جملة معترضة بين المتعاطفين بقوله

(ثم قال عزوجل ووالد وماولد من قال) أي كمجاهد (أراد آدم) أي بقوله تعالى ووالد (فهو عام) أي في جميع ولده ولا يبعد أن يراد به خلاصة افراد الاولاد وسلالة العباد وسيد الانبياء وسند الاصفياء الذي قيل فيه لولا وجود الخاتم ما كان ذكر لآدم صلى الله تعالى عليه وسلم (ومن قال هو ابراهيم وماولد)

أي من أولاده الصلبية يعني اسمعيل واسحق واسباطه من أنبياء بني اسرائيل من نسل يعقوب وسبطه الاعظم وحافده الافخم محمد صلى الله تعالى عليه وسلم من نسل اسمعيل الجميل باني البيت الجليل مع والده الخليل وربما يقال هو المقصود بالذات من ابراهيم وولده الكريم كما أنه زينة الكائنات وخلاصة الموجودات ولذا قال المصنف (فهي) أي الآية المذكورة (ان شاء الله تعالى اشارة الى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فتتضمن السورة) أي المسطورة (القسم به صلى الله تعالى عليه وسلم في موضعين) أي بحسب المتعاطفين من حيث كونه ولد الابراهيم وكونه والدا بشهادة ما في الكشاف ونقله ابن الجوزي عن ابن عمران الجوني أنه صلى الله تعالى عليه وسلم هو المراد بالوالد ونصره القرطبي بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم انما أنا لكم بمنزلة الوالد وقد ذكر البيضاوي القولين حيث قال ووالد عطف على هذا البلد والوالد آدم أو ابراهيم وماولد

قد ترد للتعميم أي في أي مكان كان لقوله تعالى وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وهذا الامان كان بعد وجوده وقريامن وجوده كما آمنه به من الفيل وأصحابه لان ولادته صلى الله تعالى عليه وسلم كانت في ربيع الاول من عام الفيل وقصة الفيل في المحرم وقال بعض الشراح الاظهر ان هذا الامان كان بدعوة ابراهيم عليه الصلاة والسلام وقوله تعالى اجعل هذا البلد آمنا * ومن دخله كان آمنا وأجاب الله دعاءه فقال واذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا وأجيب عنه بانه لا يبعد أن يكون كل ذلك ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم ويمن وجوده فيه فلما علم الله انه سيصير مقام حبيبه عليه الصلاة والسلام عظمه وقبل دعاء خليله أو يكون استدامة ذلك واستمراره بسببه ولا يبعد أن يقال أن المصنف رحمه الله تعالى أشار الى هذا بقوله ثم قال عزوجل ووالد وماولد عطف على هذا البلد والمفسرون اختلفوا في تفسير الوالد فنهم (من قال أراد آدم) عليه الصلاة والسلام (فهو عام) أي ماولد على هذا التفسير عام شامل لجميع أولاده لا يختص بفرد منهم فالقسم على هذا بنوع الانسان لانه أشرف مخلوقاته ونسخة توحيده في ذاته وصفاته وعلى هذا الجمهور لتبادره الى الاذهان من غير داع للعدول عنه وقيل المراد على هذا الصالحون منهم قيل ولا يبعد ان يراد الفرد الكامل منهم وهو محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فيكون القسم بالاول والآخر ولا أدري ما وجه تركه وعدم تعرض أحد من المفسرين له وكأنه لعدم دليل عليه فتدبر (ومن قال هو ابراهيم) عليه الصلاة والسلام (وماولد) ضميره للوالد أو لمجموع الوالد والولد والثاني أولى وقيل الاولى أن يقول على منوال ما سبق ومن قال أراد ابراهيم عليه السلام والضمير في قوله (فهي ان شاء الله تعالى) للقصة وأنث باعتبار الخبر وهو قوله (اشارة الى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) يعني هو المراد من قوله وماولد عند هذا القائل وهو أبو عمران الجوني كما نقله في زاد المسير وقيل هم العرب وقيل أولاد ابراهيم عليه الصلاة والسلام أو الصالحون منهم ولكونه غير متعين من النظم أطلق عليه الاشارة لخفائه والمشهور اطلاق الاشارة على ما دل عليه اللفظ دلالة التزامية كاشارة النص وقوله ان شاء الله قيل انه للتبرك والاهتمام بما بعده أو هو تادب منه في الحكم بان مراد الله أو اشارة الى ان فيه احتمالا آخر وجوز بعضهم أن يكون تعليقا على ظاهره وقد ذهب الى هذا كثير من المفسرين لانه لما حمل الوالد على أكمل افراده ناسب حمل ما بعده على مثله وقيل المراد بالوالد محمد صلى الله تعالى عليه وسلم لحديث انما أنا لكم بمنزلة الوالد والولد أمته أو ذريته صلى الله تعالى عليه وسلم وقال فيه ما دون من وما في الاصل لما لا يعقل قيل لان كثيرا من النحاة جوزوه أو للتاويل بالمبهم أي الولد الكامل الذي لا يدرك كنه ذاته لتناهيه في الكمال * أقول المختار عند صاحب الكشاف وغيره من المحققين انه مطرد فيما اقصد به المعنى الوصفي كالمولود هنا نظر اللصفة فانها ليست من جنس العقلاء كما فصل في حواشي الكشاف قال الزمخشري في قوله تعالى فانكحوا ما طاب لكم من النساء التفرقة بين من وما انما هو اذا أريد الذات وأما اذا أريد الوصف فيجوز ذهابا الى الوصف وقد خفي هذا على بعض الافاضل وظاهر كلامهم انه معنى حقيقي فان قيل بانه يجوز أن يكون فيه تغليب قيل هو دقيق لم ينبهوا عليه وهو تغليب أحد جزئي المدلول وانما ذكروه في الجزئيات والتنكير فيه للابهام المستقل بالمدح والتعجب كما قيل (فتتضمن السورة القسم به صلى الله تعالى عليه وسلم في موضعين) أشار بالفاء الى

ذريته أو محمد صلى الله تعالى عليه وسلم والتنكير للتعظيم وايثار ما على من لمعنى التعجب كما في قوله والله أعلم بما وضعت أي باي شئ وضعت يعني موضوعا عجيب الشان غريب البرهان فاندفع ما قاله المنجاني من ان ما تقع على ذوي العقول عند النحويين على ان كثيرا منهم قالوا ان من يختص بذوي العقول وما عام ويؤيده قوله تعالى والسماء وما بناها والارض وما طحاها ونفس وما سواها وان قال بعضهم أن المراد بها معنى الوصفية المنبئة عن العظمة كانه قيل والشئ القادر الذي بناها ودل

على وجوده وكمال قدرته وجوده بناؤها وأنت ترى أن هذا تكلف مستغنى عنه اذ يجوز أن ما ترد بمعنى من على ما فى القاموس كقوله تعالى ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم فانكحوا ما طاب لكم ثم وقع التناقض بين قولى المنجانى حيث قال فيلزم على قول القاضى ان تكون ما فى الآية واقعة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وذلك خروج عما قرر النحويون لها والذى يظهر فى الآية والله تعالى أعلم أن الوالد والولد اسما جنس عامان لكل والد ومولود وهو قول ابن عباس فيكون قوله سبحانه وتعالى وما ولد على هذا التأويل جامعًا على العاقل لم يلد اذ لو اقتصر فى الآية على ذكر الوالد لخرج منها من لم يلد ولدا البتة انتهى ووجه التناقض لا يخفى اذ جنس المولود من قبيل ذوى العقول فى المعنى فيؤول الى قول القاضى فى المبنى غايته انه اراد الفرد الاكمل من الجنس الثانى بل لو أريد به الفرد الافضل من النوعين لا يبعد لصدق الوالدية والولدية عليه ثم التنبيه الذى ذكره لا يخفى على الفقيه النبيه حيث أن المراد بما ولد ما ولده الوالد من آدم او ابراهيم أو جنس الوالد (وقال الله تعالى الم ذلك الكتاب) قيل فيه صنعة التبديل ١٩٩ من علم المعمى فى استخراج الاسما

الى نشاته مما قبله أى اذا كان كذلك ففى ضمن هذه قسم بمحمد صلى الله عليه وسلم مرتين احداهما فى البلد التى هى محله فان القسم بمكانه قسم به صلى الله تعالى عليه وسلم أبلغ من القسم بذاته وحياته كما مر تحقيقه والثانى فى قوله ومولود على هذا التفسير والقول بانه لما أقسم بوالده وهو فى صلبه فكأنه أقسم به بعيد غاية البعد وأما القول بانه لتفسير الوالد بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم كما فى الكشاف فغير صحيح لانه ليس فى كلام المصنف رحمه الله تعالى ذكر له بوجه من الوجوه وهو عجيب من قائله اللهم الا أن يقال من أقسم باحد ممن مضى من آبائه قاصدا تعظيمه فكأنه أقسم به أى بصفة من صفاته وهى شرف حسبه فتامل (وقال الله تعالى الم ذلك الكتاب) ذلك اشارة الى الم على أنه طائفة من الحروف أو اسم السورة أو القرآن تنزيلا له منزلة المحسوس المشاهد البعيد لرفعة قدره أو لتقضيه كما فصله المفسرون (وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما (هذه الحروف أقسام أقسم الله تعالى بها وعنه وعن غيره فيها غير ذلك) الاقسام جمع قسم بمعنى المقسم به لقوله بها وقد روى عن ابن عباس وغيره من مفسرى السلف فى هذه وفيما ضاهاها أقوال غير ما ذكر قال الشريف كما روى عن الخلفاء الاربعة انها مما استأثر الله به قال البيضاوى ولعلهم أرادوا انها أسرار بين الله ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم ورموز لم يقصد بها افهام غيره اذ يبعد الخطاب بما لا يفيد وفيه انهم صرحوا بانه مما لا يعلمه الا الله فانه أخفى لحكمة فلم يتحاشوا عما فر منه * أقول فيه انهم قالوا ان التعقيد المعنوى يخل بالفصاحة فكيف بما لا يمكن علمه وما ذكره لا يدفع ما قاله فالحق فى جوابه ما قاله الفاضل الليثى بان هذا انما يشترط فيما قصد به تفهيم المخاطب كما فصله فى حواشى المطول وهذه الحروف اشارة لما ذكر او الى جميع حروف المعجم كما يقولون تعلمت اب أى جميع الحروف المقطعة كما قال ابن قتيبة فهى أقسام متعددة جوابها مقدر أى لقد بينت لكم السبل وأوضحت لكم الدلالة بهذا الكتاب المنزل بقرينة قوله تعالى ذلك الكتاب وفيها أقوال كثيرة تكفلت بها التفاسير فلا حاجة لذكرها هنا والى هذا أشار بقوله (وقال سهل بن عبد الله التسترى) تقدم ما فيه قال السيوطى رحمه الله تعالى رواه ابن جرير وابن أبى حاتم (الالف هو الله تعالى واللام جبريل والميم محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) قيل ان هذا غير واضح المعنى ولا بد له من مأخذ وفى تفسير الاصبهانى نحو عشرين قولا لم أر فيها هذا الا انه حكى عن الضحاك ان اللام من جبريل والميم من محمد صلى

والتقدير ألف لام الحمد ميم فيبقى محمد فهو نداء أو مبتدأ خبره ذلك الكتاب أى هو النسخة الجامعة فى الرتبة اللامعة والمرتبة الساطعة واسطة بين الخالق والخليقة (لا ريب فيه) وسيأتى الكلام فيه (قال ابن عباس رضى الله عنهما) أى فيما رواه ابن جرير وابن أبى حاتم (هذه الحروف) أى المقطعة فى أول هذه السورة وأمثالها من سائر السور المسطورة (أقسام) جمع قسم بمعنى مقسم به (أقسم الله تعالى بها) وفى نسخة بهذا أى بما ذكر على طريق الاشارة والرمز الى أسماء الله سبحانه وتعالى وأوصاف نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم بان يكون الالف رمزا الى ما أوله الهمز وكذا اللام وكذا الميم وكذا سائر الحروف وحرف القسم حينئذ محذوف (وعنه) أى ابن عباس (وعن غيره فيها غير ذلك) حتى قيل فيها سبعون قولا منها ما عليه العشرة وغيرهم ومنهم ابن عباس رضى الله تعالى عنهم ان الله تعالى أعلم بمراده بذلك وقيل معنى الم أنا الله أعلم وعن ابن عباس ان الالف آلاء الله واللام لطفه والميم ملكه وقيل هى اسماء الله بشهادة قول على يا كهيعص يا حمعسق ولعله أراد يا منزلهما وقيل اسماء للقرآن أو للسور وقيل الالف من أقصى الحلق وهو مبدأ المخارج واللام من طرف اللسان وهو وسطها والميم من الشفة وهى آخرها فجمع تلويحا بان العبد ينبغى ان يكون أول كلامه ووسطه وآخره ذكر الله تعالى (وقال سهل بن عبد الله التسترى) وروى عن ابن عباس أيضا (الالف هو الله سبحانه وتعالى) أى اشارة الى لفظه الله بناء على الحرف الاول منه فى المبنى أو الى وحدانيته بحسب المعنى لكن يؤيد الاول قوله (واللام جبريل) أى بناء على الحرف الاخير (والميم محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) نظرا الى أوله ووسطه كذلك وما أنسبه حيث كرر مسمى الميم فى الاسم والمسمى

(وحكى هذا القول السمرقندى) أى مطلقا (ولم ينسبه الى سهل) وهذا أمر سهل اذ لا منافاة بين الاطلاق والتقييد مع احتمال التوارد في مقام التأييد فلا ينافيه ما عزاه السجاوندى الى ابن عباس أيضا (وجعل) أى السمرقندى (معناه) أى معنى هذا القول المستفاد من الاشارة الى الاسماء المستورة بحسب التراكيب المفيدة المأثورة (الله أنزل جبريل على محمد صلى الله تعالى عليه وسلم بهذا القرآن لا ريب فيه) أى في المنزل أو المنزل أو المنزل به أو المنزل عليه أو في كل واحد منها وهو نفى عند أرباب التحقيق ومعناه نهى بالنسبة الى أهل التقليد والتضييق والله ولى التوفيق أو المعنى لا ريب فيه وتوضيحه ان يقال من حيث انه لوضوح شانه وسطوع برهانه لا يرتاب فيه عاقل بعد النظر الصحيح في كونه وحيا بالغا حد الاعجاز لا من حيث انه لا يرتاب فيه أحد لكثرة المرتابين بشهادة وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله فانه لم ينفه عنهم بل عرفه بما يزيله منهم وهو ان يبذلوا قواهم في معارضة سورة منه وغاية جهدهم فاذا عجزوا وتيقنوا ان لا شبهة فيه ولا ريبة ثم بهذا لا يزول وجه اشكال تقديم جبريل على النبي الجليل (وعلى الوجه الاول) أى من قول ابن عباس وهو ان المراد بها القسم (يحتمل القسم) أى القسم عليه (ان هذا الكتاب حق لا ريب فيه ثم فيه) أى في القسم أو الكتاب على الاحتمال الثاني (من فضيلة القرآن اسمه باسمه) وفي نسخة من فضيلته قران اسمه باسمه وهو بكسر القاف بمعنى مقارنته (نحو الملائكة ما تقدم) أى في التشهد والخطبة كما قال حسان رضى الله تعالى عنه * وضم الاله اسم النبي الى اسمه * اذا قال في الخمس المؤذن اشهد
(وقال ابن عطاء في قوله تعالى ق والقرآن المجيد اقسم) أى الله تعالى (بقوة قلب حبيبه محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) أى التي هو من حروفها اكتفى به عنها (حيث حمل الخطاب) أى من ربه (والمشاهدة) أى له ليلة الاسراء

الله تعالى عليه وسلم والالف من الله وهى اقسام اقسم الله تعالى بها وهو في غاية اللطف والدقة فان كان المراد هذا فهو واضح لانه اذا اقسم بحرف من اسم دل على شرفه وفي هذا تقديم جبريل عليه الصلاة والسلام عليه صلى الله تعالى عليه وسلم فربما تعلق به مدعى التفضيل وان لم يلزمه مطلق التفضيل يعني انه لم يقل انها حروف من أسمائهم بل جعلها دالة عليهم ووجهه في غاية الخفاء فان نزل على ما ذكره الضحاك اتضح لكن العبارة غير ظاهرة فيه فرده بانه لا طائل تحته دعوى بلا دليل وان كان فيه قسم بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم وهو مناسب لما هو بصدده واما تقديم جبريل عليه الصلاة والسلام هنا فلانه واسطة بين الله و رسوله فالاعتراض به في غاية السقوط كما أشار اليه بقوله (وحكى هذا القول السمرقندى ولم ينسبه الى سهل وجعل معناه الله أنزل جبريل) عليه الصلاة والسلام (على محمد) صلى الله تعالى عليه وسلم (وبهذا القول) وفي نسخة بهذا القرآن (لا ريب فيه) كما حكاه القاضي بمعناه عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما يعني انه لوضوح شانه واعجازه لا يرتاب عاقل فيه بعد النظر وان كثر المرتابون كما قال تعالى وان كنتم في ريب الى آخره (وعلى هذا الوجه الاول) الذى رواه عن ابن عباس وهو القسم بالحروف (يحتمل القسم أن هذا الكتاب حق لا ريب فيه) أن بالفتح أى على انه قسم في قول سهل وعلى هذا فجواب القسم لا ريب فيه وقيل الجواب مقدر يدل عليه قوله تعالى ذلك الكتاب لا ريب فيه لا جواب بتقدير اللام لانه يسوغ حذفها الا اذا استطال القسم كما في المغنى وحذف الجواب ورد في القرآن في قوله تعالى ص والقرآن ذى الذكر بانه لمعجز وانك لمن المرسلين فاتى بدل ذلك بهذا لان التعظيم يكون باشارة القريب والبعيد كما تقرر في المعاني والنكات لا تتزاحم والتردد في انهما على حد سواء أم لا كما قيل لا طائل تحته وفي شرح السيد النحرير انه أشار بهذا الى ان الظاهر الاشارة بالقريب الحاضر في الذهن وانما عبر بذلك لتنزيله منزلة البعيد للتعظيم ولم يرد تقدير حق بل بيان ان لا ريب خبر بمعنى حق (ثم فيه من فضيلة قران اسمه باسمه نحو ما تقدم) أى في الم أو في هذا القول أو القسم أو الكتاب على قول سهل مطلقا أو على ما ذكره السمرقندى لدلالة الحروف المقطعة من الاسماء أو لدلالتها عليها كأنها اسماء وأشار بقوله نحو ما تقدم الى ما مر في قوله تعالى ورفعنا لك ذكرك ولا يخدش القرآن توسط اللام المفسرة بجبريل لما في وقوعها في ذكر واحد من القرآن لا سيما وجبريل عليه الصلاة والسلام سفير محض بينهما لا يعد فاصلا قيل وكون الالف من أول اسم الله والميم من وسط اسم محمد صلى الله تعالى عليه وسلم واللام من آخر اسم جبريل مناسب لما ذكر (وقال ابن عطاء في قوله تعالى ق والقرآن المجيد أقسم بقوة قلب حبيبه محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) فالقاف بمعنى القوة على طريق الاكتفاء كما في قوله * قلت لها قفي فقالت قاف *
والظاهر ان مثله لا يقال بالرأى فلا وجه للاعتراض بانه لا يجوز ان تكون من قدرة الله تعالى ونحوه وقد تقدمت ترجمة ابن عطاء رحمه الله تعالى وقوله (حيث حمل الخطاب والمشاهدة) أى حيث تحمل وأطاق خطاب الله ورؤيته ليلة الاسراء ومشاهدة الملكوت ومهابته مما شهد له الجبال ولا تطيقه

الملائكة على أحد تفسيري قوله تعالى حتى اذا فزع عن قلوبهم أو مشاهدة التجليات القلبية (ولم يؤثر ذلك فيه لعلو حاله) أي لم يصعب ويشق عليه حتى يمنعه من تحمل مثله وقوله لعلو حاله تعليل لما قبله أي ان له صلى الله عليه وسلم حالا في ثبات جنانه ورفعة شانه لما أودع في قلبه من اليقين (وقيل هو اسم للقرآن) ضمير هو لقاف وهذا القول تفسير ما ثور عن قتادة فما قيل من انه في غاية الركاكة لانه يصير المعنى للقرآن والقرآن المجيد تهجم لا يليق بالادب والعجب منه حيث رواه بعد ذلك لانه على هذا يجوز ان يذكر تفسير الخفاء ما قبله ولذا قيل انه في غاية الوجاهة من حيث المعنى اذ حاصله ان هذا القرآن اقسم به وأظهره في مقام الاخبار ليمكن وصفه ودخول حروف القسم عليه ومن حيث اللفظ لان الركاكة انما هي لو صرح باسم القرآن لا اذا عبر عنه بغيره وهذا هو السر في العدول فتفطن وتادب على انه يحتمل ان يراد بالقرآن هذه السورة (وقيل هو اسم لله تعالى) على نهج ما مر من اطلاق حرف من الاسم على مسماه فهو على هذا بمعنى قيوم أو قدير ونحوه أو هو مما لم يطلع على معناه ويؤيد الاول ما حكاه القرطبي رحمه الله من انه افتتاح اسمه القدير القاهر القريب (وقيل جبل محيط بالارض) ينبع منه جميع المياه وهذا رواه ابن الجوزي رحمه الله عن مجاهد قيل انه من زمردة خضراء وخضرة البحر من انعكاس شعاعه (وقيل غير هذا) فيه اقوال تزيد على عشرة منها انه اسم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقال أبو بكر الوراق معناه قف عند أمرنا ونهينا ولا تتعداهما والخطاب للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم (وقال جعفر بن محمد الصادق) تقدمت ترجمته رضي الله تعالى عنه (في تفسيره) وفي نسخة في تفسير بدون ضمير قيل ان لجعفر تفسير لم يشتهر (والنجم اذا هوى انه محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) وهوى بمعنى نزل أو صعد الى السماء في المعراج من الهوى بتشديد الياء وفتح الهاء وهو الذهاب في انحدار أو مع ضمها وهو الذهاب في ارتفاع وهذا التفسير نقله البغوي رحمه الله تعالى فلا غرابة فيه رواية ودراية لان وجه الشبه ظاهر (وقال) أي جعفر فله فيه تفسيران أو عنه فيه روايتان على البدل أو الاجتماع ان جوز (النجم قلب محمد صلى الله تعالى عليه وسلم هوى انشرح من الانوار) الربانية المتنزلة على قلبه في مشاهدانه من العلوم والحكم وأنواع الكمال وتشبيه قلبه صلى الله تعالى عليه وسلم بالنجم لا يخفى ظهوره لاشراقه بنور ربه وهداه ومثله مشهور واما تفسير هوى بانشرح فلانه يقال هوى اذا فتح فا أو مد يدا ولا يضرنا عدم اشتهاره لمعرفة العرب أهل اللغة له (وقال) أي جعفر الصادق في رواية أخرى عنه في تفسير هوى (انقطع عن غير الله) وهذا أظهر مما قبله لانه من هوى النجم اذا سقط من بين نوعه من النجوم وهو اذا انقطع الى ربه فارق الناس وقال الامام المرزوقي في شرح اشعار هذيل قال الاصمعي يقال هوى العقاب اذا انقض لغير الصيد وأهوى اذا انقض له وقيل هما بمعنى وقال بعضهم يقال هوى يهوي هويا بفتح الهاء من أعلى الى أسفل وهويا بضمها بعكسه انتهى فقول بعض الشراح انا لم نر هذا المعنى في مشاهير كتب اللغة ساقط والمثبت يقدم على النافي وقوله الان يقال انه من هوى الجوف اذا خلا كما في التقريب فيكون هذا الخلو عن غير الله

(ولم يؤثر ذلك فيه لعلو حاله) أي مع وجود المجاهدة ويناسبه قوله تعالى نزل به الروح الامين على قلبك الآية (وقيل هو) أي ق (اسم للقرآن) أي بطريق الاشارة واما بطريق العبارة فهو اسم للسورة (وقيل هو اسم الله تعالى) أي بناء على رمز أولى الاسماء التي أولها القاف كالقادر والقاهر والقوي والقريب (وقيل هو اسم جبل محيط بالارض) أي فوقع القسم به لعظمته وهذا قول مجاهد ان ق اسم جبل محيط بالدنيا وانه من زمردة خضراء منها خضرة السماء والبحر لكنه ضعيف جدا (وقيل غير هذا) أي غير ما ذكر أي ايماء الى قيام الساعة وقال سهل رضي الله تعالى عنه اقسم بقدرته وقوته كما حكى عنه السلمي وقيل معناه قضى الامر من رسالة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم أو اخبار بقهر الكفرة أو تنبيه على قيام الموتى من القبور فكلها منقولة عن المفسرين وجميعها داخل في قول من قال هي حروف أخذت من أسماء وأفعال واستغني بها عن ذكر ما بقي منها والله تعالى أعلم ولا يبعد ان يكون ايماء الى الامر بالوقوف على الاحكام والتوقف فيما اشكل من المرام كقول الشاعر قلت لها قفي فقالت لي قاف (وقال جعفر بن محمد) أي الصادق (في تفسير والنجم اذا هوى انه محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) لانه النجم الاكبر والكوكب الانور وقوله اذا هوى أي اذا صعد الى مقام دنا فتدلى أو اذا أحب المولى وترك السوى فكان قاب قوسين أو أدنى (وقال) أي الصادق (النجم قلب محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وهو الذي انشرح من الانوار) أي لما انبسط وانبث فيه من الاسرار وأغرب المنجاني حيث أنكر على العالم الرباني بقوله هذا تحامل على اللغة في تفسير الهوى وتحكم فيها والمنقول عن جعفر انه انما فسر الهوى هنا بالنزول ليلة المعراج كما حكى عنه ذلك في تفسير الغزنوي وهو أقرب الى الاشتقاق اللغوي (وقال انقطع عن غير الله) أي عن التعلق بما سواه

(وقال ابن عطاء فى قوله تعالى والفجر وليال عشر الفجر محمد صلى الله تعالى عليه وسلم لان منه تفجر الايمان) أى تبين منه الايقان وظهر منه العرفان بنزول القرآن وحينئذ يناسب ان يفسر ليال عشر بالعشرة المبشرة لان الكواكب السيارة المنيرة فى ميدان الولاية تختفى فى زمان النبوة وأوان الرسالة لان أحوال الاصفياء بالنسبة الى أحوال الانبياء لاتخلو عن ظلمة الكدورات النفسانية والجاذبات الشهوانية فناسب ان يعبر عنهم بالليالى العشر كما يلايم ان يومى الى مرتبة النبوة والرسالة بطلوع الصبح وظهور نور الفجر وبهذا اندفع ماقاله المنجانى من ان هذا التاويل بعيد لان الفجر فى الآية مردف بالليالى العشر وفى حمله على ماذكر تنافر فى النظم وعدم تناسب فى اللفظ انتهى واما أقوال المفسرين فى معنى الفجر وليال عشر فمشهورة لاتخفى والمشهور ان الفجر هو الصبح والليالى العشر عشر ذى الحجة ومن ثم فسر الفجر بفجر عرفة أو الفجر والعشر الاول من المحرم أو الاواخر عن شهر رمضان ونكرت لزيادة فضلها والله تعالى أعلم (الفصل الخامس فى قسمه) أى فى حلفه فى كلامه (تعالى جده) أى عظمته لقوله تعالى وانه تعالى جد ربنا ولما فى الحديث كان الرجل منا اذا قرأ البقرة وآل عمران جد بدال مهملة فى أنفسنا أى عظم وجل وعن أنس والحسن رضى الله تعالى عنهما غناه بشهادة حديث وما ولا ينفع ذا الجد منك الجد أى لا ينفع ذا الغنى منك غناه وانما ينفعه ايمانه واحسانه (له) صلى الله تعالى عليه وسلم (لتحقق مكانته) أى منزلته الرفيعة (عنده) بكسر العين افصح ويجوز فتحها وضمها فى القاموس عند مثلثة الاول ظرف فى الزمان والمكان غير متمكن

أو من هوى ذهب فى جهة العلو لارتفاعه الى الله تعالى تعسف غير محتاج اليه وتوقفه فى هذا دون ماقبله غريب من مثله وقد سبقه بعضهم لهذا وفى النجم هنا تفاسير أخر فقيل هو الثريا وقيل الزهرة وقيل الرجوم وقيل مطلق النجوم وقيل مانزل من القرآن منجما وقيل الهوى نزوله من المعراج وسياتى الكلام فيه (وقال ابن عطاء) تقدم الكلام عليه (فى قوله تعالى والفجر وليال عشر الفجر محمد صلى الله تعالى عليه وسلم لان منه تفجر الايمان) تفجر بفتح التاء وتشديد الجيم المضمومة على انه مصدر مضاف للايمان أو بفتح الجيم المشددة على انه ماض فاعله الايمان من تفجر الصبح طلع كما قاله ابن رسلان وهذا اما على تشبيه الايمان بالنور المشرق من أفق الوحى الماحى لظلمة الكفر أو هو استعارة لتشبيهه بالماء على نهج المكنية واثبات التفجر له على طريق التخييل كما قيل والاحسن عندى ان يشبه الصبح وأنواره بماء متفجر ثم يستعار ذلك لشهرته بما ظهر منه صلى الله تعالى عليه وسلم من الدين والتوحيد كما قال ابن تميم رحمه الله تعالى

انظر الى الصبح المنير وقد بدا * يغشى الظلام بمائه المتدفق
غرقت به زهر النجوم وانما * سلم الهلال لانه كالزورق

وفيه تفاسير أخر تركها المصنف رحمه الله تعالى لشهرتها واقتصر منها على مايناسب غرضه الاان الشراح قالوا ان هذا مع غرابته بعيد غير مقبول لانه مخل بالانتظام فان عطف ليال عشر عليه بالواو من غير جهة جامعة كقولك الشمس ومرارة الارنب والباذنجان محدثة ومثله مخل بالبلاغة أقول نقل الشراح هذا لانه وارد غير مندفع وليس كذلك وفيه سوء أدب وتهجم على كتاب الله تعالى عز وجل وهذا منقول عن السلف والخلف وماثور منهم وهم أهل لسان ومن فسر الفجر بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم يفسر الليالى العشر بعشر رمضان وقد كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يجتهد فى العبادة والخيرات فيه ويرى ليلة القدر فيصير المعنى على هذا اقسم بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم فى حالته التى جد فى عبادتى والتقرب الى فيها وأى مناسبة أتم من هذه كما قات

وحبيب هو المنا وليال * كن فيها وصاله ورضاه
وزمانا بالانس كان ربيعا * لا طيعن عاذلا فى هواه

أترى هذا كالباذنجان وبزوره الهذيان أو كوجه الحبيب وغيبة الرقيب والذى عليه المحققون من المفسرين انه على حقيقته أو هو بتقدير مضاف أى صلاة الفجر والليالى العشر عشر ذى الحجة أو الفجر فجر عرفة أو النحر والعشر أول محرم وأواخر رمضان ومما يضاهى قول المصنف رحمه الله تعالى قول الرازى ان الضحى وجه محمد صلى الله تعالى عليه وسلم والليل اذا سجى شعره

(الفصل الخامس فى قسمه تعالى جده) بفتح الجيم وتشديد الدال ويكون بمعنى الحظ والغنى ومنه ولا ينفع ذا الجد منك الجد يقال جد بمعنى عظم واسناد التعالى له للمبالغة كما يقال جد جده فهو اسناد مجازى أو استعارة مكنية وفى بعض النسخ (له) متعلق بالقسم والضمير للنبى صلى الله عليه وسلم (لتحقق مكانته عنده) اللام للتعليل والاولى صلة فلا يلزم تعدى عامل بحرفين متحدى اللفظ والمعنى وقوله (صلى الله عليه وسلم) متعلق بحسب المعنى بضمير عنده ولتحقق بمعنى لتمين حقيقة حقه عنده والمكان معروف فاذا زيدت فيه الهاء أريد به المرتبة المعنوية كالمنزل والمنزلة وفى بعض النسخ لتحقق وفى بعضها التحقيق بصيغة المصدر والكل بمعنى واللام قيل انها مثلها فى قوله تعالى

وماخلقت الجن والانس الا ليعبدون بمنزلة الفرض لاغرضالان افعاله تعالى لاتعلل بالاغراض وهذا وان اشتهر فالذى ارتضاه النسفى خلافه وان ذهب السيد الشريف لخلافه والتحقيق ان الخلاف لفظى وعنده مثلث العين والكسر افصح و بدأ افضل بسورة الضحى لمناسبتها الخاتمة الفصل الذى قبله وتضمنها الكريم خطابه وعميم نعمه عليه تشريفاله فقال (قال جل اسمه) كما جل وعلا فى نفسه وفيه تادب وتاس (والضحى والليل اذا سجى السورة) بالنصب ان لم يوقف عليها بتقدير اذكر أواقرأ السورة الى آخرها والسورة طائفة من القرآن مترجمة اقلها ثلاث آيات فان كانت معتلة فهى منقولة من سور المدينة لاحاطتها بما فيها من مدائن العلم ومنازله وان كانت مهموزة فهى من السؤر وهو البقية كما بين فى محله (اختلف فى سبب نزول هذه السورة) سبب النزول أمر حادث فى زمن النبوة ينزل القرآن فى حقه ويجوز تعدده وكما أن للقرآن اسبابا كذلك الحديث وقد صنفوا فى كل منهما تصانيف جليلة وان كان المشهور هو الاول (فقيل كان ترك النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قيام الليل لعذر نزل به فتكلمت امرأة فى ذلك بكلام) روى ان هذه المرأة هى أم جميل بنت حرب واسمها العوراء امرأة أبى لهب وكان أبو بكر بن العربى رحمه الله تعالى يسميها أم قبيح وهذا ما رواه الحاكم فى مستدركه وقال اسناده صحيح الا انى وجدت فيه علة وهذه المرأة كان بعضهم لكراهته لا يحب ان يسميها ولذا قال المصنف رحمه الله تعالى امرأة أو لما فيها من الخلاف وهذه السورة مكية اتفاقا وروى عبد الله بن السكن انها احدى عمات النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وروى ابن جرير انها امرأة من أهله أو من قومه ونقل عن امرأة أخرى وهو غير صحيح وفى شرح التجانى كلام طويل هنا وقال المصنف رحمه الله تعالى بكلام ولم يصرح به لقباحته لانه روى ان أم قبيح قالت له صلى الله تعالى عليه وسلم يا محمد ان شيطانك تركك لما رأيت من عدم قيامك ولم أره قربك منذ ليلتين أو ثلاث كما ذكره البخارى قيل وهو اصح ما قيل فيه وعذره الذى تركه به ما روى ان حجرا أصاب أصبعه صلى الله عليه وسلم فدميت فقال صلى الله عليه وسلم هل أنت الا أصبع دميت * وفى سبيل الله مالقيت

(قال الله جل اسمه) أى عظم وصفه ونعته فكيف مسماه وذاته (والضحى أى) اقسم بضوء الشمس اذ هو المراد بقوله وضحاها أو بوقته حين ارتفاعها وخص بالقسم لانه تعالى كلم فيه موسى عليه الصلاة والسلام وألقى السحرة فيه سجدا بشهادة وان يحشر الناس ضحى ولعل هذا هو المأخذ فى فضيلة صلاة الضحى أو بالنهار كله بدلالة ان يأتيهم بأسنا ضحى فى مقابلة بياتا أو مقابلة قوله تعالى (والليل اذا سجى) أى ركد ظلامه أو سكن أهله وقدم الليل فى السورة قبلها الا انه الاصل بدليل قوله تعالى نسلخ منه النهار ولما ورد من ان الله خلق الخلق فى ظلمة ثم رش عليهم من نوره الحديث وعكس هنا لشرف النهار بحسن ضوئه ونوره وكمال ظهوره والانسب بهذا المقام فى تحقيق المرام ان يقال ان فى الضحى ايماء الى وجهه صلى الله تعالى عليه وسلم كما ان فى الليل اشعارا الى شعره عليه الصلاة والسلام أو الى حاليه اشارة فيهما الى صبح الوصال وليل الفراق أو ايماء بهما الى حاليه من مقامى القبض والبسط أو الفناء والبقاء كما يشير اليه قوله صلى الله تعالى عليه وسلم انه ليغان على قلبى ٢٠٣ الحديث (السورة) وفى شرح الدلجى السورة منصوب بفعل كأنى قلت أواقرأ ويجوز رفعها على أن تقديره السورة معروفة وجرها على نزع الخافض كما فى النسخة المشهورة والسورة طائفة من القرآن مترجمة اقلها ثلاث آيات منقولة من سور المدينة لانها محيطة بطائفة منه أو محتوية على ما فيها من العلوم كاحتواء سور المدينة على ما فيها هذا ان كانت واوها اصلية وان كانت مبدلة من همزة فكونها قطعة من القرآن من السؤر الذى هو بقية الشئ وهذا المعنى هو الاولى كما لا يخفى اذ المعنى الاول يدل على المغايرة بين السورة وما هى مشتملة عليه وليس كذلك فى السورة (اختلفت فى سبب نزول هذه السورة) أى سورة والضحى (فقيل كان ترك النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قيام الليل لعذر نزل به فتكلمت امرأة فى ذلك بكلام) أى بما لا يليق ذكره لاهل الاسلام ويؤيده ما رواه البخارى اشتكى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلم يقم ليلتين أو ثلاثا فقالت له امرأة انى لارجو ان يكون شيطانك قد تركك لما رأيت من عدم قيامك (فانزل) أى الله تعالى (والضحى) وروى مسلم نحوه وحديث الثعلبى انه صلى الله تعالى عليه وسلم أصيب فى أصبعه فدميت فقال هل أنت الا أصبع دميت وفى سبيل الله مالقيت فمكث ليلتين أو ثلاثا لا يقوم الليل فقالت له أم جميل امرأة أبى لهب ما أرى شيطانك الا قد تركك لم أره قربك منذ ليلتين أو ثلاث فنزلت وروى ابن السكن انها احدى عماته صلى الله تعالى عليه وسلم فقال ابن عساكر وكانت عماته صلى الله تعالى عليه وسلم ستا وجميعهن مشركات الا صفية بنت عبد المطلب أم الزبير ويؤيد الاول رواية الحاكم انها امرأة أبى لهب ولعلهما قالتاه ذلك ثم قيل هى أخت أبى جهل زوج أبى لهب وكان اسمها أم جميل وكان أبو بكر بن العربى لا يكنيها الا بام قبيح وقد أجاد فيما أفاد وقيل هى أخت أبى سفيان ابن حرب وهى زوج أبى لهب أيضا وكانت عوراء وكان أحول والقول الاخير ذكره الحاكم فى مستدركه فى تفسير سورة والضحى وقال اسناده صحيح

(وقيل) وعليه جمهور المفسرين على ما قيل (بل تكلم به المشركون) أي بمثل ذلك الكلام (عند فترة الوحي) أي عند انقطاعه وعدم اتصاله من الفتور بمعنى القصور وكانت المدة سنتين ونصفا وقيل بل كان ذلك بضعة عشر يوما (فنزلت السورة) أي والضحى وفي نسخة هذه السورة ويدل عليه حديث مسلم والترمذي أبطأ جبريل عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال المشركون قد ودع محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فأنزل الله سبحانه وتعالى ما ودعك ربك وما قلى ويمكن الجمع بين القولين بأنه لما فتر الوحي اتفق إذ ذاك أنه اشتكى فلم يقم فقالت المرأة ما قالت وقال المشركون من الرجال ما قالوا وقال البيضاوي روي أن الوحي تأخر أياما لتركه الاستثناء كما مر في سورة الكهف أو لزجره سائلا ملحا أو لأن جروا ميتا كان تحت سريره أو غير ذلك فقال المشركون إن محمدا ودعه ربه وقلاه أي تركه وابغضه فنزلت ردا عليهم (قال الفقيه القاضي أبو الفضل رحمه الله) كذا في بعض النسخ وهو متروك في بعضها (تضمنت هذه السورة) أي سورة والضحى (من كرامات الله تعالى) أي من أنواع إكرامه سبحانه (له صلى الله تعالى عليه وسلم) قال الدلجي من مزيدة أو للتعظيم أي تضمنت شيئا عظيما أكرمه الله به انتهى ولا يخفى أن كونها مزيدة لا يناسب المقام لأن الزائد إنما تكون للتنصيص على العموم في النفي نحو ما جاءني من رجل أو لتوكيد العموم نحو ما جاءني من أحد وكونها للتعظيم غير معروف فالصواب أنها للتبعيض فإنه لا شك أن ما تضمنت هذه السورة من بعض كرامات الله له (وتنويهه به) من نوه بالشيء أي رفعه ونوهت باسمه أي رفعت ذكره والمقصود من برهانه رفعة شأنه وسطوع برهانه (وتعظيمه إياه) أي بما خصه الله تعالى واستثناه مما سواه (ستة وجوه) بالنصب على أنه مفعول تضمنت وفي نسخة بستة وجوه وكان الوجه أن يقول ستة أوجه إلا أنه أوقع جمع الكثرة في موضع جمع القلة توسعا إذ قد يكثر استعمال أحدهما في الآخر (الأول) أي الوجه الأول من الستة (القسم له) أي لأجله صلى الله تعالى عليه وسلم (عما أخبر به) أي في هذه السورة (من حاله) أي عما يدل على عظيم جماله وكريم كماله فمن بيان لما أقسم له على نفيه (بقوله والضحى والليل إذا سجى أي ورب الضحى) أي على حذف مضاف يكون هو المقسم به وذلك لأنه لا يقسم بمخلوق لأن فيه تعظيم غير الله تعالى ولذا قال صلى الله تعالى عليه وسلم من حلف بغير الله فقد أشرك والأظهر أن النهي في ذلك بالنسبة إلى المخلوق وأما الخالق سبحانه وتعالى فيقسم بما شاء من خلقه تنبيها على تعظيم الشأنه

وقيل إنما قالت أم قبيح ذلك لإبطاء الوحي عنه وروى أبو داود بإسناد صحيح أن أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها قالت له إن ربك وفي رواية إن صاحبك قد قلاك فنزلت وإنما قالته رضي الله عنها على سبيل الاستكشاف والشفقة أو هو بتقدير الاستفهام وجمع بينهما بتعدد سبب النزول وفيه إطلاق الصاحب على الله وقد ورد في حديث اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل ولم يقل صاحبي وصاحبك أو ربي وربك كما هو مقتضى الظاهر لنكتة وهي الإشارة إلى شدة مراقبته لله وقربه منه قربا لا ينبغي لسواه (وقيل بل تكلم به المشركون عند فترة الوحي فنزلت السورة) أي تكلموا بكلام من نوع الكلام المذكور في سبب النزول الأول لا بشخصه وعينه والفترة مدة قليلة بين شيئين والسكون والمراد انقطاعه عنه ومنه قوله تعالى على فترة من الرسل وكان الوحي تأخر عنه صلى الله عليه وسلم بضعة عشر يوما وقيل سنتين ونصف والأول أصح فقالت قريش إن محمدا ودعه ربه وقلاه وقيل إن اليهود سألوه صلى الله عليه وسلم عن الروح وعن أصحاب الكهف وعن ذي القرنين فوعدهم بالجواب ولم يقل إن شاء الله تعالى فانقطع عنه الوحي وقيل بل كان في بيته جرو كلب وقيل ولا مانع من تعدد السبب كما مر وقول المصنف بل الخ كأنه إشارة إلى أن القائل الثاني ادعى ردا للقول الأول وجزم بخلافه فالإضراب لذلك وقيل بل لإفادة أنهم تكلموا به أيضا فهو انتقالي للترقي وهو بعيد ومر منه لأن الأول أصح (قال الفقيه القاضي أبو الفضل) المصنف عياض رحمه الله (تضمنت هذه السورة) أي اشتملت سورة الضحى (من كرامة الله تعالى له وتنويهه به) كرامة الله تعالى إكرامه أي توقيره واللطف به وتنويهه به رفعة قدره وجعله مشهورا بذلك وإشاعة فضله (وتعظيمه إياه) جعله عظيما مهيبا في عيون الناس وقلوبهم فهو مغاير لما قبله ومن بيانية إن قلنا بجواز تقدم البيان على المبين كما ارتضاه بعضهم وإلا فهو بيان لمقدر يفسره ما بعده وليست زائدة للتعظيم كما قيل (ستة) مفعول تضمنت (وجوه) والوجوه جمع وجه وهو مستقبل كل شيء وما يواجهك منه ويطلق على الحال فيقال فلان أحسن القوم وجها أي حالا وقول الفقهاء الوجه كذا أي القوي ولهذا وجه أي مأخذ والمراد الأول وهو جمع كثرة استعمله المصنف رحمه الله في القلة لأن كلا منهما يقوم مقام الآخر وقد يقال إنه إشارة إلى أنها أكثر من ذلك كما قيل (الأول القسم له عما أخبره به من حاله) بيان لما والمراد حاله التي له في الدنيا والآخرة (فقال والضحى والليل إذا سجى) والضحى جمع ضحوة كقرية وقرى وهي أول النهار وسجى إذا دخل وأظلم وأصله من السجية وهي التغطية لستره بظلمته ولذا قال تعالى وجعلنا الليل لباسا وقلت

للأنس لما اختلينا * وغاب داعي الهموم
في حلة للدياجي * مزرورة بالنجوم

ومنهم من فسره بأقبل أو ذهب وقيل ما معناه سكن والمراد سكون الأصوات أو أصحابه ولكل جهة (أي ورب الضحى) هذا بناء على الظاهر الذي ذهب إليه الفقهاء

(وهذا) أي القسم له على ذلك (من أعظم درجات المبرة) بفتحات وتشديد الراء من البر بمعنى الخير (الثاني) أي من الستة (بيان مكانته عنده) تقدم بيانه (وحظوته لديه) بكسر أوله ويضم على ما في الصحاح والقاموس وبسكون الظاء المعجمة بمعنى المنزلة والفضيلة والمحبة وقيل الحاء مثلثة لان كل اسم على فعلة ولامه واو بعدها هاء التانيث فانه مثلث الفاء وأصله من حظيت المرأة عند زوجها اذا كانت ذات حظ ونصيب منه وفي المثل ان لاحظية فلا الية يقول ان اخطاتك الحظوة فلا تال ان تتودد الى الناس لعلك تدرك بعض ما تريد ذكره الجوهري (لقوله) متعلق بقوله بيان مكانته (ما ودعك ربك) بتشديد الدال وتخفيفها (وما قلى) حذف مفعول قلى لظهوره أو اكتفاء بسبق ذكره مع كونه مراعاة للفاصلة (أي ما تركك) تفسير لودعك (وما أبغضك) تفسير لما قلى على طريق اللف والنشر المرتب والمعنى ما قطعك قطع المودع اذ التوديع مبالغة في الودع أي الترك اذ من ودعك فقد بالغ في تركك وفي الحديث غير مودع ربي أي غير قاطع طاعته ولا مفارق لعبادته وقرأ عروة وابنه هشام ودعك مخففا مع استغناء أكثر العرب عنه بترك فلم ينطق به ماضيا لكن قد جاء في الحديث شر الناس من ودعه الناس اتقاء فحشه وفي الشعر أيضا كقوله (وكان ما قدموا لانفسهم * أعظم نفعا من الذي ودعوا) ومن التشديد قوله (ليت شعري من خليلي ما الذي * رابه في الحب حتى ودعه) ثم قلى يائي وقليل واوي وعلى الاول يقال في مضارعه يقلي ويقلى بالياء والالف الاان الالف شاذ كأبى يأبى

من ان القسم لا يجوز بغير الله وصفاته من المخلوقات فيه تدريما ورد مما خالفاله رب ونحوه والظاهر ان هذا مخصوص باليمين التي تنعقد ويكون لها كفارة وأما ما يذكر للاستعطاف والملاطفة ونحوه من التعظيم فلا يختص بما ذكر كما ورد من قوله صلى الله تعالى عليه وسلم بابي أنت وأمي وامثاله مما لا يحصى ولم ينكره السلف وقيل النهي مخصوص بالناس تعظيما لله وأما الله عز وجل فله ان يقسم بما أراد ونحوه الصلاة فانها لا تجوز لغير النبي صلى الله تعالى عليه وسلم استقلالا على ما فيه وأما هو فله ان يصلي على من أراد كقوله اللهم صل على آل أبي أوفى والضحى صدر النهار كاملا وقيل هو هنا النهار كله وأما الليل فعلى ظاهره وما نقل عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما من انهما وقت الخلوة مع المحبوب أي وحق قربك مناوانه وجه وجيه في تعظيمه صلى الله تعالى عليه وسلم كما نقله الطيبي رحمه الله تعالى غير ظاهر بالنسبة للضحى فتامل (وهذا من أعظم درجات المبرة) أي القسم المذكور والمبرة مصدر ميمي بمعنى البر وهو الاحسان وفعل الخير وكل أمر مرضي وفيه كما قيل استعارة مكنية لجعله المبرة منزلا عاليا له درجات توصل اليه ويجوز ان يكون استعارة تصريحية في الدرجات للمراتب وفي كلام المصنف رحمه الله تعالى نظر لم ينبهوا عليه لانه على تقدير ربك يكون التعظيم الذي يفيده القسم لله فكيف يدل على ما قاله بعض الشراح من انه صلى الله تعالى عليه وسلم أوتي ما لم يؤت أحد من الرتب العالية والدعوة العامة والمعجزات الباهرة ونحوه مما لا يحصى (الثاني بيان مكانته عنده وحظوته لديه) مر مرارا ان المكانة المرتبة المعنوية والحظوة بحاء مهملة مثلثة وكذا كل فعلة لامها واو كما قيل فيه نظر وبعده ظاء معجمة مشالة ويقال فيه حظية بالكسر والياء أيضا من حظي عنده اذا كان له عنده فضل يقربه ويحببه اليه وذكر الشمني وبعض الشراح معترضا على المصنف رحمه الله ان الوجه الاول انما يكون تعظيما اذا انضم للقسم عليه المذكور في هذا الوجه فجعله وجها مستقلا فيه نظر وهو مثل ما قلناه أولا واجيب عنه بان المراد ان في هذا القسم والمقسم عليه لفظين متغايرين أحدهما بيان المكانة والآخر القسم عليها وان توقف أحدهما على الآخر وهذه حزازة لا محصل لها (بقوله ما ودعك ربك وما قلى) الوداع له معنيان في اللغة الترك وتشييع المسافر فان فسر بالثاني هنا على طريق الاستعارة يكون فيه ايماء الى ان الله لم يتركه أصلا فانه معه أينما كان واما الترك لو تصور من جانبه ظاهر مع دلالته بهذا المعنى على الرجوع والتوديع انما يكون لمن يحب ويرجى عوده واليه أشار الرازجاني بقوله

اذا رأيت الوداع فاصبر * ولا يهمنك البعاد

وانتظر العود عن قريب * فان قلب الوداع عادوا

فقوله وما قلى مؤكد له وهذا الامر من ذكره مع غاية لطفه وكلهم فسره بالمعنى الاول لما مر أو اصيغة التفعيل تفيد زيادة المعنى والمبالغة فيه فيقتضي الانقطاع التام قالوا ان المبالغة في النفي لا في المنفي فتركه لحكم عليه لا لضرره بهجره أولا في القيد والمقيد وقرأ عروة بن هشام ما ودعك بالتخفيف وورد في الحديث شر الناس من ودعه الناس لاتقاء فحشه وورد في الشعر كقوله

فكان ما قدموا لانفسهم * أعظم نفعا من الذي ودعوا

ولذا قال في المصباح بهذا علم ان قولهم في علم التصريف أماتوا ماضي يدع ويذر خطأ وجعله استعارة من الوديعة تعسف وقوله (أي ما تركك وما أبغضك

(وقيل ماأهملك) أى ماتركك هملا (بعدان اصطفاك) أى كلاقال قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ماخلاك ولاقطعك منذ اصطفاك ورفعك (الثالث) أى من الستة (قوله) أى عزقائلا (وللآخرة) أى والدار الآخرة (خيرلك من الاولى) أى من الدنيا أو الحال الآخرة خيرلك من الاولى ايماء الى أنه دائما فى الترقى الى الدرجات العلى (قال ابن اسحق) تقدم انه امام أهل المغازى (أى مالك) بفتح ميم وهمز ممدود ورفع لام أى ماتاول اليه ومصيرك (فى مرجعك) أى معادك باقيا خالصا من الشوائب مما أعدلك من المراتب (عند الله) فى العقبى (أعظم مما أعطاك من كرامة الدنيا) و يروى كما فى بعض النسخ مالك على ان ما موصول والعائد محذوف يعنى الذى اعطاكه فى الأخرى خيرلك من الذى اعطاكه فى الاولى (وقال سهل أى ماادخرت) بتشديد الدال المهملة وقيل بالمعجمة من الذخيرة وهى الشئ النفيس يخبا للنوائب وذاله معجمة ويقال ادخرته على افتعل يهمل ويعجم والمعنى واحد وقيل بالمعجمة مايكون للآخرة وبالمهملة مايكون للدنيا ونسب الى أئمة اللغة وهى غير مشهورة ودلالة قوله تعالى تدخرون فى بيوتكم عليه غير صحيحة والمعنى الذى خباته (لك من الشفاعة) أى العظمى أو الخاصة بهذه الامة (والمقام المحمود) أى المرتبة العلية الشاملة للشفاعة الكاملة لجميع الافراد البشرية (خيرلك مما أعطيتك فى الدنيا) أى من الرفعة وعلو المرتبة ونفاذ الحكومة ويؤيده ماورد فى الحديث القدسى والكلام الانسى أعددت لعبادى الصالحين مالاعين رأت ولااذن سمعت ولاخطر على قلب بشر ويجوز أن يراد بالمقام المحمود كما هو ظاهر الآية كل مقام يتضمن كرامة وان كان الاكثرون ووجوه على انه مقام الشفاعة الكبرى الذى يحمده فيه الاولون والآخرون بشهادة حديث هو المقام الذى أشفع فيه لامتى أى خصوصا وسائر الامم عموما (الرابع) أى من الستة (قوله ولسوف) خبر مبتدأ محذوف دخله بعد حذفه لام الابتداء لتأكيد مضمون الجملة أى ولانت سوف (يعطيك ربك) أى مايرضيك وتقر به عينك (فترضى) أى غاية الرضى والجمع بين حرفى التأكيد والتأخير للايماء بان العطاء كائن لامحالة وفى مصحف ابن مسعود ولسيعطيك ثم أكثر المفسرين على ان هذا العطاء فى الاخرى وعن بعض العلماء انه اشارة الى فتح مكة فى الدنيا (وهذه الآية) أى ولسوف وفى بعض النسخ وهذه آية (جامعة لوجوه الكرامة وأنواع السعادة) أى ماأعطاه فى الدنيا وماوعده فى العقبى

وقيل ماأهملك بعدان اصطفاك) تفسير للقلى واختار الاول لمناسبته لماقبله وان كان المشهور الثانى والاهمال عدم التصديق مع الترك فهو ترك مخصوص وقوله بعدان اصطفاك أى اختارك وقربك بيان للواقع و يحتمل أن يكون من معناه الوضعى كالهجران فانه انما يكون بعد المودة وهذا مروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وحذف مفعول قلى اختصارا للعلم به وليجرى على نهج الفواصل التى بعده أو لئلا يخاطبه بما يدل على البعض وقيل الاحسن انه حذف ليعم نفسه وأصحابه وأمته فكانه قال له صلى الله تعالى عليه وسلم ماهجرتك لبغض وسترى منزلتك (الثالث قوله تعالى وللآخرة خيرلك من الاولى قال ابن اسحق) صاحب المغازى وقد تقدمت ترجمته (أى مالك فى مرجعك) ما موصولة وروى مآلك بمد الهمزة أى مايؤول اليه حالك ومرجعك اسم زمان أو مصدر فى تقدير وقت رجوعك من الدنيا الى الله فى الآخرة (عند الله) أى فى دار كرامته وجنته وهو متعلق بمالك أو بأعظم ولام للآخرة لام ابتداء مؤكدة أو جواب قسم ففيه تعظيم آخر أى كما أعطاك فى الدنيا يعطيك فى الآخرة ماهو أعلى وأكثر فلا تبال بما قالوه فهو وعد فيه تسلية بعد مانفى عنه مايكره فهو تحلية بعد تخلية (أعظم مما أعطاك من كرامة الدنيا) من تقريبك واعزازك ونصرك وقرة عينك بما تريد (وقال سهل) التسترى السابق ترجمته فى تفسيره (أى ماذخرت لك ٤) بالذال والخاء المعجمتين أى ماأعددته لك من الذخيرة وهو مايخبؤه الانسان من النفائس ومن الغريب ماقيل هنا ان الذخر بالمعجمة مايكون فى الآخرة وبالمهملة مايكون فى الدنيا قال التلمسانى وهذا غلط أوقعه فيه قولهم تدخرون (من الشفاعة) بل الشفاعات التى ستاتى (والمقام المحمود) هو مقام الشفاعة العظمى الذى يحمده فيه الاولون والآخرون أو كل مقام يتضمن كرامة محمودة وعلى هذا يكون بمعنى ماقبله وقيل المراد ان أحوالك الآتية خير من السابقة فى الدارين وقيل الدار الآخرة خير فى المحبة والوصلة (الرابع قوله) أى مايقوله مما يتضمن ذكره أو هو بالمعنى المصدرى (ولسوف يعطيك ربك فترضى) وقرأ ابن مسعود رضى الله عنه ولسيعطيك واللام للتاكيد وقال الزمخشرى انها لام الابتداء وهى لاتدخل الا على المبتدأ تقديرها ولانت ورده ابن الحاجب بانه تكلف لما فيه من الحذف وخلع اللام عن معنى الحال لئلا يجتمع دليلان حال واستقبال وليست اللام للقسم لانها لاتدخل على المضارع الامؤكدا بالنون (وهذه آية جامعة لوجوه الكرامة وأنواع السعادة) حيث أجله ووكله الى رضاه وهذا غاية الاحسان فاذا قلت كلما ترضاه وتريده فقد عممت وما بلغا

(٤) خيرلك مما أعطيتك فى الدنيا نسخة

(وشـتات الانعـام) بكسر الهمزة من أنعم اذا زاد على الاحسان بفتحتين أى متفرقات أنواع الا كرام ممـا لا يعلم كنهه أحد من الانام (فى الدارين والزيادة) بالجر أى وجامعـة للزيادة على ما أعطاه فى الدنيا ووعـده فى العقبى من أنواع الـكرامة والدرجات العلى (قال ابن اسحق) تقدم ذكره وقال التلمسانى وصاحب السير والمقدم فيها والمشهور بالمغازى والتاريخ توفى ببغداد سنة احدى وخمسين ومائة وكان بينه وبين مالك كلام ومحاورة وذلك ان الأئمـة اتفـقوا على ان مالـكا عربى صريح النسب من ذى أصبح حميرى يمـانى وذهب ابن اسحق الى أنه من الموالى وقوله شاذ رواة الائمة والله سـبحانه وتعالى أعلم والحاصـل انه قال فى سيرته (يرضـيه) أى الله سبحانه وتعالى نبيه عليه الصـلاة والسلام (بالفلج) وهو على ما فى الصحاح بفتح الفاء واللام وبالجيم والاسم بضم الفاء وسكون اللام أى الفوز باحبابه والظفر باعدائه ومنـه قوله صـلى الله تعالى عليـه وسـلم فى وصف القـرآن من قال به صدق ومن حكم به عدل ومن خاصم به فلج قال ابن هشام معناه ظهـر وغلب وظفر والحاصل ان فى الاصـل نسختين مضبوطتين وفى المثـل من يات الحـكم وحـده يفلج أى يظهـر عـلى خصـمه (فى الدنيا) كيـوم بدر وقريظـة والنضـير وفتح مكة (والثـواب فى الآخرة) أى ممـا أخفى له من قرة أعين وهـذا القول من ابن اسحق ليس كقول سهل بل هو قول ثالث يشير الى أن الآية مقتضية رضاه فى الدنيا والعقبى معا قيـل وهو الصواب فى معنى الآية (وقيل يعطيه الحوض) أى المورود (والشفاعة) أى المقام المحمود وهو داخل فيما قبله بلا مراو كل الصـيد فى جوف الفرا وفسر عطاء وغيره الحوض بالخير الـكثير تمسكا بمـا فى رواية البخارى ومسلم أى عن أنس بن مالك بينا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى المسجد اغفى اغفاء ثم رفع رأسه فقال نزلت على آنفا سورة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم انا أعطيناك الـكوثر فصل لربك وانحر ان شانئك هو الابتر ثم قال أتدرون ما الـكوثر هو نهر وعدنيه ربى عليـه خير كثير هو حوض ترده أمتى يوم القيامة آنيته عدد نجوم السماء وفى رواية لهما الـكوثر نهر فى الجنة عليه حوضى أى يمد ماؤه منه وفى مسلم ماؤه أشـد بياضا من اللبن وأحلى من العسل يغت فيه ميزابان يمدانه من الجنـة أحدهما من ذهب والآخر من ورق ويغت بغين معجمة مضمومة فمثناة فوقية مشـددة ومعناه يجرى جريا متتابعا له صوت (وروى عن بعض آل النبى صلى الله تعالى عليـه وسلم) هو على بن أبى طالب كرم الله وجهه على ما ذكره

ووجوه بمعنى ضروب أو استعارة من الوجـه المعروف وهذه فقرة مع قوله (وشـتات الانعام فى الدارين والزيادة) والشتات مصـدر بمعنى التفرق أريد به متفرقاته ويعنى به انه تجمع فيك كل نوع من أنواع النعم التى أنعم الله بها على غـيرك ممن اختاره واصطفاه والزيادة على ذلك بما خصـه به أو الزيادة على النعم المعروفة بلقائه ورضوانه كما قال الله تعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة أو الاول ما فى مقابلة عمله وهذا غيره أو الاول ما وعده وأعطاه وهـذا ما لم يخطر بباله ممـا سيعطيه وما قيل من انه عطف تفسـير للانعام لا وجه له (قال ابن اسحق يرضيه بالفلج فى الدنيا) الفلج بفتح الفاء وبالجيم وبضمها وسكون اللام الفوز والظفر بالاعـداء ويكون بمعـنى مطلق الفوز وبفتح الفاء وسكون اللام أيضا فالمراد انه يفوز فى الدنيا وينصره الله ويحميه (والثواب فى الآخرة) الثواب الجزاء بالخير على فعـل الخير فى الآخرة هذا هو المراد وان كان حقيقته الاصليـة مطلق الجزاء خـيرا وشرا دنيا وآخرة وهـذا كالوجـه السابق على بعض الاحتمالات السالفة فان جعلت الآية شاملة لـكل ما أعطاه الله من كمال النفس وظهور الامر وما ادخر له ممـا لا يعرف كنهه سواء كان أيضا قريبا مما قبله وقيـل انه اشارة الى فتح مكة فى الدنيا (وقيـل يعطيه الحوض والشفاعة) الحوض ما يحفر مع بناء أو بدونه ليجعل فيه المـاء للحاجة ووقع ذكر هذا الحوض فى حديث مسلم بينا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسـلم فى المسجد أغفا اغفاءة ثم رفع رأسه وقال نزلت على آنفا سورة وتلى سورة الـكوثر ثم قال أتدرون ما الـكوثر هو نهر وعـدنيه ربى عليـه خير كثير هو حوض ترده أمتى يوم القيامة الى آخره وقوله هو حوض ان كان الضمير للنهر فالحوض هو الـكوثر وان كان للخير الـكثير فهو غيره كما ورد فى حديث آخر الـكوثر نهر فى الجنة عليه حوض يمده وهـذا التفسـير روى عن على وابن عباس والحسن رضى الله تعالى عنهم قيل ان أريد انهما مرادان ولو مع الغير فلا كلام وان أريد التخصيص فلابد من قرينة وفى مسلم انه صـلى الله تعالى عليه وسـلم قال أمتى وبكى فقال الله تعالى لجـبريل قل له سنرضـيك فى أمتك ولا نسوءك فيشفع حـتى يقول رب رضيت أقول ان أراد الاعتراض فلا وجه له لان اللفظ متحمل له والنقل مساعد فـلا مانع من حمله عليه (وروى عن بعض آل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) هو على رضى الله تعالى عنه قال السيوطى أخرجه أبو نعيم فى الدلائل موقوفا وأخرجه الديلمى فى مسـند الفردوس من حديثه مرفوعا وقال البرهان الحلبى روى انه الحسن ابن محمـد بن الحنفية وقال الذهبى ان أول من تـكلم فى الارجاء زر بن عبـد الله بن زرارة الهمـدانى ورواه الثعلبى مسـندا وصاحب المعالم عن محمـد بن على ورواه ابن أبى حاتم وابن جرير عن ابن عباس رضى الله

الثعلبي في تفسيره (انه قال ليس آية في القرآن أرجى منها) أي من آية ولسوف يعطيك ربك فترضى ثم بين وجهه بقوله (ولا يرضى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أن يدخل أحد من أمته النار) ورواه عنه أيضا أبو نعيم في الحلية موقوفا والديلمي في مسند الفردوس مرفوعا فبطل بهذا قول الحلبي قد ظهر لي والله تعالى أعلم من هذا الرجل هو الحسن بن محمد ابن الحنفية وذلك انه أول المرجئة وله فيه تصنيف انتهى وروى انه لما نزلت قال اذن لا أرضى أن يكون واحد من أمتي في النار قال الدلجي وهذا ان صح فيشكل بما ورد مؤذنا بدخول بعض عصاتهم فيها ومن ثم قال ابن عبد السلام وغيره لا يجوز الدعاء لجميع المؤمنين بمغفرة جميع ذنوبهم اذ لابد من دخول بعض منهم فيه ويعارضه رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات انتهى ولا يخفى ان المعارضة مدفوعة اذ ليس في الآية لفظ الجميع الشامل للافراد كلها والاشكال السابق أيضا مدفوع بانه صلى الله تعالى عليه وسلم لا يرضى رضى كاملا الا اذا وقع شفاعته لجميع أمته كاملا وهذا أمر في المستقبل فلا ينافي دخول بعض الامة النار في الماضي فتامل هذا وفي حديث الترمذي عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال ما في القرآن آية أحب الي من قوله سبحانه وتعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء وقيل أرجى آية في القرآن لاهل التوحيد قوله تعالى وهل يجازى الا الكفور وقيل قوله تعالى انا قد أوحي الينا ان العذاب على من كذب وتولى وقيل قوله تعالى وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير وقيل قل كل يعمل على شاكلته وقيل قوله تعالى قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الآية وقيل قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الآية ووجهه انه سبحانه وتعالى أمرنا بالاحتياط لدنيانا الفانية التي نهانا عن الاغترار بها والركون اليها والاعتناء بها وأمرنا بالاعراض عنها والزهادة فيها فاذا لطف بنا فيها بما أرشدنا الله اليه مع حقارتها في طول آية من كلامه فكيف بالدار الباقية دار الخلد في النعيم والالتذاذ الذي لا يساوى بل لا يداني بالنظر الى وجهه الكريم وفيه قول آخر وهو ما في صحيح مسلم من حديث الافك فانزل الله تعالى ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى الى قوله تعالى وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم قال حبان بن موسى قال عبد الله بن المبارك هذه أرجى آية في كتاب الله عز وجل انتهى وقد أخرج الحاكم في مستدركه عن ابن عباس رضي الله عنهما ان أرجى آية في القرآن لهذه الامة قوله تعالى ولكن ليطمئن قلبي هذا واخوف آية في القرآن قيل ويحذركم الله نفسه وقيل سنفرغ لكم أيها الثقلان وقيل قوله تعالى فاين تذهبون وقيل ان بطش ربك لشديد وقيل قوله تعالى أم حسب الذين اجترحوا السيئات وعن أبي حنيفة واتقوا النار التي أعدت للكافرين وعن الشافعي انها قوله تعالى ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات انتهى واجتمعت الآيات سبعة في الخوف وعشرة في الرجاء ايماء الى أنه سبقت رحمته غضبه وغلب رجاء ثوابه خوف عقابه

عنهما وهذه طرق تعضده (انه قال ليس آية في القرآن أرجى منها) أي من قوله تعالى ولسوف يعطيك الى آخره وارجى أفعل تفضيل من الرجاء بمعناه أكثر رجاء والمعنى ان هذه الآية الكريمة أكثر رجاء من سائر آيات الوعد وهو مجاز أصله ليس سامع للقرآن وآيات الوعد أرجى من سامع هذه الآية فجعل الآية نفسها ترجو مبالغة وهو من بليغ الكلام (تنبيه) اختلف في أرجى آية في القرآن فقيل هذه الآية وقيل وهل يجازى الا الكفور وقيل انا قد أوحي الينا ان العذاب على من كذب وتولى وقيل وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير وقيل قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم الى آخره وقيل يا أيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين لانه احتاط لدنيانا فكيف لا يحتاط لآخرتنا وقيل ولا يأتل أولوا الفضل الى آخره وقيل ولكن ليطمئن قلبي وأخوف آية ويحذركم الله نفسه وقيل سنفرغ لكم أيها الثقلان وقيل فاين تذهبون وقيل غير ذلك (ولا يرضى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أن يدخل أحد من أمته النار) وقد استشكل هذا الحديث بان دخول بعض العصاة النار أمر مقدر فلو لم يكن من رضاه لزم الخلف في الوعد ولذا قال القرافي رحمه الله لا يجوز الدعاء بالمغفرة لجميع المؤمنين وان رد بانه ورد في الآثار وفي قوله تعالى رب اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين والمؤمنات وبان عدم الخلود مغفرة أيضا واعلم انه أورد هنا ان مقام الرضا بما يريده الله والتسليم مقام عظيم للسالكين فكيف لا يكون لسيد المرسلين ولذا قال صاحب المواهب ما يغتر به بعض الجهال من انه صلى الله تعالى عليه وسلم لا يرضى واحد من أمته في النار أو أن يدخلها أحد من أمته من غرور الشيطان فانه صلى الله تعالى عليه وسلم يرضى بما يرضى به ربه وهو أعرف بحقه من أن يقول لا أرضى الى آخره ورد أيضا بانه جراءة وسوء أدب والوجه توجيه الحديث لثبوت رواياته وان ضعفت ولا يبعد أن يكون عذاب العصاة لعصيانهم غير مرضي لله تعالى فلا يرضى به رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضا لان رضاه على وفق رضى ربه والرضى بالقضاء قد يكون مذموما فاذا لم يرض بعصيانهم ودخولهم النار لعدم رضى ربه به يدخلهم

(الخامس) أى من الستة (ماعده الله تعالى عليه) أى ذكرما (من نعمه) أى نعمائه وهو أنسب الى قوله (وقرره من آلائه) وهما مترادفان على ماقيل والاظهران وقت اجتماعهما يرادبهما نعمه الظاهرة والباطنة واختلف فى مفرد الآلاء فقيل الى بالفتح والتنوين كرحى وقيل بالكسر والتنوين كمعى وقيل بفتحها وسكون اللام وبالواو كدلو وقيل بكسرها وسكون اللام وبالياء كنحى وقيل بالفتح وترك التنوين وقوله (قبله) بكسر القاف وفتح الموحدة أى عنده وجهته ونحوه (فى بقية السورة) من ألم يجدك يتيما الى فاما اليتيم تلويحا بانه تعالى كما أحسن اليه سابقا يحسن اليه لاحقا كما قيل

* (لقد أحسن الله فيما مضى كذلك يحسن فيما بقى) * فما عدوقرره ورداله على خلاف ترتيب السورة ما أشار اليه بقوله (من هدايته) مصدر مضاف الى فاعله أى من هداية الله اياه (الى ما هداه له) أى المستفادة بقوله تعالى ووجدك ضالا أى جاهلا بتفاصيل أحكام الشريعة فهدى أى فهداك اليها ودلك عليها (أو هداية الناس به) أى فهدى الناس بك زيادة على هدايتك فى نفسك فجمع الله له بين الهداية القاصرة والمتعدية المعبر عنهما بالكمال والتكميل اللذين يصل بهما العبد الى مقام التعظيم ومرتبة التبجيل كما ورد عن عيسى عليه السلام من تعلم وعمل وعلم يدعى فى الملكوت عظيما (على اختلاف التفاسير) أى فى هدى من التقادير على ما أشرنا اليها فى ضمن التحارير فهدى اسم بمعنى هداه الله أو بمعنى

 هدى به الناس (ولا مال له) جملة حالية أو التقدير ومن كونه لا مال له (فاغناه الله بما آتاه) أى أعطاه من مال خديجة أو من الغنائم (أو بما جعله فى قلبه من القناعة والغنى) أى غنى القلب كما أشار اليه صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله ليس الغنى عن كثرة العرض انما الغنى غنى النفس وبقوله القناعة كنز لا ينفد وهو من قنع بكسر النون فى الماضى قناعة اذا رضى بما أعطاه الله تعالى وبفتحه قنوعا اذا سأل مما سواه ومنه القانع والمعتر أى السائل تصريحا والمعترض تلويحا وما أحسن ما قال من قال من أهل الحال
* (العبد حران قنع * والحر عبد ان طمع * فاقنع ولا تطمع * فما شئ أضر من الطمع) * وهذا المعنى مستفاد من قوله ووجدك عائلا أى فقيرا أو محتاجا الى الخلق فاغناك عنهم بغناه بل أحوج اليك كل من سواه كما أشار اليه بقوله آدم ومن دونه تحت لوائى يوم القيامة

الله الجنة ولو بالآخرة للوعد به والرضى بفعل الله انما يجب من حيث انه فعل للمولى الكريم الحكيم لا من حيث هو فى ذاته وهو المنفى فى الحديث الثانى فهو صلى الله تعالى عليه وسلم لا يرضى بدخول أحد من أمته النار من حيث هو فى ذاته لا من حيث انه مراد الله فلا اشكال أو الرضا مجاز عن ترك الطلب أى لا أترك طلب العفو واحد من أمتى فى النار ولا يلزم منه عدم الرضاء حقيقة وكم طلب صلى الله تعالى عليه وسلم لامته أمورا وهو فى مقام الرضاء دائما واذا وعد بالارضاء فلا بد من ادخالهم الجنة لا ترك الطلب فافهمه فانه دقيق فلا ينبغى أن يجترئ أحد على ابطال الروايات باوهام الشبهات وهذا محصل ما فى شرح المواقف من أن للفكر نسبة الى الله باعتبار فاعليته له وايجاده ونسبته الى العبد باعتبار محليته واتصافه به وانكاره باعتبار النسبة الثانية والرضى باعتبار النسبة الاولى وفى بعض الشروح يجوز أن يكون المراد نفى الرضى بالخلود على نهج المبالغة والاستدلال ويجوز أن يكون المراد ولا يرضى أن يعصى الله أحد من أمته فعبر بالمسبب عن السبب الا أن سياق الكلام يأباه وقيل مقام الرضاء انما هو فى حق نفسه وهو بعيد (الخامس ماعده الله عليه من نعمه وقرره من آلائه) النعم والآلاء بمعنى وعبر فى النعم بالعد وفى الآلاء بالتقرير أى التحقيق موافقة لقوله تعالى وان تعدوا نعمة الله وفى قوله تعالى فباى آلاء ربكما تكذبان فانظر حسن مقاصده وفى واحدة الآلاء لغات منها الى بفتح الهمزة والكسر مع القصر والى والى بسكون اللام مع فتح الهمزة وكسرها والواى فى بيان عدماعده (قبله) بكسر القاف وفتح الباء الموحدة بزنة عنب أى عنده وفى جهته ويقال ليس لى بكذا قبل أى طاقة وقوله (فى بقية السورة) متعلق بعد وهو من قوله تعالى ألم يجدك يتيما الى قوله تعالى فاما اليتيم الى آخره تنبيها على انه كما أحسن الله فيما مضى كذلك يحسن فيما بقى ثم أشار اليه بقوله (من هدايته الى ما هداه له أو هداية الناس به على اختلاف التفاسير) بيان لما هداه له عام شامل للقولين فى تفسير قوله تعالى فهدى أى فهداك أو هدى الناس بك فهدايته مصدر مضاف للفاعل أو للمفعول أى هداك للشريعة ومعالم النبوة والقرآن وتعليم مالم تعلم أو الطريق التى ضل فيها فى طريق الشام أو فى شعاب مكة فى صغره صلى الله تعالى عليه وسلم وكلها أقوال مذكورة فى كتب التفسير (ولا مال له فاغناه بما آتاه) قيل انه معطوف على مجرور من بتقدير انه لا مال الى آخره ولو جعلت حالا جاز ووجد فى الآية بمعنى علم وآتاه بالمد بمعنى أعطاه ولو قصرت على معنى أتاه من عند الله مما أغناه الله به كمال خديجة وأبى بكر رضى الله تعالى عنهما ومال الغنائم بل بما فى خزائن الغيب الذى لو طلب ظهوره ملأ الارض لجاز وقيل عياله فى الآية الذين اتبعوه من أمته اذ أغناهم الله به صلى الله تعالى عليه وسلم (أو بما جعله فى قلبه من القناعة والغناء) القناعة فى اللغة الرضاء بما قسم الله أو الاكتفاء بقدر الضرورة والرضى به كما قيل

ما كل ما فوق البسيطة كافيا * واذا قنعت فكل شئ كافى

المهملة أي رق له ورحمه وعطف (عليه عمه) وأذهب عنه غمه وهمه حتى قال

*(والله لن يصلوا اليك بجمعهم
حتى أوسد في التراب دفينا)

*(فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة
فابشر وقر بذاك منك عيونا)*

وفي نسخة عمه منصوب ولا يستقيم الا اذا كان الدال مشددا (وآواه اليه) وأحسن في تربيته عليه حيث ضمه الى نفسه في جملة حاله وجعله من عمدة عياله وآوى متعد ممدودا أو مقصورا لكن التعدية في المد أكثر كما ان اللزوم في القصر أشهر (وقيل آواه الله) أي ملحوظا بعين عنايته وكفايته محفوظا في ظل حمايته ورعايته وفي نسخة آواه الى الله أي أغناه بذاته عما سواه وروى آوى الى الله مقصورا ومعناه لجأ اليه وتوكل عليه وأسلم الامر لديه وهذه المعاني الاخيرة أنسب الى ما حكى عن جعفر الصادق أنه سئل لم أفرد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من أبويه فكان يتيما في صغره فقال لئلا يكون عليه حق للمخلوق انتهى ويمكن أن يقال لئلا يكون له تعلق بغير الحق فان الاستئناس بالناس من علامة الافلاس أو لئلا يتعلق قلبه الشريف بايمانهما لو وجدهما غير مسلمين في أيامهما وليس الخبر كالمعاينة في تحققهما

ثم

والقناعة كنز لا يفنى والغنى غنى النفس كما ورد في الحديث وقد رفع الله قدره صلى الله تعالى عليه وسلم عن الاحتياج لخلقه وقد خيره بين أن يكون نبيا ملكا أو نبيا عبدا فاختار العبودية وقيل المراد غنى الظاهر والباطن وهو تكلف لا حاجة اليه (ويتيما فحدب عليه عمه وآواه اليه) أي وجده صلى الله تعالى عليه وسلم يتيما لموت أبيه قبل ولادته أو بعدها بمدة يسيرة واليتيم الصغير الذي لا أب له ولا يتم بعد البلوغ قيل واليتيم في غير الانسان من الام وفي الطير منهما وحدب بفتح الحاء المهملة ودال مهملة مكسورة يليها موحدة واشتهر بفتح الدال وكذا وقع في بعض النسخ الا أنهم قالوا انه غلط وهو من حدبة الظهر والمراد به العطف والشفقة وعمه فاعله وجوز بعضهم نصبه أي عطف الله عليه عمه وليس بغلط كما قيل والمراد به أبو طالب واسمه عبد مناف وحنوه على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ومحبته له أمر مشهور في السير وكان يعظمه ويعرف نبوته ولكن لم يوفقه الله للاسلام وفي الامتناع ان فيه حكمة خفية من الله لانه عظيم قريش لا يمكن أحدا منهم أن يتعدى على ما في جواره فكان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في بدء أمره في كنف حمايته يذبهم عنه كما قال

والله لن يصلوا اليك بجمعهم * حتى أوسد في التراب دفينا

فلو أسلم لم يكن له ذمة عندهم ولذا لم يكن له صلى الله تعالى عليه وسلم بعد موته بد من الهجرة ومن الغريب ما نقله بعضهم من ان الله أحياه له صلى الله تعالى عليه وسلم فآمن به كأبويه وأظنه من افتراء الشيعة وقوله وآواه بالمد متعد أي ضمه اليه لتربيته وحمايته وآوى بالقصر بمعنى نزل غير صحيح هنا والضمير للعم وأما جده عبد المطلب فمات في صغره وعدم احتياجه قبل البعثة لمن يحميه فما قيل من انه انما لم يتعرض لعطف جده عليه أولا لانه كالاب فكأنه لا يتم معه أولان عطفه أمر عادي لم ينفعه حين ظهور الاعداء ونحوه والاوجه التعميم خطأ منه (وقيل آواه اليه) أي قيل في تفسير هذه الآية أن معناها آواه الله أي ضمه الى نفسه ولم يحوجه لحماية أحد وايوائه وهذا بمعنى ما حكى عن جعفر الصادق انه سئل لم كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يتيما في صغره فقال لئلا يكون عليه حق لمخلوق وقد روى هذا عن الحسن أيضا وقيل فيه ان عليه في صغره حقا لغيرهما قطعا كأبي طالب وحق أبويه أولى وأسهل من حق غيرهما فالوجه أن يقال في حكمته أن فيه تسلية ليتامى أمته وان فيه مع أبويه توطئة لشكر نعمائه من عطفهم عليه ولا وجود لابويه ولا يخفى أن حق الابوين عظيم وتربيتهما وشفقتهما ليست كغيرهما فلو كانا حيين معه لكان ينسب اليهما ايواؤه صلى الله تعالى عليه وسلم فلما فقدا علم عناية الله به وآواه روي بالمد والقصر ومعناه بالمد ضمه اليه كما مر وهو أولى وأظهر وبالقصر من آوى الى منزله يأوي من باب ضرب أويا اقام قال في المصباح وربما عدي بنفسه فقيل آوى منزله وأنكر بعضهم تعديه وقال الازهري انه لغة فصيحة وقرئ بها في الشواذ وهو غير ظاهر هنا ولذا قيل انه بمعنى رحمه ورباه أو جعل له مأوى عنده وفاعل أوى ضمير مستتر يعود الى الله كضمير اليه وفي نسخة وقيل آواه الله تعالى وروى آوى الى الله أي لجأ اليه وكان الظاهر أن يقول آواه الله اليه قيل وانما عدل عنه لما ذكر ولم يقل وآواه اليه لئلا يتوهم عود الضمير لعمه فيكون بمعنى ما قبله * وههنا أمران * الاول أن المصنف رحمه الله غير ترتيب النص فذكر الهداية ثم الاغناء ثم الايواء وأبقى الاولين على ترتيبهما فيه وقدم الثالث على أخويه وقد اعترض عليه بعض الشراح ووجه ما في النظم انه قدم عدم تركه وقلاه اهتماما بالرد لما قالوه في سبب النزول لانه جواب لهم ثم أردفه بانه في الآخرة أيضا غير متروك ولا مقلي وفيه ارغام لانوفهم وجواب أقوى من الاول ثم قال انه سيعطيه فيما يأتي كلما يحب ويرضى في الدنيا والآخرة

ثم كر على ذلك التفصيل حاله المؤيدة لجوابه فقال انه آواه فى صغره ويتمه وعدم الغنى (٢) له فكيف يتركه بعد كبره وقدرته فقال ألم يجدك يتيما فآوى فهذا ناظر لقوله ماودعك ربك وماقلى وعقبه بانه أبعده عن الضلال وهداه وهدى به لسبيل الرشاد فمن كان هذه حال دنياه فحال آخرته كذلك وهذا ناظر لقوله تعالى (وللآخرة خير الى آخره) وثلث بانه أغناه عمن سواه مع فاقته وعيلته فهو ناظر لقوله تعالى ولسوف الى آخره ففيه شبه اللف والنشر على أتم نظام وكذا ما بعده كما سيأتى وهذا هو مقتضى المقام حال النزول والمصنف لماذكر نعم الله عليه وعدها قدم أعظمها وهو الهداية التى فيها سعادة الدارين ثم الغنى فى اليد والقلب الذى هو أعظم النعم الدنيوية بعد الهداية لسبيل الرشاد وهو لا يكون الا بهدايته ثم الايواء الذى هو بمعناه الظاهر دون هذين فغير الترتيب وأتى بترتيب متسق أقرب الى العقول الآن اشارة الى أن النكات لاتتزاحم وأن الحسن يحسن فى كل أناس وقيل انه قدم الثالث على اخويه لتقدمه بتفسيره الاول فى الواقع وتأخره فى كلام المصنف لتأخره عنهما فى النظم تأخر ثانيهما عن أولهما فيه مع ان المقام مقام بيان عظم شانه فاللائق تقديم الاعظم فالاعظم وقيل الاظهر أن الآية وردت فى مقام الاستدلال كماذكره فقدم الاظهر فالاظهر فان اليتم والغنى معلومان بالمشاهدة وقد اختار صلى الله تعالى عليه وسلم الفقر والقناعة وفى غناه خفاء بالنسبة لتعليم الشرائع والمصنف رحمه الله تعالى قدم الاشد تعظيما وآثر هذا الاسلوب اشارة لأثر فيه والى أن الانسب فى مقام التعظيم تقديم الاعلى كما فى البسملة وهذه أمور متكلفة لاتنزل ساحة التنزيل فالوجه ماقدمناه * الثانى ان فى قوله آواه الله على احدى النسخ نكتة وهو انه لو قال آواه اليه لزم تعدى الفعل بالواسطة الى ضميرهو عين ضمير الفاعل وهو ممنوع عند النحاة فى غير أفعال القلوب وعدم وفقد كماذكروه فى نحو قوله تعالى فصرهن اليك فيحتاج لتقدير مضاف ظاهر فلذا عدل المصنف عنه ولنا فيه كلام فصلناه فى كتاب السوانح (وقيل يتيما لامثل لك) وفى نسخة لامثال لك (فآواك اليه) أى قيل فى معنى يتيما انه لانظير له من قولهم درة يتيمة أى لانظير لها وتسمى فريدة أيضا لانفرادها عن نظائرها أى عملك عديم النظير لانه كان واحدا فى قريش بل فى جميع الخلق قال التجانى وهو قول ضعيف حكاه صاحب المشرع الروى وجعله فى الكشاف من بدع التفاسير وفيه ماتقدم من تعديه لضمير الفاعل ومعنى آواك اليه كما ر اصطفاك أو ضمك الى عملك ونحوه ففى مرجع ضمير اليه وجهان وفى نسخة لامال لك قيل ويؤيده مافى المعالم من تفسيره بالم يجدك يتيما فقيرا حين مات أبواك واورد عليه انه سيصرح به فلا حاجة لذكره مع أن اليتم لايدل على الفقر وأجيب بانه اعتبر الفقر فيه بدلالة الواقع وتنكير يتيما لان غنى اليتيم مرغب فى رعايته وكفالته فالمنة فى ضم اليتيم بدون المرغب أتم والنعمة أعظم وأعاد ذكره ليمن عليه بازالته فذكر الاول بالتبعية والثانى لذاته (وقيل المعنى ألم يجدك فهدى بك ضالا وأغنى بك عائلا وآوى بك يتيما) حكاه بقيل اشارة الى ضعفه والحامل عليه ان وصف النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بالضلال بحسب معناه المشهور غير ظاهر فلذا صرفه عن ظاهره ولذا حمله بعضهم على فقده فى صغره أو خطوه فى الطريق فى سفره كمامر وقال التجانى هذا القول لايساعده اعراب ولا يصحبه صواب فالاولى تركه لمافيه من تقديم المنصوب على عامله والفاء العاطفة لا الزائدة كما فى قوله تعالى وربك فكبر مع وجود عامل مقدم ملاصق وهو مما لاتجوزه النحاة ولو جعل وجد متعدبا لاثنين حذف أحدهما أى وجدك رحيما فآوى بك يتيما ومهديا فهدى بك ضالا لكان أقرب وأكثر النحاة أبوه أيضا وقيل فى توجيهه

(٢) وعدم المعين نسخة

(وقيل يتيما لامثال لك) أى لانظير يماثلك وهذا مراد من قال هو درة يتيمة عصماء أى محفوظة ممنوعة معصومة عن أن يكون لها نظير فى الصورة والسيرة وفى الكشاف أنه من بدع التفاسير ومعناه ألم يجدك واحدا فى قريش عديم النظير (فآواك اليه) والوجود فى السورة بمعنى العلم فيتيما وضالا وعائلا مفاعيل ثوانى له أو بمعنى المصادفة فهى أحوال من المفعول الاول ولعل وجه تقديم الهداية فى كلام المصنف ايماء الى رعاية العناية واشارة الى أن الواو لاتفيد الترتيب فى العبارة وأما الترتيب الذكرى فى السورة فهو على وفق الوجود الوقوعى حيث يوجد اليتيم قبل البلوغ وبعده تتحقق الهداية الكاملة العلمية ثم رعاية القناعة العلمية (وقيل المعنى ألم يجدك) أى والناس فى ضلال (فهدى بك ضالا وأغنى بك عائلا) أى فقيرا حين وجدك وفيهم عيلة (وآوى بك يتيما) اذ وجدك وفيهم ايتام وهذا من بدع التفاسير أيضا وان كان يلائمه فى الجملة مابعده من بقية السورة وهى قوله تعالى فاما اليتيم فلاتقهر وتذكر حال يتمك وأما السائل لكونه فقيرا فلاتنهر فلاتزجر ولاتقهر وتذكر حال فقرك وأما بنعمة ربك فحدث باظهار الهداية والعلم بالبداية والنهاية وتذكر حال جهلك فيكون اللف والنشر مشوشا اعتمادا على فهم السامع ويمكن أن يكون مرتبا بان يكون المراد سؤال العلم كما هو قول أبى الدرداء وغيره وأن التحدث بنعمة الرب هو الاحسان الى الفقير المنكسر القلب لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم التحدث بالنعم شكر ويمكن أن يحمل على المعنى الأعم ويستفاد منه المراد الاخص والله تعالى أعلم بمراده فى كتابه

(ذكره) بتشديد الكاف أي ذكره صلى الله تعالى عليه وسلم ربه تذكير امتنان لا ناشئا عن نسيان (بهذه المنن) جمع المنة بمعنى النعمة والعطية وانه بكسر الهمزة والواو للحال أي الشان أو الله سبحانه أو هو صلى الله تعالى عليه وسلم (على المعلوم من التفسير) أي بناء على ما علم من انواع التفسير على ما سبق من التحرير (لم يهمله) من الاهمال أي يتركه ربه تعالى (في حال صغره) أي جهله (وعيلته) أي فقره (ويتمه) أي فقد أبيه (وقبل معرفته) أي وفيما قبل معرفته الكاملة (به) تعالى (ولا ودعه) عطف على لم يهمله ولا تركه ولا دفعه (ولا قلاه) أي ولا ابغضه ولا قطعه (فكيف) أي حاله (بعد اختصاصه) بالكرامات السنية (واصطفائه) بالمقامات البهية والمعنى بعد ارساله واعلامه انه اصطفاه واجتباه على خليقته لكرامته عنده ومنزلته والا فقد كان اصطفاه في أزليته قبل ظهور بدايته بدليل قوله كنت نبيا وآدم بين الماء والطين وفي رواية وآدم منجدل في طينته أي وآدم مراد ايجاده منهما في وقته فلا بينية والانجدال حال نبوته ثم اعلم أن ملخص الاقوال في تفسير قوله سبحانه وتعالى ووجدك ضالا فهدى ستة أقاويل أولها انه وجدك ضالا عن الشريعة واحكامها فارشدك اليها بتمامها وثانيها انه وجدك منسوبا الى الضلالة عند الاعداء فبين أمرك بالبراهين القاطعة للاحباء وثالثها انه وجدك بين قوم ضلال فارشدك الى ما تميزت به عنهم الى مقام الوصال ورابعها انه وجدك ضالا بتزويج ابنتك في الجاهلية لبعض الكفرة فبين لك ان هذا

ان قائله ذهب لما قاله السدي انه من قبيل خطاب السيد بالعبيد أي وجد قومك ضالين فهداهم وقس عليه أخويه والمصنف رحمه الله تعالى نقله بالمعنى أو القائل فسره بما يؤول اليه ثم ان قوله ألم يجدك هنا تفسير لو جدك بما آل معناه لتقاربهما وفي النظم غاير بينهما تفننا ووجدك بتقدير اما المساوية لالم معنى فكان الثلاثة داخلة تحت قوله تعالى ألم يجدك فلذا ادخلها تحته ولا يخفى ما فيه من التكلف ولذا قال بعض الشراح انه صرف للآيات عن ظاهر بلا دليل من غيرها مقتضى (ذكر بهذه المنن) ذكره بتشديد الكاف تفعيل من الذكر أي جعله متذكرا والمنن جمع منة وهي الاحسان وقيل ذكره بمعنى وعظه لان التذكير ورد بهذا المعنى كما في قوله تعالى فذكر بالقرآن من يخاف وعيد أي عظه به والذكر على الاول خلاف النسيان والمراد ذكره بتفصيلها أو تفضيلها وان كان ذاكرا لها وكيف ينسى مثله وقد قام حتى تورمت قدماه وقال أفلا أكون عبدا شكورا وما قيل انه لعدم شعوره بكونها مفصلة على ما رواه ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال سالت ربي مسالة وددت أني لم أكن سالتها قلت أي ربي قد كان أنبياء قبلي منهم من سخرت له الريح وذكر سليمان عليه السلام ومنهم من كان يحيي الموتى وذكر عيسى عليه الصلاة والسلام فقال الله تعالى ألم أجدك يتيما فآويتك قلت بلى قال ألم أجدك ضالا فهديتك قلت بلى قال ألم أجدك عائلا فاغنيتك قلت بلى الحديث مما لا ينبغي ولا دلالة في الحديث لما ادعاه وما أحسن قول بعض الشراح المراد اعلامه بما أنعم به عليه وقيل انه لاشتغاله بتذكر النعم العظيمة المتجددة أو النعم كلها على الاجمال يغفل عن تفصيلها وشكره كذلك أو انه جعل بمنزلة الغافل وعامله معاملته لنكتة وان سلم أن هذا غير مناسب فالتذكير بمعنى الوعظ الا يغفل فلا تغفل والباء زائدة ثم أخذ في تقرير دليل هذه السورة على أنه ما قلاه بعد ما اصطفاه فقال (وانه على المعلوم من التفسير) وروى على المعهود فال في المعلوم للعهد والمراد به جعل اليتم وأخويه من أحواله لا من أحوال غيره وعلى متعلقة بما بعده وقيل بالتذكير والارادة المفهوم من الكلام (لم يهمله في حال صغره وعيلته ويتمه وقبل معرفته به) الضمائر الظاهرة كلها له صلى الله تعالى عليه وسلم غير ضمير انه فانه لله أو للشان أوله ويهمله بمعنى يتركه ويخلي بينه وبين نفسه والعيلة مصدر عال يعيل فهو عائل والجمع عالة كما في المصباح الاحتياج والفقر يقال عال اذا افتقر وأعال اذا كثر عياله وليست العيلة بمعنى العيال كما يتوهمه الناس حتى يقال الاولى ان لا يوسطها بين الصغر واليتم والصغر بوزن عنب معروف ومفهوم من اليتم وقبل معرفته تفسير لقوله ضالا ولم يصرح به تادبا وان وقع في الآية موقعا حسنا والضلال قد يراد به ما وجد من غير قصد ماخوذ من الضلال عن الطريق ولذا نسب للانبياء وغيرهم مع ما بينهما من البون البعيد كما في هذه الآية ونظائرها كقوله تعالى فعلتها اذا وأنا من الضالين ولله أن يقول في حق عباده ما شاء وليس لنا أن نقول مثله الا على سبيل الحكاية ألا ترى ان السلطان يدعو أكبر خواصه باسمه ويسمه بوسمه فيعده تعظيما وملاطفة ولو خاطبه به غيره كان ترك أدب يغضب به كذا في عمدة الحفاظ وهو كلام حسن وقال الهروي المراد قبل أن يعرف الشرائع والاحكام كقوله تعالى وعلمك ما لم تكن تعلم وليس في على استعارة لتشبيه المعلوم بمكان عال مرتفع كما قيل (ولا ودعه ولا قلاه) أي ما تركه ولا أبغضه في هذه الحالة وهذا مفهوم مما في ضمنه اذ لو كان هذا لما هداه الى ما هدى واذا كان هذا حاله قبل البعثة واتمام النعمة ومعرفته بربه (فكيف بعد اختصاصه واصطفائه) كيف للاستفهام الانكاري على من قال انه ودعه كقوله تعالى كيف تكفرون بالله أي في أي حال يكون

هذا بعد اختصاصه بسمى زيادة قربه أو جعله مخصوصا بفضائله الجليلة واصطفائه أى اختياره من بين خلقه قيل والمراد اظهار ذلك فى عالم الشهادة وتقرير الدليل على ماقاله الامام ان كمالك وعبادتك بعد هذه الامور أتم حيث رقيناك قبل ذلك الكمال الى ذروة العلى فبالاولى ان لانتركك ولا نبغضك بعد الكمال والعبادة وقيل عليه انه لايناسب تفسير الغنى بالغنائم ونحوها ممالم يتحقق بعد النزول فان جعلت بمنزلة المحقق اذلا بد من تحقق أمر قبل الكمال ليعلم ثبوت مثله بعده بالاولى والاثبات والمحلز المذكور لايفيده فالاظهر فى الاستدلال بالمعنى حينئذ ان يقال سنخصك بالطاف جليلة أو انا قدرنا لك ذلك فلا نتركك ولا نبغضك لانه مناف له فتدبر * أقول الثابت فى كتب التاريخ ان التفسير الكبير وصل الى سورة الانبياء وكمله تلميذه الخوى فنسبة ماذكر للامام لاينبغى وماأورده عليه غير وارد لانه ليس فى تفسيره المذكور تعرض للغنى فكيف يلزمه بمالم يقله ومن نظر تفسيره عرف ماقلناه (السادس أمره) أمره بصيغة المصدر المضاف لفاعله كما ضبطه به بعض الشراح أو الفعل الماضى كما فى المقتفى والاول أظهر ولا حاجة لتقدير ان المصدرية قبله كما فى قوله تعالى ومن آياته يريكم البرق كما قيل لانه هنا لاقرينة تدل عليه (باظهار نعمته عليه) هو عام شامل لجميع ماأنعم به عليه وقيل المراد بالنعمة هنا النبوة أو القرآن والاظهر الاولى هو الاول والخطاب والامر وان كان خاصا به صلى الله عليه وسلم فهو عام لامته تعليما لهم والتحديث بالنعمة شكر لها وقد قالوا انه يحسن من الانسان الثناء على نفسه وذكر محاسنه وفضائله فى مواضع استثنوها من الاصل الغالب على الكمل من هضم أنفسهم وروى عن على كرم الله وجهه انه قال اذا أصبت خيرا فحدث به اخوانك ومن مواطن التحدث بالنعم ما اذا جهل قدره ونوزع فى أمر وللسيوطى رحمه الله تعالى تاليف فى هذا اسماه نزول الرحمة فى التحدث بالنعمة وقد روى مثله عن كثير من الصحابة وأمره تعالى له صلى الله تعالى عليه وسلم بالتحدث بما أولاه يقتضى تعظيمه لان من أمر غيره بشكر نعمة من نعمه انما يأمره فى العادة بما عظم عنده لاستهجان طلب الشكر على أمر حقير وهذا يقتضى عظم الامور أيضا وقال بنعمة ربك دون بنعمتى اشارة الى انه رباه وفيه أيضا اشارة الى عظم قدره عنده وعنايته به ففى هذا تعظيم ليس فى الامرين الآخرين ولذا لم يذكرهما المصنف رحمه الله تعالى فاندفع ماقيل من أنه بقى هنا شئ لم يذكره وهو ارشاده لمكارم الاخلاق بقوله تعالى فاما اليتيم فلا تقهر الى آخره وخص اليتيم لانه لاناصر له الا الله والسؤال ذل وكسر وهما منصوبان بالفعل بعدهما بتقدير مهما يكن من شئ فاما الى آخره فلا حاجة لما تكلف فى الجواب عنه (وشكر ماشرفه به بنشره واشادة ذكره بقوله وأما بنعمة ربك فحدث) مجرور معطوف على اظهار وليس عطف تفسير كما قيل بل بيان لان أظهار النعم اذا لم يكن رياء ولا لغرض آخر يكون شكر المنعم ونشره اذاعته واظهاره للناس والاشادة بكسر الهمزة وشين معجمة ودال مهملة هو رفع الصوت به وهو كناية عن الاعلام الثقلين وقوله بقوله تنازعه امره ومابعده (فان من شكر النعمة التحدث بها) اتى بمن التبعيضية اشارة الى ان للشكر طرقا آخر هذا منها كاظهار الملابس والمطاعم والمركب وفى الحديث التحدث بالنعمة شكر وفيه اذا أنعم الله على عبد بنعمة أحب ان يرى أثرها عليه وماذكره المصنف رحمه الله تعالى هنا منقول عن مقاتل وليس فيه تخصيص بنعمة كما توهم (وهذا خاص له) صلى الله تعالى عليه وسلم (عام لامته)

المشرك لايتزوج المسلمة قال ثعلب وهذا هو قول أهل السنة فى هذه الآية وخامسها انه وجدك ضالا بين مكة والمدينة تارك الطريق وذلك عليه وبينه أو اشارة الى ضلالته وهو صغير فى شعاب مكة حيث وجده ورقة بن نوفل ورجل من قريش فرداه الى جده عبد المطلب وسادسها انه وجدك ضالا أى عاشقا ومحبا فهداك الى محبوبك والقول الاول فى تفسير الآية هو المعول كما بينه قوله تعالى ماكنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان وعلمك مالم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما (السادس) أى من الستة (امره) فعل ماض على ماصرح به الحلبى والاظهر انه مصدر مضاف الى مفعوله (باظهار نعمته عليه) مصدر مضاف الى الفاعل عام فى جميع ماانعم به عليه اذ اضافة المفرد قد تفيد العموم (وشكر ماشرفه به) أى ماأحسنه اليه وعظمه لديه (بنشره) أى ببسط ماشرفه به واظهاره تبجحا بالنعمة وقياما بشكر المنعم لا افتخارا بالعطية والحال المال (واشادة ذكره) أى وتشهير ذكر ماشرفه به ورفع قدره وتعظيم شانه واعلاء امره وبيانه وتعريف حاله (بقوله وأما بنعمة ربك فحدث فان من شكر النعمة التحدث بها) لحديث التحدث بالنعمة شكر وفى نسخة التحديث وفى أخرى الحديث ومن التحدث بها اظهارها فى الملبس والمركب ونحوهما لحديث اذا أنعم الله على عبد أحب ان يرى أثر نعمته عليه (وهذا) أى أمره باظهارها (خاص له) صلى الله تعالى عليه وسلم (عام لامته) لانه امامهم فامره كامرهم وقال مجاهد معنى قوله تعالى واما بنعمة ربك فحدث بث الشرائع والقرآن المشتمل على البدائع والاولى حمل الآية على عموم النعمة ولعل هذا منشا ماكان بعض الصالحين يخبر بجميع مايفعله من الطاعات للسالكين كانه ينحو الى انها نعمة أنعم الله سبحانه وتعالى بها عليه فيجب عليه التحدث بها مع انه قد يقصد ان الناس يقتدون به فى فعلها

(وقال تعالى) حال لازمة من ضمير قال أي متعاليا عما لا يليق بجنابه الكريم (والنجم اذا هوى الى قوله لقد رأى من آيات ربه الكبرى اختلف المفسرون في قوله تعالى والنجم) أي في المراد به اختلافا مصحوبا (باقاويل معروفة منها) أي من جملة الاقاويل قولهم (النجم على ظاهره) فالمراد به اما جنس النجوم أو الثريا الغالبة عليها وهي سبعة كواكب على ما ذكره السهيلي ولا يكاد يرى السابع منها لخفائه وفي الحقيقة انها اثنا عشر كوكبا فان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان يراها كلها بقوة جعلها الله تعالى في بصره كما ذكره ابن خيثمة من طريق ثابت عن العباس عم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أو الزهرة لانهم كانوا يعبدونها فنبهوا على انتقالها وزوالها كما ذكره الغزنوي في تفسيره أو الذي يرجم به فهواه غروبه أو انتشاره وانكداره يوم القيامة أو انقضاضه أو طلوعه اذ يقال هوى هويا بالفتح اذا سقط وغرب وبالضم اذا علا وصعد (ومنها) أي من جملة الاقاويل أن النجم هو (القرآن) لانه نزل منجما في دفعات متعددة وأوقات مختلفة فالهوى بمعنى النزول ويؤيده قوله فلا أقسم بمواقع النجوم الآيات على ما اختاره بعض المفسرين وقيل انه اسم جنس للصحابة ولعلماء هذه الامة كما ورد عن سيد الائمة أصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم ذكره في عين المعاني قال الدلجي فالهوى على هذا كناية عن الموت يعني أي موت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انتهى ولا يخفى بعده فان الاقتداء بهم والاهتداء أعم من زمن حياته وبعد وفاته فالهوى بمعنى الظهور والعلو (وعن جعفر بن محمد) أي الصادق (انه) أي النجم المقسم به (محمد عليه السلام) قال الدلجي وكثيرا ما يذكر المصنف السلام بدون الصلاة مع كون افراد أحدهما مكروها قلت المحققون كالجزري وغيره على انه لا يكره وانما الجمع أفضل (وقال) أي جعفر

الاشارة الى الامر المذكور أي بحسب الظاهر والمورد خاص به صلى الله تعالى عليه وسلم لانه المامور بحسب الظاهر وهو عام شامل لجميع الامة لان أمره أمر لهم ما لم تقم قرينة على انه من خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم فهم مامورون بهذا الامر أو بامر آخر والقول بان المراد انهم مامورون بالشكر لانه واجب عليهم تكلف (وقال الله تعالى والنجم اذا هوى الى قوله من آيات ربه الكبرى) فقوله تعالى جملة معترضة وقيل انها حال لازمة من فاعل قال أي متعاليا عما لا يليق بجنابه ذكر هذه الآية لتضمنها القسم لاجله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم استطرد فذكر ما معها من الآيات استقصاء لما فيه تعظيمه (اختلف المفسرون رحمهم الله تعالى في قوله تعالى * والنجم اذا هوى * باقاويل معروفة) أقاويل جمع أقوال جمع قول فهو جمع جمع عبر به للدلالة على كثرتها والباء متعلقة بالمفسرين أو بمقدر من جنسه لانه يقال فسره بكذا فيتعدى بالباء وهو وان كان بعيدا أظهر مما قيل ان تقديره اختلافا مصحوبا باقاويل أو مفصحا عن أقاويل واذا في هذا ونحوه قيل انها للحال ظرف للقسم أو كائنا المقدر وليست للاستقبال لان أقسام الله قديم وقد قال ابن هشام لا يصح تعلقه باقسم الانشائي لان القديم لا زمان له لتقدمه على الزمان فهو متعلق بكائنا باق على استقباله بدليل صحة مجيء الحال المقدرة وأجاز بعضهم ان يكون متعلقا بالعظمة المفهومة من القسم فالمعنى اقسم بالنجم العظيم اذا هوى فان أريد بالنجم الجنس وهو غروبه فعظمته دلالته على حدوثه الدال على وجود الصانع وان أريد القرآن المنجم نزوله فعظمته بدلالته على الاحكام وان أريد به النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ونزوله بعد المعراج فعظمته بدلالته بتكريم من هو أعظم من كل عظيم كما قيل وفسر الهوى بالطلوع أيضا أقول هذا كلام غير مهذب فان كلام الله قديم لفظه أو معناه النفسي وكل ما فيه مما يدل على الزمان كالظروف والافعال ليس بمجاز بل حقيقة باعتبار متعلقه وظهوره لان علم شيء في زمان لا يقتضي أن يكون ذلك العلم في ذلك الزمان كما حققه علماء الكلام وهذا المقام لا يسع تفصيله وتحقيقه مع انه لشهرته غني عن البيان (منها النجم) محمول (على ظاهره) فيراد به جنس النجم أو الثريا أو الزهرة لان من المشركين من كان يعبدها والثريا الست نجما واحدا بل عدة نجوم اختلف في عددها على أقوال قيل ستة وقيل سبعة وقيل تسعة وقيل احدى عشر نجما وقيل اثنى عشر والنجم صار علما لها بالغلبة وفي الحديث ما طلع نجم فظاهر وفي الارض من العاهة شيء والهوى الغروب أو الطلوع كما مر ولا حاجة الى جعل الثاني مفهوما من النجم لانه يقال نجم قرن الشاة اذا طلع والقسم به لانه مخلوق بديع دل على صانعه وقدرته وكذا في الهوى بمعنييه (ومنها القرآن) لانه نزل نجوما متفرقة بحسب المصالح وقال بعض المفسرين انه نجوم القرآن من قولهم نجم الدين اذ جعله حصصا ومن الغريب ما قيل انه الصحابة رضي الله تعالى عنهم لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم أصحابي كالنجوم حكاه التجاني هنا وهو يهم موتهم على هذا وهو بعيد (وعن جعفر بن محمد) الامام الصادق تقدمت ترجمته (انه محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) ولم يقل ومنها لانه مع ما قبله كوجه واحد لشدة مناسبته له وهذا وان سبق لا يعد تكرارا لاختلاف الغرض فيها والقول بانه ليس منها لا وجه له فالمقسم به وله واحد وهو أمر مستحسن عند البلغاء كما ذكره الزمخشري لقول البحتري * وثنايا لك انها أعريض * فانظره في شروح الكشاف ولنا فيه كلام في السوانح وقد تقدم تفسير هويه على هذا (وقال)

(هو قلب محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) أقول بل هو صلى الله تعالى عليه وسلم بقلبه وقالبه نور يستنار منه الانوار ويستضاء منه الاسرار وقد ورد اللهم اجعلني نورا وقد سماه الله تعالى نورا على ما تقدم والله تعالى اعلم فالهوى بمعنى الظهور كما هو ظاهر في معنى النور وأما على ارادة قلبه فلعل المراد بهواه ميله الى ربه وغيبته عن غيره واستغراقه في حبه ويؤيده ما قلناه من ارادة كله قوله (وقد قيل في قوله تعالى والسماء والطارق) أي البادي ليلا وأصله لسالك الطريق وخص عرفا بالآتي ليلا ثم استعمل في البادي فيه

أي جعفر مرة أخرى وفي نسخة وقال سهل وتقدمت ترجمتهما (هو قلب محمد عليه الصلاة والسلام) اطلاق النجم عليه صلى الله تعالى عليه وسلم ظاهر كما أطلقه الشراح وأما اطلاقه على قلبه فلا اشرقه بالانوار الالهية وهو منبعها ومنبع الهداية وان كان فيه خفاء وقيل انه النبات الساقط على الارض والنجم ما لا ساق له وما له ساق شجر وقيل تقدير ه ورب كما مر وذكر المصنف رحمه الله تعالى السلام دون الصلاة وقد قيل كما مر انه مكروه كعكسه مع ان الذي في النسخ الصحيحة صلى الله تعالى عليه وسلم مع انه يحتمل انه تلفظ به ولم يكتبه أو مذهب المصنف رحمه الله تعالى عدم كراهته (وقد قيل في قوله تعالى والسماء والطارق وما أدراك ما الطارق النجم) الثاقب المضيء كأنه يثقب الظلام بشدة اضاءته والطارق أصل معناه من يأتي ليلا لانه يطرق الباب المغلق ليلا أو الارض برجله ثم غلب على النجم لظهوره ليلا ومنه الطريق لأنها مطروقة بالارجل وقيل الطارق زحل وكل ما يرى ويظهر ليلا يسمى طارقا قال الزمخشري أراد الله ان يقسم بالنجم الثاقب تعظيما لما فيه من عظم قدره ولطيف صنعه فابهمه ثم فسره (ان النجم هنا أيضا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) وذكره لان الله أقسم به على حفظ كل نفس فكيف عن هو أنفس الانفس فهو اشارة الى عصمته صلى الله تعالى عليه وسلم وبهذا الاعتبار يكون مما نحن فيه فان لم يلاحظ هذا يكون تأييدا لقول جعفر فلا وجه لما قيل من أن الاحسن ذكره في فصل القسم به السابق ولا للقول بانه اشارة الى عدم الاستيفاء أو أنه غفل عن ذكره هنا فتذكر وذكر وعلى هذا فالطارق اشارة الى أنه صلى الله عليه وسلم أتى وقد دجى الكفر وأظلم أو لان معناه سالك الطريق كما قاله الراغب (حكاه السلمي) بضم السين وفتح اللام وتقدمت ترجمته (تضمنت هذه الآيات من فضله وشرفه العد) التضمن الاشتمال وجعله في ضمنه أي اشتملت أو وفيت بها كما في الضامن عما ضمنه قال المؤلف والعد بكسر العين وتشديد الدال المهملتين الماء الدائم الجريان الذي لا ينقطع مادته والقديم والكثير ويصح ارادة كل منهما وعلى الاول فيه تشبيه له لكثرة الانتفاع به مع انه لا ينقطع عنه مدد الفياض وفيه تجنيس (ما يقف دونه العد) بالفتح والتشديد بمعنى العدد والاحصاء برجل يجري ليصل الى الاحاطة بمناقبه فبعد عنه حتى أعيي وانقطع دون مرامه ففيه استعارة تمثيلية وتقديره صاحب العد يذهب برونق الكلام وماثه ودون هنا بمعنى قبل كما في قول ابن دريد

ان امرء القيس جرى الى مدى * فاعتاقه حمامه دون المدا

وقد تقدم الكلام عليها في الخطبة (وأقسم جل جلاله) هو كجد جده كما مر وفي نسخة جل اسمه (على هداية المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم وتنزيهه عن الهوى) هذا ما دل عليه قوله تعالى ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى اشارة الى نفي الضلال والغواية فهو كناية عن الهداية وان توهم في بادي النظر ان بينهما واسطة فان الصغير ونحوه ليس بضال ولا مهدي لكنه لما أكده بنفي الغواية دل على ان المراد اثبات الهداية على وجه بليغ وكذا نفي النطق بالهوى المراد به انه ليس له هوى ولا نطق به على منوال قوله * ولا ترى الضب بها ينجحر * ولذا ذهب المفسرون لما ذكر والهوى ميل القلب الى خلاف الصواب وحب الشهوات (وصدقه فيما تلا وانه وحي يوحى) فيما تلاه متعلق بصدقه

(وما ادراك ما الطارق) أي أي أشيء أعلمك انه ما هو يعني انه شيء عظيم لا يعرفه أحد ثم بينه انه (النجم الثاقب) أي المضيء كأنه يثقب الظلام بضوئه فينفذ فيه أي (ان النجم هنا أيضا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) عبر عنه أولا بوصف عام ثم بين بما يخصه تفخيما لشأنه وتعظيما لبرهانه بجامع ان كلا يهتدى به وان كان بينهما بون بين (حكاه السلمي) أي نقله في تفسير الحقائق (تضمنت) فقد جمعت (هذه الآيات) أي من قوله والنجم اذا هوى الى قوله لقد رأى من آيات ربه الكبرى (من فضله وشرفه) أي الزائد على غيره (العد) بكسر العين وتشديد الدال المهملتين أي الشيء الكثير الذي لا ينقطع مادته وأصله في الماء يقال ماء عد اذا كانت له مادة غير منقطعة كماء العين والبئر (ما يقف) أي العد الذي يقف (دونه) أي ينقطع قبله

والضمير للعد وقال الدلجي أي يقف دون كل منهما (العد) بالفتح الاحصاء والاستقصاء والعد أيضا العدد هذا ولما نسبت الكفار المسمى بالهدى الى الضلال والردى وان ما ينطق به انما هو عن الرأي والهوى رد الله عليهم وكذبهم (وأقسم اسمه) أي عظم كسماه (على هداية المصطفى وتنزيهه) أي براءة ساحته وأغرب التلمساني حيث قال أي تعظيمه (عن الهوى) أي فيما أخبر به للورى (وصدقه فيما تلا) أي قرأ (وأنه متلوه) أي وحي يوحى

أوتنازع فيه هو وماقبله والذى تلاه هو القرآن والتلاوة فى عرف اللغة والشرع تختص به وان كانت قد تطلق على مطلق التكلم لانه من تلاه يتلوه اذا تبعه وهو وحى متبع وضميرانه راجع لما وهو القرآن والوحى يطلق على معان كالكتابة والاشارة والرسالة والالهام ونحوه مما فيه خفاء وأتى بيوحى بعد الوحى للتأكيد ودفع المجاز وافادة انه يتجدد شيأفشيأ كما يشير اليه النجم أوالاول بالمعنى اللغوى فهو تأسيس وقيل الوحى كل ماينطق به وانه يجوز فى قوله تعالى ان هو الى آخره أن يكون استئنافا غير مقسم عليه وفى ضمير ينطق أن يكون للقرآن و يمكن تطبيق كلام المصنف رحمه الله تعالى عليه ولم يذكر الحصر المذكور فى النظم اشارة الى ان فحوى الكلام يفيده لان المقصود نفى وجوه البطلان واذا بين انه وحى أكد على وجه دل على هذا كما لايخفى فلا يرد عليه ماقيل انه أخل بالحصر والقسم به على الاثبات والنفى الذى أفاده قوله تعالى ان هو الا وحى يوحى وهو أنسب بتعظيم القرآن الذى جاء به النظم المقتضى لتعظيم من جاء به وتبجيله وهو المناسب لما قصده المصنف رحمه الله تعالى ثم أتى بكلام أوهم انه أبوعذرته ماله ماذكرناه وهو مسبوق به ثم قال كيف يتوجه القسم الى قوله تعالى ان هو الا وحى الى آخره مع انه لم يدخل به القسم ولم يعطف على مدخوله وجوابه والجواب انه بيان لقوله تعالى وماينطق عن الهوى سواء كان المراد انه ينطق بوحى متلو هو القرآن أو ان كل ماينطق به مما يتعلق بالدين وحى من عند الله ولذا رجح القسطلانى عود ضمير هو الى النطق المفهوم من ينطق وليس عائدا للقرآن فان نطقه بالقرآن والسنة وكل منهما وحى من عند الله ولذا فسر قوله تعالى وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة بالقرآن والسنة لانها كانت تنزل عليه صلى الله تعالى عليه وسلم كما ينزل القرآن (أوصله اليه عن الله تعالى جبريل عليه الصلاة والسلام وهو الشديد القوى) أى أوصل الوحى بمعنييه كما بيناه فلا وجه لما قيل ان كان المراد به القرآن فلا خلاف فيه وان كان كل ماينطق به فهو على التغليب أو المراد انه أوصله بواسطة غيره أو بلا واسطة والشديد القوى من اضافة الصفة المشبهة لفاعلها أى قواه شديدة والقوى جمع قوة وأصل معناه طاقة الحبل المفتول وجبريل عليه الصلاة والسلام موصوف من بين الملائكة بالقوة العلمية لتلقيه عن الله مالايقدر غيره على تلقيه والقوة الحسية لقلبه قرى قوم لوط عليه الصلاة والسلام واهلاكه بعض القوم بصيحة منه ونزوله من فوق السموات الى الارض فى أقل من طرفة عين وقيل الشديد القوى هو الله العظيم القدرة (ثم أخبر تعالى عن فضيلته بقصة الاسرا) الباء للالصاق متعلقة بأخبر أو للتشبيه بقصته وثم للاشارة الى بعد هذه القصة عما قبلها الزيادة شرفها والاسراء اسراؤه من مكة للبيت المقدس والمعراج عروجه منه الى الملأ الاعلى فلا يناسب تفسير الاول بالثانى وان كان كل منهما يطلق على الآخر والفضيلة ما أكرمه الله به من تقريبه وتشريفه بما لايعلمه غيره وابتداء القصة من قوله فاستوى الى قوله تعالى لقد رأى من آيات ربه الى آخره فانها فى المعراج فى قول طائفة قيل والاصح أن قوله تعالى ولقد رآه نزلة أخرى المراد به رؤيته جبريل عليه الصلاة والسلام على صورته الاصلية ويؤيده ان ماقبله ليس حكاية عما فى المعراج على رأى الاكثرين ولم يتعرض المصنف رحمه الله تعالى لتفصيله بل أتى بثم معقبا بقوله (وانتهائه الى سدرة المنتهى) السدرة واحدة السدر وهى شجرة النبق وهذه من جنسها ولذا وردفيها أن نبقها كقلال هجر وهى عن يمين العرش وورد انها فى السماء السادسة والسابعة ووفق بينهما بان أصلها فى السادسة وفروعها تنتهى للسابعة وأضيفت للمنتهى بمعنى الانتهاء أو محله لانه اينتهى اليها علم المقادير أو الارواح أو الملائكة وسيأتى تفصيل حالها فى مبحث الاسراء وفى الرؤية فى قوله تعالى (ولقد رآه نزلة أخرى

أوصله اليه عن الله جبريل) أى علمه شديد القوى على خلاف فى مرجع الضمير المنصوب هل هو القرآن أو النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (وهو) أى جبريل (الشديد القوى) من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها أى شديد قواه لانه هو الواسطة فى ابتداء خوارق العادة كاقتلاع قرى قوم لوط و رفعها الى السماء ثم قلبها وصياحه صيحة واحدة لقوم ثمود فاصبحوا جاثمين وقيل المراد به الحق جل جلاله يعنى شديد القوة والقدرة والحكمة ونسب هذا القول الى الحسن (ثم أخبر) أى بعد قسمه وبراءة ساحته (عن فضيلته بقصة الاسراء) أى بقضية المعراج المبتدأ بعد الاسراء الى المسجد الاقصى كما أشار اليه بقوله (وانتهائه الى سدرة المنتهى) أى بقوله تعالى ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى وهى عند أكثر المفسرين شجرة نبق فى السماء السابعة عن يمين العرش ينتهى اليها علم الخلائق

(وتصديق بصره فيما رأى) أي بقوله تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى يعني ما رأى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ببصره من صورة جبريل أو من ذاته سبحانه أي ما كذب قلبه بصره بما حكاه له فان الامور القدسية تدرك أولا بالقلب ثم بالبصر أو ما قال فؤاده لما رآه لم أعرفك ولو قاله لكذب لانه عرفه بفؤاده كما رآه ببصره يقينا لا تخييلا اذ قد سئل هل رأيت ربك قال رأيته بفؤادي والجمع بين روايات المحدثين وقول المفسرين واختلاف الصحابة انه صلى الله تعالى عليه وسلم رأى ربه مرتين مرة ٢١٧ ببصره وأخرى ببصيرته هذا وقيل الضمير في رأى عائد على الفؤاد نفسه أي ما كذب الفؤاد ما رآه بل صدقه وتحققه والرؤية ههنا حينئذ بمعنى العلم وكذب بالتخفيف ككذب بالتشديد كما قرئ بهما (وانه رأى من آيات ربه الكبرى) أي بقوله لقد رأى من آيات ربه الكبرى أي رأى ليلة الاسراء عند عروجه الى السماء بعض آياته الملكية والملكوتية أو كلها فمن مزيدة والكبرى صفة للآيات (وقد نبه) أي الله سبحانه وتعالى (على مثل هذا) أي رؤيته من آيات ربه (في سورة الاسراء) أي بقوله لنريه من آياتنا والاظهر ان قوله لنريه من آياتنا في المسجد الاقصى وقوله لقد رأى من آيات ربه الكبرى في السموات العلى (ولما كان ما كاشفه) أي الذي رآه (عليه السلام) أي برؤيته بمعنى اطلع عليه ورآه ابتداء لا بمعنى رفع غطاءه وان زعم لانه لو أراد هذا المعنى لقال وكشفه ولعدم مناسبته للمقام اذ لا يقال رفع غطاء ماهنا لك (من ذلك الجبروت) بفتحتين فعلوت مبالغة من الجبر بمعنى القهر كالعظموت من العظمة والمراد انه رأى ما يدل عليه اذ هو معنى والمعنى لا يشاهد بالبصر الظاهر الا أن تحمل الرؤية على رؤية البصيرة فالمراد بها العلم والمعرفة (أو شاهده من عجائب الملكوت) مبالغة من الملك كالرهبوت من الرهبة والرحموت من الرحمة والمحققون على ان الملك ظاهر السلطنة والملكوت باطنها وقيل المراد بالملك

عند سدرة المنتهى وفي المرئي اختلاف أيضا هل هو الله تعالى أو جبريل عليه الصلاة والسلام على صورته الاصلية والمعراج هل كان الى السماء أو الجنة أو لما فوقها وما ذكره المصنف رحمه الله تعالى من انتهائه اليها لا ينافي انه لما فوقها (وتصديق بصره فيما رأى) أي تصديق الله له في رؤيته في قوله تعالى ما زاغ البصر الى آخره كما سيأتي أي ما رآه واعتقده بسبب رؤيته حق مطابق للواقع والرؤية وان كانت فعلا الا أنه يقال صدقت فعله اذا أثبته اثباتا متيقنا لانه لم يجاوز بصره ما رآه ولم يمل عنه ولم يعدل عما أمر برؤيته ومدح الله تعالى له دليل على عدم خطائه لتركه الالتفات تأدبا فلا وجه لما قيل ان ذلك لا يدل على تصديقه وهذا معنى قوله تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى أي ببصره مما رأى ما كذب بصره فيما حكاه له فان الامور القدسية تدرك بالقلب ثم بالبصر أو ما قال فؤاده لما رآه لا أعرفك ولو قاله لكذب لانه عرفه بفؤاده كما رآه ببصره يقينا لا تخييلا كما قاله بعض الشراح وقوله وانه رأى من آيات ربه الكبرى اشارة الى قوله تعالى لقد رأى من آيات ربه الكبرى ومن بيانية مبينة لمقدر أو تبعيضية أو زائدة أي رأى صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة الاسراء الكبرى من آيات ربه وعجائب ملكوته وقال البيضاوي أي والله لقد رأى الكبرى من آيات ربه وعجائبها الملكية والملكوتية ليلة المعراج وقيل انها المعينة بما رأى والكبرى صفة الآيات والمفعول محذوف أو مفعول ومن آيات حال مقدمة وعلى البيان فهو رأى لجميع الآيات وعلى التبعيض المرئي بعضها وزيادة من في الاثبات مرجوحة عند النحاة فالمعنى انه رأى مما لا يمكن وصفه قيل والاضافة الى الرب تدل على انها غيره ولو رآه لكان الظاهر ذكره دون آياته قال صاحب الكشاف وفيه كما قيل نزعة اعتزالية وفيه نظر (وقد نبه على مثل هذا في أول سورة الاسراء) ضمير نبه لله تعالى والتنبيه يكون بمعنى ايقاظ النائم وارشاد الغافل ومطلق البيان وهو المراد لكنه ايماء الى كونه بالليل يشير الى قوله في أول سورة الاسراء لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير وجعله مثله لانه في سورة النجم ذكر تحقق رؤيته بخلافه هنا مع شموله لما قبل العروج وبعده ولقول المفسرين ان المعنى لنريه من آياتنا برؤية السموات وما فيها من العجائب ومشاهدته البيت المقدس ومقامات الانبياء عليهم الصلاة والسلام ومواطن عباداتهم وتمثلهم له وبينهما مناسبة بدلالتهما على رؤية الآيات الكبرى الا أن فيها اشارة باضافة الاراءة له بضمير العظمة وجعل نفسه هو السميع وهو البصير الى زيادة قربه وعظمته كما لا يخفى على من له ذوق وافتتحها بسبحان الدالة على التنزيه نفيا للجهة المتوهمة واشارة لبراءة ساحته عن استبعاد ما استبعدوه حتى قالوا ما قالوه (ولما كان ما كاشفه عليه الصلاة والسلام من ذلك الجبروت) لما بالتشديد وفتح اللام وما موصولة وكاشف فاعل من الكشف وهو رفع الغطاء والكشف عن الشئ يقتضي معاينته ومشاهدته ولذا وقع هنا عبارة عن المعاينة ولذا علق به قوله من الجبروت وعطف عليه قوله (وشاهده من عجائب الملكوت) عطف تفسير فلا وجه لما قيل المناسب أن يقول فشاهده لان المشاهدة أثر الكشف لصحة قولك كشف فشاهد لكنه راعى السجع اذ لا يصح أن يقال رفع غطاء ما هنالك من الجبروت لان المراد انه عاين الجبروت واطلع عليه لا رفع غطاء

العالم السفلي والملكوت العلوي (لا تحيط به العبارات) أي لا تشمله أنواع التعبيرات ولا تحويه أصناف التفسيرات لقصور الافهام على ادراكه على وجه الحقيقة والجملة خبر كان (ولا تستقل) بتشديد اللام أي لا تستبد (بحمل سماع أدناه) أي أقله (العقول) لعجزها عن حمل أقله فضلا عن حمل أكثره (رمز) جواب لما أي أشار الله سبحانه وتعالى (عنه) أي عما كاشفه صلى الله تعالى عليه وسلم واطلع عليه (بالايماء) متعلق برمز ولعل الايماء اغمض من الرمز في الانباء من جهة الاخفاء كالاشارة بالعين والحاجب ونحوهما (والكناية) عطف على الايماء والمراد بهما التلويح وترك التصريح بدليل قوله (الدال على التعظيم) والحاصل انه سبحانه وتعالى رمز وأوما وكنى عما كاشفه بما المبهمة الدالة على الفخامة والعظمة (فقال فاوحى) أي جبريل أو الله تعالى (الى عبده) أي عبده الخاص الواصل الى مقام الاختصاص صلى الله تعالى عليه وسلم (ما أوحى) أي شيئا عظيما لا يعلم كنهه سواه ففي ابهامه من التفخيم ما ليس في ايضاحه وقيل المعنى فاوحى الله الى عبده جبريل ما أوحاه جبريل الى محمد عليه الصلاة والسلام وقد قال بعضهم أوحى الى عبده أن لا يدخل أحد من الامم الجنة قبل أمته ولعل المعنى ان هذا من جملة ما أوحى اليه

والجبروت فعلوت بفتح الفاء والعين ولام مضمومة يليها واو ساكنة وتاء طويلة وتسكين الباء والهمز غلط كما قاله ابن مكي في تثقيف اللسان وهو بمعنى العظمة والجلالة من الجبر وهو القهر من تجبر بمعنى تعظم كما في القاموس وله معنى آخر غير مناسب هنا وقيل المراد بالمكاشفة الدلالة لانه معنى من المعاني لا يشاهد ولو أبقي على ظاهره جاز وقيل لطلكاشفة غير المشاهدة فالفعلان ليسا صلة لموصول واحد بل المراد الجنس الذي كاشف بعضه وشاهد بعضه أو انه يقدر موصول بناء على تجويز حذفه مع بقاء صلته وهو تكلف لا حاجة اليه ومر أن الملكوت عالم الغيب والملك عالم الشهادة قال تعالى أولم ينظروا في ملكوت السموات والارض وهو مصدر ملك مع المبالغة وهو مختص بالله قيل وكان الاظهر أن يقول وعجائب الملك والملكوت وفيه نظر (لا تحيط به العبارات) والعبارة اللفظ المعبر به عن المعنى من العبور وهو المرور وقال الله تعالى الاعابري سبيل أطلق عليه لتوهم ان الفهم يعبر به وفي المصباح العبارة البيان بكسر العين وحكي في المحكم فتحها أيضا انتهى أي تقصر العبارة عن آدائه لكثرته بحيث لا تفي العبارة بتفصيله وهو على اطلاقه مبالغة قيل وهو ناظر الى ما شاهده وقوله (ولا تستقل بحمل سماع أدناه العقول) ناظر الى ما كاشفه على اللف والنشر المشوش وهو مبني على تغايرهما كما مر وتستقل استفعال من أقله عن الارض اذا رفعه ثم صار بمعنى حمله ومنه القلة ويكون الاستفعال من القلة أي عده الشئ قليلا واستقل بالامر استبد وانفرد كما قيل

ربما انصر الصديق المقل ❊ عن حقوق بهن لا يستقل

وهذا هو المراد أي لا يقدر على حمله الا بقوة قدسية ومساعدة ربانية وقيل المراد الاول أي لا تطيق العقول غير عقل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حمله وأدنى أفعل تفضيل بمعنى أقل أي لا يقدر على أقله فضلا عن كله وأكثره وفي كلامه مبالغة واغراق حيث أضاف الحمل للسماع وهو كالتحمل لنقل الحديث يعني ان التعبير عنه غير ممكن ولو أمكن لا يتحمله ويعيد سامعه (رمز عنه تعالى بالايماء والكناية الدالة على التعظيم) جواب لما وفاعله ضمير مستتر لله عز وجل والرمز في الاصل الاشارة الخفية بالعين أو الحاجب ونحوه والايماء الاشارة بالرأس يتعدى بالى قال الشاعر ❊ رمزت الى مخافة من بعلها ❊ والمصنف رحمه الله تعالى عداه بعن لتضمينه معنى التعبير والكناية في عرف أهل المعاني ما يراد به لازم معناه الحقيقي مع جواز ارادته وعند أهل الاصول ما يقابل الصريح وهو المراد هنا يعني انه أتى بالموصول الاسمي المبهم ومثله يستعمل للتعظيم لما فيه من الاشارة الى أنه لا يدرك كنهه كقوله تعالى فغشيهم من اليم ما غشيهم وقوله   وكان ما كان مما لست أذكره ❊ فظن خيرا ولا تسأل عن الخبر

مع ترك المفعول أيضا وهذا مما تفق عليه النحاة وأهل المعاني الا أن فيه اشكالا لانهم اشترطوا في الصلة أن تكون معروفة معهودة حتى يتعرف بها الموصول فاذا كانت مبهمة لم يعرف معناها حتى يعرف غيرها بها وقول ناظر الجيش ان هذا فيما الذي يقصد ابهامه لا يجدي نفعا وان تبعه من بعده كالدماميني فالتحقيق أن يقال الاتيان بها مبهمة من أعلى طبقات البلاغة لان الذهن يذهب كل مذهب فيقع في النفس موقعا عظيما فيتصوره السامع بهذه الطريق ويرتسم في ذهنه أشد ارتسام وليس المراد بالعهد الا هذا فاعرفه (فقال تعالى ❊ فاوحى الى عبده ما أوحى) هذا وما سيأتي تفسير وتفصيل للرمز عما كشفه وشاهده مع الاشعار بما في الابهام من التعظيم وقيل ان هذا مبني على ان الكبرى صفة الآيات ومن تبعيضية وفاعل أوحى الاول والثاني رب العزة أي أوحى الله ما أوحاه الى نبيه عليه الصلاة والسلام أو هما ضمير جبريل عليه الصلاة والسلام لان الاول لله والثاني لجبريل أو العكس وان كانت ما فيهما مبهمة ظاهر او كلام المصنف في الباب الثالث يقتضي اختلاف الضمير فيهما ❊ أقول يعني انه على بعض

الوجوه

(وهذا النوع) أي الرمز بالكناية والايماء (من الكلام) أي من أنواعه (يسميه أهل النقد) أي النظر السديد (والبلاغة) أي الفصاحة والمراد العارفون بجيد الكلام وبهرجه تشبيها لهم بصيارفة الذهب والفضة (بالوحي والاشارة) أي هنا لعدم الصراحة بالموحى به والمشار اليه فهما اسمان لمعنى واحد اذ هما أحد ماصدقاته كالكناية والالهام والكلام الخفي قد يتفاوت وضوحا وخفاء (وهو) أي النوع المسمى بهما (عندهم أبلغ أبواب الايجاز) أي من حيث انه جوامع الكلم المشابهة لكونها مبهمة للالغاز حيث فيها مبان يسيرة ومعان كثيرة يذهب فيها الفكر كل مذهب يمكن الانصراف اليها هذا وقيل كل كلام اما ناقص عن معناه أو مساوله أو زائد عليه ايجازا أو مساواة أو اطنابا وأعلاها الاول من حيث ان المعاني هي المقاصد والعبارات طرق لها فكلما قلت العبارة كان ذلك كالقرب في الطريق فكان أحق بالسلوك ويليه المساواة في الاستحسان لاقتفائها له في القرب وأكثر صياغة العبارات مصوغة عليها والاطناب كالبعد في الطريق فتراه متروكا غالبا الا فيما يحتاج اليه من باب الخطب والمواعظ ومقام التوكيد ولكل مقام مقال بحسب اختلاف الاحوال كما قال قائلهم

يومون بالخطب الطوال وتارة * وحي الملاحظ خيفة الرقباء

(وقال الله تعالى لقد رأى من آيات ربه الكبرى) أي الدالات على عظمته تعالى (انحسرت الافهام) جمع فهم وهو عبارة عن ازالة الوهم المستولي على القلب يقال فهم كذا اذا عقله والمعنى كلت العقول

الوجوه لا يكون من قبيل النوع المذكور عند أهل البلاغة الآتي ذكره كما صرح به القائل والصور على هذا اثني عشر وجها تجري في هذه العبارة من ضرب وجوه من الثلاثة في أربعة جاءت من اتحاد الضميرين واختلافهما فان ضربناها في وجهي الكبرى كانت أربعة وعشرين ولكن ما قاله لا وجه له فان البلاغة والمبالغة انما جاءت من الابهام وهو موجود في سائر الوجوه لدلالتها على ان ما أوحي اليه لا يحيط به نطاق العبارة ولا تسعه الاسماع والاذهان البشرية ولا تطلع على شرفاته الانفس القدسية (وهذا النوع من الكلام يسميه أهل النقد والبلاغة بالوحي والاشارة وهو عندهم أبلغ أبواب الايجاز) الايماء أو الاشارة والوحي كلها بمعنى واحد هنا وهذا نوع من محاسن الكلام البليغ صرح به المبرد في كامله وسماه الايماء وصرح به التبريزي في شرح ديوان أبي تمام وفي الكشاف اشارة اليه وقد وقعت هذه التسمية في كلام العرب أيضا كقوله

يرمون بالخطب الطوال وتارة * وحي المريب مخافة الرقباء

وهو أن يقصد بالكلام معنى غير ما وضع له وغير لوازمه المعروفة فيؤخذ منه معنى لطيف يفهمه أهل اللسان الاذكياء ولدقته سموه بهذا الاسم ومثلوا له بقوله * جاؤا بمذق هل رأيت الذئب قط * فانه أراد انه مزج بماء كثير حتى مال [illegible] مادته ثم كنى به عن لومهم وبخلهم ومنه قول المنازي في صفة واد

تروع حصاه حالية العذارى * فتلمس جانب العقد النظيم

وقد صرح به أهل المعاني قال أبو هلال في كتاب الصناعتين في فصل عقده بهذا الاشارة أن يكون اللفظ القليل مشارا به الى معان كثيرة بايماء اليها ولمحة تدل عليها وذلك كقول الله تعالى اذ يغشى السدرة ما يغشى وقول الناس لو رأيت عليا بين الصفين انتهى ثم أورد له أمثلة وشواهد كقوله * أتعيرني وأنا أنا * وقوله هذا رجائي وهذي مصر معرضة * وأنت أنت وقد ناديت من أنت

كما فصلناه في طراز المجالس وهذا ليس له عبارة مخصوصة كالموصول وما نحن فيه فان الايجاز من لوازمه وهنا لما قال تعالى فأوحى الى عبده ما أوحى قصد انه أوحى اليه باسرار عجيبة بواسطة غير البشر وبغير واسطة لا يمكن تفصيلها ولا تقدر العقول على ادراك حقائقها وأراد بهذا ان له مرتبة عظيمة عند الله وله من الزلفى والقرب منزلة لم يصل اليها سواه ولذا عبر بالعبد اشارة الى انه ليس بأجنبي في مقامه الى غير ذلك من المعاني التي لو فصلناها ضاق عنها نطاق البيان وبعض الشراح لما لم يقف على مراده قال تسميته بالاشارة واضح لكن الذي عليه أهل البلاغة انه تفخيم نحو فغشيهم من اليم ما غشيهم وأما تسميته وحيا فلعله اصطلاح قديم وهو نكتة لايراد المبتدأ موصولا والابلغية فيه بالايجاز وفيه انه ليس بلازم هنا كما اذا قلت في شئ واحد علمت ما هو كراهة أن يطلع عليه غيرك فاذكره ممنوع وتعقبه أي المصنف رحمه الله تعالى من قال انه أتم أنواع الايجاز لاداء المراد بلفظ أقل من المتعارف فيه وقد ترك المصنف رحمه الله تفصيله لعظمته فمنع منعه وزعم دفعه بما لا محصل له ولبعض الشراح هنا كلام لا محصل له أضربنا عنه لعدم فائدته والعجب من عدم اطلاع هؤلاء وخبطهم خبط عشواء والنقد تمييز الجيد من الردي بنظر سديد ففيه استعارة لتشبيه الكلام بالذهب ونحوه والعارف به يسمى بالصيرفي وقوله وهذا النوع اشارة الى هذا الكلام وأمثاله أو الى النوع الذي في ضمن جزئي من جزئياته فلا يرد عليه أن ما ذكر ليس بنوع بل كلام لشخص والمراد بأهل البلاغة البلغاء أو العلماء بعلم البلاغة والبلاغة عندهم معروفة (وقال تعالى * لقد رأى من آيات ربه الكبرى * انحسرت الافهام

عن تفصيل ما أوحى وتاهت الاحلام فى تعيين الآيات الكبرى) انحسر بمعنى أعيي وكل وتاه من التيه وهو الضلال فى الطريق والتحير والافهام جمع فهم وهو الادراك والاحلام جمع حلم بزنة قفل وهو العقل ويكون بمعنى ما يراه النائم وليس مراده هنا خلافا لمن توهمه وشبه الطالب للوقوف على المعنى بسالك فى الطريق الطويلة التى يتعب المسافر فيها وقد يخفى عليه فيضل فيها فبين قوله تاه وانحسر مناسبة تامة والتفصيل التمييز وضد الاجمال والتعيين تحقيق عين الشئ وفى ذكر التفصيل مع الانحسار والتعيين مع التيه لطف تام والاشارة بتلك الآيات لجميع ما رأى وقيل للمرئى منها وهو آيات كبرى لا الى جميعها لما مر من ان احتمال رؤية البعض هو الراجح فيليق حمل كلام المصنف رحمه الله تعالى عليه وان كان خلاف الظاهر مع أن التعظيم انما يستفاد من حذف المفعول به الذى هو بعضها واعتبار ان التقدير * لقد رأى من آيات ربه الكبرى ما رأى وفيه نظر (قال القاضى أبو الفضل) وهو المصنف عياض رحمه الله تعالى (اشتملت هذه الآيات على اعلام الله تعالى بتزكية جملته صلى الله تعالى عليه وسلم) أى مجموعها من قوله والنجم الى قوله الكبرى وان لم يكن كل واحدة منها مشتملة عليه والتزكية تطهيره عن النقائص البشرية وجملة ذاته وصفاته الظاهرة والباطنة ونفسه القدسية واذا أخبر الله تعالى بذلك فقد جعله زكيا (وعصمتها من الآفات فى هذا المسرى) العصمة من عصمه يعصمه من باب ضرب اذا حفظه وصانه واعتصمت بالله امتنعت به والاسم العصمة والمسرى مكان السرى أو نفس السرى على انه مصدر ميمى والآفات جمع آفة وهى ما يعرض من المفاسد ولما أخبر الله تعالى فى هذه الآيات بما حصلت به التزكية كان كانه أعلم بها نفسه ولذا فسره المصنف رحمه الله تعالى بقوله (فزكى فؤاده ولسانه وجوارحه) قال السيوطى رحمه الله تعالى وقع فى نسخة وزكى الواو والصحيح انه بالفاء التفسيرية المفسرة لقوله اشتملت والواو مخلة بالمعنى ولا وجه لما قاله فان العطف التفسيرى كما يكون بالفاء يكون بالواو كما فى قوله تعالى انما أشكو بثى وحزنى وقد يكون أبلغ اذا قصد انه لمغايرته بالتفصيل والاجمال كانه غيره والفؤاد القلب عبر به أو لموافقة الآية وعبر بعده بالقلب فرارا من صورة التكرار وقيل الفؤاد وعاء القلب فذكر المحل وأراد الحال وقيل هو داخله ويكون بمعنى العقل ويجوز ارادته هنا والاول أصح وأوضح واللسان معروف والجوارح جمع جارحة وهى العضو الذى يكتسب به كما فى الصحاح ويعلم ما جرحتم أى كسبتم والظاهر اختصاصها بالاعضاء الظاهرة كاليدين وجعلها شاملة للقلب لاكتسابه بعض الامور أو على التغليب فهو تعميم بعد تخصيص تكلف ولم يذكر هنا الا اللسان والبصر ولذا قيل المراد بعض جوارحه أو هو بناء على ان أقل الجمع اثنان أو هو بالنظر لكل من المعنين أو لجعل هذين العضوين بمنزلة الجميع أو عبارة عنه لان المرء باصغريه قلبه ولسانه وهما كالسلطان والوزير وما عداهما تبع لهما والذى فى نسخ الشراح هنا (قلبه بقوله ما كذب الفؤاد ما رأى) بدون اتيان واو وهو الظاهر لانه بدل مما قبله بدل مفصل من مجمل وقد جوز فى مثله أن يكون بدل كل وبعض بتقدير ضمير أو بدونه وفيه كلام فصلناه فى غير هذا الكتاب وفى بعض النسخ وقلبه بالواو وعلى نهج ما مر فى العطف التفسيرى وروى فزكى قلبه بالفاء التفصيلية التفسيرية على اللف والنشر أو هو استئناف جواب سؤال مقدر تقديره كيف زكاه فقال قلبه الى آخره والمقام مقام بسط وتطويل وهو مقبول من مثله فالقول بان فيه طولا ولو قال فزكى قلبه بقوله الى آخره مع نصب القلب وما بعده كان أولى وأخصر غير متجه والكذب معروف يوصف به الكلام والمتكلم وقيل المعنى ما كذب الفؤاد ما رآه أى اعتقده وهو غير مقبول عند المصنف رحمه الله تعالى لانه يأباه ما زاغ البصر وما طغى

(عن تفصيل ما أوحى) أى اليه اذ لا يحيط به حد ولا يحصيه عد والمراد بتفصيل الشئ بيان أجزائه مفصلة وأغرب التلمسانى حيث فسره بالتميز (وتاهت الاحلام) أى وذهبت العقول متحيرة (فى تعيين تلك الآيات الكبرى) فلم تهتد الى معرفة شئ منها لكثرتها وفى نسخة فى تعبير تلك الآيات أى تبيينها وتفسيرها والعقل محله القلب لقوله تعالى فتكون لهم قلوب يعقلون بها (قال القاضى أبو الفضل) كذا فى نسخة (واشتملت) أى دلت (هذه الآيات) أى السابقة (على اعلام الله) مصدر مضاف الى فاعله أى على أخباره سبحانه وتعالى (بتزكية جملته) أى بتطهير ذاته وتنمية صفاته عليه السلام (وعصمتها) أى بحفظ الله جملته (من الآفات) أى التى تجرى فى الذوات (وفى هذا المسرى) بفتح الميم والراء مصدر ميمى أو اسم مكان (فزكى فؤاده) أى مدح الله قلبه (ولسانه وجوارحه) أى اعضاءه التى يكتسب العمل بها وينتسب الفعل اليها والمراد هنا بصره لما سيجئ فى بيان حصره (فقلبه) وهو تفصيل لما أجمله والظاهر كما فى أصل الدلجى وغيره فذكى قلبه (بقوله تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى) وتقدم ما تعلق به من المعنى

وقال

(ولسانه بقوله تعالى وما ينطق عن الهوى) أي لا يصدر نطقه عن هواه بل بوحي من الاله جليا كالكتاب أو خفيا كالسنة وقد تعلق بظاهر الآية من لم يجوز له الاجتهاد وهو بعيد عن طريق السداد وعن استنباط المعنى المراد وأما ما ذكره ابن عطية من ان ضمير ينطق عائد الى القرآن وان لم يجز ذكره لدلالة الكلام عليه أي لا ينطق هذا القرآن بشهوتكم ومرادكم ونسب النطق اليه من حيث يفهم منه الامور كلها قال تعالى هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق فغير ملايم لمقام المرام (و بصره بقوله تعالى ما زاغ البصر) أي ما مال اعماره الى ماسواه وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لم يحول بصره عما رآه الى جهة من الجهات (وما طغى) أي ما تجاوز وما تعدى عن رؤية ما أمر برؤيته غيره في مقام الاعلى بل تثبت فيه ورآه رؤية صحيحة مستقيمة من غير وجل ودهشة وحيرة هذا وقد بقي الكلام على بقية الآيات فيما بين ذلك وهو قوله سبحانه وتعالى ذو مرة ٢٢١ فاستوى فظاهره أن الضمير في استوى لجبريل عليه الصلاة والسلام والكناية بقوله تعالى وهو بالافق الاعلى عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ولا مانع من عكس الترتيب في هذا التركيب ولا يبعد أن يكون الضمير أن يرجعان الى أحدهما والجملة حالية وأما جعل الضميرين لله سبحانه وتعالى فهو غير ظاهر كما لا يخفى ثم قوله تعالى فتدلى أي دنا جبريل من محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فتدلى وزاد في القرب وقيل أي دنا محمد من ربه فتدلى وأما قوله تعالى فكان قاب قوسين أو أدنى أي مقدارهما بل أدنى فهو كناية عن كمال القرب فان كان بين الرسولين فلا اشكال وان كان بين الله ورسوله فهو كناية عن المكانة أو من الآية المتشابهات وقد ذكرت بعض الفوائد المتعلقة باوائل سورة النجم في رسالتي المعمولة للمعراج (وقال الله تعالى فلا أقسم بالخنس) أي بالكواكب الرواجع من خنس اذا تأخر وهي ما عدا النيرين وهو زحل والمشتري والمريخ والزهرة وعطارد ومجموع السبعة السيارة نظمت في قوله (زحل شرى مريخه من شمسه * فتزاهرت بعطارد أقمار)* (الجوار الكنس) أي السيارات التي تختفي تحت ضوء الشمس من كنس الوحش اذا دخل كناسه أي بيته (الى قوله تعالى وما هو بقول شيطان) وهو كل متمرد من الجن والانس والدواب قاله ابن عباس رضي الله تعالى عنهما (رجيم) أي مرجوم ومطرود ومبعد وما بينهما قوله سبحانه وتعالى والليل اذا عسعس أي أقبل أو أدبر والاول أنسب بقوله تعالى والصبح اذا تنفس أي أسفر قال المصنف (لا أقسم أي أقسم) يعني على القول بزيادة لا والا فالمعنى فلا عبرة بما قالوا في حق القرآن وفي شان المنزل عليه بل أقسم أي بما ذكر (انه) أي القرآن (لقول رسول) أي قاله عن ربه (كريم) أي مكرم معظم (عند مرسله) وهو الله سبحانه وتعالى

وقال المفسرون ان القلب لم يوهمه العين لم ينكر ما رأته ويلزم من تزكيتها تزكيته فلا يقال ان التزكية حينئذ للعين لا للقلب لان قبوله الحق تزكية له وهذا مراد من قال ما قال فؤاده للذي رآه بصره لم أعرفك كما قاله القاضي ولو قال ذلك كان كاذبا لانه عرفه وهل المزكي الرب أو غيره وسيأتي تفصيله والمراد نفي الخطاء عن اعتقاداته (ولسانه بقوله وما ينطق عن الهوى) وهذا وان لم يكن مخصوصا فيكفي شموله له الا اذا خص بالقرآن كما ذهب اليه الاكثر الا أنه بنى كلامه على بعض الاقوال (و بصره بقوله ما زاغ البصر وما طغى) أي ما مال بصره صلى الله تعالى عليه وسلم يمينا ولا شمالا ولا تجاوز حده في نظره لما هو أمامه ففيه تزكية لبصره وهو تزكية له وبيان لثبات جنانه أو كمال أدبه وهو في رؤيته لربه جل وعلا في معراجه كما سيأتي (وقال الله تعالى فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس الى قوله وما هو بقول شيطان رجيم) هي النجوم فالخنس الكواكب الرواجع وهي ما عدا النيرين من السيارات ولذا وصفها بالجوار لسيرها والكنس التي تغيب في مغاربها من كنس اذا دخل كناسه والكناس نقر الظبي كالغيل للاسد والوكر للطير والجحر للحشرات والبيت للانسان فهو على التشبيه والخنس تعقر الانف والظباء توصف به والشيطان من الجن مردتهم وقد يخص بابليس من شاط اذا احترق أو من شطن اذا بعد وهو أنسب بالرجيم لانه المرجوم بالشهب (لا أقسم أي أقسم انه لقول رسول كريم أي كريم عند مرسله) وهو الله عز وجل فعلى عدم الزيادة انه واضح غير محتاج للتاكيد بقسم وغيره وهو قول لاكثر المفسرين لانه الاصل وعلى الزيادة لمناسبة المقام ولقوله وانه لقسم لو تعلمون عظيم واثبوت الزيادة في قوله فلا أقسم بمواقع النجوم مع اشتراك المقامين في بيان شان القرآن واختاره المصنف رحمه الله تعالى لمناسبته لما عقد له الفصل وأشار لعدم القسم فيما سبق لما فيه من التعظيم أو اشارة لجواز الامرين أو الفرق بين الموضعين مع ان في الآية ما يناسب النفي وابهام عدم جواز غيره لا يعتد به وضمير انه للقرآن أو لما أخبر عنه من المغيبات والقول بمعنى المقول والرسول المرسل ولم يغير لفظ القرآن كما هو دأبه وقيل التقدير لقول مرسل رسول والكريم بمعنى العظيم أو الجواد بسعادة الدارين قيل فاعل أقسم جبريل واضافة القسم له لا لقائله صلى الله تعالى عليه وسلم كلاما مؤلفا ثم صرفه عنه بقوله تنزيل من رب العالمين وكريم ومكين صفة جبريل عليه الصلاة والسلام على الاصح وقيل المراد به النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وتفسير المصنف رحمه الله تعالى بكريم عند رسله لا حاجة اليه مع قوله عند ذي العرش مكين والغرض انه عنده غير الاصح ولذا نقله عن الرماني فيما يأتي * أقول يجوز جعل

(ذي قوة) أي صاحب قوة وقدرة (على تبليغ ما حمله) بتخفيف الميم على صيغة الفاعل وكذا يجوز بصيغة المفعول مشددا وكذا بصيغة الفاعل على ما ضبطه في بعض النسخ (من الوحي) أي مما أوحي اليه من الحق الى الخلق (مكين) أي ذي مكانة ومنزلة عالية عارية عن المنقصة في مرتبته (أي متمكن المنزلة) أي الجاه ولكون المكانة على حسب حال الممكن قال عند ذي العرش مكين تلويحا بعظم مكانته ومنزلته وعلو مرتبته كما أشار اليه المصنف بقوله (من ربه رفيع المحل) بفتح الحاء وجوز كسرها أي على الشأن (عنده) أي عنده سبحانه وتعالى عندية منزهة عن المكان والزمان وقوله تعالى عند ذي العرش متعلق بقوله تعالى ذي قوة أو بمكين (مطاع) أي ذي اطاعة مع كونه صاحب طاعة (ثم) بفتح المثلثة (أي في السماء) اذ قد بلغ فيها ليلة الاسراء ملائكة السماء فاطاعوه اجمع في ذلك الانبياء وقرئ بضم المثلثة فالمراد بها التراخي في الرتبة (امين) أي مامون على تحمل ما أوحي اليه وتبليغ ما أنزل عليه ومقبول القول لديه والظرف يحتمل وصله بما بعده وما قبله (قال على بن عيسى) أي الرماني النحوي المنسوب الى رمان الفاكهة وبيعه أو لقصر الرمان موضع معروف بواسط وهو من أصحاب ابن دريد مات سنة اربع وثمانين وثلاثمائة وهو صاحب كتاب النكت في اعجاز القرآن امام مشهور في سائر العلوم وعن ابن السراج انه تمذهب الى الاعتزال والله تعالى اعلم بالحال (وغيره) أي من ارباب المقال (الرسول الكريم) كان الاولى أن يقول رسول كريم (هنا) أي في هذا المقام العظيم (محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فجميع الاوصاف) أي المذكورة هنا (بعد) أي بعد ذكره وفي نسخة تعد بضم منقوطة بنقطتين وفتح عين وتشديد مهملة أي تذكر (على هذا) أي على هذا القول (له) أي لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم

جبريل

ضمير اقسم لله عز وجل واعتراضه على المصنف رحمه الله تعالى لا وجه له سواء أراد أن المكانة عند الله يستلزم كرمه عنده أو ان العندية من قوله عند ذي العرش لانه مقام مدح فيقتضي التصريح بما يدل عليه مع ان ما ذكره غير مسلم والعندية عندية تشريف وتعظيم فتامل (ذي قوة على تبليغ ما حمله من الوحي) حمله بالتشديد مع البناء للفاعل أي حمله الله أو المفعول والتحميل في الرسالة لثقلها مشهور وهو في الاصل استعارة لثقل الامانة وعند ظرف لمكين والقوة معروفة وقد تفسر بالمنزلة كما يقال فلان قوي عند السلطان فيتنازع هو ومكين في الظرف أو الظرف صفة أخرى والقوة صفة جبريل عليه الصلاة والسلام لما حمله الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أو هو النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لما بلغه لامته والمراد بالوحي القرآن لقوله تعالى انا سنلقي عليك قولا ثقيلا (مكين أي متمكن المنزلة من ربه رفيع المحل عنده) يعني ان مكين بمعنى متمكن المنزلة أي معظم مبجل رفيع المقدار عنده ومعنى العندية معلوم مما مر في اعرابها وتفسيره بالتمكن لا يخالف ما تقدم من ان المكانة المنزلة عند الملك كما قيل (مطاع ثم أي في السماء) ثم بفتح المثلثة وتشديد الميم مبني على الفتح اسم اشارة الى المكان بمعنى هناك وترسم بالهاء للوقف بها عليه ونقل انه لغة فيه أيضا كما مر ودل على قوله في السماء قوله عند ذي العرش واشارة البعيد والمقام وهو قريب من قوله في الكشاف مطاع عند ذي العرش في ملائكته ويجوز تعلقه بالامانة وبهما (امين على الوحي) وخصه بذلك لان المقام يقتضيه وهو مؤتمن عليه وعلى غيره ولذا فسر بمقبول القول فصدق فيما يقول ويجوز فيما ذكر ان يراد به جبريل والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم لاطلاق الامين على كل منهما وكون جبريل عليه الصلاة والسلام مطاعا في السماء أظهر وان قيل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مطاع فيها أيضا لامامته بالانبياء عليهم الصلاة والسلام فيها وما جرى بينه وبين ملك الجبال وغيره الا انه خلاف الظاهر وجوز في ثم أن يكون اشارة للظرف السابق أي مطاع عند ذي العرش مقبول الشفاعة وهو بعيد (قال على بن عيسى رحمه الله تعالى) في المقتفى الظاهر أنه أبو الحسن علي بن عيسى بن علي بن عبد الله الرماني الامام في النحو واللغة والتفسير والكلام له تفسير عظيم لم نقف عليه وهو تلميذ ابن دريد وروى عنه جماعة توفي ليلة الاحد حادي عشر جمادى الاولى سنة أربع وثمانين وثلاثمائة وقيل سنة اثنين وثمانين ومولده ببغداد سنة ست وتسعين ومائتين وأصله من سر من رأى والرماني نسبة الى بيع الرمان أو الى قصر الرمان وهو قصر معروف بواسط كما قال ابن خلكان وله ترجمة في الميزان (الرسول الكريم هنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فجميع الاوصاف بعد على هذا له صلى الله تعالى عليه وسلم) هذا قول الجمهور وبعد هنا منهم من قال انه بالموحدة بلفظ بعد ضد قبل أي بعد ذكره على هذا القول والتفسير ومنهم من قال انه بالمثناة الفوقية فعل مجهول من العد والجملة خبر وعلى الاول الظرف متعلق بمقدر وله خبر وعلى متعلق بما تعلق به أو بالشيء المقدر وضمير له عليهما أي على القولين للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم أي على هذا القول الاوصاف المذكورة بعده أو المعدودة للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم حتى مطاعيته في السماء كما مر وما قيل من انه في الصفات المذكورة ما يعين انه

(وقال غيره) أي غير علي بن عيسى وهم الاكثرون من العلماء (هو) أي الرسول الكريم (جبريل عليه السلام فيرجع الاوصاف اليه) أي بخلاف وماصاحبكم بمجنون فان المراد به محمد صلى الله تعالى عليه وسلم باجماع المفسرين وذلك ان المشركين قالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون فنفى الله سبحانه وتعالى عنه ذلك بهذه الآية

وبقوله سبحانه وتعالى ما أنت بنعمة ربك بمجنون وقد تمسك بعض المعتزلة وطائفة من أهل السنة في تفضيل الملائكة بعده فضائل جبريل عليه الصلاة والسلام واقتصاره على نفي الجنون عنه صلى الله تعالى عليه وسلم وضعف بان المقصود منه نفي قولهم انما يعلمه بشر افترى على الله كذبا أم به جنة لاعد فضلهما والموازنة بينهما (ولقد رآه) أي بالافق المبين (يعني) أي يريد الحق سبحانه وتعالى بالرائي (محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم قيل) أي نقل عن ابن مسعود وغيره (رأى) أي محمد (ربه) وقدم هذا القول لانه أوفى بالغرض الذي هو مدح الرسول (وقيل رأى) أي محمد صلى الله تعالى عليه وسلم (جبريل في صورته) أي التي خلق عليها فقيل ان ذلك اشارة الى رؤيته اياه عند سدرة المنتهى وقيل انه اشارة الى رؤيته اياه في غار حراء حين رآه على كرسي بين السماء والارض حسبما ثبت في الصحيح (وما هو) أي ليس النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (على الغيب) أي على ما يخبر به مما أوحي اليه وغيره من الامور الغيبية (بظنين) بالظاء المشالة وهو قراءة ابن كثير وابي عمرو والكسائي (أي بمتهم) يعني من الظنة هي التهمة (ومن قرأه بالضاد

جبريل عليه الصلاة والسلام مبني على الظاهر المتبادر وردوه بان ملك الجبال قال أمرني ربي ان أطيعك ولا يتخلف ملك عن أمره بل الشجر والدواب كذلك لا يخفى ما فيه (وقال غيره هو جبريل عليه الصلاة والسلام فترجع الاوصاف اليه) ضمير غيره هنا راجع لعلي بن عيسى ولم يلتفت لغيره المذكور لعدم تعينه ولا تابع له أو هو راجع لهما بتأويله بغير من ذكر ومثله كثير فالغير هنا غير الغير الذي وافقه على القول المذكور واما كونه هو على ان عنه روايتين في التفسير فتعسف لا وجه له وان جوزه بعضهم وكون المراد بالرسول الكريم جبريل عليه الصلاة والسلام هو قول جمهور المفسرين ويؤيده ما رواه الواحدي من أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال له ما أحسن ما أثنى عليك ربك بقوله ذي قوة الى آخره وما مر من قوله صلى الله تعالى عليه وسلم له هل أصابك من هذه الرحمة شيء فقال كنت أخشى العاقبة حتى نزلت هاتين الآيتين وعلى القول الاول يحمل ما وقع في خطبة المقامات للحريري فلا وجه لتشنيع ابن الخشاب عليه ولا لقول الشريشي انه عثرة وضعف القول الاول السهيلي بان الآية وردت لتكذيب الكفار أن محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم تقول القرآن فاضافه الله لجبريل عليه الصلاة والسلام وان كان في الحقيقة قوله تعالى لان جبريل هو الذي جاء به الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فصار كانه قوله فلا يسوغ على هذا أن يكون الرسول الكريم محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم وان كان رسولا كريما قيل ما ذكره ظاهر ان ثبت انها وردت لهذا الغرض وزد بان لارادة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مساغا ولو سلم ما قاله لان مدعى الكفار انه مقال محمد من تلقاء نفسه وقوله انه لقول رسول كريم ناطق بانه قول من أرسله كما فينتفي كونه من تلقاء نفسه فتدبر (ولقد رآه يعني محمدا قيل رأى ربه وقيل رأى جبريل في صورته) يعني الرائي محمد صلى الله تعالى عليه وسلم على التفسيرين واختلف في المرئي فالجمهور على انه جبريل على صورته الاصلية بستمائة جناح ومنه يعلم نكتة تخصيصه بالافق قيل ولم يره غير مرة بهذه الصورة وقيل رب العزة قال بعض الشراح هو قول ابن مسعود رضي الله عنه وقدمه المصنف رحمه الله تعالى لموافقته لغرضه وهو قول غريب قيل انه لم ينقل عن احد ممن يعتمد عليه ويأباه كل الاباء قوله تعالى بالافق المبين سواء كان نواحي السماء أو حيث تطلع الشمس اذ لم يقل احد انه رأى ربه بالافق واجيب بانه اذا جاز عود ضمير رآه لربه فرؤيته بالافق كاستوى على العرش أو المراد بالافق الذي فوق السماء السابعة وحينئذ فقوله دنا فتدلى من قبيل دنو المكانة لا المكان أو المراد به المنزلة العالية كما أشار اليه الامام وقولهم لم يقل به احد يرده انه روي عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه وما هو على الغيب بظنين أي بمتهم الغيب الغائب عن الحسن الذي اخبر به أو ما هو وسائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام على اخبار الغيب فيشمل الذات والصفات والقرآن فيستدل به على غيره أو المراد ما غاب عن علمكم فيشمل اخبارا عن المشاهد والغائب والظنين بالظاء المشالة ما ينسب الى التهمة للوهم والغلط أو المراد ليس مظنونا به ما نسب اليه مما اتهمته به الكفرة فالنفي فيه كالنفي في قوله لا ريب فيه وقرئ في السبعة بالضاد المعجمة أيضا كما أشار اليه بقوله (ومن قرأها) أي الآية أو الكلمة وروى قرأه أي هذا اللفظ (بالضاد) وهو نافع وعاصم وحمزة وابن عامر من الضن

فمعناه ماهو بخيل) أي (في تبليغ رسالته الى عموم أمته من الضنة وهي البخل بالدعاء به) متعلق ببخيل أي بدعائه الخلق الى الحق
وفي رواية كما في نسخة بالدعاية بالتحتية كالبداية وقيل هي من الادعاء اذا قال في الحرب أنا فلان كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم في غزوة
حنين أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب (والتذكير بحكمه) أي وبتذكيرهم باحكام ربهم (وبعلمه) يحتمل ان يعود ضميره الى الحكم
أي وليس ببخيل بعلم كونه واجبا ٢٢٤ أو مندوبا أو حراما أو مكروها أو مباحا لهم ويحتمل عوده اليه صلى الله تعالى عليه وسلم
أي ولا يبخل أن يعلمهم اياه كما علمه ولا يكتم شيئا (وهذه لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم) أي وهذه الآية وهي وما هو على الغيب بظنين على القراءتين صفة لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم (باتفاق) أي من المفسرين اذ لم يقل أحد بعود ضمير هو الى جبريل عليه الصلاة والسلام (وقال تعالى ن) اسم للحرف أو للحوت وأريد به الجنس أو للحوت الذي عليه الارض أو للدواة فان بعض الحيتان يخرج منه شيء أشد سوادا من الحبر يكتب به وينصر الاول سكونه ورسمه بصورة مسماه ويؤيد الثاني قوله تعالى ولا تكن كصاحب الحوت وحينئذ فالانسب ان يراد به ذلك الحوت بعينه أو المراد جنسه الداخل فيه ويقوى الثالث قوله تعالى (والقلم) وهو ما كتب به اللوح المحفوظ أو ما يكتب به مطلقا (وما يسطرون) أي يكتبون
والكتبة هم الحفظة كراما كما تبين أو الاعم والله أعلم (الآيات) أي الواردة في اول السورة في حقه صلى الله تعالى عليه وسلم
من حسن السيرة والصورة (اقسم الله تعالى بما اقسم به) لكثرة فوائده (من عظيم قسمه) أي تعظيما له وتكريما في تخصيص ذكره
(على تنزيه المصطفى) أي تبرئته وتبعيده (مما غمصته) بمعجمة ومهملة بينهما ميم أي عابه واحتقره (الكفرة به وتكذيبهم له) أي وعلى
تكذيبهم للمجتبى في قولهم انه كذاب وساحر ومجنون (وأنسه) من باب الافعال أو التفعيل أي جعله ذا انس بقربه ومستأنسا بحبه
(وبسط أمله) أي نشر ماموله ومقصوده وأكثر له رجاءه فيما شاءه

الهمزة

والضنة وهي البخل (فمعناه ماهو بخيل بالدعاء به والتذكير بحكمه وبعلمه وهذه لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم باتفاق) الفاء زائدة في خبر الموصول لتضمنه معنى الشرط وضمير معناه للفظ أو القول المذكور وقوله بالدعاء به الدعاء بالمد بمعنى الدعوة أو المدعو اليه والباء في به على هذه الرواية اشارة الى ان على في النظم بمعنى الباء أو هي بمعنى الى أو للسببية والمدعو اليه أحكام الشريعة كلها وروى الدعاء له أو الدعاية بكسر الدال ومثناة تحتية بعد الالف والتذكير التنبيه أو الوعظ وحكمه بضم الحاء وسكون الكاف أو بكسرها وفتح الكاف جمع حكمة وهو الكلام النافع والعلم ما علم منه من كل أمر فيه علم وحكمة أي ماهو ببخيل على الناس في تبليغ ما أوحي اليه وقد أمر بتبليغه وهذه اشارة للآية أو الصفة على هذه القراءة والاتفاق على هذه بخلاف قراءة الظاء لان هذه العلوم والحكم أمر نفيس فيه سعادة الدارين ومثله مما يضمن به البشر فنزهه عن مثله لكرم جبلته (وقال الله تعالى ن والقلم وما يسطرون الآيات) أي اقرأ الآيات الى آخرها أو اذكر أو اعني (اقسم الله تعالى بما اقسم به من عظيم قسمه) أبهم المصنف ذلك اشارة الى عظمته كما هو والى عظمة ما فيه بناء على ان نون قسم هنا وهي الحرف أو الدواة أو اسم للسورة فاقسم بالقرآن وما كتب به والقلم هو المعروف أو قلم اللوح وقيل نون الحوت الذي عليه الارض والقسم على ظاهره أو بمعنى المقسم به (على تنزيه المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم مما غمصه) وفي نسخة غمصته (الكفرة به وتكذيبهم له) غمصه بفتح الغين المعجمة والصاد المهملة وغمص بمعنى عابه وحقره قال ابن القطاع غمص الناس غمصا احتقرهم وعابهم والشيء كذلك وغمص النعم وأغمصها كفرها وقال التلمساني الغمص بالصاد المهملة العيب والتنقيص وأكثر مايكون في الدين وقال ابن حبيب في غريب الموطا الغمض بضاد معجمة أخت الصاد تصغير النعمة وتحقيرها وبالصاد المهملة اذا صغر الناس وازدرى بهم واستحسن هذا الفرق بعد ان قال انهما سواء انتهى فيجوز في كلام المصنف رحمه الله تعالى الاهمال والاعجام الا ان الاول أرجح وعليه اقتصر الشراح وقوله وتكذيبهم بالجر عطف على ما والمراد بالتكذيب الواقع في كلام المصنف كما في بعض الشروح هو قولهم هذا ساحر كذاب وأجل بعضهم فقال المراد التنزيه عن الكذب المضر القادح أو ما كذب به أقول لا يخفى ان المصنف رحمه الله تعالى لم يذكر من الآيات ما يدل على التكذيب نفيا واثباتا وليس في كلامه غير ما أنت بنعمة ربك بمجنون وما قيل أولا لا مساس له بكلامه ونظر المصنف رحمه الله تعالى في مقاصده دقيق لمن عرف مغزاه فالمراد انه تعالى أنعم عليه بما علمه وأعطاه من نعم الدارين وأغناه عما سواه ونصره على أعدائه ومن أوتي مثل هذا لا يكذب فان فعل أو تكلم بما لا يليق فهو مجنون ولذا قال الفاضل الحلبي انه تعالى نزهه عن تكذيبهم وهو واقع لان معنى الآية ما أنت بمجنون بسبب انه تعالى أنعم عليك بكمال العقل والمعرفة فافادت تنزيهه عن الكذب وان تكذيبهم كلا تكذيب لعدم الاعتداد مع قيام الدليل على خلافه (وانسه وبسط أمله) أنس فعل ماض معطوف على أقسم بقصر

الهمزة وتشديد النون من التانيس أو بالمد والتخفيف من الايناس يقال أنست به وآنسه اذا اذهبت وحشته وسكنته كما مر والامل الرجاء وبسطه توسيعه وتكثيره أو من الانبساط وهو المسرة كما ورد في الحديث انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال عائشة يبسطها ما يبسطني أي يسرها ما يسرني فهو استعارة تدل على انه عامله صلى الله تعالى عليه وسلم بالطافة حتى كثر رجاؤه أو سره (بقوله محسنا خطابه ما أنت بنعمة ربك بمجنون) محسنا حال من الضمير وروى مخففا ومشددا من الاحسان والتحسين والثانى أحسن عند من له ذوق ولذا اقتصر عليه البرهان رحمه الله تعالى وخطابه مفعول بقوله تعالى وما أنت الى آخره مقول القول وهو جواب القسم في النظم وتوسيع الامل لجعله متلبسا بنعم الكريم الذي رباه وقوله تعالى وان لك لاجرا الى آخره وفيه ايماء لدوامها وازديادها وقيل خطابه المقرون بتخليته وتحليته وسع أمله لان من أثنى على أحد وسع أمله وهو تكلف أنت في غنى عنه بما عرفته والباء للسببية أو الملابسة أو المصاحبة وقال الشريف المعنى ان عدم الجنون لانعام الله عليه ولطفه أو حال كونه متلبسا بنعمة العقل والنبوة والاخلاق العلية بما يدل قطعا على كذبهم وهو حال من معمول معنى النفى أي انتفى عنك أو من فاعل بمجنون كما ذهب اليه الزمخشري والباء زائدة ليصح العمل وضعف بانه يلزم نفى الجنون المقيد لا مطلقا وأجيب بان القيد دائمي فيصح المعنى ولعل غرضه ان مقام رد المعاند يقتضى ما لا يوهم ولو في بادى الرأى والتقييد موهم وفيه أن تقييد النفى موهم أيضا لكن ايهامه أقل والقيد للاخبار ومثله كثير كما ذكره ابن الحاجب فالحكم بعدم الجنون في زمن تلبسه بالنعمة وعدم الجنون مطلق وقيل الباء للقسم وبه جزم في لباب التفاسير وضعف بان القسم لا يدخل على القسم انتهى * أقول هذا ليس بشئ لانه وقع مثله في الكتاب العزيز ولم يلتفت فيه لمثل هذا الايهام لان السياق ومقام المدح شاهدا صدق لا يحتاجان لتزكية ألا ترى ان أبا البقاء رحمه الله تعالى أعرب قوله تعالى وما هم بمؤمنين يخادعون الله حالا والعامل اسم الفاعل وهو بمؤمنين وذو الحال الضمير المستتر فيه ولما خطأه أبو حيان رحمه الله بمثل ما قاله المعترض رده المحققون بما قلناه فالاعتراض على الزمخشري غير مسموع أصلا ولا حاجة الى ما أجابوا به فانه كله من ضيق العطن ولولا خوف الملل لاطلناه ولكن الثمرة تدل على الشجرة (تنبيه) خطر ببالى هنا نكتة وهى ان الله تعالى أقسم بالقلم وما خط به لمناسبة المقسم عليه لان المجنون مرفوع عنه القلم فاتيانه به يدل على تكذيبهم فيما قالوه فله موقع هنا ليس لغيره (وهذه نهاية المبرة في المخاطبة وأعلى درجات الآداب في المحاورة) الاشارة للامور المذكورة من التنزيه عما قالوه في حقه تعالى بقوله ما أنت الخ والتكذيب الذي دل عليه والتانيس بتقديم الدليل بقوله بنعمة ربك قطعا لعرق الشبهة من أول الامر ثم بيان تحقيق آماله بقوله تعالى وان لك لاجرا غير ممنون به عليك أو غير مقطوع وهذا غاية البر والاحسان في خطابه له صلى الله تعالى عليه وسلم وأقصى مراتب الادب اللائق بمقامه صلى الله تعالى عليه وسلم تعليما لعباده والمحاورة بالحاء والراء المهملتين كالمراجعة والمجاوبة وزنا ومعنى ففيه وجوه أكثر من خمسة فلم يكتف بمجرد الرد عليهم كمن رأى من يحبه في هجوم أعدائه عقالهم فكذبهم وبين وجه كذبهم ثم ذكر ما يطرد وحشته ثم وعده بما هو أعظم مما ذكره (ثم أعلمه سبحانه وتعالى بماله عنده من نعيم دائم وثواب غير منقطع) أي بعد ان برأه ونزهه أعلمه بما أعده له بعد من الثواب على ما قاساه وعطفه بثم اشارة الى بعد ما بين الامرين من تعبه السريع الانقطاع ونعيمه الدائم الواقع في مقابلة تكذيبهم له والاجر المضاعف على عمله وصبره على طعنهم ورميهم له بما لا يليق ففيه تسلية له صلى الله تعالى عليه وسلم كانه قال له لا تحزن فقد تبين كذبهم بداهة فلا نقص يعود عليك مما قالوه فلك نعيم مؤبد في مقابلته والصبر على الشدائد والمقاساة

بقوله محسنا) من باب التفعيل أو الافعال حال من ضمير ما قبله أي مزينا (خطابه) في كتابه بقوله (ما أنت بنعمة ربك بمجنون) جواب القسم في الآية ومقول القول في الاصل أي ما أنت بمجنون منعما عليك بالنبوة وغيرها والمعنى انهم مجانين حيث قالوا انك لمجنون والحال انك أعقل العقلاء وأفضل العلماء وأكمل العرفاء وسيد الانبياء وسند الاصفياء والاولياء (وهذه) أي الحالة العظيمة أو المنقبة الجسيمة المأخوذة من قوله آنسه وبسط أمله والتانيث باعتبار الخبر وهو قوله (نهاية المبرة في المخاطبة) أي غاية الاحسان والمطاوعة في المكالمة والمجاوبة (وأعلى درجات الآداب في المحاورة) أي المراجعة والمراددة (ثم) أي بعد ان نزهه وبرأه عما لا يليق به مما نسبوا اليه (أعلمه بماله عنده من نعيم دائم) أي أبد الآبدين (وثواب غير منقطع) أي غير ممتنع في زمان وحين

(لا ياخذه عد) أي لا يضبطه عد ولا يحيط به حد (ولا يمن به عليه) من الامتنان أي ولا يجعله تحت الامتنان مع ان له المنة في
الاحسان افتعال من المن وهو الاحسان الذي تمن به على غيرك وفي نسخة ولا يمن به عليه يقال من وامتن عليه اذا
عد عليه بمعروف اسداه
اليه صنعه وقيل الامتنان
عد الصنيع لاظهار
الفضل (فقال وان لك
لاجرا غير ممنون) أي غير
منقطع أو غير ممنون به
عليك فانه يعطيك بلا
واسطة (ثم أثنى عليه بما
منحه) أي أعطاه (من
هباته) جمع هبة أي
موهوباته وتفضلاته
(وهداه اليه) أي دله
عليه والحاصل أن
المصنف رحمه الله تعالى
جمع بين أقوال المفسرين
في معنى قوله غير ممنون
أي غير منقطع وهو قول
الاكثر أو غير محسوب
ولا معدود وهو قول طائفة
أو غير ممتن به وهو قول
ضعيف ذكره الهروي في
غريبه (وكذلك) أي
الذي يدل على ما منحه
(تتميما للتمجيد) من
المجد وهو الكرم والعظمة
أي تكميلا للتعظيم
والتكريم بنسبته اليه
(بحرفي التاكيد) وهما
ان واللام (فقال وانك
لعلى خلق عظيم) قيل
استعظمه لفرط احتماله
أذى قومه مع مبالغتهم
في عداوتهم وهو يقول
اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون (قيل) في تفسير خلقه العظيم (القرآن) أي ما فيه من مكارم الاخلاق ومن ثم
قيل هو ما أمره الله بقوله خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وورد عنه صلى الله تعالى عليه وسلم في تفسيره صل من قطعك
وأعط من حرمك واعف عمن ظلمك وهذا القول هو المروي عن عائشة رضي الله عنها انها لما سئلت عن خلق رسول الله صلى الله تعالى

في التبليغ ففيه تثبيت وتخصيص فالثواب هو الاجر وغير منقطع تفسير لقوله غير ممنون (لا ياخذه العد) أي لا يحصى ولا يعد ففيه استعارة كانه اذا عد أخذه أو لا يغلبه العدو يحيط به كما قيل في قوله تعالى لا تاخذه سنة ولا نوم ومنه يعلم وجه تقديم السنة والمراد المبالغة في كثرته (ولا يمن به عليه) يمن بصيغة المبني للمجهول من المن وهو تعداد المنعم نعمه وصنيعه والتقدير لا يمن أحد من الخلق بها عليه لانها من الكريم الوهاب أولا يمن بها الخالق ويؤيده انه روي يمن بصيغة المبني للفاعل وقال الطيبي رحمه الله تعالى أن من شأن الكرام لا يمنوا ولذا قيل ان ذكر الاجر يفيد انه لا منة والثواب لا ينقص بالمنة فنفيها تاكيد للاجر وقيل عليه انه تكلف مردود فانه تعالى يمن على عباده كما صرح به في مواضع عديدة والاجر محض تفضل منه تعالى اذ العمل لا يفي بشكره ونيل المراتب العلية فضل آخر واعطاء ما لا يجب عليه فضل ثالث فتجري وجوه المنة منه وهي تشريف منه والتحقيق انها لما قبحت من غيره تعالى واعتادت النفوس النفرة منها لا يفعلها الله تعالى لايهامها ما لا يليق به وان حسنت منه ففيه تاسيس لتعظيم يستفاد منه تدقيق النظر * أقول ما ذكره من التحقيق ليس بشيء فان المنة فعلا وقولا مستحسنة منه تعالى وقد ورد التصريح بها في نحو قوله تعالى قل لا تمنوا علي اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان بل قد يستحسن من غيره أيضا ولذا قيل ان هذا شبيه بقول المعتزلة فافهم وفي قول المصنف رحمه الله تعالى اشارة الى تفسير آخر في قوله غير ممنون (فقال وان لك لاجرا غير ممنون) أتى بالفاء لانه متفرع على ما قبله من الاعلام أو تفصيل له في الجملة أي لك على ما احتملته من أذاهم ثواب غير منقطع أو غير ممنون به عليك من غيره لانه موهبة الهية وأتى بتاكيدات أربع للاهتمام والتقرير والانكار وزيادته فاكد المجموع بالمجموع أو هي موزعة على ما ذكر وان لم يكن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم منكرا فانه قد يراعى حال السامع كما في التعريض وقد علمت أن المن له معاني القطع والنقص وتعديد النعم وأشار المصنف رحمه الله تعالى الى ذلك كله بقوله غير منقطع وقوله لا ياخذه العد الى آخره الا أنه قيل عليه انه لا يتم ما ذكره من الاعلام بالكل الا على القول بجواز استعمال المشترك في معانيه أو جوازه في النفي أو ارادته على البدل فقول المصنف رحمه الله تعالى السابق ثم اعلامه الى آخره وعطفه بالواو غير حسن الا أن يكون بمعنى أو وكل قسم على تفسير وفي تحرير ابن الهمام المشترك يعم في النفي وهو المختار والقول بانه أعلمه بماله عنده والبيان من المصنف رحمه الله تعالى لثبوت التفاسير تكلف وتحميل للعبارة ما لا تطيقه والظاهر انه بيان للوجوه المذكورة في الآية على وجه يفيد ثبوتها كلها لاستلزام عدم العد لعدم الانقطاع والنقص بحسب عرف التخاطب (ثم أثنى عليه بما منحه من هباته) عطفه بثم لما مر أي مدحه بما وهبه وأعطاه من موهوباته السنية (وهداه اليه) من معرفته وتوحيده أو من القرآن وآدابه ودلالته له دلالة موصولة فان أفعال العبد وصفاته بايجاد الله فيه كما هو مذهب أهل الحق (وأكد ذلك تتميما للتمجيد) أي التعظيم من المجد وهو الكرم أي تتميم النسبته اليه (بحرفي التاكيد) زيادة لتعظيمه واهتماما به ففيه تعظيم على تعظيم وهما اللام وان مع القسم واسمية الجملة ولذا قيل الاولى ان يقول بوجوه التاكيد الا أنه اقتصر على التصريح منه فان الاسمية قد لا يقصد بها التاكيد ولذا قالوا ان نحو زيد قائم يلقى لخالي الذهن لكنه غير تام بالنسبة للقسم (فقال وانك لعلى خلق عظيم) أتى بعلى اشارة لاستعلائه عليه لكونه مجبولا عليه بغير تكلف (قيل القرآن) هذا مروي عن عائشة والحسن رضي الله عنهما

عنهما وغيرهما كما سيأتي والمراد انه اتصف بكل صفة جميلة تعلم منه ومنزه عن كل مالا ينبغي مما نهي
عنه فليس هذا تفسيرا آخر كما قيل (وقيل الاسلام) ولذا قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في تفسيره
على دين عظيم والخلق يجيء بمعنى العادة والطريقة (وقيل الطبع الكريم) أصل معنى الطبع الختم
وطبع السيف ونحوه عمله ثم صار بمعنى الجبلة التي خلق الانسان عليها ومثله الخلق والخلاق وهو ملكة
نفسية لا تقبل التغير بسهولة وقال ابن الجوزي حقيقته ما يأخذ الانسان به نفسه من الآداب وأما
ما طبع فيسمى ختما وقد اجتمع فيه صلى الله تعالى عليه وسلم من المكارم مالم يجتمع في غيره وقال
الامام المراد التخلق بمجموع أخلاق الانبياء عليهم الصلاة والسلام وهي مرتبة عظيمة فانه صلى الله
تعالى عليه وسلم أمر بالاقتداء بهداهم ولم يرد أصول الشرائع لعدم مناسبة التقليد فيها فالمراد ما مر قيل في
دليله نظر لجواز أن يراد الاقتداء في تحصيل اليقين بالاصول والعمل بمقتضاها فلا يلزم التقليد *
(أقول لا يخفى ان تقليد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لمن قبله من الانبياء في الاصول الدينية غير صحيح
وهو الذي أراده الامام رحمه الله تعالى فان أراد مجرد سلوك طريقهم الموصلة لها لا نفسها فلا خلاف
بينهما فتدبر (وقيل ليس لك همة الا الله جل جلاله) الهمة كما في المصباح أول العزم من هم بالشيء
ويكون بمعنى العزم يقال له همة عالية والمراد هنا الثاني وهذا محكي عن الجنيد رحمه الله تعالى قال انما
سمى الله خلقه عظيما لانه لم يكن له همة في غير الله سبحانه فكان صلى الله تعالى عليه وسلم معاشرا
للخلق بجسمه ومزايلا لهم بقلبه فظاهره مع الخلق وباطنه مع الحق يعني ان عزمه صلى الله تعالى عليه
وسلم في اعلاء كلمة الله وتبليغ ما وصل اليه وفكره في ذاته وتوحيده فقول بعضهم انه بعيد جدا الاوجه
له (قال الواسطي) في الاول وتقدمت ترجمته (أثنى الله عليه بحسن قبوله لما أسداه اليه من نعمه)
اسدى بمعنى أعطى أو أوصل وهما متقاربان ومن بيان لما الموصولة والباء صلة اثنى أو سببية والنعم
فسرها الفاضل الشريف بالاخلاق العظيمة التي انتظمها الخلق في الآية وتبعه تلميذه ابن الحنبلي
(وفضله بذلك) أي بما اسداه أو بحسن قبوله (على غيره) من جميع المخلوقات الانبياء عليهم الصلاة
والسلام وغيرهم وقوله (لانه جبله على ذلك الخلق) أي خلقه مطبوعا على خلقه العظيم الكامل الذي
لا ينفك عنه وضمير قبوله السابق للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وجوز فيه أن يكون لله أي قبول الله
اخلاقه أو انه جعل حسن قبوله مثنيا عليه والاول أولى ولذا اقتصر عليه أكثر الشراح وقيل ان في
كلامه مناقشة لان المجبول على الشيء الذي طبع عليه بمعنى انه خلق كذلك لا يقال فيه انه قابل لذلك
الذي جبل عليه لان ما بالقبول لا يكون ذاتيا فكان الاحسن أن يقول اثنى عليه بحسن ما جبله عليه ولله
المنة المطلقة فانه المنعم بالشيء والمثني عليه وتتمة كلام الواسطي تشير لذلك ورده السيد بانه تقرر في العلوم
العقلية ان ما اتصف به المرء اما على الفاعلية أو القابلية والمراد بالقبول تأثره وتحققه فيه فصرح بانه
قابل لا فاعل ردا الطبيعيين بل حسن قبوله أيضا من الله فهو قابل له أيضا فاثنى عليه لا لفعله اياه بل
لقبوله وقبوله أيضا ليس منه فظهر ان الاعتراض غير قابل للقبول بل للرد * أقول هذا الكلام كله
تكلف مبني على غير أساس وتقريره ان مراد الواسطي بيان محصل معنى الآيات كلها فالنعم في كلامه
ليس بمعنى الاخلاق بل كل ما أنعم الله به عليه لعموم الموصول وحسن القبول مأخوذ من اشارة النص
بقوله تعالى ما أنت بنعمة ربك بمجنون أي لست ممن تستحقك النعم والبطر لمعرفتك بالله ومقدار
نعمه وتفضيله على غيره من كونه له أجر لا يحصى وقوله لانه الخ تعليل لمجموع ما قبله يعني انه صلى
الله تعالى عليه وسلم لسلامة طبعه وتمام أخلاقه حسن قبوله للنعم واستحق الثناء وبهذا التقرير
سقط الاعتراض لان الاخلاق وان كانت بخلق الله فيما جعله قابلا لكنه غير مراد هنا فما ذكره المجيب

عليه وسلم قالت كان خلقه
القرآن يرضى برضاه
ويسخط بسخطه (وقيل
الاسلام) وهو المنقول
عن ابن عباس والمراد
بالاسلام ههنا هو التوحيد
الحقيقي والانقياد
الظاهري والباطني
لاوامر الله وأحكامه
وقضائه وقدره كما قال
تعالى لابراهيم عليه
الصلاة والسلام أسلم
قال اسلمت لرب العالمين
(وقيل الطبع الكريم)
ولذا كان يخالق الناس
بمكارم الاخلاق ويخالطهم
بلطفه وارفاقه وهو
المنقول عن الماوردي
(وقيل ليس لك همة)
أي مقصد دون همة (الا
الله) أي الذي بيده كل
رحمة ونعمة فكان مع
الخالق بقالبه مباينا لهم
بقلبه وهذا منسوب الى
الجنيد (قال الواسطي
أثنى عليه بحسن قبوله)
أي أثنى الله على نبيه
بقبوله الحسن (وحسن
اقباله) اي ذي المنن (لما
اسداه اليه من نعمه) أي
لما أوصله اليه وأولاه
من نعمه الظاهرة والباطنة
في دنياه واخراه (وفضله
بذلك) أي بما ذكر (على
غيره) أي من جميع خلقه
(لانه جبله) أي طبعه
وخلقه (على ذلك الخلق)
وفي نسخة على تلك الخلق فالخلق بمعنى الخصلة أو السجية

صلح من غير تراض فتدبر (فسبحان الله اللطيف الكريم المحسن الجواد الحميد) الكلام على سبحان مفصل في محله وهو منصوب على المصدرية ومعناه تنزيه الله عما لا يليق بجلال ذاته ويكون كثيرا للتعجب فيقال عند رؤية كل أمر عجيب تنزيها عن أن يوجد شيئا من غير حكمة وان خفيت علينا فالمراد هنا التعجب من كرم الله واسدائه النعم الجليلة ثم الثناء على من قبلها وجزاه بالاجر وليس للعبد في ذلك تاثير وقد ذكر المصنف رحمه الله تعالى مثله في آخر الخطبة وفيما ذكره من الاسماء اشارة لهذا فاللطيف للطفه بعباده اذ وفقهم لحسن القبول والكريم بما اسداه وأنعم به والمحسن لهم بالثناء عليهم والجواد بما أعطاهم من الثواب والاجر والحميد المحمود في كل فعاله المذكورة أو الحامد لهم أو لنفسه فالجواد بتخفيف الواو كثير الجود والتشديد غير مسموع فيه وقال في عمدة الحفاظ لا مانع منه ان قصدت المبالغة وفيه نظر وقيل السخي بناء على جواز وصفه بالسخاء كما بيناه في شرح أسماء الله الحسنى وقال ابن عصفور في الممتنع امتنعوا من وصف الله تعالى بسخي لان أصله من الارض السخاوية وهي الرخوة بل وصفوه بجواد لانه أي بالتخفيف أوسع في معنى العطاء وأدخل في صفة العلاء انتهى وقد ورد اطلاق الجواد عليه تعالى في حديث قدسي رواه الترمذي والبيهقي اني جواد ماجد ووقع في بعض النسخ هنا بدل الحميد المجيد أي ذو المجد والكرم وهو أنسب هنا (الذي يسر للخير وهدى اليه ثم أثنى على فاعله) يشير الى قوله تعالى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى وتيسيره تسهيله بتهيئة أسبابه ثم خلقه فيه وهداه لمنافعه حتى سعى في كسبه وفاعله المباشر له فان الفعل ينسب له وان كان الفاعل حقيقة هو الله والثناء كما يكون على الفعل يكون على الفاعل كما قال أنت كما أثنيت على نفسك وقوله فانت كما تثني وفوق الذي تثني فالاعتراض ساقط (وجازاه عليه) هو ناظر للاجر ثم كرر التعجب لتكرر الاحسان فقال (سبحانه ما أغمر نواله) أغمر فعل تعجب بالغين المعجمة من الغمر وهو الماء الكثير استعير لمطلق الكثرة والنوال العطاء (واوسع افضاله) السعة معروفة شاعت في الشمول والعموم والافضال الانعام قال في المصباح تفضل عليه وأفضل افضالا بمعنى وفضلته على غيره صيرته أفضل منه انتهى فما قيل الافضال مصدر أفضله جعله فاضلا وأفضله غريب خبط لا وجه له (ثم سلاه) بتشديد اللام من التسلية وهي ازالة الغم (عن قولهم بعد هذا) أي عما قالوه في حقه صلى الله تعالى عليه وسلم وبعده متعلقة بسلاه وهذا اشارة لكل ما ذكر من الرد والثناء والظرف مؤكد لما تدل عليه ثم وكونه للاشعار بانه لم يكتف بالتسلية غير ظاهر (بما وعده من عقابهم) أي تعذيبهم بما صدر منهم وفي نسخة بالباء الجارة وفي نسخة عقوباتهم بصيغة الجمع لتعدد المعاقب وأنواع العقاب وروى عقباهم أي عاقبة سوء حالهم وما يؤول اليه وفي نسخة عقباه أي عقبى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في نصره عليهم والانتقام منهم ولما كان عذابهم وهلاكهم فيه مسرة وشفاء لصدور المؤمنين كما قيل

* مصائب قوم عند قوم فوائد * كان وعدا له فلا وجه لما قيل انه استعمل الوعد في الشر مجازا أو لانه في أصل وضعه عام وجعل الموعود هو النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في قوله وعده متعين والقول بانه عدي بقوله له باعتبار انه ذكر له تغيير في وجوه الحسان قيل ما ذكر دليل على عدم رجاء اسلامهم اذ لو كان ذلك مرجوا والوعد به لانه أحب اليه والاحسن أن يقول على عقاب طائفة

(فسبحان اللطيف) أي بعباده يرزق من يشاء (الكريم) أي الذي وسع كرمه كل شئ (المحسن) أي الذي لا يستغني أحد عن احسانه وبره وامتنانه (الجواد) أي الكثير العطاء والجود بالنسبة الى كل موجود (الحميد) الذي يحمده كل أحد من مخلوقاته وهو حامد لانبيائه واصفيائه القائمين بوظائف طاعاته وعباداته وفي أصل الدلجي المجيد أي ذي المجد والكرم ففي الحديث القدسي والكلام الانسي وذلك اني جواد ماجد رواه الترمذي والبيهقي (الذي يسر الخير) أي سهله وفي نسخة للخير أي هيأ أهلا له كما قال تعالى فسنيسره لليسرى (وهدى اليه) أي ودله عليه كما قال تعالى وهديناه الى صراط مستقيم (ثم أثنى على فاعله) أي فاعل الخير نحو قوله تعالى انه من عبادنا المخلصين (وجزاه عليه) أي أثابه بما منحه عليه في الدنيا ووعده بالمزيد في العقبى بنحو قوله تعالى ان تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم ويغفر لكم والله شكور حليم هذا (سبحانه) اسم للتسبيح بمعنى التنزيه وقد يجعل علما له فيقطع عن الاضافة ويمنع الصرف ثم نصبه بفعل ترك اظهاره ويصدر به الكلام للتنزيه عن السوء والملام فهذا أيضا معنى قوله (سبحانه) بدلا مما قبله (ما أغمر) بالغين المعجمة فميم وراء وفي نسخة ما أعم (نواله) بفتح النون والصيغة للتعجب أي ما أكثر عطاءه (وأوسع افضاله) بكسر الهمزة أي بره واحسانه (ثم سلاه) من التسلية وهي التعزية والتهنئة والمعنى أزال عنه ما حزنه من الغم وكربه من الهم (بعد هذا) أي بعد هذا المدح والثناء ووعد البر والعطاء وأبعد الدلجي حيث قال أي بعد ما قالوه منهم (عن قولهم) متعلق بسلاه أي عن مقول الكفار في حقه مما لا يليق بجنابه وهو في أصل الدلجي متصل بسلاه وقوله بعد هذا (بما وعده به من عقابهم) بضم العين أي من سوء عاقبتهم الذي هو وعد للمؤمنين ووعيد للكافرين وفي نسخة من عقابهم اي عذابهم وحجابهم

(وتوعدهم) أى وبما أوعدهم وخوفهم (بقوله تعالى فستبصر ويبصرون الثلاث آيات) أى الى قوله تعالى وهو أعلم بالمهتدين وهو منصوب باعنى أو اقرأ أو يجوز رفعه وخفضه كما تقدم والضمير فى فستبصر للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وفى يبصرون للكفار وهذا الابصار اما فى هذه الدار واما فى دار القرار للابرار وفى دار البوار للفجار والمعنى فسترى أو فستعلم ويبصرون بايكم المفتون أى أيكم الذى فتن بالجنون والباء مزيدة أو بايكم الجنون على ان المفتون مصدر بمعنى الفتنة كما قالوا ليس له معقول أى عقل فالمعنى بايكم الفتنة وهى كناية عن الفساد والجنون الذى رموه به أو باى الفريقين الجنون أبفريق المؤمنين أم بفريق الكافرين أى فى أيهما يوجد من يستحق هذا الاسم فالباء على هذا ظرفية وخلاصته فى أى فريق منكم الرجل المفتون ثم ختم الله سبحانه وتعالى الآية بوعيدهم ووعد نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم فاوعدهم بقوله تعالى ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله ووعده بقوله تعالى وهو أعلم بالمهتدين فكانه قال هو أعلم بالمجانين على الحقيقة واليقين وهو أعلم بالمهتدين بحيازتهم كمال العقل فى الدين (ثم) أى بعد ان مدحه الله وسلاه متوعدا اياهم (عطف) أى التفت وكرر (بعد مدحه صلى الله تعالى عليه وسلم على ذم عدوه) قيل هو الاخنس بن شريق وكان ثقفيا ملصقا فى قريش والاظهر انه الوليد بن المغيرة ونقل الثعلبى فى تفسيره انه أبو جهل ونسب هذا الى ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أيضا وقيل هو عتبة ابن ربيعة وكثير من المفسرين على ان جميع الصفات التى فى هذه الآيات انما جاءت أجناسا ولم يرد بها رجل بعينه بل المراد ان كل من يكون متصفا بوصف منها فلا تطعه فيها (وذكر سوء خلقه) أى وعلى ذكر سوء خلق عدوه (وعد معايبه) أى وعلى تعداد قبائح مبغضه (متوليا) أى مباشرا بنفسه (ذلك بفضله) أى من غير وجوب شئ عليه (ومنتصرا لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم) أى منتقما لاجله من اعدائه (فذكر) أى الله سبحانه وتعالى فى كلامه بعد ذلك (بضع عشرة) بسكون الشين وتكسر وروى بضعة عشر

منهم ولذا قيل ان الوعيد تعريض بابى جهل والوليد واضرابهما ورد بان المصنف رحمه الله تعالى لم يقصد العموم ولو سلم فما ذكره ممنوع لانه يقال لكل كافر ان لم تنته فستبصر ومقابله الوعيد بقوله (وتوعدهم بقوله فستبصر وينصرون الثلاث الآيات) باتى ماذكره كله أى ذكر وعيدهم وتهديدهم والجار متعلق بتوعدا وبه وبما قبله على التنازع والثلاث منصوب بمقدر كما مر والآيات بدل منه منصوب بالكسرة لا مجرور بالاضافة لضعف نحو الثلاثة الاثواب والمقدر أعنى أو اقرأ أو نحوه ولا فرق بينهما كما تقدم وقوله تعالى بايكم المفتون أى أيكم الذى افتتن بالجنون اسم مفعول والباء زائدة أو مصدر لانه يجئ على زنة مفعول قليلا أى بايكم الفتنة والباء بمعناها أو بمعنى فى ويجوز هذا اذا كان اسم مفعول أيضا أى المفتون فى أى الفريقين افريق المؤمنين أم فريق الكافرين أو من يستحق هذا الاسم والابصار بمعنى العلم بعده ما معموله أو مستانف أى فى أيهما وجدوا العقاب مفهوم من سياق التهديد وبقية الآيات ظاهر (ان ربك هو أعلم بمن ضل) أى بالمجانين على الحقيقة وهم من ضل (عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) بحيازتهم كمال العقل (ثم عطف بعد مدحه) صلى الله تعالى عليه وسلم (على ذم عدوه وذكر سوء خلقه وعد معائبه) بعد منصوب على الظرفية مضاف لمدحه أو مقطوع عن الاضافة مبنى على الضم فمدحه منصوب على المفعولية لعطف وهو الثابت رواية عن المزى قيل وفيه نظر لانه يقتضى تقدم الذم على المدح وليس كذلك فى النظم فالاحسن ان يقرأ بالاضافة وقوله عطف أى التفت أو مال اليه وعلى رواية المزى المعنى انه ثنى مدحه فلا يقتضى تقدم الذم الا ان تعديته بعلى وجعل الذم مما ثنى به المدح تكلف فالوجه الاول وكون المراد بالمدح قوله فلا تطع على ان المعنى انه ذم على ترك اطاعتهم وهو مدح له صلى الله تعالى عليه وسلم وان تضمن ذمهم فالمراد عطف مدحه مع ذمهم بعيد جدا وذكر وعد مصدر مضاف أو ماض معطوف على قوله عطف وعدوه كل من عاداه لا معين كما مر والعدو يطلق على الواحد وغيره والمعايب جمع معيبة بمعنى العيب واعلم ان العطف يتعدى بعلى بمعنى الشفقة والحنو وبعن للصرف والصدو يقال عطفته اذا ثنيته وأملته والعطف النحوى يتعدى بعلى أيضا وما فى عبارة المصنف عطف لغوى لا نحوى وتجويزه هنا لكونه بالفاء غير صحيح لانها ليست عاطفة فارتكابه والتحمل له تعسف وسوء خلقه مقابل لعظم خلقه (متوليا ذلك بفضله ومنتصرا لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم) حالان من ضمير عطف أى لم يكل ذلك لاحد ولم يجعل بينه وبينه واسطة بل فعله بنفسه اهتماما بتعظيمه ونصرته كما ذكره بكلامه النفسى أو اللفظى فى قوله سنسمه الى آخره (فذكر بضع عشرة) وروى بضعة عشر وفى المصباح بضع بالكسر فى العدد وبعض العرب تفتحه واستعماله من الثلاثة الى تسعة يستوى فيه المذكر والمؤنث ويستعمل أيضا من ثلاثة عشر الى تسعة عشر لكن تثبت التاء فى بضع مع المذكر وتحذف مع المؤنث كالنيف ولا يستعمل فيما زاد على العشرين وأجازه

(خصلة) بفتح الخاء أى خصلة قبيحة وخلة ذميمة والبضع بفتح الموحدة ويكسر ما بين الثلاث الى التسع وهذا هو المشهور وأراد المصنف احدى عشرة خصلة وهذا على قول من يقول بدؤه الواحد ومنتهاه العشرة لانه قطعة من العدد ويجرى فى التذكير والتانيث مجرى العدد المركب (من خصال الذم فيه) أى من بعض الخصال المذمومة فى عدوه (بقوله فلا تطع المكذبين) تهييج لتصميمه على معاصاتهم (الى قوله تعالى أساطير الاولين) وهو قوله ودوا لو تدهن فيدهنون أى لو تلين فتدع نهيهم عن الشرك فيميلون أيضا اليك فى بعض ما تدعوهم اليه وذلك ان قريشا قالوا فى بعض الاوقات لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لو عظمت آلهتنا لعبدنا الهك وعظمناه فنهاه الله عن ذلك بقوله فلا تطع المكذبين ودوا لو تدهن فيدهنون ولا تطع كل حلاف أى كثير الحلف حقا وباطلا وكفى به زاجرا لمن اعتاد الحلف حيث يخاف عليه من الكذب كما ورد كفى بالمرء كذبا ان يحدث بكل ما سمع مهين أى ذى مهانة وحقارة وحاصله انه ضعيف وحقير ووزنه فعيل لا مفعول والميم أصلية لا زائدة هماز عياب فى أعراض الناس مشاهده مغتاب فى حقهم غيبة مشاء بنميم نقال للحديث على وجه السعاية للفساد والنمم مصدر كالنميمة وهو نقل القبائح مناع للخير أى كثير المنع منه فقيل المراد بالخير هو المال فعلى هذا هو وصف بالشح وقيل بل هو على عمومه فى المال وجميع افعال الخير والخصال وعتد متجاوز فى الظلم أثيم كثير الاثم عتل جاف غليظ من عتله أى دفعه بعنف وشدة بعد ذلك أى بعد ما عد من مثالبه ومعايبه زنيم أى دعى كالوليد بن المغيرة ادعاه أبوه بعد ثمانى عشرة سنة من مولده قيل ان الله سبحانه وتعالى لا يعيب أحدا بالانساب ولكن ذكره ليعرف

بذلك وما أحسن قول حسان

وأنت زنيم نيط فى آل هاشم
كما نيط خلف الراكب القدح الفرد

ان كان ذا مال وبنين علة لما بعده وقرأ حمزة وشعبة بهمزتين فالتقدير الآن كان ذا مال كثير وبنين متعددة قيل كانوا عشرة وقيل اثنى عشر اذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الاولين أى قال ذلك حين تليت عليه والاساطير جمع اسطورة بضم الهمزة كاحدوثة وأحاديث وقيل الاساطير جمع اسطار والاسطار جمع والكى سطر بفتح الطاء كذا فى حاشية المنجانى وفى القاموس السطر الصف من الشئ كالكتاب والشجر وغيره وجمعه اسطر وسطور واسطار وجمع الجمع أساطير والخط والكتابة ويحرك فى الكل انتهى وأراد الكافر به الاباطيل المنسوبة الى المتقدمين وقائله النضر ابن الحارث وسببه انه دخل بلاد فارس وتعلم اخبار رستم وغيره (ثم ختم) أى الله سبحانه (ذلك) أى ما ذكره من مثالب ذلك الشقى (بالوعيد الصادق) وفى نسخة بالوعيد الصدق (بتمام شقائه) أى تعبه أو كمال شقاوته (وخاتمة بواره) أى هلاكه ودماره بقوله تعالى (سنسمه على الخرطوم) أى سنكويه على أنفه اهانة له وخص الانف لان السمة عليه ابشع وظهورها أشنع وأشيع وقيل أى نجعل على وجهه يوم القيامة سمة سواد تكون منبهة عليه ومعرفة به قبل دخوله النار كما قال الله تعالى يعرف المجرمون بسيماهم أو معناه أنه يعذب اذ ذاك بنار تجعل على أنفه فتكون فيه كالسمة وقيل هذا فى الدنيا وهى كناية عن ضربة يضرب بها وجهه وأنفه فتبقى فيه كالسمة قالوا وقد حل ذلك يوم بدر على أنف الوليد جراحة ظاهرة وعلامة باهرة وقيل ليس السمة هنا على حقيقتها وانما هى كناية عن شهرته بما يبقى له مذموما ولا يمكنه اخفاؤه كالموسوم بسمة على أنفه والخرطوم فى الاصل انما هو للسباع كالفيل واستعمل فى الآية للانسان استعارة واشارة الى انه شبيه بالحيوان صورة وسيرة كما قال تعالى أولئك كالانعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون

بعضهم فتقول بضعة عشر رجلا وبضع عشرون امرأة وكذا قال أبو زيد وعلى هذا المعنى البضع والبضعة فى العدد قطعة مبهمة غير محدودة انتهى وفيه اختلاف لاهل اللغة وكلام المصنف رحمه الله تعالى ليس مخالفا لما قالوه كما توهم وما هنا ثلاث عشر أو اثنى عشر أو احدى عشر بناء على عد المداهنة والاستظهار بالمال والبنين منها (خصلة من خصال الذم فيه) أى فى عدوه والخصلة بفتح الخاء المعجمة الصفة مطلقا وغلبت فى صفات المدح اذا اطلقته (بقوله تعالى فلا تطع المكذبين) فيما دعوك له من تعظيم آلهتهم ونحوه وهو تهييج له صلى الله تعالى عليه وسلم على تصميمه فى مخالفتهم (الى قوله تعالى أساطير الاولين) أى أباطيلهم المنقولة عنهم وهو جمع اسطار جمع سطر وما وقع منه فى القرآن منقول عن النضر بن كلدة لانه دخل بلاد فارس وتعلم أخبار رستم وغيره فكان يقول أنا أحدثكم باحسن مما يحدث به صلى الله تعالى عليه وسلم فنزل ومن قال سانزل مثل ما أنزل الله (ثم ختم ذلك) أى ما عد من المعائب أورده عقبه كالخاتمة له (بالوعد الصادق) لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم كما مر وفى نسخة بالوعيد وروى أيضا الوعيد بالنصب صفة ذلك وصدقه لعدم تخلفه وان كان الوعيد يجوز تخلفه لكن لكونه وعدا لا يخلفه من لا يخلف الميعاد أو الصادق هنا بمعنى الخالص الذى لا يشوبه غيره كما يقال صادق الحلاوة (بتمام شقائه وخاتمة بواره) متعلق بختم أى بشقائه التام والبوار الهلاك وعبر به فى نسخة الذى هو خاتمة أمره وآخر أحواله أو حاله تجر اليه فسمى به (بقوله سنسمه على الخرطوم) الوسم العلامة

أي الكاملون في الغفلة عن الحضرة وقيل انما عدل عن الانف الى الخرطوم لان الانف محل العز والانفة ولا كذلك الخرطوم لانه محل المذلة والاهانة ولذا قيل الانف في الانف وقيل الخرطوم الوجه كله وهذا في الانسان وربما قيل له في الانف كغيره ومحمل الكلام وزبدة المرام في هذا المقام أي سنجعل له سمة أي علامة على الخرطوم أي على أنفه اما حسا كضرب أنفه بالسيف يوم بدر وبقيت علامة في أنفه حتى يانف من أنفه أو يكون سوادا في وجهه زائدا عن غيره من الكفار في القيامة لشدة عناده وعتوه واما معنى كسوة ذكره بالذم والمقت والاشتهار بالشر بحيث لا يخفى ذلك بوجه فيكون ذلك كوسمة على أنفه ويمكن تحقق الجميع في حقه (فكانت نصرة الله له) أي لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم على عدوه (أتم من نصرته) عليه الصلاة والسلام بنفسه (لنفسه) أي فان من كان لله كان الله (ورده) أي كان رده (تعالى على عدوه أبلغ من رده) صلى الله تعالى عليه وسلم (وأثبت في ديوان مجده) أي في ديوان كرمه وشرفه وهو بكسر الدال وتفتح والجمع دواوين ودياوين وأصله ديوانه بالفارسية وذلك ان كسرى أمر كتابه أن يجتمعوا في دار واحدة يعملوا حساب السواد في ثلاثة أيام وأعجلهم فيه واطلع عليهم لينظر ما يصنعون فنظر اليهم فرآهم يحسبون باسرع ما يمكن وينسخون كذلك فعجب من كثرة حركتهم فقال أين ديوانه أي هؤلاء مجانين وقيل شياطين ثم قيل في كل محفل ديوان وأول من دون في الاسلام عمر رضي الله تعالى عنه * (الفصل السادس) * (فيما ورد من قوله تعالى في جهته) أي في حقه (عليه الصلاة والسلام مورد الشفقة والاكرام) أي مورد الرحمة والكرامة وهو منصوب على المصدرية (قال الله تعالى طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى قيل طه اسم من أسمائه عليه الصلاة والسلام) أي لحديث تقدم لي عند ربي عشرة أسماء وذكر منها طه وهو في حساب العدد المرموز في ابجد أربعة عشر ايماء الى ان بدر وجهه في غاية من النور ونهاية من الظهور (وقيل هو اسم لله تعالى) قاله ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ولعله اشارة الى الطاهر والهادي والمعنيان صادقان في حق الله تعالى ورسوله حقيقة ومجازا وقد قيل المعنى طوبى لمن اهتدى بك (وقيل معناه يا رجل) أي في لغة عك ولعل أصله يا هذا فقلبوا ياء ه طاء واقتصروا على ها

والكي والخرطوم وخراطيم كعصفور وعصافير الانف هنا وأصله يختص بالحيوان كالفيل ونحوه فاستعير للانسان لايذانه باستحقاقه والتهكم به وهو هنا كناية عن تشهيره بالقبائح في الدنيا أو في الآخرة أو فيهما وقيل وسمه تسويد وجهه يوم تبيض وجوه وتسود وجوه وخص الانف لانه أظهر الاعضاء تذليلا للتكبر عن الحق الذي عنده شمم في أنفه فعوقب بضده (فكانت نصرة الله له صلى الله تعالى عليه وسلم أتم من نصرته لنفسه) أي نصرته التي تولاها بنفسه في قوله تعالى سنسمه على الخرطوم الى آخره ونصرة نفسه على أعدائه هي لله أيضا لانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان لا ينتقم لحق نفسه الصرف وما فعله العظيم عظيم (ورده تعالى على عدوه أبلغ من رده لنفسه) رده بتكذيبهم بنفسه أبلغ من رد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم واقامة الحجة وان كان هذا أيضا ليس من تلقاء نفسه وقيل المراد لو كان له رد ونصرة وهو عليه الصلاة والسلام فعل ما فعل لله ومن كان لله كان الله له (وأثبت في ديوان مجده) أي أعظم وأقوى ثباتا وأبقى في صحف الدهر من ان يثبته هو بنفسه فان ما أمضاه الله لا نقض له والديوان بكسر الدال المهملة وقد تفتح منهم من قال انه فارسي معرب وأصله جمع ديو وهو العفريت شبه به أهله وقيل انه عربي من التدوين وهو الكتابة وهو واوي خفف بقلب احدى واويه ياء ويجمع على دواوين ودياوين وهو مجتمع الصحف والكتاب للسلاطين وأول من وضعه في الاسلام عمر رضي الله تعالى عنه ويطلق على نفس الدفتر والكتاب وعبارة المصنف رحمه الله تعالى تحتملها وهو استعارة فاستعار لمجده أي عظمته ديوانا يثبت فيه فاذا أثبته الله كان أتم وأكثر ثباتا وهكذا هو باق الى يوم القيامة *(الفصل السادس فيما ورد من قوله تعالى في جهته عليه الصلاة والسلام مورد الشفقة والاكرام)* يعني ما جاء في القرآن من الآيات الدالة على اكرام الله له والشفقة به والشفقة اسم مصدر من شفق بغيره عطف وحنى فهو شفيق وهذا ونحوه مما لا يوصف به الله فتجوز به عن التلطف بمن يحبه والجهة معناها الجانب والمراد بها هنا شانه وحقه والمورد مصدر ميمي منصوب على المصدر او اسم مكان منصوب على الظرفية وأصله المحل الذي يؤخذ منه الماء فاستعير له لعموم نفعه وقيل الشفقة حرص الناصح على حال المنصوح وقد يطلق على ما فيه دفع المضرة ونحوه والمراد بالاكرام اكرام مخصوص ولو عم شمل ما فيه غيره من الفصول (قال الله تبارك وتعالى طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى قيل طه اسم من اسمائه) أي من أسماء النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقدم للاهتمام به لمناسبته للمقام والبلغاء يقدمون منه لان البلاغة يعتبر فيها رعاية مقتضى المقام فما يقتضيه عندهم أهم مما له تقدم ذاتي كما قرروه في تقديم الامر بالقراءة في قوله تعالى اقرأ باسم ربك فتذكره (وقيل هو اسم لله تعالى) هذا منقول عن ابن عباس رضي الله عنهما واستدل لما قبله بحديث لي عند ربي عشرة أسماء طه ويس (وقيل معناه يا رجل) أي معناه يا رجل وحرف النداء مقدر معه وهو مروي عن ابن عباس رضي الله تعالى

(وقيل) أي في معناه (يا انسان) قلبوا وأتوا بهاء السكت كذا ذكره الدلجي ووجهه غير ظاهر مع ان هاء السكت انما يكون ساكنا
والاظهر ان أصله يا هذا المراد به الرجل ٢٣٢ أو الانسان (وقيل هي حروف مقطعة) أي يراد بها حروف هجائية بنائية (لمعان)
أي موضوعة لمعان ايمائية والله أعلم بمراده بالطريقة القطعية (قال الواسطي أراد يا طاهر) وفي معناه يا طيب (يا هادي) أي أراد بالطاء افتتاح اسم وبالهاء ابتداء اسم (وقيل هو أمر من الوطء) أي بالهمز والهاء كناية عن الارض فأمر بان يطأ الارض بقدميه فانه كان يقوم في تهجده على احدى رجليه وأصله طأ قلبت همزته هاء أو طأها قلبت همزته ألفا وأورد عليه كتابتهما على صورة الحرف وكذا على القول بان أصله يا هذا وأجيب بانه اكتفى بشطري الكلمتين وعبر عنهما باسميهما على صورة مسماهما في رسمهما (أي اعتمد على الارض بقدميك ولا تتعب نفسك بالاعتماد على قدم واحدة) أي فانه شاق عليك (وهو قوله تعالى (ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى) أي لتتعب في أمر العبادة بل المراد به انك تعبد على وجه الراحة فانك انما بعثت بالحنيفية السمحة ثم الشقاء شائع بمعنى التعب ومنه سيد القوم أشقاهم ولعل الحكمة في عدوله عن تتعب للاشعار بانه أنزل عليه ليسعد بحكم الضد أو لمراعاة الفواصل الآتية (نزلت) وفي نسخة ونزلت (الآية) أي أول سورة طه

عنهما أيضا كما ذكره البيهقي وقال عكرمة انه لغة معروفة في عكل وعك وقيل انها لغة حبشية أو عبرانية أو سريانية أو نبطية ومعناه يا حبيبي وقيل لعل أصله يا هذا فقلبوا الياء طاء واقتصروا على ها وهو بعيد جدا (وقيل يا انسان) رواه البغوي عن الكلبي وقال انه لغة عك فان صحت الروايات فهو مشترك (وقيل هي حروف مقطعة لمعان) الجمع لما فوق الواحد لقوله (قال الواسطي أراد يا طاهر يا هادي) فالطاء من طاهر والهاء من هادي وقيل الطاء طول الغزاة والهاء هيئتهم وقيل طوبى والهاوية وقيل انه قسم بطوله صلى الله تعالى عليه وسلم وهدايته وقيل معناه أيها البدر لان الطاء والهاء في الجمل أربعة عشر (وقيل هو أمر من الوطء) بالقدم فابدلت الهمزة ألفا (والهاء كناية عن الارض) أي الضمير راجع اليها لعلمها من قرينة الحال والضمير يسمى كناية عند النحاة كما ذكره أهل العربية وهذا قول ذكره القرطبي والبيضاوي وقيل ان ها اسم لحرف ماخوذ من هاء اسم الضمير فهي كناية اصطلاحية عنه لأنه ضمير كما قيل في طا ورد البيضاوي هذا القول بانه يأباه كتابتهما بصورة الحرف ورد بانه رسم المصحف غير قياسي فيه كما رسم أيه المؤمنون بلا ألف في الامام وقرئ طه بسكون الهاء وأصله طا فابدلت الهمزة هاء كاياك وهياك أو هو أمر والهاء للسكت والمفعول محذوف أي طأ الارض ويحتمل انه أراد أن الهاء من ها وحدها ضمير كما قاله بعض النحاة (أي اعتمد على الارض بقدميك ولا تتعب نفسك بالاعتماد على قدم واحدة) الاعتماد الاتكاء والاستناد على الارض بقدمه أو قدميه ويقال اعتمد على القدم وعلى الارض وظاهر هذا وما سيأتي انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يقوم على قدم واحدة اتعابا لنفسه ليزيد أجره في عبادته فان الاجر على قدر المشقة وان لم يثبت في الشرع ان القيام على رجل واحدة من التطوعات حتى يفعله النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ويخالفه ما روى ابن عباس وابن مردويه عن علي رضي الله تعالى عنه ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قام الليل كله حتى تورمت قدماه فجعل يرفع رجلا ويضع رجلا فنزل جبريل عليه الصلاة والسلام وقال له طأ الارض بقدميك وظاهره ان وضع أحدى قدميه كان راحة له صلى الله تعالى عليه وسلم لا تعبا وصرح به البغوي ونقله عن الكلبي فالوجه ان المعنى لا تتعب حتى تحتاج الى الاستراحة برفع قدم دون الاخرى لا ما ذكره المصنف والجمع بينهما انه لما تورمت قدماه وتروح برفع واحدة ووقع في مشقة القيام برجل واحدة لنقل الاعتماد عليها فامره بالاستراحة وترك التعب وما يوجبه كما خفف عنه قيام الليل اقول هذا مما لا طائل تحته فانه لا شبهة في ان القيام على رجل واحدة أشق من القيام على الرجلين كما قيل

اذا الحمل الثقيل توزعته * اكف القوم هان على الرقاب

وان كان في القيام على واحدة راحة للمرفوعة فيصح نسبة الراحة لكل من الامرين وما ذكره المصنف رحمه الله تعالى متعين من السياق على هذا التفسير فانه اذا قال له ضع قدميك فانا لا نريد تعبك دل على الراحة ولا منافاة بينه وبين ما رواه والتوفيق الذي ذكره تكلف فتدبر * (تنبيه) * كون الاجر على قدر المشقة كما ورد في حديث عائشة رضي الله تعالى عنها أجرك على قدر نصبك كما في مسلم قال ابن عبد السلام في قواعده ليس هذا على اطلاقه انما هو اذا اتحد العملان في الشرف والشرائط والسنن وكان احدهما شاقا فيثاب على تحمل المشقة كالغسل في الصيف والشتاء اما اذا لم يتساويا فلا فان الايمان أفضل من الاعمال مع خفته ثم اختار ان أفضل الاعمال انما هو بالمصالح الناشئة عنها فتصدق البخيل أفضل من قيامه وانقاذ الحاكم مظلوما أفضل من قيامه الليل وصيام النافلة ونقله الزركشي في قواعده وارتضاه ولنا عودة الى ذلك (وهو قوله تعالى ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى نزلت

(فيما كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يتكلفه من السهر والتعب وقيام الليل) أي حتى تورمت قدماه وذلك لانه قام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بآية من القرآن ليلة كما رواه الترمذي عن عائشة رضي الله تعالى عنها وروى أيضا عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يصلي حتى تورم قدماه قال فقيل له اتفعل هذا وقد جاءك ان الله تعالى قد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال أفلا أكون عبدا شكورا (حدثنا) وفي نسخة أخبرنا (القاضي أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن) أي ابن علي ابن شبري بشين معجمة مكسورة وباء موحدة ساكنة وبعد الراء مثناة من أسفل أحد العلماء ٢٣٣ الصالحين من رجال الاندلس مات

فيما كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يفعله من السهر والتعب وقيام الليل) الضمير راجع للنهي عن اتعاب نفسه المستفاد من النفي في الآية أي هو المراد من الآية والشقا أصل معناه التعب قيل انه عبر به ليدل على سعادته والنفي على هذا التعب مخصوص كما يقتضيه سبب النزول وان كان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب والمورد فلا يخص بما ذكر ولان تعبه بتأسفه على كفرهم (أخبرنا القاضي أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن وغير واحد) أي رواه المصنف عنه وعن كثير من العلماء غيره وهو ابن عبد الرحمن بن علي بن شبرين بشين معجمة مكسورة وباء موحدة ساكنة وبعد الراء مثناة من أسفل من أصحاب الباجي ثقة حافظ توفي يوم الخميس رابع رجب سنة ثلاث وخمسمائة باشبيلية (عن القاضي أبي الوليد الباجي) بالموحدة نسبة لباجة من بلاد المغرب وباجة بموحدة وجيم بلدة بقرب اشبيلية وقيل هي باجة القيروان وأبو الوليد هذا هو سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث التجيبي القرطبي الذهبي أصله من مدينة بطليوس وانتقل جده لباجة التي نسب اليها وهو الحافظ أبو محمد الباجي ولد في ذي القعدة ببطليوس سنة ثلاث وأربعمائة وأخذ عنه جماعة كابن عبد البر والخطيب والحميدي وغيرهم ورحل للحج وجاور بالحرم ثلاثة أعوام ولازم أبا ذر الهروي وخدمه ثم رحل لبغداد ودمشق وأخذ عن العلماء وتفقه على أبي الطيب الطبري وأخذ علم الكلام عن أبي جعفر السمناني وأقام بالموصل ثم رجع الى الاندلس بعد ثلاثة عشر عاما وقصته في كتابة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بيده مشهورة تقدمت الاشارة اليها وقال ابن سكرة انه مات بالمدينة في تاسع عشر رجب سنة أربع وسبعين وأربعمائة (اجازة ومن أصله نقلت) الاجازة في كلام العرب قديما كما نقله أهل اللغة الاذن في الانصراف من جاز المكان اذا تجاوزه ومن ثم تعدى بالهمزة للمفعول الثاني وقد يقتصر على احد مفعوليه لانه من باب كسى ومعنى أجازه أذن له في الجواز ثم استعمل لمطلق الاذن وخصه المحدثون بالاذن في نقل الحديث فصار حقيقة عرفية وهذه لفظة عربية قديمة فالجائزة بمعنى العطية وقد وقع هنا فيها كلام لابن الصلاح لنا فيه كلام بيناه في حواشيه والمراد باصله كتابه الذي ضبط فيه وجعله ملكا له لا السماع وقوله نقلت الخ هو من كلام أبي عبد الله يعني انه لم يسمعه منه وانما نقله من كتابه الذي أجازه به وقال ابن الحنبلي انه من كلام المصنف رحمه الله تعالى لا من كلام شيخه كما قيل فان تعلق عن باخبرنا باه ولو قيل كان بدلا عن قال لم يكن من كلام المصنف رحمه الله تعالى والاصل أصل شيخ شيخه لعود الضمير على الاقرب وانما قيده به لان العنعنة يتبادر منها السماع وعليه المحدثون فلو لم يقيد أوهم خلاف المراد وقد يقولون أخبرنا وحدثنا في الرواية بالاجازة والمختار خلافه الا أن يصرح بالاجازة ورواية السماع أقوى من الاجازة وسوى بينهما الطوفي في قواعده والخلاف في ذلك في الكتب المدونة كذلك (قال حدثنا أبو ذر الحافظ) الهروي العلامة عبد بدون أضافة ابن أحمد بن محمد بن عبد الله الانصاري المالكي بن السماك سمع بهراة وغيرها كثيرا من المشايخ وصنف التصانيف الجليلة وروى عنه الكبار وترجمته مشهورة توفي في شوال سنة أربع وأربعمائة قال (حدثنا أبو محمد الحموي)

سنة ثلاث وخمسمائة باشبيلية (وغير واحد) أي وكذا حدثنا جمع كثير (عن القاضي أبي الوليد الباجي) بموحدة وجيم هو سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث التجيبي القرطبي صاحب التصانيف نسب الى باجة مدينة بقرب اشبيلية وقيل هو من باجة القيروان التي ينسب اليها أبو محمد الباجي الحافظ مات بالمدينة سنة أربع وسبعين وأربعمائة قيل كان يحضر مجلسه أربعون ألف فقيه روى عنه الخطيب وابن عبد البر وهما أكبر منه والحميدي وأبو علي الصدفي وغيرهم (اجازة) أي من طريق الاجازة (ومن أصله) أي كتابه الذي قرأ فيه على مشايخه (نقلت) فكان في سنده اجازة ومناولة (قال حدثنا أبو ذر الحافظ) أي المشهور بحفظ الحديث يعني به الهروي واسمه عبد الرحمن بن أحمد بن محمد بن عبد الله

ابن غفير بغين معجمة ابن خليفة بن ابراهيم المالكي توفي في ذي القعدة سنة خمس وثلاثة وأربعمائة في الحرم مجاورا فيه وهو منسوب الى الهرة بفتح الهاء والراء مع تخفيفه ودون همز موضع بين مكة والطائف واما الهراة فموضع بين مكة وعسفان كذا ذكره التلمساني واما هراة بالكسر بلا همزة فبلدة عظيمة بخراسان قال الحلبي وسمع منه جماعة وروى عنه بالاجازة جماعة منهم الخطيب وابن عبد البر وغيرهما (قال حدثنا أبو محمد الحموي) بفتح المهملة وضم الميم المشددة وكسر الواو وياء نسبة الى جده حمويه وهو عبد الله بن محمد بن حمويه السرخسي توفي سنة احدى وثمانين وثلاثمائة

(حدثنا ابراهيم بن خريم) بضم خاء معجمة وفتح زاى قال التلمسانى هو ابو اسحق ابراهيم بن عثمان بن خريم (الشاشى) بشينين معجمتين واما الشامى على ما فى بعض النسخ فتصحيف (حدثنا عبد بن حميد) بالتصغير أى ابن نصر القرشى الكشى بكاف وشين له تاليف فى كتاب الله العزيز ومعانيه توفى سنة تسع واربعين ومائتين قال الحلبى هو مصنف المسند وقد قرأت منتخبه بالقاهرة سمع يزيد بن هارون ومحمد بن بشر العبدى وعلى بن عاصم وابن ابى فديك وغيرهم روى عنه المسلم والترمدى وعلق عنه البخارى فى دلائل النبوة من صحيحه فسماه عبد الحميد (حدثنا هاشم بن القاسم) هو ابو النصر يعرف بقيصر التميمى روى عن ابن ابى ذئب وعكرمة وعنه احمد والحارث ابى اسامة اخرج له الجماعة توفى سنة سبع ومائتين (عن ابى جعفر) هو محمد بن على بن الحسين بن على بن ابى طالب هو والد جعفر بن محمد الصادق توفى عام عشرة ومائة وقال الحلبى ابو جعفر هذا اختلف فى اسمه فقيل عيسى بن ابى عيسى بن هامان مروزى كان يتجر الى الرى روى عن عطاء وابن المنكدر وعنه جماعة اخرج له الاربعة (عن الربيع بن انس) هو ولد أنس بن مالك صاحب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وخديمه رضى الله تعالى عنه قال الحلبى الربيع تابعى وهو بفتح الراء بصرى نزل خراسان وروى عن انس وابى العالية وعنه الثورى وابن المبارك قال ابو حاتم صدوق توفى سنة تسع وثلاثين ومائة اخرج له الجماعة (قال كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اذا صلى قام على رجل ورفع الآخرى فانزل الله تعالى طه يعنى طا الارض يا محمد ما انزلنا عليك القرآن لتشقى الآية) أى الا تذكرة لمن يخشى أى لكن انزلناه موعظة لمن يخاف مخالفة المولى ويتبعه بالطريق الاولى فهذا الحديث اسنده المصنف هنا من تفسير عبد بن حميد عن الربيع بن انس مرسلا ورواه ابن مردويه عن على كرم الله تعالى وجهه موصولا بلفظ لا
لما انزل يا أيها المزمل قم الليل الا قليلا فقامه كله حتى تورمت قدماه فجعل يرفع رجلا ويضع أخرى فهبط جبريل عليه الصلاة والسلام فقال طه أى طا الارض بقدميك ما انزلنا عليك القرآن لتشقى والحاصل أن هذا التاويل فى طه هو مختار الربيع بن انس ويعزى الى مقاتل أيضا وله تاويلان احدهما ان يريد ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان يعتمد اذا صلى على احدى رجليه ويرفع الاخرى تحريا منه صلى الله تعالى عليه وسلم للامور الشاقة ونفورا من الراحة فقيل له طا الارض برجليك معا ولا تعتمد على قدم واحدة فتتعب بذلك نفسك وهذا التاويل هو الذى تاوله المصنف وثانيهما ان يريد ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كانت تدعوه مشقة الصلاة الى ان يتروح برفع احدى قدميه وحط الآخرى فقيل له طا الارض يعنى لا تلزم نفسك من القيام ما تتعب معه فتضطر الى الترويح باحدى قدميك قال المنجانى وهذا التاويل احسن من التاويل الذى تاوله القاضى والا فالقيام على رجل واحدة لم يثبت فى الشرع انه

هو عبد الله بن أحمد بن حموية السرخسى الحموى بفتح الحاء المهملة وضم الميم المشددة ثم واو مكسورة ثم ياء مشددة للنسبة الى جده حموية قال البرهان ورأيت فى بعض النسخ التى وقفت عليها من الشفاء بعد الواو همزة مكسورة وفيها نظر والذى فى حواشى ابن رسدلان والشمنى الاول لا غير وقيل اسم جده بفتح الميم المخففة فالنسبة على هذا بالفتح والتخفيف وكسر الواو وفى ضبط النسخ اختلاف لهذا قلت لعل الهمزة المخففة رسمت اشارة الى ابدال الواو المضموم ما قبلها همزة لغة وهو نزيل هراة وبوسنج ووصل لما وراء النهر وهو اصولى محدث ثقة توفى سنة احدى وثمانين وثلاثمائة فى ذى الحجة ومولده سنة ثلاث وتسعين ومائتين قال (حدثنا ابراهيم بن خريم الشاشى) بخاء معجمة مضمومة وزاى معجمة مفتوحة مصغر وهو شاشى ترجمته مشهورة وهو ابو اسحق بن عثمان ومن قرأه براء مهملة اخطا وشاش بمعجمتين بلدة بما وراء النهر قال (حدثنا عبد) بلا اضافة (بن حميد) بحاء مهملة مصغر والذى جزم به ابن حبان والبخارى ان اسمه عبد الحميد الكشى بالاعجام والاهمال وهو ثقة حافظ مات سنة تسع واربعين ومائتين قال (حدثنا هاشم بن القاسم) أبو النصر المعروف بقيصر مات سنة عشرة ومائة (عن ابى جعفر) قال التلمسانى هو محمد بن على بن الحسين بن على بن ابى طالب وهو والد جعفر بن محمد الصادق ويقال له الباقر سمى باقرا لتبحره فى العلم من البقر وهو الشق والتوسعة تابعى عدل ثقة وامام مشهور توفى سنة اربع عشرة ومائة على الاصح ودفن مع أبيه وعمه بالبقيع وهو من تلاميذ الربيع ومشايخ هاشم وفى المقتفى انه اختلف فى اسمه فقيل عيسى بن ابى عيسى بن ماهان وقيل عيسى بن عبد الله بن ماهان مولى تميم مروزى روى له الاربعة وترجمته مشهورة (عن الربيع بن انس) ابو حاتم البكرى البصرى التابعى صدوق لكن له أوهام كما قاله ابن حجر وما فى حواشى التلمسانى من انه انس بن مالك رضى الله عنه سهو وحديثه هذا مرسل لانه لم يذكر صحابية توفى سنة مائة وتسع وثلاثين قيل والحديث المتقدم أولى سندا ومعنى ويمكن التوفيق بينهما بحمل الصلاة فيه على صلاة الليل والقيام على رجل ورفع الاخرى على ما كان يفعله بسبب تورم قدميه فان ثبت انه كان يفعله اختيارا منه تطوعا كما مر فلعله تسمح لان الفقهاء لم يبيحوه بغير ضرورة وفيه نظر (قال كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اذا صلى قام على رجل ورفع الاخرى فانزل الله تعالى طه يعنى طأ الارض يا محمد ما انزلنا عليك القرآن لتشقى الى آخره) هذا كما مر من غير فرق فامر

من جملة التطوعات فيفعله النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اختيارا دون ان يوجب ذلك موجب من تعب أو تورم قدم بل لم يصح ذلك الفقهاء الا للضرورة قلت لا مانع من انه كان في الشرع من التطوع ثم نسخ ثم قال ومما يستغرب في هذه الآية ما رواه الفراء في كتاب معاني القرآن له مسندا عن عبد الله ابن مسعود رضي الله تعالى عنه ان رجلا قرأ بحضرته طه ما انزلنا عليك القرآن لتشقى فقال ابن مسعود اقرأ طه بكسر الطاء والهاء فقال له الرجل يا أبا عبد الرحمن اليس امرا من الوطئ فقال له عبد الله اقرأ طه بالكسر فهكذا اقرأنيها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قلت لعل روايته كانت بالامالة فيهما وهي لا تنافي كونهما من الوطئ والله اعلم (ولا خفاء

لا وجه له وهذا كان قبل النهي فحكم الفقهاء بالكراهة كان بعد النهي فلا اشكال فيه * (تنبيه) * لم نزل نتوقف في كيفية صلاة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قبل الاسراء حتى رأينا ما نقله السيوطي في الخصائص الكبرى انها لا ركوع فيها وان المفسرين قالوا في قوله تعالى واركعوا مع الراكعين ان مشروعية الركوع في الصلاة خاص بهذه الامة وصلاة بني اسرائيل لا ركوع فيها (٢) فلهذا امرهم الله تعالى بالركوع مع الراكعين في هذه الآية ويدل عليه ما اخرجه البزار والطبراني في الاوسط عن علي كرم الله وجهه انه قال أول صلاة ركعنا فيها العصر فقلت يا رسول الله ما هذا قال بهذا امرنا ووجه الاستدلال انه صلى الله تعالى عليه وسلم صلى قبل ذلك الظهر وصلى قبل فرض الصلوات الخمس قيام الليل ونحوه فكون الصلوات السابقة بلا ركوع قرينة لخلو صلاة الامم السالفة عنه وكذلك الجماعة كما في شرح المجمع انتهى * أقول هذا امر مقرر الا انه لخفائه لم يعرفه كثير من الصحابة المتأخر اسلامهم لان الساجد لا بد له من الركوع في هويه لكنه ان لم يفصله عنه بانتصاب لم يكن ركنا مستقلا وعبادة (ولا خفاء بما في هذا كله من الاكرام وحسن المعاملة) الباء بمعنى في أي في المذكور مما في الآية وما يتعلق بها واكرامه صلى الله تعالى عليه وسلم بانزال القرآن عليه وشفقته عليه بنهيه عما يتعبه من عبادته فما بالك بغيرها من امور راتراه [illegible] له تعبا فيها فعامله الله تعالى له وخطابه بهذا فيه من اللطف ما يدركه من له ذوق سليم (وان [illegible]نا طه من اسمائه صلى الله تعالى عليه وسلم كما قيل أو جعلت قسما لحق الفصل بما قبله) أي ان جعل لفظ طه علما للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم مقسما به أو جعل اسما لله ونحوه مقسما به أيضا التحقت هذه الآية المذكورة في هذا الفصل بالفصل الذي قبله لانبائه بما اقسم به تعالى تحقيقا لمكانته عنده وبما أفاده من نهاية المبرة في مخاطبته واعلى درجات الادب في محاورته وقد قيل عليه ان لحوقه بالفصل الذي قبله على القسمية واضح واما اذا كان من اسمائه فلا فانه تكلف وقيل انه متضمن للقسم باباه جعله قسما لعطفه بأو انتهى وقد علمت سقوطه مما بيناه وان كان في عبارته مسامحة والقسم له لا ينافي كونه به أيضا وما قيل من ان فيه مسامحة تامة بالحذف أو المجاز والاستخدام وانه ان كان قسما باسمه فهو من الرابع بل الخامس أيضا وان كان قسما بغيره فهو من الخامس لانه قسم لتحقيق المكانة لكن لو كان اسما غير قسم لم يلحق باحدهما فلا يناسب قوله أو جعلت ولم يرد الالحاق بالثالث لانه لا ينبني على احد الامرين فلعل أو بمعنى الواو او بل انتهى وفيه ما لا يخفى (ومثل هذا من نمط الشفقة والمبرة) في المصباح النمط بفتحتين ثوب من صوف ذو لون من الالوان ولا يكاد يقال للابيض نمط والنمط أيضا الطريق والجماعة من الناس ثم اطلق النمط اصطلاحا على الصنف والنوع فقيل هذا من نمط هذا أي من نوعه انتهى فالمعنى انه نوع من الاحسان واللطف أو من جملتها فكأنه من جماعتها وهذا مسموع فلا يتوهم انه استعمال غير مسموع وفي الحديث خير هذه الامة النمط الاوسط (قوله تعالى * فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا

بما في هذا كله) الباء بمعنى في وعدل اليه حذرا عن التكرار أي فيما ذكر من الآية والحديث (من الاكرام) أي اكرام النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (وحسن المعاملة) أي له صلى الله تعالى عليه وسلم باعلام حسن القيام وهذا ان جعلناه بمعنى طه طا الارض كما تقدم فيه الكلام (وان جعلنا طه من اسمائه عليه الصلاة والسلام كما قيل (أي وقد سبق (أو جعلت) أي هذه الكلمة (قسما) أي اقسم الله تعالى به (لحق الفصل بما قبله) أي اتصل هذا الفصل بالفصل الذي قبله لانبائه بما اقسم به تعالى تحقيقا لمكانته وافاد نهاية المبرة في مخاطبته واعلاء درجات الآداب في محاورته (ومثل هذا) أي ما ذكر من كون طه من اسمائه صلى الله تعالى عليه وسلم أو مقسما به أوهما وما قبلهما (من نمط الشفقة) أي من نوع المرحمة (والمبرة) لمناسبة بينهما قال الدلجي اذ النمط في الاصل الجماعة من الناس امرهم واحد وفي الحديث خير هذه الامة النمط الاوسط يلحقهم التالي ويرجع اليهم العالي انتهى ولا يخفى بعد هذا المعنى في مقام المرام بل النمط بفتح النون والميم جاء بمعنى الطريق والنوع من الشئ أيضا على ما في القاموس ويمكن حمل الحديث الذي ذكره عليه كما لا يخفى وقد قال الحلبي النمط الضرب من الضروب والنوع من الانواع يقال ليس هذا من ذلك النمط أي من ذلك النوع قاله الهروي في غريبه واخذه منه ابن الاثير وحذف منه بعض شئ (قوله تعالى) خبر لقوله مثل هذا (فلعلك) أي لفرط اعراضهم وتباعدهم عن ما فيه تحصيل جميع اعراضهم (باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث) أي الجديد انزاله (اسفا) أي حزنا وتاسفا وتلهفا

(٢) أقول هذا مناف لقوله تعالى لمريم واركعي مع الراكعين اه لمصححه

أى قاتل نفسك لذلك غضبا أو غيظا أو جزعا) لعل كما تكون لرجاء المحبوب تكون للاشفاق من المكروه والمراد هنا الثانى على لسان العباد أو بارادة لازمه لاستحالته عليه تعالى وباخع من بخع نفسه من باب نفع قتلها من وجد أو غيظ وبخع لى بالحق بخوعا انقاد وبذله كما فى المصباح قال البيضاوى شبهه لما تداخله من الوجد على توليهم عن الايمان بمن فارق أحبته فهو متحسر على آثارهم ومبخع نفسه وجدا عليهم أو اذا ماتوا على الكفر تقول العرب بكى على أثر فلان اذا بكى على فراقه وهذا كما تقول لمن أهمه ما يحزنه من غيره اطرح ما أنت فيه وكل أمرك لله ولا تهلك نفسك والمراد بالحديث القرآن وهو يطلق عليه قال الله تعالى ومن أصدق من الله حديثا واما اختصاصه بحديث الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فعرف طارئ وقوله فلعلك أى لاجل عدم ايمانهم بهذا الحديث لان الشرط قد يفيد العلية نحو ان كانت الشمس طالعة فالنهار موجود ويؤيده قراءة ان لم يؤمنوا بفتح الهمزة قال القاضى قرئ بالفتح على تقدير لا فلا يجوز اعمال باخع الا اذا جعل حكاية لحال ماضية يعنى على هذه القراءة لان عدم الايمان على القراءة الاولى مستقبل لانه فى حيز الشرط فباخع مستقبل عامل وعلى الثانية ماض فلذا جعل حكاية وقوله غضبا الى آخره فللاسف معان ثلاثة مأثورة ثابتة فى اللغة وقيل حزنا أو ندما والغضب ضد الرضا والغيظ أشده أو سورته أو ما اضمر فى النفس وفيه كلام وفسر بالغضب أيضا وليس بمراد لئلا يتكرر ولا يصح التفسير لعطفه باو والجزع ضد الصبر وفى عمدة الحفاظ الاسف الغضب والحزن معا ويطلق على كل منهما بانفراده وحقيقته ثوران دم القلب لارادة الانتقام فمتى كان على من تحته انتشر فصار غضبا أو على من فوقه انقبض فصار حزنا وهى منصوبة مفعول له أو حال (ومثله قوله أيضا) مصدر آض يئيض اذا رجع ومعناه عود المثال ما قبله لمشاركته له فى معناه فلذا فسرت بالتشبيه أى بما أورد مورد الشفقة والاكرام اه بشهادة لعل اذ هى للاشفاق وهو مفعول مطلق أو حال ومثله نظر المعناه وأيضا نظر اللفظه فلا تكرار ولو حذف كان أولى (لعلك باخع نفسك الا يكونوا مؤمنين) تفسيره أيضا يعلم مما مر والمقصود منهما منع الغم شفقة عليه قيل وانما ذكر هذه الآية لما فيها من توقع انقيادهم ووقوع أمنيته صلى الله تعالى عليه وسلم فان كانت لا زائدة ففيها غاية الاشفاق عليه (ثم قال ان نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين) المراد بالآية هنا آية مخصوصة وهى الملجئة قسرا الى الايمان أو ما فيه عذاب وعقاب والا فكم من آية نزلت وما انقادوا لها والخضوع التذلل والانقياد وقوله فظلت معطوف على الجواب لصحة وقوع الماضى موقعه وعبر بالماضى لتحققه بعد نزول هذه الآية والاعناق الاعضاء المعروفة ويعبر بها عن الرؤساء كما يعبر بالرأس وعلى هذا فخاضعين بجمع العقلاء ظاهر وعلى الاول فلما نسب لهم ما ينسب للعقلاء من الخضوع عبر بعبارتهم كما فى قوله رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين أو فى الاعناق مقدرا والمضاف اكتسب صفة العقلاء من المضاف اليه كما يكتسب منه التذكير والتأنيث وفى الآية تسلية له صلى الله تعالى عليه وسلم تزيل غمه وهو شفقة عظيمة ففيه مناسبة لما المصنف بصدده (ومن هذا الباب) الباب معروف ويطلق على القبيل والنوع اطلاقا شائعا فيقال هذا من باب كذا أى من جنسه ونوعه وهو المراد أى من قبيل ما نحن فيه من شفقة الله على رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم فلا يتوهم ان الظاهر ان يقول من هذا الفصل (قوله تعالى فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين الى قوله ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون

(أى قاتل نفسك) ويجوز بالاضافة كما قرئ فى الآية (لذلك) أى لعدم ايمانهم بالقرآن (غضبا) أى عليهم (أو غيظا) أى فى نفسه (أو جزعا) أى قلة صبر وتحمل والحاصل انه صلى الله تعالى عليه وسلم شبه لما تداخله من الوجد أسفا على توليهم وتباعدهم عن الايمان بمن فارق أعزته فذهبت نفسه حسرات على آثارهم باخعها وجدا عليهم متلهفا على فراقهم (ومثله) أى مثل فلعلك باخع نفسك مما ورد مورد الشفقة والاكرام بشهادة لعل فانها للاشفاق (قوله تعالى أيضا لعلك باخع نفسك) وقرئ بالاضافة هنا أى اشفق على نفسك ان تقتلها غما (ان لا يكونوا مؤمنين) أى مخافة ان لا يؤمنوا أو لئلا يؤمنوا (ثم قال) أى الله سبحانه وتعالى تسلية لشانه (ان نشأ ننزل عليهم من السماء آية) أى دلالة ملجئة الى الايمان أو بلية قاصرة على أهل الكفران والطغيان (فظلت) أى صارت (أعناقهم) أى جماعاتهم وأشرافهم وساداتهم (لها خاضعين) أى لتلك الآية منقادين ولاقتضائها خاشعين أو لتلك البلية ذليلين خاسئين وهو عطف على الجزاء أعنى ننزل اذ لو قيل أنزلنا مكانه لصح وقيل أصل الكلام فظلوا لها منقادين فاقحمت الاعناق لبيان موضع الخضوع لان الاعناق لما وصفت بصفة لا تكون حقيقة الا لمن يعقل عوملت معاملة من يعقل فجمعت جمعه (ومن هذا الباب) أى باب الشفقة والاكرام (قوله تعالى فاصدع بما تؤمر) أى فاجهر به وأظهره من صدع بالحجة اذا تكلم بها جهرا أو افرق بين الحق والباطل وأصله الابانة والتمييز وما موصولة وعائدها محذوف أى بما تؤمر به وجوز الدلجى كون ما مصدرية هنا وهو بعيد عن المعنى كما لا يخفى (وأعرض عن المشركين) أى اهانة لهم ولا تلتفت الى ما يقولون وأغرب التلمسانى حيث فسر أعرض بقوله اترك والغ (الى قوله) تعالى (ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون) أى فينا أو فى القرآن أو فيك الى

(الى آخر السورة) وهو قوله سبحانه وتعالى انا كفيناك المستهزئين أى دفعنا عنك شرهم بقمعهم واهلاكهم قيل كانوا خمسة نفر فمات كل واحد منهم بنوع من عذابه الذين يجعلون مع الله الها آخر فسوف يعلمون أى عاقبة أمرهم ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك أى فافزع اليه بالتسبيح والتحميد وقل تسبيحا مقرونا بالحمد جمعا بين الصفات السلبية والنعوت الثبوتية أو فنزهه عما يقولون من الباطل واحمده على انه هداك الى الحق وكن من الساجدين أى المصلين وكان صلى الله تعالى عليه وسلم اذا حزبه أمر فزع الى الصلاة واعبد ربك حتى يأتيك اليقين أى الموت باتفاق المفسرين وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم عند موت عثمان بن مظعون أما هو فقد رأى اليقين قال المنجانى ويحتمل أن يكون اشارة الى النصر الذى وعده الله سبحانه وتعالى على الكفار قلت هذا مع مخالفته للاجماع غير مناسب أن تكون النصرة غاية العبادة فان العبادة لا يجوز انفكاكها عن العباد مادامت الارواح فى الاجساد (وقوله) أى ومنه أيضا قوله (تعالى ولقد استهزئ برسل من قبلك) تسلية له عما كانه يرى من قومه ليقتدى بالرسل المتقدمين عن وقته حيث صبروا على ما كذبوا وأوذوا وقد قال الله تعالى فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل (الآية) يعنى فحاق بالذين سخروا منهم أى من المستهزئين وقيل من المرسلين ما كانوا به يستهزؤن أى فاحاط بهم الذى كانوا به يستهزؤن حيث هلكوا لاجله أو فنزل بهم جزاء استهزائهم قيل يجوز أن يكون ضميره راجعا الى الشرع وما ترتب عليه من الثواب وأن يكون راجعا الى العذاب والله تعالى أعلم بالصواب وأما ما جوزه المنجانى من رجعه الى القرآن فلا يناسبه المقام كما لا يخفى على أرباب المعانى والبيان (قال مكى) سبق ذكره (سلاه) أى الله تعالى (بما ذكره) أى من قوله ولقد استهزئ برسل من قبلك (وهون عليه ما يلقى) وفى رواية ما يلقاه (من المشركين) أى من فرط الايذاء (وأعلمه ان) وفى نسخة انه (من تمادى) أى أصر واستمر (على ذلك يحل به) بضم الحاء أى ينزل به ومنه قوله تعالى أو تحل قريبا من دارهم وأما يحل بكسر الحاء فمعناه يجب لكن لا يناسب المقام وان قرئ بهما قوله تعالى فيحل عليكم غضبى (ما حل) أى شئ عظيم نزل أو الذى حل (بمن قبله) أى من أعداء الانبياء (ومن هذا) أى الباب وفى نسخة

الى آخر السورة) وأصل معنى الصدع صدم الاناء ونحوه فينشق فاستعير للامر المؤثر تأثيرا ظاهرا وللكلام المؤثر فى النفس وقيل الصدع الفرق بين الشيئين فكانه قيل له افرق بين الحق والباطل وكان صدع على جهة البيان والتشبيه لظلمة الجهل والشرك بظلمة الليل ولنور القرآن بنور الفجر لان الفجر يسمى صديعا كما قال

ترى السرحان مفترشا يديه * كان بياض غرته صديع

وما مصدرية أو موصولة والعائد محذوف وأصله بما تؤمره على حد أمرتك الخير ولا يخفى ان هذا على الحذف والايصال فالظاهر أن يقدر بما تؤمر به ولا يشكل بان شرط حذف عائد الموصول المجرور أن يجر بمثل ما جر به الموصول لفظا ومتعلقا نحو ويشرب مما تشربون أى منه لان الصدع بمعنى الامر كامر ولا تشترط المماثلة اللفظية ولا يخفى مناسبة الآية للفصل اذ المراد لا تحزن لمخالفتك فانها الحكمة سترى عاقبتها لك وعلى أعدائك وأى شفقة وتكريم أحسن من هذا ولم يقل فى الآية التى قبلها الى آخر السورة تصريحا بما فيه زيادة دلالة على التسلى والشفقة به وما يقولونه هو الشرك والاستهزاء والطعن فى القرآن وهى منسوخة بآية القتال * قيل كان ينبغى أن يذكر قوله تعالى انا كفيناك المستهزئين قلت ذكرها ضمنا فى الى قوله وأيضا استغنى عنها بالآية التى عقب هذا وهى فى قوله (وقوله ولقد استهزئ برسل من قبلك الآية) أى فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن والمستهزؤن خمسة من أشراف قريش كانوا يبالغون فى ايذائه صلى الله تعالى عليه وسلم فاهلكهم الله كما نقله المفسرون وهى واردة على نهج الشفقة والتسلية والوعد بانه سيكفيكهم باهلاكهم وورد بصيغة الماضى تحقيقا له ولهذا عقبه بقوله الذين يجعلون مع الله الها آخر فسوف يعلمون أى عاقبته فى الدارين كما ذكره القاضى واقتصر فى اللباب على ان عاقبة أمرهم يوم القيامة وقوله فحاق الخ أى أحاط بهم حيث أهلكوا لا طلب الاستهزاء باطلاق السبب على المسبب لان المحيط العذاب لا المستهزأ به أو نزل بهم وباله فوضع موضعه وهذه الآية فى الانعام والانبياء ويحتمل انها آية الرعد وتمامها فامليت للذين كفروا ثم أخذتهم فكيف كان عقاب أى أمهلتهم برهة من الزمان فى دعة وأمن ثم أخذتهم فكيف كان عقابى اياهم (قال مكى) تقدمت ترجمته رحمه الله تعالى (سلاه الله تعالى بما ذكره وهون عليه ما يلقى من المشركين) من استهزائهم وعنادهم وانما يسلى من يحبه ويشفق عليه والتسلية بان اخوانه من أولى العزم ابتلوا بمثله فصبروا وكانت النصرة والعاقبة لهم عليهم الصلاة والسلام فى الدارين والتاسى بما يثلج الصدر كما قيل

ولولا كثرة الباكين حولى * على اخوانهم لقتلت نفسى

وفى التاخير حكم كثيرة وان كان تعجيل الانتقام ممن آذى المنسوبين لانهم لا يتيقنون عاقبة أمرهم فلذا قال (وأعلمه أن من تمادى على ذلك يحل به ما حل بمن قبله) اعلم فعل ماض فاعله ضمير الله ومفعوله ضمير الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وتمادى ان تأخر وتطاول تفاعل من المدى وهو الغاية ومنه

(ومثل هذه التسلية قوله تعالى وان يكذبوك) أى قومك فلا يهولنك تكذيبهم لك (فقد كذبت رسل من قبلك) فكأن الله سبحانه وتعالى يقول لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم تاس بمن قبلك من الانبياء فان هذه الانواع التى يعاملك بها قومك من التكذيب وغيره قد كانت موجودة فى سائر الامم قبلك مع أنبيائهم عليهم الصلاة والسلام فلست منفردا بهذا وحدك وفيه ايماء الى ان البلية اذا عمت طابت فان أجل ما يخفف عن الانسان · حزنه مشاركة غيره له فيه كما قالت الخنساء

ولولا كثرة الباكين حولى * على اخوانهم لقتلت نفسى
وما يكون مثل أخى ولكن * أعزى النفس منى بالتاسى

(ومن هذا) الباب أو القبيل (قوله تعالى كذلك) أى مثل تكذيب قومك لك وقولهم افتراء عليك معلم مجنون (ما أتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا) أى ما جاءهم رسول الا قالوا فى حقه هو (ساحر) أى خداع (أو مجنون) أى به جنون واو للتنويع باعتبار قوم أو وقت دون وقت ولا يبعد أن تكون للشك مشيرا الى تحيرهم فى أمره مع الايماء الى المناقضة بين أقوالهم فان الساحر هو العالم وهو لا يكون الا فى كمال العقل والجنون لا يكون الا خاليا عنه (عزاه الله تعالى) بتشديد الزاى أى حمله على الصبر وسلاه (بما أخبر به عن الامم السالفة) أى عن الجماعات السابقة (ومقالها) أى وأقاويل تلك الامم وفى نسخة ومقالتها (لانبيائهم قبله ومحنتهم) أى ابتلائهم وفى نسخة ومحنهم بفتح فسكون وهو مجرور ووهم الحجازى حيث قال بفتح النون أى وبامتحان أنبيائهم واختبارهم فى ولائهم عند بلائهم وابتلائهم (بهم) أى بقومهم وأقوالهم (وسلاه) أى النبى عليه الصلاة والسلام (بذلك) أى بما ذكر من ابتلاء الانبياء (عن محنته) أى بليته عليه الصلاة والسلام (بمثله) أى بنظير ما فعل الامم بالانبياء (من كفار مكة) فى تاذيته (وانه) أى وبانه (ليس أول من لقى ذلك) أى الايذاء من قومه صلى الله

مدى البصر وفى المصباح تمادى فى غيه اذا لج ودام على فعله من أمداه أبعده أو من ماديته اذا أمهلته وقوله على ذلك حال أى كائنا ومستمرا على استهزائه قيل فيه قرينة على ارادة آية الرعد ويحل به أى ينزل به العذاب الذى نزل بامثالهم فهو بضم الحاء وكسرها من الحلول بمعنى النزول لانه الذى يتعدى بالباء لا من حل بمعنى وجب لانه يتعدى بعلى قال فى المصباح حل العذاب يحل ويحل حلولا هذه وحدها بالضم والكسر والثانى بالكسر فقط انتهى وفى القاموس حل المكان وبه يحل ويحل نزل وفى الصحاح بالكسر وجب وبالضم نزل وتبعه بعض الشراح وفيه نظر يعنى انها عادة الله فى مثله (ومثل هذه التسلية قوله تعالى وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك) أى مثل التسلية السابقة ما فى هذه الآية من تهوين ما لقيه بانه له فيه اسوة بمن تقدم من الرسل وانه سيكون له صلى الله تعالى عليه وسلم مثل ما كان لهم من نصره وعلو قدره والانتقام من أعدائه والتسلية لئلا يحزن ويشق عليه ويحزنه ذلك وهو غاية الشفقة به والتعبير بالآية الواقع من بعض النسخ وأطلق فيه الآية وأراد جميعها الى قوله ترجع الامور فهو من اطلاق الجزء على الكل كما تقول قرأت بانت سعاد أى القصيدة كلها فالمناسبة للفصل والمماثلة فى غاية الظهور (ومن هذا) القبيل فى التسلية والشفقة الدال على علو منزلته عند الله (قوله كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر أو مجنون) المشار اليه بقوله كذلك الامر الذى وقع له صلى الله تعالى عليه وسلم من تكذيبه وقولهم انه ساحر أو مجنون كقولهم افترى على الله كذبا أم به جنة وتمام هذه الآية أتواصوا به بل هم قوم طاغون والاستفهام تعجبى تعجب من توارد أقوالهم وأفعالهم وآرائهم على تكذيب الرسل عليهم الصلاة والسلام مع بيان أزمانهم والاضراب عن تواصيهم بما ذكر الى تجاوز حدهم فى العناد الجامع لهم فيما ذكر وقوله ما أتى الى آخره كالتفسير لما قبله كما قاله البيضاوى وقيل الوجه أن يكون الامر عبارة عما جعله المشار اليه تكذيب الذين من قبلهم رسلهم وتسميتهم كل رسول أتاهم أى جاءهم وبعث اليهم كذابا أو ساحرا أو مجنونا لان المقصود تشبيه فعل هؤلاء المتاخرين مع رسلهم بفعل أولئك المتقدمين مع رسلهم واسنادهم لهم ما هم منزهون عنه لعصمة الله لهم فالمناسبة تامة (عزاه الله) أى حمله على الصبر كما صبروا لانه تفعيل من العزا وهو الصبر (بما أخبره به عن الامم السالفة) الباء للتعدية أو سببية والسالفة بمعنى المتقدمة والوصف بالمفرد المؤنث لتاويله بالجماعة وهو مقيس مطرد (ومقالها) بالجر معطوف على الامم ويجوز عطفه على مجرور الباء كما فى قوله تعالى واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام فى قراءة الجر أى وبمقالها والاول أقرب ولا تكلف فيه كما قيل وفى نسخة مقالتها (لانبيائهم قبله) والقبلية تصريح بلازم ما فى الآية لان كون أنبياء أولئك قبل هؤلاء يستلزم كونهم قبله صلى الله تعالى عليه وسلم (ومحنتهم بهم) وفى نسخة محنته أى محنة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بهؤلاء المكذبين له وعلى الاولى محنة الانبياء بامهم والمحنة الابتلاء والاختبار وهذه النسخة أولى وأنسب بقوله (وسلاه بذلك عن محنته بمثله من كفار مكة وانه ليس أول من لقى ذلك) فذلك اشارة الى ما وقع للانبياء عليهم الصلاة والسلام مع أممهم مما يضاهى ما وقع له صلى

الله عليه وسلم وقوله ومثله الضمير فيه راجع للمشار اليه وأفرده لتأويله بما ذكر وروى بمثلهم وهو تسلية بالتاسي كما مر ومن كفار مكة متعلق بالمحنة وضمير انه للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو معطوف على ذلك وبين وجه التسلية بقوله ليس الى آخره (ثم طيب نفسه وأبان عذره) ثم للبعد اللفظي أو الرتبي ونحوه كما مر وأبان عذره عطف على طيب نفسه عطف تفسير لان حزنه صلى الله تعالى عليه وسلم لعدم اطاعة كفار مكة له خوفا من تقصيره في مرتبة الرسالة والتبليغ فاظهر الله له انه معذور في اعراضهم وعدم انقيادهم فطابت نفسه صلى الله عليه وسلم من نسبة شئ من التقصير اليه فلا لوم ولا عتب عليه في مثله وفيه غاية الشفقة واللطف به صلى الله تعالى عليه وسلم وتفريج كربه وهمه (بقوله تعالى فتول عنهم أي أعرض عنهم) وهذه الآية منسوخة بآية السيف وقيل بقوله وذكر أي أعرض عن المجادلة وما يتعبك أو عن الهم والحزن المكدر لقلبك المضيق لصدرك أو أعرض تارة وذكر أخرى فلا نسخ وما ذكر من ان النسخ بقوله وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين هو ما قاله ابن الجوزي رحمه الله قيل وهو غريب لعطف الناسخ على المنسوخ بالواو المشتركة الا أن تكون الواو للاستفتاح كما ذكره بعضهم وعلى تفسير المصنف رحمه الله تعالى معنى ذكر دم على التذكير والموعظة فتدبر وقوله (فما أنت بملوم) أصله ملووم فنقلت الضمة وحذفت الواو والمنفي لوم مخصوص من جهة مخصوصة كما أشار اليه بقوله (أي في أداء ما بلغت وابلاغ ما حملت) مبني للمجهول مشدد الميم وما حمله أمانة الرسالة وقد أداها صلى الله تعالى عليه وسلم وبذل الجهد فلا يتوجه اليه لوم وفيه من المدح والاشفاق ما لا يخفى أي أنت لا تلام من جهة الاداء على التقصير فانك لم تقصر وانما أنت مذكر ما عليك الا البلاغ وقد فعلت وبذلت مقدورك قيل والاولى ما قال البيضاوي من أن المراد نفي اللوم على بذل جهده في البلاغ اذ المقصود نفي اللوم مطلقا وكلام المصنف رحمه الله تعالى موهم لنفيه مقيدا * وقيل اللوم على عدم ايمانهم فقيل له لا تهتم بهم ولا تحزن ولا يبعد ان يراد لا تلتفت لقولهم لك لم تركت ملة الاباء الماأمرتنا به ونحو ذلك فانك لست بملوم عندنا وفي نفس الامر بل في اعتقادهم أيضا فلا تعتبر ما قالوه وذكروه وعلى هذا فلا نسخ كما مر * قلت التقييد لا ضرر فيه هنا وايهام استملوما في هذا انه يلام في غيره لا يلتفت اليه لانه على حد قوله * ولا ترى الضب بها ينجحر * فيفيد عدم اللوم على غيره بالطريق الاولى وليس في قوله ابلاغ ما حملت تكرار مع ما قبله لان الثاني فيه كناية عن الاول كما توهم لان المعنى انك بلغتنا الكل وأديته كما ينبغي فالاولى لحسن الاداء والثانية للشمول والتعميم أو الثانية تعميم بعد تخصيص ففيه اطناب حسن كما قيل بل لان الاولى تفيد انه بلغ ووفى حق ما بلغه والثانية تفيد انه مامور بالتبليغ كمن أرسل برسالة وأمانة فأوصلها (ومثله) في التسلية الدالة على الشفقة والمحبة (قوله تعالى واصبر لحكم ربك فانك باعيننا) أي دم على الصبر في تنفيذ ما حكم الله تعالى به ولا تحزن ولا تخف من الاعداء فانك محفوظ محروس لا يصلون اليك ولا يدب بساحتك عقارب كيدهم أو اصبر لاجل حكم الله أي لتبليغ أحكامه وفي المعالم اصبر الى أن يقع ما حكمنا به أو الى أن نحكم أو ننزل حكما وفيه الايماء الى قتالهم واللام بمعنى على أو للتعليل أو بمعنى الى والحكم ما حكم الله به وقدره في الازل أي لا تنزعج بالتعب في سبيلنا ودم على الجد فانك محفوظ معصوم من الناس والاعين جمع قلة للعين والضمير المضاف اليه لله بصيغة التعظيم ولايهامه التعدد لا يجوز اطلاقه منا عليه بل نقتصر فيه على ما قاله الله في حق نفسه كما نقله الدماميني في شرح التسهيل والمراد بالعين الحفظ والحراسة على الاستعارة أو المجاز المرسل كما يقال هو بعيني أو على عيني وبمرأى ومسمع مني وجمع قيل لمناسبة المضاف اليه أو لكثرة أسباب الحفظ فان رؤيته تعالى تتعلق بكل شئ وليست مخصوصة بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم يعني ان جمع القلة مستعار هنا للكثرة ولك ان تقول ان حفظ جميع مخلوقاته قليل بالنسبة لجلاله وعظمة ذاته والى هذا اشار بقوله

(ثم) أي بعد ان سلاه (طيب نفسه) أي أرضاه (وابان عذره) أي أظهره (بقوله فتول عنهم) اشفاقا عليه بترك معالجتهم (أي أعرض عنهم) أي بعد ما بذلت جهدك في الدعوة وألزمت عليهم الحجة (فما انت بملوم) في مكالمتهم (أي) حينئذ (في أداء ما بلغت) أي من الاعلام (وابلاغ ما حملت) بضم حاء وتشديد ميم مكسورة أي كلفت من الاحكام والمعنى فما تلام في اعراضك عنهم بعد ما كررت عليهم مبالغا في تبليغ ما أمرت به لهم ومثله (قوله تعالى واصبر لحكم ربك فانك باعيننا) أي بمرأى منا

(أى اصبر على اذاهم) أى و قائلك فى عناهم (فانك بحيث نراك ونحفظك) و جمع العين لجمع الضمير مبالغة فى كثرة أسباب الحفظ والعصمة (سلاه الله تعالى بهذا) أى بما ذكر (فى آى كثيرة من هذا المعنى) أى كما لا يخفى على حفاظ المبنى

(الفصل السابع) فيما أخبره الله تعالى به فى كتابه العزيز) أى الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه أو الغالب على سائر الكتب بنسخه اياها أو النادر فى الوجود لبقائه على صفحات الدهر الى اليوم الموعود (من عظيم قدره) أى مرتبته (وشريف منزلته) أى يشهدان بفضيلته (على الانبياء وحظوة رتبته) بكسر الحاء وضمها وسكون الظاء المعجمة وقد تقدمت ومن بيان لما (فى قوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين) هو كما اختاره المصنف على ظاهره من أخذ الميثاق عليهم بما ذكر أو ميثاقهم الذى وثقوه على أممهم (لما آتيتكم) وفى قراءة نافع آتيناكم واللام موطئة للقسم لان أخذ الميثاق بمعنى الاستحلاف وما شرطية والتقدير لمهما آتيتكم وهو ظاهر قول سيبويه ودخلت اللام عليها كما تدخل على ان اذا كان جوابها قسما نحو قوله تعالى ولئن شئنا لنذهبن بالذى أوحينا اليك أو موصولة صلتها ما بعدها والعائد محذوف أى الذى آتيتكموه (من كتاب وحكمة) من لبيان ما (الى قوله) تعالى (من الشاهدين وفى يعنى ثم جاءكم وهو عطف على صلتها وعائدها محذوف أى جاءكم به رسول مصدق وقرأ حمزة لما بالكسر على ان ما مصدرية أى لاجل ايتيانى اياكم بعض الكتاب والحكمة ثم مجىء رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أى الله تعالى للنبيين أأقررتم وأخذتم على ذلكم أصرى أى قبلتم عهدى قالوا أقررنا قال فاشهدوا أى بعضكم على بعض بالاقرار وأنا معكم من الشاهدين على اقراركم وتشاهدكم وهذا توكيد عظيم وتعظيم جسيم مع علمه تعالى بانهم لا يدركون زمانه ولا يلحقون مكانه

(أى اصبر على اذاهم فانك بحيث نراك ونحفظك) بيان للمراد من هذه الآية وارادة الحفظ والمجازاة بعيد ولا تلتفت لما قيل انه غير بعيد فانه مكابرة وفى الشرح الجديد دلالة ماذكر على الحفظ لانك اذا قلت فلان بعينى استحال حقيقة الظرفية على انه داخل العين فتعين ارادة لازمه وهو فى حفظك بغير طريق الرؤية لان ما استقر فى عينك كان محفوظا فوق الرؤية اذ من شرط الرؤية عدم مماسة العين للمرئى فان أريد معناه الحقيقى على ان الباء للظرفية المجازية فالحفظ مراد بطريق الكناية لصحة الجمع بين المعنيين فيها دون المجاز فالمراد مجرد الرؤية بغير جارحة لاستحالتها فى حقه تعالى وذهب البيضاوى فى قوله تعالى واصنع الفلك باعيننا الى ان الباء للملابسة والتعبير بكسرة آلة الحس الذى به يحفظ الشئ ويراعى عن الاختلال والزيغ عن المبالغة والحفظ والرعاية على طريق التمثيل فلا كناية فيه أصلا على هذا ومنه يفهم وجه الجمع كما مر (سلاه الله بهذا) أى بمثل هذا الكلام وما فى معناه بذكره (فى آى) بمد الهمزة وتخفيف الياء جمع آية أو اسم جنس جمعى لها ولا حاجة لجعل فى بمعنى مع كما قيل وان صح هنا (كثيرة) كقوله تعالى ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا (من هذا المعنى) من بيانية والتقدير كائنة من مثل ما يدل على هذا المعنى وهو الحفظ والوعد بالتاييد والامر بالصبر للتسلية والشفقة والمعنى مفعل من عناه بمعنى قصد قال فى المصباح تقول العامة لاى معنى فعلت والعرب لا تعرف المعنى ولا تكاد تتكلم به نعم قال بعض العرب مامعنى هذا بكسر النون وتشديد الياء وقال أبو زيد هذا فى معناة هذا وفى منعاه سواء أى فى مماثلته ومشابهته دلالة ومضمونا ومفهوما وقال الفارابى معنى الشئ ومعناته واحد ومعناه وفحواه ومقتضاه ومضمونه كله هو ما يدل عليه اللفظ وفى التهذيب عن ثعلب المعنى والتفسير والتاويل واحد وقد استعمل الناس قولهم هذا فى معنى كلامه وشبهه يريدون هذا مضمونه ودلالته وهو مطابق لقول أبى زيد والفارابى واجمع النحاة وأهل اللغة على عبارة تداولوها وهى قولهم هذا بمعنى هذا وهذا فى المعنى واحد وسواء أى مماثله ومشابهه انتهى ولنا فيه كلام فى حواشى الرضى

(الفصل السابع فيما أخبر الله تعالى به فى كتابه العزيز)

أى العظيم الشريف أو القوى أدلته ومعانيه أو الذى لا نظير له فى الكتب (من عظيم قدره وشريف منزلته على الانبياء عليهم الصلاة والسلام وحظوة رتبته) وفى بعض النسخ عليهم أى على جميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام والمراد تفضيل نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم على جميع الانبياء كما سترى تفصيله والمنزلة والرتبة متقاربان بمعنى علو القدر والحظوة بضم الحاء المهملة وكسرها وسكون الظاء المشالة أى اختصاص رتبته صلى الله تعالى عليه وسلم بالحظ الاوفر من حظى عند غيره يحظى من باب تعب حظة كعدة اذا أحبوه ورفعوا منزلته فهو حظى على فعيل وقوله على الانبياء متعلق بما قبله لتضمينه معنى العلو (قوله تعالى) وفى بعض النسخ قال الله تعالى (واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة الى قوله من الشاهدين) يعنى قوله ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم اصرى قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين

وفي بعض النسخ تلاوتها بتمامها قال ابن المنير في تفسيره البحر الكبير يحتمل ان يراد أخذ الله الميثاق على النبيين أو على الامم الميثاق الذي شرع النبيون تعظيمه فأضيف اليهم أو هو بتقدير مضاف أي ميثاق أمم النبيين ويحتمل ان يراد بالنبيين مدعو النبوة تهكما بهم وقد كان اليهود يقولون نحن أحق بالنبوة من العرب وعدلوا عن الاول مع ظهوره لانهم لم يدركوه فهو على الفرض والتقدير وهو تكلف ولما آتيتكم يحتمل الشرطية والموصولية واللام موطئة للقسم لان أخذ الميثاق في معنى الاستحلاف وعلى الشرطية جواب القسم ساد مسد الامرين وهو قوله لتؤمنن به وقرأ حمزة لما بالكسر أي لاجل ايتائي اياكم بعض الكتاب والحكمة ثم لمجيء رسول موافق لكم مصدق لما معكم فكل من هذين الامرين جدير بان يكون علة وسببا في نصرتكم اياه لانكم أوتيتم الحكمة ومقتضاها نصرة الحق كائنا مع من كان ولانه جاء بما هو مظاهر لكم مصدق لما معكم فاذا كانت ما شرطية أو موصولة فمن بيانية وان كانت مصدرية فتبعيضية لانه ليس هناك ما يبين وانما امتن عليهم ببعض الكتب لانه كاف في الحجة ويجوز على قراءة الكسر والتعليل ان تكون ما موصولة أي أوجبت على الانبياء عليهم الصلاة والسلام نصرة النبي المدعو به في المستقبل لاجل الكتاب الذي آتيته كل واحد منهم وجملة جاءكم معطوفة على الصلة أقيم فيها الظاهر مقام المضمر والتقدير لما آتيتكموه من الكتاب ثم جاءكم رسول مصدق له وقرأ ابن جبير لما بالتشديد وهو يقوي المصدرية وقيل أصل لما لمن ما أدغمت النون فاجتمع ثلاث ميمات فحذف احداها والمعنى لمن أجل ما آتيتكم من كتاب وهو قريب من قراءة حمزة بالكسر انتهى * واعلم ان هذه الآية أجل آية في حقه صلى الله تعالى عليه وسلم وقد أفردها التقي السبكي برسالة سماها التعظيم والمنة في معنى قوله تعالى لتؤمنن به ولتنصرنه قال فيها في هذه الآية من التنويه به صلى الله تعالى عليه وسلم وتعظيم قدره العلي ما لا يخفى وفيها مع ذلك انه على تقدير مجيئه صلى الله تعالى عليه وسلم في زمانهم يكون مرسلا اليهم فتكون نبوته ورسالته عامة لجميع الخلق من آدم عليه الصلاة والسلام الى يوم القيامة وتكون الانبياء وأممهم كلهم من أمته صلى الله تعالى عليه وسلم ويكون قوله وبعثت الى الناس كافة لا يختص بالناس من زمانه الى يوم القيامة بل يتناول من قبلهم أيضا ويتبين بذلك معنى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد وان من فسره بعلم الله تعالى بانه سيصير نبيا لم يصل الى هذا المعنى لان علم الله محيط بجميع الاشياء ووصف النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بالنبوة في ذلك الوقت ينبغي ان يفهم منه انه أمر ثابت له في ذلك الوقت ولهذا رأى آدم عليه الصلاة والسلام مكتوبا على ساق العرش محمد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلا بد ان يكون ذلك معنى ثابتا في ذلك الوقت ولو كان المراد بذلك مجرد العلم بما سيصير في المستقبل لم يكن له صلى الله تعالى عليه وسلم خصوصية بانه نبي وآدم بين الروح والجسد لان جميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام يعلم نبوتهم في ذلك وقبله فلا بد من خصوصية للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم لاجلها أخبر هذا الخبر اعلاما لامته ليعرفوا قدره عند الله فيحصل لهم الخير بذلك * فان قلت أريد ان أفهم ذلك القدر الزائد فان النبوة وصف لا بد أن يكون الموصوف به موجودا وانما يكون بعد بلوغ سن أربعين سنة فكيف يوصف به قبل وجوده وقبل ارساله وان صح ذلك فغيره كذلك * قلت قد جاء ان الله تعالى خلق الارواح قبل الاجساد فالاشارة بقوله كنت نبيا الى آخره الى روحه الشريف صلى الله تعالى عليه وسلم أو الى حقيقته والحقائق تقصر عقولنا عن معرفتها وانما يعلمها خالقها ومن أمده بنور الهي ثم ان تلك الحقائق يؤتي الله بها كل حقيقة منها ما يشاء في الوقت الذي يشاء فحقيقة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قد تكون من قبل خلق آدم عليه الصلاة والسلام

آتاها الله ذلك الوصف بأن يخلقها متهيئة لذلك وأفاض عليها من ذلك فصار صلى الله تعالى عليه وسلم نبيا وكتب اسمه على العرش وأخبر عنه بالرسالة ليعلم ملائكته عليهم الصلاة والسلام وغيرهم كرامته صلى الله تعالى عليه وسلم عنده فحقيقته موجودة من ذلك الوقت وان تأخر جسده الشريف المتصف بها واتصاف حقيقته بالأوصاف الشريفة المفاضة عليه من الحضرة الالهية وانما تأخر البعث والتبليغ وكل ماله من جهة الله ومن جهة تأهل ذاته الشريفة وحقيقته تعجل لا تأخر فيه وكذلك استنباؤه وايتاؤه الكتاب والحكم والنبوة وانما المتأخر تكونه وتنقله الى أن ظهر صلى الله عليه وسلم وغيره صلى الله تعالى عليه وسلم من أهل الكرامة وقد تكون افاضة الله تلك الكرامة عليه بعد وجوده بمدة كما يشاء سبحانه وتعالى ولا شك ان كل ما يقع فالله تعالى عالم به من الازل ونحن نعلم علمه بذلك بالادلة العقلية والشرعية ويعلم الناس منها ما يصل اليهم عند ظهوره لعلمهم بنبوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم حين نزل عليه القرآن في أول ما جاءه جبريل صلوات الله تعالى عليهما وسلامه وهو فعل من أفعاله سبحانه من جملة معلوماته من آثار قدرته وارادته واختياره في محل خاص يتصف بها فهاتان مرتبتان الاولى معلومة بالبرهان والثانية ظاهرة للعيان وبين المرتبتين وسائط من أفعاله سبحانه وتعالى يحدث على حسب اختياره سبحانه وتعالى منها ما يظهر لهم بعد ذلك ومنها ما يحصل لهم كمال لذلك المحل وان لم يظهر لاحد من المخلوقين وذلك ينقسم الى كمال يقارن ذلك المحل من حين خلقه والى كمال يحصل له بعد ذلك ولا يصل علم ذلك الينا الا بالخبر الصادق والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم خير الخلق فلا كمال لمخلوق أعظم من كماله ولا محل أشرف من محله فعرفنا بالخبر الصحيح حصول ذلك الكمال من قبل خلق آدم لنبينا محمد صلى الله تعالى عليهما وسلم من ربه سبحانه وتعالى وانه أعطاه النبوة من ذلك الوقت ثم أخذ له المواثيق على الانبياء عليهم الصلاة والسلام ليعلموا انه المقدم عليهم وانه نبيهم ورسولهم وأخذ المواثيق في معنى الاستخلاف ولذلك دخلت لام القسم في قوله تعالى لتؤمنن به ولتنصرنه * (لطيفة) * هذا كأيمان البيعة التي تؤخذ للخلفاء وكأنها أخذت من هنا فانظر هذا التعظيم للنبي صلى الله عليه وسلم من ربه سبحانه وتعالى فاذا عرفت ذلك فالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم هو نبي الانبياء ولقد أظهر ذلك في الآخرة بكون جميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام تحت لوائه وفي الدنيا كذلك ليلة الاسراء اذ صلى بهم ولو اتفق مجيئه صلى الله تعالى عليه وسلم في زمن آدم وغيره وجب عليهم وعلى أممهم الايمان به ونصرته وبذلك أخذ الله الميثاق عليهم فنبوته صلى الله عليه وسلم ورسالته اليهم معنى حاصل له وانما أمره متوقف على اجتماعه معهم فتأخر ذلك لامر راجع الى وجودهم لا الى عدم اتصافهم بما يقتضيه وفرق بين توقف الفعل على قبول المحل وتوقفه على أهلية الفاعل فهذا لا يتوقف من جهة الفاعل ولا من جهة ذات النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وانما هو من جهة وجود العصر المشتمل عليه فلو وجد في عصرهم لزمهم اتباعه بلا شك ولهذا يأتي عيسى عليه الصلاة والسلام في آخر الزمان على شريعته صلى الله تعالى عليه وسلم وهو نبي كريم على حاله لا كما يظنه بعضهم من انه يأتي واحدا من هذه الامة نعم هو واحد منها لما قلناه من اتباعه للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وانما يحكم بشريعة نبينا صلى الله عليه وسلم بالقرآن والسنة وكل ما فيهما من أمر أو نهي فهو متعلق به كما يتعلق بسائر الامة وهو نبي على حاله صلى الله عليه وسلم لم ينقص منه شيئا وكذا لو بعث النبي صلى الله عليه وسلم في زمنه أو زمن موسى وغيره كانوا مستمرين على نبوتهم ورسالتهم الى أممهم والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم نبي عليهم ورسول الى جميعهم فنبوته صلى الله تعالى عليه وسلم ورسالته أعم وأشمل وأعظم ومتفق على شرائعهم في الاصول لانا لا نختلف وتقدم شريعته

فيما عساه يقع الاختلاف فيه من الفروع اما على سبيل التخصيص واما على سبيل النسخ أولا نسخ ولا تخصيص بل تكون شريعة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في تلك الاوقات بالنسبة الى أولئك الامم ماجاءت به أنبياؤهم وفي هذا الوقت بالنسبة الى هذه الامة هذه الشريعة والاحكام تختلف باختلاف الاشخاص والاوقات وبهذا بان لنا معنى حديثين خفيا علينا أحدهما قوله صلى الله تعالى عليه وسلم بعثت الى الناس كافة كنا نظن انه من زمانه الى يوم القيامة فبان أنهم جميع الناس أولهم وآخرهم والثاني قوله صلى الله تعالى عليه وسلم كنت نبيا الى آخره كنا نظن أنه بالعلم فبان أنه زائد على ذلك على ماشرحناه وانما يفترق الحال بين ما بعد وجود جسده صلى الله تعالى عليه وسلم وبلوغه الاربعين وما قبل ذلك بالنسبة الى المبعوث اليهم وتاهلهم لسماع كلامه لا بالنسبة اليه ولا اليهم لو تاهلوا قبل ذلك وتعليق الاحكام على الشروط قد يكون بحسب المحل القابل وقد يكون بحسب الفاعل المتصرف فبان ان التعليق انما هو بحسب المحل القابل وهو المبعوث اليهم وقبولهم سماع الخطاب والجسد الشريف الذي يخاطبهم بلسانه وهذا كما لو وكل الاب رجلا في تزويج ابنته اذا وجدت كفوا فالتوكيل صحيح وذلك الرجل أهل للوكالة ووكالته ثابتة وقد يحصل توقف التصرف على وجود كفؤ ولا يوجد الا بعد مدة وذلك لا يقدح في صحة الوكالة وأهلية الوكيل انتهى * أقول بعدما أقدم لك حديثا رواه أبو نعيم في الحلية عن أنس أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال أوحى الله الى موسى عليه الصلاة والسلام انه من لقيني وهو جاحد بأحمد ادخلته النار قال يارب ومن أحمد قال ماخلقت خلقا أكرم على منه كتبت اسمه مع اسمي في العرش قبل ان أخلق السموات والارض ان الجنة محرمة على جميع خلقي حتى يدخلها هو وأمته قال ومن أمته قال الحمادون يحمدون صعودا وهبوطا وعلى كل حال يشدون أوساطهم ويطهرون أطرافهم أسود بالنهار رهبان بالليل أقبل منهم اليسير وأدخلهم الجنة بشهادة ان لا اله الا الله قال اجعلني نبي تلك الامة قال نبيها منها قال أجعلني من أمة ذلك النبي قال استقدمت واستأخرت ولكن ساجمع بينك وبينه في دار الجلال انتهى وورد بمعناه من طرق كثيرة كما في الخصائص الكبرى * وأعلم ان معنى كون أحد من أمة نبي من الانبياء انه مكلف باتباعه واتباع شريعته علما وعملا وهي أمة دعوة وأمة أجابة ويلزم من أجابه من أمته تعظيمه وتوقيره واعتقاد صدقه في كل ماجاء به واعزازه ومحبته ولا يلزم من تعظيمه ومحبته واعتقاد صدقه ان يكون مكلفا باتباع شريعته والتعبد بها ألا ترى ان الله أعزه وعظمه وأحبه ولا يتصور فيه ذلك وكذلك الرسل والانبياء عليهم الصلاة والسلام جميعهم معظمون له ومحبون لانهم أعرف به من غيرهم مع أنهم غير مكلفين باحكام شرعه والا لم يكونوا أصحاب شرع وكتاب مستقل والنصوص العقلية والنقلية ناطقة بخلافه ألا ترى الى قوله تعالى انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده وما في معناها من الآيات اذا عرفت هذا فاعلم ان ماقاله السبكي رحمه الله تعالى واحتج به واستحسنه هو ومن بعده ممن وقف عليه لا وجه له عند من له بصيرة نقادة واياك ان يخطر ببالك ان هذا يقتضي ان من تقدمه من الانبياء عليهم الصلاة والسلام وعلماء الملل السالفة غير مبالغين في تعظيمه وتصديقه ومحبته فان هذا معنى والتعبد بشرعه معنى آخر ومن ظنهما أمرا واحدا لا يعتد به وقوله لتؤمنن به دون شرعه مناد عليه وكيف يتاتى ماقاله مع قوله تعالى اتبع ملة ابراهيم حنيفا فانه عكسه وقد طلب موسى عليه الصلاة والسلام ان يكون من أمته عليه الصلاة والسلام فاجابه الله بما سمعته آنفا في الحديث الصحيح فقوله انه على تقدير مجيئه في زمانهم يكون مرسلا اليهم الى آخره لا معنى له وقوله في حديث كنت نبيا الى آخره انه في عالم الارواح معنى صحيح ومن فسره بالعلم فقد يقال مراده علم أظهره الله لغيره

من الملائكة والارواح تشريفاله صلى الله تعالى عليه وسلم وتعظيما وكونه اشارة الى حقيقته ان أراد به روحه رجع لما قبله وان أراد غيره فامر لا يعقل عند من خلع ربقة التقليد من جيد اعناقه وقوله فى حق عيسى عليه الصلاة والسلام انه يأتى فى آخر الزمان على شريعته وهو نبى كريم جمع بين الضب والنون * وههنا بحث وهو ان بين ظرف مكان معناه مكان توسط بين شيئين أضيف لهما وقد يكون للزمان وهو فى الاصل مصدر بمعنى افتراق ويتجوز به عن معان أخر كما يقال بين الخوف والرجاء أى متردد بينهما يكون تارة خائفا وتارة راجيا وبين الحلو والحامض أى مز والكلمة بين اسم وفعل وحرف أى منقسمة لها وقوله فى الحديث بين الروح والجسد ليس بمعناه الحقيقى لاقتضائه وجود روح آدم عليه الصلاة والسلام وجسده حين بعث نبينا صلى الله عليه وسلم ولا يصح هذا ولا شئ من المعانى السابقة فالظاهر أنه ظرف زمان أى فى زمان كان بين خلق روحه وجسده فيفيد ظهور نبوته بعد خلق روحه وقبل خلق جسده على انه نباه فى عالم الارواح وأطلع الارواح على ذلك وأمرها بمعرفة نبوته صلى الله عليه وسلم والاقرار بها وهذا المعنى يفيده قوله بين الماء والطين أى بعد خلق عناصره غير مركبة ولا منفوخ فيها الروح فهو بمعنى الحديث الذى صححوه فيكون رواية بالمعنى ان لم يثبت بهذا اللفظ وهذا مما لم يحم احد حول حماه والحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله واذ متعلقة باذكر وامقدرا وحده أو اذكروا يا أهل الكتاب فقوله يا أهل الكتاب ان أريد به جميعهم فظاهر وان أريد به الموحدون فى زمن نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فالتنزيل ما جاء آباءهم بمنزلة ما جاءهم أو يقدر اذ جاء آباءكم والميثاق العهد واليمين وقيل انه متعلق باقررتم وان أخر والمراد بالكتاب الجنس والحكمة الشريعة والاعتقادات الحقة والمراد بالنبيين مطلقهم أو مع أممهم أو أنبياء بنى اسرائيل ومن تبعيضية أو بيانية واللام موطئة أو ابتدائية (ثم جاءكم رسول) التنوين والابهام للتعظيم لان المراد به محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل انه عام وان العهد أخذ على سائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام ان يصدق بعضهم بعضا ويامر باتباعه والايمان به وهو مروى عن ابن جبير كما مر (مصدق لما معكم) من وضع الظاهر موضع المضمر كما مر وقيل تقديره جاءكم به فالعائد محذوف وهو تكلف (لتؤمنن به) أى برسالته تقدم انه جواب القسم وهو ساد مسد جواب الشرط ان كانت ما شرطية أو جوابها محذوف وعلى كل حال أى سواء كانت شرطية أو موصولة مبتدأ لابد فى الجواب أو الخبر من التقدير وفيه تكلف وقال التجانى قد يستغنى بعود الضمير الى ما فى اثناء الجملة عن العود الى المبتدأ أو الشرط لارتباط بعض الكلام ببعض قيل هو غريب جدا ولما كان المراد الايمان بالرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فلابد من التقدير أى ان ضمير به لما بتقدير المصدقة أى رسالته مصدقة * أقول ماعا... غريبا أشهر من قفا نبك وهو مذكور فى متن التسهيل وقال فى شرحه انه مذهب الاخفش والكسائى وصرح به السيد فى شرح الكشاف فى قوله تعالى والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن وفى الروض الانف ان ما فى هذه الآية مبتدأ أعنى الذى والخبر لتؤمنن به ولتنصرنه وان كان الضميران عائدان على رسول ولكن لما كان رسول مصدق لما معكم ارتبط الكلام بعضه ببعض واستغنى بالضمير العائد على الرسول عن ضمير يعود على المبتدأ وله نظائر فى التنزيل انتهى (ولتنصرنه) على عدوه (قال) الله لهم (ءاقررتم) للاستثبات (وأخذتم على ذلكم) أى قبلتم على ذلك المذكور (اصرى) عهدى وميثاقى (قالوا أقررنا قال فاشهدوا) أى الملائكة على اقرارهم أو بعضكم على بعض (وانا معكم من الشاهدين) على ما سبق (قال أبو الحسن القابسى) تقدمت ترجمته فى أول الفصل الثانى من هذا الباب وفى انساب السمعانى قابس بلدة بالمغرب

(قال أبو الحسن القابسى) سبق ذكره

ايستخنس

اختص الله تعالى محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم بفضل) أى بزيادة فضيلة (لم يؤته غيره) أى من فضلاء أنبيائه (ابانه به) جملة استئناف أى أظهره الله تعالى بما آتاه من فضله وفى نسخة ضبط ابانة بالمصدر على أنه منصوب على العلة أى اظهارا بفضله وكماله واشعارا بعلو شانه وتمام جماله (وهو ماذكره فى هذه الآية) أى مما يدل على تلك الابانة (قال المفسرون أخذ الله الميثاق بالوحى) أى الى أنبيائه (فلم يبعث نبيا الا ذكر له محمدا ونعته) أى وذكر له صفته كما فى التوراة والانجيل وغيرهما على مامر (وأخذ عليه) أى على كل نبى (ميثاقه) أى الخاص به وهو (ان أدركه ليؤمنن به) بفتح النونين واليه أشار صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله حين رأى عمر أنه ينظر فى صحيفة من التوراة لو كان موسى حيا لما وسعه الا اتباعى أى لاجل أخذ الميثاق بذلك والا فكان الامر يقتضى عكس ما هنالك لان اللاحق يكون تابعا للسابق (وقيل أن يبينه) أى أخذه عليه أن يبينه (لقوله ويأخذ ميثاقهم ان يبينوه لمن بعدهم) وفى نسخة لمن بعده أى وهكذا الى أن يبعث فيؤمنوا به كما بينه سبحانه وتعالى بقوله واذا أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه الآية

استخص الله تعالى) استخص وخص واختص بمعنى فالسين للتاكيد لا للطلب وقيل المعنى طلب تخصيصه وهو مجاز عن لازمه وهو الارادة وارادة الله تعالى لا تتخلف فمعنى أراد كذا فعله وهو تكلف لا حاجة اليه (بقوله) أى بسبب قوله هذا فى الآية للانبياء عليهم الصلاة والسلام وقد سقط هذا من بعض النسخ (محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم بفضل لم يؤته غيره) مؤكد للتخصيص دفعا لتوهم المجاز أو ارادة التخصيص الذكرى (ابانه به) أى أظهر ذلك الفضل له أو فضله وميزه به عن غيره وهو مؤكد لما قبله أيضا سواء كان مستانفا أم لا والباء للتعدية أو سببية (وهو) أى الفضل المختص به (ماذكره فى هذه الآية) قيل ان هذا على بعض التفاسير لما مر من أن بعض المفسرين قال انها عامة وان كل نبى أخذ عليه العهد بان يصدق بمن بعده وأن يؤمن بعضهم ببعض وقال البغوى والثعلبى انه عليه كثير من المفسرين ولذا استشكل بعضهم اختصاص هذا بنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم ولو فسر الرسول هنا بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم لانه أمر ثابت بغير هذه الآية مقرر عندهم وأجيب بان العهد المأخوذ على الانبياء عليهم الصلاة والسلام اجمالى من غير تعيين وهذا معين باسمه وصفته أو أن الفضل المخصوص به صلى الله تعالى عليه وسلم أخذ العهد بان يؤمنوا به ويتبعوه ان أدركوه حتى يكونوا من أمته والآية محمولة على هذا كما مر عن السبكى فلا اشكال (قال المفسرون) أى بعضهم وكون التعريف للعهد لا قرينة عليه (أخذ الله الميثاق بالوحى) الى الانبياء عليهم الصلاة والسلام وحمل هذا على ما وقع فى عالم الذر حين أخرجهم من صلب آدم عليه الصلاة والسلام وأخذ العهد عليهم بالايمان به صلى الله عليه وسلم فيكون أخذ عليهم عهدا بالايمان بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم أيضا فالوحى مجاز عن مطلق الاعلام أو هو اعلام نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك اذا وصاه اليه بعيد جدا والحق أن هذا أمر آخر فى هذه النشأة كما يدل عليه قوله (فلم يبعث نبيا الا ذكر له محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم ونعته) بصيغة المصدر المنصوب والماضى أى ذكر له صفته أى لم يبعثه فى حال من الاحوال الا حال ذكره له والبعث زمانه ممتد فالذكر الواقع فى أوله أو بعده مقارن له فالحال فى زمن العامل (وأخذ عليه ميثاقه ان ادركه ليؤمنن به) ضمير به للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى قوله لم يبعث نبيا أى ميثاق ذلك النبى المأخوذ عليه أو لله تعالى والاول أوفق باضافة الميثاق للنبيين فى الآية أو لمحمد أى الميثاق المأخوذ لاجل محمد فالاضافة لادنى ملابسة وهذا الميثاق اشارة الى أن شريعته صلى الله تعالى عليه وسلم ناسخة لجميع الشرائع فيجب على كل من أدركه اتباعه فيعلم الرسل به أممهم ويأمروهم بتبليغه لمن بعدهم وفى الحديث ولو كان موسى عليه الصلاة والسلام حيا ما وسعه الا اتباعى وسياتى ما فى التوراة والانجيل وغيرهما من التصريح بهذا ومعنى أدركه انه عاش حتى يجىء زمنه فيلقاه فى الدنيا قال الشريف هنا ما نقل عن السبكى رحمه الله من أن الانبياء عليهم الصلاة والسلام كانوا من أمته وعلى دينه فى زمنهم والاختلاف بحسب الزمان والعباد مما لا دليل له عليه ولا قائل به والاحتمال المخالف للظواهر لا اعتداد به انتهى وما نقله عن السبكى غير صحيح وان كان كلامه مردودا من وجه آخر كما بيناه فى صدر هذا الفصل (وقيل معنى هذه الآية (ان يبينه لقومه ويأخذ ميثاقهم أن يبينوه لمن بعدهم) أى أخذ الله العهد على كل نبى ان يؤمن به صلى الله تعالى عليه وسلم وينصره اذا أدرك زمنه وفى هذا من تشريفه واعلاء قدره ما لا يخفى والايمان لا بد فيه من مطابقة القول للاعتقاد فاذا تلفظ به علانية فقد بينه فما قيل من أن حمل الايمان على مجرد البيان بعيد جدا ولعل المراد ما فى بعض التفاسير انه يصفه ويقول من أدركه منكم فليؤمن به غنى عن الرد وقال التجانى ان المصنف رحمه الله تعالى نقض ما قدمه عن المفسرين من أخذ

الميثاق على الانبياء عليهم الصلاة والسلام بقوله (وقوله ثم جاءكم الخطاب لأهل الكتاب المعاصرين لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم) وتبعه بعض الشراح فقال هذا لايصح على القول بانه تعالى أخذ ميثاق النبيين بذلك اذ من قاله لايجعل خطاب جاءكم الالهم وانما يصح عند من قال أخذ ميثاق معاصريه وأضيف للنبيين نظرا الى انهم هم الآخذون على أممهم وأنهم ياخذونه على من بعدهم الى أن يبعث أوسه وانبيين ته كما كام ورد بانه من تتمة القول الثاني لا الاول لتصريحهم بخلافه ومنافاته له والمراد ان الخطاب في جاءكم وآتيتكم لمن ذكر فالمعنى انه أخذ الميثاق على الانبياء عليهم الصلاة والسلام ان يبينوا لكم أيها المعاصرون بواسطة أصحابهم وجوب الايمان ونصره وليس المراد الخطاب في جاءكم فقط لانه بعيد جدا ولا حاجة لتكلف أن يقال ان المعنى انه قيل للانبياء اذا جاء بعضا بعدكم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولما كان ذلك البعض هم المعاصرون ذكر عند حكاية القصة لهم ثم جاءكم ولم يتامل هذا من قال من يقول ان الميثاق ماخوذ على الانبياء عليهم الصلاة والسلام لايجعل الخطاب في قوله ثم جاءكم الالهم ومن يقول أنه لاهل الكتاب المعاصرين للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم ويتاول اضافته للنبيين بانهم الذين أخذوه عن الله تعالى فالاضافة الى الآخذ الفاعل لا الى الماخوذ عليهم وكونه من تتمة الثاني ممنوع لان محصله أنه تعالى أخذ الميثاق على كل نبي أن يبين محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم لقومه ليؤمنوا به وينصروه ويبلغوا ذلك لمن بعدهم ليكونوا كذلك فكيف يكون الخطاب ان العاصرين أو لاهل الكتاب مطلقا كما نقل عن الربيع واستدل بقراءة أبي وابن مسعود رضي الله عنهما واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب ثم أن الطيبي رحمه الله تعالى نقل عن بعضهم الوقف على النبيين وأن الله تعالى أمرهم بعد ذلك فقال قولوا للامة عني مهما آتيتكم من كتاب وحكمة ورسول لتؤمنن به فبطل حينئذ القول بان من يقول الميثاق ماخوذ على الانبياء عليهم الصلاة والسلام لايجعل الخطاب الا لهم لان منهم من جعله للامم لا لهم فيحتمل أن المصنف رحمه الله ماش على هذا فالخطاب للعاصرين وأخذ الميثاق على الانبياء عليهم الصلاة والسلام وما نقله عن المفسرين تفسير لقوله تعالى (واذ أخذ الله ميثاق النبيين) فقط لجواز الوقف عليه فتامل (قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ورضي عنه) وهذا رواه ابن جرير وابن كثير باسناد صحيح والبغوي بعبارات مختلفة محتملة للنقل بالمعنى أو تعدد القول المروي عن علي رضي الله عنه (لم يبعث الله نبيا من آدم فمن بعده) في حال من الاحوال (الا) في حال ان (أخذ الميثاق عليه) وفي لفظ العهد عليه (في) حق (محمد صلى الله تعالى عليه وسلم لئن بعث محمد (وهو) أي ذلك النبي (حي ليؤمنن به ولينصرنه) وأمر باخذ العهد على قومه ليؤمنن به ولينصرنه من أدركه منهم كما قاله البغوي وأشار اليه المصنف رحمه الله تعالى بقوله (ويأخذ العهد على قومه بذلك أي للايمان به ونصرته وعدى أخذ بعلى والمعروف تعديته بمن كما في قوله تعالى (واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم) اشعارا بمضرته لهم اذ فرطوا فيه أو نقضوه كما أن فيه منفعتهم اذا حفظوه والعهد الوصية والتقدم في الشيء واليمين وكل منها محتمل هنا كما قاله التلمساني ومن في قوله من آدم لابتداء الغاية وقوله فمن بعده أي واحدا بعد واحد ويأخذ قال الشمني بالنصب رواية عن المصنف رحمه الله تعالى وهو كذلك في النسخ الصحيحة المصححة وجزم بانه معطوف على تؤمنن به بتقدير نون التوكيد الخفيفة ورده السيد عيسى بانه يكون حينئذ من جزاء الشرط فيلزم كون الاخذ من الامة بعد بعثة نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وليس المراد الا أن ياخذ الانبياء في زمنهم من أممهم أنه اذا بعث وهم أحياء ليؤمنن به ويؤيده ما في اللباب وتفسير البغوي عن علي رضي الله تعالى عنه ما بعث الله تعالى نبيا الا أخذ عليه العهد في محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وأمره باخذ العهد على قومه بان يؤمنوا به وينصروه اذا أدركوا زمانه وحينئذ فالعطف على جملة لئن بعث الى آخره على أنها في موضع مفرد من باب زرني فاكرمك

(وقوله ثم جاءكم الخطاب لاهل الكتاب المعاصرين لمحمد) اللام للتقوية وفي نسخة المعاصرين محمدا (صلى الله تعالى عليه وسلم) أي الذين كانوا في زمانه ولا يخفى أن هذا المعنى لايصح على القول بانه تعالى أخذ ميثاق النبيين بذلك اذ من قاله لايجعل الخطاب الالهم وانما يصح عند من قال ميثاق معاصريهم واضافته في الآية الى النبيين نظرا الى أنهم هم الذين أخذوه على أممهم وأنهم ياخذونه على من بعدهم وهكذا الى أن يبعث فتقدير الآية واذ أخذ الله ميثاق الذي أخذ النبيون على أممهم (قال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه) كما رواه ابن جرير في تفسيره عنه أنه قال موقوفا يكون في الحكم مرفوعا (لم يبعث الله نبيا من آدم فمن بعده) أي نبيا بعد نبي الا أخذ عليه العهد في محمد صلى الله عليه وسلم لئن بعث وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه بفتح ما قبل النون الثقيلة فيهما لافراد الضمير بهما (ويأخذ) بالنصب بفتح الذال عطف على ما دخله اللام ونون التوكيد مرادة كارادتها في قوله لا تهين الفقير علك أن تركع يوما والدهر قد رفعه حيث اراد لا تهينن فحذفت لما استقبلها ساكن أي وليأخذن (العهد بذلك على قومه) وفي نسخة برفع يأخذ

(ونحوه عن السدي) أي ونحو هذا القول المروي عن علي منقول عن السدي (وقتادة) تقدم الكلام على قتادة وانه من اجلاء التابعين وعظماء المفسرين وأما السدي فهو بضم السين وتشديد المهملتين كان يجلس في سدة باب الجامع وهما اثنان كبير وصغير فالكبير هو اسمعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة السدي الكوفي يروي عن ابن عباس وأنس وطائفة وعنه زائدة واسرائيل وأبو بكر بن عياش وخلق وهو حسن الحديث أخرج له مسلم والاربعة وأما الصغير فهو محمد بن مروان الكوفي روى عن هشام ابن عروة والاعمش تركوه واتهمه بعضهم وهو صاحب الكلبي والظاهر ان المراد هنا الاول والله أعلم (في آي) أي حال كون هذه الآية مندرجة في ضمن آيات كثيرة (تضمنت فضله) أي فضائله صلى الله تعالى عليه وسلم (من غير وجه واحد) أي بل من وجوه متعدده (قال الله تعالى واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم) أي بتبليغ الرسالة وتحمل الدعوة الى الامة (ومنك ومن نوح الآية) أي وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وهو تخصيص بعد تعميم تلويحا ببيان فضلهم وزيادة شرفهم فانهم أولوا العزم من الرسل ومشاهير أرباب الشرائع وقدم نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم تعظيما وتكريما وايماء الى تقديم نبوته في عالم الارواح المشار اليه بقوله كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد وأخذنا منهم ميثاقا غليظا أي عظيما شانه ومؤكدا باليمين برهانه وكرر لبيان وصفه تعظيما لمقامه (وقال انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح الى قوله تعالى وكيلا) وفي نسخة صحيحة شهيدا وهو الصواب وفيه تلويح الى فضله حيث قدمه على رسله اذ كان يمكن ان يقال كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده أوحينا اليك على نحوه والحاصل انه قدم من جهة الفضل والشان لا من جهة التقدم في الزمان والواو وان لم تقتض

أي الا أخذ العهد عليه في محمد صلى الله تعالى عليه وسلم بالايمان به والنصر ان بعث وهو حي و بان ياخذ فالوجه ان التقدير وأمر ان ياخذ كقوله أفغير الله تامروني أعبد فيمن نصب أي بان أعبد على نهج علفتها تبنا وماء و يعضده مامر من التفسير * أقول ماذكره الشمني ذكره أيضا القسطلاني في حاشيته وكذلك كونه مؤكدا بالنون الخفيفة على نهج قوله

لاتهين الفقير علك ان * تركع يوما والدهر قدرفعه

وعلى هذا ففي الكلام مقدر أي و ياخذ العهد على قومه ان لم يبعث وهو حي وهذا التقدير لابد منه على كل حال فاعرفه (ونحوه عن السدي وقتادة) أي مثل ماذكر عن علي مروي عن السدي وعن قتادة والسدي بضم السين وتشديد الدال المهملتين هو اسمعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة المحدث المشهور واختلف فيه فقيل ثقة وقيل كذاب لايحتج به وقال الشمني انه كوفي تابعي مفسر صدوق الا انه متهم بالتشيع ووثقه ابن حبان وضعفه أبو حاتم مات سنة سبع وعشرين ومائة ونسبته الى السد موضع بالمدينة والمشهور انه منسوب الى سدة مسجد الكوفة وهي مايبقى من الطاق المسدود لبيعه المقانع فيه كما في القاموس وفي المصباح السدة الباب و ينسب اليها على لفظها فيقال سدي جماعة ومنهم الامام المشهور اسمعيل السدي لانه كان يبيع المقانع ونحوها في سدة مسجد الكوفة وقتادة تقدمت ترجمته وهذه الرواية عنهما أثبتها ابن جرير (في آي) أي هذا المذكور مروي في جملة آي جمع آية كآيات (تضمنت فضله صلى الله تعالى عليه وسلم من غير وجه واحد) وهذه الجملة صفة آي وآي بالمد وتخفيف الياء وقال التلمساني هذا متصل بقوله في أول الفصل ما أخبر الله تعالى به في كتابه العزيز في الآية المذكورة مع في آيات دلت على فضله من وجوه كثيرة وقيل المعنى قال الله تعالى واذ أخذ في جملة آيات أو عن السدي فيها وفي آي أخر ولو تعلقت باول الفصل وجب تقديمه على الآية لانه من جملة الترجمة وليس ماقاله متعينا كما ظنه (قال الله تعالى واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم الآية) قيل أخذ عليهم الميثاق بتبليغ الرسالة وتصديق بعضهم بعضا وقيل بان يعلنوا بنبوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم و يعلن محمد صلى الله تعالى عليه وسلم بانه لانبي بعده ففيها تفضيل له صلى الله تعالى عليه وسلم من وجوه كما سياتي وقال التجاني ذكر الله في هذه الآية النبيين جملة ثم خص بالذكر بعضا منهم تشريفا لهم وقدمه صلى الله تعالى عليه وسلم عليهم تشريفا على تشريف والتقديم لشرف ذاتي كقوله تعالى من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين أو لتقدم زماني لتقدم نوح على ابراهيم عليهما الصلاة والسلام ويجوز أن يكون تقديم نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم للامرين لحديث كنت أول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث وان لم تكن الواو للترتيب ولذا ورد في الحديث ابدؤا بما بدأ الله به وقد راعى هذا الفقهاء في الوصايا كما فصله بعض الشراح هنا وان لم يكن محله وتمام الآية وموسى وعيسى ابن مريم وأخذنا منهم ميثاقا غليظا أي عظيما شانه أو مؤكدا باليمين وكرر لبيان وصفه تعظيما له وقدم نوح في قوله تعالى شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا لاقتضاء المقام له لان السياق لوصف دين الاسلام بالاصالة في الاستقامة فتدبر (وقال عزوجل انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح الى قوله وكيلا)

كذا في النسخ وفي بعضها الى قوله شهيدا يعني قوله لكن الله يشهد بما أنزل اليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا وليست الاولى بخطا كما توهم لان بعد شهيدا آيات أربع آخرها وكيلا تشتمل على ذم الكفرة ووعيدهم ونعته صلى الله تعالى عليه وسلم بالرسالة ومجيئه من الله تعالى بالحق والامر بالايمان برسله الذين هو منهم وهو مما يدل على فضله صلى الله تعالى عليه وسلم فيناسب ذكره هنا فالقول بانه وهم ينبغي اصلاحه أو انه قراءة شاذة أو قراءة بالمعنى وهم وارتكاب أمور لا تليق واعترض على المصنف رحمه الله تعالى بان هذه الآية غير تامة الغرض فيما عقد له الفصل من تفضيله صلى الله تعالى عليه وسلم على غيره الا ان يقال قوله لكن الله يشهد بما أنزل اليك الى آخره يدل على الغرض اذ لم يذكر مثل ذلك في حق غيره صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل التشبيه لوحيه بالوحي الى الكل يدل في الجملة على التفضيل على كل واحد والجواب الاول ضعفه ظاهر وان كان الفصل في بيان المنزلة مطلقا وماذكره استطرادي فلا اشكال يعني ماوقع في نسخ الترجمة من حظوة رتبته مطلقا من غير قوله عليهم والجواب الذي استضعفه هو الحق لان الاستدراك بلكن يقتضي اختصاصه بشهادة الله له لما أوحاه له وانه أنزله بعلمه مع ان كل ما نزل بعلمه ففيه اشارة الى ان له شانا عظيما لا يعلمه الا الله وفي هذا من التفضيل والتشريف له صلى الله تعالى عليه وسلم على غيره ما لا يخفى وسيأتي جواب هو الحق عندي وذكر نوح دون آدم عليهما الصلاة والسلام لانه أول مشرع عند بعضهم أو لانه أول نبي عوقب قومه أو أول الرسل أو لعموم دعوته وعلى الثاني فيه تهديد للمشركين (روي عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه) قال السيوطي في تخريجه لم أجده في شيء من كتب الاثر لكن صاحب اقتباس الانوار وابن الحاج في مدخله ذكراه في ضمن حديث طويل وكفى بذلك سندا لمثله فانه ليس مما يتعلق بالاحكام (انه قال في كلام بكى به النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أول هذا الكلام بابي أنت وأمي يا رسول الله لقد كان لك جذع تخطب عنده فلما كثر الناس اتخذت منبرا لتسمعهم فحن الجذع لفراقك حتى جعلت يدك عليه فسكن فامتك أولى بالحنين عليك حين فارقتهم بابي أنت وأمي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند ربك ان جعل طاعتك طاعته فقال الله تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله بابي أنت وأمي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده ان بعثك آخر الانبياء وذكرك في أولهم فقال واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح الآية بابي أنت وأمي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده ان أهل النار يودون أن يكونوا أطاعوك وهم بين أطباقها يعذبون يقولون ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسول بابي أنت وأمي يا رسول الله لئن كان موسى عليه الصلاة والسلام أعطاه الله حجرا تتفجر منه الانهار فماذاك باعجب من أصابعك حين نبع الماء منها صلى الله تعالى وسلم عليك بابي أنت وأمي يا رسول الله لئن كان سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام أعطاه الله ريحا غدوها شهر ورواحها شهر فماذا باعجب من البراق حين سرت عليه الى السماء السابعة ثم صليت الصبح في ليلتك بالابطح صلى الله تعالى وسلم عليك بابي أنت وأمي يا رسول الله لئن كان عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام أعطاه الله احياء الموتى فماذاك باعجب من الشاة حين كلمتك وهي مسمومة فقالت لا تأكلني فاني مسمومة بابي أنت وأمي يا رسول الله لقد دعا نوح عليه السلام على قومه فقال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ولو دعوت مثلها علينا لهلكنا من عند آخرنا فلقد وطئ ظهرك وادمي وجهك وكسرت رباعيتك فابيت ان تقول الا خيرا اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون بابي أنت وأمي يا رسول الله لقد اتبعك في قلة سنينك وقصر عمرك ما لم يتبع نوحا عليه الصلاة والسلام في كثرة سنينه وطول عمره فلقد آمن بك الكثير وما آمن معه الا قليل * بابي أنت وأمي يا رسول الله لو لم تجالس الا كفؤك لما جالستنا ولو لم تنكح الا كفؤك لما نكحت الينا ولو لم تواكل الا كفؤك لما واكلتنا ولبست الصوف وركبت

الحمار

الترتيب لكن العرب تؤثر تقديم المتقدم في الذكر على المتأخر في اللفظ واليه أشار رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حيث قال عند الصفا ابدأ بما بدأ الله به وحكى الحافظ في كتاب البيان والتبيين ان عبد بني الحسحاس لما أنشد عمر رضي الله تعالى عنه قوله

*(هريرة ودع ان تجهزت غاديا
كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا)*

فقال له عمر لو قدمت الاسلام على الشيب لاجزتك (روي عن عمر ابن الخطاب رضي الله تعالى عنه) وهو بعض خبر هنا ذكره الرشاطي كله في اقتباس الانوار (انه قال) أي عمر (في كلام بكى به النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) بنصب النبي على انه مفعول والمعنى رثاه بعد موته من بكيته مخففا ومشددا أي بكيت عليه وذلك حين أفاق من غشيته وتحقق عنده موت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بخطبة أبي بكر وموعظته قائلا بابي أنت وأمي يا رسول الله لقد كان لك جذع تخطب الناس عليه فلما كثر الناس اتخذت منبرا لتسمعهم عليه فحن الجذع لفراقك حتى جعلت يدك عليه فسكن فامتك أولى بالحنين عليك حين فارقتهم

الحمار ووضعت طعامك بالارض ولعقت أصابعك تواضعا منك صلى الله تعالى عليه وسلم انتهى وباقى شرح بعض تلك الالفاظ عند ذكر المصنف له وبكى فى كلام المصنف مخففة ولا يجوز تشديدها كما فى المواهب اللدنية لانه يقال بكاه وبكى عليه اذا بكى لميت ونحوه فى غيبته وأبكاه وبكاه اذا حمل غيره على ان يبكى بوجه ما ولو كان هذا مشددا كان المعنى ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بكى وليس هذا مرادا قطعا هنا وان سلم وروده بمعنى المخففة لقول الجوهرى بكيت الشئ مخففا ومشددا أى بكيت عليه لان الاستعمال على خلافه الا ترى الى قوله ولا يغرركم منى ابتسام * فقولى مضحك والفعل مبكى فلا وجه لما قيل المراد انه بكى على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بهذا الكلام وذكره بعد وفاته كما نقله الرشاطى أو المعنى انه بكى غيره عليه به ويحتمل انه بكى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فما فى المواهب خطأ على خطأ انتهى (فقال) أى عمر رضى الله تعالى عنه والفاء عاطفة لمفصل على مجمل كقوله تعالى ونادى نوح ربه فقال رب ولا تقدير ولا تأكيد كما توهم (بأبى أنت وأمى يا رسول الله) هذا مما تقوله العرب لمن تريد تكريمه واظهار محبته أى لو نزل بك أمر يقبل الفداء باحد من البشر بذلت فى فدائك أبوى فضلا عن المال وغيره وقد كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يقولها لمن يتلطف به من أصحابه رضى الله تعالى عنهم وهذا الكلام مما قيل بعد وفاة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فخطابه بانت لتنزيله منزلة الحاضر لكونه نصب عينه منتقشا حاله فى صحيفة ذهنه وخطاب الاموات بمثله كثير غنى عن شاهد وأنت مبتدأ والجار والمجرور خبر مقدم أى أنت مفدى بأبى وأمى أو أصله أفديك بأبى وأمى فلما حذف الفعل انفصل الضمير بصيغة المرفوع وتاخر والبقاء للمقابلة الدال عليها الفداء ومنع الثانى لا وجه له (لقد بلغ من فضيلتك عند الله) أى فى علمه وحكمه وتقربك منه ومن فى من فضيلتك جوز فيها ان تكون زائدة فى الاثبات على رأى فضيلتك فاعل والمعنى بعد فضيلتك على ان من التبعيضية فاعل ميلا مع المعنى كما جوز التفتازانى أن تكون مبتدأ فى قوله تعالى ومن الناس من يقول الآية أى بلغ بعض فضيلتك هذه المراتب الحسنة فما بالك بكلها وأن بعثك الآتى مفعول على الوجهين لا فاعل ويجوز كونها بيانية مقدمة على رأى من جوزه كما تقدم (ان بعثك آخر الانبياء) أى جعل بعثتك الظاهرة فى آخرهم بحسب الزمان ليختم بك النبوة وينسخ بشريعتك سائر الشرائع ويبقى دينك الى يوم القيامة (وذكرك فى أولهم) بصيغة الماضى أى قدم ذكرك على ذكرهم فى التفضيل (فقال واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم الآية) ليدل على انك عنده أعظم من سائر الرسل وأشرف وبهذا الذى قال عمر رضى الله تعالى عنه علم ان هذه الآية دالة على ما عقد المصنف رحمه الله تعالى له الفصل وعلم مراده من ايرادها فالاشكال السابق ناشئ من عدم الوقوف على ما أراده وما مر من الاجوبة بمعزل عما قصده وهذا ما وعدناك به والاولية التقدم فى الشرف والرتبة أى ان من خص بالذكر فى الآية من أولى العزم مقدم الرتبة على غيره فهم أول أنت منهم أو أعلاهم فلذا قال فى أولهم ولم يقل أولهم كما قال آخر الانبياء لانه لا خاتم للرسالة غيره مع التفنن البديع (بأبى أنت وأمى يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده) فيما تقدم مزيد بيان لهذا (ان أهل النار) من أمة الدعوة تلك كلهم أو بعضهم كما سيأتى (يودون أن يكونوا أطاعوك) وروى لو أنهم يكونون أطاعوك والود فى الاصل المودة وهى دوام المحبة ثم صارت بمعنى اليمين والذى تمنوه طاعته صلى الله تعالى عليه وسلم واتباعه (وهم بين اطباقها يعذبون) جملة حالية والطباق جمع طبق وهى المنزلة والمرتبة واحدا بعد واحد وما تراكب بعضه على بعض ويعذبون بيان لما أورثهم دخولها وذكره لكشف حالهم ولو حذف تم المعنى بدونه (يقولون ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا) يا للتنبيه أو للنداء والمنادى نفسهم كقوله وهل تطيق وداعا أيها الرجل * أو لبعض المعذبين أو للزبانية وهو تجريد على الاول وضمير ليتنا للقائلين

(فقال) أى عمر (بأبى أنت وأمى) متعلق بمقدر ولحذفه أبدل من ضميره المتصل ضمير منفصل وحذفت الجملة لظهور المعنى حتى قيل الباء للتعدية وقد يذكر الفعل كقوله الصديق فدنياك بآبائنا وأمهاتنا أى أفديك بأبى وأمى (يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند الله ان بعثك آخر الانبياء) أى فى مقام الوجود (وذكرك فى أولهم) أى فى أول بعضهم عند ذكرهم اجمالا أى فى معرض الكرم والجود (فقال واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح الآية) أى على ما سبق (بأبى أنت وأمى) أى أفديك بهما مرة بعد أخرى لانك بذلك أولى وأحرى (يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده) أى عند الله سبحانه (أن أهل النار يودون) أى يتمنون ويحبون (أن يكونوا أطاعوك وهم بين اطباقها) أى طبقات النار (يعذبون يقولون ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا) أى فلم يصيبنا هذا العذاب تمنوا حيث لا ينفعهم التمنى من جميع الابواب والرسولا بالالف مرسوم والجمهور على اثباتها وقفا ووصلا ومن جملة ما قال عمر رضى الله تعالى عنه بأبى أنت

وأمى يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند الله ان جعل طاعتك طاعته فقال من يطع الرسول فقد أطاع الله بأبى أنت وأمى يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده ان أخبرك بالعفو قبل ان يخبرك بالذنب فقال عفا الله عنك لم أذنت لهم بأبى أنت وأمى

يارسول الله لئن كان موسى بن عمران أعطاه الله حجرا يتفجر منه الانهار فما ذلك بأعجب من أصابعك حين نبع منها الماء صلى الله
تعالى عليك وسلم بأبي أنت وأمي يارسول الله لئن كان سليمان ابن داود أعطاه الله الريح غدوها شهر ورواحها شهر فما ذلك أعجب من
البراق حين سرت عليه الى السماء السابعة ثم صليت الصبح من ليلتك بالابطح صلى الله تعالى عليك وسلم بأبي أنت
وأمي يارسول الله لئن
كان عيسى ابن مريم أعطاه
الله تعالى أحياء الموتى فما
ذلك بأعجب من الشاة
المسمومة حين كلمتك
فقالت لا تأكلني فاني
مسمومة صلى الله تعالى
عليك وسلم بأبي أنت وأمي
يارسول الله لقد دعا نوح
على قومه فقال رب لا تذر
على الارض من الكافرين
ديارا ولو دعوت علينا
لهلكنا من عند آخرنا
فلقد وطئ ظهرك
وأدمي وجهك وكسرت
رباعيتك فابيت ان
تقول الاخيرا وقلت
اللهم اغفر لقومي فانهم
لا يعلمون بأبي أنت وأمي
يارسول الله لقد اتبعك
في قلة سنيك وقصر عمرك
مالم يتبع نوحا في كثرة
سنيه وطول عمره فلقد آمن
بك الكثير وما آمن معه
الا القليل بأبي أنت وأمي
يارسول الله لو لم تجالس
الا الا كفاء ما جالستنا ولو
لم تنكح الا الى الاكفاء
ما نكحت الينا ولو لم
تؤاكل الا الا كفاء ما
واكلتنا لبست الصوف
وركبت الحمار ووضعت
طعامك بالارض تواضعا منك صلى الله تعالى عليك وسلم (قال قتادة) أي كما رواه ابن أبي حاتم في ان
تفسيره وابن لال في مكارم الاخلاق وأبو نعيم في دلائله عنه مرسلا (ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال كنت أول الانبيا في الخلق) أي
خلق روحه قبل أرواحهم أو في عالم الذر أو في التقدير بكتابته في اللوح أو ظهوره للملائكة (وآخرهم في البعث) أي لكونه خاتم النبيين

والمقول لهم المنادون وحذف المنادى مبادرة لتمني مافات اظهارا للتحسر وانهم لشدة العذاب عاجزون عن النطق كما قيل في قراءة يامال ليقض علينا ربك بالترخيم واليه أشار العلاء الموصلي رحمه الله بقوله

ما كان أغنى أهل نار جحيم * اذ نحوا يامال وسط جحيم
عجزوا عن استكمال كلمة مالك * فلاجل ذا نادوه بالترخيم

ثم انه قيل المراد باهل النار بعض أمته صلى الله تعالى عليه وسلم أو أهلها عامة على أنهم تمنوا ان تكونوا من مطيعي الله تعالى لرؤيتهم حسن حالهم فتمنوا انهم أدركوا زمانه صلى الله تعالى عليه وسلم وأطاعوه وحينئذ يستفاد فضل نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم على غيره من الانبياء ويناسب الفصل ويعلم وجه ذكر المصنف رحمه الله تعالى له والا فكل طائفة جهنمية من أمة رسول تود لو كانت اطاعت رسولها فلا يكون له صلى الله عليه وسلم حينئذ فضل على سائرهم من هذه الجهة وقال التجاني كلام عمر رضي الله تعالى عنه قاله بعد تحقيقه من أبي بكر رضي الله تعالى عنه موت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ورجوعه في ذلك الى قوله لما توفي وارتفع البكاء عليه ودهش الناس كما روي عن غير واحد من الصحابة رضي الله تعالى عنهم انهم طاشت عقولهم ومنهم من خبل ومنهم من خرس ومنهم من أقعد فكان ممن خبل عمر رضي الله تعالى عنه جعل يقول ان رجالا من المنافقين زعموا ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قد توفي وانه والله مامات ولكنه ذهب الى ربه عز وجل كما ذهب موسى عليه الصلاة والسلام وغاب عن قومه أربعين ليلة ثم رجع بعد ان قيل قد مات والله ليرجعن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كما رجع موسى عليه الصلاة والسلام فيقطعن أيدي رجال زعموا أنه مات واما عثمان رضي الله تعالى عنه فاخرس حتى جعل يذهب به ويجاء ولا يتكلم واقعد علي كرم الله وجهه وبلغ الخبر أبي بكر رضي الله تعالى عنه وهو بالسنح فجاء وعيناه تهملان وزفراته تتردد في صدره وهو مع ذلك جلد العقل والمقال حتى دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكب عليه وكشف وجهه ومسحه وقبل جبينه وجعل يبكي ثم خرج الى الناس وهم في عظيم غمراتهم وشديد سكراتهم فقام فيهم بخطبته المشهورة فلما فرغ منها التفت الى عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه فقال ياعمر أنت الذي بلغني عنك انك تقول على باب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كذا وكذا والذي نفس عمر بيده مات نبي الله أما علمت ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال يوم كذا وكذا وقال الله تعالى في كتابه انك ميت وانهم ميتون قال عمر فكأني والله لم أسمع بها في كتاب الله تعالى قبل ذلك لما نزل بنا ثم قال أشهد أن الكتاب كما أنزل وان الحديث كما حدث وان الله تعالى حي لا يموت وعنده نحتسب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم أسقط رضي الله تعالى عنه الى الارض وجعل يبكي ويقول في بكائه بأبي أنت وأمي الى آخر ماذكره المصنف رحمه الله تعالى وبما ذكرناه لك علم مناسبة ماذكر من حال أهل النار لهذا الفصل فسقط ما توهم من انه حينئذ غير مناسب فاعرفه (قال قتادة ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال كنت أول الانبياء في الخلق وآخرهم في البعث) هذا رواه البغوي والثعلبي مسندا عن قتادة عن الحسن عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عنه صلى الله عليه وسلم بلفظ كنت أول النبيين ورواه أبو نعيم وابن أبي حاتم بسند فيه راو اسمه مجهول وقال الغزالي أي كنت بحسب التقدير ولم يرد العلم الازلي فانه لا ترتيب فيه بل علم الكل دفعة وانما أراد تقدير ما كان وما يكون في اللوح المحفوظ أو في علم ملك لما في صحيح مسلم مرفوعا

ان الله عزوجل كتب مقادير الخلق قبل السموات والارض بخمسين ألف سنة الحديث فقدم هنا المقصود بالذات ويؤيده ماروى فى بعض الطرق كنت بالتاء الفوقية والباء الموحدة الساكنة من الكتابة فالمعنى كنت أول الانبياء فى تقدير الخلق وآخرهم فى البعث لانه تعالى كتب مقادير الخلق كلها كما مر قيل ولا يجدى فى حل الاشكال على الحديث الذى ذكره المصنف رحمه الله تعالى ماقيل من انه تعالى لما صور طينة آدم عليه السلام أخرج منها ذرة نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم ونبأها وأخذ الميثاق عليها ثم أعادها الظهره وهذا معنى حديث كنت نبيا وآدم بين الماء والطين أى خفى قبل نفخ الروح فيه كانه أخفى بين الماء والتراب الذى كانت منه طينته ونظيره الحديث المار وهو مارواه أبو هريرة رضى الله تعالى عنه وآدم بين الروح والجسد أى ثبتت لى النبوة وآدم صورة بلا روح كما فى شرح المصابيح وحاصل معنى الحديث الاول انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان نبيا وآدم عليه الصلاة والسلام تراب بلا ماء يعجن به ليصير بعد ذلك طينا على مجاز الاول * فان قلت ان أريد بالحديثين تعلق علمه تعالى فما فائدة ذكر الماء والطين والروح والجسد * أجيب بانه صلى الله تعالى عليه وسلم كلمهم على قدر عقولهم وأراد ثبوتها عند الله زمانا طويلا وجواب ثان عن الحديث الثانى وهو انه أراد انه تعالى لما خلق آدم وحكم بانه سيكون من صلبه نبى آخر الزمان وجبت لى النبوة من ذلك الزمان لان ماحكم به وعلمه كائن لامحالة وهذا لاينطبق على اشكال الحديث الاول فالوجه ان يقال المراد بالحديثين انه تعالى لما حكم بانه سيكون نبى يسمى آدم من الماء والتراب ومن صلبه نبى يسمى محمدا فى آخر الزمان وجبت لى النبوة وجوبا مستمرا قبل نفخ روح آدم فظهر بهذا معنى قوله انى لخاتم النبيين وآدم منجدل فى طينته الى آخر ماوصله * أقول مجرد تقدمه فى الكتابة حين التقدير أمر ظاهر ليس فيه تقدم وجودى فالانسب ماقيل ان الله تعالى خلق روحه قبل خلق الارواح ونبأها وأخذ عليها الميثاق وأعلم بذلك أهل الملأ الاعلى أو ذلك فى عالم الذر وهو المراد بالاحاديث السابقة وعن كعب الاحبار ان جبريل عليه الصلاة والسلام قبض من موضع قبره الشريف طينة منيرة عجنت بماء الجنة فصارت ذرة ذات شعاع فطافت الملائكة بها حول العرش وفى السموات والارض فعرفه الخلق وفضله ونبوته قبل معرفة آدم وفى العوارف ان ذرة المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم هى التى أجابت لما قالت أتينا طائعين ومنها دحيت الارض فهى الاصل والمراد ان نوره صلى الله تعالى عليه وسلم أول مخلوق كما ورد فى الاحاديث وهذا أمر آخر غير الروح وهو المنتقل فى الاصلاب وقوله (فلذلك وقع ذكره مقدما هنا قبل نوح وغيره) من كلام قتادة تعليلا لكونه أول فى الخلق وهذا اشارة للآية وقيل بدل من مقدما أو وصف مبين لكيفية التقدم وفى نسخة على نوح وقد رواه القرطبى أيضا (قال السمرقندى فى هذا تفضيل نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم لتخصيصه بالذكر قبلهم) هذا اشارة الى الكلام المذكور قبله أى فيه مايدل على تفضيله ويظهره أو فيه مايشاء من تفضيله لكونه خصه بتقديمه على من ذكره وان كان فى الآية تفضيل لكل من ذكر لتخصيصه بالذكر بعد التعميم والثانى لايختص به ففيه تفضيل له من وجهين واما تقديم نوح على ابراهيم وان كان المشهور ان ابراهيم أفضل بعد نبينا عليهم الصلاة والسلام فلتقدمه بالزمان أولانه أول رسول له شرع أولما وقع له مما قاساه وصبر عليه (وهو آخرهم) زمانا وبعثا وخلقا فلا يرد عيسى عليه الصلاة والسلام أى قدمه والحال انه آخرهم والتقدم فى الذكر فى الكلام المعجز لابد له من نكتة وهى اما التقدم زمانه أو لتقدم ذاته بحسب الشرف وقد انعدم الاول فتعين الثانى اذ لاوجه له غيرهما وان كان التقدم عند الحكماء على وجوه خمسة منها هذان لان غيرهما لامناسبة له بما نحن فيه وقد مر ان التقدم يجوز ان يكون بحسب الوجود أيضا بنظر الروحه وحقيقته والحاصل انه

(فلذلك) أى فلاجل كونه أولهم خلقا (وقع ذكره مقدما) أى فى الآية السابقة (هنا قبل نوح وغيره) أى من أولى العزم فضلا عن غيرهم قال السهيلى واسم نوح عبد الغفار وسمى نوحا فيما ذكر لكثرة نوحه على نفسه أو على قومه (قال السمرقندى) وهو الامام أبو الليث من أئمتنا الجامع بين التفسير والحديث والفقه والتصوف (فى هذا) أى فى ذكر وقوعه مقدما (تفضيل نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم لتخصيصه بالذكر قبلهم) أى أظهار للكرم والجود (وهو آخرهم) أى بعثا كما فى نسخة يعنى أى والحال انه آخرهم من جهة البعث والوجود

(المعنى أخذ الله عليهم الميثاق اذاخرجهم من ظهر آدم كالذر) وهو صغار النمل والمعنى ان للانبياء ميثاقا خاصا بعد دخولهم في الميثاق العام المعنى به قوله تعالى الست بربكم قالوا بلى بتبليغ الرسالة وأخص من هذا الميثاق ميثاق الانبياء اصالة وأممهم تبعا انه صلى الله تعالى عليه وسلم لوفرض انه وجد في أي زمان من الازمنة لتبعه جميع الانبياء وجميع أممهم من العلماء والاولياء والاصفياء فكانهم تابعون بالقوة وعلى فرض وقوعه بالفعل والحاصل انه تعالى قال للخلق في عالم الذر بعد قوله لهم الست بربكم قالوا بلى اعلموا انه لا اله غيري وانا ربكم فلا تشركوا بي شيئا فاني سانتقم ممن اشرك بي واني مرسل اليكم رسلا يذكرونكم عهدي وميثاقي ومنزل عليكم كتبا فقالوا اشهدنا انك ربنا والهنا لا رب لنا غيرك فاخذ بذلك مواثيقهم ثم كتب آجالهم وارزاقهم ومصائبهم فنظر اليهم آدم فرأى فيهم الغني والحسن وغيرهما فقال يا رب لوسويت بينهم فقال اني أحب ان أشكر فلما أقررهم بتوحيده وأشهد بعضهم على بعض اعادهم الى صلب آدم فلا تقوم الساعة حتى يولد كل من أخذ ميثاقه وكان اعطاء الكافرين العهد اذذاك وهم كارهون على جهة التقية وقد وردت الاحاديث بهذا من طريق عمر بن الخطاب وعبد الله بن عباس وغيرهما رضي الله تعالى عنهم وقد ورد انه عليه الصلاة والسلام أول من قال بلى فذلك قوله تعالى واذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم وفي قراءة ذريتهم أي أخرج ذريته بعضا من صلب بعض على ما يتوالدون واكتفى بذكر ظهورهم عن ذكر ظهره اذ كلهم بنوه وأخرجوا من ظهره وأشهدهم على أنفسهم أي أشهد بعضهم على بعض وأغرب الدلجي في انه بعد ماذكر الميثاق على الوجه المسطور المطابق لمذهب أهل السنة المؤيد بالاحاديث النبوية والآثار عن الصحابة مال الى مذهب ٢٥٢ المعتزلة وتبع الزمخشري وسائر أهل البدعة حيث قالوا قوله تعالى ألست بربكم قالوا بلى تخييل وتصوير للمعنى أي نصب لهم ادلة ربوبيته واودع عقولهم ما يدعوهم الى الاقرار بها فصاروا بمنزلة من قيل لهم الست بربكم قالوا بلى شهدنا فنزل تمكينهم من العلم بها وتمكنهم منه منزلة الاشهاد والاعتراف على طريقة التمثيل انتهى والله يهدي من يشاء الى سواء السبيل وفي كتاب القصص لوثيمة ابن الفرات يرفعه الى أبي موسى الاشعري انه قال لما خلق الله سبحانه وتعالى في آدم عليه السلام قال له يا آدم فقال نعم يا رب قال من خلقك فقال أنت يا رب خلقتني قال فمن ربك قال أنت لا اله الا أنت قال فاخذ عليك الميثاق بهذا قال نعم فاخرج الله سبحانه وتعالى الحجر الاسود من الجنة وهو اذذاك أبيض ولولا ماسوده المشركون بمسهم اياه لما استشفى به ذو عاهة الا شفي به فقال الله سبحانه وتعالى امسح يدك على الحجر بالوفاء ففعل ذلك فامره بالسجود فسجد لله سبحانه وتعالى ثم أخرج من ظهره ذريته فبدأ بالانبياء منهم وبدأ من الانبياء بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم فاخذ عليه العهد كما أخذه على آدم ثم أخذ العهد على الانبياء والرسل كذلك وان يؤمنوا بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم وان ينصروه ان أدركوا زمانه فالتزموا ذلك وشهد به بعضهم على بعض وشهد الله سبحانه وتعالى بذلك على جميعهم وأخذ بعد ذلك العهد على سائر بني آدم فسجدوا كلهم الا الكافرين والمنافقين لم يطيقوا ذلك اصياصي خلقت في أصلابهم ثم أمر الله سبحانه وتعالى آدم فرفع رأسه ونظر الى ذريته فرأى الانبياء والعلماء كالسرج والكواكب فقال يا رب من هؤلاء قال هم الانبياء والعلماء من ذريتك فقال يا رب ومن هؤلاء الذين أراهم بيض الالوان قال هم أصحاب اليمين وقد اعددت لهم الجنة والكرامة وخلقتهم سعداء قال ومن هولاء الذين أراهم سودا قال هم أصحاب الشمال وقد اعددت لهم الهوان وجعلتهم أشقياء فقال يا رب لوسويت بين خلقك أجمعين فقال يا آدم خلقت الجنة وجعلت لها أهلا وخلقت النار وجعلت لها أهلا ثم اختلف العلماء في محل أخذ هذا العهد ففي كتاب الثعلبي انه كان في السماء وان الله سبحانه وتعالى أخرج آدم من الجنة ولم يهبط الى الارض فاخذ عليه وعلى ذريته العهد هنالك وفي تاريخ الطبراني ان الله سبحانه وتعالى أهبط آدم من السماء الى نعمان وأخذ عليه وعلى ذريته هذا العهد هنالك ونعمان واد في طريق الطائف يخرج الى عرفات وهو مفتوح النون ويقال له نعمان الاراك لكثرته به

للفضل الا أن الجهات مختلفة كذا في الشروح الا أن قوله (المعنى أخذ الله عليهم الميثاق اذاخرجهم من ظهر آدم عليه الصلاة والسلام كالذر) سواء كان من كلام السمرقندي أو من كلام المصنف يابى ماقالوه لان المراد ان تقدمه في الذكر لتقدمه في أخذ الميثاق في عالم الذر كما نطق به السياق والا لم يكن لذكره هنا التئام مع ماقبله والذر واحده ذرة وهي كما قاله التلمساني النملة الصغيرة البيضاء أو الحمراء أو جزء من مائة وأربعة وعشرين جزأ من شعيرة وقيل جزء من ألف وسبعة وعشرين جزأ منها وقيل أصغر شئ لا يعلمه الا الله تعالى وعدي أخذ بعلى لتضمنه معنى التقدير لا التكليف كما قيل لانه لا يتعدى بعلى وقوله اذاخرجهم أي وقت اخراجهم كلهم على هيئة ذرات واعترض عليه بعض الشراح بان هذا الميثاق ان كان ما في قوله تعالى الست بربكم الخ فهو شامل للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم من غير بيان لتقدمه فيه وكذا ان كان الميثاق الماخوذ في التبليغ والايمان بالرسل السابق وقد ورد بان البغوي رحمه الله تعالى نقل تقدمه في ذلك ومثله لا يقال من قبل الرأي لنقله عن الله وقد تقدم ان الاخذ على نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم كان قبل ذلك اليوم فلعل ذلك كان

في مرة أخرى والسمرقندي لم يرد أن تقديمه لتقدم الاخذ وهو كلام لا محصل له وأخذ هذه الذرات كلها سواء كان من ظهر آدم عليه الصلاة والسلام بغير واسطة أو بواسطة أصولهم وآبائهم وتركيب العقل والادراك فيهم ليأخذ العهد والميثاق عليهم بالايمان به ويشهد على ذلك أمر نؤمن به ونصدقه وان كنا لا نقف على حقيقته كما هي فالبحث عنه كما في الشروح لا نتيجة له فينبغي الكف عنه كما ذهب اليه السلف وهو ثابت في القرآن والاحاديث الصحيحة وفي قوله كالذر اشارة الى أن الذرية فعلية من الذر وذا لها مثلثة ويكون واحدا وجمعا وقيل انها من ذرأ الله الخلق فتركت همزته للتخفيف (وقال تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض الآية) الاشارة الى جماعة سبقوا في الذكر أي أو معلومين للمخاطب أو لجميع الرسل عليهم الصلاة السلام وما ورد من عدم الفرق والتفضيل بالنسبة لاصل النبوة أو ما أول كما سيأتي وقال التفتازاني رحمه الله تعالى أجمع المسلمون على ان أفضل الرسل محمد صلى الله تعالى عليه وسلم قيل ثم آدم وقيل نوح وقيل ابراهيم وقيل موسى وقيل عيسى عليهم الصلاة والسلام انتهى والراجح عندهم انه ابراهيم عليه السلام لما ورد في الحديث انه خير البرية وقال السيوطي اتفق أهل العلم ان الافضل بعد نبينا ابراهيم ثم موسى وعيسى ونوح لم يذكروا مراتب بقيتهم انتهى وفيه نظر * واعلم ان القاضي بدر الدين المالكي صاحبنا قال في كتاب الابتهاج وقع للطوفي في تفسيره المسمى بالاشارات الالهية في قوله تعالى أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده انه احتج بهذه الآية على ان نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم أفضل من جميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام لانه أمر بالاقتداء بجميعهم والاقتداء بفعلهم الاتيان بمثل ما فعلوه ولا بد انه امتثل هذا الامر وحينئذ قد فعل صلى الله تعالى عليه وسلم وحده من الطاعة مثل ما فعل هؤلاء جميعهم والواحد اذا فعل مثل فعل جماعة كان أفضل منهم ويحكى أن هذه المسئلة وقعت في زمن عز بن عبد السلام رحمه الله تعالى فافتى فيها بانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان أفضل من كل واحد منهم لا انه أفضل من جميعهم فتمالأ جماعة من علماء عصره على تكفيره فعصمه الله عز وجل منهم انتهى * أقول نحن لا نشك في أنه صلى الله تعالى عليه وسلم أفضل من كل واحد منهم ومن الجميع أيضا وما ذكره الطوفي رحمه الله تعالى ماخوذ من التفسير الكبير الا أن في الدليل بحثا لانه لا يلزم من اتيانه بكل ما أتى به واحد منهم الا مساواته للمجموع لا أفضليته عليهم وكانه الداعي للعز على ما قاله بل قد يتوقف في المساواة أيضا فانك لو أنعمت على أربعة فاعطيت واحدا دينارا وآخر دينارين وآخر ثلاثة وآخر أربعة كان لصاحب الاربعة زيادة على كل واحد دون جميع ما لغيره ولو أعطيته ستة كان مساويا لهم ولو أعطيته عشرة زاد عليهم فينبغي أن يقال انه صلى الله تعالى عليه وسلم قد ساواهم في العمل وزاد عليهم بانه أعلم منهم بالله وأكثر من جميعهم خصائص ومعجزات وهذا التفضيل في القرب وعلو المنزلة وهو أكثرهم ثوابا وأمته صلى الله تعالى عليه وسلم أكثر من جميع الامم وأجرهم له الى يوم القيامة ولو كانت للناس مساكن بعضها فوق بعض كان الذي فوق الاخير أعلى من الجميع وفي الآية ايماء لهذا حيث أبهم وعبر برفع الدرجات دون أن يسميه ويقول انه أعظم أو أفضل فاعرفه * ثم اعلم ان قوله في تتمة الآية منهم من كلم الله فيه وجهان أحدهما انه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة المعراج ومنهم من قال ان المراد موسى عليه الصلاة والسلام والمناسب هنا الاول وان كان الاشهر الثاني (قال أهل التفسير أراد بقوله ورفع بعضهم درجات محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم) أي رفع الله النبي صلى الله تعالى عليه وسلم على سائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام فالمراد بالبعض محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فابهمه للتعظيم ولانه لا يلتبس كما قيل

وأقول بعض الناس عنك كناية * خوف الوشاة وأنت كل الناس

(وقال الله تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض الآية) الاشارة الى من ذكرت قصصهم في السورة أو الى كلهم المعهودين في العلم واللام استغراقية ثم فصله سبحانه وتعالى بقوله منهم من كلم الله بلا واسطة وهو موسى عليه الصلاة والسلام قيل ومحمد صلى الله تعالى عليه وسلم فكلم موسى ليلة الحيرة في الطور ومحمدا ليلة المعراج في مقام النور حين كان قاب قوسين أو أدنى وقرئ كلم الله بالنصب وكالم الله اذ قد كلم الله كما ان الله كلمه ومن ثمه قيل كليم الله بمعنى مكالمه (وقال أهل التفسير أراد بقوله ورفع بعضهم درجات محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم أي رفعه على سائر الانبياء من وجوه متعددة ومراتب متباعدة ومنها انه خص بالدعوة العامة

وقيل المراد بالبعض أولو العزم وقيل غير ذلك ولما أبهم أولا في التفضيل أخذ في التفصيل فقال منهم من كلم الله ومنهم من رفعه درجات ومنهم من آتاه المعجزات وغير الاسلوب في القسم الثاني بذكر بعضهم دون منهم وذكر رفع الدرجات الكثيرة كما يفيده التنكير اشارة الى مباينة هذا القسم لغيره ونظيره قول الحماسي

ومن الرجال اسنة مذروبة * ومزندون شهودهم كالغائب
منهم ليوث ماترام وبعضهم * مما قمشت وضم حبل الحاطب

(لانه صلى الله تعالى عليه وسلم بعث الى الاحمر والاسود) أي جميع الناس أو العرب والعجم أو العرب وغيرهم أو الانس والجن وأشهر الاقوال الثاني والمراد بالاحمر الابيض مطلقا فان العرب تقول في المرأة حمراء بمعنى بيضاء والبياض عندهم في صفة الناس النقاء من العيوب فاذا أرادوا اللون قالوا احمر وهذا قول ثعلب من أئمة اللغة ورده في النهاية باستعمال الابيض في صفات الناس كثيرا كقول امرئ القيس * مهفهفة بيضاء غير مفاضة * وجاء في الحلية الشريفة كاسياق أبيض اللون مشربا بالحمرة وعن أنس رضي الله تعالى عنه أبيض كانما صيغ من فضة ولا منافاة بينهما لان الاول في نعت وجهه صلى الله تعالى عليه وسلم وقول أنس في وصف جسده الشريف وعن البكري مثل ما قال ثعلب وعن جرير الاخطل أو صفتان للخز والجمر أي النساء الحسان ولا منافاة بين القولين أيضا لان العرب اذا مدحت الناس بالبياض مطلقا تعني بياضا مشربا بالحمرة لان البياض الخالص كبياض الجص غير ممدوح في الناس لقربه من البرص والممدوح منه ما خالطه حمرة من الدم أو صفرة خفيفة واليه الاشارة بقوله تعالى كأنهن بيض مكنون ولذا يشبه بالدر وهذا كله باعتبار الاغلب وما ورد في المثل الحسن أحمر محمول على هذا أو على انه ترتكب له المشاق والشدائد التي تحمل على اراقة الدم هذا هو التحقيق والعرب تغلب على ألوانهم السمرة والادمة فلذا عبر عنهم بالاسود (وأحلت له الغنائم) جمع غنيمة من الغنم وهو الكسب والربح ويقابله الغرم وهو ما يؤخذ من مال الكفار قهرا ولم تكن الغنيمة تحل للامم السالفة كما لهذه الامة لان منهم من لم يؤمر بالجهاد ومنهم من أمر به ووضع الغنائم فتنزل نار من السماء فتحرق ما يقبل منها كالصدقات والذبائح فلم تحل لاحد قبله صلى الله تعالى عليه وسلم وكانت الامم لا تتصرف في مال الغنائم مما لم تاكله لانفسها وهذا هو الذي عد من خصائص نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وأمته وبهذا يجاب عما ورد في بعض الاحاديث الدال على انه كانت لهم غنائم (وظهرت على يديه المعجزات) أي أظهر الله له صلى الله تعالى عليه وسلم معجزات لم تكن لغيره من الانبياء عليهم الصلاة والسلام فما من معجزة لنبي الا وله صلى الله تعالى عليه وسلم مثلها أو أعظم مع زيادة معجزات باهرة لا يقاربها شيء من المعجزات كانشقاق القمر ولو لم يكن الا القرآن الذي لا يشبهه معجزة اذ فيه ما لا يحصى لكفاه

فمبلغ العلم فيه انه بشر * وانه خير خلق الله كلهم

ولم يقل ظهر له المعجزات وأتى باليدين اشارة لعظمها وكثرتها لانه كأنه يظهرها بكلتا يديه ظهورا محسوسا مشاهدا مكشوفا لا خفاء فيه حتى نطق بها الحيوانات العجم والجمادات وبهذا ظهر نظمها في سلك الخواص (وليس أحد من الانبياء أعطي فضيلة أو كرامة) قيل المراد بالفضيلة ما في ذاته العلية والكرامة ما أكرمه الله به مما يشمل المعجزات وغيرها أو الاول ما فضل به على غيره والثاني أعم وهما وان اتحدا معنى متغايران مفهوما أو الاول ما اقترن بدعوى الرسالة والثاني ما لم يقترن بها والظاهر من العطف أو ان يفسر بما يقتضي تغايرهما كما لا يخفى (الا وقد أعطي محمد صلى الله تعالى عليه وسلم مثلها) أي ما هو من جنسها ونوعها أو مما هو مشابه لها بحسب الظاهر وان كان أعظم منها في الحقيقة كانشقاق زورق القمر له المقابل لانفلاق البحر لموسى عليه الصلاة والسلام كما قلت

(لانه بعث) أي بالحجج المتكاثرة والآيات المتعاقبة المتواترة والفضائل العملية والفواضل العلمية (الى الاحمر والاسود) أي العرب والعجم لغلبة الحمرة والبياض على ألوان العجم والادمة والسمرة على ألوان العرب وقيل الجن والانس (وأحلت له الغنائم) أي ولم تحل لاحد قبله (وظهرت على يديه المعجزات) أي الكثيرة (وليس أحد من الانبياء أعطي فضيلة) أي خصلة جيدة (أو كرامة) أي خارقة عادة (الا وقد أعطي محمد صلى الله تعالى عليه وسلم مثلها) أي مثل تلك الفضيلة أو الكرامة بل مع الزيادة لكن جنسا لا نوعا كانشقاق القمر في مقابلة انفلاق البحر لموسى عليه السلام وغير ذلك مما لا يعد ولا يحصى قيل وفي ابهام درجات تفخيم لجلال شانه وتعظيم لعلي برهانه اذ هو العلم المعين لهذا الوصف المستغني عن التعيين عند أرباب اليقين

شهد البدر انه حسنا * عن جميع البدور اذتم خلقا
ثم لما رأى الشهادة ترضى * ان تثبت فشق فى الحال شقا

وفى مثل هذه الجملة التى بعد الاخلاف فذهب الزمخشرى الى انها صفة والواو زائدة للالصاق أى لافضيلة ذات صفة من الصفات الاهذه الصفة وغيره الى انها حال أى ليس لها حال من الاحوال الاهذه الحال والتقدير مريدا اعطاؤه مثلها أو مقدرا لتقارن الحال صاحبها وفيه ان المراد اعطاء المثل لاتقديره وارادته مع انه لايتاتى فى نحو لايرى رؤيا الاجاءت مثل فلق الصبح وقيل يجوز الاكتفاء بالمقارنة الادعائية بجعل مالم يتحقق كالمحقق أو المعنى ان الله أعطاه ذلك فى زمن اعطاء الانبياء وقد ذهب المفسرون فى قوله تعالى يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة ان تتبعها حال وبين النفختين أربعون سنة لاعتبار مدة الخراب الى آخر الدنيا زمنا واحدا ممتدا ويمكن اعتباره هنا بلاتكلف وقول الرضى المقارنة فى الحال أغلبية كما فى خرج الامير صائدا غدا بجعل المعزوم عليه كالواقع يا باه قول النحاة ان الحال هيئة للمعمول حين تعلق العامل به بلا استثناء يقتضى ان المقارنة لازمة الا انها قد تترك ظاهرا فيجب التاويل ولايخفى مافيه من الاضطراب وقوله مثلها يفيد تفضيله صلى الله عليه وسلم على سائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام كما سمعته آنفا فى قوله تعالى فبهداهم اقتده ولايحتاج الى ان يقال مع تفضيله صلى الله عليه وسلم بمثل انشقاق القمر وغيره أوجعل كرامات أمته كرامة له صلى الله تعالى عليه وسلم (وقال بعضهم) تقدم الكلام عليه وأعاده هنا اشارة الى انه من الفصلين باعتبارين (ومن فضله) عليه الصلاة والسلام معطوف على مقدر كالعطف التلقينى أى من فضله ماذكر (ان الله خاطب الانبياء) عليهم الصلاة والسلام (باسمائهم وخاطبه بالنبوة والرسالة فى كتابه) أى القرآن الكريم (فقال يا أيها النبى ويا أيها الرسول) وقدم انه باعتبار الاغلب تعليما للامة ولذا نهاهم ان ينادوه صلى الله تعالى عليه وسلم باسمه فقال الله تعالى لاتجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا وهذا مخصوص بحياته صلى الله تعالى عليه وسلم كما تقدم (وحكى السمرقندى) تقدم الكلام عليه (عن الكلبى) محمد المفسر أوهشام ابنه وقد تقدم أيضا (فى قوله تعالى وان من شيعته لابراهيم ان الهاء عائدة على محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) وان لم يتقدم ذكره لدلالة الكلام عليه فكأنه مذكور كما فى قوله تعالى ولابويه لكل واحد منهما السدس أى الميت والشيعة الاتباع والمعروف فى كلام العرب اطلاقه على المتاخر زمانا وقد يطلق على المتقدم كما فى قول الكميت

ومالى الاآل أحمد شيعة * ومالى الامذهب الحق مذهب

لان من كنت على منهاجه ودينه فهو على منهاجك ودينك أيضا واذا أضيفت الشيعة للمتقدم اقتضت تفضيله لان المتبوع بحسب الظاهر المتبادر أفضل من التابع فاذا أضيفت للمتاخر اقتضت تفضيله بالطريق الاولى لان العدول عن المعروف لابدله من نكتة وليست الا التفضيل الاترى ان أبانواس لما قال

كيف لايدنيك من أمل * من رسول الله من نفره

شنعوا عليه كما سياتى بيانه لاقتضائه تفضيل ممدوحه ولافرق بين من نفره ومن شيعته فان قلت هذا يقتضى تفضيل نوح على ابراهيم عليهما السلام على القول بان الضمير راجع اليه مع ان ابراهيم أفضل منه كما تقدم قلت قد عرفت انه انما يفيد التفضيل اذا أضيف للمتاخر ونوح عليه الصلاة والسلام متقدم وهو آدم الثانى وأول الرسل والشرائع متفقة فى الاصول فجعل من كان على نهجه من ذريته شيعة له لايدل على ماذكر مع ان المفضول قد يفضل من جهة على الافضل ويحتمل ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام جعل من شيعة نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم لما رام من تقدم خلقه ونبوته عليهم وعلى كل

(قال بعضهم ومن فضله ان الله تعالى خاطب الانبياء باسمائهم) أى كيا آدم ويا نوح ويا ابراهيم ويا موسى ويا عيسى (وخاطبه بالنبوة والرسالة فى كتابه) أى كلامه القديم وخطابه العظيم (فقال يا أيها النبى ويا أيها الرسول) بل وقد قال الله تعالى لاتجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا (وحكى السمرقندى عن الكلبى) هو أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبى توفى فى السنة التى مات فيها الشافعى رضى الله تعالى عنه وهى سنة أربع ومائتين كذا ذكره التلمسانى (فى قوله تعالى وان من شيعته) أى اتباعه (لابراهيم ان الهاء عائدة على محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) أى ان من شيعة محمد لابراهيم

أي على دينه ومنهاجه) أي طريقه الواضح (واختاره الفراء) يروى وأجازه الفراء (وحكاه عنه مكي) ونسبه بعضهم الى الكسائي أيضا كأن الله أخبر ابراهيم بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم فآمن به وشايعه في دينه وعود الضمير على غير متقدم لفظا شائع سائغ كقوله تعالى حتى توارت بالحجاب وانما جعل منهاجه متقدما عليه خلقا ونبوة كما يدل عليه حيث انه سئل متى وجبت لك النبوة قال وآدم بين الروح والجسد وفي رواية وآدم منجدل في طينته وهذا أولى مما قيل في جواب الاشكال الوارد من ان المتعارف هو ان المتأخر في الزمان هو الذي يكون من شيعة المتقدم لكن قد جاء عن العرب عكس ذلك * ومالي الا آل أحمد شيعة * والسبب في هذا ان من كنت على منهاجه ودينه فقد كان على منهاجك سواء تقدم أو تقدمت (وقيل المراد نوح) ويروى على نوح (عليه الصلاة والسلام) وهو قول أكثر المفسرين كما هو الظاهر المتبادر من حيث تقدم مرجعه فابراهيم ممن شايع في دينه لاتفاق شرعهما في الفروع غالبا وان كان بينهما ألفان وستمائة وأربعون سنة ونبيان هود وصالح عليهما الصلاة والسلام كذا ذكره الدلجي

(الفصل الثامن)

في أعلام الله تعالى خلقه) أي مخلوقه (بصلاته عليه وولايته) بكسر الواو وقد يفتح وبهما قرئ قوله تعالى ما لكم من ولايتهم من شئ والكسر قراءة حمزة من السبعة فلحن الاصمعي قراءة الاعمش في هذه الآية بكسر الواو خطأ ظاهر وقوله ان الولاية بالكسر انما هي في الامارة والسلطان ونحوهما بصيغة الحصر مدفوع ولو سلم فالكسر مشترك في المعنيين والله أعلم وقيل بالفتح بمعنى النصرة وبالكسر تولى الامر أي موالاته ونصرته له (ودفعه) مصدر مضاف الى فاعله أي ودفع الله (العذاب بسببه) أي من أجله وجهته وفي نسخة من رفعه بالراء واختاره الحلبي وهو تصحيف في مبناه وتحريف في معناه اذ الرفع لا يستعمل الا بعد الوقوع ولذا قيل الدفع أهون من الرفع (قال الله تعالى) أي حين قال الكفار مبالغة في الانكار اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم) بيان لما كان موجبا لامهالهم مع علم الله سبحانه وتعالى بأقوالهم وأفعالهم (أي ما كنت بمكة) أي مدة كونك فيهم اذ جرت سنته تعالى ان لا يعذب قوما عذاب استئصال ما دام نبيهم بين أظهرهم ومن ثمة كان العذاب اذا نزل بقوم أمر نبيهم بالخروج بمن آمن وفيه تلويح بانهم مرصدون بالعذاب اذا هاجر (فلما خرج النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من مكة) أي مهاجرا الى المدينة (وبقي فيها من بقي

حال فالآية دالة على تفضيله بالتفضيل على الافضل على الجميع وهو المقصود فلذا قدم هذا القول (أي على دينه ومنهاجه) أي طريقه الواضح من نهج الامر اذا وضح والمشايعة المتابعة والموافقة فالمراد الموافقة فيما ذكر (واختاره الفراء وحكاه عنه مكي) رحمهما الله تعالى وتقدم الكلام عليهما وترجمتهما وأشار بهذا الى انه قول صحيح منقول عن المفسرين لان منهم من ضعفه وادعى انه بعيد وان ما أخره ومرضه بقوله (وقيل المراد نوح عليه الصلاة والسلام) هو القول الصحيح وفي نسخة مكان اختاره اجازه بالجيم والزاي المعجمة على انه مجرد احتمال لما بين نبينا والخليل عليهما الصلاة والسلام من المناسبة التامة الظاهرة وهذا لا يفيد تفضيل نوح على ابراهيم عليهما الصلاة والسلام كما سمعته آنفا والمراد بكونه من شيعته انه من نسله وعلى منهاجه في الدين والتوحيد ومشابهته له لان نوحا عليه الصلاة والسلام أبو الناس وابراهيم عليه الصلاة والسلام أبو الانبياء عليهم الصلاة والسلام والعرب والى هذا ذهب أكثر المفسرين لظهوره لتقدم ذكر نوح عليه الصلاة والسلام ولذا فيل ان قيل هنا أريد به مجرد النقل لا التمريض وانه عادته في هذا الكتاب

(الفصل الثامن في أعلام الله عز وجل خلقه بصلاته عليه وولايته له) أي نصره وتأييده لا بمعنى توليته والواو يجوز فيها الفتح والكسر فمن اقتصر على الثاني فقد قصر قال في المصباح وليت الامر اليه بكسر تين ولاية بالكسر توليته والولاية بالكسر والفتح النصرة انتهى (ورفعه العذاب بسببه صلى الله تعالى عليه وسلم) روي رفعه بالراء والدال وتقدم الفرق بينهما ان الرفع بعد النزول والدفع قبله ولذا قالوا الدفع أسهل من الرفع قيل وهذا هو المناسب لقوله ودرئه العذاب كما سياتي والرفع قد يجيء بمعنى الدفع كما في رفع القلم عن الصبي وكذا الدفع يجيء بمعنى الرفع والاول هو الاصل المتبادر ثم ان المصنف رحمه الله تعالى اختار اللف على عكس النشر لانه الاصل الكثير في كلامهم كما صرح به النحاة وان جعل أهل المعاني كلا منهما من فنون البلاغة وتسمية هذا مشوشا يقتضي مرجوحيته عندهم (وقال الله تعالى وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم) قيل هذا يدل على عدم التعذيب وقوله وما لهم ألا يعذبهم الله على التعذيب فقيل الثانية ناسخة بناء على جواز نسخ الخبر وخلف الوعد أو كل منهما مقيد بوقت واليه أشار بقوله (أي ما كنت بمكة) أي نفي تعذيبهم مدة كونك مقيما بمكة معهم أو المثبت مطلق التعذيب والمنفي عذاب الاستئصال كما قاله الزمخشري (فلما خرج النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من مكة وبقي من بقي فيها

من المؤمنين نزل وماكان الله معذبهم وهم يستغفرون) وهو اما بمعنى وماكان الله معذبهم وفيهم من يستغفر من المؤمنين عن تخلف عن رسول الله من المستضعفين أو بمعنى نفى الاستغفار أى ولو كانوا ممن يؤمن ويستغفر من الكفر لما عذبهم وعن الحسن ان الآية منسوخة بقوله تعالى ومالهم ان لا يعذبهم الله والظاهر ان لا تنافى بينهما اذ النفى منصب على عذاب الاستئصال والاثبات محمول على غيره من الاسر والقتل وأنواع الخزى والنكال قال المنجانى وهذا التاويل قال به جماعة من المفسرين منهم ابن عباس والضحاك ومقتضاه ان الضمير فى قوله سبحانه وتعالى معذبهم عائد على كفار مكة والضمير فى قوله تعالى وهم يستغفرون عائد على المؤمنين الباقين بمكة بعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أى وماكان الله ليعذب الكافرين والمؤمنون يستغفرون بينهم فتكون الآية على هذا نحوا من قوله تعالى ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات الآية وقوله تعالى لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا الآية أيضا وعلى هذا التاويل فالمؤمنون مفهومون من سياق الكلام والا فلم يتقدم لهم ذكر فى الآية وأما التاويل الثانى الذى ذكره القاضى فى هذه الآية بقوله (وهذا مثل قوله تعالى

من المؤمنين نزل وماكان الله معذبهم وهم يستغفرون) هذا التاويل منقول عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وغيره من السلف كما فى تفسير ابن الجوزى قالوا كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بمكة فانزل الله تعالى وماكان الله ليعذبهم وأنت فيهم فلما أخرج للمدينة وبقى المستضعفون من المسلمين بمكة يستغفرون أنزل الله وماكان الله معذبهم وهم يستغفرون فلما أخرجوا أنزل الله ومالهم الا يعذبهم الله الى آخره فاندفع التدافع بين الآية الاولى والثانية على قول من جعل مفادها انتفاء التعذيب لوجود الاستغفار وبين الثالثة اذ المراد انهم يعذبون بعد خروج النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ومن بقى من المسلمين بعد ان كانوا لا يعذبون وهو فيهم أو وهم يستغفرون ومنهم من قال بنسخها للاولى وفيه ما تقدم ومقتضاه عود ضمير معذبهم لكفار مكة وعود ضميرهم للمؤمنين الباقين بعده صلى الله تعالى عليه وسلم لفهمهم من السياق وان لم يتقدم لهم ذكر أو عود كليهما الى الفريقين على انهم وصفوا بصفة بعضهم كبنى فلان قتلوا قتيلا والقاتل واحد منهم وأما عود كليهما الى المؤمنين فقول آخر أسند المصنف رحمه الله تعالى لبيانه الحديث الآتى وان قال التجانى انه غريب لانه يدور سنده على اسمعيل بن مهاجر وهو ضعيف عند المحدثين وقول التلمسانى انه أبو البشر الاسدى قيل انه وهم وقيل مفاد الآية الثانية نفى الاستغفار عن كفار مكة وانها ليست كالاولى فى انتفاء التعذيب لوجود الاستغفار كانتفائه بوجود النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فيهم لان استحقاق العذاب يدل على عدمه اذ لو استغفروا لما استحقوه وفى حواشى الفاضل اليمنى انه نوع من الكناية نظيره وماكان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون فان الاهلاك دليل على افسادهم اذ لو أصلحوا ما أهلكهم انتهى وفى تفسير ابن الجوزى معنى الآية على قول لو استغفروا لما عذبهم ولكنهم لم يستغفروا فاستحقوا العذاب كما تقول ما كنت لاهينك وأنت تكرمنى أى ما كنت لاهينك لو أكرمتنى فاما اذا لست تكرمنى فانت مستحق لاهانتى وهو مختار أهل اللغة وتغيير الاسلوب تفننا للاشعار بان عدم عذاب المستغفر أمر مستمر وقيل معذبهم وارد على الاصل وخبر بالفعل أولا ليتهيأ دخول اللام على خبر كان لتاكيد النفى وافادة المبالغة فى نفى التعذيب بسببه وبالاستغفار فظهر الفرق بين مقامه ومقامهم حتى لو قيل معذبهم فيهم لم يظهر وهذا على رأى الكوفيين من ان اللام فى مثله زائدة لتاكيد النفى وعند البصريين انها جارة متعلقة بخبر كان المقدر فى ما كان زيد ليفعل أى قاصدا الان يفعل وعلى هذا يفيد المبالغة أيضا لان نفى القصد أبلغ من نفى الفعل ولذا قالوا فى قوله * ياعاذلاتى لاتردن ملامتى * انه أبلغ من لا تلمنى فان قلت ان كان المراد المنفى فقد انتفى ببعثته صلى الله تعالى عليه وسلم فلا وجه لتقييده وان كان المثبت غيره فلا حاجة لتقييده بالخروج * قلت أجيب بان المنفى استئصال كل كافر والمقيد من هو فيهم أو نفى مطلقا ومقيدا والتقييد فى المثبت لبيان الواقع ونزول الآية فيه وخصوص المورد لا ينافى عموم الحكم وهذه أجوبة متكلفة باردة والحق عندى انه لا منافاة بين الآيتين لان قوله تعالى ومالهم الا يعذبهم الله معناه أى شئ لهم استحقوا به عدم العذاب فى أنفسهم فان حل بهم فباستحقاقهم والا فبحكمة منه وليس فيه انه نزل بهم عذاب حتى تكلف لدفعه وان قلنا المنفى الاستئصال فالقيد مبين سببيته وهو وجوده صلى الله تعالى عليه وسلم بين أظهرهم واستغفار مؤمنى أمته وهذا أمر غير منقطع اذ ليس المراد استغفار المستضعفين فقط والمثبت غير الاستئصال له أنواع كثيرة كالقحط والقتل والاسر والواقع بعد خروجه صلى الله تعالى عليه وسلم نوع غير ما كان قبله فالتقييد فى محله كما لا يخفى ومعنى قوله تعالى وهم يستغفرون أى وفيهم مؤمن أو وفى اصلابهم من سيؤمن ويستغفر وهذا كله بسبب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ففيه من مدحه والتنويه بشان الاستغفار ما لا يخفى (وهذا مثل قوله تعالى)

(لوتزيلوا الآية) أى وماذكر مما دل على امهالهم وتاخير العذاب فى آجالهم لاجل من فيها من المؤمنين وتحسين أفعالهم وأقوالهم مثل قوله سبحانه وتعالى لوتزيلوا أى لوتفرقوا وتميز المؤمنون من الكافرين لعذبنا الذين كفروا منهم أى من أهل مكة عذابا أليما بالقتل والاسر (وقوله) أى ومثل قوله تعالى (ولولا رجال مؤمنون الآية) أى ونساء مؤمنات بمكة لم تعلموهم أى باعيانهم لاختلاطهم باهل كفرهم وطغيانهم ان تطأوهم ٢٥٨ بدل اشتمال من رجال ونساء أومن ضميرهم فى تعلموهم أى ان تدوسوهم فتهلكوهم ومنه الحديث آخر وطأة وطئها الله بوج واد بالطائف فتصيبكم منهم معرة من عره اذا غشيه بمكروه أى فيغشاكم من جهتهم مكروه كوجوب الدية والكفارة بقتلهم والتأسف عليهم وتعيير الكفار لكم به والاثم بتقصيركم فى البحث عنهم (بغير علم) حال أى ان تطأوهم غير عالمين بهم وجواب لولا محذوف لدلالة الكلام عليه والمعنى لولا كراهة ان تهلكوا مؤمنين ومؤمنات بين أظهر الكفار جاهلين بهم فيصيبكم مكروه باهلاكهم لما كف أيديكم عنهم وقوله تعالى ليدخل الله فى رحمته من يشاء علة لما دل عليه كف الايدى عنهم صونا لمن فيها من المؤمنين أى كان ذلك لاجل ان يدخل الله فى رحمته من يشاء من مؤمنيهم أومشركيهم أومنهما بتوفيقه للاسلام أولزيادة الخير والانعام (فلما هاجر المؤمنون) اى من مكة (نزل وما لهم ان لا يعذبهم الله) أى وما يمنع من تعذيبهم بعد ان فارقهم المؤمنون وكيف لا يعذبون وهم يصدون عن على المسجد الحرام وما كانوا أولياءه ان أولياؤه الا المتقون ولكن أكثرهم لا يعلمون (وهذا) أى ماذكر من دلالة الآية على تاخير العذاب عنهم وهو فيهم (من أبين ما يظهر مكانته) أى من أظهر دليل يبين علو رتبته ورفعة شانه وعظمته (صلى الله تعالى عليه وسلم) لكل أحد عند ربه (ودرأته) وقع بخط بعض الاكابر هنا درأبه على انه فعل ماض وجار ومجرور أى دفع به والظاهر انه تصحيف والصواب انه بكسر الدال المهملة وسكون الراء وهمزوتاء أى ومن أبين ما يظهر ها دفعه سبحانه (العذاب

(لوتزيلوا الآية) هذا اشارة الى ماذكر من رفع العذاب عن أهل مكة بسببه صلى الله تعالى عليه وسلم وبسبب أصحابه وما الاصحابه انما هو ببركته أيضا ولاجل عين ألف عين تكرم وامهالهم ماذكر فى هذه الآية أيضا وهو قوله تعالى فى سورة الفتح ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم ان تطؤهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم ليدخل الله فى رحمته من يشاء لوتزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما ومعنى تزيلوا تميزوا وتفرقوا أى تميز المؤمنون من الكفار بخروجهم من بينهم * وروى القرطبى عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان معناه لوتزيل المؤمنون على اصلاب الكفار واستشكل بان الوصف بالوطء والمعرة لا يصح فى الذين فى الارحام * وأجيب بانه بجعل مرجع الضمير الموجودين على الاستخدام أى لوانتفى الامران عذبوا أى لولا كراهة ان توقعوا برجال ونساء مؤمنين معلومين القتل ووطء الخيل فتلحقكم معرة أى عيب وعار من جهتهم أومن المشركين بقولهم انكم قتلتم أهل دينكم لعذب أهل مكة عذابا أليما بالقتل وان تطؤهم بدل من المرفوع بتقدير كراهة ان وغلب الرجال على النساء فى الضمير وجواب لولا محذوف لدلالة جواب لو عليه وسد مسده لاتحاد معناهما مآلا وبقية الكلام على الآية مفصل فى كتب التفسير (وقوله تعالى ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات الآية) هذا مع ماقبله كلام واحد وهذا مقدم فى التلاوة وانما أخره المصنف رحمه الله تعالى وأفرز ما تقدم عنه مع انه من تتمته للتنبيه على ان الاستشهاد لما قاله بموضعين من هذه الآية وان قوله تعالى لوتزيلوا ليس تاكيدا لما قبله ولعذبنا جواب الاول كما جوزه بعضهم فلا استشهاد فيه فاشار بعكس الترتيب الى رده بابلغ وجه والحاصل ان المعنى ان بين الكفار جماعة مسلمين لم يعرفوهم لولا كراهة ان توقعوا بهم من غير علم فيصيبكم ما تكرهون من الغرم والدية لعذبنا الكفار بتسليطكم عليهم وعن الضحاك لولا جماعة فى الاصلاب والارحام نكره ان تطؤا آباءهم وأمهاتهم فتلحقكم المعرة بانهم لولم يقتلوا جاءت أمة مسلمة منهم كما مر أولولا من علم الله تعالى انه سيؤمن منهم وبالجملة فالمراد ان وجود المؤمنين مانع وان اختلفت جهة المنع (فلما هاجر المؤمنون) من مكة ولم يبق أحد منهم مختلطا بالكفار (نزلت) آية (وما لهم الا يعذبهم الله الآية) فيوقع بهم القهر والقتل وهو اعتذار عن الرجوع من الحديبية (وهذا من أبين) أى من أظهر شئ فى رفعة قدره صلى الله تعالى عليه وسلم عند ربه كما أشار اليه بقوله (ما يظهر مكانته صلى الله تعالى عليه وسلم) وقوله (ودرئه العذاب) بدال مهملة مفتوحة وراء مهملة ساكنة يليها همزة مقصورة وضميره للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم كما فى أكثر النسخ المصححة وفى بعضها درأته بتاء مصدر بزنة الضربة وهى بمعنى ماقبلها أيضا وفى بعضها درأبه فعل ماض بعده جار ومجرور متعلق به وفى شرح الشريف انه فى غالب النسخ معطوف ومعناه يظهر بتكلف أوحال وفى بعض النسخ بالعذاب وهو من غلط الكتاب والصواب العذاب بلا باء وفى حواشى التلمسانى درأته وقال هكذا فى نسخة الشارح اسم بكسر الدال المهملة وسكون الراء وتاء أى دفعه ومنه قوله تعالى ويدرأ عنها العذاب أى يدفع قال ودرأته معطوف على قوله من أبين ما يظهر مكانته ووقع بخط العرفى وهو الذى عند ابن سيدى الحسن ودرأبه فعل ماض انتهى وعلى الاولى وهى الاصح هو منصوب معطوف

عن أهل مكة بسبب كونه) أى وجوده المتضمن لكرمه وجوده فيهم لانه بعث رحمة للعالمين (ثم كون أصحابه) بجر الكون عطفا على ماتقدم (بعده بين أظهرهم) أى بينهم وفى جوارهم فلفظ أظهرهم مقحم للمبالغة (فلما خلت مكة منهم عذبهم) أى الله كما فى نسخة (بتسليط المؤمنين عليهم) أى بتسليط رسوله اياهم وأبعد التلمسانى حيث فسر التسليط بالقهر (وغلبتهم اياهم وحكم فيهم سيوفهم) بتشديد الكاف المفتوحة أى جعلها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حكما فيهم حدا وصفحا قتلا وقطعا واسرا (وأورثهم أرضهم) أى مزارعهم (وديارهم) أى بيوتهم وحصونهم ومعاقلهم (وأموالهم) أى نقدهم وأثاثهم ومواشيهم روى انه صلى الله تعالى عليه وسلم جعل عقارهم للمهاجرين فتكلم فيه الانصار فقال لهم ان لكم منازلكم وروى انه قال لهم اما ترضون ان الناس يرجعون بالاموال الى بلادهم وأنتم ترجعون برسول الله الى أهليكم وقال عمر رضى الله تعالى عنه اما تخمس كما خمست يوم بدر فقال صلى الله تعالى عليه وسلم لا انما جعلت هذه لى طعمة وهذا صريح بان مكة فتحت عنوة وعليه الامام أبو حنيفة والاكثرون من أهل العلم وعن الامام الشافعى انها فتحت صلحا ومن ثمة كان يجيز اجارة دورها وبيعها بدليل حديث وهل ترك لنا عقيل من رباع لكن لايخفى بعد وجه الاستدلال به وأبعد من قال فتح أعلاها صلحا وأسفلها عنوة (وفى الآية) أى آية وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون (أيضا تاويل آخر) وهو ان الضميرين راجعان الى الكفار فيحتمل أن يكون وهم يستغفرون فى موضع الحال بتقدير ان لو كان أى وما كان الله معذبهم وهم بحال توبة واستغفار من كفرهم لو وقع منهم واختاره الطبرى وأن يكون اشارة الى من سبق فى علم الله انه يؤمن منهم أو ذريتهم أى وما كان الله معذبهم ومنهم من يخرج فيستغفر الله ويؤمن به واختاره الزجاج وأن يكون اشارة الى قولهم فى دعائهم غفرانك اللهم بجعله الله كما قال ابن عطية امانا لهم من عذاب الدنيا كما قرره الدلجى والاظهر ما حرره المنجانى من أن التاويل الآخر الذى

على مكانته (عن أهل مكة بسبب كونه) أى وجوده صلى الله تعالى عليه وسلم فيها (ثم كون أصحابه بعده بين أظهرهم) ثم أشار الى مكثهم مدة متطاولة والبعد باعتبار آخر المدة أو هى للتراخى الرتبى وأما جعلها للتعقيب بلا مهلة فغير ظاهر وبين أظهرهم بمعنى الاقامة معهم يقال هو نازل بين ظهرانيهم بفتح النون قال ابن فارس ولا تكسر وقال جماعة الالف والنون زائدتان للتاكيد وبين ظهرهم وأظهرهم كلها بمعنى بينهم وفائدة ادخاله فى الكلام ان اقامته صلى الله تعالى عليه وسلم بينهم على سبيل الاستظهار بهم والاسناد اليهم وكان المعنى ان ظهرا منهم قدامه وظهرا وراءه فكأنه مكنون من جانبيه هذا أصله ثم كثر حتى استعمل فى مطلق الاقامة هذا ما عليه أكثر أهل اللغة كما فى المصباح والنهاية فتفسيره بالعزة أو بعدم الغيبة والظهور لان الظهر أظهر من البطن غير مناسب للغة وحال المستضعفين (فلما خلت مكة منهم) أى من الصحابة رضى الله تعالى عنهم (عذبهم الله) أى كفار مكة (بتسليط المؤمنين عليهم وغلبتهم اياهم) وليس فيه تفكيك الضمير لظهور المعنى وليس الظاهر أن يقول تغليبهم بدل غلبتهم كما توهم ومثله مما يلتفت اليه (وحكم فيهم سيوفهم) حكم بتشديد الكاف أى جعلها حاكمة على رقابهم وهى استعارة لطيفة أى جعلهم فى قهرهم متمكنين من قتلهم والتصرف فيهم ولذا كان الانسب التعبير بالغلبة قبله (وأورثهم أرضهم وديارهم وأموالهم) ان فسرت الارض بما لا بناء فيه مما يعد للزراعة ونحوها والديار بالمساكن المبنية والاموال بما عدا ذلك من المتاع والانعام والنقود وسائر المنقولات فهى متغايرة والعطف ظاهر وليس فيها عطف عام على خاص كما قيل بان تحمل الاموال على مطلق ما يملك والتعبير عن الحيازة والتملك بالارث مجاز مشهور صار حقيقة فيما ذكر والتعبير به هنا فيه لطف لما بينهم من القرابة وفى كلامه ما يرشد الى ان مكة فتحت عنوة كما ذهب اليه أبو حنيفة رحمه الله تعالى والجمهور كما جزم به البرهان الحلبى وتبعه بعض الشراح وما قيل انه لا ينافى كونها فتحت صلحا كما توهم لا وجه له وفيها اقول ثالث ان بعضها افتتح صلحا وبعضها عنوة ثم ان البرهان رحمه الله استطرد هنا ذكر خبر مكة وتفصيل فتوحاتها باعتبار الصلح والعنوة والصحيح ان فتح مكة عنوة عند امامنا الاعظم كما مر (وفى الآية أيضا تاويل آخر) تعريف الآية للعهد والمراد بها وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون والتاويل السابق محصله ان الله لا يعذب الكفار وأنت فيهم ولا يعذبهم أيضا وبقية الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين فيهم يستغفرون الله فضمائر الغيبة للكفار الا ضميرهم وضمير يستغفرون ولذا ذهب بعض الشراح الى ان المراد بالتاويل الآخر جعل الضميرين الاخيرين للكفار والجملة حالية أى ما كان الله معذب الكفار لو تابوا واستغفروا من كفرهم واختاره الطبرى أو هو اشارة الى ما سبق فى علم الله من ان منهم ومن ذريتهم من يسلم أى ما كان الله معذبهم ومنهم من سيخرج فيؤمن ويستغفر واختاره الزجاج أو هو اشارة الى قولهم فى دعائهم غفرانك اللهم فجعله الله امانا لهم واختاره ابن عطية وقوله أيضا اشارة الى التاويل السابق أو الى غيرها من الآيات المؤولة ولا مسامحة فيه كما قيل وفيها تاويلات كما مر من ان المنفى الاستئصال فى الدنيا والمثبت عذاب

ذكره القاضي في هذه الآية مبني على ان الضميرين معا عائدان على المؤمنين لما اسنده القاضي من الحديث لينبه به وهو قوله (حدثنا القاضي الشهيد أبو علي رحمه الله بقراءتي عليه) وهو الحافظ ابن سكرة كما سبق (حدثنا أبو الفضل ابن خيرون) بالصرف وعدمه فعلون من الخير ضد الشر وقد تقدم ذكره (وأبو الحسين) بالتصغير على الصحيح (الصيرفي) وهو المبارك ابن عبد الجبار وتقدم ترجمته (قالا) أي أبو الفضل وأبو الحسين كلاهما (حدثنا أبو يعلى ابن زوج الحرة) بضم حاء مهملة وتشديد راء وقد سبق (حدثنا أبو علي السنجي) تقدم انه بكسر السين المهملة وسكون النون فجيم فياء نسبة (حدثنا محمد بن احمد بن محبوب المروزي) بفتح الميم والواو نسبة الى مرو وهو أبو العباس راوي جامع الترمذي كما سبق (حدثنا أبو عيسى الحافظ) أي الترمذي صاحب السنن (حدثنا سفيان ابن وكيع) أي ابن الجراح يروي عن أبيه ومطلب ابن زياد وعنه الترمذي وابن ماجه شيخ صدوق الا انه ابتلي بوراق سوء كان يدخل عليه فكلم في ذلك فلم يرجع مات سنة سبع وتسعين ومائة (حدثنا ابن نمير) بضم نون وفتح ميم وسكون ياء فراء يكنى أبا عبد الرحمن الهمداني الكوفي واسمه عبد الله يروي عن هشام بن عروة والاعمش وعنه ابنه واحمد وابن معين حجة اخرج له الجماعة مات سنة أربع وثلاثين ومائتين عن (اسمعيل بن ابراهيم ابن مهاجر) بكسر الجيم وهو أبو بشر الاسدي مولاهم البصري يروي عن أبيه وعدة وعنه أبو نعيم وطلق ابن غنام ضعيف اخرج له الترمذي وابن ماجه (عن عباد بن يوسف) بفتح عين مهملة وتشديد موحدة وهو أبو عثمان الكندي ثقة وقيل ابن سعيد وقيل هو عبادة بن يوسف والاول اصح بصري ثقة واسمه روى عن ابي بردة وروى عنه اسمعيل بن ابراهيم بن مهاجر كذا ذكره التلمساني واضطرب كلام الحلبي فيه (عن ابي بردة) بضم الموحدة والصحيح ان اسمه عامر وهو قاضي الكوفة (ابن ابي موسى) يروي عن أبيه وعن علي والزبير وعنه بنوه عبد الله ويوسف وسعيد وبلال وحفيده بريد بن عبد الله وكان من النبلاء توفي سنة أربع ومائة اخرج له الجماعة (عن أبيه) وهو أبو موسى الاشعري عبد الله بن قيس ابن سليم بضم ففتح أمير زبيد وعدن للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأمير البصرة والكوفة لعمر رضي الله تعالى عنهما روى عنه بنوه أبو بكر وأبو ابراهيم وموسى مناقبه جمة توفي سنة أربع وأربعين اخرج له الجماعة والحديث الذي اخرجه المؤلف هنا انفرد الترمذي باخراجه من بين الستة ذكره في التفسير وقال غريب واسمعيل يضعف في الحديث انتهى ويقويه انه رواه ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما موقوفا وأبو الشيخ نحوه عن أبي هريرة رضي الله عنه موقوفا أيضا

الآخرة أو الاوليان من مقالة الكفرة والثالثة رد لهما وقيل ان المصنف رحمه الله تعالى أشار الى ما يفهم من الحديث من ان حياته صلى الله تعالى عليه وسلم واستغفار المؤمنين مطلقا دافع للعذاب أو المؤمن لا يعذب مادام مستغفرا فضمير الغائبين للمؤمنين أي ما كان الله ليعذب المؤمنين بضرب من عذاب من قبلهم وأنت حي وهم يستغفرون أو الآية على تأويلها الاول ولكن اذا لم يعذب الكفار بهذين السببين فالمؤمنون بالطريق الاولى ففيها أمان للفريقين والامة في الحديث الآتي المراد بها أمة الدعوة وان كان في بعض التاويلات أمة الاجابة (حدثنا القاضي الشهيد أبو علي رحمه الله تعالى) ابن سكرة الحافظ وقد تقدمت ترجمته (بقراءتي عليه) أي لا بالسماع وغيره من وجوه الرواية قال (حدثنا أبو الفضل ابن خيرون) تقدم الكلام عليه أيضا (وأبو الحسين الصيرفي) قال البرهان كان في الاصل أبو الحسن فصحح في الطرة الحسين بالتصغير وهو الصواب وهو المبارك بن عبد الجبار كما تقدم وقد وقع له ذكر أيضا في أول فصل تفضيله صلى الله تعالى عليه وسلم في القيامة وكتبه أبو الحسن أيضا ولم ينبه عليه احد فكتب تجاهه مامر (قالا حدثنا أبو يعلى بن زوج الحرة) هو احمد بن عبد الواحد بن محمد بن جعفر وقد تقدم الكلام عليه والحرة بضم الحاء المهملة وتشديد الراء وبالهاء قال (حدثنا أبو علي السنجي) الحسن بن محمد وقد تقدم الكلام عليه وضبط السنجي بكسر السين المهملة والنون الساكنة والجيم وياء النسبة قال (حدثنا محمد بن محبوب المروزي) تقدم الكلام عليه وعلى نسبته وانه راوي جامع الترمذي عنه قال (حدثنا أبو عيسى الحافظ) هو الامام الترمذي صاحب السنن وتقدم الكلام عليه قال (حدثنا سفيان بن وكيع) أبو محمد بن الجراح الكوفي وله ترجمة في الميزان وهو ممن ضعفه الذهبي توفي سنة سبع وأربعين ومائتين وروى عنه في السنن قال (حدثنا ابن نمير) بالنون والميم وآخره راء مهملة بصيغة التصغير وهو محمد أبو عبد الرحمن بن عبد الله بن نمير المحدث الهمداني الكوفي توفي سنة أربع وتسعين ومائة وقيل سنة أربع وثلاثين ومائتين وهو الاصح (عن اسمعيل بن ابراهيم بن مهاجر) وابن مهاجر سقط من بعض النسخ وهو بجلي من تبع التابعين وقول التلمساني انه أبو بشر الاسدي قيل انه وهم كما في التقريب انه ابن ابراهيم بن مقيم وهو ثقة وابن مهاجر ضعيف (عن عباد بن يوسف) بفتح العين المهملة وتشديد الموحدة وهو كندي حمصي ثقة وقيل اسمه عبادة والذي صححه المزي وابن حجر الاول وهو ثقة مقبول الرواية (عن أبي بردة ابن ابي موسى) عامر بن عبد الله وبردة بضم الموحدة وهو ثقة توفي سنة أربع ومائة على قوله (عن أبيه) ابي موسى الاشعري الصحابي المشهور

(قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أنزل الله على أمانين لامتى) يحتمل أمة الاجابة وهو ظاهر الآية ويحتمل أمة الدعوة وهو الملائم لعموم الرحمة الامنة (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم) وهذه الامنة ظاهرة فى عمومهم (وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) وهذه الامنة لائحة لخصوصهم ويؤيده قوله (فاذا مضيت) أى انتقلت من دار الاكدار الى دار القرار (تركت فيكم الاستغفار) أى فعليكم بالاكثار منه فى الليل والنهار ولا يبعد ان يكون الاستغفار من الابرار سببا وباعثا لدفع عذاب الاستئصال عن الكفار ويؤيده قوله (ونحو منه) أى من هذا الحديث فى المعنى (قوله تعالى وما أرسلناك الا رحمة للعالمين) لان ما بعث به سبب لاسعادهم وموجب لاصلاح معاشهم ومعادهم وكونه رحمة للكفار وأهل فسادهم أمنهم به من الخسف والمسخ وعذاب الاستئصال فى بلادهم (قال عليه الصلاة والسلام أنا امان لاصحابى) وفى لفظ انا امنة لاصحابى وهو حديث صحيح رواه مسلم عن سعيد بن بردة عن أبيه عن أبى موسى قال صلينا المغرب مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم قلنا لو جلسنا حتى نصلى معه العشاء فخرج علينا فقال ما زلتم هنا قلنا نعم فقال أجدتم أو أحسنتم قال فرفع رأسه الى السماء وكان كثيرا ما يرفع رأسه الى السماء فقال النجوم امنة للسماء فاذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد وانا امنة لاصحابى فاذا ذهبت أتى أصحابى وأمتى ما يوعدون قال المنجانى وفى لفظ هذا الحديث امنة وفى الحديث الذى ذكره القاضى امان ولعلهما روايتان فى الحديث أقول أو نقل القاضى بالمعنى مع قرب المبنى اذ الامنة بضم الهمزة والميم والامن والامان بمعنى واحد على ما ذكره المنجانى والظاهر انه بفتحهما على ما فى القاموس هذا ولعله صلى الله تعالى عليه وسلم أراد بذهاب النجوم انتثارها لقوله تعالى واذا الكواكب انتثرت وباتيان السماء ما توعد انفطارها وتبديلها كما قال تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وباتيان أصحابه ما يوعدون ما أنذرهم به من الفتن والارتداد وباتيان امته ما يوعدون ما أخبرهم به من ظهور البدع

واسمه عامر بن عبد الله بن قيس وقيل الحارث أحد الحكمين توفى بمكة أو بالكوفة سنة أربع وأربعين أو اثنين وخمسين ومائة ونسبته الى اشعر لقب لابى القبيلة المعروفة باليمن لقب به لانه ولد وعليه شعر وهذا الحديث أخرجه ابن أبى حاتم عن ابن عباس وأبى هريرة رضى الله عنهم موقوفا بمعناه وهو حديث غريب ضعيف وفيه نظر (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أنزل الله تعالى على) أى أوحى الى بقرآن يدل على (امانين لامتى) أى شيئين فيهما ما يدل على ما يدل على ان الله أمن أمتى من العذاب بهما وهما قوله تعالى (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) قد تقدم ان الآيتين فى المؤمنين أو الكفار أو فيهما وكذا هذا الحديث محتمل لذلك لان المراد أمة الدعوة والاجابة على ما مر فاقيل ان مقتضى الحديث شمول الآية للمؤمنين وظاهر النص وكلام المفسرين ان الآيتين فى الكفار الا ان يجمع بينهما بان حال المؤمنين يعلم بدلالة النص والطريق الاولى وانه صلى الله تعالى عليه وسلم علم منهما عموم الحكم وحمل الحديث على الكفرة بعيد جدا وعلى ظاهر الحديث يجوز عود الضمير فى الآية على الامة لكونه فيهم مدة حياته صلى الله تعالى عليه وسلم سواء كانوا مؤمنين أو كافرين فيعم الحكم بنوع تكلف كلام مضطرب متكلف (فاذا مضيت) أى ارتحلت للآخرة (تركت فيكم) وفى رواية فيهم أى خلفت بعدى بضم تاء المتكلم (الاستغفار) أى اذا مت بقى فيكم الامان الآخر فاذا تركتموه حل بكم العذاب جزما أو احتمالا والاستغفار هو الدعاء بالمغفرة المعروف وقيل المراد به الصلاة وقيل الاسلام وعلى رواية فيكم فيه التفات من الغيبة للخطاب اشارة الى ان انتفاء التعذيب عنهم بالاستغفار دون انتفائه بكونه فيهم وبه يعلم وجه قوله ليعذبهم أولا دون معذبهم وهو مناسب لنزول صدر الآية بمكة وعجزها بعد خروجه صلى الله عليه وسلم وترك بقية المؤمنين بها كما قيل وفيه نظر (ونحو منه) منه متعلق بنحو لتضمنه معنى قريب أى فيه نوع مماثلة بحسب المعنى لما مر من رحمة الكفار بتاخير العذاب (قوله تعالى وما أرسلناك الا رحمة للعالمين) أى لجميع الخلق حتى الكفار والجماد والحيوان لاصلاحهم واسعافهم فى أمور معاشهم ومعادهم وأمنهم من الخسف والمسخ وعذاب الاستئصال وغير ذلك مما نزل بالامم السابقة وكل ذلك ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم (قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انا امان لاصحابى) كونه صلى الله تعالى عليه وسلم امانا لاصحابه من كل ما يخافون امر قطعى وهو أعم مما حكاه المصنف رحمه الله تعالى بقيل الآتى وينبغى ان يكون هذا مندرجا تحت قوله وولايته له كما قيل وهذا الحديث رواه مسلم عن أبى موسى رضى الله تعالى عنه قال صلينا المغرب مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم قلنا لو جلسنا حتى نصلى العشاء فخرج علينا فقال ما زلتم ههنا قلنا يا رسول الله صلينا المغرب معك ثم قلنا نجلس حتى نصلى معك العشاء فقال أحسنتم ورفع رأسه الى السماء وكان كثيرا ما يرفعها فقال النجوم أمنة للسماء فاذا ذهبت أتى السماء ما توعد وانا امنة لاصحابى فاذا ذهبت أتى أصحابى ما يوعدون وأصحابى امنة لامتى فاذا ذهبت أصحابى أتى أمتى ما يوعدون فاذكره المصنف رحمه

الله تعالى رواية موافقة لرواية مسلم أوهي رواية مسلم بالمعنى لان امنة بفتحات مصدر بمعنى الامان وان
وردجمعا لامين بمعنى الحافظ كخدمة كما في النهاية والمراد الاول لقول ابن مسعود رضي الله تعالى عنه كان
صلى الله تعالى عليه وسلم امانالهم والاستغفار فهاجر وبقي الاستغفار كما رواه في اللباب ومن هنا علم انه
يجوز ان يكون معنى مضت السابق هاجرت فلا التفات وان احتمل أيضا والمراد بذهاب النجوم
انتشارها بشهادة واذا الكواكب انتثرت وما توعده السماء انفطارها وتبديلها المذكور في قوله اذا
السماء انفطرت ويوم تبدل الارض وهو تمثيل وايماء الى ان أصحابه صلى الله تعالى عليه وسلم كالنجوم
في الامة وما أوعد به أصحابه رضي الله تعالى عنهم الفتن والردة بعده والموعود به الامة ما أنذرهم من
البدع والاختلاف والهرج وغلبة الروم وتخريب مكة والمدينة وغير ذلك مما كان أكثره وبقي مالا
شك في كونه وفيه دلالة على ظهور الشر بعد ذهاب أهل الخير فانه صلى الله تعالى عليه وسلم مادام حيا
لم يقع شيء من ذلك ولا اختلاف وبعده وقع الاختلاف ثم لما انقرض عصر الصحابة رضي الله عنهم
قوي الظلم لذهاب الانوار كالسماء عند ذهاب النجوم قيل الامان المذكور ما كان في حياته صلى الله
عليه وسلم لا في حياته وموته كما توهم كما لا يخفى فمن حمله عليه فقد أخطأ وفيه نظر (قيل من البدع) جمع
بدعة وهي مالم يعلم من الشرع لا صريحا ولا استنباطا وليست كلها مردودة كما يوهمه قوله صلى الله تعالى
عليه وسلم كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار فان الفقهاء قالوا تجري فيها الاحكام كلها فمنها ما هو حرام
كانواع السياسة التي لم تكن في العصر الاول ومنها ما هو مكروه كتكبير العمامة وتوسيع اللباس
وتطويله ومنها ما هو مباح كاحداث بعض الاطعمة ومنها ما هو واجب كدقائق علم الكلام التي تلزم
بها الكفرة وأهل الاهواء وما هو مستحب كاحداث المدارس والرباطات وقد استوفى اقسامها ابن
الحاج في المداخل وهو كتاب لم يصنف في بابه مثله وان كان فيه أمور غير مسلمة (وقيل من الاختلاف
والفتن) المراد بالاختلاف ما يشمل الخلاف وهو مخالفة العلماء والفقهاء والحكام من غير دليل
معمول به وان كان ذلك مطلقا لم يقع في حياته صلى الله تعالى عليه وسلم لمعرفة حقيقة كل أمر بالوحي واما
الاختلاف الذي وقع عنده صلى الله تعالى عليه وسلم كما ورد في الاحاديث الصحيحة من ان النبي صلى
الله تعالى عليه وسلم قال في مرضه ائتوني بدواة اكتب لكم كتابا لا تضلون به من بعدي فقال عمر رضي الله
تعالى عنه ان الرجل ليهجر حسبنا كتاب الله فلغط الناس فقال اخرجوا عني لا ينبغي التنازع لدي فقال
ابن عباس رضي الله تعالى عنهما الرزية كل الرزية ما حال بيننا وبين كتاب رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم فهذا مما شنع به الرافضة على عمر رضي الله تعالى عنه وسياتي بيان ذلك آخر الكتاب وقال
صاحب الملل والنحل هو أول اختلاف وقع في الاسلام وقال ابن تيمية في كتاب الرد على الرافضة لا يخفى
ان عمر رضي الله تعالى عنه ثبت من فضله وعلمه مالم يثبت لغيره وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم ان
يكن في أمتي محدث فعمر وقصة هذا الكتاب قد جاءت مفصلة في الصحيحين عن عائشة رضي الله تعالى
عنها انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لها في مرضه ادعي لي أباك وأخاك حتى أكتب كتابا فاني أخاف ان
يتمنى متمن ويقول قائل انا أولى بالخلافة ويابى الله والمؤمنون الا أبا بكر وقد اشتبه على عمر رضي الله عنه
قوله هذا هل كان من شدة المرض أم لا والانبياء عليهم الصلاة والسلام غير معصومين عن اعراض المرض
ولذا عبر بالرجل وقال اهجر ولم يجزم بانه هجر وعلم ان الكتاب لا يرفع الشك واما قول ابن عباس رضي الله
تعالى عنهما الرزية الخ فلان الحائل عنه رزية في حق من شك ومن توهم انه خلافة علي كرم الله تعالى
وجهه فهو ضال والحاضرون جماعة يجيء منهم جحده ولو كتب فلذا تركه لتحقق ما فيه عنده انتهى
وحديث اختلاف أمتي رحمة لم يثبت وهو ماول أيضا والصحابة رضي الله تعالى عنهم عند الاختلاف
مجتهدون في ادراك الوقائع والاتفاق أولى على كل حال وقد يؤدي الخلاف الى ما لا ينبغي قيل والحق

واختلاف الآراء والهرج
وغلبة الروم وتخريب
الكعبة وغير ذلك مما
وقع أكثره وبقي مالا بد من
وقوعه وبكونه امانا
لاصحابه (قيل من البدع)
فلم يكن منهم من ارتكب
بدعة بشهادة حديث
أصحابي كالنجوم بايهم
اقتديتم اهتديتم (وقيل
من الاختلاف والفتن)
قال الدلجي وفيه ما فيه
لكن الزمنا الكف عما
جرى بينهم بصدوره منهم
اجتهادا بتاويلات صحيحة
للمصيب اجران على
اجتهاده واصابته
وللمخطئ أجر على اجتهاده
بشهادة حديث الشيخين
ان الحاكم اذا اجتهد
فاصاب فله اجران واذا
اجتهد فاخطا فله أجر
واحد انتهى وفيه ما فيه
لان ما جرى بينهم ما جرى
منهم الا بعد غيبته صلى
الله تعالى عليه وسلم عنهم
وارتفاع الامان منهم
وليس معنى قوله امان
لاصحابي انهم في امن من
الفتنة الى آخر اعمارهم
بل مقيد بمدة كونه فيهم
ولذا قال واذا ذهبت
أتى أصحابي ما يوعدون

ان

ان المجتهد اذا غفل وأخطأ فله أجر كما أنه اذا أصاب فله أجران ولا يضره خطاه بل ينفعه * أقول هذا وان اشتهر فقد قال ابن عبد السلام الحق خلافه والحديث الذى رواه عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنه أنه سمع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول اذا حكم الحاكم واجتهد وأصاب فله أجران وان حكم واجتهد ثم أخطأ فله أجر وقال ابن عبد البر فى كتاب العلم اختلف العلماء فى تاويل هذا الحديث فقال قوم لا يؤجر من أخطأ لان الخطأ لا يؤجر أحد عليه وحسبه أن يرفع عنه الاثم وردوا هذا الحديث بحديث بريدة رضى الله تعالى عنه القضاة ثلاثة وبقوله صلى الله تعالى عليه وسلم تجاوز الله لامتى عن خطاها ونسيانها وقوله تعالى (ليس عليكم جناح فيما أخطاتم به) ونحوه وقال آخرون يؤجر أجرا واحدا الظاهر الحديث وقال الشافعى يؤجر لا على الخطا لان الخطا فى الدين لم يؤمر به أحد وانما يؤجر لارادته الحق الذى أخطاه وسعيه فيه انتهى وهو معنى لطيف جمع بين القولين والفتن جمع فتنة وأصل معناها الاختيار فاطلقت على المصائب وما يختبر به والمراد بها الحروب والارتداد وكل ما جرى بعده صلى الله تعالى عليه وسلم بين الصحابة فهو عام ومناسبته للترجمة ودخوله فى ولايته له ظاهر (قال بعضهم الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم هو الامان الاعظم ما عاش وما دامت سنته باقية) فذاته الشريفة نفس الامان أو وجوده صلى الله تعالى عليه وسلم أمان من كل مكروه بالدفع والرفع فهو الامان لا غيره لتعريف الطرفين كما يشير اليه قوله تعالى (وأنت فيهم) وسنته طريقته التى شرعها ومنها الاستغفار ولذا فسر عامر وبقاؤها ببقاء نوعها والعمل بمثلها (فهو باق) الضمير للامان أو للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم لان بقاء شرعه كبقائه فيكون الامان الاعظم كالباقى لتنزيل بقاء سنته منزلة بقائه كما يشير اليه قوله تعالى (وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) وهذا مبنى على أنه صلى الله تعالى عليه وسلم أمان للمؤمنين والكافرين كما مر ولذا كان أعظم وما فى الجملتين ظرفية مصدرية والثانية معطوفة على الاولى وقيل هو ركيك وكأنه جعل الثانية شرطية وجملة الشرط معطوفة على ما قبله أى ان دامت السنة فالرسول وأمانه باق كما بينه بقوله (فاذا أميتت سنته فانتظروا البلاء والفتن) وفى بعض النسخ فانتظر مفردا باعتبار المخاطب وان كان الحكم عاما ومعنى أميتت بصيغة المجهول تركت على الاستعارة أى لم يعمل بها ولم يحرص الناس على تعلمها بان غلب فيهم ذلك لا الترك بالكلية فانه من أشراط الساعة والبلاء بفتح الباء وبالمد المصائب كالطاعون والظلم والفتن محاربة الناس بعضهم بعضا كما مر نسال الله تعالى العفو والعافية وليسا مترادفين كما قاله التلمسانى وفى كون الاستغفار قائما مقام الامان الاعظم دون غيره سر لم ينبه عليه فتنبه (وقال الله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبى الآية) انما ذكر هذا هنا لدلالته على عظم شانه وتولى الله أموره وسياتى الكلام مفصلا فى الصلاة فى الباب المعقود لها (أبان الله تعالى) أظهر أو فصله عن غيره (فضل نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم بصلاته عليه ثم بصلاة ملائكته) ثم للتراخى الرتبى أو الذكرى بجعل مقصيه كما فصل فى قوله تعالى (ذلك الكتاب) قيل وفيه اشارة الى اختيار أحد القولين فى الضمير فى قوله (يصلون) انه لله والملائكة كما تقدم (وأمر عباده) أمر مصدر مجرور بعطفه على صلاته أو فعل معطوف على ابان كما صححه البرهان لا على فضل بتقدير أن المصدرية لانه تكلف من غير داع والمراد بعباده المؤمنون المكلفون أو الاعم بناء على أن الكفار مخاطبون بفروع الشريعة وكون الامر للوجوب أو الندب سياتى وعباد جمع عبد وله جموع كثيرة تزيد على عشرين جمع ابن مالك رحمه الله غالبها فى شعره المشهور

عباد عبيد جمع عبد واعبد * اعابد معبوداء معبدة عبد
كذلك عبدان وعبدان أثبتا * كذلك العبدا وامددان شئت ان تمد

(قال بعضهم الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم هو الامان الاعظم) أى لا غيره وان كان أصحابه أيضا أمانا (ما عاش وما دامت سنته) المستمرة المعتادة له (باقية) أى ثابتة موجودة وهى بالنصب خبر دام وما شرطية جزاؤها قوله (فهو باق) أى فهو صلى الله تعالى عليه وسلم باق حكما لبقاء حكمه فى أمته (فاذا أميتت سنته) أى عدمت وفنيت وتركت ولم يعمل بها أو عمل بخلافها (فانتظر البلاء والفتن) الخطاب عام لما فى نسخة فانتظروا البلاء وكان الاولى أن يقال فينتظر البلاء والفتن أى المحن الدنيوية والفتن الدينية وقيل المعنى فاذا أميتت سنته بموت أهلها فانتظروا البلاء والفتن بدليل حديث ان الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس ولكن يقبضه بقبض العلماء حتى اذا لم يبق عامل أو لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالا فافتوا بغير علم فضلوا وأضلوا (وقال الله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبى الآية) تقدم بعض الكلام عليها (أبان الله تعالى) أى أظهر وبين (فضل نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم بصلاته عليه) أى أولا تعظيما (ثم بصلاة ملائكته) أى ثانيا تكريما (وأمر عباده

بالصلاة والتسليم عليه) أي بقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما وفي نسخة وأمر عباده بالجر والاضافة عطفا على صلاته أي وبامر عباده بهما عليه ثانيا بان يقولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد الخ على ما ورد في حديث الصلاة أو بان يقولوا السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته كما في حديث التشهد وذلك يدل على وجوب الصلاة والسلام عليه في الجملة كلما ذكر لحديث رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي فدخل النار فابعده الله وجوز الصلاة على غير ملك ونبي تبعا ويكره استقلالا لكونها في العرف شعارا لذكر الانبياء عليهم الصلاة والسلام ومن ثمة كره أن يقول محمد عز وجل وان كان عزيزا جليلا وقيل

المراد بالتسليم هو الانقياد لاوامره (فالصلاة) أي مطلقا (من الملائكة ومنا) أي بني آدم (له دعاء) لحديث اذا دعي أحدكم الى طعام فليجب وان كان صائما فليصل أي فليدع ووقع في شرح الدلجي من الملائكة استغفار وهو الملائم لقوله ويستغفرون للذين آمنوا والظاهر أن الاستغفار على ظاهره وقوله تعالى ويستغفرون لمن في الارض عام أريد به خصوص المؤمنين اذ لا يجوز الاستغفار للكافرين الا بقصد طلب ايمانهم المستلزم استحقاق المغفرة في شأنهم وقال الدلجي أي بسعيهم فيما يستدعي المغفرة من شفاعة والهام وأعداد الاسباب المقربة الى الطاعة وذلك في الجملة يعم المؤمن والكافر وحيث خص به صلى الله تعالى عليه وسلم فالمراد به السعي فيما يليق بجنابه (ومن الله تعالى رحمة) أي رحمة عظيمة أو رحمة خاصة جسيمة والمراد من الرحمة الاحسان وهي به وارادة الانعام لاستحالة معناها الذي هو رقة القلب في حق الرب سبحانه وتعالى (وقيل يصلون) أي معناه (يباركون) من البركة كثرة الخير أي يكاثرونه ويزايدونه عليه ذكره الدلجي والظاهر أن معنى يباركون يدعون له بالبركة في ذاته وصفاته وأهل بيته وأتباعه من أمته وحيث كانت المغايرة ظاهرة بين الصلاة والبركة قال المصنف (وقد فرق النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حين علم) أي أصحابه (الصلاة عليه بين لفظ الصلاة والبركة) في حديث قد أمرنا أن نصلي عليك فكيف نصلي عليك فقال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد والاظهر أن يراد بقوله يصلون يعظمون ويثنون عليه ليشمل جميع الالفاظ الواردة التي من جملتها الترحم ونحوه (وسنذكر حكم

وزاد عليه بعض أصحابنا فقال

جموع عبد عبود واعبد اعبد * أعابد عبد عبدون عبدان
عبد عبدى ومعبودا ومدهما * عبدة عبدا عباد عبدان
عبيدا عبدة عباد معبدة * معابد وعبيدون العبدان

(بالصلاة والتسليم عليه) صلى الله تعالى عليه وسلم وسيأتي تفصيل معناهما فله صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك الفضل على غيره وقد قيل عليه ان المؤمنين شاركوه في مجرد صلاة الله وملائكته لقوله تعالى هو الذي يصلي عليكم وملائكته وفي الحديث مثله كثير كحديث ان الله وملائكته يصلون على ميامن الصفوف وقد ذكر أن الآية الاولى لما نزلت قال أبو بكر يا رسول الله ما أعطاك الله من خير الا أشركنا فيه فما بالك لم تشركنا في هذا الخير فنزلت هذه الآية فاذا كان نزول هذه بعد الاولى ظهر فضله صلى الله تعالى عليه وسلم على غيره بها حيث نزلت أولا من غير مزاحم فيها مع التأكيد بان والاسمية وفي تمييزه بجمع ما ذكر وأيضا المضارع يدل على الاستمرار التجددي في حقه دونهم فيظهر الاختصاص وعن الامام الرازي ان صلاة الملائكة على المؤمنين بطريق التبعية لصلاته تعالى عليهم لتأخر ذكرها وصلاتهم عليه بطريق الاصالة ففي الآية الاولى تفضيل له على غيره كما اذا قيل يدخل فلان وفلان فانه يدل على تقديم الاول بخلاف فلان وفلان يدخلان وأورد عليه أن الواو لمطلق الجمع بلا ترتيب في أي الركنين كانت وأما قول أبي حنيفة رحمه الله تعالى من قال لغير مدخول بها ان دخلت الدار فأنت طالق واحدة وواحدة تقع واحدة بخلاف أنت طالق واحدة وواحدة ان دخلت الدار حيث يقع ثنتان فليس مبنيا على أن الواو للترتيب بل لان المعلق بالشرط كالمنجز عند وقوعه وهو لو نجز الاول حقيقة لم يقع الثاني فكذا اذا صار كالمنجز حكما بخلاف ما اذا أخر الشرط لان صدر الكلام توقف على آخره لوجود المغير في آخره فكان في حكم البيان كما بين في محله وليس النبي صلى الله تعالى عليه وسلم داخلا تحت المخاطبين بالآية الثانية ليقال انه لما ميز بالصلاة عليه من بينهم وعمهم دل ذلك التمييز دلالة واضحة على ترجيحه فيها كاحب القوم وأحب زيدا بتقديم الاول أو تأخيره لان المخاطبين بها المؤمنون خاصة بقرينة السياق انتهى * أقول القول ما قالت حذام فان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مخصوص بالصلاة عليه استقلالا منا كما صرح به الفقهاء باسرهم أما من الله ورسوله فيجوز استقلالا وتبعا لانه تعالى لا يسأل عما يفعل والصلاة حق النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فله أن يعطيه من شاء مع ان الصلاة عليه رحمة وتعظيم مخصوص به والصلاة على غيره مطلق الرحمة والمثال الذي ذكره الامام مأخذه لما قاله أبو حنيفة بعينه وليس هذا من الواو كما نظيره في قصة الخطيب ففعله تعالى وأمره لنا أمر مخصوص

به فلا حاجة لما ذكر من الحزيرة ان في بصيرته نورا من الله وخص المؤمنين بالتسليم المؤكد لبيان لزوم رعاية التعظيم من الامة في حقه لانه صلى الله تعالى عليه وسلم المنقذ لهم من الضلال وافتقارهم له ولانعامه أكثر من غيرهم والمراد التسليم من النقائص التي عصمه الله تعالى منها ولم يسندها له غير البشر الذين هم من نوعهم وخصه بالتاكيد وتنوين التعظيم أي تسليما عظيما تعريضا بمن لم يسلم وقيل لان المراد تسليما لا كتسليم غيره من الامة والصلاة ليست مما يشاركه فيها الامة فيفهم منها التعظيم في نفسها من غير تاكيد أو لان التسليم لم يثبت لله والملائكة فهو في معرض المساهلة في الجملة وهو كلام حسن (وقد حكى أبو بكر بن فورك) بفاء مضمومة وواو ساكنة وراء مهملة وكاف عربية وهو لفظ اختلف فيه فقيل انه عربي وفور بمعنى فار فالكاف اما زائدة فيه كما قالوا في هندي هندكي أو للتصغير فان العرب اذا صغروا ألحقوا آخر الاسم كافا ورد بان فور بمعنى فار لم يسمع من العرب والثابت في اللغة فور جمع فائر بمعنى الظبي والذي في اللغة الفارسية انه بمعنى لون التراب قالوا فورخاك رنك وفي شرح النخبة انه ممنوع من الصرف لان الكاف اداة تصغير في الفارسية قيل وليس هذا علة تمنع الصرف لان شرط العجمة كونه علما في العجمية قبل استعماله وليس كذلك انما الشرط ان لا تستعمله العرب الا علما كقالون على ما فيه وقيل فور عربي فلا ينقلب بلحوق الكاف أعجميا * أقول اللفظ العربي اذا غيروه وعجموه بالحاق اداة من ادواتهم ولم يستعمل الا علما فالظاهر انه يصير أعجميا ممنوعا من الصرف كبابك فانه في الاصل بابا بمعنى أب فصغر بالكاف على قاعدتهم المذكورة وقد استعمل ممنوعا في شعر أبي تمام ولا عبرة بالتردد فيه ولا جعله كماهك كما في بعض حواشي المطول وفي حواشي الفاضل الحفيد على المطول بابك والد عبد الصمد الشاعر المشهور ممنوع من الصرف وقيل مبني على السكون انتهى والبناء وهم لا يعتد به وفي حواشي البرهان الحلبي هو مصروف بضبط القلم في النسخ المصححة والظاهر انه ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة وهو محمد بن الحسن الاصبهاني الامام الجليل والبحر الذي لا يجارى فقها ونحوا وأصولا وكلاما مع جلالة وورع زائد وقد امتحن في الدين وجرت له مناظرات أدت الى عزله ومات مسموما شهيدا في الطريق لما عاد من غزنة سنة ست وأربعمائة ونقل الى نيسابور ودفن بها وقبره يزار ويستجاب عنده الدعاء وهو شافعي المذهب قال التلمساني انتهى الى ان يكلمه الملك في اليقظة وقوله وقد حكى الى قوله الآتي الى يوم القيامة لم يثبت في الاصل الذي عليه خط المصنف وثبت في الاصل المروي عن أبي العباس العزفي انتهى وفي حواشي الكمال بن أبي شريف على النخبة انه فارسي مصغر غير منصرف ومعناه فور تصغير فار لان الكاف عندهم للتصغير وجعل في العجم علما لكن في القاموس ان لفظ فور علم له ولم يعده من العجمي كما هو عادته قيل وهو يدل على ان التفخيم بادخال الكاف بعد العلمية ولذا قيل انه تفخيم غير معتبر وفيه نظر (ان بعض العلماء رحمهم الله تعالى تأول قوله عليه الصلاة والسلام وجعلت قرة عيني في الصلاة على هذا) والحديث حبب الي من دنياكم ثلاث النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة وفي اثبات لفظ ثلاث ومعنى الحديث كلام سيجيء والمقصود هنا ان بعض العلماء فسر الصلاة هنا بالدعاء والمعروف انه الصلاة الشرعية ذات الركوع والسجود لما فيها من المناجات والمعارف وكشف الاسرار (أي في صلاة الله على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وملائكته وأمره الامة بذلك الى يوم القيامة) ذلك اشارة الى الصلاة المذكورة في الآية وذكره لتأويله بالمذكور أو الدعاء ودوامه الى يوم القيامة بدوام أمته ولعدم نسخه والى متعلقه بالامر ويجوز تعلقه به وبما قبله على التنازع وانما غياه بما ذكر لعدم التكليف في الآخرة والمراد بالقيامة معناها المعروف أو خراب الدنيا وكون الى بمعنى مع تكلف وخص ذلك قيل لاندراج كل فضيلة فيه والآية تدل على تجدد الرحمة وكثرتها على ما يليق بمقامه عليه الصلاة والسلام (والصلاة من الملائكة ومنا له دعاء)

(وقد حكى أبو بكر بن فورك) بضم الفاء وفتح الراء وهو غير منصرف للعلمية والعجمة وقيل منصرف هو امام جليل فقها وأصولا وكلاما ونحوا ووعظا مع جلالة وورع زائد ومهابة وهو أصبهاني ومات شهيدا بالسم في سنة ست وأربعمائة ونقل الى نيسابور ودفن بها قال ابن عبد الغفار يستجاب الدعاء عنده (ان بعض العلماء تاول) أي فسر (قوله عليه السلام وجعلت قرة عيني في الصلاة على هذا) أي على هذا المعنى (أي في صلاة الله علي وملائكته وأمره الامة بذلك) أي بالصلاة عليه كما في نسخة (الى يوم القيامة) واعلم ان قوله وقد حكى الى هنا لم يثبت في الاصل الذي هو خط المؤلف القاضي وثبت في الاصل المروي عن أبي العباس العزفي ثم اعلم ان القرة بمعنى السرور والفرحة وأصلها من القر بمعنى البرد يقال أقر الله عينه أي أبرد الله دمعته لان دمعة الفرح باردة ودمعة الحزن حارة ثم أكثر الاقوال وأظهرها انها الصلاة الشرعية لما فيها من المناجاة وكشف المعارف وشرح الصدور وسياتي الكلام بعد ان شاء الله تعالى

وفى نسخة من الملائكة استغفار ومنادعاء وهو الذى اشتهر عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ومافى هذه النسخة سياتى وهما مشتركان فى انهما دعاء ومعنى الاستغفار وتخصيصه بالملائكة سياتى تحقيقه والمراد من قوله منا بنو آدم المكلفون كما قيل (ومن الله رحمة) انعام ولطف أو ثناء وتعظيم (وقيل) معنى (يصلون يباركون) أى يعطيه الله البركة والملائكة يطلبونها له والبركة النمو والخير الكثير أو الدائم من برك البعير أو من بركة الماء كما حققه فى الكشف وأشار بقوله (و) قد (فرق) بتخفيف الراء ويجوز تشديدها ان لم نقل ان المخفف يختص بالمعانى والمشدد بالاجسام كما قاله القرافى أى ميز وفصل (النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حين علم) بتشديد اللام أصحابه رضى الله تعالى عنهم (بين لفظ الصلاة والبركة) فى حديث قد أمرنا أن نصلى عليك فكيف نصلى فقال صلى الله تعالى عليه وسلم قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم فى العالمين انك حميد مجيد أو حيث عطف أحدهما على الآخر فى حديث آخر فقال صليت وباركت والظاهر ان مراده الاول اشارة الى اعتراض على هذا القول ولا يخفى ان المغايرة بينهما بحسب المفهوم لاتنافى تفسيره به وعطفه عليه وان كان الاصل ذلك وسياتى تتمة هذا (وسنذكر حكم الصلاة عليه) من الوجوب والكيفية وغير ذلك وفى نسخة (صلى الله تعالى عليه وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين) والمراد التابيد أى الى يوم القيامة لظهور أمر الدين فيه أو الجزاء عليه أو خضوع كل أحد له فالغاية غير مرادة وقيل هى للكثرة كقوله ملء السموات والارض (وذكر بعض المتكلمين) أى المفسرين بدليل قوله (فى تفسير حروف كهيعص) والجار والمجرور متعلق بذكر أو بالمتكلمين وليس المراد به المتسمين بعلم الكلام كما قيل لعدم مناسبته هنا (ان الكاف من كاف) أى حرف من اسمه تعالى الكافى ولم يقل من الكفاية كما قال فيما بعده مع انه المناسب لتفسيره بقوله (أى كفاية الله لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم) وعبارته لاتخلو من اضطراب فانه اكتفاء بحرف من الكلمة على طريق الرمز والاشارة اليها وأما من كاف الذى هو اسم له أو من الكفاية التى هى صفته وما قيل من انه يميل الى انه اشارة الى اسم الله باعتبار الصفة ولم يقل الهاء من الهادى ونحوه وهو المراد بالاكتفاء الاول أو انه أراد الاشارة الا ما وقع فى القرآن والذى فيه فى الاول اسم الله وفى الثانى نسبة الصفة الى الله فذكر على نهج ما ورد * أقول هذا كلام من فر من المطر فوقف تحت الميزاب أما الاول فلان الاشارة الى الاسم باعتبار الصفة تكلف لاداعى له وهو غير صحيح فى الصاد التى هى اشارة الى الصادمن مصلى أو صلاته عليه الآتى اذ ليس من أسمائه المصلى وأما الثانى فغفلة عن قوله تعالى فسيكفيكهم الله ونحوه والذى يظهر انه أراد ان كل حرف مقتطع من صفة من صفات الافعال وانها باعتبار تعلقها به لا مطلقا وانه لما ذكره أولا باسم من أسمائه الحسنى تبركا به وبيانا لوجه تقديمه لانه أهمها وأعمها فسره بما ذكره لئلا يتوهم جريانه فيما بعده فانه المنقول فيما سياتى وان المراد اثبات معناه للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم لانه منادى ولانه مقتضى ما عقد له الفصل فتدبر فالكاف من كاف والمعنى أنه كاف له عما سواه كقوله تعالى يا أيها النبى حسبك الله واليه أشار بقوله أى كفاية الله كائنة منه لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم وسكت عن الباقى لظهوره فالحروف منتزعة من صفات مشتقة لا من مبادى اسمها كما توهم ولا يشترط فى الحرف أن يكون من أول الاسم وهذا مروى فى بعض التفاسير عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ومثله لا يقال بالرأى فقول بعض الشراح ان هذا لا ينبغى فان الحروف لاتدل على غير مسماها ولم تكن الكاف من كريم أو كبير وهذا من بدع التفاسير كما فى الكشاف وفى هذه الحروف أقوال أخر أحدها انه من المتشابه الذى لا يعلمه الا الله وقيل انها أسماء للسور أو القرآن فيه نظر والعجب انه بعدما أنكر

(وذكر بعض المتكلمين) أى من المفسرين (فى تفسير حروف كهيعص) أى انها ماخوذة من كفاية الله وهدايته وتاييده وعصمته وصلاته عليه فزعم (ان الكاف من كافى) اسم فاعل من كفى يكفى (أى كفاية الله تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام

ما

(قال) أي الله سبحانه وتعالى (أليس الله بكاف عبده) واستفهامه لانكار النفي مبالغة في اثبات كفايته له والمراد بعبده عبده الخاص وهو محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فالاضافة شخصية أو المراد به الفرد الاكمل والاضافة للجنس أو المراد جميع عباده أو خواصهم من أنبيائه وأوليائه وينصره قراءة حمزة والكسائي عباده بلفظ الجمع وهو صلى الله تعالى عليه وسلم يدخل فيهم دخولا أوليا وقيل في الكاف اشارة الى أنه الكافي في الانعام والانتقام لعموم الانام وقيل الكاف اشارة الى انه الكاتب على نفسه الرحمة (والهاء) بالنصب ويجوز رفعه (هدايته له) أي هداية الله لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم وكان الانسب ان يقال والهاء من هادى أي هدايته له (قال ويهديك صراطا مستقيما) أي يدلك بلطفه الى طريق دينه أو الى تبليغ الرسالة واقامة مراسم الرياسة (والياء تاييده له قال وايدك بنصره) أي قواك بنصرته على أعدائك والاولى ان يقال الياء اشارة الى قوله تعالى يد الله فوق أيديهم أو ايماء الى يسر المنحة بعد عسر المحنة أو الى يده المبسوطة بالرحمة على نبي هذه الامة اصالة وعلى اتباعه تبعية لئلا يرد عليه ماذكره المنحاتي من ان صاحب هذا القول ان أراد ان هذه حروف أخذت من أوائل هذه المصادر على ما تقدم من اقتصار العرب على أول حرف من الكلمة فان لفظ التاييد ينقض عليه لان فاءه همزة لا ياء وانما الياء عينها وان أراد انها أحرف أخذت من هذه المصادر سواء كان كل حرف منها فاء الكلمة أو عينها فهو قول خارج عن القياس الصناعي (والعين عصمته له قال الله تعالى والله يعصمك من الناس) أو اشارة الى علمه بحاله في سره وجهره قال عز وعلا والله عليم بذات الصدور

ماهنا نقل قولا بانها أسماء الله وقيل انها بيان لمدة هذه الامة أو بعضها وقد نقل علماء الحرف لها خواص كما في حيوة الحيوان منها ان من خاف سلطانا أو ظالما عقد أصابع يده اليمنى بكهيعص يبدؤ بابهامها واليسرى بحمعسق يبدأ بخنصرها ثم يقرأ في نفسه سورة الفيل ويكرر لفظ ترميهم عشر مرات يفتح في كل مرة أصبعا من أصابعه المعقوة يامن شره قال وهو عجيب مجرب انتهى (قال) الله في كتابه الكريم (أليس الله بكاف عبده) فسر عبده بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم ويحتمل العموم بدليل انه قرئ عباده فيدخل النبي بالطريق الاولى والاستفهام انكارى للمبالغة في اثبات الكفاية ويحتمل ان يراد غيره والمعنى انه اذا كفى غيره من العباد كيف لا يكفيه صلى الله تعالى عليه وسلم (والهاء هدايته له) لم يقل من هدايته لانه يعين ان الهاء من هاد لاثبات هدايته له وما قيل انه لم يقل من هدايته تفننا ولئلا يتعين الاكتفاء ببعض الكلمة لا وجه له وكذا ما قيل انه بتقدير مبتدأ ومضاف أي الكاف والهاء رمز كفايته والكاف من كفايته لا من كاف فيتدافع كلاماه والجواب بانها اذا كانت رمز الكاف كانت رمز الكفاية في ضمنه (قال ويهديك صراطا مستقيما) من الدين الاكمل والصلاح أو يعينك على ذلك وقيل يهدى بك (والياء تاييده له قال الله تعالى وايدك بنصره) التلاوة ليس فيها واو والضمير في تاييده لله وفي له للرسول صلى الله عليه وسلم وفي نسخة تاييده بدون له والضمير يحتمل عوده لله وللرسول صلى الله تعالى عليه وسلم والتاييد التقوية والاعانة على أعدائه وبالادلة والمعجزات والملائكة ونصره على أعدائه وفي اللباب لم يرو عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما في الثاني ووجه بانه لم يات في أسماء الله ما أوله باء وقد علمت ان حرف الرمز لا يلزم ان يكون أولا وقد نقل هو ان الياء من حكيم والقول بانها من يمين وهم لانه ليس اسما لله وأما قوله تعالى والسموات مطويات بيمينه فلا شاهد فيه والاضافة تاباه وعندى ان هذا مما لا ينبغى ذكره (والعين عصمته له قال الله تعالى والله يعصمك من الناس) أي يحفظك من كيدهم ومكرهم ويمنعك من اذاهم وهو وعد ممن لا يخلف الميعاد وقد كان له صلى الله تعالى عليه وسلم حرس فلما نزلت قال لهم انصرفوا فان الله يحرسني والقول بان معنى الآية انه يحفظه عن الذنوب من بين سائر الناس تكلف وان كان صلى الله تعالى عليه وسلم مصونا عنها كما سياتى وفي زاد المسير * فان قلت كيف ضمان العصمة له صلى الله تعالى عليه وسلم وقد شج جبينه وكسرت رباعيته وبولغ في أذاه * قلت انما عصم صلى الله تعالى عليه وسلم عن القتل والاسر لا عن عوارض الاذى أو هذه الآية نزلت بعدما جرى عليه لان المائدة من آخر ما نزل كما في الشرح الجديد ويأتى له مزيد بيان أقول هذا بناء على ان هذه الآية مدنية والعصمة بعد الهجرة وهو المشهور وذكر خاتمة المحققين الامام الخيضرى في خصائصه وهو كتاب لم يصنف مثله ما حاصله ان وجوب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر واجب عليه صلى الله تعالى عليه وسلم من أول أمره الى آخره واستدلوا عليه بان الله وعده بالعصمة فكيف يكون هذا بالمدينة وكون هذه الآية مدنية فيه بحث لانه وان اشتهر يرده ما رواه ابن أبي حاتم في تفسيره عن جابر رضى الله تعالى عنه انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان اذا خرج بعث معه أبو طالب من يكلؤه حتى نزل والله يعصمك من الناس فذهب ليبعث معه فقال صلى الله تعالى عليه وسلم يا عم ان الله قد عصمني لا حاجة الى من تبعث وروى مثله الطبراني عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وفيه انه قال لابي طالب ان الله قد عصمني من الجن والانس وهذان الحديثان يدلان على ان الآية نزلت بمكة في أول الامر وفي الصحيحين عن عائشة

(والصادصلاته عليه قال الله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبى) أى يثنون شانه ويعظمون برهانه أوايماءالى اسمه الصادق
فى وعده والصبور فى وعيده ثم ٢٦٨ اعلم ان أوائل السور على القول المعتبر من المتشابه الذى لا يعلم حقيقته والمراد به الاالله سبحانه
وتعالى وقيل اشارة للاعجاز بالقرآن وقيل اشارة لاسماءالله وقيل لاسماءرسوله وقيل بيان لمدة الامة المحمدية وجملة ذلك ثلاثون سنة ومائتان وأربعة آلاف وان أسقط المكرر فتسعمائة وثلاثة وهو الاقرب لان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بعث فى الالف السابعة وروى جعفر بن عبدالواحد القاضى حديثا رفعه ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان أحسنت أمتى فبقاؤها يوم من أيام الآخرة وان أساءت فنصف يوم وذلك خمسمائة وروى ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال الدنيا سبعة آلاف سنة بعثت فى آخرها الفا وهو ضعيف وروى موقوفا عن ابن عباس رضى الله عنهما الدنيا سبعة أيام كل يوم منها ألف سنة وبعث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى آخر يوم منها ويدل على قوله صلى الله تعالى عليه وسلم بعثت أنا والساعة كهاتين يعنى الوسطى والسبابة وقد ورد عن على ابن أبى طالب كرم الله
وجهه انه كان يقول فى دعائه أغفرلى يا كهيعص فيحتمل ان يكون كهيعص عند على رضى الله تعالى (وقال
عنه اسماالله تعالى بجملتها ويحتمل ان يريد نداءالله سبحانه وتعالى بجميع أسمائه التى تضمنتها كهيعص من كاف وهاء ونحو ذلك

رضى الله تعالى عنها انها قالت أرق رسول الله ذات ليلة فقال ليت رجلا صالحا من أصحابى يحرسنى الليلة اذ سمعنا صوت السلاح فقال صلى الله تعالى عليه وسلم من هذا قال أنا سعد بن أبى وقاص جئت لاحرسك فنام صلى الله تعالى عليه وسلم حتى سمع غطيطه وروى الترمذى عن عائشة رضى الله تعالى عنها انه صلى الله عليه وسلم كان يحرس حتى نزلت هذه الآية فاخرج من القبة رأسه فقال لهم يا أيها الناس انصرفوا عنى فقد عصمنى الله قال الترمذى وهو حديث غريب رواه الحاكم فى المستدرك وقال صحيح الاسناد ولم يخرجاه وفى سنده من هو ضعيف الا ان له متابعات ولذا احتج به مسلم رحمه الله تعالى وهذا يدل على ان ذلك كان بالمدينة لان عائشة رضى الله تعالى عنها أخبرت عن مشاهدة وهى لم تكن معه صلى الله تعالى عليه وسلم بمكة فيحتاج الى الجمع بين الروايات وما فى الصحيح أولى لكنا نلتزم تاخير نزول الآية بالمدينة وندعى ان وجوب الانكار عليه كان داخلا فى عموم التشريع ثم انهم لم يبينوا اما المراد بالخوف هل هو من القتل أو أعم وظاهر كلامهم انه الاول فكان يحرسه أصحابه فى الفزع والخوف حتى هاجر الى المدينة وأمر بالقتال فانزل الله عليه آية العصمة مع أنا ندعى انه كان يعلم ذلك من غير هذه الآية وانما نزلت تطييبا لخاطره * فان قلت اذا كان صلى الله تعالى عليه وسلم يعلم ان الله عصمه من أعدائه وأمنه من كيدهم وشرهم فما باله اختفى بالغار اذ اخرج من مكة وما باله كان يحرس ويلبس الدروع وما باله كسرت رباعيته وشج وجهه ونحوه بعد نزول الآية * قلت كان ذلك تشريعا لامته ليقتدوا به صلى الله تعالى عليه وسلم فيما ليس من خصائصه مع ان فى ذلك حكما لطيفة فاختفاؤه فى الغار خوفا على الصديق رضى الله تعالى عنه لا على نفسه كما يدل عليه قوله تعالى اذ يقول لصاحبه لا تحزن فاعلم أبا بكر به تطييبا لخاطره وليظهر له من المعجزات ما يعلم به غيره وانه هو لا يحتاج لزيادة علم كخروجه والكفار يرصدونه ونثر التراب عليهم ولو خرج ظاهر الظن انه لحماية بعض قومه فاريدان لا يكون لاحد عليه منة واحتراسه للخوف على من عنده من أهله واظهار اعتماده على أصحابه وأماناتهم ولبس اللامة ليرهب الاعداء ويظهر ان عنده عدة وسلاحا الظن بعض الكفار انهم فقراء تحدثا بنعمة الله وأما كسر رباعيته صلى الله عليه وسلم وشجته فبيانا لما فطره الله عليه من العدل لعلم الله انه يصيب المؤمنين باحد مصاب عظيم فجعل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم مشاركا لهم فى ذلك ليحصل أجره له وتسليتهم بمصيبته وعصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام لها معنيان أحدهما حفظه من الناس بما ذكر والثانى صونه عن ارتكاب الذنوب كما سياتى فان قلت هل يجوز طلب العصمة بالمعنى الثانى لاحد غير النبى صلى الله تعالى عليه وسلم * قلت قال شيخ والدى ابن حجر الهيثمى فى شرح العباب اختلف الفقهاء فيها فقيل يجوز لقول مالك والشافعى نسال الله تعالى العصمة وقال الشاذلى فى حزب البحر اسئلك العصمة فى الحركات والسكنات وفى حديث أخرجه النسائى ليقل من دخل المسجد اللهم اعصمنى من الشيطان وقيل يمتنع لاستحالته والحق ما قاله بعض المتاخرين انه ان قصد التوقى عن جميع المعاصى والرذائل فى جميع الاحوال امتنع لانه سؤال مقام النبوة وان قصد التحفظ من الشيطان والتحصن من افعال السوء فهذا لا باس به انتهى وفيه نظر فى حالة الاطلاق ثم رأيت شيخنا ابن قاسم بعد نقله لذلك واستوجهه اه قال ويبقى الكلام فى حالة الاطلاق والمتجه عندى الجواز لعدم تعينه للمحذور واحتماله الوجه الجائز وفى كلام مشايخ الصوفية كما رأيته يقال فى النبى معصوم وفى غيره محفوظ وكانه تادب منهم (والصادصلاته عليه قال الله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبى) قيل المراد الاخبار عن هذه الامور أو القسم بهذه الامور أو القسم بهذه الصفات وهذا التفسير وأمثاله ليس على الحتم ولا احتمال محض فما قيل من انه غير واجب التسليم لا طائل تحته فتامل

(وقال الله تعالى وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه أى وليه) تظاهرا عليه بالتشديد والتخفيف بمعنى يتعاونا ويتناصرا والخطاب لعائشة وحفصة أما المؤمنين رضى الله تعالى عنهما على الاصح أو عائشة وسودة أم المؤمنين رضى الله تعالى عنهما أى تتفقا فى أمر يسوءه عن افشاء السر أو شدة غيرة النساء أو أمر النفقة فلن يعدم من يعينه والله يعينه الا ٓية أى اقرأها لتتم بقوله تعالى (وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير) والولى والمولى المعين والناصر وتعريف الطرفين والضمير يفيد الحصر أى لا مولى له حقيقة سواه وماذكر بعده وان كان لا يعتمد على غير الله بناء على الظاهر تطييبا لخاطره وتطمينا لقلبه واظهار الفضل والشرف وجبريل مبتدأ وظهير خبر عنه وما بينهما عطف عليه أو هو وصالح عطف على الله والملائكة مبتدأ خبره ظهير وأفرده بجعل من ذكر لاتفاقهم على ذلك كالواحد أو لانه اسم جمع كطفلا فى قوله تعالى يخرجكم طفلا أو لان فعيلا قد يقع للواحد وغيره كما فى قوله

*ان العواذل ليس لى بامير * ويترتب على ذلك الوقف على مولاه أو المؤمنين أو ظهير وقد اختار كل واحد منها جماعة من القراء والوجه الاول وذلك اشارة للتصر والتظاهر أو لله وسبب نزول هذه الا ٓية انه صلى الله تعالى عليه وسلم دخل على حفصة رضى الله تعالى عنها فى نوبتها فخرجت لحاجة لها فارسل صلى الله تعالى عليه وسلم لمارية جاريته فاتته فواقعها فلما رجعت حفصة رضى الله تعالى عنها علمت بذلك فغضبت وبكت وقالت أمالى حرمة عندك فقال صلى الله تعالى عليه وسلم ليرضيها انها حرام على بعد اليوم وحلف أن لا يقربها وأخبرها أن الخليفة بعده أبوها وأبو عائشة وقال لها لا تخبرى أحدا بهذه القصة فلما خرج صلى الله تعالى عليه وسلم من عندها أخبرت عائشة بالقصة وقالت أراحنا الله من مارية وكان بينهما مصادقة وتظاهر فانزل الله هذه الا ٓية أى ان تتوبا الى الله * من ايذائه وحب ما يكره تحقق بذلك ميل قلوبكما عن الحق على حد قوله تعالى ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل فى جنس التاويل دون شخصه لان مضمون الشرط فيه محقق بمضمون الجزاء فيما نحن فيه محقق له ضرورة أن التوبة عن الذنب محققة فان كان الميل الى الحق لم يحتج الى هذا التاويل (وصالح المؤمنين قيل الانبياء عليهم الصلاة والسلام) هذا مروى عن قتادة *فان قلت الصلاح انما يوصف به آحاد الامة دون الانبياء عليهم الصلاة والسلام *قلت لما فطن بهذا بعض المفسرين قال الصفة قد تذكر لمدح الموصوف وقد يقصد مدح الصفة نفسها بمدح العظماء بها كما هنا فكأنه قيل الصلاح صفة عظيمة فى نفسها الا انها انما يوصف بها الانبياء عليهم الصلاة والسلام وهذا كما قال حسان رضى الله تعالى عنه

ما ان مدحت محمدا بمقالتى ۰ لكن مدحت مقالتى بمحمد

وخالفهم السبكى رحمه الله تعالى فى فتاويه فقال الصلاح من أبلغ الصفات واذا أردت معرفة ذلك فانظر الحديث فى مدح القلب بانه مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله الى آخره فصلاح القلب بالايمان والعرفان والاحوال وصلاح الجسد بالطاعة والخلق تتفاوت فى ذلك تفاوتا كبيرا فصلاح العبد بصلاح قلبه وبدنه على قدر مقامه وهى صفة ذاتية تفضل الله بها وما سواها من النبوة والرسالة وغيرهما ناشئ عنها فلذا كانت أعظم الصفات وقوله من قال الصالح من قام بحق الله تعالى وحق العباد كلام اجمالى لازم له وانما السر فى المعنى الذى ابتنى عليه ذلك وهى صفة حقيقية أودعها الله تعالى فى العبد بها تنال سعادة الدارين وصلاح كل أحد بحسب صلاح حاله فاعظم الصلاح صلاح محمد صلى الله تعالى عليه وسلم انتهى (وقيل الملائكة) رواه القرطبى عن أبى زيد قال السيد عيسى رحمه الله هذا بعيد والعطف للتفسير أو للتغاير بالمفهوم خلاف الظاهر ولك أن تقول المراد خواص الملائكة كاسرافيل وحملة العرش والمراد بالملائكة بعده بقيتهم أو جميعهم وذكر للتعميم بعد التخصيص وتعبيره عنهم بصالح المؤمنين قرينة على

(وقال الله تعالى وان تظاهرا) وقرأ الكوفيون بالتخفيف والخطاب لعائشة وحفصة رضى الله تعالى عنهما أى وان تتعاونا (عليه) أى على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بالمكر والحيلة فى قضية مارية والغل لديه وبسائر ما يسوءه فانه لن يضره ولن يعدم من ينصره (فان الله هو مولاه الا ٓية أى وليه) يعنى ناصره ومتوليه فيما أولاه (وجبريل) هو رسول الحق اليه يعينه فيما هو عليه (وصالح المؤمنين قيل الانبياء) يعنى والمرسلون (وقيل الملائكة) أى المقربون فيكون تعميما بعد تخصيص لكن فيه انه يتكرر مع قوله تعالى والملائكة بعد ذلك ظهير أى متظاهرون عليه

(وقيل أبو بكر وعمر رضي الله تعالى عنهم أجمعين) أي وأمثالهما من أكابر الصحابة لما ذكر الماوردي انهم أصحاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (وقيل علي رضي الله تعالى عنه) أي ونحوه من أهل البيت وأقاربه (وقيل المؤمنون) أي جميعهم (على ظاهره) بناء على أن كل مؤمن بظاهره صالح والاظهر أن يقال المراد وصالح المؤمنين من الانبياء والمرسلين والملائكة المقربين والخلفاء الراشدين وسائر الصحابة من السابقين واللاحقين والتابعين لهم باحسان الى يوم الدين وصالح بغير واو وهو مفرد أو جمع حذف منه الواو لفظا فحذف رسما وأما تعليل التلمساني بقوله وسره دلالة السرعة في النصرة لانه مدة الواو تفيد مدا او بعدا ولا كذلك حذفها فهو في غاية البعد هذا وان صح حديث ابن مسعود ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال هم أبو بكر وعمر كان بينة صدق لكونهما المراد به في القول الصدق أو ذكرهما مثلا والمراد به أمثالهما والله تعالى أعلم بكتابه ورسوله ببيان خطابه وقد ورد عن علي بن أبي طالب كرم الله تعالى وجهه انه كان يقول في دعائه اغفر لي بالكهيعص كما سبق ثم اعلم أنه ورد في صحيح البخاري أن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال مكثت أريد أن أسأل عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه عن آية سنة فما أستطيع أن أسأله هيبة له حتى خرج حاجا فخرجت معه فلما رجعنا وكنا ببعض الطريق عدل الى الاراك لحاجة له فوقفت له حتى فرغ ثم سرت معه فقلت له يا أمير المؤمنين من اللتان تظاهرتا على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من أزواجه قال تلك حفصة وعائشة رضي الله تعالى عنهما قال فقلت والله اني كنت لاريد أن أسألك عن هذا منذ سنة فما أستطيع هيبة لك قال فلا تفعل ما ظننت أن عندي منه علما فاسألني فان كان لي علم أخبرتك به هذا أو ذهبت طائفة من العلماء الى أن ذلك كان في قضية مارية القبطية وذلك أن المقوقس أهداها الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سرية فلما كان في بعض الايام وهو يوم حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنهما جاء رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مارية فواقعها فعلمت حفصة فوجدتهما فاقامت خارج البيت حتى أخرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مارية وذهبت فدخلت حفصة غير متغيرة فقالت يا رسول الله أما كان في نسائك أهون عليك مني أفي بيتي وفراشي فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مترضيا لها أيرضيك أن أحرمها فقالت نعم قال فاني قد حرمتها ثم قال لا تخبري بهذا أحدا وخرج عنها فقرعت الجدار الذي بينها وبين عائشة وأخبرتها بذلك لسرورها ولم تر في افشائه لها حرجا واستكتمتها ولاية ذلك فنزلت الآية وهي قوله تعالى واذ أسر النبي الى بعض أزواجه حديثا الى قوله تعالى وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه واختلفوا هل حرمها بيمين أولا على قولين فقال قتادة والحسن والشعبي حرمها بيمين وقال غيرهم لم يحرمها بيمين ويروى ذلك عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وذهبت طائفة الى أن تظاهرهما عليه انما كان في قصة شربه صلى الله تعالى عليه وسلم العسل في بيت زينب بنت جحش وذلك أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان يمكث عندها فتسقيه عسلا قالت عائشة رضي الله تعالى عنها فتواطأت أو قالت فتواصيت أنا وحفصة على أن أيتنا دخل عليها النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فلتقل اني أجد منك ريح مغافير أو أكلت مغافير وهو شجر كريه الرائحة فدخل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم على احداهما فقالت له ذلك فقال بل شربت عسلا عند زينب بنت جحش ولن أعود له واستكتمتها ذلك فاخبرت به عائشة فنزلت يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك يعني العسل لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم ولن أعود له الى قوله سبحانه ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما وان تظاهرا عليه الآية والوجه الاول هو قول أكثر العلماء وروى مرسلا عن زيد بن أسلم من طرق صحاح رواه ابن وهب عن مالك رضي الله تعالى عنه قال حرم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أم ابراهيم رضي الله تعالى عنهما فقال هي حرام فانزل الله في ذلك سورة التحريم وأما الوجه الثاني فيه تواردت

ذلك ظاهر وكان الحامل له على ذلك توسطه بين جبريل والملائكة فانه أخفى مما استبعده اذ مقتضى الظاهر أن يقول جبريل والملائكة وصالح المؤمنين (وقيل أبو بكر وعمر) رواه القرطبي والثعلبي عن عكرمة وابن جبير مرفوعا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وزاد بعضهم عثمان رضي الله تعالى عنه ووجه التخصيص على الاول انهما أبو زوجتيه اللتين أمر لهما مامر فمن قال انه دعوى بلا بينة لم يصب يعني انهما ان تظاهرا فابواهما أشفق الناس عليهما الا معهما وهذا تفسير منقول عن النبي صلى الله عليه وسلم كما رواه من ذكر وكذا رواه ابن مسعود رضي الله عنه وقيل هم الصحابة وقيل الخلفاء وصالح المؤمنين يحتمل أن يكون مفردا في معنى الجمع لعموم الاضافة أو اسم جمع كحاضر وسامر او جمع مذكر سالم تقديره صالحو المؤمنين حذفت واوه لالتقاء الساكنين وكون حذفها للدلالة على سرعة النصرة لما في الواو من المد والبعد بعيد جدا والمراد صالح هم المؤمنون على ان الاضافة بيانية أو الصالح منهم الاصلح الذين تولاهم الله وأعانهم فتولوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ونصروه (وقيل علي) كرم الله وجهه وفي نسخة (رضي الله تعالى عنهم أجمعين) وهذا التفسير رواه أيضا القرطبي والثعلبي عنه صلى الله عليه وسلم قيل ولا منافاة بين الاحاديث لانه لم يرد الحصر وان كان بعيدا (وقيل المؤمنون) كلهم بناء (على ظاهره) المتبادر من لفظه من غير مانع واختاره الامام الرازي رحمه الله والآية دالة على

الأحاديث الصحيحة وأخرجه البخاري عن عبيد بن عمير عن عائشة رضي الله تعالى عنها بنحو ما سبق وقال فيه انه شرب عند زينب عسلا كما تقدم وجاء في صحيح مسلم انه شربه عند حفصة وان اللتين تظاهرتا عليه هما عائشة وسودة رضي الله تعالى عنهن وأكثر المحدثين على ما في البخاري والله سبحانه وتعالى أعلم

(الفصل التاسع)

(فيما تضمنته سورة الفتح من كراماته صلى الله تعالى عليه وسلم) اعلم ان سورة الفتح نزلت على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم منصرفه من الحديبية سنة ست من الهجرة وهو متوجه الى المدينة فهي على هذا في حكم المدني وقد قيل بل نزلت بالمدينة ولعل بعضها انزل بها وقد ثبت في فضلها حديث لقد أنزل الله على سورة هي أحب الي مما طلعت عليه الشمس أي شمس الوجود (قال الله تعالى انا فتحنا) أي بعظمتنا (لك) أي لا لغيرك أولاجلك (فتحا مبينا) أي ظاهرا (الى قوله يد الله فوق أيديهم) ومعناه قوله سبحانه وتعالى وهو القاهر فوق عباده وكثير من السلف وبعض الخلف على ان الله سبحانه وتعالى يدا لا بمعنى الجارحة بل انها صفة له تعالى على وجه يليق بذاته وكذا قالوا في الاستواء وسائر آيات المتشابه وأحاديث الصفات ثم ما بينهما سيأتي مبينا وفي أثناء الكلام معينا وقد اختلف في هذا الفتح فقال كثير ان هذا هو ما اتفق له صلى الله تعالى عليه وسلم في طريق

الحديبية من التيسير واللطف وذلك ان المشركين كانوا اذذاك أقوى من المسلمين فيسر الله سبحانه أن وقعت بينه وبينهم المصالحة ريثما يتقوى صلى الله تعالى عليه وسلم واتفق له بعد ذلك بيعة الرضوان وهي الفتح الاعظم واستقبل صلى الله تعالى عليه وسلم فتح خيبر فامتلأت أيدي أصحابه خيرا ولم يشترك فيه مع أهل الحديبية أحد ممن تخلف منهم ثم ما وقع في ذلك الوقت من الملحمة التي كانت بين الروم وفارس فظهرت فيها الروم وكان ذلك فتحا لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأصحابه لانهضام شوكة الكفر العظمى ولانه صلى الله تعالى عليه وسلم علم كونه فتحا له من سورة الروم فكانت هذه كلها من جهة الفتح الذي جاءت الآية مفصحة عليه وقد ذكر ابن عقبة انه لما كان صلح الحديبية ونزلت الآية قال رجال من أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والله ما هذا بفتح لقد صددنا عن البيت وصد هدينا فبلغ ذلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال بئس الكلام هذا بل هو أعظم الفتوح قد رضي المشركون ان يدفعوكم بالرواح عن بلادهم ويرغبوا اليكم في الامان وقد رأوا منكم ما كرهوا وأظفركم الله عليهم وردكم سالمين ماجورين وهو أعظم الفتوح فقال المسلمون صدق الله ورسوله هو أعظم الفتوح يارسول الله وأنت أعلم بالله وبامره منا وذهب بعض المفسرين الى ان الفتح في الآية انما هو اشارة الى فتح مكة فمعنى فتحنا على هذا قضينا وقدرنا والاظهر ان فتح الحديبية كان سببا لفتح مكة وذهب بعضهم الى ان الفتح في الآية انما هو الهداية الى الاسلام أي على الوجه العام ومال الزجاج اليه واستحسنه لامكان الجمع بالحمل عليه قال المصنف

ولاية الله له بنصره وتسخير القلوب له الذي هو من مقاصد هذا الفصل

(الفصل التاسع فيما تضمنته سورة الفتح من كراماته صلى الله تعالى عليه وسلم) تقدم الكلام في تطبيق التراجم والكرامة ما أكرمه الله به من اعزازه وتعظيمه وقد يخص بما يكون خارقا للعادة والفرق بينهما وبين المعجزة سيأتي والفتح أصله ازالة الغلق في المحسوسات ثم أستعير لتيسير الامور معنوية كانت أوحسية كفتح الله بالمال وفتح البلاد ومكة وشاع حتى صار حقيقة عرفية فيه والسورة مدنية بالاتفاق وهذا ينافي كونها نزلت بالحديبية لان المراد بالمدني ما نزل بعد الهجرة على أحد الاقوال وقيل لاخلاف بين تفاسير الفتح فمن فسره بفتح مكة اقتصر على المقصود والمراد فتح مكة وما كان وسيلة له كقصة الحديبية ومن فسره بالحديث بالحديبية سماه فتحا لانه وسيلة لما بعده من الفتوح فاندرج غيره فيه بطريق الاشارة وفي سبب نزولها قولان أحدهما انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما كان بالحديبية حيل بينه وبين دخول مكة وعسر ذلك على الصحابة رضي الله تعالى عنهم نزلت وعدا له صلى الله تعالى عليه وسلم بفتحها ودخولها وعبر عنه بالماضي على عادة الله عزوجل في اخباره لتحققها وفيه من الفخامة والدلالة على شان علمه مالا يخفى وهذا هو مشهور والثاني انه كما رواه عطاء عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لما انزل عليه صلى الله تعالى عليه وسلم وما أدري ما يفعل بي ولا بكم قالت اليهود كيف نتبع من لا يدري ما يفعل الله به فاشتد ذلك عليه صلى الله تعالى عليه وسلم فنزلت بيانا لما يؤل اليه أمره في الدنيا والآخرة (قال الله تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا الى قوله يد الله فوق أيديهم) تقدم ان الفتح ازالة الغلق والاشكال حسيا كان أومعنويا والمراد منه النصر على العدو وقيل المراد

(تضمنت هذه الآيات) أى الواردة فى صدر السورة (من فضله) أى من جملة فضائله (والثناء عليه وكريم منزلته عند الله تعالى ونعمته لديه ما) أى الذى أوشيا (يقصر الوصف عن الانتهاء اليه) أى لقصور احاطة العلم به (فابتدأ جل جلاله باعلامه) أى باعلام الله نبيه (بما قضاه له من القضاء البين) أى بما حكم له وقدر من الفتح المبين حيث قال انافتحنالك فتحامبينا أى اناقضينا لك على أهل مكة ان تدخلها من قابل عام الحديبية (بظهوره وغلبته على عدوه وعلو كلمته وشريعته) أى طريقته وفى نسخة شيعته أى أمته بعد صدهم عنها وهذا قول آخر للمفسرين مغاير لما سبق من وجه أو هو وعد بفتح مكة كما تقدم وعبر بالماضى لتحققه أو بما اتفق له بعد نزولها كفتح خيبر وفدك أو بما ظهر له فى الحديبية من آية عظيمة وهى ان ماءها نضب فلم يبق بها قطرة فتمضمض ثم مج فيها فدرت ماء حتى رووا كلهم (وانه) عطف على اعلامه أى وبانه صلى الله تعالى عليه وسلم (مغفور له غير مؤاخذ) بالهمز ويبدل واوا وهو تاكيد لما قبله لتضمنه معناه (بما كان وما يكون) حيث قال ليغفر لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر والمعنى لو كان لك ذنب قديم أوحديث لغفرناه لك ولا يكون على هذا اثبات لوقوع الذنب ثم غفرانه خلافا لما يتوهم من كلام المصنف

ما فتحه الله عليه من العلوم الالهية والهداية الدينية التى هى سبب لنيل أعلى المقامات المحمودة والثواب الجزيل ولذا اعقبه بقوله ليغفر الخ ولا يخفى انه مخالف لسبب النزول المشهور وما عليه الاكثر من انه صلح الحديبية وما تضمنه من احاطة المشركين بهم وسماعهم كلاما حتى اشتمالهم كان سببا لاسلام كثير منهم وسألوهم الصلح والامان وروى أحمد باسناد قوى ان عمر رضى الله تعالى عنه قال أو فتح هذا يا رسول الله قال نعم والذى نفسى بيده انه لفتح وروى بل هو أعظم الفتوح وقال الفراء الفتح قد يكون صلحا وقد كان الصلح مع المشركين متعذرا ففتحه الله وعن أنس رضى الله تعالى عنه انه فتح مكة وقيل خيبر * قيل وليت شعرى لم قدمه القاضى * قلت قدمه لانه المعنى الحقيقى للفتح مع ما فيه من البلاغة والفخامة التى أشار اليها وان حمل الفتح على المقدر أو معنى شامل للماضى والمستقبل بعموم المجاز شمل كل فتح وحصل التوفيق بين الاحاديث اذ لم يقصد الحصر (تضمنت هذه الآيات) أى وقع فى ضمنها أو دلت (من فضله) أى فضل الله وانعامه أو فضيلة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم (والثناء عليه وكريم منزلته عند الله تعالى ونعمته لديه) أى نعمة الله لدى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (ما يقصر الوصف) بضم الصاد المهملة والتخفيف وفيه استعارة تمثيلية شبه الوصف بحبل مد ونحوه ليتوصل به اليه فلم يف به لكثرته أو بعده فلذا قال (عن الانتهاء اليه) أى بلوغه أو الوصول لنهايته لتعذر تفصيله وقصور الاجمال عن اداء حقه (فابتدأ جل جلاله) السورة (باعلامه بما قضاه له) اعلام مصدر مضاف لفاعله أى الله تعالى أو مفعوله وهو النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قيل فيه اشارة الى ان الفتح السابق من الفتاحة بالضم وهى القضاء كما فى قوله تعالى ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق أى احكم ومنه الفتاح للقاضى والقضاء الحكم الازلى أو الكتابة فى اللوح أو القدر والاظهار للعيان (من القضاء البين) أى المقضى الظاهر الذى لا يشتبه (بظهوره وغلبته على عدوه) الظاهر تعلقه بالبين وغلبته معطوف عليه ولا حاجة لجعله عطف تفسير ولا لجعل بظهوره بدل من بما قضاه أى أعلمه بظهوره كل الظهور وبينه أكمل تبيين وعلى عدوه تنازع فيه الظهور والغلبة والعدو جميع الكفار أو مشركو امكة (وعلو كلمته) المراد بكلمته كلمة التوحيد والنبوة التى أتى بها صلى الله تعالى عليه وسلم وأمر بقبولها والانقياد لما يتعلق بها من التكاليف لنفاذها وعلوها بما أسقط ما عداها عن درجة الاعتبار أو المراد كل ما أتى به من أمر ونهى وغيره وعلى الاول أضافها له لانه الذى أصدرها وشهرها وان كانت كلمة الله فى الحقيقة وايثار الكلمة على الكلام لعلم غيرها بالطريق الاولى (وشريعته) علوها بالانقياد لها واجراء أحكامها وتذليل من أنكرها بالجزية وغيرها ونسخ ما عداها من الشرائع وليس فى كلام المصنف رحمه الله ما يقتضى كون المراد بالفتح فتح مكة كما قيل وان كان من فسره بالقضاء حمله على ذلك فلزمه مخالفة الحديث وكأنه مال الى التعميم الشامل لما وقع وما سيقع (وانه مغفور له غير مؤاخذ بما كان وما يكون) أى اعلامه صلى الله تعالى عليه وسلم بانه مغفور له الى آخره بقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر والمغفرة من الغفر وهو الستر وهو والعفو متقاربان كما مر والمؤاخذة من الاخذ قال فى المصباح أخذه بذنبه عاقبه عليه وآخذه بالمد مؤاخذة والامر منه آخذه بمد الهمزة وتبدل واوا فى لغة اليمن فيقال وأخذه ما آخذة كذلك وقرئ به فى السبعة والامر منه وأخذا انتهى فعبارة المصنف رحمه الله تعالى بالواو والهمزة وليس المراد بمؤاخذته معاقبته لانه لم يصدر عنه صلى الله تعالى عليه وسلم ما يقتضيها لانه معصوم بل عتابه على بعض ما صدر منه مما هو بالنسبة لعلى مقامه كالذنب ومن قال المراد ما تقدم من ذنبه قبل النبوة وما تاخر

بعدها

بعدها من الصغائر فهو مبنى على تجويزها على الانبياء عليهم الصلاة والسلام ومن لم يجوزها قال انه للمبالغة كما يقال أعطى من رآه ومن لم يره وهو الذى ندين الله به ونعتقده (قال بعضهم أراد غفران ماوقع ومالم يقع) أى مما يصح ان يعاتب عليه كما فى قوله تعالى لعلك باخع نفسك وعبس وتولى ان جاءه الاعمى أو انه لو وقع منك ذنب أى ذنب كان غفر وهذه مرتبة عظيمة جدا وقال السيد سنح لى معنى بديع وهو ان العبد لا يأتى بما يليق بجلال كبريائه ولذا قيل سبحانك ماعبدناك حق عبادتك وهذا قصور بالنسبة لكمال القرب ذنب مجازى مبالغة فى التخويف ثم شرفه بما لم يحم حول الفكر وهو ستر ذلك القصور بعد عبادته عبادة لائقة بجلاله وأى مرتبة فوق هذه المرتبة ولا يبعد عد مثله قصور التشريفه فانه تعالى لكمال حكمته جعل أعمالا اخاقها بقدرته ذنوبا ممن هو مضطر فى صورة مختار وله ان يعاقب عليها وان لم يفعل ونحوه قول التجانى الظاهر ان هذه وردت مورد التشريف له صلى الله تعالى عليه وسلم بهذا الحكم كما يقال لمن يراد أظهار محبته لو كان لك ذنب قديم أو حديث غفرناه ولم يرد اثبات ذنب له ولا مغفرة * أقول قد سنح لى ما هو أحسن من هذا وهو ان المغفرة لما كان معناها الستر المقتضى لعدم الرؤية أريد منه لازمه وهو انه لا ذنب لك يرى أى لا ذنب لك أصلا اذ لو كان لرئى على نهج قوله * ولا ترى الضب بها ينجحر * ويؤيده ان المتأخر لا وجود له وقد سوى بين المتقدم والمتأخر ففيه أشارة الى انتفائهما كما فى قوله تعالى اذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ولما كان التقدم يوهم التحقق قدم الذنب وقرنه به مبادرة لنفيه بمغفرته والمراد بالمتقدم والمتأخر ماقبل النبوة ومابعدها أوما قبل الفتح وبعده أو قبل نزول الآية (أى انك مغفور لك) كأنه أراد بتفسيره هذا ان التقدم والتأخر عبارة عن عموم المغفرة ودوامها (وقال مكى) رحمه الله تعالى تقدمت ترجمته (جعل الله المنة سببا للمغفرة) اختلف أهل المعقول والمنقول فى الفرق بين السبب والعلة فقيل انهما سواء وقيل بينهما فرق عند النحاة واللغويين ولذا قال ابن مالك الباء للسببية والتعليل وعليه أكثر عباراتهم فالسبب ماتتوصل به والعلة مايدور على التأثير فى أمر آخر ومثلوا للسببية بقوله تعالى فاخرج به من الثمرات رزقا لكم وللعلة بقوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا وفرقوا بينهما وبين الاستعانة واما أهل الشرع فعندهم السبب والعلة يشتركان فى ترتب الامر عليهما ويفترقان بان السبب مايحصل الشئ عنده لا به والعلة مايحصل به فلذا قال الشاعر

ألم تر ان الشئ للشئ علة * يكون به كالنار تقدح للزند

واختار السمعانى ان السبب الموصل للشئ مع جواز المفارقة بينهما ولا أثر له فيه ولا فى تحصيله كالحبل للماء والعلة مايتأثر الشئ عنه بغير واسطة ويعبر عنها بالباعث وقد تحل اللام محلها كما فى القواعد للسبكى ووقع الخلاف فى أفعاله تعالى هل تعلل بالاغراض حقيقة أم لا فالمشهور انها لا تعلل وانما لها ثمرات وحكم تجعل عللا كما اختاره الجرجانى ولم يذكروا ذلك فى السببية فعدول المصنف رحمه الله عن التعبير بالعلة المذكورة فى التفاسير هنا كأنه بناء على الفرق بينهما فما وقع فى الشروح هنا من تفسيره بالتعليل غير مناسب والمراد بالمنة الامتنان أو النعمة التى هى الفتح أو قضاؤه ولما كان الفتح ناشئا عن جهده وسعيه مع ما يترتب عليه من الامور العظيمة صار سببا للمغفرة قيل ولا تكلف فيه لان ما يترتب على فعل العبد بلا واسطة بعد فعلا له عرفا وشرعا ما يثاب عليه بالمغفرة وعكسه كأنه قال اجرينا على يدك الفتح ليكون سببا للمغفرة وقيل عليه لا نسلم انه عد فعلا له اذ لم يقل انك فتحت ونحوه الآن يقال انه عد فعلا له وأبرزه فى صورة يستفاد منها انه فعله تعالى كما هو فى نفس الامر ومنهم من قال التقدير فاستغفر ليغفر الى آخره كما فى قوله تعالى اذا جاء نصر الله والفتح الى قوله فسبح بحمد ربك واستغفره والاسهل ان اللام

(قال بعضهم أراد غفران ماوقع ومالم يقع أى انك مغفور لك) أى مما يصح ان يعاتب عليه كما فى قوله تعالى لعلك باخع نفسك ان لا يكونوا مؤمنين عبس وتولى ان جاءه الاعمى والاظهر ان فى الآية ايماء الى ان العبد ولو وصل الى أعلى مرتبة المقدرة لم يحصل له استغناء عن المغفرة لقصور الاطوار البشرية فى القيام بحق العبودية على ما اقتضته الربوبية وقيل عد الاشتغال بالامور المباحة والتفكر بالهمة فى مهمات الامة سيئات من حيث انها غفلة عن مرتبة الحضرة فى الجملة ولذا قيل حسنات الابرار سيئات المقربين ثم قوله تعالى ليغفر لك الله علة للفتح من حيث انه مسبب عن جهاد الكفار والسعى فى اعلاء دينه وازاحة شرك الاغيار وتكميل النفوس الناقصة اجبارا واعتبارا ليصير ذلك بالتدريج اختيارا وتخليص الضعفة من أيدى الظلمة اختيارا (وقال مكى جعل الله المنة) أى العطية والامتنان بالفتح أو بالهداية الى الاسلام (سببا للمغفرة

يكون قضاء شيء من عنده
ويروى لا اله الا هو (منة)
أي عطية وامتنانا حال
أو مفعول مطلق (بعد
منة وفضلا بعد فضل ثم
قال) أي الله عز وجل
(ويتم نعمته عليك) أي
بجمعه لك النبوة والملك
وظهور دينك وفتح البلاد
عليك وغير ذلك ومنها
قوله (قيل بخضوع من
تكبر لك) متعلق بخضوع
والمعنى بتواضع من تكبر
عليك لاجلك بالانقياد لك
والخضوع والخشوع بين
يديك والتذلل اليك
وفي نسخة بخضوع من
تكبر عليك (وقيل
بفتح مكة والطائف)
أي واقبال أهلهما اليك
طوعا وكرها (وقيل برفع
ذكرك في الدنيا وينصرك
ويغفر لك) بصيغ الافعال
تفسير على وفق المفسر
وهو قوله ويتم وهو الاظهر
وقال التلمساني بباء
الجر وكلها مصادر ويجوز
الفعل وكذا قال الحجازي
ويروى برفع ذكرك
وبنصرك وغفر لك
بالموحدة وتنوين الاخير
انتهى وفيه ان الغفر
بمعنى المغفرة قليل
الاستعمال ثم هذه أقوال
تناولها عموم الآية
ولا مرجع لها فالاولى حملها
على عمومها ثم مجمل هذه الاقوال ومحصل هذه الاحوال ماذكره المصنف بقوله

للعاقبة ويحتمل كلام مكي على السبب والعلة المجازية لانها استعارة لما يشبه التعليل كما صرح به الزمخشري وصاحب المغني فقال لما كانت المغفرة نتيجة فتحه تعالى له الفتح المبين وثمرته شبهت بالداعي بناء على أن أفعاله لا تعلل بالاغراض وان أريد بالفتح القضاء فباعتبار ان المقضي فعله كانه قال قضينا بترتبه على فعلك لتثاب وقيل المعنى لتجتمع هذه الامور لك واجتماعها فرع تحقق الفتح فصح التعليل وهذا ما اختاره في الكشاف وفي شروحه هنا كلام طويل الذيل بيناه في حواشي البيضاوي أقول ما أورده ظاهر الدفع ولا حاجة لما تكلفه فانه ناشئ من عدم الفرق بين الفاعل اللغوي والفاعل الحقيقي فان الاول ينسب حقيقة لمن قام به أو باشره لا الى الله وان كان هو الفاعل في نفس الامر كما حققه الابهري في حواشي العضد وسيأتي الكلام عليه في الآية الآتية فاسناد الفتح بمعناه المتبادر والحقيقة ظاهرة وهو الذي بنى عليه القائل كلامه واليه أشار بقوله (وكل منهما) أي من المنة والمغفرة حاصل (من عنده لا اله غيره) فهو الذي سبب السبب وهداه له وأقدره عليه وفي نسخة لا اله الا هو وجعل الخلق والتأثير من خواص الالوهية المستلزمة له فنفي الملزوم لينتفي لازمه المساوي فهل من خالق غير الله ولذا جعل أحد الفعلين سببا للآخر لترتبه من غير تأثير للغير فلا دخل لتعليل الافعال فيه (منة) بالمغفرة أو بالفتح (بعد منة) بخلق السبب فيه وتيسيره عليه (وفضلا بعد فضل) أي تفضلا وانعاما بعد تفضل وانعام ان كانت المنة بمعنى الانعام فهو تفسير مؤكد لما قبله وقيل المنة بمعنى الامتنان من من بمعنى امتن كما قاله الجوهري (ثم قال ويتم نعمته عليك) عطف على قوله قال أولا ولا حاجة لتفسيره بأقول ثم أقول وعطفه بثم باعتبار آخر ماذكر أي ذكر هذه الآيات الى قوله عزيزا حكيما فعبر بالجزء عن الكل كقولك قرأت قل هو الله أحد وتريد السورة بتمامها كما قيل بقرينة قوله الآتي فاعلمه الى آخر المعطوف على قال عطف مفصل على مجمل ولولا هذا لم يف ماذكر بما فسره واقتصر على ماذكر لما اعترض بما يتضمن الخلاف في معناه الذي أشار اليه بقوله (قيل) في تفسيره (بخضوع من تكبر عليك) والجار الاول متعلق بتكبر والثاني بخضوع وسقط عليك من بعض النسخ والخضوع التذلل والانقياد ضد التكبر والتعظم (وقيل بفتح مكة والطائف) واد بقرب مكة كثير الفواكه والمياه كان به بلاد ثقيف سمي به لانها طافت على الماء في الطوفان أو لان جبريل عليه الصلاة والسلام طاف بها على البيت ونقلت من الشام الى الحجاز بدعوة ابراهيم عليه الصلاة والسلام أو لغير ذلك مما في القاموس وغيره وزاد بعضهم خيبر وقال الكرماني باعلاء دينك وقهر اعدائك وفتح البلاد على يدك وغير ذلك والتعميم أنسب بتتميم النعمة والمقام الا أن يقال التخصيص اقتصار على الاهم وتفسير فتح مكة بالحديبية لما وقع فيها مما كان سببا لفتحها خلاف الظاهر وقيل أيضا بالنبوة واعلاء دينه على سائر الاديان (وقيل برفع ذكرك في الدنيا وينصرك ويغفر لك) الثلاثة بصيغة المضارع المرفوع مصحح في النسخ المقروءة على ولد المصنف رحمهما الله تعالى وما في المقتفي من ان برفع بالباء الجارة المصدر المضاف لذكرك فيه ركاكة ومخالفة للرواية وخص الدنيا لان المذكور في الآية في أحوالها وان كان ذكره مرفوع أي مشهور في الدنيا والآخرة فلا حاجة لتقدير والعقبى كما قيل وقيل بانضمام الملك الى النبوة ولا حاجة لهذا التخصيص كما مر الا أن يكون صدر من مشكاة النبوة مع ان ذكر الملك مناف للمورد في الحديث الآتي من ان الله خيره بين ان يكون عبدا نبيا أو ملكا نبيا فاختار الاول ولنا فيه كلام سيأتي وما قيل من ان النصر وما بعده روي بمصدرين مجرورين مخالف للرواية والدراية كما مر مع تحريف يغفر لك بغفرك والغفر بمعنى المغفرة غير مستعمل كثيرا فان قلت هذا لا يناسب تفسير الاتمام لانهما مذكوران معه والغفران مقدم على الكل فلم قدم النصر عليه ورفع الذكر ليس له ذكر في النظم والافعال

فاعلمه أي الله سبحانه (بتمام نعمته عليه) الاولى باتمام نعمته أي باكمال انعامه واحسانه اليه (بخضوع متكبري عدوه له) الباء متعلق بنعمته أو بدل مما قبله أو بمعنى من البيانية له ولما بعده أي من تواضع أعدائه المتكبرين عليه سابقا غاية التواضع ولاحقا (وفتح أهم البلاد عليه) لان مكة كانت صقع المشركين وكانت العرب انما تنتظر بالاسلام مايكون من أهل مكة مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فان أسلموا أسلموا فكانت مكة لهذا المعنى أهم البلاد لان اسلام أهلها يستلزم اسلام جميع المشركين أو أكثرهم ولهذا كثر المسلمون بعد فتح مكة ودخلوا في دين الله أفواجا وفي نسخة اسنى البلاد أي أفضلها لكون القبلة فيها ومعدن النبوة بها وهي أم القرى ويتبعها ماحولها (وأحبها له) أي على الاطلاق وانما صارت المدينة أحب من سائر البلاد اليه بعد خروجه منها كما هو ظاهر حديث اللهم انك أخرجتني من أحب البقاع اليك فاسكنه المدينة كما أخرجه الحاكم في مستدركه الا أن في سنده عبد الله المقبري وهو ضعيف جدا فلا يصلح لاستدلال المالكية لافضلية المدينة ومما يدل على قول الجمهور في أفضلية مكة مارواه الزهري عن أبي سلمة عن عبد الله بن عدي الحمراء وفي رواية عن أبي هريرة يرفعه أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حين خرج الى الهجرة هو وأبو بكر رضي الله تعالى عنه وقف ينظر الى البيت ثم قال والله انك لاحب أرض الله الى وانك لاحب أرض الله الى الله ولولا أن أهلك أخرجوني ما خرجت وماجاء في حديث آخر عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال لمكة ما أطيبك من بلد وأحبك الى ولولا ان قومي أخرجوني منك ماسكنت غيرك فاندفع بهذا ماقيل من أن

على المختار هنا مرفوعة وفي الآية منصوبة فلا وجه العدول * قلت هذا تفسير لما تضمنه النظم من أوله الى قوله حكيما كما مر وليس المراد حكاية مافي القرآن حتى يلزمه نصبه ورفع الذكر والنصر معنى الفتح المبين لان الفتح العظيم فيه اشارة ذكره والنداء به وغاية النصرة له على أعدائه وأقربهم اليه وفيه من السعي مايقتضي المغفرة ومن هنا علم وجه آخر في كلامه وهو أن يكون ماذكره أولا توطئة لتفسير يتم وما بعده مفرع عليه لا تفسير له فما قيل في الجواب عما ذكر أن في الآية تعميما وتخصيصا والمراد بالاتمام جميع النعم فعد فيه ماذكر واستبعاده بانه يقتضي اعادته في قوله الآتي فاعلمه ثم قال المراد بالغفران ثوابه في الآخرة كما في المعالم وهو تفسير لقوله يهديك ولذا قدم النصر لتقدم وجوده تعسف بغير فائدة وكذا ماقيل من أنه رفع المنصوب لانه ليس مضمونه بل ماخوذ منه وانه من باب تسمع بالمعيدي وأصله بان يرفع الى آخره فحذف الباء وان ورفعه اشارة الى أن فتح الله له للهداية والمغفرة والنصر واتمام النعمة بالاخيرين ورفع الذكر ولو كان عين مضمونه كان تعميما بعد التخصيص ومثله كثير في الكلام البليغ وهذا مع تناقضه تكلف مما لا حاجة اليه ولولا ظن الغفلة طويناه وقلنا تسمع بالمعيدي خير من أن تراه (فاعلمه) في الفاء وجهان سمعتهما آنفا (بتمام نعمته عليه بخضوع متكبري عدوه له) مر أن الخضوع التذلل والانقياد ومتكبري جمع حذفت نونه للاضافة ومر أن العدو يكون بمعنى المفرد والجمع كما في قوله تعالى (فان كان من قوم عدو لكم) فالمعنى المتكبرين من أعداء الله أو أعداؤه المتكبرون وهم صناديد قريش كابي سفيان والمغيرة بن شعبة (وفتح أهم البلاد عليه وأحبها له) يعني مكة وأهم افعل تفضيل من الهم بمعنى العزيمة أو الحزن ويقال منهما اهم وأهم والمهم مايلزمك الاعتناء به وتقديمه على غيره قال

فقلت له هاتيك نعمى أتمها * ولا تبتئس ان المهم المقدم

فالمعنى ان فتحها مطلوب له صلى الله عليه وسلم مقدم على جميع الفتوح عنده لانها كانت ماوى المشركين وسادة العرب وجميع العرب ينتظرون اسلامهم وفتحها فاذا تم ذلك أسلموا فلذا دخلوا بعدها أفواجا أفواجا في الاسلام ولانهم أخرجوه صلى الله عليه وسلم والمسلمين منها فكان عودهم لها أقوى في اظهار شوكة الاسلام لدخولهم لها راغما على أنفهم وأيضا هي القبلة ومعبد الانبياء عليهم الصلاة والسلام فتطهيرها من الشرك والاصنام من أعظم المهمات ووقع مصحفا في بعض النسخ اسنى بسين مهملة ونون مقصور اما من السناء بمعنى الرفعة والشرف أو من السنا بمعنى الضوء والمراد أظهر وعلى هذا فهي بدل أهم ويحتمل على بعد أن يجمع معها أي أسنى أهم البلاد نحو زيدا عمل اعلم العلماء وعداه بعلى لما فيه من الصعوبة أو الوجوب وهي أحب البلاد اليه صلى الله تعالى عليه وسلم كما ورد في الحديث انك لاحب أرض الله الى لان الطباع السليمة مجبولة على حب الوطن فلا يلزم من هذا تفضيلها على المدينة حتى يرد على المصنف أنه مخالف لمذهبه كما سياتي كما في بعض الشروح لانه قد يكون في المفضول ماليس في الفاضل وفي بعض النسخ اليه مكان له وظاهر كلام الشراح كلهم أن النسختين بمعنى وهو مخالف لما قاله النحاة ان فعل التعجب وأفعل التفضيل اذا أخذا مما يفهم حبا أو بغضا يتعديان الى الفاعل بالى والى المفعول باللام فتقول ما أحبني اليه اذا كان هو المحب بكسر الحاء وما أحبني له اذا كنت تحبه وهذه المسئلة من مسائل الكتاب وقد فصلناها في السوانح فالظاهر هنا الى لان اللام محتاجة للتجوز بجعلها محبة له وهو خلاف الظاهر وما قيل من أن قوله فاعلمه الى آخره من قبيل

الاحب لا يعارض الافضل خصوصا بحسب الجبلة الطبيعية (ورفع ذكره) أى مما اشاعليه كله من نصره اياه على عدوه فعمومها شامل له بخصوصه وهو بالجر عطف على ماقبله وأما قوله (وهدايته الصراط المستقيم) وكذا مابعده فبالجر الا أنه عطف على تمام آى واعلمه بهدايته الى الصراط المستقيم أى بقوله ويهديك صراطا مستقيما وهو بالصاد والسين واشمام الزاى فى السبعة و بالزاى الخالصة فى الشاذة والهداية يتعدى

بنفسه تارة كقوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم وبالى أخرى كقوله تعالى وانك لتهدى الى صراط مستقيم و باللام أيضا ومنه قوله سبحانه وتعالى ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم (المبلغ الجنة والسعادة) بكسر اللام المشددة ويجوز تخفيفها نعت للصراط أى الموصل الى أسباب الجنة وأبواب السعادة وأصناف السيادة (ونصره النصر العزيز) بقوله تعالى وينصرك الله نصرا عزيزا أى نصرا غالبا قويا فيه عز ومنعة وقوة وشوكة ظاهرة وباطنة أو نصرا يعز به المنصور فوصف بوصفه للمبالغة وقال المنجانى عزيز فى هذه الآية بمعنى معز كأليم بمعنى مؤلم وحبيب بمعنى محب فنصر معز وهو المتضمن لغلبة العدو وقهره ونصر لا بهذه الصفة وهو المتضمن لدفع أذى العدو فقط (ومنته) أى واعلمه بامتنانه (على أمته المؤمنين بالسكينة) أى بانزال السكينة (والطمانينة) عطف تفسير وهو بضم أوله وبهمز ويسهل فيبدل مصدر اطمان سكن ويروى الطمانينة والسكينة وقيل السكينة هى الرحمة وقيل الوقار والرزانة وقيل الاخلاص والمعرفة (التى جعلها الله فى قلوبهم) بقوله تعالى هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم أى يقينا مع يقينهم برسوخ العقيدة أو ليزدادوا ايمانا بالشرائع المجددة اللاحقة مع ايمانهم بالاحكام المقررة السابقة لان حقيقة الايمان وهى التصديق غير قابلة للزيادة والنقصان عند أرباب التحقيق والله ولى التوفيق (وبشارتهم) بكسر الباء بمعنى ماسر به أى واعلمه ببشارة أمته (بما لهم) أى عند ربهم كما فى رواية (بعد) بضم الدال أى بعد حالهم

السياق

الحل البديعى تكلف (ورفع ذكره) بالجر أى ويرفع ذكره السابق واعترض عليه بانه لا قائل بارادة هذا المجموع من اتمام النعمة فلا اعلام بهذا المجموع عند أحد وان سلم صحته فلا يصح تفريعه على الخلاف الا أن تكون الواو بمعنى أو ويراد اعلام كل واحد على قول والاوجه انه اشارة الى جواز ارادة المجموع لثبوت الجميع وعموم اللفظ ووجه التفريع أنه لما صح الحمل على مافهم من الاول ولا مخصص فاللائق الحمل على جميعها انتهى وهو كلام حسن جدا (وهدايته) بالجر معطوف على التمام أو الخضوع اشارة الى أن ماذكر من التمام (الصراط المستقيم) وفى نسخة الى الصراط لانه يتعدى بنفسه وباللام والى (المبلغ) بتشديد اللام المكسورة (الى الجنة والسعادة) فى الدارين أو السعادة الكاملة فى الآخرة أى اعلمه بهدايته اياه لدين الاسلام المبلغ للجنة بتبليغ الطريق المستقيم المسلوك الى المطلوب أو بتبليغ الصراط المعهود وقال البيضاوى صراطا مستقيما فى تبليغ الرسالة واقامة مراسيم الرأسة ولا وجه للتخصيص بهما لا يقال حال المخاطب والمقام قرينة عليه لان التعميم أفيد وأبلغ وماذكر يندرج تحت العموم اندراجا أوليا فالاولى ما فى المدارك من قوله تثبتك على الدين المرضى فاندرجا فيه مع أمور أخر من وظائف العبودية والمعارف الالهية وانما فسر بالتثبيت لانه المترتب على الفتح دون أصل الهداية فانها حاصلة له قبله (ونصره النصر العزيز) بالجر مصدر والنصر مفعول مطلق له أو بدل منه والعزيز المعز لصاحبه أو جعله عزيزا فى نفسه لوصفه بوصف صاحبه أو المراد انه نفيس قليل النظير لا ذل بعده أو الغالب من قولهم فى المثل من عز بز قيل ليس قوله وهدايته وقوله ونصره عطفا على مابه تمام النعمة لان من جعل النصر منه جعل المغفرة منه أيضا فلو وافقه المصنف رحمه الله تعالى لذكرها مع النصر ولو مع زيادة ذكر الهداية اذ لا وجه لتبديلها بها كما لا وجه لكون وهدايته عطفا على مابه وقع اعلامه وكون ونصره عطفا على مابه تمام النعمة لفساد نظم العبارة عند العارف بأساليبها (ومنته) أى علمه بنعمته (على أمته المؤمنين بالسكينة والطمانينة) عطف تفسيرى لان السكينة لها معان منها الطمانينة والطمانينة مصدر أو اسم مصدر من اطمان اذا سكن قلبه بما يشرحه ويزيل رعبه (التى جعلها فى قلوبهم) يشير بذلك لقوله تعالى هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين يعنى ما كان فى صلح الحديبية من الامن بعد الخوف وعدم القتال فلم تنزعج قلوبهم بعدما كادت تزيغ لما صدهم المشركون عن البيت حتى قال عمر رضى الله تعالى عنه علام نعطى الدنية فى ديننا فقال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أنا عبد الله ورسوله لن أخالف أمره ولن يضيعنى فاوقع الله عز وجل الرضاء فى قلوب المؤمنين فسلموا وأطاعوا وهذه نعمة أخرى مختصة بالمؤمنين بعد ذكر النعم المتعلقة به صلى الله تعالى عليه وسلم زادتهم ايمانا بخفية ذلك وان المصلحة فيه وهذه الزيادة فى اليقين من نور أودعه الله فى قلوبهم به يعرف الصواب وسيأتى تفصيله فى الباب الثانى (وبشارتهم بما لهم بعد) ظرف مبنى على الضم أى تبشير المؤمنين بما لهم بعد ذلك أو بعد الحياة الدنيا من النعيم المخلد فى الجنة بقوله تعالى (ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات) الى آخره وفى نسخة عند ربهم واللام فى قوله ليدخل علة لما يستنبط من

(وفوزهم) أى نجاتهم وظفرهم (العظيم) أى فى مآلهم (والعفو عنهم) أى المحو لعيوبهم (والستر لذنوبهم) أى فيما جرى لهم والستر
بالفتح مصدر وبالكسر اسم بقوله تعالى ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ويكفر
عنهم سيئاتهم وكان ذلك عند الله فوزا عظيما واللام علة لما دل عليه قوله تعالى ولله جنود السموات والارض من التدبير وحسن التقدير أى دبر ما دبر من تسليط المؤمنين على الكافرين ليعرفوا نعمة ربهم ويشكروها فيدخلوا الجنة ويتنعموا بما فيها (وهلاك عدوه) أى أعداء النبى والمؤمنين (فى الدنيا والآخرة ولعنهم) أى طردهم (وبعدهم من رحمته وسوء منقلبهم) بفتح اللام أى قبح انقلابهم أى سوء مرجعهم ومصيرهم والمعنى انه أعلمه ذلك بقوله تعالى ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وظنهم هو ان لا ينصر الله رسوله والمؤمنين وعليهم دائرة ما ظنوه وتربصوه بالمؤمنين لا يتجاوزهم وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بضم السين فى دائرة السوء لا فى مطلق السوء على ما فى الجلالين وهما
لغتان (ثم قال) أى الله سبحانه وتعالى (انا أرسلناك شاهدا) أى مزكيا للاصفياء أو مشاهدا اللقاء فى مقام البقاء (ومبشرا) للمؤمنين الاحباء بما يحبونه (ونذيرا) للكافرين الاعداء بما يكرهونه وهى أحوال مقدرة وردت ببعض ما أوتيه مخبرة (الآية) كما سيأتى

السياق من أول السورة الى ههنا واليه أشار فى الكشاف بقوله وانما قضى ذلك ليعرف المؤمنون نعمة الله فيها فيستحقوا الثواب فيثيبهم ويعذب الكافرين بما غاظهم وخالفه البيضاوى فى التعلق دون العلية فقال علة لما دل عليه قوله تعالى ولله جنود السموات والارض من معنى التدبير أى دبر ما دبر من تسليط المؤمنين ليعرفوا نعمة الله فيشكروها فيدخلوا الجنة ويعذب الكفار والمنافقين لما غاظهم من ذلك واختاره لقرب ما يستنبط منه وعدم ظهور مدخلية بعض الامور المذكورة فيه أو هو علة لانزل وانما قالوا ما قالوا لئلا يتعلق حرفان بمعنى بمتعلق واحد فالظاهر ان القاضى انما عدل عنه لايهامه ما فر منه كما وقع فيه من قال انه متعلق بفتحنا الا أن يقال انه بدل من العلة الاولى وقيل لم يعطف لانه مستانف لانه نزل جوابا لقولهم هذا لك فما لنا فانزل الله ذلك أو للاشعار باستقلاله وفيه نظر وللمفسرين هنا كلام لا يسعه هذا المقام (وفوزهم العظيم) الفوز النجاة والظفر بالخير يعنى بذلك قوله تعالى وكان ذلك عند الله فوزا عظيما وذلك اشارة لدخول الجنة وتكفير السيئات المذكورين قبله لانهما منتهى الطلب وقد الفوز بدخول الجنة على التكفير فقال (والعفو عنهم والستر لذنوبهم) فى قوله تعالى ويكفر عنهم سيئاتهم مع انه بعد العفو لانه المقصود بالذات مع موافقة النظم وأشار بالستر الى معنى التكفير لانه حقيقته لغة ومنه الكفر لستره الايمان والحق ولذا سمى الليل كافرا لستر ظلمته وما أحسن قول ابن الفارض رحمه الله تعالى

فى طول ليل الهجر لى فيك أجر مجاهد * ان صح ان الليل كافر

وقيل تقديمه الفوز بنعيم الجنة لان الستر الكامل بتكميل الدرجات من غير نقص وهو لا يظهر الا فى الجنة فظهور التكفير بعد الدخول قيل ويحتمل ان يكون ذلك اشارة الى ثانى الامرين وان قرب لفظا لبعده درجة بالنسبة لعدمه أو لهما بتاويل ما ذكر ويؤيد الاول تفسير الفوز بالنجاة والتفصى من الشئ والثانى تفسيره بالظفر بالخير من طول السلامة وهو الملائم لقوله تعالى فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وفيه نظر وقدم المصنف رحمه الله تعالى الفوز مع تأخره فى النص والواقع لان المراد ما حصل من الامرين وقيل ذلك اشارة لمجرد الدخول وأشار بالبعيد لبعد رتبته لان الدخول اذا كان وحده فوزا فكيف مع العفو وهو معنى أنيق لم يذكروه لما فيه لان الدخول بغيره لا يصح (وهلاك عدوه) أى أعلمه الله بهلاك أعدائه بقوله تعالى ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء أى يعذب أهل النفاق والشرك كما يعم المؤمنين لظنهم بالله أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى أهليهم أبدا والمراد بالعذاب المذكور العذاب (فى الدنيا) بالقتل والخزى ونحوه (والآخرة) بجهنم والاول يعلم بالواقع وقوله تعالى عليهم دائرة السوء أى يحيط بهم ما ظنوه بالمؤمنين (ولعنهم) أصل معنى اللعن الطرد والبعد ثم خص كما أشار اليه بقوله (وبعدهم من رحمته) أى أعلمهم بلعنهم وبعدهم بقوله تعالى وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وساءت مصيرا أى انتقم الله تعالى منهم بابعادهم من رحمته وتهيئة جهنم التى هى أسوء مقر لهم (وسوء منقلبهم) بفتح اللام اسم مكان وقال الحلبى مصدر بمعنى الانقلاب والاول أولى لقوله وساءت مصيرا ولم يتعرض المصنف رحمه الله تعالى لذكر غضبه المذكور فى الآية لان لعنهم واعداد جهنم لهم يدل عليه والاولى ذكره لان الاطناب فى الابعاد أبلغ مع ما فيه من الاشارة الى أن عذابهم ليس لتطهيرهم وانما هو ناشئ من الغضب عليهم (لما قال) متعلق باعلمه وفى نسخة ثم قال (تبارك وتعالى * انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا * الآية) أحوال مقدرة للاعلام ببعض ما أوتيه صلى الله تعالى عليه وسلم والآية

(فعد) أى الله تعالى بذلك (محاسنه) أى فضائله الحسنة (وخصائصه من شهادته على أمته لنفسه بتبليغ الرسالة لهم) أى بخلاف سائر الانبياء فانه لا تقبل شهادتهم على أممهم لانفسهم بل يحتاجون الى أن هذه الامة يشهدون على الامم بتبليغ أنبيائهم

لهم كما تقدم بيانه (وقيل شاهدا) أى يشهد يوم القيامة (لهم بالتوحيد) أى بتوحيدهم لله (ومبشر الامته) أى ويبشرهم (بالثواب) أى فى دار النجاة (وقيل بالمغفرة) أى يبشر أحباءه بحسن المآب (ومنذرا عدوه) أى يخوف أعداءه (بالعذاب وقيل) أى فى معنى منذرا (محذرا) أى يحذر أمته (من الضلال) أى من أنواع الضلالة التى هى الكفر والفسق والبدعة (ليؤمن بالله) أى حق الايمان (ثم به) أى برسوله (من سبقت له من الله الحسنى) أى أى المنزلة الاسنى وهى الجنة العليا أو المثوبة الحسنى ويدل عليه قوله تعالى ليؤمنوا بالله ورسوله (ويعزروه) أى يمنعوه ويحرسوه من أعدائه (أى يجلونه) وهو من الاجلال أى يعظمونه واثبات النون بناء على أصله قبل دخول لام الامر على مفسره (وقيل ينصرونه) أى على عدوه فى الجهاد أو فى الاجتهاد فى نصرة دينه (وقيل يبالغون فى تعظيمه ويوقروه أى يعظمونه) الاظهر ان يقال يهابونه ويكرمونه ويخدمونه ويعدونه من أهل الوقار وقرأ بعضهم) أى من قراء الشواذ وقد نسب الى ابن عباس رضي الله تعالى عنهما

بالنصب أى اقرأ الآية متمما لها بقوله تعالى لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلا وهذا مبنى على أنها آية واحدة لا ثنتان لان ربط لتؤمنوا بانا أرسلناك يحسنه وان كان من ذهب الى غيره يقول انه لا ينافيه ألا ترى ان قوله تعالى وانكم لتمرون عليهم مصبحين آية تامة مع ربط قوله وبالليل به (فعد محاسنه) الفاء للتفصيل والمحاسن تقدمت فعطف فيه المفصل على المجمل (وخصائصه) فضائله التى اختص بها اختصاصا حقيقيا أو نسبيا (من شهادته على امته لنفسه) شهادة مقبولة لدعواه ومن بيانية وقيل ابتدائية لاستحالة كون ما بعدها مبينا لمحاسنه وخصائصه مع كثرتها وجعل قوله تعالى ومبشرا ونذيرا بتقدير وكونه مبشرا وكونه منذرا على العطف على شهادته تكلف فتدبر (بتبليغ الرسالة لهم) لا حاجة لتأويله باليهم لتعديه باللام (وقيل شاهدا لهم بالتوحيد) فالمراد بالامة المؤمنون وفيه كلام تقدم وفى بعض التفاسير شاهدا للامة بالقبول وعليهم بالانكار وللرسل عليهم الصلاة والسلام بالتبليغ وعلى أممهم بالجحد فعمم وهو أفيد (ومبشر الامته بالثواب) قيل انه معطوف على شهادته بتاويل كونه شاهدا ومبشرا والثواب قطعا على العمل الصالح ولو بعد دخول النار (وقيل بالمغفرة) والنجاة من النار أو العفو فى الجملة فيشمل الكل (ومنذرا عدوه بالعذاب) أى منذرا أعداءه الكفار والانذار معناه التخويف والتبشير بحسب الظاهر لامته المسلمين والانذار للكافرين وقد يعم كل منهما فيكون الانذار لكل من عصى وخالف الامر مؤمنا وكافرا والتبشير لكل من أطاع مؤمنا وكافرا فان للكافر تبشيرا معلقا كقوله تعالى ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وهذا يختلف باختلاف المقامات ولذا قيل فى قوله تعالى وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا انه على ظاهره من غير توزيع وان احتمله (وقيل) فى تفسيره قوله ونذيرا (محذرا من الضلال) قيل انه شامل للمؤمن والكافر لكن قوله تعالى (ليؤمن بالله ثم به صلى الله تعالى عليه وسلم من سبقت له من الله الحسنى) يا باه الا أن يفسر بيثبت ويدوم أو يزداد ويرقى فى ايمانه ولا حاجة اليه والتراخى زمانى ويجوز ان يكون رتبيا أو أعم منهما والحسنى الصفة الحسنى قيل المراد بها السعادة فى الدارين وقد فسرت بالجنة وبالبشارة بها وهذا أنسب بما هو بصدده من تفسير مبشرا ونذيرا والمراد بسبقها كونها مقدرة فى علمه الازلى ومن عبارة عن القوم روعى لفظه فافرد ضميره ومعناه فقال لتؤمنوا بالله ورسوله أى برسالته وبما جاء به وقرأ بالخطاب والغيبة فيه وفيما بعده من قوله وتعزروه الى آخره والخطاب له صلى الله تعالى عليه وسلم وللامة لانه كما يجب على الامة الايمان بالله وبه صلى الله تعالى عليه وسلم يجب عليه ذلك أولهم ففيه التفات أو نزل خطابه صلى الله تعالى عليه وسلم منزلة خطابهم (ويعزروه) براء مهملة بعد المعجمة وهو بصيغة الخطاب والغيبة فى القراءة (أى يجلونه) كذا فى النسخ بالنون مع ان المفسر لا نون فيه وينبغى حذفها ان قلنا الجملة المفسرة تابعة لما فسرت به وفيه بحث والاجلال التعظيم وكذا التوقير فعلى هذا يكون تاكيدا وقد فسر التعزير فى اللغة بالنصر والتقوية فالاولى التفسير به ليكون تاسيسا فقوله (وقيل ينصرونه) ينبغى تقديمه لا تاخيره وتمريضه لا سيما وقد ذكر الثعلبى فى تفسيره ان هذا التفسير روى عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وروى تجلوه وتنصروه بلا نون (وقيل يبالغون فى تعظيمه) وجه تمريضه انه كان ينبغى تاخيره عن توقروه على هذا وما قيل من أن الامر بالتعظيم بعد الامر للمبالغة فيه أشعار بان الاصل مما يجب ان يعتنى به كل الاعتناء وأما المبالغة فقد تسامح فيها ويحتمل ان هذا القائل حمل التوقير على معنى غير التعظيم وعود ضمير توقروه لله بمعنى قوله ما لكم لا ترجون لله وقارا أى لا تخافون عظمته بعيد (ويوقروه أى يعظموه) روى بنون وبغير نون (وقراءة بعضهم) هو الجحدرى

(وتعززوه بزائين) بالياء بعد الالف وبالهمز وكلاهما صحيح ذكره التلمساني والثاني غير صحيح لان الفرق المعروف بين الراء والزاي بالياء في الثاني وبتركه في الاول فتامل ولذا لم يقل بالزاي المعجمة لاستغنائه بالصورة عن القيد ولا راء مهملة لما تقدم والله تعالى أعلم (من العز) أي العزة والتفعيل للتكثير والمبالغة والمعنى يعززوه غاية العزة وأما جمهور القراء فقراءتهم بضم أوله وكسر الزاي مشددة وبعدها راء وقرأ الجحدري بفتح التاء وضم الزاي وكسرها وهو شاذ (والاكثر) أي القول الاكثر من المفسرين (والاظهر) أي من العلماء المعتبرين (ان هذا) أي قوله تعالى تعززوه وتوقروه أنزل (في حق محمد صلى ٢٧٩ الله تعالى عليه وسلم) لانه أقرب ذكرا فيرجع ضميراهما اليه ومما يدل عليه قوله تعالى فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه (ثم قال وتسبحوه) أي تنزهوه أو يصلوا له (بكرة وأصيلا) أي نهارا وليلا (فهذا) أي ضمير يسبحوه (راجع الى الله تعالى) ويؤيده ان أرباب الوقوف القرآنية جعلوا الوقف المطلق فوق قوله سبحانه وتعالى ويوقروه ايماء الى قطع ماقبله عما بعده وقيل الضمائر الثلاثة لله وأريد بتعزيره تعالى تقوية دينه وتأييد نبيه ثم اعلم ان ابن كثير وأبا عمرو قرأ بالغيبة في الافعال الاربعة والباقون بالخطاب له ولامته أولهم تنزيلا لخطابه منزلة خطابهم فعلى الاول تقدير الآية انا أرسلناك ليؤمنوا بالله وبك يا محمد وعلى الثاني تقديره ليؤمنن بك من آمن (قال ابن عطاء جمع) بالبناء للمجهول لان فاعله معلوم والمعنى اجتمع (للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم في هذه السورة) أي سورة الفتح (نعم مختلفة) أي متعددة متكثرة أو مختلفة من حيث ذواتها وان كانت من حيث صفاتها مؤتلفة (من الفتح المبين) من بيانية للنعم المتقدمة (وهو) أي الفتح المبين (من اعلام الاجابة) بفتح همزة اعلام على انه جمع علم بفتح اللام أي من علامات قبول اجابة الله (لدعوته) صلى الله تعالى عليه وسلم اذ قد سأله النصر في مواطن كثيرة وفي الحديث من فتح له باب الدعاء فتح له باب الاجابة (والمغفرة) أي ومن المغفرة (وهي) أي المغفرة (من اعلام المحبة) لقوله تعالى ردا لاهل الكتاب في محكم الخطاب وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم والمعنى انكم لو كنتم أحباء لما عذبكم بذنوبكم كما يعذب أعداءه بل غفر لكم

(وتعززوه بزائين من العز) من العز خبر قراءة وقوله بزائين بهمزة وياء بعد الالف كما قال التلمساني لان في اسم المعجمة ثلاث لغات زاء بالمد والهمز وزاي بالياء وزي بزنة كي وهو بمعنى التعزير وقال من العز وهو القوة والغلبة والرفعة والشدة لان مصدر المزيد من مصدر المجرد عند بعضهم أو هو تسمح منه (والاكثر والاظهر ان هذا في حق محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) يعني انهم اختلفوا في هذه الضمائر هل كلها لله أو للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم لئلا يلزم تفكيك الضمائر أو بعضها لله وبعضها للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم لسبق ذكرهما فاختار الزمخشري وتبعه القاضي الاول لتعينه في يسبحوه وتشتيت الضمائر وتفكيكها غير متجه لما فيه من الركاكة ومخالفة الظاهر واختار المصنف رحمه الله تعالى عود ضمير يعزروه ويوقروه فقط للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم للقرينة المعنوية التي تدفع هجنة التفكيك لان التعزير والتوقير لا يستعملان في حقه تعالى ففيه بعد لا يناسب بلاغة القرآن وقد رجعت هذه الضمائر له في آية الاعراف فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه ولهذا وقف كثير من القراء على قوله توقروه للفصل بين ضمير الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وضمير الله وما قيل من ان التعزير بمعنى التعظيم يطلق على الله بمعنى النصر والاعانة بمعنى نصر دينه ورسوله وهو نصر له وأما التوقير فلا اشكال فيه كقوله تعالى مالكم لا ترجون لله وقارا انما الاشكال في التعزير لانه من الاضداد ويستعمل فيما لا يليق كالتاديب لا يدفع الاظهرية الموافقة لما عليه الاداء والتفكيك مع ظهور القرائن كثير في كلامهم والاكثر مبتدأ والاظهر معطوف عليه وان هذا الى آخره خبرهما اما بتقدير أو على بقطع النظر على التابع وتغليب المتبوع مع موافقته بحسب الظاهر وقيل الاظهر مبتدأ ومابعده خبره ويقدر مثله لقوله الاكثر ولكن على تقدير على نحو قول ابن الحاجب وما وقع ظرفا فالاكثر انه مقدر بجملة (ثم قال وتسبحوه بكرة وأصيلا فهذا راجع الى الله تبارك وتعالى) أشار بثم الدالة على التراخي الى ما عليه أهل الاداء من الوقوف على توقروه ردا على من خالف فعين رجوع هذا الضمير كما في نظيره السابق لله قال الزمخشري يسبحوه من التسبيح أو من السبحة وهي الصلاة وفيه على هذا حذف وايصال كما أشار اليه القاضي رحمه الله تعالى بقوله في تفسيره تنزهوه أو تصلوا له (قال ابن عطاء) الذي تقدمت ترجمته (جمع للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم في هذه السورة نعم مختلفة) أي متعددة كثيرة متغايرة لفظا ومعنى ولذا عقد لها المصنف رحمه الله تعالى فصلا مخصوصا (من الفتح المبين) الظاهر في نفسه المظهر لدينه ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم (وهو من اعلام) بفتح الهمزة جمع علم بمعنى أمارة ودليل (الاجابة) أي اجابة دعائه صلى الله تعالى عليه وسلم بالنصر الذي سبق منه في مواطن كثيرة كذا قالوا ولعله أراد أنه تعالى اجابه ونجزله كل ما يرجوه منه فان فتح مكة أعظم مطالبه وأجل نعمه ولذا يقول الملبي أعز عبده وأنجز وعده (والمغفرة وهي من اعلام المحبة) فيه اشارة الى ان المغفرة المراد بها اظهار شدة محبة الله له كما تقول

لمن تحبه كل مايصدر منك مغفو رلدى وكل مايفعل المحبوب محبوب (وتمام النعمة وهى من اعلام الاختصاص) أى هو دليل على انه تعالى جعله من خواص أنبيائه عليهم الصلاة والسلام لانعامه عليه بمالم ينله غيره كما قال الله تعالى والله يختص برحمته من يشاء (والهداية وهى من اعلام الولاية) أى ان الله تعالى تولى أموره اذهداه الى الطريق الموصل الى قربه والولاية بكسر الواو وفتحها كمامر النصر والتاييد فهدايته اماليه وهى علامة لتوليه أموره من التبليغ وغيره وتثبيته عليه المؤدى لنصرته كما قال الله تعالى والذين جاهدوافينا لنهدينهم سبلنا ثم فرع عليه قوله (فالمغفرة تبرئة من العيوب) أى هى كناية عن شدة محبته له وهو لايحب الامن كان كامل الخلق والخلق مبرأ مما لايحبه وفيه اشارة لما سلف وتبرئة بزنة تكرمة مصدر مهموز من البراءة أو بضم التاء وفتح الموحدة وكسر الراء المشددة وهمزة مضمومة مضارع منها كما قاله الحلبى رحمه الله تعالى وفى بعض النسخ تنزيه بالزاء المعجمة مصدر من النزاهة بمعنى انه تعالى أولاه الفتح المبين لتنزهه عما لايليق بمنصبه العالى قيل فيكون فى مقام التجلى ويبلغه بتمام النعمة عليه درجة كاملة كما ذكره المصنف يترتب عليها التجلى بالمشاهدات القلبية الناشئة عن التجليات ولم يذكر الفتح لاندراجه فيماذكر لاظهوره فتدبر (وتمام النعمة ابلاغ الدرجة الكاملة) غير المشاهدة فانجح مطلوبه ونزهه عن كل عيب وحلاه بكمالات مهيئة لمشاهدته وتدعوه لها كما أشار اليه بقوله (والهداية وهى الدعوة الى المشاهدة) لما مر من ان المشاهدات القلبية الناشئة عن التجليات الجلية لا ماوقع له ليلة المعراج لتقدمها على فتح مكة وصلح الحديبية وكون المراد بالفتح القضاء المتقدم تعسف لايفيد (وقال جعفر بن محمد) الصادق الذى تقدمت ترجمته فى تفسير هذه الآية (من تمام نعمته عليه) أى من اتمام نعمته التى أتم بها عليه (ان جعله حبيبه) أى اصطفاه وخصه وأكرمه اكرام المحب لحبيبه حتى لقب بالحبيب كما ورد عنه صلى الله تعالى عليه وسلم أنا حبيب الله ولافخر (وأقسم بحياته) فى قوله تعالى لعمرك على أحد الاقوال المتقدمة (ونسخ به) أى بشرعه (شرائع غيره) جميعها أو تنوعها فلم تبق شريعة أحد بكمالها وان بقى بعض منها ولاباس ببقائه على ظاهره فانه لايجوز العمل بشئ من شرع غيره الامن حيث انه صار شرعاله صلى الله تعالى عليه وسلم بتقريره له (وعرج به) بالبناء للمجهول والتخفيف أى أعرجه ورفعه بناء على انه لايلزم مصاحبة الفاعل ان لم يكن التقدير عرج جبريل عليه الصلاة والسلام به وقيل عرج به بمعنى صعد به لا أصعده وفى الصحيح عرج بى جبريل الى سدرة المنتهى فان صح وروده بمعنى أصعده كذهب الله بنورهم أى أذهبه فلا كلام فيه والافهو كبنى الامير المدينة أى أمر جبريل بالعروج به عليه الصلاة والسلام (الى المحل الاعلى) الجنة أو العرش أوما فوقه أو ما فوق العالم كما حكاه التفتازانى (وحفظه فى المعراج) أى فى ليلة المعراج أو فى عروجه أو فى مصعده كما سياتى (حتى مازاغ البصر وماطغى) تقدم تفسيره (وبعثه) أرسله صلى الله تعالى عليه وسلم (الى الاحمر والاسود) جميع الخلق كما تقدم وسياتى تفصيله

وأكثر عليكم عطاءه ونعماءه ومن المعلوم ان المحبة من الله تعالى اما ارادة انعام أو نفس احسان واكرام لنزاهة ذاته القدسى عن الميل النفسى (وتمام النعمة) أى ومن تمام النعمة (وهى من اعلام الاختصاص) أى منة له بمالم يؤته أحدا غيره كما يستفاد من قوله تعالى اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى (والهداية) أى ومن الهداية (وهى من اعلام الولاية) أى التاييد والنصرة (فالمغفرة) بالرفع مبتدأ (تبرئة) أى تنزيه منه له (من العيوب) أى عيوب الذنوب وفى نسخة تنزيه من العيوب وأما قول الحلبى وهو بكسر الراء المشددة ثم همزة مضمومة من البراءة فخطاظاهر فى العبارة اذ الصواب انه بفتح التاء وسكون الموحدة وبكسر الراء المخففة وفتح الهمزة مصدر برأه يبرئه تبرئة على وزن تفعلة والذى ذكره انما هو بضم الراء مصدر تبرأ منه وهو غير مناسب للمقام كما لايخفى على العلماء الاعلام (وتمام النعمة ابلاغ الدرجة الكاملة) أى ايصاله تعالى له الى درجة لادرجة فوقها (والهداية وهى الدعوة الى المشاهدة) أى الى الحضرة فى مقعد صدق وقرب مكانة وكرامة لاقرب مكان ومسافة (وقال جعفر بن محمد) أى ابن على بن الحسين بن على رضى الله تعالى عنهم (من تمام نعمته عليه ان جعله حبيبه) أى اصطفاه وخصه بكرامة تشبه كرامة الحبيب عند محبه فالمحبة اصفى وداً لانها من حبة القلب بخلاف الخلة فانها ود تخلل النفس وخالطها (وأقسم بحياته) أى فى قوله تعالى لعمرك انهم لفى سكرتهم يعمهون أى وحياتك يا محمد وتقديره لعمرك قسمى والعمر بفتح العين لغة فى العمر بالضم خص به القسم ايثارا لخفته لكثرة دوران القسم على السنتهم (ونسخ به شرائع غيره) لقوله عليه الصلاة والسلام لوكان موسى حيا لما وسعه الا اتباعى (وعرج) بفتح الراء أى صعد (به الى المحل الاعلى) أى المنزل الاعلى وهو بفتح الحاء وكسرها والاول أولى والمراد به مقام قاب قوسين أو أدنى (وحفظه فى المعراج) أى عن مطالعة السوى والمعراج الدرجة وقيل سلم تعرج فيه الارواح وجاء انه أحسن شئ لاتتمالك الروح اذا رأته ان تخرج وان يشخص بصر الميت من حسنه (حتى مازاغ البصر وماطغى) أى مامال الى الهوى ولاتجاوز عن المولى (وبعثه الى الاحمر والاسود)

أي العرب والعجم أو الجن والانس لقوله عليه الصلاة والسلام بعثت الى الاحمر والاسود وفي رواية بعثت الى الناس كافة ولقوله تعالى وما أرسلناك الا كافة للناس أي الا رسالة عامة لهم محيطة بهم من الكف فانها اذا عمتهم كفتهم عن ان يخرج منها أحد منهم (وأحل له ولامته الغنائم) لقوله عليه الصلاة والسلام أحلت لي الغنائم ولم تحل لاحد قبلي وفي رواية أحلت لنا الغنائم (وجعله

(وأحل له صلى الله تعالى عليه وسلم ولامته الغنائم) التصرف فيها كما تقدم (وجعله شفيعا) أي أذن له صلى الله تعالى عليه وسلم في الشفاعة وخصه ولقبه بها (مشفعا) مقبول الشفاعة (وسيد ولد آدم) بل سيد الاولين والآخرين وجميع العالمين كما ورد في الاحاديث الصحيحة (وقرن ذكره بذكره) في التشهد والاذان وفي مواضع تزيد على عشرين في القرآن وهو معنى قوله تعالى ورفعنا لك ذكرك كما مر (ورضاه برضاه) مصدران مقصوران أي جعل رضاء الله برضى رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم أو رضاء الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم برضاء الله يعني طاعته طاعته للزوم الرضاء للطاعة لقوله تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله والاظهر انه اشارة الى قوله والله ورسوله أحق أن يرضوه (وجعله أحد ركني التوحيد) أصل معنى التوحيد في عرف الشرع اعتقاد توحيد الله تعالى وانفراده في ذاته وصفاته وألوهيته وانه لا معبود سواه و يطلق و يراد به ... الايمان به وأصل معنى الركن الجانب وأركان الشئ أجزاؤه الخارجية أو أجزاء ماهيته الداخلة فيها بخلاف الشروط فانه الخارج الذي يتوقف عليه صحته ولما كان الايمان الكامل انما يتحقق بالتصديق والاقرار بنبوته صلى الله تعالى عليه وسلم و رسالته جعل ركنا من التوحيد لا يتم و يقبل بدونه سواء كان بالمعنى الاول أو بالمعنى الثاني كالاقرار بذلك الا انه على المعنى الاول مبالغة وعلى الثاني حقيقة والظاهر تفسير الاتمام بما كان بعد الفتح لعطفه على مدخول اللام وعد الاتمام منه ما كان قبله لانه أراد بالفتح القضاء أو جعل العلة اجتماع ما ذكر أو أراد بيان نعم يحصل باجتماعها التمام لا بيان الاتمام نفسه (ثم قال الله تعالى * ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله * يعني بيعة الرضوان) هذا كالدليل على ما قبله وعطفه بثم نظر الاول ما قبله لتراخيه عنه فلا حاجة للتراخي الرتبي والمبايعة أخذ العهد والميثاق على أمر وكان من عادتهم وضع اليد على اليد اشارة الى التعاضد والتمسك فلذا قال (يد الله فوق أيديهم) وبيعة الرضوان كانت بالحديبية وسميت بها لقوله تعالى لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة وهي شجرة سمرة وعضاه وقعت تحتها البيعة و بقيت الى زمن عمر رضي الله تعالى عنه وكانوا ألفا وأربعمائة أو خمسمائة والمبايعة كانت على ان لا يفروا أو على الموت ولا مخالفة بينهما وقيل كانت على السمع والطاعة في النشاط والكسل وعلى النفقة في العسر واليسر والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وعلى ان يقول في الله لا تأخذنا لومة لائم وعلى ان تنصره اذا قدم علينا يثرب فنمنعه مما نمنع منه أنفسنا وأرواحنا وأبناءنا ولنا الجنة فمن نكث فانما ينكث على نفسه وهذا وهم من ناقله فان هذا انما قيل في بيعة العقبة ولم يتخلف أحد منهم عن البيعة غير الجد بن قيس وعثمان رضي الله تعالى عنه لان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان بعثه لقريش ليخبرهم انهم لم يقدموا للحرب وانما جاؤوا لزيارة البيت فبايع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عنه وقال هذه يد عثمان وكان وقع الارجاف بقتله (أي انما يبايعون الله ببيعتهم اياك) والمبايعة مفاعلة من البيع لقوله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بان لهم الجنة فالله تعالى باع منهم الجنة بانفسهم وأموالهم وهم باعوا أنفسهم وأموالهم بها فالبيع والشراء مقايضة والتسليم في المعركة كما أشار اليه بقوله تعالى يقاتلون الى آخره لا سلم كما في بعض شروح الكشاف قيل ولذا قال بان لهم الجنة دون بالجنة وفيه نظر والمراد المعاهدة والمعاقدة كما يرشد اليه قوله ومن أوفى بعهده من الله ولما ورد انه

شفيعا) أي يوم الجمع لجميع الخلائق (مشفعا) بتشديد الفاء المفتوحة أي مقبول الشفاعة في مقام محمود يحمده فيه الاولون والآخرون كما روي عن ابن عباس رضي الله عنه مرفوعا (وسيد ولد آدم) أي وجعله سيد البشر ولما كان بعض أولاد آدم أفضل منه فيلزم منه انه صلى الله تعالى عليه وسلم أفضل من آدم عليه السلام بطريق البرهان الذي يسمى بالاولى ومنه قوله تعالى فلا تقل لهما أف أي فكيف الضرب بالكف وهو مقتبس من قوله عليه الصلاة والسلام أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر أي ولا أقول فخرا لنفسي بل تحدثا بنعمة ربي وتقييده يوم القيامة لانه وقت ظهوره ونظيره والملك يومئذ لله والحديث رواه أحمد والترمذي وابن ماجه عن أبي سعيد مع زيادة وما من نبي آدم فمن سواه الا تحت لوائي ولا فخر وفي رواية لمسلم وأبي داود مع زيادة وأول شافع وأول مشفع ولا فخر وفي البخاري أنا سيد الاولين

والآخرين ولا فخر (وقرن) أي جمع ووصل (ذكره بذكره) كما يستفاد من قوله تعالى ورفعنا لك ذكرك ومن قوله سبحانه وتعالى وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول (ورضاه برضاه) لقوله تعالى والله ورسوله أحق ان يرضوه (وجعله أحد ركني التوحيد) أي المعتبر في الدين (ثم قال ان الذين يبايعونك) أي يعقدون الميثاق معك على قتال أهل الشقاق (انما يبايعون الله) لانه المقصود بالبيعة بالاتفاق (يعني) أي يريد الله بهذه المبايعة (بيعة الرضوان أي انما يبايعون الله ببيعتهم اياك

كيف أثبت مبايعة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله ونفاها في ضمن الحصر * أجيب عنه
باجوبة منها ان المثبت بحسب الصورة والمنفي بحسب الحقيقة وليس المراد نفي الحقيقة من حيث هي
بلا تاويل بل بجعلها كأنها معدومة ادعاء من المؤمنين الواصلين لمقام الاحسان بطي الوسائط لغلبة
الشهود فالقصر ادعائي وقيل انه حقيقي على التشبيه فكأنه بلا واسطة وفيه تعظيم وقيل النفي غير مراد
والحصر مجاز عن تاكيد الحكم لا اضافي ردا على من زعم انه مع الجن وأولى الوجوه الاول ولما جعل
المبايعة مع الله حقيقة أكد ذلك بقوله (يد الله فوق أيديهم) على سبيل التخييل كما ستراه فلذا قال (يريد
عند البيعة) أي المبايعة على عادتهم في وضع اليد فوق اليد وهذا من المتشابه وجمهور السلف فيه على
تفويض علمه الى الله وتنزيهه عما لا يليق به وذهب بعضهم الى تاويله بما يليق به بشرط موافقته
لكلام العرب وذهب ابن الهمام رحمه الله تعالى الى انه ان دعت اليه حاجة جاز والا فلا وذهب ابن
دقيق العيد رحمه الله تعالى الى أنه ان كان التاويل قريبا جاز والا فلا واليه أشار المصنف بما ذكره هنا
قال الاشعري رحمه الله تعالى اليد ورد باطلاقها عليه تعالى الشرع فالمراد بها صفة قريبة من القدرة
انها أخص كالارادة والمحبة فان في اليد تشريفا لازما وفي الكشاف لما قال انما يبايعون الله أكده على
طريق التخييل فقال يد الله الى آخره يريد يد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم التي فوق يد
المبايعين وهو منزه عن الجوارح فالمراد تقرير ان عهد الميثاق مع الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم
كعهده مع الله من غير تفاوت وتبعه البيضاوي حيث قال الجملة حال أو استئناف مؤكد على سبيل
التخييل وبيانه كما قيل انه لما شبه مبايعة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم بمبايعة الله تشبيها بليغا
ومن ضرورة ذلك تشبيه الذات المقدس بالمبايع تشبيها مضمرا في النفس تحققت هناك استعارة
مكنية وهي التشبيه المضمر عند صاحب التلخيص وعند السكاكي لفظ المشبه المستعمل في المشبه به
ادعاء وعند غيرهما عبارة عن اسم المشبه به المتروك المرموز اليه بذكر لازمه ولا يصح هنا ما قال السكاكي
للزوم استعمال الجلالة في غير ذاته تعالى وهو لا يجوز اجماعا فالتخييل الذي قالوه هنا عبارة عن اثبات
اليد التي هي من لوازم المشبه به وهو المبايع للمشبه وهي قرينة الكناية على رأي القزويني وعلى رأي
غيره عبارة عن لفظ اليد المشبه للمشبه والفرق بين مذهب السكاكي ومذهب الجمهور ان التخييلية
لا تتحقق لمعناها حسا ولا عقلا بل هي صورة وهمية لا يشوبها شئ من التحقيق كاظفار المنية فانه لما
شبه المنية بالسبع في الاغتيال صورها الوهم بصورته واخترع لها صورة اظفار وأطلق عليها لفظ
الاظفار ولا يمكن هنا اعتبار مذهبه بان يخترع الله صورة وهمية مرادة من لفظ اليد وقد صرح الزمخشري
بان المراد يد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم التي تعلو ايدي المبايعين وأضيفت لله لنكتة
ذكرها وكلامه يدل على بطلان مذهبه لانه يدل على تحقق التخييل في مادة لا يتصور فيها اعتبار
الصورة الوهمية الا أن يقال انه لم يعترف بوجود التخييل هنا وقوله اكدتا كيدا على طريق التخييل
معناه ان التشبيه البليغ في انما يبايعون الله أفاد ان عقد الميثاق مع الله والرسول صلى الله تعالى عليه
وسلم سواء بلا تفاوت والمكنية المقرونة تفيد هذا فالجملة المشتملة على الاستعارة تاكيد لجملة التشبيه
البليغ على رأي أهل المعاني دون النحاة ولذا لم يعطف وانما ذكر التخييل دون الكناية لاستلزامه لها
وذكره صريحا فاكتفى باحد المتلازمين عن الآخر * فان قلت المشبه به في التشبيه المضمر المقرون
بالتخييل أما المبايع المطلق أو الخاص وهو الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى الاول لا يصح جعل
يد الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم من لوازم المشبه به لعموم المشبه به وخصوص يد الرسول صلى الله
تعالى عليه وسلم وعلى الثاني يرد عليه ان يد الله لعمومها لا تختص بيد الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم
لان العام لا دلالة له على الخاص فكيف يصح قوله يريد يد الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم * قلت نختار

يد الله فوق أيديهم) استئناف مؤكد لما قبله (يريد) أي الله ان يده فوق أيديهم (عند البيعة) أي على طريق الخصوصية قال التلمساني قوله يريد عند البيعة صوابه معناه عند البيعة والا فالارادة والعناية في كلام المخلوقين ولا ينبغي أن يقول المفسر يعني ولا يريد ولكن يقول من معناه أو يجوز أو يحتمل ونحو ذلك مما يجري على الالسنة

(قيل) أى المراد بيدى الله (قوة الله) وقدرته والمعنى قوته وقدرته فى نصر رسوله فوق قواهم وقدرهم وقد أشار الهروى فى غريبه الى هذا القول فيكون فى الآية على هذا ذكر نعمة مستقبلة وعد الله بها نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم وهى النصر له وعلى القول الذى بعده يكون فيما ذكر نعمة حاصلة قد شرف الله بها المبايعين واستعمال اليد أيضا فى اللغة بمعنى القوة ٢٨٣ موجود ومنه قوله تعالى أولى الايدى أى أولى القوى (وقيل ثوابه) أى المترتب على مبايعتهم بايديهم وانقيادهم فى متابعتهم فاليد بمعنى النعمة (وقيل منته) أى عطيته ومنه يقال لفلان على يد وفى الحديث اللهم لا تجعل لفاجر على يدا يحبه قلبى وقد قال الشاطبى رحمه الله اليك يدى منك الايادى تمدها والمعنى منته عليهم ونعمته لديهم ببيعتهم بما منحوه من العز فى الدنيا والثواب فى العقبى فوق منتهم عليك بمبايعتهم لك على أن يبذلوا أنفسهم وأموالهم قال المنجانى واليه ذهب أكثر المفسرين واستعمال اليد فى اللغة بمعنى النعمة كثير ومنه قول الشاعر

لجودك فى قومى يد يعرفونها
وأيد الندى فى الصالحين فروض

والى هذا المعنى يرجع قول من قال هى من الله سبحانه الثواب أعنى اليد فى الآية المثوبة ومن المبايعين الطاعة فان الثواب من الله تعالى داخل تحت منته والطاعة منهم داخلة تحت ما يمتنون به والا فليس اليد فى اللغة اسما للثواب ولا للطاعة (وقيل) أى المراد بيد الله (عقده) وفى نسخة عفوه وهو تصحيف وتحريف والمعنى انه تعالى أوجد البيعة وأتم عقدها فاستعار لايجاد عقدها اسم اليد من حيث كان الادميون انما يفعلونه بايديهم وهو من باب اطلاق اسم السبب على المسبب وجاء قوله سبحانه وتعالى فوق أيديهم مرشحا لهذه الاستعارة والايدى

الاول ونجعل التخييل عبارة عن اثبات اليد مطلقا وخصوص اضافتها من المقام أو الثانى واليد وان عمت الايادى كلها مقرونة بما يخصصها وهو قوله تعالى فوق أيديهم لان اليد التى فوق أيديهم انما هى يد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فالتخييل اثبات يد الرسول للمشبه وهذا كله بناء على حمل كلامه على اصطلاح أهل المعانى وهو الظاهر فان حمل التخييل على اللغوى فان اضافة اليد للمنزه عن الجارحة مجرد تخييل وتصوير لقصد المبالغة والتأكيد لم تحتج الى الاعتبارات المذكورة الا انه مع بعده مخالف لعادته فى الجرى على المصطلح وروى انما يبايعون الله أى لوجه الله وقال التلمسانى الصواب أن يقال معناه عند البيعة والا فالارادة والعناية انما هى فى كلام المخلوقين ولا ينبغى أن يقول المفسر يعنى ولا يريد بل يقول من معناه أو يجوز أو يحتمل ونحوه وهذا أمثل الاوجه له (قيل) فى تفسير اليد (قوة الله) هذا على مذهب الخلف الذاهبين الى تاويل المتشابه أى المراد باليد هنا القوة فانه تعالى يوصف بها ومن أسمائه القوى أى قوة الله وقدرته فى نصر رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم فوق قواهم فهو مجاز مرسل لان آثارها يظهر باليد قيل فعلى هذا تكون نعمة مستقبلة وعد الله بها رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم ولا مانع من اعتباره فى الحال (وقيل ثوابه) أى المراد باليد ثواب الله لرسوله صلى الله تعالى عليه وسلم فوق ثوابهم فى مبايعتهم والوفاء بعهدهم وهو قريب من قوله (وقيل منته) أى نعمته عليهم ببيعتهم مما منحوه من العز فى الدنيا والثواب فى الآخرة فوق منتهم عليك بمبايعتهم وبذل أنفسهم وأموالهم واطلاق اليد على النعمة لكونها بمنزلة العلة الفاعلية لها شائع فى كلام العرب وورد بهذا المعنى مفردة ومجموعة على أيدى وأيادى وهو جمع الجمع وبعض أهل اللغة قال اليد بمعنى الجارحة تجمع على أيدى وبمعنى النعمة على أيادى والصحيح الاول والدليل عليه قوله لجودك فى قومى يد يعرفونها * وأيدى الندى فى الصالحين فروض

(قوله) سأشكر عمرا ان تراخت منيتى * أيادى لم تمنن وان هى جلت

قيل والى هذا المعنى يرجع ما قبله وما قيل من انها من الله الثواب ومن المبايعين الطاعة غير ظاهر (وقيل) اليد هنا معناها (عقده) قيل معنى العقد ربط الحبل ونحوه ثم استعير لمعان منها العهد والميثاق يقال عاقدته على كذا وعقدته بمعنى عاهدته كما فى المصباح وهو المراد هنا أى اليد عبارة عن عقد العهد وهى المبايعة المذكورة فان كان بمعناه المصدرى فهو ايجاده عهد البيعة واتمامه بمعنى ان الله تعالى أوجد هذه البيعة وتممها فاستعار لايجاده عقدها اسم اليد لان الناس يفعلونها فهو من اطلاق المسبب على السبب وفوق أيديهم ترشيح للاستعارة اللغوية فان لها ترشيحا كما صرحوا به وأيديهم على حقيقته كما فى شرح التجانى واعترض عليه بان أول كلامه ظاهر فى ان اليد عبارة عن العقد وقوله استعارة لايجاده عقده يقتضى استعارتها للايجاد وعليهما التجوز فى المفرد وهو اليد فالمعنى ان عقد الله تعالى وايجاده فوق أيديهم وهو مخالف لتفسيره بان الله تعالى عز وجل أوجد هذه البيعة وتمم عقدها وهذا المعنى انما يستفاد من مجموع يد الله فوق أيديهم فانه لازم معناه التركيبى وانه لو كان له يد فوق أيديهم وجارحة فوق جوارحهم لكان هو الذى أوجد هذه البيعة والتحقيق انه مجاز مركب كتقدم رجلا وتؤخر أخرى وبهذا يظهر مناسبته لما قبله * أقول ان العقد مصدر فيطلق على المعنى المصدرى وعلى الحاصل به وعلى هذا فلا تنافى بين أول كلامه وآخره الا ان كون اليد الثانية بمعناها الحقيقى غير متجه نعم ما ادعاه من انه مجاز مركب له وجه سواء كان استعارة أو مجازا مرسلا وأما قول الرازى يد الله

فوق أيديهم أي حفظه فوق جارحتهم بحفظهم على البيعة كما انه قد توضع اليد على يد المتبايعين لتتم عقدهم فقد قيل انه ناظر الى الاستعارة التمثيلية الا أنه لا يقتضي ان المبايعين للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم مبايعون الله كما مر وانما يقتضي انهم مبايعوا الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ليس الا والله حافظ لا مبايع ومنهم من ذهب الى أن في يد الله مكنية وتخييلية بان شبه الله برسوله ثم ذكر المشبه مثبتا له يدا على التخييل كما نقله بعض الشراح وهو مما لا ينبغي نقله لشناعته ان سلمت صحته كما قيل فتدبر (وهذه استعارة وتجنيس) أي مستعار أو التقدير ذات استعارة وقد عرفت مما مر انه يجوز في الاستعارة أن تكون مكنية وتخييلية أو تصريحية أو استعارة لغوية وهي المجاز المرسل أو أعم منه ومن الاستعارة المصطلحة وحدها الرماني بانها تعليق العبارة على غير ما وضعت له في أصل اللغة على سبيل النقل أو هي تمثيلية كقوله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم فانها تمثيل لاثابة الله تعالى اياهم الجنة على بذل أنفسهم وأموالهم في سبيل الله وقوله استعارة راجع لما قبله أو للوجه الاخير فهو من مقول القول أو كلام مستانف من كلام المصنف رحمه الله تعالى متعلق بالاخير وجزم به بعض الشراح قال لانه فيما قبله ليس استعارة بل مجاز مرسل أو حقيقة وفيه ما لا يخفى والتجنيس وقع في بعض النسخ مكانه تحسين بحاء وسين مهملتين والمشهور هو الاول وهذا التجنيس جار على أحد الوجوه وهو أن أيديهم مستعمل في معناه الحقيقي ولا شك ان يد الله ليست تستعمل بهذا المعنى فيتم الجناس من غير شبهة لانه توافق الكلمتين لفظا سواء كان المعنيان حقيقيان أو مجازيان أو أحدهما حقيقة والآخر مجاز كما فيما نحن فيه وهو تام ان قلنا ان التخالف بالافراد والجمع لا ينافيه والا فهذا نوع لم يتعرض له أرباب البديع وعلى هذا لا يرد على ما في الاتقان من انه لم يقع الجناس التام في القرآن الا في موضعين ولم يذكر هذا فيه على انا لو قلنا انهما بمعنى مجازي ففيه تجنيس بناء على ان الصفات المشتركة بين الله وعباده كالعلم هل هي بمعنى أو بينهما تخالف بحسب الحقيقة احتمالات كما فصله ابن القيم في كتاب الفوائد والعجب من الشراح حيث اعترضوا على المصنف رحمه الله فيه حتى قال بعضهم انه لم يرد التجنيس البديعي بل اللغوي وهو مطلق المناسب لان العقد اذا اطلق عليه اسم اليد فانما يراد الجارحة فبينهما وبين الايدي مناسبة وهذا مع فساده لا وجه له ثم ذكر بعضهم كلاما فيه خبط وخلط ثم قال ما زعمه ابن دريد من أن الاصمعي كان يدفع قول العامة هذا مجانس لهذا و يقول انه مولد فغير قادح في صحة أن يقال ان في هذا تجنيسا بين هذا وهذا الاختلاف الصورة وان اتحدت المادة بناء على انها من الجنس الذي هو الضرب الذي هو أعم من النوع كما نبه عليه الجوهري وهذا لم يفهم كلام الاصمعي فان مراده ان الجنس جامد لم يسمع اشتقاق منه كاستحجر وأما استعمال المصنف رحمه الله تعالى له فانه خطأ مشهور وهو خير من الصواب المهجور فان المصنفين لا يبالون بمثله كما في كشف الكشاف ولفظ الجناس أيضا مولد واختلف فيه هل هو بكسر الجيم أو فتحها ولم يذكره أهل اللغة (وتاكيد لعقد بيعتهم اياه) أي الرسول صلى الله عليه وسلم من حيث جعل بيعتهم له كبيعتهم مع الله لا تفاوت بينهما فيده التي تعلو أيديهم هي يد الله على ما مر (وعظم شان المبايع صلى الله تعالى عليه وسلم) عظم بزنة عنب مصدر بمعنى العظمة مجرور معطوف على عقد والمبايع اسم فاعل أو مفعول والاول أنسب بالمقام ولذا اقتصر عليه التلمساني رحمه الله تعالى والمراد به النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ودلالته على تعظيمه لجعل يده يد الله وطاعته طاعته وفيه تعظيم لمن بايعه أيضا وهو تعظيم له داخل فيما ذكره المصنف رحمه الله تعالى وقول بعضهم ان فيه تشبيه ذات النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بذات الله يلزمه اطلاق الجلالة على غير الله وهو لا يجوز الا أن يقال ان مثله يجوز في الاستعارة المكنية على بعض الاقوال كما مر وفيه تاكيد لما قبله من جعل بيعته بيعته (وقد يكون من هذا) القبيل الذي جعل فيه فعل العبد عين فعل الله كما في هذه الآية ان الذين يبايعونك انما الى آخره وقد للتحقيق أو هي مجاز عن كونه محتملا وفيه بعد (قوله تعالى فلم تقتلوهم

من المبايعين على هذا هي الجوارح على حقيقتها ولذا قال المصنف (وهذه) أي هذه الاقوال المختلفة المعاني في لفظ اليد هل هي على سبيل الاشتراك والحقيقة أو على سبيل النقل والمجاز والمختار انها (استعارة) أي اطلاقات مجازية لمناسبات سببية (وتجنيس في الكلام) أي وتفنن في العبارات الايمائية ولم يرد به التجنيس الصناعي وهو اتفاق اللفظ واختلاف المعنى على ما ذكره التلمساني وغيره بل اللغوي بمعنى المناسبة لان العقد مثلا اذا أطلق عليه اسم اليد فانما يراد التي بمعنى الجارحة فبينها وبين الايدي في الآية مناسبة والمناسبة كما ذكره التلمساني ذكر الشيء مع ما يناسبه على جهة الاستعارة والتشبيه (وتاكيد لعقد بيعتهم اياه) أي من حيث أن بيعتهم معه صلى الله تعالى عليه وسلم كبيعتهم مع الله لا تفاوت بينهما فيده التي تعلو أيديهم هي يد الله تخييلا (وعظم شان المبايع) بصيغة المفعول والمراد به محمد (صلى الله تعالى عليه وسلم) وقوله عظم بكسر العين وفتح الظاء مجرور عطفا على ما قبله أي وتاكيد لعظمة شانه وفخامة سلطانه من حيث جعل بيعتهم له بيعة الله سبحانه كجعل طاعته طاعته (وقد يكون من هذا) أي من قبيل قوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله (قوله تعالى فلم تقتلوهم) أي كفار بدر بنصركم وتسليطكم اياه

ولكن

(ولكن الله قتلهم) أي بهما اذهو الخالق للقتل وأسبابه وهم المباشرون له بقوة الله عند اكتسابه (ومارميت) أي رميا يوصل التراب الى أعينهم ولم تقدر عليه (اذرميت) أي يوم بدر وحنين وجوههم صورة واكتسابا أو أخذا وارسالا (ولكن الله رمى) أي حقيقة وتبليغا واصابة فبلغ رميه تعالى منهم حدا لم يبلغ رميك من ايصاله التراب الى أعينهم جميعا فلم يبق مشرك الا شغل بعينيه فانهزموا ومكنتم منهم قتلا وأسرا (وان كان الاول) يعني ان الذين يبايعونك وان وصلية (من باب المجاز) أي ادخل في ذلك الباب والاظهر ان يقال من باب المجاز كما في أصل الدلجي وكذا قوله (وهذا) أي فلم تقتلوهم الآية (من باب الحقيقة لان القاتل والرامي بالحقيقة) وروي في الحقيقة (هو الله وهو خالق فعله) أي فعل المباشر من قتله ونحوه (ورميه وقدرته عليه) أي ايجادا وابداعا وهو القاتل مباشرة واكتسابا ومن ثم أسند الفعل اليه حقيقة أيضا كما انه نفاه عنه أيضا لكن بين الحقيقتين بون بين وبيان ظاهر لمذهب أهل السنة والجماعة من ان العبد له نسبة الكسب في الحقيقة على الجملة والحاصل انه سبحانه وتعالى وصف نفسه في هذه الآية بالقتل والرمي من حيث كونه هو الذي حصل أثرهما ومنفعتهما وان كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأصحابه هم الذين قتلوا ورموا فهو على هذا من باب اطلاق السبب الذي هو القتل والرمي على المسبب الذي هو الاثر والمنفعة كما سبق في الآية المتقدمة وأما من يقول ان الله تعالى هو الفاعل لكل شئ على الحقيقة ونسبة الفعل الى غيره مجاز فلا تشبيه فيه لهذه الآية السابقة ولا تفريق بينهما فافهم (ومسببه) أي وهو سبحانه وتعالى مسبب سبب فعل عبده وفي نسخة مشيئته أي ارادته كذا ذكر في حاشية وليس لها وجه ظاهر بل هو تصحيف كما لا يخفى (ولانه) أي الشان (ليس في قدرة البشر توصيل تلك الرمية حيث وصلت) أي الى وجوههم فاعمت أبصارهم

ولكن الله قتلهم ومارميت اذرميت ولكن الله رمى) أي لم تقتلوا قريشا اذسلطكم الله عليهم ونصركم ولكن الله قتلهم اذهو الخالق لهذا الفعل فيكم وان كنتم مباشرين اه وهذه الآية نزلت في غزوة بدر أو حنين كالتي بعدها وقوله ومارميت الى آخره اشارة الى ماوقع ثمة اذرمى النبي صلى الله عليه وسلم المشركين بكف من حصباء وتراب كما يعلم مما يأتي وقال شاهت الوجوه فلم يبق أحد منهم الا امتلأت عينه منه فاشتغل وانهزم فشد عليهم المسلمون حتى قتلوهم ونزلت الآية المتشابهة بين الآيات انه أثبت لنفسه فعلا كان لغيره بحسب الظاهر وجعل الثلاثة منحصرة فيه وليس فيه وفيما بعده اتباعا للمعتزلة في خلق الافعال كما توهم وكلا الآيتين من قبيل انما يبايعون الله لما فيهما من النفي والاثبات كما يفيده قوله يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فمن قال ليس فيهما نفي واثبات لاصريحا ولا دلالة لم يصب (وان كان الاول من باب المجاز) أي وان كان المذكور أولا من قوله يد الله من نوع المجاز (وهذا) أي القتل والرمي المسند الى الله (من باب الحقيقة) وليس هذا اشارة الى القتل فقط وروي في باب الحقيقة أي داخل فيه والمجاز بانواعه والحقيقة امر مشهور لاحاجة لبيانه هنا كما في بعض الشروح والمراد بالمجاز المجاز اللغوي لا العقلي الواقع في النسب وصرف بعضهم المجاز الى المبايعة والحقيقة الى اليد والفوقية فورد عليه انه يجوز ان يكون تشبيها بليغا فاحتاج الى الجواب بانه على رأي من يقول انه مجاز وليس فيه اداة مقدرة أو انه راجع الى اليد على بعض الوجوه وقال بعضهم ان المصنف رحمه الله تعالى لم يبق المبايعة في الآية على اطلاقها اذقيدها باليد المستحيلة في حق الله تعالى في قوله يد الله الخ فالمعنى ان الذين يبايعونك المبايعة التي يوضع فيها الايدي على الايدي انما يبايعون الله تلك المبايعة فتعين ان قوله انما يبايعون الله مجاز لغوي مركب أي لا يكون ايجاد ما بعتهم منك بل من الله وفيه بحث يعلم مما قدمناه (لان القاتل والرامي في الحقيقة) وفي أكثر النسخ بالحقيقة ومعناهما واحد والمراد بالحقيقة نفس الامر والواقع ويلزمه ان يكون حقيقة اصطلاحية (هو الله) لا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ولا المخاطبون ثم ذكر علة كون الرامي حقيقة هو الله لا غيره لانه المتعلق بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وادرج فيه القتل فقال (وهو خالق فعله) أي الله خالق فعل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كسائر العباد ويحتمل عود الضمير الى العبد لفهمه من السياق (ورميه) تخصيص بعد التعميم أو تفسير (وقدرته عليه ومشيئته) المشيئة بمعنى الارادة وبينهما فرق مفصل في كتب الكلام وفي نسخة وضمير عليه للفعل وفي نسخة مصححة مسببه بالسين المهملة وتشديد الموحدة المكسورة اسم فاعل مرفوع معطوف على خالق ويجوز جره عطفا على فعله فيكون بمعنى السبب ثم أشار الى تعليل ثان ودليل على كون الفعل في الآيتين حقيقة وأعاد اللام اشارة الى استقلاله ومغايرته لما قبله فقال (ولانه ليس في قدرة البشر) فهذا اللفظ مشترك يقال على الانسان ويستوي فيه الواحد وغيره فلا يجمع ويقال بشر وابشار جمع بشرة وهي أعلى الجلد (توصيل تلك الرمية حيث وصلت) أي مكان وصولها من وجوههم لانه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لعلي كرم الله تعالى وجهه يبدر ناولني كفا من الحصباء فناوله فرمى به وجوه القوم فما بقي الامن وقع في عينيه منها وقيل أخذ قبضة من تراب ورمى بها وقال شاهت الوجوه فما بقي مشرك

الاشغل بعينيه يعالج التراب الذى فيهما فنزل وما رميت ذكره ابن الجوزى وذكران سبب نزول قوله تعالى فلم تقتلوهم الخ ان الصحابة رضى الله عنهم لما رجعوا من بدر جعلوا يقولون قتلنا وأسرنا فنزلت فجعل لهما سببى نزول وهو لا ينافى ماذكره المصنف رحمه الله من ان الملائكة عليهم الصلاة والسلام قاتلوا لان ماقالوه بناء على ما رأوه بحسب الظاهر والى ماذكر أشار بقوله (حتى لم يبق منهم من لم تملأ عينيه) أى لم يبق من المشركين أحد لم تملأ رميته صلى الله تعالى عليه وسلم عينيه من التراب ودقيق حصباته حقيقة أو نظر اللاكثر ولذا قيل عرفا فانه روى هنا وهذا فعل الله لا فعله صلى الله تعالى عليه وسلم والفرق بين التعليلين ان الاول بناء على ان الله تعالى خالق لفعل العبد ولقدرته عليه وموجد لسببه وهو غير مختص بما نحن فيه ولذا قدمه والثانى مبنى على ان هذا الفعل ليس مقدورا للبشر فعلى الاول هو حقيقة باعتبار الواقع دون عرف اللغة وعلى الثانى حقيقة لغوية وعرفية والمذاهب فى الافعال ثلاثة فقيل ان العبد موجد لفعله بكسبه والله خالق لقدرته وتمكينه منه وقيل الفاعل هو الله لا غير وقيل ان الله والعبد موجدان للفعل ولا مانع من اجتماع مؤثرين على أثر واحد وللجلال تحرير مستقل فى هذه المسئلة وعلى كل حال فالعبد مباشر فيصح النفى عنه والاثبات له ولله اذ الفعل ينسب الى الموجد والمباشر كليهما على الحقيقة اللغوية واعترض بانه لو صح هذا صح ماصليت والله صلى وكذا فى المعاصى وأجيب بانه ان أراد صحة نسبة جميع الافعال الى الله فهو ممنوع اذ قد يمنع عنها مانع مع صحة المعنى كايهام أو بشاعة كما قيل فى العارف وخالق الخنازير واطلاق الشارع لا يقاس عليه وان أراد صحة النفى عن العبد واثباته حقيقة لله فبطلانه مسلم وخص هذا المقام بذكره لانه مظنة الخيلاء اذ قالوا قتلنا وأسرنا فنزلت تعليما وتاديبا فلا يرد اذ لك الامن الله وقد صرح المحقق فى شرح المقاصد بان الفعل لا يسند حقيقة الا لمن قام به لا لمن أوجده وشنع على من قال بخلافه وبه صرح شراح الكشاف فى قوله تعالى شققنا الارض شقا فاسناد القتل والرمى الى الله مجاز على مافيه أو أراد ان القتل والرمى ثابتان له خلقا دون البيعة معه واليد فليست بالمعنى المصطلح ثم كونه تعالى خالق القدرة والسبب لا دخل له فى المدعى وانما ذكر للمناسبة انتهى ملخصا * أقول الفرق بين الفاعل اللغوى والفاعل الحقيقى الذى وعدناك به أمر مهم ولم يحققه أحد كالابهرى فى شرح العضد حيث قال الفاعل يجب ان يكون سببا قابليا لفعله ليصح الاسناد اليه لغة فاذا خلق الله شيئا فى محل يقوم به يسند ذلك الشئ الى محله وان لم يكن له مدخل فى التاثير لا اليه تعالى وكذا نحو الطاعة والمعصية والعيب مما يقوم بالعبد يسند اليه دون الله وان كان أوجده ولذا شدد النكير على المعتزلة فى اسناد الكلام الى الله لكونه أوجده ولم يقم به لعدم صحته لغة بالاستقراء واذا أسند الفعل لغير السبب القابلى لم يجعل مجازا عن فعل آخر مناسب له ويكفى فى هذا ان يعد سببا قابليا فى عرف اللغة ولا يجب ان يكون محلا له فى الحقيقة كما فى سرتنى رؤيتك فلا تجد أحدا من العرب يخطر بباله عند اسناد الضرب لعمرو والمسرة الى الرؤية ان فاعلهما غير المذكور وهكذا يجب ان يفهم هذا المقام لتندفع به الاوهام الى آخر ما حققه بما لا مزيد عليه ولم يذكر فيه اختلافا مع طول باعه وسعة اطلاعه واذا عرفت هذا ففيما ذكره هذا القائل أمور منها ان قوله ان الفعل ينسب للموجد والمباشر حقيقة لغوية غير صحيح لانه لا ينسب الا لمن قام به وعد محلا له عند أهل اللسان مع ان أول كلامه غير مناسب لآخره ومنها ان الحقيقة تطلق على ما يقابل المجاز الاصطلاحى وعلى الواقع ونفس الامر والمصنفون اذا أرادوا الاول قالوا هذا مراد به كذا لا حقيقته واذا أرادوا الثانى قالوا هو فى الحقيقة بمعنى كذا فترديده فى كلام المصنف لا وجه له ومنها ان قوله ان العارف لا يطلق على الله لايهامه يعنى انه يختص بالجزئيات أو بما يسبقه جهل والاول يوهم اختصاص علمه تعالى والثانى يوهم مالا يليق به جل وعلا تبع فيه غيره وقد رده الحافظ العراقى

(حتى لم يبق منهم من لم تملأ) أى تلك الرمية (عينيه) أى ترابا

و كذلك قتل الملائكة لهم حقيقة) أي في الصورة الكسبية والاضافة النسبية مثل اسناد القتل الى أفراد البشرية وانما احتاج الى ذكرهم لئلا يتوهم أن القدرة الملكية ليست كقوى البشرية في الاحتياج الى القوة الالهية والقدرة السبحانية فان المخلوقات باسرها متساوية في مرتبة العبودية فاندفع بتحرير نا ما توهم الدلجي خلاف تقرير نا حيث قال وما أحق هذا بالتعجب لان القائل حقيقة أيضا بالنسبة اليهم هو الله وهو خالق فعلهم وقدرهم ايجادا وابداعا وهم القاتلون مباشرة واكتسابا فلا خصوصية لهم بكون قتلهم حقيقة بدون اسناده الى الله حقيقة اه وظهر لي وجه آخر انه أراد بقوله حقيقة أنه وقع من الملائكة نوع من المباشرة في قتل الكفرة لانه انما كان نزول المعركة لمجرد وصول البركة وحصول النصرة (وقد قيل في هذه الآية الاخرى) أي الاخيرة وهي قوله تعالى فلم تقتلوهم الآية (انها على المجاز العربي) بالباء أي اللغوي أعني استعمال اللفظ في غير ماوضع له لعلاقة بين المعنى المجازي والحقيقي وهي هنا السببية وفي نسخة العرفي بالفاء قال العلامة محمد بن خليل الانطاكي الحنفي في حاشيته المسماة بزبدة المقتفي اعلم أن المجاز أن تجوز مستعملا عن معنى وضع ذلك اللفظ له وضع اللغة فهو المجاز اللغوي كالاسد للشجاع وأن تجوز عما وضعه الشارع له وهو الله ورسوله فهو المجاز الشرعي كالصلاة للدعاء وأن تجوز عما وضعه طائفة معينة فهو المجاز العرفي الخاص كالفعل للحدث وان لم تكن معينة فهو المجاز العرفي العام كالدابة للشاة

رحمه الله تعالى في نكتته على المنهاج بان امام الحرمين رحمه الله تعالى فسر العلم بالمعرفة وتبعه البيضاوي في تفسير قوله تعالى (وآخرين منهم لا تعلمونهم الله يعلمهم) فقال أي الله يعرفهم ان كان العلم بمعنى المعرفة متعديا واحدا واعترض عليه الفاضل المحشي وقال الجوهري علمت الشئ عرفته وقد وقع اطلاق المعرفة على الله في كلام النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأقوال الصحابة وأهل اللغة فلا حاجة للالتجاء للمشاكلة ونحوها والعجب من صاحب المواقف حيث قال علم الله لا يسمى معرفة اجماعا لا اصطلاحا ولا لغة ولنا عودة الى بيان ذلك ومنها ان قوله ان كون الله خالقا للقدرة الخ لا دخل له في مدعاه عجيب منه فانه اذا خلق فعل العبد وقدرته عليه وسببه كان ذلك أبلغ من نسبته له على أتم الوجوه فاي مدخلية أعظم من هذه (و كذلك قتل الملائكة لهم حقيقة) منهم لمباشرتهم له وحقيقة يجوز رفعه خبر القتل ونصبه على الحالية وكذلك خبر مقدم وهذا مبني على أن الملائكة عليهم الصلاة والسلام قاتلوا في بدر وان قوله ولكن الله قتلهم بتقدير ولكن ملائكة الله قتلوهم ومنهم من منع قتالهم معهم كما ذكره المفسرون وقال بعض الشراح ما أحق هذا بالتعجب لان القاتل حقيقة بالنسبة اليهم هو الله الخالق لافعالهم وقدرتهم وهم المباشرون فلا خصوصية لهم بكون قتلهم حقيقة لم يسند لله وأيضا لا يظهر كون لم يقتلوهم مثل ان الذين يبايعونك الا أن يقال ان اللفظ يطلق على معناه وعلى كماله المقصود منه فاطلق أولا على ماوضع له من نفي القتل والرمي مع صدوره صورة في قوله تعالى فلم تقتلوهم ومارميت ثم ثانيا على المقصود من قذف الرعب في قلوبهم ومنفعة الرمي وتاثيره ولكن الله قتلهم ولكن الله رمى فهو من اطلاق السبب على المسبب وورد ان الملائكة عليهم الصلاة والسلام باشروا القتال فاسناده حقيقة اليهم لا الى الصحابة رضي الله تعالى عنهم فيصح النفي عنهم فما ذكر من قصور الفهم ثم قال ان هذا الدليل انما يدل على أن النفي عن العبد حقيقة لا الاسناد الى الله اذ لا يلزم من كون الايصال من الله والقتل من الملائكة عليهم الصلاة والسلام أن يكون القتل والرمي من الله فلعله ساق الدليل الاول لحقيقة الاسناد الى الله تعالى والثاني لحقيقة النفي فالمجموع دليل على الاثبات والنفي أو الثاني دليل لبعض المدعى ومثله شائع وهذا ليس بشئ والحق وروداعتراضه وقصور فهمه من رده وأما الثاني فغير وارد وقد علم جوابه مما قررناه أولا (وقد قيل في هذه الآية الاخرى) وهي فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم (انها على المجاز العربي) وفي نسخة العرفي بالفاء ولما كان الفاعل الحقيقي هو الله تعالى كما مر تحقيقه كان اطلاق الفعل على غير فعله واسناده لغيره ليس حقيقيا فيكون مجازا بالنسبة للحقيقة الا أن عادة العرب ولغتهم وعرف تخاطبهم على عدغيره فاعلا حقيقية والقرآن ورد بلسانهم وجرى على نهج كلامهم وهذا معنى قوله العربي والعرفي فهما بمعنى ولذا جعل بعضهم المجاز العربي شاملا للمجاز في اللفظ والاسناد وان كان المراد هنا الاول والمراد بالعرف عرف اللغة وقيل المراد بالعربي اللغوي وهو اللفظ المستعمل في غير ماوضع له في اصطلاح التخاطب وهو احتراز عن المجاز العقلي في الاسناد والنسبة وللتلمساني هنا كلام يتعجب منه وهو المراد بالعرفي ما عدل به عما وضع في عرف غير اللغة والشرع ولا وجه لارادته في هذا المقام الا أن يراد به ما يقع عرف اللغة فهو في مقابلة العقلي وقد عرفت أنه كلام ساقط برمته وكذا ما قيل ان المجاز لا يختص بلغة العرب الا أنه لما كان مبحوثا عنه في علم البيان المدون للفظ

(ومقابلة اللفظ) أى وعلى مقابلة اللفظ (ومناسبته) أى لما بينهما من العلاقة المؤذنة باستعمال ما وضع للسبب من اللفظ فى مسببه
(أى ما قتلتموهم) أى أيها الامة حين قتلتموهم بآلات القتل (وما رميتهم أنت) أيها النبى (اذ رميت وجوههم بالحصباء) بالمد
أى بالحصى أو بالاحجار الصغار يخالطها التراب (والتراب ولكن الله رمى قلوبهم بالجزع) أى وأوقع فى صدورهم الرعب والفزع
(أى ان منفعة الرمى) أى وكذا فائدة القتل (كان من فعل الله تعالى فهو القاتل والرامى بالمعنى) أى الذى هو ابتلاهم بالرعب
وادخال التراب فى أعينهم حتى انهزموا (وأنت) أى القاتل والرامى (بالاسم) أى من حيث مباشرتهما بالوسم وصورة
المبنى وحذف قوله
القاتل والرامى فى الجملة
الاخيرة للعلم به من الجملة
المتقدمة اذ هو من دلائل
الاوائل على الاواخر والله
أعلم بالظواهر والضمائر
والحاصل فيه ما حكى
عن المهدوى وأوضحه
هبة الله بن سلامة ان الرمى
أخذ وارسال وتبليغ
وايصال فالذى أثبت الله
سبحانه وتعالى لنبيه
صلى الله تعالى عليه
وسلم هو الاخذ والارسال
والذى نفى عنه وأثبته
لنفسه هو التبليغ
والايصال والله تعالى
أعلم بالحال ثم أعلم بطريق
الانعطاف الى القضية
الامنية أن السكينة
الواقعة فى الآية المكنية
هى كناية عن تسكين
نفوس المؤمنين بتحصيل
اليقين وذلك أنه صلى
الله عليه وسلم كان أخبرهم
حين توجه للحديبية
بانهم يدخلون مكة آمنين
ويطوفون بالبيت لرؤيا
كان رآها فذكر الله سبحانه
وتعالى فى هذه الآية أنه خلق فى نفوسهم ثقة بهذا وجعلها مستقرة فى نفوسهم
ومستمرة الى أن يقع ما وعدهم به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ويشاهدوه معاينة فيزدادوا بذلك ايمانا مع ايمانهم وقد قضى الله
أن يكون ما وعدهم به رسوله لان رؤيا الانبياء وحى ولكن فى غير ذلك التوجه ولهذا لما انكشف أمر الحديبية عن الصلح قال بعض
أصحابه يا رسول الله ألم تقل لنا انا ندخل مكة آمنين ونطوف بالبيت فقال لهم بلى فقلت لكم فى عامى هذا فكان تحقيق هذا فى عام
الفتح والى ذلك أشار الله سبحانه وتعالى بقوله لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين وجاء قوله

العربى سمى عربيا وهو اصطلاح لم نجده لغيره (ومقابلة اللفظ ومناسبته) بجرهما عطفا على المجاز
وعطف مناسبته على مقابلة عطف تفسيرى ان اتحدا والظاهر تغايرهما فانه الاصل والمراد بالمقابلة
صنعة الطباق وهى الجمع بين متضادين فى الجملة سواء كانا مثبتين نحو (وتحسبهم أيقاظا وهم رقود)
أو أحدهما مثبت والآخر منفى نحو ولكن اكثر الناس لا يعلمون يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا
كما فى التلخيص وليس المراد المقابلة التى ذكرها السكاكى والمراد بالمناسبة ذكر اليد فى الجانبين والقتل
والرمى فيهما فهى بالمعنى اللغوى كالمقابلة وليس المراد بها المشاكلة على حد قوله

قالوا اقترح شيأ نجد لك طبخه * قلت اطبخوا الى جبة وقميصا

كما قيل وقال التلمسانى رحمه الله تعالى المراد بالمقابلة ايراد الالفاظ المتوالية متماثلة فى الترتيب والمادة
كما ذكره ابن رشيق وهو أكثر ما يقع فى الفاظ الكتاب كقول البحترى

تطيب بمسراها البلاد اذا سرت * فينعم رياها ويصفو نسيمها

والمناسبة ذكر الشئ مع ما يناسبه على جهة الاستعارة أو التشبيه كقول المتنبى

سقيتها عبرات ظنها مطرا * وسائلا من جفون ظنها سحبا

انتهى
والاول لا مناسبة له بوجه من الوجوه والثانى يمكن ارادته (أى ما قتلتموهم وما رميت أنت اذ رميت
وجوههم بالحصباء والتراب) الحصباء بالمد الاحجار الصغار وقيل المختلطة بالتراب لان الغالب ان
الحصباء مع التراب وفى نسخة ما قتلتموهم اذ قتلتموهم اى لم توجدوا ذلك وتلحقوه ولم يكن منكم
ما أثبت الله من رمى قلوبهم بالخوف والجزع لقوله (ولكن الله رمى قلوبهم بالجزع) أى رمى ما رماه من
الجزع وهو عدم الصبر لشدة الخوف ولم يتعرض لمعنى القتل المجازى لفهمه مما ذكر ولو جعل الرمى
شاملا لاتصال الحصباء لعيونهم الشاغل لهم كان أولى فالله هو الموجد لما ذكر والممكن منه وقيل كان
مقتضى الظاهر أن يقول وما شغلت قلوبهم بالجزع ولكن الله شغلها به فعبر عن شغلها بالرمى لمشاكلة
قوله رميت قاصدا بالرمى رمى الجزع فى قلوبهم على تقدير المفعول كما قصد النبى صلى الله تعالى عليه
وسلم رمى الحصباء (أى ان منفعة الرمى كان من فعل الله تعالى) والمنفعة والنفع بمعنى وهو ما يقابل
النصر وفى لحن العامة للزبيرى اذا ذكر الضر مع النفع فهو بفتح الضاد كقوله تعالى (لا أملك لنفسى
نفعا ولا ضرا) واذا ذكر وحده فبالضم كقوله مسنى الضر والنفع بالنصر والغلبة والقوة أو شغل قلوبهم
بالجزع وسكت عن القتل لعلمه منه فالمراد بالفعل فائدة الموضوع له (فهو القاتل والرامى بالمعنى)
والحقيقة لانه الموجد له ولسببه ومنفعته المقصودة منه فكانه هو الذى فعله وتفريع القاتلية يدل على
أنه مقدر قبله أو فى حكمه أو منفعة الرمى التى هى الجزع والرعب سبب القتل فاذا كانت من الله فهو
القاتل لانه الموجد لسببه والرامى لانه الموجد لفائدته فلا تقدير والمعنى المقصود والفائدة من أجل
سببها فهو الموجد لها (وأنت بالاسم) أى بتسميتك راميا واطلاق لفظه عليك لغة لمباشرتك وان

كان

سبحانه وتعالى فى هذه الآية ولله جنود السموات والارض باثر ذكر السكينة زيادة فى تسكين نفوسهم واشعارا بان الله سبحانه وتعالى قادر على مايشاء ثم عقب ذلك بوصفه نفسه بالعلم والحكمة أى فلا تستعجلوا ماوعدكم به النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فان الله يعلم فى تاخير ذلك حكمة وهو معنى قوله تعالى فعلم مالم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا وقوله سبحانه وتعالى ليدخل المؤمنين والمؤمنات أريد بهم الذين أنزل السكينة فى قلوبهم فصدقوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وفى حديث الترمذى بسند صحيح من رواية قتادة عن أنس رضى الله تعالى عنه قال نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وما تأخر مرجعه من الحديبية فقرأها عليهم فقالوا هنيئا مريئا يانبى الله قد بين الله لك مايفعل بك فما يفعل بنا فنزل ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ويكفر عنهم سيئاتهم والواو لمطلق الجمع والا فتكفير السيئة قبل ادخالهم الجنة هذا وقد ذكر المفسرون فى قوله تعالى الظانين بالله ظن السوء معنيين أحدهما أنه كناية عن قولهم لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى أهليهم أبدا والآخر انه كناية عما يعتقدونه من صفات الله سبحانه وتعالى على غير ماهى عليه فهو ظن سوء باعتبار انه كذب وموصل لصاحبه الى جهنم ودائرة السوء المصيبة السوء وسميت دائرة من حيث انها تحيط بصاحبها كما تحيط الدائرة بمركزها على السواء من كل الجهات والى هذا مال النقاش فى تفسيره وذهب بعضهم الى انها سميت دائرة لدورانها دوران الزمان لما كان يذهب ويجئ على ترتيب واحد صار كانه مستدير ومنه حديث وان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض فكان الخطوب والحوادث فى طيه تدور بدورانه ثم سميت بيعة الحديبية بيعة الرضوان لقوله سبحانه وتعالى فيها لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة وهى سمرة من شجرة العضاة وذهبت بعد سنين من الهجرة ومر عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى خلافته بذلك الموضع فاختلف أصحابه فى موضعها وكثر تشاجرهم فى ذلك فقال عمر هذا هو التكليف سيروا واتركوها وكان الذين بايعوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ألفا وأربعمائة فى احدى الروايتين عن جابر وألفا وخمسمائة فى الرواية الاخرى عنه فبايعوا رسول ٢٨٩ الله صلى الله تعالى عليه وسلم على

كان الفاعل هو الله تعالى وفى عبارة المصنف رحمه الله تعالى اشارة الى انه تعالى لو قال فلم تقتلوهم اذ قتلتموهم جاز أن يكون الخطاب للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم والمؤمنين كما انه فى قوله اذ رميت له خاصة ولا ضير فيه وان لم يباشر القتل بنفسه لجواز أن يسمى قاتلا لانه السبب والآمر بالقتال أو لينسب القتل للجميع تغليبا للاكثر على الاقل لانه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يقاتل بنفسه فى وقعة بدر كما قاله التجانى وغيره * (الفصل العاشر فى) ذكر (ما أظهره الله تعالى فى كتابه العزيز) أى لعديم النظير أو الغالب لغيره من الكتب بالنسخ أو الممتنع من مضاهاته باعجازه أو من التغيير

أن لا يفر وقال جابر ولم يبايعوه على الموت وقال سلمة بن الاكوع فى حديثه بايعناه على الموت وكلا الحديثين صحيح لان بعضهم بايع على ان لا يفر ولم يذكر الموت

(٣٧ شفا ل) وبعضهم بايع على الموت ولم يتخلف عن هذه البيعة أحد ممن حضر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الا الجد بن قيس فانه اختبأ تحت ناقته وكان عثمان رضى الله عنه غائبا بمكة وبايع عنه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بيده وقال هذه يد عثمان رضى الله عنه وكانت هذه البيعة بسبب غيبة عثمان عند ماذكر ان أهل مكة قتلوه وكان صلى الله تعالى عليه وسلم عند ماتوجه الى مكة أراد أن يبعث رجلا الى قريش يخبرهم أنه لا يريد حربا وانما جاء معتمرا فبعث اليهم خراش بن أمية الخزاعى فلما وصل اليهم أرادوا قتله فمنعته الاحابيش قال ابن قتيبة فى المعارف وهم جماعة اجتمعوا فتحالفوا ان يكونوا كلا على من سواهم والتحبش فى كلام العرب التجمع وخلوا سبيل خراش حتى أتى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاخبره بذلك فاراد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أن يبعث عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه اليهم فقال عمر يارسول الله انى أخاف قريشا على نفسى وليس بمكة من عدى بن كعب من يمنعنى وقد علمت قريش عداوتى اياها وغلظتى عليها ولكن أدلك على رجل أعز بها منى عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه فدعا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عثمان فبعثه الى أبى سفيان واشراف قريش يخبرهم انه لم يات للحرب وانما جاء زائرا البيت ومعظما لحرمته فخرج عثمان الى مكة فلقيه أبان بن سعيد بن العاص قبل أن يدخل مكة فترجل له وحمله على دابته وأجاره بالزاى فانطلق عثمان حتى أتى أباسفيان وعظماء قريش فبلغهم عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما أرسله به فقالوا له حين فرغ ان شئت أن تطوف بالبيت فطف فقال ما كنت لافعل حتى يطوف به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واحتبسته قريش عندها تبره وتكرمه فاتفق ان خرج صارخ فى عسكر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قد قتل عثمان فاغتم المؤمنون وقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لانبرح ان كان هذا حتى نلقى القوم وأمر مناديه فدعا الى البيعة وبلغ بعد ذلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الذى كان من أمر عثمان باطل وجاء الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سالما فحمد الله على ذلك والمبايعة فى الآية مفاعلة من البيع لان الله سبحانه وتعالى باع منهم الجنة بانفسهم وأموالهم وباعوه أنفسهم وأموالهم بالجنة وبقية قضية الحديبية فى المواهب اللدنية

(الفصل العاشر) (فى) أى فى ذكر (ما أظهره الله فى كتابه العزيز) أى المنيع الذى لا يعترى ساحة عزه ابطال وتحريف

أو الكثير النفع العديم النظير اللطيف (من كرامته عليه ومكانته عنده) الاولى لديه (وما) أى وفى بيان ما (خصه به من ذلك) أى الاكرام (سوى ما انتظم) أى غير ما دخل (فيما ذكرناه قبل) هو مبنى على الضم مقطوع عن الاضافة أى قبل ذلك فى الفصول السابقة من الفضائل المتقدمة (من ذلك) أى الذى أكرم به ولم ينتظم فيما ذكره قبل (ما نصه الله تعالى) أى صرحه وفى نسخة قصه (من قصة الاسراء فى سورة سبحان) وفى نسخة فى قصة الاسراء من سورة سبحان وهى غير صحيحة (والنجم) أى وفى سورته وقد سبق الكلام عليه (وما انطوت) أى ومن ذلك ما اشتملت (عليه القصة) أى القضية (من عظيم منزلته وقربه) أى قرب مكانته المفهوم من قوله تعالى دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى (ومشاهدته) أى مطالعته (ما شاهده من العجائب) أى ما رآه من الغرائب المستفاد من قوله تعالى لقد رأى من آيات ربه الكبرى كرؤية الانبياء وتمثيلهم له ووقوفه على مقاماتهم وعجائب الملكوت وغرائب الجبروت ومشاهدة الملائكة المقربين وحملة العرش والكروبين ورؤية العرش المحيط بالسموات والارضين ورؤية رب العالمين مع كونه ذهابه وايابه فى برهة من الليل مسيرة مالا يعلمه أحد من المهندسين وقد ورد ان ما بين الارض وسماء الدنيا مسافة خمسمائة عام وكذا ما بين كل سماء وسماء وكذا غلظ كل سماء وجميع السموات والارضين بجنب الكرسى كحلقة فى فلاة وهو بجنب العرش كحلقة فى فلاة وقد تعجب قريش من ذلك وأحالوه ولا استحالة فيه عند أرباب العقول اذ ثبت عند الحكماء فى علم الهندسة ان ما بين طرفى قرص الشمس ضعف ما بين طرفى كرة الارض مائة ونيفا وستين مرة ومع ذلك فطرفها الاسفل يصل موضع طرفها الاعلى فى أقل من ساعة وقد حكم علماء الكلام من علماء الانام بان الاجسام متساوية فى قبول الاعراض وان الله قادر على جميع الممكنات فلا ينكر ان يخلق مثل هذه الحركة السريعة فيه صلى الله تعالى عليه وسلم أو فى البراق كيف وقد ورد انه يضع حافره عند منتهى طرفه والتعجب من لوازم المعجزات (ومن ذلك عصمته من الناس بقوله تعالى والله يعصمك من الناس) أى يحفظك من تعرض أعدائك للترمذى كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يحرس حتى نزلت فقال يا أيها الناس انصرفوا فقد عصمنى الله ولا ينافيه ما فى البخارى وغيره من شج وجهه وكسر رباعيته يوم أحد لخصوص العصمة بالقتل تنبيها على انه يجب على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أن يتحمل ما دون النفس لان الانبياء عليهم الصلاة والسلام أشد الناس من جهة البلاء أو انهما بعد وقعته قال المنجانى والمراد بالناس فى الآية الكفار بدليل قوله تعالى ان الله لا يهدى القوم الكافرين قلت الظاهر هو العموم ولا دلالة فى الآية على قصد الخصوص عند أرباب المفهوم وان كان الخصوص من الخارج هو المعلوم

والتحريف لحفظ الله له (من كرامته عليه) يقال كرم عليه لتضمينه معنى العزة أو هى بمعنى عنده وعدل عنها لئلا يتكرر مع قوله (ومكانته عنده) أى علو مرتبته وشرفه عند الله كما مر (وما خصه به من ذلك) المذكور من الكرامة والمكانة وهو تخصيص بعد تعميم أى فيه كرامات وتشريفات مشتركة ومخصوصة به صلى الله تعالى عليه وسلم (سوى ما انتظم فيما ذكرناه قبل) أى غير ما دخل فيما قبله من الفصول وقيل مبنى على الضم وانتظم يكون لازما ومتعديا كما صرح به أهل اللغة وفيه استعارة ظاهرة وقيل متعلق به أو بذكرنا على التنازع فيه ولما لم تستوعب كراماته قيل أردفه بفصل كمله به ولم يدرجه فى بعض ما سبق كالملاطفة لترجيح هذه الطريق (من ذلك ما قصه الله تعالى) من قصصت الخبر اذا ذكرته على وجهه كما فى المصباح فهو أخص من الذكر مع مجانسته لقوله (من قصة الاسراء فى سورة سبحان و) سورة (النجم) وهو متعد بنفسه فلا حاجة لجعله بمعنى نص عليه على الحذف والايصال والاسراء سيره صلى الله تعالى عليه وسلم من مكة الى الاقصى وما فوقه معراج وعروج ويطلق على ما يشملهما أيضا كما مر وهذا وان تقدم مفصلا الا أنه ذكره هنالك استطرادا وهنا اصالة لعقد الفصل لامثاله (وما انطوت) أى اشتملت (عليه القصة من عظيم منزلته وقربه) من الله المفهوم من قوله وغير ذلك (ومشاهدته ما شاهد من العجائب) وهذا بناء على أن المراد بالدنو الآتى دنو النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من الله أو دنو الله منه دنو منزلة ومكانة لا منزل ومكان بخلاف القول بان المراد دنو جبريل عليه الصلاة والسلام منه والعجائب ما رأى من آيات ربه الكبرى ورؤية الانبياء عليهم الصلاة والسلام وذهابه صلى الله تعالى عليه وسلم وايابه فى برهة من الليل الى غير ذلك (ومن ذلك) عطف على من ذلك المتقدم أى ومما أظهره وقيل الاشارة الى عظيم منزلته وقربه (عصمته من الناس) أى حفظه صلى الله تعالى عليه وسلم عن أن يصل اليه كيدهم ومكرهم الذى أشير اليه بقوله (والله يعصمك من الناس) أى يحميك عن القتل وما لا يليق من الاهانة وقد تقدم الجمع بين هذا وبين كسر ثنيته صلى الله تعالى عليه وسلم باحد بتخصيص العصمة بالقتل أو تأخر نزول هذه الآية والمراد بالناس الكفار كما فى قوله أمرت أن

أقاتل

أقاتل الناس الحديث (وقوله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا الآية) أى ومن العصمة قوله الى آخره وهو مجرور معطوف على قوله وكذا ما بعده وتمام الآية ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين وهذا كان لما بايع صلى الله تعالى عليه وسلم الانصار بالعقبة وأمر أصحابه رضى الله عنهم بالذهاب للمدينة أشفقت قريش من ظهوره صلى الله تعالى عليه وسلم فاجتمعوا بدار الندوة للمشاورة فى أمره فاتى ابليس اليهم بصورة رجل نجدى وقال سمعت ما اجتمعتم له فاحببت أن أكون معكم ولم تقدموا من رأى نصحا فقال بعضهم احبسوه وتقاوتر بصوابه ريب المنون فقال الشيخ ماهذا برأى يوشك أن يثبت أصحابه فياخذونه من بين أيديكم فقال آخر اخرجوه من بين أظهركم فقال ماهذا برأى يجمع جموعا ويأتى اليكم فقال أبو جهل لعنه الله تعالى ناخذ من كل قبيلة غلاما معه سيف فيضربونه ضربة رجل واحد فيتفرق دمه فى القبائل فلا تطيق قريش تقدر على حربهم كلهم فيقبلون العقل ونستريح منه فقال ابليس لعنه الله تعالى هذا هو الرأى وتفرقوا فاتاه جبريل عليه السلام وأخبره بذلك وأمره أن لا يبيت بمضجعه فى هذه الليلة فامر عليا كرم الله وجهه بان يرتدى ببرده وينام مكانه ففعل فاتوا وأحاطوا بمكانه فلما أصبحوا أتوه فرأوا عليا وقد خرج صلى الله تعالى عليه وسلم ليلا الى الغار على ما فصل فى السير وعلى أول من باع نفسه لله تعالى كما قال

وقيت بنفسى خير من وطئ الثرى * ومن طاف بالبيت العتيق وبالحجر

فى شعر نسب له ويثبتونك معناه يوثقونك ويحبسونك ويمكر الله مشاكلة بمعنى يجازى مكرهم بما يليق به كقوله تعالى نسوا الله فنسيهم قال التجانى وخير الماكرين أقدرهم وأعزهم جانبا لانه أثبت للكفار مكرا فصح التفضيل عليهم فيه وقيل عليه انه يقتضى ان أصل المكر ثابت له كما ثبت لهم الا أنه خير منهم مع ان الثابت له انما هو المجازاة المعبر عنها بالمكر مشاكلة واذا ثبت لهم المكر الحقيقى وهو ايصال المكروه حقيقة وله المجازاة عليه فيكون الماكرين بمعنى المجازين وهو ممنوع عند النحاة كتثنية العينين المشتركتين فالحق ان المراد خير المجازين على المكر كما قيل فى أحسن الخالقين انه بمعنى المقدرين وفيه بحث (وقوله تعالى * الا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا * الى آخره) بالجر كما روى وروى بالرفع عطفا على العصمة وفى هذه الآية تتميم لما قبلها والمعنى ان لم تنصروه فسينصره من نصره قبل ذلك وهو بين أعدائه وقد هموا به وأماهموا به فأذن له صلى الله تعالى عليه وسلم فى الهجرة أو أمده بالملائكة وظرفية الاخراج للنصر لانه سبب له أو لانه سلمه من أعدائه وأعمى أبصارهم عنه صلى الله تعالى عليه وسلم وحماه فى الغار وقصة سراقة معه فلا اشكال فيه والآية نزلت فى غزوة تبوك ونسب الاخراج الى الكفار وان كان منه باذن الله تعالى لانهم سببه كما قصصناه عليك (ومادفع الله به) أى بحفظه من غير معين له أو ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم (فى هذه القصة) المشار اليها بقوله تعالى واذ يمكر بك الى آخره فى الهجرة والغار والطريق وقوله تعالى الا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين اذ هما فى الغار (من اذاهم) أى أذيتهم له صلى الله تعالى عليه وسلم بما

(وقوله) بالجر أى ومن ذلك عصمته منهم قبل نزول تلك الآية بقوله تعالى (واذ يمكر بك الذين كفروا الآية) ذكره سبحانه وتعالى بعد الفتح مكر قريش به بمكة قبل الهجرة ليشكر نعمة ربه بخلاصه من مكرهم به واحتيالهم عليه فالقصة مكية والآية مدنية أى واذكر اذ يمكرون بك فى دار الندوة متشاورين فى أمرك بحضور عدو الله ابليس حيث دخل فيهم وقال أنا شيخ من نجد سمعت اجتماعكم ولن تعدموا منى رأيا ونصحا ليثبتوك بوثاق أو حبس اشارة الى قول أبى البخترى ٢٩١ أرى أن تحبسوه وتشدوا منافذه الى كوة تلقون اليه منها طعامه وشرابه حتى يموت فقال ابليس بئس الرأى يأتيكم من قومه من يخلصه منكم أو يقتلوك اشارة الى قول أبى جهل لعنة الله عليه أرى ان تاخذوا من كل بطن غلاما مع كل واحد سيف ويضربونه ضربة واحدة فيتفرق دمه فى القبائل فلا يقوى بنو هاشم على حرب قريش كلهم فاذا طلبوه عقلناه فقال ابليس صدق الفتى أو يخرجوك اشارة الى قول هشام بن عمرو أرى أن تحملوه على جمل فتخرجوه من أرضكم فلا يضركم ما صنع فقال ابليس بئس الرأى يفسد قوما غيركم ويقاتلكم بهم فتفرقوا على رأى أبى جهل فاخبره جبريل بذلك وقال له لا تنم الليل فى مكان نومك فامر عليا أن ينام فيه وخرج عليهم وقد اجتمعوا عشاء لقتله وأخذ كفا من تراب فنثره على رؤسهم يقرأ يس والقرآن الحكيم الى قوله تعالى لا يبصرون وهذا معنى قوله تعالى ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين فمكر الله من باب المشاكلة أو محمول على المعاملة (وقوله) بالجر أى ومنه عصمته بقوله تعالى (الا تنصروه فقد نصره الله) أى ان لم تنصروه ولم تخرجوا معه الى غزوة تبوك فسينصره من نصره عند قلة أوليائه وكثرة أعدائه اذ أخرجه الذين كفروا وليس معه الا أبو بكر فحذف الجواب وأقيم ما هو كالدليل عليه مقامه وأسند اليهم الاخراج لتسبب اذن الله له فى الخروج عن همهم به فكأنهم أخرجوه وقوله ثانى اثنين حال من ضمير أخرجه أى أحد اثنين روى ان جبريل لما أمره بالخروج قال من يخرج معى قال أبو بكر (ومادفع الله) أى ومنه مادفعه الله (به) أى بنصره (عنه فى هذه القصة) أى قصة مكرهم به لقوله تعالى ولا يحيق المكر السيئ الا باهله ولما قيل من حفر بئرا لاخيه وقع فيه والمعنى ما حفظ الله له (من اذاهم) أى ليلة عزموا على قتله

(بعـد تحزبهم) أي تجمعهم ووقع في نسخة بعد تحزيبهم براء مكسورة مشـددة فتحتية أي بعد قصدهم (لهلكه) بضم أوله وسكون ثانيه أي هلاكه (وخلوصهم) أي وبعد انفرادهم واعتزالهم خالصين من مخالطة غيرهم (نجيا) مصدر أو وصف أريد به معنى الجمع وقد جاء مفردا في قوله تعالى وقرىء بناء نجيا أو جمعا في قوله تعالى خلصوا نجيا كما هو المراد هنا أي متناجين ومتشاورين (في أمره) أي على أي صـفة يؤذونه ليظفروا بحاجتهم فطوقوا بخيبتهم (والاخـذ) بالجر في أكثر النسخ واقتصر عليه الدلجي حيث قال والظاهر كما في نسـخة مصححة رفعـه عطفا على ما دفع لا على اذاهم لفساد المعنى كما لا يخفى الا أن الاقرب والاظهر الانسب انه مجرور عطفا على تحزبهم وخلوصهم والمعنى بعد الاخذ (على أبصارهم عند خروجه عليهم) أي مع أبي بكر الى الغار ليلة قصدوا اقتله و كذا الـكلام من حيث المبني والمعني على قوله (وذهولهم) أي غفلتهم (عن طلبه في الغار) أي مع ترددهم حوله فلم يهتـدوا اليه وذلك بآيات أظهـرها الله في الحال من نسج العنكبوت على الغار حتى قال أمية ابن خلف حين قالوا ادخل الغار ما أرى الا انه قبل ان ولد محمـد صلى الله تعالى عليه وسلم و بعث جامث بن على فم الغار فقالت قـريش لو كان فيه أحد لما كانت الحمام هنالك والمـراد بالغـار نقب بأعلى جبل ثور عن يمين مكة مسـيرة ساعة واللام فيـه للعهد (وما ظهر) أي لهـم (في ذلك مـن الآيات) اذ خرج عليهم وهم ببابه فلم يروه بناء على حجاب الله ونقابه تحت قبابه ونثره التراب على رؤسهم فلم يعلموا به حتى قيل لهم الى غير ذلك من الآيات والمعجزات (ونزول السكينة عليه) أي ومن نزول الطمانينة والامن الذي تسكن عنده النفوس على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم و يؤيده قوله تعالى وأيده بجنود لم تروها أو على أبي بكر رضي الله تعالى عنـه لانه الذي كان منزعجا لقوله تعالى اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فانزل الله سكينته عليه و يؤيده ان بعض القراء جعـل عليه وقفا لازما وجعل ما بعده كلاما مستأنفا أو عطفا على صدر القصة مما يكون محلا قابلا لئلا يلزم تفـكيك الضمير مع تجويز بعضهم ذلك كما في قوله تعالى أن اقذفيه في التابوت الآية وأما قول الدلجي ان هذا هو الحق فليس في محله لورود الخلاف عن أكابر المفسرين على ان التحقيق في مقام الجمع على جهـة التدقيق أن يقال المعنى فانزل الله سكينته على كل منهما بناء على ارادة زيادة الاطمئنان والسكون فيهما كما يدل عليه ما في مصحف حفصة فانزل الله سكينته عليهما ولا ينافيه ما ورد في تسلية الصديق من قوله صلى الله تعالى عليه وسلم ما ظنك باثنين الله ثالثهما

سياتي ومن مبينة لما المعطوفة على الناس واختـار بعضهم عطفها على عصمته على ان ما مصدرية أو موصولة ومن بيان لمقدر والتقدير ودفع الله بسبب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عنه أو الـكرامة التي دفع الله تعـالى بسببها عنه أمرا عظيما ولا يخفى ما فيه من التكلف من غير داع (بعد تحزبهم) بحاء مهملة وزاء معجمة وموحدة وفي نسخة تحزيبهم براء مهملة ومثناة تحتية أي قصدهم والاولى بمعنى تجمعهم في مشاورتهم مع أحزابهم وقرار رأيهم (لهلكه) بضم فسكون أي هـلاكه وهو مصـدر أو اسم مصـدر (وخلوصهم نجيا في أمره) أي بعد اخـلاصهم في أذيتـه منفردين في دار الندوة للمشاورة في أمره والخلوة أعون على الجسم والرأي ونجيا بمعنى متناجين ومناجين فهو فعيل بمعنى فاعـل أو مفـعول للمبالغة في التجوز و يقع على الواحد والجمع (والاخذ على أبصارهم عند خروجه عليهم) حقيقة الاخذ التناول باليد ونحوها ومنه أخذه الله بمعنى أهلـكه ومعنى أخذ الله على أبصارهم منعها من رؤيته صلى الله تعالى عليه وسلم مع ترقبهم له لما خرج من داره ماراعليهم والاخذ مجرور ومعطوف على تحزبهم وروي مرفوعا بالعطف على ما وقيل تقديره من الاخذ على أبصارهم عند خروجه لما أرادوا اقتله وهو خطا لاقتضائه دفع الاخـذ وهو ثابت (وذهولهم عن طلبه في الغار) الذهول ذهاب العقل والنسيان والغفلة والمراد هنا الاخير وفي الغار متعلق بالطلب أي ذهلوا عن أن يكون طلبهم له في الغار لا حال من ضميره لانهم طلبوه وهو فيـه لما اقتصوا أثره حتى بلغوه فصـدهم عنـه نسج العنـكبوت و بيض الحمام ببابه والغار نقب في الجبل كالمغارة فاذا اتسع فهو كهف و تعريفه للعهد لغار ثور والقريب من مكة بمقـدار ساعة (وما ظهر في ذلك) الغار أو الامر وهذا معطوف على عصمة أي ومن ذلك ما ظهر (لهم) أي للنبي صـلى الله تعالى عليه وسلم وأبي بكر رضي الله تعالى عنـه فيما ذكره من قصـة الهجرة والغار و جميع ضميرهما تعظيما وجمع ضمير المثنى كثير ولهم في أكثر النسخ والقدح فيه انه وهم ان الضمير للـكفار ولم يظهر لهم نزول السكينة عليه تعسف (من الآيات) الدالة على نبوته صلى الله تعالى عليه وسلم كوقوع كف من تراب على جميع رؤس جماعة رصدوه فقتلوا كلهم ببـدر ونبات شجرة تسمى الراء كاسم الحرف ببابه ونسج العنكبوت وتعشيش الحمام وبيضـه به وشفاء الصديق رضي الله تعالى عنه من لدغ الحيـة بريقه الشريف وشرب الصديق من ماء الجنة لما عطش به كما نقله الفيروزآبادي والطبري وفتح جبريل عليه الصلاة والسلام لطرف الغار الآخر عند خروجهما (ونزول السكينة عليه) أي على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أو على

أبي

أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه لما في مصحف حفصة رضي الله تعالى عنها فأنزل الله سكينته عليهما وقيل الحق الثاني لانه هو الذي كان منزعجا بدليل قوله قبله اذ يقول لصاحبه لاتحزن وقال التجاني في عود الضمير على النبي صلى الله عليه تعالى وسلم أو أبي بكر رضي الله تعالى عنه قولان وفي أحكام القرآن لابن العربي الاقوى انه لابي بكر رضي الله تعالى عنه لانه خاف على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فأنزل الله على قلبه سكينة أي طمانينة وأمنا وفي الشواذ عليهما ولذا قيل الضمير في عليه لهما واكتفي باعادته على أحدهما كقوله تعالى والله ورسوله أحق أن يرضوه كما ذكره ابن الجوزي عن ابن الانباري بعد ترجيح عوده لابي بكر رضي الله تعالى عنه وان كان ضمير وأيده بجنود للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم بلا خلاف لانه لا يحتاج للسكينة الا المنزعج ونظيره مامر في قوله تعالى وتوقروه وتسبحوه والقراءة الشاذة مؤولة بنسبة ماللواحد الى الاثنين كيخرج منهما اللؤلؤ والمرجان الا أن قوله تعالى ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين يصح عودها هنا للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم أيضا والسكينة فسرت بطمانينة الامن والرحمة والوقار فتفسر في كل محل بما يليق به مع ان طمانينته صلى الله تعالى عليه وسلم ليست كغيره لانها عن جزم بعدم وصولهم له وعدم قدرتهم لو وصلوا اليه على أذيته أوللرضى بما قدره الله تعالى وعدم المبالاة بما يناله لاجله كما قيل

وبما شئت في هواك اختبرني * فاختياري ما كان فيه رضاكا

(وقصة سراقة) بضم السين المهملة وراء مهملة وقاف (بن مالك) وسيأتي تفصيلها وهو ابن مالك بن جعشم بن مالك بن تيم بن مدلج بن مرة بن عبد مناف بن كنانة المدلجي الصحابي الحجزي رضي الله تعالى عنه وجعشم بضم الجيم والشين المعجمة بينهما عين مهملة ساكنة ومانقله البرهان عن الجوهري من انه بفتحهما ليس موجودا في نسخة كما قيل وكانت هذه القصة قبل اسلامه وأسلم في غزوة الطائف بعد فتح مكة ومات في سنة أربع وعشرين وكان شاعرا وبنو مدلج كلهم قافة والقيافة من علوم العرب وقلما يخطئون فيها وقد عمل بها النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في بعض الانساب (حسبما ذكره أهل الحديث والسير في قصة الغار وحديث الهجرة) حسب بفتح السين وسكونها منصوب أي موافقا لما ذكر وفي الحديث يجزي المرء على حسب عمله أي على مقداره وله معان أخر والحديث أقواله صلى الله تعالى عليه وسلم وأفعاله وأحواله وتقريراته ويطلق على قول الصحابي ونحوه أيضا كما فصل في محله وأهله علماؤه المعتنون به والسير جمع سيرة بمعنى الطريقة والخصلة ثم خص بغزوات النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأسفاره المفردة بالتدوين والهجرة الانتقال من دار لاخرى وهي هنا للعهد أي هجرته صلى الله تعالى عليه وسلم للمدينة المنورة (ومنه) معطوف على قوله من ذلك (قوله تعالى انا أعطيناك الكوثر الى آخره) أكده مع ضمير العظمة ايماء الى عظمة المعطي والمعطى وتشويقا ونفيا للشبهة فيه وعبر بالماضي لمضيه ان كان الكوثر مطلق الخير الكثير كما قال

وأنت كثير يا ابن مروان طيب * وكان أبوك ابن الفضائل كوثرا

وكذا ان كان اسم الحوض أو نهر في الجنة أحلى من العسل وأبيض من اللبن وأبرد من الثلج كما ورد في الحديث لتقدم العطاء وفي الروض الانف عن عائشة رضي الله تعالى عنها انها قالت الكوثر نهر في الجنة لا يدخل أحد أصبعيه في أذنيه الا سمع خرير ذلك النهر ونحوه مما ثبت في الاحاديث الصحيحة * فان قلت ما تسمع من الدوي اذا سدت الاذان بالاصابع انما هو لارتفاع الهوا المانع للاذن عن سماع حركة الابخرة التي في داخل الدماغ وهو امر طبيعي كما قال المتنبي في صفة حرب

وتسمع في الدنيا دويا كأنما * تداولت الاذان انملك العشر

(وقصة سراقة) بالجر عطفا على الآيات أي ومن قصة سراقة (ابن مالك) أي ابن جعشم وهو الذي أعطته قريش الجعائل وأخذ في طلب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حين هاجر وساخت قوائم فرسه عند ذلك وهو الذي ألبس له عمر رضي الله عنه سواري كسرى وقال الحمد لله الذي سلبهما كسرى وألبسهما سراقة وقد كان أخبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك فهي معجزة دائمة باقية الى يوم القيامة (حسب) بفتح الحاء والسين وقد يسكن الثاني واقتصر عليه الحلبي وغيره أي على قدر (ما ذكره أهل الحديث والسير) بكسر ففتح جمع سيرة وأرباب السير من الشمائل والمغازي (في قصة الغار وحديث الهجرة) أي مفصلا ومجملا لانه تبعهما حين توجها من الغار مهاجرين الى المدينة ليفتك بهما فرده الله خاسئا ثم أسلم بالجعرانة منصرف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من الطائف قال الحلبي وفي الصحابة من اسمه سراقة ثمانية عشر غيره (ومنه) أي ومن ذلك (قوله تعالى انا أعطيناك الكوثر) ومعناه سيأتي أي الكثير من أنواع التفضيل الآن فوعل أبلغ من فعيل وفيه تسلية له عن موت ابنه ابراهيم

(فصل لربك) فيه التفات من التكلم الى الغيبة اذ مقضى الظاهر فصل لنا أى قدم على الصلاة كما أمرنا أو على صلاة العيد خالصا لوجهه وشكر الانعمه فانها جامعة لانواع شكره لاشتمالها على أصناف ذكره و يؤيد الوجه الثانى قوله تعالى (وانحر) أى ضح بالبدن التى هى خيار أموال العرب وتصدق على المحتاجين من الفقراء والمساكين وقيل المراد بالنحر وضع المصلى يده فى الصلاة عند نحره و يروى هذا عن على كرم الله وجهه (ان شانئك) أى مبغضك (هو الابتر) أى مقطوع الخير والبركة فى الدنيا والآخرة أو الذى انقطع من بلوغ أمله فيك (أعلمه الله) أى منة عليه فى هذه السورة (بما أعطاه) أى ببعض ما أولاه والافعطاؤه لا يمكن احصاؤه (والكوثر حوضه) أى لما فى مسلم أتدرون ما الكوثر قيل الله تعالى ورسوله أعلم قال نهر وعدنيه ربى عليه خير كثير هو حوضى ترده أمتى يوم القيامة وضميرهو راجع الى النهر اشعارا بان له نهرا من الجنة منصبا فى حوضه يوم القيامة فلا ينافيه قوله (وقيل نهر) بفتح الهاء ويسكن (فى الجنة) كما يدل عليه حديث الترمذى رأيت فى الجنة نهرا حافتاه قباب اللؤلؤ قلت ما هذا يا جبريل قال الكوثر الذى أعطاك الله وحديثه أيضا أعطانى الله الكوثر نهرا فى الجنة يسيل فى حوضى (وقيل الخير الكثير) وهذا هو الاظهر لانه هو الحق كما عبر به الدلجى لانه فوعل من الكثرة بمعنى المفرط المبالغ فيها ويؤيده خبر ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فى البخارى الكوثر هو الخير الكثير الذى أعطاه الله تعالى قيل لسعيد بن جبير ان ناسا يزعمون انه نهر فى الجنة قال هو من الخير الكثير الذى أعطاه (وقيل الشفاعة) أى العظمى الشاملة للخلائق كلها المستفاد منها الكثرة (وقيل المعجزات الكثيرة وقيل النبوة) أى لاشتمالها على خيرات كثيرة واللام للعهد أى النبوة العظيمة أو النبوة المختوم بها المتميز بها عن غيره بنوع المزية (وقيل المعرفة) أى الكاملة وهذه أقوال حسنة معانيها الا انه لا دلالة على ما فيها (ثم أجاب) أى الله سبحانه وتعالى (عنه) أى بدلا منه صلى الله تعالى عليه وسلم (عدوه) أى العاص بن وائل أو أبا جهل ونحوه

فما معنى هذا الحديث * قلت الجنة موجودة الآن كما هو مذهب أهل السنة وهو الذى نعتقده وما تدركه الحواس الظاهرة يدركه الحس المشترك بعد غيبته لانه كالحوض الذى ينصب فيه أنهار خمسة فلا مانع من ان النفس كانت سمعته فى عالم الذر بحاسة ظاهرة فلما غاب عنها ولم تشتغل بالسمع الآن لسده أدركته أو أدركت دويا آخر كما قاله الحكماء فتذكرته وجعل تذكره سماعا على طريق الاستعارة وليس هذا مما يقال بالرأى وفى كلام العماد بن كثير ومعناه من أحب أن يسمع خرير الكوثر أى نظيره أو مما يشبهه لانه يسمعه بعينه بل شبهت دويه بدوى ما يسمع اذا وضع الانسان أصبعيه فى أذنيه وقد قلت وانا بالروم أتشوق لمصر

لحديث نيلك مصر أمسى مصغيا * حتى يخوضوا فى حديث غيره

يا كوثرا ان سد عنه مسمعى * ألقاه فيه قد جرى بخريره

(فصل لربك وانحر) أمر بالصلاة مطلقا أو التهجد وكان الظاهر فاشكر فعدل عنه لان مثل هذه النعمة العظيمة ينبغى أن يكون شكرها كذلك وأعظم ذلك العبادة وأعظمها الصلاة وعدل عن التكلم اذ لم يقل لنا الى الظاهر بقوله مخلصا لربك التفاتا تطرية للسمع وتقوية لداعية الشكر لتقدم انعامه عليه بالترتيبية قبل الشكر فكيف بعده وقوله وانحر أمر بتقريب البدن لان النحر يختص بها وفى غيرها يقال ذبح وهذا عبارة عن جميع أنواع العبادة المالية والبدنية ولما رأى بعضهم عدم المناسبة غفلة عما ذكر جعل الصلاة صلاة العيد وقال معنى انحر ضع يدك على صدرك فى الصلاة لانها تكون تحت النحر وقول بعضهم ان الصلاة وقعت قرينة للنحر كثيرا نحو ان صلاتى ونسكى لا يجدى (ان شانئك هو الابتر) أى المقطوع العقب والقليل ولم يقل جعلناه أبتر لئلا يسند الشر لنفسه (أعلمه الله بما أعطاه) حقيقة أو قدره له أو بما هو موجب للعطاء فسمى به وتأويله بيعطى يفوت هذه النكات ثم شرع فى تفسير الكوثر وسرد أقوال المفسرين فيه ولم يقصد بقوله قيل فى الستة الاقوال الآتية تضعيف ذلك وانما أراد الحكاية فقال (والكوثر حوضه) صلى الله تعالى عليه وسلم فى القيامة وسيأتى بيانه (وقيل نهر فى الجنة) غير الحوض وهو الصحيح (وقيل الخير الكثير) فهو صيغة مبالغة من الكثرة فى اللغة وخص بالخير بمقتضى المقام وأحسن فى تعقيبه بقوله (وقيل الشفاعة) التى هى من خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم فى مقام لا يسع غيره النطق به وهذا أعظم الخير والنفع وأكثره (وقيل المعجزات الكثيرة وقيل النبوة وقيل المعرفة) أى العلوم اللدنية التى أفاضها الله تعالى عليه فليفضها بغير واسطة كأنها كوثر وهكذا النبوة والمعجزات فما قيل انه لا وجه للتخصيص فيها وان الظاهر ما قاله ابن عباس رضى الله تعالى عنهما من انه جميع ما أنعم الله به عليه لا وجه له ثم انهم اختلفوا فى الحوض ونهر الكوثر هل هما شئ واحد أو أمران متغايران أو الحوض ماخوذ من الكوثر وانه يمده بمجارى تأتيه منه على أقوال استدل لكل منها باحاديث تركناها لطولها (ثم أجاب الله عنه عدوه) تقدم ان العدو يطلق على الواحد والجمع والمراد سفهاء قريش والعاص بن وائل السهمى كما قاله المفسرون لانه صلى الله

تعالى عليه وسلم لما مات ابنه القاسم قالوا ان محمدا صار ابتر أي لاعقب له فنزلت السورة جوابا لهم مصدرة بما أعطاه عوضا عن مصيبته بابنه القاسم وقيل عبد الله وقيل قائل ذلك أبو جهل لعنه الله وقيل كعب ابن الاشرف والسورة نزلت بتمامها جوابا لهم وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان آخرها نزل جوابا لقول أبي جهل بتر محمد وكلام المصنف رحمه الله تعالى ماش على هذا وأورد على القول الاول بانها جواب للعاص وان الابتر من لاولد له وانه قد كان العاص ذا عقب وولد وابناه هشام وعمر وماتا مسلمين وهشام قديم الصحبة أسلم بمكة وهاجر للحبشة وقدم المدينة بعدما حبسه أبوه وقومه وعمر وقدم هو وخالد ابن الوليد وعثمان بن طلحة مسلمين فنظر لهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال رمتكم مكة بافلاذ كبدها بالمعجمة جمع فلذ وهو القطعة وأجاب التجاني بان العاص وان كان له عقب فقد انقطعت عصمته منهم بالاسلام ولا توارث بينهم وصاروا اتباع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لانه أب لهم وأزواجه أمهاتهم كسائر المؤمنين فلا قرابة بينهم وبينه وقد روى انه انقطع نسله كما سيأتي وقد قرئ أزواجه أمهاتهم وهو أب لهم ولا تنافي بينها وبين قوله تعالى ما كان محمد أبا أحد من رجالكم لان المنفي الابوة الحقيقية وأجاب غيره بان من قال انه أبتر لم يقصد ظاهره وانما قصد انه سيموت ولا يذكر وقد ورد هذا مصرحا به في بعض الروايات فالرد باعتبار المقصود وان شانئه هو الذي لا ذكر له فان المراد ذكر الاب بخير بعد موته ولاشك ان عقبه لا يذكرونه بخير بعد اسلامهم وأما ما قيل من ان صدر السورة لادخل له في الرد فانها كانت نزلت جملة فكيف يقال أنها نزلت للرد فمدفوع بانه لا مانع في الجواب من ان يزاد فيه والاحسن ان يقال انه مؤيد للجواب وموطئ له اذ المعنى انا أعطيناك عطايا عظيمة في الدنيا والآخرة يجب عليك شكرها وجعلنا لك عبادة وشريعة باقية ومن هذا شأنه لا يكون أبتر انما الابتر من ليس كذلك فان المقصود من الولد الذكر وأي ذكر أبقى من ذكرك وأقوى ولك ان تقول ليس سبب النزول قولهم هذا بل سببه موت ذكور أولادهم وقولهم شماتة نسبته انه أبتر ومعنى السورة مطابق له بتمامها فان من مات من الاولاد فرط لابائهم يثابون عليه في الآخرة فالمراد انا أعددنا لك الكوثر لما احتسبته منهم واللائق بك انما هو الاشتغال بالعبادة فان أمتك ومن هداه الله تعالى بك عقب لك الى يوم القيامة ومن كان هكذا فليس بابتر انما الابتر عداه وأي مناسبة أتم من هذه (ورد عليه قوله) انه منقطع العقب والذكر بوجه يتضمن شتمه وتنقيصه (فقال تعالى) وفي نسخة قال على الاستئناف أو البدل (ان شانئك هو الابتر) لا أنت لبقائك وبقاء ذكرك فهو علة لمقدر أي لا تلتفت لمقاله فانه أبتر وهو استئناف نشأ عما قبله أي أمرتك باشتغالك بالعبادة المالية والبدنية لانها لا عائق لك عنها من عدوك الابتر وقيل هو مع الامر قبله معطوف على جملة الامر الاول وغيرهما الاسلوب تفننا وفيه تكلف وتعريف الطرفين وضمير الفصل المفيد كل منهما الحصر ولم يكتف باحدهما لزيادة الاهتمام بنفي ماذكر عنه واثباته لعدوه على أتم الوجوه ويحتج بعض الشراح هنا بأمور لاطائل تحتها غير التطويل (أي عدوك ومبغضك) أصل معنى الشناء البغض ويلزمه العداوة في الاكثر وهو الواقع هنا فلذا ذكرهما الا انهما مترادفان كما قيل بدليل قوله تعالى انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء (والابتر الحقير الذليل) أصل معنى البتر القطع وفي حديث الضحايا نهى عن المبتورة أي المقطوعة الذنب ثم أستعير لمن لاعقب له وشاع فيه حتى صار حقيقة ومجرد عدم الولد لازم فيه وانما يذم باعتبار لازمه وهو انقطاع العمل لحقارته وذلته كما ورد في الحديث اذا مات ابن آدم انقطع عمله الى آخره مع ان عقبه صلى الله تعالى عليه وسلم من فاطمة لم ينقطع ففيه رد وزيادة اذ الحقير لا يذكره أحد وقيل الابتر مشترك بين من لاعقب له والحقير وليس ببعيد (أو) معناه (المفرد) بفتح الراء (الوحيد) بمعناه تأكيد له وفي القاموس الابتر الذي لاعقب له أو مقطوع الذنب وهذا المعنى مأخوذ منه ولذا

(وردعليه) حين مات ابنه القاسم (قوله) أي ان محمدا قد أصبح ابتر أي قليل العدد مقطوعا من الولد اذا مات مات ذكره لانه لاعقب له (فقال ان شانئك هو الابتر أي عدوك ومبغضك) بالنصب تفسير لشانئك (والابتر الحقير الذليل) أي على ماقيل وهو الذي لاذكر حسن له ولا ثناء جميل (أو المفرد) بفتح الراء أي المنفرد (الوحيد) أي الذي لاولد له ولاعقب

(أو الذي لا خير فيه) وأما هو صلى الله تعالى عليه وسلم فذكره حسن وثناؤه جميل ونسبه مستمر وآثار أنواره باقية الى يوم القيامة وما لا يدخل تحت العبارة في الآخرة ٢٩٦ (وقال الله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم قيل) وهو المحكي عن ابن عمر وابن مسعود والمنقول عن ابن عباس (السبع المثاني السور الطوال) بكسر الطاء جمع الطويلة كما صرح به الشراح فاندفع به قول المنجاني هكذا وقع في الكتاب وصوابه الطول مضموم الطاء دون ألف فيه لان السورة مؤنثة فهي طولى والجمع طول لا غير وقوله (الاول) بضم همزة وفتح واو مخففة جمع الاولى وهي البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والانعام والاعراف والانفال مع براءة لانهما في حكم سورة واحدة ومن ثم لم يفصل بينهما بالبسملة وقيل السابعة سورة يونس أو يوسف بدل الانفال (والقرآن العظيم) بالنصب على الحكاية ويجوز رفعهما بناء على انه مبتدأ خبره (أم القرآن) أي أصله أو بمنزلة أمه لاشتمالها على كليات معانيه ومهمات مبانيه اذ أولها تمجيد وأوسطها تعبد وآخرها وعد وتوعد فكأنها هو في التحقيق دون التعدد وفيه اطلاق الكل على الجزء لا سيما وهو الاكمل في المعنى ولذا وجبت قراءتها في الصلاة (وقيل) وهو المحكي عن عمر وعلي والحسن البصري (السبع المثاني أم القرآن) لحديث البخاري أم القرآن هي السبع المثاني (والقرآن العظيم سائره) أي باقيه أو جميعه بناء على انه مأخوذ من السؤر بالهمزة بمعنى البقية أو من السور الذي هو الجمع والاحاطة والشمول من سور الحصن فالعطف من باب عطف الخاص على العام

يحتملهما

فسر الابتر بالمنفرد الذي لا ناصر له ولا يبلغ ماموله وروى هذا عن الحسن ونسل أعدائه انقطع باسلامهم كما مر ومنه ما انقطع بقاؤه حقيقة أو العاصي كما قالوه (أو الذي لا خير فيه) فلا يذكره أحد فيه مقابلة بينه وبين قوله الكوثر اذا فسر بالخير الكثير ومن كرامته التي ذكرها الله تعالى ما أشار اليه بقوله (وقال الله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم) والمثاني جمع مثنى معدول عن اثنين ومن بيانية أو تبعيضية أي من جملة الآيات المثاني قال في مرقاة الصعود هي السورة التي تقصر عن المئين وتزيد على المفصل كأن المئين جعلت مبادي فالتي تليها جعلت مثاني والقرآن وصف أو اسم وخص السبع بالذكر لفضلها وأما كون الفاتحة لم تكتب في مصحف ابن مسعود كما نقله الامام فلا وجه له (قيل السبع المثاني السور الطوال) بكسر الطاء جمع طويلة وأما بضمها فمفرد ذكر جمل طوال بتخفيف الواو وتشديدها للمبالغة (الاول) بضم الهمزة وفتح الواو المخففة جمع أولى مؤنث أول وليس الطوال جمع طويل حتى يرد عليه ان جمعه انما هو طول أي السور الطوال واختلف فيها على هذا القول فقيل هي البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والانعام والاعراف والسابعة الانفال وبراءة معا بناء على انهما سورة واحدة وقيل يونس وقيل يوسف وضعف أبو العالية هذا القول بان هذه الآية نزلت ولم يكن اذ ذاك نزل شئ من هذه السور والمثاني اما صفة القرآن كقوله تعالى كتابا متشابها مثاني ومن تبعيضية أو بيانية ومعنى وصف القرآن بها ان قصصه ومواعظه وأوامره تثنى وتكرر فلا تمل كغيرها من الحديث المعاد أو هي المثاني نفسها ففي تجريدية وأجيب بان أعطيناك بمعنى نعطيك في المستقبل عبر به لتحققه وقيل المثاني من الثناء للثناء عليه صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى أقاربه والعامل به كقوله قرآن كريم ومجيد وهذه الآية مكية والسورة مدنية (والقرآن العظيم) على هذا التفسير (أم القرآن) أي الفاتحة وجعلها اما لاشتمالها على معانيه وغير ذلك من المعاني التي ذكرها المفسرون واطلاق القرآن عليها بخصوصها وهو بمعنى المقرو واما بجعل التعريف للعهد أو لمخصص آخر أو لانه جعل علما عليها وان لم يذكره في أسمائها وتفسير السبع بما ذكر مروي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما واطلاقه عليها مروي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه مع تفسير السبع المثاني بها أيضا فانه روي أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قرأ عليه أبي رضي الله تعالى عنه أم القرآن فقال والذي نفسي بيده ما أنزل الله في التوراة والانجيل والزبور والفرقان مثلها هي السبع المثاني والقرآن العظيم فما قيل ان ما ذكره في القرآن ضعيف مهجور عقلا ونقلا لا يخفى ما فيه (وقيل السبع المثاني أم القرآن) وعليه أكثر الصحابة والتابعين وهو قول الجمهور من المفسرين وورد به الحديث الصحيح في البخاري وغيره كما سمعته آنفا والمراد على هذا انها سبع آيات بعد البسملة آية منها أو بعد صراط الذين أنعمت عليهم آية وما بعدها آية أخرى على الخلاف المشهور وياتي انها انما سميت مثاني لتثنيتها في الصلاة وغيره من الوجوه المشهورة (والقرآن العظيم) على هذا التفسير والقول بانه غير مخصوص بها كما مر (سائره) أي جميعه أو باقيه بعد الفاتحة وفي كتب اللغة ان السائر الباقي مهموز من السؤر وهو البقية أو معتل من السور المحيط فهو بمعنى الجميع وقد ورد كل منهما في كلام العرب وقد أشبعنا الكلام عليه في شرح درة الغواص وياتي له مزيد بيان في أول الباب الآتي وقول صاحب القاموس هو الباقي ووهم الجوهري في تفسيره بالجميع ليس بشئ والواهم ابن أخت خالته وكلام المصنف رحمه الله تعالى

(وقيل السبع المثاني ما في القرآن) أي هو جميع القرآن وتسبيعه لما في القرآن (من أمر) أي ايجابا كأقيموا الصلاة أو ندبا كافعلوا الخير (ونهي) أي تحريما كلا تقربوا الزنا أو كراهة كلا تيمموا الخبيث منه تنفقون اذ روي انهم كانوا يتصدقون برديء التمر فنزلت والمعنى لا تقصدوا الردي منه حال كونكم تتصدقون (وبشرى) أي ومن بشارة للمؤمنين (وانذار) أي تخويف للمخالفين (وضرب مثل) كقوله تعالى مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت (واعداد نعم) بكسر الهمزة على ما في نسخة مصححة أي تعداد نعم كثيرة وتذكار منح غزيرة وهو بالمعنى المصدري أنسب للعطف على ما قبله من المصادر وقال الدلجي تبعا لبعضهم بفتح همزته جمع عدد بمعنى ونعم معدودة وأغرب التلمساني بقوله ولا يصح الكسر هنا لمخالفة المعنى انتهى (وآتيناك نبأ القرآن) العظيم أي أعطيناك علم ما اشتمل عليه مما ذكر من قصص ومواعظ بلاغة واعجاز وثناء على الله بما هو أهله وغير ذلك كذا قرره الدلجي والأظهر أن يخص النبأ بالقصص ليكون السابع للسبع المثاني ومع هذا لا يظهر وجه العدول عن نمط السابق من ذكر المصادر الى الجملة الفعلية في المرتبة التفصيلية (وقيل سميت أم القرآن) أي الفاتحة (مثاني لأنها تثنى) بصيغة المجهول مثقلا ومخففا وهو أظهر لان المثاني هو جمع المثنى كالمرامي جمع المرمى ونظيره المغنى والمعاني وقد أبعد التلمساني في قوله مثنى المعدول من اثنين أي تكرر (في كل ركعة) أي صلاة تسمية للشيء باسم جزئه أو في كل قومة باعتبار الركعة بعدها ففي الفائق انها تثنى في قومات الصلاة أي في كل قومة أو في مجموع القومات وقيل سميت مثاني لان آياتها نزلت مرة بمكة حين فرضت الصلاة ومرة بالمدينة حين حولت القبلة ثم سميت سبعا لانها سبع آيات بالاتفاق غير ان منهم من عد التسمية آية دون أنعمت عليهم ومنهم من عكس

يحتملهما وما قيل من انه هنا بمعنى الجميع فانا لا نعلم أحدا قال ان السبع المثاني أم القرآن والقرآن العظيم باقيه ليحمل كلامه عليه وان قيل السبع المثاني السبع الطوال والقرآن العظيم جميعه أمر غريب منه فانهم متفقون على ان القرآن يطلق على الجميع وعلى معنى كلي شامل له ولبعضه والعطف قرينة قوية على الثاني وخصت بالامتنان بها لشرفها وزيادة فضلها وثوابها واشتمالها على المعاني القرآنية اجمالا فالحاصل انهم اختلفوا في السبع فقيل السور وقيل الفاتحة وعلى التقديرين جوز في القرآن كونه الفاتحة أو السائر وفي الصحيح عنه صلى الله تعالى عليه وسلم أم القرآن هي السبع المثاني والقرآن العظيم وفي رواية الذي أوتيته فذهب الاكثرون الى مقتضاه في هذه الآية فوصف الفاتحة بوصفين قيل والعدول عنه يلزمه التكلف في الحديث والمصنف رحمه الله تعالى عدل عن الاقوال المعتبرة الى تقديم قول ضعيف مهجور يوهم ان القائل بان السبع هي السور (أو الفاتحة جزم في القرآن بما نقله وليس كذلك فتاويله بان مراده نقل ما قيل في كل مفرد مفردا بعيد مع ان اللائق حينئذ نقل ما قيل في السبع ثم ما قيل في القرآن فتدبر (وقيل السبع المثاني) في هذه الآية (ما في القرآن من أمر ونهي وبشرى وانذار وضرب مثل واعداد نعم) أي المراد بها سبعة معان يشتمل عليها القرآن والمراد بالامر الطلب ايجابا أو ندبا لا صيغته وان كان يطلق عليها والنهي طلب الكف عما يحرم أو يكره على سبيل الاستعلاء والبشرى بضم الباء وكسرها بمعنى البشارة اسم مصدر والانذار ضده وهو التخويف منجزا أو معلقا وضرب المثل تشبيه شيء بشيء وهو المراد بالمضرب والمورد واعداد النعم بكسر الهمزة أي تهيئتها وجوز فتحها على انه جمع عدد وبه جزم البرهان الحلبي وقال ابن رسلان انه الواقع في النسخ المعتمدة وكذا قال الدلجي والعدد بمعنى المعدود أو التعديد والنعم جمع نعمة بمعنى الانعام أو المنعم به والذي عده المصنف رحمه الله ستة فقيل ان السابع سقط سهوا أو من الكاتب وأما قوله (وآتيناك نبأ القرون (٢) فقيل انه اشارة الى السابع ويؤيده قوله في تاج القراء والسابع انباء قرون والانباء جمع نبا وهو الخبر والقصص التي قصها الله تعالى في القرآن لما فيها من الفوائد كالعبر وتسلية النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وحكم شتى وغير الاسلوب اشارة الى مغايرته لما قبله تفننا كما قيل به في حديث حبب الي من دنياكم ثلاث النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة فان الثالث ما تضمنه قوله وجعلت الخ وعدل عن الظاهر في قوله وجعلت قرة عيني اشارة الى انه ليس من لذائذ الدنيا المعروفة وان عد منها لقوله فيها على ما اختاره ابن فورك وغيره كما بين في محله الآتي وليس هذا تفسير القرآن العظيم ليشمل ما مر وغيره وارتضاه السيد عيسى ورده بعضهم فقال ليس هذا اشارة الى السابع بارادة نبا القرون لان مقتضى النظم حينئذ أن يترك قوله آتيناك ليوافق المعطوف الاخير ما قبله في الافراد بل هو اشارة الى أن القرآن العظيم منصوب بالعطف على سبعا من المثاني والمعنى آتيناك القرآن العظيم وزاد نبأ بمعنى شان لتعظيمه والنبأ يكون بمعنى القرآن كما فسر به في قوله تعالى عم يتساءلون عن النبأ العظيم (وقيل سميت أم القرآن مثاني لانها تثنى في كل ركعة) قيل الاولى ترك الواو لايهامه انه قول آخر في تفسير

(٢) وفي غالب نسخ الشرح والمتن المطبوع وقع هنا بدل القرون القرآن العظيم ولعل ما في هنا هو الصواب اه مصححه

(وقيل بل الله استثناها) أي خصها ٢٩٨ من بين الآيات (لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم وذخرها) بالخاء المعجمة أو ادخرها بالمهملة كما في نسخة أي جعلها ذخيرة (له دون الانبياء) لما في مسلم والنسائي ورواه الحاكم أيضا وصححه من حديث ابن عباس بينا جبريل قاعدا عند النبي صلى الله تعالى عليه وسلم سمع نقيضا أي صوتا من فوقه فرفع رأسه فقال هذا ملك نزل الى الارض لم ينزل قط الا اليوم فسلم وقال ابشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة الحديث والمعنى انه خص باعطاء معانيهما المأخوذة من مبانيهما فاندفع قول الدلجي تبعا للمنجاني وهذا لا يختص بالفاتحة بل جميع السور كذلك (وسمى القرآن مثاني لان القصص) بكسر القاف جمع القصة قيل وهي المراد هنا وبفتحها مصدر معناه الخبر والحكاية (تثنى) بالتانيث أو التذكير أي تكرر (فيه) والمثاني جمع مثناة أو مثنى من التثنية بمعنى التكرير أو من الثني بمعنى اللين والعطف لما فيه أيضا من تكرير الاوامر والنواهي والوعد والوعيد والاخبار والامثال وغير ذلك أو من الثناء لما فيه من كثرة ذكره تعالى بصفاته العظمى وأسمائه الحسنى (وقيل) أي عن الامام الظاهر جعفر الصادق (السبع المثاني) أي معناه في قوله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثاني هو انا (أكرمناك بسبع كرامات)

الآية مع انه بيان لوجه تسمية الفاتحة مثاني وكونها سبع آيات تقدم منا بيانه وفي نسخة تثنى كل ركعة باسقاط في ونصبه على الظرفية المجازية والركعة على ظاهرها والمراد في كل ركعة بعد أخرى أو الكل المجموعي أو المراد بالركعة الصلاة اطلاقا للجزء على الكل لخروج صلاة الجنازة والماموم عند أبي حنيفة لكونهما على خلاف الاصل المتبادر لكماله والركعة الواحدة لا تسمى صلاة وقد فسر قوله تعالى واركعوا مع الراكعين بصلوا مع المصلين لما مر والتثنية من جعل الشئ ثانيا كربعتهم وثلثتهم اذا كنت رابعهم أو ثالثهم أو بمعنى التكرير أو من الثني بمعنى العطف قيل أو لتكرر مضمونها في القرآن أو هي من الثناء بها أو عليها وتثني بضم أوله وفتح ثانيه والتشديد أو بسكون ثانيه والتخفيف وعليه اقتصر التلمساني (وقيل بل الله استثناها لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم وذخرها) فالمثاني من الاستثناء المعروف وأصله الثني بمعنى العطف واستثناها بمعنى ميزها وأخرجها من بقية كلامه وذخرها بذال وخاء معجمتين وفي نسخة ادخرها بالمهملة المشددة والمعنى واحد فالاصل من الذخر وهو ما يدخر من النفائس والمراد انه اختارها أو حفظها ولم يبذلها لغيره من الرسل عليهم الصلاة والسلام ولذا قال (له) أي لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم لتنزيلها عليه (دون الانبياء) وروى دون سائر الانبياء فلم يدخرها ويعطها لغيره لتميزه من بينهم وفي الحديث نادى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أبيا رضي الله تعالى عنه وهو يصلي فلما فرغ لحقه فوضع يده على يده وهو يريد الخروج من باب المسجد وقال اني لارجو أن لا تخرج من المسجد حتى تعلم سورة ما أنزل الله في التوراة والانجيل مثلها فجعلت ابطئ في المشي رجاء ذلك ثم قلت يا رسول الله السورة التي وعدتني فقال كيف تقرأ اذا افتتحت الصلاة فقرأت عليه الحمد لله رب العالمين الى آخره فقال هي هذه وهي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أعطيت وبه استدل على خروج البسملة منها وفيه كلام ليس هذا محله يعني انها اشتملت على ما لم يكن في غيرها ولها من الفضل واجابة الدعاء بها ما لم يشاركها فيه غيرها كما ذكره مشايخ الصوفية والخرق حتى قال ابن برجان في تفسيره لو قيل لك ان أحدا أحيي بها الموتى فاياك من انكاره ومن اطلع على تفسيره فهم ما قلنا فالاعتراض بان هذا لا يختص بالفاتحة لوجوده في سائر السور ساقط (وسمى القرآن مثاني) أي في هذه الآية ونحوها دفع لما يتوهم انه سمى به لما مر أو هو جواب سؤال مقدر (لان القصص) بكسر القاف جمع قصة وهو الظاهر من القصص وهو الاتباع لاتباع من يحكي الخبر للآثار وروى بفتحتين كقوله تعالى (نحن نقص عليك أحسن القصص) فقوله (يثني فيه) بالياء التحتية والضمير للقرآن وعلى الاول بالمثناة الفوقية والرواية هنا كما قيل بتشديد النون لا غير والقصص مطلق الحكاية ويخص في العرف بحكاية أخبار الامم السالفة ومجرد هذه المناسبة كافية في تسميته مثاني فلا يرد عليه انه كرر فيه غير القصص كالفرائض والحدود والامثال وقد ذكروا هذا وجها لتسمية الطوال مثاني فلعله اقتصر في كل منهما على وجه ليعلم اجراء كل في كل يقينا والقول بان وجه التخصيص بها انها مع اعجازها لا يزداد تاليها الا رغبة ومحبة فيها وغيرها من القصص لو كرر مجه الطبع وهذا كلما كررته يحلو كما قال الشاطبي

وخير جليس لا يمل حديثه * وترداده يزداد فيه تجملا

لا يخفى ما فيه ولك أن تقول الاحكام لازمة لامة عظيمة فتكرارها ليتعلموها وتثبت في حفظهم بخلاف القصص ونحوها من الامثال ألا ترى ان الاستاذ يقرر المسئلة مرارا على الطالب لهذا (وقيل السبع المثاني) معناها في قوله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثاني انا (أكرمناك بسبع كرامات) هذا مروى عن الامام جعفر الصادق فآتيناك بمعنى أعطيناك تكريما لك لانها كالهدية التي ترسل للتكريم وكان

الظاهر أن يقول سبع أكرمه بها أو آتيناك بمعنى أكرمناك فالسبع مبتدأ وما بعده خبره بتقدير مضافين أي معنى آتيناك السبع المثاني أكرمناك الى آخره أو السبع مبتدأ وقوله الهدى الى آخره خبره وقوله أكرمناك جملة معترضة وقيل انه بدل بعض من السبع أو خبر مبتدأ مقدر وعن الامام جعفر انه قال السر في هذا انه ذكر في هذه السورة لجهنم سبعة أبواب فذكر سبع كرامات اشارة الى أن من أكرم بها أمن من تلك (الهدى والنبوة والرحمة والشفاعة والولاية والتعظيم والسكينة) يجوز فيه الحركات الثلاث وهو ظاهر والهدى ما هداه الله اليه من المعارف والدين والمراد بالنبوة نبوته صلى الله تعالى عليه وسلم الكاملة المختصة به الخاتمة الناسخة لما عداها والرحمة العامة وما أرسلناك الا رحمة للعالمين أو ما طويت عليه جبلته والشفاعة العامة والخاصة كما سيأتي والولاية بفتح الواو وكسرها كما مر ولاية الله له بنصره أو توليه لجميع أمورهم بحيث صار أولى بهم من أنفسهم أو الولاية التي هي صفة له كالنبوة والتعظيم جعل الله اياه أعظم من سائر خلقه والسكينة والوقار والهيبة بحيث يخافه كل من يراه وهو لا يخاف الا الله قيل تخصيص هذه الامور وتغايرها مع امكان اندراج بعضها في بعض يحتاج لسند ودليل فتدبر (وقال الله تعالى وأنزلنا اليك الذكر الآية) لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون وهذا متعلق بالآية المذكورة ومناسبة لما بعدها لدلالتها على عموم الرسالة اذ لا عهد ولا تقييد أي لتخبر الناس بالوحي ولا تكتم شيئا منه أو لتبين لهم ما فيه من التكاليف والشرائع قيل أورد في هذه الآية الانزال والتنزيل بمعنى وقد فرق بينهما بأن التنزيل ما كان تدريجيا والانزال ما كان دفعة واحدة وهذا بحسب الاصل وقد يرد كل منهما بمعنى الآخر وتفصيله في شروح الكشاف ووضع فيه الظاهر موضع المضمر أي ليبينه اشارة لتغايرهما لان المنزل لفظه والمبين معانيه وأحكامه والمعاني منزلة تبعا لالفاظه ولا حاجة لتقدير مضاف فيه (وقال الله تعالى وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا) الكافة مأخوذة من الكف وهو المنع أو الجمع والاحاطة كما قاله الهروي ومعناه جميعا وتاؤه للمبالغة كعلامة وهي في الاصل للتأنيث نظرا للغاية والنهاية أو الجماعة وهو منصوب على الحالية من المجرور المتأخر أو من الضمير المنصوب أو هو صفة مصدر قام مقامه أي ارساله كافة وفي المغني انها تختص بمن يعقل ووهم الزمخشري في جعلها صفة لارساله وذكر بعض النحاة انها تلزم التنكير والحالية وتبعه الحريري فجعل تعريفها والاضافة اليها لحنا وليس كما قالوا فانه سمع بخلافه كما فصلناه في شرح الدرة وانما قدم لتدخل على المقصود فحصره ولو قيل وما أرسلناك الا للناس كافة أوهم نفي الارسال لغير الناس وهو غير صحيح وقيل المعنى ما أرسلناك الا جامعا للناس بالدعوة وكافا لهم عن المعاصي والمراد جميع بني آدم أو ما يشمل الجن وانما خصوا على الاول لانهم المقصودون بالذات وليس المراد أهل زمنه كما توهم (وقال الله تعالى قل يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا الآية) تقدم ما يعلم منه انه لا يعترض على ذلك بأن آدم ونوحا كانا مبعوثين الى أهل الارض لانه لم يبق بعد الطوفان الا من كان مؤمنا معه وهو مرسل اليهم لان العموم لم يكن في أصل بعثته وانما اتفق لحادث وقع وأما نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فعموم رسالته من أصل البعثة وأما كون ثمة رسول غيره في أثناء مدته فيحتاج الى النقل أو المراد بقاء شريعته بحيث لا يطرق عليها ناسخ الى غير ذلك مما فصله ابن حجر في شرح البخاري واختلف في خطاب يا أيها الناس ونحوه هل هو للموجودين ويثبت لمن بعدهم بدليل آخر كاجماع وقياس ونص آخر أو للجميع ويدخل فيه

الهدى) هو وما بعده مجرور بدل بعض من كل أو مرفوع خبر مبتدأ محذوف أي هي الهدى أو منصوب بتقدير أعني والمراد بالهدى الهداية الكاملة المتعدية المتكملة ولا يلائم المقام تفسير

التلمساني له بضد الضلالة (والنبوة) أي المتضمنة للرسالة وقال التلمساني أي الرفعة ولا يخفى انه أحد معانيها اللغوية (والرحمة) أي لجميع الامة (والشفاعة) أي العظمى يوم القيامة (والولاية) وهي النصرة والانتقام من العدو بالغلبة (والتعظيم) أي ظهور العظمة (والسكينة) أي السكون والوقار والطمانينة قيل فمن أوتي السبع المثاني باعتبار أخذ جميع المعاني أمن من الدخول في سبعة أبواب جهنم (وقال تعالى وأنزلنا اليك الذكر) أي القرآن وسمي ذكرا لانه يذكر به الرحمن وموعظة وتنبيه للكسلان وشرف لاهل العرفان (الآية) يعني لتبين للناس أي الجن والانس ففيه تغليب وقيل يشملهما ما نزل اليهم أي ما أمروا به ونهوا عنه وما أخبروا به وتشابه عليهم حكمه لاجماله والتبيين أعم من أن يكون بنص على المراد به أو بالرشاد الى ما يدل عليه كأساس قياس وبرهان عقل وايناس

(وقال تعالى وما أرسلناك الا كافة للناس) أي حال كونك تكفهم وتمنعهم بشرعك عن ظلمهم وكفرهم فالتاء للمبالغة كما في علامة (بشيرا) أي مبشرا للابرار (ونذيرا) أي مخوفا للفجار (وقال تعالى قل يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا) حال من ضمير اليكم فانه مفعول في المعنى (الآية) وتمامها الذي له ملك السموات والارض لا اله الا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي

يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون (قال القاضي) أي المصنف (رحمه الله فهذه) أي الآية (من خصائصه) جمع خصيصة أي خصلة لم يشاركه فيها أحد لورودها شاهدة باختصاصه برسالة عامة ومشعرة بان كل رسول بعث الى قومه خاصة (وقال تعالى وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه) أي بلغة قبيلته الذي هو منهم و بعث فيهم (ليبين لهم) ما أمروا به وما نهوا عنه فيفهموا عنه بيسر وسهولة أمر (فخصهم بقومهم) أي لغة ورسالة ودعوة ونذارة و بشارة (وبعث محمدا صلى الله عليه وسلم الى الخلق) أي المخلوقين (كافة) أي جميعا من الكف بمعنى الاحاطة والجمع أو من الكف بمعنى المنع أي لكفهم بدعوته عن أن يخرج منها أحد منهم لاحاطتها بهم (كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم بعثت الى الاحمر والاسود) أي العرب والعجم كما تقدم وفي صحيح مسلم بعثت الى الخلق وفي حديث بعثت الى الناس كافة فان لم يستجيبوا الي فالى العرب فان لم يستجيبوا لي فالى قريش فان لم يستجيبوا لي فالى بني هاشم فان لم يستجيبوا الي فالي وحدي ذكره السيوطي في جامعه الصغير عن ابن سعد عن خالد بن معدان مرسلا وفيه كما في الآية السابقة ايماء الى حكمة انه بعث بلسان العرب وان العجم أمروا بتتبع لغتهم مع كمال الادب ولذا قال صلى الله تعالى عليه وسلم أحبوا العرب لثلاث لاني عربي والقرآن عربي وكلام أهل الجنة عربي رواه الطبراني والبيهقي والحاكم وغيرهم عن ابن عباس وفيه اشعار بانه صلى الله تعالى عليه وسلم لما أرسل الى العرب والعجم وهم مختلفو الالسنة النبي من الفارسية والتركية والهندية وغيرها مما يتعذر في العادة أن يكون واحد يعرف جميع اللغات المختلفة في أصناف المخلوقات اختار الله له سبحانه أفضل أنواعه وأمر الغير بتعلمه واتباعه مع انه أيسر اللغات وأسهلها وأضبطها وأجمعها وأشملها وأيضا كان من أنفة العرب وغلاظتهم انه لو نزل القرآن بلسان العجم أو لم يتكلم الرسول الا بلغة غير العرب معهم لما آمنوا وتعللوا بما حكى الله تعالى عنهم في قوله تعالى ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته أأعجمي وعربي وقال في موضع آخر ولو نزلناه على بعض الاعجمين فقرأه

الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وان كان مخاطبا بقل لانه يلزمه ما يلزم أمته بطريق الاولى مالم يعرض له مخصص ولا حاجة لتخصيص الناس بالمكلفين كما قيل لدخول الصبي في بعض الاحكام (قال الفقيه القاضي) عياض المصنف رحمه الله تعالى (فهذه) أي الصفة أو البعثة العامة (من خصائصه) صلى الله تعالى عليه وسلم جمع خصيصة وهي ما لم يشاركه فيه غيره من الرسل عليهم الصلاة والسلام كما دل عليه أهل الملة للحديث الآتي ومر الكلام على بعضه أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي نصرت بالرعب وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا وأحلت لي الغنائم وأعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث الى قومه خاصة و بعثت الى الناس كافة وروى عامة وقد تقدم ما يرد عليه وجوابه وقوله فيه وكان النبي الخ المراد به الاستغراق لانه ورد وكان كل نبي وهو صريح فيه فلا وجه لقول الامام الخاصة مجموع ما ذكر فلا يلزم اختصاص عموم البعثة به صلى الله تعالى عليه وسلم وقد وقع مثله للداودي في شرح السنن قال ابن حجر رحمه الله تعالى وهو غفلة عظيمة منه فانه نظر الى أول الحديث وغفل عن آخره فانه نص على خصوصيته بقوله وكان النبي يبعث الى قومه خاصة وما قيل من انه احتمال بعيد اذ لا يظهر لتخصيص الخمس تارة والاربع والاثنين أخرى جليل فائدة وغير متجه لانه اذا سلم عموم رسالة آدم ونوح يكون له فائدة وأي فائدة وقد وقع بعام وقيل المراد بالناس من في زمنه الى يوم القيامة وهذا لم يكن لغيره صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا أمر غير بقاء الشريعة لا عينه كما توهم أو يقال هو مبعوث لجميع الناس من قبله ومن بعده بحيث لو أدركه من قبله لزمه اتباعه أو هو مبعوث الى الاصناف والاقوام وأصحاب الملل المختلفة وآدم ونوح عليهما الصلاة والسلام ليسا كذلك * أقول هذا كلام لا طائل تحته أما رده الاول بان ما ذكر هو غير بقاء الشريعة فليس بصحيح لان مراده البقاء مع العموم ولم يصرح به لظهوره وأما جوابه الاخير فظاهر الفساد (وقال الله تعالى وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه) أي الا بلغة من بعث اليهم (ليبين لهم) ما بعث به اليهم وأما نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فبعث الى قومه وغيره من جميع الامم كما عرفته (فخصهم بقومهم و بعث محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم الى الخلق كافة) الانس والجن والملك كما سيأتي تحقيقه وقيل كلامه يقتضي ان غير نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم مبعوث بلسان من بعث اليه ونبينا صلى الله تعالى عليه وسلم بعث الى الخلق فيخص الرسول بغيره وهو مخالف للظاهر ولما عليه المفسرون ويقابله على غير النهج المعروف مع انه شامل لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم أيضا فان لسانه عربي وكتابه عربي ليأخذه عنه قومه بغير واسطة وينقل نقلا مستفيضا ولا دلالة فيه على تخصيص بعثة الرسل عليهم الصلاة والسلام بقومهم والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وان أرسل الى الناس كافة يكون لسانه وكتابه واحدا لا ينافيه لفهم معانيه لغير قومه بالترجمة ولو أتى بغير لغته فات اعجازه المقصود منه وأجيب عنه بانه معطوف على قال الاخير ناظرا اليه مبينا الضعف فانه قسم بما ذكر كما نقل عن تفسير تاج القراء وفيه بحث (كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم) فيما رواه البخاري وأحمد والبيهقي (بعثت الى الاحمر والاسود) أي العرب وغيرهم أو الانس والجن كما مر (وقال الله تعالى

عليهم ما كانوا به مؤمنين وفى الآيتين الشريفتين تشريف لطائفة العجم ولذا قال صلى الله تعالى عليه وسلم لو كان الدين أو العلم فى الثريا لناله رجال من فارس (وقال تعالى النبي أولى بالمؤمنين) أى أحق بهم فى جميع أمورهم أومقيد بامر دينهم (من أنفسهم) أى من أرواحهم فضلا عن آبائهم وأبنائهم (وأزواجه أمهاتهم) جمع أم أصلها أمهة وهى لغة قيل مختصة بالآدميات والامات بالحيوانات وقيل الهاء زائدة (قال أهل التفسير أولى بالمؤمنين من أنفسهم أى فيما أنفذه) بالنون والفاء والذال المعجمة أى أظهره وأمضاه (فيهم من أمر فهو ماض عليهم) أى نافذ وماض (كما يمضى حكم السيد على عبده) اذ لا يأمرهم ولا يرضى منهم الا بما فيه صلاحهم فقوله كما يمضى كالنظير لانه دون مرتبته فى التأثير (وقيل اتباع أمره أولى من اتباع رأى النفس) وهذا قول صحيح وعلى طبق ما تقدم صريح فتعبيره بقيل ليس لكونه كلاما غير مرضى بل لجلالة قائله أو جهالة حاله وقد روى أنه صلى الله تعالى عليه وسلم ندب الى غزوة تبوك فقال اناس تستاذن آباءنا وأمهاتنا فنزلت ويدل على هذا المعنى آيات أخر نحو قوله تعالى قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بامره والله لا يهدى القوم الفاسقين وكما قال الله تعالى لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم وقال صلى الله تعالى عليه وسلم لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من ولده ووالده والناس أجمعين رواه الشيخان وغيرهما عن أنس رضى الله تعالى عنه وقد ورد فى بعض الاحاديث أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان لا يصلى على ميت وعليه دين وكان يقول صلوا على أخيكم فلما نزلت هذه الآية قال أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم فمن توفى وعليه دين فعلى قضاؤه ومن ترك مالا فهو لورثته وأخرج النسائى فى السنن نحوه الا أنه قال فلما فتح الله الفتوح ولم يقل فلما نزلت الآية (وأزواجه أمهاتهم أى هن) على ما فى النسخ المصححة وقال التلمسانى أى هم فى الحرمة وضميرهم عائد على الازواج وعليه الروايات هنا وعبر بضمير جماعة المذكرين اعتبارا للفظ الازواج

النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم) يدخل فيه النساء على ما بين فى الاصول لانهم تبع لهم فى الاحكام فيدخلون بالتغليب وان ذهب بعضهم الى أنهن لا يدخلن فى مثله الا بدليل وقرينة لظهور انهن يعلمن بالطريق الاولى الا أن قوله (وأزواجه أمهاتهم) مرجع الضمير فيه لذكور المؤمنين فقط لان المراد تحريم نكاحهن وهو خاص بالذكور ولذا لم يسمع أمهات المؤمنين وقيل انه عام أيضا وهن أمهات للمؤمنين والمؤمنات واقتصر على الاول واكتفى به لانه الاهم الاشرف فيجوز اطلاقه عليهن أيضا وقوله من أنفسهم المراد به ذواتهم وأزواجهم يعنى أنه صلى الله تعالى عليه وسلم مقدم عند كل أحد على نفسه وليس المراد أنه أولى من بعضهم ببعض فى نفوذ حكمه وطاعته كما قيل فى قوله تعالى (فسلموا على أنفسكم) أى ليسلم بعضكم على بعض وان جاز فان الاول أبلغ فيما ذكر وهذا معنى ما قيل هو أولى بالمؤمنين فيما اقضى فيهم كما أنك أولى بعبدك فيما قضيت وهو قريب من قول المصنف رحمه الله (قال أهل التفسير أولى بالمؤمنين من أنفسهم أى فيما أنفذه فيهم فهو ماض عليهم كما يمضى حكم السيد على عبده) فيفعل ما يامره به ويختاره على ما يريده ويختاره لنفسه فكان أحق بكل أحد من نفسه ومضى الحكم بمعنى نفاذه وجريانه وهذا معنى اشتهر حتى صار حقيقة من مضى السيف أو السهم وأصل معنى المضى الذهاب وأولى بمعنى أحق وقيل انه من الولاية والتسلط وانما ذكره مبنيا على قول العرب السيد أولى بعبده من نفسه أى نافذ فيه حكمه فحمل الآية عليه مجازا أو كناية وروى ان سبب نزول هذه الآية انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما أمر الناس بالخروج لغزوة تبوك قال قوم نستاذن آباءنا وأمهاتنا فنزلت أى طاعة الرسول أوجب عليكم من طاعة آبائكم وأمهاتكم وأنفسكم وليس فيه تأييد للتفسير الثانى كما توهم (وقيل اتباع رأيه أولى من اتباع رأى النفس) هذا مروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما بالمعنى فالاولى هنا بمعنى أولوية اتباعه وقيل أولوية محبته وقيل معناه أرأف وأعطف والاحسن ما فى الكشاف من أنه صلى الله تعالى عليه وسلم أولى بهم فى جميع أمور الدين والدنيا من غيره فانه سبب حياتهم الابدية وفى البخارى أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال ما من مؤمن الا وأنا أولى الناس به فى الدنيا والآخرة اقرؤا ان شئتم النبى أولى بالمؤمنين الآية فايما مؤمن ترك مالا فليرثه عصبته فان ترك دينا أو ضياعا فليأتنى فانا مولاه قال القرطبى هذا تفسير الولاية ولا عطر بعد عروس والظاهر كما قيل انه تفريع على الاولوية العامة لا تفسير فلا ينافى ما سبق وفيه اشارة الى أن مقتضى الاولوية أن يراعى فى جانب الرسول أيضا ومعاملته معهم فينفعهم أكثر من نفعهم لهم حيث رد على الورثة المنافع وتحمل المضار والتبعات فافهم (و) قوله (وأزواجه أمهاتهم أى هن) وفى نسخة هم وهو سهو وكونه للفظ الازواج لا وجه له أى كالامهات فى التعظيم وحرمة النكاح لا الارث والنفقة والنظر والخلوة لآية الحجاب ولا يقال لبناتهن اخوات على ما يأتى وفى كونهن أمهات

(وفى الحرمة) أى الاحترام والتعظيم (كالامهات) أى الحقيقة تنزيلا لهن منزلتهن فى العظمة بل اللائق أن يكون لهن مزية تعظيما لحضرة النبوة ثم انهن فيما عدا ذلك كالاجنبيات ولذا احجبن ولم يتعد التحريم الى بناتهن وهذا انما هو فيمن دخل بها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من النساء وأما من تزوجها وفارقها قبل الدخول فليس لها هذا الحكم وقد كان عمر رضى الله تعالى عنه أمر برجم امرأة فارقها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قبل الدخول فنكحت بعده فقالت له لم وما ضرب الله على حجابا ولا دعيت أم المؤمنين فكف عمر عنها (حرم) ٣٠٢ بفتح الحاء وضم الراء ورفع قوله (نكاحهن) ويجوز ضم الحاء وكسر الراء المشددة أيضا وفى نسخة حرام بزيادة الالف وفى أخرى حرم بصيغة الفاعل من التحريم أى حرم الله أو رسوله نكاحهن (عليهم بعده) أى بعد تزوجه لهن قيل ولو طلق قبل الدخول بعضهن كما يستفاد من اطلاق قوله تعالى وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا ان ذلكم كان عند الله عظيما وانما حرمهن عليهم (تكرمة له) أى لتكريمه وتعظيمه المستفاد من الآية (وخصوصية) أى بها يتميز عن غيره من افراد أمته وهى بضم الخاء وقول الحجازى بفتحها سهو (ولانهن له أزواج فى الآخرة) قال البغوى وكذلك الانبياء عليهم الصلاة والسلام أزواجهم لهم فى الآخرة وفى نسخة فى الجنة والظاهر ان هذا مقيد بمن مات منهن فى عصمته أو هو توفى عنهن وهن فى عدته لتخرج من اختارت الدنيا حين نزلت آية قل لازواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا الآية فانها كانت فى آخر عمرها وأم تلتقط البعر فى سكك المدينة وأيضا الما اراد صلى الله تعالى عليه وسلم ان يطلق سودة قالت لا تطلقنى يا رسول الله ويومى لعائشة رضى الله تعالى عنها لانى اريد ان اكون من نسائك فى الجنة او قولا هذا معناه (وقد قرئ) اى فى الشواذ قيل وهى قراءة مجاهد ونسبت الى أبى بن كعب أيضا (وهو أب لهم) اذ كل نبى اب لامته كما قال الله تعالى ملة أبيكم ابراهيم من حيث ان به حياتهم الابدية وتعلم الآداب الدينية ومن ثم صاروا اخوة فى الدين كما قال الله تعالى انما المؤمنون اخوة من حيث انتسابهم الى أصل واحد هو الايمان الناشئ

المؤمنات قولان تقدمت الاشارة اليهما قريبا والى ما ذكر أشار بقوله (وفى الحرمة كالامهات حرم نكاحهن عليهم بعده) أى بعد نكاحه أو بعد وفاته صلى الله تعالى عليه وسلم كما سياتى واختلف فيمن طلقها قبل الدخول أو أكثر على ما سياتى على قولين فجوزه كثير من الشافعية وبه قضى عمر رضى الله تعالى عنه (تكرمة له وخصوصية) بضم الخاء وفتحها أى هو مخصوص به صلى الله تعالى عليه وسلم دون غيره من الامة فما يقع لبعض جهلة الصوفية من منع تزوج المريد زوجة شيخه جهل منهم وترك أدب والمراد بالحرمة حرمة النكاح أى تحريمه لقوله تعالى (وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا) وفى خصائص الامام الخيضرى اختلف فى تعليل ذلك فقيل لانهن أمهات المؤمنين قال الله تعالى (وأزواجه أمهاتهم) أى مثل أمهاتهم فى وجوب احترامهن وطاعتهن وقيل لما فى احلالهن لغيره صلى الله تعالى عليه وسلم من النقص بمنصبه الشريف وقيل لانهن أزواجه صلى الله تعالى عليه وسلم فى الجنة كما ذكره غير واحد من المفسرين والفقهاء لان المرأة فى الآخرة لآخر أزواجها فى الدنيا كما قاله القشيرى وورد به التصريح فى الحديث وقيل لاجل انه صلى الله تعالى عليه وسلم حى ولذا حكى الماوردى انه لا تجب عليهن عدة الوفاة واختلف فيمن فارقها فى حياته صلى الله تعالى عليه وسلم كالمستعيذة على أقوال ثلاثة أحدها وهو مروى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه انها تحرم فالتقدير من بعد نكاحه لوجوب محبة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وزوج المرأة الثانى يكره الاول فيؤدى لكفره قال النووى رحمه الله تعالى وهو الارجح والاشبه بظاهر القرآن الثانى انها لا تحرم فالبعدية مخصوصة بما بعد الموت والثالث أنه يحرم المدخول بها دون غيرها وكذا اختلف فى الامة الموطوءة له صلى الله تعالى عليه وسلم بغير نكاح على ثلاثة أوجه فقيل لا تحل لغيره كمارية رضى الله عنها وقيل تحل فانها لم تسم أم المؤمنين لنقصها بالرق وأمومتهن لا تتعدى فلا يقال لبناتهن أخوات ولا لاخواتهن أخوال فلا يقال معاوية رضى الله تعالى عنه خال المؤمنين وفيه خلاف أيضا وأما كون النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أبا المؤمنين فقال الواحدى لا يسمى به لقوله تعالى (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم) والقراءة به منسوخة لفظا ومعنى وقيل يجوز والمنفى الابوة الحقيقية انتهى ويأتى هذا الاخير فى قوله وقد روى فما قيل الحرمة للاحترام فيشمل التعظيم وعدم الايذاء وحرمة النكاح فان فيه ذلا واكتفى بحرمة النكاح لانه مقصود ومخصوص بهن وقال ابن كثير لا يقال لهن أمهات النساء لعدم العلة فيهن وهى حرمة النكاح ورجح ابن حجر جوازه وقول القرطبى الظاهر التعميم اذ لا يختص بالرجال مرفوع بما ذكر فان أريد التشبيه فى التعظيم فلا منع والا فلا أنه يوهم أنه مراد فى الآية كلام غير محرر لما سمعته آنفا وقوله (ولانهن له) صلى الله عليه وسلم (أزواج فى الآخرة) أحد الاقوال فى الآية كما عرفته والامهات جمع أم قيل أصلها أمهة ولذا تجمع على أمهات وأجيب بزيادة الهاء وان الاصل أمات للفرق ويأتى لذلك مزيد بيان والوجه ما فى البارع أن فيها أربع لغات أم بضم الهمزة وكسرها

عنه صلى الله تعالى عليه وسلم (ولا يقرأ به) بصيغة المجهول أى ولا يجوز ان يقرأ به أحد (الآن) أى فى هذا الزمان (لمخالفته المصحف) بتثليث الميم والضم أتم وهو ما جمع فيه القرآن لقول عائشة رضى الله تعالى عنها ما بين دفتى المصحف كلام الله والمراد من المخالفة عدم وجود تلك الجملة من جميع المصاحف العثمانية اذا حدار كان القراءة هى المطابقة الرسمية وثانيها الموافقة العربية وثالثها النقل المتواتر الاجماعية والعمدة هى الاخيرة والاخريان تابعتان لها لازمتان لوجودها واختلف فى محل الجملة الشاذة فقيل قراءة ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قبل قوله وأزواجه أمهاتهم وقراءة أبى بعده وروى عن عكرمة انه قال وهو أبوهم وهو أشبه بالتفسير وعلى جميع التقادير هو من باب التشبيه البليغ نحو زيد أسد أى كالاسد لا على الحقيقة أى الا فيمن له الولادة واما ما ذكره الدلجى ان المراد بالمصحف هو الامام الذى نسخه عثمان وعليه الناس فقد يوهم انه مصحف خاص وليس كذلك بل المراد المصاحف التى كتبت بامره واختلف فى عددها فارسل واحدا الى مكة وآخر الى الشام وآخر الى الكوفة وآخر الى البصرة وأبقى عنده واحدا فى المدينة والآن لم يتحقق وجود واحد منها فى محالها (وقال الله تعالى وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة الآية) أى وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما أى فيما أنعم عليك وبما علمك من خفيات الامور وأمور الدين ومعارف اليقين وفى بعض النسخ

وأمه وأمهة فالامهات والامات لغتان ليست احداهما أصلا للاخرى ولا حاجة الى دعوى حذف ولا زيادة كما فى المصباح (وقد روى وهو اب لهم) أى قرئ به فى الشواذ وهى على وجهين فقرأ ابن عباس رضى الله تعالى عنهما النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهو صلى الله تعالى عليه وسلم أب لهم بدون وأزواجه امهاتهم وقرأ أبى رضى الله تعالى عنه النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه امهاتهم وهو أب لهم فجمع بينهما فقول بعض الشراح قرأها أبى وابن عباس رضى الله تعالى عنهم من غير تمييز بين القراءتين خلط موهم وقد علمت الكلام فيه وأبوته صلى الله تعالى عليه وسلم برأفته ورحمته لهم أو لكون أزواجه أمهاتهم أو لكونه سبب حياتهم الحقيقية الابدية كما مر وفى سنن أبى داود انما انا لكم بمنزلة الوالد أعلمكم (و) حكم الشاذ انه (لا يقرأ به الآن لمخالفته المصحف) وروى ان عمر رضى الله تعالى عنه مر بغلام يقرؤها فقال للغلام حكها من المصحف والمراد بالمصحف مصحف عثمان رضى الله تعالى عنه المتواتر بالاجماع ومخالفته له أيضا بعدم تواتره ونسخ تلاوته ولفظه ومعناه على قول كما مر قيل وانما نسخ لئلا يوهم حرمة زوجة الولد فتامل وقول التجانى انهم أجمعوا على ان قراءة أبى رضى الله تعالى عنه المذكورة مما نسخ من القرآن مع ان مضمونه خبر مجمع على انه لا يصح نسخه ليس بشئ لان فى نسخ الخبر خلاف مقرر فى الاصول ولو سلم فيلزمه أحكام يصح نسخها كتلاوته وتسميته به وجواز الصلاة به (وقد قال الله تعالى وانزل الله عليك الكتاب والحكمة الآية) وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما * والكتاب القرآن والحكمة الشريعة والمواعظ والسنة كما مر وهذا كقوله تعالى فى سورة اقرأ علم الانسان ما لم يعلم ولما كان التعليم انما يحصل به ما لم يعلم ورد السؤال على الآيتين والفرق بينهما فقيل المراد بما لم تعلم ما لا يقدر على علمه من الخفايا أو ما لم يتصوره ولم يكن معلوما لك فيفيد ذكر المفعول وقيل لو قيل ما لم تعلم أى ما كان مجهولا لك أفاد فائدة تامة حسنة لدلالته على اشراق نور العلم ورفع ظلمة الجهل أو المراد ما لم تعلمه بقوة نفسك واجتهادك واما ذكر الكون فى آية النساء دون آية اقرأ لا سيما اذا أريد بالانسان نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فقط فلان الثانية وردت فى مقام خال عن اعتبار القوة والاجتهاد فلا يناسبه ذكر الكون والاولى وردت فيه * أقول هذا السؤال غير وارد أصلا رأسا ولذا لم يعتن به جهابذة المفسرين كالزمخشرى الا انا نقول فى تحقيقه ان نفى الكون أبلغ من نفى الشئ نفسه فان الثانى يصدق بما بقى على عدمه الاصلى لم يشم رائحة الوجود والثانى يشمله وما عدم بعد وجوده والاول أبلغ ولما كان المنفى علمه أولا علمه بالدين والحكم والوحى ونحوه مما لم يتيسر لمن شاء فى أمة أمية ولا يمكن بغير عناية الهية أشار فى الاول الى ان انتفاءه عنه أمر محقق مقرر قوى فاكده بذكر الكون ولذا امتن به عليه وجعله فضلا عظيما ولما كان الثانى قابل الوجود متيسر الكسب لان الانسان قابل للقراءة والعلم وصنعة الكتابة لم يؤكده لان انتفاءه أمر اتفاقى واما الفائدة فى المفعول فظاهرة اذ ليس المراد بها أمرا ما بل أمر عظيما معلوما بخصوصه مما قبله وانما أبهم ليدل على عظمته كما فى قوله تعالى فاوحى الى عبده ما أوحى فلا حاجة لقوله فى عروس الافراح انما ذكر لانه أوضح فى الامتنان والا فلا فائدة فيه وفى بعض حواشى المطول نقلا عن السعد رحمه الله تعالى انه قال فى درسه ان الاولى بصاحب التلخيص ان يقول ما لم نكن نعلم كما فى قوله وعلمك ما لم تكن تعلم والا فلا فائدة فى ذكره لان التعليم انما يكون لما لم يعلم لان ما لم تكن تعلم فيه اشعار بانه لولا تعليمه لم يحصل العلم به لانه علم خفى لا يمكن الاحاطة به الا لعلام الغيوب وهو بعيد اذ ربما يتوهم انه يحصل العلم به من غير تعليمه له تعالى ورد بانه مثل الآية فذكره لافادة العموم كما فى قوله تعالى وما من دابة فى الارض

وأنزلنا عليك الكتاب والحكمة وهو لا يصح لمخالفته تنزيل الآية (قيل فضله العظيم بالنبوة) وفي نسخة النبوة اذ لا فضل أعظم منها اذا قرنت بالرسالة العامة (وقيل بما سبق له في الازل) أي من تعلق العناية القديمة العظمى حيث جعل رئيس من سبقت له الحسنى كما يدل عليه خلق نوره أولا وجعله نبيا في عالم الارواح قبل ظهور الاشباح (وأشار الواسطي الى انها) أي هذه الآية (اشارة الى احتمال الرؤية) أي تحملها واطاقتها (التي لم يحتملها موسى عليه السلام)

(الباب الثاني) أي من القسم الاول وفصوله سبعة وعشرون بعد صدر الباب على ما سبق في أول الكتاب (في تكميل الله له المحاسن) جمع حسن على غير قياس والمراد بها الاوصاف المستحسنة (خلقا

الى آخره وبما قررناه لك تبين انه كلام قشري ولنا عودة الى بيان ذلك عند اعادة المصنف الآية (قيل فضله العظيم) في هذه الآية (بالنبوة) مطلقا فانها أعظم النعم التي تفضل بها أو بنبوته الخاصة به الكاملة (وقيل بما سبق له في الازل) الازل مولده وهو القدم والوجود الذي لا أول له قال في المجمل الازل القدم ويقال هو أزلي والكلمة ليست بمشهورة في كلام العرب وأحسب انهم قالوا في القديم لم يزل ثم نسب اليه فلم يستقم الا باختصار وقالوا ازلي ثم ابدلوا الياء ألفا وقيل الازل اسم لما يضيق القلب عن بدايته من الازل وهو الضيق فهمزته أصلية والمراد بما سبق ما سبق للنبي صلى الله عليه وسلم في علمه وتقديره من كل ما أعطاه الى الابد فيعم جميع ما أنعم الله به عليه اذ لا مخصص وقيل المراد ما أعطاه له وسبقه باعتبار تقديره ففيه مضاف مقدر وهو تقديره وعلى الاول الامتنان بالتقدير صريحا وبالقدر ضمنا لعدم تخلفه عنه ولفظه كان في مثله تدل على الازلية في حق الله تعالى كما صرحوا به (وأشار الواسطي) رحمه الله تعالى تقدم ذكره وترجمته والاشارة في اللغة الايماء الى الشئ بغير نطق ويكون في كلام المصنفين مقابلة للتصريح والمراد هنا مطلق الذكر وعبر به مشاكلة لما بعده (الى انها اشارة الى احتمال الرؤية) وضمير انها للآية وقيل الكلمة الفضل والاحتمال فسر بالطاقة والقدرة على رؤيته تعالى ومشاهدته ليلة المعراج على قول من قطع انه رآه ببصره ولما كانت هذه من أجل الفضائل وأخصها به حمل الفضل عليها وان كان فيها الاختلاف الا انها لما كانت عند المصنف رحمه الله تعالى راجحة لم يلتفت للخلاف فلا يرد عليه انه تفسير للمقطوع به بالمحتمل فالاعتراض على الواسطي رحمه الله تعالى بانه لا دلالة في النظم على ما ذكره غير متجه وحمل الرؤية على القابلية التامة يأباه ظاهر قوله (التي لم يحتملها موسى) ابن عمران عليه الصلاة والسلام حيث قال لن تراني الى قوله تعالى وخر موسى صعقا وموسى ممنوع من الصرف للعجمة والعلمية وأصله كما قيل موشى فغير وهو بالعبرانية مركب من مو وهو الماء وشا وهو الشجر فسمي به لان أمه القته في ماء النيل في صندوق من خشب الشجر والقول بانه من ماس يميس اذا تبختر ومنع صرفه لالف التانيث بعيد جدا واما موسى بمعنى آلة الحلق فعربي في وزنه اختلاف عندهم وفي معربات الجواليقي ان موسى لم يسم به أحد من العرب قبل الاسلام وبعده سمي به تبركا باسماء الانبياء عليهم الصلاة والسلام قال التجاني أكثر المفسرين على ان الفضل العظيم عصمة الله للنبي صلى الله عليه وسلم عن ان يضله أحد من الكفرة لقوله تعالى قبله ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم ان يضلوك وما يضلون الا أنفسهم وهذا آخر الباب الاول فالحمد لله على تيسير شرحه والنظر في حقائقه ودقائقه الرائقة * وشفاء عليل الصدر من موارد فضائل سيد الخلق الفائقة * وأنا أرجو ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم ويمن صفاته ان يشرح صدرنا وييسر أمرنا ويفيض علينا من بركاته صلى الله عليه وسلم آمين

(الباب الثاني في تكميل الله سبحانه وتعالى له صلى الله تعالى عليه وسلم المحاسن)

جمع حسن على خلاف القياس أو جمع مفرد مقدر لم يسمع كما تقدم والحسن المحسوس تناسب الاعضاء وكونها على صورتها الاصلية مع صفاء البشرة واعتدال القامة وفي ذكر التكميل اشارة الى ان النوع البشري مخلوق على الكمال في أحسن تقويم وصورة هذا الحبيب صلى الله تعالى عليه وسلم وسيرته في غاية الكمال وكون النوع أحسن لا ينافي التفاضل والتفاوت بين أفراده حتى ذهب بعض الحكماء الى ان كل فرد منه ماهية مستقلة (خلقا) بفتح الخاء وسكون اللام وتقدمه لتقدمه على ما بعده في الوجود وهو منصوب على التمييز أي من جهة المخلوقية وليس بمعنى المخلوق كما توهم وخلقه صلى الله تعالى عليه وسلم على أحسن ما يكون كما قال فيه أبو العباس الاشبيلي الواعظ رحمه الله تعالى ونفعنا ببركاته

من أنت محبوبه من ذا يغيره * ومن صفوت له من ذا يكدره
هيهات عنك ملاح الناس تشغلني * والكل اعراض حسن أنت جوهره

(وخلقا)

(وخلقا) بضم الخاء واللام وتسكن تخفيفا وهو فى الاصل الطبيعة والجبلة ويطلق على الصفات المعنوية الراسخة فى النفس وهو للنفس والصورة الباطنة وأوصافها بمنزلة الخلق للصورة الظاهرة وترتب الثواب والعقاب على هذه وقال الراغب هما فى الاصل بمعنى وخص المفتوح بالهيئة والصورة المدركة بالبصر والمضموم بالقوى والسجايا المدركة بالبصيرة وهو كيفية راسخة فى النفس تقتضى سهولة صدور الافعال عنها من غير احتياج لفكر وروية ويطلق على ما يترتب على تلك الكيفية ويخص فى العرف بما يتعلق بمعاشرة الناس كما سيأتى وقال الآمدى رحمه الله فى كتاب الموازنة جمال الوجه وحسنه مما يتمدح به لانه يتيمن به ويدل على الخصال الممدوحة ويزيد فى الهيئة والذمامة يذم بها لعكس ذلك وقد غلط فيه من توهم انه لا يدخل فى مدح العظماء انتهى قلت وقد أشار الى هذا فى الحديث الشريف بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم اطلبوا الحوائج عند حسان الوجوه ولله در الصرصرى رحمه الله تعالى فى قوله

ألا يارسول الاله الذى ❊ هدانا به الله من كل تيه
سمعنا حديثا من المسندات ❊ يسر فؤاد النبيل النبيه
وانك قلت اطلبوا الحوائج عند حسان الوجوه
ولم أر أحسن من وجهك الكريم ❊ فخذ لى بما ارتجيه

فان قلت قول الراغب رحمه الله تعالى ان هذين المصدرين وضعا للهيئة ينافيه قول النحاة ان الهيئة والمصادر يعبر عنها بفعلة بكسر الفاء كالجلسة ❊ قلت لا منافاة بينهما فان الهيئة التى ذكرها النحاة هى الهيئة العارضة فى الافعال كالخلقية (وقرانه) بكسر القاف كما علم عامر مجرور ومعطوف على تكميل أى جمعه (جميع الفضائل الدينية) الممكنة اللائقة به والدينية المتعلقة بدين الاسلام (والدنيوية) المنسوبة للدنيا المعروفة وفيه وفى أمثاله مما رابعه ألف تانيث كحبلى اذا نسب اليه ثلاث لغات دينى ودنيوى ودنياوى كما فصل فى كتب العربية (فيه نسقا) حال من قرانه أى قرن الفضائل فيه متناسبة منتظمة وفسرها التلمسانى بتبعا ولا وجه له وقد تقدم الكلام فيه (اعلم أيها المحب لهذا النبى الكريم) اعلم دأب المصنفين كما تقدم انهم يأتون به فى ابتداء الكلام لتنبيه السامع وتنشيطه لاهتمامه بما يلقونه والمخاطب به من ساله تاليف هذا الكتاب أو كل سامع فهو عام لكل من يصلح لخطابه وكونه خطابا لنفسه على التجريد بعيد مع مخالفته لدأبهم والكريم الشريف العظيم أو الجواد (الباحث) أى الطالب المتفحص عما خفى لان أصله كما قاله التلمسانى الفاحر للتراب لشئ تحته (عن تفاصيل جمل قدره العظيم) جمع تفصيل المصدر تفعيل من الفصل وهو تمييز الشئ وافرازه عن غيره ثم استعمل فى تبيين كل أمر باستيفاء افراده وتوضيحها ويطلق على المبين نفسه وجمل جمع جملة وهو الامر المجموع فى عبارة مختصرة فهو بمعنى الاجمال فما قيل ان المشهور فى مقابل التفصيل والمفصل الاجمال والمجمل فاللائق اجمالات أو مجملات قدره الا أن يريد بالجمل المجمل وهو ما اشتمل على متعدد بلا تمييز لا وجه له وقدر بالسكون والفتح مقدار الشئ ومماثلته وحرمته ووقاره كما فى المصباح ومنهم من فسره هنا بمبلغه من الكمال والمرتبة والمراد تفصيل ما جمع من أنواع صفاته صلى الله تعالى عليه وسلم كعلمه وحلمه (ان خصال الجمال والكمال فى البشر) فى أكثر النسخ الجلال بلام من وان ومامعها مفعول اعلم والخصال جمع خصلة وهى الصفة المعتادة محسوسة كانت أم لا والجلال العظمة والجمال ما يستحسن والكمال التمام فيما يفضل به الشئ على غيره وخص البشر لان مجموع ما ذكر مختص به ولان المقصود بيان حاله وقد تقدم عن الاصمعى ان الجلال لا يجوز أن يوصف به غير الله ولم يسمع فى غيره وخالفه فيه أكثر أهل اللغة لوروده فى كلامهم كقول هدبة

فلا ذا جلال هبنه كجلاله ❊ ولا ذا ضياع هن يتركن للفقد

(وخلقا) بفتح الخاء فى الاول وبضمها وضم اللام وسكونها فى الثانى وهما منصوبان على التمييز أى محاسن خلقه وخلقه من صورته الظاهرة الطاهرة وسيرته الباطنة الباهرة (وقرانه) أى وفى مقارنة ذاته عليه الصلاة والسلام (جميع الفضائل الدينية والدنيوية فيه نسقا) بفتحتين أى من جهة كون بعضها تبعا لبعض من الصفات المتوالية والمكارم المتعاقبة (اعلم أيها المحب لهذا النبى الكريم) خطاب عام فى موضع التفخيم أو خاص لمن ساله هذا التاليف المتضمن للتعليم ويؤيده قوله (الباحث) أى المفتش والمتفحص (عن تفاصيل جمل قدره) أى مجملات مقداره (العظيم) والجملة الندائية معترضة بين الخطاب وما خوطب به من الجملة الفعلية (ان خصال الجلال والكمال) وفى نسخة الجمال بدل الجلال والجمال تمام الصورة والجلال ظهور العظمة والاولى على ما عرف فى علم الاخلاق أن يقال ان خصال الجمال والجلال المقتضية للكمال (فى البشر

(نوعان) منحصرة فيهما وان توهم كثير من الشراح انها أربعة لانها اما ضرورية أو كسبية وكل منهما اما دنيوى أو أخروى حتى اعتذر عنه بعضهم بانها قضية مهملة فى قوة الجزئية فالمراد بعضها الغالب فيها وهذا ناشئ من عدم تدبر كلامه فانها وان كانت أربعة الا أنها فى الواقع لا يخلو من نوعين عنده لان الدينى منسوب للدين وهو وضع الهى سائق لهم باختيارهم الى ماهو محمود فلا يكون ضروريا والدنيوى لا يعد منه من صفات الكمال الا ما كان جبليا أو ملحقا به وما عداه غير معتد به فسقط منه قسمان وسياتى معنى الالحاق وتحقيقه والمراد بالنوع القسم لا النوع المنطقى أحدهما (ضرورى) منسوب للضرورة وهى هنا أعم من شدة الحاجة ومن عدم الاختيار وليس المراد به ما يقابل النظرى كما توهم فان الضرورة لها معان منها هذا (دنيوى) لا يتعلق به ثواب وكمال أخروى من حيث هو (اقتضته الجبلة) قال التلمسانى اقتضته بمعنى دعت اليه والمقتضى والداعى والسبب بمعنى واحد قيل ظاهره ان الطباع أسباب للخصال ودون اثباته خرط القتاد وفيه ميل لمذاق الحكماء والمراد ان الله تعالى خلقه فيه من غير اختيار وعبر بالاقتضاء على طريق الافتنان وهذه دقة فى غير محلها الا ان الجبلة ما جبله الله عليه وخلقه فاله لما ذكره من غير دندنة قال البرهان الحلبى الجبلة الخلقة قال الله تعالى (واتقوا الذى خلقكم والجبلة الاولين) والمطبوع على الشئ لا يتحول عنه كالجبل والمراد جبلته صلى الله تعالى عليه وسلم أو جبلة ما يتعلق به كارضه وقومه وفى الجبلة لغات ذكرها الصاغانى فى كتاب العادة بضمتين مشدد اللام وجبيلة بزنة فعيلة وجبلة بتثليث الجيم وسكون الباء وجبلة بكسرهما مع التشديد (وضرورة الحياة الدنيا) قيل انه عطف تفسير والمراد بما اقتضته الجبلة ما لا يمكن الحياة بدونه والاظهر انه قسم آخر للضرورى الدنيوى لم يقتضيه ولا يرد عليه انه ينبغى عطفه باو لان العطف فى التقسيم بالواو كثير لاجتماع الاقسام فى مقسمها (ومكتسب دينى) أخروى حصل له فى حياته بعد ان لم يكن حاصلا قيل انه شامل لما هو بجهده وما هو وهبى فيشمل النبوة وليس على ظاهره لينضبط ويلتئم ولا يخفى ما فيه (وهو) قيل انه عائد على مطلق الدينى (ما يحمد) شرعا وعقلا (فاعله) وهو من اتصف به (ويقرب الى الله زلفى) مصدر بمعنى قربه مؤكد ليقرب كقعدت جلوسا لانه أمر دينى بعد عبادة يثاب عليها ما لم يعرض له ما يفسده أو بغير نية فاعله كالرياء وبقى قسمان آخران الدنيوى المكتسب والدينى الضرورى وقد تقدم الكلام عليهما (ثم هى) أى خصال الجمال والجلال والكمال جميعها الا بعضها والجملة معطوفة على ما قبلها عطف القصة على القصة بثم للبعد الرتبى لان الاول تقسيم حقيقى وهذا اعتبارى (على فنين أيضا) أى على ضربين ووجهين آخرين كما أنها على قسمين بحسب القسمة الاولى وجعله بعضهم تقسيما للمكتسب الدينى ويأباه قوله المحض الآتى (منها) أى من تلك الخصال (ما يتخلص) أى يصير خالصا غير مختلط بغيره (لاحد الوصفين) أى الضرورة والكسب المفهومين من التقسيم السابق لا الضرورة الدنيوية والكسب الدينى وهو تقسيم لمطلق الكمال سواء كان فى واحد من الانواع السابقة أو أكثر (ومنها ما يتمازج ويتداخل) التمازج والتداخل والخلط معان متقاربة وقد يراد بكل منها الآخر الا ان أصل المزج خلط بعض المائعات ببعضها بحيث لا يمكن تمييز بعضه من بعض كالماء والخل ومنه مزاج الانسان والتداخل أعم منه لانه دخول أجزاء شئ فى آخر مائعا كان أم لا يمكن تمييزه أم لا والاختلاط أعم منهما لانه وجود أمور مع أمور تداخلت أم لا كاختلاط قوم بقوم ومراده بالتمازج وجود الوصفين فى شئ ولما كان أمرا معنويا لا امتياز فيه حسا عبر به ثم عطف عليه لدخول بعض الانواع فى بعض والتفاعل فيه على حقيقته فالمعطوفان متغايران وقيل المعنى أن يختلط الكسب بالضرورة ويدخل كل منهما فى الآخر والتفاعل لاصل الفعل أو هو على ظاهره وبينهما عموم وجهى والممتزج ما كان أصله جبليا وكماله كسبيا أو نوع

(نوعان ضرورى) أى أحدهما ضرورى ٣٠٦ (دنيوى) أى مما لا بدله منه فيها (اقتضته الجبلة) بكسر الجيم والموحدة وتشديد اللام أى دعته الخلقة التى خلق عليها وطبيعته التى جبل للميل اليها ومنه قوله تعالى والجبلة الاولين وقرأها الحسن بالضم وقال التلمسانى وبسكون الباء وفتح اللام مخففة فتثليث الجيم بالهاء وبدونها والجبل بضم ويشدد ومنه قوله تعالى ولقد أضل منكم جبلا كثيرا (وضرورة الحياة الدنيا) أى واقتضته الحاجة الضرورة الكائنة فى الحياة الدنيويه مما ليس اختياريا (ومكتسب) بصيغة المجهول أى وثانيهما مكتسب (دينى وهو ما يحمد فاعله) أى مما يتوقف اكتسابه على الشرع من الكمالات العلمية التى أعظمها معرفة الله وصفاته العلية (ويقرب) بكسر الراء المشددة فى نسخة بصيغة المجهول أى ما يقرب به (الى الله زلفى) أى قربة اسم مصدر لازلف وفيه ان التقسيم غير جامع لانه غير شامل للوهبى الحاصل بالجذبة دون الخلقة الاصلية ولا بالتعلقات العارضة (ثم هى) أى الخصال (على فنين) بفتح فاء وتشديد نون (أيضا) أى صنفين (منها) أى من الخصال (ما يتخلص) أى يتمحض (لاحد الوصفين) أى من الضرورى والكسبى من غير امتزاج وتداخل بحيث لا يصدق عليه اسم الآخر ضروريا أو كسبيا (ومنها ما يتمازج ويتداخل) عطف تفسير أى يتخالطان يكون ضروريا

يكون

يكون تارة كسبيا وتارة جبليا وقال التلمساني التمازج والتداخل بمعنى واحد والكلام يفسر بعضه بعضا وذلك توسع في العبارة كما قرره الشارح وقال ابن سيدي الحسن بتمازج أي يختلط وهزج خلط لكن المزج جعل الاثنين واحدا الاجل التشابه في الصورة ولا كذلك الخلط فهو مثله أو خلافه فكل مزج خلط وليس كل خلط مزجا والتداخل دخول بعض الشيء في الشيء وهو تفاعل ومعنى الامتزاج أن يكون الشيء الخارج في شدة تمكنه كالاصل لا يمتاز عنه ومعنى التداخل أن يمتاز الفرع عن الاصل لكن يقرب شبهه منه فيكون كالاصل فهذا هو التداخل هنا انتهى وكل هذا خلط أنت غني عنه بما مر (فاما الضروري المحض) أي الخالص الذي لم يخالطه غيره ولا دخل لكسبه فيه واختياره فليس دينيا كما أشار اليه بقوله (فـاليس للمرء) بفتح الميم وسكون الراء والهمزة بمعنى الانسان (فيه اختيار ولا اكتساب) الاختيار هنا مقابل الاضطرار وقيل اصطلاح لاهل المعقول واصل معناه لغة فعل ماهو خير كما قال الله تعالى (وربك يخلق ما يشاء ويختار) فيحصل له سواء أراده أم لا من غير كسب واسباب عادية ثم مثل له بعد ما فسره توضيحا له فقال (مثل ما كان في جبلته) أي فطرته التي فطره الله عليها (من كمال خلقته) وايجاد أجزاء بدنه تامة معتدلة المقادير وقيل كان الاحسن أن يقول ما في جبلته من الكمال اذ الجبلة هي الخلقة كما تقدم وهو أمر سهل (وجمال صورته) أي حسن صورته الظاهرة في جسده بتناسب أعضائه وصفاء لونه واعتدال قده وقيل المراد حسن وجهه (وقوة عقله) وهو نور أو قوة أودعه الله في الانسان يميز به بين الاشياء وله تفاسير أخر كالعلم والعلوم الضرورية وهل محله القلب أو الدماغ قولان وسيأتي بيان ذلك واصل معناه المنع ومنه العقال لمنعه عما لا يليق كما قال

قد عقلنا والعقل أي وثاق * وصبرنا والصبر مر المذاق

(وصحة فهمه) أي ادراكه المعلومات بسرعة واضافة القوة للعقل بيانية وفي اضافة القوة للعقل والصحة للفهم غاية المناسبة (وفصاحة لسانه) الفصاحة لغة واصطلاحا مشهورة ويوصف بها المفرد والكلام فيقال كلام فصيح والمتكلم كما يقال خطيب فصيح واللسان يطلق على الجارحة المعروفة وعلى اللغة ويصح ارادة كل منهما هنا والمراد فصاحة نفسه لان المراد باللسان الذات ولا بالفصاحة عدم اللكنة وما قيل من ان الفصاحة جبلية تتكامل بمباشرة الاسباب فهي من الممتزج الا أن يريد القدر السليقي منها كما في الاخلاق الآتية واطلاقه يقتضي انها ضرورية محضة فاما انه لم يعتد بالمكتسب منها أو التقسيم لما ذكر مطلقا أو الاسباب انما ترفع الموانع عن القوة ولا تزيدها وان كان هذا بعيدا جدا كلام ناشئ من عدم معرفة الدخيل من المناشي (وقوة حواسه) المراد الحواس الخمس الظاهرة من السمع وأخواته لا الباطنة فان أهل الشرع لم يثبتوها ولم ينفوها وقوتها بزيادة احساسها وسلامتها عن الآفات واعتدالها (وأعضائه) جمع عضو بضم العين وكسرها وسكون الضاد المعجمة وهي أجزاء البدن التي يزاول بها الاعمال ونحوها كاليد والرجل وبقوتها تتم أعماله وما به كماله كما قيل ليس في الانسان جارحة أحب الى الله تعالى من اللسان لنطقه بتوحيده (واعتدال حركاته) الاعتدال قيل انه وقوعها بين الافراط والتفريط في السرعة وقيل سلامتها عن الآفات والمراد كونها على نهج قويم حيث جعل في كل عضو اعصابا وعضلا يتحرك جميعها افرادا فرادى كالرأس والظهر والكف والاصابع والزند وهكذا الجيد ينحني ويمسك ويطلق ويقعد ويلتفت الى غير ذلك مما ليس في غيره فقدرته على ذلك ومنشاه ليس باختياره في الحقيقة والحركة ضد السكون لا الحركات الفكرية ولا الاعم منها ولا الحركة في النحو والكم ونحوه مما ذكر في الحركة لبعده عن مقاصد المصنف رحمه الله تعالى فاذا أريد باعتدالها سلامتها أو المعنى

المرأة كذا ذكره التلمساني والاظهر انه الشخص بالمعنى الاعم والله أعلم (فيه اختيار) أي في حصوله (ولا اكتساب) أي في وصوله أي بل فيه اضطرار واضطراب في تحصيله (مثل ما كان في جبلته من كمال خلقته وجمال صورته) فيه من البديع صنعة جناس لاحق بين كمال وجلال (وقوة عقله) أي تعقله قال التلمساني مذهب أهل اللغتان العقل هو العلم وقيل بعض العلوم الضرورية وقيل قوة يميز بها بين حقائق المعلومات ومحله عند أهل السنة القلب بدليل قوله تعالى فتكون لهم قلوب يعقلون بها وقالت المعتزلة محله الدماغ ووافقهم أبو حنيفة والفضل بن زياد (وصحة فهمه) أي ادراكه (وفصاحة لسانه) أي طلاقته وتراوة بيانه مع رعاية مطابقته ووضوح دلالته (وقوة حواسه) أي من سمعه وبصره وشمه وذوقه ولمسه (وأعضائه) جمع عضو بضم العين وكسرها أي

جوارحه وقد قيل ليس في الانسان جارحة أحب الى الله عز وجل من اللسان ولذلك أنطقه الله بتوحيده فاذا خرس ولم يحل اللسان فبأي يذكر ويناجي ويدعو ويتلو (واعتدال حركاته) أي وسكناته بسلامتها من آفتها فهو من باب الاكتفاء

الآخر باعتبار منشئه ومبدئه لم يشكل بانها أمور كسبية اختيارية فلا يصح ذكرها هنا الا أن يقال انها لم تذكر قصدا بل تبعا لقوة الاعضاء وهو بعيد وماقيل من انه لو أريد مطلق الانتقال من حال الى حال لم يبعد والحركة وان كانت كسبية يجوز أن لا تكون صفاتها بالاختيار لجواز أن يغفل عنها وفى الجبلة أن يؤتى بها على ماينبغى فهذا الاعتدال غير صادر بالاختيار عند المحققين وكذا الملكة المقتضية لها قريب مما قلناه (وشرف نسبه) أى شرفه الحاصل له بسبب نسبه فانه صفة لم تحصل باختياره الا أن تسميته جبلة تسمح أو على التغليب ومثله غير بعيد والشرف والمجد بالآباء والحسب به وبآبائه معا كما قاله ابن السكيت ولاشك ان نسبه صلى الله تعالى عليه وسلم أشرف الانساب لما فى سلسلته من الانبياء عليهم الصلاة والسلام وصميم قريش ومثله يدعو لعلو الهمم وتوقى سفساف الامور لاسيما اذا انضم لشرف الذات الذى لايساويه غيره كما قال ابن الرومى

كم من أب قد علا بابن ذوى شرف * كما علت برسول الله عدنان

(وعزة قومه) القوم الجماعة اذا أضيف لاحد كانوا امعه مجتمعين فى أب (وكرم أرضه) التى هى موطنه ومولده وهى من أحب البلاد الى الله والحرم الآمن من فيه ومقصد الحجيج وقبلة الانبياء عليهم الصلاة والسلام ومهبط الانوار والملائكة عليهم الصلاة والسلام وأعدل الارض وان لم تكن لغيرها ذات غياض ورياض وليس المراد بالارض الام لانها فراش وموضع حرث كما جوزه التجانى فان السياق يأباه وهذا ممالم يكن باختياره وشرف البقاع يؤثر فى الطباع فغير بعيد جعله من الجبلة ثم ان المصنف رحمه الله تعالى لم يعتبر فى الضرورى غير عدم الاختيار والاكتساب ولم يلتفت لعدم الانفكاك فلا وجه لما قيل ان المراد مالم يكن بكسبه واطلاقه موهم والمراد بما فى الجبلة الخلقى سواء كان فى طبيعته أو خارجا عنه فصح جعل الثلاثة الاخيرة منها وان أريد بالضرورة مالا ينفك دائما فالفصاحة وقوة الاعضاء ليس كذلك وان أريد فى بعض الاوقات فكل مكتسب كذلك الا أن يقال المراد انه لاينفك فى وقته اللائق به أو انه ناشئ عن كيفية مستمرة (ويلحق به) لحوق الشئ بالشئ تبعيته له والحق الولد بابيه أخبر بانه ابنه لنسبة بينهما كما فى المصباح فالمراد انه أبعد منه لشبهه به وسيأتى بيانه وهو بضم الياء مبنى للمجهول وفى الشروح انه يجوز فيه البناء للفاعل وفتح الياء أى ملحق بالضرورى المحض أمور منها (ماتدعوه ضرورة حياته اليه) اليه متعلق بتدعو أو بضرورة أو بهما على التنازع وروى تدعو بغير ضمير والضرورة شدة الاحتياج باعتبار العادة البشرية وفى عبارته لطف لايمائه الى أنه ليس مضطرا اليه كغيره وانما الضرورة هى التى دعته وطلبته كما قال البوصيرى رحمه الله ونفعنا به

وكيف تدعو الى الدنيا ضرورة من * لولاه لم تخرج الدنيا من العدم

وانما كان ملحقا لانه اختيارى لايدخل فى الضرورة المحضة كما مر (من غذائه) بغين مكسورة وذال معجمتين ومدوهو مايتغذى به من الطعام والشراب وجوز فيه الفتح والدال المهملة وهو طعام أول النهار والاول أصح والاضطراره له لقيام البنية به (ونومه) وهو حالة معروفة تقتضى عدم الحس والحركة بسبب تصاعد الابخرة وارتخاء الاعصاب وهو من الامور الضرورية لراحة البدن واستراحة الحواس وقال المعرى

وفضيلة النوم الخروج باهله * عن عالم هو بالاذى مجبول

(وملبسه) بفتح الميم بمعنى اللباس (ومسكنه) بفتح الكاف وكسرها وهو المنزل وهو ضرورى بحسب العادة وروى مكثبه بتاخير التاء عن الكاف السا كنة وبالباء الموحدة وكسر السين وفتحها أى

(وعزة قومه) أى وغلبة قبيلته اذ المؤمن كثير باخيه كما قال تعالى حكاية عن موسى عليه السلام واجعل لى وزيرا من أهلى هارون أخى أشدد به أزرى وأشركه فى أمرى كى نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا (وكرم أرضه) أى طيب مكانه الذى نشا فيه بان يكون بلد المسلمين ومنزل الصالحين وأبعد التلمسانى فى تخصيص أرضه بارض مكة اذ ليس الكلام فى خصوصه عليه الصلاة والسلام (ويلحق به) أى يتصل بالضرورى المحض وفى نسخة بصيغة المجهول واقتصر عليه الحلبى أى ويوصل به (ماتدعوه) أى كل شئ من الامور العادية تدعو المرء (ضرورة حياته) أى شدة احتياجه فيها (اليه من غذائه) بكسر الغين وبالذال المعجمتين على مافى الاصول المصححة وعلى ماذكره أهل الحواشى المعتبرة مايتغذى به من الطعام والشراب ومابه نماء الجسم وقوامه وأما الغداء بفتح أوله وبدال مهملة فهو طعام الغدوة من الطلوع الى الزوال ضد العشاء بالفتح وهو غير ملائم لمقام المرام فتجويز الدلجى الوجهين وتقديم الثانى على الاول وتفسيره بقوله هو الطعام اكتسابه بيمينه ليس فى محله وكذا تقييد المحشى للاول بالقصر والثانى بالمد (ونومه) أى فى ليله ونهاره (وملبسه) بفتح الموحدة (ومسكنه) بفتح

الكاف وكسرها (ومنكحه) بفتح الكاف مصادر او أسماء لما يلبس ويسكن وينكح (وماله) أى جميع ماينتفع به من الامور الحسية (وجاهه) أى قدره ومنزلته واعتباره من الاحوال المعنوية قيل هو والوجه بمعنى قلب منه لانه ان توجه بوجهه قبل منه (وقد تلحق) ضبط معروفا ومجهولا (هذه الخصال الآخرة) أى الاخيرة المتعلقة بالامور العادية الواقعة فى الاحوال الدنيوية (بالاخروية) أى بالخصال الاخروية (اذا قصد بها التقوى) مصدر تقوى من باب التفعل أى طلب القوة على الطاعة وفى نسخة التقوى بالتخفيف أى اذا كانت مقترنة بتقوى الله (ومعونة البدن) أى اذا قصد بها مساعدته ومعاونته (على سلوك طريقها) أى سبيل الآخرة وأبعد الدلجى تبعا للتلمسانى فى قوله أى طريق الخصال الاخروية (وكانت) أى تلك الخصال الملحقة (على حدود الضرورة) أى على طبق داعية الحاجة وقدر الكفاية من غير الزيادة (وقوانين الشريعة) وفى نسخة قواعد الشريعة أى وكانت أيضا على فوق الاصول الشرعية مما أبيح وجوزله من ارتكابه وهذا معنى قولهم فى حديث انما الاعمال بالنيات ان العادات تصير بالنيات عبادات

اكتسابه للرزق وهو مما يضطر اليه عادة الا أنه يغنى عنه قوله وماله الآتى وقد يفسر بما به يغاير (ومنكحه) أى ماينكح من النساء بعقد أو تسرى وهو ضرورى عادة ومثله قوله (وماله) أى مايملكه وهو معروف يذكر ويؤنث وهو عند العرب يختص بالابل وفى العرف العام بالنقدين (وجاهه) المنزلة والقدر عند الناس وأصله وجه فقلب وفى عده من الضروريات الملحقة بعدوان احتاج اليه بعض الناس عادة فلعل المراد مايحمى به ماله واتباعه (وقد تلحق) بضم التاء الفوقية وفتحها وقد للاشارة الى أنها فى الاكثر غير ملحقة بها (هذه الخصال الاخيرة بالاخروية) الدينية المثاب عليها فى الآخرة نسبة للاخرى بمعنى الآخرة وهو المعروف فى النسبة فتكون بحسب القصد والنية أخروية لان لها حكمها وان كانت بحسب الاصل دنيوية فلا تخرج عن النوعين كما توهم وانقلابها بالنية من العادة للعبادة المثاب عليها صرح به فى الاحياء ومنهم من قال الثواب انما هو على النية والفعل على حاله وقيل الخلاف فى ذلك مالم يصر واجبا وعلى هذا يمكن عدها أخروية والحاقها بها اما المشابهتها لها حتى كأنها ضرورية أو لاستلزام الضرورى لها وعلى هذا يمكن أن يقال ان الغذاء والنوم ملحق بكمال الخلقة والصورة والملبس والمسكن والمنكح ملحق بالعقل والفهم والجاه والمال بشرفه وعزقومه ويمكن غير ذلك فتامل (اذا قصد بها التقوى) بفتح المثناة الفوقية والقاف وتشديد الواو المكسورة تفعل من القوة وما بعده كالتفسير له وجوز فيه فتح التاء وسكون القاف والواو المخففة من الاتقاء والاول أقوى وأظهر وعلى الثانى المراد التحرز عن المناهى وامتثال الاوامر بان يريد بما يفعله ذلك مع قضاء وطره الدنيوى به وقصده معه فان الباعث على الشئ قد ينفرد وقد يتعدد مع غلبة أحدهما او بدونها وقيل ليس المراد النية بل انبعاث النفس وميلها الى فعل يعتقد أنه يترتب عليه الفرض الباعث الطالب اجابة للباعث على تحصيل الفرض وارادة الشئ قد لا يتيسر للتوقف على الميل النفسانى الذى ليس باختياره الى آخر ماطوله بغير طائل (ومعونة البدن) المعونة مصدر بمعنى الاعانة وهى المساعدة وهو من الشواذ كما ذكر فى التصريف والبدن هو الجسد ماسوى الاطراف أو ماسوى الرأس كما قاله الازهرى ويطلق على جملة الجسد كثيرا وما قيل من ان حذفه أولى اذ قد يقصد معونة الروح أيضا لا وجه له لان المراد انه يقصد تقوية بدنه بالغذاء ونحوه ليقوم بوظائف العبادة كما أشار اليه بقوله (على سلوك طريقها) أى الآخرة أى ليدخل فى طريق الآخرة أو طريق الخصال الاخروية مع ان هذا لا يكون بمجرد البدن فهو يدل على ماذكره والمراد أن يكون متلبسا بما ينفعه فى الآخرة أو فى طريق يوصله لنعيم الآخرة بقصد ما يحمده الشرع من العبادة والعفاف عن المحرم ومتابعة السنة ونحوه لا لمجرد قضاء الشهوة وحق النفس وأما قوله فى الحديث ان لنفسك عليك حقا فلا ينافى هذا الا انه بامتثاله لامر الشارع مثاب بل لانه أمر لازم له جائز شرعا وتركه اذا أخر غير جائز فهو مباح فوقه مرتبة أخرى يصير بها أحسن ولكل مقام مقال واللحوق بالاخروى يجرى فى كل مباح حتى اللعب كما اذا مل من عبادة فاشتغل بمباح ينشطه بل قال الغزالى لهوه هذا أفضل من صلاته وعبادته ووجه بأن تنفله بكسل من غير توجه مكروه يثاب على تركه (وكانت على حدود الضرورة) الحدود جمع حد وهو نهاية الشئ وغايته المحيطة به ومعنى كونها على حدودها أن يأخذ منها بمقدار حاجته من غير زيادة واسراف ونقص وتفريط بالشح ونحوه فانها اذا كانت كذلك لم تكن محمودة ملحقة بالاخروية وهذا كقوله تعالى ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون وما كان كذلك لا يفيد فيه نية صالحة كمن نوى بطعامه التقوى للعبادة وزاد على الشبع أو زاد فى الالوان ومن جمع المال لينفقه وانهمك فى جمعه ولكل ضرورة حد ومرتبة لا ينبغى تعديها والامور الدنيوية ليست مقصودة لذاتها وفى بعض الشروح هنا كلام لا محصل له (وقوانين الشريعة) القوانين جمع قانون

(وأما المكتسبة الاخروية) أي الخصال المكتسبة المستفادة المتعلقة بالامور الاخروية (فسائر الاخلاق العلية) أي جميعها وهي صفات وأحوال وأفعال وأقوال يحسن بها حالة الاحسان بينه وبين خالقه وأبناء جنسه (والآداب الشرعية من الدين) أي الايمان بما يجب تصديقه والطاعة فيما يجب عمله وتركه (والعلم) أي معرفة النفس ما لها وما عليها مما به تمام معاشها ونظام معادها (والحلم) أي الصبر على الايذاء وعدم العجلة في العقوبة

على الاعداء (والصبر) أي على أنواع المصائب وأصناف البلاء وأجناس القضاء (والشكر) أي بالثناء على المنعم بما أولاه من النعماء وان يصرف جميع النعم الى ما خلقت لاجله في مقام رضى المولى (والعدل) ضد الميل عن الحق بالجور وهو ملكة يقتدر بها على اجتناب ما لا يحل فعله في باب الحكومة وقد ورد كلكم راع وكلكم مسؤل عن رعيته وقال الله تعالى ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلا (والزهد) أي عفوفة النفس وقلة ميلها الى الدنيا والمشتهيات وترك ما عدا الضرورات من المباحات أو ترك ما سوى الله مريدا به وجه الله وهو زهد المقربين (والتواضع) أي لين الجانب والتذلل للصاحب (والعفو) أي الصفح والمجاوزة وعدم المؤاخذة (والعفة) وهي قمع النفس عن المعصية أو مختصة بالزنا ونحوها وأغرب التلمساني بقوله وهو العفو عما يشين ويعيب وتركه اختيارا (والجود) وهو الكرم المحمود بأن يكون بين طرفي افراط يسمى سرفا وتفريط يسمى بخلا وقد قيل القوة لا سرف في خير ولا خير في سرف فهو بذل ما ينبغي فيما ينبغي كما ينبغي (والشجاعة) وهي صفة جيدة متوسطة بين التهور والجبن (والحياء) بالمد وهو انقباض عن القبيح حذرا من الذم متوسط بين وقاحة وجراءة على القبائح وعدم المبالاة بها وبين الخجالة والانحصار عن الفعل مطلقا وهو محمود اذا كف عن المعصية وذمائم الخسة ومذموم اذا كف عن تحصيل الفريضة واكتساب الفضيلة والاول من الرحمن والثاني من الشيطان

وهو الاصل والقاعدة المنطبقة على جزئياتها والاضافة لامية أو بيانية لادنى ملابسة كما قيل والمعنى أن يكون ما يفعله من هذه الامور على وفق الشريعة المطهرة فانه ان لم يكن كذلك لا ينفعه نية التقرب به الى الله تعالى عز وجل كمن يأكل حراما أو يلبس مغصوبا ليتعبد به أو يتصدق بمال حرام قال

ومطعمة الايتام من كد فرجها * فليتك لم تزني ولم تتصدقي

وقال الغزالي رحمه الله لا تظنن ان المعصية تنقلب طاعة بالنية كبناء الرباط بالحرام فانه جهالة عظيمة وله فيه كلام مفصل وعن العز بن عبد السلام ان المعصية قد تصير قربة بالنية كمن شهد زورا لدفع ظلم الا أن منها ما لا تتغير حرمته كالزنا وذهب ابن القيم الى أن من أنفق مالا حراما في قربة يثاب عليه وان عوقب على كسبه من غير حل كالصلاة في أرض مغصوبة وفي هذا المقام كلام طويل ليس هذا محله (وأما) الخصال (المكتسبة الاخروية) الدينية (فسائر الاخلاق) جمع خلق وهو الوصف الذي طبعه الله تعالى عليه أو اكتسبه وسائر هنا بمعنى الجميع أو الباقي وقد اختلف فيه أهل اللغة فذهب الاكثر الى أنه لم يرد في كلامهم الا بمعنى الباقي ثم اختلفوا فقيل هو الباقي مطلقا قل أو كثر لانه من السؤر بالهمزة وهو البقية وقيل انه الباقي الاقل والاول هو الصحيح وذهب الجوهري وغيره الى أنه يكون بمعنى الجميع وخطأهم فيه كثير كابن قتيبة والحريري في الدرة لانه مخالف للسماع والاشتقاق لانه من السؤر فلا يصح كونه بمعنى الجميع وقد انتصر قوم للجوهري رحمه الله تعالى وان ما قالوه غير صحيح أما الاول فلانه سمع من الفصحاء كقوله

الزم العالمون حبك طرا * فهو فرض في سائر الاديان

وأما الثاني فلان القائل به يقول انه مشتق من السير أي يسير فيه هذا الاسم ويطلق عليه وقد أشبعنا الكلام فيه في شرح الدرة فانظره (العلية) أي الشريفة المحمودة عند العقلاء وأهل الشرع المكتسبة لا الجبلية اذا أريد بها وجه الله تعالى (والآداب الشرعية) التي هي أعم من الاخلاق أو مقابلة لها فتشمل أنواع العبادة ثم بين ما أجمله بقوله (من الدين) أي الدين والعبادة والانقياد لاوامر الله والايمان (والعلم) بما له وعليه مما به نظام معاشه ومعاده (والحلم) وهو ملكة يقتدر بها على الصبر على الاذى (والصبر) وهو حبس نفسه اذا أصابته مصيبة أو ناله ضر أو قل رزقه بأن يتصور ما خلق له ورجوعه الى الله تعالى وان كل شئ بقضائه وقدره لحكم فيتسلى بذلك ويرضى (والشكر) بأن يحمد الله على نعمه ويحمد من أولاه معروفا ويصرف ما أنعم الله به عليه فيما خلق لاجله (والعدل) بأن يجتنب ما لا يحل فعله ويتوقى ما يضر غيره (والزهد) بترك الدنيا والرغبة عما في أيدي الناس وترك المحرمات والشبهات وترك ما سوى الله تعالى مريدا وجه الله وهو زهد المقربين (والتواضع) أي الخضوع والتذلل ولين الجانب (والعفو) وهو الصفح والتجاوز وعدم المؤاخذة (والعفة) وهي قمع النفس عن تعاطي ما لا ينبغي (والجود) وهو بذل ما ينبغي فيما ينبغي من غير اسراف ولا بخل (والشجاعة) وهي الاقدام على ما ينبغي كما ينبغي ولها طرفان الجبن والتهور (والحياء) وهو الانقباض عن القبيح حذر الذم من غير وقاحة وعدم مبالاة وتفريط فيه وهو الخجل وهو انكسار يعتري

القوة الحيوانية فيردها عن أفعالها (والمروءة) وهي فعولة بالضم مهموز وقد تبدل همزته واوا وتدغم وتسهل بمعنى الانسانية لانها ماخوذة من المرء وهي تعاطي المرء ما يستحسن وتجنب ما يسترذل كالحرف الدنيئة والملابس الخسيسة والجلوس في الاسواق (والصمت) وهو الصموت بمعنى السكوت والمراد ترك الكلام فيما لا ينبغي وترك الفضول فانه كما ورد في الاثر الصمت حكم وقليل فاعله وقد يحمد في محله ولذلك قال عمر رضي الله تعالى عنه انه قفل الفم كما قيل

وكم فاتح أبواب شر لنفسه * اذا لم يكن قفل على فيه مقفل

وهو كثير في النساء ولذا يذم أحيانا اذا كان عيا وقيل الصمت منام اللسان والتكلم يقظته والمرء مخبوء تحت طي لسانه لا تحت طيلسانه وقيل من لم ينطق فسد عقله ومات خاطره وهذا في الخير (والتؤدة) بضم التاء الفوقية وفتح الهمزة والدال المهملة تليها الهاء وهي التاني وترك العجلة والمبادرة بالكلام وغيره كما قيل * قد يدرك المتاني بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل وروى التودد أي اظهار الود والمحبة للناس من غير تملق ومداهنة (والوقار) وهو السكون والطمانينة من غير طيش ولا خفة (والرحمة) الشفقة والتعطف (وحسن الادب) مع الناس باكرامهم وتنزيلهم منازلهم (والمعاشرة) معطوف على الادب أي حسن المعاشرة والاختلاط مع الناس وترك التحجب وهجر الاخوان بغير داع (وأخواتها) بالجر من كل ما يشبه هذه الخصال مما سياتي في الفصل الذي يليه (وجماعها) بكسر الجيم أي يجمع هذه وأخواتها ويشملها كلها وفي الحديث حدثني بكلمة تكون جماعا أي جامعة للكلمات كما في النهاية (حسن الخلق) فانه عبارة يدخل فيها كل ما ذكر وغيره وهو معاملة كل أحد بما يرضيه ولا يوحشه كما قاله أبو مدين رحمه الله تعالى وحسن الخلق بمعنى الخلق الحسن كما في قولهم العلم حصول الصورة الحاصلة وفيه مبالغة بجعله كأنه عينه للزومه وفيه تفصيل في حواشي المطول في تعريف الفصاحة فما قيل ان الصواب الخلق الحسن لانه هو الشامل وهو المراد الا ان يريد بالجمع المشترك بين الكل لان الخلق هو الصفة المعنوية والصورة الباطنة ليس بصواب ولا حاجة لما تكلفه (وقد يكون من هذه الاخلاق ما هو في الغريزة) هي والطبيعة والجبلة بمعنى كما مر (وأصل الجبلة لبعض الناس) خلقه الله وأنشاه عليها كما ترى من بعض كرم الناس وحسن خلقه من غير تعلم من أحد * واعلم ان مراده بالكمال الذي عقد له هذا الباب كمال الانسان في خلقته الذي ذكره الله تعالى بقوله لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم وما يلحق به من أمور معاشه وماله دخل فيه كارضه وأصله وماله دخل في بقائه من أمور معاشه وهو الذي أشار اليه الحكماء بقولهم لما كان الانسان خلق لاشرف الصور التي هي النفس الناطقة خصه الله تعالى باشرف الامزجة وأعدلها وجعلها بحكمته تقدست أسماؤه مدينة فيها أعضاء رئيسه ومرؤسه ومراده بصفاته الاخروية صفات ممدوحة فيها عقلا لا تختص بعصر ولا بنوع منه ولا بشريعة بل بما يدركه ويحمده كل عقل سليم كالسخاء والشجاعة وغيره وهذه لا يدخل فيها صرف

(والمروءة) بضم الميم والراء وتشديد الواو وقد يهمز وهو الانسانية وكمال المرء بالاخلاق الزكية والتبعد عن الامور الدنيئة (والصمت) أي السكوت عن غير الخير لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت (والتؤدة) بضم ففتح همز وقد تبدل واوا وهي بمعنى التاني وعدم العجلة لما قيل (قد يدرك المتاني بعض حاجته * وقد يكون مع المستعجل الزلل) وفي نسخة التودد من المودة أي التحبب الى الصلحاء والفقراء والضعفاء فانهم في الآخرة ملوك وشفعاء (والوقار) بفتح الواو أي الرزانة والطمانينة وعدم الطيش والخفة (والرحمة) أي التعطف والرأفة (وحسن الادب) فانه أحسن من الذهب وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم أدبني ربي فاحسن تاديبي وجعل حسن الادب من جملة الآداب الشرعية لانه حالة خاصة من عموم الاحوال المرضية لحديث ان من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه (والمعاشرة) أي المخالطة بالمخالفة على وجه الموافقة لقوله عليه الصلاة والسلام خالق الناس بخلق حسن وقوله خياركم أحسنكم اخلاقا ومن كلام الشيخ أبي مدين المغربي الخلق معاملة كل شخص بما يؤنسه ولا يوحشه (وأخواتها) أي أشباهها من الاخلاق الحميدة المفصلة في نحو كتاب الاحياء والعوارف والرسالة (وهي) أي هذه الملكات النفسانية المكتسبة (التي جماعها) بكسر الجيم أي جمعها واجتماعها كذا قيل وفي الحديث الخمر جماع الاثم لانها تجمع عددا منه والاظهر ان يقال مجمعها ومجتمعها (حسن الخلق) أي المحمود عند جميع الخلق وقد قال تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام وانك لعلى خلق عظيم وكان خلقه القرآن ياتمر باوامره وينزجر بزواجره ويرضى برضاه ويسخط بسخطه ومجمله قوله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين وقال جبريل عند نزوله هو ان تعفو عمن ظلمك وتصل من قطعك وتعطي من حرمك (وقد يكون من هذه الاخلاق ما هو في الغريزة) أي مخلوق ومودع في السجية والطبيعة وهي بفتح غين معجمة وكسر راء مهملة ثم زاي (وأصل الجبلة) أي الفطرة (لبعض الناس)

العبادة كالصلاح والحج ونحوه مما خصه العرف باسم العبادة وان كانت هذه الصفات فيمن عرف نفسه وربه وقصد بها القربة تسمى عبادة أيضا لان الشارع أمر بها وحث عليها فمن فعلها امتثالا لامره كان متعبدا بها ومن لم يعرف مقاصده خلط وتكلف توجيهات لا حاجة اليها فقوله وأصل الخلقة عطف تفسير للغريزة وهذه فيها ماهو قسم من الضروريات أيضا والاخلاق تطلق على الملكات والكيفيات النفسانية وعلى آثارها مسامحة وكذلك تسمى جبلة مسامحة ويشترط فى كون هذه دينية ارادة وجه الله تعالى بها كما عرفته فما قيل على المصنف رحمه الله تعالى ان مقتضى كلامه ان الجبلى والوهبى كالنبوة لعدم القصد والعمل لا يكون دينيا وان التحقيق ان التقرب الى الله بتعظيمه وحسن الحال والمآل يكون لكمال فى الجبلة ووهب فى الحياة بلا اختيار فان المعرفة والتصديق الوهبى والجبلى كما فى بعض الانبياء عليهم الصلاة والسلام والانتساب الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بمحبته كمالات تقرب وتنفع وان لم تكن أعمالا يثاب عليها وكم فى الآخرة من أمر يقرب وليس بعمل وهذا لا ينكره من له انصاف والاخلاق التى مدحها الشارع أمور كسبية وان كان كمالها بكونها جبلية كما سيذكره المصنف رحمه الله تعالى والظاهر انها توجب التقرب والتكريم فى حد ذاتها وباب الجدال لا يسده طول المقال الى آخر ما أطال فيه قد عرفت انه خارج عن نهج السداد (وبعضهم لا تكون فيه فيكتسبها) هذا معلوم من جعله مكتسبا وانما ذكره توطئة لما بعده وقوله فيكتسبها بالنصب كما قاله البرهان الحلبى وقال بعض الشراح الصواب الرفع على الاستئناف وتقدير المبتدأ وهكذا كل ما أريد به نفى ما قبله واثباته كقولك لمن تكره اتيانه لا تأتينى فأكرمك اذا قصدت اكرامه لاجل عدم اتيانه كما ذكره ابن هشام فى الشذور وفى الاقليد وكتب العربية ما يخالفه وليس هذا محل تفصيله * واعلم انهم اختلفوا فى الاخلاق هل هى كلها غريزية من غير كسب أو كلها كسبية أو بعضها كسبية وبعضها غير كسبية واليه ذهب المحققون قال التجانى واليه ذهب المصنف رحمه الله تعالى كما سيصرح به فى الفصل الحادى عشر من هذا الباب والشعراء فى تخيلاتها ان ما ليس بغريزى لا بد من زواله كما قاله المتنبى

وأسرع مفعول فعلت تغيرا * تكلف شئ فى طباعك ضده

وقال ذو الاصبع العدوانى

كل امرء راجع يوما لشيمته * وان تكلف اخلاقا الى حين

(ولكنه لا بد أن يكون فيه من أصولها فى أصل الجبلة شعبة كما سنبينه ان شاء الله تعالى) لا بد من كذا أى لا محيد عنه ولا مفارقة من بددت الشئ اذا فرقته ولا يستعمل الا فى النفى ولا يرد عليه قوله

فمن ظن ان لا بد عنه * فان عنه ألف بد

لقصد التمليح وهو مولد وما وقع فى بعض حواشى المطول من تفسيره بالسعة وتوجيهه لا وجه له وأصل الجبلة اضافة بيانية والشعبة بضم الشين وسكون العين المهملة الحصة من الشئ وأصل معناه الفرقة والقطعة وأحال المصنف على ما سيأتى فى فصل الخصال المكتسبة (وتكون هذه الاخلاق دنيوية) أى آثارها المترتبة عليها أو اكتسابها والتطبع بها يعنى تنقلب من حسنها المحمود المثاب عليه الى انها تكون دنيوية صرفة لا يثاب عليها كما ان الدنيوى ينقلب دينيا بالنية الصالحة ولذا قيل طلبنا العلم لغير الله فأبى أن يكون الا لله قيل وهذا تصريح بنوع رابع غير النوعين المذكورين أولا وهو الدنيوى المكتسب فالانواع أربعة دينى أو دنيوى وكل منهما ضرورى أو مكتسب وقد عرفت ما فيه (اذا لم يرد بها) بالبناء للمجهول أو اذا لم يرد فاعلها بالبناء للفاعل وقد تقدم معنى الارادة والقصد (وجه الله) أى ذاته بان لم يقصد عبادته والتقرب اليه واتباع أمره (والدار الآخرة) التى فى مقابلة الدنيا أى نعيمها

أى ممن طبع عليه فى أول خلقته وابتداء نشأته ومنه قول القائل

كل امرئ راجع يوما لشيمته
وان تخلق اخلاقا الى حين

(وبعضهم لا تكون فيه فيكتسبها) بالرفع أى فهو يحصلها للاقتداء بغيره فيها فتصير له كالغريزة وقال الحلبى هو بالنصب جواب النفى انتهى وفيه بحث لا يخفى (ولكنه لا بد أن يكون فيه من أصولها فى أصل الجبلة شعبة) أى شائبة وقطعة خلق عليها ليرجع فيما يكتسبه اليها بميل طبعه الاول فيها (كما سنبينه ان شاء الله تعالى وتكون) أى تصير (هذه الاخلاق دنيوية اذا لم يرد) بصيغة المفعول أى لم يقصد (بها وجه الله تعالى والدار الآخرة) أى بخلاف ما اذا أريد بها ذلك فانها صارت حينئذ قربات عند الله فيثاب عليها

ومافيها من الثواب والجزاء وما كان لله ولوجهه فهو للآخرة وبالعكس وقيل الاول اشارة لعبادة الخواص التى لا ينظر فيها لجنة ونار وانما هو لاجلال الله وامتثال أمره وقد يجعل هذا على قسمين ما قصد به الكمال بالنظر والقرب والرضى ونحوه وما قصد به التعظيم وامتثال الامر وفعل ما يستحقه وهذه عبادة خواص الخواص قال الغزالى رحمه الله تعالى وهذا قل أن يفهمه أحد فضلا عن ان يأتى به واعترض على عبادة الخواص بان البراءة من الحظوظ من خواص الالوهية حتى نقل عن الباقلانى رحمه الله تكفير من ادعى به البراءة من الحظ بفعله وأجاب الغزالى بانه حق ولكن مرادهم ان فعلهم لحظ غير حظ العوام وهو التلذذ بمعرفته تعالى ومناجاته والنظر له وقيل عليه هذا لا يصح فى القسم الثانى اذ ليس نظرهم لتلذذ أنفسهم ولم يبق لهم مطلب ولا مريد ولا مراد فالحق فى الجواب ان عدم الحظ بمعنى عدم التأثر عن شئ فانه غنى وهذا نقص لا يليق به لانه يلزمه الامكان والاحتياج وهم معترفون بانهم محظوظون متأثرون ولكن يدعون عدم ملاحظة الحظ وقصده بالفعل ولا دليل على اختصاصه فيجوز فى فعلهم الغير الاختيارى وأما الاختيارى ففيه نظر لما تقرر من ان الفعل الاختيارى من الممكن لا بد ان يسبق بالتصديق بفائدة وغرض باعث على الفعل يعود الى الفاعل ولذا نفوه عن الله فكيف تكون العبادة لمحض استحقاق الذات والظاهر ان ذلك غير مسلم عند الحكماء والثانى اشارة الى عبادة العوام مما كان لنيل النعيم والخلاص من الجحيم وهذه على مراتب منها ما يفعل لعبادة الله واطاعة أمره راجيا النجاة بحيث لو لم يكن لفعل وهذه أعلاها ومنها ما فعل لذلك والباعث لعبادته أمر أخروى بحيث لو لم يكن لم يفعل وهذه دونها ومنها ما يفعل مع الغفلة عن أمر الله وطاعته وانما القصد مجرد النجاة والنعيم الا ان هذه حكم الرازى رحمه الله تعالى ببطلانها وفاقا فقال فى تفسيره أجمع المتكلمون على ان من عبد الله ودعاه لاجل خوف النار وطمع الجنة لا تصح عبادته ودعاؤه وذلك لان التكاليف بمقتضى الالوهية والعبودية عند أهل السنة ومع كونها مصالح عند غيرهم فوجه الوجوب والحرمة الامر والنهى فمتى أتى بها لاتباع الامر والنهى صحت ومتى أتى بها خوفا وطمعا لم تصح اتفاقا لانه لم يأت بها على وجه وجوبها انتهى ومنه يظهر ان المراد وجوب أن يكون الغرض الامتثال ونحوه ولم ينف انضمام شئ آخر باحد الوجهين ما لم يصر رياء فلا ينافى هذا قول النووى رحمه الله تعالى لو قال أحد لآخر صل لنفسك ولك على كذا فصلى فهذه النية صح ومن لم يفهم مراده توهم المنافاة هذا ومن العبادات الظاهرة ما لا يحتاج الى نية بل يكفى عدم الصارف كالصدقة والعتق وغيرهما فلا يبعد أن يكون فى الاخلاق العلية ما هو كذلك واذا لم تجب فى الصدقة ونحوها فبالاولى ان لا تجب فى العلوم الشرعية والعدالة واذا كان الكلام فى الآثار فقد يكون عين ما ذكروه وحينئذ انما تكون دنيوية اذا أريد بها غير الله وأما اذا أريد بها الآخرة وغيرها ففيه تفصيل وخلاف ولنا هنا تحقيقات خارجة من مقاصد الكتاب انتهى ملخصا * أقول ذكر هذا الامام فى تفسير الفاتحة واستدل بقوله تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية وقد أقره على ذلك جماعة وقد قال شيخ مشايخنا ابن حجر الهيثمى فى شرح الارشاد وهذا عجيب فقد صرح الفقهاء بان من قصد بالصلاة الدنيا تصح صلاته فبالاولى هذا فالوجه خلافه وقد حث الشارع على العبادة بذكر الثواب والعقاب ففيه دليل على ان مثله لا يضر وقد صرح فى الاحياء بان قصده لا ينافى الكمال والعامل للجنة عامل لبطنه وفرجه كالاجير السوء ودرجته درجة البله الذين هم أكثر أهل الجنة وفيه رد لما قاله الفخر ونحوه قول السبكى رحمه الله تعالى العالمون على أصناف صنف عبدوه لذاته وان لم يخلق جنة ولا نارا ومع ذلك يسألونه الجنة ويستعيذونه من النار اتباعا للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقد قال حولها ندندن ومن اعتقد خلاف ذلك فهو جاهل وصنف عبدوه خوفا من ناره وطمعا فى جنته وهو دون الاول

(ولكنها) أى الغريزة وان لم يردبها ذلك (كلها) بالنصب أى جميعها (محاسن وفضائل) أى باعتبار افرادها (باتفاق أصحاب العقول السليمة وان اختلفوا فى موجب حسنها) بكسر الجيم لا بفتحها كما قال التلمسانى وسبقه الانطاكى لانه بمعنى المقتضى وهو لا يناسب المقام كما لا يخفى أى سببها و باعثها (و تفضيلها) أى وفى تفضيلها على غيرها أو بعضها على بعض أهو ذاتى اقتضته ذواتها وطبائعها أو بخلق الله تعالى له فى ذواتها قولان ثانيهما هو الحق لاستناد جميع الكائنات اليه ابتداء اذ هو الخالق وحده وهى ملكات محمودة مكملة للانسان وان تفاوتت النفوس بحسب الفطرة فى الكمال باعتبار زيادة اعتدال الابدان فكلما كان البدن أعدل كانت النفوس الفائضة أكمل والى الخيرات أميل وللكمالات أقبل وعكسه عكسه كما قيل الظاهر عنوان الباطن ثم لا نزاع فى انها من واجبات العقل لحكمه بها من حيث انها صفات كمال ثم ورد الشرع مؤيدا له ومقررا لحكمه بها وانما النزاع فى ان العاقل قبل وروده أو بعده ولم يبلغه هل يجب عليه بعض الافعال أو يحرم بعضها بمعنى استحقاق الثواب والعقاب فى الآخرة أم لا فعندنا لا اذ لا حكم له ولا اثابة ولا تعذيب قبل وروده وعند المعتزلة نعم بناء على مسئلة الحسن والقبح كذا حققه العلامة الدلجى وقال المنجانى ذهب بعضهم الى ان جميع الاخلاق سيئها وحسنها جبلة وغريزة فى العبد ليس فيها اكتساب والى هذا مال الطبرانى وحكاه عن ابن مسعود والحسن وذهب بعضهم الى ان جميع هذه الاخلاق انما هى من كسب العبد باختياره وليس فى جبلته شئ منها مخلوقا وهذا مذهب طائفة كثيرة من السلف وذهب الباقون الى ماذكره القاضى وعليه المحققون وقال الانطاكى لا شك ان الانسان لا اختيار له فى تغيير خلقتها الاصلية وهيئتها الجبلية فالطويل لا يمكن ان يجعل نفسه قصيرا ولا القصير طويلا ولا القبيح يقدر على تحسين صورته ولا على عكس هيئته وأما الاخلاق المكتسبة من الجود والشجاعة والتواضع والعفة فقد تكون فى بعضهم غريزة وجبلة بجود الهى وكمال فطرى بحيث يخلق ويولد كامل الاخلاق والآداب كالانبياء عليهم الصلاة والسلام و بعضهم لا تكون فيه فيكتسبها بالمجاهدة والرياضة بان يحمل النفس على الاعمال التى يقتضيها الخلق المطلوب فمن أراد مثلا ان يجعل لنفسه خلق الجود فيتكلف تعاطى فعل الجود و يواظب عليه فانه يصير ذلك عادة له وطبعا فيصير جوادا و كذا من أراد ان يجعل لنفسه خلق التواضع فيواظب على أفعال المتواضع مدة مديدة يصير التواضع له خلقا و كذا جميع الاخلاق المحمودة يمكن تحصيلها بهذا الطريق فاذا الاخلاق الحسنة

و كلاهما يعتقد وجوب الطاعة واستحقاقه تعالى لها انتهى وحمله بعضهم على من جعل عبادته فى مقابلة ذلك وانه واجب على الله تعالى كالمعتزلة فهو غير جازم بالنية حينئذ فيبطل عمله عند أهل السنة وحمله على انه لولا ذلك ما عبد تكلف اذ الكلام فى اسلامه حينئذ وفى الاحياء عن مكحول من عبد الله بالخوف فهو حرورى ومن عبده بالرجاء فهو مرجى ومن عبده بالمحبة فهو زنديق أى المؤمن لابد له من الخوف والرجاء لقوله خافونى ولا تيأسوا من روح الله الى آخره فمن عبده بالخوف ولم يوجد منه رجاء أو وجد ما لا وزن له معه فهو حرورى لحكمه على العاصى بالانسلاخ من الرحمة والخوف من الذنب كالخوارج على على كرم الله وجهه وهم فساق أو كفرة فتجريد الخوف يوجب الالتحاق بهم ومن عبد بالرجاء دون الخوف فهو كالمرجئة الذين يقولون لا يضر مع الايمان ذنب ومن تجرد رجاؤه قد يقال لا تصح صلاته ولا شئ من عبادته لان نية الفرضية شرط فيها واذا انتفى الخوف بتقدير الشرك انتفى اعتقاد الوجوب لان الفرض ما يذم تاركه أو يعاقب أو يخاف من العقاب على الخلاف فى حده ومن اعتقد العقاب والذم يخاف منه العقاب فعلم ان انتفاء الخوف لا تصح معه عبادة واجبة لانه ارجاء لا يقال ينافيه قوله نعم العبد صهيب الى آخره لانا لم نقل ان انتفاء الخوف لا يوجب الارجاء مطلقا بل تجريد الرجاء هو الموجب له وثمة حالة أخرى أكمل منه وهى الحياء المانع من المعصية ومعنى الثالث ان تمحض المحبة مع انتفاء الخوف والرجاء يستلزم العمل لاجلها الا لاستحقاقه تعالى واعتقاده كفر ا من يظهر الاسلام فهو كالزنديق ومعنى قولهم ما عبدناك خوفا من نارك ولا طمعا فى جنتك انه لذاتك المستحقة لذلك كما مر انتهى وانما أطلنا فى هذه المسئلة لانها من المهمات والوقوف عليها لازم الا ان ما ذكره غير متجه بوجه من الوجوه لان كلامهم فى العبادة المعروفة فى عرف الشرع وما نحن فيه ليس من هذا القبيل كما حققناه لك فلتكن على ذكر مع ان فى كلامه سقطات يعرفها من له ذهن وقاد وفكر لزيوف المعارف نقاد فلنجذب عنان التحرير ليستريح جواد القلم من التسطير والى ما ذكر من ان ما نحن فيه ليس من قبيل العبادة المعروفة فى عرف الشرع أشار بقوله (ولكنها كلها محاسن وفضائل) أى هى كلها أمور حسنة تفضل بها صاحبها فى حد ذاته بقطع النظر عن الشرع فان صحبها مقاصد حسنة وخلوص نية أثيب عليها والا فلا (باتفاق أصحاب العقول السليمة) وان كانت قد تذم لامر عارض كالرياء والصمت عما يجب انكاره كما يعرض لبعض الكمال ما يجعله ناقصا (وان اختلفوا فى موجب) بكسر الجيم لا بفتحها كما توهم أى سبب (حسنها وتفضيلها) على غيرها هل هو لذاتها الما

يترتب

قد تكون بالطبع أعنى الفطرة وقد تكون بالتطبع أعنى باعتبار الافعال الجميلة وزعم بعض من غلبت عليه البطالة واشتغل بالمجاهدة فى تهذيب الاخلاق ان الرياضة لا تؤثر فى تغيير الاخلاق انها طباع لا تتغير كالخلقة لكنا نقول لو كانت الاخلاق لا تتغير لبطلت الوصايا والمواعظ والتاديبات ولما قال صلى الله تعالى عليه وسلم حسنوا أخلاقكم وكيف ينكر هذا فى حق الآدمى وتغيير خلق البهيمة ممكن اذ ينقل الصيد من التوحش الى الانس والكلب من الاكل الى التاديب والفرس من الجماح الى السلامة وكل ذلك تغيير الاخلاق بتوفيق الملاك الخلاق

(فصل) أى هذا فصل فى تعداد خصال حميدة اختص بها ذاته السعيدة مجملة وتذكر فيما بعده من الفصول العديدة مقتبسة من الكتاب والسنة (قال القاضى رحمه الله تعالى) كذا فى نسخة (اذا كانت خصال الكمال والجلال ماذكرناه) أى فى الفصل السابق (ووجدنا) وفى نسخة ورأينا أى علمنا (الواحد منا يشرف) بضم الراء أى يصير شريفا رفيعا وفى نسخة بصيغة المجهول من التشريف أى يكرم ويعظم وفى أخرى يتشرف أى يفتخر (بواحدة منها) أى ولو فى أقل مراتبها (أو اثنتين) أى منها (ان اتفقت) أى هذه الخصلة وفى نسخة ان اتفقتا (له فى كل عصر) متعلق باتفقت والعصر مثلثة وأبعد الدلجى فى تجويز تعلقه بيشرف وتقديمه وفى نسخة زيادة (واوان) عطف خاص على عام فان العصر الدهر وهو الزمان والاوان زمان مخصوص كزمان الربيع والداعى الى عطفه الخطابة فى ان كل وقت لا يخلو من أحد يشرف بذلك ثم ما يشرف به لا يخلو من أن يكون (اما من نسب) أى رفعة نسب (أو جمال) أى حسن صورة (أو قوة) أى بدنية متحملة لمزاولة أفعال شاقة والقدرة أخص منها لاشتراط الارادة فيها اذ هى التمكن من اظهار القوة مع الارادة (أو علم أو حلم أو شجاعة أو سماحة) أى جود وعطاء ومسامحة ومساهلة (حتى يعظم قدره) غاية لوصفه بما ذكر أى يرفع شانه بين الرجال (و يضرب) بصيغة المجهول أى يبين ويعين (باسمه الامثال) فيقال أجود من حاتم وأعدل من أنوشروان أو هو حسان زمانه أو مجتهد أوانه أو أشجع أقرانه أو أسخى اخوانه

يترتب عليها أو التحسين الشارع وتفضيله بناء على ان الحسن والقبح أمر يعرف من الشرع لا من غيره مطلقا كما ذهب اليه الاشعرى أو فى بعض الامور كما ذهب اليه الماتريدى أو من العقل مطلقا كما قاله المعتزلة والخلاف فى الحسن والقبح الذى يترتب عليه الثواب والعقاب لا مطلقا كما توهم

(فصل) قد عرفت ان فصول هذا الباب سبعة وعشرون وانه عد ما تقدم فصلا ولم يعد الفصول لذلك أو للاختصار ولم يترجم بعض الفصول لعدم انضباطها وهذا الفصل معقود لخصال محمودة مخصوصة به صلى الله تعالى عليه وسلم مقتبسة من الكتاب والسنة منها ما يذكر فى الفصول التى بعده (اذا كانت خصال الكمال والجلال) المتقدم ذكرها كما أشار اليه بقوله (ماذكرناه) فى أول هذا الباب (و وجدنا الواحد منا) معاشر البشر وهذا معطوف على ما قبله أو حال بتقدير قد والمعنى ان الواحد (يشرف) كما وجدناه ويشرف بفتح الياء وضم الراء أى يحصل له الشرف على غيره (بواحدة منها أو اثنتين) أى بسببه اذا كانت فيه على ما يليق به (ان اتفقت له) قيد للشرف أو للوجدان والحصول ومعنى الاتفاق حصولها على وجه يشرف به بغير كسب والضمير للخصلة المفهومة من السياق والمراد نوعها وجنسها فيشمل المتعدد وتعبيره بالواحد اشارة الى ان أهل الكمال (فى كل عصر) قليل كما قيل

انى لافتح عينى حين أفتحها * على كثير ولكن لا أرى أحدا

والعصر الدهر وكل مدة ممتدة غير محدودة يحتوى على أمم وينقرض بانقراضهم والجار والمجرور متعلق بوجدنا أو بيشرف ويجوز تعلقه باتفقت والمراد بالواحد الجنس أى واحد فى عصر وآخر فى آخر عصر بعد عصر لا فى أيام قلائل وأشار بقوله واحدة أو اثنتين الى ان اجتماعها كلها أو أكثرها نادر وفى بعض النسخ (وأوان) وهو زمن مخصوص كزمن الربيع وليس من عطف الخاص على العام كما قيل (أما من نسب أو جمال أو قوة) فى الاعضاء أو القوى وقيل هى بمعنى البطش والشدة (أو علم) أى علم من العلوم الشرعية أو العقلية (أو حلم أو شجاعة أو سماحة) وجود وكرم (حتى يعظم قدره) غاية لقوله يشرف ولوصفه بما ذكر أى يرتفع حتى يصير معظما مبجلا عند الناس فى حياته قيل وهو مع ما بعده غاية اذ العظمة أعلى من العلو والشرف أو مقيدة بقوله (وتضرب باسمه الامثال) فى حياته ومماته كما يقال هو حاتم فى الجود والامثال جمع مثل وهو المشبه به وضرب به بيانه وتشبيه غيره به وضرب الامثال باسمه ذكره بجعله مشبها به وليس اسم مقحما للتعظيم والمبالغة هنا كما قيل والمثل يضرب للايضاح بابرازه فى معرض المحسوس ليدل على غاية وضوحه وكماله فى وجه الشبه

(ويتقرر) أي يثبت (له بالوصف بذلك) أي بسبب اتصافه أي بما ذكر من الصفات (في القلوب) أي في قلوب الخلق من أهل الحق (أثره) بضم همزته وكسرها وفتحها وسكون المثلثة وبفتحهما أي مكرمة يتفرد بها (وعظمة) عطف تفسير في المعنى (وهو) أي ذلك الواحد منا (منذ) بضم ميم وتكسر بمعنى مذ (عصور خوال) أي والحال انه من ابتداء دهور خالية وأزمنة ماضية (رمم) بكسر راء وفتح ميم أي رميم جمع رمة عظامه (بوال) أي بالية متفتتة أعضاؤه وأجزاؤه فالمغايرة حاصلة بينهما خلاف ما فهمه الدلجي وجعلها عطف بيان كابي حفص عمر ثم اذا كان الامر كما ذكر (فما ظنك بعظيم قدر من اجتمعت فيه كل هذه الخصال) أي الجيدة العديدة على وجه الكمال وهو استفهام يورث تعجبا من هذه الحالة لاسيما وهي منضمة (الى مالا يأخذه عد) أي احصاء من خصال لا توجد الا في الانبياء والاصفياء وأرباب الكمال (ولا يعبر عنه مقال) أي لا يحصره قول (ولا ينال) بضم الياء أي لا يحصل (بكسب ولا حيلة) أي باكتساب ولا باحتيال (الا بتخصيص الكبير المتعال) أي بطريق التفضيل والهبة والجذبة والعناية من العظيم الشان في ذاته المتعلي على كل شئ بقدرته أو الكبير عن نعت المخلوقين والمتعال عن مشابهة الامثال

والضرب أصله ايقاع شئ على آخر ويختلف باختلاف متعلقه فالضرب في الارض السير لايقاع الارجل وضرب الدراهم صوغها لايقاع المطارق ومنه أخذ ضرب المثل لتأثيره في النفوس كما أشار اليه بقوله (ويتقرر له بالوصف بذلك في القلوب اثرة) بضم الهمزة وكسرها وسكون المثلثة وبفتحها وهي المأثرة والمكرمة من تلك الخصال التي وصف بها وانفرد واستاثر عن غيره (وعظمة وهو منذ عصور خوال) أي والحال ان ذلك الموصوف بها من ابتداء أزمنة ماضية الى ظهور عظمة قدره وضرب الامثال به ومنذ مبني على الضم كما قرره النحاة مختص بالزمان بخلاف من على مافيه (رمم) بكسر الراء وقد يضم جمع رمة أو رميم وهي العظام وأجزاء البدن البالية فقوله (بوال) جمع بالية تأكيد كنفخة واحدة أو تجريد أو بيان لرمم لانه قد يغفل عن معناها وهو قريب من التأكيد فلا وجه لرده وليس في حمل الرمم على ماهو باعتبار أجزاء بدنه تكلف ولم يكتف بالمفرد لان المراد ان الواحد يعظم قدره بعد موته بالاتصاف بواحدة أو اثنتين منها مع صيرورته عظاما تفرقت جموعها فما الظن بمن عظم قدره بما فوق ذلك وقد حرم الله جسده على الارض وأحياه في قبره كسائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام وقد رأيت في بعض الكتب ان السلف اختلفوا في كفر من قال ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لما انتقلت روحه للملأ الاعلى تغير بدنه وروى ان وكيع بن الجراح حدث عن اسمعيل بن أبي خالد ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لما توفي لم يدفن حتى ربا بطنه وانثنى خنصره واخضرت أظفاره لانه صلى الله تعالى عليه وسلم توفي يوم الاثنين وتركه ليلة الاربعاء لاشتغالهم بامر الخلافة واصلاح أمر الامة وحكمته ان جماعة من الصحابة رضي الله تعالى عنهم قالوا لم يمت فاراد الله أن يريهم آية الموت فيه ولما حدث وكيع بهذا بمكة رفع الى الحاكم العثماني فاراد صلبه على خشبة نصبها له خارج الحرم فشفع فيه سفيان بن عيينة وأطلقه ثم ندم على ذلك ثم ذهب وكيع للمدينة فكتب الحاكم لاهلها اذا قدم اليكم فارجموه حتى يقتل فابرد له بعض الناس بريدا أخبره بذلك فرجع للكوفة خفية من القتل وكان المفتي بقتله عبد المجيد بن رواد وقال سفيان لا يجب عليه القتل وأنكر هذا الناس وقالوا رأينا بعض الشهداء نقل من قبره بعد أربعين سنة فوجد طريا لم يتغير منه شئ فكيف بسيد الشهداء والانبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام وهذه زلة قبيحة لا ينبغي التحدث بها (فما ظنك بعظيم قدر من اجتمعت فيه كل هذه الخصال) أي الواحد منا اذا حصلت له خصلة أو خصلتان منها حصل له شرف قدر ووقع في القلوب ورفيع قدره لا يزول بموته وصيرورته عظاما بالية فكيف بمن جمع جميعها وهو باق في قبره وهو خاتم النبيين وسيد المرسلين صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا جواب اذا والظن الاعتقاد الراجح الغير الجازم ويكون بمعنى العلم وعظيم قدره بمعنى قدره العظيم والاستفهام انكاري بمعنى النفي أو للحمل على الاقرار بغاية عظمته أو للتعجب وليس بعجيب كما توهم والمراد بالخصال السابقة حال كونها متجاوزة (الى مالا يأخذه عد) أي لا يعد لكثرته ولعدم اطلاعنا على كثير منه ومعنى لا يأخذه لا يحيط به أو يغلبه كقوله تعالى (لا تأخذه سنة ولا نوم) كما مر فهو استعارة ولا حاجة الى ماقيل انه ادعاء أو مبالغة والى ماقلناه أشار بقوله (ولا يعبر) بكسر الموحدة المشددة (عنه قول) فاعل يعبر أي مقول وروى به مقال أي لا يعرب به ويظهره مقال (ولا ينال) أي يحصل ويوصل اليه (بكسب) وتحصيل باسباب عادية (ولا حيلة) أي حذق وتصرف بجودة نظر وهو أعم من الكسب (الا بتخصيص الكبير المتعال) استثناء مما قبله منقطع أي لكن لا ينال الا

(من فضيلة النبوة) بيان لما وهي بالهمز بناء على انه من النبأ بمعنى الخبر لانباء الله تعالى اياه وأخباره عنه سبحانه وتعالى أو بتشديد
الواو بناء على ابداله أو على انه ماخوذ من النبوة بمعنى الرفعة فان النبي عليه الصلاة والسلام رفيع الشان عظيم البرهان

بامر ونهي يخص الله به من يشاء وقيل يحتمل أن يكون متصلا أي الانحال مصاحبة للتخصيص
فيقدره على كسب بعض ويهبه بعضا وفيه نظر والكبير العظيم شانه وقال الرازي الكبير ما كبر في ذاته
والعظيم ما يستعظمه غيره فلذا كثر وصفه تعالى بالكبير دون العظيم فتامله والمتعال بحذف الياء
للوقف تخفيفا المستعلي على كل ماسواه والعالي شانه عن جميع شوائب النقص وقوله (من فضيلة
النبوة والرسالة) بيان لما في قوله مالا ياخذه عد أي لم يذكر قبله وقيل للكل من الخصال المذكورة وعما
لا يجوز به العد مما هو مذكور في الكتاب ليقف عليها الباحث عنها مجتمعة فيكون أقرب الى الضبط
وادعى الى التعظيم والتخصيص أعم من النسبي والحقيقي وان كان الظاهر انه لم يرد الخصائص لعد
المشتركات ولا داعي للتكلف للتخصيص و القول بانه لا يناسب عد المواهب من الغرائب انتهى وفي
قواعد القرافي النبوة أفضل من الرسالة عند العز بن عبد السلام من جهة أنها عبارة عن خطاب الله نبيه
صلى الله تعالى عليه وسلم بما يتعلق به وبذاته والرسالة متعلقة بالامة وقيل الرسالة أفضل لعظم ثمرتها
وعموم نفعها ولكل وجهة وسياتي تفصيله * قلت وبهذا ظهر السر في ان الصلاة عليه صلى الله تعالى
عليه وسلم وردت مقرونة بلفظ النبي لتعلقها بالذاته الشريفة ولذا قال الله تعالى (ان الله وملائكته يصلون
على النبي) لا لانه اذا صلى عليه باعتبار النبوة علمت بالاولى تلك وليس ذكر الرسالة مستدركا هنا كما
توهم (والخلة) بضم الخاء من المخاللة (والمحبة والاصطفاء) افتعال من الصفوة بالفتح والكسر وهي
الاختيار والاجتباء بالجيم تناول جبايته وجمعها فيه وسياتي الكلام على المحبة والخلة وهذا اشارة الى
ماورد في الحديث الآتي ان الله اصطفى من ولد ابراهيم اسمعيل واصطفى من ولد اسمعيل بني كنانة
واصطفى من بني كنانة قريشا واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم (والاسراء) الى
المسجد الاقصى وسياتي تفصيله (والرؤية) لربه وآياته الكبرى أو جبريل عليه الصلاة والسلام في
صورته الاصلية فلا يرد عليه ماقاله البرهان الحلبي من انه هنا جزم برؤيته ربه وقال فيما سياتي ان ذلك
لم يثبت عنده لاحتمال أن يراد بالرؤية غير ماذكر أو يذكره هنا تبعا لغيره وقيل الذي رآه رفرفا أخضر
سد الافق في الجنة (والقرب والدنو) لقوله تعالى (ثم دنى فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى) على القول
بان الضمير للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وليس هذا قربا مكانيا ان كان المراد به من القرب من الله تعالى
لاستحالة المكان والجهة على الله وقد ذكر في الآية على سبيل المدح فالاول في قوله تعالى (فكان قاب
قوسين أو أدنى) والثاني في قوله تعالى (ثم دنى) فهما متغايران هنا أو هو عطف تفسير (والوحي) مصدر
وحى بمعنى أوحى والاكثر في الاستعمال الفعل المزيد ومصدر الثلاثي وهو اعلام نبيه صلى الله تعالى عليه
وسلم بما يريده من شرع وغيره بكلام أو ارسال ملك أو الهام ونحوه واصل معناه الكلام الخفي
(والشفاعة والوسيلة) المراد مطلق الشفاعة في أمته صلى الله تعالى عليه وسلم أو الشفاعة العظمى وله
صلى الله تعالى عليه وسلم شفاعات ستاتي والوسيلة أصلها ما يتوسل به ويتقرب ويتوصل بها المراجعة
ربه وقيل هي الشفاعة يوم القيامة وقيل هي منزلة في الجنة وحمله هنا عليها أرجح (والفضيلة) هي اما
فضيلة خاصة به صلى الله تعالى عليه وسلم أو شاملة لجميع ما منحه الله من الفضائل والكمالات اذ كل
صفة حادثة قابلة للزيادة ولذا قال تعالى (وقل رب زدني علما) وقال (ولا يحيطون بشئ من علمه
الا بما شاء) ولهذا قال بعض الشراح هنا انه يجوز في الدعاء للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم
أن يقال اجعل ذلك زيادة في شرفه لقبول الصفات الحادثة للزيادة والنقص بخلاف صفات الله

(والرسالة) وهي كونه واسطة بين الله تعالى وبين عباده والرسالة أخص من النبوة فان الرسول هو المامور بتبليغ الاحكام والنبي هو الذي أوحي اليه سواء أمر بالتبليغ أم لا (والخلة) بضم الخاء أي الخصلة التي توجب الاختصاص من صفاء المودة حيث تتخلل النفس وتخالطها (والمحبة) وهي مودة تشق شغاف القلب وتصل الى سويداء الفؤاد (والاصطفاء) أي بالخصائص الروحانية والجسمانية لقوله تعالى الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس (والاسراء) أي الى السماء (والرؤية) أي رؤية الله تعالى بالبصر أو البصيرة أو رؤيته من آيات ربه الكبرى لحديث البخاري رأى رفرفا أخضر في الجنة قد سد الافق وحديث مسلم رأى جبريل في صورته له ستمائة جناح ومع وجود هذه الاحتمالات في عبارة الرؤية لا يرد ما قاله الحلبي من ان المؤلف لم يترجح عنده انه عليه الصلاة والسلام رأى ولا
مارأى كما سياتي ذلك وهنا قد جزم بها فهذا تناقض على أنه قد يقال تردد هنالك وجزم هنا والله أعلم (والقرب والدنو) أي قرب مكانة
ودنو رفعة (والوحي) أي في ذلك المكان الاعلى (والشفاعة) أي العظمى (والوسيلة) وهي منزلة في الجنة وهي أعلى العليا
(والفضيلة) أي زيادة المرتبة على العامة والخاصة من حسن المنقبة

ولذا أثنى الله على نفسه ومنع غيره من الثناء على نفسه بقوله تعالى ولا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى واستثنى منه محال منها الامين الواثق بامانته كقول يوسف عليه الصلاة والسلام انى حفيظ عليم ومنها الشجاعة كقول علي كرم الله وجهه أنا مفرق الكتائب أنا ليث بني غالب ومنها العالم والنسيب اذا لم يعرف انتهى ملخصا (والدرجة الرفيعة) واحدة الدرجات وهى الطبقات والمراتب وهى المنزلة المختصة به والرفيعة المرفوعة العالية (والمقام المحمود) هو مقام يقوم فيه صلى الله تعالى عليه وسلم للشفاعة العظمى فيحمده فيه الاولون والآخرون ولا شك انه مغاير للشفاعة وان احتوى عليها فهو مغاير لها لتقدمها وهذا أولى من القول بانه الشفاعة لاخراج طائفة من النار ومن القول بالعموم والخصوص أو تغاير المفهوم من وهو حيث يعطى صلى الله تعالى عليه وسلم لواء الحمد ويكون أقرب من جبريل وقال البرهان انه الشفاعة العظمى فى اراحة الناس من الموقف وعن كعب بن مالك رضى الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال يبعث الناس يوم القيامة فاكون أنا وأمتى على تل فيكسونى ربى حلة خضراء فاقول ماشاء الله أن أقول فذلك المقام المحمود رواه أبو حاتم وهذا الاينافى ما تقدم كما قاله الطبرى لقوله فاقول الى آخره فيجوز التغاير وعدمه وقوله فذلك الى آخره فذلكة لما قبله والاشارة المجموعه كقوله تعالى عوان بين ذلك ولا حاجة لتقدير مضاف أى فمقام ماذكر أو الاشارة للمقام وان لم يسبق ذكره وفيه زيادة لقبول مقامه والباسه تلك الحلة الفاخرة ثم ان البرهان ذكر عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه ان عبد الله بن سلام رضى الله عنه سال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن صفة لواء الحمد فقال طوله ألف وستمائة سنة من ياقوتة حمراء وقضيبه من فضة بيضاء وزجه من زمردة خضراء له ثلاثة ذوائب ذؤابة بالمشرق وذؤابة بالمغرب وذؤابة وسط الدنيا مكتوب عليه ثلاثة أسطر الاول بسم الله الرحمن الرحيم والثانى الحمد لله رب العالمين والثالث لا اله الا الله محمد رسول الله طول كل سطر مسيرة ألف عام قال صدقت يا محمد وفى الرياض النضرة فى فضائل العشرة للطبرى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه صلى الله تعالى عليه وسلم سئل عن لواء الحمد فقال له ثلاث شقق كل شقة ما بين السماء والارض على الاولى مكتوب بسم الله الرحمن الرحيم فاتحة الكتاب وعلى الثانية مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله وعلى الثالثة مكتوب أبو بكر الصديق عمر الفاروق عثمان ذو النورين على الرضى انتهى رضى الله تعالى عنهم وتصديق ابن سلام رضى الله تعالى عنه اظهار لخلوص اعتقاده أو لموافقته لما فى الكتب الالهية عنده لانه حبر بنى اسرائيل كما مر ثم ان كونه جسمانيا على هذه الصفة المروية خالف فيه صاحب النهاية فقال قوله صلى الله تعالى عليه وسلم لواء الحمد بيدى أراد به انفراده صلى الله تعالى عليه وسلم بالحمد يوم القيامة وشهرته به على رؤس الخلائق والعرب تضع اللواء موضع الشهرة انتهى ووجه تسميته لواء الحمد كتابة الحمد عليه أو انه يتبعه فيه جميع الناس حامدين له أو انه حمد الله حين رفعه بمحامده اللائقة به (والبراق) تقدم الكلام عليه (والمعراج) بكسر الميم وقد تفتح المصعد مفعال من العروج وهو اسم آلة والمراد عروجه صلى الله تعالى عليه وسلم على المعراج الى السماء وفى رواية انه رأى معراجا كسلم فسمى به بهذا الاعتبار واشتهر بذلك وان لم تشتهر تلك الرواية وفى الصحاح المعراج العلم ومنه ليلة المعراج ولا بعد فيه كما قيل وقال التلمسانى رحمه الله تعالى انه سلم من نور تصعد فيه الملائكة أو المراد الدرجات الصورية كالسموات أو المعنوية التى عرج عليها وقد يطلق على العروج وبه فسر فى بعض المواضع وفى القاموس عرج يعرج عروجا ومعراجا ارتقى فاذا كان خلقة فعرج كفرح أو مثلث فى غير الخلقة وهو أعرج بين العرج انتهى ومن لطائف الفاضل قوله فى رسالة فى أعرج

قامت العصا بيده مقام رجله ※ وقلت أعواد الاغصان من أجله

(والدرجة الرفيعة) أى فى الجنة العالية أو يوم القيامة أو ليلة الاسراء (والمقام المحمود) لحديث أبى حاتم يبعث الله الناس يوم القيامة فاكون أنا وأمتى على تل فيكسونى ربى حلة خضراء فاقول ماشاء الله أن أقول فذلك المقام المحمود انتهى وبه يحصل الفرق بينه وبين الشفاعة الكبرى (والبراق) أى ركوبه من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى (والمعراج) من الصخرة الى السماء فالى الجنة والعرش وما فوقه من المقام الاعلى وهو بكسر أوله سلم من نور من السماء الى الارض فيه تصعد الملائكة وهو الذى يمد اليه الميت بصره على ماذكره التلمسانى وقد سبق ما يتعلق بالبراق فى أول الكتاب مما يغنى هنا عن الاطناب

(والبعث الى الاحمر والاسود) لحديث بعثت الى الاحمر والاسود أي العجم والعرب أو الانس والجن أو الخلق كافة لحديث مسلم بعثت الى الخلق كافة (والصلاة بالانبياء) أي ببيت المقدس عند الصخرة تارة وأخرى بالسماء (والشهادة بين الانبياء والامم) أي يوم القيامة كما مر عند قوله تعالى لتكونوا شهداء على الناس الآية (وسيادة ولد آدم) لحديث أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر بل سيادة جميع العالم لحديث أنا سيد الاولين والآخرين ولا فخر (ولواء الحمد) أي المشار اليه بقوله عليه الصلاة والسلام آدم ومن دونه تحت لوائي يوم القيامة وقوله بيدي لواء الحمد يوم القيامة وفي الرياض النضرة انه صلى الله عليه وسلم سئل عنه فقال له ثلاث شقق ما بين السماء والارض على الاولى مكتوب بسم الله الرحمن الرحيم وفاتحة الكتاب وعلى الثانية لا اله الا الله محمد رسول الله وعلى الثالثة أبو بكر الصديق عمر الفاروق عثمان ذو النورين علي المرتضى (والبشارة والنذارة) بكسر أولهما لقوله تعالى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا (والمكانة عند ذي العرش والطاعة ثم والامانة) أي كونه مطاعا أمينا لقوله تعالى انه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين على قول بعض المفسرين (والهداية) أي القاصرة لقوله تعالى ويهديك صراطا مستقيما والمتعدية لقوله سبحانه وتعالى وانك لتهدي الى صراط مستقيم (ورحمة للعالمين) لقوله تعالى وما أرسلناك الا رحمة للعالمين (واعطاء الرضى) لقوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى (والسؤال) بضم السين وسكون الهمزة ويبدل بمعنى المسؤل ومنه قوله تعالى أوتيت سؤلك ياموسى ولا شك انه أفضل الخلق فهو به أحق (والكوثر) وقدمر (وسماع القول) لحديث الشفاعة وقل تسمع واشفع تشفع (واتمام النعمة) لقوله تعالى ويتم نعمته عليك (والعفو عما تقدم وتأخر) وفي نسخة وما تأخر لقوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر (وشرح الصدر ووضع الوزر ورفع الذكر) لقوله تعالى ألم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك الذي أنقض ظهرك ورفعنا لك ذكرك

فعرج به من الارض الى السما * وغرس العود بكفه ولكن ما أورق ونما
ولعمري حمل العصا هو العذاب الاليم * وما أفلح من لازمها بعد موسى الكليم

(تنبيه) قال الحافظ الدمياطي الاسراء عبارة عن سيره صلى الله تعالى عليه وسلم من مكة للمسجد الاقصى والمعراج سلم من نور أو من جواهر تصعد فيه الارواح الى السماء ويطلق كل منهما على ما يشمل الآخر كما مر (والبعث الى الاسود والاحمر) أي عموم رسالته صلى الله تعالى عليه وسلم لما ذكر كما تقدم والاسود العرب أو الجن والاحمر غيرهم لان الغالب على ألوان العرب السمرة وعلى العجم البياض (والصلاة بالانبياء) عليهم الصلاة والسلام أي امامته لهم حين اجتمع بهم بالمسجد الاقصى حين أسرى به صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يراع المصنف رحمه الله تعالى الترتيب بين ما ذكر ولو راعاه كان أحسن (والشهادة بين الانبياء والامم) يوم القيامة كما في قوله تعالى ويكون الرسول عليكم شهيدا كما مر (وسيادة ولد آدم) أي سيادته لجميع الخلق وآدم وولده كما ثبت في الحديث الصحيح لانه أكرم الخلق على الله كما مر (ولواء الحمد) تقدم الكلام عليه وسيأتي أيضا واللواء أكبر من الراية ولا يشترط فيها التربيع قاله التلمساني ويجمعهما العلامة (والبشارة والنذارة) بكسر أولهما أي كونه بشيرا ونذيرا كما في القرآن الكريم (والمكانة عند ذي العرش والطاعة ثم) بفتح المثلثة أي هناك (والامانة) على الوحي وأسرار الالوهية المذكورة في قوله تعالى انه لقول رسول كريم الآية على قول من جعلها له كما مر مع انها ثابتة له في نفس الامر بادلة أخر (والهداية) له المذكورة في أول سورة الفتح أو كونه هاديا للخلق (ورحمة للعالمين) بالنصب بكونه مقدرا وروي بالجر لقوله تعالى وما أرسلناك الا رحمة للعالمين كما تقدم (واعطاء الرضى والسؤل) بضم السين وسكون الهمزة وتبدل واوا وهو المأمول وكل مسؤل والرضى كل ما رضيه لقوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى والسؤل قريب من الرضى قيل والذي ورد في الآية الرضى والسؤل ورد في حق موسى في قوله تعالى لقد أوتيت سؤلك ياموسى أي ما ساله بقوله رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري قال التجاني ولا شك انه صلى الله تعالى عليه وسلم أعطي الرضى لان من أعطي ما به الرضى فقد أعطي وأما السؤل فكم أعطي سؤلا ونال مأمولا ومسؤلا وان لم يعبر فيه بهذا اللفظ في حق موسى عليه الصلاة والسلام فلعل المصنف رحمه الله أراد انه صلى الله تعالى عليه وسلم أعطي سؤل موسى السابق لقوله تعالى له ان مع العسر يسرا وشرحنا لك صدرك الى غير ذلك مما هو بمعناه وهذه تكلفات لا حاجة اليها ولذا لم يلتفت له الشراح (والكوثر) تقدم الكلام عليه (وسماع القول) أي سماع الله لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم وقبوله الوارد في حديث الشفاعة الطويل بقوله قل يسمع لك وسل تعط واحتمال أن يراد بالقول القرآن وسماعه العمل بموجبه أو استماع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لقول الله كما قيل بعيد (واتمام النعمة والعفو عما تقدم وتأخر) المذكور في قوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر كما تقدم (وشرح الصدر ووضع الوزر ورفع الذكر) المذكور في قوله تعالى

(وعزة النصر) لقوله تعالى وينصرك الله نصرا عزيزا (ونزول السكينة) وهي الطمانينة (والتاييد) أي التقوية (بالملائكة) لقوله فانزل الله سكينته عليه وايده بجنود لم تروها أي بملائكته يوم بدر وحنين والاحزاب وعن كعب قال ما من فجر يطلع الا نزل سبعون ألفا من الملائكة حتى يحفوا بالقبر يضربون باجنحتهم ويصلون على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حتى اذا أمسوا عرجوا وهبط مثلهم فصنعوا مثل ذلك حتى اذا انشقت الارض خرج في سبعين ألفا من الملائكة رواه البيهقي في شعبه وفي صحيح الدارمي نحوه

(وايتاء الكتاب والحكمة) لقوله تعالى وانزل الله عليك الكتاب والحكمة (والسبع المثاني والقرآن العظيم) لقوله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم (وتزكية الامة) أي أمته يوم القيامة لقوله تعالى ويزكيهم أي اذا شهدوا للانبياء حين أنكرت أممهم التبليغ والانباء (والدعاء الى الله) لقوله تعالى وداعيا الى الله باذنه (وصلاة الله والملائكة) أي وملائكته عليه لقوله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي (والحكم بين الناس بما أراه الله) أي بما أعلمه الله وبين حكمه والهمه لقوله تعالى انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله (ووضع الاصر) بكسر الهمزة قيل وتضم أي حط العهد الثقيل والتكاليف الوبيل وقيل المراد به العقوبة من نحو المسخ (والاغلال) أي العبادات الشاقة (عنهم) أي عن أمته لقوله ويضع عنهم أصرهم والأغلال التي كانت عليهم وهي جمع غل وهو ما يوضع في العنق بمكة

شبه ما كان لازما لهم من مشاق الاعمال بالاغلال (والقسم باسمه) أي الحلف بعمره لقوله تعالى لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون (واجابة دعوته) أي في مواطن كثيرة كبدر اذ قال اللهم انجز لي ما وعدتني اللهم ان تهلك هذه العصابة فلن تعبد بعد اليوم (وتكليم الجمادات) لحديث البخاري اني لاعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قيل هو الحجر الاسود وقيل الحجر المركوز في جدار زقاق الحجر

ألم نشرح لك صدرك الخ (وعزة النصر) كما مر في قوله تعالى وينصرك الله نصرا عزيزا (ونزول السكينة والتاييد بالملائكة) أشارة الى قوله تعالى فانزل الله سكينته عليه وايده بجنود لم تروها يعني الملائكة عليهم الصلاة والسلام ببدر كما مر وقال ابن العربي في احكام القرآن اتفقوا على ان الاقوى في هذه الآية ان الضمير فيهاء تدل على أبي بكر رضي الله تعالى عنه لا على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقد تقدم ما فيه والمراد بالسكينة الرحمة وفي أنوار التنزيل في تفسير قوله تعالى سكينة من ربكم أي ما تسكنون اليه وهو التورية وقيل صورة من زبرجد أو ياقوت لها رأس وذنب كرأس الهرة وذنبها ولها جناحان فتئن فيزف التابوت نحو العدو وهم يتبعونه فاذا ثبت ثبتوا وحصل النصر وهو غير ملائم لهذا المقام ثم السكينة قد علم انها بفتح السين وتخفيف الكاف المكسورة فعيلة من السكون وبه جزم ابن قرقول وغيره وما حكاه الصاغاني من كسر السين وتشديد الكاف قول مرغوب عنه والاظهر انها الامن والثبات أو الرحمة أو الوقار وقيل المراد الملائكة عليهم السلام والتاييد التقوية وعن كعب الاحبار ما من فجر يطلع الا ويتنزل سبعون ألفا من الملائكة يضربون باجنحتهم ويصلون على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حتى اذا أمسوا عرجوا وهبط مثلهم فيصنعون مثلهم حتى اذا انشقت الارض خرج سبعون ألفا من الملائكة رواه البيهقي في شعبه (وايتاء الكتاب والحكمة) الكتاب القرآن والحكمة النبوة والعلم النافع على ما مر (والسبع المثاني والقرآن العظيم) تقدم الكلام فيهما (وتزكية الامة) لقوله تعالى يتلوا عليهم آياته ويزكيهم وفيه فضيلة له صلى الله تعالى عليه وسلم ظاهرة (والدعاء الى الله) قال الله تعالى قل هذه سبيلي أدعوا الى الله على بصيرة وقوله وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا كما تقدم واما قوله تعالى ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله فعامة أو المراد به نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وعن عائشة رضي الله تعالى عنها ان هذه الآية نزلت في الاذان واستشكل بانها مكية والاذان انما شرع بالمدينة وكذا ما قيل المراد بذلك بلال بخصوصه رضي الله تعالى عنه والجواب بان المراد ان الاذان داخل فيها ياباه ظاهره (وصلاة الله والملائكة) عليه صلى الله عليه وسلم كما في الآية والاحاديث الآتية (والحكم بين الناس بما أراه الله) لقوله تعالى انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله أي عرفه بالوحي والاجتهاد الذي أراه طريقه (ووضع الاصر) أي ثقل التكاليف التي كانت في الامم السابقة (والاغلال عنهم) أي المواثيق اللازمة لهم لزوم الغل في العنق وفيه استعارة مصرحة قال أبو علي في قوله تعالى ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم أي بتخفيف ما شدد في التورية على بني اسرائيل وأخذ عليهم العهد به كقتل القاتل بدون دية أو عفو أو قطع الاعضاء الخاطئة وقطع محل النجاسات من الثياب وضمير عنهم لامته أوله ولهم (والقسم باسمه) كما مر والاسم ما أطلق عليه صلى الله تعالى عليه وسلم فيشمل نحو والنجم أي اراد اسمه صلى الله تعالى عليه وسلم في القسم فلا يرد ان القسم انما هو بمعناه (واجابة دعوته) أي دعائه صلى الله تعالى عليه وسلم في مواضع لا تحصى (وتكليم الجمادات) كالطعام والحصا والاحجار كما ورد في الحديث اني لاعرف حجرا

بمكة كان يسلم على قيل هو الحجر الاسود وقيل غيره والمراد تكلمها عنده ولاجله صلى الله تعالى عليه وسلم فلا يرد قول بعضهم انه لا يدخل فيه تسبيح الطعام في يده كما ظنه التجاني نعم هو داخل في تسبيح الحصا الشبيه به وسيأتي ذلك والجمادات جمع جماد من الجمود ضد الذوبان والمراد به ما ليس بحيوان قال

* وقبلنا سبح الجودي والجمد *

وقيل انه اصطلاح العلماء والاسماء المذكورة التي لم يسمع لها جمع تكسير من العرب يجوز جمعها بالالف والتاء كحيوانات واما جمع جمع تكسير فلا الا في الشاذ القليل كما قاله التجاني وظاهره انه مقيس وكلام الحريري في الدرة يصرح بخلافه (والعجم) أي وتكليم العجم بضم العين وسكون الجيم وليس بفتح العين والجيم رواية ودراية والمراد به الحيوان الذي ليس من شانه النطق وأراد به ما ورد من نطق الظبي والضب والجمل والحمار المفصل في معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم وهو جمع أعجم كما في المقتفى وحاشية الشمني وقال ابن رسلان جمع عجماء ومنه الحديث اذا ركبتم هذه الدواب العجم وجرح العجماء جبار وكلاهما جائز في النهاية ومختصرها للسيوطي وورد بعدد كل فصيح وأعجمي أي آدمي أو بهيمة فقول التجاني الاعجم يطلق على من في لسانه عجمة وان كان عربيا وليس بمراد هنا وعلى من لا يصح منه كلام من الحيوانات غير الناطقة ان أراد الاعتراض فغير مسلم وتفسير بعضهم له بخلاف العرب غير صحيح وجمع بعض الناس كتابا مستقلا في هذا اسماه النطق المفهوم طالعته فلم أره محررا وفي عرى الايمان للبارزي اختلف أهل النظر في هذا فمن قائل انه كلام وأصوات يخلقها الله في الجماد وتسمعها من غير تعبير وهو مذهب الاشعري والباقلاني وذهب آخرون الى ايجاد الحياة فيها أولا ثم الكلام بعده وللنصوري في قصيدة نبوية

يا ألسن الفصحاء قد خرست * ان الجماد بفضله نطقا

وسيأتي الكلام فيه مفصلا (واحياء الموتى) أي احياؤه صلى الله عليه وسلم الموتى بحسب الظاهر والمراد احياء الله الموتى له جمع ميت كما ورد في احياء أبويه له صلى الله تعالى عليه وسلم وغير ذلك مما سيأتي (واسماع الصم) أي اسماع الله بسببه صلى الله تعالى عليه وسلم الحجارة الصم ونحوها من الجماد كالشجر جمع أصم وهو الحجر الصلب كما ورد انه صلى الله تعالى عليه وسلم أمر الحجارة ان يجتمعن عليه لما لم يجد ما يستتر به عند البراز كما ذكره التجاني وهذا لا يخالف قوله تعالى أفأنت تسمع الصم أو تهدي العمي ومن كان في ضلال مبين فانه مستعار للكفار لكونهم غير منتفعين بحواسهم وليس المراد به الصمم المعروف (فائدة) قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى لم يكن في حياته صلى الله تعالى عليه وسلم أحد من الصحابة رضي الله تعالى عنهم أصم وهذا من كراماته صلى الله تعالى عليه وسلم لانه مبلغ لهم أوأمر به والصمم يمنع منه بسهولة بخلاف العمى (ونبع الماء من بين أصابعه) أي حدوثه من بينها كما سيأتي بيانه والاصابع جمع أصبع وفيه عشر لغات نظمها ابن مالك رحمه الله تعالى في فوائده بتثليث الهمزة مع تثليث الباء وأصبوع كيربوع فهي عشر ومما قلته في هذا من مقطعات النيل

لا تقل لي أصابع النيل تحكي * ما جرى من أصابع المختار
وهو عذب جرى بغير قياس * زائدا رائقا بغير انكسار

(وتكثير القليل) من الطعام وغيره أي تكثير الله له بسببه صلى الله تعالى عليه وسلم أو تكثيره هو له بحسب الظاهر والعادة وهو ضم المثال كما في قصة جابر وطلحة رضي الله تعالى عنهما المروية في كتب الحديث لما أمر صلى الله تعالى عليه وسلم بجمع الزاد القليل ودعا وبرك فيه فكثر حتى ملئ منه كل وعاء معهم (وانشقاق القمر) لاجله بدعائه صلى الله تعالى عليه وسلم كما روى أنس رضي الله تعالى عنه ان قريشا سألته ذلك فانشق القمر فلقتين وروى مرتين وروى انه ذهبت فلقة وبقيت فلقة وله طرق صحيحة وليس المراد بما في الآية انه سينشق يوم القيامة كما في الكشاف وغيره لانه اخراج للقرآن عن

(والعجم) بضم فسكون جمع أعجم وهو من الحيوان ما لا يقدر على الكلام ومنه الحديث اذا ركبتم هذه الدواب العجم وحديث العجماء جبار أي وتكليم البهائم كنطق الضب والظبي والجمل وحماره عليه الصلاة والسلام الذي قال له اسمي يزيد ابن شهاب حين قال له يعفور (واحياء الموتى) أي المعنوية والحسية لما ورد انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما قفل من غزاة فات بعير بعض أصحابه دعا الله فاحياه حتى ركبه الى المدينة ثم مات وكما روى في قصة البنت التي طرحها أبوها في الوادي فماتت (واسماع الصم) كأمره صلى الله تعالى عليه وسلم الحجارة ان يجتمعن لقضاء حاجته فتعاقدن حتى صرن ركاما على ما في الصحيح (ونبع الماء من بين أصابعه) لما في البخاري عن جابر فرأيت الماء ينبع من بين أصابعه (وتكثير القليل) لحديث أنس في قصة أبي طلحة وزاد في البخاري فانه أمر بما بقي منه فجئ بقليل منه فدعا وبرك فيه فكثر حتى ملأ وأكل وعاءهم وانشقاق القمر قال أنس سأله قريش آية فانشق مرتين وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انفلق فلقتين ذهبت فلقة وبقيت فلقة وعن ابن مسعود رأيت حراء عليه فلقتي القمر

ظاهره ووترك لتفسيره بما هو أعظم معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم وسياتي بسط الكلام فيه كالذي قبله (ورد الشمس) عليه صلى الله تعالى عليه وسلم في حفر الخندق وصبيحة الاسراء ولصلاة على كرم الله وجهه وسياتي تفصيله وفي حواشي التلمساني انها وقفت ليلة الاسراء لتصديقه صلى الله تعالى عليه وسلم وردت لعلي كرم الله وجهه بعد الغروب حتى صلى العصر وستقف في أيام الدجال لطول أيامه فيوم كسنة وشهر وجمعة قيل كان علم النجوم صحيحا حتى وقفت الشمس ليوشع عليه الصلاة والسلام فبطل بعضه وبطل باقيه بقصة على كرم الله وجهه والى هذا أشار القائل رحمه الله تعالى

وردت علينا الشمس والليل راغم * بشمس لها من جانب الخدر مطلع
فوالله ما أدري أأحلام نائم * ألمت بنا أم كان في الركب يوشع

(وقلب الاعيان) جمع عين وهي ذات الشئ ونفسه وهي مشتركة بين معان مشهورة كثيرة كعصا عكاشة رضي الله تعالى عنه يوم بدر حيث تناولها صلى الله تعالى عليه وسلم بيده فصارت سيفا صارما ونحوه مما سياتي وقلب الاعيان بقدرة الله تعالى ممكن واقع ومن ينكره وان لم يعتد بانكاره يقول لم تقلب عينه وانما عدمت وأوجد الله مكانها مثلها (والنصر بالرعب) بضم فسكون وهو الخوف وسياتي تفصيله (والاطلاع على الغيب) بتشديد الطاء أي اطلاع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم على بعض المغيبات باقدار الله صلى الله تعالى عليه وسلم على ذلك ليكون معجزة له صلى الله تعالى عليه وسلم ويقع مثله لبعض الاولياء كرامة لهم خلافا للمعتزلة حيث نفوه واستدلوا بقوله تعالى عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول والجواب عنه مفصل في التفاسير وكتب الاصول وقال التلمساني الاطلاع بسكون الطاء ولا تشدد لفساد المعنى لان الله هو الذي أطلعه لا أنه اطلع بنفسه وقد يقال الاطلاع فيما يمكن من مقدور الانسان بخلق قدرة من الله تعالى ولا كذلك الغيب لانه ليس من مقدوره وانما اطلعه الله تعالى عليه وليس بشئ (وظل الغمام) أي تظليله له صلى الله عليه وسلم لئلا يؤذيه حر الشمس وقد كان ذلك في أول أمره فان لم يثبت بعده فلاستغنائه عنه (وتسبيح الحصا) في كفه الشريف وان كان ما من شئ الا وهو يسبح بحمده لان هذا تسبيح خاص يسمعه الناس والحصا صغار الحجارة ومن أحسن ما قاله فيه

رسول له واري زناد عزيمه * فليس به صم الحجارة يقدح
رمى بالحصا قوما بغاة فكفهم * بكف به بحر السماحة يطفح
فكل لسان ناطق بتعجب * لذاك الحصا في راحتيه يسبح

(وابراء الآلام) جمع ألم وهو الوجع لغة والمراد ما يعم الامراض والاوجاع والاحاديث فيه كثيرة مشهورة (والعصمة من الناس) من بطشهم به بالقتل ونحوه وتقدم ما فيه (الى ما لا يحويه محتفل) هذا كقوله قبله الى ما لا ياخذه عد متعلق بمحذوف معلوم من السياق أي منتهية أو مضمومة الى ما ذكر ويحويه بمعنى يشمله ويجمعه فيحتوي عليه ومحتفل اسم فاعل من مزيد حفل القوم في المجلس اذا اجتمعوا ومنه المحفل ولا يحتفل به أي لا يهتم به والمعنى ان من اهتم بجمع هذه الصفات وأمثالها لا يمكنه الاحاطة بها ويبينه قوله (ولا يحيط بعلمه) أي بالوقوف عليه على أتم وجه (الا مانحه ذلك) أي الا الله الذي أعطاه ذلك وأصل المنحة كما في المصباح شاة ونحوها يعطيها رجلا لينتفع بلبنها ثم ترد وكثر ذلك حتى صار لمطلق العطاء يقال منحته منحا من باب نفع وضرب أعطيته والاسم المنحة والمنيحة ولا يلزم من الاتصاف بشئ ان يعلمه الناس لان منه أمورا باطنية غير ظاهرة لغيره بل منها ما لا يعلمه الموصوف بالكنه والكمال فلا اخلال في الحصر (ومفضله) على غيره مما أودعه من الفضائل (به) أي بكل ذلك ومجموعه (لا اله غيره) اشارة الى الفاعل للتفضيل والعلم على أبلغ وجه والا للحصر أي ليس علمه واعطاؤه الا الله الخالق لا للمخلوق العاجز لانه المعطي الحقيقي المحيط علمه بكل شئ وقد تستعمل هذه الكلمة للتعجب كسبحان

يصح بل هو من بسط (الزمان من غير تغير في ظاهر العيان وقلب الاعيان) أي الذوات الثابتة لحديث عكاشة كان معه صلى الله تعالى عليه وسلم (يوم بدر عصا فصارت بيده سيفا صارما والنصر بالرعب) بسكون العين وبضم أي بالخوف لقوله تعالى وقذف في قلوبهم الرعب ولحديث نصرت بالرعب (والاطلاع على الغيب) أي اطلاعه على بعض المغيبات لحديث خروج الدجال والدابة وغيرهما فالاطلاع بتشديد الطاء وهو مطاوع الاطلاع بالتخفيف لان الله عز وجل هو الذي أطلعه ويمكن ان يكون هنا بالتخفيف والتقدير أطلاع الله اياه وأما قول التلمساني ولا يشدد لفساد المعنى فغفلة عن تحقيق المبنى (وظل الغمام وتسبيح الحصى) أي في كفيه الكرام (وابراء الآلام) لاحاديث بها رواها الاعلام والآلام جمع الالم والله أعلم (والعصمة من الناس) لقوله تعالى والله يعصمك من الناس (الى) أي منتهية هذه الفضائل البهية الى (ما لا يحويه محتفل) بكسر الفاء أي لا يشمله جامع مهتم بجمعه لكثرة افراده (ولا يحيط بعلمه الا مانحه) أي معطيه صلى الله تعالى عليه وسلم (ذلك ومفضله) أي ولا يحيط بعلمه الا مفضله على غيره (به لا اله غيره) الله

الى) أى منضمة هذه الى (ما أعدله فى الدار الآخرة من منازل الكرامة ودرجات القدس) بضم وبضمتين أى المنزهة عن النقصان والزوال فى الجنة العالية (ومراتب السعادة والحسنى) أى والمثوبة الحسنى مما لاعين ٣٢٣ رأت ولا أذن سمعت ولاخطر على قلب بشر (والزيادة التى تقف دونها العقول وتحار) بفتح الياء أى يتحير فى معرفتها وتحيل احاطتها (دون ادانيها) أى عند أوائلها فضلا عن أقاصيها وفى نسخة عند ادراكها (الوهم) أى أوهام الخواص والعوام ولعلها رؤية الملك العلام لقوله تعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة وقد جاء تفسيرها فى الحديث الصحيح بالرؤية رزقنا الله تعالى تلك السعادة وختم لنا بالشهادة قال التلمسانى وروى ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حاز خصال الانبياء كلها واجتمعت فيه اذ هو عنصرها ومنبعها فاعطى خلق آدم ومعرفة عيسى وشجاعة نوح وخلة ابراهيم ولسان اسماعيل ورضى اسحق وفصاحة صالح وحكمة لوط وبشرى يعقوب وجمال يوسف وشدة موسى وصبر أيوب وطاعة يونس وجهاد يوشع وصوت داود وحب دانيال ووقار الياس وعصمة يحيى وزهد عيسى وأغمس صلى الله تعالى عليه وسلم فى جميع أخلاق الانبياء عليهم الصلاة والسلام ليقتبسوها منه وقد أفصح بذلك البوصيرى حيث قال

فكل آى أتى الرسل الكرام بها * فانما اتصلت من نوره بهم

الله كما صرح به النووى رحمه الله تعالى فى الاذكار (الى ما أعدله فى الدار الآخرة) أى هياه له فيها من المنح والمنازل العالية مما لاعين رأت ولا أذن سمعت قيل انه حال من معمول التجاوز المقدر فالتجاوز الى مالا يحويه فى الدنيا حال التجاوز عنه الى ما أعد أو بدل أو حال بعد حال أفرز للتصريح لكثرة الانواع فى الدارين (من منازل الكرامة ودرجات القدس) أى من مراتبه المقدسة أو الموجبة للقدس أو الكائنة منه وما فوقها مما لايتناهى فلا يقال الظاهر تقديم الدرجات على المنازل والقدس بضمتين وتسكن داله ولا حاجة لتقدير الحلول فى منازل الكرامة وأصل معنى القدس الطهر فسمى به المكان لانه يطهر فيه العائذ من الذنوب واسم الجبل يقال انه غير منصرف وأنشدوا الكثير

كالمصرخى غدا فاصبح واقعا * فى قدس بين مجاثم الاوعال

قاله التبريزى فى شرح ديوان أبى تمام (ومراتب السعادة) التى يترقى لها فى رفيع الدرجات (والحسنى والزيادة) معطوف على مراتب أو السعادة أى والمثوبة الحسنى من اللقاء الله والرضوان ولا حاجة لتخصيص هذا ولا تخصيص ماقبله من غير داع (التى) صفة للزيادة أو للمجموع (تقف دونها) أى عندها والظاهر انه قبل الوصول اليها (العقول) فلا تصل لادراكها وتقدر عليه (وتحار) يتحير وهو مفتوح الياء التحتية (دون ادانيها) وروى دون ادراكها والادانى جمع ادنى بمعنى انزل وأسفل أو أقرب من الدنو أى لايدرك العقل سافلها فضلا عن عاليها ولا يصل لما يقرب منها فضلا عما يبعد عنها (الوهم) وهو قوة يدرك بها الجزئيات المحققة وغيرها وجناب القدس أعلى من ان تحوم حوله الاوهام والتخيلات وان كانت قد تفرض المحالات وفيه من الترقى مالايخفى والقول بان من هذه الخصال ماهو محض موهبة فلا يناسب المقام من جملة الاوهام (تتمة) لابد من التنبيه عليها فانها من المهمات * اعلم ان افعاله صلى الله تعالى عليه وسلم صنف فيها العلامة أبو شامة كتابا سماه تحقيق الوصول الى أفعال الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم لم أر فى بابه مثله وقد طالعته ولخصته هنا وتقريره ان أفعاله تشارك أقواله فى حكم الاسناد وتختص باحكام ولا خلاف فى الاستدلال بافعاله صلى الله عليه وسلم فقيل يستدل بمجردها على الوجوب أو الندب أو الاباحة أقوال وقيل يستدل بها باعتبار الوجه فان علم اتبع والافضربان امابيان لمجمل دال على وجوب وغيره أولا والثانى لايدل على وجوب وغيره والاول تابع لما بينه والمختار الاول وهو على اقسام الاول مافعله امتثالا لامر كالحج والصلاة وهو مساو لامته فيه والثانى ماوقع منه جبلة مما لايخلو البشر عنه كالاكل والشرب والحركة والسكون والسفر والاقامة والقيلولة فى منزل وتحت شجر وهو سواء فيه وأمته ومنه تتبعه الدباء وأكله القثاء بالرطب ومحبته الحلو والبارد وسائر ماورد فى طعامه ولباسه مما لايظهر فيه قصد قربة ومنه كراهة أكل الضب لا الثوم والبصل والثالث ما ثبت انه من خواصه كزيادة الزوجات والوصال وقيام الليل وجوبا والرابع مافعله بيان المجمل فى القرآن كالصلاة وقطع يد السارق من الكوع والخامس ماصدر ابتداء وليس بيانا ولا خصوصية له ولا جبلة وهو امايعلم وجوبه أوندبه أولا وهذا امان يظهر فيه قصد القربة أولا فالاقسام سبعة وفى حكمها مذاهب فاساواه فيه أمته ظاهر والجبلى والضرورى لايسوغ اتباعه فيه وكذا كل مافعله على الاباحة من أكله ولباسه ولا يستحب كلبسه العمامة السوداء وفعله وتركه سواء الان يكون استنكافا عن مثله وحكى القاضى ابن الطيب قولا بان التاسى به مندوب وقال الغزالى فى المنحول انه غلط ومن الغريب القول بانه يجب علينا فعل كل مافعله ولا وجه له والى الاستحباب ذهب ابن عمر رضى الله تعالى عنه فكان يتحرى آثاره صلى الله تعالى عليه وسلم والفقهاء يستحبون بعضه كاتباع منازل حجه ومقدار وضوئه وغسله واما خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم فمنها

ماوجب عليه دون أمته فيجوز التشبيه به كالوتر عند الشافعي رضي الله تعالى عنه والمشاورة لان المختص به صلى الله تعالى عليه وسلم الوجوب وكذا المحرم كالاكل من الزكاة بخلاف ما أبيح له صلى الله تعالى عليه وسلم دوننا وما فعله بيانا لمجمل وتقييد المطلق فهو كما بينه وقيده والفعل المبتدأ على وجوه ما علم وصفه من وجوب وغيره فمتعبد به كما علم ومالم يعلم فان قصد به القربة فاصله الوجوب مالم يدل دليل على خلافه وقيل يحمل على الندب وقال الغزالي يحمل على الوجوب في العبادات وعلى الندب في العادات وقيل على الاباحة وقيل على الحرمة وقيل بالوقف وقيل ماظهر فيه القربة بين الوجوب والندب وغيره مباح فالاقوال سبعة ومالم تظهر فيه القربة قال الآمدي فيه الاقوال أيضا غير ان القول بالوجوب والندب أبعد مما قبله والوقف والاباحة أقرب قال وبعض من جوز على الانبياء عليهم الصلاة والسلام المعاصي قال انها على الحظر والمختار انه محمول على القدر المشترك بين الوجوب والندب والاباحة وهو رفع الحرج عن الفعل والفعل دليل عليه وقال المازري أفعال المكلفين دائرة بين الوجوب والحظر وغيرهما فان قلنا بعصمتهم من الصغائر سقط عنهم قسم الحظر وان قلنا بجواز وقوعها لم يجز تكررها فتقع فلتة فاذا صدر منهم ولم يقارنه ما يدل على انه معصية يحمل على الجواز لكن لا يقتدى بهم وهو كما قال ومن قال بالحظر أراد حظر اتباع غيرهم لهم بناء على ان التحريم هو الاصل لا الاباحة اذا علمت هذا فافعاله صلى الله تعالى عليه وسلم الجبلية مباحة وما وقع امتثالا أو خصوصية له فهو ظاهر وكذا المرسل الذي ظهر فيه قصد القربة وعلمت صفته ومالم يعلم متردد بين الوجوب والندب والظاهر الندب ويعتقد المشترك بينهما من غير تعيين ومالم يظهر فيه قصد القربة ان كان من أفعال الجبلة فمباح وان تردد بين العبادة والعادة فالمتحقق فيه القدر المشترك بين الاباحة والندب وهو رفع الحرج كنزوله صلى الله تعالى عليه وسلم بالمحصب وما كان بيانا فهو واجب عليه وقيل بيان الواجب واجب والمندوب مندوب والمباح مباح هذا بالنسبة اليه صلى الله تعالى عليه وسلم وأما بالنسبة للامة فما ظهر فيه قصد القربة وكان معلوم الصفة فنحن مندوبون الى ايقاع مثله وكذا ما كان محتملا للقربة وغيرها فيستحب التاسي به فيها الا ان الثاني محطوط الرتبة عما قبله وقال المازري التاسي به أبرك انتهى وهو كلام نفيس ينبغي حفظه وسيأتي في عصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام تتمة له والمقصود هنا انما هو بيان انقسام أفعاله ثم انه ذكر بعد هذا أدلة المذاهب ولا حاجة لنا به هنا

(فصل) ثالث لما مر حتى يتم العدد (ان قلت أكرمك الله) وفي نسخة * وان قلت بالواو دعاء له بان يكون معظما معززا ببركة حبيبه صلى الله تعالى عليه وسلم جامعا للفضائل والكريم من كرمت نفسه عن التدنس بالرذائل من الكرم ضد اللؤم والخطاب للمحب السابق أول الباب أو لكل من يصلح للخطاب والجملة معترضة (لاخفاء) بالفتح اسم لا وخبرها (انه) الآتي أي في انه (على القطع) أي على سبيل القطع (بالجملة) المصنفون يقولون في كلامهم هذا في الجملة كذا وبالجملة والجملة بمعنى الاجمال ضد التفصيل ويريدون به على كل حال لانه اذا قطع بشئ مع الاجمال فمع التفصيل أولى فالمراد لاخفاء قطعا فالجار والمجرور متعلق بالخفاء ويجوز تعلقه بالقطع والمراد به المجموع فالمعنى لاخفاء اذا قطعت بجميع ما تقدم وقيل المعنى لاخفاء في المجمل أي لاستر على القطع بالمجمل أو جعل الاجمال الذي هو صفة أعظمية القدر متعلقا بالقطع أو عدم الخفاء مجازا أو مسامحة والمراد ان هذا المجمل قطعي لا حاجة الى بيانه بخلاف التفصيل لان التفصيل كذلك كما توهم (انه صلى الله تعالى عليه وسلم أعلى الناس قدرا) أي في انه والضمير للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم لا للمجمل كما توهم والقدر المرتبة وآثر الناس على الخلق قيل لانه ليس بواضح على القطع (وأعظمهم محلا) تعظيم محله أبلغ من تعظيمه كما لا يخفى قيل

(فصل) أي في جمل من أوصافه صلى الله تعالى عليه وسلم (ان قلت أكرمك الله) جملة دعائية معترضة بين القول ومقوله (لاخفاء على القطع بالجملة) أي بطريق الاجمال في التفضيل لا بطريق التفصيل اذ قد يتوهم عدم القطع بان يوجد في غيره نعت بالخصوص يكون أعلى وبهذا تبين ان لا يصح قول الدلجي فضلا عن القطع بالتفصيل (انه صلى الله تعالى عليه وسلم أعلى الناس قدرا) أي مرتبة (وأعظمهم محلا) أي منزلة وكان الاحسن كما قال الدلجي ان يقال أعظمهم قدرا وأعلاهم محلا اذ العظمة بالقدر أليق والعلو بالمحل أوفق .

ولوقال أعلاهم محلا وأعظمهم قدرا كان أحسن وقدرا ومحلا تمييز من النسبة محول عما يلزمه والتقدير علا قدره فتامل (وأكملهم محاسن وفضلا) في ذاته وعلى غيره (وقد ذهبت) أي سلكت أو قصدت أو اعتقدت قال في المصباح ذهب مضى وذهب مذهب فلان قصده وذهب في الدين مذهبا رأيا حسنا وتاء ذهبت مفتوحة للخطاب كما ضبطه البرهان (في تفاصيل خصال الكمال مذهبا جميلا) حسنا والمذهب المسلك وجمعه مذاهب قال أبو فراس

ومن مذهبي حب الديار لاهلها * وللناس فيما يعشقون مذاهب

والمراد بتفاصيلها ما تقدم من كونها ضرورية وكسبية (شوقني) وفي نسخة شوقتني بتاء الخطاب والتانيث للمذهب بمعنى الطريقة وهو تكلف لاداعي له والشوق الحنين ونزاع النفس يقال شوقني الى كذا أي هيجني وقال في هياكل النور في الانسان قوة شوقية محركة طبيعية وللجلال الدواني في شرحه كلام طويل في الفرق بينه وبين العزم لايليق ايراده هنا لابتنائه على تخيلات فلسفية (الى ان أقف) أي أطلع (عليها) أي الخصال لان من وقف على شئ عرفه ويقال وقف الامر على كذا أي علقه عليه (من أوصافه صلى الله تعالى عليه وسلم تفصيلا) وهو حال من ضمير عليها لانه قد وقف عليها مطلقا فلا بيان لها الا من حيث انها من أوصافه صلى الله تعالى عليه وسلم وتفصيلا بمعنى مفصلة حال أو مفعول مطلق لمقدر (فاعلم) خطاب خاص أو عام كامر (نور الله قلبي وقلبك) بنوره منه يزيل ظلمة الغباوة حتى تعلم ما قصدته وقدم نفسه لما مر ولانه هنا علم مقدم رتبته (وضاعف) أي زاد وضعف الشئ مثله أو أكثر وفيه كلام لاهل اللغة والمفسرين طويل الذيل (في هذا النبي الكريم حبي وحبك) الجار والمجرور متعلق بالمصدر مقدم عليه وان منعه بعض النحاة لتجويز الاكثر له اذا كان ظرفا كقوله تعالى فلما بلغ معه السعي أو في كما في الحديث الحب في الله والبغض في الله فهي تعليلية كما في قوله صلى الله تعالى عليه وسلم ان امرأة دخلت النار في هرة وهي أبلغ من اللام وان كانت بمعناها لدلالته على شدة حبه له حتى كأنه في ذاته والاشارة بهذا مؤيدة له لدلالته على قربه وتعظيمه وقوله الكريم أي الجامع لخصال الخير الحميدة ودعاؤه بزيادة الحب مناسب جدا لان من أحب شيئا أكثر من ذكره ففيه حث له على التفحص عن اخلاقه صلى الله تعالى عليه وسلم وفهمها وتفهيمها (انك اذا نظرت الى خصال الكمال التي هي غير مكتسبة وفي جبلة الخلقة) أي طبيعتها وأصلها والاضافة لامية أو بيانية وهذه شاملة للطبيعة وغيرها وقوله انك الى آخره مفعول اعلم (وجدته صلى الله تعالى عليه وسلم) أي علمت علما يقينيا انه كان (حائزا) أي جامعا (لجميعها) ومتصفا بها على أكمل وجه يليق به (محيطا بشتات) بفتح الشين مصدر بمعنى التفرق أريد به هنا المتفرق (محاسنها) أي وجوه حسنها المختلفة المتفاوتة أي جميع ما تفرق في غيره منها وأحاط به كما ينبغي (دون خلاف) أي متجاوزا عن اختلاف الناس الى اتفاقهم (بين نقلة الاخبار) نقلة بفتحات جمع ناقل ككاتب وكتبة أي لم يقع اختلاف بين رواة الاخبار في جمعه صلى الله تعالى عليه وسلم للمحاسن والكمالات (لذلك) متعلق بنقلة وهو اشارة للمذكور من حيازته صلى الله تعالى عليه وسلم للمحاسن ثم انتقل لما هو أبلغ فقال (بل قد بلغ بعضها مبلغ القطع) الجزم اليقيني لتواتره وكثرة رواته المثمرة للجزم ومبلغ بمعنى الى مبلغ مفعول لبلغ لا مفعول مطلق ثم شرع في تفصيل الصفات المذكورة فقال (اما الصورة) أي هيئة جسده الظاهرة وقد تطلق الصورة ويرادبها الصفة ومنه قولهم صورة المسالة كذا ومنه ماورد في الحديث ان الله خلق آدم على صورته على أحد الوجوه فيه (وجمالها) حسنها (وتناسب أعضائه في حسنها) أي كل عضو مناسب لمقابله وملاصقه في صفاته المستحسنة ووصفه كالطول والقصر والصغر والكبر كامر (فقد جاءت الآثار) جمع أثر وهو الخبر

(وأكملهم محاسن وفضلا) والمنصوبات كلها تمييزات (وقد ذهبت) خطابا للمصنف من جملة المقول حالية معترضة بين الشرط والجزاء أي وقد سلكت (في تفاصيل خصال الكمال مذهبا جميلا) أي طريقا حسنا من كمال جماله (شوقني) أي هيجني وأقلقني (الى ان أقف عليها) أي أطلع على خصال الكمال (من أوصافه) أي شمائله وفضائله (تفصيلا) أي تبيينا وتفريعا فصلا فصلا (فاعلم) خطاب خاص أو عام لمن يصلح له (نور الله قلبي وقلبك وضاعف في هذا النبي الكريم حبي وحبك) جملة دعائية معترضة بين العامل ومعموله وهو (انك اذا نظرت الى خصال الكمال التي هي غير مكتسبة) أي غير مستفادة (وفي جبلة الخلقة) عطف على غير أي في أصل الخلقة وجبلة الطبيعة والاضافة بيانية (وجدته) أي صادفته (صلى الله تعالى عليه وسلم حائزا) بالحاء أي حاويا وجامعا (لجميعها محيطا بشتات محاسنها) أي متفرقاتها (دون خلاف) أي بلا خلاف (بين نقلة الاخبار) أي الاحاديث والآثار (لذلك) أي لما ذكر من حيازته جميع خصال الابرار (بل قد بلغ بعضها مبلغ القطع) أي بسبب التواتر المعنوي ثم خصال كماله أنواع كما فصله المصنف بقوله (أما الصورة) أي الصورة النبوية (وجمالها) أي وجمال تلك الصورة الخلقية (وتناسب أعضائه في حسنها) أي مما لم يتصور أن تكون كسبية بل هي خلقية وهبية (فقد جاءت الآثار

والحديث يطلق كل منهما على الآخر وقد يفرق بينهما (الصحيحة والمشهورة) ليس المراد بهما ما اصطلح عليه المحدثون وان جاز وحينئذ الصحيح دون المشهور فلا وهم فيه كما توهم واذا أريد به المعنى اللغوى فبينهما عموم وخصوص وجهى أى تلك الاخبار والآثار منها ما هو صحيح وما هو مشهور وليس فيه لف ونشر (الكثيرة بذلك) متعلق بجاءت لانه يتعدى بالباء تقول حيث جئت به وأجاته أى ألجأته الى المجيء وذلك اشارة لما ذكر من الاخبار والآثار (من حديث على) كرم الله وجهه بيان لما قبله من الاخبار والآثار وقد تقدم معنى الحديث وترجمة على رضى الله تعالى عنه معروفة (وأنس بن مالك) الانصارى الخزرجى الصحابى رضى الله تعالى عنه خدم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهو ابن عشر اوثمان ولازمه عشر سنين وروى عنه ألفى حديث ومائتين وستة ودعاله صلى الله تعالى عليه وسلم بالبركة فى ماله وولده وعمره والمغفرة فكان رضى الله تعالى عنه من أكثر الناس مالا ودفن اصلبه بضعا وعشرين ومائة من الاولاد وكان له بستان يحمل فى السنة مرتين وعاش حتى سئم من الحياة وتوفى سنة ثلاث وتسعين وله مائة سنة ودفن بقرب البصرة بقصر أنس وحديثه فى الصحيحين كما قاله النووى (وأبى هريرة) رضى الله تعالى عنه وقد تقدم ان اسمه عبد الرحمن بن صخر على الاصح من ثلاثين قولا وقيل كان اسمه فى الجاهلية عبد عمرو أو عبد شمس وفى الاسلام عبد الله أو عبد الرحمن وكنيته التى كناه بها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أبو هريرة وهو ممنوع من الصرف على الاصح كما فصلناه قبل ذلك (والبراء) بفتح الموحدة والراء المهملة المخففة والمد على الصحيح علم منقول من البراء كالقضاء بمعنى التراب (ابن عازب) بعين مهملة وزاء معجمة وموحدة الصحابى الانصارى أسلم فى صباه قبل الهجرة وشهد أحدا ومشاهد على رضى الله تعالى عنه وأسلم أبوه وتوفى بالكوفة فى أيام ابن الزبير رضى الله تعالى عنهما (وعائشة أم المؤمنين) بهمزة بعد الالف وعامة المحدثين يبدلونها ياء ويقال عيشة فى لغة ضعيفة وهى الصديقة بنت الصديق وحبيبة حبيب الله صلى الله تعالى عليه وسلم المأمور بحبها رضى الله تعالى عنها الطيبة الطاهرة النازل فى حقها الطيبات للطيبين تزوجها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهى بنت تسع ولم يتزوج بكرا غيرها وقيل بنت ست وابتنى بها فى السنة الثانية من الهجرة على الصحيح ودفنت بالبقيع سنة سبع أو ثمان وخمسين روت ألفان ومائتى حديث وعشرة أحاديث وسيجيء بعض حديثها وهذا الحديث فى وصف حلية الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم يروى فى الشمائل وعنها نظرت الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهو يخصف نعله وقد عرق جبينه وجعل عرقه يتولد نورا فبهتت فقال مالك تبهتين فقالت نظرت لعرقك يتولد نورا فلو رآك أبو كثير الهذلى لعلم انك أحق بقوله

ومبرأ من كل غبر حيضة * وفساد مرضعة وداء مغيل
واذا نظرت الى اسرة وجهه * برقت كبرق العارض المتهلل

فقام النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقبل بين عينى وقال جزاك الله عنى خيرا ما سررت بشيء كسرورى بهذا قال التجانى معناه ان أمه صلى الله تعالى عليه وسلم تحمل به فى آخر الحيض بعد انقضائه واستئصال طهرها وهو محمود مصلح للولد به يكون صحيح الجبلة محكم البنية كما قال الشاعر

حملته غراء فى أول الطهر وقد لاح للصباح بشير

وقال المعرى

وانى لمثريا بن آخر ليلة * وان عزمالى فالقنوع ثراء

قال ابن السيد فى شرحه أراد ان أمه حملت به فى آخر ليلة من طهرها حين استقبلت الحيض وهو مذموم مفسد للولد وغبر بضم الغين المعجمة وفتح الباء الموحدة المشددة وبالراء المهملة بقاياه كما قاله الجوهرى (وابن أبى هالة) بالهاء وتخفيف اللام علم منقول من هالة البدر وهى الدائرة المحيطة به وهو ابن مالك أخو بنى أسيد بن عمرو بن تميم حليف بنى عبد الدار واسمه هند ولابى هالة ثلاثة أولاد هند وهالة وبه كنى والطاهر وأشهرهم هند ولاشتهاره لم يسمه المصنف رحمه الله تعالى ويقال له هند الوصاف

الصحيحة والمشهورة) أى المستفاضة (الكثيرة) نعت لهما (بذلك من حديث على وأنس بن مالك وأبى هريرة) واسمه عبد الرحمن على الصحيح من ثلاثين قولا ومنع هريرة من الصرف مع انه ليس فيه من العلل الا التانيث لان العلم الاضافى قد ينزل منزلة كلمة ويجرى عليه أحكام الاعلام (والبراء ابن عازب) وهما صحابيان انصاريان (وعائشة أم المؤمنين وابن أبى هالة) أى من خديجة الكبرى رضى الله تعالى عنها فهو ربيبه صلى الله تعالى عليه وسلم واسمه هند شهد بدرا وقتل مع على كرم الله وجهه يوم الجمل

لاشتهار وصف حلية النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عنه لانه كان ابن خديجة أم المؤمنين من زوجها الاول وكان ربيب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اخا لفاطمة وخال الحسنين رضى الله تعالى عنهم فكان لصغره يتشبع من النظر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ويديم النظر لوجهه الكريم لكونه عنده داخل بيته فلذا اشتهر وصف النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عنه دون غيره من كبار الصحابة رضى الله تعالى عنهم فانهم لكبرهم كانوا يهابون اطالة النظر اليه صلى الله تعالى عليه وسلم فاحاط به نظره احاطة الهالة بالبدر والاكمام بالثمر هنيئا له مع ان ما قاله قطرة من بحر

وعلى تفنن عاشقيه بوصفه * يفنى الزمان وفيه مالم يوصف

شهد بدرا قيل واحدا وقتل مع على رضى الله تعالى عنه يوم الجمل قال التجانى ولهند ابن أبى هالة ولد يسمى هندا أيضا توفى بطاعون البصرة الذى مات فيه نحو من سبعين ألفا فاشتغل الناس بجنائزهم عن جنازته فلم يوجد من يحملها فصاحت نادبته واهند بن هنداه وربيب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلم تبق جنازة الاتركت وحملت جنازته على أطراف الاصابع اعظاما لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ذكره الدولابى وقيل الذى مات فى الطاعون هند بن أبى هالة والصحيح الاول (وأبى جحيفة) بضم الجيم وفتح الحاء المهملة والفاء مصغر واسمه وهب بن عبد الله ويقال وهب بن وهب السوائى بضم السين المهملة وتخفيف الواو والمد نسبة لسواء بن عامر بن صعصعة صحابى مشهور توفى النبي صلى الله عليه وسلم وهو مراهق وتوفى هو سنة اثنتين وسبعين وروى له أحمد وغيره (وجابر بن سمرة) بفتح السين المهملة وضم الميم والراء المهملة ابن جنادة بن جندب يكنى أبا عبد الله وهو ابن أخت سعد بن أبى وقاص توفى بالكوفة سنة أربع وسبعين وقيل وستين وفى التهذيب انه وهم ولكن التجانى وغيره اقتصر عليه (وأم معبد) بفتح الميم وسكون العين والباء والدال المهملتين واسمها عاتكة بنت خالد بن منقذ وفى الاكمال عاتكة بنت حليف بن منقذ بن ربيعة بن أصرم بن حنيبيس بن حرام بمهملتين ابن حبشية التى نزل عليها النبي صلى الله عليه وسلم فى هجرته وهى خزاعية كعبية صحابية خرج لها أبو يعلى الموصلى وكان منزلها بقديد ولم ينقل لها تاريخ قال البرهان الحلبى وحزام فى نسبها بالحاء المهملة وبالزاى كذا ضبطه الامير وزاد السهيلى بن كعب بن عمرو وهو أبو خزاعة انتهى وهى أخت حبيش بن خالد انتهى (وابن عباس) رضى الله تعالى عنهما وترجمته معروفة (ومعرض بن معيقيب) معرض بضم الميم وفتح العين المهملة وكسر الراء المهملة المشددة والضاد المعجمة معناه القوى العرض ثم نقل علما وهو صحابى روى له ابن قانع من طريق القديمى ولم يذكره ابن ماكولا ولا الذهبى وفى تجريد الصحابة ان اسم أبيه معيقيل باللام بدل الباء قال البرهان الحلبى وكذا هو فى نسختى ولا أدرى أصحيح هو أم لا وفى تنقيح ابن الجوزى معيقيب بالباء وأبوه شهد بدرا وتوفى فى زمن على رضى الله تعالى عنه وهو يمامى (وأبى الطفيل) اسمه عامر بن واثلة بن عبد الله بن عمر بن جابر الكنانى صحابى له رؤية ورواية وولد فى أوائل الهجرة وروى عن أبى بكر وعمر ومعاذ بن جبل وغيرهم وروى عنه الزهرى وقتادة وغيرهما وكان من محبى على رضى الله تعالى عنه مات سنة عشر ومائة وقيل سنة مائة وهو آخر من مات من الصحابة وكان شاعرا مفلقا والطفيل بطاء مهملة مضمومة مصغر (والعداء بن خالد) بعين مهملة مفتوحة ودال كذلك مشددة ومد معناه الشديد الجرى وهو ابن خالد بن هودة بن ربيعة بن عمر بن عامر بن صعصعة أسلم يوم الفتح وقيل يوم حنين وحسن اسلامه وهو الذى اشترى من رسول صلى الله عليه وسلم غلاما او أمة كما رواه الترمذى وذكره الفقهاء وتاخر الى بعد المائة وروى له الطبرانى كان حسن السبلة والعرب تسمى اللحية سبلة (وخريم بن فاتك) بضم الخاء المعجمة وفتح الراء المهملة وميم مصغر وفاتك بفاء ومثناة فوقية قيل انه نسبة لجد جده وقيل انه لقب أبيه أخرم بن شداد بن عمرو وفى التهذيب انه خريم بن فاتك بن أخرم وهو

(وأبى جحيفة) بضم جيم وفتح حاء (وجابر بن سمرة) بفتح فضم (وأم معبد) بفتح الميم والموحدة عاتكة بنت خالد وهى التى نزل عليها النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حين هاجر الى المدينة وكان منزلها بقديد مصغرا (وابن عباس) رضى الله تعالى عنهما أى عبد الله (ومعرض بن معيقيب) بتشديد الراء المكسورة والتصغير فى معيقيب وقال التلمسانى معرض بكسر الميم وفتح الراء وهو مخالف للاصول المصححة وللحواشى المصرحة (وأبى الطفيل) مصغرا واسمه عامر بن واثلة مات بمكة وهو آخر من مات من الصحابة فى الدنيا شمعى تفضيلى (والعداء بن خالد) بفتح عين وتشديد دال مهملتين ممدودا (وخريم بن فاتك) بكسر التاء وتصغير خريم بالخاء المعجمة والراء

(وحكيم بن حزام) بكسر الحاء وبالزاى ولد فى الكعبة قبل عام الفيل بثلاث عشرة سنة ولا يعرف احد ولد فى الكعبة غيره على

الاشهر وفى مستدرك الحاكم ان على بن أبى طالب كرم الله وجهه ولد أيضا فى داخل الكعبة عاش مائة وعشرين سنة ستين فى الجاهلية وستين فى الاسلام روى انه لما حج فى الاسلام أهدى مائة بدنة مجللة بالحبر وأهدى ألف شاة ووقف بمائة وصيف بعرفة فى أعناقهم أطواق الفضة منقوش عليها عتقاء الله (وغيرهم) أى ومن حديث غيرهم (رضى الله تعالى عنهم من انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان أزهر اللون) أى نيره أو حسنه ومنه زهرة الحياة الدنيا أو أبيضه لحديث أبيض مشرب حمرة وهو أفضل الوان البياض ومعنى قوله ليس بالابيض الامهق ولا بالادم بل هو ازهر وهو بين البياض والحمرة وقيل معنى أزهر ماقابل السمرة وأبيض ماسواه ودليله قول عائشة رضى الله تعالى عنها كنت ادخل الخيط فى الابرة حال الظلمة لبياض رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومنه قول أبى طالب فى مدحه عليه الصلاة والسلام

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه * ثمال اليتامى عصمة للارامل

غريب شهد بدرا وقيل لم يصح ومات بالرقة فى زمن معاوية رضى الله عنه وروى عنه ابن عساكر (وحكيم ابن حزام وغيرهم) حكيم بفتح الحاء المهملة وكسر الكاف وحزام بكسر الحاء المهملة وبالزاء المعجمة يليها ألف وميم ابن أخ خديجة بنت خويلد أم المؤمنين المعمر عاش مائة وعشرين سنة نصفها فى الاسلام وولد قبل عام الفيل بثلاث عشرة سنة داخل الكعبة ولم يولد فيها احد غيره وكان من المؤلفة ثم حسن اسلامه رضى الله تعالى عنه ولما حج فى الاسلام اهدى مائة بدنة وألف شاة ووقف بمائة وصيف فى أعناقهم أطواق فضة منقوش عليها عتقاء الله عن حكيم بن حزام ومات سنة ستين بالمدينة وقيل غير ذلك وأكثر من ذكر من روى حديث الحلية بيانا لشهرته وتاييد الكلام قبله وأشار بقوله وغيرهم الى من رواه غير هؤلاء ككعب بن مالك والفاروق والصديق وبنت معوذ كما فى كتاب الدلائل والوفاء وغيرهما (من انه صلى الله تعالى عليه وسلم) قيل انه بيان آخر لما بينه الاول بدل منه أو مستانف أو بيان لقوله ذلك والاظهر انه بيان لحديث وليس المراد ان جميع من ذكر ان كل واحد منهم روى هذا الحديث بتمامه بل مجموعهم فانه ملفق من رواياتهم (كان أزهر اللون) صفة مشبهة للفاعل وفى الازهر هنا تفاسير منقولة عن أهل اللغة فقيل نير وقيل حسن ومنه زهرة الحياة الدنيا الزينتها وقيل أبيض وقد اختلف الرواة هنا فى لونه صلى الله تعالى عليه وسلم فقيل أبيض كما فى حديث عائشة رضى الله تعالى عنها وأبيض مشرب بحمرة عن على كرم الله وجهه وفى رواية أنس رضى الله تعالى عنه أزهر اللون كما هنا وعنه أيضا انه كان اسمر وفى الصحيح عن أنس لم يكن بالابيض الامهق أى الخالص البياض كلون الجير فانه غير محمود وما وقع فى رواية فيه عنه أمهق ليس بابيض مقلوبة أو وهم من الراوى كما قاله المصنف أو المهق بمعنى الخضرة كما قاله ابن حجر الهيتمى رحمه الله وليس بالآدم بالمد أى الاسمر ورد الطبرى فى الاحكام رواية اسمر ورواه غيره كالترمذى فى الشمائل وعامة المحدثين فسر والازهر بالابيض المنير المشرق وكذا ذكر فى صحاح الجوهرى وقد وفقوا بين الروايات بالبياض البياض المعتدل المعتاد ويؤيده ليس بالامهق كما مر ولا ينافيه انه مشرب بحمرة وان كان اسمر فى بعض الاوقات لمقابلته الشمس فتعتريه سمرة احيانا وهو المراد بكونه آدم وليس المراد انه شديد السمرة لانه سمى به لشبهه باديم الارض كما ان الابيض الامهق الشديد البياض الذى لا يخالطه حمرة كالبرص والاحاديث دالة على انه صلى الله عليه وسلم لم يكن شديد البياض ولا شديد السمرة وعن الخطابى فى الجمع بين حديثى السمرة والبياض ان السمرة فيما برز للشمس من بدنه الشريف والبياض فيما تواريه الثياب ويؤيده رواية ابن أبى هالة رضى الله تعالى عنه أنور المتجرد وأيضا فى الحديث انه مشرب بحمرة والحمرة اذا اشبعت حكت السمرة وقيل ان ما فى الشمائل عن أنس رضى الله تعالى عنه أبيض كانما صيغ من فضة لا يعارض وصف على كرم الله وجهه له بالحمرة لانه عنى وجهه الشريف وأنس جسده كما مر وستجىء * (تتمة) * أقول ما ذكر من انه عارض من تاثير الشمس يأباه السياق لان الظاهر من لونه صلى الله تعالى عليه وسلم انه أمر خلقى لا عارض لان مثله لا يقال انه لونه والراوى له أنس رضى الله تعالى عنه وكان قريبا منه صلى الله تعالى عليه وسلم ملازما له لا يخفى عليه أمره وقال ابن حجر الهيتمى الاولى حمل السمرة على الحمرة التى تخالط البياض وهو المراد والعرب تطلق على من كان كذلك اسمر ويؤيده رواية البيهقى عن أنس رضى الله تعالى عنه كان أبيض بياضه الى السمرة وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أحمر الى البياض فثبت من مجموع الروايات وصفه ببياض فيه حمرة ورواية انه شديد البياض محمولة على الامر النسبى فانكار رواية اسمر لا وجه له انتهى فالحق انه كان أبيض مشربا بحمرة وهو أحسن الالوان لدلالته على قوة المزاج واعتداله وهذا معنى أزهر ويقال له اسمر نظرا لميله للحمرة ومن أطلق عليه آدم عنى هذا

وأما قوله كأنما صيغ من فضة فلم يرد به شدة بياضه بل حسن منظره ورونقه وأما جعل لونه عبارة عن لون وجهه فبعيد أيضا وقوله أنور المتجرد أى ما تحت الثياب لا ساعده وقالوا برنس الجمال وما سواه ملاحة *فان قلت كيف قال بعض الصحابة ان سمرته صلى الله عليه وسلم من تاثير الشمس وقد كان الغمام يظله *قلت أجيب بان ذلك انما كان فى أول أمره ارهاصا للنبوة كما مر وأما بعده فلم يحفظ ذلك كما قاله ابن حجر فى شرح الشمائل كيف وقد أظله أبو بكر رضى الله عنه بثوبه لما وصل المدينة وأظل عليه بثوب وهو يرمى الجمار فى حجة الوداع *(تنبيه)* قال ابن حجر أيضا قال أئمتنا الشافعية من قال ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كان أسود أو غير قرشى أو توفى أمرد كفر لان نعته صلى الله تعالى عليه وسلم بغير صفته نفى له وتكذيب ومنه يعلم ان كل صفة ثبتت بالتواتر نفيها كفر وسيأتى الكلام على ذلك آخر الكتاب *فان قلت لونه صلى الله عليه وسلم أشرف الالوان وكذلك أهل الجنة فلم جاء فى صفتهم ان لونهم بياض يشوبه صفرة كما فسر به قوله تعالى كأنهن بيض مكنون قلت البياض المشرب بالحمرة يدل على غلبة الدم المورث لقوة المزاج واعتداله الناشئ عن الغذاء فى الدنيا وأما غذاء الآخرة فله شان آخر والصفرة فيها بريق ولمعان يناسب النساء دون الرجال ولذا مدح به فى اشعار العرب مع انه ناشئ عن ترك الحركة وكثرة النوم والترفه ولذا قالوا الاولى لهن ان لا يلبسن البياض لما فيه من التشبه بالرجال (أدعج) وعن الترمذى أدعج العينين والدعج بفتحتين شدة سواد العين مع سعتها وقيل سواد السواد وبياض البياض ويشكل ذلك بانه (انجل اشكل) من النجلة وهى سعة شق العين ومنه طعنة نجلاء ومن فسر الدعج بشدة سواد العين مع سعتها فيه عنده تجريدا وتوكيد واشكل بشين معجمة من الشكلة وهى الحمرة فى بياض العينين وكان أصله مطلق الحمرة لقوله فما زالت القتلى تمج دماءها * بدجلة حتى ماء دجلة أشكل أى أحمر وقال ابن دريد يسمى به للحمرة والبياض المختلطين فيه وفى المقتفى ان فى صحيح مسلم عن سماك ابن حرب ان معنى أشكل طويل شق العين وهو وهم بالاتفاق وقال التجانى الشكلة حمرة يسيرة فى بياض العين فان كانت فى السواد فهى شهلة والرجل أشكل وأشهل وكلاهما مستحسن وبمعنى أشكل أسجر بسين وجيم وراء مهملتين وفى حديث جابر رضى الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضليع الفم أشكل العينين خرجه مسلم وقال الاصمعى الاسجر الاشهل وأكثر اللغويين على خلافه وعن أنس رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أسجر العينين ولم يرد الشهلة فى وصفه صلى الله عليه وسلم (أهدب الاشفار) الهدب بضم الهاء والدال ويجوز تسكينها الشعر النابت على الجفن والاهدب الطويل الاهداب أو الكثيرة وهذه الصفة فى حديث رواه الترمذى والبيهقى ووقع فى رواية فيه طويل الاهداب وفى البيهقى وصفه بالكثرة وكل منهما شاهد للتفسيرين السابقين والاشفار جمع شفر بضم الشين وقد تفتح طرف الجفن والجفن غطاء العين الاعلى والاسفل وانما خلقت هذه الاجفان واهدابها لتقى ناظر العين الاذى وهى تمسحه فى انطباقها وانفتاحها وتذب عنه باهدابها كما قال *فلما افترقا ماذب عن ناظر شفر* ولذلك كان الذباب يمسح دائما بيديه عينيه لانه خلق بغير أجفان واليه أشار عنترة فى تشبيهه البديع بقوله * وقع المكب على الزناد الاجذم * وفى الجفن وطول اهدابه زينة ونفع وحسن واضافة أهدب الاشفار من اضافة الشئ لمكانه فانه يجوز اضافته للمكان والزمان نحو عالم بغداد ومالك يوم الدين وهى لامية أو على معنى فى والاهدب يوصف به الرجل فيقال رجل أهدب والجفن والشفر وليس فيه اطلاق الاشفار على الاهداب مجازا من باب اطلاق الحال على المحل كما تسمى الخمر كأسا وان جاز وليس المراد بالشفر الجفن مجازا باطلاق الجزء على الكل ولا تجريد فيه ولا تقدير مضاف أى شعر الاشفار كما توهم (أبلج) من البلج بفتحتين وهو نقاء ما بين الحاجبين من الشعر ووقع فى حديث أم معبد وصفه بالقرن وانه أقرن وهو مخالف للرواية المشهورة فى حديث الحلية ولهذا رد بعضهم هذه الرواية ووفق بينهما لانه كان بينهما شعر خفيف جدا ربما يظهر اذا وقع عليه الغبار فى سفر ونحوه وحديث أم

(أدعج) أى شديد سواد الحدقة (أنجل) بالنون والجيم ذا نجل بفتحتين وهو سعة شق العين مع حسنها (أشكل) أى فى بياض عينيه يسير حمرة ووهم سماك بن حرب ففسره فى مسلم بانه طويل شق العين (أهدب الاشفار) أى كثير شعر حروف أجفان عينيه وهو الهدب جمع شفر بضم وفتح وهو شفير حرف العين وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما مرفوعا ان الله تعالى لا يعذب حسان الوجوه سود الحدق يعنى من المسلمين قال التلمسانى والظاهر انه لا يعذبهم وهم فى تلك الصورة بل يسود وجوههم ويزرق أعينهم كما يدل عليه قوله تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه وقوله تعالى ونحشر المجرمين يومئذ زرقا (أبلج) بالموحدة والجيم أى أبلج الوجه وهو مشرقه ولم يرد أبلج الحاجبين أى نقى ما بينهما الحديث أم معبد فى دلائل البيهقى وغيره انها وصفته بانه أبلج الوجه أقرن أى متصل الحاجبين

معبدسفرى وفى كتاب خلق الانسان لثابت رجل أقرن وامرأة قرناء فاذا نسب الى الحاجبين قالوا مقرون الحاجبين ولا يقال أقرن الحاجبين وقد تمدحوا بالبلج قديما وحديثا كما قال بعض المحدثين

اذا راش سهم الناظرين بهدبه * وان كان سلما غير يوم هياج
غدا موترا من حاجبيه حنية * لها البلج الوضاح قبضة عاج

ومنه أخذ ابن سينا الملك قوله رمانى ومن أجفانه السهم صائبا * ومن حاجبيه القوس والقبضة البلج والحنية بمعنى المحنية القوس والقبضة وسطها الذى يقبضه الرامى والعرب تسمى السيد الابلج ووصف النبى صلى الله تعالى عليه وسلم به مشهور وقال أبو طالب فى مدح النبى صلى الله تعالى عليه وسلم

وأبلج يستسقى الغمام بوجهه * ثمال اليتامى عصمة للارامل

على احدى الروايات وأنشد بعضهم وأبيض والثمال الملجا اسم مفرد كالغياث لفظا ومعنى (أزج) بفتح الهمزة والزاء المعجمة وتشديد الجيم وهذا وكل ما وازنه فى حديث الحلية صفات مشبهة لانها تجرى كذلك فى الصفات والحلى ويوصف به الرجل والحاجب فى المدح والزجج كما فى تحفة العروس للتجانى دقة مخط الحاجبين وامتدادهما الى مؤخر العين غير عريض ولا كثيف وضده الزبب وقال الشمنى أزج مقوس الحاجب مع طول وامتداد وقال حسان رضى الله تعالى عنه * أزج كشق النون من يد كاتب وقال رؤبة * ومقلة وحاجبا مزججا * والزجج خلقة والتزجيج ما كان يصنع كما قال وزججنا الحواجب والعيونا * أى صنعنا ذلك وهو ما تسميه العامة تحفيفا بالحاء المهملة وهذا أيضا مما رواه الترمذى رحمه الله تعالى (أقنى) كما وقع فى حديث هند الذى رواه الترمذى رحمه الله تعالى وفى حديث على كرم الله وجهه أقنى العرنين والعرنين الانف والقنا طوله ودقة أرنبته مع حدب فى وسطه وفسره الجوهرى بالحدب والمصنف رحمه الله تعالى بالسائل المرتفع الوسط وقد يبدل السيلان بالدقة وقيل انه نتوفى الوسط وضيق المنخرين وقال التجانى القنا احديداب قصبته مع نزول الارنبة وهى رأس الانف مما يلى الفم والشمم استواء أعلى قصبة الانف مع ارتفاع يسير فى الارنبة وهو من صفات الجمال والمدح وعلامة السودد فى الرجال قال حسان رضى الله تعالى عنه

بيض الوجوه كرائم احسابهم * شم الانوف من الطراز الاول

وقال الفرزدق بكفه خيزران ريحه عبق * من كف أروع فى عرنينه شمم

وورد فى الحديث ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان أشم وبهذا وصفه أصحابه رضى الله تعالى عنهم كما ورد فى الاحاديث ويعارضه ما اشتهر من أنه صلى الله تعالى عليه وسلم كان أقنى وجمع بينهما بان القنو كان خفيفا فان زيادته غير ممدوحة كما مر فى البلج ويدل عليه قول ابن ابى هالة الآتى أقنى العرنين يحسبه من لم يتامل اشم وقول بعض الشراح هنا فمن رآه متأملا عرفه أشم ومن لم يتامله ظنه أقنى انعكس عليه الامر فتامل (أفلج) الفلج بفتحتين تباعد ما بين الثنايا أو ما بين الاسنان وهو من قولهم فلجت الشئ اذا شققته فلجين أى نصفين وفلج فلو حاظفر وقال ابن دريد وتبعه صاحب القاموس رحمه الله تعالى انه لا يقال رجل أفلج الا اذا ذكر معه الاسنان أى اذا قيد بها سواء كان بلفظ الاسنان أو الثنايا أو غيرهما لئلا يلتبس برجل أفلج أى بعيد ما بين القدمين أو اليدين فانه ورد استعماله مطلقا فى كلامهم دون الاول فانه ورد مقيدا باضافة وغيرها ومن هنا قد اعترض على المصنف رحمه الله تعالى بان قوله أفلج مخالف للغة اذ لم يستعمل فيها الا مقيدا كما عرفته وقد استعمله الحريرى كذلك ثم ما قاله أهل اللغة مخصوص بهذه الصفة فان غيرها كثير من غير تقييد كقول العجاج * أزمان أبدت واضحا مفلجا * وفيه بحث لان هذا الاستعمال مروى فى الحديث هكذا وابن أبى هالة راويه من خلص فصحاء العرب ولا عبرة بقول بعض النحاة ان الحديث لا يستدل به فى اثبات العربية * واعلم ان العرب اذا وضعت كلمة لمعنى فقد تستعملها مطلقة وقد تلتزم تقييدها باضافة مطلقة أو معينة

(أزج) بالزاى والجيم المشددة أى دقيق شعر الحاجبين طويلهما الى مؤخر العين مع تقوس (أقنى) أى مرتفع قصبة الانف مع احديداب يسير فيها هذا والمشهور انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان اشم الانف أى مرتفع قصبته مع استواء أعلاه قال فى الصحاح فان كان فيها احديداب فهو القنى وقد يجمع بينهما بان ارتفاعها كان يسيرا جدا من رآه متأملا عرفه اشم ومن لم يتامله ظنه أقنى (أفلج) بالفاء والجيم أى متباعد ما بين ثناياه وقلته ممدوحة

كوحدة أو نحوها وقد تلزمه في حالة مخصوصة كاب وأخ اذا أعرب بالحروف وقد تلتزم هيئة مخصوصة نحو كافة وقاطبة وتعريف الآن وقد تلتزم تقييده بشئ كما فيما نحن فيه ثم ان ههنا شيئا وهو انه اذا ورد استعمال لفظ عن العرب على هيئة مخصوصة كما مر ما المانع من استعماله في ذلك المعنى من غير تغيير لبنيته في موضع آخر كما فيما نحن فيه واذا جاز التجوز فيها ونقلها عن معناها قياسا فهذا بالطريق الاولى خصوصا وقد عضده السماع والفلج ممدوح لانه يطيب رائحة الفم والاسنان لعدم بقاء الماكول بينهما مع المعاونة على خروج الحروف من المخارج سهلة فصيحة ومن الملح فيه قول ابن نباتة

أفدى الذي جبينه وشعره * طرة صبح تحت اذيال الدجا

مالى به مع قرب دارى ملتقى * فهل رأيت ثغره المفلجا

(مدور الوجه) عبر في الشمائل بقوله لا بالمكلثم وكان في وجهه تدوير وفسر بانه لم يكن شديد تدوير الوجه بل فيه تدوير مع استطالة قليلة وهو أحلى وأحسن وهو المراد هنا والمكلثم بالمثلثة فسر بالمدور والسمين والنحيف فهو ضده وفي النهاية انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان أسيل الوجه وروى البغوى مسنون الوجه أي فيه طول والروايات يفسر بعضها بعضا وما ورد من انه مدور الوجه كالبدر محمول على الضياء والحسن فلا منافاة بينهما (واسع الجبين) السعة ضد الضيق والجبين والجبهة هل هما بمعنى أو بينهما فرق وأكثر أهل اللغة على الفرق بينهما بان الجبهة موضع السجود المحاذي للناصية من الحاجب الى قصاص الشعر وجانباها جبينان وقيل انها تطلق بمعنى الجبهة والمجموع وأنكره بعضهم وخطأ المتنبي في استعماله بهذا المعنى الا ان ابن عاصم قال في شرح قول زهير

يقيني بالجبين ومنكبيه * وانصره بمطرد الكعوب

انه أراد بالجبين الجبهة وسعة الجبين مما يدل على قوة العقل والفهم والحواس اذا لم يكن مفرطا وسعة الجبهة حسنها وشخوصها أو طولها كما قيل والظاهر من العبارة انه أريد بالجبين الجبهة اذ لم يقل الجبينين بالتثنية (كث اللحية) هذه الصفة في الترمذي والبيهقي عن هند وعلي وأم معبد رضي الله تعالى عنهم والكث في اللحية ان تكون كثيفة غير خفيفة لا يرى منها ما تحتها الكثرة أصولها محيدة ملتفة وليست بطويلة ولا قصيرة الشعر في العرض واليه اشار بقوله (تملأ صدره) الشريف يعني انها طولا وعرضا بمقدار صدره فجعلها كانها حالة فيه لان المظروف لا يزيد على ظرفه ومثله قولهم قد ملأت نحره ونحر الصدر أعلاه أو موضع القلادة منه فمراد المصنف رحمه الله تعالى أعلى الصدر والا لطالت وقد ثبت قصرها وقيل المراد انها تملأ ما يقابل الصدر بها فاستوت طولا وعرضا والحاصل من ذلك ان لحيته صلى الله تعالى عليه وسلم معتدلة طولا وعرضا غير خفيفة * واعلم ان اللحى واللحاء ما ينبت عليه الاسنان واللحية ماخوذة منه * فان قلت ورد في الحديث من سعادة المرء خفة لحيته وهو ينافي كونها كثة قلت المراد من ذلك عدم طولها جدا لما ورد في ذمه وقد قيل اعتبروا عقل الرجل في ثلاث في طول لحيته ونقش خاتمه وكنيته وقال الشاعر

ونقصان عقل الفتى عندنا * بمقدار ما طال من لحيته

مع انه ورد خفة لحييه بالتثنية وفسر بخفته في حركته للذكر (سواء البطن والصدر) هو بتنوين سواء ورفعه وبنصبه واضافته أي مستويهما والبطن مبتدأ وسواء خبر مقدم ولا حاجة لتقدير منه ولا لجعل أل بدلا من الضمير كما قاله التلمساني وهو اشارة الى اعتدال خلقهما وعدم خروجهما أو أحدهما عن

(مدور الوجه) أي لكن الى الطول أميل لما ورد في شمائله ان وجهه لم يكن مدورا وقد يشبه تدوير الوجه بالدينار الاستواء دائرته (واسع الجبين) وهو ما اكتنف الجبهة من يمين وشمال فهما جبينان فيما بين الحاجبين (كث اللحية) بتشديد المثلثة أي كثير شعرها بحيث (تملأ صدره) أي ما يقابلها مع قصر فيها وانبساط اذ كان ياخذ منها ما زاد على القبضة وربما كان ياخذ من أطرافها أيضا والحاصل انه لم يكن كوسج ولا خفيف اللحية ولا مقصوصها غير نازلة الى صدره وقال التلمساني روى ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال من سعادة المرء خفة عارضته ويروى لحيته ومعناه انها لا تكون طويلة فوق الطول وقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اعتبروا عقل الرجل في ثلاث في طول لحيته ونقش خاتمه وكنيته وعن الحسن بن المثنى انه قال اذا رأيت رجلا ذا لحية طويلة ولم يتخذ لحية بين لحيتين كان في عقله شئ وقيل ما طالت لحية انسان قط الا ونقص من عقله مقدار ما طال من لحيته ومنه قول الشاعر

اذا كبرت للفتى لحية
فطالت وصارت الى سرته
فنقصان عقل الفتى عندنا * بمقدار ما طال من لحيته

(سواء البطن والصدر) بالاضافة اليهما ونصب سواء أي كان مستويهما تلويح باعتدالهما خلقا واشعار بان خروجهما أو أحدهما عن الاعتدال بروزا أو تطامنا ليس بمحمود وروى برفع سواء منونا مع رفع البطن والصدر

الاعتدال فان البطن اذا كان بارزا أو مضمرا لم يكن من الصفات الحسنة وكذلك اذا برز او تطامن وسواء
الشيء قد يكون بمعنى وسطه وليس بمراد هنا كما قاله التلمساني (واسع الصدر) عبر في المواهب عن أبي
هريرة رضي الله تعالى عنه بقوله رحب الصدر وفي الترمذي والبيهقي عريض الصدر وقال البيهقي كان
بطنه صلى الله تعالى عليه وسلم غير مستفيض فهو مساو لصدره وصدره عريض مساو لبطنه والعريض
والواسع بمعنى وقال الصفوي يجوز أن يكون مجازا عن الحلم واحتمال الامور كما قال في صدره غير ضيق
الصدر وقال تعالى (فلا يكن في صدرك حرج منه) وعدل المصنف رحمه الله تعالى الى السعة ليكون
أظهر في احتمال المعاني * أقول هذا غير صحيح هنا لان الكلام في الحلية الحسية وليس هذا منها فلو
قال كما قال الدلجي أن معناه واسع الصدر حسا ومعنى ليكون كناية كان أولى فتامل (عظيم المنكبين)
مثنى منكب بفتح الميم وكسر الكاف وبالموحدة وهو مجمع عظم العضد والكتف أي ضخمهما وروى
البيهقي مسندا جليل مشاش المنكبين ومشاشهما بالضم رؤسهما وروى الواقدي رحمه الله تعالى ضخم
العضدين والمنكبين وفي الشمائل جليل المشاش أي رؤس العظام كالمرفقين والركبتين والمنكبين
وهو معنى قوله (ضخم العظام عبل العضدين) الضخم الغليظ كما في الصحاح أو العظيم الجرم الكثير
اللحم وفي حواشي عبد المجيد اليمني ضخم العظام غليظها تقول أضخمت اذا انتصبت قائما والمضطخم
المنتصب والعظام جمع عظم وعظيم كما في ضرام السقط لصدر الافاضل وبعض الجهلة توهم ان قولهم
الموالي العظام غلط لانه لا يكون الا جمع عظم وروى الترمذي وغيره ضخم الكراديس قال أبو نعيم هي
العظام أي عظيم الالواح وقيل رؤس العظام وقال البغوي الاعضاء والمراد تمام يحسن عظمها
كالجوارح والاطراف وقد ثبت انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان عظيم الاطراف والجوارح والعظام
أساس الانسان بعظمها يقوى ويحسن وتتم الحواس وعبل بفتح العين المهملة وسكون الموحدة يليها
لام بمعنى ضخم قوي والعضدين تثنية عضد بفتح العين وضم الضاد المعجمة وتسكن تخفيفا وفيه لغات
وهو ما بين المرفق والكتف ويسمى ساعدا (والذراعين) أي وعبل الذراعين والذراع هو ما بين مفصل
الكف والمرفق أو من المرفق الى أطراف الاصابع (والاسافل) جمع أسفل قال التلمساني يريد به
رجليه وباقي جسمه وقال غيره المراد بها الفخذان والساقان وذلك كله مما يؤذن بكمال قوته لما في
الحديث انه صلى الله تعالى عليه وسلم أعطى قوة ثلاثين رجلا وفي مسند أحمد عن أبي هريرة رضي الله
تعالى عنه انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان شبح الذراعين بعيد ما بين المنكبين يقبل جميعا والشبح
بفتح الشين المعجمة وسكون الباء الموحدة وبالحاء المهملة بمعنى العريض (رحب الكفين والقدمين)
أي واسعهما وقال التجاني أي كبيرهما وهو محمول على ظاهره من كبر الجوارح لدلالته على كمال الخلق
بخلاف صغرهما وتاوله بعضهم في الكفين على انه كناية عن جوده وسماحته قال والحق انه ان روى
مجموع رحب الكفين والقدمين فلا مجال لهذا التاويل للجمع بين الحقيقة والمجاز وان ورد رحب الكفين
فقط فان كان في مقام بيان خلقه بالفتح فلا مناسبة له أو في مقام بيان خلقه بالضم فله مناسبة وقد ورد انه
صلى الله تعالى عليه وسلم كان شثن الكفين والقدمين والشثن بمعنى الغليظ لا الواسع وهو لا ينافي ما مر
وفسر الاصمعي رحمه الله تعالى الشثن بالغليظ الخشن فقيل له انه ورد في صفة النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم ما ينافيه وقد ورد في البخاري وغيره عن أنس رضي الله تعالى عنه ما مسست حريرا ولا ديباجا الين
وأنعم من كف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فآلى على نفسه أن لا يفسر شيئا في الحديث وقيل
لين جلده صلى الله تعالى عليه وسلم ونعومة ملمسه خلقة وخشونته باعتبار عمله في جهاده ومهنته
وتفسير أبي عبيد الشثن بالغليظ القصير مردود بما صح من أنه صلى الله تعالى عليه وسلم سائل الاطراف

(واسع الصدر) أي حسا ومعنى اذ وسع كل أحد شفقة وحلما (عظيم المنكبين) بكسر الكاف تثنية المنكب وهو مجمع عظم العضد والكتف (ضخم العظام) أي غليظها مطلقا وخصوصا كان (عبل العضدين) مثنى عضد بفتح وضم هو الصحيح وهو الساعد من المرفق الى الكتف والعبل بفتح عين وسكون موحدة أي ضخمها وكذا قوله (والذراعين) وهو ما بين مفصل الكف والمرفق (والاسافل) أي الفخذين والساقين وهذا كله مما يؤذن بكمال قوته لحديث البخاري انه أعطى قوة ثلاثين رجلا (رحب الكفين) بفتح الراء وسكون الحاء أي واسعهما صورة ومعنى اذ وسع كل واحد عطاء وقال الدلجي في نوع الترشيح من بديعيته

عم الورى بيد سحاء يرشحها
عطاؤه ليس يخشى الفقر من عدم

(والقدمين) أي واسعهما طولا وعرضا

الآتي * واعلم ان البارزي رحمه الله تعالى قال في توثيق عرى الايمان انه روي انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان خمصان الاخمصين أي متجافي أخمص القدم وهو الموضع الذي لا تناله الارض من وسط القدم وروي انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان مسيح القدمين أي أملسهما ولذا قال ينبو عنهما الماء وفي حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ما يخالفه لانه قال فيه اذا وطئ بقدميه وطئ بكلهما ليس له أخمص وهذا موافق رواية مسيح القدمين قال وسمي عيسى عليه الصلاة والسلام بالمسيح لانه لم يكن له أخمص في أحد الوجوه فيه وقيل معنى مسيح القدمين لا لحم عليهما وهو يخالف رواية شثن القدمين انتهى وفيه نظر ففي شرح الشمائل مسيح القدمين املسهما لينهما فليس فيهما تكسر ولا تشقق ويفسره قوله ينبو عنهما الماء أي يسيل سريعا لملاستهما فكان غليظ أصابعهما وروى أحمد وغيره ان سبابتي قدميه صلى الله عليه وسلم أطول من غيرهما وفي البيهقي كانت خنصر رجله صلى الله تعالى عليه وسلم متظاهرة وما اشتهر من اطلاق كانت سبابته صلى الله تعالى عليه وسلم أطول من وسطاه غلط فانه خاص باصابع رجليه انتهى وما قيل ان سعة القدمين لم ترد الا انه بمعنى العظم المذكور في البخاري فيه نظر (سائل الاطراف) وفي شمائل الترمذي سائل الاطراف أو شائل الاطراف بالشك من الراوي من انه بالسين المهملة من السيلان بمعنى ممتدها امتدادا معتدلا بغير افراط ولا تفريط أو بالمعجمة من شال الميزان اذا ارتفع احدى كفتيه والمراد منه ما قبله والمراد بالاطراف الاصابع وروى سائن بالنون المبدلة من اللام كما قال التلمساني وطول الاصابع مما يتمدح به العرب وسائل بهمزة مبدلة من الياء كما تقرر في الصرف وقوله في المقتفى انه بالياء ان أراد انه روي كذلك على خلاف القياس فصحيح والا فلا وفسر بالطول من غير تعقد ويروى كان أصابعه قضبان فضة أي أغصانها قيل والاوجه في تفسيره التعميم لما روي من انه سبط القصب وفسر بكل عظم ذي مخ والسبوطة الامتداد قاله أبو نعيم (أنور المتجرد) أنور بمعنى نير صفة مشبهة لانه من باب الالوان وعليه اقتصر التلمساني والبغوي والمتجرد بضم الميم وفتح الجيم والراء المشددة والدال المهملتين بمعنى الجسد الذي من شانه أن يجرد عنه الثياب والعرب تقول فلان حسن المجرد والمتجرد والجردة والعرية والمعرى والكل بمعنى وقيل أنور أفعل تفضيل مضاف لغير المفضل عليه كما ذكره النحاة أي متجرده أنور من متجرد غيره والمتجرد بالضم مصدر ميمي يقال امرأة بضة المتجرد والمجرد أي عند التجرد والتعري والمحدثون فسروه بما جرد عنه الثياب أي نزع وليس على القلب أي ما جردت الثياب عنه أو هو اسم موضع التجرد أو اسم مفعول على الحذف والايصال كالمشترك لانه ثبت عن العرب فلا يقال انه غير قياسي واسم المفعول لا يبنى من مثله بغير صلة كممرور به والقول بانه جعل تجرد بمعنى جرد المتعدي كما جعل رحم المتعدي بمعنى رحم اللازم وبنى منه الصفة المشبهة وجعله من الحقائق والدقائق من زخرف القول الذي لا طائل تحته وتفسيره بسائر البدن باعتبار أغلبه وأكثره كلام حسن وجعله وهما خرافات واهية (دقيق المسربة) دقيق بالدال المهملة والقاف والمراد انه ليس بعريض ولا متكاثف الشعر وروي بالراء المهملة وهما بمعنى والمسربة بفتح الميم وسكون السين المهملة وضم الراء كذلك وفتحها وبالموحدة شعر مستطيل من الصدر للسرة فهو خط من الشعر بينهما قيل والذي يظهر انه شعر دقيق من الصدر الى البطن يطول ويقصر ابتداء ولذا وصف مسربته بالطول من أوائل الصدر الى السرة والوصف بالدقة للمبالغة والمسربة من السرب وهو دخول الطريق والانسراب فيها (ربعة القد) القد بمعنى القامة ورجل ربعة وامرأة ربعة بفتح الراء وسكون الباء وفي المصباح حذف الهاء في المذكر وفتح الباء لغة فيهما ورجل مربوع مثله أي معتدل وفي القاموس الرابع الرجل بين القصير والطويل وتانيثه باعتبار النفس والذات وليس في اضافته للقد تكلف

(سائل الاطراف) أي تام الايدي والارجل والاصابع طويلها وهو بالسين المهملة وروي بالمعجمة (أنور المتجرد) بفتح الراء المشددة أي كان ما تجرد من بدنه أشرق من غيره (دقيق المسربة) بفتح ميم وسكون سين مهملة وضم راء وقال التلمساني وبفتحها وهي خيط الشعر الذي بين الصدر والسرة ودقيق بالدال قال التلمساني ويجوز فيه الراء قلت بينهما فرق دقيق (ربعة القد) بفتح الراء وسكون الموحدة أي مربوع القامة كما رواه البيهقي وابن أبي خيثمة في تاريخه

كما توهم وفيه ضمير للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم بالتأويل المذكور وروى الترمذي وغيره انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان أطول من المربوع وفي البيهقي عن أنس رضي الله عنه فوق الربعة فالمراد بكونه صلى الله تعالى عليه وسلم ربعة انه بين الطول الفاحش والقصر ومن نفى الطول أراد الفاحش ولذا قال (ليس بالطويل البائن) كذا في الصحيحين عن أنس رضي الله تعالى عنه أي لم يكن مفرط الطول فهو من بان بمعنى ظهر لظهور طوله أو بعد لبعده عن قدر الرجال الطوال أو لبعده عن الاعتدال أو من المفارقة والانقطاع لانفصال بعضه عن بعض أو عن غالب الناس أو عن الاعتدال (ولا القصير المتردد) أي المتناهي في القصر من التردد بمعنى الرجوع أو الدخول كان بعضه يدخل في بعض ويرجع اليه وهذه صفة خلقته صلى الله تعالى عليه وسلم لذم الطول المفرط والقصر المفرط وللتلمساني هنا كلام في تفسيره لا محصل له (ومع ذلك) أي مع كونه ربعة معتدلا (فلم يكن يماشيه أحد) من الناس بان يمشي معه ويجنبه بحيث يعرف مقدار القدود قيل الاولى عدم الفاء الا أن يقال هذه بيان للحالة السابقة يعني لانها خلقة وهذه عارضة فتدبر (ينسب الى الطول الاطاله) المراد بنسبته له اتصافه به وكونه معروفا به مشهور كما يعرف المرء بالنسبة فيقال القرشي ونحوه فهو استعارة وقوله الاطالة أي غلبه في الطول وزاد عليه فهو من باب المغالبة المعروف فلذا تعدى مع لزومه أو أصله طال عليه على الحذف والايصال وروى البيهقي وغيره زيادة ربما اكتنفه الرجلان الطويلان فيطولهما فاذا فارقاه عاد ربعة وفي المواهب عن ابن سبع واذا جلس صلى الله تعالى عليه وسلم كان كتفه أعلى من الجالسين وهل هذا محض اراءة لذلك أو حقيقي يرجع عنه فيه تردد ولم يخلق أطول من غيره لخروجه عن الاعتدال الاكمل المحمود ولكن جعل الله له هذا في رأي العين معجزة خصه الله تعالى بها لئلا يرى تفوق أحد عليه بحسب الصورة وليظهر من بين أصحابه تعظيما له بما لم يسمع لغيره فاذا فارق تلك الحالة زال المحذور وعلم التعظيم فظهر كماله الخلقي (رجل الشعر) يقال شعر رجل بفتح الراء وكسر الجيم وفتحها وهو ما فيه تثن قليل وما لا تثني فيه فهو سبط والاول أحسن وأمدح وروى شعره بين شعرين لا رجل ولا سبط وفي مثله مبالغة في قلة التثني وفيه كلام بسطناه في السوانح وفي الصحيحين لا بالجعد القطط ولا بالسبط والقطط بفتح الطاء وكسرها الشديد الجعودة والسبط بكسر الباء ضده وهو المسترسل بغير تكسر فشعره صلى الله عليه وسلم بين هاتين الصفتين لا تجعيد فيه كثير (اذا افتر ضاحكا افتر عن مثل سنا البرق) هذا رواه البيهقي مسندا ومعنى افتر كشف عن أسنانه متبسما وضاحكا ويفتر يضحك ضحكا حسنا بمعناه وفي النهاية تبسم حتى تبدو أسنانه من غير قهقهة وهو افتعال من فرت الدابة اذا كشفت شفتيها ليعرف مقدار سنها ومنه أخذ السن بمعنى العمر وفي حواشي عبد المجيد اليمني ومنه وفرة الحر أوله يعني بكسر الفاء وتشديد الراء وتبعه بعض الشراح ومن قال انه وهم لم يفهم مراده والسنا مقصور ورواية مده لا أصل لها فان الممدود بمعنى الشرف كما قال ابن عباد المغربي

أيها الصاحب الذي فارقت عيني وتفشى منه السنا والسناء

أي اذا كشف صلى الله تعالى عليه وسلم عن أسنانه في حال ضحكه ظهر من فيه وبياض أسنانه لمعان كلمعان البرق وانما خص التشبيه بحال التبسم والسرور وشبه ذلك بالبرق دون ما هو أضوأ منه كالشمس والبدر اشارة الى أنه لا يدوم ضحكه وانفتاح فيه لان كثرة الضحك غير محمودة ولم يكن ذلك من دأبه صلى الله تعالى عليه وسلم ولان تبسمه لمخاطبه يعقبه نفع وخير من عطائه وكلامه ورضاه كما يعقب البرق المطر والرحمة العامة وما قيل أن الاظهر انه اذا استمر يتلألأ فيظهر تارة ويختفي أخرى فالمناسب البرق ويؤيده رواية مثل سنا البرق اذا تلألأ مخيلة برق خلب وهذا تشبيه لنور ثغره وقوله

(ليس) أي هو أو قده (بالطويل البائن) أي المفرط في الطول من بان بمعنى بعد أو ظهر (ولا بالقصير المتردد) بكسر الدال وهو الذي كأنه تردد بعض خلقه على بعض من قصره والجملة بيان لما قبلها (ومع ذلك) أي مع كونه ربعة (فلم يكن يماشيه أحد ينسب الى الطول الاطاله) أي غلبه النبي (عليه الصلاة والسلام) في الطول مزية خص بها لئلا يحابانه لم يكن أحد عند ربه أفضل منه لا صورة ولا معنى (رجل الشعر) بكسر ويفتح وقد يسكن وبفتح العين ويسكن أي بين الجعودة والسبوطة (اذا افتر) بتشديد الراء أي اذا أبدى أسنانه حال كونه (ضاحكا) أي متبسما (افتر) أي انكشف (عن مثل سنا البرق) بقصر سنا وقد يمد وقيل بالقصر النور وبالمد الشرف والعلو أي يشبه ضوءه

(وعن مثل حب الغمام) فى بياضه ونقائه وصفائه حب الغمام هو البرد بفتح الراء وتسكينها قال المصنف رحمه الله ويروى تسكينها والاول أصح وقيل حب الغمام حبابه على الماء شبه به ما على أسنانه من قليل الريق وبلته وهو الظلم بالفتح الذى تسميه الشعراء شنبا كما قال ابن الوكيل

يا بارقا قد حكاه فى تبسمه * لقد حكيت ولكن فاتك الشنب

والاول أصح لرواية البيهقى عن هند رضى الله عنه عن مثل البرد المنحدر عن متون الغمام قال السيد رحمه الله تعالى شبه ما يظهر من أسنانه فى التبسم بذلك فى البياض والصفاء واللمعان والاعتدال وفى النهاية وفى البرد وهو بعيد ومن قال حب الغمام قطرته شبه بها ما يطفو على الثنايا من الريق فقد وهم لان الثنايا ليس عليها عادة الابلال فلو اجتمع لم يحسن قيل وما أحسن عدوله عن تشبيهه بالحباب لحب السحاب لتنزهه عن تشبيهه بأم محرم وقيل عليه ما أحقه صلى الله تعالى عليه وسلم بقول البحترى

كأنما تبسم عن لؤلؤ * منضد أو برد أو أقاح

(وقول الحريرى) نفسى الفداء لثغر راق مبسمه * وزانه شنب ناهيك من شنب

يفتر عن لؤلؤ رطب وعن برد * وعن أقاح وعن طلع وعن حبب

وليس الحبب حباب الماء ونفاخاته ولا حباب الخمر بل نضرة الاسنان كما قاله الجوهرى فلا ميل فى التشبيه لما قاله وهو وهم منه فان الحباب والحباب بالمعنى المذكور مما لا شبهة فيه وما قاله الجوهرى لا يصح هنا لما فيه من تشبيه الشئ بنفسه كما قيل

أقام يعمل أياما قريحته * وشبه الماء بعد الجهد بالماء

(اذا تكلم رئى كالنور يخرج من ثناياه) وقع عندنا رئى مضارع رأى المجهول والذى صححه التلمسانى وغيره رواية يرى براء مكسورة وياء ساكنة تليها همزة بوزن قيل وفى رواية رئى بضم الراء وهمزة مكسورة يليها ياء مجهول رأى والكل صحيح رواية ودراية وهذا رواه الترمذى فى شمائله والدارمى والبيهقى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما والثنايا جمع ثنية وهى أربع أسنان اثنان فوقانية واثنان فى مقابلهما والمراد وصف ثناياه صلى الله عليه وسلم بشدة البياض والبريق والصفاء وأول الحديث كان صلى الله تعالى عليه وسلم أفلج اذا تكلم الى آخره وروى ابن كثير رحمه الله رئى النور من ثنيته وهى الاظهر ولذا قيل الكاف زائدة ويحتمل انها اسم بمعنى مثل وهى أو الجار والمجرور نائب الفاعل وهو صفة لمقدر أو تلألؤ أو شئ وضمير يخرج للنور وقيل انه للكلام المفهوم مما قبله أى يخرج منه كلام شبيه بالنور فى ظهوره (أحسن الناس عنقا) رواه البيهقى مسندا وفيه أحسن عباد الله عنقا وفى رواية من أحسن الناس والمراد أحسن جميع الناس أو الناس الموجودين ولا تكلف فيه كما توهم وحسنه باعتداله وبياضه وصفاء لونه ويستحسن فى العنق التلع وهو اشرافه وانتصابه والتطع وهو طوله قال التجانى وقد جاء هذا فى وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم قال وطول العنق مما يستحسن ما لم يفرط فاذا أفرط فهو مذموم وقد هجر واصل بطول عنقه ولقب به * واعلم ان السهيلى قال فى الروض الانف ان العنق والجيد بمعنى الا أن الجيد يستعمل فى المدح والعنق بخلافه فتقول صفعت عنقه لا جيده ولما ورد عليه قوله تعالى فى جيدها حبل من مسد قال انه تهكم وتمليح بجعل الحبل كالعقد لها وفيه نظر لان الاستعمال بخلافه

(وعن مثل حب الغمام) أى السحاب وهو البرد بفتحتين يعنى مثله فى البياض والصفاء وامتزاج الماء فهو بهذا الاعتبار العالى أولى من تشبيه الاسنان باللآلى ثم التشبيه الثانى أبلغ من الاول فتامل وقد أبعد الدلجى فى تفسير حب الغمام بقطراته ثم قال شبه بياض ثغره فى صفائه ونقائه بضوء البرق وما يطفو على ثناياه من ريقه بقطرات الغمام تشبيها بليغا انتهى موهما ان التركيب من التشبيه البليغ وليس كذلك كما لا يخفى على أرباب المعانى والبيان وقيل أول ما يضحك تلألأ كالبرق وان بدت أسنانه فهو كالبرد (اذا تكلم رئى) بكسر راء وسكون ياء فهمزة مفتوحة وروى رئى بتقديم الهمز مجهولا من الرؤية وهو ظاهر ولعل الاول من قبيل القلب دخل فيه الاعلال قال التلمسانى وهو الافصح والمعنى ظهر (كالنور) أى شئ مثل النور (يخرج من ثناياه) أى يبدو منها أو من سناها بكثرة بياضها وشدة صفائها أو ايماء الى درر كلماته وغرر بنائها والحديث رواه الترمذى فى شمائله والدارمى والبيهقى (أحسن الناس) بالنصب عطفا على ما سبق ويجوز أن يكون بالرفع على ان التقدير هو أحسن الناس (عنقا) أى جيد الاعتداله فى كماله (ليس بمطهم) بتشديد الهاء المفتوحة أى لم يكن مدور الوجه على ما فى الصحاح وغيره وقيل هو السمين الفاحش وقيل المنتفخ الوجه وقيل النحيف الجسم (ولا بمكلثم) بفتح المثلثة أى لا يجتمع لحم الوجه بل مسنون الوجه والحاصل انه لم يكن وجهه مفرطا فى الاستدارة وأما حديث على وفى وجهه تدوير فمعناه ان فيه نوع تدوير أى قليلا منه وأبعد اليمنى فى قوله يريد عنقه أى ليس بمدور ولا بمجتمع بل انه مستطيل

(متماسك البدن) أى ليس برهل ولا مسترخ لحمه بل يمسك بعضه بعضا ويقويه ويشده (ضرب اللحم) أى خفيفة ولطيفة لا يابسة وكثيفة وقيل هو اللحم بين اللحمين لا بالناحل ولا بالمطهم (قال البراء) بن عازب أى كما رواه الشيخان وغيرهما (ما رأيت من ذى لمة) بكسر لام وتشديد ميم وهى من شعر الرأس ما يجاوز شحمة الاذن ويلم بالمنكبين (فى حلة حمراء أحسن من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) ظاهره انها ثوب واحد بشهادة وصفها بحمراء مع اتفاق أهل اللغة انها لا تطلق الا على ثوبين بشهادة حديث وعليه حلة اتزر باحديهما وارتدى بالاخرى ولك أن تجيب بان وصفها باعتبار لفظها لا باعتبار معناها وكفى به دليلا لمن جوز لبس الاحمر بلا كراهة كالشافعى ومالك رحمهما الله تعالى كذا ذكره الدلجى وفى القاموس الحلة بالضم ازار ورداء بردا أو غيره ولا تكون حلة الا من ثوبين أو ثوب له بطانة وكذا قال الخليل وغيره لان كل واحد يحل على الآخر أو على الجسم وقيل الثوب الجديد الذى يحل من طيه فاندفع دعوى اتفاق أهل اللغة على الاطلاق بل قال المنجانى ان هذا الحديث يرد عليهم انتهى وليس فى الحديث الذى استشهد به دلالة الا على أحد الاستعمال الحلة وأما كون هذا الحديث دليلا كافيا لتجويز لبس الاحمر فهو كاف مع قطع النظر عما ورد فيه أنواع من الخبر والاثر مما يدل على كراهة لبسه فى الحضر والسفر مع ان الحديث ليس فيه تصريح انه صلى الله تعالى عليه وسلم لبس الاحمر بل يدل على انه ما رأى أحد من كان صاحب لمة ولابس حلة حمراء مع ان الحسن فى تلك الحالة على غاية من الصفاء فنفى أن يكون أحسن من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على أى لبس كان أو على تقدير لابسه ثم على تسليم لبسه يحمل على بيان الجواز وان النهى وارد على سبيل الكراهة لا التحريم أو انه قضية واقعة يحتمل وقوعها قبل النهى مع انه قد يقال للثوب الذى فيه خطوط حمر كثيرة انه أحمر فتدبر فان الجمع بين

كثير كما هنا وكقوله * وفى عنق الحسناء يستحسن العقد * (ليس بمطهم ولا مكلثم) المطهم كما فى القاموس كمعظم السمين الفاحش والنحيف الجسم الدقيقة وهو من الاضداد والمنتفخ الوجه والمجتمعة مدوره وقليل لحم الوجه ومكلثم اسم مفعول من الكلثمة وهذه الصفة مروية عن على كرم الله وجهه فى سنن الترمذى والبيهقى باسناد غير متصل وسيأتى وعن عائشة رضى الله تعالى عنها وله معان منها ما تقدم ومنها كما فى الترمذى بادن كثير اللحم والمجاوز لونه السمرة الى السواد ويصح ارادة كل منها غير التدوير اذا فسر به المكلثم لئلا يتكرر واعادة لا مع العاطف تأبى كونه تاكيدا وأما معناه المذكور فى القاموس وهو البارع فى الجمال فلا يصح هنا النفيه وقد ثبت انه وسائر أعضائه فى غاية الكمال والجمال ومكلثم اسم مفعول مروى عن على وعائشة رضى الله تعالى عنهما مسندا وفسر بمدور الوجه مطلقا ومع كثرة اللحم والباقى الوجنة وقيل هو قصير الذقن وفى النهاية انه القصير الحنك الدانى الجبهة المستدير مع خفة اللحم لانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان أسيل الوجه لا مستديره ولا ينافى هذا ما مر عن على كرم الله وجهه ورضى الله تعالى عنه من وصفه بانه مدور الوجه لان المنفى الاستدارة المفرطة المذمومة والمثبت خلافه كما صرح وابه الا أن فى شرح السنة ان الكلثمة لا تكون الا مع كثرة اللحم وكذا فى الصحاح والمراد غير المفرطة أيضا فهو من الاضداد والصفتان للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم لا للعنق كما توهم وهو غلط فاحش هنا (متماسك البدن) وهذا مروى فى حديث هند رضى الله تعالى عنه كان بادنا متماسكا أى معتدل الخلق كان أعضاؤه يمسك بعضها بعضا لقوتها وعدم استرخائها وقال الغزالى لحمه متماسك على خلقه الاول لم يضره السن الذى من شانه أن يسترخى اللحم فيه بخلاف الشباب (ضرب اللحم) ضرب بفتح الضاد المعجمة وسكون الراء المهملة والموحدة بزنة المصدر أى قليل لحم البدن خفيفه لا الى حد الهزال وهو يتمدح به كما قال طرفة

أنا الرجل الضرب الذى تعرفونه * خشاشا كرأس الحية المتوقد

وهذا معنى قولهم لحمه بين اللحمين لا ناحل ولا مطهم وذكر اللحم مع قول أهل اللغة الضرب الرجل الخفيف لبيان معناه لانه مشترك أو للتجريد وهذه الصفة فى حديث أم معبد رضى الله تعالى عنها وفى حديث رواه البيهقى وهى لا تنافى ما ورد فى حديث آخر من انه كان بادنا أى جسيما أو كثير اللحم لان القلة والكثرة والخفة ومقابلها أمور نسبية فحيث أثبتت أريد بها رتبة معتدلة وحيث نفيت أريد الافراط أو ان هذا كان فى أول عمره وكونه بادنا فى آخره لما فى الصحيح انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما كبر سنه كثر لحمه ولا خفاء انه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يكن نحيفا قط ولا سمينا وقال التلمسانى معنى كونه بادنا كثير لحم البدن ولكنه لكونه متماسكا يقوى بعضه بعضا ويشده ويمسكه فهو خفيف بهذه النسبة (قال البراء بن عازب رضى الله تعالى عنه) تقدمت ترجمته وهذا الحديث رواه الترمذى وصححه ورواه بتقديم أحسن الآتى (ما رأيت من ذى لمة فى حلة حمراء أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم) من زائدة أو مبينة لمقدر أى أحدا واللمة بكسر اللام وتشديد الميم ما طال من شعر الرأس فى

الاحاديث المتعارضة هو المعتبر وقد قال أبو عبيد الحلل برود اليمن ثم الدليل المبيح والمحرم اذا اجتمعا يقدم دليل المحظور ومع انه يكفى فى دليل امتناعه التشبه بالنساء ولاشك ان تركه احوط فى حق الرجال العقلاء ومع وجود هذه الانواع من الاحتمال كيف يكفى للاستدلال والله تعالى أعلم بالحال وأغرب الاذاكى الحنفى حيث قال فى حاشيته وفى هذا دليل على جواز لبس الاحمر للرجال وادعى النووى الاجماع على جواز لبسه فى المهذب انتهى ولايخفى ان دعوى الاجماع باطلة مع وجود مخالفة الامام الاعظم فى المسئلة وغيره من الائمة ولعله أراد به الاتفاق فى مذهبه والله تعالى أعلم بمقاله ومشربه هذا وقد قال المنجانى وقد اختلف السلف الماضون فى ذلك فكره بعضهم لبسها هى والمصبوغة بالصفرة وأجازهما قوم آخرون وفرق بعضهم فى هذا بين المشبع فى الصبغ وغير المشبع فاجاز مالم يكن مشبعا وكره ما أشبع صبغه ورأى آخرون ان ما اتخذ من هذه الثياب للمهنة جاز مطلقا وما اتخذ للباس كره ودليل الاولين ماورد فى الحديث ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم نهى ان يتعصفر الرجل أو يتزعفر وروى فى الصحيح عن ابن عمر قال رأى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على ثوبين معصفرين فقال ألقهما فانهما ثياب الكفار وقال ابراهيم الخزاعى حدثتنى عجوز قالت كنت أرى عمر بن الخطاب رضى الله عنه اذا رأى على الرجل الثوب المعصفر ضربه وقال دعوه هذه الثياب للنساء واما ماذكره المنجانى من نسبة عدم الكراهة لابى حنيفة فغير صحيح والله تعالى أعلم

احد جانبيه قال التلمسانى قيل هى الوفرة وقيل فرقها وقيل اذا ألم الشعر بالمنكب فهو لمة وقيل اذا جاوز شحمة الاذن وقيل دون الجمة وقيل فوقها والجمة مابلغ المنكبين انتهى وقد اختلف فى الفرق بين هذه الثلاثة اللمة بالكسر والجمة بالضم والوفرة بالفتح فقيل اللمة ماجاوز من شعره شحمة الاذن وسميت بها لالمامها بالمنكبين وان زادت فهى الجمة وهى ماسقط على المنكب كما فى شرح السنة والمراد بالمامها به قربها كما فى المصابيح بلوغ أولها وسقوطها ووقوعها متصلة بها منبسطا بعضها عليه قليلا وقيل تجاوزه لما ورد فى الحديث كان شعره يضرب منكبيه وفيه نظر وفى القاموس الوفرة ماسال على الاذن أو جاوز الشحمة ثم الجمة ثم اللمة ووافق مافى الجوهرى تارة وتارة قال اللمة ماجاوز الشحمة فاذا بلغ المنكب فهو جمة فتوهم فيه السهو أو التناقض وهو محمول على مافى شرح السنة وقيل يتعين حمل كلامهم على ان فى الجمة لغتين أى معنيين ماسقط على المنكب ومالم يبلغه اصلا فاقتصر بعضهم على احدهما والآخر على الآخر وذكرهما الجوهرى وفى الشمائل جمته تضرب شحمة اذنيه فهى ثالثة من غير تناقض ومنهم من أول الحديث بانه جمة قيل ورد بما وصل لما ذكر بعده وهو بعيد بل غير سديد انتهى * أقول الجمة بمعنى الكثرة الشعر ومنه الجم الغفير والوفرة من الوفور وهو الكثرة واللمة من الالمام وهو القرب أو النزول ولايخفى ان الكثرة والقرب ونحوهما أمور نسبية تتفاوت بحسب ماينسب اليه فلا تعارض بين معانيها بحسب الاصل والاشتقاق فلكل منها معنى يجوز استعماله فى المعانى المذكورة بحسب القرائن فاللمة مايلم بالاذن أو بشحمتها أو بالمنكب بان تقرب منه أو تنزل عليه والكثرة اما فى نفسها أو بالنسبة للمة فاذا لوحظ كل من هذه صحت المعانى فتدبر والحلة بضم الحاء المهملة وتشديد اللام كما فى القاموس ازار ورداء برد وغيره ولاتكون حلة الا من ثوبين أو ثوب له بطانة انتهى فلا تكون ثوبا واحدا ولاثوبا ليس له بطانة كما قاله الخليل والثوب لايختص بالمخيط بل يعمه وغيره وفى النهاية انها من برود اليمن ولاتكون الاثوبين من جنس واحد وتاؤها للوحدة الصورية كما يقال جنس واحد أو للاسمية وقال التجانى فى الحديث دليل على ان الحلة قد تكون ثوبا واحدا يعنى لتاء الوحدة ووصفها بحمراء واللغويون مطبقون على انها لاتطلق الا على ثوبين والحديث صحيح متفق على تخريجه ووهم المصنف رحمه الله تعالى فى مشارقه فقال انما سميت بذلك لحلولها على الجسم أو على ثوب تحتها وهو باطل لاقتضائه ان كل ملبوس يسمى حلة من أى نوع كان * أقول مانقله من اشتراط كونها ثوبين واتفاق أهل اللغة عليه قد نقلنا لك عن صاحب القاموس وعن الخليل مايخالفه فاى اتفاق يصح بعد هذا واما اعتراضه على المصنف رحمه الله تعالى فى وجه التسمية فليس بشئ لان وجه التسمية مناسبة لحظها الواضع لايلزم أطرادها ولا انعكاسها فهو غفلة منه ثم أعلم ان الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه ومن وافقه استدل بهذا الحديث على جواز لبس الاحمر ولو كان قانيا كالمعصفر والمزعفر ومن ذهب الى كراهتهما كراهة تحريم أجاب بان المراد انه كان فيه خطوط حمر وليس أحمر خالصا وبان هذا منسوخ قال محمد رحمه الله تعالى فى شرح السير الكبير لبس الاحمر مكروه وفى حديث ابن عمر رضى الله تعالى عنهما ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال اياكم والحمرة فانها زى الشياطين وماروى من حديث البراء بن عازب رضى الله عنه مارأيت ذالمة فى حلة حمراء الى آخره كان فى الابتداء ثم كره استعماله

للرجال بعد ذلك انتهى أو هو من خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم وضرب عمر رضى الله تعالى عنه من لبس حلة معصفرة وقال دعوا هذه الثياب للنساء أو الكراهة تنزيهية وفعله للجواز وسئل الشيخ قاسم ابن قطلوبغا عن لبس الاحمر الذى فيه النزاع وهو الاحمر الصرف هل هو مكروه أم لا فاجاب بانه مكروه كراهة تحريم للاحاديث الواردة فى النهى عنه ثم أورد كلام محمد فى السير وانه كرهه بعد ذلك لما فى حديث ابن عمر رضى الله تعالى عنهما ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن لبس المعصفر وانما لبسه الشعبى رحمه الله تعالى فرارا من القضاء لما كلفوه مرارا فلبس المعصفر ولعب بالشطرنج وخرج مع الصبيان لينظر الفيل فتركوه واذا ورد ما يقتضى الاباحة وما يقتضى التحريم فالثانى ناسخ نسخا اجتهاديا كما يشير اليه كلام السير وما ذكر عن الشعبى جواب عما يقال لو كان النسخ مشهورا ما لبسه الشعبى وقال بعض المتاخرين حديث البراء ليس من محل النزاع لان الحلة برود اليمن المخططة انتهى وفيما قاله الشيخ نظر لان النهى عن المعصفر العملى الذى شاع فى عهد النبوة لبس النساء له لا يستلزم النهى عن الاحمر المنسوج كذلك وفرار الشعبى عن القضاء لا يبيح له الحرام وقوله حلة حمراء فى حديث البراء ما بى كونها مخططة فالحق ان الكراهة تنزيهية ولذا قال النووى فى شرح المهذب لبس الاحمر جائز بالاجماع أى مع الكراهة التنزيهية وان قال بعض أصحابنا من المالكية بجوازه أى من غير كراهة وقول بعض الحنفيه بالكراهة لا ينافى الجواز ومراد النووى الاجماع المذهبى وما ذكره الشيخ قاسم من النسخ بالاجتهاد محل بحث فليحرر (وقال أبو هريرة) تقدم الكلام فيه وانه غير منصرف (ما رأيت شيأ أحسن من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) هذا أبلغ من الحديث الذى قبله لانه فصله فى لباس مخصوص وخصه لانه يظهر فيه النور والحسن أكثر من غيره وقال فى هذا ما رأيت شيأ أى من الناس أو غيرهم مطلقا (كأن الشمس تجرى فى وجهه) كأن بالتشديد فى الرواية هنا وان جاز تخفيفها وهى اداة تشبيه وترد للظن والتشكيك وهو مبنى على التشبيه والشمس منصوب اسمها وجملة تجرى خبرها وجريان الشمس حركتها الفلكية كما قال عز وجل والشمس تجرى لمستقر لها قيل شبه لمعان وجهه تارة بالشمس وتارة بجريان الشمس الان المنتقل لمعانه فالمناسب ان يقال كان نور الشمس أو يراد بالشمس نورها فالاوجه انه شبهه بنورها وجريانه لكنه لما كان بتبعيتها حكم بانها تجرى وهو دقيق بليغ أو شبه محل اللمعان بقرصها وتغيره تارة وتارة بجريان القرص وفيه بعد وقال الطيبى رحمه الله تعالى يجوز تعلق الخبر بيستقر فهو من تناسب التشبيه وجعل الوجه مقر الشمس فكأنه جعل تجرى حالا وكان للظن والادعاء أو فعلا ناقصا وهو بعيد انتهى وقيل المعنى ان الشمس الجارية فى فلكها شبهة بما يجرى فى وجهه من عرق ونحوه ففى وجهه ما هو شبيه بالشمس ولذلك الشبيه ما هو شبيه بذلك الجريان من التلألؤ والانبساط ففيها مشبه ومشبه به وصفة هى للمشبه ظاهرا وللمشبه به حقيقة على أسلوب كانى قائل أى أنا كالرجل القائل فحول اسناد الجريان وفيه [illegible] ان مطوبان على سنن الاستعارة وهما ما فى وجهه من التشبيه بالشمس والتشبيه بذلك الجريان كما فى قوله تعالى وما يستوى البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه على ما فصل فى شرح المفتاح أقول هذا كله تكلف وتعسف لا طائل تحته وبيانه ان مراده المبالغة فى وصف وجهه الشريف بالنور كما أشار اليه بقوله (واذا ضحك يتلألأ فى الجدر) فشبه وجهه الشريف بالشمس فى الاشراق والنور ثم عكس التشبيه ليكون أبلغ فقال كأن الشمس وجهه ثم زاد فى المبالغة على طريقة التجريد فانتزع منه شمسا جعلها فى وجهه كقوله تعالى لهم فيها دار الخلد وأقحم تجرى على انه حال وأصله كأن وجهه الشمس ثم كأن الشمس وجهه ثم كأن الشمس فى وجهه وانما قيدها بكونها جارية اما لان المراد ظاهرة سائرة على

(وقال أبو هريرة رضى الله تعالى عنه ما رأيت شيأ أحسن من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) والمساواة منفية أيضا بالمشاهدة العرفية (كأن الشمس تجرى فى وجهه) ان يتوهج كتوهج الشمس لحسنه وصفائه وبهاء ضيائه وقال التلمسانى وعن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هبط على جبريل فقال يا محمد ان الله تعالى يقول كسوت حسن يوسف من نور الكرسى وكسوت نور وجهك من نور عرشى (واذا ضحك يتلألأ) بهمزتين أى تلمع ثناياه كاللآلى (فى جدر) بضمتين جمع الجدار وهو حائط الدار رواه أحمد والترمذى وابن حبان

وجه الارض أو لان تلألؤ النور فى وجهه كتحركها وهو أقوى فى التشبيه وهذا هو الذى عناه وأما تناسي التشبيه فمراده به تشبيه وجهه بالشمس لان منطوقه تشبيه الاستقرار أو الجريان لما عرفته لكنه تسامح فى العبارة وأما ما سنح له الشراح فلا وجه له ومن الغريب هنا قول التلمسانى ان معنى تجرى فى وجهه يتوهج كتوهج الشمس وأشار الى ظهور الاحزان كراهة أو اصابة كرب فى وجهه كظهور ذلك فى الشمس من سحاب أو غيره ومنه قوله فى الحديث فرأيت لوجهه صلى الله تعالى عليه وسلم ظللا وهى جمع ظلة انتهى والتلألؤ اللمعان والاضاءة وجدر بضمتين جمع جدار وهو الحائط والناس تستعمله بمعنى الاساس وأما الجدر بفتح فسكون فهو الحاجز الذى يحبس الماء كما سيأتى فى حديث الزبير رضى الله تعالى عنه (اسق يا زبير حتى يبلغ الجدر) وليس مفردا بمعنى الجدار كما توهم وهذا رواه أحمد والترمذى وابن حبان والجمع على ظاهره من غير حاجة الى جعل التعدد باعتبار الاوقات أى نور وجهه الشريف يشرق اشراقا يصل الى الجدران المقابلة له كما يكون ذلك من الشمس والقمر وقيل انه من نور يخرج من بين ثناياه وفمه اذا افتر وتبسم وروى ابن كثير عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه يكاد يتلألأ فى الجدر فتفاوته بحسب الاوقات أو بحسب خفة ضحكه وشدته أو ما هنا محمول على المبالغة على تقدير يكاد (وقال جابر بن سمرة) الذى مر ذكره وهذا مما رواه الشيخان عنه (وقال له رجل) جملة حالية بتقدير قد أو معطوفة على ما قبلها وفى الشمائل سأل رجل البراء بن عازب (كان وجهه صلى الله تعالى عليه وسلم مثل السيف) بتقدير الاستفهام كما ورد مصرحا به فى الشمائل ويجوز عدم التقدير هنا والظاهر الاول وتشبيهه به فى البريق واللمعان لا مطلقا ولا فى الطول كما توهم وروى البيهقى أكان وجهه حديدا كالسيف ولا يظهر وصفه بالحدة وان أريد بحدته نفاذ أمره وامضاؤه فى الدين وقصد الخير كما فى النهاية فلا وجه لتخصيصه بالوجه وكذا التعميم ولذا رده جابر (فقال لا) قيل قال تأكيد لقال الاولى وعطفه لجواز عطف المؤكد على المؤكد بالفاء وثم كما قال الله تعالى كلا سيعلمون ثم كلا سيعلمون وانكار أهل المعانى غريب أو هو لتفصيل ما قبله أو انه لم يقصد الجواب ووقع فى مسلم بدون عاطف ورده بلا اما لايهامه الطول ومخالفته فى اللون أو لان لمعانه أقوى والمشبه ينقص عن المشبه به كما قال

ظلمناك فى تشبيه صدغك بالمسك * فمن عادة التشبيه نقصان ما يحكى

(بل مثل الشمس والقمر) شبهه بشيئين والمشبه به قد يتعدد فيعطف بأو كقول البحترى المتقدم

كأنما تبسم عن لؤلؤ * منضد أو برد أو أقاح

وبالواو كقول الحريرى المتقدم أيضا

يفتر عن لؤلؤ رطب وعن برد * وعن أقاح وعن طلع وعن حبب

فلا وجه لقول السيد اللائق ان يقول الشمس أو القمر أو الواو بمعنى بل والشمس يمتنع استيفاء الحظ من رؤيتها فاللائق القمر وما فى الوفاء من انه لم يقم مع الشمس قط الا غلب ضوؤه ضوءها لا ينافى التشبيه بها لانها أعرف وأشهر وقال التلمسانى انه أضرب عن تشبيهه بالسيف لعدم مناسبته وانما يشبه به نفس الانسان فى نفاذ أمره وشدته كما قال

وكالسيف ان لاينته لان متنه * وحداه ان خاشنته خشنان

قال ويقال لا بل ولا بن ونا بل انتهى وهو غريب وفى شرح الشمائل لابن حجر الشمس يشبه بها غالبا فى الاشراق والضياء والرفعة والقمر يشبه به فى الملاحة والحسن فبين جمع وجهه للمعنيين مع نوع استدارة وطول وفى حديث كعب بن مالك رضى الله تعالى عنه كان صلى الله تعالى عليه وسلم اذا سر استنار وجهه كأنه قطعة قمر وفى رواية فلقة قمر وفى رواية للطبرى التفت الينا كأن وجهه شقة القمر وانما أرادوا تشبيه بعض وجهه لان السرور كان يبدو فى جبهته فشبه بعضه ببعضه وبهذا اندفع

(وقال جابر بن سمرة) رضى الله عنه كما رواه الشيخان وغيرهما (وقال) أى والحال انه قال (له رجل كان) وفى رواية أكان (وجهه صلى الله تعالى عليه وسلم مثل السيف فقال) أى جابر (لا) أى لقصور ضيائه واحتمال فناء صفائه ولتوهم طول بنائه (بل مثل الشمس والقمر) أى بل كان نظيرهما لاشتمالهما على كمال النور وعلى نوع من الاستدارة فى مقام الظهور ولذا قال تصريحا بما قدمه تلويحا

ماقيل ان وجهه الاحتراز عما في القمر من السواد فشبهه ببعضه الخالي منه انتهى (وكان) وجهه الشريف (مستديرا) فيه استدارة كما مر وهذا مؤكد للتشبيه لا لعدم المشابهة التامة أي هو أحسن منه وأضوأ الاستدارته دونه وهذا الوجه له لان استدارته وكريته كسائر الاجرام العلوية مبرهن عليه في الهيئة وقيل التشبيه بالنيرين انما يتبادر منه الضوء والملاحة فبين الاستدارة ليكون التشبيه فيها أيضا (وقالت أم معبد) وهي كما تقدم عاتكة بنت خالد الصحابية رضي الله تعالى عنها التي كانت نازلة بخباء في طريق المدينة وقد نزل عليها النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في هجرته لما خرج من غار ثور وقصتها معه مشهورة مروية من طرق عديدة تعضدها وتصححها وكان زوجها غائبا فلما أتاها أخبرته به فاستوصفها اياه فقالت رأيت رجلا ظاهر الوضاءة أبلج الوجه حسن الخلق لم تعبه نحله ولم تزر به صقله وسيم قسيم في عينيه دعج وفي أشفاره عطف وفي صوته صحل وفي عنقه سطع وفي لحيته كثاثة أقرن ان صمت فعليه الوقار وان تكلم سماه وعلاه البهاء أجمل الناس وأبهاه من بعيد وأحلاه وأحسنه من قريب الى آخر ما قالته في نعته من كلام بليغ مشروح في السير منه (في بعض ما وصفته به) أي في بعض كلام وصفته به من رواية البيهقي في دلائله عن أخيها حبيش بن خالد عنها وأقحم لفظ بعض اشارة الى انه كلام طويل مشتمل على وصفه وغيره من قصة الشاة وغيرها وما نقله المصنف رحمه الله تعالى بعض الصفة لا كلها واضافة بعض لامية من اضافة البعض للجزء لا بيانية كما توهم * أقول تفصيله كما في شرح الكتاب لابن غالب تلميذ الشلوبين ان النحاة اختلفوا في اضافة بعض القوم فقال ابن خروف لا يمتنع بعض من القوم وجزء من الشيء فهو على معنى من ولا يكون ذلك في كل فقد يكون للشيء حكم لا يكون لمقابله ويجوز في بعض المال بعض للمال ويراد به أما الباقي منه فيتصف هذا بانه بعض له كان مضافا له والاضافة تتحقق بأدنى ملابسة وقد يراد به بعض للكل المتحقق وقال السهيلي البعض في مقابله الكل واضافة كل على معنى اللام فيجب ذلك في بعض مقابلها وأيضا فالاضافة على معنى من انما تكون فيما يكون جنسا للاول يصدق عليه كخاتم حديد وليس بعض الدرهم درهما ولا بعض زيد زيدا وهذا فيه تفصيل وهو انك اذا أضفت البعض لجنسه كبعض الحديد وبعض الطعام واذا أضفته لذي صورة له اسم كزيد كان له حكمه انتهى (أجمل الناس من بعيد) الظاهر انه صفة رجلا في قوله رأيت رجلا كما سمعته آنفا ويجوز رفعه على القطع والمدح والجار والمجرور حال من ضمير أجمل أي مشاهدا من بعيد والجمال البهاء والحسن والذي في الرواية السابقة أجمل الناس وأبهاه فالمصنف اما ان يكون أسقطه منه لكونهما بمعنى أو ظفر برواية فيها هكذا وكون الاطناب في المدح محمودا سهل والناس اسم جمع أو جمع نادر وأصله أناس كما فصله شراح الكشاف وجعل الجمال من بعيد لانه يحقق الناظر النظر فيه لمهابته بحيث لا يطيل النظر له من قرب منه الا من يكون صغير السن كابن أبي هالة أو من محارمه أو من الاعراب الجفاة فاذا فعل ذلك أدرك فوق الجمال مرتبة أخرى كما قال

يزيدك وجهه حسنا * اذا ما زدته نظرا

والى ذلك أشار بقوله (وأحلاه وأحسنه من قريب) وفي نسخة وأحسنهم والعرب تفرد الضمير في مثل هذا حملا على لفظه أو على الجنس كانه قال وأبهى هذا الجنس وكذلك قوله صلى الله تعالى عليه وسلم خير نساء ركبن الابل صالح نساء قريش أحناه على ولد في صغره وأرعاه على زوج في ذات يده الحديث أي خير هذا الجنس لان الناس والنساء من أسماء الاجناس وفي النهاية انما وحد الضمير هنا ذهابا الى المعنى وان التقدير أحنى من وجد ومن هناك كذا قرره بعض الشراح أقول تحقيقه في هذه المسئلة ان العرب تقول أحسن الفتيان وأجمله بافراد الضمير بمعنى أحسن فتى وفي التسهيل انه ليسد واحد مسدهم ومثله وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه لان الانعام تسد مسد النعم قاله ابن مالك في شرح التسهيل وقال أبو حيان رحمه الله تعالى مذهب الفارسي ان افراد الضمير لانهم يقولون

(وكان) أي وجهه (مستديرا) أي لا مستطيلا فلا ينافي ميلانه الى الطول (وقالت أم معبد في بعض ما وصفته به) اى من رواية البيهقي في دلائله عن أخيها حبيش ابن خالد عنها (أجمل الناس) أي أتمهم جمالا وحسنا صوريا (من بعيد وأحلاه) أي أحلى الناس وأفرد لانه اسم جنس فروعي لفظه دون معناه وكذا قوله (وأحسنه من قريب) أي تبين حلاوة ملاحته وطراوة فصاحته

تارة هو أحسن فتى فيفردون وتارة أحسن الفتيان فيجمعون فتوهموا ذلك فى حالة الجمع فافردوه والذى يدل عليه كلام سيبويه رحمه الله تعالى انه أفرد كما أفرد ضربنى وضربت قومك على معنى من ذكر وهو الصحيح ويدل عليه الحديث السابق فلو كان على ما يقوله الفارسى قال أحناها وقد يعود الضمير على الاثنين والاناث مع أفعل مفردا كقوله

ومية أحسن الثقلين جيدا * وسالفة وأحسنه قذالا

وقوله

شربوا منها وأغواها * ركبت عنز بحدج جملا

وضمير الاناث السابق و يكون ذلك دون أفعل قليلا وفيه كلام حققناه فى غير هذا المحل قال التلمسانى وهو مقيس عند ابن مالك وسماع عند سيبويه وافراده لارادة ما مر لا لانه اسم جنس كما توهم وأحلى من قولهم حلى بعينه وقلبه اذا أعجبه واستحسنه فعطف أحسنه عليه عطف تفسير والحاصل ان الصورة الاجمالية المشاهدة أجمل من غيرها وكذلك التفصيلية المشاهدة من قريب وكثيرا ما يتفاوت البعد والقرب اذا دقق النظر (وفى حديث ابن أبى هالة) الآتى وتقدمت ترجمته (يتلألأ) يضىء ويشرق (وجهه تلألؤ القمر) منصوب على المصدرية أى مثل تلألؤ (ليلة البدر) أى عند تمامه وتمامه هو أنور ما يكون وأحسنه وقالوا يسمى ليلة طلوعه والثانية والثالثة هلالا ثم يسمى قمرا الى ثلاثة عشر ثم يستوى ليلة ثلاث عشر فتسمى تلك الليلة ليلة السواء ثم يليها ليلة البدر لانه اذا بدرت الشمس للغروب بادرها بالطلوع وقابلها وقيل من البدرة وهى ألف دينار لتمام عدده ثم يسمى ليلة النصف قمرا ويسمى زبرقانا (وقال على) ابن أبى طالب كرم الله وجهه كما رواه الترمذى والبيهقى عن محمد ابن الحنفية فى حديث مرسل ضعيف (فى آخر وصفه له صلى الله عليه وسلم) أى فى حديث طويل فى صفته وحليته آخر ما نقله المصنف رحمه الله تعالى وليس المراد انه آخر مجلس وغيره مما تمحله بعضهم (من رآه بديهة) أى فجأة وبغتة قبل مخالطته ومعرفته حاله وخلقه و يقال لكل ما يفعل عجلة من غير تأمل بديهة كما قال المعرى ان الطعان بداية الفرسان * وفى كتاب البدائع البداية البديهة مشتقة من بداه كما يقال مدح ومده وأصله فى الكلام وغلب فى الشعر من غير روية وتفكر والارتجال أسرع من البديهة (هابه) أى خافه ووقره تعظيما من يقوم بين يديه وفى النهاية هابه عظمه ووقره فالمعنى ان من رآه ابتداء وقره ولو كان من أعدائه فاذا تدبر كماله وحلمه أحبه ومن أحبه عظمه فالتوقير لازم له على كل حال والمحبة بعد المخالطة كما قال (ومن خالطه) أى مازجه وصاحبه و يلزمه معرفته فلذا قال (معرفة) وهو حال أى ذا معرفة أو مفعول مطلق أى مخالطة معرفة أو لاجل المعرفة لا لاجل النفاق والعداوة والانتقاد لما يراه من لين جانبه وحلمه وكرمه وشفقته على جميع عباد الله (أحبه) لظهور محاسنه التى توجب محبته ولان الله تعالى سخر القلوب لمحبته واذا أحب الله تعالى بعض عباده ألقى عليه محبة الناس ولا يحتاج الى أن يقال انه ربما كان يتصرف منه معجزة كما روى انه عليه الصلاة والسلام وضع يده على صدر رجل فارغها حتى صار أحب الناس عليه بعدما كان أبغضهم عنده وفى رواية من خالطه فعرفه وهى قريبة من رواية المصنف رحمه الله تعالى بلا تعنت (يقول ناعته لم أر قبله ولا بعده مثله) كلام مستأنف فصله لاستقلاله وناعته واصفه أى كل من يريد وصفه من شانه نعت ما يراه والنعت يغلب فى الوصف الحسن وقال الطيبى رحمه الله تعالى أى ناعته يقول ذلك عند العجز عن وصفه ولا تكلف فيه كما توهم والرؤية بصرية أو علمية والمثل المساوى والمشابه ونفى المماثلة المطلقة مبالغة والمراد مثله فى حسنه وكماله ونفى المثل يقتضى نفى من يفوقه بالطريق أولى ولان كل فائق مثل وزيادة فيلزم من نفيه نفيه كما يراد بنفى الافضلية اثبات الافضلية كما مر وقول بعضهم كل من شانه النعت هذا يقتضى انه لا مثل له حقيقة والا لم يكن من شان من رآه نعته

بالبدر لمبادرته الشمس للغروب ليلة تمامه ومبادرتها اياه للطلوع فى صباحه (وقال على رضى الله تعالى عنه) على ما فى جامع الترمذى وشمائله (فى آخر وصفه) أى نعت على رضى الله عنه له صلى الله تعالى عليه وسلم (من رآه بديهة) أى مفاجاة من غير روية كناية عن أول الوهلة (هابه) أى خافه مخافة العظمة ووقع فى قلبه منه المهابة (ومن خالطه معرفة) أى من حيث عرف ما كان عليه من حسن العشرة ودوام البشاشة فنصبها على التمييز وأبعد التلمسانى فى جعلها مفعولا له أو حالا (أحبه يقول ناعته) أى واصفه (لم أر) أحدا من الناس (قبله ولا بعده مثله صلى الله تعالى عليه وسلم) لكرم شمائله وشرف فضائله والمراد من قوله قبله أى قبل وجوده ولا بعده استيفاء زمانه والا فعلى كرم الله وجهه أصغر سنا منه صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا اذا كانت الرؤية بصرية وأما اذا كانت علمية فلا اشكال والله أعلم بالحال

(والاحاديث فى بسط صفته) أى تفصيل نعوته (مشهورة) أى عند المحدثين (كثيرة) أى عند المؤرخين (فلا نطيل) أى الكتاب (بسردها) أى بذكرها متصلة مفصلة ٣٤٢ فى الابواب (وقد اختصرنا) أى أوردنا على وجه الاختصار (فى وصفه نكت) وفى نسخة على نكت (ماجاء فيها) بضم النون وفتح الكاف جمع نكتة أى لطائف ودقائق ماورد فى تلك الاحاديث (وجملة) أى وأوردنا جملة مجملة (مما فيه الكفاية) ومن بيانية أو تبعيضية (فى القصد الى المطلوب) أى من وصف المحبوب (وختمنا هذه الفصول) أى الكافلة باعتبار كل فصل بابراز ماورد فى وصفه وفضله (بحديث جامع لذلك تقف عليه هنالك ان شاء الله تعالى)

(فصل)

(وأما نظافة جسمه) أى لطافة بدنه (وطيب ريحه) أى الخارج منه (وعرقه) أى وطيب عرقه وهو بفتحتين رطوبة تلحق الانسان بسبب حرارة أو غيرها (ونزاهته) أى تباعده وبراءته (عن الاقذار) بالذال المعجمة أى الاوساخ والادناس الحسية والمعنوية بل كما قيل عن الانجاس الحقيقية (وعورات الجسد) أى ونزاهته عن عيوب توجد فى أجساد الناس مما يشين الانسان والعورة بسكون الواو ويحرك مأخوذة من العار الذى يلحق الذم بسببه كنقص فيه وخلل فى عضو منه (فكان قد خصه الله فى ذلك) أى ماذكر (بخصائص لم توجد فى غيره) الجملة صفة كاشفة لماقبلها

بذلك كما لا يخفى (والاحاديث) الواردة (فى بسط صفته) فالجار والمجرور صفة بلا تكلف بتقدير الكائنة أو كائنة على أنه حال من المبتدأ أو من فاعل الخبر وفى الظرفية كلام مر والبسط التطويل (مشهورة كثيرة) شهرة لغوية أو عرفية أو اصطلاحية وفى كلام بعضهم وليس المراد بالشهرة مصطلح أهل الاثر فانه غير صحيح بل الشهرة العرفية انتهى وما اشتهر تغنى شهرته عن ذكره فلذا قال (فلا نطول) الكتاب والكلام (بسردها) سرد الشئ تعداده متواليا متتابعا مفصلا من سرد الدرع نسج حلقه (وقد اختصرنا) أى أوردنا مختصرا غير مطول (فى وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم نكت ماجاء فيها) أى فى تلك الاحاديث والنكت اللطائف والدقائق الخفية من النكت فى الارض كما مر أو المعانى اللطيفة التى تتأثر منها النفس لحسنها (وجملة) بضم فسكون أى مقدارا مجموعا (مما فيه الكفاية) من بيانية أى جملة هى الكفاية أى الكافية أو تبعيضية أى جملة هى بعض الكافى وقيل المراد من جملة أمور يكفى كل منها الا انها جزء الكافى لانه مع مافيه ينافيه التقييد بالمشيئة الآتى فتدبر (فى القصد الى المطلوب) من وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم متعلق بالكفاية والقصد الوصول الى ماطلبه فى هذا المقام من بيان كماله وجماله وحسن جملته وتفصيله من قصد السهم أصاب مرماه أو المراد به الاتيان يقال قصد له واليه اذا أتى أو المراد الاعتدال والتوسط بين الاختصار والتطويل فيما يفضى الى الغرض المطلوب وقوله (ان شاء الله تعالى) وقع فى بعض النسخ هنا وليس فى أصلنا وهو للتبرك والتيمن أو تعليق للقصد والكفاية (وقد ختمنا) جملة معطوفة على ماقبلها ويجوز أن يكون حالا ولا وجه لجعل الماضى بمعنى المضارع استعارة لتحقق وقوعه بابرازه فى صورة الحاصل تفاؤلا او اظهار الرغبة فيه أو جعل مضيه باعتبار عزمه أو كونه فى المسودة لما فيه من المقارنة العرفية فتدبر (هذه الفصول) المراد بالفصول فصول هذا الباب (بحديث جامع لذلك) أى لصفات حليته المنتشرة فى الاحاديث المشتملة على أكثر أنواعها وأصنافها وان فاته شئ من أفرادها فلا تكلف فى الجامعية كما توهم وهذا الحديث وان لم يكن آخرها بحسب الظاهر لا يضر لان مابعده كالتتمة والخاتمة للمقصود منه وهذه زهرة لا تحتمل الفرك (تقف عليه هنالك) وروى هناك وهما للمكان وقد يكونان فى آخر الباب أو فى زمان الوصول اليه والاول للبعيد والثانى للمتوسط والبعد والتوسط بالاضافة لامر آخر دائر على الاعتبار فلا منافاة بينهما (ان شاء الله تعالى) قيد للوقوف لتوقفه على المشيئة وقول المصنف قبل هذا وقول على ونحوه تعليق وهو حذف أول السند وقد يسمى مثله معضلا فان اعتقد أن لقائله صحبة فلا كلام فيه والا فينبغى ايراده بصيغة التمريض والكلام على هذا مفصل فى كتب ابن الصلاح وغيرها

(فصل) هو رابع الفصول السابق ذكرها (وأما نظافة جسمه) عطف على قوله أما الصورة الى آخره فى الفصل الذى قبله أى نقاوته من نظف بالضم ضد قذر (وطيب ريحه) المراد بالريح هنا الرائحة التى تدرك بالشم وروى رائحته وهما بمعنى (وعرقه) بفتحتين وهو مايترشح من البدن وقد يستعار لغيره كماء الورد المستقطر منه (ونزاهته عن الاقذار) أى بعده وخلوه منها او تنزهه عنها والضمائر للجسم أو لصاحبه المعلوم التزاما والاقذار جمع قذر والقذر والقذارة ضد النظافة وهو مؤكد لماقبله وكالتفسير له (وعورات الجسد) أى البدن وعورات بسكون الواو وقد تحرك وبه قرئ جمع عورة وهو كل مايوجب خللا فيه أو يستر ويستحيى منه مما يشين وينقص ولذا قيل انها مشتقة من العار الذى يذم بسببه يقال عورات الجسد والكلام (فكان صلى الله تعالى عليه وسلم) الفاء تفصيلية (قد خصه الله تعالى) وفضله وميزه عمن سواه (فى ذلك) المذكور (بخصائص) أى فضائل لا توجد فى غيره كما أشار اليه بقوله (لم توجد فى غيره) من الامم أصلا أو لم توجد فى الاكثر وهذه صفة مخصصة أو مبينة مؤكدة

(ثم تممها سبحانه) تنزيه الله تعالى المنزه له واقع فى نحوه والضمير للخصائص (بنظافة الشرع) متعلق يتممها أى تمم ما فطر عليه من ذلك وما خصه به مما شرعه له من النظافة الدينية كالوضوء واضافة النظافة الدينية كالوضوء واضافة النظافة للشرع لملابستها له وكونها بسببه فهى لامية قيل المراد أنه جعل بعضا منها فى جبلته بحصوله فيها أو باقتضاء طبعه وعقله مما لم يعطا غيره ثم أمره بما لم تكن كذلك كالطهارات ووفقه لاتباعه على أكمل الوجوه فاتصف بالنظافة الكاملة سواء كان الشرع شرعه أو شرع من قبله ان قلنا باتباعه له مع أنه صار شرعا له وأما ما نسخ فقد زال فما قيل من ان هذا انما يستقيم ان لم يكن متعبدا بشرع من قبله أو المراد بالنظافة عدم الاصر والاغلال تكلف من غير داع وبالجملة فشرعه صلى الله عليه وسلم شامل لكل ما ينبغى على الوجه الاكمل (وخصال الفطرة العشر) من عطف الخاص على العام والفطرة أصل معناها فى اللغة الطبيعة والجبلة التى خلق عليها مركوزة فيه من فطر بمعنى خلق ومنه فاطر السموات والارض وأصل معنى الفطر الشق كما قاله الراغب وفسرها المحدثون هنا بالسنة واعترض عليهم ابن الصلاح بانه لا يناسب المعنى اللغوى ووجه ذلك بعضهم بان مرادهم ان فى الكلام مضافا مقدرا أى سنة الفطرة بمعنى الصفة الناشئة عن الفطرة السليمة ورد بانه وقع تفسيرها بها فى صحيح البخارى والقول ما قالت حزام فلا عبرة بمن أنكره من اللغويين كصاحب المغرب أقول السنة الطريقة المألوفة المعتادة والانسان لاسيما الانبياء عليهم الصلاة والسلام انما يألفون ما تقتضيه فطرتهم السليمة المبنية على النظافة والنزاهة وما يعتاد مما تقتضيه الطبيعة ملحق بها فلا بعد فى تسميته باسمها كما قالوا العادة طبيعة ثانية فالقول بانه لا مناسبة بينهما غير صحيح والجواب المذكور اقناعى لا يجدى نفعا وللسيد هنا كلام لا محصل له رأينا تركه خيرا من ذكره ورده وأول من سن هذه السنن ابراهيم الخليل صلى الله تعالى عليه وسلم وكونها عشرا رواه مسلم فى حديث مرفوع عشر من الفطرة قص الشارب واعفا اللحية والسواك واستنشاق الماء وقص الاظفار وغسل البراجم ونتف الابط وحلق العانة وانتقاص الماء قال مصعب نسيت العاشرة الا أن تكون المضمضة وروى أبو داود المضمضة والختان بدل من اعفاء اللحية وقال المصنف رحمه الله تعالى المنسى الختان وروى أيضا فى الحديث الصحيح خمس من الفطرة فالحصر غير مقصود أو ان السنن كانت تزيد شيأ فشيأ وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فى قوله تعالى (واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن) انه أمره بعشر خصال ثم عدهن كما مر وأشار بقوله من الفطرة الى انها غير منحصرة فيما ذكر وهذه كلها ظاهرة والسنة المراد بها الطريقة كما مر فيشمل السنة والواجب والختان سنة عند الاكثر فى حق الرجال وهو قطع جلدة الكمرة وفى حق النساء مكرمة ويسمى خفاضا بكسر الخاء المعجمة والفاء والضاد المعجمة وهو قطع جلدة فى أعلى الفرج على ثقب البول وقطع أدنى شئ منه كاف واستحسن مالك رحمه الله تعالى ختان الصبى من سبع الى عشر وكرهه فى اليوم السابع لانه عادة اليهود ولم يعين له أبو حنيفة رحمه الله زمانا وقص الشارب سنة وقيل حلقه أحسن وتقصير اللحية حسن كما مر وهيئته تحصل بقص ما زاد على القبضة ويؤخذ من طولها أيضا على ما يأتى وأما حلقها

(ثم تممها) أى كمل تلك الخصائص الحسية (بنظافة الشرع) أى بلطائف الآداب الشرعية والخصائص المعنوية التى من جملتها قوله (وخصال الفطرة) وهى أصل الخلقة فان الله تعالى خلق عباده قابلين للحق حتى لو خلوا وما خلقوا عليه لاهتدوا به كما ورد حديث كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه الحديث وقال تعالى فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم وقال أبو بكر بن العربى هى عبارة عن أصل الخلقة فان الانسان يخلق سليما من عشرة أقذار ثم تطرأ عليه ثم أمر بالتنظيف منها أو المراد بالفطرة هى الاسلام والمذكورة فى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم عشر من الفطرة ولذلك أتى بالالف واللام للعهود علما كقوله تعالى اذ هما فى الغار وان لم يتقدم لها ذكر فقد علم ضرورة فالمعنى خصال دينية (العشر) أى خصوصا لما فى مسلم عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عشر من الفطرة قص الشارب واعفاء اللحية والسواك واستنشاق الماء وقص الاظفار وغسل البراجم ونتف الابط وحلق العانة وانتقاص الماء قال مصعب ابن شيبة راويه ونسيت العاشرة الا أن تكون المضمضة وقال وكيع انتقاص الماء يعنى الاستنجاء وروى أبو داود نحوه الا أنه قال بدل انتقاص انتضاح وفى رواية انتفاص بفاء وضاد معجمة وكلها كناية عن الاستنجاء هذا وحلق اللحية منهى عنه وأما اذا طالت زيادة على القبضة فله أخذها هذا وقال المؤلف فى شرح مسلم ولعل العاشرة الختان لانه مذكور فى قوله عليه الصلاة والسلام الفطرة خمس أو خمس أو خمس من الفطرة قلت فاذن تعد المضمضة والاستنشاق خصلة واحدة لاتحاد حكمها والله تعالى أعلم

فنهى عنه لانه عادة المشركين واما السواك فسنة مطلقا وقيل انه سنة فى الوضوء وقيل هو سنة الرجال دون النساء لضعف أسنانهن فاقيم العلك لهن مقامه ولذا كره للرجال الا فى الخلوة لعذر والمضمضة والاستنشاق من سنن الوضوء وانتقاص الماء هو الاستنجاء ويكون واجبا وسنة كما بينه الفقهاء وهو بالفاء والمهملة أو المعجمة والمذكور فى اللغة انه بالقاف والمهملة واما بالفاء فنضحه على الذكر وقد ورد الاستنقاض بقاف ومعجمة بمعنى الاستنجاء قال فى المغرب والقاف والصاد غير المعجمة تصحيف وفيه ان رواية القاف هى المشهورة وقال الصاغانى انتفاص الماء بالفاء والمهملة رشه على الذكر وقيل الانتقاص بالقاف تصحيف وأشعر بان ما فى المغرب ضعيف وقص الاظفار وتقليمها سنة وورد النهى عنه فى يوم الاربعاء وانه يورث البرص وحكى عن بعض العلماء انه فعله فنهى عنه فقال لم يثبت هذا فلحقه البرص من ساعته فرأى النبى عليه السلام فى منامه فشكى اليه ما أصابه فقال له ألم تسمع نهى عنه فقال لم يصح عندى فقال يكفيك انه سمع ثم مسح بدنه بيده الشريفة فذهب ما به فتاب عن مخالفة ما سمع وغسل البراجم ازالة وسخها بالماء والبراجم عقد الاصابع من ظهر الكف والرواجب عقدها من بطنها وهما بالجيم والموحدة وقال التجانى البراجم مفاصل الاصابع فعمم ونتف شعر الابط معلوم ولا بأس بحلقه وحلق العانة وهى ما حول الذكر والفرج واذا قص أظفاره وحلق شعر ابطه وعانته أو حجم أو افتصد فينبغى دفن ظفره وشعره لحديث ادفنوا الاظفار والشعر والدم فانه سنة فان القاه فلا بأس به ولا يترك السبال وان طال وفى الاحياء اختلف السلف فيما طال من اللحية فقيل يقص ما تحت القبضة وكرهه الحسن وقتادة لحديث اعفوا اللحى أى اتركوها على حالها وأصل خلقتها ورجحه النووى وما ورد من انه عليه السلام كان يأخذ من طول لحيته وعرضها ضعيف لا يحتج به وان احتج به بعضهم فهو مكروه واما المرأة اذا نبتت لها لحية وشارب وعنفقة فيستحب حلقها وقيل لا ينبغى تغيير خلقتها * أقول انه صح فى لفظ الانتقاص فى الحديث ثلاث روايات الاولى انتفاض بفاء وضاد معجمة والثانية انتفاص بفاء وصاد مهملة والثالثة انتقاض بقاف وضاد معجمة ومعناه الاستنجاء أو رش الفرج بالماء دفعا للوسواس وروى انتضاح فلا وجه لما فى المغرب وتفصيله فى شرح الحديث واما تقليم الاظفار وكيفيته وتفصيله فقد أفرده السيوطى رحمه الله تعالى بالتاليف فلا حاجة للتطويل بذكره كما فى بعض الشروح ويكره ترك العانة والاظفار أكثر من أربعين يوما (وقال) ان كان معطوفا على ثم فالمعنى قال الله لرسوله وان كان مستأنفا أو حالا بتقدير قد فالمعنى قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ويؤيده انه وقع فى نسخة (صلى الله تعالى عليه وسلم بنى الدين على النظافة) النظافة مصدر نظف وهى ضد الدنس وفى قوله بنى الدين استعارة مكنية وتخييلية بتشبيه الدين ببيت قائم على أعمدة أو أساس حفظه لاهله وقيل انه تشبيه مضمر أو منسى الاداة والمراد النظافة الحسية من الحدث والخبث والدنس والمعنوية كالعقائد الفاسدة والاخلاق الرديئة والتهاون بالعبادة والمراد انه مما بنى عليه فلا يعارض بنى الاسلام على خمس وقد أورد هذا الحديث فى القوت وفى الاحياء فى كتاب العلم وقال الحافظ العراقى فى تخريج أحاديث الاحياء لم أجده هكذا وفى الضعفاء لابن حبان من حديث عائشة رضى الله تعالى عنها تنظفوا فان الاسلام نظيف وللطبرانى فى الاوسط بسند ضعيف عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنهما النظافة تدعو الى الايمان انتهى وفى الترمذى ان الله نظيف يحب النظافة وهو بعض حديث ذكره فى كتاب الاستئذان عن سعد بن أبى وقاص أحد العشرة رضى الله تعالى عنهم وقال انه حديث غريب فى سنده خالد بن أياس أو أياس وهو ضعيف وقال السيوطى فى تخريجه هنا بعد ما ساق كلام العراقى * قلت رواه الترمذى عن سعد بن أبى وقاص مرفوعا ان الله نظيف يحب النظافة فنظفوا

(وقال) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم والاولى قال بدون واو (بنى الدين على النظافة) أى الطهارة الباطنة والظاهرة وهذا الحديث وان قال العراقى فى تخريج أحاديث الاحياء لم أجده هكذا بل فى الضعفاء لابن حبان من حديث عائشة رضى الله تعالى عنها تنظفوا فان الاسلام نظيف وللطبرانى فى الاوسط بسند ضعيف من حديث ابن مسعود رضى الله تعالى عنه النظافة تدعو الى الاسلام انتهى فقد روى الرافعى فى تاريخه بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه بعض حديث مرفوعا تنظفوا بكل ما استطعتم فان الله تعالى بنى الاسلام على النظافة ولن يدخل الجنة الا كل نظيف وينصره حديث الترمذى ان الله نظيف يحب النظافة فنظفوا أفنيتكم

(حدثنا سفيان بن العاص): بتثليث سين سفيان سمع الباجي وابن عبد البر وغيرهما وأخذ عنه المصنف وأكثر (وغير واحد) أي كثيرون من مشايخنا (قالوا حدثنا أحمد بن عمر) صاحب كتاب الاعلام باعلام عليه الصلاة والسلام (حدثنا أبو العباس الرازي) وهو ابن بندار الخرسني (حدثنا أبو أحمد الجلودي) بضم الجيم بلاخلاف ذكره الدلجي وغيره وقال التلمساني بضم الجيم وفتحها منسوب بجلودة قرية ببغداد وقيل بالشام سكة نيسابور الدارسة وقيل بافريقية وقيل كان يبيع الجلود وكان شيخا صالحا نيسابوريا ينتحل مذهب سفيان الثوري (حدثنا ابن سفيان) أي المروزي أو النيسابوري (حدثنا مسلم) أي النيسابوري صاحب الصحيح روى عن أحمد بن حنبل وغيره وعنه الترمذي وابن خزيمة وأبو عوانة وغيرهم (حدثنا قتيبة) هو ابن سعيد الثقفي البلخي يكنى أبا رجاء سمع الليث ومالكا وابن عيينة وغيرهم (حدثنا جعفر بن سليمان) الضبعي سمع ثابتا البناني ومالك ابن دينار وروى عنه ابن المبارك قيل مع كثرة علمه كان أميا (عن ثابت) هو ثابت كاسمه وهو ابن أسلم البناني بضم الموحدة يروي عن أنس وابن عمر وابن الزبير وخلق وعنه الحمادان وأمم وكان رأسا في العلم والعمل يلبس الثياب الفاخرة ويقال لم يكن في وقته أعبد منه أخرج له الجماعة وهو ثقة بلا مدافعة

أفنيتكم وروى الرافعي في تاريخ قزوين بسنده عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه مرفوعا تنظفوا بكل ما استطعتم فان الله بنى الاسلام على النظافة ولن يدخل الجنة الا كل نظيف انتهى وبما ذكرناه من أن الحديث روي من طرق متعددة تجبر ضعفه علم انه خرج من الضعف الى مرتبة الحسن ومعناه صحيح موافق للشرع فلا يرد على المصنف ما قيل ان الحديث الضعيف لا يؤتى فيه بصيغة الجزم كقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ونحوه لانه يقتضي صحته والجزم به فينخرط في سلك من كذب علي وهو تساهل قبيح فينبغي ان يقول قيل أو روي ونحوه من صيغ التمريض وأما اضمار صيغة التمريض أو قصد معناها هنا اعتمادا على القرينة فلا يتاتى مع الجزم وبقية الكلام عليه مستوفاة في أصول الحديث فلا يلتفت لما ذكره بعض الشراح هنا من الخرافات المزخرفة ثم ان اطلاق النظيف على الله في الحديث السابق ولم يذكره أحد في أسمائه تعالى كما قيل وقع للمشاكلة والمتقدمون يسمونها ازدواجا أيضا فلا وجه للاعتراض عليه لتوهم انه الازدواج المذكور في بديع المفتاح فانه من قصور النظر وقيل انه لا حاجة للمشاكلة فيه لانه بمعنى القدوس وكفى بثبوته هذا الحديث (حدثنا سفيان بن العاصي) سفيان بتثليث السين والعاصي بعين وصاد مهملتين وهو سفيان ابن أحمد بن العاصي بن سفيان بن عيسى أبو بحر الاسدي ولد سنة تسع وثلاثين أو أربعين وأربعمائة وتوفي بقرطبة لثلاث بقين من جمادى الآخرة وقد جاوز الثمانين سنة أو دونها سنة عشرين وخمسمائة وفيها توفي ابن رشد (وغير واحد) تنبيه على انه رواه عن غيره أيضا (قالوا حدثنا أحمد بن عمر) هو أبو العباس أحمد بن عمر بن أنس العذري صاحب كتاب الاعلام باعلام النبوة ولد ليلة السبت لاربع خلون من ذي القعدة سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة وتوفي سنة ثمان وسبعين وأربعمائة بالمرية (قال حدثنا أبو العباس الرازي) نسبة الى الري بزيادة زاي معجمة في النسبة على خلاف القياس كما قالوا مروزي في النسبة لمرو وهو أحمد بن الحسين بن بندار الخراساني (قال حدثنا أبو أحمد الجلودي) بضم الجيم وفتحها نسبة لجلود قرية ببغداد أو الشام أو محلة بنيسابور أو أفريقية أو لبيع الجلود وهو محمد بن عيسى بن عمرويه الشيخ الصالح كان على مذهب سفيان الثوري قاله التلمساني ولا وهم فيه كما توهم وفي اسمه ونسبه اختلاف لا حاجة لنا به وقال النووي الجلودي بضم الجيم وليس هو منسوبا الى جلود بفتح الجيم قرية وهو قول ابن السكيت وابن قتيبة ثم قال الجلودي بالفتح وان العوام يقولونه بالضم انما قالاه في المنسوب الى القرية لا في هذا الجلودي راوي صحيح مسلم وهذا الذي نبهت عليه لا خلاف فيه (قال حدثنا ابن سفيان) هو أبو اسحق ابراهيم بن أحمد ابن سفيان بن محمد المروزي الفقيه الزاهد توفي سنة ثمان وثلثمائة وكان زاهدا مجاب الدعوة روى عن مسلم صحيحه قراءة عليه الا ثلاث مواضع رواها اجازة أو وجادة (قال حدثنا مسلم) بن الحجاج القشيري النيسابوري وطنا صاحب الكتاب المشهور الذي تلقته الامة بالقبول وشهرته تغني عن تفصيل حاله توفي سنة احدى وستين ومائتين (قال حدثنا قتيبة) علم منقول من مصغر القتبة وهي الامعاء وهو قتيبة ابن سعيد بن جميل بن طريف بن عبد الله الثقفي يكنى أبا رجاء سمع من الليث ومالك وابن عيينة وغيرهم وتوفي سنة أربعين ومائتين وولد ببلخ يوم الجمعة لست مضين من رجب سنة ثمان وأربعين ومائة (قال حدثنا جعفر بن سليمان) البصري الضبعي بالضم لنزوله في بني ضبيعة الزاهد الامي وهو كما في التقريب صدوق وان كان يتشيع والاصح قبول رواية من يتشيع ان لم يكن متعصبا ولا داعيا (عن ثابت) البصري أبو محمد بن أسلم قال الذهبي وهو ثقة كان من أعبد أهل زمانه وكان يلبس الثياب الثمينة

(عن أنس) بن مالك الصحابي السابق ذكره وترجمته رضي الله تعالى عنه (قال ماشممت عنبرا) شممت بكسر الميم وفتحها من باب علم ونصر والعنبر طيب معروف طاهر بلا كلام وقال الماوردي أكثر العلماء على طهارته وفيه أشعار بان فيه خلافا والاصح انه شمع عسل ببلاد الهند يجمد وينزل للبحر ونحله يرعاه من الزهور الطيبة فيكتسب طيبه منها وليس نباتا ولا روث دابة بحرية وأجوده الابيض وما قرب الى البياض والاسود منه غير مرغوب فيه وفي النسائي أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم تطيب به (قط) بفتح القاف وتشديد الطاء المضمومة المبنية وفيه لغات ذكرها النحاة وأصل معناه ما انقطع من الزمان أي مضى ولذا اختص بالماضي المنفي في الاشهر وذكر ابن مالك رحمه الله تعالى انه اكثري وانه سمع في المثبت في عدة أحاديث وأما استعماله في المستقبل فقال في الدرة انه لحن وفيه كلام لنا في شرح الدرة وقيل معناه الدهر والابد وفيه نظر (ولامسكا) هو طيب معروف وهو في الاصل دم يتجمد عند سرة بعض الظباء في زمن معين بناحية من أقصى بلاد الترك تسمى تبت بمثناتين فوقانيتين أولاهما مضموم بينهما موحدة مشددة بزنة سكر والصحيح انه طاهر وان كان دما لاستحالته كخل الخمر قيل انه خصهما لانهما أشرف الطيب وأشهره وقدم الاعز الاشرف منهما وعمم بقوله (ولاشيا) وان علم حال غيرهما منهما بالطريق الاولى فشمل الشيء غيرهما من كل ذي ريح طيبة مفردا كالورد والنرجس أو مركبا كالغالية وقد يكون المركب أطيب رائحة والمراد ماشممت رائحة عنبر الى آخره مع ان العرب تجعل ذا الريح نفسه مشموما من غير تجوز فيه عرفا ولذا كانت رائحته صلى الله تعالى عليه وسلم مس طيبا أولا حتى انه كان اذا مر في بعض ازقة المدينة علم مروره صلى الله تعالى عليه وسلم به برائحته وهذا الحديث رواه مسلم في صحيحه في موضعين أحدهما كما ذكره المصنف رحمه الله فان قال الذي في مسلم عن ثابت رضي الله تعالى عنه ماشممت عنبرا ولا مسكا ولا شيا أطيب من ريح رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولا مسست قط ديباجا ولا حريرا ولا شيا ألين مسا من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فزيادة قط في كلام المصنف رحمه الله تعالى بعد العنبر ليست في محلها أو هو رواية بالمعنى اقتصر على أحد الموضعين والعنبر بالنون والموحدة وكونه بياء موحدة ومثناة تحتية وهو اخلاط طيب مخصوصة تصحيف ثم انه قيل انه ترق على حد مامر في قوله تعالى لا تأخذه سنة ولا نوم والمعروف ان يبتدأ بالادنى ثم الاعلى في الاثبات ويعكس في النفي ليكون الكلام مقيدا فيقول أعطيته درهما ودينارا وما أعطيته دينارا ولا درهما ولو قدم نفي الدرهم علم نفي الدينار بالطريق الاولى الا انه قد راعى الترتيب الوجودي * أقول هذا هو المشهور وهي قاعدة كلية الا ان التحقيق فيها انه ان ذكر في الكلام أدنى وأعلى وقصد اثباتهما في نفسهما من غير اثبات شيء آخر لهما فالامر كما ذكر فان أضيف الى ذلك شيء وقيد آخر فالترقي والتدني بحسبه لا بالنظر لذلك كما في الآية فان المنفي فيها الاخذ وهو بمعنى الغلبة وغلبة السنة دون غلبة النوم فاذا قيل لا تغلبه السنة يتوهم ان النوم الاقوى قد يغلبه فنفى غلبته وهذا ترتيب مفيد بقطع النظر عن الترتيب الوجودي فان لم ينظر لهما بل أريد بنفيهما التعميم فلك البداءة بايهما شئت فتقول لا صغيرا ولا كبيرا ولا كبيرا ولا صغيرا كما فصله في المثل السائر وبيناه في حواشي القاضي وهذا هو المقصود هنا فان المراد انه لا طيب كطيبه صلى الله تعالى عليه وسلم مع ان طيب العنبر دون طيب المسك كما قالوا ليس الطيب الا المسك وعزته وكونه أغلى منه لا دخل له فيما نحن فيه ثم ان وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم بلين اللمس لا ينافي ما ورد كما سبق من أنه صلى الله تعالى عليه وسلم كان شثن الكفين والقدمين فان المراد غلظ جلدهما وعظمها الا انه أقوى له ولا ينافي ذلك ملامسته فان فسر بغلظ في خشونته فاما ان يخص بما ولين الملمس في غير ذلك من جسده الشريف أو هذا بالنسبة لاصل الخلقة وذاك لمزاولة الاعمال والاسفار

(عن أنس) خادم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم جاوز عمره المائة وكذا أولاده وفي الصحابة من اسمه أنس اثنان وعشرون وفيهم أنس ابن مالك اثنان هذا وهو المشهور وأنس ابن مالك أبو أمية القشيري وقيل الكعبي وانتقل أنس الى البصرة في خلافة عمر رضي الله تعالى عنه ليفقه الناس بها وهو آخر من مات بالبصرة من الصحابة (قال ماشممت) بكسر ثانيه ويفتح (عنبرا) هو شيء لفظه البحر أي رمى به ويقال انه روث دابة من دواب البحر ولا يصح وأصول الطيب خمسة أصناف المسك والكافور والعود والعنبر والزعفران وكلها تحمل من أرض الهند الا الزعفران والعنبر وأجود العنبر هو المدور الابيض كبيض النعام أو دون ذلك (قط) أي فيما مضى من عمري وهو بفتح قاف وتشديد طاء مهملة مضمومة وتنون وهي للابد الماضي وقد تكسر الطاء ويضمان وتخفف الطاء مع ضمها واسكانها (ولامسكا) وأطيب المسك ما خرج من الظباء بعد بلوغ النهاية في النضج وغزلان المسك نوع خاص من الظباء (ولاشيا) أي آخر من أنواع الطيب

كام والاول أصح (أطيب من ريح رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) ولا مثله ولا قريب منه كما مر من ان نفي الافضلية يقصد بها نفي المساواة بطريق الكناية وليس المراد أيضا نفي شمه له بل نفي وجوده فلا يراد ان نفي الشم لا يدل على نفي الاطيبية وهو المقصود على انه قد يراد بنفي العلم ونفي الوجدان نفي المعلوم والموجود والمراد رائحته صلى الله تعالى عليه وسلم الذاتية لا المكتسبة لانها لا مدح فيها بل لا يصح أرادة المكتسبة لا وحدها لان المكتسب منه مثله ولا مع رائحته الذاتية لان المركب ليس مثل ريحه صلى الله تعالى عليه وسلم فتامل * (تنبيه) * قد عرفت ما اعترض به على المصنف رحمه الله تعالى من انه غير الحديث وجوابه وعلى هذا قيل انه اختصر الحديث وقد اختلف في جوازه والصحيح جوازه ان لم يكن المذكور يتوقف فهم معناه على ما قبله بحيث يختل المعنى كالشرط والاستثناء وما فيه ضمير راجع لمعنى ولم يكن قرينة معينة واما النقل بالمعنى فممنوع لمن لم يكن عالما بالعربية ودقائقها فان علم بذلك جاز على الصحيح وفي جامع الاصول له تفصيل ولعل هذا كله في غير الامثال وما جرى مجراها نحو أخوك البكري ومن اعدى الاول وله تفصيل في ابن الصلاح وشروحه (وعن جابر بن سمرة) بضم الميم وقد تقدمت ترجمته رضي الله تعالى عنه (انه صلى الله تعالى عليه وسلم مسح خده) هذا الحديث أخرجه مسلم أيضا واقتصر المصنف رحمه الله تعالى على بعضه لمناسبته للفصل بناء على جواز الاختصار في الحديث كما مر واما مسح الخد بيده فانما ذكره توطئة لما بعده وكان من عادته صلى الله تعالى عليه وسلم مسح وجوه الاطفال تأنيسا لهم وتطييبا لقلوب والديهم وشفقة عليهم فان احضارهم عنده تيمنا وتبركا به صلى الله عليه وسلم مشهور وأول الحديث صليت مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ثم خرج وانا معه فاستقبله ولدان فجعل يمسح خدي أحدهم واحدا واحدا واما انا فمسح خدي فوجدت ليده بردا أو ريحا كانما أخرجها من جونة عطار كذا في مسلم أو ريحا باو بدل الواو الاتي وكثيرا ما يوجد بدونها قيل ولعله رواية فيه والتقدير أو قال جابر (قال) أي جابر (فوجدت) أي أحسست (ليده) أي كفه وما قاربها (بردا) وفي صحيح البخاري فاذا هي ابرد من الثلج وهذا يدل على ان البرد على حقيقته وانه ليس بعارض لمس ماء ونحوه وقيل انه عند العرب ممدوح لا سيما في الزمن الحار ولا بعد في عده من خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم مع كمال حرارته الغريزية وقيل انه عبارة عن لين كفه ورطوبته والاقرب انه بمعنى الراحة واللذة والطيب وقد فسر قوله تعالى لا يذوقون فيها بردا براحة لاشتهاره بهذا المعنى كما قال

تبسمت بالرضى مواعده * فقلت يا بردها على كبدي

وفي النهاية كل محبوب عندهم بارد وبرد الظل طيب العيش والغنيمة الباردة الهنيئة واللام للاختصاص والجار والمجرور حال من النكرة التي كانت صفة لها قبل تقدمها لا يقال اذا كان البرد بمعنى الراحة يكون من باب وجدت للمريض راحة فيكون المعنى ذو الراحة يده كما ان المريض كذلك لانا نقول اللام تعليلية أي وجدت راحة لاجل وضع يده فان كان على ظاهره فهي اختصاصية (وريحا كانما أخرجها) أي اليد لانها مؤنثة سماعية (من جونة عطار) الجونة بضم الجيم وسكون الهمزة ويقال بواو ساكنة يليها نون وهاء تانيث وهي شبه صندوق صغير مغشى بادم وزند مستديرة يضع فيها العطار عطره واختلفوا هل الواو أصلية تبدل همزة لضم ما قبلها كما قالوا في موسى مؤسى تنزيلا لضم ما قبلها منزلة ضمها أو الهمزة أصل أبدلت واوا على القياس كما قرئ يؤمنون ويومنون وكان اداة تشبيه وما كافة وهل هي مركبة أو بسيطة خلاف مشهور أي كان ريحها ريح ما أخرج من جونة العطار مضمخا بالعطر والجملة صفة ريح أو مستانفة وعطار للنسبة كجمال لا للمبالغة وهو بائع العطر وهو كل

(أطيب) أي أفيح (من ريح رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) وتتمته ولا مسست قط ديباجا ولا حريرا ولا شيئا ألين لمسا من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والحديث كما ترى في مسلم وكذا في الشمائل (وعن جابر بن سمرة) أي فيما رواه مسلم أيضا عنه قال صليت مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم خرج وانا معه فاستقبله ولدان فجعل يمسح خدي أحدهم واحدا واحدا واما انا فمسح خدي فوجدت ليده بردا أو ريحا كانما أخرجها من جونة عطار كذا في مسلم أو ريحا بالف وكثيرا ما يوجد بدونها فلعله رواية فيه ولهذا رواه بلفظ (انه صلى الله تعالى عليه وسلم مسح خده) أي جانب وجهه مما يلي الوجنة من الاسفل (قال فوجدت ليده بردا وريحا كانما أخرجها من جونة عطار) وهو بضم الجيم وسكون الواو وقد تهمز أو همزتها أصلية وقد تبدل لانها تحذف كما قاله الدلجي وهي سفط مغشى بجلد يجعل فيه العطار طيبه والعطار فعال نسبة لا مبالغة

ماطابت رائحته وفي البخاري عن أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه خرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالهاجرة في الابطح فتوضأ ثم صلى الظهر ركعتين والعصر ركعتين وبين يديه عنزة يمر المار من ورائها وقام فجعل الناس يأخذون يده الشريفة فيمسحون بها وجوههم فأخذت بيده الشريفة فوضعتها على وجهي فاذا هي أبرد من الثلج وأطيب رائحة من المسك وهذا ظاهر في ان البرد حقيقي وان برده لمسه المسلمان كانت الواقعتين واحدة أو هو مؤول كما مر ووضع اليد المذكورة من حسن أخلاقه صلى الله تعالى عليه وسلم وتواضعه للصغير والكبير وورد في حديث رواه ابن العماد عن أنس رضي الله تعالى عنه ان ظهور نفحات الطيب منه صلى الله تعالى عليه وسلم ظهر بعد الاسراء وهو ظاهر لانه طيب العنصر لكنه لما اتصل بالملأ الاعلى والجنان وهبت عليه نفحات القدس ازداد طيبا وكان له صلى الله تعالى عليه وسلم طيب لا يشبه طيب الدنيا فله طيب ذاتي وطيب مكتسب من العالم الاقدس لا يفارقه وهو أطيب الطيب ولا ينافيه حديث حبب الي من دنياكم الطيب كما مر ويأتي لان الطيبات للطيبين والزائد قابل للزيادة (وعن غيره) أي روى عن غير جابر بن سمرة وفي نسخة وقال غيره وفي بعضها قال بدون عاطف وهذا الحديث رواه البيهقي وأبو نعيم بسند فيه ضعف وفي لفظه اختلاف فلذا أبهمه (مسها بطيب أو لم يمسها) المس واللمس متقاربان الا أن المس يقال لما معه ادراك بحاسة السمع واللمس ادراك بظاهر البشرة ويتجوز به عن الطلب ومنه الالتماس وضمير مسها الكف واليد وفيه قلب اذ الظاهر مس بها طيبا أو لم يمس وأول الحديث فكان كفه كف عطار ولما كان قوله كانما أخرجها من جونة عطار بمعناه اكتفى به عن سياق أول الحديث فلا خلاف فيه وليس متعلقا بما بعده ولا اختصار فيه كما توهم وانما هو رواية بالمعنى وهذا اشارة الى أن طيبه صلى الله تعالى عليه وسلم ذاتي والقول بان الكلام في الخلق فلا حاجة لهذا لغو من الكلام (يصافح) أو يمس النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بصفحة يده (المصافح) مفعوله وهو بفتح الفاء اسم مفعول وهو من يريد مصافحته فانها سنة عند الملاقاة وفي رواية يصافحه المصافح بكسر الفاء والرفع على انه فاعل والمصافحة مفاعلة بمعنى جعل كل من المتصافحين يده على يد الآخر وفي النهاية انها الصاق صفح الكف بالكف عند الملاقاة وفي معناه قول التلمساني وضع باطن الكف على باطن الكف مع ملازمة على قدر ما يقع منه من سلام أو كلام ان عرض واختطاف اليد وتقبيلها أو ضربها مكروه وقد يشد كل واحد يد صاحبه وقيل لا ينبغي فعله وهي بعد الصلاة بدعة عندنا والاصح انها مباحة لما فيها من الاشارة الى انه كأنه قدم من غيبة لانه كان عند ربه يناجيه فافهم (فيظل يومه) يظل بفتح الظاء المشالة مضارع ظللت بكسرها وظللت بفتحها ويقال ظلت بحذف احدى اللامين قال الراغب يعبر به عما يفعل بالنهار ويجري مجرى صرت قال تعالى ظلت عليه عاكفا فهو فعل ناقص لثبوت الخبر في جميع النهار كما قاله الرضي لانه لوقت فيه ظل الشمس من الصباح للمساء أو من الطلوع للغروب فاذا كانت بمعنى صار عمت النهار وغيره وكذا اذا كانت تامة بمعنى الدوام وقوله في القاموس يظل نهاره يفعل كذا وليله يسمع في الشعر لا وجه له ويومه منصوب على الظرفية ولا توكيد فيه ولا تجريد لا سيما مع دلالته على الاستغراق (يجد ريحها) أي يجد المصافح من طيب يده واضافة ريحها للعهد أي ريحها الطيبة طيبا خلقيا خصه الله به مكرمة ومعجزة له صلى الله تعالى عليه وسلم (ويضع يده على رأس الصبي فيعرف) مبني لما لم يسم فاعله (من بين الصبيان بريحها) هذا بعض من حديث طويل رواه أبو نعيم والبيهقي مسندا

(وعن غيره) أي غير جابر ابن سمرة (مسها بطيب أو لم يمسها يصافح) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (المصافح) أي له (فيظل) بفتح ظاء معجمة وتشديد لام يقال ظل يفعل كذا اذا فعله نهارا في الكلام تجريدا وتاكيدا وقد يجيء بمعنى دام وصار والمعنى فيصير ذلك المصافح له (يومه) أي طول نهاره (يجد ريحها ويضع يده على رأس الصبي) أي مثلا (فيعرف) بصيغة المجهول أي فيميز (من بين الصبيان) بكسر الصاد وبضم جمع الصبي (بريحها) أي بسبب ريح يده صلى الله تعالى عليه وسلم على رأس ذلك الصبي

عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عبل الذراعين والعضدين طويل الزندين سبط العصب شثن الكفين رحب الراحة سائل الأطراف كأن أصابعه قضبان الفضة وكانت كفه ألين من الحرير وكأن كفه كف عطار مسها بطيب أو لم يمسها يصافحه المصافح فيظل يومه يجد ريحها ويضعها على رأس الصبي فيعرف من بين الصبيان انه صلى الله تعالى عليه وسلم مسح على رأسه والمخرج رحمه الله تعالى ظن هذا حديثا مستقلا فبيض له وليس المراد بالصبي معينا والمراد بريحها رائحتها التى حصلت بمسه والباء للسببية والمراد انه يعرف بان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مسه فيتميز من بينهم وفى نسخة لريحها باللام التعليلية والمعنى واحد وفى رواية من ريحها وذلك اما فى يومه كما مر فيؤكد أو انه يستمر مدة طويلة والمضارع فى موضع الماضى لنكتته المشهورة ثم انه ذكر بعضا من حديث رواه مسلم واقتصر منه على ما يناسب المقام اختصارا فقال (ونام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى دار أنس) بن مالك الصحابى رضى الله تعالى عنه السابق ذكره (على نطع) بسط له وكان النطع لامه رضى الله تعالى عنها قيل والاضافة لادنى ملابسة لان الدار كانت لامه كما فى صحيح مسلم ولا خلل فيه لانه كان ساكنا معها ولانه لو قال دار أم أنس احتمل أن يكون كنية لغيرها فلا تعلم الجائية بالقارورة مع ما فى هذا من الدلالة على ان رواية أنس رضى الله تعالى عنه الحديث بغير واسطة (فعرق صلى الله تعالى عليه وسلم فجاءت أمه) وهى أم سليم بضم السين المهملة والتصغير واسمها سهلة أو غيرها قال النووى رحمه الله تعالى وهى أم أنس بلا خلاف وقول الغزالى وغيره انها جدته غلط بالاتفاق توفيت فى خلافة عثمان رضى الله تعالى عنه وهى أخت أم حرام بنت ملحان الصحابية المدفونة بجزيرة قبرس سيدة الشهداء من النساء وهى التى وردت حديث غزاة البحر عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو مشهور وهذا الحديث فى صحيح مسلم عن ثابت عن أنس رضى الله تعالى عنه قال دخل علينا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال عندنا فعرق فجاءت أمى بقارورة فجعلت تسلت العرق فاستيقظ النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال ما هذا الذى تصنعين يا أم سليم قالت هذا عرق نجعله لطيبنا وهو أطيب الطيب وله روايات من وجوه أخر فيها انه كان كثيرا ما يقيل فى بيتها وينام على فراشها وكان كثير العرق فكانت تجمع عرقه صلى الله تعالى عليه وسلم من وجهه الشريف ومن نطعها وتعصره فى قارورة لها وفى رواية انها قالت نرجو بركته لصبياننا وكانت تجعله فى سك لها وهو بضم السين المهملة وتشديد الكاف طيب معروف مركب مع غيره وكانت تبسط للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم نطعا من أدم فيقيل عليه عندها وروى فى الوفاء انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يدخل بيتها فينام على فراشها وليست فيه فأتت فقيل لها هذا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم نائم على فراشك فجاءت وقد عرق واستنقع عرقه على قطعة أدم ففتحت عتيدتها وجعلت تنشف ذلك العرق وتعصره وأخذت من عرقه وشعره وجمعته فى قارورة فلما حضرت أنسا رضى الله تعالى عنه الوفاة أوصى ان يجعل فى حنوطه من ذلك وقد استشكل ذكر الشعر فيه والواقع فى سائر الاحاديث العرق فقط وأجيب بانه ورد انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما حلق رأسه بمنى أخذ أبو طلحة رضى الله تعالى عنه شعره وأتى به أم سليم فجعلته فى سكها فالمعنى انها كانت تضيف بعد ذلك ما أخذته من العرق للقارورة التى فيها الشعر ثم ان نوم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عندها وعند أختها أم حرام استشكل بانه صلى الله تعالى عليه وسلم نهى عن خلوة الرجل بغير ذى محرم وهو يقتدى بفعله فلا يدفعه كونه معصوما وأجاب ابن عبد البر وغيره بانهما كانتا خالتاه من الرضاع فهما محرماه فلذا كان صلى الله تعالى عليه وسلم ينام عندهما

(ونام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أى كما رواه مسلم (فى دار أنس على نطع) أى على فراش أمه أم سليم بضم السين ملحان بنت بكسر الميم وقيل بفتحها وأما ما وقع فى بعض كتب الشافعية ان أم سليم جدة أنس رضى الله تعالى عنه فخطا (فعرق) بكسر الراء (فجاءت أمه) أى أم أنس

٣ قوله فقال أى من القيلولة

(بقارورة) أى باناءمن زجاج (تجمع فيهاعرقه) أى تبركاوتطييبا (فسالها النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عن ذلك) أى عن جمعها اياه المستفادمن الفعل (فقالت نجعله فى طيبناوهو) أى طيبه أوطيبنا باختلاط طيبه (من أطيب الطيب) بل أطيب الطيب وفى رواية نرجوبركته لصبياننازادالبخارى ٣٥٠ فاوصى أنس أن يجعل منه فى حنوطه قال الدلجى وانما نام على فراشها لانها وأختها أم حرام كما فى اكمال المصنف خالتاه من الرضاعة وأنكر فان صح ففى الحديث جواز الخلوة بمن بينها وبينه محرمية أو النوم عندها لعصمته صلى الله تعالى عليه وسلم انتهى وهو غريب اذ ليس فى الحديث مايدل على وقوع الخلوة مع ان جوازها مع المحرم لا يعرف له خلاف وقد ورد لايخلون رجل بامرأة ثيب الاأن يكونا كحا أوذامحرم ثم قوله لعصمته ينافى مااستدل به على جوازه لكونها علة لاختصاصه فكان حقه أن يقول والاأى وان لم يصح فالنوم عندها لعصمته صلى الله تعالى عليه وسلم هذا وفى صحيح مسلم انه كان يدخل بيت أم سليم وينام على فراشها اذالم تكن فيه فجاءذات يوم فنام عليه فأتت فقيل لها هذا النبى نائم على فراشك فجاءت وقدعرق الحديث (وذكر البخارى فى تاريخه الكبير عن جابر) أى ابن عبدالله صحابيان أنصارى آخرمن مات بالمدينة من الصحابة وعنه استغفرلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خمساوعشرين استغفارة كل ذلك أعده بيدى يقول أديت عن أبيك دينه فاقول نعم فيقول يغفر الله لك (لم يكن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يمر فى طريق) أى من طرق المدينة وغيرها (فيتبعه) بتخفيف التاءوفتح الباءوبتشديد التاءوكسر الباءوبرفع وبنصب أى فتجئ عقبه (أحد

والقول

ويخلوبهما ويقليان رأسه الشريف وقيل هذامن خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم لملكه أربه وليس هذا قبل نزول آية الحجاب كماتوهم وكونه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يخل بهما الاان عنده خادما ونحوه غير مسلم (بقارورة تجمع فيهاعرقه) صلى الله تعالى عليه وسلم تقدم الحديث وان أم سليم رضى الله تعالى عنها لم تكن فى بيتها لما جاءصلى الله تعالى عليه وسلم كما يدل عليه قوله فجاءت ووقع فيه بدل القارورة ففتحت عتيدتها ولا منافاة بينهما ولا حاجة للجمع بتعدد القصة لانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يعتاد القيلولة عندنا الان العتيدة الصندوق الذى فيه القارورة وهى اناءمن زجاج يوضع فيه الطيب ونحوه وقد يطلق على غير الزجاج وجملة تجمع صفة قارورة أومستانفة لاحال لتكلفه ومن فسر العتيدة بالحقة جنح لتعدد الواقعة ولا بعدفيه (فسالها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن ذلك) كما فى صحيح مسلم انه قال لها ماهذا الذى تصنعين وفى رواية ماهذا وفى أخرى ماتصنعين والسؤال ليعلم غرضها وقصدها بفعلها اماحقيقة أوليظهره لغيرها (فقالت) هذا عرقك (نجعله فى طيبنا) وفى رواية لطيبنا أى نخلطه كما روى اذوف أى أخلط وتقدم رواية نرجو بركته لصبياننا والواقعة متعددة أجيب فى كل منها بجواب فان كانت واحدة فهومن تصرف الراوى وروايته بالمعنى والمآل واحد وقد قال لها النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أصبت (وهو) أى عرقه صلى الله تعالى عليه وسلم (من أطيب الطيب) قيل يحتمل أن يكون ذلك من مقولها ويحتمل غير ذلك والواقع الاول ووقع فى مسلم أطيب بدون من وهى أولى فان كان الضمير للمخلوط من عرقه وغيره فظاهر لان خالص عرقه أطيب منه ولاشك فى طيبه وأطيبيته كما مر ماشممت عنبرا ولامسكا أطيب فليس خلطه بالطيب لتطييبه أوللتبرك فقط كماتوهم * فان قلت اذا كان أطيب الطيب فلم خلط بالطيب * قلت لان مااجتمع من عرقه صلى الله تعالى عليه وسلم ليس كثيرا يكفى لطيبهم فخلط بكثير منه ليكون كثيرا (وذكر البخارى) رحمه الله تعالى امام أهل السنة السابق ذكره (فى تاريخه الكبير) وهو تاريخ ذكر فيه رواة الحديث وأحوالهم وليس كغيره من التواريخ كما توهم بل كتاب من كتب الحديث معنى ورواه أيضا الدارمى والبيهقى بالمعنى (عن جابر) بن عبدالله الصحابى رضى الله تعالى عنهما الجليل الانصارى شهد المشاهد الابدرا واستغفر له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم خمسا وعشرين مرة لما قضى دين أبيه وهو آخر صحابى مات بالمدينة سنة سبعين وشئ وروى ألفا وخمسمائة حديث (لم يكن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يمر فى طريق) فى رواية البزار وأبى يعلى بسند جيد عن أنس رضى الله عنه كان صلى الله تعالى عليه وسلم اذا مر فى طريق من طرق المدينة وجد فيه رائحة المسك فيقال مر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من هذه الطريق (فيتبعه) بالرفع (أحد) أى يأتى بعدذهابه منه لايمشى تابعا له والضمير للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم لاللطريق كماقيل ان معناه يتبع الطريق ويدل عليه قوله الاعرف انه سلكه وذكر ضمير الطريق وهى مؤنثة لشرفها بمروره كما قيل

عليك بارباب الصدور فمن غدا * مضافا لارباب الصدور تصدرا

والمراد علوق تلك الرائحة بالمكان الذى يمر صلى الله تعالى عليه وسلم فيه وهو توهم لايساعده اللفظ ولا المعنى ويتبع كيعلم أوبالتشديد وجوز فيه النصب والمراد انه يمشى بعده بزمان قليل فالفاء للتعقيب

والقول بان الفاء لعدم المهلة عرفا وحكما بقرينة الحال لا وجه له وقوله أحد فاعل يتبع على حال من الاحوال (الا) على حال انه (عرف انه) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (سلكه) أى دخله ومر فيه والضمير للطريق فانه يذكر ويؤنث فلا حاجة لتأويله كما توهم (من طيبه) أى عرف من طيب الطريق مروره صلى الله تعالى عليه وسلم به أو من أجل طيب الطريق برائحته الطيبة المخصوصة به الباقية فيه وهذا لا يكون الا منه صلى الله تعالى عليه وسلم (وذكر اسحق بن راهويه) هو أبو يعقوب المروزى الامام الزاهد الثقة المجتهد أمير المؤمنين فى الحديث كما قاله ابن حنبل رحمه الله تعالى وهو الذى أحيى السنة بالمشرق ماسمع شيئا الا حفظه وماحفظ شيئا فنسيه قال كأنى أنظر الى مائة ألف حديث فى كتبى وثلاثين ألف حديث أسردها وراهويه لقب أبيه ابراهيم بن مخلد التميمى الحنظلى لقب به لانه ولد بطريق مكة وراه بالفارسية بمعناه الطريق وهو بالهاء والواو المفتوحتين والمثناة التحتية الساكنة والهاء المكسورة فى المشهور ويقال بضم الهاء وسكون الواو وتحتانية مفتوحة كنفطويه وهو أحب عند المحدثين آخره هاء والتاء خطأ فانى بعض النسخ من التاء المفتوحة على أنه ممنوع من الصرف خطأ (ان تلك) الرائحة التى كانت تشم منه وتبقى فى الطريق (كانت رائحته) الذاتية المدركة منه صلى الله تعالى عليه وسلم (بلا طيب يمسه) ويتطيب منه من خارج (صلى الله تعالى عليه وسلم) وقد تقدم مايدل عليه من الاحاديث فاقيل انه لم يظهر من رواه والظاهر ثبوته عندهم من قلة التتبع ولا ينافيه كونه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يستعمل الطيب ويحبه لانه لتكثيره والمبالغة فيه كامر (وروى المزنى) بالضم ثم فتح نسبة لمزينة قبيلة مشهورة وهو أبو ابراهيم بن اسمعيل بن يحيى بن اسمعيل المزنى المصرى الزاهد كان مجاب الدعوة وقال الشافعى رضى الله تعالى عنه فيه لو ناظر الشيطان لغلبه وله تصانيف مشهورة ولد سنة خمس وسبعين ومائة وتوفى لست بقين من رمضان سنة أربع وستين ومائتين ودفن بالقرافة بالقرب من قبر الشافعى (والحربى) هو فى بعض النسخ وهو ابراهيم بن اسحق الحربى الحنبلى نسبة الى الحربية محلة من بغداد وهى تنسب لحرب بن عبد الله صاحب المنصور مات سنة تسع ومائة (عن جابر) بن عبد الله السابق فقد قيل انه المراد اذا أطلق وهذا مما وقع فى بعض النسخ وكأنه من الحاقه بالاصل (قال أردفنى النبى صلى الله عليه وسلم) أى أركبنى (خلفه) أى وراء ظهره وهو راكب قال أردفه وردفه ويقال ردفه أعم فعلى ذلك قوله خلفه لدفع توهم المعنى الاعم أو تاكيد قال البرهان الحلبى جمع الحفاظ أرداف النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فبلغوا نيفا وثلاثين ولم يذكر فيهم جابر وقال الشمنى جمع بعضهم من أردفه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على فرس أو غيره فبلغوا نيفا وأربعين وماذكره من التاليف لم نقف عليه والذى عدوه ممن أردفه صلى الله تعالى عليه وسلم اسامة بن زيد اردفه فى مرجعه من عرفة على اكاف والصديق رضى الله تعالى عنه فى الهجرة وعثمان رضى الله تعالى عنه فى قدومه من بدر وعلى كرم الله وجهه فى حجة الوداع وعبد الله بن جعفر وقثم وعبد الله بن عباس وأخواه عبد الله والفضل فى نزوله من مزدلفة والحسن والحسين رضى الله تعالى عنهما ومعاوية ومعاذ بن جبل على حماره عفير وأبو ذر وزيد بن حارثة وثابت بن الضحاك والشريد بن سويد وسلمة بن الاكوع وزيد بن سهل وسهيل بن بيضاء وعلى بن العاصى وعبد الله بن الزبير وغلام من بنى عبد المطلب واسامة بن عمير وصفية بنت حيى وابو الدرداء وأمية الغفارى وابو قاسم وأبو هريرة وقيس بن سعد وخرات بن جبير وجبريل عليه الصلاة والسلام على البراق فى الاسراء والعباس وصفية الجهنية وعقبة بن عامر وآخرون لعل

المدينة وجد فيه رائحة المسك فيقال مر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من هذا الطريق (وذكر اسحق بن راهوية) بضم هاء ثم فتح ياء على الصحيح وهو مروزى عالم خراسان روى عنه الجماعة الا ابن ماجه (ان تلك) اى الرائحة (كانت رائحته) بالنصب وفى نسخة ان تلك رائحته أى فى أصل خلقته (بلا طيب) يمسه أى من غير استعمال طيب فى ثوبه أو بدنه وروى ابن أبى بكر فى سيرته أن أم سلمة وضعت يدها على صدر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بعد موته فمكثت جمعا لاتاكل ولا تتوضأ الا وجدت ريح المسك بين يديها (وروى المزنى) بضم ميم وفتح زاى فنون وياء نسبة مصرى كان ورعا زاهدا مجاب الدعوة متقللا من الدنيا قال الشافعى رحمه الله فى حقه لو ناظر الشيطان لغلبه له تصانيف كالمبسوط والمختصر وغيرهما وصنف كتابا مفردا على مذهبه لا على مذهب الشافعى وهو مدفون

بالقرافة بالقرب من قبر الشافعى وفى نسخة صحيحة (والحربى) وهو بحاء مهملة وباء موحدة وهو ابراهيم بن اسحق حنبلى المذهب أصله من مرو ونسب الى الحربية وهى محلة معروفة ببغداد وهى تنسب الى حرب بن عبد الله صاحب المنصور (عن جابر قال أردفنى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) أى أركبنى (خلفه) الردف بكسر الراء من يركب خلف راكب يقال أردفنى فاردفنى

النبوة تقتضي لذكرهم على التفصيل (فالتقمت خاتم النبوة بفمي) الالتقام أخذ الشيء وجعله في فيه
سواء ابتلعه أم لا والابتلاع والاسترداد بمعنى ولذا سمي الطريق سراطا ولقما كأنه يبتلع السابلة وخاتم
بفتح التاء وكسرها وسياتي تفصيله وقوله بفمي تأكيد لدفع توهم المجاز لانه يقال ألقم كفه ركبته
وفي العبارة ما يقتضي أن خاتم النبوة كان ذا نتو مرتفعا حتى تمكن من التقامه وهو بين كتفيه وفيه
روايات فقيل كان كأثر المحجم وقيل كبيضة الحمامة أو التفاحة أو الجمع بضم الجيم وسكون الميم وهو
ضم الاصابع للكف يقال ضربه بجمع كفه وقيل كركبة العنز وقيل كزر الحجلة وعلى هذه الروايات
يمكن التقامه وروى عن أبي سعيد الخدري انه بضعة ناشزة هكذا ووضع طرف سبابته على مفصل ابهامه
أو دونه بقليل وأما على رواية انه شامة خضراء محتفرة في اللحم ان صحت فالتقامه مجاز عن اخفائه بوضع
فمه عليه وزر الحجلة بيضة طائر معروف وقيل ان الحجلة خيمة السرير التي تسميها العامة الناموسية
وزرها ما يدخل في عروتها وصححه في الروض الانف وقال تفسير الترمذي له بيضة الطائر وهم وقال
التجاني انما هو على هذا رز بتقديم المهملة على المعجمة ومعناه البيض ومنه رز الجراد لبيضه وكان
الخطابي الذي فسره به وجده في رواية وتفسير الحجلة ببياض بين عيني الفرس لا وجه له فان كان مجازا
عن التحجيل فبعيد جدا قال ووضع هذا الخاتم لهذا الفاتح الخاتم هل هو من ابتداء خلقه أو بعدما ولد
أو بعدما نبئ وروى ابن أبي الدنيا عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه مرفوعا انه قال قلت يا رسول الله كيف
علمت انك نبي واستيقنت قال يا أباذر أتاني ملكان وأنا ببطحاء مكة فوقع أحدهما بالارض والآخر
بين السماء والارض فاخرج قلبي وأزال منه مغمز الشيطان وعلق الدم فطرحهما وخاط بطني وجعل
الخاتم بين كتفي كما هو الآن ووليا عني فكأني أعاين الامر معاينة وفيه بيان لوقت الوضع وكيفيته الا أنه
قيل ان قوله ببطحاء مكة وهم من الراوي لان ذلك كان في بني سعد وهو مع حليمة كما سياتي وقول
المصنف انه أثر الشق بين كتفين موافق لهذا الحديث سواء قرئ أثر بفتحتين أو بكسر فسكون أما
على الثاني فظاهر وأما على الاول فلانه لما وقع بعده وبسببه جعل أثرا له فقول النووي رحمه الله تعالى
انه باطل لان الشق انما كان في صدره وبطنه وكذا قال القرطبي وأثره انما كان خطا واضحا من صدره الى
مراق بطنه كما في الصحيحين ولم يثبت قط أنه بلغ بالشق حتى نفذ من وراء ظهره ولو ثبت كان مستطيلا
بين كتفيه في محاذاة صدره والا فهذا غفلة منه انتهى غير متجه وكذا قال ابن حجر في شرح البخاري
وذكر أنه مروي من طرق أخر فالوهم انما هو في فهم كلامه قال وهذا أصح ما قيل انه ولد به وظاهر كلامهم
انه مختص به صلى الله عليه وسلم وفي كتاب القيافة انه موجود في كل نبي وانه من علامات النبوة وكان
أهل الكتاب يعرفونه صلى الله عليه وسلم به وقال البرهان الحلبي لا استحضر فيه شيا والذي يظهر انه
من خصائصه صلى الله عليه وسلم لانه اشارة الى انه خاتم النبيين وما رواه ابن حبان من أنه كبيضة
النعامة نسب فيه الى الوهم والصواب الحمامة وقيل انه شامة سوداء أو خضراء مكتوب عليها محمد رسول
الله أو سر فانت المنصور أو الله وحده لا شريك له ونحوه ولم يثبت فيه ما يعتمد به وفي رواية كسلعة أو غدة
أو بندقة عند غضروف كتفه اليسرى ورفع عنده وته صلى الله تعالى عليه وسلم وانما وضع هناك لان
الشيطان اذا وسوس وضع خرطومه ثمة وقد رآه بعضهم في صورة ضفدع له خرطوم كخرطوم البعوضة
أدخله في منكبه الايسر الى قلبه ووسوس له فاذا ذكر الله خنس وقوله (وكان ينم على مسكا) اسم كان
المستتر ضمير الخاتم وينم من قولهم نمت الريح اذا جلبت الرائحة قال البرهان رحمه الله تعالى وهو مستعار
من النميمة ومنه سمي الريحان نماما الطيب رائحته وهي استعارة لطيفة شائعة وقد استعير نمام للريحان
ثم للعذار كما قال بعض المولدين لا افتضاحي في عوارضه * سبب والناس نيام

(فالتقمت خاتم النبوة)
بفتح التاء وكسرها يقال
لقمه والتقمه أي أدخله
في فمه كاللقمة والمراد بخاتم
النبوة الذي كان كالتفاحة
أو بيضة الحمامة أو كزر
الحجلة بين كتفيه وقد
أوضحته في شرح
الشمائل (بفمي) في
نسخة بفي بكسر الفاء
وتشديد الياء وذكره من
باب التأكيد كقولهم
رأيت بعيني وسمعت
باذني (فكان) أي الخاتم
(ينم) بكسر النون وتضم
بتشديد الميم أي يجلب
الريح ويفوح (على مسكا)
أي ريح مسك أو كمسك
ومنه النميمة والطيب
نمام أي يفوح وان لم يرد
صاحبه ذلك والزجاج
كذلك لان المرآة ترى
للانسان ما فيه من حسن
أو قبح ولا تستر شيا وفي
المثل أنم من الزجاج وفي
رواية يثج بضم مثلثة
وقد تكسر أي يسيل
تشبيها بثج دماء الهدى
أي سيلانها بسرعة ومعناه
ههنا يفوح وتسطع رائحته
بكثرة هذا وقد جمع بعضهم
من أردفه النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم فبلغ نيفا
وثلاثين ولم يذكر منهم
جابرا

(وقدحكى بعض المعتنين) اسم فاعل من الاعتناء أى المهتمين (باخباره وشمائله) أى سيره وآثاره (صلى الله تعالى عليه وسلم انه كان اذا أراد أن يتغوط) أى يريد اخراج الغائط وهو ما يبرز من ثقل الطعام من المحل المعتاد ويطلق على المطمئن من الارض كما فى قوله تعالى أو جاء أحد منكم من الغائط (انشقت الارض فابتلعت غائطه وبوله وفاحت) بالفاء وفى نسخة بالباء الموحدة بدل الفاء أى ظهرت (لذلك رائحة طيبة صلى الله تعالى عليه وسلم) ذكره البيهقى عن عائشة رضى الله تعالى عنها ٣٥٣ وقال انه موضوع كما سياتى (وأسند محمد بن سعد) روى عن ابن عيينة وعنه ابن أبى الدنيا (كاتب الواقدى) وهو صاحب الطبقات وله تاليف جيد مفيد فى تعريف رجال الحديث قال ابن جماعة هو ثقة لكنه يروى عن الضعفاء منهم شيخه محمد بن عمر الواقدى والواقدى ولى القضاء ببغداد للمامون وروى عن مالك حديثا كثيرا وروى عنه الشافعى وغيره واستقر الاجماع على ضعفه كما فى الميزان (فى هذا) أى فى ان الارض تبتلع ما يخرج منه وتفوح له رائحة طيبة (خبرا عن عائشة رضى الله تعالى عنها انها قالت للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم انك تاتى الخلاء) هو بالمد (فلا نرى منك شيئا) ويروى فلا يرى منك شئ (من الاذى) بالقصر وهو ما يكره ويغتم به (فقال يا عائشة أوما) أى أجهلت وما (علمت ان الارض تبتلع) وفى نسخة تبلع بفتح اللام (ما يخرج من الانبياء فلا يرى منه شئ) وروى الدارقطنى فى افراده عنها قالت قلت يا رسول الله أراك تدخل الخلاء ثم يجئ الرجل يدخل بعدك فما يرى لما تخرج منك أثرا فقال اما علمت ان الله أمر الارض ان تبتلع ما خرج من الانبياء (وهذا الحديث) أى الذى أسنده ابن سعد (وان لم يكن مشهورا) أى معروفا بين المحدثين وليس المراد به المشهور المصطلح عندهم نعم قال ابن دحية بعدان أورده هذا اسناد ثابت قيل وهو أقوى ما فى الباب ومع هذا (فقد قال قوم من أهل العلم بطهارة هذين الحدثين منه صلى الله تعالى عليه وسلم) عبر عن الخارجين بهما استهجانا للتصريح باسمهما

كيف يخفى ما أكابده * والذى أهواه نمام

وينم روى بضم النون وكسرها وعن المزى رحمه الله الكسر فى اللازم والضم فى المتعدى وفى القاموس نم المسك سطع والمتعدى بمعنى ينقل أو يحكى واللازم بمعنى يظهر ومسكا تمييز محول عن الفاعل ومن قال محول عن المفعول فقد وهم وروى يثج بضم المثلثة لا بالفتح كما قيل وتشديد الجيم وهو متعد ولازم والضمير فيه للخاتم أو للفم أو تندفع رائحته مرة بعد مرة من ثج الماء وهو خروجه متدفقا بسرعة قال التجانى وفى بعض النسخ بكسر المثلثة والجيم أى يسيل والذى فى الصحاح انه بالضم لا غير فانه متعد من الثج بمعنى التسييل أى كانه يسيل منه المسك فمسكا منصوب تمييزا أو مفعول به (وقد حكى بعض المعتنين باخباره) أى المهتمين بنقل أخباره وأحواله صلى الله تعالى عليه وسلم (وشمائله) أخلاقه وصفاته اعتناء تتبع وعلم واعلام وهو البيهقى عن عائشة رضى الله تعالى عنها (انه) صلى الله تعالى عليه وسلم (كان اذا أراد أن يتغوط) أى ياتى الغائط وهو المكان المنخفض من الارض على عادتهم فى البراز لانه استر قال الله تعالى أو جاء أحد منكم من الغائط ثم كنى به عما يقع فيه ومنه الغائط للبستان ويقال غيط للفرق بينه وبين غيره (انشقت الارض فابتلعت غائطه وبوله وفاحت لذلك) المذكور من البول والغائط (رائحة طيبة) وهذا الحديث رواه البيهقى عن عائشة رضى الله تعالى عنها وقال انه موضوع وسنبينه لك (وأسند محمد بن سعد كاتب الواقدى) الامام الكبير الحافظ الثقة وهو أبو عبد الله محمد مولى بنى هاشم صاحب الطبقات مات سنة ثلاث ومائتين والواقدى هو محمد بن عمر بن واقد قاضى العراق مات فى ذى الحجة سنة احدى عشرة ومائتين (فى هذا) أى فى ان الارض تبتلع ما يخرج منه صلى الله تعالى عليه وسلم ويفوح له رائحة طيبة (خبرا عن عائشة رضى الله تعالى عنها انها قالت للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم انك تاتى الخلاء) بالمد أى المكان الخالى البعيد عن البيوت لانهم كانوا قبل وضع المراحيض فيها ياتونه لقضاء الحاجة ثم عبر به بعد ذلك عن محل التغوط مطلقا ثم صار عرفا اسما للبناء المعد لذلك (فلا نرى منك شيئا من الاذى) بالذال المعجمة والقصر أصله ما يضر ثم أريد به هنا ما من شانه أن يكره فالمراد به هنا الغائط (فقال لها يا عائشة أوما علمت ان الارض تبتلع ما يخرج من الانبياء عليهم الصلاة والسلام فلا يرى منه شئ) تبتلع تفتعل من البلع فى النسخة التى عندنا وضبطها التلسمانى تبلع من بلع يبلع كعلم يعلم وأصل البلع ادخال الطعام والشراب فى الحنجرة والمرى فاستعير لمطلق الاخفاء كما فى قوله تعالى يا أرض ابلعى ماءك وقوله فلا يرى منه شئ تفسير للمراد من البلع وتاكيد أو بيان لحكمته فليس بمستدرك كما توهم واخفاؤه مع طيبه وعدم استقذاره قيل لانه لعدم الانكار بمحله الخارج منه أو لتبرك الارض به والظاهر انه لانه ينبغى ستره لانه من المروة أو لانه يخشى من أخذ الناس له (وهذا الحديث) وفى نسخة الخبر (وان لم يكن مشهورا) قال ابن دحية سنده ثابت وهو أقوى ما فى هذا الباب فلذا نفى المصنف عنه الشهرة دون الصحة فلا وجه للاعتراض عليه بانه لا يلزم من نفى الشهرة نفى الصحة (فقد قال قوم من أهل العلم بطهارة الحدثين منه صلى الله تعالى عليه وسلم

وهو قول بعض أصحاب الشافعي) المراد بالمحدثين الخارجين كناية للعذر من ذكر ما يستهجن وظاهران القول بالطهارة مبني على هذين الحديثين فكانه من وصفهما بالطيب وأما ابتلاع الارض فلا يدل عليه بل على خلافه وتحقيقه ما في الخصائص للحصيري وهو كتاب لم يصنف في بابه مثله كما قال الرافعي في كتاب الطهارة لما تكلم على نجاسة الفضلات وهل هي كذلك من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وجهان فقيل لا لان أبا طيبة الحجام شرب دمه صلى الله تعالى عليه وسلم ولم ينكر عليه وأم أيمن شربت بوله صلى الله تعالى عليه وسلم ولم ينكر عليها وقال اذن لا تلج النار بطنك ويروى شرب علي كرم الله وجهه وابن الزبير رضي الله تعالى عنهما دمه وقال معظم الاصحاب حكمهما حكم غيره وحمل الاخبار على التداوي وروى انه قال للحجام لا تعد فان الدم كله حرام أي على ما يأتي وقال النووي رحمه الله تعالى حديث شرب البول صحيح حسن وذلك كاف في الاحتجاج اذ لم ينكر عليها ولا أمرها بغسل فمها ولا نهاها عن العود لمثله وقال القاضي حسين الاصح القول بطهارة الجميع واختاره كثير من المتأخرين وجواب التداوي يرده لن يجعل الله تعالى شفاء أمتي فيما حرم عليها والسر فيه غسل الملكين لجوفه وتطهيره ولا خلاف في طهارة شعره والاحاديث في هذا الباب كشرب ابن الزبير دمه وشرب أم أيمن بوله الذي كان في قدح يوضع تحت سريره ليبول فيه بالليل كثيرة * فان قلت ما الحاجة لوضع هذا القدح والارض تبتلعه فلا يرى له أثر * قلت لانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يكره الخروج ليلا من بيته وبيته مصلى نافلته ومحل نزول الوحي والملائكة فلا يليق أن يمس باطنه وظاهره شيء من الفضلات ولو كانت طاهرة تعظيما للعبادة به وتادبا ألا ترى الى قول القائل

من عظم الناس عظموه * وفاز بالعز والرئاسة
ومزدريهم لو كان مسكا * لقيل في أصله نجاسة

وأما التداوي بالحرام كالخمر فقيل يجوز اذا أخبره ثقة بنفعه ولم يجد دواء غيره وقيل انه لا يجوز لحديث لن يجعل الله شفاء أمتي فيما حرم عليها وقيل انه لا اباه لانه يكون حلالا له غير محرم عليه وقيل ان الله تعالى اذا حرم شيئا أبطل نفعه وكون علي كرم الله وجهه شرب دمه لم يثبت كما أشار اليه الدميري في منظومته في الفقه بقوله

غريبة فضلة سيد البشر * طاهرة على خلاف انتشر
وابن الزبير بدم الهادي البشير * نال الذي رام كما له أشير
وهو الذي خص ببول الناس * وهو بويله من الايلاس
في مسند البزاز ثم البيهقي * والطبراني رواه فثق
والدارقطني وقول ابن الصلاح * ليس له أصل يفي في الاصطلاح
وأم أيمن استزادت شرفا * اذ شربت بول النبي المصطفى
وسقيت اذ هاجرت للسنة * ماء رويا من شراب الجنة
فبعده ما مس جوفها ظما * ولم تذق الى الممات ألماء
صححه الحاكم والمروي في * شرب علي دمه لم يعرف
وابن الصلاح قال في شرب أبي * طيبة انه ضعيف السبب
قال ابن سبع ويقينا كانت * تبلعها الارض ومنها ازدانت
ولم تبل من تحته بهيمه * ولم تر الدهر به سقيمه

وهذه فائدة تفرد بها وهي ان الدواب لم تبل وهو صلى الله تعالى عليه وسلم راكب عليها ولم تسقم

(وهو قول بعض أصحاب الشافعي رحمه الله) وعليه كثير من الخراسانيين لكن المعتمد في المذهب خلافه كما ذكره الدلجي وقال أبو بكر بن العربي بول النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ونحوه طاهر ان وهو أحد قولي الشافعي وقال النووي في الروضة ان بوله ودمه وسائر فضلاته طاهرة على أحد الوجهين وفيه ان الحديث السابق لا يدل على المدعى كما لا يخفى بل على ضده كما يدل عليه الابتلاع اللهم الا أن يقال الريح الطيبة تدل على الطهارة وفيه بحث نعم قال البغوي بذلك مستدلا بشهادة الاستشفاء ببوله ودمه على ما نقله الدلجي وقرره وفيه نظر أيضا من جهة عدم لزومه اذ وقع الاستشفاء ببول الابل والجمهور ومنهم القائل به على نجاسته

(حكاه) أى القول بطهارتهما (الامام أبو نصر ابن الصباغ) بالباء الموحدة المشددة (فى شامله) هو بغدادى شافعى المذهب له تاليف منها الشامل ومنها الكامل (وقد حكى القولين عن العلماء فى ذلك) أى فى كونهما طاهرين أو نجسين (أبو بكر) وفى رواية أبو الحسن (ابن سابق) بكسر الموحدة (المالكى فى كتابه البديع فى فروع المالكية وتخريج مالم يقع لهم) أى للمالكية (منها) أى من الفروع التى هى (على مذهبهم) أى ولم يخرجوها وانما خرجت (من تفاريع الشافعية) والظاهر المتبادر ان قوله وتخريج مجرور عطفا على فروع كما أشار اليه التلمسانى وصرح به الانطاكى وأبعد الدلجى وجعله منصوبا عطفا على القولين ثم قال والتخريج فى اصطلاحهم ان ينص الشافعى على حكمين مختلفين فى صورتين متشابهتين ولم يظهر لهم مايصلح فارقا بينهما فينقلوا نصه فى كل صورة منهما الى الاخرى كمسئلتى الاجتهاد فى الاوانى والقبلة اذ قد منع فى الاولى العمل بتغيير الاجتهاد وجوزه فى الثانية فنقلوا منعه فى تلك الى هذه وتجويزه فى هذه الى تلك فصار فى كل قولان منصوص عليهما ومخرج المنصوص فى كل هو المخرج فى الاخرى (وشاهد هذا) أى دليل هذا القول على طهارة ماذكر (انه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يكن منه شئ يكره ولا غير طيب) وفيه انه منقوض بما صح عن عائشة رضى الله تعالى عنها انها كانت تغسل المنى من ثوب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وبانه كان يستنجى بنحو حجر ومدر وأيضا انه لو كان الخارجان منه طاهرين لما كانا حدثين ناقضين كالعرق والدمع والبزاق والمخاط ونحوها والاجماع على انه صلى الله تعالى عليه وسلم فى نواقض الوضوء كالامة الا ماصح استثناؤه كالنوم بدليل انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان ينام عيناه ولا ينام قلبه كما سياتى (ومنه) أى ومن الشاهد بانه لم يكن منه شئ يكره ولا غير طيب (حديث على رضى الله تعالى عنه) أى فيما رواه ابن ماجه وأبو داود فى مراسيله انه قال (غسلت النبى عليه الصلاة والسلام) بتشديد السين وتخفيفها وهو أظهر (فذهبت) أى شرعت وقصدت (انظر مايكون من الميت) أى من خروج دم وغيره من النجاسات عند خروج روحه أو حين غسله (فلم أجد شيئا) أى منها خرج منه

دابة ركبها فى حياته ثم وقع فى فقه الشافعية أيضا ان حكم جميع فضلات الانبياء عليهم الصلاة والسلام كذلك طاهرة لحديث عائشة رضى الله عنها بذلك وفى بعض نسخ الشفاء هنا (حكاه الامام أبو نصر بن الصباغ فى شامله) وهو الامام البحر أبو نصر عبد السيد بن محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن جعفر الصباغ الذى انتهت اليه رئاسة الشافعية فى عصره وكان ورعا تقيا زاهدا وله كتاب الشمائل فى الفقه لم يؤلف فيه مثله وهو أول من درس بالمدرسة النظامية التى بناها نظام الملك للشيخ أبى اسحق رحمه الله تعالى فامتنع وأبى أن يخرج من مسجده فلما ألحوا عليه اذن لابى نصر هذا فى التدريس بها وتوفى أبو نصر رابع جمادى الاولى سنة سبع وسبعين وأربعمائة بعدما كف بصره (وقد حكى القولين عن العلماء فى ذلك) أى فى فضلات النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أو الانبياء عليهم الصلاة والسلام وحكمها فى الطهارة وضدها وقيل قوله العلماء شامل للحنفية وغيرهم (أبو بكر بن سابق المالكى) أى العالم المقلد لمذهب الامام مالك وسابق بباء موحدة وقاف قال البرهان وفى بعض النسخ مصححا أبو بكر وهو أبو الحسن محمد بن سابق الصقلى المالكى المذهب لا النسب (فى كتابه البديع فى فروع المالكية وتخريج مالم يقع لهم منها على مذهبهم من تفاريع الشافعية) يعنى انه ألف كتابه المسمى بالبديع فى فروع فقهية لم يذكرها علماء المالكية فخرجها على حكم ماذكره الشافعية فيها التصريحهم بها وليس هذا تقليدا لهم وانما هو نظر فى دليلهم واثبات لذلك الحكم بالدليل فهو اجتهاد مذهبى ويقع مثله لغيرهم من الفقهاء أيضا والتخريج فى اصطلاح الفقهاء أن ينص صاحب المذهب على حكمين مختلفين فى صورتين متشابهتين لم يظهر فارق بينهما فينقلون نصه فى كل صورة الى الاخرى كمسئلتى الاجتهاد فى الاوانى والقبلة اذ منع فى الاولى العمل بتغيير الاجتهاد وجوز فى الثانية فنقلوا منعه فى تلك لهذه وتجويزه فى هذه لتلك فصار فى كل قولان منصوص ومخرج المنصوص فى كل هو المخرج فى الاخرى والتخريج عند المحدثين أن يجد حديثا فى كتاب فينقله مسندا مبينا حاله فى الصحة وضدها أو غير مسند (وشاهد هذا) أى دليل القول بالطهارة (انه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يكن منه شئ يكره ولا غير طيب) أى فان النجاسة للاستقذار وكراهة التلوث ولم يكن منه صلى الله تعالى عليه وسلم شئ مكروه عند الطباع السليمة وهذا دليل عقلى مؤيد لنظر أهل الشرع فلا يرد عليه انه لا يدل على مدعاه لان من المستقذر ماهو غير نجس ومن النجس ماهو غير مستقذر (ومنه) أى من الشاهد على انه لم يكن منه صلى الله تعالى عليه وسلم شئ يكره ولا غير طيب (حديث على رضى الله تعالى عنه) الذى رواه ابن ماجة وأبو داود فى مراسيله (غسلت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) بتشديد السين لانه المستعمل فى الميت ويخفف فى غيره كالثياب (فذهبت أنظر مايكون من الميت فلم أجد شيئا) ذهب هنا من أفعال المقاربة أى جعلت أنظر ومثله

كثير فى كلامهم فالقول بانه بمعنى أردت أستعير الذهاب بمعنى المرور للارادة بجامع التلازم بينهما تكلف مفسد للمعنى لان قوله فلم أجد لا وجه لتفريعه وتكون تامة بمعنى يوجد وما يوجد من الميت تغير رائحة وخروج فضلات وهذا من أعلام النبوة وطهارة عنصر طينته وقد مكث صلى الله تعالى عليه وسلم بعد موته يومين فلم يتغير منه شئ ما وهذا مما يستانس به لانه طيبه يدل على طيب ما يحصل منه
* وكل اناء بالذى فيه يرشح * وليس برهانا عقليا كما يرشدك اليه تعبيره بالشاهد فلا يرد عليه ان عدم وجوده كيف يدل على ما نحن فيه من طهارة الفضلات ويأتى قريبا ان الذى غسل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على والعباس وابنه أى الفضل يعينانه وقثم واسامة وشقران يصبون الماء وغسلوه وأعينهم معصوبة تادبا ولانه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لا يرى أحد عورتى الا طمست عيناه كما سيأتى وروت عائشة رضى الله تعالى عنها انهم ترددوا فى تجريده للغسل فسمعوا قائلا لم يروا شخصه يقول لا تجردوا نبيكم من ثيابه فغسلوه وعليه قميصه بسبع قرب من بئر غرس ثلاث مرات الاولى بماء قراح والثانية بماء وسدر والثالثة بماء وكافور وانما قال على رضى الله عنه فذهبت انظر بناء على العادة لتاخير دفنه لانه مات يوم الاثنين ودفن يوم الاربعاء لاشتغالهم بامر الخلافة ولدفع وهم بعضهم انه لم يمت (فقلت طبت) بفتح تاء الخطاب (حيا وميتا) والمخاطب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على عادتهم فى مخاطبة الاموات عند التوجع والثناء (٢) كما ورد فى المراثى أولانه صلى الله تعالى عليه وسلم ليس كغيره فيسمع كما يسمع فى قبره من يصلى عليه كما سيأتى (قال وسطعت منه ريح طيبة لم يجدوا مثلها قط) أى ظهرت وارتفعت وأصل السطوع فى النور فاستعمل فى مطلق الظهور وروى ابن بكير فى سيرته ان أم سلمة رضى الله تعالى عنها وضعت يدها على صدر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فكنت جمعا لا تأكل ولا تتوضأ الا وجدت ريح المسك بين يديها (ومثله) أى مثل قول على رضى الله عنه هذا (قال أبو بكر الصديق) رضى الله تعالى عنه (حين قبل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بعد موته) اشارة الى ما فى الصحيحين عن عائشة رضى الله تعالى عنها ان أبا بكر رضى الله تعالى عنه لما نعى له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو بمسكنه بالسنح بضم السين المهملة وضم النون وقد تسكن ثم حاء مهملة بعوالى المدينة على مقدار ميل من المسجد النبوى جاء فدخل المسجد ولم يكلم أحدا حتى دخل بيت عائشة رضى الله تعالى عنها والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم مسجى ببرد حبرة فكشف عن وجهه الشريف وأكب عليه يقبله وهو يبكى ويقول بابى أنت وأمى يا نبى الله لا يجمع الله عليك موتتين اما الموتة التى كتبت عليك فقدذقتها فسل عمر رضى الله عنه سيفه وجعل يتوعد من يقول انه صلى الله تعالى عليه وسلم مات ويقول انما أرسل اليه كما أرسل الى موسى عليه الصلاة والسلام فلبث أربعين ليلة ثم رجع وانى والله لارجو أن يرجع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كما رجع موسى ويقطع أيدى رجال وأرجلهم وفى رواية ان الصديق لما كشف عن وجهه بكى وقال بابى أنت وأمى طبت حيا وميتا والصحابة منهم من خبل ومنهم من أخرس ومنهم من أقعد فلما خرج أبو بكر رضى الله تعالى عنه قال لعمر أيها الحالف على رسلك فجلس فصعد أبو بكر المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال ألا من كان يعبد محمدا فان محمدا صلى الله عليه وسلم قد مات ومن كان يعبد الله فان الله سبحانه وتعالى حى لا يموت وقد قال الله تعالى انك ميت وانهم ميتون وقال وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل الآية فنشج الناس يبكون وروى انه لما قبل وجهه وقال طبت حيا وميتا زاد وانقطع لموتك ما لم ينقطع لموت أحد من الانبياء فعظمت عن الصفة وجللت عن البكاء ولو أن موتك كان اختيارا لجدنا لموتك بالنفوس اذكرنا يا محمد عند ربك عز وجل ولنكن من بالك وجعل يقول وهو يبكى واخليلاه واصفياه وانبياه وتقدمت الاشارة لشئ من ذلك فى الفصل السابع (ومنه) أى من الشواهد على

ماذكر

(فقلت طبت حيا وميتا) ونصبهما على الحال أو على نزع الخافض أى فى الحياة والممات أو على التمييز ذكره التلمسانى ولا يخفى بعد ماعدا الاول فتامل فانه موضع زلل ومحل خطل ثم أنت ترى ان هذا الحديث لا يصلح أن يكون شاهدا كما لا يخفى وقد روى عن على كرم الله تعالى وجهه انه حين غسل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم مسح بطنه فلم يجد شيئا فقال طبت حيا وميتا وفى رواية فاح ريح المسك فى البيت لما فى بطنه قيل وانتشر فى المدينة (قال) أى على (وسطعت) أى ارتفعت وانتشرت وفاحت (منه ريح طيبة لم نجد مثلها قط ومثله) أى ومثل قول على طبت حيا وميتا (قال أبو بكر) رضى الله تعالى عنه (حين قبل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بعد موته) رواه البزار عن ابن عمر بسند صحيح وهو بعض خبر فى البخارى (ومنه) أى ومن الشاهد

٢ والتألم نسخه

ماذكر مارواه البيهقي والطبراني في معجمه الاوسط عن أبي سعيد الخدري والاول دليل عقلي وهذا نقلي (شرب مالك بن سنان دمه يوم أحد ومصه اياه) مالك بن سنان بن عبيد بن ثعلبة بن الابجر بموحدة وجيم وهو أبو أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنهما وقد تقدم الكلام على ترجمتهما ونسبهما وهو من كبار الصحابة قتل شهيدا يوم أحد رضي الله تعالى عنه وأحد بضمتين اسم جبل وقعت فيه الواقعة العظيمة بعد قدومه صلى الله تعالى عليه وسلم من نجران وقد غزاه كفار قريش في شوال سنة ثلاث وقدموا بنسائهم وحلفائهم وقصدوا المدينة فنزلوا قرب أحد على شفير الوادي بقناة مقابل المدينة فرآى رسول الله صلى الله عليه وسلم في منامه ان في سيفه ثلمة وأن بقرا له تذبح وانه أدخل يده في درع له حصينة فتأولها بان رجالا من أصحابه يقتلون وان رجلا من أهل بيته يصاب وان الدرع الحصينة هي المدينة ورؤيا الانبياء وحي فاشار على أصحابه ان لا يخرجوا من المدينة ويتحصنوا بها فان قربوا منها قاتلوا ووافقه على رأيه عبد الله بن أبي بن سلول وأبى كثير من الانصار الا الخروج ليكرم الله من شاء بالشهادة فلما رآى صلى الله تعالى عليه وسلم عزيمتهم دخل بيته يوم الجمعة ولبس لامته وخرج فقال قوم ممن ألح في الخروج ان شئت فارجع فقال ما ينبغي لنبي اذا لبس لامته ان يضعها حتى يقاتل فخرج في ألف من أصحابه واستعمل ابن أم مكتوم رضي الله تعالى عنه على الصلاة بمن بقي بالمدينة فلما سار صلى الله تعالى عليه وسلم الى القوم انصرف عنه ابن أبي بثلث الناس مغاضبا لمخالفة رأيه فنهض صلى الله تعالى عليه وسلم لما عزم عليه وذكر له قوم من الانصار الاستعانة بحلفائهم من اليهود فابى وسلك على حرة بني حارثة وشق أموالهم حتى نزل الشعب من أحد في عدوة الوادي وجعل ظهره الى أحد ونهى الناس ان يقاتلوا حتى يأمرهم وسرحت قريش الظهر والكراع في زروع المسلمين بقناة وتعبى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم للقتال في سبعمائة والمشركون ثلاثة آلاف فيهم مائتا فارس وقيل كان في المسلمين خمسون فارسا ورماة المسلمين خمسين رجلا أمر عليهم عبد الله بن جبير رضي الله تعالى عنه وهو معلم بثياب بيض فرتبهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خلف الجيش وأمرهم ان ينضحوا المشركين بالنبل لئلا يأتوا المسلمين من ورائهم وظاهر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بين درعين ودفع اللواء لمصعب بن عمير رضي الله تعالى عنه أخي بني عبد الدار وأجاز سمرة بن جندب الفزاري ورافع بن خديج بالخروج وكان سن كل واحد منهما خمسة عشر سنة وكان رافع راميا وجماعة ورد من لم يبلغ وقيل الاجازة استحقاق السهمين والرد عدم ذلك وجعلت قريش على ميمنتهم في الجبل خالد بن الوليد وعلى الميسرة عكرمة بن أبي جهل وأعطى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سيفه الى أبي دجانة وكان شجاعا يختال في الحرب وكان أبو عامر المعروف بالراهب وسماه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الفاسق سيدا في الاوس تنسك وترهب في الجاهلية فلما جاء الاسلام غلب عليه الشقاء ففر عن المدينة لبغضه لرسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج الى مكة في جماعة من الاوس وشهد يوم أحد مع الكفار ووعدهم بانحراف قومه اليه فكان أول من خرج في عبدان أهل مكة والاحابيش فلما نادى قومه وعرفهم بنفسه قالوا لا أنعم الله بك عينا يا فاسق فقال لقد أصاب قومي بعدي شر ثم قال لما التقى الجمعان قاتل المسلمون قتالا شديدا وأبلى يومئذ علي وحمزة وأبو دجانة وأبو طلحة رضي الله تعالى عنهم بلاء حسنا وكذا جماعة وأصيب منهم مقبلين غير مدبرين وقاتلوا قتالا شديدا ببصائر ثابتة فانهزمت قريش واستمرت الهزيمة عليهم فلما رأى ذلك الرماة قالوا قد هزم الله تعالى أعداء الله فما لنا ههنا قاعدون فذكرهم ابن جبير أميرهم رضي الله تعالى عنه أمر الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم لهم ان لا يزولوا من مواضعهم فلم يلتفتوا لقوله وقالوا قد انهزموا وقاموا وافتولى المسلمون وقد كر المشركون عليهم

(شرب مالك بن سنان) بكسر السين المهملة وأما الشرب فبضم المعجمة ويجوز فتحها وكسرها (دمه) أي دم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (يوم أحد ومصه اياه) قيل شربه ابتلاعه ومصه أخذه من الجرح بفيه أو شربه ابتلاعه دفعة ومصه ابتلاعه قليلا قليلا وروي اذ ذاك مرفوعا من مس دمه دمي لم تصبه النار

ففرواوثبت من أكرمه الله بالشهادة وانما خالفوا الظنهم الامر مقيدا ببقاء العدو فاذا انهزموا سقط الخطاب فغلطوا فى التاويل فوصلوا الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم منهزمين وقاتل دونه مصعب بن عمير رضى الله تعالى عنه حتى قتل وجرح رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى وجهه وكسرت رباعيته اليمنى السفلى بحجر وهشمت البيضة برأسه وكان الذى تولى ذلك عمرو بن قمية الليثى وعتبة بن أبى وقاص وقد قيل ان عبد الله بن شهاب هو الذى شجه واكب الحجارة على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حين سقط فى حفرة كان أبو عامر الراهب حفرها مكيدة للمسلمين فخر عليه الصلاة والسلام على جنبه فاخذ على كرم الله وجهه بيده واحتضنه طلحة حتى قام ومص مالك بن سنان من جرح رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الدم علاجا ومداواة له حتى لا يختم الجرح قبل التصفية من الدم ولذا لم يقل له صلى الله تعالى عليه وسلم كما قال لابن الزبير حين شرب دمه كما ياتى وتشبثت حلقتان من درع المغفر فى وجهه الشريف فانتزعهما أبو عبيدة بن الجراح رضى الله عنه وعض عليهما بثنيتيه فسقطتا وكان أهتم بزينه هتمه وقد اختلف فى هذا هل كان قبل الوعد من العصمة أو بعدها والعصمة انما هى عصمة النفس من القتل لا الجرح ونحوه وبقى له ثوابها والتاسى به فيها وقد تقدم ما فى ذلك وأعطى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الراية حين قتل مصعب بن عمير رضى الله تعالى عنه عليا كرم الله وجهه فاخذ على كرم الله تعالى وجهه وصار رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم تحت راية الانصار وقتل صاحب لواء المشركين فسقط لواؤهم فرفعته عمرة بنت علقمة الحارثية فاجتمعوا اليه وحملوا على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فكر دونه نفر من الانصار سبعة أو عشرة فقتلوا كلهم وأصيبت عين قتادة رضى الله تعالى عنه فسالت على وجنته فردها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى محلها فكانت أجمل عينيه وأصحهما ولذا قال بعض ولده لعمر بن عبد العزيز لما قدم عليه وقال له من أنت فقال

أنا ابن الذى سالت على الخد عينه * فردت بكف المصطفى أحسن الرد

فعادت كما كانت لاول أمرها * فياحسن ماعين وياحسن مارد

فقال عمر * تلك المكارم لا قعبان من لبن * وأحسن جائزته وانتهى أنس بن النضر الى جماعة من الصحابة وقد ألقوا بايديهم فقال ما يجلسكم قالوا قتل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال فما تصنعون بالحياة بعده قوموا فموتوا على ما مات عليه وأول من ميز رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بعد الجرله كعب بن مالك الشاعر فنادى باعلى صوته يامعشر المسلمين هذا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأشار اليه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان أنصت الناس فلما عرفوه صلى الله عليه وسلم مالوا اليه ونهضوا معه نحو الشعب فيهم أبو بكر وعمر وعلى وطلحة والزبير وغيرهم رضى الله عنهم فاما أسند فى الشعب أدركه أبى بن خلف فتناول صلى الله تعالى عليه وسلم حربة الحارث بن الصمة وطعنه بها فى عنقه فمات عدو الله مرجعه بسرف وقصة أحد مفصلة فى السير بابسط من هذا وما يتعلق بابى بن خلف سياتى الكلام عليه مطولا فى كلام المصنف رحمه الله تعالى فى قوله فصل وأما الشجاعة الى آخره وأشار بقوله شربه ومصه الى انه كان يفيض أولا فلذا جعل أخذه بفيه وابتلاعه اياه شربا لما قل وجعل بجذب ماقل منه بالمشقة لما فيه جعله مصا فان المص بالميم والصاد المهملة أخذ المائع القليل بجذب النفس فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من مس دمه دمى لم يخالطه ذنب وهكذا من مازج بدنه شيا منه وكان فيه اشارة الى انه يستشهد وقد كان كذلك وقد علمت ان هذا رواه البيهقى والطبرانى فى الاوسط وكذا أصحاب السير وضميرا اياه للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم ووجه دلالته على ماقاله المصنف ان الدم غير طاهر من غيره صلى الله تعالى عليه وسلم فلو كان دمه الشريف غير طاهر لنهاه عن ازدراده الا انه لا يدل على طهارة بقية الفضلات منه قياسا لفرق الماوردى رحمه الله تعالى بين الدم

والشعر

والشعر وغيرهما بانهما من اجزاء بدنه بخلافهما وقوله (وتسويغه صلى الله تعالى عليه وسلم ذلك) أى شرب دمه ومصه (له) أى لمالك بن سنان رضى الله عنه وتسويغه بالسين المهملة والغين المعجمة بمعنى تجويزه له من غير انكار ومدحه له وهو مستعار من ساغ الشراب فى الحلق اذا سهل انحداره فيه ومنه لبنا خالصا سائغا للشاربين والتعبير به هنا فى غاية الحسن والتورية لما فيه الشرب (وقوله) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لمالك (لن تصيبه النار) كناية عن فوزه بنعيم الجنان وفى رواية من سره ان ينظر الى من خالط دمه دمى فلينظر الى مالك بن سنان (ومنه شرب عبد الله بن الزبير) بضم الزاى والتصغير (رضى الله عنهما دم حجامته) قال البرهان الحلبى هذا الحديث رواه البزار والحاكم والبيهقى والبغوى والطبرانى والدارقطنى من طرق يقوى بعضها بعضا والعجب من قول ابن الصلاح ان هذا الحديث لم أجد له أصلا وهو مذكور فى هذه الاصول وقد كان عليه الصلاة والسلام قال لما ولدته أمه ونظر اليه هو فكفت أمه عن ارضاعه فقال ارضعيه ولو بماء عينيك كبش كبش بين ذئاب عليها ثياب ليمنعن البيت أو ليقتلن دونه وهذا من معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم لاخباره بالمغيبات فانه بيان لقصته مع الحجاج فان ابن الزبير رضى الله تعالى عنهما استخلف سنة أربع أو خمس وستين بعد وفاة معاوية رضى الله تعالى عنه فحاصره بعد ذلك الحجاج عند البيت العتيق سنة ثلاث وسبعين حتى قتل شهيدا وقصته مشهورة وهو أحد العبادلة الامام الزاهد العابد الشجاع ابن الشجاع وهو أول مولود ولد للمهاجرين وحنكه النبى صلى الله عليه وسلم بتمرة لاكها بفمه فخالط ريقه ريقه وله رضى الله تعالى عنه من شرف النسب ما لا يوصل اليه لان أمه اسماء رضى الله تعالى عنها ذات النطاقين بنت أبى بكر الصديق وأبوه الزبير رضى الله عنهما احد العشرة سيف الله وجدته صفية رضى الله عنها بنت عبد المطلب وعمته خديجة أم المؤمنين وخالته عائشة رضى الله عنها وجده لامه أبو بكر رضى الله تعالى عنه وكان صواما قواما لا ينام ليله وكان أطلس لا لحية له وقوله (فقال له صلى الله عليه وسلم ويل لك من الناس وويل للناس منك) بيان لما تسبب عن شرب ذلك الدم وويل للتحسر والتألم من الامر قال الله تعالى فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون وهو اشارة الى قتله وتعذيبه وتحقيره لقتل الحجاج له ومن عاونه ظلما له وويل للناس منه لما أصاب الناس من خروجه لطلب الخلافة لا من المدينة لمكة ومحاصرة مكة بسببه وقتل من قتل ثمة وما أصاب أمه وأهله من المصائب وما لحق قاتليه من الاثم العظيم وتخريب البيت وهدمه بسببه وانما جعله ناشئا عن شرب دمه فانه بضعة من النبوية نورانية قوت قلبه حتى زادت شجاعته وعلت همته عن ان ينقاد لغيره ممن لا يستحق الامارة فضلا عن الخلافة وما قيل انه اشارة الى ما يلحقه من قدح الجهلة فيه بواسطة شربه الدم وما يلحقهم من الاثم بذلك القدح مما لا ينبغى ذكره وسقوطه مغن عن رده وسيأتى تحقيقه ودمه صلى الله تعالى عليه وسلم مما تغذى قطراته بالارواح ولله در القائل

يجرى العلاق عرقه جرى الندا * فى عوده فهو اللباب صفاء
لو يقدر الاحرار حين أرقته * جعلوا له حب القلوب وعاء
أو يبعوا قطراته معدودة * اعطوا به مهج النفوس شراء
واستخصوا فى سعرها ان يبذلوا * عن كل واحدة جرت حوباء

وقد شرب دمه صلى الله تعالى عليه وسلم أيضا أربعة رجال أبو طيبة واسمه دينار أو نافع وسالم بن أبى الحجام وهو الذى قال له صلى الله تعالى عليه وسلم لا تعد فان الدم كله حرام على ما فيه وسفينة كما رواه البيهقى وعلى بن أبى طالب كرم الله وجهه ذكره الرافعى فى الشرح الكبير وقال ابن الملقن انه غريب لم نجده

(وتسويغه صلى الله تعالى عليه وسلم) أى تجويزه (ذلك له وقوله له لن تصيبه النار) رواه الطبرانى عن أبى سعيد الخدرى عن أبيه مالك ابن سنان قتل يوم أحد وهو جبل معروف يخفف ويثقل وقيل يخفف ذكره التلمسانى والتشديد فيه غريب ورواه البيهقى عن عمر بن السائب ثم فى الحديث قد يقال ان الضرورات تبيح المحظورات (ومثله) وفى أصل الدلجى ومنه أى ومن الشاهد كما رواه الحاكم والبزار والبيهقى والبغوى والطبرانى والدارقطنى وغيرهم فالعجب من ابن الصلاح أنه قال هذا حديث لم أجد له أصلا بالكلية وهو فى هذه الاصول (شرب عبد الله ابن الزبير دم حجامته فقال له عليه الصلاة والسلام ويل لك من الناس وويل لهم منك

ولم ينكره عليه) وفيه ان هذا حكم مسكوت عنه بعد وقوعه ولم يدخل تحت تقريره اذ لم يطلع على شربه حال فعله مع ان فى قوله و يل لك
من الناس وو يل لهم منك نوع نكير عليه اذ الويل الفضيحة المترتبة على الفتنة وروى الزبير بن بكار انه حين ولدته أمه رآه رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم فقال هو هو فسمعته أمه فامسكت عن ارضاعه فقال ارضعيه ولو بماء عينيك كبش بين ذئاب فى ثياب
ليمنعن البيت وليقتلن دونه وهذا مما أخبر به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من المغيبات اذ قد بويع له بالخلافة سنة خمس وستين
بعد وفاة معاوية أطاعه أهل الحجاز واليمن والعراق وخراسان وحج بالناس ثمانى سنين ثم وقعت الفتنة وعمرو بن سعد على المدينة
نائبا لعبد الملك بن مروان فكان يبعث البعوث اليه منها الى مكة حتى أرسل له عبد الملك الحجاج فابتدأ حصاره غرة ذى الحجة سنة
اثنتين وسبعين وحج تلك السنة الحجاج ووقف بعرفة عليه درع ومغفر ولم يطف الناس بالبيت فى تلك الحجة فحاصره ستة أشهر
وسبعة عشر يوما ثم قتل فى نصف جمادى الآخرة سنة ثلاث وسبعين وعمره اثنتان وسبعون سنة وأيام على ماذكره الذهبى وروى الشعبى
قال هاج الدم برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فحجمه أبو طيبة فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أشكموه فاعطوه دينارا وقال
لابن الزبير واره يعنى الدم قال فتوارى ابن الزبير فشرب الدم فبلغ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فعله فقال اما انه لا تصيبه
النار أو لا تمسه النار قال الشعبى فقيل لابن الزبير كيف وجدت طعم الدم قال اما الطعم فطعم العسل واما الرائحة فرائحة المسك أقول فهذا من باب قلب الاعيان الذى عد من معجزات الانبياء عليهم الصلاة والسلام وبهذا يندفع نزاع الفقهاء ويؤيده ماذكره التلمسانى عن عائشة رضى الله تعالى عنها وذكرت انها لا تجد فى الخلاء شيئا فقال انا معاشر الانبياء تنبت اجسادنا على أرواح الجنة فما خرج منها من شئ
ابتلعته الارض ولكن رواه البيهقى فى الدلائل عنها ثم قال هذا من موضوعات الحسين بن علوان لا ينبغى ذكره

لغيره وقدم ذلك (ولم ينكر عليه) هذا هو محط الدليل فان عدم انكاره صلى الله تعالى عليه وسلم عليه دليل على جوازه وطهارته قال السخاوى سئل شيخنا العلامة ابن حجر عن حديث ابن الزبير ومالك بن سنان وقوله للاول و يل لك الخ وقوله لمالك لا تمسك النار ما الحكمة فى تنوع القول مع اتحاد السبب فاجاب بان ابن الزبير رضى الله عنهما شرب دم الحجامة وهو قدر كثير يحصل به الاغتذاء وقوة جذب المحجمة تجلبه من سائر العروق أو كثير منها فعلم صلى الله تعالى عليه وسلم انه يسرى فى جميع جسده فتكتسب جميع اعضائه منه قوى من قوى النبى صلى الله عليه وسلم فتورد به غاية قوة البدن والقلب وتكسبه نهاية الشهامة والشجاعة فلا ينقاد لمن هو دونه بعد ضعف العدل وقلة ناصره وتمكن الظلمة وكثرة أعوانهم فيحصل له ما أشار اليه صلى الله تعالى عليه وسلم من تلك الحروب الهائلة التى تنتهك بها حرمته أى الناشئة من حرمته صلى الله عليه وسلم وحرمة البيت العتيق فقيل و يل له لقتله وانتهاك حرمته وو يل لهم لظلمهم وتعديهم عليه وتسفيهم وأما مالك رضى الله تعالى عنه فازدرد ما مصه من الجرح الذى فى وجهه صلى الله تعالى عليه وسلم وهو أقل من دم الحجامة وكانه صلى الله تعالى عليه وسلم علم انه يستشهد فى ذلك اليوم فلم يبق له من أحوال الدنيا ما يخبر به فاعلمه بالاهم له بما يتلقاه من انواع مسرات الجنان انتهى ولا عطر بعد عروس (وقد روى نحو من هذا) المذكور فى شرب دمه صلى الله تعالى عليه وسلم (عنه) صلى الله عليه وسلم (فى امرأة شربت بوله) سيأتى بيان هذه المرأة (فقال لها لن تشتكى وجع بطنك) أى لا يصيب بطنك وجع بعد اليوم لبركة ما دخل فى جوفها فعبر بنفى الشكاية عن نفى لازمه وهو الوجع بطريق الكناية التى هى أبلغ من التصريح (أبدا) وفى رواية بعدها (ولم يأمر واحدا منهم) أى ممن شرب دمه ومن مصه ومن شرب بوله (بغسل فمه) ولو كان نجسا لامر به ونهاه عن عوده
لمثله

فنى الاحاديث الصحيحة المشهورة من معجزاته كفاية عن كذب ابن علوان انتهى وروى ان رجلا قال رأيت النبى صلى الله تعالى عليه
وسلم أبعد فى المذهب فلما خرج نظرت فلم أر شيا ورأيت فى ذلك الموضع الثلاثة الاحجار اللاتى استنجى بهن فاخذتهن فاذا بهن يفوح
منهن روائح المسك فكنت اذا جئت يوم الجمعة المسجد أخذتهن فى كمى فتغلب رائحتهن روائح من تطيب وتعطر (وقد روى نحو من
هذا عنه) أى عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (فى امرأة شربت بوله) أى من غير علم بانه بول كما سيأتى (فقال لها لن تشتكى) باسكان
الياء على ان النون حذفت للناصب (وجع بطنك أبدا) وفى رواية لن تلج النار بطنك والحديث رواه الحاكم وأقره الذهبى
والدارقطنى (ولم يأمر واحدا منهم) أى أحدا ممن شربه وفيه تغليب الرجال على النساء (بغسل فمه) لا دلالة فى الاحاديث على الامر
ولا على عدمه مع ان غسل الفم من البول كان عندهم من قبيل المعلوم بالضرورة وعلى تسليم عدم الامر لا يثبت طهارته لاحتمال
الذهول أو للاعتماد على الطهور الا أن يثبت انه رأى احدا منهم يصلى من غير غسل فم مثلا وسكت عليه وأقره كما هو مقرر
عند أرباب الاصول

(ولانهاه) أي الاحد (عن عوده) أي عن عود شرب بوله وفيه أنه لا يحتاج الى النهي عن العود الا اذا وقع ذلك الفعل عن العمد من غير ضرورة ولا حالة جذبه وسيأتي اعتذارها بانها شربته بغير علمها وفي نسخة صحيحة بلفظ عودة بالتاء للوحدة هذا وروى ابن عبد البر ان سالم بن أبي الحجاج حجمه صلى الله تعالى عليه وسلم ثم ازدرد أي ابتلع دمه فقال اما علمت

ان الدم كله حرام وفي رواية لا تعد

مثله لان تناوله لم يكن باذنه فلذا قال (ولانهاه عن عوده) ضمير نهاه وكذا ضمير عوده المضاف اليه ان كان بالضمير لواحد وليس الضمير للشرب كما توهم وقال البرهان انه لعودة بتاء التأنيث كدولة فكأنه رواية ولو كان نجسا حرم تناوله ووجب تطهير محله ولم يقر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم على مثله وكونه للتداوي والعلاج خلاف الظاهر على ما فيه (وحديث هذه المرأة التي شربت بوله صلى الله تعالى عليه وسلم صحيح ألزم الدارقطني مسلما والبخاري اخراجه في الصحيح) يعني انه مستجمع لشرطهما فهو في أعلى درجات الصحة فكان ينبغي ذكره فليس الالزام على ظاهره والدارقطني منسوب الى دار القطن محلة ببغداد وهو الامام الحافظ الذي لم ير مثله في عصره وهو علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان ابن دينار بن عبد الله أبو الحسن الذي انتهى اليه علم الاثر ومعرفة العلل وأسماء الرجال وأحوالهم مع الصدق والعدالة والمعرفة بمذاهب الفقهاء فلذا قيل انه أمير المؤمنين في الحديث ولد سنة ست وثلاثمائة وتوفي سنة خمس وثمانين وثلاثمائة وما ذكره المصنف من ان الدارقطني قال حديث المرأة التي شربت بوله صلى الله تعالى عليه وسلم صحيح يخالفه انه قال في علله انه مضطرب جاء عن أبي مالك النخعي وهو ضعيف وروى عنه الحاكم (واسم هذه المرأة بركة واختلف في نسبها) قال البلقيني رحمه الله تعالى في الخصائص ان أم أيمن وأم يوسف شربتا بوله صلى الله تعالى عليه وسلم ولم ينكره عليهما وفي تجريد الذهبي ان بركة الحبشية قدمت مع أم حبيبة وهي التي شربت بوله وهي غير بركة بنت يسار المهاجرة الى الحبشة مع زوجها قيس بن عبد الله الاسدي وغير بركة أم أيمن وهي بركة بنت ثعلبة بن عمرو والدة أيمن بن عبيد وأم اسامة بن زيد فاسم هذه المرأة بركة ولكن في الصحابيات من اسمها بركة عدة نساء فاختلف في التي شربت بوله صلى الله تعالى عليه وسلم أيتهن هي والى ذلك أشار المصنف رحمه الله تعالى بقوله اختلف في نسبها فقيل هي أم أيمن بركة بنت محصن بن ثعلبة بن عمرو بن حفص ابن مالك بن سلمة بن عمرو بن النعمان مولاة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وحاضنته الحبشية معتقة أبيه أسلمت هي وابنها أيمن بن عبيد الحبشي ثم تزوجها زيد بن حارثة وأخرج لها أحاديث في كتب السنة وأدركت خلافة عثمان كما في التهذيب وذكره الواقدي وردّ بما في مسلم من انها توفيت بعد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بخمسة أو ستة أشهر ولم يكن بام أيمن غيرها وقيل ان التي شربت بوله صلى الله تعالى عليه وسلم بركة بنت يسار مولاة أبي سفيان بن حرب المهاجرة السابقة وكانت ظئر الام حبيبة رضي الله عنهما فلما تنصر عبد الله بن جحش ثبتت أم حبيبة على الاسلام وخلف عليها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بتزويج النجاشي اياه صلى الله تعالى عليه وسلم لها واصدقها اياها أربعمائة دينار وبعثها له صلى الله عليه وسلم مع شرحبيل بن حسنة فقدمت ومعها بركة تخدمها وهي القائلة انه كان له صلى الله تعالى عليه وسلم قدح تحت سريره يبول فيه فشربته ليلا وهذا مخالف لما قاله البرهان الحلبي من ان القادمة معها غير بركة بنت يسار ولما قاله الذهبي من انها بركة الحبشية الا أن يريد بالحبشية المهاجرة للحبشة وهو خلاف الظاهر وروى أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال لها لا يجع بطنك أبدا بفتح الياء الاولى وكسرها وهما لغتان في يوجع سوى ياجع وعلى الكسر وروى قوله

فان الدم كله حرام (وحديث هذه المرأة التي شربت بوله صحيح) أي واصححه (ألزم الدارقطني) بفتح الراء وسكون نسبة الى دارقطن محلة ببغداد وهو صاحب السنن وروى عنه الحاكم وأبو ذر الهروي وأبو نعيم وغيرهم (مسلما والبخاري) أي كلا منهما (اخراجه) أي تخريج الحديث وذكره باسناده (في الصحيح) أي في كل من صحيح البخاري ومسلم اذ رجاله كرجالهما في الضبط والعدالة وغيرهما لكن انما يتوجه هذا الالزام عليهما لو التزما تخريج جميع الصحيح ولم يلتزماه والحاصل ان هذا الحديث في مرتبة الحديث الذي اتفق عليه الشيخان من كمال الصحة وان لم يخرجاه في جامعيهما لكن انتقد عليه فانه جاء من جهة أبي مالك النخعي وانه ضعيف وفي علل الدارقطني أيضا انه مضطرب من جهة أبي مالك والله تعالى أعلم (واسم هذه المرأة

بركة) بالفتحات (واختلف في نسبها) فقيل هي بنت يسار مولاة أبي سفيان بن حرب بن أمية كانت هي وزوجها قيس بن عبيد الله هاجرا مع أم حبيبة بنت مولاها أبي سفيان وزوجها عبيد الله بن جحش فلما تنصر زوج أم حبيبة وبقيت على الاسلام خطبها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فزوجها له النجاشي وأصدقها عنه أربعمائة دينار أو أربعمائة أوقية ذهب ثم بعثها اليه مع شرحبيل بن حسنة وقدمت بركة هذه معها وكانت تخدمها وتخدم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهي اسم لثلاثة منهن

أم أيمن (وقيل هى أم أيمن) أى الحبشية مولاته وحاضنته ومرضعته ورثها من أبيه ثم أعتقها لما تزوج خديجة فتزوجها عبيد بن زيد من بنى الحارث فولدت له أيمن وبه كنيت ثم تزوجها بعد النبوة زيد بن حارثة فولدت له اسامة حبه صلى الله تعالى عليه وسلم والى هذا القول ذهب ابن عبد البر وغيره وقال الواقدى كانت أم أيمن عسيرة اللسان فكان اذا دخلت قالت سلام لا عليكم يعنى سلام الله عليكم فرخص لها رسول الله صلى الله ٣٦٢ تعالى عليه وسلم أن تقول سلام عليكم أو السلام عليكم كذا ذكره التلمسانى تبعا للحلبى

وفيه ان هذا جائز لغيرها أيضا فلا وجه للترخيص لها ولعل الرخصة أن تقول سلام بدون عليكم ويؤيده قولهم ان ذلك كان تكرمة لها وروى أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال هى أمى بعد أمى (وكانت تخدم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) بضم الدال وتكسر على فى القاموس فاندفع قول التلمسانى ولا يصح الكسر كما تقوله العامة (قالت) أى المرأة (وكان لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قدح من عيدان) بفتح عين مهملة وزنه فعلان أو فيعال جمع عيدانة وهى النخلة الطويلة وقيل بكسرها جمع عود (يوضع) أى القدح (تحت سريره يبول فيه من الليل فبال فيه ليلة ثم افتقده) أى طلبه ليصبه (فلم يجد فيه شيئا فسال بركة عنه) أى عن بوله الذى كان فى القدح

(فقالت قمت وأنا عطشانة فشربته وأنا لا أعلم) أى انه بول قال الدلجى تبعا لغيره أم من المحشى الصواب عطشى لانه مؤنث عطشان الا أن تكون لغة قلت الصواب ان عطشانة جاء فى لغة كما فى القاموس وقيل هى لغة بنى أسد ثم القدح اناء يشرب منه ويقال للصغير الغمر بضم الغين وهو أول الاقداح وهو الذى لا يبلغ الرى ثم العقب وهو قدر رى الرجل ثم القدح وهو يروى الاثنين والثلاثة ثم غيرها على ما فى كتب اللغة والسرير مرفع يصنع من خشب ويوضع فى ناحية من البيت أو السطح يتخذ للرقاد وقاية من الارض وما فيهما (روى حديثها) أى بكماله

* ولا تنكئى قرح الفؤاد فييجعا * وروى كما ر اذن لا تلمع النار بطنك (وقيل هى) أى بركة المذكورة (أم أيمن وكانت تخدم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) تاييد لكونها التى شربت بوله صلى الله تعالى عليه وسلم ليلا لانها اذا كانت خادمة له صلى الله تعالى عليه وسلم تمكنت من الوصول لذلك فى مثل ذلك الوقت وتمكنت من الوقوف على حاله فلذلك (قالت وكان لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قدح من عيدان) والقدح ليس المراد به ما يشرب به الشراب كما هو عند العامة بل هو الاناء الذى يشرب منه وأصغره الغمر بضم الغين المعجمة وهو الذى لا يروى ثم القعب وهو ما يروى ثم القدح وهو ما يروى الاثنين والثلاثة ثم العس وهو ما يشرب منه الجماعة ثم الرفد ثم التبن ثم الجفنة وعيدان جوز فيه التلمسانى كسر العين على انه جمع عود والذى عليه الشراح انه بفتح العين المهملة تليها ياء مثناة تحتية ثم دال مهملة وألف ونون وزنه فيعال أو فعلان والعيدان والعيدانة النخلة الطويلة قال الشاعر

ان الرياح اذا ما أعصفت قصفت * عيدان نجد ولم يعبأن بالرتم

ويقال للنخل اذا طال وتناولته اليد عضيد فاذا فات اليد فهى الجبارة فاذا ارتفعت فهى الرقلة والعيدانة وكان للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم عدة أقداح قدح يسمى الريان وآخر يسمى المغيث وآخر مضبب بسلسلة من فضة وقدح من زجاج وهذا القدح كان (يوضع تحت سريره يبول فيه من الليل) والسرير معروف ومن ظرفية بمعنى فى لا زائدة وقد عده من معانيها الكوفيون وابن مالك وأنشدوا

عسى سائل ذو حاجة ان منعته * من اليوم سؤلا ناله بعد فى غد

وقال الله تعالى اذا نودى للصلوة من يوم الجمعة أى فيه (فبال فيه ليلة ثم افتقده) الافتقاد افتعال من الفقد وهو العدم وليس الافتقاد هنا بمعنى العدم وان ورد بمعناه كما فى الصحاح بل الطلب والتفتيش يقال تفقده وتعهده بمعنى الا ان الفرق بينهما كما قال الراغب ان التفقد حقيقته تعرف فقدان الشئ والتعهد تعرف العهد المتقدم (فلم يجد فيه شيئا) من بوله (وسال) صلى الله تعالى عليه وسلم (عنه بركة فقالت قمت وأنا عطشانة) المذكور فى كتب اللغة أنه يقال عطشان وعطشى وجماعة عطاش الا فى ألفاظ قليلة جاءت على فعلان فعلانة ولغة بنى أسد فى كل فعلان فعلانة فيصرفون فعلان لان شرط منع صرفه وجود فعلى أو فقد فعلانة فما ورد فى هذا الحديث اما سماعى على خلاف القياس أو هو على لغة بنى أسد فتوقف البرهان فيه لا وجه له وقد كانت قريش تتكلم بغير لغتها الكثرة وفود القبائل عليهم وحكى صاحب القاموس امرأة عطشانة من غير تقييد بلغة وقيل الظاهر ان من قال عطشى لا يقول عطشانة وفيه نظر وقد علم ان هذا يدل على طهارة بوله صلى الله تعالى عليه وسلم اذ لم ينهها عنه ولم يامرها بغسل فمها ولا باعادة الصلاة ان كانت صلت ولا ينافيه قولها (فشربته وأنا لا أعلم) لانه لبيان طيبه وأنها لم تجد له ريحا وطعما كغيره أى لا أعلم انه بوله لما ذكر فلا ينافى قولها انه كان له قدح يضعه تحت سريره الى آخره فتامل (وروى حديثها) أى بركة

(ابن جريج) بالجيمين مصغر المجمع على كونه ثقة ولد سنة ثمانين ومات سنة خمسين ومائة روى عن مجاهد وعطاء وطاوس وابن أبي مليكة وعنه ابن عيينة والثوري وغيرهما وهو مجمع على ثقته وهو أول من صنف الكتب في الاسلام وقد روى عن حكيمة بنت أميمة بنت أبي صيفي عن أمها قالت كان لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قدح من عيدان يوضع تحت سريره ليبول من الليل فيه فبال فيه ليلة ووضع تحت سريره ثم افتقده فلم يجد فيه شيئا فقال لامرأة يقال لها بركة كانت تخدمه ما فعل بالبول الذي كان في هذا القدح فقالت يا رسول الله اني شربته وروى عبد الرزاق عنه قال أخبرت ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان يبول في قدح من عيدان ثم يوضع تحت سريره فجاء فاذا هو ليس فيه شئ فقال لامرأة يقال لها بركة كانت تخدم أم حبيبة جاءت معها من أرض الحبشة أين البول الذي كان في القدح قالت شربته قال صحة يا أم يوسف وكانت تكنى أم يوسف فما مرضت قط حتى ماتت (وغيره) أي ورواه أيضا غير ابن جريج كأبي داود وابن حبان والحاكم عن أميمة عن أمها وروى الحاكم والدارقطني عن أم أيمن قالت قام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من الليل الى فخارة في جانب البيت فبال فيها فقمت من الليل وأنا عطشانة فشربت ما فيها وأنا لا أشعر فلما أصبح قال يا أم أيمن قومي فاهرقي ما في تلك الفخارة قلت قد والله شربته فضحك ثم قال اما والله لا يجعن بطنك بعدها أبدا وهذا يدل على انهما واقعتان وقعتا كما قال ابن دحية لبركة أم يوسف وبركة أم أيمن وينصره ما في خصائص تدريب البلقيني انهما شربتاه هذا وقد شرب أيضا دمه عليه الصلاة والسلام أبو طيبة عاش مائة وأربعين سنة وسفينة مولى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم رواه البيهقي عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه

أم أيمن المذكور (ابن جريج وغيره) هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج بجيمين أولاهما مضمومة وهو امام ثقة ولد سنة ثمانين وتوفي سنة خمسين ومائة ويكنى أبا الوليد وهو مولى لآل صفية بنت حيي قيل وهو أول من صنف في الاسلام وكان يقول ما دون العلم أحد تدويني وقيل أول من صنف سعد بن عروبة وقيل الربيع بن صبيح وقد اختلف في قوله السابق امرأة شربت بوله وقصة أم أيمن في قدح العيدان هل هما قصتان أو قصة واحدة فروى الحاكم والدارقطني عن أم أيمن انها قالت قام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من الليل الى فخارة في جانب البيت فبال فيها فقمت وأنا عطشانة فشربت ما فيها وأنا لا أشعر فلما أصبح قال يا أم أيمن قومي فاهريقي ما في تلك الفخارة فقلت شربت ما فيها فضحك ثم قال والله لا ييجعن بطنك أبدا ونحوه وأخرج عبد الرزاق عن ابن جريج قال أخبرت انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يبول في قدح من عيدان ثم يوضع تحت سريره فجاء فاذا القدح ليس فيه شئ فقال لامرأة يقال لها بركة كانت تخدم أم حبيبة رضي الله تعالى عنها جاءت معها من الحبشة أين البول الذي كان في القدح فقالت شربته فقال لها صحة يا أم يوسف وكانت تكنى أم يوسف فما مرضت بها حدث غير مرض موتها وأخرج أبو داود وابن حبان عن أميمة بنت رقيقة انها قالت كان لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قدح من عيدان الى آخره قال ابن دحية رحمه الله تعالى هما قصتان لام أيمن وبركة أم يوسف غير بركة أم أيمن * أقول وفي قوله صلى الله تعالى عليه وسلم صحة ما يدل على ان الدعاء به بعد الشرب سنة لا بدعة عامية وحكمته ان الاكل والشرب يخشى منه السقم ونحوه فاذا دعي به كما قال شعر

فان الداء أكثر ما تراه * يكون من الطعام أو الشراب

وفي بعض النسخ وهو ساقط من الام وأكثرها (وروى) في بعض الروايات (عن أمه آمنة انها قالت ولدته) صلى الله تعالى عليه وسلم (نظيفا ما به قذر) أي شئ مما يكون على المولود أي نقيا من الوسخ والدرن وفي بعض النسخ تأخير عن قوله (وكان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قد ولد مختونا مقطوع السرة) وفي بعض الروايات ولد مختونا مسرورا وفيه تورية لانه من السرور أو من قطع السرة ومثلها في الحسن انه ولد

ذكره الرافعي في الشرح الكبير قال ابن الملقن ولم أجده في كتب الحديث (وروى في بعض الروايات عن أمه آمنة) بالمد على وزن فاعلة وهي بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب ولم تلد غيره صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يتزوج غيرها عبد الله على الاصح فيهما وفي اسم آمنة أمان أمته وفي حليمة حلم وفي بركة بركة فتلك آمنة من سائر النقم وذكر السهيلي ان الله عز وجل أحيى للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم أبويه فآمنا به ثم أماتهما وكذلك نقله السيوطي في خصائص النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لكنه حديث موضوع كما صرح به ابن دحية وقد بينت هذه المسألة في رسالة مستقلة (انها قالت ولدته نظيفا) أي نقيا (ما به قذر) بفتحتين أي وسخ ودرن كذا رواه ابن سعد في طبقاته وروى انه ولدته أمه بغير دم ولا وجع قال المسعودي ولد عليه السلام في شهر ربيع الاول من سنة أربعين من ملك كسرى أنوشروان في دار ابن يوسف وهذه الدار بنتها بعد ذلك الخيزران أم الهادي والرشيد مسجدا (وكان صلى الله تعالى عليه وسلم قد ولد مختونا) أي لا قلفة له (مقطوع السرة) بضم السين رواه أبو نعيم والطبراني في الاوسط وفي دلائل البيهقي بسند ضعيف عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه عن أبيه انه ولد معذورا مسرورا أي مقطوع السرة مختونا

معذورا مسرورا ومعنى معذورا مختونا يقال عذرته وأعذرته اذا قطعت عذرته وهى القلفة وكونه صلى الله تعالى عليه وسلم ولد مختونا مقطوع السرة ورد فى حديث روى عن عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنهما وعلى هذا فهو تكريم له صلى الله تعالى عليه وسلم حتى لا يرى أحد عورته وقد وقع هذا لكثير من الناس والعرب تسميه ختان القمر وأصله ان الطفل اذا ولد فى ليلة مقمرة واتصل بحشفته ضوء القمر وهى اذ ذاك لم تنضج جلدته أثر فيها حتى تقلصت وانمحقت فان القمر يؤثر ضوءه فى اللحم وغيره الا أنه لا يكون قاطعا لها بالكلية ولذا لم يتم دحوا به قال الشاعر

انى حلفت يمينا غير كاذبة * لانت أقلف الا ما جنى القمر

وقيل انه يشير الى أن النمو فى خلقة الانسان يحصل فى زيادة القمر ويحصل النقصان عند نقصانه كما فى الجزر والمد فهذا النقصان منسوب لنقصان القمر وقيل ان عبد المطلب لما رآه صلى الله تعالى عليه وسلم ولد مختونا قال ليكونن لابنى هذا شان ولا يخفى ان سند هذا الحديث ضعيف جدا والذى صححه المحدثون كما فى التمهيد لابن عبد البر ان جده عبد المطلب ختنه يوم سابعه وجعل له مادبة وسماه محمدا وكانت العرب تختتن لانه سنة توارثوها من اسمعيل وابراهيم عليهما الصلاة والسلام وليس ذلك لمجاورة اليهود وقد ورد هذا فى قصة هرقل وواقعته التى قيل له فيها ان ملك الختان قد ظهر وروى انه صلى الله تعالى عليه وسلم ختن يوم شق قلبه الشريف وهو عند مرضعته حليمة وقد ذكره ابن القيم فى كتابه الهدى وهو أرجح الاقوال وطعن فى القول الاول من الاقوال الثلاثة وقال انه روى فى حديث لم يصح وذكره ابن الجوزى فى الموضوعات ومن الغريب قول الحاكم فى المستدرك ان الاخبار تواترت بان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولد مسرورا مختونا وتعقبه الذهبى وقال لا نعلم صحة ماذكره فكيف يكون متواترا والقول بانه أراد بتواتره شهرته بين الناس لا ما اصطلح عليه المحدثون بعيد وقد وقع فى هذه المسئلة نزاع بين ابن طلحة والكمال ابن العديم فالف ابن العديم فى تاييد انه صلى الله تعالى عليه وسلم ختن بعد ولادته تاليفا أوضح فيه الدلائل والنقول الا أنهم لم يرضوا قول ابن الجوزى انه موضوع وردوه ومع قوله انه موضوع نقل عن كعب الاحبار ان ثلاثة عشر نبيا ولدوا مختونين أى على صورتهم وهم آدم وشيث وادريس ونوح وسام ولوط ويوسف وموسى وشعيب وسليمان ويحيى وعيسى ومحمد وزيد عليهم حنظلة بن صفوان قيل ولا تعارض بين كلاميه ولا يخفى ما فيه وزيد عليهم الى سبعة عشر وقد نظمهم بعضهم فى قوله

وفى الرسل مختون لعمرك خلقة * ثمان وتسع طيبون أكارم

وهم زكريا شيث ادريس يوسف * وحنظلة عيسى وموسى وآدم

ونوح شعيب سام لوط وصالح * سليمان يحيى هود ياسين خاتم

(تتمة) قد علم ان أمه صلى الله تعالى عليه وسلم آمنة بنت وهب بن عبد مناف زوجها عبد المطلب ابنه عبد الله فولدت له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وفى وقت وفاتها سبعة أقوال فقيل هو بعد ست سنين أو سبع أو ثمان أو خمس أو أربع أو تسع أو اثنى عشر وتسعة شهور من ولادته أو غير ذلك وماتت بالابواء راجعة من عند بنى النجار أخواله وفى زيارة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قبرها واحيائها له كلام سياتى ثم انه ورد فى الحديث ان رجلا ساله صلى الله تعالى عليه وسلم ما حقيقة أمرك منذ نشات فقال أنا دعوة أبى ابراهيم عليه الصلاة والسلام وبشرى أخى عيسى صلى الله تعالى عليه وسلم وانى كنت بكر أمى وانها حملتنى كاثقل ما تحمل النساء وجعلت تشتكى لصواحبتها ثقل ما تجد الحديث وهذا الحديث يعارضه ما رواه الواقدى من ان أمه آمنة قالت لما حملت به ما شعرت انى حملت به ولا وجدت له ثقلا كما تجد النساء وانما أنكرت رفع حيضتى وجمع بينهما الحافظ أبو نعيم بان الثقل كان فى ابتداء علوقها به والخفة عند

يقال عذره واعذره ختنه وروى الخطيب عن أنس رضى الله تعالى عنه مرفوعا وصححه أيضا فى المختار من كرامتى على ربى انى ولدت مختونا ولم ير أحد سوءتى وقال الحاكم تواترت الاخبار بولادته مختونا وتعقبه الذهبى بقوله ما أعلم صحته فكيف يكون متواتر قلت يجوز أن يكون الشئ متواترا عند بعض دون بعض وقيل ختن لما شق قلبه عند مرضعته حليمة أى ختنته الملائكة عندها كما ذكره التلمسانى وقيل ختنه جده يوم سابع ولادته وصنع له مادبة وسماه محمدا

(وعن عائشة رضي الله تعالى عنها ما رأيت فرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قط) أي اما حياء منه أو منها أو منهما والحديث رواه ابن ماجه والترمذي في شمائله وروى عنها انها قالت ما رأيت منه ولا رأى مني أي العورة (وعن علي رضي الله تعالى عنه أوصاني النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لا) أي بان لا (يغسله غيري) بتخفيف السين وتشديدها (فانه لا يرى أحد عورتي الاطمست عيناه) بصيغة المجهول وأبعد التلمساني في قوله بفتح الميم مع انه قال والطمس المحو والمطموس العين هو الذي لا شق بين جفنيه انتهى والمعنى عميت قال الدلجي قوله فانه علة لترك غسله لغير علي كرم الله وجهه وتحذير من اقدام غيره عليه وخصه بذلك لعلمه صلى الله تعالى عليه وسلم بان له قدرة على غض بصره انتهى وفيه نظر لان غض البصر من كل أحد ممكن اذا أوصاه به وفي السيرة عن يونس بن بكر أنه نودي وهو يغسله ان ارفع طرفك الى السماء وفيه اشكال اذ لا يمكن غسله بكماله مع غض البصر ورفعه وأيضا لا يخلو من انه يغسل مجردا أو مصحوبا بما يغطي عورته من سرته الى ركبته أو في قميصه ولا أظن ان الاحتمال الاول يصح اذ لا يجوز لغيره ان يفعل هذا به فكيف بمثله صلى الله تعالى عليه وسلم مع قوله فانه أي الشان لا يرى أحد عورتي الاطمست عيناه فهو بيان وتنبيه لعلي وغيره ممن كان يعينه في غسله من أهل البيت ان لا يقصدوا رؤية عورته ليحترسوا أو يحترزوا عن كشفها وقوع نظرهم عليها هذا وعن ابن اسحق لما اختلفوا هل يغسلونه في ثوبه أو لا نودوا ان أغسلوه في ثوبه انتهى والمراد بثوبه قميصه كما بينته في شرح الشمائل للترمذي

استمراره فيكون في الحالين خارجا عن المعتاد المعروف وهذا الجمع لا يتاتى مع قولها كما روى انى لما أنكرت رفع حيضتي أتاني آت وأنا بين النائم واليقظان فقال هل شعرت بانك حملت بسيد هذه الامة ونبيها فكونها أنبئت بالحمل يقتضي أن الثقل لم يكن في ابتدائه والذي ينبغي في التوفيق أن الثقل يكون معنويا وهو الوجع والالم الذي يحصل للحوامل وهو المنفي وحسيا وهو رزانته وزيادة مقداره من غير ألم وتعب لانه صلى الله تعالى عليه وسلم وزن بجميع أمته فرجحهم وهذا هو المثبت وبقية أحوال حمله ومولده مفصلة في كتاب المولد لابن حجر وغيره (وعن عائشة رضي الله عنها) انها قالت (ما رأيت فرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قط) وروى انها قالت ما رأيت منه ولا رآى مني يعني العورة وحذف المفعول لاستهجان ذكره وسياتي الكلام على ذلك عند اعادة المصنف له في الكلام على الحياء والاغضاء وقد اختلف في نظر أحد الزوجين عورة الآخر فقيل يكره وهو الاصح وقيل يحرم لانه يورث العمى وورد تعليل النهي عنه بذلك ونقل عن علماء الشافعية الاختلاف في هذا العمى فقيل عمى الناظر وقيل عمى الولد وقيل عمى القلب (وعن علي رضي الله تعالى عنه أوصاني النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لا يغسله غيري فانه لا يرى أحد عورتي الا طمست عيناه) قال المخرج هذا الحديث رواه البزار والبيهقي أي لا يمر يده على جسده للغسل غيره لانه من أقرب أقربائه وأقدمهم صحبة وأما قول الحافظ مغلطاي انه غسله صلى الله تعالى عليه وسلم علي والعباس وابنه يعيناه وقثم وأسامة وشقران يصبون الماء عليه وأعينهم معصوبة من وراء الستر فلا ينافيه انهما أعاناه بتقليب جثته الشريفة والثلاثة أعانوه بصب الماء وهو يغسله بنفسه وقوله من وراء الستر يعني قميصه من غير تجريد منه كسائر الموتى لما روى عن عائشة رضي الله عنها انهم اختلفوا هل يجردونه أم لا فسمعوا مناديا من ناحية البيت يسمعون صوته ولا يرونه يقول غسلوا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وعليه ثيابه فلم يجردوه وقوله وأعينهم معصوبة أي مربوطة بعصابة حتى لا ينظرون جسده الشريف وهو يغسل خيفة ان يبدو من بدنه الشريف ما لم يؤذن في النظر اليه وضمير أعينهم للعباس وابنه وقثم وأسامة وشقران لا للكل فعلي رضي الله تعالى عنه لم يعصب عينه لانه المباشر فهو ماذون له في ذلك وخص بالاذن لانه كان أقدرهم على الغض وغيره ربما حانت منه لفتة فيطمس عيناه ولذا ورد انه نودي وهو يغسله ان ارفع طرفك نحو السماء خوفا من ان يديم النظر اليه وطمست بفتح الطاء والميم من الطمس وهو ازالة الاثر بالمحو وطمس العين ازالة ضوئها وصورتها وهو لازم قال الله تعالى ربنا اطمس على أموالهم ويتعدى كقوله تعالى من قبل ان نطمس وجوها وكفن صلى الله تعالى عليه وسلم في ثلاثة أثواب بيض سحولية والسحولية بضم السين وفتحها نوع من ثياب اليمن قطن وبيان النسبة مفصلة في الفائق وفي هذا دليل على ان الله تعالى صانه صلى الله تعالى عليه وسلم عن ان يرى أحد محل العورة منه قبل النبوة وبعدها فمن نظر اليها عن قصد عمي ولم يرد ما ينافيه اذ لم ينقل ان أحدا رآها في صغره كامه ومرضعته وأما ما روى من ان قريشا لما بنت الكعبة وكان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ينقل الحجارة معهم فكان يضع ازاره على عاتقه ويضع الحجر عليه فاذا دنا من الناس لبسه فلكمه لاكم لكمة شديدة فاستغاث شاخصا بصره للسماء فقيل له ما شانك فقال نهيت ان أمشي عريانا فكان ذلك أول شيء رآه من

أمر النبوة فليس فيه ان أحدا نظر لعورته صلى الله تعالى عليه وسلم (وفي حديث عكرمة عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما) عكرمة منقول من العكرمة بمعنى الحمامة وهو عكرمة بن عبد الله البربري مولى ابن عباس أحد فقهاء المدينة وتابعيها ومن الائمة المقتدى بهم في التفسير والحديث توفي سنة سبع ومائة وقيل غير ذلك وهذا رواه الشيخان وغيرهما وهو حديث صحيح (أنه صلى الله تعالى عليه وسلم نام حتى سمع له غطيط) الغطيط صوت النائم اذا ارتفع نفسه لانطباق مجراه وضيقه ويقال خطيط بالخاء المعجمة أيضا وهي بدل من الغين كما يقال اغن واخن قال التلمساني وثبتت به الرواية أيضا (فقام فصلى ولم يتوضا) لانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان لا ينتقض وضوءه بالنوم مضطجعا بخلاف غيره وهو من خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم وحكى الشافعية قولا أنه صلى الله تعالى عليه وسلم كغيره في الانتقاض بذلك والكلام على الانتقاض بالنوم في المذاهب الاربعة مفصل في كتب الفقه وانما كان ناقضا لانه مظنة خروج شئ من ريح ونحوه من النواقض ومذهب الشيعة وبعض السلف انه لا ينقض وفي أحد قولي الشافعي انه ينقض مطلقا وليس هذا محل تفصيله والاحاديث الدالة على ان نومه صلى الله تعالى عليه وسلم لا ينقض وانه تنام عينه ولا ينام قلبه كثيرة صحيحة منها ما ذكره هنا وهذا مخصوص به بالنسبة للامة لما صح من حديث انا معاشر الانبياء تنام أعيننا ولا تنام قلوبنا قال ابن عباس رضي الله عنهما الان رؤياهم وحي فيفارقون سائر البشر في نوم القلب ويساوونهم في نوم العين فلو سلط النوم على قلوبهم لم يكن رؤياهم مفارقة لرؤيا غيرهم وهذا افضل من الله خصهم به وأما ما روى من وضوئه صلى الله تعالى عليه وسلم بعد نومه فلم يقل انه لحدث وانما كان أحيانا تجديدا للوضوء فانه كان يستحبه أو هو بالنسبة لامته للتشريع لهم فان قلت يشكل على هذا أنه صلى الله تعالى عليه وسلم نام في الوادي حتى طلعت الشمس ولو كان قلبه غير نائم ما أخرج الصلاة عن وقتها * قلت أجيب عن هذا باجوبة أحدها انه لا مخالفة بينهما فان القلب يقظان فيحس بما يدركه القلب مما يتعلق بالبدن بخلاف ما يدرك بالعين كطلوع الشمس والفجر ثانيها أنه صلى الله تعالى عليه وسلم كان له نومان نوم مستغرق تنام فيه عينه وقلبه ونوم غير مستغرق تنام فيه عينه فقط قال النووي في شرح مسلم والمعتمد الاول فلعل قلبه صلى الله عليه وسلم كان مستغرقا بالوحي والمشاهدة فلا يلزم وصف قلبه بالنوم كما كان عند نزول الوحي عليه في اليقظة فلاشتغال باطنه بالقدس تعطل عن حقوق الظواهر كما قال الشاعر

فوالله ما أدري اذا ما ذكرتها * اثنتين صليت العشا أم ثمانيا

وهذا هو الذي اختاره ابن عبد البر وابن المنير لان ظاهر الحديث عمومه لسائر أحواله وما خالفه وجهه ما ذكر وحكمة التشريع وهذا جواب ثالث ورابعها أنه يستغرق قلبه وينام ولكن لا يبلغ مرتبة عدم الشعور بالحدث (تنبيه) على القول بان المس ينقض الوضوء ذهب بعضهم الى أنه لغيره صلى الله تعالى عليه وسلم وأما هو فلا ثم اعلم انه اذا كان رؤياه صلى الله تعالى عليه وسلم وحيا فهل أوحي اليه في نومه بشئ من القرآن قال الرافعي في أماليه لم يقع ذلك وانما نزل عليه صلى الله تعالى عليه وسلم كله يقظة وما ورد من قراءته سورة الكوثر في النوم محمول على انها خطرت على قلبه بعد نزولها يقظة وقوله ولم يتوضا بسكون الهمزة لدخول الجازم عليه ويجوز أبدالها الفا لينة على القياس وحينئذ فيجوز فيه جزمه بحذف الحركة المقدرة وابقاء الالف المعارضة ويجوز جزمه بحذف ألفه لمعاملته معاملة نحو يخشى فلك أن تقول لم يتوضأ ولم يتوضا ولم يتوض كما ذكره النحاة (قال عكرمة) في بيان وجه ما ذكر (لانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان محفوظا) قيل هذا جواب عن الاشكال السابق حاصله ان النوم ليس ناقضا بنفسه وانما نقض لانه مظنة الحدث والله تعالى حفظه صلى الله تعالى عليه وسلم

(وفي حديث عكرمة وهو مولى ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وأحد فقهاء مكة وتابعيهم ومفسريهم لكنه أباضي خارجي (عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما) كما رواه الشيخان عنه (أنه صلى الله تعالى عليه وسلم نام حتى سمع له) بصيغة المفعول (غطيط) أي صوت يخرج مع نفس النائم (فقام فصلى ولم يتوضا قال عكرمة لانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان محفوظا) أي من ان يخامر قلبه نوم وان خامر عينيه لحديث انا معاشر الانبياء تنام أعيننا ولا تنام قلوبنا وأما نومه عن صلاة الصبح في الوادي وعن صلاة التهجد أحيانا فالاظهر انه تجديد للوضوء ويجوز أن يكون عن نقض قبله أو بعده وقيل عن مخامرة قلبه مع ندرة ليبين لامته لكنه مردود لما سبق من عموم الاوقات المفهوم من الحديث الذي تقدم والله أعلم

(فصل)
(واما وفور عقله) أي زيادته على عقل غيره (وذكاء لبه) بفتح الذال المعجمة ممدودا أي حدة فهمه وسرعة دركه واللب أخص من العقل فانه مختص بالعقل السليم والفهم القويم من لب الشئ خالصه وسره ومنه قوله تعالى ان في ذلك لعبرة لاولي الالباب (وقوة حواسه) بتشديد السين جمع حاسة من حس بمعنى أحس وهي أسباب علمه من سمع وبصر وذوق وشم ولمس يعم جميع البدن

عن وقوع ذلك منه ولو وقع نبه عليه وهو مع ضعفه مخالف لظاهر الحديث فالظاهر ان المراد ان الله حفظه عن أن ينام قلبه وقد علمت مما مر ان هذه خاصة اضافية بالنسبة للامة أو الامم لان سائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام كذلك وقيل ان سفيان بن عيينة رحمه الله تعالى كانه لم يطلع على حديث انا معاشر الانبياء تنام أعيننا ولا تنام قلوبنا أو لم يصح عنده فحكم بان الصلاة بعد النوم من غير وضوء من خواصه صلى الله تعالى عليه وسلم وتبعه مغلطاي واليه ذهب بعض الشافعية ولذا قال ابن الوردي رحمه الله تعالى في البهجة الوردية

و بعض ما اكرمه الله به * منامه بالعين دون قلبه

أقول لا وجه لما قالوه فان الحكم بغفلة مثل سفيان أو قوله فيما صح من الاحاديث انه غير صحيح غير صحيح مع انه لم يصرح به فالتقول عليه بمثله غير لائق وحمل المؤمن وقوله على الصلاح أولى فنقول انما أراد هؤلاء انه لو سلم ان الانبياء السالفة صح انهم كانوا يتوضؤن لصلاتهم كوضوئنا فلم يسمع من احداث وضوءهم ينتقض بنواقض شرعنا فتكون الصلاة بعد النوم من خواص نبينا على الاطلاق وعدم نوم قلوبهم امر آخر وهذا أمر اوضح من الصبح ومما قلته فيما نحن فيه

وعينيك ما قلب النبي غفا ولا * عيون له في بردة الليل راقدة
ولكنما الاجفان منه تهجدت * وباتت بمحراب الحواجب ساجدة

(فصل) في قوة عقله صلى الله تعالى عليه وسلم وشدة أدراك حواسه وذكائه وفيه ما يدل على كمال قوة بنيته (واما وفور عقله) الوفور بضم الواو والفاء مصدر كالعقود بمعنى التمام لا الكثرة وقيل يحتمل انه جمع وفر بمعنى كثير والعقل قوة وغريزة أودعها الله في الانسان ليتميز عن الحيوان بادراك الامور النظرية وقيل انه نور يقذف في القلب يستعد به لادراك العلوم والامور العقلية وفي حقيقته ومحله خلاف وكلام لا حاجة لتفصيله واشتقاقه من العقل بمعنى المنع ومنه العقال لمنعه الانسان عما لا يليق ولذا تظرف القائل

قد عقلنا والعقل أي وثاق * وصبرنا والصبر مر المذاق

وهذه القوة تتفاوت بالشدة والضعف وتزيد بامور مكتسبة من التجربة ومخالطة العقلاء فلذا قيل العقل عقلان عقل غريزي وعقل مكتسب وقد علمت ان المراد بوفور عقله صلى الله عليه وسلم تمامه وكماله لا كثرته حتى يقال ان المصنف رحمه الله تعالى وصف العقل بالكثرة باعتبار آثاره الصادرة عنه قال في الصحاح الموفور الشئ التام ووفرت الشئ وفرا ووفر الشئ بنفسه وفورا يعني انه تام ولازم والوفور لم يذكر انه جمع (وذكاء لبه) الذكاء بفتح الذال المعجمة والموحدة الفؤاد بسرعة أدراكه وفطنته لانه في الاصل الاشتعال والتوقد ولذا يقال الذكي متوقد الذهن وقال الشاعر

لو لم يحل ماء الندا * فيه لاحرقه ذكاؤه

واللب بضم اللام وتشديد الموحدة التحتية بمعنى العقل ولب كل شئ قلبه وخالصه فلو فسر اللب هنا بالقلب جاز أيضا يقال لب يلب اذا صار لبيبا وعلى الاول غاير بين اللب والعقل تفننا ولا تكرار في كلامه كما توهم (وقوة حواسه) الخمس الظاهرة وهي اللمس والذوق والشم والسمع والبصر وهذه مما لا كلام في ثبوتها للانسان والحيوان الا ان الحصر فيها لانا لم نعثر على غيرها لا فينا ولا في غيرنا وان أمكن كما صرحوا به واما الحواس الباطنة كالحس المشترك والخيال والقوة الفكرية والوهم والحافظة ومحالها من الدماغ فلم يثبتها أهل الشرع على انهم في اثباتها وتعيين محالها في حيص بيص كما يعرفه من وقف على كلامهم والحاسة بمعنى المدركة من حس بمعنى أحس والثاني هو الاعرف الافصح وبه جاء القرآن قال الله تعالى فلما أحسوا باسنا فلما أحس عيسى منهم الكفر وهو استعارة لجعله لشدة ظهوره كالمحسوس

(وفصاحة لسانه) أى حسن تعبيره وبيانه (واعتدال حركاته) أى وسكناته من قيام وقعود ومشى ورقود ونحو ذلك (وحسن شمائله) أى من خلقه وخلقه (فلا مرية) بكسر الميم وتضم كما قرئ بهما فى قوله تعالى فلا تك فى مرية الا ان الضم شاذ أى فلا شك (انه كان أعقل الناس وأذكاهم) بالذال المعجمة أى أحدهم طبعا وأطيبهم نفعا (ومن تامل) أى تفكر (تدبيره) أى نظره باعتبار عاقبته (أمور بواطن الخلق وظواهرهم) أى بتصرفه فيهما الى حسن ما لهما (وسياسة العامة والخاصة) من سست الرعية سياسة امرتها ونهيتها والظاهر انها بكسر السين وأبدلت الواو ياء لحركة ماقبلها كالقيام والصيام فانها من مادة السوس على مافى القاموس وقال الحلبى بفتح السين والظاهر انه سبق قلم أو زلة قدم ثم المراد بالخاصة العالم والمتعلم وبالعامة من عداهم كما ورد الناس اثنان عالم ومتعلم والباقى همج رعاع اتباع لا يعبأ الله بهم وعن على كرم الله وجهه وقد سئل عن العامة فقال همج رعاع اتباع كل ناعق لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجؤا الى ركن وثيق وأجمع الناس فى تسميتهم على انهم غوغاء وهم الذين اذا اجتمعوا غلبوا واذا تفرقوا لم يعرفوا انتهى والغوغاء ماخوذ من غاء الجراد لانه يركب بعضه بعضا فسميت ولم
العامة باسمه لاجل الشبه الحاصل بينهما فى الارتكاب أى يتبع بعضهم بعضا من غير فائدة ولا منفعة وانما هم يقبلون لا لشئ
ويدبرون لا لشئ (مع عجيب شمائله) أى اخلاقه العجيبة (وبديع سيره) بكسر ففتح جمع سيرة أى سيرة الغريبة

وقوة الحواس مما يتمدح به (وفصاحة لسانه) هذا وماقبله مرفوع بالعطف على وفور وسيأتى الكلام على الفصاحة قريبا (واعتدال حركاته) أى حركاته الظاهرة فى بدنه واعضائه جارية على نهج الاستقامة والادب فانها عنوان لما فى قلبه من الخشوع والخضوع ومراقبة ربه الذى هو دائما فى حضرته ولذا قال صلى الله تعالى عليه وسلم لما رأى رجلا يعبث بلحيته فى صلاته لو خشع قلب هذا اخشعت جوارحه (وحسن شمائله) جمع شمال بالكسر وهو الطبع والاخلاق والصفات المحمودة (فلا مرية) بكسر الميم وقد تضم وسكون الراء المهملة يليها مثناة تحتية أى لا شك ولا شبهة أو لا جدال ولا محاجة وقال الراغب المرية التردد فى الامر وهى أخص من الشك قال الله تعالى فلا تكن فى مرية من لقائه والامتراء والمماراة المحاجة فيما فيه مرية وقال الله تعالى فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا وأصله من مريت الناقة اذا مسحت ضرعها للحلب (انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان أعقل الناس وأذكاهم) أى أقواهم وأشدهم عقلا وأكثرهم فطنة وذكاء ووضح ذلك وبينه بما هو معلوم لاهل العلم والبصيرة فقال (ومن تامل) فى الصحاح تاملت نظرت فيه مستبينا فكانه ماخوذ من الأمل وهو الرجاء لان من دقق النظر فى شئ أعمل الفكر فيه رجاء حصوله وانكشاف كنهه (تدبيره أمور بواطن الخلق وظواهرهم) أى الوقوف على ظواهر أحوالهم وخفياتها حتى يصلحها ويرشدهم للاحسن منها وأصل معنى التدبير التفكر فى عواقب الامور وادبارها وتدبير مفعول تامل وأمور مفعول تدبير لانه صلى الله تعالى عليه وسلم بعث داعيا الى الله وهاديا للعباد وهذا انما يكون باصلاح باطنهم وظاهرهم وهو يتوقف على معرفة ذلك (وسياسة العامة والخاصة) منصوب معطوف على تدبيره والسياسة مصدر ساس الناس يسوسهم اذا دبر امورهم وتصرف فيها كما قالت حرقة بنت النعمان

فبينا نسوس الناس والامر أمرنا * اذا نحن فيهم سوقة نتنصف

وقول علامة الروم انه معرب سه يسق غلط لا أصل له وقد أخذه من كلام من لا يعتد به والعامة عوام الناس وجهلتهم من أرباب الصنائع والرعية ماخوذ من العموم لان أكثر الناس كذلك والخاصة خلافهم وللمسعودى والجاحظ كلام فى وصف العامة منه اتباع لكل جاهل لا يفرقون بين حق وباطل فتراهم مهرعين لقائد دب أو ضارب دف منشوقين الى اللهو واللعب مختلفين لمتعبد متخرق واقفين عند قاص كذاب مجتمعين حول مضروب واقفين عند مصلوب ينعق لهم فيتبعون ويصاح بهم فلا يرتدعون اذا اجتمعوا ضروا واذا تفرقوا نفعوا وسياسة الخاصة بالدلالة على الخير والنصيحة وسياسة العامة بالزجر والقهر * والضرب والنهر * وسئل العتبى عن قوله تعالى انا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور وقوله تعالى وأنزلنا الحديد فيه باس شديد أى مناسبة بين ذلك وبين الحديد وما هو الا كالجمع بين الضب والنون فاجاب بان مالك الملك أرسل رسله لاجراء أوامره ونواهيه بين عباده وهما قسمان عقلاء ذووا بصيرة وارشادهم بالكتب الالهية وما حوته من الادلة القطعية وجهلة عوامهم وتسخيرهم بالقهر والارهاب بالسيف والسنان فصار المعنى أرسلناهم بضابطى العامة والخاصة وأى مناسبة أتم من هذه وان ترى عدم المناسبة بينهما بحسب النظرة الحمقاء (مع عجيب شمائله وبديع سيره) جمع سيرة مضاف للضمير وقد تقدم انها هيئة السير ثم خصت بحاله فى غزواته ونحوها والعجيب الامر الذى من شانه ان يتعجب منه لكونه لا نظير له وكذا البديع بمعنى المبدع وغاير بينهما تفننا فى العبارة

ولم يعطفهما وأتى بمع للدلالة على ان انضمام هذا الى ما قبله سبب كونه عجيبا بديعا كما تقول فلان يجود مع فقره لان الجود في هذه الحالة أغرب يعني انه صلى الله تعالى عليه وسلم مع سياسته العامة للخاصة والعامة مهذب الاخلاق موطئ الاكناف حسن السيرة وقلما تتفق السياسة العظمى الامع التجبر والتعظم والتحجب كما نراه من الملوك فهذا دليل قوة عقله وفطنته صلى الله تعالى عليه وسلم ثم قال (فضلا عما افاضه من العلم) أي وزاد على ماذكر بكثرة العلم الذي علمه الناس وجعله شائعا بينهم من أفاض الحديث اذاعه وقوله من العلم أي علوم الاولين والآخرين (وقرره من الشرع) أي ماقرره للناس من الامور الشرعية لمعرفته بشرائع من قبله وبيانه لامور شريعته والكلام على فضلا وتعديه بعن مفصل في شروح المفتاح والكشاف ويأتي بعض منه والافاضة أصلها من فيض الماء ثم شاعت فيما امر (دون تعلم سبق) متعلق بافاض ومابعده أي فعل ذلك من غير تعلم لانه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يسكن غير بلده ولم يقارن غير أهل جلدته ولم يكن ثمة من يمكن تعلمه منه (ولا ممارسة تقدمت) منه والممارسة معالجة ومزاولة بالاعتياد على فعله أي لم يتعلم من غيره ولم يحاوله حتى يعلمه من نفسه باجتهاد في استخراجه بعقله (ولا مطالعة للكتب منه) أي لم ينظر في شئ من الكتب لانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان أميا بين قوم أميين وهذا دليل على شدة ذكائه صلى الله تعالى عليه وسلم وفطنته واستقامة طبيعته وفطرته فلذا قال (لم يمتر) أي لم يشك ولم يرتب (في رجحان عقله) أي في زيادة عقله (وثقوب فهمه) أي نفوذه وظهوره وهو بالمثلثة من تثقيب النار وهو تذكيتها يقال ثقبت النار تثقب اذا اتقدت (لاول بديهته) أي لم يمتر ولم يشك في أول نظرة نظرها فان قلت هو صلى الله تعالى عليه وسلم تعلم ماذكر من الوحي المنزل عليه وهو سفير محض قلت تلقي الوحي من الملك وضبطه وفهمه واجراؤه في مجاريه من غير تكلف منه يدل على ماذكر وكم من عالم قرأ ودرس العلوم اذا أراد تقرير ما علمه لم يجد له قدرة ولا رونقا وبعض الفقهاء اذا ولي القضاء لا يحسن الحكم بين الناس ولك ان تقول المراد بما ذكر أمر آخر غير ما قلته من الامور العرفية التي أكثرها برأيه وحسن تدبيره فانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان مأذونا له في الاجتهاد (وهذا مما لا يحتاج الى تقريره) وبيانه بما ذكرناه (لتحققه) بالمشاهدة في عصره والتواتر بعد ذلك بحيث لا يشك فيه مسلم وعاقل وبما قررناه عرفت ان قول بعض الشراح هنا ان قوله ومن تامل الى آخره غير واقع موقعه لان العلم بمثل هذا ملحق بالبديهيات وقد استشعر ذلك فقال وثقوب فهمه لاول بديهة فهذا تطويل بغير مفتقر اليه عن عدم التدبر (وقال وهب بن منبه) بضم الميم وفتح النون وكسر الباء المشددة بزنة اسم الفاعل وهو وهب بن منبه بن سيج بسين مهملة مفتوحة وقيل مكسورة ثم مثناة تحتية ساكنة ثم جيم الانباري اليماني أخو همام بن منبه وكنية وهب أبو عبد الله ويقال له الذماري نسبة الى ذمار بكسر الذال المعجمة وهي قرية بقرب صنعاء تابعي مشهور بالمعرفة بالكتب القديمة سمع من جابر بن عبد الله رضي الله عنه وقيل انه لم يلحقه وروى عن ابن عباس وعبد الله بن عمرو بن العاص وأبي سعيد الخدري وأبي هريرة والنعمان بن بشير وغيرهم رضي الله عنهم واتفقوا على توثيقه وعبادته وتوفي سنة أربع عشرة وقيل ستة عشرة ومائة وهو ابن ثمانين سنة وأخرج له أصحاب الكتب الستة وله ترجمة طويلة في الميزان (قرأت في احد وسبعين كتابا) من الكتب القديمة النازلة على الانبياء

أفاضه وقرره وذلك كله (دون تعلم سبق) أي له من غيره (ولا ممارسة) أي ملازمة (تقدمت) أي منه لشئ من ذلك (ولا مطالعة للكتب منه لم يمتر) من الامتراء وهو جواب الشرط أي لم يشك (في رجحان عقله وثقوب فهمه) بضم المثلثة أي في سرعة دركه (لاول بديهة) أي في أول وهلة بدون تفكر ومهلة فكأنه يثقب العلم بقوة فهمه كما يثقب النجم الظلام بقوة ضوئه (وهذا) أي ماذكر (مما لا يحتاج الى تقريره) أي ذكره وتحريره (لتحققه) وفي نسخة لتحققه أي لظهور تحققه وثبوت أمره عقلا ونقلا (وقال وهب بن منبه) بتشديد الموحدة المكسورة وهو تابعي جليل من المشهورين بمعرفة الكتب الماضية روى عن ابن عباس وغيره من الصحابة رضي الله تعالى عنهم وروى عنه ابن دينار وعوف الاعرابي وآخرون واتفقوا على توثيقه ويقال انه ما وضع جنبيه على الارض

ثلاثين سنة وكان يقول لان أرى في بيتي شيطانا أحب الي من ان أرى وسادة لانها تدعو الى النوم وله أخوة منهم همام بن منبه وعمر بن منبه وهم من ابناء الفرس الذين بعثهم كسرى الى اليمن (قرأت في أحد وسبعين كتابا) أي من كتب الله المنزلة وفي معارف ابن قتيبة قرأت من كتب الله اثنين وسبعين كتابا

(فوجدت فى جميعها ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ارجح الناس) أى الخلق (عقلا وأفضلهم رأيا) أى تدبيرا ناشئا من العقل الكامل الذى ينظر فى بدء الامر ودبره وأوله وآخره وقيل الرأى رأى القلب وهو ما رآه من حالة حسنة (وفى رواية أخرى فوجدت فى جميعها ان الله تعالى لم يعط جميع الناس من بدء الدنيا الى انقضائها من العقل فى جنب عقله صلى الله تعالى عليه وسلم الا كحبة) أى لم يعطهم جميعا منه شيئا نسبته الى عقله الا كنسبة حبة (رمل من بين رمال الدنيا) أى بالنسبة الى رمالها وهو من باب تشبيه المعقول بالمحسوس والظاهر انه كان أفضلهم رأيا فى الامور الدينية وكذا فى الاعمال الدنيوية باعتبار الاكثرية أو حالة جزمه بالقضية فلا ينافيه حديث البخارى انه صلى الله تعالى عليه وسلم رأى أهل المدينة يابرون النخل بكسر الباء وضمها فسألهم عنه فقالوا كنا نفعله فقال لعلكم لو لم تفعلوا لكان خيرا فتركوه ففسد ذلك العام فذكروا ذلك له فقال انما انا بشر مثلكم فاذا أمرتكم بشئ من دينكم فخذوه واذا أمرتكم بشئ من رأيى أى مع تردد فيه وعدم جزم بحسنه فانما أنا بشر اخطئ وأصيب أى فى غير ما أوحى اليه وحيا جليا أو خفيا كما أشار اليه قوله تعالى قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى الآية

عليهم الصلاة والسلام وغيرها (فوجدت فى جميعها ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ارجح الناس عقلا وأفضلهم رأيا) يعنى ان عقله ازيد من عقول الناس والمراد أشد من عقولهم جميعا وآرائهم وقد تقدم انه كان يعرف الكتب القديمة ويقرؤها قال التجانى فى كتاب المعارف لابن قتيبة عن وهب انه قال قرأت من كتب الله سبحانه وتعالى اثنين وسبعين كتابا فيمكن ان يكون وجدان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أرجح الناس عقلا وأفضلهم رأيا فى أحد وسبعين كتابا منها فقط ولم يجد ذلك فى الكتاب الثانى والسبعين ويمكن أن تكون الروايات عنه مختلفة بزيادة ونقص والذى قاله وهب من انه صلى الله تعالى عليه وسلم منوه بذكره فى الكتب المتقدمة يعضده قوله تعالى النبى الامى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل (وفى رواية أخرى) عن وهب أيضا (فوجدت فى جميعها) أى فى جميع الكتب التى قرأها (ان الله تعالى لم يعط جميع الناس) حتى الانبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام (من بدء الدنيا الى انقضائها من العقل فى جنب عقله صلى الله تعالى عليه وسلم) أصل معنى الجنب الجارحة ثم استعير للناحية التى تليها كاستعارة سائر الجوارح لذلك كاليمين والشمال وقوله فى جنب الله أى فى أمره وحده الذى حده لنا كما قاله الامام الراغب فالمراد بقوله تعالى فى جنب الله فى حده ومقداره الذى اعطاه الله تعالى له (الا كحبة رمل من رمال الدنيا) يعنى ان عقله صلى الله تعالى عليه وسلم كجميع رمال الدنيا وعقل جميع الناس كحبة منها وهذا على طريق التمثيل لان عقولهم لا تقاس بعقله صلى الله تعالى عليه وسلم كما ضرب الخضر لموسى عليهما الصلاة والسلام مثلا بما فى منقار عصفور من ماء البحر بالنسبة لسائره فشبه به علم الله تعالى وعلم ما عداه وقد اورد على كونه أفضل الناس رأيا انه ورد ما يخالفه فى كثير من الوقائع الثابتة فى الحديث ورجوعه عن رأيه الى رأى غيره كما فى قصة بدر ورجوعه لرأى الحباب بن المنذر حيث نزل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بادنى ماء من مياه بدر فقال له الحباب أهذا منزل أنزلكه الله فلا نتقدم ولا نتاخر عنه أو هو رأى ومكيدة حرب فقال بل هو الرأى والمكيدة فقال ليس هذا بمنزل بل الرأى ان نسير حتى ناتى أدنى ماء من مياه بدر فننزله ثم نغور ما وراءه ونبنى عليه حوضا ونملؤه ثم نقاتل ونشرب ولا يشربون فقال اشرت بالرأى ورجع صلى الله تعالى عليه وسلم لما قاله وكذا فى قصة أسارى بدر والفداء وكذا فى قصة تابير النخل ونحوه مما سياتى مما لا حاجة للتطويل بذكره هنا وأجاب التجانى بان رجحان رأيه على ما سواه مخصوص بما أمضاه من سنن الشرع واجتهاداته فى أمور الدين فلا ينافى رجوعه فى آراء الدنيا لغيره كما صرح به فى قصة التابير اذ قال انما انا بشر مثلكم فاذا أمرتكم بشئ من دينكم فخذوا به واذا أمرتكم بشئ من رأيى فانما انا بشر اخطئ وأصيب وهذا نص فيما ذكر ورد بان مختار أهل الاصول انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان متعبدا فيما لا وحى فيه بانتظار الوحى ثم بالاجتهاد بعد وقت الانتظار وقيل له الاجتهاد مطلقا فى الامور الشرعية والدنيوية وهذا مذهب مالك وأحمد والشافعى وهو المنقول عن أبى يوسف وغيره واختلف فى جواز خطابه فى اجتهاده فذهب الرازى وغيره الى انه لا يجوز وفى التوضيح يجوز لكن لا يقرر عليه وعدم الاقرار بالاجماع لوجوب اتباعه المقتضى لعصمته وجواز الخطا عقلا لا مانع منه بمقتضى البشرية وقوة عقله صلى الله تعالى عليه وسلم وكمال حدسه وسداد رأيه لا ينافيه لانه من لوازم الطبيعة البشرية واذ جاز سهوه فى صلاته ومناجاته ففى غيرها بالاولى فقول التجانى ان جميع أموره الدينية صواب خلاف المختار عند علماء الاصول وحينئذ فمعنى كونه أفضل الناس رأيا واجتهادا مع جواز الخطا احيانا ان رأيه لو خلى ونفسه من غير معارض فيما تقتضيه الطباع البشرية كان أفضل من رأى غيره واجتهاده اذا خلى ونفسه أيضا مع رجحان رأيه

بعدم

بعدم التقرير عليه اذا خالف الاولى وآراؤه صلى الله تعالى عليه وسلم كلها صواب بعد التقرير عليها وقبله لا الا على قول من يقول كل مجتهد مصيب والحاصل ان كون رأيه أفضل الآراء لا ينافى رجوعه لغيره ومشاورته له فان العبرة بما وقع عليه القرار لا ببادئ الرأى فافهم (وقال مجاهد) رحمه الله تعالى تقدم الكلام على ترجمته فيما رواه عنه ابن المنذر والبيهقى مرسلا بلفظ (كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا قام فى الصلاة يرى من خلفه كما يرى من بين يديه) قال البرهان فى الاصل الذى وقفت عليه من بفتح الميم موصولة وخلفه صلته منصوب على الظرفية وكذا من بين يديه وفى غيره بمن الجارة فيهما وهذا الحديث رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه لكن بلفظ قال صلى الله تعالى عليه وسلم هل ترون قبلتى ههنا فوالله ما يخفى على ركوعكم ولا خشوعكم وانى لاراكم من وراء ظهرى ورواه مالك وأحمد وغيرهما وفى لفظه اختلاف كما يأتى والمعنى متفق واختلفوا فى هذه الرؤية هل هى مختصة بحال الصلاة أم لا وهل هى رؤية حقيقية أم علمية قلبية فقال ابن الصباغ فى الشامل ان المراد بها الحس والتحفظ وقيل المراد العلم بان يوحى اليه صلى الله تعالى عليه وسلم كيفية فعلهم أو يلهم ذلك وفيه نظر لانه حينئذ لا معنى لتقييده بقوله من وراء ظهرى وقيل المراد من عن يمينه وشماله وهو تكلف والصواب انه محمول على ظاهره وان الابصار حقيقى خاص به على طريق خرق العادة له صلى الله تعالى عليه وسلم ولذا أخرجه البخارى فى علامات النبوة ثم انه على ماذكر يجوز ان يكون برؤية عينية خرقا للعادة فكان يرى بهما من خلفه كما يرى ما يقابله فعلم لانه لا يشترط فى الرؤية المقابلة ولا العضو المخصوص عند أهل السنة كما قرروه فى رؤية الله تعالى وهذه أمور عادية تجوز الرؤية مع عدمها عقلا واذا قلنا الرؤية علمية فمعنى ارى من خلفى أراكم وأنتم من خلفى وقال الزاهدى الحنفى صاحب القنية فى رسالته الناصرية انه صلى الله تعالى عليه وسلم كانت له عينان بين كتفيه كسم الخياط يبصر بهما لا يحجبهما ثوب ولا غيره والظاهر ان مثله لا يقال بالرأى وقيل كانت صورهم تنطبع فى حائط قبلته صلى الله تعالى عليه وسلم كما تنطبع فى المرآة فيشاهد افعالهم ولا ينافى هذا ما ورد انه صلى الله تعالى عليه وسلم جعل شابا حدثا من وفد عبد القيس خلفه لئلا يراه ولا قوله انى لا أعلم ما وراء جدارى هذا ان صح ولا قوله فى الحديث الآخر أيكم الذى ركع دون الصف فقال أبو بكر رضى الله عنه أنا يا رسول الله فلو كان يرى كما ذكرها احتاج للسؤال لان الاول تشريع والثانى المراد به نفى علمه صلى الله تعالى عليه وسلم بالمغيبات مع ان عدم رؤيته ما وراء الجدار لا ينافى الرؤية من غير حائل وهذا ان لم نقل انه مخصوص بالصلاة كما فى الامتناع وأجاب ابن عبد البر عن حديث أبى بكر رضى الله تعالى عنه بان هذه القضية كانت قبل ان فضله الله تعالى بهذه الفضيلة فان شؤنه صلى الله تعالى عليه وسلم تتزايد دائما وقيل معنى قوله انى أراكم ان قصدت ذلك ولم يكن صلى الله تعالى عليه وسلم قصد ذلك كما ان الانسان قد لا يستعمل نظره أحيانا أو انه رآه ولم يعلم عينه أو أراد تقريره ليذكر له ما ذكره وارتضاه بعضهم وارتضى غيره انه كان خلفه صفوف كثيرة فلا يرد عليه عدم رؤيته لانه لم يكن خلفه فى الصف الاول فلا حاجة لما تكلفوه من الاجوبة وهو كلام حسن (وبه فسر) بالبناء للفاعل أى فسر العلماء أو بعض المفسرين (قوله تعالى * وتقلبك فى الساجدين) أى نرى تقلب بصرك فى المصلين خلفك لتراهم وتعلم ما يفعلون وهو امتنان بهذه النعم وهذا مؤنس لاختصاصه بالصلاة كما ورد التصريح به فى بعض الاحاديث (وفى الموطا) بصيغة المفعول المشدد الطاء المهملة المهموز سمى به لما فيه من أحاديث الاحكام الممهدة للشريعة وسياق هذا الحديث للاستدلال به على قوة حواسه صلى الله تعالى عليه وسلم فيناسبه التفسير بانه يراهم بعينيه حقيقة كما مر (عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انى لاراكم من وراء ظهرى ونحوه)

(وقال مجاهد) أى كما رواه عنه ابن المنذر والبيهقى مرسلا بلفظ (كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا قام فى الصلاة) وفى نسخة الى الصلاة والاظهر هو الاول فتامل (يرى من خلفه كما يرى من بين يديه) من فيهما جارة ويجوز ان تكون موصولة وكذا ما ورد مثلها مما سيأتى (وبه) أى وبما ذكر من انه يرى من خلفه (فسر) أى مجاهد (قوله تعالى وتقلبك فى الساجدين) بالنصب عطفا على الضمير المفعول فى قوله سبحانه وتعالى وتوكل على العزيز الرحيم الذى يراك حين تقوم والمعنى ويرى تردد بصرك فى من وراءك من المصلين لتصفح أحوالهم من الكاملين والغافلين (وفى الموطا) للامام مالك عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه (عنه عليه الصلاة والسلام) وصدره أترون قبلتكم هذه فوالله لا يخفى على ركوعكم ولا سجودكم (انى لاراكم من وراء ظهرى ونحوه) أى نحو حديث الموطا بحسب المعنى

(عن أنس) رضي الله تعالى عنه (في الصحيحين) وهو مارو ياه عن أنس مرفوعا أقيموا الركوع والسجود فوالله اني لاراكم من بعدي وربما قال من بعد ظهري اذا ركعتم وسجدتم (وعن عائشة رضي الله تعالى عنها مثله) أي مثل ما في الصحيحين لفظا ومعنى (قالت) أي عائشة رضي الله تعالى عنها (زيادة) على ماسبق أي هذه المعجزة العظيمة والخصلة الكريمة زيادة فضيلة (زاده الله اياها في حجته) أي صحة نبوته (وفي بعض الروايات) أي لعبد الرزاق والحاكم (اني لانظر من ورائي كما أنظر الى من بين يدي) فالموصولة متعينة فيهما وفي نسخة الى ما وفي رواية كما أنظر من بين يدي فالاحتمالان في من جائزان (وفي اخرى) أي وفي رواية أخرى لمسلم (اني لابصر من قفاي كما أبصر من بين يدي وحكى بقي بن مخلد) بفتح الموحدة وكسر القاف وتشديد التحتية ومخلد بفتح الميم واللام بينهما خاء معجمة وهو أبو عبد الرحمن القرطبي الحافظ صاحب المسند الكبير والتفسير الجليل الذي قال فيه ابن حزم ماصنف تفسير مثله أصلا سمع ابن أبي شيبة وغيره وكان مجتهدا ثبتا لا يقلد أحدا قال ابن حزم كان بقي ذا خاصة من أحمد بن حنبل وجاريا في مضمار البخاري ومسلم والنسائي انتهى وكان مجاب الدعوة وقيل انه كان يختم القرآن كل ليلة في ثلاث عشرة ركعة ويسرد الصوم وحضر سبعين غزوة (عن عائشة رضي الله عنها كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يرى في الظلمة كما يرى في الضوء) وفي رواية كما يرى في النور قال البيهقي اسناده ضعيف كما رواه أيضا من حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كان يرى بالليل في الظلمة كما يرى بالنهار في الضوء وقال ليس بقوي وقال ابن الجوزي لا يصح ولا ينافيه ما في روضة المجرة للسهيلي من انه صلى الله تعالى عليه وسلم المتزوج أم سلمة دخل عليها في ظلمة فاصابت رجله زينب فبكت ثم في ليلة أخرى دخل في ظلمة أيضا فقال انظروا ربائبكم لا أمشي عليها لاحتمال حمل ماسبق على حالة من أحواله المسماة بالمعجزة والكرامة وهي لا تستدعي استيفاء الاوقات والمداومة فتحمل احداهما على الندرة أو تخص تلك الحالة بوقت الصلاة هذا وقد ذكر النووي في شرح مسلم قال العلماء معناه ان الله خلق له صلى الله تعالى عليه وسلم ادراكا في قفاه يبصر به من ورائه وقد انخرقت العادة له صلى الله تعالى عليه وسلم باكثر من هذا وليس يمنع من هذا عقل ولا شرع بل ورد الشرع بظاهره فوجب القول به وذكر المصنف كما سيأتي انه قال أحمد بن حنبل وجمهور العلماء هذه الرؤية رؤية العين حقيقة وذكر مختار بن محمود مصنف القنية الزاهدي من أصحابنا الحنفية وشارح القدوري في رسالته الناصرية انه

عن أنس رضي الله تعالى عنه في الصحيحين وعن عائشة رضي الله تعالى عنها مثله قالت) ورؤيته صلى الله تعالى عليه وسلم ما أكرمه الله تعالى به دون غيره (زيادة زاده الله تعالى اياها في حجته) وفي نسخة في محجته والاولى أصح (وفي بعض الروايات) لعبد الرزاق والحاكم (اني لانظر من ورائي كما أنظر من بين يدي وفي أخرى) أي في رواية أخرى لمسلم (اني لابصر من قفاي كما أبصر من بين يدي) والمراد بحجته الدلائل الدالة على نبوته صلى الله تعالى عليه وسلم وصدقه وقيل في حجته على الكفار لان هذه معجزة من معجزاته خارقة للعادة وقوله زيادة بالرفع أي هذه زيادة ويجوز نصبه وقول عائشة رضي الله تعالى عنها هذا الاثبات رؤيته من خلفه وأكثر المفسرون في هذه الآية الاقوال فمنها ماذكره المصنف رحمه الله عن عائشة رضي الله تعالى عنها هنا ومنها ما مر من ان المراد انتقاله من صلب نبي لنبي وسيأتي تتمته وقيل ترددك في تصفح أحوال المتهجدين لانه لما نسخ فرض الليل دار صلى الله عليه وسلم على بيوت أصحابه لينظر ما يصنعون حرصا على طاعتهم فوجدها كبيوت الزنابير من الذكر والتلاوة وقيل معناه نرى تقلبك في جماعة المصلين اذا أممتهم وماذكره المصنف رحمه الله تعالى عن الموطا بعض حديث رواه مالك عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل ترون قبلتي ههنا فوالله مايخفى علي خشوعكم ولا ركوعكم واني لاراكم من وراء ظهري وأول الحديث قال أنس صلى بنا النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم فلما أقبل علينا بوجهه قال أيها الناس اني امامكم فلا تسبقوني بالركوع ولا بالقيام ولا بالانصراف فاني أراكم امامي ومن خلفي الى آخر الحديث والكلام عليه مستوفى في شروحه (وحكى بقي ابن مخلد) بقي بفتح الموحدة وتشديد القاف (٢) المكسورة تليها ياء مثناة تحتية ومخلد بفتح الميم واللام وخاء بينهما معجمة ساكنة ودال مهملة هو الامام أبو عبد الرحمن القرطبي الجياني الحافظ الزاهد العابد الثقة صاحب المسند الكبير والتفسير الجليل الذي قال ابن حزم انه لم يصنف في التفسير مثله مولده في رمضان سنة احدى ومائتين وسمع من ناس كثير منهم يحيى بن يحيى الليثي القرطبي وأبا مصعب الزهري ويحيى بن بكير وابراهيم بن المنذر الحربي وابن أبي شيبة وطاف الشرق والغرب وشيوخه مائتان ونيف وثمانون وروى عنه كثير كابنه أحمد وكان مجتهدا لا يقلد أحدا وعد من اضراب أهل السنن وكان مجاب الدعوة يقال انه كان يختم القرآن كل ليلة في ثلاث عشرة ركعة ويسرد الصوم وحضر سبعين غزاة وتوفي في سنة ست وسبعين ومائتين رحمه الله تعالى (عن عائشة رضي الله عنها) انها قالت (كان النبي صلى الله عليه وسلم يرى في الظلمة كما يرى في الضوء) وفيه رواية كما يرى في النور ولا شك انه صلى الله عليه وسلم

(٢) قوله وتشديد القاف الخ والصواب كما في القاموس بكسر القاف وتشديد التحتية على وزن تقي اه مصححه

كان كامل الخلقة قوى الحواس فوقوع مثل هذا منه غير بعيد وقد رواه الثقات كابن مخلد هذا فلا وجه لانكاره وقد أخرجه البيهقي عن عائشة رضى الله عنها أيضا ونقل ابن دحية في كتابه الآيات البينات عن ابن بشكوال انه ضعفه لان في سنده ضعيفا وأخرجه عن ابن عباس بلفظ كان صلى الله تعالى عليه وسلم يرى بالليل في الظلمة كما يرى بالنهار في الضوء ثم قال وليس بالقوى وذكر ابن الجوزي في العلل حديث عائشة هذا وقال لم يصح وقال العقيلي في سنده من لا يعتمد عليه كما فصله وذكر هذا الحديث الذهبي في ميزانه في ترجمة عبد الله بن محمد بن المغيرة الكوفي مع جملة أحاديث قال انها موضوعة وقال السهيلي رحمه الله تعالى في الروض أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لما ابتنى بام سلمة رضى الله تعالى عنها دخل عليها بيتها في ظلمة فوطئ على زينب فبكت فلما كان من الليلة الاخرى دخل في ظلمة أيضا فقال أنظروا زينبكم ان لا أطاءها وفي هذا الحديث توهين لحديث انه كان يرى بالليل كما يرى بالنهار انتهى ولا يخفى انه لا معارضة بين الحديثين تقتضي ماذكره لان زينب رضى الله تعالى عنها كانت بنتا صغيرة نائمة مغطاة بازار ونحوه في جانب من البيت ومثلها قد لا يرى بالنهار أيضا وهذا على ما فيه أقرب مما قيل ان عدم رؤيته صلى الله تعالى عليه وسلم لها كان لتغير حصل في بصره الشريف لان الاعراض البشرية كانت تعتريه صلى الله تعالى عليه وسلم كما في قصة السحر فكان اذ ذاك كذلك فان مثله لا يقال من غير سند ورواية مجازف (والاحاديث كثيرة صحيحة في رؤيته صلى الله تعالى عليه وسلم الملائكة والشياطين) هذا مما لا شبهة فيه وانما ذكره المصنف رحمه الله تعالى دليلا على قوة بصره صلى الله تعالى عليه وسلم وانه يرى مالا يراه غيره أما رؤيته صلى الله تعالى عليه وسلم الملائكة فورد في أحاديث كثيرة منها ما في البخاري من انه قال لعائشة رضى الله تعالى عنها هذا جبريل يقرأ عليك السلام فقالت وعليه السلام ورحمة الله وبركاته انك ترى مالا نرى والاحاديث في رؤيته الملائكة غير جبريل حيث لا يراها غيره كثيرة كما في حديث العقبة ورؤيته ملك الجبال المشهور وفي هذا دليل على قوة بصره صلى الله تعالى عليه وسلم حيث يرى مالا يراه غيره وليس هذا مخصوصا بتشكل الملائكة فانها جواهر مجردة قابلة للتشكل عندنا وعند الحكماء لقوله تعالى فتمثل لها بشرا سويا وليس ذلك لها بنقص فيها أو زيادة بل للطافتها تنتشر تارة وتتضام أخرى كما تراه في لهب النار عند تلاعب الريح بها وكذلك الجن فانها مخلوقة من النار الا ان الملائكة من نورها الصافي والجن من النار المختلطة بالدخان ولذا ذهب بعض الحكماء الى انهما جنس واحد وان الاستثناء متصل وفي بعض الشروح * فان قلت فما معنى تشكل الملائكة والجن في صور مختلفة ولا قدرة لمخلوق على تغير خلقته * قلت قال القاضي أبو يعلى لا قدرة للجن على تغير خلقتهم ولا على نقل صورتهم الى صورة أخرى لان ذلك انما يكون بنقض البنية وتفريق الاجزاء وان انتقضت البنية بطلت الحياة واستحال وقوع النقل من الجملة فكيف ينقل بعينها وانما ذلك باعتبار جواز ان يعلمهم الله كلمات وضروبا من الافعال اذا فعله أحدهم أو تكلم به نقله من صورة الى صورة فيقال انه قادر على التصوير والتخييل وحمل عليه تصور جبريل عليه الصلاة والسلام في صورة دحية رضى الله تعالى عنه وتصوره لمريم بشرا سويا ويجوز أن يكون الله تعالى قد جعل لهم قوة التشكل عند ارادتهم ذلك لانهم أرواح انتهى وفيه كلام آخر ليس هذا محله وأما رؤية الجن فقد ثبت في أحاديث كثيرة منها مارواه مسلم عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه أنه قال كنا معه صلى الله تعالى عليه وسلم ذات ليلة ففقدناه فالتمسناه في الاودية والشعاب فقلنا اغتيل فبتنا بشر ليلة فلما أصبحنا اذا هو جاء من قبل حراء فسألناه فقال أتاني داعي الجن فذهبت معه فقرأت عليهم القرآن وسألوه الزاد فقال لكم كل عظم لم يذكر

عليه الصلاة والسلام كان بين كتفيه عينان مثل سم الخياط وكان يبصر بهما ولا يحجبهما الثياب (والاحاديث كثيرة صحيحة في رؤيته صلى الله تعالى عليه وسلم للملائكة والشياطين) أما الاول فكرواية البخاري وغيره انه رأى جبريل في صورته له ستمائة جناح على كرسي بين السماء والارض قد سد الافق وقد رأى كثيرا منهم ليلة الاسراء وربما قيل انه أمر فيهم ونهي وأما الثاني فكحديث البخاري ان عفريتا تفلت على البارحة في صلاة المغرب وبيده شعلة من نار ليحرق بها وجهي فامكنني الله منه فدفعته ثم أردت ان أربطه بسارية من سواري المسجد فذكرت دعوة أخي سليمان وفي رواية لولا دعوة أخي سليمان لاصبح يلعب به ولدان المدينة

(ورفع النجاشي) بفتح النون وتكسر وبتشديد الياء وتخفف وقيل هو أول لقب من ملك الحبشة واسمه كما في البخاري أصحمة وقيل صحمة أو صمحة كتب الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أشهد انك رسول الله صادقا مصدقا قد بايعتك وأسلمت لله رب العالمين ورفع بصيغة المجهول والنجاشي وما عطف عليه مرفوع على نيابة الفاعل كما صرح به الحلبي وأبعد الدلجي وجعله مخفوضا حيث قال وجاءت أيضا يعني الاحاديث في رفع النجاشي (له حتى صلى عليه) أي يوم مات في رجب سنة تسع من الهجرة وقد أخرج أبو داود من طريق يزيد بن مروان عن عائشة رضي الله تعالى عنها انه لما مات النجاشي كان يتحدث انه لا يزال يرى على قبره نور وأما احاديث صلاته عليه فرواه الشيخان وغيرهما وبه استدل الشافعي على جواز الصلاة على الغائب وأما احاديث رفعه له فظاهره ان المرفوع هو أعلى نعشه حتى قيل انه أحضر بين يديه فلم تقع الصلاة الا على حاضر وقيل رفع له الحجاب وطويت له الارض حتى رآه قال الدلجي وجميع ماذكر وان كان ممكنا وقوعه فدعوى

بلا بينة اذ لم يشهد به كتاب ولا سنة ومن ثمة أنكره ابن جرير لعدم وجوده في خبر ورواية عالم في أثر وانما الوارد في رواية أبي على والبيهقي ان معاوية بن معاوية المزني رفع له وهو صلى الله تعالى عليه وسلم بتبوك حتى صلى عليه انتهى ولا يخفى ان ثبوت هذه القضية في الجملة مع ذلك الاحتمال ينفي التعلق بفعله صلى الله تعالى عليه وسلم في مقام الاستدلال كيف وقد جاء في المروي ما يومئ اليه وهو ما رواه ابن حبان في صحيحه من حديث عمران ابن حصين أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان أخاكم النجاشي توفي فقوموا وصلوا عليه فقام عليه الصلاة والسلام وصفوا خلفه فكبر أربعا وهم لا يظنون ان جنازته بين يديه فهذا اللفظ يشير الى ان الواقع خلاف ظنهم لانه هو فائدته المعتد بها في

فاما أن يكون سمعه منه عليه الصلاة والسلام أو كشف له وقد صرح القسطلاني في شرح البخاري ناقلا عن أسباب النزول للواحدي عن ابن عباس قال كشف للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم عن سرير النجاشي حتى رآه وصلى عليه وقال التلمساني ذكر ابن قتيبة في آداب الكتاب والكلاعي في النقاية أنه توفي ورفع الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حتى صلى عليه حين منصرفه من غزوة تبوك هذا مع انه قد يقال ان ذلك خص به النجاشي فلا يلحق به غيره ودليل الخصوصية انه لم يصل على غائب الا عليه وعلى بعض آخر صرح فيه بانه رفع له كما رواه الطبراني من حديث أبي أمامة وابن سعد في الطبقات عن أنس ان معاوية بن معاوية المزني ويقال الليثي نزل جبريل عليه الصلاة والسلام بتبوك فقال يا رسول الله ان معاوية بن معاوية المزني مات بالمدينة أتحب ان أطوي لك الارض فتصلي عليه قال نعم فضرب بجناحه الارض فرفع له سريره فصلى عليه وخلفه صفان من الملائكة في كل صف سبعون ألف ملك ثم رجع فقال عليه الصلاة والسلام لجبريل بم أدرك هذا قال بحبه سورة قل هو الله أحد وقراءته اياها جائيا وذاهبا وقائما وقاعدا وعلى كل حال

اسم الله عليه فهو طعام لكم وكل بعر علف لدوابكم ووردت أحاديث آخر في رؤيته صلى الله عليه وسلم لهم وايمانهم به مفصلة في كتاب لقط المرجان في أحكام الجان قال بعض فضلاء عصرنا ظاهر كلام المصنف رحمه الله ان رؤية الملائكة والشياطين من خصائص النبي صلى الله عليه وسلم فلا يراهم غير الانبياء وفي حاشية الحلبي في سفره صلى الله عليه وسلم الى الشام في قول الراهب رأيت ملكين يظللانه من الشمس فيه ما يدل على جواز رؤية الملائكة كالجن وقد صرح به وقوله تعالى انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم محمول على الغالب أي وفيه بحث يأتي آخر الكتاب ولو كانت رؤيتهم محالة ما قال صلى الله تعالى عليه وسلم هممت ان أربطه بسارية من سواري المسجد حتى تنظروا اليه كلكم وقال المصنف رحمه الله تعالى قيل رؤية الجن على صورتهم الاصلية ممتنعة الا للانبياء عليهم الصلاة والسلام ومن خرقت له العادة وانما يراهم بنو آدم في غير صورهم الاصلية ورده النووي بانه دعوى مجردة لا مستند لها (ورفع النجاشي له صلى الله تعالى عليه وسلم حتى صلى عليه) يعني ان الله تعالى رفع بيت النجاشي وجنازته وهو ببلاد الحبش فرآه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من المدينة وصلى على جنازته وهذا دليل على قوة بصره الشريف بحيث يراه مع بعد ما بينهما من المسافة البعيدة والبحر ورفع مبني للمجهول وتقريره رفعه الله وصلى فاعله ضمير النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قيل ويجوز أن يكون رفع مصدرا مضافا لمفعوله مبتدأ خبره مقدر أي ثابت أو معجزة ويجوز أن يجر عطفا على قوله في رؤيته الملائكة والاخبار كثيرة في ذلك وفي رفع النجاشي بمعنى انه نقل بطرق كثيرة ولا مانع من ذلك والاول أولى وأظهر والنجاشي ملك الحبشة واسمه أصحمة بفتح الهمزة وسكون الصاد وفتح الحاء المهملتين والميم والهاء ابن أبجر بفتح الهمزة وسكون الموحدة بعدها جيم مفتوحة وراء مهملة وقال مغلطاي ابن بحري وقيل اسمه صحمة بمهملتين مفتوحة فساكنة وقيل صمحة بتقديم الميم وقيل بالخاء المعجمة كما نقله البرهان الحلبي عن بعض مشايخه وقيل سليم بضم السين وقيل حازم وقيل مكحول بن صصة بمهملتين أولاهما مكسورة والادغام والنجاشي بفتح النون المشددة والجيم وتخفيفها وصوب المحب الطبري التخفيف كما قيل

فى ابن جنى لانه معرب كنى والنجاشى غلب على المذكور كالنجم للثريا وهو فى الاصل كل من ملك الحبشة كقيصر لكل من ملك الروم وكسرى لمن ملك الفرس وخاقان لملك الترك وفرعون للقبط والعزيز لملك مصر وتبع لحمير ودهمى وفغفور لملك الهند وغانة للزنج وبطلميوس لليونان وفطيون بكسر الفاء وسكون الطاء المهملة ومثناة تحتية مضمومة يليها واو ونون أو مالخ بفتح اللام والخاء المعجمة أو شالخ لليهود وللصابئة نمرود وتبع لملك اليمن وجالوت من ملك البربر وأخشيد من ملك فرغانة ونعمان من ملك العرب من قبل العجم وجرجير من ملك أفريقية وشهربان من ملك خلاط وفور من ملك السند والاصفر من ملك علوى ورتبيل من ملك الخزر وكابل من ملك النوبة كذا فى المقتفى وغيره وفى سيرة مغلطاى ان من ملك اليمن يسمى تبعا فان ترشح للملك سمى قيلا بفتح القاف وسكون المثناة التحتية وهو كالوزير وأصله قيلا بالتشديد كما حققه أهل اللغة وفرعون من ملك مصر والشام فان أضيف اليهما الاسكندرية فهو العزيز أو المقوقس ومعنى أصحمة عطية أو عطية الله وأصحمة هذا هو النجاشى كما علم وهو ملك جليل القدر آمن بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وكان بينه وبينه مهاداة ومكاتبة الا أنه لم يلقه ولم يجتمع به ولذا لم يعد فى الصحابة لان شرطها الملاقاة الا على قول ضعيف ذكره فى التقريب انه يكفى فيها المعاصرة مع المشاهدة والايمان لاسيما من كان له عذر فى التخلف كهذا وله أخبار حسنة منها انه لما بلغه وقعة بدر بعث لمن قبله من المسلمين فلما دخلوا عليه وجدوه لبس مسحا وقعد على التراب فقالوا له ماهذا أيها الملك فقال انا نجد فى الانجيل ان الله سبحانه وتعالى اذا أنعم على عبده بنعمة وجب عليه ان يحدث له تواضعا وان الله تعالى أحدث لنا ولكم نعمة عظيمة وهى ما بلغنى ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم التقى هو وأعداؤه بواد يقال له بدر كنت فيه أرعى غنما لسيدى فهزم الله أعداءه ونصر دينه وروت عائشة رضى الله تعالى عنها انه بعد موته كان يرى على قبره نور وقوله كنت أرعى الخ يدل على انه دخل بلاد العرب وأما ماذكره النجاشى من أنه من بيت الملك وان الحبشة قتلت أباه وملكوا عمه وكان له ميل اليه فخافوا ان يملكه بعده فيقتلهم بابيه فقالوا له لابد من قتله أو اخراجه من أرضنا فباعوه ثم ان الله جعله ملكا عليهم بعد ذلك فلا دلالة على ماذكر كما توهم لان بقية القصة مذكورة فى الروض الأنف وفيها ما يدل على خلاف ماذكره ثم ان ماذكره المصنف رحمه الله تعالى من رفع النجاشى للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم حتى رأى جنازته قال السيوطى فى كتابه مناهل الصفا فى تخريج أحاديث الشفا انه لم يجده فى كتب الحديث وانما الوارد فيها انه رفع اليه معاوية المزنى حتى صلى عليه والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم بتبوك كما أخرجه أبو يعلى والبيهقى عن أنس رضى الله تعالى عنه انتهى ويأتى بطوله * أقول الذى أنكره المخرج انما هو رفع جنازته اليه فانه روى فى خصائصه الكبرى من طرق مثبتة انه صلى الله تعالى عليه وسلم نعى لاصحابه النجاشى لما مات وخرج وصلى عليه مع أصحابه وكبر أربع تكبيرات والصلاة عليه ثابتة فى الصحيحين وانما ذكره المصنف رحمه الله تعالى قصة الرفع مدرجة فى الحديث بناء على الاختلاف فى الصلاة على الغائب وصحتها مطلقا كما يأتى وكانت وفاته فى السنة التاسعة من الهجرة فى رجب وعن أبى اسحق ان نيزر أو أبا نيزر بنون ومثناة تحتية وزاى معجمة وراء مهملة النجاشى كان مولى لعلى ابن أبى طالب بعد موت أبيه وطلبته الحبشة ليتوجوه فأبى وقال لا أريد الملك بعد ان من الله على بالاسلام وكان طويل القامة صبيح الوجه ورؤية النور على قبر النجاشى غير مستغرب فانه يرى على بعض قبور الشهداء ويصدقه قوله تعالى والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم واذ قد علم ان قصة النجاشى فى الصحيحين وهى من أعلام النبوة لاخباره صلى الله تعالى عليه وسلم بموته فى اليوم الذى مات فيه مع بعد

المسافة والمصلى عليه قال بعض المنافقين صلى على علج من علوج الحبشة فنزل قوله تعالى وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل اليكم الآية واستدل به من قال بالصلاة على الغائب وبه قال أحمد والشافعي وبعض السلف لان الصلاة على الميت دعاء له فكيف لا يدعى له وهو غائب أو في قبره كما يدعى له وهو حاضر وذهب الحنفية والمالكية الى انه لا يشرع ذلك وعن بعضهم يجوز لمن كان في جهة القبلة بخلاف مستدبرها وأجاب من قال بعدم الصلاة على الغائب عن هذه القصة بامور منها انه كان بارض لا يصلى بها فشرعت لذلك ولذا قال الخطابي لا يصلى على الغائب الا اذا مات بارض لا يعرف بها الصلاة على الميت كبلاد أهل الشرك وكذا قال أبو داود فاذا مات بها وجب على المسلمين ان يقوموا بحقه في الصلاة فلو علم انه صلى عليه لا يصلى عليه من كان غائبا فان لم يصل عليه لعذر أو عائق سن الصلاة عليه ولا يترك لبعد المسافة ومنها ان هذا مخصوص بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم لما روى انه سويت له الارض حتى أبصر النجاشي وقد رده هذا بانه اذا فعل شيئا من افعال الدين كان علينا اتباعه فيه والتخصيص لا بد له من دليل ونقل ثابت لا بمجرد الاحتمال ولو فتح هذا الباب لم يبق شيء يوثق به ولو كان كذلك لتوفرت الدواعي بنقله ويؤيد كلام المناهل المار قول ابن حجر ان نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم أهل لذلك الرفع والاحضار فانه قادر على ما هو أعظم من ذلك لكنا لا نخترع حديثا ونقوله من عند أنفسنا ومثل هذه الامور الضعاف تلاف بلا تلاف وقال الكرماني رحمه الله تعالى رفع الحجاب ممنوع ولئن سلمناه فهو غائب في حق الصحابة الذين صلوا مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقد وقع في حديث مجمع بن حارثة ما يؤيده فان فيه فصففنا خلفه صفين وما نرى شيئا كما في سنن ابن ماجه والطبراني وأجاب الحنفية بانه يصير كالميت الذي يصلى عليه الامام وهو يراه والمأموم لا يراه فانه جائز اتفاقا فاذا ورد عليه انه ليس النزاع في الرؤية وعدمها فانه لا يشترط في صحة الصلاة رؤية الميت ولا سريره وانما النزاع في كون الميت في بلد والمصلى في أخرى وعلى تقدير انه رآه لم يقع النزاع فان قلتم ان سريره رفع ووضع عنده صلى الله تعالى عليه وسلم لم يكن غائبا والحاصل ان هنا ثلاثة أمور احدها ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم علم بموته وهو بالحبشة وصلى عليه بالمدينة هو والصحابة وعلى هذا هو دليل للشافعية الثاني ان يكون رفع له سريره أو روحه وهو في مكانه وأزيل الحجاب فهذا أيضا صلاة على الغائب مع أنا نطالب مدعيه بنقل صحيح الثالث أن تحمل جثته لحضرة النبي صلى الله عليه وسلم فيصلى عليه وهو صلاة على حاضر ولم ينقل أحد انه ورد ولا ثبت فقول الحنفية انه دليل فاسد لا وجه له وكان الاولى للمصنف الاستدلال على قوة بصره صلى الله تعالى عليه وسلم بحديث معاوية المزني الذي رواه ابن عبد البر في الاستيعاب عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه ان جبريل عليه الصلاة والسلام نزل على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال يا محمد مات معاوية بن معاوية المزني أفتحب ان تصلى عليه قال نعم فضرب بجناحه الارض فلم يبق شجرة ولا أكمة الا تضعضعت ورفع له سريره حتى نظر اليه فصلى عليه وخلفه صفان من الملائكة في كل صف سبعون ألف ملك فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لجبريل بم نال هذه المنزلة من الله تعالى عز وجل قال بحبه قل هو الله أحد وقراءته اياها جائيا وذاهبا وقائما وقاعدا وهذا حديث صحيح كما في شرح البخاري لابن حجر * أقول بعد صحة هذا وبيان كيفية الصلاة فيه على الغائب والاحاديث يفسر بعضها بعضا علم ان قصة النجاشي ورفع السرير وازالة الحجاب أمر خارق للعادة لا يتيسر لغير النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فتبين صحة جواب الحنفية وقوته وسقط الاعتراض عن المصنف رحمه الله تعالى أيضا وقد اختلف في النجاشي كما في بعض الشروح أهو علم شخص أم علم جنس لكل من ملك الحبشة كفرعون هل اسم لكل متفرعن أو هو علم شخص

(وبيت المقدس) بفتح الميم وكسر الدال وجوز ضم ميمه وفتح داله المشددة وهو بالرفع أي ورفع له أيضا بيت المقدس كما في الصحيحين (حين وصفه لقريش) الظاهر حتى وصفه لقريش حين كذبوه في أخباره انه أسري به اليه ثم الى ماشاء الله تعالى ثم رجع الى مكة في ليلة وارتد كثير ممن أسلم وأخبروا أبا بكر بذلك فقال لهم والله لقد صدق انه ليخبرني ان الخبر يأتيه من السماء في ساعة واحدة من ليل أو نهار فاصدقه وهو أبعد مما تعجبون منه ثم قال يا نبي الله صفه لي فاني جئته فرفع له حتى نظر اليه فطفق يصفه له ويصدقه وفي مسلم لقد رأيتني في الحجر وقريش تسألني عن مسراي فسألتني عن أشياء من بيت المقدس فكربت كربة ما كربت مثلها قط فرفعه الله لي فما سألوني عن شئ منه الا أنبأتهم به (والكعبة) أي ورفع الكعبة له أيضا حتى رآها (حين) وفي نسخة حتى (بني مسجده) أي بالمدينة ليجعل محرابه اليها على ما رواه الزبير بن بكار في تاريخ المدينة عن ابن شهاب ونافع ابن جبير بن مطعم مرسلا قال الدلجي وهو غريب والمعروف ان جبريل هو الذي أعلمه بها وأراه سمتها لا انها رفعت له حتى رآها بشهادة ما في جامع العتبية من سماع مالك قال سمعت ان جبريل هو الذي أقام له

وقد يجمع بانه علم شخص نقل للعلمية ولا وجه لانكار النقل فيه كما قيل (تنبيه) في حديث النجاشي أمران أحدهما انه وقع فيه نعي موت النجاشي وقد ورد في الحديث انه نهى عن النعي ولذا اختلف الفقهاء فيه فقيل مكروه وقيل انه مستحسن ولا خلاف بينهما فان معنى النعي الاخبار بالموت فاذا فعل من غير صراخ واطراء بما لا ينبغي فهو سنة ولو بالنداء في الاسواق لما فيه من الدعاء للخير بتكثير الجماعة والاتعاظ فان كان بخلافه على عادة الجاهلية فمكروه الثاني ان الشافعية بعد ما ذكروا دليل الخصم في التأويل قالوا لا دليل فيه فقيل انه فاسد لان الدليل ملزوم لا يلزم من نفيه نفي اللازم ودعوى الفساد غير ظاهرة فان مرادهم ان الصلاة على الغائب ثابتة بالاحاديث الصحيحة فتأويلها من غير مستند لا يكون دليلا اذ لابد لكل مدع من النقل فالجواب الصحيح ما نقلناه اذ المنع المجرد لا يسمع في مقابلة النص وقوله (و) رفع (بيت المقدس حين وصفه لقريش) بالرفع معطوف على النجاشي ويجوز جره كما مر ومقدس كمرجع اسم مكان أو مصدر ميمي من القدس وهو الطهر أي المكان الذي يطهر الله فيه العباد من الذنوب أو يطهر من الاصنام وجاء فيه ضم الميم وفتح القاف والدال المشددة اسم مفعول من التقديس وهو التطهير وجاء بكسر الدال اسم فاعل لانه يقدس العابد فيه من الآثام ويقال البيت المقدس بالتوصيف والاشهر فيه الاضافة وقدس بضمتين وضم فسكون الطهر واسم جبل معروف قال التبريزي يقال انه غير مصروف ولا يمتنع واستشهد للاول بقول كثير

كالمصرخي غدا فاصبح واقعا * في قدس بين مجاثم الاوعال

انتهى فانظر دخول الالف واللام عليه ورفع بيت المقدس اشارة الى ما وقع في حديث الاسراء الذي رواه الشيخان وغيرهما عن جابر رضي الله تعالى عنه بسند صحيح متصل وهو انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما أسري به وأصبح بمكة أتاه عدو الله أبو جهل فقال له هل كان من شئ قال نعم اني أسري بي الليلة الى بيت المقدس قال ثم أصبحت بين أظهرنا قال نعم قال فان دعوت قومك أتحدثهم بهذا قال نعم فقال يا معشر قريش يا معشر بني كعب بن لؤي فانفضت اليه المجالس حتى جاؤا فقال حدث قومك بما حدثتني فحدثهم فصاروا بين مصفق وواضع يده على رأسه متعجبا فقالوا هل تستطيع ان تنعت لنا بيت المقدس وكم فيه من باب فكربت كربا لم أكرب مثله قط فجلى الله لي بيت المقدس وكشف الحجب بيني وبينه حتى رأيته فنعته لهم وأنا أنظر اليه وجاؤا أبا بكر وقصوا عليه القصة وقالوا هل تصدقه فقال نعم اني أصدقه باخبار السماء فسمي لذلك صديقا ولا استحالة فيه فقد أحضر عرش بلقيس في طرفة عين وهذا مؤيد لما ذكره المصنف من قوة بصره حتى رآه مرفوعا ولم يغب عنه شئ منه فما قيل من ان الاليق درج هذا فيما له عليه الصلاة والسلام من الكرامات والمعجزات لانه أمر زائد على تكميل الذات لا وجه له (والكعبة حين بني مسجده) أي رفعت له صلى الله عليه وسلم الكعبة وهو بالمدينة حين بني مسجده بها على الوجهين السابقين في الاعراب قال السيوطي رحمه الله تعالى في مناهل الصفا رفع الكعبة له حين بني مسجده رواه الزبير بن بكار في أخبار المدينة عن ابن شهاب ونافع بن جبير ابن مطعم مرسلا ثم ما ذكره المصنف رحمه الله تعالى مشكل لانه صلى الله تعالى عليه وسلم لما أتى المدينة قبلة مسجده انتهى ولا يخفى انه يمكن الجمع بينهما بان أخبره جبريل ثم رفع له البيت الجليل أو بان يحمل كل قضية على مسجد من مسجد المدينة وقباء فان قيل لا خلاف في انه أول قدومه المدينة كان يصلي الى بيت المقدس الى ان حولت القبلة بعد بنائه مسجده فكيف يجعل محرابه الى الكعبة فالجواب انه يمكن تقديم بناء المسجد وتأخير بناء المحراب الى الكعبة بعد التحويل مع انه قد يقال انه صلى الله تعالى عليه وسلم صلى بعض الصلاة أول البناء الى الكعبة ثم حول الى بيت المقدس ثم حول الى الكعبة ويؤيده خبر بعض نساء الانصار كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حين بني مسجده يؤمه جبريل الى الكعبة ويقيم له

نزل بقباء أياما ثم أسس مسجدها وهو أول مسجد أسس على التقوى ثم خرج منها راكبا ناقته ثم أتى دور بني النجار فبركت ناقته في موضع مسجده فبناه على ما فصل في السير والاحاديث الصحيحة وكانت القبلة بيت المقدس اذ ذاك ستة عشر شهرا أو نحوها فكيف يصح أن يقال ان الكعبة رفعت له صلى الله تعالى عليه وسلم حين بنائه كما وقع في حديث الشفاء بنت عبد الرحمن الانصارية انها قالت كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حين بنى مسجده يؤمه جبريل الى الكعبة و يقيم له القبلة وهذا كله في غاية الاشكال مع وروده في الحديث وكذا في الحديث المرسل الذي نقله السيوطي في تخريجه ولذا قال التجاني رحمه الله تعالى في شرحه انه غريب والمعروف ان جبريل عليه الصلاة والسلام أعلمه بحقيقة القبلة وأراه سمتها الا انه رفع له الكعبة حتى رآها و بهذا جاءت الآثار من غير تقييد وفي العتبية من سماعات مالك انه قال سمعت ان جبريل عليه الصلاة والسلام هو الذي أقام لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قبلة مسجده مسجد المدينة قال ابن رشد في البيان والتحصيل يعني أراه السمت اليها و بين له جهتها والصواب ان ذلك كان حين تحولت القبلة لا حين بناء مسجده وكون جبريل عليه الصلاة والسلام أراه سمتها لا يقتضي رفعها ومثله لا يقدم عليه من غير رواية والحاصل ان ما في حديث الشفاء من ان جبريل عليه الصلاة والسلام حين بنى مسجده كان يؤمه الى الكعبة في غاية الاشكال لان القبلة لم تكن اذ ذاك الكعبة بل بيت المقدس اللهم الا أن يقال ان توجهه اليها لم ينسخ وكان مخيرا بين التوجه لها وللصخرة وقد وقع في كتاب الناسخ والمنسوخ نحوه وأما ما قاله ابن الحنبلي في شرحه من ان معنى قول الشفاء يؤمه أي يصير له اماما أي متبعا في التوجه الى الكعبة لاجل اقامة القبلة و بيان جهتها كما يكون الرجل امامك اذا استهل الهلال لبريكه وأنت متبع له في التوجه اليه لم يلتسمه فمع تكلفه لا يجدي شيئا ولما استشعر هذا حاول توجيهه بما ذكره تاج القراء في سبب نزول قوله تعالى (سيقول السفهاء من الناس) الآية انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يحب التوجه للكعبة قبل تحويل القبلة فلما قوي رجاؤه ويمكن ان يكون سال جبريل عليه الصلاة والسلام أن يبين له جهتها عسى أن تكون قبلة ففعل أو سال الله ذلك والامام المتبع في الاقوال والافعال مطلقا كما في عمدة الحفاظ و به فسر قوله تعالى (اني جاعلك للناس اماما) و بمجرد هذا الاحتمال لا يندفع الاشكال وفي الشرح الجديد هنا كلام طويل بغير طائل رأينا تركه أكثر فائدة من ذكره ثم اني رأيت في تذكرة الحافظ العلامة العلائي بخطه ان الراجح عند العلماء ان الكعبة كانت قبلة الانبياء عليهم السلام أما انها كانت قبلة ابراهيم صلى الله عليه وسلم فمما لا شك فيه وفي الاحاديث انه عليه الصلاة والسلام كان يحب أن يتوجه الى قبلة أبيه ابراهيم الكعبة وفي الآثار ما يقتضي ان توجه اليهود الى بيت المقدس كان عن اجتهاد منهم أو عناد وفي كتاب الناسخ والمنسوخ لابي داود مسندا الى الحسن في قوله تعالى (ان أول بيت وضع للناس) الآية قال أعلم قبلته فلم يبعث نبيا الا وقبلته البيت ووقع في قصة ذكرها مع سليمان بن عبد الملك ان خالدا قال قرأت التوراة فلم أجد قبلة بيت المقدس فيه ولكن تابوت السكينة كان على الصخرة فلما غضب الله تعالى على بني اسرائيل رفعه فكانت صلاتهم الى الصخرة عن مشاورة منهم وقال أبو داود خاصم يهودي أبا العالية في القبلة فقال ان موسى عليه الصلاة والسلام كان يصلي عند الصخرة مستقبل البيت الحرام فقال له بيني و بينك مسجد النبي صالح عليه السلام فقال اني صليت فيه وقبلته الكعبة فهذه الآثار تدل على ان الكعبة كانت قبلة الانبياء كلهم انتهى باختصار * أقول وكذا قبلة عيسى عليه الصلاة والسلام وانما غيرها للشرق بولس كما صححوه اذا عرفت هذا علمت ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كانت قبلته قبل الهجرة الكعبة ولكن كان يجعلها بينه و بين البيت المقدس لانه

صلى

القبلة وهذا أيضا يؤيد الجمع الاول فتامل (وقد حكى عنه) صلى الله تعالى عليه وسلم قال التلمساني جاء ذلك في حديث ثابت من طريق العباس عمه عليه الصلاة والسلام ذكره ابن خيثمة (انه كان يرى في الثريا أحد عشر نجما) والثريا تصغير ثروى وهي المرأة الكثيرة المال من الثروة وهي الكثرة والنجم المعروف لكثرة كواكبه مع ضيق المحل وقال السهيلي الثريا اثنا عشر كوكبا وكان يراها كلها كما جاء ذلك في حديث ثابت من طريق العباس وقال القرطبي لا تزيد على تسعة فيما يذكرونه انتهى ولعله بالنسبة الى غيره صلى الله تعالى عليه وسلم وبالجملة فلذلك لحدة بصره وقوة نظره ويقال لها النجم وهي أنجم لانها لا تفترق فهي كالواحد (وهذه) أي الاخبار المذكورة والآثار المسطورة (كلها محمولة على رؤية العين وهو) أي هذا القول أو هذا الحمل وأبعد الدلجي في قوله ذكره نظرا الى ما بعده وهو (قول أحمد بن حنبل وغيره) أي من المحققين وهم الجمهور كما سبق والامام أحمد من مرو وسكن ببغداد من صغره ومات بها رحمه الله تعالى وروى عنه الشيخان قال الانطاكي تبعا للحلبي وروى عنه البغوي والظاهر انه وهم (وذهب بعضهم) أي كالنووي في شرح مسلم (الى ردها الى العلم) أي فهي رؤية علم وكشف قال المنجاني ومعنى ذلك ان الله سبحانه وتعالى خلق له علما بجميع ما يفعل وراءه صلى الله تعالى عليه وسلم وذلك خروج عن ظاهر الحديث وانما تميل اليه المعتزلة لانهم يشترطون في الادراك بنية مخصوصة تخلق له وأغرب الدلجي في قوله أي خلق الله تعالى له في قفاه قوة ادراكية يدرك بها من ورائه على طريق خرق العادة انتهى ولا يخفى ان مآله الى أن الرؤية بصرية وأغرب من ذلك أنه لما ذكر هذا قال وأغرب مختار بن محمود الحنفي حيث قال وكان بين كتفيه عينان مثل سم الخياط لا يحجب بصرهما الثياب والله أعلم بالصواب (والظواهر تخالفه) أي ظواهر هذه الاخبار تخالف ما ذهب اليه البعض من العلماء الاخيار وأبعد بعضهم على ما ذكره المصنف في مشارق الانوار حيث قال انما هي بالتفاته يسيرة الى من وراءه معللا بانه لو كان يرى من خلفه لما قال أيكم الذي ركع دون الصف فقال أبو بكر انا يا رسول الله فقال زادك الله حرصا ولا تعد والجواب ان في نفس الحديث ما يدل على مدعانا اذ صرح بانه رأى رجلا ركع قبل دخوله في الصف وعدم علمه بخصوص فاعله اما لبعده عنه واما لكثرة الصفوف أو لاستغراق ونحوه مما يمنع التوجه الى صوبه وتعمقه في قصده فرآه مجملا لا مفصلا مع ان خوارق العادات لا يلزم تحققها في جميع الاوقات وقال ابن عبد البر هذا قبل أن يمنحه الله بهذه الفضيلة فقد كانت

صلى الله تعالى عليه وسلم كان يوافق أهل الكتاب فيما لم يوح اليه فيه فلما هاجر الى المدينة استمر على ذلك وهو يعلم أن القبلة الحقيقية الاصلية انما هي الكعبة وهي قبلة ابراهيم عليه الصلاة والسلام وقد أمره الله بالاقتداء به ولم ينص على القبلة فعنده صلى الله تعالى عليه وسلم علم بانه سيصرفه الله اليها ولكنه منتظر لامر الله مراعيا للادب فلا مانع من أن يسال صلى الله تعالى عليه وسلم جبريل عليه الصلاة والسلام أن يريه سمتها حتى اذا وقع ذلك لم يتردد ويتحير فيه وهذا هو الحق الحقيق بالقبول فاعرفه ثم ذكر المصنف رحمه الله تعالى ما يدل على قوة حواسه صلى الله تعالى عليه وسلم فقال (وقد حكى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم أنه كان يرى في الثريا أحد عشر نجما) قال السيوطي رحمه الله تعالى في مناهل الصفا هذا لم يوجد في شئ من كتب الحديث والثريا مصغر ثروة وهي الكثرة وهي منزل من منازل القمر فيه نجوم مجتمعة جعلت علامة فقول بعض الشراح انها كوكب وهم منه قال في مباهج الفكر وهي ستة أنجم صغار طمس ويظنها من لا معرفة له سبعة وهي مجتمعة بينها نجوم صغار كالرشاش وحكى أن الثريا اثني عشر نجما لم يحقق الناس منها غير ستة أو سبعة ولم ير جميعها غير النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لقوة جعلها الله تعالى في بصره والنجم علم لها بالغلبة كالكواكب للزهرة وذكر السهيلي انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يرى فيها اثني عشر نجما وقال القرطبي في كتاب أسماء النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنها لا تزيد على تسعة فيما يذكرون ونظمه في أرجوزته فقال

وهو الذي يرى النجوم الخافية * مبينات في السماء العالية
أحد عشر نجما في الثريا * الناظر سواه ما تهيا

وفي كتاب التفهيم لابي ريحان البروني بكسر الموحدة والنون انها ستة كواكب كعنقود عنب ويظن العوام والشعراء انها سبعة وهو ظن غير مصيب قيل وهو غير مصيب لنقصه عما رآه صلى الله تعالى عليه وسلم وقد علمت أنه لم يثبت ما نسب اليه صلى الله تعالى عليه وسلم هنا وقال الامام الخضيري في خصائصه ما ذكره القرطبي والسهيلي لم أقف له على سند واصل يرجع اليه وقال التلمساني أنه جاء في حديث ثابت من طريق العباس رضى الله تعالى عنه ذكره ابن أبي خيثمة (وهذه) الامور المذكورة (كلها) من رؤية النجاشي والكعبة والثريا وغيره مما ذكر (محمولة على رؤية العين) أي مفسرة بما ذكر وهو المراد منها والحمل يستعار لذلك في كلامهم استعارة مشهورة من حمل الاجمال بجعل اللفظ كحمل على ظهر المعنى وقريب منه الاحتمال (وهو قول أحمد بن حنبل وغيره وذهب بعضهم الى ردها الى العلم) أي الى تاويل الرؤية بالعلم وصرفها عن ظاهرها فتعبيره بالرد توطئة لقوله (والظواهر تخالفه) أي ظاهر

خصائصه تتزايد فى كل وقت وحين والله الموفق والمعين (ولا احالة) مصدر احاله والمحال هو الشئ الممتنع فالمعنى لا امتناع شرعا وعقلا وعادة (فى ذلك) أى فى كونه رؤيته عين بطريق المعجزة (وهى من خواص الانبياء عليهم الصلاة والسلام وخصالهم) أى المختصة بهم (كما أخبرنا أبو محمد عبد الله بن أحمد) أى التميمى البستى (العدل من كتابه حدثنا أبو الحسن المقرى) أى العالم بعلم القراءة وهو نزيل مكة (الفرغانى) نسبة الى فرغانة بالفتح بلد بالمغرب على ما فى القاموس وآخر بالمشرق والظاهر انه المراد هنا قوله (حدثتنا أم القاسم بنت أبى بكر عن أبيها) وهو أبو بكر محمد بن اسحق الكلاباذى مؤلف كتاب الاخبار عن فوائد الاخيار وقيل الاخبار بفوائد الاخبار وكان بعد الاربعين والثلثمائة (حدثنا الشريف أبو الحسن على بن محمد الحسنى) قال التلمسانى هو الشريف أبو الحسن على بن محمد بن على بن موسى الرضى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهم قلت ولا يصح هذا لان النسخ كلها متفقة على نسبة الحسنى بفتحتين والله سبحانه وتعالى أعلم (حدثنا محمد بن محمد سعيد حدثنا محمد بن احمد بن سليمان حدثنا محمد بن محمد بن مرزوق) هو البصري يروى عن يزيد ابن هارون ومحمد بن عبد الله الانصارى (حدثنا همام) بفتح هاء فتشديد ميم وهو ابن يحيى بن دينار العودى قال الحلبي وغيره وصوابه هانئ بن يحيى وقال التلمسانى هو همام بن الحارث النخعى الكوفى سمع حذيفة وعمارا وروى عنه ابراهيم النخعى انتهى والظاهر انه وهم منه كما لا يخفى من مرتبة الاسناد والله أعلم بالصواب والسداد فى المراد (حدثنا الحسن) أى ابن أبى جعفر الجفرى كما سيأتى قريبا وهو بضم الجيم وسكون الفاء نسبة الى مكان بالبصرة وهو أحد الضعفاء (عن قتادة) تابعى جليل (عن يحيى بن وثاب) بتشديد المثلثة ثقة مقاله خاشع مقرئ يروى عن ابن عباس وابن عمر وعلقمة وعنه الاعمش وغيره (عن أبى هريرة عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال لما تجلى الله تعالى) أى ظهر بلا كيف

لموسى

العبارة تخالفه ولا مقتضى لصرفها عن الظاهر (ولا احالة فى ذلك) أى ليس فى حملها على الرؤية البصرية أمر محال يقتضى العدول لاجله (وهى من خواص الانبياء عليهم الصلاة والسلام وخصالهم) أى قوة البصر والحواس من صفات الانبياء عليهم الصلاة والسلام فلا وجه لاستبعادها وتاويل ما يدل عليها ثم أيد ذلك بالنقل فقال (كما أخبرنا) قيل الظاهر من الكاف فى قوله كما أنها التعليلية مثلها فى قوله (كما أرسلنا فيكم رسولا منكم) والمعنى انما قلنا هذا من خواص الانبياء عليهم الصلاة والسلام لاجل ما أخبرنا (أبو محمد عبد الله بن أحمد العدل من كتابه) قال التلمسانى هو التميمى مات بستة سنة احدى وخمسمائة وهو من شيوخ المصنف وقوله من كتابه اشارة الى أنه قرأه وهو يسمعه من كتابه لا من حفظه وقد اختلف فيمن لا يحفظ ويحدث من كتابه فالصحيح انه تجوز روايته ويحتج لها واليه ذهب ابن الصلاح وقيل لا يحتج الا بما يرويه من حفظه واختلف أيضا فيما اذا لم يتذكر ما فى كتابه وتفصيله فى ابن الصلاح وحواشيه قال (حدثنا أبو الحسن المقرى الفرغانى) بالفاء والغين المعجمة بينهما راء مهملة نسبة الى فرغانة بلدة مشهورة بالمشرق ويحتمل نسبته لفرغان بلدة بفارس وباليمن وهو على بن عبد الله المقرى نزيل مكة قال (حدثتنا أم القاسم بنت أبى بكر عن أبيها) هى بنت أبى بكر محمد بن يعقوب البخارى الزاهد الصوفى المعروف بالخفاف صاحب كتاب الاخبار بفوائد الاخبار قال (حدثنا الشريف أبو الحسن على بن محمد الحسنى) هو الشريف أبو الحسن على بن محمد بن على بن موسى الرضا بن جعفر بن محمد بن على بن الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهم توفى فى خلافة المعتز بالله لاربع بقين من جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين ومائة وهو ابن أربعين سنة وقيل غير ذلك قال (حدثنا محمد ابن محمد بن سعيد) قال (حدثنا محمد بن أحمد بن سليمان) قال (حدثنا محمد بن محمد بن مرزوق) قال (حدثنا همام) هو همام بن الحارث النخعى الكوفى سمع حذيفة وعمارا وروى عنه ابراهيم النخعى وتوفى أيام الحجاج بن يوسف ولفظ همام وقع فى كثير من النسخ والصواب هانئ كما أصلح وهو هانئ بن يحيى السلمى وشيخه الذى أشار اليه بقوله (حدثنا الحسن) هو الحسن بن أبى جعفر الجفرى بضم الجيم والفاء نسبة للجفرى هو مكان بالبصرة أحد الضعفاء وقد رواه أبو القاسم الطبرانى عن أحمد بن الحسين بن بهرام الايذجى حدثنا محمد بن مرزوق البصرى حدثنا هانئ فذكره وقال فى آخره لم يروه عن قتادة الا الحسن ابن أبى جعفر تفرد به هانئ بن يحيى وقوله (عن قتادة) هو ابن دعامة التابعى الجليل وتقدمت ترجمته (عن يحيى بن وثاب) بفتح الواو وتشديد المثلثة وألف وموحدة وهو يحيى بن وثاب الاسدى مولاهم روى عن ابن عباس وعمر وعلقمة رضى الله عنهم وروى عنه الاعمش وعيس وهو ثقة محدث مقرى توفى سنة ثلاث وخمسين ومائة وأخرج له أصحاب السنن الان روايته عن أبى هريرة رضى الله عنه ليست فى الكتب الستة (عن أبى هريرة) رضى الله عنه تقدم الكلام فى اسمه وترجمته (عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لما تجلى الله

لموسى عليه الصلاة والسلام) أي في ضمن تجليه للجبل كما يشير اليه قوله تعالى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا فلا يحتاج
الى ما تكلف له الدلجي تبعا للتجاني بقوله ولا يعزب عنك ان المتجلى له كما ذكر في الآية انما هو الجبل فالتقدير لما تجلى الله للجبل لاجل
سؤال موسى ان يراه وتعسفه ظاهر مع انه يفيد انه لم يقع تجل لموسى فلم يحصل ترتب بين لما وجوابها وهو قوله
(كان يبصر) أي يرى كما في أصل التلمساني (النملة على الصفا) بالقصر أي الصخرة الملساء ولا يبعد ان يكون بالمد للمشاكلة قوله (في الليلة الظلماء) أي شديدة الظلمة (مسيرة عشرة فراسخ) أي مقدارها تحديدا أو تقريبا أو تكثيرا والفرسخ فارسي معرب وهو ثلاثة أميال والميل منتهى البصر أو أربعة آلاف خطوة والخطوة ثلاثة أقدام معتدلة بوضع قدم امام قدم يلصق به قال التلمساني يصح في شين عشرة الفتح والكسر والسكون وهو وهم منه لان الوجوه الثلاثة انما تجوز اذا ركبت العشرة مع غيرها من الاعداد المؤنثة المتقدمة عليها كاحدى عشرة وأمثالها واما عند الانفراد بها فلا يجوز الا الفتح فيها ثم اعلم ان هذا الحديث رواه الطبراني في الصغير بنحو هذا الاسناد وقال لم يروه عن قتادة الا الحسن تفرد به هانئ قال الحلبي اما هانئ بن يحيى السلمي
فذكره ابن حبان في الثقاة وقال يخطئ واما الحسن بن أبي جعفر الجفري فضعيف (ولا يبعد على هذا) أي على طبق هذا الحديث
ووفقه من المعجزة المترتبة على التجلي الموجب لتجلية الغين وتحلية العين (ان يختص) بصيغة الفاعل أو المفعول أي يصير مخصوصا
(نبينا بما ذكرناه من هذا الباب) يعني زيادة قوة باصرة ذلك الجناب وادخل الدلجي في العبارة ما ليس في الكتاب (بعد الاسراء) أي بعد

لموسى عليه الصلاة والسلام كان يبصر النملة على الصفا) الصفوان عليه وسلم والصفا الحجر الصلد الاملس (في الليلة الظلماء مسيرة عشرة فراسخ) جمع فرسخ وهو ثلاثة أميال والميل أربعة آلاف ذراع طولها أربعة وعشرون أصبعا وعرض كل أصبع ست حبات شعير ملصقة ظهر البطن وقيل ثلاثة أميال والميل أربعة آلاف خطوة كل خطوة ثلاثة أقدام بوضع قدم امام قدم ويلصق به وشين عشر ساكنة ومفتوحة ولفظ الفرسخ معرب وقيل عربي معناه السكون لانه بقطعه يسكن وقيل معناه الراحة والفرحة وقيل معناه ساعة من ساعات النهار والتجلي كما قاله الراغب في مفرداته الكشف والظهور وقد يكون بفعله بالذات نحو والنهار اذا تجلى وقد يكون بالامر والفعل نحو فلما تجلى ربه للجبل انتهى واذا كان التجلي بغير الذات يشمل الخطاب والكلام فيحمل تجلي الله لموسى عليه الصلاة والسلام على خطابه وتكليمه وتجليه للجبل أمر آخر فلا يرد على المصنف انه مخالف للقرآن فان التجلي فيه للجبل لا لموسى عليه الصلاة والسلام مع انه غير مسلم فان القرطبي رحمه الله تعالى نقل في تفسيره قولا بان موسى صلى الله تعالى عليه وسلم رأى ربه ولذا خر صعقا واما تجليه للجبل واندكاكه فاما بمعنى أمره وفعله به ما أراد أو نقول بان الله خلق فيه ادراكا علم به تجلي الله فتفتت وانهدم من هيبته ولعل المصنف رحمه الله ارتضى هذا وعليهما فاللام صلة التجلي لانه يتعدى بها وقال التجاني في الجواب ان اللام تعليلية بتقدير مضاف أي فلما تجلى لاجل سؤال موسى رؤيته وان هذا لا بد منه في الحديث للتوفيق بينه وبين الآية وقال بعضهم المراد تجلي أمره أو نوره والمقدر لهذا من المعتزلة لانكارهم الرؤية ومن أهل السنة لاستبعاد ان يكون للجبل ادراك أو روح تدرك وليس مثله بمستبعد من القدرة * أقول قد ارتضى هذا بعضهم وهو غير ثابت هنا لوجهين الاول ان ما ذكره خلاف الظاهر لا يجوز الحمل عليه من غير قرينة الثاني انه لا يناسب سياق الحديث ولا كلام المصنف لان تجلي الله للجبل حتى صار دكا وخوف موسى عليه الصلاة والسلام حتى يخر صعقا لا يقتضي التأثير في حواسه حتى يرى النملة المذكورة بل يقتضي خلافه ولا يصح تفسير كلام المصنف به لمنافاته لغرضه فالحق ما قلناه وتحقيقه ان الله تعالى لما قربه حتى سمع كلامه النفسي بناء على ما قاله الاشعري من انه يجوز سماعه أو كلاما بغير واسطة يدل عليه ان لم نقل بقدم الالفاظ كما ذهب اليه كثير من السلف حصل له قوة روحانية واتصل به نور الهي أثر في الروح الحيوانية وزاد في نورها الذي بانتشاره في البدن يحصل الادراك على ما حققه الحكماء في الحواس فادرك بذلك ادراكا خارقا للعادة فاذا كانت زرقاء اليمامة التي ضرب بها المثل فقيل أبصر من زرقاء اليمامة ترى من أميال وهي امرأة من الجاهلية فما بالك بهؤلاء وفي تخصيص النملة والظلمة والصخرة الملساء مبالغة لا تخفى وقيل معنى الحديث ان الله تعالى لما خص موسى عليه الصلاة والسلام بمناجاته ظهرت له أنوار ربانية ساطعة أضاءت بها الارض اضاءة عجيبة حتى صار يرى الصغير من بعيد كما يرى الكبير من قريب والمهم المقدم فان فهمت فهو نور على نور وهذا الحديث رواه الطبراني في مسنده الصغير وصححه ولما كانت هذه القوة حصلت للكليم بالتجلي فحصولها للنبي صلى الله عليه وسلم بعد الاسراء مع ما رآه أظهر فلذا قال (ولا يبعد على هذا أن يختص نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم بما ذكرناه) من رؤيته للملائكة والجن ورؤيته بالليل كما يرى بالنهار (من هذا الباب) أي من نوع هذه الرؤية فان الباب والبابة ورد بهذا المعنى (بعد الاسراء) قيده به لانه وقع بالمدينة والاسراء كان بمكة

أسرائه الى سدرة المنتهى (والحظوة) بضم الحاء وتكسر أي و بعد الخطى والحظاء (بما رأى من آيات ربه الكبرى) أي من عجائب الملكوت وغرائب الجبروت ورؤية الرب بنظر العين أو ببصر القلب على ما تقدم والله أعلم وهذا بالنظر الى القوة البصرية الحسية والمعنوية (وقد جاءت الاخبار) أي الدالة على قوته البدنية كخبر أبي داود والترمذي (بانه) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (صرع) أي رمى وضرب على الارض في ٣٨٢ حالة المصارعة (ركانة) بضم الراء وهو ابن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف (أشد أهل وقته) أي أقواهم في غلبة المصارعة وهو بالنصب بدل ويجوز رفعه (وكان) أي النبي عليه الصلاة والسلام (دعاه الى الاسلام) جملة حالية قال الترمذي اسناده ليس بالقائم وقال البيهقي مرسل جيد وروي باسناد موصولا الا انه ضعيف وفي سيرة ابن اسحق خلا ركانة مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في بعض شعاب مكة قبل ان يسلم فقال يا ركانة الا تتقي الله وتقبل ما ادعوك اليه فقال لو أعلم ما تقول حقا لاتبعتك فقال أرأيت ان صرعتك تعلم ان ما أقول حق قال نعم فلما باطش به صلى الله تعالى عليه وسلم أضجعه لا يملك من أمره شيئا ثم قال عد يا محمد فعاد فصرعه أيضا فقال يا محمد ان ذا العجب فقال صلى الله تعالى عليه وسلم وأعجب من ذلك ان شئت ان اريكه ان اتقيت الله واتبعت أمري قال ما هو قال أدعو لك هذه الشجرة فدعاها فاقبلت حتى وقفت بين يديه صلى الله تعالى عليه وعلى وسلم فقال لها ارجعي مكانك فرجعت فلما رجع ركانة الى قومه فقال يا بني عبد مناف ساحروا بصاحبكم أهل الارض فوالله ما رأيت أسحر منه ثم أخبرهم بما رأى قال الحجازي وأسلم قبل الفتح قيل توفي بالمدينة سنة أربعين في زمن معاوية وقيل انه من أجداد الشافعي قال المنجاني ولابنه يزيد أيضا اسلام وصحبة (وصارع) يعني أيضا (أبا ركانة في الجاهلية) صفة للملة أو الامة أو الفترة

ولانه يكون بعد تجلي الله لرؤيته على ما عليه الاكثر فيزيد قوته الروحانية والجسمانية كما سمعته آنفا (والحظوة بما رأى من آيات ربه الكبرى) الحظوة زيادة القرب مع المحبة وزيادة وهي بضم الحاء وكسرها واما آيات ربه الكبرى فسيأتي الكلام عليها في الاسراء (وقد جاءت الاخبار بانه صلى الله تعالى عليه وسلم صرع ركانة أشد أهل وقته) أشد أعظم قوة بدنية من جميع من كان بالقوة الجسمانية وهذا اثبات لتفوقه صلى الله تعالى عليه وسلم على غيره في قوته البدنية بعد ما أثبت قوة ادراكه صلى الله تعالى وعليه وسلم وركانة بضم الراء المهملة وكاف مفتوحة يليها ألف ونون وهاء قال الحافظ برهان الدين الحلبي في المقتفى هو ركانة بن عبد يزيد بن هاشم القرشي المطلبي الحجازي المكي ثم المدني أسلم يوم الفتح وهو الذي صارعه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فصرعه قال الحافظ عبد الغني المقدسي وهذا مثل ما روى في مصارعته صلى الله تعالى عليه وسلم لغيره ورواه أبو داود والترمذي مرسلا قال الترمذي وليس اسناده بالقائم وأخرجه أبو داود عن قتيبة عن محمد بن ربيعة عن أبي الحسن العسقلاني عن أبي جعفر محمد بن ركانة عن أبيه انه صارعه فذكره وأخرجه الترمذي بهذا السند وزاد المزي ما لفظه هكذا رواه أبو الحسن ابن العبد وغير واحد عن أبي داود مثل رواية الترمذي ورواه البيهقي في المراسيل عن سعيد بن جبير رضي الله تعالى عنه قال البيهقي وهو مرسل جيد وروي باسناد آخر متصل الا انه ضعيف وأشار الى ما تقدم وقد رأيت ما نقله في مراسيل أبي داود في اطراف المزي كما قاله لكن فيه انه عليه الصلاة والسلام كان بالبطحاء فاتاه يزيد بن ركانة أو ركانة بن يزيد فذكره بالشك والله تعالى أعلم وتوفي ركانة بالمدينة سنة اثنين وأربعين وقيل في خلافة عثمان رضي الله تعالى عنه وقال النووي في تهذيبه وقع في المهذب في باب المسابقة انه عليه الصلاة والسلام صارع يزيد بن ركانة وهو خطأ والصواب ركانة بن يزيد انتهى وقال السهيلي في روضه ان أبا الأسد بن الجمحي واسمه كلدة بن أسيد بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح وكان بلغ من شدته فيما زعموا انه يقف على جلد البقرة فيجاذبه عشرة لينزعوه من تحت قدميه فيتمزق الجلد ولا يتزحزح عنه وقد دعى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الى المصارعة وقال ان صرعتني آمنت بك فصرعه عليه الصلاة والسلام مرارا ولم يؤمن انتهى والحاصل ان الذي صارعه صلى الله تعالى عليه وسلم ركانة في أصح الروايات (وكان دعاه الى الاسلام) فلم يسلم أولا ثم أسلم بعد ذلك كما تقدم قيل كان ينبغي ذكر هذا قبل ذكر ما اشتمل عليه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من قوى الباطن ليترقى منه اليه اذ هذا من قوى الظاهر وهو أدنى من قوى الباطن ولا مرية انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان من أشجع الناس وأقواهم (وصارع صلى الله تعالى عليه وسلم أبا ركانة في الجاهلية) أي قبل ظهور الاسلام بمكة قال البرهان الذي صح انه ركانة واما أبو ركانة فلم يصح والصواب ركانة وكذا ما نقل من ان أبا جهل صارعه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يصح أيضا وذكر بعضهم عن السهيلي ان أبا أسد الجمحي صارعه وكان من أشد الناس وقد مر وغير هذين لم يصح والجاهلية منسوبة الى الامة الجاهلية أو الفترة والجاهلية تطلق على ما قبل مبعثه صلى الله تعالى عليه وسلم

(وكان شديدا وعاوده ثلاث مرات كل ذلك) بالنصب على نزع الخافض ويجوز رفعه أي كل ماذكر من المرات (يصرعه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) قال الدلجي هذا وخبر انه صارع أبا جهل فصرعه فلم يصحا بل لا أصل لهما وفيه انه في مراسيل أبي داود ويزيد بن ركانة أو ركانة بن يزيد على الشك لكن الظاهر أن الصحيح ركانة كما قاله الحلبي وغيره لا كما قاله النووي أنه الصواب والله

وعلى ما قبل الفتح قيل والمراد هنا الثاني (وكان) أي أبو ركانة (شديدا وعاوده ثلاث مرات) أي صارعه مرة بعد مرة (كل ذلك يصرعه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) كل منصوب بنزع الخافض أي يصرعه في كل ذلك قاله البرهان وغيره وأما حديث ركانة الذي تقدم فهو ما رواه البيهقي انه قال كنت أنا والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم في غنيمة لابي طالب نرعاها فقال لي ذات يوم هل لك ان تصارعني فقلت له أنت قال أنا فقلت على ماذا قال على شاة من الغنم فصارعته فصرعني وأخذ مني شاة ثم قال هل لك في المعاودة الثانية قلت نعم فصارعته فصرعني وأخذ مني شاة فجعلت التفت هل رآني انسان من الرعاة فيجترئ علي وأنا في قومي أشدهم فقال هل لك في الثالثة ولك شاة قلت نعم فصارعته فصرعني وأخذ مني شاة فقعدت كئيبا حزينا فقال مالك فقلت ارجع لصاحب الغنم وقد أعطيت ثلاثا من غنمه وكنت أظن اني أشد الناس فقال هل لك في الرابعة فقلت لا بعد ثلاث فقال أما الغنم فاني أردها عليك فردها فلما ظهر أمره أتيته وأسلمت وفي رواية أنه راهنه على عشرة وانه قال له ما هذا الا السحر * فان قلت ما حكم المصارعة شرعا * قلت ذهب البغوي رحمه الله تعالى الى تحريمها لانه لا منفعة لها في الحرب والاصح انها تجوز من غير عوض لانه ربما تدعو اليها المحاربة وبهذا أفتى شيخنا الرملي وأما أخذ النبي صلى الله تعالى عليه وسلم العوض من ركانة فانما كان بنية رده وليرغب في المصارعة وليكون ذلك سببا لاسلامه مع ان المروي ان ركانة هو الذي طلبها ثم ذكر ما يدل على قوته صلى الله تعالى عليه وسلم أيضا فقال (وقال أبو هريرة رضي الله تعالى عنه ما رأيت أحدا أسرع من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في مشيته) بكسر الميم وسكون الشين المعجمة والياء المثناة التحتية المفتوحة يليها تاء تانيث مضافا لضمير النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهي هيئة المشي وروي مشيه بفتح الميم دون تاء تانيث قاله التلمساني وقال التجاني كثيرا ما يقع في الشفاء وغيره مكسور الميم والصواب فتحها لان المشية بالكسر هيئة الانسان وبالفتح مصدر فاذا فتحت كان المعنى أسرع من مشي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واذا كسرت فالتقدير أسرع من هيئة مشيته ولا معنى له ورد بان المشي والمشية بمعنى ولم يرد الهيئة والمقصود واحد لان المشية تكون مصدرا أو هو كما تقول جمال زيد أكمل وأنت تريد زيدا كمل في جماله فالمعنى أسرع من مشيه في هيئته المخصوصة ولم يرد تفضيل الهيئة كما في قولك فلان أحسن الناس جلسة أي هيئة أحسن من هيئة غيره في الجلوس * أقول هذا تكلف نشأ من توهم ان المشية مفضل عليها وليس كذلك فان المفضل مطلق حركته ومشيه وفي بمعنى مع أي لا يرى أسرع من حركته مع هيئته المخصوصة في مشيه فليس المقصود تفضيل الهيئة يعني أنه صلى الله تعالى عليه وسلم مع تؤدته واعتدال حركاته تراه يسرع كأنه الماء الجاري من غير اضطراب ولولا هذا لناقض ما ذكر من اعتدال حركاته في أول الفصل فلذا قال (كأنما الارض تطوى له) فانه يدل على ان مشيه ليس بالجري والهرولة ورد بان الارض كانت تطوى له صلى الله تعالى عليه وسلم ولا منافاة بينهما أما الجمل هذا على غالب أحواله وذاك على أسفاره ونحوها وقيل انهما بمعنى فان أحدهما استعارة أو تشبيه بليغ وهذا تشبيه صريح كما تقول هو الاسد وكأنما هو الاسد (انا لنجهد أنفسنا وهو غير مكترث) نجهد مضارع امامن الجهد بفتح الجيم وهو المشقة والتعب

أعلم نعم مصارعة أبي جهل لا تصح اتفاقا هذا وقد ذكر السهيلي ان أبا الاسد ابن الجمحي واسمه كلدة بفتح اللام وكان بلغ من شدته فيما زعموا انه كان يقف على جلد البقرة ويجاذبه عشرة لينتزعوه من تحت قدميه فيتخرق الجلد ولا يتزحزح عنه وقد دعا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الى المصارعة وقال ان صرعتني آمنت بك فصرعه صلى الله تعالى عليه وسلم مرارا ولم يؤمن به (وقال أبو هريرة رضي الله تعالى عنه) كما رواه الترمذي في شمائله والبيهقي في دلائله (ما رأيت أحدا أسرع من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في مشيه) وفي نسخة مشيته بكسر الميم وزيادة التاء أي في هيئة مشيه وهي غير ملائمة لاسرع كما قاله التجاني فتامل في تحقيق المباني والمعاني (كأنما الارض) بالرفع لزيادة ما الكافة المانعة ما قبلها عما بعدها من العمل (تطوى له)

بصيغة المجهول أي تنزوي وتجمع وتقرب وتدنو وقيل تطوى كطي الملاءة وأما المشي في الهوى وعلى الماء كما وقع لبعض الاصفياء فانه يصدر باذن رب السماء ثم بين وجهه بقوله (انا) أي معشر الصحابة (لنجهد أنفسنا) بفتح النون والهاء وفي نسخة بضم النون وكسر الهاء من جهد دابته وأجهدها اذا حمل عليها في السير فوق طاقتها فالمعنى لنتعب أنفسنا بالجهد فوق طاقتها (وهو غير مكترث) بكسر الراء أي الحال أنه صلى الله تعالى عليه وسلم غير مبال بمشينا ولا متأثر بمشي هونا وفقا لقوله تعالى الذين يمشون على الارض هونا

ولقوله تعالى واقصد في مشيك ومع ذلك يسبق من شاءه كرامة خص بها اذ اعطى قوة زائدة على قوى سائر البشر لحديث كان يتحدث
أنه أعطى قوة ثلاثين رجلا أي في المشي والبطش والجماع ونحوها وكان يطوف على نسائه في غسل واحد وكن

أو بضمها وهو الطاقة والمقدرة أي انا نتعب أنفسنا في مساواة مشيه وهو صلى الله تعالى عليه وسلم مستريح لا يرى له مشقة أو انا نبذل وسعنا وطاقتنا وهو غير مبال بمشيه ومكترث بالكاف والتاء المثناة الفوقية وراء مهملة ومثلثة اسم فاعل من الاكتراث وهو المبالاة والاعتناء بالامر قالوا ولا يستعمل اكترث الا في النفي وورد في الاثبات نادرا في حديث ذكره صاحب النهاية وقد ورد في صفة مشيه صلى الله تعالى عليه وسلم كما يأتي في الحديث عن علي كرم الله تعالى وجهه وغيره اذا مشى مشى تكفيا كأنما ينحط من صبب واذا وطئ وطئ بقدمه كلها ذريع المشي أي خطاه متباعدة وكان أصحابه رضي الله تعالى عنهم يمشون بين يديه صلى الله تعالى عليه وسلم وهو خلفهم ويقول خلوا ظهري للملائكة وما ذكره المصنف رحمه الله تعالى بعض من حديث أوله ما رأيت شيأ أحسن من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كأن الشمس تجري في وجهه وما رأيت أحدا أسرع الى آخره رواه صاحب الشمائل والمصنف رحمه الله تعالى اختصره وغير بعض ألفاظه وفي نسخة المصححة مشيته موافق لاحدى النسختين هنا وقد علمت ما ورد عليه وجوابه فلا حاجة لما قيل ان المشية أعم من المشي لدلالة الاول على الحدث والثاني على الحدث مع الهيئة وكلما دل على الحدث مع الهيئة دل على الحدث ولا عكس والحدث المطلق اذا أضيف الى من صدر عنه استفيد منه خصوص الهيئة لان الهيئة التي تدل عليها فعلة المكسورة الفاء حالته التي عليها الفاعل عند تلبسه بالفعل وهي لازم لكل مصدر فكل مشي مشية من غير عكس لانه تكلف (وفي صفته صلى الله تعالى عليه وسلم ان ضحكه صلى الله تعالى عليه وسلم كان تبسما) الضحك انبساط الوجه وظهور الاسنان فلذا سمي مقدمها الضواحك والتبسم ابتداؤه والاخذ فيه وقيل هو الضحك من غير قهقهة وفي الحديث كان ضحكه صلى الله تعالى عليه وسلم تبسما كذا في عمدة الحفاظ وعلى كل حال فالتبسم بعض من الضحك أو نوع منه وعليه قول النحاة في قوله تعالى فتبسم ضاحكا من قولها ان ضاحكا حال مؤكدة وقول الزمخشري أي شارعا في الضحك وآخذا فيه يعني انه قد تجاوز حد التبسم الى الضحك لا يقتضي التفرقة ولان المراد بالضحك أمر مخصوص فلا اعتراض على النحاة ولا على الزمخشري كما توهم وقد ورد في بعض الاحاديث ان ضحك النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لم يكن الا تبسما وورد في بعضها انه ضحك حتى بدت نواجذه وفي بعضها وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم بمطلق الضحك وجمع بينهما بان التبسم كان غالب أمره صلى الله تعالى عليه وسلم وان غيره وقع منه أحيانا على الندرة فلا منافاة بينهما وقيل المراد بقوله ضحك حتى بدت نواجذه المبالغة لا حقيقته ولا حاجة اليه فان الانبياء عليهم الصلاة والسلام والصحابة رضي الله تعالى عنهم كانوا يضحكون اذا رأوا عجبا أو أمرا يسرهم ولنا فيهم أسوة حسنة وانما المكروه الاكثار كما ورد في الحديث كثرة الضحك تميت القلب لكن غلبه ذلك من أهل اللهو والبطالة وروي في قوله تعالى فتبسم ضاحكا انه كان فرحا بفضل الله تعالى عليه ولم يكن بطرا ولا أشرا لا سيما ما فيه من تانيس الناس وتعليمهم لحسن العشرة وأما ما روي عن الحسن رضي الله تعالى عنه من انه ما رؤي ضاحكا ولا متبسما الا في أهله ولا وحده ولا في جماعة فذلك غير منكر لشدة خوفه من الله تعالى ومراقبته له وهو مقام آخر لا يخالف فعل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأصحابه فلا وجه للاعتراض به عليه (اذا التفت التفت معا) فلا يسارق النظر ولا يلوي عنقه يمنة ولا يسرة كما يفعله من به طيش وخفة بل يقبل جميعا ويدبر جميعا ومعنى معا

تسعا (وفي صفته) أي نعته من جهة حسن شمائله (ان ضحكه كان تبسما) لما في البخاري عن عائشة رضي الله تعالى عنها ما رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مستجمعا قط ضاحكا حتى أرى منه لهواته انما كان يتبسم ويشير اليه قوله تعالى فتبسم ضاحكا وفيه ايماء الى ان الاقتصاد في الضحك هو الذي ينبغي وان كان الضحك جائزا لما ورد في بعض الروايات انه ضحك حتى بدت نواجذه وعن عبد الرزاق أنه سئل ابن عمر اكان أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يضحكون أي أحيانا قال نعم وان ايمانهم لاعظم من الجبال نعم يكره الاكثار منه كما قال لقمان لابنه اياك وكثرة الضحك فانها تميت القلب وكما يشير اليه قوله تعالى فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا ولان كثرة الضحك تنبئ عن الغفلة والبكاء ينبئ عن الرحمة وروي عن الحسن
انه كان لا يضحك وهذا لما غلب عليه من الخوف والقبض بخلاف من غلب الرجاء والبسط فانه يضحك ولا يبكي والاعدل هو الاعتدال من هذه الخصال على وفق شمائله صلى الله تعالى عليه وسلم من تفصيل الاحوال (اذا التفت) كذا في بعض النسخ والظاهر كما في أصل الدلجي واذا التفت أي الى أحد الجانبين (التفت معا) وفي رواية جميعا أي بجميعه

نظره لا يؤخر عينيه كما هو دأب سارق النظر ويسمى نظر العداوة ومنه قوله تعالى يعلم خائنة الاعين فاندفع قول الدلجي أي بجميع بدنه وينبغي أن يخص هذا بالتفاته وراءه وأما التفاته يمنة ويسرة فالظاهر انه بعنقه (واذا مشى) أي في مسيره (مشى تقلعا) بضم اللام المشددة أي رفع رجليه رفعا بقوة لا اختيالا لشدة عزمه ولا تقريب الخطى من مشية النساء والاغنياء الاغبياء (كأنما ينحط من صبب) بفتح المهملة والموحدة الاولى أي كأنما ينحدر من مرتفع قاله الدلجي تبعا للشمني وفي القاموس الصبب محركة

بجميعه (واذا مشى مشى تقلعا) رواه الترمذي في الشمائل اذا مشى تقلع وفي رواية اذا زال زال قلعا يمشي تكفيا ويمشي هونا وفي النهاية الاثيرية ان المراد انه صلى الله تعالى عليه وسلم يرفع رجليه من الارض رفعا قويا من غير مقاربة للخطا فانه مشي النساء والمختالين وقلعا روي بفتح القاف وضمها مصدر بمعنى الفاعل أي قالعا رجليه وفي غريب الانباري والتهذيب بفتح القاف وكسر اللام وهو قريب من قوله (كأنما ينحط) أي ينحدر (من صبب) أي يتثبت من غير عجلة ومبادرة شديدة وروي في صبب بفتح الصاد المهملة وفتح أولى الموحدتين وهو الموضع المرتفع أو ما انحدر منه كسفح الجبل فمن على ظاهرها وقيل انها بمعنى الى وينحط بمعنى يتدلى وكذا ينحدر وفي رواية كأنما يهوي من صبوب بفتح الصاد وضمها مصدرا أو جمع صبب وهو وصف بغاية السرعة كالنازل من علو

(فصل) وأما فصاحة اللسان وبلاغة القول) معنى الفصاحة في اللغة كما في كتاب الصناعتين لابي هلال الاظهار تقول العرب أفصح الصبح اذا أضاء واللبن اذا انجلت عنه الرغوة وظهر وتمامها بتمام آلة البيان وهي اللسان قال ولتضمن الفصاحة معنى الآلة يوصف بها اللسان فيقال لسان فصيح ولا يوصف بها الله سبحانه وتعالى عز وجل فلا يقال فيه فصيح وان وصف بها كلامه والبلاغة من بلغت الغاية اذا انتهيت اليها وبلغتها فسميت بلاغة لبلوغها النهاية أو لابلاغها المعنى لفهم السامع ومعنى الفصاحة عند أهل المعاني معلوم في كتبه وتقدم انه يوصف بها اللسان والمفرد والكلام والمتكلم وفي وصف المفرد بها كلام ليس هذا محله والمراد بالقول هنا جنس اللفظ الموضوع مطلقا أو تعريفه للاستغراق أي جميع أقواله بليغة وأضاف الفصاحة للسان والبلاغة للقول تفننا أو للدلالة على كمال كلامه وآلة نطقه فان من العرب من كان كلامه فصيحا بليغا مع نقص آلته كزياد الاعجم فانه كان لا يقيم الحروف فيقول للحمار همار ولذا لقب بالاعجم ويحتمل أن يريد باللسان اللغة (فقد كان صلى الله تعالى عليه وسلم من ذلك) المذكور وهو الفصاحة والبلاغة (بالمحل الافضل والموضع الذي لا يجهل) المحل والموضع بمعنى وان تغاير مفهوما لان الاول مكان الحلول والثاني مكان الوضع ففي عبارته تفنن فرارا من التكرار أي كان صلى الله تعالى عليه وسلم أفصح البشر وأبلغهم فكنى عن ذلك بجعله في أفضل محل البلاغة وفي موضع لها لا يجهله أحد كما في قوله

ان الفصاحة والسماحة والندى * في قبة ضربت على ابن الحشرج

فهو كالاثبات بدليل ومرتبته في ذلك دون مرتبة الاعجاز وهو أقرب اليها من كل بليغ وقوله بالمحل خبر كان ومن بيانية على القول بجواز تقدمها وقيل تبعيضية والجار والمجرور حال من المحل والموضع أي كان بالمحلين كائنين بعض ذلك أي بعض مطلق الفصاحة والبلاغة والمرتبة التي له من ذلك ويؤثر عنه من الكلمات البليغة ما لا تصل اليه القوى البشرية (سلاسة طبع) وفي نسخة مع سلاسة طبع والسلاسة السهولة أي كانت سليقته صلى الله تعالى عليه وسلم في البلاغة تنقاد له بسهولة من غير

تصبب نهرا وطريق يكون في حدوره وما أنصب من الرمل وما انحدر من الارض وكل هذه المعاني تشير الى أن الصبب بمعنى المنخفض لا بمعنى المرتفع وقد صرح الحجازي وغيره بأنه ما انحدر من الارض وأغرب الحلبي حيث قال من موضع مرتفع منحدر فالاولى أن يقال من بمعنى في كما في قوله تعالى اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة ويؤيده انه جاء في رواية كأنما يهوي في صبوب بفتح الصاد وضمها فالمعنى كأنما ينزل من علو الى أسفل فانه حينئذ يكون المشي بقوة لكن لا بابطاء ولا بسرعة والمقصود من الحديث هذه الفقرة الدالة على كمال قوته البدنية في مسيرته الحسية وأما مسيرته المعنوية فقد علم في القضية الاسرائية *(فصل وأما فصاحة اللسان وبلاغة القول)*

 أي في معرض البيان وخص الفصاحة باللسان لنطقه بالمفرد والمركب المطابقين لمقتضى الحال وهما يوصفان بها كالمتكلم والبلاغة بالقول اذ لا يكون الا كلاما اذا اسناد يبلغ به المتكلم ارادته ويوصف بها الكلام كالمتكلم دون الكلمة لانها لا يبلغ بها الغرض فراعى المصنف اصطلاح علماء المعاني والبيان في تقرير هذا الشان (فقد كان صلى الله تعالى عليه وسلم من ذلك) أي مما ذكر من الفصاحة والبلاغة (بالمحل الافضل والموضع الذي لا يجهل) بصيغة المجهول أي الظاهر بالوجه الاكمل (سلاسة طبع) بفتح السين ونصبت بنزع الخافض أي بسهولة جبلة وانقياد طبيعة وفي نسخة مع سلامة طبع

(وبراعة نزع) بفتح الميم والزاى أى ماخذ ومطلع والبراعة بفتح الموحدة مصدر برع الرجل فاق أقرانه ووصفها بصفة صاحبها مبالغة أى منزعا بارعا وحاصله جودة لسان ولطافة بيان وأما قول التلمسانى انه بكسر الميم وهو السهم الذى نزع به واستعاره القاضى للسان مجازا اذهو آلة الكلام ففى غاية من البعد مع مخالفته للاصول المعتمدة (وايجاز مقطع) أى ومقطعا موجزا من أوجز أتى بكلام قل مبانيه وكثر معانيه والمقطع بفتح الميم والطاء منتهى المرام كما ان المنزع مبدأ الكلام فالمعنى ان كلامه حسن الابتداء ومستحسن الانتهاء وهو المطلع والمقطع باسلوب الشعراء من الفصحاء والبلغاء وأما ماذكره التلمسانى من أنه بكسر الميم وهو فى الاصل شفرة حادة يقطع بها الشئ استعارة للقول مجازا اذهى آلة فهو مع مخالفته للنسخ المصححة فى غاية من التكلف ونهاية من التعسف (ونصاعة لفظ) بفتح النون أى ولفظا ناصعا أى خالصا من شوائب تنافر الحروف وغرابة الالفاظ وارتكاب الشذوذ (وجزالة قول) أى وقولا جزلا لاركاكة فيه ولا ضعف تاليف وتركيب ينافيه بل نسجت حبره الحبرية على منوال تراكيب العربية (وصحة معان) أى ومعانى صحيحة يستفاد منها مقاصد صريحة قال التلمسانى ومعان جمع معنى بالياء وبدونها ولاخفاء لما فيه من ايهام انهما لغتان وليس كذلك بل اختلافهما بحسب تفاوت اعرابهما (وقلة تكلف) أى قلة طلب كلفة فى التادية بعد تامل وتفكر وتروية وكان الاولى أن يقال وعدم تكلف لقوله سبحانه وتعالى حكاية عنه وما أنا من المتكلفين ولعله أراد بالقلة العدم والله أعلم ومنه قول أبى أوفى كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يقل اللغو أى لا يلغو أساومنه أيضا قوله تعالى فقليلا ما يؤمنون أى لا يؤمنون أصلا (أوتى جوامع الكلم) جملة مستانفة مبينة ومؤكدة لما قبلها أى أعطى الكلمات الجامعة للمعانى الكثيرة فى المبانى اليسيرة وقد جمعت أربعين حديثا يشتمل كل حديث على كلمتين هو أقل ما يتركب منه الكلام الاسنادى كقوله الايمان يمان والعدة دين والسماح رباح وأمثالها مما أدرجته فى شرح الشمائل للترمذى والكلم بفتح الكاف وكسر اللام اسم جمع للكلمة ومنه قوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب وقيل جمع لها وهو ضعيف (وخص ببدائع الحكم) بكسر ففتح جمع حكمة أى الحكمة البديعة المتضمنة للمعانى المنيعة (وعلم ألسنة العرب) أى وخص بمعرفة لغات طوائف العرب من قومه وغيرهم لانه بعث الى جميعهم فعلمه الله الالسنة ليخاطب كل قوم بما يفهمون لقوله يطلق

تكلف وسلاسة وقع بالنصب على نزع الخافض أو هو مفعول له ولو رفع بتقدير له سلاسة طبع جاز ومن الغريب ان الشارح العرضى بعدما أعربه مفعولا قال انه فى جواب سؤال تقديره هل كانت فصاحته سليقة أو بتتبع تراكيب البلغاء وقوانينهم (وبراعة منزع) البراعة بفتح الباء والراء المهملة من برع الرجل بضم الراء وفتحها اذا فاق غيره وكثيرا ما يستعمل بمعنى الفصاحة ولذا فسرها بها هنا بعض الشراح وليس ببعيد والمنزع من نزع الى أهله اذا اشتاق وأراد الرحيل اليهم ونزع القوس جذبها والدلو استقى بها فالمنزع ان كان بفتح الميم فاسم مكان أو مصدر ميمى وفسروه هنا بالماخذ وما يرجع اليه الرجل من رأيه وأمره والظاهر أن المراد أصله ومقره يعنى انه صلى الله تعالى عليه وسلم مع بلاغته الجبلية من قوم وجلدة هم أفصح الناس وان كان بكسرها كما عليه التلمسانى فهو اسم آلة كالمفصل وفسر باللسان وأصله السهم يقال نزعت فى القوس نزعا وأنزعت بمنزع أى سهم وفى المثل عاد السهم الى النزعة أى رجع الحق لاهله (وايجاز مقطع) الايجاز التعبير عن معان كثيرة بلفظ قليل ويقابله الاطناب والمساواة كما بينه أهل المعانى وهو بفتح الميم اسم مكان أو مصدر أى موجز فى محل القطع والفصل للامور فانه محل الايجاز لا كمقام الخطابة فانه يحمد فيه التطويل فلذا اقتصر عليه لا لانه يعلم من البلاغة كما قيل وجوز فيه كسر الميم على ان المراد به القول وتفسيره بتمام الكلام لظهوره عنده تكلف (ونصاعة لفظ) النصاعة الخلوص والوضوح أى ان لفظه صلى الله تعالى عليه وسلم خالص من كل بشاعة ولكنه واضح لكل أحد لمخاطبته كل أحد على قدر عقله وبلغته (وجزالة قول) بفتح الجيم والزاء المعجمة وهو القوة والاتقان وضدها الركاكة (وصحة معان) أى انه صلى الله تعالى عليه وسلم مع فصاحة ألفاظه ووضوحها معانيه صحيحة لافساد فيها لاحتوائها على الاحكام والحكم الفصل (وقلة تكلف) لانه يتكلم عن روية وسلاسة طبع من غير تشدق ورعاية سجع ومشقة والمراد انه لا يتكلف فالقلة هنا بمعنى النفى كما أثبته النحاة وأهل اللغة فاندفع قول بعضهم ولو قال وعدم تكلف لكان أحسن وأليق (أوتى جوامع الكلم) أى آتاه الله قوة ناطقة بحيث ينطق بالكلمات الجامعة للمعانى التى هى بمنزلة الامثال فان من تامل كلامه صلى الله تعالى عليه وسلم رأى فيه من المعانى مع الوجازة التى تستخرج الطبع الغواص منها جواهر يحار فيها العقول وقيل المراد بها القرآن والحديث وفيه نظر (وخص ببدائع الحكم) أى خص صلى الله تعالى عليه وسلم بنطقه بكل حكمة بديعة لم يسبق اليها والحكمة العلم النافع لمن وعاه من الزيغ والضلال وقال ابن عرفة الحكمة عند العرب ما تمنع من الجهل ولذا سمى الحاكم حاكما لمنعه التعدى (وعلم ألسنة العرب) أى انه صلى الله تعالى عليه وسلم يعلم لغاتهم لان اللسان

تعالى وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه وفى نسخة وعلم بصيغة الماضى المعلوم وفى أخرى بصيغة المجهول من التعليم عطفا على أوتى وقيل كان يعلم جميع الالسنة الا انه لم يكن مامورا باظهارها أو أراك ان يكون التكلم بالعربية هو السنة لانه أفضل أنواع اللغة لان كلام الله عربى ولسان أهل الجنة فى الجنة عربى وأصل النبى عربى قيل ومن أسلم فهو عربى ولانه أيسر اللغات وأضبط للكليات كما يشير اليه قوله سبحانه وتعالى فانما يسرناه بلسانك (يخاطب) وفى نسخة فكان يخاطب (كل أمة) أى طائفة (منها) أى من طوائف العرب (بلسانها ويحاورها) بالحاء المهملة أى ويجاوبها (بلغاتها) وفى نسخة بلغتها (ويباريها) بالراء والياء أى يعارضها ويروى بدله وبيانها (فى منزع بلاغتها) أى ماخذها ومرجع لغتها (حتى) هى مستانفة ههنا على ماذكره الدلجى والاظهر انها للغاية أى الى حد (كان كثيرمن أصحابه) أى من أتباعه وأحبابه (يسالونه فى غيرموطن) أى فى مواطن كثيرة (عن شرح كلامه) أى بيان مرامه (وتفسيرقوله) عطف تفسير والاول مختص بالجمل والمركبات والثانى بالمفردات أو الاعم والله أعلم وقد صرح التلمسانى بان الصحابة كانوا يسالون عن كثير من مفردات اللغة نحو حتى تزهى وتزهو وحتى تشقح وسؤالهم عن لفظ الطاعون ونحو ذلك انتهى ثم هذا الذى ذكرناه امر ظاهر وشان باهر (من تامل حديثه وسيره) أى أحاديثه فى كتب المحدثين والائمة المجتهدين وأقواله فى كتب أرباب السير والمؤرخين وفى نسخة وسبره بالموحدة على انه فعل ماض أى نظر فى صناعة أساليبه وصياغة تراكيبه (علم ذلك) أى تفصيله (وتحققه) أى وثبت عنده وزال الريب عنه (وليس كلامه) أى لم يكن تكلمه (مع قريش) أى من أهل مكة (والانصار) أى من أهل المدينة (وأهل الحجاز ونجد) أى وحواليهما (ككلامه) مع (ذى المشعار) بكسر ميم وسكون معجمة فمهملة أو معجمة بعدها ألف وراء وهو أبو ثور مالك بن نمط (الهمدانى) بميم ساكنة فمهملة نسبة الى همدان قبيلة من اليمن قدم عليه عليه الصلاة والسلام مرجعه من تبوك مع كثير من قومه مسلمين فقال هذا وفد همدان ما أسرعها الى النصر وأصبرها على الجهد واما همذان بفتح الميم مع الذال المعجمة أو المهملة فبلد بعراق العجم قيل هاجر ذو المشعار فى زمن عمر رضى الله تعالى عنه الى الشام ومعه أربعة آلاف عبد فاعتقهم كلهم وانتسبوا الى همدان

يطلق على اللغة وعلم مخفف ماض مبنى للفاعل أو مشدد مبنى للمجهول أى علمه الله أو مصدر مجرور معطوف على بدائع الحكم (يخاطب كل أمة منها) أى كل قبيلة وجماعة منهم (بلسانها) أى لغتها لاختلاف لغاتهم (ويحاورها بلغتها) أى يصاحبها ويراجعها بلغتها (ويباريها فى منزع بلاغتها) المباراة بالراء المهملة غير مهموز والمباراة والمجاراة المعارضة وفعله مثل فعله (حتى كان كثيرا من الصحابة رضى الله تعالى عنهم مع انهم فصحاء علماء وهذا غاية لجميع ما قبله أى لقوة فصاحته قد لا يفهمون كلامه لما فيه من المعانى البديعة التى لم يسمعوا بها أو لما يليها من تكلمه بجميع الالسنة لان السامع قد لا يعرف لغة غيره (يسالونه فى غيرموطن) أى فى مواطن كثيرة (عن شرح كلامه وتفسير قوله) لانه صلى الله تعالى عليه وسلم لما أرسله الله لجميع الناس علمه جميع اللغات قال تعالى وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه وهو صلى الله عليه وسلم مرسل للجميع (من تامل حديثه وسيره) جمع سيرة وروى وسبره بسين مفتوحة مهملة وباء موحدة كما ذكره البرهان أى تتبعه وفتش عليه وأصله من سبر الجرح اذا اختبر غوره (علم ذلك وتحققه وليس كلامه مع قريش والانصار وأهل الحجاز ونجد) قريش قوم من ولد النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر سموا بذلك لتقرشهم أى تجمعهم بعد ما كانوا متفرقين فى غير الحرم فجمعهم مضر او قصى أو لانهم كانوا يتقرشون البياعات والامتعة أى يجمعونها أو سموا بالقريش وهو دابة بحرية يخافها دواب الارض والانصار جمع ناصر أو نصير سموا بذلك فى الاسلام لنصرتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم هم الاوس والخزرج قبيلتان سموا باسم جدهم كتميم والحجاز مكة والمدينة والطائف وما يليها سمى به لانه حجز بين تهامة ونجد او بين نجد والسراة أو احتجزت بحرار (٢) خمس معروفة ونجد بفتح فسكون ما ارتفع من الارض ويقابله تهامة وهى من أعمال اليمامة كما بين فى معجم البلدان وغيره (ككلامه مع ذى المشعار الهمدانى) بسكون الميم ودال مهملة بينها ألف ونون وياء نسبة لهمدان وهى قبيلة عظيمة باليمن واما همذان بهاء وميم مفتوحتين وذال معجمة فبلدة بخراسان بناها همذان بن الفلوح بن سام بن نوح والمعروف بين العجم اهمال داله فكان هذا تعريب له وذو المشعار بميم مكسورة ثم شين معجمة ساكنة وقال التلمسانى انه بشين معجمة ومهملة وغين معجمة ومهملة واقتصر فى القاموس على الثانى وراء مهملة وفى الروض الانف انه أبو ثور مالك بن نمط وهو من بنى خارف أو من يام وكلاهما من همدان وهو صحابى وفد على

(٢) جمع حرة على وزن ذرة وهى أرض ذات حجارة سود لمصححه

النبى صلى الله تعالى عليه وسلم مرجعه من تبوك وخارف بخاء معجمة وراء مهملة وفاء ويام بمثناة تحتية ويقال أيام بهمزة وهو الذى ذكره المصنف وهو همدانى خارفى ارحبي ووهم ابن اسحاق فى قوله فى سيرته مالك بن نمط وأبو ثور ولك ان تقول انه من عطف الكنية على الاسم ولا بعد فيه والذى صححه الصاغانى فى كتاب الذيل والصلة ان المشعار بعين مهملة وانه انما قيل له ذى المشعار لان المشعار موضع باليمن ينسب اليه وسيأتى ماقاله للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم لما قدم (وطهفة النهدى) بكسر الطاء المهملة وسكون الهاء وبالفاء تليها هاء تانيث وهو ابن زهير ويقال ابن أبى زهير وسماه الذهبى فى تجريده طهية بالمثناة التحتية بدل الفاء وقال ابن الجوزى انه طخفة بالخاء المعجمة وقيل طغنة بالغين المعجمة وقيل طقفة بقاف وفاء وقيل قيس بن طفحة وقيل اسمه يعيش واسم أبيه أبو ذر وقال التلمسانى انه فى بعض الشروح بظاء مشالة مفتوحة ويقال بكسرها والنهدى بالنون والهاء والدال المهملة منسوب لنهد وهو اسم قبيلة باليمن وهو خطيبها ووافدها النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى سنة تسع لما قدمت عليه وفود العرب ولما قدم قام وقال أتيناك يارسول الله من غورى تهامة باكوار الميس ترمى بنا العيس نستحلب الصبير ونستخلب الخبير ونستعضد البرير ونستجيل الرهام ونستحيل الجهام من أرض غائلة المنطا غليظة الوطا قد نشف المدهن ويبس الجعثن وسقط الاملوج ومات العسلوج وهلك الهدى ومات الودى برئنا يارسول الله من العثن والوثن وما يحدث الزمن لنا دعوة السلام وشريعة الاسلام ماطمى البحر وقام تعار ولنا نعم اغفال ماتبض ببلال ووقير قليل الرسل كثير الرسل اصابتنا سنة حمراء موزلة ليس لها علل ولا نهل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم بارك لهم فى محضها ومخضها ومذقها وابعث راعيها فى الدثر بيانع الثمر وافجر له الثمد وبارك له فى المال والولد وهذا ما أشار اليه المصنف رحمه الله كما يأتى ونقلت من خط العلائى بسنده الى عمران بن حصين رضى الله تعالى عنه قال قدم وفد بنى نهد بن زيد على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقام طهية بن أبى زهير النهدى بين يديه صلى الله عليه وسلم فقال أتيناك يارسول الله من غورى تهامة على اكوار الميس ترمى بنا العيس ونستحلب الصبير ونستخلب الخبير ونستعضد البرير ونستجيل الرهام ونستحيل الجهام من أرض غائلة المنطا غليظة الوطا قد نشف المدهن ويبس الجعثن وسقط الاملوج من البكارة ومات العسلوج وهلك الهدى ومات الودى برئنا يارسول الله من الوثن والعثن وما يحدث الزمن لنا دعوة المسلمين وشريعة الاسلام ماطمى البحر وقام تعار ولنا نعم همل اغفال لاتبض ببلال ووقير كثير الرسل قليل الرسل اصابتنا سنة حمراء موزلة ليس لها علل ولا نهل فقال صلى الله تعالى عليه وسلم اللهم بارك لهم فى محضها ومخضها ومذقها ومرقها واحبس راعيها على الدثر ويانع الثمر وبارك لهم فى الولد من أقام الصلاة كان مؤمنا ومن أدى الزكاة لم يكن غافلا ومن شهد ان لا اله الا الله كان مسلما لكم يابنى نهد ودائع الشرك ووضائع الملك مالم يكن عهد ولا موعد ولا تثاقل عن الصلاة ولا تلطط فى الزكاة ولا تلحد فى الحياة من أقر بالاسلام فله مافى الكتاب ومن أقر بالجزية فعليه الزكاة وله من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الوفاء بالعهد فى الذمة وكتب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مع طهية بن أبى زهير كتابا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بنى نهد بن زيد السلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله عليكم بالوظيفة الفريضة ولكم الفارض والفريش وذو العنان الركوب والضبيس لايؤكل كلكم ولا يقطع سرحكم ولا يحبس دركم ولا يعضد طلحكم مالم تضمروا الرماق وتاكلوا الرباق انتهى وتفسيره الميس الرحال والعيس الابل والصبير السحاب المتفرق والرهام القداح والجهام السحاب بلا مطر أمطر ببلد آخر غائلة المنطا بعيدة المسافة يبس المدهن غدير الماء والجعثن عروق الشجر البكارة البكر ادركه الهزال بعد السمن العسلوج عروق الشجر تتشعب ورقه والودى الغسيل والعثن الخلاف

(وطهفة) بكسر المهملة وسكون هاء ففاء (النهدى) بفتح فسكون قبيلة باليمن قدم عليه بعد فتح مكة كما قال ابن سعد وغيره

وما

ومابض بلال أي ليس لها ابن ووقير قليل الرسل يعني الصرمة من الغنم ليس لها أولاد كثير الرسل يقول سديد العرف في طلب المرعى وقوله في مخضها وفرقها ومذقها كلها من اللبن والدثر الخصب ويانع الثمر نضيجه والثمد قليل الماء يخرج من الارض والضبيس الصعب والرماق النفاق والرباق الرعاء وذو العنان الفرس يركب ويذلل بالعنان لانه لا يركب فيلجم والرباق حبل يربط قلت غوري تهامة ما انخفض منها وغور كل شئ عمقه وقيل تهامة ما بين ذي عرق على مرحلتين من وراء مكة وقيل انها الى اليمن أقرب والميس شجر صلب تتخذ منه الرحال وترمى تقصد والعيس ابل بيض الى صفرة والصبير سحاب أبيض متكاثف كان بعضه صبر على بعض أي حبس يستحلبه يستقطره والخبير النبات والعشب شبه بخبير الابل وهو وبرها واستخلابه احتشاشه بالمخلب وهو المنجل والبرير ثمر الاراك اذا اسود ويستعضده يحتشه من عضده اذا قطعه والرهام جمع رهم بالكسر وهو مطر وفسر بالقداح وهو غلط والاستجالة الاستمطار من الجولان والجهام سحاب صب ماؤه وتستحيله روي بحاء مهملة أي ينظر اليه الجامعة في منظره وغائلة المنطا كذا سمعناه والذي رواه ابن الاثير النطاء بكسر النون من غير ميم وغائلة مهلكة والمنطا البعيدة والمدهن نقرة في الجبل فيها ماء المطر والبكارة جمع بكر الابل والاملوج قيل ورق شجر يشبه الطرفاء وقيل نبت وقيل نوى المقل وقال الزمخشري انه استعارة لما ذهب من سمن الابل الراعية والعسلوج غصن طري قريب عهد بالطلوع والهدي ما يقدم للنحر أراد به مطلق الابل والعنن الاعتراض من عن له كذا وطمى البحر ارتفع موجه وتعار بكسر التاء وعين مهملة مخففة اسم جبل وهمل ابل لا راعي له والاغفال ما لا سمة له وقيل هما ما لا لبن له والوقير قطيع الغنم والمحض بمهملة الخالص وبمعجمة اللبن الممخوض ليخرج زبده والمذق لبن مزج بالماء والفرق بكسر فسكون اناء يحلب فيه وقيل بفتحتين مكيال والاول أقرب هنا وودائع الشرك العهود والمواثيق بينهم في الجاهلية وقيل ما استودعوه من أموال الكفار الذين لم يسلموا فاحلها لهم كذا بخط العلائي (وقطن بن حارثة العليمي) قطن بفتح القاف والطاء المهملة ونون والعليمي بعين مهملة مصغر وحارثة بحاء وراء مهملتين ومثلثة وهو منسوب لبني عليم بن جناب بن كلب فهو كلبي وقيل عليم بن جناب هبل من بني عذرة من قبائل كلب وهو صحابي قدم على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وافدا لقومه فكتب له كتابا بعدما كلمه بكلام فصيح غريب وصورة الكتاب هذا ما كتب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لعمائر كلب واخلافها ومن طارة الاسلام من غيرهم مع قطن بن حارثة العليمي باقامة الصلاة لوقتها وايتاء الزكاة بحقها في شدة عقدها ووفاء عقدها بحضر من المسلمين سعد بن عبادة وعبد الله بن أنيس ودحية بن خليفة الكلبي عليهم في الهمولة الراعية البساط الظفار في كل خمسين ناقة غير ذات عوار والهمولة البائرة لهم لاغية وفي الشوي الوري مسنة حامل أو حائل وفيما سقى الجدول من العين المعين العشر من ثمرها ومما أخرجت أرضها وفي الغدي شطره بقيمة الامين لا يزاد عليهم ولا يفرق شهد الله على ذلك ورسوله وكتبه ثابت بن قيس بن شماس والاشعث بن قيس بن معدي كرب بن معاوية بن جبلة بن معدي كرب أبو محمد وهو من ولد آكل المرار الكندي الشريف الصحابي توفي بالكوفة بعد موت علي كرم الله وجهه باربعين ليلة وصلى عليه الحسن رضي الله عنه وكان شريفا مطاعا في قومه وفد على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم سنة عشر في ستين راكبا فاسلموا ورجعوا الى اليمن قال في الاستيعاب ثم ارتد بعد وفاة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ثم رجع الى الاسلام بعدما أتي به أبو بكر رضي الله تعالى عنه أسيرا فجعل يعدد عليه أفعاله فلم ينكرها وهو في الحديث حتى أتم مقالته فقال له الاشعث استبقني وزوجني أختك فرأى أبو بكر رضي الله عنه انه الرأي ففعل وزوجه أخته أم فروة وروى انه لما خرج من

(وقطن بن حارثة) بقاف ومهملة مفتوحتين وحارثة بالمثلثة (العليمي) بالتصغير نسبة الى بني عليم قدم عليه فسأله الدعاء له ولقومه في غيث السماء في حديث فصيح كثير الغريب على ما رواه ابن شهاب عن عروة (والاشعث بن قيس) قدم عليه مع كثير من قومه وعليهم الحبرات قد كففوها بالحرير فقال لهم ألم تسلموا قالوا بلى قال فما هذا الحرير في أعناقكم فرموا به ثم ارتد بعد وفاته عليه الصلاة والسلام ثم رجع الى الاسلام وجيء به الى أبي بكر رضي الله تعالى عنه أسيرا فعدد عليه فعلاته (فلم ينكرها) ثم قال يا أبا بكر استبقني لحربك وزوجني أختك فزوجه ثم خرج ودخل سوق الابل فلم يلق ذات أربع تؤكل الا عقرها ثم قال يا قوم انحروا وكلوا هذه وليمتي ولو كنت في بلدي لاولمت كما يولم مثلي اغدوا على نخذ والاثمان ما عقرت لكم ثم خرج مع سعد الى العراق وشهد معه مشاهد كثيرة في خلافة عمر رضي الله تعالى عنه وسكن الكوفة الى ان توفي بها بعد علي باربعين يوما وصلى عليه الحسن بن علي رضي الله تعالى عنهم أجمعين

عنده استل سيفه فلم يلق ذات أربع من الانعام الاعقرها فقيل لابي بكر انه ارتد ثانية فقال انظر وافى شانه فرأوا الناس اجتمعوا عليه وهو يقول ياقوم هذه وليمتي ولو كنت بأرضي لاولمت كما يولم مثلي فاعدوا علي وخذوا اثمان ماعقرت لكم وفي ذلك يقول ابن قيس الخزرجي

لقد أولم الكندي يوم ملاكه * وليمة حمال لثقل الجرائم
فقل للفتى الكندي اما لقيته * ذهبت باسني مجد اولاد آدم

ولقب بالاشعث لانه كان رأسه أشعث دائما وقد أخرج للاشعث أصحاب الكتب الستة وأحمد في مسنده وصرحوا بانه صحابي بناء على ان الردة لا تبطل الصحبة وان ابطلت ثوابها اذا رجع للاسلام قبل موته وهو الاصح وبه صرح الشافعي في الام ونقل عن أبي حنيفة وقيل انها تحبطها مطلقا ولم يذكر المصنف رحمه الله كلام النبي صلى الله تعالى عليه وسلم معه ولا كلامه حين وفد عليه وهو كما في تاريخ ابن عساكر ونقله الذهبي ومن خطه نقلت عن هشام بن الكلبي ان الاشعث وفد على النبي صلى الله عليه وسلم في سبعين رجلا من كندة فقال له عليه الصلاة السلام هل لك من ولد فقال غلام ولد مخرجي اليك ولوددت ان بشبع القوم مكانه وروى لوددت ان لكم به قصعة من خبز ولحم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقولن ذا فان فيهم أجرا اذا قبضوا وانهم لمجبنة ومحزنة وانهم لثمرة القلوب وقرة العين انتهى وهذا من بليغ الكلام ومن الحديث أخذ ابن الهيارمة قوله في الصادح والباغم

لا خير في الاولاد * والاهل والسفاد
وليس فيهم فائدة * الا ظنون فاسده
مجبنة ومبخلة * مجدلة ومقتلة
لولاهم ماذلا * ذوادب وقلا

(ووائل بن حجر الكندي) نسبة لكندة بكسر الكاف وسكون النون ودال مهملة وهاء وحجر بضم الحاء المهملة وسكون الجيم وراء مهملة ووائل بواو وألف يليها همزة لا ياء مثناة من أسفل كما في حواشي التلمساني وغيره ويقال له أبو هنيدة ويقال أبو هنيد بغير هاء ابن ربيعة بن نعم الحضرمي كما قاله ابن عبد البر وفي شرح التجاني انه ابن حجر بن ربيعة بن وائل بن نعم الحضرمي ومافي الشفاء من انه وائل بن حجر الكندي غلط بغير شبهة والصواب ماتقدم ولعل الكندي كان وصفا للاشعث بن قيس مقدما على قوله وائل بن حجر فاخره الناسخ سهوا وجعله وصفا لوائل وفيه خلاف ذكره ابن الجزري في كتاب الجمال فقال وائل بن حجر بن سعد بن مسروق أبو هنيدة الحضرمي أو أبو هنيد الكندي الصحابي ووافقه ابن عساكر فقال وائل بن حجر بن سعد بن مسروق بن وائل بن صمعج فيمكن ان يكون كنديا عند المصنف رحمه الله تعالى فليس وصفه به غلطا فيكون كنديا حضرميا وهو قيل من أقيال حضرموت وأبوه ملك من ملوكهم فدعوى انه غلط غلط قال في العباب كندة أبو حي من اليمن وهو لقب له واسمه ثور بن عنبس بن عدي ولقب به لانه كند نعمة أبيه ولحق باخواله فقال له أبوه كندت نعمتي ولما وفد على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مسلما بشر به أصحابه قبل قدومه بثلاثة أيام وقال لهم يأتيكم وائل بن حجر من أرض بعيدة من حضرموت راغبا في الله ورسوله طائعا وهو بقية من ابناء الملوك فاما دخل عليه رحب به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وادناه منه وبسط له رداءه واجلسه عليه وقال اللهم بارك في وائل بن حجر وولده وولد ولده وفي التهذيب للازهري عن وائل بن حجر انه قال كتب لي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا جلب ولا جنب ولا شغار ولا وراط ومن أجبى فقد اربا وفسر من أجبى بمن غبن وهو حسن وعن أبي عبيدة لا جباء الحرث قبل ان يبدو صلاحه انتهى وله قصة

لانه بناء على ماقبل اعلاله (الكندي) بكسر الكاف قال الدلجي تبعا للتجاني كذا ههنا ولعله تأخير من تقديم اذهي نسبة الاشعث ونسبة وائل هي الحضرمي قلت لا يبعد ان يكون كنديا حضرميا ثم رأيت الحلبي صرح بان وائل بن حجر كان من ملوك حمير الكندي الصحابي شهد مع علي في صفين وكانت معه راية حضرموت بشر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم به قبل قدومه عليه ثم قدم فاسلم فرحب به وأدناه من نفسه وقرب مجلسه وبسط له رداءه وأجلسه عليه ودعا له بالبركة ولولده ولولد ولده وولاه على اقيال حضرموت وارسل معه معاوية بن أبي سفيان فخرج معه معاوية راجلا ووائل على ناقته راكب فشكا اليه معاوية حر الرمضاء فقال انتعل ظل الناقة فقال معاوية له ومايغني ذلك عني لو جعلتني ردفا فقال له وائل اسكت فلست من أرداف الملوك ثم عاش وائل بن حجر حتى ولي معاوية فدخل عليه فعرفه معاوية واذكره بذلك ورحب به واجازه لوفوده عليه فابى من قبول جائزته وقال يأخذه من هو أولى به مني فانا عنه في غنى

مع معاوية رضي الله تعالى عنه لما أرسله النبي صلى الله تعالى عليه وسلم معه وتوفي في زمن معاوية سنة تسع وأربعين في ذي الحجة وسبب اسلامه كما قاله ابن ظفر في كتاب البشر انه كان له صنم من عقيق يعبده ويسجد له فبينما هو نائم عنده وفي الظهيرية سمع صوتا منكرا هاله فاتاه وسجد له فسمع هاتفا يقول

واعجبا من وائل بن حجر * يخال يدري وهو ليس يدري
ماذا ترجي من نحيت صخر * ليس بذي عرف ولا ذي نكر
ولا بذي نفع ولا ذي ضر * لو كان ذا حجر أطاع أمري

فرفع رأسه وقال بماذا تأمرني فقال

ارحل الى يثرب ذات النخل * وسر اليها سير مستقبل
قبل تقضي العمر المولى * فدن بدين الصائم المصلي
محمد المبعوث خير الرسل

ثم خر الصنم فقام اليه وجعله رفاتا ثم سار حتى أتى المدينة ودخل المسجد فلما رآه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أدناه وبسط له رداءه وأجلسه معه ثم صعد المنبر وقال أيها الناس هذا وائل بن حجر أتاكم من أرض بعيدة راغبا في الاسلام فقال يا رسول الله بلغني ظهورك وأنا في ملك عظيم فتركته واخترت دين الله فقال صدقت اللهم بارك في وائل وولده وولد ولده ثم انه طلب من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مكاتيب ثلاثة باقراره على أرضه وملكه فاعطاه ذلك وقد بسط ذلك ابن حديدة في كتاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومكاتيبه (وغيرهم) أي غير من ذكر من العرب (من أقيال حضرموت وملوك اليمن) الاقيال جمع قيل بفتح القاف واسكان المثناة التحتية واللام وهو الملك من ملوك حمير واليمن وقيل الملك مطلقا وقيل من دون الملك الاعظم كالوزير وفي النهاية الاثيرية انه صلى الله تعالى عليه وسلم كتب لوائل بن حجر الى الاقوال العباهلة وفي رواية الأقيال فقيل انه من القيالة وهي الامارة وقيل من القول لنفوذ قوله وأمره فاصله على هذا قيل بتشديد الياء أعل اعلال ميت ولولا لم يكن لقلب الواو ياء وجه وأقوال على الاصل واقيال على لفظ قيل كما قيل ريح وأرياح والقياس أرواح لكنه لم يرجع لأصله فرقا بينه وبين جمع روح والعباهلة هم الذين قر ملكهم وبقي متروكا على ما كان عليه من عبهلت الابل اذا تركتها ترعى متى شاءت واحدة عبهل فالتاء للتأكيد الجمعية كقشعم وقشاعمة أو جمع عبهول وأصله عباهيل فحذفت الياء وعوض منها التاء كما في فرازنة وفرازين وفي تثقيف اللسان العباهلة بالباء الموحدة هم الذين لا يدعليهم لاحد و بالمثناة التحتية الشيال وكلاهما مدح كما قاله التلمساني وحضرموت بفتح الحاء المهملة واسكان الضاد المعجمة وفتح الميم وقال صاحب المطالع انه بضم الميم وجعله بعضهم وجها جائزا فيه وهو علم مركب تركيبا مزجيا غير مختوم بويه وفي مثله ثلاثة أوجه فتح رائه واعرابه اعراب ما لا ينصرف للعلمية والتركيب واجراء الاول على حسب العوامل واضافته للثاني وبناؤهما كخمسة عشر وقال النووي في تهذيبه حضرموت اسم بلدة باليمن واسم قبيلة واليمن الاقليم المعروف وينسب اليه يمني ويمان بالتخفيف وبالتشديد وهو شاذ وسمي به لانه عن يمين الكعبة ويجمع يمني على يمنيين ويمانيون بالتشديد (وانظر في كتابه (٢)) أي أعرفه وقف عليه بأي طريق كان من استعمال المقيد في المطلق أي كتاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الذي كتبه (الى همدان) بسكون الميم والدال المهملة كما مر كتبه لما وفد عليه ذو المشعار الهمداني وهذا رجوع الى بيان

(وغيرهم) أي ومع غير المذكورين أيضا (من أقيال حضرموت) بفتح همزة وسكون قاف فتحتية جمع قيل بفتح وسكون وأصله قيل بالتشديد أي المنفذ قوله ويدل عليه انه يجمع على أقوال بالواو أيضا وقال السهيلي القيالة الامارة ومنه قوله عليه الصلاة والسلام في تسبيحه الذي رواه الترمذي سبحان من لبس العز وقال به أي ملك به وقهر على ما فسره الهروي وهم بلغة حمير صغار الملوك دون الملك الاعظم من ملوك اليمن وحضرموت بسكون الضاد وفتح الباقي وبضم الميم بلد وقبيلة ويقال هذا حضرموت غير مصروف للتركيب والعلمية أو يضاف فيقال حضرموت بضم غير مصروف للتركيب والعلمية ويضاف فيقال حضرموت بضم الراء على اعراب الاول بحسب عامله واعراب الثاني باعراب ما لا ينصرف وان شئت تنون الثاني (وملوك اليمن) تعميم بعد تخصيص (وأنظر كتابه) أي مكتوبه الذي بعث به ذا المشعار بعد قدومه عليه عليه الصلاة والسلام على ما ذكره أبي عبيدة وغيره (الى همدان) أوله بسم الله الرحمن الرحيم كتاب من محمد رسول الله لاهل مخلاف خارق ويام وأهل خباب الضب وحقاف الرمل من همدان مع وافده ذي المشعار مالك بن نمط ومن أسلم من قومه على ان لهم الى آخره

٢ قوله في كتابه آه هكذا وقع في نسخ الشهاب كلها وفي نسخ المتن وشرح على القاري بدونها فليراجع

كلامه صلى الله تعالى عليه وسلم مع غير أهل الحجاز وتقدم ان همدان قبيلة من بطونها خارف و يام بالتحتية و يقال أيام ولذا ينسب اليه أهل الحديث أيامي وقال ابن دريد ان همدان اسم لاب القبيلة وقيل اسمه أوسلة وانه أخبر بما غمه فقال هم دان فلقب به وليس هذا مما يلتفت انتهى كلامه فى الجمهرة ولم يذكر فيه مادة ه م ذ بالاعجام لانه غير عربى عنده وتقدم الكلام عليه وقصة الكتاب ان ذا المشعار قال لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لما لاقاه بتبوك يا رسول الله نصية من همدان من كل حاضر وباد أتوك على قلوص نواج متصلة بحبائل الاسلام لا تأخذهم فى الله لومة لائم من مخلاف خارف و يام وشاكر أهل السود والنود أجابوا دعوة الرسول وفارقوا آلهة الانصاب عهدهم لا ينقض ما أقام لعلع وما جرى العصور بصلع فكتب لهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كتابا فيه بسم الله الرحمن الرحيم كتاب من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لمخلاف خارف وأهل جناب الهضب وحقاف الرمل مع وافدها ذى المشعار مالك بن نمط ومن أسلم من قومه على ان لهم فراعها ووهاطها ما أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة يأكلون علافها ويرعون عافيها لهم بذلك عهد الله ورسوله وشاهدهم المهاجرون والانصار وروى هذا كتاب من محمد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لمخلاف خارف ويام عهدهم لا ينقض عن سنة ماحل وأهل جناب الهضب وحقاف الرمل مع وافدها ذى المشعار مالك بن نمط ومن أسلم من قومه على ان لهم فراعها ووهاطها وعزازها ما أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة يأكلون علافها ويرعون عافيها النا من دفئهم وصرامهم ما سلموا بالميثاق والامانة ولهم من الصدقة الثلب والناب والفصيل والفارض والداجن والكبش الحورى وعليهم فيها الصالغ والقارح فقال فى ذلك مالك

ذكرت رسول الله فى فحمة الدجا * ونحن باعلى رحرحان وصلدد

وهن بنا خوض طلائح تعتلى * بركبانها فى لاحب متمدد

على كل فتلاء الذراعين جسره * تمر بنا مر الهجف الخفيدد

حلفت برب الراقصات الى منى * صوادر بالركبان من هضب قردد

بان رسول الله فينا مصدق * رسول الى من عند ذى العرش مهتدى

فما حملت من ناقة فوق رحلها * أشد على أعدائه من محمد

وأعطى اذا ما طالب العرف جاءه * وأمضى بحد المشرفى المهند

والى بعض من هذا أشار بقوله (ان لكم فراعها) بالفاء المكسورة وراء وعين مهملتين بينهما ألف وهى ما ارتفع من الارض من مرتفعات البقاع أو أعالى الجبال جمع فرعة بفتح فسكون يعنى انه صلى الله تعالى عليه وسلم أقطعهم ذلك (ووهاطها) بكسر الواو وبالهاء والطاء المهملة جمع وهطة كفرعة وهى الوهدة وما سفل وانخفض والضمير للارض المخصوصة والوهاط والوهاد بمعنى ويحتمل ان أحدهما مبدل من الآخر (وعزازها) بفتح العين المهملة وزاءين معجمتين مخففتين وهو ما اشتد وصلب من الارض مما لا ملك لاحد عليه فيوطأ أو يحرث فيصير رخوا ومنه العز لصلابة جانبه (تأكلون علافها) بكسر العين المهملة واللام والفاء وقال فى النهاية جمع علف وهو ما تأكله الماشية مثل جمل وجمال وفى قوله مثل جمل لطف الا أنه اذا كان علف الماشية فقوله تأكلون بالخطاب لهؤلاء القوم غير مناسب هنا الا بتجوز بان يقدر تأكل دوابكم أو يجعل تأكلون بمعنى تملكون ولعل للعلاف معنى غير هذا فى لغة أهل اليمن والشراح لم ينبهوا على هذا (وترعون عفاءها) بفتح العين والفاء والمد وفسروه بما ليس لاحد فيه ملك ولا أثر من عفا الشئ اذا اندرس أو من عفا يعفو اذا خلص ومنه الحديث أقطعهم ما كان عفاء وقوله خذ العفو وأمر بالعرف وقال التجانى روى عفا بكسر العين جمع عفو كجبل وجبال وهو بمعنى الاول وفى قوله

(ان لكم) بكسر الهمزة وفتحها وفى أصل الدلجى ان لهم وهو الملائم لما سيأتى من قوله ولهم (فراعها) بكسر الفاء أى ما ارتفع من الارض (ووهاطها) بكسر الواو جمع وهط بالطاء المهملة هى المواضع المطمئنة منها (وعزازها) بفتح مهملة فزاءين ما خشن وصلب منها أو ما يكون الا فى أطرافها ومنه قول ابن مسعود للزهرى بعد خدمته وملازمته مدة مديدة زاعما انه بلغ الغاية ووصل النهاية انك فى العزاز أى فى الاطراف من العلم لم تتوسط بعد وفى الحديث نهى عن البول فى العزاز أى حذرا عن الرشاش (تأكلون) بالخطاب أو الغيبة (علافها) بكسر العين جمع علف وهو ما يعتلف منها أو ما تأكله الماشية (وترعون عفاءها) بفتح مهملة وتخفيف فاء ممدودا وروى بكسر العين وهو ما ليس لاحد فيه ملك ولا أثر من عفا الشئ أى خلص وصفا وفى الحديث أقطعهم من أرض المدينة ما كان عفاء وهو أحد ما فسر به قوله تعالى خذ العفو

(لنا من دفئهم) بكسر مهملة وسكون فاء فهمز ومنه قوله تعالى لكم فيها دفء أي ما تستدفئون به من أصوافها وأوبارها وأما في الحديث فهو كناية عن الانعام وفي المجمل الدفء نتاج الابل وألبانها والانتفاع بها وقيل هي الغنم ذات الدفء وهو الصوف والاظهر ان يراد به الانعام وسميت دفئا لانها يتخذ من أوبارها وأصوافها وأشعارها ما يستدفا به من الاكسية وغيرها قال الدلجي فصله عما قبله ملتفتا من الغيبة الى التكلم لشبه انقطاع بينهما اذ ذاك مما خصهم به من أراضيهم وما يخرج منها وهذا مما خص به نفسه أو من معه من مواشيهم أي من ابلهم وغنمهم ضأنا ومعزا وما ينتفع به منها سميت دفئا لانه يتخذ منها ما يستدفا به انتهى ولا يخفى انه ليس ههنا التفات من الغيبة الى التكلم بل من خطاب في قوله لكم بناء على الاصول المصححة الى غيبة في قوله لنا من دفئهم (وصرامهم) بكسر أوله ويفتح جمع صرمة أي من نخيلهم أو من ثمراتهم لانها تصرم وتقطع (ماسلموا) بتشديد اللام المفتوحة أي استسلموا لنا وأطاعونا (بالميثاق) أي العهد والحلف المؤكد قيل ولعله أراد الاسلام أي لا تقبل صدقة الا من مسلم وقيل أراد بالميثاق انه لا يفرق بين مجتمع ولا يجمع بين متفرق ولا يقر بزكاته ولا يخفى بعض ماله (والامانة) أي من دون الخيانة من المالك أو العامل وقيل المراد بالامانة الطاعة وقيل هي الامان ويؤيده ما سيأتي من قوله عليه الصلاة والسلام لنهد من أقر فله الوفاء بالعهد والذمة (ولهم من الصدقة) أي من الاموال التي تجب عليهم فيها الصدقة والزكاة (الثلب) بكسر المثلثة وسكون اللام فوحدة أي الهرم من ذكور الابل الذي سقطت اسنانه قيل وتناثر هلب ذنبه (والناب) أي ولهم الهرمة من اناثها التي طال نابها وهي من امارات هرمها (والفصيل) وهو ما فصل عن أمه وفطم عنها من أولاد الابل وقد يطلق على أولاد البقر والمراد صغارها (والفارض) أي المسن من الابل وقيل من البقر أيضا بدليل قوله تعالى لا فارض ولا بكر ويروى العارض بالعين المهملة وهي المريضة أو المعيوبة (الداجن) وفي أصل الدلجي بالعطف وهو ظاهر وهو بكسر الجيم ما يألف البيوت ولا يرسل الى المرعى وأعرب الانطاكي في جعله وصفا للفارض أو العارض على اختلاف الروايتين في الداجن اعتبار العادة لان المنقطع عن السوم يعلف في الاهل غالبا

ترعون أيضا مامر وجوابه ان الرعي مخصوص بأكل البهائم ولذا قال بعض الجهلة لبعض الادباء أنت عندي كالاب بتشديد الباء فقال له فاذا أنا كلني قال الدماميني في كتابه نزول الغيث لو قال فلذا ترعاني كان ألطف لما فيه من التورية لاحتمال أن يكون من الرعي أو الرعاية كما في الاب من احتمال معنى الوالد على لغة فيه ومعنى التبن لانه عنى انه لجهله كالانعام (لنا من دفئهم وصرامهم) الدفء بكسر الدال المهملة وسكون الفاء فالهمزة وفسروه هنا بالابل والغنم سميت بذلك لانها يتخذ من أصوافها وأوبارها اثاث يتدفا به ويجعل منها البيوت من الشعر ليتدفا بها وقال الله تعالى لكم فيها دفء ومنافع أي ما يتدفا به من الصوف والوبر وهو في الحديث بمعنى الانعام التي يؤخذ منها ذلك والصرام بكسر الصاد المهملة جمع صرمة بكسر فسكون وهي القطعة من النخل ويجوز أن يكون الثمر نفسه لانه يصرم من النخل أي يجذ ويقطع فسمي بالمصدر ويجوز فتح الصاد لانه يقال صرمت النخل صراما وما قيل من انه لا يجوز أن يكون جمع صرمة كما توهم لانها القطعة من الابل من الثلاثين والقطعة من السحاب وهو لا يصح ساقط لوجهين (ماسلموا بالميثاق والامانة) ما موصولة خبرها ما تقدم المراد العهد الذي أخذ عليهم أو الاسلام والمراد بما سلموا بتشديد اللام ما يعطوه من الزكاة المفروضة والامانة أي كونهم مأمونون على أموالهم لان رب المال في الزكاة يصدق بقوله وقال التلمساني أراد بها الطاعة أو الغناء أو العبادة وهو بعيد أي لا يؤخذ منهم شيء قهرا بل عن طيب نفس وغنى من غير تجاوز عما حده الله ولم يبين من يسلمون فيجوز انهم يسلمون بانفسهم أو للسعاة فلا يتكلف له ويقال ان المراد الاول لان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم علم منهم الرغبة في رضى الله ورسوله وانهم يؤدون ما يجب عليهم بلا سعاة وانما يجب بعث السعاة اذا لم يتيسر وصول الصدقة بدونهم (ولهم من الصدقة الثلب) المراد بالصدقة الزكاة والثلب بمثلثة مكسورة ولام ساكنة وموحدة معناه الجمل المسن الهرم الذي سقطت اسنانه والانثى ثلبة فهو مخصوص بالذكور كما قاله الهروي (والناب) مثل الثلب معنى الا انه مخصوص بالنوق الاناث فلا يقال للجمل ناب وان أسن وانما سميت نابا لانها اذا هرمت طال نابها (والفصيل) ولد الناقة الصغير الذي فصل عن رضاع أمه والفصيلة انثاه والجمع فصال وفصلان وقيل هو من أولاد البقر والمعروف في اللغة الاول (والفارض الداجن) الفارض البقرة الهرمة المسنة قال الله تعالى لا فارض ولا بكر وقال الراغب الفارض المسن من البقر قيل سمي لكونه فارضا للارض أي قاطعا أو فارضا لما يحمل من الاعمال الشاقة من الفرض وهو القطع * وقيل بل لان فريضة البقر تبيع ومسنة فالتبيع يجوز في حال دون حال والمسنة يجوز بذلها في كل حال فسميت المسنة فارضا فعلى هذا يكون اسما اسلاميا انتهى

والداجن الشاة التى تكون فى البيت لاترسل للمرعى وكذا الراجن بالراء كما فى الصحاح وعلى هذا فالداجن غير الفارض فينبغى عطفها كغيرها وهو فى غالب النسخ بغير عطف اللهم الا ان يقال ماذكر معناه الحقيقى وهى هنا صفة مجردة عن كونها شاة جعلت وصفا للفارض *قلت ضميرلهم السابق لاصحاب المال ومن تؤخذ منهم الصدقة والمعنى ان ماذكر يترك لهم ولا يؤخذ منهم لمقابلته لقوله لنا والذى يؤخذ فى الصدقة من أوسط مالهم لاأعلاه ولاأدناه كالصغير جدا والمسن الهرم فالفارض لما كان بمعنى المسن الذى يؤخذ فى الصدقة والمراد خلافه هنا وصفه بقوله الداجن بمعنى الذى يربض حول المنازل من شدة الهرم فلا يسرح للمرعى ولا يصلح للعمل والحمل هذا هو المراد من غير حاجة لتكلف ودعوى تجريد وقيل الفارض المسن من الابل وفى بعض النسخ والداجن بالعطف ومعناها شاة صغيرة تربى فى البيت كما وقع فى حديث الافك (والكبش الحورى) الكبش الذكر الكبير من الغنم الذى يقودها غالبا ولذا أطلق على الرئيس فى المدح بخلاف التيس والحورى اختلفوا فيه فقيل انه بحاء مهملة وواو مفتوحتين وراء مهملة يليها ياء نسبة وفى النهاية الاثيرية انه منسوب الى الحورة وهى جلود تتخذ من الضان وقيل هو مادبغ من الجلود بغير القرظ وهو أحد ماجاء على أصله ولم يعل اعلال ناب انتهى وقال ابن رسلان الحورى بفتح الحاء وسكون الواو نسبة للحور وهى الجلود المذكورة والذى فى الصحاح ان الحورة وجمعها الحور بفتح الواو فيهما واقتصر أرباب الحواشى كالشمنى والحلبى والقسطلانى على مافى النهاية ونقل عن الكاشغرى فى كتابه مجمع الغرائب ومنبع العجائب ان الحورى المكوى نسبة الى الحوراء وهى كية مدورة يقال حوره اذا كواه وانه على هذا بسكون الواو ولان الحور اباالقصر والمد للكية ساكنة الواو وقال التجانى الحورى بفتح الواو ضرب من الكباش حمر الجلود وروى الحوارى بزيادة الالف ومعناه الابيض لاالاحمر ولذا قيل الحواريون لانصار عيسى عليه الصلاة والسلام لانهم كانوا قصارين يبيضون الثياب ولذا فسر بعض أرباب الحواشى الحورى بغير ألف بالابيض الجيد لماذكر أولان موضع الكية يبيض *أقول الحاصل ان فى لفظ الحديث وكلام المصنف ثلاثة أوجه أشهرها الحورى بفتح الواو والثانى الحورى بسكونها الثالث الحوارى بالف بعد الواو وكلها بمعنى والمراد الكبير من الغنم وهو لايؤخذ فى الصدقة لكونه أنفسها ولانه ممايحتاج اليه للضراب فلا يؤخذ منه الااذا أعطاه كما لايؤخذ ماذكر من الهرم وكل ناقص كما فصل فى كتاب الزكاة وعلى الاول لم يعل مع تحرك الواو وانفتاح ماقبلها اماعلى خلاف القياس كما هو ظاهر كلام النهاية السابق أو تبعا لفعله وهو حور كفرح أولئلا يلتبس الواوى باليائى الذى من مادة الحيرة وقول التجانى انه من الكباش ان لم يقله أحد من أهل اللغة ففيه نظر لانه كان ينبغى له ان يقول الكباش التى تتخذ منها الجلود الحمر ولبعضهم هنا كلام طويل بلاطائل (وعليهم فيها الصالغ والقارح) الصالغ بصاد مهملة ولام وغين معجمة ويقال سالغ فان كل صاد تبدل سينا مع الغين كما فصل فى محله وهو من البقر والغنم ماأكمل وانتهى سنه فى السنة السادسة وقيل هو من ذوات الاظلاف كاما أكمل ست سنين ودخل فى السابعة لان ولد البقرة فى أول سنة عجل ثم تبيع ثم جذع ثم ثنى ثم رباع ثم سديس ثم صالغ وسالغ سنة وسنتين وماوقع هنا فى بعض النسخ ضالع بضاد معجمة وعين مهملة تحريف ونقله عن النهاية وهم والقارح بقاف وراء وحاء مهملتين بعد الالف وهو الفرس الذى دخل فى الخامسة وفى القاموس القارح من ذى الحافر بمنزلة البازل من الابل وقال التجانى القارح من ذوات الحافر ماأكمل خمس سنين وهو فى السنة الاولى حولى بسكون الواو ثم جذع ثم ثنى ثم رباع ثم قارح وفى هذا المكتوب زيادة على ماقاله المصنف رحمه الله تعالى وروايات أخر منها ماقدمناه ومعنى قوله وعليهم الى آخره انه اذا وجد عندهم هذا النوع يؤخذ منه ماليس هرما ولامعيبا

(والكبش الحورى) بفتحتين وهو كبش يتخذ من جلده نطع فان جلده أحمر وروى الحوارى أى الابيض والمعنى لايؤخذ منهم فى هذه الاشياء التى خصوا بها وقيل المعنى لاتؤخذ هذه الاشياء منهم اما لنفاستها كالحورى واما لخساستها كغيره وانما يؤخذ الوسط العدل (وعليهم فيها) أى فى الصدقة (الصالغ) بكسر لام فعجمة مادخل فى السنة السادسة من البقر والغنم والسين لغة فيه وفى النهاية لابن الاثير وعليهم الضالع بالضاد المعجمة والعين المهملة فليس بتصحيف كما زعمه المنجانى (والقارح) بالحاء المهملة بعد الراء المكسورة مادخل من الخيل فى خامس سنة

كما مر وهذا مبني على ان الخيل تجب فيها الزكاة اذا كانت سائمة وذكورا واناثا الا صرف ذكورا وان شاء أعطى عن كل فرس دينارا أو قومها وأعطى زكاتها اذا حال الحول وتم النصاب والشافعي يحمله على ما كان معدا للتجارة وأدلتها مبسوطة في كتب الفقه (وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم لنهد) نهد قبيلة من اليمن تقدم الكلام عليها وهذا اشارة لما قاله عليه الصلاة والسلام لطهفة النهدي السابق ذكره فاللام صلة القول بتنزيل قوله لبعضهم منزلة قوله لكلهم أو لتنزيل كتابه منزلة خطابه أو هي للتعليل وقيل انه هنا متعين لان هذا ليس مقولا لهم والمخاطب بهذا الكلام الآتي هو الله تعالى عز وجل لما سألوه صلى الله تعالى عليه وسلم ان يستسقي لهم فدعا لهم وقال (اللهم) أي يا الله (بارك لهم) أي اجعل البركة وزيادة الرزق وثباته مقسوما واصلا لهم قال الامام الراغب رحمه الله تعالى أصل البرك صدر البعير وان استعمل في غيره وبرك البعير التي بركه واعتبر فيه معنى اللزوم ومنه بروكا الحرب لمكان يلزمه الابطال والبركة لحبس الماء والبركة ثبوت الخير الالهي في الشئ قال الله تعالى لفتحنا عليهم بركات من السماء لثبوت خيرها ثبوت الماء في البركة والمبارك ما فيه ذلك الخير ولما كان الخير الالهي يصدر من حيث لا يحس على وجه لا يحصى ولا يحصر قيل لكل ما يشاهد منه زيادة غير محسوسة مبارك وفيه بركة والى هذه الزيادة أشير بما روي لا ينقص مال من صدقة لا الى النقصان المحسوس كما قال بعض الخاسرين حيث قيل له ذلك بيني وبينك الميزان وقوله تعالى تبارك الذي جعل في السماء بروجا *(تنبيه)* على ما يفيض علينا بواسطة هذه البروج والنيرات المذكورة في هذه الآية وكل موضع ذكر فيه تبارك فهو تنبيه على اختصاصه تعالى بالخيرات المذكورة مع ذكر تبارك وهو تحقيق لا مزيد عليه ومنه أخذ صاحب الكشف ما قاله في أول سورة الملك وقد تقدم ان طهفة وفد من قومه على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهم في قحط شديد أصابهم فشكى اليه ما مسهم في كلام ذكرناه أولا فدعا لهم وقال اللهم بارك لهم (في محضها ومخضها) متعلق ببارك والمحض بفتح الميم وسكون الحاء المهملة والضاد المعجمة والمخض مثله الا ان خاءه معجمة ومعنى الاول الخالص كما مر ومادته كلها تدل على الخلوص والصفاء ومنه محض الايمان في الحديث ومحضت له الود وعرق محض ونحوه والمخض أصله تحريك السقاء الذي فيه اللبن حتى يتميز من زبده فيؤخذ منه ويسمى اللبن الذي أخذ زبده مخيضا وهو صفة لا مصدر سمي به كما توهم (ومذقها) بفتح الميم وسكون الذال المعجمة والقاف وأصل معناه الخلط والمزج ثم استعمل في اللبن المخلوط بالماء قال * جاؤا بمذق هل رأيت الذئب قط * والضمير راجع لارضهم أو لانعامهم المذكورة في كلام طهفة السابق الذي شكا فيه محل بلادهم وهلاك دوابهم فدعا لهم صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله اللهم بارك لهم في ألبانهم باقسامها ما كان خالصا لم يتميز زبده وما ميز منه زبده وما مزج بالماء ومجموعه كناية عن خصب أرضهم وسعتها فان الالبان انما تكثر بنبات المرعى وهو انما يكون بالمطر فكأنه قال اللهم اسق بلادهم واجعلها مخصبة ملبنة كما يدل عليه قوله وابعث راعيها في الدثر ابعث بمعنى ارسل يقال بعث الله رسوله للناس أي ارسله والراعي الذي يرعى الابل وغيرها والدثر بفتح الدال المهملة وسكون المثلثة والراء المهملة وهو الابل الكثيرة ويقع على الواحد فما فوقه ويجوز فتح ثائه وقيل الدثر الخصب وكثرة النبات لانه من الدثار وهو الغطاء لانها تغطي وجه الارض (وأفجر له الثمد) أفجر بضم الجيم من فجر يفجر كقعد يقعد من تفجير الماء وهو جعله جاريا معينا والثمد بفتح المثلثة وفتح الميم وقد تجوز تسكينها وآخره دال مهملة وهو الماء القليل وأفجر له مجاز عن معاني التكثير

(وقوله) أي وأنظر قوله (لنهد) بفتح فسكون أي لاجل قبيلة من اليمن وهو يحتمل أن يكون مشافهة أو مكاتبة فقال وأنظر قوله في كتابه لنهد لا كما قال الدلجي وأنظر كتابه صلى الله تعالى عليه وسلم فيما رواه أبو نعيم في معرفة الصحابة والديلمي في مسند الفردوس (اللهم بارك لهم في محضها) أي لبنها الذي لم يخالطه ماء ذكره التلمساني والظاهر ان المراد به ما لم يخرج منه زبده حلوا كان أو حامضا وهو بميم مفتوحة فحاء مهملة ساكنة وضاد معجمة ومنه الحديث وذلك محض الايمان (ومخضها) بالخاء المعجمة أي ما مخض من لبنها وأخذ زبده مصدر بمعنى المفعول والمخض تحريك سقاء اللبن لاستخراج زبده وفيه صنعة التجنيس والتصحيف (ومذقها) أي ما خالط من لبنها بالماء من المذق بالذال المعجمة والقاف بمعنى المزج والخلط وقيل اللبن الرقيق وهو التحقيق وبالله التوفيق (وأبعث راعيها) أي مالكها ومربيها وقد يكون مالكها وهي بمنزلة رعيته كما ورد كلكم راع وكلكم مسؤل عن رعيته (في الدثر) بفتح مهملة فسكون مثلثة أي المال الكثير وقيل المراد به هنا الخصب والنبات (وأفجر) بضم الجيم ومنه قوله تعالى حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا قرئ بالتشديد والتخفيف في السبعة (له الثمد) بفتح مثلثة وميم فدال مهملة وقد تسكن ميمه أي الماء القليل الذي لا مادة له والمعنى أجره لهم حتى يصير كثيرا

(وبارك لهم فى المال) أى الحلال والاقبعض المال وبال فى المال ولذا قال صلى الله تعالى عليه وسلم نعم المال الصالح للرجل الصالح (والولد) أى الصالح والاقبعض الولد كبدو كبد وفى بعض النسخ وبارك له بصيغة الافراد والمتبادر منه انه راجع الى الراعى والاظهر انه خطاب عام لهم على الانفراد الذى هو أتم من الاجتماع فالمعنى بارك لكل منهم فى ماله وولده (من أقام الصلاة) أى واظب عليها وقام بشرائطها وأركانها (كان مسلما) أى منقادا وأسلم نفسه من التعرض اليها بقتلها وأسرها وقد قيل فى الصلاة جميع العبادات من قيام وقراءة وركوع وسجود ودعاء وثناء وصبر وهو حبس النفس والحواس والخواطر وزكاة وهو بذل المال فى الماء واللباس وصيام وهو الامساك عن الاكل والشرب واعتكاف وهو لزوم المكان الواحد لادائها وحج وهو التوجه للكعبة وجهاد وهو مجاهدة النفس ومحاربة الشيطان وشهادة وهى ذكر الله ورسوله (ومن آتى الزكاة) أى أعطاها مستحقيها (كان محسنا) أى فى اسلامه أو ببذله الى اخوانه (ومن شهد) أى بقلبه وأقر بلسانه (ان) أى انه (لا اله الا الله) أى وان محمدا رسول الله (كان مخلصا) أى فى ايمانه واقتصر على أحد ركنيه لانهم كانوا عبدة أصنام فقصد به نفى الهية ماسوى الله مع اشتهاره عندهم بانه رسول الله وايناسه منهم الايمان به بدليل قدوم كبرائهم عليه مؤمنين فهو من باب الاكتفاء أو لان هذه الكلمة علم لمجموع الشهادتين باطلاق البعض وارادة الكل ولذا ورد من قال لا اله الا الله دخل الجنة ومن كان آخر كلامه لا اله الا الله دخل الجنة واذا عرفت ذلك فقوله مسلما مراد به المعنى اللغوى فلا يحتاج الى قول الدلجى كان مسلما ومؤمنا أيضا اذ مالهما واحد شرعا وان اختلفا مفهوما فان الاسلام هو الانقياد الظاهرى والايمان هو الاذعان الباطنى ولا يستغنى أحدهما عن الآخر لكن تخصيصه باقامة الصلاة يوهم انها وأمثالها جزء الايمان على ماذهب اليه المعتزلة فالاولى ان يقال المعنى كان مسلما كاملا وان الواو فى الجمل الشرطية لمجرد الجمعية (لكم يا بنى نهد ودائع الشرك) جمع وديع من قولهم أعطيته وديعا أى عهدا وميثاقا أى أقررتكم على العهود والمواثيق التى كنتم تتعاهدونها مصالحة ومهادنة قبل الاسلام والاظهر انها جمع وديعة والمراد بها ما استودعوه من أموال الكفار الذين لم يسلموا وأباحه لهم لانه مال كافر قدر عليه بلا عهد وشرط ويؤيده رواية مالم يكن عهد ولا وعد (وودائع

للزومه له غالبا فالمراد كثر ما قل من مائه وضمير له للراعى واذا كثر له كثر لغيره (وبارك لهم فى المال والولد) معطوف على ماقبله أو على بارك الاول والمال كل ما يتمول أو يملك وهو فى كلام العرب فى الاكثر يختص بالابل ويجوز ارادة كل منهما هنا (من أقام الصلاة كان مسلما) أى مسلما كاملا كقوله المسلم من سلم الناس من يده ولسانه أو المراد انه يحكم باسلامه بحسب الظاهر أو المراد الحث على اقامة الصلاة والمراد باقامة الصلاة المداومة والمحافظة عليها كما حقق فى الكشاف وشروحه وقيل انه على ظاهره لان من تركها مستحلا لتركها كافر ولان تاركها كافر فى أحد قولى أحمد أو هو فى حكم الكافر لانه يقتل كما سيأتى بيانه (ومن آتى الزكاة) بمد آتى أى أعطاها وأداها (كان محسنا) أى منعما متفضلا على الفقراء وآتيا بأمر حسن مطلوب فى الدين (ومن شهد ان لا اله الا الله كان مخلصا) أى من أتى بكلمة التوحيد وأعلن بها فهو مخلص فى ايمانه لان الظاهر مطابقة قوله لما فى قلبه وهذا من باب حمل أحوال المؤمن على الصلاح والمراد بالاخلاص عدم النفاق وقيل المراد من قال كلمة الشهادة وهى لا اله الا الله محمد رسول الله فهو كما يقال قرأت حم والكتاب المبين أى السورة بتمامها وعليه يحمل نظائره الواردة فى الاحاديث (لكم يا بنى نهد ودائع الشرك) لكم خبر مقدم للاهتمام لا للحصر القلبى بناء على ما سيأتى من تفسيره وجملة النداء معترضة لبيان المخاطب وودائع الشرك المراد بها كما فى النهاية العهود والمواثيق التى كانت بينهم وبين من جاورهم من الكفار فى المهادنة يقال توادع الفريقان اذا أعطى كل واحد منهم الآخر عهدا ان لا يغزوه ويسمى ذلك العهد وديعا بغير هاء فيقال أعطيته وديعا أى عهدا والظاهر ان المراد عهودهم التى وقعت بينهم بعد الحروب بعدم المؤاخذة بما قتلوا اذا تحاربوا وقتل بعضهم بعضا وما أراقوا من الدماء هدر كما فى الحديث الآخر كل دم فى الجاهلية تحت قدمى هذه أى متروك هدرا وقيل معناه انهم كانوا التزموا مهادنة بعض الكفار فغير الاسلام ذلك الحكم فلو وجب عليهم الوفاء بما التزموه لامرهم بغزوهم لمن خالف دينهم فاطلقوا من قيود ما التزموه فى الشرك من ذلك ولا يخفى بعده وتكلفه ثم قال فى النهاية ويجوز ان يراد ان ما استودعوه من أموال الكفار حلال لهم لانها مال أخذ من الكفار من غير ايجاف خيل وقتال فهو فىء وهكذا حكم ودائع الكفار فهو جمع وديعة بالهاء على هذا ولا ينافيه أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لما هاجر خلف عليا كرم الله وجهه ليرد ما كان عنده صلى الله تعالى عليه وسلم من الودائع والامانات لانه كان قبل حل الغنائم له أو لانه صلى الله تعالى عليه وسلم فر من نسبته للخيانة وذهاب شهامته وأمانته فيطعنوا فى الاسلام ويبعدوا من الايمان

(ووضائع الملك) الوضائع جمع وضيعة بمعنى موضوعة والملك بكسر الميم أي ما كان يوضع على الاملاك من الزكاة والصدقة ثابت لكم كسائر المسلمين يلزمكم ما يلزمهم من الوظائف من غير زيادة ولا نقص أو الملك بضم الميم والمعنى أن ما كان ملوك الجاهلية يوظفونه على الرعاية ويستأثرون به من غنائم الحروب لا يأخذ منكم فهو لكم على ظاهرها بتقدير التفسيرين الاخيرين للودائع والوضائع وبمعنى على كما في قوله تعالى وان أسأتم فلها على التفسيرين الاولين لهما وقيل عليه ان العهد اذا لزم الوفاء به يكون على المعاهد لانه فرض مطلوب منه وعهود مهادنتهم قبل الاسلام لا يجب الوفاء بها بعد الاسلام والقائل ظن وجوب الوفاء بها فحمل اللام على ما حمله وليس كذلك كما مر لان عهد الكافر لا يعتد به وأما الوضائع بمعنى تكاليف الزكاة فهي وان ثقلت على بعضهم فهم باعتبار الاجر عليها وقد علمت أن هذا مبني على تفسيره وليس بمتعين كما مر مع ما فيه (لا تلطط في الزكاة) تلطط بضم التاء المثناة وسكون اللام وكسر الطاء المهملة الاولى وجزم الطاء المهملة الثانية بلا الناهية وفي الزكاة متعلقة به أي لا تمنعها قال ابن الاعرابي لط الغريم اذا منع حقه وأصله من لطت الناقة فرجها بذنبها اذا ضمته عليه وقد أرادها الفحل وفي شعر الاعشى الحرماري في امرأته وقد نشزت

أخلفت الوعد ولطت بالذنب * وهن شر غالب لمن غلب

ولط الغريم اذا اختفى (ولا تلحد في الحياة) هو مضبوط بضم التاء المثناة أوله ولام ساكنة تليها حاء مهملة مكسورة ودال مهملة مجزومة من الحد الحاد اذا جاز وعدل عن الحق وأصله مطلق العدول ويقال ألحد ولحد قليلا والذي في الشفاء هو الذي رواه القتيبي بالفعل والخطاب الواحد والذي رواه غيره مالم يكن عهد ولا موعد ولا تثاقل في الصلاة ولا تلاطط في الزكاة ولا تلاحد في الحياة بالاسم المصدر وتشديد عين الاخيرين وهو الوجه لانه خطاب للجماعة واقع على ما قبله كذا في النهاية الاثيرية يعني ان هذه الرواية بلفظ المصدر من التفاعل والتفعل هو الوجه الواضح لانه كلام خوطب به جماعة في قوله يا بني نهد وهذا جار على غير أسلوبه لتوجه الخطاب لواحد من بينهم وان كان ما قبله مشتملا على ضمير الجماعة المخاطبين دونه وقد جاء التلاطط بمعنى الالطاط المتقدم يقال تلاطط واللطط والطي بابدال الاخيرة بالتخفيف وقال ابن رسلان لا تلطط أو تلحد بالنون من باب نهي الانسان نفسه لينتهي غيره قيل ولا ضير في رواية القتيبي اذ الخطاب فيها لمن تلقى الكلام له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من بين جمع ما خوطبوا ابتداء أو نظيره في أفصح الكلام ثم عفونا عنكم من بعد ذلك حيث خوطب من يتلقى الكلام بلفظ ذلك ولم يقل ذلكم وتخصيص واحد من الحاضرين بخطاب النهي للتعريض بالباقين والصون لهم عن توجه صيغة النهي اليهم رجاء الانقياد للامتثال بالطف وجه ويحتمل أن الخطاب لهم برمتهم أو لاثم توجه لواحد في المجلس خارج عنهم فنهاه تعريضا بهم أو نهاهم نهي غيبة لتنزيلهم منزلة الغائبين عند توجيهه الى غيرهم ولم يقل لا يلطوا ولا يلحدوا بلفظ جماعة الذكور الغائبين بل لا تلطط وتلحد أي هي والضمير لبني نهد وبنون وان كان جمع مذكر سالم ومثله لا يعود له ضمير المؤنث ولا تلحقه التاء فلا يقال الزيدون قامت ولا قامت الزيدون ولا العمرون تقعد بخلاف قامت الرجال والرجال تقوم بتاء التأنيث الا أنه لما غير مفرده عند جمعه أشبه جمع التكسير فاعطي حكمه في الحاق التاء بفعله نحو وقامت البنون ومنه قوله تعالى الا الذي آمنت به بنو اسرائيل فصار ذلك داعيا الى جواز البنون قامت وتقوم ونحوه بتاء التأنيث وذهب بعض النحاة الى أنه جمع تكسير بدليل جواز الحاق التاء قال في ضوء الذبالة هذا مذهب غريب ورأي غير مصيب * قلت المخطي مخطئ وهذه المسئلة مذكورة في شروح كتاب سيبويه والذي

(ووضائع الملك) بكسر الميم جمع وضيعة وهي الوظيفة التي تلزم المسلمين في أملاكهم من صدقة وزكاة والمعنى ولكم الوظائف التي تلزمكم لا نتجاوزها منكم ولا نزيدها عليكم فصح قوله لكم دون عليكم أو بضم الميم أي ولكم ما وظفه ملوككم في الجاهلية عليكم وما استأثروا به دونكم من مغنم وغيره والمعنى لا نأخذها منكم ثم قول الحلبي بعد الالف مثناة تحت ليس على ظاهر بل باعتبار أصله والا فهو مقلوب بالهمزة كنظائره من الودائع والصحائف (لا تلاطط) كلام مستأنف وهو بضم مثناة فوق فسكون لام فمهملتين نهي لم يرد به واحدا معينا كما رواه البيهقي بل لكل من يأتي منه توجيه الخطاب وتوجه الكتاب (في الزكاة) أي لا تمنعها من لط الغريم وألط اذا منع الحق أو نهي أراد به جنس المخاطب كما رواه غيره بصيغة الجمع وكذا قوله (ولا تلحد) وما بعده وهو من الالحاد أي لا تعدل عن الحق ولا تمل الى الفساد وظلم العباد في البلاد (في الحياة) أي في مدة حياتك في الدنيا وقيل الفعلان بصيغة النفي مجهولان وروى الزمخشري بالنون فيهما وأغرب التلمساني في قوله أي لا تمسك الزكاة ومنه قوله عليه الصلاة والسلام الطوا بياذا الجلال والاكرام أي الزموا هذا القول وتمسكوا به انتهى وهو وهم فان الطوا في الحديث بالظاء المعجمة

(ولاتثاقل) أى تتكاسل (عن الصلاة) وفى نسخة بصيغة الجمع وفى أخرى بصيغة المجهول والمعنى أدها بالقيام بشرائطها وأركانها

(وكتب لهم) قال الحجازى ويروى لكم ويروى عليكم (فى الوظيفة الفريضة) بالنصب أى الهرمة

المسنة وهى الفارض أيضا والمعنى هى لكم لاتؤخذ منكم فى الزكاة كذا قاله الدلجى وغيره وتبعهم الانطاكى الا أنه قال الفريضة بالرفع على الحكاية ولا يخفى ان هذا الحكم قد استفيد مما سبق مع انه كان الملائم بسياق الكلام من سباقه ولحاقه أن يقال وكتب لكم فى الوظيفة الفريضة بالرفع على ان الجملة المصدرة بقوله لكم هى المكتوب لهم وفى حاشية الحجازى ان الوظيفة هى مايقدر كل يوم من رزق أو عمل ولايخفى عدم مناسبته لفحوى الكلام ومقام المرام وقال التلمسانى الفريضة بالرفع على الحكاية انتهى وفى رواية عليكم فى الوظيفة الفريضة أى عليكم فى كل نصاب مافرض فيه وفى نسخة وكتب لهم فى الوظيفة الفريضة بالجر فالمكتوب لهم قوله (ولكم الفارض) بالفاء فى أكثر النسخ المعتمدة وقد سبق انه المسنة من الابل أو البقر وروى بالعين المهملة

وهو الاظهر لئلا يتكرر فتدبر أى ولكم المريضة التى عرض لها آفة من قولهم بنو فلان أكالون للعوارض تعييرا لهم أى لا يأكلون الا ماعرض له مرض حذر موته والمعنى لاتؤخذ منكم فى الزكاة فهى لكم

قال انه قول غريب ارتضاه ابن خروف ولولا خوف الملال فصلناه وقيل عليه ان قياس الضمير على حرف الخطاب المتصل باسم الاشارة لاوجه له للفرق بينهما وما فى الحديث يوجه بانه خاطب القوم أولا بقوله يابنى نهد وعلم ان فيهم واحدا متبعا الهوى نفسه فخصه من بينهم بالخطاب بما يليق به أو جعله تعريضا لباقيهم لئلا تثقل عليهم المواجهة بالنصيحة ونقل عن ابن البادش ان الخطاب المفرد بعد الجمع له تاويلان اما تخصيص واحد من بينهم أو تاويله بمفرد لفظا مجموع معنى كالفريق وجوز فيه أن يكون التفاتا وأتى بما لايسمن ولا يغنى من جوع على عادته فى التطويل الممل من غير فائدة * وأنا أقول هذا كله مبنى على قاعدة ذكرها النحاة كما فى شرح الكافية للرضى وهى انه لايكون فى كلام واحد خطابا لمخاطبين متغايرين من غير عطف ولاجمع وتثنية وهذه القاعدة ذكرت فى باب الاشارة وقد تتبعت كلامهم فرأيتها مقيدة باربعة قيود * الاول أن يكون ذلك فى جملة واحدة فلو قلت أأنت يازيد تضرب أأنت ياعمر تشتم لم يمتنع * الثانى أن لايتغايرا فلو كان أحدهما غير الآخر جاز نحو واذكر اذ قال ربك كما قدره المفسرون فى مثله وغفل عنه بعضهم فاعترض بما لامحصل له * الثالث أن لايكون أحدهما بعض الآخر نحو رأيتك كما ذكره النحاة فى أفعال القلوب وصرح به المرزوقى رحمه الله تعالى فى قوله * أجدوا قومها لكم ياجرول * فقال جرول اسم رجل جعل أول الكلام خطابا لجماعتهم ثم خص بالنداء واحدا منهم جعله المامور بما أراد كقول الهذلى * أحيى أبا كن ياليلى الاماديح فقال ابا كن ثم قال ياليلى انتهى * الرابع أن يبقى الخطاب على حقيقته كما ذكره الرضى فى باب التعجب وقد بسطنا الكلام على هذه المسئلة فى كتاب طراز المجالس ولا تعرض والمجيب خبط هنا خبط عشواء فان هذا التركيب صحيح من وجهين لكونه بعضا فى جملة أخرى فاحفظه فانه من نفائس الذخائر ثم انه ذكر فى اعراب قوله فى الرواية السابقة ولاموعد كلام يقتضى منه العجب وأجاب عنه تلميذه باعجب وأعجب الا أن المصنف رحمه الله كفانا مؤنته لانه لم يذكره فلذا أضربنا عنه فان أردت فانظره وقوله فى الحياة أى لاتلحد مادمت حيا (ولا تثاقل عن الصلاة) بجزم اللام والكلام فيه كالذى قبله أى لاتتوانى وتكسل عن الصلاة وتتركها والتثاقل يجعل كناية كأن عليه ثقلا يمنعه عن الحركة اليها (وكتب لهم فى الوظيفة) أى أمر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أن يكتب لهم كتاب يبين فيه مايلزمهم بعد الاسلام والوفاء باركانه وضمير لهم لبنى نهد وهو متعلق بكتب والوظيفة بالظاء المشالة والفاء بزنة سفينة وهى العين فى كل يوم أو فى زمان معين من الطعام وغيره من الرزق ويطلق على العهد والشرط وجمعه وظائف ووظف بضمتين كسفن كما قاله أهل اللغة والمراد الاخير أى كتب فى العهد وماشرط عليهم فى الزكاة لهم فيما يؤخذ منهم من الوظائف المرتبة عليهم (الفريضة) أى مافرض عليهم ففريضة بمعنى مفروضة فان كانت الفريضة بمعنى الهرمة المسنة كالفارض لفرضها سنها أى قطعها له أو لانقطاعها عن العمل والانتفاع بها فهى غير مرادة هنا لانه روى عليكم فى الوظيفة أى فى كل نصاب مافرض فيه وهذه الرواية مفسرة للرواية ولان قوله (ولكم الفارض) ياباه لما بينهما من التدافع غاية مافيه اطلاق الوظيفة على النصاب لانه وظيفة لاصحاب الارزاق مقدرا لهم كوظيفة الارض المعينة التى وضعها عمر رضى الله عنه كما ذكر فى باب الوظائف فلاتجوز فيه كما توهم والفارض بالفاء كما ضبطه البرهان الحلبى وقد تقدم تفسيرها ويؤيده مافى الحديث الآخر ولكم الفارض والفريض يعنى لا يؤخذ منكم ولايكون على الانصباء لانه لاتصح به الزكاة وضبطه التجانى بالعين

المهملة

(والفريش) بفاء مفتوحة ثم شين معجمة أي الحديثة العهد بالنتاج كالنفساء من النساء ففي الصحاح هي كل ذات حافر بعد نتاجها لسبعة أيام وقيل ما لا يطيق من الابل حمل الاثقال ويؤيده قوله تعالى ومن الانعام حمولة وفرشا وقد جاء فرش وفريش بمعنى واحد وقيل ما انبسط على الارض من نبات لا ساق له (وذو العنان) بكسر العين المهملة سير اللجام أي والفرس (الركوب) بفتح الراء ورفع الباء وهو الصواب أي الذلول الذي يلجم ويركب بلا كلفة ومشقة لتكرر ركوبه لان فعول من أوزان المبالغة (والفلو) بفتح فاء وضم لام وتشديد واو كعدو وبضم أوله مع التشديد كسمو وقد تكسر فاؤه مع سكون لامه ٣٩٩ وتخفيف واوه كجرو وهو ولد الفرس المسمى بالمهر بالضم اذا كان صغيرا بلغ السنة أو فطم عن الرضاعة لانه يفلى عن أمه أي يعزل عنها قال التلمساني وروى الفلو بدون الواو العاطفة انتهى وهو لا يصح (الضبيس) بفتح معجمة فكسر موحدة فتحتية فمهملة أي الصعب العسر الاخلاق الذي لم يرض وقيد الصفة للغلبة لا للاحتراز اذ غالب أحوال الخيل الصعوبة واما تخصيص الفلو فللدلالة على ان الخيل فيها الزكاة كما هو مذهب أئمتنا الحنفية والمعنى لا يؤخذ منكم شئ في المذكورات واما ما روى من ان الله قد عفا لكم عن صدقة الخيل والرقيق فمحمول على الخيل التي تركب كما ان الرقيق يراد به ما يخدم فالخيل السائمة والرقيق للتجارة فيهما الزكاة (لا يمنع سرحكم) بصيغة المفعول نفي بمعنى النهي وفصل عما قبله لعدم مناسبة بينهما ويقال سرحت الماشية مخففا وسرحت هي متعد ولازم واذا رجعت يقال راحت تروح وارحتها انا ومنه قوله تعالى ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون أي حين تردونها من مرعاها الى منازلكم وحين تخرجونها اليه ولعل تقديم الاراحة لما فيها من زيادة افادة الراحة والمعنى لا تمنع ماشيتكم السارحة من مرعى مباح تريده (ولا يعضد) بصيغة المفعول أي لا يقطع (طلحكم) وهو شجر عظام من شجر العضاة له شوك كالسدر وهو شجر حسن اللون لخضرته أي نضرته أنوار طيبة الرائحة ولكون العرب يستحسنونه لخضرته وحسن لونه وعطره نهى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن قطع ما الفوه جبرا لخواطرهم ووعدا لهم ببقاء ما يحبون وهو المراد بقوله تعالى وطلح منضود وهو في الآية الموز وقيل الطلح وقرئ بالعين

المهملة بدل الفاء وقال العارض المريضة التي اصابها كسر وهي لا تقبل في الصدقة فهي باقية لاصحابها وفي مزيل الخفاء انه وقع في بعض النسخ بالعين المهملة وهي الناقة التي يصيبها كسر او مرض فتنحر وفي العز بين في بعض نسخه الفارض بالفاء وقيل بالعين التي أصابها كسر ولم يتعرض لمرضها يقال عرضت الناقة اذا أصابها آفة أو كسر وبنو فلان اكالون للعوارض الا اذا لم ينحر والاما أصابه مرض أو كسر خوفا ان يموت فلا ينتفعون به والعرب تعير باكله * قلت كأنه سقط من عبارة التجاني لفظ أو أوعد الكسر مرضا وفي الشرح خلط هنا لم نسود به وجه الطرس (والفريش) بفتح الفاء وكسر الراء المهملة والمثناة التحتية الساكنة والشين المعجمة الحديث العهد بالنتاج كالنفساء من النساء وحكى انه ما لا يطيق حمل الاثقال من الابل لصغره كما حكى انه يقال فرش وفريش بمعنى وان كان المشهور فيه الفرش كما في الآية ومن الانعام حمولة وفرشا وقيل الفرش ما انبسط على وجه الارض من النبات وهو بعيد هنا يعني أن هذه كلها لا تؤخذ في الزكاة اما على الاول فلانها لبون نفيسة واما على الثاني فلخستها (وذو العنان الركوب) العنان بكسر العين ونونين بينهما ألف والركوب بفتح الراء هو المركوب الذلول قال الله تعالى فمنها ركوبهم ووصفه بذي العنان في محله يعني لا يؤخذ الزكاة من الفرس المعد لركوب صاحبه فلا يؤخذ في الزكاة وان قلنا بزكاة الخيل وكذا الصغير لانه ليس من أوسطها والركوب بالرفع صفة ذو وروى بالجر صفة العنان (والفلو) بفتح الفاء وضم اللام وتشديد الواو المهر الصغير من الخيل لا يؤخذ في الزكاة وسمي فلوا لانه يفلى من امه أي يقطع بالفطام عنها قال الجوهري يقال فلوته اذا فطمته وعن أبي زيد اذا فتحت الفاء شددت الواو واذا كسرتها خففت فقلت فلو كجرو وفي القاموس انه يقال كجرو وعدو وسمو وقال انه الجحش والمهر وقيل صغار اولاد ذوات الحافر مطلقا وروى الفلو بدون واو عطف والاول أصح (الضبيس) بفتح الضاد المعجمة وهو من قال المهملة والموحدة المكسورة والمثناة التحتية والسين المهملة أي المهر العسر الركوب الصعب وهو من الرجال كذلك وكانه كني به عن صغره ولو عطف كان المراد به الحرون الا انه وقع بلا عاطفة (لا يمنع) بالبناء للمفعول (سرحكم) باهمال السين المفتوحة وسكون الراء المهملة والحاء المهملة وهي الماشية التي تسرح بالغداة للمرعى والمراد ان مطلق الماشية لا تمنع عن مرعاها يقال سرحت الماشية تسرح اذا خرجت للمرعى وفعله يتعدى ولا يتعدى فاذا رجعت قيل أراحت قال تعالى حين تريحون وحين تسرحون وهذا كما قال في كتاب اكيدر لا تعدل سارحتكم وفاردتكم من مرعى الا انه عبر بالشارحة لمشاكلة الفاردة كما عبر هنا بالسرح لمشاكلة قوله (ولا يعضد طلحكم) يعضد بمعجمة بين مهملتين بمعنى يقطع يقال عضده عضدا اذا قطعه والطلح بفتح الطاء المهملة وسكون اللام والحاء المهملة شجر عظام يقال له العضاة وأم غيلان وكل شجر عظيم له شوك يقال له عضة والطلح في قوله تعالى وطلح منضود قيل هو الطلح وقيل شجرة الموز والمراد لا يقطع لكم

(ولا يحبس دركم) بمهملة مفتوحة فراء مشددة أي لا تمنع ماشيتكم التي هي ذات الدر أي اللبن عن الخروج الى المرعى لمجتمع بموضع يعدها فيه المصدق لما فيه من الاضرار بها لعدم رعيها وفي رواية لا يحشر دركم أي لا تحشر الى المصدق ليعدها بل انما يعدها عند أصحابها أوغرب اليمني في تفسيره الدر ٤٠٠ هنا بمعنى المطر ولعل وجهه انه جعل قوله ولا يحبس خبرا مغيا بقوله مالم تضمروا وأما على ماذهب اليه الجمهور فتعلق مادام مقدر ثم المعنى لكم ماقرر وعليكم ماحرر (مالم تضمروا الرماق) من الاضمار ضد الاظهار والرماق بالكسر بمعنى النفاق يقال رامقته رماقا نظرت اليه نظر العداوة أو المعنى مالم تضق قلوبكم عن الحق يقال عيشه رماق أي ضيق قاله ابن الاثير ويروى الاماق بفتح الهمزة وكسرها وأصله الإمئاق خفف همزه قال في المجمل يقال اماق الرجل اذا دخل في المأقة وهي الانفة وفي الحديث مالم تضمروا الامئاق أي مالم تضمروا الانفة انتهى والانفة التعاظم وقيل هو الغدر وقيل الرمق القطيع من الغنم فارسي معرب فالمعنى لا تخفوا القطيع من الغنم والله أعلم (وتاكلوا الرباق) بالكسر جمع ربقة بكسر فسكون وهي في الاصل عروة تجعل في حبل يربط بها ماخيف ضياعه من البهم فشبه مايلزم الاعناق من العهد بالرباق واستعار الاكل لنقض العهد فان البهيمة اذا أكلت الربقة خلصت من الرباط والمعنى مالم تنقضوا عهود الاسلام التي ألزمها أعناقكم ومالم تخلعوها ومنه حديث حذيفة من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه قال التلمساني والربقة بكسر وبفتح وفي بعض النسخ الرفاق بالفاء بدل من الباء جمع رفقة أي بحيث لا تقطعون الطرق وتظهرون الحرب اذ كل ذلك يقتضي نقض العهد ونكث البيعة وقد يقع التصحيف في مثل هذا والله أعلم

شجر طلحا كان أو غيره وخصه لانه لا ثمر له فاذا منع قطعه علم عدم قطع غيره بالطريق الاولى (ولا يحبس دركم) بفتح الدال وتشديد الراء المهملتين وأصل معناه اللبن والمراد به هنا الانعام ذوات الدر لا تحبس عن المرعى في مكان يجتمع فيه ليعدها من يأخذ الصدقة لما فيه من ضرر صاحبها بعدم رعيها ومنع درها عنه وروى لا يحشر دركم أي لا يجتمع في مكان عند المصدق وهما بمعنى لما مر من الضرر وما قيل من ان ما رواه المصنف لا يختص بالحبس عن المرعى لشموله لحبسها عند صاحبها على وجه يمنعها من المرعى وحبسها عند المصدق ليعدها عليه مع مخالفته لكلامهم وللسياق لا طائل تحته وكذا ما قيل ان معناه لا يؤخذ الدر نفسه الا ان يكون منحة وكل هذا مناف للغرض وقد ورد في صلح أهل نجران لا تحشروا ولا تعشروا ومقصوده صلى الله تعالى عليه وسلم الرفق بمن يؤخذ منهم الزكاة فيؤتى لمنازلهم من غير سوق لمواشيهم وحبس لها (مالم تضمروا الرماق) تضمروا بمعنى تخفوا وتكتموا والرماق بكسر الراء المهملة وميم وألف وقاف وهو النفاق يقال رامقته رماقا وهو النظر الشزر من العدو والمعنى مالم تضق قلوبكم عن الحق يقال عيش رماق أي ضيق يمسك الرمق وهو بقية الروح وآخر النفس كما قاله ابن الاثير (وتاكلوا الرباق) بكسر الراء المهملة والموحدة والقاف قال الشمني جمع ربقة وهي حبل فيه عرى يشد به البهائم وفي الحديث خلع ربقة الاسلام من عنقه قال ابن الاثير شبه مايلزم من العهد بالرباق واستعار الاكل لنقضه فان البهيمة اذا أكلت الربق خلصت من الشدة وما مصدرية ظرفية وهو اما قيد لما قبله أو لجميع ما تقدم والمعنى ان هذا أمر مقرر عليكم منا مالم تنقضوا العهد وترجعوا عن الاسلام فاذا كان كذلك فعليكم ما على غيركم من الكفرة وهذا معنى لا غبار عليه والترتيب في محزه لان المعنى مالم تضمروا النفاق ثم تظهروا نقض العهد وقريب منه تفسيره بالغدر والنكث والعداوة فانها اذا أضمرت كانت نفاقا وأما تفسير اضمار الرباق باخفاء قطيع من الغنم يعني عن المصدق فانه خيانة يقتضي تضييق المصدق عليهم بحشر انعامهم وحبسها فهو على هذا متعلق بقوله لا يحبس دركم وهذا معنى صحيح موافق للغة لان الرمق القطيع من الغنم فارسي معرب كما قاله الجوهري الا ان المشهور المأثور في تفسير الحديث ما تقدم فاعتراض البرهان عليه بانه لم ينظره في غير الصحاح وأخشى ان لا يكون أحد قاله قبله بما لا يليق ذكره وكذا القول بان النفاق اضمار الغدر مع اظهار خلافه فتفسيره غير مستقيم ليس بشئ وكذا تفسير الرباق بالموحدة بالغنم مجاز العلاقة المجاورة فكله بعيد بمراحل عن المرام وفي الكلام استعارة تمثيلية أو تصريحية والمراد بالعهد التزام أو أمر الله ورسوله ونواهيه وفي الشرح الجديد قال البرهان عن المعلق ان الرباق مجاز عن الغنم ولا أدري من هذا المعلق وعلى هذا التقدير معناه مالم تاكلوا الغنم ولا معنى لهذه الظرفية حينئذ اذ يؤول الى أدوا زكاتكم مالم تاكلوا الغنم ومثله سمج لا يليق بحديث الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم المسوق لبيان فصاحته عليه الصلاة والسلام وفي الحواشي التلمسانية تضمروا الآماق بهمزة مكسورة وميم ساكنة وهمزة ممدودة يليها قاف بزنة الاكرام ومعناه الغدر والبغض يقال اماق يميق رباعيا وقد يخفف همزته هكذا ثبت عند العزفي وفي بعض نسخ الشفاء الرماق بكسر الراء والميم بعدها وهو بخط القاضي رحمه الله تعالى انتهى والشراح وأرباب الحواشي متفقون على الرواية

(من أقر) استئناف آخر أي من ثبت واستقر واعترف مذعنا منقادا بالملة (فله الوفاء بالعهد) أي بما عوهد عليه (والذمة) أي و بالامان أو الضمان الحاصل لديه (ومن أبى) أي امتنع عن مقتضيات الملة أو تقاعد وتقاصر عن أداء الزكاة والصدقة (فعليه الربوة) بكسر الراء ويجوز ضمه وفتحه أي الزيادة في الفريضة الواجبة عليه عقوبة له وفي رواية من أقر بالجزية فعليه الربوة أي من امتنع من الاسلام هربا من الزكاة كان عليه من الجزية أكثر مما يجب عليه من الزكاة واعلم انه روى بهز بن حكيم عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه كان يقول في كل أربعين بنت لبون من أعطاها مؤتجرا فله أجرها ومن أبى فانا آخذها وشطر ماله عزة ربنا رواه أبو داود وقال أحمد هو عندي صالح فقيل يأخذ الامام معها شطر ماله وهو اختيار أبي بكر من الحنابلة وقول قديم للشافعي وعند الجمهور يأخذها من غير زيادة بدليل ان العرب منعت الزكاة ولم ينقل انه أخذ منهم زيادة عليها وقال الحربي غلط بهز في هذه الرواية وانما قال وشطر ماله يعني يجعل شطرين فيستخير عليه المصدق فيأخذ الصدقة من خيار الشطرين عقوبة لمنعه الزكاة وأما ما لا يلزم فلا

الثانية (من أقر فله الوفاء بالعهد والذمة) ال في العهد للعهد فالمراد ما عرف من عهود الاسلام أو ما عاهدهم الله ورسوله فيما كتب لهم والذمة قال البرهان الحلبي بمعنى العهد والامان والضمان والحرمة والحق والمراد الاولان وسميت الذمة ذمة لان تركها يوجب الذم ثم سمي محل الالتزام بها في قول الفقهاء ثبت في ذمته كذا وعن الفقهاء من قال انها معنى يصير به الآدمي على الخصوص أهلا لوجوب الحقوق له وعليه كما قاله تاج الشريعة في شرح الهداية وقال القرافي رحمه الله في قواعده لم يعرف أكثر الفقهاء معناها المستعملة فيه وحقيقتها حتى ظنوا انها أهلية المعاملة أو صحة التصرف وليس كذلك لان كلا منهما يوجد بدون الآخر وهي عبارة عن معنى مقدر في المكلف قابلة للالتزام واللزوم مسبب عن أشياء خاصة في الشرع وهي البلوغ والرشد وعدم الحجر وهي من خطاب الوضع انتهى وسمي أهل الذمة بذلك لدخولهم في عهد المسلمين وأمانتهم والمراد ان من اعترف وصدق بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم فله الوفاء بالعهد والذمة (ومن أبى) اي امتنع من قبول العهد أو نقضه بعد قبوله ودخوله فيه من منع الزكاة (فعليه الربوة) والربوة بتثليث الراء المهملة وسكون الباء الموحدة والواو والهاء كما في القاموس فالاقتصار على بعضها تقصير وهي الزيادة ومنه الربا الاخذ زيادة على ما أعطاه وفسرت الربوة بان يؤخذ منه زيادة على فريضة الزكاة عقوبة له وروي من أقر بالجزية فعليه الربوة أي امتنع عن الاسلام لاجل الزكاة كان عليه من الجزية أكثر مما يجب عليه بالزكاة قاله ابن الاثير وقال التجاني عنى صلى الله تعالى عليه وسلم ان من أبى من أداء الزكاة أخذ منه الفرض وزيد عليه مثله كما في حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه الصحيح ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ندب الناس الى الصدقة فقيل له منعها خالد بن الوليد وفلان وفلان فقال أما خالد فالناس يظلمونه لانه احتبس ادراعه وأعدها في سبيل الله وأما فلان فلم ينقم منا الا ان كان فقيرا فاغناه الله ورسوله وأما فلان فانها عليه ومثلها معها وروي فانها عليه صدقة ومثلها معها وفي رواية البخاري ان عليه صدقة واجبة تؤخذ منه وليس معناه انه يعطاها ويعطى مثلها معها لان المذكور من أهل البيت لا تحل له الصدقة وذهب أبو عبيد في معنى هذا الحديث الى ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انما ألزمه اياها ومثلها معها لانه كان قد أخر عنه صدقة العام الماضي ومثله جائز للامام اذا علم حاجته وفقره لكن ظاهر الحديث يخالفه لانه في معرض العقوبة والجزاء فلو كان كذلك لم يكن فيه ردع له انتهى وفي رواية البخاري احتمال انها كانت قبل تحريم الصدقة على أهل البيت كما في بعض شروح مسلم * واعلم انه أي التجاني لم ينقل الحديث على وجهه فانه هكذا في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه انه قال بعث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عمر رضي الله تعالى عنه على الصدقة فقيل منع ابن جميل وخالد بن الوليد والعباس فقال صلى الله تعالى عليه وسلم ما ينقم ابن جميل الا ان كان فقيرا فاغناه الله تعالى وأما خالد فانكم تظلمونه وقد احتبس ادراعه في سبيل الله وأما العباس فهو علي ومثلها أما تعرف ان عم الرجل صنو أبيه وفي رواية البخاري فهي عليه صدقة ومثلها معها وفي رواية لم يقل صدقة ففيه ثلاث روايات ومعنى الاولى انه صلى الله عليه وسلم التزم باخراج ذلك عنه وبين سببه بقوله عم الرجل الخ تشريفا له ويحتمل انه صلى الله تعالى عليه وسلم تحملها عنه لتعلق الزكاة بالذمة وجمع ابن الجوزي بين رواية علي وعليه بانهما بمعنى وزيد في الثانية هاء السكت في علي وقيل معنى على انها عندي لاني أخذت منه صدقة عامين وقد ورد مصرحا به في رواية أخرى بناء على جواز تعجيل الزكاة وفي الحديث وجوه أخر في شروح الصحيحين لا حاجة لنا بها هنا ومن هذا علمت ما في قوله لكن ظاهر الحديث يخالفه لانه ورد في معرض العقوبة الى آخره فانه لا زجر فيه الا لابن جميل لا للمقول في حقه فهي عليه ومثلها كما سمعته آنفا

(ومن كتابه لوائل بن حجر) أي على ما رواه الطبراني في الصغير والخطابي في الغريب والمعنى من مكتوبه لاجل وائل بن حجر هو بضم الحاء كما سبق (الى الاقيال) أي الملوك الصغار الحمير وقيل الذين يخلفون الملوك اذا غابوا جمع قيل مخففا وقيل مشددا وقد تقدم (العباهلة) بفتح

عين مهملة فوحدة أي ملوك اليمن الذين أقروا على ملكهم فلم يزالوا عنه والتاء فيه لتأكيد الجمع كما في الملائكة (والارواع) جمع رائع كالانصار والاشهاد جمع ناصر وشاهد أو جمع أروع أي الحسان الوجوه والهيئات أو الذين يروعون الناس أي يفزعونهم بجمالهم وحسن حالهم وقيل السادة واحدهم أروع (المشابيب) جمع مشبوب أي الرؤس السادة الحسان المناظر الزهر الالوان كأنما وجوههم تتلألؤ نورا وتلمع سرورا وقيل الرجال الذين ألوانهم بيض وشعورهم سود وقيل الاذكياء وأما قول المنجاني والمشيب دخول الرجل في حد الشيب من الرجال فوهم منه في الخيال لاختلاف المادة في ميزان الافعال فالصواب ما قاله غيره من انه من شب من الشباب أو شب النار أوقدها (وفيه) أي وفي كتابه لوائل (في التيعة) بكسر فوقية وسكون تحتية فمهملة أي في الاربعين من الغنم (شاة لامقورة الالياط) بفتح الواو والراء المشددة من الاقوار بمعنى الاسترخاء في الجلد والالياط بفتح الهمزة جمع ليط بالكسر وهو في الاصل القشر اللائط بعوده أي اللازق به شبه به الجلد لالتزاقه باللحم من الهزال والمعنى لامسترخية الجلد لهزالها وقيل لامقطوعة الجلد (ولا ضناك) بكسر المعجمة ثم كاف منونة وقال التلمساني بفتح الضاد وكسرها والنون الخفيفة وجوز المنجاني ضمها (وانطوا) يستوي فيه المذكر والمؤنث والتثنية والجمع أي ولا مكثرة اللحم وممتلئة الشحم لكرمها يريد ان هذه الشاة لاسمينة ولا هزيلة بل

(ومن كتابه صلى الله تعالى عليه وسلم لوائل بن حجر) تقدم الكلام عليه (الى الاقيال العباهلة) أي الى الملوك القار ملكهم وقد تقدم تفسيره وبيان لغته وضبطه (والارواع) بهمزة وراء مهملة وواو بعدها ألف وعين مهملة وهم السادة الزهر الالوان الحسان الوجوه وقيل انه جمع رائع وهم الذين يروعون الناس أي يخوفونهم بمنظرهم بجمالهم وهيآتهم قاله ابن الاثير قيل والاول أولى وجمع فاعل على افعال نادر جدا * أقول ماقاله ابن الاثير هو الذي ارتضاه المبرد في الكامل لما فيه من البلاغة فان الحسن الزائد اذا رآه من له ادراك أدهشه وحيره فيشبه الخائف الفزع ومن وقف على كلام المبرد عرف حسنه وقيل انما كان هذا غير موجه لان الهيئة التي كانت لهم هيئة تجبر وظلم أزالها الاسلام والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم انما أراد مدحهم بالحلم والرأفة وليس بشئ (المشابيب) بفتح الميم والشين المعجمة بعدها ألف ثم موحدتين بينهما مثناة تحتية جمع مشبوب وهو الحسن الازهر اللون قال ذو الرمة أنا الاروع المشبوب أضحى كأنه * على الرحل مما مسه السير أحمق والمراد السيد الظاهر الازهر اللون المنير كانه أوقد في وجهه سراج منير وهو يجمع مع الارواع في كلامهم كما في البيت فان النار مما تروع ناظره وروى الاشباء بزنة الاخلاء جمع شبيب كخليل وقيل هم الرجال الذين وجوههم بيض وشعورهم سود فهذا كما يقال للحسناء ذات الذوائب المسود شعرها يشب لونها أي يظهره ويحسنه وقيل المراد الاذكياء (وفيه) أي في كتابه صلى الله تعالى عليه وسلم لوائل (في التيعة شاة) التيعة بكسر التاء الفوقية وسكون المثناة التحتية والعين المهملة الاربعون من الغنم وقيل الخمس من الابل وقيل هي أدنى ما تجب فيه الصدقة من الغنم والابل وهو المقدار المذكور وقيل هي ما ياخذه الساعي من الزكاة وهو غير مناسب هنا وهو من التيع وهو القئ وقد وقع التشبيه به في حديث (الراجع في هبته كالراجع في قيئه) ويقال تاع قيئه وأتاع ويقال تاع بمعنى ذهب قيل وجه المناسبة سرعة المبادرة اليها كسرعة القئ أو الذهاب الساعي اليها والاحسن أن يقال انها فضلة ووسخ يستريح بدفعها لان الصدقة أوساخ الناس كما ورد في الحديث ولذا منع أهل البيت منها لشرفهم (لامقورة الالياط) مقورة بميم مضمومة وقاف ساكنة وواو مفتوحة مخففة وراء مهملة مشددة من الاقورار كحمرة من الاحمرار وهي المسترخية الجلد من الهزال فلا تؤخذ في الصدقة لرداءتها وقيل هي المتشحة من الهزال أيضا وقيل هي السمينة فهي من الاضداد كما ذكره الصاغاني في كتاب الاضداد وهذه لا تؤخذ لانها أعلى والمامور باخذه الوسط وفي بعض النسخ مقورطة مفوعلة قال التلمساني قال ابن سيدي الحسن ولا أعلم الآن معناه ولعله مصحف مقريطة يقال أقريط الجلد انضم بعضه لبعض مقريطة وهو بمعناه والالياط بلام وياء مثناة تحتية وطاء مهملة جمع ليط بكسر اللام وهو قشر العود فاستعير للجلد من لاطه يلوطه اذا ألصقه وقيل المقورة المقطوعة والمعنى بها الناقصة فالتفاسير متقاربة (ولا ضناك) بفتح الضاد المعجمة وكسرها قال التجاني ويجوز ضمها وخطئ فيه لانه بمعنى الزكام ولا مناسبة له هنا وفي ضبطه نظر لما في العباب للصاغاني الضناك بالفتح قاله الفارابي وقال غيره هو بالكسر وهو الصواب وهي الكثيرة اللحم السمينة فلا تؤخذ لجودتها

(وانطوا الثبجة) انطاء بمعنى اعطاء لغة لاهل اليمن أولبنى سعد وروى فى الدعاء لامانع لما انطيت وقرئ شاذا انا أنطيناك والثبجة بالمثلثة والموحدة والجيم المفتوحات والهاء بمعنى الوسط والهاء للنقل من الاسمية للوصفية وقال التجانى ان الباء الموحدة مكسورة ومنه ثبج البحر لوسطه وفى الحديث خيار أمتى أولها وآخرها وبين ذلك ثبج والمقصود أنه لا يؤخذ فى الزكاة الاعلى لاضراره برب المال الا أن يكون برضى منه ولا الادنى ولا المعيب الا أن يكون الكل كذلك لان الجود بالوجود وتفصيله فى كتب الفقه قال البرهان وفى بعض النسخ بكسر الباء وتشديد الجيم وفيه نظر وقال التلمسانى رحمه الله تعالى وروى الشبجة بالشين والجيم من شبج سار بشدة وأراد اعطاء القوى للضعيف فتامله (وفى السيوب الخمس) السيوب بضم السين المهملة والمثناة التحتية وواو وباء موحدة جمع سيب وهو الركاز بمهملة وكاف وزاى معجمة بزنة كتاب بمعنى مركوز وهو المال المدفون الجاهلى من ركز الرمح اذا غرزه فى الارض وأقره أو من الركز وهو الاخفاء قال الله تعالى أو تسمع لهم ركزا أى صوتا خفيا وسمى سيبا لانه عطية من الله تعالى وقيل هو الذهب والفضة المعدنى من تسيب بمعنى تكون من غير صاحب له فكأنه مسيب والخمس بضمتين وضم فسكون ويقال له خميس ومنه اسم الجيش لكونه خمسة أقسام ميمنة وميسرة ومقدمة وساقة وقلب وقوله فى الحديث المعدن جبار وفى الركاز الخمس يدل على أن الركاز غير المعدن واتفقوا على وجوب الخمس فى الركاز الا الحسن البصرى رحمه الله فقال ان وجد فى دار الحرب ففيه الخمس وفى غيره الزكاة ولا فرق فيه بين النقدين وغيرهما والقليل والكثير ولا يشترط الحول كالزكاة وعند الشافعى ان كان وجده فى ملكه فهو له ان ادعاه والا فهو لقطة (ومن زنامم بكر فاصقعوه مائة) قوله مم بكر وما يأتى من قوله مم ثيب أصله كما فى النهاية من بكر ومن ثيب فقلبت النون ميما لانها اذا سكنت قبل الباء تقلب ميما سواء كان من كلمة نحو عنبر أو من كلمتين نحو من بكر وتقدم ان لام التعريف تبدل ميما فى لغة حمير نحو ليس من ام برام صيام فى ام سفر فاما أن يكون ما نحن فيه من الثانى فاصله من البكر فحذفت نون من على حد قولهم فى بنى الحارث بلحارث فيكون بكر حينئذ غير منون واستعمل البكر موضع الابكار والاشبه أن يكون نكرة منونة وأبدلت نون من ميما انتهى وقيل عليه ان كون بكر بمعنى ابكار لاجل من التبعيضية فتقديره من زنى ببكر من الابكار ويجوز أن يكون لبيان الجنس فبكر على أصلها وهو على هذا يحتمل أن يكون بمعنى الابكار لما فى من من العموم ثم أنه اذا قلب النون ميما على نهج الانقلاب التجويدى لا يتأتى فى قوله مم ثيب فلذا قال فى مزيل الخفاء أنه من باب الازدواج والمشاكلة كما فى قولهم ما قدم وحدث بضمهما مع أن حدث بالفتح فان قلنا أنه انما قيل مم بكر بقلب النون ميما لانها تعاقبها كثيرا كما فى قولهم بنان وبنام ودان ودام كما قاله التجانى لم يحتج لما ذكر وقوله فاصقعوه بهمزة وصل ثم صاد مهملة ساكنة ثم قاف مفتوحة ثم عين مضمومة مهملة أى فاضربوه ويقال اسقعوه بالسين أيضا من الصقع وهو الضرب وأصله الضرب على الرأس وقيل هو الضرب ببطن الكف وضبطه بعض الشراح فاصفعوه بالفاء بدل القاف كما نقله التلمسانى يقال صفعت فلانا أصفعه صفعا اذا ضربت قفاه بجمع كفى ورجل مصفعانى يفعل به ذلك والعامة تقول لمن سرقت عمامته أنه صفع وهى استعارة عامية ركيكة كما قال ابن نباته رحمه الله

أسفت لشاشى الذى قدمضى * وفاز به سارق حاشه
ووالله ما بى مما جرى * سوى قولهم صفعوا شاشه

وتطفل عليه الصفدى رحمه الله تعالى على عادته فقال

قد سرق الشاش بليل وما * قدره الله فما يندفع

متوسطة الحال (وانطوا) بهمزة قطع وضم مهملة لغة يمانية أى واعطوا فى الزكاة (الثبجة) بفتح مثلثة وكسر موحدة فجيم مفتوحة بعدها تاء أى الشاة الوسطى التى ليست بادنى ولا أعلى من ثبج كل شئ وسطه والتاء لانتقالها من الاسمية الى الوصفية قال التلمسانى ويروى الشجة بالشين والجيم من شجع سار بشدة (وفى السيوب) بضمتين جمع سيب وهو الركاز (الخمس) بضمتين ويسكن الميم لان السيب لغة العطاء والركاز عطاء من الله تعالى وقال الزمخشرى هى المعدن أو المال المدفون فى الجاهلية لانه من فضل الله وعطائه لمن أصابه (ومن زنى مم) بسكون الميم الثانية (بكر) بتنوين فى الراء خلافا لبعضهم لانها نكرة عامة فى سياق الشرط ثم أبدلت نون من ميما لكثرة استعمالهم ذلك لفظا فى مثل من ما سيما اذا كان بعدها باء كما هنا ونحو منبر وعنبر ولو كان معرفة بلغتهم لقيل ومن زنى من امبكر كما قال ليس من امبر امصيام فى امسفر ومن الجارة تبعيضية أو بيانية مفسرة للاسم المبهم الشرطى وترجمة عنه أى ومن زنى من الابكار (فاصقعوه) بهمزة وصل وقاف مفتوحة أى اضربوه كما قاله ابن الاثير وأصل الصقع الضرب ببطن الكف وقيل أى فاضربوه على صوقعته أى فى وسط رأسه قال التلمسانى وعند الشارح فاصفعوه بالفاء عوض القاف أى فاضربوه (مائة) أى مائة ضربة

(واستوفضوه) بالفاء والضاد المعجمة أي اطردوه أو انفوه وغربوه (عاما) أي سنة (ومن زنى مم ثيب) يجري فيه ما جرى في مم بكر الآن هنالك القلب الحقيقي لاجل الياء وهنا الاخفاء المتولد من قبل الثاء وقيل القلب فيه للمناسبة والمثال كله كقولهم ما قدم وحدث بضم دال حدث لمناسبة قدم وقيل هي لغة يمانية كما يبدلون الميم من لام التعريف أي ومن زنى من ذوي احصان (فضرجوه) بمعجمة مفتوحة وتشديد راء مكسورة فجيم أي فارجموه حتى تدموه وتضرجوه أي تلطخوه بدمائه (بالاضاميم) أي برمي الحجارات جمع اضمامه بالضاد المعجمة وهي ما جمع وضم الحجارة لان بعضها يضم الى بعض كالجماعات من الناس والكتب قال التلمساني يريد أنه لا يرجم بحجر ههنا وحجر في موضع آخر لان ذلك تعذيب له ولا في محل فيه حجارة صغيرة أو قليل الحجارة ولا يرجم بحجر في وقت ثم بحجر في وقت آخر وهذا كله يشمله الاضاميم (ولا توصيم) أي لا توانى ولا محابات في (الدين) أي في اقامة الحدود لقوله تعالى ولا تاخذكم بهما رأفة في دين الله وقيل التوصيم التكسير والمعنى ولا تقصدوا تكسيره بالحجارة وقيل المعنى لا عيب ولا هوان ولا كسر ولا عار في الدين (ولا غمة) بضم غين معجمة وتشديد ميم أي لا ستر ولا غطاء وفي رواية ولا عمه بمهملة فميم مخففة مفتوحتين فهاء أي لا حيرة ولا تردد وفي رواية ولا غمد بكسر معجمة وسكون ميم فدال مهملة أي لا ستر ولا اخفاء أو لا تستر ولا التباس (في فرائض الله) بل هي واضحة والمعنى لا تستر فرائض الله ولا تخفى بل تظهر ويجهر بها وقال التلمساني لا غمة بضم الغين المعجمة وبفتحها أي لا ضيق ولا كربة وقيل لا ابهام ولا الباس ولا سترة أي لا تخفى فرائض الله لانها من أعلام الاسلام وتاركها يستحق الملام فحقها ان يعلن بها اماطة للتهمة عن تركها بخلاف التطوع فانه لا يلام بتركه ولا تهمة فيه فحقه أن يخفى (وكل مسكر) خمرا كان أو غيره كثيرا أو قليلا على خلاف في الاخير فيما عدا الخمر (حرام) أي شربه وأغرب التلمساني في ذكره قاعدة منطقية بقوله هذه نتيجة وكيفية تركيب المقدمتين هو أن تقول كل مسكر خمر وكل خمر حرام فينتج كل مسكر حرام انتهى ولم يعرف ان الكبرى ممنوعة هنا (ووائل بن حجر) مبتدأ (يترفل) ويترأس بفاء مشددة أي يتامر ويترأس (على

الحمد لله الذي لم يكن ❊ شانئي على رأسي لما صفع

والمراد هنا حد الجلد والمراد بالبكر غير المحصنات كما بين في الحدود (واستوفضوه عاما) بهمز وصل وسين مهملة ساكنة ومثناة فوقية وواو وفاء وضاد معجمة ثم واو ساكنة وهاء الضمير بمعنى انفوه وعرفوه من فوضت الابل اذا تفرقت والعام والسنة بمعنى هنا وان كان الامام السهيلي فرق بينهما في الروض الانف باعتبار أصل الوضع فان السنة من دور الشمس الى عودها لمحلها الاول من سني بمعنى دار ومنه الثانية والعام ما اشتمل على الفصول الاربعة بتمامها (ومن زنا مم ثيب) أي محصنة وتقدم ما فيه (فضرجوه بالاضاميم) ضرجوه بضاد معجمة مفتوحة وراء مهملة مكسورة مشددة وجيم مضمومة من التضريج وهو التدمية أي ارجموه حتى يسيل دمه ويقتل قال ان بني ضرجوني بالدم والاضاميم بفتح الهمزة والضاد المعجمة وميمين أولاهما مكسورة بينهما ياء مثناة ساكنة الحجارة وأحدها اضمامه بكسر الهمزة أو أضموم بضمها كاقنوم سميت بها لانه يضم بعضها البعض ويطلق على كل مجتمع من الناس وغيرهم والمراد الرجم الذي هو حد المحصن كما فصل في كتب الفقه واختلافهم في كون التغريب من الحد أم لا مشهور في الفروع شهرته تغني عن ذكره (ولا توصيم في الدين) توصيم تفعيل من الوصم بالصاد المهملة وهو العيب والعار أي لا كسر ولا عيب ولا عار ولا كسل في اقامة حدود الله فلا تحابوا فيها وهذا في معنى قوله تعالى ولا تاخذكم بهما رأفة في دين الله ولذا حرم الفقهاء الشفاعة في الحدود دون التعزير (ولا غمة في فرائض الله) الغمة بضم الغين المعجمة وتشديد الميم أي لا تخفى وتستر فرائضه تعالى بل تظهر ويجهر بها اقامة واظهار الشعائر الدين وهذا يقتضي ان اظهار الفرائض أكمل فينبغي اظهار اداء الزكاة دون اخفائها فقوله تعالى ان تبدوا الصدقات فنعما هي وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم محمول على صدقة التطوع فان الافضل اخفاؤها وقيل أنه شامل للزكاة وقد يستحب اخفاؤها اذا خاف الرياء ونحوه وقيل أنه يختلف باختلاف الاحوال والزمان ولو قيل أن المراد هنا ان الحرام بين والحلال بين لم يحتج للتقييد ويؤيده أنه روى هذا الاعمه بفتح العين المهملة والميم المخففة والهاء أي لا حيرة ولا تردد فيها وروى لا غمد بكسر الغين المعجمة وسكون الميم والدال المهملة ومعناها لا ستر ولا اخفاء كتغمدنا الله برحمته أي سترنا بها (وكل مسكر حرام) هذا حديث صحيح رواه مسلم وهو أنه قال كل مسكر خمر وكل مسكر أي كل ما من شانه الاسكار فهو حرام أي ولو قطرة منه والخلاف في المثلث بشروطه معلوم ويدخل فيه الحشيش على الاصح وللزركشي رحمه الله تعالى فيه تاليف مستقل وانما ذكر هذا لانهم سالوه وقالوا يا رسول الله ان شرابا يصنع بارضنا يقال له المزر والتبع وأهل تلك الديار لهم ولع به فلذا بينه لهم والكلام على الحديث مفصل في شرح مسلم (ووائل بن حجر) تقدم بيانه (يترفل على

أقيال

الاقيال) خبر معناه الامر لقوله بعده فى آخر كتابه أمره رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاسمعوه وهو معنى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم فى الكتاب الآخر وكان توجه الى المهاجر بن أبى أمية مع وائل هذا فكان فيه من محمد رسول الله الى المهاجر ابن أبى أمية ان وائلا يستسعى ويترفل على الاقيال حيث كانوا من حضرموت أى يستعمل على الصدقات و يصير أميرا على الاقيال ويفتخر عليهم بكتابه عليه الصلاة والسلام كما قال الشاعر (اذا نحن أمرنا امرأساد قومه وان لم يكن من قبل ذلك يذكر) ولما كان أبو أمية مشتهرا تركه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على حاله كما يقال على ابن أبى طالب كرم الله وجهه وحكى أبو زيد فى نوادره عن الاصمعى عن يحيى بن عمران قريشا كانت لا تغير الاب فى الكنية تجعله مرفوعا فى كل وجه من الرفع والجر والنصب والحاصل انه شبه امارته بالثوب لانها تلابسه بها كأنه لاه واستعير لها ترفيله وهو اطالته وأسباله فكأنه يرفل فيها أى يجر ذيلها عليهم زهوا وقول التلمسانى هنا الى وائل الى كاللام و روى بها فليس فى محله ولعله فيما تقدم والله تعالى أعلم ثم جملة (أين هذا) أى كلامه هذا مع ماذكر من الاقيال وكتابه لهم (من كتابه لانس رضى الله عنه فى الصدقة المشهور) نعت لكتابه كما رواه أبو داود والترمدى والدارقطنى وختمه ولم يدفعه له فدفعه أبو بكر بعد وفاته صلى الله تعالى عليه وسلم له حين وجهه الى البحرين مصدقا فان ذا يحل من جزالة ألفاظ مألوفة وسلاسة تراكيب مانوسة وذاك يحل من غلاقة ألفاظ غريبة وقلاقة أساليب عجيبة حتى انها فى النطق عسرة بالنسبة الى غير أهل تلك اللغة وسبب هذا التغاير ما بينه المصنف بقوله

الاقيال) يترفل بالراء المهملة والفاء واللام والترفل أصله تطويل الرداء والثوب ومثله يكون فخرا وعظمة فاستعير او جعل كناية وهذا أظهر لجعله رئيسا عليهم محكما فيهم وفى أخذ صدقاتهم لان الترفل للتعظيم والرئيس والحاكم أعظم فجعل هذا عبارة عن ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم جعله واليا على أمورهم وقبض صدقاتهم قال التجانى أى يتامر و يترأس وهذا كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم فى كتاب آخر له وقد وجهه الى المهاجر بن أبى أمية من محمد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى المهاجر بن أبو أمية ان وائلا يستسعر ويترفل على الاقيال حيث كانوا من حضرموت أى هو مستعمل على الصدقات وأمير على الاقيال قال الشاعر (اذا نحن رفلنا امرأساد قومه * وان لم يكن من قبل ذلك يذكر) وقد تقدم معنى الاقيال وأصله ومن الترفل هذا الترفيل المذكور فى العروض وقوله ابن أبو أمية كذا صحت روايته بحكاية أول أحواله وأشرفها كما يقال على بن أبو طالب قال التجانى وقريش لا تغير الاب فى الكنية فتجعله بالواو فى أحواله الثلاثة وحكاه أبو زيد عن الاصمعى فى نوادره فليس بلحن كما يتوهم كما يقولون باز يد فهذه لغة خامسة لكنها لكونها مخصوصة بالكنية لم يذكروها (أين هذا من كتابه صلى الله تعالى عليه وسلم لانس رضى الله تعالى عنه فى الصدقة المشهور) أين استفهام عن المكان والمراد ان بينهما بونا وفرقا فان ذلك جاء بلغة أهل اليمن وهذا بلغة قريش وتهامة المألوفة بينهم ففيه اشارة الى فصاحته صلى الله تعالى عليه وسلم ومعرفته باللغات وخطاب كل أحد بلسانه ولغته وهذا اشارة الى الكتاب الذى دفعه أبو بكر رضى الله تعالى عنه لانس رضى الله عنه حين أرسله فى خلافته الى البحرين وأمره أن يعمل به وهو من كلام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم و بعضهم وقفه على أبى بكر رضى الله تعالى عنه و بعضهم رفعه الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقال انه كان عند أبى بكر رضى الله تعالى عنه يعمل به وهو الذى سلمه لانس رضى الله تعالى عنه ولما دفعه اليه كان عليه خاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا الكتاب ذكره البخارى فى صحيحه والنسائى وأبو داود والترمذى وغيرهم على اختلاف بينهم فى كثير من ألفاظه والبخارى ذكره مفرقا فى كتابه ولم يخرجه مسلم واختلف فى سبب تركه له مع صحته وشهرته فقيل للاختلاف فى كونه من كلام النبى صلى الله عليه وسلم أو من كلام أبى بكر رضى الله تعالى عنه وقيل لاختلاف المحدثين فى الكتاب والعمل به وان كان الاصح انه يعمل به ولا فرق بينه وبين غيره من الاحاديث وله طرق مختلفة وأوله بسم الله الرحمن الرحيم هذه فريضة الله التى فرضها رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن سألها من المسلمين على وجهها فليعطها ومن سئل فوقها فلا يعطه فيما دون خمس وعشرين من الابل الغنم فى كل خمس ذود شاة فاذا بلغت خمسا وعشرين ففيها بنت مخاض وبقية الكتاب مذكور فيه أحكام الزكاة وهو مذكور فى المطولات ولكن ذكرنا هذا المقدار منه تبركا لان الثمرة تدل على الشجرة وفى مزيل الخفاء * قيل لم يكتب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الى أنس وانما أبو بكر رضى الله تعالى عنه هو الذى كتب اليه وأجيب بان الدارقطنى ذكر باسناد صحيح رواية هذا الحديث عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وذكر أبو داود عن ابن عمر رضى الله عنهما ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كتب كتاب الصدقة ولم يخرجه فى حياته فعمل به أبو بكر رضى الله تعالى عنه بعده ثم عمر رضى الله تعالى عنه وعلى هذا ففى كلام المصنف رحمه الله تعالى مقدر دل عليه خصوص الواقعة

أي في كتابه الذي كتبت نسخته لانس رضي الله تعالى عنه لما في صحيح البخاري ان أنسا حدث ان أبا بكر رضي الله تعالى عنه كتب له هذا الكتاب لما وجهه الى البحرين ثم ان المصنف رحمه الله بين وجه التباين فقال (لما كان كلام هؤلاء) الاشارة الى جميع من تقدم من الانصار وقريش وأهل نجد وأهل الحجاز والهمدانيين والنهديين أو الى الاخيرين لقربهم (على هذا الحد) أي على هذه الصفة قال الراغب حد الشئ الوصف المحيط بمعناه المميز له عما عداه (وبلاغتهم على هذا النمط) أي على هذه الطريقة (وأكثر استعمالهم هذه الالفاظ استعملها معهم) يعني ان استعمال هذه الالفاظ مع من هي لغتهم لا تخل بالفصاحة بل هو من أعلى طبقاتها وان كان فيها ما هو غريب ووحشي بالنسبة لغيرهم فان الجاحظ نص في التبيان على ان كلام أهل البادية الوحشي بالنسبة لهم فصيح وان كان كلام أهل المعاني قد يوهم خلافه وانه يخل بالفصاحة مطلقا وهذا مما غفلوا عنه وله في هذا فصل بديع منه أراغ معنى كريما فليلتمس له لفظا كريما فان حق المعنى الشريف اللفظ الشريف ومن حقهما ان تصونهما عما يفسدهما ويهجنهما ولا تعود من أجله ان يكون أسوأ حالا منك قبل ان تلتمس اظهارهما فكن في ثلاث منازل أولها ان يكون لفظك رشيقا عذبا وفخما سهلا ويكون معناه ظاهرا مكشوفا وقريبا معروفا أما عند الخاصة ان كنت للخاصة قصدت وأما عند العامة بان يكون للعامة أردت والمعنى ليس يشرف بان يكون من معاني الخاصة ولا يتضع بان يكون من معاني العامة وانما مدار الشرف على الصواب واحراز المنفعة مع موافقة الحال وما يجب لكل مقام من المقال الى آخر ما فصله (ليبين للناس ما نزل اليهم وليحدث الناس بما يعلمون) اشارة الى أنه لما كان مبعوثا لجميع الناس كان يتكلم بكل لغة مع أهلها لانه أبلغ في الابلاغ وأنفع (وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث عطية السعدي) منسوب لقبيلة بني سعد بن بكر وفي العرب سعود غيرهم سعد تميم وسعد قيس وسعد هذيل وسعد بكر هؤلاء وغيرهم وعطية هذا هو ابن عروة السعدي ويقال عطية بن عامر ويكنى أبا محمد روى عنه أهل اليمن والشام وهو جد عروة بن محمد بن عطية روى ابن عبد البر بسنده الى عروة بن محمد بن عطية قال حدثني أبي ان أباه حدثه انه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في ناس من بني سعد قال وانا أصغرهم فخلفوني في رحالهم ثم أتوه صلى الله تعالى عليه وسلم فقضى حوائجهم ثم قال هل بقي منكم أحد قالوا يا رسول الله غلام منا خلفناه في رحالنا فامرهم أن يبعثوا اليه فاتوا الي وقالوا أجب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتيته فلما رآني قال ما أغناك الله تعالى فلا تسأل الناس شيئا (فان اليد العليا هي المنطية واليد السفلى هي المنطاة) تمامه ومال الله مسؤول ومنطى وروى يودئ وينطى وهذا حديث صحيح رواه الحاكم وصححه من طريق عروة وتمامه كما رواه الواقدي في قصة وفود السعديين عن ابن النعمان منهم عن أبيه قال قدمت على رسول الله وافدا في نفر من قومي وقد أوطأ رسول الله البلاد الى أن قال ثم انصرفنا الى رحالنا وقد كنا خلفنا عليها أصغرنا فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في طلبنا فاتى بنا اليه فتقدم صاحبنا فبايعه على الاسلام فقلنا له يا رسول الله انه أصغرنا وخادمنا فقال أصغر القوم خادمهم بارك الله عز وجل عليه فكان والله خيرنا وأقرأنا للقرآن لدعاء رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم أمره رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم علينا فكان يؤمنا ولما أردنا الانصراف أمر بلالا رضي الله تعالى عنه فاجازنا باواقي فضة لكل رجل منا فرجعنا الى قومنا فرزقهم الله تعالى الاسلام وهذا يشعر بانه كان أمير القوم وأذكاهم فلذا نصحه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بما ذكره المصنف رحمه الله تعالى (قال) أي عطية السعدي (فكلمنا رسول الله صلى الله تعالى

عليه

(لما كان كلام هؤلاء على هذا الحد) أي هذا المقدار غريبا غير مألوف (وبلاغتهم على هذا النمط) أي هذا النوع ووحشيا غير مأنوس (وأكثر استعمالهم هذه الالفاظ) أي التي هي غير مألوفة لغيرهم وان كانت مأنوسة لهم وجواب لما قوله (استعملها معهم ليبين للناس ما نزل اليهم) أي ما تشابه عليهم من أمر ونهي ونحوهما بنص أو ارشاد أي دال على ذلك كالقياس واستحسان العقل (وليحدث الناس بما يعملون) أي بما يفهمون ويعقلون لا بما لا يدركون فينكرون كما سبق من كلامه وكتابه (وكقوله في حديث عطية السعدي) أي المنسوب الى قبيلة بني سعد وهو ابن عروة ويقال ابن عمرو بن عروة على ما رواه الحاكم والبيهقي وصححه عنه قدمنا على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال لي ما أغناك الله فلا تسأل الناس شيئا (فان اليد العليا هي المنطية) أي المعطية واليد السفلى هي المنطاة) أي المعطاة وان مال الله مسؤول ومنطى (قال) أي عطية (فكلمنا رسول الله صلى الله

تعالى عليه وسلم بلغتنا) أي في الانطا بمعنى الاعطاء كما قرئ بالنون في قوله تعالى انا أعطيناك الكوثر وهذا الحديث في المعنى نحو حديث مالك والشيخين وأبي داود والنسائي عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال على المنبر وهو يذكر الصدقة والتعفف عن المسئلة اليد العليا خير من اليد السفلى والعليا هي منفقة والسفلى هي سائلة قال أبو داود وقد اختلف عن أيوب عن نافع في هذا الحديث فقال عبد الوارث اليد العليا هي المتعففة وكذا قال واقد عن حماد بن زيد عن أيوب وقال أكثرهم عن حماد هي المنفقة قال الخطابي رواية المتعففة أشبه وأصح في المعنى لان ابن عمر قال ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ذكر هذا الكلام وهو يذكر الصدقة والتعفف عنها فعطف الكلام على سببه الذي خرج عليه وعلى ما يطابقه في معناه أولى وقد توهم بعضهم ان معنى العليا هو كون يد المعطي مستعلية فوق يد الآخذ من علو الشئ أي فوقه وليس ذلك عندي بالوجه وانما هو من علو المجد والكرم يريد التعفف عن المسئلة والترفع عنها انتهى كلامه وفي غريب الحديث لابن قتيبة زعم قوم ان العليا هي الآخذة والسفلى هي المعطية فقال وما أرى هؤلاء الا أنهم استطابوا السؤال فاحتجوا ان ينصروا مذهبهم ونسبه في المشارق للمتصوفة وأقول لعل وجه قولهم هذا انه ينبغي للمعطي ان يتواضع لله في حال عطائه ويجعل يده تحت يد الفقير الآخذ وان يعلم ان الله تعالى هو الآخذ حقيقة وان كان هو المعطي أيضا لما ورد من أنه يأخذ الصدقة ويربيها وينميها كما يربي أحدكم فلوه ولقوله تعالى مخاطبا لنبيه عليه الصلاة والسلام خذ من أموالهم صدقة ولان الآخذ هو سبب المراتب العالية للمعطي فلو لم يأخذ أحد ذلك لم يحصل له الثواب والله أعلم بالصواب ثم هنا دقيقة أخرى بالتحقيق أحرى وهي أنه اذا كانت اليد العليا خيرا من اليد السفلى واليد العليا هي المعطية فيشكل بما أجمعت عليه السادة الصوفية وجمهور القادة الفقهية من ان الفقير الصابر افضل من الغني الشاكر فالجواب على ما ذكره بعض المحققين ان هذا الحديث بعينه يدل على المدعى فان المعطي لم يحصل له المرتبة العليا الا باخراج شئ من الدنيا والآخذ لم يتسفل عن مرتبته القصوى الا باخذ شئ منها والحاصل ان الاول قول ظاهري حسي للفقهاء والثاني قول باطني معنوي للاولياء والجامع بينهما هو المحقق والله الموفق وقيل ان تفسير اليد العليا بالمعطية والسفلى بالسائلة مدرج في الحديث وقيل معنى المتعففة المنقبضة عن الاخذ وروي عن الحسن البصري انه قال معنى الحديث يد المعطي خير من اليد المانعة

عليه وسلم بلغتنا) ورواه السيوطي رحمه الله في تخريجه فكلامي ولا تخالفه رواية المصنف رحمه الله تعالى لانه صلى الله تعالى عليه وسلم ألقى اليه الكلام وتوجه اليه لما تفرس فيه الخير لمخايل نجابته والقوم يسمعون فيصح ان يقال كلهم وكله وقيل أراد بقوله كلمنا نفسه بنون العظمة اظهارا لانعام الله تعالى عليه بخطاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم له وبعثه اليه وتاميره عليهم والمقام باباه وقوله بلغتنا أي بلغة بني سعد لانهم كانوا يقولون انطى ينطي انطاء بمعنى أعطى ولا ينافيه ما قيل انها لغة يمانية لانه يجوز كونها لغة لهم وقال التلمساني قيل لغة حمير انط بمعنى أسكت وكتب رجل بين يدي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كتابا فدخل آخر فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم انط أي أسكت ستر السرة واليد العليا اليد المعطية والسفلى يد السائل الآخذة وهي المعطاة وقد جاء تفسيره بذلك في حديث آخر وهو انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال على المنبر وهو يذكر الصدقة والتعفف عن المسئلة اليد العليا خير من اليد السفلى واليد العليا المنفقة والسفلى السائلة وهو حديث صحيح رواه الشيخان أو المنفقة بنون وفاء وقاف ويروى المتعففة بعين وفائين أي التي لا تسأل أحدا وقيل المنفقة بتشديد الفاء وقيل يد الله تعالى فوق يد المعطي ويد المعطي فوق يد المعطى بالفتح فهي أسفل الايدي والايدي ثلاثة وقيل اليد السفلى الآخذة بسؤال ودونه وما قيل ان هذا لا ينبغي لان الصدقة تقع أولا في يد الله تعالى ليس بشئ لان هذا ليس على حقيقته لان المراد انه يقبلها ويدخرها له وقيل اليد العليا المعطية والسائلة المانعة وقيل اليد العليا يد الفقير لتحصيلها الثواب لصاحب المال ودفع البلاغة واختاره بعض مشايخ الصوفية فيده أفضل عند الله قال ابن قتيبة وما أرى هذا الا كلام قوم استحبوا السؤال وحسنوه وكل هذا مضمحل بعد التصريح بتفسيره في الاحاديث الصحيحة وان قيل فيه انه مدرج والخلاف مبني على ان المراد بالعلو المحسوس بناء على الغالب أو المعنوي من علو الشرف كما قال الشاعر

اذا كان باب الذل في جانب الغنا * سموت الى العلياء في جانب الفقر

والتعبير عن المعطي بالمنفق وذي اليد العليا بناء على الغالب المتبادر فلا يقال يد السائل قد تكون فوق اذا أخذ من كفه وان المنفق قد لا يكون متصدقا وان الآخذ قد لا يكون سائلا بان يعطى ابتداء والسائل قد لا يكون متصدقا عليه كسائل القرض وغيره وهو ظاهر لا ينبغي التطويل بمثله وتحصل في الحديث

ثلاثة أوجه * أحدها ان معناه يد المعطى و يد السائل بطريق الكناية * الثانى ان معناه المنفق والآخذ * الثالث عكس الاول والاول أصح رواية ودراية وبقى وجه آخر وهو ان يراد بالعلو ومقابله العلو المعنوى لعلو رتبة المنعم وانحطاط رتبة الآخذ (وقوله) صلى الله تعالى عليه وسلم (فى حديث العامرى حين سأله فقال له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) العامرى نسبة لعامر اسم قبيلة وتسمى بنى عامر سموا باسم جدهم كتميم وكانوا وفدوا على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وفيهم عامر بن الطفيل وأربد وتواعدا ان يقتلاه صلى الله عليه وسلم غيلة فهلكا فى الطريق لما رجعا من عنده صلى الله تعالى عليه وسلم وقد حماه الله وعصمه أما أربد فاصابته صاعقة أهلكته وأما عامر فاصابه طاعون مات فيه فى بيت امرأة سلولية وسلول قبيلة مذمومة مسترذلة عند العرب فكان يقول أغدة كغدة البعير وموت فى بيت امرأة سلولية فجرت مثلا لاجتماع أمرين حقيرين وأربد أخو لبيد الشاعر وقد هداه الله تعالى للاسلام بعد موت أخيه أربد وحسن اسلامه ولم يقل شعرا بعد اسلامه غير قوله

الحمد لله اذلم يأتنى أجلى * حتى اكتسبت من الاسلام سربالا

وهذا العامرى اسمه عطية توفى فى حدود الثمانين وفى العقد لابن عبد ربه ان اسمه لقيط بن عامر بن المنتفق وساق له حديثا على وجه آخر (سل عنك بفتح) العين وسكون النون عن الجارة وكاف خطاب وهذا الحديث رواه أبو نعيم فى الدلائل عن شداد بن أوس ولم أر من صحح لغة بنى عامر هذه و بين وجهها ورأيت فى شرح ديوان الاعشى فى قوله

فاذهبى ماإليك ادركنى الحلم عدانى هجا كم اشغالى

ان العرب تقول اذهب اليك وسر عنك بزيادة اليك وعنك انتهى والمصنف رحمه الله تعالى ثقة واسع الاطلاع أولم يقف على أن هذه لغة لبنى عامر لم يذكرها ووجه البلاغة فيها انها جعلت كناية عن سل عن كل شئ فان كل أحد أدرى بنفسه فاذا أمره بسؤاله عنها فكانه قال له أنا أعلم بك منك واذا كان كذلك فهو عليم بجميع أحواله وهذا يدل على المراد بطريق برهانى بليغ (أى سل عم شئت وهى لغة بنى عامر) عم وقع فى بعض النسخ عما بالالف وفى بعضها عم بدون ألف والاولى أولى لانها موصولة كما لايخفى وان أردت تحقيق هذا المقام فاعلم ان ابن قتيبة قال فى أدب الكاتب اذا جرت ما الاستفهامية بحرف جر سقطت ألفها فرقا بينها وبين الموصولة الا مم شئت فان العرب تقول أدع بم شئت فى الموصولة والاستفهامية فان جرت باسم مضاف لم تحذف وفى شرح النيلى أما اذا كان الجار لها اسما متمكنا لم يفعلوا ذلك وقول العرب مجىء م ومثل م شاذ انما حذفت مع الحرف تخفيفا وفرقا بين الاستفهام والخبر وخص الاستفهام لانه اسم تام فصارت مع الحرف كاسم واحد فحذف الالف لطول الاسم وجاء نادرا سل عم شئت فان جره اسم متمكن لم يفعلوا ذلك وجاء مع بعد وعلى لعدم تمكنهما فالحقا بحروف الجر وقول العرب مجىء م جئت ومثل م أنت شاذ انتهى وهو تفصيل نفيس قل من حرره هذا التحرير ومنه عرفت ان قوله عم شئت صادف محزه وانه لاير د عليه شئ مما قالوه وفى شرح التسهيل لابى حيان ان الاخفش قال فى الاوسط ان أناوقد ذكر ان كثيرا يقولون سل عم شئت كانهم حذفوا ألفها لكثرة استعمالهم اياها انتهى وحينئذ لاحاجة الى ماقيل ان المصنف رحمه الله تعالى وقف على انها لغة لبنى عامر فقد تجانس المفسر والمفسر وماقيل من انه لاوجه لهذه النسخة من قصور النظر وقصر باع الاطلاع (وأما كلامه المعتاد) أى كلام النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الذى اعتاده فى مجالسه مع قومه وأهل أرضه وغيرهم (وفصاحته المعلومة) لكل أحد من كلامه (وجوامع كلمه) كما ورد فى الحديث الصحيح أوتيت جوامع الكلم والجوامع جمع جامعة أى كلمة جامعة لوجوه الفصاحة والكلم اسم جنس جمعى لكلمة لاجمع ولا اسم جمع على الاصح والمراد ان الله تعالى من عليه صلى الله تعالى عليه وسلم باقداره على التكلم بكلمات

(وقوله) أى وكقوله على ماذكره أبو نعيم فى دلائله (فى حديث العامرى) أى مخاطباله بلغته (حين سأله) أى العامرى (فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم سل عنك أى عم شئت) أى عما شئت كما فى نسخة ويجوز سل عن امرك وشأنك (وهى) وفى نسخة وهو (لغة بنى عامر وأما كلامه المعتاد) أى المانوس لجميع العباد (وفصاحته المعلومة) أى لسائر البلاد (وجوامع كلمه) أى بمعان كثيرة بالفاظ يسيرة

والخفى وجمعهم لما شذ وتفرق وقد يسمى مكانهم باسمهم وأول من وضعه فى الاسلام عمر رضى الله تعالى عنه لحفظ مايتعلق بالناس والمراد هنا الكتب المؤلفة من الجوامع والمسانيد وأمثال ذلك (وقد جمعت فى ألفاظها ومعانيها الكتب) أى فى بيان غرائبها وجمعت بصيغة المجهول وكان الاولى ان يقال وجمعوا فى مبانيها ومعانيها الكتب (ومنها) أى ومن جوامع كلمه وحكمه (مالا يوازى) بهمز أبدل واوا من آزيته بمعنى حاذيته وهو بازائه أى بحذائه ولا تقل وازيته على مافى الصحاح وهو بصيغة المجهول أى لا يماثل ولا يقابل (فصاحة) تمييز للنسبة أى من جهة الفصاحة (ولا يبارى) أى ولا يعارض ولا يساوى (بلاغة كقوله) على ما رواه أبو داود والنسائى (المسلمون تتكافأ) بالهمز فى آخره وفى نسخة بحذف احدى التائين

بليغة جزلة حاوية لمعان نافعة من المواعظ ونحوها وقيل المراد بها القرآن والاصح الانسب بالمقام الاول وقول الهروى معنى جوامع كلمه القرآن جمع الله تعالى له فيه معان كثيرة فى ألفاظ يسيرة وكلامه صلى الله تعالى عليه وسلم كان كذلك عرفت مافيه وقال ابن شهاب بلغنى ان جوامع الكلم ماجمعه الله تعالى له من الكتب التى كانت قبله فى الامر الواحد والامرين ونحوه والحاصل انهم عدوا من فضائله صلى الله تعالى عليه وسلم وكمالاته انه كان يتكلم فى محاوراته بقليل الالفاظ المحتوية على المعانى التى لاحصر لها ومنه ماورد فى الحديث أنه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يستحب الجوامع من الدعاء وهو مايجمع الاغراض الصالحة والمقاصد الصحيحة أو مايجمع أنواع السؤال وآداب المسئلة كما قلت فى قصيدة فى مدحه صلى الله تعالى عليه وسلم

وجوامع الكلم التى فتحت له * سجدت لها البلغاء والاقلام

(وحكمه المأثورة) هو من الاثر وهو مايدل على الشئ من آثاره وعلاماته ومنه أثرت العلم اذا رويته أثره أثرا واثارة واثرة اذا تتبعت أمره كما قاله الراغب فالمأثورة المنقولة المروية والحكم جمع حكمة وهى الكلمات النافعة فتشمل المواعظ فهى أعم من جوامع الكلم (فقد ألف الناس فيها الدواوين) الفاء جواب أما والضمير للحكم أو للمذكورات كلها والمراد بها هنا الكتب المستقلة جمع ديوان بكسر الدال وفتحها فى لغة وقال أبو عمر وانه خطأ ولو صح كان جمعه دياوين ولم يسمع كما قاله الجواليقى وفى الاحكام السلطانية والديوان موضوع لحفظ الاموال والاعمال ومن يقوم بها من الجيوش والعمال ووجه التسمية بذلك ان كسرى أطلع على كتبة ديوانه وهم يحسبون مع أنفسهم فقال ديوانه أى مجانين ثم خفف بحذف الهاء وقيل ان الديوان بالفارسية اسم للشياطين جمع ديو بكسر الدال والالف والنون علامة للجمع فى الفارسية كزاهد وزاهدان فسموا به لحذقهم بالامور ووقوفهم على الجلى والخفى ثم سمى به مكانهم وأول من وضع الديوان عمر رضى الله تعالى عنه وهو معرب كما قاله الجواليقى وأطلق على الدفتر ثم قيل لكل كتاب وقد يختص بالشعر لشاعر معين مجازا وشاع حتى صار حقيقة فيه فمعانيه خمسة الكتبة ومحلهم والدفتر وكل كتاب ومجموع الشعر (وجمعت فى ألفاظها ومعانيها الكتب) المراد كتب الحديث المسندة وغيرها وشروحها وجمعت مبنى للمفعول فلا وجه لما قيل ان الالفاظ قوالب المعانى فتى تجردت عنها كانت مهملة (ومنها مالا يوازى فصاحة) يوازى مبنى للمجهول أى يماثل ويقابل ويساوى من الموازاة وواوه مبدلة من الهمزة يقال آزى الشئ يوآزيه اذا حاذاه وفى شرح الكرمانى للبخارى آزيته ولا وازيته يعنى لا يقال ذلك فى ماضيه وأما المضارع فيجوز ابدال الهاء فيه واوا لانضمام ماقبلها فتدبر (ولا يبارى بلاغة) أى لا يعارض فيؤتى بمثله وهو مجهول بضم المثناة التحتية والموحدة وراء مهملة بين ألف وياء لم يمكن معارضته لقربه من مرتبة الاعجاز ففى تعبيره بالموازاة فى الفصاحة وبالمباراة فى البلاغة حسن لا يخفى وجهه فلا يرد عليه أن الذى لا يعارض هو الكلام المعجز والاعجاز يختص بالقرآن كما توهم وفصاحة وبلاغة منصوبان على التمييز (كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم

 أى تتماثل وتتساوى (دماؤهم) أى فى العصمة والحرمة بخلاف مافى الجاهلية فكل مسلم شريفا أو وضيعا كبيرا أو صغيرا حرا أو عبدا فى ذلك سواء أو فى القصاص والدية فيقاد الشريف بالوضيع والكبير بالصغير والعالم بالجاهل والذكر بالانثى وكذا حكم الدية الا انه يخص منه العبد اذ لا يكافئ حرا فى بعض الصور على خلاف فى المسئلة (ويسعى بذمتهم) أى بعهدهم وأمانهم (أدناهم) أى عقلهم منزلة كعبد وامرأة فانه اذا أعطى أحدهم أمانا لاحد أو لجيش فليس لاحد منا اخفاره أى نقض أمانه لحديث البخارى ذمة المسلمين واحدة يسعى بها أدناهم فمن أخفر مسلما فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ولحديث الترمذى ان

بعضا أوهم مع كثرتهم قد جمعتهم اخوة الاسلام وجعلتهم فى وجوب الاتفاق بينهم تعاونا وتعاضدا على من أذاهم وعاداهم كيد واحدة فيجب أن ينصر كل أخاه على من أذاه فهو تشبيه بليغ (وقوله) أى وكقوله فيما رواه ابن لال فى مكارم الاخلاق (الناس) أى فى تساوى اجراء الاحكام عليهم (كأسنان المشط) بضم الميم وتكسر وقد تفتح وتضم أو تكسر وتفتح شينه وهو مثل فى التساوى وهو قريب من قوله تتكافأ دماؤهم وقيل فى تساوى الاخلاق والطباع وتقاربها ويؤيده ماجاء فى رواية أخرى الناس سواسية كأسنان المشط لا فضل لعربى على عجمى ولا فضل لعجمى على عربى وانما الفضل بالتقوى (والمرء) أى وكقوله فيما رواه الشيخان المرء (مع من أحب) أى فى كل موطن خيرا وفى المحشر أو فى الجنة فيه ايماء الى ان الله يتفضل على من أحب قوما بان يلحقه بهم فى منازلهم وان لم يكن

وهم يد على من سواهم) التكافؤ التماثل من الكفؤ بالهمزة وهو المثل أى هم متساوون فى القصاص والدية فشريفهم ومشروفهم وصغيرهم وكبيرهم وفقيرهم وغنيهم وأميرهم وسوقتهم سواء وهذا كقوله تعالى النفس بالنفس خلافا لما كان عليه الجاهلية من قتل الجمع الكثير بالواحد كما فى قصة كليب وغيرها فجاء الشرع بابطاله فلا يقتل الجمع بالواحد الا ان تواطؤا عليه وكان فعل كل واحد منهم يقتل لو انفرد و بهذا الحديث استدل على ان المسلم لا يقتل بالكافر لا بناء على العمل بمفهوم المخالفة بل لما ورد من التصريح به فى الاحاديث كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم لا يقتل مسلم بكافر ولا ذو عهد فى عهده والقائل بانه يقتل المسلم بالكافر الذمى قال المراد بالكافر هنا الحربى وفى وجه التخصيص كلام للفقهاء والاصوليين وقد أفرد هذا الحديث بجزء مستقل وهذا الحديث أخرجه أبو داود والنسائى عن على كرم الله وجهه وصححوه والى عدم قصاص المسلم بالكافر ذهب أبو حنيفة خلافا للشافعى وتساوى دمائهم كناية عن التساوى فى القصاص والدية كما مر وقوله ويسعى بذمتهم أدناهم المراد بالذمة العهد والامان فانه اذا أمن أحد من المسلمين واحدا من الكفار كان ذلك جاريا على جميع المسلمين لا يجوز نقضه لاحد منهم وأدناهم أقلهم مقدارا فيشمل كل وضيع بالنص وكل شريف بالفحوى فيدخل فيه الصبى والمرأة واختلف فى أمان العبد فقيل يقبل وقيل ان كان مقاتلا جاز والا فلا والصبى قيل ان أمانه يقبل وقيل ان كان مراهقا قبل والا فلا والمجنون لا يصح أمانه بلا خلاف ومنهم من استثنى الاجراء والاسراء فى دار الحرب ومعنى يسعى يباشر ويفعل وقوله وهم يد على من سواهم فى النهاية معناه انهم مجتمعون على أعدائهم يعاون بعضهم بعضا فلا يخذله فعل أيديهم كأنها يد واحدة فى الاتفاق ولذا لم يقل أيدى واليد يستعمل فى القهر والقوة والقدرة أى هم مستولون قاهرون لغيرهم من أهل الملل فهم فى الاتفاق باليد الواحدة فهو تشبيه بليغ أو استعارة وفى هذا الحديث يرد عليهم أقصاهم وتفسيره مذكور فى كتب الحديث (وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم الناس كأسنان المشط) مناسبته لما قبله ظاهرة والمشط بضم الميم وكسرها وفتحها وشينه مثلثة أيضا ويقال ممشط كمنبر وهو آلة معروفة يسرح بها الشعر وهذا مثل فى تساوى الاخلاق فهو قريب من قوله تتكافئ دماؤهم وهو مثل كذا فى الشروح وهذا الحديث أخرجه ابن لال عن سهل بن سعد فى مكارم الاخلاق واعترض على هذا التفسير وجعله نظير ما قبله بان تفاوت الناس فى الاخلاق مقرر فالظاهر أن المراد تساويهم فى الاحكام الشرعية والمراد بالناس المسلمون لان غيرهم لا يساويهم فى ذلك أو الجمع باعتبار أغلب الاحكام أو المراد تساويهم فى الانساب فانهم كلهم أولاد آدم كما قال الله تعالى يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى الى آخره فالمراد نفى ما كان عليه الجاهلية من التفاخر بالنسب فلا شرف الا بالعلم والتقوى كما ورد فى الحديث يا أيها الناس ان ربكم واحد وان أباكم واحد لا فضل لعربى على عجمى ولا لعجمى على عربى الا بالتقوى وفى معناه ما نسب لعلى كرم الله وجهه

الناس فى عالم التمثيل اكفاء * أبوهم آدم والام حواء
جسم كجسم وأعضاء مشاكلة * وأعظم خلقت فيها وأعضاء
وقدر كل امرئ ما كان يحسنه * والجاهلون لاهل العلم أعداء

والشعر بتمامه مشهور وليس المراد ان النسب لا يعتبر مطلقا (والمرء مع من أحب) رواه الشيخان عن أنس رضى الله عنه وغيرهما وهو حديث صحيح مروى من طرق منها ما أسند الى ابن مسعود رضى الله

له مثل أعمالهم وقيل شرطه اتباع عمل محبوبه والا فلا فائدة لهذه المحبة والاظهر انه شرط تعالى
للكمال وانه يكفى فى اثبات المحبة مجرد التوحيد وثبوت النبوة لما فى صحيح مسلم ان رجلا جاء الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال
يا رسول الله كيف ترى رجلا أحب قوما ولما يلحق بهم قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم المرء مع من أحب

تعالى عنه قال جاء رجل الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال يارسول الله كيف تقول في رجل أحب قوما ولم يلحق بهم فقال المرء مع من أحب فمن أحب الابرار فهو مع الابرار ومن أحب الفجار فهو مع الفجار وفي الحديث لايحب الرجل قوما الاحشر معهم وفيه يحشر المرء مع خليله فلينظر المرء مع من يخالل وروي من يخالل بالتشديد ومصداقه قوله تعالى (ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا) وأمثاله كثيرة لاتحصى والمرء بمعنى الرجل والمراد به هنا مطلق الانسان الشامل للرء والمرأة بطريق التغليب ويحتمل التخصيص لان المرأة تحشر مع زوجها ولو أحبت غيره الله تعالى والمراد المعية في الحشر ومنازل الآخرة فيرتقي من منزلته لمنزلتهم بسبب خلوص المحبة قال الغزالي رحمه الله تعالى وهذا المناسبة روحانية باطنية خفية وأسباب لايطلع عليها كما ورد في الحديث لو أن مؤمنا دخل مجلسا فيه مائة منافق ومؤمن واحد لجاء حتى يجلس اليه فالمعية لدنو وقرب ديني لافي مجرد الاكرام وضده فضلا من الله تعالى لايعلمه الاالله ولذا قال في آخر الآية السابقة (ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما) وان لم يعمل عمل من أحبه ولو كانت المعية في مطلق الاكرام لناله كل مؤمن صالح وان لم يحب * فان قلت من أخلص محبة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كيف يكون معه وقد خصه الله تعالى بدرجة رفيعة لايصل اليها أحد وهذا هو الداعي فمن جعل المعية في مجرد الاكرام يقطع النظر عن خصوص المرتبة * قلت هذا ارتضاه بعضهم وقد عرفت مافيه وقد ارتضى غيره خلافه وقال يدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم (أنا وكافل اليتيم كهاتين) ولايلزم مساواته من كل الوجوه وقد أطال في الشرح الجديد هنا بمالا يحصل له على عادته ويجوز أن يراد بكونه معه كونه في الجنة ولابن حجر رحمه الله

وقائل هل عمل صالح * أعددته ينفع عند الكرب
فقلت حسبي خدمة المصطفى * وحبه فالمرء مع من أحب

وقلت أنا

وحق المصطفى لي فيه حب * اذا مرض الرجا يكون طبا
ولاأرضى سوى الفردوس مأوى * اذا كان الفتى مع من أحبا

(ولاخير في صحبة من لايرى لك ماترى له) هو حديث رواه ابن عدي في الكامل بسند ضعيف كما قاله السيوطي في تخريجه وأوله كما قال التلمساني المرء على دين خليله ولاخير في صحبة من لايرى لك من الخير مثل ماترى له وروي من لايرى لك مثل مايرى لنفسه قال وروي يرى بالياء والتاء للبناء للفاعل والمفعول والصحبة بضم الصاد وسكون الحاء المهملتين والموحدة مصدر كالرفقة أي يكون عنده من الرغبة والمودة والنفع مثل ماعندك له كما قال ابن الاحنف

اذا كان لايدنيك الاشفاعة * فلاخير في ود يكون بشافع

(والناس معادن) رواه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه وتمامه الناس معادن كمعادن الذهب والفضة خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام اذا فقهوا والارواح جنود مجندة ماتعارف منها ائتلف وماتناكر منها اختلف والمعادن جمع معدن بكسر الدال وفتحها خطا منبت الذهب والفضة ونحوه من عدن بمعنى أقام لاقامة أهله فيه أولانباته فيه ويطلق على مكان كل شئ فيه أصله وعلى كل أصل وعلى بيوت العرب يعني صلى الله عليه وسلم بذلك ان بني آدم يختلفون باختلاف أصلهم فمن كان أصله شريفا أعقب مثله وسرى طيب عرقه لفرعه ومن كان دون ذلك كان عقبه مثله ومن كان خبيثا كان فرعه خبيثا ألاترى ان الشجرة الكريمة تنبت فرعا طيبا وثمرة جنية وضدها كذلك

يرى له بالياء والتاء للفاعل والمفعول على ماذكره التامساني والظاهر بناء الفاعل على الخطاب بل هو الصواب هذا وروي لاخير في صحبة من لايرى لك مثل مايرى لنفسه فيؤول معناه الى حديث لايؤمن أحدكم حتى يحب لاخيه مايحب لنفسه (والناس معادن) أي وكقوله على مارواه الشيخان الناس معادن أي لمكارم الاخلاق كمعادن الذهب والفضة خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام اذا فقهوا بضم القاف أي مارسوا الفقه وضموا الحسب الى النسب وجمعوا بين الشرع والطبع في الطلب وحكي بكسر القاف وهو متعين اذا كان الفقه بمعنى الفهم وحاصله ان الناس مختلفون بحسب الطباع كالمعادن وانهم من الارض كما أن المعادن منها وفيها الطيب والخبيث فان منها مايستعد للذهب الابريز ومنها مايستعد للفضة ومنها مايستعد لغير ذلك ومنها مايحصل منه بكد وتعب كثير شئ يسير

ومنها ماهو بعكس ذلك ومنها مالايحصل منه شئ أصلا وكذلك بنوا آدم منهم من لايعي ولايفقه ومنهم من يحصل له علم قليل بسعي طويل ومنهم من أمره عكس ذلك ومنهم من يفاض عليه من حيث لايحتسب كما هو معلوم في كثير من الاولياء والصالحين والعلماء

العاملين وروى معادن فى الخير والشر كالذهب والفضة (وما هلك امرؤ عرف قدره) رواه السمعانى فى تاريخه بسند فيه

مجهول ويقرب منه ماروى عن على رضى الله عنه ماضاع امرؤ عرف قدره لان الضائع بمنزلة الهالك (والمستشار مؤتمن) أى على ما استشير فيه استظهارا برأيه والحديث رواه الاربعة والحاكم والترمذى أيضا فى الشمائل فى قضية أبى الهيثم وفى بعض الروايات زيد فيه (وهو بالخيار مالم يتكلم) وفى رواية أحمد وهو بالخيار ان شاء تكلم وان شاء سكت فان تكلم فليجتهد رأيه قال الدلجى وهما شاهدا صدق بان الاشارة به بمجرد الاستشارة غير واجبة انتهى والاظهر ان المراد به انه ان لم يكن له رأى يسكت والا فيتكلم ويظهر رأيه لان الدين النصيحة وفى الاخفاء نوع من الخيانة المنافية للامانة وعن عائشة رضى الله تعالى عنها المستشير معان والمستشار مؤتمن وعن على كرم الله وجهه اذا استشير أحدكم فليشر بما هو صانع لنفسه (ورحم الله عبدا قال خيرا فغنم) أى بقوله الخير (وسكت) أى عما الاخير فيه (فسلم) أى عن الشر بسكوته رواه أبو الشيخ فى الثواب والديلمى ومنهم من فضل السكوت لانه أسلم للنفس وآمن من سوء العاقبة ومنهم من فضل الكلام لوجود الغنيمة والاولى أن يقال لكل مقام مقال على ان الاظهر هو الاول لقوله عليه الصلاة والسلام من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليسكت

أبو

فعروق الحنظل لاتنبت الا حنظلا ولو سقيت شهدا ومندت الذهب لايتكون فيه الحديد والنحاس لكن خيارهم حسبا لايصير خيارا فى الاسلام الا بالتقوى والعفة والعلم فاذا كان كذلك طاب أصلا وفرعا والا فلا ينفعه حسبه كأبى جهل لعنه الله واضرابه وههنا نكتة وهى انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال كمعادن الذهب والفضة ولم يذكر معادن غيرهما من الامور الخسيسة كالحديد والملح اشارة الى أن خلقة الانسان وجبلته خلقت على الكرم والشرف كما قال الله تعالى ولقد كرمنا بنى آدم وكقوله صلى الله تعالى عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة وقوله فقهوا بضم القاف من الفقه وبكسرها بمعنى الفهم ويجوز فى الاول الكسر أيضا والفقه حذق الرجل بما يعلمه وعلمه وفهمه ثم خص بعلم الشريعة مطلقا ولذا قال أبو حنيفة رحمه الله تعالى هو معرفة النفس مالها وما عليها وسمى كتابه فى العقائد الفقه الاكبر ونقل لعلم الفروع وتعريفه والكلام عليه مفصل فى كتب أصول الفقه وقوله الارواح جنود مجندة يعنى انها خلقت قبل الاجساد أقساما مجتمعة فمن وافقت روحه الروح التى هى من قسمه ألفها كما قال أبو نواس

ان النفوس لأرواح مجندة * لله فى الارض بالاهواء تأتلف
فما تعارف منها فهو مؤتلف * وما تناكر منها فهو مختلف

(و) من جوامع الكلم قوله صلى الله تعالى عليه وسلم (ماهلك امرؤ عرف قدره) قال السيوطى قال السمعانى رحمه الله تعالى انه حديث روى مسندا عن على كرم الله وجهه وفى سنده من لا يعرف حاله وقال التجانى لا أعرف له سندا صحيحا الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وانما هو من كلام أكثم بن صيفى فى وصيته فان ثبت عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فلعله تمثل به وأكثم هذا بالمثلثة من بلغاء العرب وعده بعضهم فى الصحابة والاكثر على خلافه وفى كتاب جوامع الكلم وبدائع الحكم هو من كلامه صلى الله تعالى عليه وسلم وذكره مسندا يعنى ان من عرف مقدار نفسه ونزلها منزلتها نجا فى الدنيا والآخرة من الهلاك ومن تعدى طوره فتكبر ورفع نفسه فوق حده هلك وهو ظاهر (والمستشار مؤتمن وهو بالخيار مالم يتكلم) المستشار اسم مفعول من المشاورة وسينه للطلب أى طلب رأى من يشاوره وسيأتى ان المشورة بفتح الميم وسكون الشين وان الافصح فتحها وضم الشين وكلاهما جائز بمعنى الشورى من شار العسل اذا اجتناه لانه باثراة الصواب كأنه أطعمه شهدا أو من شار الدابة اذا عرضها ومنه المشوار لمكان تعرض فيه الدواب والعامة تطلقه على جريها من اطلاق اسم الحال على المحل فاختر لنفسك ما يحلو فسميت بها لعرض أمره على من استشاره وانما كان المستشار مؤتمنا لانه أودعه سره وما خفى من أمره وجعله أمانة عنده فعليه أن يحفظه ولا يظهره وان ينصحه فيما استشاره فيه وقد أمر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بالمشاورة وناهيك بعلو مقامه ومعرفته بعواقب الامور حتى قيل انها كانت واجبة عليه فى الحروب تشريعا للامة وتطييبا لقلوب أصحابه كما قيل

شاور صديقك فى الخفى المشكل * واقبل نصيحة ناصح متفضل
فالله قد أوصى بذاك نبيه * فى قوله شاورهم وتوكل

وقوله وهو بالخيار الخ معناه انه مخير ان شاء أشار عليه بما شاوره فيه وان شاء سكت ولم يتكلم فاذا تكلم لزمه بيان رأيه ونصحه وذكر الصواب عنده وهذا الحديث أخرجه أحمد عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه ولفظه المستشار مؤتمن وهو بالخيار ان شاء تكلم وان شاء سكت فان تكلم فليجتهد رأيه أى فليجتهد فى رأيه ويفكر فى الصواب فيه وأخرج صدره فقط الاربعة من حديث أبى هريرة رضى الله عنه والحاكم من حديث ابن عمر رضى الله تعالى عنهما (و) من جوامع الكلم النبوية قوله صلى الله تعالى عليه وسلم (رحم الله عبدا قال خيرا فغنم أو سكت فسلم) هذا الحديث أخرجه

أبو الشيخ عن أبي أمامة رضي الله تعالى عنه والديلمي عن أنس رضي الله تعالى عنه لكنه رواه رحمه الله امر أبدل عبدا والعسكري أيضا رواه عبدا مرفوعا عن أنس أيضا وله شواهد وروايات تقويه وتصححه فرواه البيهقي في الشعب والخرائطي في الاخلاق أما كونه اذا قال خيرا كالذكر والعلم والعظة فانه يغنم الاجر والذكر الجميل وربما يحصل الغنم في الدنيا وقوله أو سكت أي عن خلاف الخير فيسلم من وباله وما يندم عليه كما لا يخفى (و) قوله (اسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين) من حديث رواه الشيخان في كتابه الذي كتبه صلى الله تعالى عليه وسلم لهرقل ملك الروم وروى اسلم تسلم واسلم يؤتك الله الى آخره وهو ظاهر وعلى الاول فالثاني بدل مما قبله أو جواب بعد جواب أو مجزوم بجازم مقدر وفيه من البديع التجنيس والانسجام والايجاز ومعناه تسلم من عذاب الدارين ومن ذل الجزية ويؤتك الله أجرين أجرا باتباعك عيسى عليه الصلاة والسلام وايمانك به وأجرا أعظم منه بالاسلام واتباع خير النبيين عليه أفضل الصلاة والسلام ومرتين منصوب على الظرفية وهذا كما ورد في حديث آخر ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين فذكر منهم رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وأدرك النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فآمن به الى آخره بخلاف المشركين وكتابه صلى الله تعالى عليه وسلم لهرقل كان في سنة ست حين مادر يشا وقيل في سنة خمس وصورته بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى أما بعد فاني أدعوك بدعاية الاسلام اسلم تسلم واسلم يؤتك الله أجرك مرتين الى آخره وهو مذكور في الصحيحين مشروح في شروحهما والدعاية بكسر الدال مصدر بمعنى الدعوة وكتب الى المقوقس فيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبد الله رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى المقوقس وقال فيهما عظيم الروم وعظيم القبط ولم يقل ملك الروم ولا ملك القبط لانه لا يستحق ذلك العنوان الا من كان مسلما ومع ذلك فلم يخل بتعظيمهما تليينا القلوبهما في أول الدعوة الى الحق وهرقل بكسر الهاء وفتح الراء المهملة وسكون القاف كما قال جرير

وأرض هرقل قد قهرت وذاهرا * ويسعى لكم من آل كسرى النواصب

وقيل انه بسكون الراء وكسر القاف ولعلها لغة فيه لتلاعبهم بالاعجمي وهو علم ممنوع من الصرف ولقبه قيصر ويلقب به كل من ملك الروم كما مر ولم يقل ويؤتك بالعطف لتكرار أسلم لفظا أو تقديرا في حقه صلى الله تعالى عليه وسلم على الاسلام ومناسبة لكون أجره مرتين وليكون له أجرين أيضا أو الامر الاول للدخول في الاسلام والثاني للدوام عليه ووصل له الكتاب مع دحية رضي الله عنه وهو بحمص في المحرم سنة سبع فلما قرأه كتب الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اني مسلم ولكني مغلوب فقال صلى الله تعالى عليه وسلم كذب عدو الله انه على نصرانيته وقيل انه آمن قال ابن عبد البر كيف هذا وقد قاتل الصحابة رضي الله تعالى عنهم بتبوك وواعد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان يأتيه في العام المقبل فنزل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لاجله الى تبوك فلم يجئ ثم أخذت البلاد منه فمكث بالقسطنطينية الى ان هلك على نصرانيته سنة عشرين ولذا لم يلقبه الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم بالملك مع انه اعترف انه مغلوب والمتغلب المغلوب معزول عند أبي حنيفة رحمه الله تعالى ففي هذا اخبار بالغيب * فان قلت قوله تعالى أولئك يؤتون أجرهم مرتين نزلت في أهل الكتابين التوراة والانجيل وهو في النصارى صحيح وأما في اليهود فلا اذ لا يؤجرون على دينهم بعد نسخه بشريعة عيسى صلى الله عليه وسلم * قلت قد ثبت انها نزلت في عبد الله بن سلام رضي الله تعالى عنه واضرابه ممن أسلم من اليهود واستمر قبل ذلك على دين اليهود ولم يتبع عيسى عليه الصلاة والسلام فقيل انهم لايمانهم بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم ودينه يؤجرون عليه وان كان دينهم منسوخا وأما القول بانهم لم تبلغهم دعوة عيسى عليه

(أسلم) بحذف العاطف وفي نسخة صحيحة وقوله اسلم وهو أمر بالاسلام جوابه (تسلم) بفتح اللام من السلامة وهذا القدر من الحديث متفق عليه بين الشيخين في كتابه عليه الصلاة والسلام لهرقل ولمسلم زيادة (واسلم يؤتك الله أجرك مرتين) وللبخاري في الجهاد اسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين أي ان تسلم يعطك الله أجرك مرتين مرة لايمانه بعيسى عليه الصلاة والسلام ومرة لايمانه بمحمد عليه الصلاة والسلام وهذا الحديث مع ايجازه جامع لمراتب الاسلام وما يترتب عليه من أنواع السلامة في الدنيا والآخرة مع المناسبة اللفظية في العبارة الزاهرة

(وان أحبكم) أي وقوله فيما رواه الترمذي ان أحبكم (الى) أي في الدنيا والعقبى (وأقربكم من مجالس) العل

وجه الجمع اعتبار الانواع (يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا) جمع أحسن والمراد بالاخلاق الشمائل والاحوال واستدل بهذا الحديث على ان أفعل التفضيل اذا أضيف الى معرفة جاز ان يطابق موصوفه وان لا يطابقه لانه عليه الصلاة والسلام أفرد أحب وأقرب وجمع أحاسن ففيه جمع بين اللغتين وتفنن في العبارتين (الموطئون) بصيغة المفعول من التوطئة أي المذللون (أكنافا) جمع كنف بكسر وبفتح وهو الجانب أي الذين جوانبهم وطيئة يتمكن منها من يصاحبهم ولا يتأذى منهم ماخوذ من فراش وطيئ لا يؤذي جنب النائم والمراد منهم المتواضعون اللينون الهينون كما ورد في أوصاف المؤمنين (الذي يألفون) بفتح اللام (ويؤلفون) بصيغة المجهول أي يألفون الناس والناس يألفونهم وذلك لحسن أخلاقهم وسهولة طباعهم وضياء قلوبهم وصفاء صدورهم وروى في الحديث وان أبغضكم الي وأبعدكم مني مجالس يوم القيامة الثرثارون المتشدقون المتفيهقون وروى أبغضكم الي المشاؤن بالنميمة المفرقون للاحبة الملتمسون للبراء العيب

(وقوله)

الصلاة والسلام فبعيد ولانهم ماولين بانه مبعوث لبني اسرائيل خاصة وهم من العرب لاسيما وهم ينكرون النسخ وأما القول بانها نزلت في كعب الاحبار فغير صحيح لانه ليس له صحبة ولم يسلم في زمن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الا ان يؤول بانها نزلت في أمثاله ممن آمن من أهل الكتاب وهو بعيد وقال الكرماني رحمه الله تعالى ان هذا مخصوص بمن آمن به صلى الله تعالى عليه وسلم في عصره لان من بعده ينسخ دينه وبلغته دعوة الاسلام وصحح غيره انه عام لكل من أسلم من أهل الكتاب لما مر وبه أفتى الامام البلقيني فلا اشكال (وان أحبكم الي وأقربكم مني مجالس يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا الموطئون أكنافا الذين يألفون ويؤلفون) هذا أيضا من جوامع كلمه صلى الله تعالى عليه وسلم وبدائع حكمه وهذا الحديث رواه الترمذي عن ابن مسعود وجابر رضي الله تعالى عنهما ورواه الطبراني وزاد فيه وان أبغضكم الي وأبعدكم مني مجلسا يوم القيامة الثرثارون المتفيهقون المتشدقون وزاد غيره المشاؤن بالنميمة المفرقون بين الاحبة الملتمسون للبراء العيب واقتصر المصنف رحمه الله تعالى على بعضه وفيه روايات مختلفة بالزيادة والنقص وأحب أفعل تفضيل من المبني للمجهول وفعله ثلاثي لانه يقال حبه بمعنى أحبه فهو محبوب وان كان قليلا وصوغه من المجهول مقصور على السماع في الاصح ومجالس جمع مجلس وهو محل الجلوس منصوب على انه تمييز والتمييز يجوز افراده وجمعه كما بينه النحاة ونسبة القرب له كناية عن رضاه عنهم وشفاعته صلى الله تعالى عليه وسلم لهم في الموقف وأحاسن جمع أحسن أفعل تفضيل وجمع لمطابقة ماهو له وهو المضاف اليه واستدل النحويون بهذا الحديث على ان أفعل التفضيل اذا أضيف لمعرفة يجوز ان يطابق موصوفه وان لا يطابقه لافراده أحب وأقرب وجمع أحاسن بخلاف ما اذا أضيف لنكرة فانه يلزمه الافراد والتذكير ولا حاجة الى القول بانه انسلخ عن معنى التفضيل وصار بمعنى حسن وان ورد كثيرا في كلامهم كما قاله ابن مالك رحمه الله تعالى بناء على ان الاحبية وكثرة الثواب بحسن الخلق في الجملة والاخلاق جمع خلق وقد تقدم بيانه والموطئون بضم الميم وفتح الواو والطاء المهملة المشددة وبعدها همزة مضمومة جمع موطا اسم مفعول وقال البرهان الحلبي انه في الاصل الذي وقف عليه بفتح الطاء من غير تشديد وهو من فيه لين ورفق وسهولة من التوطئة وهي التمهيد والتذليل يقال دابة وطئة أي لا تحرك راكبها وفراش وطئ لا يؤذي جنب النائم عليه وهو في الاصل على طريق التمثيل والاستعارة كأنه يمكن غيره من وطئه باقدامه فاريد به مامر والاكناف جمع كنف بزنة جمل وهو الناحية والجانب أي من يلين جانبه لغيره والمراد من يلتجأ اليه ويعتمد عليه والاول أنسب بما بعده من قوله الذين يألفون ويؤلفون أي الذين يألفهم الناس ويألفونهم من الالفة بالضم وهي الاجتماع مع حسن المعاملة والعشرة والثرثار الكثير الكلام فيما لا يعني مستعار من عين ثرثارة اذا كانت كثيرة الماء وكذا المتفيهق وهو مفيعل من الفيهقة من فهق الغدير يفهق بفتح الهاء فيهما اذا كثر ماؤه والمتشدقون الذين يتكلفون في كلامهم بفتح أشداقهم كما قيل

تشادق حتى مال بالقول شدق * وكل خطيب لا أبالك أشدق

وورد في هذا الحديث أن الصحابة رضي الله تعالى عنهم قالوا يا رسول الله قد علمنا الثرثارون والمتشدقون فما المتفيهقون قال المتكبرون وهو غريب مخالف لما تقدم لان المعجب بنفسه وكلامه تدعوه حاله الى التكبر وفي التقريب الفهق الاتساع وكل شئ توسع فقد تفهق وأنشد المبرد

تفهق بالعراق أبو المثنى * وعلم قومه أكل الخبيص

وفهق الغدير يفهق فهقا وفهق الرجل بالكلام امتلأ انتهى ثم عقبه بما يناسبه من جوامع الكلم فقال

(وقوله) أي وكقوله فيما رواه البيهقي في شعبه أصيب رجل يوم احد فقالت أمه لتهنئك الشهادة فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومايدريك (لعله كان يتكلم بما لا يعنيه) بفتح أوله وسكون المهملة وكسر النون أي بما لا يهمه من أمر دنياه وعقباه

(وقوله) صلى الله تعالى عليه وسلم (لعله كان يتكلم بما لا يعنيه ويبخل بما لا يغنيه) هذا حديث صحيح روي من طرق بعضها موافق لكلام المصنف رحمه الله تعالى وفي بعضها ما لا ينقص وفي بعضها ما لا يضره وضميره راجع للرجل المذكور في أول الحديث الذي رواه البيهقي عن أنس رضي الله تعالى عنه في الشعب ان رجلا من الصحابة استشهد باحد فقالت له أمه يا بني ليهنئك الشهادة فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لها وما يدريك لعله الخ وأخرج الترمذي من حديث حفص بن غياث عن الاعمش عن أنس رضي الله تعالى عنه قال توفي رجل من الصحابة فقالوا له ابشر بالجنة فقال صلى الله تعالى عليه وسلم أو لا تدرون فلعله قد تكلم بما لا يعنيه أو بخل بما لا ينقصه وأخرجه البيهقي من هذا الوجه أيضا وقال هذا هو المحفوظ قاله خاتمة الحفاظ الجلال السيوطي رحمه الله تعالى ومعناه انه لا يهنى و يبشر بالجنة الا من لم يصدر عنه مثل هذا فلعله يعاقب عليه و يعنيه بفتح المثناة التحتية وسكون العين المهملة والنون بمعنى يهمه و ينفعه من عناه يعنيه ومنه الحديث من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه وفيه نهي عن التكلم بما لا يلزم ولو مباحا لما فيه من تضييع الاوقات ومن ترك الاهم كذكر الله تعالى عز وجل وتلاوة القرآن واذا نهي عن هذا فما بالك بالتكلم بكل قبيح كالغيبة والنميمة وقوله و يبخل بما لا يغنيه بضم المثناة التحتية وسكون الغين المعجمة و بين يعنيه و يغنيه تجنيس والبخل ترك البذل ومنع العطاء اللازم كالزكاة والنفقة على من تلزمه نفقته أو المستحسن مروءة كالتصدق على الفقراء وتفريج ضيق الاخوان واطعام الطعام وتخصيصه بالاول غير ظاهر وكان الظاهر ان يقال بما لا يحتاج اليه كما في الرواية الاخرى لا يضره ولا ينقصه فعدل عنه لانه أبلغ فهو كناية عما ذكر لانه يعلم منه بالطريق الاولى أو المراد ما لا غناء له عنه والبخل صفة ذميمة لا تعقب الا الخسارة كما ورد عنه صلى الله تعالى عليه وسلم بشر مال البخيل بحادث أو وارث وقال الشاعر كما مر

يغني البخيل بجمع المال مدته * وللحوادث والوراث ما يدع
كدودة القز ما تبنيه يهلكها * وغيرها بالذي تبنيه ينتفع

(وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم ذو الوجهين لا يكون عند الله وجيها) هذا حديث رواه أبو داود عن عمار بلفظ ذو الوجهين وذو اللسانين في النار فيقال له ذو الوجهين وذو اللسانين ويقال له ذو الاوجه كما قال

وكم من فتى يعجب الناظرين * له ألسن وله أوجه

واذا كان ذو الوجهين كذا فذو الاوجه معلوم بطريق الاولى و بين الوجه والوجيه جناس اشتقاق كقوله تعالى فاقم وجهك للدين القيم وفيه لطافة لما فيه من جعل كونه حالين متخالفين وكلامين غير متوافقين عند رجلين على وجه الافساد اذا كانا متحابين أو على وجه الاضرار اذا كانا متعاديين بمنزلة من له وجهان يأتي هذا بوجه وهذا بآخر كما قالوا اخرج بوجه وأتي بوجه غيره والوجيه الذي له قدر ومنزلة والمراد بكونه لا منزلة له عند الله تعالى انه لا يرضاه ولا يحبه لقباحة فعله اما لو فعل ذلك لاصلاح ذات البين وازالة ضغائن القلوب ونحو ذلك فهو أمر حسن ليس داخلا فيما مر وقال التجاني ذو الوجهين هو الذي يأتي كل قوم بما يرضيهم خيرا كان أو شرا فيظهر لاهل المنكر انه راض عنهم فيستقبلهم ببشر منه وترحيب و يظهر لاهل الحق انه عنهم راض فيريد ارضاء كل فريق منهم و يظهر انه معهم وان كان ليس كذلك باطنا وروى أبو هريرة رضي الله تعالى عنه عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ان من شر الناس ذا الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه خرجه مسلم وعن أنس رضي الله عنه عنه صلى الله تعالى

(ويبخل) لعل الواو بمعنى أو (بما لا يغنيه) بضم أوله وسكون المعجمة أي من أقوال وأفعال وطلب رئاسة وحب محمدة وأمثال ذلك مما يجلب له شرا ولا يذهب عنه ضرا وقد قال الحسن من علامة اعراض الله عن العبد ان يجعل شغله فيما لا يعنيه وفي رواية للبيهقي كما رواه الترمذي ان رجلا توفي وقالوا ابشر بالجنة فقال فلعله قد تكلم بما لا يعنيه أو بخل بما لا ينقصه قال الترمذي وهذا هو المحفوظ أقول لكن لا يخفى حسن صنعة التجنيس بين يعنيه و يغنيه في الحديث الاول (وقوله) أي وكقوله فيما رواه الشيخان (ذو الوجهين) أي الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه بمعنى انه يأتي كلا بما يحب من خير أو شر وهذه هي المداهنة المحرمة وقيل هو الذي يظهر لكل طائفة وجها يرضيها به ويوهمها انه عدو للاخرى و يبدي لها مساويها (لا يكون عند الله وجيها) أي ذا قدر ومنزلا لما يتفرع عليه من الفساد بين العباد بخلاف المصلح بين الناس في البلاد وأصل الوجيه هو المستقبل بالخير والتعظيم وذلك كناية عن المحبة لان من أحب أحدا يديم النظر الى وجهه و يستقبله بالتكريم وفي رواية الطبراني عن أبي سعيد ذو الوجهين في الدنيا يأتي يوم القيامة له وجهان من نار

(ونهيه) أي وكنهيه فيما رواه الشيخان (عن قيل وقال) بفتح لاميهما وخفضهما منونا أي عن فضول ما يتحدث به في المجالس من قولهم قيل كذا وقال كذا ويجوز بناؤهما على انهما ماضيان في كل منهما ضمير راجع الى مقدر وهو الاشهر الاكثر بناء على الحكاية ويجوز اعرابهما اجراء لهما مجرى الاسماء ولا ضمير فيهما وعن أبي عبيد انهما مصدران تقول قلت قولا وقيلا وقالا وقد قرئ قال الحق بدل قول الحق والمراد النهي عن نقل أقوال الناس مما لا فائدة فيه وقيل المراد النهي عن كثرة الكلام ابتداء وجوابا لما يوقع في الخطأ ومالا يجدي نفعا فيرجع الى حديث ٤١٦ كفى بالمرء اثما أن يحدث بكل ما سمع ونسب للشافعي شعر

لقاء الناس ليس يفيد شيئا * سوى الهذيان من قيل وقال
فاقلل من لقاء الناس الا * لاخذ العلم أو اصلاح حال

(وكثرة السؤال) أي عما بايدي الناس بان يسال الناس أموالهم أو عن اخبارهم مما لا فائدة فيه من التجسس وقيل النهي عن الاغلوطات وفي كثرة السؤال دليل جواز القلة وشرطه الحاجة ولله در القائل

بلوت مرارة الاشياء طعما * فلا شئ أمر من السؤال

وقيل السؤال عن المتشابهات وقيل كثرة سؤال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مالم ينزل ولم تدع الحاجة اليه ومنه قوله تعالى لا تسالوا عن أشياء ان تبدلكم تسؤكم ومنه حديث وسكت عن أشياء غير نسيان فلا تبحثوا عنها والكثرة بالفتح وتكسر (واضاعة المال) أي بصرفه في غير مرضاة الله عز وجل ويدخل فيه الاسراف في النفقة والبناء والملبوس والمفروش وامثال ذلك وقيل اهماله وترك القيام عليه وقيل دفعه الى السفهاء وقيل عدم صرفه في ضد موضعه اللائق به كما قيل وماضاع مال أورث المجد أهله * ولكن أموال البخيل تضيع (ومنع) بالجر منونا وفي نسخة بفتح العين (وهات) بالكسر وفي نسخة بالفتح ويروى على بناء الماضي أي منع ما يجب عليه اعطاؤه وطلب ماليس له (وعقوق الامهات) أي والآباء فهو من باب الاكتفاء أو لان أكثر العقوق يقع بهن لضعفهن ورحمهن ولانهن ما كان عند العرب كثير حرمة لهن أو للايماء بان عصيانهن أقبح لانهن أكثر محبة وأشد شفقة لقوله تعالى ووصينا الانسان بوالديه حسنا حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين الآية ولما ورد من قوله صلى الله تعالى عليه وسلم لما قيل له من أحق الناس بحسن صحابتي يا رسول الله قال أمك ثم أمك ثم أباك

عليه وسلم انه قال من كان ذا لسانين في الدنيا جعل الله له لسانين من نار يوم القيامة (ونهيه عن قيل وقال) هذا حديث صحيح رواه الشيخان عن مغيرة بن سهم وفيه ثلاثة أوجه فقيل القيل والقال مصدران بمعنى القول وقيل فعلان أحدهما مبني للمجهول والثاني غير مجهول وجوز فيه ان يحكى مبنيا على الفتح وان يعرب اعراب الاسماء ويشون ومنه تعلم ان نقل الجمل يجري في غير الاعلام كما صرح به المرزوقي وذكر له نظائر هذا ما يتعلق بلفظه واما معناه فالنهي عن كثرة الكلام لما يؤول اليه من الخطا وكونهما بمعنى لا وجه له فقيل انه اشارة الى حكاية كلام الناس فالاول حكاية عن غير معين والثاني عن معين وقيل الاول عبارة عن السؤال والثاني عن الجواب فالمعنى انه نهي عن كثرة البحث والجدال في الدين وغيره مما لا يلزم وقيل انه نهي وزجر عن كثرة الكلام مبتدئا ومجيبا (وكثرة السؤال) أي سؤال الناس ما بايديهم استعطاء وهو للقادر على الكسب من غير ضرورة حرام وهو الذي ارتضاه علماؤنا وقيل مكروه أو السؤال عن اخبار الناس وأحوالهم قيل وهذا يغني عنه قوله عن قيل وقال أو السؤال عن المشتبهات والبحث عنها والتكلف في تخريجها وتوجيهها وقد ورد النهي عن ذلك أو المراد نهيهم عن سؤال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن أمور لا يؤذن في السؤال عنها كما قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبدلكم تسؤكم ويرد عليه انه لو أريد هذا قال وعن السؤال من غير ذكر الكثرة وأجيب بان كثرته بضمه لما أذن في السؤال عنه وهذا يتضمن النهي عن أحدهما لان النهي عن مجموع أمرين أحدهما هو المنهي عنه في نفس الامر نظرا الى هيئتهما المجموعة يتضمن النهي عن خصوص ذلك المنهي عنه ولا يخفى ما فيه من التكلف لادعاء أمر لا يدل عليه اللفظ (واضاعة المال) باي طريق كان سواء كان ماله أو مال غيره كالانفاق في الحرام واهمال ماله وعدم تنميته حتى يهلك ودفع مال السفيه له والاسراف فيما لا فائدة فيه كل ذلك منهي عنه وعدم اضاعته حبسه وعدم صرفه فيما يليق كما قيل

وماضاع مال أورث المجد أهله * ولكن أموال البخيل تضيع

ومن هان عليه المال توجهت اليه الآمال ومن بسط راحته آنس ساحته وكما قلت

وتكرم نفس المرء ان هان ماله * وكل كريم النفس فهو كريم

وقيل تصدق المحتاج والمديون حرام وكذا تصدقه بجميع ماله وقال السبكي رحمه الله في فتاواه الضابط في اضاعة المال ان لا يكون لغرض ديني أو دنيوي فاذا انتفيا كان اضاعة ومحل حرمة ما مر اذا لم يصبر ويتوكل على الله حق التوكل لقوله تعالى ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة (ومنع وهات) منع منون مجرور وجوز فيه ان يكون فعلا ماضيا وهو بعيد والمراد منع بذل ما يجب أو يستحسن أو مطلق الامساك وهات بكسر المثناة الفوقية أي طلب ما عند غيره وسؤاله وهو فعل أمر اصله آت فقلبت همزته هاء وهو مذهب الخليل رحمه الله تعالى وعليه أكثر النحاة (وعقوق الامهات) العقوق مخالفة الوالدين وايذاؤهم

(و وأد البنات) بهمزة ساكنة وتبدل أي دفنهن حيات أنفة وغيرة ومنهم من وأد تخفيفا لمؤنتهن وخشية الاملاق بهن ولذا خصتهن بالذكر والافالوأد حرام وكثر ذلك الفعل بهن ومنه حديث العزل الوأد الخفي ومع هذا جاء في الحديث ان دفن البنات من المكرمات ونعم الصهر القبر وروى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما مرفوعا للمرأة ستران قيل وماهما قال الزوج والقبر قيل فايهما أستر قال القبر (وقوله) أي وكقوله فيما رواه أحمد والترمذي والحاكم والبيهقي عن أبي ذر (اتق الله حيث كنت) وفي الوصول من كتب الحديث حيثما كنت وكذا في أصل الدلجي ولذا قال وما زائدة بشهادة رواية حذفها والمعنى اتق الله باكتساب أوامره واجتناب زواجره في كل مكان وزمان فانه معك أينما كنت وحيثما كنت والخطاب لراويه من صحابته أو عام لكل فرد من افراد أمته (وأتبع) بفتح الهمزة وكسر الموحدة أي أعقب والحق (السيئة) أي الصادرة منك (الحسنة) أي من صلاة أو صدقة ونحوهما وروى بحسنة (تمحها) بفتح أوله وضم الحاء مجزوما بجواب الامر وهو مقتبس من قوله تعالى ان الحسنات يذهبن السيئات وقيل المعنى بالحسنة في الحديث التوبة ثم المراد بمحوها ازالتها حقيقة بعد كتابتها أو محوها كناية عن عدم المؤاخذة بها والظاهر ان جنس الحسنة يمحو جنس السيئة فلا ينافي ماورد من ان الحسنة تمحو عشر سيئات وخص من عمومها السيئة المتعلقة بالعبد كالغيبة فلا يمحوها الا الاستحلال ولو بعد التوبة نعم قبل وصولها اليه ترتفع بالحسنة لحديث اذا اغتاب أحدكم من خلفه فليستغفر له فان ذلك كفارة له وقيل تمحها بحسنة يضاد اثرها اثر السيئة التي ارتكبها فسماع الملاهي يكفر بسماع القرآن ومجالس الذكر وشرب الخمر يكفر بتصدق شراب حلال ونحو ذلك فان المعالجة بالاضداد

ضد البر من العق وهو القطع والامهات جمع أمهة وهي الام وأصل الام أمهة لجمعه على أمهات وتصغيره على أميهة وقد جاء أصله من المضاعف لقولهم امات وأميمة وقال بعضهم أكثر ما يقال امات في البهائم ونحوها مما لا يعقل وأمهات في الانسان وخص الامهات مع ان عقوق الوالدين من الكبائر لانهن أكثر حقا وشفقة على الولد ولذا لما سئل سائل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من أحق الناس بحسن صحابتي قال أمك قال ثم من قال أمك قال ثم من قال أمك ثلاثا قال ثم من قال أبوك وهو حديث صحيح وأيضا لم يكن للنساء تلك الحرمة خصهن ليحثهم على برهن وينبه على ما يجب لهن قيل ومنه يؤخذ انه اذا أعطى والديه شيئا يزيد عطية الام على الاب وأكثر العقوق يكون لهن وقال حكمة الثلاث في الحديث مشقة الحمل والوضع والرضاع وذهب الجمهور الى انها تفضل على الاب في البر ونقل عن مالك و بعض الشافعية التسوية بينهما والاول أصح (ووأد البنات) الوأد بفتح الواو وسكون الهمزة والدال المهملة وأصله الصوت الشديد وهو دفن البنات في حياتهن اما أنفة وغيرة من النكاح أو خوفا من الفقر والمدفونة حية حالة الدفن تصيح غالبا وما في الشرح الجديد من انها سميت بذلك لما يطرح عليها من التراب فيؤدها أي يثقلها ومنه ولا يؤده حفظهما غلط فاحش لاختلاف مادتيهما فان مادة الاول وأد والثاني أود واختلاف معنييهما كما بينه أهل اللغة وادعاء القلب لا حاجة اليه وكان هذا في الجاهلية وأول من فعله قيس بن عاصم التميمي فتبعه العرب على ذلك وكان بعضهم يقتل أولاده مطلقا وكان مصعب بن ناجية جد الفرزدق منع الوأد في الجاهلية كما قال

وجدى الذى منع الوآدات * وأحيى الوئيد فلم يوئد

وخص البنات لانه الغالب وكانوا على فريقين فمنهم من يحفر حفيرة تلد المرأة عندها فان وضعت ذكرا أبقته وان وضعت انثى ألقتها في الحفيرة وردم عليها التراب فان لم يفعل ذلك وصارت سداسية ذهب بها أبوها البئر ورماها فيها بعد ما طيبتها أمها وزينتها وفي الجاهلية من نهى عن ذلك كزيد بن عمرو بن نفيل فلما جاء الشرع أبطل ذلك وقد جعلوا العزل وأدا خفيا وهي الموؤدة الصغرى ووجهه ظاهر وهو حرام أو مكروه وفيه تفصيل ذكره الفقهاء ثم نهيه صلى الله تعالى عليه وسلم عن الثلاثة الاول من هذه الامور الستة نهي كراهة وعن البقية نهي تحريم لكن ليس بصيغة النهي بل بمقتضى الحديث الآخر الصحيح وهو انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان الله حرم عليكم عقوق الامهات الى آخره وبقي كلام زائد على مقتضى المقام (وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم اتق الله حيث كنت) وفي نسخة الدلجي حيث ما كنت وهذا الحديث رواه أحمد والترمذي والحاكم عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه ولا فرق بين الروايتين معنى لان ما زائدة والتقوى حفظ النفس عن ارتكاب المعاصي ولها مراتب فصلها القاضي في أول سورة البقرة وحيث ظرف مكان يضاف للجمل والمراد بها هنا التعميم أي في أي مكان وأي حال وقيل انها هنا ظرف زمان بناء على مجيئها للزمان لان التقوى في جميع الازمنة أعم منها في جميع الامكنة وقيل ان الرواية حيث ما كنت وقال غيره انه روى بحذفها أيضا والامر لراويه أو لكل من يقف عليه ليعم كل مأمور وباعتباره أفرد الضمير كما في قوله تعالى ولو ترى اذ وقفوا على النار ولنا فيه كلام ليس هذا محله (وأتبع السيئة الحسنة تمحها) هذا وما قبله وما بعده حديث واحد رواه الترمذي وقال انه حديث

(وخالق الناس) أي خالطهم وعاشرهم (بخلق حسن) أي بطلاقة وجه وكف أذى وبما يحب ان يعامل به فان الموافقة مؤنسة والمخالفة موحشة (وخير الامور ٤١٨ أوساطها) هذا حديث مستقل رواه ابن السمعاني في تاريخه أي المتوسطة بين الافراط والتفريط في الاخلاق كالكرم بين التبذير والبخل والشجاعة بين التهور والجبن وفي الاحوال كالاعتدال بين الخوف والرجاء والقبض والبسط وفي الاعتقاد بين التشبيه والتعطيل وبين القدر والجبر وفي المثل الجاهل اما مفرط واما مفرط وفي التنزيل ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا والحاصل ان الانسان مأمور أن يجتنب كل وصف مذموم بالبعد عنه وأبعد الجهات والمقادير من كل طرفين وسطهما فاذا كان في الوسط فقد بعد عن الاطراف المذمومة ولعل هذا معنى قولهم كن وسطا وامش جانبا (وقوله) أي وكقوله عليه الصلاة والسلام فيما رواه الترمذي والبيهقي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه (أحبب) من أحبه فان حبيته احبه بالكسر شاذ وقوله (حبيبك) بمعنى محبوبك والمعنى أحبب الذي تحبه مما سوى الله ورسوله (هونا ما) ما زائدة للمبالغة في القلة أي حبا يسيرا ولا تسرف في حبه ولا تبالغ في تعلق القلب به كثيرا فانه

حسن صحيح والمراد باتباعها اياها فعلها بعدها وجعلها تابعة لها أي واقعة بعدها بحيث تقرب منها وفي معنى الحديث قوله تعالى ان الحسنات يذهبن السيئات ومحوها واذهابها بمعنى تكفيرها وعدم مؤاخذة الله بها فكأنها لم تكن والمراد بالسيئة الصغيرة لقوله في الحديث الصلاة الى الصلاة كفارة لما عدا الكبائر وقالت المرجئة انه شامل للكبائر والصغائر وقال بعض المعتزلة المراد ان الحسنة تكون سببا لترك الذنب ولا تكفر شيئا أصلا ويحتمل ان المراد بالمحو حقيقته والمعنى انها تمحى من كتاب أعماله وتمحها مجزوم في جواب الامر ولا بعد ان هذا مقيد بغير حقوق العباد اما هي كالغيبة فانه لا يمحوها الا الاستحلال اذا بلغت من قيلت فيه بعد بيان جهة الظلامة ان أمكن والا فقالوا ينبغي ان يكثر من الاستغفار والدعاء له ويكثر من فعل الحسنات لحديث اذا اغتاب أحدكم أخاه من خلفه فليستغفر له فان ذلك كفارة ولهذا زيادة بيان وتفصيل في كتاب المكفرات للسيد السمهودي رحمه الله تعالى وقوله (وخالق الناس بخلق حسن) قد علمت انه من تتمة ما قبله وخالق أمر من خالقه يخالقه بمعنى عاشرهم وخالطهم وعاملهم بما تحب ان يعاملوك به فليس المقصود المفاعلة بل هو لاصل الفعل أو هو على أصله بجعل المطلوب منهم بمنزلة الواقع والخلق بضمتين وضم فسكون السجية والطبيعة التي طبعوا عليها وفيه اشارة الى انه يمكن اكتسابه والا لم يكن للامر به فائدة كما ورد يا معاذ حسن خلقك مع الناس أي عاملهم بطلاقة وجبر الخواطر وكف الاذى فان ذلك مؤدي لاجتماع القلوب وانتظام الاحوال وهو جماع الخير وملاك الامر كما قلت

ان رمت ان تحظى بعز وهنا * فاجتنب الناس وكن عنهم غني
وان تخالطهم فكن ذا عفة * وخالق الناس بخلق حسن

(وخير الامور أوسطها) لما كانت الملكات المحمودة لها طرفا افراط وتفريط مذمومان والمحمود ما بينهما وهو الوسط كالكرم بين التبذير والبخل والشجاعة بين التهور والجبن جعل الوسط منها مطلوبا على ما بين في علم الاخلاق وبه ورد التصريح في الحديث الذي رواه العسكري عن الاوزاعي بسنده وهو ما من أمر أمر الله تعالى به الا عارض الشيطان فيه بخصلتين أيهما فعل أصاب الغلو والتقصير وروى أبو يعلى بسنده عن وهب بن منبه ان لكل شيء طرفين ووسطا فاذا أمسك باحد الطرفين مال الآخر واذا أمسك بالوسط اعتدل الطرفان فعليكم بالاوساط من الاشياء ويشهد له قوله تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطا أي بين غلو النصارى وتفريط اليهود وقال الشاعر

عليك باوساط الامور فانها * نجاة ولا تركب ذلولا ولا صعبا

وقال الحريري حب التناهي غلط * خير الامور الوسط

وقال خير الامور عندنا الاوساط * ويكره التفريط والافراط

وليس الوسط بمعنى الخير والحسن مطلقا بل في أمور مخصوصة اقتضى توسطها خيريتها ألا ترى الى قولهم أخو الدون الوسط وقولهم المقل من مغن وسط لا مطرب ولا مضحك كما في الروض الانف وهذا الحديث أخرجه السمعاني في ذيل تاريخ بغداد عن علي كرم الله وجهه عنه صلى الله تعالى عليه وسلم وابن جرير في تفسيره عن مطرف بن عبد الله ويزيد بن مرة الجعفي وكذا أخرجه البيهقي بلا سند وذكره الديلمي بلا سند عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ولفظه دوموا على أداء الفرائض فخير الاعمال أوسطها ويناسبه قوله (أحبب حبيبك هونا ما

عسى

عسى أن يكون بغيضك يوماما) وأبغض بغيضك هونا ماعسى أن يكون حبيبك يوماما والهون بفتح الهاء وسكون الواو والنون مصدر كالقول من هان عليه الشئ اذا خف وسهل ومنه الهون في المشي وهو الرفق واللين فارشد صلى الله تعالى عليه وسلم المتحابين الى الاقتصاد في المحبة وعدم المبالغة فيها وكذا المتباغضين الذين بينهما عداوة لا ينبغي لهما المبالغة في العداوة واظهارها فليكن ذلك على قدر متوسط فان خير الامور الوسط فقد ينتقل الحب الى البغض والبغض الى الحب فيقبح تفاوت حالك وتغير أقوالك وأفعالك فالهون هنا بمعنى التوسط وعدم الافراد وقد فسره به أهل اللغة قال في النهاية أي لا تسرف في الحب والبغض فعسى أن يصير الحبيب بغيضا والبغيض حبيبا فيندم ويستحي فدخل هذا الحديث تحت ماقبله وقال ارسطاطاليس للاسكندر لا تملأ أن قلبك بحبة شئ ولا تستول بن عليك بغضه واجعلهما قصدا فان القلب كاسمه يتقلب وقال بعض العرب

واحبب اذا أحببت حبا مقاربا * فانك لاتدري متى أنت نازع
وابغض متى أبغضت غير مباين * فانك لاتدري متى أنت راجع

وبين علته ابن الرومي بقوله احذر صديقك مرة * واحذر عدوك ألف مرة
فلربما انقلب الصديق * فكان أعرف بالمضرة

فان قلت كيف يدل هذا على التوسط وقد قالوا ان ماتدل على التقليل سواء قلنا انها زائدة أو اسم على مافصله المفسر في قوله تعالى مثلا مابعوضة وهي هنا مشددة لقلب النون ميما وادغامها فيها * قلت لان الوسط قليل بالنسبة للاعلى وقيل أنها تفيد تقليل التوسط والحب اذا كان على وجه التوسط في القليل كان قليلا ولكن غير خارج عن مراتب التوسط بل عن مرتبة التوسط الوسطى ومن الجائز أن يكون له مراتب متفاوتة قربا من الطرفين وبعدا منهما وعدم قرب وبعد منهما وعند عدم القرب والبعد منهما يكون التوسط الكثير ونعني به التوسط التام كما نعني بالتوسط القليل التوسط الناقص والحق أنه لاتقليل فيها وانما المراد أي هون كان ومافي ذلك للتأكيد كما في الآية والتقليل لوسلم يفيده تنكير هونا انتهى وفيه نظر وهذا الحديث كما قال السيوطي أخرجه البخاري في الادب والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه وقال التجاني الاكثر على أنه من كلام علي كرم الله وجهه ورواه الحسن بن أبي جعفر مسندا عن علي رضي الله تعالى عنه برفعه للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم باسناد ضعيف وقال الترمذي الاصح أنه موقوف على علي وذكر الترمذي أيضا انه ورد عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال وأراه رفعه وهو غريب لانعرفه بهذا الاسناد الا من هذا الوجه وممن رفعه القضاعي في الشهاب ورواه الماوردي مرفوعا في أدب الدين والدنيا وكذا الغزالي في الاحياء ورواه في مسند الفردوس (والظلم ظلمات يوم القيامة) الظلم وضع الشئ في غير موضعه وقد يكون بمعنى النقص قال تعالى ولم تظلم منه شيئا أي لم تنقص منه شيا وأرض مظلومة أي لم تمطر فكأنها انقصت عن غيرها والمراد به تعدي الحدود سواء كان في حق أو في غيره وتعريفه يراد به العموم وأفرد الظلم وجمع الظلمات امالانه جمع معنى لاستغراقه فيكون كمقابلة الجمع بالجمع أواشارة الى أن الظلم الواحد تعقبه ظلمات متعددة لفظاعته وقال ابن الجوزي ان من ظلم نفسه أو غيره نشأ ذلك عن قسوة قلب ثم يعقب ذلك تعديه ومبارزته بمخالفته فلذا تعدد جزاؤه وتلك الظلم اماحقيقية حسية كما ان المؤمن المطيع له نور يوم القيامة قال الله تعالى يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبايمانهم الآية ومنهم من حمل الظلمة على الاهوال والشدائد كما فسر به قوله تعالى قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر أي شدائدهما ولا حاجة الى صرفه عن حقيقته مع امكانها وهذا الحديث صحيح أخرجه البخاري وترجم له

وتتمته وأبغض بغيضك هونا ماعسى أن يكون حبيبك يوماما اذ ربما انقلب ذلك الحب بتغير الاحوال بغضا فتندم عليه اذا أبغضته أو انقلب البغض حبا فتستحي منه اذا أحببته ويقرب من هذا الكلام قول عمر رضي الله تعالى عنه لايكن حبك كلفا ولا بغضك تلفا وفي معنى هذا الحديث أنشد أبو عمرو بن عبد البر في بهجة المجالس
وأحبب اذا أحببت حبا مقاربا
فانك لاتدري متى أنت نازع
وأبغض اذا أبغضت بغضا مقاربا
فانك لاتدري متى أنت راجع
والمقارب المقتصد (وقوله) أي وقوله فيما رواه الشيخان (الظلم) أي على النفس أو على الغير (ظلمات) بضم الظاء واللام وقال التلمساني ويفتح ويضم الثاني أي أنواع الظلم القاصر أو المتعدي ظلمات حسية على أصحابه فلايهتدون بسببه الى الخلاص (يوم القيامة) أي في يوم يسعى نور المؤمنين الكاملين بين أيديهم وبايمانهم بسبب ايمانهم واحسانهم ويحتمل أن يراد بها الشدائد كما في قوله تعالى قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر

(وقوله) أي وكقوله فيما رواه الترمذي وغيره عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما (في بعض دعائه) أي في بعض دعواته لما فرغ من صلاته ليلة الجمعة (اللهم اني أسألك رحمة من عندك) اي من فضلك وكرمك لا بمقابلة عمل من عندي الحديث كذا في اصل الترمذي وليس في بعض النسخ لفظ من عندك (تهدي بها قلبي) اي تدله وتقربه لديك (وتجمع بها امري) اي حالي عليك (وتلم) بضم اللام وتشديد الميم (بها شعثي) بفتحتين أي تجمع بها تفرق خاطري وتضم بها تشتت امري بمقام جمعي وحضوري (وتصلح بها غائبي) اي قلبي أو باطني بالاخلاق الرضية والاحوال العلية (وترفع بها شاهدي) اي قالبي او ظاهري بالاعمال البهية والهيئات السنية أو براد بهما اتباعه الغائبون والحاضرون (وتزكي بها عملي) اي تزيد ثوابه وتنميه او تطهره وتنزهه عن شوائب الرياء والسمعة وسائر ما ينافيه (وتلهمني بها رشدي) اي صلاح حالي في حالي ومآلي (وترد) اي تجمع (بها الفتي) بضم الهمزة اسم من الائتلاف واما الالفة بالكسر فالمرأة تألفها وتألفت والفه كعلمه الفا بالكسر والفتح على ما في القاموس فقول الدلجي بضم الهمزة وكسرها مصدر بمعنى المفعول ليس في محله والمراد بها الالفة في العبادة أو حسن الصحبة مع أرباب السعادة ومنه حديث المؤمن يألف و يؤلف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف على ما رواه الدارقطني عن جابر مرفوعا ومنه قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين الذر

وأسنده الى ابن عمر رضي الله تعالى عنهما ورواه كما رواه المصنف الظلم ظلمات يوم القيامة و رواه مسلم اتقوا الظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الشح فان الشح أهلك من قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم و بذلك علم أن ما ذكره المصنف رحمه الله تعالى من حذف ان رواية فيه فلا يقال أنه أخل بلفظه أو وقع على رواية فيه غير مشهورة وحمل على الظلم الظلمات وجعلها عينه لانه سببها مبالغة (وقوله) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (في دعائه) أي في بعض دعواته المأثورة وقد جمع العلماء أدعيته في كتب مستقلة من وقف عليها رأى فيها من هذا النمط أمورا عجيبة وهذا الحديث رواه الترمذي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وقال انه غريب قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول ليلة حين فرغ من صلاته (اللهم اني أسألك رحمة من عندك) وفي رواية عن المصنف رحمة بدون قوله من عندك والاولى هي المذكورة في الترمذي وعند اذا أضيفت الى الله لها معان منها العلم كقوله تعالى وكان عند ربه مرضيا وتكون بمعنى الحكم نحو وكان عند الله عظيما و بمعنى التفضل والانعام من غير مقابلة عمل نحو وقالت هو من عند الله و بهذا فسره البرهان هنا أي أطلب منك احسانا بمجرد فضلك لا في مقابلة عمل وقيل بل معناها قرب المنزلة أي أسألك رحمة تقربني اليك والهداية وغيرها بمحض فضل الله اذ لا يجب عليه شيء فقوله من عندك ليس معناه لا في مقابلة طاعة لاشعاره بان ما كان في مقابلتها ليس بمحض الفضل فذلك نسبة تشريف وتعظيم وتنويه وتكريم انتهى وليس بوارد لان ما في مقابلة العمل ليس بطريق الوجوب بل بمقتضى وعده وحكمه السابق وهو تفضل مخصوص منه أيضا وقيل معنى العندية عموم نفعها وجدواها بدون وسائط وهو تكلف لا يساعده اللفظ والرحمة بمعنى الانعام أو ارادته كما حقق في محله (تهدي بها قلبي) أي تدله أو توصله الى ما يقربني من حضرة قدسك لاشاهد نفحات أنسك (وتجمع بها أمري) أي تنتظم بها أموري وشأني حتى لا يكون لها تشتت (وتلم بها شعثي) أي تلم برحمة من عندك وتجمع ما تشعث وتفرق من أمري وهو كالتفسير لما قبله قال الجوهري الشعث انتشار الامر يقال لم الله تعالى شعثك أي جمع أمرك انتهى وأصله انتشار الغبار في الهواء (وتصلح بها غائبي) بالغين المعجمة والباء الموحدة فسروه بباطني أي ما خفي من أموري عني وعن غيري وقيل المراد قلبي وصلاحه بصلاح صفاته من الاخلاص والصدق والتوكل والتوحيد (وترفع بها شاهدي) أي ظاهري من الشهود وهو الحضور والمعاينة وهو مقابل لقوله غائبي و بينهما صنعة الطباع وقيل أراد بهما الدنيا والآخرة ورفعها أي جعلها عالية رفيعة بالاعمال الصالحة والصفات الحسنة وقيل المراد بظاهره جسده ورفعه سلامته من الآفات وعصمته من البليات وقد دل صلاح قلبه عليه لان بصلاحه صلاح غيره لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم ان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله (وتزكي بها عملي) أي برحمة وتفضل منك تجعل عملي كله مباركا ناميا وسالما عما ينقصه كالرياء أو هو من تزكية الشهود أي تجعله ممدوحا وهما متقاربان (وتلهمني بها رشدي) الالهام ايقاع الخير في القلب والرشد والرشاد السداد والاستقامة والرشيد في اسماء الله تعالى هو الذي يرشد عباده لمصالحهم و يدبره (وترد بها الفتي) بضم الهمزة وكسرها وسكون اللام وفتح الفاء يليها تاء تأنيث وياء متكلم مصدر بمعنى المفعول أي ما كنت آلفه كالأليف ما تحبه وتريد اجتماعه وردها عودها الى ما كانت عليه والمراد عشيرته وأقرباؤه وأهل جلدته فدعا الله ان يالفهم ويهديهم للاسلام كما يقال رد الله عليه ضالته أي جمع بينه و بينها وقيل المراد حالته التي كان عليها في عالم

الذر والارواح من حب الله وتعظيمه وخلوصه من الكدورات الجسمانية وهو بعيد (وتعصمنى بها من كل سوء) أصل معنى العصمة المنع والحماية أى يصوننى و يحفظنى مما يسوءنى والباء فى المواضع كلها سببية وزاد التجانى هنا اللهم أعطنى ايمانا ويقينا ليس بعده كفر ورحمة أنال بها شرف كرامتك فى الدنيا والآخرة (اللهم انى أسألك الفوز فى القضاء) وروى فى العطاء والفوز النجاة والظفر فى القضاء والقدر بالفتح والسكون بمعنى فى اللغة ومنهم من يفرق بينهما فيجعل القدر تقدير الله الامور قبل ان تقع والقضاء انفاذ ذلك القدر وخروجه من العدم حين الوجود وهو الصحيح لانه قد جاء فى الحديث انه صلى الله تعالى عليه وسلم مر بكهف مائل للسقوط فاسرع المشى حتى جاوزه فقيل له أتفر من قضاء الله فقال أفر من قضائه الى قدره ففرق بين القضاء والقدر و بين ان الانسان يجب عليه أن يتوقى ما يضره قاله البطليوسى فالمعنى انه سأل الله النجاة من كل سوء قضاه على غيره أو عليه معلقا على أمر وقوله (ونزل الشهداء) النزل بضم النون والزاى وتسكن وهو مصدر جعل اسما لما يعد للضيف اذا نزل من القرى والكرامة أراد ما لارواحهم فى البرزخ ولهم فى الجنان من الاكرام والرزق والثواب وقد فاز صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك لما منحه الله من الشهادة مع ما لا عين رأت ولا أذن سمعت (وعيش السعداء) اما ان يريد بالعيش الحياة بان يكون سعيدا فى الدنيا معززا مكرما موفقا لما يرضاه فائزا بكل شئ يتمناه أو فى الآخرة بان يحييه حياة مخلدة منعما فيها بما يليق بجنابه صلى الله تعالى عليه وسلم لقوله تعالى وأما الذين سعدوا ففى الجنة خالدين فيها الآية والاحسن ان يريد مجموعهما والعيش أصل معناه الحياة والسعداء جمع سعيد ضد الشقى و بعده فى الدعاء ومرافقة الانبياء (والنصر على الاعداء) أى الانتصار عليهم وغلبتهم والاعداء جمع عدو وضده الصديق وتمامه اللهم أنزلت بك حاجتى ياقاضى الامور وياشافى الصدور كما تجير من البحور ان تجيرنى من عذاب السعير ومن دعوة الثبور ومن فتنة القبور اللهم وما قصر عنه رأيى وضعف عنه عملى ولم تبلغه نيتى أو أمنيتى من خير وعدته أحدا من عبادك أو خير أنت معطيه أحدا من خلقك فانى أرغب اليك فيه واسئلك يارب العالمين اللهم اجعلنا هادين مهديين غير ضالين ولا مضلين حربا لاعدائك وسلما لاوليائك نحب بحبك الناس ونعادى بعداوتك من خالفك من خلقك اللهم هذا الدعاء وعليك الاجابة وهذا الجهد وعليك البلاغ ولا حول ولا قوة الا بالله اللهم ذا الحبل الشديد والامر الرشيد أسألك الفوز يوم الوعيد والجنة يوم الخلود مع المقربين الشهود والركع السجود والموفين بالعهود فانك رحيم ودود وأنت تفعل ما تريد سبحان من تفرد بالعز وقال به سبحان الذى لبس المجد وتكرم به سبحان الذى لا ينبغى التسبيح الا له سبحان ذى الفضل والنعم سبحان ذى القدرة والكرم سبحان ذى الجلال والاكرام سبحان الذى أحصى كل شئ بعلمه اللهم اجعل لى نورا فى قلبى ونورا فى قبرى ونورا فى سمعى ونورا فى بصرى ونورا فى شعرى ونورا فى بشرى ونورا فى لحمى ونورا فى دمى ونورا فى عظامى ونورا بين يدى ونورا من خلفى ونورا عن يمينى ونورا عن شمالى ونورا من فوقى ونورا من تحتى اللهم اعط لى نورا واجعل لى نورا انتهى وقوله اعط لى باللام لمشاكلة اجعل لى فلا وجه لما قيل اعطنى لانه لا يتعدى باللام ان صحت الرواية وفى رواية اللهم أعظم لى نورا واعطنى نورا وأجعل لى نورا وما وقع فى هذا الدعاء من السجع لا ينافى ما قيل انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يكرهه لان محله ما اذا كان عن تصنع وتكلف ملتزما فاما ما جاء من غير تكلف فلا باس وقد روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه كان يكره السجع اذا كان عن تعمد لانه من التكلف وهم برآء منه فجيئه منه كتكلمه بالنظم منزه عنه أما صدوره منه أحيانا وان التزم كما هنا فغير

(وتعصمنى) أى تحفظنى وتمنعنى (بها من كل سوء) أى تصرفنى عنه وتصرفه عنى وهو بضم السين وقد يفتح الضرر الحسى والمعنوى (اللهم انى أسألك الفوز) أى النجاة (فى القضاء) أى فيما قضيته وقدرته على من البلاء وفى نسخة عند القضاء أى حين حلول القضاء وضيق القضاء بتوفيق الرضى وروى المنجانى فى العطاء ثم قال ويروى فى القضاء كما ذكره المصنف فى الشفاء (ونزل الشهداء) بضمتين وتسكين الزاى وأصله ما يعد للضيف أول نزوله والمراد هنا جزيل الثواب وجميل المآب وقيل النزل بمعنى المنزل ويؤيده رواية ومنازل الشهداء (وعيش السعداء) أى الحياة الطيبة المقرونة بالطاعة والقناعة من غير التعب والعناء وفى رواية زيادة ومرافقة الانبياء (والنصر على الاعداء) أى من النفس والشياطين وسائر الكافرين والحديث طويل كما ذكره بعض الشراح وفى هذا الحديث دليل واضح على ان السجع فى الدعاء انما يكون مكروها على ما ذكره ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وغيره اذا كان عن تكلف وتعسف يمنعه عن حسن الثناء ويشغله عن حضور القلب عن الدعاء ثم هذه الروايات من الكلمات الجامعات منضمة

مكروه كما ورد في القرآن ولذا قيل انه يصح اطلاق السجع عليه ثم أشار الى ان ما ذكره قطرة من بحر فان شئت الوقوف على غيره فاضف ماذكر (الى ماروته الكافة عن الكافة) فما رواه كثير من الناس لا يحصون فكافة وان كان بمعنى جميعا لانه اسم فاعل أو مصدر كالعافية والفاتحة في قول من كف اذ جمع أطرافه أو من كف بمعنى منع لانه كان يمنع من الزيادة عليه أريد به الكثرة كما وردت كل كذلك كثيرا اذ لم يروه جميع الناس ولا جميع المحدثين لكنه لما شاع وذاع فكأنه كذلك ثم ان سيبويه قال ان كافة يلزم التنكير والنصب على الحالية كعامة وقاطبة وطرا ونحوه وزاد غيره انها لا تثنى ولا تجمع ولا تطلق على غير العقلاء ولم يرد ذلك في كلام الله تعالى ولا كلام العرب ووهم من استعملها على خلاف ذلك كابن نباتة في خطبه وصاحب الكشاف في كشافه وفي قوله في خطبة المفصل محيط بكافة الابواب لاخراجه لها عن النصب والتنكير واستعمالها فيما لا يعقل وأما قول الجوهري الكافة الجميع من الناس فلا وهم فيه لان النكرة اذا أريد لفظها يجوز ان تعرف فلا وهم فيه كما توهم صاحب الدرة وتبعه بعض الشراح هنا فانه ليس مما نحن فيه * أقول هذا وان اتفقوا عليه لا وجه له رواية ودراية أما الاول فلان العرب اذا استعملت لفظا في معنى وضعته له على وجه مخصوص من الاعراب لم يلزم غيرهم اتباعهم فيه ولو قلنا بذلك لأدى الى التضييق على الناس في استعمال الالفاظ العربية وعد هذا ونحوه لحنا كما قاله الحريري لا وجه له وأما الثاني فلانه روي عن عمر رضي الله تعالى عنه استعماله في كتابه لبني كاكلة المروي عنه رواية ثابتة وعن علي كرم الله تعالى وجهه في ذلك أيضا حيث كتبه بعينه بين جمع من الصحابة وناهيك بهم فصاحة فان أردت تفصيله فانظره في شرحنا الدرة الغواص وقوله (من مقاماته ومحاضراته) بيان لما في ماروته والمقامات بفتح الميم جمع مقامة مفتوحتها وهي اسم لمكان القيام وتوسعوا فيه فاستعملوها لمطلق المكان كقوله

وكالمسك ترب مقاماتهم * وترب قبورهم أطيب

ثم كثر فيه فاستعملوه لمن قام فيه كما سموهم مجلسا في قوله * واستب بعدك يا كليب المجلس * وزادوا في التوسع حتى سموا به الكلام الصادر فيه مقامه كمقامات البديع والحريري ومثله من التجوز كثير ومنه تعلم ان المجاز على المجاز لا يقتصر على مرتبة واحدة كما توهمه كلامهم فالمراد به الكلام الصادر منه في مجالسه وخطاب أمته صلى الله تعالى عليه وسلم في حال حكمه وحروبه ولا يخص بالخطب لكونه يخطب قائما لذكره لغيره وان كان المقام مقام خطابة يغتفر فيه الاسهاب ولما أريد به هنا الكلام وقع بيانا لما روته الكافة عن الكافة والمحاضرات جمع محاضرة لا محصرة كما توهم بضم الميم وحاء مهملة وضاد معجمة وراء مهملة أصل معناها كما قاله الجوهري من حاضرته اذا جاثيته أي جالسته عند السلطان وهو كالمبالغة والمكاثرة وحاضرته حضارا عدوت معه انتهى يعني انها مفاعلة من الحضور عنده أو من الحضر بالضم فمعناها مجاراة الجليس جليسه في الكلام بان تتكلم بما عندك فيما يخطر على بالك ويتكلم هو في ذلك معك فالمراد مصاحبة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مع أصحابه أحيانا ومصاحبتهم له كالتحدث بامور سلفت ونحوها مباسطة وملاطفة ومنه كتب المحاضرات الادبية كمحاضرات الراغب (وخطبه) جمع خطبة بضم فسكون من خطب الخاطب خطابة بالفتح وخطبة بالضم اذا تكلم بكلام في أمر مهم سواء كان قائما على منبر والكلام مسجع أم لا وهي معروفة (وأدعيته) جمع دعاء كوعاء وأوعية وهي سؤال الله وتوجهه اليه فيما يهمه (ومخاطباته) أي توجيه الخطاب لغيره حسبما اتفق (وعهوده) أي كلامه اذا أخذ العهد والميثاق على غيره من المسلمين كما في كتبه للملوك وغيرهم وقيل المراد

(الى ماروته الكافة عن الكافة) أي جميع الرواة عن الثقاة وحكى عن سيبويه انه لا يجوز استعمال كافة معرفا بل نكرة منصوبة على الحالية كقاطبة (من مقاماته) بيان لما والمعنى من مقالاته في اختلاف مقاماته وحالاته ومجالس وعظه ودلالاته (ومحاضراته) أي في محاوراته (وخطبه) أي في جمعه وجماعاته (وأدعيته) أي وقت مناجاته (ومخاطباته) أي في مجاوباته (وعهوده) أي في مبايعاته

(مما الاخلاف) أي بين علماء الانام (انه) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (نزل) فعل ماض وقد وهم اليمني في ضبطه بضم النون والزاي منونا وذكر معانيه التي هي غير ملائمة للمقام فالمعنى انه تنزل وحل ووصل (من ذلك) أي مما ذكر من علو المقام (مرقبة) بقاف فوحدة أي موضعا مشرفا كما في الصحاح وفي نسخة بقاف فالف وكلاهما بمعنى مرتبة كما في نسخة وقال اليمني هي الصواب والحاصل ان النسخ كلها بمعنى درجة عالية (لا يقاس) أي عليه (بها غيره) فاين الثريا من يد المتناول في الثرى ولا يقاس الملوك بالحدادين في السلوك (وحاز) بالحاء والزاي أي ضم وجمع (فيها سبقا) بفتح فسكون مصدر سبق وهو التقدم في السير ويستعار لاحراز الفضل والخير وبفتحهما ما يجعل من المال رهنا في المسابقة وأغرب الحلبي من بين الشراح في قوله انه يتعين ههنا فتح الباء (لا يقدر قدره) بصيغة المجهول أي لا يعرف عظمة شانه ورفعة برهانه (وقد جمعت) بصيغة المتكلم في أكثر النسخ وضبطه الدلجي بتاء تانيث ساكنة مبنيا للمفعول (من كلماته) من تبعيضية أو زائدة وأنث الضمير نظرا الى الكلمات كذا ذكره الدلجي والظاهر كون من تبعيضية لقلة وجودها زائدة في الكلام الموجب مع ان كلماته لا تستقصى في مقام الرواية والمفعول أو نائب الفاعل قوله (التي لم يسبق اليها) بصيغة المجهول أي ما سبقه واحد الى تلك الكلمات البالغة لاصابتها نهاية البلاغة وغاية الفصاحة (ولا قدر أحد ان يفرغ) من الافراغ أي (في قالبه) بفتح اللام وتكسر ففي القاموس القالب كالمثال يفرغ فيه الجواهر وفتح لامه أكثر والمعنى لم يقدر أحد ان يسكب جواهر المعاني في قوالب زواهر المباني (عليها) أي على نهج تلك الكلمات التي ليس لها مثاني

وصاياه (مما الاخلاف انه نزل من ذلك مرتبة لا يقاس بها غيره) انه بتقدير في انه لاطراد حذف الجار قبل ان وان كما ذكره النحاة والضمير للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم أو للما وذلك اشارة الى البلاغة والفصاحة لسبقهما أو للعلم بهما من سياق كلامه ونزل بمنزلة ومرتبة أي حل محلا عاليا ووصل الى حد لا يصل اليه غيره والمنزلة تستعمل في الشرف والتاء للنقل وفي بعض النسخ مرقبة بالقاف أي محلا عاليا من شانه ان يرقب فيه ويطلع على أحوال غيره وقوله لا يقاس الى آخره أي لا يساويه غيره وضمير بها للمرتبة وضمير غيره للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم أو للكلام والقياس يتعدى بالباء وعلى يقال قاسه بغيره وعليه كما في القاموس والاساس وفي حواشي العضد للابهري القياس تقدير شيء باخر وعدي بعلى لتضمنه معنى البناء وهو مخالف لما في القاموس مع ان تعدي البناء بعلى فيه كلام في حواشي تهذيب المنطق واما تعديته بالى في قول المتنبي بمن أضرب الامثال أم من أقيسه * اليك وأهل الدهر دونك والدهر فلتضمنه معنى الضم والجمع كما قاله الواحدي (وحاز فيها سبقا) حاز بالحاء المهملة والزاء المعجمة بمعنى حوى واشتمل وضمير فيها للمرتبة والسبق بفتح السين وسكون الباء الموحدة مصدر سبق واما السبق بفتحهما فما يجعل من المال للمراهنة في المسابقة أي ما تواعدا باعطائه لمن سبق غيره وهو أولى هنا فكانه قال لتحقق سبقه أخذ وفاز بما يعد للسابقين واما السبق في قول صدر الشريعة حفظته سبقا وسبقا فالورد المعين لحفظ الاطفال وهو مولد ماخوذ من هذا (لا يقدر) بضم المثناة التحتية وفتح الدال المهملة المخففة مبني للمجهول (قدره) بسكون الدال أي مقداره أي سبق كثير لا يلحقه فيه أحد ولا يعرف حقيقته كما في قوله تعالى وما قدروا الله حق قدره (وقد جمعت من كلماته صلى الله تعالى عليه وسلم التي لم يسبق اليها) ضبطه الدلجي وتبعه الشارح الجديد بالبناء للمفعول وسكون تاء التانيث والجار والمجرور نائب الفاعل ومن للتبعيض أي جمع الرواة بعض كلماته لم يسبق اليها ولم يتكلم بها غيره صلى الله تعالى عليه وسلم أو من زائدة وكلماته نائب الفاعل الا ان فيه زيادة من في الاثبات ودخولها معرفة أو نائب الفاعل ضمير الكلمات المعلومة من السياق وهذا كله تكلف حملهم عليه انه روي كذا والفعل المجهول لا يؤنث اذا كان نائب فاعله جار ومجرور مؤنث فلا يقال أخذت من هند وعدوا مثله خطأ لكن ابن جني رحمه الله تعالى قال في اعراب الحماسة انه سمع نادرا وبه قرئ في الشواذ في قوله تعالى ان نعف عن طائفة فمن خطأ أصحاب التلخيص في قوله صوحبت معها لم يصب وسيأتي وجه آخر اظهر من هذا وهو ان نائب الفاعل ما الموصولة في قوله ما يدرك الناظر ولو قرئ بالبناء للفاعل وحذف المفعول جاز (ولا قدر أحد ان يفرغ في قالبه عليها) قدر بالتخفيف من القدرة ويفرغ بضم المثناة التحتية وسكون الفاء وكسر الراء المهملة والغين المعجمة وهو صب المائعات في ظرف وقالب بفتح اللام اسم آلة كالعالم على خلاف القياس وقد تكسر لامه وقيل انه معرب كالب وقيل انه غير صحيح والقالب ما يصب فيه ما ذاب من الجواهر كالفضة ليصاغ ففيه استعارة مكنية تخييلية لجعله الكلام بمنزلة الجواهر واسلوبه بمنزلة هيئة صياغته واثبات القالب له تخييل وعليها بتقدير على هيآتها وان تحاكي وفيه من البلاغة والمبالغة ما لا يخفى وقيل المراد بالقوالب الالفاظ لانها قوالب المعاني قال الجاحظ استعمل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم المتوسط وهجر الغريب ورغب عن الهجر فلم يات الا بكلام حق وسدد بالتأييد

(كقوله) أي يوم حنين على ما رواه مسلم والبيهقي الآن (حمي الوطيس) بفتح الحاء وكسر الميم أي اشتد الحرب والوطيس في الاصل التنور شبه به الحرب لاشتعال نارها وشدة ايقادها فاستعار لها اسمه في ايرادها استعارة تحقيقية لتحقق معناها احساوقرنها بقوله حمي ترشيحا للمجاز وقيل هو الوطئ الذي يطس الناس أي يدقهم وقال الاصمعي هو حجارة مدورة اذا حميت لم يقدر احد على وطئها عبر به عليه الصلاة والسلام عن اشتباك الحرب وقيامها على ساق فهو كلام في غاية الايجاز ومما يشبه الالغاز وكاد ان يكون من باب الاعجاز (ومات حتف أنفه) أي وكقوله فيما رواه البيهقي في شعب الايمان ولفظه من مات حتف أنفه فقد وقع أجره على الله يعني اذا خرج مجاهدا في سبيل الله والمعنى مات بلا مباشرة قتل ولا ضرب ولا غرق ولا حرق وخص الانف لانه أراد ان روحه تخرج من أنفه بتتابع نفسه أولانهم كانوا يتخيلون ان المريض تخرج روحه من أنفه والجريح من جراحته (ولا يلدغ المؤمن من جحر) بضم جيم فسكون حاء (مرتين) أي كما رواه البخاري وغيره وروي لا يلسع وهو اما خبر فمعناه ان المؤمن الفطن هو اليقظ الحازم الحافظ الذي لا يؤتى من جهة الغفلة فيخدع وهو لا يشعر مرة بعد مرة واما نهي فمعناه لا يخدعن المؤمن من باب واحد من وجه واحد مرة بعد أخرى فيقع في مكروه بل فليكن حذرا يقظا في أمر دنياه وأخراه وسبب الحديث ان أباعزة الجمحي أسر وكان يبدر فمن عليه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على ان لا يهجوه ولا يحرض عليه فغدر ثم أسر باحد فقال يارسول الله غلبت أقالني فقال لا أدعك تمسح عارضيك بمكة تقول خدعت محمدا مرتين وان المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين ثم أمر بضرب عنقه

جمع الرقة والجزالة تدخل الاذن بغير اذن ليحفظ وينقل عنه (كقوله حمي الوطيس) هذا حديث مروي عن العباس رضي الله عنه ورواه مسلم والبيهقي عن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما وانه قاله صلى الله تعالى عليه وسلم يوم حنين وقيل انه أول ماقاله باوطاس ففي التعبير به مناسبة لفظية متضمنة لبلاغته وابداعه أي اشتد الحرب والوطيس بفتح الواو وكسر الطاء المهملة يليها مثناة تحتية وسين مهملة وهو التنور أوشئ يشبهه وقد فسره بضراب الحرب أراد المعنى المجازي وقيل هو الوطئ الشديد الذي يطس الارض أي يدقها وقيل هو حجارة مدورة اذا حميت لم يقدر أحد ان يطأها قيل ولم يسمع هذا الكلام من أحد قبل النبي صلى الله عليه وسلم وهو من بليغ الكلام وفيه استعارة مصرحة مرشحة بقوله حمي أي اتقد وقد حماه اذا سخنه وهي عامية وهو طرف من حديث طويل في مسلم ورماهم بحصى فانهزموا فان كان الوطيس بمعنى الحجارة ففيه مناسبة (ومات حتف انفه) أي من غير ضرب ولا قتل ولا حرق ولا غرق ونحوه على فراشه كأنه سقط على أنفه فمات والحتف الهلاك وقيل كانت العرب تتوهم ان روح المريض تخرج من أنفه وروح المجروح من جراحته فكلمهم النبي صلى الله عليه وسلم على قدر عقولهم وهذا بعض حديث صحيح رواه عبد الله بن عتيك قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في الذي يخرج مجاهدا في سبيل الله ان لسعته دابة أو أصابه شئ فهو شهيد ومن مات حتف انفه فقد وقع أجره على الله ومن قتل فقد استوجب المآب قال عبد الله بن عتيك فوالله ماسمعت قوله حتف أنفه من أحد من العرب قبل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى هذا ابن المصنف رحمه الله تعالى كلامه وعدها من كلامه الذي ابتدعه وهو المشهور وذهب بعض أهل اللغة الى ان هذه الكلمة تكلمت بها العرب قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وصححه في المصباح واستدلوا بقول السموأل

وما مات منا سيد حتف أنفه * ولا طل منا حيث كان قتيل

وأجيب بان هذه القصيدة اختلف في قائلها فقيل هو السموأل وهو شاعر جاهلي وقيل عبد الملك بن عبد الرحمن الحارثي وهو اسلامي وقيل ان الرواية ليست هكذا وانما هي وما مات منا سيد في فراشه فعلى هذا لا يرد على من عدها من مبدعاته صلى الله تعالى عليه وسلم لان الشاعر الجاهلي لم يقلها والاسلامي أخذها من كلامه صلى الله تعالى عليه وسلم كقول عتيد بن عمر التابعي ما مات من السمك حتف أنفه فلا تأكله أي ماطفا على الماء من غير سبب ظاهر لموته أو انه لم يسبقه أحد من أهل زمانه ولم يسمعه من غيره فتأمله (ولا يلدغ المؤمن من جحر مرتين) هذا حديث صحيح رواه أبو هريرة رضي الله تعالى عنه وفي لفظه اختلاف لا يضر ففي بعضها من جحر واحد وفي بعضها من تقديم المؤمن وهو من الامثال النبوية وفي كتاب ابن مسكويه المسمى بجاودان خرد الذي جمع فيه حكم اليونان ان من أمثالهم لا يرى العاقل بجحر مرتين فانظر الفرق بين كلام النبوة وغيرها فان العاقل اذا أدخل يده في جحر فلدغ هل يدخلها مرة أخرى وقد قيل من لسعته الحية من الحبل يخاف يعني ان المؤمن الفطن لا ينخدع مرة بعد مرة ولا يؤتى من جهة الغفلة فيقع في مكروه وهو لا يعلم فينبغي ان يكون متيقظا في أمر دنياه وآخرته ويلدغ بالياء المضمومة المثناة التحتية واللام الساكنة وبالدال المهملة والغين المعجمة واما بالذال المعجمة والعين المهملة فهو احراق النار والجحر بضم الجيم وحاء ساكنة مهملة حفرة في الارض يكون فيها الحيات والحشرات وهذا قاله النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لابي عزة الشاعر

وكان يحرض الناس بشعره على قتال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فاسر مرة فقال انى محتاج ذو بنات فمن عليه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأطلقه بغير فداء وأخذ عليه أن لا يظاهر عليه أحدا فقال يمدحه صلى الله تعالى عليه وسلم

من مبلغ عنى الرسول محمــدا * فانك حــق والمليـك حميـد
وأنت امرؤ تدعو الى الله والهدى * عليك من الله العظيم شـهيد
وأنت امرؤ بوئت فينا مباءة * لها درجات سـهلة وصعود
فانك من حاربتـه لمحارب * شـقى ومن سالمته لسـعيد

ثم نقض عهده وأتى مع الكفار لحربه صلى الله تعالى عليه وسلم فاخذ أيضا باحد فساله صلى الله تعالى عليه وسلم أن يمن عليه على مثل شرطه الاول وقال غابت فاقلني فلم يفعل وقال لا أدعك تمسح عارضيك بمكة تقول خدعت محمدا مرتين وان المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين وأمر بضرب عنقه فقتل صبرا ومرتين أريد به التكرار كقوله تعالى فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين لكنه اقتصر على الاول لانه أنسب بالحزم فكان محاربا شقيا كما قال فى شعره والفال موكل بالمنطق ولما فيه من الميل للحلم جرد من نفسه مؤمنا يقظا منتقما لا ينخدع لغادر متمرد وانتقم صلى الله تعالى عليه وسلم منه ولم يعف عنه فان غضبه لله يابى الحلم كما قيل

ولا خير فى حلم اذا لم يكن له * بوادر تحمى صفوه أن يكدرا

وان كان صلى الله تعالى عليه وسلم يغضى عن أمور كثيرة ويتغافل عنها فى مقام آخر كما قال أبو فراس

ليس الغبى بسيد فى قومه * لكن سيد قومه المتغابى

قال التجانى وما وقع فى شعر أبى عزة من مدح النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والتصريح برسالته ليس له مخرج الا أن يكون قصد به خداعه (والسعيد من وعظ بغيره) المراد بالسعيد المبارك المرضى عند الله تعالى والناس والوعظ ذكر ما يلين القلوب من ثواب وعقاب أى من نصحته الحوادث النازلة بغيره فذكرته عواقب الامور من خير وشر فاتعظ بها فقبلها فهو سعيد ومن يوعظ به غيره فهو شقى وأبلغ من هذا وان كان معنى آخر ما ورد فى الحديث اذا أراد الله بعبد خيرا جعل له واعظا من نفسه كما رواه الماوردى فى اعلام النبوة وفى معناه قول الشاعر

لا تنتهى الانفس عن غيها * ما لم يكن منها لها زاجر

وفى معناه قلت

الزهد فى الدنيا وترك الهوى * عن كل أمر ضائر حافظ
ومن يرد خيرا به ربه * كان له من نفسه واعظ

وما ذكره المصنف رحمه الله تعالى بعض حديث طويل رواه مسلم عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه وفيه الشقى من شقى فى بطن أمه والسعيد من اتعظ بغيره والسعيد سعيد فى بطن أمه وأخرجه العسكرى مرفوعا الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فليس من كلام ابن مسعود رضى الله تعالى عنه كما توهم وانما تمثل به كما قاله الحافظ ابن حجر وشيخه العراقى وقوله (فى أخواتها) جمع أخت أى فى الكلمات المشابهة لها بحسب البلاغة يقال هذا أخو هذا المشابهته مواخاته لغلبة التشابه بين الاخوات فهو استعارة أو مجاز مرسل وفى بمعنى مع كقوله تعالى أدخلوا فى أمم أو هى على أصلها كان أخواتها الكثرتها محيطة بها احاطة الظرف بالمظروف ففيه استعارة وهى فى الحقيقة أكثر من أن تحصى كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم انما الاعمال بالنيات والمجالس بالامانات والحرب خدعة واياكم وخضراء الدمن المرأة الحسناء فى

(والسعيد من وعظ) بصيغة المجهول أى اتعظ (بغيره) كما رواه الديلمى وروى تمامه والشقى من عظ به غيره (فى أخواتها) أى اشباه هذه الكلمات والمعنى انها جمعت معها كالاعمال بالنيات والمجالس بالامانات والحرب خدعة وأمثالها من الكلمات الجامعات منها كل الصيد فى جوف الفرا أى الحمار الوحشى قاله لابى السبيعى لما أسلم أى اجتمع كمال خصال الناس فيه واياكم وخضراء الدمن ولا يجنى على المرء الا يده والبلاء موكل بالمنطق وترك الشر صدقة وسيد القوم خادمهم والخيل فى نواصيها الخير وان من الشعر لحكمة ونية المؤمن خير من عمله والدال على الخير كفاعله ونعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ والندم توبة ونحو ذلك

(مما يدرك الناظر العجب) أي مما يتصوره وفي نسخة بنصب الناظر ورفع العجب فالمعنى مما يلحقه العجب اذا نظر

المنبت السوء وغيره مما لا يحصى وقد أفردناه بالتأليف وذكر الشارح الجديد منها جانبا فيه وفي شرحه وهو بمعزل عن شرح الكتاب فلذا ضربنا عنه صفحا (ما يدرك الناظر العجب في مضمنها) قيل ما نائب فاعل جمعت المبني للمجهول كما تقدم ضبطه وأنث رعاية لمعناه لانه بمعنى الكلمات المجموعة وجملة يدرك بمعنى يلحق والعجب فاعله أو الناظر فاعل والعجب مفعول ويدرك من الادراك بمعنى التصور ومضمنها بضم الميم وفتح الضاد المعجمة والنون اسم مفعول أي ما تضمنته من المعاني البديعة والتراكيب الصحيحة أي يتعجب في ذلك كل من يراها وفي نسخة مضمونها (ويذهب به الفكر في أداني حكمها) أي يذهب بالناظر فكره في أقلها وأقل ما تضمنته من الحكم فالضمير في به للناظر وأداني جمع أدنى بمعنى أقل عددا أو كما فما بالك بالاكثر ومعمول يذهب محذوف لقصد العموم أي في كل مذهب فمعنى الذهاب به انه يتحير فيها فهو على حد قوله تعالى ألم تر انهم في كل واد يهيمون ففيه استعارة تمثيلية أو كناية (وقد قال له أصحابه) صلى الله تعالى عليه وسلم ورضي عنهم (ما رأينا الذي هو أفصح منك) هذا الحديث رواه البيهقي في شعب الايمان مسندا وذكره القالي في أماليه وشرحه وهو انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يوما جالسا مع أصحابه فنشأت سحابة فقال صلى الله تعالى عليه وسلم كيف ترون قواعدها الى آخره وستراه قريبا ومثله ما رواه أبو نعيم في الدلائل قال لما خطب عنده صلى الله تعالى عليه وسلم بعض خطباء الوفود فاجابه بكلام عذب فصيح فقال له علي كرم الله وجهه يا رسول الله نحن وأنت بنو أب واحد ونشأنا في بلد واحد وانك تكلم العرب بلسان ما يفهم أكثره فقال ان الله عز وجل أدبني فاحسن تاديبي ونشأت في بني سعد بن بكر والحاصل أن الصحابة رضي الله عنهم أكثروا من مخالطة فصحاء العرب وخلصها وكانوا لا يفقهون أحيانا كلامهم حتى يفسره صلى الله تعالى عليه وسلم لهم وقد ورد أيضا كما يأتي ان لغة اسمعيل عليه السلام كانت اندرست فعلمها له جبريل عليه الصلاة والسلام كما علم آدم الاسماء (فقال وما يمنعني وانما أنزل القرآن بلساني لسان عربي مبين) أي ما يمنعني من أن أكون أفصح الناس أو من أن لا تروا أفصح مني والكتاب الذي أنزل علي بأفصح اللغات وفي أعلى طبقات البلاغة هذا من تتمة الحديث السابق في وصف السحابة وهو حديث صحيح رواه التجاني مسندا عن عباد بن عباد بن حبيب بن المهلب عن موسى بن محمد بن ابراهيم التيمي عن أبيه عن جده قال بينما رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ذات يوم جالسا مع أصحابه اذ نشأت سحابة فقالوا يا رسول الله هذه سحابة فقال كيف ترون قواعدها قالوا ما أحسنها وأشد تمكنها قال وكيف ترون رحاها قالوا ما أحسنها وأشد استدارتها قال وكيف ترون بواسقها قالوا ما أحسنها وأشد استقامتها قال وكيف ترون برقها أوميضا أم خفيا أم يشق شقا قالوا بل يشق شقا قال وكيف ترون جونها قالوا ما أحسنه وأشد سواده فقال صلى الله تعالى عليه وسلم الحيا فقالوا يا رسول الله ما رأينا الذي هو أفصح منك فقال وما يمنعني من ذلك وانما أنزل القرآن بلسان عربي مبين وقواعد السحابة أسافلها واحدتها قاعدة وأما القواعد من النساء فواحدتها قاعد وهي التي قعدت عن الولد ورحاها وسطها ومعظمها وكذا رحى الحرب وسطها ومعظمها حيث استدار القوم وقال الجوهري مستدارها وبواسقها ما علا منها وارتفع وكل شئ علا فقد بسق وقال ابن الاثير ما استطال من فروعها والوميض اللمع الخفي يقال أومض ايماضا وأومض بعينه غمز والخفي بزنة الضرب والاعجام البرق الضعيف كما قاله القالي قال التجاني التقدير أترونه ومضيا أو ذا خفي لقول الجوهري خفا البرق يخفو خفوا ويخفى خفيا اذا لمع لمعا ضعيفا معترضا في نواحي الغيم فان لمع قليلا ثم سكن فهو الوميض فان شق الغمام فاستطال فهو العقيقة وجونها أسودها وهو من الاضداد لانه يكون بمعنى الابيض والحيا بالقصر الغيث وجمعه احياء والعناية بوصف السحاب مشهورة بين فصحاء العرب (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم (مرة أخرى بيد اني من قريش

(في مضمنها) بفتح الميم المشددة وفي نسخة من ضمنها أي مضمونها أو ما يتضمنها من المعاني البديعة في المباني المنيعة (ويذهب به) أي ومما يذهب بالناظر (الفكر في أداني حكمها) بكسر ففتح جمع حكمة والمعنى فيتعجب بتأمله في فهمها باعتبار أدانيها فما ظنك بأقاصيها (وقد قال له أصحابه) أي كما رواه البيهقي في شعب الايمان (ما رأينا الذي هو أفصح منك) الجملة من المبتدأ والخبر صلة الموصول وهو عائد الموصول لا ضمير أفصح كما توهم الدلجي فان ضميره راجع الى المبتدأ كما لا يخفى على المبتدي (فقال وما يمنعني) أي من أن أكون أفصح (وانما أنزل القرآن) أي الذي هو في غاية البلاغة ونهاية الفصاحة مع ايجاز المباني وحسن البيان والمعاني (بلسان عربي مبين) أي واضح أو موضح ولسان بدل أو بيان (وقال مرة أخرى) أي كما رواه أصحاب الغرائب ولم يعرف له سند (أنا أفصح العرب بيد) أي غير (اني) أو على اني (من قريش) فيكون من باب المدح بما يشبه الذم كقول القائل

ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب
ومنه قول النابغة

ونشأت

ونشات في بني سعد) قال السيوطي هذا الحديث أورده أصحاب الغريب ولا يعرف له اسناد والطبراني من حديث أبي سعيد ولفظه أنا أعرب العرب ولدت في قريش ونشات في بني سعد فاني يأتيني اللحن وقال قطلوبغا في تخريجه أخرجه أبو عبيد بلاغا وأخرج الطبراني في الكبير عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب أنا أعرب العرب ولدتني قريش ونشات في بني سعد فاني يأتيني اللحن وفي سنده مقال وأما ما اشتهر من أنا أفصح من نطق بالضاد بيد اني من قريش فقالوا انه لم يثبت وان ذكر في كتب النحو والاصول وبيد فيها لغتان آخريان ميد بالميم وبايد كما ورد في الحديث قال في النهاية ولم أقف عليه ولعله بايد أي بقوة فحرف وفسر بغير الاستثنائية وبمن أجل التعليلية وبعلى ان كما يقال هو كثير المال على انه بخيل وتلزم الاضافة لان المشددة وصلتها وهي في الحديث بمعنى غير والاستثناء ههنا منقطع على حد قوله

ولا عيب فيه غير ان نزيله ❁ يعاب بنسيان الاحبة والوطن

واستدل أبو عبيدة على مجيئها بمعنى من أجل بقوله

عمدا فعلت ذاك بيداني ❁ أخاف ان هلكت ان ترني

وقولهم ما رأينا الذي هو أفصح منك عنوانه ولا ساويك كما مر تحقيقه وجوابه بقوله بيد الخ ان فسر بغير فظاهر لافادته أنه صلى الله تعالى عليه وسلم افصح من جميع العرب وأما تفسيرها بمن أجل فقد استشكل بان مفهومه أنه من قريش وهم أفصح العرب ولا يلزم منه أن يكون أفصح العرب بل من أفصحهم وهذا الاشكال أورده بعض الشراح على أنه من بنات أفكاره ومر أنه قد سبقه اليه الكوراني في شرح جمع الجوامع وتقدم ما فيه ذلك مبسوطا في أول الكتاب ووجهه ان العلة موجودة في غيره وهو نقض للحكم بوجود علته في غيره وأورد عليه ان كثيرا من الاصوليين كالبيضاوي والهندي ذهبوا الى ان تخلف الحكم ان كان لمانع أو فقد شرط لا يقدح في علية العلة مطلقا سواء كانت منصوصة أم لا والتقدير هنا مع كوني نبيا فالتعليل هنا صحيح مطرد على ما فصل في العضد وغيره ويسمونه خصوص العلة وهذه خزيرة لان الحديث بيد اني من قريش واسترضعت في بني سعد وفي رواية وأنزل القرآن بلسان عربي مبين والمجموع هو العلة ولا توجد في غيره أي اني من قبيلتين هما أفصح العرب وقد نشات بالحاضرة والبادية فجمع لي من الرقة والجزالة ما لم يجتمع لغيري أو المعنى اني أنزل على القرآن على أسلوب لا يوجد في غيره جامع لزبدة جميع اللغات فأثر في سلامة طبعي وانتقش في صحف ذهني ما لا يتصور لغيري وأما النبوة فلا دخل لها هنا أو نقول كونه أفصح من قريش معلوم لان السائلين له صلى الله تعالى عليه وسلم منهم وهو بين أظهرهم لا يخفى عليهم حاله وأما كونه نشا في بني سعد واسترضعوه فلان حليمة السعدية رضي الله تعالى عنها أرضعته بعد ثويبة جارية أبي لهب وحليمة بنت أبي ذؤيب وزوجها الحارث أبوه من الرضاعة وبنو سعد من أكرم العرب وأفصحهم وحليمة من أوسطهم ولذا اختارها الله تعالى لرضاعه صلى الله تعالى عليه وسلم لان الرضاع يؤثر في الطباع ووقع عندها شق صدره الشريف وسيأتي بيانه وانه وقع مرارا ثم ان التجاني قال اختلف المتكلمون في كلام النبي صلى الله تعالى عليه وسلم هل منه ما هو معجز كالقرآن بناء على هذه الاحاديث أم لا فذهب بعضهم الى اعجازه وان اعجازه دون اعجاز القرآن وذهب الباقون الى انه في معناه في الفصاحة ولكن لا يبلغ الى رتبة الاعجاز وهذا هو الصحيح واحتج الاولون بما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه انه اشتبه عليه كون المعوذتين من القرآن وعد بعض الصحابة رضي الله تعالى عنهم أجمعين القنوت من القرآن وهم فصحاء عالمون بمراتب الاعجاز والصحيح ان هذا باطل لم يثبت عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه وغيره أو متاول بانه

فتى كملت أخلاقه غير انه
جواد فما يبقى من المال باقيا
وفي مشارق الانوار للمصنف ان بيد بمعنى لاجل وفي المغني هنا بمعنى من أجل اني من قريش (ونشات) أي تربيت وفي رواية أرضعت (في بني سعد) أي وهما طائفتان فصيحتان من العرب العرباء وفيهم البلغاء من الشعراء والخطباء وللطبراني أنا أعرب العرب ولدت في قريش ونشات في بني سعد فاني يأتيني اللحن وأما حديث أنا أفصح من نطق بالضاد بيد اني من قريش فنقله الحلبي عن ابن هشام لكن لا أصل له كما صرح به جماعة من الحفاظ وان كان معناه صحيحا والله أعلم وأغرب التلمساني في قوله وتكسر همزة اني على الابتداء وقال روى الحديث محمد ابن ابراهيم الثقفي عن أبيه عن جده

(فجمع له) بصيغة المجهول أي فاجتمع له لجمع الله له (بذلك) أي بسبب ماذكر من أصالة قريش وخضانة بني سعد (صلى الله تعالى عليه وسلم) كان محله بعد له (قوة عارضة البادية) أي حلاوة كلام أهل البادية (وجزالتها) بالرفع وهو ضد الركاكة (ونصاعة ألفاظ الحاضرة) أي وخلوص ألفاظ أهل الحضور في القرى من شوائب خلط الخالطة بغيرهم (ورونق كلامها) أي وحسن تعبير أهل الحاضرة المفهومة للعامة والخاصة حال كون ذلك كله منضما (الى التأييد الالهي الذي مدده) بالرفع أي زيادته المتوالية وأمداده (الوحي الذي لايحيط بعلمه بشري) أي منسوب الى البشر وهم بنوا آدم ولو قال الآدمي بدله كان أنسب معنى وأقرب مبنى لسجع الالهي والحاصل أن كلامه صلى الله تعالى عليه وسلم متناه في الفصاحة والبلاغة ولكن لايبلغ مرتبة المعجزة خلافا لبعض المتكلمين حيث قال ان اعجازه دون اعجاز القرآن ولعله أراد باعتبار المعنى دون المبنى (وقالت أم معبد) بفتح ميم وموحدة وهي عاتكة بنت خالد الخزاعية (في وصفها له) أي للنبي (صلى الله تعالى عليه وسلم) حين نزل بها في طريق المدينة سنة الهجرة كما ذكره أصحاب السير وأصحاب الشمائل تضمنا للمعجزات وخوارق العادات حينئذ فمن جملة ماوصفت فيه انه (حلو المنطق) أي مستلذه ومستحلاه لاشتماله على حلاوة كلامه وعذوبة مرامه وسلاسة سلامه وحسن بدئه وختامه ونظام تمامه (فصل) أي مفصول مبين ومفهوم مغين أو فاصل بين الحق والباطل أو حق لاباطل ومنه قوله تعالى في التنزيل انه لقول فصل أي

لم ينكر كونهما من القرآن ولم يشك فيه وانما أنكر كتابتهما في المصحف لانه لم يبلغه انه صلى الله تعالى عليه وسلم أمر بكتابتهما وهو محجوج بقراءته وقراءة الصحابة رضي الله تعالى عنهم بهما في الصلاة وسيأتي لذلك مزيد بيان في آخر الكتاب * فان قلت مامر من تكلم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بالوحشي الغريب مخالف لفصاحته صلى الله تعالى عليه وسلم * قلت لا لما مر من ان الوحشي من أهله وممن يتكلم معهم فصيح فلاحاجة الى القول بانه غير غريب لثبوته في كتب اللغة من غير احتياج لتنقير وتفحص والى ماذكرناه أشار المصنف رحمه الله تعالى بقوله (فجمع له صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك قوة عارضة البادية) جمع مبني للمجهول وأصله جمع الله له فحذف للعلم به وذلك اشارة لكونه من قريش ونشأ في بني سعد وانما نشأ صلى الله تعالى عليه وسلم فيهم على عادة قريش في دفعهم أولادهم لمرضعات البادية ليتفرغ النساء لشأنهن ولان هواها أصح وليكون مع أولاد الاعراب فيتدرب لترك الترفه ولذا كان عادة ملوك بني أمية والعارضة التجلد والقدرة على الكلام ويقال بعير عرضة للسفر أي قوي عليه واضافة القوى لها بيانية والبادية والبداوة والبداة خلاف الحاضرة وتبدى أتى البادية وتبادى تشبه باهلها وهي خلاف الحاضرة أي الامصار والمراد بالبادية أهلها أو هو بتقدير مضاف (وجزالتها) بفتح الجيم والزاء المعجمة خلاف الركاكة أي جزالة كلامها يقال كلام جزل أي قوي شديد ومنه الحطب الجزل للغليظ وليس من الركيك وهو الضعيف من الالفاظ المحلول التركيب فتكثير السواد به هنا غير مناسب (ونصاعة ألفاظ الحاضرة) النصاعة كالفصاحة مصدر بمعنى الخلوص والمراد خلوصها من التعقيد والغرابة الوحشية وصاده وعينه مهملتان من نصع الشئ اذا ميز جيده من رديئه والحاضرة خلاف البادية وسكان القرى والامصار (ورونق كلامها) الرونق البهاء والحسن فان كلام أهل البادية قوي متين لعدم تصنعهم وكلام أهل الحاضرة رقيق لطيف فجمع كلامه صلى الله تعالى عليه وسلم بين هاتين الصفتين مضموما ذلك (الى التأييد الالهي الذي مدده الوحي) ومدده بمعنى مده لا بمعنى زيادته والتأييد التقوية من الايد وهو القوة وأمده بايحائه وانزاله عليه كلامه المعجز ولذا صح ان أهل الجنة يتكلمون بلغة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ولغة أهل الجنة فلاصحة لما رواه بعضهم ان لسان أهل الجنة الفارسية الدرية وهذا في معنى ماروي من ان عمر رضي الله عنه قال للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم مالك أفصحنا ولم تخرج من بين أظهرنا فقال صلى الله تعالى عليه وسلم كانت لغة اسمعيل قد درست فجاءني بها جبريل عليه الصلاة والسلام فحفظتها (الذي لايحيط بعلمه بشري) أي انسان منسوب للبشر وهم الناس والضمير للتأييد الالهي (وقالت أم معبد) هي كما مر عاتكة بنت خالد بن زمعة احدى نساء بني كعب بن عمرو بن خزاعة وزوجها عبد الملك بن وهب وقيل لا يعرف اسمه توفي في حياة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ويقال انه صحابي له رواية وكانت تنزل بين مكة وجبالها فنزل عليها النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأبو بكر رضي الله تعالى عنه لما هاجرا فأقرتهما فلما جاء زوجها أخبرته بذلك ووصفته له في حديث ذكره أهل السير أفرده الحافظ العلائي بالشرح (في وصفها له) مصدر مضاف لفاعله وضميره للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم ويحتمل أن يكون له خبر مقدم والاول أولى (حلو المنطق) الحلو في المطعومات مستلذ فاستعير لما يعجب السامع ويستلذ بسماعه ذوقه أو كاجين الماء (فصل) مصدر بزنة ضرب بفاء وصاد مهملة ولام أي فاصل بين الحق والباطل أو بين ظاهر قاطع للشك لالبس

فيه أو يفسره قوله (لانزر ولاهذر) كما قاله العلائى رحمه الله تعالى أو ذو فضل بين أجزائه لقول عائشة رضى الله تعالى عنها ما كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يسرد سرد كم هذا ولكن كان اذا تكلم بكلام بينه فيحفظه من يجلس اليه كما فى المصابيح ونزر بفتح النون وسكون الزاى قليل لا يفهم والهذر بالهاء والذال المعجمة المفتوحتين يليه راء مهملة كذا ضبطه العلائى وهو راو ثقة وتبعه بعض أرباب الحواشى وضبطه ابن الحنبلى بسكون الذال مصدر هذر يهذر فى كلامه والاسم الهذر بالتحريك وهو كثرة الكلام بحيث يمل وهذا غير مناف لما ورد فى الحديث أوتيت جوامع الكلم واختصر لى الحديث اختصارا الان المنفى الايجاز المخل لا المقبول منه (كان منطقه) أى ما ينطق به (خرزات نظمن) أى متناسبة لها رونق كالعقد المنظوم من الجواهر والخرز ما ينظم من الجواهر وليس كما تفهمه العامة من تخصيصه بنوع كما فى الصحاح من الخرز وهو المثقب (وكان جهير الصوت حسن النغمة صلى الله تعالى عليه وسلم) العرب تتمدح بعلو الصوت وتذم بضده ولذا اتمدحوا بسعة الفم وذموا بصغره كما قاله الجاحظ فى كتاب البيان وقد ورد فى وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث ابن أبى هالة أنه كان يفتتح الكلام ويختمه باشداقه كما قال العجير السلولى

جهير وممتد العنان مناقل * بصير بعورات الكلام خبير
لوان الصخور الصم يسمعن صوته * لزحن وفى اعراضهن فطور

والجهير والجوهرى العالى الصوت فليس فيه خنا ولا تكسر ككلام النساء * أقول هذا لا ينافى ما مر من ذم التقعر والتشدق فى الكلام فان ذلك اذا أفرط وكان تصنعا ثم ان المدح بسعة الفم لدلالته على الفصاحة وقوة القدرة على الكلام بخلاف غيره والمراد ما لم يفرط بحيث يشوه الخلقة لا سيما مع غلظ الشفتين ولا عبرة بمدح شعراء العجم ومن تبعهم من المتأخرين لضيق الفهم فانه مقصد فاسد كما قال ابن سنا الملك

له فم ضيق فلم يستطع * ان يخرج اللفظ بتقويم
واللفظ سكران من ريقه * فهو لهذا غير مفهوم

وقال أيضا

بمهجتى أفديه من * فصيح لفظ من معجمه
لا يستطيع اللفظ ان * يخرج من ضيق فمه

وكان صلى الله تعالى عليه وسلم اذا قرأ بالليل أو خطب تسمع صوته وأما حسن نغمته فلما ورد فى الحديث عن على كرم الله وجهه لم يبعث الله تعالى نبيا الا حسن الوجه حسن الصوت وكان داود صلى الله تعالى عليه وسلم اذا قرأ الزبور لم تبق دابة الا انصتت له الا ان قراءة نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم لم تكن على طريقة الالحان والموسيقى فانه غير ممدوح وحديث ليس منا من لم يتغن بالقرآن الكلام فيه مشهور * (غريبة) * ذكرها التلمسانى هنا قال قال ابن سيدى الحسن كان شيخنا أبو زكريا يحدث عن شيخه منصور بن على التجانى عن أبيه وغيره من شيوخه يقول انما كانت المصامدة فيهم بركة لانه وفد منهم رجل وقيل رجلان وقيل بل هم سبعة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حين بعث فلما دخلوا المسجد الحرام لم يعرفوا النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وكانوا لا يعرفون العربية فقال رجل منهم بلغتهم أبون أسيران وأسير بلغتهم النبى أو الرسول أى أيكم رسول الله فلم يفهم الحاضرون قوله فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أشكدا وزومعنى أشكد تعال وأقبل وهلم وهو بهمزة وشين معجمة ساكنة وكاف مفتوحة ودال مهملة ساكنة مشددة وواو ومعناه هنا أو الينا وجعل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يجيبه بلغته ولا يفهم القوم فاسلم وبايع وانصرف لقومه وكان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أخبرهم بقدومه ولغته قال أبو زكريا كان شيخه منصور يحدث لهذا الحديث فى هذا الفصل فسبحان من علمه ذلك انه المنعم الكريم قال وقبورهم موجودة الى الآن انتهى

* (فصل) * (وأما شرف نسبه وكرم بلده ومنشئه) الشرف رفعة القدر والكرم يجمع أنواع الخير

فيميل الى ملل وأما الهذر بفتح الذال فمعناه الهذيان وأغرب الانطاكى حيث اقتصر فى ضبطه على الفتح (كان منطقه) أى منطوقه (خرزات) أى جواهر متعالية ولآلى متغالية (نظمن) بصيغة المجهول أى سلكن فى سلك كلماته وضمن عباراته متتابعة متناسقة متناسبة متوافقة والحاصل انه تشبيه بليغ لارادة زيادة المبالغة على ما صرح به الدلجى الا انه مبنى على ان كان من الافعال الناقصة وفى بعض النسخ المصححة بتشديد النون على انها من الحروف المشبهة فحينئذ لا يكون تشبيها بليغا كما لا يخفى على البلغاء (وكان جهير الصوت) أى عاليه وهو مما يمدح فى أحوال الرجال ولذا مدح أيضا بسعة الفم والله تعالى أعلم (حسن النغمة) بفتح النون وسكون الغين المعجمة أى حسن الصوت حيث تقبله الاسماع وتألفه الطباع كما روى أن الله لم يبعث نبيا الا حسن الصورة وحسن الصوت (صلى الله تعالى عليه وسلم) أى أولا وآخرا والله تعالى أعلم (فصل وأما شرف نسبه) أى المنسوب الى قومه (وكرم بلده ومنشئه) أى الذى ولد وتربى فيه وقيل المراد من منشئه محل مرضعته حليمة من بنى سعد

(فما لا يحتاج الى اقامة دليل عليه ولا بيان مشكل ولا خفى منه) أى مما ينسب اليه (فانه) أى باعتبار نسبة (نخبة بنى هاشم) أى خيارهم (وسلالة قريش) أى خلاصتهم وصفوتهم سلت من خالصيهم والظاهر انه مرفوع وجعله التلمسانى مجرورا على انه بدل من بنى هاشم (وصميمها) بالرفع أى قوامهم ومدارهم ومحضهم وخالصهم من غير خلطة غيرهم وأصل الصميم العظم الذى به قوام العضو وظاهر كلام الدلجى ان صميمها مجرور عطفا على قريش (وأشرف العرب) لانه من بنى هاشم وبنو هاشم من قريش وهم أشرف العرب فى النسب وفى شرح الدلجى أفضل العرب من غير عاطفة بالجر صفة لقريش (وأعزهم) أى وهو أقواهم وأشجعهم وأسخاهم (نفرا) أى جماعة وقرابة (من قبل أبيه وأمه) أى من قبل قبيلة أبويه (ومن أهل مكة) أى وهو من أهل مكة (أكرم بلاد الله على الله وعلى عباده) وفى هذا حجة على بعض المالكية فى تفضيلهم المدينة السكينة على مكة المكينة وفى بعض النسخ من أكرم ولعله تصرف من بعضهم والله تعالى أعلم نعم تستثنى ما حوى بدنه الكريم فانه أفضل حتى من الكعبة بل من العرش العظيم وعن المحب الطبرى ان بيت خديجة يلى المسجد الحرام فى الفضيلة ولم يذكر المصنف فى هذا الفصل شيئا مما جاء فى فضل مكة لظهوره وكمال وضوح نوره (حدثنا قاضى القضاة) اللام للعهد اذ لا يجوز هذا الاطلاق على سبيل الاستغراق الا على الملك الخلاق نحو ملك الملوك وسلطان السلاطين وأمثال ذلك (حسين بن محمد الصدفى) بفتحتين فقاف فياء نسبة (رحمه الله تعالى) وقد سبق ترجمته (حدثنا القاضى أبو الوليد سليمان بن خلف) ترجمته

وان خصه العرف بمعنى الجود والمنشا محل نشأ فيه وتربى (فما لا يحتاج الى اقامة دليل عليه لظهوره ولا بيان مشكل ولا خفى منه) المراد انه لا خفاء فيه ولا اشكال حتى يحتاج الى البيان على حد قوله ولا ترى الضب بها ينجحر (فانه صلى الله تعالى عليه وسلم نخبة بنى هاشم) النخبة بضم النون وسكون المعجمة وفتحها وبالموحدة كهمزة المختار من بينهم المنتقى (وسلالة قريش وصميمها) السلالة بالضم بمعنى النسل المستخرج منهم والصميم الخالص (وأشرف العرب وأعزهم نفرا) أى قوما والنفر رهط الانسان وعشيرته وهو اسم جمع لا واحد له يقع على الرجال خاصة من الثلاثة الى العشرة وذكر الكرمانى انه يقع على الواحد كما ذكرناه فى شرح الدرة (من قبل أبيه وأمه) كما هو مبين فى السير (ومن أهل مكة من أكرم بلاد الله على الله) لتشريفها وجعلها قبلة الانبياء عليهم الصلاة والسلام ومقصد الحجيج (وعلى عباده) اذ لم تزل الناس تعظمها فى الجاهلية والاسلام وقال التجانى وتبعه بعض الشراح هنا بعد ماذكر حديث انك لأحب أرض الله الى ولأحب أرض الله الى الله الذى قاله صلى الله تعالى عليه وسلم عند ما خرج منها مهاجرا وأجمعوا على ان مكة والمدينة أفضل البقاع وانما اختلفوا أيهما أفضل فنسب للمالكية تفضيل المدينة والشافعى وأبو حنيفة والاكثر على تفضيل مكة لما لها من المزية بان الله حرمها وحرم صيدها وقيل بتغليظ الذنب ودية القتل فيها وانه لا يقام الحد فيها وغير ذلك من الحرمة التى ليست لحرم المدينة والصلاة بها ثوابها زيادة على غيرها وهذا فى غير البقعة التى وضع فيها النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وسياتى ان المصنف رحمه الله تعالى فضل على مكة المدينة فجعلها أشرف وأكرم فكلامه هنا مناف لمذهبه ولكلامه الآتى ولهذا اعترضوا عليه وفيه خلاف عند المالكية أيضا كما سياتى فلا حاجة لما قيل من ان كلام التجانى يكفى دليلا على فضل مكة فى مذهب مالك رحمه الله تعالى وقال الطبرى بيت خديجة يلى المسجد الحرام فى الفضيلة وأجيب بانه غير مناقض لما سياتى لانه لم يقل مكة أكرم وأشرف البلاد بل من أكرم البلاد ومن فيه تبعيضية لا بيانية وكون الشئ بعض الاشرف لا يقتضى انه أشرف فان البلاد الثلاثة التى تشد الرحال لها اشرفية وهذا منها أقول ولو قال أشرف فهالم يشكل أيضا لان الكلام فى منشئه ومولده وهى فى زمن ولادته وقبل هجرته كانت أشرف البقاع على الاطلاق اذ المدينة انما صارت حرما مكرما بعد هجرته تكريما له صلى الله تعالى عليه وسلم وكان المعترض لاحظ ان المراد تفضيل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على جميع خلقه بشرف منشئه فيناسب كونه أشرف من جميع ما عداه فتدبر ووقع فى نسخ بعض الشراح أكرم بدون من فلعل كلامهم مبنى على هذه النسخة (حدثنا قاضى القضاة حسين بن محمد الصدفى) نسبة الى الصدف وهو اسم قرية من قرى القيروان ووقع للفقهاء اختلاف فى جواز اطلاق قاضى القضاة فقال بعضهم لا يجوز كملك الملوك وشاهنشاه أى سلطان السلاطين فانه هو الله تعالى والحق جوازه كما أفتى به كثير من أرباب المذاهب الاربع فان القرينة ظاهرة فى ان المراد قضاة عصره ومملكته فانه يطلق على من يكون قاضيا فى تحت الملك ويؤذن له فى تولية قضاة الاطراف ولهذا عدلوا عنه وقالوا قاضى العسكر ولكن قوى بعضهم منعه لورود التصريح بمنعه فى الحديث والصدفى هو ابن سكرة وهو امام ثقة ترجمته مشهورة قال (حدثنا القاضى أبو الوليد سليمان بن خلف) هو الامام العلامة الحافظ أبو الوليد الباجى وقد تقدمت

وهو الباجي (حدثنا أبو ذر عبد بن أحمد) أي الهروي وهو عبد من غير اضافة فلا يكتب همزة ابن البتة ولو وقع أول الصفحة (حدثنا أبو محمد السرخسي) هو الحموي وقد سبق ضبطه (وأبو اسحق) أي المستملي وكان من الثقاة (وأبو الهيثم) وهو محمد بن المكي ابن الزراع الكشميهني بضم الكاف وسكون الشين المعجمة وفتح الميم وسكون التحتية وفتح الهاء بعدها النون وياء النسبة نسبة الى قرية قديمة من قرى مرو (حدثنا) أي قالوا حدثنا كما في نسخة (محمد بن يوسف) وهو الفربري (قال حدثنا محمد بن اسمعيل) أي الامام البخاري (حدثنا قتيبة بن سعيد) تقدم ذكره (حدثنا يعقوب ابن عبد الرحمن) أي ابن محمد بن عبد الله القاري بالتشديد نسبة الى القارة (عن عمرو) بالواو وهو مولى المطلب أخرج له الأئمة الستة واختلف في كونه ثقة (عن سعيد المقبري) بفتح الميم وضم الموحدة ويجوز فتحها وقال التلمساني بتثليث الموحدة وقيل له ذلك لانه كان يسكن قرب المقابر وهو سعيد بن سعيد المقبري وأما في بعض النسخ عن أبي سعيد فخطا على ماذكره الحلبي وفيه بحث لان الحجازي صرح بان كنيته أبو سعيد وأبوه كيسان وكنيته أبو سعيد أيضا (عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال بعثت من خير قرون بني آدم قرنا فقرنا) أي خلقت وجعلت من خير طبقاتهم كائنين طبقة بعد طبقة

ترجمته أيضا قال (حدثنا أبو ذر عبد بن أحمد) هو الامام الحافظ أبو ذر الهروي وقد تقدمت ترجمته وعبد اسمه من غير اضافة قال (حدثنا أبو محمد السرخسي) نسبة الى سرخس بفتح السين والراء بلد عظيم بخراسان وهذا هو المعروف وأما قول التلمساني نقلا عن ابن مرزوق انه بكسر السين وفتح الراء وانه يقال بزنة درهم وجعفر فلا نعرفه (وأبو اسحق) المستملي واسمه ابراهيم بن أحمد بن داود المستملي الامام الثقة (وأبو الهيثم) هو محمد بن المكي بن زراع الكشميهني بضم الكاف وسكون السين المعجمة وكسر الميم وسكون المثناة التحتية وفتح الهاء وكسر النون وياء النسبة نسبة لقرية من قرى مرو قديمة خربت وخرج منها جماعة قاله ابن الاثير قال التلمساني ويقال الكشماهني ويأتي الكلام عليه أيضا بابسط من هذا (قالوا حدثنا محمد بن يوسف) هو الفربري (٢) وقد تقدمت ترجمته (قال حدثنا محمد بن اسماعيل) هو حافظ الاسلام البخاري وقد تقدمت ترجمته (قال حدثنا قتيبة بن سعيد) تقدمت ترجمته (قال حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن) بن محمد بن عبد الله القاري منسوب للقارة قبيلة المدني نزيل الاسكندرية وهو يروى عن زيد بن أسلم وسهل بن أبي صالح وغيرهما وروى عنه قتيبة ويحيى بن بكير توفي سنة احدى وثمانين ومائة وأخرج له أصحاب السنن ووثقه ابن معين (عن عمرو) بن عمرو ويقال ابن أبي عمرو مولى المطلب روى عن أنس وعكرمة وطائفة وروى عنه مالك والدراوردي ووثقه وقال النسائي انه ليس بالقوي وقال أحمد ليس به باس وقال أبو زرعة انه ثقة وأخرج له الأئمة الستة وتوفي في أول خلافة المنصور وله ترجمة في الميزان (عن أبي سعيد المقبري) بتثليث الباء سمي به لسكونه بقرب المقابر كذا وقع في بعض النسخ قال البرهان الحلبي وضرب المصنف رحمه الله تعالى على لفظ أبي وهو الصواب فانه سعيد بن أبي سعيد المقبري واسم أبي سعيد كيسان وكنية سعيد أبو سعيد وفيه نظر وهو يروى عن أبيه وأبي هريرة وعائشة وغيرهما وروى عنه الليث ومالك وخلف ووثقه النسائي وأبو زرعة وغيرهما وقال أحمد ليس به باس توفي سنة ثلاث وثلاثين وقيل خمس وعشرين ومائة وأخرج له أصحاب الكتب الستة (عن أبي هريرة) رضى الله تعالى عنه تقدمت ترجمته والكلام في اسمه (ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال بعثت من خير قرون بني آدم) هذا حديث صحيح انفرد البخاري باخراجه وعنه روى المصنف رحمه الله تعالى وفي القرن عشرة أقوال فانه مقدار من الزمان ويطلق على أهله فقيل عشرة وعشرون وثلاثون وأربعون وخمسون وستون وسبعون وثمانون وتسعون ومائة ومائة وعشرون ومطلق الزمان كما قاله البرهان الحلبي قال وابتداء قرنه عليه الصلاة والسلام من بعثته أو من حين فشا الاسلام وقيل القرن كل عصر فيه نبي أو كبار من العلماء فليس زمان الفترة بقرن نقله التلمساني وقال التجاني القرن في اللغة كل طبقة من الناس مقترنين في وقت واحد وربما سمي الوقت قرنا لانه يقرن ناسا بناس واحتج القائلون بانه مائة سنة بان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مسح رأس غلام وقال عش قرنا فعاش مائة سنة كما ذكره الهروي والمختار ماقيل ان القرن كل أمة هلكت فلم يبق منها أحد انتهى وفيه نظر والظاهر ان المراد بالقرن في الحديث طائفة وجيل من الناس في عصر واحد وزمان متقارب اشتركوا في أمر من الامور المقصودة وقوله من خير الى آخره من فيه لابتداء الغاية أو بيانية لا للتبعيض لان المراد ان قرنه الذي بعث فيه خير القرون لانه بعث في بعض القرن

(٢) قوله الفربري نسبة الى فربر بوزن هزبر وقد تفتح فائه قرية من قرى بخارى فما قاله البعض من انه على وزن جعفر فهو غلط وقد ضبطه الشارح فيما تقدم فليراجع

(حتى كنت من القرن الذى كنت منه) أى حتى وجدت من بين الجمع الذى ظهرت منهم والقرن من الاقتران يطلق على أهل كل زمان يقترنون فى أعمارهم وأحوالهم وفى مقداره أقوال عشرة عشرون ثلاثون أربعون خمسون ستون سبعون ثمانون مائة سنة مائة وعشرون مطلق من الزمان فتلك عشرة كاملة والاظهر انه من الزمان ماغلب فيه وجود الاقران ولذا قيل

اذا ذهب القرن الذى أنت منهموا
وخلفت فى قرن فأنت غريب

والمراد بالبعث تقلبه فى اصلاب آبائه أبا فأبا كانتقاله من نابت بالنون بن اسمعيل ثم من النضر بن كنانة ثم من قريش بن النضر ثم من عبد الله بن عبد المطلب ابن هاشم ولله در القائل كم من أب قد علا بابن ذوى شرف كما علا برسول الله عدنان (وعن العباس) كما رواه البيهقى فى دلائل النبوة والترمذى وحسنه (قال قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله خلق الخلق) أى انسانا وملائكة وجنا ويحتمل تخصيصه بالثقلين (فجعلنى من خيرهم) أى فتخيرهم وجعلنى من خيرهم وهم الانس (من خير قرنهم) بصيغة الافراد وهو بدل مما قبله (ثم تخير القبائل) أى اختارهم (فجعلنى من خير قبيلة) أى من العرب وهم قريش (ثم تخير البيوت) أى البطون (فجعلنى من خير بيوتهم فأنا) أى بفضل الله على ونظر لطفه فى سابق علمه الى (خيرهم نفسا) أى ذاتا اذ خلقنى خاتم النبوة وتمم بى دائرة الرسالة وجعلنى مدار الوجود ومظهر الكرم والجود (وخيرهم بيتا) أى مكانا فى النسب والحسب من جهة الام والاب

بدليل ماروى فى الحديث الصحيح خير القرون قرنى والمراد به عصره صلى الله تعالى عليه وسلم وعصر صحابته رضى الله تعالى عنهم لانهم انقرضوا بعد مائة من انتقاله صلى الله تعالى عليه وسلم وكسور اختلف فيها قيل وهذا الحديث يدل على ان أصحابه صلى الله تعالى عليه وسلم أفضل هذه الامة وسائر الامم غير الانبياء عليهم الصلاة والسلام وان ذلك ثابت لكل واحد منهم لا لمجموعهم واليه ذهب الجمهور لان فضل الصحبة ونورها لا يعدله شئ ولا يساويهم فى الفضل وان تفاوتوا فيه بقدم الصحبة ونحوه خلافا لابن عبد البر رحمه الله تعالى حيث جوز ان يكون بعد الصحابة من هو أفضل من بعض الا من قاتل معه صلى الله تعالى عليه وسلم وأنفق ماله فى سبيله فانه لا يعدله غيره بالاتفاق واستدل بحديث أمتى مثل المطر لا يدرى أوله خير أم آخره وهو حديث صحيح وأجاب النووى رحمه الله تعالى بان المراد بآخره من أدرك عيسى عليه الصلاة والسلام ورأى مافى زمانه من الخير والبركة وانتظام كلمة الاسلام واضمحلال الكفر وهو متق وأوله من لم يدركه فى صدر الاسلام غير الصحابة وسيأتى الكلام عليه مفصلا (قرنا فقرنا) هذا كقولهم قرأت النحو بابا بابا وهو حال بتأويل مرتبا ولم يذكره النحاة معطوفا وكأنه الحامل لبعض الشراح على جعله معمولا لحال مقدرة والفاء للتركيب فى الوجود أو الفضل نحو خذ الاكمل فالاكمل ومنه والصافات صفا فالزاجرات زجرا وهذا قريب من قول ابن الرومى

كم من أب قد علا بابن ذوى شرف * كما علا برسول الله عدنان

(حتى كنت من القرن الذى كنت فيه) قيل حتى غاية لبعثته وأراد به تقلبه فى اصلاب آبائه من ابراهيم عليه السلام ثم من نابت بالنون ابن اسمعيل ثم من النضر بن كنانة ثم من قريش بن النضر ثم من عبد الله بن عبد المطلب ثم أيد هذا الحديث رواه البيهقى مسندا فى دلائله والترمذى وحسنه وهو ما أشار اليه بقوله (وعن العباس رضى الله تعالى عنه قال قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله خلق الخلق) أى المخلوقات كلها من انس وملك وجن (فجعلنى من خيرهم) أى أوجدنى وصيرنى من خير جنس منهم وهم الانس وهم خير نوع وهم العرب ومن خير قرن وهو قرنه صلى الله تعالى عليه وسلم وقرن أصحابه فلذا أبدل منه قوله (من خير قرنهم) بدل بعض من كل (ثم تخير القبائل) أى اختار من قرنه خيارهم أى أشرفهم (فجعلنى من خير قبيلة) من العرب وهم قريش والقبيلة واحدة القبائل الجماعة من أب واحد والقبيل بغير هاء بنو آباء مختلفة أو هو أعم وقد يكونان بمعنى والقبيلة تحتوى على جماعات من آباء منتسبة للاب الاول تسمى بيوتا وبطونا لانهم من بطن واحدة ويجمعهم بيت واحد وأصل البيت المسكن الذى يبيتون فيه فاطلق على أهله وصار حقيقة فيهم فلذا قال (ثم تخير البيوت) بضم الباء ويجوز كسرها (فجعلنى من خير بيوتهم) يعنى بنى هاشم وقيل المراد بالبيت هنا الشرف أى تخير الله جهات الشرف وأسبابه المقتضية له واختار لى أعلاه والاشرف والاول هو الموافق للغة نعم البيت يخص بمن له شرف (فانا خيرهم) أى جميع من ذكر (نفسا) أى روحا وذاتا (وخيرهم بيتا) أى حسبا وشرفا وأصلا وفيما ذكر اشارة الى الطبقات الست من الناس فان العرب كما تقدم تقسم الناس لشعب وقبيلة وعمارة وبطن وفخذ وفصيلة كل طبقة تجمع مابعدها وماقيل من انه لا يلزم من كونه خيرهم بيتا ان يكون هو خير المشاركة أهل البيت له فى شرفه والجواب ان المراد انه خيرهم بالقياس الى غير بيته لا الى

كل

كل واحد من أهل بيته ليس بشئ لانه لو كان كذلك لم يصح تفريعه على كونه خيرهم نفسا فهذا كقولهم فلان من العلماء وهو أمدح من قولهم عالم كما قرره أهل المعانى لسوق فضله وخيرته مساق المعلوم المسلم وبيان عراقته واصالتـه فى ذلك كقوله تعالى وكانت من القانتين كما مر (وعن واثلة بن الاسـقع) رضى الله تعالى عنه وفى التذكرة فى رجال الكتب العشرة لابى المحاسن العلوى واثلة بمثلثة ولام ابن الاسقع ابن كعب بن عامر أبو الاسقع ويقال أبو قرصافة الليثى أسلم قبل تبوك وشهدها وكان من أهل الصـفة وروى عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وعن أبى مرثد الغنوى وأبى هريرة وأم سلمة رضى الله تعالى عنهم وروى عنه بناته ومكحول وجماعة قالوا مات سنة ثلاث وثمانين وعمره مائة وخمس سـنين وقال البرهان خمس وتسعون سنة وخدم النبى صـلى الله تعالى عليه وسـلم ثلاث سنين وذكر نسبه مخالفا لما ذكرناه فقال ابن عبد العزى بن عبد ياليل بن ناشب بن عبرة بن سعد بن بكر بن عبد مناف بن كنانة وقيل ابن عبد الله وقيل غير ذلك والاسقع بفتح الهمزة وسكون السين المهملة وفتح القاف وعين مهملة (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله اصطفى) أى اختار وارتضى (من ولد ابراهيم اسمعيل عليهما الصلاة والسـلام) فهو أفضل أولاده وكان له غير اسمعيل واسحق ستة أولاد من قنطورا (واصطفى من ولد اسمعيل بنى كنانة) قال السهيلى ولاسمعيل بنون ذكر أسماهم ابن اسحق وهم اثنى عشر منهم نابت بالنون كما تقدم وهو جد كنانة وبينهما ثلاثة عشر أبا وسمى بكنانة السهام التى تسمى جعبة ولقب به وحكى أبو حاتم عن الاصمعى ان رجلا وقف عليه مع أخيه أسد يسلخان جزورا لهما فقال الرجـل ماجـلاء الكاشطين فقال له خابئة المصارع وهصار الاقران فقال يا كنانة ويا أسد أطعمانى من جزوركما فاطعماه فكنى له الرجل عن كنانة بخابئة المصارع يعنى السهام لانها تصرع ما أصابته وروى المصادع بالدال بدل الراء جمع مصدع والهصر من صفات الاسـد وجلاء بكسر الجيم والمد أى ما اسمهما الذى يكشف اللبس عنهما والـكشط بمعنى السلخ والولد صفة مشبهة جرى مجرى الاسماء يشمل الواحد وغيره (واصطفى من بنى كنانة قريشا) ولد كنانة لصلبه النضر وله أربعة أولاد ومن ذريته قريش وأول قريش فى الاصح فهر بن مالك بن النضر وقيل النضر أول قريش واختلف هل قريش اسمه أو لقبه واسمه فهر وبه جزم العراقى فى ألفية السيرة ويطلق قريش على بنيه فيصرف ولا يصرف باعتبار القبيلة كما يقال تميم وربيعة وكذا النضر فمن لم يكن من ولد النضر ليس بقرشى قال الشعبى رحمه الله تعالى النضر ابن كنانة هو قـريش وانما سـمى قريشا لانه كان يتقـرش عن ارباب الحاجات ليقضى حوائجهـم والتقريش التفتيش وقيـل التقرش التجمع فسموا به لتجمعهم فيكون اسـما للقبيلة ولذا جاز منع صرفه كما علم وقيـل هو اسم سمكة عظيمة سمى به القبيلة لانه كان يأكل السـمك ويقهرها فسـمى به القبيلة أو أبوها لشدتهم وتصغيره للتعظيم قال الشاعر

وقريش هى التى تسكن البحر * وبها سميت قريش قريشا

(واصطفى من قريش بنى هاشم) واسمه عمرو وهو علم منقول من معان منه العـمر بالضم واحد عمور الاسنان وهو اللحم المطيف بها وهاشم اسم فاعل من هشم بمعنى كسر سمى به لانه هشم الثريد لقومه فى سنة مجدبة قال

عمرو العلا هشم الثريد لقومه * ورجال مكة مسنتون عجاف

أو كان يهشمه للحاج وهذا الشعر لمطرود بن كعب الخزاعى والقافيـة مرفوعة وتوارد مع عبد الله بن الزبعرى فى قوله

يا أيها الرجل المحـول رحله * الانزلت بآل عبد مناف
الخالطين غنـيهم بفقيرهم * والقائلين هلم للاضياف
عمرو العلا هشم الثريد لقومه * قوم بمكة مسنتين عجاف

(وعن واثلة) بمثلثة مكسورة (ابن الاسقع) وهو من أرباب الصفة وضبط بفتح الهمزة وسكون السين المهملة وفتح قاف فعين مهملة وقال التلمسانى بالسـين والصاد ويجوز الزاى كما رواه مسـلم والترمذى واللفظ له (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله اصـطفى من ولد ابراهيم) قيل هو معرب أب رحيم والولد بفتحتين أو بضم فسكون أى اختار من أولاده وكانوا ثلاثة عشر (اسمعيل) اذ كان نبيا رسـولا الى جرهـم وعمـاليـق الحـجاز وأغرب التلمسانى حيث قال اسـمعيل باللام والنون (واصطفى من ولد اسـمعيل) وكانوا اثنى عشر ولدا على ما ذكره ابن اسحق (بنى كنانة) وهو بكسر الـكاف ابن نابت وبين كنانة ونابت فيما ذكر ابن اسـحق ثلاثة عشر أبا (واصطفى من بـنى كنانة) وكانوا أربعـة منهـم النضر (قريشا) وهـم أولاد النضر روى ان فى الرجل من قريش قوة أربعين من غيرهم (واصـطفى من قريش بـنى هاشم) اسمه عمرو وسمى بذلك لانه أول من هشم الثريد لقومه وأضـيافه من الحجاج وغيرهـم فى سنة القحط

وخلط الرواة في الشعرين فزعموا انه أقوى وليس كذلك (واصطفاني من بني هاشم) هذا الحديث رواه مسلم والترمذي وماقاله المصنف رحمه الله تعالى هو بلفظه في الترمذي ولفظ مسلم ان الله اصطفى كنانة من ولد اسمعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم وفيه دليل على تفاضل العرب فيما بينهم الا انهم اختلفوا في التفاضل بين قريش على مافصله الفقهاء في باب النكاح في أحكام الكفاءة وقد تبرع بعضهم هنا ولا داعي له (قال الترمذي وهذا حديث صحيح) ونقل المزي عنه انه قال انه حديث صحيح غريب (وفي حديث عن ابن عمر رضي الله عنهما) رواه الطبراني في الاوسط بسند حسن و (رواه الطبري) هو الامام الفرد الحافظ بن جرير أبو جعفر أحد الاعلام صاحب التصانيف المشهورة من أهل طبرستان كان كثير الطواف والعبادة وسمع من محمد ابن الشوارب والسكوني واسحق بن اسرائيل وغيرهم وأخذ القرآآت عن جماعة وروى عنه كثير توفي سنة عشرة وثلاثمائة ودفن بداره وولد سنة أربع وعشرين ومائتين وترجمته مشهورة (انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان الله عز وجل اختار خلقه) أي أراد أن يخلق خلقه ويوجدهم فلما أوجدهم تخيرهم (فاختار منهم بني آدم) وقيل اختار خلقه بمعنى اختار منهم ففيه حذف وايصال وقوله فاختار الى آخره بيان له وكذا قوله (ثم اختار بني آدم فاختار منهم العرب) وهم الجيل المعروفون كما تقدم وقيل معناه ميز بني آدم من بينهم عن غيرهم ثم اصطفى من بني آدم على غيرهم أو معناه فاصطفى من بينهم بني آدم ثم دام على اصطفائه اياهم وكثيرا ما تضمن الافعال معنى الدوام نحو يا أيها الذين آمنوا آمنوا والا فلا معنى لاصطفائهم واختيارهم مرة بعد أخرى وليس العرب كلهم من ولد اسمعيل كما قاله بعضهم فانه قول غير صحيح لشهرته لا حاجة لذكره (ثم اختار العرب) أي بطنا من خيارهم ليزيده لطفا (فاختار منهم قريشا ثم اختار قريشا فاختار منهم بني هاشم ثم اختار بني هاشم فاختارني منهم فلم أزل خيارا من خيار) أي لم أزل من أصل مبدئي وأصولي الى ان أنشأني الله خيارا مخلوقا من خيار وشريفا من شريف (الا) حرف استفتاح وتنبيه على ما علم مما قاله وتحقيق لما بعده (من أحب العرب فبحبي أحبهم ومن أبغض العرب فببغضي أبغضهم) الظاهر ان الباء للسببية أي من أحبهم بسبب محبة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لهم ولمحبته فان من أحب أحدا يحب لاجله قومه وأصوله وكذا البغض وهو عدم المحبة ولا يكمل ايمان المرء حتى يكون الله ورسوله أحب اليه من نفسه ونقل عن بعض المالكية ان من سبهم وجب قتله قيل وهذا ينبغي أن يقيد بالحيثية فانه ملاحظ في كثير من القضايا أي من حيث كون النبي صلى الله تعالى عليه وسلم منهم أو من حيث انهم عرب لا من أبغضهم أو ذمهم لامر آخر كقوله تعالى الأعراب أشد كفرا ونفاقا ويدل عليه حديث أحب العرب لثلاث لاني عربي والقرآن عربي ولسان أهل الجنة في الجنة عربي والمراد الحث على محبتهم وقد صنف العراقي رحمه الله تعالى كتابا في هذا سماه نيل القرب في محبة العرب وفي هذا رد على الشعوبية وهم قوم يفضلون العجم على العرب ولهم أدلة على مقالتهم بنوها وما عليها أو أوردوا الاحاديث الموضوعة نصرة لهم منها ان الله تعالى اذا تكلم بالرضاء تكلم بالفارسية واذا تكلم بالغضب تكلم بالعربية وفي الشرح الجديد الاحاديث الواردة في فضل اللغة الفارسية كلها موضوعة وفضلهم في الكرم والشجاعة والحلم والعلم أكثر من أن يحصى وقيل ان أبا عبيدة كان شعوبيا وصنف كتابا في مثالب العرب وقد قيل انه كذب عليه * فان قلت ان تقديم المتعلق أعني بحبي وببغضي يقتضي الحصر ومحبتهم لشرف نسبهم وحسبهم ومافيهم من الامور المحمودة لا يتوقف على محبته صلى الله تعالى عليه وسلم * قلت ان كانت الباء للآلية الادعائية كما في نحو نظرت

(واصطفاني من بني هاشم) أي ابن عبد المطلب بن هاشم (قال الترمذي وهذا حديث صحيح) أي اسناده قال المنجاني وقد خرجه مسلم في صحيحه (وفي حديث عن ابن عمر رواه الطبراني) أي محمد بن جرير أحد الاعلام وصاحب التصانيف من أهل طبرستان وسمع خلائق وأخذ القراءة عن جماعة توفي سنة عشر وثلاثمائة وكذا الطبراني في معجميه الكبير والاوسط (انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان الله عز وجل اختار خلقه) أي تخيرهم وقيل أوجدهم لان المختار عند المتكلمين هو الفاعل لا على سبيل الاكراه (فاختار منهم بني آدم ثم اختار بني آدم) أي تنقاهم (فاختار منهم العرب ثم اختار العرب) أي انتقدهم (فاختار منهم قريشا) وهم أولاد النضر بن كنانة وسموا قريشا لان قصيا قرشهم أي جمعهم في الحرم بعد ماكانوا متفرقين (ثم اختار بني هاشم فاختارني) أي منهم (فلم أزل خيارا من خيار الا) للتنبيه على تحقيق ما بعده من الامر النبيه (من أحب العرب فبحبي) أي فبسبب حبه اياي (أحبهم ومن أبغض العرب فببغضي) أي فبسبب بغضه اياي (أبغضهم) والمعنى انما أحبهم لانه أحبني وانما أبغضهم لانه أبغضني فندفع بذلك قول بعض المالكية من سبهم وجب قتله لكن قد يقال المعنى فبسبب حبي وبغضي اياهم أحبهم وأبغضهم لا بسبب آخر فمن أحبهم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يعني من أهل الايمان يجب محبتهم ومن أبغضهم من أهل العدوان يجب عداوتهم وأما الطعن في جنس العرب فهذا محل بحث وسيأتي

بعيني وسمعت باذني فلا اشكال لان المعنى من أحبهم أو أبغضهم فينبغي أن يحبهم بمثل حبي و يبغضهم بمثل بغضي وهو الحب في الله والبغض في الله وان كانت للسببية فالمراد انه بسبب حبي يحبهم لا للعصبية وأمور الجاهلية فتدبر قلت وهذا الحديث رواه أيضا البيهقي عن محمد بن ذكوان عن عمرو بن دينار عن ابن عمر رضي الله عنهما قال انا القعود بفناء النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اذ مرت امرأة فقال بعض القوم هذه ابنة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال أبو سفيان مثل محمد صلى الله تعالى عليه وسلم في بني هاشم مثل الريحانة في وسط العين فانطلقت المرأة وأخبرت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فجاء يعرف في وجهه الغضب فقال ما بال أقوام يبلغني عنهم ما يبلغني ان الله عز وجل خلق الخلق واختار من الخلق بني آدم واختار من بني آدم العرب واختار من العرب مضر واختار من مضر قريشا واختار من قريش بني هاشم واختارني من بني هاشم فانا خيار من خيار الى خيار فمن أحب العرب الى آخره وقوله (وعن ابن عباس) رضي الله عنهما قال السيوطي هذا الحديث رواه ابن أبي عمر العدني في مسنده (ان قريشا) بفتح همزة ان المشددة وا صدر مبتدأ خبره الجار والمجرور وقبله (كانت نورا بين يدي الله تعالى) هو مستعار مما بين الجهتين المسامتتين لثدي الانسان لانهم من الله بمنزلة توجب اجلالهم ومحبتهم تفخيما لشأنهم وحثا على محبتهم وقيل انه كناية عن غاية القرب من محل رضاه كما يقال فلان بين يدي الملك وان كانت الحقيقة هنا متعذرة فهو مجاز متفرع على الكناية كما في قوله لا ينظر الله الى فلان كما في شرح المفتاح (قبل أن يخلق آدم عليه الصلاة والسلام بالفي عام) هو على حقيقته أو المراد طول المدة أي قبل أن يظهره في عالم الشهادة ثم بين حكمة اظهاره بقوله (يسبح ذلك النور وتسبح الملائكة) اقتداء (بتسبيحه) أي بتقديسه وتنزيهه لله والمراد بكون قريش نورا أرواحها أو ان الله تعالى مثلها بهذا المثال وأبرز صورها في الملأ الاعلى تسبحه ليعلم أنها بشرية ملكية ولذا قال الله تعالى لهم لما قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها و يسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال اني أعلم ما لا تعلمون يعني أنهم سبحوا قبل ما سبحتم في الازل فهم لم يعلموا بذلك لانهم ظنوا ان تلك الانوار ملكية صرفة وكان نور محمد صلى الله عليه وسلم مدرجا اذ ذاك في أصواه من قريش وغيرهم بحملة أصلابه المسبحة وان لم يشعروا به وان من شئ الا يسبح بحمده (فلما خلق الله) جسم (آدم عليه الصلاة والسلام ألقى ذلك النور في صلبه) والصلب والصالب عمود الظهر ويقال بضم الصاد وفتحها أي أودعه فيه كما سيأتي تحقيقه ثم فصله بقوله (فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاهبطني الله الى الارض في صلب آدم) أي أنزل نوري الذي في صلبه الى الارض (وجعلني في صلب نوح) أي نقل نوري من صلب آدم عليه الصلاة والسلام الى صلب نوح صلى الله تعالى عليه وسلم وقال (وقذف بي في صلب ابراهيم) عليه الصلاة والسلام ولم يقل جعلني لما بين نوح وابراهيم عليهما الصلاة والسلام من البعد لان القذف الرمي من بعيد وأصله الرمي بالحجارة يقال هم ما بين حاذف وقاذف والحذف رمي العصا (ثم لم يزل الله ينقلني من الاصلاب الكريمة) يعني أصلاب أجداده عليه الصلاة والسلام (والارحام الطاهرة) من خبث الزنا وغيره ووصف الاصلاب بالكريمة والارحام بالطاهرة في غاية الحسن لانها مقر الطمث والدم والنطف والارحام جمع رحم وهو وعاء الولد ويطلق على القرابة (حتى أخرجني من بين أبوي) أي بين أبي وأمي على التغليب المشهور واخراجه من بينهما تولده منهما وخلقه من نطفتهما (لم يلتقيا على سفاح قط) جملة حالية والسفاح الزنا من سفح الماء ونحوه من المائعات اذا أراقه أي لم يجتمعا على زناء لم تلق نطفة أحد من أبويه وآبائه في غير الارحام الطاهرة من الزنا ونكاح الجاهلية كما مر وقدمر انها التعميم الازمنة الماضية يقال ما رأيته قط بفتح القاف وضمها وتشديد الطاء وبفتح القاف وتخفيف الطاء المضمومة واذا كانت بمعنى

تحقيقه (وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما) على ما رواه ابن أبي عمر والعدني في مسنده (ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كانت روحه) وفي أكثر النسخ ان قريشا أي من حيث هو فيهم كانت (نورا بين يدي الله تعالى) أي مقربا عنده سبحانه وتعالى (قبل أن يخلق آدم بالفي عام يسبح ذلك النور) أي قبل عالم الظهور (وتسبح الملائكة بتسبيحه) أي بسببه أو بما يقوله من تسبيحه على طبقه ووفقه (فلما خلق الله آدم ألقى ذلك النور في صلبه) بضم فسكون وفي القاموس بالضم وبالتحريك هو عظم من لدن الكاهل الى العجب وقال التلمساني هو عمود الظهر ويقال بضم الصاد وفتحها قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (فاهبطني الله عز وجل الى الارض في صلب آدم وجعلني في صلب نوح) أي بعدما كان في صلب شيث وادريس (وقذف بي) أي بعد ذلك (في صلب ابراهيم) أي من صلب سام بن نوح (ثم لم يزل الله تعالى ينقلني من الاصلاب الكريمة والارحام الطاهرة حتى أخرجني) أي أظهرني (من) وفي نسخة بين (أبوي لم يلتقيا) أي أبواي من آدم وحواء الى عبد الله وآمنة (على سفاح) بكسر السين أي على غير نكاح (قط) أي أصلا وقطعا

(ويشهد لصحة هذا الخبر شعر العباس) وهو قوله من قبلها طبت فى الظلال الخ (المشهور فى مدح النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) كما سيأتى فى كلام القاضى *(فصل)* (وأما ماتدعو ضرورة الحياة اليه مما فصلناه) أى مما بيناه فيما تقدم أول الباب من فضائله فيه (فعلى ثلاثة ضروب) وفى بعض النسخ اضرب أى على ثلاثة أنواع أو أصناف (وضرب الفضل) أى هو الفضل ويجوز فيه الاضافة (فى قلته) وهو الذى أورده هنا (وضرب الفضل فى كثرته) أورده فى فصل ثان (وضرب تختلف الاحوال فيه) ذكره فى ثالث (فاما) أى ضرب (التمدح والكمال بقلته اتفاقا) أى بين العلماء والحكماء من العرب والعجم وغيرهم من العقلاء (وعلى كل حال) أى وفى قلته على كل حال باصل الخلقة أو بحكم المجاهدة (وعادة وشريعة) أى عقلا ونقلا أو عادة وعبادة (كالغذاء) بكسر المعجمة الاولى ما يتغذى به من الطعام والشراب وهو أعم من الغداء بفتح المعجمة والدال المهملة وهو ما يؤكل أول النهار كما ان العشاء بالفتح ما يؤكل بعد الزوال الى العشاء بالكسر فتجويز الدلجى ضبطه بالمعجمة والمهملة من المهمل الذى ليس فى محل المستعمل وكذا قول اليمنى وأما الغداء بفتح الغين المعجمة والدال المهملة فهو الطعام بعينه وهو خلاف العشاء انتهى مع ما فيه من التناقض بين قوله هو الطعام بعينه وبين قوله   مثلث
وهو خلاف العشاء (والنوم) أى وكالنوم (ولم تزل العلماء والعرب) أى من العقلاء (والحكماء) أى منهم ومن غيرهم من القدماء (تتمادح) أى تتفاخر (بقلتهما وتذم) أى وتتعايب (بكثرتهما) أو التقدير تذم التقييد بكثرتهما وفى نسخة وتذم كثرتهما (لان كثرة الاكل والشرب) بتثليث الشين والضم ثم الفتح أشهر وأما الكسر ففى معنى النصيب أكثر (دليل على النهم) بفتحتين أى الافراط فى

حسب فبفتح وسكون (ويشهد لصحة هذا الخبر شعر العباس) رضى الله تعالى عنه عم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فانه اشتمل على معناه (فى مدح النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) وهو الشعر المشهور الذى أوله

من قبلها طبت فى الظلال وفى * مستودع حيث يخصف الورق

الابيات وستأتى بتمامها مع الكلام عليها وقد قيل انها لحسان رضى الله تعالى عنه والصحيح الاول وان ذهب ابن عساكر فى تاريخه الى الثانى فى حديث أخرجه عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما الا انه ضعيف جدا قيل وهذا موضع بحث لانه ان أراد بكونه شاهدا لصحته متنا وسندا فهو غير لازم وان أراد به صحة معناه فهو غير مفتقر له لان كثيرا من الاحاديث دلت عليه وانتقاله عليه الصلاة والسلام من صلب آدم عقلى أيضا وفيه نظر
(فصل) (وأما ماتدعو ضرورة الحياة اليه مما فصلناه) فيما تقدم أول الباب وتدعو بمعنى تقتضيه ويلزم حتى كأنه تطلبه منه فهو استعارة فى الاصل وضرورة الحياة ما لابد منه فيها مما يضطر الحى اليه (فعلى ثلاثة ضروب) جمع ضرب وهو القسم والنوع من الشئ وفى بعض النسخ فعلى ثلاثة ضرب وفى بعضها اضرب بجمع القلة وهو أنسب بالثلاثة والاولى لان الجمعين يقام كل منهما مقام الآخر كثيرا كقوله تعالى ثلاثة قروء وفيه تفصيل ليس هذا محله (ضرب الفضل فى قلته وضرب الفضل فى كثرته وضرب تختلف الاحوال فيه) وأفرد لكل منها فصلا كما سيأتى (فاما التمدح) أى حسنه بحيث يستحق المدح به وليس المراد به التكلف كتحلم (والكمال بقلته اتفاقا) شرعا وعادة كما بينه بقوله (وعلى كل حال عادة وشريعة) والمراد بالعادة ما اعتاده الناس مما يؤدى اليه العقل اذا خلى نفسه وطبعه والشريعة ما أمر به الشارع ونهى عنه مما تضمنه الوضع الالهى السائق لذوى العقول باختيارهم الى الامر المحمود (كالغذاء والنوم) الغذاء بكسر الغين وفتح الذال المعجمتين وبالمد كل مأكول ومشروب به قوام البدن مطلقا وأما بفتح المعجمة ودال مهملة فما يؤكل فى أول النهار كما مر والنوم معروف (ولم تزل العرب والحكماء) أراد بالحكماء حكماء اليونان والهند والفرس ونحوهم ولذا قابلهم بالعرب وهم يمدحون قلة النوم والسهر بما لا مزيد عليه قال فى هيا كل النور النفوس الناطقة من جواهر الملكوت وانما يشغلها عن عالمها القوى البدنية ومشاغلها وضعف سلطان القوى البدنية بتقليل الطعام وتكثير السهر فيتخلص أحيانا الى عالم القدس ويتلقى منه المغيبات (تتمادح بقلتهما وتذم بكثرتهما) تتمادح كتتفاخر لفظا والمقصود الكثرة لا التفاعل وخص العرب لانهم أكثر الناس مدحا لهذين بخلاف غيرهم كالروم والعجم فانهم يفتخرون بكثرة الاطعمة ونفاستها ولهم حرص عليها وذكر الحكماء منهم ومن غيرهم ومر ذلك لاعتنائهم بالرياضة وقلة التنعم فى كل مأكل ومشرب مع سداد عقولهم وصفاء اذهانهم واعتنائهم بمهمات أمورهم وعباداتهم وهو ظاهر وورد فى الحديث أبغضكم الى الله تعالى كل نوم وقال عيسى عليه الصلاة والسلام للحواريين أجيعوا بطونكم لعلكم ترون ربكم بقلوبكم وقالوا البطنة تذهب الفطنة والاحاديث فى هذا أكثر من ان تحصى وقال الله تعالى والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الانعام (لان كثرة الاكل والشرب دليل على النهم) بفتح النون والهاء وهو الافراط فى شهوة الطعام ومنه الحديث منهومان لا يشبعان طالب علم وطالب مال والشرب

مثلث الشين (والحرص والشره) أى الحرص على الاكل والشرب والشره بفتح الشين المعجمة والراء المهملة والهاء زيادة الحرص ففيه ترقى (وغلبة الشهوة) المراد غلبة شهوته للطعام على تحمله وصبره وعقله فيما فيه صلاحه فليس فى كلامه تكرار وهذه كلها صفات مذمومة كما ورد فى الحديث الحرص والشره داء عضال والحريص أسير شهوته وعبد بطنته والحرص توأم الحسد وهو هادم الجسد والحرص قد يكون محمودا اذا كان فى محمود وقال الله تعالى حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم وانما يمدح قلة الغذاء والنوم اذا لم يفرط حتى تؤدى لضرر بالاضرورة كما قال

واخش الدسائس من جوع ومن شبع * فرب مخمصة شر من التخم

ثم ان ترك من ابتلى بذلك اذا عسر عليه ينبغى قطعه بالتدريج كما فى منظومة ابن سينا

وكل عادة تضر أهلها * فاقطع بتدريج الزمان أصلها

وقوله (مسبب لمضار الدنيا والآخرة) خبر بعد خبر لان وهو بكسر الباء المشددة اسم فاعل ولم يقل سبب مع انه أخف وأظهر لانه أمر مباح لاضرر فيه دنيوى ولا أخروى بل ربما يترتب عليه نفعهما كراحة البدن والقيام بعده للعبادة كمن لو لم ينم أول الليل لم يدرك صلاة الصبح فحيث انه ترتب عليه نفع تارة وضر أخرى علم انه ليس سببا بل قد ينشأ عنه سبب ضرر وهما فهو مسبب لاسبب فان النوم قد يكون منه ترك الصلاة وهو سبب لضرر الآخرة والاكل يكون منه الامتلاء وهو سبب للسدة والسل والشرب بعد النوم يورث الامراض وقيل انه بمعنى السبب هنا المفضى الى المسبب بالفتح والفضل للتقدم فمعنى مسبب موجد للاسباب وهذه الشهوة والحرص عليها يؤدى الى جلب المال وكذاحب المال وكذاحب الدعة والراحة قد يترتب عليه مفاسد كما قال الشاعر

وانك ان أعطيت بطنك همه * وفرجك نالا منتهى الذم أجمعا

ويقع فى بعض النسخ وغلبة الشهوة مسبب برفعها على انه مبتدأ وخبر وليس بشئ لان غلبة الشهوة ليس سببا للمضار وانما سببه الاكل والشرب كما قاله الانطاكى ثم أشار المصنف رحمه الله تعالى الى ذلك على طريق اللف والنشر فقال (جالب لادواء) جمع داء (الجسد) أى أمراضه واسقاطه كما هو مشاهد وقال

فان الداء أكثر ماتراه * يكون من الطعام أو الشراب

فهذا راجع لكثرة الاكل والشرب اذبهما تمتلئ المعدة والعروق بالدم وتزيد الاخلاط فيتولد منها الامراض واجتمع أربعة أطباء هندى ورومى وعراقى وسوادى عند الرشيد فقال ليصف كل واحد منكم الدواء الذى لاداء معه فقال الهندى هو الاهليلج الاسود وقال الرومى حب الرشاد الابيض وقال العراقى الماء الحار فقال السوادى وكان أعلمهم الاهليلج يعفص المعدة وهذا داء وحب الرشاد يرققها وهذا داء والماء الحار يرخيها وهذا داء قالوا فما هو قال ان لاتأكل الطعام حتى تشتهيه وترفع يدك وأنت تشتهيه وفى الطب النبوى فى معناه أحاديث كثيرة نحو صوموا تصحوا (وخثارة النفس) بفتح الخاء المعجمة والمثلثة والراء المهملة عند ابن رسلان وبضم الخاء عند برهان الحلبى والاول هو الظاهر لموافقته القياس كالكفالة والضلالة قال ابن الاثير هو ثقل النفس وعدم نشاطها والظاهر أنه راجع لكثرة النوم فانه يورث لاسيما بالنهار ضعفا للبدن ووقع فى بعض النسخ خسارة بالسين وهو تصحيف وتحريف من الكاتب وهو مجرور معطوف على الادواء وكذا قوله (وامتلاء الدماغ) بالبخرة رطبة تتصاعد عند النوم ترخى أعصاب الدماغ وتضعفه وتذهب صفاء الذهن وتورث البلادة وقلة الحفظ ويصح رجوع هذا وماقبله للجميع لكن

شهوة الطعام (والحرص) أى على جمع المال لنيل المنال أو على طول الحياة لحصول اللذات (والشره) بفتحتين أى غلبة الحرص وقيل هو ان يأكل نصيبه ويطمع فى نصيب غيره فهما مجروران عطفا على النهم بفتحتين للتفسير والتأكيد ثم قوله (وغلبة الشهوة) مبتدأ خبره قوله (مسبب) بكسر الباء والمسبب فى الحقيقة هو الله تعالى فكان الاولى ان يقول سبب أى أمر موجب وباعث مجتلب (لمضار الدنيا والآخرة) وفى بعض النسخ ضبط الحرص والشره وغلبة الشهوة كلها بالرفع فيكون مسبب خبرا ثانيا لان ويؤيده قوله (جالب) بلا عاطف وليس كما قال الدلجى عطف على دليل أو مسبب ثم المعنى جاذب ومكسب (لادواء الجسد) جمع الداء بمعنى المرض (وخثارة النفس) بضم الخاء المعجمة أى ثقلها بلاطيب ونشاط (وامتلاء الدماغ) وهو أعلى الرأس من القحف أى من رطوبات ابخرة متصاعدة تورث استرخاء أعضائه الذى به النوم الذى يفوت خيرا كثيرا

(وقلته) عطف على كثرة الاكل وهو اسم ان أو على محلها أى قليل من الاكل (دليل على القناعة) أى الرضى باليسير والتسليم للقسمة (وملك النفس) بكسر الميم أى وعلى قدرتها وحكمها على قمعها ومنعها من الميل الى الشهوات وأتباعها (وقمع الشهوة) بالرفع مبتدأ خبره (مسبب للصحة) وجوز الدلجى جره عطفا على ما قبله فيكون مسبب خبرا ثانيا للقلته وهو بعيد لفظا ومعنى وجوز الحجازى رفع ملك النفس أيضا فتأمل والمراد من الصحة صحة الظاهر وهو الجسد من الآلام والاسقام لان التخمة أصل كل علة (وصفاء الخاطر) أى وسبب لخلوص الباطن من الكدورات المتولدة بانهماك النفس فى المستلذات (وحدة الذهن) أى لذكائه وهى شدة قوة للنفس معدة لاكتساب الآراء ٤٣٨ المستقيمة (كما ان كثرة النوم دليل على الفسولة) بضم الفاء والسين المهملة أى الرذالة وفتور النفس (والضعف) بالضم والفتح أى ضعف البنية) وعدم الذكاء والفطنة) أى وعلى عدمها وقوله (مسبب) خبر ثان لان أو عدم الذكاء مبتدأ خبره مسبب (للكسل) أى الملالة فى الطاعة (وعادة العجز) أى وتعود العجز عن القيام بالعبادة روى ان من خصائصه عليه الصلاة والسلام انه كان لا يتثاءب ولا يتمطى لانهما من عمل الشيطان (وتضييع العمر) بضمهما ويسكن الثانى (فى غير نفع) أى بلا منفعة حقيقة لان النفس اذا توجهت الى معرفة شئ ومزاولة عمل ولم تجد لها آلة تساعدها من صدق تخيل وصحة فكر وتأمل وجودة حفظ وتعقل لفقد اعتدال المزاج بسبب كثرة الاكل والنوم فترت همتها عن العلم والعمل واعداها الكسل مع حصول عجز البدن عن وصول الامل واضاعة العمر فى غير نفع مدة الاجل (وينقل (وقساوة القلب) أى وفى شدته وغلاظته (وغفلته) أى اهماله وتركه عن تحصيل منفعته (وموته) أى وموت قلبه لان حياته بذكر ربه وفكر حبه (والشاهد على هذا) أى والدليل الظاهر على ما ذكرناه من ان كثرة الاكل والنوم تورث ما قدمناه (ما يعلم ضرورة) أى بديهة باوائل الفطرة من غير حاجة الى الفكرة كالعلم بجوع النفس وعطشها او قبضها او بسطها او كالعلم بان الواحد نصف الاثنين والاثنين أكثر من واحد ونصب ضرورة على التمييز (ويوجد مشاهدة) أى معاينة منا ومن غيرنا وهى منصوبة على المفعولية

يأباه ما بعده من قوله (وقلته دليل على القناعة) بالنصب عطفا على كثرة الاكل ويجوز رفعه على الابتداء لان من اعتاد قلة الاكل يقنع باليسير فاستراح واستغنى عن الناس فعز وتخلى للعبادة وكان من رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله (وملك النفس ٢) معطوف على القناعة أى ملك نفسه الامارة فلا تعصيه لانه اذا شبع عصته نفسه وتحركت شهوته كما قال ذو النون رحمه الله تعالى ما شبعت الا هممت بمعصية والجوع يقمع الشهوات (وقمع الشهوة) معطوف على القناعة والقمع القهر أى قهر شهوته وغلبها او أضعفها حتى لا تخالفه وما بعده خبر مبتدأ مقدر والظاهر أنه مبتدأ خبره (مسبب) بكسر الباء كما تقدم (للصحة وصفاء الخاطر وحدة الذهن) الخاطر يطلق على ما يخطر على القلب من الافكار ويطلق على القلب نفسه وصفاؤه من الكدورة بحسب فهمه والذهن قوة الفهم وحدته سرعته وهذا يكون عند الجوع أقوى وأصفى وبه يصل للمعارف الربانية ويلتذ بالمناجاة والاذكار والعبادة وقال الجنيد يجعل أحدكم بينه وبين قلبه مخلاة من الطعام ويريد أن يجد حلاوة المناجاة وهذا كله راجع للاكل وما بعده لما بعده والحدة بكسر الحاء القوة كبعثة (كما ان كثرة النوم دليل على الفسولة) بضم الفاء والسين المهملة واللام وهى الرذالة وعدم الهمة فى أمور الدنيا والآخرة

فيا نائم الليل هنيته * فقبل الممات سكنت القبورا

لانه يميت القلب ويورث الكسل ولا يصح أعجامه وان كان بمعنى الجبن لعدم مجيء مصدره على فعولة (والضعف) أى ضعف القوى والادراك (وعدم الذكاء والفطنة مسبب) هما متقاربان أو الفطنة الفهم والذكاء سرعته فقدم نفى الاخص على نفى الاعم ليفيد المبالغة على قاعدتهم فى الترقى فيه وعدم الذكاء مرفوع مبتدأ وخبره مسبب كما فى الاصول والاظهر جره عطفا على ما قبله فسبب خبر بعد خبر كما مر (للكسل وعادة العجز وتضييع العمر فى غير نفع) اما كون كثرة النوم سببا للتوانى عن فعل المهم فلتعطل الحواس فيه وارتخائها فاذا ألف ذلك عجز وضاع عمره بلا فائدة كما قال

أليس من الخسران أن لياليا * تمر بلا نفع وتحسب من عمرى

فمثله لا يعد عمرا الا انه ما عمر الانسان أحد داريه

اذا كان رأس المال عمرك فاحترس * عليه من الانفاق فى غير واجب

(وقساوة القلب وغفلته وموته) لعدم قبوله الموعظة بسبب غفلته به عما يهمه وموته بعدم ادراكه لانه صفة تبطل الحس والارادة كالموت واليه الاشارة بقوله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها الآية فالنوم أخو الموت (والشاهد على هذا) أى الدليل عليه وانهما يورثان ما ذكر (ما يعلم ضرورة) أى يعلمه كل أحد علما بديهيا ضروريا (ويوجد مشاهدة) منه ومن أمثاله

(٢) وقد وقع فى بعض النسخ قوله بكسر الميم كذلك فى ابن اقبرس والشرح لم يتعرض لذلك فاقتضى صيغته انه مثلثة وهو كذلك

(وينقل) أي يروي الينا ممن سبق علينا (متواترا) أي نقلا متتابعا مرة بعد مرة وفي الاصطلاح خبر أقوام عن أمر محسوس يستحيل عادة تواطئهم على الكذب (من كلام الامم المتقدمة والحكماء السالفين) أي السابقة كقول الحارث بن كلدة أفضل الدواء الازم يريد قلة الاكل والحمية وقول بعض الحكماء خصلتان يقسو بهما القلب كثرة الاكل وكثرة الكلام وقول داود لابنه سليمان عليهما السلام اياك وكثرة النوم فانه يفقرك اذا احتاج الناس الى أعمالهم (واشعار العرب وأخبارها) ومن الاول قول الاعشى

تكفيه حذة لحم ان ألم بها * من الشواء وتروى شربة الغمر

ومن الثاني قول قس بن ساعدة وقد قال له قيصر ما أفضل الاكل قال ترك الاكثار منه قال فما أفضل الحكمة قال معرفة الانسان قدره قال فما أفضل العقل ٤٣٩ قال وقوف الانسان عند علمه (وصحيح الحديث) كما سيأتي (وآثار من سلف وخلف) أي من الصحابة والتابعين كما سيجئ (مما لا يحتاج الى الاستشهاد عليه) أي لكونه مما لا يخفى (وانما تركنا ذكره هنا اختصارا) أي في اللفظ (واقتصارا) أي في المعنى (على اشتهار العلم به) أي بناء واعتمادا على شهرته لكمال كثرته (وكان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قد أخذ من هذين الفنين) أي النوعين من الغذاء والنوم (بالاقل) أي بالحد الاقل الذي لا يجوز التجاوز عنه ويجب الانتفاع به حفظا للبنية وقوة على الطاعة (هذا) أي هذا الحد الذي أخذ به منهما واكتفى فيه عن طلب غيرهما (مالا يدفع) بصيغة المجهول أي لا ينكر ولا يمنع (من سيرته) لكمال شهرته وكثرة نقلته (وهو الذي أمر به) أي غيره (وحض عليه) أي من وافق سيره (لاسيما) مركبة من لا وسي وما وسي اسم بمنزلة مثل وزنا ومعنى أي لا مثل ما وتكون ما زائدة أو موصولة قال ثعلب من استعمله بلا واو مخفف الياء اخطأ وليس كما قال بل تحذف واوه ويخفف كقوله

و بالعقود و بالايمان لاسيما * عقد وفاء به من أعظم القرب

كذا قرره الحجازي وفيه بحث لا يخفى (بارتباط أحدهما بالآخر) أي خصوصا مع ملاحظة ارتباطهما وانعقادهما في تلازمهما من حيث ان النفس اذا شبعت تشوقت الى الراحة بالنوم وفترت عن العبادة فتنام كثيرا فتحسر في حياته كثيرا وتندم عند مماته كثير القلة زاده ليوم معاده بدليل ما سيأتي من الاخبار والآثار منها ما قال المصنف رحمه الله تعالى

(وينقل متواترا) أي نقلا متواترا بحسب المعنى (من كلام الامم المتقدمة والحكماء السالفين) المتقدمين على ملة الاسلام من حكماء الهند والعجم واليونان والعرب وغيرهم كقول الحارث بن كلدة حكيم العرب أفضل الدواء الازام أي قلة الاكل وقال داود اياك وكثرة النوم فانه يفقرك اذا احتاج الناس لاعمالهم (واشعار العرب وأخبارها) كقوله

قارب فديتك ان أكلت * وان شربت وان عشيتا

وأنا الكفيل لك الحياة * وان تعافا ما حييتا

وقال قيصر لقس بن ساعدة ما أفضل الاكل قال ترك الاكثار (وصحيح الحديث) النبوي مثل أبغضكم الى الله كل نؤوم أكول شروب وغيره (وآثار من سلف وخلف) الاثر ما اثرته أي نقلته عن غيرك فيشمل الحديث ويطلق ويراد به ما يقابل الحديث والمراد بمن سلف من تقدم عصر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وبمن خلف ما عداهم كالصحابة رضي الله تعالى عنهم والتابعين (مما لا يحتاج الى الاستشهاد عليه) أي طلب شاهد ودليل عليه وبين وجه ترك الاستشهاد بقوله (٢ اختصارا واقتصارا على اشتهار العلم به) المغني عن التطويل بذكره والاختصار عند أهل العربية الحذف لدليل والاقتصار حذف بلا دليل وعند المحدثين أن يكون للحديث طرق فيكتفي باحديها والمراد هنا عدم التطويل اكتفاء بشهرة العلم بما ذكر (فكان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قد أخذ من هذين الفنين) أي النوعين وهما الاكل والنوم (بالاقل) عداه بالباء وان كان متعديا بنفسه لتضمنه معنى التمسك أو الاتصاف أي لازم صلى الله تعالى عليه وسلم أقل قليل منهما المنافيه من الكمال والملكة المرضية وأتى باسم الاشارة للقريب تحقير الهما نحو وما هذه الحياة الدنيا وتبعيدا لهما عن ساحة الاعتبار لعدم المبالاة بهما وما قيل من أنه كان ينبغي للمصنف رحمه الله تعالى ان يقتصر على كلامه صلى الله عليه وسلم فان معه لا يحتاج لغيره من شعر وحكمة ليس بشئ فان مراده ان صفاته صلى الله تعالى عليه وسلم مما اتفق العقلاء وجميع الامم على حسنها وكونها مرضية محمودة وان كلامه صلى الله عليه وسلم زبدة حكم الامم وان لم يرهم ولم يقرأ كتبهم وكفاك قصص القرآن نظير الصنيعه (هذا) أي ما ذكر من قلة أكله صلى الله عليه وسلم ونومه (مالا يدفع) أي لا ينكر ولا ينازع فيه (من سيرته) أي من طريقته وصفته وهو بيان لما حال من ضمير يدفع أي لشهرته وتواتره لا ينازع فيه أحد (وهو الذي أمر به) أمته دون ضده وضمير به لهذا أو للاقل (وحض عليه) بحاء مهملة وضاد معجمة أي حث الناس ورغبهم في التخلق به لما علم من شرفه وكماله (لاسيما بارتباط أحدهما بالآخر) لاسيما بمعنى لا مثلما والكلام عليه مفصل في العربية ويذكر بعده ما هو

(٢) وفي نسخ المتن وشرح على القاري وقع هنا * وانما تركنا ذكره هنا * والنسخ الموجودة عندنا الشهاب كلها ليس هو فيها فليحرر

(حدثنا أبو علي) أي ابن سكرة (الصدفي) بفتحتين (الحافظ) أي للكتاب والسنة (بقراءتي عليه) أي هذا الحديث دون املائه لي وهذا بيان لاجد نوعي الاخذ ودليل على كمال الحفظ وقد سبقت ترجمته (حدثنا أبو الفضل) وهو أحمد بن خيرون وقد سبق ذكره (الاصفهاني) بفتح الهمزة وتكسر والفاء مفتوحة ويروى بالباء بدل الفاء واما النطق بموحدة بين الباء والفاء فلفظ فارسي قيل وأهل المشرق يقولون بالفاء وأهل المغرب بالباء وهي مدينة عظيمة من بلاد العجم من نواحي العراق ومن شرف أصبهان انها لاتخلو أبدا من ثلاثين رجلا يستجاب دعاؤهم لدعوة الخليل عليه السلام لما حمل منهم نمرود ثلاثين للحرب فلما رأوا الخليل آمنوا به فدعا لهم بذلك كذا ذكره التلمساني (حدثنا أبو نعيم الحافظ) قال الحلبي هذا هو الحافظ الكبير محدث العصر أبو نعيم أحمد بن عبد الله ابن أحمد بن اسحق بن موسى بن مهران الاصبهاني الصوفي الاحول سبط الزاهد محمد ابن يوسف البناء ولد سنة ست وثلاثين وثلاثمائة وله مصنفات كثيرة (حدثنا سليمان بن أحمد) هذا هو الامام الواسطي الحافظ الكبير الثبت مسند الدنيا أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب ابن مطير اللخمي بالمعجمة الشامي ولد سنة ستين ومائتين واعتنى به أبوه ورحل به في حداثته وسمع بمدائن الشام والحرمين واليمن ومصر وبغداد والكوفة والبصرة وأصفهان والجزيرة وغير ذلك وحدث عن أكثر من ألف شيخ وصنف المعجم الكبير والمعجم الاوسط وهو كتاب جليل وعشرين تعب عليه وكان يقول هو روحي والمعجم الصغير يذكر فيه عن كل شيخ حديثا وله مصنفات كثيرة مفيدة وعاش مائة سنة (حدثنا أبو بكر بن سهل) أي الدمياطي روى عن عبد الله بن يوسف وكاتب الليث وطائفة وعنه الطحاوي والطبراني وجماعة توفي في سنة تسع وثمانين (حدثنا عبد الله بن صالح) أي الجهني كاتب الليث على أمواله روى عن معاوية بن صالح وموسى بن علي وطائفة وعنه البخاري وابن

أولى بالحكم نحو أكرم الناس لاسيما العلماء الان في كونها هنا كذلك خفاء لم يعترضوا له غير ان بعضهم قال المعنى لاسيما الامر بالاخذ بالاول والحض عليه مع ارتباط أحدهما بالآخر لانه اذا شبع شبعا كثيرا نام كثيرا ففاته خير كثير يعقبه ندم كثير وهو لايجدي نفعا والبيان الشافي ان كل واحد منهما مذموم مع انفراده ينبغي الحث على تركه فكيف اذا اجتمعا وهما كذلك غالبا للزوم أحدهما للآخر فان النوم يلزم الاكل والباء بمعنى مع فان قيل ان لاسيما هنا ليست على وفق استعمالها ليس بشئ وهو توطئة للحديث الآتي المتضمن لتلازمهما ومن لم يفهم هذا قال ان المصنف رحمه الله تعالى استعمل لاسيما على خلاف ما جاء في قوله * ولاسيما يوم بدارة جلجل * وقد قال ثعلب من استعملها على خلافه فهو مخطئ وحذف الواو والمستثنى بها وتقديره ولاسيما حض بارتباط أحدهما بالآخر الخ (حدثنا أبو علي الصدفي) هو الحافظ ابن سكرة تقدم بيانه (بقراءتي عليه) بين طريق روايته عنه بانه قرأ وشيخه يسمع الان قراءة الشيخ والسماع منه أعلى رتبة في الرواية لكن صار المعروف اليوم القراءة على الشيخ ولذا قيل انها أرفع وقيل انهما سواء (قال حدثنا أبو الفضل الاصفهاني) بفتح الهمزة وكسرها وبالباء والفاء وهي بلدة عظيمة قال صاحب المطالع قيدناها بالفتح عن جميع شيوخنا قال وقيدها بالكسر أبو عبيد البكري قال وأهل المشرق يقولون أصفهان بالفاء وأهل المغرب بالباء وهو أحمد بن خيرون وقد تقدم ومعنى أصبهان مقر الفرسان لان أصب بمعنى فرس قيل وهي لاتخلو غالبا من ثلاثين رجلا يستجاب دعاؤهم وكان نمرود حمل منهم ثلاثين رجلا لحرب الخليل فلما رأوه آمنوا به فدعا لهم بذلك أي بان تجاب دعوتهم كما أجابوا دعوته (قال حدثنا أبو نعيم) بالتصغير وهو حافظ عصره ومحدثه أحمد بن عبد الله بن أحمد بن اسحق بن موسى بن مهران الاصبهاني الصوفي سبط الزاهد محمد بن يوسف البناء ولد سنة ست وثلاثين وثلثمائة وتوفي في المحرم سنة ثلاثين وأربعمائة وعمره أربع وتسعون سنة وسمع من كثير وسمع منه الحفاظ وله ترجمة في الميزان وتصانيفه مشهورة (قال حدثنا سليمان بن أحمد) بن أيوب بن مطر الشيباني مسند الدنيا الامام الجليل ولد بعكا في صفر سنة ستين ومائتين واعتنى به أبوه فرحل به في حداثته وسمع في سنة ثلاث وسبعين وبعدها بمدائن الشام والحرمين ومصر وبغداد والكوفة والبصرة وأصبهان والجزيرة وغيرها وحدث عن أكثر من ألف شيخ وصنف المعجم الكبير ولم يذكر مسند أبي هريرة فانه أفرده بمصنف والمعجم الاوسط وهو كتاب جليل تعب فيه وكان يقول هو روحي والمعجم الصغير ومصنفات أخر جليلة وتوفي لليلتين من ذي القعدة من سنة ستين وثلثمائة وله مائة سنة وعشرة أشهر يقينا وترجمته في الميزان وتصانيفه مشهورة (قال حدثنا أبو بكر بن سهل) أبو محمد مولى بني هاشم بن عبد الله بن يوسف الدمياطي روى عنه الطحاوي والطبراني وغيرهما توفي سنة تسع وثمانين ومائتين عن نيف وتسعين سنة وهو متقارب الحال وقيل ضعيف كما في الميزان (قال حدثنا عبد الله بن صالح) هو أبو صالح الجهني مولاهم كاتب الليث روى عن معاوية بن أبي صالح الآتي وموسى بن علي وغيرهما وروى له البخاري وأصحاب السنن وهو زاهد حسن الحديث توفي في سنة مائتين وثلاث

معين وخلق قال الفاضل الشعراني ما رأيته الا يحدث أو يسبح (حدثني معاوية بن صالح) هو الحضرمي الحمصي قاضي الاندلس روى عن مكحول وغيره وعنه ابن وهب وابن مهدي وجمع (ان يحيى بن جابر) أي الطائي الشامي قاضي حمص (حدثه عن المقدام) بكسر الميم (ابن معدي كرب) بعدم الانصراف وقد يصرف قال الحلبي فيه لغات رفع الباء ممنوعا والاضافة مصروفا وممنوعا انتهى ولا يخفى ان الرفع لا وجه له هنا (ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه) و يروى من بطن لما فيه من الضرر الكثير به وسائر الاوعية انما استعملت فيما هي له وهو انما خلق ليتقوم به الصلب من الطعام فامتلاؤه يفضي الى فساد الدين والدنيا فيكون شرا منها في مقام المرام (حسب ابن آدم) بسكون السين أي كافيه (أكلات) بضمتين وقد تفتح الكاف وتسكن أيضا على ما صرح به بعضهم جمع أكلة بالضم والسكون لما يجعل في الفم من اللقمة وهو المراد ههنا وفي جمعها القلة وهو لما دون العشرة ارشاد الى قلة عددها وفي رواية لقيمات اشارة الى قلة قدرها قال التلمساني وكان ذلك عادة عمر رضي الله تعالى عنه يقتصر على سبع أو تسع واما بفتحتين فهو جمع الاكلة بمعنى المرة من الاكل وتجويزه ههنا للدلجي ليس في محله وروى حسب المسلم وحسب المؤمن ورواية الترمذي بحسب ابن آدم أكلات (يقمن صلبه) بضم أوله أي يقوين ظهره بالضم وبالتحريك عظم من لدن الكاهل الى العجب كما في القاموس فقول الدلجي تسمية للكل باسم جزئه اذ كل شئ من الظهر فيه فقار فهو صلب فيه بحث نعم خص الصلب لانه عمود البدن وفيه النخاع

الساقي للبدن وهو أصله ولذا من قطع نخاعه مات وهو كناية عن انه لا يتجاوز ما يحفظه من ضعفه ويتقوى على طاعة ربه والاسناد في الجملة مجازي لان الاقامة صفة الهية (فان كان لا محالة) بفتح الميم ويضم أي لا بد ولا حيلة ولا فراق من التجاوز عن الاقامة البتة (فثلث) بضمتين وتسكن اللام مبتدأ والتقدير ثلث منه (لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه) بفتح الفاء أي لتنفسه وبه يحصل نوع صفاء ورقة وكسر شهوة ورفع غفلة وسهولة مواظبة على الطاعة والعبادة والتخلص من القساوة والبلادة ومحافظة صحة البدن واعتدال المزاج غير المحتاج للمعالجة وقيل التقدير فان كان لا بد ان يملأ بطنه ولم يقنع بما فيه قوة فليملأ ثلث بطنه بالطعام وثلثه بالشراب ويترك ثلثه خاليا لخروج النفس ثم الاصول المعتمدة والنسخ المصححة بضمير الغائب وتوهم الدلجي وذكره بلفظ طعامك وشرابك ونفسك وعلل بانه التفات من الغيبة الى الخطاب والله تعالى أعلم بالصواب وسمع عمر رضي الله تعالى عنه قول عشرة

وعشرين وعمره ست وثمانون سنة وله ترجمة مطولة في الميزان (قال حدثنا معاوية بن أبي صالح) الحضرمي قاضي الاندلس وهو امام صدوق توفي سنة ثمان وخمسين ومائة وله ترجمة في الميزان (ان يحيى ابن جابر حدثه عن المقدام بن معدي كرب) هو يحيى بن خالد الطائي قاضي حمص مات سنة مائة وستة وعشرين وأخرج له أصحاب السنن والمقدام بن معدي كرب بن عمرو الكندي صحابي نزل حمص وترجمته مشهورة توفي سنة سبع وثمانين وأخرج له أصحاب السنن وأحمد قال السهيلي معنى معدي كرب وجه الفلاح وفيه لغات اسكان يا معدي ولو في النصب مع فتح باء كرب بلا تنوين لبنائه واعرابها بالاضافة مع الصرف وعدمه (ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه) وهذا الحديث رواه الترمذي والنسائي وابن حبان وأخرجه المصنف رحمه الله تعالى عن الطبراني ولم يروه عن الترمذي لان سنده لمعجم الطبراني أعلى من غيره لان بينه وبين المقدام ثمانية في رواية الطبراني وبينه وبينه في رواية الترمذي من احدى طريقيه أحد عشر ومن الاخرى عشرة والحديث صحيح وفي الروايات اختلاف يسير ففي الترمذي بدل ابن آدم آدمي وبلفظ بطن بلا اضافة وبحسب الآتي بالباء الجارة والوعاء ظرف الطعام والمراد انه لا وعاء أشر منه ولا يساويه في الشر فجعل بطنه كأوعية البيت تحقيرا له ثم جعله شر الاوعية زيادة في تحقيره لان امتلاءه يورثه البلادة ويحرك شهوته فيرتكب المعاصي ويحصل له من الامراض ما يضره كما يؤدي الى هلاكه ولا شر أعظم من هذا فحسبه منه ما يقيم صلبه ويعينه على عبادة ربه ونظام أمور دنياه فلذا قال (حسب ابن آدم) وفي رواية المسلم بدون ابن آدم (أكلات يقمن صلبه) حسب بسكون السين اسم بمعنى كفى كما يقال أعطيت الرجل ما حسبته أي أعطيته عطاء يكفيه وهو مبتدأ خبره أكلات بضم الهمزة والكاف معا والرواية به ويجوز فتح الكاف وتسكينها جمع أكلة بضم الهمزة وسكون الكاف اسم لما يؤكل ويقمن بمعنى يقوين من أقام بمعنى دام وثبت وصلبه بضم الصاد وفتحها عظام سلسلة ظهره لانه عموده وفيه النخاع الذي يمد العصب بالممسك فاذا أفرط جوعه ضعف وانحنى صلبه وفي القاموس ما يخالف ما قاله الشراح لانه جوز في أكلة الفتح والضم واقتصر في جمعه على فتح ثانيه كصرد وقال البرهان أكلات بضم الهمزة جمع أكلة بفتحها وهي اللقمة (فان كان لا محالة) بفتح الميم والحاء المهملة واللام بمعنى لا بد ولا حيلة كما في قوله * وكل نعيم لا محالة زائل * أي ان لم يكن صبر على الاقتصار على لقيمات (فثلث) من بطنه (لطعامه وثلث) منه (لشرابه وثلث) منه (لنفسه)

ولقد أبيت على الطوى وأظله * حتى أنال به كريم المأكل   فقال ذلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وتاول كريم المأكل بالجنة ولقد صدق فى تأويله رضى الله تعالى عنه وروى ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال ماوصف لى اعرابى قط فاحببت ان أراه الاعنترة ثم أحسن ماقيل فى الحديث ان لامحالة عائد الى ضرورة الاكل وان الثلث فى حيز الاستحسان والاباحة وقيل المستحسن نصفه وهو السدس وأقل منه شيئا وهو السبع لقوله فان كان لابد ولامحالة هذا وقيل لسهل بن عبد الله الرجل يأكل فى اليوم أكلة واحدة قال أكل الصديقين قيل فأكلتين قال أكل المؤمنين قيل فثلاثا قال قل لاهلك يبنوا لك معلفا وعن عائشة رضى الله تعالى عنها ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان اذا أراد ان يشترى غلاما وضع بين يديه تمرا فان أكل كثيرا قال ردوه فان كثرة الاكل من الشؤم (ولان كثرة النوم من كثرة ٤٤٢ الاكل والشرب) أى انما تنشأ من أجل كثرتهما غالبا والا فقد تكون من الضعف وغيره من العلل (قال سفيان الثورى) نسبة الى أبى قبيلة وهو أحد الائمة الاعلام من علماء الانام روى عن ابن المنكدر وغيره وعنه الاوزاعى ومالك وشعبة وأمثالهم وأخرج له الائمة الستة قال ابن المبارك ما كتبت عن أفضل منه ولا عبرة بمن تكلم فيه وفى أمثاله اذ قل من لم يتكلم فى حقه (بقلة الطعام يملك سهر الليل) بصيغة المجهول (وقال بعض السلف لا تأكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا فترقدوا كثيرا فتخسروا كثيرا) أى فتندموا كثيرا لنقص العمر الذى هو أنفس الجواهر كذا فى الاصول المعتمدة وقال المنجانى زاد الغزالى فتخسروا كثيرا (وقد روى) أى عن جمع كأبى يعلى وغيره (عنه صلى الله

تعالى

عليه وسلم انه كان أحب الطعام اليه ما كان على ضفف) بفتح المعجمة والفاء الاولى (أى كثرة الايدى) يعنى على الطعام وفيه حث على ان الاولى ان لا يأكل أحد وحده لما فيه من الدلالة على كرم النفس والسخاوة والمواساة والسماحة وحصول الكفاية مع توقع البركة لما فى حديث مسلم طعام الواحد يكفى الاثنين وطعام الاثنين يكفى الاربعة وطعام الاربعة يكفى الثمانية حملا للآكل على الاكتفاء بنصف الشبع قال ابن راهويه عن جرير تأويله شبع الواحد قوت الاثنين وهلم جرا وقد فسر الضفف بعضهم بكثرة العيال وبعضهم بالضيق والشدة واستشهد فى المجمل بان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لم يشبع من خبز ولحم الا على ضفف أى على كثرة الايدى على الطعام وقال مالك بن دينار سألت رجلا من أهل البادية عن الضفف فقال هو التناول مع الناس وقيل هو أن تكون الأكلة أكثر من مقدار الطعام والجفف بالجيم وقيل بالحاء ان يكونوا بمقداره ويروى على شظف بالشين والظاء المعجمتين بمعنى الضيق والشدة

بفتحتين وهو الهواء الخارج من الجوف وروى الدلجى طعامك وشرابك ونفسك بكاف الخطاب على الالتفات من الغيبة للخطاب اعتناء بشان من أرشده فيما أرشده اليه وانه لا ينبغى تجاوزه وفى الاول حث على الاقلية وفيما بعده تجويز لما فوقه من غير افراط والشراب هنا بمعنى الماء (ولان كثرة النوم من كثرة الاكل والشرب) هذا من كلام المصنف رحمه الله تعالى لا من الحديث الا ان الشراح لم يبينوا وجه ارتباطه بما قبله ولا على ما عطف والظاهر انه عطف على قوله السابق بارتباط أحدهما بالآخر لان السبب والعلة فى معنى واحد فالمراد بارتباطهما ان أحدهما يستدعى الآخر فان الاكل يقتضى الشرب ثم بين انهما وكثرتهما يقتضيان كثرة النوم لما يصعد منهما من الابخرة الكثيفة الى الدماغ المرخية له المقتضية لكثرة النوم المستدعى للكسل وذهاب الفطنة وفوات العبادة وفى ذلك مالا يخفى من الضرر (قال سفيان الثورى) بكسر السين وضمها وفتحها وهو سفيان بن سعيد بن مسروق أبو عبد الله والثورى نسبة لثور بن مناه وقيل من ثور همدان وهما قبيلتان الكوفى عالم عصره الزاهد المحدث توفى سنة احدى وستين ومائة وعمره أربع وستون وهو ثقة ولا عبرة بمن تكلم فيه وهو من أقران مالك رحمه الله تعالى (يملك سهر الليل بقلة الاكل) يملك بضم الياء وفتح اللام مبنى للمفعول وسهر مرفوع نائب الفاعل أى يقوى ويقدر عليه من غير مشقة فشبه قدرته بملكه له فهو استعارة لان النفس تقهر بقلة الطعام بعد ان كانت قاهرة (وقال بعض السلف لا تأكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا فترقدوا كثيرا) زاد الغزالى فى الاحياء فتخسروا كثيرا وزاد غيره فتندموا عند الموت لقلة الزاد لانه أكل زاده فضيعه فى غير وقته (وقد روى عنه) أى عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (انه كان أحب الطعام اليه ما كان على ضفف أى كثرة الايدى) لما فيه من السخاء بالطعام وقلة الاكل وكثرة البركة وهذا الحديث قال السيوطى رحمه الله تعالى انه رواه أبو يعلى عن أنس وجابر رضى الله تعالى عنهما بسند جيد ولفظه كما قال الشيخ قاسم فى تخريجه انه لم يجمع له غداء وعشاء وخبز ولحم الا على ضفف وسنده جيد وأخرج أبو عبيد فى الغريب أنه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يشبع من خبز ولحم الا على ضفف وأخرج الترمذى فى الشمائل عن مالك بن دينار قال ماشبع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من الخبز قط ولا من لحم الا على ضفف قال مالك سألت رجلا من أهل البادية ما الضفف قال هو التناول مع الناس وأخرج الطبرانى رحمه الله

تعالى عن جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال أحب الطعام الى الله تعالى ما كثرت عليه الايدى انتهى والضفف بفتح الضاد المعجمة والفائين أولاهما مفتوحة فسرها المصنف رحمه الله تعالى بما ذكره أهل اللغة وهو تفسير مأثور كما سمعته آنفا وهو من قولهم بئر ضفوف اذا كثر الناس عليها وقال يحيى بن أحمد الضفف أن يكون الا كلة أكثر من الطعام والجفف بالجيم ان يكون بمقداره وقيل الضفف الضيق والشدة أى لم يكن صلى الله تعالى عليه وسلم محبا للترفه فى مأكله ولا متنطعا فيه وفى رواية لم يشبع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من طعام الا على ضفف وروى على شظف أى ضيق وشدة كما علم فالضفف والشظف رويا بمعنى الضيق والحاصل انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يحب الا كل مع الجماعة وان قل طعامه وضاقت معيشته والاحاديث فى معناه كثيرة كطعام الواحد يكفى الاثنين وطعام الاثنين يكفى الاربعة وطعام الاربعة يكفى الثمانية وهو حديث صحيح وقيل الضفف كثرة العيال وقيل قلة الطعام وكثرة الآكلين ويقال ضف بالادغام وقال ابن السكيت الضف الا كل باليد ففيه لغتان وله معان (وعن عائشة رضى الله تعالى عنها لم يمتلئ جوف النبى صلى الله تعالى عليه وسلم شبعا قط) وروى عنها أيضا ماشبع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثلاثة أيام تباعا من خبز بر حتى مضى لسبيله وهذا يقتضى بمفهومه انه شبع فى بعض الايام دون الثلاثة وهو معارض للاول وكلاهما صحيح ويجمع بينهما بان دلالة المفهوم لا تعارض المنطوق عند من قال بها كأبى حنيفة رحمه الله تعالى فلا تعارض بينهما بالطريق الاولى أو يقال الامتلاء شبعا صفة زائدة على الشبع فالشبع الاعم كان يقع منه صلى الله تعالى عليه وسلم أحيانا وأما الامتلاء من الشبع فلم يقع أصلا والشبع مباح عليه محرم على غيره الا للتقوى على صوم الغداء ولمؤانسة الضيف حتى لا يستحى من الا كل كما قاله الحنفية وعند الشافعية هو محرم من مال الغير ان لم يعلم رضاه ومن مال نفسه مكروه مع ان ماذكر من تعارض الحديثين غير مسلم لان ماذكره المصنف رحمه الله تعالى هنا ذكره فى الاحياء أيضا عن عائشة رضى الله تعالى عنها وتمامه وربما بكيت رحمة له صلى الله تعالى عليه وسلم لما أرى به من الجوع وأمسح بطنه الشريف بيدى وأقول نفسى لك الفداء لو تسلفت من الدنيا بقدر ما يقوتك منها ويمنعك من الجوع فيقول يا عائشة اخوانى من أولى العزم من الرسل قد صبروا على ما هو أشد من هذا فمضوا على حالهم فقدموا على ربهم عز وجل فأكرم مآبهم وأجزل ثوابهم وأجدنى أخشى ان ترفهت فى معيشتى ان يقصر بى دونهم فاصبر أياما يسيرة أحب الى من ان ينقص حظى غدا فى الآخرة وما من شئ أحب الى من أن ألحق اخوانى قالت فوالله ما استكمل بعد جمعة حتى قبضه الله وقد ذكر المصنف رحمه الله صدره فقط وقال العراقى فى تخريج أحاديث الاحياء لم أجد هذا الحديث فلا يعارضه وشبعا تمييز أو مفعول له أو مفعول مطلق وشينه مفتوحة وتكسر وتفتح الباء وتسكن وصوب ابن مكى كسر الشين وسكون الباء كما قاله التلمسانى ثم انه ورد فى الاحاديث الصحيحة انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يشبع ويجوع وفى البخارى ما شبع آل محمد قط وهذا محمول على غالب أحواله صلى الله تعالى عليه وسلم فان الغالب ينزل منزلة الكل كثيرا وهذا لم يكن عن احتياج حقيقى لما رواه الترمذى عن أبى امامة رضى الله تعالى عنه انه قال قال صلى الله تعالى عليه وسلم عرض على ربى أن يجعل لى بطحاء مكة ذهبا فقلت لا يا رب أشبع يوما وأجوع يوما فاذا جعت تضرعت اليك واذا شبعت شكرتك كما قال الابوصيرى

وراودته الجبال الشم من ذهب * عن نفسه فاراها أيما شمم

فجوعه صلى الله تعالى عليه وسلم كان قصدا ولكن يظهر انه عن احتياج تطييبا لقلوب الفقراء وتنزيها من الرياء وتبرئا من رياضة أهل الكتاب والحكماء كما قال صلى الله عليه وسلم لا رهبانية فى الدين وهذا

(وعن عائشة رضى الله تعالى عنها لم يمتلئ جوف النبى صلى الله تعالى عليه وسلم شبعا) بكسر ففتح ويسكن (قط) تقدم ضبطه قال الدلجى لم أعرف من رواه ولا تعارضه ما أفهم شبهه فى الجملة كحديث مسلم عنها ما شبع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثلاثة أيام تباعا من خبز بر حتى مضى لسبيله وفى رواية من خبز شعير يومين متواليين فان دلالة المفهوم ضعيفة فليست بحجة كما قاله أبو حنيفة ولان الامتلاء صفة زائدة على الشبع

مما ينبغي التنبه له ويجب اعتقاده والتأسي به فيه فافهم (وانه) معطوف على ما قبله من قوله انه كان أحب الى آخره وقوله (كان في أهله) أي أهل بيته وعائلته وهو حال من فاعل يسأل أو خبر وجملة (لا يسألهم طعاما) حال منه وعدم سؤاله صلى الله تعالى عليه وسلم لذلك لعدم اهتمامه به والتفاته لما هو أهم منه (ولا يتشهاه) مضارع تشهى تفعل من الشهوة وهي الميل الى ما يستلذ وقيل هي ادراك الملائم من حيث هو ملائم وقيل الشهوة لا تحد والفرق بينها وبين الارادة ان الانسان قد يريد ما لا يشتهيه ويشتهي ما لا يريده كالمريض المحتمي عما يشتهيه والارادة قد تتعلق بنفسها بخلاف الشهوة فانها لا تتعلق بنفسها بل تتعلق بالذات المغايرة لها فاذا ذكرت متعلقة بنفسها كانت مجازا عن الارادة كما قيل لمريض ما تشتهي فقال أشتهي ان أشتهي وفرق بينها وبين المحبة أيضا فانك تقول أحب الله ورسوله ولا تقول أشتهيهما فالمحبة أعم والشهوة في الاصل تكون وجدانية غير اختيارية بخلاف المحبة ولذا فرق النحاة بين قوله أحب الي وأشهى الي فجعلوا الي في الاول للتبيين وفي الثاني بمعنى عند وفيه كلام لنا في نكت المغني من باب الهمزة فان أردته فراجعه ثم بين ما ذكر بقوله (ان أطعموه أكل وما أطعموه قبل وما سقوه شرب) يعني انه صلى الله عليه وسلم كان يأكل ما قدمه له أهله ونحوهم من الطعام ويقبله من غير ان يعيبه وكذا كل ما قدم له من الماء يشرب وهذا كان غالب حاله صلى الله تعالى عليه وسلم فلا ينافي ما وقع له نادرا على خلاف مقتضى طبعه كما في مسلم عن عائشة رضي الله تعالى عنها انها قالت قال لي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ذات يوم يا عائشة هل عندكم شئ فقلت يا رسول الله ما عندنا شئ قال فاني صائم الحديث وسقوه بمعنى أعطوه ما شرب وزاد الدلجي قط بعد قولهم السابق لا يسألهم (ولا يعترض) ببناء المجهول (على هذا بحديث بريرة رضي الله تعالى عنها) أي على هذا المذكور من عدم سؤاله لما ذكر وبريرة بفتح الموحدة وراءين مهملتين أولاهما مكسورة بينهما مثناة تحتية من البر بمعنى مبرورة أو بارة وهي بنت صفوان وهي قبطية أو حبشية عند الذهبي مولاة عائشة رضي الله عنها اشترتها من عتبة بن أبي لهب وقيل من بني كاهل وقيل كانت لناس من الانصار وحديثها أخرجه مالك في الموطأ عن القاسم بن محمد عن عائشة رضي الله عنها ورواه الشيخان وهو وقالت عائشة كان في بريرة ثلاث سنن وكانت احدى السنتين انها اعتقت فخيرت في زوجها وقال فيها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الولاء لمن أعتق ودخل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على أهل بيته والبرمة تفور باللحم فقرب اليه خبزا واداما من أدام البيت فقال ألم أر البرمة فيها لحم فقالوا بلى يا رسول الله ولكن هو لحم تصدق به على بريرة وأنت لا تأكل الصدقة فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هو لها صدقة ولنا هدية فاخبرهم صلى الله تعالى عليه وسلم ان هذا اللحم باهدائها اياه انتقل من حكم الصدقة الى حكم الهبة وانما الذي حرم عليه ما تصدق به على نفسه وجعل محلا لقبوله ولو كان ما تصدق به مرة يثبت له حكم الصدقة لما جاز للفقير اذا تصدق عليه بشئ ان يبيعه من غني فقد سألهم صلى الله تعالى عليه وسلم الطعام وأجاب عنه المصنف رحمه الله تعالى بقوله الآتي فاراد بيان سنته وبان سؤاله لمقتض والمنفي السؤال بغير مقتض (وقوله ألم أر البرمة) بضم الموحدة وسكون الراء وبالميم وهي عند العرب قدر ينحت من الحجارة وقيل أعم من ذلك فيشتمل النحاس والحديد وغيرهما (فيها لحم) الضمير للبرمة لانها مؤنث كالقدر الا ان تانيث الثانية سماعي واللحم بسكون الحاء المهملة وتفتح وقد قيل انه لغة مطردة في كل ما ثانيه حرف حلق كالبحر والنهر والبغل والبخل والكحل وأنكره البصريون (اذ لعل سبب سؤاله ظنه صلى الله تعالى عليه وسلم اعتقادهم) أي اعتقاد عائشة المخاطبة وغيرها من الناس فذكره تغليبا (انه) أي اللحم بسبب انه صدقة في الاصل (لا يحل له) صلى الله عليه وسلم كالصدقة عليه بالذات (فاراد بيان سنته) أي طريقته المشروعة له وهي جواز أكل الهدية وان كانت صدقة على

(وانه) بالفتح فيكون من جملة رواية عائشة رضي الله تعالى عنها أو بالكسر على الاستئناف والضمير للشان أوله صلى الله تعالى عليه وسلم (كان في أهله لا يسألهم طعاما ولا يتشهاه) لعدم التفاته الى غير مولاه (ان أطعموه أكل وما أطعموه قبل وما سقوه) ويجوز اسقوه (شرب) وهذا كان دأبه في آدابه وغالب حاله في سائر أفعاله كما هو طريق الانبياء والاولياء في مقام الفناء والبقاء والمصنف لما استشعر اعتراضا وأراد على ظاهر الحديث من حيث العموم دفعه بقوله (ولا يعترض) بصيغة المجهول أي ولا يجوز لاحد ان يعترض (على هذا) أي قولها لا يسألهم طعاما (بحديث بريرة) بفتح فكسر أي بحديث وقع في حق بريرة وهي مولاة لعائشة رضي الله تعالى عنها واختلف انها قبطية أو حبشية (وقوله) أي فيما رواه الشيخان عنه (ألم أر البرمة) بضم الباء وهي القدر من الحجارة أو أعم (فيها لحم) بفتح فسكون ويفتح (اذ لعل سبب سؤاله ظنه صلى الله تعالى عليه وسلم اعتقادهم انه لا يحل له) أي ولو بعد ان ملكته (فاراد بيان سنته) وهي انه اذا ملك المتصدق عليه الصدقة حل له أكلها هدية ويؤيد ظنه جهلهم حله له بعد ملكها اياه قوله

(اذ رآهم لم يقدموه اليه مع علمه انهم لا يستأثرون) أي لا يختصون (عليه به فصدق عليهم ظنه) بتشديد الدال وتخفيفها كما قرئ به في الآية والمعنى فصدق في ظنه جهلهم ذلك فيكون من باب الحذف والايصال وجوز تعديته بنفسه كما في صدق وعده على ما ورد كقوله سبحانه وتعالى ولقد صدقكم الله وعده أو حقق ظنه أو وجده صادقا في جهلهم ذلك (وبين لهم ما جهلوه من أمره بقوله هو لها صدقة ولنا هدية) أي ففيه مبادلة معنوية واختلاف من حيثية فان هذا اللحم باهدائها اياه له انتقل من حكم الصدقة الى حكم الهبة كما لو اشتراه منها غني أو وارثه عنها (وفي حكمة لقمان) روى انه كان عبدا حبشيا نجارا وقيل نوبيا فرزق العتق وكان خياطا وقيل

مهديها (اذ رآهم لم يقدموه) أي اللحم (اليه مع علمه انهم لا يستأثرون عليه به) أي لا يختصون أنفسهم ويقدمونها على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في شيء من الطعام وغيره (فصدق) بتخفيف داله ويجوز تشديدها (عليهم ظنه) بالنصب أي صدق في ظنه جهلهم بذلك فهو متعد بنفسه أو على الحذف والايصال كما في صدق وعده أو بالرفع على انه فاعل أي يحقق ظنه أو وجد صادقا في جهلهم ذلك (وبين لهم ما جهلوه من أمره بقوله هو لها صدقة ولنا هدية) وهذا جواب استحسنوه فان الرجل اذا رأى طعاما أهدى له فسأل عنه وطلب ان يؤتى به لا يذم وانما لا يسأله عما عهده من طعامه ويبحث عنه وأتى بلعل التي للترجي لانه لم يجزم به وتقدم جواب آخر وهذا الحديث يدل على ان الصدقة حرام عليه صلى الله تعالى عليه وسلم لشرف قدره وعلو منصبه وغناه حقيقة وسواء فيه صدقة التطوع والفرض كالزكاة وفي حل التطوع قول للشافعي وكذا أهل بيته وقيل ما يحرم عليه الصدقة العامة كماء السبيل والآبار المسبلة وهل ذلك حرام على سائر الانبياء عليهم الصلوات والسلام أم خاص به صلى الله تعالى عليه وسلم فيه خلاف والاصح اختصاصه به صلى الله تعالى عليه وسلم وفي الاحاديث ما يدل عليه ونقل عن أبي حنيفة رحمه الله تعالى جواز الصدقة على أهل البيت مطلقا وقيل اذا حرموا سهمهم من بيت المال كما نقله الطحاوي وهو وجه عن الشافعي ومالك وهم بنو هاشم وكذا بنو المطلب بخلاف غيرهم من قريش وأزواجه رضي الله تعالى عنهن (وفي حكمة لقمان) بن عنقا بن سيرون واسم أبيه تاران وقيل غير ذلك وقيل انه ابن أخت داود عليه الصلاة والسلام وعنه أخذ الحكمة وقيل كان قاضيا في بني اسرائيل والاصح انه حكيم وقد جمعت حكمه في كتاب مستقل مسند والمراد بالحكمة الموعظة الحسنة لفظا ومعنى ولقمان هذا هو المذكور في القرآن وكانت الحكم تجري على لسانه لما آتاه الله من العلم والنفس القدسية وهو ولي عند الاكثرين ونبي عند بعضهم وكان عبدا حبشيا نجارا بالراء وقيل نجادا بالدال أو خياطا أو راعيا وقيل نوبي وقيل انه تلمذ لالف نبي وهو غريب من أهل ايلة وقيل أنعم وقيل أشكم وقيل ماثان وقيل انه ابن أخت أيوب أو ابن خالته وقيل انه كان في زمن داود وقيل انه بعد ابراهيم والاصح الاول وقيل بعد عيسى عليه الصلاة والسلام والقول بانه عاش ألف سنة غلط من لقمان بن عاد (يا بني) بالتصغير والاضافة واسمه مشكم بكسر الميم وسكون المعجمة وميم على الاصح وقيل غيره كما مر (اذا امتلأت المعدة نامت الفكرة) المعدة بفتح الميم وكسر العين وبكسر الميم مع سكون العين مقر الطعام وهي للانسان كالكرش للبهائم والحوصلة للطير والفكرة والفكر قوة مدركة في الدماغ عند من أثبت الحواس الباطنة في بطون الدماغ كما فصل في كتب الحكمة ومن لم يثبتها يقول هي قوة للنفس تدرك بها الامور الدقيقة فعلى الاول نومها استعارة تبعية لبطلان عملها أو شبهت الفكرة بشخص وأثبت له النوم على طريقة المكنية والتخييلية وكذا على الثاني أو المراد نام صاحبها والنوم مبطل للحس والادراك والمراد على كل غلبة الغفلة والذهول على كل من يشغله بطنه عن مهماته ومثله ما ورد

هو ابن أخت داود عليه السلام وقيل ابن خالته وقيل كان من أولاد آزر وعاش ألف سنة وأدرك داود وأخذ منه العلم والاكثرون على انه كان وليا وذهب الآخرون الى انه كان نبيا وروى عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما انه عليه الصلاة والسلام قال لم يكن لقمان نبيا ولكن كان عبدا كثير التفكر حسن اليقين أحب الله تعالى فاحبه فمن عليه بالحكمة وخيره في ان يجعله خليفة يحكم بالحق فقال يا رب ان خيرتني قبلت العافية وان عزمت على فسمعا وطاعة فانك ستعصمني (يا بني) وهو تصغير الشفقة ويجوز فتح يائه وكسرها كما قرئ بهما في الآية (اذا امتلأت المعدة) أي طعاما وشرابا وهي بفتح فكسر ويجوز كسرهما واسكان عينها مع فتح الميم وكسرها على ما نقله الحلبي وفي القاموس المعدة ككلمة وبالكسر موضع الطعام قبل انحداره الى الامعاء وهو لنا بمنزلة الكرش لغيرنا (نامت الفكرة) أي غفلت أو ماتت ويؤيده ما ورد لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب وقد قالت الصوفية في قوله تعالى ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة هذا مثل ضربه الله للاولياء ليفهموا الدنيا وأهلها وذلك ان البعوضة تحيي اذا جاعت وتموت اذا شبعت وكذلك أهل الدنيا اذا امتلأوا من الدنيا وركنوا اليها أخذتهم وأماتت قلوبهم وأهلكتهم

في الحديث لاتميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب فان القلب كالزرع يموت اذا كثر عليه الماء فيدبر عمايهمه من العلم النافع والعبادة والجهل يستعار له الموت كما قيل

لايعجبن الجهول بزته * فذاك ميت وثوبه كفن

(وخرست الحكمة) هو كالذي قبله في الاستعارة ونحوها أي خرس اللسان التي تجري عليه والحكمة النطق بما فيه كمال النفس واقتباس العلوم النظرية والملكات التامة والافعال الفاضلة أي تركت ذكرها واكتسابها (وقعدت الاعضاء عن العبادة) أي كسل صاحبها فلم يستعملها في عبادة الله بان يعطل بدونه من القيام لها والاسان من ذكرها والقلب عن فكرها وهكذا فشبه تركه بالقعود أو استعمله في لازمه ونحوه مما مر فقسه على ماقبله (وقال سحنون) الفقيه المالكي وهذا لقبه واسمه عبد السلام ابن سعيد التنوخي قاضي أفريقية وكنيته أبو سعيد وهو بضم السين وصوب القاضي فتحها وقال ان الضم زعمه بعض الفقهاء وعليه ابن الحاجب في الشافعية حيث قال سحنون ان صح الفتح ففعلون كحمدون وهو مختص بالعلم الندور ففعلول وهو صعفوق وخرنوب ضعيف وقال غيره انه صحيح على انه فعلون بالنون وهو أولى لكثرته في الاعلام كعبدون وزرقون وزيدون خصوصا بالمغرب وهو اسم طائر كثير الحركة في الاصل وقيل هو البلبل وأدرك مالكا ولم يقرأ عليه وقرأ على ابن القاسم وأشهب وهو واضع كتاب المدونة وانتهت اليه رياسة العلم بالمغرب وحصل له مالم ينله غيره وولد في أول رمضان سنة ستين ومائتين ومات لتسع خلون من رجب سنة أربعين ومائتين وقيل الظاهر ان سحنون فعلول من السحنة وهي الهيئة الحسنة وهو ممنوع من الصرف للعلمية وشبه العجمة أو هو مصروف ان كان فعلولا وقال التلمساني وقع في نسخة القرافي هنا ذو النون بدل سحنون وهو العابد الزاهد المشهور واسمه ثوبان وقيل أبو الفيض بن ابراهيم المصري (٢) فيمكن ان يكون أحدهما روى عن الآخر لانهما في عصر واحد (لا يصلح العلم لمن ياكل حتى يشبع) المضارع يفيد الاستمرار والتجدد أي من يكون دأبه كثرة الشبع بكثرة نومه ويصير بليدا بطالا فلا يحصل العلم ولا يليق به طلبه فان البطنة تذهب الفطنة كما تقدم ولانه يشتغل باصلاح ماكله وكسب مال يحصله فيفوته العلم وكل خير (وفي صحيح الحديث) الذي رواه البخاري وغيره ويجوز أن يريد المصنف بصحيح الحديث كتاب البخاري لان الصحيح غلب عليه (قوله صلى الله عليه وسلم أما أنا فلا آكل متكئا) هذا الحديث في الصحيحين مروي بروايات مختلفة منها ماذكره المصنف رحمه الله تعالى ومنها أني لا آكل متكئا ومنها لا آكل وأنا متكئ قال الكرماني هذا أبلغ في الاثبات والاول أبلغ في النفي فقيل عليه المراد انه أكثر مبالغة لا بلاغة ووجهه ان متكئ اسم فاعل فيه ضمير مستتر فاسند الاتكاء اليه مع اسناده معه الى أنا فهو أبلغ في اثبات الاتكاء لتكرر اسناده وان لم يكن متكئ مع فاعله جملة بخلاف لا آكل متكئا فانه لم يتكرر فيه الاسناد فهو في النفي أبلغ وعندي ان الثاني أبلغ لنفي القيد والمقيد انتهى * أقول هذا كلام لامحصل له مع عدم استقامته والظاهر ان مراد الكرماني بالنفي والاثبات نفي الاكل في حال الاتكاء واثبات الاكل في حال عدم الاتكاء الذي يقتضيه مفهومه بناء على الفرق بين الحال المفردة والجملة فان النفي في الاولى ينصرف الى القيد والمقيد فيقتضي نفيهما والثانية لاتقتضي ذلك نحو وماكان الله ليعذبهم وأنت فيهم فانه يقتضي انهم يعذبون بعده كما مر ويقتضي هذا انه ياكل اذا زال الاتكاء وفيه بحث ليس هذا محله وسبب هذا الحديث ما أخرجه ابن ماجه بسند حسن وهو ان اعرابيا أهدى للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم شاة فجثى على ركبتيه ياكل فقال له الاعرابي ما هذه الجلسة فقال ان الله جعلني عبدا كريما ولم يجعلني جبارا عنيدا (والاتكاء هو التمكن للاكل والتقعد في الجلوس له) أي لاجل الاكل والتقعد تفعل من القعود

(وخرست الحكمة) بكسر الراء أي سكنت وما ظهرت وهي كمال النفس باقتباس العلوم العقلية واكتساب الحقائق النقلية ولذا قيل الحكمة اتقان العلم والعمل (وقعدت) وفي رواية وكلت (الاعضاء عن العبادة) أي فترت وثقلت منها وكسلت عنها بسبب مايعتريها من النوم المانع عنها (وقال سحنون) بفتح السين وضمها قبل نون وهو مصروف وقيل ممنوع وهو أبو سعيد عبد السلام بن سعيد التنوخي الملقب بسحنون الفقيه المالكي قرأ على القاسم بن وهب وأشهب ثم انتهت اليه الرياسة في العلم بالمغرب وأدرك مالكا ولم يقرأ عليه وصنف كتاب المدونة في مذهب مالك وحصل له مالم يحصل لاحد من أصحاب مالك توفي سنة أربعين ومائتين وقال التلمساني وعند القرافي ذو النون وهو أبو الفيض المصري العابد مات سنة خمس وأربعين ومائتين فيمكن أن يكون أحدهما راويا عن الآخر لانهما في عصر واحد (لا يصلح العلم) أي على الوجه الانفع (لمن ياكل حتى يشبع) قال التلمساني وتمامه ولا لمن يهتم بغسل ثيابه (وفي صحيح الحديث قوله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي كما رواه البخاري (أما أنا فلا آكل متكئا والاتكاء) أي المراد منه ههنا (هو التمكن) على الوطاء ومعناه (للاكل والتقعد في الجلوس له) أي كمال الاعتماد في القعود والتقعد المراد منه هو القعود

(٢) المتوفى سنة خمس وأربعين ومائتين

(كالتربع وشبهه) أى على أى هيئة (من تمكن الجلسات) بكسر الجيم جمع جلسة للهيئة (التى يعتمد فيها الجالس على ماتحته) أى من الاوطئة (والجالس على هذه الهيئة يستدعى الاكل) أى الكثير (ويستكثر منه) أى بشهوة نفس وشره طبع والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم انما كان (جلوسه للاكل جلوس المستوفز) أى كجلوس المستوفز وهو اسم فاعل من استوفز فى قعدته انتصب فيها غير مطمئن أو وضع ركبتيه ورفع أليتيه أو استقل على رجليه ولم يستو قائما وقد تهيأ للوثوب كذا فى القاموس فقوله (مقعيا) حال مؤكدة فى بعض الوجوه اذ الاقعاء أن يجلس على ركبتيه وهو الاحتفاز والاستيفاز وقيل أى ملصقا مقعده بالارض ناصبا ساقيه وفخذيه ويضع على الارض يديه (ويقول) أى كما رواه البزار عن أبى عمر بسند ضعيف وأبو بكر الشافعى فى فوائده من حديث البراء انه عليه الصلاة والسلام كان يقول (انما أنا عبد) أى تواضعا منه وارشادا اليه

ومعناه التثبت والتمكن من القعود الا أنه قيل أنه لم يوجد من هذه المادة تفعال والمصنف رحمه الله تعالى ثقة مايقوله بمنزلة مايرويه وللجلوس أنواع بينها الثعالبى فى فقه اللغة (كالتربع وشبهه من تمكن الجلسات التى يعتمد فيها الجالس على ماتحته) من أرض وفراش ونحوه والتربع يكون بمعنى النزول فى الربيع وجعل الشئ رباعيا ونوع من الجلوس مأخوذ من الاخير لبسط أربعة من أعضائه الساقين والوركين مع انضمامهما على هيئة معلومة وقوله من تمكن الخ بيان للتربع وشبهه والتمكن تفعل من المكان أى تثبته فى المكان والاعتماد بمعنى الاتكاء كما فى الصحاح وهذا اشارة الى ماارتضاه فى تفسير الاتكاء فان أهل اللغة اختلفوا فيه فذهب بعضهم الى أنه الميل الى أحد جانبيه مع اعتماده على شئ كالمخدة والوسادة وهو المشهور وذهب الخطابى وتبعه المصنف رحمه الله تعالى الى أنه الاعتماد على ماتحته من غير ميل كما بينه هنا وسيأتى تحقيقه ثم أشار الى وجه كون الاتكاء بهذا المعنى فى حال الاكل لم كان غير محمود فقال (والجالس على هذه الهيئة يستدعى الاكل) أى يطلب الاكل ويرغب فيه ويقتضى تناوله (ويستكثر منه) أى يكثر منه كثرة مفرطة متجاوزة حد الاعتدال حتى كأنه يطلبه من نفسه لاقباله عليه وقوة شهوته لغلبة حيوانيته (والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم) لاعراضه عن مثله وتناوله منه مقدار الضرور باسرعة (انما كان جلوسه للاكل جلوس المستوفز مقعيا) المستوفز الذى لايكون مطمئنا بل مستعجلا للقيام ومنه نحن على أوفاز أى على سفر كما قلت فى الفصول القصار

من كان فى الدنيا على أوفاز * استراح لتهنيه بعيشه أوفاز

والاقعاء بقاف وعين مهملة وألف ممدودة له تفاسير والمعروف منها اثنان أحدهما أن يلصق أليتيه بالارض وينصب ساقيه وفخذيه ويلصقهما بصدره ورمما يكون مع وضع يديه على الارض مع اقعنساس يشبه جلوس البدوى المصطلى والثانى أن ينصب قدميه واضعا على عقبيه أليتيه ضاما ساقيه وفخذيه واضعا ركبتيه على الارض وهذا استحبه الشافعى فى الصلاة اذا رفع رأسه من السجود الاول وبه ورد الحديث وقال الشافعية ان عليه العبادلة وكرهه الحنفية وأما الاول فمكروه بلا خلاف فى الصلاة وأما اقعاؤه صلى الله عليه وسلم للاكل ففسر بالصاق مقعده بالارض ناصبا ساقيه وهو الاحتفاز والاستيفاز وقال التجانى ان قول المصنف رحمه الله تعالى ان جلوس النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لاكله مستوفزا مقعيا ظاهره انه كان عادة له فى كل أحواله والذى ورد فى الحديث انه أكل مرة هكذا كما قال أنس رضى الله عنه رأيته صلى الله تعالى عليه وسلم أكل مرة مقعيا الا وجه له لان ماقال المصنف رحمه الله تعالى هو المصرح به فى عامة الكتب ورواية أنس رضى الله تعالى عنه مرة لاتصلح سندا للنفى فى غير تلك المرة وانما امتنع صلى الله تعالى عليه وسلم من الاتكاء فى أكله لانه من الكبر والترفه الذى ينزه طبعه عن الميل له ولانه يضر اذا مال ويستدعى لكثرة الاكل اذا تربع وهل كان الاكل متكئا مكروها فى حقه صلى الله تعالى عليه وسلم كسائر الامة أو حراما عليه وان ذلك من خصائصه صلى الله عليه وسلم ذهب الى الثانى بعض الشافعية والاصح الاول واختياره صلى الله تعالى عليه وسلم غيره دائما لايدل على حرمته (ويقول انما أنا عبد) لله لاملك لاختياره العبودية التى هى أشرف الصفات وهذا من حديث رواه البخارى عن ابن عمر رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لاتطرونى كما أطرت النصارى عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام انما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله والاطراء المبالغة فى المدح والى هذا أشار الابوصيرى رحمه الله تعالى بقوله

دع ماادعته النصارى فى نبيهم * واحكم بما شئت فضلا فيه واحتكم

وهذا من تأكيد المدح بنفيه (آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد) في حال الاكل وغيره تواضعا لله فلا يمد رجليه عند جلسائه تكرما وتعظيما لعباد الله وارشادا لغيره ولا يعبؤ بترفع ذوي الوجاهة والتكبر من الملوك وغيرهم وبه اقتدى خلفاؤه رضي الله تعالى عنهم لان الله رقيب عليهم وهو معهم فادبهم انما هو معه وسيأتي الكلام أيضا على هذا الحديث عند ذكر المصنف له في قوله فصل وأما تواضعه وقد ضيف بعض المشايخ بعض الامراء وهيأ له محلا ينام فيه فلما دخل وجد فيه مصحفا فلم يزل قائما على قدميه الى الصباح فلما أتاه رب المنزل رآه قائما فقال له لم لا تجلس فقال له كيف أجلس أو أنام في محل فيه كلام الله فقال له من عظم الله عظمه فلم يمض زمن حتى صار سلطانا وسال الملك يؤتيه من يشاء (وليس معنى الحديث في الاتكاء) المذكور سابقا (الميل على شق عند المحققين) من أهل اللغة والحديث بل هو مامر وهو أحد قولين لهم واعلم ان الصاغاني قال في المجمع رجل تكأة مثل تؤدة كثير الاتكاء وأصله وكأة والتكأة أيضا ما يتكأ عليه وهو المتكأ قال الله تعالى واعتدت لهن متكأ قال الاخفش هو في معنى مجلس وطعنه حتى اتكأه أي ألقاه على هيئة المتكي وأوكأت فلانا نصبت له متكأ وفي نوادر أبي عبيد أوكأت عليه أي توكأت انتهى وكذا قاله غيره فهو واوي من الوكاء وأصل معناه الشد والمعتمد على شئ يتقوى ويشتد به فالمعتمد حالة الجلوس على الارض أو غيرها متكئ والمائل على أحد شقيه المستند الى الارض أو الوسادة متكئ أيضا فكلا التفسيرين صحيح والمراد به في الحديث صالح لكل منهما ومن فسره بالميل جنح الى انه عادة المتكبرين المترفهين أو المشهور في الاستعمال فحيث طابق الوضع كان أظهر فرد المصنف رحمه الله تعالى لم يصادف محزه وأكثرهم على خلافه الا الخطابي والحق أحق بالاتباع فالحاصل ان حقيقته انما هي الاعتماد الحسي فالمتربع معتمد والمائل معتمد على أحد شقيه فلا خطأ في كلا التفسيرين لمن له معرفة باللغة فالتحقيق خلاف ما ادعاه المصنف رحمه الله تعالى من التحقيق وانما جعل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم هذه حالة العبد لانه لاشتغاله بالخدمة والمهنة لا يستقر ويطمئن فيكون مستوفزا مستعجلا والمعنى اني لست مخلوقا للدنيا وترفهها فنظري انما هو لعبادة الله وتبليغ أوامره فلا ألتفت اليها وانما أتناول منها بسرعة مقدارا يسيرا لدفع الجوع كالعبد الموكل بخدمة سيده وثمة نكت أخرى تدرك بالذوق أي انه مهتم بذلك لا بالاكل والشرب كالبهائم (وكذلك) أي كقلة أكله وشربه وعدم ترفهه فيهما (نومه صلى الله تعالى عليه وسلم كان قليلا) بيان لوجه الشبه (شهدت بذلك) أي قلة نومه صلى الله تعالى عليه وسلم ودلت عليه (الآثار الصحيحة) أي الاحاديث الصحيحة المسندة في كتب الحديث التي أغنت شهرتها عن ذكرها كمامر وهذا كان أكثر حالاته صلى الله تعالى عليه وسلم وربما خالف هذا أحيانا اذ قد ورد ما يؤذن بان نومه زاد على يقظته أو ساواها كحديث النسائي عن أنس رضي الله تعالى عنه قال ما كنا نشاء ان نرى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالليل مصليا الا رأيناه ولا نشاء ان نراه نائما الا رأيناه (ومع ذلك) أي مع قلة نومه غالبا (فقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم ان عيني تنامان ولا ينام قلبي) فنومه صلى الله تعالى عليه وسلم ليس كنومنا بل هو يقظة فكأنه لا نوم له أصلا بحسب الحقيقة فقلبه صلى الله تعالى عليه وسلم مستيقظ دائما يدرك ما لا يدركه غيره في يقظته ولذا كانت رؤياه صلى الله تعالى عليه وسلم قسما من الوحي لاتصاله بعالم الملكوت في نومه وكذلك سائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام تنام عيونهم ولا تنام قلوبهم فهذه خصوصية اضافية بالنسبة لامته وهذا أيضا باعتبار غالب حاله فانه صلى الله تعالى عليه وسلم نام هو وأصحابه مرة حتى فاتتهم صلاة الصبح وأدركهم حر الشمس وقد أجيب عنه أيضا بان القلب وان كان يقظان لا يدرك ما تدركه العين النائمة وانما يدرك ما يتعلق به من الحدث والالم ولذا

(آكل كما يأكل العبد) لا كما يأكل الملوك والمترفين وزاد ابن سعد وأبو يعلى بسند حسن عن عائشة رضي الله تعالى عنها مرفوعا (وأجلس كما يجلس العبد) وزاد الديلمي وابن أبي شيبة وابن عدي وأشرب كما يشرب العبد (وليس معنى الحديث في الاتكاء الميل على شق عند المحققين) بل هو المعنى الاعم الشامل له ولغيره بخلاف ما فهمه العامة من ان الاتكاء منحصر في الميل الى أحد شقيه أو الاستناد الى ما وراءه وبهذا يجمع بين ما قاله المصنف ههنا وما ذكره في الاكمال من ان الخطابي خالف في هذا التأويل أكثر الناس وانهم انما حملوا الاتكاء على انه الميل على أحد الجانبين ولذا أنكره عليه ابن الجوزي وقال المراد به المائل على جنبه والله سبحانه وتعالى أعلم

(وكذلك) أي ومثل كون أكله قليلا (نومه صلى الله تعالى عليه وسلم كان قليلا) أي ليصرف أوقاته النفيسة في طاعته وعباداته الانيسة (شهدت بذلك الآثار الصحيحة) أي والاخبار الصريحة التي أغنت شهرتها عن ايراد كثرتها (ومع ذلك) أي مع كون نومه قليلا (فقد قال) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (ان عيني تنامان ولا ينام قلبي) كما رواه الشيخان فنومه كله يقظة ليعي الوحي اذا أوحي اليه في المنام اذ رؤيا الانبياء عليهم الصلاة والسلام وحي بدليل قوله تعالى حكاية عن ابراهيم عليه السلام اني أرى في المنام اني أذبحك (وكان نومه على جانبه الايمن استظهارا) أي استعانة بذلك (على قلة النوم لانه على الجانب الايسر أهنأ) بفتح نون فهمز أي ألذ وأشهى ويروى أهدأ أي أسكن وأوفق (لهدوء القلب) بالهمز ويسهل أي سكونه واطمئنانه (وما يتعلق به) أي ولهدوء ما يتعلق به (من الاعضاء الباطنة حينئذ) أي حين اذ ينام على الايسر (لميلها الى الجانب الايسر فيستدعي) جزاء شرط محذوف أي اذا كان النوم عليه أهنأ بسبب ما ذكرنا فتستدعي (ذلك الاستثقال فيه) أي الاستغراق في النوم ويروى الاستقلال ولعله بمعنى الاستبداد (والطول) أي وطول مدته (واذا نام النائم على الايمن تعلق القلب وقلق) بفتح قاف وكسر لام أي لم يستقر ولم يطمئن (فاسرع) أي ذلك (الافاقة) أي من النوم وسهلت اليقظة (ولم يغمره) بضم الميم أي لم يستوعبه أو لم يعله أو لم يغلبه (الاستغراق) أي في عالم النوم لوضع القلب مائلا طرفه الاسفل الى الايسر لتتوفر الحرارة عليه فيعتدل الجسم اذ الحرارة كلها مائلة الى الايمن لوضع الكبد فيه ثم هذا التعليل في بيان حكمة نومه على الجانب الايمن دون الايسر لا ينافي ما ثبت في الحديث

ذهب بعض الفقهاء الى ان نومه صلى الله تعالى عليه وسلم لا ينقض وضوءه وبانه شغل الله تعالى قلبه الشريف بمشاهدة ملكوته مع نوم عينيه فلم تدرك خروج الوقت للتشريع لامته وقد مر الكلام على ذلك كله (وكان نومه) صلى الله تعالى عليه وسلم (على جانبه الايمن استظهارا على قلة النوم) أي استعانة فان الاستظهار استفعال من الظهر بمعنى التقوية والاستعانة لان قوة البدن واستمساكه بظهره فكان صلى الله تعالى عليه وسلم من عادته انه اذا نام نام على شقه الايمن وحكمته ما يأتي ان القلب مائل الى جانب اليسار فاذا نام المرء على يساره استقر القلب فيزيد نومه لراحة قلبه فاذا نام على يمينه تعلق القلب ولم يسترح فيخف نومه ويؤثر سرعة يقظته من نومه وانما كان مقتضى الحكمة كون القلب في جانب اليسار ليعادل الكبد الذي في جهة اليمين غالبا ولموافقته لما كان يحبه صلى الله تعالى عليه وسلم من التيامن في أموره لما فيه من اليمن لفظا ومعنى وما قيل من انه حال امتهان لاتكائه على الجانب الذي ينام عليه لا وجه له فان في النوم راحة تعين على العبادة فالاتكاء عليه كالاتكاء على أعضاء السجود وكذا ما قيل أنه صلى الله تعالى عليه وسلم مع قوة روحه ويقظة قلبه غالبة لنومه غير محتاج للاستظهار عليه وانما هو للتيمن والتشريع فان القوي اذا تقوى كان شديد القوة والنوم أمر طبيعي في جميع الخلق غالب وقد عرفت ان يقظة قلبه كانت هي الحالة الغالبة فالتقوي احتراز عما يعرض نادرا (لانه) أي النوم (على الجانب الايسر أهنأ) أفعل تفضيل مهموز الآخر من الهنيء أي أسهل والذ والهنيء ما أتاك من غير مشقة فالنوم على الايسر أيسر وفعله هنؤ بالضم ويكسر هناه قيل وانما جعل الطائف البيت عن يساره لتوجه قلبه اليه بدعوة واجعل أفئدة من الناس تهوي اليهم فجعل جانب القلب وأعلاه محاذيا له وقيل لان اليسار محل الوسوسة وكاتب السيئات واليمين محل الرحمة وكاتب الحسنات كما ان البيت محل الرحمة فجعل اليسار بين رحمتين لتقلب ضده وقال ابن عبد السلام الحكمة فيه ان القادم يستقبل البيت من ثنية كداء من ناحية باب بني شيبة فيبقى ركن البيت على يسارك وهو يمين البيت لانك اذا قابلت شخصا فيمينه يسارك ويسارك يمينه والذي يلاقيك من البيت وجهه وهو الباب لان باب كل بيت وجهه والادب أن يؤتى الكبير من قبل وجهه ولهذا ابتدئ بثنية كداء والاصل في القربة التيمن فلو ابتدأ بالحجر وجعل البيت على يساره فكان قد ابتدأ بالوجه واليمين معا فيجمع بين فاضلين ولو ابتدأ بالحجر وجعل على يمينه ترك الادب ويمين البيت الحائط الذي من مركز الحجر الى الطرف الآخر وغيره سابقا بله وهو معنى حسن كما قاله ابن مرزوق وقوله (لهدو القلب) تعليل لكونه أهنأ أي لراحته واستراحته لسكونه والهدو بزنة العلو السكون وهو مهموز الآخر وتبدل همزته واوا وتدغم وتسهل أيضا وهو قريب من الهنوء ولامهما همزة في الاصل (وما يتعلق به) أي والهدو معلاقه الذي تعلق به وبناط وكلاهما (من الاعضاء الباطنة) أي الموجودة في داخل الانسان (حينئذ) أي حين نومه على جانبه الايسر (لميلها الى الجانب الايسر فيستدعي ذلك) أي يقتضي ذلك الهدو ويستلزم بحسب الطبع (الاستثقال فيه) أي ثقل بدنه في نومه وغلبة النوم حتى يستغرق فيه وهو جواب اذا أو مسبب عما قبله (والطول) أي طول نومه وطول زمان بطالته (واذا نام النائم على) جانبه (الايمن تعلق القلب وقلق) أي لم يستقر ويطمئن (فاسرع الافاقة) أي التيقظ من نومه (ولم يغمره) بفتح الياء وسكون الغين المعجمة وضم الميم وجزم الراء المهملة (الاستغراق) في النوم وهو انقطاع احساسه انقطاعا تاما طويلا

وغمره له بتغطيته وشدة استيلائه عليه من غمره الماء اذا علاه فهو استعارة كما استعيرت الغمرة للشدة فبينه وبين الاستغراق مناسبة لطيفة لانه من الغرق وذلك لان القلب مائل طرفه الاسفل الى اللسان لتتوفر الحرارة منه عليه فيعتدل الجسم فان الحرارة كلها فى الايمن لكون الكبد فيه

*(فصل) * والضرب الثانى) مما تدعو ضرورة الحياة اليه وهو الفصل التاسع وعقبه بما قبله لانه ضده اذ فيما قبله يتمدح بقلته وبضدها تتميز الاشياء وهو (ما يتفق التمدح بكثرته) يتفق أما من قولهم اتفق كذا ووقع اتفاقا أى وقع من غير قصد لصاحبه أو من الاتفاق وهو اجتماع الكلمة فالاصل ما يتفق الناس على التمدح بكثرته أى كثرة المدح وقوته والمراد الاول لان صاحبه لم يقصده ولم يقصد مدح الناس له لسببه وان كان قد يقصد ذلك (والفخر بوفوره) أى الافتخار بكثرته دون قلته ووجوده فانه موجود فى كثير مما لا يعتد به وقد كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أخذ منه بالحظ الاوفى الاوفر (كالنكاح) أى الجماع فانه يطلق عليه وعلى العقد كما مر والمراد الاول (والجاه) وهو علو القدر عند الناس والمهابة ونفوذ الكلمة والاشتهار بذلك وهو من الوجاهة والمواجهة وأصله وجه فقلب واعل كما مر (أما النكاح فمتفق فيه) أى فى مدحه وشأنه اتفق العلماء وأصحاب البصيرة والتمييز (شرعا) كما سيأتى بيانه (وعادة) فيما اعتاده الناس وتعارفوه كما لا يخفى ونصب شرعا وما بعده على التمييز أو المصدرية ثم بين ذلك على اللف والنشر المشوش فقال (فانه) أى النكاح (دليل الكمال) فى الخلقة والجسم بقوته واعتداله (وصحة الذكورية) الظاهر انها مصدر كالصعوبة والانوثة والمشهور انها جمع ذكر خلاف الانثى ويصح ارادته أيضا الا ان الاول أولى وصحة الذكورية بمعنى قوتها وسلامتها من الضعف والآفة (ولم يزل التفاخر بكثرته عادة) للناس (معروفة) بينهم لا تنكر (والتمادح به سيرة) أى طريقة (ماضية) أى قديمة أو نافذة مقررة من مضى الامر اذا قضى وقرر (وأما فى الشرع فسنة مأثورة) أى هو فى الشرع أمر مسنون منقول فى آثار السلف والاحاديث الصحيحة أى المراد أنه طريقة مشهورة قال الراغب سنة النبى طريقته التى كان يتحراها (وقد قال ابن عباس) رضى الله تعالى عنهما وهو حديث صحيح رواه البخارى (أفضل هذه الامة) أى أفضل أمة الاجابة لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم ولذا عبر باسم الاشارة (أكثرها نساء مشيرا اليه صلى الله تعالى عليه وسلم) يعنى أن المراد بالافضل فى كلامه هو النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لانه أبيح له جمع ما فوق الاربعة وهو من خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم دون أمته فدلت الاكثرية على تعينه بهذه الافضلية ولذا عبر عنه بالاشارة فانها تطلق على مقابل الصريح وهو وان كان أفضل من أمته أجل وأعلى من أن يقال انه أفضل منهم مع انه لا فائدة فيه ببادى الرأى الا أنه رضى الله تعالى عنه قصد الحض على النكاح والاكثار منه ولذا كان مفيدا وهذا الكلام قاله لسعيد بن جبير رضى الله تعالى عنه لما سأله ألك زوجة فقال لا فقال له تزوج فان خير هذه الامة من كان أكثرها نساء كما فى صحيح البخارى ولا بد من جعل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم داخلا فى الامة على ما يأتى لان أفضل التفضيل فى الاصل انما يضاف لما هو بعضه وان جاز يوسف أحسن اخوته على ما ارتضاه بعض النحاة على تفصيل فيه شهرته تغنى عن ذكره وهذه الكثرة باعتبار ما أبيح له صلى الله تعالى عليه وسلم بعد التزوج بمن شاء أن يجمع فى وقت واحد عنده عدة لا تجوز لا بمجرد الدخول والعقد فانه ثابت لغيره أيضا وكان اللاتى تزوج صلى الله تعالى عليه وسلم بهن باجماع أهل السير احدى عشر امرأة ستة من قريش وأربع من سائر العرب وواحدة من بنى اسرائيل من نسل هارون عليه الصلاة والسلام وهى صفية بنت حيى وسيأتى لذلك مزيد بيان وأما التى اختلف فيهن ممن فارقها أو عقد عليها ولم

الصحيح أنه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يحب التيامن فى أمره كله ولما فى التيامن من اليمن لفظا ومعنى واثناء الله سبحانه وتعالى على أهل اليمن واعطاء كتبهم بايمانهم ونحو ذلك *(فصل والضرب الثانى) أى مما تدعو ضرورة الحياة اليه فهو) ما يتفق التمدح بكثرته والفخر بوفوره) أى الافتخار بزيادته مما حاز منه المصطفى الحظ الاوفى وفاز بالنصيب الاصفى (كالنكاح والجاه) أى المحمودين (أما النكاح فمتفق فيه) أى مجمع عليه (شرعا) أى من جهة شرائع الانبياء كافة (وعادة) أى للعقلاء والحكماء عامة (فانه) أى النكاح مع ذلك (دليل الكمال) أى فى خلقة الرجال خصوصا مع قلة الاكل (وصحة المذكورية) بالرفع والجر كالتفسير لما قبله (ولم يزل التفاخر بكثرته عادة معروفة) أى بحيث ان انكاره مكابرة (والتمادح به سيرة عادية) بتشديد الياء أى طريقة قديمة لا حادثة (وأما فى الشرع) أى وأما التفاخر بكثرته والتمادح به فى الشريعة (فسنة مأثورة) أى مروية منقولة كثيرة (وقد قال ابن عباس) كما رواه البخارى (أفضل هذه الامة) أكمل افرادها ثناء (أكثرها نساء) حيث أبيح له تسع منهن (مشيرا اليه صلى الله تعالى عليه وسلم) وقد تزوج عليه الصلاة والسلام احدى عشرة توفى قبله اثنتان خديجة وزينب وما عداهما الباقيات بعده

ولم يدخل بها أو خطبها ولم يقع عليها العقد فاختلف فيهن وفي سبب فراقهن والذي ذكره بعضهم انهن سوى من تقدم سبع فالجميع ثمان عشرة امرأة غير السراري ويمكن أن يكون المراد بالامة ما يشمله صلى الله تعالى عليه وسلم وأمته ولا بعد فيه كما قيل والتمدح بالنكاح لما فيه من الفوائد كالولد وكسر الشهوة وتدبير المنزل وترك ما يشغل عن القيام باوامر الله تعالى مع امتثال أمر الله كقوله تعالى خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وفي ذلك تسبب للالفة والمودة وايصال القرابة ولان فيه تبليغ الاحكام التي لا يطلع عليها الا النساء ولما فيه من اظهار معجزته لقوة قدرته على الجماع مع قلة أكله وتنعمه والمعتاد خلافه ومع ذلك لم يشغله ذلك عن تقيده بامر الجهاد والتبليغ الى غير ذلك مما لا يحصى وقد عد من النسك والعبادة بل قيل انه أفضل منها أحيانا وهو من أخلاق الانبياء عليهم الصلاة والسلام وتركه للقادر عليه مكروه الا أن يخرجه لكسب ما لا يقدر عليه وارتكاب محظور كما في آخر الزمان ولذا ورد خيركم الخفيف الحاذ الذي لا زوجة له ولا ولد وانما قيد بهذه الامة ليخرج سليمان وداود عليهما الصلاة والسلام فانهما كانا أكثر منه صلى الله تعالى عليه وسلم نساء وفيه تأمل (وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم تناكحوا تناسلوا فاني أباهي بكم الامم يوم القيامة) ووقع في بعض النسخ تناكحوا فاني مباه بكم الخ بدون تناسلوا والتناكح تفاعل من النكاح بمعنى التزوج كما ورد بهذا اللفظ والمفاعلة على ظاهرها بان يراد لينكح أحدكم بنت غيره وينكح الغير بنته وهو عبارة عن مصاهرة المسلمين بعضهم من بعض والتناسل كثرة النسل وهم الاولاد والذراري أو المراد بالتفاعل لازم معناه وهو كثرة النكاح وهذا أنسب بالمقام وبما بعده وأصله تتناسلوا بتاءين في أول المضارع وحذفت على القياس في كل تاءين في أوله أو هو أمر بدل مما قبله أو بتقدير العاطف والاول أولى لان التناسل ليس باختيارهم وانما هو فعل الله فيحتاج الى تاويله باطلبوا التناسل واحرصوا عليه بان تنكحوا غير العقيمة والآيسة من الولد بان تعلم ذلك منها ان كانت ثيبا أو يكون الظاهر ذلك منها أشباهها ففيه نهي عن نكاح العجائز من غير داع واشارة الى أنه ينبغي أن يكون المقصود من النكاح مع قمع الشهوة وجود ذرية تعبد الله وتحصل بها كثرة الامة والمباهاة المفاخرة وهي على ظاهرها بان تقع منه المفاخرة حقيقة أو تجعل مسرته بهم ورؤيته غيرهم لهم كالمفاخرة ويؤيده ما روى عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال آتي يوم القيامة بمثل السيل فيحطم الناس فتقول الملائكة عليهم الصلاة والسلام لما جاء مع محمد أكثر مما جاء مع الامم والانبياء وهو صلى الله تعالى عليه وسلم أكثر الناس أمة لعموم بعثته وبقائها وكثرة اتباعه وجنده المؤيدين لدين الله ففيه فخر عظيم وهذا الحديث أخرجه ابن مردويه في تفسيره بسند ضعيف الا انه حسن لكثرة متابعته لفظا ومعنى فانه رواه الطبراني في الاوسط من حديث سهل بن حنيف رضي الله تعالى عنه تزوجوا فاني مكاثر بكم الامم وعن معقل بن يسار رضي الله عنه تزوجوا الولود الودود فاني مكاثر بكم الامم يوم القيامة (ونهى) صلى الله تعالى عليه وسلم (عن التبتل) كما رواه الشيخان عن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه والحديث صحيح قال فيه رد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على عثمان بن مظعون التبتل ولو أذن لنا لاختصينا فهذا هو المنهي الذي كان استأذنه في التبتل فرده ونهاه عنه وروى ان جماعة من الصحابة فيهم علي كرم الله وجهه لما رأوا عبادة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر قالوا انلزم الصوم والعبادة ونترك نساءنا ونطلقهن وننقطع للعبادة فنهاهم صلى الله تعالى عليه وسلم عن ذلك والاختصاء الشق على الانثيين وانتزاعهما وهو والتبتل من البتل وهو القطع والمراد الانقطاع عن النكاح بالكلية ويقال رجل بتول وامرأة بتول اذا انقطعت عن الرجال ولذا قيل لمريم البتول وأما فاطمة الزهراء رضي الله تعالى عنها فسميت بتولا لانقطاعها عن الدنيا وزهدها أو لانقطاعها

(وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم) كما ذكره ابن مردويه في تفسيره عن ابن عمر مرفوعا (تناكحوا) زيد في نسخة تناسلوا (فاني مباه بكم) اسم فاعل من المباهاة أي مفاخر بكثرتكم (الامم) أي السالفة (يوم القيامة) كما في نسخة ولفظ الطبراني في الاوسط تزوجوا الولود فانه مكاثر بكم الامم وفي رواية أبي داود والنسائي وابن ماجه فاني مكاثر بكم الامم (ونهى) كما رواه الشيخان (عن التبتل) قال اليمني في حاشيته التبتل الانقطاع عن الدنيا ومنه قوله تعالى وتبتل اليه تبتيلا انتهى وعدم صحته في المقام لا يخفى فالصواب ان المراد بالتبتل هنا هو انقطاع الرجل عن النساء وعكسه فانه من شريعة النصارى وطريقة الرهابين وهذا لا ينافي قوله تعالى وتبتل اليه تبتيلا اذ معناه انقطع تعلق القلب بالخلق الى التوجه بالحق انقطاعا خاصا يعبر عنه بكائن بائن وقريب غريب وعرشي فرشي على اختلاف عبارات الصوفية نظرا الى الاعمال الصادرة من الاحوال الباطنة والظاهرة

(مع مافيه) أي في النكاح من فوائد كثيرة كما بينه بقوله (من قمع الشهوة) أي دفعها للرجل والمرأة (وغض البصر) أي خفضه وغمضه لهما (اللذين نبه عليهما صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله) أي فيما رواه الطبراني (من كان ذا طول) بفتح الطاء أي قدرة وسعة على المهر والنفقة ولفظة الشيخين من استطاع منكم الباءة (فليتزوج فانه أغض للبصر وأحصن للفرج) أي أمنع وأحفظ له وهو مقتبس من قوله تعالى قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم ان الله خبير بما يصنعون وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن وباقي الحديث ومن لا فالصوم له وجاء على ما رواه النسائي (حتى لم يره العلماء) أي من الاولياء مع كونه من قضاء الشهوة (مما يقدح في الزهد) أي في هذه الدنيا وشهواتها ومستلذاتها وكان شيخنا المرحوم على المتقي يقول كل شهوة تظلم القلب الا النكاح فانه ينوره ويصفيه

لعبادة الله تعالى أو لانقطاعها عن نساء زمانها فضلا ودينا وحسبا وأما قوله تعالى وتبتل اليه تبتيلا فليس منافيا للحديث لانه بمعنى آخر أي انقطع في الليل لعبادة الله تعالى والتهجد وأخلص له واقرأ القرآن وورد النهي عن موافقتهم للنصارى وما كانوا عليه من الرهبانية وأما قوله لو أذن لنا لاختصينا فلا يدل على جواز الاختصاء ان كان على حقيقته فانه قد يستعمل بمعنى آخر كما سمى الصوم وجاء وهو جائز في البهائم في صغرها لغرض كتسمين المأكول وهو في الآدميين حرام لانه مثلة ويكره استخدام الخصي ويمنع من دخوله على النساء ثم ان النهي عن ترك النكاح للقادر عليه يفيد كراهته لانه مستحب وعند المالكية واجب فالنهي على ظاهره قال التجاني المتأخرون من المالكية يجعلونه في حق بعض الناس واجبا وفي حق بعضهم مندوبا اليه وفي حق بعضهم مباحا التفاتا للمصلحة وهذا نوع من القياس يسمى القياس المرسل وهو الذي ليس له أصل يستند اليه والغاه ولا اقتضاء المصلحة وقد أنكره كثير من العلماء والظاهر من مذهب أصحاب مالك القول به انتهى (مع مافيه) أي في النكاح أو في التبتل وقيل الاول متعين بقرينة ما سيأتي (من قمع الشهوة) أي قهرها والغلبة وأصله ضرب الرأس ومنه مقامع من حديد والمراد بالشهوة شهوة النكاح والنساء (وغض البصر) أي خفض البصر وتغميضه عن النظر عما يحرم وجعل غض البصر كأنه فيه مبالغة لانه حامل عليه وقيل انه مجاز لان من لم يتشوق لامر يغض عنه عينه فكأنه لا يبصره ويجوز جعله حقيقة أو كناية (اللذين نبه عليهما) صفة لقمع الشهوة وغض البصر (بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم) في الحديث الذي رواه ابن ماجه عن عائشة رضي الله تعالى عنها الا ان في سنده مقالا وفي الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه أغض للبصر وأحصن للفرج وأخرجه الطبراني بلفظ المصنف رحمه الله تعالى بدون فانه الى آخره (من كان ذا طول) بفتح الطاء المهملة وسكون الواو واللام وهو سعة الرزق والمال بحيث يكون له قدرة على نفقة زوجته وأهله بحيث لا ينظر الى مال امرأته وغيرها فانه ورد في الحديث أيضا لا تنكح المرأة لمالها لعل مالها ان يطغيها ولا لجمالها فلعل جمالها ان يرديها وعليكم بذات الدين فانهن في النساء مثل الغراب الاعصم قال ابن رشد وهذا نهي ارشاد لا تحريم وورد في الحديث استوصوا بالنساء خيرا فانهن خلقن من ضلع وان أعلاه أعوج فان أردت تقيمه كسرته وقد نظمه القائل حيث قال

هي الضلع العوجاء لست تقيمها * الا ان تقويم الضلوع انكسارها
أتجمع ضعفا واقتدارا على الفتى * أليس عجيبا ضعفها واقتدارها

ومنه أخذ المنصور قوله

اذا نقمت عرس وأنت تحبها * فدع بحرها رهوا ولا تثر الموجا
ولا تطمعن الدهر في ان تقيمها * فقد خلقت في الاصل من ضلع عوجا

(فليتزوج فانه أغض للبصر وأحصن للفرج) أي فان التزوج أكثر حملا على غض البصر وكفه عن النظر لما يحرك الشهوة وأكثر تحصينا أي حفظا للفرج عن الزنا والمفضل عليه التبتل وتحصين الفرج بقمع الشهوة ففيه تنبيه على الامرين المذكورين ثم لما كان في التبتل زهد ظاهر ربما يتوهم انه أفضل من التزوج دفعه بقوله (حتى لم يره) أي التزوج والنكاح (العلماء) بالدين والشرع (مما يقدح في الزهد) القدح والطعن في الشئ ذكر عيوبه أي ليس مما ينقص الزهد حتى يعيبه الناس فاسند القدح اليه مبالغة وقوله في الزهد أي ترك الدنيا ولذاتها لان ما ذكر من جملة التلذذ لان القصد به التعفف والنسل وهذا مروي عن عمر رضي الله عنه فانه قال ليس في النساء سرف ولا في تركهن عبادة

(وقال سهل بن عبد الله) أى التسترى وهو من أجل الزهاد وأكمل العباد (قد حبب) بصيغة المجهول من التحبيب أى جعلت النساء محبوبة (الى سيد المرسلين فكيف يزهد فيهن) بصيغة المجهول أى فكيف يجوز يتصور الزهد فى حقهن والميل عنهن (ونحوه لابن عيينة) وهو من علماء السنة روى عنه أحمد وخلق قال أبو نعيم أدرك أبو سفيان ستة وثلاثين من أعلام التابعين وقد قال سفيان الثورى أيضا ليس فى النساء سرف والله انى لمشتاق الى العرس (وقد كان زهاد الصحابة) كعلى وابنه الحسن وابن عمر (كثيرى الزوجات والسرارى بتشديد الياء) وتخفف جمع سرية وكل ما كان مفرده مشددا جاز فى جمعه التشديد والتخفيف كذا قال بعضهم قال الجوهرى هى الامة التى بوأت لها بيتا وهى فعيلة منسوبة الى السر وهو الجماع أو الاخفاء لان الانسان كثيرا ما يسرها ويسترها عن حرمه وانما ضمت سينه لان الابنية قد تغير فى فى النسبة خاصة كما قالوا فى النسبة الى الدهرى دهرى والى الارض السهلة سهلى وكان الاخفش يقول انها مشتقة من السرور لانها يسر بها ويقال تسررت جارية وتسريت أيضا كما قالوا تظننت وتظنيت انتهى (كثيرى النكاح) أى الجماع ويبعد ان يراد به العقد لانه علم فى ضمن ما تقدم وأعاد لفظ الكثيرين اهتماما بالقضية قال عمر رضى الله تعالى عنه انى أتزوج المرأة ومالى فيها من أرب واطؤها ومالى فيها من شهوة فقيل له فى ذلك فقال حتى يخرج منى من يكاثر به النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (وحكى فى ذلك عن على) بن أبى طالب روى انه نكح بعد وفاة فاطمة رضى الله تعالى عنها بسبع ليال فكان لعلى أربع نسوة وتسع عشرة وليدة غير من متن أو طلقن (والحسن) أى وعن الحسن الظاهر انه ابن على كرم الله تعالى وجهه ويحتمل الحسن البصرى بناء على قاعدة المحدثين من انه المراد عند الاطلاق لكنه يبعدهنا التقديم على قوله (وابن عمر) وكان من زهاد الصحابة وعلمائهم وانه كان يفطر من الصوم على الجماع قبل الاكل وروى انه جامع ثلاثا من جواريه فى شهر رمضان قبل العشاء الاخيرة (وغيرهم) أى وعن غيرهم (غير شئ) أى شئ كثير فكان الحسن بن على أشد الناس حبا للنساء قيل انه أرخى ستره على مائتى حرة لانه كان مطلاقا وكان ربما عقد على أربع فى عقد واحد ولما خطب بنت المسيب الفزارى وخطبها أخوه الحسين وابن عمهما عبد الله بن جعفر شاور عليا فقال له اما الحسن فطلاق والحسين شديد الخلق ولكن عليك بابن جعفر فزوجها له

وزهد كما فى تحفة العروس للتجانى (قال سهل بن عبد الله) التسترى وقد تقدمت ترجمته (قد حبب) بالبناء للمجهول والتشديد (الى سيد المرسلين) أى خلق الله تعالى فيه محبتهن وسيأتى بيانه والضمير للنساء (فكيف يزهد فيهن) أى اذا كان الله تعالى جعل حبهن مركوزا فى جبلة من هو أزهد الخلق صلى الله تعالى عليه وسلم فكيف يدعى أحد ان تركهن زهد وفى سراج المريدين فى قوله تعالى والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين اماما ان هذه الآية تدل على فضل التزوج على العزوبية لبقاء الذرية ودعائها الذى هو عمل لا ينقطع بموته قلت ويدل على انه أفضل فى حق من يقتدى به الناس (ونحوه) أى مثل المروى عن التسترى مروى (عن ابن عيينة) علم منقول من تصغير العين وهو سفيان بن عيينة بن عمران الكوفى أحد الائمة الاعلام الامام الحافظ روى عن كثير كالزهرى وابن دينار وأحمد والزعفرانى وروى عنه خلق كثير وخرج له أصحاب الكتب الستة وكان يسكن مكة وتوفى فى رجب سنة ثمان وتسعين ومائة ومولده سنة سبع ومائة وكان أعور وترجمته مشهورة وهو من تبع التابعين أدرك منهم ستة وثمانين نفسا (وقد كان زهاد الصحابة رضى الله تعالى عنهم كثيرى الزوجات والسرارى كثيرى النكاح) كثيرى بياءين أصله كثيرين بصيغة الجمع فحذفت نونه للاضافة يعنى كانوا يكثرون من النساء حرائر واماء أو انهم كانوا يطلقون كثيرا فتكثر زوجاتهم بهذا الاعتبار كما قاله التجانى وكان عند على كرم الله وجهه أربع نسوة وتسع عشر وليدة الا انه لم يتزوج غير فاطمة رضى الله عنها حتى ماتت وولدت له منها الحسن والحسين ومحسنا وتوفى صغيرا فى حياة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو الذى سماه محسنا كما ذكره الدارقطنى والحسن رضى الله تعالى عنه كان من أشد الناس حبا للنساء وكان مطلاقا كما قيل انه أرخى ستره على مائتى حرة والسرارى بتشديد الياء وتخفيفها جمع سرية بالتشديد والسرية هى الامة المنكوحة ولو مرة فلا تسمى سرية قبل الوطئ حتى ان من جعل بيد زوجته عتق كل سرية له لم يكن لها عتق التى لم يطأها زوجها وهى منسوبة الى السر الذى هو الجماع أو الاخفاء لانه كثيرا ما يخفيها عن زوجته فضم سينها من تغييرات النسب كما قيل فى النسبة للدهر دهرى بالضم وقيل انها مشتقة من السرور لانه يسر بها فابدل احدى رائيها ياء كما قالوا تظنيت وتظننت وضم سينها لازم ولذا قيل عليك بضم الصدر السرية والتسرى سنة وقد قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عليكم بالسرارى فانهن مباركات الارحام وقد تسرى الانبياء عليهم الصلاة والسلام والصحابة رضى الله تعالى عنهم (وحكى) بالبناء للمجهول (فى ذلك) المذكور من التزوج والتسرى وكثرته (عن على) كرم الله وجهه (والحسن) ابنه كما مر لانه المنقول عنه ذلك ولذا قدمه لا الحسن البصرى فانه لم ينقل عنه مثله (وابن عمر وغيرهم) من الصحابة (غير شئ) هذا هو نائب فاعل أى حكى عنهم أشياء كثيرة فى ذلك لا شيئا واحدا

وأبهمه لكثرته كما فى قوله (وقد ذكره غير واحد) من السلف الصالحين (ان يلقى الله) أى يموت لان لقاء الله يكنى به عن الموت كما جاء فى الحديث من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه وقال الراغب لقاء الله عبارة عن القيامة وعن المصير اليه قال الله تعالى الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم واللقاء الملاقات وأصل معناه مقابلة الشئ ومصادفته معا وقد يعبر به عن كل واحد منهما (عزبا) بفتح العين المهملة والزاى المعجمة والباء الموحدة هو الذى لا امرأة له من عزب بمعنى تباعد يقال رجل عزب وامرأة عزبة وعزب عنه علمه اذا غاب عنه ولم يعلمه وهذا مروى عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه فقد حكى عنه انه كان يقول لو لم يبق من عمرى الا عشرة أيام لاحببت ان أتزوج لئلا ألقى الله عزبا وماتت امرأتان لمعاذ بن جبل رضى الله تعالى عنه فى الطاعون وكان هو مطعون أيضا فقال زوجونى فانى أكره ان ألقى الله عزبا أى بعيدا عن النساء وقال فى الدرة العزب يقال للذكر والانثى وقد يقال للمرأة عزبة ولا يقال للرجل أعزب بالهمزة أو هى لغة قليلة وفى التقريب قال أبو حاتم لا يقال أعزب قال الازهرى وأجازه غيره وورد فى الحديث فى مسلم ما فى الجنة أعزب قال النووى هو فى جميع نسخ بلادنا بالالف وهو لغة مشهورة وما وقع فى بعض النسخ من تقييد عزب بسكون الزاء بالقلم كما قاله البرهان لا وجه له فانه خلاف المنقول فى كتب اللغة (فان قلت كيف يكون النكاح وكثرته من الفضائل وهذا يحيى ابن زكريا) جعلهما لشهرتهما وشهرة اتصافهما بما ذكر بمنزلة المحسوس المشاهد حتى أشار اليهما ويحيى وزكريا بلغاته أعجميان وقيل انه عربى مشتق من الحياء لا كالمفازة بل لان الله تعالى أحيا قلبه بانوار النبوة الذاتية والمقتبسة من زكريا لانه أول من آمن به وأوتى النبوة والفضائل المكتسبة منه فقال انا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا قال قتادة والكلبي لم يسم أحد قبل يحيى بذلك فاحيى الله به دين عيسى عليه الصلاة والسلام فاشتق له من اسمه الحى اسما كما اشتق اسم سيدنا ونبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم من اسمه المحمود كما قيل وكان هو وعيسى ابنى خالة وكانت أمه تقول لمريم انى أجد الذى فى بطنى يسجد للذى فى بطنك كما سيأتى ويحيى أكبر من عيسى وفى مقدار عمره اختلاف فقيل كان عمره مائة وعشرين سنة وقيل ثمانية وتسعين وقيل اثنين وسبعين وأما زكريا فمن ذرية سليمان عليه الصلاة والسلام وكان آخر من بعث من بنى اسرائيل قبل عيسى عليه الصلاة والسلام ولما أراد بنو اسرائيل قتله فر منهم فانفلقت له شجرة فدخلها فاخذ الشيطان بهدب ثوبه فلما رأوه نشروا الشجرة حتى قطعوه فى جوفها وأما يحيى عليه الصلاة والسلام فقتل بسبب امرأة أراد ملكهم تزوجها فقال له يحيى انها لا تحل لك لانها بنت امرأتك فتوصلت لقتله قبل ان يرفع عيسى عليه الصلاة والسلام فكان دمه يفور حتى قتل منهم بخت نصر سبعين ألفا وهذا قصاص الانبياء عليهم الصلاة والسلام كما ان قصاص الملوك خمسة وثلاثون ألفا كما قاله ابن عباس رضى الله عنهما وقد قيل بل صح فى الحديث ان الموت بعد استقرار أهل النار فى النار وأهل الجنة فى الجنة يؤتى به بصورة كبش أملح فيذبحه يحيى وقيل الذى يذبحه جبريل عليه السلام والثانى مروى فى بعض التفاسير وأما الاول فلا مستند له وان ذكره بعض الصوفية (قد أثنى الله تعالى عليه انه كان حصورا) فى قوله تعالى وسيدا وحصورا والسيد الرئيس الشريف وفيه تفاسير سيأتى وأما الحصور فمن الحصر وهو المنع ولذا اشتهر تفسيره بمن انحصر عن النساء بحيث لا يأتيهن وأخرج ابن جرير عن ابن عمرو عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من عبد يلقى الله تعالى الا ذا ذنب الا يحيى بن زكريا فان الله تعالى عز وجل يقول وسيدا وحصورا قال وانما كان ذكره مثل هدبة الثوب وأشار بانملته وبه فسر ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وأورد شاهدا له من كلام العرب وعلى هذا بنى المصنف رحمه الله تعالى

السؤال

(وقد ذكره غير واحد) أى من العلماء (ان يلقى الله عزبا) بفتح الزاى قيل ويسكن من لا أهل له كذا قيل وهو من العزب بمعنى البعد ومنه قوله تعالى لا يعزب عنه مثقال ذرة فالعزب هو البعيد عن النساء وكأنه أراد ان يلقاه عاملا بجميع ما يرضاه ولذا قيل فى تفسير قوله تعالى ولا تموتن الا وأنتم مسلمون أى متزوجون لان من كمال الاسلام القيام بسنته عليه الصلاة والسلام وهذه الكراهة رويت عن ابن مسعود وماتت امرأتان لمعاذ بن جبل فى الطاعون وكان هو أيضا مطعونا فقال زوجونى فانى أكره ان ألقى الله عزبا (فان قيل) وفى نسخة صحيحة فان قلت (كيف يكون النكاح) أى أصله (وكثرته من الفضائل) أى التى أجمع عليها فى كل شريعة (وهذا يحيى بن زكريا) عليهما الصلاة والسلام (قد أثنى الله تعالى عليه انه كان حصورا) أى ممنوعا من النساء بالعجز عنهن أو لعدم الالتفات اليهن

(فكيف يثنى الله عليه بالعجز) أوعدم الميل (عما يعد فضيلة) أى شرعا وعادة (وهذا عيسى) أى ابن مريم كما فى نسخة (عليه الصلاة والسلام قد تبتل من النساء) أى انقطع عنهن ولم يمل اليهن وأبعد الدلجى فى قوله منقطعا الى ربه ومنه تبتل اليه تبتيلا أى انفرد له بالطاعة ووجه بعده لا يخفى على أرباب الصفاء مع ما تقدم فى كلامنا اليه من الايماء (ولو كان) أى النكاح (فضيلة) كما قررته (لنكح) أى لتزوج كل منهما (فاعلم ان ثناء الله تعالى على يحيى عليه الصلاة والسلام بانه كان حصورا ليس كما قال بعضهم انه كان هيوبا) فعول من الهيبة أى جبانا عن النكاح وخائفا من النساء وفى الحديث الايمان هيوب أى صاحبه يهاب الذنب فيتقيه (أولا ذكر له) وفى رواية معه أى لا همة له فيه (بل قد أنكر هذا) أى ما ذكر من القولين (حذاق المفسرين) أى مهرتهم (ونقاد العلماء) أى محققوهم (وقالوا هذه نقيصة وعيب) أى لا يوجب الثناء (ولا تليق بالانبياء) أى لا تضاف اليهم (وانما معناه) أى معنى كونه حصورا (انه كان معصوما من الذنوب أى لا يأتيها كأنه حصر عنها) بصيغة المجهول أى حبس ومنع وحفظ وعصم منها وهذا بناء على انه فعول بمعنى مفعول (وقيل مانعا نفسه من الشهوات) أى المستلذات من المباحات لا من المستحبات فهو بمعنى فاعل (وقيل ليست له شهوة فى النساء) أى شهوة كثيرة أو مطلقا لكنه يباشر هذه الخصلة لما فيها من الفضيلة لما سبق عن عمر رضى الله تعالى عنه وأحسن الاجوبة أوسطها واما الدلجى بانه الذى لا يقرب النساء مع القدرة فلا وجه له فى هذه الحالة التى تفوته الفضيلة هذا وقد ذكر التلمسانى ان عيسى عليه الصلاة والسلام يتزوج فى آخر الزمان بعد نزوله وقتله الدجال امرأة من جهينة ويولد له ولد ذكر ويتوفى عيسى عليه الصلاة والسلام ويدفن مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بينه وبين أبى بكر واما يحيى فانه لم يمت حتى ملك بضع امرأة لكنه لم يبن عليها ففعله هذا انما كان لنيل الفضيلة واقامة السنة وقيل لغض البصر ودفع الفتنة

السؤال كذا فى الشرح الجديد أقول هذا الحديث لم يثبت وسئل النووى رحمه الله تعالى فى فتاويه عن حديث ما منا الا من عصى أوهم بمعصية الا يحيى بن زكريا فاجاب بانه حديث ضعيف لا يحتج به رواه أبو يعلى الموصلى فى مسنده عن زهير عن عفان عن حماد بن سلمة عن على بن زيد بن جدعان بضم الجيم واسكان الدال المهملة عن يوسف بن مهران عن ابن عباس رضى الله عنهما قال ما أحد من ولد آدم الا قد أخطأ أوهم بخطيئة ليس يحيى بن زكريا واسناده ضعيف لان ابن جدعان ضعيف ويوسف بن مهران مختلف فى جرحه (فكيف يثنى الله عليه) فى القرآن (بالعجز عما يعده فضيلة) وهو النكاح وكثرته (وهذا عيسى بن مريم) عليه الصلاة والسلام (تبتل عن النساء) أى انقطع عنهن بالكلية ولم يتزوج (ولو كان كما قررته) ان النكاح بل كثرته فضيلة ممدوحة (لنكح) أى لتزوج ليجوز هذه الفضيلة فاجاب بقوله (فاعلم ان ثناء الله تعالى على يحيى) عليه الصلاة والسلام (بانه كان حصورا ليس) معناه (كما قال بعضهم) كما مر (انه كان هيوبا) أصل معنى الهيوب الجبان من الهيبة وهى المخافة والتقية ويأتى بمعنى من يخافه الناس وليس بمراد هنا بل المراد انه كان جبانا عن النكاح (أولا ذكر له) الذكر بفتحتين معروف لم يرد ظاهره وانما أراد انه صغير جدا أولا حركة له أصلا لما ورد فى بعض الاحاديث الضعيفة ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أخذ نواة أو قذاة وقال كان ذكره مثل هذه وفى أخرى مثل هدبة الثوب وقال ابن المنذر كان عنينا وقد يطلق الحصور على المجبوب الذكر والانثيين كما فى حديث القبطى الذى أمر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عليا كرم الله وجهه بقتله قال فرفعت الريح ثوبه فاذا هو حصور (بل قد أنكر هذا حذاق المفسرين ونقاد العلماء) حذاق جمع حاذق بمعنى ماهر فى علم التفسير والنقاد جمع ناقد وهو الذى يميز جيد النقدين من رديئهما وأصل معناه الوزن وخلاف النسئة ولم يذكر الاول فى القاموس وهو المراد هنا (وقالوا هذه نقيصة وعيب ولا تليق بالانبياء) عليهم الصلاة والسلام أى لا تصلح لهم ولا تناسبهم من لاق الدواة يليقها اذا أصلحها (وانما معناه انه كان معصوما من الذنوب) كسائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام والعصمة عندنا ان لا يخلق الله تعالى فيهم ذنبا وعند الفلاسفة ملكة تمنع الفجور وسيأتى الكلام على تفصيل عصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام (أى لا يأتيها كأنه حصر عنها) أى منع عنها فحصور بمعنى محصور وقال التجانى هذا الجواب ضعيف لما ورد فى حديث بشر بن عطية قال لعن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من تحصر فى الاسلام وقال لا حصور الا يحيى بن زكريا كما أخرجه الماوردى وغيره وفيه نظر سيأتى (وقيل مانعا نفسه من الشهوات وقيل ليست له شهوة فى النساء) يعنى ان له قدرة على الجماع ولكنه يمنع نفسه عنها باشتغاله بغيرها من العبادة أوله قدرة ولكن لا تتوق نفسه له ولا يريده فانهم عرفوا الشهوة بانها توقان النفس الى الامور المستلذة وفرقوا بينها وبين الارادة بان الارادة أعم فان الارادة قد تتعلق بما لا تشتهى كارادة شرب الدواء والاشتهاء ميل طبيعى غير مقدور ولذلك يعاقب بارادة المعاصى عند بعض ولا يعاقب باشتهائها فالمعنى ان الله تعالى عصمه بان

(فقد بان لك من هذا) أى الذى ذكرناه (ان عدم القدرة على النكاح نقص) أى للكمل (وانما الفضل فى كونها) أى القدرة (موجودة) أى قائمة بمحلها ثابتة (ثم قمعها) قال الدلجى مبتدأ والظاهر انه مجرور عطفا على كونها أى ثم الفضل فى قمع القدرة عن النكاح مخالفة للشهوة (اما بمجاهدة) أى برياضة نفسانية (كعيسى عليه الصلاة والسلام أو بكفاية من الله) أى لهذه المؤنة بالعصمة

لم يخلق فيه ميلا للمشتهيات ولو لم يفسر بما ذكر لما صح تعقيبه بقوله (فقد بان لك من هذا ان عدم القدرة على النكاح نقص وانما الفضل فى كونها موجودة ثم قمعها) وهذا معنى ماقاله الدسيلى فى تفسيره ان الظاهران كونه حصورا كان عن اختيار منه لان خلافه نقص فى الخلقة وعيب يتنزه عنه الانبياء عليهم الصلاة والسلام وماذكره ابن حزم فى المال والنحل من ذمه انما يتمشى فيما اذا كان لمجرد الشهوة البهيمية اما اذا كان لتكثير النسل فى الاسلام فلا ذم فيه وقال ابن العربى قول من قال الحصور هو الذى يكف عن النساء عن قدرة هو الصحيح لوجهين أحدهما انه أثنى به عليه ومثله انما يكون على المكتسب لا الجبلى الثانى ان حصورا فعولا من صيغ المبالغة وهو انما يكون فى الافعال الاختيارية فهو كف عن قدرة وهو فى شرعه مطلوب بخلاف شرع نبينا المنهيه صلى الله تعالى عليه وسلم عن التبتل انتهى فاندفع ماقيل ان قوله لا شهوة له فى النساء لا وجه له لذكره هنا لانه فى مقام الجواب عما أوردوه وهذا مقرر للايراد لا جواب عنه وماذكر فى هذا المقام هو وجه تفضيل البشر على الملك فان قلت فما تقول فيما ورد فى الحديث على فرض صحته من انه عنين أو ماله كقذاة أو نواة أو هدب ثوب قلت أجيب عنه بانه لغلبة خوف الله تعالى عليه وشدة الرياضة التى كانت مشروعة له ذبلت أعضاؤه واضمحلت حتى صار كانه مثل ماذكر لا أنه لنقص فى خلقته فهو على طريق التشبيه والتمثيل (اما بمجاهدة) متعلق بقمع والمراد بذلك ان الله خلق الانبياء عليهم السلام على أحسن تقويم فلهم قوة على الجماع زائدة على غيرهم الا أن منهم من قهر شهوته وغلبها حتى أضعفها وذلك اما بمجاهدة كافراط الرياضة بجوع وسهر وخلوة عنهن للعبادة وهو المراد بالمجاهدة لانه يجاهد نفسه بمنعها عما تريده من الشهوات وهو الجهاد الاكبر (كعيسى عليه الصلاة والسلام) أو بقهرها بعدم مطاوعتها على ما تريد لان الله تعالى خلقه وجعل فيه ملكة على ترك الشهوات من غير مجاهدة وهو المراد بقوله (أو بكفاية من الله كيحيى عليه الصلاة والسلام) فان الله تعالى صرفه عن شهوة الجماع قيل والاليق أن يكون له قدرة قمعها بالمجاهدة كعيسى عليه الصلاة السلام ولذا فسر البيضاوى حصورا بمبالغ فى حبس نفسه عن الشهوات والملاهى والتبتل فى حق المعصوم أمر مطلوب وفى غيره منهى عنه وكان مشروعا فى دينهم كما فترك التزوج عبادة عندهم لمن قدر على صون نفسه عن الشهوات وكان يحيى عليه الصلاة والسلام شديد الخوف من الله تعالى حتى قيل انه وضع وجهه على الارض وبكى حتى ذهب لحم خديه وبدت اضراسه للناظرين (فضيلة زائدة) مرفوع خبر للمبتدأ وهو قمعها فى قوله ثم قمعها أى ترك الشهوة والجماع بعد القدرة والقوة عليه فضيلة محمودة وصفة جيدة زائدة فى الخلقة على أصلها (لكونها شاغلة فى كثير من الاوقات) أى لكون الشهوات تشغل الانسان كثيرا عن العبادة والمهمات وفى نسخة مشغلة قال التلمسانى مفعلة من الشغل وروى مشغلة اسم فاعل من أشغل وهو قليل وروى شاغلة انتهى قلت الاخير هو الصحيح رواية ودراية لان الاشغال لغة رديئة ولذا لما وقع الصاحب على رقعة فيها الاشغال قال من قال اشغالى لا يصلح لاشغالى كما وهو لم يقع فى النسخ المتداولة (حاطة الى الدنيا) اسم فاعل من الحط وهو الانزال من علو الى أسفل وهو منصوب خبر بعد خبر للكون أى تنزل الانسان الى شهوات الدنيا الدنية لمن لم يعصمه الله

من غير الحاجة الى المجاهدة (كيحيى عليه الصلاة والسلام فضيلة زائدة) بالنصب على التمييز من قوله موجودة وجعله الدلجى خبر المبتدأ بناء على اعرابه فى رفع قمعها فاحتاج الى ان يقول زائدة على فضيلة القدرة على قمعها وكان حقه ان يقول مع عدم قمعها والظاهران المصنف أراد ان القوة مع القدرة على قمعها فضيلة زائدة لا خصلة راتبة كما عبر الفقهاء بالسنن الزوائد والرواتب ولا شك ان الزوائد قد تترك لبعض العوارض الموجبة لكون تركها حينئذ أفضل من فعلها بالنسبة الى بعض الاشخاص والاحوال وأوقاتها فهذه الفضيلة زائدة قد تترك (لكونها شاغلة) وفى رواية مشغلة بضم الميم وكسر الغين أو بفتحها (فى كثير من الاوقات) أى عن الطاعات التى تورث الدرجات العاليات فى روضات الجنات (حاطة) بتشديد الطاء أى واضعة منزلة له عن علو الحالات لكونها مرغبة ومميلة وجارة (الى الدنيا) أى محبتها

أو جمعها والاشتغال بها الحصول تلك الفضيلة الزائدة والحاصل ان كل فضيلة لها مضار ومنافع كالنكاح والتبتل والعزلة والخلطة والغنى والفقر فينظر الى زيادة المنفعة وقلة المضرة بالنسبة الى طالبها وصاحبها فيحكم بمقتضاه ولا يجوز الاطلاق فيما استفتاه ولذا قال المصنف

(ثم هي) أي الفضيلة الزائدة (في حق من أقدر عليها) بصيغة المجهول من الاقدار أي من أعطى له الاقتدار عليها (وملكها) بان لم يتزلزل فيها وهو بفتح الميم واللام قال في التلمساني هو بضم الميم وكسر اللام مشددة على طبق أقدر قلت والاول أولى وأظهر ويؤيده قوله (وقام بالواجب فيها ولم تشغله) بفتح أوله وثالثه وفي لغة بضم أوله وكسر ثالثه أي لم تمنعه (عن ربه) أي طاعته وحضوره (درجة عليا) بالرفع أي مرتبة قصوى وهي مضبوطة في النسخ المعتبرة بضم العين مقصورا وضبط محش بفتح العين والمد (وهي درجة نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم الذي لم تشغله كثرتهن عن عبادة ربه) أي طاعته وحضوره لوصوله الى مقام جمع الجمع في كمال حصوله وهو ان لا تحجبه الكثرة عن الوحدة ولا تمنعه الوحدة عن الكثرة فكل من له حظ في هذا المقام بمتابعته عليه الصلاة والسلام وله مؤنة القيام فتحصيل هذه الفضيلة الزائدة له ومن كمال المرام دون من لم يصل الى هذه المرتبة فان عليه ترك هذه الزيادة والاشتغال بالامور المهمة والفضائل المؤكدة (بل زاده ذلك) أي ما ذكر من كثرتهن (عبادة لتحصينهن) أي لتحصينه اياهن (وقيامه بحقوقهن) أي من أمر المعيشة وحسن العشرة (واكتسابه لهن) أي ما يتعلق بهن من آدابهن (وهدايته اياهن) أي بالعلوم الدينية لاسيما

(٥٨ شفا ل) ما يجب عليهن (بل صرح انها) أي كثرتهن (ليست من حظوظ دنياه) أي التي تغنيه عن حظور مولاه (هو) أي بخصوصه (وان كانت من حظوظ دنيا غيره) أي دائما أو في بعض الاوقات لارباب الحالات (فقال) أي كما رواه الحاكم والنسائي (حبب الي من دنياكم) تمامه النساء والطيب وقرة عيني في الصلاة وليس زيادة ثلاث في صحيح الروايات وانما أضاف الدنيا اليهم اشارة الى تبرئه عنها وتقلله منها وعدم مبالاته بها والتفاته اليها القلة بقائها وكثرة عنائها وسرعة فنائها وخسة شركائها وأورد الفعل بصيغة المجهول ايماء بان حبه لها لم يكن الا لما خلق في جبلته وميل طبيعته وانه كالمجبور عليه في محبته وأما قول الدلجي تلويحا بان حبه لها لم يكن من جبلته فهو خلاف موضوع الصيغة كما لا يخفى على أرباب الصنعة

الله عن التحلي بها وتمنعه عن اشتغال قلبه بها (ثم هي) أي الشهوة في الجماع لا الفضيلة الزائدة عليها كما توهم (في حق من أقدر عليها) بالبناء للمجهول أي من اقداره الله على شهوته فلم تغلب (وملكها) أي تصرف فيها كما يريد منعا وفعلا وهو بفتح اللام والميم مبني للفاعل أو بضم الميم وكسر اللام المشددة والبناء للمجهول قال التلمساني وهو أولى ليكون على نسق أقدر والحق هنا بمعنى الشان والحال كما يقال الغنى في حق الكريم حسن (وقام بالواجب فيها) معطوف على ملكها أي من ملك شهوته ولم يمنعه من القيام بما يجب عليه من مهمات دينه ودنياه لان ما يمنع عن ذلك ينبغي تركه وفيها متعلق بقام أي قام بما يجب عليه وهو متلبس بها (ولم تشغله عن ربه) شغل يشغل كسأل يسأل وقوله (درجة علياء) مرفوع خبر هي أي مرتبة رفيعة عند الله تعالى وعلياء بفتح العين والمد وهي في الاصل كل مكان مشرف أي مرتفع وأريد به علو المنزلة (وهي درجة نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) أي هذه الدرجة العلياء عند الله التي وصل اليها في الدنيا مع انها غير شاغلة له عن التقرب الى الله تعالى بفعل ما يجب عليه من العبادة ودعوة الخلق (الذي لم يشغله) صفة لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم مبينة لما قلناه (كثرتهن) أي النساء (عن عبادة ربه بل زاده ذلك عبادة) على عبادته المعروفة من الصلاة والصوم وقيام الليل (لتحصينهن) أي جعلهن محصنات متعففات بنكاحه صلى الله تعالى عليه وسلم لهن (وقيامه بحقوقهن) من النفقة والكسوة وغير ذلك فان فيه أجرا أيضا (واكتسابه لهن) فان الكسب الحلال للعيال عبادة وارشاد للخلق وان كان لو سأل الله تبارك وتعالى ذلك أوصله له من غير كسب لكنه صلى الله تعالى عليه وسلم ملتزم لمقام العبودية (وهدايته اياهن) بتعليمه الدين بعد خلوص الايمان بالله ورسوله ثم ترقى لمرتبة أعلى من هذه بين فيها ان حظوظه الدنيوية ليست ناشئة عن ميل قلب وتوجه وفكر حتى يشغله عن ربه فاضرب عما يوهم ذلك فقال (بل صرح انها ليست من حظوظ دنياه هو) جمع حظ كحاظ وأحظ وهو النصيب المقدر مما يسر به ويقال حنظ بالنون وهي لغة يمانية (وان كانت من حظوظ دنيا غيره) من الناس فانهم يسرون بها ويعدونها لذة عظيمة واضافة الدنيا ومحبتها لغيره اشارة الى أنه صلى الله تعالى عليه وسلم بريء منها ومن محبتها فان قلبا امتلأ بمحبة الله تعالى عز وجل لا يدخله محبة غيره كما قيل

تملك بعض حبك كل قلبي ❊ فان ترد الزيادة هات قلبا

ثم فسر تصريحه بانها ليست من حظوظه بالحديث (فقال حبب الي) بالبناء للمجهول (من دنياكم) ثلاث النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة قال السيوطي رحمه الله تعالى هذا الحديث رواه الحاكم والنسائي عن أنس رضي الله تعالى عنه بدون لفظ ثلاث الا ان أحمد رواه عن عائشة رضي الله تعالى عنها ولفظه كان يعجب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من الدنيا ثلاثة أشياء النساء والطيب والطعام فاصاب اثنين ولم يصب واحدة أصاب النساء والطيب ولم يصب الطعام واسناده صحيح

الان فيه رجلا لم يسم وقد روى هذا الحديث من طرق أخرى يقوى بعضها بعضا فهو صحيح الان أكثر الحفاظ على انه ليس فيه لفظ ثلاث كابن القيم والعراقي وابن حجر وانها مدرجة في الحديث ومن رواها فقد وهم وخالفهم في ذلك ابن فورك وقال انها مروية في الحديث وألف في ذلك جزأ مستقلا لصحح فيه روايتها ولم أقف عليه وتبعه في اثباتها الزمخشري في سورة آل عمران والراغب وابن عربي في الفصوص وغيرهم من وهمهم قال الصلاة ليست من أمور الدنيا فلا يصح عدها منها فعلوه وهما لفظا ومعنى ومن أثبتها افترقوا فرقتين فرقة قالت ان المراد بامور الدنيا ما وقع في الدار الدنيا الذة كان أو عبادة فالصلاة من أمورها على هذا وفي لفظ ثلاث تغليب للمؤنث على المذكر عكس القاعدة المشهورة لنكتة وغير الاسلوب في الثالث فعبر عنه بالفعل اشارة لمغايرته لما قبله وفيه عطف الفعل على الاسم الجامد والمعروف عطفه على المشتق كما قال ابن مالك رحمه الله

وأعطف على اسم شبه فعل فعلا * وعكسا استعمل تجده سهلا

فليست زيادة مخلة بالمعنى كما توهم وفرقة ذهبت الى انه نوع من البديع يسمونه الطى وهو ان يذكر جمعا ويريد تفصيله فيذكر بعضا منه ويترك بعضا فالثالث يطوى ذكره في الحديث لنكتة كابهامه على السامع لعدم ارادته ووقوف السامع عليه لنكتة فان هنالك الطعام كما ورد التصريح به في رواية أحد كما رطبه لحسنه عنده واستشهدوا له بقوله

ان الاحامرة الثلاثة أهلكت * مالي وكنت بهن قدما مولعا
الخمر والماء القراح وأطلى * بالزعفران فلا ازال مولعا

(وقوله)
كانت حنيفة أثلاثا فثلثهم * من العبيد وثلث من مواليها

وفيه مع النكتة المذكورة تقليل اللفظ مع تكثير المعنى وقد يقال لا شاهد فيما ذكر أما الاول فالثالث وهو قوله وأطلى الخ على نهج ما تقدم في الحديث وأما الثاني فلأنه ذكر قبيلة بني حنيفة وجعلها أثلاثا عبيدا وموالي وحلفا فبقي نفس القبيلة وصميمها وهي مذكورة أولا وقال حبب بالبناء للمجهول ودنياكم بالاضافة اليهم ولم يقل أحببت من دنياي اشارة الى ان محبته صلى الله تعالى عليه وسلم لذلك ليست باختياره لشهوات نفسه بل بفعل الله فحبه انما هو لله وذاته لما أراده ورضيه له لانه صلى الله تعالى عليه وسلم بشرى الظاهر ملكوتي لا يتحلى باحوال البشر الا اذا أمره الله تعالى بها للتأسي به أمته وتشرف بما رضيه له فعده صلى الله تعالى عليه وسلم من البشر كعد الياقوت من الاحجار وكان اذا دخل في الصلاة اشتغل ظاهره وباطنه عن الخلق لوقوفه بين يدي خالقه فيزداد قربا ومشاهدة فيتصل نور بصره بنور بصيرته فلذا جعلها قرة عينه ولذا شرع السلام لعوده الى من عنده من معراجه ولذا كان بعض الناس يصافح من عنده فافهم وروى أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم جلس مع أصحابه الاربعة رضي الله تعالى عنهم فقال حبب الي من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وجعلت قرة عيني في الصلاة فقال أبو بكر رضي الله عنه وأنا يا رسول الله حبب الي من الدنيا ثلاث الجلوس بين يديك والنظر اليك وانفاق جميع مالي عليك وقال عمر رضي الله تعالى عنه وأنا يا رسول الله حبب الي من الدنيا ثلاث الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وحفظ الحدود وقال عثمان رضي الله تعالى عنه وأنا يا رسول الله حبب الي من الدنيا ثلاث افشاء السلام واطعام الطعام والصلاة بالليل والناس نيام وقال علي رضي الله عنه وأنا يا رسول حبب الي من الدنيا ثلاث اقراء الضيف والصوم بالصيف والضرب بين يديك بالسيف فنزل جبريل عليه الصلاة والسلام وقال وأنا يا رسول الله حبب الي من دنياكم ثلاث حب المساكين وتبليغ الرسالة للمسلمين واداء الامانة واذا النداء من قبل الله وهو يقول ان الله يحب من دنياكم ثلاث بدن صابر ولسان ذاكر وقلب شاكر فالخطاب على هذا للخلفاء الاربعة رضي الله عنهم ويجوز أن يكون لجميع الناس

(فدل) أي هذا الحديث على (ان حبه لما ذكر) أي بنفسه (من النساء والطيب الذين هما) كما في نسخة التي هي (من أمر) وفي نسخة من أمور (دنيا غيره) أي في الاصالة بحسب العادة (واستعماله لذلك) أي وان استعماله لما ذكر من النساء والطيب وفي رواية واشتغاله بذلك (ليس بدنياه) أي لمجرد حظها (بل لآخرته) أي قصد مثوبته ورفع درجته (للفوائد التي ذكرناها في التزويج وللقاء الملائكة في الطيب) أي لمحبتهم اياه (ولانه) أي (الطيب أيضا مما يحض) أي يحث ويحرض (على الجماع ويعين عليه) أي على ذاته أو كثرته (ويحرك أسبابه) أي مقدماته كالقبلة والشهوة (وكان حبه لهاتين الخصلتين) ٤٥٩ أي مباشرة النساء والطيب (لاجل غيره) كما هاته بالكثرة مثوبا ولقائه الملائكة والنساء مطيبا (وقمع شهوته) أي ولاجل قمعها بمنع الخواطر الرديئة ودفع الوساوس النفسية ولو كان قادرا على قمعها بمجاهدة رياضية أو بكفاية الهية فان هذه السيرة أعلى المراتب البهية وأولى بقواعد الملة السمحاء الحنفية ولما كان هذا الحب جعليا وعارضيا كسائر محبة الاشياء مما سوى الله تعالى من حيث انها لا تحب الا ابتغاء المرضاة قال المصنف (وكان حبه الحقيقي المختص بذاته) أي بذات الله (في مشاهدة جبروت مولاه) أي عظموت قدرته ومطالعة ملكوت عظمته (ومناجاته) أي في مقام حضور حضرته بغيبته عن الشعور بذاته المعبر عنه بمقام الفناء والبقاء والمحو والصحو (ولذلك ميز بين الحبين) أي غيريا وذاتيا (وفصل بين الحالين) أي فرق بين المقامين الجليلين بالجملتين من الفعلية والاسمية المشير بالاولى الى الحالة الجعلية العارضية وبالثانية الى المستمرة الذاتية كما في الرواية المشهورة بلفظ وقرة عيني في الصلاة وأما ما ذكره المصنف بقوله (فقال وجعلت قرة عيني في الصلاة) ففيه اشارة لتعبيره بالقرة الى هذه المحبة ايماء الى زيادة هذه المودة وقال الدلجي بين الحالين أي محبة ومناجاة وكانه قصد بهذا ان المراد بقرة عيني في الصلاة الصلاة التي هي معراج المؤمن ومناجاة الموقن خلافا لمن قال المراد بها الصلاة عليه صلى الله تعالى عليه وسلم والله أعلم

أو الامة (فدل) ذلك على (ان حبه) صلى الله تعالى عليه وسلم (لما ذكر من النساء والطيب اللذين هما من دنيا غيره) أي دل ما ذكر من بناء حبب للمجهول واضافة الدنيا لغيره صلى الله تعالى عليه وسلم (واستعماله لذلك) بالنصب عطفا على اسم ان والمراد باستعماله لذلك مباشرته للجماع وتطيبه وتضمخه بالطيب (ليس لدنياه) والتلذذ بها (بل لآخرته) أي استعمالها بنية العبادة التي هي من أمور الآخرة (للفوائد التي ذكرناها في التزويج) من تحصينهن وقيامه بحقوقهن واكتسابه وهدايته لهن (وللقاء الملائكة في الطيب) أي استعماله لاجل محبة الملائكة له وهو صلى الله تعالى عليه وسلم يلاقيهم كثيرا ولذا ترى أصحاب الغرائم والهيا كل يلازمون البخور لمحبة الروحانية له (ولانه) أي الطيب (أيضا مما يحض على الجماع ويعين عليه) أي مما يحرك داعية الجماع ويقويه الانتعاش الروح به (ويحرك أسبابه) أي يهيج مقدماته كالشهوة والقبلة أو المراد آلته فكنى به عنها تأدبا واحتشاما وهو تعبير حسن (وكان حبه صلى الله تعالى عليه وسلم لهاتين الخصلتين) الجماع والطيب (لاجل غيره) أي الزوجات والملائكة عليهم الصلاة والسلام (وقمع شهوته) لا لمجرد التلذذ والتنعم كغيره وان كان قادرا على ذلك ولذلك كان صلى الله تعالى عليه وسلم لا يرد الطيب اذا أهدي اليه وفي الحديث من عرض عليه طيب فلا يرده فانه طيب الريح خفيف المحمل واذا أعطي أحد كم ريحانا فلا يرده والمراد الريحان المعروف أو كل ذي رائحة طيبة *(تنبيه)* قال ابن عربي ماورد قط عن نبي من الانبياء انه حبب اليه النساء الا سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وان كانوا أوتوا منهن كثيرا كسليمان وغيره ولكن كلامنا في كونه حبب اليه وذلك انه كان منقطعا الى ربه عز وجل لا ينظر معه الى كونه يشغله عنه فانه مشغول بالتلقي عن الله تعالى ورعاية الادب فلا يتفرغ الى شيء دونه فحبب اليه النساء عناية منه عز وجل لهن فكان يحبهن لكون الله حببهن اليه والله جميل يحب الجمال (وكان حبه الحقيقي المختص بذاته) لا لامر آخر عرضي يرجع بالآخرة الى الدين والثواب (في مشاهدة جبروت مولاه ومناجاته) الجبروت فعلوت كالرهبوت والملكوت والمراد عظمة الله تعالى سيده ومولاه والمناجاة المسارة بتلقي وحيه ودعائه وقراءة القرآن وقال الدواني في شرح هيا كل النور الجبروت يراد به عالم العقول أي الملائكة ويسمى أيضا بالملكوت الاعلى والاعظم قيل انما سمي بالجبروت لانها مجبورة على كمالاتها الفطرية أو لانه جبر نقصها الامكاني بحصول ما يمكن لها بالفعل انتهى (ولذلك ميز) فرق وفصل (بين الحبين) أي حب ما هو من أمور الدنيا ظاهرا وبين حب ما هو حقيقة لله (وفصل بين الحالين) أي حال المحبتين بتغيير العبارة والاسلوب كما مر (فقال وجعلت قرة عيني في الصلاة) فاوردها جملة فعلية معطوفة على اسم قبلها كما مر تعظيما لشانها وتفخيما لامرها لكونها مجبولة لذاتها فليست معطوفة على حبب عطف الفعلية على الفعلية كما ذهب اليه من جعل الثالث مطويا كما عرفته وقرة العين ما يسر من ينظره من قر يقر بالفتح اذا برد لانه كما قيل دمعة السرور باردة أو

من القرار والسكون لسكونها اذا نظرت من تحب أو بنومها الان الحزين يسهر وقد قيل عيني تقر بكم عند تقربكم ولولم يغير الاسلوب قال والصلاة التى بها قرة عيني أو وقرة عيني فى الصلاة فلا يحصل التمييز بين ما حبه عرضي و بين ما حبه ذاتي وحقيقي و بهذا العدول علم انها ليست من دنياهم وهذا انما يتوهم اذا كان الحديث لفظه هكذا والمصنف رحمه الله تعالى ممن لا يقول بصحته كما سيأتى فى فصل وقاره والمراد بالصلاة الصلاة المعروفة ذات الركوع والسجود لما يشاهد فيها كما مر وقيل المراد صلاة الله وملائكته عليهم الصلاة والسلام عليه قال ابن قرقول والاول أظهر (فقد ساوى) صلى الله تعالى عليه وسلم (يحيي وعيسى عليهما الصلاة والسلام فى كفاية فتنتهن) يعني ان يحيي وعيسى صلى الله تعالى عليهما وسلم تبتلا وتركا التزوج مع القوة والقدرة خوفا من فتنة النساء وهي تمكن حبهن فى القلب والاشتغال بهن عن العبادة فى مشاهدة عالم الملكوت وهن لم يشغلنه صلى الله عليه وسلم ولم يمنعنه عنها فى حال من الاحوال فساواهما فى عدم الاشتغال حتى كان الوحي ينزل عليه صلى الله تعالى عليه وسلم وهو فى فراش زوجاته واعانته خديجة رضى الله تعالى عنها فى اول أمره فلا يقال انه صلى الله تعالى عليه وسلم فى حال مضاجعتهن مشغول عن عبادته الأن بعد جماعه عبادة (وزاد فضيلة عليهما) أي يحيي وعيسى (بالقيام بهن) أي له صلى الله تعالى عليه وسلم فضيلة زائدة على ما ذكر بقيامه على زوجاته وكسبه لهن وهدايته لهن مع عدم غفلته صلى الله عليه وسلم طرفة عين عن الله تعالى (وكان صلى الله تعالى عليه وسلم ممن أقدر) بالبناء للمجهول اى أقدره الله تعالى (على القوة فى هذا) أي أمر النكاح مع القيام بحقه وحق الله وليس فى هذا دلالة على ان غيره صلى الله تعالى عليه وسلم أقدر منه كما توهم (وأعطى الكثير منه ولهذا أبيح له) صلى الله تعالى عليه وسلم (من عدد الحرائر) جمع حرة على خلاف القياس لكونه بمعنى عقيلة فجمع جمع فعيلة كما قال النابغة

حذارا على ان لا تنال مقادتى * ولا نسوتى حتى يمتن حرائر

(مالم يبح لغيره) من جمع ما فوق الاربعة وهو من خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم بالنسبة لامته فابيح له ان ينكح من النساء ما شاء فى أول أمره ثم حرم عليه بعد ذلك ان يزيد على ما فى عصمته من أزواجه فقال لا تحل لك النساء من بعد ولا ان تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن الا ما ملكت يمينك قاله التجاني وقال مغلطاي له صلى الله تعالى عليه وسلم خصائص جمة منها اباحة تسعة نسوة والصحيح ان له صلى الله تعالى عليه وسلم الزيادة قال بعض الشراح من قال لا يزيد على التسعة استدل بقوله تعالى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع وهو خطأ بالاجماع لانه ليس معنى الآية وليست الآية فى حقه صلى الله تعالى عليه وسلم وانما هي فى حق الامة والزيادة على الاربعة لهم ممنوعة بالاجماع الدال عليه معنى حديث غيلان ولم يخالفه مستدلا عليه بهذه الآية الا بعض الروافض والزنادقة كما فصله ابن حزم فى كتاب المحلى (وقد روينا عن أنس) رضى الله تعالى عنه قال السيوطي هذا الحديث عزاه المصنف رحمه الله تعالى للنسائي وهو عند البخاري وروينا بفتح الراء والواو المخففة وما قاله الشمني نقلا عن المزي من أنه بضم الراء وكسر الواو المشددة لا وجه له (انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يدور على نسائه) أي يجامعهن من دار على كذا وطاف به اذا مشى حوله فجعله كناية عما ذكر (فى الساعة من الليل والنهار) أي مقدار ساعة منهما فقدرته صلى الله تعالى عليه وسلم على ذلك مع ما كان عليه من قلة الاكل والشرب معجزة فى حقه صلى الله تعالى عليه وسلم قيل والتبتل فى حق يحيي وعيسى عليهم الصلاة والسلام تشبها بالملائكة كان أفضل فى زمانهما ودوره صلى الله تعالى عليه وسلم عليهن كان برضاهن فلا ينافي وجوبه فى القسم (وهن احدى عشرة) أي نساؤه صلى الله تعالى عليه وسلم اللاتى دار عليهن كذلك عدتهن قال البرهان كذا فى صحيح البخاري من حديث أنس رضى

(فقد ساوى) أي المصطفى (يحيي وعيسى في كفاية فتنتهن وزاد) أي عليهما (فضيلة) أي كاملة (بالقيام بهن) مع انه لم يشغله ذلك عن قيامه بحقوق مولاه لاجلهن فهذا الحال أكمل لمن قدر عليهن (وكان صلى الله تعالى عليه وسلم ممن أقدر على القوة) بصيغة المفعول من الاقدار أي ممن أعطى القدرة على قوة الشهوة بكثرة الجماع (فى هذا) أي الامر الذى حبب اليه مما يتعلق بدنياه وخدمة مولاه (وأعطى الكثير منه) أي الحد الكثير الزائد على العادة من أمر الجماع (وقوة الباءة ولهذا أبيح له من عدد الحرائر) وهو التسع (مالم يبح لغيره) أي من هذه الامة وهو الزائد على الاربع (وقد روينا) بفتح الراء والواو مخففة وبضم الراء وكسر الواو مشددة ولا يبعد ان يكون بضم الراء وكسر الواو المخففة بناء على الحذف والايصال أي روى الينا (عن أنس) كما فى البخاري والنسائي (انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يدور على نسائه) أي يجامعهن (فى الساعة) أي الواحدة والمراد بها الزمن القليل لا الساعة النجومية (من الليل) أي مرة (والنهار) أي تارة (وهن) أي مجموعهن (احدى عشرة) بسكون الشين وتكسر والمعنى منها سريتاه مارية وريحانة فلا ينافي رواية وهن تسع

رضى الله تعالى عنه وقال ابن خزيمة لم يقل أحد من أصحاب قتادة بانهن احدى عشرة الامعاذ بن هشام عن أبيه وعن أنس رواية أخرى فى البخارى انهن تسع وجمع بينهما بان أزواجه صلى الله تعالى عليه وسلم كن تسعا فى ذلك الوقت كما فى رواية سعيد وسريتاه مارية وريحانة عند من قال ان ريحانة كانت أمة وبعضهم قال انها زوجة وروى أبو عبيد انه كان مع ريحانة فاطمة بنت شريح وقال ابن حبان كان هذا أول ما قدم صلى الله تعالى عليه وسلم المدينة فكانت زوجاته تسعا الان جمع نسائه لم يقع مرة واحدة ولا يستقيم هذا الا فى آخر أمره حيث اجتمع عنده تسع نسوة وجاريتان ولا يعلم اجتماع احدى عشرة زوجة عنده فانه صلى الله تعالى عليه وسلم تزوج احدى عشرة امرأة أولاهن خديجة ولم يتزوج عليها حتى ماتت انتهى ماذكره البرهان وكلام ابن خزيمة يدل على ان رواية الاحدى عشرة مرجوحة والتسع راجحة وجمع بينهما بان مع التسع فاطمة بنت شريح وريحانة على القول بانها زوجة فصدر الجمع منه صلى الله تعالى عليه وسلم مرة تسعا ومرة احدى عشرة وأيضا قيل التسع محمول على الحقيقة والاخرى على تغليب الزوجات على السريتين وهما ريحانة ومارية فان قيل الرواية بلفظ النساء وهن حقيقة فى غير الرجال فلا حاجة الى التغليب قيل لا يقال انه حقيقة فى ذلك الا اذا لم يضف للازواج الاماء كما فى الحديث وقوله تعالى والذين لا يظهرون من نسائهم فان أضيف لهم لم يتناول الاماء حقيقة ولذا احتج علماؤنا بهذه الآية على عدم صحة ظهار الاماء خلافا لمالك وقد تبعه التجانى اذ جمع بين روايتى أنس بانهن تسع حرائر واحدى عشر منكوحة وسريتان لدخول السرائر فى النساء كالآية والنساء والنسوة والنسوان جمع المرأة من غير لفظها كالقوم فى جمع المرء وقد علم ان طوافه صلى الله تعالى عليه وسلم على نسائه فى ساعة واحدة لا ينافى القسم ان قلنا بوجوبه عليه ولم تقل ان من خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم انه لا يجب عليه القسم وقد ذهب الى هذا الزيلعى من أئمتنا وبعض المحدثين فقسمه صلى الله تعالى عليه وسلم انما كان تطييبا لخاطرهن تفضلا منه وتعليما لامته ولذا كان يقرع بينهن اذا أراد السفر مع أن القسم انما يجب عليه فى الحضر أو نقول هذا برضاهن مع ان هذا لا يفوت القسم لمساواتهن فيه والاختيار فى القسم للزوج ويدل على عدم الوجوب انه روى انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يقسم لثمان ويترك واحدة منهن قيل انها صفية بنت حيى رضى الله تعالى عنها كما فى مسلم وعليه قوله تعالى ترجى من تشاء منهن وتؤوى اليك من تشاء وقال المنذرى كان ممن يؤوى عائشة وأم سلمة وزينب وحفصة رضى الله تعالى عنهن انتهى ومن ارجا سودة وجويرية وأم حبيبة وصفية وميمونة رضى الله عنهن أجمعين انتهى واستدل القائل بالوجوب عليه بحديث الترمذى انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يقسم بين نسائه فيعدل ويقول اللهم هذا قسمى فيما أملك فلا تؤاخذنى فيما تملك ولا أملك وقد يقال هذا كان قبل اعلامه بعدم الوجوب عليه أو لعدوله عن الافضل فى حقه صلى الله تعالى عليه وسلم والكلام على ترجمة زوجاته رضى الله تعالى عنهن مفصل فى السير وللعلامة ابن حجر العسقلانى رحمه الله تعالى

توفى رسول الله عن تسع نسوة * اليهن تعزى المكرمات وتنسب
فعائشة ميمونة وصفية * وحفصة يتلوهن هند وزينب
جويرية مع رملة ثم سودة * ثلاث وست نظمهن مهذب

والواو فى قوله من الليل والنهار بمعنى أو (قال أنس رضى الله تعالى عنه وكنا نتحدث أنه صلى الله عليه وسلم أعطى قوة ثلاثين رجلا) فى الجماع وهذا تتمة الحديث الذى قبله (خرجه) أى رواه مسندا (النسائى) وقد تقدم ان البخارى رواه أيضا (وروى) بالبناء للفاعل والمفعول (نحوه عن أبى رافع) أى

(قال أنس وكنا) أى معشر الصحابة (نتحدث) أى فيما اختص به صاحب النبوة من القدرة والقوة (انه أعطى قوة ثلاثين رجلا) أى فى الجماع (خرجه النسائى) أى ذكره فى سننه وهو كذا فى صحيح البخارى فى كتاب الغسل هذا وليس أحد من أصحاب الكتب الستة توفى بعد الثلثمائة الا النسائى فانه توفى فى سنة ثلاث وثلاثمائة (وروى) بصيغة المجهول (نحوه عن أبى رافع) وهو مولى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقد أخرج الترمذى وابن ماجه فى الطهارة والنسائى فى عشرة النساء عنه انه عليه الصلاة والسلام طاف على نسائه يغتسل عند هذه وعند هذه الحديث

(وعن طاوس) وهو ابن كيسان اليماني من أبناء الفرس يقر أبوا وين قيل و يه مز قال ابن معين لقب بذلك لانه كان طاووس القراء روى عن أبي هريرة وابن عباس وعائشة رضي الله تعالى عنهم وتوفي بمكة سنة ست ومائة (أعطي عليه الصلاة والسلام قوة أربعين رجلا في الجماع ومثله عن صفوان بن سليم) بالتصغير امام كبير قدوة ممن يستشفى بحديثه وينزل القطر من السماء بذكره ويقال لم يضع جنبيه على الارض أربعين سنة وانه مات وهو ساجد ويقال ان جبهته نقبت من كثرة السجود روى عن ابن عمر وغيره وعنه

مالك وطبقته وفي الحلية لابي نعيم عن مجاهد قوة أربعين رجلا كل رجل من رجال أهل الجنة وروى الترمذي ان رجال أهل الجنة قوة كل رجل منهم بقوة سبعين رجلا وصححه وروى بقوة مائة رجل وقال صحيح غريب قلت فعلى هذا كان صابرا عنهن غاية الصبر كثرة الاشتياق اليهن ثم اعلم ان قوله وعن طاوس الى آخر ماههنا زيادة على ما في بعض النسخ المصححة والاصول المعتمدة (وقالت سلمى) بفتح السين المهملة والميم مقصورا (مولاته) وخادمته صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل هي مولاة صفية عمته وهي زوج أبي رافع وداية فاطمة الزهراء وقابلة ابراهيم بن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وفي الصحابيات من اسمها سلمى غير هذه خمس عشرة وقد روى ابن سعد وأبو داود عنها وعن زوجها أبي رافع عن رافع ولده منها (طاف النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة) أي دار (على نسائه التسع) وهو كناية عن جماعهن (وتطهر من كل واحدة) أي اغتسل من أجل قربان كل واحدة (قبل أن يأتي الاخرى وقال هذا) الى التفريق بالغسل (أطهر) أي أنظف (وأطيب) أي ألذ وأنشط وفي رواية أحمد أزكى وأطيب فالمراد بازكى أنمى وأقوى وقيل الطهارة للظاهر والطيب والتزكية للباطن أي لزيادة الصفاء والضياء لان أولاهما الازالة الاخلاق الذميمة وأخراهما التحلي بالشيم الحميدة كما ذكره الدلجي فانه لا يناسب بالنسبة الى الشمائل المصطفوية فانها منزهة عن الاخلاق الرديئة ومتحلية على الدوام بالشيم الرضية البهية السنية

هذا الحديث مروى عن أبي رافع أيضا في سنن أبي داود والبيهقي والنسائي ولفظه طاف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على نسائه في يوم أو ليلة واحدة وكان يغتسل عند هذه وهذه ولذا قال نحوه لاختلاف لفظه وزيادته وأبو رافع هذا هو مولى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو قبطي واسمه ابراهيم وقيل أسلم وقيل ثابت وقيل هرمز وقيل صالح وقوله قوة ثلاثين قال البرهان الحلبي في الصحيح من رواية الاسمعيلي عن معاذ أعطي قوة أربعين رجلا وفي حلية أبي نعيم عن مجاهد قوة أربعين رجلا من رجال الجنة وفي الترمذي ان كل قوة رجل من رجال الجنة قوة سبعين رجلا يعني من أهل الدنيا وصححه وفيه قوة مائة رجل وقال انه صحيح غريب وقال ابن حبان قوة كل رجل في الجنة قوة مائة رجل والنسائي هو الامام الحافظ الحجة أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي صاحب السنن سمع من قتيبة وطبقته وأصحاب مالك وحماد بن زيد وانتهى اليه علم الحديث وروى عنه كثيرون وتوفي سنة ثلاث وثلثمائة ويشبه انه ولد سنة خمسة عشرة ومائتين ولم يبق من أصحاب الكتب الستة بعد الثلثمائة غيره فعلى هذا قوته صلى الله تعالى عليه وسلم قوة ألوف ووقع في بعض النسخ هنا برواية اللخمي عن المصنف (وعن طاووس أعطي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قوة اربعين رجلا) وقد تقدم من رواه وما فيه وطاوس هو الامام عبد الرحمن بن كيسان اليماني وهو من أبناء الفرس وقيل من النمر بن قاسط وقيل اسمه ذكوان ولقب بطاووس لانه كان طاووس القراء وروى عن عائشة وأبي هريرة وابن عباس وغيرهم رضي الله تعالى عنهم وروى عنه الزهري والتيمي وابنه وغيرهم وتوفي بمكة سنة ست ومائة وأخرج له أصحاب السنن وغيرهم (ومثله عن صفوان بن سليم) بالتصغير وهو امام عابد قيل انه لم يضع جنبيه على الارض أربعين سنة حتى نقبت جبهته من السجود توفي في سنة اثنين وثلاثين ومائة وهو تابعي روى عنه أصحاب السنن (وقالت سلمى مولاته) بفتح السين بلا خلاف وغلط من ضمها كما قاله النووي رحمه الله تعالى والضمير للنبي صلى الله عليه وسلم لانها خادمته وقيل انها مولاة صفية عمته صلى الله عليه وسلم وهي زوج أبي رافع داية فاطمة الزهراء رضي الله تعالى عنها وروى عنها ابن ابنها عبيد الله وهذا الحديث صحيح رواه أبو داود كما قاله السيوطي (طاف النبي صلى الله تعالى عليه وسلم على نسائه التسع وتطهر من كل واحدة) أي من جماع كل واحدة منهن (قبل أن يأتي الاخرى وقال هذا) أي الغسل من كل جماع (أطهر وأطيب) وروى أزكى وأطيب وأطهر أما كونه أطهر فظاهر وأما انه أطيب فلانه يقوي البدن بانعاشه وقيل أطيب للباطن وأطهر للظاهر وهذا الحديث متصل لان سلمى روته عن زوجها أبي رافع وفيه دليل على أن الغسل على الفور وانه لا يجب لكل جماع وقيل ان لم يغتسل يستحب له الوضوء كوضوء الصلاة وروى عن عمر انه لازم وما ورد في الصحيح انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يطوف على نسائه بغسل واحد فلبيان الجواز وحمل بعضهم الوضوء في قوله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا أتى أحدكم أهله فليتوضأ على الوضوء اللغوي أي يغسل فرجه

(وقدقال سليمان عليه الصلاة والسلام) على مارواه الشيخان (لاطوفن الليلة) من الطواف بمعنى الدوران وكذا الاطافة ومن ثمه ورد في رواية لاطيفن الليلة (على مائة امرأة أو تسع وتسعين) على الشك من الراوى وفي رواية على ستين وفي أخرى على تسعين وليسلم على سبعين امرأة كلهن تاتى بغلام يقاتل في سبيل الله فقال له صاحبه أو الملك قل ان شاء الله فلم يقل ونسى فلم تأت واحدة منهن الا واحدة جاءت بشق غلام فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لوقال ان شاء الله لم يحنث ٤٦٣ أى لم يفته متمناه وكان أدرك لحاجته فيما اقتضاه (وانه فعل ذلك) فدل ذلك على كمال قوته ولا تعارض بين هذه الروايات اذ ليس في اثبات قليلها نفى لكثيرها ومفهوم العدد ليس بحجة عند جمهور أرباب الاصول مع احتمال تعدد الواقعات والله أعلم بالحالات (قال ابن عباس) كما رواه ابن جرير في تفسيره عنه موقوفا (كان في ظهر سليمان ماء مائة رجل وكان له ثلاثمائة امرأة وثلاثمائة سرية وحكى النقاش) وفي نسخة وغيره كذا رواه الحاكم عن محمد ابن كعب بلغني انه (كان له سبعمائة امرأة وثلاثمائة سرية) وفي المستدرك للحاكم في ترجمة عيسى ابن مريم ان سليمان كان له تسعمائة سرية (وقد كان لداود عليه الصلاة والسلام على زهده) أى مع كمال زهده وتورعه المفاد من قوله (وأكله من عمل يده) ويروى من يده (تسع وتسعون امرأة) هذا هو الصواب وفي أصل التلمساني تسعة وتسعون وفي الكشاف كان لداود أيضا ثلاثمائة سرية (وتمت بزوج أورياء) بضم همزة وقيل بفتحها فواو ساكنة وراء مكسورة وتحتية ممدودا أى بزوجته (مائة) بالرفع على انها فاعل تمت أى من النساء بتزوجه اياها بعد نزول أورياء له عنها بسؤاله على ما كان من عادتهم في زمانه أو بعدما مات عنها زوجها لما رآها بغتة وأحب جمالها فتنة وطلب ربه مغفرة وأناب اليه معذرة هذا وقيل انها أم سليمان عليه الصلاة والسلام

فرجه وهذا بناء على ان الوضوء لا يستحب كما قاله أبو يوسف وذهب بعضهم الى انه يستحب لانه انشط كما ورد في الحديث (وقد قال سليمان عليه الصلاة والسلام لاطوفن الليلة على مائة امرأة أو تسع وتسعين وانه فعل ذلك) أى الطواف عليهن وجماعهن كما قال وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال قال سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام لاطوفن الليلة على سبعين امرأة كلهن يأتى بغلام يقاتل في سبيل الله فقال صاحبه أو الملك قل ان شاء الله تعالى فلم يقل ونسى فلم تأت واحدة منهن بولد الا واحدة جاءت بشق غلام فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لوقال ان شاء الله تعالى لم يحنث وكان له دركا لحاجته وفي رواية على ستين امرأة وفي رواية على تسعين امرأة وفي أخرى على سبعين وفي رواية على تسعة وتسعين امرأة وستأتى الزيادة وما فيها قالوا ولا تعارض بين الروايات لان اثبات القليل لا ينفى الكثير والعدد لا مفهوم له ثم هذه النساء ان كانت اماء أو بعضها حرائر وبعضها اماء فلا اشكال وان كانت حرائر فلان الحصر في الاربع لم يكن شرعا لمن قبلنا وانما صار شرعا لنا لضعف الابدان وقلة الاعمار ويقال طاف بالشئ وأطاف به اذا دار حوله وقد قدمنا انه كناية عن الجماع وعلى اختلاف اللغتين جاءت روايتان لاطوفن ولاطيفن وفي الحديث جواز القسم والتعليق بالمشيئة واما كون سليمان عليه الصلاة والسلام لم يقله وانه نسيه فسيذكره المصنف رحمه الله تعالى في أول القسم الثالث وقوله في الحديث لم يحنث يعني لم يأثم ويخطئ لانه فعله وليس المقسم عليه الولد لانه ليس في قدرته ومثله لا يخفى عليه والدرك بفتح الراء بمعنى الادراك والتحصيل وفي البخاري بدله كان ارجاء لحاجته وسليمان نبى الله صلى الله تعالى عليه وسلم أمره ونسبه مفصل في القصص والتواريخ (قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما كان في ظهر سليمان عليه الصلاة والسلام ماء مائة رجل) المراد بالماء المنى ومنبعه من الرجال صلب الرجال كما ذكروه في قوله تعالى يخرج من بين الصلب والترائب والمراد ان له قوة مائة رجل في الجماع (وكانت له ثلاثمائة امرأة وثلثمائة سرية وحكى النقاش) رحمه الله تعالى تقدمت ترجمته (وغيره) انه كان له (سبعمائة امرأة وثلثمائة سرية) وروى أن له ألف امرأة وتسعمائة سرية وهذا يخدش فيما تقدم من العدد وقد تقدم ما أجابوا به عنه الا أن بعضهم ضعفه وجمع بين الروايات بان بعضها محمول على الحرائر وبعضها على الحرائر والسرارى ولا يخفى ما فيه ولو قيل ان الاختلاف لاختلاف أحواله صلى الله عليه وسلم باعتبار الزمان فكانت تزيد وتنقص بهذا الاعتبار لكان أظهر وفي تفسير النسفي عكس ما حكى المصنف رحمه الله تعالى عن النقاش فقال كان لسليمان عليه الصلاة والسلام ثلثمائة حرة وسبعمائة سرية وكذا في الكشاف والله أعلم بالصواب (وقد كان لداود عليه السلام على زهده وأكله من عمل يده) لان الله تعالى ألان له الحديد فكان يصنع منها الدروع ويبيعها ويأكل هو وأهله من ثمنها مع ما آتاه الله من الملك وأفضل ما أنفق المرء ما كان من كسب حلال كالصنعة والتجارة والزراعة واختلفوا في الافضل منها وفصلوه في كتب الفقه والحديث بما لا مزيد عليه ولا حاجة هنا لنا به (تسع وتسعون امرأة) كما ذكره القشيرى في تفسيره (وتمت بزوج أورياء مائة) بالرفع

والنصب فالرفع ظاهر على الفاعلية والنصب على أن يكون الفاعل العدة وهو مضمر ويجوز النصب على الحال منها أى وتمت العدة فى حال كونها مائة يقال لكل قرنين من ذكر وانثى زوج وزوجة لغة رديئة واوريا علم لرجل من بنى اسرائيل عبرانى واختلفوا فى ضبطه بعد الاتفاق على انه بهمزة وواو وراء مهملة ومثناة تحتية فقيل ممدودة وقيل مقصورة وهمزته مضمومة وواوه ساكنة وراؤه مكسورة وياؤه مفتوحة بعدها ألف وقيل همزته مفتوحة وهو أوريا بن حنان وقال أبو الفرج الاصبهانى فى كتاب النساء هو أوريا السعدى وزوجته هى أم سليمان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقصته هى المذكورة فى القرآن فى قوله تعالى ان هذا أخى له تسع وتسعون نعجة وقصته سيأتى ما فيها فى القسم الثالث من هذا الكتاب ولكنا نوردها هنا تبعا لما فى بعض الشروح وذلك أن داود عليه الصلاة والسلام كان فى ملأ من بنى اسرائيل فاعجب بعلمه وانه لايخاف الفتنة ويقال انه قال للملكين الحافظين له انى لا أقع فى مكروه غبتما أو حضرتما وانفرد فى محرابه يوما فوقع بين يديه طائر حسن الهيئة يقال انه ابليس فمد يده ليأخذه فزال من موضعه غير بعيد فتبعه فخرج من مدخله فاطلع داود منه فرآى امرأة جميلة تغتسل فاعجبته فلما شعرت به أرسلت شعر ذوائبها فسترها فزاده ذلك عجبا وميلا لها فانصرف وسال عنها فقالوا انها امرأة رجل من جندك يسمى أورياء وكان مع جيش اهبعثوا للقتال فارسل لاميره ان يجعله مع التابوت فى المقدمة وهو معترك الحرب واشده فقدمه فاستشهد فلما جاء خبر الشهداء كان كلما أخبر برجل منهم توجع فلما أخبره قال الموت مكتوب على كل نفس وخطب امرأته وتزوجها فولدت له سليمان عليه الصلاة والسلام فبعث الله له خصمين ليعلمه بحكمه ان ما فعله ظلم وهو أشد عليه فتسورا حائطه ودخلا عليه ففزع منهما الخوف انهما من أهل مملكته بغاة لان التسور فى العادة كذلك لانه كان ليلا بلا استئذان ففهما منه الخوف وقالا لاتخف وقصا أمرهما وقالا له أحكم ولاتجر كما قصه الله تعالى وقررا كلامهما على لسان أورياء وقوله تعالى اكفلنيها أى اجعلها فى كفالتى أو اكفل بمعنى زوجنى والنعجة كناية عن المرأة وقوله عزنى أى غلبنى اغلبته على وقهره فقال داود لخصمه ما تقول فاقر فزجره وأمره بالرجوع للحق وقال لقد ظلمك فتبسما وذهبا وقيل ارتفعا للسماء فشعر بما أرادا وقيل بيناله ما فعل وعرفاه ان ما قالاه تمثيل له فخر ساجدا فغفر الله تعالى فقال يارب ما أصنع اذا طالبنى بدمه فقال استرضيه فسر بذلك قالوا وهذه القصة مما افتراه القصاص وأهل الكتاب حتى روى عن على كرم الله وجهه من حدث بقصة داود عليه الصلاة والسلام جلدته مائة وستين وهو حد قذف الانبياء عليهم الصلاة والسلام عنده والمعتمد ان داود عليه الصلاة والسلام رآى امرأته فاعجبته فسأله تطليقها فطلقها بطيب خاطره فتزوجها ومثله فى شرعهم جائز وقد كان مثله فى صدر الاسلام مع المهاجرين والانصار وسيأتى بقية الكلام على هذا (وقد نبه الله) عز وجل (على ذلك فى الكتاب العزيز بقوله ان هذا أخى له تسع وتسعون نعجة الآية) حكاية عن الخصمين اللذين نزلا انفسهما منزلة أورياء ونزل احدهما الآخر منزلة الاخ لان الصحبة كالاخوة كما قال

صحبة يوم نسب قريب * وذمة يعرفها اللبيب

تشديد الظلمه والعرب تكنى عن المرأة بالنعجة وهى فى الاصل أنثى الضأن تاؤها التأكيد التأنيث لان مذكرها لفظ مخصوص هو خروف وتطلق على البقرة الوحشية أيضا فاستعيرت للمرأة كما استعيرت لها الشاة فى قوله

يا شاة ما قنص لمن حلت له * حرمت على وليتها لم تحرم

وفى مصحف ابن مسعود نعجة انثى لمزيد تأكيد التأنيث أو لبيان المراد كحديث فلاولى رجل ذكر وقيل انثى بمعنى امرأة مؤنثة يستانس بها زوجها وضدها امرأة مذكرة وهى التى لا تلين لزوجها ولا يأنس بها ووصفها بواحدة تشنيع على ظلم صاحبه فانه مع كثرة نعاجه حسده مع قلة ما عنده (وفى حديث أنس عنه عليه الصلاة والسلام) كما رواه الدارقطنى فى الاوسط

(وقد نبه) أى الله سبحانه وتعالى (على ذلك) أى على ما ذكر من العدد (فى الكتاب العزيز بقوله تعالى) أى حكاية عن لسان احد الملكين اللذين أتياه فى صورة الخصمين (ان هذا أخى) أى فى الدين (له تسع وتسعون نعجة) وهى الانثى من الضأن وقعت ههنا كناية عن المرأة فان الكناية أبلغ من الصراحة من حيث التأثير مع ما فيه من مراعاة الادب فى التعبير لاسيما وهو فى مقام التعبير (وفى حديث أنس) بسند جيد للطبرانى (عنه عليه الصلاة والسلام

فضلت على الناس باربع) أى من الخصال (بالسخاء) أى الكرم والجود مع الاحباء (والشجاعة) بالنسبة الى الاعداء (وكثرة الجماع) أى للنساء (وقوة البطش) أى الاخذ حال العطاء وأما تفسيره بالاخذ الشديد بقوة كما ذكره بعضهم فلا يخفى انه لا يناسب المقام فانه حينئذ من جزئيات الشجاعة لا خصلة مستقلة من الاربع (وأما الجاه) أى الذى يتوسل به الى مساعدة الضعفاء (فمحمود عند العقلاء) من الحكماء والعلماء (عادة) أى مستمرة لكنها مقيدة بما اذا كانت على وفق الشريعة ٤٦٥ حتى تكون معتبرة (وبقدر جاهه) أى جاه الشخص فى العيون (عظمه) بكسر ففتح فضمير أى عظمته (فى القلوب) أى قلوب الخلق أو بقدر جاهه صلى الله تعالى عليه وسلم عند الحق كان عظمته فى قلوب الخلق ويدل عليه أنه عليه السلام أخذ من أبى جهل للاراشى ثمن ابله التى اشتراها أبو جهل منه ومطله فقالت قريش لابى جهل ما رأينا مثل ما صنعت من انقيادك لامر محمد مع فرط اذاك له وعداوتك اياه فقال ويحكم ما هو الا ان ضرب بابى وسمعت صوته فلمئت رعبا (وقد قال تعالى فى صفة عيسى عليه الصلاة والسلام وجيها) أى ذا جاه ووجاهة عظيمة (فى الدنيا والآخرة) أى عند أهلهما أو فى الدنيا بالرسالة وفى العقبى بالشفاعة (لكن آفاته كثيرة فهو مضر لبعض الناس) وفى رواية ببعض الناس (لعقبى الآخرة) أى فى الآخرة التى هى عقبى كما قال تعالى

(٥٩ شفا ل) تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين (فلذلك) أى فلكون الجاه مضرا ببعضهم (ذمه من ذمه ومدح ضده) أى من الخمول وعدم الاعتبار فيما بين الخلق (وورد فى الشرع مدح الخمول) وهو بضم الخاء المعجمة ضد الشهرة كما ورد فى حديث رب أشعث أغبر ذى طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لابره وفى الحديث ان الله يحب الاتقياء الاخفياء الذين اذا غابوا لم يفتقدوا واذا حضروا لم يعرفوا (وذم العلو فى الارض) أى وورد فى الشرع ذم الجاه والشهرة كما فى الحديث ما ذئبان جائعان أرسلا فى غنم بافسد لها من حب المال والجاه لدين المؤمن وفى رواية من حب الشرف والمال والحاصل ان الجاه

بسند جيد كما قاله السيوطى رحمه الله تعالى انه قال (فضلت) بالتشديد والبناء للمجهول (على الناس باربع السخاء والشجاعة وكثرة الجماع وقوة البطش) البطش هو قوة السطوة والاخذ بعنف وعطفه على كثرة الجماع لما فيه من اذهاب القوة لانه ماء الحياة يصب فى الارحام ونور العين ومخ العظم اشارة الى أنه صلى الله تعالى عليه وسلم لم تضعف قوته وانه من آياته وسيأتى معنى السخاء والشجاعة (وأما الجاه) وهو كونه وجيها عند الناس بتسخير القلوب وطاعتها ومحبتها وانقيادها له بحيث يقدر على استعمال أربابها فى مقاصده وهى لا تنقاد الا باعتقاد الكمال التام عندها حتى يستعبدهم كما يستعبد الارقاء (فمحمود عند العقلاء عادة) منصوب على الظرفية أو الحالية أى جرت عادة العقلاء بحمده ويجوز جعله تمييزا وعند متعلق بمحمود ظرف لغو وقيل انه حال وكونه محمودا عقلا يقتضى انه محمود شرعا بحسب ذاته وأصله وان كان قد يذم شرعا بحسب ما يعرض له عند بعض الناس وهو أعظم نفعا من المال لان المال يكسب به ولا يخشى عليه ما يخشى على المال (وبقدر جاهه) أى الانسان ذى الجاه يعظم فى القلوب بمقدار عظمة جاهه وقيل المراد جاه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى الدنيا بالنبوة وفى الآخرة بلواء الحمد يكون (عظمه) بكسر العين وفتح الظاء المشالة وفى آخره هاء الضمير كما قاله البرهان الحلبى (فى القلوب) لان الجاه كما تقدم متفرع على اعتقاد الكمال والقدرة وكلما ازداد اعتقاده زادت عظمة شانه فى قلوب الناس وقد كان صلى الله تعالى عليه وسلم مهيبا معظما حتى عند أعدائه ثم أيد كونه محمودا بقوله (وقد قال الله تعالى فى صفة عيسى عليه الصلاة والسلام وجيها فى الدنيا والآخرة) أى عظيما ذا جاه عند الله فى الدارين وفيه دليل على ان الجاه من الوجاهة فقلب وكان أصله وجه فوزنه عفل ووجيها منصوب على انه حال مقدرة من كلمة فى قوله تعالى ان الله يبشرك بكلمة منه ووجاهته صلى الله تعالى عليه وسلم فى الدنيا بالنبوة وفى الآخرة بعلو رتبته كما مر ثم استدرك على كونه محمودا بدفع ما يتوهم من انه مذموم لما فيه من العلو فقال (لكن آفاته كثيرة) جمع آفة وهى العاهة والمفسدة أى يعرض له ما يفسده ويجعله مذموما كثيرا (فهو مضر لبعض الناس) باعتبار ما يعرض له (لعقبى الآخرة) باعتبار ما يعقبه ويترتب عليه فى الآخرة فاللام لتقييد التأقيت والتخصيص بالوقت كما قيل ويجوز أن تكون تعليلية (فلذلك) أى لضرره فى العاقبة (ذمه من ذمه ومدح ضده) وهو الخمول وعدم الشهرة بين الناس أى انما ذمه من ذمه لهذا لا انه فى نفسه أمر مذموم كما ورد فى الحديث الصحيح ما ذئبان جائعان أرسلا فى غنم بافسد لها من حب المال والجاه لدين المؤمن وقد فصله فى الاحياء فقال طلب رفعة المنزلة فى القلوب باعتقاد صفة ليست فيه كالعلم والزهد حرام لانه كذب وتلبيس وطلبها بما فيه ليجعلها وسيلة لنفع الناس ونفعه فى الآخرة جائز ممدوح كقول يوسف عليه الصلاة والسلام اجعلنى على خزائن الارض انى حفيظ عليم وقد تضمن هذا قوله صلى الله تعالى عليه وسلم حسب امرئ من الشر الا من عصمه الله ان يشير الناس اليه بالاصابع فى دينه أو دنياه رواه البيهقى (وورد فى الشرع مدح الخمول وذم العلو فى الارض) معطوف على قوله ذمه وهذا كما فى الحديث

والمـال مضران لارباب الـكمال الجامعين بين العـلم والعمل والحال (وكان صلى الله تعالى عليه وسـلم قد رزق من الحشمة) أى الوقار والهيبة (والمكانة) أى التمكن ٤٦٦ فى مرتبة الجلالة (فى القلوب والعظمة) أى الاجلال والمهابة فى العيون (قبل النبوة عند الجاهلية) كما مر عن أبى جهل فى تلك القضية وما روى عنه أيضا أنه ساوم رجلا من بنى زبيد ثلاثة ابعرة هى خيرة ابله ثاث ثمنها فامتنع النـاس من الزيادة لاجله فاخبر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك فزاده حـتى رضى فاشتراها منه ثم باع منها بعيرين بالثمن ثم باع الثـالث وأعطى ثمنـه أرامل بنى عبد المطلب وأبو جهل مخزى ينظره ولا يتـكلم ثم قال له صلى الله تعالى عليه وسلم اياك ان تعود لمثل ماصنعت بهذا الاعرابى فترى منى ماتكره فقـال لا أعـود يا محمد فقال له أمية بن خلف ذللت فى يد محمد فقال ان الذى رأيتم منى لما رأيت معـه رجالا عن يمينه ويساره يشيرون برماحهم الى لوخالفته لكانت اياها أى لاهلكونى (وبعدها) أى ورزق الجاه بعد النبوة عندهم (وهم يكذبونه) بالتشديد والتخفيف أى والحال ان أهل الجاهلية ينســبونه الى الكذب ويؤذون أصحابه ويقصدون أذاه (فى نفسه خفية) بضم الخـاء وكسرها وسكون الفاء أى مخفيا لمـا تمكن من هيبته فى صدورهم وعظمته فى قلوبهم (حتى اذا واجههم) أى قابلهم علانية (أعظموا جهرة أمره) أى حشموا اقدره (وقضوا حاجته) أى مقصده اليهم فى سـيره وهذا باعتبار غالب معاملاتهم معـه فلا ينافى ماوقع من وضع أبى جهل سـلا الجزور على ظهره وهو ساجد فى الحجر (وأخباره فى ذلك معروفة سيأتى بعضها) أى فى محله ان شاء الله سبحانه وتعالى

ان الله يحب الاتقياء الاخفياء الذين اذا غابوا لم يفتقـدوا واذا حضروا لم يعرفوا وقال تعـالى تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض ولا فسادا وان كان العلو فى الآية مقيدا بصـفة زائدة عليه من ظلم أو غيره والخمول بضم الخاء المعجمة وفتحها خطأ ضد الظهور وكون الخمول فضيلة ممدوحة لا يضر مقام الانبياء عليهم الصلاة والسلام الذين لم يرضوه والخلفاء الراشدين والائمة العلماء فان المذموم هو طلب الشهرة فاما وجودها من الله من غير تكلف من العبـد فليس بمذموم بل أفضل من الخمول فى حق من قدر على نفع الناس مع خلوص نيته وسـلامة طويتـه ولذا قال الله لا يريدون عـلوا فى الارض دون يعلون ومن لم يقدر ويصـبر على ذلك فالخمول فى حقه أحسن كما أشار اليه فى الاحياء واليه الاشارة فى حديث المـال والجاه ينبتان النفاق فى القلب كما ينبت المـاء البقل ولذا قال الشاعر

من أراد العز والرا * حة فى الدهر الطويل
فليكن فردا من النا * س ويرضى بالخمول
ويرى ان قليـــلا * كافيـا غـير قليـــل

(وكان صلى الله تعـالى عليه وسـلم قد رزق من الحشمة) أراد بالحشمة المهابة والعظمة فى أعين الناس ولذا عطفه عليـه (والمـكانة) وهى المنزلة الرفيعة رفعـة معنوية كالعطف التفسيرى وتبـع فى هـذا الاستعمال المشهور لانها وردت فى كلام الناس بمعنى الاستحياء فاريد به لازم معناه وهو المهابة وتحقيقه كما فى شرح أدب الكاتب لابن السيدان الحشمة تضعها الناس موضع الاستحياء وعليه قول المتنبى
* ضيف ألم برأسى غير محتشم * وليس كذلك انمـا هى الغضب يقال هذا مما يحتشمه أى يغضـبه وهذا قول الاصمعى وهو المشهور وذكر غيره انها تكون بمعنى الاستحياء وروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه قال طاعم حشمة وقال الطرماح

ورأيت الشريف فى أعين النا * س وضيعا وقل منه احتشامى

انتهـى (فى القلوب والعظمة) معطوف على الحشمة (قبل النبوة عند الجاهلية) أى عند أهل الجاهلية والمراد بالجاهلية ما بين المولد والمبعث وتطلق على ما كان قبـل البعثة ومنه ولا تبرجن تبرج الجاهليـة الاولى وبه جزم النووى فى شرح مسـلم فان أضيف للشخص أريد به ماقبل اسلامه وقد يراد بها ماقبـل فتح مكة (وبعدها) أى بعد النبوة (وهـم يكذبونه ويؤذون أصحابه ويقصدون أذاه فى نفسه خفيـة) بضم الخاء وكسرها كما قاله الـبرهان لانه لمهابته صـلى الله تعالى عليه وسـلم عندهم وعظمته فى قلوبهم لا يواجهونه بمـا يؤذونه وهو منصوب بمفعول مطلق لمذكور أو مقدر أو حال (حتى اذا واجههم أعظموا أمره وقضوا حاجتـه وأخباره فى ذلك معروفة سـيأتى بعضها) وهـذا بالنسبة لمـا فى نفس الامر وأكثر الاحوال كما روى عن أبى جهل لعنـه الله أنه ساوم رجلا من بنى زبيـد ثلاثة ابعرة هى خير ابله بثلث ثمنها فامتنع الناس من الزيادة لاجله فاخبر رسول الله صـلى الله تعالى عليه وسـلم بذلك فزاده حتى رضى فاشتراها منه ثم باع منها بعيرين بالثمن ثم باع الثالث وأعطى ثمنه أرامل بنى عبد المطلب وأبو جهل مخزى ينظره ولا يتكلم ثم قال صلى الله تعالى عليه وسلم له اياك ان تعود لمثل ماصنعت بهذا الاعرابى فترى منى ماتكره فقال لا أعود يا محمـد فقال له أميـة بن خلف ذللت فى يد محمـد فقال ان الذى رأيتم منى لمـا رأيت معه لقـد رأيت رجالا عن يمينه ويساره يشرعون رماحهـم الى لو خالفتـه لكانت اياها أى لاهلكونى فى وقائع أخرى مثلها وهـذا لا ينـافى انهـم فى بعض الاحيان قـد آذوه صـلى الله تعالى عليـه وسـلم

(وقد كان يبهت) على صيغة المجهول صورة مع ذكر فاعله كما في قوله تعالى فبهت الذى كفر من البهت وهو الحيرة وفعله كعلم ونصر وكرم وعنى وهو أفصح فيجوز بناؤه على الفاعل أيضا أى يدهش ويتحير (ويفرق) بفتح الياء والراء أى يخاف ويفزع (لرؤيته) وفى نسخة من رؤيته (من لم يره) لما ألقى عليه من الهيبة والعظمة فى قلوبهم (كما روى عن قيلة) بفتح قاف فسكون تحتية

جهرة كوضعهم الجزور على ظهره الشريف وهو ساجد وتكذيبهم له فى قصة الاسراء وقول أبى جهل لابى طالب عند موته لا تطعه أترغب عن ملة عبد المطلب وتحمل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أحيانا لذلك لحكمة تظهر بها غيرة الله وأمره بقتالهم (وقد كان يبهت) ثلاثى مبنى للفاعل أو المفعول بمعنى يتحير ويدهش كما فى قوله تعالى فبهت الذى كفر (ويفرق لرؤيته) بالبناء للفاعل من باب علم أى يخاف (من لم يره) فاعله (كما روى عن قيلة) بفتح القاف وسكون المثناة التحتية ولام وهاء وفى الصحابيات من يقال له قيلة ثلاث قيلة أم بنى انمار ويقال أخت بنى انمار وقيلة الخزاعية أم سباع وقيلة بنت مخرمة العنبرية وقيل العنزية نسبة لعنزة بنون وزاء معجمة مفتوحتين وقيلة الغنوية بفتح الغين المعجمة والنون كما قاله البرهان والمراد قيلة بنت مخرمة وحديثها مذكور فى شمائل الترمذى وفى سنن أبى داود وأخرجه ابن سعد بتمامه كما قاله السيوطى وهو أنها رأته صلى الله تعالى عليه وسلم فى المسجد وهو قاعد القرفصا قالت فلما رأيته متخشعا فى الجلسة أرعدت من الفرق وهذا هو المراد وان اختلف بعض لفظه وقال التجانى هى ابنة مخرمة الغلوية أو العنبرية ويقال بل التميمية ولا تنافى بين الاخير وغيره لان العنبرية نسبة لبنى العنبر والعنبر أبو حى من تميم كما ان العنزة حى من ربيعة بن نزار وفى مثل هذه القصة وقعت لعمر رضى الله عنه وكان مهيبا وقوله (انها لما رأته) صلى الله عليه وسلم (أرعدت) بضم الهمزة وسكون الراء وكسر العين وفتح الدال المهملات مبنى للمجهول أى لحقتها رعدة من الخوف وقوله (من الفرق) بفتحتين وهو شدة الخوف وفى نسخة ارتعدت (فقال) صلى الله عليه وسلم لها (يا مسكينة عليك السكينة) وصفها بالمسكنة ترحما لها والسكينة هنا بمعنى الطمانينة أى الزمى الاطمئنان وعدم الخوف والسكينة ثبت فى النسخ المعتمدة بالرفع على انها مبتدأ وخبر والجملة خبرية مراد بها الامر أى أسكنى وبالنصب أى الزمى السكينة للاغراء أو عليك اسم فعل بمعنى الزمى ولم يثبت هنا ما قيل انما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد وبين سكينة ومسكينة تجنيس ومسكين بكسر الميم على الافصح وتفتح وحق مسكينة ان لا تلحقها الهاء لان باب مفعيل ومفعال للمبالغة لا تلحقه التاء لكنه حمل على فقيرة وسكينة بالفتح والتخفيف وقد تكسر وتشدد وتفتح وهو قليل جدا (وفى حديث أبى مسعود) رضى الله تعالى عنه هو عقبة بن عمرو بن ثعلبة الخزرجى الصحابى رضى الله تعالى عنه البدرى كما فى البخارى وقال ابن عبد البر رحمه الله تعالى انه لم يصح انه شهد بدرا وانما شهد العقبة الثانية وعليه الاكثر وانما سكنها فهو بدرى دار الاحضورا وبهذا يحصل الجمع بين القولين وروى عنه أبضا أجدوأصحاب السنن ومات سنة أربعين أو احدى أو اثنتين وأربعين وهذا الحديث رواه البيهقى من طريق قيس عنه موصولا وعن قيس مرسلا وقال هو المحفوظ وأخرج الحاكم مثله وصححه (ان رجلا قام بين يديه) صلى الله تعالى عليه وسلم (فارعد) بضم الهمزة وكسر العين المهملة أى أخذته رعدة من خوفه وفى رواية أتى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم برجل فكلمه فجعلت ترعد فرائصه بالفاء والصاد المهملة كالفرائض بالمعجمة وهى لحمة بين الجنب والكتف ترعد من الخائف (فقال له هون عليك فانى لست بملك الحديث) وتمامه وانما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد وهون بتشديد الواو المكسورة أمر من الهون وهو الامر الهين السهل والعرب تقول هون عليك بمعنى لا تخف قال

فهون عليك فان الامور * بكف الاله مقاديرها

وهى بنت مخرمة العنبرية وقيل الكندية وقيل التميمية (انها لما رأته أرعدت) بصيغة المجهول أى أخذتها الرعدة بكسر الراء وهى اضطراب المفاصل خوفا والمعنى انها ارتعدت من الفرق) بفتحتين وهو الخوف ورواية أبى داود والترمذى فى الشمائل عن عبد الله ابن حسان عن جدته عنها انها رأته فى المسجد وهو قاعد القرفصاء قالت فلما رأيته المتخشع فى الجلسة ارتعدت من الفرق وزاد ابن سعد (فقال يا مسكينة عليك السكينة) بالنصب أى الزمى الطمانينة وفى رواية بالرفع أى السكينة لازمة عليك ولم يثبت هنا ما ثبت فى بعض النسخ (انما أنا ابن امرأة تأكل القديد وذلك غير صحيح على ما ذكره التلمسانى والمسكينة بكسر الميم والسكينة بفتح السين مخففة هو الفصيح (وفى حديث أبى مسعود) أى عقبة بن عمرو الانصارى كما رواه البيهقى عن قيس عنه مرسلا وقال هو المحفوظ ورواه الحاكم وصححه (ان رجلا قام بين يديه) أى قدامه صلى الله تعالى عليه وسلم (فارعد فقال له هون) أى سهل أمرك (عليك فانى لست بملك) بكسر اللام وقيل وتسكن أى بسلطان من سلاطين الظلمة حتى تفزع منى (الحديث) أى الخ ولم يذكره لطوله

(فاماعظيم قدره بالنبوة) وهي أخذ الفيض من الحق (وشريف منزلته بالرسالة) وهي ايصال الفيض الى الخلق (وانافة رتبته) بكسر الهمزة وبالفاء وفي نسخة بالباء والنون أي رفعة رتبته وزيادتها أوظهورها (بالاصطفاء) أي على سائر الانبياء (والكرامة في الدنيا) أي بانواع المعجزة منها الاسراء ومقام دنا فتدلى ووصوله الى سدرة المنتهى (فامرهو مبلغ النهاية) من أثر العناية ليس فوقه غاية (ثم هو في الآخرة سيد ولد آدم) كما في حديث البخاري أنا سيد ولد آدم ولا فخر والمراد انه سيد هذا الجنس وهو نوع البشر الذي هو أفضل أنواع المخلوقات بدليل حديث البخاري أيضا أنا سيد الاولين والآخرين ولا فخر وزيد في بعض الاصول هنا ولا فخر لكنه لا يصح لان يكون حكاية (وعلى معنى هذا الفصل) أي الاخير (نظمنا هذا القسم) يعني الاول (باسره) أي بجميعه في سلك مدحه بصفات شريفة وسمات منفية (فصل * وأما الضرب الثالث) أي مما تدعو ضرورة الحياة اليه وليست فضيلة ذاتية محتوية عليه (فهو) من هذه الحيثية واختلاف النية (ما تختلف الحالات في التمدح به) أي بنفسه أو بكثرته (والتفاخر بسببه) أي فيما بين العامة (والتفضيل لاجله) أي عند الخاصة (ككثرة المال) فانها تمدح في بعض الاحوال (فصاحبه على الجملة) أي على الاجمال لا على تفصيل جميع الاحوال (معظم عند العامة) من حيث ان قلوبهم بيد حبه أسيرة (لاعتقادها توصله به) أي توصل صاحب المال بسببه (الى حاجاته) أي قضاء مهمات صاحبه وفي نسخة حاجته (وتمكن أغراضه) بالغين المعجمة وتمكن بالرفع أو الجر

ولا وجه لتفسيره بالقصد في الهيبة ولا تبالغ في التعظيم وملك بفتح الميم وكسر اللام ويجوز تسكينها بمعنى السلطان يعني لست من الملوك الجبابرة حتى تخاف مني لان جبريل عليه السلام جاء من الله وخيره بين أن يكون ملكا نبيا وعبدا نبيا فاختار أن يكون عبدا نبيا ولم يرض بوصفه بالملك وكذا الخلفاء الاربعة وأول من ملك في الاسلام معاوية رضي الله تعالى عنه فلا وجه لقول بعضهم هنا ان هذا الاينافي انه ظهر ملكه وان كان ملكه نبوة فانه لم يرد الا نفي انه ملك كسائر الملوك عند المخاطب انتهى وهذا الرجل لم يسمه أحد من شراح الحديث (فاما عظيم قدره بالنبوة) أي وصف قدر نبوته بالعظم لان النبوة مقربة له من الله وفيه من العظم ما لا يخفى (وشريف منزلته بالرسالة) جعل منزلة رسالته شريفة لانها واسطة بين الله تعالى وخلقه وفي تأهيله لذلك دون غيره شرف له على من عداه وجعلها منزلة لنزوله اليهم بتبليغه عن اتصاله بالملأ الاعلى (وانافة رتبته بالاصطفاء) لانافة بالنون والفاء بمعنى الاعلاء والاشراف على ما تحته والمراد بالاصطفاء ولايته وهي أقرب مقاماته من الله تعالى عز وجل لتمحيصها للطرف الاعلى ولذا جعلها مرتبة لانها من الرتوب وهو العلو والمرتبة كالمرقبة أعلى الجبل كما في الصحاح فتفطن لتعبيره أولا بالقدر وثانيا بالمنزلة وثالثا بالرتبة بمصادفة ذلك لحزه وفي نسخة بدل انافة انابة بالنون والموحدة (والكرامة في الدنيا) خصها لانها محل ظهور أمره صلى الله تعالى عليه وسلم والافذلك في الآخرة مما لا شبهة فيه كما سيذكره (فامرهو مبلغ النهاية) أي ليس فوقه مرتبة أخرى يكون نهاية أي هو نهاية النهاية (ثم هو في الآخرة سيد ولد آدم) عطفه بثم لتراخيه زمانا ومعنى ورتبة وهذا بعض من حديث البخاري وهو أنا سيد ولد آدم ولا فخر وتقدم ان قوله ولا فخر سقط من بعض نسخ الشفاء وثبت في بعضها قيل وهو الاكثر الاولى لانه هنا من كلام المصنف رحمه الله لا من كلام النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ومن أثبته فهو حكاية كما قاله التلمساني وفيه نظر والمراد أنا أشرف هذا النوع آدم وولده لما ورد آدم ومن دونه تحت لوائي ومر في معنى قوله ولا فخر انه لم يذكره للافتخار ومدح نفسه بل لبيان الواقع تحدثا بنعمة الله تعالى أو المراد أني لا أفتخر بهذا فان لي ما هو أعظم منه من المنزلة عند ربي ولا حاجة للاستدلال عليه بكنتم خير أمة لانه يلزم من تفضيل أمته على الامم تفضيل نبيهم صلى الله تعالى عليه وسلم لان أجر أعمالهم له (وعلى معنى هذا الفصل) المشتمل على أوصاف يتمدح بكثرتها ويتميز باستئثاره بها (نظمنا هذا القسم) الاول من الكتاب أي جعلناه موضوعا لبيانه وهو المقصود منه بالذات فجعل ما فيه كالعقد المحتوى على اللآلي والفرائد كناية وأثبت له النظم تخييلا كما قيل ولك أن تقول المراد بالفصل المشار اليه ما تضمنه قوله فاما عظيم قدره الى آخره (باسره) أي جميعه واصل الاسر شد الاسير بما يربطه ويطلق على ما يربط به فاذا قيل خذ الاسير برباطة فالمراد خذه بجميع ماله ثم تجوز به عن معنى الجميع (فصل وأما الضرب الثالث فهو ما تختلف الحالات) جمع حالة والحالة تذكر وتؤنث والغالب عليها التأنيث (في التمدح به) هو تفعل للكثرة أو بمعنى المجرد لا للتكلف (والتفاخر بسببه) بين الناس (والتفضيل) من الناس لصاحبه (لاجله) غاير بين العبارة تفننا وهربا من التكرار في مقام اسهاب الخطابة (ككثرة المال) ثم بين اختلاف الناس فيه فقال (فصاحبه على الجملة) هذا كما يقال في الجملة والمال انه أحيانا لا في كل حال (معظم عند العامة) أي عوام الناس أو أكثر الناس الناظرين للدنيا ووجه تعظيمه (لاعتقادها توصله به الى حاجاته وتمكن أغراضه) مجرور ومعطوف على حاجاته

(بسببه والا) أى وان لم يكن هذا الاعتقاد الموجب لتعظيم صاحب المال عند العامة فى الجملة (فليس) أى المال (فضيلة) وفى نسخة فضيلته (فى نفسه) أى فى حد ذاته وباعتبار جميع جهاته وعموم صفاته (فتى كان المال بهذه الصورة) أى من قضاء الاماني (وصاحبه منفقا له فى مهماته ومهمات من اعتراه) أى غشيه واعترضه (وأمله) بتشديد الميم أى ومن رجا كرمه ومنه قول القائل

أملتهم ثم تأملتهم * فلاح لى ان ليس فيهم فلاح

وهو معنى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم أخبر تقله والناس كابل مائة لاتجد فيها راحلة (وتصريفه) بالجر أى وتصرفه بوضعه (فى مواضعه) اللائقة به (مشتريا به المعالى) جمع معلاة أى مستبدلا به المفاخر العالية ومختارا به الاوصاف المتعالية (والثناء الحسن والمنزلة) أى الجاه والمرتبة (من القلوب) وفى نسخة فى القلوب (كان) أى المال (فضيلة فى صاحبه) أى فى الجملة (عند أهل الدنيا) أى من العامة مع انه لا عبرة بهم عند الخاصة (واذا صرفه فى وجوه البر) أى الطاعة والاحسان (وأنفقه فى سبل الخير) وفى نسخة سبيل الخير (وقصد بذلك) أى الصرف (الله تعالى) أى رضاه مآبا (والدار الآخرة) أى ثوابا (كان) أى ماله (فضيلة) أى لما يؤدى الى الفضيلة (عند الكل) أى الخاصة والعامة (بكل حال) أى مطلقا لا فى الجملة (ومتى كان صاحبه ممسكا له) من الامساك أى بخيلا به (غير موجهه وجوهه) أى غير منفقه ومصرفه فى وجوه ما ذكر من صرفه فى مهماته ومهمات من تأمل منه قضاء حاجاته أو اكتساب محمدة أو اجتلاب محبة (حريصا على جمعه) مبالغا فى منعه (عاد كثره) بضم الكاف وتكسر أى رجع كثيره وفى نسخة كثرته بفتح الكاف وتكسر وأما قول التلمساني ويصح بفتح الكاف والراء وضم التاء فلا يصح (كالعدم) بمنزلة يسيره أو مشبها بعدمه حيث لم ينتفع به فيكون كمن لا مال له وقد ورد الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له وجمع من لا عقل له وقد ورد ان الحسن البصرى رحمه الله تعالى رأى رجلا يقلب دنانير فى كفه فقال الك هى قال نعم قال انها ليست لك حتى تخرجها من يديك يعنى ان حظك منها وحظ غيرك اذا لم تنفقها وتخرجها واحد اذ لا نفع فيها باعيانها وورد عنه صلى الله تعالى

(بسببه) أى المال (والا) أى وان لم يكن ذلك أو ان لم يعتقد فيه ذلك وجواب الشرط محذوف تقديره فلا يعظمه أحد وأقيم بسببه مقامه وهو قوله (فليس له فضيلة فى نفسه) ثم فسر ما أجمله فقال (فتى كان المال بهذه الصورة) أى مصروفا فى هذه المصارف (وصاحبه منفقا له فى مهماته ومهمات من اعتراه) بمهملتين بينهما مثناة فوقية أى من ورد عليه وقصده من الضيوف والاخوان وأرباب الحاجات من عراه اذا غشيه ودخل عليه كما قيل

يالهف نفسى على مال أجود به * على المقلين أرباب المروآت

(وأمله) أى رجاه ورجا احسانه واكرامه ولو قرئ أمله بمعنى قصده صح ولكن لا يساعده الرسم كما قيل من أمله يقال ما أمله (وتصريفه فى مواضعه) تصريفه مرفوع معطوف على المال أى كان تصريفه فى مواضعه أى تصرفه واقع موقعه ويصح عطفه على قوله صاحبه وهما سواء معنى ويجوز جره عطفا على مهماته وكذا ضبط بالقلم فى بعض النسخ أى ان صاحبه منفقا له فى مهماته ومنفقا له فى تصريفه فى موضعه لكن الاظهر على هذا ان يقول صرفه بدل تصريفه وتصريفه مضاف للفاعل أى ضمير صاحبه وللمفعول أى ضمير ماله والاول أولى لقوله (مشتريا به المعالى والثناء) الذكر الجميل (الحسن) فانه حال منه أى حال كونه مشتريا بماله وتصريفه معالى الامور وثناء الناس عليه والمراد بالمعالى جمع معلاة وهى الجاه والرتب العالية والثناء الذكر الجميل كما علم وذلك انما يكون بصرفه واعطائه لطالبه فجعل تحصيل ذلك بخرجه بمنزلة اشتراء أمر نفيس كما فى قوله تعالى هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم ومثل هذه الاستعارة شائع فى الكلام القديم وغيره وقوله الحسن صفة مؤكدة (والمنزلة من القلوب) أى كونه له مهابة وعظمة فى قلوب الناس لانها جبلت على حب من أحسن اليها وهو منصوب معطوف على المعالى مفعول الحال (كان فضيلة فى صاحبه عند أهل الدنيا) جواب متى المسبب عنه وقيده بقوله عند أهل الدنيا لان نظرهم لهذا فان أعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون لا لانه ليس فضيلة عند الله كما توهم لانه ان اقترن بنية صالحة كان فضيلة عند الله أيضا (واذا صرفه فى وجوه البر) أى اذا صرف المال فى أنواع الاحسان كالصدقة والهبة والهدية فالوجوه بمعنى الجهات أو هو مستعار لما ذكر استعارة تصريحية أو مكنية (وأنفقه فى سبيل الخير) أى فى طريقه كالحج والجهاد وصلة الرحم (وقصد بذلك) المذكور من الصرف والانفاق أو المصروف والمنفق (الله والدار الآخرة) أى قصد ان يكون ذلك لله وثواب الآخرة (كان فضيلة) أى أمرا فاضلا محمودا (عند الكل) أى كل الناس من أهل الدنيا وغيرهم العامة والخاصة ومر ان ادخال أل على كل وبعض منعه بعض النحاة ولم يسمع من العرب الا ان القياس لا يأباه (بكل حال) أى سواء اكتسب به المعالى والثناء أم لا (ومتى كان صاحبه ممسكا له) أى لا يصرفه فى مصارفه بل يخزنه لشحه به ومحبته له (غير موجهه وجوهه) أى غير صارف له فى مصارفه من مهماته ووجوه الخير (حريصا على جمعه عاد) أى رجع أو صار (كثره كالعدم) الكثر

عليه وسلم يقول ابن آدم مالى مالى وهل لك من مالك الا ما تصدقت فامضيت أو أكلت فافنيت أو لبست فابلية يعنى ان المال الذى لم ينفقه ولم يتصدق به قد تساوى فيه مع غيره ممن لا مال بيده اذ لا فائدة فى عين المال بل فيه الوبال فى المآل (وكان منقصة) بفتح القاف وكسرها أى وكان المال نقيصة (فى صاحبه) أى فى حقه دنيا وأخرى كما ورد تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم وكما ورد ان الاكثرين هم الاقلون يوم القيامة (ولم يقف) أى المال (به) أى بصاحبه (على جدد السلامة) بفتح الجيم والدال المهملة الاولى أى طريقها المستوية تقول العرب من ملك الجدد أمن العثار وبضم الجيم جمع جدة كمدة أى طرقها من الجادة التى تسلم المارة فيها من العثرة ومنه قوله تعالى ومن الجبال جدد بيض أى طرائق واما ماضبط فى بعض النسخ والحواشى بضمهما فلا مناسبة له هنا فانه جمع جديد على ما فى القاموس (بل أوقعه) أى ماله عند ماله (فى هوة رذيلة البخل) بضم هاء وتشديد واو مفتوحة أى فى وهدة دناءته وعمق نقيصته والبخل بضم فسكون وبفتحهما قراءتان فى السبع (ومذلة) وفى نسخة ومذمة (النذالة) بفتح النون والذال المعجمة أى الخساسة والسفالة (فاذا) بالتنوين وفى نسخة بالنون والفاء فصيحة معربة عن شرط مقدر أى ومتى كان المال كما وصف كان حينئذ (التمدح) أى تمدح صاحبه لنفسه ويروى المتمدح (بالمال) أى على توهم الكمال (وفضيلته) أى وفضيلة المال أو صاحبه (عند مفضليه) أى مرجحيه من العامة وفى نسخة بصيغة الافراد (ليست لنفسه) أى ذاته (وانما هو) أى المال أو التمدح به (للتوصل به الى غيره وتصريفه) بالجر أى انفاقه (فى متصرفاته) بفتح الراء أى فى محاله (فجامعه اذا لم يضعه مواضعه) أى من مهماته ومهمات من يرجوه (ولا وجهه وجوهه) أى من أنواع البر وأصناف الخير (غير ملئ) بفتح الميم وكسر اللام فتحتية فهمزة ويجوز ابدالها وادغامها أى غير ثقة

اذا

كالكثير معنى وهو بضم الكاف وكسرها وظاهر كلام أهل اللغة جواز فتحها فهو مثلث ومثلثة ساكنة وهو المال الكثير يقال ماله قل ولا كثر ومقابلته بالعدم أبلغ من مقابلته بالقليل ولذا عدل عنه وان كانت القلة تكون بمعنى العدم أيضا وانما كان كالعدم لعدم انتفاعه به فانه خازن لغيره حارس لنعمته يستعجل الفقر الذى هرب منه ويفوته الغنى الذى طلبه فيعيش عيش الفقراء ويحاسب عليه حساب الاغنياء كما قيل وقدم

يفنى البخيل بجمع المال مدته * وللحوادث والوراث مايدع

كدودة القز ماتبنيه يهلكها * وغيرها بالذى تبنيه ينتفع

(وكان منقصة فى صاحبه) لذم الناس له ووصفه بالبخل والرذالة وقبحه عقلا وشرعا (ولم يقف على جدد السلامة) أى لم يحصل ما يسلم به من النقص والوبال والذم والجدد بفتح الجيم ودالين مهملتين أولاهما مفتوحة وهى الارض الصلبة وفى المثل من ملك الجدد أمن العثار فالمراد به الطريق المسلوكة وهكذا هو مضبوط فى النسخ وارتضاه البرهان رحمه الله تعالى فمن قال انه وهم فقد وهم واما ضبط بعضهم له بضم الجيم والدال على انه جمع جديد فلا وجه له وفى بعض الحواشى انه بضم الجيم وفتح الدال على انه جمع جدة كمدة ومدد أى طرق ومنه قوله تعالى ومن الجبال جدد بيض أى طريق وهو صحيح أيضا ومنه ركب فلان جده فى الامر أى رأى فيه رأيا ظاهرا ولم يقف فى أمر يوصله للسلامة وهو عدم الجمع أو صرف ما جمعه فى مصارفه فعدل عن طريق السلامة فهلك كما أشار اليه بقوله (بل أوقعه) ماله الذى جمعه وبخل به (فى هوة) بضم الهاء وتشديد الواو وهى الاهوية الحفرة العميقة وهو مضاف لقوله (رذيلة البخل) أى أوقعه فى وهدة دناءته وخسته التى حفرها لنفسه وفيه استعارة مكنية وتخييلية كالذى قبله فشبه السماحة بطريق يسلم سالكها ويأمن من كل عثرة وشبه ضده بحفرة يقع فيها من أتاها (ومذمة النذالة) هى بالنون والذال المعجمة الدناءة والخسة وهو معطوف على رذيلة ففيها الاستعارة السالفة أو على هوة وهذه من آفات المال المقابلة لمحاسنه السالفة الدالة على انه فى نفسه ليس ممدوحا وانما يمدح بما يكتسب به كما بينه بقوله (فاذن التمدح بالمال وفضيلته عند مفضله) أى عند من مدحه ومدح صاحبه ومفضله بكسر الضاد المشددة وفتحها (ليست لنفسه) من حيث هى (وانما هو) أى التمدح به (بالتوصل به الى غيره) من الثناء الجميل والاجر الجزيل وهو انما يكون ببذله (وتصريفه فى متصرفاته) وفى الحديث يقول ابن آدم مالى مالى وهل لك من مالك الا ما تصدقت فامضيت أو أكلت فافنيت أو لبست فابليت فمن لم يتوصل بماله لما ذكر ولم ينتفع به كمن لا مال له قال أبو العتاهية

اذا المرء لم يعتق من المال نفسه * تملكه المال الذى هو مالكه

الا انما مالى الذى هو منفق * وليس لى المال الذى أنا تاركه

(فجامعه اذا لم يضعه مواضعه) بصرفه فى مهماته ومهمات من أمله (ولا وجهه وجوهه) من أنواع البر وسبل الخير ويحتمل التعميم فى كل منهما (غير ملئ) أى غير غنى يقال ملؤ ملاءة وملاء بالمد

اذا استغنى (بالحقيقة) أي في نفس الامر لان الغناء هو المغني لصاحبه عما سواه وهو محتاج ولغيره في اكتسابه وقد قال الحكماء الغني هو الذي لا يحتاج في ذاته وكماله الى شيء (ولا غني بالمعنى) المقصود منه وهو كفاية المهمات واكتساب المحمدات فكأنه فقير (ولا متمدح به) بفتح الدال (عند أحد من العقلاء) بالجر معطوف على ملي أي من كمل عقله لا يمدح بمثله (بل هو فقير أبدا غير واصل الى غرض من أغراضه)

ومن ينفق الساعات في جمع ماله * مخافة فقر فالذي فعل الفقر

وكونه لم يصل لغرضه لعدم انفاقه وكسبه ما مر بد كما أشار اليه بقوله (اذ ما بيده) أي في ملكه وتصرفه (من المال الموصل لها) بكسر الصاد مخففة ومشددة أي اغراضه (لم يسلط عليه) بالتشديد والبناء للمجهول أي لم يرزقه الله تعالى ويقدر له الانفاق منه في أغراضه (فاشبه خازن مال غيره) في حراسة المال وعدم قدرته على الانفاق منه (ولا مال له) جملة حالية من خازن (فكانه) أي صاحب المال (ليس في يده شيء منه) كما قيل

اذا كنت جماعا للمال ممسكا * فأنت عليه خازن وأمين
تؤديه مذموما الى غير حامد * فيأكله عفوا وأنت دفين

ولمحمود الوراق

تمتع بمالك قبل الممات * والا فلا مال ان أنت متا
شقيت به ثم خلفته * لغيرك بعدا وسحقا ومقتا
فجادوا عليك بزور البكاء * وجدت عليهم بما قد جمعتا
وأرهنتهم كل ما في يديكا * وخلوك رهنا بما قد كسبتا

(والمنفق ملئ غني بتحصيله فوائد المال وان لم يبق في يده من المال شيء) فالممسك كما انه فقير بالقوة فكذا المنفق غني بالقوة لان له خلفا من الله بمنزلة الحاصل عنده كما قيل

واني لارجو الله حتى كأنني * أرى بجميل الظن ما الله صانع

وهذا كله توطئة لبيان أمر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بالنسبة للمال عدما وجودا كما قال (فانظر سيرة نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم) أي طريقته وهديه (وخلقه) بضمتين أو ضم فسكون (في المال) أي في شأن المال وماله بالنسبة اليه (تجده قد أوتي خزائن الارض ومفاتيح البلاد) أي آتاه الله تعالى ذلك كما ورد في الحديث الصحيح بينا أنا نائم أوتيت بمفاتيح خزائن الارض فوضعت في يدي وفي كتاب الوفاء عن جابر رضي الله تعالى عنه مسندا قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول أتيت بمقاليد الدنيا على فرس أبلق عليه قطيفة من سندس واليه أشار الصرصري رحمه الله تعالى بقوله

بعثت مقاليد الكنوز جميعها * تهدى اليه على سراة حصان
جعلت عليه قطيفة من سندس * فله استقام الزهد عن امكان

ومثله ثابت من طرق عديدة وهذا يدل على ان الله تعالى أعطاه ذلك حقيقة وخزائن الارض دفائنها ومعادنها بان يطلعه الله عليها ويجعل الملائكة الموكلين بها طوع يده فان السلطان خزينته بيد خازنها حاضر مطيع لديه فهذا معنى كونها في يده عرفا وأما المفاتيح فان كانت بمعنى الخزائن فكذلك وان كانت جمع مفتح أو مفتاح بمعنى آلة الفتح فاعطاؤها ارسالها كما هو ظاهر الحديث السابق وقيل

بالحقيقة) أي في نفس الامر (ولا غني بالمعنى) أي بل بمجرد الصورة والمبنى فكأنه فاقد لا واجد (ولا ممتدح) وفي نسخة ولا ممدح بالمفعولين أي ولا ممدوح (عند أحد من العقلاء) فضلا من العلماء والفضلاء (بل هو فقير أبدا) أي بقلبه ولو كان غنيا بيدا قال المتنبي

ومن ينفق الساعات في جمع ماله * مخافة فقر فالذي فعل الفقر

(غير واصل الى غرض من أغراضه) أي لخسته وبخله (اذ ما بيده من المال الموصل) بالتشديد أو التخفيف (لها) وفي نسخة اليها أي الذي من شانه أن يوصل صاحبه الى أغراضه (لم يسلط عليه) بصيغة المجهول أي لم يمكن منه ولم يفوض اليه (فاشبه خازن مال غيره) أي حافظه (ولا مال له) أي الا وديعة عنه (فكانه ليس في يده منه شيء) أي من الاشياء (والمنفق) أي في وجوه البر والخير من صدقة وصلة (ملئ) أي ثقة (غني) واجد لا فاقد (بتحصيله فوائد المال) من جميل الحال وحسن المآل (وان لم يبق في يده من المال شيء) حيث يدل على كمال كرمه واعتماده على رزق ربه وقد قال الله تعالى وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وورد اللهم اعط منفقا خلفا واعط ممسكا تلفا وهذا المعنى في حديث نعم المال الصالح للرجل الصالح (فانظر سيرة نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) أي طريقته (وخلقه) أي سجيته (في المال) أي في حق أخذه واعطائه وامتناعه عن التلبس بوجوده وبقائه (تجده) بالجزم أي تعلمه (قد أوتي خزائن الارض) أي عرضت عليه (ومفاتيح البلاد) أي أعطيت له وفي نسخة رواية صحيحة مفاتح البلاد ومنه قوله تعالى وعنده مفاتح الغيب وهو كناية عن فتحها عليه وعلى أمته بعده وجباية أموالها اليهم واستخراج كنوزها لديهم وتلويح بالتوصل اليها كما يتوصل بالمفاتيح الى ما غلق عليه من أبوابها وقد روي مرفوعا في صحيح مسلم بينا أنا نائم أوتيت مفاتيح خزائن الارض فوضعت في يدي أي في تصرفي وتصرف أمتي

(وأحلت له الغنائم) أي لزيادة الفضيلة (ولم تحل) بصيغة المجهول المناسب لاحلت أو بفتح أوله وكسر ثانيه أي والحال انه لم تبح (لنبي قبله) اذجاء في الآثار انهم كانوا يجمعون الغنائم فتاتي نار من السماء فتأكلها وفي حديث مسلم لم تحل الغنائم لاحد من قبلنا وذلك لان الله تعالى رأى ضعفنا وعجزنا فطيبها لنا (وفتح عليه في حياته بلاد الحجاز) سميت بها لحجزها بين نجد والغور (واليمن) بالرفع والجر سمي به لكونه عن يمين الكعبة لمن وقف بالباب ووجهه لخارج وهو المعتبر لكونه بمنزلة المنبر (وجميع جزيرة العرب) وهي ما بين أقصى عدن الى ريف العراق طولا ومن جدة وما والاها من ساحل البحر الى طرف الشام عرضا وقال مالك هي الحجاز واليمن واليمامة وقيل هي المدينة وقيل مكة والمدينة واليمامة واليمن ولعل هذا معنى قول مالك (وما دانى ذلك) أي ما قارب بلاد الحجاز وجزيرة العرب (من الشأم) بالهمز الساكن وابداله ألفا ويقال بفتح الشين والمد وهو من العريش الى الفرات طولا وقيل الى نابلس وعرضا من جبل طيئ من نحو القبلة الى بحر الروم وما سامت ذلك من البلاد قال ابن عساكر في تاريخه دخل الشام عشرة آلاف عين رأت صلى الله تعالى عليه وسلم واشتقاقه منه لكونه عن شمال الكعبة وأما قول الحلبي قد دخله عليه الصلاة والسلام أربع مرات فغير معروف بل لم يدخل دمشق أصلا وانما بلغ الى بصرى مدينة حوران (والعراق) أي عراق العرب من الكوفة والبصرة قيل فارسي معرب وقيل سمي المكان عراقا لكثرة عروق أشجاره (وجلبت اليه) ويروى وجلب وروي وجبيت أي وجيء له الاموال

انه كناية عن فتح البلاد على أمته وجباية أموالهم والمفاتح روي في الصحيح بدون ياء جمع مفتح وروي بياء في كلام المصنف جمع مفتاح والاول أفصح كما قيل (وأحلت له الغنائم ولم تحل لنبي قبله) الغنيمة ما يؤخذ من الكفار وكذا الفيء وفرق الفقهاء بينهما بان الفيء ما يحصل بلا قتال ولا ايجاف خيل ولا ركاب كسرقة وهبة والغنيمة ما حصل بقتال ولو قبله أو بعده وقد تستعمل كل منهما بمعنى الآخر كما فيما نحن فيه وكان قبل ذلك كل ما يحصل من أهل الحرب كالمقرب من الذبائح تنزل نار من السماء فتحرقه ان قبل * فان قلت كيف هذا وقد كان لسليمان وداود عليهما الصلاة والسلام سراري ولا شك انها تحصل من أهل الحرب غنيمة حتى تملك * قلت قالوا ان الذي كانت تأكله النار سهام الانبياء عليهم الصلاة والسلام دون سهام الامة وقرابينهم فكانت تحل لهم فاذا اشترى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كداود عليه الصلاة والسلام من أمته شيئا منها كان له ذكره ابن الجوزي رحمه الله في الوفاء (وفتح عليه في حياته بلاد الحجاز) الحجاز بمعنى الحاجز وسميت به لانها تحجز بين نجد وتهامة أو بين اليمن والشام وهي مكة والمدينة والطائف واليمامة وقراها وخيبر وطرقها الممتدة بينها وقيل غير ذلك وقيل المدينة نصفها حجازي ونصفها تهامي (واليمن) وهو معروف وسمي به لانه عن يمين الكعبة أو ليمنه أو لانه عن يمين الشمس (وجميع جزيرة العرب) الجزيرة فعيلة من جزر الماء وهو انكشافه ورجوعه ضد المد وجزيرة العرب ما بين أقصى عدن الى ريف العراق طولا ومن جدة وما والاها الى أطراف الشام عرضا عند الاصمعي ومن حفر أبي موسى الى أقصى اليمن طولا ومن رمل قبرس الى منقطع السماوة عند أبي عبيدة وقال مالك هي الحجاز واليمن واليمامة وما لم يبلغه ملك فارس والروم مع أقوال أخر وسميت جزيرة لان بحر فارس وبحر الحبشة ودجلة والفرات أحاطت بها (وما دانى ذلك) أي قرب منه أو من جزيرة العرب فتذكيره باعتبار المكان ونحوه (من الشام والعراق) أما الشام فبهمزة وتبدل ألفا وقد تمد همزته فيقال شآم وبعضهم أبى هذا ويذكر ويؤنث كغيره من أسماء البلدان وينسب اليه شامي بهمزة وألف وشآمي بالتخفيف والتشديد كيمان فيقال امرأة شامة وشامية مخففا ووجه تسميتها بذلك انها عن شمال الكعبة أو لانه يشأم بها قوم أو باسم صاحبها وهو سام ابن نوح عليه الصلاة والسلام فعربت بابدال الشين معجمة وأنكر بعضهم هذا وقال انه لم ينزلها سام قط وانما سميت بها لان في أرضها شامات حمر وسود وبيض وحده من العريش الى الفرات أو الى نابلس طولا وعرضه من جبل اجاد سلمى الى بحر الروم وما يسامته وقد دخله النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الا أنه لم يدخل دمشق وقيل دخل الشام عشرة آلاف عين رأت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأما العراق فهو اقليم معروف وهو عراق العرب وفيه مدن عظيمة وقرى وطوله من تكريت الى عبادان وهي قرية ولذا قيل في المثل ما وراء عبادان قرية وعرضه من القادسية الى حلوان ودجلة حده جانبها الايمن للعراق واليسار لفارس وأما عراق العجم وهو اقليم خراسان ولفظ العراق عربي وقيل انه معرب ايران وفيه كلام ليس هذا محله واليمن فتحها علي رضي الله تعالى عنه في سنة عشر من الهجرة والشام فتح منها دومة الجندل فتحها عبد الرحمن والعراق فتح منها البحرين وقدم أهلها على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم على ما فصل في السير والتواريخ ومن لم يقف على هذا قال انها انما فتحت في زمن أبي بكر رضي الله تعالى عنه لكن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أوتي مفاتيحها ووعد بفتحها (وجلبت اليه) بالبناء للمفعول نائب فاعله ما لا يجيء الآتي وأنثه باعتبار المعنى وهو

الاموال (من اخماسها) أي غنائمها الان الغنائم تجعل خمسة أجزاء خمس للامام وأربعة أخماس للجند أو المراد نفس الخمس لانه الذي يختص به (وجزيتها) بكسر فسكون وهو ما يؤخذ من الكفار من الخراج على الرؤس سمي بها المالانها تجزي أو من المجازاة أو من الاجزاء بمعنى الكفاية وقيل انها معرب كزيت وأحكامها تفصيلا في كتب الفقه (وصدقاتها) المراد ما كان يؤخذ من الزكاة كبيت المال لانه يسمى صدقة (مالايجبى) أي يجمع يقال جباه اذا جمعه (للملوك الابعضه وهادته) أي أهدت اليه صلى الله تعالى عليه وسلم وليس المراد المفاعلة (ملوك الاقاليم) المتقدمون قسموا الارض سبعة أقسام سموا كل قسم منها اقليما كما يعلم من علم مساحة الارض المسمى جغرافيا وحد كل اقليم وما فيه من البلدان مفصل في كتب الهيئة والمساحة قيل المصنف أراد بالاقليم النواحي والبلدان وان كانت من اقليم واحد أو اقليمين من السبعة بطريق المجاز وهو بهذا المعنى مستعمل أيضا كما يقال أقاليم مصر فسموا كل ناحية منها اقليما والهدية ما يبعث بلا عوض الى المهدى اليه اكراما وقال السبكي الاكرام ليس شرطا فيها وانما الشرط كونها من المنقولات فلا يقال العقار هدية فهي أخص من الهبة والظاهر ان قيد الاكرام بناء على الظاهر فرقا بينها وبين الصدقة وممن هاداه صلى الله تعالى عليه وسلم المقوقس ملك القبط أهدى له جاريتين وكسوة وبغلة بيضاء وهي الدلدل وهاداه فروة بن عمرو الجذامي عامل قيصر بعد ما تبرع بالاسلام وأهدى له بغلة بيضاء تسمى فضة وفرسا وأثوابا وقباء من سندس ولما بلغ ذلك قيصر حبسه مدة طويلة ثم أرسل يقول له ارجع لدينك أطلقك وأعيد لك ملكك فأبى وقال لا أفارق دينه وانك لتعلم انه حق ولكن ضننت بملكك فقال صدق والانجيل ومنهم أكيدر دومة الجندل كما في البخاري والتجاني وأما هدايا غير الملوك التي كانت تصل مع الوفود فكثيرة لا تحصى كما يعلم من السير وأهدى له الرهبان أيضا كراهب نجران ولا منافاة بين قبوله هدية من يسلم منهم كالمقوقس والنجراني ورده بعض هدايا المشركين وقوله انا لانقبل زبد المشركين أي عطيتهم لانه كان يقبل الهدية ممن يرجو اسلامه استئلافا له لما فيه من المصلحة للمسلمين ويرد هدية غيره أو ذلك خاص بالمشركين ومن قبل منه من أهل الكتاب فيقبل كما توكل أطعمتهم وذبائحهم وقيل ان عدم القبول منسوخ باحاديث القبول لا العكس على الارجح ثم ان قبول النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الهدية مع انه لا يجوز لغيره من الحكام من خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم لانتفاء التهمة في حقه صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل انه صلى الله تعالى عليه وسلم رد ما أهدى له خاصة دون ما أهدى للصحابة (فما استأثر بشئ منه) أي ما اختص به صلى الله تعالى عليه وسلم دون أصحابه لرؤيته انه أحق به كما يفعله الملوك فيما يليق بها وهو استفعال من الاثرة وهي المكرمة والخصوصية كما قال الله تعالى ويؤثرون على أنفسهم (ولا أمسك منه درهما) أي لم يبق لنفسه منه شيئا ولم يجعله عنده أو في يده (بل صرفه) في (مصارفه) باعطائه لمن يستحقه وفي وجه الخيرات (وأغنى به غيره) من الجند والمؤلفة قلوبهم فكان صلى الله تعالى عليه وسلم يعطي عطاء من لا يخاف الفقر (وقوى به المسلمين) بصرفه في مهماتهم وفيما ينصرهم على أعدائهم (وقال) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث صحيح رواه الشيخان مسندا عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه (ما يسرني) أي يجعلني في سرور وفرح (ان لي أحدا ذهبا) أي مثل أحد ونفس أحد يكون ملكا لي وهو ذهب حقيقة وقوله ذهبا تمييز أي من ذهب وأحد بضمتين وقد تسكن حاؤه اسم جبل معروف قريب من المدينة سمي به لتوحده وانقطاعه عما هناك من الجبال وقال صلى الله تعالى عليه وسلم فيه أحد جبل يحبنا ونحبه (يبيت عندي منه دينار الا دينارا

(من اخماسها) في الغنيمة (وجزيتها) من أهل الذمة (وصدقاتها) من أغنياء الامة (مالايجئ) أي مالايؤتى به (للملوك الابعضه) أي لكثرته مع زيادة بركته روي ان أعظم مال أتى به النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من مال الجزية ما قدم عليه من البحرين وقدره مائة ألف درهم ثمانون ألفا (وهادته) أي صالحه وفي نسخة صحيحة هادته بمعنى أهدته (جماعة من ملوك الاقاليم) أي بارسال هدايا اليه فقبلها منهم كما في كتب السير دلالة عليه (فما استأثر) أي ما انفرد وما استبد وما اختص (بشئ منه) أي مما هادوه (ولا أمسك منه درهما بل صرفه مصارفه) أي أنفقه في مواضعه من أنواع الخير وأصناف البر (وأغنى به غيره) أي لغناه بربه واستغنائه بقلبه (وقوى به المسلمين) على مهماتهم وقضاء حاجاتهم ونصرهم على أعدائهم ودفع بلائهم وكان يعطي عطاء من ليس يخشى الفقر انتهاه (وقال) أي كما رواه الشيخان عنه (صلى الله تعالى عليه وسلم ما يسرني) أي لم يوقعني في السرور ولم يفرحني (ان لي أحدا) بضمتين ووجد بخط المبرد باسكان الحاء جبل عظيم بالمدينة (ذهبا) تمييز لرفع الابهام عن جبل أحد (يبيت) أي يثبت ليلة (عندي منه) أي من مقدار أحد ذهبا (دينار الا دينارا) بالنصب على الاستثناء وفي نسخة بالرفع على البدل

(أرصده لديني) وفي نسخة لدين وهو بفتح الهمزة وضم الصاد وبضم وكسر من الارصاد أي أحفظه منتظر القضاء ديني وقال بعضهم رصدته رقبته وأرصدت أعددت قال تعالى شهابا رصدا وارصادا لمن حارب الله ولعل التعبير بالبيتوتة لارادة المبالغة لان الليل مظنة فقد الفقير والغيبوبة توهم حصول الذهول والغفلة ووقع في أصل الدلجي درهم الا دينار افتكاف وقال نصبه على الاستثناء من عام عبر عنه بالدرهم ورفعه على البدل وكانه قال ما يسرني ان يبيت عندي شئ منه الا ما أرصده لدين لي بفتح الهمزة وضم الصاد وبضم وكسر (وأتته دنانير مرة) وهي كثيرة (فقسمها) أي على من استحقها (وبقيت) وفي نسخة بقي (منها ستة) وفي نسخة بقية أي قليلة يسيرة (فدفعها لبعض نسائه) نظرا الى حدوث حاجة لهن اليها وفي رواية فرفعها بعض نسائه بالراء وهو اما بامره واما على عادة النساء في حفظ المال لامر المعاش وغيره فلم ٤٧٤ (يأخذه نوم حتى قام وقسمها) اتكالا على كرم ربه عند الاحتياج اليها (وقال الآن) وهو اسم للزمان الحاضر (استرحت) أي حصل الراحة لقلبي المعتمد على رزق ربي وفيه دلالة واضحة على ما كان عليه من التقلل للدنيا وملازمة الفاقة في أيام حياته الى آوان مماته كما يدل عليه قوله (ومات ودرعه مرهونة) أي عند يهودي هو أبو الشحم وقيل أبو شحمة (في نفقة عياله) أي الى سنة في ثلاثين صاعا من شعير على ما في البخاري والترمذي والنسائي وفي البزار أربعين وفي مصنف عبد الرزاق وسق شعير

أرصده لديني) وقد روى هذا الحديث بروايات مختلفة اللفظ متقاربة المعنى ففي الصحيح تأتي على ثالثة وعندي منه دينار أو أمسى ثالثه وعندي منه دينار وروى تحول ذهبا ويصير ذهبا والا دينارا روى بالرفع والنصب وأرصده بفتح الهمزة وضم الصاد ويجوز ضم الهمزة وكسر الصاد المهملة لانه يقال رصدته وأرصدته بمعنى أعددته للخير أو الشر وقيل رصدته بمعنى راقبته وأرصدته بمعنى أعددته وهو المشهور وقوله لديني بفتح الدال المهملة وسكون المثناة التحتية والنون وارصاده للدين أما لان صاحبه غائب أو لانه لم يحل أجله وفيه دليل على جواز الاستقراض وانه لا ينبغي ان يكون المرء مستغرقا في الدين حتى لا يجد له وفاء وبقية الحديث في الصحيحين وشروحهما فان أردته فانظره وفي بعض النسخ هنا زيادة من الحاق المصنف وهي (وأتته صلى الله تعالى عليه وسلم دنانير مرة فقسمها وبقيت منها ستة فدفعها لبعض نسائه فلم يأخذه نوم حتى قام وقسمها وقال الآن استرحت) انتهى وقوله دفعها روى رفعها بالراء قال السيوطي رحمه الله تعالى هذا الحديث روته ابنة سعد عن عائشة رضي الله عنها بهذا اللفظ وفي الشرح الجديد لم أقف عليه الا أن له نظائر أوردها وكانت هذه الدنانير جاءت من الصدقة وانما لم يأخذه صلى الله تعالى عليه وسلم النوم لخوفه ان يفجاه الاجل قبل تفريقها فانظر هذا مع انه غفر له صلى الله تعالى عليه وسلم ما تقدم من ذنبه وما تأخر بعد ما عصمه الله تعالى مع أشقياء هذا الزمان وصرفهم بيت المال في هوى أنفسهم قاتلهم الله أنى يؤفكون * (ومات صلى الله تعالى عليه وسلم ودرعه مرهونة في نفقة عياله) جمع عيل وهو من تلزمه مؤنته والدرع مؤنثة وهي الزردية وكان له صلى الله تعالى عليه وسلم عدة ادراع ذات الفضول سميت بها لطولها أهداها له سعد بن عبادة رضي الله تعالى عنه لما خرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لبدر وذات الحواشي ودرعان أصابهما من بني قينقاع السغدية وفضة ويقال ان السغدية كانت درع داود عليه الصلاة والسلام التي لبسها لقتال جالوت والبتر والخريق فهذه سبع وقال ابن الاثير رحمه الله تعالى في مادة س ب ع درع البتر ذات السبوع لتمامها وسعتها فيحتمل واحدة مما ذكر أو غيرها فتكون ثمانية وقال ابن الجوزي ان التي رهنها صلى الله تعالى عليه وسلم هي ذات الفضول ورهنها عند يهودي يسمى أبا الشحم كما وقع في كتب فقه الشافعية ووقع في كلام بعض تسميته بابي شحمة والمعرف الاول والسغدية لم يتعرضوا لحركة سينها المهملة ويجوز فتحها وضمها والمشهور الثاني وهي بغين معجمة منسوبة للسغد وهو جبل معروف (٣) وقال مغلطاي انها بعين مهملة وفي معرب الجواليقي

(٣) والسعد بالسين والعين المهملتين جبل بالحجاز بينه وبين الكديد ثلاثون ميلا وعنده قصر ومنازل وسوق وماء عذب على جادة طريق كان يسلك من فيد الى المدينة وهو أيضا اسم بلدة يعمل فيها الدروع فيقال الدروع السعدية نسبة اليه وقيل السعد قبيلة نسبت اليها الدروع وأما السعد بالعين المهملة المضمومة فبساتين نزهة وأماكن مثمرة بسمرقند وهو أحد متنزهات الدنيا على ما حكاه المؤرخون من فتوح قتيبة بن مسلم وقد فحصنا الكتب اللغوية فلم نجد في مادة (س غ د) هذا اللفظ بمعنى الجبل وغيره من المعاني التي ذكرناه فما قاله الشارح انه بغين معجمة اه فليس بسديد بل الصواب ما ذكره نقلا عن مغلطاي انه بعين مهملة لكونه موافقا لما في كتب اللغة فاحفظه قاله مصححه

وهوستون صاعاو يمكن الجمع بتعدد الواقعة حقيقة أوحكما عند نزول قوله تعالى من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا الآية ولعل عدوله صلى الله تعالى عليه وسلم عن الصحابة الى معاملته بيان للجواز أوقلة الطعام عند غيره أوحذرا من ان يضيق على أصحابه أولانهم لا يأخذون منه رهنا ولا يتقاضون منه ثمنا بل ولا يعطونه دينا وهو لا يريد صنيعة لاحد عليه أوليكون حجة على اليهود فى قولهم ان الله فقير ونحن أغنياء حيث لم يقتض القرض لصاحبه الافتقار وعدم الاقتدار ولعله كان منعوتا فى كتابهم انه يكون مختار الفقر على الغنى وانه لا يبالى بكلام الاعداء من الاغنياء الاغبياء الذين يدعون الاستغناء (واقتصر من نفقته وملبسه ومسكنه) بفتح الكاف وكسرها أى من أجلها أوفى حقها (على ماتدعوه ضرورته اليه) أى على مقدار قليل لابدله منه مما تقتضيه الحاجة الضرورية اليه (وزهد) بكسر الهاء أى ولم يرغب (فيما سواه) فزهد فعل ماض عطف على اقتصر ووقع فى أصل الدلجى وزهده بالضمير فتحير فى أمر مرجعه فقال عطف على الضمير المجرور بالى أوعلى ضرورته أى والى زهده أويدعوه زهده فيما سواه اليه ذهابا الى الاقتصاد المحمود اذ ماقل وكفى خير مما كثر وألهى (فكان يلبس) بفتح الياء والباء معا (ماوجده) أى أصابه وصادفه أى تيسر له من غير كلفة وشهوة (فلبس فى الغالب الشملة) وهى كساء يشتمل به وقال ابن حماد هى شبه العباء وهى أكسية فيها خطوط سود وكل كساء خشن فهو شملة ثم هى ضبطت فى النسخ بالفتح لكن فى القاموس الشملة هيئة الاشتمال و بالكسر كساء دون القطيفة يشتمل به انتهى والظاهر انه وهم منه فان صيغة الهيئة وهى النوع انما هى بالكسر والفعلة موضوعة للمرة وقد تكون للاسم كما هنا ولذا أطلق صاحب النهاية حيث قال الشملة كساء يتلفف به (والكساء) بكسر الكاف معروف (الخشن) بفتح وكسر أى الغليظ ضد الرقيق (والبرد) أى اليمانى وهو الثوب الذى فيه خطوط (الغليظ) أى الخشن واختار هذا كله زهدا وقناعة وتنزها عما يلبسه من لاخلاق له تفاخرا وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه مرفوعا ان الله يحب المتبذل الذى لا يبالى مالبس (ويقسم) بالتخفيف و يجوز تشديده بقصد التكثير (على من حضره أقبية

الجواليقى انه بالسين والصاد لانه قياس فى كل سين معها حرف استعلاء قال شقيق الاسدى
* وخافت من جبال السغد نفسى * وذكر مغلطاى أيضا انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان له مغفر يسمى السبوع والحديث المذكور فى صحيح مسلم مسندا عن عائشة رضى الله تعالى عنها انه صلى الله تعالى عليه وسلم اشترى من يهودى طعاما نسيئة فاعطاه درعا رهنا وفى رواية فرهنه صلى الله تعالى عليه وسلم درعا له من حديد ورواه البخارى أيضا بزيادة ثلاثين صاعا من شعير ومنه علم جواز معاملة الكفار مع ان كسبهم لا يخلو من خبث وجواز الرهن على الثمن المؤجل وادخال القوت خلافا لزفر وقال المصنف رحمه الله تعالى فى شرح مسلم انه مكروه عند مالك وأحمد وأجمعوا على انه يجوز معاملة أهل الذمة وغيرهم الا فى آلات الحرب وما يستعان به عليه وقال الحنفية يكره بيع السلاح والكراع من أهل الحرب وتجهيزه اليهم قبل الموادعة وبعدها وامارهنه فانه خشى التقوى به علينا فهو كالبيع فاما فعله النبى صلى الله تعالى عليه وسلم امالان اليهودى لم يكن من أهل الحرب أولانه كان بين أظهر المسلمين فلا يخشى تقويه به وفى رواية ان تلك الدرع رهنت فى عشرين صاعا وفى أخرى أربعين وفى رواية وسق شعير والاجل سنة فحل الاجل قبل الاجل ومن ثم قيل انه صلى الله تعالى عليه وسلم افتكه قبل موته لخبر نفس المؤمن معلقة بدينه حتى يقضى عنه وهو صلى الله تعالى عليه وسلم منزه عن ذلك والاصح خلافه كما اقتضاه كلام المصنف ولقول ابن عباس توفى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ودرعه مرهونة عند يهودى والخبر محمول على غير الانبياء وجمع بين الروايات السابقة بتعدد الواقعة وكان موسرا وقد تعسر لانفاقه جميع ماعنده ولا يعلم أحد بذلك اذ لو علم الصحابة ذلك لاسوه صلى الله تعالى عليه وسلم بجميع أموالهم كما كانوا يواسونه بارواحهم ولكنه يكتمه ويصبر تلذذا بالرضى بما قسم وفى قوله فى نفقة عياله للتعليل (واقتصر من نفقته وملبسه ومسكنه على ماتدعوضرورته اليه وزهد) بصيغة الماضى معطوف على اقتصر (فيما سواه) أى ماسوى مقدار الضرورة ووقع فى بعض النسخ زهده بصيغة المصدر المضاف للضمير وهو مرفوع عطفا على ضرورته أو مجرور بالعطف على مجرور الى من غير اعادة الجار والنسخة الاولى أوضح (وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يلبس ماوجده) حاضرا عنده من غير تكلف (فيلبس فى الغالب الشملة) وهى كساء يشتمل به وقيل يختص بماله هدب وقال ابن دريد هو كساء يؤتزر به وهى البردة واما تسمية العوام مايلف على الرأس شملة فلا أصل له (والكساء الخشن) أى الكسوة الملبوسة والكساء قريب من البرد وخشن بزنة حذر ضد اللين والرقيق (والبرد الغليظ) البرد بضم أوله ثوب فيه خطوط ومطلق الثوب ثم أشار الى ان هذا ليس من عجزه صلى الله تعالى عليه وسلم عن فاخر الالبسة بل لعدم ميله لها فقال (ويقسم) مما عنده من الغنائم والهدايا (على من حضر عنده أقبية

الديباج) بكسر الدال وقد يفتح وهو نوع من الحرير والاقبية جمع القباء بالمد كالاكسية جمع الكساء وهو صنف من الثياب (المخوصة) بتشديد الواو المفتوحة أى المنسوجة (بالذهب) أى بمثل خوص النخل وهو ورقه وقيل فى طرائق من ذهب مثل خوص النخل أو المكتوفة به وفى رواية المزرورة بالذهب أى التى لها ازرار منه أو المطوقة به أو التى زينت ازرارها به وفى الحديث مثل المرأة الصالحة مثل التاج المخوص بالذهب (ويرفع) أى منها (لمن لم يحضر) أى يغيب من أصحابه المستحقين لها كمخرمة بن نوفل كما فى حديث الصحيحين عن ابن المسور قال أبى يا بنى بلغنى ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قدمت عليه أقبية فاذهب بنا اليه فذهبنا فوجدناه فى منزله فقال لى ادعه لى فاعظمت ذلك فقال لى يا بنى انه ليس بجبار فدعوته فخرج ومعه قباء من ديباج مزرور بالذهب فقال يا مخرمة خبأت لك هذا وجعل يريه محاسنه ثم أعطاه له ولمسلم فنظر اليه فقال رضى مخرمة زاد البخارى وكان فى خلق مخرمة شدة محبته هذا وكان يفعل ذلك ايثارا لغيره وتنزها عما يتباهى العوام به (اذ المباهاة) أى المنافة والمفاخرة (فى الملابس) الثمينة (والتزين بها) أى فى المنازل المكينة (ليست من خصال الشرف والجلالة) أى شمائل أرباب الشرافة وأصحاب العظمة المعنوية

الديباج المخوصة بالذهب) الاقبية جمع قباء وهو المخيط من اللباس والديباج نوع من أقبية الحرير معرب ديبا (٢) بالدال المهملة فيهما بكسر داله وقد تفتح والمخوصة بضم الميم وفتح الخاء المعجمة وتشديد الواو يليها صاد مهملة وهاء أى منسوجة باعلام من ذهب كالخوص وفعل يأتى للتشبيه كثيرا (٣) فلا وجه لانكارهم مسرج بمعنى كالسراج فى كتب المعانى وقيل هو المكفوف بالذهب أو المطوق أو المزرور به اما نفقته صلى الله تعالى عليه وسلم فى مأكله فكان التمر والماء وحده فكان يمضى عليه الشهر لا توقد فى بيته نار وهو يقول اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا أو كفافا وملبسه فى الاكثر أكسية الصوف الغليظة الخلقة مع انه لبس ثياب الكتان والقطن أيضا حسبما اتفق له وكان له صلى الله عليه وسلم حلة حمراء وبرد أحمر يلبسه فى العيدين وعند قدوم الوفود عليه وكانت له صلى الله تعالى عليه وسلم جبة رومية ضيقة الكمين وكان أحب اللباس اليه القميص القصير الكمين فوق الكعبين مساو كمه لاطراف أصابعه وكانت عمامته قصيرة صغيرة كما بيناه فى الشمامة فى صفة العمامة وكان له صلى الله تعالى عليه وسلم قلنسوة وقسمته صلى الله تعالى عليه وسلم ما ذكر مروية فى البخارى وهذا اما ان يكون قبل تحريم الحرير والذهب أو كان يقسمه ليباع أو يعطى ذلك للنساء والصغار (ويرفع لمن لم يحضر) أى يرفعها من مجلسه حتى يعطيها لمن لم يحضر القسمة وهو اشارة لقصة مخرمة التى رواها الشيخان عن مسور بن مخرمة قال قال لى أبى يا مسور بلغنى انه صلى الله تعالى عليه وسلم جاءته أقبية فاذهب بنا اليه فذهبنا فوجدناه فى منزله فقال ادعه لى فاعظمت ذلك فقال يا بنى انه ليس بجبار فدعوته صلى الله تعالى عليه وسلم فخرج ومعه قباء من ديباج مزرور بالذهب فقال يا مخرمة خبأت لك هذا فجعل صلى الله تعالى عليه وسلم يريه محاسنه ثم أعطاه له فنظر اليه وقد رضى وكان فيه شدة واستئثار (اذ المباهاة) أى اظهار الفخر باللباس والعجب به والتزين وأصل معنى المباهاة المفاخرة فنزل ذلك بمنزلتها (فى الملابس) جمع ملبس وهو واللباس بمعنى (والتزين بها) أى اظهار الزينة بالملابس (ليست من خصال الشرف والجلالة) أى المغالات فى ذلك واظهاره ليس مما يعد شرفا ولا مما يقصده الاشراف وقال الفقهاء رضى الله تعالى عنهم لبس الثوب الجميل للتزين مباح فى الجمع والاعياد ومجامع الناس وما يستر العورة ويدفع الحر والبرد واجب وما فيه جمال لصاحبه مسنون بشرط ان لا ينوى به العظمة والزينة بل اظهار نعمة الله وتعظيم من يجتمع لملاقاته وقد كان صلى الله عليه وسلم يفعله وقالت فى ذلك

نصيحة لطيفة * قالت بها الاكياس
كل ما اشتهيت والبس * ما تشتهيه الناس

(٢) اعلم ان الديباج لفظ فارسى معرب ديباى أى عرب بابدال الياء الاخيرة

(و)

جيما وقيل أصله ديبا وعرب بزيادة الجيم العربية وفى شفاء الغليل ديباج معرب ديوباف أى نساجة الجن كما قاله الزبيدى فى تاج العروس فاحفظه قاله مصححه

(٣) ومنه قول العجاج (وفاحما ومرسنا مسرجا) أراد تشبيه حسن الانف ولطافته فى الدقة والاستواء بالسيوف السريجية وسريج كزبيرقين معروف تنسب تلك السيوف اليه وقيل أى كالسراج فى البريق واللمعان كذا فى القاموس فبان من هذا ان فعل يأتى للتشبيه كثيرا كما ذكر فى محله وان أنكره أهل المعانى فلا عبرة بانكارهم كما قال الشارح قاله مصححه

(وهى) أى تلك الملابس (من سمات النساء) بكسر السين أى من خصال النسوة وعلاماتهن المتزينة بالحلى الصورية (والمحمود) أى الممدوح (منها) أى من الملابس المطلقة (نقاوة الثوب) بفتح النون النظافة وفى نسخة بضمها وهى خياره لكنه غير ملائم للمرام فى هذا المقام (والتوسط فى جنسه) لورود الذم عن لبس الشهرتين (وكونه لبس مثله) أى لباس بعض أمثاله حال كونه (غير مسقط لمروءة جنسه) أى ابناء جنسه وفى نسخة حسبه بفتحتين فوحدة (مما يؤدى) أى يؤول (الى الشهرة فى الطرفين) أى المكتنفين من الاعلى والادنى للتوسط افراطا وتفريطا وخير الامور أوساطها وقد قال الثورى كانوا يكرهون الشهرتين الثياب الجيدة والثياب الرديئة اذ الابصار تمتد اليهما جميعا وقد ورد النهى عن الشهرتين أيضا (وقد ذم الشرع ذلك) أى ما ذكر من الشهرتين أيضا أو المباهاة فى الملابس (وغاية الفخر فيه) أى فى ذلك المذموم (فى العادة عند الناس انما تعود) أى ترجع غايته (الى الفخر بكثرة الموجود ووفور الحال) أى وسعة الجاه وكثرة المال وقد سبق ان هذا مذموم فى المآل (وكذلك التباهى) أى ومثل الفخر حكم الافتخار (بجودة المسكن) أى بتجصيصها وتزيينها وتبييضها (وسعة المنزل) بفتح السين أى من جهة طولها وعرضها زيادة على مقدار الحاجة (وتكثير الآلة) أى أمتعة وظروفه ومفارشه

(و) انما (هى من صفات النساء) أى المباهاة والتزين انما يقصده النساء ومن فى حكمهم كالاطفال وأكثر ما رأينا ذلك فى محدث النعمة ومن لا قدر له (والمحمود منها) أى ما يحمد منها عند الله وعند الناس من صفات الملابس (نقاوة الثوب) بفتح النون وضمها أى كونه نقيا من الوسخ والنجاسة وهو مصدر ويهمز فيقال نقاءة بمعنى نقاء وفى البستان يستحب للرجل الذى له مروءة وعلم أن تكون ثيابه نقية من غير كبر ورأى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم رجلا وسخت ثيابه فقال أما وجد هذا شيأ ينقى ثيابه وقال أيضا ما على الرجل حرج ان يتخذ ثوبين سوى ثوبى مهنته وفى المثل المروءة الظاهرة فى الثياب الطاهرة وقال البرهان النقاوة بضم النون الخيار والظاهر هنا فتحها وهى النظافة كالنقاء بزنة السخاء (والتوسط فى جنسه) أى المحمود فى اللباس استعمال الوسط منه فلا يكون نفيسا جدا ولا خسيسا (وكونه لبس مثله) بضم اللام بمعنى اللازم أى كونه مما يلبسه أمثاله من جنسه فينبغى ان يوافق أقرانه فى لباسه فلا يخالفهم فيوقع الناس فى الفتنة ونهى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عن الشهرتين فى اللباس المرتفعة جدا والمنخفضة جدا وقال مبارك الموصلى أكثر الناس فى مدح الملابس وذمها واللازم ان يلبس كل أحد على قدر حاله فلا يلبس الغنى ما هو دون حاله ولا الفقير ما هو فوق حاله ولا يتزين العالم بزى الجاهل ولا الجاهل بزى العالم وعنه صلى الله تعالى عليه وسلم لا يشبه الزى بالزى حتى يشبه القلب بالقلب والى ما ذكرناه أشار بقوله (غير مسقط لمروءة جنسه) أى مما بعد مسقطا لمروءة أمثاله (مما لا يؤدى الى الشهرة فى الطرفين) أى غاية التعظيم وغاية الخسة فيكون بين بين وخير الامور أوسطها والشهرة اسم من الاشتهار وهو الظهور بين الناس لامتداد النظر لما لم يعهد قال النووى كانوا يكرهون الشهرتين الثياب الجياد والثياب الرذلة اذ الابصار تمتد اليهما جميعا وبهذا ورد الحديث فلبس المرقعات أمر مكروه شرعا وربما يكون حراما اذا قصد اظهار الزهد للطلب كما تراه اليوم وما نهى الشرع عنه كالحرير خارج عما نحن فيه وأما توسيع الاكمام كما يفعله الفقهاء فخالف للسنة كتكبير العمائم وقد قال ابن الحاج انه مكروه وبدعة قبيحة وسرف وتضييع للمال الا ان ابن عبد السلام والسبكى قالا اذا كان ذلك شعار العلماء يندب ليعرفوا فيسألوا و يطاعوا فاذا كان كذلك فى نفس الامر لا يسقط المروءة وقال السبكى انه استنبطه من الآية فى نساء النبى يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين ومثله لباس الخضرة للاشراف فاختار علماء الشافعية انه سنة وليس من الشهرة المنهى عنها لاهله ولبس ثياب الفقراء مع القدرة على غيرها البروج حاله عند الظلمة ويجعله مكتسبا له منهى عنه وفى الحديث من لبس ثوب شهرة فى الدنيا ألبسه الله ثوب مذلة يوم القيامة (وقد ذم الشرع ذلك) كما عرفته وذلك اشارة الى المباهاة فى الملابس والتزين بها (وغاية الفخر فيه عند الناس انما يعود الى الفخر بكثرة الموجود ووفور الحال) يعنى ان كثرة المال والملابس عند العقلاء غير محمودة لانها مذمومة شرعا غير مقصودة لذاتها وأما العوام فيفتخرون بكثرتها وتعددها حتى رأينا بعض الحمقاء يلبس فى المجلس الواحد ألوانا من الثياب والغاية النهاية وأصلها غيية بياءين أعلت أولاهما التحصن الثانية بتاء التانيث وكثرة الموجود المراد به ما عنده من المال ونحوه ووفور الحال المراد به قوة حاله وقدرته على ما لا يقدر عليه غيره فالوفور على ظاهره أو بمعنى القوة (وكذلك التباهى) أى مثل التفاخر بما ذكر التفاخر (بجودة المسكن) أى حسنه بحسن بنائه وزخرفته وعلوه والجودة بفتح الجيم وجوز ضمها ابن رسلان وهو كذلك فى القاموس (وسعة المنزل) لانه مما يتمدح أهل الدنيا به وقد قالوا خير المنازل ما سافر فيه النظر وقد قالوا الدار الضيقة العمى الاصغر ثم اتبع ذلك بما يتبعه فقال (وتكثير الآلة) آلات جمع آلة والآلة

مايصنع به الاعمال كالقدوم للنجار والابرة للخياط والمراد به هنا لوازمه كالفراش وأوانيه (وخدمه) جمع خادم وفعل بفتحتين جمع سمع منه ألفاظ معدودة (ومركوباته) كالخيول والبغال وغيرها واضافتها للمنزل لأدنى ملابسة أولانها فيه فقل هذه الامور لا يفتخر بكثرتها الا ذوو العقول السخيفة ومن له حرص على حطام الدنيا * (تنبيه) * لا يكره البناء للحاجة وان طال والاخبار الدالة على منع ما زاد على سبعة أذرع وان فيه الوعيد الشديد محمولة على من فعل ذلك للخيلاء والتفاخر على الناس ويكره الزيادة عليها لغير حاجة أي من حيث القدر وفي معناه على ما هو الظاهر ما لا تدعو الحاجة اليه من حيث الوصف كأن تتخذ زينة من نحو العنبر والعود والدر * فان قلت يشكل ذلك بان الظاهر انه لا كراهة في تناول نفس الاطعمة والملابس على ما تقدم * قلت يفرق بان النفيس منهما قد ينفع البدن أو يحتاج اليه لمصلحة بخلاف المسكن لان كل ما زاد منه على ما يدفع نحو الحر والبرد لا مصلحة فيه للبدن وهل تختص كراهة ما زاد على الحاجة بالبناء حتى لا يكره شراء ما زاد منه على الحاجة فيه نظر ولا يبعد عدم الفرق نظرا للمعنى نبه عليه شيخنا ابن قاسم رحمه الله ثم بين المصنف أن النبي حائز للفضيلة المالية أيضا وواصل منها ما لم يصل اليه غيره ولذا قالوا لا يجوز أن يقال في حق النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه فقير على ما سيأتي في آخر الكتاب (ومن ملك الارض) بتمليك الله اياها له فلو أراد ملكها من المشرق للمغرب يسره الله له في طرفة عين وقد خيره الله تعالى بين الملك والعبودية فاختار العبودية كما مر (وجيء اليه مافيها) أي جمع له ما فيها من الغنائم وجزيتها وصدقاتها مما فتح في زمانه (فترك ذلك) أي المال المحي (زهدا وتنزها) أي لاجل الزهد والتنزه عن قبوله والزهد هو الترك لاجل الله فالزهد أخص من الترك وكلاهما مفعول لاجله ويجوز جعلهما تمييزا والزهد الرغبة عن الدنيا مع القدرة عليها رغبة في الآخرة ولا يتصور ممن لا مال له ولا جاه وقيل لابن المبارك يا زاهد فقال الزاهد عمر بن عبد العزيز اذ جاءته الدنيا راغمة فتركها أما أنا ففيم زهدت حجة على وهو من أعلى المقامات وفي الحديث ازهد في الدنيا يحبك الله ويقال زهد فيه وعنه وقوله (فهو حائز) جواب من أو خبرها وحائز بالحاء المهملة والزاء المعجمة أي جامع ومحصل (لفضيلة المال) أي من كان كذلك حاز فضيلة المال التي يفتخر بها أهل الدنيا وقادر على التنعم والتلذذ بها الا انه لا يريد ذلك (ومالك للفخر بهذه الخصلة) المالية الا انه لا يفعله كأهل الدنيا وقيل المراد بالخصلة الزهد والتنزه وهذا هو الذي يلتئم مع قوله (ان كانت فضيلة زائدا عليها في الفخر) أن بفتح الهمزة مفسرة بمعنى أي كما قال التلمساني رحمه الله تعالى وهو تحقيق واثبات للفضيلة التي حازها من الزهد والتنزه عن الدنيا الفانية وكان تامة أو ناقصة والتقدير كانت تلك فضيلة زائدة على فضيلة المال ولكن الظاهر أن يقول زائدة وزائدا على هذا منصوب صفة وقيل ان صح نصبه فهو حال من فاعل حائز وقال بعض الشراح فيه دليل على عدم الجزم بكونها فضيلة وفيه نظر اذ لا يتحقق الكرم بدونها قطعا وهذا مبني على ان ان شرطية مكسورة الهمزة وهو مبني على ان المراد بالخصلة المالية لا الزهد وفي الشرح الجديد ما ذكر من نصب زائدا على الحالية ان صحت روايته فانه في بعض النسخ مرفوع ومعرق الآتي مرفوع في جميع النسخ وعندي ان نصب زائدا على انه حال من فاعل مالك لا حائز أي هو مالك للفخر بهذه الخصلة حال كونه زائدا عليها في الفخر لعدم التفاته لها واكتراثه بها فهو في ملكها غير مساو لغيره ممن ملكها وفخره بهذه الفضيلة على تقدير كونها فضيلة ليس مساويا الفخر من افتخر بها فقد ملكها حالة كونه زائدا على سائر ملاكها باعراضه عنها فزائدا وصف له صلى الله تعالى عليه وسلم والاولى انه صفة مصدر هو مفعول مطلق لمالك أي مالك ملكا زائدا على هذه الفضيلة باعراضه عنها انتهى وهذا محصل ما في جميع الشروح وقوله في الفخر متعلق بقوله زائدا * وأقول لا يخفى ان هذا كله كلام مظلم لا ينور به كلامه وتحقيقه ان يقال هو مبتدأ حائز خبره ومالك معطوف عليه وان مكسورة شرطية وكانت ناقصة

(وخدمه) أي من عبيده وجواريه ٤٧٨ (ومركوباته) أي زيادة على مقدار حاجاته (ومن ملك الارض وجيء اليه) بصيغة المجهول أي أتى اليه (مافيها) من كل زوج كريم وصنف جسيم (فترك ذلك) أي مع القدرة عليه (زهدا وتنزها) أي رفعة للنفس وبعدا عما يشينها فان الزهد هو عزوب النفس عن الدنيا مع القدرة عليها رغبة في العقبى وهذا في الحقيقة لا يتصور ممن لا مال له ولا جاه على وجه الكمال ولهذا ما قيل لابن المبارك يا زاهد قال الزاهد عمر بن عبد العزيز اذ جاءته الدنيا راغمة فتركها أما أنا ففيم زهدت والزهد أعلى المقامات وأعلى الحالات وقد ورد ازهد في الدنيا يحبك الله اذ جعله سببا لمحبة الله له (فهو حائز) أي جامع ومشتمل (لفضيلة المالية) التي هي أسباب التلذذ بالاعراض الدنيوية والاغراض الشهوية (ومالك للفخر) أي للافتخار في العادة بين العامة (بهذه الخصلة) أي الكثرة المالية والوسعة الجاهية (ان كانت فضيلة) بسبب ما مر من كونه وسيلتها والا فليست هي فضيلة في ذاتها فان شرطية تقديرية وقال التلمساني هي بفتح الهمزة وهي تفسيرية ولا يخفى بعد ما قاله (زائد عليها في الفخر

اسمها

اسمها ضمير للفضيلة أو للمالية وفضيلة منصوب خبرها وقوله زائدا خبر ثالث والخبر اذا تعددت يجوز عطف الجميع وترك عطفها وعطف بعضها دون بعض كالصفات وترك العطف فيه لانه ليس من جنس ما قبله لان الفضيلة الدنيوية ليست من جنس ما زاد عليها في الفخر والفضيلة لان الاول أمر دنيوى لافخر فيه باعتبار ذاته بل باعتبار ما يترتب عليه اذا صرف في وجوه الخيرات من الثواب ونصرة الدين ولذلك أتى فيه بان الشرطية لانه لكونه ذا وجهين اذ لافضيلة له بحسب ذاته فيترا آى انه لافضيلة له أصلا فان نظر لما يترتب عليه فله فضيلة لكنها لكونها غير ذاتية كانها غير محققة أى هو زائد على تلك الفضيلة المالية في فخره بالامور الدنيوية لو اراد الزيادة بما يأتيه لو بقى على ما عند غيره أو لكونه مكسبه طيبا ومصرفه في محله وفيه من الفوائد ما لا يتيسر لغيره فحاصل المعنى انه صلى الله تعالى عليه وسلم حاز من الغنى وفضل المال والفخر به وان لم يعبأ به ما لم يحز بعضه غيره ولذا قال بعض العرب كما سيأتى ان محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم يعطى عطاء من لا يخاف الفقر وزاد غناه على غنى غيره فوائد لا تتيسر لغيره ويجوز نصب زائدا على أنه حال من ضميره صلى الله تعالى عليه وسلم وما مر من أنه لا يتحقق الكرم بدونه فكيف لا يكون فضيلة ليس بشئ فان المراد انه ليس فيه فضيلة ذاتية وما ذكره لا ينافيه كما لا يخفى (ومعرق فى المدح) بضم الميم وسكون العين المهملة وكسر الراء المخففة وفتحها مع التخفيف والتشديد والاول هو القياس من أعرق الرجل والشجر اذا اشتدت وامتدت عروقه والمعنى انه صلى الله تعالى عليه وسلم أصل فى الكرم والحسب قال

أمحمد يا خير ضنء كريمة * فى قومها والفحل فحل معرق

وقد يقال فى اللوم تهكما وعرق الثرى آدم قال امرؤ القيس * الى عرق الثرى وشجت عروقى * وهو مرفوع معطوف على قوله زائد فان نصب نصب يعنى ان الناس تتمدح بالمال بكثرة جمعه وكذلك النبى صلى الله تعالى عليه وسلم جمع له ما جمع لاهل الدنيا وهو زائد عليهم فى ذلك وأصيل فى المدح بذلك لانها لا قيمة لها عنده كما أشار اليه بقوله (باضرابه عنها) أى بسبب اعراضه عن الجهة المالية (وزهده فى فائتها) بالفاء ومثناة تحتية ثم فوقية أى يزهد فيما هو فائت منها أى ذاهب كما قال تعالى لا تأسوا على ما فاتكم وفى بعض النسخ فانيها بنون بعد الالف (وبذلها) بموحدة وذال معجمة أى اعطائها (فى مضانها) من الضنة بالضاد المعجمة والنون أى يجود صلى الله تعالى عليه وسلم فى محال تبخل فيها الناس كذا ضبطه وفسره التلمسانى وهو فى غاية الحسن والظهور وضبطه البرهان الحلبى بالظاء المشالة وعليه الرواية فى أكثر النسخ مظنة بالكسر وهى الموضوع الذى يظن كونها فيه فالمعنى انه صلى الله تعالى عليه وسلم يبذلها فى محلها الذى يرجى فيه كمحال البر والصدقة

* (فصل وأما الخصال المكتسبة) أى الصفات الحميدة التى ليست ضرورية ولا طبيعية (من الاخلاق الحميدة) من هنا تبعيضية أو بيانية (والآداب الشريفة) جمع أدب وهو الافعال المستحسنة فى معاملة الناس ومخالطتهم (التى اتفق جميع العقلاء على تفضيل صاحبها) أى من قامت به (وتعظيم المتصف) واتصف بها (بالخلق الواحد منها) أى يمدح بكل واحد منها منفردا (فضلا عما فوقه) أى عما زاد على الواحد منها وفضلا يفيد ان ما بعده أولى بالحكم مما قبله كقولهم فلان لا يملك درهما فضلا عن دينار ولابن هشام فيه رسالة مستقلة فى بيان اعرابه ومعناه وهى مشهورة الا أنهم قالوا انها تلزم الوقوع بعد نفى صريح أو مأول كقوله

قلما يبقى على هذا القلق * صخرة صماء فضلا عن رمق

لان قل ورد بمعنى النفى لان القلة أخت العدم ولا يختص هذا بكونها مكفوفة كما قاله ابن هشام والمصنف

ومعرق) بضم الميم وكسر الراء وتفتح أى له عرق أى أصل (فى المدح) والمعنى هو زائد بهما على فضيلة المال (باضرابه) بكسر الهمزة أى بسبب اعراضه (عنها وزهده فى فانيها وبذلها فى مظانها) بفتح ميم وتشديد نون أى محالها من صلة رحم وجهة بر وهو بالظاء المشالة وقد تصحف على التلمسانى فضبطه بالضاد وقال أراد مواضع البخل

(فصل)

(وأما الخصال المكتسبة) وتسمى ملكات نفسانية لانها تخلقات كسبية لا سجية جبلية (من الاخلاق الحميدة) أى المحمودة من الشمائل المعدودة من الاحوال السعيدة (والآداب الشريفة) أى الناشئة من النفوس النفيسة اللطيفة (التى اتفق جميع العقلاء) أى من الفضلاء والعلماء اذ لا عبرة بالجهلاء (على تفضيل صاحبها) أى بالنسبة الى فاقدها (وتعظيم المتصف) بتشديد التاء المثناة أى المتلبس والمتخلق (بالخلق الواحد منها فضلا عما فوقه) أى أكثر منه مما أجمع على حسنها وطوبى لمن جمعها بأجمعها

(وأثنى الشرع على جميعها وأمر بها) أي جمعا وافرادا مجملا ومفصلا (ووعد السعادة الدائمة) أي تعلقها (للمتخلق بها) أي للذي اتخذها خلقا كما هو مذكور في الترغيب والترهيب وكتب الاخلاق من الاحياء وغيره (ووصف بعضها بانه من أجزاء النبوة) كحديث السمت الحسن والتؤدة والاقتصاد جزء من أربع وعشرين جزأ من النبوة وحديث ان الهدى الصالح والسمت الصالح والاقتصاد جزء من خمس وعشرين جزأ من النبوة والمعنى ان هذه الخصال منحها الله تعالى أنبياءه فهي من شمائلهم وفضائلهم وانها جزء من أجزائها فاقتدوا بهم فيها الا ان النبوة تتجزأ ولا ان من جمعها يكون نبيا اذ النبوة غير مكتسبة بل هي كرامة مختصة بمن

استعمالها هنا في الاثبات لان معنى الواحد الذي لا يتعدد فلا اشكال في كلامه (وأثنى الشرع على جميعها وأمر بها) فيدل الثناء عليها على حسنها والامر بها على انها مكتسبة والا لم يكن للامر بها فائدة وفيه دليل على جواز تغيير الطباع وتبدلها وقوله والطبع في الانسان لا يتغير أول أو أكثري (ووعد السعادة الدائمة) منصوب بنزع الخافض أي وعد بالسعادة أو هو مضمن معنى أعطى (للمتخلق بها) أي الذي اتخذها خلقا واتصف بها اذا قصد بذلك وجه الله وليس المراد المتكلف المتصنع باظهار ما ليس فيه فانه مذموم كما قيل

يا أيها المتحلي غير شيمته * ان التخلق يأبى دونه الخلق

(ووصف بعضها بانه من أجزاء النبوة) كما ورد في الحديث السمت الحسن والتؤدة والاقتصاد جزء من أربع وعشرين جزأ من النبوة وورد في حديث آخر ان الهدى الصالح والسمت الصالح والاقتصاد جزء من خمس وعشرين جزأ من النبوة وهذا هو الذي أشار اليه المصنف أي هذه الخصال من شمائل الانبياء وفضائلهم عليهم الصلاة والسلام وليس معناه ان النبوة تتجزئ أو تكتسب بجمع هذه الخصال لانها كرامة يخص الله بها من يشاء من عباده (وهي المسماة بحسن الخلق) قيل أطلق عليها خلقا لكونها ناشئة عنه والا فحسن الخلق هيئة للنفس باعثة على الافعال الحسنة والشيم الشريفة وهنا أربعة أمور صدور الفعل الحسن والقدرة عليه ومعرفته والهيئة الحاملة للنفس على صدور ذلك عنها وليس حسن الخلق عبارة عن الاول لان ذلك قد يصدر عنه تكلفا أو رياء ونحوه ولا عن الثاني لان تعلق القدرة بالسيئ والحسن على السوية ولا عن الثالث لذلك فتعين الرابع انتهى وقيل ان المصنف جعل الخصال الحميدة حسن خلق وجعلها مكتسبة فانها كسبية في أول أمرها ثم تصير سجية وطبيعة وهو مبني على الاصح من ان الاخلاق مكتسبة قابلة للتغير كما عليه المحققون والخلق هيئة راسخة في النفس تصدر عنها الافعال بسهولة ثم أطال بما لا طائل تحته والثمرة تدل على الشجرة فكن على بصيرة (وهو) أي حسن الخلق (الاعتدال في قوى النفس وأوصافها) قوى جمع قوة وليست الشدة وضد الضعف كما توهم بل الامور المذكورة في الخلق كما يسمى المتخيلة قوة ونحوها من سائر القوى النفسية واعتدال القوى ان لا تخرج الى حد الافراط والتفريط فاعتدال قوة العقل يعبر عنه بالفطنة والكياسة فان مالت الى الافراط تسمى مكرا وخداعا وان مالت الى التفريط تسمى بلها وحمقا وكذا اذا اعتدل قوة الغضب تسمى شجاعة فان أفرطت فهي تهور وان مالت الى التفريط تسمى جبنا فطرفا كل قوة مذموم والاعتدال هو الوسط المحمود وهو المعبر عنه بحسن الخلق كما أشار اليه بقوله (والتوسط فيها دون الميل الى منحرف أطرافها) منحرف بكسر الراء من اضافة الصفة الى موصوفها أي أطرافها المنحرفة والمنحرف بمعنى المائل والمراد بالاطراف ما بيناه ويجوز فتح رائه على انه مصدر ميمي بمعنى الانحراف والاول أولى (فجميعها) أي جميع الخصال الحميدة (قد كانت خلق نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم) أنث ضمير جميع لاكتسابه التأنيث من المضاف اليه (على الانتهاء في كمالها) حال من ضمير كانت أي مستقرة تلك

تعلقت به المشيئة أو المعنى ان هذه الخصال جزء من خمس وعشرين جزأ مما جاءت به النبوة ودعت اليه أصحاب الرسالة وتانيث أربع وخمس على معنى الخصال أو القطعة مع ان الاجزاء تجري مجرى الكل في التذكير والتأنيث (وهي) أي الخصال المكتسبة التي ورد باستحسانها الكتاب والسنة هي (المسماة بحسن الخلق) أي في الجملة (وهو) أي حسن الخلق (الاعتدال في قوى النفس وأوصافها والتوسط فيها دون الميل الى منحرف اطرافها) فان لها ثلاث قوى نطقية اعتدالها حكمة وشهوية اعتدالها عفة وغضبية اعتدالها شجاعة فللنطق طرف افراط هو الجربزة كاستعمال الفكرة واشتغال الآلة فيما لا ينبغي وتفريط وهو الغباوة كتعطيل الفكرة عن اكتساب العلوم وافادتها واستفادتها وللشهوة طرف افراط هو الفجور كالانهماك الاخلاق
في اللذات وتفريط هو الخمود كترك ما رخص شرعا وعقلا من اللذات وللغضب طرف افراط هو التهور كالاقدام على ما لا ينبغي وتفريط هو الجبن كترك الاقدام على ما ينبغي فما بينهما هو التوسط في الاخلاق المسماة مثلا بالحكمة والعفة والشجاعة وأما قول الدلجي فللحكمة والعفة والشجاعة طرف افراد وتفريط خبط وتخبيط (فجميعها قد كانت خلق نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم على الانتهاء في كمالها

والاعتدال الى غايتها) يحتمل عطف الاعتدال على الانتهاء وهو الظاهر الانسب فى المعنى والعطف على كمالها وهو خلاف المتبادر لكنه الاقرب فى المبنى (حتى) أى الى حد (أثنى الله عليه بذلك فقال وانك لعلى خلق عظيم) وقد قيل هو وما أمر به من قوله سبحانه وتعالى خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين وقيل هو ما ورد من قوله صلى الله تعالى عليه وسلم هو ان تعفو عمن ظلمك وتصل من قطعك وتعطى من منعك والاكمل فى تفسيره ما ذكره المصنف بقوله (قالت عائشة رضى الله ٤٨١ تعالى عنها) أى وقد سألها سعيد ابن بن هشام عن خلقه صلى الله تعالى عليه وسلم (كان خلقه القرآن) بالرفع ويجوز نصبه زاد البيهقى فى دلائله على ما هو فى بعض النسخ (يرضى برضاه) أى يرضى ما فيه من الواجب والمندوب والمباح (ويسخط بسخطه) أى ويغضب ويكره ما ينافيه من الحرام والمكروه وخلاف الاولى وزاد فى نسخة يعنى التأدب بآدابه والتخلق بمحاسنه والالتزام لاوامره وزواجره (وقال عليه الصلاة والسلام) على ما رواه أحمد والبزار (بعثت لاتمم مكارم الاخلاق) ورواه مالك فى الموطأ ولفظه بلغنى ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال بعثت لاتمم حسن الاخلاق ورواه البغوى فى شرح السنة بلفظ ان الله بعثنى لتمام مكارم الاخلاق وكمال محاسن الافعال أى الملكات النفسية والحالات القدسية التى جمعها حسن الخلق المتضمن لاداء حق الحق والخلق عما لا يستحصى ولا يتصور ان يستقصى وفيه ايماء الى ان الانبياء كانوا موسومين بالاخلاق الرضية والشمائل البهية الا انها لم تكن على وجه الكمال الذى لا يكون فوقه كمال وانه صلى الله تعالى عليه وسلم مجتمع الاخلاق العلية ومنبع الاحوال السنية بحيث لا يتصور فوقها كمال حتى من تعدى عن ذلك الحد وقع فى النقصان فى المآل ويدل على ما قررنا على وجه حررنا حديث مثلى ومثل الانبياء قبلى كمثل قصر أحسن بنيانه وترك منه موضع لبنة فطاف به النظار يتعجبون من حسن بنيانه الا موضع تلك اللبنة فكنت أنا سددت موضع اللبنة ختم بى النبيون ويشير الى هذا المبنى قوله تعالى اليوم

الاخلاق الحسنة على انتهاء الكمال بتشبيه تمكنها واستقرارها بتمكن الراكب على مركوبه كما تقرر فى قوله تعالى على هدى من ربهم (والاعتدال الى غايتها) معطوف على كمالها أى وصلت الى غاية الاعتدال والسداد (حتى) غاية للغاية (أثنى الله عليه بذلك فقال وانك لعلى خلق عظيم) أى مستقر ثابت على خلق يستعظمه كل واقف عليه لحسن مداراته وتحمل أذى قومه وملاطفته لهم كما تضمنه قوله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين (قالت عائشة رضى الله تعالى عنها كان خلقه القرآن يرضى برضاه ويسخط بسخطه) أى كان صلى الله تعالى عليه وسلم متمسكا باوامره ونواهيه وما يشتمل عليه من مكارم الاخلاق ومحاسن الآداب لا يتعداها فيرضى بكل ما يرضى الله ويسخط كل ما لا يرضاه كل ذلك لله لا لحظ نفسه وقال السهروردى قدس الله روحه فى عوارف المعارف فى كلام الصديقة بنت الصديق رضى الله تعالى عنهما سر غامض وذلك ان النفوس البشرية مجبولة على طبائع وصفات شيطانية وبهيمية وسبعية والى الاولى أشار بقوله تعالى خلق الانسان من صلصال كالفخار لدخول النار فى الفخار وخلق الجان من مارج من نار والله بعظيم عنايته نزع حظ الشيطان منه كما ورد فى حديث شق صدره فبقيت نفسه الزكية على حد النفوس البشرية مبقاة فيها امهات تلك الصفات الا انها فى غيره ممتزجة بظلمة الطبائع لتفاوت حاله عن حالهم فتنزل الآيات لقمعها تأديبا من الله لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم رحمة خاصة به وعامة للامة موزعة على الاوقات عند ظهور الصفات كما قال تعالى كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا فثبت فؤاده بها عند ظهور بعض الصفات لارتباطه بنفسه فعند كل اضطراب تنزل آية لاصلاح سنية كما وقع فى أحد اذ شج صلى الله تعالى عليه وسلم فقال كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم الى ربهم فانزل عليه ليس لك من الامر شئ فلبس قلبه لباس الاصطبار وفاء بعد الاضطراب الى القرار فلما توزعت الآيات على تلك الصفات بحسب الاوقات صفت الاخلاق النبوية بالقرآن وفى ابقاء أمهات تلك الصفات تهذيب للامة وتأديب لنفوسهم ولا يبعد ان يقال فى كلامها رضى الله تعالى عنها رمز وايماء خفى الى الاخلاق الربانية فاحتشمت ان تقول كان متخلقا باخلاق الله وعبرت بقولها كان خلقه القرآن استحياء من سبحات الجلال وسترا للحال بلطيف المقال لوفور علمها وكمال أدبها رضى الله عنها انتهى ولا يخفى ان خلقه فى كلامها اسم كان والقرآن خبرها وما قيل من انه على العكس بضبط النسخ الصحيحة ويجوز بحسب العربية عكسه لانهما معرفتان لا وجه له فان خلقه صلى الله تعالى عليه وسلم معلوم والذى قصد اثباته انما هو بيان حاله وما تخلق به وهذا انما اتفق عليه النحاة وأهل المعانى فالوجه هو الاول وهذا الحديث رواه البيهقى فى دلائل النبوة بتمامه والسخط ضد الرضى وقد يقابل الرضى بالاكراه فله معنيان وعليه مبنى الخلاف فى رضى الله تعالى بالكفر وعدمه كما فصلناه فى حواشى البيضاوى وقوله (وقال عليه الصلاة والسلام بعثت لاتمم مكارم الاخلاق) حديث صحيح رواه أحمد

أكملت لكم دينكم (قال أنس رضى الله عنه) فيما رواه الشيخان (كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أحسن الناس) أي من الاولين والآخرين (خلقا) بشهادة الله الكريم وانك لعلى خلق عظيم (وعن على بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه مثله وكان) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (فيماذكره المحققون مجبولا) أي مخلوقا ومطبوعا (عليها من أصل خلقته) أي من ابتداء نشأته الروحية (أول فطرته) أي خلقته الجسدية وفي بعض النسخ في أصل خلقته بالظرفية بدلا من من الابتداء (لم تحصل له باكتساب ولا رياضة) خلافا لما قاله الفلاسفة والحكماء الرياضية (الابجود الهى) أي لكن حصلت له بجذبة صمدانية (وخصوصية ربانية وهذا) أي وكذا فعل الله (لسائر الانبياء) وفي رواية سائر الانبياء أي باقي الانبياء الماضية واما وجود الاخلاق الجميدة في غيرهم فقيل انها جبلية وطبيعية مثل الانبياء وهذا بعيد عن مشرب الاصفياء ولو مال اليه الطبراني من العلماء وقيل مكتسبة لا جبلية ولا طبيعية وهذا قول ظاهر البطلان لمشاهدة تفاوت الاحوال في اخلاق الاطفال والصبيان كما يدل عليه حكاية حاتم الطائي وأخيه ورواية أمهما في ابتداء ارضاعهما وقيل منها ما هي جبلية طبع عليها في أول الخلقة وما هي كسبية تحصل بالرياضة وتصير لصاحبها ملكة ويؤيده حديث أشج عبد القيس حيث قال له صلى الله تعالى عليه وسلم ان فيك لخصلتين يحبهما الله ورسوله الحلم والاناءة فقال يا رسول الله أشئ من قبل نفسي أو جبلني الله عليه فقال جبلك الله عليه فقال الحمد لله الذي جبلني على خلقين يرضاهما الله ورسوله والتحقيق ان حال الانسان مركب من الاخلاق المحمودة الملكية ومن الاخلاق المذمومة الشيطانية فان مال الى الاولى فهو خير من الملائكة المقربين وان مال الى الثانية فهو شر من الشياطين وتحقيق هذا المرام لا يسعه الكلام في هذا المقام وقد صنف في هذا المبحث كتب الاخلاق منها الناصرية ومنها الدوانية ومنها الكشافية وقد حقق الامام الغزالي في الاحياء الادلة على وجه الاستقصاء (ومن طالع سيرهم) أي سلوك الانبياء في سيرهم (منذ صباهم الى مبعثهم) أي من مبدأهم الى منتهاهم (حقق ذلك) أي عرف حقيقة ما ذكر من ان اخلاقهم مرضية وهبية لا رياضية كسبية

عن معاذ والبزار عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه بهذا اللفظ ورواه مالك في الموطأ وغيره بغير هذا اللفظ ومكارم الاخلاق كانت موجودة قبله لا سيما في العرب فتممها صلى الله تعالى عليه وسلم بشريعته السمحة وزاد فيها ما لم يسبق اليه وجمع ما تفرق منها فيه وفي أمته فهذا على حقيقته وليس من قبيل قولهم ضيق فم الركية كما لا يخفى (قال أنس رضى الله تعالى عنه كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أحسن الناس خلقا) وهو حديث صحيح رواه الشيخان وقال الحليمي وصف خلق النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بانه عظيم في الآية والغالب وصفه بالحسن كما في هذا الحديث لان حسن الخلق وكرمه يراد به اللين والسماحة ولم يكن خلقه مقصورا على ذلك بل كان رحيما رؤفا بالمؤمنين عائدا على الكفار مهيبا في صدورهم فكان وصفه خلقه بالعظم أولى ليشمل الانعام والانتقام ولذا أردفه المصنف رحمه الله تعالى بحديث أنس خادم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وفي مسلم عنه خدمت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عشر سنين والله ما قال لي أف قط (وعن على بن أبي طالب مثله) أي روى عن على كرم الله وجهه مثل ما قاله أنس رضى الله تعالى عنه كما ذكره أبو عبيد في الغريب (وكان) صلى الله تعالى عليه وسلم (فيماذكره المحققون مجبولا) أي مخلوقا مطبوعا (عليها) أي على مكارم الاخلاق (في أصل خلقته وأول فطرته) التي فطره الله تعالى عليها أي من غير تكلف ولا تعلم (لم تحصل باكتساب ولا رياضة الا بجود الهى وخصوصية) بفتح الخاء وضمها (ربانية) منسوبة للرب على خلاف القياس (وهكذا) أي مثل هذا من جمع مكارم الاخلاق فطرة ثبت (لسائر الانبياء) عليهم الصلاة والسلام أي لباقيهم أو لجميعهم انهم مجبولون على كرم الاخلاق وحسنها واما غيرهم فبعضها فيهم فطرة وجبلة وبعضها مكتسب واما الخلاف في الاخلاق هل هي جبلية أو كسبية فليس هذا محله كما ذكره بعضهم والحق ان بعضها جبلي وبعضها مكتسب والجبلي لا يقبل التغير والزوال كما سبق تفصيله وفي قوله فيماذكره المحققون اشعار بان خلافهم ذهب الى انها كسبية في الانبياء عليهم الصلاة والسلام فيعلم حال غيرهم بالطريق الاولى ولذا اعترض عليه بانا لا نعلم خلافا في ذلك وخلط بعض الشراح هنا فادخل نفس النبوة في كلامه وجعل هذا اشارة الى مذهب الحكماء في ان النبوة تحصل بالرياضة والتصفية ولا حاجة لمثله من التكلف فان مراده الاشارة الى الخلاف في مطلق الاخلاق والفضائل النفسية كما ذكر في كتب الاخلاق وهو أشهر من ان يذكر (ومن طالع سيرهم منذ صباهم الى مبعثهم حقق ذلك) أي كونها خلقية جبلية وانما قيده بقوله الى مبعثهم لان بعد البعثة ونزول الوحي لا يظهر كونه جبليا لتعليم الله تعالى له ذلك باخباره لا ثكته عليهم الصلاة والسلام فلا تقوم الحجة على من يقول انه جبلي حينئذ اما قبله

(كما عرف من حال موسى وعيسى ويحيى وسليمان وغيرهم صلوات الله وسلامه عليهم بل غرزت) بصيغة المجهول أي طبعت وغرست (فيهم هذه الاخلاق في الجبلة) أي الطبيعة الاصلية (وأودعوا العلم والحكمة في الفطرة) أي أول الخلقة الانسانية (قال الله تعالى وآتيناه) أي أعطينا يحيى (الحكم) أي النبوة واتقان المعرفة (صبيا) أي صغيرا (قال المفسرون أعطي يحيى العلم) بصيغة المجهول أو المعلوم ويؤيده نسخة أعطى الله تعالى (بكتاب الله) أي التوراة أو بمضمون كتب الله تعالى مجملة أو مفصلة (في حال صباه) فيه ايماء الى ان صبيا انتصب على الحال من المفعول وقد روي انه نبئ وفهم العلم بالكتاب وهو ابن ثلاث أو سبع (وقال معمر) بفتح الميمين ابن راشد أبو عروة الازدي مولاهم عالم اليمن روى عن الزهري وهمام وخلق وعنه

ابن المبارك وعبد الرزاق أخرج له الائمة الستة (كان) أي يحيى (ابن سنتين أو ثلاث) على ما رواه عنه أحمد في الزهد وابن أبي حاتم في تفسيره والديلمي عن معاذ ولم يسنده والحاكم في تاريخه عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما بسند رواه والتحقيق ان يحيى عليه الصلاة والسلام أعطى هذا المقام وهو في بطن أمه كما ورد من ان السعيد من سعد في بطن أمه وانما قيد سبحانه وتعالى بحال الصبا لتعلق علم الخلق به حينئذ فاختلاف الروايات مبني على اختلاف اطلاع الناس على ما به من الحالات (فقال له الصبيان لم لا تلعب فقال اللعب خلقت) فهمزة الاستفهام للانكار على ما في الاصول المصححة واللعب فيه لغتان فتح اللام وكسر العين وكسر أوله وسكون ثانيه ووقع في أصل الدلجي ما للعب خلقت بما النافية ولعله رواية في المبنى أو نقل بالمعنى ثم أغرب واعترض على معمر في قوله أو على المصنف في اعتماده على نقله حيث قال والذي قاله معمر كان يومئذ ابن ثمان سنين وهو الاصح وما ذكر ههنا غريب في الرواية عنه بشهادة ما رواه ابن قتيبة عن عبد الله بن عمرو بن العاص دخل يحيى بيت المقدس وهو ابن ثمان فنظر الى العباد به واجتهادهم فرجع الى أبويه فمر في طريقه بصبيان يلعبون فقالوا هلم فلنلعب فقال اني لم أخلق للعب فذلك قوله تعالى وآتيناه الحكم صبيا انتهى ووجه الغرابة لا يخفى اذ لا يبعد ان يكون ظهور آثار النبوة عليه كان وهو ابن سنتين أو ثلاث ثم وقع له هذا المقال عقيب هذا ولو بعد سنين مع الاطفال مع انه لا مانع من تعدد الواقعة ولو بالاحتمال

قبله فأمره ظاهر لا يشتبه (كما عرف من حال عيسى وموسى ويحيى وسليمان وغيرهم عليهم الصلاة والسلام) قيل انما خص هؤلاء بالتمثيل لما اشتمل عليه موسى وسليمان من الشهامة ويحيى وعيسى من الانقطاع عن الخلق والسياحة ولذا قدم عيسى على موسى وهو قبله ويحيى على سليمان أو لذكره أخبار هؤلاء في الطفولية وهذا الثاني هو الحق فان هؤلاء وقع منهم أمور في طفوليتهم وأمور الطفولية جبلية من غير شبهة كما أشار اليه بقوله (بل غرزت فيهم هذه الاخلاق في الجبلة وأودعوا العلم والحكمة في الفطرة) غرزت بالبناء للمجهول وأصل معنى الغرز ادخال شئ في شئ فكان الطبيعة أدخلت فيهم ومنه الغريزة وهي الطبيعة. وقال البرهان معنى غرزت خلقت والفطرة الخلقة وفاطر السموات بمعنى خالقها وأودعوا مجهول أيضا من الوديعة ففيه استعارة مكنية وتخييلية وما ذكره من الترتيب في النسخ عندنا مما يخالفه وسيأتي من المصنف رحمه الله تعالى ما يبين ما قلناه (قال الله تعالى * وآتيناه الحكم صبيا) الحكم والحكمة من الحكم وهو المنع ومنه الحكمة بفتحتين سمي به لمنعه من الفساد وكل ما لا ينبغي واختلف في تفسيرها هنا (فقال المفسرون اعطي يحيى العلم بكتاب الله تعالى) يعني التوراة (في حال صباه) اشارة الى ان قوله صبيا في الآية حال وهذا أحد التفاسير فيها وقيل هو الفهم والعلم وقيل هو النبوة وعن ابن عباس رضي الله عنهما كل من قرأ القرآن قبل ان يحتلم فقد أوتي الحكم صبيا وعلى تفسيره بالنبوة فالمراد انه لظهور آثارها كانه أوتيها فهو مجاز بناء على ان الله تعالى لم يبعث نبيا صبيا قط وكذا أول قول عيسى عليه الصلاة والسلام وهو طفل اني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا وقيل الحكم العمل مع العلم (وقال معمر) بن راشد (كان) أي يحيى عليه الصلاة والسلام (ابن سنتين أو ثلاث) وفي بعض النسخ ابن معمر والصواب معمر بدون ابن وتقدم ان معمر بميمين مفتوحتين بينهما عين مهملة ساكنة وراء مهملة وهو معمر بن راشد أبو عروة الازدي المهلبي مولاهم عالم اليمن روى عن الزهري وغيره وروى عنه كثير وأخرج له الائمة الستة وهو ثقة الا ان له أوهاما تحتمل في جنب سعة علمه توفي سنة ثلاث وخمسين ومائة باليمن وله ترجمة في الميزان وقوله ابن سنتين أو ثلاث قيل هذا غريب في الرواية والاصح انه كان ابن ثمان وقيل لا غرابة فيه فانه منقول عن قتادة ومقاتل من طرق والغريب ما انفرد به رواية فكيف يكون غريبا (فقال له الصبيان لم لا تلعب فقال اللعب خلقت) قال السيوطي رواه الديلمي عن معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه ولم يسنده والحاكم في التاريخ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما مرفوعا وسنده واه وأخرجه أحمد في الزهد وابن أبي حاتم في تفسيره عن معمر قال بلغني فذكره والاستفهام انكاري في معنى النفي ولذا روي لم أخلق للعب والمشهور انه لم يبعث الله تبارك وتعالى نبيا طفلا بل روي انه لم يبعث نبيا قبل الاربعين فقيل هو المطرد

وهذا نادر لا يرد نقصا ومن الغريب ما قيل ان الله عز وجل خلق عيسى عليه الصلاة والسلام بالغا عاقلا وان كان في صورة طفل كما خلق آدم عليه الصلاة والسلام حتى قيل انه ألهم التوراة في بطن أمه وروى عن الحسن فلا حاجة لتأويل ما ورد فيه بالتأويل المشهور (وقيل في قوله مصدقا بكلمة من الله صدق يحيى بعيسى عليهما الصلاة والسلام) هذا بناء على أن المراد بالكلمة عيسى عليه الصلاة والسلام لانه أوجد بدون أب فشابه ما أبدع من عالم الامر كما قاله البيضاوي أو لكونه أوجد بكلمة كن أو لاهتداء الناس به كما يهتدون بكلام الله كما سمى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ذكرا رسولا كما قاله الراغب وقال الصدر القنوي في نفحاته لصورة كل شئ في عرصة العلم الالهي الازلي مرتبته الحرفية فاذا صبغه الحق بنوره الوجودي الذاتي وذلك بحركة معقولة معنوية يقتضيها شأن من الشؤن الالهية المعبر عنها بالكناية تسمى صورة ومعلومية الشئ المراد بكونيته وبهذا الاعتبار سمى الله الموجودات كلمات وسمى عيسى كلمة وقال اليه يصعد الكلم الطيب أي الارواح الطاهرة انتهى وهذا يحتاج لذوق شهودي فافهم ولا حاجة لجعل من زائدة على هذا كما قيل (وهو) أي يحيى عليه الصلاة والسلام (ابن ثلاث سنين يشهد له انه كلمة الله وروحه) قد بينا معنى كونه كلمة الله وكان يحيى وعيسى عليهما الصلاة والسلام ابنا خالة كما مر ويحيى أكبر سنا منه واطلاق روح الله تعالى عليه اما لان جبريل عليه الصلاة والسلام المسمى بالروح نفخ في درع أمه فتكون من نفخته فاضافته الى الله اضافة ملك وتشريف أو لانه خلقه من غير واسطة بشر ولذا وقع النصارى فيما وقعوا فيه وعن كعب ان الله خلق أرواح بني آدم قبل أجسادهم لما أخذ عليهم الميثاق فامسك روح عيسى عليه الصلاة والسلام فلما أراد خلقه أرسلها لمريم فلذا كان روحانيا وقيل الاضافة للتشريف كبيت الله كما علم وقيل معنى روح الله نعمة الله لان الروح تطلق على النعمة وفي صحيح البخاري مسندا عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من شهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله وان عيسى عبد الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه والجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة (وقيل صدقه) يحيى عليه الصلاة والسلام (وهو في بطن أمه فكانت أم يحيى تقول لمريم اني أجد ما في بطني يسجد لما في بطنك تحية له) منصوب مفعول له أي سجوده له سجود تحية وتعظيم لا سجود عبادة وكان السجود مما يعظم به المخلوق قبل الاسلام وهذا الحديث رواه أحمد وابن جرير عن مجاهد من طرق متعددة فهو حديث صحيح الا انهم لم يرفعوه للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم ومثله لا يقال من قبل الرأي فهو في حكم المرفوع قالوا وهذا هو المراد بقوله مصدقا بكلمة من الله وهذا يقتضي ان حمل مريم بعيسى عليه الصلاة والسلام طالت مدته وفي تلك المدة اختلاف وقيل انها ولدت في ساعة نفخ الروح (وقد نص الله على كلام عيسى عليه الصلاة والسلام لامه عند ولادتها اياه بقوله لها الا تحزني) وهذا أحد من تكلم في المهد وفي عدتهم خلاف وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه لم يتكلم في المهد الا ثلاثة عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام وصاحب جريج وغلام كان يرضع في حجر أمه ومر عليه راكب فقالت أمه اللهم اجعل ابني مثله فقال اللهم لا تجعلني مثله وظاهره الحصر اذ لم يذكر معهم الصبي المذكور في حديث الساحر الذي قال لامه اصبري فانك على الحق وهو في صحيح مسلم وأجيب بانه لم يكن في المهد وان كان صغيرا لم يبلغ حد التكلم ورد بان ابن قتيبة حكى انه ابن سبعة أشهر فلعله صلى الله تعالى عليه وسلم انما أطلع أولا على ثلاثة ثم أطلعه الله بعد ذلك على غيرهم لثبوته في صحيح مسلم كما علم وقالوا تكلم في المهد ابراهيم عليه الصلاة والسلام كما ذكره البغوي والقاضي في التفسير وروى ان نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم تكلم في المهد وهو عند حليمة السعدية وأول كلمة تكلم بها الله أكبر وحكى عن الواقدي وشاهد يوسف كما حكاه القرطبي وقيل انه كان رجلا وابن ماشطة

(وقيل في قوله مصدقا بكلمة من الله صدق يحيى بعيسى) أي آمن به (وهو ابن ثلاث سنين) وحكى السهيلي عن ابن قتيبة انه كان ابن ستة أشهر (فشهد) وفي نسخة وشهد (له انه كلمة الله وروحه) فهو أول من آمن به وسمى كلمة لوجوده بامره تعالى بلا أب فشابه المخترعات التي هي عالم الامر المعبر منه بقول كن كما قال تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون (وقيل) كما في تفسير محمد بن جرير الطبري (صدقه) أي آمن به يحيى (وهو في بطن أمه) حال من ضمير الفاعل (فكانت) بالفاء وفي نسخة وكانت (أم يحيى) أي وهي حامل به (تقول لمريم) أي اختها اذا دخلت عليها وهي حامل بعيسى والله انك لخير النساء وان ما في بطنك لخير مولود (واني أجد ما في بطني يسجد لما في بطنك تحية له) أي تعظيما وتسليما وتكريما وهذا يدل على ان مريم حملت مدة الحمل كما عليه الاكثر وهو لا ينافي ما تقدم والله أعلم عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما حملته ووضعته في ساعة واحدة فتصديقه انما كان وهو ابن ثلاث كما سبق (وقد نص الله على كلام عيسى لامه عند ولادتها اياه بقوله لها الا تحزني) الاولى ان لا تحزني

(على قراءة من قرأ من تحتها) بفتح الميم والتاء كما قرأه ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وأبو بكر (وعلى) أى وكذا على (قول من قال ان المنادى عيسى) كأبى بن كعب وسعيد بن جبير والحسن ومجاهد لانه خاطبها من تحت ذيلها لما خرج من بطنها وفيه احتراز عن قول ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وعلقمة والضحاك ان المنادى جبريل لانه كان بمكان منخفض عنها قال الدلجى لا وجه لتخصيص القراءة الاولى بالخلاف فى المنادى مع وقوعه فى الثانية قلت حيث تعارض القولان عن الائمة ولا يتصور الجمع بينهما الا بتعدد القضية أشار المصنف الى ان القراءة الاولى محملا على المعنى الاول أولى وهو أن يكون المنادى عيسى فلا ينافى احتمال وجود آخر فى المعنى على ما لا يخفى (ونص) أى صرح الله سبحانه وتعالى (على كلامه) أى نطق عيسى (فى مهده فقال) أى الله فى كلامه حكاية عنه (انى عبد الله) ردا على اثبات الهه سواه وافتخارا بالعبودية واحترازا عن دعوى الربوبية (آتانى الكتاب) أى أعطانى الله من فضله علم الانجيل أو جنس الكتاب (وجعلنى نبيا) فى سابق قضائه أو تنزيلا للمحقق وقوعه منزلة الواقع به كما فى أتى أمر الله كذا ذكره الدلجى والظاهر المتبادر انه جعله نبيا فى ذلك الحال من غير توقف على الاستقبال فلا يحتاج الى تأويله بالمآل ويؤيده ماروى عن الحسن أكمل الله عقله ونبأه طفلا وقضية يحيى صريحة أيضا فى هذا المعنى غايته ان اعطاء النبوة فى سن الاربعين غالب العادة الالهية وعيسى ويحيى خصا بهذه المرتبة الجليلة كما ان نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم خص بما ورد عنه من قوله كنت نبيا وان آدم لمنجدل بين الماء والطين هذا وفى المستدرك عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه مرفوعا لم يتكلم فى المهد الا عيسى وشاهد يوسف وصاحب جريج وابن ماشطة فرعون ولفظ مسند أحمد وابن ماشطة

ابنت فرعون كما فى مسند أحمد وفيه زيادة لقوله ابن ماشطة ابنة فرعون وروى الضحاك تكلم يحيى عليه الصلاة والسلام فى المهد أيضا ومبارك اليمامة الذى كلمه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كما فى الدلائل فهم أحد عشر كما فصله البرهان الحلبى رحمه الله ونظم غالبهم القائل فى قوله

اذا رمت عد الناطقين بمهدهم * فمنهم رسول الله أحمد ذو المجد
خليل ويحيى ثم عيسى وطفل من * دعت لابنها فورا كذى شاره فرد
فقال الا لا تجعلنى مثله * ورد عليها قولها أفصح الرد
كذاك الذى قد قال ان جريجنا * برئ فلا ترموه بعد بما يردى
ومنهم نجيب كان يدعى مباركا * وقال رسول الله قد جاء بالرشد
وماشطة كانت لفرعون تنتمى * وكان لها طفل تكلم فى المهد
كذا شاهد فى شان يوسف منهم * فدونك جمعا زائد الحسن فى العد

وقوله بقوله الى آخره يعنى انها لما حملت بلا زوج وكانت فرت وهى حامل لمكان بعيد خوفا من أهلها فلما وضعته قال لها الا تحزنى (على قراءة من قرأ من تحتها) بفتح الميم على ان من موصولة وتحتها بنصب التاء ظرف صلته وقد أورد على المصنف هنا أمران الاول ان تخصيص دلالة الآية على ان المتكلم عيسى عليه الصلاة والسلام فى المهد بهذه القراءة لا وجه له فان القراءتين على حد سواء فى احتمال أن يكون المنادى عيسى أو جبريل أو بعض الملائكة وكيف لا ومعنى النظم على القراءتين واحد فان المعنى ناداها منادمن تحتها أن لا تحزنى فان قيل لو كان المنادى جبريل عليه الصلاة والسلام كان فوقها لا تحتها لاتيانه من الافق قيل ان جبريل كان منها مكان القابلة وقيل انها كانت على أكمة وهو تحتها واذا كان المنادى عيسى عليه الصلاة والسلام قال الجعبرى معنى كونه تحتها انه كان تحت ثيابها الثانى انه قيل ان كلام المصنف رحمه الله تعالى فى حسن الاخلاق وانها جبلية وكلام من فى المهد ليس من هذا القبيل بل من قبيل خوارق العادة كنطق الجوارح يوم القيامة وتسبيح الحصا ونطق الشجر وهو لم يدم فانه ينقطع و يعود فى زمنه ولم يقولوا باستمراره ولو استمر كان مناسبا لما ذكر والجواب (٢) ان ما ذكره بحسب الظاهر لانه لو كان جبريل وقد ذكر هنا بقوله تعالى انما أنا رسول ربك كان الظاهر ان يقول فناداها كما فى القراءة بمن الجارة فلما عرفه بالاسم الظاهر وعدل اليه فى محل الاضمار علم انه غيره وليس ثمه أحد فعلم انه عيسى ومعنى كونه من تحتها ان المرأة فى حال الوضع ترتفع عن الارض على عال فيقع الولد تحتها فلا حاجة لما قاله الجعبرى واما السؤال الثانى فساقط لانه وان كان خارقا للعادة يدل على ان ما يأتى بهذه من جنسه أمر جبلى وقراءة الكسر بمن الجارة والفتح بمن الموصولة كلاهما متواترة من السبعة (وعلى قول من قال ان المنادى) بكسر الدال (عيسى) عليه الصلاة والسلام لا الملك (ونص على كلامه فى مهده) المهد كالمهاد يعنى الفراش الممهد للنوم كما ثم خص بما يربط فيه الطفل لنومه وقراره فيه (فقال انى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا) فلما تكلم

(٢) وفى نسخة والمراد اه مصححه

ابنة فرعون وزاد البغوي في تفسير سورة الانعام ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام وممن تكلم صغيرا يحيى بن زكريا ومبارك اليمامة كلمه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ذكره في الدلائل ورضيع المتغاسعة ورضيع التي مر عليها راكب فقالت اللهم اجعل ابني مثل هذا والصبي الذي في حديث الساحر والراهب الذي قال لامه اصبري فانك على الحق وهو في أواخر مسلم وفي كلام السهيلي في آخر روضته ان أول كلمة تكلم بها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو مرضع عند حليمة أن قال الله أكبر

عليه الصلاة والسلام بذلك علموا براءة مريم ثم سكت حتى بلغ مدة التكلم لامثاله وجعل أول تكلمه الاقرار بالعبودية ابطالا لقول النصارى انه ابن الله لان الولد لا يكون عبدا ولو ملكه عتق عليه والكتاب الانجيل ويجوز أن يريد التوراة لعلمه صلى الله تعالى عليه وسلم بها أو الاعم وتعبيره بالماضي باعتبار ما قدره الله تعالى له أو جعله بمنزلة الواقع لتحققه وقيل انه نبي في صغره حقيقة كما روي عن الحسن (وقال الله تعالى ففهمناها) أي القصة الآتية (سليمان) عليه الصلاة والسلام (وكلا) أي سليمان وأباه داود (آتينا حكما وعلما) اشارة الى قصة سليمان عليه الصلاة والسلام اذ أتى الحكم صبيا وعمره اذ ذاك أحد عشر سنة في الغنم التي نفشت في الحرث أي رعته ليلا وأفسدته والنفش الرعي بالليل بلا راع فان كان بالنهار فهو همل وكان يجلس على الباب الذي يخرج منه الخصوم الداخلين عليه من باب آخر فتخاصم رجلان لاحدهما حرث وهو زرع وقيل كرم والحرث يطلق عليهما وللآخر غنم دخلت حرثه فأفسدته فحكم داود بدفع الغنم لصاحب الحرث على أن يبقى الحرث بيده وقيل يدفع الغنم لصاحب الحرث ويدفع الحرث لصاحب الغنم فداود عليه الصلاة والسلام رأى على القول الاول ان الغنم تقاوم الغلة الفاسدة وعلى الثاني رأى انها تقاوم الحرث والغلة معا فلما خرجا على سليمان عليه الصلاة والسلام سألهما عما حكم لهما به فرجع لابيه وقال اني رأيت ما هو أوفق بالجميع وهو أن يأخذ صاحب الغنم الحرث فيقوم عليه حتى يعود لما كان عليه ويأخذ صاحب الحرث الغنم فينتفع بنسلها وريعها فاذا عاد الحرث لحاله صرف ملك صاحبه له فقال أصبت وحكم بما قاله قال العلامة ابن القيم في كتابه معالم التقويم حكم داود عليه الصلاة والسلام له بقيمة المتلف فاعتبر الغنم فوجدها بقدر القيمة فدفعها لصاحب الحرث اما لانه لم يكن له دراهم وتعذر بيعها ورضوا بدفعها وأخذها بدلا عن القيمة وسليمان عليه الصلاة والسلام قضى بالضمان على أصحاب الغنم وأن يضمنوا ذلك بالمثل بان يعمروا البستان حتى يعود كما كان فلم يضع عليهم شيأ من حين الاتلاف الى حين العود فأعطى أصحاب البستان الماشية ليأخذوا من نمائها بقدر نماء البستان فيستوفوا من نماء الغنم بقدر ما فاتهم من نماء حرثهم وقد اعتبر النماءين فوجدهما سواء فهذا علم خصه الله به وأثنى عليه بادراكه وقد تنازع العلماء في ضمان النفش وفي المثل وهو الحق وهو أحد القولين في مذهب أحمد والشافعي ومالك والمشهور خلافه والقول الثاني موافقته في ضمان النفش دون التضمين بالمثل وهو المشهور عن أحمد ومالك والشافعي والثالث موافقته في التضمين بالمثل دون النفش كما اذا رعاها صاحبه باختياره دون ما اذا انفلتت ماشيته ولم يشعر بها وهو قول داود ومن وافقه والقول الرابع ان النفش لا يوجب الضمان بحال وما وجب من ضمان الرعي بغير النفش فانه يضمن بالقيمة لا بالمثل وهو مذهب أبي حنيفة وما حكم به سليمان عليه الصلاة والسلام أقرب الى العدل والقياس وقد حكم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان على أهل الحوائط حفظها بالنهار وما أفسدت المواشي بالليل ضمانه على أهلها يصح بحكم

قال السهيلي رأيته كذا في بعض كتب الواقدي (وقال) أي عز قائله (ففهمناها سليمان) أي الحكومة أو الفتيا اذ روى انه تحاكم الى داود صاحب غنم وصاحب زرع أو كرم رعته ليلا فحكم بها لصاحب الحرث لاستواء قيمتها وقيمة نقصه فقال سليمان وهو ابن احدى عشرة سنة غير هذا أرفق بهما فعزم عليه ليحكمن فدفع الغنم لصاحب الحرث ينتفع بدرها ونتاجها وأصوافها والحرث لصاحب الغنم يصلحه فاذا عاد الى ما كان عليه ترادا ولعلهما قالا مقالهما اجتهادا فقال داود أصبت القضاء ثم حكم بذلك والاول نظير قول أبي حنيفة في العبد الجاني والثاني نظير قول الشافعي بالغرم للحيلولة في العبد المغصوب اذا أبق أما في شرعنا فلا ضمان عند أبي حنيفة ضمان لحديث جرح العجماء جبار أي هدر الا أن يكون معها حافظ أو أرسلت عمدا وأوجبه الشافعي ليلا لانها الجري العادة في حفظ الدواب بالليل دون النهار لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم لما دخلت ناقة البراء حائطا على أهل الاموال حفظها بالنهار وعلى أهل الماشية حفظها بالليل وفي الحديث اشارة لطيفة الى قول أبي حنيفة في تقييد القضية بحالة العمدية اذ تخلص الدابة ليلا أو نهارا واتلافها من غير تقصير من صاحبها لا يوجب الغرامة المنفية في الملة الحنيفية حيث قال ليس عليكم في الدين من حرج (وكلا) أي من داود وسليمان (آتينا حكما وعلما) أي معرفة بموجب الحكومة وعلما بسائر القضايا الشرعية

(وقد ذكر) بصيغة المجهول (من حكم سليمان) كذا في النسخ المتعددة المعتمدة ووقع في أصل الدلجي وقد ذكر عن سليمان (وهو صبي) أي في حال صباه (يلعب) أي مع الصبيان (في قصة المرجومة) أي التي كانوا يريدون أن يرجموها وفي نسخة في قضية المرجومة وهي ما رواه ابن عساكر في تاريخه بسنده الى ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان امرأة حسناء في بني اسرائيل راودها عن نفسها أربعة من أكابرهم وقيل من قضاتهم الذين رفعت حكمها اليهم فامتنعت فاتفقوا أن يشهدوا عليها عند داود انها مكنت من نفسها كلبا لها قد عودته ذلك منها فامر برجمها أوهم به فلما كان عشية يوم رجمها جلس سليمان واجتمع اليه ولدان فانتصب حاكما وتزيى أربعة منهم بزي أولئك الاربعة وآخر بزي المرأة وشهدوا عليها بان مكنت من نفسها كلبا فسألهم متفرقين عن لونه فقال أحدهم أسود وآخر أحمر وآخر أغبش وآخر أبيض فامر بقتلهم فبلغ ذلك داود فاستدعى من فوره بالشهود فسألهم متفرقين عن لون كلبها فاختلفوا فقتلهم (وفي قصة الصبي ما اقتدى) أي الذي اقتدى (به) أي بسليمان ورجع الى حكمه (داود أبوه) عطف بيان لدفع توهم أن يكون غيره وهذه القضية رواها الشيخان عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه بينما امرأتان معهما ابنان لهما فاخذ ذئب أحدهما فاقتحما كيتا الى داود في الآخر فقضى به للكبرى فدعاهما سليمان وقال هاتوا السكين أشقه بينهما فقالت الصغرى رحمك الله هو ابنها لا تشقه فقضى لها به مستدلا بشفقتها عليه بقولها لا تشقه ورضي الكبرى بشقه لتشاركها في المصيبة أولما كان بينهما من العداوة ولعل داود عليه السلام حكم به للكبرى لكونه في يدها أو اعتمادا على نوع من الشبه وهو ولا يخلو من الشبه فان قيل المجتهد لا ينقض حكم المجتهد فالجواب ان سليمان فعل ذلك وسيلة الى حقيقة القضية فلما أقرت بها الكبرى عمل باقرارها أو لعل في شرعهم يجوز للمجتهد نقض حكم المجتهد وقيل كان بوحي ناسخ للاول قيل وكان قضاؤه وهو ابن اثنتي عشرة سنة ومات وهو ابن اثنتين وخمسين سنة وقيل كان حكم داود باجتهاد وحكم سليمان بوحي والوحي ينقض غيره

ضمان النفس وصح بالنصوص السابقة والقياس الصحيح وجوب الضمان بالمثل وصح بنص الكتاب الثناء على سليمان عليه الصلاة والسلام بتفهيم هذا الحكم فصح انه الصواب انتهى وقال التجاني اختلف في حكمهما في هذه القضية هل كان بوحي فالثاني ناسخ للاول أو باجتهاد بناء على ان كل مجتهد مصيب وكونه فتيا يرده ان فتيا الانبياء عليهم الصلاة والسلام حكم مع انه يأباه قوله اذ يحكمان وكنا لحكمهم شاهدين قيل ويؤيد انه اجتهاد قول سليمان عليه الصلاة والسلام اني رأيت ما هو أوفق للجميع وهو مبني على جواز خطأ الانبياء عليهم الصلاة والسلام في اجتهادهم وانهم لم يقروا عليه وفي التلويح هنا كلام يلوح عليه أثر الضعف وعلى ان شريعة من قبلنا ليست شريعة لنا مطلقا وقد ورد في الحديث ما يخالفه كما سمعته آنفا وقول أبي السعود ان رأي سليمان استحسان ورأي داود قياس قيل انه غير سديد لان الاستحسان اما دليل ينقدح في نفس المجتهد والهام الانبياء عليهم الصلاة والسلام لا يكون الا صوابا وهو العدول عن قياس الى قياس أقوى منه وحينئذ كل منهما قياس واجتهاد او هو لعدول عن الدليل الى العادة لمصلحة ومثله من الانبياء عليهم الصلاة والسلام جائز ولا يخفى ما فيه وفي الكشاف ان حكم داود عليه الصلاة والسلام لان الضرر وقع بسبب الغنم فسلمته بجنايتها الى المجني كما قال أبو حنيفة في العبد اذا جنى جناية على نفس فسيده يدفعه أو يفديه وعند الشافعي يبيعه بذلك أو يفديه ولعل قيمة الغنم كانت قدر النقصان في الحرث وسليمان عليه الصلاة والسلام جعل الانتفاع بالغنم بازاء ما فات وأوجب على صاحب الغنم أن يعمل في الحرث ما يزيل ضرره كما لو غصب عبدا فابق في يده فان قيمته تدفع لسيده ينتفع بها فاذا ظهر ترد له وفي هذا المقام كلام طويل لا حاجة لنا به فان أردته فارجع اليه (وقد ذكر من حكم سليمان عليه الصلاة والسلام وهو صبي يلعب في قضية المرجومة وفي قضية الصبي ما اقتدى به أبوه) كما اقتدى به في قصة الحرث وذلك كان في صباه وأول أمره فهذا وأشباهه مما يدل على انها أمور رجبلية غير كسبية وقصة المرجومة كما حكاه التلمساني ان امرأة كانت بارعة الجمال وهي من أهل الدين ولها حق فرفعت أمرها لاحد قضاة بني اسرائيل فلما رآها افتتن بها وراودها عن نفسها فامتنعت ثم ذهبت لثان وثالث ورابع فكل راودها عن نفسها فأتت لنبي الله داود عليه الصلاة والسلام فخبت عنه فاجمع الاربعة أن يقولوا لداود عليه السلام ان لها كلبا تمكنه من نفسها ويزني بها فافعلوا فامر برجمها فرجمت فبينما داود عليه الصلاة والسلام يوما في عليه له مشرفا على صبيان يلعبون مع سليمان وفيهم صبي جميل فجعلوا سليمان قاضيا والصبي كمرأة ذات حق وأربعة منهم قضاة وفعلوا مثل تلك القصة بعينها من المراودة والتهمة وذلك بمرئى من داود عليه الصلاة والسلام كما في قصة المرجومة ففرقهم سليمان وقال لاحدهم ما لونه فذكر لونا وادعى كل انفراده فذكر كل لونا مخالفا للآخر فامر الصبيان فضربوهم فقال داود لعل القضية هكذا فبعث للقضاة وسألهم عن لون الكلب على الانفراد فاختلفوا

كالصبيان فامر بهم فقتلوا وهكذا نقله غيره من الشراح عن ابن عساكر مسندا وكذا نقله السيوطي رحمه الله تعالى في تخريج أحاديث هذا الكتاب ولم يتعقبه فقول ابن رسلان المراد بالمرجومة التي أريد رجمها لان داود هم برجمها ثم لما رأى صنيع سليمان درأ عنها الحد فسماها المصنف رحمه الله تعالى مرجومة باعتبار ما يؤول أو لانه أريد رجمها يتبع فيه غيره فلا يخفى انه مخالف للظاهر فلا وجه لكلامه ولا لمن تبعه فيه ثم انه قيل ان هذا يقتضي انه كان في شريعتهم ان المرأة الممكنة من نفسها حيوانا ترجم وان شاهد الزور يقتل وفي الشريعة المحمدية ان حكمهما التعزير * وقصة الصبي هي ما رواه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال بينما امرأتان معهما ابنان لهما فأخذ ذئب أحدهما فاحتكمتا الى داود عليه الصلاة والسلام فقضى به للكبرى فدعاهما سليمان عليه الصلاة والسلام فقال هاتوا السكينا أشقه بينهما فقالت الصغرى يرحمك الله هو ابنها لا تشقه فقضى به لها لشفقتها عليه ورضيت الاخرى بشقه لتتشاركا في المصيبة قال التجاني وهذا الاشبه في صحته وأما الحديث الاول فالله أعلم بصحته وقد ورد في الاسرائيليات على غير رواية ابن عساكر وان داود عليه السلام لم يرجمها وانما أمرهم برجمها فرفعوا أمرها الى سليمان فاوقفها وأحضر الشهود وفرق بينهم كما مر ورجع داود عن حكمه وعلى هذا ينبني ما مر من ان المرجومة هنا مجاز عن من أريد رجمها وفيه فوائد منها انه اذا تجوز بالفعل عن ارادته لا يلزم وقوعه ومنها ان أبا هريرة رضي الله تعالى عنه قال والله ان سمعت بالسكين الا ذلك اليوم ومنها ان داود عليه الصلاة والسلام يحتمل انه قضى به للكبرى لشبه بينهما وانه كان في شريعته يجوز الالحاق بالشبه أو لكونه في يدها والترجيح باليد شريعة له صلى الله تعالى عليه وسلم وأما سليمان عليه الصلاة والسلام فتوصل بلطفه لمعرفة باطن القضية فاوهمهما ارادة شقه ليسوي بينهما ومثله يفعله حذاق الحكام فيقضون بامور لو تجردت لم يقض بها شرعا ولعل الكبرى أقرت بانه ليس ولدها فافرده باقرارها لا بمجرد الشفقة فلذا نقض داود عليه الصلاة والسلام حكمه أو ان في شرعهم انه يجوز للمجتهد نقض حكم المجتهد كما في مزيل الخفاء ومنها انه وقع في مسلم ان الصغرى قالت لسليمان عليه الصلاة والسلام لا ويرحمك الله فيرحمك الله جملة مستأنفة دعائية لكنها موهمة للدعاء عليه وفي الاكمال ان السلف كرهوا مثله لما فيه من الايهام يريد ما روي عن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه انه قال لمن قال له مثله لا تقل هذا وقل يرحمك الله لا وروى بعضهم ويرحمك الله أقول يعني ان الواو تزاد لدفع الايهام كما تحذف له في نحو قوله

وتظن سلمى انني أبغي بها * بدلا أراها في الضلال تهيم

فانه لو قال وأراها يتوهم انه معطوف على أبغي وليس مراده ذلك وسأل الرشيد رجلا عن شئ فقال له لا وأيد الله الخليفة فاستحسنه منه فلما اسمعه قال هذه الواو أحسن من واوات الاصداغ في خدود الملاح وهذه الواو اما زائدة أو اعتراضية أو لعطف الانشاء على الخبر (وحكى الطبري ان عمره كان حين أوتي الملك اثني عشر عاما وكذلك قصة موسى) عليه الصلاة والسلام (مع فرعون وأخذه بلحيته وهو طفل) فرعون لقب لكل من ملك القبط كما مر وهذا هو مصعب بن الوليد بن ريان كان من القبط العمالقة وعمر أكثر من أربعمائة سنة وسن موسى عليه الصلاة والسلام حين أخذ بلحيته ابن عامين وكان فرعون لعنه الله استعبد بني اسرائيل واستخدمهم وضرب عليهم الجزية فرأى في منامه أو أخبره الكهنة ان زوال ملكه على يد غلام من بني اسرائيل فامر بقتل كل مولود يولد منهم فرأى أهل مملكته ان في ذلك ضررا عليهم لانهم خدمهم ويكفونهم المؤنة فعزموا على قتلهم عاما بعد عام قيل وهو بعيد لاحتمال أن يولد عام استحيائهم واتفاق العقلاء على مثله غير ظاهر فلعلهم رأوا عاما لولادته زوجا أو فردا أو عينوه وولد هارون في عام الاستحياء وولد موسى في العام الرابع من ولادته وكان عام قتل فخافت أمه عليه فاوحى الله تعالى اليها اما بأن أتى على لسان ملك أو رأت ذلك في منامها والقول الاول اما لان من لا يكون نبيا

(وحكى الطبري) وفي نسخة وقال الطبري وهو محمد بن جرير (ان عمره) أي سن سليمان (كان حين أوتي الملك اثني عشر عاما) أي سنة (وكذلك) أي ومثل ما ذكر عن سليمان في صغره (قصة موسى) قيل وزنه مفعل أو فعلل أو فعلى (مع فرعون وأخذه بلحيته وهو طفل) وقصته ان فرعون كان يرى ان من يأخذ بلحيته ويأخذ منها خصلة هو الذي يقتله ويسلب ملكه فبينا موسى في حجره اذ تناول لحيته فأخذ منها خصلة فقال هذا عدو لنا فقالت له امرأته المسلمة آسية بنت مزاحم انه صغير فالقي له الدر والجمر فأخذ الجمر وأدخله في فيه فمنه كان في لسانه عقد وفرعون هذا هو عدو الله الوليد بن مصعب ابن الريان كان من القبط العماليق وعمر أكثر من أربعمائة سنة وقد كتبت رسالة مسماة بفر العون ممن ادعى ايمان فرعون

قد

قـديرى الملك وقـد جوزه جماعة من السـلف ولعـله كان فى الزمن السالف أوان أمه كانت نبيئـة والمشهوران النبى لا يكون الا ذكرا قال التجانى وقد ذهب علماء قرطبة الى صحة نبوة المرأة وصححه ابن السيد ونسـبه ابن الهمام الى بعض أهـل الظاهر فاوحى الله تعالى الى أمه أن تتخذ تابوتا تضـعه فيه وتقذفه فى النيل ففعلت وكان النيل يدخل منزل فرعون فبينماهو جالس اذ دخـل التابوت به عنده فاخذه آل فرعون ففتحته آسية امرأة فرعون رضى الله تعالى عنها فلما رأته فيه موسى رحمته وسألت من فرعون أن يتخذه ابنا فاجابها لذلك فكانت تدخل به عليه فاحبه وجعله يوما فى حجره فمد يده للحيته وجذبها جذبا شديدا فغضب فرعون وقال هذا عدو لى وأمر بذبحه فناشدته الله تعالى وقالت انه لا يعقل فقال بل يعقل فقالت جربه فجربه فجعـل بين يديه تمرة وجمرة وقيـل درة وجمرة وقال ان أخذ التمرة أو الدرة فهو يعقل والا عذر فلما مد يده للتمرة ضرب به جبريل عليه الصلاة والسلام فاخذ الجمرة فاحرقت لسانه ومنها كان فى لسانه عليه الصلاة والسلام عقدة تمنعه من ابانة بعض الحروف وهى التى أزالها الله تعالى بدعائه فعذره فلم يزل فى حجره الى ان كان ما كان وموسى وقصصه ونسبه مذكور فى محله والطفل يكون للواحد وغيره وقد يختص بالواحد فيجمع على اطفال * (فائدة) * قيل كل مولود ذكرا وأنثى يزيد كل سنة أربع أصابع باصابع نفسه وكل أحد طوله أربعة أذرع مقبوضة الاصابع بذراع نفسه والقوة تزيد الى أربعين وتقف الى ستين وتنقص بعد ذلك وفرعون هذا غير فرعون يوسف وقيـل انه هو وانه أسلم ثم ارتد وقيل ان موسى عليه الصلاة والسلام قال يا رب أمهلت فرعون مع كفره فقال انه كان سهل الحجاب فكافأته على ذلك فى الدنيا (وقال الله تعالى * ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل * أى هديناه صغيرا قاله مجاهد وغيره) هذا أحد التفاسير فى العلم السابق وقيل المراد قبل موسى وهارون والرشـد الاهتداء لوجوه الصلاح ويقال رشد ورشد وبهما قرئ قال فى الكشاف معنى اضافة الرشد له عليه الصلاة والسـلام انه رشد ثابت له ورد بان هذا المعنى حاصـل بدون الاضافة لو قيل آتيناه رشدا له أفاد ذلك مع التعظيم ولم يفهم مراده اذ مراده انا آتيناه رشدا معلوما من حاله لائقا به وبامثاله من الرسـل عليهم الصلاة والسلام لا كرشد غيره (وقال ابن عطاء اصـطفاه قبل ابتداء خلقه) أى اختاره رسولا خليلا فى علمه فانه لا يختص به بل المراد انه حـين أراد خلقه فى بطن أمه أمر الملائكة ان تكتب اصـطفاءه وخاتمه تنويها به وتعظيما لقدره بخلاف غـيره فانه انما يكتب حاله بعد خلقه والظاهر ان المراد انه اصطفى روحه فى عالم الذر قبل خلق جسده كما فى حديث كنت نبيا وآدم الى آخره وفى نسخة قبل ابتداء خلقه قيل لما كان من قبل على هذا بمعنى قبل خلقه ولا معنى لهدايته قبل خلقه أوله باصطفائه اللازم له لصحة اصطفاء المعدوم (وقال بعضهم لما ولد) نبى الله (ابراهيم) عليه الصلاة والسلام (بعث الله اليه ملكا يامره عن الله تعالى أن يعرفه بقلبه ويذكره بلسانه فقال قد فعلت ولم يقل أفعل فذلك رشده) يعنى عبر بالماضى الدال على وقوعه قبل أمره فيكون المعنى آتيناه رشده قبل أمره فيدل ذلك على الايمان واشتغاله بذكر ربه أمر جبلى مجبول عليه أو أمر عرفه به فى عالم الذر والارواح فيكون بمعنى ما قاله ابن عطاء أو المراد انه عـبر بالماضى لسرعة امتثاله حتى كأنه وقع منه فمعنى من قبل على هذا من قبل أمره لا من قبل بلوغه كما قيل (وقيل ان القاء ابراهـيم فى النار ومحنته) التى وقعت له مع نمرود فانه كما رواه أبو صالح عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ولد فى زمنـه وكان له كهنـة فقـالوا له يولد فى هـذه السـنة مولود يفسـد آلهـة الارض ويدعوهـم الى غـير دينهـم وهـلاك أهـل بيتك على يديه فعـزل النسـاء عن الرجال ودخـل آزر الى بيتـه فوقع على زوجتـه فحملت فقال له الكهان ان الغـلام قد حمـل به الليـلة فقال اقتلوا كل غلام ولد فلما أخـذ أم ابراهـيم عليـه الصـلاة والسـلام المخـاض خرجت هاربة فوضـعته فى نهـر

(قال المفسرون فى قوله تعالى ولقد آتينا ابراهيم رشده) أى كمال هدايته وصلاح حالته (من قبل) أى قبـل أوان معرفته (أى هـديناه) ووقع فى أصـل الدلجى هداه بالاضافة (صـغيرا) أى قبل بلوغه (قاله مجاهد وغيره) وقال غيرهم قبل موسى وهرون وقيل قبل محمد عليهـم الصـلاة والسلام (وقال ابن عطاء) هو أبو العباس أحمد بن سهل بن عطاء مات سنة تسع وثلاثمائة (اصطفاه) أى فى سابق قضائه فى عالم الارواح (قبل ابداء خلقه) أى اظهار جسده من العدم الى الوجود فى عالم الاشـباح (وقال بعضـهم) كالكواشى وغيره (لما ولد ابراهـيم بعث الله تعالى اليه ملكا يامره عن الله تعـالى أن يعرفه بقلبه) أى المعرفة التامة الشاملة للافعال والصفات والذات الكاملة (ويذكره بلسانه) بوصف المداومة (فقال قد فعلت ولم يقـل أفعـل فذلك رشده) أى حيث بالغ فى الامتثال حتى عبر بالماضى عن الحال فكأنه امتثله واخـبره ومن هنا قيل النفى أبلـغ من النهـى (وقيل ان القاء ابراهيم عليه السـلام فى النار ومحنته) أى بليته من نمرود

(كانت وهو ابن ست عشرة سنة) وفي عين المعاني عن ابن جريج ست وعشرين اذ اقسم ليكيدن أصنامهم فالقوه فيها فكانت عليه بردا
وسلاما (وان ابتلاء اسحق عليه السلام بالذبح) أي كان كما في نسخة صحيحة (وهو ابن سبع سنين) وقيل ثلاث عشرة وهذا على أحد
القولين في الذبيح مع خلاف في الترجيح حتى توقف فيه شيخ مشايخنا جلال الدين السيوطي في رسالة مستقلة
بعد ذكر من الطرفين بعض الادلة لكن المشهور بل الصحيح انه اسمعيل لحديث أنا ابن الذبيحين اي اسمعيل وعبد الله اذ قد نذر عبد المطلب ان يسر الله حفر زمزم أو بلغ بنوه عشرة ذبح أحدهم فتم متمناه فاسهم فخرج على عبد الله ففداه بمائة من الابل ومن ثم شرعت الدية مائة ولان ذلك كان بمكة وكان قرنا الكبش معلقين بالكعبة حتى احترقا في فتنة ابن الزبير ولان بشارته باسحق كانت مقرونة بانه يولد له يعقوب المنافي للامر بذبحه مراهقا وأيضا كانت مقرونة بالنبوة في آية أخرى والغالب في الانبياء وصولهم الى حد الاربعين ولان اسمعيل كان أول ولده والابتلاء حينئذ أشق على ذبحه وفقده قيل وهذا هو الصواب عند علماء الصحابة والتابعين والقول بانه اسحق باطل منشاؤه الحسد من اليهود للعرب بان يكون أبوهم هو الذبيح قال ابن قيم
الجوزية في الهدى وهو مردود باكثر من عشرين وجها وأما حديث سئل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وضرب
أي النسب أشرف فقال يوسف صديق الله ابن يعقوب اسرائيل بن اسحق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله فاما الذي قاله صلى الله
تعالى عليه وسلم على مارواه البخاري وغيره الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم فزوائده
مدرجة من الراوي وما روى من ان يعقوب كتب الى يوسف مثله فلم يصح

بأس ولفته في خرقة ووضعته في حلفاء وأخبرت به أباه فأتاه فحفر له سردابا وسد عليه بصخرة فكانت أمه تختلف اليه فترضعه حتى شب وتكلم فقال لامه من ربي فقالت أنا فقال من ربك قالت أبوك قال فمن رب أبي فقالت له اسكت فسكت فرجعت الى زوجها فقالت له الغلام الذي يتحدث به انه يغير دين أهل الارض ابنك فأتاه فقال له مثل ذلك وقوله (كانت وهو ابن ستة عشر سنة) كذا في الكشاف قال التجاني المعروف انه كان ابن ست وعشرين سنة والذي أشار باحراقه رجل من اعراب العجم وهم الكرد ولما هموا باحراقه حبسوه وبنوا حظيرة وجمعوا الحطب الصلاب شهرا حتى كان من مرض ينذر جمع الحطب له ثم أشعلوا نارا عظيمة اذا مرت بها الطير احترقت لشدتها ثم وضعوه في منجنيق مقيدا مغلولا ورموه فيها فناداها جبريل عليه الصلاة والسلام يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم فلم يحترق غير وثاقه فقال له حين ألقي ألك حاجة فقال أما اليك فلا حسبي من سؤالي علمه بحالي وقيل تحامها بقوله تعالى حسبي الله ونعم الوكيل وأشرف نمرود عليه من صرحه فاذا هو في روضة معه جليس من الملائكة فقال اني مقرب الى الهك فقرب أربعة آلاف بقرة وكف عنه وقصته مذكورة في القرآن مجملة مفصلة في التفسير * واعلم ان نمرود كما قاله السهيلي بضم النون وذال معجمة وقد تهمل انتهى قيل لما أرادوا رميه في النار لم يقدروا على القرب منه فعلمهم ابليس لعنه الله صنعة المنجنيق فلما أرادوا رميه لم يرتم لمنع الملائكة عليهم الصلاة والسلام له فأمرهم ابليس ان يحضروا نساء مكشوفة الفروج فصعدت الملائكة للسماء (وان ابتلاء اسحق بالذبح وهو ابن سبع سنين) وقيل ثلاثة عشر سنة وهذا بناء على ان الذبيح اسحق عليه الصلاة والسلام كما عليه أهل الكتاب وكثير من المفسرين والمحدثين حتى صنف الجلال السيوطي في تصحيحه رسالة مستقلة والمشهور وهو مذهب الجمهور انه اسمعيل عليه الصلاة والسلام وهو قول أكثر الصحابة كابن عباس وابن عمر ومعاوية رضي الله عنهم وهو الظاهر فان سارة زوجة ابراهيم عليه الصلاة والسلام كانت لا ولد لها وهاجر جاريته ولدت اسمعيل فغارت منها وكرهت مقامهما معها فنقلها الى مكة ومعها اسمعيل عليه الصلاة والسلام وكان ينتابهما فلما كبرت سارة وشاخ ابراهيم عليه الصلاة والسلام بشرتهما الملائكة باسحق فقالت أألد وأنا عجوز الآية فلو كان الذبيح اسحق عليه الصلاة والسلام ناقض ذلك اخبار الله بانه سيولد له يعقوب ولا يصح انه أمر بذبحه بعد ما ولد له يعقوب للاجماع على انه في صغره كما مر ولقوله تعالى فلما بلغ معه السعي ولانه في الصافات ذكر تبشيره باسحق بعد قصة الذبح وبهذا احتج مالك وغيره وورد في الحديث أنا ابن الذبيحين يريد عبد الله واسمعيل وفي تفسير الطبري عن ابن عباس رضي الله عنهما زعم اليهود ان اسحق هو الذبيح وكذبوا وقال بعض من أسلم من أحبارهم انهم يحسدونكم معشر العرب أن تكون هذه الفضيلة فيكم وقال الاصمعي سألت أبا عمرو عن الذبيح فقال اعزب عنك عقلك ألم تر الى الموضع الذي أضجع فيه الذبيح بمكة ومنى ومتى دخل اسحق مكة وقال ابن الجوزي هو الصواب والقول بانه اسحق باطل باكثر من عشرين وجها وأطال فيها ابن القيم في الهدى وقال المحب الطبري الاكثر انه اسحق ورجحه هو وغيره والصحيح مامر ويدل له حديث أنا ابن الذبيحين وقصة ذبح أبيه عبد الله مشهورة لان عبد المطلب نذر ان بلغ بنوه عشرة أن يذبح واحدا منهم تقربا الى الله تعالى فلما كملوا أتى بهم البيت

(وان استدلال ابراهيم بالكوكب والقمر والشمس كان) أى فى نفسه (وهو ابن خمسة عشر شهرا) فحكاه الله تعالى عنه جهرا ولا يدع انه كان زمان مراهقته وأول مقام نبوته تنبيها لقومه على خطئهم بعبادة غيره سبحانه وتعالى وارشادا لهم الى طريق الحق على سبيل النظر والاستدلال على حدوث عالم الخلق وان للشمس والقمر والكواكب وسائر الاشياء النورانية والظلمانية محدثا دبر طلوعها وسيرها وانتقالها وزوالها من حالها الى حالها بدليل قوله تعالى يا قوم انى برىء مما تشركون (وقيل أوحى) وفى نسخة أوحى الله (الى يوسف) بضم السين وفتحها وكسرها مع الهمزة وعدمه وكان بخده الايمن خال أسود وبين عينيه شامة وبقى فى الرق ثلاث عشرة سنة وقيل ثنتى عشرة قيل عدد حروف اذكرنى عند ربك وان عد المضاعف اثنين فثلاث عشرة والا فاثنتا عشرة وعن على كرم الله تعالى وجهه ان أحسن الحسن الخلق الحسن وأحسن ما يكون الخلق الحسن اذا كان معه الوجه الحسن (وهو صبى) أو بالغ عن الحسن وله سبع عشرة سنة وتوفى وهو ابن مائة وعشرين سنة ودفن بمصر بالنيل ثم حمله موسى عليهما الصلاة والسلام حين خرجت بنو اسرائيل من مصر الى الشام

وضرب عليهم القداح فخرج قدح عبد الله ففداه كما هو مشهور والقول بان المراد بالذبيحين عبد الله وهابيل بناء على ان الذبيح اسحق كما نقله مغلطاى مع غرابته لا يعلم له وجه لانه لم يتعين انه من ولد هابيل الا ان يجعل العم بمنزلة الاب ولا يخفى ما فيه من التعسف (وان استدلال ابراهيم بالكوكب والقمر والشمس كان وهو ابن خمسة عشر شهرا) ووجه الاستدلال ان الاجرام السماوية آفلة وكل آفل فهو متغير وكل متغير حادث ولا شئ من الحادث بصانع فلا شئ من هذه الاجرام بصانع وتلك الاصنام كهذه الاجرام فى التغير فلا شئ منها بصانع بل هى دونها فيثبت لها ذلك بالطريق الاولى فالصانع المغاير لها موجود اذ لا بد للعالم من صانع فثبت المطلوب بدليل مؤلف من قضايا تستلزم لذاته قولا آخر هو النتيجة أو الدليل ما يدل بالقوة وان كان مفردا وهو المعرف بما يمكن التوصل بصحيح النظر فيه الى العلم بمطلوب خبرى كالعالم المستدل به على وجود الصانع والاجرام المذكورة وكان ابراهيم عليه الصلاة والسلام لما أخفته أمه فى غار خوفا عليه كما مر مكث فى الغار عشرة أعوام أو أربعة أعوام كما فى عيون المعانى أو خمسة عشر شهرا كما حكاه المصنف فلما عقل سأل أمه من ربى كما مر وفى رواية فقالت أبوك فقال من رب أبى فقالت الملك فعرف جهلها ونظر ما يستدل به عليها فرأى النجم فقال هذا ربى الى آخر ما قصه الله والاقوال بناء على ان هذا قبل بلوغه فى الغار وقيل انه بعد بلوغه فى الغار أو بعد بلوغه وخروجه منه وقد بعثه الله نبيا وعمره أكثر مما ذكر وهو الذى يقتضيه ظاهر القرآن لانه حكى فيه انه قال لابيه أتتخذ أصناما آلهة الى آخره ثم عقبه بقوله تعالى وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات الخ ثم ربط به قوله تعالى فلما جن عليه الليل الخ فدلت ألفاء على كونه بعد هذا كله وقوله تعالى وتلك حجتنا الخ يدل على مناظرته مع قومه ليرشدهم الى الايمان بالصانع لا لنفسه وبينه قوله تعالى يا قوم انى برىء مما تشركون ولو كان فى الغار نظر النفسه قال انى برىء من الاشراك فاذا ثبت هذا وانه موحد جازم بعدم ربوبية الكوكب فقوله هذا ربى اما انه أتى فى المناظرة بما قالوه ليكر عليه بالابطال لانه مسلم عنده أو قوله هذا ربى على تقدير الاستفهام والاستفهام انكارى أو هو على تقدير أى يقولون هذا ربى والتقدير فى الكلام قالوا هو البحر حدث عنه ولا حرج وهو فى القرآن كثير أو انه عرف طباعهم عن قبول الحق لو صرح به ابتداء فاتى بما يستدرجهم الى استماع حجته بان أسمعهم ما يوهم موافقته لهم فاذا أصاخوا له أورد الدليل المبطل لما يعتقدونه بما هو أتم وأنفع وهذا قريب من الاول وان فرق بينهما بما فى هذا من الايهام وعدم اظهار الانكار وسيأتى فى القسم الثالث ما يتعلق بهذا وقول المصنف رحمه الله تعالى استدلاله وهو ابن خمسة عشر شهرا ان كان قصد به دفع ما قيل ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام موحدون لا يصدر منهم شك فى الله ووحدانيته فكيف صدر هذا من الخليل عليه الصلاة والسلام بانه صدر منه قبل سن التمييز وهو غير مكلف فليس بكفر ولا جهل بالله فغير مناسب فانه يجب ان يعتقد انهم أعرف الناس وانهم مجبولون على فطرة سليمة موحدون فالاولى ما قدمناه من التأويل وقد تقدم ان الاصح انه صدر منه صلى الله تعالى عليه وسلم بعد بلوغه بل وبعثته وان سياق الآية ناطق به كما قررناه أولا وهو ظاهر ارتضاه القرطبى فى تفسيره وقيل انه قاله فى طفوليته من غير اعتقاد ولا قصد كذب والقول بانه بعد البعثة فاسد وقوله تعالى وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض قصة أخرى لانه قصد النظر لنفسه والفاء ليست لتعقيب كلامه هذا على ما قاله لابيه وانما هو من قبيل المعاريض تعريضا بجهل عبدة الاصنام وتضليل قومه والقول بانه على تقدير مضاف أى هذا مخلوق ربى لا يخفى بعده (وقيل أوحى الله الى يوسف عليه الصلاة والسلام وهو صبى) هذا الوحى يحتمل أن يكون برسول من الملائكة أرسله الله تعالى اليه وهو طفل ان لم يقل انه لم يبعث

(عند ماهم اخوته بالقائه فى الجب) أى فى قعر بئر وهى على ثلاثة فراسخ من منزل أبيهم (يقول الله تعالى وأوحينا اليه لتنبئنهم بامرهم هذا الآية) أى الى وهم لا يشعرون ففيه بشارة الى مآل أمره أى لتخلصنك ولتخبرن اخوتك بما فعلوه وهم لا يشعرون انك يوسف لعلو شأنك ورفعة مكانك وكان الحال كما قال تعالى فعرفهم وهم له منكرون وأبعد من جوز تعلق جملة وهم لا يشعرون باوحينا كما لا يخفى لان الوحى لا يكون الا على وجه الخفا (الى غير ذلك من أخبارهم) ويروى ما ذكر من أخبار غيرهم (وقد حكى أهل السير ان آمنة بنت وهب أخبرت ان نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم حين ولد) أى أول ما ولد (ولد باسطا يديه الى الارض) أى معتمدا بيديه على الارض وقد جاء كذلك مفسرا (رافعا رأسه الى السماء) ايماء الى بسط دينه وملكه على بساط الارض ورفعة شانه بالاسراء الى جهة السماء (وقال فى حديثه صلى الله تعالى عليه وسلم) أى على ما رواه أبو نعيم فى الدلائل (لما نشأت) أى انتشأت بحيث ميزت بين الخير والشر وفرقت بين الحق والباطل وهو أولى من قول الدلجى تبعا للتلمسانى أى شببت وصرت شابا (بغضت) بالتشديد للمبالغة أى كره الله (الى الاوثان) أى عبادتها والمعنى انه خلق فى جبلته وفطرته بناء على تحقق عصمته محبة الله وبغض عبادة ما سواه

كانت

نبى الا بعد الاربعين وهو وان اشتهر فقد روى المحدثون والمفسرون ما يخالفه ويحتمل انه الهام أو رؤيا منام وقد ذهب الى كل من هذه الاقوال طائفة وفى الكشاف ان يوسف عليه الصلاة والسلام كان اذ ذاك مدركا وعمره تسع عشرة سنة وهو مخالف لما قاله المصنف رحمه الله تعالى من انه كان صبيا (عندما هم اخوته) بكسر الهمزة وضمها جمع أخ (بالقائه فى الجب) بضم الجيم وتشديد الباء وهو البئر غير مطوية بالحجارة وسميت بالجب من الجب وهو القطع والجب ببيت المقدس وقيل بالاردن على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب عليه الصلاة والسلام وقصة القائه بالجب مشهورة غنية عن البيان وسيأتى ذكر اخوته وقصتهم (بقوله تعالى) فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه فى غيابة الجب (وأوحينا اليه لتنبئنهم) أى لتخبرن يا يوسف اخوتك (بامرهم هذا) وهم لا يشعرون وهذه جملة حالية اما متعلقة بقوله أوحينا أو بقوله لتنبئنهم وذلك لانه كان صغيرا كما قاله المصنف رحمه الله تعالى وقيل بل كان ابن اثنتى عشرة سنة أو ثمانية عشر فعلى الاول هو ممن نبئ وأوحى اليه فى صباه كيحيى وعيسى فالوحى فى الآية على ظاهره كما ذهب اليه المصنف رحمه الله تعالى وقوله هم هو معنى قوله تعالى وأجمعوا الى آخره أى اجمعوا أمره لان معنى اجمع عزم وهم كانه جعل رأيه جميعا بعدما تفرق وهو يقتضى ان الوحى وقع له حين هموا بالقائه وفى الآية ما يقتضى انه وقع بعد القائه قال القاضى انهم أتوا بيوسف عليه الصلاة والسلام الى البئر ودلوه فتعلق بشفيرها فربطوا يديه ونزعوا قميصه ليلطخوه بالدم حيلة منهم فقال ردوا قميصى أتوارى به فقالوا أدع الاحد عشر كوكبا يلبسوك ويؤنسوك فلما بلغ نصفها ألقوه وفيها ماء فآوى الى صخرة بها وقام عليها يبكى فجاءه جبريل عليه السلام بالوحى كما قال الله تعالى انتهى وهذا يقتضى ان الوحى بعد الالقاء تطييبا لقلبه وهم يظنون انه معذب مذلل وهم لا يشعرون ان الله تعالى أراحه بما يبشره به من نصره فالحال من ضمير أوحينا والاولى جعله حالا من قوله لتنبئنهم أى لتحدثنهم بما فعلوا وهم لا يشعرون انك يوسف لبعد العهد وتغير حالك فهو اشارة لما وقع لهم لما أتوا ممتازين ليعلم ان المحنة تنقلب منحة (الآية) أى أذكر الآية التى ذكر فيها هنا ما لها (الى غير ذلك من أخبارهم) أى أخبار الانبياء عليهم الصلاة والسلام الدالة على أنهم مجبولون على الكمال من ابتداء أمرهم فى صغرهم (وقد حكى أهل السير) مما يدل على ذلك (ان آمنة بنت وهب) أم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كام (أخبرت ان نبينا محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم ولد حين ولد) أى خرج من بطنها حين أراد الله تعالى اخراجه منها فلا لغوية فيه وقيل حين ظرف متعلق بباسطا الآتى وهو حال من الضمير المستكن فى ولد الاول والظرف مؤكد لدفع ان الحال مقدرة (باسطا يديه الى الارض رافعا رأسه الى السماء) رواه ابن الجوزى فى الوفاء عن أبى الحسين بن أسيد مرسلا قال قالت آمنة ولدته صلى الله تعالى عليه وسلم جاثيا على ركبتيه ينظر الى السماء ثم قبض قبضة من الارض وأهوى ساجدا وولد وقد قطعت سرته وكنت وضعت عليه اناء فوجدته قد انفلق الاناء عنه وهو يمص ابهامه يشخب لبنا انتهى وروى الطبرانى انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما وقع الى الارض وقع مقبوضة أصابع يده مشيرا بالسبابة كالمسبح بها وله نظائر ذكرها ابن حجر فى كتاب المولد قيل ولا منافاة بين قبض أصابعه فى هذا الحديث وبين ما فى سيرة ابن اسحق من أنه ولد واضعا يديه فى الارض رافعا بصره وانه كان مسبحا * أقول أما التسبيح فلا دلالة عليه فى الحديث وأما عدم منافاته لما فى سيره ابن اسحق فسلم لكنه مناف لما ذكره المصنف رحمه الله تعالى الا بتأويل بعيد ويؤيده قول البوصيرى فى قوله

رافعا طرفه الى السماء وفى * ذلك الرفع الى كل سودد ايماء

(وقال فى حديثه صلى الله تعالى عليه وسلم لما نشأت) أى صرت شابا وهذا الحديث رواه أبو نعيم فى الدلائل عن شداد بن أوس (بغضت لى الاوثان) بالبناء للمجهول أى بغضها الله لى وهى جمع وثن وهو حجارة

(وبغض الى الشعر) لما أراد أن ينزهه عن كونه شاعرا وان يكون كلامه شعرا وهو لا ينافى ان يكون موزونا فى طبعه كما حقق فى موضعه (ولم أهم) بفتح فضم وتشديد ميم مضمومة أو مفتوحة أى لم أقصد (بشئ مما كانت الجاهلية تفعله) أى من المعازف وغيرها مما نهى الله عنه (الامرتين فعصمنى الله منهما) أى من الاستمرار عليهما وفى أكثر النسخ منها أى من افعال الجاهلية بتمامها (ثم لم أعد) أى لم أرجع اليها ابدا فعن على كرم الله وجهه على ما رواه البزار بسند صحيح عنه مرفوعا بلفظ ماهممت بشئ مما كان أهل الجاهلية يعملون به غير مرتين كل ذلك يحول الله بينى وبين ما أريد ثم ماهممت بعدهما بشئ حتى أكرمنى الله برسالته ورواه الحاكم فى المستدرك فى التوبة بلفظ ماهممت بقبيح مما هم به أهل الجاهلية الامرتين من الدهر كلتاهما يعصمنى الله منهما قلت ليلة لفتى من قريش كان باعلى مكة يرعى غنما لاهله أبصر غنمى حتى اسمر هذه الليل كما يسمر الصبيان فجئت أدنى دار مكة فسمعت غناء وصوت دفوف ومزامير فقلت ماهذا فقيل فلان تزوج فلانة فلهوت بذلك الغناء وذلك الصوت حتى غلبتنى عيناى فما أيقظنى الاحر الشمس ثم رجعت الى صاحبى فقال لى مافعلت فاخبرته ثم فعلت الليلة الاخرى مثل ذلك فسمعت كما سمعت حتى غلبتنى عيناى فما أيقظنى الامس الشمس ثم رجعت الى صاحبى فقال لى مافعلت فاقلت شيئا أى وذلك حياء قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والله ماهممت غيرهما بسوء مما يعمله أهل الجاهلية حتى أكرمنى الله بنبوته وفيه تنبيه على ان هذا الهم انما كان حال الصغر دون البلوغ كما يشير اليه قوله كما يسمر الصبيان وهذا أوفى دليل على قبح سماع اللهو وضرب الدف الاماشرع له خلافا لما يفعله الجهلة من الصوفية حيث يجمعون بين الاذكار وضرب الدفوف ونفخ المزمار حتى فى مجالس المواليد ومزار قبور المشايخ الابرار والحاصل ان الانبياء مخلوقون على المكارم الرضية ومجبولون على الشمائل البهية وانه لا يضر فى ذلك ماوقع لهم حال الصغر على سبيل الندرة (ثم يتمكن الامر لهم) أى يزداد (وتترادف) أى تتوالى وتتابع (نفحات الله) جمع نفحة أى عطياته ومعارفه وجذباته (عليهم)

كانت تعبد من أوثنته اذا أجزلت عطيته وأوثنت كذا أكثرت منه قاله الراغب وقيل الوثن ماله جثة مما يعبد والصنم الصورة بلا جثة ومنهم من سوى بينهما وقد يطلق على الصليب وكل مايشغل عن الله (وبغض الى الشعر) أى استماعه والتلفظ به (ولم أهم بشئ مما كانت الجاهلية تفعله الامرتين فعصمنى الله منهما ثم لم أعد) وكونه صلى الله تعالى عليه وسلم بغض اليه الشعر لا ينافى قوله ان من الشعر لحكمة لان فيه مايحمد كالحكم والمواعظ ومدح النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهجاء الكفار كما قال الله تعالى وانهم يقولون مالا يفعلون الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقد استمعه صلى الله تعالى عليه وسلم وأجاز قائله وقال مرة لقائله لا يفضض الله فاك لان الامر المذموم قد يحمد لعارض أو يقال تعريف الشعر للعهد وقوله أهم بفتح الهمزة وضم الهاء كما قاله البرهان الحلبى وفسر بمعنى لم أرد وأقصد وهذا اشارة الى حديث صحيح رواه البزار مسندا عن على كرم الله وجهه ولفظه ماهممت بشئ مما كان أهل الجاهلية يعملون به غير مرتين ذلك يحول الله بينى وبين ما أريد ثم ماهممت بعدها بشئ حتى أكرمنى الله تعالى برسالته ورواه فى المستدرك بلفظ آخر قلت ليلة لفتى من قريش كان باعلى مكة يرعى غنما أبصر لى غنمى حتى أسمر هذه الليلة بمكة كما يسمر الصبيان فجئت أدنى دار من دور مكة فسمعت غناء وصوت دفوف ومزامير فقلت ماهذا فقيل فلان تزوج فلانة فلهوت بذلك الغناء وذلك الصوت حتى غلبتنى عينى فما أيقظنى الاحر الشمس ثم رجعت الى صاحبى فقال لى مافعلت فاخبرته ثم فعلت الليلة الاخرى كذلك والله ماهممت بغيرهما مما تفعله الجاهلية وروى ان الله ألقى عليه النوم فى المرتين صيانة له وليس فى هذا ارتكابه لمحرم لانه كان قبل تحريم السماع ولان ضرب الدف فى العرس غير ممنوع وأما النهى عن سمر الليل فليس نهى تحريم مطلقا وكان مباحا اذ ذاك مع انه شرعا قد يكون أفضل من النوم كمذاكرة العلم وانما يحرم أو يكره لعارض كما ذكره الفقهاء وقوله فعصمنى الله أى حفظنى من ذلك لما غلب عليه من النوم حتى لم يسمع وماوقع فى بعض الشروح ان كلامه اشارة الى أنه كان لقريش صنم يسمى بوانه يجتمع عنده فى كل عام فقالوا له انك لا تجتمع مع قومك ولا تكثر لهم جمعا فذهب ثم عاد مرعوبا لرؤيه رجل طويل حال بينه وبينها فغير مناسب هنا مع ان فى روايته كلاما للسهيلى ليس هذا محله والمراد بالجاهلية ما كان قبل البعثة فى زمن الفترة كما تقدم (ثم يتمكن الامر لهم وتترادف نفحات الله عليهم) الضمير للانبياء عليهم الصلاة والسلام والظاهر أنه معطوف على غرزت من قوله سابقا بل غرزت فيهم الاخلاق الى آخره وعطفه بثم لبعد رتبته أو زمانه باعتبار الابتداء أو الانتهاء ويتمكن بمعنى يقرو يثبت لا بمعنى يزداد لانه تفعل من المكان والمراد بالامر ما أودع فيهم من الكمال والعلوم وتترادف تتفاعل من الردف وهو الركوب خلف غيره والمراد أنها تتوالى

وتشرق) من الاشراق أي تضيء (أنوار المعارف في قلوبهم) أي وآثار العوارف على صدورهم (حتى يصلوا الغاية) وفي نسخة الى الغاية أي نهاية أرباب الهداية وأصحاب العناية (ويبلغوا باصطفاء الله تعالى لهم بالنبوة في تحصيل هذه الخصال الشريفة النهاية) بالنصب مفعول يبلغوا والمراد بها النهاية التي ما فوقها نهاية لكن كما قيل النهاية هي الرجوع الى البداية فهم بين فناء وبقاء ومحو وصحو في مرتبة الكمال بين صفتي الجلال والجمال (دون ممارسة ولا رياضة) أي من غير معالجة وملازمة رياضة كسبية بل بخلقة جبلية وجذبة الهية (قال الله تعالى ولما بلغ أشده) أي وصل موسى نهاية قوته وغاية نشأته من ثلاثين الى أربعين سنة (واستوى) أي استحكم عقله واستقام حاله وبلغ أربعين سنة وهو سن بعث الانبياء عليهم السلام غالبا في سنة الله وعادته سبحانه وتعالى (آتيناه حكما) أي نبوة (وعلما) أي معرفة تامة وأبعد الدلجي في تفسيره الحكم بعلم الحكماء ثم في ترجيحه (وقد نجد) أي نصادف (نحن غيرهم) أي غير الانبياء من العقلاء والحكماء والاولياء (يطبع على بعض هذه الاخلاق) أي الكريمة المستحسنة (دون جميعها) وفي أصل الدلجي دون بعضها (ويولد عليها) أي يولد بعضهم على تلك الاخلاق (فيسهل عليه اكتساب تمامها) بواسطة تخلقه واتصافه بها (عناية) أي بعناية (من الله تعالى كما نشاهد من خلقة بعض الصبيان) بكسر الخاء المعجمة وسكون اللام (على حسن السمت) أي الهيئة والطريقة والتحلية بحلية أهل الحقيقة كما روي عن بعض أرباب هذا الشأن انه لم يكن يرضع في نهار رمضان (أو الشهامة)

فيأتي بعضها عقب بعض ونفحات بفتحتين جمع نفحة بالسكون وهي في الاصل رائحة تأتي مع هبة من النسيم طيبة وهي هنا بمعنى الهبة والعطية قال

لما أتيتك أرجو فضل نائلكم * نفحتني نفحة طابت لها العرب

والمراد هنا أمداد الله لهم بوحي وغيره واطلاق النفحة على ما يصيب من الشر مجاز اتهكم كقوله تعالى ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك وفي الحديث ان لربكم نفحات الا فتعرضوا لها (وتشرق أنوار المعارف في قلوبهم) تشرق بمعنى تضيء يقال أشرقت الشمس اذا أضاءت وشرقت اذا طلعت والمعارف العلوم الربانية (حتى يصلوا الغاية) أي غاية الكمال في التخلق باخلاق الله تعالى (ويبلغوا باصطفاء الله تعالى لهم) أي بجعلهم من صفوة خلقه الذين اختارهم (بالنبوة) متعلق بيبلغوا أو باصطفاء (في تحصيل هذه الخصال الشريفة النهاية) التي لا يصل اليها غيرهم والغاية والنهاية واحد لكنه تفنن في العبارة (دون ممارسة) أي من غير تكرار عمل ومزاولته (ولا رياضة) أي تمرين على العمل باعتباره من رضت الدابة أروضها اذا عودتها السير والجري (قال الله تعالى ولما بلغ أشده) أي موسى صلى الله تعالى عليه وسلم بلغ نهاية قوته وتمام عقله وهو من ثلاثين الى أربعين أو ما بين ثماني عشرة الى ثلاثين وهو مفرد أو جمع لا واحد له أو واحده شدة أو شد بالفتح أو الكسر وقيل خمسا وعشرين لما روي عن عمر رضي الله تعالى عنه انه قال ينتهي لب الرجل اذا بلغ خمسا وعشرين قيل هذا لا ينافي ما مر لما ذكره الفقهاء من ان رشد البالغ ببلوغ هذا السن لانه حال كمال لبه كما مر عن عمر رضي الله عنه (واستوى) ذكر الاستواء في قصة موسى عليه الصلاة والسلام ولم يذكره في قصة يوسف عليه الصلاة والسلام وقال التلمساني لان الاستواء كمال العقل ووقت الرسالة وموسى ارسل في ذلك الوقت ويوسف لم يرسل حينئذ ونقل ابن مرزوق عن ابن عرفة انه قال قال ابن جماعة من استوفى خمسين سنة فقد بلغ انتهاء الكهولة وهو منتهى الاشد ومن بلغ أربعين فقد بلغ حد الاستواء ومنتهى الكمال انتهى (آتيناه حكما) أي نبوة (وعلما) بالدين وسياسة الامة وكذلك نجزي المحسنين علق وقوع الجزاء بالاحسان للتنبيه على انه انما جازاهم لكونهم محسنين أي مخلصين مراقبين لله في أعمالهم وهل جزاء الاحسان الا الاحسان واستشهد المصنف رحمه الله تعالى بهذه الآية لانه تعالى أخبر فيها بكمالهم وترادف نفحات الله عليهم حتى ارتفعوا الى أقصى الدرجات من غير سبق ممارسة ورياضة (وقد نجد غيرهم) أي غير الانبياء عليهم الصلاة والسلام (يطبع) أي يخلق مجبولا (على بعض هذه الاخلاق الشريفة دون جميعها) وفي نسخة دون بعضها (ويولد عليها) وجوده فيه وجودا متأصلا وهذا كالتفسير لما قبله (فيسهل عليه اكتساب تمامها عناية من الله عز وجل) منصوب بنزع الخافض أي بعناية الله ولطفه اذ جبله على أصولها (كما نشاهد من خلقه) بكسر الخاء المعجمة وسكون اللام وقاف وهاء تأنيث أو بفتحها مضافا لضمير الله والاول أولى وعليه اقتصر ابن رسلان (بعض الصبيان على حسن السمت) السمت الطريق وهيئة أهل الخير يقال ما أحسن سمته أي هديه وسيرته وقد ورد في الحديث بهذا المعنى (أو الشهامة) أي أو خلقه على الشهامة بفتح الشين المعجمة والهاء والميم أي حدة الفؤاد والذكاء والجلادة والنفاذ في الامور يقال رجل شهم اذا كان سيدا نجيبا نشيطا في اكتساب المعالي وعدم الالتفات للملاحاة والخصومة وفي الحديث من لاحى الرجال سقطت مروءته وذهبت كرامته وما زال جبريل ينهاني عن ملاحاة الرجال

كما ينهانى عن عبادة الاوثان (أوصدق اللسان أو السماحة) كان الظاهر عطفهما بالواو ولكنه لما أتى بيانا لبعضها رأى أن أو الفاصلة أنسب (وكما نجد بعضهم على ضدها) أى ضد المذكورة كالكذب والبخل وعبر بعلى لانه متمكن منها تمكن الراكب من مركوبه كما فى قوله تعالى على هدى من ربهم (فبالاكتساب يكمل ناقصها) فان قلت لم عبر هنا بالكمال وقبله بالتمام وهل هو تفنن فى التعبير أو بينهما فرق قلت قال العينى بينهما فرق الا أنه لم يفصح عنه وقال ابن أبى الاصبغ فى كتاب التوكيد الفرق بينهما ان التمام الاتيان بما نقص من الناقص والكمال الزيادة على التمام فاذا قلت رجل تام الخلق لم يفهم منه السامع عربيا كان أوغيره الا أنه تام الخلق ليس فى اعضائه نقص فاذا قلت انه كامل فهم وصفه بمعنى زائد على التمام كالحسن والفضيلة الذاتية أو العرضية وهذا هو المتداول بينهم فالكمال تمام وزيادة فهو أخص منه وقد يطلق كل منهما على الآخر تجوزا وعليه قوله تعالى اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى انتهى وماذكره المصنف رحمه الله تعالى يتمشى على الاخير حيث جعل مافى حق الانبياء عليهم الصلاة والسلام تماما ومافى حق غيرهم كمالا ولو عكس كان أحسن (وبالرياضة والمجاهدة يستجلب معدومها) بالجيم والبناء للمجهول أى تكتسب وتحصل لمن لم يطبع على شئ منها وطبع على ضدها وان لم يكن الطبع كالتطبع وهذا قسم آخر غير ماتقدم فان الاول وهو مرتبة الانبياء عليهم الصلاة والسلام أن يطبع على جميعها والثانى أن يطبع على بعضها ويكتسب البعض وهذا ان تطبع على عدمها ولكونه ناقصا لم يتعرض له أولا فسقط ماقيل ان الرياضة والمجاهدة طريق الاكتساب وقد قرر انه يطبع على بعض هذه وبالاكتساب يكون كمالها الى كمال البعض الخلقى الا أنه بعينه استجلاب المعدوم بالنسبة لذلك البعض (ويعتدل منحرفها) المراد بمنحرفها المائل عن الاعتدال المحمود لانه هو الطريق فمن فرط أو أفرط فقد مال عنه وهذا بناء على القول الاصح أن الطباع يمكن تغييرها والالضاعت المواعظ والنصائح وكان الانسان دون البهائم التى برياضتها قد تتعلم ماليس فى طباعها وقد قال الله تعالى وعظهم وقل لهم فى أنفسهم قولا بليغا وقال الشاعر

تكرم لتعتاد الجميل فلن ترى * أخا كرم الا بان يتكرما

كما فصل فى علم الاخلاق (وباختلاف هذين الحالين) الجبلى والكسبى (يتفاوت الناس فيها) أى فى الصفات الحميدة قلة وكثرة وقوة وضعفا (وكل ميسر لما خلق له) هذا من الامثال النبوية وجوامع الكلم وهو بعض من حديث صحيح وأوله أعملوا فكل ميسر لما خلق له فمن خلق سعيدا يعمل عمل أهل السعادة ومن خلق شقيا يعمل عمل أهل الشقاء ولذا كان التوفيق خلق قدرة الطاعة والخذلان خلق قدرة المعصية وقال الله تعالى فامامن أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى (ولهذا) التفاوت فيها (ماقد اختلف السلف فيها) مافى أكثر النسخ وهى موصول اسمى أو حرفى أو زائدة ولذا سقطت من بعض النسخ وهو الاظهر والمراد بالسلف من تقدم من العلماء (هل هذا الخلق) الحسن الذى يحمده الناس (جبلة أو مكتسبة) الجبلة والغريزة والطبيعة والسليقة بمعنى وهى بكسر الجيم والباء وتشديد اللام وتخفيفها (فحكى) الامام المفسر محمد بن جرير (الطبرى عن بعض السلف أن الخلق الحسن) الذى يجمع أكثر الطبائع المحمودة (جبلة وغريزة) خلقها الله (فى العبد) وتعبيره بالعبد ايماء الى ان المطلوب منه تخلقه باخلاق الله سيده (وحكاه عن عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه والحسن) البصرى (وبه قال هو) أى ابن جرير

بفتح المعجمة أى على الجلادة وذكاء الفطنة (أوصدق اللسان) أى مع نطق البيان (أو السماحة) أى الجود والكرم والصبر والحلم وقلة الاكل وكثرة الحياء وكمال الادب والرضى بما أعطى من المأكل والملبس وغيرهما (وكما نجد بعضهم) أى بعض غير الانبياء أو بعض الصبيان (على ضدها) أى فى الصغر والكبر (فبالاكتساب يكمل) بضم الميم أى يتم (ناقصها وبالرياضة والمجاهدة يستجلب معدومها) بصيغة المجهول (ويعتدل منحرفها) أى مائلها لمن وفقه الله تعالى على اكمالها واستقامة أحوالها (وباختلاف هذين الحالين) أى الجبلى والكسبى (يتفاوت الناس فيها) أى قلة وكثرة وتحصيلا وتعطيلا (وكل ميسر) أى معدوميا (لما خلق له) وهو مقتبس من حديث أعملوا فكل ميسر لما خلق له امامن كان من أهل السعادة فييسر لعمل أهل السعادة وامامن كان من أهل الشقاوة فييسر لعمل أهل الشقاوة (ولهذا) أى ولتفاوت الناس فيها وفى أكثر النسخ ولهذا (ما) أى وثبت لهذا ما (قد اختلف السلف فيها) أى فى الاخلاق (هل هذا الخلق) أى الحسن أو جنسه (جبلة أو مكتسبة فحكى الطبرى) أى صاحب التفسير والتاريخ (عن بعض السلف ان الخلق الحسن) أى وكذا ضده (جبلة وغريزة فى العبد وحكاه) أى بعض السلف أو الطبرى (عن عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه والحسن) أى البصرى (وبه قال هو) أى ابن جرير الطبرى

(والصواب ما أصلناه) أي جعلناه أصلا فيما مر ان منها ماهو جبلة غريزية ومنها ماهو كسبية رياضية وكان حق المصنف ان يقول والظاهر أو الصحيح كما في نسخة مكان قوله والصواب مراعاة لما سبق من السلف كما يقتضيه حسن الآداب ثم التحقيق ما قدمناه (وقد روى سعد) أي ابن أبي وقاص كما في مقدمة كامل بن عدي وفي مصنف ابن أبي شيبة عن أبي امامة (عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال كل الخلال) بكسر الخاء جمع خلة بالفتح أي الصفات والخصال (يطبع عليها المؤمن الا الخيانة) ضد الامانة (والكذب) أي فلا يطبع عليهما بل قد يوجدان فيه ويعرضان ويحدثان تخلقا وتكسبا (وقال عمر رضي الله تعالى عنه) أي ابن الخطاب كما في أكثر النسخ (في حديثه) أي الذي رواه ابن جرير وابن أبي حاتم وسعيد بن منصور عنه موقوفا (الجرأة) على وزن الجرعة الشجاعة ويقال بفتح الراء وحذف الهمزة كما يقال للمرأة مرة وبفتح الجيم والراء والمد (والجبن) ضدها وهو بضم الجيم وسكون الباء وقد يضم (غرائز) جمع غريزة أي طبائع وقرائح (يضعها) وفي نسخة يضعها (الله حيث يشاء) أي كما قال تعالى الله اعلم حيث يجعل رسالته انتهى كلامه رضي الله تعالى عنه (وهذه الاخلاق المحمودة والخصال الجميلة) وفي نسخة الشريفة بدلها وفي نسخة جميعها (كثيرة ولكن) وفي رواية ولكنا وفي أخرى ولكننا (نذكر أصولها) أي في فصولها (ونشير الى جميعها) أي باعتبار فروعها (ونحقق) أي نثبت (وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم بها) أي على وجه كمالها (ان شاء الله تعالى) أي اتمام ما قصدنا اليه

صرح به لانه لا يلزم من حكايته اعتقاده له (والصواب ما أصلناه) أي قدمناه وجعلناه أصلا وقاعدة فيما مر من ان منها ماهو جبلة غير مكتسبة ومنها ماهو مكتسب بالتعلم والرياضة وقد تقدم الكلام عليه (وقد روى سعد) أي ابن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه (عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال كل الخلال) بكسر الخاء المعجمة بوزن رجال جمع خلة بفتح الخاء المعجمة وتشديد اللام وهي الخصلة والصفة (يطبع عليها المؤمن الا الخيانة والكذب) وهو حديث صحيح رواه أحمد في مسنده والبيهقي في شعب الايمان وابن أبي شيبة في المصنف عن أبي امامة رضي الله تعالى عنه ورواه ابن أبي الدنيا في الصمت عن سعد مرفوعا وموقوفا وقال الدارقطني في العلل الموقوف أشبه وعنه صلى الله تعالى عليه وسلم كما رواه الذهبي يطبع المؤمن على كل شئ الا الخيانة والكذب والخيانة ضد الامانة وهي تشتمل أمورا كالسرقة وانكار الوديعة وخيانة غيره بالنظر لزوجته ونحو ذلك والكذب معروف يعني ان هذين لا يكون طبيعة مخلوقة في المؤمن مطلقا لان المؤمن جبلته وفطرته سليمة وهاتين الخصلتين في غاية القبح فلا يختار اتصافه بهما وان كانت هذه الخصلة لا تقتضي كفره أو المراد المؤمن الكامل (وقال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه) قال السيوطي رواه عنه سعيد بن منصور في سننه وابن جرير وابن أبي حاتم (في حديثه والجرأة) بوزن الجرعة وقد تنقل حركة الهمزة للراء وتحذف وهي الشجاعة أو أعم منها ومقابلها ما أشار اليه بقوله (والجبن) بضم الجيم والباء وتخفيف النون وتسكن باؤه كثيرا وهو عدم الاقدام للخوف وضده الشجاعة واما الجبن المأكول فبتثقيل الباء والنون وقد تخفف فيكون كهذا ولذا تلمح القائل

يقولون لي هل اجترأت لدى الوغى * وكنت شديد البأس في الضرب والطعن
فقلت دعوني قانعا بسلامتي * فاني ممن يأكل الخبز بالجبن

(غرائز يضعها الله تعالى حيث يشاء) وفي هذا وما قبله دليل لما صوبه فانه فيما قبله جعل الخيانة غير مطبوعة وفي حديث عمر رضي الله عنه جعل الخيانة والجرأة غريزتين مطبوعتين فدلا على ما ادعاه من ان منها ماهو طبيعي ومنها ماهو غير طبيعي (وهذه الاخلاق المحمودة والخصال الشريفة كثيرة) لا يمكن استيفاء اقسامها تفصيلا (ولكنا نذكر أصولها) التي تتضمن باقيها اجمالا (ونشير الى جميعها) اشارة لا تصريحا (ونحقق وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم بها ان شاء الله تعالى) فانه المقصود من ذكرها

*(قد تم بحمد الله طبع الجزء الاول من الشفا ويليه الجزء الثاني أوله فصل اما أصل فروعها)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(فصل أما أصل فروعها) هذا الفصل معقود لبيان أصول الاخلاق صريحا والاشارة الى جميعها تلويحا التحقق وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم بها وضمير فروعها للاخلاق المذكورة قبله (وعنصر) هو بضم الصاد وفتحها والاول أشهر والثانى أفصح ومعناه الاصل والمادة والعناصر اذا أطلقت يراد بها التراب والماء والهواء والنار لتركب جميع الاجساد منها والينابيع فى قوله (ينابيعها) جمع ينبوع وهو ما ينبع الماء منه كالعين وكل ما يتفجر منه الماء (ونقطة دائرتها) والنقطة جزء من الخط والسطح مركب من خطوط مسطحة فاذا كان السطح مستديرا يكون فى حاق وسطه نقطة جميع الخطوط الخارجة منها الى الخط المستدير الذى يحيط بالسطح متساوية فتلك النقطة تسمى مركزا وذلك السطح يسمى دائرة وكذا الخط المحيط به ويصح ارادة كل منهما هنا فشبه العقل الذى مبنى الاخلاق عليه بشجرة أصلها العقل وفروعها الاخلاق ونورها وثمراتها ما يظهر منها وينتفع به غيره ثم شبهه بعين تلك الاخلاق كأنها الفائض منها ثم شبهه بنقطة فى الوسط المعتدل يتساوى جميع جوانبها والاخلاق كسطح أو خط محيط بها فقال (فالعقل) وهو مشتق أى مأخوذ من عقله اذا شده فمنعه من الحركة لانه يمنع صاحبه مما لا يليق أو من المعقل وهو الملجأ لالتجاء صاحبه اليه وهو كما قال الراغب يقال للقوى المتهيئة لقبول العلم ويطلق على العلم المستفاد منه ولذا قال على كرم الله وجهه العقل عقلان مطبوع ومسموع ولا ينفع مطبوع اذا لم يكن مسموع كما لا ينفع ضوء الشمس وضوء العين ممتنع * وفى الحديث ما كسب أحد شيأ أفضل من عقل يهديه الى هدى أو يرده عن ردى * وقال بعض الحكماء هو جوهر وقال آخرون جسم شفاف محله الدماغ أو القلب والاصح انه قوة نفسية هى منشأ الادراك وليس المراد به هنا العقل العاشر المسمى بالعقل الفعال كما قيل لان أهل الشرع لا يقولون بمثله وقوله (الذى ينبعث منه) أى ينشأ ويخرج وهذا ناظر لكونه ينبوعا وقوله (العلم والمعرفة) العلم يكون بمعنى مطلق الادراك وبمعنى

ادراك

(فصل) أى فى بيان أصول هذه الاخلاق تصريحا والاشارة الى جميعها تلويحا وتحقق وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم بها توضيحا (أما أصل فروعها) أى افرادها من حيث انبعاثها من العقل الذى هو معدنها (وعنصر ينابيعها) بضم العين والصاد ويفتح أى أصلها الذى كأنها تنبع منه حين ظهورها والعطف تفسير فى العبارة وتفنن بالاشارة (ونقطة دائرتها) أى مركزها وقطبها الذى هو مدارها (فالعقل) أى ادراك النفس باشراق ظهوره أو افاضة نوره كالشمس بالنسبة الى الابصار (الذى منه ينبعث العلم) بالكليات (والمعرفة) بالجزئيات

(ويتفرع من هذا) أي من كونه أصلا (ثقوب الرأي) أي نفوذه وأحكامه (وجودة الفطنة) بفتح الجيم أي حسن الفهم (والاصابة) بالرفع وفي نسخة بالجر والمراد بها ادراك الغرض على وجه الصواب (وصدق الظن) ٣ بالرفع لاغير والمراد موافقته للواقع في الخارج أو الذهن (والنظر للعواقب) أي التامل والتدبر في عواقب الامور ليتميز محمودها من مذمومها فيكتسب المدائح ويجتنب القبائح (ومصالح النفس) أي لمصالحها ومنافعها ومحاسن عاقبتها مما لها دون ما عليها (ومجاهدة الشهوة) أي لمدافعتها وفي بعض النسخ بالرفع أي ويتفرع منه مجاهدة النفس بترك الشهوات واللهوات والغفلات وحملها على الطاعات والعبادات (وحسن السياسة) بالرفع أي سياسة الناس بالعدالة وصدق اللهجة ووفق النهجة (والتدبير) أي وحسن التدبير لامورهم معاشا ومعادا (واقتناء الفضائل) بالرفع أي تكسب الشمائل (وتجنب الرذائل) ويحصل الكل بمخالفة الشهوة والهوى وموافقة الشريعة والهدى (وقد أشرنا) أي فيما سبق (الى مكانه) أي محله (منه صلى الله تعالى عليه وسلم) أي لتمكنه من كمال العقل الذي هو أساس العمل بالعدل في جميع مراتب القول والفعل (وبلوغه منه) أي والى وصوله منه على كمال فصوله في حصوله (ومن العلم) أي وتمكنه من العلم الحاصل المتفرع على العقل الكامل (الغاية) أي بلوغه للغاية القصوى كما في نسخة (التي لم يبلغها بشر سواه واذ جلالة محله من ذلك) أي من أجل جلالة محله من العقل والعلم

ادراك الكليات والمعرفة ادراك الجزئيات وقيل انها ما سبق بالجهل وقال البيضاوي انها تكون بمعنى العلم كما ان العلم يكون بمعنى المعرفة كما في قوله تعالى وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم أي الله يعرفهم والعلم بمعنى المعرفة قال الفاضل المحشي معترضا عليه صرحوا بان العلم بمعنى المعرفة لا يطلق على الله لاقتضائه سبق الجهل وتبع فيه السيد في شرح المواقف في قوله علم الله لا يسمى معرفة لا اصطلاحا ولا لغة اجماعا وخطأه فيه الحافظ العراقي رحمه الله تعالى في نكته على المنهاج فقال ان امام الحرمين فسر العلم به واطلاق المعرفة على الله ورد في الحديث وكلام الصحابة وأهل اللغة والمتكلمين انتهى فاي اجماع مخالف لهذا ومثله عجيب من الشريف (ويتفرع) أي ينبني ويظهر ناظرا لكونه أصلا (عن هذا) عداه بعن لتضمين يتفرع معنى ينشأ والمعروف تعديته بعلى وهذا اشارة للاصل الذي هو العقل (ثقوب الرأي) أي نفاذ رأيه فيما يفكر فيه ويدرك به عواقب الامور ومنه كوكب ثاقب أي مضيء فقوله (وجودة الفطنة) وهي الحذق وسرعة الانتقال (والاصابة) أي موافقة الصواب فيه تفسير لثقوب الرأي (وصدق الظن) أي موافقته للواقع كاليقين كما قال

الالمعي الذي يظن بك الظن * كأن قد رأى وقد سمعا

(والنظر للعواقب) أي كأنه ينظر عواقب الامور ويشاهدها كما قال

واني لارجو الله حتى كأنما * أرى بجميل الظن ما الله صانع

(ومصالح النفس) مجرور معطوف على العواقب أو مرفوع معطوف على ثقوب الرأي أي ما فيه صلاح وخير لها (ومجاهدة الشهوة) أي مدافعتها وممانعتها عما تريده فانه جهاد أكبر وأعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك (وحسن السياسة) لغيره بأمره من ساسه اذا حكم عليه وهو لفظ عربي لقوله وكنا نسوس الناس والامر أمرنا * وليس معربا كما توهمه ابن كمال في رسالة التعريب كما مر بيانه (والتدبير) النظر في ادبار الامور وعواقبها وهو عطف تفسير لما قبله أيضا (واقتناء الفضائل) أي اكتسابها والتحلي بها (وتجنب الرذائل) أي ترك كل ما يذم وينقص به الانسان كالكذب والخيانة (وقد أشرنا) أي ذكرنا فيما تقدم فيما أوردناه في صفاته والاشارة وان كانت تطلق على ما يقابل العبارة قد يراد بها العبارة أيضا لنكتة (الى مكانه منه عليه الصلاة والسلام) الضمير الاول له صلى الله تعالى عليه وسلم والثاني للعقل والمكان المرتبة المعنوية في الفضائل يقولون فلان بمكان من الفضل يريدون علو رتبته فيه وقيل المراد مكانه من العقل بمعنى انه حائز له ومالك لامره على طريقة التجريد مبالغة في تمكنه منه ولا يخفى ما فيه من التكلف من غير داع له (وبلوغه منه ومن العلم الغاية التي لم يبلغها بشر سواه) كما سنبينه (واذ جلالة محله من ذلك) قيل الظرف متعلق بقوله حارت العقول الآتي في آخر الفصل أي حارت العقول وقت حلوله الى آخره أو اذ تعليلية أي حارت العقول لاجل الخ وقيل انه علة للاشارة الى مكانه منه وبلوغه غايته أي من أجل ان جلالة محله الخ واذ تعليلية كما في قوله تعالى ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم وقيل المعنى من أجل ان جلالة محله متحقق يجب اعتقاد ذلك ويجوز أن يكون ذلك لمجرد التحقق ولا يخفى ما في هذا كله من التكلف والذي ظهر لي انه معطوف على ما قبله لانه يعلم من اشارته الى مكان منه لم يبلغه غيره علو ظاهر فيه فكأنه قال اذ علو قدره فيه محسوس مشاهد واذ جلالة محله أمر متحقق بالدليل القاطع فاستدل عليه بالحس والعقل ومثله يسمى العطف على المعنى وهو في القرآن وكلام العرب متداول قال ناظر الجيش في شرح التسهيل في قوله

أجدك لن ترى بثعيلبات * ولا بيدان ناجية ذمولا
ولا متدارك والليل طفل * ببعض نواشغ الوادي حمولا

(ومما تفرع) وفى نسخة ومما يتفرع (منه متحقق) وروى متحققة أى ثابت مقطوع به فى أمره لا ريب فى علو قدره (عند من تتبع) أى علم بالتتبع وفى نسخة بصيغة المضارع المجرد والاظهر أن يكون بالمضارع المزيد أى يطالع (مجارى أحواله) أى الجارية على سنن الحق ووفق الصدق (واطراد سيره) جمع سيرة أى ويشاهد استمرار شمائله الرضية الظاهرية وفق أحواله البهية الباطنية فان الظاهر عنوان الباطن والاناء يترشح بما فيه (وطالع) أى علمها بطريق المطالعة (جوامع كلمه) اليسير المبنى والكثير المعنى (وحسن شمائله وبدائع سيره) أى وطالع ورأى فى الكتب أخلاقه الحسنة وسيره البديعة وسير سلوكه المنيعة (وحكم حديثه) بكسر الحاء وفتح الكاف جمع حكمة أى أحاديثه المشتملة على الحكم الكاملة الشاملة لاتقان العلم والعمل (وعلمه) أى طالع احاطة علمه (بما فى التوراة والانجيل) بكسر الهمزة ويفتح (والكتب المنزلة) اما مفصلة واما مجملة مما يحتاج اليه أمر دينه فى الجملة (وحكم الحكماء) أى علمه حكمهم ومعرفته حكمتهم (وسير الامم الخالية) أى الماضية (وأيامها) أى وقائعها فى قصص الانبياء السالفة (وضرب الامثال) أى الواقعة فى الاقوال والافعال (وسياسات الانام) أى أنواع زجر العوام كالانعام لتحصيل تمام النظام فى الليالى والايام

من

متدارك بالجر لان المعنى لست برآ ولا متدارك وجعله أبو حيان من العطف على التوهم كقوله

مشائيم ليسوا مصلحين عشيرة * ولا ناعب الا ببين غرابها

والاولى انه من العطف على المعنى وفرق بينه وبين العطف على التوهم وفيه كلام وقد بيناه فى نكت المغنى وقوله من ذلك اشارة للاصل ولو سلمنا صحة تعلقه بقوله حارت كان معطوفا على ما قبله ولا وجه له (وما يتفرع منه) من الاخلاق الشريفة وثمراتها (متحقق) لا ريب فيه لتواتره بحسب المعنى (عند من تتبع) أى علم فعبر بالسبب عن مسببه كما قالوه فى تتبع خواص التراكيب (مجارى أحواله) جمع مجرى أو مجرى بالضم وأصله مسيل الماء والمراد ما جرت به عادته فى أحواله ولا يخفى لطفه مع ملاحظة قوله أولا ينابيعها فانه جار على مجراها ومنحدر اليها (واطراد سيره) الاطراد افتعال من الطرد وهو الجرى خلف شئ من صيد أو غيره ومنه مطاردة الفرسان فى الميدان ومناسبته للسير وان كان المراد بها مطلق الصفات لانها تختص بالغزوات وقيل المراد محال اطرادها ليوافق قوله مجارى أحواله أى محال جريانها والاطراد مصدر اطرد الشئ تبع بعضه بعضا فجرى والانهار تطرد أى تجرى ومنه الاطراد البديعى لسرد أسماء الممدوح وآبائه مرتبة والمعنى جرى سيره فى جداول الكتب منسجمة فهو استعارة وجه الشبه فيها الكثرة ولا يخفى ما فيه من البعد (وطالع جوامع كلامه) اما جمع جامع والمراد الكتب الجامعة للحديث الشريف أو كلماته الجامعة للحكم التى تتحير فيها عقول البلغاء والحكماء (وحسن شمائله) بالجر معطوف على كلامه وهى جمع شمال بمعنى الخلق والصفة قال

* فالمؤمن أحمد من شمائليا * أى من خلقى وعادتى (وبدائع سيره) أى سيره البديعة وينبغى ان يراد بها كتب السير حتى لا يكون مكررا مع ما مر (وحكم حديثه) بكسر الحاء وفتح الكاف وهى القول المصيب غرض الحق والحديث معروف (وعلمه بما فى التوراة والانجيل والكتب المنزلة) بالتشديد والتخفيف على الانبياء عليهم الصلاة والسلام كالزبر والصحف أى على علمه بذلك والتوراة أجل الكتب المنزلة قبل القرآن وأصلها وورية أبدلت الواو تاء ووزنها تفعلة بفتح العين أو كسرها وقيل وزنها فوعلة والانجيل بالكسر وقد تفتح من النجل وهذا أمر تقديرى ليجرى عليه أحكام الالفاظ العربية اذ الاشتقاق لا يجرى فى غير كلام العرب (وحكم الحكماء) جمع حكمة أى ما لهم من الحكم فى كلامهم فانهم كان لهم اعتناء بذلك وقد رأينا جمعها ابن مشكويه فى كتاب كبير سماه جاودان خرد وقد طالعته فرأيت أكثره ورد فى الاحاديث الشريفة ولكن أين الثريا من الثرى فان رونق الالفاظ النبوية لا يمكن مضاهاته (وسير الامم الخالية) أى ما وقع فى زمنهم من الاحوال كما كان صلى الله عليه وسلم يحدث عن بنى اسرائيل وما كان من عجائبهم (وأيامها) أى وقائعها فى حروبها ومجادلاتها فان الايام شاعت بهذا المعنى كما يقال يوم حليمة ويوم بعاث وهو اطلاق شائع صار حقيقة فيه ومما قلته مشيرا لهذا المعنى

تمنيت من دهرى زمان نشأتى * زمانا به طيف السرور كأحلامى

فما بايام على اثر ما مضى * ولكن حروب قد تسمت بايام

(وضرب الامثال) الامثال جمع مثل وهو كلام شبه مضربه بمورده الذى وقع فيه أولا مستعار من ضرب الخاتم أو اللبن كما حققه أهل المعانى والتفسير وهو مما يعتنى به البلغاء لكشف المعنى الممثل له وابرازه فى صورة المشاهد الى غير ذلك والامثال النبوية أفردت بالتأليف (وسياسات الانام) السياسة ضبط أمور العامة باللسان والسنان وتدبير أحوالهم وليس المراد حسن المداراة كما قاله التلمسانى والانام الخلق وقيل الانام عبارة عما يعتريه اللوم أو الانس أو الجن أو ما على الارض

من الخلق فيختلف بحسب ما يضاف اليه (وتقرير الشرائع) أي بيان ما يتعلق باحكام الشرع في المعاملات وغيرها (وتأصيل الآداب النفيسة) أي بيان أصول الآداب التي تتأدب بها الناس في مجالسهم ومحاوراتهم كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم اكرموا عزيز كل قوم ونهيه عن الملاحاة والمجادلة كامر وقوله تهادوا تحابوا وسماها نفيسة لانها مما يتنافس فيها المتنافسون (والشيم الحميدة) جمع شيمة وهي العادة قالوا الانصاف من شيم الاشراف أي عاداتهم والحميدة بمعنى المحمودة مضمومة وماذكر (الى فنون العلم) التي كانت في الامم السالفة كالطب وغيره لما لم ينه الشرع عنه (التي اتخذ أهلها كلامه عليه الصلاة والسلام فيها قدوة) اقتدوا به فيها واستدلوا به عليها (واشاراته) في اثناء كلامه بها (حجة) دليلا عليها (كالعبارة) بفتح العين بضبط القلم والمحفوظ فيه كسرها كما قاله البرهان الحلبي وذكره الازهري والجوهري الا انه لم يضبطه والذي في النسخ كسر العين بمعنى تفسير الرؤيا وهو على قسمين في الرؤيا الصحيحة لانها على ثلاثة أقسام رؤيا ظالمة من الشيطان ومن عوارض بدن الانسان كمن غلبت عليه الحرارة فرأى نارا توقد عنده أو البرودة فرأى ماء وبحرا أو أكل ما كل غليظة سوداوية كالباذنجان فرأى سوادا ويسمى أضغاث أحلام ولا تأويل لها وكذا من غلب فكره في شيء فرآه كما قال المعري

الى الله أشكو انني كل ليلة * اذا نمت لم أعدم خواطر أوهامي

فان كان شرا فهو لابد واقع * وان كان خيرا فهو أضغاث أحلام

ورؤيا من الله يريها له ملك الرؤيا عند أهل الشرع أو تدركها الروح اذا انقطعت عنها علائق البدن واتصلت بالملأ الاعلى فتلقيها الى القوة المتخيلة فترتسم في الحافظة وتبقى مشاهدة فيها حتى يستيقظ فان كانت النفس قدسية والقوى قوية وقع ما رأته بعينه ولم يحتج للتأويل وهو الاكثر في رؤيا الانبياء عليهم الصلاة والسلام ومن كان على سننهم ولذا أراد الخليل عليه الصلاة والسلام ذبح ابنه ولم يأول رؤياه بالفداء حتى أمره الله تعالى به والا أول بما يناسبه معنى أو لفظا أو محاكية صورة وفعلها عبر بالتخفيف يعبر بالضم عبارة بالفتح كعلاقة وظلامة أو عبارة كرسالة وقد تشدد فيقال عبر تعبيرا قال في الكشاف في سورة يوسف رأيتهم ينكرون عبرت بالتشديد والتعبير والمعبر وقد عثرت على بيت أنشده المبرد في الكامل يدل عليه وهو

رأيت رؤيا ثم عبرتها * وكنت للاحلام عبارا

انتهى هذا ماذكره من يوثق به في اللغة كالجوهري وصاحب القاموس وغيره وقال في عمدة الحفاظ العبارة بكسر العين تختص بالكلام لعبور الهواء من لسان المتكلم لسمع السامع ولا يستعمل في تفسير الرؤيا انتهى يعني انها فيه مفتوحة لا غير فتوهم بعض الشراح انها بكسر العين لا غير وانه أنكر هذا اللفظ مطلقا وأساء سمعا فساء ماجابه ثم جاء من بعده فضاربه مضاربة العميان فقال انه كلام ضعيف مردود فلم يقف على المراد ولم يات بما يدفع الايراد فاخطأ في المعنى والعبارة واما تحقيق معنى الرؤيا فليس هذا محله ولعل النوبة تفضي اليه في بحث النبوة وقد أفردناه تعليقه (والطب) وهو مثلث الطاء الا انه لم يستعمل فيما نحن فيه الا بالكسر والمراد به علم يتعلق ببدن الانسان من حيث الصحة والمرض وهو من علوم الاوائل وللعرب به اعتناء وقد أفرد الطب النبوي بالتأليف (والحساب) بكسر الحاء مصدر حسب بمعنى عد ثم صار علما لعلم يعرف به أحوال المقادير وهو من العلوم الرياضية القديمة (والفرائض) ذكره بعد الحساب لتوقفه عليه وهو علم يعرف به أحوال المواريث وهو جمع فريضة بمعنى مفروضة لان الله فرضه وهو من العلوم الاسلامية واطلاق

(وتقرير الشرائع) أي بيان أحكامها أصولا وفروعا (وتأصل الآداب النفيسة) أي وتأسيس أبواب الآداب المرغوبة وفي نسخة النفسية والظاهر انه تصحيف (والشيم الحميدة) أي الاخلاق والعادات المطلوبة (الى فنون العلوم) أي منضمة أو منتهية الى غير ذلك من أنواع المعارف وأصناف العوارف (التي اتخذ أهلها كلامه عليه الصلاة والسلام فيها قدوة) بتثليث القاف والكسر أشهر ثم الضم أي مقتدى اقتدوا به (واشاراته حجة) أي واتخذوا اشارته بها ونحوها دلالة بينة واستدلوا بها (كالعبارة) بكسر العين مصدر عبر الرؤيا يعبر بمعنى التعبير والتفسير أي ذكر عاقبتها وآخر أمرها ومثله التأويل أي ذكر مآلها ومرجعها (والطب) بتثليث الطاء وتشديد الباء والكسر أصح وأفصح مصدر طب أي عالج ووصف الدواء وازال الداء وصار سبب الشفاء (والحساب) مصدر حسب أي عد وهو علم يعرف به مقادير العدد بنوع الجمع والتفريق (والفرائض) جمع فريضة من الفرض بمعنى التقدير وهو علم يعرف به علم الميراث ومراتب الورثة من أصحاب الفرائض والعصبة وحكم سائر القرابة

(والنسب) بفتحتين من نسبت الرجل عزوته الى أبيه ورجل نسابة أى بليغ العلم بالانساب وتاؤه للمبالغة كالعلامة (وغير ذلك) أى من علوم شتى ظهرت عليه فى ٦ متفرقات حالاته (مماسنبينه فى معجزاته) أى فى أواخر الباب الرابع فى ذكر معجزاته (ان شاء الله تعالى دون تعليم) أى من غير تعليم له من بشر ولا تعلمه من أحد (ولا مدارسة) أى بينه وبين من يدرس غيبا (ولا مطالعة كتب من تقدم) ليتعلم منها نظرا فيما لا يعلم (ولا الجلوس الى علمائهم) أى علماء أهل الكتاب ولا عرفاء المشركين فى كل باب (بل نبى أمى) أى منسوب الى أمه على وصف ما خلق حين تولده من غير قراءة وكتابة ومباشرة شعر وخطابة (لم يعرف) بصيغة المجهول أى لم يشتهر (بشئ من ذلك) أى مما ذكر (حتى شرح الله صدره) أى وسعه ونوره بالايمان والمعرفة والعلم والحكمة (وأبان أمره) أى وأظهر قدره بآيات ظاهرة ومعجزات باهرة (وعلمه) أى ما لم يكن يعلم (وأقرأه) أى ما لم يكن يقرأ أو يتعلم كما قال سبحانه وتعالى فى مبدأ وحيه اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم (يعلم ذلك) بصيغة المجهول أى يعرف جميع ما ذكر (بالمطالعة) فى دلائل نبوته وشمائل سيرته (والبحث عن حاله) أى التفحص عن افعاله (ضرورة) أى علما ضروريا قارب أن يكون بديهيا (وبالبرهان) أى ويعلم ذلك بالدليل (القاطع) مما حلق قام من الارهاصات بعد خلقته والمعجزات (على) دعوى (نبوته نظرا) أى علما نظريا واستدلاليا فكريا (فلا نطول بسرد الاقاصيص)

هذا اللفظ عليه بعد نزوله القرآن ومعناه ظاهر (والنسب) أى معرفة انساب الناس من آدم عليه الصلاة والسلام الى كل عصر وهو من علم التاريخ وكانت العرب تعتنى به وهو أعلم الناس به وأعلم الناس به بعد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الصديق رضى الله تعالى عنه وهو من نسبت الرجل اذا عزوته لابيه ومناسبته للفرائض ظاهرة وهذه العلوم كلها شرعية وفرض كفاية لاسيما الفرائض والانساب فان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أمر بالمحافظة عليها ولعن من انتسب لغير نسبه فقال من خرج من نسبه وانتمى لغير قبيلته فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين كما نقله التلمسانى (وغير ذلك مما سنبينه فى معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم فى أبوابه ان شاء الله تعالى) وقد حصل له عليه السلام ذلك (دون تعليم) من أحد من البشر والظرف متعلق بقوله علمه السابق (ولا مدارسة) من درس الكتاب اذا قرأه وحفظه أى لم يعرف بأخذه من الافواه وحفظه لشئ من العلوم عن غيره (ولا مطالعة كتب) يقال طالعت الشئ اذا اطلعت عليه أى لم يطلع على شئ من الكتب بقراءتها أو سماعها لانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان أميا بين قوم أميين لم يره أحد قرأ ولا تعلم ممن قرأ واستعمال المطالعة بمعنى القراءة وهو مجاز مشهور قريب من معناه اللغوى (من تقدم) ككتب الانبياء عليهم الصلاة والسلام والحكماء (ولا الجلوس الى علمائهم) أى لم يعرف أحد انه جلس عند أحد ممن يعلم كتب من تقدم ليأخذها عنه والضمير لمن باعتبار المعنى فكل ذلك الذى حصل له صلى الله تعالى عليه وسلم انما هو علم لدنى غير مكتسب من أحد من البشر وأما قوله تعالى ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر ففيه الرد على قولهم المذكور بانه كذب محض يشهد العيان ببطلانه وقد تولى الله تكذيبهم فى ذلك كما هو مبسوط فى التفسير (بل) هو صلى الله تعالى عليه وسلم (نبى أمى لم يعرف بشئ من ذلك) التعلم والمدارسة والمطالعة والمجالسة أى منبئ عن الله أو منبأ لا عن مخلوق والامى منسوب الى الام لانه كيوم ولدته أمه أو الى أم القرى أو أمة العرب لان القراءة والكتابة كانت عزيزة فيهم والامى الذى لا يكتب ولا يقرأ الكتب * وقيل هو الذى لا يكتب وبما شرحناه علمت مناسبة ذكر النبى هنا وفى الحديث انا أمة أمية لانحسب ولا نكتب أى على جبلتنا لم نتعلم حسابا ولا كتابة فلا ينافى ما مر من علمه صلى الله تعالى عليه وسلم بالحساب (حتى شرح الله صدره) أى وسعه ونوره بالعلم والحكمة وهداه لكل خفى من العلوم (وأبان أمره) أى أظهر أمره فى العالم للناس بآياته الظاهرة ومعجزاته الباهرة واقامته الحجج المتواترة (وعلمه) من لدنه العلوم المعهودة وغيرها (وأقرأه) أى أقدره على القراءة بما ألقاه أو بما أوحاه اليه بواسطة الملك والاسناد مجازى أو التجوز فى الظرف كقوله تعالى سنقرئك فلا تنسى (يعلم) بالبناء للمجهول (ذلك) أى ما بلغه صلى الله تعالى عليه وسلم من العقل والعلم من غير تعلم (بالمطالعة) أى بالاطلاع على سيره صلى الله تعالى عليه وسلم وشمائله من كتب الحديث (والبحث عن حاله) وفى نسخة من حاله والظاهر الاول لتعديه بعن وهو بمعنى التفتيش عنه بالسؤال وغيره (ضرورة) منصوب بنزع خافض متعلق بيعلم اى من وقف على أحواله صلى الله عليه وسلم علم ذلك بمجرد التفات الذهن اليه من غير احتياج الى دليل (وبالبرهان القاطع على نبوته صلى الله عليه وسلم نظرا) أى ويعلم ذلك أيضا بالبراهين القاطعة الدالة على نبوته لمن نظر فيها فقوله بالبرهان معطوف على قوله ضرورة وعلى نبوته حال من البرهان ونظرا تمييز والنظر أصله تقليب البصر للادراك ثم استعمل فى التأمل والفحص والمعرفة الحاصلة منه والاستدلال وهو المراد هنا أى من نظر فى دلائل نبوته صلى الله تعالى عليه وسلم علم قوة عقله وانه أحاط بعلوم لا نهاية لها (فلا نطول بسرد الاقاصيص) السرد تعداد أمور من القصص ونحوها متتابعة متوالية مستعار من سرد

حلق الدرع وخيوط النسج والاقاصيص جمع اقصوصة كاعجوبة بمعنى قصة أو جمع قصص على خلاف القياس كما قاله التلمساني يقال قص واقتص بمعنى أخبر والقصص اسم مصدر وقيل انه يحتمل أن يكون جمع اقاصص جمع قصص كانعام وأناعيم في جمع نعم الا أنهم تركوا استعمال اقصاص فانه لم يسمع وفيه تكلف لا يخفى (وآحاد القضايا) أحاد بمد الهمزة جمع أحد بمعنى مفرداتها وفي العباب سئل أبو العباس عن الآحاد هل هو جمع الاحد فقال معاذ الله ليس للاحد جمع ولكن ان جعلتها جمع الواحد فهو محتمل كشاهد وإشهاد وليس للواحد تثنية ولا للاثنين واحد من جنسها انتهى والقضايا جمع قضية وهي الجملة من الكلام الدالة على معنى من الاحكام وهي قريبة من قول أهل الميزان القول المحتمل للصدق والكذب كالخبر فهي أخص من الكلام والجملة ووزنها فعالى عند الكوفيين وفعائل عند البصريين (اذ مجموعها) أي جميع قصصه وقضاياه (مالا يأخذه حصر) أي ضبط وأصل معنى الاخذ حوز الشيء وتحصيله ثم استعمل بمعنى الغلبة والقهر كقوله تعالى (لا تأخذه سنة ولا نوم) كما هو وهذا هو المراد هنا وجعل مجازا أو كناية عن انه لا يمكن حصره وكذا قوله (ولا يحيط به حفظ جامع) أي لا يحفظ والاحاطة الاخذ بجوانب الشيء وأريد به ما ذكر (وبحسب عقله) قال البرهان هو في الاصل بسكون السين وينبغي أن يفتح أي بقدر عقله وادراكه وقد جوز فيه السكون لكنه ضرورة والذي في القاموس هذا بحسب ذا أي بعدده وقد تسكن ولم يخصه بالضرورة (كانت معارفه صلى الله تعالى عليه وسلم) جمع معرفة أي علومه (الى سائر ما علمه الله وأطلعه عليه من علم ما يكون وما كان) أي مضمومة الى جميع ما أو باقي ما أطلعه الله عليه مما تقدم في الكون من أحوال الامم الخالية وكتبهم وشرائعهم وما أطلعه الله عليه من المغيبات التي ستأتي ولما كانت جلالة قدره بواسطة علمه بما يكون أقوى منها بواسطة علمه بما كان قدم ما يكون في المستقبل على ما كان في الماضي مع سبقه اهتماما بشأنه ومقتضى الترتيب العكس (وعجائب قدرته وعظيم ملكوته) مجرور معطوف على علم والمراد ما أطلعه الله عليه في الاسراء من خلق الملائكة والسموات واقداره على ذلك في برهة من الزمن وقدم ان الملكوت مبالغة في الملك كالرحموت والجبروت ويطلق ويراد به عالم الامر ويقابله الملك (قال الله تعالى) وما يضرونك من شيء وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة (وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما) أي علمك ما لم يكن من شأنك وفي قدرتك علمه كالمغيبات والاطلاع على أحوال الملكوت ولذا امتن عليه صلى الله تعالى عليه وسلم بانه فضل عظيم فضله به على مخلوقاته تعالى لانه كقولهم ما يكون لك ان تفعل كذا أي لا ينبغي ولا يليق أو لا يصح ولا يمكن ولذا ختم الآية بهذه المنة دون قوله في الآية الاخرى علم الانسان ما لم يعلم الا أنه يبقى السؤال حينئذ على الآية الثانية بانه أي فائدة في ذكر هذا المفعول والتعليم معلوم انه لا يكون الا لغير المعلوم وقال في عروس الافراح بعد ما ذكر ان لم النافية يجوز فيها اتصال النفي وانفصاله وانهما اجتمعا في قوله وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم وفائدة ذكر المفعول في قوله تعالى وعلمك ما لم تكن تعلم فان كان الانسان لا يعلم الا ما لا يعلم التصريح بذكر حالة الجهل التي انتقلوا عنها فانه أوضح في الامتنان انتهى وفي حاشية السيرامي على المطول ان الشارح قال في بعض دروسه الاولى أن يقول ما لم يكن يعلم كما في قوله تعالى وعلمك ما لم تكن تعلم اذ لا فائدة في ذكر المفعول اذ التعليم انما يكون لما لم يعلم ولم يكن فيه اشعار بانه لو لم يعلمه لم يحصل العلم لخفائه على غير علام الغيوب وهو بعيد اذ ربما يتوهم حصوله من غير تعليمه تعالى ورد بانه كقوله تعالى علم الانسان ما لم يعلم الآية فالاولى أن يحمل ذكره على افادة العموم لانه لئلا يتوهم اختصاصه ببعض الافراد كقوله تعالى وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه للتأكيد فتذكر لكن قوله من البيان يأباه ويحتمل انه ذكر للسجع انتهى * أقول هذا

أي بايراد قصص الانبياء متتابعة مما يفيده بالطريق الضروري (وآحاد القضايا) أي ولا يسردها مجتمعة مما يقتضيه على السبيل الفكري (اذ مجموعها مالا يأخذه حصر) يحصيه عددا (ولا يحيط به حفظ جامع) يضبطه عالم أبدا (وبحسب عقله) بفتح الحاء والسين على ما في الاصول المصححة وضبطه الانطاكي بسكون السين وقال أي بعقله فقط والصواب ما قلنا والمعنى وبمقدار كمال عقله (كانت معارفه عليه الصلاة والسلام) في نهاية لا ترام وغاية لا تسام بل ولا تشام مرتقيا ومعتليا (الى سائر ما علمه الله) أي باقيه (وأطلعه عليه من علم ما يكون) في عالم الشهادة (وما كان) في عالم الغيب من السعادة والشقاوة (وعجائب قدرته وعظيم ملكوته) أي من ظهور قوته ووضوح سلطنته (قال الله تعالى وعلمك ما لم تكن تعلم) من تفاصيل الشريعة وآداب الطريقة وأحوال الحقيقة (وكان فضل الله عليك عظيما) حيث أنعم عليك انعاما جسيما

كله كلام شطحي والذي ظهر لي في الآية ان جملة علم الانسان مفسرة للصلة وما الموصولة عبارة عن الكتابة والقراءة فانه لما قال له صلى الله تعالى عليه وسلم اقرأ فقال ما أنا بقارئ سواء أريد النفي أو الاستفهام قال له كيف لا تقرأ وأولك رب أكرم تفضل على عباده بنعم من أجلها ان كل انسان كان أميا مثلك في ابتداء أمره فعلمه الكتابة وقراءتها بالهامه فكيف لا يعاملك وأنت أعزهم عليه وأقواهم بصيرة فأي فائدة أتم من هذه وكل فعل متعد يدل على فاعل ومفعول ما التزاما ولذا لم يفد ضرب ضارب وضرب المضروب فان أريد عموم أو خصوص أفاده وهنا علم انه لو قال ما لم تكن تعلم أو عقبه بما عقب به تلك الآية لم يصادف محزه وما قيل من انه لم يذكر الكون في هذه الآية الكريمة وذكره ثمة لانه ورد في مقام خال عن اعتبار القوة والاجتهاد فلا يناسبه ذكر الكون المؤذن بهما بخلاف تلك ويؤيده قول الكرماني في قوله تعالى وما كان الله ليضيع ايمانكم ان كان ذكرت للتأكيد لان معناه كما في الكشاف ما صح ويعني به نفي امكان الاضاعة وهو أبلغ من نفي الاضاعة نفسها ومنه يعلم السر في انه أردف قوله وعلمك ما لم تكن تعلم بقوله وكان فضل الله عليك عظيما ولم يردف هذه به لما في الاول من المبالغة والتأكيد انتهى وقد علمت ما فيه مما تقدم وقوله (حارت العقول في تقدير فضله عليه) المذكور في هذه الآية لانه لا يمكن الوقوف عليه ولذا وصفه بانه عظيم ونكره وما يكون عنده تعالى عظيما كيف يعلمه سواه (وخرست الالسن دون وصف يحيط بذلك) الفضل وما لا يدرك كيف يوصف وفي قوله خرست دون سكتت وصمتت مبالغة لانه يقتضي سلب القوة الناطقة ثم ترقى فقال (أو ينتهي اليه) أي كيف يحيط بما لم يصل اليه

(فصل وأما الحلم)

أي حلمه صلى الله تعالى عليه وسلم وهو ضبط النفس والطبع عن هيجان الغضب وعدم اظهاره (والاحتمال) هو افتعال من الحمل وهو يكون على الظهر وفي البطن ففرق بينهم الفظا ثم استعمل في التكاليف كقوله تعالى لا تحملنا ما لا طاقة لنا به وللصبر على المكاره وعدم التأثر بها كما في الماء لا يحمل الخبث وهو المراد هنا (والعفو) عدم المؤاخذة بالذنب ونحوه وهو قريب من المغفرة وبينهما فرق تقدم (مع القدرة) وفي نسخة المقدرة بفتح الدال وضمها وميم مفتوحة مصدر ميمي بمعنى القدرة ومن كلامهم المقدرة تذهب الحفيظة أي الغضب والحمية (والصبر على ما يكره) وكان صلى الله تعالى عليه وسلم من هذا بمرتبة لا تدرك (وبين هذه الالقاب) أي بين مسميات هذه الالقاب (فرق) يتميز بها عن غيره واحتاجت الى الفرق لتقارب معانيها والمراد باللقب اللفظ الجامد الدال على صفة لا ما اصطلح عليه النحاة وهو كما قال الراغب اسم يسمى به الانسان غير اسمه الاول ويراعى فيه المعنى بخلاف الاعلام (فان الحلم حالة توقر) بفتح المثناة الفوقية وضم القاف المشددة أي اظهار الوقار وهو السكون يقال هو وقور ووقار ومتوقر أي ساكن غير مضطرب (وثبات عند الاسباب المحركات) كالغضب قيل ولا بد من اعتبار كون هذا بسهولة حتى يخرج التحلم وان كان بعد الاعتياد يصير كذلك (والاحتمال حبس النفس عند) ورود ما يعتريها من (الآلام) بمد الهمزة جمع ألم وهو ما يؤلم في أي عضو كان (والمؤذيات) بالهمزة والواو والذال المعجمة جمع مؤذية والاذى كل ما يتأذى به والمراد بحبس النفس ضبطها حتى تخضع لسلطان العقل وتطمئن لما يأمرها به وفي نسخة العزفي رواية كما قاله التلمساني المرديات بالراء والدال المهملتين من الردى بمعنى الهلاك (ومثلها) قيل المراد مثل المذكورات وقيل المراد مثل الاحتمال وأنث ضميره باعتبار انه حال ولو قال ومثله كان أحسن وأسلم من التكلف (الصبر) فان معناه لغة الحبس ومنه قتل له صبرا اذا أمسكه ليقتله في غير قتال وهذا يؤيد ارجاع الضمير للاحتمال

(حارت العقول) أي دهشت وترددت (في تقدير فضله عليه) أي في تقرير علمه لديه ونصه ويراحسانه اليه (وخرست الالسن) بكسر الراء أي سكتت وبكمت الالسنة (دون وصف يحيط بذلك) أي عجزت عن ان تنطق بما يحصي مما من الله به عليه (أو ينتهي اليه) أي دون نعمت ينحصر لديه لانه مظهر الاسم الاعظم والله سبحانه وتعالى أعلم

(فصل)

(وأما الحلم والاحتمال والعفو مع المقدرة) بفتح الدال وضمها وحكي كسرها بمعنى القوة وفي نسخة مع القدرة (والصبر على ما يكره) بصيغة المجهول أي ما تكرهه النفس وتخالفه الهوى (وبين هذه الالقاب) أي الاخلاق والآداب (فرق) أي فارق دقيق به يتميز كل عن الآخر في هذا الباب (فان الحلم حالة توقر وثبات) أي صفة تورث طلب وقار وثبوت في الامر واستقرار (عند الاسباب المحركات) أي للغضب الباعث على العجلة في العقوبة (والاحتمال) بالنصب أو الرفع (حبس النفس) أي تحملها (عند الآلام والمؤذيات) أي عند ورود ما يؤلمه ويوجعه من الامراض ويؤذيه ويتعبه من الاعراض فالآلام من المحن الالهية والاذى من جهة الحيوانات والآدمية فليس هذا (ومعانيها من عطف العام على الخاص كما توهمه الدلجي وفي نسخة المرديات بالراء والدال المهملة أي المهلكات (ومثلها) أي المذكورات (الصبر)

فانه حبس النفس على ما تكره الا انه أعم منها فهو كالجنس وكل مما ذكر كالنوع فان الصبر يكون على العبادة وعن المعصية وفي المصيبة وهو في الله وبالله ومع الله وعن الله والصبر محمد في المواطن كلها * الا عليك فانه مذموم أي عنك أو على بعدك (ومعانيها متقاربة) أي وان كانت حقائق مبانيها متباينة (وأما العفو فهو ترك المؤاخذة) وأصله المحو ثم استعمل في معنى المجاوزة عن مجازاة المعصية وهو مصدر وليس كما قال الدلجي انه من أبنية المبالغة (وهذا) أي ما ذكر من الاخلاق الكريمة (كله) أي جميعه على الحالة المستقيمة (مما أدب الله) تعالى (به نبيه محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم) كما ورد عنه صلى الله تعالى عليه وسلم أدبني ربي فأحسن تاديبي (فقال) أي من جملة ما أدبه به سبحانه وتعالى (خذ العفو) أي المساهلة والمسامحة (وأمر بالعرف) أي بالمعروف من حسن المعاشرة (الآية) أي واعرض عن الجاهلين بالمجاملة وحسن المعاملة وترك المقابلة كما قال تعالى واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما أي سلام الموادعة الذي فيه السلامة من المواقعة وقد قيل ليس في القرآن آية أجمع لمكارم الاخلاق منها (وروى) أي كما في تفسير ابن جرير وابن أبي حاتم وأبي الشيخ في مكارم الاخلاق وابن أبي الدنيا مرسلا ووصله ابن مردويه (أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لما نزلت عليه هذه الآية) يعني خذ العفو الى آخرها

(ومعانيها متقاربة) قال الراغب الصبر الامساك في ضيق وحبس النفس عما يقتضيه العقل أو الشرع أو عما يقتضيان حبسها عنه فالصبر لفظ عام وربما خولف بين أسمائه بسبب اختلاف مواقعه فان كان حبس النفس لمصيبة سمي صبرا لا غير ويضاده الجزع وان كان في محاربة سمي شجاعة ويضاده الجبن وان كان في نائبة تضجره سمي رحب الصدر ويضاده الضجر وان كان في الكلام سمي كتمانا ويضاده الذلة انتهى ومنه تعلم ان له معنيان خاص وعام فلو حمله المصنف على الخاص غاير أخويه وهو الاولى (وأما العفو فهو ترك المؤاخذة) بالهمزة وبالواو غير فصيحة وهي الجزاء على ما فعل غيره قيل وفي تفسيره بالترك اشعار بانه لا يكون الا عن قدرة لان من لا يقدر عادم لا تارك فتقييده به أولا للتأكيد كنظر بعينه كقوله

وان في الحلم ذلا أنت عارفه * والحلم عن قدرة فضل من الكرم

لانه ان لم يكن عن مقدرة فهو عجز وما أحسن قول ابن زيدون

أرى الدهر ان يبطش فنك يمينه * وان تبسم الدنيا فانت لها ثغر

عطاء ولا من وحكم ولا هوى * وحلم ولا عجز وعز ولا كبر

(وهذا كله مما أدب الله به نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم) أي آداب ومحاسن علمها الله لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم وأرشده بعد ما خلق فيه استعدادا تاما لها كما قال أدبني ربي فأحسن تاديبي وهو أحد الحكم في كونه صلى الله تعالى عليه وسلم تربى يتيما حتى يعلم أن ربه مربيه من غير حاجة لامه وأبيه (فقال خذ العفو وأمر بالعرف الآية) وتمامها واعرض عن الجاهلين وهذه الآية جامعة لمكارم الاخلاق أي تعاط العفو عن الناس وترك مؤاخذتهم وفي عدوله عن اعف الاظهر الاخصر نكتة يعرفها من له المام بالادب كما ان في قوله وأمر بالعرف دون اعمل اشارة الى انه متصف به مركوز في جبلته ومن تأمل مثله استخرج منها فوائد لا تحصر ومنهم من فسر العفو بالمساهلة وترك المؤاخذة والبحث عن مذام الاخلاق فامره بأخذ ما سهل من أخلاق الناس وأفعالهم من غير كلفة وطلب لما يشق واعترض عليه بانه غير مناسب لقوله (وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت عليه هذه الآية) وهذا الحديث كما قاله السيوطي رواه ابن جرير وابن أبي حاتم وأبو الشيخ في تفاسيرهم وابن أبي الدنيا في مكارم الاخلاق ووصله ابن مردويه من حديث جابر رضي الله تعالى عنه وعزاه الشيخ قاسم للبخاري عن عبد الله بن الزبير في قوله خذ العفو الى آخره أنه قال ما أنزل الله هذه الآية الا في أخلاق الناس وله في رواية أخرى تعليقا عن عبد الله قال أمر الله تعالى نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم أن يأخذ العفو من أقوال الناس أو من أخلاق الناس وأما قوله تعالى واعرض عن الجاهلين أي عن معاتبتهم ولا تمارهم فان كان شاملا لمداراة الكفار فهو منسوخ بآية السيف وان كان أمرا بمكارم الاخلاق وعدم مقابلة من سفه فليست منسوخة * قيل ويعين هذا ما رواه البخاري من ان عيينة بن حصن استأذن له الحر بن قيس من عمر رضي الله تعالى عنه في الدخول فدخل عليه وقال له يا ابن الخطاب أما تعطينا الجزل وتحكم بيننا بالعدل فغضب عمر رضي الله تعالى عنه فقال له الحر يا أمير المؤمنين ان الله عز وجل قال لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم خذ العفو الآية وان هذا من الجاهلين فما جاوزها عمر رضي الله تعالى عنه وكان وقافا عند كتاب الله فهذا يدل على انها غير منسوخة وليس كما قال فانه يجوز أن يكون استشهد بها لشمولها لغير

(سأل جبريل) قيل جبر وميك اسمان أضيفا الى ايل أو آل وهما اسمان لله تعالى ومعنى جبر وميك عبد بالسريانية ورده أبو علي الفارسي بانهما لا يعرفان من أسماء الله سبحانه وتعالى وبانه لو كان كذلك لم ينصرف آخر الاسم في وجوه العربية وكان آخره مجرورا أبدا كعبد الله تعالى قال النووي وهذا الذي قاله هو الصواب انتهى وفي جبريل أربع قراآت وتسع لغات (عن تأويلها) أي تحقيق تفسيرها (فقال له) أي جبريل (حتى أسئل العالم) أي الحقيقي الذي هذا كلامه ولم يعرف غيره حقيقة مراده ومرامه فصاحب البيت أدرى بما فيه من بيان مبانيه وتبيان معانيه (ثم ذهب وأتاه) أي بعد سؤاله اياه (فقال يا محمد ان الله يأمرك أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك وقال) أي الله تعالى (له) أي للنبي عليه الصلاة والسلام حكاية عن وصية لقمان لابنه يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر (واصبر على ما أصابك) أي من أنواع المحن وأصناف الضرر خصوصا من جهة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر (الآية) أي ان ذلك من عزم الامور أي من مفروضاتها وواجباتها التي لا رخصة في اهمالها لارباب كمالها (وقال فاصبر كما صبر أولوا العزم) أي أصحاب الثبات والحزم (من الرسل) اما بيانية واما تبعيضية وهو المشهور وعليه الجمهور وهم الخمسة المجتمعة في آية مختصة وهي قوله تعالى واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك

الكفار لان هذا هو معناها فقط (سأل) النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (جبريل) عليه الصلاة والسلام (عن تأويلها) أي تفسيرها وبيان المراد منها فانه أحد معنيي التأويل (فقال له حتى أسأل العالم) يعني الله عز وجل والعالم كالعليم من أسماء الله تعالى ويوصف بهما غيره تعالى أما الاول فظاهر وأما الثاني في حق الله فظاهر وأما في غيره فكقوله

فان تسألوني بالنساء فانني * عليم بادواء النساء طبيب

والثاني في حق الله تعالى أشهر وقيل المراد بالعالم الكامل في العلم كما في قوله ذلك الكتاب فيختص به فانه مساو بهذا المعنى للعليم وأما العليم فاطلاقه على غير الله لم يسمع والشعر المذكور لابن الوردي وهو من المتأخرين لا يستدل به وهذا الحديث يكفي شاهدا لاطلاق العالم على الله فهو كاف في ثبوته * أقول هذا عجيب من مثله وفيه من الخلط ما لا يخفى أما قوله ان الشعر المذكور لابن الوردي فافتراء عليه لانه شعر فصيح لبعض العرب وهو مذكور في الشواهد وأما استدلاله على العالم بالحديث وهو مذكور في القرآن كقوله عالم الغيب والشهادة فما يقضي منه العجب وأما قول جبريل عليه الصلاة والسلام حتى أسأل العالم دون أسأل الله فكأنه تادب منه لايهام انه لا يسأل الله بالذات فكان بينه وبينه واسطة أي من هو عالم بالتفسير وفيه ارشاد لمن سئل عن شئ لا سيما القرآن فينبغي ان يثبت فيه وفي جبريل تسع لغات جبريل بكسر الجيم وجبريل بالفتح وجبرئل بالفتح مهموزا مشددا اللام وجبرائل بهمزة بعد الالف وجبرئل مفتوحا بهمزة بلا ألف وياء وجبرئيل وجبرين بنون وفتح الجيم وكسرها وفيه لغات أخر وقال الجوهري والازهري وكثير من المفسرين في جبرائيل وميكائيل ان جبر وميك معناهما عبد وئيل وآل اسم الله وقال أبو علي الفارسي هذا خطأ لان آل لم يذكر أحد أنه من أسماء الله تعالى ولانه لو كان كذلك كان عبد الله يلزم آخره حالة واحدة ولا يعرب بحسب العوامل قال النووي وهو الصواب ولا يخفى ما فيه فان آل اذا كان اسما لله فهو سرياني فلا يأباه عدم معرفة العرب له وأما اعرابه فلانه لما عرب غير عما كان عليه وجعل اسما واحدا ولذا ارجعوه لاوزانهم والعرف هو الخصال المحمودة لا العرف الشرعي كما توهم (فأتاه) الفاء فصيحة أي انفصل عنه وفارقه ثم أتاه (فقال يا محمد ان الله يأمرك أن تصل من قطعك) الظاهر ان المراد به صلة الرحم والرحم بمعنى القرابة وصلتهم بالاحسان اليهم وفعل الجميل وقوله كالهدية والزيارة وارسال السلام ونحو ذلك وضده قطع الرحم ويحتمل التعميم لتعليم الخلق وترك التهاجر المنهي عنه كما في قوله (وتعطي من حرمك) يقال حرمه وأحرمه بمعنى أي أحسن الى من لم يحسن اليك وهذا ارشاد له صلى الله تعالى عليه وسلم ولامته وان كان لا يرجو غير الله واحسانه (وتعفو عمن ظلمك) هذا معنى قوله خذ العفو وما قبله يعني وأمر بالعرف ولم يتعرض لقوله واعرض عن الجاهلين اما لظهوره أو للاشارة الى انه في معرض النسخ أو لان المراد بالجاهلين من قطع وظلم وهذا اشارة الى أصول الاخلاق وأعظمها وأحبها الى الله تعالى فتدبر (وقال له واصبر على ما أصابك الآية) وهذه الآية من وصية لقمان لابنه اذ قال له يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر كما قصه الله تعالى في كتابه الكريم وكل ما قصه الله تعالى من قصص الانبياء عليهم الصلاة والسلام فهو ارشاد لنبينا صلى الله عليه وسلم ولامته فكأنه مما أمر به ابتداء فلا يتوهم انها ليست في حقه أي اذا أمرت بمعروف ونهيت عن منكر وأصابك بسبب ذلك مكروه فاصبر له (وقال فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل) قال العز ابن

ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم وقدم صلى الله تعالى عليه وسلم لما أنه في الرتبة قد تقدم وقيل هم الصابرون على بلاء الله فنوح صبر على أذى قومه كانوا يضربونه حتى يغشى عليه وابراهيم صبر على النار وذبح ولده والذبيح على ذبحه ويعقوب على فقد ولده وبصره ويوسف على الجب والسجن والرق وأيوب على الضر وموسى على محن قومه وداود على قضيته وبكائه أربعين سنة على خطيئته وعيسى على زهده وعدم بناء لبنة على لبنة وزكريا على قطع المنشار ويحيى على الذبح وقيل هم المامورون بالجهاد وقيل من يصبهم فتنة منهم وقيل هم أهل الشرائع وقيل استثني من الرسل آدم لقوله تعالى ولم نجد له عزما ويونس لقوله سبحانه وتعالى ولا تكن كصاحب الحوت (وقال) أي الله له ولاتباعه (وليعفوا) أي ما فرط في حقهم من بعضهم (وليصفحوا) بالاغماض منهم والاعراض عنهم (الآية) أي ألا تحبون ان يغفر الله لكم أي لعفوكم وصفحكم واحسانكم الى 11 من أساء اليكم واعتدى عليكم وفيه التفات يفيد الاهتمام بامرهم وقد روى البخاري انه لما نزلت قال أبو بكر رضي الله تعالى عنه بلى أحب ورجع الى مسطح نفقته التي قطعها عنه لخوضه مع أهل الافك وخطئه وصدر الآية ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وكان مسطح قريب أبي بكر ومسكينا ومهاجريا وفي الآية دليل على فضل الصديق وسعة علمه بالتحقيق واذا كان هذا العفو والصفح موصوفا أكابر الامة بهما فكيف صاحب النبوة لا يكون موصوفا باعلى مراتبهما (وقال ولمن صبر) أي على الاذى (وغفر) أي ستر ومحا وتجاوز وعفا (ان ذلك) ماذكر من الصبر والغفران (لمن عزم الامور) أي من أفضل الامور واما قول الدلجي أي ان ذلك الصبر والغفران منه لمن عزم الامور فحذف منه كما حذف في نحو السمن منوان بدرهم أي منه للعلم به فليس في محله اذ هو مستغنى عنه في صحة جمله وحله (ولاخفاء) أي عند أهل الصفاء (بما يؤثر) أي فيما يروى (من حلمه) أي صبره مع أحبابه (واحتماله) أي تحمله على اعدائه حتى قال أبو سفيان له ما أحلمك حين قال له يا عم أما آن لك أن تسلم بابي أنت وأمي (وان) بفتح الهمزة وفي نسخة بكسرها (كل حليم) أي صاحب حلم (قد عرفت منه زلة) بفتح الزاي أي عثرة وفي الحديث اتقوا زلة العالم وانتظروا فيئته وفي الحديث ما أعز الله بجهل قط ولا أذل الله بعلم قط وقيل ما عز ذو باطل ولو طلع القمر من جبهته

ابن عبد السلام أولوا العزم أولوا الجد والجهد والصبر وهم المأمورون بالجهاد أو الرسل من العرب وقيل من لم تصبه فتنة وقيل من أصابه بلاء بغير ذنب وهم نوح وابراهيم ومحمد صلى الله تعالى عليهم وقيل نوح وابراهيم وموسى وداود وسليمان وعيسى ومحمد وقيل هم المذكورون في الانعام في قوله أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده الا يونس لقصة الحوت انتهى ولا ينبغي عد محمد صلى الله عليه وسلم هنا لقوله كما صبروهم كلهم من الرسل وقد علمت انه اختلف فيهم فقال مجاهد هم خمسة وهم أصحاب الشرائع وقيل ثلاثة وقيل ستة وقيل جميع الرسل أولوا عزم وقيل كل الانبياء عليهم الصلاة والسلام أولوا عزم الا يونس لتخليه والفاء في قوله تعالى فاصبر فصيحة لان قبلها ويوم يعرض الذين كفروا على النار أي اذا كان عاقبة الكفرة ما ذكر فاصبر وقد صبر صلى الله عليه وسلم مثل صبرهم وزاد عليهم ومن في من الرسل بيانية أو تبعيضية والخلاف دائر على تفسير العزم بالصبر كما هو ظاهر الآية أو الجد والاجتهاد أو الجهاد (وقال وليعفوا وليصفحوا الآية) ألا تحبون ان يغفر الله لكم والله غفور رحيم العفو عدم المؤاخذة بالذنب والصفح الاعراض عنه وعن ذكره لان من أعرض عن شئ ولاه صفحة عنقه وهذه الآية وان نزلت في الافك وفي حق أبي بكر رضي الله عنه اذ كان ينفق على مسطح لقرابته منه فلما خاض في الافك آلى ان لا ينفق عليه فقال الله تعالى ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى والمساكين الى آخره فقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه بلى والله اني لاحب ان يغفر الله لي وعاد الى انفاقه عليه فالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم داخل في عمومها كما في سائر الخطابات فلا يرد على المصنف ان هذه الآية ليست في حقه صلى الله عليه وسلم (وقال ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور) أي من أهم الامور التي ينبغي التصميم والعزم عليها واللام موطئة للقسم ان قلنا ان من شرطية أو لام ابتداء ان قلنا انها موصولة كما فصله المعربون وهذه الآية مع ما قبلها كما علمت نزلت في أبي بكر رضي الله عنه وقد شتمه بعض الانصار واستشهد بها المصنف على انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان آخذا بذلك معتمدا عليه (ولاخفاء بما يؤثر من حلمه واحتماله) الباء بمعنى في ويؤثر بمعنى ينقل ويروى من حلمه وتحمله للاذى فانه شائع غير خفي على احد (وان كل حليم) أي ولاخفاء ان كل حليم غيره صلى الله عليه وسلم (قد عرفت منه زلة) بفتح الزاء المعجمة وهي الخطيئة والسقطة قال الشاعر

فتى لا ترى له زلة ليس بعدها * حقو وزلات النساء كثير

(وحفظت عنه هفوة) بالفاء أى معرة بمقتضى ماقيل نعوذ بالله من غضب الحليم من ان الكامل من عدت مساويه لكنه عصم عند باريه عصمة لايشاركه أحد فيها ولا يساويه ۱۲. فالكلية عامة شاملة لاصحاب النبوة وارباب الفتوة ولذا قيل ان الانبياء كلهم

(وحفظت عنه هفوة) بفتح الهاء وسكون الفاء وهى قريبة من الزلة معنى وقال التلمسانى هى بالفاء وهو أكثر وبالقاف وهى السقطة وهو قريب منه وهى من هفا بمعنى زل وسقط أو تحرك واسرع (وهو صلى الله تعالى عليه وسلم لايزيد مع كثرة الأذى الاصبرا وعلى اسراف الجاهل الاحلما) جملة حالية أى مع انه لابد من الزلة والهفوة فى الغضب والمكاره فهو صلى الله عليه وسلم لايزداد مع ذلك الاصبرا وحلما والمراد بالجاهل ليس ضد العالم وان كان أشهر معنييه بل هو السيئ الخلق المجازف فى أموره قال الشاعر

ألا لايجهلن أحد علينا * فنجهل فوق جهل الجاهلينا

فالجهل بهذا المعنى خلاف الحلم ويتعدى بعلى وقد تترك تعديته كقول الحماسى

وبعض الحلم عند الجهل للذلة اذعان

وقال بعض الحكما لايحملنك سب الجهول لك وجراءة السفيه عليك على الاجابة له وفر به عليه فلم يغنى صبرك خير من سفه يشفى صدرك وهو مما يدل على مغايرة الحلم للصبر وان كان مقاربا له كما مر وهذا هو المعروف عند العرب فى الجهل والاسراف بمعنى الزيادة ومجاوزة الحد (حدثنا القاضى أبو عبد الله محمد بن على التغلبى وغيره) هو محمد بن على بن محمد بن عبد العزيز بن حمدين بن زنة غسلين التغلبى بفتح المثناة الفوقية وسكون الغين المعجمة منسوب لتغلب اسم قبيلة سميت باسم أبيهم كتميم ولامه مكسورة تفتح فى النسب استيحاشا من توالى كسرتين وياء ولد سنة تسع وثلاثين وأربعمائة ومات يوم الخميس لثلاث بقين من المحرم سنة ثمان وخمسمائة ودفن يوم الجمعة بعد صلاة العصر وكان فقيها ثقة تولى القضاء فى أيام المرابطين ولاه يوسف بن تاشفين فسار باحسن سيرة وبقى فيها مدة عمره وسمع من شيوخ الاندلس وأخذ عنه المصنف فى رحلته لقرطبة (قالوا حدثنا محمد بن عتاب) بفتح العين المهملة وتشديد المثناة الفوقية وألف وباء موحدة وهو ابن محسن الجذامى المحدث الفاضل توفى ليلة الثلاثاء العشر بقين من صفر سنة اثنين وأربعمائة قال (حدثنا أبو بكر بن وافد وغيره) هو يحيى بن عبد الرحمن بن وافد بالفاء والدال المهملة علم منقول من الوافد بمعنى القادم قال ابن سهل فى أحكامه كان ابن وافد مقدما فى أصحاب ابن ذرب ثم سقط بعد موته والزم داره ثم أعاده المنصور بن سليمان الى مرتبته وجعل اماما بجامع الزهراء ثم وقعت له أمور اقتضت موته فى الحبس ودفن بمقبرة الربض سنة خمسين وأربعمائة وانتصر الله من قاتله بعد أيام وفى بعض الحواشى انه وقع هنا فى أصل السماع وافد بالفاء وفيما سيأتى فى كيفية الصلاة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم واقد بالقاف وهو الصواب والاول هو الذى صححه البرهان الحلبى والتلمسانى قال (حدثنا أبو عيسى) هو الليثى واسمه يحيى بن عبيد الله بن أبى عيسى يروى عن أبيه عبيد بن يحيى توفى لعشرين مضين من رمضان سنة ثلاث وثلاثين ومائتين قال (حدثنا عبيد الله) قال البرهان الحلبى هو أبو مروان عبيد الله بن يحيى بن يحيى بن كثير قال (حدثنا يحيى بن يحيى) قال البرهان الحلبى هو يحيى بن كثير الليثى مولاهم البربرى المصمودى القرطبى الفقيه أبو محمد عالم الاندلس لم يخرج له فى الكتب الستة شئ والموطا مشهور به وموطاه أصح نسخ الموطا وقد سمعته بحلب وأقرأته بالاسكندرية اما الذى له ذكر فى البخارى ومسلم والترمذى والنسائى فهو يحيى بن يحيى ابن أبى بكر بن عبد الرحمن بن يحيى بن حماد التميمى أبو ذكريا النيسابورى احد الاعلام انتهى قال (حدثنا مالك) بن أنس بن مالك بن أبى عامر الأصبحى امام دار الهجرة ومن اليه الرحلة بها صاحب المذهب الجليل واختلف فيه هل هو تابعى أو من تبع التابعين ولد

معصومون صغرا وكبرا من الكبيرة والصغيرة فان مراتب العصمة متفاوتة (وهو صلى الله تعالى عليه وسلم) أى اثباته فى محامد صفاته (لايزيد مع كثرة الاذى) أى الواصل منهم اليه (الاصبرا) أى تحملا عليهم بل احسانا اليهم (وعلى اسراف الجاهل) أى مجاوزته الحد فى التقصير اليه ويروى الجاهلية أى على اسراف أهلها (الاحلما) أى تجاوزا وكرما (حدثنا القاضى أبو عبد الله محمد ابن على التغلبى) بمثناة فوقية مفتوحة وسكون غين معجمة وفتح لام وتكسر نسبة الى قبيلة واما ما وقع فى بعض النسخ من الثاء المثلثة والعين المهملة فتصحيف فى المبنى وتحريف فى المعنى مات سنة ثمان وخمسمائة (وغيره) أى من المشايخ المشاركين له فى هذه الرواية (قالوا حدثنا محمد بن عتاب) بفتح المهملة وتشديد المثناة الفوقية وآخره باء موحدة (أنبانا) أى قال أخبرنا (أبو بكر بن وافد) بالفاء المكسورة أو القاف (القاضى وغيره) أى وغير أبى بكر (حدثنا) أى قالوا حدثنا (أبو عيسى) أى الليثى واسمه يحيى بن عبيد الله أبى عيسى سنة (حدثنا) أى قال حدثنا (عبيد الله) يعنى اباه (أنبانا) أى قال أخبرنا (يحيى بن يحيى) أن يخرج له فى الكتب الستة شئ والموطا مشهور به وموطاه أصح الموطآت (انبانا) أى قال أخبرنا (مالك) أى ابن أنس بن مالك بن أبى عامر الاصبحى امام المذهب قيل تابعى ولم يصح

(عن ابن شهاب) أى الزهرى (عن عروة) أى ابن الزبير بن العوام من الفقهاء السبعة بالمدينة كان يصوم الدهر ومات وهو صائم (عن عائشة رضى الله تعالى عنها) كما رواه الشيخان وأبو داود أيضا عنها (قالت ماخير رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أى ماخيره الناس (فى أمرين) أى فى اختيار أحدهما (قط) أى أبدا (الا اختار أيسرهما) أى أهونهما على المخير أو أسهلهما عنده لانه ورد عنه صلى الله تعالى عليه وسلم يسروا ولا تعسروا وان هذا الدين يسر وقال الله تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر (مالم يكن) أى الايسر (اثما) أى اذا اثم (فان كان اثما كان أبعد الناس منه) أى تنزها واجتنابا فالاولى أن لا يختاره ولو كان سهلا ففيه تلويح باستحباب الاخذ بالايسر والارفق مالم يكن حراما أو مكروها فان الله تعالى يحب أن يؤتى رخصه كما يحب أن يؤتى عزائمه وأما قول الدلجى بنى خير لمفعوله وحذف فاعله تعويلا على ظاهر القرينة وايذانا بعمومه اذ كان هو الله أو غيره فالله ما جعل له الخيرة فى أمرين جائزين الا اختار أيسرهما كاختياره حين قال له جبريل ان شئت جعلت عليهم أى على قريش الاخشبين بقاءهم بقوله دعنى أنذر قومى رجاء أن يوحدوه أو يخرج من أصلابهم من يوحده فلا يخفى انه غفلة منه عما فى نفس الحديث مالم يكن اثما اذ من المعلوم ان الله سبحانه وتعالى أو جبريل عليه الصلاة والسلام لا يخيره بين أمرين يحتمل أن يكون أحدهما اثما ثم رأيت النووى ذكر عن القاضى انه قال يحتمل أن يكون تخييره من الله فيخيره فيما فيه عقوبتان أو فيما بينه وبين الكفار من القتال وأخذ الجزية أو فى حق أمته فى المجاهدة فى العبادة والاقتصاد فكان يختار الايسر فى هذا كله قال وأما قوله مالم يكن اثما فيتصور اذا خيره الكفار أو المنافقون فأما اذا كان التخيير من الله أو من المسلمين فيكون الاستثناء منقطعا انتهى ولا يخفى ان التخيير من المسلمين أيضا يتصور فيما لم يصل الى بعضهم كونه اثما فى الدين

سنة ثلاث وتسعين وتوفى فى ربيع الاول سنة تسع وسبعين ومائة ومات وهو ابن ست وثمانين واختلف فى جده أبى عامر هل له صحبة أم لا (عن ابن شهاب) هو محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهرى توفى سنة أربع وعشرين ومائة وقيل غير ذلك (عن عروة) بن الزبير بن العوام أخو عبد الله بن الزبير أحد فقهاء المدينة السبعة روى عن أبويه الزبير وأسماء بنت أبى بكر وخالته عائشة رضى الله تعالى عنهم وغيرهم وتوفى سنة أربع أو خمس وتسعين بعد الهجرة وولد سنة اثنين وعشرين وهذا حديث صحيح فى الصحيحين والموطأ واختار المصنف رحمه الله طريق الموطأ فقال (عن عائشة) أم المؤمنين فريدة الصدق ويتيمة الدهر رضى الله تعالى عنها (قالت ماخير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين قط الا اختار أيسرهما) قال البرهان هذا ما أخرجه المصنف من موطا مالك عن يحيى بن يحيى وقد أخرجه البخارى ومسلم وأصحاب السنن ولم يروه المصنف من غير هذه الطريق لانه امام مذهبه ولاهل الغرب اعتناء به وترجيحه على غيره من الكتب الستة ولان سنده فيه من هذه الطريق أعلى من سنده فى غيره لان بينه وبين مالك فى هذه الطريق ستة بالسماع وبينه وبينه فى رواية الصحيحين سبعة وفى أبى داود ستة الا انه بالاجازة فلذا اختار هذه الطريق على غيرها لما له من الشان عنده وفى هذا الحديث الاخذ الاسهل والارفق مالم يكن حراما أو مكروها ونقل النووى عن المصنف انه يحتمل أن يكون تخييره هنا من الله فيخيره فيما فيه عقوبتان أو فيما بينه وبين الكفار من القتال عقوبتان وأخذ الجزية أو فى حق أمته فى المجاهدة فى العبادة والاقتصاد فيها فيختار الايسر وأما قوله (مالم يكن اثما) فيتصور اذا خيره الكفار أو المنافقون أما اذا كان التخيير من الله تعالى أو المسلمين فيكون الاستثناء منقطعا انتهى قال بعض الشراح انه فهم من قوله مالم يكن اثما الى آخره أى موجب اثم من حرام أو مكروه ما يفهم من الاستثناء فسماه استثناء وجعله منقطعا لاستحالة أن يخيره الله أو خاص المؤمنين بين أمرين أحدهما اثم وهو مبنى على ان ما فى معنى الاستثناء له حكم الاستثناء ألا ترى الى قول النحاة ان قولك لالزمنك أو تقضينى حقى بمعنى الا أن تقضينى حقى فكانه قال هنا الا أن يكون اثما * فان قلت هذا مناف لما ورد أن أفضل العبادة أحمزها أى أشقها على البدن فكيف يختار غير الافضل * قلت انما كان صلى الله تعالى عليه وسلم يؤثر الايسر لامته تخفيفا عليهم لا فى حق نفسه لانه أرسل بالحنيفية السمحة ولذا كان صلى الله عليه وسلم يقوم حتى تورمت قدماه ويؤيده مع ما فى نفس الامر قوله فى عجز الحديث انه صلى الله عليه وسلم ما انتقم لنفسه يعنى ان التخيير بين الاثم وغيره من العباد يتصور وأما من الله فلا فاذا أول بما يوجب الاثم أو يفضى اليه فى حق غيره صح أو المراد بالاثم مالا يليق به صلى الله تعالى عليه وسلم لعصمته كما اذا خير بين ملك كنوز الارض وعيش الكفاف ويدل على انه فى حقه قوله (فان كان اثما كان أبعد الناس منه) أقول قول العز بن عبد السلام وتبعه الزركشى فى قواعده ان قولهم الاجر على قدر المشقة وما ورد فى حديث عائشة رضى الله عنها أجرك على قدر نصبك كما فى مسلم ليس على اطلاقه انما هو اذا اتحد العملان فى الشرف والشرائط والسنن وكان أحدهما شاقا فيثاب على تحمل المشقة وذلك كالغسل فى الصيف والشتاء أما اذا لم يتساويا فلا فان

(وما انتقم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لنفسه) أى ما انتصر ولم يعاقب أحدا الاجل خاصة نفسة ما بلغت به الكراهة حدا يورثه انتقاما من احد على مكروه أتاه من قبله (الا أن تنتهك حرمة الله) بصيغة المجهول أى الا أن يبالغ أحد فى خرق حرمة الله التى تتعلق بحقه سبحانه وتعالى أو بحق أحد من خلقه ومن جملته خرق حرمته صلى الله تعالى عليه وسلم على وجه يجب الانتقام من هاتكها والاستثناء منقطع أى لكن اذا انتهكت حرمة الله انتصر لله وانتقم له تعالى بسببها (فينتقم لله) أى لا لحظ نفسه (بها) بسبب حرمة الله ممن ارتكبها والحديث رواه البخارى ١٤ ومسلم وأبو داود كما أخرجه المصنف عن مالك فى موطئه وفى رواية مسلم ما نيل منه شىء قط فينتقم من صاحبه الا أن ينتهك شىء من محارم الله فينتقم لله أى ما أصيب باذى من أحد وعاقبه به انتصارا لنفسه لكن اذا بالغ فى خرق شىء من محارم الله التى من جملتها حرمته انتصر لله وعاقبه له لا لنفسه فلم يكن انتقامه الا لله لا لغرض سواه وان كان فيه موافقة هواه لكن المدار على متابعة هداه والحاصل ان فى الحديث دلالة على كمال حلمه وعفوه وتحمل الاذى وترك الانتقام لنفسه مع مراعاة الله فى حقه فهو الجامع بين فضله وعدله تخلقا باخلاق ربه (وروى أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لما كسرت) بصيغة المجهول أى انكسرت (رباعيته) على وزن الثمانية بفتح راء وكسر عين وتخفيف ياء تحتية وهى التى بين الثنية والناب وللانسان ثنايا أربع ورباعيات أربع وأنياب أربعة وأضراس عشرون وقد كسرها عتبة بن أبى وقاص وهو أخو سعد بن أبى وقاص رمى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فكسرت رباعيته يعنى شظيت وذهبت منها فلقة (وشج وجهه) بصيغة المفعول شجه عبد الله بن شهاب الزهرى كلاهما (يوم أحد شق ذلك) أى ما ذكر أو كل واحد منهما (على أصحابه شديدا) وفى نسخة شقا شديدا (وقالوا لو دعوت) أى الله (عليهم) أى بانزال العقوبة اليهم (فقال انى لم أبعث لعانا) أى صاحب لعن وطرد عن رحمة الله (ولكن بعثت داعيا) أى هاديا الى الحق (ورحمة) للخلق كما قال تعالى وما أرسلناك الا رحمة للعالمين (اللهم اهد قومى فانهم لا يعلمون) أى ولا تؤاخذهم بما يجهلون والحديث رواه البيهقى فى شعب الايمان مرسلا وآخره موصولا وهو فى الصحيح حكاية عن نبى ضربه قومه زاد ابن هشام فى سيرته انها ثنيته اليمنى السفلى وجرح شفته السفلى وان ابن قمئة جرحه فى وجنته

لا

الايمان أفضل من الاعمال مع خفته والمختار ان أفضل الاعمال انماها وبالمصالح الناشئة عنها فتصدق البخيل أفضل من قيامه الليل وانقاذ الحاكم مظلوما بكلمة أفضل من قيامه الليل وصيام النافلة انتهى وهذا هو الحق الذى لا محيد عنه فلا حاجة لما أطالوا به من غير طائل (وما انتقم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لنفسه) أى لا يعاقب أحدا بتقصير وقع منه فى حقه بحيث يكون فاعله لم يخالف أمر الله فيما فعله لانه برىء من الحظوظ النفسانية والاعتبارات الدنيوية (الا أن تنتهك حرمة الله فينتقم الله بها) أى بسبب حرمة الله وانتهاكها وحرمة الله ما حرمه وجعله محترما ممنوعا وانتهاكها التعدى والتجاوز فيه من نهكت الثوب اذا لبسته حتى أخلقته ويقال نهكته الحمى اذا أضعفته وأضنته فانتهاكها تناولها بما لا يحل وانتهك فلان محارم الله أى فعل ما حرم الله فعله عليه لما فيه من ضعف الدين وابتذال حكمه وليس الانتهاك المبالغة فى اتيان ما حرمه الله تعالى كما توهم حتى يرد انه لا يغضب بمجرد فعل محرم أو صغيرة مرة واحدة ويحتاج الى الجواب بان من فعل ذلك فقد بالغ فى الجرأة على الرب العظيم أو يقال انه كان يغضى عند فعل الصغائر ويغضب اذا فعلت الكبائر فان هذا مما لا ينبغى فانه كيف يخطر بالبال انه عليه السلام يغضى عن الصغائر من غير عذر لفاعلها ولا حاجة أيضا الى حمل هذا على ما يتعلق بالمال فانه عليه السلام اقتص ممن نال من عرضه كما أمر بقتل ابن أبى معيط والاخطل وأى حرمة لله أعظم من حرمة نبيه عليه السلام ومن أذاه فقد أذى الله وانما المراد ما كان يقع من بعض جفاة الاعراب كالاعرابى الذى أمسك برداءه وجذبه حتى أثر فى جيده الشريف وقول بعضهم له كما يأتى أعدل فى القسمة فانك ان تعطى من مال أبيك ونحو ذلك مما صدر منهم لغلاظة طباعهم مما لا يفضى الى ارتكاب محرم فمن ارتكب شيئا من محارم الله بحضرته عليه السلام التى من جملتها احترامه انتصر وعاقبه لله لا لحق نفسه وان تعلق بها انتقاما للدين الله ورسوله عليه السلام (وروى أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لما كسرت رباعيته) رباعية بوزن ثمانية سن بين الثنية والناب من اليمين والاخرى من اليسار ويقابلها مثلها من فوق فالرباعيات أربع (وشج وجهه يوم أحد) الشجة جراحة فى الوجه أو الرأس (شق ذلك) الكسر والشج (على أصحابه شديدا) أى حصل من ذلك فى نفوسهم مشقة وأمرا شديدا عظيما (وقالوا) له صلى الله تعالى عليه وسلم (لو دعوت عليهم) أى على الكفار بان يهلكهم الله ويستأصلهم باشد العذاب (فقال انى لم أبعث) بالبناء للمجهول أى لم يبعثنى الله (لعانا) أى داعيا على الناس بالطرد والبعد عن رحمة الله (ولكنى بعثت داعيا) للناس الى الله (ورحمة) للناس أجمعين باخراجهم من الكفر للايمان وبتأخير العذاب عمن كفر لا لطردهم عن رحمة الله وابعادهم عنه ثم قال داعيا لهم (اللهم اهد قومى فانهم لا يعلمون) دعا لهم أن يهديهم الله تعالى للاسلام فانهم

فدخلت حلقتان من المغفر في وجنته فنزعهما أبو عبيدة بن الجراح حتى سقطت ثنيته قال يعقوب بن عاصم فكان حتف أنفه ان سلط الله عليه كبشا فنطحه فقتله أو فالقاه من شاهق فمات وأما ابن شهاب فاسلم وأما عتبة ففي تهذيب النووي ان ابن منده عده من الصحابة وأنكره أبو نعيم اذ لم يذكره فيهم أحد قبله فالصحيح انه لم يسلم قال السهيلي ولم يولد من نسله ١٥ ولد فبلغ الحلم الا وهو أبخر أو أهتم فعرف ذلك في عقبه وفي مستدرك الحاكم انه لما فعل عتبة ما فعل جاء حاطب ابن أبي بلتعة فقال يا رسول الله من فعل هذا بك فاشار الى عتبة فتبعه حاطب حتى قتله فجاء بفرسه الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وفي تفسير عبد الرزاق بسنده الى مقسم قال ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم دعا على عتبة بن أبي وقاص حين كسر رباعيته ودمى وجهه انتهى فان قلت حديث عبد الرزاق في تفسيره يدل على انه صلى الله تعالى عليه وسلم دعا على عتبة حين كسرها وهذا الحديث بظاهره يدل على ضده قلنا لا يلزم من دعائه عليه عدم دعائه على الجميع مع ان النفي قد يوجه لكثرة اللعن لا لاصله فكانه قال لم أبعث كثير اللعن عليهم اذ قد روى البخاري وغيره اللهم عليك بقريش اللهم عليك بقريش اللهم عليك بعمرو بن هشام وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة وأمية بن خلف وعقبة بن أبي معيط وعمارة بن الوليد والتحقيق انه عليه الصلاة والسلام ما دعا عليهم جملة بل دعا على من علم منهم انهم لا يؤمنون فقوله عليك بقريش عام أريد به المخصوصون بقرينة المقام والله أعلم بالمرام (وروي عن عمر رضي الله تعالى عنه) قال الدلجي لم يعرف (انه قال في بعض كلامه بابي أنت وأمي) أي فديتك بهما وأنت مفدى بهما (يا رسول الله

لا يعلمون طريق الحق ولا معرفة قدر نبيه صلى الله عليه وسلم وما بين يديهم من الخير ولو علموا ذلك لم يصدر عنهم ما صدر وفي سيرة ابن هشام وغيره ان عتبة بن أبي وقاص رماه صلى الله تعالى عليه وسلم فكسر رباعيته اليمنى السفلى وجرح شفته السفلى وان عبد الله بن شهاب الزهري شجه في وجهه الشريف وان ابن قميئة جرح وجنته وضربه بالسيف على شقه الايمن وجرح وجنته فدخلت حلقتان من المغفر في وجنته الشريفة وفي الروض الباسم انه صلى الله تعالى عليه وسلم أصيب وشج جبينه وكسرت رباعيته برمية عبد الله بن قميئة وضربه بالسيف على شقه الايمن فجرح وجنته ودخلت فيه حلقتان من المغفر وشقت شفته السفلى وصرخ ان محمدا قد قتل وقد اختلف في اسلام عتبة بن أبي وقاص أخي سعد بن أبي وقاص والصحيح انه لم يسلم وابن شهاب أسلم وأما ابن قميئة فنطحه كبش فتردى من شاهق فهلك ولكل شئ آفة من جنسه ويقال ان حاطبا تبع عتبة فقتله ولم يولد أحد من نسل عتبة الا أبخر أهتم فسرى خزيه لعقبه فبخور أولاده لا يفي بفساء جدهم وقد قالوا ان رباعيته صلى الله عليه وسلم تنكسر من أصلها وانما اشظت وذهبت منها فلقة وكانت فاطمة رضي الله عنها تغسل دمه وعلي كرم الله وجهه يصب عليها الماء بالمجن فلما رأت فاطمة ان الماء يزيد الدم كثرة أخذت قطعة من حصير وأحرقتها وذرتها عليه فامسك الدم وكسرت البيضة التي على رأسه الشريف وقال الامام الخيضري في خصائصه ان هذا كان قبل نزول قوله تعالى والله يعصمك من الناس أو المراد عصمته صلى الله عليه وسلم من القتل لا من مطلق الاذية كما مر بيان ذلك وما أحسن قول ابن الفارض رحمه الله تعالى في الاشارة لذلك

عيني جرحت وجنته بالنظر * من رقتها فانظر لحسن الاثر
لم أجن وقد جنيت ورد الخفر * ألا ترى كيف انشقاق القمر

وذيل بعضهم فقال

وما شق وجنته عابثا * ولكنه آية ساطعة للبشر
جلاها لنا الله كيما نرى * بها كيف كان انشقاق القمر

وبقية قصة أحد وما فيها مفصل في السير مشهور فلا يكثر السواد به كما في الشرح الجديد * (تنبيه) * قال الامام السمرقندي في تفسير قوله عز وجل ويقتلون النبيين بغير حق طعن الملحدة لعنهم الله وقالوا ان الله أخبر ان الكفار قتلوا الانبياء عليهم الصلاة والسلام وقد قال الله تعالى انا لننصر رسلنا وقال انهم لهم المنصورون وما في معناه من الآيات ومن كان الله ناصره فهو منصور أبدا فاذا قالوا انهم قتلوا فهو تناقض وأجيب بوجهين الاول انه لم يثبت في الكتاب ولا في خبر متواتر قتل رسول من الرسل الذي أخبر الله بنصرهم وانما ثبت قتل الانبياء لان الرسل هم الذين أوتوا المعجزات لاظهار الدين الحق ودعوة الخلق فكان عصمتهم عن القتل من آياتهم الحسنة الدالة على صدق دعواهم الرسالة وولاية القتل مما يوهن دعوتهم بخلاف الانبياء اذ ليس لهم دعوة وشريعة والثاني ان المراد النصرة بالحجج لا بالعصمة انتهى (وعن عمر) رضي الله عنه قال السيوطي رحمه الله ان هذا لا يعرف عن عمر في شئ من كتب الحديث وبيض له الشيخ قاسم في تخريجه لاحاديث هذا الكتاب فكانه لم يقف له على أصل أيضا وتقدم ما فيه (انه قال في بعض كلامه) أي كلام قاله لما رأى ما أصابه صلى الله تعالى عليه وسلم من كسر رباعيته وشجه في غزوة أحد (بابي أنت وأمي يا رسول الله) هذا الجار والمجرور متعلق بمحذوف تقديره أفديك

وتسمى هذه الباء باء التفدية ومعناه انى أجعل أبوى فداء دونك وأبذلهما فى حمايتك يقوله الرجل لمن هو أعز عليه من نفسه وأهله وماله لانهم كانوا يبذلون الانفس فى صيانة أهلهم وقد تكلم بهذا النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهذه الكلمة جارية مجرى المثل فى ذلك وقد يظهرون متعلق الجار والمجرور والفداء بكسر الفاء والمد وفتحها مع القصر فكاك الاسير يقال فداه يفديه فداء وفدى وفاداه اذا بدل فداء وفداه بالتشديد اذا قال جعلته فداك وهى كلمة تقال فى التعظيم وتدخل الباء على المبذول المفدى به وقد يعكس كما فى قوله فديت بنفسه نفسى ومالى * وما آلوك الا ما أطيق وجعله فى ا غنى من المقلوب كعرضت الناقة على الحوض وقد جرى عمر رضى الله تعالى عنه فى هذا على ما تداوله العرب والا فهو صلى الله تعالى عليه وسلم حقيق بان يفدى بالنفوس فضلا عن الآباء والامهات ولقد قال الآخر

نفسى الفداء لقبر أنت ساكنه * فيه العفاف وفيه الجود والكرم

فانظر قصة على كرم الله وجهه اذ فداه بنفسه ونام مكانه لما هموا بقتله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو أول من اشترى نفسه من الله كما ومقامه دون عمر رضى الله تعالى عنه كما هو معلوم (لقد دعا نوح) عليه الصلاة والسلام (على قومه فقال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا) وانما قال عمر رضى الله تعالى عنه هذا الان مشربه كان مشرب نوح عليه الصلاة والسلام كما ان مشرب الصديق رضى الله تعالى عنه كان مشرب ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام وتذر كتدع بمعنى تترك وديار بمعنى أحد وهو يختص بالنفى يقال ما فى الدار ديار ودورى أى أحد وأصله ديوار فاعل اعلال سيد وميت وأدغم والفاء عاطفة للمفصل على المجمل (ولو دعوت علينا) أى على الناس كلهم (مثلها) أى مثل دعوة نوح عليه الصلاة والسلام (لهلكنا من عند آخرنا) هذا التركيب وقع فى كلام العرب والمراد به من أولنا الى آخرنا أى جميعنا ولشراح الكشاف فيه كلام فقيل تقديره من أولنا الى آخرنا كما ذكر وعند مقحمة وقيل من بمعنى الى وقيل انه كناية عن هلاك الجميع لانه لا يكون الهلاك عند آخرهم الا اذا شملهم جميعا فان أردت تحقيقه فانظر شروح الكشاف فى أول سورة البقرة (فلقد وطئ ظهرك) الوطئ الدوس بالقدم وفى الشرح الجديد انه لم ينقل ان أحدا من المشركين وطئ ظهر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بقدمه ولعله عبارة عما روى فى السير من أنه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يصلى عند البيت وثمه كرش ذبيحة فيها قاذورات فقال أبو جهل لعنه الله لجماعة جالسين ثمة ألا رجل يقوم الى هذا القذر فيلقيه على محمد وهو ساجد فانبعث أشقاها وهو عقبة بن أبى معيط فالقاه عليه فقال النبى صلى الله عليه وسلم * اللهم أشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسنى يوسف وكانوا أبا جهل وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عقبة وعقبة بن أبى معيط وأمية بن خلف وعمار بن الوليد وهم المستهزؤن فاهلكهم الله جميعا فاما أن يكون سمى هذا وطأ لما فيه من الاهانة الشديدة كما سمى الغزو وطيأ أو وقع هذا فى قصة لم نقف عليها (وأدمى وجهك) أى جرح فى وقعة أحد يقال أدميته اذا جرحته فاسلت دمه والذى فعل به صلى الله تعالى عليه وسلم ذلك عتبة بن أبى وقاص أخو سعد كما مر وفيه يقول حسان رضى الله عنه

اذا الله جازى معشرا بفعالهم * ونصرهم الرحمن رب المشارق
وأخزاك ربى يا عتيب بن مالك * ولقاك قبل الموت احدى الصواعق
بسطت يمينا للنبى تعمدا * وأدميت فاه قطعت بالبوارق
وهلا ذكرت الله والمنزل الذى * تصير اليه عند احدى البوائق

لقد دعا نوح على قومه فقال رب لا تذر على الارض الآية) أى من الكافرين ديارا كما فى نسخة أى أحدا يدور فى الارض فيقال من الدور (ولو دعوت علينا مثلها) أى مثل دعوة نوح (لهلكنا من عند آخرنا) أى الى عند أولنا فهو كناية عن الاستئصال (فلقد وطئ ظهرك) بصيغة المجهول وهمز فى آخره وكذا قوله

(وشج وجهك) وقع في نسخة التلمساني زيادة هذا هنا وقد شجت وجنته وجبهته باحد فدخل في وجنته صلى الله تعالى عليه وسلم حلقتا الدرع فنزعهما بفيه أبو عبيدة بن الجراح رضي الله تعالى عنه حتى سقطت ثنيته والذي جرحه عبد الله ابن قيئة فقيل نطحه تيس وتردى من شاهق فمات كافرا وقيل انما هو عتبة بن أبي وقاص فادركه حاطب فقتله كافرا وجاء بفرسه (وكسرت رباعيتك) تقدم بيانه وما فيه وعليه (فابيت ان تقول الاخيرا) أي لم تدع عليهم كما دعا نوح عليه الصلاة والسلام على قومه ثم فسر الخير بقوله (فقلت اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون) الحق ولا يهتدون الى الصواب وفي النسخ المروية هنا اللهم اهد قومي وهي مفسرة للرواية الاولى على ان المراد بالمغفرة سببها وهو الهداية أو التقدير اللهم اهدهم واغفر لهم فلا يرد عليه ما قيل ان الدعاء المذكور صدر منه صلى الله تعالى عليه وسلم باحد وكانت على احد وثلاثين شهرا من الهجرة فكيف يسأل لهم المغفرة وهم كفار وقد نزل ان الله لا يغفر أن يشرك به الآية ولو قلنا ان مغفرة الشرك جائزة عقلا عند بعض المتكلمين فانه ممنوع شرعا فلا وجه لوقوعه في كلام الشارع صلى الله تعالى عليه وسلم ولا حاجة الى الجواب بان هذه الآية من سورة النساء وهي مدنية بجملتها أو هذه الآية بخصوصها فيجوز ان دعاءه صلى الله تعالى عليه وسلم كان قبل نزولها وقيل علمه بمنع الدعاء لهم بالمغفرة لجوازه سواء قلنا المدني ما نزل بالمدينة أو بعد الهجرة أو المراد مغفرة ما وقع منهم من كسر الرباعية ونحوه لا مغفرة الشرك وقيل هذا انما صدر من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم على سبيل الحكاية عن نبي كان قبله كما رواه مسلم في صحيحه قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما كأني أنظر الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يحكي عن نبي من الانبياء ضربه قومه وشجوه فكان يمسح الدم عن وجهه ويقول رب اغفر لقومي فانهم لا يعلمون ومثله في البخاري والمراد بهذا النبي نوح عليه الصلاة والسلام فانه كان يضرب ثم يلف في لبد ويلقى في بيته يرون انه قد مات ثم يخرج ويدعوهم الى الله تعالى فلما آيس منهم دعا عليهم فالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم لما وقع به ما وقع حكى ذلك عنه تسلية له وللمؤمنين وقوله لقومي ذكر نسبتهم له تحننا عليهم وبيانا لسبب ذلك ورجاء لرحمة الله تعالى بهدايتهم واضافتهم اليه موافقة لما في نفس الامر وان قيل انه ليس من أهلك كما لا يخفى وقوله فانهم لا يعلمون اعتذار لهم بالجهل الحقيقي أو بما هو في حكمه لعدم جريهم على مقتضى علمهم كما تقول لتارك الصلاة الصلاة واجبة والجهل وان لم يكن مع مشاهدة هذه الآيات الباهرة عذرا شرعا فليس بمنج من العذاب وقد اختلف فيما قبل البعثة أيضا كما هو معلوم في كتب الاصول لكنه جرى فيه على حكم الظاهر تضرعا الى الله ان لا يعجل عذابهم ويمهلهم حتى يكون منهم مؤمنين أو من ذريتهم وقد حقق الله تعالى رجاءه لانه جعل ذلك عذرا حقيقيا لهم فلا يرد هنا شئ كما توهمه بعضهم (قال القاضي أبو الفضل) أي المصنف عياض رحمه الله (انظر ما في هذا القول) المذكور في كلام عمر رضي الله تعالى عنه في الحديث الذي قبله (من جماع الفضل) الجماع بكسر الجيم ما يجمع كل أمر كالخمر جماع الاثم ومظنته (ودرجات الاحسان) بالجر معطوف على الفضل أي ما يجمع مراتب الاحسان وكذا قوله (وحسن الخلق وكرم النفس وغاية الصبر والحلم) ففيه ما يدل على نهاية هذه الصفات (اذلم يقتصر على السكوت عنهم) مع ما فعلوه معه صلى الله تعالى عليه وسلم مما لا يتحمل بعضه أحد فضلا عن أعز الناس نفسا وأشرفهم وأعلاهم حسبا ونسبا

وجرح ذوي القربى أشد مضاضة * على النفس من وقع الحسام المهند

(وأدمي وجهك وكسرت رباعيتك فابيت ان تقول الاخيرا) وهو الدعاء بالهداية والاعتذار عنهم بالجهالة والغواية (فقلت اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون قال القاضي أبو الفضل رحمه الله تعالى) أي المصنف (انظر) أي تامل أيها المعتبر بنظر الفكر والعقل (ما في هذا القول من جماع الفضل) بكسر الجيم أي ما يجمعه (ودرجات الاحسان) أي بالعقل (وحسن الخلق) أي مع شرار الخلق (وكرم النفس) أي على عموم الانام (وغاية الصبر) أي عن العدو (والحلم) أي التحمل وعدم الجزع المؤدي الى الدعاء غالبا (اذلم يقتصر صلى الله تعالى عليه وسلم على السكوت عنهم) أي في التحمل منهم

(حتى عفا) عنهم وصفالهم (ثم اشفق) أى خاف (عليهم ورحمهم) أى من غاية الشفقة ونهاية الرحمة (ودعا) أى لهم (وشفع) أى عند ربه (لهم) وهو بفتح الفاء على مافى القاموس شفعه كمنعه فقول المنجانى بكسر الفاء سهو من الكتاب (فقال اغفر) أى استر قومى ووفقهم لما يستحقون المغفرة لاجله (أواهد) أى اهدهم بالايمان وأو للشك أو للتنويع (ثم أظهر سبب الشفقة والرحمة بقوله لقومى) باضافتهم اليه (ثم اعتذر عنهم بجهلهم) أى بسبب جهلهم بحاله ومقام كماله (فقال فانهم لايعلمون) وليس المراد بقومه قريش وحدهم كما توهمه الدلجى وقال كل ذلك لكونهم رحمه اذ مامن بيت الاوله فيه قرابة بل لكونه رحمة للعالمين فالمراد بقومه جميع أمته بدليل حديث الشيخين ١٨ ان آل أبى فلان ليسوا الى باولياء انما ولى الله وصالح المؤمنين لكن لهم رحم ابلهم ببلالها أى أصلهم بما يظهر أثرها وقد ورد بلوا أرحامكم أى صلوها وكأنه أراد بالبل حفظ أصلها وطراوة فرعها (ولما قال له الرجل) أى وحين قال له الرجل المنافق وهو ذو الخويصرة حرقوص بن زهير التميمى قتل فى الخوارج يوم النهروان على يد على كرم الله تعالى وجهه (أعدل فان هذه قسمة) أى قسمة غنائم بدر وقيل كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقسم ذهيبة فى تربتها بعث بها على رضى الله تعالى عنه من اليمن (ماأريد بها وجه الله لم يزده) بالزاى أى مازاد (فى جوابه ان بين له ماجهله ووعظ) عطف على بين أى ونصح صلى الله تعالى عليه وسلم (نفسه) أى نفس الرجل (وذكرها) بالتشديد أى وعرفها واعلمها (بما قال له فقال ويحك) قيل هو بمعنى ويلك وقيل هو كلمة ترحم يقال لمن وقع فى هلكة وضمها لايستحقها فلجهله رحمه مبينا له ماجهله من انه صلى الله عليه وسلم أحرى الخلق بالعدل بقوله (فمن يعدل) بالرفع فان من استفهامية (ان لم أعدل) شرط حذف جزاؤه لدلالة ماقبله عليه والمعنى أيعدل غيرى وأنا أجور كلا (خبت) بكسر الخاء (وخسرت) بكسر السين وضم تائيهما (ان لم أعدل) أى فرضا وتقديرا ارشادا الى ان من لم يعدل فقد باء بالخيبة والخسران واشعارا بكمال اتصافه بالعدل بل بزيادة الحلم والعفو والفضل وروى بفتح تائيهما فالمعنى حرمت كل خير وخسرته فى متابعتى ان لم أعدل فى قسمتى على فرض قضيتى فكأنه قال خبت أيها التابع اذا كنت لا اعدل لكونك تابعا ومقتديا لمن لا يعدل أو خبت وخسرت اذ لاتستقر فى الاسلام بما تقول ان نبيك ممن لا يعدل

(حتى عفا عنهم) مع عظيم جرمهم فى حقه اذ قال انى لأبعث لعانا (ثم أشفق عليهم) أى ابدى شفقته ورحمته لهم (ورحمهم ودعا وشفع لهم فقال اغفر واهد) كما مر بيانه مفصلا (ثم أظهر سبب الشفقة والرحمة بقوله لقومى) فان الطبع البشرى يقتضى العطف والحنو على الاهل والاقارب باى حال كانوا (ثم اعتذر عنهم بجهلهم فقال فانهم لا يعلمون) وقد تقدم بيانه ونسبتهم اليه ليبلغهم ذلك فتنشرح صدورهم لاجلها فيختار والايمان على الكفر ولذا لم يعبر بالجهل بل بعدم العلم تحسينا للعبارة ليجذبهم بزمام لطفه الى الايمان ويدخلوا حرم الامان وان كان جهلهم لا يعتد به بعد اتضاح برهان التوحيد وقيام الحجة الباهرة بالمشاهدة والتواتر الا انه اعتذار ظاهرى اعتبره سعيا فى تسخير قلوبهم والا فهم عالمون جاحدون مكابرون وليس لهم عذر يقبل شرعا كما مر تفسيره (ولما قال له الرجل) هو ذو الخويصرة التميمى ويقال له حرقوص بن زهير رأس الخوارج قال البرهان قتل يوم النهروان كما فى تجريد الذهبى وفى صحيح البخارى هو عبد الله بن ذى الخويصرة التميمى قال فى المقتفى ولعلهما قالاه والصواب ان والده هو القائل والنهروان بفتح النون والهاء اسم موضع فارسى معرب قال الطرماح

قل فى شط نهروان للماضى * ودعانى هوى العيون الراضى

وحكى الجواليقى انه سمع من العرب ضمها وكان حرقوص مع على كرم الله وجهه فى حروبه ثم اتبع الخوارج وزعم بعضهم انه ذو الثدية وليس كذلك ومقول القول (اعدل فان هذه قسمة ما أريد بها وجه الله) أى كن عادلا فيما اقسمته فان هذه القسمة ليست عادلة موافقة لامر الله ولرضاه والمقسوم كان من غنائم خيبر أو تبرا أرسله على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه من اليمن وهذا الحديث رواه مسلم عن جابر رضى الله تعالى عنه ونحوه فى صحيح البخارى وأخرجه البيهقى وهو حديث صحيح وفى ألفاظه اختلاف والمآل واحد (لم يزده) النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (فى جوابه ان بين له ماجهله) أى لم يزده على ان بين له ماجهله من عدالته فى قسمته حيث قال من يعدل ان لم أعدل (ووعظ نفسه وذكرها) التذكير والوعظ بمعنى فعدل عن وعظ القائل الى وعظ نفسه وهو نهاية الحلم منه صلى الله تعالى عليه وسلم (بما قال له فقال ويحك) ويح كلمة ترحم وتوجع لمن وقع فيما لا يرضى وقيل انها كلمة مدح وتعجب وهى منصوبة على المصدرية مضافة وقد ترفع وتترك اضافتها فترحم له لما خالف رضاء الله تعالى عليه أو تعجب من صدور مثله من مسلم ووقع فى رواية ويلك (فمن يعدل ان لم أعدل) وفى مسلم أولست أحق أهل الارض ان أطيع الله عز وجل وغضب صلى الله تعالى عليه وسلم حتى احمرت وجنتاه (خبت وخسرت ان لم أعدل) روى بفتح التاء فيهما على الخطاب

ومعنى الخيبة الحرمان والخسران الضياع والنقصان وحاصله انك خبت في الدنيا وخسرت في العقبى اذا اعتقدت اني لم أعدل قال الحافظ المزي والضم أولى لانه تعليق بعدم العدل الذي هو معصوم منه صلى الله تعالى عليه وسلم وقال النووي الفتح أشهر ولعله أسقط ماوجب له عليه من قتله رعاية لايمانه الظاهر والله أعلم بالسرائر ولما ورد في بعض طرق هذا الحديث من زيادة قوله عليه الصلاة والسلام ويخرج من ضئضئ هذا قوم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية (ونهى من أراد من أصحابه) وهو خالد بن الوليد أو عمر وهو عند الاكثر أو كلاهما فتدبر (قتله) بناء على ظهور ارتداده بسبب طعنه في النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بنفي عدله والحديث رواه الشيخان (ولما تصدى له) أي وحين تعرض له صلى الله تعالى عليه وسلم (غورث بن الحارث) على مارواه البيهقي وهو بفتح الغين المعجمة ويضم وقيل بالمعجمة والمهملة وقيل مصغر (ليفتك به) بكسر التاء وضمها فتكا بالتثليث أي ليقتله غفلة (ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي والحال انه (منتبذ) بكسر الموحدة وبالذال المعجمة أي منفرد عن أصحابه (تحت شجرة) أي في ظلها (وحده) حال مؤكدة أي ليس عنده أحد من أحبابه (قايلا) اسم فاعل من القيلولة وقت الظهيرة أي مستريحا أو نائما (والناس قايلون) أي نازلون للقيلولة (في غزاة) وهي ذات الرقاع في رابع سنة من الهجرة (فلم ينتبه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي لم يستيقظ من نومه أو لم ينتبه من غفلته عن عدوه (الا وهو) أي غورث (قائم) أي عند رأسه (والسيف صلتا) بفتح الصاد ويضم أي حال كونه مسلولا أو التقدير صلته صلتا

وضمها على التكلم واقتصر بعضهم على الفتح أي خبت وخسرت أيها القائل ان لم أعدل انا لاتباعك واقتدائك بغير عادل وعلى الضم اقتصر الشمني رحمه الله لانه معلق بعدم العدل الذي عصمه الله تعالى عنه وهو المناسب لقوله وعظ نفسه وذكرها ونقل النووي في شرح مسلم الوجهين وفسره بما تقدم وقال الفتح أشهر وقيل المعنى على الفتح ان لم أعدل خبت لانى أقتلك انفاقك ونطقك بماينافي الاسلام لكني عدلت نظر الظاهر اسلامك وان ماوقع من سوء أدبك جهلا منك غير مخل بمقامي (ونهى من أراد من أصحابه قتله) وهو عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه كما في البخاري فقال عمر يارسول الله ائذن لي أضرب عنقه فقال صلى الله تعالى عليه وسلم معاذ الله أن يتحدث الناس اني أقتل أصحابي وفي مسلم ان القائل خالد بن الوليد رضي الله عنه وجمع بينهما بان كلا منهما أراد ذلك وقد صرح به في مسلم وأن عمر رضي الله تعالى عنه لما قال ذلك فقال دعه وادبر فقام اليه خالد بن الوليد فهذا نص على ان كلا منهما قال ذلك وقال المصنف في شرح مسلم من سب النبي صلى الله عليه وسلم كفر وقتل وسيأتي ذلك في آخر الكتاب وهذا الرجل لم يقتل # قال الماوردي يحتمل انه لم يفهم منه الطعن في النبوة وانما نسبه لترك العدل بناء على تجويز صدور المعاصي من الانبياء عليهم الصلاة والسلام عند هذا القائل وان لم يصب أو انه لم يسمعه منه وانما نقل له ولم يثبت عنده لان المخبر له واحد ومثله لاتراق به الدماء وهذا تأويل باطل فان المروي يامحمد اتق الله بخطاب المواجهة بحضرة الصحابة رضي الله تعالى عنهم حتى استأذنوه صلى الله تعالى عليه وسلم في قتله وانما الوجه انه صلى الله تعالى عليه وسلم سلك به مسلك غيره من المنافقين استبقاء لانقيادهم وتأليفا القلوب غيرهم لئلا يتحدث الناس بانه صلى الله تعالى عليه وسلم يقتل أصحابه فينفروا ويرتدوا فاختير أهون الامرين لحكمة والحديث مصرح بهذا (ولما تصدى له صلى الله تعالى عليه وسلم غورث بن الحارث) تصدى بالتاء المفتوحة والصاد المهملة كذا والدال المشددة وألف أي أتاه وتعرض له وغورث بغين معجمة مفتوحة وتضم أيضا وواو ساكنة وراء مهملة مفتوحة وثاء مثلثة وقال بعضهم يجوز اهمال عينه كما نقله البرهان الحلبي قال وعند بعضهم مصغر يعني غورث كفورك وزيرك فانه تصغير بالفارسية ولم يرد انه كتصغير العرب غويرث وقال التلمساني انه غويرث أيضا وفي بعض الروايات تسميته دعثور وانه أسلم لكن قيل انهما روايتان (ليفتك به) الفتك مثلث الفاء ساكن التاء هو ان يأتي رجل آخر وهو غافل فيهجم عليه فيقتله وقد فتك به بالفتح يفتك بالكسر والضم وهذه القصة كان في غزوة ذات الرقاع في السنة الرابعة من الهجرة (ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم منتبذ) بضم الميم وسكون النون وفتح المثناة الفوقية وكسر الموحدة وذال معجمة أي جالس في ناحية مختل وحيد بقرب من الناس (تحت شجرة وحده) ليستريح بظلها وتلك الشجرة شجرة عضاه وهي التي تسمى أم غيلان وهي شجرة عظيمة ذات شوك وكان ذلك دأبه صلى الله تعالى عليه وسلم في سفره (قائلا) حال أي مستريحا في وقت القيلولة وهي وسط النهار اذا اشتد الحر وان لم ينم (والناس قائلون) أي كل منهم في قيلولته منفردا عن أصحابه (في غزاة) هي غزوة ذات الرقاع كما علم والاختلاف في زمنها ووجه تسميتها مفصل في السير والغزاة اسم مصدر بمعنى الغزو (فلم ينتبه) أي لم ينتبه صلى الله تعالى عليه وسلم لمجيئه أولم ينتبه من نومه (الا وهو) استثناء من أعم الاحوال وضمير هو لغورث (قائم والسيف صلتا) بفتح الصاد المهملة أو ضمها ولام ساكنة ومثناة فوقية أي مسلولا مجردا من غمده

فى يده فقال من يمنعك منى فقال) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (الله) أى مانعى أو يمنعنى (فسقط) أى السيف كما فى أصل صحيح (من يده فاخذه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقال) أى لغورث (من يمنعك منى قال كن خير آخذ) بالمداى متصفا بالحلم والعفو والكرم (فتركه وعفا عنه) وكان ذلك سبب الاسلامه (فجاء الى قومه وقال جئتكم من عند خير الناس) ورواه الشيخان بدون سقوط السيف وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم من يمنعك منى وجواب غورث وروى انه كان أشجع قومه فقالوا له قد أمكنك محمد فاختار سيفا من سيوفه واشتمل عليه وأقبل حتى   ٢٠   قام على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالسيف مشهورا فقال يا محمد من يمنعك منى قال الله فدفع جبريل فى صدره ووقع السيف من يده فاخذه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقام به على رأسه وقال من يمنعك منى اليوم فقال لا أحد ثم قال أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ثم أقبل فقال والله لانت خير منى فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أنا أحق بذلك منك (ومن عظيم خبره) أى حديثه صلى الله تعالى عليه وسلم (فى العفو) أى فى جنس عفوه (عفوه عن اليهودية التى سمته) أى جعلت له السم (فى الشاة بعد اعترافها على الصحيح) متعلق بعفوه (من الرواية) أى بعد اعترافها على ما رواه الشيخان وكان ينبغى للمؤلف أن يقدم قوله على الصحيح من الرواية على قوله بعد اعترافها وهى زينب بنت الحارث بن سلام بتشديد اللام كما ذكره البيهقى فى الدلائل وموسى بن عتبة فى المغازى وقال ابن قاسم الجوزية هى امرأة سلام بن   ان مشكم وقال أبو داود هى أخت مرحب وفى رواية أبى داود انه صلى الله تعالى عليه وسلم قتلها وفى شرف المصطفى قتلها وصلبها وروى ابن اسحق انه صفح عنها وجمع بانه عفا عنها الحق نفسه اذ كان لا ينتصر لها ثم قتلها قصاصا بمن مات من أصحابه بأكله منها كبشر ابن البراء اذ لم يزل معللا به حتى مات بعد سنة ويقال انه مات فى الحال لكن فيه اشكال لما جاء فى رواية انها أسلمت ففى جامع معمر عن الزهرى انه قال أسلمت فتركها قال معمر والناس يقولون قتلها وانها لم تسلم والله أعلم بالاحوال وبالصحيح من الاقوال (وانه) بالكسر والاظهر انه بالفتح والتقدير ومن عظيم خبره فى العفو انه

و يجوز فى السيف رفعه على انه مبتدأ ونصبه على انه مفعول معه وصلتا حال على كل حال (فى يده فقال) غورث له صلى الله تعالى عليه وسلم (من يمنعك منى) لانه وجده خاليا ليس معه أحد ولا سلاح وهو جالس وغورث قائم عليه بسيفه المجرد وفى رواية انه كرر مراجعته ثلاث مرات (فقال الله) أى يمنعنى منك الله الذى عصمنى من الناس كافة (فسقط السيف من يده) أى لما رعبه قوله الله وفى رواية ان جبريل عليه الصلاة والسلام ظهر له فسقط سيفه وفى رواية فشام سيفه أى أغمده فهو من الاضداد وكان غورث من أشجع الناس يتوعد ان يقتل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقيل له أمكنك الله من محمد فاختار سيفا من سيوفه وأقبل حتى قام على رأسه صلى الله تعالى عليه وسلم (فاخذه) أى السيف الذى سقط منه (رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال من يمنعك منى) أى من أن أقتلك والسيف بيدى (فقال كن خير آخذ) بالمد اسم فاعل أى خير رجل أخذ خصمه وتمكن منه فتكرم عليه (فتركه وعفا عنه) مع القدرة عليه وقيل الاخذ الاسر والاخيذ الاسير كما فى النهاية وهو غير بعيد أيضا وفى البخارى مسندا ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قفل لغزوة ذات الرقاع ونحن معه فادركتنا القائلة فى واد كثير العضاة فتفرق الناس يستظلون بالشجر ونزل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم تحت شجرة علق بها سيفه فنمنا نومة فاذا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يدعونا فجئناه فاذا عنده اعرابى جالس فقال ان هذا اخترط سيفى وأنا نائم فاستيقظت وهو فى يده صلتا فقال من يمنعك منى قلت الله فها هو ذا جالس ثم لم يعاقبه قالوا ولما رأى كرمه وحلمه صلى الله تعالى عليه وسلم أسلم وهو من غطفان فانزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم أن يبسطوا اليكم أيديهم الآية (وجاء غورث (قومه) وفى نسخة فجاء قومه (وقال جئتكم من عند خير الناس) حلما وكرما (ومن عظيم خبره) صلى الله تعالى عليه وسلم (فى العفو عفوه عن) المرأة (اليهودية) وهى زينب بنت الحارث بن سلام وقيل امرأة سلام بن مشكم أخت مرحب اليهودى كما ورد فى الحديث الصحيح الذى أخرجه الشيخان عن أنس رضى الله تعالى عنه (التى سمته) أى جعلت له صلى الله عليه وسلم السم (فى الشاة) المشوية من الغنم (بعد اعترافها) بوضع السم له صلى الله تعالى عليه وسلم فى الشاة (على الصحيح من الرواية) متعلق بقوله عفوه لا باعترافها لعدم اختلاف الرواة فيه ولذا قيل كان الاحسن أن يقدم هذا على قوله بعد اعترافها لانها أهدت له صلى الله تعالى عليه وسلم شاة مصلية أى مشوية لم تنخز فقال ما هذه فقالت هدية لك ولم تقل صدقة لانه صلى الله تعالى عليه وسلم لا يأكل منها فاكل هو وأصحابه من تلك الشاة ثم قال صلى الله تعالى عليه وسلم أمسكوا وقال لها هل سممت هذه الشاة قالت من أخبرك بهذا قال هذا العظم أشار لساق بيده قالت نعم قال لم قالت أردت ان كنت كاذبا

(لم يؤاخذ لبيد بن الاعصم) وقد هلك على التهود وقد حكى القاضي خلافا في مؤاخذته عليه الصلاة والسلام لبيدا وسيجيء في احياء الموتى ولعله أشار الى صحة عدم المؤاخذة (اذ سحره) أي حين سحره (وقد أعلم به) بصيغة المجهول أي أوحى الله اليه أو جاءه جبريل وأخبره بانه سحره (وأوحى اليه بشرح أمره) أي ببيان حاله كما رواه أحمد والنسائي والبيهقي في دلائله سحر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم رجل من اليهود فاشتكى لذلك فجاء جبريل فقال ان رجلا من اليهود سحرك عقد لك عقدا في بئر كذا فبعث عليا فجاء بها فحلها فكأنما نشط من عقال فما ذكر ذلك لليهودي ولا أظهره في وجهه حتى مات (ولا عتب عليه) أي أعرض عن معاتبته (فضلا عن معاقبته) وكان السحر أخذه عن النساء وهي امرأته زينب اليهودية وبناته منها قيل قال تعالى ومن شر النفاثات في العقد ولم يقل النفاثين تغليبا لفعل النساء أو المراد النفوس النفاثات قال الدلجي والسحر مزاولة نفوس خبيثة أقوالا وأفعالا يترتب عليها أمور خارقة للعادة وتعلمه للعمل به حرام وفعله كبيرة واعتقاد حله كفر ولتأثيره زيادة بيان تأتي في محل تقريره وما كان تحريره وقال الامام الرازي استحداث الخوارق ان كان بمجرد النفس فهو السحر وان كان على سبيل الاستعانة بالخواص السفلية فهو علم الخواص وان كان على سبيل الاستعانة بالفلكيات فذلك دعوة الكواكب وان كان على سبيل تمزيج القوى السماوية بالقوى الارضية فذلك الطلسمات وان كان على سبيل النسب الرياضية فذلك الحيل الهندسية وان كان على سبيل الاستعانة بالارواح الساذجة فذلك العزيمة انتهى وقال غيره السحر اسم يقع على أنواع مختلفة وهي السيميا والهيميا وخواص الحقائق من الحيوان وغيرها والطلسمات والاوفاق والرقى والاستخدامات والعزائم

أن نستريح منك والناس وان كنت نبيا لم يضرك فاحتجم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثلاثا على كاهله لقربه من القلب وقد اختلف فيها فقيل عفا عنها وقيل لا وروى أبو داود أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قتلها وصلبها ونقل البرهان عن كتاب شرف المصطفى ذلك وجمع بين الروايتين بانه صلى الله تعالى عليه وسلم صفح عنها الحق نفسه لانه كان لا ينتقم لنفسه كما مر فلما مات بشر بن البراء من أكله منها قتلها قصاصا به لانه لم يزل معتلا الى الحول حتى مات وقيل انه مات في الحال * وروى معمر في جامعه عن الزهري انها أسلمت فتركها وغيره يقول انه قتلها ولم تسلم وفي جامع معمر أيضا ان أم بشر بن البراء قالت له صلى الله تعالى عليه وسلم في مرض موته اني لا أتهم لبشر تعني ابنها الا الأكلة بخيبر فقال وأنا لا أتهم لنفسي الا ذلك وهو ظاهر في ان المرض الذي مات منه صلى الله تعالى عليه وسلم كان من تلك الاكلة على سبيل الظن لا القطع لكن ذكر صاحب المواهب في الطب النبوي أنه صلى الله تعالى عليه وسلم احتجم من السم فخرجت المادة السمية مع الدم لا خروجا كليا بل بقي أثرها مع ضعفه فاثر فيه لما أريد الله له صلى الله تعالى عليه وسلم من تكميل مراتب الفضل بالشهادة زاده الله فضلا وشرفا وفي الرواية اختلاف ففيما مر أن الذي أكله صلى الله تعالى عليه وسلم ساق الشاة وفي أخرى انه كتف أو ذراع لانها سألت عن أحب اللحم اليه صلى الله تعالى عليه وسلم فقالوا الذراع فاكثرت فيه السم وانه لاك منها مضغة ولم يسغها وأساغ بشر لقمته وهذا يؤيد عدم القطع بتاثيره فيه لكن يؤيد ما في المواهب ما ورد في الحديث أيضا أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال في مرض موته ما زالت أكلة خيبر تعاودني حتى قطعت أبهري فانظر في التوفيق بين الروايتين في الاكل وعدمه * واعلم أن في هذه المسئلة اختلافا للفقهاء فيمن وضع طعاما مسموما لغيره فاكل منه ومات هل عليه قصاص أم لا وهو مبني على انه اذا اجتمع السبب والمباشرة أيهما يقدم فالاكثر على تقديم المباشرة وقولهم انها أسلمت فتركها على بعض الروايات فيه ان الاسلام لا يسقط حقوق العباد الا أن يكون هذا من خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم وفيه نظر (وانه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يؤاخذ لبيد بن الاعصم) أعصم بزنة أحمر بمهملات ويقال له أعصم بدون ألف ولام وهو رجل من بني زريق وهم بطن من الانصار وكان بينهم وبين اليهود حلف قبل الاسلام فلما جاء الاسلام برؤا منهم واختلف في لبيد هذا ففي الصحيحين أنه يهودي وهو المشهور وقيل انه منافق كان مخالفا لليهود وسيأتي عن المصنف رحمه الله تعالى انه حكم باسلامه وقال البرهان لا أعلم أحدا عده من المنافقين فلعل المراد بالنفاق معناه العرفي كما ورد في الحديث آية المنافق ثلاث اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا ائتمن خان وقد يطلق النفاق على الكفر أيضا (اذ سحره صلى الله تعالى عليه وسلم وقد أعلم به وأوحى اليه بشرح أمره) أي ببيانه مفصلا في سحره وما فعله (ولا عتب عليه فضلا عن معاقبته) تقدم الكلام على فضلا وذلك كما رواه النسائي والبيهقي في الدلائل عن زيد ابن أرقم رضي الله تعالى عنه قال سحر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم رجل من اليهود فاشتكى لذلك أياما فجاء جبريل عليه الصلاة والسلام فقال ان رجلا من اليهود سحرك عقد لك عقدا في بئر كذا فبعث فاستخرجها فجاءه بها فحلها فقام صلى الله تعالى عليه وسلم كأنما نشط من عقال فما ذكر ذلك لليهودي

حتى مات وكانت له امرأة يهودية تسمى زينب تفعل ذلك قال التلمساني وهو من أفعال النساء في الاكثر ولذا قال الله تعالى من شر النفاثات دون النفاثين تغليبا وقال الواقدي لما رجع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من الحديبية في ذي الحجة سنة ست جاء اليهود الى لبيد بن الاعصم وقالوا له أنت أسحرنا وقد سحرنا محمد فاصنع له سحرا ونجعل لك جعلا فصنع ماسيأتي فاقام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أربعين يوما وقيل ستة أشهر يخيل اليه انه فعل الشئ وما فعله فبينما هو ذات يوم اذ قال لعائشة رضي الله تعالى عنها ان الله أفتاني فيما استفتيته أتاني رجلان فقعد أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي فقال أحدهما ماوجع الرجل قال مطبوب أي مسحور قال من طبه قال لبيد بن الاعصم قال في أي شئ قال في مشط ومشاطة وجف طلع نخلة ذكر في بئر ذروان أو ذي أروان فاتاها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مع بعض أصحابه وماؤها كنقاعة الحناء ونخلها كأنه رؤس الشياطين وقيل أنه صلى الله تعالى عليه وسلم أرسل عليا والزبير وعمارا رضي الله تعالى عنهم أجمعين فنزحوا ماءها واستخرجوا السحر من تحت صخرة بها وتحتها مشاطة من رأسه واسنان مشطة ووتر عقد فيه احدى عشر عقدة قيل وتمثال من شمع مغروز فيه ابر فنزل عليه المعوذتان فكان كلما قرأ آية انحلت عقدة وأخرجت ابرة حتى زال ألمه والرجلان اللذان رآهما في منامه صلى الله تعالى عليه وسلم جبريل وميكائيل عليهما الصلاة والسلام وما كان يخيل له صلى الله تعالى عليه وسلم من انه فعل ولم يفعل من أمور الدنيا وجماع زوجاته لا مما يتعلق بالنبوة والوحي فانه معصوم فيه واعلم انهم اختلفوا في السحر كما يأتي هل هو أمر حقيقي أم محض تخيل لا أصل له والصحيح انه حقيقي بفعل الله بواسطة ان كان بمجرد توجه النفس فهو سحر وان كان باستعانة بخواص سفلية فعلم الخواص وان كان ببعض الكواكب ودعوتها فدعوة الكواكب وان كان باستمزاج القوى السفلية والعلوية فالطلسمات فان اعتقد تأثيرها بالذات فكفر والا فحرام وفاعله لاضرار الناس يقتل شرعا على تفصيل فيه ذكره الفقهاء ليس هذا محله (وكذلك لم يؤاخذ صلى الله تعالى عليه وسلم عبدالله بن أبي) هو عبدالله بن أبي بن سلول بن مالك بن الحارث بن عبدالله بن مالك بن سالم بن غنم بن عوف بن الخزرج كان قبل هجرة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم للمدينة رأس الانصار مرتجيا لان يكون حاكما عليهم فلما هاجر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أسلم ظاهرا فكان كآحادهم وفيه عنجهية (٢) الجاهلية وغلبة حب الرياسة فكان بسبب ذلك رأس المنافقين يصدر عنه أمور يكرهها الله ورسوله وكان يبلغ النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ذلك فيغضي عنه لانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يداري المؤلفة قلوبهم بامر من الله لئلا يتحدث الناس بانه يقتل أصحابه وكان ابنه عبدالله من كبار الصحابة وخلص المؤمنين فكان صلى الله تعالى عليه وسلم يكرمه لاجله وسلول علم لام أبي ممنوع من الصرف فابي منون وابن بعده يرسم بالف لانه لم يقع بين علم ابن وعلم أب على الاصح وهو رأس المنافقين هلك في السنة التاسعة بعد مقدمه عليه الصلاة والسلام من تبوك مرض في شوال عشرين ليلة وهلك في ذي القعدة فصلى عليه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وكفنه في قميصه قبل نزول النهي عن الصلاة على المنافقين كرامة لابنه رضي الله تعالى عنه (وأشباهه) جمع شبه بمعنى شبيه أي لم يؤاخذه صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يؤاخذ من يشبهه (من المنافقين بعظيم ما نقل عنهم) بالبناء للمجهول (في جهته) أي في حقه صلى الله تعالى عليه وسلم وفي حق أم المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها (قولا وفعلا) كقوله تعالى ليخرجن الاعز منها الاذل يعني بالاعز نفسه وبالاذل نبي الله صلى الله تعالى عليه وسلم

(وكذلك لم يؤاخذ) على مارواه الشيخان (عبدالله بن أبي) أي ابن سلول بفتح السين المهملة وهي أمه فلابد من تنوين أبي وكتابة ألف بعدها ورفع ابن لان سلول أم عبدالله وزوجة أبي فلو لم يفعل ذلك لتوهم ان سلول أم أبي وليس كذلك وسلول غير مصروف للعلمية والتأنيث وقيل منصرف وقيل الصواب ان يكتب ابن بالالف لان علة الحذف وقوعه بين علمين مذكرين أو مؤنثين فلو اختلفا لم يحذف وهو رئيس أهل النفاق وهو القائل

متى ما يكن مولاك خصمك لم تزل
تذل وتصرعك الذين تصارع
وهل ينهض البازي بغير جناحه
وان جذ يوما ريشه فهو واقع

وابنه عبدالله بن عبدالله من فضلاء الصحابة (وأشباهه) أي وكذا لم يؤاخذ أمثاله (من المنافقين) قال ابن عباس كان المنافقون من الرجال ثلثمائة ومن النساء مائة وسبعين (بعظيم ما نقل عنهم) وفي نسخة منهم (في جهته) أي من الجرائم (قولا وفعلا) كقوله تعالى حكاية عن ابن أبي يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل أراد بالاعز نفسه وبالاذل أعز خلق الله سبحانه وتعالى

قال

(٢) قوله عنجهية بوزن قنفذية بمعنى الجهل والحمق والكبر والتعظم قاله مصححه

(بل قال) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على المريسيع ماء لبنى المصطلق (لمن أشار) أى من أصحابه (بقتل بعضهم) أى بعض المنافقين بعد ان بلغه وقد هزم بنى المصطلق قول ابن أبى وقد لطم حليفا له جعال من فقراء المهاجرين ومساعدة لاجير لعمر ما صحبنا محمدا الا لنلطم والله ما مثلنا ومثلهم الا كما قيل سمن كلبك يأكلك اما والله ان رجعنا الآية ثم قال لقوله والله ان أمسكتم عن جعال وذويه فضل طعامكم لم يركبوا رقابكم فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من حول محمد فقال

زيد بن أرقم أنت والله الذليل القليل المبغض فى قومك ومحمد فى عز من الرحمن وقوة من المسلمين ثم أخبره به فقال عمر يارسول الله دعنى أضرب عنقه فقال اذن ترغد له أنوف كثيرة فقال عمر ان كرهت ان يقتله رجل من المهاجرين فمر سعد بن عبادة أو محمد بن مسلمة أو عبادة بن الصامت فليقتلوه فقال (لا لئلا يتحدث) بصيغة المجهول وروى لا يتحدث الناس وهو نفى معناه نهى وقال الدلجى لا آذن لك يتحدث وفى رواية فكيف اذا تحدث الناس (ان محمدا يقتل أصحابه) قيل هذا فى حكم العلة لترك قتله مع رعاية اسلامه الظاهرى وانكاره هذا القول فى أخباره ولعل حكمة العلة انه يكون تنفيرا عن دخول الانام فى الاسلام ولذا ورد يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا ولذا كان يتألف الكفار المصرحين لكونه رحمة الله للعالمين وفى هذا دليل على ترك بعض الامور التى يجب تغيرها مخافة ان يترتب عليها مفسدة أكبر منها (وعن أنس) كما رواه الشيخان (كنت مع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وعليه برد) أى شملة مخططة أو كساء أسود مربع غليظ (الحاشية فجبذه) أى فجذبه كما فى نسخة والاول لغة فى معنى الثانى أو مقلوبة فى حروف المبانى والمعنى فجره (اعرابى) مجهول لم يعرف اسمه (بردائه جبذة شديدة) أى دفعة عنيفة (حتى أثرت حاشية البرد فى صفحة عاتقه) أى جانب ما بين كتفه ومنكبه ولم يتأثر هو صلى الله تعالى عليه وسلم من سوء أدبه

قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما كان المنافقون من الرجال ثلاثمائة ومن النساء مائة وسبعين كما فصله البرهان الحلبى فى شرح سيرة ابن سيد الناس وشرحه للبخارى فى تفسير سورة المنافقين (بل قد قال) صلى الله تعالى عليه وسلم (لمن أشار بقتل بعضهم) وهو عمر رضى الله تعالى عنه لما هزم بنوا المصطلق فبلغه قول ابن أبى وقد لطم حليفا له يقال له جعال رجل من فقراء المهاجرين مساعدة لاخيه لعمر رضى الله تعالى عنه ما صحبنا محمدا الا لنلطم والله ما مثلنا ومثلهم الا كما قيل سمن كلبك يأكلك اما والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الآية ثم قال لقومه والله لئن أمسكتم عن جعال وذويه فضل طعامكم لم يركبوا رقابكم فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من حول محمد فقال له زيد بن أرقم رضى الله تعالى عنه أنت والله الذليل القليل المبغض فى قومك ومحمد صلى الله تعالى عليه وسلم فى عز من الرحمن وقوة من المسلمين ثم أخبره بذلك فقال عمر رضى الله تعالى عنه يارسول دعنى أضرب عنقه فقال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (لا) آذن لك فى ذلك (لئلا يتحدث الناس) من قبائل العرب (ان محمدا يقتل أصحابه) فهو علة لتركه رعاية للظاهر من اسلامه وصحبته وفى نسخة يتحدث بدون ذكر الناس مبنى للمفعول ولا هنا ليست لنفى التحدث اذ هو مستأنف معلل لما قبله كما علم مما قررناه وهذا الحديث رواه الشيخان عن جابر رضى الله تعالى عنه وروى الطبرانى ان ابنه رضى الله تعالى عنه لما بلغه مقالة أبيه قال لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم دعنى أقتله وآتيك برأسه فقال لا تقتل أباك وفى الكشاف * فان قلت كيف جاز له صلى الله تعالى عليه وسلم تكرمة المنافق وتكفينه فى قميصه *قلت كان ذلك مكافأة له على صنيع له لان عمه العباس لما أسر ببدر لم يجدوا له قميصا يستره وكان رجلا طويلا فكساه ابن سلول قميصه وكان جاريا على عادة العرب فى المكافاة وروى ان ابنه قال لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لما مات أبوه أسألك تكفينه ببعض قمصانك وأنت تقوم على قبره ولا تشمت به الاعداء ففعل ذلك فقيل له عليه السلام لم فعلت ذلك وهو كافر فقال ان قميصى لن يغنى عنه من الله شيئا وانى لارجو ان يدخل فى الاسلام كثير بهذا السبب فقيل انه أسلم ألف من الخزرج بسبب ذلك (وعن أنس رضى الله تعالى عنه كنت مع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) قال السيوطى رحمه الله تعالى هذا الحديث رواه الشيخان الى قوله الآتى من مال الله الذى عندك قال فضحك وأمر له بعطاء وأخرجه بلفظ المصنف البيهقى فى الادب من حديث أبى هريرة رضى الله تعالى عنه ولفظه كنت أمشى مع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وعليه برد نجرانى غليظ الحاشية فادركه اعرابى فجبذه جبذة شديدة الخ (وعليه برد غليظ الحاشية) البرد والبردة كساء كانت العرب تلتحف به والحاشية جانب الثوب وفى رواية الاوزاعى غليظ الصنفة بفتح الصاد المهملة وكسر النون وبالفاء وهى طرف الثوب أيضا (فجبذه اعرابى) جبذ لغة فى جذب أو مقلوب منه وهما بمعنى (بردائه جبذة شديدة) وهذا يقتضى انه كان عليه برد ورداء فوقه وان الجذب وقع بهما (حتى أثرت) بتشديد المثلثة مبنى للفاعل أى أظهرت أثرا وعلامة (حاشية البرد فى صفحة عاتقه) الصفحة الجانب أو العرض والعاتق ما بين العنق والكتف

(ثم قال) أى الاعرابى على عادة اجلاف العرب (يا محمد احمل لى) بفتح الهمزة أى اعطنى ما احمل لى وأغرب التلمسانى حيث قال المعنى أعنى على الحمل وفى نسخة احملنى والظاهر انه تصحيف فى المبنى لانه تحريف فى المعنى (على بعيرى هذين من مال الله الذى عندك) زاد البيهقى (فانك لا تحمل لى) وفى نسخة لا تحملنى وفيه ما سبق الان يقال معناه اعطنى على التجريد وفى أصل التلمسانى لا تحمله (من مالك ولا من مال أبيك فسكت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) أى حلما وكرما (ثم قال المال مال الله وأنا عبده ثم قال) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (ويقاد منك) فعل مجهول من القود أى يقتص منك ويفعل بك (يا اعرابى ما فعلت بى) أى مثل فعلك معى من جذب ثوبى (قال لا) أى لا يقادمنى (قال لم) أى لاى شئ (قال لانك لا تكافئ) بالهمز أى لا تجازى (بالسيئة السيئة) بل تجازى بالسيئة الحسنة (فضحك النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) أى تعجبا (ثم أمر ان يحمل له على بعير شعير وعلى الآخر تمر) ويروى على بعير تمر وقيل اذا أحب الله عبدا اسلط عليه من يؤذيه

أو موضع الرداء من المنكب وهو يؤنث ويذكر وفى رواية ان البرد انشق (ثم قال) الاعرابى (يا محمد) قيل مشافهته صلى الله تعالى عليه وسلم بهذا تقتضى انه لم يكن مسلما والسياق يقتضى خلافه وليس فيه ما ينافيه غير ندائه باسمه فلعله كان قبل تحريمه والنهى عنه بقوله لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم الخ أو ان الاعرابى كان قريب عهد بالاسلام فى طبعه غلاظة وجفاء فهو معذور وطلب عطاء الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وأخذه من الزكاة يدل على انه من المسلمين المؤلفة قلوبهم وفى كتاب الامتاع من خواصه صلى الله تعالى عليه وسلم انه لا يجوز لاحد ان يناديه باسمه فيقول يا محمد يا أحمد ولكن يقول يا نبى الله يا رسول الله قال تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول الخ وقال تعالى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أى لا تدعوه باسمه * فان قيل ثبت عن أنس رضى الله تعالى عنه ان رجلا من أهل البادية جاء فقال يا محمد الخ أجيب بانه يحتمل ان ذلك صدر منه قبل اسلامه أو فى حال اسلامه قبل النهى أو قبل بلوغه فلو ناداه بالكنية هل يحرم أم لا فيه نظر انتهى * أقول الظاهر ان هذا فى حياته مواجهة اما فى غير ذلك فلا يحرم الا ذكره بما لا يشعر تعظيمه فلا يرد انه وقع كثيرا فى المدائح النبوية وغيرها كقول حسان رضى الله تعالى عنه

هجوت محمدا فاجبت عنه * وعند الله فى ذاك الجزاء

فان أبى ووالده وعرضى * لعرض محمد منكم وقاء

فلا حاجة الى ان يقال انه مخصوص بغير الشعر لانه قد يقتضيه الوزن ومما قيل هنا أيضا ان الرسول ويا رسول بدون اضافة لله كاسمه حتى اعترض على قول ابن مالك فى ألفيته مصليا على الرسول المصطفى ولا وجه له لما مر (احمل لى) قال التلمسانى همزته همزة قطع رباعى أى أعنى على الحمل ويجوز ان يكون معنى احمل لى أى اعطنى ما احمل والاول أولى لوجود المحمول انتهى وتبعه بعض المحشين فيجوز فيه الوصل أيضا الان فيما رجح به الاول نظرا (على بعيرى) بالتثنية مضافا الى ياء المتكلم (هذين من مال الله الذى عندك فانك لا تحمل لى) بضم التاء وفتحها على ما مر وروى لا تحملنى أى لا تعطينى (من مالك ولا من مال أبيك) وقيل انه أسند الحمل اليه لانه سبب آمر به فهو مجاز عقلى فعلى هذا همزته همزة وصل أيضا ثم رد على من قال ان همزته مقطوعة بانه ظن انه من أحمل احمالا أى جعل البعير حاملا فلم يستبعد اسناده له وهو مجاز مشهور وليس بشئ لان ما ذكره معنى آخر حقيقى صرح به الجوهرى وكان الرواية عليه (فسكت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم قال المال مال الله وأنا عبده) أتصرف فى ماله باذنه وأعطى من يأمرنى باعطائه فرد صلى الله تعالى عليه وسلم عليه بالطف رد (ثم قال ويقاد منك) بالبناء للمجهول وتقدير همزة الاستفهام أى أو يقاد منك من القود وهو القصاص وهو هنا مجاز عن مطلق المجازاة أى أتجازى على ترك أدبك ولم يقل أقيد نفسى منك كراهة ان يذكر ما يشعر بانتصاره صلى الله تعالى عليه وسلم لنفسه ولو مستفهما وقيل انما بناه للمجهول للتعميم فيمن يستوفى القود أهو الله أم من عنده من المسلمين وقوله (يا اعرابى) اشارة الى انه معذور لما فيه من غلاظ الاعراب وهم أهل البادية (ما فعلت بى) من جذب بردى بان يفعل به مثله أو يعزر بما يليق به وسيأتى تحقيقه فى القصاص باللطمة (قال لا قال لم) لا يقاد منك (قال لانك لا تكافئ) بهمزة من المكافأة وهى المجازاة أو بالياء أصلية أو مبدلة منها (بالسيئة السيئة) فيه مشاكلة لان الجزاء ليس بسيئة أو استعارة لانها مثلها بحسب الصورة (فضحك النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) سرورا بما رآه من حسن ظنه به وانه لم يفعل ذلك بقصد التنقيص منه وتطمينا لقلبه اذ ابدى المسرة بمقالته (ثم أمر ان يحمل له على بعير شعير وعلى آخر تمر) وفيه من حلمه صلى الله تعالى عليه وسلم وتحمله الاذى وعدم التضجر

(وعن) وفي أكثر النسخ قالت (عائشة رضي الله تعالى عنها) كما في الصحيحين (ما رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم منتصرا من مظلمة) بكسر اللام وتفتح أي ما يطلب عند الظالم وأما قول المنجاني وبفتح الميم الثانية وكسرها فلا وجه له (ظلمها) بصيغة المجهول (قط) أي أبدا (ما لم تكن) أي المظلمة (حرمة من محارم الله) أي متعلقة بحقوق الخلق أو الحق خارجة عن خاصة نفسه وحرمانه فرائضه أو ما وجب القيام به وحرم التفريط فيه (وما ضرب بيده شيأ قط) واحترزت بقولها بيده عن ضرب غيره بامره تاديبا أو تعزيرا أو حدا وهذا كله من باب الكرم والرحم على العامة والخاصة (الا ان يجاهد في سبيل الله) أي فانه كان يضرب بيده مبالغة في مقام جده واجتهاده في جهاده ثم ما ضرب أحدا من أعدائه الا كان حتف أنفه وعذاباله في آخر أمره بدليل قول أبي ابن خلف وقد خدشه يوم أحد في عنقه فجزع جزعا شديدا بالمشديد فقيل له ما هذا الجزع فقال والله لو بصق محمد على لقتلني (وما ضرب خادما ولا امرأة) تخصيص بعد تعميم ودفع لتوهم ان النفي الاول متعلق بمن كان خارجا عن أهله واشعارا بان التحمل منهما أشد ثم فيه جواز ضرب المرأة والخادم للادب اذ لو لم يكن مباحا لم يتمدح بالتنزه عنه (وجيء اليه برجل) على ما روى أحمد والطبراني بسند صحيح (فقيل هذا أراد ان يقتلك) أي فحصل للرجل روع في روعه وفزع في روحه (فقال له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لن تراع) بضم التاء أي لن تفزع بمكروه (لن تراع) كرره تاكيدا والمعنى لا تخف قال التلمساني وتضع العرب لن بمعنى لا كما ههنا (ولو أردت ذلك) أي قتلي (لم تسلط علي) بصيغة المجهول اعلاما منه بان قتله محال لقوله تعالى والله يعصمك من الناس

ملا يخفى وهو ارشاد لامته لا سيما من يتولى منهم أمور المسلمين ثم أتى بما يدل على ما في هذا الحديث من خلقه العظيم فقال (قالت عائشة رضي الله عنها) في حديث أخرجه الشيخان وأحمد والترمذي في الشمائل مع مخالفة يسيرة في لفظه (ما رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) رؤية بصرية أو علمية (منتصرا) أي منتقما وناصرا لنفسه على غيره (من مظلمة) أي من ظلم وهي بفتح الميم وكسر اللام وفتحها واقتصر في التقريب على الاول (ظلمها) مبني للمفعول وهو مؤكد أو دفع لتوهم كون الظلم لغيره (قط) لاستغراق ما مضى كما مر (ما لم تكن حرمة من محارم الله) أي ما لم تكن المظلمة بارتكاب أمر حرمه الله وليس بصرف حق له ولا يرد عليه انه قتل ابن خطل والقينتان اللتان كانتا تغنيان بهجو رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فانه حق لله فان ابن خطل ارتد وهجو رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وسبه كفر كاذيته بخلاف الاعرابي فانه مسلم حمله على ما فعله غلاظة طبعه وظهر من جوابه انه لم يقصد بذلك الاهانة مع ما فيه من حكم خفية كاستعطاف قلوب أهل البادية ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك (وما ضرب) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (بيده شيأ قط) من دابة وانسان وغيره (الا ان يجاهد في سبيل الله) كما في ضربه صلى الله عليه وسلم أبي بن خلف باحد بحربة تناولها من بعض أصحابه اما الحارث ابن الصمة كما يأتي أو الزبير بن العوام فخدشه بها في عنقه خدشا غير كبير فاحتبس الدم أي لم يخرج بسبب ذلك الخدش فقال قتلني والله محمد فوقع من تلك الضربة مرارا من على فرسه التي كان أعدها ليقتل عليها النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كما يأتي وجعل يخور كما يخور الثور اذا ذبح وفي رواية انه ضربه تحت ابطه فكسر ضلعا من أضلاعه ثم مات عدو الله وهم قافلون به الى مكة بسرف بفتح السين وكسر الراء المهملتين وهو مناسب لوضعه لانه مسرف وقيل ببطن رابغ ولم يقتل صلى الله تعالى عليه وسلم بيده الشريفة قط أحدا الا أبي بن خلف هذا لا قبل ولا بعد وجاء أشد الناس عذابا من قتله نبي وفي لفظ اشتد غضب الله على رجل قتله رسول الله فسحقا لاصحاب السعير وفي لفظ اشتد غضب الله عز وجل على رجل قتله رسول الله في سبيل الله أي لان الانبياء عليهم الصلاة والسلام مأمورون باللطف والشفقة على عباد الله فما يحمل الواحد منهم على قتل شخص الا أمر عظيم ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أكملهم لطفا ورفقا وشفقة بعباد الله قالوا واحترز بسبيل الله عمن قتله صلى الله تعالى عليه وسلم حدا أو قصاصا لان من يقتله في سبيل الله كان قاصدا قتله وقد اتفق ذلك لابي بن خلف لعنه الله كما يأتي بيانه (وما ضرب خادما) له (ولا امرأة) من نسائه وفيه دليل على جواز تاديب الرجل امرأته وضربها ولولا ذلك لم يمدح به صلى الله تعالى عليه وسلم (وجيء اليه صلى الله تعالى عليه وسلم برجل) هذا الحديث أخرجه أحمد والطبراني بسند صحيح ولم يسميا الرجل (فقيل له هذا أراد ان يقتلك فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم لن تراع لن تراع) أي لا تخف مني وكرره ليطمئن قلبه والروع الخوف والفزع ولن هنا بمعنى لا أي لا خوف عليك مني ولا من غيري (ولو أردت هذا لم تسلط علي) لان الله عصمني فلن ينالني ما أردته أنت ولا غيرك * فان قلت قوله لو أردت يقتضي انه لم يرده مع انه

أراد ذلك لقولهم أراد قتالك * قلت المراد بالارادة سببها وهي مباشرة ماهم به أي لو مددت يدك الى لم تصل الى (وجاءه صلى الله تعالى عليه وسلم زيد بن سعنة) بفتح السين وسكون العين المهملتين وفتح النون وقيل انها مضمومة وهو غريب وهو حبر من أحبار اليهود كما في الاكمال وفي التهذيب هو صحابي من أحبار اليهود الذين أسلموا وهو من أكثرهم مالا وعلما حسن اسلامه وشهد المشاهد وتوفي مرجعه صلى الله تعالى عليه وسلم من تبوك ويقال انه سعية بالياء التحتية حكاه ابن عبد البر وقال النون أشهر وعليه اقتصر الجمهور وقال الذهبي انه أصح وأما أسيد بن سعية فالتحتية فيه أصح وأسيد بفتح الهمزة أو هو مصغر وهو حديث طويل رواه البيهقي مفصلا عن ابن سلام ووصله ابن حبان والطبراني وأبو نعيم عن عبد الله بن سلام أيضا وسنده صحيح كما قاله السيوطي (قبل اسلامه يتقاضاه دينا عليه) أي يطلب منه صلى الله تعالى عليه وسلم دينا كان له عليه والتقاضي بمعنى المطالبة من كلام العرب قال الحماسي

لحى الله دهرا شره قبل خيره * تقاضى فلم يحسن الينا التقاضيا

قال الشراح أي طالبنا ومثله كثير في كلامهم وكلام أهل اللغة فقول شيخنا المقدسي في الرمز التقاضي معناه لغة القبض لانه تفاعل من قضى يقال تقاضيت ديني واقتضيته بمعنى أخذته وفي العرف الطلب انتهى لا وجه له والذي غره قصور كلام القاموس فظنه غير لغوي بل معنى عرفي وهو غريب منه وفي رواية عن زيد المذكور كنت أريد أن أعلم حال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ليطابق مافي التوراة من حلمه فخرج يوما ومعه علي فجاءه رجل كالبدوي فقال يارسول الله ان قرية بني فلان أسلموا وأعلمهم انهم ان أسلموا أتتهم أرزاقهم رغدا وقد أصابتهم سنة وشدة واني مشفق عليهم ان يخرجوا من الاسلام فان رأيت ان ترسل اليهم بشئ يغنيهم فقال زيد بن سعنة يارسول الله أنا أبتاع منك بكذا وكذا وسقا فاعطيته ثمانين دينارا فدفعها الا رجل وقال له اعجل عليهم بها وأغثهم فلما كان قبل الاجل بيوم أو يومين أو ثلاث خرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى جنازة في نفر من أصحابه فلقيه وتقاضاه (فجبذ ثوبه عن منكبه وأخذ بمجامع ثيابه) ضمنه معنى أزاله فعداه بعن ومنكب بكسر الكاف مجمع الكتف والعضد والمجامع جمع مجمع وهو أطرافه وحواشيه وقيل هو التلبيب أي أخذه بطوقه وما تحت لبته ونحره وهذا هو الصحيح المعروف لا ماقيل انه مابين الكتفين فان الثياب كلها كالرداء والقميص تجتمع هنالك (وأغلظ له) أي قال له كلاما غليظا خشنا مع تعبس وتجهم وجهه (ثم قال انكم يابني عبد المطلب) مفتعل من الطلب واسمه شيبة على الاصح لانه ولد وفي رأسه شيبة ظاهرة في ذؤابتيه (مطل) بضم الميم والطاء جمع ماطل والمطل التطويل في تاخير الحق أو خلف الوعد فيه مرارا من مطل الحداد الحديد اذا مده وفي القاموس المطل التسويف بالعدة والدين (فانتهره عمر) رضي الله تعالى عنه بالراء المهملة افتعال من النهر وهو الزجر ونهره وانتهره بمعنى وقال ابن فورك الانتهار الاغلاظ في القول مع صياح وقيل النهر عن الشئ بغظاظة (وشدد له في القول) فقال له عمر رضي الله تعالى عنه أي عدو الله أتقول هذا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتصنع به ماأرى وتقول له ماأسمع فوالذي بعثه بالحق لولا ماأخاف فوته لسبقني رأسك (والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم يتبسم) من مقالهما لشدة حلمه ولعلمه كشفا بمراد ابن سعنة وان عمر رضي الله تعالى عنه لو كشف له الغطاء لم يصعب عليه ذلك (فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أنا وهو) أي ابن سعنة صاحب الحق (كنا الى غير هذا) المقال الذي قلته (منك أحوج ياعمر) أي أكثر حاجة وهو أفعل تفضيل من حاج بمعنى احتاج وليس من احتاج على حذف الزوائد شذوذا كما توهم فان ثلاثيه مسموع والمفضل عليه محذوف وهو خبر أنا وماعطف عليه ثم بين الغير

في تهذيبه وفي رواية بتحتية بدل النون (قبل اسلامه) وهو يهودي (يتقاضاه) أي كونه طالبا (دينا) أي قضاء دين له (عليه) صلى الله تعالى عليه وسلم (فجبذ ثوبه) أي جذب رداءه وأزاله وأبعده (عن منكبه) بكسر الكاف (وأخذ بمجامع ثيابه) جمع مجمع وهي أطرافه وحواشيه أو ازاره كله ويقال له التلبيب (وأغلظ له) أي في القول بخصوصه (ثم قال) قاصدا العموم قومه (انكم يابني عبد المطلب مطل) بضمتين ويسكن الثاني جمع مطول كفعول بمعنى فاعل أي مدافعون في وعدكم (فانتهره عمر) أي زجره (وشدد له في القول والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم يتبسم) حال مبينة لكمال حلمه وحسن خلقه وجميل عفوه (فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أنا وهو كنا الى غير هذا) أي الذي صدر (منك) أي من الزجر الاكيد والقول الشديد (أحوج) أي أكثر احتياجا (ياعمر) فكان الاولى بك انك

(تامرني بحسن القضاء) أي الاداء لدينه (وتامره بحسن التقاضي) أي المطالبة لحقه (ثم قال لقد بقي من أجله) أي من أجل دينه لا عمره (ثلاث) أي ثلاثة أيام وحذف تاؤه لحذف مميزه الذي هو أيام كما في حديث من صام رمضان وأتبعه بست من شوال فكأنه صام الدهر كله (وأمر) أي النبي عليه الصلاة والسلام (عمر يقضيه ماله) أي ماله من الحق (ويزيده عشرين صاعا مما روعه) بتشديد الواو أي لاجل ماخوفه عمر زجرا فيجازيه برا (فكان) أي فصار ذلك (سبب اسلامه) والحديث رواه البيهقي مفصلا ووصله ابن حبان والطبراني وأبو نعيم بسند صحيح (وذلك) أي كونه سبب اسلامه (انه كان يقول) كما روي عنه عبد الله بن سلام (مابقي من علامات النبوة شيء الا وقد عرفتها في محمد) وفي رواية في وجه محمد (الا اثنتين لم أخبرهما) بفتح الهمزة وضم الموحدة أي لم أخبر بهما فلم أعرفهما وروي لم أجدهما أي لم أتحققهما (يسبق حلمه جهله) أي جهل الذي يفعل به (ولا تزيده شدة الجهل) أي عليه (من أحد الا حلما) بل لطفا وكرما (فاختبره) أي امتحنه (هو بهذا) أي الذي صدر منه في حقه قولا وفعلا (فوجده) ويروى فاختبرته بهذا فوجدته (كما وصف) بصيغة المجهول أي نعت في كتب الاولين في صفة المرسلين وكان أعلم من أسلم من أحبار اليهود وأجلهم وأكثرهم مالا شهد مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مشاهد كثيرة وتوفي راجعا من غزوة تبوك الى المدينة (والحديث) أي الاحاديث الواردة المخبرة عن حلمه عليه الصلاة والسلام وصبره وعفوه (عند المقدرة) بفتح الدال وضمها وحكي كسرها بمعنى القدرة وهو احتراز عن توهم كون عفوه عن معجزة (أكثر من ان نأتي عليه) ان نذكر كله أو معظمه

الذي هما أحوج اليه من هذا التشديد بقوله (تامرني بحسن القضاء) أي وفاء ماله على (وتأمره بحسن التقاضي) والطلب باللطف (ثم قال) صلى الله تعالى عليه وسلم دفعا لما عسى يتوهم انه وقع مطل أو تاخير منه (لقد بقي من أجله) أي من تاجيل دينه (ثلاث) أي ثلاثة أيام فلذا لم يحسن تقاضيه بخلاف قضاء النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فانه وقع على أحسن وجه فانه فعل ما وعده وزيادة كما أشار اليه بقوله (وأمر عمر يقضيه ماله ويزيده) على حقه (عشرين صاعا) من تمر (مما روعه) ما مصدرية أي لاجل ترويع عمر له اذهم بقتله وقال له ما مر (فكان) فعل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (سبب اسلامه) لانه كان عالما بالتوراة ورأى فيها ذكره صلى الله تعالى عليه وسلم وعلاماته فحقق تلك العلامات كلها غير علامتين لشدة حلمه فلما رآهما تيقن أمره وزالت شبهته فحسن اسلامه وأراد الله سعادته (وذلك انه كان يقول) لمن عنده من اليهود (مابقي من علامات النبوة) أي علامات نبوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم المذكورة في التوراة التي قرأها وعرفها (شيء الا وقد عرفته) أي شاهدته فيه صلى الله تعالى عليه وسلم وفي نسخة الا وقد عرفتها باعتبار ان الشيء بمعنى العلامة (الا) علامتين (اثنتين لم أخبرهما) أي لم أعرفهما وهو بضم الباء يقال خبرته أخبره خبرا اذا اختبرته فصدق الخبر الخبر ثم فسر الثنتين اللتين لم يعرفهما بقوله (يسبق حلمه جهله) تقدم ان الجهل في كلام العرب قديما بمعنى المبادرة للغضب ومقتضاه عدم المبادرة بالايقاع بمن يغضبه وهو مقابل للحلم لا للعلم كقوله

ألا لا يجهلن أحد علينا * فنجهل فوق جهل الجاهلينا

كما مر لان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان يغضب أحيانا لله وينتقم فلا يتوهم من لا يعرف كلام العرب هنا ما لا يليق بصفاته صلى الله تعالى عليه وسلم فالمراد ان حلمه صلى الله تعالى عليه وسلم يغلب حدته كما في قوله سبقت رحمتي على غضبي أو السبق على ظاهره فمن قال المعنى يغلب حلمه على جهله لو كان له جهل كقوله تعالى فتبارك الله أحسن الخالقين وليس المراد ان له صلى الله تعالى عليه وسلم جهلا يسبقه حلمه لانه لقبحه لا يصلح ان يعد من علامات النبوة وحينئذ فليس من قبيل سبقت رحمتي والجهل هنا وفيما بعده مصدر جهل عليه لا به انتهى لم يصب مع ما في كلامه من التناقض (ولا تزيده شدة الجهل الا حلما) هذه هي العلامة الثانية أي جهل غيره بمعنى سفاهته وأذيته كلما ازدادت واشتدت عليه زاد حلمه صلى الله تعالى عليه وسلم وصبره ما لم تتجاوز حدود الله وتؤتى حرماته فانه حينئذ يغضب لله لا لنفسه وهذا من صفاته صلى الله تعالى عليه وسلم الخارقة للعادة كما عرفته في هذه القصة مع زيد بن سعنة ولذا قال زيد لعمر رضي الله عنه لما قضاه وزاده أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وما حملني على ما رأيتني صنعت يا عمر الا اني كنت رأيت صفاته التي في التوراة كلها الا الحلم فاختبرت حلمه اليوم فوجدته على ما وصف في التوراة واني أشهدك ان هذا التمر وشطر مالي في فقراء المسلمين وأسلم أهل بيته كلهم الا شيخا غلبت عليه الشقوة والى هذا أشار المصنف بقوله (فاختبره بهذا فوجده كما وصف والحديث) أي الاخبار المستفيضة بين الناس وليس المراد المصطلح عليه ولذا عداه بعن فقال (عن علمه وصبره وعفوه عند القدرة) قيده به لانه هو المحمود كما مر (أكثر من ان نأتي عليه) يقال أتى

(وحسبك) أى كافيك ومغنيك (ماذكرناه مما فى الصحيح) أى فى الكتب الصحيحة (والمصنفات الثابتة) أى ولولم تكن من الصحاح الستة أوولولم تكن صحيحة بل ثابتة حسنة فانها حجة بينة (الى مابلغ) أى منضمة الى ماوصل مجموعه (متواترا) أى فى المعنى (مبلغ اليقين) أى مبلغا يحصل به اليقين للمؤمنين فى أمر الدين (من صبره) بيان لما أى من تحمله (على مقاساة قريش) أى مكايدتهم ومعارضتهم ومخالفتهم (وأذى الجاهلية) ٢٨ أى وتأذيه من أهل جاهليتهم وسفاهتهم (ومصابرته الشدائد) أى مغالبة المحن وفى نسخة ومصابرة الشدائد (الصعبة) أى الشاقة (معهم) أى مع أعدائه (الى ان أظفره الله عليهم) بنصره وأظهره كما فى نسخة (وحكمه فيهم) بتشديد الكاف أى جعله حاكما عليهم متصرفا فى أمرهم (وهم لايشكون) أى لايترددون بناء على زعمهم وقياسه على أنفسهم (فى استئصال شافتهم) بفتح شين معجمة فسكون همزة ففاء فتاء أى جمعهم وقطع أثرهم وهى فى الاصل قرحة تخرج للانسان فى أسفل القدم فتكوى فتذهب فهم يقولون فى المثل استاصل الله شافته أى أذهبه كما أذهبها وروى فى استئصاله بالاضافة ونصب شافتهم التى فى استهلاكه دابرهم من أصلهم وفصلهم (وابادة خضرائهم) بفتح خاء وسكون ضاد معجمتين بعدهما راء فالف ممدودة أى اهلاك جماعتهم وتفريق جمعهم فالابادة بكسر الهمزة مصدر اباده الله أى أهلكه وخضراؤهم سوادهم ومعظمهم والمعنى لايشكون فى هلاكهم وذهابهم وفنائهم (فازاد على ان عفا) أى تجاوز عن أفعالهم (وصفح) أى وأعرض عن أقوالهم (وقال) أى لهم تلويحا بلطفه اليهم وشفقته عليهم واستخراجا لما فى ضمائرهم واستظهارا لما فى سرائرهم (ماتقولون) أى فيما بينكم أوماتظنون بى (انى فاعل بكم) أى بعدما ظفرت عليكم

على الكتاب قرأه أو المال انفاقا اذا استوعبه كله وهذا التركيب كقولهم أكثر من ان تحصى والكلام عليه مشهور فالمعنى انه لايمكن استيعابه واستقصاؤه (وحسبك ماذكرناه مما فى الصحيح والمصنفات الثابتة) أى يكفيك ماتقدم مما ثبت بنقل الثقاة فان مالايدرك كله لايترك كله فيكفى هذا منضما (الى مابلغ) لك وعندك (متواترا) تواترا معنويا عن مجموعهما (مبلغ اليقين) أى وصل بالتواتر مرتبة اليقين الذى لايشك فيه أحد ولوقال مبلغ الضرورى كان أولى والقول بانه أراده لايخفى مافيه ثم بين ذلك بقوله (من صبره) صلى الله تعالى عليه وسلم (على مقاساة قريش) المقاساة معالجة أمور صعبة شاقة بحيث لايتحمل مثلها وهذا فى أول بعثته صلى الله تعالى عليه وسلم كما يعرفه من طالع السير (وأذى الجاهلية) أى تحمله صلى الله تعالى عليه وسلم أذى الجاهلية أى أهل الجاهلية وهم الكفار (ومصابرته الشدائد الصعبة معهم) فى الحروب الواقعة بينه وبينهم وهى وان كانت سجالا الا انه صب عليهم العذاب فالمصابرة مفاعلة من الصبر عن شدائد الحروب وهم صناديد كان لهم صبر على اصطلاء نارها لكنه صلى الله تعالى عليه وسلم غلبهم وصابرهم وزاد عليهم حتى ظفروا انتصر (الى ان أظهره الله تعالى عليهم وحكمه فيهم) أى جعله الله تعالى قاهرا غالبا لهم وهم فى قبضة تصرفه يحكم فيهم بما يريد من قتل وأسر وعفو ان شاء (وهم لايشكون فى استئصال شأفتهم) الاستئصال قطع الشئ من أصله وازالته بالكلية والشأفة بشين معجمة مفتوحة وهمزة ساكنة وفاء تليها هاء تأنيث وتبدل الهمزة ألفا وهى قرحة تخرج فى أصل القدم فتكوى فتذهب وان قطعت مات صاحبها فضرب مثلا وقد يدعى به والمراد أزاله الله تعالى من أصله بحيث لايبقى له عين ولا أثر ولا أصل ولا فرع وفيه اشارة الى خبثهم وانهم كقرح فى البدن خبثه مهلك لصاحبه فشبه هلاكهم أجمعين بقطع تلك القرحة وفيه بلاغة لاتخفى (وابادة خضرائهم) الابادة بالدال المهملة بمعنى الاهلاك وهذا مثل كالذى قبله والخضرة كالسواد تطلق على الناس والقوم فمعنى ازالة سوادهم وخضرائهم هلاكهم قال فى النهاية ابتدت خضراء قريش أى دهماؤهم وسوادهم والمراد الجماعة وذهب بعض أهل اللغة الى ان صوابه غضراؤهم بغين معجمة وهى عصارتهم وخيرهم وخصبهم أوطينتهم التى خلقوا منها والمراد على كل حال استئصالهم والصواب ماتقدم رواية ودراية والمعنى انه صلى الله تعالى عليه وسلم ظفر بهم فى حال تيقنوا اهلاكهم باسرهم بحيث لايبقى منهم باقية (فازاد) صلى الله عليه وسلم (على ان عفا وصفح) أى مع شدة اذاهم ونصره عليهم بحيث صاروا فى قبضة تصرفه وقد أحاط بهم الهلاك من كل جانب مازاد على ما كان عليه من حاله الا العفو والصفح لاشفاء النفس بالانتقام وفعل مايستحقون بحيث لوفعل لم يلم والعفو والصفح متقاربان عدم المؤاخذة بالذنب (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم تلويحا للطفه بهم مستنذرا منهم كما فى ضمائرهم مفوضا ذلك اليهم تكرما منه صلى الله تعالى عليه وسلم (ماتقولون) ما استفهامية والقول بعدها بمعنى الظن كما صرح به النحاة بقوله (انى فاعل بكم) بفتح همزة ان وهى ومامعها سادة مسد مفعوليه وهذا متعين وجعل القول على أصله بناء على انه سالهم

(قالوا خيرا) أي نقول قولا خيرا أو نظن ظنا خيرا أو نفعل خيرا (أخ كريم) أي هو أو أنت وهو في معنى العلة أي لانك أخ كريم (وابن أخ كريم) أي فلا يجيء منك الا ما يوجب الكرم والعفو عن ظلم (فقال أقول) أي في جواب قولكم (كما قال أخي يوسف) اي لاخوته فانا مقتد بالانبياء العقلاء لا بالاغبياء الجهلاء (لا تثريب) لا تعيير ولا توبيخ ولا تعييب (عليكم اليوم) أي هذا الوقت الذي ظهر فضلي لديكم أولا اذكر لكم الذنب في هذا اليوم الذي محله التثريب فقط فكم بغيره من الزمان البعيد أو القريب وأما ما جوزه التلمساني من الوقف على عليكم وجعل اليوم ظرفا لما بعده ففي غاية من البعد مبنى ومعنى (يغفر الله لكم) أي ما فرط منكم وظهر عنكم (الآية) أي وهو أرحم الراحمين وانما رجي اثر من آثار رحمته كما قال تعالى وما أرسلناك الا رحمة للعالمين وكما في الحديث الشريف انا رحمة مهداة أي رحمة لكم ومهداة اليكم (اذهبوا فانتم الطلقاء) بضم ففتح ممدود جمع طليق بمعنى مطلوق

٢٩

وهو الاسير يخلى عن سبيله أي الخلاص من قيد الاسر فانهم كانوا حينئذ اسراء وقد قال ذلك يوم فتح مكة آخذا بعضادتي باب الكعبة على ما رواه ابن سعد والنسائي وابن زنجويه وجاء نوفل بن معاوية الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال يا رسول الله انت أولى الناس بالعفو ومن منا من لم يعادك ويؤذك ونحن في جاهلية لا ندري ما نأخذ ولا ما ندع حتى هدانا الله بك وأنقذنا بوجودك من الهلكة فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قد عفوت عنك فقال فداؤك أبي وأمي وقد روى سفيان عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال الطلقاء من قريش والعتقاء من ثقيف أي أهل الطائف كما رواه ابن سيرين قال التلمساني وروى ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لما افتتح مكة طاف بالبيت وصلى ركعتين ثم أتى الكعبة وفيها رؤساء قريش فاخذ بعضادتي الباب وقال ماذا ترون اني صانع بكم فقالوا أخ كريم وابن أخ كريم ملكت فاسجح فقال اني أقول لكم كما قال أخي يوسف لا تثريب عليكم اليوم الآية وقال أنتم الطلقاء ولكم أموالكم قال فخرجوا كأنما انشروا من القبور فدخلوا في الاسلام (وقال أنس) كما رواه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي (هبط ثمانون رجلا من التنعيم) وهو أقرب اطراف مكة اليها وهو على ثلاثة أميال منها وقيل اربعة وهو من جهة المدينة والشام سمي بذلك لانه عن يمينه جبل يقال له نعيم وعن شماله جبل يقال له ناعم والوادي نعمان بفتح النون (صلاة الصبح) أي نزلوا وقت صلاة الفجر (ليقتلوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي بغتة وغفلة

عما قالوا في أنفسهم او فيما بينهم تكلف مخالف للاستعمال الفصيح (قالوا خيرا) منصوب بمقدر يدل عليه فاعل قبله اي نفعل خيرا او انت فاعل خيرا (أخ كريم) اي انت الى آخره كريم وهي جملة مستأنفة لبيان انه يفعل الخير (وابن أخ كريم) هذا على عادة العرب في تسمية القريب أخا قال تعالى والى عاد أخاهم هودا والكريم الجامع للخير والفضائل كما في الحديث الكريم بن الكريم بن الكريم بن الكريم يوسف آه الخ (فقال أقول كما قال اخي يوسف) فيه بلاغة وطي بديع ابلغ من قوله

نهيت من الاعمار ما لو حويته * لهنئت الدنيا بانك خالد

لما فيه من الايماء الى شقهم عصا القرابة بينهم وحسدهم له وكذبهم عليه وقطع رحمه مع ما له صلى الله تعالى عليه وسلم من الشرف الباذخ فانه الكريم بن الكريم وان حسدهم وبغيهم كان سببا لعلوه مقامه وتملكه لنواصيهم وذلتهم له معترفين بقصورهم (لا تثريب عليكم الآية) اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين * التثريب التعيير والتوبيخ أي لا أوبخكم واعيركم بما يخجلكم ويحتمل ان المراد لا عتب عليكم لعدم مبالاتي لكم من الثرب وهو الشحم الذي يغشي الكرش ومعناه ازالة الثرب كما ان التجليد ازالة الجلد لانه اذا ذهب كان غاية الهزال فضرب مثلا للتقريع الذي يمزق العرض ويذهب بماء الوجه وفيه جواز الاقتباس من القرآن ولو مع تغيير ما في المعنى وقد جوز الوقف على قوله عليكم والظرف متعلق بيغفر وفيه المسارعة بالمغفرة في وقت يرجى فيه خلافه واليوم بمعنى مطلق الوقت ويجوز ان يوقف على اليوم اي لا تغيير لكم اليوم لان المقدرة تذهب الحفيظة اذا بدل الله من العسر يسرا ومن الحزن سرورا ومن الفرقة الفة ومن الغربة ملكا وبسطة فلا تثريب في زمان فيه مثل هذا الخير وبهذا الوقف قرأ القراء ويغفر جملة دعائية أو خبرية مبشرة لهم بذلك (اذهبوا فانتم الطلقاء) بالمد جمع طليق وهو الاسير يطلق ويخلى سبيله قيل وهو مخصوص بمن كان من قريش ومن ثقيف يقال لهم العتقاء تمييزا بينهم وهذا بعض حديث طويل وهو انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما نزل بمكة واطمأن الناس جاء البيت وطاف به سبعا على راحلته يستلم الحجر بمحجنه فلما قضى طوافه دعا عثمان بن طلحة فاخذ منه مفتاح الكعبة ففتحت له فدخلها ثم وقف على بابها وقال لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ثم قال يا معشر قريش اني فاعل الى آخره فخرجوا كأنما انشروا من القبور (وقال أنس رضي الله تعالى عنه هبط ثمانون رجلا من التنعيم صلاة الصبح) منصوب على الظرفية أي وقت صلاة الصبح (ليقتلوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) الهبوط النزول من علو

(فاخذوا) بصيغة المجهول (فاعتقهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فانزل الله تعالى وهو الذي كف أيديهم) أي كفار مكة (عنكم وأيديكم عنهم الآية) وهي ببطن مكة ٣٠ أي داخلها أو قريبا منها من بعد ان أظفركم عليهم أي اظهركم وغلبكم فهزمهم وأدخلهم بطنها وقد ذكر المفسرون ان سبب نزولها عام الحديبية ان عكرمة بن أبي جهل خرج في خمسمائة الى الحديبية فبعث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خالد بن الوليد في جماعة فهزمهم حتى ادخلهم بطن مكة أو كان يوم فتح مكة وبه أخذ أبو حنيفة ان مكة فتحت عنوة ولا ينافيه ما ذكر من ان السورة نزلت قبله اذ هي من جملة المعجزات والاخبار عن المغيبات قبل وقوعها (وقال) أي النبي عليه الصلاة والسلام (لابي سفيان) أي ابن صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف شهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حنينا وأعطاه من غنائمها مائة وأربعين أوقية وزنها له بلال كان شيخ مكة ورئيس قريش بعد أبي جهل أسلم يوم الفتح ونزل المدينة سنة احدى وثلاثين ودفن في البقيع (وقد سيق اليه) أي جيء به اليه والجملة معترضة بين القول ومقوله مبينة لحال صاحبها والمعنى جاء به العباس ليلا مردفا له على بغلته اليه صلى الله تعالى عليه وسلم وهو متوجه لفتح مكة

اسفل وهو يتعدى ولا يتعدى قال العباس رضي الله تعالى عنه * ثم هبطت البلاد لا بشر * وباؤه مفتوحة في الماضي مكسورة في المضارع وضمها لغة شاذة وقال ابن عطية ان الضم كثير في غير المتعدى وقيل عليه انه لا يوجد الفرق بين المتعدى وغيره يعني بحركة عين المضارع وحدها والتنعيم بفتح التاء اسم موضع عن يمينه جبل يقال له نعيم وعن يساره جبل يقال له ناعم والوادي هو نعمان فقيل فيه التنعيم لذلك وقالت امرأة تذكره

أيا جبلي نعمان بالله خليا * نسيم الصبا يخلص الى نسيمها

وهو على أربع اميال من مكة وهو طرف الحرم من جهة المدينة (فاخذوا فاعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله) في هذه القصة (وهو الذي كف أيديهم عنكم الآية) وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد ان أظفركم عليهم اي اظهركم ونصركم عليهم فهزمهم حتى أدخلهم بطنها وحديث أنس رضي الله تعالى عنه المذكور رواه مسلم والترمذي وأبو داود والمراد ببطن مكة الحديبية وضمير الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ومن معه وكان ذلك وهو في أصل الشجرة فبينما هو كذلك اذ خرج ثلاثون رجلا وقال ابن هشام رحمه الله تعالى سبعون او ثمانون وأخذوا اسراء والسفراء يمشون في الصلح فاطلقهم وهم العتقاء وقيل ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أخبر ان عكرمة بن أبي جهل خرج اليه في خمسمائة فارس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لخالد هذا ابن عمك خرج في خمسمائة فارس فقال أنا سيف الله وبذلك سمي يومئذ فقام اليه في خيل فهزمه الى حوائط مكة وقيل انه كان يوم فتح مكة وبهذا استدل بعض الحنفية على انها فتحت عنوة ورد بان الآية نزلت قبل الفتح وان الكف يناسب الصلح وهو بصيغة الماضي والآية نزلت بالحديبية قيل ومن العجيب قول أبي السعود ان الآية نزلت لما خرج عكرمة ابن أبي جهل في خمسمائة فارس الى الحديبية فبعث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خالد بن الوليد بجند فهزمهم حتى ادخلهم حيطان مكة يوم الفتح انتهى وهو كلام متناقض لان الحديبية كانت سنة ست في ذي القعدة وفتح مكة كان في رمضان سنة ثمان وقصة خالد كانت يوم الفتح * أقول من قال المراد فتح مكة فهو ضعيف فان السورة مدنية نزلت قبل الفتح والحمل على ان الماضي أعني كف للتحقيق بمعنى المضارع وعدا بعيد جدا وأيضا ما ذكر ان عكرمة بن أبي جهل خرج في عسكر فبعث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خالد بن الوليد الى الحديبية فهزمهم حتى أدخلهم حيطان مكة غلط فان خالد بن الوليد لم يكن أسلم يومئذ بل كان طليعة للمشركين كما في البخاري ولا حاجة لتأويل كلامه بانه أراد بالفتح قصة الحديبية لانها سميت في القرآن فتحا مع انه تابع في هذا الغلط لغيره وعهدته على من قاله أولا وليس ما نقله أيضا مطابقا لما قاله في تفسيره وفي فتح مكة خلاف في كتب الفقه وفي الكشاف كف أيديهم قضى بينكم وبينهم بالمكافة والمحاجزة وهي نزعة اعتزالية ولذا تركه القاضي رحمه الله تعالى (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم (لابي سفيان) صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف (وقد سيق اليه) جملة حالية أي قال له القول الآتي وسيق مبني للمجهول سائقه أتى به وقاده والسائق له هو العباس عم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لما سار النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لفتح مكة ونزل مر الظهران عشاء واوقد عشرة آلاف نار وجعل على الحرس عمر رضي الله تعالى عنه وأراد دخولها قهرا لقتل الكفار فرقت نفس العباس رضي الله تعالى عنه لاهل مكة فخرج على بغلة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حتى أتى الاراك فقال لعلي أجد ذا حاجة يأتي مكة فيخبرهم برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

حتى

(بعدان جلب) أى ساق (اليه الأحزاب) وهى جموع مجتمعة للحرب من قبائل متفرقه والمعنى بعد كثرة قبائحه وجملة فضائحه منها
انه جمع احزاب كفار مكة وغيرهم وأتى أهل المدينة على عزم قتلهم ونهبهم وهم أهل الخندق وكانوا ثلاثة عساكر وعدتهم عشرة آلاف
قال ابن اسحق وكانت فى شوال سنة خمس وكان الحصار أربعين يوما (وقتل عمه) أى وتسبب بقتل عمه حمزة اذ قتله وحشى وهو من
جملة عسكره ثم أسلم (وأصحابه) أى وقتل سائر أصحابه مجازا قيل هم سبعون وقيل سبعون من الانصار خاصة وقيل مجموع القتلى سبعون
أربعة من المهاجرين حمزة ومصعب بن عمير وشماس بن عثمان المخزومى وعبدالله ٣١ بن جحش الاسدى وباقيهم من
الانصار (ومثل بهم) بتشديد المثلثة أى أمر أن يفعل بهم المثلة أو تسبب بها على وجه المبالغة من قطع أنف وأذن ومذاكير وسائر أطرافهم والممثلة بحمزة زوجته هند بنت عتبة لقتل حمزة أباها فى بدر وفى صحيح البخارى عن أبى سفيان وستجدون فى القوم مثلة لم آمر بها ولم تسؤنى قيل والذى فعل المثلة هند ومن معها من النسوة وقال البغوى فى تفسيره لم يبق أحد من قتلى أحد الا مثل به غير حنظلة بن راهب فان أباه عامر الراهب كان مع أبى سفيان فتركوا حنظلة لذلك (فعفا عنه) أى مع هذا كله وجميع ماصدر عنه من الفعل (ولاطفه فى القول) أى بالغ فى اللطف والرفق معه حيث قال له (ويحك ياأباسفيان) أى ترحما له وتوجعا عليه اذلم يؤمن
به بعد ولم يسلم على يديه قيل ويح كلمة ترحم لمن وقع فى هلكة لا يستحقها وقيل ويح باب رحمة وويل باب هلكة وويس استصغار
(ألم يأن) من أنى يأنى أى جاء اناه أى ألم يقرب الوقت (لك أن تعلم) أى علما يقينا (وتشهد أن لا اله الا الله) أى توحده حق توحيده
الموجب للعلم بحقيقة رسوله (فقال) أى أبوسفيان متعجبا من سعة حلمه وكثرة صلته وقوة كرمه (بابى أنت وأمى) أى
أفديك بهما (ماأحلمك) صيغة تعجب من الحلم وفى بعض النسخ ماأجملك من الجمال فيكون بمعنى التجمل كما أن الاول
بمعنى التحمل (وأوصلك) أى ما أكثر وصلك على رحمك أوما أكثر عطاءك لاعدائك

ح ن يخرجوا ويستأمنوه قبل أن يدخلها عنوة فسمعت صوت أبى سفيان يقول لبديل مارأيت كالليلة
سراباولا عسكرا فقلت أباحنظلة فقال أبوالفضل قلت نعم قال مالك فداك أبى وأمى قلت هذا رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى الناس وأصباح قريش قال ما الحيلة قلت والله لئن ظفر بك ليضربن
عنقك فاركب عجز هذه البغلة حتى آتى بك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاستأمنه لك فركب
خلفى فكنت كلما مررت باحد قال بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها عمه حتى مررت بعمر رضى الله
عنه قال أبوسفيان عدوالله الحمدلله الذى أمكن منك بلا عقد ولا عهد وخرج يشتد نحو رسول الله صلى
الله عليه وسلم فركضت البغلة ودخلت عليه وعمر رضى الله عنه معه فقال هذا أبوسفيان دعنى أضرب
عنقه فقلت انى قد أجرته وجلست فلما أكثر عمر رضى الله تعالى عنه فى شانه قال صلى الله تعالى عليه
وسلم مهلا ياعمر اذهب به ياعباس الى رحلك فاذا أصبح فأتنى به فغدوت به صباحا فلما رآه رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم علم انه جاء ليسلم منقادا (بعدأن جلب له اليه الاحزاب) جلب بالجيم والموحدة
بمعنى ساق وجمع وأصله من الجلبة وهى أصوات المحاربين والاحزاب جمع حزب وهى الناس المجتمعة
من قبائل شتى للحرب ويقال تحزبوا اجتمعوا وهذه غزوة الخندق التى كانت فى سنة خمس واسناد
جلب الاحزاب اليه لانه كان قائد جيشهم وصاحب رأيهم والافسبب التحزيب انما كان جماعة من
اليهود دعوا القبائل وحركوا قريشا لذلك كما فصل فى السير (وقتل عمه حمزة) سيد الشهداء رضى الله
تعالى عنه (وأصحابه) أى أصحاب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وعود الضمير لعمه وان صح بعيد
(ومثل بهم) بالتشديد أى شوهت خلقتهم بقطع الاطراف وشق البطن واخراج القلب ونحوه وهو
من المثلة بضم الميم وهى العقوبة الشديدة ومنه قدخلت من قبلهم المثلات ويقال مثل بالتخفيف
أيضا ونسب قتل حمزة رضى الله تعالى عنه وقتل أصحاب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لابى سفيان مع
ان قاتل حمزة وحشى بن حرب وأسلم بعد ذلك ولم يباشره أبوسفيان الا انه هو الباعث والسبب لذلك
القتال والمهيج له ولكون قتل حمزة رضى الله تعالى عنه مشهورا وانه باحد لا يقال ان عبارة المصنف رحمه
الله توهم انه بالاحزاب والمراد بالاصحاب من قتل باحد وكانوا أكثر من سبعين ولذلك نسب التمثيل له
مع ان الممثل زوجته هند لان فعل أهل الرجل كفعله لاسيما النساء وقد مثل بجماعة غيره أيضا كما
أشار اليه المصنف رحمه الله بقوله بهم فممن مثل به أنس بن النضر وعبدالله بن جحش كما فصل فى السير
(فعفا عنه) ماسبق منه فى كفره لان الاسلام يجب ماقبله (ولاطفه فى القول) اذ خاطبه بقوله (ويحك
ياأباسفيان) أى أتعجب لك ماعة لك ودهائك وظهور حقية الاسلام وعبر بفاعل ليلطف كل منهما
فى مقاله واللطف الرفق والبر ويكون بمعنى الرقة والصغر (ألم يأن لك) أى ألم يدن وقت علمك يقال انى
يأنى اذا حان وقته وجاء زمانه (ان تعلم أن لا اله الا الله) أى توحد الله وتصدق به فتسلم اسلاما صحيحا

(وأكرمك) أي ما أكثر كرمك على من أساء اليك وخالف عليك وأبعد الدلجي في قوله وأكرمك عذر بك حيث لا يلائم المقام كما لا يخفى على ذوي المرام (وكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أبعد الناس غضبا) أي عليهم (وأسرعهم رضى) أي اطفا اليهم (صلى الله تعالى عليه وسلم) قال وفي الحديث جاهدوا أهواءكم كما تجاهدون أعداءكم وهذا آخره والله أعلم ومما يناسب الباب ماذكره التلمساني في شرح الكتاب انه قيل لا يكمل الانسان حتى يقبل الاعتذار ويعفو عند الاقتدار ويكون الاظهار منه مثل الاضمار وسأل معاوية صعصعة ابن صوحان فقال صف لي الناس فقال خلق الله الناس أصنافا فطائفة للعبادة وطائفة للتجارة وطائفة للخطابة وطائفة للنجدة وطائفة فيما بين ذلك يكدرون الماء ويجلبون الغلاء ويضيقون الطريق في البناء والصحراء

*(فصل وأما الجود والكرم والسخاء والسماحة فمعانيها متقاربة) أي في اطلاقات المحاورة (وقد فرق بعضهم) بتخفيف الراء وتشديد وقيل فرق بالتخفيف في المعاني وبالتشديد في الاجسام ويجوز استعمال كل مكان الآخر تجوزا أي فصل وميز جمع (بينها) أي بين معاني الالفاظ المتقدمة (بفروق) أي دقيقة (فعلوا) أي هؤلاء البعض (الكرم الانفاق بطيب النفس) أي بنشاطها وانبساطها (فيما يعظم) بضم الظاء أي يجل (خطره) بفتحتين ويسكن الثاني أي قدره (ونفعه) أي يكثر الانتفاع به فلا يطلق على ما يحقر قدره ويقل نفعه (وسموه) أي الكرم (أيضا حرية) أي من رق العبودية للامور العارضية ولذا ورد عنه صلى الله تعالى عليه وسلم تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم وفي بعض النسخ جرءة بضم جيم وسكون راء فهمزة ولعل وجهه تلازم السخاوة والشجاعة فان أحدهما بذل الروح والآخر بذل المال

(فقال) أبو سفيان (بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك) لرحمك اذ خاطبتني بلطف وهديتني الى الحق مع ما قاسيته مني ثم أجابه مصدقا فقال لقد ظننت أن لو كان مع الله اله غيره لقد أغنى شيئا بعد فقال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أني رسول الله فقال بأبي أنت وأمي أما هذه ففي النفس منها شيء فقال له العباس ويحك أسلم واشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله قبل أن يضرب عنقك فشهد شهادة الحق وأسلم والحديث مذكور بتمامه في السير وأمر أبي سفيان رضي الله عنه مشهور وفي بعض النسخ بدل ما أحلمك ما أجملك من الجمال ويحتمل انه من التجمل وهي صيغ تعجب وكل هذا جائز وفي تاريخ قزوين للامام القزويني روى عن علي بن أحمد ابن صالح قال حدثنا أبو العباس العبدي القزويني حدثنا الحسن بن الفضل حدثنا محمد بن غزوان البغدادي حدثنا الاصمعي حدثنا مالك بن مغول عن الشعبي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال لطم أبو جهل لعنه الله فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنها فشكت الى أبيها فقال لها ائتي أبا سفيان فأتته فأخبرته فأخذ بيدها حتى وقف بها على أبي جهل لعنه الله وقال لها الطميه كما لطمك ففعلت فجاءت الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فأخبرته فرفع يديه وقال اللهم لا تنسها لأبي سفيان قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ما شككت أن كان اسلامه الا لدعوة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انتهى نقله السيوطي في كتاب تحفة الادب ومن خطه نقلت (وكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أبعد الناس غضبا وأسرعهم رضى) أي غضبه بعيد لا يكون منه الا بعد أمور كثيرة بخلاف رضاه فانه يرضى بأقل شيء تعالى كرمه وحلمه صلى الله تعالى عليه وسلم ويأتي فيه الكلام مبسوطا وهذا لانه متخلق بأخلاق الله وهو رحمة من الله ورحمته قد سبقت غضبه وفي الحديث المؤمن بطيء الغضب سريع الرضى وهذا في غير حقوق الله وفي غير ما يؤدي الى عدم الحمية والمروءة فلا ينافي هذا قول الشافعي من استغضب فلم يغضب فهو حمار ومن استرضى فلم يرض فهو شيطان

(فصل وأما الجود والكرم والسخاء والسماحة) جواب أما قوله الآتي فكان صلى الله تعالى عليه وسلم لا يوازى الى آخره وما بينهما جمل معترضة (ومعانيها متقاربة) بعضها قريب من بعض حتى توهم بعضهم لذلك انها مترادفة (وقد فرق بعضهم بينها بفروق) وأهل اللغة يعرفون الفرق في أمثاله بمقابلها وأضدادها كما قيل * وبضدها تتميز الاشياء * ولابن هلال كتاب في الفروق مفيد جدا وتقدم ان فرق بتخفيف الراء وتشديدها بمعنى الا أن بعضهم قال الاكثر في التفريق استعماله في الاجسام والفرق في المعاني وهذا لا ينكر استعمال أحدهما مكان الآخر فهو كلام قليل الجدوى وجمع فروق باعتبار وقوعه بين كل واحد وغيره والا فهو في الحقيقة فرق وبدأ المصنف بالجود أولا وفي التفريق أخره لانه عنده بمعنى السخاء ولذا قيل كان الاولى تركها وعطفه على السخاء وتأخيره (فجعلوا الكرم الانفاق بطيب النفس فيما يعظم) عظم يعظم بضم العين فيهما جل مقداره و(خطره) بفتحتين وقد تسكن الطاء قدره ووقعه (ونفعه) لمن يعطى له وذلك انما يكون بكثرته وهذا يختلف باختلاف المعطي والآخذ كان هذا معنى الكرم في عرف اللغة والا فالكرم بمعنى الشرف والمجد وهو لا يختص بالاعطاء ولذا قال (وسموه أيضا حرية) بضم الحاء وكسر الراء المهملتين المشددة تليها

والاول أقوى كما لايخفى على أرباب الكمال قال التلمسانى وحقيقة الحرية كمال العبودية وقيل هى ان لا يكون العبد تحت رق المخلوقات ولايجرى عليه سلطان المكونات وعلامة صحته سقوط التمييز عن قلبه بين الاشياء فيتساوى عنده أخطار الاعراض (وهو ضد النذالة) بفتح نون فذال معجمة أى الرذالة والسفالة وما أحسن هذه المقالة

أتمنى على الزمان محالا * ان ترى مقلتاى طلعة حر

وهو من لم يستعبده هواه ولم تسترقه دنياه والاظهر ان يقال الكرم اعطاء وعطاء ابتداء ٣٣ من غير ملاحظة عوض وغرض انتهاء

ياء تسمى ياء المصدرية وهى اذا لحقت الاسماء الجامدة والصفات تصيرها مصدرا ولابد فى آخرها من هاء تأنيث ولم تفصل النحاة حال هذه الاسماء الا انها شائعة فى الاستعمال وما وقع فى بعض النسخ هنا من انه جرأة بجيم مضمومة وراء ساكنة تليها همزة وهاء كما فى حواشى ابن رسلان فهو من تحريف الكتاب فانه لامناسبة له هنا وان كانت الجرأة والكرم اخوان لا يفترقان لاسيما فى زمان فيه غاض الكرام وفاض اللئام واما تسمية الكرم حرية فلان الحر خلاف العبد فالحرية الخلاص من رق الناس فاذا طوقهم منه خلصت له الحرية لان الانسان عبد الاحسان وهذا من كلام الصوفية فانهم قالوا الحرية صفة يتولد عنها الايثار ونهاية السخاء لانه بذل ماله اليه حاجة وهو نهاية السخاء وأعلى منه قول بعضهم الحرية ان لا يكون العبد بقلبه تحت رق شئ من المخلوقات ولا من اعراض الدنيا والآخرة ويكون فردا لم تسترقه دنياه ولا هواه ولا حظ ما يتمناه وقال القرطبى فى كتاب المنتقى من كلام أهل التقى فى التصوف الحرية المحضة هى الخروج من ملك سلطان الشهوة والغضب والقهر بالصبر والعبودية المحضة هى طاعة الارادة فيما لا يضطر النفوس اليه الا بسوء العادة وايثار اللذة وكل من خدم فى زمن الحداثة الشهوة والغضب شق عليه فى زمن الشيخوخة ما يلحقه من ضعف بدنه عن خدمة لذته ومن خدم فى الرأى والادب شق عليه ذلك فى الحداثة وكان فى زمن الشيخوخة مستريحا انتهى (وهذا ضد النذالة) بفتح النون والذال المعجمة واللام هى الخسة والحقارة وهى من لوازم البخل المقابل للكرم كما قيل وفيه اشارة الى انه ليس مقابلا له حقيقة (والسماحة) والسماح (التجافى) تفاعل من الجفاء وهو غلظة الطبع وحقيقته التباعد والترفع يقال جفا السرج عن ظهر الدابة اذا تباعد عنه كما قال عز وجل تتجافى جنوبهم عن المضاجع أى لا يكثرون النوم أى العفو عما يستحقه المرء عند غيره بطيب نفس (وهو ضد الشكاسة) بشين معجمة وكاف وسين مهملة بينهما ألف وهو كما قال التلمسانى سوء الخلق وفى القاموس انها البخل والاول أنسب هنا والثانى أنسب بتفسير السماحة بالجود كما قاله ابن القوطية (والسخاء سهولة الانفاق وتجنب اكتساب ما لا يحمد) من الصنائع المذمومة كالحجامة وأخذ ما لا يحل له (وهو الجود) وفرق بعضهم بينهما قال ابن عصفور فى الممتع السخاء مأخوذ من الارض السخاوية وهى الرخوة ولذا وصف الله تعالى بجواد دون سخى لانه أوسع فى معنى العطاء وادخل فى صفة العلاء انتهى وقد تقدم ذلك فعلى هذا هو أخص منه وقال ابن مالك فى الكفاية السخى هو الجواد فهو موافق لما قاله المصنف وقال سقراط الجواد هو الذى يعطى بلا مسألة صيانة للآخذ من ذل السؤال وقال الشاعر

وما الجواد من يعطى اذا ما سألته * ولكن من يعطى بغير سؤال

(وهو ضد التقتير) المعروف فى اللغة ان الجود ضد البخل والتقتير التضييق فى الانفاق وهو ضد الاسراف والتبذير وهما بمعنى وفرق بينهما صاحب الكشف فى سورة الاسراء يقال قترت الشئ واقترته أى ضيقت الانفاق فيه وقال تعالى والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما

(والسماحة التجافى) بنصبهما عطفا على مفعولى جعلوا ويجوز رفعهما أى والسماحة هى التباعد والتنحى (عما يستحقه المرء عند غيره) أى من اداء عين أو قضاء دين (بطيب نفس) أى بلطافة نفاسته (وهو ضد الشكاسة) بفتح الشين المعجمة واهمال ما بعد الالف أى صعوبة الخلق والمضايقة وفى التنزيل متشاكسون أى مختلفون متعسرون هذا وفيه ان بعض الاحاديث يدل على ان المراد بالسماحة السخاوة الخاصة وهى المساهلة فى المعاملة كما ورد رحم الله من سمح فى البيع والشراء والقضاء والاقتضاء وفى حديث السماح رباح (والسخاء سهولة الانفاق) أى على الاقارب والاجانب والفقير والغنى وسائر المراتب (وتجنب اكتساب ما لا يحمد) بصيغة المجهول أى تبعد اقتناء ما لا يمدح من البخل وارتكاب الذم الموجب لترك مدحه فى الاغلب الاعم (وهو الجود) أى مرادفه من غير اعتبار مخالفة وقيل الجود اعطاء الموجود وانتظار المفقود والاعتماد على المعبود وقيل الجود هو بذل المجهود ونفى الوجود وقد يقال من أعطى البعض فهو سخى ومن بذل الاكثر فهو جواد ومن أعطى الكل فهو كريم وقيل السخاء الانفاق من الاقتار ومنه

ليس العطاء من الفضول سماحة * حتى تجود وما لديك قليل

(وهو) أى السخاء الذى بمعنى الجود (ضد التقتير) أى التضييق فى الانفاق والامساك وهو نقيض الاسراف فى الانفاق والظاهر انه حال اعتدال بين البخل والاسراف فانظر فيه بعين الانصاف ولا

تدخل فى حد اعتساف هذا ولم يظهر وجه عدول المصنف عن النشر المرتب الى خلافه فيما ارتكب (فكان صلى الله تعالى عليه وسلم لا يوازى) بصيغة المفعول مهموزا ومسهلا من آزيته وأجاز بعضهم وازيته أى لا يقاوم ولا يقابل ولا يماثل به أحد (فى هذه الاخلاق الكريمة ولا يبارى) بصيغة المجهول وهو بالباء الموحدة والراء أى لا يعارض فى هذه الشمائل الحميدة والفضائل العديدة وغيرها من الاحوال السعيدة كما أشار الى هذه الزبدة ٣٤ صاحب البردة بقوله فاق النبيين فى خلق وفى خلق * ولم يدانوه فى علم ولا كرم

(بهذا) أى بما ذكروا مثاله (وصفه) أى نعته (كل من عرفه) أى معرفة مشاهدة ومعاينة أومعرفة شهرة ومطالعة سيرة كما يدل عليه الحديث الذى رواه بسنده عن البخارى وقد رواه أيضا غيره (حدثنا القاضى الشهيد أبو على الصدفى) بفتحتين وهو الحافظ ابن سكرة (حدثنا القاضى أبو الوليد الباجى) بالموحدة والجيم (حدثنا أبو ذر الهروى حدثنا أبو الهيثم) بفتح هاء وسكون تحتية فمثلثة (الكشميهنى) بضم فسكون شين معجمة وفتح ميم وتكسر وسكون ياء ففتح هاء (وأبو محمد) واسمه عبد الله بن أحمد بن حمويه (السرخسى) بفتح راء وسكون خاء وقيل بالعكس وضبطه التلمسانى بكسر السين الاولى والمشهور هو الفتح (وأبو اسحق البلخى) وهو المشهور بالمستملى (قالوا) أى المشايخ الثلاثة (حدثنا أبو عبد الله الفربرى) بكسر فاء وفتح راء وسكون موحدة وقال المصنف يجوز فتح الراء وكسرها قال الحازمى والفتح أفصح وقيل ولم يذكر ابن ماكولا غيره (حدثنا البخارى) أى امام المحدثين (حدثنا محمد بن كثير) بالثاء المثلثة العبدى البصرى (حدثنا سفيان) المراد به الثورى ههنا نعم رواه ابن عيينة (عن ابن المنكدر) عن جابر لكن انفرد به مسلم عن ابن المنكدر تابعى جليل (سمعت جابر بن عبد الله) أى الانصارى رضى الله تعالى عنهما (يقول) أى كما رواه البخارى فى الادب عنه ومسلم فى فضائله صلى الله تعالى عليه وسلم والترمذى فى شمائله (ماسئل النبى صلى الله تعالى

والبخل والتقتير متلازمان لا مترادفان حتى يكون كل منهما ضد السخاء واعلم ان كلام المصنف هنا غير موافق للغة ولا للعرف ولا أدرى من أين أخذه ولكن الامر فى مثله سهل وهو محتاج للتهذيب وسنكرر عليه مرة أخرى (فكان صلى الله تعالى عليه وسلم لا يؤازى) بالهمزة مبنى للمفعول أى لا يساوى ولا يقابل يقال فلان يازى فلانا أى يحاذيه ويساويه وقال الكرمانى موافقا للجوهرى يقال أزيته أى حاذيته ولا يقال وازيته والذى عندنا فى النسخ يوازيه بالواو المبدلة من الهمزة وقد أجازه بعضهم بقلب الهمزة واوا اذا انفتحت وانضم ما قبلها نحو جؤن وقد جزم البرهان الحلبى بانه فى كلام المصنف بالواو ويحتمل انه فى كلامه بالهمزة ورسمت واوا على قاعدة الرسم فى مثله أى هو صلى الله تعالى عليه وسلم لا يساويه أحد (فى هذه الاخلاق الكريمة) والاوصاف الحسنة من الجود والسخاء والكرم والسماحة

فاق النبيين فى خلق وفى خلق * ولم يدانوه فى علم ولا كرم

(ولا يبارى) بالبناء للمجهول وهو بالموحدة والراء المهملة ومعناه يعارض والمعارضة ان تفعل مثل ما يفعل وهما متقاربان (بهذا وصفه كل من عرفه) بالمشاهدة أو بما اشتهر عنه شهرة لا يبقى معها ريب ولا شبهة (حدثنا القاضى الشهيد أبو على الصدفى) هو الحافظ أبو على بن سكرة وقد تقدمت ترجمته وهو منسوب لصدف بفتح الدال وهى قرية بقرب القيروان قال (حدثنا القاضى أبو الوليد الباجى) تقدمت ترجمته قال (حدثنا أبو ذر الهروى) تقدم أيضا قال (حدثنا أبو الهيثم الكشميهنى) قال البرهان الحلبى هو بضم الكاف وسكون الشين المعجمة وكسر الميم وسكون المثناة التحتية وفتح الهاء بعدها نون كما فى لباب الانساب لابن الاثير وضبطه بالقلم الحافظ عبد الهادى فى طبقاته بفتح الكاف وكذا صحح فى نسخ الشفاء والصواب ما ذكرته والنسبة لقرية من قرى مرو قديمة خرج منها جماعة وقد خوجت انتهى وفى آخره ياء نسبة لم يصرح بها لانه معلوم من السياق فما فى بعض الشروح من انه لا ياء فى آخره وان النسبة فيه على خلاف القياس مما يقضى منه العجب (وأبو محمد السرخسى) نسبة لسرخس بلدة عظيمة بخراسان وقد تقدمت ترجمته (وأبو اسحق البلخى) ابراهيم بن أحمد بن ابراهيم بن أحمد بن داود المستملى الامام المشهور كما تقدم منسوب لبلخ بلدة عظيمة فى ماوراء النهر (قالوا حدثنا أبو عبد الله الفربرى) تقدمت ترجمته وفربر بزنة سبحل بلدة ببخارى قال (حدثنا البخارى) تقدم وشهرته تغنى عن ذكره قال (حدثنا محمد بن كثير) بلفظ كثير ضد القليل العبدى البصرى الحافظ روى عنه أصحاب السنن وتوفى سنة اثنين وعشرين ومائتين وله ترجمة فى الميزان فيها كلام لابن معين وقال الذهبى انما هو فى ابن كثير الفهرى وفيه تعقب الكلام المزى لانه قال العبدى قال (حدثنا سفيان) هو ابن سعيد الثورى كما تقدم وهذا الحديث رواه أيضا سفيان بن عيينة عن ابن المنكدر عن جابر كما هنا وأخرجه مسلم والبخارى والترمذى فى الشمائل وهو حديث صحيح (عن ابن المنكدر) وهو محمد بن المنكدر بن عبد الله التيمى المدنى الحافظ عن أبيه وعن عائشة وأبى هريرة رضى الله تعالى عنهما وأخرج له أصحاب الكتب الستة (قال سمعت جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنهما يقول ماسئل رسول الله صلى الله

تعالى عليه وسلم شيأ) أى عن شئ كما فى أصل التلمسانى والمراد شيأ من باب العطاء (فقال لا) أى لا أعطى والمعنى ما سأله أحد من متاع الدنيا شيأ فمنعه بل كان يعطى أو يعده بالعطاء لقوله تعالى واما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا فلا ينافيه قوله تعالى حكاية عنه صلى الله تعالى عليه وسلم قلت لا أجد ما أحملكم عليه أى الآن وأرجو انى مستقبل الزمان وروى فى كتاب أخبار الخلفاء فى أخبار الظرفاء عن أنس رضى الله تعالى عنه انه عليه الصلاة والسلام قال للزبير ان مفاتيح الرزق مقرونة بباب العرش ينزل الله تعالى أرزاق العباد على قدر نفقاتهم فمن كثر كثر عليه ٣٥ ومن قلل قلل له انتهى ويؤيده قوله تعالى وما أنفقتم من شئ فهو يخلفه وحديث اللهم اعط منفقا خلفا وممسكا تلفا هذا وقد قال بعض أرباب الكمال

ماقال لا قط الا فى تشهده
ولا نعم قط الا جاءت النعم

وقال آخر

فلو لم يكن فى كفه غير نفسه
لجاد بها فليتق الله سائله

(وعن أنس وسهل بن سعد) هو الساعدى الانصارى (مثله) أى نحوه فى المبنى والمعنى (وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما) كما روى عنه الشيخان (كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أجود الناس بالخير) أى بكل ما ينفعهم فى دنياهم وأخراهم وقد سقط لفظ بالخير من أصل الدلجى فقدر بكل ما ينفع وقرر انه حذف للتعميم أو لفوات احصائه كثرة (وأجود ما كان) بالنصب عطفا على ما قبله وما مصدرية أى وكان أجودا كوانه باعتبار اختلاف أزمانه حاصلا (فى شهر رمضان) فهو حال سد مسد الخبر وهذا لانه منبع النعم ومعدن الخير والكرم وفيه يسبغ الله نعمه على عباده فتخلق باخلاق الله فى أهل بلاده وقال النووى يجوز فى أجود الرفع والنصب والرفع أصح وأشهر وفيه نظر اذ جاء فى الصحيح خلافه بالتصريح وكان أجود ما يكون ثم وجه الرفع انه مبتدأ وفى شهر رمضان خبر وأما القول بضمير الشان فى كان فلا محوج اليه ولا معول عليه

تعالى عليه وسلم شيئا فقال لا) وقد علمت ان هذا الحديث أخرجه الترمذى فى الشمائل وغيره وفى معناه قول حسان

ماقال لا قط الا فى تشهده * لولا التشهد لم تسمع له لالا

ومعنى الحديث انه صلى الله تعالى عليه وسلم اذا أتاه مستحق بطلب عطاء لا يخيبه ويقول له لا قط بدليل أوله حتى اذا لم يجد شيأ اقترض أو قال ائتنى غدا ونحوه وهذا هو الذى عناه حسان وهو باعتبار الغالب فان النادر كالعدم فهو مبالغة معروفة مألوفة ولم يرد انه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يتلفظ بلا أصلا حتى يرد عليه ان الاحاديث المصدرة بلا نحو لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين كما لا تحصى كثرة كما قيل ويجاب عنه بما لا حاجة له ثم قال وأما قوله فى البردة

نبينا الآمر الناهى فلا أحد * أبر فى قول لا منه ولا نعم

فهو انما يقتضى صدور لا عنه مطلقا وذا لا ينافى انها لم تكن لتصدر عنه اذا سئل عن شئ من متاع الدنيا لجواز صدورها منه فى غير تلك الحال * أقول قد عرفت ما فيه أولا بقى هنا فى البيت اشكال كان يجول فى الصدر قديما وهو ان الامر والنهى انشاء لا ايجاب بلا ونعم فالتفريع بلا لا يصادف محله هنا ولم يحم حول هذا أحد من الشراح مع ظهوره وقد ظهر لى ولله الحمد وجهه يعنى نبينا الآمر الى آخره انه لا حاكم سواه فهو حاكم غير محكوم فاذا قال فى أمر لا أو نعم وهو لا يقول الا صوابا موافقا للرضى الله فحينئذ لا يخالفه الا بقسر قاسر وليس غيره حاكم يمنعه عما حكم به ويرد احكامه فهو أصدق القائلين فيما يقوله (وعن أنس) بن مالك رضى الله تعالى عنه (وسهل بن سعد مثله) أى مثل الحديث السابق المروى فى الصحيحين وحديث أنس رضى الله تعالى عنه هذا فى مسلم وذكره فى الوفاء أيضا ولفظه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حييا لا يسئل شيأ الا أعطاه والاحاديث فى معناه كثيرة وسهل هو الساعدى الانصارى الصحابى (وقال ابن عباس رضى الله عنهما كان النبى صلى الله عليه وسلم أجود الناس بالخير) أى بما فيه نفع الناس (وأجود كان فى شهر رمضان) رمضان اسم للشهر ويقال رمضان وشهر رمضان وكون العلم المضاف دون المضاف اليه أوهما كلام لا حاجة لذكره ولا يكره أن يقال رمضان وما روى من حديث لا تقولوا رمضان فان رمضان من أسماء الله عز وجل ولكن قولوا شهر رمضان ضعيف لا يعمل به لصحة ما يخالفه كما فصله شراح البخارى وهذا الحديث رواه الشيخان وروى فيه أجود ما يكون ووقع فى بعض النسخ هنا أيضا وأجود الثانى يجوز رفعه مبتدأ ونصبه عطفا على خبر كان وعلى الاول خبره محذوف وجوبا كما قرره النحاة فى نحو اخطب ما يكون قائما والكلام عليه طويل الذيل ليس هذا محله وما مصدرية وكان تامة ولنقتصر من القلادة على ما أحاط بالعنق وانما زاد جوده صلى الله عليه وسلم فى رمضان لحاجة الصائمين ولانه موسم الخيرات الذى تفضل الله فيه على خلقه بما لم يتفضل فى

غيره فاتبع سنة الله فى عباده وتخلق باخلاقه (وكان) صلى الله عليه وسلم (اذا لقيه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة) لانه عليه الصلاة والسلام يسر بملاقاته وامداده له بالبشرى والكرامة فيحسن كما أحسن الله اليه فكان بكثرة مجيئه له فى رمضان ليدارسه القرآن ويعارض به بقراءة كل منهما على صاحبه بالتجويد ووجوه القرا آت أجود بالخير من الريح المرسلة قال الكرمانى الجود اعطاء ما ينبغى لمن ينبغى والخير شامل لجميع أنواعه مما يقرب العبد الى الله وارسال الرياح اطلاقها باذن الله فترسل بالرحمة والمطر قال تعالى وهو الذى يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته وقال والمرسلات عرفا أى الرياح المرسلة بالمعروف على أحد التفاسير وهو من التشبيه البليغ على سبيل الترقى فضله أجود الناس ثم ذكر أن جوده فى رمضان وعند ملاقاة جبريل أزيد منه فى غيره والمراد بالمرسلة خلاف العقيمة قيل وفى قوله أجود من الريح جمع بين الحقيقة والمجاز وفيه بحث يعلم من كلام أهل المعانى فى تحقيق وجه الشبه فى قولهم كلامه أحلى من العسل وتقديم قوله بالخير اهتماما به وللدلالة على تقدير مثله فيما بعده أو اشتراكهما فيه لالدفع توهم تعلقه بالريح المرسلة وليس من الاكتفاء وفى تشبيهه بالريح اشارة الى سرعته ومبادرته له وقد علم أو المراد بالريح المرسلة التى لم ترسل بالغيث لامطلقها لانها فى القرآن مخصوصة بها * فان قلت ذكر الريح وقد قيل انها اذا كانت مفردة تكون فى العذاب والشر واذا جمعت فهى للنفع والخير * قلت هذا قيل انه مخصوص بما وقع فى القرآن بالاستقراء لامطلقا فلا ينافيه ما وقع فى هذا الحديث وغيره ويؤيده ما أخرجه ابن أبى حاتم عن أبى بن كعب انه قال كل شئ فى القرآن من الرياح فهو رحمة وكل شئ فيه من الريح فهو عذاب وما ورد فى الحديث كما رواه البيهقى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه ما هبت الريح الا جثا النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على ركبتيه وقال اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عذابا اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا لايدل على عدم اختصاصه بما وقع اتفاقا فى القرآن لانه قيل انه صلى الله عليه وسلم أراد اللهم اجعلها من جملة رياح القرآن ولا تجعلها من ريحه أى مما ذكر بهذه العبارة فلا دليل فيما ذكر كما قيل ألا ترى الى قوله تعالى (أرسلنا عليهم الريح العقيم وريحا صرصرا) ونحوه وقوله تعالى (وأرسلنا الرياح لواقح * ويرسل الرياح مبشرات) وقد قرئ فى بعض آيات الرحمة بالافراد والجمع وورد مفرده فى ذلك فكانه أغلبى وأما تأويل ما فى الحديث بما جاء فيه الجمع فتعسف وقيل يحتمل انه صلى الله تعالى عليه وسلم انما قال ذلك لان ما هب ان كان ريحا واحدة لم تلقح السحاب وينزل المطر غالبا وان كان رياحا فهو بخلافه ويحتمل أن يكون معناه لاتهلكنا بريح واحدة لاتهب بعدها ريح أخرى وطول أعمارنا حتى تهب علينا رياح كثيرة (وعن أنس رضى الله تعالى عنه) كما رواه مسندا مسلم فى صحيحه (ان رجلا) هو صفوان بن أمية الآتى بيانه كما فى سيرة ابن سيد الناس وغيرها (سأله) صلى الله عليه وسلم (فاعطاه غنما) كثيرة كانت (بين جبلين) أى مالئة واديا بين جبلين كما يفهم منه ذلك بحسب العرف وان كان يقال للغنم السارحة بينهما قليلة أو كثيرة ذلك فان كان أسلم قبل سؤاله فهو ظاهر وقوله (فرجع الى قومه) وهم قريش لانه من أهل مكة وفى نسخة الى بلده (وقال أسلموا) لاينافيه وان كان قبل اسلامه فامانه كان فى صدر الاسلام يجوز اعطاء المؤلفة قلوبهم من الكفار من الزكاة أو من بيت المال ثم نسخ وقول الصرصرى

وآتاه اعرابى التمس الندا * اعطاه شاء ضمها جبلان

لعله قصة أخرى فان الرجل المذكور هنا من أكابر قريش ويؤنسه قوله (فان محمدا يعطى عطاء من لا يخشى فاقة) فان قريشا كانوا يعلمون كرم خيمه وجزيل عطائه صلى الله تعالى عليه وسلم فانه لايخشى فاقة وما بارى أحدا فى الجود الا فاقه والفاقة الفقر أو أشده وهكذا أولياء أمته ففى

(وكان اذا لقيه جبريل أجود بالخير) ٣٦ أى بجميع أنواعه (من الريح المرسلة) بصيغة المجهول أى فى عموم المنفعة والسرعة على

ان الريح قد تكون خالية من المطر وقد تكون جالبة للضرر وقيل المراد بالريح الصبا قال النووى وفيه الحث على الجود والزيادة فى رمضان وعند لقاء الصالحين وعلى مجالسة أهل الفضل وزيارتهم وتكريرها مالم يورث المزور كراهة ذلك واستحباب كثرة التلاوة وسيما فى رمضان ومدارسة القرآن وغيره من العلوم الشرعية وان القراءة أفضل من التسبيح والاذكار (وعن أنس رضى الله تعالى عنه) على ما رواه مسلم (ان رجلا) وهو صفوان ابن أمية الجمحى القرشى أسلم بعد الفتح وشهد مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حنينا والطائف وهو مشرك فلما أعطاه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مما أفاء الله عليه وأكثر قال أشهد بالله ما طابت بهذا الانفس نبى فاسلم يومئذ أخرج له مسلم والاربعة وأحمد فى مسنده ومات بمكة فى خلافة معاوية (سأله) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم شيأ من العطاء (فاعطاه غنما) أى قطعة غنم والمراد غنما كثيرا يملأ واديا (بين جبلين) لسعة جوده وسماحة نفسه والظاهر انه كان بعد اسلامه أو صار سببا لاسلامه لقوله (فرجع الى بلده) ويروى الى قومه الحديث (وقال اسلموا) فان اعطاءه من بين أخلاقه كالمعجزة (فان محمدا يعطى عطاء من لا يخشى فاقة) أى حاجة أبدا لكرم نفسه وشرف طبعه

الحديث دعائم أمتى عصائب اليمن وأربعون رجلا بالشام كلمامات رجل منهم أبدل الله مكانه آخر اما انهم لم يبلغوا ذلك بكثرة صلاة ولا صيام ولكن بسخاء النفس وسلامة الصدر والنصيحة للمسلمين (وأعطى غير واحد مائة من الابل) الابل اسم جنس جمعي لا واحد له من لفظه كخيل وغنم والذين أعطاهم صلى الله تعالى عليه وسلم مائة ناس كثير منهم أبو سفيان وابنه معاوية والحارث بن هشام وقد عدهم البرهان الحلبي وقال انهم يبلغون ستين من المؤلفة قلوبهم وكذا ذكر الشيخ قاسم فى تخريج أحاديث هذا الكتاب (وأعطى صفوان بن أمية مائة ثم مائة ثم مائة) وصفوان بن أمية هو ابن خلف بن وهب بن خزاعة بن جمح قرشى له صحبة وكنيته أبو وهب أسلم يوم الفتح وشهد حنينا والطائف وهو مشرك فلما أعطاه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من النعم ماذكر قال أشهد بالله ماطابت بهذا الانفس نبى فاسلم وروى له أصحاب الكتب الستة وتوفى فى خلافة معاوية سنة اثنتين وأربعين بمكة وعلى هذا فاعطاء مراراغنماوا بلا ولا منافاة بينه و بين ماسبق وعطاؤه له السابق كان من غنائم حنين وهذا الحديث رواه مسلم (وهذه) أى الخصلة والسجية فى الكرم والعطاء (كانت حاله صلى الله تعالى عليه وسلم قبل ان يبعث) أى نبيا أو يرسل (وقد قال له ورقة بن نوفل) ورقة بواو وراء مهملة مفتوحتين وقاف وهو ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى كان من أعقل أهل زمانه وأعلمهم شاعر بليغ متأله وكان يقرأ و يكتب الكتب القديمة بالعربية والعبرانية ويتأله و يتعبد ولذا سمى القس وتهود فى أول أمره ثم تنصر وهو ابن عم خديجة أم المؤمنين رضى الله تعالى عنها وله أشعار كثيرة فى التوحيد ولترهبه لم يكن له عقب وورد فى الحديث لاتسبوا ورقة فانى رأيت له جنة أو جنتين يعنى بذلك ماورد من طريق آخر انه صلى الله تعالى عليه وسلم رآه فى منامه فى الجنة وعليه حلة خضراء أو بيضاء أونحوه كثياب من حرير وحلة من سندس وكان حيا فى ابتداء الوحى الى أن تنبأ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واجتمع بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وآمن به كما فى أول البخارى وقال لئن أدركت زمانك لانصرنك نصرا مؤزرا وكان صلى الله تعالى عليه وسلم اذ ذاك نبيا ولم يؤمر بالدعوة ومات ورقة بعد نبوته صلى الله تعالى عليه وسلم وقبل رسالته ولذا قالوا أنه أول من آمن بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم من الرجال وهو ثان بالنسبة لخديجة رضى الله تعالى عنها وصحابى ولذا عرفوا الصحابى بانه من اجتمع بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم مؤمنا به ولم يقولوا بالرسول وهذا مما ينبغى التنبه له وفى نظم السيرة للعراقى فى ذكر ورقة

فهو الذى آمن بعد ثانيا * وكان برا صادقا مواتيا
والصادق المصدوق قال انه * رأى له تخطط فى الجنة

وهذا المذكور هو الصحيح من أنه صحابى وقيل انه ليس بصحابى لانه لم ير النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يؤمن به بعد بعثته وعليه جماعة محققون وقول المصنف رحمه الله تعالى وقد قال الخ ان كانت الجملة معطوفة على ماقبلها فهو صادق على القولين وان كانت حالا من الضمير فى قوله قبل ان يبعث يكون على القول الثانى وهو مؤمن على كل حال ولذا رآه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى الجنة والاكثر من علمائنا على انه صحابى (انك تحمل الكل) هذا بعض من حديث صحيح رواه الشيخان لكن قال السيوطى رحمه الله فى تخريجه القائل له صلى الله تعالى عليه وسلم هذا انما هو خديجة رضى الله تعالى عنها فى قصة مكالمتها لورقة فى شان النبى صلى الله عليه وسلم لما رأى جبريل عليه الصلاة والسلام فى أول أمره وخاف على نفسه منه وكذا اعترض عليه الشيخ قاسم فى تخريجه أيضا فقال لاأعلم هذا من قول ورقة رضى الله تعالى عنه والذى فى صحيح البخارى وغيره انه من قول خديجة رضى الله تعالى عنها وماقيل من القاضى جليل القدر لايخفى عليه مثله ولا يبعد صدوره من ورقة لايجدى نفعا مع نقل الصحيحين خلافه وليس مثله محل بحث ولكل صارم نبوة ولكل جواد كبوة والكل بفتح الكاف وتشديد اللام

وتوكله على رزق ربه (وأعطى غير واحد) أى كثيرا من المؤلفة (مائة من الابل) كابى سفيان ابن حرب وابنيه معاوية ويزيد ومع مائة كل واحد منهم أربعين أوقية وكحكيم بن حزام والحارث ابن هشام وغيرهم (وأعطى) كما رواه مسلم (صفوان) أى ابن أمية (مائة) من الابل (ثم مائة ثم مائة) أى فى وقت واحد أوفى أزمنة متعددة (وهذه) أى الخصال الممدوحة (كانت حاله) وفى نسخة خلقه (صلى الله تعالى عليه وسلم) أيضا (قبل ان يبعث) لما خلقت هذه الشمائل وطبعت هذه الفضائل فى أصل فطرته ومادة خلقته قبل بعثته بل قبل حصول ولادته كما ورد كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد (وقد قال له ورقة) بتحريك الواو والراء فالقاف (ابن نوفل) وهو ابن عم خديجة رضى الله تعالى عنها وكان تنصر واختلف فى اسلامه (انك تحمل الكل) بفتح الكاف وتشديد اللام أى الثقيل من العيال واليتيم ومن لاقدرة له من ضعيف الحال أى فيما بين قومه وفى التنزيل وهو كل على مولاه أى ثقيل فى المؤنة ضعيف فى الصنعة

(وتكسب) بفتح أوله ويضم وتكسر السين (المعدوم) بالواو في النسخ المعتبرة الحاضرة قال النووي فتح التاء هو الصحيح المشهور وروى بضمها وقال الدلجي وتكسب هنا بضم أوله والمعدوم بدون واو أي المحتاج تقيده المعارف والمال وتعينه على

مصدر بمعنى الكلال وهو الاعياء وفسر بالثقل فقيل انه لازم معناه وهو المناسب للحمل لانه لا يقال حمل الاعياء والذي في البخاري قيل هذا من قولها أيضا حين قال لها صلى الله تعالى عليه وسلم لما رأى جبريل عليه الصلاة والسلام لقد خشيت على نفسي وهي التي قالت كلا والله لا يخزيك الله أبدا انك لتصل الرحم وتحمل الكل (وتكسب المعدوم) وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق وتصدق الحديث وتؤدي الامانة والحديث في أول البخاري والكلام عليه مفصل في شرحه وحمل الكل هو كقول العرب في المدح هو حمال اثقال أي يحمل ثقل غيره من الضعفاء والعيال واعانة الخلق بالانفاق عليهم واطعامهم واعطائهم كل ما يحتاجون اليه وكفالة الايتام وغيره من وجوه البر وهو استعارة شاع في هذا المعنى وتكسب قال ابن قرقول بفتح التاء وكسر السين المهملة هي أكثر الروايات وأصحها أي تكسب لنفسك بتحصيله ما يهم وقيل تكسب غيرك أي تعطيه لان كسب جاء لازما ومتعديا وأنكر الفراء وغيره أكسبه في المتعدي وصوبه ابن الاعرابي وأنشد * فاكسبني مالا وأكسبه حمدا * فيتعدى بالهمزة لمفعولين وكسب يتعدى لمفعول وقيل يتعدى لمفعولين كاكسب والمعدوم الشئ الذي لا وجود له وأما الفقير فيقال له معدم كمكرم قال الشاعر

قالت بنات العم يا سلمى وان * كان فقيرا معدما قالت وان

قيل ويطلق عليه معدم وأيضا لانه كالمفقود لفقره فاحد المفعولين محذوف ان بني للمعلوم ومذكور ان بني للمجهول والمراد على الوجهين انك تعطي الناس الفقراء ما لا يجدونه عند غيرك لما فيك من مكارم الاخلاق وقول الخطابي رحمه الله تعالى صوابه المعدم بلا واو ويريد انك تعطي العادم الفقير الذي لا يجد شيئا خطأ لان هذه الرواية صحيحة مشهورة عند رواة الحديث وفيما خشيه صلى الله تعالى عليه وسلم على نفسه وجوه وأصحها انه خشي الهلاك من شدة الرعب أو تعييرهم اياه فارادت خديجة رضي الله عنها دفع ذلك الذي خشيه بقولها المذكور أي لا تخف فانك لا يصيبك مكروه لما فيك من جميل الصفات ثم ذكر قصة هوازن وهي صحيحة رواه البخاري وغيره فقال (ورد على هوازن سباياها وكانوا ستة آلاف) نفس من النساء والذرية غير الاموال التي من غنائمهم لما غزاهم وكانت أربعة وعشرين ألفا من الابل وأكثر من أربعين ألف شاة من الغنم وأربعة آلاف أوقية من الفضة والاوقية أربعون درهما وعن ابن فارس أنه قوم ما وهبه لهوازن فكان خمسمائة ألف ألف وقيل ستمائة ألف ألف وهوازن اسم قبيلة منسوبة لهوازن بن أسلم وكان يسكن حنينا وهو كما يأتي موضع سمي بحنين بن نابة بن مهلاييل وغزوته صلى الله تعالى عليه وسلم تسمى غزوة حنين وغزوة هوازن وكانت في شوال أو في رمضان وأمرها معروف مفصل في السير ولما غزاهم وحاز غنائمهم قدم وفدهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم أربعة عشر رجلا رئيسهم زهير بن صرفة وفيهم أبو برقان عم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من الرضاع فسألوه ان يمن عليهم بما أخذ منهم لما بينهم وبينه من مناسبة الرضاعة فقال لهم أبناؤكم ونساؤكم أحب اليكم أم أموالكم قالوا ما كنا نعدل بالاحساب شيئا فقال صلى الله تعالى عليه وسلم أما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم وما للناس يسئل منهم فقال المهاجرون والانصار ما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقال جماعة من المؤلفة أما ما لنا فلا فأخذه صلى الله تعالى عليه وسلم منهم قرضا على ان يعوضهم عنه من أول مال يجيء فسلموهم جميعا وكان صلى الله عليه وسلم كساهم وانما فعل ذلك لانه كان بعد القسم وليس للامام ان يمن بعده لتعلق

تحصيلهما والذي رواه مسلم والبخاري انه من قول خديجة رضي الله عنها بزيادة اللام في تعالى خبر ان والواو في مفعول تكسب انتهى ولا منع من الجمع كما لا يخفى وقال ابن قرقول فتح أوله أكثر الروايات وأصحها ومعناه تكسبه لنفسك وقيل تكسبه غيرك وتعطيه اياه يقال كسبت مالا وكسبته غيري لازم ومتعد وروى بضم أوله والمعنى تكسب غيرك المال المعدوم أي تعطيه واختاره النووي وقيل تعطي الناس ما لا يجدونه عند غيرك من مكارم الاخلاق وأنكر الفراء وغيره أكسب في المتعدي وصوبه ابن الاعرابي وأنشد فاكسبني مالا وأكسبه حمدا ثم المراد من المعدوم هو العاجز عن الكسب أو الرجل المحتاج وسمي معدوما لكونه كالمعدوم الميت حيث لم يتصرف كغيره ومن يجوز ضم التاء يقول صوابه المعدم بضم ميم وكسر دال (ورد على هوازن) وهي قبيلة معروفة (سباياها) أي أسراها (وكانت) وفي نسخة صحيحة وكانوا (ستة آلاف) من النساء والذرية ورد عليهم أيضا من الاموال أربعة وعشرون ألفا من حق

الابل وأكثر من أربعين ألفا من الغنم وأربعة آلاف أوقية من فضة والاوقية أربعون درهما قيل وقوم ذلك فبلغ خمسمائة ألف ألف ومن جملة جوده اعطاؤه مال جزية البحرين في يومه وكان مقداره مائة ألف وثمانين ألف درهم بعثه اليه عامله العلاء بن الحضرمي

(وأعطى العباس) على ماروواه البخارى عن أنس تعليقا انه أعطاه (من الذهب مالم يطق حمله) من الاطاقة أى شيئا لم يقدر على حمله وحده مع قوة تحمله (وحمل اليه) بصيغة المجهول أى أتى اليه (تسعون ألف درهم) على ماروواه أبو الحسن ابن الضحاك فى شمائله عن الحسن مرسلا (فوضعت) بصيغة المجهول أى فسكبت ونشرت (على حصير) أى خصفة (ثم قام اليها يقسمها) حال وفى

حق الغير به والسبايا جمع سبية يعنى مسبية قال التلمسانى ولا يكون السبى الا فى النساء (وأعطى) أيضا (العباس) بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كما رواه البخارى عن أنس تعليقا (من الذهب مالم يطق حمله) وقد أتى بمال من البحرين وكان أكثر مال أتى فنثر فى المسجد فأتاه العباس رضى الله تعالى عنه وقال أعطنى فانى فاديت نفسى وعقيلا فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم خذ فحشا فى ثوبه ثم ذهب ليقله فلم يستطع فقال من يرفعه فقال لا فقال فارفعه أنت على فقال لا فنثر منه ثم ذهب يقله فلم يقدر فقال له كالاول فنثر منه ثم احتمله على كاهله وانطلق فاتبعه صلى الله تعالى عليه وسلم بصره تعجبا منه ولم يقم عليه السلام حتى فرقه فلم يبق منه درهم وانما أعطاه لانه خرج لبدر مكرها وكان يخفى اسلامه ثم فدى نفسه وعقيلا كما فصلوه (وحمل اليه صلى الله عليه وسلم تسعون) بتقديم المثناة الفوقية (ألف درهم فوضعت على حصير ثم قام اليها فقسمها فما رد سائلا حتى فرغ منها) رواه الحسن بن الضحاك فى شمائله مرسلا الا أنه قال ثمانون ألفا وأخرجه ابن الجوزى فى الوفاء وقال سبعون ألفا كما قال الشيخ قاسم فى تخريج أحاديث الشفاء والسيوطى فى تخريجه بلفظ سبعين بتقديم السين على الموحدة ويوافقه قول الصرصرى فى مديحه

سبعون ألفا فضها فى مجلس * لم يبق منها عنده فلسان

وقوله حتى الى آخره غاية لقوله قسمها وقيل لقوله فما رد سائلا وليس المراد انه يرد بعد الفراغ فهو على حد قوله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله لا يمل حتى تملوا (وجاءه رجل فسأله) عطاء شئ يحسن به له (فقال ما عندى شئ) ولم يقصد منعه بذلك حتى لا ينافى مامر من انه صلى الله تعالى عليه وسلم ما قال لسائل لا قط لان المراد انه لم يمنعه ما سأل من متاع الدنيا وانما مراده اخباره بعذره فى عدم التعجيل له بدليل قوله (ولكن ابتع على) بموحدة ساكنة بعد همزة الوصل ومثناة فوقية مفتوحة وعين مهملة افتعال من البيع بمعنى الشراء فانه يطلق عليهما وفى القاموس ابتاعه اشتراه أى اشتر بثمن يكون ذلك الثمن على وفى ذمتى كذا ثبت فى الحديث وفى شرح الدلجى انه بتقديم المثناة الفوقية على الموحدة أى اشتر واستلف ما تختار انتهى وليس هذا ضمانا بل وعد منه الا أن وعده صلى الله تعالى عليه وسلم كان ملتزم الوفاء لان وعد الكريم دين ولذا صح انه لما توفى نادى أبو بكر رضى الله تعالى عنه من كان له عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عدة أو دين فليأتنا فجاءه جابر رضى الله تعالى عنه وقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وعدنى كذا فأعطاه له (فاذا جاءنا شئ) مما من الله به من الغنائم أو غيرها وفى قوله جاءنا يعنى معاشر المسلمين اشارة الى انه مال الله لعباده لا لى وحدى (قضيناه) أى أديناه ويحتمل ان الضمير هنا وفيما قبله للتعظيم أى قضيته قضاء أنال به التعظيم منه تعالى واختاره بعضهم ولذا لم يقل جاءنى وقضيته مع قوله على فتأمل والقضاء يشعر بانه لزم ذمته كالدين (فقال له عمر رضى الله عنه ما كلفك الله ما لا تقدر عليه فكره صلى الله عليه وسلم ذلك) أى بدا فى وجهه الشريف أثر عدم رضاه به لان فيه كسر خاطر السائل ولان مثله لا يعد تكليفا لما قدره لما عوده الله من فيض نعمه عليه (فقال رجل من الانصار) كان حاضر المار أى من كراهة رسول الله صلى الله عليه وسلم

نسخة فقسمها (فما رد سائلا) أى من جاءه وحضر عنده (حتى فرغ منها) أى من قسمتها وهو غاية لقوله قام أو يقسمها وأبعد الدلجى فى جعله غاية لعدم رده سائلا اذ مفهومه انه حينئذ رد سائله وقد سبق انه لم يكن قائلا لا لمن يكون سائلا نوالا كما يدل عليه قوله (وجاءه رجل) كما رواه الترمذى فى شمائله انه جاءه رجل قال الحلبى هذا الرجل لا أعرفه (فساله) أى شيئا معينا ومقدارا مبينا (فقال ما عندى شئ) أى مما عينت أو على قدر ما بينت (ولكن ابتع على) أمر من الابتياع بباء موحدة ثم مثناة فوقية أى اشتر واستلف مقدار ما تختار حوالة على والمفعول محذوف وقال التلمسانى أى اعدد على أو احسب هكذا ثبت الحديث بتقديم الباء على التاء انتهى وجوز الدلجى تقديم المثناة الفوقية على الباء الموحدة وليست عندنا فى النسخ المعتمدة (فاذا جاءنا) أى من عند الله (شئ) أى مما أولاه (قضيناه) أى حكمنا به لك أو أديناه عنك (فقال له عمر) أى بناء على نظر الرحمة اليه (ما كلفك الله ما لا تقدر عليه) أى من تحمل الدين بمقتضى الوعد لما ورد من ان العدة دين والدين شين (فكره النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ذلك) بناء على جبر خاطر السائل وما يعتريه من خيبة الامل ولما سبق فى الآية من انه مامور بالعدة (فقال) له (رجل من الانصار) قيل هو بلال لكنه من المهاجرين وقد يجمع بانهم اقالاله والامام الغزالى مال الى جعل القائل نفس

ذلك (يارسول الله انفق ولا تخف من ذي العرش اقلالا) قال البرهان هذا الرجل لا أعرفه وفي حفظي ان القائل بلال رضي الله عنه لكنه مهاجري لا انصاري فيكون قد قال ذلك بلال والانصاري فان الذي فيه ذكر بلال قصة أخرى المأمور فيها بالانفاق بلال وهو ما رواه الطبراني والبزار مسندا عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال دخل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على بلال وعنده صبرة من تمر وروى انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال له يوما اطعمنا يا بلال فقال ما عندي الا صبرة خبأتها لك ولضيفانك فقال أما تخشى ان تقذف بها في نار جهنم أنفق يا بلال ولا تخش من ذي العرش اقلالا ومن العجب ايراد هذا هنا ولا مناسبة له بما نحن فيه ووقع في بعض كتب الحديث أنفق بلالا ووجه بتوجيهات منها ان أصله بلالي بالاضافة لياء المتكلم وحذف حرف النداء وابدال الياء ألفا كياغلاما وقيل بلالا هنا ليس علما بل فعال من البلل أي انفاقا رطبا تبل به قلوب آكليه ولو قيل انه رد لاصله من النصب وأطلق لمشاكلة اقلالا لم يبعد وقد أخرجه العسكري في الامثال مرفوعا وفي الطبراني أنفق يا بلال ومعنى اقلالا ان يقل الله الرزق ويجعله قليلا لان لكل منفق خلفا وقوله لا تخش نصف بيت وقع اتفاقا وقيل بلالا كلمتان أي بغير لا وباباه رواية يا بلال بحرف النداء والذي رواها المصنف رحمه الله ولا تخف دون لا تخش كما مر وقول بعض الشراح الصواب لا تخش ليصير موزونا غير صواب من وجهين (فتبسم صلى الله تعالى عليه وسلم وعرف البشر في وجهه) بانبساطه وتهلل أساريره (وقال بهذا أمرت) أي بالانفاق من غير مخافة فقر والتبسم انفتاح الفم من غير قهقهة وهو مبادي الضحك وقد استشكل هذا بان الله أمره بقوله ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا) قال في الكشاف لان الاسراف غير محمود وكان صلى الله عليه وسلم ينفق جميع ما عنده ويجوع حتى يربط الحجر على بطنه وأجاب القاضي أبو يعلى بان المراد بهذا الخطاب غيره صلى الله تعالى عليه وسلم وغير خلص المؤمنين الذين كانوا ينفقون جميع ما عندهم عن طيب قلب اتكالهم وثقتهم بما عند الله أما من كان ليس كذلك يتحسر على ما ذهب منه فالمحمود منهم التوسط وهم الذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا لانهم لا صبر لهم على الفاقة ولذا صعب عليه صلى الله تعالى عليه وسلم كلام عمر رضي الله تعالى عنه لما راعى ظاهر الحال وأمره بصيانة المال شفقة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لعلمه بكثرة السائلين له وتهافتهم عليه ولكل مقام مقال والانصاري راعى حاله صلى الله عليه وسلم فلهذا سره كلامه فقوله بهذا أمرت اشارة الى انه أمر خاص به وبمن يمشي على قدمه وقوله (ذكره الترمذي) اشارة الى من روى هذا الحديث (وذكر عن معوذ بن عفراء) ذكر بالبناء للمجهول قال السيوطي ذكر هذا الحديث الترمذي في الشمائل والطبراني عن الربيع بنت معوذ وسنده حسن يعني ان المذكور انما هو الربيع بنت معوذ بضم الراء المهملة والتصغير فهو مشدد الياء التحتية اسم امرأة منقول من مصغر الربيع وكذا قال البرهان وقال لعله سقط من النسخ لفظ الربيع أو وقف عليه القاضي رواية عن معوذ الا ان معوذا لا اعلم له رواية ووقع في نسخة على الصواب ومعوذ بضم الميم وفتح العين المهملة وكسر الواو المشددة وحكى ابن قرقول فتحها وغيره لا يجيزه وكذا ضبطناه عن الصدفي ثم ذال معجمة وقال التلمساني قيل ان الدال مهملة مع الفتح والكسر والاول أولى وعفراء بعين مهملة وفاء ساكنة وراء مهملة وهمزة ساكنة ممدودة اسم أمه وهي عفراء بنت عبيد بن ثعلبة وشهر بذلك واسم أبيه الحارث بن رفاعة بن الحارث بن سواد

السائل حيث قال في الاحياء فقال الرجل (يارسول الله أنفق) أي بلالا (ولا تخش) أي لا تخف كما في نسخة (من ذي العرش اقلالا) أي تقليلا فان الملك كله ملك لصاحب العرش سبحانه وتعالى تعظيما وتبجيلا (فتبسم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي انشراحا بمن تكلم (وعرف البشر) بصيغة المجهول أي وظهرت البشاشة والطلاقة وآثار السرور وظهور النور (في وجهه) أي بتهلله واشراق حده ولله در القائل

تراه اذا ما جئته متهللا كأنك تعطيه الذي أنت سائله

(قال بهذا أمرت) أي بهذا الكرم أمرني ربي قبل ذلك أو جاءني جبريل على وفق ما هنالك (ذكره الترمذي) أي في شمائله وذكر ابن قتيبة في كتاب مشكل الحديث ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم دعا بلالا بتمر فجعل يجيء به قبصا قبصا فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أنفق بلالا ولا تخش من ذي العرش اقلالا قال والقبص بالصاد الاخذ باطراف الاصابع وبالضاد المعجمة بالكف كلها (وذكر) بصيغة المفعول وفي نسخة على بناء الفاعل أي وذكر الترمذي في شمائله أيضا (عن معوذ) بكسر الواو المشددة وتفتح والذال المعجمة وقيل مهملة (ابن عفراء) بفتح عين وسكون فاء فراء ممدودا اسم أمه وهي من المبايعات تحت الشجرة واما اسم أبيه فالحارث بن رفاعة بن سواد بفتح السين النجاري الانصاري

ومعوذ

قال أتيت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بقناع) بكسر القاف وفتح نون (من رطب) وفي أصل الدلجي بالاضافة من غير من (بريد) أي يعني الراوي بقوله قناع (طبقا) بفتحتين أي وعاء مما يؤكل عليه وأما قول الحجازي صوابه بالمثناة الفوقية في الموضعين على تصحيح الرواية عن الربيع ففيه ان الربيع غير مذكور في المتن بل معوذ لا غير ولا يجوز تغيير التصنيف فالصواب بالياء التحتانية على انه يرجع الى معوذ أو الى الراوي بالمعنى الاعم والله تعالى أعلم (وأجر) بفتح همزة وسكون جيم وكسر راء منونة جمع جرو ومثلث الجيم والكسر أشهر أي قثاء صغار (زغب) بضم زاي وسكون غين معجمة جمع أزغب أي ذات زغب أي صغار الريش أول ما يطلع شبه به ما على القثاء من الزغب وضبط في حاشية بفتح الزاي والغين المعجمة ويعني بها الشعرات الصفر على ريش الفرخ والفراخ زغب بضم فسكون على ما ذكره الجوهري وهذا وصف منه للقثاء باللطافة والغضاضة اذ القثاء اللطاف لا تخلو عن شيء يكون عليها شبه الزغب (بريد) أي يعني بأجر زغب (قثاء) أي موصوفا بما ذكر وهو بكسر القاف ويضم ممدودا (فاعطاني) أي لاجل بدله أو مما كان عنده في نظيره (ملء كفه) وفي رواية ملء يديه وفي رواية ملء يدي وفي أخرى كفي (حليا) بفتح فسكون وجمعه حلي ووزنه فعول كضرب وضروب ثم دخله الابدال والادغام وكسرت اللام لتصح الياء وكسر الحاء أيضا حمزة والكسائي للاتباع وفي نسخة بضم وكسر فتشديد تحتية (وذهبا) تخصيص بعد تعميم اذ الحلي ما يصاغ ولو من الفضة وغيرها قال الدلجي كذا هنا من رواية معوذ بن عفراء والذي في مسند أحمد وشمائل الترمذي بسند جيد عن ابنة الربيع مصغر ربيع قالت بعثني معوذ بن عفراء بقناع من رطب وعليه أجر زغب من قثاء وكان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يحب القثاء فاتيت بها وعنده حلية قدمت عليه من البحرين فملأ يده فاعطانيه وللترمذي فاتيته بقناع من رطب وأجر زغب فاعطاني ملء كفه حليا أو ذهبا وأبوها معوذ قتل ببدر ولم يعرف له رواية عنه صلى الله تعالى عليه وسلم (قال أنس رضي الله عنه) أي فيما رواه الترمذي (كان صلى الله تعالى عليه وسلم لا يدخر) بدال مهملة مبدلة من معجمة اذ أصله لا يذتخر (شيا لغد) أي لا يؤخذ لمستقبله من الزمان شيأ من مأكول ومشروب لسماحة نفسه وسخاوة كفه وثقته بربه أو المعنى لا يدخر لخاصة نفسه لقوة حاله فلا ينافيه ان كان يدخر قوت سنة لعياله (والخبر) أي الاخبار الواردة المؤذنة (بجوده وكرمه) أي بناء على اثر نور وجوده صلى الله تعالى عليه وسلم (كثير) أي فلا يمكن حصاؤه ولا يتصور استقصاؤه (وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه) لا يعرف من رواه عنه أتى رجل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم

ومعوذ استشهد ببدر قتله أبو مسافع وقيل انه هو الذي قتل أبا جهل وفيه كلام في السير (قال أتيت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بقناع) بقاف مكسورة أو مضمومة فنون وألف فعين مهملة ويقال له قنع بكسر القاف وقيل قناع جمع قنع وظاهر قوله (من رطب بريد طبقا) انه مفرد وكذا قوله في حديث آخر يهدي لنا القناع فيه كعب حيث أفرده (وأجر زغب) بفتح الهمزة وسكون الجيم وكسر الراء وأصله اجري فسقطت ياؤه كادل في جمع دلو وهو جمع جرو بكسر الجيم بوزن علم وهو صغير القثاء وزعم ابن قرقول ان جروا جمعه اجراء على أفعال وهو جمع جرو وزغب بضم الزاي وسكون الغين المعجمتين جمع أزغب وهو ما عليه زغب والزغب صغار الريش والشعر فشبه به ما يكون على الفاكهة ونحوها من الصغير وقوله (بريد قثاء) بكسر القاف وضمها وتشديد المثلثة والمد وهي معروفة وهي ضرب من الخيار وألفه للتأنيث أو للالحاق وهو اسم جنس يطلق على الواحد وغيره ولذا فسر به الجمع ولا حاجة لتقدير من جنس هذه وعلى كل حال فلا يقال ان زغب هنا كالدينار الصفر كما توهم وهو تفسير لقوله أجر وروى الهروي أجن بالنون بدل أجر وهو جمع جنا وهو الغصن الرطب والمشهور الاول وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يحب القثاء (فاعطاني ملء كفه حليا وذهبا) بالواو العاطفة وفي الترمذي أو قال ذهبا مما كان عنده مما جاءه من البحرين وهذا مما يدل على الوهم في رواية معوذ فانه قتل ببدر ومال البحرين انما أتاه صلى الله تعالى عليه وسلم بعد ظهور الاسلام والحلي بفتح الحاء المهملة وسكون اللام بزنة ضرب وجمعه حلي بضم الحاء وكسرها وزنه فعول وهو كل مصاغ من الذهب والفضة وضبطه التلمساني بالمفرد هنا فان كانت الرواية به فواضح والافتجوز قراءته بالوجهين (وعن أنس رضي الله عنه كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يدخر شيأ لغد) أخرجه الترمذي وشيأ أعم من المال والقوت وهذا بالنسبة لاغلب أحواله صلى الله عليه وسلم وقد وقع خلافه تعليما وتطييبا لقلوب أهله وهو لا ينافي التوكل كما لا يخفى (والخبر بجوده) أي في بيان جوده (وكرمه كثير) لا يحصى فعن البحر حدث ولا حرج (وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أتى رجل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم)

يسئله) أى شيأ من العطاء (فاستلف) أى فاستسلف له كما فى نسخة والمعنى أخذ السلف واستقرض من رجل لاجله (نصف وسق) وهو بفتح الواو ويكسر وسكون السين ستون صاعا والنصف مثلث النون والكسر أشهر (فجاء الرجل) أى رب الدين (يتقاضاه) أى يطالبه بوفائه (فاعطاه وسقا) أى بكماله (وقال نصفه قضاء) أى وفاء (ونصفه نائل) أى عطاء ثم اعلم ان فى

هذا الرجل لم يبين والحديث لم يخرجه السيوطى ولا غيره (يسأله فاستسلف له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أى أقرض والسلف والقرض بمعنى (نصف وسق) بفتح الواو وكسرها وهو ستون صاعا وعند أهل الحجاز ثلثمائة وعشرون رطلا واربعمائة وثمانون رطلا عند أهل العراق على اختلافهم فى مقدار الصاع والمد كما قاله البرهان الحلبى رحمه الله تعالى والوسق أيضا مصدر بمعنى ضم الشئ (فجاءه الرجل) الذى اقترض منه (يتقاضاه) أى يطلب منه كامر (فاعطاه وسقا) ضعف ما أخذ منه (وقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم له (نصفه قضاء) لما آخذ منك (ونصفه نائل) أى عطاء وهبة لك و وقع فى بعض النسخ هنا زيادة سقطت من أكثر النسخ وهى (وقد قال أبو على الدقاق من شيوخ المتصوفة المشاهير وعلمائهم النحارير تكلم فى الفتوة وهى غاية الكرم والايثار على رأيهم واصطلاحهم فى ألفاظهم ان هذا الخلق لا يكون بكماله الا لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فان كل أحد فى القيامة يقول نفسى نفسى و يقول هو صلى الله تعالى عليه وسلم أمتى أمتى) انتهى ما زيد هنا وأثبتها محمد بن مرزوق فى شرحه وتبعه التلمسانى وشرحها فلنتمم الفائدة ببعض فوائدها وبيان ما فيها فاعلم ان الدقاق هو أبو على الحسن بن على شيخ القشيرى تفقه فى أول امره على القفال وغيره ثم انقطع حتى صار سيد وقته و المتصوفة والصوفية واحده صوفى و يقال تصوف اذا انقطع الى الله تعالى كما يقال تقيس اذا انتسب لقيس وهذا اللفظ مولد واصطلاح حدث بعد القرن الاول فقال بعضهم الصوفى هو المنقطع بهمته الى ربه وهم مقتدون باهل الصفة رضى الله تعالى عنهم وهى سقيفة اتخذها ضعفاء الصحابة فى مسجد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وكان قبل الاسلام حى يقال لهم صوفة يخدمون الكعبة فقيل الصوفى نسبة لهم وقيل لانهم تجمعوا كما تجمع الصوف وقيل انهم لخشوعهم كصوفة مطروحة على الارض أوهم منسوبون للصوف للينهم وسهولة أخلاقهم أو لبسهم الصوف لاختيارهم الفقر وهذا أظهر الاقوال لفظا ومعنى وقيل منسوب للصفة والاصل صفى فابدل أحد حرفى التضعيف لينا وقيل انه من الصفاء ففيه قلب وصحح هذا بعضهم لقول البستى

تخالف الناس فى الصوفى واختلفوا * جهلا فظنوه مشتقا من الصوف
ولست أنحل هذا الاسم غير فتى * صافى فصوفى حتى سمى الصوفى

ولا شاهد فيه لانه على مذهب الشعراء وقد بين المصنف رحمه الله تعالى معنى الفتوة

* (فصل وأما الشجاعة والنجدة فالشجاعة فضيلة قوة الغضب وانقيادها للعقل) * هذا معنى ما قاله الحكماء فى علم الاخلاق ان الله تعالى ركب فى الانسان قوة هى مبدأ الاقدام على الاهوال والمهالك لتصوره أن من خاطر بالنفس ربما يهلك النفس وانه لا يغنى حذر من قدر وهى القوة الغضبية الشنيعة والشجاعة انقياد هذه القوة لسلطان العقل والنفس الناطقة ليكون اقدامها على حسب الروية من غير اضطراب حتى يكون فعلها جميلا محمودا وافراطها التهور

بعض النسخ هنا زيادة لا تخلو عن افادة وهى قوله وقال أبو على الدقاق من شيوخ الصوفية المشاهير وعلمائهم النحارير وتكلم فى الفتوة وهى غاية الكرم والايثار على رأيهم واصطلاحهم فى ألفاظهم ان هذا الخلق لا يكون الا للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم فان كل واحد فى القيامة يقول نفسى نفسى وهو يقول أمتى أمتى انتهى قال ابن مرزوق هذه الرواية ثبتت فى رواياتنا فى هذا الموضع من الشفاء وقال التلمسانى وقد ثبتت هذه الزيادة أيضا ملحقة بخط العراقى فى الطرة ثم قال نقل هذا من خط المؤلف رحمه الله انتهى وقال برهان الدين الحلبى هذا فى بعض النسخ ثابت وأبو على المذكور هو الحسن بن على بن محمد بن اسحق ابن عبد الرحيم بن أحمد الاستاذ شيخ الاستاذ ابى القاسم القشيرى تفقه على الحصرى وأعاد على القفال المروزى فى درس الحصرى ثم سلك طريق التصوف حتى صار انسان وقته وسيد عصره توفى فى ذى الحجة سنة خمس واربعمائة قال فيما يرويه عنه صلى الله تعالى عليه وسلم من أكرم غنيا لغناه ذهب ثلثا دينه وذكر فيه حكمة ذكرها السبكى فى الطبقات

* (فصل * وأما الشجاعة) بفتح أولها معروفة

(والنجـدة) بفتح نون فسكون جيم فدال مهملة بمعنى الشجاعة على مقالة الجوهري وقيل الاغاثة والاعانة وفرق المصنف بينهما بقوله (فالشجاعة فضيلة قوة الغضب) أي زيادتها (وانقيادها) اى مطاوعة تلك القوة ومتابعتها (للعقل) أي لتقع على ما ينبغي من النعوت الآدمية وهو احتراز عن الصفة السبعية والبهيمية ولابد من قيد انقيادها للشرع لتكون من الاوصاف البهية (والنجدة ثقة النفس) أي وثوقها بربها واعتمادها على خالقها (عند استرسالها) أي اشرافها وطلبك ارسالها (الى الموت) أي حال تشدتها من ابتدائها الى زمان انتهائها باختياره الى حد فنائه وزوال بقائه (حيث يحمد فعلها) أي عقلا ونقلا (دون خوف) أي من غير خوف لها يمنعها عما هي بصدده من كمالها والحاصل ان النجدة قوة تنشأ عن الشجاعة لانها غيرها في أصلها (وكان صلى الله تعالى عليه وسلم منهما) أي من الشجاعة والنجدة وروى منها فالضمير لكل منهما (بالمكان) أي بالمحل (الذي لا يجهل) وبيانه قوله (قد حضر المواقف الصعبة) بفتح فسكون أي الشديدة كبدر واحد وحنين وغيرها (وفر) أي هرب (الكماة) بضم كاف وتخفيف ميم جمع كمى بفتح فكسر فتشديد أي شجاع مكمى في سلاحه اذ قد كمى نفسه وسترها بدرعه وبيضته كانه جمع كامى كقاض وقضاة (والابطال) بفتح الهمزة جمع بطل بفتحتين وهو الشجاع والمغايرة بينهما من حيث الستر وعدمه أو الثاني أبلغ والمعنى ولوا مدبرين (عنه) أي عن مساعدته صلى الله تعالى عليه وسلم (غير مرة) أي مرات كثيرة وان كان قصد بعضهم الكرة بعد الفرة (وهو ثابت) أي بقلبه وقدمه (لا يبرح) بفتح الياء والراء أي لا يزول عن مكانه (ومقبل) على شانئه وشأنه بكمال الاقبال (لا يدبر) أي لا ينوي الادبار ولا التحول والانتقال (ولا يتزحزح) أي ولا يتبعد عن مواجهة الكفار والجمل المنفية احوال مؤكدة لما قبلها والمعنى انهم فروا عنه حال ثباته

وهو الاقدام حيث لا ينبغي وتفريطها الجبن وبهذا عرفت معنى الشجاعة والجراءة أعم منها وهذه تختص بالانسان وفسرها ابن القوطية بالاقدام وهو تفسير لفظي بالاعم (والنجـدة) بفتح النون وسكون الجيم ودال مهملة كما في النهاية وهي شدة البأس ويقال هم انجاد امجاد أي اشداء شجعان والواحد نجد ككتف واكتاف وقيل انه جمع الجمع جمع نجد على نجاد ونجاد على انجاد وفسرها أهل اللغة بالشجاعة على عادتهم في التسامح فلا ينافي تغايرهما كما توهم ويؤيده ما في الحديث الآتي عن ابن عمر ما رأيت أشجع ولا انجد ولا أجود ولا أرضى من رسول الله صلى الله عليه وسلم واشتهرت النجدة في معنى المساعدة (ثقة النفس) في بعض الشروح وثق الشئ بالضم وثاقة صلب واشتد ومنه الوثاق ووثقت به بالكسر اثق ثقة اعتمدت عليه وأئتمنته كما في التقريب والمصنف رحمه الله تعالى استعمل الثقة موضع الوثاقة ولم أظفر به قلت هذا عجيب منه فانه بمعنى اعتماد النفس على ربها أو اعتماده على نفسه (عند استرسالها) أي اطلاقها واخذها فيما يؤدي (الى الموت) اى استئناسها وطمانينتها بلا خوف كما ورد في الحديث ايما مسلم استرسل الى مسلم فغبنه الخ وحديث غبن المسترسل ربا (حيث يحمد فعلها دون خوف) قيل وهي نشأة قوة النفس وشدتها وليست غير الشجاعة ففسر الشدة بما ينشأ عنها انتهى وكلامه ماش على تغايرهما والشراح لم يفرقوا بينهما والفرق مثل الصبح ظاهر فان الشجاعة جراءة واقدام يخوض به المهالك كما ينبغي والنجدة ثباته على ذلك مطمئنا من غير خوف من ان يقع على الموت أو يقع الموت عليه حتى يقضي الله له باحدى الحسنيين الظفر أو الشهادة فيحيي سعيدا او يموت شهيدا فتلك مقدمة وهذه نتيجتها ولذا أخرها المصنف في الذكر (وكان صلى الله تعالى عليه وسلم منهما) أي من الشجاعة والنجدة (بالمكان الذي لا يجهل) اى كان متصفا بهما على أعظم وجه ومشتهرا بذلك اشتهارا لا يخفى على أحد وعدم جهل المكان لعلوه وشرف بنائه كالجبل والقصر فكنى بذلك عن علو قدره صلى الله تعالى عليه وسلم وشهرته على حد قوله

ان الشجاعة والسماحة والندى * في قبة ضربت على ابن الحشرج

(قد حضر المواقف الصعبة) أي موضع القتال الشديدة ومصافها فجعلها نفسها صعبة لصعوبة ما فيها (وفر الكماة والابطال عنه غير مرة) الفرار الرجوع بسرعة والكماة بزنة قضاة جمع كمي على خلاف القياس لانه مخصوص بفاعل المعتل أو هو جمع كام بمعنى كمي وان لم يسمع وهو من تكمى اذا تستر فاصله الشجاع اللابس للدرع والبيضة ثم استعمل في مطلق الشجاع كالمشفر فان قيل انه سمي به لانه يستر شجاعته ووقائعه كان الثاني حقيقة ايضا لكن المعروف هو الاول والابطال جمع بطل كحسن وهو الشجاع المعروف بالشجاعة سمي به لانه يبطل عنده دماء الاقران وغير مرة بمعنى مرات والعرب تجعل غير مرة بمعنى مرات مع صدقه على مرتين للابهام ونحوه من الفوائد (وهو) صلى الله عليه وسلم (ثابت لا يبرح) أي لا يفارق مكانه كقوله فلن أبرح الارض أي لا أفارقها (ومقبل لا يدبر ولا يتزحزح) أي لا يزول عن مقره قال تعالى فمن زحزح عن النار وهذه الحالات تدل على ثباته صلى الله تعالى عليه

(وماشجاع) بتثليث أوله والضم أشهر أى ماوجد أحد شجيع من شجعان العرب والعجم (الاوقد أحصيت له فرة) على صيغة المجهول أى ضبطت له ولو مرة واحدة من الفرار والهزيمة (وحفظت عنه جولة) بفتح جيم وسكون واو أى تردد ونفرة (سواه) أى غيره صلى الله تعالى عليه وسلم وعدم الفرار لكماله فى مقام الوقار والقرار (حدثنا أبو على الحيانى) بفتح الحاء المهملة وتشديد التحتية وفى آخره نون ثم ياء النسبة وهو الحافظ الغسانى وقيل بكسر الجيم والظاهر انه تصحيف (فيما كتب لى) أى من هذا الحديث ونحوه مقرونا بالاجازة له مع امكان السماع منه (حدثنا القاضى سراج) بكسر سين مهملة وتخفيف راء بعدها ألف فجيم (حدثنا أبو محمد الاصيلى) بفتح فكسر صاد مهملة ويقال بالزاى أيضا نسبة الى بلد بالمغرب (حدثنا أبو زيد الفقيه) وهو المروزى (حدثنا محمد بن يوسف) أى الفربرى (حدثنا محمد بن اسمعيل) أى البخارى (حدثنا ابن بشار) بموحدة فشين معجمة مشددة العبدى مولاهم قال أبو داود وكتبت عنه خمسين ألف حديث (حدثنا غندر) بضم غين معجمة فنون ساكنة فدال مهملة مفتوحة وقد تضم فراء هذلى بصرى وهو منصرف (حدثنا شعبة) أى ابن الحجاج أمير المؤمنين فى الحديث (عن أبى اسحق) أى السبيعى الهمدانى الكوفى تابعى جليل روى عنه السفيانان وأبو بكر بن عياش وخلائق وله نحو ثلاثمائة شيخ وهو يشبه الزهرى فى كثرة الرواية وقد غزا عشر مرة وكان صواما قواما

وسلم أى تارة يقبل على الحرب وتارة يثبت كالجبل الراسى فلا يتحرك فان أريد باقباله مجرد توجهه بوجهه بعدم ادباره التفاته لغيرها فهما حال واحدة واصل معنى التزحزح التباعد والتنحى عن المكان قال الزبيدى زحه اذا دفعه وكذلك زحزحه وقيل هو من زاحه يزيحه أو من الزوح وهو السوق الشديد ويقال زحزحته فتزحزح وانزاح اذا تباعد ومنه المزاح والصحيح الاول وعطفه على الادبار من عطف الخاص على العام وكان من خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم انه يجب عليه مصابرة العدو وان كثر وزاد على ضعف عسكره ويأتى مافيه واما الآن فان زاد العدو على ضعف المسلمين جاز انصرافهم عن القتال والافلا يجوز الا بالتحيز أو التحرف الى فئة فان الفرار من الزحف كبيرة كما فصله الفقهاء والمفسرون (وماشجاع الاوقد أحصيت له فرة) أحصيت بالبناء للمجهول من الاحصاء وهو العدو الحفظ والفرة المرة من الفرار وهو الهزيمة والفار الهارب (وحفظت عنه جولة سواه صلى الله تعالى عليه وسلم) الجولة بفتح الجيم وسكون الواو واللام المرأة من الجولان فى المكان وقيل هى الانكشاف والزوال عن الموقف من غير تقييد بالمرة وفى النهاية جال واجتال اذا ذهب وجاء ومنه الجولان فى الحرب والجائل الزائل عن مكانه وقول الصديق رضى الله تعالى عنه للباطل نزوة وللحق جولة يريد به غلبة من جال على قرنه يجول انتهى والجولة هنا صفة ذم بمعنى فرة لاغلبة وفى الحديث للباطل جولة ويضمحل والحاصل ان الجولة تكون بمعنى الفرار وبمعنى الذهاب ليعود والتردد فى المكان ويصح ارادة كل منها هنا ويكون صفة ذم ومدح ثم ذكر مايدل على ماذكره فقال (حدثنا القاضى أبو على الجيانى فيما كتب لى) هو الامام الحافظ أبو على الغسانى الجيانى بفتح الجيم وتشديد المثناة التحتية ثم ألف ونون وياء نسبة لبلدة منها ابن مالك وأبو حيان وغيرهما من الائمة وقوله كتب لى دون الى يشعر بانه وقع له ذلك مع ملاقاته بدليل قوله حدثنا فان الكتابة تكون للغائب والحاضر وتتضمن الاجازة وابن الصلاح رحمه الله تعالى لم يفرق بين كتب له واليه اذ قال كثيرا ما يوجد فى مسانيدهم ومصنفاتهم كتب الى فلان وهو معمول به عندهم معدود فى المسند الموصول وفيه اشعار قوى بمعنى الاجازة وان لم تقترن بها وعن السمعانى وامام الحرمين انه أقوى من الاجازة المجردة قال (حدثنا القاضى سراج) بكسر السين كالسراج المنير وهو سراج بن عبد الملك بن سراج بن عبد الله بن محمد بن سراج الاموى توفى لست بقين من جمادى الاولى سنة ثمان وخمسمائة والذى روى عنه الجيانى وهو جد سراج بن عبد الملك كما قاله التلمسانى قال (حدثنا أبو محمد الاصيلى) هو أبو محمد عبد الله بن ابراهيم بن محمد بن عبد الله بن جعفر الاصيلى ويقال الازيلى بالزاى والسين أيضا نسبة لاصيلة بلدة بالمغرب معروفة كما قاله ابن قرقول وقال الصاغانى فى الذيل والاصيل بلدة من أعمال الاندلس قال (حدثنا أبو زيد الفقيه) هو أبو زيد المروزى وقد تقدمت ترجمته قال (حدثنا محمد بن يوسف) هو الفربرى قال (حدثنا محمد بن اسمعيل) هو الامام البخارى وقد تقدمت ترجمته قال (حدثنا ابن بشار) الامام الحافظ أبو بكر محمد بن بشار بفتح الموحدة التحتية وتشديد الشين المعجمة وألف وراء مهملة المعروف ببندار روى عنه أصحاب الكتب الستة عاش ثمانين سنة ومات سنة اثنين وخمسين ومائتين وقيل احدى وخمسين وترجمته مفصلة فى الميزان قال (حدثنا غندر) بضم الغين المعجمة وسكون النون وفتح الدال المهملة وتضم وراء مهملة وهو محمد بن جعفر الهذلى مولاهم البصرى الحافظ روى له أصحاب الكتب الستة توفى سنة ثلاث وتسعين ومائة وترجمته فى الميزان ايضا (عن أبى اسحق) عمرو بن عبد الله السبيعى الهمدانى

(سمع البراء) بفتح الموحدة وتخفيف الراء وهو ابن عازب رضي الله عنهما (ساله رجل) لا يعرف (أفررتم يوم حنين) وهو وادي بين مكة والطائف وتصحف حنين عن التلمساني بخيبر ولذا قال وكانت غزوة حنين في السابعة من الهجرة وقدم جعفر بن أبي طالب ومن معه من الحبشة حينئذ وقد وقع في صحيح البخاري في غزوة الفتح عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال خرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في رمضان الى حنين وقد تقدم انها كانت في شوال وهو المعروف ولعل المراد الفتح لان الفتح تعقبه حنين والمعنى أفررتم يوم حنين معرضين (عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال) أي نعم كما في نسخة ولعله حذف استهجانا للتصريح به ثم استدرك بقوله (لكن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لم يفر) بتشديد الراء المفتوحة ويجوز كسرها الكسر ماقبلها وقال التلمساني انما لم يجبه بلى أو نعم لان موجب لا قد وقع ولم يكن قصدا بل رشقتهم هوازن بنبلها ذا صباح وقد تفرقوا لحوائجهم ولم يعلموا ان للعدو كمينا فكان جولة وليس هزيمة وقد وقع ذلك من الطلقاء لان منهم من لم يكن صادق الاسلام يومئذ انتهى ثم في هذا الاستدراك دفع توهم فراره صلى الله تعالى عليه وسلم بعد فرارهم عنه ولا والله ما فر قط بل الاجماع قاض بتحريم اعتقاد فراره وهذا الحديث أخرجه البخاري في الجهاد ومسلم في المغازي والنسائي في السير وهو كما في الاصل بناء على ما في بعض الطرق وفي بعضها أفررتم يوم حنين ولم يذكر عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى هذه الرواية قال النووي مانصه هذا الجواب الذي أجاب به البراء من بديع الادب لان تقدير الكلام أفررتم كلكم فيقتضي أنه عليه الصلاة والسلام وافقهم في ذلك فقال البراء لا والله ما فر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولكن جماعة من أصحابه جرى لهم كذا وكذا (ثم قال) أي البراء (لقد رأيته على بغلته البيضاء) كذا في الصحيحين وفي مسلم انها التي أهداها له فروة ابن نفاثة قال بعض الحفاظ واسمها فضة وفي رواية على بغلته الشهباء وكلتاهما واحدة وقال بعضهم هي التي تسمى الدلدل وكذا سماها النووي في شرح مسلم في غزوة حنين وقال قال العلماء لا يعرف له صلى الله تعالى عليه وسلم بغلة سواها انتهى وذكر الحلبي

الكوفي أحد اعلام الحديث أخذه عن عدة من الصحابة وعدة من التابعين وروى عن خلق كثير وله نحو ثلثمائة شيخ وهو شبيه الزهري في الكثرة وكان صواما قواما غازيا مات سنة سبع وعشرين ومائة وله خمس وتسعون سنة وأخرج له أصحاب الكتب الستة وله ترجمة في الميزان (سمع البراء) بن عازب الصحابي المشهور (و) قد (سأله رجل) وهذا الحديث أخرجه القاضي كما ترى عن البخاري في الجهاد في موضعين باختلاف في بعض ألفاظه ورواه مسلم في المغازي والنسائي في السير (أفررتم) معاشر الصحابة (يوم حنين عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال نعم) وحنين بن نابة بن مهلائيل وبه سمي الموضع المعروف وسميت غزوة حنين وأوطاس باسم الموضع الذي كانت فيه الوقعة سنة ثمان من الهجرة في شوال ووقع في البخاري أنه صلى الله تعالى عليه وسلم خرج الى حنين في رمضان والمعروف أنه في شوال وما ذكره المصنف ورد في بعض طرق الحديث وفي بعضها أفررتم ولم يذكر عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهي رواية مسلم وعلى هذه الرواية قال النووي جواب البراء رضي الله تعالى عنه من بديع الادب لان تقديره أفررتم كلكم فيقتضي أنه صلى الله تعالى عليه وسلم وافقهم على ذلك فقال البراء لا والله ما فر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولكن جماعة من أصحابه جرى لهم كذا وكذا انتهى وهذا الجواب لا يتأتى الا على الرواية الثانية وكان ينبغي للشيخ ان يجيب بجواب غير هذا لان هذا الفهم احترز عنه السائل بقوله عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يجئ أنه صلى الله تعالى عليه وسلم انهزم قط ولم ينقله أحد وقد نقل الاجماع على انه لا يجوز ان يعتقد أنه صلى الله تعالى عليه وسلم انهزم ولا يجوز ذلك عليه بل كان العباس وأبو سفيان رضي الله تعالى عنهما آخذين بلجام بغلته يكفانها عن اسراع التقدم الى العدو وكما يأتي وقد صرح به البراء في حديثه كذا قال البرهان وقيل عليه انه يأتي الجواب على ما رواه المصنف أيضا لان قول السائل عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وان دفع وهم انه ما فر معهم لا يدفع انه فر بعد فرارهم فكان ثابتا في ما طواه البراء في الجواب الذي تقديره فر من فر عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الذي دفعه بقوله (لكن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لم يفر) لانه استدراك لدفع ما توهم من الكلام السابق وان لم يصرح به وما قيل من انه يمكن ان يقال قصد البراء ان يبين ان فرارهم لم يكن بالكلية وانما معناه تحولنا عن وجه العدو وخلنا جولة ثم عدنا وكيف ندع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو أعز من أنفسنا أو هو من الاسلوب الحكيم فكأنه لما ساله عن فرارهم قال له هذا لا يهمك شانه وانما الذي ينبغي ان تعتقده أنه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يفر تكلف ليس في الكلام ما يدل عليه (ثم قال لقد رأيته على بغلته البيضاء) الشهباء يقال لها

ان فروة بن نفاثة أهدى فضة والمقوقس أهدى الدلدل وقيل كان له صلى الله تعالى عليه وسلم ست بغلات وقيل سبع (وأبو سفيان) أي ابن عمه الحارث بن عبد المطلب وكان أخو الرضيع له صلى الله تعالى عليه وسلم أرضعتهما حليمة وآلف الناس به قبل النبوة ثم كان أبعدهم عنه بعدها ثم أسلم يوم الفتح بالابواء موضع بطريق مكة ومات سنة عشرين بالمدينة (أخذ بلجامها) زاد البرقاني والعباس رضى الله تعالى عنه آخذ بلجامها يكفانها عن اسراع التقدم الى العدو شفقة منهما عليه بمقتضى البشرية وان علما مرتبة عصمته النبوية وسيأتي رواية أخرى في هذا المعنى مع اختلاف في المبنى وفي ركوب البغلة حال الغزوة ايماء الى كمال تحقق النجدة وزوال تصور الجولة

وكيف لا وهو يقول اللهم بك أصول وبك أجول (والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم يقول) والجملة حالية وأما قول الدلجي وضع فيها مبتدأها موضع المضمر أي وهو يقول فغفلة منه عن المنقول اذ لو أتى بالضمير لتوهم رجعه الى أقرب المذكور وهو أبو سفيان المسطور (أنا النبي لا كذب) بسكون الباء للوزن أو السجع وهو الرواية على ما ذكره المازني وضبط في بعض النسخ بفتح الباء على أصله في البناء وقد ورد على زنة منهوك الرجز وهو ليس بشعر عند بعضهم وان كان مقصودا ثم لا يسمى الكلام شعرا ما لم يقصد بوزنه الشعر ومنه ما جاء في التنزيل ثم أقررتم وأنتم تشهدون ثم أنتم هؤلاء تقتلون وأمثال ذلك وأما قول الدلجي من رواه بفتح الباء ليخرج عن الوزن فقد نسب أفصح الخلق الى النطق بغير فصيح فغير صحيح لان فتح الباء كما عرفت هو الاعراب الصحيح فلا يعدل عنه الا وقفا سواء أريد به نظم أو سجع والمعنى أنا النبي صدقا لا أفر اذا لقيت العدو حقا وروى بلا كذب بزيادة الباء ولعله حينئذ يخفف ياء النبي والمعنى لا كذب في النبوة لظهور المعجزة أو لا كذب في النصرة أو لا كذب في النبوة لانها حق وما وعد ربه صدق (وزاد غيره) أي غير البراء (أنا ابن عبد المطلب) وهو بسكون الباء مع انها في أصل الاعراب بالجر ومن قرأ بالكسر أراد اخراجه من وزن الشعر كما تقدم ثم انتسابه لجده لاشتهاره به لموت أبيه قبل ولادته مع كثرة نسبة الناس اياه اليه ولا ينافي هذا نهيه عن الافتخار بالآباء الكفار اذ لم يقله افتخارا بل اظهارا واشتهارا واعلاما بانه ما ولى مع من ولى وتعريفا بموضعه ليرجع اليه أهل دينه

فضة أهداها له فروة بن نفاثة كما في مسلم وفروة بفتح الفاء واسكان الراء ونفاثة بضم النون وبالفاء المخففة وبالمثلثة الجذامي بضم الجيم وبالذال المعجمة وفي رواية ابن اسحق بن نعامة بالعين والميم والمعروف الاول وقال بعضهم ركب صلى الله تعالى عليه وسلم في حنين بغلة تسمى دلدل وكذا قال النووي في شرح مسلم والمعروف الاول ودلدل اهداها له المقوقس وكبرت وبقيت الى زمن معاوية رضى الله تعالى عنه ويقال انه وهبها صلى الله تعالى عليه وسلم لابي بكر رضى الله تعالى عنه وكان له صلى الله تعالى عليه وسلم ست بغلات أو خمس كما ذكره الحفاظ وذكروا من أهداها له (وأبو سفيان) بن الحارث ابن عبد المطلب هو ابن عم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم واسمه المغيرة أو اسمه كنيته وكان أخاه من الرضاع وآلف الناس به قبل النبوة وكان يشبهه صلى الله تعالى عليه وسلم أيضا وكان شاعرا مطبوعا فلما ظهر الاسلام أظهر العداوة وهجا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأجابه حسان رضى الله تعالى عنه بما هو مذكور في السير ثم أسلم وحسن اسلامه وأبلى بلاء حسنا يوم حنين وتوفي سنة عشرين وصلى عليه عمر رضى الله تعالى عنه وهو أحد من ثبت يوم حنين وهم عشرة أو أكثر كما فصله أصحاب السير (أخذ بلجامها) أي ممسك عنان بغلته صلى الله تعالى عليه وسلم والعباس رضى الله تعالى عنه من الجانب الآخر فالتفت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لابي سفيان وقال له من أنت قال أخوك أبو سفيان ابن الحارث فداك أبي وأمي فقال نعم أخي ناولني حصا من الارض فناولته ورمى به فاصاب أعينهم كلهم وانهزموا وانما أمسكا باللجام لئلا يسرع للاتصال بالعدو لما رأياه من أقدامه صلى الله تعالى عليه وسلم ومسارعته فاشفقا عليه بمقتضى المحبة الاسلامية والرحم وان علما عصمته صلى الله تعالى عليه وسلم وحمايته الله تعالى له (والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم يقول أنا النبي لا كذب وزاد غيره أنا ابن عبد المطلب) هذه الرواية المشهورة بسكون الباء للوقف ويروى بتحريك الباء فيهما وروى بلا كذب وعلى هاتين الروايتين لا اشكال وعلى الرواية المشهورة اشكال مشهور وهو انه يكون موزونا من مجزو بحر الرجز والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم لا يصدر منه الشعر لقوله تعالى وما علمناه الشعر وما ينبغي له فكيف يصدر عنه صلى الله تعالى عليه وسلم هذا ونحوه كقوله

هل أنت الا أصبع دميت * وفي سبيل الله ما لقيت

ووقع مثله في كتاب الله تعالى وأجيب عنه بان الرجز ليس من الشعر كما ذهب اليه بعضهم استدلالا بهذا وبان العرب تسمى قائله راجزا لا شاعرا وبان المراد بالشعر المنزه عنه صلى الله تعالى عليه وسلم أن يكون بنظم أنواعه فيكون سجية وما وقع نادرا لا يعد قائله شاعرا ونظيره ما قاله الباقلاني في كتاب الاعجاز ان القرآن

القرآن يقع فيه ذلك حتى يكون جامعا لانواع الكلام وبمثله لا يكون القرآن شعرا كالبيت أو المصراع اذا وقع فى أثناء رسالة أو خطبة والجواب المشهور ان الشعر هو الكلام الموزون المقفى بالقصد وما وقع فى الحديث لهذا وفى القرآن كقوله يريد ان يخرجكم من أرضكم بسحره لم يقصد وزنه فلا يسمى شعرا وهذا الحديث الصحيح وأما فى القرآن فلا لانا اذا سلمنا وقوعه فيه لابد ان يكون بالقصد والارادة لانه لا يمكن ان يقع شئ فى الخارج بغير ارادته وقد ذكرت هذا لبعض مشايخى فاستحسنه ثم رأيته فى بعض شروح المفتاح وقد أجبنا عنه فى كتابنا طراز المجالس وكان ابن قدامة فى كتاب التكملة لحظ هذا فذهب الى أنه ليس فى القرآن موزون لانا لانجوز ان يقرأه على هذه الطريقة بل نصل الكلام ولا نقف على ما يشبه العروض والضرب وحينئذ لا يكون موزونا وهو كلام حسن وقوله لا كذب اذا حرك يلزمه الوقف على متحرك وهو لحن لا يصدر عمن هو أفصح الناس وفيه نظر ونفيه الكذب عنه لانه صلى الله تعالى عليه وسلم مصون عنه مطلقا أو معناه لا كذب فى الظفر والنصر وما وعدنى الله تعالى أولا كذب فى دعوى النبوة لظهور آياته ووضوح برهان معجزاته والمقصود تثبيتهم حتى لا يفر أحد منهم وقوله زاد غيره ان كان الضمير راجعا للبخارى اقتضى صيغة ان هذه الزيادة لم تزد فى البخارى مع انها فيه فى محلين من كتاب الجهاد فكان ينبغى له اسقاط قوله وزاد غيره ان رجع لغيره ممن سمع البراء فالامر واضح وقوله أنا ابن عبد المطلب كما يقول المحارب أنا فلان اشارة الى شجاعته وصولته وانما انتسب صلى الله تعالى عليه وسلم لجده دون أبيه لاشتهاره بذلك لان أباه مات شابا فى حياة جده وهو طفل فكفله فكانوا يقولون له ابن عبد المطلب لعلو مقامه وكونه سيد أهل مكة أو خصه بالذكر وقد انهزموا عنه تثبيتا لنبوته صلى الله عليه وسلم وازالة للشك فيها لما عرف من رؤياه المبشرة لذلك كما أنبأ بذلك الاحبار والكهان فكأنه يقول أنا ذلك الموعود به فلابد مما وعدت به لئلا يفروا ويظنوا انه مقتول أو مغلوب وكان عبد المطلب رأى فى منامه ان سلسلة من فضة خرجت من ظهره لها طرف فى السماء وطرف فى الارض وطرف بالمشرق وطرف بالمغرب ثم عادت كأنها شجرة على كل ورقة منها نور واذا أهل المشرق والمغرب كأنهم يتعلقون بها فقصها فعبرت بولد له من صلبه يتبعه أهل المشرق والمغرب ويحمده أهل السماء والارض فلذلك سماه محمدا كما قاله حين قيل له لم سميته بهذا وليس لاحد من آبائك ولا قومك مثله فقال رجوت ان يحمده أهل الارض وقيل ان أمه لما حملت به قيل لها انك حملت بسيد هذه الامة فاذا وضعته فسميه محمدا وقوله أنا النبى الى آخره ليس من الافتخار المنهى عنه لانه جائز فى الجهاد لارهاب العدو وكان صلى الله تعالى عليه وسلم ينصر بالرعب كما مر وهذا جار على عادتهم كقوله

أقول له والرمح يأطر متنه * تأمل خفافا اننى أنا ذلكا

(قيل فارؤى يومئذ أحد كان أشد منه) صلى الله تعالى عليه وسلم أى لم ير فى حرب هوازن أقوى وأشجع من النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقد ركب بغلته وقد ظاهر عليه درعا ومغفرا وطاف على الصفوف يحضهم على القتال ويبشرهم بالفتح ان صدقوا وصبروا وكانوا برزوا للقتال فى كتائب لم ير المسلمون مثلها عدة وعددا وحملوا حملة واحدة وكانوا أرمى الناس بالسهام وأعرفهم بالقتال فانهزم الناس والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم ثابت يلتفت يمنة ويسرة لمن فر منهم وهو يقول يا أنصار الله وأنصار رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أنا عبد الله ورسوله ثم تقدم بحربته أمام الناس فلم يمض قليل حتى هزمهم الله وانما قال المصنف رحمه الله قيل لان هذه اللفظة بعينها لم تثبت عنده بطريق صحيح وأما كونه صلى الله تعالى عليه وسلم أشد من حضر تلك الوقعة وأشجعهم فهو مما لا شبهة فيه ولا يمكن أحدا انكاره (وقال غيره) أى غير البخارى الذى الحديث السابق من روايته لكنه لم يذكر فيه انه صلى الله تعالى عليه وسلم

(قيل فارؤى) بصيغة المجهول ويقال فارئى بالنقل والبدل أى ما أبصر (يومئذ) أى يوم حنين (أحد) كان (أشد منه) أى أقوى قلبا وأشجع قالبا منه صلى الله تعالى عليه وسلم قال البغوى بعد حديث البراء باسناده المتصل الى مسلم على ماسبق ورواه محمد بن اسمعيل عن عبيد الله بن موسى عن اسرائيل عن اسحق وزاد فارؤى من الناس يومئذ أشد منه ورواه أبو زكريا عن أبى اسحق وزاد قال كنا اذا احمر البأس نتقى به وان الشجاع منا للذى يحاذيه أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انتهى فوجه تعبير المصنف بقيل غير ظاهر كما لا يخفى (وقال غيره) أى غير البراء أو غير قائل هذا القيل

(نزل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عن بغلته) وهذا يدل على كمال ثبته في قضية شجاعته قال البغوى في حديثه المسند الى مسلم عن أبى اسحق قال رجل للبراء يا أبا عمارة أفررتم يوم حنين قال لا والله ما ولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولكنه خرج شبان أصحابه واخفاؤهم وهم حسر ليس عليهم سلاح أو كثير سلاح فلقوا قوما رماة لا يكاد يسقط لهم سهم فاقبلوا هنالك الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ورسول الله على بغلته البيضاء وأبو سفيان بن الحارث يقوده فنزل واستنصر وقال أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب ثم صفهم (وذكر مسلم عن العباس رضى الله تعالى عنه قال فلما التقى المسلمون) وهم ستة عشر ألفا أو عشرة آلاف على اختلاف (والكفار) وهم أربعة آلاف من هوازن وثقيف وكان المسلمون يومئذ أكثر ما كانوا قط حتى قال رجل من الانصار لن نغلب اليوم على قلة فلم يرض الله قوله ووكلهم الى أنفسهم كما أشار اليه سبحانه وتعالى بقوله ولقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين فاقتتلوا قتالا شديدا فانهزم المشركون وخلوا عن الذرارى ثم نادوا يا حماة السوء اذكروا الفضائح فتراجعوا وانكشف المسلمون وهذا معنى قوله (ولى المسلمون) أى رجعوا وانهزموا (مدبرين) حال مؤكدة منهم ٤٨ قال الكلبي كان حول رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثلاثمائة من المسلمين وانهزم سائر الناس مدبرين وقال آخرون لم يبق مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم غير العباس وأبي سفيان وأيمن ابن أم أيمن (فقتل يومئذ بين يدى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فطفق) بكسر الفاء ويفتح أى جعل (رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يركض بغلته نحو الكفار) أى يحركها ويدفعها الى صوبهم وأصل الركض تحريك الرجل ومنه قوله تعالى اركض برجلك (وأنا آخذ بلجامها) جملة حالية (أكفها) حال أخرى أو استئناف بيان (ارادة ان لا تسرع) بنصب الارادة على العلة للجملة السابقة أى أمنعها من أجل ان لا تعجل الى جهة العدو وهو من الاسراع (وأبو سفيان آخذ بركابه) وفى رواية بعكس القضيتين وتقدم انهما كانا آخذين بلجامها فالجمع بانه كان الاخذ بالمناوبة مرة وبالجمع كرة (ثم نادى) أبو سفيان أو النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أو العباس على الالتفات (يا للمسلمين) بفتح اللام الاولى أى اقبلوا (الحديث) بالنصب على الاصح أى أنظر الحديث أو طالعه بكماله قال البغوى فى حديثه المسند الى مسلم فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أى عباس ناد أصحاب السمرة فقال العباس رضى الله تعالى عنه وكان رجلا صيتا فقلت باعلى صوتى أين أصحاب السمرة قال فوالله لكان عطفتهم حين سمعوا صوتى عطفة البقرة على أولادها فقالوا يا لبيك يا لبيك قال فاقتتلوا والكفار ثم أخذ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حصيات فرمى بهن فى وجوههم ثم قال انهزموا ورب محمد قال فوالله ما هو الا أن رماهم بحصياته فما زلت أرى أحدهم كليلا وأمرهم مدبرا وقال سلمة بن الاكوع غزونا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حنينا قال فلما غشوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم نزل عن البغلة ثم قبض قبضة من تراب الارض ثم استقبل وجوههم فقال شاهت الوجوه فما خلق الله منهم انسانا الا

(نزل عن بغلته) فانه فى رواية مسلم رواه سلمة بن الاكوع رضى الله تعالى عنه قال لما غشوا رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل عن البغلة ثم قبض قبضة من تراب الارض ثم استقبل بها وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق أحد منهم حتى امتلأت عيناه من تلك القبضة ترابا وهزمهم الله ولا شك ان النزول فى وقت المحاربة فيه من الشجاعة ما لا يخفى وتسميه العرب نزالا (فلما التقى المسلمون والكفار ولى المسلمون مدبرين) هذه حال مؤكدة وهى قد تكون موافقة له لفظا كقوله * أصخ مصيخا لمن أبدى نصيحته * والاول أقوى لما فيه من ترك التكرار بحسب الظاهر وفى قوله ولى المسلمون ان أريد جميعهم مجاز بجعل الاكثر بمنزلة الجميع والا فلا يجوز خلافا لمن ظنه وقد ثبت جماعة من المسلمين اختلف فى عددهم كما فصل فى السير وكتب الحديث (وذكر مسلم) فى صحيحه رواية (عن العباس) رضى الله تعالى عنه عم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (قال فلما التقى المسلمون والكفار ولى المسلمون مدبرين فطفق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أى جعل وشرع فى فعل ذلك (يركض بغلته نحو الكفار) أى يسوقها ويسرع بها والركض الضرب بالرجل فمتى نسب الى الراكب فهو اعداء مركوبه نحو ركضت الفرس ومتى نسب الى الماشى فوطئ الارض نحو قوله اركض برجلك ونحو منصوب على الظرفية أى فى جهتهم (وأنا آخذ بلجامها) أى ممسكه (أكفها) أى أمنعها من السرعة (ارادة ان لا تسرع) أى لاجل ارادة ان لا تسرع نحو العدو وتقتحم به (وأبو سفيان) ابن الحارث ابن عمه (آخذ بركابه) هذه رواية وفى أخرى ان أبا سفيان كان يقود بغلته صلى الله تعالى عليه وسلم آخذ بلجامها من أحد جانبيها فلعله تارة كان يفعل كذا وتارة كان يفعل كذا فلا تعارض بين الروايات (ثم نادى) أى العباس رضى الله تعالى عنه وكان جهورى الصوت (يا للمسلمين) بفتح اللام الاولى لدخولها على المستغاث به

فان

ملأ عينيه ترابا بتلك القبضة فولوا مدبرين وقال سعد بن جبير أمد الله نبيه بخمسة آلاف من الملائكة مسومين كما قال تعالى وأنزل جنودا لم تروها (وقيل) أى روى كما فى حديث ابن أبى هالة (كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا غضب ولا يغضب الا الله) جملة حالية معترضة بين الشرط وجوابه وهو قوله (لم يقم لغضبه شئ) أى ما يدفعه عنه ويمنعه منه كما قال على كرم الله وجهه كان صلى الله تعالى عليه وسلم لا يغضب للدنيا فاذا أغضبه الحق لم يعرف أحدا ولم يقم لغضبه شئ حتى ينتصر له (وقال ابن عمر) كما رواه الدارمى (ما رأيت (أشجع ولا أنجد) من النجدة وقد عرفت الفرق بينها وبين ما قبلها ولا يبعد أن المراد بالجمع بينهما المبالغة فى وصف زيادة الشجاعة (ولا أجود) أى لا أسخى (ولا أرضى) أى باليسير فهو من باب القناعة أو ولا أسرع رضى من الرجوع عن الغضب فهو من قبيل حسن الخلق وجميل العشرة قيل ولا أدوم رضى (من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) وضبط الدلجى ولا أحوذ بمهملة ومعجمة من حوذ يحوذ أى أجمع وهو مما استعمل بلا اعلال أى ما رأيت أحوذيا أجمع لأموره لا يشذ عليه منها شئ متمكنا منها حسن السياق لها منه صلى الله تعالى عليه وسلم ومثله حديث عائشة رضى الله تعالى عنها تصف عمر كان والله أحوذيا نسيج وحده أى متمكنا فى أموره حسن السياق لها انتهى والظاهر أنه تصحيف فى المبنى بل وتحريف فى المعنى لان الاحوذى ليس افعل التفضيل المناسب هنا للسياق من السباق واللحاق فقد قال صاحب القاموس الاحوذى الخفيف الحاذق والمشمر للامور القاهر لها لا يشذ عليه شئ كالحويذ وأحوذ ثوبه جمعه والصانع القدح أخفه انتهى وقوله أحوذ وكذا استحوذ بمعنى غلب واستولى جاء على أصله من غير اعلاله وأما افعل سواء كان وصفا أو تفضيلا فلا يعل كاسود وأجود (وقال على كرم الله وجهه) كما رواه أحمد والنسائى والطبرانى والبيهقى (وانا كنا اذا حمى الباس) بهمز ويلين ومعناه ما فى قوله

فان دخلت على المستغاث له كسرت نحو يا لله للمسلمين وكان نداؤه رضى الله تعالى عنه بامر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذ قال له يا عباس ناد أصحاب السمرة فناداهم فعطفوا وقاتلوا حتى هزم الله أعداء الدين وقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الآن حمى الوطيس وهذا الحديث نقله المصنف رحمه الله تعالى عن مسلم بالمعنى اذ ليس فيه نداء العباس وخص العباس رضى الله تعالى عنه بذلك لانه كان صيتا يسمع صوته من ثمانية أميال وأصحاب السمرة هم أصحاب الشجرة وانما خصهم بالنداء لانهم لما بايعوه تحتها بايعوه على الموت وان لا يفروا فذكرهم بذلك وفى خصائص الخيضرى كان يجب عليه صلى الله تعالى عليه وسلم مصابرة العدو وان كثروا والامة انما يلزمهم الثبات اذا لم يزد عدد الكفار على الضعف كذا قالوه من غير دليل لكن ذكر الماوردى أن من خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم أنه اذا بارز رجلا لم ينكف عنه وانه لا يفر من الزحف وخوفه من القتل غير جائز لان الله عصمه انتهى (وقيل كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا غضب ولا يغضب الا الله لم يقم لغضبه شئ) أى لمهابة كل أحد له صلى الله تعالى عليه وسلم وخوفه منه لا يتحرك عنده وقال شئ دون أحد مبالغة فان العاقل وغيره سواء فى ذلك ففى هذا اشارة الى أنه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يعتريه الغضب والحدة أحيانا ولكن ذلك غيرة على حدود الله لا لنفسه ومناسبة هذا لما نحن بصدده من ذكر الشجاعة ان الغضب مقتضى للبطش والاقدام وهو من نمطها وهذا بعض من حديث صحيح فى شمائل الترمذى (وقال ابن عمر رضى الله تعالى عنهما) من حديث صحيح رواه الدارمى مسندا (ما رأيت أشجع ولا أنجد ولا أجود) تقدم الفرق بين الشجاعة والنجدة فليس عطفه عليه عطف تفسيرى كما توهم ونفى الافضل هنا يفيد نفى المساوى بطريق الكناية كما تقول ما فى البلد أعلم من زيد كما تقدم تحقيقه (ولا أرضى من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أى أكثر رضى منه لانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يرضى بكل شئ من ملبوس ومأكول وغيره ويحتمل أن المراد بالرضى عدم الغضب أى كان أكثر حاله عدم الغضب لان الرضى يكون مقابلا للسخط ويكون بمعنى الارادة وعدم الكره وبكل منهما فسر الرضى اذا كان صفة لله وعلى ذلك مبنى اختلاف الاشاعرة والماتريدية فى رضى الله للكفر فى قوله تعالى ولا يرضى لعباده الكفر والظاهر أن هذا مراد المصنف لانه المناسب لما قبله وهذا الحديث رواه أحمد والنسائى والطبرانى والبيهقى قيل عطفه أجود على أنجد لما بينهما من المناسبة فان الجواد لا يخاف الفقر والشجاع لا يخاف الموت كقوله

ان الذى جمع السماحة والنجدة والبر والتقى جمعا

ولان الاول بذل النفس والثانى بذل المال والجود بالنفس أقصى غاية الجود (وقال على رضى الله تعالى عنه انا كنا اذا حمى البأس) بالموحدة وبهمزة أو ألف وهو الشدة والمراد به الخوف أو الحرب وحمى بزنة علم أو قد ففيه استعارة مصرحة أو مكنية أى اشتد القتال وهذا معنى ما وقع فى الرواية الاخرى حمى

و يروى اشتد الباس) وأماماوقع فى أصل الدلجى اذاحمى الوطيس فلاأصل له فى النسخ المعتبرة والاصول المعتمدة (واحمرت الحدق) بفتحتين جمع حدقة وهى ما احتوت عليه العين من سوادها و بياضها وسبب احمرارها غضب صاحبها وفى الحديث الغضب جمرة توقد فى قلب ابن آدم اماترى الى انتفاخ أوداجه واحمرار عينيه (اتقينا برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فما يكون أحد أقرب الى العدو منه) أى تحفظنا به وأخذناه وقاية لنا من عدونا وأصل اتقى بقلب واوه ياء الكسر ماقبلها ثم تاء وأدغمت (ولقد رأيتنى) أى قال على والله لقد رأيت نفسى (يوم بدر) أى وكذا غيرى لقوله (ونحن نلوذ) أى نلتجئ ونستتر (برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) وفى الحديث اللهم بك أعوذ و بك ألوذ وفى أصل الدلجى ونحن نتقى برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وفسره بنستتر ونحتمى الا انه ليس فى الاصول المعتمدة الحاضرة (وهو أقربنا الى العدو) أى والحال أنه صلى الله تعالى عليه وسلم أقرب منا الى عدونا وهو تصريح بما سبق من تلويح (وكان من أشد الناس يومئذ) أى وقت الباس وشدة الحرب أو يوم حنين (باسا) أى قوة قلب فى شدة حرب واذا كان حاله هذا فى مثل هذا الوقت ففى سائر الاوقات بالاولى فلا يحتاج الى قول الدلجى بل أشدهم مطلقا كما لايخفى وما أحسن من قال من أرباب الحال

له وجه الهلال لنصف شهر * وأجفان مكحلة بسحر

فعند الابتسام كليل بدر * وعند الانتقام كيوم بدر

بالغابة

(وقيل كان الشجاع) أى منا (هو الذى يقرب منه صلى الله تعالى عليه وسلم اذادنا العدو) أى قاربوا (لقربه منه) أى لقرب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من العدو (وعن أنس رضى الله عنه) كما فى حديث الشيخين (كان صلى الله تعالى عليه وسلم أحسن الناس) أى صورة وسيرة وصوتا وفصاحة وملاحة (وأجود الناس) أى سخاوة وكرامة (وأشجع الناس) أى قلبا وثباتا (لقد فزع) بكسر الزاى (أهل المدينة

الوطيس فان الوطيس التنور كامر وذلك أبلغ مع نكتة لانه صلى الله تعالى عليه وسلم قاله فى غزوة أوطاس على ماتقدم مع الكلام عليه بما لامزيد عليه (و يروى اذا اشتد البأس) وهذه الرواية مفسرة للاولى (واحمرت الحدق) جمع حدقة وهى ماتحت الاجفان واحمرارها يكون عند الغضب لان الدم يهيج فيه وفى الحديث الغضب جمرة تتوقد فى قلب ابن آدم اماترى انتفاخ أوداجه واحمرار عينيه وفسر بشدة الغضب وهو غير مناسب هنا وان كان كل عدو غضبان على عدوه ولذا فسره بكثرة الموت والظاهر انه كناية عن زيادة هيجانها لانه يقال اشتعلت وأوقدت ومن قرب من النار ولازمها تحمر عينه فالمعنى اشتد القتال ودام مدة (اتقينا برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أى جعلناه وقاية لنا من العدو بان يتقدم علينا فيدفع العدو ونحن خلفه كما يشير اليه قوله (فما يكون أحد أقرب الى العدو منه) ولذا أمسكوا ببغلته صلى الله تعالى عليه وسلم يوم حنين كامر ولم ينكر عليهم وقد صارت هذه سنة فى الملوك وقت القتال حتى ان آل عثمان يقيدون فرسه (واقد رأيتنى) بضم التاء وهذا من خصائص أفعال القلوب وما ألحق بها من رأى البصرية والحلمية أن يكون فاعلها ومفعولها ضميرين متصلين لشئ واحد ورأى هذه بصرية كما فى قوله

ولقد أرانى للرماح درية * من عن يمينى تارة وامامى

وقد اختلف فى تعليل هذا كما فصل فى كتب النحو وكان الظاهر لقوله بعده (يوم بدر ونحن نلوذ بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم) ان يقول رأيتنا فكأنه عدل عنه اشارة الى ان كل أحد مشغول بنفسه لايرى غيره ومعنى نلوذ نستتر ونلتجئ اليه قال عزوجل قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا (وهو أقربنا الى العدو) منا الشدة شجاعته صلى الله تعالى عليه وسلم والمراد بالعدو الكفار (وكان من أشد الناس يومئذ بأسا) أى نكاية فى العدو كقوله تعالى والله أشد بأسا وأشد تنكيلا كما قاله الراغب وهذا الحديث أخرجه أحمد والنسائى والبيهقى فى الدلائل من طرق عنه وأخرج مسلم بعضه من حديث البراء بن عازب رضى الله عنه كما قاله السيوطى فى مناهل الصفا (وقيل كان الشجاع هو الذى يقرب منه صلى الله تعالى عليه وسلم اذا دنا العدو) أى قرب من المسلمين وقت المقاتلة (لقربه) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (منه) أى العدو وهذا من كلام البراء بن عازب رضى الله تعالى عنه الذى رواه مسلم فى صحيحه ولذا قيل ان قول المصنف رحمه الله قيل ليس فى محله لايهامه ضعفه (وعن أنس رضى الله عنه) هذا حديث صحيح اتفق عليه الشيخان (كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أحسن الناس) كلهم خلقا وخلقا (وأجود الناس) أى أكثرهم عطاء واحسانا (وأشجع الناس) افعل تفضيل ولا وجه لما قيل انه للتعجب ثم ذكر مايدل على شدة شجاعته صلى الله تعالى عليه وسلم فقال (لقد فزع أهل المدينة) اللام فى جواب قسم مقدر والمدينة مدينة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم علم لها

ليلة) أي خافوا تبييت العدو لما سمعوا صوتا أجنبيا في ناحية من نواحي المدينة ولا حاجة الى قول الدلجي من ان الفزع هو في الاصل الخوف ثم استعير ههنا للنصر والاستغاثة (فانطلق ناس) أي ذهب جمع من أهل المدينة (قبل الصوت) بكسر القاف وفتح الباء الموحدة أي الى جانبه ونحوه ليتحققوا ما به (فتلقاهم) أي المنطلقين (رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) حال كونه (راجعا قد سبقهم الى الصوت) أي منفردا (واستبرأ) ويروى وقد استبرأ (الخبر) أي تعرف حقيقة الأثر وكشف الامر وعرف عدم سبب الضرر وقال التلمساني استبرأ استقصى بهمز ويسهل وفيه نظر اذ لا يجوز تسهيل الهمز المتحرك المتطرف الا وقفا والاظهر من استبرأ أي بحث عن ذلك واستنقى ما ينقى هنالك (على فرس) أي حال كونه راكبا على فرس كائن (لابي طلحة) وهو أحد أصحابه (عرى) بضم فسكون أي لا سرج عليها للاستعجال في ركوبها والفرس هذا اسمه مندوب كما في الصحيح (والسيف في عنقه) أي متقلد به (وهو يقول) أي للقبلين أو لاهل المدينة أجمعين (لن تراعوا) بضم التاء والعين أي لا تخافوا مكروها يصيبكم (وقال) أي كما رواه أبو الشيخ في الاخلاق (عمران ابن الحصين) وفي نسخة صحيحة حصين الخزاعي وقد كانت الملائكة تصافحه وتسلم عليه حتى اكتوى وقيل كان يراهم (مالقي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كتيبة) بفتح كاف وكسر فوقية أي جماعة عظيمة من الجيش (الا كان أول من يضرب) أي يقبل على ضربهم ويتوجه الى حربهم ولا ينافي هذا ما سبق من انه عليه الصلاة والسلام ما ضرب بيده شيئا قط لا امرأة ولا خادما ولا غيرهما لانه مما من عام الا وخص فالمراد به ما عدا الكفار (ولما رآه أبي بن خلف) على ما رواه ابن سعد والبيهقي وعبد الرزاق مرسلا والواقدي موصولا (يوم أحد

بالغلبة في الفزع انقباض ونفار يعتري المرء مما يخاف وهو قريب من الجزع ولذا يقال خفت الله ولا يقال فزعت من الله تعالى كما قاله الراغب قال تعالى لا يحزنهم الفزع الاكبر أي من دخول النار ويكون الفزع بمعنى الاستغاثة قال * كنا اذا ما أتانا صارخ فزع (ليلة) منصوب على الظرفية أي في ليلة (فانطلق ناس) أي خرجوا من المدينة (قبل) بكسر القاف وفتح الباء بمعنى الجانب والجهة ظرف أي نحوه يقال ذهب قبل السوق قال الله تعالى فما للذين كفروا قبلك مهطعين ويكون بمعنى عند يقال لي قبله حق ويستعار للوسع والطاقة نحو فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها (الصوت) أي الذي سمعوه وخرجوا اليه فواخبره لظنهم انه عدو غار على من هنالك وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج قبلهم وحده لذلك فعرف ذلك ورجع (فتلقاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم) حال كونه (راجعا) من جانب سمع الصوت منه (قد سبقهم الى الصوت) أي المكان الذي سمع الصوت من جهته (وقد استبرأ الخبر) بمهملة ومثناة فوقية وموحدة وهمزة وقد تبدل ألفا أي وقف صلى الله عليه وسلم على حقيقته وفي الاساس استبرأت الشيء طلبت آخره لاقطع الشبهة عني واستبرأ الارض قطعها انتهى حال كونه راكبا (على فرس لابي طلحة) زيد بن سهل بن الاسود بن حرام الانصاري الصحابي وكان ذلك الفرس يسمى المندوب أي المطلوب أو لانه كان فيه ندب أي أثر جرح (عري) بضم العين وسكون الراء المهملتين مجرور صفة فرس ويقال في الآدمي عريانا اذا لم يكن له لباس ولغيره عري وقيل انه عري بضم العين وكسر الراء وتشديد المثناة التحتية بمعنى عري وليس في اللغة ما يساعده أي ليس على ظهره شيء من سرج أو غيره قال في المغرب فرس عري لا سرج عليه ولا لبد وجمعها عري لا يقال فرس عريانا كما لا يقال رجل عري واعرورى الدابة ركبها عريانا ومنه كان عليه الصلاة والسلام يركب الحمار معروريا وهو حال من ضمير الفاعل المستكن ولو كان من المفعول لقيل معرورى (والسيف في عنقه) أي حمائله معلقة في عنقه الشريف متقلدا به صلى الله تعالى عليه وسلم * واعلم ان هذا هو السنة في حمل السيف كما كما قاله ابن الجوزي لا شده في وسطه كما هو المعروف الآن (وهو يقول) لمن لقيه من أهل الفزع (لن تراعوا) لن هنا بمعنى لم ونفي الروع بفتح الراء بمعنى الخوف والمراد نفي سببه أي ليس هنالك شيء تخافونه واستدل بهذا الحديث على طهارة عرق الخيل وهذا حديث صحيح في الصحيحين (وقال عمران بن حصين) بكسر العين المهملة وسكون الميم وراء مهملة وحصين بمهملتين كتصغير حصن وهو صحابي خزاعي كان من فقهاء الصحابة وفضلائهم رضي الله تعالى عنه (مالقي النبي صلى الله عليه وسلم كتيبة) بفتح الكاف وكسر التاء المثناة فوقية وبالمثناة التحتية وباء موحدة هي الجيش المجتمع وقيل جماعة الخيل المغيرة من تكتبوا بمعنى تجمعوا ومنه الكتاب لجمعه الحروف (الا كان أول من يضرب) بسيفه ويقاتل وهو من قصر الصفة على الموصوف وهذا الحديث رواه أبو الشيخ في الاخلاق وفيه راو مجهول (ولما رآه) صلى الله تعالى عليه وسلم (أبي بن خلف يوم أحد) هو أبي بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح الكافر المشهور الذي طعنه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بحربته في وقعة أحد فوقع عن فرسه ولم يخرج منه دم وكسر ضلعه كما يأتي فهلك عدو الله وقول المزي في تهذيبه انه صلى الله تعالى

وهو) أي أبي (يقول أين محمد) سؤال عن مكانه (لانجوت ان نجا) دعاء على نفسه فاجابه الله فاهلكه ونجى حبيبه صلى الله تعالى عليه
وسلم وقد ورد البلاء موكل بالمنطق (وقد كان) أي أبي (يقول للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي قبل ذلك (حين افتدى) أي فك
نفسه باعطائه الفدية عنها (يوم بدر) ٥٢ متعلق بافتدى وظرف لقوله وهو (عندي فرس) أي عظيمة اسمها العود على ما في
رواية (أعلفها) بفتح همز وكسر لام أي أطعمها من العلف وأصل الفرس للانثى وقد يطلق على الذكر (كل يوم فرقا) بفتح الفاء والراء ويسكن كيلا يسع ثلاثة أصبع (من ذرة) بضم ذال معجمة وتخفيف راء نوع من الحبوب مختص بالدواب وفي النهاية لابن الاثير ان الفرق بالتحريك مكيال يسع ستة عشر رطلا وهي اثنا عشر مدا وثلاثة أصبع عند أهل الحجاز واما الفرق بالسكون فمائة وعشرون رطلا (اقتلك عليها) أي أريد ان اقتلك حال كوني عليها (فقال له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنا أقتلك) أي عليها أو على غيرها (ان شاء الله) وقد نال هواه بصدق متمناه والاستثناء امتثال لقوله سبحانه وتعالى ولا تقولن لشئ اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله وهذه جمل معترضة بين لما ومادل على جوابها من افادة صدورها في بدر قيل لانه
رؤيته له في أحد (فلما رآه) أي أبي بن خلف النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (يوم أحد شد أبي على فرسه) جواب لما الثانية دال على جواب
الاولى كقوله تعالى فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به بعد قوله ولما جاءهم كتاب الآية والمعنى هنا حمل أبي مستعليا عليها بقوة كائنة (على
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

عليه وسلم أخبر بانه يقتل أبي بن خلف نخدشه يوم بدر أو أحد فمات ذكره بالترديد بين بدر وأحد لا وجه له ويوم أحد ظرف لرؤيته (وهو يقول) حال من أبي (أين محمد) سؤال عن المكان * فان قلت كيف يسئل عن مكانه وهو قال انه رآه * قلت ان السؤال ليس على حقيقته بل مجاز عن تمكنه منه وظفره به أو التقدير أين يذهب محمد او الظرف ممتد وقع جميع ذلك فيه فهو في وقت واحد وان تقدم وتأخر (لا نجوت ان نجا) دعاء على نفسه بالهلاك ان نجا الله تعالى حبيبه ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم وقد أجاب الله دعاءه فاهلكه ونجا رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم والفال موكل بالمنطق (وقد كان) أبي (يقول للنبي صلى الله عليه وسلم حين افتدى يوم بدر) قيل يوم بدل من حين وافتدى مبني للفاعل ومفعوله محذوف أي افتدى أسيراله وهو ابنه عبد الله والافتداء اعطاء الفدية لافتكاك الاسير فالمراد بحين الافتداء يوم بدر بتمامه لا الزمان الضيق الذي وقع الافتداء يوم بدر فيه لان الظاهر انه لم يقل وعيده له صلى الله تعالى عليه وسلم الآتي الاقبل ان يفتدي لا حين الافتداء وقيل يوم بدر ظرف لمحذوف يدل عليه افتدى أي افتدى أسيره يوم بدر فهو متعلق باسيره أي من أسر يوم بدر وهو ابنه ولا يستقيم كونه بدلا من حين لان الافتداء وقع بعد وقعة بدر بالمدينة وأبي قال ما قال حين افتدى لا بعده وكأن من قال ان ذلك وقع قبل ان يفتدي ظن ان الكفار لم يكونوا يدخلون المدينة بالامان فالاسر وقع ببدر والافتداء بالمدينة فلا تنافي البدلية فتأمل (عندي فرس أعلفها) الفرس يقع على الذكر والانثى وانثها هنا لانها كانت انثى وقد ورد في الحديث تذكيرها وتأنيثها بحسب المراد والقرائن وقال التلمساني أعلفها هو الصواب وفي السير أعلفه بضمير المذكر وأصل الفرس الانثى وقد يقال للانثى فرسة وهو كلام مشوش والذي في الصحاح انه يقع على الذكر والانثى ويصغر على فريس وان أردت الانثى خاصة لم تقل الا فريسة بالهاء عن أبي بكر بن السراج انتهى فلا وجه لقوله الصواب واسم فرسه العود بوزن الضرب وعينه وداله مهملتان والعلف مأكول الحيوان (كل يوم فرقا) بفتح الفاء والراء المهملة ويجوز تسكينها وقيل لا يجوز وهو مكيال يسع ستة عشر رطلا وتحريكه وتسكينه بمعنى وقيل المسكن مائة وعشرون رطلا والمحرك ستة عشر رطلا (من ذرة) بيان للفرق بضم الذال المعجمة وفتح الراء المهملة المخففة وهاء نوع من الحبوب معروف وقيل ان غزوة أحد كانت في شوال سنة ثلاث وقيل الظاهر ان المراد هنا الفرق بالتحريك لان الفرس لا يعلف ذلك المقدار كما لا يخفى (أقتلك عليها) صفة بعد صفة أو هي جملة مستأنفة في جواب سؤال مقدر وقيل انها حال وهو بعيد وان صح ان يكون حالا منتظرة (فقال له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنا أقتلك ان شاء الله) فحقق ما أوعده وكان انما علف فرسه لشقوته وهلاكه سريعا كالحافر بظلفه على حتفه ولكل باغ مصرع (فلما رآه) أي رأى أبي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (يوم أحد) اليوم على ظاهره أو بمعنى مطلق الزمان أو المراد به الواقعة على حذو قولهم أيام العرب (شد أبي) بن خلف الشقي أي عدا وأسرع قال الراغب يقال شد فلان واشتد اذا أسرع ويجوز ان يكون من قولهم اشتدت الريح وأصل معنى الشدة القوة (على فرسه على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) الجاران متعلقان بشد وان كان لا يجوز تعلق حرفي جر بمعنى بمتعلق واحد اما

فاعترضه) أى حال بين أبى وبينه صلى الله تعالى عليه وسلم (رجال من المسلمين) أى يصدونه عنه ويدفعونه منه (فقال صلى الله تعالى عليه وسلم) أى لاصحابه (هكذا) أى مشيرا الى جانب أبى (أى خلوا طريقه) أى أبى فان جوابه على والمعنى تنحوا عنه ولا تحولوا بينى وبينه (وتناول الحربة) أى أخذها (من الحارث بن الصمة) بكسر الصاد وتشديد الميم فتاه أبو عمرو بن عتيك الخزرجى الانصارى أبو سعد آخى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بينه وبين صهيب وكسر بالروحاء فى غزوة بدر فرده عليه السلام ثم ضرب له باجره وسهمه وثبت معه عليه الصلاة والسلام يوم أحد هذا وقال ابن الاثير فى النهاية ان كعب بن مالك ناوله الحربة ولا منع من الجمع (فانتفض بها) أى حرك بالحربة (انتفاضة) أى تحريكا شديدا وهزا شديدا (تطايروا) من الطيران أى تنحوا وتبعدوا (عنه) أى تفرقوا عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أو عن أبى والمتفرقون أما المسلمون واقتصر عليه الانطاكى وأما المشركون وهو أبلغ وأنسب بقوله (تطاير الشعراء) بفتح المعجمة وسكون المهملة وبالمد جمعه شعر بضم فسكون أى كتطاير ذباب أحمر أو أزرق يقع على الحيوان فيؤذيه أذى شديدا وفى رواية تطاير العشار برقال صاحب النهاية وفى الحديث تطاير الشعر بضم الشين وسكون العين وهو جمع الشعراء ويروى الشعار بر وقياس واحده شعرور انتهى قال التلمسانى قوله الشعر هكذا بخط القاضى فى الاصل وفى تصحيح أبى العباس العرفى الشعراء (عن ظهر البعير اذا انتفض) أى تحرك البعير تحركا شديدا

لانه قيد الشد والعدو بانه على فرسه لا على رجليه ثم قيده به بعد تقييده بالاول فيتغاير المتعلق معنى لان الاول يقيده وهو مطلق والثانى تعلق بالمقيد كما حققه صاحب الكشاف فى قوله تعالى كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا أو الاول مستقر حال أى راكبا على فرسه والثانى لغو وشد جواب لما الثانية دالا على جواب الاولى (فاعترضه رجال من المسلمين) أى حالوا بينه وبين رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ليدفعوه ويصدوه عنه أو قصدوا نحوه وجهته (فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هكذا) أى تنحوا ولا تحولوا وتعترضوا بينى وبينه فهكذا هنا اسم فعل أمر بمعنى أتركوا سبيله قال السهيلى رحمه الله تعالى فلا يعمل فيه ما قبله كما اذا قلت جلس هكذا أى على هذه الحالة أو يقدر له عامل تقديره ارجعوا هكذا ثم استغنى عنه وقام هكذا مقامه وأصله مركب من هاء التنبيه وكاف التشبيه وذا اسم اشارة والى كونه انسلخ عن معناه أشار بقوله (أى خلوا طريقه) أى اجعلوها خالية من حائل بينى وبينه (وتناول) أى أخذ صلى الله تعالى عليه وسلم بيده (الحربة) بوزن الضربة وهى واحدة الحراب بوزن رجال وهى قناة صغيرة سميت بها لانها من آلات الحرب وقيل ان هذه الحربة كانت للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم لانه كان لا يرى مشاركة فى جهاده وسفره فى سبيل الله ولهذا اشترى من أبى بكر رضى الله تعالى عنه راحلته التى هاجر بها والاظهر انها كانت للحارث وربما استعان بغيره من أصحابه كما أشار اليه بقوله (من الحارث ابن الصمة) بكسر الصاد المهملة وفتح الميم المشددة وهاء التأنيث ومعناه الشجاع المصمم فى أموره ثم نقل علما وهو أعنى الحارث بن الصمة بن عمرو بن عتيك الانصارى الصحابى شهد مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بدرا وغيرها من المشاهد وقتل ببئر معونة وذكر ابن الاثير ان الذى ناول رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الحربة كعب بن مالك وبين الروايتين مخالفة وجمع بينهما بانه تناولها من أحدهما فسقطت منه فناولها الآخر أو ان أحدهما وهو الذى معه الحربة كان بعيدا منه فناولها آخر قريبا منه فسلمها له بيده ولا بد من التوفيق فان الروايتان صحيحتان والقصة واحدة (فانتفض بها انتفاضة) أصل معنى النفض بالنون والفاء والضاد المعجمة ازالة الغبار ونحوه عن ثوب أو شجر قال أبو ذؤيب

تنفض مهدة وتذود عنه * وما تغنى التمائم والعكوف

ويقال نفض وانتفض اذا اهتز ونفض الصبغ اذا أثر لونه فى غيره وذكر نصيب عن بناته فقال

* نفضت عليهن لونى * وقلت فى أول قصيدة

نفضت على صباغها أيام * نفض البياض بها قليل قيام

وهو هنا استعارة أى قام بها قومة سريعة وضمير بها للحربة وما قيل انه مستعار من انتفاض الطائر قال

* كما انتفض العصور بلله القطر * غير مناسب هنا الا أن يقال باءه للتعدية والمعنى انه هزها وقيل معناه تحرك وحركها والابلغ الاحسن ان يقال انه استعارة تمثيلية يلزمها تشبيههم بانهم كالذباب المؤذى الواقع المتهافت فيفيد هجومهم عليه وتشبيه نهوضهم بفحل اهتز ليزيل ذبابا وقع عليه لقوله (تطايروا عنه تطاير الشعراء عن ظهر البعير اذا انتفض) وتطايروا بمعنى تفرقوا فارين بسرعة كالطيور والشعراء بفتح الشين المعجمة وسكون العين المهملة وراء مهملة بعدها همزة ممدودة ذبابة لها ابرة وفى نسخة البرهان بفتح العين الا أنه لم يثبت وقال القتيبى الشعر جمع شعراء وهى ذباب صغار حمر تؤذى

الدواب وقيل زرق وقيل كثيرة الشعر وفي رواية تطائر الشعار بروهي جمع بمعنى الشعر وقياس واحده شعروى وقيل هي ذباب يجتمع على دبر البعير وفي الروض الانف الشعراء ذباب صغير له لدغ وفي المثل وقيل للذئب ماتقول في غنيمة تحرسها جو يرية قال شحم في ظفر قيل فماتقول في غنيمة يحرسها غايم قال شعراء في ابطي أخشى خطواته وهي سهام تتعلم الغلمان بها الرومي وروى فزجله بالحربة أي رمى بها انتهى قيل رواية الشعراء أنسب لان الواحد لا يتطاير * أقول هذه زبدة القيل والقال وما أنكر من فتح العين لا وجه له فان تحريك حرف الحلق لغة قال بعض النحاة انها تطرد فيقولون في بحر وشعر بحر وشعر والشعراء ليس مفردا بل اسم جمع كالطرفاء فلا وجه لما قيل ان الانسب الشعر وقول بعضهم الشعراء جمع شعر كانه تحريف واعلم ان ضمير تطاير والكفار الذين كانوا هجموا مع أبي وقيل أنه للصحابة رضي الله تعالى عنهم وتطايرهم عنه صلى الله تعالى عليه وسلم باذنه ليكشفوا له عن أبي ولا يخفى انه لا يناسب هذا بوجه تشبيههم بالشعراء ولا تطايرهم كما لا يخفى (ثم استقبله) أي قام النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ومشى اليه بالحربة (فطعنه في عنقه طعنة تدأدأ منها عن فرسه مرارا) تدأدأ بمثناة فوقية ودالين مهملتين وهمزتين أي تدحرج وسقط وقيل مال وضمير منها للطعنة ومثله تدهده وقيل الهاء بدل من الهمزة وفي رواية تردى أي وقع (وقيل) لم يطعنه صلى الله تعالى عليه وسلم في عنقه (بل كسر ضلعا من أضلاعه) بكسر الضاد المعجمة وفتح اللام ويجوز تسكينها مع كسر الضاد وفتحها عظم معروف وقال الاخفش في الجنب الايمن تسع اضلاع وفي الايسر ثمان وما نقص منه تام في النساء وهو الذي خلقت منه حواء ولذا روى عن أبي حنيفة في الخنثى المشكل انه يحكم فيه بانه أنثى بتمام اضلاعه وعكسه وقال التلمساني رواية طعنه أقوى لان المعروف الطعن بالرمح وفيه نظر وقيل انه صلى الله تعالى عليه وسلم طعنه فوقع عن فرسه فكسر ضلعه وفيه جمع بين الروايتين وهو حسن (فرجع) أبي (الى قريش) وهو (يقول قتلني محمد) جملة يقول حالية أي قائلا وعبر بالماضي لتحققه الموت (وهم يقولون لا بأس بك) البأس بهمزة ساكنة وتبدل ألفا كما مر وهو اسم لا مبني على الفتح والبأس الشدة والموت والالم وهذا هو المناسب ويقال لا بأس عليك ولا بأس بك للتسلية أو الدعاء له بان لا يصيبه شئ من البأس وفي نسخة عليك بدل بك وهما بمعنى (فقال لو كان مابي) من الالم والشدة التي أجدها في نفسي موزعا وحالا (بجميع الناس لقتلهم) فكيف أتحمل أنا وحدي هذا وأسلم منه (أليس قد قال) صلى الله تعالى عليه وسلم حين توعده (أنا أقتلك) قيل أصله أقتلك أنا فقدم المسند اليه للحصر أي أنا لا غيري أقتلك وحدي لا يشاركني أحد ولا يساعدني في قتلك الا الله حتى قيل ان قوله تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى نزلت فالقصر قصر افراد والظاهر أنه قصر قلب فهو المناسب للرد عليه أي أنا أقتلك لا أنت تقتلني فتدبر (والله لو بصق علي لقتلني) البصق رمي ماء الفم ويقال بالصاد والسين والزاي وانما قال ذلك لتحقق صدقه صلى الله تعالى عليه وسلم فيما قاله (فمات) الملعون من تلك الطعنة (بسرف) بسين مهملة مفتوحة وراء مهملة مكسورة وفاء اسم موضع وقيل اسم جبل قريب من مكة على ستة اميال أو سبعة أو تسعة أو اثني عشر على اختلاف فيه واسم مكان موته مناسب له لانه كان مسرفا على نفسه كما قيل

اختبر الارض باسمائها * واختبر الصاحب بالصاحب

(في قفولهم) أي الكفار (الى مكة) أي مات وقد رجعوا من أحد الى مكة والقفول معناه الرجوع

(ثم استقبله النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي توجه الى أبي حتى وصله (فطعنه في عنقه طعنة تدأدأ) بفتح فوقية وهمزة ساكنة بين دالين مهملتين ثم همزة مفتوحة قيل وأصل الهمزتين هاآن وقيل يبدلان أي تدحرج وقيل تمايل وفي أصل الدلجي تردى أي سقط (منها) أي من أجل ضربة تلك الحربة (عن فرسه مرارا) لما غشيه من مرارة الالم وحرارة الهم (وقيل بل كسر) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بقوة ضربه (ضلعا) بكسر معجمة ففتح لام وتسكن أي واحدا (من اضلاعه) أي عظام أحد جوانبه (فرجع الى قريش يقول قتلني محمد وهم يقولون لا باس بك) وفي نسخة عليك (فقال لو كان مابي) أي لو نزل مثل ما معي من الالم (بجميع الناس لقتلهم) أي صار سببا لقتلهم (أليس قد قال أنا أقتلك) أي بقيد ان شاء الله تعالى (والله لو بصق علي) أي لو رمى ببزاقه على بدني بقصد قتلي (لقتلني) أي ابرارا لكلامه واظهارا لمرامه (فمات) أي أبي المسرف في عمره للاشتغال بكفره (بسرف) بفتح مهملة وكسر راء ففاء ممنوعا ويجوز صرفه مكان على ستة أميال من مكة كان فيه زواج ميمونة زوج النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في عمرة القضاء واتفق انها ماتت به بعد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وفيه قبرها وبني مسجد عليها (في قفولهم) بضم قاف ففاء أي رجوع الكفار من أحد وهو معهم وفي أصل الدلجي من رجوعه (الى مكة) وتسميتهم ولا ينافيه ماذكره البغوي في تفسيره انه مات بمكة لان سرف

من توابعها هذا وقد قال النسفي في تفسيره ولم يقتل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بيده غيره انتهى وبالجملة فكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أشجع الناس كما يومي اليه قوله تعالى يا أيها النبي جاهد الكفار مع ما ورد من اعطائه قوة ثلاثين رجلا وربما يقاوم بعض الرجال ألفا كبعض أصحابه من المهاجرين والانصار رضي الله تعالى عنهم أجمعين بل له من القوت الالهية التي تعجز عنها القوى البشرية والملكية هذا وقيل الشجاعة صبر ساعة وقيل الشجاع هو الذي يميز النصراني الذي يقصده هل هو أكحل الحدقة أو أزرقها عند المقابلة وقيل هو الذي يميز كيف أمسك عدوه الرمح وقيل هو الذي يأتي عدوه وهو يسير السير الرفيق الذي يسير به بين بيوت قومه ونقل عن بعض الشجعان انه اذا رأى القوم مقبلين اليه نزل عن فرسه وتوسد حتى اذا وصلوا اليه نهض نحوهم وسألوه عن حالته في المطاعنة فقال ما ضربت قط برمحي الا وأنا أميز بين ان أضرب به قائم السن أو منبسطا أو أتخير حيث أضرب وهذا نهاية الشجاعة والاقدام وقد سبق نزوله عليه الصلاة والسلام في أثناء محاربة الاقوام وقال

مهلهل في هذا المرام
لم يطيقوا ان ينزلوا فنزلنا
وأخو الحرب من أطاق النزولا

(فصل)

(وأما الحياء) وهي حالة تعتري من له الحياة الكاملة وقال ابن دقيق العيد الحياء تغير وانكسار يعرض للانسان لخوف ما يعاب به أو يذم عليه وقيل الحياء حالة تنشأ عن رؤية التقصير (والاغضاء) وهو لغة ارخاء الجفن الى حيث يقارب الانطباق فهو دون الاغماض وقد يتوافقان معنى ومنه قوله تعالى الا أن تغمضوا فيه ومنه قول الفرزدق في علي بن الحسين

وتسميتهم القافلة قافلة تفاؤلا برجوعها كما سمي الملدوغ سليما فانكار الحريري وتخطئته فيه لا وجه له وهذا الحديث صحيح رواه البيهقي في الدلائل عن عروة بن الزبير وسعيد بن المسيب مرسلا وعبد الرزاق في مصنفه والواقدي في مغازيه وابن سعد في طبقاته وقيل انه قال هذه المقالة بمكة لما خاص ابنه من الاسر ورجع به وكان ابن عمر رضي الله تعالى عنهما يقول انه مات ببطن رابغ وان أسيرا من المسلمين مر وهو أسير برابغ فرأى بعد هدوء من الليل نارا فهابها فلما دنا منها خرج رجل في سلسلة يصيح العطش ومعه رجل يقول لا تسقه فانه أبي بن خلف قتيل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت سحقا له

(فصل وأما الحياء والاغضاء) الحياء ممدود وهو في اللغة ضد الوقاحة وفعله استحيي يستحيي بياءين وتحذف احداهما تخفيفا والاغضاء أصل معناه ارخاء الجفون قريبا من الانطباق وهما متغايران لغة وعرفا ويدل عليه قول الفرزدق

يغضي حياء ويغضى من مهابته * فما يكلم الا حين يبتسم

(فالحياء رقة) الرقة ضد الغلظ ورقة القلب أن لا يكون فيه قسوة وجفاء قال الراغب الرقة كالدقة لكن الدقة تقال باعتبار جوانب الشئ والرقة باعتبار عمقه وهي في الجسم ضد الصفاقة وفي النفس تضاد الجفوة والقسوة (تعتري) أي تعرض وتحدث (وجه الانسان) فيكون فيه ما يدل عليه كحمرته عند الخجل (عند فعل ما يتوقع كراهته) لم يقل ما يكره لان من يراه قد لا يكرهه فالمراد ما من شأنه أن يكره (أو ما يكون تركه خيرا من فعله) وان لم يكره وقال الراغب الحياء انقباض النفس عن القبائح وتركها وفي الحديث (ان الله يستحيي من ذي الشيبة المسلم أن يعذبه) وليس المراد به انقباض النفس لتنزه الله سبحانه وتعالى عنه وانما المراد به ترك تعذيبه وقال النووي هو خلق يمنع من القبيح ومن التقصير في الحقوق وقال الزمخشري هو تغير وانكسار يلحق من فعل أو ترك ما يذم به وله تفصيل في تفسير البيضاوي كما بيناه في حواشيه فانظره (والاغضاء) في عرف اللغة (التغافل) أي اظهار الغفلة عما ليست فيه والمراد التجاوز (عما يكرهه الانسان بطبيعته) وان لم يكره شرعا (وكان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أشد الناس حياء وأكثرهم عن العورات) جمع عورة وهي كل ما يقبح اظهاره ولذا

يغضي حياء ويغضى من مهابته * فما يكلم الا حين يبتسم

(فالحياء رقة تعتري وجه الانسان) أي تغشاه والمعنى تظهر من باطنه على ظاهره (عند فعل ما يتوقع) بصيغة المفعول أي عند ارادة فعل شئ يتوقع (كراهته) وفي نسخة كراهيته بزيادة ياء مخففة أو مشددة (أوما) أي أو عند ارادة فعل شئ (يكون تركه خيرا من فعله) والاول حياء الابرار والثاني حياء الاحرار واذا وصف به ربنا سبحانه وتعالى كما ورد في الكتاب والسنة فالمراد به الترك اللازم للانقباض (والاغضاء التغافل) أي التجاوز (عما يكره الانسان بطبيعته) أي بسجيته لا بشريعته اذ المنكر وشرعا هو الداعي الى الدين فان الدين النصيحة ولان الحياء من العلم مذموم على ما في رواية الصحيحة (وكان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أشد الناس) أي أقواهم (حياء وأكثرهم) بالنصب (عن العورات) متعلق بقوله

(اغضاء) وأخر مراعاة للسجع ونصب حياء واغضاء على التمييز وأثر الحياء بالاشدية لكونه سببا للاغضاء والسبب أقوى من مسببه لكونه منشاه و بعض اثره والعورات بسكون الواو جمع عورة وهى كل ما يجب ستره اذ الغالب عند كشفها ادراك المعرة لمن انكشفت منه فهى عورة مادامت منكشفة ومنه ما ورد اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا (قال الله سبحانه وتعالى ان ذلكم) أى مكثكم فى بيته مستأنسين لحديث بعضكم بعضا (كان يؤذى النبى) أى وأنتم ما تدركونه (فيستحيى منكم) أى من اخراجكم (الآية) أى قوله تعالى والله لا يستحيى من الحق أى من اظهاره فلا يترك بيان اسراره وكفى به شاهد العقلاء فى تاديب الثقلاء (حدثنا أبو محمد ابن عتاب) بفتح مهملة وتشديد فوقية وقد تقدم ترجمته (رحمه الله) جملة دعائية (بقراءتى عليه) أى الحديث الآتى (ثنا) أى حدثنا (أبو القاسم حاتم بن محمد) أى التميمى المعروف بابن الطرابلسى قرأ عليه أبو على الغسانى البخارى مرات (ثنا أبو الحسن القابسى) بكسر الموحدة (ثنا أبو زيد المروزى) بفتح الميم وسكون راء وفتح واو فزاى (ثنا محمد بن يوسف) أى الفربرى (ثنا محمد بن اسمعيل) أى البخارى (ثنا عبدان) بفتح مهملة وسكون موحدة فدال يقال تصدق بالف ألف (ثنا عبد الله) أى ابن المبارك المروزى شيخ خراسان وقال الحبى أبوه تركى ابن
مولى تاجر وأمه خوارزمية وقبره بهيت يزار و يتبرك به (انا) أى أخبرنا (شعبة عن قتادة سمعت عبد الله) أى ابن أبى عتبة (مولى أنس) أى ابن مالك (يحدث عن أبى سعيد الخدرى) كما فى الصحيحين وأخرجه الترمذى فى الشمائل وابن ماجه فى الزهد

كنى عن سوأة الانسان وعن المرأة بالعورة وهى مأخوذة من العار (اغضاء) أى سكوتا وتجاوزا والاغضاء يتعدى بعن وعلى وعبر فى جانب الحياء بالاشدية وفى الاغضاء بالاكثرية لان الحياء كيفية نفسانية تنشأ عنها كيفية حسية تقبل الشدة والضعف والاغضاء فعل من الافعال يكثر ولا تزيد كيفيته من حيث هو وقيل لان الاغضاء نوع احتمال وحلم وعفو عمن وقع فى مكروه وهو مسبب عن الحياء والسبب أقوى باعتبار انه منشأ للمسبب عنه وفيه نظر ثم استدل على ان هذه الصفة الحميدة موجودة فيه صلى الله تعالى عليه وسلم فقال (قال الله سبحانه وتعالى ان ذلكم) أى مكثهم فى بيت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم مستأنسين لحديث بعضهم لبعض (كان يؤذى النبى فيستحيى منكم الآية) والله لا يستحيى من الحق وكان صلى الله تعالى عليه وسلم بنى بزينب بنت جحش وأولم بشاة وتمر وسويق وأمر أنسا بدعوة الصحابة لذلك فدعاهم فجعلوا يجيئون و يأكلون ويخرجون ويجىء آخرون الى ان بقى ثلاثة نفر فاطالوا المكث يتحدثون فتأذى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك وكان شديد الحياء فنزلت الآية فى حقهم أى ان ذلكم اللبث كان يؤذى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لضيق منزله فيستحيى منكم أن يأمركم بالخروج منه وهذا من الآداب الشرعية فيستحب لمن زار أحدا ولو بدعوة أن يظهر القيام للذهاب ثم يذهب مالم يقل له امكث عندى وقد قال السلف رحمهم الله تعالى من زار وخفف وقيل لبعضهم هل نزل فى الثقلاء قرآن فقال نعم فاذا طعمتم فانتشروا وللسيوطى تاليف لطيف فى هذا (حدثنا أبو محمد بن عتاب بقراءتى عليه) تقدمت ترجمته وقيد روايته عنه بقراءته عليه وهو يسمع وهو العرض والصحيح صحة ذلك الا أنه اختلف فى كونها دون قراءة الشيخ أو مثلها أو فوقها على ثلاثة أقوال وتفصيله فى ابن الصلاح قال (حدثنا أبو القاسم حاتم بن محمد) بن عبد الرحمن بن حاتم المعروف بابن الطرابلسى وتكنيته بابى القاسم غير منكرة لاختصاصه بحياته صلى الله تعالى عليه وسلم أو لانه انما يكره الجمع بين الاسم والكنية والخلاف فيه مشهور كما سيأتى قال (حدثنا أبو الحسن القابسى) ابن محمد بن خلف الامام الحافظ منسوب لقابس بلدة بالمغرب وقد تقدمت ترجمته قال (حدثنا أبو زيد المروزى) بفتح الميم وسكون الراء المهملة وفتح الواو والزاى تقدم الكلام فيه وفى نسبته قال (حدثنا محمد بن يوسف) هو الفربرى وقد تقدم قال (حدثنا محمد بن اسمعيل) هو البخارى وقد روى هذا الحديث مسندا فى صفته صلى الله عليه وسلم وكذا أخرجه مسلم فى قضائه قال (حدثنا عبدان) بفتح العين المهملة وسكون الموحدة والدال المهملة وألف ونون وهو عبد الله بن عثمان بن جبلة بن أبى رواد العتكى المروزى أبو عبد الرحمن الحافظ توفى سنة احدى وعشرين ومائتين وخرج له أصحاب الكتب الستة قال (أنبأنا عبد الله) بن المبارك بن واضح الحنظلى التميمى الزاهد شيخ خراسان ومسندها له مناقب مشهورة وروى عنه أصحاب الكتب الستة وغيرهم وتوفى سنة احدى وثمانين ومائة وولد سنة ثمانية عشر ومائة وقبره بهيت يزار قال (أخبرنا شعبة) تقدمت ترجمته (عن قتادة) تقدم أيضا (قال سمعت عبد الله مولى أنس) هو ابن أبى عتبة مولى أنس رضى الله تعالى عنه وقيل اسمه عبيد الله مصغرا وذكره ابن حبان فى الثقات مكبرا وهو يروى عن أنس وعائشة رضى الله تعالى عنهما وروى عنه كثير وأخرج له أصحاب الكتب الستة وهو بصرى صدوق ثقة (يحدث عن أبى سعيد الخدرى) ابن مالك

(كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أشد حياء من العذراء) بفتح المهملة فسكون المعجمة وبالراء والمد أي حياؤه أشد حياء من البنت العذراء وهي من لم تزل عذرتها اي جلدة بكارتها (في خدرها) بكسر خاء معجمة وسكون دال مهملة أي حال كونها في داخل سترها فانها حينئذ أشد حياء من غيرها وذهابه عنها عادة لمخالطتها ولذا نزل سكوتها منزلة اذنها في باب نكاحها ولو مع وليها (وكان اذا كره شيئا عرفناه في وجهه) اي عرفنا انه كرهه بتغير وجهه ولو لم يتكلم بوجهه لان وجهه مثل الشمس والقمر فاذا كره

ابن سنان الخدري وقد تقدم الكلام عليه وان الخدري بدال مهملة (كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أشد حياء من العذراء في خدرها) وهذا الحديث صحيح أخرجه الشيخان والترمذي وابن ماجة والمصنف أخرجه من طريق البخاري وحياء ممدود تقدم معناه وبالقصر المطر وهو منصوب على التمييز المحول عن الفاعل والعذراء بعين مهملة وذال معجمة وراء مهملة ومد البكر الباقية بعذرتها وهي جلدة يلتحم بها الفرج فاذا جومعت زالت فيقال افتضها وازال عذرتها ومنه يقال لمن فعل ما لم يسبق اليه أبو عذره وأبو عذرته والخدر بكسر الخاء المعجمة وسكون الدال وبالراء المهملتين هو البيت او ستر في جانب البيت اوقبة تضرب لها * فان قلت البكر في خبائها بين اهلها وابويها وهي لا تحتجب عنهم ولا تستحي منهم كاستحيائها من الاجانب فكان الظاهر ان يقال العذراء في غير خدرها لما فيه من المبالغة * قلت المراد بكونها في خدرها انها لم تخرج بسبي وتزوج ونحوه لانها اذا اخرجت بذلك قل حياؤها وزال حجابها وقيل المراد التعميم وان العذراء في خدرها اشد حياء لكونه مظنة الاجتماع بها والظاهر ان المراد تقييده بما اذا دخل عليها في خدرها لا حيث تكون منفردة قاله ابن حجر ولا يخفى ما فيه فانه لا دلالة في اللفظ على ما قاله فالحق ما سمعته اولا (وكان) صلى الله تعالى عليه وسلم (اذا كره شيئا عرفناه في وجهه) اي عرفنا انه كرهه بعلامات تلوح في وجهه الشريف كتغيره وغض بصره ونحوه والمراد انه اذا لم يكن في حدود الله تعالى وحقوقه فلا يؤاخذ احدا بما يكره كما قال الصرصري

فاق العذارى في الخدور حياؤه * لا يجد فيه لصاحب او شاني

(وكان صلى الله تعالى عليه وسلم لطيف البشرة) تقدم معنى اللطيف والبشرة بفتح الباء الموحدة والشين المعجمة والراء المهملة هي ظاهر جلد الوجه والجسد كله ومنه البشارة لظهور آثار الفرح بها في الوجه وهذا كالعلة لمعرفة ذلك في وجهه الشريف لانه صلى الله تعالى عليه وسلم للطف بشرته يظهر فيها ذلك وكذا قوله (رقيق الظاهر) اي ما يظهر من بدنه رقيق يظهر فيه بسرعة آثار الانفعالات النفسية ولا وجه لتفسيرها بانه يستحي كما قاله التلمساني (لا يشافه أحدا) اي لا يكلم صلى الله تعالى عليه وسلم احدا ولا يواجهه (بما يكرهه حياء وكرم نفس) منصوب مفعول له أي يترك ذلك تكرما منه صلى الله تعالى عليه وسلم لا خوفا ومداراة (وعن عائشة رضي الله تعالى عنها) هذا حديث رواه أبو داود في سننه مسندا (كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا بلغه عن أحد ما يكرهه لم يقل ما بال فلان يقول كذا) البال هو الحال والشان وما استفهامية مبتدأ وخبر عن بال وجملة يقول حال او مفسرة للبال (ولكن يقول ما بال أقوام يصنعون او يقولون كذا) اشارة وكناية عما يكره فلا يعين الصانع او القائل وفلان وفلانة كناية عن أسماء الآدميين والفلان والفلانة كناية عن أسماء غيرهم (ينهى عنه ولا يسمي فاعله) بصريح اسمه بل يكني عنه ونهيه عما انكره مأخوذ من الاستفهام الانكاري وسياق الكلام في قوله ما بال فلا يقال انه ليس في الكلام نهي (وروى أنس رضي الله تعالى عنه) هذا الحديث رواه أبو داود

شيأ كسا وجهه ظل كالغيم عليهما (وكان لطيف البشرة) بفتحتين أي رقيق الجلدة العليا اي يتغير بادنى كراهة والجملة كالعلة المبنية للسابق (رقيق الظاهر) تأكيد لما قبله اي يسرع أثر الحياء عليه ولله در القائل

اذا قل ماء الوجه قل حياؤه
ولا خير في وجه اذا قل ماؤه

أو معناه كان لينا سهلا رقيقا مهلا (لا يشافه) اي لا يواجه (احدا بما يكرهه) أي لا يخاطبه تصريحا بل يظهره تلويحا أو لا يخاطبه حاضرا او يؤيده ما سيأتي وأصل المشافهة هو المخاطبة من فيه الى فيه ثم توسع فيه فقيل بمعنى واجهه ومنه حديث كلمة شفاها (حياء وكرم نفس) أي من أجل كثرة حيائه وكرم نفسه في سخائه وقد ورد ان الحياء خير

 كله ولا يأتي الا بخير وانه شعبة من الايمان (وعن عائشة رضي الله تعالى عنها) كما رواه داود (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا بلغه عن أحد ما يكرهه) اي شيء لا يعجبه (لم يقل ما بال فلان) أي حاله وشانه بتعيين اسمه أو وسمه او رسمه (يقول كذا) اي او يفعل كذا (ولكن يقول) أي منكرا له (ما بال اقوام بصيغة الجمع) لافادة عموم الحكم له ولغيره مع الابهام (يصنعون) اي يفعلون (أو يقولون شك) من الراوي أو أراد به تنويع الصنفين من الفعل والقول (كذا اشارة الى ما أنكره ينهى عنه) أي عما انكره تلويحا (ولا يسمي فاعله) اي تصريحا اذ المقصود المعتبر هو نهي المنكر لا خصوص فاعله من البشر (وروى أنس) كما رواه أبو داود

(انه) أى الشأن او النبي عليه السلام (دخل عليه رجل) وهو غير معروف (به أثر صفرة) اى بعينه أو علامة من طيب كزعفران ونحوه (فلم يقل له شيئا) أى مشافهة (وكان لا يواجه أحدا) أى لا يقابله (بما يكره) أى حياء (فلما خرج) أى الرجل (قال) أى لاصحاب مجلسه (لو قلتم له يغسل هذا) اى الاثر الذى به لكان حسنا فالجواب مقدر ولو للتمنى وقوله يغسل خبر معناه الامر أو التقدير ليغسل (ويروى ينزعها) بكسر الزاى أى يزيلها او يفسخ المتلطخ بها وانما كرهها الا انها من زى النساء وحليهن واما قول التلمسانى ينزع بفتح الزاى لا غير فوهم بناء على ماهو المفهوم من القاموس انه بكسر الزاى ومنه قوله تعالى ينزع عنهما بكسر الزاى اتفاقا نعم شرط الفتح موجود لكن لا يلزم من وجود الشرط وجود المشروط بخلاف عكسه كما هو مقرر فى محله ثم اعلم ان هذه الاخلاق الحسنة والاوصاف المستحسنة كانت غالبة عليه وسجية داعية اليه فلا ينافيه ما وقع من النوادر لحكمة من ارادة الزواجر او لبيان الجواز فى الظواهر من حديث سواد بن عمر وقال أتيت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأنا متخلق فقال ورس ورس حط حط وغشيني بقضيب فى يده الحديث كما رواه المؤلف فى أواخر القسم الثالث والله تعالى أعلم (قالت عائشة رضى الله تعالى عنها) كما رواه الترمذى (فى الصحيح) اى من الحسن الصحيح فى جامعه وشمائله (لم يكن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فاحشا) اى ذا فحش فى كلامه وهذا يدل على كثرة حيائه وشدة صفائه ويروى فحاشا أى فتشديد ذا فحش فالصيغة للنسبة لا للمبالغة واصل الفحش هو الخروج عن الحد والفواحش عند العرب القبائح (ولا متفحشا) أى متكلفا له ولله درها اذ نفت عنه الفحش طبعا وتكلفا (ولا صخابا) بتشديد الخاء المعجمة أى ولا صاحب رفع صوت (بالاسواق) لحسن خلقه وكرم نفسه وشرف طبعه وحيائه من ابناء جنسه ويروى فى الاسواق وفيه احتراز عن المساجد لضرورة رفع صوته حال القراءة والخطبة ثم السوق اما من قيام الناس فيها على سوقهم واما من سوق الارزاق اليها

والترمذى والنسائى قالوا (انه) صلى الله تعالى عليه وسلم (دخل عليه رجل به أثر صفرة) الصفرة اللون المعروف والمراد بها لون الورس والزعفران يعنى انه كان خضب بذلك فبقى عليه بقية منها ولم يسم هذا الرجل (فلم يقل له شيئا) من نهيه عن ذلك ونحوه مما يكرهه كما أشار اليه بقوله (وكان) صلى الله تعالى عليه وسلم (لا يواجه احدا بما يكره) اى لا يخاطبه شفاها و يقول له فى وجهه شيئا يكرهه وان قال له احيانا فى غيبته (فلما خرج) ذلك الرجل من مجلسه صلى الله تعالى عليه وسلم (قال لو قلتم له يغسل هذا) أى أثر الصفرة والخضاب (او ينزعها) بفتح الزاى المعجمة يقال نزعه ينزعه كسأله يسأله اذا أزاله والضمير للصفرة والشك من الراوى وهما بمعنى ولو شرطية وجوابها محذوف لتذهب النفس كل مذهب وتقديره أصبتم ونحوه وقيل انها مصدرية أى وددت قولكم هذا وخضاب هذا الرجل ان كان فى لحيته دل على منع خضاب اللحية بالحناء ونحوها ولا يعضده ما فى البخارى عن قتادة رضى الله تعالى عنه انه قال سألت أنسا هل خضب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال لا انما كان شئ فى صدغيه أى شئ قليل من الشيب لا يحتاج للخضاب لانه لا يدل على تركه لانه منهى عنه شرعا بل لعدم الحاجة اليه وكذا ما روى عنه انه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يخضب قط اى لعدم الحاجة اليه الا انه روى عن أنس رضى الله تعالى عنه انه رأى شعر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مخضوبا يعنى بعد موته كما نقله ابن الجوزى اما قبله فاختلف فيه الروايات وروى جماعة انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يخضب بالصفرة والورس والزعفران وكان عمر رضى الله تعالى عنه يفعله وجمع الكرمانى بين الروايات بانه صبغ فى وقت وتركه فى معظم الاوقات فاخبر كل بما رأى وقد أمر صلى الله تعالى عليه وسلم بالخضاب بالصفرة وحث عليه وفعله وتبعه على ذلك أكابر الصحابة فهو سنة من تركها فقد ترك سنة وانما تركه بعضهم لما فيه من التكلف وهو أحب للنساء وأرهب للعدو وكذا الخضاب بالسواد وقيل ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم نهى عن الخضاب بالسواد وحمل على ما اذا كان فيه تدليس على النساء فما فى هذا الحديث محمول على غير خضاب اللحية بان يحنى يديه و رجليه او يجعل الصفرة فى ثوبه فانه منهى عنه وفى فتاوى شيخ شيوخنا ابن حجر الهيثمى انه ان من غير حاجة كجرب ونحوه حرام لما فيه من التشبيه بالنساء وصنف فيه رسالة مستقلة وقوله صلى الله عليه وسلم المتقدم يغسله او ينزعها فيه دليل على انه كان فى ثوبه ولو لم نحمله على هذا أشكل الحديث والشراح لم يتعرضوا له (وقالت عائشة فى الصحيح) أى فى الحديث الصحيح المروى عنها كما أخرجه الترمذى وصححه (لم يكن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فاحشا ولا متفحشا) الفحش كل امر قبيح او شديد القبح قولا او فعلا والفاحش من يصدر عنه ذلك والمتفحش من يتعمده ويبالغ فيه والظاهر ان المراد به بذاءة اللسان هنا ويؤيده قوله (ولا صخابا بالاسواق) صخاب بفتح

(ولايجزى) بفتح أوله وكسر الزاى وسكون الياء أى ولايجازى (بالسيئة السيئة) أى الواصلة اليه الحاصلة منه وسميت الثانية سيئة مشاكلة أوصورة أولانها خلاف الاولى لقوله سبحانه وتعالى ادفع بالتى هى أحسن السيئة كما حقق فى قوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها ومن هنا قالوا حسنات الابرار سيآت الاحرار وهو فى ذلك ممتثل لقوله تعالى فمن عفا وأصلح فاجره على الله (ولكن) وفى نسخة ولكنه (يعفو) أى يمحوها بالباطن (ويصفح) أى يعرض عن صاحبها بالظاهر أو يسامح عن الصغائر والكبائر مما ليس فيه ما حق لاحد لقوله تعالى فاعف عنهم واصفح ان الله يحب المحسنين (وقد حكى) بصيغة المفعول (مثل هذا الكلام) أى فى نعت سيد الانام عليه الصلاة والسلام (عن التوراة من رواية ابن سلام) بتخفيف اللام أحد الصحابة الكرام من علماء اليهود حيث دخل فى الاسلام (وعبد الله بن عمرو بن العاص) أى ومن روايته أيضا وهو صحابى قرشى كان يطالع كتب العلماء الاعلام وقد جاء فى رواية انه رأى فى منامه ان فى احدى يديه سمنا وفى الاخرى عسلا فقال له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم تحفظ الكتابين فحفظ القرآن والتوراة ولهذا ساله عطاء ابن يسار عن صفة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى التوراة كما فى الصحيح ولعل هذا قبل نزول قوله تعالى أولم يكفهم انا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم فان فيه لاكتفاء أو ان العسل فيه شفاء والسمن منه داء ودواء (وروى عنه) أى عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كما فى الاحياء لكن لم يعرف العراقى وروده فى الانباء (انه كان من حيائه لايثبت) من التثبيت أو الاثبات أى لايشبع (بصره فى وجه أحد) أى ناظرا اليه لاستيلاء الحياء عليه (وانه كان يكنى) بضم ياء وتشديد نون أو بفتح وتخفيف أى يلوح ولا يصرح ويعرض (عما اضطره الكلام اليه) أى عن شئ لابد منه ولا يسعه السكوت عنه (مما يكره) بصيغة الفاعل لا المفعول كما ضبطه الحلبى أى مما لا يستحسن التصريح به تخلقا باخلاق ربه واقتداء باآدابه فى نحو أوجاء أحد منكم من الغائط وقوله تعالى فاتوا حرثكم أنى شئتم وكقوله صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث المستيقظ فانه لايدرى أين باتت يده حيث لم يقل فلعل يده وقعت على دبره أو ذكره أو نجاسة فى بدنه ونظائره كثيرة فى الاحاديث الصحيحة ثم هذا فيما اذا علم ان السامع يفهم المقصود بالكناية والا لكان يصرح لينتفى اللبس والوقوع فى خلاف المطلوب وعلى هذا يحمل ما جاء من ذلك مصرحا به والله أعلم

فتشديد صيغة مبالغة من الصخب وهو رفع الصوت بمبالغة فيه وهو بالصاد والسين وهكذا كلما كان معه حرف حلق بحو زايدا له قياسا مطردا وخص الاسواق لانه فيها أقبح ولانها محله واما فى المنزل ونحوه فلا حاجة اليه (ولايجزى بالسيئة السيئة) لانه أحق بالاجر من الله على ذلك لانه المنزل عليه فمن عفى وأصلح فاجره على الله ولما كان العفو غير لازم من عدم المجازاة بالفعل أتى بالاستدراك فى قوله (ولكن يعفو ويصفح) يعنى انه صلى الله عليه وسلم كثير العفو فيما لا يكون من الحدود وحقوق الله والعفو ترك المؤاخذة بالذنب والصفح الاعراض عن المسئ بحيث لايخجله وقد تقدم شرحه وهذا الحديث مروى فى الصحيحين بطريق آخر عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنهما عن عطاء بن يسار انه قال له أخبرنى عن صفة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى التوراة فساقه له فى حديث طويل واليه أشار بقوله (وقد حكى) بالبناء للمجهول (مثل هذا الكلام) الذى قالته عائشة رضى الله تعالى عنها (وعن التوراة من رواية عبد الله بن سلام) بفتحتين مخفف اللام وهو الصحابى المشهور رضى الله عنه (وعبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنهما) وهو وان كان قرشيا لكنه قرأ الكتابين وكان عالما بما فيهما ولذا سألوه عن صفة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فيهما وقد اختلف فى تحريف أهل الكتاب كتبهم هل كان بتغيير عبارتها بنقص وزيادة أو انه انما كان بمجرد التأويل وصرف ما فيها عن ظاهره والصحيح ان كلا منهما واقع واذا كان كذلك علم وجه المنع من قراءتها وانه حرام ولا يرد عليه ان بعض الصحابة رضى الله تعالى عنهم كان يقرؤها لانهم يعلمونها قبل اسلامهم وهم لايخفى عليهم ما غير منها والظاهر انه لايمنع منه من عرف ذلك وقصد الرد عليهم (وروى عنه) أى عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا ذكره الامام الغزالى فى الاحياء وقال الحافظ انه لم يجده فى كتب الحديث وكذا قال السيوطى رحمه الله تعالى (انه) صلى الله تعالى عليه وسلم (كان من حيائه لايثبت بصره فى وجه أحد) ثبات البصر بمعنى اطالة النظر من غير تخلل اغماض بجفن ونحوه حتى كان بصره صار قارا فى المرئى كما قال المتنبى

وخصر تثبت الابصار فيه * كأن عليه من حدق نطاقا

فتخيل حقيقة الثبات فيه ثم بنى عليه جعله كالنطاق وان كان فيه للادباء كلام (وانه) صلى الله تعالى عليه وسلم (كان يكنى لما اضطره الكلام اليه مما يكره) أى يورد المعنى القبيح عادة بطريق الكناية لشدة حيائه صلى الله تعالى عليه وسلم كقوله حتى تذوقى عسيلته ويذوق عسيلتك لان الجماع وذكره

(وعن عائشة رضي الله تعالى عنها) كما رواه الترمذي في الشمائل (ما رأيت فرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قط) أي أبدا وهو يدل على كمال الحياء من الجانبين لكنها إنما استفادت الحياء الأمن حياء سيد الأصفياء وفي رواية عنها ما رأيت منه ولا رأى مني بحذف المفعول وتريد العورة وهو نهاية المبالغة منها في باب حيائها حيث حذفت آلة الكناية عنها وفي الحديث إن من كلام النبوة الأولى إذا لم تستحي فاصنع ما شئت * وانشدوا
إذا لم تخش عاقبة الليالي * ولم تستحي فاصنع ما تشاء
فلا والله ما في العيش خير * ولا الدنيا إذا ذهب الحياء
ثم الحياء محمود يجب على الإنسان توقيه أو يكره له فعله ومذموم فيما يؤدي إلى ترك الواجب أو السنة

(فصل) (وأما حسن عشرته) أي معاشرته ومخالطته مع أمته ولو لم يكونوا من عشيرته (وأدبه) الأدب طبيعي وهو ما جبل عليه الإنسان من الأخلاق السنية والأوصاف الرضية وكسبي وهو ما يكتسب من العلوم الدينية والأعمال الأخروية وصوفي وهو ضبط الحواس ومراعاة الأنفاس ووهبي وهو حصول العلم اللدني وما يتعلق به من الكشف الغيبي وهو يجوز رفعه عطفا على المضاف وجره على المضاف إليه وهو الأحسن لحصول تسلط الحسن عليه وكذا قوله (وبسط خلقه) أي نشر أخلاقه صلى الله تعالى عليه وسلم ومجمل حسن الخلق هو بسط المحيا وبذل الندا وتحمل الأذى وكمال الصدق والاتصاف بأخلاق الحق (مع أصناف الخلق) أي ليتوصل به إلى انقيادهم لدينه (فبحيث) بالفاء جواب أما أي فهو بمحل (انتشرت) أي كثرت واشتهرت (به) أي بما ذكر من الأمور الثلاثة (الأخبار الصحيحة) وكذا الآثار الصريحة منها خبر الترمذي في شمائله (قال علي رضي الله تعالى عنه في وصفه عليه الصلاة والسلام) أي في جملة ما منحه من الصفات الحميدة والنعوت السعيدة (كان أوسع الناس صدرا) أي لا يمل ولا يضجر في الاحتمال عما يرد عليه من الأحوال واختلاف الخلق في الأقوال والأفعال وفي أصل الدلجي كان أجود الناس صدرا قال أي قلبا وفي رواية أوسع الناس صدرا وقال التلمساني أجود بخط

للمرأة تستحيي منه ومثله في الحديث كثير (وعن عائشة) الصديقة بنت الصديق (رضي الله تعالى عنهما ما رأيت فرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قط) مع أنه يجوز رؤية كل أحد من الزوجين فرج الآخر وإن كان مكروها وفي حديث رواه ابن حبان النظر إلى الفرج يورث الطمس أي العمى فقيل عمى الناظر وقيل عمى أولاده وقيل المراد عمى القلب والمعنى أنه صلى الله تعالى عليه وسلم لشدة حيائه لم يكشف عورته عند أحد قط كما ورد من كرامتي على الله أنه لم يطلع لي على عورة أحد قط فما ذكر منطبق على ما سيق له الكلام فإن عائشة رضي الله تعالى عنها زوجته صلى الله تعالى عليه وسلم وأقرب الناس وأحبهم إليه وكان يضاجعها وينام عندها فإذا لم تر ذلك منه صلى الله تعالى عليه وسلم لزم عدم كشفه عندها فإذا لم يكشف عندها فبالطريق الأولى عند غيرها وإنما كنت عن ذلك ولم تصفه تأدبا منها فلله درها فهذا كقولهم لا أرينك هنا فلا ترفع الثياب إلا وقد لاصقها فيكون سترة له حينئذ وهذا معنى قوله تعالى هن لباس لكم وأنتم لباس لهن فلا يتوهم أن عدم رؤيتها لذلك لغض بصرها حياء منه صلى الله تعالى عليه وسلم لأنه لا ينكشف عندها فافهم

(فصل وأما حسن عشرته)

بكسر العين المهملة وسكون الشين المعجمة أي اختلاط المرء مع أهله وأصحابه ومعاملتهم (وأدبه) بالرفع معطوف على حسن ويجوز جره ورجحه بعض الشارحين فلما ورد عليه أن الأدب لا يكون إلا حسنا دفعه بأن منه ما لا يحسن كأدب أهل الدنيا مع كبارهم وهو أنسب بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم أدبني ربي فأحسن تأديبي والأدب استعمال ما يحمد قولا وفعلا والأخذ بمكارم الأخلاق من المأدبة وهي الطعام الذي يدعى له الناس (وبسط خلقه) تقدم معنى الخلق وأنه بضمتين أو ضم فسكون والبسط نشر الشيء وتوسيعه ومنه البساط وورد البسط بمعنى المسرة وعليه استعمالهم وورد في الحديث فاطمة مني يبسطني ما يبسطها فليس من كلام المولدين كما توهم ومن أمثال العامة البسط صدف والمعنى هنا سعة خلقه صلى الله تعالى عليه وسلم ويجوز رفعه وجره أيضا والأول أولى وليس بمتعين كما توهم وإنما كان معنى بسط الخلق هنا سعته لأنه صلى الله تعالى عليه وسلم نال من الأخلاق الجيدة أقصاها وغايتها وقوله (مع أصناف الخلق) تنازع فيه الألفاظ الثلاثة فهو قيد لجميع ما قبله (فبحيث انتشرت) أي كثرت واشتهرت وهو جواب أما وهو خبر مبتدأ مقدر أي فهو بحيث أي بمحل معلوم لكل أحد (به الأخبار الصحيحة قال علي رضي الله تعالى عنه في وصفه عليه الصلاة والسلام) في الحديث الصحيح الذي رواه الترمذي في شمائله (كان أوسع الناس صدرا) المراد بسعة صدره تحمله صلى الله تعالى عليه وسلم

المؤلف وأوسع بتصحيح العرفي انتهى لكن النسخ المعتمدة والاصول المصححة على ما قدمناه وهو الموافق لقوله تعالى ألم نشرح لك صدرك وقوله تعالى أفمن شرح الله صدره للاسلام وفسر الشراح بمعنى الانشراح والانفساح وقد ورد هو نور يقذفه الله في قلب من يشاء من عباده فسئل هل لذلك من علامة فقال التجافي عن الدنيا والاقبال على العقبى والاستعداد للموت قبل نزوله (وأصدق الناس لهجة) بفتح فسكون و يفتح أي وكان أصدقهم لسانا و بيانا وفيه وضع الظاهر موضع المضمر اشعارا بان الناس هم الصادقون في الانفاس (وألينهم عريكة) أي وكان أسهلهم طبيعة سلسا منقادا هينا مطواعا (وأكرمهم عشرة) أي صحبة وخلطة (حدثنا أبو الحسن علي بن مشرف) بفتح الراء المشددة (الانماطي) بفتح فسكون نون (فيما أجازنيه وقرأته على غيره قال ثنا) أي حدثنا (أبو اسحق الحبال) بفتح مهملة وتشديد موحدة محدث مصر (ثنا أبو محمد) بالتنوين أبدل منه (ابن النحاس) بتشديد الحاء المهملة يعني به عبد الرحمن ابن عمر بن محمد بن سعيد ابن اسحق بن ابراهيم بن يعقوب النحاس المصري (ثنا ابن الاعرابي) أحد من رواة سنن أبي داود عنه (ثنا أبو داود) أي السجستاني صاحب السنن (ثنا هشام) أي ابن خالد بن يزيد وقيل زيد بن مروان (ابن مروان) أي الازرق الدمشقي (ومحمد بن المثنى) على وزن المثنى هو المقري أبو موسى الحافظ عنه البخاري ونحوه (قالا) أي كلاهما (ثنا الوليد بن مسلم) وهو أحد أعلام الشام روى عنه أحمد وغيره قيل صنف سبعين كتابا (ثنا الاوزاعي) روى عنه قتادة ويحيى بن أبي كثير شيخاه وهو امام أهل الشام في زمنه وكان رأسا في العلم والعبادة واختلف في بيان نسبته ذكر التلمساني ان الامام مالكا كان يقود دابته وهو راكبها وسفيان بن عيينة يسوق بها وروي انه أفتى في سبعين ألف مسئلة روى عن كبار التابعين كعطاء ومكحول وعنه قتادة والزهري ويحيى بن أبي كثير وهم من التابعين وليس هو من التابعين فهذا من رواية الاكابر عن الاصاغر

وسلم مشاق الناس وكثرة تكاليفهم قال تعالى فلا يكن في صدرك حرج أي ضيق (وأصدق الناس لهجة في الصحاح اللهجة اللسان وقد تحرك فاطلق وأريد به الكلام مجازا مرسلا من اطلاق المحل على الحال ووضع فيه الظاهر مقام الضمير لان كلا منهما صفة مستقلة ولا ينافيه حديث ما من ذي لهجة أصدق من أبي ذر لان المراد تفضيله رضي الله تعالى عنه على أمثاله والصدق ضد الكذب وهو معروف ثم ان في التفضيل في الصدق سؤالا وهو ان الصدق هو المطابقة للواقع فما طابق فهو صادق وما لم يطابق كذب فكيف يتصور التفاوت فيه حتى يكون هذا صادق وذاك أصدق وهذا انما يرد لو كان التفضيل في كلام واحد وأنواع منه محصورة أما لو أريد كل كلام صدر عن متكلم فلا يرد ما ذكر (وألينهم عريكة) أي أسهل الناس طبعا فهو صلى الله تعالى عليه وسلم دائما سلس مطاوع منقاد قليل المخالفة لا تهور فيه وأصل العريكة السنام فهو في الاصل مجاز حتى صار حقيقة فيما (وأكرمهم عشرة) أي يعامل الناس في معاشرته ومخالطته بكريم الاخلاق فيعظم من يستحق التعظيم ويتلطف مع من دونهم (حدثنا أبو الحسن علي بن مشرف) بضم الميم وفتح الشين المعجمة وفتح الراء المشددة وقاف اسمه علي وله ترجمة في الميزان وسمع منه السلفي وفيه كلام (الانماطي) جمع نمط وهو ثوب من صوف يطرح على الهودج والنسبة الى الجمع على رأي أو لانه ملحق بالعلم كالانصاري لان المراد به صيغة مخصوصة وقيل انه على خلاف القياس (فيما أجازنيه وقرأته على غيره) فيه بيان لطريق التحمل وانه رواه عن غيره فانجبر الطعن فيه وهذا الحديث رواه أبو داود والنسائي (قال حدثنا أبو اسحق الحبال) بفتح الحاء المهملة وتشديد الباء الموحدة وألف ولام وهو الامام الحافظ المتقن محدث مصر أبو اسحق ابراهيم بن سعد بن عبد الله بن النعمان التجيبي الفراء الوراق المصري ولد سنة احدى وتسعين وثلثمائة وسمع من أحمد بن عبد العزيز صاحب المحاملي وغيره ومات في سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة وله احدى وتسعون سنة وترجمته مشهورة قال (حدثنا أبو محمد بن النحاس) بحاء مهملة مشددة وهو الامام أبو محمد عبد الرحمن بن عمر بن محمد بن سعيد بن اسحق المصري البزار سمع أبا سعيد بن الاعرابي وسليمان بن داود العسكري وجماعة كثيرون وكان ثقة كما قاله ابن ماكولا (حدثنا ابن الاعرابي) هو الامام أبو سعيد الذي يروي سنن أبي داود عنه قال (حدثنا أبو داود) سليمان بن الاشعث صاحب السنن المشهورة قال (حدثنا هشام أبو مروان ومحمد بن المثنى) هشام بن خالد بن يزيد بن مروان الازرق الدمشقي الثقة الثبت توفي سنة تسع وأربعين ومائتين وترجمته في الميزان ومحمد بن المثنى أبو موسى العنزي الحافظ توفي سنة اثنين وخمسين ومائتين قالا (حدثنا الوليد بن مسلم) الحافظ أحد الاعلام أخرج له الجماعة الا انه رمي بالتدليس قال (حدثنا الاوزاعي) هو عبد الرحمن بن عمرو بن محمد نسب للاوزاع وهي قبيلة من حمير أو اسم قرية وهو عالم فقيه زاهد روى عن عطاء ومكحول وروى عنه كثيرون وأخرج له أصحاب الكتب وهو ثقة وله ترجمة مشهورة

(سمعت يحيى ابن أبي كثير) بفتح فكسر مثلثة ابو نصر اليمانى روى عن أنس وجابر كليهما مرسلا وعن أبي سلمة وخلق (يقول حدثنى محمد بن عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة) بضم زاى فراءين بينهما ألف والى المدينة روى عنه شعبة وابن عيينة وطائفة وهو أسعد بالهمز وله أخ يقال له سعد بن زرارة (عن قيس بن سعد) أي ابن عبادة وهو أبو عبد الله الخزرجي وهو صاحب الشرطة للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم روى عنه الشعبي وابن أبي يعلى وطائفة وكان ضخما مفرط الطول نبيلا جميلا جوادا سيدا من ذوى الرأى والدهاء والتقدم وهو أبو قيس سيد الخزرج واحد النقباء الاثنى عشر ليلة العقبة وكان شريف قومه ليس فى وجهه شعر ولا لحية وكانت الانصار تقول لوددنا ونشترى لقيس لحية باموالنا وكان مع ذلك جميلا وكان أسود اللون توفى بالمدينة فى آخر خلافة معاوية (قال زارنا) أي ايانا أو واحدا منا (رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اذ كان من عادته تعهد أصحابه وتفقد أحبابه اذ حسن العهد من الايمان وتمام الاحسان (وذكر) أي قيس (قصة) أي طويلة (فى آخرها) أي وكان فى آخر تلك القصة قوله (فلما أراد) أي النبي عليه الصلاة والسلام (الانصراف) أي الرجوع الى منزله وكان قد جاء على رجله قصد الزيادة أجره (قرب) بتشديد الراء أي قدم (له) وفى نسخة اليه (سعد حمارا) أي ليركبه تلطفا اليه وترحما عليه (وطأ) بتشديد طاء فهمز أي رحل (عليه) أي فوق الحمار (بقطيفة) أي كساء له خمل ومنه تعس عبد القطيفة أي الذى يعملها ويهتم بتحصيلها (فركب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اذا الذهاب أمامى الى العبادة حقيقة العبادة بخلاف الاياب فانه من ضروريات العادة ومنه تشييع الاكابر الى الجنائز مشاة ورجوعهم ركبانا (ثم قال سعد) أي لولده (ياقيس أصحب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) بفتح الحاء أي كن فى صحبته وخدمته وفى أصل الدلجى أصحبه والظاهر انه اختصار منه غير لائق به كما فعل فى كثير من مواضع كتابه (قال قيس فقال لى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اركب) أي أنت أيضا معى أو على دابة أخرى (فابيت) أي امتنعت تادبا معه أو حياء منه (فقال اما ان تركب واما ان تنصرف) بكسر اما فيهما (فانصرفت) أي فاخترت أهون الامرين وأحسن الحكمين والحديث رواه أبو داود فى الادب والنسائى فى اليوم والليلة (وفى رواية أخرى) أي لهما أو لاحدهما أو لغيرهما

(قال سمعت يحيى بن أبي كثير) بزنة كثير ضد القليل وهو من العباد وأئمة الحديث توفى سنة تسع وعشرين ومائة وأخرج له الستة وترجمته فى الميزان قال (حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن سعد بن زرارة) بضم الزاء المعجمة وهو محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أسعد والى المدينة وهو ثقة أخرج له الستة وتوفى سنة أربع وعشرين ومائة (عن قيس بن سعد) بن عبادة بن دليم الخزرجى سيد الخزرج وصاحب شرط رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أخرج له الستة وأحمد وكان من الدهاة وذوى الرأى طويل القامة جميلا جوادا توفى بالمدينة فى آخر خلافة معاوية رضى الله تعالى عنه (قال زارنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) على عادته فى تفقد أصحابه وكان سعد بن عبادة دعاه رجل ليلا فخرج له فضربه بسيفه فاشواه فجاءه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يعوده (وذكر قصة) هى ما وقع له مع عبد الله بن أبي بن سلول اذ مر به وهو جالس مع اخلاط المسلمين وغيرهم فغشى المجلس غبار دابته صلى الله تعالى عليه وسلم فخمر بن سلول أنفه برداءه وقال لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا تغبروا علينا ارجع الى رحلك فمن جاءك منا فاقصص عليه فاستب المسلمون مع المشركين حتى هموا ان يتواثبوا فخفضهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم ركب دابته حتى دخل على سعد رضى الله تعالى عنه وذكر ذلك له فقال له يارسول الله أعف عنه واصفح فلقد اتفق أهل هذه البحيرة على ان يعصبوه فلما رد الله ذلك بالحق الذى جئت به شرق بذلك فعفا عنه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (فى آخرها) أي آخر القصة (فلما أراد الانصراف قرب له سعد) رضى الله تعالى عنه (حمارا) ليركبه (وطا عليه بقطيفة) هى كساء له وبر وخمل وضعه على ظهر الحمار وطاءله ليركب عليه ووطاء بتشديد الطاء المهملة وهمزة (فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال سعد) لابنه (ياقيس أصحب رسول الله صلى الله عليه وسلم) أي كن معه فى خدمته وفى هذا الحديث انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما جاء كان على حمار ردفا خلفه اسامة بن زيد فسعد رضى الله تعالى عنه انما أعطاه حمارا ليركبه وحده ويبقى اسامة على الحمار الذى جاء به ووهب سعد له صلى الله تعالى عليه وسلم ذلك الحمار (قال قيس فقال لى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اركب) معى على الحمار (فابيت) الركوب معه تأدبا وفوزا بالمشى فى خدمته (فقال اما ان تركب واما ان تنصرف) أي ترجع ولا تمشى معى (فانصرفت) امتثالا لامره صلى الله عليه وسلم (وفى رواية أخرى) انه عليه السلام قال له (اركب

أمامي) بفتح أوله أي قدامي (فصاحب الدابة) أي ولو بالقوة (أولى بمقدمها) بفتح الدال المشددة وقد تخفف أي بالركوب في صدرها لما جاء في طرق متعددة صاحب الدابة أحق بصدرها وفي رواية الا من أذن وفي أصل الدلجي أحق بصدرها قال وفي رواية أولى بمقدمها وصنيعه هذا أيضا مخالف للاصول المعتمدة والنسخ المصححة (وكان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) كما في شمائل الترمذي من حديث هند بن أبي هالة (يؤلفهم) بتشديد اللام أي يوقع الالفة فيما بينهم ويجمعهم كما يستفاد من قوله تعالى فألف بين قلوبكم وهو لا ينافي اسناد التأليف الى الله تعالى في الآية بل ولو نفى التأليف أيضا في آية أخرى من قوله تعالى وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم فان الآيتين من قبيل قوله سبحانه وتعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى أو المعنى كان يؤلفهم معه ويتألف بهم كما يشير اليه قوله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم الآية ولما ورد المؤمن يألف ويؤلف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف كما رواه أحمد في مسنده عن سهل بن سعد ورواه الدارقطني عن جابر ولفظه المؤمن يألف ويؤلف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف (ولا ينفرهم) بالتشديد وقيل بكسر الفاء المخففة ٦٣ أي لا يعمل شيأ مما ينفر عنه طباعهم فهو كالتأكيد لما قبله أو المعنى يبشرهم ولا ينفرهم لحديث يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا على ما رواه أحمد والنسائي وابن ماجه عن أنس رضي الله تعالى عنه (ويكرم كريم كل قوم) هو كالتخصيص بعد التعميم وفي حديث رواه ابن ماجه وغيره عن جماعة من الصحابة مرفوعا اذا أتاكم كريم قوم فأكرموه وفي رواية اذا أتاكم الزائر فأكرموه (ويواليه) بتشديد اللام المكسورة أي ويجعله واليا وأميرا (عليهم) ابقاء لما اختاروا لديهم

(ويحذر الناس) بفتح الذال المعجمة أي يخافهم وتفسيره قوله (ويحترس منهم) أي يحترز من مكر شرارهم لما ظهر في آثارهم فورد الحزم سوء الظن على ما رواه أبو الشيخ في الثواب عن علي كرم الله وجهه وفي رواية احترسوا من الناس بسوء الظن كما رواه الطبراني في الاوسط وابن عدي عن أنس رضي الله تعالى عنه (من غير أن يطوي) أي يدفع ويمنع (عن أحد منهم بشره) بكسر الموحدة أي بشاشة وجهه (ولا خلقه) أي ولا طلاقة خلقه وزيادة لا لمبالغة نفيها (يتفقد) وفي نسخة يتعهد (أصحابه) أي يطلبهم ويتجسس أحوالهم بالسؤال عنهم ليعرف المانع عن خدمته وملازمة حضرته منهم فيزور مريضهم ويدعو لغائبهم (ويعطي كل جلسائه) أي جميع من جالسه (نصيبه) أي حظه بسلام أو كلام أو طلاقة وجه والتفات خدا واشارة وبشارة (لا يحسب) بكسر السين وفتحها أو لا يظن (جليسه) أي مجالسه (ان أحدا) أي من جلسائه (أكرم عليه) أي على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (منه) أي من ذلك الجليس بحسب حسبانه لما يناله من أنواع الالفة وأصناف المودة وأجناس الكرامة (من جالسه) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لمصاحبة ومكالمة

أمامي فصاحب الدابة أحق بصدرها) وهذا وقع هنا في بعض النسخ والمراد بصدرها مقدمها وفيه دليل على جواز الارداف ولو صاروا ثلاثة اذا لم تكن الدابة ضعيفة لا تطيق ذلك وقيل ما فوق الاثنين مكروه وقوله صاحب الدابة باعتبار ما كان أو هو صلى الله تعالى عليه وسلم لم يعلم بأنه وهبها له (وكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يؤلفهم) أي يؤلف المسلمين بإيناسهم ومداراتهم ليزداد ايمان من كان قريب عهد بالاسلام وليحسن من كان مخلصا بجبر خاطره والتودد اليه (ولا ينفرهم) أي لا يتلقاهم بما يصير سببا لنفورهم وذهاب من كان قريب عهد من المؤلفة قلوبهم (ويكرم كريم كل قوم) برعايته بما يليق به كما فعل مع عدي بن حاتم وغيره مما فصل في السير (ويوليه عليهم) أي يجعل شريف القوم واليا عليهم اذا رجعوا من عنده صلى الله تعالى عليه وسلم لديارهم كما ولى على وفد همدان مالك بن نمط (ويحذر الناس ويحترس منهم) لانه من الحزم أن لا يركن لكل أحد حتى يجربه (من غير أن يطوي عن أحد منهم بشره) أي كان صلى الله تعالى عليه وسلم مع احتراسه منهم يلقاهم ببشره وبشاشته ولا يغير حاله معهم فشبه بشره وايناسه ببساط ممتد لهم فلا يطوى عنهم ما داموا عنده كما قال الشاعر

انما مجلس الندا من بساط * فاذا ما مضى طوينا بساطه

(ولا خلقه) المعهود منه صلى الله تعالى عليه وسلم (يتفقد أصحابه) أي من فقده من أصحابه رضي الله تعالى عنهم يسأل عنه أو يزوره أو يرسل اليه من يتعهده قال الراغب الفقد أخص من العدم لانه العدم بعد الوجود والتفقد التعهد لكن حقيقة التفقد تعرف فقدان الشيء والتعهد تعرف العهد المتقدم (و) كان صلى الله تعالى عليه وسلم (يعطي كل جلسائه نصيبه) أي يعطي كلا منهم ما يليق به وما يسره (لا يحسب جليسه ان أحدا أكرم عليه منه) أي لما يراه من لطفه به يظن ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يحبه أكثر من غيره (من جالسه) أي جلس عنده في ناديه

(أوقاربه لحاجة) أي دينية أو أخروية واو للتنويع لا للترديد ومن خبرية لا شرطية وقاربه مفاعلة من القرب بالراء والباء وتصحف على الانطاكي فقال أو قاومه أي قام معه كما يقال جالسه اذا جلس معه (صابره) أي انتظره صلى الله تعالى عليه وسلم وحبس نفسه على ما يريد صاحبه متصبرا (حتى يكون) أي مجالسه أو مقاربه (هو) ضمير فصل والاصح انه لا محل له (المنصرف عنه) بالنصب على خبر كان والمعنى بالغ في صبره حتى ينصرف مجالسه من تلقاء نفسه وهذا كله لقوله تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه الآية (ومن ساله حاجة) أي طلب عطية (لم يرده) بفتح الدال المشددة ويجوز ضمها لضم ماقبلها (الابها) أي بالحاجة بعينها حيث قدر عليها أو بوعده لها وهو معنى قوله (أو بميسور من القول) كتسهيل رزق عملا بقوله تعالى واما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها ٦٤ فقل لهم قولا ميسورا ومن القول الميسور الدعاء له بتحصيلها أو بازالة طلبها فاو على طريقة منع الخلو أي لا يخلو حاله اذا سئل عن أحدهما اما عطاء ونقدا وامداد عاء ووعدا ثم قيل الميسور مصدر وقيل اسم مفعول (قد وسع الناس) بالنصب أي عمهم وشملهم (بسطه) أي سرور ظاهره وطيب باطنه جودا ورحمة وحلما وعفوا ومغفرة وسلما أو انبساطه فقوله (وخلقه) تفسير له وعلى الاول تعميم بعد تخصيص (فصار لهم أبا) أي رحمة وشفقة وهو كما جاء في قراءة شاذة عند قوله تعالى النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم مع ان كل نبي أب لامته بل هو أفضل وأكمل تربية من الاب لولده اذ الاب سبب لايجاده والنبي باعث لامداده واسعاده ويشير اليه قوله تعالى ملة أبيكم ابراهيم (وصاروا) أي الناس كلهم (عنده في الحق) أي في مراعاة حقهم بحسن خلقه معهم (سواء) أي مستوين لعصمته من الاغراض النفسية الحاملة على خلاف التسوية (بهذا) أي بما ذكر من الاوصاف البهية (وصفه ابن أبي هالة) وهو هند ربيبه من خديجة (قال) أي ابن أبي هالة (وكان) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (دائم البشر) أي متهلل الوجه وهو لا ينافي انه كان كثير الاحزان لاختلاف الظاهر والباطن في العنوان فانه بالظاهر مع الخلق وبالباطن مع الحق والحزن من لوازم الانكسار والذل والافتقار

(أوقاربه لحاجة) أي كان معه حال مشيه أو مسيره (صابره) أي صبر على سؤاله وذكره حوائجه (حتى يكون هو المنصرف عنه) أي الراجع عن مقارنته أو مجالسته (ومن سأله حاجة لم يرده الابها) أي باعطائه حاجته التي سألها منه صلى الله تعالى عليه وسلم (أو بميسور من القول) كوعده أو تسليته واو لمنع الخلو قال تعالى وقل لهم قولا ميسورا (قد وسع الناس بسطه وخلقه) بسط مصدر بزنة ضرب مضاف لضمير عائد له صلى الله تعالى عليه وسلم وهو مرفوع فاعل وسع بزنة علم وكذا خلقه المعطوف عليه وقد تقدم معنى الخلق والجبلة فجعل بسطه بمعنى توسعته على الناس أو بمعنى بشره كالمكان الرحب وكذا خلقه الحسن جعله لبذله لهم كالمكان الذي تمكنوا فيه (فصار لهم أبا) أي صار صلى الله تعالى عليه وسلم لجميع أمته بمنزلة الاب في اللطف بهم والشفقة عليهم وهو لا ينافي قوله تعالى ما كان محمد أبا أحد من رجالكم لان المنفي ثمة الابوة الحقيقية الا أن بعض علماء الشافعية ذهب الى انه لا يجوز أن يقال له صلى الله تعالى عليه وسلم أب المؤمنين كما يقال لنسائه صلى الله تعالى عليه وسلم أمهات المؤمنين عملا بظاهر هذه الآية وانما يقال انه كالاب ونص الشافعي رضي الله تعالى عنه على جوازه وهو الحق وكذا كل نبي من الانبياء عليهم الصلاة والسلام أب لامته ذكورا وأناثا وكونه صلى الله تعالى عليه وسلم ليس أبا حقيقيا معلوم بالبداهة وانما نفاه في الآية ردا على من أنكر تزوجه صلى الله تعالى عليه وسلم بامرأة زيد الذي تبناه (وصاروا عنده في الحق سواء) لان الله عصمه صلى الله تعالى عليه وسلم في الاغراض النفسية الحاملة على الميل مع الهوى وكذا وصفه به صلى الله تعالى عليه وسلم ابن أبي هالة ربيبه في الحديث الصحيح المروي عنه كما أشار اليه المصنف رحمه الله تعالى بقوله (بهذا وصفه ابن أبي هالة) بن خديجة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها بنت خويلد واسمه هند وأبوه أبو هالة حليف عبد الدار واختلف في اسمه فقيل بناش بن زرارة وقيل مالك بن الياس بن زرارة وكان تزوج خديجة رضي الله تعالى عنها قبل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فولدت له هندا ولهند ولد يسمى هندا أيضا عده ابن منده وأبو نعيم في الصحابة وأبوه هند من كبار الصحابة قتل مع علي كرم الله وجهه في وقعة الجمل وتقدمت ترجمته بالبسط من قبل هذا (قال) ابن أبي هالة رضي الله عنه في وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم في هذا الحديث (وكان دائم البشر) بكسر الباء وسكون المعجمة أي طلاقة الوجه وبشاشته لا يعبس في وجه أحد

(سهل

(سهل الخلق) أى لاصعبه (لين الجانب) بتشديد الياء المكسورة أى لاشديده (ليس بفظ) أى سيئ الخلق فى القول (ولاغليظ) أى فى الفعل قال ابن عباس رضى الله عنهما الفظ الغليظ فى القول وغليظ القلب فى الفعل (ولاسخاب) وفى رواية وكذا فى نسخة بالصاد أى كثير الصياح (ولافحاش) أى ذا فحش فى قوله وفعله (ولاعياب) مبالغة عائب أى وكان لايعيب على أحد ما يفعله من مباح واذا كان حراما أو مكروها نهى عنه من غير تعييب وتعيير بل بقصد تبديل وتغيير قال التلمسانى هو والذى بعده فعال على النسب أى ليس بذى عيب ولابذى مدح وليسا بفعال مبالغة للزوم بعض الامر ومثله وماربك بظلام للعبيد أى بذى ظلم والالزم بعضه قلت ليس هذا نظيرهما لانهما على النسبة يستقيم فى ذى عيب لافى ذى مدح كما لايخفى (ولامداح) مبالغة مادح أى لايبالغ فى مدح أحد بما يؤدى الى اطراء ولايمدح طعاما ولايذمه كما جاء فى رواية لانه كان شاكر النعمة لاناظر اللذة ويؤيده قوله (يتغافل عما لايشتهى) أى لايحبه قولا وفعلا مما لايترتب عليه اثم أصلا (ولايؤيس) بضم ياء فسكون همز وقد تبدل ففتح ياء من الاياس من باب الافعال الذى هو متعد لاييس اللازم من المجرد والضمير فى قوله ٦٥ (منه) راجع اليه صلى الله تعالى عليه وسلم والمعنى لاييأس أحد من فيض جوده وأثر كرمه وجوده واساتجويز الدلجى كونه مبنيا للفاعل تبعا لبعض المحشين وقوله والمعنى لايؤيس من نفسه أو مما تغافل عنه أحدا بتغافله عنه بحيث لايكون كذلك فهو مخالف لما فى الاصول من صحة المبنى ومناف لما قدمناه من ظهور المعنى وجعل التلمسانى قوله ولايؤيس منه عطفا على لايشتهى وقال أى مالم يحضر فى وقته ولم يحصل له فيه شهوة فيتركه ويغفله وان كان مما يمكن حضوره فى وقته ويؤيس هو بضم أوله وسكون الواو ثم همزة مكسورة واليأس هو القنوط (٩ شفا نى)

أى ما وجده مما يجوز له تناوله من المباح يستعمله ومالم يجده من ذلك لم يكن منه تكلف له قال ويفسر هذا حديث عائشة رضى الله تعالى عنها انه كان فى أهله لايسألهم طعاما ولايشتهيه فان أطعموه أكل وما أطعموه قبل وماسقوه شرب الحديث انتهى ومافيه لايخفى وقال الانطاكى بعد نقله عن الحاى انه ضبطه بكسر الهمزة وينبغى أن يجوز بضم أوله ثم بهمزة مفتوحة وياء مكسورة مشددة يقال آيس منه فلان مثل ايئس وكذا التاييس حكاه الجوهرى انتهى وينبغى أن تكون الدراية تابعة للرواية كما لايخفى (وقال الله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم) أى سهلت أخلاقك لهم وكثر احتمالك عنهم والتقدير فبرحمة وما مزيدة للتاكيد كذا قالوا ولعلهم أرادوا تاكيد التعظيم المستفاد من تنوين التنكير المفيد للتفخيم ولايبعد أن يكون ما ابهامية ورحمة تفسيرية والجمع بينهما أوقع للمراتب النفسية فى افادة القضية (ولو كنت فظا) أى سيئ الخلق (غليظ القلب) أى قاسيه على الخلق (لانفضوا) أى تفرقوا (من حولك) ولم ينتفعوا بقولك ولم يصيبوا من رحمتك وفضلك وطولك وأما بقية الآية وهى قوله تعالى فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الامر فليست فى نسخ الشفاء وان كان شرحها الدلجى ومزجها بتفسيرها

(سهل الخلق) لاصعبا ولاحزنا (لين الجانب) استعارة مصرحة شبه وصول كل أحد له صلى الله تعالى عليه وسلم ولما يريده منه بشئ لين ياخذ منه من يجانبه لايطلبه وقيل شبه بجانب لين من الارض ليس بحزن (ليس بفظ ولاغليظ) الفظ الكريه الخلق مستعار من الفظ أى ماء الكرش وهو مكروه لايتناول الافى شدة الضرورة كما قاله الراغب والغلاظ ضد الرقة وأصله فى الاجسام فاستعير للمعانى كما تقدم (ولاصخاب ولافحاش ولاعياب) أى لاينطق بالفحشاء كالشتم ولايعيب أحدا أى يذكر عيوبه (ولامداح) لاحد بما يؤدى الى اطرائه ولالنفسه الشريفة وهذه كلها صيغ مبالغة والمقصود بها النسبة كتمار ولبان أو المبالغة راجعة للنفى كما قالوه فى قوله تعالى وما ربك بظلام للعبيد وقيل المقصود به أصل الفعل وقول أنس لعمر رضى الله تعالى عنهما أنت أفظ وأغلظ من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقتضى ثبوت ذلك له فقيل المقصود وجود أصل الغلظة فيه ونفيها عنه صلى الله تعالى عليه وسلم لاحقيقة التفضيل أو المراد اثبات ذلك على المشركين كما فى قوله تعالى وليجدوا فيكم غلظة كما ان المدح قد يستحسن فى مقام دون مقام اذا كان فى محله بخلاف ما اذا كان كذبا ولذا قال صلى الله تعالى عليه وسلم احثوا التراب فى وجوه المداحين على أحد الوجوه فيه (يتغافل عما لايشتهى) أى اذا رأى صلى الله تعالى عليه وسلم شيأ لايرضاه تغافل عنه حتى يظن انه ما رآه اذا كان ذلك مما لايترتب عليه اثم (ولايؤيس منه) مبنى للمفعول وضمير منه له صلى الله تعالى عليه وسلم أى والحال انه صلى الله تعالى عليه وسلم يتغافله لايياس أحد منه وروى مبنيا للفاعل بضم المثناة التحتية وكسر الهمزة التى كانت مفتوحة ومفعوله محذوف لقصد التعميم أى لايؤيس أحدا منه أى يجعله ذا يأس بحيث لايرجوه فالضمير لما تغافل عنه وعلى هذا اقتصر أرباب الحواشى (وقال تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك) ما زائدة للتاكيد وقيل نكرة موصوفة ورحمة بدل منه وقيل استفهامية تعجبية أى باى رحمة عظيمة لنت لهم ورده فى المغنى بثبوت ألف ما وقال ان ما قبله

(وقال ادفع بالتى هى أحسن الآية) وهى تحتمل قوله تعالى ادفع بالتى هى أحسن السيئة واقتصر الدلجى عليها وقد قيل فى معنى هذه الآية ادفع بكلمة التوحيد سيئة الشرك ويؤيده ما بعده من قوله سبحانه وتعالى نحن أعلم بما يصفون وقيل ادفع بالطاعة المعصية أى اذا عملت سيئة فاتبعها حسنة تمحها كما ورد فى الحديث مضمونه وادفع بالتوبة المعصية ويحتمل قوله تعالى ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن أى اصفح عنها وقابلها بالحسنة التى هى أحسن مطلقا وان كانت المعاقبة بمثلها حسنة أيضا أو باحسن ما يمكن أن يقابل به من الحسنات ما لم يؤد ذلك الى المداهنة فى أمر الديانات وتمام الآية فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه هو السميع العليم ولا شك ان معنى الآية الثانية هو الملائم لباب حسن الخلق فى معاشرة الخلق ويؤيده ما روى ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم جاءه اعرابى فصيح فقال اصغ الى أوصلك ثم قال

فى ذوى الاضغان تسلى نفوسهم ٭ تحيتك الحسنى فقد ترفع النغل ٦٦

فان هتفوا بالقول فاعف تكرما ٭ وان خنسوا عنك الكلام فلا تسل

فان الذى يؤذيك منه استماعه ٭ كأن الذى قالوا وراءك لم يقل

فقرأ عليه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ادفع بالتى هى أحسن فقال الاعرابى ليس هذا من كلام البشر وكان سبب اسلامه (وكان) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على ما رواه ابن سعد مرسلا (يجيب من دعاه) أى ولو بعد منزل الداعى ومأواه ولم يكن له مال ولا جاه تواضعا لله وشفقة على خلق الله وجبرا لخواطرهم وتألفا لظواهرهم وليقتدى به أمته مع معاشرهم من معاشرهم (ويقبل الهدية) على ما رواه البخارى أيضا رعاية لزيادة المحبة وافادة الوصلة والمودة وتفاديا من المباغضة والمقاطعة لما ورد تهادوا وتحابوا على ما رواه أبو يعلى فى مسنده عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه وفى رواية أحمد عنه تهادوا ان الهدية تذهب حر الصدر أى غشه (ولو كانت) أى الهدية وهى فعيلة من الاهداء (كراعا) بضم أوله وهو مستدق الساق وهو أدون من الذراع وأما قول التلمسانى أى ذا كراع فيفوت للمبالغة المطلوبة وروى البيهقى عن أنس ولفظه تهادوا فان الهدية تذهب بالسخيمة أى الحقد ولو دعيت الى كراع لاجبت ولو أهدى الى كراع لقبلت ولو هنا للتقليل كما فى حديث ردوا السائل ولو بظلف محرق واتقوا النار ولو بشق تمرة والتمس ولو خاتما من حديد

أيضا الا يتجه كما فصله شراحه وليس هذا محل تفصيله والمعنى انك لو كنت فظا غليظ القلب انفضوا عنك أى تفرقوا ولم يجتمعوا عليك ولكنك بلين جانبك لهم وشفقتك عليهم تؤلف قلوبهم وتزيد محبتهم وهذا امتنان عليه بما جبله الله عليه من الاخلاق الحسنة وقد تقدم الكلام عليه (وقال ادفع بالتى هى أحسن السيئة) الآية التى هى أحسن الصفح والتجاوز والاحسان فى مقابلة السيئة ولا حاجة لتقييدها بما لم يكن فيه وهن فى الدين لانه لا يكون دفعا بالاحسن فان المراد به الاحسن عند الله تعالى وقيل التى هى أحسن كلمة التوحيد والسيئة الشرك وقيل الامر بالمعروف والسيئة المنكر وقدم الجار والمجرور على المفعول الصريح للاهتمام وقصد الحصر أى ادفع بهذا لا بغيره (وكان) صلى الله تعالى عليه وسلم (يجيب من دعاه) لطعامه أو لمنزله جبرا لخاطره وتعليما وتشريعا لامته صلى الله تعالى عليه وسلم سواء كان المدعو اليه وليمة عرس أو غيرها وفى الحديث اذا دعا أحدكم أخاه فليجب وما قيل من ان اجابة دعوة العرس واجبة عينا أو كفاية لورود الامر بها فى الاحاديث الصحيحة فلا يكون ذلك من التفضل ومكارم الاخلاق غير وارد لانه قيل بعدم الوجوب فيها عند الشافعية أيضا كما صرح السبكى ولو سلم فهذا محمول على الاعم من الولائم وغيرها وليس فى العبارة ما يقتضى التخصيص ولا تجب اجابة لغير وليمة عرس ومنه وليمة التسرى كما هو ظاهر وقيل تجب واختاره السبكى لاخبار فيه (و) كان صلى الله تعالى عليه وسلم (يقبل الهدية) لا الصدقة (ولو كانت كراعا) لانه مقتض للتحاب وكراع بضم الكاف وفتح الراء المهملة المخففة والعين المهملة وهى ما تحت الركبة الى الخف والحافر والظلف ولو وصلية هنا تفيد التقليل كاتقوا النار ولو بشق تمرة وقيل الكراع ما دون الكعب من الدواب وقيل كراع كل شئ طرفه وفى الترمذى عن أنس بن مالك قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لو أهدى الى كراع لقبلت ولو دعيت الى كراع لاجبت وكراع الثانى اسم مكان وهو كراع الغميم موضع بين مكة والمدينة والصحيح انه بالمعنى السابق والمقصود المبالغة فى ذلك أى أقبل الهدية ولو كانت حقيرة وأجيب الدعوة ولو كانت الى مكان بعيد ويطلق الكراع على الشاة نفسها وفى الحديث اذا دعى أحدكم فليجب فان كان مفطرا أكل وان كان صائما

دعا

(ويكافئ) بكسر الفاء بعدها همز وتسهل أي يجازي (عليها) أي على الهدية وأصل المكافأة المماثلة وهو أول حسن المعاملة وكان يكافئ بأكثر منها لما سبق عن بنت معوذ بن عفراء ولقوله تعالى وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها على أحد التفاسير فيهما من أن المراد بالتحية هي الهدية وفي رواية البخاري ويثيب عليها من الإثابة وهو مطلق المجازاة أو المجازاة الحسنى لقوله تعالى فأثابهم الله (قال أنس رضي الله تعالى عنه خدمت رسول الله صلى الله تعالى عليه ٦٧ وسلم عشر سنين) أي بعد الهجرة ومبدأ عمره عشر سنين أيضا (فما قال لي أف) بفتح الفاء وكسرها وبنون الثاني وفيها لغات عشر وهذه الثلاث عن السبعة ومعناه الاستقذار والاستحقار وقال الهروي يقال لكل ما يضجر منه ويستثقل ونقل أبو حيان فيها نحو الأربعين وجها من اللغة في الارتشاف وقد نظمها السيوطي (قط) أي أبدا في تلك المدة (وما قال لشيء صنعته) أي فعلته (لم صنعته ولا لشيء تركته) أي ما صنعته (لم تركته) وهذا الحديث كما يدل على حسن خلقه وكمال حلمه صلى الله تعالى عليه وسلم ونظره إلى قضاء الله وقدره يدل على كمال فضيلة أنس رضي الله تعالى عنه وجمال منقبته وجميل أدبه في خدمته مع صغر سنه لكنها كلها مستفادة من بركة ملازمته ومداومة حضرته (وعن عائشة رضي الله تعالى عنها) كما رواه أبو نعيم في دلائل النبوة بسند رواه عنها (ما كان أحد أحسن من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) كما قال حسان

تراه إذا ما جئته متهللا * كأنك تعطيه الذي أنت سائله

(ما دعاه أحد من أصحابه ولا أهل بيته) أي من أزواجه وذريته وأقاربه وأحبابه (إلا قال لبيك) أي تأدبا معهم وتعليما لهم وإحضار النداء به على لسان خلقه وقد ورد أدبني ربي فأحسن تأديبي على ما رواه ابن السمعاني عن ابن مسعود

دعا بالبركة وقوله (ويكافئ عليها) بالهمزة أي يجازي على الهدية بشيء مثلها أو أكثر لأن المكافأة أصل معناها المساواة والمماثلة ومنه قوله صلى الله تعالى عليه وسلم المسلمون تتكافأ دماؤهم أي تتساوى في القصاص وفي البخاري كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقبل الهدية ويثيب عليها واستدل به بعض المالكية على وجوب عوض الهدية إذا أطلق الواهب وكان ممن يرجو الثواب كالفقير الذي يهدي للغني ولم يوافق عليه (وقال أنس رضي الله تعالى عنه) وهو خادم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (خدمت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عشر سنين) وفي رواية لمسلم تسع سنين ولا منافاة بينهما لأنه خدمه تسع سنين وأشهرا فتارة نظر للكسور وجعلها سنة وتارة ألقاها وكان عند عمه أبي طلحة فانطلق به إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال له إن أنسا غلام كيس فليخدمك (فما قال لي أف قط) هي كلمة تقال لما يكره ويتضجر منه وهي اسم فعل فيه لغات نحو الأربعين أشهرها ضم الهمزة وكسر الفاء المشددة وللسيوطي في نظم لغاتها أبيات مشهورة حيث قال

أف ربع أخيره ثم خفف * مبتداه مشددا ومخفف
وبتنوينه وبالترك أف * لا ممالا وبالإمالة مضعف
وبكسر ابتدا وافي مثلث * وزاد الهاء في أف اطلق لا أف
ثم مد بكسر اف واف * ثم افوا فاحفظ ودع ما يزيف

قال الراغب أصل الأف كل مستقذر من وسخ وقلامة ظفر وما يجري مجراهما ويقال لكل مستقذر يستخف به وأففت لكذا إذا قلت له أف والحاصل مما تقدم أن همزته مثلثة وكذا فاؤه مع التنوين وعدمه وقد فصل لغاتها في البحر ومن لطائف السراج الوراق رحمه الله تعالى في مدح ابنه رحمه الله

بني اقتدى بالكتاب العزيز * فزدت سرورا وزاد ابتهاجا
وما قال لي أف في عمره * لكوني أبا ولكوني سراجا

أي لم يتضجر من أمر غير مرضي وقع مني وفيه دليل على زيادة حلمه صلى الله تعالى عليه وسلم (وما قال لشيء صنعته لم صنعته ولا لشيء تركته لم تركته) وهذا الحديث رواه الشيخان (وعن عائشة رضي الله عنها ما كان أحد أحسن خلقا من رسول الله صلى الله عليه وسلم) ثم بينت بعض ذلك بأنه (ما دعاه أحد) أي ناداه فقال يا رسول الله (من أصحابه ولا أهل بيته) خصهم لأن العادة جارية بالمسامحة معهم (إلا قال لبيك) قال السيوطي رواه أبو نعيم في دلائل النبوة بسنده ولبيك كلمة يجاب بها المنادي فالتلبية إجابة المنادي من دعاه من لب وألب إذا أقام بمكان ولم يفارقه فكأنه يقول أنا ثابت على إجابتك ولا تستعمل إلا بلفظ التثنية كأنه قال إجابة بعد إجابة والمراد التكثير كقوله تعالى فارجع البصر كرتين وهو منصوب على المصدرية بعامل لا يظهر وتغلب إضافته لضمير المخاطب وقد يضاف لغيره كما فصله النحاة ولا يجاب به إلا من يعتنى بإجابته وتعظيمه ولذا يقوله الحاج في إجابة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم أتباعه بذلك رعاية لمقامهم وتعظيمهم وهو من خلقه العظيم كما كان النبي صلى الله تعالى

(وقال جرير بن عبد الله) البجلي اليمني (ماحجبني رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي مامنعني عن الدخول

عليه وسلم يخاطب القادم بمرحبا كقوله مرحبا بام هانئ (وقال جرير بن عبد الله) بن جابر بن مالك البجلي سيد قومه قدم على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم سنة عشر من الهجرة على الصحيح لاقبل موته باربعين يوما كما قيل ولما قدم قال صلى الله تعالى عليه وسلم يطلع عليكم خير ذي يمن وكان رضي الله تعالى عنه جميلا حتى قال عمر رضي الله تعالى عنه فيه انه يوسف هذه الامة وأرسله النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لذي الخلصة وهي الكعبة اليمنية وكان فيها اصنام فخربه وقتل من عنده (ماحجبني رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم منذ أسلمت قط) أي مامنعني من الدخول عليه في بيته وقد استأذنته لامطلقا حتى يقال كيف يدخل على غير محرم وحتى يجاب بان المراد في مجلس مختص بالرجال أو المراد مامنعني شيأ سألته واسلامه رضي الله تعالى عنه كان في رمضان سنة عشر كما مر (ولا رآني الاتبسم) وفي رواية الاتبسم في وجهي وهذا الحديث رواه الشيخان والتبسم مبادئ الضحك بحيث يبدو مقدم أسنان فان زاد بلا صوت فضحك فان كان بصوت فهو قهقهة وضحكه صلى الله تعالى عليه وسلم في أغلب أحواله التبسم وربما زاد على ذلك كما ورد انه ضحك حتى بدت نواجذه وقيل انه أريد مجرد مبالغة لا الحقيقة بناء على انه لم يقع منه ذلك والاصح الاول وكثرة الضحك تذهب الوقار وهو مكروه لحديث كثرة الضحك تميت القلب فان لزمه استهزاء باحد وسخرية فحرام (وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يمازح أصحابه) الممازحة تكون بالكلام والفعل ملاطفة ولكنها انما تحمد من الكبار احيانا بحيث لا تؤدي الى أذية صاحبها والمداعبة قريبة منها ولكن بينهما فرق سيأتي وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يمزح أحيانا ولا يقول الاحقا ولكنه يوري في كلامه كما قال لبعض العجائز انه لايدخل الجنة عجوز لانهم يعودون في سن الشباب ولله در القائل

أفد طبعك المكدود بالهم راحة * بانس وعلله بشئ من المزح
ولكن اذا أعطيته المزح فليكن * بمقدار ما يعطى الطعام من الملح

والمزاح بضم الميم اسم وبكسرها مصدر كالمزح وكثرته مذمومة كما قال

فاياك اياك المزاح فانه * يجرى عليك الطفل والرجل النذلا
ويذهب ماء الوجه من كل سيد * ويورثه من بعد عزته ذلا

والصحيح انه جائز وقيل انه مكروه والاصح الاول بشروطه وكان كبار السلف يمزحون وقد قيل الناس في سجن مالم يتمازحوا وورد في الحديث انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان أفكه الناس وكان مزاحا ولا يقول الاحقا (ويخالطهم ويحادثهم) تانيسا لهم وجبرا لقلوبهم (ويداعب صبيانهم) يداعب بالدال المهملة والمداعبة الممازحة مع لعب ولذا خصه بالصبيان كما قال محمود بن الربيع الخزرجي رضي الله تعالى عنه عقلت منه صلى الله تعالى عليه وسلم مجة مجها في وجهي وأنا ابن خمس سنين (ويجلسهم في حجره) كما فعل صلى الله تعالى عليه وسلم مع أم قيس اذ أتته بابن لها صغير لم يأكل الطعام فاجلسه في حجره فبال على ثوبه فدعا بماء فنضحه ولم يغسله وحجر بكسر الحاء المهملة وفتحها معروف وهو ما كان من ثديه على فخذيه وهو جالس (ويجيب دعوة) بفتح الدال المهملة (العبد والحر والامة والمسكين) قال السيوطي اجابته صلى الله تعالى عليه وسلم دعوة العبد رواها البزار عن جابر رضي الله تعالى عنه والترمذي وابن ماجه عن أنس رضي الله تعالى عنه فلا وجه لما قيل اني لم أقف عليه الا في صحيح البخاري من انه صلى الله تعالى عليه وسلم أتى غلاما خياطا فأتاه بقصعة فيها دباء فجعل يتتبعه وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يعلم طيب أنفسهم بما يملكه لكونه لهم فلا يقال كيف أكل مما في يد العبد وهو ومايملكه لسيده

عليه (قط) أي أبدا (منذ أسلمت) أي تلطفا معه وتعظيما لجنابه ان يرده عن بابه ويكسر خاطره بحجابه (ولا رآني الا تبسم) لانه كان مظهر الجمال مع كونه سيدا مطاعا عريض الجاه وسيع البال وقد بسط رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم رداءه اكراما له (وكان يمازح أصحابه) كما ذكره الترمذي في باب مزاحه صلى الله تعالى عليه وسلم مع أصحابه من الرجال والنساء والكبار والصغار ولذا كان ابن سيرين مداعبا ويضحك حتى يسيل لعابه واذا أريد على شئ من دينه كان الثريا أقرب اليه من ذلك (ويخالطهم) أي تواضعا (ويحادثهم) أي يخاطبهم ويكلمهم تأنيسا (ويداعب صبيانهم) أي يلاعبهم ويمازحهم ومنه قوله لجابر هلا بكرا تداعبها وتداعبك في القاموس الدعابة بالضم اللعب وداعبه مازحه (ويجلسهم) بضم أوله أي يقعد صبيانهم (في حجره) بفتح الحاء وتكسر أي في حضنه تلطفا بهم وتطييبا لقلوب آبائهم (ويجيب دعوة الحر والعبد والامة) أي اذا كانا معتقين أو اذا جاآه وطلباه الى منزل سيدهما (والمسكين) تواضعا لربه وتمسكنا للخلق مع جلالة قدره ورفعة محله لحسن خلقه

(ويعود المرضى في أقصى المدينة) أي ولو كانوا في أبعد منازلها (ويقبل عذر المتعذر) أي ولو كانت اعذاره ليست على تحققها
وفي حديث أنه قبل عذر من تخلف عن غزوة تبوك بحسب ما أبرزوا من أقوال ظواهرهم ووكل

لسيده أو يقال كان مكاتبا أو المراد بالعبد من مسه الرق ولو قبل دعوته وقدم العبد اهتماما لبيان أنه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يجيب دعوته مع حقارته بالنسبة للحر (و) أخرج الترمذي بسنده عن أنس رضي الله تعالى عنه قال كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (يعود المرضى) ويشهد الجنازة ويركب الحمار ويجيب دعوة العبد وروى البيهقي دعوة المملوك (في أقصى المدينة) أي في أبعد مكان منها وعيادة المريض سنة مؤكدة لاسيما ممن يتبرك بعيادته لما فيه من التسلية وتأليف القلوب وقيل انها فرض كفاية ولا تختص بمرض وقيل ثلاثة لا عيادة فيها رمد العين ووجعها ووجع الضرس وقيل انه لا يعاد المريض الا بعد ثلاثة أيام وورد في ذلك حديث ضعيف والصحيح انه لا فرق والحديث قال شيخنا الرملي انه موضوع واختلف في عيادة الذمي فقيل تجوز اذا كان يرجى اسلامه أو تضمن مصلحة (ويقبل عذر المعتذر) المعتذر كل من أبدا عذرا سواء كان له حقيقة أم لا وسواء كان من شانه ان يقبل أم لا ولذا لم يقل المعذور لانه من له عذر وعدم قبوله منه مذموم وقبول اعتذاره عفو بقجنايته وعدم مؤاخذته بها لانه من تمام المروءة وهذا كما قبل صلى الله تعالى عليه وسلم عذر من تخلف عن تبوك ووكل سرائرهم الى الله تعالى وكقبوله عذر حاطب بن أبي بلتعة رضي الله تعالى عنه لما كتب لاهل مكة يخبرهم بمسيره صلى الله تعالى عليه وسلم لفتح مكة وقبل صلى الله تعالى عليه وسلم اعتذار المنافقين حتى كذبهم الله تعالى (وقال أنس) رضي الله تعالى عنه قال السيوطي هذا الى قوله بين يدي جليس له رواه أبو داود والترمذي والبيهقي في الدلائل وأخرجه البزار عن أبي هريرة وابن عمر رضي الله تعالى عنهم (ما التقم أحد أذن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي ما جعل احد أذنه محاذية لفمه فتحاذيه وقال الشمني أي ما حدثه أحد عند اذنه فجعله استعارة ولم يحمله على حقيقته وانه فعله للتبرك كما وقع لجابر رضي الله عنه في التقامه لخاتم النبوة لان لفظه مشعر بكثرة ذلك ووقوع مثله كثيرا مستبعد بخلاف قصة جابر رضي الله تعالى عنه لما أردفه صلى الله تعالى عليه وسلم خلفه وأمكنه ذلك بسهولة وأيضا في مثله سوء أدب ومنافاة لغرضه فانه اذا أدخل أذنه في فيه لم يمكنه ادارة لسانه ومناجاته وفي النهاية في الحديث ان رجلا ألقم عينه خصاص الباب أي جعل الشق الذي في الباب محاذي عينه فجعله للعين كاللقمة في الفم انتهى فجعله استعارة كما هنا وهذا لا ينافي ما في الصحيح عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه أنه قال والله لآتين النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فأتيته وهو في ملأ فساررته فغضب حتى احمر وجهه وقال رحم الله موسى لقد أوذي بأكثر من هذا فصبر لانه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يغضب من المسارة بل مما كلمه به والاذن بضم الهمزة والذال المعجمة وقد تسكن (فينحي رأسه عنه) أي يبعدها ويجعلها في ناحية منه (حتى يكون الرجل هو الذي ينحي رأسه) أي حتى يفارقه أو ينفصل منه قليلا (وما أخذ أحد بيده) أي أمسكها (فيرسل يده) أي يطلقها أو يفكها من يده وهو مجاز من أرسل الرسالة اذا بعثها وظاهر كلام ابن القوطية انه معنى حقيقي ان كانت اليد الثانية يد الآخذ فليس من وضع الظاهر موضع الضمير والا فهو منه وقوله (حتى يرسلها الآخذ) غاية لترك ارسالها أي الى ان يرسلها لآخذ وهو بالمد اسم فاعل من الاخذ وفي نسخة الآخر بالراء المهملة وفي البخاري ان كانت الامة لتأخذ بيد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فتنطلق به حيث شاءت وعن أحد فما ينزع يده من يدها وهو عبارة عن الانقياد لشدة تواضعه وتنزهه عن التكبر صلى الله تعالى عليه وسلم وقوله (ولم ير

الى الله أحوال سرائرهم (قال أنس رضي الله تعالى عنه) كما رواه أبو داود والترمذي والبيهقي عنه (ما التقم أحد اذن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) بضم الذال وسكونها فيه استعارة وضع اللقمة في الفم لوضع الفم عند الاذن أي ما جعل أحد اذنه محاذية لفمه ليحادثه مخافتة (فينحي) من التنحية أي فيبعد (رأسه) وهو في حكم المستثنى أي الا فيستمر ملقما له اذنه غير منحي عنه وجهه (حتى يكون الرجل) الملتقم (هو) ضمير فصل (الذي ينحي رأسه) في محل نصب على انه خبر كان وحتى غاية لقوله فينحي رأسه (وما أخذ أحد بيده) أي مصافحة أو مبايعة (فيرسل) أي فيطلق (يده) من وضع الظاهر موضع المضمر أي الا فيستمر يده في يد آخذها (حتى يرسلها الآخر) بفتح الخاء المعجمة فراء نقيض الاول وفي أصل الدلجي بكسر خاء فذال معجمة وحتى غاية لتركها حتى يرسلها هو وهو تصحيف (ولم ير) بصيغة المجهول أي ولم يبصر حال كونه

(مقدما) بكسر الدال المهملة المشددة أي لم يعلم مقدما (ركبتيه بين يدي جليس له) أي فضلا عن أن يمد رجليه عند أحد من جلسائه وهذا كله تواضع وكمال تأدب وحسن عشرة (وكان) على ما في حديث ابن أبي هالة (يبدأ) أي يبتدئ وفي رواية يبدر بضم الدال والراء أي يبادر ويسبق (من لقيه بالسلام) فان هذه السنة أفضل من الفريضة لما فيه من التواضع والندب لاداء الواجب والضمير البارز له صلى الله تعالى عليه وسلم والضمير المستتر لمن ويحتمل العكس والاول أقرب الى الادب (ويبدأ أصحابه بالمصافحة) مفاعلة من الصاق صفحة الكف بالكف ويلزم منه مقابلة الوجه بالوجه عند اللقاء لانها ملحوظة في معنى المصافحة خلافا لما يتوهم من كلام الدلجي ثم يستفاد من الحديث ان ما يفعله بعض العامة من مد الاصابع أو اشارة بعضها ليس على وجه السنة ثم رأيت التلمساني قال وصفتها وضع بطن الكف على بطن الاخرى عند التلاقي مع ملازمة ذلك على قدر ما يقع من السلام أو من السؤال والكلام ان عرض لهما وأما اختطاف اليد في أثر التلاقي فهو مكروه وهذا وزاد الدلجي عن أبي ذر ما لقيته قط الا صافحني وأسنده الى أبي داود وهو ليس بموجود في النسخ المصححة والاصول المعتمدة (لم ير) أي كما رواه الدارقطني في غريب مالك وضعفه والمعنى لم يبصر أو لم يعلم (قط مادا رجليه) أو احديهما (بين أصحابه حتى لا يضيق بهما على أحد) وهو كالعلة لتركه مدهما أي كان يترك مدهما حذرا من ان يضيق بهما على أحد من جلسائه ذلك شفقة عليهم وهو لا ينافي قصد تواضعه وارادة أدبه معهم وفيه اقتباس من قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذا قيل لكم أي ولو بلسان الحال تفسحوا في المجالس فافسحوا يفسح الله لكم (يكرم من يدخل عليه) أي استئناسا والجملة وقعت استئنافا كما وقع ما قبلها ولعله فصلها عما قبلها حذرا من توهم كونها تتمة حديث سبقها (وربما بسط له) أي فرش للداخل عليه (ثوبه) اكراما له منهم وائل بن حجر الحضرمي ولعل المراد بثوبه رداؤه لقوله

صلى الله تعالى عليه وسلم مقدما ركبتيه بين يدي جليس له) من جملة حديث أنس رضي الله تعالى عنه ففي المصابيح أنه صلى الله تعالى عليه وسلم كان اذا صافح الرجل لم ينزع يده من يده حتى يكون هو الذي ينزع يده ولا يصرف وجهه عن وجهه حتى يكون هو الذي يصرف وجهه أو هو رواية أخرى وهو الظاهر لما بينهما من المخالفة ومعنى لم ير مقدما الى آخره انه يخفض ركبتيه تعظيما لجلسائه وقيل المراد بالركبتين الرجلان أي كان لا يمد رجليه في مجلسه لما روي في حديث آخر أنه صلى الله تعالى عليه وسلم لم ير قط مادا رجليه بين أصحابه كما سيأتي يعني أنه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يساوي جليسه ولا يتقدم عليه بركبتيه حتى كان الغريب يجيء فلا يعرفه ويسأل عنه (وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يبدأ) أي يبتدئ (من لقيه بالسلام) من تفيد العموم أي كل أحد لقيه صغيرا أو كبيرا من المسلمين الا في مواضع لا يستحب السلام فيها وأما الكفرة فلا يسلم عليهم وجوز بعضهم ابتداءهم بالسلام أيضا (ويبدأ أصحابه بالمصافحة) مفاعلة من الصفح أي يجعل صفحة يده الشريفة على صفحة يده وفي الحديث تمام تحيتكم بينكم المصافحة وهي سنة عند التلاقي وكانت الصحابة رضي الله تعالى عنهم تفعله واذا قدموا من سفر تعانقوا وكانت الصحابة رضي الله تعالى عنهم تقبل يده أيضا وهي مستحبة للكبير وكرهها مالك أما اذا كان على وجه التكبر فيكره وقال النووي انه مستحب أيضا لاهل الشرف والصلاح وأما لاهل الدنيا فكروه وقال فقهاؤنا لا بأس بالمصافحة لانها سنة متوارثة لما ورد في الحديث أيضا تصافحوا وقيل انه من الصفح وهو العفو أي ليصفح أحدكم عن غيره ولا يناقشه والمشهور الاول وأما بعد صلاة الجمعة والعيد فقالوا انه بدعة وهو من فعل المشايخ كأنهم كانوا في الصلاة غائبين عمن حضرهم ومن كان هذا حاله لا يكره منه (ولم ير صلى الله تعالى عليه وسلم قط مادا رجليه بين أصحابه حتى يضيق بهما على أحد) هذا اشارة الى انه كان ذلك في مجلس يكثر فيه الناس أما اذا كان وحده أو في قليل من خواصه فكان صلى الله تعالى عليه وسلم قد يتكئ وقد يضع احدى رجليه على الاخرى كما ورد في بعض الاحاديث (يكرم من يدخل عليه) بالقيام له وبملاطفة كقيامه صلى الله تعالى عليه وسلم لسعد ابن معاذ رضي الله عنه وقال صلى الله عليه وسلم لما قدم سعد قوموا لسيدكم وكره بعضهم القيام مطلقا لحديث من أحب ان يتمثل له الناس قياما وجبت له النار وحمل هذا على عادة الاعاجم في وقوف الناس بين أيديهم أما القيام للعلماء والصلحاء فيستحب كما يأتي وكان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اذا جاء قام له الصحابة وممن ذهب لكراهته ابن حجر رحمه الله تعالى وقال في قوله صلى الله تعالى عليه وسلم قوموا لسيدكم انما كان لانه قدم على حمار وكان مريضا وفي رواية قوموا لسيدكم فانزلوه ورد بانه لو كان كذلك لم يأمر جميع الناس الحاضرين بالقيام له ولذا استدل النووي به وفيه نظر (وربما بسط له) أي لمن يدخل عليه (ثوبه) تعظيما له كما جعل

(و يؤثره) أي يقدمه على نفسه و يفرده (بالوسادة) اي بالجلوس عليها والاعتماد على المخدة (التى تحته) أي كانت تحته مفروشة اجلالا له وتكريما (و يعزم) اي يؤكد (عليه) اي على الداخل له (فى الجلوس عليها) لدفع الوحشة وحصول المعذرة (ان أبى) اي امتنع من الجلوس عليها تادبا لتلك الحضرة (و يكنى) بتشديد النون (اصحابه) ٧١ اى يجعل لهم كنى جمع كنية كأبى تراب وأبى هريرة وام سلمة وهو من الكناية لما فيها من ترك التصريح باسمائهم الاعلام وهو من آداب الكرام واما أبو لهب فعدل عن اسمه عبد العزى كراهة لذكره أو تفاؤلا لمفرده أو لاشتهاره به وأبعد من قال لتالقه (و يدعوهم باحب اسمائهم) أى تارة او المراد من الاسماء ما يعم الاعلام والالقاب والكنى والمعنى انه لا ينبزهم بما يكرهونه بل يدعوهم بما يحبونه (تكرمة لهم) أى تكريما لهم وتعليما لهم فى العمل باصحابهم والتكرمة بكسر الراء وقول التلمسانى بضم الراء وهم (ولا يقطع على أحد حديثه) أى بادخال كلام فى اثنائه قبل تمامه (حتى يتجوز) غاية لترك قطعه حديثه الى ان يتجاوز منه و يتعدى الى مالا يليق به وقال التلمسانى أى يفرط و يكثر والاول هو الاظهر فتدبره (فيقطعه) أى فحينئذ يقطع حديثه (بنهى) أى صريح له أو عام يشمله (اوقيام) أى بتلويح والاول زجر له والثانى اعراض عنه وهو مفيد لنهيه عنه اذ لا يقر على مثله و يروى بانتهاء أو قيام (و يروى) أى كما فى الاحياء وفى نسخة وروى (انه كان لا يجلس اليه أحد وهو يصلى) أى والحال انه عليه الصلاة والسلام فى صلاة من النوافل (الا خفف صلاته) أى فى اطالة صلاته

ذلك لعدى بن حاتم ولاخته عليه السلام من الرضاعة لما أتياه كما يأتى (و يؤثره بالوسادة) الايثار تقديم غيره على نفسه فى بعض الامور والوسادة ما يتوسد اى يوضع تحت الرأس وهى التى تسمى مخدة و يقال اسادة بالهمزة ووساد بدون هاء وقضية قوله (التى تحته) كما فى البخارى انها فراش يجلس عليه وكانت محشوة بالليف وقال عدى بن حاتم دخلت على النبى صلى الله عليه وسلم فقال من الرجل فقلت عدى بن حاتم فقام وانطلق بى الى بيته فوالله انه لعامد بى اذ لقيته امرأة ضعيفة كبيرة واستوقفته فوقف لها طويلا تكلمه فى حاجتها فقلت فى نفسى والله ما هذا بملك ثم مضى حتى دخل بيته فتناول وسادة كبيرة من ادم محشوة ليفا فقذفها وقال لى اجلس على هذه فقلت بل انت فاجلس عليها فجلس على الارض وصارت الوسادة بينى و بينه فانظر لمكارم هذه الاخلاق فقلت والله ما هذا بملك وهذا يدل على ان الوسادة فراش لا مخدة ولا عبرة بتفسير الجوهرى لها بالمخدة فقط (و يعزم عليه فى الجلوس) أى يقسم عليه ان يجلس على وسادته بان يقول له بالله اجلس انت قال فى التهذيب يقال عزمت عليك لتفعلن كذا أى أقسمت انتهى وهو مأخوذ من العزم وهو التصميم فى الامر وقوله (عليها) اى على الوسادة (ان أبى) اى امتنع من الجلوس حياء من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (و يكنى أصحابه) اى يضع لهم كنية كابى فلان أو يدعوهم بالكنية تكريما (و يدعوهم) أى يناديهم (باحب اسمائهم تكرمة لهم) اى يفعل ذلك صلى الله تعالى عليه وسلم لاجل اكرامهم وتعظيمهم تلطفا بهم وتأدبا معهم فان نداء المرء بكنيته تعظيم وكذا كان صلى الله تعالى عليه وسلم يكنى من لا كنية له كما قال للطفيل الذى كان معه طائر يسمى نغيرا يا أبا عمير ما فعل النغير وفيه دليل على جواز تكنية من لا ولد له على عادة العرب تفاؤلا بان يعمر و يرزق اولادا خلافا لمن منع ذلك وقال انه خلاف الواقع فهو كذب وأخرج الطبرانى عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه قال كنانى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أبا عبد الرحمن قبل ان يولد لى وسنده صحيح وعن بعض السلف بادروا أولادكم بالكنى قبل ان يغلب عليهم الالقاب وكره بعضهم تكنية المرء نفسه الا لقصد التعريف وقال النووى يجوز تكنية الكافر بشرطين الاول ان لا يعرف الا بكنيته الثانى ان يخاف من ذكر اسمه فتنة فالاول كأبى طالب والثانى كأبى حباب لابن سلول وفيه نظر وقد تكون لامر آخر كأبى لهب فانه اشارة الى انه جهنمى وقيل كنى بذلك لحسن وجهه (ولا يقطع على أحد حديثه) اى من يحدث عنده يصغى اليه ولا يقطع حديثه بتكلمه بكلام آخر او قيامه أو نهيه عن الكلام فان مثله يؤذى المتكلم (حتى يتجوز) بياء وتاء مفتوحتين وجيم مفتوحة وواو مشددة وزاء معجمة غاية لتركه قطع حديثه أى حتى يكثر فيتجاوز الحد أو يخرج الى مالا يليق من الكلام فهو من التجاوز أو الجواز كما يأتى (فيقطعه بنهى) عن الكلام (اوقيام) من مجلسه اعراضا عنه وهو مفيد لنهيه عنه (و يروى بانتهاء او قيام) فالنهى بمعنى الانتهاء اذ الروايات تفسر بعضها بعضا وهذا وقع فى بعض النسخ فالمعنى حتى يجوز ذلك فى حديثه فيقطع حديث نفسه اما بسبب انه انتهى ولم يبق منه شئ او لقيامه عن المجلس والتجوز على هذا بمعنى التخفيف له والتقليل منه وقيل معناه ينطبق بما هو غير حقيقى كان يتكلم بما لا يليق من الكلام (وروى انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان لا يجلس اليه أحد) أى لا يجلس متوجها اليه والمراد لا يجلس عنده صلى الله تعالى عليه وسلم (وهو يصلى الا خفف صلاته) أى أسرع فيها

(وساله عن حاجته) أي دنيوية كانت أو أخروية (فاذا فرغ) أي عن قضاء حاجته (عاد الى صلاته) اى المعتادة بالاطالة قال العراقى ولم أجد له أصلا (وكان اكثر الناس تبسما) لكونه مظهر الجمال والبسط غالب عليه فى كل حال وهذا معنى قوله (وأطيبهم نفسا) أى مستبشرا غير عبوس (مالم ينزل عليه) بصيغة المجهول ويصح كونه للفاعل (قرآن) أى وحى متلو (او يعظ) أى مالم

ينصح ويعظ الناس ويعلمهم التاديب بالترغيب والترهيب (أو يخطب) أى فى المنبر عند الجمع لا كبر فانه حينئذ لم يكن متبسما ولا منبسطا بل كان يغلب عليه القبض لما فيه من مقال الاجلال باظهار مظاهر ذى الجلال ففى كل مقام مقال ولكل مقال حال لارباب الكمال (قال) أى على ما رواه أحمد والترمذى بسند حسن (عبد الله بن الحارث) وهو آخر من توفى من الصحابة بمصر والمراد به ابن جزء بن عبد الله بن معدى كرب الزبيدى بضم الزاى وفى الصحابة من اسمه عبد الحارث أربعة عشر غيره على ما ذكره الحلبى وقال حديثه المذكور ههنا أخرجه الترمذى فى المناقب من الجامع وهو فى الشمائل ايضا (ما رأيت أحدا أكثر تبسما من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعن أنس قال) كما رواه مسلم (كان خدم المدينة) بفتحتين جمع خادم والمعنى خدام أهلها (ياتون رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا صلى الغدوة) أى صلاة الصبح والغدوة (بآنيتهم) متعلق بيأتون والباء للتعدية أى يجيئون باوانيهم (فيها الماء فما يؤتى) بصيغة المفعول من أتى ياتى أى ما يجاء (بآنية الا غمس) أى ادخل (يده فيها وربما كان ذلك فى الغدوة الباردة) أى وهو مع ذلك لا يمتنع مما هنالك

فقطعها او التخفيف ضد التطويل وسياتى بيانه (وساله عن حاجته واذا فرغ) صلى الله تعالى عليه وسلم من كلامه وبيان حاجته (عاد) صلى الله تعالى عليه وسلم (الى صلاته) التى كان فيها وقال البرهان الحلبى هذا الحديث منكر وقد ذكره فى الاحياء فى آداب المعيشة وقال العراقى فى تخريج احاديث الاحياء لم أجد له أصلا انتهى ولذا قيل لو أورد حديث الصحيحين الآتى انى لاقوم الى الصلاة اريد ان أطول فيها فاسمع بكاء الصبى فاتجوز فى صلاتى كراهة ان أشق عليه كان اظهر فانه متفق عليه وهو فى معنى حديث الاحياء (وكان صلى الله تعالى عليه وسلم أكثر الناس تبسما) وقد تقدم معنى التبسم وما يتعلق به (وأطيبهم نفسا) اى لم يكن مقطبا وعبوسا فى مجلسه لطيب نفسه وهذا وما بعده حديث رواه أحمد والترمذى بسند حسن (مالم ينزل عليه قرآن أو يعظ أو يخطب) قال الشيخ قاسم بن قطلوبغا فى تخريج احاديث هذا الكتاب عن عبد الله بن الحارث بن جزء الزبيدى قال ما رأيت أكثر تبسما من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم رواه الترمذى وقال غريب وقد تقدم وعن على كرم الله وجهه والزبير رضى الله تعالى عنه كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا كان حديث عهد بجبريل عليه الصلاة والسلام لم يتبسم ضاحكا حتى يرتفع عنه أخرجه أحمد وأبو يعلى من حديث الزبير رضى الله تعالى عنه من غير شك وعن جابر رضى الله تعالى عنه كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اذا نزل عليه الوحى قلت نذير قوم فاذا سرى عنه فاكثر الناس ضحكا أخرجه الطبرانى فى مكارم الاخلاق وفيه ابن أبى ليلى سيئ الحفظ وعن على والزبير كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يخطب فيذكرنا بايام الله حتى يعرف ذلك فى وجهه وكانه نذير قوم يصبحهم الامر غدوة أخرجه أحمد وأبو يعلى من حديث الزبير رضى الله عنه من غير شك وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما كان صلى الله عليه وسلم اذا خطب احمرت وجنتاه واشتد غضبه رواه مسلم والحاكم من حديثه كان اذا ذكر الساعة احمرت وجنتاه واشتد غضبه انتهى وكونه صلى الله تعالى عليه وسلم لا يتبسم فى هذه الحالات لتوجهه عند نزول الوحى فيه تادبا معه وفيما بعده لانه مقام نذار وخوف وتخويف (قال عبد الله بن الحارث) بن جزء بن عبد الله بن معدى كرب بن غنم الزبيدى الصحابى سكن مصر ومات رضى الله تعالى عنه بها سنة خمس أو سبع وثمانين وهو آخر من مات بها ببلدة تسمى سفط قرية من شمنود بالغربية وقيل مات باليمامة حكاه ابن منده عن ابن يونس وقال انه شهد بدرا ولابن حجر فيه كلام (ما رأيت أحدا أكثر تبسما من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) لان طلاقة الوجه من مكارم الاخلاق وفى الحديث تبسمك فى وجه أخيك صدقة (وعن أنس رضى الله تعالى عنه كان خدم المدينة) خدم بفتحتين بزنة حسن جمع خادم وفعل فى جمع فاعل جاء فى ألفاظ محصورة نظمها ابن مالك رحمه الله تعالى وقيل انه اسم جمع وهو بالتاء كثير نحو كملة جمع كامل والمراد بالخدم العبيد والجوارى وهذا الحديث رواه مسلم وهو حديث صحيح (ياتون رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا صلى الغداة) اى الصبح (بآنيتهم فيها الماء) والآنية جمع اناء ككساء وأكسية وهو ما يوضع فيه الشئ والاوانى جمع الجمع وكثير من الناس يظن ان الآنية مفردة وظاهر قوله (فما يؤتى بآنية الا غمس يده فيها) يوهم ذلك (وربما كان ذلك) اى اتيانهم بالاوانى وغمس يده فيها (فى الغداة الباردة)

(يريدون به) أي بغمس يده فيها (التبرك) أي طلب البركة وحصول النعمة وزوال النقمة وكمال الرحمة هذا وفي الحديث المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم أعظم أجرا من الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم *(فصل)* (وأما الشفقة) أي الخوف على وجه المحبة (والرأفة) وهي شدة الرحمة (والرحمة) أي المرحمة العامة (لجميع الخلق) أي مؤمنهم وكافرهم وإنسهم وجنهم وقريبهم وغريبهم وفقيرهم وغنيهم حتى مماليكهم والحيوانات وسائر الموجودات وفي نسخة صحيحة بتأخير الرأفة عن الرحمة وهو الانسب في مقام المرتبة لكن الاول أوفق بما جاء في التنزيل فهو أولى (فقد قال الله تعالى فيه) أي في حقه عليه الصلاة والسلام (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم) كذا في أكثر النسخ وفي بعضها بعد قوله فيه عزيز الخ أي شديد شاق عليه عنتكم ولقاؤكم المكروه فما مصدرية وعلى متعلق بقوله عزيز ويجوز أن يكون عزيز منقطعا عما بعده بمعنى عزيز الوجود غزير الجود بديع الجمال منيع الجلال منبع الكمال ويكون عليه ما عنتم جملة خبرها مقدم وعلى للضرر أي ويضره ولا يهون عليه تعبكم ومشقتكم حريص عليكم أي على منفعتكم دينا ودنيا بالمؤمنين منكم ومن غيركم رؤف رحيم في الدنيا والآخرة وقد أبلغهما رعاية للفاصلة أو للتذييل والتتميم وقدم الجار لاختصاصهم برحمته في

(١٠ شفا نى) الاولى والعقبى (وقال وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) لأنه أرسل لاسعادهم وصلاح معاشهم ومعادهم ان اتبعوه ولم يخالفوه (قال بعضهم) أي بعض العلماء وفصله عما قبله لاختلاف القائل قدما وحدوثا (من فضله عليه الصلاة والسلام ان الله تعالى أعطاه) أي من جملة ما فضل به على غيره ومما دل على كمال خيره ان الله تعالى أعطاه بخلقه سبحانه وتعالى فيه الرأفة والرحمة (اسمين من أسمائه) أي نعتين سماه بهما (فقال بالمؤمنين رؤف رحيم) وفي قراءة رؤف بالقصر (وحكى نحوه) أي نقل مثل ما ذكر عن بعضهم (الامام أبو بكر بن فورك) بضم فاء وسكون واو وفتح راء وكاف منون وقد يمنع بلغت تصانيفه في الاصلين ومعاني القرآن قريبا من مائة مصنف توفي في سنة ست وأربعمائة (حدثنا الفقيه أبو محمد بن عبد الله بن محمد الخشني) بضم الخاء المعجمة وفتح الشين المنقوطة فنون فياء نسبة لقبيلة خشين (بقراءتي عليه

والغدوة والغداة أول النهار وقوبل في القرآن الغدو بالآصال والغداة بالعشي ووصفها بالباردة إشارة لما فيه من زيادة تحمل المشاق لاجل التلطف مع الناس وإنما فعلوا ذلك تبركا بآثاره صلى الله تعالى عليه وسلم وما مسته يده الشريفة وقوله (يريدون به التبرك) يحتمل انه من كلام المصنف فان البغوي رحمه الله تعالى رواه في مصابيحه بدون هذه الزيادة وفيه إرشاد للتبرك بآثار العلماء والصلحاء

(فصل وأما الشفقة والرأفة والرحمة لجميع الخلق) والفرق بين هذه الثلاثة ان الشفقة رحمة ورقة قلب وخوف من نزول مكروه بمن يشفق عليه كما في الاساس والرأفة التلطف بمن يريد اكرامه بالبشر والايناس كما قال قيس الرقيات

ملكه ملك رأفة ليس فيه * جبروت يرى ولا كبرياء

فقابلها بالجبروت صريحة فيه وليست أشد الرحمة كما توهمه بعضهم وان استعملت بهذا المعنى كما مر تحقيقه فما قيل انها أرق من الرحمة ولا تكاد تقع في الكراهة كالرحمة غير موجه وقوله لجميع الخلق يعني انها لا تختص باحد كرحمة غيره لقوله تعالى وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين (فقد قال الله تعالى فيه) أي في حقه وصفته عليه الصلاة والسلام (عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم) عزيز من عز بمعنى اشتد وصعب والعنت المشقة أي يصعب عليه مشقتكم وما يؤلمكم لرأفته ورحمته وقد تقدم الكلام على هذه الآية وقوله بالمؤمنين لا يناسب قوله لجميع الخلق فالانسب ان يقتصر على قوله (وقال الله تعالى وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) وقد أشار المصنف رحمه الله تعالى لدفع هذا في الفصل الاول من ان صدر الآية عام والرحمة المخصوصة بالمؤمنين لا تنافي العموم فكأنه يشق عليه لعموم رحمته صلى الله تعالى عليه وسلم كل ما يقع بهم لحرصه على هدايتهم وإرشادهم فهي مطابقة لهذه الآية كما يعلم من كلامه هناك وقد تقدم ما ذكر لانه اسم وذكره هنا لغرض آخر كالآيات المكررة في القرآن فلا وجه لما قيل انه تكرار لا فائدة فيه لزيادته على المقصود ولو نبه على ما قلنا كان أولى به لكنه حريص على العنت كما لا يخفى لمن سبره (قال بعضهم من فضله عليه الصلاة والسلام ان الله تعالى أعطاه اسمين من أسمائه فقال بالمؤمنين رؤف رحيم) تقدم الكلام على هذا وأعاده هنا لمعنى آخر فلا تكرار بل فيه فائدة قال السيوطي رحمه الله تعالى ظاهر كلام المفسرين ان الرحيم يوصف به غير الله بخلاف الرحمن لكن أخرج ابن أبي حاتم الرحيم لا يستطيع الناس ان ينتحلوه ويظهر لي ان مراده المعرف باللام دون المنكر والمضاف انتهى (وحكى نحوه الامام أبو بكر بن فورك) تقدم الكلام عليه وعلى اسمه واسم أبيه وهو امام جليل بلغت تصانيفه أكثر من مائة مصنف جليل توفي في سنة ست وأربعمائة قال (حدثنا الفقيه أبو محمد عبد الله بن محمد الخشني بقراءتي عليه) وهو عبد الله بن أبي بكر بن أبي جعفر بن محمد الخشني بضم الخاء وفتح

حدثنا امام الحرمين أبو على الطبرى) بفتح الطاء المهملة والموحدة هكذا هو فى الاصول المعتبرة والنسخ المعتمدة وقال الحلبى كذا وفى نسخة فى الاصل الذى وقفت عليه امام الحرمين حدثنا أبو على الطبرى انتهى والطبرى منسوب الى طبرستان وقيل الى طبرية (حدثنا عبد الغافر الفارسى) بكسر الراء وهو النيسابورى صاحب تاريخ نيسابور وكتاب مجمع الغرائب والمفهم

لشرح مسلم ولد سنة احدى وخمسين وأربعمائة سمع جده لامه أبا القاسم القشيرى وتفقه على امام الحرمين ولزمه أربع سنين حدث عنه جماعة وروى عنه ابن عساكر بالاجازة (حدثنا أبو أحمد الجلودى) بضم الجيم واللام وقد تقدم (حدثنا ابراهيم بن سفيان) سبق ذكره (حدثنا مسلم بن الحجاج) أى صاحب الصحيح (حدثنا أبو طاهر) روى عن ابن عيينة والشافعى وخلق وعنه مسلم وأبو داود والنسائى وابن ماجه (حدثنا) أى أنبأنا وفى نسخة انا يعنى أخبرنا (ابن وهب) أحد الاعلام سمع مالكا وغيره أخرج له أصحاب الكتب الستة طلب للقضاء فخنق نفسه وانقطع (نا) أى أنبأنا (يونس) أى ابن زيد الايلى بفتح همزة وسكون تحتية روى عن عكرمة والزهرى وعنه ابن المبارك وغيره قال الحلبى وفى يونس ست لغات ضم النون وفتحها (مائة وكسرها مع الهمزة وعدمه (عن ابن شهاب) أى الزهرى (قال غزا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم غزوة وذكر حنينا) بالتصغير أى وذكر ما يدل على انه أراد بها حنينا وهو واد بين مكة والطائف وراء عرفات على بضعة عشر ميلا من مكة وكانت غزوته فى شوال سنة ثمان (قال) أى ابن شهاب (فاعطى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أى فى تلك الغزوة من غنائمها (صفوان بن أمية) تصغير أمة

الشين المعجمتين ونون نسبة لخشينة مصغرا اسم قبيلة ولد سنة تسع وأربعين وأربعمائة ومات بمرسية من بلاد المغرب سنة ست وعشرين وخمسمائة وتقدم الكلام على قوله بقراءتى عليه قال (حدثنا امام الحرمين أبو على الطبرى) هو الامام أبو عبد الله ويقال أبو الحسين بن على شيخ الحسين ومحتده بمكة والطبرى منسوب لطبرستان أو لطبرية والاول أصح قال (حدثنا عبد الغافر الفارسى) الامام الزاهد العدل أبو محمد عبد الغافر بن محمد الفارسى أحد رواة مسلم المشهور بالرواية عن الجلودى ولد سنة احدى وخمسين وأربعمائة وتوفى فى سنة سبع وعشرين وخمسمائة وعمره ثمان وسبعون سنة قال (حدثنا أبو أحمد الجلودى) تقدم الكلام عليه وعلى نسبته وانه يجوز فيه فتح الجيم وضمها وقد قيل هنا ان عبد الغافر لم ير الجلودى ولا روى عنه صحيح مسلم وانما الراوى جده أبو أمه واسمه عبد الغافر أيضا كحفيده لكنهما اختلفا كنية وأبا فان كنية الاول أبو الحسن وهذا أبو الحسين مصغرا واسم أبى الاول محمد وهذا اسمعيل وتاريخ موتهما مختلف فيه وهذا لم يدرك الجلودى وقال السبكى رحمه الله تعالى فى طبقاته بين هذا وبين الجلودى اثنان وهذا مما لم ينبه عليه البرهان مع اطلاعه وهو مما ينبغى التنبه له قال (حدثنا ابراهيم بن سفيان) تقدم أيضا وان سين سفيان مثلثة قال (حدثنا مسلم بن الحجاج) الامام المشهور صاحب الصحيح وقد تقدمت ترجمته قال (حدثنا أبو الطاهر) أحمد بن عمرو بن عبد الله بن عمرو بن سرح بمهملات بزنة ضرب الاموى مولاهم المصرى روى عنه أصحاب السنن وغيرهم وثقه النسائى وقال أبو حاتم لا بأس به وكان فقيها صالحا ثبتا توفى فى ذى القعدة سنة خمسين ومائتين قال (أخبرنا ابن وهب) أبو محمد عبد الله الفهرى أحد الاعلام روى عنه الستة وتوفى فى سنة سبع وتسعين ومائة (أخبرنا يونس) بن يزيد الايلى بفتح الهمزة وسكون المثناة التحتية واللام وياء النسبة أحد الاثبات روى له أصحاب الكتب الستة وهو ثقة ثبت توفى سنة تسع وخمسين ومائة وله ترجمة فى الميزان وفى يونس ست لغات بتثليث النون مع الواو والهمزة (عن ابن شهاب) الامام أبو بكر بن مسلم الزهرى وقد تقدم (قال غزا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم غزوة وذكر حنينا) تقدم الكلام على حنين قال البرهان الحلبى الراوى اذا قدم الحديث على السند كأن يقول قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كذا أخبرنى به فلان ويذكر سنده أو قدم بعض الاسناد مع المتن كما نحن فيه قال بعد هذا قال ابن شهاب حدثنا سعيد بن المسيب ان صفوان بن أمية الى آخره فهو اسناد متصل ولا يمنع ذلك الحكم باتصاله كما لو ذكر الاسناد بتمامه أولا وقال ابن الصلاح ينبغى أن يكون فيه خلاف كتقديم بعض المتن على بعض وحكى الخطيب المنع من ذلك على القول بان الرواية بالمعنى لا تجوز والجواز على القول بانها تجوز ولا فرق بينهما فى ذلك انتهى وفى جعله كالرواية بالمعنى خفاء (قال فاعطى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم صفوان بن أمية) ابن وهب بن حذافة بن جمح القرشى الجمحى الصحابى وكنيته أبو وهب أسلم بعد الفتح وشهد مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حنينا والطائف وهو مشرك ثم أسلم وحسن اسلامه بعدما كان من المؤلفة قلوبهم وكان رئيس بنى جمح وكان يعادى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ويؤذيه أذية بالغة مع ما بينهما من الرحم فجازاه على اساءته بالاحسان الزائد اليه

(مائة من النعم) بفتحتين أى الابل والبقر والشاة وقيل الابل والشاة وهو جمع لا واحد له من لفظه وفى رواية من الغنم (ثم مائة ثم مائة) أى ثلاثة تألفا اليه وشفقة عليه وانقاذا له من النار ولمن تبعه من الكفار (قال ابن شهاب ثنا) أى حدثنا كما فى نسخة (سعيد بن المسيب) بفتح تحتية المشددة عند العراقيين وهو المشهور وبكسرها عند المدنيين وذكر ان سعيدا كان يكره الفتح وهو امام التابعين وسيدهم جمع بين الفقه والحديث والعبادة والورع روى عنه انه صلى الصبح بوضوء العشاء خمسين سنة وعنه انه قال ما نظرت الى قفاء رجل فى الصلاة مذ خمسين سنة لمحافظته على الصف الاول وقال أيضا ما فاتتنى التكبيرة الاولى مذ خمسين سنة وكان يسمى حمامة المسجد وكان يتجر فى الزيت (ان صفوان قال والله لقد أعطانى) أى رسول الله (ما أعطانى) أى الذى اعطانيه من المئين (وانه لابغض الخلق الى) الجملة الحالية (فما زال يعطينى) أى بعد ذلك (حتى انه) أى انه عليه الصلاة والسلام صار الآن (لاحب الخلق الى) وذلك لعلمه عليه الصلاة والسلام ان دواءه من داء الكفر ذلك المنتج اسلامه اذا الطبيب الماهر يعالج بما يناسب الداء وقدر أى ان داء المؤلفة حب المال والانعام فدواهم باكرم الانعام حتى عوفوا من نقمة الكفر بنعمة الاسلام ثم اعلم ان الراوى اذا قدم الحديث على السند كان يقول قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كذا وكذا أخبرنى به فلان ويذكر سنده أو قدم بعض الاسناد مع المتن كهذا الحديث الذى نحن فيه فهو اسناد متصل لا يمنع ذلك الحكم باتصاله ولا يمنع ذلك من روى كذلك أى تحمله من شيخه كذلك بان يبتدئ بالاسناد جميعه أولا ثم يذكر المتن كما جوزه بعض المتقدمين من أهل الحديث قال الشيخ أبو عمرو ابن الصلاح وينبغى أن يكون فيه خلاف نحو الخلاف فى تقديم بعض المتن على بعض فقد حكى الخطيب المنع من ذلك على القول بان الرواية على المعنى لا تجوز والجوز على القول بان الرواية على المعنى تجوز ولا فرق بينهما فى ذلك كذا ذكره الحلبى (وروى) بصيغة المجهول وقد روى أبو الشيخ والبزار (ان اعرابيا) وهو غير معروف (جاء) أى أتى النبى عليه الصلاة والسلام (يطلب منه شيأ) أى من مطالب الدنيا (فاعطاه اياه ثم قال) أى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (أحسنت اليك) بهمزة ممدودة وسكون حاء لاجتماع همزة الاستفهام وهمزة الافعال للتقرير وهو حمل المخاطب على الاقرار بانه أحسن اليه وأنعم عليه (قال الاعرابى لا) أى لا أعطيتنى كثيرا ولا قليلا (ولا أجملت) أى ولا أتيت بالجميل أو ولا أوصلتنى جميلا حيث لا أحسنت جزيلا وقيل معناهما واحد كرر للتأكيد وقيل ما أجملت ما أكثرت وهو أولى كما لا يخفى ولا يبعد من غلظته وجلافته لديه ان أراد بقوله ولا أجملت دعاء عليه ويؤيده قوله

(مائة من النعم ثم مائة ثم مائة) والنعم اسم جمع للابل لا واحد له من لفظه وجمعه انعام وقال العزيزى هو الابل والبقر والغنم (قال ابن شهاب حدثنا سعيد بن المسيب ان صفوان قال والله لقد اعطانى ما أعطانى وانه لابغض الخلق الى فما زال يعطينى حتى انه لاحب الخلق الى) بعد ما كان أشد الناس عداوة له لقتل أبيه يوم بدر ولما شهد وهو كافر حنينا ثم رجع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى الجعرانة فبينما هو يسير فى الغنائم ينظر اليها ومعه صفوان جعل صفوان ينظر الى شعب ملئ نعما وشاء وأدام النظر اليها ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يرمقه فقال له أبا وهب يعجبك هذا الشعب قال نعم قال هو لك وما فيه فقال صفوان ما طابت بهذا الانفس نبى أشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله وكانت زوجته أسلمت قبله فاقر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم نكاحه عليها واختلف فيما كان يعطيه صلى الله تعالى عليه وسلم للمؤلفة هل هو من خمس الخمس الذى هو حقه أو من الخمس أو من الغنائم واما اعطاء مؤلفة الكفار فكان جائزا فى صدر الاسلام وهل هو من الزكاة أو من بيت المال ثم منعوا منه فى خلافة الصديق أو فى خلافة عمر رضى الله تعالى عنهما * فان قلت ما مناسبة الحديث لما نحن فيه * قلت لانه صلى الله عليه وسلم اعطى صفوان لما بينه وبينه من الرحم خوفا عليه ان يستمر على عداوته وكفره فيهلك فاحسن اليه حتى يحسن اسلامه شفقة عليه من ان تحل به النقمة والعذاب وقد تقدم اعطاؤه أكثر من ذلك (وروى ان اعرابيا جاء يطلب من النبى صلى الله تعالى عليه وسلم شيأ فاعطاه) هذا الحديث رواه البزار عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه بسند ضعيف وكذا ابن حبان وغيره ولم يسموا الاعرابى (ثم قال أحسنت اليك قال الاعرابى لا ولا أجملت) الذى فى النسخ أحسنت بهمزة واحدة فهمزة الاستفهام مقدرة كقوله

ثم قالوا تحبها قلت بهرا * عدد الرمل والحصا والتراب

ومثله كثير نفيس والاستفهام استفهام تقريرى وقوله لا رد لقوله أحسنت وأجملت بمعنى فعلت فعلا جميلا محمودا وقال بعضهم معناه ما اعتدلت فى الاخذ والعطاء أو ما أكثرت وهذا أولى انتهى واللغة لا تساعده وانما حمله عليه الهرب من التكرار ولا تكرار فيه لانه من ذكر العام بعد الخاص ومثله لا يبعد

(فغضب المسلمون وقاموا اليه) ليوافوه بما استحقه زجرا عليه (فاشار) أي صلى الله تعالى عليه وسلم (اليهم ان كفوا) أي كفوا أو بان كفوا بضم فتشديد أي امنعوا عنه وكفوا أنفسكم منه شفقة عليه واحسانا اليه (ثم قام) أي النبي عليه الصلاة والسلام (ودخل منزله) أي للاهتمام (وأرسل) وفي نسخة فارسل (اليه وزاده شيئا) أي على ماقدمه عليه (ثم قال أحسنت اليك) كما سبق (قال نعم فجزاك الله به) أي بسبب ما أحسنت به الي (من أهل وعشيرة خيرا) بنصب على انه مفعول ثان لجزى ومن تبعيضية والجملة اعتراض بين الفعل ومفعوله نصب على الاختصاص أو على الحال أي أخصك من بينهما أو حال كونك منهما (فقال له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انك قلت ماقلت) أي شيأ عظيما استهجنا قبيحا (وفي أنفس أصحابي) أي وفي نفوسهم وفي أصل التلمساني وفي نفس أصحابي بصيغة المفرد (من ذلك) أي قولك (شئ) أي أمر عظيم وخطب جسيم (فان أحببت) أي أردت ازالة ذلك (فقل بين أيديهم) أي عندهم (ما) وفي نسخة مثل ما (قلت بين يدي) أي من المديح ليكون كفارة لذلك القبيح (حتى يذهب) أي بقولك لهم ذلك (مافي صدورهم عليك) أي من الغضب لما صدر عنك فان المعالجة بالاضداد (قال نعم) أي أقول لهم ذلك (فلما كان الغد) أصله غدو فحذفوا الواو بلاعوض (أو العشي) بفتح فكسر فتشديد ياء أو للشك الراوي (جاء) أي الاعرابي (فقال صلى الله تعالى عليه وسلم ان هذا الاعرابي قال ماقال) أي مما سمعتموه في أول الحال (فزدناه) أي بعض المال (فزعم انه رضي) أي بعطائنا (أكذلك) استفهام تقرير أي أحق ما نقلته عنك

تكرار المافيه من المبالغة وفي ذلك غلظة وسوء أدب (فغضب المسلمون) من كلامه وجراءته عليه صلى الله تعالى عليه وسلم (وقاموا اليه) ليضربوه ويجازوه بما يستحقه (فاشار اليهم ان كفوا) أي اشار بيده اليهم اشارة يفهم منها الامر بكفهم أي تركهم ما أرادوه وان تفسيرية أو مصدرية على الخلاف المشهور عند أهل العربية وهذا من حلمه صلى الله تعالى عليه وسلم وشفقته تأليفا له ليحسن اسلامه (ثم قام) من مجلسه (ودخل منزل وارسل اليه) عطية (وزاده) أي زاده على ما اعطاه أولا (ثم قال أحسنت اليك) فيه مقدر وهو خرج وقال له ذلك (قال نعم) أحسنت الي (فجزاك الله) على احسانك والطفك بي (من أهل وعشيرة خيرا) مفعول جزاك وما بينهما اعتراض والفاء تفريعية وسببية لما تضمنه وقيل انها فصيحة في جواب شرط مقدر أو عاطفة على مقدر أي أحسنت وأجملت فجزاك الى آخره ومن في من أهل قيل انها بدلية مثلها في قوله لجعلنا منكم ملائكة في الارض أي بدلكم فالمعنى بدلا من أهلي وعشيرتي الذين لم يحسنوا الي وقيل ليس هذا مراده بل مراده انه صار اهلا له وعشيرة أي قبيلة اما لفعله فعل العشيرة وهذا كما يقولون للقادم أهلا وسهلا أو لما تقدم من ان له صلى الله تعالى عليه وسلم في كل قبيلة قرابة وعرقا ومن اما تعليلية كقوله تعالى فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أي لاجل ذكر الله وأما كونها للفصل والتمييز كما في قوله تعالى أتأتون الذكران من العالمين أي ممتازين من بين العالمين بهذا الفعل القبيح فبعيد جدا ثم أشار المصنف رحمه الله تعالى الى انه صلى الله تعالى عليه وسلم زاد لطفا فارشده بقوله (فقال له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انك قلت ماقلت) في جوابك وردك علي (وفي أنفس أصحابي من ذلك شئ) تنكيره اما للتحقير أي شئ حقير لا يعتد به عندي أو للتعظيم أي أمر عظيم عندهم لاذيته النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ووضع اسم الاشارة موضع الضمير لجعله كالمشاهد المحسوس لاستحضاره فتذكيره بما وقع منه من الامر العجيب (فان أحببت فقل بين أيديهم ماقلت بين يدي) علق قوله على محبته وارادته لطفا منه صلى الله تعالى عليه وسلم أي لطف مع انه ذنب عظيم ينبغي التنصل منه وفيه من الشفقة بالامة ما لا يخفى وبين الايدي كناية عن حضوره وتمثله لهم وليس المراد البينة الحقيقية بل المقابلة مع القرب وقد يعبر به عن المستقبل نحو يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم (حتى يذهب مافي صدورهم عليك) أي الغضب والالم الذي في قلوبهم بسبب ماقلته أولا (قال نعم) أي أقول لهم ماقلت لك (فلما كان الغد أو العشي) المراد بالغد صبيحة اليوم الذي بعد اليوم الذي كلمه فيه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والغداة من طلوع الفجر الى الزوال والعشي ما بعد الزوال الى الغروب والشك هنا من الراوي (جاء) أي الاعرابي الى مجلس النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) لاصحابه الحاضرين عنده (ان هذا الاعرابي قال ماقال) لي أولا اذا ساء أدبه لغلظة طبعه ولذا وصفه بالاعرابي لما عرف من حال الاعراب (فزدناه) على عطائه الاول (فزعم انه رضي) بجملة ما أعطيناه له والزعم هنا بمعنى القول الحق وهو يستعمل بهذا المعنى كقول الشاعر

هلكنا ولكن ان هلكت فانما * على الله أرزاق العباد كما زعم

ويكون بمعنى القول الباطل كقوله تعالى هذا لله بزعمهم ولذا قالوا زعم مطية الكذب وفي التعبير ايماء الى مافي نفسه من الحرص والطمع ثم التفت صلى الله تعالى عليه وسلم الى الاعرابي وقال له (أكذلك) فالاستفهام متوجه منه صلى الله تعالى عليه وسلم

(قال نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا) فكان المراد بالاهل هو الاخص أو الاعم والله أعلم (فقال) أي النبي كما في نسخة صحيحة (صلى الله تعالى عليه وسلم مثلي ومثل هذا) المثل بفتحتين في الاصل هو النظير ثم استعمل في القول السائر الممثل مضربه بمورده أي موضع ضربه بموضع وروده فالمورد هو الحالة الاصلية التي ورد فيها كحالة المنافقين والمضرب هو الحالة المشبهة كحالة المستوقد نارا ولا يضرب الا بما فيه غرابة لزيادة في التوضيح والتقرير فانه أوقع للنفس وأقمع للخصم ويريك المخيل محققا والمعقول محسوسا ثم استعير لما له شان عجيب وفيه أمر غريب من صفة أو حال أو قصة نحو مثلهم كمثل الذي استوقد نارا ولله المثل الاعلى ومثل الجنة التي وعد المتقون وأمثالها والمعنى ههنا شبهي وشبهه العجيب الشان والغريب البيان (مثل رجل له ناقة شردت عليه) أي نفرت وذهبت في الارض عنه أو غلبت عليه (فاتبعها الناس) من الاتباع أو الاتباع أي فتبعوها ليلحقوها (فلم يزيدوها الا نفورا) أي تنفرا منهم وتبعدا عنهم (فناداهم صاحبها خلوا بيني وبين ناقتي) أي اتركوني معها (فاني أرفق بها) أي ٧٧ أشفق عليها (منكم وأعلم) أي بحالها وطبعها وطريق أخذها (فتوجه لها بين يديها فاخذ لها من قمام الارض) بضم القاف وتخفيف الميم جمع قمامة وهي في الاصل الكناسة أريد بها ههنا ما تلقمه من الارض فكأنه شبه بالكناسة لخسته فاستعير له اسمها لمشاركة صفته (فردها) أي طمعها اليه (حتى جاءت واستناخت) أي طلبت البروك وهو بنون قبل الالف وخاء معجمة بعدها يقال اناخ الجمل فاستناخ أي بركه فبرك (وشد عليها رحلها) أي ربط عليها اقتابها (واستوى عليها) أي استقر عليها جالسا (واني لو تركتكم حيث قال الرجل) اى حين قوله (ماقال) أي شيأ قاله أولا (فقتلتموه دخل النار) أي عقوبة له بما ظهر من الكفر في اساءة أدبه معه صلى الله تعالى عليه وسلم فكان حسن ملاطفته وزيادة عطيته سببا لارضائه وباعثا لتوبته فهو أرفق بامته وأعلم بحالهم منهم فانه بهم رحيم وبدوائهم حكيم ومما يناسب المقام ويلائم المرام ماروى عن خوات بن جبير من الصحابة الكرام انه قال نزلت مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بمر الظهران فاذا نسوة يتحدثن فاعجبنني فاخرجت حلة من عيبتي فلبستها وجلست اليهن فمر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فهبته فقلت يا رسول الله جمل لي شرود وأنا ابتغي له قيدا فمضى وتبعته فالقى على رداءه ودخل الاراك فقضى حاجته وتوضأ ثم جاء فقال يا أبا عبد الله ما فعل شراد جملك ثم ارتحلنا فجعل لا يلحقني في المسير الا قال السلام عليك يا أبا عبد الله ما فعل شراد جملك فتعجلت المدينة وتركت مجالسته والمسجد فطال ذلك علي فتحينت خلو المسجد ثم دخلت فطفقت أصلي فخرج من بعض حجره فصلى ركعتين خففهما وطولت رجاء ان يذهب عني فقال طول يا أبا عبد الله ما شئت فلست ببارح حتى تنصرف فقلت والله لاعتذرن اليه فانصرفت فقال السلام عليك يا أبا عبد الله ما فعل شراد الجمل فقلت والذي بعثك بالحق ما شرد ذلك الجمل منذ أسلمت فقال رحمك الله مرتين أو ثلاثا ثم لم يعد

للاعرابي أي الامر كذلك من انك رضيت وان كان ما قبله كلاما منه متوجها لاصحابه رضي الله تعالى عنه فالجار والمجرور خبر مقدر أي الامر كذلك (قال نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا) تقدم ما فيه (فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مثلي ومثل هذا) الاعرابي المثل يكون بمعنى القصة وبمعنى الكلام المشبه مورده بمضربه ويكون استعارة تمثيلية أو تشبيها تمثيليا مركبا كقوله تعالى مثلهم كمثل الذي استوقد نارا الآية ويكون ذلك لزيادة التوضيح والتقرير فانه أوقع في النفس لانه يريك المخيل محققا والمعقول محسوسا لما فيه من الشان الغريب وهو في الكلام الالهي والاحاديث النبوية كثير (مثل رجل له ناقة شردت عليه) أي نفرت منه وذهبت في الارض يقال شردت الدابة والانسان اذا نفر وجرى جريا شديدا لا يلحق شرودا وشرادا وأصل التشريد التفريق خوفا قال الله تعالى فشرد بهم من خلفهم قال ابن عرفة أي افعل بهم فعلا يخيف من وراءهم فيشردهم (فاتبعها الناس) افتعال من الاتباع أي مضوا وجروا خلفها ليمسكوها (فلم يزيدوها الا نفورا) أي لم يحصل باتباع الناس لها الا زيادة هربها ونفورها لخوفها منهم (فناداهم صاحبها) أي الناقة (خلوا بيني وبين ناقتي) أي وقال لهم خلوا الى آخره فهو مفعول نادى لتضمينه معنى القول أو مقول قول مقدر كما عرف في أمثاله أي لا تتبعوها اتركوها واتركوني أحتال في امساكها (فاني) وفي نسخة فانا (أرفق منكم وأعلم) أي انا أشفق عليها وأعلم بحالها منكم (فتوجه لها بين يديها) أي جاءها من أمامها (فاخذ لها من قمام الارض) القمام جمع قمامة ككناسة لفظا ومعنى والمراد بها النبات الذي ترعاه الدواب شبهه به لخسته ولانه مما يطرح كالقمامة فاستعير لذلك (فردها حتى جاءت) فيه مقدر أي فدنت منه لتأكل ما بيده من الحشيش فامسكها وردها حتى أتى بها محله (واستناخت) أي بركت ومكثت عنده من ناخ الجمل ونوخه اذا بركه (وشد عليها رحلها) الرحل للابل كالسرج للفرس وهو معروف (واستوى عليها) أي على ظهرها أي ركبها يقال استوى على الدابة اذا علا على ظهرها وركبها (واني لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال) أي لو لم أكفكم وأمنعكم عنه حين قال لي الرجل مقالته السيئة (فقتلتموه دخل النار) عقوبة له باساءته على النبي صلى

(وروى عنه) بصيغة المجهول وهو مروى من طريق أبي داود عنه (انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لا يبلغني أحد منكم) من التبليغ
أو الابلاغ كما قرئ بهما في السبعة قوله تعالى أبلغكم وهو يحتمل النهي والنفي وهو بمعنى النهي كما هو أبلغ أي

لا يوصلني أحد منكم بان ينقل (عن احد من أصحابي شيئا) أي مما ينكر فعله من أيهم كان في أي وقت كان وهذه النكرات وردت في حيز نفي متوشحة بنهي فعمت جميع الاصحاب والاوقات والاشياء مكروهة أو حراما بشهادة المقام اذ لا يتعلق نهي بمباح ومأذون فيه (فاني أحب ان أخرج) أي من الدنيا (اليكم وأنا سليم الصدر) جملة حالية وفيه ايماء الى قوله تعالى الا من أتى الله بقلب سليم أي سالم من الغش والحقد للخلق ومن الغفلة عن ذكر الحق (ومن شفقته على أمته عليه الصلاة والسلام تخفيفه) أي عنهم اعباء التكاليف (وتسهيله عليه) أي وتهوينه بما يقوى قلوبهم عليه من الترغيب والترهيب (وكراهته) أي لهم (أشياء مخافة ان تفرض) أي تلك الاشياء (عليهم) ومخافة منصوب على العلة للافعال وفي نسخة بدلها خوف ان تفرض عليهم وهذا حكم اجمالي أورد لكل ما يناسبه جمعا وتقسيما (كقوله) على ما رواه الشيخان (لولا ان أشق على أمتي لامرتهم بالسواك

الله تعالى عليه وسلم وشبه المال لخسة الدنيا عنده بالقمامة وشبه نفسه بالرجل وشبه الاعرابي بدابة شاردة عن ربها وشبه الصحابة لما غضبوا وقاموا اليه بالناس التابعين لها الذين نفروها عن ربها وشبه قوله كفوا عنه بقوله خلوا بيني وبينها وفي قوله فاني أرفق بها منكم بيان لانه أعلمهم رفقا وأقواهم شفقة على خلق الله تعالى وهو تشبيه في أعلى طبقات البلاغة لتضمنه هذه المعاني اللطيفة قيل ويحتمل ان الرجل انما قال أولا ما قال ليطلع على حلمه صلى الله تعالى عليه وسلم لانه سمع صفاته من أهل الكتاب والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم علم بذلك وقيل ان جزمه بدخوله النار لكفره بما قاله للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم والنبي تلطف به حتى أمن ونجا من النار فتامل وهذا الحديث رواه البزار وأبو الشيخ بسند ضعيف عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه وابن حبان في صحيحه وابن الجوزي في الوفا (وروى عنه) بالبناء للمجهول وضمير عنه للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم والراوي له أبو داود والترمذي عن ابن مسعود وفي نسخة وروى عنه انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال (لا يبلغني احد منكم عن أحد من أصحابي شيئا) هذا نهي عام عن الغيبة والنميمة ونقل ما يكره نقله من قول أو فعل أو ترك (فاني أحب ان أخرج اليكم وأنا سليم الصدر) سلامة الصدر كناية عن كونه ليس في قلبه بغض لاحد ولا غضبان على أحد ومثله صلى الله تعالى عليه وسلم يقال له سليم القلب قال الله تعالى الا من أتى الله بقلب سليم أي برئ من الكفر والنفاق وهذا معنى آخر وقد صح عن أنس رضي الله عنه فيما رواه ابن مسعود قال قسم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قسمة فقال رجل من الانصار والله ما أراد محمد بهذا وجه الله فاتيت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فاخبرته فتمعر وجهه وقال رحم الله أخي موسى لقد أوذي باكثر من هذا فصبر رواه البخاري والمراد سلامة صدره للمنقول عنه أو الناقل كما قيل سبك من بلغك والاولى ابقاؤه على اطلاقه ليشملهما وغيرهما وكل من النميمة والغيبة حرام الا في اماكن استثناها الفقهاء وقد نظمها الجوجري من فقهاء الشافعية في قوله

بست غيبة جازت فخذها * منظمة كامثال الجواهر
تظلم واستغث واستفت حذر * وعرف واذكرن فسق المجاهر

و يأتي لذلك مزيد بيان أيضا (ومن شفقته صلى الله عليه وسلم على أمته تخفيفه) عنهم التكاليف الشاقة التي كانت في الامم السابقة ورجاؤه صلى الله عليه وسلم من ربه ان يجعل الصلاة خمسا بعدما كانت خمسين (وتسهيله) في أمورهم كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم لبدنك عليك حق ولزوجك عليك حق لمن أراد قيام الليل كله (وكراهته أشياء مخافة أن تفرض عليهم) الكراهة والكراهية من المكروه ضد المحبوب والكره ضد الطوع والمخافة بمعنى الخوف منصوب على انه مفعول له ثم بين ذلك بقوله (كقوله) صلى الله تعالى عليه وسلم (لولا ان أشق على أمتي) أي لولا مخافة المشقة عليهم (لامرتهم بالسواك) أي أمر ايجاب والا فالامر الاستحباب ورد في الحديث كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم عليكم بالسواك واستاكوا حتى تمسك بهذا الحديث بعضهم فجعله واجبا ورد بهذا الحديث فهو سنة واختلف في محل نيته في الوضوء فقيل حال المضمضة وقيل قبل الوضوء وقيل مطلقا من غير تعيين وقت له وهو من سنن الدين لا من سنن الوضوء كما اختاره الزيلعي رحمه الله تعالى والسواك مصدر بمعنى الاستياك واسم العود نفسه والمراد هنا الاول أو الثاني بتقدير مضاف أي استعماله

وهو مذكر وجوز بعض أهل اللغة تأنيثه (مع كل وضوء) وفي مسلم عند كل صلاة وهذا الحديث رواه
أصحاب الكتب الستة والوضوء بضم الواو مصدر و بفتحها ما يتوضأ به كالطهور وأجاز بعضهم في
المصدر الفتح وقد جاء في المصادر الفتح أيضا وقال أبو شامة رحمه الله تعالى في كتاب السواك السواك
مأخوذ من قولهم تساوكت الابل اذا اضطربت من الهزال فيما أقلقت من الضعف لما فيه من الحركة
وقوله مع كل وضوء وروي مع كل صلاة وعند كل صلاة كما علم وهل هو عام لكل صلاة فرضا أو نفلا أو
الصلوات الخمس ذهب الى كل جماعة وقال الشافعي أحب السواك للصلاة وعند كل حال تغير فيها
الفم كالاستيقاظ من النوم وهو يشمل الصائم وفيه كلام للفقهاء فيكره له بعد الزوال فلا يحصل له تغير
بنحو نوم بعده و رواية الموطأ مع الوضوء قال أبو شامة يحتمل معنيين أي لأمرتهم بالسواك مصاحبا
للوضوء أو لأمرتهم به كما أمرتهم بالوضوء وله فيه كلام طويل وقوله (وخبر صلاة الليل) هو ما قال الشيخ
قاسم بن قطلوبغا في تخريجه لأحاديث الشفاء ومن خطه نقلت عن زيد بن ثابت رضي الله تعالى عنه
قال احتجر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حجيرة بخصفة أو حصير في المسجد في رمضان فخرج
فصلى فيها قال فتتبع رجال وجاؤا يصلون بصلاته قال ثم جاؤا فحضروا وأبطأ رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم فلم يخرج اليهم فرفعوا أصواتهم وحصبوا الباب فخرج اليهم مغضبا فقال لهم مازال بكم صنيعكم
حتى ظننت أنه سيكتب عليكم فعليكم بالصلاة في بيوتكم فان خير صلاة المرء في بيته الا المكتوبة رواه
الشيخان وفي رواية خشيت أن تفرض عليكم فتعجزوا عنها انتهى وهذا هو المناسب للمقام ولما قبله
واليه أشار السيوطي أيضا في مناهل الصفا في تخريج أحاديث الشفا الا ما قيل انه أراد به حديث
صلاة الليل مثنى مثنى وبه استدل على ان الافضل في النفل ليلا أن يكون ركعتين ركعتين وعند أبي
حنيفة رحمه الله تعالى الافضل ليلا ونهارا الاربع لدليل لاح له وقد علمت ان الاول هو المناسب هنا
و يناسبه ما روي خذوا من العمل ما تطيقون اذا نعس أحدكم وهو يصلي فليرقد حتى يذهب عنه
النوم وهذا هو الذي قاله التلمساني في حواشيه أيضا * فان قلت كيف يخشى صلى الله تعالى عليه وسلم
افتراضه بعد فرض الصلاة في الاسراء وقول الله تعالى لا يبدل القول لدي * قلت قيل يحتمل ان الله
أوحى اليه انك ان واظبت على هذه الصلاة بجماعة افترضتها عليهم أو انه وقع في نفسه صلى الله تعالى
عليه وسلم ذلك أو المعنى اني خشيت أن تظنوها فرضا اذا داومت عليها ولا يخفى بعده وان قيل ان ما في
الاسراء هي وظيفة كل يوم وهذه مخصوصة برمضان أو انه لما كان قيام الليل فرضا عليه صلى الله تعالى
عليه وسلم خشي أن يستوي به غيره من الامة وقيل ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان اذا واظب
على شيء من أعمال البر واقتدى الناس به يفترض وفيه انه صلى الله تعالى عليه وسلم واظب على أشياء
كثيرة ولم يفترض كرواتب الفرائض والسنن المؤكدة وقيل ان المراد بالفرض فرض الكفاية وقول
الكرماني ان قوله تعالى لا يبدل القول لدي معناه في النقص لان الزيادة بعيد جدا وهذا لا يقبل النسخ
لانه خبر واحتمال انهم لرغبتهم في العبادة يفرضون ذلك على أنفسهم كالنذر فيشق على من بعدهم
بعيد أيضا وعلى كل حال فالمقام لا يخلو من الاشكال (ونهيهم) مصدر مضاف للمفعول أي نهي النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم الصحابة رضي الله تعالى عنهم (عن الوصال) وكراهته لهم والوصال في الصوم
وهو أن يصوم يومين فأكثر من غير أكل وشرب بينهما ونهيه عن الوصال ثابت في الصحيحين فانه صلى
الله تعالى عليه وسلم لما واصل واصل الناس وشق ذلك عليهم فلما بلغه ذلك نهاهم عنه فقالوا له انك
تواصل فقال انكم لستم مثلي اني أبيت عند ربي يطعمني و يسقيني فمن خواصه صلى الله تعالى عليه وسلم
انه يجوز له الوصال و يمنع منه غيره واختلف فيه هل كراهته تحريمية أو تنزيهية أو يفرق بين من يطيق
ومن لا يطيق وعلم من الحديث وجه اختصاصه ومعنى كون الله يطعمه و يسقيه انه يعطيه قوة روحانية

مع كل وضوء) أي أمر
وجوب فيؤخذ استحبابه
في كل حال لو كان للصائم
بعد الزوال فان لولا لامتناع
الشيء لوجود غيره والمعنى
امتنع الامر بالفريضة
لوقوع المشقة (وخبر صلاة
الليل) بالجر وهو
الصحيح وفي نسخة بالرفع
على انه مبتدأ خبره يأتي
ولعله أراد به ما رواه
الشيخان في قيام الليل
من خبر خذوا من العمل
ما تطيقون اذا نعس
أحدكم وهو يصلي فليرقد
حتى يذهب عنه النوم
فان أحدكم اذا صلى وهو
ناعس لا يدري لعله يريد
يستغفر الله فيسب نفسه
وما روياه في حديث عبد الله
ابن عمرو بن العاص حيث
قال وأما أنا فأرقد وأقوم
وأصلي ومنعه عن قيام
الليل كله وقد روي انه
صلى الله تعالى عليه وسلم
خرج ليلة في شهر رمضان
فصلى بالقوم عشرين
ركعة واجتمع الناس في
الليلة الثانية فخرج وصلى
بهم فلما كانت الليلة
الثالثة كثر الناس فلم
يخرج وقال عرفت
اجتماعكم لكن خشيت
أن تفرض عليكم (ونهيهم)
بالوجهين أي ونهيه اياهم
(عن الوصال) كما رواه وهو
أن لا يفطر أياما متوالية

ويغذيه بأنوار ربانية بحيث لا يضعف بدنه بترك الطعام والشراب بل يزداد قوة وذلك باتصال روحانيته بعالم الغيب حتى يحصل له بدل ما يتحلل بحيث لا يشعر وليس هذا حاصلا له في كل الاوقات ألا ترى ان المريض مدة طويلة لا يأكل ولا يشرب ولو فعل ذلك في حال صحته لم يطقه لاشتغال روحه عنه وقد اتفق على هذا علماء الشرع والحكماء كما فصله ابن سيناء في مقامات العارفين فلا يرد عليه انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان في بعض الاحيان يجوع جوعا شديدا حتى يشد الحجر على بطنه والترمذي الحكيم لما لم يقف على هذا أنكره لتوهم ان بين الحديثين تنافيا حتى ادعى انه تصحيف وتحريف ممن رواه وانما هو الحجز بضم الحاء المهملة وفتح الجيم والزاي المعجمة جمع حجزة وهي مرتشقة في الحزام وقال ما يغني شد الحجر ولم يدر انه بثقله وبرده يجمع الامعاء ويبردها ويقيم الصلب الضعيف وانكاره للحديث الصحيح وحمله على غير ظاهره كما قيل بان يغذيه حقيقة من طعام الجنة يأباه المقام لانه لو كان كذلك لم يكن وصالا (وكراهته دخول الكعبة) أي من شفقته صلى الله تعالى عليه وسلم على أمته كراهته دخول الكعبة في الحديث الذي رواه أبوداود والترمذي عن عائشة رضي الله تعالى عنها وصححاه وكذا رواه ابن خزيمة والحاكم عنها أيضا مصححا مسندا وهو انه صلى الله تعالى عليه وسلم خرج من عندها وهو قرير العين ثم رجع وهو كئيب أي محزون فسألته عن ذلك فقال خشيت أن أكون شققت على أمتي أي بدخولي البيت وكان ذلك في حجة الوداع وكانت عائشة رضي الله تعالى عنها معه وبهذا جزم الطبري والبيهقي واختلفوا هل صلى فيه أم لا وفي بعض شروح البخاري يحتمل أن يكون دخوله صلى الله تعالى عليه وسلم الكعبة وقع مرتين صلى في احديهما ولم يصل في الاخرى وكونه صلى الله تعالى عليه وسلم دخل الكعبة متفق عليه قال ابن عمر رضي الله تعالى عنهما دخل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم البيت هو واسامة بن زيد وبلال وعثمان بن طلحة رضي الله تعالى عنهم وأغلقوا عليهم الباب فلما فتحوه كنت أول من ولج فسألت بلالا هل صلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيها قال نعم بين العمودين اليمانيين فكان ابن عمر اذا دخل مشى قبل الوجه ويجعل الباب قبل ظهره حتى يكون بينه وبين الجدار قريب من ثلاثة أذرع فيصلي يتوخى المكان الذي صلى فيه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولا بأس على أحد أن يصلي في أي جهة شاء وهذه الرواية مرجحة على رواية اسامة بن زيد انه دعا فيه ولم يصل لان المثبت مقدم على النافي لزيادة علمه وكان صلى الله تعالى عليه وسلم قدم مكة بعد الهجرة ثلاث مرات * الاولى في عمرة القضاء ولم يدخل فيها الكعبة لما فيها من الاصنام والكفر باق بها * والثانية في فتح مكة وفيها دخل الكعبة وأمر باغلاق بابها فلبث فيها مليا ثم فتح الباب قال عبد الله ابن عمر فلقيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خارجا وبلال على أثره فقلت له هل صلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال نعم قلت أين قال بين العمودين تلقاء وجهه ونسيت ان أسأله كم صلى * والثالثة في حجة الوداع واختلف في انه دخل الكعبة فيها أم لا وانما كره دخولها في حجة لئلا يجعله الناس من المناسك اقتداء به صلى الله تعالى عليه وسلم وقد لا يتيسر لهم ذلك وقد اختلفوا في كونه من المناسك والصحيح انه ليس منها تمسكا بهذا الحديث وقوله (لئلا تتعنت أمته) بتاءين مفتوحتين وعين مهملة مفتوحة ونون مشددة ومثناة فوقية تفعل من العنت وهو المشقة والاثم ووقع في بعض النسخ تتعب من التعب كما قاله التلمساني وأمته فاعل عليهما وروي يعنت بضم التحتية وسكون العين وكسر النون من أعنته بمعنى عنته وأمته منصوب مفعول وبالتحتية والتشديد أيضا ونصب أمته ففيه وجوه مروية (ورغبته) أي طلبه صلى الله تعالى عليه وسلم (أن يجعل سبه ولعنه لهم) أي لامته أي لاحد منهم (رحمة بهم) والسب والشتم بمعنى وأصله من السبه وهي مخرج البعر من الدبر

(وكراهته) أي لاجلهم (دخول الكعبة) أي دخوله فيها على مارواه أبوداود وصححه الترمذي (لئلا يتعب أمته) من الاتعاب وهو الايقاع في التعب والمشقة وفي نسخة لئلا تتعب أمته بفتح التاء والعين ورفع أمته وفي نسخة صحيحة لئلا يعنت من أعنت غيره اذا أوقعه في العنت وهو المشقة وفي نسخة بتشديد النون المكسورة (ورغبته لربه) أي دعاؤه اياه على طريقة الميل والرغبة (أن يجعل سبه) أي شتمه عليه الصلاة والسلام (ولعنه لهم) أي بان دعا عليهم بالطرد والبعد ان صدر شيء منهم لبعضهم أو لكلهم (رحمة بهم)

وانه ضبط بالكسر والفتح وهو الاظهر أى ومن شفقته عليهم كما رواه الشيخان انه (كان يسمع بكاء الصبى) أى الصغير والبكاء يمد ويقصر (فيتجوز) أى فيقتصر ويخفف (ويتعجل فى صلاته) أى المعتودة للجماعة رحمة لهم وحذرا من ذهاب خشوع من صلى معه من والديه (ومن شفقته صلى الله تعالى عليه وسلم ان دعا ربه) أى ساله (وعاهده) أى وأخذ عهده سبحانه وتعالى فيما بينه وبينه (فقال ايما رجل) وكذا حكم المرأة تبعا (سببته أو لعنته) ليس أو للشك بل للتنويع (فاجعل ذلك له زكاة) أى نماء وبركة يتبارك بها (ورحمة) أى ترحمه بها (وصلاة) أى ثناء أو عبادة وقال الدلجى عطف تفسير اذ هى منه تعالى رحمة وقال الانطاكى

فنقل لما ذكر وسيأتى بيان هذا (وانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يسمع بكاء الصبى) وهو فى صلاته (فيتجوز فى صلاته) التجوز تفعل من الجواز والمراد به هنا انه يخففها ويسرع فيها مستعار من تجوز عن ذنبه اذا لم يؤاخذه به كتجاوز اوهو من الجواز فى السير والصبى المراد به الطفل الرضيع وهذا رواه ابن السنى فى حديث صحيح عن أنس رضى الله تعالى عنه كما قاله السيوطى وروى الشيخان عن أنس انه صلى الله عليه وسلم قال انى لادخل فى الصلاة وأنا أريد اطالتها فاسمع بكاء الصبى فاتجوز فى صلاتى مما أعلم من شدة وجد أمه من بكائه ودليل فيه على جواز دخول الصبى والنساء فى المسجد لاحتمال أن يكون ذلك من بيوت مجاورة له ولا دليل فيه أيضا على جواز تطويل الصلاة لاجل من يلحق الجماعة كما قيل والمراد بالتخفيف ما لا يؤدى الى عدم تعديل الاركان والاخلال بالواجبات كما لا يخفى (ومن شفقته صلى الله تعالى عليه وسلم) على أمته ورحمته لهم (ان دعا ربه وعاهده) هذا مفسر لما مر ولو اقتصر على هذا كان أخصر وأظهر والمراد بالمعاهدة الزام ما لا يلزمه شرعا كالنذور كما قاله الراغب أى دعا بذلك ونذر قصده ماذكر (فقال ايما رجل سببته أو لعنته) تفسير لما دعا به وعاهد الله عليه واللعن أصل معناه الطرد والابعاد ثم خص بالبعد من رحمة الله (فاجعل ذلك) السب واللعن (زكاة) أى تطهيرا له مما ارتكبه مما اقتضاه (وصلاة ورحمة وطهورا) أى مطهرا له من ذنوبه (وقربة تقربه بها اليك يوم القيامة) كما رواه الشيخان عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه وروى هذا الحديث من طرق أخر فيها أيما رجل من المسلمين أو من المؤمنين وروى أو جلدته ومعلوم انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان لا يغضب لنفسه وانما يغضب لله فاذا رأى أحدا من المؤمنين وقع منه ما يخالف أمر الله ربما حصلت له غيرة لامر الله فبادر بزجره وشتمه أو ضربه ثم انه رجا من الله أن يكون ذلك مكفرا لما صدر منه ورحمة عظيمة مقربة له من الله لان المؤمن اذا رأى غضب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حصل له خوف شديد يفتت قلبه فتكون شدة خوفه جزاء عمله وزجر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم زيادة فى حسناته تقربه من ربه وهذا لا ينافى ما ورد فى حديث آخر (انى لم أبعث لعانا ولكنى بعثت داعيا ورحمة) اما لان المنفى هناك المبالغة والكثرة ان لم تقل المبالغة فى النفى فان قلنا بها فالمعنى انه ليس هذا مقصودا من بعثته فلا ينافيه وقوع ما يخالفه للتأديب نادرا وأما حمل ما صدر منه صلى الله تعالى عليه وسلم على ما قبل البعثة ينافيه قوله من المؤمنين أو المسلمين وسياق الحديث فى قوله جلدته يأباه أو انه لما رجا من الله أن يكون ذلك رحمة لهم لم يكن لعنا حقيقيا بل رحمة فلا لعن منه لاحد من أمته أصلا وبالجملة فهو صلى الله تعالى عليه وسلم رحمة وأذيته نعمة لا نقمة بخلاف غيره من الانبياء عليهم الصلاة والسلام فان دعاءهم نقمة عاجلة على أممهم وفى المصابيح ان الله أجاركم أن لا يدعو عليكم نبيكم فتهلكوا وسيأتى تتمة هذا فى القسم الثالث فصار دعاؤه عليهم دعاء لهم على حد قولهم قاتلهم الله وتربت يداه وفى هذا نهاية الشفقة وأول الحديث (اللهم انما محمد بشر يغضب كما يغضب البشر وانى اتخذت عندك عهدا لن تخلفه فايما

عطف الصلاة على الرحمة وان كانت فى معناها لتغاير اللفظ ولا يخفى ان ما اخترناه هو السديد لان التاسيس أولى من التاكيد (وطهورا) يتطهر به وجعله الدلجى أيضا من باب التاكيد حيث فسر الزكاة بالطهارة خلافا لما قدمناه (وقربة) أى وسيلة (تقربه بها) اليك يوم القيامة قال الدلجى انما أعاده لما فيه من الزيادة أقول وكان الاولى للمصنف أن يجمعهما من غير فصل بينهما واعلم ان أول الحديث اللهم ان محمدا بشر يغضب كما يغضب البشر وانى قد اتخذت عندك عهدا لن تخلفنيه فايما رجل سببته أو لعنته الحديث قيل وانما يكون دعاؤه عليهم رحمة وزكاة ونحو ذلك اذا لم يكن أهلا للدعاء عليه والسب واللعن بان كان مسلما كما فى جاء

فى الحديث كذلك فى بعض الروايات فايما رجل من المسلمين سببته الحديث والا فقد دعا صلى الله تعالى عليه وسلم على الكفار والمنافقين ولم يكن ذلك رحمة بلا شبهة فان قيل كيف يدعو صلى الله تعالى عليه وسلم على من ليس باهل للدعاء عليه أو سبه أو لعنه فالجواب ان المراد ليس باهل لذلك عند الله تعالى وفى باطن الامر ولكنه فى الظاهر مستوجب له فيظهر له صلى الله تعالى عليه وسلم استحقاقه لذلك بامارة شرعية وهو مامور بحكم الظواهر والله يتولى السرائر

(ولما كذبه قومه) أي ومما يدل على كمال شفقته على أمته حديث الشيخين أنه لما كذبه قريش من كفار مكة (أتاه جبريل) أي تسلية لحاله وتسكينا لآلامه (فقال ان الله قد سمع قول قومك لك) أي لاجلك (وماردوا عليك) أي من تكذيب وغيره في حقك وقيل المعنى وما أجابوك وذلك لانه سبحانه وتعالى لا يعزب عن علمه مسموع الا أن سمعه صفة تتعلق بالمسموعات من غير جارحة على هيئة الموجودات فانه سبحانه وتعالى ليس كمثله شئ وهو السميع البصير فنزه سبحانه وتعالى أولا عن التشبيه والتمثيل ثم أثبت ردا على أهل التعطيل (وقد أمره لك الجبال) أي أذنه بالانقياد لك (لتامره) أي لاجل أن تامره (بما شئت فيهم) أي فيطلعك في حقهم (فناداه ملك الجبال) أي فحضره الملك وناداه باسمه أو بوصف من أوصافه (وسلم عليه) الواو لمطلق الجمع لمناسبة تقديم السلام على النداء والكلام (وقال مرني بما شئت) أي في قومك وحذف مفعوله للتعميم ثم خصص بقوله (ان شئت أن أطبق) بضم الهمزة وكسر الموحدة أي أوقع وأرمي (عليهم الاخشبين) أي فعلت وفي أصل الدلجي أطبقت وهو الافق لكنه مخالف للاصول المصححة والنسخ المصححة والمراد بالاخشبين وهو بالخاء والشين المعجمتين فوحدة تثنية الاخشب وهو الجبل الخشن وأنشد أبو عبيدة

كان فوق منكبيه أخشبا

جبلان مطبقان بمكة قيل هما أبو قبيس وقعيقعان أو الجبل الاحمر الذي أشرف على قعيقعان وعن ابن وهب هما جبلان تحت عقبة منى فوق المسجد (قال) وفي أصل الدلجي فقال (النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بل أرجو) أي لا أريد استئصالهم بل أتوقع (أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده) أي منفردا (ولا يشرك به شيا) أي شيأ من الاشراك لا جليا ولا خفيا والجملة الثانية كالمؤكدة لما قبلها ويمكن اعتبار مغايرتها لها وما ذاك الا لكونه رحمة للعالمين وقد أمضى الله سبحانه وتعالى رجاءه فكأنه صلى الله تعالى عليه وسلم دعا لهم بالخير ولو بواسطة تحمل الضير (وروى ابن المنكدر) تقدمت منقبته وانه تابعي جليل فالحديث مرسل الا انه ليس مما يقال بالرأي فيكون له حكم الموصول كما لا يخفى

عبد

رجل الى آخره) وهذا كما لا ينافي دعاءه صلى الله تعالى عليه وسلم على بعض الكفرة والمنافقين (و) من عظيم شفقته صلى الله تعالى عليه وسلم ما أشار اليه بقوله و (لما كذبه قومه أتاه جبريل عليهما الصلاة والسلام فقال له ان الله قد سمع قول قومك وماردوا عليك وقد أمر ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم فناداه ملك الجبال وسلم عليه وقال مرني بما شئت ان شئت ان أطبق عليهم الاخشبين فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بل أرجو أن يخرج الله تعالى من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيا) هذا الحديث رواه الشيخان وأصحاب الكتب الستة وكان ذلك لما مات أبو طالب ونالت قريش منه صلى الله تعالى عليه وسلم مالم تنله في حياته فخرج لثقيف ومعه زيد بن حارثة يلتمس النصرة منهم والمنعة فعمد الى نفر من رؤسائهم فجلس اليهم وكلمهم ودعاهم الى الاسلام فكذبوه وسلطوا عليه سفهاءهم وعبيدهم فجعلوا يسبونه ويصيحون به ويرضخونه بالحجارة حتى أدموا رجليه وهم يضحكون وزيد رضي الله تعالى عنه يقيه بنفسه حتى انتهى صلى الله تعالى عليه وسلم الى حائط استظل بكرمه وهو مكروب موجع فاذا بقرب الحائط عتبة وشيبة ابنا ربيعة فلما رآهما كره ذلك لما يعلم من عداوتهما له فرحماه ودعوا غلاما لهما يقال له عداس وقالا له خذ قطفا من هذا العنب وضعه في طبق واذهب به له ليأكله فلما وضعه قال صلى الله تعالى عليه وسلم بسم الله ثم أكل فقال الغلام ان هذا الكلام لا يقوله أهل هذه البلاد فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم من أي البلاد أنت وما دينك قال نصراني من أهل نينوى فقال من قرية الرجل الصالح يونس بن متى فقال ما يدريك يونس قال ذاك أخي من أنبياء الله فاكب يقبل رأسه ورجليه فلما رجع قالا له مالك قبلت رجليه قال ما في الارض خير من هذا لقد أعلمني بامر لا يعلمه الا نبي فقالا له ويحك يا عداس لا يصرفنك عن دينك وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم ان هذا من أشد ما لقيه والقصة مفصلة في السير وقوله وماردوا عليك أي ما أجابوك به وماردوا قولك وخالفوه اذ كذبوك وقوله فناداه ملك الجبال أي قال له يا رسول الله السلام عليك وقوله أطبق بضم الهمزة وسكون الطاء المهملة وكسر الموحدة مخففة ومشددة وقاف أي أضمهما وأجمعهما حتى يهلكوا تحتهما وملك الجبال هو الموكل بها بامر الله والاخشبين تثنية أخشب بخاء وشين معجمتين وموحدة بزنة افعل جبلان يضافان تارة لمكة وتارة لمنى فيقال اخشبا مكة واخشبا منى وهما أبو قبيس وقعيقعان بالتصغير ويسميان الجبجبان وهما تحت العقبة التي بمنى فوق المسجد كما قاله البرهان الحلبي وقعيقعان هو الجبل المشرف الاحمر ولهم قعيقعان آخر بالبصرة وسميا اخشبان لغلظ حجارتهما وخشونتهما واصلاب جمع صلب الظهر والمراد بالاخراج منها أن يخلق لهم نسل وذرية وقد حقق الله رجاءه صلى الله تعالى عليه وسلم (وعن ابن المنكدر) وفي نسخة وروى ابن المنكدر هو محمد بن المنكدر بن

موقوف الصحابي بهذا المعنى انه يكون في حكم المرفوع لاسيما ويعضده الحديث السابق المروي في الصحيحين والحاصل انه روي (أن جبريل عليه الصلاة والسلام قال للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله أمر السماء والارض والجبال ان تطيعك) أي باطاعتك (فمرها بما شئت فقال أؤخر عن أمتي) أي العذاب (الذي استحقوه بكفرهم لعل الله أن يتوب ٨٣ عليهم) أي على بعضهم بتوفيق ايمانهم أو يخرج مؤمنا من اصلابهم (قالت عائشة رضي الله تعالى عنها ما خير رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بين أمرين الا اختار أيسرهما) أي أهونهما كما اختار تأخير العذاب عن أمته كما صرح به صلى الله تعالى عليه وسلم في الحديث الاول بقوله بل للاضراب عما خير فيه من الاطباق وعدمه وحديث عائشة رضي الله تعالى عنها سبق الكلام عليه وذكر السيوطي في جامعه الصغير برواية الترمذي والحاكم في مستدركه عن عائشة رضي الله تعالى عنها بلفظ ما خير بين أمرين الا اختار أرشدهما هذا وما أحسن ما قيل في المداراة

ودارهم ما دمت في دارهم
وأرضهم ما دمت في أرضهم

وقوله

مادمت حيا فدار الناس كلهم
فانما أنت في دار المداراة
من يدر داري ومن لم يدر سوف يرى
عما قليل نديما للندامات

(وقال ابن مسعود) أي فيما رواه الشيخان (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخولنا) بالخاء المعجمة أي يتعهدنا (بالموعظة) أي بالنصائح المفيدة وقيل هو تخويف بسوء العاقبة وقال أبو عمرو ابن الصلاح والصواب بالمهملة أي يتحرى الحال التي ينشطون فيها للموعظة فيعظهم فيها ولا يكثر عليهم فيملوا منها ورواه الاصمعي يتخوننا بالنون بدل اللام مع الخاء المعجمة بمعنى يتعهدنا (مخافة السآمة) بهمزة ممدودة أي الملالة (علينا

عبدالله بن الهدير بن عبد العزيز المدني توفي سنة ثلاثين أو احدى وثلاثين ومائة وهم ثلاثة اخوة وكان يدخل على عائشة رضي الله عنها وهو تابعي وقد تقدم قبوله (ان جبريل عليه الصلاة والسلام قال للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم) باسقاط الصحابي فهو مرسل قال البرهان وانما يكون مرسلا اذا قلنا ان الصحابي اذا قال قولا لا مجال للاجتهاد فيه يكون مرفوعا كما ذكره الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه فيكون ما قاله التابعي مرسلا وفي بعض الشروح نعم هو مرسل الا ان ارساله لا يمنع من قبوله اذ مرسل أصحاب القرون الثلاثة مقبول عندنا وعند مالك بل هو فوق المسند لبرهان قام عليه عنده وعند الشافعي مرسل الصحابي مقبول لكنه دون المسند وفي التنقيح الاصولي حكاية قبول مرسل الصحابي بالاجماع وفيه نظر لمخالفة أبي اسحق الاسفرايني فيه كما نقله العراقي وقيل انه خلاف طرأ بعد انعقاد الاجماع في العصر الاول ومثله لا يضر وفيه نظر ولنا في اطلاق هذه المسئلة بحث ذكرناه في حواشي النخبة (ان الله أمر السماء والارض والجبال ان تطيعك) المراد باطاعة السماء له صلى الله تعالى عليه وسلم انه ان أراد ان تخر صواعقها على من عصاه فتهلكهم كان ذلك والارض ان أراد خسفها بهم وانطباقها عليهم كان ذلك من غير مهلة ووحد ضمير تطيعك مع عوده على شيئين معطوفين بالواو لجعلهما كشيء واحد لتأويلهما بالعالم أو الدنيا وكان الظاهر تطيعاك وفي بعض النسخ والجبال وعلى هذا لا حاجة الى التأويل لان الجمع يجوز عود ضمير المؤنث المفرد عليه وفيه مراعاة النظير وحسن الترتيب أي بان تطيعك في كل ما تريد (فقال) صلى الله عليه وسلم (أؤخر عن أمتي لعل الله أن يتوب عليهم) رجاء أنهم يتوبون عن مخالفتي ويوفقهم للايمان فيتوبون ويقبل الله منهم ذلك أو يكون منهم من يعبد الله ولا يشرك به شيئا وأصل معنى التوبة الرجوع فهي من العباد الرجوع عن المعاصي ومن الله قبول ذلك أو من الرجوع عن الغضب عليهم والعقوبة لهم ولا منافاة بين هذا وبين قوله وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم ولا بين ما وقع منه صلى الله تعالى عليه وسلم في غزواته من القتل والسبي كما توهم لانه عذاب مخصوص ولان التأخير لا ينافي ما وقع بعده كما لا يخفى والاحسن ان جوابه معلوم من قوله الآتي ما لم يكن اثما فتدبر (قالت عائشة رضي الله تعالى عنها ما خير رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بين أمرين الا اختار أيسرهما) تقدم هذا الحديث وانما أعاده هنا تأييدا لما قبله وأيسرهما أي أسهلهما وأهونهما على الامة شفقة ورحمة منه صلى الله تعالى عليه وسلم عليهم وبقية الحديث ما لم يكن اثما فان كان اثما كان أبعد الناس منه كما سيأتي وكذا رواه الشيخان وتقدم الكلام عليه (وقال ابن مسعود رضي الله عنه) في حديث رواه الشيخان (كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يتخولنا بالموعظة) بفتح المثناة التحتية وفتح التاء الفوقية والخاء المعجمة والواو المشددة المفتوحة واللام والضمير للصحابة أي يتعهدنا يقال فلان خائل مال وهو الذي يصلحه ويقوم عليه ومنه الخولي لراعي الغنم والمواشي وقيل الصواب يتحولنا بالحاء المهملة أي يطلب الحال التي ننشط فيها الاستماع الموعظة فيعظ فيها ولا يكثر منها (مخافة السآمة علينا) أي لئلا نكل ونسأم وقيل انه يتخوننا بنونين أي يتعهدنا كما يتعهد الضيوف بالخوان والمائدة والرواية الصحيحة بالاعجام مع اللام والنون كما مر وكان فعل ماض اذا أخبر عنه بالمضارع الدال على الاستمرار التجددي دل على التكرار عرفا والموعظة مصدر ميمي بمعنى الوعظ وهو التذكير والتخويف

وعن عائشة رضي الله تعالى عنها انها ركبت بعيرا) بفتح أوله ويكسر أي جملا (وفيه صعوبة فجعلت تردده) أي من الترديد وهو الرد بالتشديد (فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عليك بالرفق) أي الزمي اللطف مع كل شئ في كل حال والباء زائدة والمعنى استعملي الرفق وقد ورد مرفوعا ما كان الرفق في شئ الا زانه ولا نزع من شئ الا شانه كما رواه عبد بن حميد والضياء عن أنس رضي الله تعالى عنه وفي صحيح مسلم برواية عن عائشة رضي الله تعالى عنها أيضا مرفوعا ولفظه عليك بالرفق ان الرفق لا يكون في شئ الا زانه ولا ينزع من شئ الا شانه وروى البخاري في تاريخه ٨٤ عنها أيضا عليك بالرفق واياك والعنف والفحش *(فصل)* (وأما خلقه صلى الله تعالى عليه وسلم في الوفاء) أي القيام بمقتضى الوعد (وحسن العهد) أي وفي تعهد العقد ومراعاة الوجد (وصلة الرحم) بالاحسان الى ذوي القرابة خصوصا (فحدثنا القاضي أبو عامر محمد بن اسمعيل بقراءتي عليه) والقراءة أحد وجوه الرواية على اختلاف في انها الافضل أو السماع من الشيخ هو الاكمل وتحقيق الفصول في الاصول (قال حدثنا أبو بكر محمد بن محمد) وفي نسخة ابن أحمد (حدثنا أبو اسحق الحبال) بفتح مهملة فتشديد موحدة (حدثنا أبو محمد أي النحاس) بفتح نون وتشديد مهملة (حدثنا ابن الاعرابي حدثنا أبو داود) أي صاحب السنن (حدثنا محمد بن يحيى) امام جليل نيسابوري روى عن ابن مهدي وعبد الرزاق وعنه البخاري والاربعة وغيرهم ولا يكاد يفصح البخاري باسمه لما جرى بينهما قال الامام أبو حاتم هو امام أهل زمانه (حدثنا محمد بن سنان) بكسر أوله معروف روى عنه البخاري وغيره (حدثنا ابراهيم بن طهمان) بفتح مهملة وسكون هاء وهو أبو سعيد الخراساني يروي عن سماك بن حرب وثابت البناني وعنه ابن معين وخلق وثقه أحمد وأبو حاتم وكان من أئمة الاسلام فيه ارجاء أخرج له أصحاب الكتب الستة

من سوء العاقبة ومخافة منصوب مفعول له وهو مصدر بمعنى الخوف كما روالسآمة بالمد وعلينا متعلق بمخافة وتعلقه بالسآمة بتضمين المشقة تكلف وان جاز وقيل انه حال من السآمة وهو الارجح أو صفة لانه في معنى النكرة كقوله تعالى كمثل الحمار يحمل أسفارا وفي افادة كان التكرار كلام مفصل في كتب الاصول (وعن عائشة رضي الله عنها انها ركبت بعيرا وفيه صعوبة) أي شدة بحيث لا ينقاد لراكبه اذا أوقفه واذا سيره (فجعلت تردده) أي تمشي به وترجع وأصل التردد عدم البقاء على حالة ومنه تردد الانسان في الاماكن لحاجة تعرض له ومنه التردد في الخواطر وانما فعلت ذلك لتروضه حتى ينقاد لها (فقال) صلى الله تعالى عليه وسلم لعائشة (عليك بالرفق) أي استمسكي بالرفق في أمورك ولا تتعبي الدابة التي ركبت ففيه دلالة على شفقته صلى الله تعالى عليه وسلم على خلق الله حتى الحيوانات وعليك بكسر الكاف اسم فعل يتعدى بنفسه وبالباء كما ذكره النحاة والبعير بفتح أوله ويكسر وكذا كل فعل ثانيه حرف حلق ويطلق على الجمل والناقة وقيل هو الجمل البازل وهو الموافق للاستعمال وهذا الحديث أخرجه البيهقي في سننه عن المقدام عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها انها كانت على جمل فجعلت تضربه فقال لها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يا عائشة عليك بالرفق فانه لم يكن في شئ الا زانه ولا نزع من شئ الا شانه وختم بهذا الحديث لما فيه من العموم فهو كالفذلكة (٢) لهذا الفصل *(فصل وأما خلقه صلى الله تعالى عليه وسلم في الوفاء)* هو ضد الغدر ونقض الذمة (وحسن العهد) أي ما عاهد عليه والتزمه وهو عطف تفسير لما قبله (وصلة الرحم) هو الاحسان الى الاقارب والاصهار والرفق بهم وعفو زلاتهم ونصحهم والتودد اليهم وضده قطع الرحم وهذا اذا لم يكونوا كفارا أعداء الله كأبي لهب وأبي جهل والرحم أصله مقر الولد ثم استعمل بمعنى القرابة بعيدة أو قريبة بواسطة وبدونها (حدثنا القاضي أبو عامر محمد بن أحمد بن اسمعيل) بن ابراهيم الامام المحدث الطليطلي ولد سنة ست وخمسين وأربعمائة ومات بقرطبة في ربيع الاول سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة (بقراءتي عليه قال حدثنا أبو بكر محمد بن محمد) تقدم قال (حدثنا أبو اسحق الحبال) بفتح الحاء المهملة وتشديد الموحدة وهو ابراهيم بن سعد بن عبد الله المهدي الثقة المشهور وقد تقدم قال (حدثنا أبو محمد بن النحاس) تقدم ترجمته قال (حدثنا ابن الاعرابي) تقدم أيضا قال (حدثنا أبو داود) صاحب السنن المشهورة وقد تقدم قال (حدثنا محمد بن يحيى) بن عبد الله بن خالد بن فارس النيسابوري الامام الحافظ الجليل القدر توفي سنة ثمان وخمسين ومائتين أخرج له أصحاب السنن وغيرهم قال (حدثنا محمد بن سنان) بكسر السين ونونين بينهما ألف العوقي بفتح العين المهملة والواو وتسكن وبالقاف نسبة للعوق بطن من عبد القيس غير مشهور قال (حدثنا ابراهيم بن طهمان) بفتح الطاء المهملة وسكون الهاء وهو

(٢) قوله كالفذلكة بفتح الفاء وسكون الذال المعجمة وفتح اللام معناها الاتيان بحاصل ما تقدم من العدد اجمالا لاجل المبالغة في الضبط كما في قوله تعالى فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة اذا رجعتم تلك عشرة كاملة فان من المعلوم ان الثلاثة والسبعة عشرة لكنه نبه على كونها عشرة لاجل شدة الضبط والحفظ انتهى مصححه

(عن بديل) بضم موحدة وفتح دال مهملة وسكون تحتية فلام وهو ابن ميسرة العقيلي يروى عن أنس وجماعة وعنه شعبة وحماد ابن زيد (عن عبد الكريم بن عبد الله بن شقيق) وفي نسخة أبي شقيق (عن أبيه) أبوه هو عبد الله بن شقيق وهو عقيلي بصري يروى عن عمر وأبي ذر وعنه قتادة وأيوب وثقه أحمد وغيره (عن عبد الله بن الحمساء) بمهملتين بينهما ميم ساكنة فألف ممدودة وفي نسخة بخاء معجمة فنون وهو تصحيف كما قال الحلبي وقال التلمساني وهو الاكثر في الرواية والصواب بالميم وفي نسخة عن أبي الحمساء وأبو الحمساء لا اسلام له ولا رواية (قال بايعت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ببيع) أي بعقد بيع لا بعهد بيعة (قبل أن

يبعث) أي بالرسالة (وبقيت له بقية) أما من الثمن أو المثمن فان البيع من الاضداد (فوعدته) وفي نسخة وهي الاظهر فواعدته (ان آتيه بها) أي أجيئه بالبقية (في مكانه) أي الذي صدر فيه البيع أو غيره (فنسيت) أي ان آتيه بها (ثم ذكرت بعد ثلاث) أي ثلاث ليال أو ثلاثة أيام ولم يلحق التاء به لحذف مميزه وقيل المراد الليالي بايامها والليل سابق والحكم للسابق وأبعد من قال ويحتمل ثلاث ساعات وأغرب التلمساني بقوله وهو الاقرب ووجه الغرابة ان انتظار ثلاث ساعات مما لا يستغرب (فجئت) وفي نسخة فجئته بابراز ضميره (فاذا هو في مكانه) أي مكان وعده (فقال يا فتى لقد أشققت على) أي أوقعت المشقة على وثقلت على (أنا هنا منذ ثلاث) يفيد انه ما تحول من مكانه ذلك (انتظرك) أي لتأتيني هنالك وهذا من جملة أخلاق جده اسمعيل عليه السلام حيث قال تعالى واذكر في الكتاب اسمعيل انه كان صادق الوعد قال مجاهد لم يعد شيأ الا وفى به وقال مقاتل وعد رجلا أن يقيم مكانه عليه السلام حتى يرجع اليه الرجل فاقام اسمعيل مكانه ثلاثة أيام للميعاد حتى رجع اليه الرجل وقال الكلبي انتظره اسمعيل حتى حال عليه الحول (وعن أنس رضى الله تعالى عنه) كما رواه البخاري في الادب المفرد (كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) الظاهر ان كان للاستمرار الغالبي أو لمجرد الربط التركيبي (اذا أتى) أي جيء (بهدية قال اذهبوا بها الى بيت فلانة) كناية عن علم امرأة وهي هنا لا يعرف من هي (فانها كانت صديقة لخديجة وانها كانت

الامام أبو سعيد الخراساني المشهور روى عنه أصحاب الكتب الستة توفي في بضع وستين ومائة وترجمته مبسوطة في الميزان (عن بديل) بضم الباء الموحدة وفتح الدال المهملة وسكون الياء المثناة التحتية ولام ابن ميسرة الفضل (عن عبد الكريم بن عبد الله بن شقيق) العقيلي الامام الثقة (عن أبيه) عبد الله بن شقيق الامام المعروف توفي في زمن الحجاج (عن عبد الله بن أبي الحمساء) بحاء مهملة مفتوحة وميم ساكنة وسين مهملة ومدة العامري الصحابي وفي المقتني انه غير أبي الجدعاء وسيأتي حديثه في انتظاره عليه الصلاة والسلام الى يوم ثالث وشقيق ولد عبد الله أخرج له أبو داود فقط قال المزي بعد ان بين طرقه عند أبي داود وليس هو عند غيره وذكر كلام أبي داود الذي نقله عن محمد بن يحيى شيخه وذكر زيادة على ما في نسخة عندي من السنن والظاهر انه من بعض النساخ وليس هو من كلام أبي داود ما لفظه كذا وهو من زوائده ورواه عثمان بن حزاد عن محمد بن سنان هكذا وقال قال عبد الرحمن بن مهدي ما أظن ابراهيم بن طهمان الا اخطأ في عبد الكريم وانما هو عبد الكريم بن عبد الله بن شقيق عن أبيه عن أبي الحمساء ورواه أبو عون الزيادي عن ابراهيم بن طهمان فلم يذكر عبد الكريم في اسناده وقال عن بشر بن السري رواه عن عبد الكريم بن عبد الله بن شقيق وقال البزار أظن فيه غلطا من الناقل لان شقيقا والد عبد الله جاهلي لا أعلم له اسلاما انما عبد الكريم بن عبد الله بن شقيق عن أبيه قال اذ لا نعلم انه روى عبد الله بن أبي الحمساء الا هذا الحديث ووقع في الشفاء نسختان احداهما الخنساء بمعجمة ونون والاخرى وعن أبي الحمساء باسقاط عبد الله والاولى تصحيف والثانية خطأ لان أبا الحمساء لا اسلام له ولا رواية وانما الرواية لولده عبد الله بن أبي الحمساء انتهى (قال بايعت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ببيع) أي باع مبيعا للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم (قبل ان يبعث وبقيت له) أي لذلك المبيع (بقية) لم تسلم له (فوعدته ان آتيه بها في مكانه) أي في مكان وقع فيه البيع (فنسيت) الوعد الذي جرى بيننا (ثم ذكرت بعد ثلاث) أي ثلاثة أيام ولم يقل ثلاثة لان المعدود اذا حذف يجوز تذكيره مع المذكر وتأنيثه مع المؤنث كما قالوه في قوله صلى الله تعالى عليه وسلم وأتبعه ستا من شوال وانما تلزم قاعدة العدد اذا ذكر المعدود (فجئت فاذا هو في مكانه) أي مستقر صلى الله تعالى عليه وسلم في مكانه لم يفارقه (فقال يا فتى لقد شققت على أنا هنا منذ ثلاث أنتظرك) وفي هذا الحديث دليل على وفائه صلى الله تعالى عليه وسلم بعهده ووعده وهذا الحديث رواه أبو داود وهو من افراده وأخرجه أيضا ابن منده في المعرفة والخرائطي في مكارم الاخلاق (وعن أنس رضى الله تعالى عنه كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اذا أتى بهدية) مبني للمجهول أي أتاه أحد بهدية (قال اذهبوا بها الى بيت فلانة) لم يسمها الرواة لعدم تعلق غرض بتعيينها (فانها كانت صديقة لخديجة رضى الله تعالى عنها) وفي رواية (انها كانت

تحب خديجة) وهو للتاكيد اذ تفيد الجملة الاولى ان خديجة كانت تحبها أيضا وفيه الحث على البر والصلة وحسن العهد (وعن عائشة رضى الله تعالى عنها) كما فى الصحيحين (ماغرت) بكسر غين معجمة وسكون راء وفى نسخة صحيحة قالت ماغرت (على امرأة) أى من نساء النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (ماغرت) أى كغيرتى (على خديجة لما كنت) علة لغيرتها أى لاجل كونى دائما (اسمعه) أى أسمع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (يذكرها) أى ذكرا جميلا وثناء جزيلا قال الطبرى وغيره الغيرة من النساء مسموح لهن ومفسوح فى اخلاقهن لما جبلن عليه وانهن لايملكن عندها أنفسهن ولهذا لم يزجر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عائشة عليها ولا ردعليها عذرها لما علم من فطرتها وشدة غيرتها قال الزبيدى والعامة تكسرها والصواب فتحها (وان كان) بكسر الهمزة على ان ان مخففة من المثقلة أى وانه عليه الصلاة والسلام كان (ليذبح الشاة) بفتح اللام وهى المسماة بالفارقة نحو قوله تعالى وان كانت لكبيرة (فيهديها) بضم الياء أى فيرسلها هدية (الى خلائلها) جمع خليلة أى صدائقها الكل واحدة منها قطعة (واستاذنت عليه أختها) أى طلبت الاذن فى الاتيان له صلى الله تعالى عليه وسلم أخت خديجة وهى هالة بنت خويلد بن أسد أم أبى العاص بن الربيع زوج زينب بنته صلى الله تعالى عليه وسلم واسمه لقيط بن الربيع ذكرها ابن مندة وأبو نعيم فى الصحابة (فارتاح لها وفى نسخة صحيحة اليها أى ففرح بما أتاها) صلى وأكرمها ورحب بها ونظر اليها (ودخلت عليه امرأة) أى أخرى فى وقت آخر (فهش لها) بتشديد شين معجمة أى فرح بها واستبشر منها (وأحسن السؤال عنها) لزيادة الاستئناس بها بسبب طول عهدها فلما خرجت قال (انها كانت تاتينا أيام خديجة) أى فى زمانها (وان حسن العهد من الايمان) وفى الجامع الصغير ان حسن العهد من الايمان رواه الحاكم فى مستدركه عن عائشة رضى الله تعالى عنها مرفوعا (ووصفه) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (بعضهم) أى بعض السلف

تحب خديجة) وهذا الحديث رواه البخارى فى الادب المفرد (وعن عائشة رضى الله تعالى عنها انها قالت ماغرت على أحد) وفى نسخة امرأة من نسائه صلى الله تعالى عليه وسلم (ماغرت على خديجة) يقال غار الرجل والمرأة اذا غضب من فعل يقتضى أمرا لا يرضاه وغيرتها كانت من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لشدة محبتها له وارادتها الصرف محبته لها دون غيرها وهذا أمر طبيعى لالوم فيه وأما كون الغيرة من خديجة فلا وجه له بعد موتها (لما كنت أسمعه صلى الله تعالى عليه وسلم يذكرها) تعليل للغيرة وما مصدرية أى لسماعى ذكرها ولو شددت لما وجعلت حينية جاز ولكن النسخ متفقة على الاول وعلى على أصلها وقيل انها بمعنى الباء كما فى قوله اركب على اسم الله وقال فى الاكمال مغاضبة عائشة رضى الله عنها الرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من الغيرة التى عفى عنها للنساء حتى ذهب مالك الى اسقاط الحد عن المرأة اذا قذفت زوجها غيرة منها ولولا هذا كان على عائشة رضى الله تعالى عنها فى مغاضبتها النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أعظم الحرج لانه كبيرة عظيمة وقد صرحوا بانها معفوة عند الله وفى الشرع (وان) بكسر الهمزة وسكون النون وهى مخففة من الثقيلة (كان ليذبح الشاة) ليس المراد أنه يذبحها بنفسه (فيهديها) بضم الياء الاولى والمراد انه يهدى منها أو يهديها بتمامها والظاهر الاول لانه فى الحديث فيهدى مايسعها أو يشبعهن (الى خلائلها) بالخاء المعجمة جمع خليلة بمعنى الصاحبة والصديقة (واستاذنت عليه) أى طلبت الاذن فى الدخول له (أختها) أى أخت خديجة وهى هالة بنت خويلد بن أسد وهى أم ابن العاصى ابن الربيع الصحابية المشهورة رضى الله تعالى عنها (فارتاح اليها) أى حصلت له صلى الله تعالى عليه وسلم راحة اذ دخلت عليه وأظهر البشر والمسرة برؤياها وهذا الحديث فى البخارى وفى رواية ارتاع بالعين بدل ارتاح بمعنى مال اليها وأعجبه مجيئها مجازا (ودخلت عليه امرأة فهش لها) أى تبسم قليلا وأظهر المسرة بدخولها كما يفعل الناس باصدقائهم ومن يحبونهم يقال يهش ويبش به اذا فعل ذلك استئناسا ويقال هو هش بش اذا كان طلق المحيا غير عبوس شامخ الانف كما يفعله المتكبرون (وأحسن السؤال عنها) فيه مضاف مقدر بقرينة المقام وأل فى السؤال للعهد أو بدل من المضاف أى أحسن اليها بسؤاله عن حالها وما هى عليه كما تقول لمن يزورك ما حالك وما أنت عليه تلطفا به واعتناء بشانه كما هو عادة الناس لمن يحبونه ووقع فى الحديث انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لها كيف حالكم كيف أنتم فقالت بخير وهو مفسر لما هنا (فلما خرجت) من عنده صلى الله تعالى عليه وسلم وذهبت من مجلسه (قال) بيانا السبب معاملته معها وهى امرأة أجنبية (انها كانت تاتينا أيام خديجة) أى انها كانت فى حياة زوجته خديجة تدخل منزله صلى الله عليه وسلم لانها من معارفها وأصدقائها (وان حسن العهد) أى رعاية العهود القديمة ورعاية من يحبك أو يحب من يحبك (من الايمان) أى من شعب الايمان ومقتضياته لان من كمال الايمان مودة عباد الله ومحبتهم كما انه من تعظيم السيد اكرام عبيده ومناسبة هذا لما عقد له الفصل ظاهرة (ووصفه بعضهم) أى وصف بعض الصحابة النبى

(فقال كان يصـل ذوى رحمه) أى يحسن اليهم ويعطف عليهـم وان بعدوا عنه وأساؤا اليه (من غيران يؤثرهـم) أى يختارهـم ويفضلهم (على من هو أفضل منهم) أى من غيرهم عدلا منه واعطاء لكل ذى حق حقه لقوله تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ولقوله سبحانه وتعالى ان أكرمكم عنـد الله اتقاكم فلا يفضـل أحد بنى هاشم أوغـيرهم على عالم من علماء الدين وأكابرهم كما يستفاد من حديث الشيخين الذى ذكره بقوله (وقال صلى الله تعالى عليه وسلم ان آل أبى فلان) وفى أصـل الحجازى ان آل بنى فلان ثم قال وفى بعض النسخ ان آل أبى فلان قال ابن قرقول وهو المشهور انتهى وقال بعضـهم ان آل بنى فلان غلط بل هو آل أبى فلان والمراد الحكم بن أبى العاص وقال بعضهم هو أبو العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف كنى عنه الراوى حذرا من آل بنى أمية اذ كانوا احينئذ امراء (ليسوا الى باولياء) وقال ابن قرقول وفى الحديث المشهور ان آل أبى ليسوا أولياء قال وبعد قوله أبى بياض فى الاصول كانهم تركوا الاسم تورعا أو تقية وعند ابن السكن ان آل أبى فلان كنى عنـه بفلان انتهى ولا يخـفى ان قوله تورعا لا وجـه له اذ نص صلى الله تعالى عليه وسلم على اسمه ثم على تقدير آل أبى فلان لا يبعد ان يكون كناية مبهمة ليشمل جميع أقاربه وقد يحمل عليـه رواية آل أبى من غير فلان اذ الظاهر ان المقصـود ليس منحصرا فى جميع قريبه دون غيرهم كما يدل عليه عموم قـوله ليسـوا لى باولياء أى حقيقة حتى أواليهم صـداقة لقوله تعالى ان أولياؤه الا المتقون ولقوله سبحانه وتعالى فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين هذا وقـد قال التلمسانى والذى لم يسم ذلك يحتمل عم النبى صـلى الله تعالى عليـه وسلم ويجوز غيره وهو أولى وراوى الحديث هو عمرو بن العاص وفى بعض الروايات قال سمعت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم جهارا غير سر يقول ان آل أبى سفيان ليسوا لى باولياء ثم ساق الحديث ومعنى الحديث من كان غير صالح تقى فليس بولى لى وان قرب نسبه منى (غـير ان لهم) أى لآل أبى فلان (رحما) أى قرابة (سابلها) بضم موحدة ولام مشددة أى ساصلها وأراعيها وأقوم بحقها (ببلالها) بكسر الموحـدة وفتحها قال البخارى فى صحيحه وبلالها أصح يعنى بكسر الباء قال وبلالها يعنى بفتحها لا أعرف له وجها وسقط كلام البخارى هذا من الاصـل الاصيل انتهى والبلال جمع بلل وهو ما يبل به الحلق من ماء أولبن وفيه استعارة ومعناه ان القطع حرارة كالنار والوصل برودة كالماء وهو يبرد حرارة القطيعة ويطفئها أى أصلها فى الدنيا ولا أغنى عنهم من الله شيئا فى العقبى شبهت قطيعتها بالحرارة تطفأ بالماء وتندى بالصلة ومنه حديث بلوا أرحامكم ولو بالسلام كما رواه البزار والطبرانى والبيهقى أى صلوها كما فى رواية

صلى الله عليه وسلم (فقال كان يصـل ذوى رحمـه) أى من صفته التى كانت منه دائمة وكان تدل على التكرار والدوام كثيرة وان لم تكن موضوعـة لذلك نحو كان حاتم يقرى الضـيف وكان الله غفورا رحيما كما فصل فى الاصول أى يحسن اليهم ويوادهم ولما كان هذا يوهم الاختصاص بهم احترس عنه فقال (من غيران يؤثرهم) أى يخصهم ويقدمهم (على من هو أفضـل منهم) من سائر الناس وهـذا أيضا من حسن العهد (وقال النبى صـلى الله عليه وسلم ان آل بنى فلان ليسوا لى باولياء) الآل بمعنى الاهـل والاتباع وفلان كناية عن الاعلام التى للعـقلاء والمراد به هنا كما مر أبو العـاص بن أميـة بن عبد شمس بن عبد مناف والكناية من الراوى لا من كلامه صـلى الله تعالى عليه وسلم وأبو العاص هو أبو الحـكم بن أبى العاص وكان منافقا فى أول أمره ثم حسن اسـلامه وهو عم عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه وما ذكر كذا هو فى نسـخة البرهان الحلبى قال ابن قرقول وفى الحـديث المشهور ان آل أبى ليسوا باوليائى بفتح همزة أبى قال وبعده قوله أبى بياض فى الاصول كأنهم تركوا من الاسم بقية وعند ابن السكن ان آل أبى فلان بالكناية عمن ذكر وفى بعض الروايات اسقاط آل والاولياء جمع ولى وهو القريب ومن يتولى أمره أى لا أتولاهم ولا أحسبهم من أوليائى لما علمت منهم والمراد به القدح كقوله تعالى ذلك بان الله مولى الذين آمنوا وان الكافرين لا مولى لهم أى لا ولى لهـم ولا ناصر (غـير ان لهم رحما) أى قرابة (سابلها ببلالهـا) لان أبا العاص أحد بنى أمية وهم قريبون منافقون وولد أمية العاص وأبو العاص والعيص وأبو العيص وهم الاعياص وحرب وأبو حرب وسفيان وأبو سفيان واسمه عنبسة وعمرو وأبو عمرو وأبو سفيان هذا هو صخر بن حرب بن أمية وهو غير أبى معاوية رضى الله تعالى عنهما وقوله سابلها أى ساصل رحمها بصلتها اللائقة بها او البلال بكسر الباء الموحـدة مصدر كالقتال أو جمع بلل كجمل وجمال وهو الافصح والاصح رواية وروى بفتح الباء أيضا والمعنى واحـد وهو الرطوبة والنداوة وكل ما يبل الحلق من المائعات كالماء واللبن فاستعير للصـلة والاحسان كما استعير اليبس للقطيعة والشح وفى الحديث بلوا أرحامكم ولو بالسلام لان الرطوبة والنداوة تجمع الاشياء واليبوسـة تفرقها وأيضا ان بل الارض يجعلها منبتة فاستعيرت لما ذكر لتأليفها القلوب وتنمية المودة كما قال

كيف أصبحت كيف أمسيت مما * ينبت الود فى قلوب الرجال

(قد صلى عليه الصلاة والسلام) كما رواه الشيخان (بامامة) بضم الهمزة (ابنت ابنته زينب) أى بنت أبى العاص بن ربيعة بن عبد شمس من زينب بنته صلى الله عليه وسلم (يحملها على عاتقه) جملة حالية وفى نسخة صحيحة فحملها على عاتقه وقال التلمسانى يحملها بفتح الميم وكسرها معا الا ان الفتح أفصح وروى فحملها على عاتقه والعاتق ما بين المنكب والكتف (فاذا سجد) أى أراد ان يسجد (وضعها) أى على الارض بعمل يسير (واذا قام) أى أراد القيام (حملها) وهذا بيان لكيفية صلاته بها ومثل هذا لا يشغل أرباب الكمال عما هم فيه من حسن الحال حيث وصلوا الى مرتبة جمع الجمع الذى لا تحوم حولهم التفرقة بان لا تمنعهم الوحدة عن الكثرة ولا الكثرة عن الوحدة فهم كائنون بائنون قريبون غريبون عرشيون فرشيون بحسب الارواح اللطيفة والاشباح الشريفة كما قال قائلهم

رق الزجاج ورقت الخمر * فتشابها وتشا كل الامر

فكأنما خمر ولا قدح * وكأنما قدح ولا خمر

فالذى ما زاغ بصره وما طغى فيما رأى من آيات ربه الكبرى كيف يشتغل قلبه عن ربه قطعة من لحمه ولكن هذا مشرب أرباب السرائر دون مذهب أصحاب الظواهر وقد علم ٨٨ كل أناس معراج مشربهم وسلك كل طائفة منهاج مذهبهم قال الخطابى واسناد وضعها وحملها فى كل خفض ورفع فيها اليه مجاز لانه يشغله عن صلاته وانما كانت قد ألفته وأنست به فاذا سجد جلست على عاتقه فلا يدفعها فتبقى محمولة الى ان يركع فيرسلها الى الارض فاذا سجد فعلت كذلك قاله الدلجى وظاهر قوله فاذا سجد وضعها واذا قام حملها اياه الا قرينة صارفة الى المجاز وقال ابن بطال كان فى صلاة نافلة ونقله أشهب عن مالك ورواه النووى بما رواه ابن عيينة عن أبى قتادة قال رأيت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يؤم الناس وامامة بنت أبى العاص على عاتقه وينصره رواية أبى قال بينا نحن ننتظر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لصلاة الظهر أو العصر فخرج الينا وامامة على عاتقه فقام فى مصلاه وقمنا خلفه قال النووى وزعم بعض المالكية انه منسوخ قال ابن دقيق العيد وروى عن مالك وقال ابن عبد البر لعله نسخ بتحريم العمل فى الصلاة بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم ان فى الصلاة لشغلا ورد بانه كان قبل بدر عند قدوم راويه عبد الله بن مسعود من الحبشة وقدوم زينب بامامة كان بعد ذلك ونقل اشهب وغيره ان حملها كان لضرورة دعت اليه اذ لم يكن من يتعهدها حتى يفرغ وتركها بلا متعهد أشق وأشغل عليه من حملها مصليا وزعم بعضهم انه خاص به قال النووى وهذه كلها دعاوى مردودة لا بينة عليها ولا ضرورة اليها والحديث قاض بجواز ذلك صريحا ليس فيه ما يخالف قواعد الشرع وما فى جوفها من نجاسة معفو عنه لكونه فى معدته وثياب الاطفال وأجسادهم على طهارتها وأدلة الشرع شاهدة بان هذه الافعال لا تبطلها هذا وانما فعل ذلك تشريعا وبيانا للجواز وقد أفاد ان لمس المحارم لا ينقض وضوأ والعمل اليسير لا يبطل صلاة انتهى كلامه وأبو امامة أبو العاص أسر يوم بدر فمن عليه بلا فداء اكراما لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بسبب زينب ثم أسلم قبيل فتح مكة وحسن اسلامه ورد صلى الله تعالى عليه وسلم زينب عليه بنكاح جديد أو بالنكاح

ففيه استعارة مصرحة أو مكنية وتخييلية (وقد صلى صلى الله تعالى عليه وسلم) أى دخل فى الصلاة (بامامة) بضم الهمزة وميمين علم (ابنت ابنته زينب) أكبر بناته صلى الله تعالى عليه وسلم وتوفيت سنة ثمان من الهجرة وتزوجها أبو العاص بن الربيع لا ابن ربيعة كما فى البخارى فانه غلط مشهور وولدله منها امامة وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يحبها وتزوجها على كرم الله وجهه بعد فاطمة رضى الله تعالى عنها ثم تزوجها بعده المغيرة بن نوفل فماتت عنده قال البرهان الحلبى ليس لزينب بنت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولا لرقية ولا لام كلثوم عقب وانما العقب لفاطمة رضى الله تعالى عنها ولذا سادت جميع بناته وأمها خديجة وهى سيدة نساء أهل الجنة الا مريم وقال السهيلى فضلت على اخواتها لانها بضعة منه وزوجة خليفته وأم ريحانتيه ولانها أصيبت برزء لا يساويه رزء وهو موت أبيها صلى الله تعالى عليه وسلم فى حياتها فصبرت واحتسبت ومن ذريتها المهدى وهذا الحديث رواه البخارى فى صحيحه كغيره وفيه كما يأتى انه كان اذا سجد وضعها واذا قام رفعها المعبر به عن الحمل الآتى وقد أشكل هذه على الفقهاء لان هذه أعمال كثيرة مبطلة للصلاة فقيل انه من خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل انه منسوخ وقيل انه لا عمل له لانها لمحبتها له كانت تتعلق به وتعلو عليه من غير عمل منه وقوله رفعها ووضعها اياه وقيل انه كان فى النافلة ضرورة لانه لم يكن ثمه من يكفيه أمرها وقال بعضهم انه كله باطل لانه وقع بعد الهجرة وتحريم الاعمال وكان فى صلاة الصبح وهو يؤم الناس كما ورد التصريح به فالصواب انه عمل قليل لا يبطل الصلاة وكانت طاهرة مطهرة ليس معها ما يبطل الصلاة قيل وانما فعل ذلك صلى الله تعالى عليه وسلم ارغاما للعرب فى عدم محبتهم البنات (يحملها على عاتقه) أى كتفه وعلى متعلق بيحمل لا حال من امامة أو من ضميره كما قيل (فاذا سجد وضعها) على الارض (واذا قام حملها) بيانا للجواز وقال الخطابى اسناد وضعها وحملها مجاز فانها كانت تالفه فاذا سجد

جلست

الاول ثم بعد موته تزوجها علي بوصاية فاطمة اليه في ذلك ثم بعد علي تزوجها المغيرة بن نوفل بن عبد المطلب بن هاشم وليس لزينب ولا لرقية ولا لام كلثوم رضى الله تعالى عنهن عقب وانما العقب لفاطمة رضى الله تعالى عنها وزينب أكبر بناته صلى الله تعالى عليه وسلم قال التلمساني روى عن عائشة رضى الله تعالى عنها ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أهديت له هدية فيها قلادة من جزع فقال لادفعنها الى أحب أهلي فقال النساء ذهبت بها ابنة ابن أبي قحافة فدعا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم امامة بنت

جلست على عاتقه فلا يدفعها فتبقى محمولة حتى يركع فيرسلها فاذا سجد فعلت كذلك وتقدم ما فيه (وعن أبي قتادة) الصحابي الانصاري فارس رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واختلف في اسمه فقيل الحارث بن ربعي بكسر الراء ابن عمرو وقيل النعمان توفي بالمدينة سنة أربع وخمسين وقيل ثمان وثلاثين وهو ابن سبعين سنة وروى له أحمد وأصحاب السنن (قال وفد وفد للنجاشي) وفد بمعنى قدم ويخص بقدوم الرسول ووفد بسكون الفاء اسم جمع بمعنى الوافدين والنجاشي بفتح النون وكسرها وتشديد الياء وتخفيفها واسمه أصخمة وقيل صحمة بفتح الصاد وسكون الحاء المهملتين وقيل صمحة بتقديم الميم وقيل خاؤه معجمة وقيل اسمه مكحول بن صصه وقيل سليم وقيل حازم وهو اسم لكل من ملك الحبشة وكان رضى الله تعالى عنه ممن أعان المسلمين لما هاجروا اليه وكاتب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأهدى له الهدايا وزوجه بام حبيبة رضى الله تعالى عنها وكتب له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كتابا يدعوه فيه الى الاسلام فاسلم على يد جعفر بن أبي طالب سنة ست وكان بينه وبين النبي صلى الله تعالى عليه وسلم محبة عظيمة فلما توفي في رجب سنة تسع نعاه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وصلى على جنازته وبه استدل الشافعي رضى الله تعالى عنه على الصلاة على الغائب على ما تقدم وقصته مشهورة ولما توفي خلفه نجاشي آخر دعاه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم للاسلام فابى ومات كافرا (فقام النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يخدمهم بنفسه) تواضعا منه وارشادا لغيره (فقال له) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (أصحابه نكفيك) أي نحن نخدمهم ونكفيك من تعاطي خدمتهم فاني صلى الله تعالى عليه وسلم و (قال انهم كانوا لاصحابنا) الذين هاجروا الارضهم (مكرمين واني أحب أن أكافئهم) أي أجازيهم على اكرامهم لاصحابنا باكرامهم ولا اكرام أعظم من تعاطيه صلى الله تعالى عليه وسلم أمورهم بنفسه وهذا الحديث رواه البيهقي في دلائله مسندا (ولما جيء) مبني للمفعول أي جاء الصحابة رضى الله تعالى عنهم (باخته من الرضاعة بفتح الراء وكسرها بمعنى الرضاع (الشيماء) بفتح المعجمة وسكون المثناة التحتية والميم وهمزة ممدودة ويقال لها الشماء بتشديد الميم من غير ياء كما قاله المحب الطبري ويحتمل ان تكون الشيماء أصلها اشماء فابدلت احدى الميمين كما قيل في اما ايما فتكون صفة بمعنى ذات شمم ثم نقل وجعل علما لها وهي بنت حليمة السعدية التي أرضعت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل اختها وزوج حليمة هو الحارث بن عبد العزى وحليمة أسلمت وعدت من الصحابة على ما يأتي واسمها جدامة بجيم مضمومة ودال مهملة وقيل حذافة بحاء مهملة وذال معجمة وفاء وقيل حذافة بمعجمتين واختلف في زوجها أبو النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من الرضاعة فلم يذكر احد من أهل السير اسلامه ولكن ذكره يونس بن بكير في روايته فقال حدثنا ابن اسحق عن أبيه عن بعض بني سعد بن بكر ان الحارث بن عبد العزى أبو رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من الرضاع قدم عليه بمكة بعد بعثته فقالت له قريش يا حارث ما يقول ابنك هذا فقال ما يقول قالوا يزعم ان الله يبعث الخلق بعد الموت وان لله دارين يعذب فيهما من عصاه ويكرم من أطاعه وقد شتت أمرنا وفرق جماعتنا فاتاه فقال يا بني ما لك ولقومك يشكونك ويزعمون انك تقول لهم ان الناس يبعثون بعد الموت ثم يصيرون الى

زينب فاعلقها في عنقها (وعن أبي قتادة) كما رواه البيهقي وهو انصاري فارس رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يعرف بذلك (قال وفد) بفتح الفاء أي قدم (وفد النجاشي) أي جماعة من عنده رسلا اليه صلى الله تعالى عليه وسلم وقد سبق ضبط النجاشي وترجمته (فقام النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يخدمهم) بضم الدال وتكسر وانما خدمهم بنفسه تواضعا لربه وارشادا لامته (فقال له أصحابه يكفيك) أي خدمتهم (فقال انهم كانوا لاصحابنا مكرمين) أي حين هاجروا اليهم ونزلوا عليهم (واني أحب ان أكافئهم) بكسر فاء بعدها همزة مفتوحة أي أجازيهم بمثل ما فعلوا بهم من الاحسان جزاء وفاقا (ولما) أي وحين (جيء باخته من الرضاعة) بفتح الراء وتكسر وفي نسخة من الرضاع (الشيماء) بفتح الشين المعجمة وسكون التحتية ممدودة وفي أصل الدلجي بلا ياء وهي رواية ذكرها المحب الطبري وهي مجرورة بيانا لاخته ويجوز رفعها ونصبها كما هو معلوم في أمثالها عند أربابها قال الحلبي الشيماء فيها قولان هل هي بنت حليمة أو أختها قال الحجازي أبوها الحارث أدرك الاسلام وأسلم بمكة وأسلمت واسمها جدامة بجيم مضمومة فمهملة فالف فميم وقيل خذافة بمعجمة مكسورة وذال معجمة وبفاء وقيل بميم

(في سبايا هوازن) متعلق بجيء أي في أسارى قبيلة هوازن من بني سعد بن بكر (وتعرفت له) أي علمت باسمها ومكانها وأطلعته على شأنها مما وقع له معها في زمانهما وهو عطف على جيء وجعله الدلجي جملة حالية اعتراضية بين لما وجوابها وهو قوله (بسط لها رداءه) اجلالا لها واكراما لاجلها ومكافاة لفعلها الذي كانت تربيه مع أمها حليمة (وقال لها) أي على وجه التخيير (ان أحببت أقمت عندي مكرمة) بضم ميم وفتح راء أي معظمة (محبة) بضم ميم ففتح فتشديد أي محبوبة في أصل التلمساني محببة قال وروى محبة وهما بمعنى والاول أكثر والثاني قليل أغنى عنه محبوبة في الثلاثي (أومتعتك) أي ان كنت تريدين المراجعة أعطيتك متاعا حسنا ودفعت اليك ما تتمتعين به وتنتفعين منه وزودتك (ورجعت الى قومك) أي رجوعا مستحسنا (فاختارت قومها) لعلها لضرورة ألجأتها اليه (فمتعها) أي فزودها وأعطاها أشياء تتمتع بها فقيل اعطاها غلاما له اسمه مكحول وجارية فزوجت أحدهما من الآخر فلم يزل فيهم من نسلهما بقية قيل وقد فازت هي وأبواها وأخوها بسعادة الاسلام وزيادة الاكرام ببركته عليه الصلاة والسلام والحديث رواه ابن اسحق والبيهقي (وقال أبو الطفيل) تصغير طفل وفي نسخة ابن الطفيل وهو تصحيف وهو عامر بن واثلة بالمثلثة الكناني آخر من مات من الصحابة على الاطلاق كان مولده عام أحد وتوفي سنة مائة من الهجرة وقد روى أربعة
وهذا
أحاديث وكان تفضيليا وقد روى أبو داود بسند صحيح عنه (رأيت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي وكان جالسا يوما بالجعرانة يقسم لحما (وأنا غلام) أي حال كوني غير بالغ وقيل الصبي اذا فطم سمي غلاما الى سبع سنين (اذا قبلت امرأة حتى دنت منه) أي قربت ووصلت اليه (فبسط لها رداءه) تكريما لها (فجلست عليه) أي بامره (فقلت لمن عنده من هذه قالوا أمه التي أرضعته) فقيل هي حليمة وقيل ثويبة قال الحافظ الدمياطي لا يعرف لحليمة صحبة ولا اسلام وقال المرأة التي بسط لها رداءه اختها الشيماء

جنة أو نار فقال نعم ولو كان ذلك اليوم يا أبت أخذت بيدك حتى أعرفك حديثك اليوم فأسلم وحسن اسلامه وكان يقول حين أسلم لو قد أخذ ابني بيدي فعرفني ما قال لم يرسلني ان شاء الله حتى يدخلني الجنة انتهى (في سبايا هوازن) السبايا جمع سبية بمعنى مسبية أي مأسورة وهوازن اسم قبيلة من بني سعد بن بكر سميت باسم الاب الاعلى كتميم وهو هوازن بن نصر بن عكرمة بن حفصة بن قيس بن غيلان بن نصر والمراد بكونها فيهم انها كانت مسبية معهم أيضا (وتعرفت له) يقال تعرف له اذا أعلمه باسمه وشانه فهي أعلمته صلى الله تعالى عليه وسلم انها اخته رضاعا فقال لها صلى الله تعالى عليه وسلم ما علامة ذلك فقالت عضة كنت عضيتنيها في ظهري فعرف ذلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وصدقها جواب لما (بسط لها رداءه) أي فرشه لها لتجلس عليه اكراما لها (وقال لها) بعدما جلست عنده (ان احببت أقمت عندي) مفعول أحببت مقدر تقديره أحببت الاقامة عندي وهذا يدل على انها أسلمت كما تقدم (مكرمة محبة) بالنصب على الحالية فيهما ومكرمة بضم أوله وسكون ثانيه وتخفيف رائه اسم مفعول من أكرمه اذا فعل به ما يحب ممن احسان قولا وفعلا وكذا محبة فانه اسم مفعول من أحبه ويقال حبه وأحبه بمعنى والاكثر الافصح في اسم المفعول ان يكون من الثلاثي فيكثر فيه محبوب ويقل محب لكنه هنا أحسن لاقترانه بمكرم وعليه الاستعمال كقراءة عنترة

وإذا نزلت فلا تظني غيره * مني بمنزلة المحب المكرم

وقوله جارية خدلة مكرمة محببة وجبر وإذلك فصاغوا اسم الفاعل من المزيد فقالوا محب ولم يقولوا حاب (أومتعتك ورجعت الى قومك فاختارت قومها فمتعها) ورجعت لقومها وتفصيله ما قاله أصحاب السير انه لما قدمت اخته الشيماء بنت الحارث بن عبد العزى وعرفته صلى الله تعالى عليه وسلم بنفسها فعرفها وبسط لها رداءه وأجلسها عليه وخيرها فاختارت الرجوع لقومها وأرضها وان يمتعها بالاحسان اليها فاعطاها عبدا وجارية وقال ابن عبد البر رحمه الله انها أسلمت فاعطاها ثلاثة أعبد وجارية ونعما وشاء وهذا منه صلى الله تعالى عليه وسلم صلة لرحمه لان الرضاع له حكم النسب والقرابة والابن للابوين (وقال أبو الطفيل) بضم الطاء المهملة وفتح الفاء منقول من مصغر الطفل جعل علما لعامر بن واثلة بالثاء المثلثة الكناني الصحابي وهو آخر من مات من الصحابة ووقع في بعض النسخ ابن أبي الطفيل وليس بصحيح كما قاله البرهان الحلبي (رأيت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأنا غلام) الغلام كما في كفاية المتحفظ عن بعض أهل اللغة الصبي اذا فطم الى سبع سنين ثم يصير يافعا الى عشر حجج وقد يطلق الغلام على الشاب التام الرجولية والمراد هنا الاول (اذا قبلت امرأة حتى دنت منه) أي قربت من مكانه الجالس فيه (٢) وفي بعض النسخ تأخير قوله وأنا غلام عن قوله اذا قبلت الى آخره

---

(٢) وزاد في نسخ المتن هنا قوله فبسط لها رداءه فجلست عليه فقلت من هذه قالوا أمه التي أرضعته قاله مصححه

وروى ابن عبد البر في استيعابه عن عطاء بن يسار ان حليمة بنت عبد الله مرضعة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم جاءت يوم حنين فقام لها وبسط لها رداءه وفي سيرة مغلطاي وصحيح ابن حبان وغيره ما يدل على اسلامها (وعن عمرو بن السائب) كذا في النسخ الصحيحة المعتبرة عمرو بالواو وقال الحجازي وهو ابن راشد المصري مولى بني زهرة

تابعي ذكره الحافظ عبد الغني في اكماله فيمن اسمه عمرو ووهمه الحافظ المزي وقال اسمه عمر بضم العين قال الحلبي وهو غلط صريح صوابه عمر بن السائب بضم العين وحذف الواو وهو يروي عن اسامة بن زيد وجماعة وعنه الليث وابن لهيعة وغيرهما ذكره ابن حبان في الثقاة والحديث رواه أبو داود مرسلا عنه انه بلغه (ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان جالسا يوما فاقبل أبوه من الرضاعة) هو الحارث بن عبد العزى واختلف في اسلامه (فوضع له بعض ثوبه فقعد عليه ثم أقبلت أمه) أي حليمة (فوضع لها شق ثوبه) بكسر الشين أي طرفه (من جانبه الآخر فجلست عليه ثم أقبل أخوه من الرضاعة) وهو عبد الله ابن الحارث المذكور على ما هو الظاهر فيهم جميعا لانه صلى الله تعالى عليه وسلم كانت له مراضع خمس وقيل ثمان (فقام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاجلسه بين يديه) أي تكريما له وتعظيما لوالديه

وهذا الحديث رواه أبو داود في سننه بسند حسن فقال حدثنا ابن المثنى قال حدثنا أبو عاصم قال حدثني جعفر بن عمارة قال أخبرنا عمارة بن ثوبان ان أبا الطفيل أخبره قال رأيت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يقسم لحما بالجعرانة وأنا يومئذ غلام أحمل لحم الجزور اذ اقبلت امرأة وساقه وقوله اذ يحتمل ان تكون ظرفا لرأيت أي رأيته وقت اقبال المرأة ويحتمل ان تكون للمفاجأة بتقدير بينا أي رأيته يقسم لحما وبينا هو كذلك اذ أقبلت امرأة الى آخره أو هي بمعنى قد والوجه هو الاول وفي هذا دليل على قبول رواية الصغير وفيه كلام مفصل في مصطلح الحديث قالوا وهذه المرأة هي حليمة أمه صلى الله تعالى عليه وسلم من الرضاع ومجيئها له صلى الله تعالى عليه وسلم كما في الاستيعاب كان في يوم حنين وقال الحافظ الدمياطي رحمه الله وزوجها لا نعرف له صحبة ولا اسلاما وما قاله ابن عبد البر من انها أتته صلى الله تعالى عليه وسلم يوم حنين وبسط لها رداءه وروت عنه وروى عنها عبد الله بن جعفر لم يصح وابن جعفر لم يدركها وانما التي جاءته هي بنتها الشيماء واما حليمة فانها جاءته صلى الله تعالى عليه وسلم بمكة قبل النبوة في زمن خديجة رضي الله تعالى عنها فاعطاها أربعين شاة وجملا ثم انصرفت لاهلها وما هنا يقتضي مجيئها له صلى الله تعالى عليه وسلم بعد النبوة بالجعرانة بعد انقضاء حرب هوازن ومجيء وفدهم وليس كذلك انما هي ابنتها وجوز الذهبي رحمه الله تعالى ان تكون المرأة التي جاءته ثويبة مولاة أبي لهب الآتي ذكرها ويرده انها ماتت سنة سبع قبل هوازن ولما فتح مكة سأل عنها ابنها مسروحا فأخبره بموتها وصحح بعضهم خلافه ذكره ابن الجوزي في الوفاء وصنف الحافظ مغلطاي جزأ في اسلامها سماه النعمة الجسيمة في اثبات اسلام حليمة وأيده وارتضاه علماء عصره وممن أنكره أبو حيان (وعن عمرو بن السائب) عمرو بفتح العين وبالواو وهو ابن واش المصري وقيل انه عمر بالضم وحذفها قال الحلبي والفتح غلط وصوابه الضم كما ذكره ابن حبان وقال انه من الثقات وروى عن اسامة بن زيد وروى عنه جماعة وأخرج له أبو داود فقط كذا قاله التلمساني في حواشيه وهو من أجلة التابعين وهذا الحديث رواه أبو داود بلاغا كما قاله السيوطي في تخريجه (ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان جالسا يوما) قيل ظاهره ان عمرو شاهد هذه القضية وهو تابعي والحديث من مرسل زيد كما في سنن أبي داود وقال عن أحمد بن سعيد الهمداني قال حدثنا ابن وهب قال حدثني عمرو بن الحارث ان عمرو بن السائب حدثه انه بلغه ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان جالسا الى آخره فلو ذكره المصنف كما قاله أبو داود كان أولى (فاقبل أبوه من الرضاعة) وهو الحارث بن عبد العزى وقد تقدم الكلام فيه وفي اسلامه وكون زوج المرضعة يسمى أبا ويثبت بارضاع زوجته معنى له حكم النسب كان المرضعة أمه لان الفحل محرم وان لم يكن له حكم النسب من كل وجه واليه ذهب الفقهاء كافة غير الظاهرية والكلام عليه مفصل في كتب الفروع (فوضع له) صلى الله تعالى عليه وسلم (بعض ثوبه) وفرشه له في الارض ليجلس عليه (فقعد عليه ثم أقبلت أمه) وهي حليمة كما مر (فوضع لها شق ثوبه من جانبه الآخر فجلست عليه ثم أقبل أخوه من الرضاعة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجلسه بين يديه) يعني انه أجلس اباه عن يمينه وفرش له جانبا من ثوبه وأجلس أمه حليمة عن يساره وفرش تحتها جانبا من ثوبه اكراما لهما فلما قدم أخوه وهو عبد الله بن الحارث بن عبد العزى لم يبق جانب من ثوبه يفرشه فقام له صلى الله

(وكان يبعث) أي يرسل من المدينة الى مكة (الى ثويبة) بضم مثلثة وفتح واو فسكون تحتية فموحدة (مولاة أبي لهب) بفتح الهاء وتسكن عمه عليه الصلاة والسلام يقال انها أسلمت (مرضعته) بالجر بيان أو بدل لثويبة (بصلة) أي نفقة

(وكسوة) قال التلمساني بضم الصاد وكسرها وكسوة بضم وبكسر وقرئ بهما في السبع انتهى ولا نعرف أحدا من القراء انه قرأ بضم الكاف وكذا ضم الصاد غير معروف في اللغة (فلما ماتت سأل من بقي من قرابتها فقيل لا أحد) أي ما بقي منهم أحد والحديث رواه ابن سعد عن الواقدي عن غير واحد من أهل العلم وفي الروض الانف كان يصلها من المدينة فلما فتح مكة سأل عنها وعن ابنها مسروح فقيل ماتا (وفي حديث خديجة رضي الله تعالى عنها) كما رواه الشيخان (انها قالت له صلى الله تعالى عليه وسلم أبشر) بفتح الهمزة وكسر الشين المعجمة أي استبشر وافرح ولا تحزن (فوالله لا يخزيك الله) بضم الياء وسكون الخاء المعجمة وكسر الزاي أي لا يهينك ولا يذلك ولمسلم أيضا لا يحزنك من من الحزن وهو بفتح الياء وضم الزاي وبالنون أو بضم أوله وكسر ثالثه كما في بعض الروايات وبعض النسخ وقد قرئ بهما في السبعة (أبدا) أي دائما سرمدا

لا

عليه وسلم لئلا يقصر في توقيره عن أبويه وفيه دليل على انه يجوز القيام تعظيما لمن يستحق التعظيم خلافا لمن قال انه مكروه مطلقا وللنبي صلى الله تعالى عليه وسلم عدة مرضعات منها حليمة هذه وثويبة مولاة أبي لهب الآتية وخولة بنت المنذر بن زيد بن لبيد وأم أيمن وثلاث نسوة من سليم تسمى كل واحدة منهن عاتكة وهو أحد القولين في قوله صلى الله تعالى عليه وسلم أنا ابن العواتك وقيل انهن جدات له ومعنى عاتكة متضمخة بالطيب (وكان) صلى الله تعالى عليه وسلم (يبعث الى ثويبة) علم منقول من تصغير الثوب وهي (مولاة أبي لهب مرضعته) أي جارية معتقة له وأبو لهب كنيته واسمه عبد العزى وكني بذلك لتوقد لونه وذكر بهذه الكنية في القرآن للاشارة الى انه جهنمي كما مر (بصلة) أي عطية يحسن بها لها (وكسوة) بضم الكاف وكسرها أي ثياب تلبسها (فلما ماتت) بمكة بعد هجرته عليه الصلاة والسلام (سأل من بقي من قرابتها) أي عمن بقي فهو منصوب بنزع الخافض أو تقديره وقال من بقي فهي اما موصولة أو استفهامية والقرابة مصدر بمعنى قرب النسب وسمع اسم جمع بمعنى الاقرباء كما ذكره ابن مالك وغيره خلافا للحريري اذ انكره وقال لا يقال للاقرباء قرابة وانما يقال ذو قرابة كما قال الشاعر

يبكي عليه غريب ليس يعرفه * وذو قرابته في الحي مسرور

(فقيل لا أحد) أي لا أحد من قرابتها باق وأحد مرفوع بفعل مقدر أي لم يبق أحد أو مرفوع اسم لا العاملة عمل ليس أو مفتوح اسمها والخبر مقدر عليهما وقوله وكان الى هنا سقط من بعض النسخ وما ذكر من حسن الوفاء وصلة الرحم وفيه من مكارم أخلاقه وحسن عهده صلى الله تعالى عليه وسلم ما لا يخفى وهذا الحديث رواه الواقدي وغيره وأما ارضاع ثويبة له صلى الله تعالى عليه وسلم فثابت في الصحيحين وهي أول من أرضعته مع ابنها مسروح المتقدم ذكره أياما قبل حليمة وأرضعت قبله عمه حمزة وأبا سلمة واختلف في اسلامها فاثبته بعضهم وعدها في الصحابة وأنكره أبو نعيم وكان أبو لهب أعتقها لما بشرته بولادة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ورئي في المنام وهو يقول خفف عني العذاب باعتاقي ثويبة لما بشرتني به وفي السير أنه أعتقها قبل ولادته بدهر طويل وهو المروي في غير السير وفي المواهب ما يخالفه والذي رآه في المنام بشر حيبة بفتح الحاء المهملة أو بكسرها وياء مثناة تحتية وباء موحدة وقيل انه بخاء معجمة وقيل بجيم وهو تصحيف أي بسوء حال فهو من الحوبة وهي المسكنة والحاجة قالوا وانقلبت ياء لانكسار ما قبلها أو على خلاف القياس وتخفيف عذابه بسبب ما ذكر لا يعارض قوله تعالى في أعمال الكفرة فجعلناه هباء منثورا لانه بعد الحشر أو لانه لما لم ينجهم من النار فكأنه لم يفدهم أصلا وتفصيله في حواشينا على القاضي (وفي حديث خديجة رضي الله تعالى عنها) الذي رواه الشيخان عن عائشة رضي الله تعالى عنها باسناد صحيح (انها قالت له) صلى الله تعالى عليه وسلم في ابتداء أمره لما رأى جبريل عليه الصلاة والسلام فحصل له به رعب شديد (أبشر) أمر بفتح الهمزة وهي همزة قطع يقال أبشر وبشر بمعنى ويجوز وصلها وفتح الشين من بشر يبشر كعلم يعلم وهو أمر المقصود منه تعجيل المسرة بالبشرى التي بعده وهو انشاء أريد به الخبر أي اني مبشرة لك والبشرى الخبر السار الذي يظهر أثره في البشرة (فوالله لا يخزيك الله) وهذا الحديث تقدم شرحه في فصل الجود والكرم ومر أن في يخزيك روايتين ضم الياء واعجام الخاء من الخزي وهو النكال والفضيحة وبه روى لفظ المصنف هنا كما ذكره البرهان الحلبي واهمال الحاء من حزن واحزن وهي دون الاولى فلذا تركها المصنف رحمه الله تعالى وروى

(انك لتصل الرحم وتحمل الكل) بفتح فتشديد أى ثقيل الحمل العاجز عن تحمل مؤنة عياله (وتكسب المعدوم) أى تصل كل معدوم من فقير محروم وفى رواية بضم أوله أى تعطى الناس الشئ المعدوم (وتقرى الضيف) بفتح أوله وكسر الراء أى تطعمهم (وتعين) أى الخلق (على نوائب الحق) بالاضافة البيانية اشعارا بانها تكون فى الحق والباطل قال لبيد

نوائب من خير وشر كلاهما * فلا الخير ممدود ولا الشر لازب

وقال التلمسانى المراد بالحق هو الله سبحانه وتعالى لانه الخالق لها قال العلماء ومعنى كلام خديجة رضى الله تعالى عنها انك لا يصيبك مكروه لما جعل الله فيه من مكارم الاخلاق ومحاسن الشمائل وفى هذا دلالة على ان خصال الخير سبب السلامة من مصارع السوء

(فصل وأما تواضعه صلى الله تعالى عليه وسلم)

وهو هضم نفسه من الملكات الموروثة للمحبة الربانية والمودة الانسانية (على علو منصبه) بكسر الصاد أى مع سمو منزلته (ورفعة رتبته) أى مرتبته من تمام نبوته ونظام رسالته وفى نسخة رتبه جمع رتبة وأغرب الدلجى فى جعل على على صرافته وصرف عبارته الى تمثيل تمكنه منهما واستقراره عليهما بحال من اعتلى شيأ واقتعد غاربه وغرابته لا تخفى على أرباب الصفاء (فكان صلى الله تعالى عليه وسلم أشد الناس تواضعا) أى لعظم قدره وكرم أمره (وأقلهم كبرا) كذا فى الاصول المصححة

لا يخزيك الله أبدا عن الزهرى بزيادة أبدا (انك لتصل الرحم وتحمل الكل وتقرى الضيف وتكسب المعدوم وتعين على نوائب الحق) وتقدم ذلك مبينا

(فصل وأما تواضعه صلى الله تعالى عليه وسلم) التواضع بضم الضاد المعجمة اظهار انه وضيع وهو أشرف الناس فالصيغة للتكلف فى الاصل (على علو منصبه) قد قدمنا لك ان المنصب فى كلام العرب بمعنى الاصل والحسب كما فى قول أبى تمام

ومنصب نماه * ووالد سماه

وان استعماله فى تولى الاعمال السلطانية كقول ابن الوردى

نصب المنصب أوهى جلدى * وعنائى من مداراة السفل

مولد لم يسمع من العرب ولذا عطف عليه قوله (ورفعة رتبته) فهو كالتفسير له والرتبة كالمنزلة رفعة القدر (فكان صلى الله تعالى عليه وسلم أشد الناس تواضعا) منصوب على التمييز (وأقلهم كبرا) وفى نسخة وأعدمهم كبرا وفى نسخة بالجمع بينهما وهو أفعل تفضيل من العدم وهذا أنسب بمقامه صلى الله تعالى عليه وسلم لان اللائق به عدم الكبر لا قلته ووجه هذه البرهان الحلبى بان القلة بمعنى النفى وقال أبو حيان فى قوله تعالى فقليلا ما يؤمنون ان القليل يرد بمعنى النفى المحض كما فى قولهم أقل رجل يقول ذلك وقل رجل يقول ذلك وقلما يقوم زيد وقليل من الرجال يقول ذلك وقال الحافظ السخاوى فى كتابه جواهر الدرر فى مناقب شيخه ابن حجر ان ابن حجر رحمه الله تعالى سئل عن هذه العبارة وان بعضهم شنع على المصنف فيها ومحاها من النسخ فاجاب بان الاعتراض باطل لانهم تكلموا على الحديث الذى رواه النسائى عن عبد الله بن أبى أوفى قال كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يكثر الذكر ويقل اللغو فقالوا يقل اللغو بمعنى لا يلغو أصلا قال ابن الاثير فى النهاية لان قل يستعمل فى النفى كما فى الآية السابقة فعنى هذه النسخة انه لا يقع منه صلى الله تعالى عليه وسلم كبر أصلا كما فى الحديث الصحيح وليس أفعل فيه للتفضيل فانه قد يخرج عنه كما فى قوله تعالى أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا ومثله أفظ وأغلظ فانه بمعنى فظ غليظ أى كما وقال المصنف فى شرح مسلم يصح حمله على المفاضلة والقدر الذى فيه منه اغلاظه على الكفرة والمنافقين كقوله تعالى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم لانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يغلظ عليهم ويغضب عند انتهاك حرمات الله انتهى فقوله أقلهم كبرا بمعنى انتفاء الكبر عنه البتة أو يحمل على شدته على الكفار والمنافقين كما فى الذى قبله لان تواضعه صلى الله تعالى عليه وسلم ورأفته كانت بالمؤمنين لقوله تعالى بالمؤمنين رؤف رحيم وقوله فى التوراة ليس بفظ ولا غليظ أى بالمؤمنين ونظيره أشداء على الكفار رحماء بينهم بمعنى أذلة على

ولعله أراد بانه كان يتكبر أحيانا لظهور كبرياء الله سبحانه وتعالى فيه بالنسبة الى بعض المتكبرين لما ورد من ان التكبر على المتكبر صدقة وفى أصل الدلجى وأعدمهم كبرا وذكر الحجازى انه رواية والمعنى أفقدهم وهو يرجع الى المعنى الاول لكنه باعتبار اللفظ فيه انه لا يصاغ اسم التفضيل الا من فعل وجودى والحاصل انه بلغ من هذا المعنى السلبى مبلغا لا يشاركه فيه أحد ثم قال وفى نسخة وأقلهم كبرا والاولى أجود لافتقار الثانية الى حملها على نفيه من أصله لكونه فى مقام مدح له انتهى وقد ذكر عند قوله تعالى فقليلا ما يؤمنون انه وصف مصدر محذوف أى ايمانا قليلا وقيل لا قليلا ولا كثيرا يقال قلما يفعل أى لا يفعل أصلا ومن استعمال القلة بمعنى النفى حديث النسائى عن ابن أبى أوفى قال كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يكثر الذكر ويقل اللغو

(وحسبك) مبتدأ خبره الجملة بعده أي وكافيك (أنه) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم على ما رواه أحمد والبيهقي (خير بين أن يكون نبيا ملكا) بكسر اللام أي سلطانا (أو نبيا عبدا) أي أو أن يكون نبيا عبدا من جملة عباد الله تعالى داخلا في الرعايا

على المؤمنين عاطفين عليهم أعزة على الكافرين متكبرين عليهم يعادونهم فلا معنى لمحو النسخ وإتلافها انتهى واستدرك عليه عز الدين الحنبلي بأن تأويله الشدة والغلظ بكونهما على الكفار والمنافقين فيه أن شدته وغلظه على نحو هؤلاء كانت أشد من عمر رضي الله تعالى عنه بلا شك انتهى * أقول الجواب الحق هو الثاني لأنه صلى الله تعالى عليه وسلم كان متخلقا بأخلاق الله تعالى عز وجل ومنها المتكبر فاتصافه صلى الله تعالى عليه وسلم بهذه الصفة مدح في محلها ولذا قيل التكبر على المتكبر صدقة فالتكبر على الكفرة والمنافقين أحيانا في محله ممدوح وهو في صفاته تعالى ذاتي دائم لا ينازعه أحد رداءه إلا قصمه الله والجواب الأول تعسف وليس من قبيل قوله تعالى فقليلا ما يؤمنون وأما تأويل التفضيل بالنفي وخلع المفاضلة منه فجاز على مجاز وضعت على إبائه وأما اعتراض ابن الحنبلي فلا وجه له ولبعض الشراح والمحشين هنا كلام ركيك تركه خير منه (وحسبك) أي يكفيك في إثبات ما ذكر (أنه صلى الله تعالى عليه وسلم خير بين أن يكون نبيا ملكا) بكسر اللام أي سلطانا وخير مبني للمجهول أي خيره الله على لسان ملائكته في الحديث المشهور (أو نبيا عبدا فاختار أن يكون نبيا عبدا) فخيره الله بعد تفضيله بالرسالة أن يكون شؤونه كالملوك في اتخاذ الجنود والحجاب والخيول والخدم والقصور فاختار مع الرسالة العامة مقام العبودية والخدمة بنفسه في مهنة أهله تواضعا منه صلى الله عليه وسلم وزهدا في الدنيا ولذا وصفه الله تعالى بالعبودية في عظيم مقاماته كقوله تعالى سبحان الذي أسرى بعبده ليلا وهذا من حديث صحيح رواه أحمد عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه والبيهقي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما (فقال له إسرافيل عند ذلك) أي حين اختار العبودية على الملك (فإن الله قد أعطاك) هذه الفاء فصيحة عاطفة على مقدر أي أصبت وجزاك الله خيرا مما تركته (بما تواضعت له) الباء سببية وما مصدرية أي بسبب تواضعك له (أنك سيد ولد آدم) بفتح همزة أنك وهي وما بعدها مفعول أعطى والسيد من يفوق غيره في الشرف وهو يطلق على الله تعالى وعلى غيره في أصح الأقوال المشهورة وخصه بقوله (يوم القيامة) لأنه لا أعلى من هذه السيادة حيث يسود صلى الله تعالى عليه وسلم فيه على الرسل وسائر البشر وفيه نكتة لتبين اضمحلال كل ملك لفنائه حيث يقول الله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار لسائر مخلوقاته فتدبر (وأول من تنشق عنه الأرض) معطوف على سيد خبر أن وانشقاق الأرض لتخرج الموتى من قبورهم للبعث فلا يتقدمه صلى الله تعالى عليه وسلم أحد حينئذ وأما حديث فإن الناس يصعقون أي يغشاهم غشية كالموت يوم القيامة فأصعق معهم فأكون أول من يفيق فإذا موسى باطش بجانب العرش فلا أدري أكان ممن صعق أو كان ممن استثنى الله تعالى بقوله إلا من شاء الله فلا ينافيه لأن هذه الصعقة كما قاله التوربشتي صعقة فزع بعد البعث ويؤيده قوله يوم القيامة (وأول شافع) يوم القيامة أو في الجنة لرفع درجات الناس لأن مقام الشفاعة متعدد وفي قوله أول إشارة إلى أن غيره من الملائكة وغيرهم يشفعون بعد ذلك * واعلم أن سفير الوحي بين الله ونبينا صلى الله تعالى عليه وسلم جبريل عليه الصلاة والسلام وعن الشعبي أن إسرافيل عليه الصلاة والسلام كان يأتيه صلى الله تعالى عليه وسلم بالوحي في أول بعثته ويتراءى له ثلاث سنين ويأتيه بالكلمة والشيء ثم وكل به جبريل عليه الصلاة والسلام قال ابن عبد البر في الاستيعاب أنزلت عليه صلى الله تعالى عليه وسلم النبوة وهو ابن أربعين سنة فقرن بنبوته إسرافيل عليه الصلاة والسلام ثلاث سنين فكان

والضعفاء وسلك المساكين والفقراء (فاختار أن يكون نبيا عبدا) أي تباعدا عما هو من شأن الملوك من التكبر والتجبر والتكاثر للخدم والترفع عن الخدمة وتقربا إلى ما هو من صفات العبيد من التقلل في الدنيا والتكثر في خدمة المولى (فقال له إسرافيل عند ذلك) من اختيار النعت الجليل (فإن الله قد أعطاك بما تواضعت له) أي في هذا العالم (أنك سيد ولد آدم يوم القيامة) وهذا كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم من تواضع لله رفعه الله كما رواه أبو نعيم في الحلية عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه وكقوله عليه الصلاة والسلام تواضعوا وجالسوا المساكين تكونوا من كبراء الله وتخرجوا من الكبر رواه أيضا عن ابن عمر رضي الله تعالى عنه وقوله تواضعوا لمن تتعلمون منه وتواضعوا لمن تعلمونه ولا تكونوا جبابرة العلماء رواه الخطيب في الجامع عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه وقوله التواضع لا يزيد العبد إلا رفعة فتواضعوا يرفعكم الله تعالى رواه ابن أبي الدنيا ثم يعلمه تقييده بقوله يوم القيامة لظهور سيادته فيه عيانا للكل أحد كقوله سبحانه وتعالى لمن الملك اليوم مع كون الملك له مطلقا (وأول من ينشق الأرض عنه) للبعث (وأول شافع) أي يوم القيامة للعامة أو في الجنة لرفع درجات الخاصة لحديث مسلم أنا أول شفيع في الجنة

يعلمه الكلمة والشئ ولم ينزل عليه القرآن على لسانه فلما مضت ثلاث سنين قرن به جبريل عليه الصلاة والسلام فنزل بالقرآن عليه عشر سنين وفي شرح البخاري لابن التين ميكائيل بدل اسرافيل ونقل البرهان عن ابن الملقن ان المشهور ان الذي ابتدأه بالوحي جبريل عليه الصلاة والسلام وأنكر الواقدي كون غير جبريل وكل به وقال السيوطي رحمه الله تعالى في كتاب الحبائك لم أقف على ان جبريل أفضل أو اسرافيل ثم نقل أحاديث متعارضة في ذلك وفيه أيضا ان اسرافيل نزل عليه صلى الله تعالى عليه وسلم بآية ذكرها (حدثنا الفقيه أبو لوليد بن العواد الفقيه) بفتح العين المهملة وتشديد الواو وألف ودال مهملة وهو هشام بن أحمد القرطبي وقد تقدمت ترجمته (بقراءتي عليه في منزله بقرطبة سنة سبع وخمسمائة) وفي هذه السنة توفي رحمه الله تعالى (قال حدثنا أبو علي الحافظ) الغساني وقد تقدم والحافظ اذا أطلق يراد به حافظ الحديث بالرواية قال (حدثنا أبو عمر) يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي الامام الجليل صاحب التآليف المشهورة كما تقدم قال (حدثنا ابن عبد المؤمن) أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد المؤمن كما تقدم قال (حدثنا ابن داسة) أبو بكر بن محمد بن بكر وقد تقدم وان داسة بدال وسين مهملتين مفتوحتين بينهما ألف قال (حدثنا أبو داود) صاحب السنن المتقدم قال (حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة) عبد الله بن محمد بن أبي شيبة العبسي أحفظ أهل عصره له ترجمة في الميزان مفصلة وأخرج له الأئمة الستة قال النووي أبو بكر بن أبي شيبة منسوب الى جده هو عبد الله بن محمد بن ابراهيم بن عثمان بن خواستي بخاء معجمة مضمومة ثم واو مخففة ثم ألف ثم سين مهملة ساكنة ثم تاء مثناة من فوق مكسورة وأبو شيبة هو ابراهيم وغلب على أولاد ابنه النسب اليه وهم ثلاثة عبد الله هذا وهو مشهور بكنيته وعثمان وقاسم فاما عبد الله وعثمان فامامان حافظان من أحفظ أهل عصرهم وهما شيخا البخاري ومسلم وأما القاسم فليس كهما بل ترك التحديث عنه أبو زرعة وأبو حاتم الراويان الحافظان وأبوهم محمد ثقة وجدهم ابراهيم ضعيف قال (حدثنا عبد الله بن نمير) بالنون تصغير النمر الهمداني أبو هشام بن هشام بن عروة لاعمش الحافظ أخرج له أصحاب الكتب الستة وتوفي سنة تسع وتسعين ومائة (عن مسعر) بكسر الميم وسكون السين وفتح العين المهملتين وراء مهملة ومعناه موقد النار ويقال هو مسعر حرب للشجاع وهو مسعر بن كدام أبو سلمة الهلالي الكوفي المسمى بالمصحف لاتقانه وحفظه وممن أخرج له الستة وتوفي سنة خمس وخمسين ومائة وله ألف حديث (عن أبي العنبس) بفتح العين المهملة وسكون النون وفتح الباء الموحدة وسين مهملة وهو الحارث بن عبيد بن كعب العدوي الكوفي لم يخرج له غير أبي داود وذكره في الميزان ولم يذكر فيه شيئا (عن أبي العدبس) بفتح العين والدال المهملة وتشديد الباء الموحدة المفتوحة وسين مهملة وهو تبيع بن سليمان الاسدي ويقال الاشعري الكوفي وتبيع بضم المثناة الفوقية ثم باء موحدة وعين مهملة بزنة المصغر كما في الميزان وتهذيب الذهبي والاكمال الا ان أبا خليل الحافظ كتب في حواشيه ان هذا وهم منه وانما هو منيع بالميم بدل المثناة كما قاله البرهان الحلبي (عن أبي مرزوق) التجيبي واسمه كنيته وله ترجمة في الميزان قال فيها ان ابن حبان قال انه لا يحتج بما انفرد به (عن أبي غالب) الراسبي واسمه حزور وقيل سعيد بن حزور وقيل نافع وروى عنه أصحاب السنن واختلفوا في ضعف روايته ومنهم من وثقه (عن أبي امامة رضي الله تعالى عنه) الباهلي أو السهمي وهو صدي بن عجلان بن وهب توفي سنة احدى أوست

(حدثنا الفقيه أبو الوليد بن العواد) بتشديد الواو (رحمه الله) جملة دعائية (بقراءتي عليه في منزله بقرطبة) بضم قاف وطاء بلد بالمغرب (سنة سبع وخمسمائة) والمقصود مما ذكره كله كمال استحضاره لروايته عنه (قال حدثنا أبو علي الحافظ) أي الغساني وقد تقدم (حدثنا أبو عمر) بضم العين وهو يوسف بن عبد الله بن عبد البر بن عاصم النميري القرطبي وانتهى اليه مع امامته علو الاسناد الدال على جلالته وترجمته مسطورة ومصنفاته مشهورة (حدثنا ابن عبد المؤمن) وهو أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد المؤمن (حدثنا ابن داسة) بتخفيف السين المهملة (حدثنا أبو داود) أي صاحب السنن (حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة) صاحب التصانيف الحجة عن شريك وابن المبارك وعنه الشيخان وغيرهما قال الغلاس ما رأينا أحفظ منه وقال الذهبي في الميزان أبو بكر ممن قفز القنطرة واليه المنتهى في الثقة (حدثنا عبد الله بن نمير) بضم نون وفتح ميم عن هشام ابن عروة والاعمش وعنه أحمد وابن معين حجة وأخرج له الائمة الستة (عن مسعر) بكسر ميم ويفتح وبفتح عين وهو ابن كدام ابن أبو سلمة الهلالي الكوفي أخذ العلم عن عطاء وغيره وعنه القطان ونحوه وله ألف حديث وهو من العباد القانتين أخرج له الائمة الستة (عن أبي العنبس) بفتح عين فسكون نون فوحدة مفتوحة فسين مهملة (عن أبي العدبس) بفتح العين والدال المهملتين وتشديد الموحدة فسين مهملة (عن أبي مرزوق) قال ابن حبان لا يجوز (الاحتجاج بما انفرد به) عن أبي غالب اختلف في توثيقه (عن أبي امامة) أي الباهلي

(قال خرج علينا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم متوكئا) أي متحملا ومعتمدا (على عصا) أي لعارض من ضعف أو مرض (فقمنا له) أي تعظيما وتكريما (فقال) أي تواضعا (لا تقوموا) أي لي أو مطلقا (كما تقوم الاعاجم) أي بطريق الالتزام أو على سبيل الوقف على الاقدام (يعظم بعضها) أي بعض تلك الجماعة (بعضا) على ما هو دأب الملوك الفخام والاكابر العظام ولا تعارضه حديث قوموا لسيدكم خطابا للانصار حين أقبل ٩٦ سعد راكبا على الحمار وهو شاك يحتاج الى استعانة جمع في نزول الى محل

وثمانين وأخرج له الستة وهو من بقايا الصحابة بحمص وهذا الحديث رواه أبو داود وابن ماجه مسندا (قال خرج علينا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم متوكئا) بكاف مشددة مكسورة وهمزة أي معتمدا متحاملا وهو منصوب على الحال (على عصا) وقال ابن عباس التوكؤ على العصى من سنن الانبياء عليهم الصلاة والسلام وكان له صلى الله تعالى عليه وسلم عصي منها قضيب ومخصرة قصيرة ومحجن وكانت في يده اذا خطب وكانت عند الخلفاء وقال فيها الصرصري رحمه الله تعالى كما

وعصاه لما مسها بيمينه * فضلت عصا صارت الى ثعبان

(فقمنا له) تعظيما واجلالا (فقال لا تقوموا كما يقوم الاعاجم يعظم بعضهم بعضا) هذه الجملة بدل مما قبلها أو مستأنفة استئنافا بيانيا والاعاجم جمع أعجم أو عجمي أو عجم على خلاف القياس أو جمع أعجام جمع جمع وهم من عدا العرب وقد يختص بفارس وقد اختلف العلماء في القيام للتعظيم المعتاد هل هو مكروه أم لا فقيل مكروه واستدلا لا بهذا الحديث وبحديث من أحب أن يتمثل له الناس قياما وجبت له النار ونحوه حتى ذهب بعضهم الى حرمته والاحسن ما قاله القاضي زكريا في شرح الروض انه مستحب لاهل العلم والصلاح وللحكام العدول بل قد يجب اذا خشي من تركه ضررا كجبابرة الملوك ويستحب لمن قدم من سفر ولذوي الارحام تكريما وبرا لهم ويدل على ذلك قوله صلى الله تعالى عليه وسلم للانصار لما قدم عليهم سعد رضي الله تعالى عنه قوموا لسيدكم والمنهي عنه انما هو ما كان على سبيل الرياء والتكبر وحمل حديث سعد على انه كان مريضا وقدم مكة راكبا فأمرهم صلى الله تعالى عليه وسلم بالقيام ليعينوه في النزول عن دابته خلاف الظاهر كما روقد فعله صلى الله تعالى عليه وسلم وكان يقوم لفاطمة رضي الله تعالى عنها اذا جاءته وانما نهاهم لئلا يظنوه سنة ويتخذوه عادة (وقال) صلى الله عليه وسلم (انما أنا عبد) الحصر فيه اضافي أي لست بسلطان ثم انه ان أريد بالعبد معناه العرفي وهو الرقيق المملوك للناس فهو استعارة فشبه نفسه تواضعا لله بالرقيق لتعاطيه خدمة نفسه في بيته فانه صلى الله تعالى عليه وسلم كما يأتي كان يخصف نعله ويرقع ثوبه ويكنس بيته ويلبس الغليظ فقوله (آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد) بيان لوجه الشبه وان أراد عبد الله وكل الناس عبيد الله المملوك وغيرهم سواء في ذلك فالمراد انه متمحض لهذه العبودية لا يشوبها بشئ من أمور الدنيا ولا تخلق بشئ من أخلاق أهلها في لباسهم وما كلهم ومشربهم وفراشهم فانه صلى الله عليه وسلم كان يجلس على الارض ولا يأكل على خوان ولا يغلق عليه بابا ولا يتخذ حجابا (وكان صلى الله عليه وسلم يركب الحمار) وكثير من الاغنياء يأنف من ركوبه وكان له حمار يسمى عفير وأخرى يسمى يعفور وهو مأخوذ من العفرة وهي التراب لشبه لونه له وليسا اسمين لحمار واحد كما توهم فان عفيرا أهداه له المقوقس ويعفور أهداه له فروة بن عمرو وقيل بالعكس ومات يعفور منصرفه من حجة الوداع وقيل ألقى نفسه في بئر ابن التيهان يوم موته صلى الله عليه وسلم وقيل انه كان من جنس من الحمير لم يركبه الا نبي وانه كان صلى الله

القرار وبعد من استدل به على استحباب القيام المتعارف بين الانام والاقرب أن يحمل النهي على التنزيه أو خاص لطائفة العرب لان يستمروا على اعادتهم من غير تكلف في مقام الادب قال التلمساني والقيام أربعة أقسام فمحظوره القيام لمن يحب أن يقام له ومكروهه القيام لمن لا يحب أن يقام له ومجازه القيام للعالم المتواضع وحسنه القيام للقادم من سفر وانما خشي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من فعلهم أن يتخذوه سنة وكان لا يحب التشبه باهل الضلالة (وقال) أي تواضعا لله وترحما على خلق الله (انما أنا عبد) أي مشابه للعبيد في مقام التواضع وعدم التكلف والتصنع (آكل كما يأكل العبد) أي من غير سفرة وخوان وجمعه أخونة واخون

(وأجلس كما يجلس العبد) على التراب من غير سرير وفرش حرير وفي رواية لا آكل متكئا انما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد وربما جثى على ركبتيه وربما نصب اليمنى وجلس على ظهر قدمه اليسرى وعن عبد الله بن جعفر قال رأيت في يمين النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قثاء وفي شماله رطبا يأكل من ذا مرة ومن ذا مرة (وكان صلى الله تعالى عليه وسلم) أي من كمال تواضعه مع قدرته على ركوب الفرس والبغل والناقة (يركب الحمار) أي وحده تارة ومع غيره أخرى كما ورد عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه في طريق قبا عليه

عليه وسلم يرسله للرجل فيأتى بابه ويقرعه برأسه فيعلم انه يطلبه (ويردف خلفه) غيره ويردف بضم المثناة التحتية بمعنى يجعله رديفاله أى راكبا خلفه على دابته التى ركبها ويقال ردف وأردف وأصله الركوب على الردف وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يجعل غيره قدامه أيضا ولم يذكر المصنف من أردفه اشارة لعمومه فيشمل الذكر والانثى والصغار والكبار وقد ذكروا ان من أردفه صلى الله تعالى عليه وسلم بلغ أربعين فى سفره وحضره وهذا من تواضعه صلى الله عليه وسلم وهم أسامة بن زيد رضى الله عنه مرجعه من عرفة * والصديق رضى الله عنه فى الهجرة * وعثمان رضى الله عنه راجعا من بدر * وعلى كرم الله وجهه فى حجة الوداع * وعبدالله بن جعفر رضى الله عنهما بين يديه وسبطه مع غلامين من بنى هاشم وأولاد عباس الثلاثة رضى الله تعالى عنهم فى نزوله من المزدلفة * والحسن والحسين رضى الله تعالى عنهما * ومعاوية رضى الله تعالى عنه * ومعاذ بن جبل رضى الله تعالى عنه على عفير * وأبوذر رضى الله تعالى عنه على حمار * وزيد بن حارثة رضى الله تعالى عنه * وثابت بن الضحاك رضى الله تعالى عنه * والشريد بن سويد رضى الله تعالى عنه * وسلمة بن الاكوع رضى الله تعالى عنه * وزيد بن سهل رضى الله تعالى عنه * وأبوطلحة الانصارى رضى الله تعالى عنه * وسهيل بن بيضاء رضى الله عنه * وعلى ابن ابنته زينب رضى الله تعالى عنهما * وعبدالله بن الزبير رضى الله تعالى عنهما * وغلام مطلبى * واسامة بن عمير رضى الله تعالى عنه * وصفية بنت حيى رضى الله تعالى عنها مقدمه من خيبر * وأبوالدرداء رضى الله تعالى عنه * وآمنة بنت أبى الصلت * وأبى اياس * وأبوهريرة * وقيس بن سعد * وخوات بن جبير رضى الله تعالى عنهم * وجبريل عليه الصلاة والسلام على البراق فى الاسراء * وأم حبيبة الجهنية رضى الله عنها * وزيد بن أرقم رضى الله تعالى عنه * وجابر بن عبدالله رضى الله عنهما وزاد ابن منده رحمه الله غير هؤلاء ونظمهم أبوذر بن موفق الدين فقال

وأردافه جم غفير فمنهم * على وعثمان شريد وجبريل
وأولاد عباس ذوو الرشد والتقى * اسامة والدوسى وهو نبيل
معاوية قيس بن سعد صفية * وسبطاه ماذا عنهم سأقول
معاذ أبوالدرداء سويد وعقبة * وآمنة ان قام ثم دليل
كذلك خوات ظريف وسبطه * على وجه النقل فيه جميل
أسامة والصديق ثم ابن جعفر * وزيد وعبدالله ثم سهيل
كذا بنت قيس خولة وابن أكوع * وقدرهم فى العالمين جليل
كذلك زيد جابر ثم ثابت * فعن حبهم والله لست أحول
ثلاثة غلمان وزد معهم أبا * أناس وحسبى الله وهو وكيل

(و) كان (يعود المساكين ويجالس الفقراء) الفرق بين المسكين والفقير مشهور فى مبحث الزكاة الآن كلا منهما يطلق على الآخر من غير فرق فى العرف والعيادة سنة للغنى والفقير وانما خصها هنا لانه يعلم منه غيره بالطريق الاولى والمسكين بكسر الميم وفتحها مأخوذ من السكون ويكون بمعنى المتذلل الخاضع ومنه قوله صلى الله تعالى عليه وسلم (اللهم احينى مسكينا وأمتنى مسكينا) وتقدم انه لايجوز أن يطلق على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه فقير ومسكين وان أطلقه على نفسه الشريفة (ويجيب دعوة العبد) اذا علم انه يجوز له اطعام غيره لكونه ماذونا ونحوه (ويجلس مع أصحابه مختلطا بهم) فلا يختار مكانا رفيعا ولا يتقدم عليهم قال أبوهريرة رضى الله تعالى عنه حتى كان الغريب اذا أتى ناديه لا يعرفه حتى يسال عنه ثم ان الصحابة رضى الله تعالى عنهم سالوه صلى الله

(ويردف خلفه) من الارداف أو من الثلاثى بكسر الدال فى الماضى وفتحها فى المستقبل أى يركب وراء ظهره على الناقة وغيرها من أراد من أصحابه كالصديق وذى النورين والمرتضى وعبدالله بن جعفر وزيد وأسامة والفضل ومعاوية وغيرهم ممن بلغ عددهم خمسة وأربعين (ويعود المساكين) من المرضى (ويجالس الفقراء) أى ويجتنب مجالسة الاغنياء ويقول اتقوا مجالسة الموتى والمغايرة بين الفقراء والمساكين من تفنن العبارة وان اختلاف الفقهاء فى الفرق بينهما فى مصرف الصدقة (ويجيب دعوة العبد) أى الى بيت سيده أو المراد به العبد المعتوق بان ياتى بيته جبرا لخاطره وتواضعا مع ربه وامتثالا لامره سبحانه وتعالى بقوله واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين (ويجلس) كما فى حديث هند بن أبى هالة كان يجلس (بين أصحابه) أى فيما بينهم (مختلطا بهم) لا يتخير مجلسا يترفع به عليهم بل كان من دأبه معهم انه

(حيث ما انتهى به المجلس) أي وخلا فيهم المكان المؤنس (جلس) أي تواضعا لله سبحانه وتعالى وارشادا لاصحابه ليتأدبوا بآدابه
(وفي حديث عمر) أي من رواية البخاري (عنه صلى الله تعالى عليه وسلم لا تطروني) من الطاء وهو المبالغة في الثناء الى حد يقع
الكذب في الانشاء أي لا تجاوزوا الحد في مدحي بان تنسبوا الى ما لا يجوز في وصفي (كما أطرت النصارى عيسى بن مريم) حتى زعموا انه
ابن الله وغير ذلك (انما انا عبد) ٩٨ أي من عبيد ربي (فقولوا عبد الله ورسوله) وفيه ايماء الى ما قيل (لا تدعني الا بيا عبدها

تعالى عليه وسلم أن يجعل له مكانا مخصوصا حتى اذا أتاه الغريب عرفه وسأله ففعله من طين تارة
يجلس عليه وتارة يجلس بجنبه (حيثما انتهى به المجلس جلس) حيثما تفيد العموم أي أي مكان
وجده خاليا وقت مجيئه يجلس فيه صدرا أو غير صدر وكل هذا تواضعه صلى الله تعالى عليه وسلم
وارشاد لأمته (وفي حديث عمر عنه) صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا الحديث رواه البخاري (لا تطروني)
مضارع اطراه اذا بالغ في مدحه وتجاوز الحد فيه قال

لا يلحق الواصف المطري مدائحه * وان يكن محسنا في كل ما وصفا

أي لا تمدحوني قال الجوهري والزبيدي أطريت الرجل مدحته وقال ابن فارس في المجمل أطريته
مدحته بأحسن ما فيه وقال الهروي الاطراء مجاوزة الحد في المدح والكذب فيه وبه فسر الحديث وقد
علمت أن الذي قاله الهروي هو معنى الحديث وهو مأخوذ من الطراوة يقال طراوة ومدحه صلى الله
عليه وسلم مطلوب من كل أحد والمنهي انما هو عما لا يليق به ولذا قال (كما أطرت النصارى) جمع
نصران منسوب لناصرة أو نصرة أو نصورية على خلاف القياس وتلك القرية كان فيها في أول أمره
(ابن مريم) فانهم قالوا فيه انه ابن الله وغيره مما هو مشهور وهذا كقول الابوصيري رحمه الله تعالى

دع ما ادعته النصارى في نبيهم * واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم

وما أحسن قول العارف بالله عمر بن الفارض نفعنا الله تعالى به

وعلى تفنن واصفيه بحسنه * يفنى الزمان وفيه ما لم يوصف

(انما انا عبد فقولوا عبد الله ورسوله) ولا تقولوا ما قاله أهل الكتاب ونحوه فالحصر اضافي (وعن أنس)
رضي الله تعالى عنه رواه مسلم (ان امرأة) من الصحابة تسمى أم زفر وهي ماشطة خديجة أم المؤمنين
رضي الله تعالى عنها وتردد البرهان الحلبي رحمه الله تعالى فيها هل هي هذه أو غيرها وجزم به غيره (كان
في عقلها شئ) من الجنون ولم يصرح به اشارة لخفته وانه لم تستغرق فيه فان لفظ شئ يشعر بالقلة
(جاءته صلى الله تعالى عليه وسلم فقالت ان لي اليك حاجة) أي لي حاجة أريد أن أنهيها اليك وأعلمك
بها (قال) لها (اجلسي يا أم فلان) الابهام من الراوي لانه لم يحضره اسمها (في أي طريق المدينة شئت
أجلس اليك) مجزوم في جواب الامر والى بمعنى عند عبر به للمشاركة (حتى أقضي حاجتك قال) أي أنس
ابن مالك رضي الله تعالى عنه (فجلست فجلس النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اليها حتى فرغت من
حاجتها) التي أعلمته بها تواضعا منه صلى الله تعالى عليه وسلم وملاطفة وفيه استحباب الملاطفة بمثلها
لا من كان فيه جنون مطبق وكانت جارية سوداء تصرع أحيانا فشكت ذلك للنبي صلى الله تعالى عليه
وسلم وقالت اني أصرع وأتكشف فادع الله لي فقال ان شئت فاصبري ولك الجنة وان شئت دعوت الله
أن يعافيك فقالت أصبر ولكن ادع الله أن لا أتكشف فدعا لها وكان ابن عباس رضي الله تعالى عنهما
يقول ألا أريكم امرأة من أهل الجنة فيشير اليها وقيل ان التي كانت تصرع سعيرة الاسدية (وقال أنس)
رضي الله تعالى عنه في حديث رواه بتمامه أبو داود والبيهقي (كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
يركب الحمار ويجيب دعوة العبد) كما تقدم بيانه (وكان) صلى الله تعالى عليه وسلم (يوم بني قريظة)

فانه اشرف اسمائيا) والنهي انما هو عن الاطراء لا مطلق المدح والثناء لتقريره صلى الله تعالى عليه وسلم خديجة على مدحها له وأما حديث اذا رأيتم المداحين فاحثوا في وجوههم التراب فمحمول على المجاوزة عن الحد بالكذب ونحوه في هذا الباب كما تشير اليه صيغة المبالغة وقد أشار صاحب البردة الى زبدة هذه العمدة بقوله

دع ما ادعته النصارى في نبيهم
واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم

(وعن أنس رضي الله تعالى عنه) كما رواه مسلم (ان امرأة) قيل لعلها أم زفر ماشطة خديجة اذ قد ورد مرسلا لانها كانت صحابية ويحتمل غيرها (كان في عقلها شئ) أي من جنون (جاءت فقالت ان لي اليك حاجة قال اجلسي يا أم فلان) لعل الراوي لم يعرف اسم ابنها فكنى عنه (في أي طرق المدينة

أي أجزائها (شئت) أي أردت أنت مما هو أهون عليك أو أقرب اليك (اجلس اليك) أي معك أو متوجها اليك وهو مجزوم لجواب شرط مقدر بعد الامر أي أن تجلسي اجلس اليك (حتى أقضي حاجتك) أي من الكلام أو طلب المرام (قال) أي أنس (فجلست فجلس النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اليها حتى فرغت من حاجتها) من كمال تواضعه لها وملاطفته معها (قال أنس رضي الله تعالى عنه) على ما رواه أبو داود والبيهقي (كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يركب الحمار) بل عريانا احيانا (ويجيب دعوة العبد وكان

يوم

يوم واحد الايام واليوم هنا بمعنى الوقعة والغزوة شائع بحيث اذا أطلقوه انما يفهم منه هذا وبنو قريظة
بصيغة التصغير والقاف والراء المهملة والظاء المشالة ثم هاء قوم من اليهود بقرب المدينة غزاهم النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم قبل غزوة الخندق كما فصل فى السير راكبا (على حمار) وهو صاحب الرياسة
والرسالة العظمى تواضعا منه صلى الله عليه وسلم ومن هو من أقل عبيده يركب الخيل فى مثله ويجتنب
الجنائب اظهار الشوكته وعظمته بذاته لا لغرض الدنيا الذى لا يستقر وما فى بعض الشروح هنا نقلا
عن بعض الحواشى فى ضبط يوم من انه بفتح الياء التحتية والهمزة المضمومة المرسومة واوا والميم
المشددة بمعنى يقصد تحريف لا وجه له (مخطوم بحبل من ليف) اسم مفعول من الخطام بخاء معجمة
وطاء مهملة وهو ما يقاد به الدابة كالرسن والليف بكسر اللام والفاء شئ يتخذ من النخل ويفتل حبالا
(وعليه) أى على الحمار (اكاف) بكسر الهمزة وكاف وألف وفاء بزنة كتاب وبضم كغراب ويقال
وكاف بالواو وهو رحل يوضع على ظهر الحمار للركوب عليه أو بعض أدواته وهو البردعة وهذا من
حديث رواه أبو داود والبيهقى كما مر (قال) أى أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه (وكان صلى الله تعالى
عليه وسلم يدعى الى خبز الشعير والاهالة السنخة) الاهالة بكسر الهمزة وتخفيف الهاء ولام وهو كل
ما يؤتدم من به من الدهن أو ما يذاب من الالية أو الدسم الجامد وسنخة بفتح السين المهملة وكسر
النون وفتح الخاء المعجمة وهاء بمعنى متغيرة الرائحة يقال سنخ الدهن وزنخ اذا تغير (فيجيب) دعوة
من دعاه وهذا الحديث رواه الترمذى فى شمائله وابن ماجه فى سننه (قال) أنس أيضا رضى الله تعالى
عنه (وحج النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) بعد الهجرة فى حجة الوداع كما فى البخارى ويدل عليه قوله
الآتى وقد فتحت عليه الارض (على رحل رث) الرحل للجمل كالسرج للفرس فيختص به ورث
بفتح الراء المهملة وتشديد المثلثة بمعنى بال خلق (وعليه قطيفة) أى كساء من صوف له خمل (ماتساوى
أربعة دراهم) أى لو قومت لم يكن قيمتها أربعة دراهم ويقال هذا يساوى ويسوى كذا القيمة والحج
من أعظم شعائره التواضع واظهار الافتقار الى الله تعالى ومنع النفس من التلذذ والملابس ولذا شرع
الاحرام فيه والتجرد فى الموقف ليذكر الموقف الحقيقى والعرض على الله وهذا من محاسن التشريع
والارشاد للاخلاص ولذا قال ثمة (فقال اللهم اجعله) أى اجعل حجى هذا (حجا مبرورا لا رياء فيه
ولا سمعة) بل خالصا لوجهك الكريم والرياء مشتق من الرؤية وهو ما يفعل من عبادة ونحوها
لاجل أن يراه الناس فيمدحوا صاحبه والسمعة بضم فسكون ما يفعل ليشيع ويسمع الناس به
وهما بمعنى بحسب الماصدق وان اختلف مفهوماهما ووهم من فرق بينهما فان عبد السلطان اذا عمل
عملا ليراه سيده وحده رياء لا سمعة ومن أشاع أمرا لم ير سمعة لا رياء فيه وقال القرافى فى قواعده الرياء
موجب للاثم والبطلان عند كثير لظاهر قوله تعالى (وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين) وهو أن يعمل
لله مع قصد نفع من العباد وهذا رياء الشرك أو ان يعمل للناس فقط ويسمى رياء الاخلاص وهو
لاغراض شتى والتشريك كمن جاهد طاعة لله مع قصد الغنيمة وهذا يضر بنقص الثواب ولا يحرم
بالاجماع بخلاف من فعل ليقال انه شجاع أو ليحظى عند الامام أو يكثر عطاؤه وهو محرم ليس كقصد
الغنيمة من العدو ومن حج وشرك مع الحج المتجر لا يأثم ولا يقدح ذلك فى صحة حجه ولو كان جل قصده
أو كله التجارة كمن صام ليصح بدنه ويحتمى فهذا لا يقدح فى فعله لان الشارع أمر به فى حديث (يا معشر
الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع بالصوم فانه له وجاء) أى قاطع للشهوة
فامر بالصوم لغرض آخر غير العبادة ولو كان قادحا لم يأمر به كمن توضأ للتبريد والتنظيف فان فيه اغراضا
ليس فيها تعظيم غير الله بفعله فانه هو المضر انتهى والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم معصوم من الرياء

يوم بنى قريظة) أى زمن غزوتهم وهى عقب غزوة الخندق (راكبا على حمار مخطوم) أى فى رأسه خطام وهو حبل كالزمام (بحبل من ليف) أى ورق النخل (عليه اكاف) جملة حالية من ضمير مخطوم والاكاف بكسر الهمزة أو ضمها البردعة أو ما يشد فوقها (قال) أى أنس رضى الله تعالى عنه (وكان يدعى الى خبز الشعير والاهالة) وهى بكسر الهمزة كل ما يؤتدم به من الادهان وقيل ما أذيب من الشحم والالية (السنخة) بفتح السين المهملة وبكسر النون أى المتغيرة الرائحة (فيجيب) أى من دعاه الى ذلك (قال) أى أنس (وحج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على رحل) أى كور أو قتب وهو للبعير كالسرج للفرس (رث) بتشديد المثلثة أى خلق بال (وعليه) أى وعلى كتفه أو على رحله (قطيفة) أى كساء له خمل (ما يساوى أربعة دراهم فقال) أى مع هذا كله (اللهم اجعله حجا) بفتح الحاء وكسرها على ما قرئ بهما فى السبع وزيد فى نسخة مبرورا (لا رياء فيه ولا سمعة) بل اجعله خالصا لوجهك الكريم

(هذا) مبتدأ محذوف الخبر من اسمى فعل أمر واشارة يورد كاً ما بعد للانتقال من اسلوب مقال الى مقال آخر من الاحوال والواو بعده للحال ويذكر بعده خبره كما فى قوله تعالى هذا ذكر أى تامل هذا الصنيع الجليل والقصد الجميل يورثك تعجبا من حجه على تلك الهيئة من التواضع والاستكانة كذا حققه الدلجى والاظهر ان يقال انه مركب من كلمتى التنبيه والاشارة أى تنبه لهذا (وقد) أى والحال انه قد (فتحت عليه الارض) أى وألقت افلاذها من ذهب وغيره من فلذاتها اليه صلى الله تعالى عليه وسلم (واهدى) كما روى مسلم عنه (فى حجه ذلك) أى عام الوداع (مائة بدنة) أى ناقة تقربا الى ربه وارشادا لمن يقتدى به وايماء الى ان ترك تكلفه فى ثوبه ومركوبه لم يكن عن افتقاره وقد نقل انه صلى الله تعالى عليه وسلم نحر بيده الكريمة ثلاثا وستين بقدر سنى عمره وأمر عليا كرم الله وجهه بنحر البقية فى يومه (ولما فتحت عليه مكة) على ما رواه ابن اسحق والبيهقى عن عائشة رضى الله تعالى عنها أو الحاكم والبيهقى وأبو يعلى عن أنس رضى الله تعالى عنه انه .. : صلى الله تعالى عليه وسلم لما فتحت عليه مكة (ودخلها بجيوش المسلمين) أى باصناف منهم (طأطأ) بهمزتين أولاهما ساكنة وقد تبدل وثانيتهما مفتوحة أى خفض واطرق وارخى (على رحله) أى حال كونه راكبا فوق (رأسه) مفعول طأطأ (حتى كاد) أى قارب صلى الله تعالى عليه وسلم (يمس) بفتح الميم كقوله تعالى ولا يمسه قال التلمسانى بضم لا غير والظاهر انه وهم منه أى يصيب برأسه أو قارب رأسه ان يمس (قادمته) أى مقدمة رحله فهى غاية لطأطأة رأسه وقوله (تواضعا لله) مفعول لاجله وفيه ايماء الى ما يشير اليه قوله تعالى واذ قلنا ادخلوا هذه القرية الى ان قال وادخلوا الباب سجدا أى متواضعين لا متكبرين كالجبارين (ومن تواضعه صلى الله تعالى عليه وسلم قوله لا تفضلونى على يونس) مثلث النون وبالهمزة ست لغات (ابن متى) بفتح ميم وتشديد مثناة فوق وهى أم يونس عليه السلام ولم يشتهر نبى بامه غير عيسى ويونس كذا ذكره ابن الاثير فى الكامل اما يونس فللغلبة واما عيسى فلانه لا أب له ومنه قول القائل

ألا رب مولود وليس له أب * وذى ولد لم يلده أبوان

مشيرا الى آدم عليه الصلاة والسلام ولم يلده بفتح الياء وسكون اللام وفتح الدال للضرورة وقد قيل انه من بنى اسرائيل وانه من سبط بنيامين قال الحجازى وما ذكر فى قصص الكسائى من ان متى أبوه ليس بصحيح قال قيل ما الجمع بين قوله فى صحيح البخارى لا تفضلونى على يونس ابن فلان ونسبه الى أبيه وظاهره ان متى أبوه وأجيب بان متى مدرج فى الحديث من كلام الصحابى لبيان يونس بما اشتهر به ولما كان ذلك موهما ان الصحابى سمعه من النبى صلى الله تعالى عليه وسلم دفع ذلك بقوله ونسبه الى أبيه أى لا كما فعلت أنا من نسبته الى أمه كذا ذكره الحجازى وتبعه الدلجى وغيره ولكن لا يخفى

والسمعة وانما دعا بذلك تعليما لامته وتواضعا كقول يوسف عليه الصلاة والسلام وما أبرئ نفسى لان التقشف قد يدخله الرياء باظهار الزهد (هذا) أى فعله صلى الله تعالى عليه وسلم هذا واختياره رث الثياب والمركب ليس عن عجز (وقد فتحت الارض عليه) صلى الله تعالى عليه وسلم وفتح يتعدى بعلى لما جاء كثيرا بسهولة من الله كانه أفاضه عليه وفتح الارض ان أريد به بعضها كالحجاز فظاهر وان أريد جميعها فعدم تمكنه صلى الله تعالى عليه وسلم منها بمنزلة وقوعه كما ورد فى الحديث عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال أتيت بمقاليد الدنيا على فرس أبلق عليه قطيفة سندس وفى رواية بمفاتيح خزائن الارض فوضعت بين يدى وهو محمول على ظاهره وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو أوهو كناية عن ان الله مكنه من ذلك ولو ان الله تعالى أراده صرفه بالفعل فيها وقاد جميع أهلها له (وأهدى فى حجه ذلك مائة بدنة) أهدى بمعنى بعث الهدى بوزن الرمى مخفف الياء وقد تشدد فتكسر داله وهو ما يرسل للبيت الحرام لينحر فيه ويتصدق به من الابل والبقر وكذا البدنة تطلق على الجمل والناقة والبقرة وأكثر ما تطلق على الابل وقد يسمى الابل مطلقا هدى وسميت بدنة لكبر بدنها وفى البخارى لما حج النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حجة الوداع اهدى مائة بدنة نحرها وقسم لحمها وجلودها وجلالها ونحر بيده منها جملة ثم أمر عليا كرم الله وجهه بنحر باقيها واختلف فيما نحره صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة أهو ثلاثون أم ستون (ولما فتحت عليه مكة ودخلها بجيوش من المسلمين) وذلك فى شهر رمضان ثالث عشره أو سادس عشره أو ثامن عشره وصحح النووى رحمه الله انه تاسع عشره واختلف فى الجيوش أيضا فقيل اثنا عشر وقيل عشرة آلاف وقيل ثمانية (طأطأ على رحله رأسه حتى كاد يمس قادمته) الرحل له مقدم ومؤخر مرتفع عن محل الراكب وفيها لغات قادم وقادمة ومقدم ومقدمة بكسر الدال مخففة وفتحها مشددة وكذا أخرة الرحل (تواضعا لله تعالى) ومن تواضعه صلى الله تعالى عليه وسلم ان ركب الجمل دون الفرس وعلى رأسه مغفر فوقه عمامة سوداء وأردف خلفه أسامة رضى الله تعالى عنه كما مر (ومن تواضعه صلى الله تعالى عليه وسلم قوله لا تفضلونى على يونس ابن متى) قال شيخ مشايخنا الجلال

ان مثل هذا التصرف لا يجوز للراوي مع ما فيه من قلة أدب في نسبته الى أمه لولا انه منقول من أصله هذا ثم الحديث بهذا اللفظ غير معروف ولفظ البخاري لا يقولن أحدكم اني خير من يونس بن متى ولعل وجه تخصيصه نفيه سبحانه وتعالى عنه العزم بقوله تعالى فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت أو لما وقع له صلى الله تعالى عليه وسلم من المعراج العلوي وليونس عليه السلام من المعراج السفلي ايماء الى ان الامكنة بالاضافة الى قرب الله تعالى على حد سواء تستوي فيه الارض والسماء وقد أجاب العلماء عن هذا الحديث باجوبة منها انه قاله تأدبا وتواضعا ومنها انه قاله قبل ان يعلم انه أفضلهم فلما علم قال انا سيد ولد آدم بل وفي البخاري انا سيد الاولين والآخرين ولا فخر ومنها انه نهى عن تفضيل يؤدي الى الخصومة كما ثبت سببه في الصحيح بورود لا تفضلوني على موسى كما سيجيء ومنها انه نهى عن تفضيل يؤدي الى نقص بعضهم لا عن كل تفضيل لنبوته في الجملة كما قال تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى ابن مريم البينات ومنها انه نهى عن التفضيل في نفس النبوة لا في ذوات الانبياء وعموم رسالتهم وزيادة خصائصهم ومزية حالاتهم وهذا معنى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم على ما رواه الشيخان (ولا تفضلوا بين الانبياء) واما قوله عليه الصلاة والسلام (ولا تخيروني على موسى) فسببه ما رواه الشيخان وأبو داود والنسائي من انه استب مسلم ويهودي قال والذي اصطفى موسى على العالمين فلطم المسلم وجهه وذكر ذلك للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم فسأل المسلم عنه فاخبره فقال لا تخيروني على موسى أي تخيير مفاضلة يؤدي الى مخاصمة واما قوله صلى الله تعالى عليه وسلم كما رواه الشيخان (ونحن أحق بالشك من ابراهيم) أي اذ قال رب أرني كيف تحيي الموتى انما صدر عنه تواضعا لربه وهضما لنفسه لا اعترافا به في حق ابراهيم وفي حقه فكأنه قال اذا كنت لم أشك في احياء الله الموتى فابراهيم بعدم الشك أولى فائدته لهما بنفي الشك عنهما وقيل بل قال ذلك على سبيل التقديم لابيه أي انه لم يشك ولو شك لكنت أنا أحق بالشك منه ثم قوله رب أرني كيف تحيي الموتى شاهد صدق بان سؤاله لم يكن من قبل الشك والشبهة بل من قبل رؤية تلك الكيفية العجيبة الدالة على كمال قدرته الباهرة شوقا الى معرفتها مشاهدة كاشتياقنا الى رؤية الجنة معاينة والحاصل انه عليه الصلاة والسلام اراد بقوله أرني الترقي من علم اليقين الى عين اليقين كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم ليس الخبر كالمعاينة ويدل عليه بقية الآية حيث قال تعالى أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي واما قوله صلى الله تعالى عليه وسلم

الجلال السيوطي لم أقف عليه بهذا اللفظ والذي في البخاري عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه لا يقولن أحدكم أنا خير من يونس بن متى وفي سنن أبي داود وما ينبغي لنبي ان يقول أنا أفضل من يونس بن متى وفي الصحيحين لعبد بدل لنبي وفي رواية لا أقول ان أحدا أفضل الى آخره انه سبح الله في الظلمات وفي البخاري ونسبه لابيه ففيه اشارة الى ان متى بفتح الميم وتشديد التاء مقصورا اسم أبيه وقيل معناه انه بدل متى اسم امه وهذا هو المشهور وانه لم ينسب لامه الا يونس وعيسى عليهما الصلاة والسلام ذكر اسم أبيه واختلف في المراد منه فقيل انه صلى الله عليه وسلم قاله تواضعا منه وان كان هو أفضل من جميع الرسل بالاتفاق وكلام المصنف رحمه الله تعالى يميل لهذا فان الافضل قد لا يطلب تفضيل أحد له وقيل انه كان قبل ان يعلم بتفضيله والاذن فيه لقوله تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض وخص صلى الله تعالى عليه وسلم يونس عليه الصلاة والسلام لئلا يتوهم أحد تنقيصه اذا سمع قصته وقوله ولا تكن كصاحب الحوت وقصته مفصلة في التفسير (و) قوله صلى الله تعالى عليه وسلم (لا تفضلوا بين الانبياء) لا ينافي هذه الآية لان المنهي عنه تفضيل يؤدي الى التنقيص أو الخصومة والنزاع أو التفضيل من سائر الوجوه لانه قد يكون في المفضول ما ليس في الفاضل أو التفضيل في نفس النبوة لا في الخصائص وعموم الرسالة والا فيجب علينا اعتقاد أفضليته صلى الله تعالى عليه وسلم لقوله أنا سيد ولد آدم وقوله ان الله تعالى اختارني على جميع العالمين من الانبياء والمرسلين (ولا تخيروني على موسى) صلى الله عليه وسلم أي لا تقولوا اني خير منه وأفضل وخصه لئلا يظن أحد نقصه لقوله تعالى فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان وسيأتي بيان ذلك * أقول الظاهر ان المعنى لا تفضلوني تفضيلا يؤدي للنزاع والمخاصمة فان هذا من بعض حديث في الصحيحين ان رجلا من المسلمين استب مع يهودي فقال اليهودي والذي فضل موسى على العالمين فلطمه فاشتكى للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال ذلك وسيأتي الكلام على هذا (ونحن أحق بالشك من ابراهيم) اذ قال رب أرني كيف تحيي الموتى وحمله بعضهم على ظاهره وانه كان قبل البعثة في سن الطفولية ومن قال بعصمة الانبياء مطلقا قال انه نفي للشك لا اثبات له وانما قاله صلى الله عليه وسلم على سبيل التواضع أي نحن أحق بالشك منه لو شك ولكنه لم يشك فكأنه قال أنا لا أشك فكيف بابراهيم وقيل انما قاله جوابا لمن قال شك ابراهيم ولم يشك نبينا

(ولو لبثت) أي لو مكثت (في السجن) فرضا وتقديرا (ما لبث يوسف) بتثليث السين مهموزا وغيره ست لغات أي مدة لبثه في السجن (لاجبت الداعي) وهو رسول الملك والمعنى لاسرعت الى اجابة دعوته مبادرة الى الخلاص من السجن ومحنته قال ذلك هضما لنفسه ورفعة لمقام يوسف ورتبته وايثارا للاخبار بكمال تثبته وحسن نظره في بيان نزاهته واظهار براءته وحمد صبره وترك عجلته وتنبيها على ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام وان كانوا من الله بمكان لا يرام فهم بشر يطرأ عليهم من الاحوال بعض ما يطرأ على غيرهم من الانام وان ذلك لا يعد نقصا لهم في مقام المرام وتمام النظام (وقال) أي النبي عليه الصلاة والسلام على ما رواه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال (للذي قال له) أي خاطبه بقوله (يا خير البرية) بالتشديد والهمز على ما قرئ بهما في السبع أي الخليقة (ذاك ابراهيم) تعظيما لابويه وتعليما لامته ودفعا للافتخار عن ذاته

من

ولا تنافي بين القولين وسيشير اليه المصنف رحمه الله تعالى في القسم الثالث وقيل لا يصح أن يكون المراد انه أحق بالشك منه لقوله أولم تؤمن قال بلى الى آخره وتسميته شكا بالنظر للظاهر لاقتضائه عدم الاطمئنان وهو ينافي عدم التردد والشك ولذا احتيج لتأويله بان الخليل عليه الصلاة والسلام قطع بالقدرة على احياء الموتى بدليل قطعي لكنه اشتاق لمشاهدة كيفية هذا الامر العجيب الذي جزم بثبوته فنفسه لا تطمئن حتى يشاهده قال ابن أبي شريف رحمه الله تعالى وهذا التأويل يشير الى ان المطلوب بقوله ولكن ليطمئن قلبي سكون قلبه عن المنازعة الى رؤية الكيفية المطلوبة التي تمناها ليحصل له العلم البديهي بعد العلم النظري ولما كان هذا الشك ظاهرا جائزا على الانبياء عليهم الصلاة والسلام قال صلى الله تعالى عليه وسلم ما قاله كناية عن انه جائز منه الا انه أورده بهذه الصورة تادبا مع الله تعالى وان لم يكن أحق بذلك الشك منه وكيف يتصور جوازه عليه وعلي كرم الله وجهه يقول لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا الا ان في هذا اشكالا أورده ابن العماد لاقتضائه تساوي علمه البديهي والنظري فيتجاوز المقام الخليلي وقد أجاب عنه في كتابه كشف الاسرار فقال قال العز بن عبد السلام المراد ما ازددت يقينا بالايمان وان كان اذا رآها أبصر من التفاصيل والهيئات ما لم يحط به قبل ذلك علما وكذلك ابراهيم لما رأى كيفية الاحياء لم يزدد يقينا بالايمان بقدرته تعالى على الاحياء وان وقف بمشاهدة كيفية الاحياء على ما لم يقف عليه من الايمان كمن رأى بناء عجيبا وعرف صانعه علم قدرته وصنعه وتحققه وان لم يعرف كيفية بنائه وصنعة عمله فاذا طلب مشاهدة عمله ورآه لم يزده علمه بقدرته وصنعته وهيئته بذلك ولكن اطمأن قلبه لحصول ما طلبه من كيفية صنعه وقال السبكي رحمه الله تعالى سئل الغزالي رحمه الله تعالى عن هذا فقال اليقين يتصور عليه الجحود كما قال تعالى وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم والطمانينة لا يتصور عليها الجحود وهو جواب حسن في الفرق بين اليقين والجحود انتهى وفيه نظر وقول ابن عباس رضي الله تعالى عنهما هذه الآية أرجى آية في القرآن معناه ان سؤاله الاحياء في الدنيا يدل على انا نحيي وننعم في الآخرة وان الايمان بالغيب اجمالا كاف لنا (ولو لبثت ما لبث يوسف في السجن لاجبت الداعي) لبث في السجن بضع سنين أي لبث خمسا ثم سبعا بعد رؤيا الفتيين اللذين دخلا معه السجن وقيل غير ذلك وورد في الحديث رحم الله أخي يوسف لو لم يقل أذكرني عند ربك ما لبث في السجن سبعا بعد خمس أي لو لم يستعن بغير الله تعالى ما طالت المدة والمراد باجابة الداعي اجابة رسول الملك الذي دعاه للخروج منه قال الكرماني وصفه بالصبر حيث لم يبادر الى الخروج وقال ذلك تواضعا الا انه كان فيه مبادرة وعجلة لو كان مكان يوسف والتواضع لا يصغر كبيرا بل يزيد قدره اجلالا وذلك منه صلى الله تعالى عليه وسلم اشارة الى مقام التفويض وتلقي كل ما ياتي من الله بالقبول ورفض الوسائط والمعنى لو كنت مكانه تلقيت دعوة الداعي مستعينا بالله تعالى مفوضا أمري له وقد كان يوسف عليه الصلاة والسلام عبر رؤيا الفتيين ثم رؤياه الملك فطلبه فلما جاءه الرسول ليخرجه من السجن لم يبادر للخروج وطلب الكشف عن أمره حتى يعلم انه مظلوم وقال القرطبي الوجه عندي في ذلك أنه صلى الله تعالى عليه وسلم أخذ لنفسه وجها آخر من الرأي وهو ان يفعل أمرا يقتدى به فيه وهو ان يخرج سريعا ثم يبرئ ساحته بالتبرئة من غير الحاح وهو الحزم ويوسف عليه الصلاة والسلام سلك مسلكا آخر وهو الصبر وقيل أنه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يلتفت لما التفت له من براءة الساحة اكتفاء بعلم الله واعتقاده لانه يبرئ ساحته من غير طلب منه لهذا المقام ولكنه قال ما قال تواضعا وفي يوسف ست لغات بتثليث السين مع الهمزة وعدمه (وقال للذي قال له يا خير البرية ذاك ابراهيم) وهذا

(وسيأتي الكلام على هذه الأحاديث) أي على حل ما فيها من الإشكال الذي تقدم بعض الأجوبة عنه (بعد هذا) أي في محل أليق منه (إن شاء الله تعالى) أي بيانه فيه (وعن عائشة رضي الله تعالى عنها والحسن) أي البصري (وأبي سعيد) أي الخدري وكان حقه أن يقدم على الحسن اللهم إلا أن يراد به الحسن بن علي كرم الله وجهه لكن قاعدة المحدثين أن الحسن إذا أطلق فهو البصري (وغيرهم) أي وغير المذكورين أيضا كما رواه البخاري وغيره (في صفته) أي نعته صلى الله تعالى عليه وسلم (وبعضهم يزيد على بعض) أي وبعض الرواة منهم يزيد على بعضهم بعض العبارات في تفصيل الصفات ومجملة قوله (وكان في بيته في مهنة أهله) بفتح الميم وكسره وأنكره الأصمعي ورجحه المزي بقوله وهو أوفق لزنته ومعناه أي خدمة أهله وفي الحديث ما على أحدكم لو اشترى ثوبين لجمعته سوى ثوبي مهنته في أهله مما يتعين عليهم رفقا بهم ومساعدة لهم وتواضعا معهم وبيانه قوله (يفلي ثوبه) بكسر اللام أي يزيل قمله كراهة لوجوده وتنظيفا لوسخه لما في الشفاء لابن سبع أنه لم يقع على ثيابه ذباب قط ولم يكن القمل يؤذيه تكريما له وتعظيما فيه وروي أن أم حرام كانت تفلي رأسه (ويحلب شاته) بضم اللام وتكسر ويرقع ثوبه بفتح القاف وفي نسخة من الترقيع (ويخصف نعله) بكسر الصاد أي يخرزها ويطبق طاقا على طاق من الخصف وهو الجمع والضم ومنه سبحانه وتعالى وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة أي يطبقان ورقة على ورقة على بدنهما بالخرز أو الربط أو اللصق ومن أحسن ما قيل في مثال نعله صلى الله تعالى عليه وسلم

أمرغ في المثال بياض شيبي * لما عقد النبي له قبالا
وما حب المثال بشوق قلبي * ولكن حب من لبس النعالا

وقال بعضهم

يا لاحظا المثال نعل نبيه * قبل مثال النعل لا تتكبرا
والثم له فلطالما كفت به * قدم النبي مروحا ومبكرا
أولا ترى أن المحب مقبل * طللا وإن لم يلف فيه مخبرا

أقول أنا في هذا الحال أقبل خيال المثال تعظيما للنبي ذي الجلال (ويخدم نفسه) بضم الدال وكسرها وهو تعميم بعد تخصيص ثم ذكر ما يعم نفعه له ولغيره بقوله

من تواضعه أيضا صلى الله تعالى عليه وسلم وإلا فهو خير البرية من غير شك وليس فيه إخبار بغير الواقع إذ المعنى لا أقول ذلك إطراء لنفسي والبرية الخلق من برأ بمعنى خلق لكن همزته متروكة كما في الذرية والنبي والخابئة وهذا الحديث رواه مسلم في صحيحه وغيره وخص إبراهيم لأن الله أمره باتباع ملته في قوله تعالى أن اتبع ملة إبراهيم (وسيأتي الكلام على هذه الأحاديث بعد هذا إن شاء الله تعالى) من غير تطويل واعتساف (وعن عائشة رضي الله عنها والحسن وأبي سعيد وغيرهم في صفته صلى الله تعالى عليه وسلم وبعضهم يزيد على بعض) قدم عائشة رضي الله تعالى عنها لأنها أدرى بحاله صلى الله تعالى عليه وسلم في بيته ولذا أعقبها بالحسن بن علي رضي الله تعالى عنهما لأنه من أهل البيت أيضا وأبو سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه كان يخدمه صلى الله تعالى عليه وسلم فلذا خص هؤلاء ورتبهم الأقرب فالأقرب (كان في بيته في مهنة أهله) خبر بعد خبر أو بدل مما قبله بدل اشتمال والمهنة بكسر الميم وفتحها الخدمة مأخوذة من الامتهان واختلف في أيهما الأفصح والأكثر على أنه الفتح والأشهر أنه الكسر لتوافق الخدمة لفظا ومعنى وأنكر بعضهم الكسر والأصح أنه لغة وأنه ثابت بالوجهين (يفلي ثوبه) بيان هو وما بعده لما قبله لأن هذا مما ينبغي أن يفعله أهله ويفلي بفتح المثناة التحتية وسكون الفاء يقال فلاه يفليه كرماه يرميه إذا فتش ما فيه من قمل وغيره هذا أصله وهو يقتضي أن يكون في ثوبه صلى الله تعالى عليه وسلم قمل وقد قالوا إنه لا يكون تكريما له صلى الله تعالى عليه وسلم ولأنه يتولد من العفونة والعرق وجسده وعرقه طيب لا يكون فيه عفونة والقول بأن فيه قملا تنقيص لا ينبغي أن يقال إلا أن بعضهم نقل أنه لم يكن الذباب يعلق عليه وأن القمل لا يؤذي بدنه تعظيما له صلى الله تعالى عليه وسلم وتكريما كما سيأتي بيانه قبيل فصل قد آتيناك أكرمك الله فقيل المراد بنفي أذيته نفيه لأنه من لوازمه وقيل إنه كان فيه ولكن لا يؤذيه والأول مناف لحديث المتن ولما روي أن أم حرام كانت تفلي رأسه واللفظ شاهد لخلافه نعم نفي أذاه مستلزم لنفيه لأن أذيته بتغذيه من البدن فإذا امتنع غذاؤه لم يعش وحينئذ لم يكن في وجوده الإقذار به والاحتياج لفليه ولذا قيل المراد بفليه تفتيشه لخرق فيه أو تعلق شيء به من شوك ونحوه وكل ذلك للتشريع وإظهار التواضع واحتمال أن يكون القمل جاءه من غيره لكثرة مجالسته الفقراء كما سيأتي لا يأباه فلي أم حرام لرأسه كما قيل على أنه يحتمل أنها كانت تفحص عن هذا وإن لم تجده (ويحلب شاته ويرقع ثوبه) بفتح الياء وسكون الراء المهملة وفتح القاف المخففة ويجوز الضم والتشديد إلا أن الضبط بالأول لمناسبة ما معه ورقع الثوب أن يضع فيما انخرق منه رقعة من غيره فيسده بها (ويخصف نعله) أي يخرزها وفي العمدة أنه

(ويقم البيت) بضم القاف وكسرها وتشديد الميم أي يكنسه (ويعقل البعير) بكسر القاف أي يربط ركبته بالعقال وهو ما يعقل به من الحبال ومثل العقل لانه يمنع صاحبه عما يضره ويبعثه على ما ينفعه (ويعلف) بكسر اللام قيل ويضم أوله (ناضحه) أي بعيره الذي يستقى عليه الماء (ويا كل مع الخادم) أي مملوكا أو غيره وهو يشمل المذكر والمؤنث (ويعجن معها) أي مع الخادمة من الجارية وغيرها وخص العجن بها لان الغالب انه من عملها

(ويحمل بضاعته) أي مشتراه من ما كول وغيره (من السوق) أي الى محله في بعض أوقاته اذ ثبت انه عليه الصلاة والسلام كان له خدم يقومون بماله من المرام (وعن أنس رضي الله تعالى عنه) على ما رواه البخاري في الادب تعليقا ووصله ابن ماجه (ان) هي المخففة من المثقلة والمعنى ان الشان (كانت الامة من اماء أهل المدينة) أي من جنسها (لتاخذ) بفتح اللام الفارقة (بيد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فتنطلق به) أي تذهب به (حيث شاءت) أي من طرق المدينة وبيوتها (حتى تقضي حاجتها) أي منه عليه الصلاة والسلام بشفاعة ونحوها (ودخل عليه رجل) هو غير معروف (فاصابته من هيبته) أي مخافته وعظمته (رعدة) بكسر الراء أي اضطراب أو برودة (فقال له هون عليك) أي يسر أمرك ولا تخف (فاني لست بملك) أي سلطان جائر والحديث سبق الا انه

تطبيق بعض جلود النعل على بعض وهو في قوله تعالى يخصفان عليهما من ورق الجنة استعارة من هذا وأصل معنى الخصف الضم والجمع (ويقم البيت) أي يكنسه ويزيل قمامته من قم يقم بضم القاف اذا كنس (ويعقل البعير) أي يربطه من رجله بالعقال ويعقل بوزن يضرب (ويعلف ناضحه) بنون وضاد معجمة وحاء مهملة وهو البعير الذي يستقى عليه من النضح (ويخدم نفسه) أي يفعل ذلك كثير الاداءا مع كثرة عبيده وخدمه وتشوق الناس لخدمته صلى الله عليه وسلم لكنه يحب فعل ذلك بنفسه تواضعا وتشريعا (ويأ كل مع الخادم) الخادم متعاطي الخدمة ذكرا كان أو أنثى حرا أو عبدا وأ كل الانسان مع خادمه سنة قال القاضي زكريا في شرح الروض ان السنة أن يجلس خادمه للا كل معه ويلبسه من لباسه فان أبى فليناوله مما يأ كله ومن الغريب ما نقل عن الشافعي انه واجب للامر به في الحديث وفيه نظر (ويعجن معها) الضمير للخادم لانه يطلق على الانثى كما مر والعجين من عمل النساء (ويحمل بضاعته) بكسر الموحدة وهي ما يشترى به (من السوق) وفيه دلالة على انه صلى الله عليه وسلم كان يدخل السوق قالوا وهو عادة الانبياء عليهم الصلاة والسلام قال الله تعالى وما أرسلناك من المرسلين الا أنهم ليأ كلون الطعام ويمشون في الاسواق وكذا كان دأب الصحابة رضي الله تعالى عنهم ولا ينافيه أحب البقاع الى الله تعالى المساجد وأبغضها اليه الاسواق لان المراد بغض ما فيها أو النهي عن الجلوس فيها من غير حاجة (وعن أنس) بن مالك رضي الله عنه خادم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا الحديث رواه البخاري تعليقا ووصله ابن ماجه (ان كانت الامة من اماء أهل المدينة) بكسر همزة ان المخففة من الثقيلة كقوله تعالى وان كانت لكبيرة وهي مهملة أو اسمها ضمير شان مقدر (لتاخذ بيد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فتنطلق به حيث شاءت) أي تمسك بيده الشريفة وتذهب به الى أي محل تريده لاجل حاجتها (حتى يقضي حاجتها) وليس فيه افراط في التواضع المذموم لان قضاء حاجة المسلم من أمر محمود (ودخل عليه رجل فاصابته من هيبته رعدة) بكسر فسكون لخوفه من مهابته اذ كان لم يره قبلها وأعاد هذا الحديث لما فيه من الزيادة والرعدة ان يرجف ويضطرب (فقال له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم هون عليك) أمر من التهوين أي عدما رأيته أمرا هينا غير صعب تخشى منه أي لا تخف ولا تفزع (فاني لست بملك) من الملوك الجبابرة الذي يخشى بوادرهم (انما أنا ابن امرأة من قريش تا كل القديد) هو اللحم الذي يقطع ويجعل في الشمس حتى ييبس وكان عادة العرب أ كله وهكذا عادة فقرائهم فكنى به عن عدم تكبره وتجبره وترفعه صلى الله تعالى عليه وسلم (وعن أبي هريرة) رضي الله تعالى عنه قال السيوطي هذا الحديث رواه الطبراني في الاوسط بسند ضعيف (قال دخلت السوق مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فاشترى سراويل) في حواشي الشمني ذكر المصنف رحمه الله تعالى اشتراه صلى الله تعالى عليه وسلم للسراويل الا أنهم قالوا انه لم يثبت انه صلى الله عليه وسلم لبسها ولكنه اشتراها ولم يلبسها وقال ابن القيم في الهدى انه لبسها فقالوا انه سبق قلم وقال السيوطي في فتواه قد رأيت الذي ذكره المصنف

أعاده هنا لما فيه من زيادة قوله (انما أنا ابن امرأة من قريش تا كل القديد) وهو اللحم المجفف فعيل بمعنى المفعول تنبيها له على أنه ما كول المساكين (وعن أبي هريرة) كما رواه الطبراني في الاوسط بسند ضعيف عنه انه قال (دخلت السوق مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فاشترى سراويل) فارسي معرب شابه من كلام العرب ما لا ينصرف معرفة ونكرة

المصنف رحمه الله تعالى في معجم الطبراني الاوسط ومسند أبي يعلى وفيه انه صلى الله تعالى عليه وسلم لبسها ولفظه عن أبي هريرة انه قال دخلت يوما السوق مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فجلس الى البزازين فاشترى سراويل بأربعة دراهم وكان لاهل السوق وزان فقال له زن وارجح وأخذ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم السراويل فذهبت لاحمل عنه فقال صاحب الشئ أحق بشيئه أن يحمله الا أن يكون ضعيفا فيعجز عنه فيعينه أخوه المسلم فقلت يا رسول الله انك لتلبس السراويل قال أجل في السفر والحضر وبالليل والنهار فانى أمرت بالستر فلم أجد شيأ أستر منه أخرجه من طريق ابن زياد الواسطى وأخرجه أحمد وفى سنده ابن زياد وهو وشيخه ضعيفان انتهى * أقول الخبر ضعفه بمتابعته ومنه يعلم ان تخطئة ابن القيم لا وجه لها وكون الثمن أربعة دراهم هو المروى لا ما فى الاحياء من أنه بثلاثة وكونه صلى الله تعالى عليه وسلم اشتراها ولم يلبسها بعيد جدا وقد لبسها عثمان رضى الله تعالى عنه وهو محاصر أيضا والسراويل تذكر وتؤنث ولم يعرف فيه الاصمعى الا التأنيث وجمعه سراويلات وهى مصروفة فى النكرة عند سيبويه فان سمى بها رجل لم تصرف وكذا ان صغرت بعد التسمية لانها مؤنثة على أكثر من ثلاثة أحرف كعناق فان صغرت من غير علمية صرفت وقال الجوهرى من النحويين من لا يصرفه فى النكرة أيضا لانه عنده جمع سراولة وأنشد * عليه من اللؤم سراولة * وبقول ابن مقبل * فتى فارسى فى سراويل رامح * والعمل على الاول والثانى قوى انتهى ومن ثم رد قول من قال انه ممنوع من الصرف بالاتفاق وقول المحدثين انه لم يصح انه جمع فى الاصل كحضاجر للضبع فيعتبر فيه الجمعية الاصلية قال ولذا اضطر بوا فيه فقيل انه أعجمى معرب سروال حمل على موازنه فى العربية كمصابيح وقيل عربى جمع سروالة تقديرا وهى لغة فى سراويل ويقوى عجميته انه لا نظير له فى العربية وعلى هذا اقتصر الجواليقى فى معرباته الا أنه قيل انه معرب شلوان بالمعجمة والاشبه انه معرب سراوين أى مدلى الرأس لان سر معناه الرأس واوين معناه مدلى (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم (للوزان) أى الذى يزن الدراهم وينقدها وهو الصيرفى (زن وأرجح) أى زن لصاحب السراويل ثمنها وزد عليه حتى يترجح الميزان بزيادة الكفة التى فيها الدراهم وبهذا استدل الامام مالك على جواز هبة المجهول وفيه نظر لانه من حسن القضاء وكلام أبى حنيفة رحمه الله تعالى فى الهبة المحضة والرجحان نزول كفة الميزان لزيادة ما فيها (وذكر القصة) كما سمعتها آنفا (قال) أى أبو هريرة رضى الله تعالى عنه راوى هذا الحديث فقال الوزان هذه كلمة ما سمعتها من أحد فقال له أبو هريرة كفى بك من الوهن والجفا فى دينك انك لا تعرف نبيك وطرح الميزان (ووثب) أى قام بسرعة (الى يد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يقبلها) أى قام ليقبل يده الشريفة لما رأى منه ولمعرفته انه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (فجذب) أى نزع صلى الله تعالى عليه وسلم (يده) من يده (وقال هذا) أى تقبيل اليد أمر (تفعله الاعاجم بملوكها ولست بملك انما أنا رجل منكم) معاشر العرب أو الناس وهذا من تواضعه صلى الله تعالى عليه وسلم أو لانه علم انه انما قبل يده لامر دنيوى والا فتقبيل يد الرجل لعلمه أو صلاحه أو شرفه سنة مستحبة وقد كان الصحابة رضى الله تعالى عنهم يقبلون يده الشريفة ويد الخلفاء رضى الله تعالى عنهم وقيل لبعض المشايخ أتقبل يد المشايخ فقال انهم رياحين الله فشموها بالتقبيل (ثم أخذ) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بيده الشريفة (السراويل) ليحملها بنفسه (فذهبت لاحمله) أى شرعت فى حملها عنه يقال ذهب يفعل كذا وقام يفعله اذا شرع فى الفعل ولذلك عدت من افعال المقاربة فليس المراد بالذهاب معناه المشهور وضمير لاحمله للسراويل لانه يجوز تذكيره وتأنيثه كما علم (فقال) أى النبى

(وقال للوزان) بتشديد الزاى أى وازن الفضة من الصيرفى وغيره (زن) بكسر الزاى (وأرجح) بفتح همز وكسر جيم أعطه راجحا على وزنه بالزيادة (وذكر القصة) أى بطولها ومن جملته (قال) أى أبو هريرة رضى الله تعالى عنه (فوثب) أى فقام الوزان بسرعة متوجها (الى يد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يقبلها) بتشديد الموحدة جملة حالية أى حال كونه مريدا التقبيلها لما رأى فيها من زيادة السخاوة وحسن المعامله (فجذب يده) أى تواضعا وتباعدا عما يوجب النخوة والعجب والغرور (وقال هذا) أى التقبيل (تفعله الاعاجم) أى أهل فارس (بملوكها) أى ويورثهم كبرا وفخرا ولاصحابهم ذلا (ولست بملك) أى من جنس ملوكهم (انما أنا رجل منكم) أى بشر مثلكم أو واحد من جنس عربكم أعاملكم بمعاملة أدبكم وهذا لا ينافى ما ورد من انهم كانوا يتبركون به وبآثاره ولا ما ذكره النووى وغيره من أن تقبيل يد الغير ان كان لجاه وغنى فمكروه وان كان لصلاح وعلم فمستحب (ثم أخذ السراويل) أى من بائعه بعد تسليم ثمنه (فذهبت) قصدت (لاحمله فقال

صاحب الشيء أحق بشيئه) أي بمتاعه المختص به (أن يحمله) لانه أبقى على تواضعه وأنفى لكبره وقد قيل لم يثبت انه صلى الله تعالى عليه وسلم لبس السراويل لكن اشتراها قيل بأربعة دراهم وفي الاحياء بثلاثة ولم يلبسها وجاء في الهدى لابن القيم من أنه لبسها قالوا وهو من سبق القلم لكن السيوطي صحح لبسه صلى الله تعالى عليه وسلم والله سبحانه وتعالى أعلم هذا وقد ذكر التلمساني انه أخرج أبو داود الحديث عن سماك بن حرب قال حدثني سويد بن قيس قال جلبت أنا ومخرمة العبدي بزا من هجر فأتينا به مكة فجاءنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يمشي فساومنا بسراويل فبعناه وثم رجل يزن بالاجر فقال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم زن وأرجح وكذلك ذكر الترمذي الحديث وصححه وأبو عمر وفي الاستيعاب ثم نقل عن شيخه ان في الحديث فوائد منها الرجحان في الوزن وهو من الورع الظاهر الفضل لان التطفيف حرام والتحري فيه طول أو شغب تمام والرجحان يقطعه والفضل بظهره وفيه رد على أبي حنيفة المانع هبة المجهول قلت انما نشأ هذا من جهله بمرتبة الامام وعدم فرقه بين الشائع الحاضر والمجهول الحاضر في هذا المقام والله سبحانه وتعالى أعلم بحقيقة المرام

فصل (وأما عدله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي حكمه على وفق الحق ومنهاج الصدق (وأمانته) أي في أداء روايته وقضاء ديانته (وعفته) أي عما لا يليق بحضرته (وصدق لهجته) أي منطقه وحكايته (فكان صلى الله تعالى عليه وسلم آمن الناس) بهمزة ممدودة أعظمهم أمانة وأمنا من أن يقع منه خيانة (وأعدل الناس) لانه أعلمهم وأحكمهم وأرحمهم وكان الاظهر أن يقدم أعدل على آمن ليكون النشر مرتبا (وأعف الناس) أي أكثرهم عفة وأصبرهم على ما يوجب نزاهته وأصدقهم (لهجة) أكثرهم صدقا من جهة الناطقة (منذ كان) أي من ابتدائه ما وجد لما جبل عليه من الاخلاق الحسنة ولا وجه لقول الدلجي عليه من حين اعترف لان قوله (اعترف) استئناف بيان وفي نسخة ثم اعترف (له بذلك) بما ذكر من الشمائل الرضية (محادوه) بتشديد الدال المضمومة أي مخالفوه ومنه قوله تعالى من يحادد الله لكون كل واحد منهما في حد كما قيل في وجه اشتقاق قوله سبحانه وتعالى ومن يشاقق الله (وعداه) بكسر عينه مقصورا اسم جمع أي أعداؤه ومعادوه (وكان يسمى قبل نبوته) أي ظهورها ودعوتها (الامين) لغاية أمانته ونهاية ديانته (قال ابن اسحق كان يسمى الامين بما جمع الله فيه من الاخلاق الصالحة) أي لان تستعمل في طريق الحق وسبيل الخلق (وقال تعالى) أي في حقه (مطاع) أي مكرم (ثم) أي عند الملأ الاعلى والحضرة العليا (أمين) موصوف بالامانة في دعوى النبوة ووحي الرسالة (أكثر المفسرين على انه) أي المراد بالمطاع الامين (محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) وكثير منهم على انه جبريل عليه السلام وسياق النظم يؤيده وسباق الكلام يؤكده وعلى كل فاتصافه بالوصفين لا أحد ينكر

صلى الله تعالى عليه وسلم لابي هريرة (صاحب الشيء أحق بشيئه أن يحمله) بدل من شيئه أي أحق بحمله من غيره وهذا من تواضعه صلى الله تعالى عليه وسلم واقتدى به الصحابة رضي الله تعالى عنهم فكان الخلفاء منهم يحملون أمتعتهم في السوق كما فصله الغزالي في الاحياء

(فصل وأما عدله صلى الله تعالى عليه وسلم) العدل مصدر معناه العدول عن الظلم والجور ويكون بمعنى العادل فيستوي فيه الواحد المذكور وغيره ويجمع على عدول (وأمانته) في كل شيء يحفظه قولا كان أو فعلا أو غير ذلك مما يجعل عنده وكونه موثوقا به في أموال الناس وأحوالهم (وعفته) في نفسه بترك كل قبيح وترك السؤال والنزاهة عن كل شيء (وصدق لهجته) اللهجة اللسان والكلام يقال لهج بكذا اذا ولع به ولا يخفى تقارب معاني ما ذكر ولذا جمعها في فصل فان في العدل عفة عن الظلم وفي الصدق أمانة على ما سمع وعفة عن الكذب وهذا ظاهر لمن له بصيرة (فكان صلى الله تعالى عليه وسلم آمن الناس) آمن بمد الهمزة بمعنى أكثرهم وأشدهم أمانة (وأعدل الناس وأعف الناس وأصدقهم لهجة منذ كان) أي من ابتداء خلقته الى نهايتها وكان تامة بمعنى وجد (اعترف له بذلك محادوه) جمع محاد بتشديد الدال المهملة بمعنى المعادي والمخالف له الذي في حد وجانب عنه ويكون بمعنى المحارب قال تعالى ومن يحادد الله ورسوله (وعداه) بكسر العين جمع عدو أو اسم جمع وهو في الصفات وقد تضم عينه (وكان يسمى قبل نبوته الامين قال ابن اسحق) محمد بن اسحق بن يسار صاحب السير كما تقدم وهذا حديث صحيح رواه أحمد في مسنده والحاكم والطبراني عن علي كرم الله وجهه (كان صلى الله تعالى عليه وسلم) في ابتداء أمره قبل نبوته (يسمى الامين) لامانته وصدق قوله في جميع أحواله (بما جمع الله له من الاخلاق الصالحة) أي بسبب ما جمعه الله له من الاخلاق الصالحة الذي ائتمنه الله اياها أو الباء بمعنى مع أي مع ما جمعه الله له من الصالحات التي عرف بها عندهم (وقال تعالى مطاع ثم أمين أكثر المفسرين على انه) أي المطاع الامين في هذه الآية (محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) وكثير منهم على انه جبريل

(ولما اختلفت قريش) على مارواه أحمد والحاكم وصححه الطبرانى حين اختلف أكابر قريش ورؤساؤهم (وتحازبت) بالزاى أى وصارت احزابا وطوائف مجتمعة وضبطه بعضهم بالراء وهو تصحيف (عند بناء الكعبة) حين أجمرت امرأة فطارت شرارة فاحترقت الكعبة فهدموها وأرادوا تجديد بنائها فوقع خلافهم (فيمن يضع الحجر) أى الاسود والركن الاسعد فى موضعه الاصلى قبل هدمه وكل يقول أنا وأتباعى نضعه افتخارا بوضعه لانه الركن الاعظم فى ذلك المقام الافخم وكاد أن يقع بينهم القتال لكثرة منازعة الرجال (حكموا) جواب لما أى حكموا فيما بينهم لدفع النزاع عنهم (أن يكون الواضع أول داخل عليهم) أى ولا يكون واحدا منهم (فاذا النبى صلى الله تعالى عليه وسلم داخل) أى ففاجأهم دخوله وباغتهم وصوله (وذلك) أى ماذكر (قبل نبوته) أى دعوى نبوته وظهور رسالته (فقالوا) أى مقرين له بوصف أمانته (هذا محمد هذا الامين قد رضينا به) ففرش صلى الله تعالى عليه وسلم رداءه المبارك ووضع الحجر عليه وأمر كل رئيس ان يأخذ بطرف منه وهو آخذ من تحته الذى فوض فيه الامر اليه ووضعوه فى موضعه (وعن الربيع ابن خثيم) بضم معجمة وفتح مثلثة روى عن ابن مسعود وغيره وعنه الشعبى ونحوه وكان ورعا قانتا مخبتا حتى قال ابن مسعود له لو رآك النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لاحبك فطوبى له ثم طوبى له قال التلمسانى وهو من الزهاد الثمانية ومن رجال حلية أبى نعيم (كان يتحاكم) بصيغة المجهول (الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى الجاهلية قبل الاسلام) أى قبل زمن البعثة وظهور النبوة

عليه الصلاة والسلام كما يشهد به سياق النظم ولذا ارتضاه المحققون لكونه عليه الاكثر وفيه نظر (ولما اختلفت قريش وتحازبت) بالحاء المهملة والزاى المعجمة والباء الموحدة أى صارت احزابا وفرقا لاختلاف آرائهم ولو قيل تحاربت بالراء المهملة لما فى السير انهم تخالفوا حتى اعتدوا للقتال ثم بدا لهم فتشاوروا صح الا أنه بعيد والنسخ مضبوطة خطا بخلافه (عند بناء الكعبة) قال السهيلى كان بناؤها خمس مرات الاولى حين بناها شيث بن آدم والثانية حين بناها ابراهيم عليه الصلاة والسلام على القواعد الاولى والثالثة حين بنتها قريش قبل الاسلام بخمسة أعوام والرابعة حين احترقت فى عهد ابن الزبير بنار طارت من أبى قبيس أو بشرر طار من مجمر امرأة أرادت أن تجمرها فتعلق باستارها وأحرقها فتشاور من حضرها فى هدمها فهابوه وقالوا نصلح ما انهدم منها فقال رضى الله تعالى عنه لو احترق بيت أحدكم لم يرض له الا بأكمل صلاح ولا يكمل صلاحها الا بهدمها فهدمها حتى أفضى الى قواعد ابراهيم عليه الصلاة والسلام فامرهم أن يزيدوا فى الحفر فحركوا حجرا منها فرأوا تحته نارا أفزعتهم فامرهم أن يقروا القواعد وان يبنوها من حيث انتهى الحفر واستمرت على ذلك الى ان قام عبد الملك ابن مروان فهدمها وبناها فهذه المرة الخامسة ولا منافاة بينه وبين ما فى التواريخ من ان الخامسة بناء الحجاج لانه كان بامر عبد الملك لانه أميره وكان أرسله لمحاربة ابن الزبير رضى الله عنهما وقيل غير ذلك والكلام فيه مفصل فى تاريخ مكة (فيمن يضع الحجر) الاسود فى موضعه ويرفعه بيده لما فى مباشرة ذلك من الشرف والجار والمجرور متعلق باختلف (حكموا) بفتح الحاء وتشديد الكاف جواب لما أى ارتضوا بان يكون (الحاكم) فى ذلك (أول داخل عليهم فاذا بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم داخل) اذا فجائية أى فاجأهم دخوله عليهم بغتة من غير طلب وميعاد منهم (وذلك قبل نبوته) صلى الله تعالى عليه وسلم وهو ابن خمس وثلاثين وقيل ابن خمس وعشرين أو حين بلغ الحلم ولا شك فى أن هذا كان قبل النبوة والاول أصح (فقالوا هذا محمد هذا الامين قد رضينا به) حكما فى هذه القضية فلما انتهى اليهم ذكروا له ذلك فقال صلى الله تعالى عليه وسلم لهم ائتوا بثوب وضعوا فيه الحجر وارفعوه جملتكم من كل بيت رجل فلما فعلوا وضعه صلى الله تعالى عليه وسلم بيده الشريفة ثم بنى عليه فكان شرف الوضع له وكان مع العباس رضى الله تعالى عنه ينقلان الحجارة فقال له العباس اجعل ازارك على رقبتك ليقيك ألم الحجارة فلما فعل بدا منه ما لا بد من ستره فخر مغشيا عليه وطمحت عيناه الى السماء فقال ازارى فشد عليه ازاره لانه نودى يا محمد غط عورتك فلم تر له عورة بعده ولا قبله وروى انه وقع له مثله وهو يلعب صغيرا (وعن الربيع بن خثيم) رضى الله تعالى عنه بضم الخاء المعجمة وفتح المثلثة وسكون الياء المثناة التحتية والميم وهو الربيع بن خثيم بن عابد بن عبد الله بن موهب أبو يزيد الثورى ينسب الى ثور بن عبد مناة بن اد بن طابخة بن الياس بن مضر وينسب اليه سفيان وغيره والربيع يروى عن ابن مسعود وأبى أيوب وروى عنه خلق كثير وكان ثقة عابدا وأخرج له أصحاب الكتب الستة وتوفى سنة سبع وستين (كان يتحاكم الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى الجاهلية) وفسر الجاهلية بقوله (قبل الاسلام) لانها تطلق بهذا المعنى الاكثر وفى هذا شاهد لعدله صلى الله تعالى عليه وسلم والمراد قبل بعثته وتطلق الجاهلية كما فى النهاية على صفاتهم وان كانت فى الاسلام كقوله فى الحديث ان فيك جاهلية وحقيقتها

(وقال صلى الله تعالى عليه وسلم) كما رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (والله أني لامين في السماء) أي عند الله وملائكته المقربين (أمين في الارض) عند المؤمنين وغيرهم من المجربين لكمال امانته وظهور ديانته وعدم خلفه في وعده وتحقق صدقه في قوله (حدثنا أبو علي الصدفي) بفتحتين (الحافظ) أي المعروف بحفظ الحديث (بقراءتي عليه ثنا) أي حدثنا (أبو الفضل ابن خيرون) بفتح معجمة وضم راء بصرفه ومنعه والاول أظهر (ثنا أبو يعلى ابن الزوج الحرة) تقدم (ثنا أبو علي السنجي) بكسر مهملة فسكون نون فجيم مروزي (ثنا محمد بن محبوب المروزي) أي راوي جامع الترمذي عنه (ثنا أبو عيسى) أي الترمذي (الحافظ) أي المعروف وهو جامع السنن وصاحب الشمائل (ثنا أبو كريب) بالتصغير الهمداني الكوفي روى عن ابن المبارك وخلق وعنه أصحاب الكتب الستة روى أنه أظهر له بالكوفة ثلاثمائة ألف حديث (ثنا معاوية بن هشام) أي القصار الكوفي روى عن حمزة والثوري وعنه أحمد وغيره وهو من الزهاد الثمانية (عن سفيان) أي الثوري على ما صرح به عبد الغني الحافظ وان أطلق على غيره (عن أبي اسحق) أي الهمداني الكوفي أحد الاعلام الشهير بالسبيعي روى عن كثير من الصحابة والتابعين وقد رأى عليا كرم الله وجهه (عن ناجية بن كعب) بنون فالف فجيم مكسورة فتحتية مخففة تابعي وليس بصحابي (عن علي) أي ابن أبي طالب كرم الله وجهه (أن أبا جهل قال للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم انا لانكذبك) بالتشديد والتخفيف أي لا ننسبك الى الكذب لثبوت صدقك (ولكن نكذب) بالتشديد لاغير وهى (بما جئت به) أي من القرآن والايمان بالتوحيد والبعث ونحو ذلك فدلت هذه المناقضة الظاهرة على ان كفر أكثرهم كان عنادا (فانزل الله تعالى) أي في شانه وعظيم برهانه (فانهم لا يكذبونك) بالتشديد وقرأ نافع والكسائي بالتخفيف (الآية) وهي قوله سبحانه وتعالى ولكن الظالمين بآيات الله أي المتلوة أو المصنوعة يجحدون أي ينكرون فتكذيبهم في الحقيقة راجع الى ربهم ففيه وعيد أكيد وتهديد شديد لهم وتسلية له صلى الله تعالى عليه وسلم

الاول وهذا معنى مجازي اللهم الا أن يراد بها المعنى اللغوي وهو النسبة الى الجهل مطلقا فتكون حقيقة والى هذا نظر ابن حجر في شرح البخاري ويتحاكم بضم المثناة مجهول أي يتحاكم اليه قريش أو العرب وقول الربيع هذا رواه ابن مسعود وله حكم الرفع وتحاكمهم اليه صلى الله تعالى عليه وسلم يدل على عدله وانصافه (وقال صلى الله تعالى عليه وسلم والله اني لامين في السماء وأمين في الارض) يعني انه مشهور بذلك بين الملأ الاعلى وبين أهل الارض لانه لم يتهم قط بكذب وجور في أحكامه وهذا الحديث رواه ابن أبي شيبة في مسنده عن أبي رافع وفيه دليل على جواز مدح الانسان نفسه مؤكدا بالقسم وأعاد أمينا لاختلاف الامانتين (حدثنا) ابن سكرة (أبو علي الصدفي الحافظ بقراءتي عليه) وقد تقدمت ترجمته وحكمه قال (حدثنا أبو الفضل بن خيرون) تقدم انه أحمد بن الحسن بن أحمد بن خيرون الحافظ وخيرون ممنوع من الصرف قال (حدثنا أبو يعلى بن زوج الحرة) تقدمت ترجمته قال (حدثنا أبو علي السنجي) تقدم ضبطه وترجمته قال (حدثنا أبو محمد المروزي) محمد بن أحمد بن محبوب راوي جامع الترمذي كما تقدم قال (حدثنا أبو عيسى الحافظ) هو الامام الترمذي كما تقدم قال (حدثنا أبو كريب) بضم الكاف وفتح الراء المهملة وياء تصغير وباء موحدة وهو الامام الحافظ محمد بن العلاء الهمداني أخرج له الستة ووثقه النسائي وغيره توفي سنة ثمان وأربعين ومائتين قال (حدثنا معاوية بن هشام) القصار الكوفي الثقة وقال ابن معين صالح وليس بذلك توفي سنة خمس وعشرين ومائة (عن سفيان) الثوري فيما يظهر الان المزي والذهبي لم يقيداه (عن أبي اسحق) عمرو بن عبد الله الهمداني السبيعي أحد الاعلام (عن ناجية) بنون وجيم (بن كعب) العنزي أو الاسدي الثقة وتوقف ابن حبان في توثيقه وله ترجمة في الميزان وقال الذهبي في المغني ما أدري لماذا توقف فيه ابن حبان انتهى (عن علي) بن أبي طالب كرم الله وجهه ورضي الله تعالى عنه وهذا الحديث رواه الترمذي كما ذكره المصنف وانفرد باخراجه من طريقين أحدهما ما ذكره المصنف والثانية عن اسحق بن منصور عن ابن مهدي عن سفيان عن أبي اسحق عن ناجية قال وهذا أصح وكذا رواه عبد العزيز ابن أبي عثمان (أن أبا جهل) بن هشام لعنه الله فرعون هذه الامة (قال للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم انا لا نكذبك ولكن نكذب بما جئت به فانزل الله) فيما قاله وهو سبب نزول هذه الآية (فانهم لا يكذبونك الآية) ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون وروى أبو ميسرة انه صلى الله عليه وسلم مر بابي جهل وأصحابه فقالوا والله يا محمد ما نكذبك وانك عندنا الصادق ولكنا نكذب بما جئت به فنزلت هذه الآية وقرئ يكذبونك مخففا ومشددا فقيل معناهما واحد لانه يقال كذبته وأكذبته كجزيته وأجزيته واختار أبو عبيدة قراءة التخفيف

(وروى غيره) أي غير الترمذي زيادة عليه (لانكذبك وما أنت فينا بمكذب) تأكيد لنفي الكذب عنه وهو بتشديد الذال المعجمة المفتوحة وفي نسخة بمكذوب (وقيل) أي روى كما أخرجه ابن اسحق والبيهقي عن الزهري وكذا ابن جرير عن السدي والطبراني في الاوسط (ان الاخنس) بفتح همزة وسكون معجمة وفتح نون فمهملة (ابن شريق) بفتح معجمة وكسر راء له صحبة وقال التلمساني ذكره الحلبي قتل يوم بدر كافرا وفيه نزل قوله تعالى ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا (لقي أبا جهل يوم بدر) وكان يوم الجمعة صبيحة سبع عشرة من رمضان سنة اثنتين من الهجرة (فقال له) أي بحكم العادة أو تلطف العبارة (يا أبا الحكم) بفتحتين كنيته في الجاهلية فغيرها النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وكناه أبا جهل (ليس هنا غيري وغيرك) أي أحد (يسمع كلامنا) أي فيما بيننا (تخبرني) خبر معناه أمر أي أخبرني (عن محمد) أي عن وصفه (صادق) وفي نسخة زيادة هو والتقدير أصادق هو في معتقدك (أم كاذب) عندك والمراد من استفهام حمله على الاقرار بما يعرفه من صدقه عليه الصلاة والسلام (فقال أبو جهل والله ان محمدا لصادق) أي لموصوف بالصدق ولا يخفى ما في الجملة من زيادة الادوات المؤكدة (وما كذب محمد قط) اعتراف بالحق وروى ان أبا جهل قال بعد قوله وما كذب محمد ولكن اذا ذهب بنو قصي باللواء والسقاية والحجابة والندوة والنبوة فماذا يكون لسائر قريش فهذا يدل على انه ما منعه عن توحيد الله الا طلب الجاه فالحق حجاب عظيم عن الحق (وسأل هرقل) بكسر ففتح وضبط بكسرتين وكذا بضمتين بينهما ساكن ولا ينصرف للعجمة والعلمية وهذا اسمه العلم واما قيصر فهو لقب كل من ملك الروم (عنه) أي عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (أبا سفيان) بن حرب على ما رواه الشيخان

وهي مروية عن علي كرم الله تعالى وجهه وقيل معنى يكذبونك بالتشديد ينسبونك الى الكذب ويردون ما قاله ومعناه بالتخفيف يجدونك كاذبا كأخلته اذا وجدته بخيلا والمعنى على التشديد لا يكذبونك بحجة وبرهان قيل وفي كلام المصنف اشارة الى دفع التناقض في الآية فانه قال أولا انهم لا يكذبونه ثم أخبر انهم يجحدون ما جاء به من الآيات وجاحد كلامه مكذب له ويجحدون مضمن معنى يكذبون ولذا عداه بالباء وهو متعد بنفسه ويدل على انهم كذبوه قوله بعده ولقد كذبت رسل من قبلك فليس المراد بقوله لا يكذبونك نفي تكذيبهم مطلقا فالاولى ان يقال في دفع توهم التناقض ان معنى لا يكذبونك بالتشديد لا يحكمون عليك بان سجيتك الكذب لانك موصوف بالصدق عندهم في جميع شؤونك ما عدا قولك الذي جئت به من عند الله وهو الآيات فانهم يجحدونه وهذا مراد المصنف في استشهاده بهذه الآية أو يقال المراد انهم لا يكذبونك في الحقيقة ونفس الامر وفي نفوسهم اذا خلوا ولكنهم يظهرون التكذيب حسدا وبغيا أو انهم لا يكذبونك اذا أمعنوا النظر وتدبروا ولكنهم عموا عن نور الهداية انتهى وفي الآية كلام فصلناه في حواشي القاضي البيضاوي (وروى غيره) أي روى غير الترمذي أو الصدفي في هذا الحديث زيادة وزيادة الثقة مقبولة (لانكذبك وما أنت فينا بمكذب) أي معروف بالكذب في غير هذا (وقيل ان الاخنس بن شريق) بن ثعلبة الثقفي الصحابي واسمه أبي وهو بهمزة وخاء معجمة ونون وسين بزنة أفعل التفضيل وشريق بفتح الشين المعجمة وكسر الراء المهملة وقاف على وزن فعيل وهو قديم الوفاة كذا قاله البرهان الحلبي وقال التلمساني انه حليف قريش قتل يوم بدر كافرا يعني به شريقا لا الاخنس وهذا الحديث رواه أبو اسحق والبيهقي عن الزهري وأخرجه ابن جرير عن السدي (لقي أبا جهل يوم بدر) وكان يوم الجمعة سنة اثنتين من الهجرة في تاسع عشر رمضان (فقال له يا أبا الحكم) بفتحتين وهذه كنيته القديمة ثم غلب عليه كنيته بابي جهل (ليس هنا غيري وغيرك يسمع كلامنا تخبرني عن محمد) جملة خبرية والمراد أخبرني عنه (صادق أم كاذب) يعني أصادق فحذفت الهمزة تخفيفا والاستفهام تحقيقي أو تقديري (فقال أبو جهل والله ان محمدا الصادق وما كذب محمد قط) هذا يدل على انهم لا يعتقدون كذبه (وسأل هرقل عنه) هرقل بكسر الهاء وفتح الراء وسكون القاف ويقال باسكان الراء بين كسرتين كما سيأتي وهو علم غير منصرف قال البرهان هلك على كفره وفي الاستيعاب انه صحابي قيل وهو ماول (أبا سفيان) صخر بن حرب بن أمية القرشي الاموي أسلم يوم الفتح فكان من المؤلفة قلوبهم ثم حسن اسلامه وكان رئيس قريش وأكثرهم مالا وتوفي سنة أربع وثلاثين وسنه ثمان وثمانون في المدينة وقصة أبي سفيان مع هرقل مشهورة مروية في الصحيحين مفصلة في أول باب في البخاري وكان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كاتبه في سنة ست فلقيه رسول رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بحمص فلما قرأ الكتاب أمر مناديا ينادي الا ان قيصر قد أسلم واتبع محمدا وترك النصرانية فهاج جنده وتسلحوا فأمر مناديا ثانيا الا ان قيصر راض بدينه وهو راض عنكم ثم قال لرسول رسول الله

فقال) أي هرقل مخاطبا لابي سفيان ومن معه (هل كنتم تتهمونه) بتشديد التاء الثانية (بالكذب) أي هل كنتم تنسبونه الى الكذب ولو بالتهمة بناء على المظنة (قبل ان يقول ماقال) أي من دعوى الرسالة (قال لا) وهذا السؤال يدل على كمال عقل هرقل ومعرفته بصفة الانبياء لكن لم ينفعه علمه حيث لم يقترن بعمله اذ هلك كافرا بعد فتح عمر رضى الله تعالى عنه بلاده وتوغل في بلاد الكفر هاربا من الاسلام ولا تغتر بمن شذ فزعم اسلامه ذكره الدلجي وقال الحلبي في الاستيعاب انه آمن وهذا مؤول أي بانه أظهر الايمان وتمنى الامان لكنه غرته سلطنة الزمان (وقال النضر بن الحارث) أي العبدري وهو بفتح النون وسكون الضاد المعجمة وكان شديد العداوة للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم أخذ أسيرا ببدر فامر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عليا رضى الله تعالى عنه فقتله بالصفراء عقيب الواقعة واما النضير بالتصغير فهو أخوه وكان من المؤلفة وأعطى يوم حنين مائة من الابل فاحذر ان يتصحف عليك كما توهم الحلبي ثم حديثه هذا رواه ابن اسحق والبيهقي عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما (انه قال لقريش) أي لاكابرهم (قد كان محمد فيكم غلاما حدثا) بفتحتين أي من حال صغره قبل آوان كبره والانسب أن يراد به ههنا ماقيل من ان الغلام هو الصغير الى حد الالتحاء (أرضاكم فيكم) الظرفان حالان لازمان (وأصدقكم حديثا) أي قولا ووعدا (وأعظمكم أمانة) أي صدقا وديانة وهذه الشهادة لكونها من أهل العداوة حجة لماقيل الفضل ماشهدت به الاعداء (حتى اذا رأيتم في صدغيه) بضم فسكون الشعر المتدلي على مابين الاذن والعين (الشيب) أي بياض الشعر عليهم

صلى الله عليه وسلم انى مغلوب على مملكتي وكتب الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انى مسلم وبعث له دنانير فقال كذب عدو الله لانه علم انه ليس قوله عن صميم قلبه ولو سلم فنداؤه بانه راض بدينه ردة فلذا قالوا ان القول باسلامه بناء على ظاهر قوله واه كيف وقد قاتل المسلمين يوم موته وواعدهم ان يأتيهم في العام المقبل ونزل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لاجله الى تبوك فلم يجئ وأخذت منه البلاد وهلك سنة عشرين بالقسطنطينية على نصرانيته وقوله (فقال) أي هرقل لابي سفيان (هل كنتم تتهمونه بالكذب) أي هل وقع في قلوبكم انه صدر منه كذب في أقواله قال في الاساس وهمت الشئ أهمه وهما وتوهمته وقع في خلدي وشئ موهوم ومتوهم انتهى وانما سألهم عن توهم الكذب ولم يقل هل علمتم وتحققتم لانه يعلم من انتفاء التوهم انتفاء غيره بالطريق الاولى (قبل ان يقول ماقال قال لا) فقال هرقل قد عرفت انه لم يكن ليدع الكذب على الناس ويكذب على الله وانما لم يقل انه يكذب لئلا يأثر الناس عليه الكذب وهو عار عند العرب أو يقول مالا يقبل منه ثم قال أبو سفيان ألا أخبرك عنه خبرا كذب فيه قال ماهو قال انه زعم انه خرج في ليلة من الحرم الى مسجد ايليا ثم رجع فيها قبل الصباح وكان عنده بطريق ايليا فقال صدق واني كنت لا أنام حتى أغلق أبواب المسجد فلما كانت تلك الليلة أغلقت أبوابه غير باب منها غلبني فاستعنت بمن حضرني فلم يمكنهم تحريكه وقالوا انه سقط عليه البناء فلما أصبحت غدوت عليه فاذا الحجر الذي في زاويته منقوب فيه أثر ربط دابة فقلت ماحبس هذا الباب الليلة الا على نبي قد صلى في مسجدنا فقال قيصر يامعشر الروم ألم تعلموا ان بعد عيسى عليه الصلاة والسلام نبيا بشركم به وكنا نرجو ان يكون فينا فجعله الله تعالى في غيرنا وهو رحمة من الله يضعها حيث شاء ولم يعتدوا بتصديقه هذا حتى يكون يومنا التبسه بما يخالفه قولا وفعلا قلت وبهذا علم أن مربط البراق بالمسجد الاقصى صحيح وسأل أبا سفيان عنه صلى الله عليه وسلم أسئلة أخرى مذكورة في أول البخاري (وقال النضر) بنون مفتوحة وضاد معجمة ساكنة وراء مهملة (بن الحارث لقريش) في حديث رواه ابن اسحق والبيهقي عن ابن عباس والنضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة بفتح الكاف ابن عبد مناف القرشي وكان شديد الاذية للمسلمين فظفر به النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ببدر فقتله كافرا صبرا كما يأتي فرثته أخته قتيلة بابيات مشهورة أولها

يا راكبا ان الاثيل مظنة * من صبح خامسة وأنت موفق

الخ وقيل انها مصنوعة وقتيلة بالمثناة الفوقية مصغرة اختلف في اسلامها وكونها صحابية (قد كان محمد فيكم غلاما حدثا) بفتحتين قال الجوهري حدث شاب فان ذكرت السن قلت حديث السن من الحدوث لقرب عهده بالوجود والغلام الذي لم يلتح (أرضاكم فيكم) أي أكثركم رضا وصبرا وأفعالا مرضية (وأصدقكم حديثا وأعظمكم امانة) منصوب هو وماقبله على التمييز وهذه شهادة العدو فما بالك بغيره (حتى اذا رأيتم في صدغيه الشيب) الصدغ مابين لحظ العين والاذن والشعر الذي فيه من أعلى العذار وجانب الرأس كثيرا مايبدو الشيب فيه قبل غيره فكنى بذلك من انه تمت رجوليته وكمل عقله صلى الله تعالى عليه وسلم بمجاوزته سن الشباب وهذا أشد في الانكار

عليهم (وجاءكم بما جاءكم به قلتم ساحر) أى قلتم انه ساحر فهو خبر مبتدأ مقدر أى هو ساحر بدليل قوله (لا والله ماهو بساحر) وهذا منه غاية الانصاف ولكن غلب عليه الشقاء فقتل صبرا بالصفراء كافرا فى منصرفه صلى الله تعالى عليه وسلم من بدر كما ذكره الشيخان عن عائشة رضى الله تعالى عنها وهذا الحديث رواه ابن اسحق والبيهقى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما والذى قال انه ساحر الوليد بن المغيرة وسبب قول النضر المذكور ان أبا جهل لما أراد ان يرضخ رأس رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بحجر فتمثل له جبريل عليه الصلاة والسلام فى صورة فحل ففر هاربا ويبست يده على الحجر كما سيأتى فلما سمع ذلك النضر قال يا معشر قريش والله قد نزل فيكم أمر ما أتيتم فيه بحيلة بعد قد كان فيكم محمد الى قوله ماهو بساحر وقد رأينا السحرة نفثهم وعقدهم وقلتم انه كاهن والله ماهو بكاهن وقد رأينا الكهنة وسمعنا سجعهم وقلتم شاعر والله ماهو بشاعر وقد رأينا الشعر وسمعنا أصنافه هزجه ورجزه وقلتم مجنون لا والله ماهو بمجنون فما هو بخنقة ولا تخليط ولا وسوسة فانظروا فى شأنكم فانه والله قد نزل بكم أمر عظيم والنضر بن الحارث كان من شياطين قريش وهو الذى جاء بقصة رستم واسفنديار وكان يجلس يحدث بها ويقول ماجاء به محمد ليس باحسن مما جئت به ان هو الا أساطير الاولين فنزل فيه واذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الاولين فى آيات أخر (وفى الحديث عنه صلى الله تعالى عليه وسلم ما لمست يده يد امرأة قط لا يملك رقها) وهذا من عفته صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا الحديث رواه الشيخان عن عائشة رضى الله تعالى عنها وسكت عن زوجاته لان جواز مسهن معلوم وانما يحرم مس الاجنبية التى ليست بمحرم فيعلم ذلك من الرقيق بالاولى وقيل انه داخل فى ملك الرق لتملكه البضع وقد سمى بذلك فى قول أسماء رضى الله تعالى عنها التزويج رق المرأة فلينظر أين يضع رقها ولا ينافى هذا مامر من ان الامة من أماء المدينة كانت تأخذ بيده صلى الله تعالى عليه وسلم فلا تدع يده من يدها حتى يقضى حاجتها لانه كان بحائل من كمه أو كمها وكلام عائشة رضى الله تعالى عنها هذا ورد فى مبايعته صلى الله تعالى عليه وسلم للنساء فان بعضهم توهم انها كمبايعة الرجال باليد من غير حائل فقالت رضى الله تعالى عنها انما كان يقول لمن هاجر من المؤمنات ما أمره الله تعالى به فى قوله يا أيها النبى اذا جاءك المؤمنات يبايعنك الى قوله غفور رحيم فبايعهن على ذلك فمن أقر به قال قد بايعتك كلاما من غير مس لايديهن وما ورد فى المبايعة من امساك أيديهن فان كان مدا من غير مصافحة فيها والا فهو بحائل لانه ورد انه صلى الله تعالى عليه وسلم أتى بثوب وضعه على يده وقال لا أصافح النساء وروى انهن كن يأخذن بيده من فوق ثوب وفى المغازى عن أبان بن صالح انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان فى المبايعة يغمس يده فى ماء فى اناء وتغمس من بايعته يدها فيه وقيل انه صلى الله تعالى عليه وسلم بايع النساء بواسطة عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وكلام عائشة رضى الله تعالى عنها يقتضى انه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يبايعهن الا بالكلام فلعله تعدد (وفى حديث على رضى الله تعالى عنه فى وصفه صلى تعالى الله عليه وسلم أصدق الناس لهجة) رواه الترمذى فى شمائله وتقدم بيانه لعصمته صلى الله تعالى عليه وسلم عن الكذب ولو سهوا لمنافاته للابلاغ ووجوب تصديقه فى كل ما يقول كما سيأتى (وقال فى الصحيح) أى فى الحديث الصحيح أو فى صحيح البخارى لانه حيث أطلق الصحيح انصرف اليه وهذا أولى (ويحك فمن يعدل ان لم أعدل خبت وخسرت ان لم أعدل) وتقدم ضبطه على الخطاب والتكلم والكلام عليه الا ان الذى فى البخارى فى باب الادب ويلك بدل ويحك وقد فرق بينهما بما يقال ويل كلمة زجر وتوبيخ وويح كلمة ترحم وويس ترحم دون ترحمها وهو معنى قول الاصمعى انها تصغيرها وقيل أصل ويل وى زيدت فيها اللام وقد تقدم انه صلى الله تعالى عليه وسلم قاله لمن قال له ليست

(وجاءكم بما جاءكم) أى بما أظهر لكم من الحق وكلام الصدق (قلتم) أى فى حقه (انه ساحر) فى غيبته وحضوره (لا والله ماهو بساحر) الجملة القسمية مؤكدة لما يفهم من الجملة المقدرة المنفية بلا النافية (وفى الحديث) وفى نسخة عنه أى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم على ما رواه الشيخان عن عائشة رضى الله تعالى عنها (ما لمست) بفتح الميم (يده يد امرأة قط لا يملك رقها) بكسر راء وتشديد قاف أى لا يملكها نكاحا أو ملكا فقد قال لاسماء التزويج رق المرأة فلتنظر أين تضع رقها وأما ما فى البخارى أتت امرأة تبايع فقبض يدها فمحمول على المحرم أو من فوق الثوب (وفى حديث على) أى ابن أبى طالب كرم الله وجهه (فى وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم أصدق الناس لهجة) أى لسانا وبيانا وقد تقدم (وقال) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (فى الصحيح) أى فى الحديث الذى صح عنه وقد تقدم ذكره (ويحك فمن يعدل) بالرفع (ان لم أعدل خبت وخسرت) بالتكلم أو الخطاب لرئيس الخوارج (ان لم أعدل

وقالت عائشة رضي الله تعالى عنها) أي على ما سبق من رواية الترمذي وغيره عنها (ما خير رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في أمرين) وزيد في نسخة قط (الا اختار أيسرهما ما لم يكن اثما فان كان اثما كان أبعد الناس منه) سبق حل مبناه وبيان معناه (قال أبو العباس) أي البصري (المبرد) بفتح الراء المشددة وكان اماما في النحو واللغة مات ببغداد ودفن بمقابر باب الكوفة (قسم) بتخفيف السين أولى من تشديدها وان اقتصر الانطاكي على الثاني (كسرى) بكسر الكاف وفتح الراء مقصورا اسم لكل من ملك الفرس الخاص واسمه برويز (أيامه) أي زمان دولته واوان مملكته (فقال) أي كسرى في قسمته وقته (يصلح يوم الريح للنوم) المبني على السكون لكون الوقت غير قابل للحركة من القيام للخدمة ولا للقعود في الصحبة (ويوم الغيم للصيد) لعدم التأذي بشدة الحرارة التي تقتضيها كثرة حركة المعالجة (ويوم المطر للشرب واللهو) لعدم امكان الخروج (ويوم الشمس لقضاء الحوائج) جمع حاجة على خلاف القياس أي لحوائج الخلق والنظر الى مهماتهم بالعدل وفق الصدق (وقال ابن خالويه) بفتح اللام والواو وسكون التحتية وكسر هاء ويقال بضم لام وسكون واو وفتح تحتية فهاء تقلب هاء وقفا نحوي لغوي أصله من همدان بفتح الميم والدال المعجمة دخل بغداد وأدرك أجلة العلماء مثل ابن الانباري وابن مجاهد المقري وتوفي بحلب سنة سبعين وثلثمائة وله تصانيف كثيرة (ما كان أعرفهم بسياسة دنياهم) كذا في النسخ بثبوت ما قيل كان والظاهر زيادتها ويمكن جعلها موصولة أو موصوفة أو كان زائدة وما تعجبية وحاصله انه انما كان أعرفهم بسياسة دنياهم ولم يكن يعرف ما يتعلق بالآخرة من مراتب عبادة مولاهم ولذلك استشهد بقوله تعالى

وقول

قسمتك بعدل وانه اختلف في اسمه وانه عبد الله بن ذي الخويصرة التميمي أو حرقوص بن زهير الخارجي أو ذو الثدية وقدم الكلام فيه مفصلا فتذكره (قالت عائشة رضي الله تعالى عنها ما خير رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في أمرين الا اختار أيسرهما ما لم يكن اثما فان كان اثما كان أبعد الناس منه) أعاد المصنف هذا الحديث وقد تقدم بعينه لما فيه من عدالته صلى الله تعالى عليه وسلم وعفته فلا وجه للاعتراض عليه والامران من أمور الدنيا والمخيران كان الناس فلا اشكال فيه وان كان الله تعالى وهو الظاهر فالمراد بالاثم ما يؤدي الى وقوع أمته فيه لان الله تعالى لا يخيره صلى الله تعالى عليه وسلم بين اثم وغيره كاختياره الرزق الكفاف على فتح الكنوز له ولامته فان الدنيا تشغلهم عن العبادة وتوقعهم في المهالك وقد تقدم تفصيله (قال أبو العباس المبرد) وهو محمد بن يزيد بن عبد الاكبر امام العربية وترجمته مشهورة في التواريخ وما نقله المصنف هنا عنه انما ذكره ليعلم بذلك جلالة قدره صلى الله تعالى عليه وسلم ومباينة حاله لحال أهل الدنيا وما هم عليه من اللهو فلا يرد عليه ما قيل انه لا فائدة فيه (قسم كسرى أيامه) بكسر الكاف وقد تفتح وهو كما تقدم اسم لكل من ملك الفرس معرب خسرو والا انه لقب كسرى أنوشروان الذي ولد في زمنه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لانه أشهرهم وأعظمهم (فقال يصلح يوم الريح للنوم) والتغطي حتى يسلم من مس الريح الشديد المصدع (ويوم الغيم للصيد) الذي كان يتقيد به الملوك لعدم أذية الشمس وحرها ويقال له يوم فاختي وسبيل (ويوم المطر للشرب واللهو) لقلة المصالح فيه والسلامة من البلل والنظافة من الوحول والمراد باللهو سماع الغناء ومنادمة الندماء (ويوم الشمس للحوائج) وروي يوم الصحو أي خلو الجو من المطر والغيم والمراد بالحوائج مصالح الناس وهو جمع حاجة على خلاف القياس أو جمع حائجة وأنكره بعض أهل اللغة وقد رده الجواليقي بانه ورد في كلام الفصحاء كثيرا وفي الحديث أطلبوا الحوائج عند حسان الوجوه فلا وجه لانكاره كما فصلناه في شرح الدرة وانما اختير ذلك اليوم للحوائج لعدم المانع فيه وما اشتهر من أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال ولدت في زمن الملك العادل كسرى قد قال الحافظ السخاوي والسمعاني انه لا أصل له فهو موضوع ولو صح لم يكن في وصفه بالعادل باس كما توهم فانه كان لا يجور على أحد من رعيته ولا يظلمهم في حقوق الدنيا فعدله بالنسبة لذلك لا ينافي كفره وظلمه لنفسه لجهله ومحبته للدنيا وقيل انه وصف بذلك لشهرته به ادعاء منهم لا انه شهد له بالعدالة الحقيقية وذكر قصته توطئة لقوله (قال ابن خالويه) بفتح اللام والواو وسكون المثناة التحتية والمحدثون يضمون اللام مع سكون الواو وفتح الياء وهو الحسين بن محمد بن خالويه النحوي اللغوي الاديب الهمداني دخل بغداد ثم انتقل للشام وصحب سيف الدولة لتأديب أولاده وأخذ العربية عن أبي بكر بن الانباري والسيرافي وتصدر للافادة وله تآليف جليلة وشعر حسن ومات بحلب سنة سبعين وثلثمائة (ما كان أعرفهم) أي الفرس الدال عليهم ذكر كسرى (بسياسة دنياهم) أي تدبير أمورها لان هذا معنى السياسة لغة قال

فبينا نسوس الناس والامر أمرنا * اذا نحن فيهم سوقة نتنصف

(يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون) وحاصله انه ليس في تقسيمه كبير منفعة بخلاف تجزية صاحب النبوة ولهذا استدركه بقوله (ولكن) بالتخفيف أولى (نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم) على ما رواه الترمذي وغيره عنه (جزأ) بتشديد الزاي فهمز أي قسم (نهاره) أي ساعات يومه (ثلاثة اجزاء) أي اقسام (جزأ) بالنصب ويجوز بالرفع وقد تضم زايه (لله) تقديما لرضاه وقياما بالاشتغال بذكره عما سواه (وجزأ) بالوجهين (لاهله) ايثارا لهم على حقه (وجزأ لنفسه) لحديث ان لنفسك عليك حقا ثم لعل هذا الجزء الاول من الصبح الى الظهر والثاني الى العصر والثالث المغرب والمعنى حصته لنفسه لا دخل فيها لغيره من الاهل خاصة دون العامة لقوله (ثم جزأ جزءه بينه وبين الناس) أي عموما بحسب حاجاتهم والحاصل انه جعل ذلك الوقت أيضا وقتا للحق لنفعه بنفسه عموم الخلق فان كان أحد منهم احتاج اليه وحضر لديه أقبل عليه وأفاده بالفوائد الدينية والدنيوية والعوائد الحسية والمعنوية النافعة في الدرجات الاخروية والا فاشتغل بمراعاة نفسه خاصة لفراغه من الواجبات المفروضة عليه من جهة حق الله تعالى وحقوق الاهل بحسب تقديم الاهم فالاهم والله تعالى أعلم (فكان) أي من عادته في جزء خاصة نفسه (يستعين بالخاصة) أي من أرباب صحبته وأصحاب خدمته (على العامة) أي قضاء حاجتهم والمجاهدة في منفعتهم لقوله تعالى وتعاونوا على البر والتقوى ولقوله عليه الصلاة والسلام الخلق كلهم عيال الله وأحبهم الى الله أنفعهم لعياله كما رواه الطبراني عن ابن مسعود والمعنى يأمر الخاصة بتبليغ العامة أليس كل انسان يتوصل الى ذلك (ويقول ابلغوا) أي وكان يقول لهم أوصلوا الى (حاجة من لا يستطيع ابلاغي) أي ابلاغ حاجته لي (فانه) أي الشان (من ابلغ حاجة من لا يستطيع) أي ابلاغها كما في نسخة صحيحة (آمنه الله) بهمزة ممدودة أي جعله في أمن من الضرر (يوم الفزع الاكبر) وهو وقت النفخة الثانية أو حالة الانصراف الى العقوبة والحديث رواه الطبراني في الكبير بسند حسن عن أبي الدرداء ولفظه ثبت الله قدميه على الصراط يوم القيامة وكذا لفظ الترمذي في الشمائل برواية الحسن عن أخيه الحسين بن علي رضي الله تعالى عنهم (وعن الحسن) أي البصري على ما رواه أبو داود في مراسيله (كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا يؤاخذ أحدا) أي لا يؤاخذه ولا يجازيه (بقرف أحد) بفتح قاف وسكون راء أي بذنبه وكسبه ومنه قوله تعالى ومن يقترف أو بظن أحد ورميه وفي نسخة بقذف أحد بسكون الذال المعجمة من قذفه بالمكروه أي نسبه اليه

وقول ابن كمال في رسالة التعريف انه معرب خطأ كما تقدم (يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون) يعني انهم عرفوا أمر شربهم وأكلهم وحركتهم وتقيدوا بذلك وغفلوا عن المعاد وما يليق به وهذا مراده فيما اقتبسه كما قال الشاعر

ومن البلية ان ترى لك صاحبا * في صورة الرجل السميع المبصر
فطن لكل مصيبة في ماله * واذا أصاب بدينه لم يشعر

ويقرب ما قاله المفسرون نقلا عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انهم يعلمون أمر معايشهم ودنياهم متى يزرعون ومتى يحصدون وكيف يعرشون ويبنون (ولكن نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم جزأ نهاره ثلاثة أجزاء) يعني انهم قسموا أيامهم لما ذكروا والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم قسم أوقاته وهو أكثر حزما لعدم ضياع جزء وقت من عمره فيما لا يعنيه وشتان بين القسمين والمقسمين وفي نسخة لكن بدون واو (جزأ لله) أي لعبادة الله وتلقي وحيه (وجزأ لاهله) أي لمصالح أهله وبيته (وجزأ لنفسه) مخصوصا بها كله وشربه ونحو ذلك من أموره الدنيوية وجزأ في المواضع الثلاثة يجوز نصبه ورفعه وكذا روي (ثم جزأ جزءه بينه وبين الناس) أي جعله قسمين قسما لخاصة نفسه وقسم الخاص به قسم له في نفسه وقسم ينظر فيه أمور الناس وحوائجهم (فكان) صلى الله تعالى عليه وسلم (يستعين بالخاصة) من أصحابه وهم خلفاؤه ووزراؤه رضي الله تعالى عنهم ومن يقرب منهم (على العامة) من المسلمين (ويقول) للخاصة (ابلغوا حاجة من لا يستطيع ابلاغي) أي أخبروني وقولوا الي ما يطلبه العوام ممن لا يقدر ان يبلغني حاجته اما لعدم الجراءة على كلامه لمهابته صلى الله تعالى عليه وسلم أو لعجزه عن الوصول الي ثم رغب في ذلك بقوله (فانه من أبلغ حاجة من لا يستطيع ابلاغها آمنه الله يوم الفزع الاكبر) وهو يوم البعث والحشر وحيث يكون الناس كلهم في فزع أي خوف من العذاب وقيل هو يوم النفخة أو يوم الانصراف الى النار وهذا من حديث هند بن أبي هالة وآمنه بالمد بمعنى جعله في امن من أهوال القيامة (وعن الحسن) بن علي رضي الله عنهما كما رواه أبو داود في مراسيله (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يأخذ أحدا بقرف أحد) الاخذ مجاز عن العقوبة من أخذ السلطان اذا حبسه وجازاه على ما صدر منه والقرف بفتح القاف وسكون الراء المهملة والفاء التهمة واسناد الذنب لغيره وقال البرهان الحلبي يقال قرفت الرجل أي عبته واتهمته فهو مقروف وفي نسخة بقذف بذال

(ولا يصدق أحدا على أحد) أي ولا يقبل كلام أحد في حق أحد سواء ترتبت عليه المؤاخذة أم لا فهو تعميم بعد تخصيص (وذكر أبو جعفر) وهو محمد بن جرير (الطبري) بفتحتين نسبة الى طبرية وكذا رواه ابن راهويه في مسنده والبيهقي في دلائله عن علي كرم الله وجهه (عنه عليه الصلاة والسلام ماهممت بشئ) أي ماقصدت عملا (مما كان أهل الجاهلية يعملون به) وانما أعاد المصنف هذا الحديث ههنا مع تقدمه لافادة زيادة قوله (غير مرتين كل ذلك) ضبط بالرفع والنصب وهو أظهر أي في جميع ماذكر من الكرتين (يحول الله) أي يصير بحوله حائلا ومانعا (بيني وبين ما أريد من ذلك) أي عمل أهل الجاهلية وهذا معنى قوله تعالى واعلموا ان

معجمة بدل الراء وكتب عليها صح (ولا يصدق أحدا على أحد) أي لا يحكم بصدق مقالة صدرت من أحد في حق أحد غيره باسناده اليه أمرا يقتضي عقوبة أو حقا من الحقوق بمجرد قوله من غير اثبات لمقاله وهذا من عدله صلى الله تعالى عليه وسلم ولكن هذا ليس على عمومه فانه ربما كان المخبر ممن يعلم صدقه ويعتمد على خبره وينكشف بنور النبوة جلية الحال له (وذكر أبو جعفر الطبري) هو الامام محمد بن جرير الطبري المشهور وقد تقدمت ترجمته وهذا الحديث رواه البزار الى قوله برسالته الآتي (عن علي) كرم الله وجهه (عنه صلى الله عليه وسلم ماهممت بشئ) وقد تقدم هذا الحديث والكلام فيه وانما أعاده المصنف لغرض آخر وهو بيان عفته صلى الله تعالى عليه وسلم عن اللهو وان الله عصمه عن ذلك من أول أمره وقيل انما أعاده لزيادة فيه لم تذكر أولا وهي قوله غير مرتين الى آخره (مما كان أهل الجاهلية يعملون به) كما تقدم بيانه (غير مرتين كل ذلك يحول الله بيني وبين ما أريد من ذلك) استعار الحائل الحاجز بين شئ وشئ للمانع كما في قوله تعالى يحول بين المرء وقلبه قال أبو عبيد أي يملك عليه قلبه فيصرفه كيف يشاء وذلك الثاني اشارة لما كان عليه أهل الجاهلية والمعنى انه عصمه صلى الله تعالى عليه وسلم عنه (ثم ماهممت بسوء) أي صرف الله قلبي عن ان يهم بسوء أي بقبيح شرعا كاللهو (حتى أكرمني الله برسالته) أي حتى من الله علي بالبعثة وجعلني نبيا رسولا ثم بين ماهم به في المرتين فقال صلى الله تعالى عليه وسلم (قلت لغلام كان يرعى معي) يعني انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يرعى غنما لبعض قريش في صغره وهكذا كان الانبياء عليهم الصلاة والسلام يرعون لغيرهم أيضا والغلام كان أجيرا أيضا يرعى معه ويرافقه في البادية وفي هذا تحصيل كسب حلال وتدريب لرعاية الخلق كما ورد كلكم راع وكلكم مسؤل عن رعيته مع مافيه من الانس بالوحدة والخلوة وفي الحديث مامن نبي الا رعى الغنم قيل ولا أنت يارسول الله قال نعم كنت أرعاها على قراريط بمكة وقيل حكمته ان الغنم جاهلة صعبة السياسة فكان ذلك ليأنس بسياسة الخلق والقراريط جمع قيراط وهو سدس درهم وقيل انه اسم جبل بمكة وأنكروه لانه لم يسمع به ثمة وفي الحديث ستفتح عليكم مصر فاستوصوا باهلها خيرا الحديث والقيراط فيه قيل انه بهذا المعنى وقيل انه نساب بينهم وقيل غير ذلك وعندي انه بمعنى مقدار الارض المعروف بينهم في المساحة لانه مخصوص بها واما غيره فلا اختصاص له بها وفي هذا معجزة له صلى الله تعالى عليه وسلم لاخباره بالغيب وقوله (لو أبصرت لي غنمي) أي لو حرستها وحفظتها لان البصر والنظر يستعار لذلك (حتى أدخل مكة فاسمر بها) سمر يسمر كقتل يقتل والسمر التحدث بالليل واصل معناه ضوء القمر من السمرة وهي السواد القليل فسمي به حديثهم ليلا لجلوسهم له فيه قال

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا * أنيس ولم يسمر بمكة سامر

(كما يسمر الشباب) والشباب بفتح الشين مصدر شب بمعنى صار شابا واسم جمع له كالعقود والشاب حديث السن

الله يحول بين المرء وقلبه أي يحجز ويمنع وقال أبو عبيد يملك عليه قلبه فيصرفه كيف شاء (ثم) أي بعد ماهممت بهما (ماهممت بسوء) أي أبدا بتوفيقه وعصمته (حتى أكرمني الله برسالته) ومن المعلوم ان بعد تحقق نبوته لم يتصور وجود مخالفته ثم بين المرتين من الحالتين المذكورتين بقوله (قلت ليلة لغلام) أي لفتى أو مملوك (كان يرعى معي) أي غنمي أو غنم غيري وهو الاظهر لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم مامن نبي الا وقد رعاها يعني الغنم قيل ولا أنت يارسول الله قال نعم كنت أرعاها على قراريط لاهل مكة ولعل الحكمة ان يتمرن على سياسة الرعية على سبيل الشفقة والرحمة ولا يبعد ان تكون الغنم له أو لغيره لكن كانت في عهدته بقوله (لو أبصرت الي غنمي) أي تعهدت والتمست منك ان راعيت حفظ مايتعلق بي (حتى أدخل مكة فاسمر بها) بفتح الهمزة وضم الميم أي أحادث ليلا مطلقا أو ليلا مقمرا والسمر في أصله ضوء القمر وجعل الحديث فيه سمرا ومنه قوله تعالى مستكبرين به سامرا تهجرون كانوا يجتمعون حول البيت بالليل وكانت عامة سمرهم ذكر القرآن وتسميتهم اياه سمرا فلذا ذمهم الله بقوله تهجرون (كما يسمر الشاب) أريد به الجنس ووقع في أصل الدلجي بلفظ الشاب والمعنى فاسمر سمرا مشابها لسمرهم في مشاهدة فرحهم حال سهرهم ورقادهم في سحرهم لغاية سكرهم وكثرة تكرهم وقلة فكرهم

(فخرجت لذلك) أي لقصد السمر (حتى جئت أول دار من مكة) أي مما فيها الآلات لذات الشهوة (سمعت عزفا) بفتح مهملة
فسكون زاي ففاء أي لعبا بالمعازف وهي الملاهي أو صوتا حسنا وغناء في الطباع مستحسنا مختلطا (بالدفوف والمزامير)

السن كالفتى (فخرجت) من البادية التي فيها الغنم (لذلك حتى جئت أول دار من مكة) غاية لمجيئه من المرعى (سمعت فيها عزفا) بعين مهملة وزاي معجمة وفاء بزنة ضرب وهو ما يلهى به الانسان وفي مختصر العين العزف اللعب بالمعازف وهي الملاهي وواحدها عزف على خلاف القياس أو معزف والمعزف الطنبور أو الدف وقيل كل لعب عزف (بالدفوف) جمع دف بضم أوله وفتحه وتشديد الفاء وهو الذي يضرب به النساء وهو معروف ويسمى عند العامة دراجا وطارا وفيه شبه الجلاجل قال

كأن في الدف الذي بفصله * زمار دف يتغنى جلجله

واختلف فيه فجوزه بعض الشافعية وكرهه مالك (والمزامير لعرس بعضهم فجلست أنظر) ما يلعبون به والذين يلعبون (فضرب على أذني فنمت) بكسر النون وأذن بضمتين وضم فسكون تخفيفا وضرب الله على أذنه انامه بغشاء النوم وأصله منع السمع لان من نام لا يسمع وهو مستعار من ضرب الخيمة العظيمة المغطية لمن تحتها فكأن آذانهم تحت غطاء محجوبة عن السمع قال الراغب ضربت عليهم الذلة التحفتهم التحاف الخيمة لمن ضربت عليه ومنه استعير فضربنا على آذانهم في الكهف وفيه لطف هنا لانه ذهب ليسمع ضرب الدف فضرب على أذنه صيانة من الله له صلى الله تعالى عليه وسلم (فما أيقظني الامس الشمس) أي مس حرها فكأنها مسته حتى حركته وجسته حتى نبهته ففيه استعارة ولطف كما في قول ابن المعتز

والريح تجذب أطراف الغصون كما * أفضى الشقيق الى تنبيه وسنان

وكما قيل نمت تحت أذيال النسيم حتى * ألقت على الشمس رداءها

(فرجعت) من المكان الذي ضرب فيه الدفوف (ولم أقض شيأ) من قضى وطره اذا كان ما يريده يعني انه صلى الله تعالى عليه وسلم جلس بمحل تعاطيهم اللهو فغلبه النوم حتى لم يسمع شيأ من ذلك لعصمة الله له صلى الله تعالى عليه وسلم ومجرد همه بذلك وارادته لا حرج فيه والفاء شاهد بعدم سماعه على انه لم يكن حرم عليه شئ من ذلك وكونه محرما في شرع من قبلنا وهو صلى الله تعالى عليه وسلم متشرع به غير مسلم * واعلم ان المعازف حرام في ملتنا للنهي عنها في الاحاديث المشهورة كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم ليكونن في أمتي أقوام يستحلون الخمر والمعازف واختلف في بعضها فمنهم من جوز الدف في العرس ومنهم من جوز ضرب العود لتسلية الاحزان كالماوردي وكان الاستاذ الشيخ محمد البكري رحمه الله تعالى ونفعنا به يقول عطروا مجلسنا بالعود الماوردي لكنه قول ضعيف وفي منظومة الدميري رحمه الله تعالى

ونغمات العود في الاحيان * قالوا تزيل أثر الاحزان
فاجزم على التحريم أي جزم * والحزم أن لا تتبع ابن حزم
فقد أبيحت عنده الاوتار * والعود والطنبور والمزمار

(ثم عراني) أي طرأ علي وعرض لي وغشيني (مرة أخرى) في وقت آخر (مثل ذلك) من الهم بالسماع والذهاب له (ثم لم أهم) قال الشمني هو بضم الهاء وعليه اقتصر الجوهري رحمه الله تعالى (بعد ذلك بسوء) أي بما فيه اثم فسماه سوء لانه يكرهه ويؤلمه

(فصل وأما وقاره صلى الله عليه وسلم) أي سكونه وطمأنينته ورزانته يقال وقر يقر وقرا ووقارا وفسروه هنا بالحلم وهو غير مناسب هنا كما لا يخفى ويجيء الوقار بمعنى العظمة كما في قوله تعالى ما لكم لا ترجون لله

أو بسبب ضرب الدفوف وأصوات الملاهي كالعود والطنبور ونحوها (لعرس بعضهم فجلست) أي خارج الباب أو داخله أو بعد الاذن و بعد رفع الحجاب (أنظر) أي حال كوني أنظر اليهم وتسمع لهوهم أو من أجل أن أنظر اليهم وتسمع لديهم (فضرب) بصيغة المجهول (على أذني) بضم الذال وتسكن وبفتح النون وتشديد ياء المتكلم أو بكسر النون وتخفيف ياء الاضافة على ارادة الجنس أي أنامني الله انامة ثقيلة لا يغنيني عن النوم اضطراب أصوات ولا كثرة حركات ومنه قوله تعالى فضربنا على آذانهم أي أنمناهم (فنمت) بكسر النون (فما أيقظني الامس الشمس) أي اصابة حرها على بدني (فرجعت ولم أقض شيأ) أي مما قصدت من المعصية وارتكاب السيئة ولعل سماع المزامير كان مباحا في الشرائع المتقدمة (ثم عراني) أي أصابني (مرة أخرى مثل ذلك) أي مما هممت به في المرة الاولى فعصمني منها المولى

(ثم لم أهم) بضم هاء وتشديد ميم مفتوحة ويجوز ضمها أو كسرها أي لم أقصد (بعد ذلك) أي ماذكر من المرتين (بسوء) أي بهم سوء قط وهو بضم السين و بفتح (فصل) (وأما وقاره صلى الله تعالى عليه وسلم) بفتح الواو أي رزانته وصيانته وحلمه وتحمله

(وصمته) أى سكوته وسكونه وطمانينته وسكينته (وتؤدته) بضم ففتح همز ويبدل أى

وقاراو أصله من الوقر وهو الثقل (وصمته) أى سكوته وهو من الوقار (وتؤدته) بضم التاء الفوقية وفتح الهمزة والدال المهملة وهى التانى يقال اتأد فى فعله اذا تانى ولم يعجل وتاؤه منقلبة عن واو (وحسن هديه) بوزن ضربه بمعنى سيرته وطريقته وسمته وسلوكه (فحدثنا أبو على الجيانى) بالجيم وتقدم ضبطه وترجمته (الحافظ اجازة) قال ابن فارس فى مجمله وهى من جواز الماء الذى تسقاه الماشية يقال منه استجزت فلانا فاجازنى اذا سقاك الماء لارضك وماشيتك قال القطامى وقالوا فلان قيم الماء فاستجز عبادة ان المستجير على قتر أى على ناحية وجزت الموضع سرت فيه وأجزته خلفته وقطعته وأجزته بعدته قال امرئ القيس

ولما أجزنا ساحة الحى وانتحى * بنا بطن خبت ذى قفاف عقنقل

وقوله حتى يقال أجيزوا آل صوفا يمدحهم بأنهم مجيزون الحاج انتهى قال ابن الصلاح قلت فللمجيز على هذا أن يقول أجزت فلانا مسموعاتى أو مروياتى فيعديه بغير حرف جر من غير حاجة الى ذكر الرواية أو نحو ذلك ويحتاج الى ذلك من يجعل الاجازة بمعنى التسويغ والاذن والاباحة وذلك هو المعروف فيقول أجزت لفلان رواية مسموعاتى مثلا ومن يقول منهم أجزت له مسموعاتى فعلى سبيل الحذف الذى لا يخفى نظيره انتهى * أقول اعلم أن الاصل الاجازة فى كلام العرب قديما كما ذكره أهل اللغة الاذن فى الانصراف ولما كان من ياخذ عن شيخه ينصرف عنه أخذت منه كما يقتضيه الاستعمال وكلام أهل اللغة قاطبة لانها من مجاز المكان اذا تجاوزه ومر عليه ثم عدى بالهمزة للمفعول الثانى وقد يقتصر على أحد مفعوليه لانه من باب كسا ومعنى أجازه أذن له فى الجواز والمرور ثم استعمل فى مطلق الاذن وشاع حتى صار حقيقة فيه فمعنى أجازه الشيخ أذنه فى الرواية عنه وهذه لفظة قديمة كما سمعته وكذا الجائزة بمعنى العطية ليست محدثة كما قاله الحافظ ابن حجر رحمه الله الا انه يحتمل انها من هذا لان المعطى كانه ياذن لمن أعطاه فى الانصراف عنه ولا تختص بالماء كما توهمه كلام المجمل المتقدم وهو الذى عزا ابن الصلاح فقوله ماخوذة من جواز الماء لا وجه له بل من أجازه اذا جعله جائزا ثم نقل لمعنى أذن له وكذا قوله وقد تبين انه يتجوز به عن معنى لفظ آخر وبينهما مخالفة فى التعدية فتجوز حمله على حقيقته وعلى مجازه فللث حينئذ أن تعديه لمفعولين ولك أن تعديه لواحد بحرف وبدونه فيعمل عمل اذن وأجاز من غير تكلف (وعارضت بكتابه) أى قابلت نسختى بنسخته حال القراءة لانه يقال عارضه اذا قابله والكلام على هذا مبين فى مصطلح الحديث فالمعنى انه حدثه به قراءة منه وهو مقابل له وفى يده كتابه (قال حدثنا أبو العباس الدلائى) بكسر الدال المهملة مشددة وتخفيف اللام المفتوحة ثم ألف ممدودة وياء مشددة نسبة الى دلاء جمع دلو وقال البرهان الحلبى ان لامه مشددة ووجد فى بعض النسخ مضموم الهمزة والظاهر انها مكسورة بعدها ياء نسبة انتهى والظاهر انه مفتوح الدال وهو صانع الدلو وهو أبو العباس أحمد بن أنس العذرى المعروف بابن الدلاء من مدينة بالنسبة قال (أخبرنا أبوذر الهروى) تقدمت ترجمته وهو عبد الله بن أحمد بن محمد الهروى قال (أخبرنا أبو عبد الله الوراق) أبو الحسن عبد الله محمد بن على الانطاكى المعروف بابن الغيور الوراق قال (حدثنا اللؤلؤى) أبو على محمد بن أحمد بن عمرو المشهور برواية السنن عن أبى داود قال (حدثنا أبو داود) سليمان بن أشعث صاحب السنن الامام الحافظ المشهور قال (حدثنا عبد الرحمن بن سلام) بفتح السين المهملة وتشديد اللام وهو جد عبد الرحمن نسب اليه وأبوه محمد بن سلام البغدادى الثقة روى عنه أبو داود

ثانيه فى قوله وعمله وتثبته ومهملته بلا عجلة (ومروءته) بضمتين فسكون واو فهمز وتبدل وتدغم فتشدد (وحسن هديه) أى سيرته وطريقته المشتملة على حقائق شريعته ودقائق حقيقته (فحدثنا) كذا بالفاء ههنا على ما فى النسخ المصححة (أبو على الجيانى) بفتح جيم وتشديد تحتية ثم نون وهو الغسانى (الحافظ اجازة) أى نوعا من أنواع الاجازة ومنها المناولة ولو بالمكاتبة (وعارضت) أى قابلت (أصلى بكتابه) أى المروى عن مشايخه (قال ثنا) أى حدثنا (أبو العباس الدلائى) بكسر دال مهملة فلام مشددة وقد تخفف بعدها ألف ممدودة (انا) أى أخبرنا وفى نسخة ثنا (أبوذر الهروى) تقدم ذكره (انا) أى أخبرنا (أبو عبد الله الوراق) بتشديد الراء (ثنا) أى حدثنا (اللؤلؤى) بهمزتين وقد تبدل الاولى (ثنا أبو داود) أى صاحب السنن (ثنا عبد الرحمن) أى ابن محمد (ابن سلام) بتشديد اللام قيل وهو يكتب بهمزة الابن ههنا ايماء لوجود الفاصلة روى عن ابن المبارك وابن فضالة وروى عنه أبو زرعة

والنسائى

(قال حدثنا الحجاج) وفي نسخة صحيحة حجاج (ابن محمد) وهو الاعور المصيصي الحافظ عن ابن جريج وشعبة وعنه أحمد وغيره قال ابن ماجه بلغني أن ابن معين كتب عنه نحوا من خمسين ألف حديث (عن عبد الرحمن بن أبي الزناد) وهو عبد الرحمن بن عبد الله بن ذكوان روى عن أبيه وشرحبيل بن سعد وعنه هناد وعلي بن حجر (عن عمر بن عبد العزيز بن وهيب) بالتصغير وفي نسخة عن وهب وهو تصحيف قال الحلبي هو عمر بن عبد العزيز بن وهيب الانصاري مولى زيد بن ثابت روى عن خارجة بن زيد وعنه عبد الرحمن بن أبي الزناد وأخرج له أبو داود في المراسيل هذا الحديث قال الذهبي في الميزان لا يعرف ١١٧ من ذا (سمعت خارجة بن زيد) أي ابن ثابت الانصاري وهو أحد الفقهاء السبعة بالمدينة المقول فيهم

ألا كل من لا يهتدي بأئمة فقسمته ضيزى عن الحق خارجه
فخذهم عبيد الله عروة قاسم سعيد أبو بكر سليمان خارجه

وكنيته أبو زيد (يقول) أي خارجة وهو تابعي فيكون حديثه هذا مرسلا وهو حجة عند الجمهور (كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أوقر الناس) أي أكثرهم حلما وأعظمهم تحملا في جميع أوقات أنسه لاسيما (في مجلسه) أي المعد لصاحبة جنسه محافظة على رعاية آدابه تعليما لاصحابه وأحبابه وطلبة حديثه وجملة كتابه (لا يكاد يخرج شيا من أطرافه) أي من بزاق فمه أو مخاط أنفه أو قطع ظفره أو قلع وسخه ووقع في أصل الدلجي شئ بالرفع وقال في قوله لا يكاد يخرج مبالغة في لا يخرج أي لا يقرب أن يظهر من تحت ثيابه شئ من أطرافه فضلا عن ان يظهر منها شئ انتهى فتدبر واخترما صفا ودع ما كدر (وروى أبو سعيد الخدري) كما أخرجه عنه أبو داود وكذا الترمذي في شمائله (كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا جلس في المجلس) أي في جنس مجلسه أو مجلسه الخاص فيما بين أصحابه (احتبي بيديه بان جمع بين ظهره وساقيه اما بيديه أو بثوبه كما في رواية والاسم الحبوة بضم الحاء وكسرها والعامة تقول حبية (وكان أكثر جلوسه) أي هيآت جلوسه وحالات قعوده (محتبيا) لكثرة التواضع لديه وعدم التكلف فيما كان سلف العرب عليه ولذا قال أكثر الاوقات اليه وفي الحديث الاحتباء حيطان العرب وأحيانا يقعد على هيئة التحية

والنسائي وقال لا بأس به قال (حدثنا حجاج بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي الزناد) هو الاعور المصيصي الحافظ الثقة أخرج له أصحاب السنن الاربعة قال ابن حزم توفي سنة أربع وستين ومائة (عن عمر بن عبد العزيز بن وهيب) ويقال أهيب بالهمزة وهو بدل قياسي وهو انصاري مولى لزيد بن ثابت وهو يروي عن خارجة وأخرجه أبو داود في المراسيل هذا الحديث وقال الذهبي لا يعرف من هذا كما في الميزان (سمعت خارجة بن زيد) هو خارجة بن زيد بن ثابت الانصاري المدني التابعي أحد فقهاء المدينة السبعة وهم سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير والقاسم بن محمد وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود وخارجة بن زيد وسليمان بن يسار وفي السابع أقوال فقيل هو سالم بن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهم وقيل أبو سلمة بن عبد الرحمن وقيل أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ثم ان الفقهاء بالمدينة وان كانوا كثيرا فانما خص هؤلاء لاجماع الناس على رأيهم وانتهائهم لفتواهم لمعرفتهم بالفضل والصلاح حتى كان لا يقضى في أمر حتى يرفع اليهم وكان الناس يتبركون بهم حتى قيل ان أسماءهم اذا علقت على محموم برئ واذا وضعت في البر لم يدخله سوس ولم يفسد وقد نظمهم القائل في قوله

ألا كل من لا يقتدي بأئمة * فقسمته ضيزى عن الحق خارجه
فخذهم عبيد الله عروة قاسم * سعيد أبو بكر سليمان خارجه

وهذا الحديث من مراسيل أبي داود (يقول كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أوقر الناس في مجلسه) أي أعظمهم وقارا اذا برز للناس وجلس معهم بخلاف ما اذا خلا مع أهله أو مع خاصته فانه ينبسط معهم ويلاطفهم يعني ان هذا كان عادته ودأبه صلى الله تعالى عليه وسلم بحيث لا يصدر عنه خلافه وكان وان كانت بحسب الاصل فعلا ماضيا لكنها قد تستعمل للاستمرار نحو وكان الله غفورا رحيما وللتكرار نحو كان حاتم يقري الضيف لقرينة وهو استعمال شائع والكثرته عده بعض الاصوليين معنى لها ولم يحققه أحد كابن جني في كتاب الخصائص فان أردته فانظره (لا يكاد يخرج شئ من أطرافه) أي أطراف بدنه كرجليه ولا يكاد يخرج فيه مبالغة أي لا يخرج ولا يقرب من الخروج ولذا عدل عن لا يخرج وهو أخصر ويخرج بفتح أوله مضارع خرج يخرج كقتل يقتل وشئ فاعله أو بضمه مضارع أخرج وشيأ مفعول الا ان جل النسخ على الاول (وروى أبو سعيد الخدري) هو سعيد بن مالك بن سنان الخدري رضي الله تعالى عنه وقد تقدم (كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اذا جلس في المجلس احتبي بيديه وكذلك كان أكثر جلوسه صلى الله تعالى عليه وسلم محتبيا) وفي رواية بثوبه بدل بيديه والاحتباء بالحاء المهملة ان يجمع ظهره وساقيه بيديه أو عمامته ونحوه والحبوة بضم الحاء وكسرها ويقال حبية وحبية أيضا ويقال الاحتباء حيطان العرب لانهم أهل برارى لا حيطان لهم يستندون

(وعن جابر بن سمرة) كما روى مسلم وأبو داود (أنه تربع) أي أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان اذا جلس في المجلس تربع أحيانا لقوله (وربما) بالتشديد والتخفيف (جلس القرفصاء) بضم القاف والفاء وروى بكسرهما وبمد وقصر فيهما وعن الفراء اذا ضممت مددت واذا كسرت قصرت ومعناه عن أبي عبيد ان يجلس على اليتيه ملصقا بطنه بفخذيه محتبيا بيديه (وهو) أي جلوسه القرفصاء على ما رواه الترمذي (في حديث قيلة) بفتح قاف فسكون تحتية بنت مخرمة العنبرية وقيل العدوية وقد تقدم (وكان كثير السكوت) لتفكره في مشاهدة الملكوت وتذكره مطالعة الجبروت (لا يتكلم في غير حاجة) أي من قضية ضرورية دينية أو دنيوية أو مسئلة علمية أو عملية لقوله تعالى والذين هم عن اللغو معرضون ولحديث ان من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه

(يعرض عمن تكلم بغير جميل) أي بما لا يستحسن ذكره ولا يباح أمره اذا صدر عمن تكلم بناء على جهله لقوله تعالى وأعرض عن الجاهلين والظاهر ان المراد بالاعراض هو الصفح وعدم الاعتراض فيختص بالمكروهات التنزيهية على مقتضى القواعد الشرعية وأما المحرمات القطعية وكذا المكروهات التحريمية فلابد للشارع من أن يأمر ويزجر قياما بحق النبوة والرسالة وأما قول الدلجي في تفسير غير جميل حراما أو مكروها اذ لا يقر على باطل واعراضه كاف عن انكاره صريحا لاشعاره بعدم رضاه به فهو ليس من الجميل الجميل لان الانكار القلبي لا يكون كافيا الا للعاجز عن انكاره بيده ولسانه وهذا غير متحقق في زمانه لاسيما بالنسبة الى عظمة شانه وان كان زماننا هذا يكتفى فيه بالسكوت وملازمة البيوت والقناعة بالقوت الى أن يموت على محبة الحي الذي لا يموت (وكان ضحكه) بكسر فسكون وروى بفتح فكسر (تبسما) أي من جهة الابتدائية كقوله تعالى فتبسم ضاحكا من قولها أو من طريقة الاغلبية لما في الشمائل للترمذي من حديث عبد الله بن الحارث ما رأيت أحدا أكثر تبسما من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأما القهقهة فمنفية ويمكن حمله على ظاهره من عمومه لما في الشمائل أيضا من حديث جابر بن سمرة وكان لا يضحك الا تبسما لكن الشراح حملوه على غالب حاله وقيل كان لا يضحك في أمر الدنيا الا تبسما اما في أمر الآخرة فكان قد تضحك حتى تبدو نواجذه على ما في الترمذي أيضا وهو توفيق حسن وجمع مستحسن

اليها فالاحتباء قائم مقامها وليس هذا معارضا لما ورد في الحديث من أنه صلى الله تعالى عليه وسلم نهى عن الاحتباء في ثوب واحد اذ النهي فيه لم يرد عن الاحتباء وانما ورد عن كونه في ثوب واحد لانه ربما تحرك فيزول الثوب وتنكشف عورته وأما قوله

واذا احتبى قربوسه بعنانه * علك الشكيم الى انصراف الزائر

فاستعارة ونهى عن الاحتباء يوم الجمعة والخطيب يخطب لانه يؤدي الى النوم وهذا الحديث رواه أبو داود والترمذي في شمائله (وعن جابر بن سمرة رضي الله عنه) رواه مسلم وأبو داود (أنه) صلى الله تعالى عليه وسلم (تربع) أي جلس متربعا وهو ان يقعد الرجل على وركيه ويمد ركبته اليمنى الى جانب يمينه وقدمه اليمنى الى جانب يساره وركبته اليسرى الى جانب يساره وقدمه اليسرى الى جانب يمينه وهذا في خارج الصلاة كما في الحديث كان صلى الله تعالى عليه وسلم اذا صلى الفجر جلس متربعا حتى تطلع الشمس وهو في الصلاة كما صرح به الفقهاء وأما خارجها فلا يكره وقيل انه سنة وقول بعض فقهائنا انها جلسة الجبابرة مع فعله صلى الله تعالى عليه وسلم لها فيه نظر (وربما جلس القرفصاء) بضم القاف والفاء ويجوز كسرهما ويمد ويقصر وهو جلوس على اليتيه كجلوس المحتبي بيديه من غير احتباء كما يدل عليه ما بعده وقال الفراء اذا ضممت مددت واذا كسرت قصرت (وهو) أي جلوسه صلى الله تعالى عليه وسلم القرفصاء ورد (في حديث قيلة) بفتح القاف وسكون المثناة التحتية ولام وهي بنت مخرمة العنبرية كما في المغني وقال الشمني العدوية وقيل العنبرية وهو الصحيح وفي حديثها انها رأت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في المسجد وهو قاعد القرفصاء وفي رواية فلما رأت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم المتخشع في الجلسة أرعدت من الفرق وليس هذا في رواية الترمذي ومسلم التي ذكرها المصنف وفي كلامه اشارة الى انه زيادة عليها والمتخشع ان كان صفة فالرؤية بصرية وان كان مفعولا ثانيا فهي علمية ورعدتها من مهابته صلى الله تعالى عليه وسلم لا من تخشعه (وكان صلى الله تعالى عليه وسلم كثير السكوت لا يتكلم في غير حاجة) تدعوه للكلام ولم يكن يسرد الحديث بعجلة ليفهم عنه وهذا روى عن عائشة رضي الله تعالى عنها (يعرض عمن تكلم بغير جميل) لا يرضاه فيعلم باعراضه عنه انه غير مرضي له صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا من وقاره أيضا وليس المراد به أن يكون حراما كما قيل لانه صلى الله تعالى عليه وسلم لا يقر على مثله (وكان ضحكه تبسما) بدون قهقهة لشدة وقاره صلى الله تعالى عليه وسلم والضحك انبساط الوجه حتى يظهر منه السرور ويبدو الثنايا فقط وأما ما ورد من أنه صلى الله تعالى عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه فمحمول على المبالغة لزيادته

(وكلامه فصلا) أي وكان كلامه فرقا بين الحق والباطل أو فاصلا بين الحلال والحرام أو بينا يتبينه كل من سمعه ولا يشتبه على من يتفهمه وماذاك إلا لجعله تعالى له مبينا للأنام في مشكلات الأحكام كما قال تعالى لتبين للناس ما نزل إليهم أو مختصرا ملخصا لقوله (لا فضول) بالفتح أي لا زيادة في كلامه (ولا تقصير) أي ولا نقصان عن قدر الحاجة أو لا إيجاز ولا إطناب بل التوسط المحمود في كل باب بالجمع بين المباني اليسيرة والمعاني الكثيرة (وكان ضحك أصحابه عنده) أي في حضرته (التبسم) أي لا غير (توقيرا له) أي تعظيما لحرمته (واقتداء به) أي في كيفية ضحكه وهيئته (مجلسه مجلس حكم) بضم فسكون أي مجلس علم بالأحكام أو عمل بالعدل في حق الأنام ولو ثبت كسر حاء وفتح كاف لكان له وجه وجيه في المرام بأن يكون مجلسه للصحبة ملآن من أنواع الحكمة ويؤيده أن رواية الترمذي مجلس علم وفي نسخة بكسر حاء وسكون لام وكذا وقع في أصل الدلجي وهو ملكة تورث التؤدة وعدم العجلة عند حركة الغضب وداعية العقوبة (وحياء) أي ومجلس حياء مشتمل على صفاء وضياء وهي ملكة تمنع عما لا يليق فعله في الحضرة والغيبة (وخير) أي مجلس كل خير من خيري الدنيا والآخرة فهو تعميم بعد تخصيص (وأمانة) أي مجلس أمانة دون خيانة تخصيص للاهتمام بأمرها لتعلقها بغير صاحبها ولذا ورد لا إيمان لمن لا أمانة له على ما رواه أحمد وابن حبان في صحيحيهما عن أنس رضي الله تعالى عنه (لا ترفع) بصيغة المجهول مذكرا أو مؤنثا (فيه) في مجلسه (الأصوات) تأدبا بالسيد الكائنات ولقوله سبحانه وتعالى لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي الآيات (ولا تؤبن) بضم فسكون همز وتبدل وفتح موحدة مخففة وقد تشدد أي لا ترمى بصريح ولا تذكر بقبيح (فيه الحرم) بضم وفتح جمع الحرمة وهي ما لا يحل انتهاكه وروى بضمتين بمعنى النساء من الأهل وما يحميه الرجل والمعنى لا تقذف ولا تعاب من أبنته أي رميته بسوء ومنه حديث النهي عن شعر تؤبن فيه النساء وكذا حديث الإفك أشيروا علي في أناس أبنوا أهلي وحاصله أن مجلسه كان يصان من رفث القول وفحش الفعل وقد صحف على اليمني حيث قال مأخوذ من المأثر واحدها مأثرة ويحتمل لا تؤبر أي لا تلدغ من أبرته العقرب بلدغته انتهى (إذا تكلم) أي هو صلى الله تعالى عليه وسلم (أطرق جلساؤه) أي خفضوا رؤوسهم وسكنوا نفوسهم (كأنما) بزيادة ما الكافة (على رؤوسهم الطير) يجوز في مثله ثلاثة أوجه بحسب القراءة وهي بكسر الهاء وضم الميم وكسرهما وضمهما وفي التشبيه تنبيه على المبالغة في وصفهم بالسكون والسكينة وعدم الخفة لأن الطير لا يكاد يقع إلا على شيء ساكن من الحركة

فيه على ما عهد منه أو هو نادر لا يعتد به (وكلامه فصلا) بفاء وصاد مهملة أي فاصل بين الحق والباطل أو مفصل لتمهله فيه قال تعالى إنه لقول فصل وما هو بالهزل (لا فضول) مصدر أي لا زيادة فيه وقيل إنه في الأصل جمع فضل بمعنى الزيادة فخص بما ذكر ولذا قيل في النسبة له فضولي ولا ينسب للجمع (ولا تقصير) فيه حتى يخل بفهم السامع (وكان ضحك أصحابه عنده) صلى الله تعالى عليه وسلم (التبسم توقيرا له واقتداء به) لتخلقهم بأخلاقه وتأدبهم بآدابه (مجلسه مجلس حلم) بكسر الحاء وسكون اللام وفي نسخة حكم بضمها مع الكاف (وحياء) منه ومن أصحابه (وخير) لإحسانه ولطفه وتعليمه (وأمانة) يأمن المتكلمون فيه على أسرارهم فلا ينقل منه ما لا يحبون إفشاءه كما ورد في الحديث المجالس بالأمانة (لا ترفع فيه) أي في مجلسه (الأصوات) لأدبهم وتوقيرهم له وكان ذلك محرما عليهم لقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي وأما كونه وقع مثله بحضرته في قصة الإفك فنادر لا يعتد به (ولا تؤبن فيه الحرم) بضم المثناة الفوقية وهمزة ساكنة وتبدل واوا وتؤبن من أبنه يأبنه إذا عابه ورماه بقبيح أصله الأبنة وجمعها أبن وهي العقدة في القسي تفسدها وتعاب بها ووقع في بعض الحواشي تؤبر براء بدل النون وفسره بما ذكر على أنه مأخوذ من المأبر التي واحدتها مئبرة أو من أبرته العقرب إذا لدغته بإبرتها وهي آخر عقد ذنبها وهو تصحيف كأنه وجده في بعض النسخ فاتبعه والمذكور في كتب اللغة كالنهاية والجوهري وغيرهما هو الأول وصرح ابن فارس في المجمل بأن الحديث مروي هكذا والحرم جمع حرمة وهي كل ما يحرم هتكه وأما استعماله بمعنى المرأة فعامية وإن كان لها وجه وقيل إنها صحيحة مراد به هنا النساء لأنه ورد في الحديث نهيه صلى الله تعالى عليه وسلم عن شعر تؤبن فيه النساء وفي حديث الإفك أشيروا علي في أناس أبنوا أهلي انتهى يعني أنه محفوظ من الرفث ولغو القول فهو من وقاره أيضا لقوله (إذا تكلم أطرق جلساؤه) أي طأطؤوا رؤوسهم توقيرا له صلى الله تعالى عليه وسلم منصتين لكلامه (كأنما على رؤوسهم الطير) وصفهم بالسكون وعدم الخفة والطيش لأن الطير لا تكاد تقع إلا على شيء ساكن ولك أن تقول إنه شبههم بغصون مغروسة في رياض مجلسه كما قال في البردة

(وفي صفته) أي وجاء في نعت مشيه على ما في الشمائل وغيره (يخطو) بضم طاء وسكون واو أي يمشي (تكفؤا) بضم فاء مشددة فهمزة وتبدل وفي نسخة بكسر فاء وفتح تحتية أي تمايلا الى قدام قال النووي وزعم كثيرون ان أكثر ما يروى بلا همز وليس كما قالوا انتهى وقال صاحب النهاية هكذا روى غير مهموز والاصل الهمز وبعضهم يرويه مهموزا لان مصدر تفعل من الصحيح تفعلا كتقدم تقدما وتكفا تكفؤا والهمزة حرف صحيح وأما اذا اعتل انكسر عينه نحو تسمى تسميا وتخفى تخفيا فاذا خففت الهمزة التحق بالمعتل فصار تكفيا بالكسر ١٢٠ (ويمشي هونا) أي مشيا هونا لقوله تعالى وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض

كأنهم في ظهور الخيل نبت ربا * من شدة الحزم لا من شدة الحزم

وقلت في المقصورة

كأنما الطير على رؤسهم * من كل غصن في ربا المجد نما

والطير جمع أو اسم جمع لطائر وهو معروف (وفي صفته صلى الله تعالى عليه وسلم) في مشيه وهو خبر مقدم وقوله (يخطو تكفؤا) مبتدأ لانه أريد به لفظه فهو كقوله لا حول ولا قوة الا بالله كنز من كنوز الجنة أي قيل في وصفه هذا ويخطو مضارع خطا المعتل اذا مد رجله ومشا والخطوة بالضم ما بين القدمين وبالفتح المرة وتكفا بفتح المثناة والكاف وفاء مضمومة مشددة بعدها همزة مصدر كتقدم تقدما بمعنى مال الى قدام والاصل فيه الهمزة وبه روى فان اعتل كسرت الفاء وكان بالياء كتسمى تسميا وقال شمر معناه مال يمينا وشمالا كمشي المختال والصواب تفسيره بمال الى جهة ممشاه كما يدل عليه قوله كأنما ينحط من صبب أي من علو لا تمايل فانه غير مناسب وقد ورد في حديث ابن أبي هالة انه صلى الله تعالى عليه وسلم ذريع المشية اذا مشى مشى تقلعا أي يرتفع عن الارض بجملته وروى قلعا بفتح القاف وكسر اللام وهو أدل على التثبت والشجاعة وهكذا كان أولو العزم عليهم الصلاة والسلام (ويمشي هونا) بفتح الهاء وسكون الواو أي برفق ولين من غير تمايل مع الترفق والتثبت قال الله تعالى يمشون على الارض هونا قال مجاهد بالسكينة والوقار (كأنما ينحط من صبب) بفتحتين أي ينزل من صبب وهو الموضع المنحدر وفي رواية كأنما هو من صبوب بالضم والفتح وهو ما يصب من ماء ونحوه أي لم يكن صلى الله تعالى عليه وسلم يستعجل وأما قول أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ما رأيت أحدا أسرع من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كنا نجهد أنفسنا وهو غير مكترث فانما هو لسعة خطوته صلى الله عليه وسلم حتى لا يلحق مع تثبته وتمهله (وفي الحديث الآخر اذا مشى مشى مجتمعا) أي ينقل أعضاءه كلها دفعة واحدة من غير تحريك لرأسه الشريف وبدنه فهو صلى الله تعالى عليه وسلم في مشيه قوي غير مسترخ (يعرف في مشيته) بكسر الميم وفتحها (انه غير غرض) بفتح الغين المعجمة وكسر الراء المهملة والضاد المعجمة أي غير قلق ولا ضجر ولا ملال (ولا وكل) بفتحتين وهو البليد والجبان والعاجز الذي يكل أمره لغيره وحكى شمر فيه كسر الكاف كما قاله التلمساني والدلجي وهو أنسب هنا لموازنته لما قبله وفسره بكسلان وقوله (أي غير ضجر ولا كسلان) يعينه فان ظاهره انه تفسير لما قبله على اللف والنشر المرتب وضجر كحذر من الضجر وهو القلق والكسلان من الكسل وهو الفتور وعدم النشاط من الغم ويكون بمعنى سوء الخلق ويكون غرض بمعنى سباق كقوله

اني ضجرت الى تناصف وجهها * غرض المحب الى الحبيب الغائب

وليس بمراد هنا (وقال عبد الله بن مسعود) رضي الله تعالى عنه رواه البخاري وأصحاب السنن

هونا أي سكونا لا سريعا ولا بطيأ ولا خيلاء بل افتقارا للحق وتواضعا للخلق وفي رواية الهوينى تصغير هون في تانيث أهون فالتقدير مشية هوينى (كأنما ينحط) بتشديد الطاء أي ينزل (من صبب) بفتحتين وموحدتين أي منحدر ويلزم منه الميل الى القدام لا السرعة المنافية لمقام المرام كما زعم من ليس له في هذا الفن المام وفي رواية للترمذي في صبب وهو أظهر فتدبر (وفي الحديث الآخر اذا مشى) أي في جميع أوقاته (مشى مجتمعا) أي مشيا معتدلا مستويا مجتمعا بين توالي حركاته لا متفرقا في حركاته وسكناته وقال الهروي أي ما كان يمشي مسترخيا (يعرف في مشيته) بكسر الميم أي هيئة مشيه وضبط في نسخة بفتحها وهو سهو قلم من كاتبها (انه غير غرض) بفتح معجمة وبكسر الراء وتنوين معجمة مأخوذ من الغرض بفتحتين وهو الضجر والملال (ان

ومنه قول الحسن علم الله انه بلا غرض فرخص لعباده من شاء ان ينفر في النفر الاول ومن شاء ان ينفر في النفر الآخر وروى بلد غرض بالاضافة والصفة (ولا وكل) بفتحتين على ما في النسخ المصححة ففي القاموس رجل وكل محركة عاجز وقال الدلجي بكسرها وقال التلمساني الغرض بفتح الراء وروى بكسرها (والوكل بفتح الكاف وحكى كسرها والله تعالى) أعلم (أي غير ضجر) تفسير من المصنف لغرض على وزانه أي غير قلق وملال (ولا كسلان) تفسير لوكل يعني ولا عاجز بكسل في فعله أي الهداية والدلالة في كل أمره الى غيره معتمدا على تحصيله (وقال عبد الله بن مسعود) فيما رواه البخاري عنه موقوفا

(أن أحسن الهدى) بفتح فسكون أي السيرة والطريقة المشتملة على حجية الشريعة وحقيقة الحقيقة وفي نسخة بضم ففتح مقصورا أي الهداية والدلالة (هدى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) وفي نفس الامر هديه هدى ربه لفنائه في بقائه فيصح اسناده اليه تارة والى ربه أخرى كما قال تعالى قل ان الهدى هدى الله وفي آية أخرى قل ان هدى الله هو الهدى (وعن جابر بن عبد الله) صحابيان انصاريان رضي الله تعالى عنهما (كان في كلام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ترتيل) أي تبيين لحروف البناء وتمهيل في كيفية الاداء لقوله تعالى ورتل القرآن ترتيلا وقوله لتبين للناس ما نزل اليهم (وترسيل) عطف تفسير وهو موافق لما في المصابيح وفي نسخة صحيحة باو على انه شك من الراوي (وقال ابن أبي هالة) اسمه هند وأمه خديجة رضي الله تعالى عنهما فهو ربيبه صلى الله تعالى عليه وسلم (كان سكوته على أربع) أي على أربعة أحوال والحال يذكر ويؤنث لانها بمعنى الوصف والصفة (على الحلم) على جهة التحمل مع القدرة والمجاوزة عن المؤاخذة (والحذر) أي الحراسة من الاعداء المخالفة (والتقدير والتفكر قالت عائشة) رضي الله تعالى عنها كما رواه الشيخان (كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يحدث حديثا لو عده العاد) أي لو أحصى عدد حروفه المحصي من أهل الحساب (لاحصاه) أي لقدر على احصائه وعد عدده وجمعه وحفظه وهذا مبالغة في الترتيل والتبيين وقد روي انه كان صلى الله عليه وسلم اذا تكلم تكلم ثلاثا ولعل الاول للسماع والثاني للتنبيه والثالث للفكر والاظهر ان الثلاث باعتبار مراتب مدارك العقول من الاعلى والاوسط والادنى (وكان يحب الطيب والرائحة الطيبة) أي الحاصلة من غير جنس الطيب كبعض الازهار والاثمار (ويستعملهما كثيرا) استعمالا مناسبا لكل منهما مع انه بذاته بل وبفضلاته طيب كما هو مقرر في محله فكان استعمالهما لزيادة المبالغة بنية ملاقاة الملائكة ولانهما يورثان النشاط والقوة (ويحض عليهما) أي يحث ويحرض على استعمالهما (ويقول حبب الي من دنياكم النساء) وفي رواية تأخيره (والطيب) كما رواه النسائي والحاكم في مستدركه من حديث أنس باسناد جيد وضعفه العقيلي وليس فيه لفظ ثلاث وانما وقع في بعض الكتب كالاحياء وغيره فما وقع في بعض النسخ من لفظ ثلاث بعد دنياكم خطأ فاحش ومما يدل على بطلانه تغيير سياق الحديث وتعبيره بقوله

(ان أحسن الهدى هدى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) والهدى بدال مهملة بوزن الرمي السمت والسيرة والطريقة والحالة التي يكون عليها وهذا الحديث وان كان موقوفا على ابن مسعود فله حكم المرفوع وكذا سائر الاحاديث المتعلقة بالشمائل فان مثلها لا يقال من قبل الراوي وقد روي مرفوعا أيضا وكان ابن مسعود رضي الله تعالى عنه أشبه الناس هديا بهدي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكذا عمر وابنه رضي الله تعالى عنهما ولذا كان الصحابة رضي الله تعالى عنهم يتشبهون به في هديهم وبقية الحديث وشر الامور محدثاتها وهو حديث طويل قال ابن قرقول وروي بضم الهاء وفتح الدال ضد الضلال (وعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما) أخرجه أبو داود والامام أحمد في الزهد (كان في كلام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ترتيل أو ترسيل) كذا في النسخ باو اشارة الى انه روي بكل منهما على حدة وفي المصابيح بالواو لتقارب معناه فالعطف تفسيري فلا منافاة بينهما كما قيل أي يبين الكلام من غير عجلة وغموض حتى يسبق فهم السامع اليه وقيل الترتيل التبيين والترسيل التؤدة والترتيل من قولهم ثغر مرتل وهو المفلج كالاقحوان (قال ابن أبي هالة) المتقدم ترجمته (كان سكوته صلى الله تعالى عليه وسلم (على أربع) أي يقع على أربع خصال فيه (على الحلم) أي يسكت تارة لحلمه على من تكلم عنده بما يقتضي المؤاخذة (والحذر) أي الاحتراس من كلام ربما أدى لامر يخشى منه (والتقدير) أي يقدر صلى الله تعالى عليه وسلم في نفسه وسكوته ما يليق به وبغيره (والتفكر) في مصنوعات الله ونحو ذلك (قالت عائشة رضي الله تعالى عنها) كما رواه الشيخان عنها (كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يحدث حديثا لو عده العاد أحصاه) أي لو أراد عده عده بسهولة أو لو عده حصره بحيث لا يفوته منه شيء لقلته وتثبته وعدم سرعته فيه (وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يحب الطيب والرائحة الحسنة) الطيب كل ما يتطيب به من بخور ومسك وزعفران ونحوه والرائحة الحسنة تشمل رائحة غيره كالريحان وسائر الزهور العطرة ولذا كان صلى الله تعالى عليه وسلم لا يرد هديتها (ويستعملهما كثيرا) في أكثر أوقاته لملاقاته الملك فانها تقوي الحواس والملائكة عليهم الصلاة والسلام تحبها وتكره الرائحة الخبيثة بعكس الشياطين (ويحض عليهما) بضمير التثنية للطيب والرائحة وفي نسخة عليها فالضمير لها لانها المقصود من الطيب لانها أعم كما قيل لتغايرهما أي كان صلى الله تعالى عليه وسلم يحث الناس ويحرضهم على استعمال ذلك لما لهم فيه من الفوائد ولحضور الملائكة الحفظة والكتبة عندهم ولملاقاتهم له بما يحبه ومن مروءة الانسان نظافته وطيب رائحته (ويقول حبب الي من دنياكم النساء والطيب

(وجعلت قرة عيني في الصلاة) ايماء الى ان قرة العين ليست من الدنيا لاسيما من الدنيا المضافة الى غيره صلى الله تعالى عليه وسلم ودفعا لما تكلف بعضهم من ان الصلاة حيث كانت واقعة في الدنيا صحت اضافتها اليها في الجملة على اختلاف في ان المراد بالصلاة هل هي العبادة المعروفة أو الصلاة عليه عليه الصلاة والسلام والله تعالى أعلم بحقيقة المرام ثم تحقيق الكلام ما ذكره حجة الاسلام في الاحياء حيث قال الدنيا والآخرة عبارة عن حالين من احوال القلب فالقريب الداني منهما يسمى دنيا وهي كل ما قبل الموت والمتراخي المتأخر يسمى آخرة وهي ما بعد الموت ثم الدنيا تنقسم الى مذمومة وغير مذمومة فغير المذمومة ما يصحب الانسان في الآخرة ويبقى معه بعد الموت كالعلم والعمل فالعالم قد يأنس بالعلم حتى يصير ألذ الاشياء عنده فيهجر النوم والمطعم والمشرب في لذته لانه أشهى عنده من جميعها فقد صار حظا عاجلا له في الدنيا ولكن لا نعد ذلك من الدنيا المذمومة وكذلك العابد قد يأنس بعبادته ويستلذ بها بحيث لو منعت عنه لعظم ذلك عليه حتى قال بعضهم ما أخاف الموت الا من حيث يحول بيني وبين قيام الليل فقد صارت الصلاة من حظوظه العاجلة وكل حظ عاجل فاسم الدنيا ينطلق عليه من حيث الاشتقاق من الدنو وعلى هذا ينزل جعله عليه الصلاة والسلام الصلاة من حكم ملاذ الدنيا أو لان كل ما يدخل في الحس والمشاهدة فهو من عالم الشهادة وهو من الدنيا والتلذذ بتحريك الجوارح بالركوع والسجود انما يكون في الدنيا فلذلك أضافها عليه الصلاة والسلام الى الدنيا الا انها ليست من الدنيا المذمومة في شئ فان الدنيا المذمومة هي حظ عاجل لا ثمرة له في الآخرة كالتنعم بملاذ الاطعمة والمباهاة بالقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والقصور والدور ونحوها مما زاد على قدر الضرورة والحاجة (ومن مروءته) أي أخلاقه المرضية وشمائله البهية (نهيه) كما رواه أحمد (عن النفخ في الطعام والشراب) أي جميعا ولابي داود وابن ماجه والترمذي وصححه نهيه عن النفخ في الاناء وللترمذي في الشراب لانه في الطعام يؤذن بالعجلة وشره النهمة وقلة التؤدة وفي الاناء يورث رائحة كريهة ولانه قد ينفصل بالنفخ فيهما من الفم ما يكون موجبا النفرة الطبيعية وقيل نفس الآدمي سم

وجعلت قرة عيني في الصلاة) وقد تقدم هذا الحديث وان لفظ ثلاث الموجودة في التفاسير كالاحياء والكشاف غير ثابتة عن أكثر المحدثين وما في عطف جعلت فان محبة النساء من هدى الانبياء عليهم الصلاة والسلام كداود وسليمان وكان فيه صلى الله تعالى عليه وسلم من قوة الجماع ما ليس في غيره وقال فضلت على الناس بأربع بالسماحة والشجاعة وقوة الجماع وشدة البطش وكان فيه صلى الله تعالى عليه وسلم قوة أربعين رجلا من رجال الجنة وكل رجل منهم فيه قوة مائة رجل من أهل الدنيا وهذا مع قلة أكله وشربه صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا الحديث أخرجه أصحاب الكتب الستة وكان أكثر طيبه صلى الله تعالى عليه وسلم الذريرة وهو طيب يجيء من الهند معروف مركب وتقدم انه انما قال حبب بالبناء للمجهول لان تلك المحبة جعلها الله فيه طبيعة لا شهوانية وعلى تسليم رواية ثلاث اما أن يكون اكتفى باثنين منها وحذف الثالث لتذهب نفس السامع كل مذهب والعرب تفعله كقول

كانت حنيفة أثلاثا فثلثهم * من العبيد وثلث من مواليها

أو الثالث الصلاة وقرة عينه صلى الله تعالى عليه وسلم فيها وجعلها من الدنيا لوقوعها فيها او يكون تغييره العبارة اشارة لمغايرتها لما قبلها وانها ليست من جنسها ووقع في بعض النسخ هنا زيادة لفظ ثلاث بعد قوله من دنياكم وتم الكلام فيها وانها ليست ثابتة وان أثبتها الزمخشري والغزالي في الاحياء وكذا المصنف رحمه الله تعالى تبعا لهم وقد أفردنا هذا الحديث بتعليقة مستقلة والحديث رواه أيضا النسائي في سننه وفي رواية له بلفظ حبب الي من الدنيا النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة ومن هذا الوجه أخرجه أحمد وأبو يعلى في مسنديهما وأبو عوانة في مستخرجه على الصحيح والطبراني والبيهقي وآخرون كالحاكم في مستدركه بسند جيد بدون لفظ وجعلت وقال صحيح على شرط مسلم وأخرجه ابن عدي في كامله وقال العقيلي انه ضعيف (ومن مروءته صلى الله تعالى عليه وسلم نهيه عن النفخ في الطعام والشراب) المروءة من المرء وهو الانسان فهي بمعنى الانسانية ومعناها التلبس بما يليق بالرجال وترك ما يخل به فارتكاب ما يكرهه الصاحب مخل بالمروءة والنفخ فيما ذكر اما للتبريد أو ازاحة قذر على وجهه وقد يخرج معه ريق المرء فيكره تناوله أو يكون النفس متغيرا فيؤثر فيه ولو توهما والغرض منه يحصل بالصبر وإماطة ما عليه باراقة وخلال ونحوه ولذا نهى عن التنفس في الاناء حالة الشرب واما ما ورد من انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يتنفس اذا شرب مرتين ونحوه فليس معناه ذلك بل انه يقطع الشرب وينحي الاناء ويتنفس خارجه فانه يستحب عدم العب والقطع في الشرب وقد ورد

ان

ان النفخ فى الطعام يذهب البركة منه كما ورد أبردوا بالطعام فان الحار لا بركة فيه وفى لفظ غير ذى بركة وليس المراد بابراده نفخه حتى يبرد بل أكله بارداً بان يصبر عليه حتى يبرد فلا منافاة بينهما كما توهم وقلة بركته لانه لا يلتذ بمضغه و بلعه أو انه لشدة حرارته ينهضم سريعاً فلا يشبع شبع غيره (و) من مروءته صلى الله عليه وسلم (الامر بالاكل مما يلى) كل أحد من الطعام لحديث عمر بن أبى سلمة ربيب رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال كنت غلاماً فى حجر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لان أمه أم سلمة رضى الله تعالى عنها زوجته صلى الله تعالى عليه وسلم وكانت يدى تطيش فى الصحفة فقال لى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سم الله وكل بيمينك وكل مما يليك أى لا من الوسط ولا مما يلى غيرك فهذا أمر منه صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك وورد مثله فى أحاديث أخر وقال أيضاً تنزل البركة فى وسط الطعام فكلوا من حافته أو من حاشيته وهذا أمر ندب وذهب بعض الشافعية الى انه للوجوب وقال الشيخ تاج الدين السبكى من الفوائد الفقهية فى هذه المسئلة التى لا تكاد تعرف لان الشافعى رضى الله تعالى عنه نص فى الام فى الجزء السادس عشر فى باب صفة النهى على ان أكل الانسان مما يليه واجب ولو لم يفعله اثم ان كان عالماً بالنهى انتهى ولعله اذا علم عدم رضاء صاحبه وجليسه بذلك قيل وهذا اذا لم يكن الاكل من ذلك بقصد التبرك بمس يده وعليه حمل ما فى حديث الدباء انه صلى الله تعالى عليه وسلم جعل يتتبعها وهو أيضاً فى غير الفاكهة فان له الاكل والاخذ منها من أى جانب قال بعض المدققين واليه الاشارة بقوله تعالى وفاكهة مما يتخيرون وفيه لطف خفى (والامر بالسواك) أمر ندب وشذ بعض الشافعية فاوجبه للصلاة والسواك اسم للعود الذى يستاك به وللفعل وهو الاستياك والمراد الثانى أو الاول بتقدير مضاف أى استعمال السواك وعده من المروءة لما فيه من النظافة وطيب رائحة الفم (وانقاء) بكسر الهمزة وسكون النون وقاف بعدها مدة من أنقاه اذا نظفه كنقاه (البراجم) بباء موحدة وراء مهملة وألف وجيم وميم جمع برجم أو برجمة بضم الباء والجيم وهى مفاصل الاصابع التى بينها والسلاميات من ظهر الكف التى ترتفع اذا قبض الانسان كفه فهى المفاصل الظاهرة والبراجم الباطنة وقيل هى مفاصل الكف كلها والاشاجع جمع أشجع وهى أصول الاصابع المتصلة بالكف (والرواجب) براء مهملة وواو وألف وجيم وباء موحدة جمع راجبة على القياس وقيل جمع رجبة بضم فسكون على خلافه وهى المفاصل التى تلى الانامل وقيل هى مفاصل أصول الاصابع وقيل قصب الاصابع وقيل السلاميات وقيل ما بين البراجم والسلاميات وقيل ظهور السلاميات وقيل مفاصل الاصابع وواحد السلاميات سلامى بضم السين وفتح الميم مقصورة وتفصيله فى كتاب خلق الانسان وجزم البرهان الحلبى بان البراجم العقد المتشنجة فى ظهور الاصابع وهى مفاصلها ونقل عن أبى عبيد ان البراجم والرواجب جميعاً مفاصل الاصابع كلها وهى اللائق بكلام المصنف فينزل عليه لا على ما فى الصحاح من ان البراجم مفاصل الاصابع التى بين الاشاجع والرواجب وهى رؤس السلاميات من ظهر الكف اذا قبض القابض كفه نشزت وارتفعت والراجبة فى الاصابع واحدة الرواجب وهى المفاصل التى تلى الانامل ثم البراجم ثم الاشاجع التى تلى الكف انتهى لئلا تكون الفاصل التى تكون الكف خارجة اذ هى على ما فيه غيرهما وعند أبى عبيد داخلة فيهما مع ان الظاهر انها تنقى كما تنقى التى بين الانامل والتى بينهما كما قيل (واستعمال خصال الفطرة) الخمس فيما رواه الشيخان الختان والاستحداد أى حلق العانة بالحديد وقص الشارب وتقليم الاظفار ونتف الابط وزاد

(والامر) كان الاولى ان يقال وأمره ليحسن عطفه على نهيه أى ومن مروءته أيضاً الامر (بالاكل مما يليه) أى الاكل بصيغة الفاعل لحديث الشيخين قل بسم الله وكل بيمينك مما يليك على الخلاف فى ان الامر للوجوب أو الندب وعليه الاكثر (والامر بالسواك) أى وكذا أمره به من جملة مروءته كما فى حديث لامريه فى صحته ومن فوائد السواك ازالة تغير الفم وتنظيف الاسنان وتطييب النفس وغيرها مما بلغ أربعين آخرها انه يذكر الشهادة عند الخاتمة على ضد اكل الافيون نسأل الله العافية (وانقاء البراجم) بالجر عطفاً على بالسواك وفى نسخة بالرفع على ان التقدير ومن مروءته تنظيف البراجم (والرواجب) وهما جمع برجمة بالضم وراجبة والمراد بهما مفاصل الاصابع من ظهر الكف وباطنها (واستعمال خصال الفطرة) بالاحتمالين وهى فيما رواه الشيخان خمس الختان والاستحداد وقص الشارب وتقليم الاظفار ونتف الابط زاد مسلم المضمضة واعفاء اللحية والاستنجاء وأبو داود من حديث عمار الانتضاح ومن حديث ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فرق الرأس هذا والاستنشاق فى معنى المضمضة وقد سبق فى معانيها ما يغنى عن اعادتها هنا

مسلم رحمه الله تعالى المضمضة واعفاء اللحية والاستنجاء وأبو داود الانتضاح وزاد غيره عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فرق الرأس كما تقدم تفصيله المغنى عن اعادته والفطرة بكسر الفاء معناها الخلقة كما قال تعالى فطرة الله التى فطر الناس عليها والمراد السنة التى أمر بها النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كما مر

(فصل وأما زهده صلى الله تعالى عليه وسلم فى الدنيا) الزهد معناه ترك الدنيا ولذاتها رغبة فيما عند الله وهو ثلاثة أقسام ترك الحرام وهو زهد العوام وترك فضول الحلال وهو زهد الخواص وترك كل ما يشغل عن الله وهو زهد العارفين واما من لم يرض وصف أولياء الله به فضلا عن أنبيائه عليهم الصلاة والسلام لان الدنيا لا تساوى عند المتخلقين باخلاق الله جناح بعوضة وما نال أعظم ملوكها بعض منها بل أقل قليل من باقيها فعنده معنى الزهد ترك ما يرغب نفسه فيه فمن لا رغبة له فى شئ منها لا يسمى زاهدا وغيره يعرفه بترك الدنيا مطلقا أو بترك ما من شانه ان يرغب فيه والى هذا أشار الغزالى فى الاحياء فمن وصفه باعلى طبقات الزهد نظر الى الاول وجنح الى انه من مقامات الكاملين فله منه الحظ الاوفر ومن نفاه عنه ولا يرضى وصفه به نظر الى الثانى وأما طلبه صلى الله تعالى عليه وسلم للدنيا الضرورية فى المعاش فليس لرغبته فيها بل لدفع ضعف بدنه المانع عن اداء حق العبودية فلا ينافى فى الزهد أيضا واليه يشير صاحب البردة بقوله

وأكدت زهده فيها ضرورته * ان الضرورة لا تعدو على العصم

ومن شرط الزهد أيضا القدرة وقال ابن المبارك لما قيل له يا زاهد الزاهد عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه اذ جاءته الدنيا راغمة فتركها *(فائدة)* قال أبو يزيد البسطامى قدس سره بفتح الباء قدم علينا شاب من بلخ حاجا فقال لى ما علامة الزهد عندكم فقلت له اذا فقدنا صبرنا واذا وجدنا شكرنا فقال هذه حالة الكلاب عندنا ببلخ قلت فما الزهد عندكم قال اذا فقدنا شكرنا واذا وجدنا آثرنا (فقد تقدم من الاخبار) أى فى صفاته فى أول الباب (فى اثناء) أى فى خلاله وما بينه جمع ثنا مقصور كما قاله ابن هشام اللخمى فى شرح المقصورة ومعناه ما أثنى ودخل بعضه فى بعض (هذه السيرة) أى هذا الكتاب المتضمن لسيرته وطريقته صلى الله عليه وسلم أو المراد سيرة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وصفاته (ما يكفى) طالب سيرته ويغنى عن اعادته هنا (وحسبك من تقلله) أى يكفيك فى معرفة تقلله أى قنعه بالقليل (منها) أى من الدنيا الزهده صلى الله تعالى عليه وسلم فيها واكتفائه فى ضرورياته بالامر الزهيد القليل وهذا لا ينافى زهده (واعراضه عن زهرتها) أصل معنى الزهرة النضارة والزينة مستعار من الزهر بفتحتين وهو نور النبات ويسكن الثانى أى تركه صلى الله تعالى عليه وسلم ما يرغب فيه الناس من زخرف الحياة الدنيا ومما قلته فى الرباعيات

من حرصك بالغناء كم تشتغل * والعمر مضى فما يفيد الامل
يا زهرة هذه الحياة الدنيا * للفرك بانمل المنا تحتمل

(وقد سيقت اليه) أى ساق الله تعالى اليه صلى الله تعالى عليه وسلم الدنيا مستعار من سوق البهيمة للتسخير والتمكن منها (بحذافيرها) أى بجملتها وكليتها من جميع نواحيها يقال ملك كذا بحذافيره أى جميعه بحيث لم يبق منه شئ جمع حذفور أو حذفار وهو الناحية وفى النهاية الحذافير الجوانب وقيل الاعالى فكنى به عما ذكر وهو اشارة لما تقدم من ان زهده صلى الله تعالى عليه وسلم فيها ليس لعجزه عن تحصيلها بل هو مع غاية القدرة عليها والتمكن منها وهذا هو الزهد الممدوح كما تقدم (وترادفت عليه فتوحها) أى تتابعت وتوالت فاتته الدنيا راغمة بما يسر الله

(فصل) (وأما زهده فى الدنيا) أى عدم ميله اليها وقلة المبالاة بوجودها وفقدها اعتمادا على خالقها (فقد تقدم من الاخبار) أى الاحاديث الواردة عن الثقات الاخيار (اثناء هذه السيرة) أى سيرة سيد الابرار (ما يكفى) أى يغنى عن الاعادة والتكرار (وحسبك من تقلله منها) أى كافيك من منفعتها (واعراضه عن زهرتها) بفتح الزاى زينتها وبهجتها (وقد سيقت اليه) أى والحال انها جلبت لديه وعرضت عليه (بحذافيرها) جمع حذفار وقيل حذفور أى باسرها من أولها وآخرها (وترادفت) أى تتابعت (عليه فتوحها) والجملتان معترضتان بين المبتدأ وخبره وهو قوله

(ان توفى) بصيغة المجهول بعدان المصدرية والمعنى كائنا مماذكر حال حصول ماذكر وفاته (صلى الله تعالى عليه وسلم) وفى نسخة الى ان توفى على انها متعلقة بتقلله ايماء الى اختيار زهده فى الدنيا باعتبار الحالة الاولى والاخرى دفعا لما يتوهم بعضهم من انه صلى الله تعالى عليه وسلم فى آخر عمره اختار الغنى ومما يأبى هذا المعنى قوله (ودرعه) أى والحال انها (مرهونة عند يهودى فى نفقة عياله) كما سبق تفصيل أحواله (وهو يدعو) أى والحال انه مع ذلك يطلب من ربه كفاية أمره أو أمر من يتعلق به من أهله وآله (ويقول) كما رواه الشيخان (اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا) أى بلغة تسد رمقهم ليقوموا بعبادة من خلقهم وفى رواية لمسلم والترمذى وابن ماجه اللهم اجعل رزق آل محمد فى الدنيا قوتا وفسر القوت بما يمسك رمق الانسان لئلا يموت والظاهر ان المراد به هنا قدر الكفاية لما فى رواية كفافا (حدثنا سفيان بن القاضى والحسين بن محمد الحافظ) هو ابن سكرة وليس بالغسانى كما حرره الحلبى (والقاضى أبو عبد الله التميمى قالوا) أى كلهم (ثنا) أى حدثنا (أحمد ابن عمر قال حدثنا أبو العباس الرازى قال حدثنا أبو أحمد الجلودى) بضم الجيم (حدثنا أبو سفيان) وفى نسخة صحيحة ابن سفيان (ثنا أبو الحسين مسلم بن الحجاج) أى صاحب الصحيح (ثنا أبو بكر بن أبى شيبة) تقدم ذكرهم (حدثنا أبو معاوية) وهو محمد بن خازم بالخاء المعجمة والزاى أحد الاعلام وحفاظ الاسلام روى الاعمش وهشام وعنه أحمد واسحق وابن معين وكان مرجئا أخرج له الائمة الستة

له من الغنائم والاموال والارزاق الواسعة الطيبة بحيث لو أراد توسع فيها وأنفق واقتطف زهرتها فلم يرضها واكتفى بأقل قليل منها والجملتان حاليتان أو معترضتان بين المبتدأ وخبره أفادتا كمال زهده صلى الله تعالى عليه وسلم لان من كان هذا حاله وزهد فزهده أبلغ زهد وأتم عفاف أى كائنا مماذكر حال حصول ماذكر (الى أن توفى) بالبناء للمجهول أى حضرت وفاته صلى الله تعالى عليه وسلم (ودرعه مرهونة عند يهودى) أى والحال هذه والدرع معروف وفيه تذكر وتؤنث والاكثر تأنيثها واليهودى كان يسمى أبا الشحم من ظفر من موالى الانصار وهذا الحديث صحيح رواه الشيخان عن عائشة رضى الله تعالى عنها وانما عامله صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يطلب من الصحابة رضى الله تعالى عنهم لانه لم يحضره اذذاك منهم من يقترض منه ولانه لو طلب صلى الله تعالى عليه وسلم منهم وأعلمهم بضرورته وهبوه ذلك ولم يرضوا باقتراضه منهم فاخفى حاله مع ما فيه من بيان جواز معاملة الكفرة وأهل الذمة (فى نفقة عياله) فى للتعليل كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم ان امرأة دخلت النار فى هرة عذبتها والعيال أهل البيت ومن تلزمه نفقته والذى اقترضه صلى الله تعالى عليه وسلم ثلاثون صاعا وروى عشرون صاعا من الشعير (و) كان فى حال اقتراضه (هو يدعو ويقول) كما رواه الشيخان (اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا) القوت كل ما يتقوت به الانسان من الطعام أى اجعله بمقدار ما يسد الرمق من غير زيادة وقد استشكل هذا بانه صلى الله تعالى عليه وسلم مات وله حصون وأراضى وعنده مما أفاء الله عليه أرض خيبر وفدك وغيرهما فكيف مع ذلك يكون به صلى الله تعالى عليه وسلم فاقة تحوجه الى رهن درعه على أصوع شعير وأجاب عنه ابن الصلاح فى فتاواه بانها كانت معدة لنوائبه موقوفة ولذا لم تورث عنه وقال انا لا نورث ما تركناه صدقة فلا يقدح فيه ما كان فى ملكه وقد أعده لمصالح المسلمين واخراجه ما يحصل منها فى ذلك والفقراء يدخلون الجنة قبل الاغنياء بخمسمائة عام فاختار صلى الله تعالى عليه وسلم الفقر ولم يتصرف فيما عنده لنفسه وعياله ولذا لا يجوز أن يقال فى حقه صلى الله تعالى عليه وسلم انه فقير كما مر * وأقول هنا دقيقة وهى ان رياضة النفس بالجوع تصفى الذهن وتقوى الروح وتجعل النفس قدسية ملكية وقد كان أهل الملل يتعبدون بذلك وان لم تكن فى الدين المحمدى لما فيها من الحرج فعل ذلك صلى الله تعالى عليه وسلم واختاره لنفسه خاصة وأبرزه بصورة الفقر لئلا تقتدى به أمته فيه ولحبته لذلك طلبه من الله تعالى له ولاهله فافهمه فانه دقيق جدا (حدثنا سفيان بن العاصى) هذا الحديث رواه مسلم والبخارى وسفيان هذا هو ابن سكرة لان المصنف سمع منه صحيح مسلم وليس هو الغسانى لانه لم يسمع منه وانما روى عنه بالاجازة (والحسين بن محمد الحافظ) بن عيسى قاضى سبتة شيخ المصنف أحد الاعلام وقد أكثر المصنف رحمه الله تعالى الرواية عنه توفى فى جمادى الآخرة سنة خمس وخمسمائة (والقاضى أبو عبد الله التميمى قالوا حدثنا أحمد بن عمر) قد تقدمت ترجمتهما (قال حدثنا أبو العباس الرازى قال حدثنا أبو أحمد الجلودى) بفتح الجيم نسبة لقرية بافريقية وقيل بالشام وقيل انه بضم الجيم وقد تقدم قال (حدثنا ابن سفيان حدثنا أبو الحسين بن الحجاج) مسلم صاحب الصحيح وقد تقدم هو ومن قبله قال (حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة) تقدم ترجمته قال (حدثنا أبو معاوية) محمد بن خازم بمعجمتين الضرير الحافظ أحد الائمة الاعلام الا أنه كان مرجئا روى له الستة وتوفى

(عن الاعمش) تابعي جليل روى عن ابن أبي أوفى وزر بن وأبي وائل وعنه شعبة ووكيع وخلق له ألف وثلثمائة حديث (عن ابراهيم) هو النخعي أبو عمران الكوفي الفقيه رأى عائشة رضي الله تعالى عنها وروى عن خاله الاسود وعلقمة وجماعة وكان عجبا في الورع رأسا في العلم (عن الاسود) أي ابن يزيد النخعي عن عمر وعلي ومعاذ حج ثمانين مرة كل مرة بعمرة وكان يصوم حتى يخضر ويختم في ليلتين (عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت ماشبع) بكسر الموحدة أي ما أكل حتى شبع (رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثلاثة أيام) أي بلياليها (تباعا)

بكسر التاء الفوقية مصدر تابع أي متابعة وموالاة (من خبز) أي مطلقا ووقع

سنة خمس أو أربع وتسعين ومائة وترجمته مفصلة في الميزان (عن الاعمش) أبو محمد سليمان بن مهران الكاهلي أحد الاعلام روى عن أنس وابن أبي أوفى وغيرهما وروى عنه شعبة ووكيع وكثيرون نحو ألف وثلثمائة حديث وعاش ثمانيا وثمانين سنة ومات في ربيع الاول سنة ثمان وأربعين ومائة وأخرج له الستة وترجمته في الميزان (عن ابراهيم) بن يزيد بن قيس بن الاسود بن عمرو بن ربيعة النخعي الكوفي الفقيه الزاهد رأس عصره رأى عائشة رضي الله عنها وأخرج له الستة وتوفي سنة ست وتسعين (عن الاسود) بن يزيد النخعي العابد حج ثمانين مرة وصام حتى اخضر جلده وكان يختم القرآن في كل ليلتين وتوفي سنة أربع أو خمس وسبعين وهو ثقة أخرج له الستة (عن عائشة رضي الله عنها قالت ماشبع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثلاثة أيام تباعا) أي متتابعة متوالية (من خبز) برا كان أو شعيرا وفي نسخة من خبز بر (حتى مضى لسبيله) أي حتى توفي لان الموت طريق يسلكه كل أحد وأول منزل منه القبر (وفي رواية أخرى) رواها البخاري (من خبز شعير يومين متواليين ولوشاء) الدنيا وترفهها ونعيمها (لاعطاه الله عز وجل مالا يخطر ببال) البال القلب والعقل والفكر وخطر يخطر بضم الطاء وكسرها خطورا اذا ذكر وتصور أي تعطيه منها كل أمر نفيس لم يتصوره أحد من الناس لجلالته وعظمته وكونه لم يعهد مثله حتى يعرف (وفي رواية) في الصحيحين (ماشبع آل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من خبز بر حتى لقي الله عز وجل) وفي البخاري ماشبع آل محمد منذ قدم المدينة من طعام بر ثلاث ليال حتى قبض وهو المراد بلقاء الله وفيه روايات كثيرة متقاربة المعنى وانه ما جمع بين غداء وعشاء وفي رواية من خبز وزيت وفي رواية ما أكل أكلتين في يوم قيل وهذا مشكل بما ثبت انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يدخر لاهله قوت سنة وانه ساق مائة بدنة ووهب قطيعا من غنم وألف بعير ونحوه كمروان أصحابه كأبي بكر وعثمان وطلحة كان لهم أموال كثيرة رضي الله عنهم وهم يبذلون له صلى الله تعالى عليه وسلم أموالهم وأنفسهم وأجيب بان ذلك كان في حالة دون حالة وان ذلك للارشاد وكراهة الشبع لا لضيق اليد وعن عائشة رضي الله تعالى عنها من حدثكم انا كنا نشبع من التمر فقد كذبكم فلما افتتحت قريظة أصبنا شيئا من التمر والودك وروى لما افتتحت خيبر قلنا الآن نشبع من التمر والحق ان كثيرا منهم كانوا في ضيق قبل الهجرة وبعدها واساهم الانصار بالمنائح فلما افتتحت بنو النضير وما بعدها ردوا ذلك عليهم أقول هذا ينافيه ما مر من انه صلى الله عليه وسلم مات ودرعه مرهونة فكيف تكون العسرة زالت بعد الهجرة فالحق الاحق بالاتباع ما قاله ابن الصلاح رحمه الله تعالى كما مر قريبا وما قاله هذا الشارح لا يسمن ولا يغني من جوع (وفي رواية أخرى) رواها مسلم (ماترك) أي ما خلف تركة (رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم دينارا ولا درهما ولا شاة ولا بعيرا) وفي رواية ولا شيأ ولذا قال عبد الله بن أبي أوفى ما أوصى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عند موته لانه لا مال عنده يوصي به وانما أوصى بكتاب الله وادعاء الشيعة

في أصل الدلجي من خبز بر وليس من البر (حتى مضى سبيله) أي الى ان توفاه الله تعالى بحسب ماقدره وقضاه والحديث في أواخر مسلم وقد أخرجه البخاري وغيره أيضا (وفي رواية أخرى) أي له لغيره أو للشيخين كما قاله الدلجي (من خبز شعير يومين متتابعين ولوشاء) أي الله كما في نسخة صحيحة ويدل عليه قوله (لأعطاه) اذ لو كان التقدير لوشاء رسول الله لكان المناسب أن يقول لاعطاه الله أو لاعطى أي متمناه (مالا يخطر) بكسر طاء وبضم أي مالم يمر (ببال) أي لا يحدث في خلال خيال (وفي رواية أخرى) أي لهما (ماشبع آل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من خبز بر) لقلة وجوده أو لكثرة زهده (حتى لقي الله) وفي نسخة زيادة عز أي تعالى

شأنه وجل أي أعظم برهانه (وقالت عائشة رضي الله تعالى عنها) كما رواه مسلم (ماترك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي بعد وفاته (دينارا) أي من الذهب (ولا درهما) أي من الفضة وهو بكسر الدال وفتح الهاء وتكسر ولله در القائل

النار آخر دينار نطقت به * والهم آخر هذا الدرهم الجاري
والمرء بينهما ان لم يكن ورعا * معذب القلب بين الهم والنار

(ولا شاة ولا بعيرا) أي وانما ترك ما في التمسك به نجاة الثقلين والفوز بسعادة الكونين وهو الكتاب والسنة فمن أخذ بهما ظفر بكنوز الجنة

(وفي حديث عمرو بن الحارث) أخو جويرية من امهات المؤمنين ولابيه صحبة كما رواه البخاري عنه (ما ترك) أي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كما في نسخة (الاسلاحه) بكسر أوله والمراد سيوفه ورماحه وقسيه ودروعه ومغافره وغير ذلك مما علقه الحلبي على البخاري (و بغلته) أي البيضاء وهي دلدل (وارضا جعلها صدقة) الاقرب ان الضمير الى الارض وجعلها صدقة لا ينفي كونها مخلفة عنه بطريق تكلمه عليها لكونه ناظرا لها والانسب عوده الى الجميع والمعنى جعلها بعد موته صدقة كما حقق في حديث نحن معاشر الانبياء لا نورث ما تركناه فهو صدقة ثم الاستثناء مفرغ أي ما ترك شيأ يعتد به الا ماذكر ونحوه وان ثبت انه ترك غيره (قالت عائشة رضي الله تعالى عنها) كما رواه الشيخان (ولقد مات وما في بيتي) اللام ابتدائية أو قسمية والواو حالية أي لهو قد او والله لقد مات والحال انه ليس في بيتي (شيء يأكله ذو كبد) بفتح فكسر و يجوز سكونه مع كسر وفتح أي ذو حياة وخص الكبد لانه منبع الدم (الا شطر شعير) لعله نصف صاع وقال الترمذي أي شيء من شعير ثم المختار رفعه على البدلية ويجوز نصبه على الاستثناء (في رف لي) بفتح راء وتشديد فاء خشب يرفع عن الارض في جدار البيت يرقى عليه ما يراد حفظه وهو الرفرف أيضا وفي الصحاح الرف شبه الطاق وتمام الحديث فأكلت منه حتى طال علي فكلته ففني وهو متفق عليه ثم قالت (وقال لي) أي تسلية لحالي (اني عرض علي) بني للمفعول وحذف فاعله اجلالا له

الشيعة انه أوصى وان عليا كرم الله وجهه وصي لا أصل له ولم يثبت (وفي حديث عمرو بن الحارث) الذي رواه البخاري (ما ترك) أي ما خلف صلى الله عليه وسلم تركة لاهله (الاسلاحه وبغلته وأرضا جعلها صدقة) هذا بعض حديث أوله ما ترك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عند موته دينارا ولا درهما ولا عبدا ولا أمة ولا شيأ الا بغلته البيضاء وسلاحه وأرضا جعلها صدقة وتفصيله في السير فانهم قالوا كان له صلى الله تعالى عليه وسلم تسعة أسياف لكل منها اسم ودروعه سبع وقسيه ست وثلاثة اتراس وخمسة رماح وقال مغلطاي أربعة ومغفران وراية سوداء يقال لها العقاب مربعة وراية بيضاء أو صفراء وكان مكتوبا على راياته صلى الله تعالى عليه وسلم ٭ لا اله الا الله محمد رسول الله ٭ وفي الميزان انها لم تكن الا بيضاء ولم يبين ما وجد منها عند موته وأما بغلته صلى الله تعالى عليه وسلم فهي الدلدل التي أهداها له المقوقس وعاشت بعده صلى الله تعالى عليه وسلم حتى ذهبت أسنانها فكان يجش لها الشعير ثم ماتت بالينبع وقيل انها بقيت لخلافة معاوية رضي الله تعالى عنه وان عليا كرم الله وجهه قاتل عليها وأما بغلته فضة فوهبها لابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه والارض المذكورة فدك والنضير وأرض مخيريق وهي مفصلة ومعنى كونها صدقة أنه وقفها لمصالح المسلمين والوقف يسمى صدقة وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يأخذ منها نفقته ونفقة عياله بقدر الحاجة و يتصدق بباقيها فكل ما عنده صلى الله تعالى عليه وسلم كان مرصدا للملك فلذا لم يورث عنه كسائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام وأما قوله تعالى يرثني ويرث من آل يعقوب فالمراد منه انه يرث علمه وحكمته وشرفه كما صرحوا به وضمير جعلها للارض والجملة صفة أو مستانفة استئنافا بيانيا أو الضمير للمذكورة (قالت عائشة رضي الله تعالى عنها) في حديث رواه الشيخان (ولقد مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وما في بيتي شيء يأكله ذو كبد) هو كناية على كل حيوان انسانا أو غيره والكبد معروف وهو أحد الاعضاء الرئيسة وخصه لان منه يصل الغذاء الى الجسد كله وهذا مناف لقولها ما ترك درهما ولا دينارا ولا شيأ ووفق بينهما بان المنفي هنا ما كان مختصا بها من بقية نفقتها او المراد بالشيء وان كان عاما ما كان من جنس المال والمتاع او هو لعدم الاعتداد بما ذكر لقلته (الا شطر شعير) الشطر النصف كالشطير أو البعض مطلقا وفي النهاية أراد به نصف مكوك أو نصف وسق والمكوك المد وقيل الصاع (في رف لي) بفتح الراء المهملة وتشديد الفاء شبه الطاق في الحائط و يطلق على خشبة عريضة ترفع عن الارض تعد لوضع ما يراد حفظه وهو الرفرف أيضا والاول أقرب لان الخشبة لا تحتمل وضع هذا المقدار عليها وتتمة الحديث فأكلت منه طويلا ثم كلته ففني وفيه اشارة الى أن الكيل كالعد يذهب البركة وقد وردت له نظائر كما في مسلم عن جابر رضي الله تعالى عنه ان رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم يستطعمه فاطعمه شطر وسق شعير فما زال هو وامرأته ووصيفه يأكل منه حتى كاله فأتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأخبره فقال لو لم تكله لم ينفد قيل لما فيه من الحرص وعدم التوكل والتمسك بالاسباب المعتادة وأما ما ورد في حديث المقدام كيلوا طعامكم يبارك لكم فيه فاجيب عنه بانه عند التبايع لحق المشتري فتأمل (وقال) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (لي) أي لعائشة وفي شرح ابن اقبرس وقال الي بدل اللام أي ادن واقرب الي فطلب صلى الله تعالى عليه وسلم دنوها منه ليسارها وقال حكاية لحال ماضية (اني عرض علي) بالبناء للمجهول وفي رواية عرض علي ربي

(ان يجعل لى) بالتذكير والتأنيث أى يصير ويقلب لاجلى (بطحاء مكة) أى حصاها أو مسيلها (ذهبا فقلت لا) أى لا أختاره (يارب) فاخترلى (أجوع يوما) أو معناه لا أريد بل أريد ان أجوع يوما أى وقتا (فاصبر) وقدمه لانه مذكر للافتقار اليه وباعث للاتكال عليه ومبالغة فى احتقار عرض عرض الدنيا الدنيه (وأشبع يوما) أى وقتا آخر (فاشكر) لاكون مؤمنا كاملا فان الايمان نصفان نصفه صبر ونصفه شكر كما فى حديث واليه يشير قوله تعالى ان فى ذلك لآيات لكل صبار شكور وهذا مقام الانبياء والاولياء من أرباب الكمال وهو التربية بنعتى

الجلال والجمال ثم بين ما يترتب على كل منهما من حسن الحال بقوله (فاما اليوم الذى أجوع فيه فاتضرع اليك) أى أتذلل وألتجئ (وأدعوك) بما أؤمل لديك (وأما اليوم الذى أشبع فيه فاحمدك) أى فاشكرك (وأثنى عليك) وصنيعنا فى تفسير الحمد بالشكر أولى من قول الدلجى ان العطف تفسيرى فان التأسيس أولى من التأكيد لاسيما ومقام النعمة يقتضى الشكر الموجب للمزيد ومما يؤيده أيضا ما رواه الترمذى بلفظ فاذا جعت تضرعت اليك وذكرتك واذا شبعت شكرتك وحمدتك (وفى حديث آخر) قال الدلجى لا أدرى من رواه بهذا اللفظ قلت فكان ينبغى ان يذكر من رواه بهذا المعنى ليكون مؤكدا له فى المبنى والحاصل من كلامه ونقل غيره (ان جبريل عليه السلام نزل عليه فقال ان الله يقرئك السلام) أى يسلم عليك وفى القاموس قرأ عليه السلام أبلغه كاقرأه ولا يقال اقرأه الا اذا كان السلام مكتوبا وفى الاكمال أقرأته السلام وهو يقرئك السلام بضم الياء رباعيا فاذا قلت يقرأ عليك السلام فبفتح الياء وقيل هما لغتان وبهذا يندفع ما تكلف الدلجى بقوله يقال اقرأ فلانا السلام كانه حين يبلغه سلامه يحمله على ان يقرأ السلام ويرده (ويقول) أى الله سبحانه وتعالى (لك) أى اعتبارا أو اختيارا (أتحب ان أجعل هذه الجبال) من الصفا وأبى قبيس وغيرهما مما حوالى مكة وأطرافها أو جنس هذه الجبال بانواعها وأصنافها (ذهبا وتكون) أى جبال الذهب (معك حيثما كنت) أى من جهة الشرق والغرب وما بينهما وما مزيدة للتاكيد (فاطرق

يقال عرض له وعليه اذا أظهره له وأراه اياه والمراد اعلمه بالوحى (ان يجعل لى بطحاء مكة ذهبا) البطحاء والابطح واد تجرى فيه السيول أو بطن واد فيه رمل وحصى أو مكان لا ينبت لانه مسيل وهو مما غلب عليه الاسمية والمراد بجعله ذهبا ان يملأه به أو ان يقلب حصاه ورماله ذهبا وقلب الاعيان كانشائها من العدم غير مستحيل لوقوعه والله قادر على كل شئ (فقلت لا يارب) أى لا أريد جعل البطحاء ذهبا (أجوع يوما وأشبع يوما) استئناف كانه قيل له فاتريد قال أريد الفاقة وان أكون تارة جائعا وتارة شبعان لزوما لمقام العبودية والافتقار الى الله ثم بين ما يكون عليه فقال (فاما اليوم الذى أجوع فيه فاتضرع اليك) فيه والتضرع الدعاء بتذلل وانكسار من الضراعة وهى الذلة والالتجاء (وأدعوك) أى أطلب منك وفى الدعاء مناجاة والتجاء ومعاملة مع الله وان كان عالما بذلك (وأما اليوم الذى أشبع فيه فاحمدك وأثنى عليك) لما أنعمت به على ولا وجه لما قيل هنا من انه تعليم لفقراء أمته والا فلو جعلت له الدنيا ذهبا لم يشغله ذلك عن الله طرفة عين الى غير ذلك مما أطال فيه بغير طائل على عادته وهذا الحديث رواه الترمذى عن أبى امامة رضى الله تعالى عنه بلفظ فاذا جعت تضرعت اليك وذكرتك فاذا شبعت شكرتك وحمدتك (وفى حديث آخر) قال السيوطى لم أجده هكذا ولكن البيهقى رحمه الله تعالى أخرجه فى الزهد من طريق عطاء عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال يوما ما أمسى لآل محمد كف سويق ولا سفة دقيق فاتاه اسرافيل عليه الصلاة والسلام فقال ان الله سمع ما ذكرت فبعثنى اليك بمفاتيح الارض وأمرنى ان أعرض عليك ان أحببت ان أسير معك جبال تهامة زمردا وياقوتا وذهبا وفضة فقلت الى آخره وأخرج ابن سعد وابن عساكر فى تاريخه من حديث عائشة رضى الله تعالى عنها انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لو شئت لسارت معى جبال الذهب ولاحمد فى الزهد عنها والله لو شئت لاجرى الله معى جبال الذهب والفضة وللطبرانى نحو منه من حديث أم سليم رضى الله عنها عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال لو سألت الله ان يجعل تهامة كلها ذهبا لفعل وأخرج أحمد حديث الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له قد يجمعها من لا عقل له مختصرا عن عائشة رضى الله تعالى عنها *قلت فاذكره المصنف رحمه الله رواية بالمعنى من عدة أحاديث (ان جبريل نزل عليه صلى الله تعالى عليه وسلم فقال له ان ربك يقرئك السلام) أى يسلم عليك ويحييك تحية اكرام قال فى الاكمال اقرأته السلام وهو يقرئك السلام بضم الياء من المزيد فاذا قيل يقرأ عليك السلام بعلى فبفتح الياء لاغير وقيل هما لغتان وهو مهموز لام معتل ويجوز ابدال همزته واوا وياء ومعنى اقرأه حمله على أن يقرأ عليه سلامه أى يبلغه اياه فهو مجاز مرسل لمطلق التبليغ ماخوذ من القراءة ومعنى قرأه عليه ذكره له (ويقول لك أتحب أن أجعل لك هذه الجبال ذهبا وتكون معك حيث ما كنت) أى تسير معك وتتوجه انى توجهت

(فاطرق ساعة) أى خفض رأسه تأدبا وتفكرا مع سكوته انتظارا لما يلهمه ربه من الخيرة كما ورد فى دعائه اللهم خرلى واخترلى ولا تكلنى الى اختيارى (ثم قال يا جبريل ان الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له) أى فى المآل (قد) للتقليل (يجمعها) أى يريد جمعها (من لا عقل له) أى لقلة معرفته بحقيقة الدنيا من سرعة فنائها وكثرة عنائها وقلة غنائها وخسة شركائها وانما فاتها للآخرة باعتبار درجاتها (فقال له جبريل ثبتك الله يا محمد بالقول الثابت) الجملة دعائية أو خبرية والمراد ههنا بالقول الثابت هو الحق المطلق المحقق وان ورد فى التنزيل فى جواب المؤمن للملكين فى القبر حيث قال تعالى يثبت

الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة مع ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فقول الدلجى فى هذا المقام أى أدامك على قول لا اله الا الله لا يناسب المرام كما لا يخفى على الكرام ثم فى الحديث برهان على امكان قلب الاعيان هذا وقد رواه أحمد الدنيا دار من لا دار له قد يجمعها من لا عقل له والبيهقى ولفظه أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لجبريل يوما ما أمسى لآل محمد كفة سويق لا سفة دقيق فأتاه اسرافيل فقال ان الله تعالى سمع ما ذكرت فبعثنى اليك بمفاتيح الارض وأمرنى ان أعرض عليك ان أحببت ان أسير معك جبال تهامة زمردا وياقوتا وذهبا وفضة فعلت وفى رواية لأحمد والله لو شئت لأجرى الله معى جبال

(فاطرق ساعة) أى طأطأ رأسه يفكر فيما يجيبه به صلى الله تعالى عليه وسلم (ثم قال يا جبريل ان الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له) الدنيا تأنيث الأدنى مقابل الآخرة لانها فعلى من الدنو وهو القرب وتطلق على هذا العالم المشاهد وكل ما فيه من المال وغيره وعلى الارض التى هى مقر العالمين وبهذا الاعتبار تسمى دارا وقوله دار من لا دار له أى لانها فانية لا يقيم فيها أحد ولذا شبهت بالخان الذى ينزله المسافرون وبالقنطرة بل بالسفينة كما قال

وانا لفى الدنيا كركب سفينة * نظن وقوفا والزمان بنا يسرى

وقوله مال الى آخره أى انما يملكه المرء فيها يسلب منه فهو عارية أو وديعة فصاحبه لا ملك له حقيقة فكل غنى فيها فقير وليس هذا من قبيل فرط من لا فرط له وذخر من لا ذخر له (قد يجمعها من لا عقل له) قد للتحقيق لان من جمع الدنيا كثيرا وهى لتقليل جمعه وحيازته لها فانه يجمعها بعد بلوغه ورشده لموته ثم يفقدها الى ما لا نهاية له أو لتعلق الفعل فان متاع الدنيا بالنسبة لغيره قليل وعلى هذا حمل قوله قد يعلم ما أنتم عليه وانما هم عليه بالنسبة لبقية معلوماته أقل قليل أو هى مستعارة للتكثير كقوله

* قد أترك القرن مصفرا أنامله * وان كان فى البيت نزاع ليس هذا محله وجعله لا عقل له لتنزيل وجود عقله منزلة العدم اذ لم يصرفه فيما يتعلق بالآخرة ويهديه الى الاكتفاء من الدنيا بزاد المسافر الذى يبلغه منزله فان العاقل من كان كذلك ولذا قال الفقهاء لو أوصى لاعقل الناس صرف للزهاد وقال الشاعر

ان لله عبادا فطنا * طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا
نظروا فيها فلما علموا * انها ليست لحى وطنا
جعلوها لجة واتخذوا * صالح الاعمال فيها سفنا

(فقال له جبريل عليه الصلاة والسلام ثبتك الله يا محمد بالقول الثابت) المراد بالقول الثابت الحق لانه دائم لا يزول أو المراد به حق مخصوص بمقالته وهو اما دعاء له أو اخبار بان الله امتن عليه فانه بمحض فضل الله ولطفه فانه الذى ثبته على هذا (وعن عائشة رضى الله تعالى عنها) فى حديث صحيح رواه الشيخان انها (قالت ان كنا آل محمد) المراد بآله أهل بيته عليه الصلاة والسلام وله معان أخر مشهورة وان مخففة من الثقيلة (لنمكث شهرا ما نستوقد نارا) أى ما نوقد نارا فالسين للتأكيد أو المراد ما نطلب من أحد نارا نوقدها وهذا كناية عن انه ليس لهم ما يطبخ (ان هو الا التمر والماء) وان نافية وهو ضمير الطعام والمأكول أى ما عندنا ما يؤكل ويتغذى به الا التمر والماء وروى وانما هو الاسود ان التمر والماء قيل هذا كان فى بعض الاحوال (وعن عبد الرحمن بن عوف) الصحابى المشهور رضى الله تعالى عنه وهذا الحديث رواه عنه الترمذى والبزار وغيرهما بسند جيد

 الذهب والفضة ولابن سعد وكذا لابن عساكر لو شئت لسارت معى جبال الذهب وللطبرانى لو سألت الله ان يجعل لى تهامة كلها ذهبا لفعل (وعن عائشة) كما رواه الشيخان (قالت ان) قال الانطاكى ان كلمة تأكيد بمعنى قد وتدخل اللام للتأكيد أيضا وقيل ان نفى واللام استثناء والاظهر الاشهر ان ان مخففة من المثقلة وقد روى انا (كنا آل محمد) يجوز رفعه على البدل من المضمر ونصبه على الاختصاص والثانى أظهر (لنمكث شهرا) أى قدره (ما نستوقد نارا ان هو) أى ما قوتنا (الا التمر والماء) وفى رواية الاسودان (وعن عبد الرحمن بن عوف) على ما رواه الترمذى والبزار بسند جيد

(هلك) واعترض بأن الصواب نحو توفي وقبض لأن الهلاك أكثره في العذاب وفي موت الكفار ويمكن دفعه بأنه قال تعالى حكاية عن
مؤمن آل فرعون ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم في شك مما جاءكم به حتى اذا هلك وفي نسخة قال

هلك أي مات (رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يشبع هو وأهل بيته من خبز الشعير) أي فضلا عن خبز البر فلا عبرة بما يتوهم من قيده باعتبار مفهومه من حصول شبعه من غيره (وعن عائشة وأبي امامة وابن عباس نحوه) أي بمعناه مع اختلاف مبناه (قال ابن عباس) كما روى ابن ماجه والترمذي وصححه (كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يبيت هو وأهله الليالي المتتابعة) أي فيها بأيامها (طاويا) حال منه لأنه الأصل والأعلى أو من أهله فهو بالأولى (لا يجدون) أي أهله أو هو وأهله (عشاء) وهو تأكيد لما قبله ولعل الاقتصار على العشاء للإيماء بأنه الأهم من الغداء (وعن أنس) برواية البخاري (قال ما أكل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على خوان) بكسر أوله ويضم أي مائدة أو هو ما يؤكل عليه من نحو كرسي على عادة المترفهين لئلا يفتقروا إلى الانحناء حال
أكلهم وسئل قتادة على ما كانوا يأكلون يعني الصحابة قال على السفر (ولا في سكرجة) بضم الثلاثة وضم
وتشديد الراء وجوز فيها الفتحة إناء صغير يؤكل فيه القليل من الأدم فارسي معرب وأكثر ما يوضع فيه وأمثاله ما يعتاده المترفهون
من إحضار المخللات ونحوها من المهضمات والمرغبات في أطراف المأكولات

(هلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي توفي والهلاك بمعنى الموت مطلقا مستعمل في حق النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وغيره قال الله تعالى كل شيء هالك إلا وجهه وأما اختصاصه بميتة السوء كالقتل فعرف طار ولذا كثر استعماله في الأعداء فيقال هلك عدو الله وقد ورد في الحديث والإهانة إنما تفهم من ذكر العدو ونحوه * قلت فلا يجوز لنا الآن إطلاقه على من كرمه الله والصحابة ونقتصر فيه على ما ورد منه من غير نكير كما ورد في حق يوسف عليه الصلاة والسلام حتى إذا هلك قلتم الخ وكذا ورد في حق غيره من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فلا يختص بمن استحق العذاب الأبقرينة (ولم يشبع هو ولا أهل بيته من خبز الشعير) وأول الحديث عن نوفل بن إياس الهذلي قال كان عبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنه جليسا لي وكان نعم الجليس وإنه انقلب بنا ذات يوم حتى إذا دخلنا بيته دخل فاغتسل ثم خرج وأتانا بصحفة فيها خبز ولحم فلما وضعت بكى عبد الرحمن بن عوف فقلت يا أبا محمد ما يبكيك قال هلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يشبع هو ولا أهل بيته من خبز الشعير فلا أرانا أخرنا لما هو خير لنا وقد تقدم أنه ورد في معناه أحاديث كثيرة متقاربة المعنى وتقدم ما فيه من الإشكال وجوابه وإلى تقويته هذا أشار بقوله (وعن عائشة رضي الله تعالى عنها وأبي امامة وابن عباس رضي الله تعالى عنهم نحوه) أما حديث عائشة رضي الله تعالى عنها فما في الصحيحين عنها أنها قالت ما شبع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من خبز شعير يومين حتى قبض وحديث أبي امامة رضي الله تعالى عنه في الترمذي بهذا اللفظ أيضا وحديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عنه هو المذكور عقب هذا بقوله كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم إلى آخره كما قاله السيوطي رحمه الله تعالى وسياق كلامه يأباه ولو كان مراده هذا اكتفى بذكره والأحسن أنه ما في الصحيحين أيضا عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن عمر رضي الله تعالى عنه حدثه أنه دخل عليه صلى الله تعالى عليه وسلم وقد اعتزل نساءه فإذا هو مضطجع على حصير قد أثر بجنبه فقلبت عيني في خزانته فإذا هي ليس فيها شيء غير قبضتين من شعير وقبضة من تمر فابتدرت عيناي فقال ما يبكيك يا ابن الخطاب فقال مالي لا أبكي وأنت صفوة الله من خلقه وهذه الأعاجم في النمارق والأنهار وأنت هكذا قال يا ابن الخطاب أما ترضى أن تكون لنا الآخرة ولهم الدنيا فقلت بلى يا رسول الله قال فاحمد الله عز وجل (قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يبيت هو وأهله الليالي المتتابعة طاويا) حال من ضميره صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يقل طاوين لأن المقصود حاله صلى الله تعالى عليه وسلم وحال أهله يعلم من حاله لأنهم يتبعونه في كل حال وطاويا بمعنى جائعا لأن الطوى الجوع كما ذكره الجوهري والليالي منصوب على الظرفية وقوله (لا يجدون عشاء) بفتح العين والمد الطعام الذي يقابل الغداء وخصه لقوله يبيت والمراد به مطلق الطعام وهذا الحديث أخرجه الترمذي وابن ماجه (وعن أنس رضي الله تعالى عنه) في حديث رواه البخاري (قال ما أكل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على خوان) بكسر الخاء المعجمة وضمها فارسي معرب ويقال اخوان بزنة اكرام أيضا وهو المائدة والميدة بمعنى وإن فرق بينهما في الأصل بأن الخوان ما يوضع عليه الطعام قبل وضعه وبعده يسمى مائدة والأكل عليه عادة المتكبرين حتى لا يحتاجوا للانحناء إذا أكلوا وقيل إنه عربي من التخون وهو النقص ويجمع على أخونة وخون وأما السفرة بالضم فالطعام المعد للسفر وتكون بمعنى ما يوضع عليه الطعام من الأديم أيضا (ولا في سكرجة) قال الجوالقي هي بضم السين المهملة

(ولاخبز له) بصيغة المجهول الماضي (مرقق) بصيغة المفعول أي ارغفة واسعة رقيقة وتسمى الرقاق كطويل وطوال وقيل اللين الابيض المسمى بالحوارى (ولا رأى شاة سميطا قط) فعيل بمعنى مفعول أي مسموطا بمعنى مشويا بجلده فان الغالب سمطها بان ينزع صوفها بالماء الحار بعد تنظيفها من القاذورات واخراج ما في بطنها من النجاسات والاخرام في أصح الروايات وكذا حكم الرؤس والدجاجات والسمط لا يحسن الا في صغار الغنم (وعن عائشة رضي الله تعالى عنها) برواية الصحيحين (انما كان فراشه صلى الله تعالى عليه وسلم) أي الخاص كما بينته بقولها (الذي ينام عليه أدما) بفتحتين أي جلدا مدبوغا وقيل الاحمر منه وقال الدلجي جلدا أسود (حشوه ليف) بكسر اللام أصول سعف النخل (وعن حفصة رضي الله تعالى عنها) أي ابنة عمر أم المؤمنين كما في الشمائل للترمذي (كان فراش النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في بيتي) أي مكاني المنسوب الي ووقع في أصل الدلجي بلفظ في بيته وتصح الاضافة بادنى الملابسة وانما الكلام في ثبوت الرواية (مسحا) بكسر الميم بلاسا من شعر أبيض وقيل من أسود (بثنيه) بكسر النون المخففة أي نطويه (ثنيتين) بكسر المثلثة أي عطفتين أو طيتين وفي نسخة ثنيين بالتذكير على المصدر وفي أخرى ثنتين أي مرتين (فينام عليه) وهذا من دأبه وعادته في كل وقته (فثنيناه له ليلة باربع) أي أربع طاقات والباء من باب الزيادات وبات عليه من غير شعوره ابتداء به لاستغراقه في شهود نوره ووجود حضوره (فلما أصبح قال ما فرشتم لي الليلة) استفهام انكاري أو استعلام (فذكرنا ذلك له) أي ثنيه اربعا ليوجب له راحة ونفعا (فقال ردوه بحاله) أي على وفق عادتي (فان وطأته منعتني الليلة صلاتي) أي لينته منعتني كمال حضوري في طاعتي أو شغلتني عن القيام لصلاتي وقراءتي (وكان) كما رواه الشيخان والترمذي وابن ماجه (ينام أحيانا) أي في بعض الاوقات (على سرير مرمول بشريط) أي منسوج بحبل مفتول من سعف

وضم الكاف وفتح الراء المهملة المشددة وجيم وهاء وهي أعجمية معربة وقيل الصواب أسكرجة بهمزة مضمومة وقد جاء في الحديث الصحيح بدون همزة ومعناه مقرب الخل ولذا قيل معناها قصعة صغيرة يوضع فيها الكوامخ والجوارشات في الجوانب المائدة فيها ما يعين على الهضم وقيل قصعة مدهونة وقيل انها مائدة صغيرة وعلى كل فهي مما يصنعه العجم والمقلدون لهم من المتكبرين والجيم والهاء علامة التصغير عندهم وقيل فيها أيضا سكيرجة (ولا خبز له مرقق) بالبناء للمجهول ومرقق بوزن معظم رقيق الخبز كالرقاق وقيل هو المنبسط الرقيق وقيل هو الحوارى والسميد بدال مهملة أو معجمة وفي رواية مرققا بالنصب تمييزا او مفعول ثان لخبز لتضمنه معنى الجعل والمراد ان خبزه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يجعل من بياض الدقيق لانهم لم يكن لهم مناخل (ولا رأى شاة سميطا قط) سميط فعيل بمعنى المفعول أي لم يطبخ له صلى الله تعالى عليه وسلم شاة بتمامها بعد سمطها أي غليها في الماء الحار حتى يذهب شعرها ثم تشوى وظاهر كلامهم انها لم تسلخ وان ماذكر في الحملان الصغيرة (وعن عائشة رضي الله تعالى عنها) في حديث رواه الشيخان (انما كان فراشه صلى الله تعالى عليه وسلم الذي ينام عليه ادما) بفتح الهمزة والدال المهملة والميم اسم جمع لاديم وهو الجلد المدبوغ اللين انه مخصوص بالاسود (حشوه ليف) والليف ما يكون من النخل وهو معروف (وعن حفصة رضي الله تعالى عنها) بنت عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه أم المؤمنين وحديث حفصة رواه الترمذي في الشمائل منقطعا وحديثها لا ينافي حديث عائشة المتقدم لجواز كون ان كلا منهما ذكرت فراشه صلى الله تعالى عليه وسلم الذي كان عندها (قالت كان فراش رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في بيته مسحا) بكسر الميم وسكون السين المهملة وبعدها حاء مهملة وهو ثوب مستعد للفراش شبه الكساء ويقال له حنبل وقيل هو ثوب أسود من شعر يلبسه الزهاد وقيل هو ثوب من الشعر والوبر والصوف يلبس ويجلس عليه وجمعه مسوح وعلى كل حال فهو شيء غليظ يتنزه عن مثله أصحاب الترفه (تثنيه ثنيتين فينام عليه) الثني بكسر فسكون والمثنى ما ثني بعضه على بعض وعطف أي يجمع بعضه على بعض مرتين حتى يكون أثخن وأوطأ للنوم عليه وتثنيته ثنتان وجمعه اثناء وروى ثنتين بمثناة فوقية مكان الياء المثناة التحتية والمعنى واحد والنسخة الاولى أصح وأشهر (فثنيناه له ليلة باربع) طاقات ليكون الين مهادا من الثنيتين (فلما أصبح صلى الله تعالى عليه وسلم قال ما فرشتم لي الليلة فذكرنا ذلك له) وهو انهم جعلوا فراشه أربع طاقات (فقال ردوه بحاله) الاول وهو الثنيتان (فان وطأته) بفتح الواو والطاء المهملة والمدة وتاء تأنيث مضاف لضمير الفراش فوزنه فعالة أو فعالة بفتح فسكون وهمزة غير ممدودة على وزن فعلة أي لينه تحت جنبي لكثرة طاقاته وتضعيفها (منعتني الليلة صلاتي) أي ان لينه لذلة عليه السلام النوم فنام أكثر من معتاده لان فراشه ممهد لم يؤذه حتى ينبهه فانقطع عن بعض القيام لتهجده ليلا لزيادة نومه (وكان صلى الله تعالى عليه وسلم ينام أحيانا على سرير مرمول) ونومه الاول على فراش على الارض ومرمول براء مهملة وميمين بمعنى منسوج (بشريط) أوغيره والشريط بشين معجمة وراء وطاء

(حتى يؤثر) أى يظهر أثر خشونة الشريط (فى جنبه) لكونه يرقد عليه من غير حائل بينه و بينه قيل حتى ابتدائية والصيغة المضارعية حكاية الحال الماضية وقيل مرادفة لكى التعليلية والاول أظهر فتدبر (وعن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت لم يمتلئ) بهمزه والصحيح وفى نسخة بلام مفردة ولعل وجهها التخفيف المسهل ثم معاملة المعتل فتامل أى ما امتلأ (جوف النبى صلى الله تعالى عليه وسلم شبعا) بكسر ففتح وقد يسكن وقيل الاول نقيض الجوع والثانى ماشبع من الشئ فالمعول هو الاول اذ نصبه على التمييز فتامل (قط) أى أبدا ولعل مرادها غالب أحواله أو شبعا مفرطا غير مناسب لكماله (ولم يبث) بضم موحدة وتشديد مثلثة أو بضم أوله وكسر ثانيه أى لم ينشر ولم يظهر (شكوى) أى شكايته ولا بطريق حكايته فى جميع حالاته (الى أحد) من أصحابه وزوجاته لقوله تعالى فى ضمن آياته حكاية عن يعقوب فى شدة ما ابتلاه قال انما أشكو بثى وحزنى الى الله (وكانت الفاقة) أى الحاجة الملازمة من الفقر المقتضى للصبر (أحب اليه من الغنى) المقتضى للشكر وهذا صريح فى تفضيل الصبر على الشكر كما ذهب اليه أجلاء الصوفية وأكثر علماء الفقهية هذا وقد ورد لو تعلمون ما لكم عند الله لاحببتم ان تزدادوا فاقة وحاجة على ما رواه الترمذى ليلا عن فضالة بن عبيد (وان) مخففة من المثقلة أى وانه (كان ليظل) بفتح الظاء المعجمة وتشديد اللام أى يكون فى طول النهار (جائعا لى) بهمزة مكسورة

مهملتين بينهما ياء مثناة تحتية حبل مفتول من خوص النخل أو سعفه مع حبال وواحده شريطة (حتى يؤثر) حبال شريطه (فى جنبه) لكونه بغير فراش يحول بينه و بينه وهذا من حديث طويل رواه الشيخان والترمذى وفيه وتحت رأسه وسادة من ادم حشوها ليف وفى معناه أحاديث أخر (وعن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت لم يمتلئ جوف النبى صلى الله تعالى عليه وسلم شبعا قط) قال التلمسانى فيه أربع لغات فتح الشين المعجمة وكسرها مع سكون الموحدة وفتحها وقال البرهان هو بفتح الموحدة نقيض الجوع و بسكونها ما يشبع والظاهر هو الاول وقيل عليه ان كان ظهوره بحسب الرواية فسلم وأما بحسب الدراية فالظاهر الثانى لانه اسم عين وعلى الاول اسم معنى والامتلاء منه مجازى كامتلأ غضبا وقيل عليه ان المجاز أبلغ من الحقيقة فهو أولى رواية ودراية فالبرهان مع البرهان وفيه نظر وهذا يقتضى انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يشبع ولكنه لا يمتلئ جوفه بتمامه منه فان المطلوب تقليل الطعام والاقتصار على ما يقوم به الاود ثم ملأ ثلث بطنه فان ثلثا للزاد وثلثا للماء وثلثا للنفس فان زاد فنصفها وما زاد على ذلك حرص و بطنه غير ممدوحة وقد يحرم ان وصله للضرر والتخمة قصدا كما ان أول مراتبه واجب (ولم يبث شكوى الى أحد) بفتح الياء التحتية وضم الباء الموحدة وتشديد المثلثة بمعنى يذكر ويظهر يقال بث الخبر وأبثه اذا نشره و يقال أيضا نثه بالنون وبه ما روى قول قيس

اذا جاوز الاثنين سر فانه * ببث وتكثير الحديث قمين

والشكوى مذمومة فالذى يليق بمقام العارفين الصبر وكتم ما بهم لاسيما والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم كان يسر بكل ما يأتيه من الله ولا يعده مؤلما بل يتلذذ به فكيف يتصور شكواه والى هذا أشار بقوله (وكانت الفاقة) وهى الحاجة والفقر (أحب اليه صلى الله تعالى عليه وسلم من الغناء) قيل هذا يقتضى ان الفقر أفضل من الغناء وقد أختلف فيه على قولين ولكل منهما أدلة كقوله تعالى ووجدك عائلا فاغنى حيث امتن عليه صلى الله تعالى عليه وسلم بالغنى ولا دليل فيه لانه امتن عليه بقضاء حاجته والمفضول قد يكون فى مقام له منة تزيد على الفاضل ولا فى قوله ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى فانه لم يذم الغناء بل ما قد يترتب عليه وكذا كون حساب الفقير أخف والمختلف فيه هل الغنى الشاكر خير أم الفقير الصابر فذهب الى كل منهما قوم من العلماء لحديث ذهب أهل الدثور بالاجور وحديث ان الفقراء يدخلون الجنة قبل الاغنياء بنصف يوم من أيام القيامة وهو خمسمائة عام الى غير ذلك من الاحاديث الواردة فى الجانبين وقال الغزالى رحمه الله تعالى قد انكشف ان الفقر هو الافضل لكافة الخلق الا فى موضعين غنى يستوى فيه الوجود والعدم و يستفاد به دعاء المساكين وقضاء حوائجهم كغنى بعض الصحابة رضى الله تعالى عنهم وفقر يكون مع الضرورة حتى يكاد يكون كفرا فالاول خير محض وهذا الاخير فيه بوجه من الوجوه والممدوح غنى النفس لا غنى المال من حيث هو والفضل كله فى الكفاف والاقتصار على مقدار الحاجة ولذا طلبه صلى الله تعالى عليه وسلم له ولآله (وان كان ليظل جائعا) ان مخففة من المكسورة الهمزة المثقلة النون والجملة حالية و يظل بفتح المثناة التحتية والظاء المشالة من اخوات كان وأصل معنى ظل فعله نهارا لانه زمان يبدو فيه الظل ثم استعمل لدوام الفعل

(يلتوي) أي حال كونه يتقلب ويضطرب (طول ليلته من الجوع) أي من استمرار جوعته أو من أجل حرارة لذعته ولذا ورد اللهم اني أعوذ بك من الجوع فانه بئس الضجيع كما رواه الحاكم في مستدركه عن ابن مسعود مرفوعا وهذا كله لكمال زهده في الدنيا واقبال قلبه على الاخرى بناء على رضى المولى (ولا يمنعه) أي جوعه (صيام يومه) أي الذي فيه ولو كان نفلا أو صيام يوم عادته في مستقبله وهذا بيان بعض شدة حاله (ولوشاء) أي الغنى ومايترتب عليه من التنعم وحصول المنى ووصول الهدى (سأل ربه جميع كنوز الارض) أي استدعاء لاسيما وقد عرضها مولاه (وثمارها) يجوز نصبها وهو الاشهر في المبنى وجرها وهو الاظهر في المعنى أي جميع ثمار أشجارها أو جميع فوائدها وعوائد فرائدها (ورغد) والرغد بفتحتين ويسكن على ما في القاموس (عيشها) أي سعة معيشتها وطيب منفعتها (ولقد كنت أبكي له رحمة مما أرى به وأمسح بيدي على بطنه مما به من الجوع) أي من أثر جوعه المختص به وهذا يدل على انه كان يطعم أهله ويؤثرهم على نفسه (وأقول) أي والحال اني أقول حينئذ (نفسي لك الفداء) بالمد تفاديا به من ألم الجوع وشدته ومرارة حرارته (لو تبلغت من الدنيا بما يقوتك) بضم قاف أي لو توسعت من البلغة وتوصلت الى المتعة بقدر ما يقويك على قيام الطاعة ويعينك على زيادة العبادة لكان أولى من هذه الحالة فجواب لو مقدر وما قدرناه أحسن من التقدير المشهور وهو لكان أحسن ويجوز ان يكون لو للتمني ويشير الى ما اخترناه ما صدر عنه صلى الله تعالى عليه وسلم من الجواب الدال على ان ما اختاره هو الصواب (فيقول يا عائشة مالي وللدنيا) استفهامية انكارية أي لا حاجة لي اليها ولا اقبال لي عليها قال التلمساني قيل يجوز ان يكون ما استفهامية وتقديره أي الفة ومحبة لي معها حتى أرغب فيها وقيل يجوز ان يكون ما نافية أي ليس لي الفة الى آخره انتهى ثم بين سبب اعراضه عنها بقوله

ليلا ونهارا وهو المراد (يلتوي طول ليلته من الجوع) بتقديم اللام على التاء الفوقية وواو مخففة مكسورة وفي نسخة يتلوى بياء مثناة مفتوحة وفوقية مفتوحة ولام كذلك وواو مشددة مفتوحة يليها ألف ومعناه يتقلب على فراشه من ألم الجوع من لواه ليا اذا صرفه عن جانب لآخر قال تعالى لووا رؤسهم وهذا الزهد صلى الله تعالى عليه وسلم في الدنيا وصبره على مشاقها ليقمع شهوته ونفسه ويقهرها ويرشد أمته لذلك كما بينه بعد وقوله (فلا يمنعه) ذلك أو جوعه (صيام يومه) بالنصب بيمنع أو بنزع الخافض أي عن صيام يومه يقال منعت الرجل عن الشيء فامتنع وقوله (ولوشاء) صلى الله تعالى عليه وسلم الغنى أو الشبع وشاء كثيرا ما يحذف مفعولها بعد لو لدلالة جوابها عليه (سأل ربه جميع كنوز الارض وثمارها ورغد عيشها) ما بعد الكنوز يجوز جره عطفا عليه ونصبه عطفا عن جميع والكنوز جمع كنز وهو معروف والثمار جمع ثمرة وهي ما يحصل من الاشجار ونحوها وقد يراد به كل ما يستفاد من غيره كما يقال ثمرة العلم العمل ويجوز ارادة هذا هنا ورغد بفتحتين وقد يسكن ثانيه يقال فيه رغيد وأرغد والعيش بمعنى المعيشة والمراد ما يتعيش به وأصل معنى الرغد الواسع يقال أرغد فلان اذا أصاب رغدا أي سعة وخصبا وغيره (ولقد كنت أبكي له رحمة مما أرى به) وفي نسخة لما أرى به أي مما أشاهده به أو مما أعامه به (وأمسح بيدي على بطنه) كانه يمسحه يستريح بذلك كما كان يضع الحجر عليه ليبرده ويشد صلبه وهذا للشفقة (مما به من الجوع) أي من ألمه ثم تبين ان ذلك شفقة بقولها (وأقول نفسي لك الفداء) تقدم ان الفداء بالكسر والفتح والقصر والمد وهو ما يفدى به الاسير ونحوه فيجعل عوضا عنه ويقال افديه بنفسي وبامي وبابي ومالي وقد يقال بنفسي من غير ذكر للفداء وتسمى الباء باء التفدية وهذا جائز بل مستحب لصدوره منه صلى الله تعالى عليه وسلم فيقال لمن له شرف كالحكام والعلماء والصلحاء وأعزة الاخوان قصد التوقير واستعطافه ولو كان محظورا كما قيل ما قاله صلى الله تعالى عليه وسلم ونهى عنه من قاله وقد قال له أبو بكر رضي الله تعالى عنه فديناك بآبائنا وامهاتنا وقال صلى الله تعالى عليه وسلم لسعد ارم فداك أبي وأمي ومنعه قوم لحديث مالك بن فضالة ان الزبير رضي الله تعالى عنه دخل عليه صلى الله تعالى عليه وسلم وهو شاك فقال كيف تجدك جعلني الله فداك فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم ما زلت على اعرابيتك بعد قيل ولا حجة فيه لما ادعوه لان الحديث الواحد لا يقاوم الاحاديث الصحيحة الكثيرة الواردة بخلافه ولاحتمال انه انما نهاه عنه لوروده في غير محله لانه لا ينبغي ان يقال ذلك للمريض بل يتوجع له ويقال لا بأس عليك وعافاك الله وشفاك ونحوه ولكل مقام مقال لا لان القائل له كان أبواه مشركين ولا لانه من خصوصياته لان من قائليه من ليس كذلك والاصل عدم الخصوصية (لو تبلغت من الدنيا بما يقوتك) التبلغ مفعل من البلاغ وهو مقدار الكفاية يقال تزود من دنياك بالبلاغ مأخوذ من الزاد الذي يبلغ به المسافر منزله ومنه هذا معنى اكتفيت أي لو اكتفيت منها بالكفاف من القوت من غير ضرورة ومخمصة ولو للتمني (فيقول) صلى الله تعالى عليه وسلم لعائشة رضي الله تعالى عنها (مالي وللدنيا) قيل ما نافية أي ليس لي الفة ومحبة مع الدنيا حتى أرغب

(اخوانى من أولى العزم من الرسل) أى كلهم وأجلهم (صبروا على ما هو) أى على أمر عظيم هو (أشد من هذا) أى مما أنا صابر عليه لما روى ان بعضهم مات من الجوع و بعضهم من شدة اذى القمل وبعضهم من كثرة الجراحات وشدة الامراض والعاهات وقد خصنى الله تعالى فيما احتى وحضنى على الاقتداء بهم بقوله سبحانه وتعالى فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم وفيه ايماء الى ان العبرة فى الكتاب والسنة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب (فضوا على حالهم) أى التى كانوا عليها مما يقتضى الصبر ولم يطلبوا من ربهم السعة ولا دفع المضرة نظرا الى كمال حسن مآلهم (فقدموا على ربهم) راضين بقضائه صابرين على بلائه شاكرين على نعمائه (فاكرم مآبهم) أى مرجعهم اليه (وأجزل) أى أعظم (ثوابهم) لديه (فاجدنى استحيي) بيائين وفى نسخة بياء واحدة أى فادى نفسي مستحيية (ان ترفهت) أى لو تنعمت (فى معيشتى ان يقصر بى) بتشديد الصاد المفتوحة (غدا دونهم) أى دون مرتبتهم وتحت درجتهم وهمتى ان أكون فوق جملتهم (وما من شئ هو أحب الى من اللحوق باخوانى) أى فى الجملة (واخلائى) أى أحبائى فى الملة (قالت فأقام) أى فى الدنيا (بعد) بالضم أى بعد قوله ذلك (الاشهرا حتى توفى صلى الله تعالى عليه وسلم) غاية لاقامته أى الى ان مات وانتقل الى رحمة ربه وهذا يدل على اختياره الفقر فى جميع أمره الى آخر عمره قال الدلجى رحمه الله تعالى لم أدر من روى هذا الحديث لكن روى ابن أبى حاتم فى تفسيره عنها قالت ظل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم صائما ثم طواه ثم ظل صائما ثم طواه ثم ظل صائما قال يا عائشة ان الدنيا لا تنبغى لمحمد ولا لآل محمد يا عائشة ان الله تعالى لم يرض من أولى العزم من الرسل الا بالصبر على مكروهها والصبر عن محبوبها ولم يرض منى الا ان يكلفنى ما كلفهم فقال اصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل وانى والله لاصبرن كما صبروا جهدى ولا قوة الا بالله قال التلمسانى هنا مسئلة وهى من قال مالى صدقة على أعقل الناس فافتى الفقهاء على انه يعطى الزهاد لان العاقل من طلق الدنيا وأنشدوا

طلق الدنيا ثلاثا * واطلبن زوجا سواها
انها زوجة سوء * لا تبالى من أتاها
أنت تعطيها مناها * وهى تعطيك قفاها
فاذا نالت مناها * منك ولتك وراها

(فصل

فيها أو استفهامية أى أى الفة ومحبة ورغبة لى فى الدنيا وهذا من ايثاره صلى الله تعالى عليه وسلم الزهد واظهاره لغنى القلب ومحبة تركها ثم بين انه مقام عظيم سبقه به الرسل عليهم الصلاة والسلام فجرى على طريقتهم فقال (اخوانى من أولى العزم من الرسل) تقدم انهم نوح وابراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام على خلاف فيهم وفى وجه تسميتهم بذلك (صبروا على ما هو أشد من هذا) كالحبس والعرض على القتل أو غير ذلك مما علم من التفاسير (فضوا على حالهم) أى استمروا عليه راضين بقضاء الله لهم الى ان ماتوا (فقدموا على ربهم) أى لاقوه وشهدوا ما انكشف لهم من أحوال الآخرة فى البرزخ (فاكرم مآبهم) أى أكرمهم الله فى مرجعهم اليه يقال آب يؤب اذا رجع فهو اسم مكان أو مصدر ميمى (وأجزل ثوابهم) أى كثر لهم العطاء والجزاء فى دار المقام (فاجدنى استحيي) من الله عند لقائه (ان ترفهت فى معيشتى) أى ان تنعمت وتوسعت فى العيش والترفه تفعل من الرفاهة والرفاهية وهى كالرغد السعة وقد كان الله خيره صلى الله تعالى عليه وسلم قبيل موته بين الخلد فى الدنيا ولقائه فاختار لقاءه كما قاله ابن العربى وان شرطية ويجوز فتحها على المصدرية بتقدير لام قبلها أى لترفهى ووقع فى نسخة فى معيشتهم أى فى جنس معيشتهم والاصح الاولى (ان يقصر بى غدا) يقصر مبنى للمجهول مع التشديد أى ان يقع التقصير أو القصر بالكسر حاله وعمله (دونهم) أى فيكون مقامى دون مقامهم لتنزل مرتبتى عن مرتبتهم والمعيشة مفعلة وجمعه معايش بلا همزة وقد تهمز قليلا كما بينه النحاة وهى ما يتعيش به وغدا بالمعجمة اليوم الذى بعد يومك والمراد به الآخرة جعل الدنيا بمنزلة اليوم الحاضر والآخرة لكونها بعدها بمنزلة غدا استعارة (وما من شئ هو أحب الى من اللحوق باخوانى واخلائى) بالمضاف لياء المتكلم جمع خليل وهو قياس فى المضاعف والمراد بالاخوان والاخلاء الانبياء عليهم الصلاة والسلام السابق ذكرهم (والرفيق الاعلى) وعن عائشة رضى الله تعالى عنها انه صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال لم يقبض نبى حتى يرى مقعده من الجنة ويخير بذلك فلما حضرته صلى الله تعالى عليه وسلم الوفاة شخص بصره وهو يقول اللهم اغفر لى وارحمنى الحقنى بالرفيق الاعلى كما فى البخارى وفى النهاية الرفيق الاعلى جماعة النبيين الذين يسكنون أعلى عليين والمراد به الله عز وجل والرفيق بمعنى الرؤف وهو من اسماء الله كالاعلى واللحوق بهم بمعنى كونهم معهم (قالت) عائشة رضى الله تعالى عنها (فأقام بعد) بالبناء على الضم أى بعد مقالته هذه (الاشهرا حتى توفى صلى الله تعالى عليه وسلم) أى انتقل للآخرة واستوفى أيام عمره

(فصل وأما خوفه ربه) عزو جل ولما كان الزهد ترك الدنيا باختياره وحبسه نفسه عن الشهوات وذلك انما يكون بعد تحقق الخوف والرجاء عقب الزهد بالخوف من الله وربه منصوب بمفعول المصدر واعلم انهم اختلفوا فى خوف النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من عقاب الله فقال الامام أبو الحسن الاشعرى فى كتاب الايجاز كان صلى الله تعالى عليه وسلم يخاف الله بلا خلاف الا ان خوفه كان لماذا فقال أهل الحق كان خوفه قبل ان آمنه الله من عقابه وبعده كان من عتابه ولومه فى الدنيا كما قيل له صلى الله تعالى عليه وسلم لما أعرض عن ابن أم مكتوم عبس وتولى الآية فاما بعد ان آمنه الله تعالى من عقابه فلا يجوز ان يخاف عقابه مع علمه بانه آمنه منه فاخبره بانه لا يخاف عقابه خلافا للرافضة والقدرية حيث زعموا أنه هو وسائر المكلفين ماداموا المكلفين فى الدنيا الابدان يخافوا عقابه سواء آمنهم أم لا دليلنا ان الخوف من شئ لا يجوز الا مع تجويز نزوله به وأما مع القطع بانه لا يحصل أبدا فمحال حصول الخوف منه عند عاقل فلو قلنا انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يخاف عقاب الله مع تأمين الله له من ذلك لادى الى كونه شاكا فى غيره وانه صدق أو كذب فى اخباره بانه لا يتعلق به عقاب ولما بطل هذا بالاتفاق علم ان الخوف لا يصح مع القطع بانه لا يعاقب أصلا انتهى وسئل شيخ مشايخنا ابن حجر الهيثمى عن الانبياء والملائكة عليهم الصلاة والسلام والعشرة المبشرة بالجنة هل كانوا يخافون عقاب الله تعالى بعد اخبار الله لهم بانهم لا يعذبون فاجاب بان نفى الخوف واثبات الامن لمن ذكر مطلقا باطل بل مصادم للنصوص من وجوه * أحدها ان حقيقة الخوف كما فى الاحياء ألم القلب لتوقع مكروه فى المستقبل وهو اقسام منها خوف ضعف القوة عن الوفاء بحقوق الله على ما ينبغى والخوف بهذا المعنى محقق فى جميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام ويلزمه عدم الامن من مكر الله ولا يامنه أحد الا ان كان المامون منه الانسلاخ عن النبوة والملكية والايمان فى العشرة على انه قيل بوقوعه لبعضهم والرجاء والخوف متلازمان واشتراط الرجاء والخوف بما هو مشكوك فيه لا تايد فيه لانهم لا يخافون لانهم على بينة ويقين من ربهم كما قيل بل هو حجة عليه لما مر من معنى الخوف فالكل على يقين من أصل الكمال وقد تعتريهم استشعار قدرة الله واستغنائه عن خلقه وانه لا يسئل عما يفعل ولا يجب عليه شئ وقد يشترط ما أخبرهم به بما انطوى عن علمهم فيوجب الخوف حتى من سلب أصل الكمال * الثانى ان الشافعى رضى الله تعالى عنه صرح بان الملائكة داخلون فى قوله لا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون لما أخرج ابن أبى حاتم من الله تعالى قال لهم ماهذا الخوف الذى بلغ منكم وقد أنزلتكم منزلة لم ينزلها غيركم فقالوا ربنا لا يامن مكرك الا القوم الخاسرون * الثالث ما فى الاحياء ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام يخافون المكر لما روى ان النبى وجبريل عليهما الصلاة والسلام بكيا خوفا من ان يكون تامينهم امتحانا ومكرا وهذا هو الذى قطع قلوب العارفين فلا شبهة فى ذلك لقوله تعالى * ما أدرى ما يفعل بى ولا بكم * فان قلت يرده ماروى عن الحسن انه لما أنزلت هذه الآية خاف صلى الله تعالى عليه وسلم زمانا فلما انزل انا فتحنا لك الخ جد صلى الله تعالى عليه وسلم فى العبادة وقال أفلا أكون عبدا شكورا وروى انه قال فى الآية ان ذلك فى الدنيا أما فى الآخرة فمعاذ الله لانه أخبر بانه فى الجنة فالمعنى ما أدرى ما يفعل بى فى الدنيا فاخبره بنصره واظهار دينه * قلت المراد خوفه صلى الله تعالى عليه وسلم من أمور الدنيا او استئصال أمته فآمنه الله منه وأما الخوف من الله فلا يامنه أحد * الرابع انه ورد فى أدعيته صلى الله تعالى عليه وسلم كثيرا ما يدل عليه نحو اللهم انى أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك وقوله اللهم انى أعوذ من عذاب النار وفتنة المحيا والممات وليس هذا تشريعا للامة ان يقولوه لانه لم يقل قولوا ولا قرينة على تقديره انتهى وقد اختلف الفقهاء فى الامن من مكر الله واليأس من رحمته فقالت الشافعية انها من الكبائر وقالت

(فصل) أى ثالث (وأما خوفه ربه) معمول للمصدر المضاف الى فاعله وفى نسخة من ربه

الحنفية انهما كفر لقوله تعالى * لاييأس من روح الله الا القوم الكافرون * ولايأمن مكر الله الا القوم الخاسرون * وتمسك الشافعية لعدهما من الكبائر بما ورد فى حديث ابن مسعود رضى الله تعالى عنه وقال ابن أبى شريف ان أريد باليأس انكار سعة الرحمة الذنوب وبالامن انه لامكر فهو كفر وفاقا لانه رد للقرآن وان أريد استعظام الذنوب واستبعاد العفو استبعادا يدخل فى حد اليأس وغلبة الرجاء المدخل له فى حد الامن فهو كبيرة لا كفر فان ورد اطلاقه عليه فللتغليظ أو ارادة كفران النعمة انتهى وبهذا وفق بينهما ابن نجيم فى رسائله وعلى ما مر عن الاشعرى يخص الامن بغير من مر وعلى غيره هو باق على عمومه هذا جملة ما قاله الفقهاء والاصوليون فى هذه المسئلة وههنا بحث فيما قالوه وهو ان الاشعرى امام أهل السنة وقد جزم بانهم عموا وما ذهبوا الى أمنهم من العقاب كان دون العتاب وقوله أفلا أكون عبدا شكورا يؤيده وما ذكر من الخوف والادعية فالظاهر الذى يقتضيه النظر الدقيق ان مكر الله ليس بمعنى عقابه بل بمعنى ان يقدر عليهم أمرا يقتضيه اذا صدر منهم لانه تعالى وان كان له ان يعذب كل أحد لكن عدله وحكمته يقتضى ان لا يقع ذلك منه بل يجوز جوازا عقليا ومن علم هذا ونظر لعظمته واستغنائه عن جميع مخلوقاته خاف منه وخشى منه وهذا مقام الكملين ولذا قال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وهذا الخوف لابد منه لكل أحد وأما خوفه العقاب بدون هذا ما دام على حال العصمة والتقوى فلا يجوز عليهم فانه يلزمه عدم الوثوق بخبره تعالى وعلى هذا يحمل كلام الاشعرى وهو مناف لما قاله ابن حجر رحمه الله تعالى اذا عرفت هذا فقوله فى شرح جمع الجوامع الامن من مكر الله تعالى معناه الاسترسال فى المعاصى اتكالا على العفو ليس بسديد وليس محلا للخلاف * ثم أقول الحق ما قاله الاشعرى والذى ندين الله به انا نعتقد ان العقاب لا يقع وان الانبياء خصوصا نبينا عليهم الصلاة والسلام بعد عصمته ومغفرة ما تقدم وما تأخر له لا يخشى أحد عليه العقاب ولا يجوز تجويزه عليه أما هو فلعظمة الله ومهابته عنده وعلمه بانه غنى عن خلقه له أن يفعل بهم ما أراد فيخافه خوفا شديدا ويستعيذ من عقابه وان لم نجوزه نحن وفى قوله تعالى لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ايماء لذلك دقيق وما قاله ابن حجر لا دليل له فيه وكلام الغزالى لا حجة له فيه والآية التى ذكرها مخصوصة بالدنيا أو منسوخة كما فى الكشاف * ولك ان تقول انه لشدة خوفه صلى الله تعالى عليه وسلم من الله قد يذهل عن تأمين الله له لا سيما مع ما مر ونظيره ما قاله السيوطى رحمه الله تعالى فى أجوبة الاسئلة المكرورة فى قول يوسف عليه الصلاة والسلام توفنى مسلما وهو يعلم ان كل نبى لا يموت الا مسلما انه دعى بذلك فى حال غلبة الخوف عليه حتى أذهلته عن علمه حالة الدعاء أو ذلك اظهار للعبودية والافتقار وشدة الرغبة فى طلب سعادة الخاتمة وتعليمها للامة انتهى ثم رأيت ما قلناه صرح به ابن عربى فى سراج المريدين فالحمد لله على الوفاق وانما أطلنا الكلام فى هذا المقام لانه من مزال الاقدام فعليك باعادة النظر * فان مورده لم يصف من الكدر * ولنا عودة الى الكلام فيه آخر الكتاب ان شاء الله تعالى (وطاعته له وشدة عبادته) قرنهما مع الخوف لتلازمهما معه (فعلى قدر علمه بربه) قال القشيرى رحمه الله تعالى العلم والمعرفة عند العلماء بمعنى وعند القوم معرفة الحق باسمائه وصفاته ومن عرفه صدق فى معاملاته وتنقى من ردى اخلاقه وآفاته ومن أمارات المعرفة حصول الهيبة وهى الخوف مع الاجلال والى ذلك أشار المصنف فان من قدر الله حق قدره اشتد خوفه منه وأطاعه وعبده على قدر طاقته وانما يعصى الله من جهل ربه ونفسه فان الايمان محبة الله ومن أحبه أطاعه وتحت الرغوة اللبن الصريح (ولذلك قال فيما حدثناه) وفى نسخة حدثنى (أبو محمد بن عتاب قراءة منى عليه) تقدم ترجمته قال (حدثنا أبو القاسم الطرابلسى) حاتم بن محمد بن عبد الرحمن التميمى

(وطاعته له) أى كمال انقياده فى جميع حالاته (وشدة عبادته) أى كمية وكيفية (فعلى قدر علمه بربه) أى بمقدار معرفته بعظمته (لذلك) أى لكونه ماذكر على قدر علمه (قال) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (فيما حدثناه) أى فى جملة ما رواه لنا (أبو محمد ابن عتاب) بتشديد التاء الفوقية (قراءة منى) أى من بين أقرانى (عليه) ففيه دلالة على تسوية اطلاق الحديث على القراءة والسماع (قال ثنا) أى حدثنا (أبو القاسم الطرابلسى) بضم الموحدة واللام

المعروف

(حدثنا أبو الحسن القابسى) بكسر الموحدة (ثنا أبو زيد المروزى ثنا أبو عبد الله الفربرى) بكسر ففتح فسكون (ثنا محمد بن اسمعيل) أى البخارى صاحب الصحيح (ثنا يحيى بن بكير) بالتصغير روى عن مالك والليث قال أبو حاتم لا يحتج به وضعفه النسائى قال الذهبى كان ثقة واسع العلم وذكر فى الميزان انه وثقه غير واحد قال الحلبى كيف لا وقد احتج به البخارى وروى عنه (عن الليث) أى ابن سعد عالم أهل عصره روى عن عطاء وابن أبى مليكة ونافع قال أبو نعيم فى الحلية أدرك نيفا وخمسين رجلا من التابعين وعنه قتيبة وخلق وكان نظير مالك فى العلم وقال الشافعى الليث أفقه من مالك ولكن أضاعه أصحابه وقيل كان دخله فى السنة ثمانين ألف دينار فما وجبت عليه زكاة وقد حج وأهدى اليه مالك طبقا فيه رطب فرد اليه على الطبق ألف دينار وأخرج أبو نعيم عن لؤلؤ خادم الرشيد قال جرى بين الرشيد وبين بنت عمه زبيدة بنت جعفر كلام فقال لها هرون أنت طالق ان لم أكن من أهل الجنة ثم ندم فجمع الفقهاء فاختلفوا ثم كتب الى البلدان فاستحضر علماءها اليه فلما اجتمعوا جلس لهم فسألهم فاختلفوا وبقى شيخ لم يتكلم وكان فى آخر المجلس فسأله فقال اذا خلا أمير المؤمنين فى مجلسه كلمته فصرفهم فقال يدنينى أمير المؤمنين فأدناه فقال أتكلم على الامان قال نعم فأمر باحضار مصحف فاحضر فقال تصفحه يا أمير المؤمنين حتى تصل الى سورة ١٣٧ الرحمن فاقرأها ففعل فلما انتهى الى قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان قال أمسك يا أمير المؤمنين قل والله فاشتد ذلك على هرون فقال يا أمير المؤمنين الشرط أملك فقال والله حتى فرغ من اليمين قال قل انى أخاف مقام ربى فقال ذلك فقال يا أمير المؤمنين فهى جنتان وليست بجنة واحدة قال فسمعنا التصفيق والفرح من وراء الستر فقال الرشيد أحسنت والله وأمر له بالجوائز والخلع وأمر له باقطاع وان لا يتصرف واحد بمصر الا بامره وصرفه مكرما وقد ذكروا فى ترجمته انه كان لا يتكلم كل يوم حتى يتصدق على ثلثمائة وستين مسكينا عدد أيام السنة (عن عقيل) بضم مهملة وفتح قاف وهو ابن خالد الايلى أخرج له الأئمة الستة (عن ابن شهاب) هو الزهرى (عن سعيد بن المسيب) بفتح التحتية المشددة وتكسر وهو من أجلاء التابعين وساداتهم (ان أبا هريرة كان يقول) يدل على تكرر سماعه لهذا الحديث عنه (قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا) أخرجه البخارى فى الدقائق وروى أحمد والبخارى أيضا ومسلم والترمذى والنسائى وابن ماجه عن أنس وزاد الحاكم عن أبى ذر ولما ساغ لكم الطعام ولا الشراب ورواه الطبرانى والحاكم والبيهقى عن أبى الدرداء بزيادة ولخرجتم الى الصعدات تجأرون الى الله تعالى لا تدرون تنجون أو لا تنجون (زاد) أى شيخنا السابق أو بعض مشايخنا وقد أخطأ الدلجى بقوله أى زاد أبو هريرة أو النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لانه يصير التقدير ان أحدهما زاد فى روايتنا عن أبى عيسى رفعه الى أبى ذر وخطؤه لا يخفى على من له ذرة من العقل الذى يدرك مراتب النقل (فى روايتنا) أى من غير قراءتنا (عن أبى عيسى الترمذى) أى صاحب السنن (رفعه) أى الترمذى اسناده أو حديثه

المعروف بابن الطرابلسى كما تقدم عن البرهان فالنسبة اليه طرابلسى واطرابلسى بزيادة همزة فى أوله وهى مدينة بالشام و بالمغرب والمشهور فيها اترابلس بالتاء الفوقية وهو صحيح أيضا لانه أعجمى عرب بابدال التاء طاء فلك حكاية أصله والنطق بمعربه قال (حدثنا أبو الحسن القابسى) على بن محمد بن خالد المغافرى الامام الفقيه الحافظ وقد تقدم قال (حدثنا أبو زيد المروزى) تقدم أيضا قال (حدثنا أبو عبد الله الفربرى) تقدم ضبطه وترجمته قال (حدثنا محمد بن اسمعيل) الامام البخارى صاحب الصحيح وقد تقدم قال (حدثنا يحيى بن بكير) المخزومى الحافظ أبو زكريا المصرى روى عنه البخارى وغيره وهو ثقة وان ضعفه بعضهم توفى سنة احدى وثلاثين وثلثمائة (عن الليث) بن سعد بن عبد الرحمن بن حمزة عالم مصر وأصله من اصفهان وكان نظير الامام مالك وكان أسخى الناس فقيل انه كان دخله فى كل يوم ألف دينار ولم تجب عليه زكاة توفى يوم الجمعة منتصف رمضان سنة خمس وسبعين ومائة وقيل غير ذلك وأدرك ناسا من التابعين (عن عقيل) مصغر وهو عقيل بن خالد الحافظ أخرج له الأئمة الستة وله ترجمة فى الميزان توفى سنة احدى وأربعين ومائة (عن ابن شهاب) تقدم انه أبو بكر بن محمد الامام المشهور بالزهرى (عن سعيد بن المسيب) تقدم ضبطه والكلام عليه (ان أبا هريرة رضى الله تعالى عنه) تقدم أيضا (كان يقول قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لو تعلمون ما أعلم) من عظمة الله وجلاله وكبريائه هذا هو المناسب للترجمة أو ما أعلم من احوال الآخرة واهوالها وما سيلقاه الانسان (لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا) يأتى بيانه وفى الحديث طباقان أو ثلاثة بين قليلا والبكاء والعلم وبين الكثرة والضحك وعدم العلم فتدبره وهذا الحديث رواه المصنف رحمه الله عن صحيح البخارى وله فيه رواية أخرى عن الترمذى أشار اليها بقوله (زاد فى روايتنا عن أبى عيسى الترمذى رفعه) بصيغة

(الى أبي ذر) أي في قوله مرفوعا كما صرح به الترمذي في الزهد وقال حسن غريب ويروى عن أبي ذر موقوفا وأخرج ابن ماجه فيه نحوه ورواه محمد بن حميد الرازي ورفعه أيضا (اني لأرى ما لا ترون) أي أبصر ما لا تبصرون من عجائب الملكوت (وأسمع ما لا تسمعون) أي من غرائب اخبار عالم الجبروت (أطت السماء) بتشديد الطاء أي صوتت (وحق لها) بصيغة المجهول أي وينبغي لها (ان تئط) لكثرة ما عليها من الملائكة فكأنهم أثقلوها كثرة وقوة حتى أطت كالقتب وهو تمثيل للتلويح بكثرتها وان لم يكن ثم أطيط لها تقرير العظمة خالقها ومثله حديث العرش على منكب اسرافيل وانه ليئط أطيط الرحل الجديد بعظمته وعجزه عن حمله اذ من المعلوم ان أطيط الرحل وهو الكور براكبه انما يكون لقوة ما فوقه من ثقله (ما فيها موضع أربع أصابع) ظرف مستقر لاعتماده على حرف النفي (الا وملك) حال من فاعل الظرف وهو موضع أي الا وفيه ملك (واضع) بالتنوين (جبهته) أي جبينه (ساجدا لله) حال من الضمير قبله (والله لو تعلمون ما أعلم) أي من شدائد الاحوال وعظائم الاهوال (لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا) جواب القسم السادمسد جواب لو وفيه مقابلة الضحك والقلة للبكاء والكثرة ووقع هنا للدلجي خبط وعدم ربط وتقديم وتأخير لا يليق بضبط الكتاب ولا بحديث الباب لابد من اصلاحه على نهج الصواب (وما تلذذتم بالنساء على الفرش) بضمتين جمع فراش فهو من قبيل مقابلة الجمع بالجمع (ولخرجتم الى الصعدات) بضمتين جمع صعيد أي الطرقات (تجأرون) أي حال كونكم ترفعون أصواتكم وتستغيثون وتتضرعون في جميع حالاتكم (الى الله لوددت أني) بكسر الدال الاولى أي لأحببت وتمنيت ووقع في أصل الدلجي بزيادة الواو قيل وفي رواية ليتني (شجرة تعضد) بصيغة المجهول أي تقطع

الماضي أي زاد هذا الكلام أو مصدر فهو مفعول زاد (الى أبي ذر رضي الله تعالى عنه) يعني ان رواية البخاري السابقة رواية أبي هريرة رضي الله تعالى عنه وهذه رواية أبي ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقد خالف المصنف في عبارته ما اصطلح عليه المحدثون فان المرفوع عندهم ما اتصل بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم بان يذكر صحابيه قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كذا فيقال رفعه الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لا الى الصحابي وقيل الجار والمجرور متعلق بحال مقدرة تقديره عازيا الى أبي ذر فلا مخالفة فيه لاصطلاحهم وسيأتي تتمته (اني أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون) المراد بما الموصولة فيهما مغيبات وأمور في الملأ الاعلى أطلعه الله عليها وغيره لا يراها كرؤية الملائكة والجنة والنار وعذاب القبر والاطلاع على الموتى وأحوال البرزخ وسماعه لاصوات المعذبين في القبور ولاطيط السماء المشار اليه بقوله (أطت السماء) أصل معنى الاطيط صوت الابل اذا حنت والقتب اذا ضغطه ثقل ما عليه ونحو ذلك أي ان السماء لكثرة ما عليها من الملائكة اذا تحركوا يسمع لها صوت سمعه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (وحق لها) بالبناء للمجهول أو هو مصدر مرفوع خبر مقدم لقوله (ان تئط) أي تصوت يسمع لها صرير لثقل ما عليها وعلى الاول هو نائب الفاعل وقد قيل ان صريرها يسمع منه ألحان متناسبة مطربة منها أخذ ألحان الموسيقى ولذا تطرب الارواح لسماعه لتذكرها معاهد جاهها وقيل انه أنين من خشية الله وقال التلمساني هذا ايذان بكثرة ما في السماء من الملائكة وان لم يكن ثمة أطيط والمراد تقرير عظمة الله ثم استأنف صلى الله تعالى عليه وسلم ما بين سبب أطيطها فقال (ما فيها موضع أربع أصابع الا وملك واضع جبهته ساجد الله) أي ليس فيها مكان خال منهم ومن هنا علم ان الملائكة أكثر المخلوقات (والله لو تعلمون ما أعلم) من أحوال الدنيا والآخرة الدال على عظمة الله تعالى وقدرته (لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا) أي لضحكتم ضحكا قليلا اذا سررتم برجاء عفو الله ونظرتم ما أنعم الله به عليكم وبكيتم للخوف منه حتى يشغلكم ذلك عن التنعم والتفكه بلذائذ الدنيا (وما تلذذتم بالنساء على الفرش) بضمتين جمع فراش وكنى بذلك عن مضاجعة النساء ومجامعتهن (ولخرجتم الى الصعدات) بضم الصاد والعين وفتح الدال المهملات جمع مؤنث سالم الصعد بضمتين جمع صعيد كطريق وطرق لفظا ومعنى أي لخرجتم من دوركم للطريق وممر الناس وقيل جمع صعدة كظلمة وهي فناء الدار (تجأرون الى الله) أي تضجون وتصيحون من الجؤار بضم الجيم وفتح الهمزة وألف وراء مهملة وهو الصياح ورفع الصوت أي تستغيثون الله وتتركون أهلكم ومساكنكم (لوددت أني شجرة تعضد) أي تقطع من أصلها يقال عضدت الخشب والنبات اذا قطعته واللام في جواب قسم مقدر ووددت بزنة علمت بمعنى تمنيت والعرب تقول وددت ويودي اذا تمنيت قال البحتري

ويودي لو استطعت لحقت * بصبر عن سيدي حين ملا .

وهو مستعار من المودة المعروفة وقال الراغب الود محبة الشيء وتمني كونه موجودا ويستعمل في كل واحد من المعنيين على ان التمني يتضمن معنى الود لان التمني يشتهي حصول ما يوده انتهى والمراد

تمنيه

(روى) استئناف بصيغة المجهول أي نقل (هذا الكلام) أي بخصوصه مما سبق من المرام وهو قوله وددت انى شجرة تعضد (من قول أبى ذر نفسه) أي موقوفا عليه من غير رفعه (وهو) أي اسناده الموقوف (أصح) أي من اسناده المرفوع قال الحلبي ولما وقفت على قوله وددت الى آخره من زمن طويل قطعت بان هذا ليس من كلام النبوة ثم رأيت بعض الحفاظ المتأخرين من مشايخي مشايخي في أو بعين له قال انه مدرج ثم رأيت كلام القاضي انه من قول أبى ذر وهو أصح وهذه العبارة ماهي مخلصة والذى ذكره بعض مشايخ مشايخي من أنه مدرج هو الصواب فيما يظهر لى انتهى وقد تحصف قول وهو أصح على الدلجى بما وقع له في أصله وهو واضح بزيادة واو ونقطة صاد يعنى وهو ظاهر ثم بينه بقوله أي من حيث انه أشبه بكلامه وأليق بحاله مع كونه صلى الله تعالى عليه وسلم أعلم بمكانته عند ربه وأنزه من ان يتمنى عليه دون ما أعطاه انتهى ولا يخفى ان الكلام في صحة الرواية والافلا يخفى وجه ظهور الدراية لان مثل هذا الكلام انما ينشأ عن غلبة الخوف من مشاهدة الله بوصف عظمته ومطالعة نعت سخطة المتقضى لعقوبته الجائزة من حيث العقل انه المطابق للنقل انه سبحانه وتعالى لو عذب أهل سمواته وأرضه يكون عادلا لا في قضائه وحكمه اذ لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون فمن نظر الى نعوت الجمال حصل له البسط في الحال والمقال ومن طالع صفات الجلال ١٣٩ وقع في قبض الحال وضيق البال

تمنيه أن يكون غير ذى روح فلا يبعث ولا يسأل وعضد الشجر موته وآخر العهد به (روى هذا الكلام) يعنى قوله (وددت انى شجرة تعضد) فهو بدل من الكلام مبين له (من قول أبى ذر نفسه) لا من الحديث وكلام النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (وهو) أي كونه منه قول أبى ذر (أصح) وفي نسخة واضح بالضاد المعجمة والصحيح أصح أي من كونه من الحديث مرفوعا له صلى الله عليه وسلم وهو أليق بحاله وأنسب بكلامه بخلاف ما قبله فانه من الحديث بلا خلاف والى هذا أشار المصنف رحمه الله تعالى بقوله سابقا زاد في روايتنا عن أبى عيسى الترمذى رفعه الى أبى ذر واذا كان من كلام أبى ذر فهو مدرج في الحديث اذلم يميز لفظه عن لفظه فاعتراض البرهان الحلبي عليه بانه كان ينبغى له ان يقول انه مدرج لا وجه له نعم في عبارته السابقة كدر لا يخفى قيل وكونه صلى الله تعالى عليه وسلم تمنى ماذكر مشكل لانه مقطوع له بالزلفى آمن من كل سوء موقن بالدرجات العلى وخوفه انما هو خوف اجلال وهيبة كخوفنا من غضب الله وسوء الخاتمة وقول بعض الصحابة المبشرين بالجنة ليتنى طائر وليتنى لم أخلق بشرا وليتنى كبش اذبح ويؤكل لحمه ليس لعدم الوثوق بالوعد بل لم يكن الا خوفا من مخالفة أمره فانهم يجلونه ويخافون من مخالفته وان لم يعاقبهم وهذا كلام من لم يحقق المقام وقد تقدم في أول الفصل ما فيه كفاية (وفي حديث المغيرة رضى الله عنه) المتفق عليه في رواية الشيخين والمغيرة بضم أوله ويكسر اتباعا أي ابن شعبة من الصحابة وهو أحد دهاة العرب (صلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي صلاة التطوع والتهجد لان الزيادة المذكورة في بعض الروايات انما تاتى فيها (حتى انتفخت قدماه) أي ورمت من طول القيام (وفي رواية انه كان يصلى حتى ترم) بفتح المثناة الفوقية وكسر الراء المخففة المهملة وميم مخففة مضارع ورم اذا انتفخ لانصباب المادة لقدميه من طول وقوفه صلى الله تعالى عليه وسلم ووقع في بعض النسخ ترم بتشديد الميم

والكلام وبهذا يجمع بين قول بعضهم من عرف الله طال لسانه وقول آخرين من عرف الله كل لسانه هذا وقد ذكر الحافظ أبو نعيم في الحلية ان عمر رضى الله تعالى عنه مر برجل من المنافقين جالس والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم يصلى فقال له ألم تصل مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال له مر الى عملك فذكر ذلك لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال له عليه الصلاة والسلام ان الله تعالى في السموات السبع ملائكة يصلون له غنى عن صلاة فلان قال عمر ما صلاتهم يا نبى الله قال فلم يرد عليه شيئا فاتاه جبريل عليه السلام فقال يا نبى الله سالك عمر عن غنى صلاة فلان فقال اقرأ على عمر السلام وأخبره بان أهل سماء الدنيا سجود الى يوم القيامة يقولون سبحان ذى الملك والملكوت وأهل السماء الثانية ركع الى يوم القيامة يقولون سبحان ذى العزة والجبروت وأهل السماء الثالثة الى يوم القيامة يقولون سبحان الحى الذى لا يموت انتهى وفي آخر الحديث ما فيها موضع أربع أصابع الا وملك واضع جبهته ساجد لله (وفي حديث المغيرة) أي ابن شعبة كما رواه الشيخان وغيرهما عنه وهو من دهاة العرب وكذا زياد بن أبى سفيان وعمرو بن العاص ومعاوية ابن أبى سفيان قال ابن وضاح أحصن المغيرة في الاسلام ألف امرأة (صلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي من كثرة صلاة الليل (حتى انتفخت قدماه) أي تورمت قال ابن مرزوق انما ذلك من طول القيام فتنصب المواد الى سافل فتستقر في القدم فيرم لذلك وينتفخ وذلك لبعده من حرارة القلب قيل كان يصلى الليل كله حتى تورمت قدماه من طول القيام فانزل الله عليه من القرآن ما خفف به عليه وعلى من تبعه وهو قوله ان ربك يعلم انك تقوم أدنى وكذا قوله طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى (وفي رواية) أي لهما عنه (كان يصلى) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (حتى ترم

قدماه) على زنة تعد مضارع ورم كورث بمعنى تورمت كما في رواية وأما تشديد الميم على ما في بعض النسخ فخطأ فاحش والعدول عن الماضي لحكاية الحال الماضية كقولهم مرض حتى لا يرجونه فالظاهر انه مرفوع ومنه قوله سبحانه تعالى حتى يقول الرسول بالرفع على قراءة نافع (فقيل له أتكلف هذا) بحذف احدى التائين وتشديد اللام أي أتتحمل هذا التحمل وجوز الدلجي كونه من كلف اللام ومنه حديث اني أرى كلفت بعلم القرآن وحديث أكلف من العمل ما تطيقون لكنه غير موافق لما في القاموس فانه قال كلف كفرح أولع وهو مناسب للحديث الاول ثم قال وأكلفه غيره وهو الملائم للحديث الثاني أي كلفوا أنفسكم أو غيركم ما تطيقون من أعمالكم ثم قال صاحب القاموس وتكلفه تجشمه والمتكلف المتعرض لما لا يعنيه انتهى ولا يخفى ان هذا المبنى هو المناسب في المعنى الوارد هنا بالجملة الحالية بقوله (وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر) كما أخبر الله سبحانه وتعالى في سورة الفتح بقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر وفي عطف ما تاخر اعتناء عظيم فتدبر وحاصله انك معصوم من ارتكاب الذنب المتعارف ولو فرض ان يقع منك ما لا يليق بمقامك فان حسنات الابرار سيآت الاحرار فانه مغفور عنك ثم لما كان الغالب ان كثرة العبادة تنشأ عن غلبة خوف العقوبة (قال أفلا أكون عبدا شكورا) على ما أنعم علي من المغفرة وجاء الحديث طبق الآية في مدح نوح عليه الصلاة والسلام انه كان عبدا شكورا وفي ذكر العبد ايماء الى أنه لابد له من القيام بوظائف العبودية ومبالغة في أداء شكر حقوق الربوبية (ونحوه) أي مثله في المعنى مع اختلاف يسير في المبنى (عن أبي سلمة وأبي هريرة) كذا في النسخ بالعطف والظاهر تكرار عن لما في الشمائل للترمذي باسناده بلفظ عن أبي سلمة عن أبي هريرة وأبو سلمة هذا تابعي جليل أحد الفقهاء السبعة وهو ابن عبد الرحمن بن عوف الزهري أحد العشرة ويحتمل ان يكون في ذلك حديث لأبي سلمة الصحابي موقوفا أو مرفوعا والله أعلم (وقالت عائشة رضي الله تعالى عنها) أي فيما رواه الشيخان (كان عمل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ديمة) بكسر الدال أي دائما باعتبار الغلبة فلا ينافي تركه على سبيل الندرة وما ألطف عبارتها بقولها ديمة فانها في الاصل المطر الدائم فلا يبعد ان يجعل من التشبيه البليغ مع قصدها المبالغة في عموم الفائدة (وأيكم يطيق ما كان يطيق) أي لما كان له من قوة النبوة الموجبة للمداومة (وقالت) أي فيما رواه عنها أيضا (كان يصوم حتى

أي تصير ريما وهي غير صحيحة رواية ودراية (قدماه) وفي رواية ساقاه وروى تورمت وتزلعت بزاي معجمة وعين مهملة أي تشققت (فقيل له أتكلف هذا) بهمزة استفهام وفتح التاء الفوقية وأصله أتتكلف فحذفت احدى التائين تخفيفا أي تتحمل مشقته وكلفته (وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر) جملة حالية معترضة بين الاستفهام وجوابه وسيأتي ما في اضافة الذنب له صلى الله تعالى عليه وسلم مع انه معصوم عن الصغائر والكبائر على الاصح بان المراد لو صدر منك أو ما يعد من الذنوب بالنسبة لغيرك لتنزهك وعلو مقامك وستسمع تفصيله في محله (قال أفلا أكون عبدا شكورا) لما أنعم الله علي من جلائل النعم التي لا تحصى ومن أجلها عصمته لي ومغفرته لذنبي قبل وقوعه والاستفهام انكاري والفاء سببية أي أترك الصلاة لمغفرته وهي سببه وجب للعبادة لا لتركها وقوله شكورا لانها نعم جليلة تستوجب مزيد شكره وقوله عبدا تلويح لغاية اكرامه له صلى الله تعالى عليه وسلم بتقريبه ونسبته لسيده وكله يقتضي أجل الشكر وهو العبادة (ونحوه عن أبي سلمة) رحمه الله تعالى واسمه عبد الله أو اسمعيل أو اسمه كنيته ابن عبد الرحمن بن عوف الزهري التابعي أحد الفقهاء السبعة المشهورة بروايته عن أبي هريرة وغيره وفي الصحابة أبو سلمة عبد الله بن عبد الاسد المخزومي مات في حياة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ولا يعرف له الا حديث واحد وآخران غير مشهورين ولا الرواية عنهم مشهورة (وأبي هريرة رضي الله تعالى عنه) قال البرهان هكذا في النسخ قال المحشي وأنا أخشى أن يكون هذا غلطا والصواب فيه أن يكون عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه فانه وقع هكذا في الشمائل في باب عبادة رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ان ذكر حديث المغيرة الذي ذكره المصنف هنا فقال بعده حدثنا الفضل بن موسى عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه كان يصلي الخ الا أن يكون المصنف وقف على حديث آخر لأبي سلمة الصحابي ولم نره قلت ويحتمل ان يكون مراده عن أبي سلمة عن أبي هريرة ولكنه عطف أحدهما على الآخر وهو بعيد أيضا (وقالت عائشة رضي الله عنها) كما رواه الشيخان (كان عمل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ديمة) بكسر الدال وسكون الياء المنقلبة عن الواو لانه من الدوام ومعناه الدائم وأصل معناه المطر الدائم في سكون وهدو وفي الحديث أحب الاعمال الى الله تعالى ما دووم عليه وان قل لان ترك الشئ بعد فعله كالاعراض عنه بعد الاقبال ولذا وقع الوعيد لمن حفظ القرآن ثم نسيه (وأيكم يطيق ما كان يطيق) أي أيكم يقتدر ان يعبد الله كما عبده صلى الله تعالى عليه وسلم كما وكيفا (وقالت) عائشة رضي الله تعالى عنها (كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يصوم

حتى نقول) بالنصب وروى بالرفع كما سبق وروى بالوجهين مخاطبا والمعنى حتى نظن (لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم ونحوه عن ابن عباس وأم سلمة) وهى آخر أمهات المؤمنين توفيت فى امارة يزيد (وأنس وقال) أى كل منهم رضى الله تعالى

حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم) روى نقول بالنون والتاء الفوقية وبرفع يقول ونصبه كما قرئ به فى قوله تعالى وزلزلوا حتى يقول الرسول يعنى انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان فى بعض الازمنة يوالى الصوم حتى يتوهم انه صائم الدهر وتارة يكثر الفطر حتى يظن انه لا يصوم نافلة وقيل المراد انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يصوم من أول الشهر ووسطه وآخره حتى يتوهم من صادف أيام صومه انه دائم الصوم ومن صادف افطاره كذلك وهو بعيد وهذا لا ينافى كون عمله صلى الله تعالى عليه وسلم ديمة لانه بالنسبة لما كان راتبا كصوم ثلاثة أيام من كل شهر وهذا بالنسبة لغيره ولك ان تقول الاول فى صلاته وقيامه وهذا فى صيامه ويؤيده لفظ العمل لكن يأباه قوله (ونحوه عن ابن عباس وأم سلمة وأنس رضى الله عنهم) اسم أم سلمة هند على الصحيح وقيل رملة والاحاديث التى رواها هؤلاء يعنى ما تقدم مع اختلاف فى بعض ألفاظها وكلها صحيحة مروية فى الصحيحين وابن حبان وقد ذكرها بعض الشراح هنا ولكن لا حاجة بنا لايرادها هنا كما فى الشرح الجديد (وقالت) عائشة رضى الله عنها (كنت لا تشاء ان تراه) صلى الله عليه وسلم (من الليل مصليا الا رأيته مصليا ولا نائما الا رأيته نائما وقال عوف بن مالك) هو عبد الرحمن الاشجعى الصحابى الجليل القدر رضى الله عنه سكن الشام وتوفى فى أيام عبد الملك سنة ثلاث وسبعين وهذا الحديث رواه أبو داود والنسائى (كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فاستاك ثم توضأ ثم قام فصلى فقمت معه) أى أتهجد وأقتدى به وفيه دليل على صحة الاقتداء فى صلاة النافلة من غير نزاع واليه ذهب الشافعى رحمه الله وبعض الحنفية (وبدأ) الصلاة وفى نسخة فابتدأ بالفاء أى شرع فى الصلاة (فاستفتح البقرة) أى شرع فى قراءتها وفيه دليل على انه يقال البقرة وسورة البقرة من غير كراهة كما ورد فى أحاديث لا تحصى وأسماء السور توقيفية على الاصح خلافا لمن قال انه يكره وانما يقال السورة التى يذكر فيها البقرة والسورة التى يذكر فيها التين وهكذا المروى الطبرانى والبيهقى عن أنس مرفوعا لا تقولوا سورة البقرة ولا سورة آل عمران ولا سورة النساء ولكن قولوا السورة التى يذكر فيها البقرة وهكذا وهو ضعيف بل قال ابن الجوزى انه موضوع والاحاديث المعارضة له صحيحة فهى أرجح وعليها العمل أو نقول ان هذا كان فى أول الاسلام ثم نسخ لان المشركين كانوا يستهزؤن بهم اذا قالوا سورة العنكبوت ونحوها فلما كفاه الله المستهزئين وكف السيف أيديهم وألسنتهم قيل ذلك من غير حرج (فلا يمر) صلى الله تعالى عليه وسلم (بآية رحمة الاوقف فسأل) الله الرحمة (ولا يمر بآية عذاب الاوقف فتعوذ) بالله من العذاب وهذا الحديث أخرجه أبو داود والنسائى ويؤخذ منه انه ينبغى لمن قرأ القرآن ان يتدبره ويتفكر فى معانيه وان الدعاء بما يناسبه مستحب ومستجاب فيدعو بما يناسبه واذا ذكر الايمان بالله يستحب ان يقول آمنت بالله ونحوه وهذا ما ورد ان من قرأ سورة تبارك فبلغ فمن يأتيكم بماء معين فليقل الله رب العالمين واذا قرأ سورة التين فبلغ أليس الله بأحكم الحاكمين فليقل بلى وأنا على ذلك من الشاهدين واذا قرأ لا أقسم بيوم القيامة وبلغ قوله أليس ذلك بقادر على ان يحيى الموتى فليقل بلى واذا قرأ والمرسلات وبلغ فبأى حديث بعده يؤمنون فليقل آمنا بالله واذا قرأ سبح اسم ربك فليقل سبحان ربى الاعلى واذا قرأ سورة الرحمن فليقل عند كل فبأى آلاء ربكما تكذبان ولا بشئ من نعمك ربنا نكذب وكل ذلك ورد فى الاحاديث الصحيحة وهذا نظير سجود التلاوة الان من الناس من فعل أمورا زائدة

عنهم لا أنس وحده كما اقتصر عليه الانطاكى لكونه أقرب مبنى فان الجمع أنسب معنى (كنت) أيها المخاطب (لا تشاء ان تراه مصليا الارأيته مصليا ولا نائما) أى ولا تشاء ان تراه نائما (الارأيته نائما) لما ورد عنه اما أنا فاصلى وأنام وأصوم وأفطر (وقال عوف بن مالك) وهو من أكابر الصحابة وقد روى عنه أبو داود والنسائى والترمذى (كنت مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة) ولعله كان فى السفر (فاستاك) أى أول ما استيقظ (ثم توضا) والظاهر انه اكتفى بالاستياك الاول (ثم قام فصلى) أى التهجد (فقمت معه) يحتمل مقتديا ومتابعا (فبدأ) أى القراءة (فاستفتح البقرة) أى بعد الفاتحة لكونها كمقدمتها أو لبيان الجواز بترك قراءتها (فلا يمر بآية رحمة الاوقف) أى فى موقفها (فسأل) أى الله الرحمة (ولا يمر بآية عذاب الاوقف فتعوذ) أى التجا من العقوبة لكونه واقفا بين مقامى الخوف والرجاء ووصفى الفناء والبقاء وملاحظا نعتى الجلال والجمال كما هو حال أهل الكمال

(ثم ركع فمكث) بضم الكاف وفتحها أي لبث فيه (بقدر قيامه يقول سبحان ذي الجبروت) فعلوت للمبالغة من الجبر بمعنى القهر والغلبة فانه هو القاهر فوق عباده (والملكوت) مبالغة الملك أو باطنه كما ان الملك ظاهره وهذا المعنى متعين عند الجمع بينهما (والكبرياء) أي العظمة المناسب ذكرها في الركوع ولذا لما نزل قوله سبحانه وتعالى فسبح باسم ربك العظيم قال اجعلوها في ركوعكم يعني قولوا فيه سبحان ربي العظيم (ثم سجد) أي سجودا طويلا كما هو الظاهر (وقال مثل ذلك) أي نظيره أو بعينه لشمول معنى الكبرياء وصف العلاء الملائم ذكره في السجود لانه لما نزل قوله سبح اسم ربك الاعلى قال اجعلوها في سجودكم أي قولوا فيه سبحان ربي الاعلى (ثم قرأ آل عمران) أي في تلك الركعة أيضا أو في اخرى وهو الظاهر لقوله (ثم سورة سورة) أي ثم قرأ في كل ركعة سورة (يفعل مثل ذلك) أي من تطويل الركوع والسجود والتسبيح المذكور وغير ذلك (وعن حذيفة مثله) أي مثل حديث عوف كما في مسلم (وقال) أي زيادة على تلك الرواية مع احتمال اطلاعه على غير تلك الحالة (سجد نحوا من قيامه وجلس بين السجدتين نحوا منه) أي قريبا من طوله (وقال) أي حذيفة (حتى قرأ البقرة وآل عمران والنساء والمائدة) أي في ركعة والظاهر في أربع ركعات بتسليمة أو تسليمتين (وعن عائشة) أي برواية الترمذي (قالت قام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بآية من القرآن) وهي ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم اقتداء بعيسى عليه الصلاة والسلام في الكلام وايماء الى انه صلى الله تعالى عليه وسلم يريد المغفرة والرحمة ورفع العقوبة عن جميع أمة الاجابة مع التسليم تحت الارادة وانما كررها للتدبر في معناها وما يتعلق بمبناها من آثار القدرة واسرار العزة وأنوار الحكمة (ليلة) أي في ليلة من الليالي وهو يحتمل كلها أو بعضها والاظهر أكثرها وظاهر القيام ان تكرارها كان في الصلاة حال الوقوف واما ما رواه أحمد والنسائي بسند صحيح عن أبي ذر بلفظ قام حتى أصبح بآية ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم فلا يدل على احياء الليل كله لانه لم يكن من دأبه فيحتمل انه قام من الليل أو قام لصلاة التهجد حتى أصبح

على ما ورد كالدعاء بين الجلالتين في سورة الانعام وقد قال البقاعي انه بدعة لم يرد في أثر ولا حديث (ثم ركع فمكث) بضم الكاف وهي لغة القرآن وتفتح في لغة عنه ومعناه انتظر وتوقف (بقدر قيامه يقول سبحان الله ذي الجبروت والملكوت والعظمة) هذه الصيغة مر انها صيغة مبالغة كالرهبوت والرحموت والرغبوت وهي مصادر في الاكثر ووردت في الاسماء أيضا كجالوت والجبروت مبالغة في الجبر وهو القهر والملكوت الملك العظيم وعقبهما بالعظمة لانهما كالدليل عليها ولانها أعم ويكون صلى الله تعالى عليه وسلم كرر ذلك مرارا كثيرة حتى يكون بمقدار قيامه كما لا يخفى (ثم سجد فقال مثل ذلك ثم قرأ آل عمران) أي السورة التي ذكر فيها قصة آل عمران وقد تقدم جوازه ومافيه (ثم سورة سورة) أي ثم قرأ في صلاته في كل ركعة سورة بعد سورة وهما منصوبان على الحالية كما قرره النحاة في قولهم قرأت النحو بابا بابا وجعله التلمساني منصوبا بأنه مفعول لقرأ المقدر فيه وفيه نظر والسورة مهموزة من السؤر وهو بعض الماء الباقي في الاناء وتبدل همزته واوا لسكونها وانضمام ماقبلها وقيل ان واوه أصلية على انه من السور لاحاطتها بالآيات أو من السوار أو من التسور لرفعتها والسورة مقدار من القرآن مشتمل على آيات أقلها ثلاثة مسماة باسم ولا يرد عليه آية الكرسي لذكر الآية (يفعل مثل ذلك) المذكور من القراءة والتسبيح (وعن حذيفة) بن اليمان الصحابي المشهور رضي الله تعالى عنه وهذا الحديث رواه مسلم عنه (مثله) أي مثل الحديث السابق (وقال) حذيفة رضي الله تعالى عنه (سجد نحوا من قيامه وجلس بين السجدتين نحوا منه) أصل معنى النحو القصد ومنه علم النحو ويقال هذا نحو هذا أي مثله أو قريب منه * فان قلت ذكر الفقهاء ان الجلوس بين السجدتين ركن قصير غير مقصود لذاته بل للفصل بين السجدتين حتى قال بعض الشافعية ان تطويله قصدا مبطل للصلاة ومخل بالموالاة وحديث حذيفة صحيح رواه مسلم كما مر وهو مناف لما ذكر * قلت قالوا انه انما يضر اذا طول بسكون أو بذكر غير مشروع فلو طول بغير ذلك كما في صلاة التسبيح فلا يضر وقد يستحب كما ذهب اليه النووي تبعا لامام الحرمين استدلالا بحديث حذيفة هذا ولا يشترط أن يكون بمقدار أكمل التشهد (وقال) حذيفة رضي الله تعالى عنه (حتى قرأ البقرة وآل عمران والنساء والمائدة) أي قرأ في ركعة بسورة من هذه السور (وعن عائشة رضي الله عنها) في حديث صحيح أخرجه أحمد والنسائي عن أبي ذر والآية التي ذكرت في قولها (قام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بآية من القرآن) أي رددها طول ليله ويكررها في كل ركعة وهي كما صرح به ان تعذبهم فانهم عبادك الآية في سورة المائدة وانما أكثر ترداده للتدبر والتفكر فيها فان القرآن له بطون سبعة ففي كل قراءة يظهر له صلى الله تعالى عليه وسلم مالم يظهر قبل والله تعالى تجلى لخلص عباده في كلامه ولكن لا تبصرون كما روي عن جعفر الصادق رضي الله

تعالى عنه ففى كل قراءة يتجلى له الله فى مرآة كلامه ومثل هذا الاتى به العبارة اللهم نور مشكاة قلوبنا حتى تطبع فيها صور الحقائق (وعن عبد الله بن الشخير) بكسر السين والخاء المعجمتين المشددتين ومثناة تحتية ساكنة وراء مهملة وهو ابن عوف بن كعب العامرى الصحابى البصرى المخضرم الذى أدرك الجاهلية والاسلام وروى له أصحاب الكتب الستة وهذا الحديث رواه أبو داود والترمذى والنسائى (أتيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو يصلى ولجوفه أزيز كأزيز المرجل) جوف كل شئ باطنه والمراد به ماتحت صدره واضلاعه والازيز بهمزة مفتوحة وزائين معجمتين بينهما ياء مثناة تحتية ساكنة وهو صوت الغليان اذا اشتد وهو المشيش والمراد انه صلى الله عليه وسلم لشدة خوفه وخشيته من الله يسمع حركة قلبه اذا رق صدره وقيل صوت الحنين مع البكاء والمرجل بكسر الميم وسكون الراء المهملة وفتح الجيم واللام القدر مطلقا وقيل من نحاس (قال ابن أبى هالة) الصحابى المتقدم رضى الله تعالى عنه (كان صلى الله تعالى عليه وسلم متواصل الاحزان) أى حزينا حزنا يتصل بعضه ببعض بحيث لا يفصل بينها فرح ومسرة وهذا يقتضى الدوام ولذا فسره بقوله (دائم الفكرة) أى تفكره دائما فى أمره وأمر أمته ومن كان هكذا (ليست له راحة) لاستغراق أوقاته فى الذى كلفه من اعباء الرسالة وتبليغ الاحكام وتدبير الحروب والوقائع ومن نيط به أمور جميع الخلائق كيف يفضى من الهم فان الامور بقدر الهمم والظاهر ان هذا حاله صلى الله عليه وسلم اذا لم يكن متكلما مع الناس فى مصاحبته لهم وحكمه بينهم وملاقاة من يقدم عليه من الوفود وعرض الناس عليه أمورهم وفى عشرة أهله وانما ذلك حال سكونه وهو بين الناس وفى خلوته بنفسه ومشيه وتعبده اما فى غير ذلك فكان طلق المحيا متبسما متلقيا بالبشر ودوام كل شئ بحسب زمانه

فاقسم لكل زمان ما يليق به * فان للزند حليا ليس للعنق

فسقط ما قيل انه وصف فى غير هذا الحديث بانه صلى الله تعالى عليه وسلم دائم البشر وهذا مناقض له وقد أورد عليه أيضا ان الحزن فضلا عن دوامه غير محمود وقد نهى الله تعالى عنه فقال ولا تهنوا ولا تحزنوا وقال لا تحزن ان الله معنا وقال انما النجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا واستعاذ صلى الله تعالى عليه وسلم منه فقال اللهم انى أعوذ بك من الهم والحزن وتقدم الفرق بينهما بان الهم لما يقع فى المستقبل والحزن لما مضى وكلاهما مفتر للعزم مضعف للقلب غير معدود من مقامات العارفين ولذا قال أهل الجنة الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم ما يصيب المؤمن من هم ولا نصب ولا حزن الا كفر الله به من خطاياه يدل على انه مصيبة يؤجر المرء عليها وسيأتى الكلام عليه والحديث الذى ذكره المصنف رواه الطبرانى والقضاعى وقال ابن القيم كما سيأتى انه لم يثبت وفى سنده من لا يعرف ولا أعلم صحته وفى التوراة اذا أحب الله عبدا جعل فى قلبه نائحة واذا أبغضه جعل فى قلبه مزمارا فقال ابن القيم أجمع أهل السلوك على ان الحزن ليس من مقامات السائرين الى الله الا أبو عثمان الخيرى فانه قال الحزن فضيلة وزيادة كمال للمؤمن ما لم يكن على معصية لانه ان لم يوجب تخصيصا أوجب تمحيصا فهو بلاء ومحنة كالمرض لا مقام كما قاله الجيلى وحزنه صلى الله تعالى عليه وسلم لما أودعه الله فيه من الرحمة ورقة القلب فكان يحب هداية الامة فاذا رأى ما هم عليه من عنادهم وتخلفهم حزن لذلك وخاف من ان ينسب اليه قصور فى دعوتهم وبما قررناه ظهر انه ليس فيما ذكر اشكال بوجه من الوجوه ولا حاجة لتفسير دوام الفكرة بانها فى ذات الله وصفاته حتى يرد عليه انه منهى عنه فيجاب بان المنهى غير الكمل كما قيل (وقال عليه الصلاة والسلام انى لاستغفر الله فى اليوم

(وعن عبد الله بن الشخير) بكسر شين وخاء مشددة معجمتين صحابى نزل البصرة وأدرك الجاهلية والاسلام فهو مخضرم كما روى أبو داود والترمذى والنسائى عنه (أتيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو يصلى) جملة ١٤٣ حالية (ولجوفه) أى صدره (ازيز) بكسر الزاى الاولى أى حنين من البكاء ويراد به هنا الخنين بالخاء المعجمة وهو البكاء مع غنة وانتشاق والصوت من الانف (كازيز المرجل) أى كغليانه وهو بكسر ميم وفتح جيم قدر من نحاس على ما فى الصحاح وسمى به لانه اذا نصب كانه أقيم على رجله (وقال ابن أبى هالة) وهو عند ربيبه عليه الصلاة والسلام من خديجة (كان متواصل الاحزان) أى متتابعها لعلمه بشدائد الاحوال وموارد الاحوال حالا ومآلا ولكونه فى سجنه سبحانه المقتضى أحزانه وما أحسن قول ابن عطاء مادمت فى هذه الدار لا تستغرب وقوع الاكدار واما ما ورد من قوله أعوذ بك من الحزن فمحمول على حزن يتعلق بالدنيا كما قال سبحانه وتعالى لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم (دائم الفكر) أى فى عاقبة الامر (ليست له راحة) لقيامه بما كلف من تحمل اعباء الرسالة من وظائف العبادة وقد بسطت تحقيق هذه الاحاديث كلها باعتبار مبناها ومعناها فى جمع الوسائل لشرح الشمائل (وقال صلى الله تعالى عليه وسلم) أى فيما رواه مسلم وغيره (انى لاستغفر الله) أى أطلب مغفرته وأسأل رحمته (فى اليوم) أى الواحد بل ورد عنه فى المجلس الواحد

(مائة مرة) أي بلفظ أستغفر الله أو بزيادة العظيم الذي لا اله الا هو الحي القيوم وأتوب اليه أو بلفظ رب اغفر لي وتب علي انك أنت التواب الرحيم (وروى) كما في البخاري والترمذي (سبعين مرة) وكل منهما يحتمل التحديد والتكثير وكانه صلى الله تعالى عليه وسلم عد اشتغاله بدعوة الامة ومحاربة الكفرة ١٤٤ وتاليف المؤلفة ومعاشرة الاهل والعشيرة ومباشرة الاكل والشرب وسائر ضرورات المعيشة مما يحجزه عن كمال الحضور وظهور نور السرور الحاصل من مراقبته ومشاهدته ولهذا المعنى لما سئل الشبلي عن سبب سداد افادته فقال لأن أكون طرفة عين مع رب العالمين خير عندي من علوم الاولين والآخرين وقد قال الغزالي ضيعت قطعة من العمر العزيز في تصنيف البسيط والوسيط والوجيز مع ان الاخير هو خلاصة مذهب الامام الشافعي من طريق النووي والرافعي وهذا بالنسبة الى قياس ما ظهر لنا من أحوالنا والا فالامر كما روى عن الاصمعي في حديث انه ليغان على قلبي واني لاستغفر ربي من انه لو صدر هذا على قلب غيره صلى الله تعالى عليه وسلم لفسرته ولله دره حيث عظم قلب حبيب ربه الذي هو مهبط وحيه (وعن علي رضي الله تعالى عنه قال سالت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن سنته) أي طريقته المبنية على شريعته وحقيقته (فقال المعرفة رأس مالي) لانها المقصودة من أصل الخلقة قال الله تعالى وما خلقت الجن والانس كان الا ليعبدون قال ابن عباس أي ليعرفون (والعقل أصل ديني) أي بناء مداره ومحل اعتباره (والحب أساسي) أي أساس قلبي في حضوري مع ربي (والشوق مركبي) لان صاحب الشوق وطالب الذوق في سلوك الطائرين وفاقدهما سيره ضعيف في منازل السائرين (وذكر الله أنيسي) أي مونسي وسبب لان يكون جليسي لحديث أنا أنيس من ذكرني وجليس من ذكرني وفي نسخة أنسي بضم فسكون

مائة مرة وروى سبعين مرة) هذا حديث صحيح وسياتي الكلام عليه وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم أستغفر الله بمعنى أطلب منه المغفرة أو أذكر هذا اللفظ بعينه والسبعون عدد معلوم وقد يراد به مجرد التكثير وعلى هذا تكون الروايتان بمعنى وطلب المغفرة وان اقتضى الذنب وهو صلى الله تعالى عليه وسلم معصوم من الكبائر والصغائر مطلقا على الاصح المراد به انه مع كماله صلى الله عليه وسلم يشهد في نفسه قصورا نزل منزلة الذنب فاستغفر له أو عد اشتغاله بما أبيح له كالاكل واشتغاله بامور الناس ذنبا لعوقه عن المشهود أو هو تشريع الامة أو كان استغفاره صلى الله عليه وسلم لذنوبهم أو انه لم يزل مترقيا في المقامات فكلما ترقى لمرتبة رأى ما دونها نقصا فاستغفر منه وستاتي تتمته (وعن علي كرم الله وجهه سالت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن سنته) أي طريقته التي هو عليها وهذا الحديث ذكره في الاحياء وقال الحافظ العراقي انه لا أصل له وقال السيوطي رحمه الله تعالى انه موضوع وآثار الوضع لائحة عليه وهو يشبه كلام الصوفية (فقال المعرفة رأس مالي) رأس المال هو المال المعد للتجارة وما يكتسب به هو الفائدة والمراد بالمعرفة معرفة الله وصفاته والوقوف على غوامض الامور مما لم يكن يعلمه وهي تختص بالعلم المسبوق بالعدم أو بالجزئيات فلذا قيل ان علم الله لا يسمى معرفة ولا يقال الله عارف الا انها جاءت بمعنى العلم أيضا والمراد هنا الاول لمقابلتها بالعلم وهذا تشبيه بليغ كما قيل

اذا كان رأس المال عمرك فاحترس * عليه من الانفاق في غير واجب

وقد تقدم (والعقل أصل ديني) مر والعقل قوة غريزية في الانسان يستعد بها لادراك العلوم أي دينه وشرعه أي ما تعبد به وتدين قبل البعثة أو قبلها وبعدها مبني على ما أودعه تعالى فيه من كمال عقله الذي هداه الى النظر في مصنوعات الله الدالة على وحدانيته وعظمته وانه هو الحقيق وفي الحديث ان عائشة رضي الله تعالى عنها قالت يا رسول الله بم يتفاضل الناس قال بالعقل في الدنيا والآخرة فقلت أليس يجزون باعمالهم فقال يا عائشة هل يعمل الا من له عقل فبقدر عقولهم يعملون وبقدر عملهم يجزون وقد اتفقوا على أن ما أعطى الناس من بدء الدنيا الى آخرها من العقل بالنسبة لعقله صلى الله تعالى عليه وسلم كنسبة ذرة من الرمل الى رمال الدنيا كلها (والحب أساسي) أي محبة الله بعد معرفته لان من لم يعرف لا يحب أي أساس يبني عليه أموري في اتباع أوامر الله ونواهيه كما انه موجب لاتباع الناس لي كما قال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ولا يكمل ايمان أحد حتى يكون الله أحب اليه من نفسه وأهله وماله كما سياتي بيانه وجمع هذه الامور في نسق واحد لان رأس المال والاساس والاصل من واد واحد وتغاير العبارة انما هو لتلوين الخطاب (والشوق مركبي) أي شوقي الى المطالب العالية والى لقاء الله تعالى هو الذي حركني حتى وصلت لمرادي كما قيل

وقالوا اذ أتيت لهم سريعا * مجدا في سبيلي للتلاقي
ركبت على البراق فقلت كلا * ولكني ركبت على اشتياقي

والشوق أعلى من المحبة لانه ينشأ عنها فانه انجذاب النفس لشدة ميلها الى لقاء من يشتاقه (وذكر الله أنيسي) وفي نسخة أنسي يعني انه يانس في خلوته وجلوته بذكر الله لانه اذا أكثر من ذكره صار نصب عينه حتى كانه معه ومن كان الله معه آنس به واستوحش مما عداه ومن كان له ورد في الصباح والمساء

(والثقة) أي بالله كافي رواية يعني ان الاعتماد على ربي (كنزي) لما ورد القناعة كنز لا يفنى ولما يشير اليه قوله سبحانه وتعالى
ما عندكم ينفد وما عند الله باق (والحزن رفيقي) حيث انه لا ينفك عن قلبي لما سبق من انه كان

كان من الذاكرين الله وأنظر لقوله اذكروني اذكركم وقال سمنون حقيقة الذكر ان ينسى ما سواه
و يستغرق الاوقات فيه

لا لاني انسالئ أكثر ذكرك * ولكن بذاك يجري لساني

(والثقة) بكسر المثلثة مصدر كالسعة بمعنى الوثوق بما عند الله وما يطلب منه (كنزي) الكنز المال المكنوز أي المدفون وفيه بلاغة ونكتة بديعة لان من له مال مدفون لا يراه ولكنه أنفع مما يراه فكذا ما ترجوه من الله قبل حصوله أنفع من الحاصل عند الثقة كما قيل

واني لارجو الله حتى كأنني * أرى بجميل الظن ما الله صانع

وعلامة الثقة بالله بذل الموجود وترك طلب المفقود (والحزن رفيقي) أي لا يفارقني وذكره مع الانيس لان الرفيق أنيس وهذا بمعنى ما تقدم من قوله متواصل الاحزان وقد علمت ما فيه (والعلم سلاحي) أي علمي بالله وبما علمني من لدنه وأوحاه الي أدفع به من يجادلني ويخاصمني وأدفع الشيطان ووسواسه كما يدفع العدو بالسلاح وآلات الحرب (والصبر) في المكاره وتحمل المشاق وعدم العجلة في الامور (ردائي) الرداء ما يكون فوق اللباس وبه يتجمل ظاهر المرء ولما كان الصبر فيه سكون وتحمل وعلم ووقار يشاهده الناس شبهه بالرداء لتجمله به ودفعه ضرر البرد فما قيل من انه لو شبهه بالدرع واللحاف صح كما قيل

تدرعت صبري والتحفت صروفه * وقلت لنفسي الصبر أولى فاهلكي

ليس بشئ (والرضا) بالقصر مصدر وبالمد اسم كما في الصحاح والذي في النسخ بالمد (غنيمتي) جعله غنيمة لانه يقهر به عدو نفسه اللوامة ويأسرها اذ الراضي بما قسم الله لا يتمنى ما لم يكن فيحصل له غنى القلب والراحة كما قيل

هل هي الا مدة وتنقضي * ما يغلب الايام الا من رضي

ولا شك ان الرضا بما قدره الله واجب وقوله في الشرح الجديد واختلف العلماء في الرضا هل هو واجب أو مستحب فقيل هو مستحب لانه لم يرد الامر به وانما ورد الثناء على المتصف به والى هذا ذهب محققو العلماء مما لا ينبغي ذكره (والفقر فخري) وفي نسخة البرهان وغيره والعجز بدل الفقر أي اظهار انه عاجز ضعيف وان القدرة والقوة لله وهو مقتضى مقام العبودية كما قال تعالى وخلق الانسان ضعيفا والعجز المذموم الذي استعاذ منه الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم في قوله اللهم اني أعوذ بك من العجز والكسل بمعنى آخر وهو التثاقل عن العبادة والتواني كما قيل

اذا ما التواني أنكح العجز بنته * فساق اليها حين أصدقها مهرا
فراشا وطاء ثم قال لها اتكي * اقصارهما لا شك ان تلد الفقرا

وقال ابن تيمية الفقر فخري ليس بحديث ومن قال انه حديث فقد كذب وقيل الظاهر ان المراد بالعجز بفتح فسكون هو العجز عن طلب الدنيا والتمكن في الثروة والشوكة وأريد به لازمه وهو الفقر ولا وجه له فانه صلى الله تعالى عليه وسلم ليس بعاجز عما ذكر وانما تركه وأعرض عنه باختياره كما مر والاوجه ان المراد به ما مر كما في حديث لا يدخل على الاعجزة الناس أي ضعفاؤهم وفي آخر أهل الجنة كل ضعيف متضعف وفي حديث هرقل ضعفاء الناس اتباع الرسل وفي حديث الاسراء أمتك أضعف الامم وهم أكثر أهل الجنة قيل فقوله الفقر فخري قد يقال انه رواية بالمعنى فليس بكذب وفيه نظر ولذا قال الحافظ ابن حجر انه باطل موضوع فانه ورد مدح الفقر في الحديث كحديث تحفة المؤمن في الدنيا الفقر وقد روي بسند لا بأس به واثبات الفخر له وقد نفاه في قوله ولا فخر لانه ليس من شانه لان المراد به الخصلة الحسنة التي من شانها الافتخار بها أو المراد فخري لو كنت ذا فخر كما قيل في قراءة انما يخشى الله من عباده العلماء برفع الجلالة أي انما يخشاهم لو كان يخشى غيرهم وان كان المشهور ان

متواصل الاحزان ولحديث ان الله يحب قلب كل حزين (والعلم سلاحي) لاني أحارب به عدوي من نفسي وشيطاني وأدفع عني به كيد خواني (والصبر ردائي) أي موضع تحملي ومحل تجملي وسبب رفعتي وكبريائي (والرضا) بالقصر مصدر وفي نسخة بالمد على انه اسم (غنيمتي) لانه مغتنم في جميع ما يجري من القضاء ولذا قيل الرضى بالقضاء باب الله الاعظم وقد قال تعالى ورضوان من الله أكبر وفيه ايماء بان رضي الله والعبد متلازمان لا يتصور انهما ينفكان (والعجز فخري) أي افتخر باظهار العجز والافتقار في مرتبة العبودية الى الاحتياج للقدرة والقوة الربوبية كما يشير اليه قوله تعالى والله الغني وأنتم الفقراء ولعل هذا هو وجه ما وقع في نسخة من لفظ الفقر بدل العجز وان قال ابن تيمية ان حديث الفقر فخري كذب وقال العسقلاني انه باطل فان الحكم بوضعه انما هو باعتبار ما وصل من سنده لا من حيث مبناه المطابق معناه لما ورد في كتاب الله ولا يبعد ان يكون هذا من علي كرم الله تعالى وجهه موقوفا بمضمون ما سمعه عنه صلى الله تعالى عليه وسلم في بعض أحوال متفرقة مرفوعا

(والزهد حرفتي) يعني أرباب الدنيا الاجل تمتعها وانتفاعهـا كل أحد يتعلق بحرفة من حرفها التحصيل طرف من طرفها وانا القلة ميلي اليها وعدم اقبالي عليها جعلت زهدي عنها كسبي فيها اعتمادا على باريها (واليقين) بجميع مراتبه من علم اليقـين وعين اليقين وحق اليقين (قوتي) أي قوة قلبي في معرفة ربي وفي نسخة بسكون الواو أي قوت روحي وسبب زيادة فتوحي (والصـدق شفيعي) لما قيل من ان الصدق أنجى ولقوله تعالى هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم (والطاعة حسبي) أي كفايتي في مرضاة ربي (والجهـاد خلقي) بضم وضمتين أي دأبي وعادتي وهو يشـمل الجهاد الاكبر والاصغر (وقرة عيني في الصلاة) أي من جـملة عباداتي او من جملة عناياتي بناء على ان المراد بالصـلاة العبادة المشـهورة أو الدعـوة المأثورة (وفي حديث آخر) أي برواية أخرى (وثمـرة فؤادي) أي نتيجة معارف قلبي (في ذكره) أي ذكر ربي (وغمي) أي همي الذي يغمني في كل حالتي (لاجل أمتي وشـوقي الى ربي) أي في نهاية رتبتي فهذه كلمات جامعة معانيهـا مطابقـة لما في الكتاب والسنة والمصنف ثبت ثقة حجة فحسن الظن به انه ما رواها الا عن بينـة وان لم تكن عنـدنا بينة وأما قـول الدلجي قال الائمة موضوع يحتمل ان يكون باعتبار بعض افراده بناء على اختلاف اسناده كما بيناه والله أعلم

(فصل) أي رابـع (اعلم وفقنا الله واياك ان صفات جميع الانبياء) أي نعوتهم عامة (والرسل) فان

أي خاصة (صلوات الله عليهم) أي كافة (من كمال الخلق) بالفتح وتفسـيره قوله (وحسن الصـورة وشرف النسب) أي مما يقتضي جمـال الحسب (وحسن الخلق) بالضم أي السـيرة والسيرة والعشرة مع العشـيرة (وجميع المحـاسن) أي من الشمائل البهيـة والفضائل العلية (هي هذه الصفات) أي المتقدم ذكرها في الفصول المـاضية ثم هذه الجملة خبر ان واللام فيه للعهد لا كما توهم الدلجي انها للاستغراق المبين بمن

المراد بالخشـية لازمها وهو التوقير والتعظيم والفقر مع الصبر وصف محمود فان الغني هو الله كما قال تعالى يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله والله هو الغـني الحميد (والزهد حرفتي) الحرفة بكسر الحاء وسكون الراء المهمـلتين والفاء هي الصناعة التي يرتزق منها الانسان والزهد ترك ما يرغب فيه من الدنيا وقال الجنيد الزهد خلو الايدي من الاملاك والقـلوب من التبع وليس الزهد عدم الملك فان سليمان عليه الصـلاة والسلام كان زاهدا مع ان الدنيـا كلها في قبضـته والتعبير بالحرفة ليس في محـله فانه يوهم انه جعلها مكسبا وفيه شاهد للوضع ومما قلته في مشايخ زماننا

قد قام في سـوق الرياء تاجرا * وباع للسـوقة ارشاده

حرفتـه الزهـد ودكانه * يبيع فيه الكذب سجاده

(واليقين قوتي) اليقين الاعتقاد الجـازم وهو قوت القلب من قام به لاطمئنانه وعدم خوفه من غير الله وهذا شامل لحق اليقين وعين اليقين والفرق بينهما مشهور في التفسـير وكتب الـكلام (والصـدق شـفيعي) الصـدق بمعنى مطابقة الخبر والمراد به ما اصطلح عليه المشايخ من انه استواء السر والعلانية والوفاء لله عز وجل بكل ما عهده اليه و يصح ارادة المعنى الاول والمراد بكونه شـفيعه انه سبب مصالحه عند الله أو المراد تعليم أمتـه (والطاعة حسـبي) بفتحتين هو ما يعده المرء من مفاخر آبائه أي طاعة الله في السر والعلانية هي التي افتخر به وأعده ما ثرة لا ما يفتخر الناس به أو هو بسكون السين أي الطاعة تـكفيني (والجهاد) في سـبيل الله أو مجاهدة النفس بمخالفتها (خلقي) أي طبعت على محبتـه (وقرة) بضم القاف وتشديد الراء المهملة (عيني) الباصرة أي مسرتهـا وفرحها في الصـلاة لما أشاهد فيها من التجليات الالهية فانها المعراج الاصـغر والقرة ماخوذة من القر وهو البرد لان دمعة السرور باردة أو من القرار لان بلوغ الامنية برؤية ما يسر تسكن به العين فلا تشرف لغـيره وقد تقدم ما فيه (وفي حـديث آخر) لم يذكره المخرجون لاحاديث هذا الكتاب (وثمرة فؤادي في ذكره) الفؤاد القلب أو داخله وهو محل العقل على الاشهر فجعله كشجرة مثمرة وجعل ذكر الله المقصود منه (وغمي لاجل أمتي) لرأفتي عليهـم في الدنيا والآخرة (وشوقي الى) لقاء (ربي) ومناجاته والتوجه اليه

(فصل اعلم وفقنا الله واياك) تقدم الـكلام عليه (ان صفات الانبياء والرسل عليهم الصـلاة والسلام) هو من عطف الخاص على العـام اعتناء لشانهم و بيانا لشرفهم وسياتي تفصيله (من كمال الخلق وحسن الصـورة) الخلق بفتح فسـكون والمراد بالخلق مادة جسمه وأعضائه والصـورة هيئـة بدنه وتناسب أعضائه ومقاديرها ولون بشرته (وشرف النسب) أي شرف آبائه وأمهاته واجـداده وجـداته الى ان ينتهي الى آدم عليه الصلاة والسـلام فليس فيهم خسيس ولا وضيـع (وحسن الخلق) بضمتين أو ضم فسكون وقد تقدم بيانه (وجميع المحاسن في هذه الصفة) كذا في بعض النسخ وفي غيرها وعليه الشراح هي بالضمير بدل في الجارة قال القسطلاني هذه الصفة خبر ان ووقع بين اسم ان وخبرها ضمير الفصل لقصر الصفة على الموصوف كان زيدا هو المطلق أي لا غيره وأتى بها على لفظ الافراد لتغاير بين المبتدأ والخبر

(لانهامن صفات الكمال والكمال) بالرفع (والتمام) عطف تفسير كما قال الدلجي الا أن بينهما فرقا دقيقا وهو ان التمام مالا يتم الشئ الا به حتى لو فقد يسمى ناقصا والكمال ليس كذلك لانه أمر زائد على مقدار التمام فتامل في مقام المرام (البشرى) أى المنسوب الى جنس البشر جميعهم (والفضل) أى الامر الزائد على الكمال العرفى (الجميع) مبتدأ خبره (لهم) والجملة خبر لما قبلهما من المبتدا آت أى من حيث جميعها فيهم لا في غيرهم ومجموعها حاصل لهم في الجملة بحسب المشاركة وان كانت تختلف حالهم في مزية المرتبة بل هو المناسب لحال الملك العلوى ولذا لم يقل والكمال والتمام البشريان (اذرتبتهم أشرف الرتب) أى رتب الموجودات الآن في الملائكة خلافا لبعض الائمة أو رتب البشر فهو باجماع الامة وهذا في الدنيا وقوله (ودرجاتهم أرفع الدرجات) أى في العقبى (ولكن فضل الله بعضهم على بعض) أى في الدنيا والآخرة (قال تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض) الاشارة الى من يعلمه نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فاللام للعهد وانما لم نقل بالاستغراق لقوله تعالى ولقد أرسلنا رسلا ١٤٧ من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك على انه لا يبعد انه سبحانه وتعالى أعلم نبيه بجميعهم وان لم يعلمه بقصصهم ثم المراد بالفضيلة هنا هو الامر الزائد على أصل معنى الرسالة لاستوائهم باعتبار تلك الحالة يدل عليه بقية الآية منهم من كلم الله أى تفضيلا له كموسى ليلة الحيرة في الطور وكمحمد ليلة المعراج ولعل تخصيص موسى بقوله وكلم الله موسى تكليما لتكرر تكليمه له أو لاختصاصه به بالنسبة الى من تقدم كما يشير اليه قوله تعالى ورفع بعضهم أى على جميعهم لا على باقيهم كما قاله الدلجي درجات هو نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم تفضيلا على غيره بمناقب متكاثرة ومراتب متوافرة كالدعوة العامة والفضيلة التامة الجامعة بين الرؤية والمكالمة وبين المحبة والخلة وكالآيات الكاملة والمعجزات الظاهرة الشاملة فهو المفرد العلم الاكمل عن البيان في هذا المحل أو هو ابراهيم عليه الصلاة والسلام حيث خص بالخلة التى هى من أعلى مراتب المقام أو ادريس عليه الصلاة والسلام رفعه الله مكانا عليا وقيل بقية أولى العزم من الرسل (وقال وقد اخترناهم) أى بنى اسرائيل (على علم) أى بهم (على العالمين) أى عالمى زمانهم لكثرة الانبياء فيهم والمعنى انا اصطفيناهم عالمين بانهم أحقاء باصطفائنا اياهم واذا كان بنو اسرائيل مصطفين لوجود الانبياء فيهم فبالاولى ثبوت الاصطفاء لهم فتأويلنا هذا الكلام المصنف أولى من قول الدلجي هذا على توهم جعل الضمير للانبياء والحق جعله لبنى اسرائيل قبله (وقد قال عليه الصلاة والسلام) أى كما رواه الشيخان (ان أول زمرة) أى طائفة (يدخلون الجنة) بصيغة المعلوم أو المجهول كما قرئ بهما في السبعة

فان الاتحاد غير جائز وعرفها بالالف واللام ليشعر بان المراد استغراق ما ذكره من كل الصفات المذكورة انتهى وتبعه بعض الشراح ولم يبينه غيرهم وجميع المحاسن على هذا معطوف على اسم ان فهو منصوب فالمعنى ان كمال الخلق وحسن الصورة وشرف النسب وحسن الخلق صفات جامعة لجميع المحاسن وهى صفة الرسل عليهم السلام وهى على الوجه الاتم الاكمل لا تجتمع في غيرهم ومن بيانية مبينة لصفات جميع الانبياء والرسل والصفة بمعنى الصفات المذكورة ولا يخفى ما فيه من القلاقة والخفاء وان قوله هذه الصفات هذه الصفة ركيك جدا ولو قيل ان قوله من كمال الخلق الخ خبر ان ومن ابتدائية وجميع مرفوع مبتدأ وفي هذه الصفة خبره والمعنى جميع صفات الانبياء عليهم السلام ناشئة من كمال الخلق الى آخره وجميع المحاسن مجموعة فيها كان أظهر وأحسن (لانها صفات الكمال) أى صفات بها يكمل البشر (والكمال والتمام البشرى) تقدم الفرق بين الكمال والتمام (والفضل الجميع) مبتدأ وكان الاحسن أن يقول والفضل جميعه (لهم) خبر أى ثابت للانبياء عليهم الصلاة والسلام (اذرتبتهم أشرف الرتب ودرجاتهم أرفع الدرجات) فيه اشارة الى تفضيلهم على الملائكة كما سيأتى (ولكن فضل الله بعضهم على بعض) استدراك لدفع ما عسى يتوهم من تساويهم رتبة ثم أشار على طريق اللف والنشر المشوش الى الدليل على عدم تساويهم بقوله (قال الله تعالى تلك الرسل) المذكورين في سورة البقرة فالتعريف عهدى أو جميع الرسل الذى يعلمهم فهو استغراقى (فضلنا بعضهم على بعض) بمواهب سنية ومراتب علية غير أصل النبوة والرسالة منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وهو محمد او ابراهيم عليهما الصلاة والسلام وأشار الى فضلهم على من عداهم بقوله (وقال تعالى ولقد اخترناهم على علم) منا باحوالهم (على العالمين) وهذا من المصنف رحمه الله تعالى مبنى على ان الضمير للانبياء مطلقا والمراد بالعالمين جميع العالم لا على ما اختاروه من انه لبنى اسرائيل والعالمين عالمى زمانهم لكثرة الانبياء فيهم (وقال عليه الصلاة والسلام) في حديث رواه الشيخان عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه (ان أول زمرة) أى طائفة وجماعة (يدخلون الجنة

(على صورة القمر) أى فى هيئته من كمال انارته (ليلة البدر) وهى ليلة أربع عشرة سمى بدرا لمبادرته غروب الشمس فى الطلوع أو لتمامه فيها (ثم قال) أى النبى عليه الصلاة والسلام (آخر هذا الحديث) أى فى آخره بعد عد جميع زمره وانما اختصره المصنف لطوله (على خلق رجل واحد) أى كلهم على صورة رجل واحد وهذا على رواية فتح الخاء والاظهر رواية الضم بشهادة رواية أخلاقهم على خلق رجل واحد وبدلالة رواية أخرى لااختلاف بينهم ولا تباغض فى قلوبهم على قلب رجل واحد وأغرب الدلجى حيث جعل الرواية الثانية شاهدة لرواية الخلق بالفتح نعم قد يرجح الفتح كما قال الحلبى لظاهر قوله (على صورة أبيهم آدم) أى صورة خلقه ولا يبعد أن يكونوا أيضا على سيرة خلقه خلافا للدلجى حيث اقتصر على الاول فتدبر وتأمل (طوله ستون ذراعا فى السماء) أى فى جهتها احتراز من طول عرضه من جهة الارض فقد قيل عرضه سبعة أذرع وقيل التقدير وهو فى السماء (وفى حديث أبى هريرة) كما رواه أيضا (رأيت موسى) أى فى ليلة المعراج أو فى المنام أو فى بعض الكشوفات (فاذا رجل ضرب) بفتح فسكون أى خفيف اللحم مستدق الجسم على ماذكره الدلجى تبعا للخليل أو ما بين الجسمين كما قاله الحلبى وهو الاولى لانه الوصف الاعلى كما ذكره فى شمائل المصطفى هذا وقد قال ابن قرقول وقع عند الاصيلى بكسر الراء وسكونها معا ولا وجه للكسر كما قاله القاضى وفى حديث آخر مضطرب وهو الطويل غير الشديد وفى صفاته فى كتاب مسلم عن ابن عمر جسيم سبط يحمل على هذا القول الموافق لرواية مضطرب لا على كثرة اللحم وانما جاء جسيم فى صفة الدجال ضرب

على صورة القمر) أى وجوههم مشرقة مضيئة وليس المراد انها مثله فى الاستدارة وغير ذلك ولذا قال (ليلة البدر) وهى ليلة أربعة عشر وهو أضوأ ما يكون فيها وسمى بدرا لامتلائه بالنور أو لمبادرته مغيب الشمس بالطلوع وهو يسمى هلالا فى أول الشهر ثم يسمى بدرا اذا تم

ان الهلال اذا رأيت نموه * ينبيك أن سيعود بدرا كاملا

والقمر يطلق عليه دائما كما بينه أهل اللغة وتمام الحديث ثم الذين يلونهم كأشد كوكب درى فى السماء اضاءة (ثم قال آخر الحديث) قلوبهم على قلب رجل واحد لا اختلاف بينهم ولا تباغض لكل امرئ منهم زوجتان من الحور العين يرى مخ سوقهن من وراء العظم واللحم يسبحون الله بكرة وعشيا لا يسقمون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يتفلون ولا يمتخطون آنيتهم الذهب والفضة وأمشاطهم الذهب ووقود مجامرهم الالوة ورشحهم المسك وفى أثر ان له من الحور العين اثنين وسبعين حورية سوى أزواجه من الدنيا وان الواحدة منهن لتاخذ مقعدها قدر ميل من الارض (على خلق رجل واحد على صورة أبيهم آدم عليه السلام طوله ستون ذراعا فى السماء) والمراد بهذه الزمرة الانبياء عليهم الصلاة والسلام وبالذين يلونهم الاولياء والعلماء الراسخون وقيل المراد بهم الانبياء والاولياء وبالذين يلونهم بقية المؤمنين الاتقياء وقوله آنيتهم الذهب والفضة اما على اللف والنشر فآنية الفرقة الاولى من الذهب والثانية من الفضة أو هما لهما بقرينة جعل أمشاطهم كلهم من الذهب ويحتمل أن يكون اكتفاء أى من الذهب والفضة ورجح بعضهم أن يكون هؤلاء كلهم من أمة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم لحديث الصحيحين يدخل الجنة من أمتى سبعون ألفا بيض الوجوه تضىء وجوههم اضاءة القمر ليلة البدر ويعلم منه حال الانبياء بالطريق الاولى أو هم مسكوت عنهم وعلمهم عند الله وجعلهم على صورة آدم عليه الصلاة والسلام لانه كان أجمل الناس وأتمهم خلقا والستون ذراعا اما بذراعه نفسه أو بذراع معهود عند المخاطبين والاول أظهر لكن روى ابن أبى الدنيا عن أنس يرفعه يدخل أهل الجنة الجنة على طول آدم ستون ذراعا بذراع الملك على حسن يوسف وعلى ميلاد عيسى ثلاث وثلاثين سنة وعلى لسان محمد صلى الله تعالى عليه وسلم جرد مرد مكحلين وعرضه سبعة أذرع والحديث يدل على تبدل ألوانهم فمن كان أسود أو أشقر صار أبيض بياضا معتدلا وروى الامام أحمد عن أبى هريرة يرفعه يدخل أهل الجنة الجنة جردا بيضا جعادا مكحلين أبناء ثلاث وثلاثين وهم على خلق آدم ستون ذراعا فى عرض سبعة أذرع وقوله فى السماء يحتمل ارادة الحقيقة منه أى كابتداء خلقه وصورته اذا كان فى السماء أو المراد جهة العلو أى طوله ذلك اذا كان منتصبا قائما (فائدة) استنبط بعضهم من أثر ان مقعد الحوراء فى الجنة ميل ان كل آدمى يدخل الجنة يكون طوله اثنا عشر ألف ذراع بذراع الشرع الذى هو شبران لان مقعد الحوراء ميل فيكون طولها ثلاثة أميال ومقعد الواحد منا ثلث قامته تقريبا والغالب أن الذكر كالانثى فى الخلقة فيكون طول الرجل اثنا عشر ألف ذراع كما تقدم يقسم على الستين الواردة فى الحديث فيكون كل ذراع من الستين ما يأتى ذراع شرعى تقريبا (وفى حديث أبى هريرة) رضى الله تعالى عنه الذى رواه الشيخان أيضا (رأيت موسى) عليه الصلاة والسلام ليلة الاسراء على انا لا نمنع ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام احياء لا تبلى أجسادهم (فاذا رجل ضرب) اذا فجائية أى فاذا هو رجل

(رجل) بكسر الجيم وروى فتحها أى شعره بين الجعودة والسبوطة (أقنى) أى طويل الأنف مع ارتفاع وسطه ودقة أرنبته (كأنه من رجال شنوءة) بفتح معجمة وضم نون فواو وهمزة وقد تبدل فتدغم قبيلة من اليمن ويمكن الوجهان فى قول الشاعر

نحن قريش وهم شنوءه * بنا قريش ختم النبوة

(ورأيت عيسى فاذا رجل ربعة) بفتح راء وسكون موحدة وقد تفتح أى بين الطول والقصر وهو لا ينافى كونه الى الطول أقرب كما هو أنسب على ما فى شمائله صلى الله تعالى عليه وسلم (كثير خيلان الوجه) باضافة الكثير أى شاماته جمع خال وهو نقطة سوداء تكون فى الجسد ويستحسن قليله فى الوجه (أحمر) أى أبيض مائل الى الحمرة على ما حقق فى نعته صلى الله تعالى عليه وسلم هذا وقد اختلف فى صفة عيسى عليه السلام فروى أبى هريرة بان عيسى أحمر وقال ابن عمر والله ما قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بان عيسى أحمر وانما اشتبه على الراوى وروى ابن عمر ان عيسى آدم والآدم الاسمر وفى البخارى من طريق مجاهد عن ابن عمر انه أحمر فالمراد ما قارب الحمرة والأدمة كما قدمنا فانه قد جاء فى شمائله صلى الله تعالى عليه وسلم انه أسمر مع انه جاء أيضا كونه أبيض مشربا بالحمرة فتدبر (كأنما خرج من ديماس) بكسر الدال ويفتح ويؤيد الاول قولهم أعلى بقلب ميمه الاولى ياء لكسر ماقبلها فقيل معناه الكن أو الستر أى كأنه مخدر لم ير شمسا وهو بظاهره لا يلائم كونه أحمر فالصواب ما جاء مفسرا فى حديث بانه الحمام وفى الحديث رأيته يطوف بالبيت ثم رأيت بعده الدجال يطوف بالبيت واستشكل بانه كيف ذلك وقد حرم الله عليه دخول مكة وأجيب بان التحريم مقيد بوقت فتنته أو حرمت على جسمه وهذا باعتبار روحه وفيه ايماء الى ان مرجع الكل الى باب المولى وان لا يقدر أحد ان يخرج عن حكمه تعالى (وفى حديث) لم أعرف من رواه كما قاله الدلجى (مبطن) بتشديد الطاء المهملة المفتوحة أى ضامر البطن وان كان قد يطلق على عظيمه (مثل السيف) أى لاستوائهما واعتدالهما كما ذكره الدلجى وغيره فهو تأكيد والاظهر انه نعت مستقل ومعناه انه مثله ضياء وصفاء وفى الشمائل للترمذى فاذا أقرب من رأيت به شبها عروة ابن مسعود وهو ثقفى قتله رجل من ثقيف عند تأذينه بالصلاة (قال) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم

ضرب بفتح الضاد المعجمة وسكون الراء المهملة والموحدة ورجل هنا بفتح فضم بمعناه المشهور وهو الذكر من بنى آدم ومعنى ضرب بالفتح والسكون ان جسمه بين الهزال والسمن وقال الخليل رحمه الله تعالى انه القليل اللحم ووقع فى رواية الاصيلى بسكون الراء وكسرها والاصح الاول وروى مضطرب وهو الطويل غير الشديد الطول وفى مسلم عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما انه جسيم سبط وحمل هذا على ما يوافق رواية مضطرب لا على كثير اللحم كما وقع فى صفة الدجال فهو من الاضداد (رجل) بفتح المهملة وكسر الجيم وجاء فتحها فى لغة قليلة أى شعره متكسر قليلا ليس بسبط لا تكسر فيه ولا جعد متكسر كثيرا (أقنى) بقاف ونون من القنى بالفتح والقصر وهو طول الانف ودقة ارنبته يقال رجل أقنى وامرأة قنواء وقيل القناء أحديداب فى الانف فمعناه محدودب وليس بعيب فى الناس وفى النهاية القناء فى الانف طوله ودقة أرنبته مع حدب فى وسطه وأما قول كعب رضى الله تعالى عنه

قنواء فى حرتيها للبصير بها * عتق مبين وفى خديه تسهيل

فمعنى آخر لا حاجة لنا به هنا (كأنه من رجال شنوءة) بفتح الشين المعجمة وضم النون وواو ساكنة وهمزة وقد تبدل الهمزة واوا وتدغم وهاء على وزن فعولة وهى اسم قبيلة ويقال لها ازد شنوءة وأسد شنوءة وهى باليمن مشهورة وهى من الشنآء وهو التباعد عما يدنس يقال رجل شنوء اذا كان طاهر النسب ذا مروءة سميت بذلك لعلو نسبهم وحسن سيرتهم وأفعالهم وهذا الحديث متفق عليه وفى رواية البخارى كأنه من رجال الزط وهم نوع من السودان أو الهنود طوال الاجسام مع نحافة وهذا هو وجه الشبه أى انه طويل غير جسيم (ورأيت عيسى) عليه الصلاة والسلام يقظة فى الاسراء كما سيأتى (فاذا هو رجل ربعة) بفتح الراء المهملة وسكون الباء الموحدة وفتحها أى بين الطول والقصر معتدل القامة (كثير خيلان الوجه) بكسر الخاء المعجمة وسكون المثناة التحتية جمع خال وهو الشامة السوداء المعروفة وما قيل من ان كثرة الخيلان مذمومة غير مسلم واختلفت الرواية فى لونه فروى انه آدم أى أسمر وروى (أحمر كأنما خرج من ديماس) بكسر الدال المهملة والمثناة التحتية وميم وألف وسين مهملة وهو الحمام والكن وأصله السرب فى الارض والمراد صفاء لونه مع حمرة فيه فرواية آدم بمعنى شديد الحمرة لا تنافى هذه (وفى حديث آخر) لم تعرف روايته (مبطن) بالتشديد والطاء المهملة أى ضامر البطن كما يفسره قوله (مثل السيف) أى فى استوائه ودقته وقد تعددت الرواية برؤيته صلى الله تعالى عليه وسلم للانبياء عليهم الصلاة والسلام يقظة فى السماء والارض لانهم أحياء وصنف البيهقى فى هذا جزأ مستقلا (قال) صلى الله تعالى عليه وسلم

(وأنا أشبه ولد ابراهيم به) بفتح واوولام وبضم فسكون أى أولاده من الانبياء (وقال فى حديث آخر) على ما رواه البخارى (فى صفة موسى عليه السلام كأحسن) ى وقع فى أصل التلمسانى كأشبه (ما أنت راء) بكسر همز من غير ياء اسم فاعل من باب رأى وما موصولة أو موصوفة (من آدم الرجال) أى من سمرهم وهو بضم همز وسكون دال مهملة جمع آدم افعل شديد السمرة قال ابن الاثير الأدمة فى الابل البياض مع سواد المقلتين وهى فى الناس السمرة الشديدة وهى من ادمة الارض وهو لونها وبه سمى آدم عليه الصلاة والسلام وقال النضر بن شميل انما قيل لآدم آدم لبياضه وقد استدل بعضهم على ان موسى أسمر بقوله سبحانه وتعالى تخرج بيضاء من غير سوء فدل ذلك على انها خالصة اللون وهذا أحـ ، والله تعالى أعلم (وفى حديث أبى هريرة رضى الله تعالى عنه) كما رواه أبو يعلى وابن جرير (عنه صلى الله تعالى عليه وسلم ما بعث الله نبيا من بعد لوط الا فى ذروة من قومه) بكسر الذال المعجمة ويروى مثلثة أى فى رفعة أو فى عزة كما فى حديث سعيد ابن منصور عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما موقوفا والمعنى فى منعة وحرمة وغلبة ونصرة (ويروى فى ثروة) بفتح المثلثة (أى كثرة) توجب غلبة (ومنعة) بفتحتين ويسكن النون أى قوة تمنع المذلة وقيل المنعة بالتحريك جمع مانع أى جماعة يمنعونه ويحمونه من أعدائه هذا والتقييد ببعدية لوط يفيد انه لم يكن فى منعة كما يشير اليه قوله لو ان لى بكم قوة أى بدنية أو آوى الى ركن شديد أى قبيلة قوية واستشكل الدلجى قوله تعالى لليهود فلم تقتلون أنبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين ولو كانوا فى منعة لما قتلوا منهم ببيت المقدس فى يوم واحد ثلثمائة نبى انتهى ويمكن دفعه بان منعتهم مقيدة بكونهم فى قبيلتهم والقضية واقعة فى غير محلتهم أو المراد بالمنعة ما تعلق به من أمر النبوة ومخالفة الامة مع انه قد تكون المغلوبية لارباب المنعة (وحكى الترمذى) بل روى فى الشمائل (عن قتادة) أى مرسلا (ورواه الدارقطنى) وهو الحافظ المشهور امام المحدثين فى زمانه تفقه على الاصطخرى وسمع البغوى وروى عنه الحاكم وغيره منسوب الى دارقطن محلة ببغداد (من حديث قتادة عن أنس رضى الله تعالى عنه) أى موقوفا

(وأنا أشبه ولد ابراهيم به) خليقته صلى الله تعالى عليه وسلم ولونه كلونه فهو أكثر شبها به من سائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام والناس كلهم (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم (فى حديث آخر فى صفة موسى) عليه الصلاة والسلام كما رواه البخارى فى صحيحه (كأحسن ما أنت راء من آدم الرجال) ما موصولة والعائد محذوف أى الذى أنت رائيه وآدم من الادمة وهى سمرة اللون قيل وهى فى الابل بمعنى البياض وفى الظباء سمرة الظهر وبياض البطن ومؤنثه أدماء وآدم هنا بضم الهمزة وسكون الدال المهملة وبالميم جمع آدم كأسمر وسمر وهى السمرة مطلقا أو الشديدة وقيل انها البياض والاول أصح واستدل عليه بقوله تعالى تخرج بيضاء من غير سوء أى عيب كالبرص وانما يكون هذا اذا كان أسمر وخالف لونها لونه ويحتمل انها تخالفه لشدة بياضها كما قيل انها كانت ذات شعاع كشعاع الشمس (وفى حديث أبى هريرة رضى الله تعالى عنه عنه صلى الله تعالى عليه وسلم) رواه أبو يعلى وابن جرير من طرق وأخرجه سعيد بن منصور فى سننه عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما موقوفا (ما بعث الله تعالى من بعد لوط عليه الصلاة والسلام نبيا) وهو لوط بن هاران وهو ابن أخى ابراهيم وخص ماذكر بما بعده لانه من الشام فبعثه الله تعالى الى أهل قرية يقال لها سدوم ليست من بلاده وليست موطنا لقومه ومن بعده من الانبياء لم ينبأ (الا فى ذروة من قومه ويروى فى ثروة أى كثرة) والذروة بكسر الذال المعجمة وضمها وسكون الراء المهملة أعلى شئ أى بين قوم له ذوى جدة وسعة وشرف لا غرباء ولا من قوم ليسوا كذلك وأشار بهذا الحديث الى ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام كلهم شاركوا نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فى علو النسب وشرف القوم والثروة بمعنى الكثرة مطلقا وقد يختص بالمال وقيل الذروة المكان المرتفع وهى مثلثة الذال (ومنعة) بفتح الحروف أى ميم ونون وعين مفتوحات جمع مانع كخدمة جمع خادم ويجوز تسكين نونه أو هو اسم مصدر فى الاصل كصدقة أى قوم يمنعونه ويحمونه وقصة لوط عليه الصلاة والسلام مفصلة فى كتب التفسير وفى قوله تعالى قال لو ان لى بكم قوة أو آوى الى ركن شديد اشارة الى ماذكر من انه لم يبعث فى قومه الذين ينصرونه ويحمونه * فان قلت كيف يكونون فى منعة وثروة وقد قال تعالى فى بعضهم وما آمن معه الا قليل وقد عاداهم قومهم وقتل بعضهم وما مناسبة ماذكر لما عقد له الفصل من محاسن الخلق والخلق من الصفات الذاتية * قلت قد توهم بعضهم وروده ماذكر وليس كذلك لان ماذكر من شرف القوم والاصالة يدل على المحاسن الذاتية لاستلزامه لها وكونهم كثيرون لا ينافى عداوتهم وأما المنعة فباعتبار من أتبعه منهم ولذا ورد رحم الله أخى لوطا لقد آوى الى ركن شديد وهو لا ينافى الآية لان المراد الملائكة وما أمده الله تعالى به وحكى الترمذى عن قتادة ورواه الدارقطنى من حديث قتادة عن أنس رضى الله تعالى عنه تقدم ترجمة

(مابعث الله نبيا الاحسن الوجه) فحسن الوجه يدل على معروف كما قيل الظاهر عنوان الباطن وقد انشد

يدل على معروفه حسن وجهه * ومازال حسن الوجه أهدى الدلائل وقد روى الدارقطني في الافراد عن أبي هريرة رضي الله

تعالى عنه مرفوعا ابتغوا الخير عند حسان الوجوه ورواه الطبراني بلفظ التمسوا وقبح 151 الوجه على عكسه باعتبار مفهومه كما قيل

يدل على قبح الطوية

مايرى

بصاحبها من قبح بعض

ملامحه

والظاهر ان الامرين غالبان لتصور خلافهما في بعض افراد الانسان وفي الحديث اللهم كما حسنت خلقي فحسن خلقي فالجمع بينهما كمال الجمال (حسن الصوت) قال تعالى يزيد في الخلق ما يشاء قرئ بالحاء المهملة وان كانت المعجمة لهما شاملة (وكان نبيكم أحسنهم وجها وأحسنهم صوتا) أي من الكل فيشمل حسن صورة يوسف وصوت داود باعتبار الصباحة والملاحة وزيادة البلاغة والفصاحة هذا وقد قيل يوسف أعطى شطر حسن آدم وقيل شطر حسن جدته سارة لانها لم تفارق الحور الا فيما يعتري الآدمية من الحيض وغيره وقد أعطى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم كمال الجلال والجمال من تمام الصباحة فما رآه أحد الا هابه ومن تمام الملاحة فما رآه احد

الا أحبه وفي الحديث دلالة على جوازمثل هذه الاضافة اذا لم يرد بها المهانة أو البراءة (وفي حديث هرقل) على ما في الصحيحين من انه قال لابي سفيان (وسالتك عن نسبه فزعمت انه فيكم ذو نسب) والزعم قد يستعمل بمعنى القول ولعله استعمل بمعنى الظن لما يوهم من معنى التهمة أو لان أمر النسب مبني على غلبة الظن لا على الحقيقة كما روي عن ابن سلام في قوله تعالى الذين يعرفونه كما يعرفون ابناءهم

الترمذي وقتادة وان الدارقطني منسوب لدارقطن وهي محلة ببغداد كان يسكنها وهو الحافظ الامام الجليل المشهور امام عصره في الحديث والفقه والقرآت وغيرها من العلوم الشرعية والحديث المذكور في الشمائل وغيرها مرسلا (مابعث الله نبيا الا) وقد خلقه (حسن الوجه حسن الصوت وكان نبيكم) من ابتداء وجوده وخلقته (أحسنهم) أي الانبياء عليهم الصلاة والسلام (وجها وأحسنهم صوتا) لان حسن الصورة يدل على كمال الخلق والخلق اذ الظاهر عنوان الباطن كما قيل

يدل على معروفه حسن وجهه * ومازال حسن الوجه أهدى الدلائل

وقال الآخر

يدل على قبح الطوية مايرى * بصاحبها من قبح بعض ملامحه

وحسن الصوت بكونه جهوريا يسمع من بعيد مع لطفه فيه يدرك بالذوق ولا يلزمه كونه على رسم الموسيقي وهذا يدل على انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان أجمل من يوسف وأحسن صوتا من داود عليهما الصلاة والسلام وكانت قراءته صلى الله تعالى عليه وسلم في بيته ليلا تسمع عند الكعبة وفيما بعد من منازل المدينة وما ورد في حديث الطبري في يوسف فاذا انا برجل أحسن ما خلق الله قد فضل الناس بالحسن المراد منه تفضيله صلى الله تعالى عليه وسلم على من عداه لاسيما ان قلنا ان المتكلم لا يدخل في عموم كلامه كما ذهب اليه بعض الاصوليين ويدل عليه ما ورد انه صلى الله تعالى عليه وسلم أعطى الحسن كله وأعطى يوسف عليه الصلاة والسلام شطره أي نصفه أي ان الحسن كله جمع له صلى الله تعالى عليه وسلم من تناسب اعضاء وصفاء لون وغيره مما يدرك ولا يوصف ويوسف أعطى من جنس الحسن الكامل فيه نصفا وجميع الخلق وزع بينهم ما يعدل نصفه الآخر فدل ذلك على انه أحسن الناس كلهم كما صرح به في الحديث الذي نحن فيه وما قاله السخاوي في كتاب الامتنان من ان الجلال الدين المحلي رحمه الله سئل عن حديث أعطى نبينا جميع الحسن ويوسف شطره فقيل كيف يكون الشئ الواحد جميعه في شئ ونصفه في آخر فقال لم يظهر لي جوابه وكذا قال ابن حجر وقد تاملت قوله في البردة البوصيرية منزه عن شريك في محاسنه * فجوهر الحسن فيه غير منقسم

فبان لي منه جوابه وهو ان حسن النبي صلى الله عليه وسلم غير منقسم بينه وبين غيره بخلاف حسن سائر الناس فانه منقسم بينهم وبين يوسف عليه الصلاة والسلام انتهى وفيه نظر وهذه مغالطة وزهرة لا تحتمل الفرك ومنشأه عدم الفرق بين تقسيم شئ بعينه وتقسيم افراد نوع من الانواع فتدبر (وفي حديث هرقل) مر ضبطه والاضافة لادنى ملابسة لذكره في الحديث كما يقال حديث الشفاعة والاصل اضافته لرواية الصحابي أو التابعي أو من خرجه كالبخاري ومسلم وهذا الحديث رواه الشيخان عن ابن عباس رضي الله عنهما وابن عباس نقله عن أبي سفيان حين أرسل اليه هرقل وهو بالشام للتجارة في ركب من قريش في مدة محادة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لكفار قريش فاتوه بايليا فدعاهم وحوله عظماء الروم فسالهم عن أحواله صلى الله تعالى عليه وسلم فكان أول ما ساله عنه ان قال كيف نسبه فيكم فقال هو فينا ذو نسب الى آخره فقال له كما أشار اليه بقوله (وسالتك عن نسبه فذكرت انه فيكم ذو نسب) أي نسب عظيم فالتنكير للتعظيم لشرف أصوله صلى الله تعالى عليه وسلم وانه ليس

وقدرفع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم هذا الوهم فى نسبه بما وردعنه فى أحاديث مضمونها انى ولدت من أب الى أب الى آدم كلهم من نكاح ليس فيهم سفاح وهذا كله على مقتضى ماوقع فى أصل الدلجى واما على ماصح عندنا من النسخ المعتمدة فذكرت انه فيكم فلا اشكال (وقال تعالى فى أيوب) أى فى نعته (اناوجدناه) أى علمناه أوصيرناه (صابرا) بتخليقنا أو بتوفيقنا (نعم العبد) أى أيوب مبتدأ خبره ماقبله وخص بالمدح لصبره على بلائه ورضاه بقضائه ولا يضره شكواه مابه من ضر الى مولاه (انه أوّاب) أى كثير الرجوع الى الله وقال الانطاكى أى تواب والتحقيق هو الفرق بين أواب وتواب بان التوبة عن المعصية والاوبة عن الغفلة قيل كان ببلاد حوران وقبره مشهور عندهم بقرب موسى وفى قربه عين جارية يتبركون بها على زعم انها المذكورة فى القرآن (وقال يا يحيى خذ الكتاب) أى التوراة (بقوة) أى بجد وجهد ومبالغة فى مواظبته (الى قوله ويوم يبعث حيا) وهو قوله سبحانه وتعالى وآتيناه الحكم أى الحكمة أو النبوة أو المعرفة بالشريعة صبيا وحنانا من لدنا أى رحمة وشفقة منا عليه أو رحمة وتعطفا فى قلبه على أبويه وزكاة أى طهارة أونماء ورفعة وكان تقيا أى عن المعاصى تقيا وبرا بوالديه أى مبالغا فى برهما ولم يكن جبارا متكبرا عصيا عاقا وسلام أى من الله عليه يوم ولد أى من ان يمسه الشيطان كغيره من بنى آدم كما أخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم ويوم يموت أى من ظلمة القبر ونحوها أى حين يدفن فى حجرته عليه السلام ويوم يبعث حيا من هول القيامة وخوف العقوبة قال سفيان بن عيينة أوحش مايكون الانسان فى هذه الاحوال الثلاثة يوم ولد فيخرج مما كان ويوم يموت فيرى قوما لم يكن عاينهم ويوم يبعث فيرى نفسه فى محشر لم يره فيه فخص يحيى بالسلامة فى هذه المواطن قلت ولعل وجه تخصيصه ماروى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم مامن أحد الا ألم بذنب أو كاد الا يحيى بن زكريا عليهما السلام (وقال تعالى ان الله يبشرك) من التبشير أو البشارة لثبوتهما فى السبعة (بيحيى الى الصالحين) يعنى قوله مصدقا بكلمة من الله أى مؤمنا بعيسى وسيدا أى رئيسا فى قومه وحصورا غير مائل الى الشهوة ونبيا من الصالحين أى القائمين بحقوق الله وحقوق عباده أجمعين (وقال ان الله اصطفى آدم ونوحا) أى اختارهما (وآل ابراهيم) أى اسماعيل واسحق وأولادهما ومنهم نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم من نسل اسمعيل ويدخل ابراهيم فى من اصطفى دخولا أوليا كما لا يخفى (وآل عمران) أى موسى وهرون ابنى عمران بن يصهر وعيسى وأمه بنت عمران بن ماثان وكان بين العمرانين ألف وثمانمائة سنة على ماذكره الدلجى (الآيتين) يعنى قوله على العالمين أى على عالمى زمانهم أو على المخلوقين جميعهم ذرية أى حال كونهم ذرية واحدة بعضها من بعض فى الديانة والله سميع عليم باقوالهم وأحوالهم فاصطفاهم لعلمه بهم

في أمهاته سفاح ولاشئ من نكاح الجاهلية كما مر وتقلبه فى الاصلاب الطاهرة من الانبياء وقبيلته أشرف القبائل وبيته أشرف بيوتهم (وكذلك الرسل) عليهم الصلاة والسلام (تبعث فى انساب قومها) أى كل نبى له نسب عال فى قومه لان من اختاره الله لنبوته يختار له عنصرا مناسبا ولم يتخذوليا من الذل فشبه اتصاله باتصال الظرف بظروفه (وقال تعالى فى أيوب) صلى الله تعالى عليه وسلم وكان ببلاد حوران وقبره مشهور عندهم بقرية قرب نوى وعليه مسجد وقرية موقوفة على مصالحه وعنده عين جارية فيها أثر قدم فى حجر يقال انه أثر قدمه عليه الصلاة والسلام والناس يشربون من عينه ويغتسلون منها بالتبرك ويقولون انها المذكورة فى القرآن (اناوجدناه صابرا نعم العبد انه أواب) كثير الرجوع لربه بمراجعة دعائه وامتثال أوامره ونواهيه واستشهد بهذه الآية على حسن خلق الانبياء عليهم الصلاة والسلام فان الصبر أمر عظيم وخلق كل كريم حليم ولذا اثنى الله عليه بقوله نعم العبد الى آخره ووصفه بالعبودية المناسبة للصبر وقد صبر على ما ابتلاه الله به كما صبر يعقوب وغيره من الرسل ونبينا صلى الله تعالى عليه وسلم صبر على قومه وماقاساه منهم وقصة أيوب عليه الصلاة والسلام ونسبه مذكور فى التفسير واختلف فى زمن نبوته فقيل كان قبل موسى عليه الصلاة السلام وانه من بنى اسرائيل ومدة بلائه ثلاث عشرة سنة أو ثلاث سنين وامرأته اسمها اليا وقيل رحمة بنت يوسف (وقال تعالى يا يحيى خذ الكتاب بقوة الى قوله ويوم يبعث حيا وقال ان الله يبشرك بيحيى الى الصالحين) واستشهد المصنف رحمه الله تعالى بما ذكر على محاسن الانبياء وأخلاقهم اذ تلقى يحيى عليه الصلاة والسلام الكتاب التوراة أو غيرها بقوة فهم وعزيمة على العمل بما فيها وقد آتاه الله الحكم صبيا وهو يدل على سلامة فطرته وخلقته وكان حنانا فى طبعه الرحمة وانه كان تقيا برا بوالديه مطهرا من النقائص وانه سلمه الله من يوم ولد الى مماته (وقال ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين الآيتين) استشهد بهاتين الآيتين على ماحواه الانبياء عليهم الصلاة والسلام من الصفات الجليلة ومكارم الاخلاق وانه تعالى جعلهم صفوة خلقه فآل ابراهيم اسحق واسمعيل وأولادهما وآل عمران عيسى ومريم بنت

عمران

(وقال فى نوح انه كان عبدا شكورا) حامدا لله فى جميع حالاته مع القيام بوظائف طاعاته قيل كان نوح عليه الصلاة والسلام اذا أكل طعاما أوشرب شرابا أولبس ثوبا قال الحمد لله فسمى عبدا شكورا أى كثير الشكر (وقال) أى بعد قوله تعالى اذقالت الملائكة يامريم (ان الله يبشرك) بالوجهين (بكلمة منه) أى بوجود من يخلق بامر كن من عنده سبحانه بغير واسطة وجود أب (اسمه المسيح) مبتدأ وخبر أى مسح بالبركة والميمنة أومسح الارض بالسياحة (الى الصالحين) وهو قوله عيسى بن مريم وجيها حال مقدرة أى ذا وجاهة فى الدنيا بالنبوة والآخرة بالكرامة والشفاعة ومن المقربين فى الحضرة وصحبة الملائكة وعلو الدرجة فى الجنة ويكلم الناس أى ومكالمهم فى المهد وكهلا أى طفلا وكهلا كلام الانبياء من غير قصور فى الحالين من تغير الانبياء ومن الصالحين فيه اشارة الى ان مرتبة الصلاح غاية الفوز والفلاح (وقال تعالى) أى حكاية عن عيسى (انى عبد الله) أنطقه الله به فى أول الحالات لكونه مبدأ المقامات وليكون رداعلى من زعم ألوهيته من أهل الضلالات (آتانى الكتاب) أى الانجيل (الى مادمت حيا) أى قوله تعالى وجعلنى نبيا وجعلنى مباركا أى نفاعا للغير معلما للخير أين ما كنت وأوصانى ١٥٣ أى أمرنى بالصلاة والزكاة أى ان

عمران ذرية بعضها من بعض على سنن واحد (وقال فى نوح) عليه الصلاة والسلام (انه كان عبدا شكورا) لانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان لا يفعل شيأ الاقال بسم الله والحمد لله (وقال ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح الآية) استشهد بهذه الآية على مالعيسى صلى الله تعالى عليه وسلم من النعوت السنية والمحاسن الجلية التى وصفه الله تعالى بها من انه وجيه أى شريف قدره فى الدارين وانه تكلم فى مهده وقد تقدم ذكر من تكلم فى المهد غيره والكهل الشاب وقيل من وخطه الشيب أومن جاوز الثلاثين الى خمس وخمسين وكونه رفع ابن ثلاث وثلاثين وان جزم به القاضى فى تفسيره غير متفق عليه فقد ذكر ابن حجر فى الاصابة أقوالا آخرها انه بلغ المائة أوزاد عليها وتقدم معنى كونه كلمة الله (وقال انى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا الى مادمت حيا) قيل انه نبئ وهو صبى وألهم حفظ التوراة والانجيل ووصف نفسه بالعبودية ردا لما اعتقده فيه النصارى وكان نطقه باذكر تبرئة لامه (وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها) وذلك لانهم عابوه عليه الصلاة والسلام لشدة تستره حياء من الله بان فى بدنه برصا أو به أدرة فبرأه الله من ذلك وبين انه كامل الخلق والخلق ولذلك ساق المصنف الآية وقال (قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كان موسى رجلا حييا) بحاء مهملة وياءين ثانيتهما مشددة بزنة صبى أى كثير الحياء (ستيرا) بكسر السين المهملة وكسر التاء المثناة المشددة بزنة سكين أى شديد الستر لبدنه وقد أشار لتفسيره بقوله (ما يرى من جسده شئ استحياء) وهذا يدل على عفته وحيائه صلى الله تعالى عليه وسلم وهو خلق حميد وقال البرهان ان ستيرا بفتح السين وكسر التاء الفوقية المخففة فعيل بمعنى فاعل والذى أحفظه انه بكسرها وبتشديد التاء الفوقية كسكيت وسكين وكذا ضبط فى نسخ البخارى انتهى ومن كان يستحى من كشف عورته وبدنه فهو أشد حياء من كشف غيره (الحديث) بالنصب أى اقرأ الحديث الذى رواه

ملكت مالا أو بالصدقة على حسب الطاقة أو طهارة النفس من الخباثة مادمت حيا أى فى مدة حياتى الى ساعة مماتى (وقال) أى فى حق موسى عليه الصلاة والسلام (يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى الآية) يعنى فبرأه الله مما قالوا أى حيث قذفوه بعيب فى بدنه برصا أو أدرة لفرط تستره حياء على وفق طبعه وشرعه فاطلعهم الله على براءته منه ونزاهته عنه وكان عند الله وجيها أو ذا وجاهة وقربة عند ربه عندية لا مكانية لتنزهه سبحانه

وتعالى (قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) كما رواه الشيخان (كان موسى رجلا حييا) بكسر التحتية الاولى وتشديد الثانية فعيل بمعنى شديد الحياء فى جميع الاحوال (ستيرا) بكسرتين مع تشديد الثانية أى كثير التستر فى حال الاغتسال وفى نسخة صحيحة بفتح فكسر تحتية مخففة قال ابن الاثير ستير فعيل بمعنى فاعل أقول واختيار المبالغة أبلغ وأنسب بقوله (ما يرى من جسده شئ استحياء) وفى نسخة استحاء أى لاجل كمال حيائه من رفقائه (الحديث) وتمامه قوله عليه الصلاة والسلام فآذاه من آذاه من بنى اسرائيل فقالوا ما تستر هذا التستر الا عن عيب بجلده اما برص أو أدرة وهى بالضم نفخ الخصية وان الله أراد ان يبرئه فخلا يوما وحده أى منفردا ليغتسل فوضع ثوبه أى جميعه وهو المناسب لدفع الادرة أو الزائد عن ازاره ان كان البرص على زعمهم فوقه ففر الحجر أى بعد فراغه من غسله ويحتمل كونه من قبله فجمح بجيم فميم مفتوحة فحاء مهملة أى أسرع فى أثره يقول أى قائلا ثوبى ثوبى أى ألقه أورده يا حجر حتى انتهى أى مشيه ووصل الى ملأ بنى اسرائيل فرأوه عريانا أحسن خلق الله حالان من ضمير رأوه اذ الرؤية بصرية ليس لها الا مفعول واحد فقالوا والله ما بموسى من باس فاخذ ثوبه أى من فوق الحجر وقد ضربه حيث فر ولعله سبحانه وتعالى به أمر فوالله ان بالحجر لندبا بفتح النون والدال المهملة والموحدة أى تأثيرا من أثر ضربه ثلاثا صفة لاسم ان مبنية لعدده وفى رواية أو

أربعا أوخمسا والظاهر ان الجملة القسمية من تمام الحديث وجوز الدلجى ان تكون مدرجة فيه من كلام الراوى لكن ليس فيه ما يشعر به ولا ما يلجئه وفى الحديث جواز الغسل عريانا فى الخلوة وان كان الافضل ستر العورة وبه قال الائمة الاربعة وفيه ايماء الى ابتلاء الانبياء والاولياء بايذاء السفهاء وصبرهم عليه فى حال البلاء وان الانبياء منزهون من النقائص خلقا وخلقا (وقال تعالى عنه) أى حكاية بعد قوله ففررت منكم لما خفتكم (فوهب لى ربى حكما) أى نبوة علما (الآية) تمامها وجعلنى من المرسلين (وقال فى وصف جماعة منهم) موسى مدحالهم (انى لكم رسول أمين وقال) أى حكاية لقول بنت شعيب فى حق موسى (يا أبت استأجره ان خير من استأجرت القوى الامين) روى ان شعيبا قال لها وما علمك بقوته وأمانته فذكرت اقلابه الحجر الثقيل الذى لا يحمله الأربعون أوعشرون وغضه البصر حين بلغته الرسالة وأمره اياها بان تمشى وراءه وتدله بالحجارة ان أخطا تلقاءه (وقال فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل) تقدم انه منهم ومن أفضلهم أوهذا الوصف يعمهم (وقال ووهبنا له) أى لابراهيم (اسحق) أى ابنه (ويعقوب) بن اسحق سبطه (كلا) أى منهما (هدينا الى قوله) أى فى كلام يطول منتهيا الى قوله اجمالا (فبهداهم اقتده) بهاء السكت وفى قراءة ابن عامر بكسرها وفى رواية لابن ذكوان باشباعها على انه ضمير راجع الى المصدر وقرأ حمزة والكسائى بحذف الهاء وصلا والكل بسكونه وقفا والمعنى اقتد بطريقتهم وسيرتهم وسريرتهم أو بما توافقوا عليه من أمر التوحيد والنبوة والبعثة وأمثالها دون الفروع المختلف فيها اذ ليست مضافة الى كلهم مع عدم امكان الاقتداء فى جميعها بهم لتباين أحكامهم

البخارى عن أبى هريرة أو يذكره وتتمته أنه صلى الله عليه وسلم لما كان يكثر الستر ويغتسل وحده قالوا انه انما يفعل هذا البرص أو ادرة به فذهب مرة ليغتسل ووضع ثوبه على حجر فلما أراد أن يلبسه فر الحجر وجرى خلفه ويقول ثوبى حجر ثوبى حجر حتى مر على بنى اسرائيل فرأوه أكمل الناس وأصحهم بدنا فبرئ مما سمعوه وآذوه به (وقال تعالى عنه) ضمنه معنا حكى فعداه بعن أى عن موسى عليه السلام ففررت منكم لما خفتكم (فوهب لى ربى حكما الآية) أى علما ونبوة وفراره صلى الله عليه وسلم لما قتل القبطى وذهب فكلمه الله كما هو مشهور (وقال فى وصف جماعة منهم) أى من الانبياء عليهم السلام (انى لكم رسول أمين) وقع هذا من نوح وصالح ولوط وشعيب عليهم السلام كما حكاه عنهم على وجه الرضاء والتصديق فلا يتوهم انه مدح لانفسهم فليس مما نحن فيه (وقال) موسى لشعيب عليهما الصلاة والسلام (ان خير من استأجرت القوى الامين) وقصته معه انه لما فر من القبط اذ خافهم لقتل رجل منهم ومر بابنتى شعيب عليه السلام جالستان ينتظران فراغ الناس ليسقى غنمهما قال لهما لم تأخرتما فقالتا لا نسقى حتى يصدر الرعاء فقال أما عندكم بئر غير هذه فقالتا عندنا بئر مطبق عليها حجر لا نطيق رفعه وكان لا يرفعه الا عشرة من أشد الرجال فقال اذهبا فأرنيها فرفعه وحده وسقى لهما فقالتا له اذهب معنا ليجزيك أبانا على ما فعلت فقال أرشدانى للطريق وامشيا خلفى لانى رجل من ذرية ابراهيم عليه السلام لا أحب أن أرى منكما ما لا يحل لى فاخبرتا أباهما بقصته وقوته فى رفعه ذلك الحجر وأمانته لامتناعه من النظر لهما فاستأجره على ما قصه الله لرعى غنمه قال البيضاوى الجملة علة لما قبلها وللمبالغة جعل خيرا واسم ان معرفتين يعنى لم يقل ان من استأجرته قوى أمين بل أتى بجملة معرفة الطرفين لحصر الخبر بتقديمه فتدبر (وقال فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل) فوصفهم بالصبر وهو من أحسن الاخلاق والعزم على التصميم على نفاذ الامر والحزم فى الشدائد وقد اختلف فى أولى العزم كما مر (وقال ووهبنا له اسحق ويعقوب كلا هدينا الى قوله أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده) وقد وقع فى هذه الآية بحث ذكره الطوفى فى تفسيره وهو انه استدل بهذه الآية على ان محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم أفضل من جميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام لان الله تعالى أمره بالاقتداء بهداهم جميعا ولا شك فى امتثاله واقتدائه صلى الله تعالى عليه وسلم واذا أتى بما أتوا به جميعا مع ما خص به كان أفضل من كل فرد فرد بلا شبهة ومن المجموع ونقل عن العز بن عبد السلام انه قال انه أفضل من كل واحد منهم لا من المجموع ولا دلالة فى الآية عليه قال ولما نقل عنه هذا قام عليه الناس ونسبوه فى هذه المقالة الى ما وصل الى تكفيره * وأنا أقول أنا برىء من نسبة مثله للعز والقائل بهذا توهم انه مثل ما لو قسم عشرة دنانير على خمسة رجال وأعطى أربعة منهم دينارا دينارا وأعطى ستة للخامس فهو يزيد على كل واحد منهم لا على المجموع فلا يلزم من زيادته على كل واحد من الجماعة زيادته على الجميع فالآية لا دليل فيها لما ادعوه وهذا انما يتم لو لم يثبت له صلى الله تعالى عليه وسلم غير ما لجميعهم وهو مقرر ظاهر وقد بسطنا الكلام على هذا فى غير هذا المحل والهاء فى اقتده هاء سكت تثبت وقفا على القياس ووصلا اجراء له مجرى الوقف وحذفها حمزة وصلا وكسرها هشام اختلاسا وصلا ووصلها ابن ذكوان

(فوصفهم) أي الله سبحانه وتعالى (باوصاف) أي نعوت معنوية لاكما توهم الدلجي من زيادته حسية (جة) أي كثيرة (من الصلاح) من بيانيـة وهو مستفاد من قوله وكل من الصالحين (والهـدى) أي من صـدر الآية وختمها (والاجتباء) من قوله واجتبيناهم (والحكمة) أي الحـكم والنبوة من قوله تعالى أولـئك الذين آتيناهم الـكتاب والحـكم والنبوة وكان ينبغي ان يذكر نعت الاحسان قبـل الصلاح فانه مستفاد من قوله تعالى وكذلك نجزي المحسنين (وقال فبشرناه) أي ابراهيم (بغلام عليم) أي كثير العلم (وحليم) أي وفي آية أخرى بغلام حليم أي ذي حلم وحاصله انه جامع بين العلم والحلم ولا يخفى حسن تقدم العلم ولعل هذا وجه تقديم المصنف له مع ان ترتيب القرآن عكس ذلك حيث جاء في الصافات حليم بالحاء وفي الذاريات عليم بالعين على احتمال خلاف ذلك باعتبار النزول لـكن كان حقه ان يقول فبشرناه بغلام حليم وبشروه بغلام عليم فان ما فعله اقتصار مخل لاسيما اقتصاره على قوله فبشرناه فانه لا يصح الامع قوله بغلام حليم بالحاء والا فيلزم منه التركيب الممنوع في عـلم القراءة كالتلفيق المنهي في المعاملة ثم المبشر به اسمعيل وهو أصح من القول بانه اسحق وقد تقدم والله تعالى أعلم (ولقد فتنا) أي امتحنا (قبلهم) ١٥٥ أي قبل كفار مكة (قوم فرعون)

أي معـه بارسال موسى اليهـم وايقاع الفتنة بالامهال في العقوبة وتوسعة الرزق عليهـم (وجاءهم رسول كريم) أي على الله والمؤمنـين أو في نفسه لشرف نسبه وفضل حسبه (الى آمين) وهو قوله ان أدوا الى أي حق الدعوة من الاجابة وقبول الطاعة عباد الله أي يا عباد الله أو سلموهم الى وارسلوهم معي الى حيث ما أمر الله اني لـكم رسول أمين غير متهم في أمر الدين (وقال) أي حكاية عن اسمعيل خطابا لوالده ابراهيم عليهما السلام عند قصد ذبحه بامر ربه لما رآى في نومه (ستجدني ان شاء الله من الصابرين) أي على حكم الله وقضائه أو في ابتلائه من أمره بذبحه (وقال في اسمعيل انه كان صادق الوعد) وخص به لانه وعد بالصـبر على ذبحه ووفى بوعده (الآيتين) أي تمامهما وهو قوله وكان رسولا أي الى قبيلة جرهم نبيا لعله أخر للفاصلة أو دفعا لتوهم كونه رسولا بالواسـطة كقوله سبحانه وتعالى اذ أرسلنا اليهم اثنين أي من أصحاب عيسى عليه الصـلاة والسلام وكان يأمر أهله أي أهل بيته أو جميع أمته بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا أي في مقاله وفعاله وحاله (وفي موسى) أي وقال في حقه (انه كان مخلصا) أي لربه في عبادته عن الرياء وعن متابعة هواه بل طالبا لرضاه اذ اسلم وجهه لله وأخلص نفسه عما سواه وفي قراءة للسـبعة بفتح اللام أي أخلصه الله واختاره لنفسـه واجتباه وهذا أكمل مقام في منازل السائرين وأفضل حال في مراحل الطائرين وتمام الآية وكان رسولا نبيا (وفي سليمان نعم العبد) أي قال في حقه هذا القول (انه أواب) أي كثير الرجوع الى رب الارباب (وقال) أي في حق جماعة منهم (واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعـقوب) وقرأ ابن كثير عبدنا فالمراد به ابراهيم للخصوصية أو الاضافة جنسية فتوافق الجمعية وهو أولى كما لا يخـفى (أولى الايدي والابصار) أي أصحاب القوة في مباشرة الطاعات العملية وأرباب البصيرة في الامور العلمية وفيه تعريض بالبطلة والجهلة الواقعين في

بها تشبيه الهاء بهاء الضمير وقيل هذا الاصح وانما هي ضمير المصدر كقوله هذا سراقة للقرآن يدرسـه (فوصفهم باوصاف جة) أي كثيرة (من الصلاح) ليس المراد بالصلاح المعنى المشهور في قولهـم رجل صالح حتى يقال انه ليس بمـدح للانبياء عليهم الصلاة والسـلام ومن توهمه قال المـراد مدح الصـفة لا الموصوف كما حقق كما في شروح الـكشاف بل الصلاح صفة جامعة لـكل خير فهي أبلغ من غـيرها كما فصله السبكي في فتاويه (والهدى والاجتباء) وهو الاصطفاء والاختيار للرسالة (والحـكم والنبوة) أي الحكمة أو فصـل الامر على مقتضى الحق (وقال فبشرناه بغلام عليم وحليم) وهو اسحق فوصفه بالعـلم والحلم وهما أمران عظيمان قال الانطاكي كذا في النسخ والذي في القرآن فبشرناه بغـلام عليم وبغلام حليم ولو قدم حليم وعطف عليه عليم بان الامر (وقال ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون وجاءهـم رسول كريم الى) قوله (آمين) والمـراد بالفتنة الاختبار والامتحان يقال فتنت الفضة اذا ادخلتها النـار فشـبه أمرهم باتباعه بمعاملة المختبر أو المراد به ابتلاهم كما ابتـلى العرب بنبينا صـلى الله تعـالى عليه وسـلم فوصفهم الله في هـذه الآية بصفات جيدة من الـكرم والامانة وغـيرهما (وقال) حكاية عن الذبيح (ستجدني ان شاء الله من الصابرين) على الذبح مسام الله ولذا اسلمه الله وفداه (وقال في اسمعيل) عليه الصـلاة والسـلام (انه كان صادق الوعد الآيتين) صرح باسمعيل مع ان المذكور قبله في حقه اشارة للاختلاف فيه فانه قيل انه اسحق وقيل انه اسمعيل بن خرقيل وهو نبي بعثه الله لقومه فسلخوا رأسه فخـيره الله بين تعذيبهم وغيره فاختار العفو والرضى بثوابه والجمهور على انه اسمعيل الذبيـح بن ابراهيم وهو رسول نبي وصـدق وعـده لانه وعد أباه بالصـبر على الذبح فوفى بوعـده وقدم الرسالة هنا عـلى النبوة لانها أشرف على قول (وقال في موسى عليـه الصـلاة والسـلام انه كان مخلصا) في طاعتـه لا يقصـد بها الا وجـه الله والتقرب اليـه (و) قال (في) شأن (سليمان نـعم العبد انه أواب) أي مسبح أو رجاع اليـه بالتوبة وقيل الاواب المطيع وقيل الرحيم أو كثير الصـلاة (وقال واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب) وهو اسرائيل أو أنبياء بني اسرائيل (أولى الايدي والابصار

تحصيل الشهوات النفسانية واللذات الحيوانية (الى الاخيار) يعني قوله سبحانه وتعالى انا أخلصناهم بخالصة أي جعلناهم خالصين
لنا بخصلة خالصة لهم هي ذكرى الدار أي دار القرار لما فيها من قرب الجوار كما قال مجنون العامري شعر
وما حب الديار شغفن قلبي * ولكن حب من سكن الديارا فالخواص لا يذكرون الجنة ولا يطلبونها بالمرة الا لما فيها من وعد
الرؤية ومنزلة القربة وقرأ نافع وهشام باضافة الخالصة اضافة بيانية وانهم عندنا لمن المصطفين أي المجتبين من بين أمثالهم الاخيار
أي المختارين بافعالهم (وفي داود انه أواب) أي حيث كان يفطر يوما ويصوم يوما وينام بعض الليل ويقوم بعضه (ثم قال وشددنا ملكه)
أي قويناه بالهيبة وكثرة الجنود في الخدمة ودوام النصرة والغلبة (وآتيناه الحكمة) أي اتقان العلم والعمل أو الحكومة والنبوة
(وفصل الخطاب) أي الخصام بتمييز الحق عن الباطل في الاحكام أو الكلام الملخص الذي يتبينه المخاطب في كل باب أو قوله اما بعد
في كل خطبة أو في أول كل كتاب (وقال عن يوسف) أي أخبارا عما خاطب به الملك بقوله (اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم)
فدل على غاية حفظه ونهاية علمه بتقرير الحق سبحانه وعظم شانه وقد روي عن مجاهد ان الملك أسلم على يديه أي لما رأى من وفور
علمه وحفظه وشفقته ومرحمته على خلق الله من خاصة وعامة حتى ما كان يشبع في حالة مع وجود الخزائن تحت تصرفه وحيز ارادته
مما شاهدت أموره الخارقة عن العادة ١٥٦ بصحة نبوته ورسالته (وفي موسى) حيث قال للخضر (ستجدني ان شاء الله

الى الاخيار) الايدي جمع يد بمعنى القوة والابصار جمع بصر بمعنى بصيرة فانه يطلق على الحاسة الظاهرة
وقوتها وعلى القوة الباطنة المدركة ولا يقال للجارحة بصيرة كما في عمدة الحفاظ ومعنى اخلصناهم
بخالصة ذكرى الدار جعلناهم خالصين بسبب انهم لا يذكرون الا الدار الآخرة وأطلق الدار اشارة الى ان
الدنيا ليست بدار مقر بل ممر ومعبر وعند هنا للقرب والاخيار جمع خير او خير المشدد بعد التخفيف
(و) قال (في داود انه أواب) تقدم تفسيره (ثم قال) في حقه (وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل
الخطاب) أي قويناه لان بني اسرائيل لم تجتمع على ملك غيره وكان يحرس محرابه ثلاثون ألف متسلح
أو قويناه بالعدل والتوفيق له وفصل الخطاب أي الكلام الفاصل بين الحق والباطل وقيل هو اما
بعد وهو أول من قالها وقيل هو البينة على المدعي واليمين على المدعى عليه وقيل غير ذلك (وقال عن
يوسف) عليه الصلاة والسلام (اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم) قيل الارض هنا
أرض مصر وفي الآية دليل على جواز طلب الحكم وثوقا بنفسه وتوليه من الكافر وقيل ان
فرعون يوسف أسلم وقصة يوسف عليه الصلاة والسلام أشهر من ان تذكر (و) قال (في
موسى ستجدني ان شاء الله صابرا ولا أعصي لك أمرا) وهذه قصته مع الخضر عليهما
الصلاة والسلام المشهورة (وقال عن شعيب) عليه الصلاة والسلام (ستجدني ان شاء الله
من الصالحين وقال) عنه أيضا (وما أريد ان أخالفكم الى ما أنهاكم عنه ان أريد الا الاصلاح
ما استطعت) شعيب من نسل ابراهيم عليهما الصلاة والسلام أرسل الى مدين والايكة وهما

صابرا) أي معك غير منكر لك وتعليق الوعد بالمشيئة للاشارة الى ان أفعال العباد جارية على وفق الارادة الالهية (وقال تعالى عن شعيب) لعل المصنف اختار تزيين التلويح والتفنن في مقام التحسين فتارة عبر بفي وأخرى بعن (ستجدني) أي مخاطبا لموسى (ان شاء الله من الصالحين) أي في حسن المعاملة والوفاء وبالمعاهدة والمعاشرة الجاملة والتعليق للاتكال على توفيقه سبحانه
وتعالى ومعونته لا للاستثناء في معاهدته بكونه أمتان
ان شاء فعل وان شاء لم يفعل فان هذا ليس من شان الكمل (وقال) أي في حقه أيضا (وما أريد ان أخالفكم الى ما أنهاكم عنه)
من قولهم خالفت فلانا الى كذا اذا قصدته مع اعراضه عنه والمعنى ما أريد ان آتي ما نهيتكم عنه لاستبد به لعلمي بانه خطأ في
ارتكابه خطر فلو كان صوابا لآثرته ولم أتركه فضلا عن ان انهى غيري عنه (ان أريد الا الاصلاح ما استطعت) أي ما أريد بامركم
للمعروف ونهيكم عن المنكر الا حصول الصلاح ووصول الفلاح ما دمت أستطيعه أو القدر الذي أطيقه قال الثعلبي نقلا عن عطاء
وغيره انه من نسل مدين ابن ابراهيم الخليل ويقال له خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه وعمي في آخر عمره قال قتادة بعثه الله
رسولا الى أمتين مدين وأصحاب الايكة وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان شعيبا كان كثير الصلاة فلما طال تمادي قومه على
كفرهم بعد المعجزة وكثرة المراجعة وآيس من صلاحهم ورجوعهم الى فلاحهم دعا الله عليهم بقوله ربنا افتح بيننا وبين قومنا
بالحق وأنت خير الفاتحين فاستجاب الله الدعوة وأهلكهم بالرجفة وهي الزلزلة وأهلك أصحاب الايكة بعذاب الظلة قال السمعاني في
الانساب قبر شعيب في حطين وهي قرية بساحل بحر الشام وعن ابن وهب ان شعيبا ومن معه من المؤمنين ماتوا بمكة وقبورهم عن بيتها

بين دار الندوة وبين باب بني سهم وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فى المسجد الحرام قبران ليس فيه غيرهما قبر اسمعيل فى الحجر وقبر شعيب مقابل الحجر الاسود انتهى وما صح قبر نبي من الانبياء عليهم الصلاة والسلام من غير قبر نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم ايماء الى ان غيره من الانبياء كالبدور السائرة المستورة عن عين الشهود عند ظهور نور شمس دائرة الوجود (وقال ولوطا آتيناه حكما وعلما) أى حكمة ونبوة وحكومة فى الخصومة قال الثعلبي نقلا عن وهب بن منبه خرج لوط من أرض بابل فى العراق مع عمه ابراهيم تابعا له على دينه مهاجرا معه الى الشام ومعهما سارة امرأة ابراهيم عليه السلام وخرج معهما آزر أبو ابراهيم مخالفا لابراهيم فى دينه مقيما على كفره حتى وصلوا حوران فمات بها آزر فمضى ابراهيم وسارة ولوط الى الشام ثم مضوا الى مصر ثم عادوا الى الشام فنزل ابراهيم فلسطين ونزل لوط الاردن فارسله الله الى أهل سدوم وما يليها وكانوا ألفا يأتون الفواحش قال أبو بكر بن عياش عن أبى جعفر استغنت رجال قوم لوط بوطئ رجالهم واستغنت نساؤهم بنسائهم (وقال انهم) ١٥٧ أى الانبياء المذكورين فى سورتهم

(كانوا) أى بجملتهم (يسارعون فى الخيرات) أى يبادرون الى الطاعات (الآية) وهى قوله تعالى ويدعوننا رغبا ورهبا أى للرغبة فى المثوبة والقربة والرهبة عن العقوبة بالحرقة والفرقة وكانوا لنا خاشعين أى خاضعين أو لاجلنا مع خلقنا متواضعين أو خائفين وجلين حزينين ولعله أشار الى هذا المعنى بقوله (قال سفيان) أى الثورى أو ابن عيينة وهما تابعيان جليلان وجزم التلمساني بالاول (هو) أى معنى الخشوع (الحزن الدائم) أى المورث للمسارعة الى الخير (فى أى كثيرة) متعلق بقوله وقال تعالى فى أيوب

أى قد ورد ما ذكر من الآيات الشاهدة على شرف حالهم وكمال جمالهم مما هى نبذة يسيرة مندرجة فى آيات كثيرة لا يمكن احصاؤها واتيانها بأسرها (ذكر فيها من خصالهم) أى بعض نعوتهم الشاهدة على جميل حالهم (ومحاسن أخلاقهم الدالة على كمالهم وجاء من ذلك) أى من قبيل ما ذكر فى الآيات (فى الاحاديث كثير) أى مما ينبغى أن يروى منها قدر يسير (كقوله) أى على ما رواه البخارى وابن حبان والحاكم (انما الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم) وفى اتيان انما ايماء بحصر كرم النسب وشرف الحسب فيه اذ لم يتفق لاحد انه (نبى ابن نبى ابن نبى ابن نبى) غيره مع ايذان تعريف المبتدأ والخبر به أيضا لتأكيده فلا ينافيه ما رواه أحمد والبخارى عن ابن عمر وأحمد أيضا عن أبى هريرة بلفظ ان الكريم الخ مع انه أوفق لموازنة ما بعده حتى قيل انه موزون بلفظه ثم الظاهر ان قوله نبى ابن نبى الخ مدرج من كلام الراوى أو تفسير للقاضى

أمتاز وقيل أمة واحدة وصفه الله بالصلاح والاصلاح وانه لا يأمر الا بما فعله وهو خطيب الانبياء عليهم الصلاة والسلام (وقال ولوطا آتيناه حكما وعلما) فلوط ابن أخى ابراهيم كما تقدم والحكمة والحكم بمعنى هنا (وقال) فى حقهم عليهم السلام عموما (انهم كانوا يسارعون فى الخيرات الآية) أى شأنهم المبادرة الى فعل أنواع الخير وسؤال الله تعالى فى الرغبة والرهبة (وقال سفيان) الثورى أو ابن عيينة فى تفسير هذه الآية (هو الحزن الدائم) قيل ضميره هو راجع الى الخشوع فى قوله وكانوا لنا خاشعين وفى الشرح الجديد يريد ان ما ذكر فى الآية من الخيرات هو الحزن الدائم الذى ينشأ عن خيرات من سلك طريقها فقد وصل الى مقامه ولا يخفى بعده والظاهر هو الاول (فى آى) جمع آية (كثيرة ذكر فيها من خصالهم وفى محاسن أخلاقهم الدالة على كمالهم) وهذا ابتداء كلام لا تعلق له بكلام سفيان رحمه الله تعالى أى ما ذكر من الآيات مندرج فى آيات كثيرة دالة على كمالهم وليس ما ذكر محيطا بما فيه بل هو بعض منه (وجاء من ذلك) أى من وصف كمالهم عليهم الصلاة والسلام فى غير القرآن (فى الاحاديث) الصحيحة (كثير كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم انما الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم نبى ابن نبى ابن نبى ابن نبى) هذا الحديث فى البخارى بدون انما وقوله نبى ابن نبى الى آخره والكرم ليس بمعنى السخاء فانه استعمال طار وانما هو معنى جامع للخير والشرف ومكارم الاخلاق قيل وانما خص يوسف عليه الصلاة والسلام بما ذكر لما جمع الله له مع علو النسب جعله رابع أربعة من الانبياء من الحسن المفرط والعفة والملك والعلم والحكمة الى غير ذلك مما لم يجتمع لغيره من الانبياء وفيه التكرار المعدود من المحسنات البديعية كقول ابراهيم عليه الصلاة والسلام يا أبت لم تعبد الآية كرر يا أبت مبالغة فى استعطاف أبيه والاطراد كقوله تعالى واتبعت ملة آبائى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والسجع وهو من المحسنات احيانا وأما انكاره لمن خاطبه وقوله أسجع كسجع الكهان لانه ليس فى محله وهو مقام الحكمة وقيل عليه ان ما ذكر ليس من قبيل التكرير لان كريما ليس معناه واحدا فى الحديث وان ما ذكر ليس من قبيل السجع وليس بشئ لان الكريم مفهومه متحد وان اختلف ما صدق عليه والسجع ما تحدت قافيته

(وفي حـديث أنس) أي كما رواه البخاري بعـد قوله تنام عيني ولا ينام قلبي (وكذلك الانبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهـم) أي فلا يتطرق اليهـم ما يحجزهم من اشراق الانوار الاحدية أو يحجبهم عن الاسرار الصـمدية (وروى) أي من طريق الطـبراني عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنـه مرفوعا ١٥٨ (ان سـليمان كان مع ما) ويروى فيما (أعطى من الملك) مما يقتضي تـكبرا وتجبرا وترفعـا (لا يرفع بصره الى السـماء تخشـعا وتواضـعا) أي لله كما في نسـخة (وكان) أي سليمان عـلى ما روى أحـمد في الزهد عن فرقد السـنجي (يطعم الناس لذيذ الاطعمة) وفي أصل التلمـاني لذائذ جمع لذيذة وهـو ما يوافق الطبع ويلائمه (ويأكل خبز الشعير وأوحى اليه) وفي نسـخة وأوحى الله تعالى اليـه (يا رأس العابدين) أي من الملوك أو المـوجودين (وابن محجة الزاهدين) أي على غيره وفي نسـخة محجة بفتحات وتشديد جيم أي مجمعهم أو معظم طريقهم وفيـه غاية المبالغة (وكانت العجوز) ووقع في أصـل الدلجي وان كانت فقـال هي المخففة مـن المثقلة (تعترضه) أي تأتيه من عرض طريقه (وهو على الريح في جنوده) أي وهو معهم في تلك العظمة (فيأمر الريح) أي بالوقوف لاجلها (فتقف) أي بامره لهـا (فينظر في حاجتها) أي يتأمل فيها ويقضي بها (ويمضي) أي يتوجه الى مقصده

(وفي حـديث أنس) رضي الله تعالى عنـه الذي رواه البخاري (وكذلك الانبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهـم) فهو من خصائص الانبياء عليهم الصـلاة والسـلام ومر ان الخصائص تنقسم الى أقسام فمنها ما اختص به صلى الله تعالى عليه وسلم دون سائر الناس الانبياء وغيرهم ومنها ما اختص به صلى الله تعالى عليه وسلم دون أمته كالجمـع بين زوجات فوق الاربـع وان جاز لغيره في الشرائع السابقة ومنها ما اختص به صلى الله تعالى عليه وسلم دون الامم كلها وان كان لغيره من الانبياء كما نحن فيه ولذا كان وضوءه صلى الله تعـالى عليه وسلم لا ينقض بالنوم كما صرح به الشافعية ومنها ما اختص به صـلى الله تعالى عليـه وسـلم دون الامم السابقة وأنبيائهم كالتيمم * فان قلت كيف هذا وقد نام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن صلاة الصبـح حتى طلعت عليـه الشمس ولا يصح أن يكون هذا تشريعا لامته لانه لا يفعل ما يمتنع شرعا للتشريـع وان لزمه ذلك من غير قصـد له * قلت أجيب عنه باجوبة * أحـدها وهو الاصح انه صـلى الله تعالى عليه وسـلم كان له حالان حال لا ينام فيها قلبه وهي الغالب عليـه وحال نادرة فيها ينام قلبه * الثاني انه يغيب عنه في نومه ما يحس بالبصر لا ما يدرك بالقلب كالحدث والالم ونحوهما ورجح بعضهم هذا * الثالث ان قلبـه لا يستغرق حتى يتعطل احساسه وقد يسـتغرق لاشتغاله بوحي كما كان يشاهد منه اذا نزل عليه الوحي في اليقظة وقيل ان المراد انه لا يستغرق قلبه حتى لا يدرك الحدث قال ابن دقيق العيد وهو بعيد قال ابن حجر ومن الاجوبة الضـعيفة ان قلبه صـلى الله تعالى عليـه وسـلم كان يقظان وعلم بخروج الوقت ولـكن فعله تشريعا للامة وفي هـذا اشارة الى يقظة قلبـه وانه لا يعقل وهذا من جملة الـكمال فناسب الترجمة مناسبة تامة (وروى) رواه الطبراني عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ان سليمان عليه الصلاة والسلام كان مع ما أعطى من الملك لا يرفع بصره الى السماء تخشعا وتواضعا لله وذلك لتعظيم ملكوت الله وملائكته استصغارا لنفسه لا لان الله في جهة وحيز كما توهم وكذا كان أبوه داود عليه الصلاة والسـلام كما ذكره الغزالي في الاحياء حياء من الله تعالى أي حياء من ملائكة الله تعالى لقصور عمله عن أعـمالهم أي لا يفترون عنها طرفة عين ولا ينافي هذا قوله تعالى أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت والى السـماء كيف رفعت لانه مقام آخر (وكان يطعم الناس لذائذ الاطعمة ويأكل خبز شعير) جمع لذيذة وهو ما يشتهـى ويميل له الطبـع من المأكولات (وأوحى الله اليه يا رأس العابدين) أي أعلاهم ورئيسهم (وابن محجة الزاهدين) أصل المحجة الطريق المسلوك فاستعير لجمعهم ومقصدهم أو مقتداهم الذين يأنسون بسنته ومسلكه وفي نسخة حجة وزهده صلى الله تعـالى عليه وسـلم لا ينافي ملكه وقـدرته بل حقيقة الزهد انما تتم بذلك (وكانت العجوز) خصها لحقارتها (تعترضه) أي تجيء له صلى الله عليه وسلم وتقف مقابلته (وهو) راكب (على الريح في جنوده) وعزة سلطانه (فيأمر الريح فتقف فينظر في حاجتها ويمضي) لمقصـده (وقيل ليوسف عليه الصلاة والسلام مالك تجوع وأنت على خزائن الارض فقال اني أخاف أن أشبـع فأنسى الجائع) المراد بخزائن الارض المخزون من الاموال والارزاق (وروى أبو هريرة رضي الله عنه عنه صلى الله تعالى عليه وسلم) كما رواه البخاري عنه (خفف على داود القرآن) هو مصدر بمعنى القراءة كالغفران والمراد قراءة كتابه وهو الزبور أو المقروء وقيل ان اطلاقه هنا

مع

(وقيل ليوسف مالك تجوع وأنت على خزائن الارض) جملة حالية (قال أخاف أن أشبـع فأنسى الجائع) أي جنس الجائعين وأغفل عن تفقد المحتاجين وفي نسخة الجياع بكسر الجيم جمع الجيعان (وروى أبو هريرة عنه عليه الصلاة والسلام) كما في البخاري (خفف على داود القرآن) أي قراءة الزبور

(فكان يأمر بدوابه) أي لاجله وأصحابه وروى بدابته فيحتمل اضافة الجنسية لكن ارادة الواحدية أبلغ في مقام خرق العادة (فتسرج له فيقرأ القرآن قبل ان تسرج) أي فيختمه في زمن يسير مع انه كتاب كبير بناء على خرق العادة من بسط الزمان أو طي اللسان وقد وقع نظير هذا البعض أكابر هذه الامة (ولا يا كل الامن عمل يده قال الله تعالى وألناله الحديد) أي كالشمع يتصرف فيه كيف يشاء من غير طرق واحماء (ان أعمل) بان المصدرية بتقدير الباء السببية أي وأوحينا اليه أو أمرناه ان أعمل فان ان مصدرية أو مفسرة وأما قول التلمساني ان التقدير تكلف لعدم الدليل على الحذف ففي غير محله نشأ من قلة تامله (سابغات) أي دروعات واسعات (وقدر في السرد) أي اجعله على قدر الحاجة في النساجة والسرد في اللغة اتباع الشئ بالشئ من جنسه ومنه سرد الحديث والمعنى لا تصغر حلقه فتضيق حال لابسها ولا توسعها فينال لابسها من خلالها وقيل لا تقصد الخصافة فتثقل في الحملة والخفة فتزيل المنعة وفي البخاري ولا تدق المسمار فتسلس هو من قولهم سلس أي لين وروى فينسلسل أي فيتصل فيسرع كسره بالدقاقة (وكان سأل ربه ان يرزقه عملا يغنيه عن بيت المال) أي فعلمه الله صنعة الدرع وسبب ذلك ماروى عنه انه كان يسئل الناس عن نفسه فيثنون عليه فرأى ملكا في صورة آدمي فسأله فقال نعم الرجل الا انه يطعم عياله من بيت المال قيل وكان يعني داود عليه الصلاة والسلام بعد ذلك يأخذ الحديد بيده فيصير كالعجين فيعمل منه الدرع في بعض يوم يبيعها بالف درهم فيأكل ويتصدق ويجعل ثلثه في بيت المال (وقال عليه الصلاة والسلام) كما رواه الشيخان وأحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه عن ابن عمر (وأحب الصلاة) أي أنواع صلاة الليل (الى الله صلاة داود وأحب الصيام) أي صيام النافلة (الى الله صيام داود وكان ينام) كذا في النسخ والاظهر كان بلا عاطفة ليكون بيانا القضية سالفة أي كان ينام (نصف الليل) للاستراحة الموجبة للتقوية على العبادة (ويقوم ثلثه) من أول النصف الثاني لانه أفضل اجزائه (وينام سدسه) لينشط لعبادة أول نهاره

مع انه علم لما أنزل على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ويطلق على المعنى القائم بذاته تعالى اشتراكا أو مجازا على طريق الاستعارة أو المجاز المرسل والمراد بتخفيفه سرعة قراءته في زمن يسير (فكان يأمر بدوابه فتسرج) وروى بدابته والمراد الجنس المختص به (فيقرأ القرآن قبل ان تسرج) قالوا هذا من بسط الزمان له صلى الله تعالى عليه وسلم أومن البركة في الزمن اليسير حتى يقع فيه العمل الكثير قال النووي وبلغنا ان من الناس من قرأ أربع ختمات بالليل وأربع ختمات بالنهار (ولا يا كل الامن عمل يده) مع انه صلى الله تعالى عليه وسلم ملك خزائن الارض بيده وكان آدم عليه الصلاة والسلام حراثا ونوح صلى الله تعالى عليه وسلم نجارا وادريس عليه الصلاة والسلام خياطا وموسى صلى الله تعالى عليه وسلم راعيا وفيه دليل على فضل الكسب الحلال وانه لا ينافي توكل الخواص ثم بين عمله بقوله (قال الله تعالى وألناله الحديد) فكان اذا مسه بيده لان كالشمع والعجين من غير نار وضرب (ان أعمل سابغات) أي دروعا طويلة تامة من السبغ وهو السعة (وقدر في السرد) سرده نسجه أي عمله وأصل معناه التتابع ومنه سرد الكلام ومعنى تقديره جعل ثقوب طرفي الحلق على قدر المسامير وكون المسامير غير رقيقة فتقلق ولا غليظة فتكسر الحلق وقيل ان دروعه عليه الصلاة والسلام كانت بلا مسامير لا لتئامها الينها وان في قوله ان أعمل تفسيرية أو مصدرية بتقدير الجار قيل كان سبب تكسبه انه اختفى ودار يسأل الناس عن سيرته فيهم فلقي ملكا في صورة رجل فسأله عن نفسه فقال له نعم الرجل لو كان لا يأكل من بيت المال وأصول المكاسب الزراعة والتجارة والصناعة وأفضلها التجارة وقيل الزراعة لانها أقرب الى التوكل وقيل صنعة اليد وفوق ذلك الجهاد ومن فضيلة الجهاد والكسب الاشتغال عن البطالة (وكان) داود عليه الصلاة والسلام (سأل ربه ان يرزقه عملا بيده يغنيه عن بيت مال الله) وسببه مامر ومن هنا يعلم ان السلطان ينبغي ان يكون له ما يكتسبه لئلا يأكل من بيت المال فان لم يكن له صنعة لا يأكل من بيت المال الا بقدر الحاجة والاسراف منه حرام عليه فالويل كل الويل لسلاطين زماننا الذين يظنون ان بيت المال ليس لاحد فيه حق غيرهم (وقال عليه الصلاة والسلام) في حديث صحيح رواه الشيخان الى قوله يفطر يوما الآتي ومابعده سيأتي من نقله (أحب الصلاة الى الله صلاة داود وأحب الصيام الى الله صيام داود) وبين ذلك بقوله (كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه) وقيامه في وقت يتجلى الله فيه ويقول هل من سائل فاعطيه وليس المراد بقوله ينام سدسه انه ينام الى طلوع الشمس بل الى قبيل الفجر فيستقبل الصبحة بنشاط لاستراحته وهكذا ينبغي للمجتهد ولم يتعرض أحد لصلاة الامم السالفة ولا لصلاته صلى الله عليه وسلم قبل الاسراء وبيان كيفيتها الا ان السيوطي رحمه الله تعالى نقل في الخصائص الكبرى انها كانت بغير ركوع ولذا قال تعالى يا أيها

(ويصوم يوما ويفطر يوما) امارعاية لحالة الاعتدال لئلا يضعف بالصوم على وجه الاتصال أو ليصور له مداومة الاعمال ففى الصحيحين أحب الاعمال الى الله أدومها وان قل ولئلا يصير الصوم عادة فلا يتخلص عبادة أولان هذه الكيفية أشق على النفس والاجر على قدر المشقة ثم فى الجملتين الاخيرتين بيان علية الاحب فى المتقدمتين ولفظ الجامع الصغير أحب الصيام الى الله تعالى صيام داود كان يصوم يوما ويفطر يوما وأحب الصلاة الى الله صلاة داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه انتهى (وكان يلبس الصوف ويفترش الشعر) أى نفسه أوما يصنع منه تواضعا لربه ولذا اختاره الصوفية (ويأكل خبز الشعير بالملح والرماد) ولعله أراد به ما اختلط بالخبز واستهلك فيه والا فأكل الرماد حرام لما فيه من مضرة العباد (ويمزج شرابه بالدموع) كما رواه ابن أبى حاتم عن وهب بن منبه ومجاهد موقوفا (ولم ير ضاحكا بعد الخطيئة) أى المعهودة المسماة بالخطيئة وان لم تكن خطيئة فى الحقيقة الا ان حسنات الابرار سيآت الاحرار اذلم ١٦٠ يثبت عنه سوى انه خطب امرأة كان قد خطبها أور يا فزوجها أهلها من داود رغبة فيه أو ساله ان ينزل له عنها فتزوجها وكان ذلك فى زمانه عادة لهم فارسل الله اليه ملكين تنبيها له ان ذلك خلاف الاولى فيما هنالك لاستغنائه بتسع وتسعين امرأة فلما تنبه فى هذا الباب استغفر ربه وخر راكعا وأناب وقد بالغ فى تضرعه وبكائه لماله من عظيم المرتبة وكريم المنزلة فى مقام حيائه (ولا شاخصا ببصره) أى ولا رؤى رافعا له مع تحديد نظره (الى السماء) أى الى جهتها وفى نسخة نحو السماء (حياء من ربه) أى لكمال قربه والحديث رواه أحمد فى الزهد عن عطاء بن السائب عن أبى عبد الله الجدلى بلفظ مارفع داود رأسه الى السماء بعدما أصاب الخطيئة حتى مات وبهذه الرواية مع ماقدمناه من الدراية اندفع قول الحلبى لو قال القاضى غيرهذه العبارة كان أحسن اظهارا (ولم يزل باكيا حياته كلها) أى فى جميع مدة عمره الى حالة مماته بعد تلك الواقعة (وقيل بكى) بل روى ابن أبى حاتم عن أنس رضى الله تعالى عنه مرفوعا وعن مجاهد وغيره انه بكى (حتى نبت العشب) بضم فسكون هو الحشيش (من دموعه) أى من كثرة وقوع دموعه على الارض (حتى اتخذت الدموع فى خده اخدودا) أى شقا مستطيلا ممدودا والمعنى أثرت فى خده أثرا كالشق والحفر الطويل فى الارض ومنه قوله تعالى قتل أصحاب الاخدود وهو مفرد جمعه أخاديد (وقيل) كما فى الكشاف وغيره (كان يخرج متنكرا ليتعرف سيرته فيسمع الثناء عليه) أى فى غيبته (فيزداد تواضعا) أى لربه شكرا لمزيد نعمته (وقيل لعيسى عليه السلام) كما روى أحمد فى الزهد وابن أبى شيبة فى مصنفه (لو اتخذت لك حمارا) أى لو اشتريته لتركبه أحيانا عند الحاجة اليه (قال انا أكرم على الله من ان يشغلنى بحمار) أى بان يتعلق قلبى به وبكلفته وخدمته ويشغلنى بفتح الغين فان الاشغال لغة رديئة (وكان) كما روى أحمد فى الزهد عن عبيد بن عمير ومجاهد والشعبى وابن عساكر فى تاريخه انه كان (يلبس الشعر) أى ثوبه

الذين آمنوا اركعوا واسجدوا (و) كان (يصوم يوما ويفطر يوما) وفى هذا اشارة الى ان صوم الدهر دون هذا وقد ورد النهى عنه مع ان هذا أشق منه لان من اعتاده ذا صار طبيعة له لا تضره وهذا آخر الحديث وقوله (وكان) أى داود عليه الصلاة والسلام (يلبس الصوف ويفترش الشعر) أى مانسج منه لانه خشن يمنعه لذة النوم والاستغراق فيه المانع له عن ورده وهذا شعار الانبياء عليهم الصلاة والسلام والصلحاء (ويأكل خبز الشعير بالملح والرماد) الملح ادام بخلاف الرماد فكانه كان يأتدم به على خلاف المعتاد أو يضعه فى ادامه لئلا يلتذ به (ويمزج شرابه بالدموع) لكثرة بكائه وعدم خلو منه (ولم ير ضاحكا بعد الخطيئة) وهى تزوجه بامرأة أوريا بعد ماساله ان ينزل له عنها ففعل وتزوجها فجاءه ملكان فى صورة رجلين يدعيان نعاجا على ماقصه الله تعالى وليست هذه خطيئة ولكن علو مقامه وزهده يقتضى خلاف ذلك فلذا عوتب عليه وكان يبكى وقد ذكر الله مدحه وعصمته مما لا مزيد عليه (ولا شاخصا) رافعا وفاتحا (بصره نحو السماء) أى جهة العلو (حياء من ربه) سبحانه وتعالى كعادة من أذنب فانه يطاطئ بصره (ولم يزل باكيا حياته) منصوب على الظرفية أى مدة حياته صلى الله تعالى عليه وسلم (كلها) تأكيد لما قبله (وقيل بكى حتى نبت العشب من دموعه) لكثرتها وهذا رواه ابن أبى حاتم عن أنس رضى الله تعالى عنه مرفوعا وعن مجاهد وغيره موقوفا (وحتى اتخذت الدموع فى خده أخدودا) هو فى الاصل الشق المستطيل فى الارض استعير لتأثير الدموع فى مجراها أثرا يعلم وبين الخد والاخدود تجنيس اشتقاقى (وقيل كان يخرج) من منزله (متنكرا) أى مستخفيا من معرفة الناس (ليعرف سيرته) جملة مستأنفة لبيان سبب تنكره (فيسمع الثناء عليه فيزداد تواضعا لله) لما منحه من السيرة الحسنة والذكر الحسن لا كمن يزداد بمدح الناس له غرورا (وقيل لعيسى عليه الصلاة والسلام) كما أخرجه أحمد بن حنبل وابن أبى شيبة عن ثابت (لو اتخذت حمارا) لتركبه لتستريح من المشى (قال أنا أكرم على الله من ان يشغلنى بحمار) هذا من زهده وستر حاله أيضا اذ لم يقل انا أتواضع بالمشى وشغله يشغله كسأله يسأله وأشغله لغة رديئة (وكان يلبس الشعر) أى مانسج منه زيادة فى تقشفه وانما كره مالك لبس الصوف لمن يتخذه شعارا له

(ويأكل الشجر) أي ورقه (ولم يكن له بيت) أي مسكن يأوي اليه (أينما أدركه النوم نام وكان أحب الاسامي) جمع الاسماء (اليه ان يقال له يا مسكين) وقد رواه أحمد في الزهد عن سعد بن عبد العزيز بلفظ بلغني انه مامن كلمة كانت تقال لعيسى بن مريم أحب اليه من ان يقال هذا المسكين (وقيل) كما رواه أحمد أيضا في الزهد وابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه موقوفا

اظهار الزهد فان اخفاءه أفضل لما فيه من الرياء (ويأكل الشجر) أي أوراقه أو المراد به مطلق النبات تجوزا (ولم يكن له بيت) يملكه أو يختص به (أينما أدركه النوم) أي وقته (نام) أي ينام في أي مكان يجن عليه الليل فيه (وكان أحب الاسماء اليه) وفي نسخة الاسامي أي الالفاظ التي ينادى بها (ان يقال له يا مسكين) رغبة في التواضع لعظمة الله عز وجل وقيل عليه نحن مأمورون بتعظيم الانبياء عليهم الصلاة والسلام ومحبتهم وتعظيمهم تعظيم لله فلو قال أحد لنبي من الانبياء يا مسكين كان تحقيرا له وتحقيرهم كفر ومعصية فلا ينبغي لنبي من الانبياء ان يرضى به وقد أمرنا بتعظيم نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وان لا نناديه باسمه بل لانجهر له بالقول ولا نرفع أصواتنا عنده توقيرا له وحرمته صلى الله تعالى عليه وسلم ميتا كحرمته حيا كما سيأتي بيانه وهذا مما اشترك فيه سائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام فكان يجب على أمة عيسى عليه الصلاة والسلام ان يوقروه ويجب على عيسى ان لا يرضى بعدم توقيره فان قيل انه فرار من العجب وقيل مثله لا يطرق عليه عجب ولا يخشاه وأجيب بحمل هذا على انه صدر ممن لم يؤمن به فكانوا يقصدون بذلك تنفير الناس عن الايمان به واتباعه كما وقع مثله من المشركين في حق نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فكان عيسى عليه الصلاة والسلام اذا بلغه ذلك عنهم أحبه واما المؤمنون به فيجب عليهم تعظيمه أو ذلك ممن آمن به اذا سألهم سائل عنه أهو ذو مال أم فقير فيقولون هو مسكين كما كان صلى الله تعالى عليه وسلم يقول في دعائه اللهم أحيني مسكينا وأمتني مسكينا واحشرني في زمرة المساكين وكما قال أبو العتاهية

اذا أردت شريف القوم كلهم * فانظر الى ملك في زي مسكين

والكلام على الفقير والمسكين أشهر من ان يذكر * أقول لا وجه للسؤال ولا للجواب أما الاول فلان عيسى صلى الله تعالى عليه وسلم غلب على أمته الرهبانية واظهار المسكنة فيكون في شرعهم يجوز مناداته وخطابه بمثله من مؤمنيهم وخواص حواريهم وان لم يجز مثله في شرعنا ولا ما يقرب منه واما الثاني فلان جعله من كفارهم أو مؤمنيهم في غيبته لا يصح لان اظهار محبته واجب وقوله يقال وحرف النداء مناد على خلافه وصريح في عكسه لمن له أدنى فهم وقد روى مامن كلمة كانت تقال لعيسى عليه الصلاة والسلام أحب اليه الى آخره (وقيل ان موسى عليه الصلاة والسلام لما ورد ماء مدين) هذا الحديث رواه أحمد في الزهد وابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما موقوفا وتقدم ان وروده صلى الله تعالى عليه وسلم لماء مدين كان لما فر من قبط مصر فلقي ابنتي شعيب على ذلك الماء وبينه وبين مصر ثماني مراحل أو أكثر في قصته السالفة المذكورة في القرآن وكان صلى الله تعالى عليه وسلم حافيا من غير زاد وبه جوع شديد حتى كانت ترى امعاؤه (كانت ترى خضرة البقل) الذي كان يأكله صلى الله تعالى عليه وسلم اذ لم يجد غيره والبقل ما ليس بشجر من النبات التي لا تبقى أرومته وأصوله بعد أخذه وهو معروف (في بطنه من الهزال) بضم الهاء وزاي معجمة وهو ضعف مذهب اللحم (وقال صلى الله تعالى عليه وسلم) كما رواه الحاكم عن أبي سعيد الخدري وصححه (ولقد كان الانبياء قبلي يبتلى) بالبناء للمفعول ونائبه (أحدهم بالفقر والقمل وكان ذلك) الابتلاء (أحب اليهم من العطاء اليكم) لثقتهم بما أعد الله لهم في مقابلته وهوان نعيم الدنيا عندهم ولفظ الحديث ليس كما ذكره المصنف

(ان موسى عليه السلام لما ورد ماء مدين) سمي باسم ابن ابراهيم الخليل (كانت ترى خضرة البقل) أي الذي كان يأكله بعد خروجه من مصر خائفا يترقب متوجها الى مدين (في بطنه من الهزال) بضم الهاء نقيض السمن على ما في القاموس فبطل قول التلمساني هو الضعف قيل وصوابه لو قال من الطويل أو الجوع انتهى ولا يخفى بعده عن المدعى وهو متعلق بقوله كانت ترى وتعليله كما ترى (وقال عليه الصلاة والسلام) كما رواه الحاكم وصححه عن أبي سعيد مرفوعا (لقد كان الانبياء قبلي يبتلى أحدهم بالفقر) أي بشدة الحاجة في مطعمه (والقمل) أي بكثرته في ثوبه وبدنه (أو كان ذلك أحب اليهم من العطاء اليكم) رضى بقضاء المولى وعلما بان ما أعده الله لهم خير وأبقى وقد أورد المؤلف هذا الحديث في الفصل الاخير من القسم الثالث

بطريق آخر وهو قوله وفي حديث أبي سعيد ان رجلا وضع يده على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الى قوله فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انا معشر الانبياء يضاعف لنا البلاء ان كان النبي ليبتلى بالقمل حتى يقتله وان كان للنبي ليبتلى بالفقر وانهم كانوا ليفرحون بالبلاء كما تفرحون بالرخاء

(وقال عيسى عليه الصلاة والسلام لخنزير لقيه اذهب بسلام) أى مناومنك (فقيل له فى ذلك) استعظاما لما رنته مع الخنزير فى حقارته (فقال أكره أن أعود لسانى النطق بالسوء) أى النطق به لقوله سبحانه وتعالى ادفع بالتى هى أحسن ولقوله تعالى واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما (وقال مجاهد) كما رواه ابن أبى حاتم وأحمد فى الزهد عنه (كان طعام يحيى العشب) أى زهدا

وقناعة ورفضا للنعمة (وكان) أى مع ذلك (يبكى من خشية الله عز وجل) أى مخافته مع انه قط ماهم بمعصية (حتى اتخذ الدمع مجرى فى خده) أى موضع جرى كالنهر فى وجهه من أثر دمعه لشدة معرفته بربه لقوله سبحانه وتعالى انما يخشى الله من عباده العلماء (وكان يأكل مع الوحش لئلا يخالط الناس) لان الاستئناس بالناس من علامة الافلاس (وحكى الطبرى) وهو الامام محمد بن جرير (عن وهب) أى ابن منبه (ان موسى عليه السلام كان يستظل بعريش) هو بيت من عيدان تنصب ويظلل عليها قال التلمسانى هو بسقوط لا فى أصل القاضى وبثبوته فى رواية العراقى أى لا يستظل انتهى ولا يخفى بعده وعدم مناسبته لما بعده من قوله (ويأكل من نقرة) بضم نون وسكون قاف أى حفرة ومنه نقرة القفاء (من حجر) أى بدلا من ظرف خشب أو خزف (ويكرع) بفتح الراء (فيها) أى يأخذ الماء بفيه من غير كف ولا اناء فيشرب به منها (وحسن

(اذا أراد أن يشرب كما تكرع الدابة) أى حين لم تلق وعاء الماء (تواضعا لله) أى لاكرامه (بما أكرمه الله من كلامه) وفيه ايماء الى ان زهده هذا كان مستمرا الى كماله وآخر حاله (واخبارهم) أى آثار الانبياء (فى هذا كله) أى فى هذا المعنى (جميعه مسطورة) أى مكتوبة ومضبوطة ومحفوظة (وصفاتهم فى الكمال) أى فى كمال ذواتهم (وحسن الاخلاق

رحمه الله وهو ماقال أبو سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه قلت يا رسول الله من أشد الناس بلاء قال الانبياء قلت ثم من قال العلماء قلت ثم من قال الصالحون كان أحدهم يبتلى بالقمل حتى يقتله ويبتلى بالفقر حتى لا يجد الا العباء يلبسها ولاحدهم أشد فرحا بالبلاء من أحدنا بالعطاء وهو صحيح على شرط مسلم والمراد ما يعطى من السعة فى الدنيا قيل وهو يدل على ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام يتسلط عليهم القمل ويعرض لهم لانه من الاعراض البشرية الا ان ابن الملقن رحمه الله تعالى نقل عن ابن سبع ان القمل لم يكن يؤذيه صلى الله تعالى عليه وسلم تكريما له ونقل ابن عبد البر رحمه الله تعالى فى التمهيد ان نعيم بن حماد ذكر عن ابن المبارك بن فضالة عن الحسن رضى الله تعالى عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يقتل القمل فى الصلاة والظاهر ان جسده الشريف لا يتولد منه القمل لاعتدال مزاجه الشريف وانما كان يوجد فى ثيابه من الفقراء الجالسين له وكذا سائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام ولو قيل ان ضمير يبتلى فى حديث الحاكم للصالحين كان أقرب انتهى وهذا ينافيه مانقله عن التمهيد وقد تقدم وفيما قاله دليل على صبر الانبياء عليهم الصلاة والسلام وعلو همتهم فى النظر للآخرة (وقال عيسى عليه السلام لخنزير لقيه) المراد به الحيوان المعروف وتجويز ان يراد به الكافر أو العدو أو الجاهل وان كان صحيحا غير مناسب هنا (اذهب بسلام) أى اذهب مصحوبا بالسلامة (فقيل له فى) شان (ذلك) القول الذى قاله فانه لا ينبغى (فقال أكره أن أعود لسانى النطق بسوء) عملا بقوله تعالى ادفع بالتى هى أحسن وترغيبا فى العمل به (وقال مجاهد) كما رواه أحمد وابن أبى حاتم (كان طعام يحيى عليه الصلاة والسلام العشب) وهو النبت الذى يخرج بغير زرع وعينه مضمومة (وكان يبكى من خشية الله عز وجل) والخشية خوف مع تعظيم (حتى اتخذ الدمع مجرى فى خده) أى صار محل جريانه منخفضا متميزا عن غيره لتأثيره بدوام جريانه فيه (وكان يأكل مع الوحش) أى كان يحيى صلى الله تعالى عليه وسلم يأكل العشب فى القفار الخالية التى يسكنها الوحش أو يألفهم فيها ويكون معهم (لئلا يخالط الناس) أى يعاشرهم ويختلط بهم فيشغلونه عن العبادة وذكر الله وما ذكر رواه أحمد فى الزهد عن الخولانى (وحكى الطبرى عن وهب ان موسى عليه الصلاة والسلام كان يستظل بعريش) هو كل ما يستظل به خيمة كان أو خشبا أو نباتا مثلا (ويأكل فى نقرة من حجر) بوزن حفرة فلا يأكل فى آنية ويضع طعامه فى الارض (ويكرع فيها) أى يضع ما يشرب به فى نقرة يكب عليها ويشرب منها بفيه (اذا أراد أن يشرب) وأصل معنى الكرع شرب الدابة بفمها من ماء فى الارض وضمير فيها راجع للنقرة المذكورة أو لغيرها من جنسها كما تقول أعطيته درهما ونصفه وبه فسر قوله تعالى وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره (كما تكرع الدابة) أى تشرب بفمها بلا آنية وقيل معنى كرع دخل النهر وصوب رأسه ليشرب (تواضعا لله بما أكرمه من كلامه) اذ كلمه بلا واسطة كما قال وكلم الله موسى تكليما (واخبارهم) أى الانبياء عليهم الصلاة والسلام (فى هذا كله) من النعوت التى تقدمت فى هذا الفصل المعقود لها (مسطورة) فى كتب الحديث والتفسير المعول عليها (وصفاتهم فى الكمال وحسن الاخلاق كما تقدم من الصبر والقناعة والتواضع

وحسن الصورة) ووقع فى أصل التلمسانى الصور جمع الصورة وهو الانسب لجمع ما قبله من الاخلاق وما بعده من قوله (والشمائل معروفة مشهورة) أى مذكورة فى محالها وقد سئل محمد بن سالم بماذا يعرف الاولياء فى الخلق فقال بلطف لسانهم وحسن أخلاقهم وبشاشة وجوههم وسخاء أنفسهم وقلة اعتراضهم وقبول عذر من اعتذر اليهم وتمام الشفقة الى اخوانهم (فلا

(وحسن الصورة والشمائل) جمع شمأل وهى الخلق والسجية وينبغى أن يراد بالاخلاق القوى الطبيعية وبالشمائل ما ينشأ عنها من الآثار (معروفة مشهورة) وعبر فى الاولى بانها مسطورة وفى هذه بانها مشهورة تفننا فى العبارة ولان الاولى اخبار يحتاج لنقلها من الكتب المعتبرة وهذه كمالات لائقة بهم تدرك بالعقل ولكونها مدونة مشهورة غير محتاجة للاعادة ولكن ذكر منها ما ذكر ليعلم قدرهم وفضلهم (فلا نطول بها) مع انها معلومة ثم لما كان فى بعض الكتب أمور متعلقة بالانبياء عليهم الصلاة والسلام غير لائقة بهم حذر منها فقال (ولا تلتفت) أى لا تعتبر ولا تعتقد وأصل الالتفات لى العنق أو انعطاف بالجانب لتنظر ما تريد معرفته فتجوز به عما ذكر ومنه الالتفات البديعى (الى ما تجده) وتقف عليه (فى كتب بعض جهلة المؤرخين) جمع مؤرخ بالهمزة وقد تبدل واوا وهو المصنف فى التاريخ وهو فن معروف وهو لفظ عربى أصله من الارخ مستعار للحادث من ولد البقرة أو هو معرب ماه روز وهو بعيد جدا وأول ما حدث فى زمن عمر رضى الله تعالى عنه (و) فى كتب بعض (المفسرين مما يخالف ذلك) أمثال (هذا) المذكور

(فصل قد آتيناك أكرمك الله) جملة اعتراضية والخطاب لمن ساله تصنيف هذا الكتاب كما مر أو لكل من يقف على كتابه وليس فيه تجريد لمخاطب من نفسه كما قيل ومفعول آتينا مقدر أى مما عرفته وسمعته أو مما فيه مقنع بقرينة ما سيأتى (من ذكر الاخلاق الحميدة) أى المحمودة الممدوحة وهو بيان المقدر أو لما الآتية بناء على جواز تقدمه (والفضائل المجيدة) أى الكريمة الشريفة (وخصال الكمال العديدة) أى الكثيرة المعدودة وقد تقدم انه قد يفيد الكثرة لان القليل لا يحتاج للعد وقد يراد به القلة والمراد الاول (وأريناك) أى أعلمناك وأوضحنا لك (صحتها له صلى الله تعالى عليه وسلم) أى كونها صحيحة فى حقه لائقة به (وجلينا) بجيم ولام مفتوحتين ومثناة تحتية ساكنة أى أوضحنا وبينا وفى نسخة جلبنا بباء موحدة أى روينا ونقلنا وفى بعض النسخ حكينا بالكاف بدل اللام والمعنى واحد (من الآثار) جمع أثر وهو ما يبقى من علامات الشئ الدال عليه ويطلق على الحديث وقد يختص بالوقوف وكلام الصحابة رضى الله عنهم ويراد به مطلق الخبر الشامل للحديث المرفوع أو الموقوف وكلام الاكابر وهو المراد هنا (ما فيه مقنع) بفتح الميم والنون وبينهما قاف ساكنة مصدر ميمى بمعنى القناعة أو هو صفة مشبهة بمعنى ما به القناعة والرضى وفى القاموس يقال شاهد مقنع وقنعان أى مرضى ويكتفى بشهادته وقد قال ابن الحاجب ان مفعلا يكون صفة نحو مركب بمعنى مركوب الا انه نادر وعلى هذا فاذكره هو المقنع نفسه فعدل عنه للمبالغة وهو تجريد كقوله تعالى لهم فيها دار الخلد والتجريد يكون بمن وفى والباء وما قيل من أن المراد به الدليل وهذه الآيات والاخبار تتضمن الدليل تضمن اللفظ للمعنى تكلف مذهب لرونق الكلام (والامر أوسع) جملة حالية أى شأنه صلى الله تعالى عليه وسلم ومقامه أعظم مما ذكرناه وأكثر فان محاسنه لا تطيق العبارات حصرها

وعلى تفنن واصفيه بحسنه * يفنى الزمان وفيه ما لم يوصف

(فمجال هذا الباب) بفتح الميم والجيم من جال يجول اذا طاف ودار أى محل تجول فيه الافكار حول نعوته

نطول بها) أى بذكر جميعها (ولا تلتفت) أيها المخاطب (الى ما تجده فى كتب بعض المؤرخين) بالهمز والواو أى المدعين علم تواريخ الانبياء وغيرهم (والمفسرين) أى التابعين لهم فيما نقلوه من أخبارهم (مما يخالف هذا) أى الذى ذكرناه عنهم فى سيرهم الثابتة عن علماء السلف وخيارهم

(فصل) (قد آتيناك) بالمد أعطيناك وأعلمناك وفى نسخة صحيحة أتيناك بالقصر أى جئناك والاول أولى لقوله بعد الجملة المعترضة الدعائية وهى قوله (أكرمك الله من ذكر الاخلاق الحميدة) اللهم الا أن يدعى ان من بمعنى الباء ثم الاخلاق الحميدة هى الشمائل السعيدة (والفضائل المجيدة) أى الكريمة العظيمة (وخصال الكمال العديدة) جمع خصلة بمعنى الخلة بفتح أى المعدودة المعتدة الدالة على كمال ذاته وجمال صفاته صلى الله تعالى عليه وسلم وشرف وكرم (وأريناك) أى أظهرنا لك (صحتها) أى صحة رواياتها ونسبة ثبوتها المناسبة له صلى الله تعالى عليه وسلم (وجلبنا) بجيم فلام فموحدة أى أوردنا ورويناو تصحف على الدلجى بقوله وحكينا (من الآثار ما فيه مقنع) بفتح ميم ونون أى ما يقنع به ويكتفى بذكره (والامر) أى الشان (فى مناقبه أوسع) أى أكثر من أن يذكر هنا جميع مراتبه (فمجال هذا الباب) بالجيم وزيادة الميم أى سعته وكثرته

فى حقه صلى الله تعالى عليه وسلم) أى من جهة نعته وصفته (ممتد) أى طويل لا يكاد ينتهى الى حد معتد (ينقطع دون نفاده) بفتح نون ثم دال مهملة أى قبل تصور فراغ أو من غير تحقق فنائه وجوز اعجام الدال بمعنى مضيه (الادلاء) جمع أدلة جمع دليل أى دال على مساحة البر (وبحر علم خصائصه) أى الذى لسعته وكثرته (زاخر) أى ممتلئ كثير مده وعرضا وطولا قال التلمسانى ووصف ابن عباس عليا رضى الله تعالى عنهم فقال هو قمر باهر فى وضوئه وبهائه وأسد خادر فى شجاعته ومضائه وفرات زاخر فى جوده وسخائه وربيع باكر فى خصبه وحيائه وروى عن على رضى الله تعالى عنه انه وصف به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (لاتكدره الدلاء) جمع دلو أى لا تؤثر فيه حين أخذ بعضه بنقص يورث صفوه كدرة فى ساحته وفيه ايماء الى انه لم يصل أحد من العلماء الى غاية من بره وحلمه ولا نهاية من ساحل كرمه وعلمه ولذا قال (ولكنا أتينا فيه بالمعروف) أى اختصرنا فى وصفه على ما هو معروف من الروايات (مما أكثره فى الصحيح والمشهور) أى فى مرتبة الحسن (من المصنفات واقتصرنا فى ذلك) أى المعروف مما هنالك (بقل من كل) بضم كل من القاف والكاف وتشديد اللامين وهما لغتان فى القلة والكثرة أى على نقل قليل من كثير وفى الحديث الربا وان كثر فانه الى قل أى الى قلة وانتقاص لقوله تعالى يمحق الله الربا ويربى الصدقات (وغيض من فيض) بالضاد المعجمة فيهما والغيض النقص والفيض الزيادة يقال (كثيرا) أعطى غيضا من فيض أى قليلا من كثير ويقال غاض الكرام وفاض اللئام والمعنى وآتيناها هنا بنعت يسير من وصف غزير وهو أولى من جعله تفسير الما قبله وتأكيدا واعتباره تفننا كما ذكره الدلجى (ورأينا أن نختم هذه الفصول) أى الواردة فى هذا الباب من جملة الكتاب (بذكر حديث الحسن) أى ابن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهما الوارد بالاسناد الحسن عنه (عن ابن أبى هالة) وهو خال هند (لجمعه) علة لقوله رأينا أو نختم أى لاستجماع حديثه أو استحضاره نفسه (من شمائله) أى أخلاقه صلى الله عليه وسلم (وأوصافه

وصفاته وهذا الباب عبارة عن خصاله ومحاسنه صلى الله تعالى عليه وسلم (فى حقه صلى الله تعالى عليه وسلم) أى ما يقال فى أمره وشأنه الذى يحق له (ممتد) أى واسع فكنى عن كثرتها وعظمتها بسعة محلها كما يقال المجلس والمقام العالى عبارة عمن هو فيه ثم بين سعته بقوله (ينقطع دون نفاده الادلاء) جمع دليل وهو من يتقدم الركب ليهديهم الى الطريق وانقطاع سالك الطريق أن يعجز ويقف دون بلوغ غايتها ففيه استعارة تمثيلية شبه صفاته صلى الله تعالى عليه وسلم بطريق ممتد طويل وشبه العلماء الذين يريدون معرفتها بركب سلكوا طريقا وشبه من يستفيدون منه بها ويهديهم فى الطريق وعجزه عن الوقوف على كنهها بمن انقطع ووقف فيها لا يهتدى لسبيله والادلاء جمع دليل كما علمت لا بمعنى الحجة بل بمعنى هادى السابلة كانبياء جمع نبى وأصله أدللاء وقيل انه جمع أدلة بمعنى دليل فهو جمع الجمع وليس المعنى ان محاسنه وكمالاته صلى الله تعالى عليه وسلم لو أريد غايتها بالادلة كالآيات والاحاديث وأقوال الصحابة لم يكن الا أن يراد بين المقصود منه ونفاد بالفاء والدال المهملة بمعنى الذهاب والفناء قال تعالى ان هذا لرزقنا ماله من نفاد ولا وجه لتفسيره بفراغ (وبحر علم خصائصه) من اضافة المشبه به بالمشبه كلجين الماء وقد تعكس لكنه قليل (لاتكدره الدلاء) جمع دلو وهو ما يؤخذ به الماء من الاديم وعدم تكديره عبارة عن عدم بلوغ آخره لانه اذا بلغه حرك طينه فيتكدر ماؤه وهو ترشيح للتشبيه فان الترشيح لا يختص بالاستعارة من الكدرة خلاف الصفو وفيه اشارة لصحته وكثرته (لكنا أتينا فيه بالمعروف) المشهور الذى يعرفه الناس (مما أكثره فى الصحيح) أى الكتب الصحيحة كالكتب الستة وأشار بقوله أكثره الا أن فيه أحاديث غير صحيحة اعتمد على شهرتها وذكر أن بعض المصنفين لها أوردها لما فيها من الفضائل كما أشار اليه بقوله (والمشهور من المصنفات) التى لم يلتزم فيها الصحيح (واقتصرنا فى ذلك) الذى أتينا به وأريناه أى اكتفينا (بقل من كل) وفى نسخة من أكثر والاصح ما ذكرناه والقل بضم القاف وتشديد اللام بمعنى القليل أو بمعنى القلة كالذل بمعنى الذلة أى ذكرنا أمرا قليلا منه لا كثيرا أو دون الجميع لانه لا يمكن الاحاطة به (وغيض من فيض) الغيض بفتح الغين المعجمة وسكون المثناة التحتية والضاد المعجمة من غاض الماء اذا نقص والمراد انه قليل والفيض بفاء ومثناة تحتية وضاد معجمة من فاض الماء اذا تدفق وانسكب والمراد انه كثير وفيه طباق وافتنان (ورأينا) هو من الرأى لا من الرواية أى خطر له خاطر (أن نختم هذه الفصول) أى نجعل خاتمة هذه الفصول التى سبق ذكرها فى هذا الباب (بذكر حديث الحسن) رضى الله تعالى عنه ابن على بن أبى طالب كرم الله وجهه الذى رواه الترمذى فى شمائله وأخرجه ابن سعيد والبيهقى والطبرانى ورواه المصنف رحمه الله تعالى عن مشايخه (عن أبى هالة) وهو هند بن أبى هالة الصحابى رضى الله تعالى عنه ربيب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لانه ابن خديجة بنت خويلد أم المؤمنين رضى الله تعالى عنها وقد تقدم الكلام عليه وترجمته (لجمعه) الضمير للحديث وهو علة لذكره وجعله مسك الختام (من شمائله وأوصافه) عطف تفسير

كثيرا) أى شيا كثيرا مما لم يجمعه غيره الاندرا يسيرا (وادماجه) أى ولادخال هذا والحسن فى حديثه (جملة كافية) أى جملا وافية (من سيره) أى من شمائله الخلقية (وفضائله) أى الوهبية (ونصله) عطف على نختم أى ورأينا ان نلحق حديثه بعد تمامه (بتنبيه لطيف) فى تبيين مجمله (على غريبه) من جهة المبنى (ومشكله) من طريقة المعنى (حدثنا القاضى أبو على الحسين بن محمد الحافظ) أى ابن سكرة وقد تقدم (رحمه الله بقراءتى عليه سنة ثمان وخمسمائة حدثنا) أى حدثنا (الامام أبو القاسم عبد الله بن طاهر) بطاء مهملة (التميمى قراءة عليه) بالنصب وفى نسخة قرأت عليه (أخبركم) أى قال أخبركم فى ضمن اخبارى لكم (الفقيه الاديب) أى الجامع بين علمى المسائل الشرعية والقواعد العربية (أبو بكر محمد بن عبد الله بن الحسن النيسابورى) بفتح نون فتحتية ساكنة فسين مهملة معرب المعجمة بلد بخراسان (والشيخ الفقيه أبو عبد الله محمد ابن أحمد بن الحسن المحمدى) أى المنسوب أى مسمى بمحمد بصيغة المفعول (والقاضى أبو على الحسن ابن على بن جعفر الوخشى) بفتح واو وسكون خاء فشين معجمتين وقيل بالحاء المهملة قرية من اعمال بلخ سمع أبا بكر الحيرى بخراسان وأبا نعيم الحافظ باصبهان وأبا عمر الهاشمى بالبصرة وأبا عمر بن مهدى ببغداد وتمام الرازى بدمشق وأبا محمد ابن النحاس بمصر روى عنه طائفة وحدث عنه الخطيب وهو من أقرانه وسمع منه الحسن بن البلخى سنن أبى داود (قالوا) أى كلهم (حدثنا أبو القاسم على بن أحمد بن محمد بن الحسن الخزاعى) بضم خاء معجمة منسوب لقبيلة خزاعة (أنبانا) أى أخبرنا (أبو سعيد الهيثم بن كليب) بالتصغير (الشاشى) بمعجمتين منسوب الى بلدة مشهورة من بلاد ماوراء النهر صاحب المسند ومحدث ماوراء النهر (أنبانا أبو عيسى محمد بن سورة) بفتح المهملة والراء (الحافظ) هو الترمذى صاحب الجامع والشمائل (قال حدثنا سفيان بن وكيع) أى ابن الجراح ضعيف (حدثنا جميع) بضم جيم وفتح ميم وسكون تحتية (ابن عمر بن عبد الرحمن العجلى) بكسر مهملة فسكون جيم منسوب الى قبيلة عجل (املاء من كتابه) أى رواية من كتابه المقروء على شيخه وهو أقوى من الاملاء عن ظهر قلبه وثقه ابن حبان وضعفه غيره

(كثيرا) مفعول جمعه المصدر المضاف لفاعله (وادماجه) أى اشتماله من أدمج الشئ اذا لفه وستره وقيل المراد لاحكامه واتقانه وانه أولى (جملة كافية من سيره وفضائله) مفعول الادماج لما فيه من معنى الادخال قال الجوهرى دمج دموجا اذا دخل واستحكم (ونصله بتنبيه لطيف على غريبه ومشكله) أى نبين فى التنبيه ما فى الحديث من غريب اللغة وما يشكل من تركيبه (حدثنا القاضى أبو على الحسين بن محمد الحافظ بقراءتى عليه سنة ثمان وخمسمائة) هو الامام الحافظ أبو على بن سكرة الذى تقدمت ترجمته (قال حدثنا الامام أبو القاسم) التكنية بهذه الكنية جائز وما ورد فى حديث تسموا باسمى ولا تكنوا بكنيتى محمول على حياته صلى الله تعالى عليه وسلم أو على الجمع بينهما على ما يأتى لنا فى ذلك من الخلاف (عبد الله بن طاهر) بطاء مهملة تقدمت ترجمته (التميمى) منسوب لبنى تميم قبيلة مشهورة (قرأت عليه أخبركم الفقيه الاديب أبو بكر محمد بن عبد الله بن الحسن النيسابورى) الاديب هو العارف بعلوم الادب الاثنى عشر المشهورة (والشيخ الفقيه أبو عبد الله محمد بن أحمد بن الحسن المحمدى) منسوب للمحمدية قرية من قرى تونس وتسمى بهذا الاسم قرى أخر بنواحى مصر وبغداد واليمامة (والقاضى أبو على الحسن بن على بن جعفر الوخشى) بواو مفتوحة وخاء وشين معجمتين نسبة لوخش قرية من اعمال بلخ وقيل بحاء مهملة والصحيح الاول وعليه اقتصر البرهان وهو الحافظ الرحلة الحسن بن على بن محمد بن جعفر البلخى يروى عن جماعة وحدث عنه الخطيب وهو من أقرانه وسمع منه الحسن بن على البلخى سنن أبى داود وهو ثقة ترجمته معروفة الا انه اتهم بالقدر توفى فى خامس ربيع الاول سنة احدى وسبعين وأربعمائة ببلخ وعمره ست وثمانون سنة (قال حدثنا أبو القاسم على ابن أحمد بن محمد بن الحسن الخزاعى) بضم الخاء المعجمة نسبة لخزاعة قبيلة معروفة قال (أنبانا أبو سعيد الهيثم بن كليب الشاشى) نسبة لشاش بلدة معروفة بما وراء النهر وهو الحافظ الثقة أبو سعيد الهيثم بن كليب بن شريح بن معقل صاحب المسند محدث ماوراء النهر سمع من الترمذى وغيره توفى سنة خمس وثلاثين وثلثمائة قال (أنبانا أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الحافظ) الامام الترمذى صاحب السنن وسورة بفتح السين المهملة وسكون الواو وراء مهملة كما تقدم (قال حدثنا سفيان بن وكيع) بن الجراح أبو محمد روى عنه أصحاب السنن وله ترجمة فى الميزان توفى فى سنة سبع وأربعين ومائتين (قال حدثنا جميع) بزنة مصغر جمع ضد المفرد (ابن عمر بن عبد الرحمن العجلى) الكوفى وعجل اسم قبيلة بكسر العين المهملة وسكون الجيم (املاء من كتابه) الذى بيده أو بيد غيره وهو أحد طرق الرواية المقبولة من الثقة المصحح لكتابه وما روى من منع الرواية من كتابه الصحيح خلافه كما فصلوه

(قال حدثني رجل من بني تميم) قال الانطاكي هو أبو عبد الله التميمي (من ولد أبي هالة) بفتح الواو واللام و بضم فسكون أي احفاده (زوج خديجة) بالجر بدل من أبي هالة (أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها) أي قبل وصولها اليه صلى الله تعالى عليه وسلم (يكنى أبا عبد الله) بفتح الكاف وتشديد النون المفتوحة و بسكون الكاف وتخفيف النون أي يعرف ذلك الرجل بهذه الكنية (عن ابن لابي هالة) أي بلا واسطة وهو غير معروف كما صرح به الذهبي في ميزانه وأصل هالة علم لدارة القمر فهو أقوى في منع الصرف من هريرة في أبي هريرة لان هريرة اسم جنس ثم هذا الاسناد ظاهره الاتصال ولكنه منقطع لان الرجل لم يسم بل لم يسم فيه رجلان ومثل هذا يسمى منقطعا ولكنه ان سمي فيه الرجل من طريق آخر فهو متصل من وجه ومنقطع من وجه وان لم يسم مطلقا فهو منقطع أبدا كذا ذكره بعض الائمة وقال بعض علمائنا انه لا يضر الاسناد مثل هذه الجهالة فهو في حكم المرسل وهو حجة عند الجمهور والله تعالى أعلم (عن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهما قال) أي الحسن (سألت خالي هند بن أبي هالة قال القاضي) كان حقه ان يكتب رمز ح اشارة الى التحويل من سند الى آخر أو يأتي بالعاطفة فيقول وقال القاضي (أبو علي رحمه الله) وهو ابن سكرة (وقرأت على الشيخ أبي طاهر أحمد بن الحسن) وروى فيه الحسين بالتصغير (ابن أحمد بن خذاداذا) بضم خاء فذال معجمتين فالف فدال مهملة بعدها ألف فدال مهملة أو معجمة لغة فارسية ومعناه بالعربية عطاء الله (الكرجي) بفتح كاف وسكون راء فجيم (الباقلاني) بتشديد اللام وبعد الفه نون فياء نسبة لباقلاء على غير قياس (وأجازنا الشيخ الاجل) أي الجليل القدر أو أجل زمانه وأكمل اقرانه (أبو الفضل أحمد بن الحسن بن خيرون) بفتح معجمة فسكون تحتية فضم راء يصرف ويمنع (قالا) أي كلاهما (حدثنا) أي حدثنا (أبو علي الحسن ابن أحمد بن ابراهيم بن الحسن بن محمد بن شاذان) بمعجمتين (ابن مهران) بكسر الميم (الفارسي) بكسر الراء و يسكن (قراءة عليه فاقر به) أي اعترف بجواز نقله عنه وهو شرط فيمن قيل له أخبركم فلان أو أخبرني فلان عنك أو نحوه وان لم يقر به فلا يكون دليلا ولا حجة ولا بد من الاقرار وفيه تصحيح الرواية (قال) أي أبو علي المذكور (أنبانا) أي أخبرنا (أبو محمد الحسن بن محمد بن يحيى بن الحسين بن جعفر بن عبيد الله بن الحسين بن علي بن الحسين) بالتصغير في الثلاثة (ابن علي ابن أبي طالب المعروف بابن أخي طاهر العلوي) بفتحتين قال الحلبي هذا الرجل ترجمه الذهبي في الميزان ونسبه كما هنا ثم قال روى بقلة حيائه عن الدبري عن عبد الرزاق باسناد كالشمس على خير البشر وعن الدبري عن عبد الرزاق عن معمر عن محمد بن عبد الله بن الصامت عن أبي ذر مرفوعا قال علي وذريته يختمون الاوصياء الى يوم القيامة فهذان دالان على كذبه وعلى رفضه عفا الله عنه ولولا انه متهم لازدحم عليه المحدثون فانه معمر انتهى ولا يخفى انهما يدلان على كذبه

(قال حدثنا رجل من بني تميم من ولد أبي هالة زوج خديجة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها يكنى أبا عبد الله) هذا الرجل هو عبد الله بن أبي هالة الذي كان تزوج خديجة قبل النبي صلى الله عليه وسلم كما مر وهذا الرجل أخرج عنه الترمذي في شمائله (عن ابن لابي هالة) قال الذهبي وتبعه البرهان ان هذا الرجل لا يعرف اسمه فهذا الحديث منقطع لان فيه راويا مجهولا وهالة علم منقول من هالة القمر وهي دارته (عن الحسن بن علي بن أبي طالب قال سألت خالي هند بن أبي هالة) لانه أخو فاطمة الزهراء رضي الله تعالى عنها لامها (قال القاضي أبو علي) بن سكرة المتقدم فروى هذا الحديث من طريقين (وقرأت على الشيخ أبي طاهر أحمد بن أحمد بن خذاداذا الكرجي الباقلاني) وخذاداذا بضم الخاء المعجمة وفتح الذال المعجمة وألف ودال مهملة وألف ثم ذال معجمة وألف مقصورة كذا ضبطه البرهان وهو معرب خداداد بدالات مهملة ومعناه بالفارسية عطية الله والكرجي بفتح الكاف والراء المهملة ثم جيم منسوب للكرج اسم بلدة لابي دلف العجلي واسم بلدة بالدينور و بضم فسكون اسم مملكة معروفة والباقلاني بتشديد اللام قال الجوهري الباقلاء اذا شددت لامها قصرت وان خففت مددت (قال) أبو علي (وأجازنا الشيخ الاجل أبو الفضل أحمد بن الحسن بن خيرون) هو الحافظ المتقدم ترجمته (قالا أخبرنا أبو علي الحسن بن أحمد بن ابراهيم بن الحسن بن محمد بن شاذان) بشين معجمة وألف وذال معجمة وألف ونون معرب ومعناه بالفارسية السرور (ابن حرب) كضد السلم (ابن مهران) بكسر الميم (الفارسي) منسوب لفارس ديار العجم (قراءة عليه فاقر به) هو شرط لقبول الرواية عمن قرئ عليه فيقال له أأخبركم بهذا فلان عن فلان فيقول نعم أخبرني به فلذا قيده المصنف رحمه الله تعالى بهذا (قال أخبرنا أبو محمد الحسن بن محمد بن يحيى بن الحسن بن جعفر بن عبد الله بن الحسين بن علي بن الحسين ابن علي بن أبي طالب المعروف بابن أخي طاهر العلوي) هذا الرجل ترجمه الذهبي في الميزان ونسبه

كما

ووضعه وعلى تفضيله أيضا وأما على رفضه بمعنى سبه وبغضه فلان غايته ان الحديث ضعيف أو موضوع من طريقه لكنه لا يضر حيث انه ثابت باسناد الترمذي في شمائله وانما أراد المصنف ان يتبرك بذكر مشايخه في اسناده و يسلك بنفسه في سلك اسناذه والا فكان يكفيه ان يسند الحديث الترمذي المعروف بثبوت سنده أما بكونه صحيحا أو حسنا أو ضعيفا لانه وغيره ملتزمون ان لا يذكروا حديثا فيه راو حكم بوضعه (ثنا) حدثنا (اسمعيل بن محمد بن اسحق بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين) بالتصغير (ابن على بن أبى طالب حدثنى) وفي نسخة قال حدثنا (على بن جعفر) أى الصادق (ابن على بن الحسين) قال الحلبي على هذا يروى عن أبيه وأخيه موسى والثورى وعنه أحمد البزى وجماعة أخرج له الترمذي فقط قال الذهبي ما رأيت أحدا بينه ولا وثقه ولكن حديثه منكر جدا ما صححه الترمذي ولا حسنه وقد رواه عن نصر بن على عنه عن أخيه موسى عن أبيه عن أجداده من أحبنى انتهى والحديث هو من أحبنى وأحب هذين وأباهما وأمهما كان معى فى درجتى يوم القيامة أخرجه الترمذي في المناقب وانفرد بالاخراج له كذا ذكره الحلبي (عن أخيه موسى بن جعفر) أى ابن محمد العلوى الكاظم عن أبيه وعبد الله بن دينار ولم يدركه وعنه ابنه على الرضى وأخواه على ومحمد وبنوه ابراهيم واسمعيل وحسين قال أبو صالح خاتم ثقة امام مات في حبس

الرشيد أخرج له الترمذي وابن ماجه وقال المسعودى قبض موسى ببغداد مسموما لخمس عشرة خلت من ملك الرشيد سنة ست وثمانين ومائة وهو ابن أربع وخمسين سنة (عن جعفر بن محمد) أى الصادق (عن أبيه محمد بن على) هو أبو جعفر الباقر سمى به لتبقره في العلم أى لتوسعه فيه روى عن أبويه وجابر وابن عمر وطائفة وعنه ابنه جعفر الصادق والزهرى وابن جريج والاوزاعى وآخرون أخرج له الائمة الستة (عن على بن الحسين) هذا زين العابدين روى عن أبيه وعائشة رضى الله تعالى عنها وأبى هريرة وجمع وعنه بنوه محمد وزيد وعمر والزهرى وأبو الزناد وخلق قال الزهرى ما رأيت قرشيا أفضل منه أخرج له الائمة الستة قال المسعودى كل عقب الحسين هذا (قال قال الحسن بن على رضى الله تعالى عنهما واللفظ) أى لفظ الحديث الآتى (لهذا السند) أى لاهل هذا السند الثانى وهو بالنون لا بالياء التحتية قال التلمسانى هذا اسناد شريف لانه مروى عن أهل البيت ومثله اسناد المروى في صفة الصلاة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حتى قال فيه الائمة اسناد لو ذكر على ذى علة أوجى لبرئ أو على مصاب لافاق ولو رقى به ملسوع لبرئ (سألت خالى هند بن أبى هالة عن حلية رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) بكسر حاء وسكون لام فتحتية أى وصفه ونعته (وكان) أى هند (وصافا) أى كثير الوصف له عليه الصلاة والسلام جملة معترضة (وأنا أرجو) جملة حالية أى أتمنى وأحب كما في رواية (أن يصف لى منها) أى من حليته (شيا) أى بعضا منها (أتعلق به) أى أتشبث به علما وعملا وهذا الحديث من طريق الترمذي في الشمائل وقد انفرد باخراجه عن أصحاب الكتب الستة وقد بسطت الكلام على دقائق مبانيه وحقائق معانيه في جمع الوسائل شرح الشمائل وهنا أتبع المصنف في ضبط مبناه أولا وربط

كما هنا وروى حديث على وذريته مجتمعون الاوصياء الى يوم القيامة وهذا الحديث يدل على كذبه ورفضه وهو متهم بالكذب ولولا هذا الازدحم الناس عليه لانه معمر توفي سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة (قال حدثنا اسمعيل بن محمد بن اسحق بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب قال حدثنى على بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين) على هذا هو جعفر بن محمد الصادق روى عن أبيه وأخيه موسى روى عنه الترمذي دون أصحاب السنن الأئمة لم يوثقوه وانفرد بالرواية عنه الترمذي (عن أخيه موسى بن جعفر) هو موسى بن جعفر بن محمد الكاظم وهو امام ثقة (عن جعفر بن محمد) هو الصادق وقد تقدم (عن أبيه محمد) هو محمد (بن على) أبو جعفر الباقر (عن على بن الحسين) هو زين العابدين الامام المشهور (قال قال الحسن بن على) رضى الله تعالى عنهما (واللفظ لهذا السند) يعنى اللفظ المذكور مخصوص بالطريق الثانى والسند بالنون بمعنى الاسناد وليس السيد بمثناة تحتية لانه لم يذكر انه رواه عن على بن الحسين زين العابدين وكذا لم يذكر انه رواه أحد مع الحسن هو ابن على كما في المقتنى وهذا اسناد شريف لان رواته كلهم من أهل البيت ومثله حديث صفة الصلاة حتى نقل التلمسانى رحمه الله تعالى انه اذا قرئ على مصاب أفاق ورجال سنده كلهم معروفون (سألت خالى هند بن أبى هالة عن حلية رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) الحلية بمعنى ما يتحلى به الانسان أى مما يرى من وجهه الشريف وبدنه وهى بكسر الحاء المهملة وسكون اللام (وكان وصافا) أى كان فصيحا له خبرة بوصف الناس لحذقه أو كان معروفا بذكر صفات النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (وأنا أرجو) جملة حالية أى راجيا (ان يصف لى منها) أى من حلية النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (شيأ) أى مقدارا منها لان جميعها لا تحصى أو بعضها لا تفى العبارة به (أتعلق به) أى أحفظه وأتمسك به تبركا

معناه ثانيا وبالله التوفيق وهو الهادى الى سواء الطريق (قال) أى هند (كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فخما) أى مهيبا عظيما فى العيون (مفخما) ١٦٨ بتشديد الخاء المعجمة المفتوحة أى معظما مكرما فى القلوب كما يشير الى هذا المعنى ما

ورد انه من رآه بداهة هابه ومن خالطه عشرة أحبه وليس المراد بهما بيان ضخامته فى جسمه وخلقته لما سيأتى خلافه فى نعته ولا يبعد أن يقال معناهما عظيم عند الحق ومعظم عند الخلق (يتلألأ وجهه) أى يضىء من كمال نوره وجمال ظهوره (تلألؤ القمر ليلة البدر) أى كاضاءته حال بدره وبدوره (أطول من المربوع) أى القصير المربوع القامة (وأقصر من المشذب) بتشديد الذال المعجمة المفتوحة أى الطويل البائن (عظيم الهامة) بتخفيف الميم أى كبير الرأس المشير الى الوقار والرزانة (رجل الشعر) بكسر الجيم وفتح العين ويسكن أى متكسره قليلا (ان انفرقت عقيقته) أى انفرق شعر رأسه من ذات نفسه (فرق) أى تركه مفروقا (والا فلا) أى وان لم ينفرق فلا يفرقه عن قصد منه والفرق هو الطريق الابيض الذى هو حاجز بين ناصيتى شعر الرأس (يجاوز

شعره) أى شعر رأسه (شحمة أذنيه) أى أحيانا وروى شحمة أذنه بالافراد والشحمة معلق (أزهر
القرط وهو مالان من أسفلها (اذا هو وفر) بتشديد الفاء وقيل بتخفيفها وفى نسخة صحيحة وفره بزيادة الضمير أى تركه وافرا أو
جعله وفرة اذ لا يسمى وفرة الا اذا وصل الى الشحمة

(قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فخما مفخما) بفتح الفاء وسكون الخاء المعجمة والمفخم بوزن المكرم والفخم بمعنى العظيم وأصل الفخامة العظمة فى الاجسام ثم شاعت فى المقدار والشرف فان كان المراد الاول وهو الظاهر فالمعنى ان اعضاءه صلى الله عليه وسلم تامة الخلقة واسعة سعة غير مفرطة كما تقدم فى الباب الثانى انه كان واسع الصدر وعينه نجلاء أى واسعة الشق ووجهه الشريف ممتلئ باللحم وان قامته الشريفة غير قصيرة والمراد بكونه مفخما انه كذلك فى العيون الناظرة اليه ويحتمل ان يراد بكونه فخما هذا المعنى وان يراد بكونه مفخما ان له صلى الله عليه وسلم مهابة فى العيون والصدور مع الجلال (يتلألأ وجهه) أى يضىء ويشرق وهو ماخوذ من اللؤلؤ لصفائه ولمعانه (تلألؤ القمر ليلة البدر) أى فيه نور كنور القمر فى ليلة البدر وقد تقدم الكلام فيه وتفسيره (أطول من المربوع) وهو الذى بين الطول والقصر كالربعة وقال التلمسانى المراد به هنا القصير الذى تحت الربعة لئلا يناقض ما ورد من وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم بانه ربعة وأصل المربوع الحبل المفتول على أربع طاقات فاستعير لما ذكر انتهى * أقول لا حاجة لما ذكر لصرفه عن ظاهره لان المراد انه يزيد على الربعة زيادة يسيرة لا تخرجه عن كونه ربعة فهذا أمر تحقيقى وربعة أمر تقريبى فلا منافاة بينهما ولذا قال (وأقصر من المشذب) بضم الميم وفتح الشين والذال المعجمتين المشددة والباء الموحدة وهو المفرط فى الطول كالبائن وهو مستعار من النخلة المشذبة وهى التى قطع بعض جريدها والتشذيب قطع كالتقليم (عظيم الهامة) بالهاء وتخفيف الميم وهى الرأس وليس المراد انها مفرطة فى الكبر بل كبيرة كبرا نسبيا لان صغرها وافراط كبرها غير ممدوح لدلالته على قلة العقل وقيل الهامة وسط الرأس وقيل مخه ولها معان أخر غير مناسبة هنا (رجل الشعر) بكسر الجيم على وزن حذر والشعر معروف ويجوز فتح عينه وسكونها كما مر والمراد ان فيه تجعدا قليلا وهو من صفاته الممدوحة فيه ويقال لضده قطط وهو الشديد الجعودة والسبط المسترسل (ان انفرقت عقيقته فرق) انفرق أى صار شعر رأسه فرقتين والعقيقة الشعر الذى على رأس المولود الذى يخرج عليه حين يولد من عق اذا قطع لانه يحلق فى اليوم السابع فسمى به شعر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على طريق المجاز المرسل لاستعمال المقيد فى المطلق وليس استعارة تحقيقية كما قيل ومعنى فرق ابقاه منفرقا على حاله اذا انفرق بنفسه يقال فرقه فانفرق والفرق والمفرق البياض الواقع بين شعر الرأس وفى رواية عقيصته بالصاد المهملة بدل عقيقته (والا فلا يجاوز شعره شحمة أذنه) وفى رواية أذنيه بالتثنية وهما بمعنى كما قال نظرت بعينى اذا نظر بعينيه وهكذا فى كل عضو كان كذلك كما هو مقرر فى العربية وشحم الاذن مالان منها حيث يعلق القرط وتقدم فى هذا الحديث ما رأيت من ذى لمة فى حلة حمراء أحسن من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وان اللمة الشعر الذى يجاوز شحمة الاذن فاذا وفر شعره صار لمة أى ما لم بالمنكبين واللمة دون الجمة والوفرة دون اللمة والجمة أكثر من الوفرة وهى ما سقطت على المنكبين فالوفرة أبلغ منها اللمة والجمة أبلغ منهما وفيه كلام تقدم والفرق سنة بخلاف السدل من قدام أو خلف ومعنى قوله والا وان لم يفرق فعلم منه اذا فرق جاوز الشحمة ووصل المنكب وأحواله مختلفة فى الطول ولذا قيل له لمة وجمة (اذا هو وفره) وفى بعض النسخ وفر بدون ضمير والمعروف رواية الاول كما قال المزى وفاؤه مخففة ومشددة أى كثرة وقد نقل بعد الحلق وغيره كما عرفته وهذا أولى من حمل اختلاف الروايات على التقريب

(أزهر اللون) أي أبيض نيرا وقد جاء من حديث على رضي الله تعالى عنه انه كان أبيض مشرب بحمرة على ما أخرجه أبو حاتم عنه وكذا أخرج عن عائشة رضي الله تعالى عنها أنه صلى الله تعالى عليه وسلم كان أبيض اللون وفي المسند من رواية عبد الله من طريقين أن رجلا سال عليا عن نعته عليه الصلاة والسلام فقال فيه انه أبيض شديد الوضح ولعل الاول باعتبار الوجه والاعضاء التي تبدو للشمس وهذا باعتبار سائر البدن والمراد بالوضح كمال صفاء بياضه

(أزهر اللون) سيأتي معنى الازهر وان معناه أبيض مشرب بحمرة وقد ورد انه ليس بالابيض الامهق ولا بالادم وبهذا علم ماروى انه كان أسمر ولعله رآه عقيب سفر ونحوه أولم يحققه لانه لمهابته صلى الله تعالى عليه وسلم لا يحدق النظر في وجهه وفي رواية انه كان أبيض شديد الوضح والمراد بالوضح البياض وقد يطلق على البرص ولذا سمى جزيمة الابرص الوضاح ويؤيده انه ورد أنه صلى الله تعالى عليه وسلم كان عنقه كوز فضة ويأتي كان ساقه جماره وكشف ظهره فكأنه سبيكة فضة وقيل ان سمرته حمرته ولذا قيل في الجمع بين الروايات انه كان يميل الى السمرة أو البياض لونه وهذا عرض له بعد ذلك لكثرة أسفاره (واسع الجبين) في القاموس الجبينان حرفا الجبهة وجانباها عند الصدغين وبعد الحاجبين والجبهة وسطه أو هو جميع ما بين الصدغين فتدخل فيه الجبهة الى قصاص الشعر (أزج الحواجب) أزج أفعل كاحمر والزجج تقوس في الحواجب مع طول في طرفه وامتداد بدقة في طرفيه وأراد بالحواجب الحاجبين وجمع لان أقل الجمع اثنان أو لاطلاقه على أجزائه وهما العظمان فوق العينين بلحمهما وشعرهما ويطلق على الشعر وسمى به لانه يحجب الشمس وغيرها عن العين (سوابغ) بالسين والصاد جمع سابغ لانه لما لا يعقل وقيل جمع سابغة وفيه أي طوال كاملة (من غير قرن) بفتحتين أي من غير اقتران واتصال لانه غير ممدوح عند العرب وما وقع في حديث أم معبد من وصف حاجبيه صلى الله تعالى عليه وسلم بالقرن فيحتمل انه كان بينهما شعر دقيق جدا اذا سافر وعلاه غبار السفر ظن قرنا وما قيل انه بطريق الرأي أو انه لاختلاف الرؤية قربا وبعدا أو انه حدث له صلى الله تعالى عليه وسلم بعد ذلك بعيد جدا بل لا وجه له (بينهما) أي بين الحاجبين وهذا يدل على ان الجمع في الحواجب بمعنى المثنى هنا (عرق يدره الغضب) بضم الياء مضارع الادرار من أدر الضرع والسحاب اذا كثر دره وهو لبنه وماؤه غلب والمراد انه يظهر لغليان الدم بالغضب بعد ما كان خفيا الا انه يحدث بعد ان لم يكن وهذا لا ينافي ما ورد من أنه صلى الله تعالى عليه وسلم حليم لا يغضب لانه باعتبار أكثر أحواله صلى الله تعالى عليه وسلم وانه لا يغضب لنفسه ولا لاجل أمر دنيوي ولكنه قد يشتد غضبه لله اذا انتهكت حرمه وفي ضربه للاعداء كما قال الصرصري رحمه الله

بجبينه عرق يدر اذا سطا * غضبا على الاقران يوم طعان

والغضب تهييج الحرارة الغريزية فيغلي الدم منها ولذا يحمر الوجه وتنتفخ العروق (أقنى العرنين) القنا في الانف طوله ودقة أرنبته أي طرفه مع ارتفاع يسير في وسطه والعرنين بكسر العين الانف أو ما صلب منه أو ما تحت مجمع الحاجبين وهو أول حيث يكون الشمم والجمع عرانين ويكنى به عن الاشراف لشموخ أنفهم وارتفاعه على أقرانه قال

ان العرانين تلقاها محسدة * ولن ترى للئام الناس حسادا

(له نور يعلوه) الضمير له صلى الله تعالى عليه وسلم وجوزوا ان يعود للعرنين لانه وان كان وجهه كله

فلا ينافي ما جاء في الصحيح من حديث أنس أنه عليه الصلاة والسلام لم يكن بالابيض الامهق ولا بالادم وأما ما في المسند لاحمد من حديث أنس أنه عليه الصلاة والسلام كان أسمر فالمراد به أسمر الى البياض كما ذكره ابن عباس رضي الله تعالى عنهما (واسع الجبين) أي من جمال خلقه ويمكن أن يكون كناية عن كمال خلقه وأصل الجبين ما بين الصدغين (أزج الحواجب) بتشديد الجيم الاولى أي دقيقها مع غزارة شعرها وتقوس أصلها (سوابغ) أي كوامع طولا وشوامل أصلا والسين أعلى من الصاد (من غير قرن) بفتحتين وقد يسكن أي من دون اجتماع واتصال بين الحاجبين ووقع في حديث أم معبد وصفه بالقرن ولعل منشأ الخلاف من جهة قرب الرائي وبعده أو المراد بالاثبات قرب القرن وبالنفي بعده لان المطلوب اعتداله المحمود من كل وجه له وأما ما جوزه الحلبي من انه كان بغير قرن ثم حدث له القرن فيبعد تصوره (بينهما) أي بين حاجبيه (عرق) بكسر أوله (يدره) من الادرار أي يكثر دمه ويحركه ويهيجه (الغضب) أي عند مشاهدة مخالفة الرب فلا يخالف حديث لا يغضب (أقنى العرنين) بالكسر أي طويل الانف مع دقة أرنبته وحدب في وسطه على ما في النهاية لابن الاثير ويكنى به عن العزيز الذي معه منعة وذلك لشموخ أنفه وارتفاعه على قومه هذا وقال الجوهري وعرنين كل شئ أوله وعرنين الانف تحت مجتمع الحاجبين وهو أول الانف حيث يكون فيه الشمم (له) أي لانفه بخصوصه (نور يعلوه) أي يظهر عليه أو يرفعه من كثرة ضيائه وشدة بهائه وقوة صفائه

(يحسبه) بكسر السين وفتحها أي يظن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أو أنفه الوضيء (من لم يتامله) أي وجهه (اشم) مفعول ثان ليحسبه والاشم الطويل قصبة الانف قال الجوهري وهو من ارتفع وسط قصبة أنفه مع استواء أعلاه واشراف أرنبته قليلا من منتهاه فان كان فيه احديداب فهو أقنى (كث اللحية) بتشديد المثلثة أي غزير شعرها وكثير أصلها وفي رواية كان كثيف اللحية وفي أخرى عظيم اللحية ذكره ميرك شاه

رحمه الله تعالى فما في شرح الشمائل لابن حجر المكي من قوله غير دقيقها ولا طويلها ينافي الرواية والدراية لان الطويل مسكوت عنه مع ان عظم اللحية بلا طول غير مستحسن عرفا كما ان الطول الزائد على القبضة غير ممدوح شرعا ثم هذا لا ينافي ما ورد عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما مرفوعا من سعادة المرء خفة لحيته كما رواه الاربعة فان الكثيف والخفيف من الامور الاضافية فيحمد على الاعتدال الذي هو الكمال في جميع الاحوال ولا يبعد ان يحمل الكثيف على أصله والخفيف على عدم طوله وعرضه وأما قول الفقهاء في تعريف اللحية الخفيفة هي ما تظهر البشرة من تحتها فحادث اصطلاحا ومبنى الاحاديث هذه على المعنى اللغوي تصحيحا واصطلاحا (أدعج) أي في العين وهو شدة سواد الحدقة مع شدة بياضها (سهل الخدين) أي سائلهما غير مرتفع الوجنتين (ضليع الفم) أي عظيمه أو واسعه والعرب تمدح عظيمه وتذم صغيره لا

ولعله للايماء الى سعة الفصاحة وظهور أثر الملاحة (أشنب) بمعجمة فنون فموحدة أي أبيض الاسنان أو الشنب رونقها وماؤها وبهاؤها (مفلج الاسنان) بتشديد اللام المفتوحة أي مفرج الثنايا والحديث على أفلج الثنايا ولان تباعد الاسنان كلها عيب (دقيق المسربة) بضم الراء ما دق من شعر الصدر كالخيط سائلا الى السرة (كأن) بتشديد النون (عنقه) أي رقبته وجيده (جيد دمية) بضم المهملة صورة تعمل من عاج أو رخام أو غيرهما ويتانق في تحسينها ويبالغ في تزيينها حال كون عنقه في صفاء الفضة

لهنور لكنه أول ما يتعلق به ولذا سمي انفا أيضا (يحسبه من لم يتأمله أشم) الشمم في الانف ارتفاع وسط قصبته مع استواء أعلاه واشراف أرنبته قليلا يعني ان وسطه فيه استواء مع أعلاه وأسفله ولكنه لتلألؤه قد يظن ان فيه ارتفاعا أو ان فيه ارتفاعا قليلا جدا لا يعد شمما والشمم قد يعبر به عن عزة النفس وعدم التنزل للاشياء وهو ما يمدح به كما قال كعب رضي الله عنه

شم العرانين ابطال لبوسهم * من نسج داود في الهيجا سرابيل

والتأمل اعادة النظر وتكراره ليثبت فيه ويقف على كنهه وهو في الاصل تفعل من الامل والرجاء لان الانسان لا يعيد النظر غالبا الا لما فيه أمل فاطلق على لازمه وشاع حتى صار حقيقة فيه وقيل الشمم طول الانف مع سيلانه ودقته والاول أصح وأشهر (كث اللحية) بفتح الكاف وتشديد المثلثة والكث كون اللحية كثيرة الشعر من غير طول ولا دقة شعر وما اشتهر من قوله من سعادة المرء خفة لحيته لم يثبت انه حديث مع انه قيل انما هو خفة لحييه مثنى لحي وان معناه كثرة تحريكهما بذكر الله أو المراد عدم طولها (أدعج) أي سواد عينيه شديد مع بياضها ويقال رجل أدعج أي اسود وليس بمراد وسيأتي فيه كلام (سهل الخدين) أي غير مرتفع الوجنة وكثير اللحم فيهما فانه غير محمود وقيل المراد انه طلق منبسط (ضليع الفم) بضاد مفتوحة معجمة أي طويل انشقاق الفم واسعه وهو مما يتمدح به ويعاب ضده لدلالته على الفصاحة وليس المراد به عظم الاسنان وتراصها كما قاله التلمساني وشعراء المولدين يمدحون صغر الفم وهو خطأ منهم أو لمعنى آخر لا يلتفت اليه كما مر (أشنب) بنون بين شين معجمة وباء موحدة أي ذو شنب وهو كما في النهاية بياض وبريق وصفاء وتحديد في الاسنان وقيل هو رونقها وماؤها وقيل برد وعذوبة فيها وقيل نقط بيض وتحزز فيها وسئل رؤبة عن قول ذي الرمة

لمياء في شفتيها حوة لعس * وفي اللثات وفي أنيابها شنب

فاخذ حبة رمان وقال هذا هو الشنب أي انه صفاء وماء فيها كهذا ومن أمثال المولدين فاتك الشنب لمن أراد التشبه بمن لا يشبهه قال ابن الوكيل رحمه الله تعالى

يا بارقا باعلى الرقتين بدا * لقد حكيت ولكن فاتك الشنب

(مفلج الاسنان) تقدم ان الفلج عدم تلاصق الاسنان وهو أنقى للفم وأطيب وفي حديث علي كرم الله تعالى وجهه أفلج الثنايا وهو المراد بالاسنان أو المراد الثنايا والرباعيات لان تباعد الاسنان كلها معيب وقد تقدم كلام فيه ومفلج مضموم الميم مشدد اللام ويشبه به تقارب الدار مع عدم التلاقي كقوله

مالي به مع قرب داري ملتقى * فهل رأيت ثغره المفلجا

(دقيق المسربة) بميم مفتوحة وسين مهملة ساكنة وراء مهملة مضمومة وباء موحدة مفتوحة تليها هاء وهو شعر كالخيط سائل من الصدر الى السرة ووصفه بالدقة لانه غير عريض ولا متكاثف طويل (كان عنقه جيد دمية) الجيد العنق الا ان السهيلي قال ان العنق يستعمل في غير المدح والجيد يستعمل في مقام بخلافه وان قوله تعالى في جيدها حبل من مسد تهكم لجعل الحبل عقدا لها وما هنا على أصل اللغة

(معتدل الخلق) بفتح الخاء أي متناسب الاعضاء في الحسن والبهاء (بادنا) أي عظيم البدن من جهة اللحم أو خلقه العظيم وليس معناه السمين الضخم بل صلب الجسم غير مسترخي اللحم كما قال (متماسكا) أي ليس بمسترخي اللحم وروى متماسك بالرفع أي هو متماسك يمسك بعضه بعضا الشدة ولا ينافيه ما ورد من انه عليه السلام كان ضرب اللحم أي خفيفه يعني بالاضافة الى السمين

لا على نهج الاستعمال فلا اعتراض عليه والدمية بضم الدال المهملة وسكون الميم وتخفيف المثناة التحتية وهي الصورة من رخام أو عاج والمراد شدة بياضه وطوله ويؤيده ما روى من ان عنقه صلى الله تعالى عليه وسلم كابريق فضة ويشير اليه ههنا قوله (في صفاء الفضة) أي بياضها الخالص وهذا يؤيد ما مر من انه صلى الله تعالى عليه وسلم ليس باسمر وانما شبه بالدمية لان صانعها يبالغ في تحسينها ولهذا ضرب بها المثل (معتدل الخلق) بفتح فسكون أي متوسط الخلقة بين الطول والقصر والسمن والهزال والضخامة والصغر فهو متناسب الاعضاء مستقيم في أحسن تقويم (بادنا) أي ضخم البدن غير دقيق الاعضاء صغيرها واردفه بقوله (متماسكا) أي كان أعضاءه تمسك بعضها بعضا الشدة ارتباطه به ومناسبته له وهو منصوب صفة بادنا وروى بالرفع خبر مبتدأ مقدر (سواء البطن والصدر) أي متساويهما لم يرتفع احدهما على الآخر (مشيح الصدر) بضم الميم وكسر الشين المعجمة ومثناة تحتية ساكنة وحاء مهملة بمعنى عريض متسع مع مساواته لبطنه من غير تقاعس وانخفاض فيه وروى بفتح الميم وكسر السين المهملة وهو بمعناه (بعيد ما بين المنكبين) تثنية منكب بفتح الميم وكسر الكاف ونون بينهما وآخره باء موحدة وهو ما بين الكتف والعنق والمراد ببعدهما سعتهما وهو أقوى للبدن والبطش وعبر عنه تارة بالبعد وتارة بالعظم والكل واحد وما موصولة (ضخم الكراديس) جمع كردوس وهو رأس العظم أو ملتقى كل عظمين كالمرفقين وضخم بمعنى كبير وكل عظم كثير اللحم كردوس (أنور المتجرد) اسم مفعول يعني ما خفي من البدن من التجرد وهو الكشف ورفع الثياب وأنور بمعنى نير مشرق أو افعل تفضيل لان ما تحت الثياب من البدن لعدم ملاقاته الهواء والشمس أبيض من الاطراف المكشوفة وورد في وصفه صلى الله عليه وسلم انه أجرد وهو ضد الاشعر فان الشعر كان على أماكن مخصوصة من بدنه كالمسربة والساعدين والساقين وقال الشريف الغرناطي في شرح البردة قال بعض الصحابة رأيت ساق النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في غرز الركاب كأنه جمارة يعني في بياض اللون والطراوة فان قلت الوارد في صفته صلى الله تعالى عليه وسلم انه أزهر اللون أي مشرب بحمرة وبياض الجمار خالص قلت يمكن الجمع بان ما تحت الثياب مما لم يباشره الشمس خالص البياض بخلاف غيره انتهى (موصول ما بين اللبة) بفتح اللام وتشديد الباء الموحدة وهي النحر وقيل الصدر وقيل موضع القلادة وما موصولة لا زائدة (والسرة) وهي موضع ما يقطع من المولود والمقطوع سر (بشعر) متعلق بموصول (يجري كالخط) وهو المسربة السالفة وجريانه امتداده كما جار والخط الطريقة المستطيلة المستقيمة وفي الاصطلاح ما وصل بين نقطتين متقابلتين فكانه جعل اللبة وهي النقرة التي فوق الصدر نقطة والسرة نقطة أخرى والشعر الرقيق بينهما خطا (عاري الثديين) تثنية ثدي بفتح المثلثة وكسرها تذكر وتؤنث وروى الثندوتين بثاء مثلثة ونون وهما بمعنى قال الجوهري الثدي يكون للرجل والمرأة ووافقه الصاغاني وفي درة الغواص الثدي خاص بالمرأة والذي للرجل ثندوة وهو غير مهموزة كترقوة على فعلوة وهو مغرز الثدي أو رأسه فان ضممت همزته وهو فعللة ففيه تفصيل بيناه في شرح الدرة وعلى ما قاله الحريري تبعا لبعض أهل العصر صوب بعضهم رواية الثندوتين وزعم ان غيره خطأ لعدم ثبوته في اللغة وما قيل من انه صحيح على الاستعارة غير صحيح ومعنى

البطين (سواء البطن والصدر) بالاضافة أي مستويان لا يرتفع احدهما على الآخر فهما معتدلان (مشيح الصدر) بضم ميم وكسر معجمة فتحتية فمهملة أي باديه وظاهره لا تطامن ولا انخفاض به كما انه لا ارتفاع له وروى بفتح الميم ومهملتين من المساحة أو السياحة أي عريضه وهو ايماء الى سعة صدره في أمره وانشراح قلبه بحكم ربه (بعيد ما بين المنكبين) أي وسيع ما بين الكتف والعنق قال ههنا بعيد وفيما سبق عظيم فعظمه اما لبعده فهما سواء أو هناك كثير اللحم وهنا بعيد فهما موصوفان وما موصولة (ضخم الكراديس) أي عظيم رؤس العظام وجسيمها جمع كردوس وهو رأس العظم أو كل عظمين التقيا في مفصل كالمنكبين والوركين (أنور المتجرد) بفتح الراء المشددة وهو ما جرد عنه ثوبه من جسده (موصول ما بين اللبة) بفتح اللام وتشديد الموحدة أي

موضع القلادة وهو الصدر او النحر وما موصولة (والسرة بشعر) متعلق (بموصول يجري كالخط) بتشديد الطاء المهملة أي يمتد مشابها للخط المستطيل وهو ما سبق من معنى المسربة شبهه بجريان الماء وهو امتداده في سيلانه (عاري الثديين) بفتح فسكون أي ليس عليهما شعر وقيل لحم ويؤيده الاول قوله

(ماسوى ذلك) أى ماسوى الخط والمعنى الاماسبق من شعر المسربة وزوى عماسوى ذلك (أشعر الذراعين والمنكبين وأعالى الصدر) جمع أعلى أى مافوقه فان جميعها كثير الشعر لما تقدم ان مابعده قليل الشعر واماما وردعن على كرم الله وجهه على مافى حسان المصابيح من انه عليه الصلاة والسلام كان اجرد والاجرد هو الذى لاشعر عليه فمحمول على انه أريد بالاجرد ضد الاشعر والمعنى انه لم يكن على جميع بدنه شعر لاالاجرد المطلق (طويل الزندين) بفتح فسكون أى عظمى الذراعين من اليدين (رحب الراحة) بفتح فسكون وقد يضم أوله أى وسيع الكف وهو قد يكون كناية عن نهاية الجود وغاية الكرم (شثن الكفين والقدمين) بسكون المثلثة وقيل بالفوقية وهما لغتان على مافى القاموس أى يميلان الى غلظ وقصر أوالى غلظ فقط و يحمد ذلك فى الرجال لانه أشد لقبضهم وبطشهم وأقوى لمشيهم وثباتهم ذكره ابن الاثير فى المثلثة (سائل الاطراف) أى بالسين المهملة واللام اسم فاعل (أوقال) شك من الراوى (سائن الاطراف) بالنون وهما بمعنى أى ممتدها وقد تبدل اللام نونا ذكره الدلجى و زيد فى نسخة صحيحة وسائر الاطراف بالراء ويدل عليه ذكره فى كلام المصنف عند حل مشكله وقد قال ابن الانبارى روى سائل الاطراف أوقال سائن بالنون وهما بمعنى واحد تبدل اللام من النون ان صحت الرواية بها واما على الرواية الأخرى وسائر الاطراف فاشارة الى ضخامة جوارحه كما وقعت مفصلة فى الحديث قال الانطاكى هو بواو العطف أى وسائر اطرافه ضخم (سبط العصب) بفتح سين مهملة وسكون موحدة والعصب وفى نسخة بكسرها و روى بتقديم الموحدة والعصب بفتح المهملتين على مافى الاصول المصححة والنسخ المعتبرة واماقول الحلبى هو تصحيف والصواب بالقاف فهو عن صوب الصواب تحريف والمعنى ممتدة اطناب مفاصله وممتلئة من غير تعقد وتنو و روى القصب بالقاف قال الهروى وهو كل عظم عريض كاللوح وكل اجوف فيه مخ كالساعد واما ابن الانبارى قالوا وهو الاشبه والمراد عظام ساعديه وساقيه باعتبار طولهما

عاريهما انه لاشعر عليهما وقيل لالحم عليهما لماسياتى من انه اشعر الى آخره وفيه نظر لانه لم يذكر فيه انه على ثدييه شعر كما ستسمعه قريبا (ماسوى ذلك) أى ماسوى الشعر الذى بين السرة واللبة وهو بدل من الثديين وفيه نظر و روى ماسوى ذين وهو أظهر (أشعر) أى كثير الشعر فى (الذراعين) بكسر الذال المعجمة مابين المرفق وطرف الاصابع (والمنكبين) تقدم بيانهما (وأعالى الصدر طويل الزندين) تثنية زند وهو طرف الذراع المتصل بالكف وطرفاه الكوع وهو رأس الذراع ممايلى الابهام والكرسوع وهو رأسه ممايلى الخنصر وهما العظمان اللذان فى ظاهر الساعد والمراد عظم الذراع فسماه باسم بعضه ولذا وصفه بالطول (رحب الراحة) أى واسع الكف والراحة بمعنى والراحة من الروح وهو الاتساع (شثن) بفتح الشين المعجمة وسكون الثاء المثلثة والنون وهو الضخم الممتلئ لحما ويؤيده انه ورد فى رواية انه ضخم (الكفين والقدمين) ومافى النهاية فى تفسيره من انهما يميلان الى الغلظ والقصر غير مناسب لقوله رحب الراحة وقيل هو الذى فى أنامله غلظ بلاقصر وذلك محمود فى الرجال دون النساء لانه أشد للقبض أو البطش وقال ابن بطال كانت كفه صلى الله تعالى عليه وسلم ممتلئة لحما وهى مع ضخامتها لينة وفى حديث أنس رضى الله عنه ما مسست حريرا ألين من كفه صلى الله تعالى عليه وسلم وقول الاصمعى الشثن غلظ مع خشونة لم يوافق عليه ولاحاجة لتأويله بانه لامر عارض فى أسفاره وجهاده واستعمال يديه فى مهنة بيته فانه مناف لعده من الحلية وهى الصفات الخلقية فان الذى ارتضاه أهل اللغة انه الضخم ولاينافيه قوله (سائل الاطراف) وبسط الكفين أو سبط الكفين كما قيل لان المراد بالاطراف الاصابع والكف والقدم مغرسهما فليست داخلة فى معناهما ومعنى سائل باللام طويل فكأنه شبهها بعين سالت من بركة لطولها وصفائها وبياضها ولينها الان راحته صلى الله تعالى عليه وسلم تنبع منها الخيرات والمياه كما قلت فى قصيدتى الهمزية

نبع الماء من أصابع كفه * باياد ساغاض فيها الماء

لاتقسها على أصابع نيل * كم لكسر من جبرهن وفاء

(أوقال سائن الاطراف) شك من الراوى فى قول ابن أبى هالة انه قال ماتقدم أوقال سائن بنون مبدلة من اللام كما يأتى وقالوا جبريل وجبرين واسمعيل واسماعين (وسائر الاطراف) بالراء المهملة مكان اللام ومعناه باقى اوجميع وليس الثانى خطا كما قاله الحريرى وتبعه فى الشرح الجديد كما فصلناه فى شرح الدرة وعلى هذا الاخير هو مجرور معطوف على القدمين أى ضخم أطرافه كلها وليس شكه لتقارب الحروف الثلاثة فى الخط والمخرج كما قيل وقد ضبب فى النسخ على قوله سائن بالنون والصواب اثبات الالفاظ الثلاثة لماسياتى فى تفسيرها كما قاله فى المقتفى وجاء هذا فى بعض الروايات من غير شك (سبط العصب) سبط بسكون الباء الموحدة وكسرها بمعنى ممتد ليس به تعقد ونتوء كما فى النهاية

والعصب وقع في أصل البرهان بعين وصاد مهملتين كما ضبطه ابن الانبارى والذى اتفق عليه ابن الاثير والهروى انه القصب بالقاف لا بالعين والمراد بالقصب ساعداه وساقاه وفى الغريبين كل عظم عريض لوح وكل أجوف فيه قصبة وجمعها اقصب ويشهد له ان العرب تتمدح به كما قال

فجاءت به سبط العظام كأنما * عمامته بين الرجال لواء

لانه يدل على قوة البدن والشجاعة والعصب بالعين ما يمتد في البدن لربط الاعضاء وتحريكها كما بين فى علم التشريح وهو اطناب المفاصل وقيل المراد به هنا عظام الساقين والساعدين مجاز الما بينهما من المجاورة فتتحد الروايتان وهو بعيد جدا (خمصان الاخمصين) خمصان بضم الخاء المعجمة وفتحها وسكون الميم لا بفتحها كما توهمه عبارة القاموس وتبعه بعضهم هنا وبه ما ضبط لفظ الشفاء ومعناه الضامر البطن وهو هنا بمعنى المتجافى عن الارض أى المرتفع والاخمصين مثنى أخمص بوزن أحمر وهو ما دخل من باطن القدم ولم يصب الارض لعدم مساواته العقب ومقدم القدم وسمى به لضموره ودخوله ولما كان أخمص القدم قد يطلق على ما يلى الارض منهما مطلقا أتى بقوله خمصان مضافا اليه ليبين انه على ظاهره وهو المحل المرتفع وليس المراد به المبالغة فى ارتفاعه كما فسره بعضهم هنا بالشديد التجافى لهذا فعله كليل الليل وقد قال ابن الاعرابى اذا كان خميص الاخمص بقدر لم يرتفع جدا ولم يستو أسفله فهو أحسن فان استوى أو ارتفع جدا فهو مذموم فمعنى خمصان الاخمصين انه مرتفع باعتدال وقال البرهان وسيأتى ما ينافى هذا يعنى قوله مسيح القدمين قال البارزى فى كتاب توثيق عرى الايمان خمصان الاخمصين متجافى أخمص القدم وهو الموضع الذى لا تناله الارض من وسط القدم وقوله (مسيح القدمين ينبو عنهما الماء) قال المصنف رحمه الله تعالى فيما يأتى أى املسهما ولذا قال ينبو عنهما الماء وفى حديث أبى هريرة خلافه ففيه اذا وطئ بقدميه وطئ بكليهما ليس له أخمص وهذا يوافق معنى قوله مسيح القدمين وقد قالوا سمى عيسى ابن مريم صلى الله عليه وسلم مسيحا لانه لم يكن له أخمص وقيل معنى مسيح القدمين لا لحم عليهما وهو مخالف لقوله شثن القدمين انتهى وأقره صاحب المقتفى وفى الشرح الجديد فى النهاية معنى مسيح القدمين انهما ملساوان لينان ليس فيهما التواء وانشقاق فاذا اصابهما الماء سال ومر سريعا من جانب الكعب القبلى وقال ابن الحنبلى قصيدة الصرصرى النونية ليس المسيح باطن القدمين الذى هو محل الخمصان بل هو ظاهرهما الاملسة فلا تعارض بين العبارتين * أقول هذا كله خلط منهما وليت شعرى ما يقول فى حديث أبى هريرة الذى نقله البارزى فالاشكال الذى ذكره البرهان غير مندفع اللهم الا أن يقال ان الخمصة فيه قليلة جدا ومعنى ينبو يرتفع والمراد به مفارقة الماء وانصبابه مجازا وأنشدوا هنا لبعضهم

يارب بالقدم التى أوطأتها * من قاب قوسين المحل الاعظما
وبحرمة القدم التى جعلت لها * كتف المؤيد بالرسالة سلما
ثبت على متن الصراط تكرما * قدمى وكن لى منقذا ومسلما
واجعلهما ذخرى فمن كانا له * ذخرا فليس يخاف قط جهنما

والقدم الاولى قدمه صلى الله عليه وسلم والثانية قدم على رضى الله عنه لما قال له صلى الله عليه وسلم يوم الفتح أصعد لكسر أصنام الكعبة فصعد على كتفه صلى الله عليه وسلم فى حديث رواه صاحب الصفوة ومسيح بفتح الميم وكسر السين المهملة ثم ياء مثناة تحتية ساكنة وحاء مهملة وفى بعض النسخ مشيح بضم الميم وشين معجمة ولم يفسرها وكأنها تحريف من النساخ أو معناها خفيف المشى (اذا زال زال تقلعا) وروى اذا مشى تقلع أى رفع رجليه رفعا قويا لا يتثبت فى مشيه فكأنه يقلع رجليه من الارض

(خمصان الاخمصين) بضم الخاء المعجمة الاولى مبالغة من الخمص أى شديد تجافى الاخمص القدم عن الارض وهو الموضع الذى لا يلصق بها منهما عند الوضع (مسيح القدمين) أى ملساوين لينين لا نتوء بهما وهو بفتح الميم وكسر المهملة قال الحجازى وروى بضم الميم وشين معجمة (ينبو عنهما الماء) على زنة يدعو أى يأبى عن قبولهما ووقوفه فيهما لملاستهما (اذا زال) أى عن مكانه (زال تقلعا) بضم اللام المشددة وروى قلعا بكسر اللام وسكونها وروى اذا مشى تقلع أى رفع رجليه من الارض رفعا بقوة كأنه يثبت فى المشية بحيث لا يظهر منه العجلة وشدة المبادرة عملا بقوله تعالى واقصد فى مشيك أى لا مشى الخيلاء ولا سير متماوت كالنساء وروى اذا مشى مشى تقلعا وزيد فى نسخة صحيحة

(ويخطو تكفا) بضم فاء مشددة فهمز أو واو وسبق بيان مبناه وتبيان معناه (ويمشي هونا) أي برفق وسكون ووقار وسكينة من غير دفع ومزاحمة لقوله تعالى وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا ولا ينافي قوله (ذريع المشية) بالذال المعجمة وكسر الميم أي سريعها بسعة الخطوة كما يشير اليه قوله (اذا مشى كأنما ينحط) أي ينزل (من صبب) أو في صبب كما في رواية أي منحدر من الارض لقوة مشيه وتشدت خطوه في وضعه وخطه قال الازهري الانحطاط من صدت والتكفؤ الى قدام والتقلع من الارض قريب بعضها من بعض في المعنى وان اختلف ألفاظها في المبنى وأما حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ما رأيت أحدا أسرع في مشيه من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فمحمول على السرعة المرتفعة عن دبيب المتماوت لانه عليه الصلاة والسلام كان يثب وثوب الشطار أو على ان السرعة كانت تقع في مشيه عليه السلام لسعة خطوه من غير قصد له كيف وقد روى انه عليه السلام قال سرعة المشي تذهب بهاء المؤمن على ما رواه جماعة من الحفاظ (واذا التفت) أي يمنة أو يسرة أو الى أحد من جانبيه (التفت جميعا) أي مجتمعا اليه ومقبلا بكليته عليه فلا يسارق النظر ١٧٤ ولا يكون كالطير الخفيف الطيش بل يقبل جميعا ويدبر جميعا (خافض الطرف) أي بصره حياء من ربه وتواضعا لاصحابه (نظره الى الارض أطول) أي أكثر مدة (من نظره الى السماء) لانه أجمع للفكرة وأوسع للعبرة (جل نظره) بضم الجيم وتشديد اللام أي معظمه (الملاحظة) مفاعلة من اللحظ وهو مراعاة النظر بشق العين مما يلي الصدغ وكأنه أرادبها هنا حال كثرة تفكره في أمره المانع من توجهه بجميع نظره الى جانب من طرفه أو الى أحد من أهله (يسوق أصحابه) أي يقدمهم امامه ويمشي خلفهم تواضعا لربه وتعليما لاصحابه وهذا في الحضر وأما في السفر فلزيادة مراعاة أضعف القوم ومحافظتهم من ورائهم وكان لا يدع أحدا يمشي خلفه ويقول الاكبر دعوا خلفي للملائكة قال النووي وانما تقدمهم في سور صنعه جابر لانه صلى الله تعالى عليه وسلم دعاهم اليه فجاؤا تبعا له كصاحب الطعام اذا دعى طائفة مشى امامهم انتهى ولا يبعد أن يقال انما تقدمهم مبادرة الى ما أراد من تكثير الطعام بوضع يده الشريفة عليه عليه الصلاة والسلام (ويبدأ) وفي رواية ويبدر بضم الدال أي يتبادر (من لقيه بالسلام) لانه الاكمل وثوابه الافضل لما فيه من التواضع أولا والتسبب لغرض الجواب ثانيا ولذا عدت هذه الخصلة من السنن التي هي أفضل من الفريضة وفيه اشارة الى انه يستحب للاكبر ان يبتدئ به على الاصغر كما روى انه صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة الاسراء لما وصل الى مقام الانتهاء وقال التحيات لله والصلوات والطيبات وبالغ في الثناء قال الله تعالى السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته فاجابه صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله اللهم أنت السلام ومنك السلام واليك يرجع السلام السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فقالت الملائكة أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله والحديث الى هنا اتفق عليه الترمذي والطبراني والبيهقي في روايتهم عن ابن أبي هالة وقد اقتصر

فيقارب خطاه من غير اختيال واسراع كما ورد من قوله الآتي كأنما ينحط من صبب وروى اذا زال زال قلعا بفتح القاف وسكون اللام وكسرها وروى بالضم أيضا (ويخطو تكفأ) أي اذا مد خطاه يميل الى قدامه كمن يتكفى وتكفؤا ان همز ضمت فاؤه كالمصادر الصحيحة مثل تقدم تقدما لان الهمزة حرف صحيح فان أبدلت ياء كسر ما قبلها فقيل تكفيا كتسمى تسميا ونحوه من المصادر المعتلة الآخر (ويمشي هونا) بفتح الهاء أي اذا مشى مشى برفق ولين ووقار كما يأتي لانه ممدوح قال تعالى ويمشون على الارض هونا (ذريع المشية) بفتح الذال المعجمة وكسر الميم والذريع الواسع الخطو أي ما بين قدميه واسع فمع عدم سرعته يساوي مشيه المشي السريع أو يفوقه (كأنما ينحط من صبب) أي ينحدر من مكان عال والمنحدر من عال يكون له سرعة مع سهولة وانما قال كأنما لانه ليس منحدرا على الحقيقة وانما هو كالمنحدر في السرعة والسهولة (واذا التفت التفت جميعا) أي اذا أراد أن ينظر لما خلفه أو في جانبه لا يلوي عنقه بل يصرف جميع بدنه فيقبل جميعا ويدبر جميعا من غير مسارقة نظر فانه خفة وطيش (خافض الطرف) مصدر بمعنى تحريك الجفن ثم صار بمعنى الخفض ضد الرفع والطرف العين وفسر هذا بقوله (نظره في الارض أطول من نظره في السماء) يعني ان نظره لجانب السفل أكثر من نظره في جانب العلو لخشوعه وحيائه ووقاره وليس هذا مخصوصا بالصلاة والدعاء فانه مكروه فيهما ولا ينافي هذا قوله قد نرى تقلب وجهك في السماء لان هذا باعتبار الاغلب كما يشعر به لفظ قد (جل نظره الملاحظة) جل بضم الجيم بمعنى المعظم والاكثر والملاحظة النظر باللحظ وهو طرف العين مما يلي الصدغ ومما يلي الانف موق وماق أي ينظر بطرف عينه تادبا وحياء (يسوق أصحابه) أي يمشي خلفهم وفي ساقتهم ولا يدع أحدا يمشي خلفه كما هو عادة المتكبرين وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يقول خلوا ظهري للملائكة وفي قوله يسوق اشارة الى انه هو المحرك لهم فما قيل من انه لا يتقدم الصغار الكبار الا اذا سار واليلا أو خاضوا سيلا ليس على وفق السنة (ويبدأ من لقيه بالسلام) لانه من السنة أن يسلم

عليه السيوطى فى جامعه الصغير واما باسناد المصنف على وفق ما فى الشمائل للترمذى فقد قال الحسن بن على لخاله هند لما وصل الى هذا المحل وقد حصل له الحظ الاكمل من بعض فعله الاجل (قلت صف لى منطقه) أى كيفية آداب نطقه وبيان اخبار صدقه (قال) أى هند (كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم متواصل الاحزان) أى وهو مما يوجب تكليل اللسان وتقليل البيان (دائم الفكرة) أى فى أمر الآخرة (ليست له راحة) لانه فى دار محنة وهذا كله مما يقتضى قوله (ولا يتكلم فى غير حاجة) وكونه (طويل السكوت) ثم ليس المراد بحزنه لما يفوته مطلوب عاجل ولا بتوقع مكروه آجل فان ذلك منهى عنه لقوله سبحانه وتعالى لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم ولما ورد من دعائه عليه الصلاة والسلام اللهم انى أعوذ بك من الهم والحزن وانما المراد به التيقظ والاهتمام لما يستقبله من الامور العظام كما أشار اليه قوله تعالى حكاية عن أهل الجنة حال وصولهم الى غاية المنن الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور واما ما نقله الحلبى عن ابن امام الجوزية من ان حديث هند بن أبى هالة فى صفته عليه الصلاة والسلام انه كان متواصل الاحزان لا يثبت وفى اسناده من لا يعرف وكيف يكون وقد صانه الله تعالى عن الحزن على الدنيا وأسبابها ونهاه عن الحزن على الكفار وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فمن أين يأتيه الحزن فمدفوع بما نقله الحلبى أيضا عن شيخ الاسلام أبى العباس بن تيمية فى حديث هند بن أبى هالة انه عليه الصلاة والسلام كان كثير الصمت دائم الفكر متواصل الاحزان ما لفظه فالصمت والفكر للسان والقلب واما الحزن فليس المراد به الالم على فوت مطلوب أو حصول مكروه فان ذلك لم يكن من حاله انتهى وهذا تقرير لثبوت الحديث فى المبنى واحتياج تأويله فى المعنى ثم هذا كله من هند

الاكبر على الاصغر والسلام دعاء وتحية وهو تحية أهل الجنة كما ورد فى السنة فهو دعاء بالسلامة واسم من اسمائه تعالى وجوز ارادته هنا بمعنى ان الله معك ومطلع عليك وابتداؤه سنة لا واجب بالاجماع وفيه قول به ضعيف لا يعتد به ورده فرض كفاية لا على كل احد بعينه لان السلام معناه الامان فاذا سلم أحد ولم يجب توهم الشر فيجب دفعه كما قاله الحليمى وهذا منه صلى الله تعالى عليه وسلم تواضع ولطف مناسب لما نحن فيه من حسن الخلق قال الحسن رضى الله عنه الراوى لهذا الحديث (قلت) لخالى هند ابن أبى هالة رضى الله تعالى عنه (صف لى منطقه) مصدر ميمى أى نطقه وكلامه صلى الله تعالى عليه وسلم والنطق هو اللفظ الدال على معنى واما قول سليمان عليه الصلاة والسلام علمنا منطق الطير وقول الشاعر * لقد نطق اليوم الحمام لتطربا * فلتنزيله منزلته لفهم سليمان عليه الصلاة والسلام منه معنى ولادعاء الشعراء شوقه وطربه كما قاله الهروى (قال كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم متواصل الاحزان) هذا مشتمل على الجواب وزيادة فالجواب قوله الآتى ولا يتكلم فى غير حاجة فكأنه قال كان كلامه موجزا قليلا وقيل معناه ان كلامه لم يكن بفرح وبطر بل بحزن واسف وقال ابن قيم الجوزية قول ابن أبى هالة متواصل الى آخره لم يثبت عنه وفى سنده مجهول كيف وقد صانه الله عن الحزن وأسبابه ونهاه عنه بقوله لا تحزن وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فلا خوف عليه ولا حزن فى الدنيا والآخرة فمن أين يأتيه الحزن وقد ورد وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم بانه كان دائم البشر ضحوك السن وقد استعاذ من الهم والحزن وم ان الهم لما سيأتى والحزن على ما مضى وقال ابن تيمية فى حديث ابن أبى هالة انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان كثير الصمت دائم الفكر متواصل الاحزان ليس المراد بالحزن الالم على فوت المطلوب أو حضور مكروه فانه لم يكن من حاله صلى الله تعالى عليه وسلم وانما المراد به التيقظ لما يستقبل من الامور وهو مشترك بين العين والقلب انتهى قيل وهو لم ينه عن ذلك لانه ليس باختياره وانما نهى عن تعاطى أسبابه كما قيل

ومن سره ان لا يرى ما يسوءه * فلا يتخذ شيأ يخاف له فقدا

انتهى وقال ابن قيم الجوزية فى شرح منازل السائلين ليس الحزن من منازل السالكين وقد ورد النهى عنه فقال ولا تهنوا ولا تحزنوا وقد استعاذ منه صلى الله عليه وسلم وحزن المؤمن يسر الشيطان لانه يفتر العزم ولذا قال أهل الجنة الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن الآية وهو من المصائب واما خبر ان الله يحب كل قلب حزين فلم يثبت * أقول هذا تطويل بغير طائل وانكار ورود الحديث مردود لانه ثابت كما قاله الحافظ ابن تيمية وغيره واما كونه ليس من المقامات فمع كونه غير مسلم كما مر فلا يضر والمراد انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان على هيئة الحزين حال سكوته لكثرة افكاره فى أمور أمته وأحوالهم كما يدل عليه قوله (دائم الفكرة ليس له راحة) وكيف لا وقد قاسى صلى الله تعالى عليه وسلم فى التبليغ ما لا يوصف واما وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم بالبشر والتبسم فهو فى حال آخر وهو مخاطبته للناس والنظر فى أمورهم (ولا يتكلم فى غير حاجة) له صلى الله تعالى عليه وسلم أو لامته كما قال من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه (طويل السكوت) عما لا يجدى نفعا لكثرة أفكاره صلى الله تعالى عليه وسلم ودوام اذكاره

يدل على كماله حيث ذكر هذه المقدمة توطئة فى مقام مقاله اجمالا ثم بينه تفصيلا بقوله (يفتتح الكلام ويختمه) أى يطلب ابتداءه وانتهاءه (باشداقه) أى جوانب فمه لرحب شدقه والعرب تتمدح به (ويتكلم بجوامع الكلم) جمع جامعة أى بالكلم الجوامع لمبانى يسيرة ومعانى كثيرة وفى الحديث كان يستحب الجوامع من الدعاء أى الجامعة لمقاصد صالحة وفوائد صحيحة (فصلا) أى يتكلم حال كون كلامه كلاما بينا يعرف كل أحد هينا ومنه قوله سبحانه وتعالى انه لقول فصل أى بين الحق والباطل أو قاطع جامع مانع (لافضول فيه) أى عريا من الفائدة فيكون مملا (ولا تقصير) أى فيه عن أصل معناه وما يتعلق بمبناه من منافعه الزائدة فيكون مخلا (دمثا) بفتح مهملة وكسر ميم فمثلثة أى كان لين الخلق سهلا (ليس بالجافى) أى غليظ الطبع أو الذى يجفو أصحابه

(ولا المهين) بفتح الميم وضمها قال ابن الاثير فالضم من الاهانة أى لا يهين أحدا من الناس فتكون الميم زائدة والفتح من المهانة أى الحقارة فتكون الميم أصلية انتهى ومنه قوله تعالى حكاية عن فرعون أم أنا خير من هذا الذى هو مهين أى حقير (يعظم النعمة) أى نعمة الله (وان دقت) أى قلت وصغرت (لا يذم شيأ) من نعمه سبحانه وتعالى أو أحدا من خلقه لنزاهته عن البذاء والاذى مع قوله (لم يكن يذم) أى يعيب (ذواقا) بفتح أوله وتخفيف واوه أى مأكولا ومشروبا وأما حديث ان الله لا يحب الذواقين والذواقات فيعنى بهما سريع النكاح وسريع الطلاق (ولا يمدحه) أى لنزاهة ساحة قلبه عن الرغبة الى غير ربه (ونحو

(يفتتح الكلام ويختمه باشداقه) جمع شدق بفتح أوله وكسره وسكون داله المهملة وهو جوانب الفم وذلك لسعة فمه الدالة على فصاحته صلى الله تعالى عليه وسلم كما مر وهو مما تتمدح به العرب كما يأتى واما قوله صلى الله تعالى عليه وسلم أبغضكم الى الله المتشدقون فمعناه من يتكلف كثرة الكلام بلا احتياط فيه فسقط ما قيل انه من صفة الفم ولا مدخل له فى الجوانب (ويتكلم بجوامع الكلم) وهى الكلمات الموجزة المشتملة على الحكم النافعة السائرة مسير الامثال جمع جامعة وتطلق على القرآن (فصلا) بفتح الفاء وسكون الصاد المهملة أى كلاما فاصلا للخصومة وفارقا بين الحق والباطل (لافضول فيه) أى لا زيادة فيه على اداء المراد وهو اسم مفرد وقيل انه جمع فضل خص بما ذكر ونقل لمعنى آخر ولذا نسب اليه فقيل فضولى كما فى المغرب (ولا تقصير) فيما يريده بتقليل مخل بالفهم (دمثا) بفتح الدال المهملة وكسر الميم وبالثاء المثلثة من الدماثة وهى سهولة الخلق مستعار من الارض الدمثة وهى ذات الرمل المتلبد أى لين الخلق لطيف المعاملة (ليس بالجافى) أى ليس غليظ الطبع وهو أصل معنى الجفاء أو لم يكن يجفو أصحابه (ولا المهين) روى بضم الميم وفتحها فالاول من الاهانة والميم زائدة أى لم يكن صلى الله تعالى عليه وسلم يهين أحدا من الناس والثانى من المهانة وهى الحقارة والميم أصلية أى لم يكن صلى الله تعالى عليه وسلم حقيرا ممتذلا لاحد من الناس لشرف نفسه وعزتها وهذا وصف لذاته صلى الله تعالى عليه وسلم ويحتمل ان يكون وصفا لمنطقه (يعظم النعمة وان دقت) أى يعد كل ما أنعم الله به عليه عظيما وان لم يكن كذلك ومعنى دقت صغرت وقلت (لا يذم شيأ) أى شيأ يستحق الذم (لم يكن يذم ذواقا) بفتح الذال المعجمة وفتح الواو المخففة والف وقاف فعال مصدر صار بمعنى ما يذاق من مأكول ومشروب فما قدم له صلى الله تعالى عليه وسلم من طعامه ونحوه ان أعجبه أكل منه والا كف يده ولا يقول فيه شيأ فلا يذمه (ولا يمدحه ولا يقام لغضبه) من قام اذا ثبت أى لا يثبت له أحد أو من قام بمعنى دام أى لا يدوم أحد على تحمل غضبه ويقام بضم المثناة التحتية مبنى للمجهول وفيه دلالة على انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يغضب لله أحيانا وقد ورد ما يدل على ذلك (اذا تعرض للحق بشئ) بضم التاء الفوقية والعين وكسر الراء المهملة المشددة والضاد المعجمة أى اذا اعترض أحد للحق بما يبطله أو يقتضى خلافه وبشئ بالباء الجارة واللام وعامله اما يقام أو تعرض (حتى ينتصر له) أى للحق فيؤيده ويبطل خلافه (ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها) أى اذا آذاه أحد من الاعراب وغيرهم بما يتعلق بنفسه كالاعرابى الذى أمسكه صلى الله تعالى عليه وسلم بردائه ولببه والذى قال ان هذه قسمة غير عادلة

فيميل الى التمتع بمتاع الحياة الدنيا والتوجه الى حظ نفسه منها ليترتب عليه مدحها وذمها قيل لبعضهم ما بال عظة السلف تنفع وعظة الخلف لا تنجع فقال علماء السلف ايقاظ والناس نيام وعلماء الخلف نيام والناس موتى أو كالانعام (ولا يقام لغضبه اذا تعرض للحق) ببناء المفعول فيهما والمعنى لا يقوم أحد من الخلق لدفع غضبه اذا تعرض أحد له فى أمر به (بشئ) أى بسبب مأمور او منهى وروى لشئ باللام أى لاجل امر وحاصله انه اذا تعدى الحق لم يقم لغضبه شئ (حتى ينتصر له) أى يقوم بنصرة الحق الواجب فى حقه وهذا غاية لعدم التعرض لغضبه (ولا يغضب لنفسه) أى لحظها وبسببها (ولا ينتصر لها) أى لمجرد حقها

(اذا أشار) أى وقت خطابه فيما بين أصحابه (أشار بكفه) كلها قصدا للافهام ودفعا للابهام واستثنى منه حال ذكر التوحيد والتشهد حيث كان يشير بالمسبحة الى تحقيق المراد (واذا تعجب) أى من شئ عظيم وقعه عنده (قلبها) بتشديد اللام وتخفيفها أى قلب كفه الى السماء للايماء الى انه فعل الرب وانه ينقلب عن قرب حال ما به العجب (واذا تحدث) أى تكلم (اتصل) أى كلامه (بها) أى مقرونا بكفه واشارته اليها تأكيدا بسببها وتصحف الدلجى حيث وضع الفاء موضع التاء ثم قال أى قصد من قولهم فصل علينا أى خرج من طريق أوظهر من حجاب قاصدا بها (فضرب بابهامه اليمنى راحته اليسرى) ويروى براحته اليمنى باطن ابهامه ولعل اختلاف الرواية بناء على تعدد الحالة فى الرؤية هذا بيان كيفية اتصال كلامه بها وهذا عادة من تحدث بامر مهم وفعل ملم تأكيدا بالجمع بين تحريك اللسان وبعض الاركان على ان له وقعا فى الخطب والشان وتوجها من جانب الجنان فكانه بكليته متوجه الى حصول قضيته (واذا غضب) أى ظهر أثر غضبه على أحد (أعرض) أى عنه ليبعد منه ويسهل أمره (واشاح) بشين معجمة وحاء مهملة فى آخره أى مال وانقبض ذكره الانطاكى تبعا للمصنف والاظهر ان يقال فى اعراضه بصفح عنقه عنه ممتثلا لقوله سبحانه وتعالى فاعف عنهم واصفح (واذا فرح) أى حصل له سرور (غض طرفه) بفتح فسكون أى غمض عينيه أو خفض بصره واطرق راسه تواضعا لربه وتباعدا عن حصول شرهه واشره

ونحو ذلك ككلام بعض المنافقين كابى بن سلول رأس المنافقين وما كان يصدر منه (اذا أشار أشار بكفه كلها) أى اذا أشار لشئ خارج الصلاة أشار برفع يده واما فى الصلاة اذا أشار للتوحيد أشار باصبعه السبابة والمسبحة ليفرق بين الاشارتين وله صلى الله تعالى عليه وسلم اشارات أخر نبه عليها بقوله (واذا تعجب قلبها) أى قلب كفه وجعل باطنها نحو السماء وظاهرها للارض وتأنيث الكف لانها مؤنث سماعى وهو اشارة لانقلاب الحال عما يعتاد من غير اظهار للتعجب واستغراب لامر وهذا مما يدل على سكونه صلى الله تعالى عليه وسلم وعدم خفته وهو أمر ممدوح (واذا تحدث أفصل بها) فى شرح الدلجى بهمزة وفاء وصاد مهملة ولام والضمير للكف أى وجه كفه من فصل علينا اذا خرج من طريق أوظهر من حجاب قاصدا بها أى بكفه ولم يبينه غيره ووقع فى بعض النسخ تصل بها أى بمثناة فوقية بدل الفاء وفى حاشية التلمسانى وللحديث يتصل بها أى لا زال يحركها وذلك أثبت لانه قول وفعل انتهى وهذا يدل على ان اتصل بها رواية ففى العبارة ثلاثة وجوه افصل واتصل ويتصل والمعنى انه صلى الله تعالى عليه وسلم فصل حديثه باشارته بيده لجهة من يخاطبه كعادة من يهتم بكلامه فى أمر مهم * أقول هذا كلام مع غموضه غير محرر مع ما فيه اما ما ذكره الدلجى من انه افصل بهمزة وفاء فتحريف لانه لم يسمع فى هذه المادة مزيد بزنة أكرم فالصواب فصل أو اتصل ومعناه انه صلى الله عليه وسلم فصل كلامه باشارته أو وصل احدى يديه بالاخرى ثم رأيته فى كتاب النعمة فى الصلاة والسلام على شفيع الامة ذكر هذا الحديث وانه اتصل افتعال من الوصل وهو الصحيح وذكر انه صلى الله عليه وسلم كانت له اشارات مختلفة فيشير بالمسبحة للتوحيد ويجمع كفه لغيره فرقا بينهما وانه كان اذا حدث وصل حديثه بالاشارة بيده توكيدا له والظاهر ان الفاء الآتية فى قوله (فضرب) تفصيلية كقوله تعالى ونادى نوح ربه فقال رب الى آخره ولم يبينوا معناه والظاهر ان المعنى انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يشير بجميع كفه اذا كان مع أصحابه على وجه متعارف كالاشارة للذهاب والجلوس ونحوه فاذا تحدث وضع ابهامه على راحته وقت حديثه لتثبيت حديثه أو انتهائه فاعرفه وقوله (بابهامه اليمنى راحته اليسرى) كذا فى أكثر الروايات وفى بعضها فضرب براحته اليمنى باطن ابهامه اليسرى والابهام معروف يذكر ويؤنث وجمعه أباهيم وأباهم قالوا وهذا عادتهم اذا تحدثوا (واذا غضب أعرض) عمن غضب عليه من غير لوم له لشدة حلمه صلى الله تعالى عليه وسلم (واشاح) بشين معجمة وحاء مهملة بينهما ألف قيل معناه صرف وجهه فهو تأكيد لما قبله وقيل معناه قبض وجهه وزواه من غير لوم وعقاب وهذا من حلمه صلى الله تعالى عليه وسلم فلا يقال كيف أدرج هذا فى صفات المدح فاجاب بان الغرض بيان صفاته صلى الله تعالى عليه وسلم للسائل لان المقام يأباه وسيأتى من المصنف تفسيره بما يقارب هذا وقيل ان فى النهاية ان المشيح الحذر أو الجاد فى الامر أو المقبل عليك المانع لما وراء ظهره وفى حديث سطيح اقبل على جمل مشيح أى جاد مسرع فيجوز ان يريد احد هذه المعانى أى حذر من موجب غضبه أو حذر فى الامر ليشعر باعراضه عن موجب غضبه أو أقبل عليه ليمنع من وراءه من ضرر المغضوب عليه ولا يخفى انه تكلف مخالف لما اختاره المصنف مما هو أظهر هنا (واذا فرح) لرؤية ما يسره أو سماعه (غض طرفه)

(جل ضحكه التبسم) أي معظم أنواع ضحكه التبسم وهو ما لا صوت فيه مطلقا وقد روي ان يحيي اذا لقي عيسى عليهما السلام يلقاه عيسى متبسما ويلقاه حزينا شبيها باكيا فقال يحيي لعيسى أراك تتبسم كأنك أمن وقال عيسى ليحيي أراك تحزن وتبكي كأنك آيس فاوحى الله اليهما أحبكما الى أكثركما تبسما ولعل يحيي كان غلب عليه القبض والخوف لكونه مظهر الجلال وعيسى غلب عليه البسط والرجاء لانه مظهر الجمال والكمال وهو كون الجلال ممزوجا بغلبة الجمال لقوله الانسي في الحديث القدسي سبقت رحمتي غضبي وفي رواية غلبت (ويفتر) بتشديد راء أي يبدي أسنانه ضاحكا (عن مثل حب الغمام) أي البرد النازل من السحاب حال البرد (قال الحسن) أي ابن علي (فكتمتها) أي أخفيت هذه الحلية أو هذه الرواية (عن الحسين بن علي زمانا) أي اختبارا وامتحانا (ثم حدثته) أي أي أخبرته بهذا الحديث أي ليتبين اطلاعه عليه (فوجدته قد سبقني اليه) أي مع زيادة فضيلة وجدت لديه كما بينه بقوله (فسال اباه عن مدخل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومخرجه) بفتح العين فيهما (ومجلسه) بكسر اللام أي عن كيفية دخوله وخروجه وجلوسه أو عن أحوال مجلسه وهو مكان جلوسه وهو بكسر اللام سواء كان مصدرا أو مكانا وقال الحلبي هو بفتح اللام أي هيئة جلوسه وهو خطا فاحش لان الجلسة بكسر الجيم هو الموضوع للنوع والهيئة (وشكله) بفتح أوله وجوز كسره وهو يحتمل صورته وسيرته لكن الثاني هو المراد هنا التقدم ما تعلق بالاول ولقوله فيما سياتي فسالته عن سيرته (فلم يدع منه شيا) أي فلم يترك الحسن شيأ من متعلقات جميع ما ذكر الا وقد ساله وحققه وهذا من كمال انصاف الحسن وجمال خلقه المستحسن ثم هذا بطريق الاجمال واما بطريق التفصيل فكما بينه (قال الحسين سالت أبي) أي عليا كرم الله وجهه (عن دخول رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي زمان دخوله وكيفية وصوله وهذا من قبيل رواية الاكابر عن الاصاغر أو من رواية الاقران فان ما بينهما تفاوت قليل من الزمان (فقال) أي علي (كان دخوله) أي في بيته (لنفسه) أي لحقه خاصة ولاهل بيته عامة حال كونه (ماذوناله) أي من عند ربه (في ذلك) أي فله الاجر الجزيل والثناء الجميل لما هنالك وقيل كان ماذوناله ان يدخل حيث شاء من بيوته لانه سبحانه وتعالى لم يوجب قسما عليه في زوجاته وقيل معناه انه لا يدخل بغير استئذان

أي أرخاه وأطرق تباعدا من الاشر والمرح (جل ضحكه التبسم) أي أكثره وقد تقدم بيانه وقد يضحك صلى الله تعالى عليه وسلم احيانا حتى تبدو نواجذه والتبسم مبادي الضحك (ويفتر) بفتح الياء وسكون الفاء وفتح التاء الفوقية وتشديد الراء المهملة من قولهم افتر ضاحكا اذا ابدى أسنانه قال

يفتر عن لؤلؤ رطب وعن برد ✻ وعن اقاح وعن طلع وعن حبب

وهو من فررت الدابة اذا كشفت فها لتعرف سنها من سنها وذلك هو الفرار بالضم (عن مثل حب الغمام) متعلق بيفتر والغمام السحاب واحده غمامة كسحابة وحبه هو البرد المعروف لاقطر المطر كما توهم فانه مع عدم مناسبته لا يسمى حبا لان الحب الجامد دون السائل وتشبيه أسنانه صلى الله تعالى عليه وسلم به لصفائه ولمعانه ورطوبته دون جريه حتى يقال انه لنوع منه وهو مشهور في كلامهم كما مر (قال الحسن) بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهما (فكتمتها) أي أخفيت صفاته صلى الله تعالى عليه وسلم التي سمعتها من ابن أبي هالة (الحسين) مفعول ثان لكتم وفي نسخة عن الحسين بن علي (زمانا) مدة من الزمان (ثم حدثته) بما سمعته من صفته صلى الله تعالى عليه وسلم (فوجدته قد سبقني اليه) أي الى الحديث المعلوم من قوله حدثته أي حفظه قبلي الا انه رواه عن أبيه علي رضي الله تعالى عنهما (فسأل أباه عن مدخل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومخرجه ومجلسه) وفي نسخة وملبسه بدل مجلسه فان كانت الثلاثة مصادر ميمية فظاهر والا بان كان اسم زمان أو مكان فالمراد سألته عن حاله في مخرجه ومدخله والمراد خروجه صلى الله تعالى عليه وسلم للناس ودخول بيته وجلوسه عندهم كما سيأتي وقيل المراد بمجلسه بكسر اللام هيئة جلوسه وان ماذكر استقراء لجميع أحواله يعني الحسن انه سمع هذه الصفات من ابن أبي هالة خاله ولم يخبر أخاه بما سمعه منه والحسين لم يسمعها من خاله فلما حدثه بها وجد عنده علما منها من طريق وهي روايته لها عن أمير المؤمنين أبيه مع زيادة وانما كتم ذلك عنه مع النهي عن كتمان العلم عن أهله لانه لم يساله ولم ينحصر علمه فيها ولو كان كذلك دخل في حديث من كتم علما ألجمه الله بلجام من نار أو انه كتم عنه كلام أبي هالة الوصاف البليغ دون معناه لعلم أهل البيت بذلك فان النعت والحديث لهم (وشكله) بفتح أوله أي هيئته في ذلك الحال وبكسره بمعنى الهدي والسمت قاله التلمساني (فلم يدع من ذلك شيأ) أي لم يترك شيأ من أحواله الا بينه لي (قال الحسين سالت أبي رضي الله تعالى عنه عن دخول رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال كان دخوله لنفسه) أي دخوله منزله ليجتمع باهله لمصالحه وقضاء مآربه وقيلولته (ماذوناله في ذلك) من الله اذنا عاما

(فكان اذا أوى) بالقصر هو الاولى ومنه المأوى أى وصل الى منزله واستقر فى محله (جزأ) بتشديد الزاى فهمز أى قسم (دخوله) أى زمنه (ثلاثة اجزاء) أى أقسام (جزأ لله تعالى) بالنصب يعبده فى النوافل كالاشراق والضحى ونحوهما من الامور الكوامل (وجزأ لاهله) أى يدبر أمرهم وحالهم ويصلح شانهم وما لهم فيما لهم (وجزأ لنفسه) أى لاستراحتها كالقيلولة ونحوها ولورود وفود وضرورة قضية الحاجات بعض الناس الى الدخول عليه والمشورة بين يديه وعرض أحوال الجهاد واعمال العباد وامثال ذلك عليه وهذا معنى قوله (ثم جزأ جزءه بينه وبين الناس) أى من خواص أصحابه وزمرة أحبابه (فيرد) أى فى بعض زمن نفسه ذلك أى نفسه لما هنالك (على العامة) أى الذين لم يقدروا عليه فى تلك الحالة (بالخاصة) أى بواسطتهم وحصول رابطتهم وقد قال ابن الاثير أراد ان العامة كانت لا تصل اليه فى هذا الوقت فكانت الخاصة تخبرهم بما سمعوا منه فكانه أوصل الفوائد الى الخاصة بالعامة وقيل ان الباء بمعنى عن أى يجعل وقت العامة بعد الخاصة فيكونون بدلا منهم (ولا يدخر) أى لا يخفى من العلم أو المال (عنهم شيأ) أى مما ينفعهم وأصل يدخر بالذال المهملة المشددة يذتخر بالمعجمة قلبت التاء دالا مهملة لاتحادهما مخرجا فصار يذدخر بمعجمة فمهملة ثم ادغم بالمهملة بعد قلب المعجمة بها وهذا نطق الاكثر ومنه قوله تعالى وادكر (فكان) كذا فى النسخ وكان الظاهر بالواو (عن سيرته) أى من حسن طريقته (فى جزاء الامة) أى أمة الاجابة لشريعته (ايثار أهل الفضل) أى اختيارهم لاعتبارهم (باذنه) أى بامره اكرامالهم ونفعا لمن تبعهم أو بامر أهل الفضل ومنه حديث الشراب فى الغلام وهو ابن عباس رضى الله تعالى عنهما مع الاشياخ أبى بكر وعمر فاستاذن فاذنوا له (وقسمه) بفتح القاف أى قسمته كما فى نسخة صحيحة وهو مصدر مضاف اما الى الفاعل أو المفعول أى قسمة الجزء أو قسمة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اياه (على قدر فضلهم) أى الافضل فالافضل (فى الدين) أى بالعلم والعمل المتعلق به المسمى بالتقوى لقوله تعالى ان أكرمكم عند الله أتقاكم لا بمجرد النسب ومقتضى الحسب أو كثرة الذهب ثم هم مع تفاوتهم فى مراتب الفضيلة متفاوتون فى مقدار استحقاقهم بحسب الحاجة كما يشير اليه قوله

عاما بحيث يدخل أى بيت من بيوته فى أى وقت من غير استئذان من زوجاته رضى الله تعالى عنهن لانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان لا يجب عليه القسم وقيل المراد دخوله بيوت أصحابه رضى الله تعالى عنهم وهو بعيد لقوله (فكان اذا أوى) الاصح قصره ويجوز مده (الى منزله جزأ دخوله) أى قسم زمن دخوله لبيته (ثلاثة اجزاء جزأ لله) أى لعبادته والتفكر فى ملكوته (وجزأ لاهله) يدبر فيه أمورهم ويصلحها ويتلطف بهم (وجزأ لنفسه) من مأكل ومشرب وراحة وغيره مما يليق به لقوله (ثم جزأ جزءه بينه وبين الناس) أى قسم الزمن الذى جعله لنفسه فجعل قسما منه مخصوصا بذاته واحواله فى نفسه وجزأ آخر للناس وسائر الامة وهو فى منزله ولا يلاقيه فيه الا أهله أو خواص أصحابه الذين يؤذن لهم فى الدخول عليه وغيرهم لا يصل اليه ثمة فلذا قال (فيرد ذلك على العامة بالخاصة) يرد بمعنى يوصل ويعطى كانه لما كان لهم حق فى الجملة أخذ منهم ثم رد اليهم وقيل معناه يستعين لانه ورد انه صلى الله عليه وسلم كان يستعين بالخاصة على العامة وهو بيان لمحصل المعنى وذلك اشارة لما فهم من السياق وهو جزء الناس والعامة من عدا الخاصة التى عرفتها فكانت الخاصة تخبر العامة بما سمعته صلى الله تعالى عليه وسلم اذا لم يكن مما ينبغى كتمه عنهم والباء فى بالخاصة للسببية وكونها للبدل كقوله

* فليت لى بهم قوما اذا ركبوا * بعيد لانه ليس المراد انه يجعل وقت العامة بعد الخاصة وبدلا منه وعلى على ظاهرها وقيل بمعنى الى وروى بدل يرد يبذل بالمعجمة والمهملة مع ضم الياء المثناة التحتية وفتحها فيهما (ولا يدخر عنهم شيأ) أى عن المذكورين من العامة والخاصة وقيل عن الداخلين عليه صلى الله تعالى عليه وسلم والمآل واحد ويدخر بدال مهملة مشددة وأصله يذتخر بذال معجمة وتاء افتعال من الذخر قلبت تاؤه وذاله دالا وفعل به ما علم من كتب الصرف وكذا أمثاله من ادكر ويجوز يذخر بذال معجمة مشددة وخاء (فكان من سيرته فى جزء الامة) وهو الجزء الذى جعله للناس وافرزه مما كان لنفسه أى كان دأبه صلى الله عليه وسلم وعادته فى هذا الجزء (ايثار أهل الفضل باذنه) الايثار تقديم ما يؤثره على غيره والمراد باذنه انه يأذن لهم فى الدخول فى خلوته فى بيته كما مر وما قيل من ان المراد باهل الفضل أغنياء الصحابة رضى الله تعالى عنهم والفضل زيادة مالهم على حاجتهم والمعنى انه صلى الله تعالى عليه وسلم يأذن لهم أن يؤثروا بصدقاتهم أقرباءهم كما وقع لابى طلحة رضى الله تعالى عنه فى بئر حاء تكلف أوقعه فيه قوله (وقسمه على قدر فضلهم فى الدين) فتوهم ان المراد تقسيم المال والعطاء وليس كذلك وانما معناه قسمة جزئه فى حديثه معهم واشتغاله باحوالهم وقوله فى الدين لان أكرمهم عند الله أتقاهم فتفاوتهم عنده بذلك لا بالنسب والمال وفى بعض النسخ وقسمه بدون تاء ثم بين سبب

(منهم ذو الحاجة ومنهم ذو الحاجتين ومنهم ذو الحوائج) أي ثلاثا فاكثر وهو جمع حاجة من غير قياس وقيل جمع حائجة (فيتشاغل بهم) أي على حسب منافعهم (ويشغلهم) بفتح الياء والغين لا بضم أوله وكسر ثالثه فانه لغة رديئة (فيما أصلحهم) أي ذلك الوقت وفي نسخة يصلحهم ولعله من قبيل حكاية الحال الماضية (والامة) بالنصب عطفا على الضمير فالتقدير ويصلح عامة الامة (من مسئلته) وروى من مسئلتهم (عنهم) أي من أجل سؤاله عن أحوالهم وتفقده لاعمالهم وجعل الدلجي من بيانا لما وهو غير صحيح في المعنى لانه لو أريد هذا المعنى لقال من مسألتهم عنه كما لا يخفى (واخبارهم) أي ومن أجل اخباره اياهم (بالذي ينبغي لهم) أي يصلح لهم خاصة أو للعامة كافة (ويقول) أي في جميع المراتب (ليبلغ بالتشديد) والتخفيف (الشاهد) أي ليوصل الحاضر (منكم الغائب) أي الموجود أو من سيوجد في عالم الوجود ما سمعه مني ولو بالمعنى خلافا لبعضهم من الصحابة كالصديق ومن التابعين كابن سيرين وأبي حنيفة وبعض علماء الامة وقيل المراد بالشاهد الصحابي الاكبر والغائب الاصغر أو الشاهد الصحابي والغائب التابعي أو الشاهد العالم والغائب الجاهل ومنه قول القائل شعر

أخو العلم حي خالد بعد موته
وأوصاله تحت التراب رميم
وذو الجهل ميت وهو ماش على الثرى
يعد من الاحياء وهو عديم

أو الشاهد الحضري والغائب البدوي أو الشاهد السامع والغائب من لم يسمع أو الشاهد الذكور والغائب الاناث أو الشاهد المسلم والغائب الكافر وروى الشاهد الغائب بدون منكم (وقال) (وأبلغوني) أي أوصلوا الي (حاجة من لا يستطيع ابلاغي) حاجته وروى ابلاغ حاجته (فانه) أي الشان (من أبلغ سلطانا) أي نبيا أو خليفة أو قاضيا أو حاكما أو أميرا أو وزيرا ولو سلطانا جائرا (حاجة من لا يستطيع ابلاغها) أي بنفسه الا بكلفة ومشقة (ثبت الله قدميه) أي على الصراط أو في الموقف (يوم القيامة) لما قام بحق الاخوة وثبت في مقام الرحمة والشفقة (لا يذكر عنده) بصيغة المجهول (الا ذلك) أي الذي ينشأ عنه نفعهم ويترتب عليه رفعهم (ولا يقبل) أي هو (من أحد غيره) أي غير ما فيه منفعة هنالك ولا يبعد ان يقرأ ولا يقبل بصيغة المفعول فتامل

تفاوتهم بقوله (منهم ذو الحاجة) الواحدة (ومنهم ذو الحاجتين ومنهم ذو الحوائج) الثلاث فاكثر (فيتشاغل بهم) أي بقضاء حوائجهم وارشادهم لما يصلح معاشهم ومعادهم (ويشغلهم) بفتح الياء المثناة التحتية مضارع شغل واما أشغل فلغة رديئة كما مر أي يجعلهم صلى الله عليه وسلم مشغولين بما أمرهم به (فيما أصلحهم) وفي نسخة يصلحهم أي ما فيه صلاحهم (والامة) بالنصب أي وأصلح الامة لتبليغه لهم ما يليق بهم بعد معرفته عليه السلام بحالهم (من مسئلته عنهم) وهو بيان لما أي سؤاله عن أحوالهم وروى مسالتهم أي الخاصة ذوي الفضل (واخبارهم) أي اخبار ذوي الفضل (بالذي ينبغي لهم) أي يليق ويناسب حال المسؤل عنهم من الامة وهو مطاوع بغى بمعنى طلب قال الراغب اذا قيل ينبغي أن يكون كذا فهو على وجهين * احدهما ما يكون مسخر الفعل نحو النار ينبغي ان تحرق * الثاني الاستيهال نحو فلان ينبغي ان يعطى لكرمه قال الله تعالى وما علمناه الشعر وما ينبغي له ويقول صلى الله تعالى عليه وسلم لمن حضر عنده (ليبلغ الشاهد) أمر وهو للوجوب في الامور الشرعية وهو بتخفيف اللام بقرينة ذكر الابلاغ بعده ويجوز تشديدها والاول أصح هنا والشاهد الحاضر عنده لمقابلته بقوله (الغائب) وهو من لم يكن حاضرا أو موجودا فهو من كبار الصحابة والغائب من صغارهم أوهم الصحابة والتابعون قيل ويحتمل أن يراد العالم والجاهل وأهل الحضر والبادية والسامع ومن لم يسمع والمسلم والكافر وهذه احتمالات عقلية أوهي تاويلات وتعميم لمفهومه فتامل (وابلغوني حاجة من لا يستطيع ابلاغي) أي حاجته وروى ابلاغ حاجته وهو تعميم بعد تخصيص للترغيب والحث وبيان لسبب الامر (فانه) أي الامر والشان (من أبلغ سلطانا حاجة من لا يستطيع ابلاغها) قيل يريد ان من أبلغ سلطانا حاجة جوزي بهذا الجزاء العظيم فكيف بمن بلغ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والا فهو أجل من أن يكون ملكا أو سلطانا وقد قال كما تقدم لست بملك قلت فيه نظر وقد يقال المراد بالسلطان هنا الامام الاعظم خليفة الله وقد أطلق الفقهاء ذلك عليه كما بيناه في حكمه بالسلطنة والفتيا والقضاء المذكور في القواعد للسبكي كما سياتي وهذا الحديث مستقل رواه الاصبهاني وفي بعض ألفاظه اختلاف (ثبت الله قدميه يوم القيامة) على الصراط يوم تزل الاقدام كما ورد مصرحا به في رواية لابن أبي الدنيا وذلك لانه مشى بقدميه وسعى لحاجة أخيه فهو جزاء من جنس العمل وهو كناية عن نجاته من أهوال الموقف (ولا يذكر عنده) أي لا يذكر في مجلسه صلى الله تعالى عليه وسلم (الا ذلك) الاشارة لجميع ما تقدم من ذكر مصالحهم وسؤاله عن الامة والامر بالتبليغ والحث عليه والترغيب فيه (ولا يقبل من احد) بالبناء للفاعل والمفعول (غيره) أي لا يرضى كلاما غير ما يكون من هذا القبيل

(وقال) أي علي (في حديث سفيان بن وكيع) أي برواية خاصة (يدخلون روادا) بضم فتشديد أي حال كونهم طالبين منه العلم وملتمسين منه الحكم وروى بكسر أوله مخففا على انه مصدر أي يتحينون وقت الوصول اليه وروى لواذا باللام والذال المعجمة أي ملتجئين اليه ومتحصنين ممتنعين به أومتقربين لما عنده (ولا يتفرقون) أي لا يفترقون بعد دخولهم (الاعن ذواق) بفتح أوله أي عن علم وحكم وحلم يكتسبونها منه أوعن مذوق من ما كول أومشروب يحضر عنده واقتصر أهل الذوق على الاول فتامل وان كان الجمع ان تصور أوتيسر فهو الاكمل بالنسبة الى الكمل (ويخرجون أدلة) جمع دليل أي هداة ١٨١ (يعني فقهاء) أي علماء بالكتاب

(وقال) أي علي رضي الله تعالى عنه في رواية (في حديث سفيان بن وكيع) بن الجراح أبو محمد الكوفي وهو امام حافظ روى عنه الترمذي والدارقطني وغيرهما توفي في سنة سبع وأربعين ومائتين ووالده امام جليل حافظ رحمه الله تعالى (يدخلون) أي أصحابه رضي الله تعالى عنهم (روادا) بضم الراء المهملة وتشديد الواو وألف ودال مهملة جمع رائد وأصله من يتقدم القوم المسافرين ليختار لهم منزلا فيه الماء والكلأ فاستعير هنا للطالبين المحتاجين لحاجتهم ومايرشدهم وقيل يتحينون وقت الوصول اليه وقال التلمساني ان رواد بكسر الراء وتخفيف الواو مصدر رود يرود وروى لواذا بلام وذال معجمة أي ملتجئين لائذين به (ولا يتفرقون) من مجلسه صلى الله تعالى عليه وسلم (الاعن ذواق) بفتح الذال المعجمة والواو المخففة وألف وقاف فعال من الذوق بمعنى المذوق وهو الما كول فاستعير للعلم الذي يتعلمونه ويحتمل ان يريد حقيقته لانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان عادته ان يطعم شيأ لمن يدخل بيته وعلى هذا جرت عادة السلف الصالحين وحقيقة الذوق كما قاله الراغب وجود الطعم بالفم وأصله فيما يقل تناوله وفيه تفصيل ذكرناه في كتابنا طراز المجالس أي لا يتفرقون الا عن علم وأدب هو غذاء لارواحهم وسبب لبقائهم (ويخرجون) من عنده صلى الله تعالى عليه وسلم (ادلة يعني فقهاء) عالمين بامور الدين أي هداة مرشدين للناس ويهتدى بهم غيرهم فادلة جمع دليل بمعنى هادي أوبمعناه المشهور كما يقال فلان حجة الاسلام والصحابة رضي الله تعالى عنهم كلهم مجتهدون خلافا لبعض الحنفية كما في تحرير ابن الهمام (قلت) قائله الحسين لابيه رضي الله تعالى عنهما (فاخبرني عن مخرجه) أي عن حاله صلى الله تعالى عليه وسلم بعد خروجه من منزله (كيف كان يصنع فيه) بعد خروجه من منزله (قال كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) من وضع الظاهر موضع الضمير للاهتمام والتلذذ والتبرك بذكره (يخزن لسانه) بالخاء وضم الزاي المعجمتين والنون أي يصونه ومنه الخزانة لانه لا يحب كثرة الكلام قال اذا المرء لم يخزن عليه لسانه * فليس على شئ سواه بخزان

ولما فيه من المنع عداه بمن فقال (الا بما يعنيهم) وفي نسخة الا فيما وبعني بفتح المثناة التحتية أي يهمهم وينفعهم من جواهر كلمه وزواجر حكمه (ويؤلفهم ولا يفرقهم) أي يجعلهم مؤتلفين به غير متفرقين عنه لمداراتهم ولطفه بهم كما قال الله تعالى ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك أو يجعل الله بينهم الفة لحثهم على التحاب والمواخاة بينهم (يكرم كريم كل قوم) كما قال اكرموا عزيز كل قوم لمعرفته صلى الله عليه وسلم بمقادير الناس (ويوليه عليهم) أي يجعله حاكما عليهم فلا يولي أحدا من أصحابه غيرهم ولا غيرهم عليهم ولا يولي صغارهم عليهم رعاية لاهلية ذوي الولايات وتجنبا الاعلاء الاسافل ترغيبا في الاسلام (ويحذر الناس ويحترس منهم) لان من الحزم سوء الظن وعدم الوثوق بكل

والسنة قال التلمساني هذا القول لابن شاذان على مانقله بعض الشيوخ وروى بذال معجمة أي متواضعين أومنقادين (قلت) القائل هو الحسين بالتصغير لابيه رضي الله تعالى عنهما (فاخبرني عن مخرجه) كيف كان يصنع فيه لاتتبع في جميع أفعاله من دخوله وخروجه وسائر أحواله (قال) أي علي (كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يخزن لسانه) بضم زاي أي يجعله مخزونا ومحبوسا وممنوعا (الا فيما يعنيهم) بكسر النون أي يهمهم وينفعهم وفي نسخة من الاعانة أي يساعدهم ويقوى دينهم من جواهر لفظه وزواجر وعظه ومنه شعر

اذا المرء لم يخزن عليه لسانه

فليس على شئ سواه بخازن

(ويؤلفهم) بتشديد اللام أي يوقع الالفة بينهم من سحائب كرمه وسوا كب نعمه فيجمعهم (ولا يفرقهم) بتشديد الراء أي لا يتكلم بما ينفرهم لانه برحمة من الله لان لهم (يكرم) من الاكرام أو يعظم (كريم كل قوم) أي رئيسهم وشيخهم ويقول أيضا اذا أتاكم كريم قوم فاكرموه كما رواه ابن ماجه وغيره (ويوليه) بتشديد اللام أي يجعله واليا (عليهم) أي تالفا به وبهم (ويحذر الناس) أي لقوله تعالى واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك ثم عطف بالتفسير قوله (ويحترس منهم) أي يتحفظ عنهم ففي الحديث الحزم سوء الظن وفي لفظ احترسوا من الناس بسوء الظن والمعنى لا تثقوا بكل أحد منكم فانه أسلم لكم فهو لا ينافي قوله تعالى ان بعض الظن اثم أوفيحذر من الغائب ويحترس من الحاضر والمراد من الناس جنسهم كالاعراب لا جميعهم في هذا الباب

(من غيران يطوى) بكسر الواو أي يمنع (عن أحد) وفي نسخة على أحد (بشره) بكسر الموحدة أي بشاشة بشرة وجهه وطلاقته (وخلقه) أي حسن عشرته وطراوته وهذا في حق من حضر منهم في خدمته اذا وجدوا (ويتفقد أصحابه) أي يتعرف أحوالهم اذا غابوا وفقدوا (ويسأل الناس عما في الناس) أي عما يوجب التفقد والتفحص للاستئناس (ويحسن الحسن) بتشديد السين وتخفف أي يبين حسن ما يكون حسنا ويجعله مستحسنا (ويصوبه) بتشديد الواو أي يحكم بكونه صوابا ترغيبا فيه وتحريضا عليه وروى ويقويه (ويقبح القبيح ويوهنه) بتشديد الياء والهاء مشددة أو مخففة بعدها نون أو ياء أي

يظهر قبحه وضعفه تنفيرا عنه وتحذيرا منه (معتدل الامر) أي كان أمره وشأنه كله في غاية من الاعتدال ونهاية من كمال الجمال مما للقلب فيه راحة وللعين قرة (غير مختلف) حال مؤكدة أي غير مفرط ولا مفرط أو غير متناقض ولا متعارض (لا يغفل) بضم الفاء أي لا يظهر الغفلة بالمرة لارباب الصحبة (مخافة ان يغفلوا أو يملوا) بفتح ميم وتشديد لام أي يساموا واو للتنويع (لكل حال) أي من أحوال الدنيا والعقبى (عنده عتاد) بفتح مهملة ومثناة فوقية أي عدة زاد ومعد معاد (لا يقصر عن الحق) أي لا يفرط في اقامته (ولا يجاوزه الى غيره) أي ولا يتعدى عن غاية مرتبته (الذين يلونه) أي يقربونه (من الناس خيارهم) مبتدأ وخبر (وأفضلهم عنده أعمهم أساه نصيحة) أي لله وكتابه ورسوله وأئمة المسلمين وعامتهم كافة وقد ورد خير الناس أنفعهم للناس والنصيحة الخلوص لغة وهي كلمة جامعة يعبر بها عن جملة ارادة الخير للمنصوح بها خالصة (وأعظمهم عنده منزلة أحسنهم مواساة) أي مشاركة في الرزق والمعيشة قلبت همزتها واوا بدليل حديث ما أحد عندي أعظم يدا من أبي بكر آساني بنفسه وماله وآساه بالهمز أعلى من اساه وقيل لا تكون المواساة الا من كفاف

أحد وقال عمر رضي الله تعالى عنه احتجزوا بسوء الظن وهو من بديع حكمه وليس المراد بالناس جميعهم بل عوامهم بخلاف خواصهم والاحتراز والاحتراس والحذر متقاربة وقيل الاحتراس التحفظ والاحتراز التعوذ والحذر الخوف (من غير ان يطوى) أي يخفي ويمنع استعارة من طي الثياب (عن أحد بشره) أي طلاقة وجهه وانبساطه معه تأنيسا له وتأليفا لقلبه واذهابا لخوف مهابته (وخلقه) أي حسن خلقه ولم يذكر الحسن اشارة الى انه مجبول على الحسن فيه (ويتفقد أصحابه) أي يسأل عمن لم يحضر عنده وفقد من مجلسه وقد يذهب صلى الله تعالى عليه وسلم لمنزله اذا طالت غيبته وتطلبه (ويسأل الناس عما في الناس) من أحوالهم وأمورهم ليعلم أمرهم فيتدارك ما ينبغي تداركه وينصح من يلزم نصحه وليس هذا من التجسس أو الغيبة المنهي عنه بل من سؤال الطبيب ليشفي المريض فاذا أخبروه بحال حسن حمد الله على ذلك (يحسن الحسن ويصوبه) أي يبين حسنه وكونه صوابا ويمدح فاعله ترغيبا له فيه (ويقبح القبيح ويوهنه) بضم أولهما وتشديد ثانيهما والنون أو الياء التحتية من الوهي بمعنى الوهن وهو الضعف أي يقول هو فعل قبيح وضعيف ساقط تنفيرا وتحذيرا ونصحا نافعا والمراد الحسن والقبيح عادة أو شرعا وفيه صنعة الطباق (معتدل الامر) أي أموره صلى الله تعالى عليه وسلم كلها معتدلة فلا يبالغ في تحسين وتقبيح غيره (غير مختلف) أي على سنن واحد في جميع أوقاته (لا يغفل) عن شيء من أحوال الناس (مخافة ان يغفلوا) عما يصلحهم وهو بضم الفاء فيهما (أو يملوا) أي يحصل لهم فتور وكسل عن صالح أمرهم اذا لم ينبههم عليه ولو أرجع هذا لقوله معتدل الامر لم يبعد ويجمع هذا قوله تعالى ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة (لكل حال) من أحوال الناس (عنده عتاد) بعين مهملة مفتوحة ومثناة فوقية ودال مهملة وهو كالعتيد العدة والحاضر المعد لاصلاحه وتداركه اذا وقع فهو متخلق بقوله رقيب عتيد وقيل أصل العتاد عداد لانه من العدة فابدلت داله تاء هربا من التكرار (ولا يقصر عن الحق ولا يجاوزه الى غيره) فاذا رآه عمله واذا رأى منكرا أزاله من غير تأخير (الذين يلونه من الناس) أي يقربون منه في مجلسه ونحوه (خيارهم) أي أفضلهم وأشرفهم (وأفضلهم عنده أعمهم نصيحة) أعم هنا بمعنى أكثر نصيحة أو أكثر منصوحا بان ينصح في كل أمر كل أحد بارشاده لما هو خير له ولذا قال عليه السلام الدين النصيحة لله ولرسوله ولكتابه ولائمة المسلمين فنصيحة الله اخلاصه في اعتقاده له بما يليق به من توحيده وعبادته مخلصا لوجهه ولكتابه فهم معانيه والعمل بما فيه والنصيحة لرسوله صلى الله تعالى عليه وسلم الايمان به واجتناب نواهيه وامتثال أوامره ولائمة المسلمين طاعتهم وعدم الخروج عليهم ونصيحته العامة ارشادهم لمصالحهم والنصح ارادة الخير لمن ينصحه باخلاص وهي كلمة جامعة يقال نصحته ونصحت له (وأعظمهم عنده منزلة) أي رتبة وشرفا (أحسنهم مواساة) لكل أحد لان حذف المتعلق يفيد العموم والمواساة اعطاء من يريد ما يريده بذله يقال

(وموازرة) أي معاونة من الوزر بمعنى الملجأ أو بمعنى الحمل وروي بالهمز مكانه من الأزر بمعنى الظهر لأن منه قوة البدن فوازره بمعنى قواه ووقع في أصل الدلجي تقديم موازرة وهو مخالف للأصول المعتبرة (ثم قال) أي الحسين بن علي رضي الله تعالى عنهما (فسألته) أي أبي (عن مجلسه) أي جلوسه صلى الله تعالى عليه وسلم أو مكانه وكيفية حاله ومراتب شأنه ولذا أبدل منه بقوله (ما كان يصنع فيه) أي في جلوسه أو مجلسه وقد أغرب الدلجي حيث قال هنا أيضا ما سبق له من أنه بفتح اللام كما تقدم قريبا والظاهر أنه يجوز بكسر اللام وقد تقدم ان فتحها خطأ مبنى ومعنى (فقال) أي علي (كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا يجلس) أي بعد قيامه من نوم وغيره (ولا يقوم) أي بعد جلوسه (الا على ذكر) أي من افادة علم وذكر أو بيان حمد وشكر عملا بقوله تعالى الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم (ولا يوطن الاماكن) من الايطان أو التوطين أي لا يجعل لنفسه مجلسا معينا يعرف به بحيث لا يجلس في غيره (وينهى) أي غيره أيضا (عن ايطانها) أي اتخاذها معينة وقيل مصلى لصلاته المبينة لصلاته المبينة فروى الحاكم وغيره أنه صلى الله تعالى عليه وسلم نهى ان يوطن الرجل المكان يصلي فيه وفي رواية نهى عن ان يوطن الرجل في المكان بالمسجد كما يوطن البعير والمعنى انه نهى ان يألف الرجل مكانا معلوما من المسجد مخصوصا يصلي فيه كالبعير لا يأوي من العطن الا الى مبرك قد وطنه واتخذه مناخا له ولعله أريد به خصوص من لم يألف من المسجد مكانا يفتي به أو يدرس فيه فان له أن يقيم من سبقه اليه لئلا يتفرق أصحابه عليه ولكن الاولى أن لا يلتزم جلوسه لمكان معين بحيث لا يتقدم ولا يتأخر عنه نظرا الى عموم النهي ورخص للامام بوقوفه في موضع معين من محراب المساجد للضرورة ولعل نهي غيره مخافة دخول الرياء والسمعة في الطاعة ثم رأيت النووي صرح به حيث قال وانما ورد النهي عن ايطان موضع من المسجد للخوف من الرياء ونحوه والافلا بأس بملازمة الصلاة في موضع من البيت لحديث عتبان بن مالك فلم يجلس يعني النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حين دخل البيت ثم قال أين تحب أن أصلي من بيتك فأشرت الى ناحية من البيت الحديث وقال التلمساني كان مقعد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عند العمود المخلق وكان لأصحابه مواضع فيه معروفة الاماكن وقال بعض الشيوخ نهيه عن ذلك لوجوه أحدها خوف الرياء والسمعة والتظاهر بالملازمة والثاني أن يغيب فيقع الناس فيه فيأثمون به والثالث أن يرى أنه استحقه دون غيره قلت والرابع أنه يعتقد عدم جوازه في غيره كما قيل في كراهة تعيين سورة في صلاته وينبغي أن يستثنى ملازمة المواضع المأثورة كما أنه استثنى ما ورد في قراءته الآثار المسطورة ولا يبعد أن النهي مختص بموضع يتبارك الناس بالصلاة فيه كتحت الميزاب والمقام والمحراب والله أعلم بالصواب

أساه وواساه بواو مبدلة من الهمزة اذا جعله اسوة له (وموازرة) أي اعانة لمن التجأ اليه يقال آزره ووازره اذا أعانه وقواه وساعده من الازر وهو الظهر لان قوة البدن به أو من الوزر وهو الملجأ ومنه الوزير وفي الحديث ما أحد عندي أعظم يدا من أبي بكر واساني بنفسه وماله وهذا يدل على أنه أفضل الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين قال الحسين رضي الله تعالى عنه (فسألته) يعني عليا والده رضي الله عنهما (عن مجلسه) أي عن حاله في مجلسه خارج بيته مع الناس ومعاملته لهم فيه ولذا أردفه بقوله (ما كان يصنع فيه فقال كان لا يقوم) من مجلسه (الا على ذكر) لله يجعله صلى الله تعالى عليه وسلم ختام مجلسه فكان اذا قام منه قال سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا أنت فيجعل ذلك علامة لانصرافه عن العامة والذكر بالذال المعجمة اذا أطلق أريد به ذكر الله تعالى وان كان عاما وقال التلمساني رحمه الله تعالى وقد تهمل ذاله قليلا فقيل انها لثغة وقيل لغة ولا دليل لقائله في نحو هل من مدكر فانه مغالطة (ولا يوطن) بضم المثناة التحتية وسكون الواو وكسر الطاء مشددة ومخففة وفتحها مشددة كما في بعض الشروح وفي بعضها أنه بالكسر من أوطنه ووطنه اذا اتخذه وطنا (الاماكن) جمع أمكن أو أمكنة جمع مكان فهو جمع الجمع ففي ميمه خلاف هل هي أصلية أو زائدة (وينهى عن ايطانها) أي اتخاذها وطنا والمراد ملازمة محل بخصوصه في غير بيته مما ليس بملك كالمسجد وغيره من الاماكن المباحة لان لكل أحد حقا فيه والنهي الوارد عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انما هو في حق المسجد بان يتخذ مصلى معينا منه ولذا نص الفقهاء على كراهة ارسال السجادة للجامع وفرشها فيه وفي الحديث نهى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أن يوطن الرجل المكان بالمسجد قيل وهو عام مخصوص بما لم يتضمن مصلحة كمن ألف مكانا للافتاء والتدريس فله ايطانه واقامة غيره منه اذا كان من لا يعرفه يأتي لاستفتائه فيعرفه في مكانه وقوله ايطانها يؤيد أن يوطن مخفف ولا يعينه كما قيل لانه يجوز أن يذكر فعل من باب ويذكر له مصدر أو اسم فاعل أو مفعول واسم مكان وغيره من باب آخر نحو وتبتل اليه تبتيلا وقوله

(واذا انتهى الى القوم) أي جالسين أو الى مجالسهم (جلس حيث ينتهي به المجلس) ولم يتقدم عليهم ولم يتميز عنهم بل كان يجلس حيث اتفق معهم فان شرف المكان بالمكين دون العكس المبين (ويأمر بذلك) تأكيد للأمر بالقول بانضمامه الى الفعلي ويقول ان الله يكره عبده أن يراه متميزا عن أصحابه (ويعطي كل جلسائه نصيبه) أي مباشرته ومحادثته (حتى لا يحسب جليسه) أي لا يظن مجالسه (أن أحدا أكرم عليه منه) أي من غاية استجلاب خاطره ونهاية جبر حال ظاهره (من جالسه أوقاومه)

أي وافقه في جلوسه أو قيامه بمعنى جلس معه أوقام معه (لحاجة) أي عارضة لصاحبه (صابره) أي بالغ في حبس نفسه للصبر معه (حتى يكون هو المنصرف عنه) أي بعد انقضاء حاجته منه (من ساله حاجة لم يرده) بفتح الدال وضمها (الابها) أي الابقضائها أو وعد ادائها كما بينه بقوله (أو بميسور) أي بما تيسر له (من القول) وهو يشمل دعاءله بحصولها وللتنويع وفيه ايماء الى قوله تعالى واما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا (قد وسع الناس) بالنصب أي عمهم (بسطه وخلقه) أي بسط يده وانبساط خلقه وسماحة نفسه وسعة كرمه (فصار لهم أبا) أي من كمال الشفقة وحسن تأديب التربية لان نبي كل قوم بمنزلة أبيهم كما قال تعالى ملة أبيكم ابراهيم وفي رواية شاذة بعد قوله سبحانه وتعالى وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم (وصار واعنده في الحق) أي في حق الرحمة والرأفة (متقاربين) أي كالاولاد عند الوالدين متساوين في أصل المحبة (متفاضلين فيه بالتقوى) أي عن المعصية (والتقوى) أي على الطاعة لقوله تعالى ان أكرمكم عند الله أتقاكم (وفي الرواية الاخرى) أي عنه أو عن غيره (وصار واعنده في الحق سواء) أي في حكم الحق للخصومة أو في أصل حق المودة مستوين (مجلسه مجلس علم) أي وقار وسكينة (وحياء)

وداع دعى من يجيب الى الندا * فلم يستجبه عند ذاك مجيب

ويجوز في نحو أجراه مجراه ضم الميم وفتحها وقد تكون المغايرة أبلغ وأكثر معنى وهذا مما ينبغي التنبيه له (واذا انتهى) مشيه قاصدا (الى القوم) الذين يريد الجلوس معهم (جلس حيث ينتهي به المجلس) أي في أي مكان خال منه من غير تصدر على أصحابه صلى الله تعالى عليه وسلم وينتهي من النهاية لانه نهاية محل الجالسين فيه (ويأمر) أصحابه (بذلك) تشريعا وتأديبا فعلم أن تحري الصدر مكروه شرعا لما فيه من الكبر والترفع على أصحابه لاسيما اذا لم تطب أنفسهم بذلك فيتأذون به فانه قد يحرم كما يفعله علماء السوء في زماننا (ويعطي كل) أحد من (جلسائه نصيبه) أي ما يستحقه من ملاطفته ومجاوبة سؤاله وبشره صلى الله تعالى عليه وسلم له (حتى لا يحسب) أي يظن (جليسه أن أحدا أكرم عليه منه) أي يظن أنه أكرم الناس وأجلهم عنده لما يرى من لطفه به فهو كقولهم ليس في البلد أعلم منه كما مر تحقيقه فهو غاية لذلك الاعطاء (من جالسه أو قاومه في حاجة) أي من حادثة أو قام مع قيامه لغرض حاجته أو لغير ذلك فهي مفاعلة من الجلوس والقيام (صابره) أي صبر عليه أو صبر مقدار صبره فلا ينصرف عنه حتى ينصرف هو كل ذلك لاشتمالهم وتطييب قلوبهم فلا يمل حتى يملوا (حتى يكون هو المنصرف عنه) والحصر بتعريف الطرفين في محزه هنا (من ساله حاجة لم يرده الابها) أي رده رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مقضى الحاجة غير خائب (أو بميسور من القول) أي أورده بقول لين سهل لاغلظة فيه كوعده وقد تقدم بيانه (قد وسع الناس) بالنصب مفعول وسع (بسطه وخلقه) باضافته لضميره ورفعه على الفاعلية أي عمهم بسطه أي بسط يده صلى الله تعالى عليه وسلم وسماحته أي بشره وطلاقة وجهه وابداء سروره وحسن خلقه فشبهه بمكان متسع رحب وأثبت له السعة والبسط بهذا المعنى مسموع وليس لغة مولدة كما يتوهم كما ذكره المصنف رحمه الله في المشارق وتقدم في الحديث عنه صلى الله تعالى عليه وسلم فاطمة مني يبسطني ما يبسطها (فصار لهم أبا) أي بمنزلة الاب في البر والصلة وقصد الخير فيه دليل على أنه يجوز أن يقال أنه صلى الله تعالى عليه وسلم أبو المؤمنين كما يقال لزوجاته رضي الله عنهن أمهات المؤمنين ولا ينافيه قوله تعالى ما كان محمد أبا أحد من رجالكم لان نفي الحقيقة لا ينافي المجاز كما سيأتي (وصار واعنده في الحق متقاربين) أي يقرب بعضهم من بعض اذا كانوا على الحق أو في أداء حقوقهم أي في أصل الحق فلا ينافيه قوله (متفاضلين فيه بالتقوى) أي بحسب مراتبهم في تقوى الله لقوله تعالى ان أكرمكم عند الله أتقاكم وقال صلى الله تعالى عليه وسلم (أنزلوا الناس منازلهم) وسياتي في الرواية الاخرى وصار وا في الحق سواء فلا ينافيه هذه الرواية ولان بينهم تفاوتا تاما وفي الحديث لايزال الناس بخير ما تفاضلوا فان تساووا هلكوا وصاروا كاسنان المشط ليس فيهم فضلاء أو تنافسوا في الفضائل فانكروا فضل بعضهم على بعض

وماعبر الانسان عن فضل نفسه * كمثل اعتراف الفضل في كل فاضل

(وفي الرواية الاخرى صار واعنده في الحق سواء) كما بيناه (مجلسه مجلس علم وحياء) أي يظهر فيه

حلمه

وصبروأمانة) أى لامقام وقاحة وخفة وخيانة (لاترفع فيه الاصوات) لقوله تعالى ان الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله الآية
وهذا بيان لحلمهم وحيائهم (ولاتؤبن فيه الحرم) وضبطهما تقدم أى لايذكرون فيه بسوء وهذا بيان لصبرهم وأمانتهم (ولاتنثى)
بضم أوله فسكون نون وفتح مثلثة أى لاتشاع ولاتذاع ولاتذكر من الثناء وهو أعم من ذكر الحسن والقبح وخبر الخير والشر وقيل
مختص بالشر وهو فى هذا المقام أظهر فتدبر وفى نسخة بمثناة فمثلثة فنون أى لاتعاد (فلتاته) بفتحتين وقد تسكن اللام أى زلات مجلسه
وعثرات من حضر فى مقام أنسه والمعنى لم يكن لمجلسه فلتة فتنقل فالنفى منصب على القيد والمقيد كقوله تعالى لايسئلون الناس الحافا
أى أصلا (وهذه الكلمة) أى الجملة الاخيرة وهى ولاتنثى فلتاته ثابتة (فى غير الروايتين) أى المذكورتين فى
سند هذا الحديث
(يتعاطفون) أى فيه كما
فى نسخة صحيحة أى فى
مجلسه خصوصا يتحابون
ويتراحمون (بالتقوى)
أى بسببها لحديث أبى
داود والترمذى لاتنزع
المرحمة الامن شقى أو
بحسب تفاوت مراتبها
حال كونهم (متواضعين)
أى بعضهم لبعض كما
قال تعالى أذلة على
المؤمنين أعزة على
الكافرين وكما قال أشداء
على الكفار رحماء بينهم
(يوقرون فيه) أى فى
مجلسه خصوصا
(الكبير) أى فى السن
أو الرتبة بما يجب له من
العظمة (ويرحمون
الصغير) أى بمقتضى
الشفقة (ويرفدون) بضم
الفاء وكسرها وحكى
فتحها وفى نسخة من
الارفاد أى يعينون
ويغيثون (ذا الحاجة)
ويعطون صاحب الفاقة وقيل رفد أعطى وأرفده أعانه والرفد بالسر هو العطاء (ويرحمون الغريب)
أى لبعده عن بلاده وأصحابه ومفارقة أولاده وأحبابه (ثم قال) أى الحسين بن على رضى الله تعالى عنهما (فسالته) أى أبى (عن سيرته
صلى الله تعالى عليه وسلم فى جلسائه) أى عن طريقته فى حقهم حال حضورهم فى خدمته (فقال) أى على (كان رسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم دائم البشر) أى غير مقيد طلاقة وجهه وبشاشة بشرته بوقت دون وقت فى حالته (سهل الخلق) أى لين الطبع
مع عموم الخلق (لين الجانب) بتشديد التحتية وتخفف أى فى كماله من الرفق (ليس بفظ) أى سيئ الخلق
(ولاغليظ) أى سيئ القلب

حلمه عليهم وحلمهم على غيرهم بحيث لايستفزهم الغضب وهم مظهرون للحياء لايرفعون رؤسهم
وأصواتهم ولايرتكبون مالاينبغى قولا وفعلا * قيل ولو قدم هذا وادرجه فى جواب السؤال عن مجلسه
كان أحسن * قلت ما بالعهد من قدم (وصبر وامانة لاترفع فيه الاصوات) احتراما له صلى الله تعالى عليه
وسلم ولوقارهم وادبهم (ولاتؤبن فيه الحرم) كالكبر جمع حرمة وهى مالايحل والمراد النساء لحرمة
النظر لهن ونحوه أى لاتذكرن بسوء من ابنته فابنته اذا ذكرته بما يكره مأخوذ من الابنة والابن وهى
عقد فى القسى تعاب بها أى لاتذكر فيه النساء لانه رفث من القول أو لايذكر فيه مايحرم كالغيبة وسيأتى
تفسيره (ولاتنثى فلتاته) بتاء مثناة فوقية مضمومة ونون ومثلثة مقصورة من النثاء وهو ذكر القبيح
ضد الثناء بتقديم المثلثة وهذا هو الموافق لما سيأتى وروى ولاينثى بتقديم المثلثة على النون أى لاتعاد
والفلتات بفتحات جمع فلتة بفتح فسكون ويجوز تسكين لام فلتات ويجوز ضم فاء فلتة كما قاله التلمسانى
وهى الزلة أى القبيح الذى يقع بغتة والمراد انه لافلتة فيه حتى يذكر فى مجلس آخر فيعاد ذكرها فنفى
الشئ بذكر لازمه لانها لو وقعت ذكرت كقوله * ولاترى الضب بها ينجحر * (وهذه الكلمة) أى
قوله لاتنثى فلتاته (من غير الروايتين) رواية الحسن عن خاله ورواية الحسين عن أبيه ويجوز ان يراد
ظاهره أى ان الفلتة اذا وقعت لاتذكر بل تستر (يتعاطفون بالتقوى) أى يعطف بعضهم على بعض
ويشفق عليه ويرحمه بسبب تقوى الله لارياء ولاسمعة ولاخوفا واتقاء شر فالباء سببية كقوله تعالى
رحماء بينهم (متواضعين) أى يتواضع بعضهم لبعض لايتكبر أحد على أحد فيخدمه ويخفض جناحه
له (يوقرون فيه) أى فى المجلس (الكبير) سنا (ويرحمون الصغير) شفقة عليه ورأفة وهو مفتوح الصاد
ويكسر فى لغة رديئة (ويرفدون) بفتح المثناة التحتية وضمها أى يعينون ويواسون يقال رفده يرفده
بالكسر وارفده بمعنى (ذا الحاجة) أى كل من كانت له حاجة ومسألة لهم أوله صلى الله تعالى عليه وسلم
أعانوه بقضائها أو ابلاغها أو الشفاعة ويجوز ان يراد به الفقير المحتاج (ويرحمون الغريب) أى يشفقون
عليه ويعطفون تانيساله وازالة لوحشة غربته قال الحسين (فسالته عن سيرته صلى الله تعالى عليه وسلم
فى جلسائه فقال كان صلى الله تعالى عليه وسلم دائم البشر) أى طلاقة الوجه وبشاشته واظهار السرور
فى مجالسه العامة وهذا لاينافى مامر من قوله دائم الاحزان كما مر فتذكره (سهل الخلق) أى
خلقه وسجيته السهولة وعدم الشدة فى أقواله وأفعاله وقد جاء رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم بالملة السمحة السهلة (لين الجانب) بتشديد الياء وسكونها أى لاغلظة فيه ولاجفاء
متذللا متواضعا (ليس بفظ) أى سيئ الخلق (ولاغليظ) أى شديد متوعد لاحد ممسك عنه لطفه ورفده

(ولا سخاب) أي صياح وفي رواية ولا سخوب والصاد لغة فيهما وكلاهما للمبالغة الا ان النفي لاصل المعنى لا للزيادة والاظهر ان الكلمة بوضعها للنسبة كتمار ومنه قوله تعالى وما ربك بظلام للعبيد وجاء في حديث المنافقين خشب بالليل سخب بالنهار أي اذا جن عليهم الليل سقطوا نياما كالخشب فاذا اصبحوا تساخبوا على الدنيا تهالكا عليها وتمالوا اليها وفي رواية في الاسواق فالمراد نفي رفع الصوت بالمخاصمة والمشاجرة على ما هو المعروف في العادة فلا ينافي ما ورد من انه كان اذا دخل السوق قال لا اله الا الله وحده لا شريك له الى آخره مع غيره مما ثبت من الادعية في أثره (ولا فحاش) أي ذي فحش من كلام غليظ (ولا عياب) أي على أحد قولا وفعلا مرضيا أو في غيبة أحد أو لمأكول ومشروب كما سبق (ولا مداح) أي مبالغ في مدح أحد ويروى بالزاي أي كثير المزح لما ثبت في وصفه من مدحه ومزحه أحيانا وأما ما وقع عند شارح بالراء ١٨٦ فتصحيف لمخالفته الاصول وان قال انه من المرح وهو الفخر والتجبر (يتغافل عما لا يشتهى) أي عما لا يجب على أحد فيه ان يشتهى (ولا يؤيس منه) بالبناء للفاعل أو المفعول من الياس ضد الرجاء على ما مر له من بيان المعنى (قد ترك نفسه) أي لم يجعل لها حظا (من ثلاث) أي ثلاث خصال بينها بافادة ابدال مع اعادة من بقوله (من الرياء) وكذا من السمعة فانهما من الشرك الاصغر وهذا انما يبتلى به من لا يعرف الله ممن يلتفت الى ما سواه ووقع في أصل التلمساني الريا بدون من فيجوز جره على بدل المفصل من المجمل كقوله تعالى حكاية نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق ورفعه على انه خبر محذوف قلت لو صحت هذه الرواية لجاز نصبه بتقدير أعني كما لا يخفى عن أرباب الدراية (والاكثار) أي ومن

لا

الاكثار القول الممل للحضار أو من متاع الدنيا الكمال توجهه الى المولى والدار الاخرى التي هي بالاستكثار أولى وأحرى (وما لا يعنيه) أي ومما لا يهمه ولا ينفعه ولا يغنيه وكيف لا وفي حديث الترمذي من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه وقد قال سبحانه وتعالى والذين هم عن اللغو معرضون وهو يشمل القول والفعل وتوجه القلب واقبال العقل (وترك الناس) أي أبعدهم عن ساحة ما ينقصهم (من ثلاث) بينها لا بابدالها كما قال الدلجي بقوله (كان لا يذم أحدا) أي بما يضع قدره (ولا يعيره) بتشديد التحتية أي لا يعينه بعيب سبق أمره اذ ورد في حديث الترمذي عن معاذ مرفوعا من عير أخاه بذنب لم يمت حتى يعمله قال التلمساني هما واحد والا كان العدد أربعا قلت الصواب انهما عددان لانهما متغايران وان الثالث قوله

(ولا صخاب) بالصاد والسين أي لا يرفع صوته جدا في خصومة ونحوها (ولا فحاش) أي لا يتكلم بقبيح كالشتم (ولا عياب) أي ذكر العيوب الناس ونقائصهم (ولا مداح) أي لا يكثر المدح لغيره ويطريه بمبالغة قوة ما فيه وان كان يذكر الحسن والقبيح بما فيه كما مر وذكره بصيغة المبالغة اشارة الى أنه قد يصدر قليلها أحيانا منه صلى الله تعالى عليه وسلم لمقتضى الحال ومثله لا يعاب والمدح انما يذم اذا كان زيادة عن حده لانه كذب ومداهنة وأما مدح من يستحق المدح بما فيه اذا لم يلزمه محذور فامر حسن ألا ترى الى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم لو وزن ايمان أبي بكر بايمان العالم لرجح وقوله لعمر رضي الله عنه لو لم أبعث لبعثت أنت يا عمر فاي مدح يزيد على هذا لكنه صدق ناش عن بصيرة ولا يورثهم ذلك اعجابا ولا فتورا وما من شيء الا وهو ممدوح من وجه مذموم من آخر (يتغافل عما لا يشتهى) أي يتغافل عن ما ليس بمنكر شرعا لكنه غير مستحسن عادة أو طبعا اذ لو كان منكرا شرعا نهى عنه ولم يقر عليه وهذا من مكارم الاخلاق كما قال أبو فراس

ليس الغبي بسيد في قومه * لكن سيد قومه المتغابي

(ولا يؤيس منه) قال في المقتفى يؤيس بضم أوله وسكون الواو وهمزة مكسورة وهي ترسم باو ويجوز فتحها على انه مبني للفاعل أو المفعول وهو من اليأس ضد الرجاء يعني اذا سئل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عما لا يليق تغافل عنه ولم يرد السائل حتى يياس أو يبين له انه سال ما لا يليق فيخجل سائله (وقد ترك نفسه من ثلاث) أي نزهها عنه ومنعها وقيل فيه قلب أي ترك ثلاثا من نفسه (الرياء والاكثار وما لا يعنيه) بفتح المثناة التحتية أي يهمه وهي بدل من ثلاث مبينة لها والرياء اظهار ما فيه من الصفات الحميدة والافعال الجميلة للناس حتى يحمدها ويشيع وهو الشرك الاصغر وهو صلى الله تعالى عليه وسلم منزه عنه بلا شبهة * فان قلت كونه غير ثابت له أمر ظاهر الانتفاء عنه فالحاجة لذكره * قلت كانه ذكر هذه الجملة الحالية لبيان وجه تغافله عما لا يحبه من غير ان يقنط راجيه يعني انه لم يقل أنا لا أحب هذا فلذا لم أجبك عنه حتى يتوهم انه سيفعله لما فيه من الرياء ولذا قال (وترك الناس من ثلاث) أي أبعدهم عنها أو ترك ذكر الناس ونحوه من أجل ثلاث تضمنها قوله (كان لا يذم أحدا) من الناس يستحق الذم كالمنافقين لعنهم الله (ولا يعيره) بعين مهملة يقال عيره كذا أو بكذا أي ذكر ما فيه بما هو عار عليه وعيب فيه وقد سلف منه فالفرق بينه وبين ما قبله انه أخص منه وليس عينه حتى

لاتكون أمور الناس المتروكة أربعة كما ذكره التلمساني رحمه الله تعالى (ولا يطلب عورته) أي لا يتجسس عن معايب الناس ويبحث عنها كما كان صلى الله تعالى عليه وسلم يفعل مع المؤلفة قلوبهم وأصل العورة الخلل وما يجب ستره كما في حديث أبي داود يا معشر من أسلم بلسانه ولم يفض الايمان الى قلبه لا تؤذوا المسلمين ولا تعيروهم ولا تتبعوا عوراتهم فان من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته وهذا كما قيل في المثل كل من عير ابتلى وهذا اذا لم يلزم اظهاره شرعا كالمتجاهر بفسقه ونفاقه وقوله (ولا يتكلم الا فيما يرجو ثوابه) صفة أخرى مرتبطة بما قبلها وليست من الثلاث وهذا كنصيحة الامة وارشادهم وتعليم الخير والتبليغ (اذا تكلم أطرق جلساؤه) أي خفضوا رؤسهم تأدبا وانصاتا (كأنما على رؤسهم الطير) أي بسكون ووقار من غير طيش وخفة لان الطير لا تقع الا على ساكن وهذا مثل مشهور (واذا سكت تكلموا) فلا يقطعون حديثه بحديثهم تأدبا معه صلى الله تعالى عليه وسلم وتوجها لفهم مقاله لحرصهم على حفظه مراعاة لعظيم قدره (لا يتنازعون عنده الحديث) أي اذا كانوا في مجلسه صلى الله تعالى عليه وسلم لا يديرون الحديث بينهم فيتحدث بعضهم بعضا كما هو جار بين الناس اذا اجتمعوا في نادٍ وهذا بيان لقوله تكلموا أو ان المراد يتكلمون مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بسؤالهم له ونحوه من مهماتهم لانهم يريدون الحديث بينهم وهذا هو معنى تنازع الحديث في كلامهم ومن فسره بالتخاصم لاغتراره بظاهر التنازع لم يصب لعدم مناسبته للمقام ولا يخفى انه لا معنى لقولك تخاصموا الحديث الا بتأويل أي تخاصموا في الحديث وهو ركيك قال امرئ القيس

فلما تنازعنا الحديث وأسمحت * هصرت بغصن ذي شماريخ ميال

قال ابن السيد في شرح أدب الكاتب تنازعنا الحديث أي تداولناه فحدثتني مرة وحدثتها أخرى وههنا بحث وهو ان سيبويه قال في كتابه لا تقول تفاعلت الا وانت تريد فعل اثنين فصاعدا ولا يجوز ان يتعدى لمفعول ينصبه وفي تفاعلنا تلفظ بالعين الذي في فاعلته كتضاربنا وتقاتلنا وقد يجئ تفاعلت على غير هذا كتقاضيته انتهى فلم يجز تعدي تفاعل لمفعول الا اذا كان لواحد لان تفاعل قد تضمن الفاعل والمفعول الذي كان في فاعل الاترى انك تقول ضاربني زيد فتأتي بفاعل ومفعول فاذا قلت تضاربنا لا يتعدى لاشتماله على فاعل ومفعول ليس لنا غيره وليس تنازعنا كذلك لان نازع يتعدى لمفعولين تقول نازعته الحديث فاذا قلت تنازعنا لم يكن بد من ذكر المفعول الثاني لان تنازع لم يتضمنه كذا قاله ابن السيد في المقتضب شرح أدب الكاتب * أقول في كلام سيبويه حينئذ قصور لانه كان عليه ان يقول ان باب تفاعل بمعناه الاصلي ينقص عن فاعل مفعولا فان كان متعديا لواحد كان لازما وان كان متعديا لاثنين تعدى كما ذكره بعض النحاة فاطلاقه لا ينبغي وقد نقل ابن السيد هذا في محل آخر عن الكوفيين فقال قال ثعلب يقال فلان متعهد ضيعته ولا يقال متعاهدها قال ابن درستويه انما أنكرها لانها على وزن يتفاعل وهو عند أصحابه لا يكون الا من اثنين ولا يكون عندهم متعديا لمفعول مثل تقاتلا وتعاملا وهو غلط لان تفاعل قد يكون لواحد ويكون متعديا كقول امرئ القيس

تجاوزت احراسا واهوال معشر * على حراص لو يسرون مقتلي

وجاء تفاعل متعديا لاثنين كقوله فلما تنازعنا الحديث الخ قال الخليل التعاهد والتعهد الاحتفاظ بالشئ واحداث العهد به وقول سيبويه السابق يشبه قول الكوفيين انتهى والتنازع هنا كالتجاذب مجاز بديع كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم لمن قرأ خلفه مالي أنازع القرآن (من تكلم عنده) أي في مجلسه صلى الله تعالى عليه وسلم من الصحابة أو غيرهم (انصتوا له حتى يفرغ) من حديثه وفي بعض النسخ (من كلامه) وأنصت يكون لازما بمعنى سكت ومتعديا يقال أنصته اذا أسكته

(ولا يطلب عورته) أي لا يسيء ظنه به فيتجسس عن أمره ويتفحص عن خلله لقوله سبحانه وتعالى ولا تجسسوا ولحديث أبي داود على المنبر يا معشر من أسلم بلسانه ولم يفض الايمان الى قلبه لا تؤذوا المسلمين ولا تعيروهم ولا تتبعوا عوراتهم فان من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته بمعنى كشف الله حاله وفضحه فهو من باب المشاكلة لوروده بالمقابلة وقد تمت الثلاث فعطف على ما قبلها (ولا يتكلم الا فيما يرجو ثوابه) أي في فعله أو يخاف من عقابه في تركه ولعله ترك للاكتفاء أو لكمال ظهوره (اذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤسهم الطير) أي اكراما له واحتراما لقوله وسبق تحقيقه (واذا سكت تكلموا) أي تأدبا معه وزيادة استفادة منه (لا يتنازعون عنده الحديث) أي لا يتجاذبونه بينهم كما بينه بقوله (من تكلم عنده انصتوا له) أي اسكتوا له أو أسكت بعضهم بعضا لاجله (حتى يفرغ) أي من كلامه وتحصيل مرامه

(حديثهم حديث أولهم) مبتدأ وخبر متضمن لتشبيه بليغ أي حديث آخرهم كحديث أولهم في الرغبة اليه والنشاط لديه وعدم الملالة والسآمة عليه وفي رواية حتى يفرغ حديث أولهم وروى حتى يفرغ من كلامهم حديثهم حديث أولهم (يضحك مما يضحكون منه) أي بحكم المؤانسة وحق المجالسة (ويتعجب مما يتعجبون منه) تطييبا لخواطرهم وتحسينا لسرائرهم وظواهرهم (ويصبر للغريب على الجفوة) بفتح جيم فسكون فاء أي الغلظة والسقطة والغلطة (في المنطق) أي في العبارة وهذا كله كان دأبه في العادة (ويقول اذا رأيتم صاحب الحاجة يطلبها) جملة حالية أو استئنافية بيانية (فارفدوه) بهمزة قطع أو وصل أي اعطوه ولو بعض كفايته أو أعينوه على قضاء حاجته (ولا يطلب الثناء) أي ولا يقبله كما في رواية (الا من مكافئ) بكسر فاء فهمز أي معتقد لثنائه أو مقتصد في ثنائه غير متجاوز الى اطرائه واطرائه يقول ولا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم ولكن قولوا عبد الله ورسوله فاذا قيل هو نبي الله فقد وصف بما لا يوصف به أحد من أمته فهو مدح مكافئ له وما أحسن قول البردة في هذه الزبدة

دع ما ادعته النصارى في نبيهم
واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم

(ولا يقطع على أحد حديثه) أي كلامه في اثنائه بل ينصت له (حتى يتجوزه) أي يتعداه ويتخلص (فيقطعه بانتهاء) أي لحديثه ولو بعد في قعوده (أو قيام) أي له على طريق وداعه (هنا انتهى حديث سفيان بن وكيع) أي شيخ الترمذي (وزاد الآخر) بينهم أي بسند المصنف من طريق أبي على الحافظ ابن سكرة منتهيا الى الحسن بن علي راويا عن أخيه الحسين رضي الله تعالى عنهما (قلت) أي لأبي (كيف كان سكوته صلى الله تعالى عليه وسلم قال) أي علي (كان سكوته على أربع) أي حالات أو صفات (على الحلم) أي الوقار والسكينة دون الخفة والعجلة (والحذر) أي مما يخشى فيه من الضرر (والتقدير) أي تقدير الشئ بمعنى التصوير (والتفكر) أي فيما يحتاج اليه من التقدير (فاما تقديره) تفصيل على خلاف ترتيب ما اجمل به (ففي تسوية النظر) أي التأمل في الامر أو مساواة النظر بالبصر (والاستماع

(حديثهم حديث أولهم) مبتدأ وخبر أو حديثهم فاعل يتفرغ فجمع الضمير وهو من رعايته للمعنى وحديث أولهم بدل منه أي لا يقطع كلام من تقدم بكلام آخر ولا يخاصم فهذا في معنى لا يتنازعون وهو مرتبط بما قبله فان كان مبتدأ بدليل رواية من كلامه فهو تشبيه أي حديث كل واحد منهم انما هو حديث من قبله يعني انه لا حديث له معه يقطعه كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم زكاة الجنين زكاة أمه وقد خفي هذا على بعض الشراح فعلقوه بانصتوا (ويضحك) صلى الله تعالى عليه وسلم (مما يضحكون منه) أي الصحابة رضي الله عنهم (ويعجب مما يعجبون) لانه من حسن الصحبة أن يسرك ما يسره ويرضيك ما يرضيه وهم على نهج واحد وطباعهم سليمة فلا يضحكون ويعجبون من غير مقتض فلا يقال انه يلزم من ضحك أحد وتعجبه فعل غيره مثله لانه أمر طبيعي وهذا في أحيانا قليلة فلا ينافي قوله السابق كأنما على رؤسهم الطير (ويصبر للغريب على الجفوة) أي الغلظة وتكلمه بما يؤلم (في المنطق) أي في تكلمه مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كتحليف الاعرابي له صلى الله عليه وسلم وقوله له آلله أرسلك بهذا وانما قيد بالغريب لانه معذور لا يعرف أحواله وهذا من مكارمه ومعاملة كل أحد بما يليق به حتى ان كان أصحابه ليستجلبونهم (ويقول) صلى الله تعالى عليه وسلم لاصحابه (اذا رأيتم صاحب الحاجة يطلبها فارفدوه) بوصل الهمزة وقطعها من رفده وأرفده اذا أعانه أو اعطاه لان الرفد العطية والارفاد الاعانة وكل منهما قابل هنا (ولا يطلب الثناء) بمعنى يقبله كما ورد في رواية فهو مجاز مرسل أو استعارة والثناء الذكر الحسن الجميل والمدح (الا من مكافئ) بالهمزة اختلف في تفسيره أي ممن اثنى جزاء على نعمه واحسانه تقدم له منه وقد صرح به في بعض الروايات بقوله عن يد ولا يرد عليه ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم رحمة عامة ما من أحد الا وله عنده يد فالصواب تفسيره بمسلم أي غير متجاوز في المدح مطر لان القرينة قائمة على ان المراد نعمة حادثة خاصة (ولا يقطع على أحد حديثه حتى يتجوزه) أي يخففه يقال تجوز في الصلاة اذا أسرع وخفف (فيقطعه بانتهاء) أي اتمام لحديثه وبه ينقطع الكلام (أو قيام) من المجلس لانه انقطع كلامه فضى لشانه (هنا انتهى حديث سفيان بن وكيع) السابق ذكره (وزاد الآخر) أي صاحب الرواية الاخرى (قلت) القائل أحد السبطين رضي الله تعالى عنهما كامر (كيف كان سكوته صلى الله تعالى عليه وسلم قال كان سكوته على أربع على الحلم والحذر والتقدير والتفكر) لما كان الحلم والحذر من جميع الناس معلوما وقد تقدم لم يفسره وقال (فاما تقديره) أي بنظر مقداره اذا صدر منه أو من غيره ممن يقتدى به (ففي تسوية النظر) في الامور وما يترتب عليها من المنافع الدنيوية والاخروية (والاستمتاع) أي استمتاع الناس به صلى الله تعالى عليه وسلم أو بامورهم فيما

بين الناس) كما قرر في آداب القضاء من العدالة بين الخصماء على حد سواء في الاستواء وروى الاستمتاع بمعنى الانتفاع (واما تفكره ففيما يبقى) أي من أعمال العقبى (ويفنى) أي من أحوال الدنيا كقوله تعالى المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا أو فيما يبقى عند المولى ويفنى عند السوى كقوله تعالى ما عندكم ينفد وما عند الله باق (وجمع له الحلم صلى الله تعالى عليه وسلم في الصبر) أي في حال صبره (فكان لا يغضبه) بضم أوله وكسر ضاده أي لا يحمله على الغضب (شئ يستفزه) بتشديد الزاي أي يستخفه ويفزعه (وجمع له في الحذر) أي التيقظ في الحضر والسفر والتحرس عنه الضرر (أربع) أي من الخصال الحميدة والاحوال السعيدة احداها (أخذه بالحسن) أي قولا أو فعلا (ليقتدى به) أي علما وعملا سواء كان واجبا أو مندوبا أو مباحا فهو مرفوع على انه مبتدأ خبره مقدر مقدم أو على انه خبر مبتدأ محذوف هو وأو على انه بدل من أربع بدل الكل بتاخير الربط أو بدل البعض بتقديمه على وجه شموله ويجوز نصبه بتقدير أعني أيضا لا كما توهم الدلجي في اقتصاره على ضبط نصبه على انه مفعول من أجله (وتركه القبيح) أي حراما أو مكروها أو ما هو خلاف الاولى (لينتهى عنه) بصيغة المفعول أي لينتهي عنه غيره تبعا له والمعنى انه كان يترك ما يعد قبيحا في حق غيره وان كان وجوده صحيحا في حقه دليلا على انتهائه صريحا أو ليعلم انه عامل بعلمه ومتعظ بوعظه كما قال الله تعالى حكاية عن شعيب عليه السلام وما أريد ان أخالفكم الى ما أنهاكم عنه (واجتهاد الرأي) أي بذل الجهد في ظهور الاحرى (بما أصلح أمته) أي بسبب صلاح أمرهم وموجب فلاح أجرهم (والقيام لهم) أي لمصالحهم ونظام أحوالهم (بما جمع لهم أمر الدنيا والآخرة) بنصب الأمر على ما في الاصول المعتمدة على انه مفعول جمع ووقع في أصل الدلجي من أمر الدنيا والآخرة بزيادة من وهو يحتمل ان تكون تبعيضية أو بيانية وهو الاولى كما فسره بقوله من معاش ومعاد قال المصنف (انتهى الوصف) أي وصف نبي الله (بحمد الله) أي مقرونا بحمده حيث لا يستحق الحمد سواه ولا ينبغي ان يحمد الا اياه

(فصل) (في تفسير غريب هذا الحديث) أي باعتبار مبناه (ومشكله) أي من جهة معناه وانما سمي غريبا الغرابة استعماله بحيث غيره في المداولة أكثر نصيبا ويكون الى الفهم قريبا (قوله المشذب) بفتح الذال المعجمة المشددة

بينهم ومعنى الاستمتاع الانتفاع وقوله (بين الناس) متعلق بالتسوية وهي جعلهم متساوين وليس المراد تساويهم حقيقة بل ان يكون لكل أحد مقدار يليق به (واما تفكره ففيما يبقى ويفنى) أي في أمور الدنيا الفانية والآخرة الباقية المخلدة * فان قلت كيف يعلم هذا وهو أمر مضمر في نفسه صلى الله تعالى عليه وسلم لا يطلع عليه الا الله * قلت هذا بطريق الاستدلال العقلي والفراسة الصادقة الشاهد لها ما يظهر من آثاره ويتعلق به اذا تكلم فان الظاهر عنوان الباطل (وجمع) بالبناء للمفعول أي جمع الله (له) وكذا ما سيأتي بعده الحلم باللام أي جمع له سائر جزئيات الحلم المختص كل حليم ببعض منه وفي بعض النسخ الحكم بالكاف وله وجه (في الصبر) أي مع الصبر على أمور الناس والامة فكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مع حلمه صابرا لا يضجر ولا يقلق كما أشار اليه بقوله (فكان لا يغضبه شئ) مما يتعلق به في نفسه وان كان قد يغضب لله (ولا يستفزه) بكسر الفاء وتشديد الزاي المعجمة أي يستخفه بحيث يبدو منه خفة وقلق لامور الدنيا والاعداء (وجمع له في الحذر) أي في حال حذره واحتراسه من الناس أو مع ذلك (أربع) نائب الفاعل (أخذه بالحسن) وفي بعض النسخ ترك قوله أربع وهو مرفوع نائب الفاعل أو منصوب مفعول لاجله أي تمسكه بكل أمر مستحسن مشروع (ليقتدى به) ويتبعه الناس (وتركه القبيح) شرعا وخلاف الاولى (لينتهى عنه) علة للترك أي لينتهي الناس عنه (واجتهاد الرأي) أي اجتهاده صلى الله تعالى عليه وسلم فيما يراه رأيا (بما أصلح أمته) أي فيما يصلحهم أو بسببه (والقيام لهم) أي الامة (بما جمع لهم أمر الدنيا والآخرة) في المعاش والمعاد ومعنى القيام التعهد والالتزام والاجتهاد وبذل ما في وسعه وطاقته من اصلاحهم أو هو بمعناه المصطلح بناء على جواز اجتهاده صلى الله تعالى عليه وسلم وفيه اختلاف مذكور في كتب الاصول قال الابي في شرح مسلم نقلا عن المصنف لا خلاف انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يجتهد في أمور الدنيا ويرجع الى رأي غيره في ذلك كما فعل في تلقيح النخل واختلف في انه صلى الله تعالى عليه وسلم هل له ان يجتهد في الشرعيات وهل هو معصوم في اجتهاده أم لا والصواب انه له ذلك وانه معصوم وتفصيله في أصول الفقه فلا حاجة للتطويل به

*(فصل في تفسير غريب هذا الحديث ومشكله) المراد بالغريب ما لم يكن استعماله مشهورا بين العرب بحيث يخفى على غير العرب العرباء الآن لا يكون جاريا على قوانين اللغة كما قيل والمشكل ما لم يكن واضح الدلالة بحيث يحتاج للتاويل (المشذب) بضم الميم وفتح الشين وتشديد الذال المعجمتين

(أي البائن الطول) بالاضافة أي المفرط فيه المباين عن قد الطوال أو المفارق عن رتبة قامة الربعة (في نحافة) أي حال كونه واقعا في صفة النحافة التي هي ضد الضخامة (هو) أي المشذب (مثل قوله في الحديث الآخر) أي للترمذي والبيهقي (ليس بالطويل الممغط) بتشديد الميم الثانية فعجمة فهملة أي المتناهي طولا والممتد قامة وأصله منمغط اسم فاعل من باب الانفعال والنون للمطاوعة فقلبت ميما وأدغمت يقال مغطت الحبل اذا مددته وانمغط النهار اذا امتد وفي نسخة بكسر العين المهملة ويروى بصيغة المفعول من باب التفعيل بالغين المعجمة والكل بمعنى (والشعر) بفتح العين وتسكن (الرجل) بفتح راء فكسر جيم مبتدأ موصوف خبره (الذي كانه مشط) بضم ميم فتخفيف شين معجمة مكسورة (فتكسر قليلا) أي فبقيت جعودته يسيرة وسبوطته كثيرة ومنه الترجيل وهو تسريح الشعر وتنظيفه وتحسينه لانه من الترجيل كما توهمه الدلجي لان المزيد يؤخذ من المجرد لا بالعكس

(ليس) أي شعره الرجل (بسبط) بسكون الموحدة وتكسر والاول أنسب بقوله (ولا جعد) والجملة تفسير لما قبلها أو بيان لما كان عليه من أصل خلقه والحاصل انه لم يكن شديد السبوطة والجعودة وقد روى أحمد وأبو داود انه صلى الله تعالى عليه وسلم نهى عن الترجل الا غبا ولعل العلة ما ينشا عن الكثرة مما يشعر ببطر النعمة قال النووي والسبط بفتح الباء وكسرها لغتان مشهورتان ويجوز اسكان الباء مع كسر السين ومع فتحها على التخفيف كما في كتف وبابه (والعقيقة) وهي في الاصل الشعر الذي يولد به يقال عق عن المولود اذا حلق عقيقته يوم سابع ولادته وذبح عنه شاة وسميت باسمه عقيقة كما سمي به (شعر الرأس) لانه نبتت أصوله (أراد) من أي الراوي انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان لا يفرق شعر رأسه باختياره بل دأبه انه (ان انفرقت) أي عقيقته (من ذات نفسها) وروى من ذاتها (فرقها) أي تركها متفرقة (والا تركها) أي على حالها أي (معقوصة) أي وفرة واحدة قيل وكان هذا في صدر الاسلام وروى الشيخان وغيرهما انه كان يحب موافقة أهل الكتاب فيما لم يؤمر به وكانوا يسدلون شعورهم وكان المشركون يفرقون فسدل صلى الله تعالى عليه وسلم ناصيته ثم فرق بعد ومن ثمة قال النووي المختار جواز هما والفرق أفضل (ويروى عقيصته) أي ان انفرقت عقيصته فرقها والا تركها على حالها وهي فعيلة بمعنى مفعولة كضفيرة بمعنى مضفورة زنة ومعنى وأصله اللي وادخال اطراف الشعر في أصوله (وازهر اللون نيره) بتشديد التحتية المكسورة أي أبيض مشرق متلألئ ومنه الزهرة نجم مشهور (وقيل أزهر حسن ومنه) أي من هذا القبيل أو الاشتقاق (زهرة الحياة الدنيا أي زينتها) يعني حسنها وبهجتها

المفتوحة والباء الموحدة (أي البائن) أي الظاهر احترازا عما فوق الربعة بقليل (الطول في نحافة) هي قلة اللحم وضدها الضخامة وقيل الطويل مطلقا (وهو مثل قوله في الحديث الآخر ليس بالطويل الممغط) بضم الميم الاولى وفتح الثانية وتشديدها وكسر الغين المعجمة وطاء مهملة وأصله منمغط فابدلت النون ميما وأدغمت بمعنى الطويل من انمغط النهار اذا امتد ويقال بالعين المهملة بمعناه كما في النهاية وقال التلمساني بالمعجمة والمهملة والميم الثانية مشددة أو مخففة وهو الطول في نحافة أو الطول الذي ليس بفائق فليس بذم (والشعر الرجل) بفتح الراء المهملة وكسر الجيم من الترجيل وهو تسريح الشعر وتمشيطه والمرجل الذي سرح بمشط والرجل الذي بحاله خلقة كما في الاكمال واليه أشار بقوله (الذي كانه مشط) بالتخفيف والتشديد (فتكسر قليلا) التكسر التثني كانه كسر (ليس بسبط) بفتح الباء وكسرها وهو المرسل الذي فيه تثن كما قاله ابن عبد البر (ولا جعد) بفتح فسكون أي كثير الشعر كشعر الزنج وقال المازري شعر رجل ورجل ورجل بفتح وكسر وسكون وبكسر الراء ثلاث لغات بين السبوطة والجعودة وقيل الذي كانه مشط (والعقيقة) وهي كما تقدم في الاصل الشعر الذي يولد به الطفل لانه يعق أي يقطع سريعا ومنه العقيقة للطعام الذي يصنع عنده والشاة التي تذبح له (شعر الرأس) وأصله كما علمت شعر المولود ثم أطلق على غيره (أراد) أي ابن أبي هالة في وصفه لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله (ان انفرقت) انها انفرقت (من ذات نفسها) وذات مقحمة تاكيدا لنفسها ان وقع تفرقها من غير صنع (فرقها) بالتخفيف أي تركها منفرقة غير ملتفة (ولا تركها معقوصة) أي ان لم تتفرق بنفسها والتفت واجتمعت تركها على حالها والعقص ضفر الشعر على الرأس وليه وقيل هو لي الخصلة من الشعر ثم عقصها ثم ارسالها وعقص شعره عقده في قفاه (ويروى عقيصته) بدل عقيقته وهي الشعر المعقوص أي المضفور من العقص وهي اللي وادخال اطراف الشعر في أصوله كما في المقتفي والمشهور عقيقته لانه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يكن يعقص شعره وقيل ان هذا كان في صدر الاسلام لانه كان يحب موافقة أهل الكتاب فيما لم يؤمر به بشئ وكانوا يسدلون شعورهم والمشركون يفرقون فسدل صلى الله عليه وسلم ناصيته ثم فرق بعد وقال النووي المختار جوازهما والفرق أفضل (وأزهر اللون نيره وقيل أزهر حسن ومنه زهرة الحياة الدنيا أي زينتها) من أزهر السراج اذا نوره ومما قلته كما تقدم

(وهذا) أى كونه أزهر (كما قال) أى واصفه (فى الحديث الآخر) أى مما رواه الشيخان والترمذى (ليس بالابيض الامهق) أى الشبيه بالابرص (ولابادم) أى بالاسمر القريب الى الاحمر بل كان بياضه مشربا بحمرة (والامهق هو الناصع البياض) أى خالصه كلون الجص (والادم الاسمر اللون) واما ماورد فى حديث انه كان اسمر اللون فمحمول على ان مابرز منه للشمس كان أسمر وماسترته ثيابه كان أبيض والحاصل ان أصل خلقته أبيض وقد كان تعتريه السمرة فلا ينافى كونه أسمر فتدبر (ومثله) أى ومثل كون لونه بينهما المفاد بلا ولا (فى الحديث الآخر) أى الذى رواه الترمذى والبيهقى (أبيض مشرب) بضم ميم وفتح راء مخففة أو مشددة للمبالغة أى مشرب بحمرة كثيرة ولذا قال أى (فيه حمرة) وهذا أحسن الوجوه وأحسن الالوان من افراد أنواع الانسان كما أخبر الله سبحانه وتعالى عنه فى القرآن بقوله فى وصف الحور البيض كأنهن الياقوت والمرجان ولاعبرة ببعض الطباع العادية من ميلهم الى الصفرا والخضرا والسودان هذا وفى شرح المصابيح لابن الفقاعى الاشراب خلط لون بلون كان أحد اللونين يغنى الآخر يقال بياض مشرب حمرة بالتخفيف فاذا شدد كان للتكثير والمبالغة قلت ومنه قوله تعالى واشربوا فى قلوبهم العجل أى أخلط حبه فى قلوبهم (والحاجب الازج) أفعل من الزجج وهو دقة الحاجبين مع سبوغهما الى مؤخر العين وحسنهما (المقوس) بفتح الواو المشددة أى المشبه بالقوس فى نوع من الادارة فلا ينافيه انه (الطويل) أى طرفه وهو احتراز من كونه قصيرا 191 فلا ينافى انه لم يكن أشم (الوافر الشعر) احترازمن كونه خفيفا (والاقنى السائل الانف) أى طويله وممتده مع دقة أرنبته (المرتفع وسطه) احترازمن حدبته فان كثرتها غير مستحسن (والاشم الطويل قصبة الانف والقرن) بفتحتين وتكسر الراء (اتصال شعر الحاجبين) أى طرفيهما حتى يتلاقيا (وضده البلج) بفتحتين بعدهما جيم وهو الذى بينهما فصل بين والجمع بين الروايات ان شعر حاجبيه لم يكن فى غاية من الاتصال ولا فى نهاية من الانفصال بل على حد الاعتدال المطلوب فى جمال أرباب الكمال فلا تنافى بين ماسبق من المصنف وبين ماذكره بقوله (ووقع فى حديث أم معبد) بفتح ميم فسكون عين مهملة فوحدة وهى التى رأته صلى الله تعالى عليه وسلم فى طريق الهجرة من مكة الى المدينة (وصفه) أى وصفها اياه (بالقرن) وقد يجمع بينهما بان أم معبد رأته من بعد فظنت انه أقرن لقرب طرفيهما التقاء فوصفته بالقرن وعلى كرم الله تعالى وجهه حققهما من قرب فرآهما كادا يلتقيان فوصفه بالبلج واما قول الدلجى من ان الصحيح وصفه بالبلج اذ هو المحمود عند العرب دون القرن فغير صحيح لانه صلى الله تعالى عليه وسلم خلق على جمال موصوف بكمال عند العرب والعجم نعم يستبعد تجويز الحلبى حدوث القرن له عليه الصلاة والسلام بعد فانه ينزه عليه الصلاة والسلام عن حدث مايعد عيبا فيه (والادعج) من الدعج وهو السواد فى العين وغيرها وقيل هو شدة سواد العين فى شدة بياضها وهو المراد ههنا وقوله (الشديد سواد الحدقة) أى حدقة العين من باب الاقتصار أو من قبيل الاكتفاء والاختصار أو لتحقق البياض فى غالب العادة وانما تختلف الحدقة باعتبار السواد والزرقة والشهلة (وفى الحديث الآخر) أى الذى رواه مسلم (أشكل العين وأسجر العين) بمهملة فجيم وهما بمعنى واحد (وهو الذى فى بياضها حمرة) أى يسيرة والشكلة بالضم شكلة محبوبة محمودة ثم اعلم ان فى القاموس عين سجراء خالطت بياضها حمرة فاضبط فى بعض النسخ الصحيحة بالحاء المهملة ليس فى محله لما فى القاموس من ان السحر بفتحتين هو البياض يعلو السواد واما ضبط بعضهم بالشين المعجمة فلا وجه له أصلا

من حرصك بالغناء كم تشتغل * والعمر مضى فما يفيد الامل
ما زهرة هذه الحياة الدنيا * للفرك بامل المنا تحتمل

(وهذا كما قال فى الحديث الآخر ليس بالابيض الامهق ولا بالادم والامهق هو الناصع) أى الخالص (البياض) والمهق شدة البياض من غير مخالطة حمرة وقيل مايقرب بياضه من الزرقة ويقال أهمق بتقديم الهاء أيضا وهو من القلب (والادم الاسمر اللون ومثله فى الحديث الآخر أبيض مشرب) بالتشديد على زنة اسم المفعول المزيد ويقال مشرب بالتخفيف والتشديد للتكثير والمبالغة والاشراب خلط لون بلون فكأنه شرب وأكثر مايقال فى الحمرة (أى فيه حمرة والحاجب الازج المقوس الطويل الوافر الشعر والاقنى السائل الانف المرتفع وسطه والاشم الطويل قصبة الانف والقرن) بفتحتين (اتصال شعر الحاجبين وضده البلج) كما تقدم مافيه ولا حاجة لقول التلمسانى البلج صباحة الوجه فلا ينافى مافى حديث أم معبد من وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم بالقرن الذى أشار اليه بقوله (ووقع فى حديث أم معبد وصفه بالقرن) وروايته مثله عن أبى عبيدة فان المشهور خلافه ويؤيده ان العرب تكرهه (والادعج الشديد سواد الحدقة) فى الصحاح الدعج شدة سواد العين مع سعتها وكذا فى غيره (و) هو لا ينافى قوله (فى الحديث الآخر أشكل العين وأسجر العين) بسين مهملة وجيم (وهو الذى فى بياضها حمرة) أى اللون الذى فى بياض العين وحمرة بدل منه بناء على جواز ابدال النكرة من المعرفة

(والضليع) أى الفم كما سبق أى عظيمه وهو ممدوح فى الرجال كما مر وقيل كما قال المصنف (الواسع) فالمراد به الوسع فى الجملة كاعتدال الخلقة لاضيقه بالمرة (والشنب) بفتح النون (رونق الاسنان وماؤها) أى صفاؤها وبهاؤها وانما يتمادح بكثرة الريق فى المحاورات والخطب والحرب لانه يدل على ثبات جنان المتكلم ورباطة جاشه ففؤاده رطب بخلاف الجبان اذا تكلم فى هذه المحافل جف ريقه فى فمه وما ألذ قول العارف ابن الفارض قدس سره

عليك بها صرفا وان شئت مزجها * فعدلك عن ظلم الحبيب هو الظلم

(وقيل) أى فى معناه (رقتها) بالراء بمعنى دقتها (وتحزيزفيها) بزايين أى أشر وتحديدفيها (كما يوجد فى اسنان الشاب) أى لانهم فى زمان ازدياد قواهم النامية واشتعال حرارتهم الغريزية المورثة لابتهاج نضارة الاعضاء وبهائها وحسن رونقها وبريق مائها (والفلج) بفتحتين (فرق بين الثنايا) واحدتها ثنية ومجموعها أربع وهى الاوائل المبدوءة (ودقيق المسربة) بضم الراء (خيط الشعر الذى بين الصدر والسرة) أى الذى لدقته وقلته وطوله كالخيط الدقيق الممتد من الصدر الى السرة (بادن ذو لحم) أى البادن باعتبار أصله هو الضخم من البدانة وهى كثرة اللحم ولم يكن صلى الله تعالى عليه وسلم سمينا بدينا ولذا عطف عطف تفسير بقوله (ومتماسك) ثم بينه بعطف بيان حيث قال (معتدل ١٩٢ الخلق) أى متوسطه ومع ذلك (يمسك بعضه بعضا) أى ولم يكن لحمه مسترخيا فلم يكن (صلى الله تعالى عليه وسلم) ضخما بل كان فخما فافرق بينهما فانهما ولا تتبع ما قال بعضهم وهما والحاصل ان مضمون هذا الحديث فى افادة اعتدال خلقه من جهة لحمه وغيره (مثل قوله فى الحديث الآخر) أى على ما رواه الترمذى والبيهقى (لم يكن بالمطهم) بتشديد الهاء المفتوحة (ولا بالمكلثم) بفتح المثلثة (أى ليس بمسترخى اللحم) تفسير للمطهم أى لم يكن فاحش السمن والاوجه ان معناه لم يكن منتفخ الوجه لانه من لوازم كثرة اللحم

قاف

(والمكلثم القصير الذقن) بفتحتين أى الحنك الدانى اليه والمشهور تفسيره بمدور الوجه سواء كان مع خفة لحمه أو كثرته (وسواء البطن والصدر) هكذا الرواية بتقديم البطن على الصدر وان كان الاظهر عكسه كما وقع فى أصل الدلجى لكنه ليس بمعتبر حيث يخالف الاصول (أى مستويهما) يعنى لا ينبو احدهما عن الآخر بان لا يكون بطنه ضخما مرتفعا ولا صدره منخفضا (ومشيح الصدر) بضم ميم فشين معجمة مكسورة على ما فى النسخ المعتبرة (ان صحت هذه اللفظة) أى بالضبط المذكورة (فيكون) أى المشيح (من الاقبال) اسم فاعل من أشاح بمعنى أقبل فالمراد انه مقبل الصدر (وهو) أى الاقبال (احد معانى أشاح) ومنها اعرض ذكره الدلجى وفى القاموس الشيح بالكسر الجاد فى الامور كالشائح والمشيح والحذر وقد شاح وأشاح على حاجته والمشيح المقبل عليه والمانع لما وراء ظهره (أى انه كان بادى الصدر) بالياء أى ظاهره (ولم يكن فى صدره قعس) بفتحتين وهو خروج الصدر ودخول الظهر ضد الحدب

أو الذى صفة لمقدر وجرة خبر آخر وهو ممدوح لانه فى البياض لا فى الحدقة وقيل الاشكل طويل شق العين كما فى المصابيح الا أنه غلط فيه كما مر فى الفصل الثانى ومنهم من قال الدعج لغة زرقة فى بياض مستدلا بقوله

يارب ان العيون السود قد فتكت * فينا وصالت باسياف من الدعج

اذ السيوف زرقة أى مخلوقة من الدعج كقولهم انت مما تفعل وخلق الانسان من عجل على قول وقيل لا حجة فيه لاحتمال انه من الدعج بضمتين على انه تجريد وهو جمع ادعج وتشبيهها بالسيوف فى فتكها لا فى لونها فانها يقال لها البيض كما يقال للرماح والزرق انما هى السهام قال امرؤ القيس

أيقتلنى والمشرفى مضاجعى * ومسنونة زرق كانياب اغوال

(والضليع الواسع والشنب رونق الاسنان وماؤها وقيل رقتها وتحزيزفيها كما يوجد فى اسنان الشباب والفلج فرق بين الثنايا) الى آخره كما تقدم مافيه وماؤها صفاؤها كما يقال ماء الجمال والماء يستعار لمعان فصلها الثعالبى فى المضاف والمنسوب وقيل المراد بالماء بريق الفم والمراد بتحزيزها زايين معجمتين كون اطرافها دقيقة كالشرافات لها (ودقيق المسربة خيط الشعر الذى بين الصدر والسرة بادن ذو لحم متماسك) أى لا سمين فانه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يكن كذلك وهو ممدوح فهو (معتدل الخلق) فى المقتفى هو اشارة لدفع احتمال السمين وكذا قوله (يمسك بعضه بعضا مثل قوله فى الحديث الآخر لم يكن بالمطهم) أى فاحش السمن منتفخ الوجه (ولا بالمكلثم أى ليس بمسترخى اللحم والمكلثم القصير الذقن وسواء البطن والصدر أى مستويهما ومشيح الصدر) بضم الميم والشين المعجمة كما مر (ان صحت هذه اللفظة) فى صفته صلى الله تعالى عليه وسلم (فيكون من الاقبال) فى صدره (وهو احد معانى اشاح أى انه كان بادى الصدر) المراد به انه (لم يكن فى صدره قعس) بفتحتين وعين وسين مهملتين بعد

(وهو تطامن فيه) بفتحتين فسكون همز وقد يبدل أي انخفاض (وبه) أي بكون المعنى باد ياصا ره الى آخره (يتضح قوله قبل) أي يتبين معنى ما روى من قبل ذلك (سواء البطن والصدر) بالاضافة وقيل بتنوين سواء ورفع ما بعده (أي ليس بمتقاعس الصدر) أي غير منخفضة (ولا مفاض البطن) مجرور بالعطف على متقاعس وزيد لا للتأكيد وهو بضم ميم ففاء فمعجمة أي ضخمه ومرتفعه (ولعل اللفظ) أي صحف على ان أصله (مسيح بالسين) أي المهملة (وفتح الميم) أي لا بضمها (بمعنى عريض) أي وسيع الصدر مأخوذ من المساحة وهو طول المسافة ومنه الساحة وهي فناء الدار المتسعة (كما وقع في الرواية الأخرى) أي بهذا اللفظ صريحا ويناصره تلويحا حديث كان مسيح القدمين أي ممسوح ظاهرهما وهما (ملساوان اذا مسهما الماء نبا عنهما وحكاه ابن دريد) بالتصغير (والكراديس) جمع الكردوس (رؤس العظام وهو) أي قوله والكراديس رؤس العظام (مثل قوله في الحديث الآخر) أي الذي رواه الترمذي والبيهقي (جليل المشاش) بضم الميم أي ضخم رؤس العظام كالركبتين ١٩٣ والمرفقين والكتفين على ما في النهاية أو رؤس العظام اللينة التي يمكن مضغها على ما في الصحاح وهو أقرب الى مادة المشمشة يقال تمشمش العظام تمشمشا (والكتد) بالجر عطف على المشاش وهو بفتح التاء أفصح من كسرها وهذا لفظ الحديث ثم قال المصنف (والمشاش رؤس المناكب) جمع منكب وهو ما بين الكتف والعنق والكتد مجمع الكتفين بفتح الميم الثانية وهو الكاهل وقيل ما بين الكاهل الى الظهر (وشثن الكفين والقدمين لحيمهما) وهو خلاف ما مر في تعريفهما (والزندان) تثنية الزند (عظما الذراعين) أي رأسهما على طبق ما سبق أو قصبتاهما على خلاف ما تحقق قال الاصمعي أخبرني أبي انه لم ير أحدا اعرض زندا من الحسن البصري كان عرضه شبرا (وسائل الاطراف أي طويل الاصابع) أي من اطراف يديه ورجليه (وذكر ابن الانباري) بفتح الهمزة بعدها نون ساكنة منسوب الى مدينة الانبار مدينة بالفرات وهو محمد بن القاسم ابن بشار وقد جاء في بعض الاحاديث قال الانباري ولم يسمه وهو محمد بن سليمان الانباري فاعلمه كذا ذكره التلمساني (انه) أي هذا اللفظ (روى سائل الاطراف) أي بالشك في روايته لقوله (أو قال) أي الراوي (سائن بالنون قال) أي الانباري (وهما بمعنى) أي واحد كجبريل وجبرين (تبدل اللام من النون) يعني فالاصل هو النون والاظهر ان الاصل هو اللام وان النون تبدل منها لتقاربهما في مخرجيهما أو لتجانسهما في حيزهما وهذا كله (ان صحت الرواية بها) أي بالنون فان الرواية باللام ثابتة بلا مرية (واما على الرواية الأخرى) أي بالراء كما بينه بقوله (وسائر الاطراف فاشارة الى فخامة جوارحه كما وقعت مفصلة في الحديث) أي كما مر في فصل قبله

قاف (وهو تطامن فيه) أي في الصدر قيل ان هذا مخالف لقول الجوهري القعس خروج الصدر ودخول الظهر ضد الحدب لان التطامن الانخفاض كقول ابن مالك رحمه الله تعالى في نظم الكفاية

والميل من ارنبة الانف خنس * وعرض انف مع تطامن فعس

وفي الروض الانف الحدب انحناء في الظهر وقد يكون مستعملا في معنى المخالفة اذا قرن بالقعس كقوله

فان حدبوا فاقعس وان هم تقاعسوا * لينتزعوا ما خلف ظهرك فاحدب

قلت وكذا فسره الشراح والظاهر ان مراده عدم الارتفاع بقرينة انه وردانه مستوى البطن والصدر وقد صرح به المصنف في قوله (وبه يتضح قوله قبل سواء البطن والصدر أي ليس بمتقاعس الصدر ولا مفاض البطن) والعجب منه بعد هذا كيف يعترض عليه وكيف يصح تفسيره بغير ما ذكر ومفاد بضم الميم وفتح الفاء وآخره ضاد معجمة ضخم البطن وقيل مسترخي اللحم وقيل عظيم البطن أو عظيمها مسترخي اللحم (ولعل هذه اللفظة مسيح بالسين وفتح الميم بمعنى عريض كما وقع في الرواية الأخرى وحكاه ابن دريد والكراديس رؤس العظام وهو مثل قوله في الحديث الآخر جليل المشاش والكتد) جليل بفتح الجيم بمعنى عظيم (والمشاش) بضم الميم وشينين معجمتين واحده مشاشة وهي رؤس العظام كالمرفقين والكتفين والركبتين وفي الصحاح (رؤس المناكب) أي العظام اللينة التي يمكن مضغها ويقال تمششها (والكتد) بفتح الكاف وكسر المثناة الفوقية ويجوز فتحها فسره المصنف بانه (مجتمع الكتفين وشثن الكفين والقدمين لحيمهما والزندان عظما الذراعين وسائل الاطراف أي طويل الاصابع) وسائر الكلام عليه مفصلا (وذكر ابن الانباري) محمد بن قاسم بن بشار اللغوي نسبة للانبار بفتح الهمزة قرية قريبة من الفرات ولهم أنباري آخر منها راو للحديث وهو محمد بن سليمان والانبار معربة معناها مخزن القمح (انه روى سائل الاطراف أو قال سائن بالنون وهما بمعنى واحد تبدل اللام من النون ان صحت الرواية بها واما على الرواية الأخرى وسائر الاطراف فاشارة الى فخامة جوارحه) عليه الصلاة والسلام (كما وقعت مفصلة في الحديث

(ورحب الراحة) بفتح الراء وضمها (أي واسعها) وهي الكف لحقيقة وهو ظاهر (وقيل كنى) أي واصفه (بها) أي بالراحة وفي نسخة صحيحة به أي بقوله رحب الراحة (عن سعة العطاء والجود) ولا منع من الجمع بين العبارة والاشارة (خمصان الاخمصين) بضم أوله (أي متجافي اخمص القدم وهو الموضع الذي لا تناله الارض من وسط القدم) وفي النهاية ان خمصان للمبالغة قال وسئل ابن الاعرابي عنه فقال اذا كان خمص الاخمص بقدر لم يرتفع جدا ولم يستو اسفل القدم جدا فهو أحسن ما يكون واذا ارتفع جدا فهو ذم فالمعنى ان اخمصه معتدل الخمص (ومسيح القدمين أي أملسهما ولهذا) أي لكونهما ملساوين (قال الراوي في الحديث السابق ينبو عنهما الماء) وقد تقدم معناه (وفي حديث أبي هريرة) أي كما رواه البيهقي (خلاف هذا) أي خلاف كون قدميه أخمصين لانه (قال اذا وطئ بقدمه) بكسر الطاء أي داس بهما أو وقف عليهما (وطئ بكلها ليس له أخمص) ويمكن الجمع بينهما بان مراد أبي هريرة انه وطئ بكلها الا بعضها كما يفعله بعض أرباب الخيلاء وان قوله ليس له أخمص محمول على نفي المبالغة كما تقدم أو انه مدرج من الراوي بحسب ما فهمه من حديثه وهذا الجمع أولى مما اختاره المصنف حيث قال (وهذا) أي معنى قوله ليس له أخمص (يوافق معنى قوله مسيح القدمين) وفيه انه لا منافاة بين كونه أخمص وبين كونه مسيحا لما سبق من ان قدمه كانت ملساء كأنها ممسوحة واما قول الانطاكي من ان باطليس ذكر في المغني في صفته عليه الصلاة والسلام انه كان لرجله اخمص فمحمول على ما ذكرناه من الجمع بانه كان له بعض الخمص لانه لم يبلغه حديث أبي هريرة أو لم يصح الحديث عنده كما اختاره الانطاكي (وبه) أي بمسح القدمين (قالوا) أي بعضهم (سمى المسيح ابن مريم أي لم يكن له اخمص) أي بطريق المبالغة لا بالكلية مع ان الانسان يقال لكون قدمه ملساء ممسوحة (وقيل لا لحم عليها) وفيه انه لا يظهر وجه المناسبة الاشتقاقية حينئذ أصلا (وهذا) أي قوله لا لحم عليها (أيضا يخالف قوله شثن القدمين) أي عند من فسره بلحيمهما كالمصنف واما عند من فسره بميلهما الى غلظ وقصر أو في أناملهما غلظ بلا قصر فلا اذ لا تلازم بين اللحمية والغلظ فقد يكون الغلظ بلا كثرة و يقصد اللحم (والتقلع رفع الرجل بقوة) أي مع تثبت في المشي بحيث لا يظهر فيه شدة ولا سرعة (والتكفؤ الميل الى سنن المشي) بفتحتين وفي نسخة الممشى على انه مصدر ميمي أو اسم مكان أي الى صوبه (وقصده) أي من جهته معتدلا بها من غير انحراف عنها وفي الحديث القصد القصد تبلغوا أي الزموا الامر الوسط في العمل تصلوا ما تقصدونه من المحل فنصبه على الاغراء وتكراره للتاكيد بالبناء والهون مبتدأ وخبره (الرفق والوقار) وفي رواية كان يمشي الهوينا تصغير الهونى تانيث الاهون فيكون القصد منه المبالغة في الهون المندوب في قوله تعالى وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا وفي الادب المفرد عنه صلى الله تعالى عليه وسلم أحبب حبيبك هونا ما أي لا افراط فيه بل قليلا قليلا بشهادة ضم ما اليه (والذريع الواسع الخطو) أي من الذرع وهو الطاقة والوسع ومنه قوله تعالى وضاق بهم ذرعا (أي ان مشيه كان يرفع فيه رجليه بسرعة) أي بقوة (ويمد خطوه) أي في مشيه (خلاف مشية المختال) أي لعصمته من الاختيال ولقوله عز وجل ولا تمش في الارض مرحا انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا والمشية بكسر الميم لانه مصدر للنوع

ورحب الراحة أي واسعها وقيل كناية عن سعة العطاء والجود وقوله (خمصان الاخمصين) تقدم ضبطه وما فيه وفسره هنا بقوله (أي متجافي أخمص القدم وهو الموضع الذي لا تناله الارض من وسط القدم) هو بفتح السين والكثير سكونها وضابطه انه ان استعمل في متفرق الاجزاء كالناس والدواب فبالسكون وقد تفتح أو في متصلها كالدار والرأس فبالفتح وقد تسكن وقال الجوهري وغيره والاول ظرف والثاني اسم ومن هنا يعلم انهم لا يريدون بالاسم في امثال هذا الكلام اسم المصدر بخصوصه اذ الوسط بالمعنى الثاني ليس اسم مصدر قطعا ثم قضيته انه ليس ظرفا اذ لا يقال جلسنا وسط الدار بل في وسطها أي ما توسط منها (ومسيح القدمين أي أملسهما ولذلك قال ينبو عنهما الماء وفي حديث أبي هريرة) رضي الله تعالى عنه (خلاف هذا قال فيه اذا وطئ بقدمه وطئ بكلها ليس له أخمص وهذا يوافق معنى قوله مسيح القدمين وبه قالوا سمى المسيح عيسى بن مريم أي لم يكن له أخمص وقيل مسيح لا لحم عليهما وهذا أيضا يخالف قوله شثن القدمين) اذا فسر بلحيمهما واما اذا فسر بميلهما الى غلظ وقصر او بغلظ الاصابع فلا وزعم أبو عبيدة ان شثنهما بمعنى غليظهما مع قصرهما قال في المطالع وقد جاء ضد هذا وهو سائل الاطراف يشير الى رد زعمه قال وليس الشثن بعيب في الرجال بخلاف النساء ردا لمن زعم انه معيب فقد تقدم انه محمود في الرجال دون النساء (والتقلع رفع الرجل بقوة والتكفؤ الميل الى سنن المشي وقصده والهون الرفق والوقار والذريع الواسع الخطو أي ان مشيه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يرفع فيه رجليه بسرعة ويمد خطوه) بالخاء المعجمة وسكون الطاء المهملة وفسره بقوله (خلاف مشيه المختال

(ويقصد) بكسر الصاد (سمته) أي مقصده في طريقه بدون ميل عن وسطه لقوله سبحانه وتعالى واقصد في مشيك (وكل ذلك) أي ما ذكر من المراعاة في مشيه إنما كان (برفق) أي وفق لطف (وتثبت) أي طلب ثبات دون عجلة إذ هي أيضا مذمومة كالخيلاء فكان مشيه معتدلا (كما قال) الراوي (فكأنما ينحط) أي ينزل (من صبب) وفي رواية في صبب وهو بفتحتين أي منحدر وروي كأنما يهوي من صبوب بضمتين (وقوله يفتتح الكلام ويختمه بأشداقه) أي بجوانب فمه جمع شدق بالكسر (أي لسعة فمه) يعني إنما كان ذلك لاتساع فيه (والعرب تتمادح بهذا) أي بوسع الفم وعظمته لدلالته على فصاحة صاحبه وبلاغته (وتذم بصغر الفم) الباء زائدة أو سببية أي تذم الانسان لصغر فمه ولا يعارض حديث أبغضكم إلي الثرثارون المتشدقون لأن المراد بهم المتوسعون في الكلام بدون احتياط واحتراز في نظام المرام والمستهزؤن بالناس بلي الشدق ونأي الجانب والتمطي ونحو ذلك من أفعال اللئام (وأشاح) أي بناء على أحد معانيه (مال) أي إلى كذا أماما أو وراء ظهره (وانقبض) أي عما أرهقه وأغضبه إذ المشيح هو الحذر والجاد في الأمر أي المقبل عليه وفي الحديث أنه صلى الله تعالى عليه وسلم ذكر النار ثم أعرض وأشاح أي حذر منها كأنه ينظر إليها أو جد في الإيصاء باتقائها أو أقبل ومال في خطابه إليه (وحب الغمام) أي السحاب (البرد) بفتحتين شبه بحب الأرض ولو من بعض الوجوه (وقوله فيرد ذلك بالخاصة على العامة) ولما كانت الجملة المضارعية لحكاية الحال الماضية صح تفسيره بقوله (أي جعل من جزء نفسه) أو بعض أوقات حظ نفسه (ما يوصل الخاصة إليه) أي زمانا يجعله لا يكون وسيلة إلى توصيل الخاصة إليه (فتوصل عنه العامة) أي بالواسطة لعدم إمكان الزمان أو لضيق مكانه عن وصول كافة ١٩٥ الخلق إلى حصول إدراك شأنه وما لا يدرك كله لا يترك كله (وقيل يجعل منه للخاصة ثم يبدلها في جزء آخر بالعامة) وقد عرفت وجه ضعفه فيما تقدم والله تعالى أعلم (ويدخلون) أصحابه عنده (روادا) بضم راء وتشديد دال جمع رائد (أي محتاجين إليه وطالبين لما عنده) لما لديه من هداية ومعرفة نازلة عليه (ولا ينفرقون) أي لا ينصرفون كما في نسخة (إلا عن ذواق) بفتح أوله بمعنى مذوق من الذوق المعنوي أو الحسي (قيل عن علم يتعلمونه) أي ثم يصيرون هداة للناس يعلمونهم ومثل هذا روي عن أبي بكر بن الأنباري وزاد عليه فقال فيقوم لهم ما يتعلمونه مقام الطعام والشراب لأنه عليه الصلاة والسلام كان يحفظ أرواحهم كما يحفظ الطعام والشراب أجسامهم وأشباههم (ويشبه) أي والأشبه (أن يكون) أي ذواقهم (على ظاهره) أي من مأكول أو مشروب باعتبار الأكثر الأغلب وإلى هذا المعنى قال الإمام الغزالي في الإحياء والحمل على المعنى الأعم هو الأتم والله تعالى أعلم (والعتاد) بالفتح (العدة) بالضم (والشيء الحاضر المعد) بصيغة المجهول أي المهيأ لما يقع من الأمور الملمة والأحوال المهمة (والموازرة المعاونة) من الوزر وهو في الأصل الحمل والثقل ومنه قوله تعالى واجعل لي وزيرا من أهلي أي معينا يحمل عن بعض حملي وفي حديث البيهقي نحن الأمراء وأنتم الوزراء جمع وزير وهو من يوازر السلطان فيحمل عنه ما حمله من أثقال الزمان (وقوله لا يوطن الأماكن) بتشديد الطاء وتخفيفها (أي لا يتخذ للصلاة موضعا معلوما) أي لا يصلي إلا فيه (وقد ورد نهيه عن هذا) أي إيطان المكان في المساجد (مفسرا) أي مصرحا ومبينا (في غير هذا الحديث) أي من حديث الحاكم وغيره كما سبق (وصابره أي حبس نفسه على ما يريد صاحبه ولا تؤبن فيه) أي في مجلسه (الحرم) بضم ففتح (أي لا يذكرون فيه بسوء ولا تنثى فلتاته أي لا يتحدث بها) أي مطلقا وهو يحتمل احتمالين كما بينه بقوله (أي لم يكن

ويقصد سمته وكل ذلك برفق وتثبت دون عجلة كما قال فكأنما ينحط من صبب وقوله) في صفته عليه الصلاة والسلام (يفتتح الكلام ويختمه بأشداقه أي لسعة فمه والعرب تمدح بهذا (٢) وتذم بصغر الفم وأشاح مال وانقبض وحب الغمام البرد وقوله فيرد ذلك بالخاصة على العامة أي جعل من جزء نفسه ما يوصل الخاصة إليه فيوصل عنه للعامة وقيل يجعل منه للخاصة ثم يبدلها في جزء آخر بالعامة و) قوله (يدخلون روادا أي محتاجين إليه وطالبين لما عنده و) قوله (لا ينصرفون إلا عن ذواق) تقدم ضبطه (قيل عن علم يتعلمونه) منه عليه الصلاة والسلام (ويشبه أن يكون على ظاهره أي في الغالب والأكثر والعتاد العدة والشيء الحاضر المعد والموازرة المعاونة وقوله لا يوطن الأماكن أي لا يتخذ للصلاة موضعا معلوما وقد ورد نهيه) صلى الله تعالى عليه وسلم (عن هذا مفسرا في غير هذا الحديث وصابره أي حبس نفسه) الشريفة (على ما يريد صاحبه و) قوله (لا تؤبن فيه الحرم) تقدم ضبطه وفسره هنا بقوله (أي لا يذكرن بسوء و) قوله (لا تنثى فلتاته) تقدم ضبطه وفسره هنا بقوله (أي لا يتحدث بها أي لم يكن

(٢) وفي النسخة لعلي القاري تتمادح

فيه فلتة) فالنفي الى القيد والمقيد (وان كانت) أي فلتة فرضا وتقديرا (من أحد) أي من غيره صلى الله تعالى عليه وسلم (سترت) أي في ذلك المجلس وماذكرت في غيره لقوله عليه الصلاة والسلام المجالس بالامانة (و يرفدون يعينون) أي كل من يريد الاعانة أو الاغاثة (والسخاب الكثير الصياح) بكسر الصاد (وقوله لايقبل الثناء لامن مكافئ) استثناء مفرغ (قيل من مقتصد في ثنائه ومدحه) أي لم يذ ته وصفه الى اطرائه (وقيل الامن مسلم) أي كامل فان ثناءه لايكون الافي محله اللائق به وتوضيحه انه كان لايقبل الثناء عليه الامن رجل يعرف حقيقة اسلامه وحقيقة مراده ولايدخل عنده في جملة المنافقين الذين يقولون بالسنتهم ماليس في قلوبهم فاذا كان المثنى عليه بهذه الصفة قبل ثناءه وكان مكافئا ١٩٦ ماسلف من نعمة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عنده واحسانه اليه (وقيل الامن مكافئ

فيه فلتة وان كانت من أحد سترت و) قوله (يرفدون) ذا الحاجة (يعينون والسخاب الكثير الصياح وقوله ولا يقبل الثناء الامن مكافئ قيل مقتصد في ثنائه ومدحه وقيل الامن مسلم وقيل الامن مكافئ على يد سبقت من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم له) أي نعم واليد تطلق على الجارحة وعلى النعم لانها بمنزلة العلة الفاعلية لها لصدورها عنها الا انه خولف بينهما في الجمع فقيل في الجارحة أيد وفي النعمة أيادي و يدي بضم المثناة التحتية وكسر الدال المهملة وتشديد الياء كقوله * فان له عندي يديا وأنعما * والاصح انها في الجمع سواء كما أثبته أهل اللغة بشواهده فلاحاجة للاطالة بذكره (و يستفزه يستخفه وفي حديث آخر في وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم منهوس) بسين مهملة ومعجمة (العقب أي قليل لحمها) أي قليل لحم العقب وقيل بالمعجمة معناه ناتئ العقبين معروفهما قاله ابن قرقول برمته وأول هذين التفسيرين يوافق كلام المصنف والمراد جنس العقب لاعقب واحد كما تقدم مثله وثانيهما يخالفه لانه اعتبر فيه النتو مع قلة اللحم لانه معنى المعروف قليل اللحم كما في الصحاح (وأهدب) بدال مهملة (الاشفار) بشين معجمة وفاء وراء مهملة وهي حروف الاجفان التي ينبت عليها الشعر المسمى بالهدب واحدها شفر بضم فسكون كهدب و يكون مطلق الطرف (أي طويل شعرها) انتهى التفسير والحمد لله رب العالمين وصلى الله تعالى على سيدنا محمد وآله وصحبه الطيبين وسلم تسليما كثيرا

(الباب الثالث فيما ورد من صحيح الاخبار)

المراد مارواه الثقات بسند متصل وسلم من العلة القادحة وقد يطلق على مايشمل الحسن كما فصل في مصطلح الحديث والخبر تقدم أنه يراد به الحديث وقد يراد به معناه الاعم الشامل له ولغيره وعلى هذا فالصحيح بمعناه اللغوي وما ثبت صدقه فقوله (ومشهورها) ليس من عطف الخاص على العام ومن قاله كأنه أراد به قسما منه وهو مااشتهر بين المحدثين أو أرجع الضمير لصحيح الاخبار وأنثه رعاية لمعناه أولا كتسابه التانيث من المضاف اليه فلا وجه لتخطئته فيه (بعظيم قدره عند ربه) متعلق بورد والباء للتعدية أو الالصاق (ومنزلته) عطف تفسير والقدر والمنزلة والمرتبة والرتبة بمعنى الشرف (وماخصه به في الدارين) الدنيا والآخرة غلب اطلاقه عليهما (من كرامته صلى الله تعالى عليه وسلم) بيان لما وكرامته وجلالته وعزته وضمير خصه له أولما وكذا به والباء داخلة على المقصور أو المقصور عليه وكل منهما جائز بلا خلاف انما اختلافهم في أصله وحقيقته (لاخلاف) أي لاحد من المسلمين

على يد) أي نعمة (سبقت من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم له) أي من احسان صوري والافلا يخلو أحد منه من انعام معنوي (و يستفزه) بتشديد الزاي (يستخفه) بتشديد الفاء (وفي حديث آخر) أي كما رواه مسلم (في وصفه عليه الصلاة والسلام منهوس العقب) بمهملة ومعجمة على ماذكره ابن قرقول في مطالعه ثم فسره بما فسره المصنف (أي قليل لحمها) يعني كأنه نهس فان النهس هو أخذ اللحم بالاسنان ثم قال وقيل هو بالمعجمة ناتئ العقبين معروفهما وفسر في الحديث شعبة المهملة قال قليل لحم العقب انتهى ولايخفى ان تفسير شعبة الراوي هو الاولى هنا وفي رواية منهوس الكعبين وفي أخرى القدمين (وأهدب الاشفار) أي أشفار العين بل جمع شفر بالضم وهي حروف الاجفان التي ينبت عليها الشعر وذلك الشعر هو الهدب وجمعه اهداب وحرف كل شئ شفره وشفيره (أي طويل شعرها) وعن الشعبي كانوا لايوقتون في الشفر شيا أي لايوجبون فيه شيا مقدارا وهو مخالف للاجماع على وجوب الدية في الاجفان ذكره الدلجي وفيه انه انما نفى الشئ المقدر في الشريعة وهو لاينافي ماذكره الفقهاء بطريق الحكومة

(الباب الثالث) أي من القسم الاول (فيما ورد من صحيح الاخبار ومشهورها) أي عند المحدثين فهو متوسط بين المتواتر والآحاد والغالب فيه أن يكون صحيحا وربما يكون حسنا ولايكون ضعيفا أو عند العامة فيشمل الصحيح وغيره و ربما يكون موضوعا والاظهر ان الشيخ أراد به النوع الاول كما يقتضيه مقام المرام فتامل وعلى كل فهو من قبيل عطف العام على الخاص لاعكسه كما زعم من توهم ان كل مشهور صحيح (بعظيم قدره) متعلق بورد والباء للتعدية أي بمقداره المعظم (عند ربه ومنزلته) أي و برفعة مرتبته عند ربه الاكرم (وماخصه به في الدارين) أي الاولى والآخرة (من كرامته صلى الله تعالى عليه وسلم) بيان لما (لاخلاف

بل العقلاء لانعقاد الاجماع عليه ولا يعتد بما زعمه بعض أهل الكتاب (انه أكرم البشر) والنوع الانسانى وتقديره فى انه وحذف الجار فى مثله مقيس مطرد (وسيد ولد آدم) السيد من ساد غيره أى فاقه فى الشرف والكمال وفى اطلاق السيد عليه صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى الله وعلى غيره أقوال قال البيهقى فى كتاب الاسماء والصفات السيد اسم لله تعالى لم يرد فى القرآن وورد فى الحديث فعن مطرف انطلقت فى وفد بنى عامر الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقلت أنت سيدنا فقال السيد هو الله قلنا وأفضلنا فضلا وأعظمنا طولا فقال قولوا بقولكم أو ببعض قولكم ولا يستجرنكم الشيطان * قال الحليمى ومعناه المحتاج اليه بالاطلاق الله فان سيد الناس انما هو رأسهم الذى يرجعون اليه وبامره يعملون وعن رأيه يصدرون ومن قوله يستمدون الى آخره فهذا دليل على اطلاقه على الله ودليل اطلاقه على غيره سواء كان نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم كما فى هذا الحديث أو غيره كقوله تعالى وألفيا سيدها لدى الباب فهذا يدل على اطلاقه على الله وعلى غيره مطلقا وهو القول الاصح وحكى عن مالك امتناع اطلاقه على الله تعالى ويطلق على غيره وهو القول الثانى والثالث انه لا يطلق الا على الله لحديث السيد الله بالحصر والرابع انه اذا عرف بالالف واللام اختص بالله كما ذكره الدمامينى فى أول شرح التسهيل وهو انه اذا أطلق على الله فمعناه المحتاج اليه فى جميع الامور واذا أطلق على غيره فمعناه الرئيس الذى يتبعه قومه كما فصله اه فى شرح أسماء الله الحسنى وقد ورد فى الحديث النهى عن تسميته سيدا وهو اما تواضع منه صلى الله تعالى عليه وسلم أو المراد نهيه عن سيادة دنيوية فلا منافاة بينه وبين هذا وأما فى الصلاة فاختلف فى الافضل فيها هل هو صلى الله على سيدنا محمد أو على محمد ولابن حجر كلام فيه فى الفتاوى سيأتى فى محله والولد يطلق على الواحد الذكر وغيره والمراد سيد آدم وولده ولذا عقبه بقوله (وأفضل الناس منزلة عند الله) واذا كان صلى الله تعالى عليه وسلم أفضل الناس علم انه أفضل الثقلين ولا حاجة الى أن يقال ان الناس يطلق على ما يشمل الجن وان ذهب اليه بعض اللغويين فى قوله تعالى قل أعوذ برب الناس وقالوا قوله تعالى من الجنة والناس بيان له والعرب تقول ناس من الجن وذهب السبكى فى فتاويه الى انه يطلق على ما يقابل الجن وعلى ما يشملهما وانه على الاول أصله أناس من الانس وعلى الثانى من نوس فالناس الاول غير الثانى وهو كلام حسن (وأعلاهم درجة) الدرجة واحدة الدرج وهى مواطئ السلم لما يعلو وذكره بعد المنزلة فيه لطف لان علو المراقى يقتضى زيادة علو المنازل (وأقربهم زلفى) أى قربى وهو كجد جده وقيل هو اسم أقيم مقام المصدر المؤكد فهو فى معنى أقربهم تقريبا وليس تمييزا كمنزلة ودرجة (واعلم ان الاحاديث) جمع حديث على خلاف القياس قيل ولا يناسب ان يكون جمع احدوثة لانها تختص بالمضحكات والشرور وربما تستعمل فى الخير أيضا كقوله

من الخفرات البيض ود جليسها * اذا ما انقضت احدوثة أو تعيدوها

وقول القاضى فى سورة المؤمنين فى قوله تعالى وجعلناهم أحاديث ان أحاديث اسم جمع للحديث وقد شرطوا فيه ان لا يكون على وزن مختص بالجمع أو يغلب فيه وصيغة منتهى الجموع لا توجد فى المفردات يدفع بما فى الكشف من ان اسم الجمع يطلق بمعنى آخر وهو ما كان على خلاف القياس كما قيل فى ليال انه اسم جمع وقد علمت ان الحديث ما يضاف للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم من اقواله وافعاله وتقريراته وصفاته وسائر أحواله فى منامه ويقظته (الواردة فى ذلك) أى فى عظيم قدره صلى الله تعالى عليه وسلم (كثيرة جدا) بكسر الجيم وتشديد الدال المهملة وهو مفعول مطلق محذوف عامله وجوبا لجريه مجرى الامثال وهو مؤكد لما قبله أى متناه فى الكثرة وأصله من الجد بمعنى الاجتهاد لان المراد انه

أنه صلى الله تعالى عليه وسلم أكرم البشر) لما فى الترمذى والدارمى أنا أكرم الاولين والآخرين ولا فخر كذا ذكره الدلجى وكأنه ذهب وهمه الى ان اللام فى الاولين والآخرين للعهد أو للجنس المراد بهم البشر والاظهر ان اللام للاستغراق وانه أكرم الخلائق بالاتفاق ولا عبرة بخلاف المعتزلة وأرباب الشقاق (وسيد ولد آدم) لحديث الترمذى انا سيد ولد آدم يوم القيامة وبيدى لواء الحمد ولا فخر وما من نبى يومئذ آدم فمن دونه الا تحت لوائى وانا أول من تنشق عنه الارض ولا فخر (وأفضل الناس منزلة عند الله) أى مرتبة ومكانة (وأعلاهم درجة) أى أرفعهم قربة (وأقربهم زلفى) أى تقربا وأكثرهم حبا لكونه حبيب رب العالمين (واعلم ان الاحاديث) جمع حديث على غير قياس (الواردة فى ذلك) أى فى بيان ما ذكر (كثيرة جدا) بكسر جيم وتشديد دال منصوب منون مصدر والمراد به المبالغة فى الكثرة

(وقد اقتصرنا منها على صحيحها ومنتشرها) أي مشتهرها الشامل لحسنها دون ضعيفها العدم اقتضاء الاقتصار (وحصرنا معاني ما ورد منها في اثني عشر فصلا) أي تفاؤلا باثني عشر نقيبا

الفصل الاول (فيما ورد من ذكر مكانته) أي قرب منزلته (عند ربه والاصطفاء) أي اجتبائه في رفعة مرتبته (ورفعة الذكر) أي بين خليقته (والتفضيل) أي وبيان زيادة فضيلته (وسيادة ولد آدم) أي وسيادته لابناء جنسه المكرم على غيره (وما خصه) أي الله (به في الدنيا من مزايا الرتب) أي من الرتب الدالة على مزيته (وبركة اسمه الطيب) أي الدال على طيب مسماه من ذاته وصفاته (حدثنا) وفي نسخة أخبرنا (الشيخ أبو محمد عبد الله بن أحمد الملقب بالعدل) بفتح العين وسكون الدال التميمي مات عام احدى وخمسمائة (اذنا بلفظه) أي بعبارته دون اشارته (حدثنا أبو الحسن الفرغاني) بفتح أوله منسوب الى فرغانة ناحية بالمشرق قال التلمساني هو علي بن عبد الله المقرى (حدثتنا أم القاسم بنت أبي بكر ابن يعقوب عن أبيها حدثنا حاتم وهو ابن عقيل) بالتصغير وقال التلمساني هو بفتح العين وكسر القاف ابن المهتدي المرادي اللؤلؤي (عن يحيي وهو ابن اسماعيل عن يحيي الحماني) بكسر الحاء المهملة وتشديد الميم وبعد الالف نون ثم ياء نسبة حافظ كوفي روى عن شريك وخلق وعنه أبو حاتم وابن أبي الدنيا والبغوي وطائفة وثقه يحيي بن معين وغيره وأما أحمد فقد كان يكذب جهارا وقال النسائي ضعيف كذا ذكره الحلبي وغايته ان الحديث بهذا الاسناد ضعيف لكن يتقوى بما رواه الطبراني والبيهقي كما نقله الدلجي فلا يضر قول الحلبي هذا الحديث ليس في الكتب الستة (حدثنا قيس) قال الحلبي الظاهر انه أبو محمد قيس بن الربيع الكوفي روى عنه أبو نعيم وغيره اختلف في توثيقه (عن الاعمش) هو امام جليل (عن عباية) بفتح مهملة فوحدة فالف بعدها تحتية وقيل بهمزة فهاء وأصلها لباس فيه خطوط سود (ابن ربعي) بكسر راء وسكون موحدة فمهملة بعدها ياء نسبة روى عن علي وعنه موسى بن طريف وكلاهما من غلاة الشيعة له عن علي أنا قسيم النار (عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله قسم الخلق) أي من الثقلين (قسمين) بكسر أوله أي شقيا وسعيدا الافاضلا وأفضل كما ذكره الدلجي مقدما على ما اخترنا

تقدرية

اجتهد في كثرته وبولغ فيها (وقد اقتصرنا منها) أي من تلك الاحاديث الكثيرة (على صحيحها) الصالح للاعتماد عليه والاحتجاج به (ومنتشرها) أي مشهورها (وحصرنا) من حصر الكل في أجزائه لا الكلي في جزئياته (معاني ما ورد منها في اثني عشر فصلا) فيه مسامحة لان الفصول اسم للالفاظ وهي مغايرة المعاني فتحتاج لتقدير مضاف في الاول أو الثاني

(الفصل الاول فيما ورد من ذكر مكانته عند ربه) المكانة كالمنزلة علو قدره ويجوز ان يكون من التمكن وهو الثبوت كما يقال له مكنة وتمكن من السلطان أي قرب (والاصطفاء) أي اختياره صلى الله تعالى عليه وسلم على غيره وتقديمه (والتفضيل وسيادة ولد آدم) كما مر (وما خصه به في الدنيا من مزايا الرتب) جمع مزية بزنة عطية وهي الفضيلة التي تقدمه على غيره وفي شرح المفتاح انه لافعل له ويخالفه ما في الاساس من انه يقال تمزيت عليه كما مر وفسرها الشريشي بالتمام والكمال (وبركة اسمه الطيب) أي كونه يتبرك باسمه المشهور وهو أحمد ومحمد والطيب صفة لا بدل لان الطيب ليس من أسمائه المشهورة وهذا اشارة لما ورد في الحديث كل أمر لا يبدأ فيه بحمد الله والصلاة علي فهو أبتر أي ممحوق البركة ذكره السخاوي في شرح الفية الحديث وقال هو وان كان ضعيفا لكنه يذكر في الفضائل (أخبرنا الشيخ أبو محمد عبد الله بن أحمد العدل) لقب به وهو امام حافظ تميمي توفي سنة احدى وخمسمائة (اذنا بلفظه) أراد بالاذن الاجازة بروايته عنه وقال بلفظه لانه لم يكن من كتابه وهو يقرؤ كما مر وهذا جائز قال (حدثنا أبو الحسين الفرغاني) بالفاء والراء المهملة والغين المعجمة نسبة لفرغانة بلدة بما وراء النهر وهو الامام علي ابن عبد الله المقرئ ووقع في بعض النسخ الحسن والاصح الاول قال (حدثتنا أم القاسم بنت أبي بكر بن يعقوب عن أبيها) قال (حدثنا حاتم وهو ابن عقيل) بفتح العين وكسر القاف وهو ابن المهتدي ابن المرادي اللؤلؤي المشهور (عن يحيي هو ابن اسمعيل عن يحيي الحماني) بكسر الحاء المهملة وتشديد الميم وألف ونون وياء نسبة وهو يحيي بن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن ميمون أبو زكريا الكوفي وهو ثقة وضعفه بعضهم وقال انه كذاب وله ترجمة في الميزان قال (حدثنا قيس) بن الربيع أبو محمد الكوفي اختلفوا فيه أيضا فقيل ثقة وقيل ضعيف وأخرج له أصحاب السنن توفي سنة خمس أو سبع أو ثمان وستين ومائة وترجمته في الميزان (عن الاعمش) سليمان بن مهران تقدمت ترجمته (عن عباية بن الربعي) بفتح العين وآخره ياء ويقال عباءة بالهمزة علم منقول من اسم الكساء والربعي بكسر الراء المهملة وسكون الموحدة وعين مهملة وياء نسبة وهو من غلاة الشيعة وله ترجمة في الميزان (عن ابن عباس) رضي الله تعالى عنهما وهذا الحديث رواه الطبراني والبيهقي في الدلائل (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله قسم الخلق قسمين) قيل هذه قسمة

(فجعلني من خيرهم قسما) أى من قسم السادة التى هى أرباب السعادة كما يدل عليه قوله (فذلك) أى جعلهم قسمين يؤذن به (قوله تعالى وأصحاب اليمين) أى السعادة فى أنواع من النعيم المقيم (وأصحاب الشمال) أى الشقاوة فى أصناف من عذاب الجحيم فقيل سموا بهما لاخذهم كتبهم بايمانهم وشمائلهم أو لانهم أصحاب اليمن والشأمة على أنفسهم (فانا من أصحاب اليمين وأنا خير أصحاب اليمين) وقد أغرب الدلجى حيث قال بعد قوله فجعلني من خيرهم قسما وهم العرب بشهادة فذلك قوله تعالى وأصحاب اليمين (ثم جعل) أى الله سبحانه وتعالى (القسمين) أى المذكورين فى اثناء السورة المراد بهما أصحاب اليمين وأصحاب الشمال (اثلاثا) أى ثلاثة أصناف فى آخر السورة بجعل القسم الاول الذين هم أرباب السعادة صنفين كما سيأتى لا اثلاثا متفاوتين شقاوة وسعادة كما ذكره الدلجى اذ لم يذكر تفاوت أرباب الشقاوة فى هذه الصورة أصلا وان كانوا متفاوتين فى الدركات كما ان أهل الجنة متفاوتون فى الدرجات (فجعلني من خيرها ثلثا) وهم المقربون (وذلك) أى جعلهما اثلاثا يؤذن به (قوله تعالى فاصحاب الميمنة) أى المنزلة السعيدة (وأصحاب المشئمة) أى المنزلة الشقية (والسابقون السابقون) أى فى مرتبة القربة العلية (فانا من السابقين وأنا خير السابقين ثم جعل الاثلاث قبائل) أى من العرب وغيرهم (فجعلني من خيرها قبيلة) وهم العرب وابعد الانطاكى حيث قال هم قريش (وذلك) أى جعلها قبائل يشير اليه (قوله) أى بعد قوله تعالى يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى (وجعلناكم شعوبا) جمع شعب بالفتح لا بالكسر كما توهم بعضهم فانه طريق بين الجبلين وأما بالفتح فما تنشعب منه القبيلة (وقبائل لتعارفوا الآية) تمامها ان أكرمكم عند الله أتقاكم ثم الشعب جمع عظيم ينتسب الى أصل واحد وهو يجمع القبائل

تقديره فى علم الله تعالى وقيل حقيقية كما بينه فى قوله (فجعلني من خيرهم قسما) منصوب على التمييز أى من القسم الذى هو خير يعنى أصحاب اليمين المشار اليهم فى قوله (فذلك) التقسيم ما تضمنه (قوله أصحاب اليمين وأصحاب الشمال) لا العرب كما توهم لقوله (فانا من أصحاب اليمين) من تبعيضية أو ابتدائية (وأنا خير أصحاب اليمين) أى أكرمهم وأفضلهم (ثم جعل القسمين اثلاثا) أى جعل مجموع القسمين ثلاثة أقسام لا كل قسم منهما كما يتبادر الى الذهن (فجعلني فى خيرها ثلثا) وقيل أصحاب اليمين هم الذين يؤخذ بهم ذات اليمين الى الجنة وأصحاب الشمال هم الذين يؤخذ بهم ذات الشمال الى النار أو هم الذين كانوا عن يمين آدم والذين كانوا عن شماله فى عالم الذر أو الذين أخذوا من شقه الايمن والايسر أو من أعطى كتابه بيمينه وشماله أو الذين رآهم فى الاسراء عن يمين آدم عليه الصلاة والسلام وشماله (وذلك) أى التقسيم الثلاثى ما بينه (قوله فاصحاب الميمنة) أى اليمين أو اليمن على انه مصدر ميمى وهم بعض السعداء غير السابقين لئلا يتداخل الاقسام (وأصحاب المشئمة) هى كالميسرة بمعنى الشمال لان العرب تقول للعبد الشمال شومى ومنه الشام لانها عن شمال الكعبة فى قول أو الشامة (والسابقون) وفى بعض النسخ والسابقون السابقون بالتكرير كما فى الآية ولابد من تغايرهما ليفيد الحمل فهو اما كقوله * أنا أبو النجم وشعرى شعرى * أى الذين عرفوا بكمال السبق أو الاول بمعنى السابقين للايمان والطاعة والثانى بمعنى السابقين الى الجنة ونعيمها وهو أحد التفاسير وقيل هم الذين اذا أعطوا الحق قبلوه واذا سئلوه بذلوه ويحكمون لغيرهم بما يحكمون به لانفسهم وقيل السابقون للصلوات أو التوبة وقيل هم الانبياء عليهم الصلاة والسلام (فانا من السابقين وأنا خير السابقين) فهو من أعلى الاقسام لا قسم مستقل حتى تكون القسمة رباعية كما توهم ومن هذا القسم الانبياء عليهم الصلاة والسلام فهو أفضل من كل واحد منهم ومن مجموعهم كما تقدم (ثم جعل الاثلاث قبائل) أى جعل كل ثلث أو مجموعها وهذا أظهر والقبائل جمع قبيلة وهم بنو أب واحد والقبيل بدون هاء الجماعة مطلقا ثلاثة فصاعدا (فجعلني من خيرها قبيلة وذلك قوله سبحانه وتعالى وجعلناكم شعوبا وقبائل الآية) والشعوب جمع شعب بالكسر وقيل انما هو بالفتح والذى بالكسر طريق بين جبلين واختلف فى تقسيم الناس فقيل الشعب أكثر من القبيلة وبعدها الفصيل ثم العشيرة ثم الذرية ثم العترة ثم الاسرة وهذا مخصوص بالعرب وقيل هم ست طبقات شعب وقبيلة وعمارة وبطن وفخذ وفصيلة فالشعب الطبقة الاولى وبعدها القبيلة ثم العمارة بكسر العين المهملة ثم البطن ثم الفخذ ثم الفصيلة بالصاد المهملة فالشعب يجمع القبائل والقبيلة تجمع العمائر والعمارة تجمع البطون والبطن يجمع الافخاذ والفخذ يجمع الفصائل فمضر شعب وكنانة قبيلة وقريش وهو النضر بن كنانة عمارة وقصى بطن وهاشم فخذ وعبد المطلب والعباس فصيلة وقد تطلق القبيلة على مادونها تجوزا ولم يكن فى الآية ما يؤذن بشرف الفصيلة فى نفسها فان الشرف انما هو بالفضيلة لا بالفصيلة ولكن شرف الاصل

(فأنا أتقى ولد آدم وأكرمهم على الله ولا فخر) أى ولا أقوله افتخارا به ولا تحدثا بنعمة الله لامر الله تعالى ولا فخر لى بذلك لانه ليس من قبلى ولا بقوتى وحولى بل من فضل الله وتوفيقه من أجلى أو ولا فخر لى بهذا المقام بل افتخارى بقرب ربى الذى هو غاية المرام (ثم جعل القبائل) أى قبائل العرب (بيوتا) أى بطونا وأفخاذا وفضائل متفاوتة فى الشرف والفضائل من قريش وغيرهم (فجعلنى من خيرها بيتا) وهو بيت بنى هاشم من بطن قريش (فذلك قوله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس) أى وسخ

الشرك ودنس المعصية (أهل البيت) نصبه على المدح أو النداء وهذا معنى ثالث لاهل البيت على ما قرر فى محله (ويطهركم) أى من الاخلاق الدنية (تطهيرا) أى مبالغا بحيث يسرع فى تبديلها بتنوير الامور الدينية المشتملة على الاحوال الدنيوية والاخروية (الآية) كذا فى بعض النسخ وهو ليس فى محله لانه آخر الآية وما بعدها ليس له تعلق بما قبلها فمحله اللائق به بعد قوله أهل البيت كما فى نسخة صحيحة وأما تخصيص الشيعة أهل البيت بفاطمة وعلى وابنيهما بحديث ادخالهم فى كسائه ثم قراءته هذه الاية واحتجاجهم بها على عصمتهم وكون اجماعهم حجة فضعيف لمنافاة التخصيص ما قبل الآية وما بعدها نعم الحديث قاض بانهم أهل البيت

يستلزمه غالبا قال (فأنا أتقى ولد آدم وأكرمهم على الله ولا فخر) جملة حالية أى لا أقول هذا تفاخرا ومباهاة وتعظما وانما هو تحدث بنعم الله وبيانا للازمة ما يجب عليهم اعتقاده وتوقيرا واحتراما له وانما نلته بتكريم ربى وفضله وكل مؤمن تقى كريم على الله وكل فاجر شقى هين على الله وقال عيسى عليه الصلاة والسلام من سره ان يكون أكرم الناس فليتق الله ويقال هو أكرم عند الله وعلى الله لكونه بمعنى أعز المتعدى بعلى جلاله على نظيره (ثم جعل القبائل بيوتا فجعلنى من خيرها بيتا) بيوت بضم الباء الموحدة وكسرها جمع بيت وهو المنزل والمسكن والظاهر ان المراد بالبيوت هنا الفخذ أو الفصيلة لا البطن كما قيل والبيت يطلق مجازا على المجد والشرف كما فى قوله

ان الذى سمك السماء بنى لنا * بيتا دعائمه أعز وأطول

وعلى الاصول والاقارب كما يقال هو بيت علم أى من قوم علم وفى اضافته للمكان اثبات لمن فيه بطريق الكناية التى هى أبلغ من التصريح كما قرر فى كتب المعانى (وذلك) أى كونه صلى الله تعالى عليه وسلم من خير بيت وأشرفه ما دل عليه (قوله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) وهذا يدل على ما فسرنا به البيت والرجس النجس المستقذر استعير للمعاصى والتطهير ترشيح للمعاصى وما استعير لها لانها تلوث الاعراض وأهل البيت والآل الاقرباء وقول الشيعة انهم على وفاطمة والسبطان وهم أهل الكساء رضى الله تعالى عنهم وادعاؤهم عصمتهم وان اجماعهم حجة استدلالا بهذه الآية ينافيه السياق وفى الآية مبالغة فى شرفهم بليغة لذكر تطهير أعراضهم من دنس المعاصى وهو أجل النعم وتعريف الرجس بلام الاستغراق الدال عليه اطلاقه فى مقام المدح والتعبير بالاذهاب والازالة بالكلية وحذف مفعول يريد للتعميم لتذهب النفس كل مذهب ونصب أهل البيت على المدح والنداء وتعريف البيت العهدى والتعبير بالتطهير الدال على التكثير وتأكيده بالمصدر وسيأتى تتمة لهذا (وعن أبى سلمة) هو ابن عبد الرحمن بن عوف أحد الفقهاء السبعة كما تقدم (عن أبى هريرة) رضى الله تعالى عنه عبد الرحمن بن صخر على الاصح من نحو ثلاثين قولا كما تقدم وهذا الحديث رواه الترمذى وصححه وقال انه حسن غريب (قال قالوا) أى بعض الصحابة رضى الله عنهم (يا رسول الله متى وجبت لك النبوة) أى فى أى زمان ثبتت لك اذ لا يجب على الله شئ (قال وآدم بين الروح والجسد) الجسد والبدن والجسم بمعنى وهذه الجملة حالية من الجواب المقدر لمتى الزمانية أى ثبتت لى فى هذه الحال وفى هذا الحديث روايات متعددة صحيحة منها انى عبد الله لخاتم النبيين وان آدم لمنجدل فى طينته ومنها متى استنبئت قال وآدم بين الروح والجسد وفى رواية بين الماء والطين وقال ابن تيمية والزركشى وغيرهما حديث كنت نبيا وآدم بين الماء والطين وكنت نبيا ولا آدم ولا ماء ولا طين لا أصل لهما يعنى بهذا اللفظ * قلت ليس معناه انه موضوع كما توهم فانه رواية بالمعنى وهى جائزة لانه بمعنى الحديث السابق ومعنى منجدل ساقط على الجدالة وهى الارض وليس المعنى انه كان نبيا فى علم الله كما قيل لانه لا يختص به بل ان الله خلق روحه قبل سائر الارواح وخلع عليها خلعة التشريف بالنبوة اعلاما

للملأ

وخواصهم لا بانه ليس غيرهم منهم (وعن أبى سلمة) أى ابن عبد الرحمن بن عوف أحد الفقهاء السبعة عند الاكثر (عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه) كما رواه الترمذى وصححه (قال قالوا يا رسول الله متى وجبت لك النبوة) أى فى أى زمان ثبتت لك مرتبة النبوة (قال وآدم بين الروح والجسد) جملة حالية وردت جوابا لقولهم متى وجبت أى وجبت لى فى الحالة التى كان آدم فيها بين تصوير جسمه وبين اجراء روحه فى بدنه وفى الحديث ايماء الى ان الغايات والكمالات سابقة شهودا لاحقة وجودا هذا وفى حديث أحمد انى عبد الله مكتوب خاتم النبيين وان آدم لمنجدل فى طينته

للملأ الاعلى به واذا كانت النبوة صفة لروحه علم انه صلى الله تعالى عليه وسلم بعد موته نبي رسول ولا يضر انقطاع الاحكام والوحي وقد اكمل دينه وانكار ذلك جهل فاحفظه فانه نفيس جدا وهذا هو المراد بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله تعالى خلق نوره قبل ان يخلق آدم عليه الصلاة والسلام باربعة عشر ألف عام كما رواه ابن القطان وفي رواية يسبح ذلك النور وتسبح الملائكة بتسبيحه وهذا يؤيد انه صلى الله تعالى عليه وسلم مرسل للملائكة كغيرهم فهذا صريح في ان نبوته صلى الله تعالى عليه وسلم ظهرت في الوجود العيني قبل نبوة آدم وغيره وان الملائكة لم تعرف نبيا قبله وانه صلى الله تعالى عليه وسلم النبي المطلق وسائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام خلفاؤه والشرائع شريعته ظهرت على لسان كل نبي بقدر استعداد أهل زمانه فهو صلى الله تعالى عليه وسلم أول الانبياء وآخرهم ولا يمكن ان يجري على شريعته قلم فسخ ولا يكتب على نسخه رسالة حواشي زيادة كما قيل

* ابدا حديثي ليس بالمنسوخ الا في الدفاتر * وقيل انه صلى الله تعالى عليه وسلم سابق على سائر الانبياء روحا لا جسدا لان مادة جسده صلى الله تعالى عليه وسلم خلقت قبل سائر المواد لما روى ابن الجوزي في الوفاء عن كعب الاحبار انه تعالى لما أراد ان يخلق محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم أمر جبريل عليه الصلاة والسلام ان يأتيه بالطينة البيضاء فهبط في ملأ من ملائكة الفردوس وقبض قبضة من موضع قبره بيضاء نيرة فعجنت بماء التسنيم في معين الجنة حتى صارت كالدرة البيضاء لها شعاع عظيم ثم طافت بها الملائكة حول العرش والكرسي والسموات والارض حتى عرفته الملائكة قبل ان تعرف آدم عليه الصلاة والسلام أي عرفت روحه وعنصره والبينية في هذا الحديث الظاهر ان المراد بها عدم الطرفين الروح والجسد أي لا روح ولا جسد كما صرح به في الرواية السابقة لا آدم ولا ماء ولا طين لانك اذا قلت مسكني بين البصرة والكوفة علم انه ليس بهما فاريد به لازم معناه بطريق الكناية وليس المراد انه قريب منهما كما يقال لون بين البياض والحمرة ومزاج بين الصحة والمرض كما قيل وليس معنى بين الماء والطين انه لم يكن ماء صرفا ولا طينا صرفا فالنبو المقام عنه وعدم ملاقاته لما قررناه وقد حققنا هذا المقام بما لم نسبق اليه ولله الحمد (وعن واثلة بن الاسقع) بمثلثة ولام والاسقع بسين مهملة وقاف وعين مهملة الصحابي الجليل القدر من أهل الصفة أسلم رضي الله تعالى عنه ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم متوجه لتبوك فخدم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وشهد مشاهد الشام وتوفي بدمشق سنة خمس أوست وثمانين وله ثمانون سنة ويكنى أبا محمد وفضائله لا تحصى نفعنا الله ببركاته ورزقنا زيارته وهذا الحديث رواه مسلم وقد تقدم (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله اصطفى من ولد ابراهيم اسمعيل) أي اصطفى ابراهيم عليه الصلاة والسلام واختاره من الانبياء لشرفه واصطفى من ولده أي من أولاده اسمعيل عليه الصلاة والسلام فهو أفضل من اسحق (واصطفى) أي اختار (من ولد اسمعيل بني كنانة) وهم أربعة النضر وعبد مناف ومالك وملكان وكنانة علم منقول من كنانة السهام وجعبتها قال الشاعر

صاح في العاشقين يا لكنانة * رشأ في الجفون منه كنانة

(واصطفى من بني كنانة قريشا) وهو النضر بن كنانة وقيل قريش بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة وتقدم سبب تسميته قريشا (واصطفى من قريش بني هاشم) ابن عبد مناف بن قصي بن كلاب فبنوه مصطفون من قريش (واصطفاني من بني هاشم) بن عبد المطلب (ومن حديث أنس رضي الله تعالى عنه) ابن مالك بن النضر خادم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ودعاله واحاديثه والرواية عنه كثيرة مشهورة جدا وتوفي سنة ثلاث وتسعين وقد جاوز عمره المائة وهذا الحديث والذي بعده أخرجهما الترمذي (أنا أكرم ولد آدم) أي أعزهم وأشرفهم وتقدم ان لفظ ولد يطلق على الواحد المذكر وغيره

(وعن واثلة) بالمثلثة (ابن الاسقع) وكان من أصحاب الصفة أسلم ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يتجهز لغزوة تبوك وخدم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثلاث سنين توفي بدمشق وله مائة سنة وقد روى مسلم وغيره عنه (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله اصطفى من ولد ابراهيم اسمعيل) كذا في النسخ المصححة ووقع في اصل الدلجي زيادة ان الله اصطفى من ولد آدم ابراهيم واصطفى من ولد ابراهيم اسمعيل الحديث وقال انما اعاده هنا لزيادة صدره (واصطفى من ولد اسمعيل كنانة) بكسر الكاف (واصطفى من بني كنانة قريشا واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم ومن حديث أنس رضي الله تعالى عنه) أي الذي رواه الترمذي وصدره انا أول الناس خروجا اذا بعثوا وانا قائدهم اذا وفدوا وانا خطيبهم اذا انصتوا وانا شفيعهم اذا احتبسوا وانا مبشرهم اذا أيسوا الكرامة والمفاتيح بيدي ولواء الحمد يومئذ بيدي و(أنا أكرم ولد آدم

على ربى ولافخر) زاد الدارمى يطوف على ألف خادم كأنهم بيض مكنون أو لؤلؤ منثور (وفى حديث ابن عباس رضى الله تعالى عنهما) أى الذى رواه الترمذى والدارمى وصدره جلس ناس من أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فسمعهم يتذاكرون قال بعضهم ان الله اتخذ ابراهيم خليلا وقال آخر ان الله كلم موسى تكليما وقال آخر عيسى كلمة الله وقال آخر آدم اصطفاه الله فخرج عليهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال قد سمعت كلامكم وعجبكم ان ابراهيم خليل الله وهو كذلك وموسى نجى الله وهو كذلك وعيسى روح الله وكلمته وهو كذلك وآدم اصطفاه الله وهو كذلك الا وانا حبيب الله ولافخر وانا حامل لواء الحمد يوم القيامة تحته آدم فمن دونه ولافخر وانا أول شافع وأول مشفع يوم القيامة ولافخر وانا أول من يحرك حلق الجنة فيدخلنيها ومعى فقراء المهاجرين ٢٠٢

ولافخر و (أنا أكرم الاولين والآخرين) أى على الله كما فى رواية (ولافخر وعن عائشة رضى الله تعالى عنها عنه عليه الصلاة والسلام) كما رواه البيهقى وأبو نعيم والطبرانى (أتانى جبريل فقال قلبت) بتخفيف اللام وتشديدها وهو أبلغ أى فتشت وتفحصت وقيل نظرت ورأيت (مشارق الارض ومغاربها) أى بجميع اطرافها وجوانبها (فلم أر رجلا أفضل من محمد) عدل الى الغيبة مصرحا باسمه المفيد للمبالغة الدالة على كثرة صفاته الحميدة وسماته السعيدة (ولم أر بنى أب) أى أهل بيت (أفضل من بنى هاشم وعن انس رضى الله تعالى عنه) كما فى الصحيح (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أتى بالبراق) أى جىء به وسبق بيان مبناه ومعناه (ليلة أسرى به) بصيغة المجهول (فاستصعب) أى البراق (عليه) أى عند ارادة ركوبه (فقال له جبريل ابمحمد تفعل هذا) فيه ايماء الى ان هذا كان دأبه لغيره كما يشير اليه تقديم المتعلق على فعله والهمزة لانكار استصعابه كما علله بقوله (فما ركبك أحد أكرم على الله منه فارفض عرقا) بتشديد الضاد المعجمة أى سال عرقه من شدة ما اعتراه من الهيبة والحياء (وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما عنه عليه الصلاة والسلام) كما رواه ابن أبى عمر العدنى (لما خلق الله آدم اهبطنى) أى من الجنة حال كونى (فى صلبه) بضم أوله وقدم التلمسانى فتحة (الى الارض) يعنى وهكذا ينقلنى من صلب كريم الى رحم طاهر بعد

الذى

(على ربى ولافخر) تقدم معناه (وفى حديث ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انا اكرم الاولين والآخرين ولافخر) قيل قال فيما مر فى حديث أنس ومن حديث أنس وهنا وفى حديث ابن عباس اشارة الى ان الاول بعض حديث طويل وهذا حديث مستقل وفيه نظر (وعن عائشة رضى الله عنها) كما رواه الطبرانى وأبو نعيم والبيهقى فى الدلائل مسندا (عنه عليه الصلاة والسلام) انه قال (أتانى جبريل) لم يذكر ما أتاه لاجله لان قوله (فقال قلبت) بتشديد اللام بمعنى فتشت وليس المراد به قلبها ظهر البطن لم يذكر فيه انه أوحى اليه بهذا (مشارق الارض ومغاربها) جمع مشرق وهو الجهة التى تطلع منها الشمس وجمع مغرب وهو مقابله وجمعهما لان للشمس فى كل زمان مشرق أو تشرق بعده من درجة غيره وكذلك المغرب واذا أفردا فباعتبار الجهة واذا ثنيا فباعتبار المشرق الجنوبى والشمالى ولذا ورد فى القرآن بالوجوه الثلاثة كما بيناه فى حواشى البيضاوى واختار الجمع هنا لانه أنسب للعموم والمراد انه فحص عن جميع أهل الارض مشرقا ومغربا ونظر أحوالهم كمالا ونقصا (فلم أر رجلا أفضل من محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) الظاهر ان رأى علمية ونفى الافضلية يدل على نفى المساواة أيضا كما بيناه سابقا (ولم أر بنى أب أفضل من بنى هاشم) الذين هم عشيرته وبيته فهو خيار من خيار (وعن أنس رضى الله تعالى عنه) فى الحديث الحسن الذى رواه الترمذى وقد تقدم (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أتى بالبراق) مبنى للمجهول أى أتاه جبريل عليه الصلاة والسلام به ليركبه للاسراء وقد مر ان البراق بالضم على شكل دابة فوق الحمار دون البغل سمى به للمعانه وبريقه أو لسرعته كالبرق الخاطف (ليلة أسرى به) ظرف أتى وهى ليلة سبع عشرة رمضان أو سبع وعشرى رجب قبل الهجرة وبعد مبعثه صلى الله تعالى عليه وسلم بخمس سنين أو بخمسة عشر شهرا كما سيأتى فيه (فاستصعب عليه) أى لم ينقد له وامتنع منه لبعد عهده بركوب الانبياء عليهم الصلاة والسلام لطول زمن الفترة أو لسبب آخر لقول جبريل له صلى الله تعالى عليه وسلم لعلك مسست الصفراء أى الذهب أو صنم أصفر فقال انما مررت عليه فقلت تبا لمن يعبدك من دون الله (فقال له) أى للبراق (جبريل عليه الصلاة والسلام أبمحمد تفعل هذا) الاستصعاب وقدم متعلق الفعل أى أتفعله به دون غيره والاستفهام انكارى بينه بقوله (فما ركبك أحد أكرم على الله منه فارفض عرقا) أى سال عرقه كما مر بيانه (وعن ابن عباس رضى الله عنهما) رواه ابن الجوزى فى الوفاء وأبو نعيم فى الدلائل وقال السيوطى رواه ابن عمر والمعدنى فى مسنده (عنه صلى الله تعالى عليه وسلم لما خلق الله آدم أهبطنى فى صلبه الى الارض) يعنى ان الله خلق نوره صلى الله تعالى عليه وسلم وعنصره

(وجعلني في صلب نوح) في السفينة (وقذف بي) أي القاني (في النار في صلب ابراهيم) أي حين ألقاه نمرود فيها وقد وقع في أصل الدلجي حتى مكان الواو العاطفة في وجعلني وقذف وهو مخالف للاصول المعتمدة والنسخ المصححة (ثم لم يزل ينقلني) أي يحولني (في الاصلاب الكريمة) كذا في النسخ بلفظ في ولعله بمعنى من الملائم لقوله (الى الارحام الطاهرة) جمع رحم وهو هنا مقر الولد من المرأة كما ان الصلب مقر المني من الرجل (ثم) وفي نسخة صحيحة حتى (أخرجني) أي

أظهرني (بين أبوي) أي فيما بينهما لقوله تعالى يخرج من بين الصلب والترائب (لم يلتقيا) أي لم يجتمعا في جماع (على سفاح) بكسر السين أي على حال غير نكاح (قط) أي لاحين شهودي ولا قبل وجودي (والى هذا) أي هذا المعنى وهو نفي السفاح في المبنى (أشار العباس بن عبد المطلب رضي الله تعالى عنه) وفي أصل التلمساني عمه من العمومة وهو بدل من العباس (بقوله) أي فيه كما في نسخة أي في حقه وفي أخرى فيه بقوله (من قبلها) أي قبل الدنيا أو الولادة من غير ذكر لها كما في قوله تعالى حتى توارت بالحجاب أي الشمس وكل من عليها فان أي الارض وانا أنزلناه أي القرآن وأما ارجاع الضمير الى النبوة كما ذكره الدلجي وغيره فغير مناسب لمقام المرام نعم لو وضع الرسالة موضعها لوقع في الجملة موقعها وقيل من قبل نزولك الارض (طبت في الظلال) أي في ظلال الجنة قال التلمساني ثبت بخط القاضي الظلال وروى العرفي طبت في الجنان (وفي مستودع) بفتح الدال كما في قوله تعالى فمستقر ومستودع أي طبت في مستودع من صلب آدم بقوله (حيث يخصف الورق) بصيغة المجهول وهو مستفاد من قوله تعالى وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة والمعنى يضم بعضه الى بعض ويلصق ورقة فوق أخرى (ثم هبطت البلاد) أي من الجنة الى الدنيا في صلب آدم (لا بشر

الذي عجن بالتسنيم وهو ألطف شيء فاودعه في صلب آدم واهبطه فيه كما مر ثم نقله منه بوسائط (وجعلني في صلب نوح في السفينة) فكان ذلك ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم وباسم الله مجريها ومرسيها (وقذف بي في النار في صلب ابراهيم) فكانت بردا وسلاما ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم وفي المكررة هنا اما لان الاول بدل منه أو لانه مطلق ومقيد كما قرر في قوله كلما رزقوا منها من ثمرة فينزل ذلك منزلة التغاير فلا يرد عليه انه لا يتعدى عامل بحرفي جر بمعنى (ولم يزل ينقلني في الاصلاب الكريمة) الشريفة (الى الارحام الطاهرة) من دنس الزنا ونكاح الجاهلية وفيه كلام تقدم (حتى أخرجني) الى الدنيا اذ خلقني (بين أبوي) يعني أباه عبد الله الذبيح وأمه آمنة بنت وهب بن عبد مناف باختلاف في زمن موتهما فقيل مات أبوه وأمه حامل به وقيل في المهد وقيل وهو ابن شهرين وقيل ابن سنتين ومات عند أخواله بني النجار وماتت أمه وقد بلغ سنه خمسا أو ستا أو سبعا أو اثني عشر على اختلاف فيه (لم يلتقيا على سفاح قط) جملة حالية والمراد بالسفاح نكاح بغير عقد أو عقد جاهلي وهذا علمه صلى الله تعالى عليه وسلم بالوحي أو لعلمه باخبار الجاهلية لا بالالهام كما توهم (والى هذا) المذكور في الحديث بجملته (أشار) عمه (العباس رضي الله عنه ابن عبد المطلب بقوله) فيه يمدحه صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا الشعر رواه الطبراني وصاحب الغيلانيات وفي الزاهر لابن قتيبة ان العباس أتى اليه صلى الله تعالى عليه وسلم وقال أريد ان أمدحك فانشده هذه الابيات فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم لا يفضض الله فاك أو لا يفضى الله فاك وكان ذلك لما رجع صلى الله تعالى عليه وسلم من غزوة تبوك

(من قبلها طبت في الظلال وفي * مستودع حيث يخصف الورق)

أي من قبل هذه النشأة أو الدنيا وقيل قبل النبوة أو قبل الولادة أو قبل كل ذلك فاعاد الضمير على غير مذكور لعلمه من السياق والجار متعلق بطبت وقدم لافادة ان طيبه صلى الله تعالى عليه وسلم ثابت له قبل ظهوره لا بعده فقط وطبت أي تطهرت من الادناس البشرية لطيب عنصره صلى الله تعالى عليه وسلم والظلال جمع ظل بمعنى في ظلال الجنة في صلب آدم عليه الصلاة والسلام قبل ان هبط وليس المراد به المتعارف الذي تنسخه الشمس اذ لا شمس في الجنة ولا قمر وقد ورد في الحديث ظل الجنة سجسج أي لا حر فيه ولا برد بل المراد الكن والمقر وهو كما في قولهم انا في ظل فلان أي في حمايته ومستودع بضم الميم وفتح الدال المهملة يعني به مكان آدم وحوا من الجنة كما قال ابن قتيبة هو المحل الذي كان فيه آدم عليه الصلاة والسلام من الجنة كأنه وداعة فيه وفيه ايماء الى اخراجه منه للارض أو اراد به الرحم وكان أبو عبيدة يقول في قوله تعالى مستقر ومستودع المستقر الصلب والمستودع الرحم وخصف الورق الصاق بعضه ببعض ومنه الخصاف ويروى حيث يستر الورق يعني به الجنة والورق ورق الجنة الذي كان يستتر به آدم عليه الصلاة والسلام قبل ان يعلم الحياكة فلما أهبط الى الهند تفتت الورق الذي عليه قيل ومنه حصل العود والعنبر وغيره من الطيبات فاوحى الله اليه صنعة النسج واتخذ الثياب للسترة (ثم هبطت البلاد لا بشر *

أنت ولا مضغة ولا علق) أي والحال انك لم تكن حينئذ واحدا منها والمضغة قطعة لحم قدر ما يمضغ في الفم والعلق اسم جنس مفرده علقة وهي قطعة من دم جامد ورتب بينها في التنزيل للترقي وهنا للتدلي ولذا قال (بل نطفة تركب السفين وقد) أي بل نزلت وانت في صلبه نطفة ثم صرت الى نوح حال كونك تركب السفينة وانما أتى بلفظ الجمع لكبره أو هو اسم جنس وان صرح صاحب الصحاح بانه جمع لما فيه من المسامحة أو لعدم الفرق بينهما عند بعض أهل اللغة وقيل جمع للتعظيم أو لضرورة الوزن واما ماروى حجة بدل نطفة فلا يلائم مقام المرام ثم قال التحقيق في قوله (الجم نسرا وأهله الغرق) بفتحتين أي منعهم من الكلام وظهور المرام وهو ماخوذ من اللجام وفي قوله نسرا اشارة الى قوله تعالى حكاية عن قوم نوح ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا وقد روى انه كان لآدم عليه السلام بنون خمسة يسمون بهذه الاسماء وكانوا عبادا فماتوا فحزن أهل عصرهم عليهم فصور لهم ابليس اللعين مثالهم من صفر ونحاس ليستأنسوا بهم فكرهوها في القبلة فجعلوها في مؤخر المسجد فلما هلك ذلك العصر قال اللعين لاولادهم هذه آلهة آبائكم فاعبدوها ثم ان الطوفان ٢٠٤ دفنها فاخرجها اللعين للعرب فكان ود لكلب بدومة الجندل وسواع لهذيل بساحل البحر ويغوث لغطيف من مراد ويعوق لهمدان ونسر لذي الكلاع من حمير ثم احدثوا للاصنام اسماء أخر (تنقل من صالب الى رحم) بصيغة المفعول وصالب بكسر اللام وفتحها لغة في الصلب بالضم الا انه قليل الاستعمال كما قاله ابن الاثير (اذا مضى عالم بدا طبق) العالم بفتح اللام والمعنى اذا ذهب قرن ظهر قرن وقيل للقرن طبق لانه طبق الارض بكسر الطاء أي ملؤها ثم ينقرضون ويأتي طبق آخر ومنه طبقات المشايخ وغيرهم وقد قيل الطبق الجماعة من الناس ويرجع معناه الى الاول فتامل وزيد في بعض النسخ أبيات أخر احتوى

و يدل على صحة وجودها كلام بعض المحشين في بيان الفاظ و رودها وهو قوله (ثم احتوى) أي اجتمع وانضم وفي أصل الدلجي حتى احتوى فهي غاية لما دل عليه البيت قبله أي منتقلا من صلب الى رحم قرنا فقرنا الى ان احتوى (بيتك المهيمن) أي الشاهد (خندف) بكسر الخاء المعجمة وسكون النون وكسر الدال المهملة وقد تفتح بعدها فاء وهو في الاصل مشية كالهرولة والمراد به امرأة الياس بن مضر سميت بها القبيلة واسمها ليلى وهي القضاعية أم عرب الحجاز فهو غير منصرف قوله (علياء) بفتح العين ممدودة منصوبة أي منزلة علياء مفعول احتوى (تحتها) وفي نسخة دونها (النطق) بضم النون والطاء جمع نطاق قال ابن الاثير وهي اعراض من جبال بعضها فوق بعض أي نواح وأوساط فيها شبهت بالنطق التي يشد بها أوساط الناس ضربه مثلا له في ارتفاعه وتوسطه في عشيرته وجعلهم تحته بمنزلة اوساط الجبال وأراد ببيته شرفه في عشيرته أو نفسه في حد ذاته والمهيمن نعته أي حتى احتوى شرفك الشاهد على فضلك أعلى مكان من نسب خندف فان أصل النطق هو الجبل الاشم اذا السحاب لا يبلغ اعلاه

أنت ولا مضغة ولا علق) أي هبطت في صلب آدم عليه الصلاة والسلام من الجنة الى الدنيا وهي المراد بالبلاد والهبوط كما قال الراغب الانحدار قهرا وهو متعد وقال تعالى اهبطوا مصرا ولا يحتاج لتأويله بالدخول كما قيل والبلاد وان اختصت بالبنيان فهو باعتبار الاول هنا ولما كان المراد من هبوطه صلى الله تعالى عليه وسلم هبوط نوره قال لا بشر وهي جملة حالية أي في حال كونك غير جسد كاجساد البشر والمضغة قطعة لحم بقدر لقمة تمضغ غير مخلقة والعلق بفتحتين جمع علقة وهي دم منجمد من المني

(بل نطفة تركب السفين وقد * الجم نسرا وأهله الغرق)

النطفة الماء الصافي والمني في الاصلاب والسفين جمع سفينة وهي المركب أي في صلب نوح عليه الصلاة والسلام لما أغرق الله قومه بالطوفان والجم وصل الى الفم وعلا محلا يوضع فيه لجام الفرس والنسر طائر معروف سمي به صنم كان يعبده قوم نوح عليه الصلاة والسلام وهو المراد هنا وأهله قوم نوح والمراد بالغرق الماء المغرق أو هو على ظاهره والجم بمعنى أدرك لان الانسان اذا عم الماء فمه منع من الكلام والسفين المراد به سفينة نوح عليه الصلاة والسلام فان كان مفردا فهو ظاهر والا فهو جمع أريد به واحد تجوزا فلا اشكال فيه كما هو ظاهر (تنقل من صالب الى رحم * اذا مضى عالم بدا طبق) الصالب والصلب والصلب بفتحتين وبضمتين وضم فسكون ففيه لغات أقلها استعمالا الاصالب كما قاله ابن قتيبة وهو فقار الظهر والرحم مقر الولد من المرأة والعالم المراد به هنا قرن من القرون وبدا بمعنى ظهر ووجد وطبق بمعنى قرن أيضا لانه يطبق وجه الارض أي لا تزال تظهر في عالم بعد عالم يريد اذا مضى قرن بدا قرن آخر ويروى هنا بيت هو

و ردت نار الخليل مكتنفا * تجول فيها ولست تحترق

ومعنى مكتنفا محفوظا في كنف أو تحيط بك نارها ولست تحترق وروى مكتمنا أي مستترا

(حتى احتوى بيتك المهيمن من * خندف علياء تحتها النطق)

وقال القشيري وغيره أيها المهيمن على ان النداء لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والله أعلم ثم قيل في الياس انه موافق اسم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وصحح السهيلي انه الياس الذي هو ضد الرجاء واما الياس فجد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وفيه يقول لاتسبوا الياس فانه كان مؤمنا وذكر انه كان يسمع في صلبه تلبية النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بالحج وهو أول من أهدى البدن الى البيت (وأنت لما ولدت أشرقت الارض ونارت بنورك الافق) وفي نسخة صحيحة وضاءت أي أضاءت وهما لغتان ومنه الضوء أي استنارت بنورك نواحيها (فنحن في ذلك الضياء وفي النور وسبل الرشاد نخترق) بسكون موحدة السبل لغة في ضمها جمع السبيل وهو مجرور عطف على ماقبله وقوله نخترق بفتح نون فسكون خاء معجمة أي ندخل ونقتحم وقال التلمساني أي وسبل الرشاد نخترقها بمعنى نقطعها فالسبل منصوب والابيات عن العباس رضي الله تعالى عنه رواه أبو بكر الشافعي والطبراني عن خريم بن أوس ابن حارثة وذكر هذه الابيات في الغيلانيات بسنده الى خريم بضم الخاء المعجمة وفتح الراء قال هاجرت الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقدمت عليه منصرفه من تبوك فاسلمت فسمعت العباس يقول يارسول الله اني أريد ان امتدحك فقال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قل لا يفضض الله فاك قال فانشد العباس يقول فذكرها سبعة أبيات آخرها نخترق وكذا قال ابن عبد البر في استيعابه في خريم وذكر ابن امام الجوزية في كتاب هدى في النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في غزوة تبوك نحوه وزاد بعضهم بيتا آخر وجد بخط أبي علي الغساني وهو

يابرد نار الخليل ياسبب * العصمة اذ ماباالنار تحترق

أي تحرق (وروى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم أبوذر) كما رواه أحمد والبيهقي والبزار وكان خامسا في الاسلام روى عنه ابن عباس رضي الله تعالى عنه وعبادة بن الصامت وخلق توفي بالربذة (وابن عمر) كما رواه الطبراني وأبونعيم (وابن عباس رضي الله تعالى عنهما) كما رواه أحمد وابن أبي شيبة والبزار (وأبو هريرة رضي الله تعالى عنه) كما أخرجه الشيخان (وجابر بن عبد الله) كما رواه الشيخان والنسائي

احتوى بالحاء المهملة افتعال من حوى بمعنى حاز والبيت بمعنى الشرف والنسب كما مر والمهيمن بمعنى الشاهد على فضلك أو الامين وخندف بكسر الخاء المعجمة وكسر الدال المهملة ونون وفاء اسم امرأة الياس بن مضر وهو من الخندفة وهي المشي السريع والعليا العز والشرف تحتها روي دونها والمعنى واحد والنطق بضمتين جمع نطاق وهو مايشد في الوسط كالمنطقة استعارته العرب للجبال واسعة فوق بعض وبيتك فاعل احتوى وهو تمثيل لشرفه صلى الله تعالى عليه وسلم أي ان شرفك وعلو نسبك واصلك من خندف اشتمل على عليا دونها الجبال الشامخة وقال ابن قتيبة في هذا البيت أقوال أحدها انه أعلى قومه وهم دونه كالنطاق له والآخر انه يريد العفاف من نطاق المرأة الذي يحسنها أي تحتها العفاف والحسب والثالث ان النطق المتكلمون جمع ناطق أي كل خطيب من العرب فهو دون بلسان قومك من قوله بل هم قوم خصمون انتهى وروي في هذا الشعر زيادة ذكرها الغساني وهي

(وأنت لما ولدت اشرقت الار * ض وضاءت بنورك الافق

فنحن في ذلك الضياء وفي النـ * ـور وسبل الرشاد نخترق

يابرد نار الخليل ياسببا * لعصمة النار وهي تحترق)

ومعنى نخترق بالخاء المعجمة نقطعها ونجاوزها وضاء يكون لازما ومتعديا والافق الناحية وانث هنا لتأويله بها قال العارف بالله ابن عربي ذهب بعضهم الى ان عالم الاجسام من وقت خلقه لم يزل في سفر الى مالانهاية له فاذا لاح له منزل يقول هذا هو الغاية القصوى فاذا وصلت اليه لم يلبث ان يخرج منه راحلا فكم سافرت في اطوارك الى ان تكونت بين أبيك وأمك اذا اجتمعا من أجلك ثم انتقلت الى نطفة وعلقة الى مضغة الى عظم كسي لحما ثم انشئت نشأة أخرى وأخرجت الى الدنيا فتنقلت في اطوارك من الطفولية والصبا والشباب الى الكهولة والشيوخة الى الهرم ومنه الى البرزخ ثم الى الحشر ثم الى دار القرار انتهى من كتاب الاسفار (وروى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم) وهذا الحديث مشهور رواه أبوذر وغيره وأخرجه أحمد والبزار والبيهقي عن ابن عمر وأخرجه الطبراني وأبونعيم في الدلائل عن ابن عباس وأحمد والبزار وابن أبي شيبة والبيهقي عن أبي هريرة وأخرجه الشيخان عن جابر بن عبد الله فاخرجوه عن جماعة من الصحابة بين رواياتهم مغايرة في بعض الالفاظ وقد ساقها كلها وذكر رواية كل واحد منهم على حدة الشيخ قاسم بن قطلوبغا في تخريجه لاحاديث هذا الكتاب كما رأيته بخطه ولولا خوف الاطالة أوردت كلا منها على حدة والى هذا أشار المصنف بقوله (أبوذر وابن عمر وابن عباس وأبو هريرة وجابر بن عبد الله) بن عمرو ابن حزام الانصاري روى كل واحد من هؤلاء عنه صلى الله تعالى

(انه) أي النبي عليه الصلاة والسلام (قال اعطيت خمسا) أي خمس خصال (وفي بعضها ستا) رواه مسلم عن أبي هريرة فضلت على الانبياء بست فكانه صلى الله تعالى عليه وسلم أعطى أولا خمسا فحدث بها ثم زيد السادسة فحدث بها مع انه لا يلزم استيفاؤها حيث مابينها بل قد يكتفي في بالحالة اللائقة ببعضها لاسيما والعدد لا مفهوم له حتى عند القائل به (لم يعطهن نبي قبلي) وفي رواية جابر لم يعطهن أحد من الانبياء قبلي (نصرت بالرعب) بسكون العين وضمها أي الفزع والخوف بالقاء الله تعالى اياه في قلوب الاعداء ممن كانت المسافة بينه وبينهم (مسيرة شهر) اى قدر سير في شهر وفي رواية شهر امامي وشهر خلفي (وجعلت لي) أي لاجلي اصالة ولامتي تبعا (الارض) أي جميع وجهها ولا وجه لقول التلمساني كلها أو مكة وماحولها أو ومارأته امته (مسجدا وطهورا) حيث لا يختص جواز الصلاة بمكان دون مكان لامتي بخلاف غيرنا فانه لاصلاة لهم الا في كنائسهم وبيعهم كما بينه بقوله (فايما رجل من امتي ادركته الصلاة) أي بعد دخول وقتها (فليصل) أي في ذلك المكان اما بطهارة أصلية ان وجد الماء وأما بطهارة خلفية من التراب ان لم يجد الماء كما فهم من قوله طهورا فالتفريع مترتب عليهما وفي بعض النسخ بالواو وفي رواية واظنه مصحفا فاينما وما مزيدة فيهما

عليه وسلم (انه قال أعطيت خمسا وفي بعضها) أي في بعض طرق هذا الحديث المعلومة من تعدد روايتها (ستا) أي ست خصال وخصائص ولذا حذف التاء مع انه غير لازم اذا لم يذكر المعدود (لم يعطهن نبي قبلي) ولا رسول لان نفي الاعم يستلزم نفي الاخص ولا تنافي بين الروايتين ان قلنا ان مفهوم العدد غير معتبر وان قلنا به فنقول انه صلى الله تعالى عليه وسلم اطلع أولا على بعض خصائصه فاخبر به ثم اطلع على باقيه فاخبر به ثانيا وروي أحد قبلي أي لم يعط واحدة منهن أحد (نصرت بالرعب مسيرة شهر) أي نصرني الله تعالى على أعداء الدين الكفرة بالرعب بضم الراء المهملة المشددة وهو شدة الخوف الذي ألقاه الله في قلوبهم فاذا سمع بي من بيني وبينه مسيرة شهر ارتعد وخاف من غزوي له وانما خص مسافة شهر وان خافه من هو أبعد منه قيل لانه لم يكن بينه صلى الله تعالى عليه وسلم وبين من أظهر العداوة له أكثر من ذلك وقد قال ذلك في غزوة تبوك آخر غزواته وأبعدها فاذكر بيان لما وقع له صلى الله عليه وسلم حال تكلمه فلا ينافي الزيادة وهذا من خصائصه حتى لو سار وحده بغير عسكر أرعب اعداءه وقد وقع هذا البعض خلفائه ومن اتقى الله من امراء الاسلام فهذه الخاصة بالنسبة لمن قبله من الامم وعليه يحمل رواية لم يعطهن أحد او نقول ان ذلك لا يتيسر لغيره أو فعل اتباعه كفعله (وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا فايما) وفي رواية وأيما بالواو بدل الفاء (رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل) قال العلامة الزركشي في أحكام المساجد قال القاضي عياض هذا من خصائص هذه الامة لان قبلنا كانوا لا يصلون الا في موضع تيقنوا طهارته ونحن خصصنا بجواز الصلاة في جميع الارض الا ما تيقنا نجاسته وقال القرطبي هذا مما خص الله به نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم وكانت الانبياء قبله انما أبيحت لهم الصلاة في مواضع مخصوصة كالبيع والكنائس وقال المهلب في شرح البخاري المخصوص به جعل الارض طهورا واما كونها مسجدا فلم يأت في أثر انها منعت من غيره وقد كان عيسى عليه الصلاة والسلام يسيح في الارض ويصلي حيث أدركته الصلاة فكانه قال جعلت لي الارض مسجدا وطهورا وجعلت لغيري مسجدا ولم تجعل طهورا انتهى * أقول حاصله انه لو كان كل منهما مخصوصا به وبامته لزمه اشكال وهو ان الانبياء السالفة وأممهم كانت لهم صلاة مفروضة وكانوا يسافرون فلو لم تجز لهم الصلاة الا في مساجدهم لزمهم اما ترك الصلاة أو عدم صحتها وهو مخالف للظاهر فاجابوا عنه بالوجوه المذكورة وهو ان الخاص بهذه الامة مجموع الامرين لا كل واحد منهما أو جعل جميع الارض مسجدا حتى تيقن نجاستها وهم لم تحل لهم الصلاة الا فيما تيقن طهارته وعلى هذا قوله تعالى واجعلوا بيوتكم قبلة كما في بعض التفاسير فقوله فايما رجل الى آخره معناه على ظاهره أو ما لم يتيقن نجاسته ولك ان تقول انه مخصوص بغير حال السفر والضرورة لان الضرورات تبيح المحظورات كقصر الصلاة ويؤيده جعله قرين التيمم المخصوص بالضرورة وهذا أقرب ثم ان طهارة التيمم حكمية لا حقيقية كما بينه الفقهاء وفي قوله الارض دون التراب نصرة لمن جوز التيمم بجميع اجزاء الارض ولم يخصه بالتراب وهو المناسب للمقام وان خصه الشافعي رحمه الله تعالى بالتراب لرواية وتربتها طهورا والمطلق يحمل على المقيد وتخصيص الرجل غير مراد لدخول النساء في هذا الحكم أيضا وانما خصوا بالذكر لانهم الاصل ويعلم النساء بالطريق الاولى ومعنى أدركته الصلاة أدركه وقتها اذا دخل ولا ينافيه أيضا النهي عن الصلاة في بعض الاماكن لثبوت المنع فيه بدليل آخر والمراد بالارض جميع الامكنة وماحولها ولا مارأى به مسجدا أو محلا للصلاة وقوله فايما الى آخره لدفع توهم انه مخصوص به صلى الله تعالى عليه

وسلم

(وأحلت لى الغنائم ولم تحل) بصيغة المجهول وفى نسخة بصيغة المعلوم (لنبي قبلى) أى فضلا عن أمته بل كانوا يجمعونها فى موضع فتنزل نار من السماء فتحرقها (و بعثت الى الناس) أى الانس والجن ولعل اقتصاره ايماء الى الاكتفاء ثم المراد بالناس مؤمنهم وكافرهم ولذا قال (كافة) وفى رواية كافة عامة وفى رواية جابر قبله وكان النبي يبعث الى قومه خاصة وفى رواية لمسلم و بعثت الى الخلق كافة فلا يرد ان نوحا عليه الصلاة والسلام بعد خروجه من الفلك كان مبعوثا الى جميع أهل الارض لان هذا العموم فى رسالته لم يكن فى أصل البعثة وانما وقع لاجل حدوث الحادثة وهى انحصار الخلق فى الموجودين معه بخلاف نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فى عموم رسالته فى أصل بعثته وشمول دعوته (وأعطيت الشفاعة) وفى رواية عدد هذا رابعا واللام فيها للعهد اذ المراد بها الشفاعة العظمى فى المقام المحمود وله صلى الله تعالى عليه وسلم شفاعات أخر يحتمل اختصاص بعضها به منها فى جماعة يدخلون الجنة بغير حساب ومنها فى أناس استحقوا دخول النار فلا يدخلونها ومنها فى أناس دخلوا النار فيخرجون منها ومنها فى رفع درجات أناس فى الجنة ومنها شفاعته لمن مات بالمدينة ومنها شفاعته لمن صبر على لأوائها ومنها شفاعته لفتح باب الجنة كما رواه مسلم ومنها شفاعته لمن زاره عليه الصلاة والسلام لما روى ابن خزيمة فى صحيحه عن ابن عمر مرفوعا من زار قبرى وجبت له شفاعتى ومنها شفاعته لمن أجاب المؤذن وصلى عليه صلى الله تعالى عليه وسلم لما فى الصحيحين من قوله صلى الله تعالى عليه وسلم حلت له شفاعتى ومنها تخفيف العذاب عمن استحق الخلود فيها كما فى حق أبى طالب لقوله ولعله تنفعه شفاعتى ولقوله ولولا أنا لكان فى الدرك الاسفل من النار قال القرطبى فى تذكرته فى الجواب عن الآية ما نصه فان قيل فقد قال الله تعالى فما تنفعهم شفاعة الشافعين قيل له لا تنفع فى الخروج من النار كعصاة الموحدين الذين يخرجون من النار و يدخلون الجنة وقال الحلبى انها شفاعة بالحال لا بالمقال فبسببه صلى الله تعالى عليه وسلم يخفف عن أبى طالب أى لانه يطلبها وهو لا يخلو عن الاحتمال فلا يكفى لدفع الاشكال بخلاف ما سبق من جواب السؤال والله تعالى أعلم بالاحوال (وفى رواية أخرى) أى عن أبى ذر (بدل هذه الكلمة) وهى قوله أعطيت الشفاعة

وسلم وحده (وأحلت لى الغنائم ولم تحل لنبي قبلى) تحل بفتح التاء المثناة الفوقية وكسر الحاء المهملة وروى بضم التاء وفتح الحاء وكان من قبله صلى الله تعالى عليه وسلم من الانبياء منهم من لم يؤذن له فى الجهاد فلم تكن له مغانم ومنهم من اذن له فيه ولم يؤذن له فى الاكل منها فكانت الغنائم تجمع فى محل فتأتى النار من السماء فتحرق ما تقبل منه على ما مر بيانه وكانت فى صدر الاسلام تحل له صلى الله تعالى عليه وسلم فقط ثم أمر بعد ذلك بتخميسها كما بينه الفقهاء والغنائم جمع غنيمة ما يؤخذ من الكفار بقتال ونحوه والفىء ما حصل منهم بدون ذلك (و بعثت) بالبناء للمجهول بمعنى أرسلت وطوى ذكر الفاعل للعلم به أى أرسلنى الله (الى الناس كافة) المراد بالناس جميعهم أو ما يشمل الانس والجن كما مر وروى الى الخلق كافة وكافة حال بمعنى جميعا وفى ارساله صلى الله تعالى عليه وسلم للملائكة كلام سيأتى وعموم البعثة مخصوص به صلى الله تعالى عليه وسلم بالاحاديث الصحيحة ومر انه لا يرد عليه ان نوحا عليه الصلاة والسلام كان مبعوثا لاهل الارض بعد الطوفان لانه لم يبق الا من كان مؤمنا معه وقد كان مرسلا اليهم لان هذا العموم لم يكن فى أصل بعثته وانما اتفق لحادث اقتضى انحصار الخلق الموجودين على ان ارساله عليه الصلاة والسلام انما كان لقومه ولم يات ما يدل على عموم رسالته وأما دعاؤه على جميع أهل الارض واهلاكهم فلا يدل على ذلك لجواز ان يرسل غيره فى مدته ولم يؤمنوا به فلذا دعا عليهم قال ابن حجر هذا جواب حسن الا انه لم ينقل انه نبى فى زمنه غيره و يحتمل ان خصوصيته ببقاء شريعته الى يوم القيامة بحيث لا ينسخها غيرها ويحتمل انه دعا الناس للتوحيد فاشركوا واستحقوا العقاب والدعوة للتوحيد يجوز ان تعم وان كانت فروع شريعته غير عامة كما قاله ابن دقيق العيد وأشار اليه ابن عطية فى سورة هود وانه لم يكن فى عهده غير قومه وأولاده كآدم عليه الصلاة والسلام فلا يرد نقضا على هذه الخصوصية ما ذكر (وأعطيت الشفاعه) اللام اما للعهد فالمراد الشفاعة العظمى فى فصل القضاء لاهل الموقف أجمعين بعد مراجعة سائر الانبياء وانا ارهم العجز فيأتونه صلى الله تعالى عليه وسلم فيشفع وتقبل شفاعته وهو المقام الاعلى أو هى للاستغراق كانت الرجل أى الشفاعة الكاملة وله صلى الله تعالى عليه وسلم شفاعات كثيرة شاركه فى بعضها بعض الانبياء كشفاعته فى قوم يدخلون الجنة بغير حساب وهذه مخصوصة به وشفاعته فى قوم استحقوا دخول النار فلا يدخلونها وفى بعض أهل النار فيخرجون منها وفى تخفيف عذاب بعض أهل النار كأبى طالب وشفاعته لمن مات بالمدينة ومن صبر على لأوائها وشفاعته لمن صلى عليه بعد الاذان وغير ذلك مما ورد فى الاحاديث الصحيحة (وفى رواية بدل هذه الكلمة) أراد بالكلمة قوله وأعطيت الشفاعة وسماها كلمة لانها كلمة لغوية وهى تطلق على

(وقيل لي سل تعطه) بصيغة المفعول فهاء السكت وفي نسخة بالضمير (وفي رواية أخرى) أي للبزار والبيهقي رحمهما الله تعالى (وعرض على أمتي فلم يخف) أي لم يكتم (على التابع من المتبوع) أي في الخير والشر وقيل المراد بالتابع الوضيع الذي يقتدي بغيره وبالمتبوع الشريف الذي يقتدى به ويرجع الى قوله (وفي رواية) أي عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه (بعثت الى الاحمر والاسود) وظاهره عموم الخلق كما ذهب اليه بعضهم وقال بعثت حتى الى الحجر والمدر والشجر وجميع الكائنات كما بينته في بعض المقامات (قيل السود) وهو جمع الاسود (العرب لان الغالب على ألوانهم الادمة) بضم الهمزة أي السمرة الشديدة (فهم من السودان) في الجملة (والحمر) بضم فسكون جمع الاحمر (العجم) أي لان الغالب على ألوانهم الشقرة مع البياض وكأنه أراد بالعجم الفرس ومن يشاركهم في هذا المعنى من الترك بناء على الاطلاق العرفي وأما المقابل للعرب بحسب الوضع اللغوي فلا يلائم المقام لدخول الهنود والسنود والحبوش والسودان وغيرهم معهم (وقيل البيض والسود من الامم) أي على الوجه الاعم وهو في افادة التعميم أتم (وقيل الحمر الانس) أي لنورهم وظهورهم (والسود الجن) لاجتنانهم وتسترهم (وفي الحديث الآخر عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه) كما رواه الشيخان (نصرت

الجمل وفي نسخة الكلمات (وقيل لي سل تعطه) أي قال الله أو حذف الفاعل للعلم به وقيل له ذلك لما انحصرت الشفاعة فيه ولم يلتزمها أحد من الرسل فقال أنا لها وخر تحت العرش ساجدا فقال له الله ارفع رأسك يا محمد وقل تسمع وسل تعط واشفع تشفع وفيه كمال الادب اذ لم يسأل حتى اذن له في السؤال وأمره وهذا في القيامة ويحتمل انه اشارة الى ما في الاسراء كما سيأتي في حديث ابن وهب وأصل سل اسئل خفف بنقل حركة الهمزة واسقاطها واسقاط همزة الوصل وفي حذف المفعول عموم كرم أي سل كل ما تريد تعط أكثر مما تسال وتعط مجزوم في جواب الامر والهاء للسكت أو ضمير عائد على مقدر (وفي رواية أخرى وعرض على أمتي فلم يخف على التابع من المتبوع) أي الشريف والوضيع ويحتمل ان الله عرض عليه صلى الله تعالى عليه وسلم بالوحي تفصيل أحوالهم وذواتهم وصفاتهم وسائر تصرفاتهم في زمنهم أو انه أبرزهم له حقيقة فوجا فوجا متلبسين باعمالهم على وجه لا نقف على حقيقته وذكر العراقي في شرح المهذب انه صلى الله تعالى عليه وسلم عرضت عليه الخلائق من لدن آدم الى قيام الساعة فعرفهم كلهم كما علم آدم الاسماء كلها وروى الطبراني انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان الله تعالى قد رفع لي الدنيا فانا أنظر اليها والى ما هو كائن فيها الى يوم القيامة كأنما أنظر الى كفي هذه وحديث حذيفة الطويل المذكور فيه الفتن وما يكون فيها مطول ذكره العراقي قال فيه ما ترك فيه شيأ الا سماه باسمه واسم أبيه وقبيلته الى يوم القيامة ومنه أخذ الجفر والجامعة الذي رواه جعفر الصادق عن علي رضي الله تعالى عنه وان توقف بعضهم في صحته كما ذكره ابن خلدون في أول تاريخه (وفي رواية بعثت الى الاحمر والاسود) أي الى جميع الناس أو جميع الجن كما يكنى عن مثله بالعرب والعجم أي الى كل فرد فرد والمقصود عموم رسالته صلى الله عليه وسلم للجن والانس وفيه رد على من زعم من أهل الكتاب ان بعثته صلى الله تعالى عليه وسلم مخصوصة بالعرب كالعيسوية لانه يعود بالنقض عليهم اذ يقال لهم اذا اعترفتم بنبوته صلى الله تعالى عليه وسلم وجب تصديقه فيما قاله وقد صح عنه انه قال بعموم رسالته وأشار المصنف رحمه الله تعالى الى معناه بقوله (قيل السود) جمع أسود وفي نسخة الاسود (العرب) وهذا مذكور في الحديث معنى لان تعريف الاسود ليس للعهد بل للاستغراق فهو بمعنى السود وبين علته فقال (لان الغالب على ألوانهم) أي العرب (الادمة) بضم الهمزة وسكون الدال المهملة وهي في الادميين السمرة وفي الطعام بياض يشوبه سمرة (فهم من السود) أي فهم المقصودون من قوله الاسود الذي بمعنى السود كما عرفته (والحمر) جمع أحمر وعبر عن الاحمر بالحمر لما مر (العجم) أي المراد بهم في الحديث العجم والمراد بهم من عدا العرب وقد يخص باهل فارس ولم يعلله لغلبته أي لغلبة لون الحمرة عليهم فاعتبر الغالب لان النادر لا حكم له لان القلة أخت العدم ولذا لم يعبر بها عنها (وقيل البيض) جمع أبيض يعني قيل المراد بالحمر البيض أي بالاحمر الابيض لان العرب تقول امرأة حمراء بمعنى بيضاء وقال ثعلب العرب لا تقول أبيض من بياض اللون فاذا أرادوه قالوا أحمر والابيض عندهم بمعنى النقي من العيوب قال ابن الاثير وفيه نظر فانهم قد استعملوا الابيض في ألوان الناس وغيرهم وهو اعتراض وارد وما قيل من ان مراده انه لا يستعمل في محل اللبس كما هنا فانه لو قال بعثت الى الابيض انه أريد به السالم من العيوب لا يجدي نفعا وكيف يراد المجاز من غير قرينة (وقيل البيض والسود من الامم وقيل الحمر الانس والسود الجن) وهذا مبني على ما في مخيلتهم من انهم سود (وفي الحديث الآخر عن أبي هريرة) الذي رواه البخاري ومسلم واورده لما فيه من الزيادة على قوله

(نصرت بالرعب وأوتيت جوامع الكلم) أي القرآن العظيم والفرقان الحكيم أو الاحاديث الجامعة والكلمات اللامعة التي مبانيها يسيرة ومعانيها كثيرة ويؤيده مارواه أبو يعلى في مسنده عن عمر ولفظه أعطيت جوامع الكلم واختصر لي الكلام اختصارا (و بينا) أي بين أوقات (أنانائم) أي في بعضها (اذجيء بمفاتيح خزائن الارض) جمع مفتاح وأما مفاتح بدون الياء فجمع مفتح بمعنى مخزن (فوضعت في يدي) بفتح الدال وتشديد التحتية كذا ضبطه الحفاظ ولعل في اختيار التثنية اشعار بكثرة المفاتيح والمراد بها ما فتح الله على أمته من الكنوز الحسية والمعنوية لحديث وأوتيت مفاتيح الكلم وفي رواية مفاتح الكلم وفي سيرة الكلاعي ان رستم أمير جيش يزدجرد رأى في منامه وقد جاءهم سعد ابن أبي وقاص من قبل عمر لفتح بلادهم ان ملكا نزل من السماء فاخذ جميع أسلحتهم للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم فاعطاها لعمر فكان الفتح والغنيمة والنصر الذي يكاد يفوت الحصر في عصر عمر (وفي رواية) أي رواها مسلم (عنه) أي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه (وختم بي النبيون) هذا وقد روى أحمد في مسنده عن علي كرم الله وجهه مرفوعا أعطيت مالم يعط أحد من الانبياء قبلي نصرت

بالرعب وأعطيت مفاتيح الارض وسميت أحمد وجعل لي التراب طهورا وجعلت أمتي خير الامم ثم اعلم ان له خصوصيات أخر كاعطاء الآيات من خواتيم سورة البقرة والمفصل من القرآن وجعل صفوف أمته كصفوف الملائكة وغير ذلك مما يحتاج الى تاليف مستقل لبيان تفصيل ماهنالك (وعن عقبة بن عامر رضي الله تعالى عنه) صحابي جهني مصري (انه قال عليه الصلاة والسلام) كما رواه الشيخان (اني فرط لكم) وأما ما وقع في أصل الدلجي من قوله أنا فرطكم فليس في الاصول المعتمدة

(نصرت بالرعب) قوله (وأوتيت جوامع الكلم) جمع جامعة لجمعها الحكم والمنافع في لفظ قليل والكلام اسم جنس جمعي للكلمة لاجمع ولا اسم جمع على الاصح وهو من اضافة الصفة للموصوف وفسرت بالقرآن لما في جمعه من المعاني في ألفاظه الموجزة وقيل المراد به كلماته الموجزة المتضمنة للحكم والمنافع وفي نسخة (وخواتمه) فقيل هي بمعنى الجوامع وقيل التي ختم بها الكلام فلا يأتي بعدها ما يقرب منها لعدم الحاجة له (و بينا أنانائم) أصله بين فاشبعت فتحتها حتى صارت ألفا وهو ظرف زمان كبينما المتصلة بما المزيدة ويجيء بعدها اذ كقوله (اذجيء) بالبناء للمجهول أي جاءني ملك أرسله الله واذ للمفاجأة وهو جواب لها ويغلب بعدها كقوله

استقدر الله خيرا وارضين به * فبينما العسر اذ دارت مياسير

وقد تخلو عنها كقولك بينا أنا جالس دخل علي عمرو وهي مضافة لجملة أنانائم وقيل مضاف لمحذوف تقديره بين أوقات النوم موجود كما فصله أهل العربية (بمفاتيح خزائن الارض فوضعت في يدي) بتشديد الياء مثنى مضاف أو بالتخفيف مفرده ومفاتيح جمع مفتاح وهو آلة يفتح بها الاقفال معروفة والخزائن جمع خزينة أو خزانة وهي ما يدخر فيه المال والامور النفيسة لتحفظها والمراد ما في الارض من الكنوز والاموال فاما ان يكون رأى في رؤيا نومه ملك الرؤيا وضع في يده مفاتيح حقيقة وقال له هذه مفاتيح خزائن الارض أرسلها الله اليك ورؤيا الانبياء عليهم الصلاة والسلام وحي يقع بعينها تارة وتعبر بما يحكيها أخرى وظاهر تعبيره ان أمته تملك الارض ويجيء لهم أموالها وفي المواهب اللدنية انها خزائن من أجناس العالم بقدر ما يطلبون فان الاسم الالهي لا يعطيه الا محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم الذي بيده مفاتيح الغيب التي لا يعلمها الا هو فالمراد ان الله خصه بتمكين أمته من الارض ويحتمل ان الملك أخبره وقال له ذلك فيكون استعارة لما مر والقول بان المراد العناصر وما يتولد منها وانه لم يقبل ذلك تعسف وكونه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يقبله باباء عده خاصية له بل قبله فان عطاء الكريم لا يليق رده ولكنه ادخره لامته (وفي رواية) لمسلم (عنه) أي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه (وختم بي النبيون) أي جعلني خاتمهم وآخرهم حتى لا يبعث نبيا بعده غيره فلا يرد عيسى عليه الصلاة والسلام ومجيئه آخر الزمان لانه يجيء على انه من أمته أيضا وأما الخضر فعلى تقدير نبوته معناه فلم ينبأ بعده وفي هذا الختم تكريم له حيث لا ينسخ شريعته ولا يطول مكث أمته في الثرى واشارة الى ان دينه كامل جامع لجميع الكمالات لا يحتاج الى ملة أخرى * (تتمة) * وما روي من قوله لا نبوة بعدي الا ماشاء الله الاستثناء لا يقتضي وقوع مشيئته على فرض صحته والمنفي النبوة لا النبي فيحتمل ان الذي تحت المشيئة الرؤيا الصالحة لانها جزء من أجزاء النبوة (وعن عقبة بن عامر رضي الله تعالى عنه) وهو أبو أسد أو أبو حماد أو أبو عمر الجهني الصحابي الفصيح السيد الجليل توفي بمصر سنة ثمان وخمسين وهذا الحديث رواه الشيخان وأبو داود والنسائي (انه قال) عقبة (قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أنا فرطكم على الحوض) الفرط بفتحتين والفارط الذي يتقدم القوم ليهيء لهم في منازل أسفارهم الماء والكلأ ونحوه مما يحتاجون له ويقال رجل فرط وقوم فرط أيضا وفي الدعاء للطفل الميت اللهم اجعله فرطا أي أجرا يتقدمنا حتى نرد عليه والحوض هو حوضه صلى الله تعالى عليه وسلم الذي يسقى

والنسخ المعتبرة والمعنى أنا متقدمكم وفرط صدق لكم وأصل الفرط الذي يتقدم لطلب الماء بالحبل والرشاء وأسباب ضرب الخباء (وأنا شهيد عليكم) أي بالثناء الجميل والوفاء الجزيل (واني والله لانظر الى حوضي) أي والى من يشرب منه ومن يذب عنه في الموقف والمحشر (الآن) أي في هذا الحاضر من الزمان (واني قد أعطيت مفاتيح خزائن الارض) يعني عرضت على فلم أقبلها لعدم الالتفات الى الدنيا والتوجه الكلي الى الآخرة والاقبال القلبي الى المولى والعلم بان الآخرة خير من الاولى وبان الجمع بينهما على وجه الكمال من جملة المحال كما بينه حديث من أحب دنياه أضر بآخرته ومن أحب آخرته أضر بدنياه فآثروا ما يبقى على ما يفنى كما رواه أحمد والحاكم عن أبي موسى ويؤيد ما قررناه من المراد ٢١٠ بمفاتيح الارض هنا بخلاف ما سبق من ان المراد بها ما يسره الله عليه وعلى أمته من فتح البلاد واتساع العباد مع انه لا يبعد أيضا عن المراد قوله (واني والله ما أخاف عليكم ان تشركوا بعدي) أي جميعكم (ولكني أخاف) أي عليكم كما في نسخة صحيحة (ان تنافسوا) بفتح أوله على انه حذف احدى التائين منه أي ترغبوا (فيها) أي في الدنيا الدنية الخسيسة كما يرغب في الاشياء الغالية العالية النفيسة فهو ماخوذ من ميل النفس الى النفيس ومنه قوله تعالى وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ومنه اقتباس امامنا الشاطبي رحمه الله تعالى بقوله (عليك بها ما عشت فيها منافسا * وبع نفسك الدنيا بانفاسها العلا) * وأغرب الحلبي كغيره في رجع ضمير فيها الى خزائن الارض نعم ذكر المفاتيح سابقا يدل على كون الضمير للدنيا الاحقا نحو قوله ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة لدلالة الناس أو الدابة على الارض مع ان قرينة المقام كافية في تعيين المرام (وعن عبد الله بن عمرو) بالواو وفي نسخة بتركها وقد رواه أحمد بسند حسن (ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال أنا محمد النبي الامي) أي المنسوب الى أم القرى وهي مكة أو الى أمة العرب لكون غالبهم أميين لا يقرؤن ولا يكتبون أو المضاف الى الام بمعنى اني على أصل ولادتي وجبلتي من غير قراءتي وكتابتي وذلك شرف له وعيب في غيره وهذا المعنى هو الاولى بالمدعى كما أفاد صاحب البردة هذه الزبدة بقوله * كفاك بالعلم في الامي معجزة * وقد قال تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون

منه عطاش أمته يوم القيامة وعلى متعلقة بفرط أو حال من الضمير فيه لانه صفة مشبهة وهل الحوض الكوثر أو غيره اختلف فيه وعليه أوان كالنجوم وفي الحديث بلاغة بديعة اذ المراد ان موته صلى الله عليه وسلم قبلهم فيه مصيبة عظيمة هي سبب دخولهم الجنة وأجر عظيم فشبههم بقوم مسافرين وشبه نفسه بمن تقدمهم لنفعهم والفرط من سبق للماء كما مر فذكر الحوض فيه مناسبة عظيمة وان متاع الدنيا قليل فهم على أثره صلى الله تعالى عليه وسلم واردون جمعنا الله به وسقانا من يده شربة لا نظما بعدها (وأنا شهيد عليكم) شهيد بمعنى شاهد قال الله تعالى ويكون الرسول عليكم شهيدا أي يوم القيامة فان الله تعالى يسال الرسل هل بلغتم فيقولون نعم فيقول لاممهم هل بلغوكم فيقولون ما أتانا من نذير فيقول للرسل من يشهد لكم فيقولون أمة محمد فيشهدون بتبليغهم وهذا هو قوله لتكونوا شهداء على الناس ويشهد لهم صلى الله عليه وسلم بصدقهم ويزكيهم على ما مر بيانه وهذه شهادة لهم لكنه عداها بعلى حثا على الطاعة لانه رقيب عليهم ومهيمن (واني والله لانظر الى حوضي الآن) أي أشاهده الآن لان الجنة والنار موجودتان الآن وتاكيده بان والقسم يقتضي انها رؤية بصرية حقيقية لانكشاف الغطاء عن بصره الحائل عن رؤيته وليس بطريق الكشف ونحوه وفي هذا بيان لما مر لانه صلى الله تعالى عليه وسلم لما قال انه فرط على الحوض حقق ذلك بانه مشاهد له لاشبهة فيه والآن مبني على الفتح ولا يستعمل الا بالالف واللام (واني قد أعطيت مفاتح خزائن الارض) تقدم قريبا بيانه (واني والله ما أخاف عليكم) الصحابة أو معاشر الامة (ان تشركوا بعدي) أي من ان تكفروا بعدي ومن مقدرة لانها تحذف هنا قياسا مطردا لان من ذاق حلاوة الايمان لا يرجع عنها (ولكني أخاف عليكم ان تنافسوا فيها) أي في الدنيا أي أخاف عليكم من رغبتكم في نفائس الدنيا وانهماككم في تحصيلها حتى يؤديكم ذلك الى الهلاك وارتكاب ما يلهيكم عن الله تعالى وهذا تنبيه لهم على انهم لا تلهيهم الخزائن عن المعاد (وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما) كما رواه عنه الامام أحمد بسند حسن (ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أنا محمد النبي الامي) هو الذي لا يقرأ ولا يكتب نسب لامه لانه كان على حاله يوم ولدته أمه أو الى أم القرى لان الكتابة كانت عزيزة في أهلها أو الى أمة العرب وهذه الصفة في حقه صلى الله تعالى عليه وسلم من أجل النعم عليه وأعظمها اذ أعطاه علم الاولين والآخرين وحفظه هذا الكتاب الذي لم يعادله كتاب وهو لا يقرأ ولا يكتب ولم يدارس ولم يلاق أحدا له شغل بذلك * (تنبيه) * كون النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أميا من معجزاته الشريفة الباهرة كما تقدم مبسوطا غير مرة وأشار اليه الابوصيري رحمه الله تعالى في قوله

كفاك بالعلم في الامي معجزة

وهذا كان في أول أمره الا أن بعضهم ذهب الى انه بعد ذلك قرأ وكتب من غير تعلم وهو معجزة أخرى الا ان الجمهور على خلافه كما ذكره الحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث الرافعي وقال

ابن

(لانبي بعدي) أي وان وجد أحد يكون تابعا له (وأوتيت جوامع الكلم) أي مع كوني أميا (وخواتمه) قيل هو جوامع معنى أي ختم على بان أجمع المعنى الكثير في المبنى اليسير أو المراد بخواتمه انه لا يكون بعده وجود ختمه احتياج الى غيره وهو المناسب

ابن عربي في سراج المريدين رحل أبو الوليد الباجي وأبعد رحلته فلما عاد قرأ البخاري وقال في درسه انه صلى الله عليه وسلم في الحديبية محى الكتاب وكتب بيده ألا ترى انه قال فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتاب وليس يحسن الكتابة فكتب هذا ما قاضى الى آخره فابتدر رجل مغربي وصاح في المجلس انه زنديق الان الامير كان متفننا فدعا الفقهاء وسألهم فشنعوا عليه وقالوا انه كفر فاستظهر الباجي بالحجة عليهم وقال ان هؤلاء جهلة فاكتب الى علماء الآفاق فكتب الى علماء افريقية وصقلية فجاءت الاجوبة بتصديق الباجي الى آخر ما فصله ورأيت في بعض الكتب انه مما يدل على ذلك انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لكاتبه طول السنات وقوله تعالى ما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك فقوله من قبله يدل على انه صلى الله تعالى عليه وسلم بعد ذلك كان يكتب نادرا ما عرفه وقوله (لا نبي بعدي) تقدم بيانه (أوتيت جوامع الكلم وخواتمه) تقدم معناه ولفظه وانما كرره هنا ليبين انه مع كونه أميا أوتي مالم يؤته أحد ممن أفنى عمره في القراءة والكتابة (وعلمت) بضم العين المهملة وسكون اللام المشددة أو بفتحها وتخفيف اللام (خزنة النار) جمع خازن ككتبة وكاتب وهم الملائكة الموكلون بها (وحملة العرش) جمع حامل وهم الملائكة يعني انه صلى الله تعالى عليه وسلم علم مالم يعلمه غيره بمشاهدته لهم ألا ترى ما ورد في الاحاديث من وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم لهم وبيان هيآتهم مما كان له رأى عين وحملة العرش اليوم أربعة ويوم القيامة ثمانية كما نطق به القرآن العزيز (وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما) كما رواه أحمد بسند حسن (بعثت بين يدي الساعة) أي القيامة سميت ساعة لانها عند الله قليلة تشبيها لها بالساعة التي هي جزء من أجزاء الزمان وقال الراغب لسرعة الحساب فيها كما قال تعالى وهو أسرع الحاسبين أو لما نبه عليه بقوله تعالى كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار وقيل الساعات التي هي القيامة ثلاث ساعات الكبرى وهي بعث الناس للحساب والوسطى وهي موت أهل القرن الواحد والصغرى وهي موت كل انسان وقد وردت الساعة بهذه المعاني في الحديث والمراد هنا الاولى والمراد بكونه صلى الله عليه وسلم بين يديها انه قريب منها ففيه استعارة مكنية وفي الحديث أنا والساعة كهاتين يشير بالوسطى والسبابة وفيه اشارة الى بقاء دينه صلى الله تعالى عليه وسلم وعدم نسخه ولاجل هذا ذكره المصنف رحمه الله تعالى (ومن رواية ابن وهب) من تبعيضية أتى بها اشارة الى انه بعض من حديث الاسراء الطويل الذي رواه البيهقي في الدلائل وغيره عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه وابن وهب هو عبد الله أبو محمد بن وهب بن مسلم الفهري المصري أحد الاعلام في الحديث وغيره روى عن مالك والليث وخلق كثير وروى عنه خلق كثير وكان أفقه من ابن القاسم وطلب للقضاء فتجنن وانقطع الى ان مات سنة سبع وتسعين ومائة والجار والمجرور خبره مقدم لقوله (انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال قال الله تعالى) له صلى الله تعالى عليه وسلم حين كلمه بغير واسطة في الاسراء كما يدل عليه سياق الحديث (سل يا محمد) حذف أحد مفعوليه للتعميم أي كل ما تريده والآخر للعلم به فانه لا مسؤل سواه ولدلالة قوله (فقلت ما أسأل يارب) عليه ورب بكسر الباء وضمها ولم يقل ما أسألك تأدبا يعني ان جميع الكلمات استودعتها الانبياء عليهم الصلاة والسلام قبله فلم يبق ما يختص به حتى يسأله ثم فصل بعض ما أجمله فقال (اتخذت ابراهيم خليلا) أي اصطفيته وخصصته بالخلة وكرامتها وسيأتي تحقيقها

لكونه خاتم النبيين (وقد علمت) بضم عين وتشديد لام مكسورة ويجوز تخفيفها مع فتح أوله كما قال تعالى وعلمك مالم تكن تعلم (خزنة النار) أي الملائكة الموكلين عليها وكبيرهم يسمى مالكا مشتق من الملك وهو القوة (وحملة العرش) أي من الملائكة فهم اليوم أربعة ويكونون يومئذ ثمانية كما أخبر الله عنهم لكن على خلاف في تمييز العددين من الصفوف أو الالوف أو الصنوف (وعن ابن عمر) كما روى أحمد بسند حسن (بعثت بين يدي الساعة) أي قدامها وقريبا من وقوعها كما رواه أحمد والشيخان والترمذي عن أنس رضي الله تعالى عنه بعثت أنا والساعة كهاتين (ومنه رواية ابن وهب) هو عبد الله بن وهب المصري أحد الاعلام عن ابن جريج وعنه أحمد وغيره قال يونس بن عبد الاعلى طلب للقضاء فجنن نفسه وانقطع أخرج له الائمة الستة (انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال) أي على ما رواه البيهقي من حديث أسماء في الاسراء حيث أتى سدرة المنتهى (قال الله تعالى سل يا محمد) أي ما شئت (فقلت ما أسال يارب) أي من المقامات العالية حيث أعطيت جميع الانبياء الماضية كما بينه بقوله (اتخذت ابراهيم خليلا) أي بقولك واتخذ الله ابراهيم خليلا

(وكلمت موسى تكليما) كما قلت وكلم الله موسى تكليما (واصطفيت نوحا) كما قلت ان الله اصطفى آدم ونوحا (وأعطيت سليمان ملكا لا ينبغي) أي لا يكون (لاحد من بعده) حيث بينته بقولك فسخرنا له الريح تجري بامره رخاء حيث أصاب الآية (فقال الله تعالى ما أعطيتك) أي الذي أعطيتكه (خير من ذلك) أي كله (أعطيتك الكوثر) فوعل من الكثرة ومعناه الخير الكثير وفي النهاية هو نهر في الجنة وجاء في التفسير انه القرآن ولعل هذا هو المراد في هذا المقام ويشير اليه قوله سبحانه وتعالى وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما وفيه اشارة الى مزية العلم والمعرفة على كل مقام وحال ومرتبة قال ابن عرفة أنظر في قوله تعالى انا أعطيناك الكوثر أهو انشاء أم خبر فان قيل الانشاء هنا مستحيل لان كلام الله تعالى قديم أزلي فالجواب انه باعتبار ظهور متعلقه فان قلت في تعلقه خلاف هل هو قديم أو حادث قلنا التعلق التنجيزي حادث وأما التعلق الصلوحي فيصح هنا كذا ذكره التلمساني (وجعلت اسمك مع اسمي) أي مقرونا به في كلمة الشهادة (ينادى به) بصيغة المفعول (في جوف السماء) أي وقت الاذان والخطبة أو فيما بين أهل السماء (وجعلت الارض طهورا) أي حكميا (لك ولامتك) أي خاصة (وغفرت لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر) أي جميع ما فرط وما يفرط منك مما يصح أن يعاتب عليك (فانت تمشي في الناس) وفي نسخة بالناس وفي أخرى بين الناس (مغفورا لك) حال من ضميرك تمشي (ولم أصنع ذلك) أي غفران ما تقدم وما تأخر ذكره الدلجي والاظهر ان الاشارة الى جميع ما تقدم والله تعالى أعلم وحينئذ لا اشكال في قوله (لاحد قبلك) بخلاف ما اختاره ودفعه بقوله ولعله من غير الانبياء والافهم كذلك وفيه انهم ليسوا كذلك اذ لم نعلم انهم بشروا بغفران ما تقدم وما تأخر ويؤيده ان غفرانهم مشوب بمخافة المعاتبة بدليل حديث فيأتون نوحا فيقولون ألا تشفع لنا فيقول نفسي نفسي لست لها الحديث (وجعلت قلوب أمتك مصاحفها) فيه منقبة عظيمة لحفاظ القرآن من الامة كما يشير اليه قوله انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وتنبيه على ان الامم السالفة غالبهم لم يكونوا يحفظون شيأ من صحفهم

(وكلمت موسى تكليما) أي اصطفيته وفضلته بان كلمته بنفسك بكلامك القديم قبلي فلا يرد انه كلمه أيضا (واصطفيت نوحا) أي فضلته على غيره بان جعلته أول رسول أهلك من عصاه كما قال الله تعالى ان الله اصطفى آدم ونوحا فهو أبو البشر وأول الرسل (وأعطيت سليمان ملكا لا ينبغي لاحد من بعده) أي لا يتيسر لغيره من الرسل الملوك لتسخير الجن والانس والريح وملك الدنيا كلها بعظمة ألبسته اياها من عظمتك (فقال الله تعالى له) صلى الله عليه وسلم (ما أعطيتك خير من ذلك) كله وهو مبتدأ وخبر بينه بقوله (أعطيتك الكوثر) فوعل من الكثرة وذكر البيضاوي فيه سبعة أقوال أشهرها انه نهر في الجنة أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل في وسط الجنة حصباؤه الدر والياقوت وقيل هو القرآن وقيل النبوة وقيل غير ذلك مما تقدم (وجعلت اسمك مع اسمي) أي مقرونا باسمي في التشهد والاذان وكلمة الشهادة وغير ذلك ولذا قال (ينادى به في جوف السماء) أي تنادي الملائكة عليهم الصلاة والسلام باسمي وتصلي عليه لامر الله لهم بذلك أو لما رأوا من منزلته صلى الله عليه وسلم وقربه من ربه وكتابته اسمه على ساق العرش وتفسير السماء هنا بالامكنة العالية كمنارة الاذان كما قيل لا وجه له (وجعلت الارض طهورا لك ولامتك) لان الله تعالى شرفها بك فكانت طاهرة مطهرة وهذا من خواص هذه الامة تسهيلا لها وما أحسن قول ابن رشيق القيرواني

سألت الارض لم كانت مصلى * ولم كانت لنا طهرا وطيبا
فقالت غير ناطقة لاني * حويت لكل انسان حبيبا

وقد تقدم هذا الحديث وشرحه (وغفرت لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر) أي لو صدر كان مغفورا فلا ينافي هذا عصمته صلى الله عليه وسلم أو المراد بالذنب التقصير وان لم يكن صغيرة ولا كبيرة واعلامه بمغفرة كل مقدم ومؤخر تشريفا وتطمينا لقلبه صلى الله تعالى عليه وسلم وقد قال العز بن عبد السلام ان هذا من خصائصه صلى الله عليه وسلم ولم يقله الله لغيره من الانبياء ولذا قالوا في الموقف نفسي نفسي والى هذا أشار بقوله (فانت تمشي في الناس مغفورا لك ولم أصنع ذلك لاحد قبلك) فليس المراد باحد غير الانبياء كما قيل (وجعلت قلوب أمتك مصاحفها) أي مننت عليك بان جعلت في أمتك حفظا لم يكن في غيرهم من الامم السالفة حتى ان من كان يحفظ التوراة وغيرها من الكتب الالهية افراد معدودون في كل عصر وحفظة القرآن والحديث من هذه الامة لا يحصون في كل عصر والمصحف ما كان جامعا للصحف المكتوبة وجمعه مصاحف ثم خص بالمصحف المكتوب فيها القرآن وقد قيل انه لفظ حدث في الاسلام وكونه معربا من اللغة الحبشية لا أصل له وهذا تشبيه بليغ أي جعل قلوبهم كالمصاحف التي تحفظ القرآن وقيل انه استعارة تصريحية وله وجه وفي رواية صدور بدل قلوب وهذا بناء على ان محل الحفظ والادراك

(وخبات لك شفاعتك) أى ادخرتها عندى لليوم الموعود والمقام المحمود وهى الشفاعة العظمى لفصل القضاء حين يفزع الناس حتى الانبياء (ولم أخبأها لنبى غيرك) بل أوفيت اجابة دعواتهم فى الدنيا

فلم يبق لهم حينئذ شفاعة شاملة فى العقبى

والادراك القلوب واضافته للصدور لانها محله والحكماء يقولون ان محل الحفظ الخيال الذى هو خزانة الحس المشترك فى الدماغ وأهل الشرع والمتكلمون من أهل الاسلام لم يثبتوا الحواس الباطنة مع ان كلام الحكماء مضطرب فيها وفى محالها كما ذكره الجلال الدوانى فى شرح هياكل النور وليس هذا محل تفصيلها (وخبأت) بخاء معجمة مفتوحة وموحدة وهمزة أى أخفيتها وأخرتها الى يوم القيامة (شفاعتك) المراد بها الشفاعة العظمى فى فصل القضاء ونحوها من الشفاعات الخاصة به كما تقدم (ولم أخبأها لنبى غيرك) وفى نسخة قبلك وان كان لهم شفاعات غير هذه (وفى حديث آخر رواه حذيفة) بن اليمان العبسى الصحابى رضى الله تعالى عنه صاحب سر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم توفى سنة ست وثلاثين وهذا الحديث رواه ابن عساكر فى تاريخه عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (بشرنى يعنى ربه) ولم يذكر الفاعل فى أصل رواية هذا الحديث للعلم به كما فى قوله تعالى حتى توارت بالحجاب (أول من يدخل الجنة) مبتدأ ومن موصولة وجملة يدخل صلته (ومعى) ظرف متعلق به و(من امتى) حال من عائد من المستتر تحت يدخل (سبعون ألفا) خبره (مع كل ألف سبعون ألفا ليس عليهم حساب) صفة سبعون أو حال منه أى لا يحاسبون ولا يناقشون بل يؤمر بادخالهم الجنة تكريما لهم وقوله مع كل ألف سبعون ألفا جعلهم معهم لانهم اتباعهم وذراريهم قوله وليس الى آخره صفة للالف الثانية فيعلم منه عدم محاسبة الاولى بالطريق الاولى وفى البخارى انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما قال ذلك دخل بيته فخاض الصحابة فى هؤلاء فقيل لعلهم الذين صحبوه وقيل لعلهم الذين ولدوا فى الاسلام ولم يشركوا الى غير ذلك فخرج عليه السلام وسألهم عما خاضوا فيه فاخبروه فقال هم الذين لا يرقون ولا يسترقون وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة رضى الله عنه فقال يا رسول الله ادع الله ان يجعلنى منهم فقال أنت منهم ثم قام آخر فقال مثل ذلك فقال عليه السلام سبقك بها عكاشة وفى الحديث أيضا وعدنى ربى ان يدخل الجنة من امتى سبعين ألفا مع كل ألف سبعون ألفا لا حساب عليهم ولا عذاب وثلاث حثيات من حثيات ربى رواه ابن أبى شيبة والطبرانى وقد حسب ما فى الحديث فبلغ أربعمائة ألف ألف وسبعمائة ألف وفى هذا الحديث كلام ذكره ابن القيم فى حادى الارواح (وأعطانى ان لا تجوع أمتى) أى ان لا تبتلى بالجدب والقحط حتى يهلكوا عن آخرهم ويستأصلوا جميعهم فلا ينافيه ما وقع فى بعض الازمنة فى بعض الاقطار بخصوصها اذ لم يعم ولم يستمر (ولا تغلب) بضم المثناة الفوقية أى الامة جميعها أو تستمر مغلوبيتها أو هذا مشروط بالطاعة فاذا بدلوا وغيروا خرجوا عن اضافة التشريف بقوله وقد شاهدنا فى بعض السنين واليه الاشارة بقوله تعالى ان تنصروا الله ينصركم (واعطانى النصر) أى على من يعادينى ولو مع قلة العدد وفى بدء الامر (والعز) أى الغلبة والقوة عليهم (والرعب يسعى بين يدى أمتى شهرا) قيل شهرا مفعول مطلق لا ظرف أى العدو الذى بينه وبينهم مسافة شهر يخافهم خوفا شديدا وهذا من خواصه صلى الله تعالى عليه وسلم وخواص امته وخص هذه المسافة لانها أبعد مسافة أعدائه الموجودة فى زمانه كما مر وبهذا علم ان قوله فى المواهب فى حديث نصرت بالرعب وكون هذا له صلى الله عليه وسلم ولامته فيه احتمال غفلة عن هذا الحديث وفى قوله يسعى تشبيه للرعب بعاقل يتقدمه وفيه مبالغة بليغة كما قلت فى قصيدة

ولم يهزم عداه جيوش جنده * وجيش الرعب قد هزم القلوبا
ولو ثبتوا لفر الهام منهم * وراح وماء عرفوا الهروبا

(وفى حديث آخر رواه حذيفة) كما فى تاريخ ابن عساكر مرفوعا (بشرنى يعنى ربى) تفسير من المصنف أو ممن قبله (أول من يدخل الجنة معى) أى بقرب زمانى لا آنى (من أمتى) أى من الصحابة والتابعين وغيرهم (سبعون ألفا) أى اصالة (مع كل ألف سبعون ألفا) تبعا فى العلم والعبادة (ليس عليهم حساب) فلا يكون لجميعهم عذاب ولا حجاب وروى سبعمائة ألف مع كل واحد سبعمائة ألف ذكره التلمسانى (وأعطانى ان لا تجوع أمتى) أى جوعا شديدا بجدب وقحط بحيث يهلك جميعهم (ولا تغلب) بصيغة المجهول أى ولن تغلب بعدو يستأصلهم أى يأخذهم من أصلهم لحديث انى سألت ربى لامتى ان لا يهلكها بسنة عامة وان لا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم الحديث (وأعطانى نصرة) أى الاعانة على الاعداء (والعزة) أى القوة والغلبة والمنعة (والرعب) أى الخوف مع بعد المسافة كما بينه بقوله (يسعى بين يدى امتى) أى يتقدم الرعب لاعدائى قدامهم (شهرا) يعنى وكذا من خلفهم شهر المسافة وفيه تنبيه نبيه ان الرعب غير مخصوص بحضرته بل يوجد فى عموم أمته

رطيب) بفتح التحتية المشددة أي وأحل (لي ولامتي الغنائم) جمع غنيمة ووقع في أصل الدلجي المغانم جمع مغنم وهما قريبان في الدراية وانما الكلام في صحة الرواية (وأحل لنا) أي بخصوصنا على وجه يعمنا (كثيرا مما شدد) أي الله تعالى (على من قبلنا) أي بتحريمه عليهم أو بتكليفه لديهم كقتل النفس في التوبة وقطع موضع النجاسة وخمسين صلاة في اليوم والليلة وصرف ربع المال في الصدقة (ولم يجعل علينا في الدين من حرج) أي تضييق وهو تعميم بعد تخصيص وتنبيه على ما اباح لنا من الرخص عند الاعذار كالتيمم والقصر والافطار كما بينه بقوله تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وقد ورد في ذلك ان الله رأى ضعفنا وعجزنا (وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه) أي برواية الشيخين (عنه عليه الصلاة والسلام مامن نبي من الانبياء) من الاولى مزيدة وللتاكيد مفيدة والثانية تبعيضية مشيرة الى المبالغة (الا وقد) بالواو (أعطي من الآيات ما) مثله (آمن عليه البشر) ما موصولة أو موصوفة وفي بعض الروايات الصحيحة أومن عليه البشر وكتبه بعضهم أيتمن وروى القاضي أمن من الامان ولا يظهر له وجه في هذا الشان والمعنى ان الله تعالى أيد كل نبي بعثه من المعجزات بما يصدق دعواه وتقوم به الحجة على من عاداه (وانما كان الذي أوتيته) أي من الآيات المتلوة المشتملة على أنواع من المعجزات من الفصاحة والبلاغة في المبنى والانباء الواقعة في الازمنة السابقة واللاحقة في المعنى الباقية على صفحات الدهر الى يوم القيامة النافعة في أمور الدنيا واحوال الآخرة مع ما فيها من معرفة الذات والصفات الاسنى وسياتي والاسماء الحسنى (وحيا) أي وحيا يتلى ومعجزة تدوم وتبقى (أوحى الله الي فارجو) وفي نسخة بالواو ولكن الفاء التفريعية مع افادة التعقيبية هي الاولى والمعنى أتوقع (ان اكون أكثرهم تابعا يوم القيامة) أي لاستمرار تلك المعجزة بخلاف معجزة سائر الانبياء حيث انقضت في حال الاحياء وانما أراد بقوله الذي أوتيته معظم ما أعطي من المعجزات المشتملة على أنواع من الانباء والا فقد أعطي معجزات كثيرة من جنس معجزات الانبياء

(وطيب) بالتشديد والبناء للمجهول أي أحل لقوله حلالا طيبا (لي ولامتي الغنائم) هي شاملة للفيء هنا وقدم منتزعه (وأحل لنا كثيرا مما شدد) فيه (على من قبلنا) من الامم السالفة كقطع الاعضاء والتوبة بقتل النفس وقرض محل النجاسة ووجوب القصاص في العمد والخطا الى غير ذلك مما ذكروه وتفنن في العبارة ولم يراع التقابل ولو راعاه قال سهل علينا ما شدد مع انه لو عبر به توهم انه رخصة وليس كذلك على انه قد يقال أحل فيه طباق أو ابهامه للحل الذي هو ضد الشد (ولم يجعل علينا في الدين من حرج) أي شدة وضيق وقال علينا الا انه له صلى الله تعالى عليه وسلم ولامته فوسع عليهم بالرخص كترك القتال لمن له عذر وأكل الميتة للمضطر وقصر الصلاة والتيمم (وعن أبي هريرة رضي الله عنه) في حديث صحيح رواه الشيخان (عنه صلى الله تعالى عليه وسلم مامن نبي من الانبياء) زاد من وبينه بقوله من الانبياء للتعميم (الا وقد أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر) أي كل نبي جعل الله له معجزة أظهرها على يديه أطاعه بها الناس كعصى موسى عليه الصلاة والسلام واحياء الموتى لعيسى الى غير ذلك مما هو مشهور ماثور مناسب لزمانه الا ان تلك الآيات انقطعت بانقطاع عصره ومضت بمضيه بخلاف أعظم معجزات نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فانها باقية غير منقطعة غضة طرية في كل عصر تتلى وتشاهد بركاتها وتستخرج من جواهر معانيها ما لا يفنى وهي القرآن كما أشار اليه بقوله (وانما كان الذي أوتيته وحيا أوحى الله الي) وما نافية ومن صلة لتاكيد النفي وهو مبتدأ وسوغ الابتداء به وقوعه بعد النفي ومن الثانية تبعيضية أو بيانية والجار والمجرور صفة نبي وقوله الا وقد أعطي خبره والواو مزيدة فيه لتاكيد الاتصال واللصوق والضمير المستتر في اعطي مفعوله الاول وما الموصولة أو الموصوفة مفعول ثان ومثله مبتدأ ايضا والجملة بعده خبره وآمن مضمن معنى غلب ولذا عداه بعلى أو هي بمعنى الباء والضمير المجرور بعلى عائد على ما فالجار والمجرور متعلق بامن أو حال منه أي مغلوبا عليه والمراد بالآيات المعجزات ومفعول أوتيت محذوف أي أوتيته والحصر في انما ادعائي أو باعتبار الاعظم أو المعظم ووحيا بمعنى كلام موحى به أو قصر افرادي أي أوتيته انا لا غيري من الانبياء عليهم الصلاة والسلام فليس حصرا حقيقيا بمعنى انه لم يعط غيره اذ المعنى انه مامن معجزة اعطيت لنبي الا عليها او زاد عليها انما هو مخلد في صحائف الدهر يعرف في كل زمان ولذا رتب عليه قوله (فارجو أن اكون أكثرهم) أي الانبياء عليهم السلام (تابعا يوم القيامة) وذلك لان هذه المعجزة لما كانت باقية الى يوم القيامة وهي باهرة ظاهرة يؤمن بها كل من وقف عليها من الناس لزم أكثرية من آمن به عليه السلام واتبعه على من آمن بغيره من الرسل وصدق بمعجزته المخصوصة بعصره فاذا مات انقطع التحدي بمعجزته وغابت عن الادراك وصارت خبرا كغيره من الاخبار اذ لم يات أحد منهم بمعجزة يدرك بعده اعجازها فاما التوراة وسائر الكتب السماوية فليست بمعجز نظمها ولذا وقع فيها التحريف والتبديل وترجمت بلغات مختلفة

(ومعنى هذا) أى الحديث بجملته (عند المحققين بقاء معجزته) أى الخاصة به وهى الآية الكبرى والنعمة العظمى (مابقيت الدنيا) أى مدة بقائها (وسائر معجزات الانبياء) أى بقيتها (ذهبت للحين) أى حين وقوعها فى حياة نبيها (ولم يشاهدها الاالحاضر لها) أى حال معاينتها ووقت مشاهدتها (ومعجزة القرآن) أى مبنى ومعنى باقية دون كل معجزة (يقف عليها قرن بعد قرن) أى جماعة بعد انقراض جماعة (عيانا) بكسر العين أى معاينة (لاخبرا) اذليس الخبر كالمعاينة كما ورد (الى يوم القيامة) وقدوقع فى أصل الدلجى يقف عليها عيانا لاخبرا قرن بعد قرن وهو مخالف للاصول المصححة (وفيه) أى فى هذا الحديث أوفى هذا المعنى (كلام يطول) أى من جهة المبنى (هذا نخبته) أى خلاصته (وقد بسطنا القول فيه) أى اطنبنا فى هذا الحديث (وفيما ذكر فيه) أى فى هذا المعنى (سوى هذا) أى الكلام الذى قدمناه (آخر باب المعجزات) أى فى آخره لانه المحل الاليق به (وعن على رضى الله تعالى عنه) كما رواه ابن ماجه والترمذى وحسنه (كل نبى أعطى سبعة) قال الحجازى ويروى أربعة والظاهر انه تصحيف أووهم (نجباء) أى نقباء فضلاء وزيد فى رواية وزراء رفقاء (وأعطى نبيكم) عليه السلام (أربعة عشر نجيبا

وسيأتى الكلام على الاعجاز مفصلا وقدحقق الله رجاءه والى هذا أشار بقوله (ومعنى هذا الحديث عند المحققين بقاء معجزته) المذكورة (مابقيت الدنيا) أى مدة بقائها وكون القرآن يرفع فى آخر الزمان كما ورد فى حديث حذيفة بن اليمان الذى رواه ابن ماجه ان الاسلام يندرس ويرفع كتاب الله فى ليلة حتى لايبقى منه فى الارض آية ويبقى ناس يقولون أدركنا آباءنا على هذه الكلمة كلمة لااله الاالله فقال له صلة ماينفعهم هذه وهم لايدرون صلاة ولاصياما ونسكا فقال تنجيهم من النار لاينافيه اما لانه باعتبار الاكثر والظاهر فانه محقق بقاؤه فى نفس الامر لم ينسخ ولم يبدل وقيل انه زمن يسير بقاؤه كالعدم (وسائر معجزات الانبياء) أى جميعها (ذهبت للحين) المراد بالحين عقب وقوعها أوانقراض عصره أو المراد ذهبت بذهابه ولم تبق بعده وبينه بقوله (ولم يشاهدها الاالحاضر لها) بخلاف من أتى بعدهم (ومعجزة القرآن) أى القرآن المعجز أو المعجزة التى هى القرآن فالاضافة بيانية (يقف عليها) أى يعلم بها ويحيط بها مجازا لان من وقف على شئ اطلع عليه كما فى الاساس (قرن) فاعل يقف (بعد قرن) أى يطلع عليها جميع القرون والناس الذى حدثوا بعد عصر النبوة بخلاف غيرها (عيانا) بكسر العين كمرأى مشاهدة (لاخبرا) أى لاباخبار غيرهم لهم (الى يوم القيامة) أى الى آخر الزمان وقيام الناس الى المحشر وهو كناية عن التأبيد والبقاء فى الدنيا (وفيه) أى فى هذا الحديث ومعناه للعلماء (كلام يطول هذا نخبته) بضم النون وسكون الخاء المعجمة والباء الموحدة أى مختاره وزبدته قال فى الاساس نخب الشئ وانتخبه اذا نزعه ومنه الانتخاب الاختيار كأنك تنزعه من بين الاشياء وهؤلاء نخبة قومهم لخيارهم انتهى (وقد بسطنا) أى فصلنا من بسط يده اذا مدها (القول فيه هذا وفيما ذكر فيه سوى هذا آخر باب المعجزات وعن على رضى الله تعالى عنه) فى حديث رواه ابن ماجه والترمذى وحسنه وهو موقوف عن على كرم الله وجهه له حكم الرفع لان مثله لايقال بالرأى وستأتى رواية أبى نعيم له مرفوعا (كل نبى) من الانبياء (أعطى سبعة نجباء) جمع نجيب وهو الكريم الحسيب ويكون بمعنى الرفيق المعين فى المهمات والشدائد وهو المراد هنا (ونبيكم صلى الله تعالى عليه وسلم أعطى أربعة عشر نجيبا) أى رفيقا كاملا شريفا وجعلهم ضعف مالكل نبى مرتين تكريما له صلى الله تعالى عليه وسلم واشارة لكثرة أمته حتى يحتاج زيادة فى وزرائه والمراد بهؤلاء كما رواه أبو نعيم عن على أيضا رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انه لم يكن نبى الا وقد أعطى سبعة رفقاء نجباء وزراء وانى قد أعطيت أربعة عشر وهم حمزة وجعفر وعلى وحسن وحسين وأبو بكر وعمر وعثمان وعبد الله بن مسعود وأبو ذر والمقداد وحذيفة وعمار وسلمان وفى رواية بلال انتهى وقد وقع فى تعيينهم اختلاف * أقول وبعد عصره صلى الله تعالى عليه وسلم خليفته القطب ووزراؤه النجباء والنقباء والبدلاء ومن فسر الاربعة عشر هنا بهؤلاء لم يصب رواية ودراية وقد ورد التصريح بهؤلاء فى احاديث جمعها السيوطى فى رسالة مستقلة ومن العجيب ان هذا مع انه متفق عليه بين أهل الشرع والحكماء كما قال صاحب حكمة الاشراق فى كتابه لابد لله من خليفة فى ارضه وانه قد يكون متصرفا ظاهرا فقط كالسلاطين وباطنا كالاقطاب وقد يجمع بين الخلافتين كالخلفاء الراشدين كأبى بكر وعمر بن عبد العزيز قد أنكره بعض الجهلة فى زماننا قال ذو النون النقباء ثلثمائة والنجباء سبعون والبدلاء أربعون والاخيار سبعة والعمدة أربعة والغوث واحد وحكى أبو بكر المطوعى عمن لقى الخضر عليه الصلاة والسلام انه قال له لما قبض رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم شكت الارض الى ربها وقالت الهى وسيدى بقيت لايمشى على نبى الى يوم القيامة

منهم أبو بكر وعمر وابن مسعود وعمار رضى الله تعالى عنهم) ولفظ الترمذى قلنا من هم قال انا وابناى و جعفر وحمزة وأبو بكر وعمر ومصعب بن عمير و بلال وسلمان وعمار وابن مسعود ولم يذكر ابن عبد البر مصعبا وزاد تكملة لهم حذيفة وأباذر والمقداد وقال التلمسانى ذكر أبو نعيم عن على مرفوعا ولفظه لم يكن نبى من الانبياء الا وقد أوتى سبعة نقباء نجباء وزراء وانى قد أعطيت أربعة عشر وهم حمزة وجعفر وعلى وحسن وحسين وأبو بكر وعمر وعبد الله بن مسعود وأبو ذر والمقداد وحذيفة وعمار وسلمان و بلال انتهى وقال ذو النون المصرى رحمه الله تعالى النقباء ثلاثمائة والنجباء سبعون والابدال أربعون والاخيار سبعة والعمدة أربعة والغوث واحد وحكى أبو بكر المطوعى عمن رأى الخضر وتكلم معه وقال له اعلم ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لما قبض بكت الارض فقالت الهى وسيدى بقيت لا يمشى على نبى الى

يوم القيامة فاوحى الله تعالى اليها أجعل على ظهرك من هذه الامة من قلوبهم على قلوب الانبياء عليهم الصلاة والسلام لا أخليك منهم الى يوم القيامة قلت له وكم هم قال ثلاثمائة وهم الاولياء وسبعون وهم النجباء وأربعون وهم الاوتاد وعشرة وهم النقباء وسبعة وهم العرفاء وثلاثة وهم المختارون و واحد وهو الغوث فاذا مات الغوث نقل من الثلاثة واحد وجعل مكان الغوث ونقل من السبعة الى الثلاثة ومن العشرة الى السبعة ومن الاربعين الى العشرة ومن السبعين الى أربعين ومن الثلاثمائة الى السبعين ومن سائر الخلق الى الثلاثمائة هكذا الى يوم ينفخ فى الصور انتهى ولا ينفخ فيه وفى الارض من يقول الله ولا حول ولا قوة الا بالله

فقال الله تعالى لها أجعل على ظهرك من هذه الامة من قلوبهم على قلوب الانبياء لا أخليك منهم فقالت له كم هم قال ثلاثمائة وهم الاولياء وسبعون وهم النجباء وأربعون وهم الاوتاد وعشرة وهم النقباء وسبعة وهم العرفاء وثلاثة وهم المختارون وواحد وهو الغوث فاذا مات جعل واحد من الثلاثة مكانه ونقل من السبعة الى الثلاثة ومن العشرة الى السبعة ومن الاربعين الى العشرة ومن السبعين الى الاربعين ومن الثلاثمائة الى السبعين ومن سائر الخلق الى الثلاثمائة وهكذا الى ان ينفخ فى الصور (منهم أبو بكر وعمر وابن مسعود وعمار) وقد بينا ذلك (وقال صلى الله عليه وسلم ان الله قد حبس عن مكة الفيل) وهو حديث مشهور رواه الشيخان عن أبى شريح قاله يوم فتح مكة يوم الجمعة تاسع عشر رمضان سنة تسع من الهجرة ومعنى حبس منع وفى رواية القتل بقاف وتاء فوقية وقصة الفيل مشهورة غنية عن البيان (وسلط عليها رسوله) محمدا صلى الله عليه وسلم ولم يقل سلطنى اشارة الى انه مامور من الله لا حظ له فى ذلك من نفسه لنزاهته عن الحظوظ والاغراض النفسانية (والمؤمنين) من أمته وجنده (وانها) أى مكة (لا تحل لاحد بعدى) وفى نسخة (من أمتى) وفى نسخة لم بدل لا وفى أخرى لن وفيه اشارة الى ان تحريمها سابق فى علم الله وفى زمن ابراهيم عليه الصلاة والسلام فانه حرمها وجعلها حرما آمنا وكان ذلك اظهارا لما سبق فى علمه وحكمه (وانما أحلت لى ساعة من نهار) أى انما أعلمنى الله بحلها لى وكان حل القتال لى فيها فى ساعة من نهار يوم الفتح وكان ذلك من الصبح وجعله ساعة تقليلا لزمانه لانه ساعة حقيقة كما قال الله تعالى ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام الى آخره والحرم مثل المسجد فى ذلك وهذه الآية محكمة عند ابن عباس ومجاهد تمسكا بهذا الحديث وقوله فيه ثم عادت حراما الى يوم القيامة وروى بمعناه من طرق آخر وقتاله صلى الله تعالى عليه وسلم أمره بقتل من لجأ الى الحرم كابن خطل من خصائصه كما روى عن السلف وقيل عليه ان قوله أحلت يدل على تقدم حرمته فيكون نسخا ولو كان نسخا استمر فيكون رخصة لانها استباحة مع المانع وبه قال أبو حنيفة رحمه الله تعالى وقال قتادة والضحاك انها منسوخة بقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وبآيات أخر فى معناها وتمسكوا بفعله صلى الله تعالى عليه وسلم ولا دليل فيه لتصريحه بالتخصيص وبه قال الشافعى رحمه الله تعالى (وعن العرباض ابن سارية رضى الله تعالى عنه) فى حديث رواه أحمد والبيهقى والحاكم وقال انه صحيح الاسناد

جعلنا الله من خواص المسلمين وحشرنا معهم يوم الدين (وقال صلى الله تعالى عليه وسلم) كما فى الصحيحين (ان الله قد حبس عن مكة الفيل) أى لما جاء به ابرهة الحبشى فى جيشه لتخريب الكعبة فاهلكهم الله بطير أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل (وسلط عليها رسوله والمؤمنين) أى أمرهم بالغلبة عليها وأذن لهم بقتال أهلها ففتحوها سنة ثمان من الهجرة (وانها لم تحل) وفى نسخة لا تحل وفى أخرى لن تحل والفعل يحتمل معروفا ومجهولا (لاحد بعدى) أى من بعدى كما وقع فى أصل الدلجى وفيه التفات من الغيبة (وانما احلت لى ساعة من نهار) يعنى فان ترخص أحد بقتال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقولوا له كما فى الحديث كذا ذكره أكثرهم اجمالا وقال أبو بكر بن العربى فى العارضة أراد بذلك دخوله بغير احرام لاجل القتال لا أنه أحلت له لاجل القتال ساعة من نهار لان القتال فيها حلال ابدا بل واجب حتى لو تغلب فيها كفار او بغاة وجب قتالهم فيها بالاجماع انتهى وهو الاقرب الى قواعد مذهبنا والله تعالى أعلم (وعن العرباض) بكسر أوله (ابن سارية) وهو من اكابر الصحابة وأصحاب الصفة سلمى سكن الشام ومات بها

والعرباض بكسر العين وسكون الراء المهملتين وموحدة وآخره ضاد معجمة من اه القوى نقل للعامية وهو من كبار الصحابة أهل الصفة رضى الله تعالى عنهم سكن بحمص من أرض الشام ومات بها سنة خمس وسبعين (سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول) جملة حالية أو مفعول ثان على الخلاف فى سمع اذا تعلق بالذوات الغير المسموعة كما يعرفه من تبحر فى العربية وقدم بيانه (انى عبد الله) وفى رواية انى عبد الله مكتوب (خاتم النبيين) قدم على هذه الكلمات وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم بالعبودية اشارة الى أنها أشرف عنده مما سواه وانه انما نالها بمحض كرم الله وفضله واحتراسا من يطريه ان يتجاوز فيه الحد كما وقع للنصارى فى عيسى عليه الصلاة والسلام ولذا قال انى عبد الله آتانى الكتاب الآية وخاتم بكسر التاء وفتحها آخرهم ومن به كما لهم (وان آدم لمنجدل فى طينته) أى مختلط فى تربته أو ساقط فيها كما تقدم وفى طينته خبر ثان لا ظرف المنجدل ثم أخبر صلى الله تعالى عليه وسلم باول أمره بانه (وعدة أبى ابراهيم) بكسر العين وتخفيف الدال المهملتين مصدر بمعنى الوعد كالزنة وفى نسخة دعوة أبى ابراهيم وهى أشهر وأظهر لانه اشارة الى قوله تعالى ربنا وابعث فيهم رسولا منهم ولثقته بالله انه لا يخيبه جعل ذلك وعدا منه لذريته وجعله نفس الدعوة مبالغة باقامة السبب مقام المسبب لانه دعا ان يجعل من ذريته وذرية اسمعيل رسولا ولم يكن من ذريتهما معا غيره مرسلا فان الانبياء من ذريته كداود وسليمان ليسوا من ذرية اسمعيل فتعين كونه محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم (وبشارة عيسى ابن مريم) فيما حكاه الله تعالى عنه بقوله تعالى ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد وجعله نفس البشارة مبالغة وهى بكسر الباء مصدر كالبشرى وبضمها ما يعطى البشير واسم مصدر بمعنى المبشور ويكون فى الخير والشر اذا أطلقت ثم خصت بالخير وصارت حقيقة ونحو فبشرهم بعذاب أليم تهكم على هذا وعلى الاول هى حقيقة مطلقا أو اذا قيدت وسميت بشارة لتباشيرها فى بشرة الوجه ما يسمى ورد السرور وفى شرح الجامع الصغير الفرعى ان البشارة تختص بالصدق وجهل المخاطب والخبر لان ذلك يغير بشرة الوجه الفرح وهى فى اللغة خبر يغير بشرة الوجه مطلقا الا أنه صار فيما ذكر حقيقة والاصل فيه ما فى الحديث من انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما قال من أراد ان يقرأ القرآن غضا طريا كما أنزل فليقرأ بقراءة ابن أم عبد فابتدر أبو بكر وعمر ليخبراه بذلك فسبق أبو بكر رضى الله تعالى عنه فكان يقول بشرنى أبو بكر وأخبرنى عمر قال العلامة ابن كمال * فان قلت الخبر الكاذب يغير البشرة أيضا وليس من شرط الحنث بقاء المعلق عليه كما لو قال ان دخلت الدار فانت طالق فدخلت ثم خرجت حنث * قلت فى الكاذب لم تتم البشارة فوزانه وزان ما لو حلف على لبس خفيه فلبس أحدهما ولم يذكر الصدق فى الهداية وفيه قصور ومن ثمه قالوا لو قال لعبيده أيكم بشرنى بقدوم زيد فهو حر عتق الاول لانه الذى ظهر السرور بخبره دون الثانى و بشرهم بعذاب أليم تهكم ومن هنا علم ان البشارة مشروطة بجهل المخبر اذ البشرة لا تتغير بما علمه قال وفى هذا الحديث دلالة على ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام قبل عيسى لم يخبروا باتيان نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم بخصوصه فقوله فى الكشاف فى تفسير قوله تعالى ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه ان ابن سلام رضى الله تعالى عنه دعا ابنى أخيه سلمة ومهاجرا الى الاسلام وقال قد علمتما انه تعالى قال فى التوراة انى باعث من ولد اسمعيل نبيا اسمه أحمد فمن آمن به اهتدى ورشد ومن لم يؤمن به فهو ملعون فيه انه صريح فى بشارة موسى بمحمد عليهما الصلاة والسلام باسمه الخاص وهو مخالف لنص القرآن والحديث الصحيح لا يقال اليهود حرفوا التوراة فزال تلك البشارة وصح ان عيسى هو المبشر لانا نقول انما كان هذا بعد عيسى لقوله تعالى مصدقا لما بين يدى من

(قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول انى عبد الله وخاتم النبيين) كذا فى النسخ المعتبرة بالواو العاطفة ووقع فى أصل الدلجى بغير واو فضبطه بالنون بمعنى لديه وهو الموافق لرواية المصابيح وقال وفى رواية انى عبد الله مكتوب خاتم النبيين ثم الخاتم تكسر تاؤه وتفتح كما قرئ بهما فى السبعة (وان آدم لمنجدل) أى والحال انه لساقط (فى طينته) أو مطروح على الجدالة وهى الارض الصلبة والمراد بطينته خلقته المركبة من الماء والتربة ومنجدل خبر لان والجار خبر ثان (وعدة أبى ابراهيم) بكسر العين وتخفيف الدال أى وعده بمقتضى دعائه بقوله ربنا وابعث فيهم رسولا منهم الآية ويؤيده ما فى نسخة دعوة أبى ابراهيم وصدر الحديث وسأخبركم بمبادئ امرى أو بادئ نبوتى وبعثتى هو عدة ابراهيم وللحاكم وغيره وسانبئكم بتاويل ذلك هو دعوة أبى ابراهيم ربنا وابعث فيهم رسولا منهم الآية (وبشارة عيسى ابن مريم) يعنى قوله تعالى حكاية عنه ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد وزاد الحاكم ورؤيا أمى التى رأت انه خرج من فرجها نور أضاء له قصور الشام وصححه لكن تعقبه الذهبى بان أبا بكر ابن أبى مريم أحد رواة اسناده ضعيف

(وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما) كما رواه البيهقى والدارمى وابن أبى حاتم (قال ان الله فضل محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم على أهل السماء) أى من الملائكة المقربين (وعلى الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم) أى أجمعين (قالوا) أى أصحاب ابن عباس (فما فضله على أهل السماء قال ان الله تعالى قال لاهل السماء ومن يقل منهم انى اله من دونه الآية) أى فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزى الظالمين (وقال لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم انا فتحنا لك فتحا مبينا الآية) وهى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وفيه بحث لا يخفى اذ قال تعالى له صلى الله عليه وسلم أيضا لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين ومع ان القضية فرضية تقديرية والا فعصمة الانبياء والملائكة قطعية ولذا قال الكشاف هذا على سبيل التمثيل مع احاطة علمه سبحانه وتعالى بان لا يكون كما قال تعالى ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون انتهى فلعل مراد الخبر هو انه صلى الله تعالى عليه وسلم مبعوث اليهم كما يفيده قوله تعالى تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا وانزاره للملائكة قطعى بقوله ومن يقل منهم انى اله من دونه فذلك نجزيه جهنم والله سبحانه وتعالى اعلم (قالوا فما فضله على الانبياء قال ان الله تعالى قال وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه الآية) أى ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدى من يشاء وهو العزيز الحكيم (قال لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم وما أرسلناك الا كافة) أى رسالة عامة (للناس) وقد يقال المراد بالناس عموم الشامل للاولين والآخرين على تقدير وجودهم فى المتأخرين كما يستفاد من قوله تعالى واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه وكما أشار اليه حديث لو كان موسى حيا ما وسعه الا اتباعى وكما يقع بالفعل متابعة عيسى عليه السلام بعد نزوله لشريعته ويكون مفتخرا بكونه من أمته (وعن

التوراة فنسبة البشارة لعيسى ظاهرة فى عدم البشارة قبله والا لقال بشارة أخى موسى وكذا قولهم فى الخطب المنبرية فى التوراة والزبور والانجيل انتهى أقول هذا غير وارد بل غير صحيح من وجهين * الاول ان كونه مبشرا به قبل الانجيل فى الكتب السماوية كلها أوجها ما لا شبهة فيه وقد صنف فى ذلك كتابا مستقلا سماه خير البشر بخير البشر الحافظ ابن ظفر ولولا خوف الاطالة أوردت ما فيه هنا * الثانى ان قوله انه مخالف للقرآن والحديث كلام ناشئ من عدم تدبر معنى البشارة والفرق بينها وبين الخبر الصادق فان كل بشارة على ما ورد خبر بلا عكس والبشارة خبر سار بما فيه ينفع المخبر فى زمن ما بعيدا أو قريبا كالبشارة بالجنة ولما كان من قبل عيسى بينهم وبين نبينا رسل وأمم لم يكن ذلك بشارة لعلمهم بان المخبر لا يدركه بخلاف عيسى فان أمته ومؤمنوهم أدركوا نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم كسلمان ونحوه فكان اخباره به بشارة لمن اتبعه منهم وحثا لهم على اتباعه كما أشار اليه قوله من بعدى فلم يخالف النص الا ان أخت خالته فاعرفه (وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما) فى حديث رواه البيهقى والدارمى وابن أبى حاتم (قال ان الله فضل محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم على أهل السماء) يعنى ملائكة السماء وهم أفضل من ملائكة الارض فيعلم منه تفضيله صلى الله تعالى عليه وسلم على جميع الملائكة حتى الخواص منهم ورسلهم خلافا للمعتزلة والحليمى من الشافعية القائلين بتفضيل خواص الملائكة على الانبياء ولم يختلفوا فى تفضيلهم على ملائكة الارض كما سيأتى (وعلى الانبياء كلهم) فردا فردا وعلى المجموع فلا وجه لتخصيصه بالاول كما تقدم فتذكره (قالوا) أى الحاضرون عند ابن عباس السامعون لكلامه (فما فضله على أهل السماء) أى ما سببه ودليله (قال ان الله قال ومن يقل منهم) أى من أهل السماء (انى اله من دونه) أى من يثبت منكم الهية غيره (فذلك) القائل (نجزيه جهنم) تهديدا لمن أشرك منهم وتفظيعا لامر الشرك وتعظيما لتوحيده تعالى (وقال لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم انا فتحنا لك الآية) فجعله مغفورا له غير مؤاخذ بما صدر وما يصدر وأورد عليه انه لا دلالة فيما ذكر على المدعى لانه على سبيل الفرض مع القطع بعصمتهم وقد خاطبه بمثله فى قوله تعالى لئن أشركت ليحبطن عملك ولك أن تقول وجه الدلالة انه هددهم على سبيل الفرض بعذاب جهنم ودخولها ولم يهدده بمثله وهذا يدل على انحطاط رتبتهم عنده عن رتبته فتامل (قالوا فما فضله على الانبياء قال ان الله قال وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه وقال لمحمد صلى الله عليه وسلم وما أرسلناك الا كافة للناس) أى ان هذه الآية تدل على عموم رسالته صلى الله عليه وسلم وتخصيص رسالة كل رسول بقومه وكافة صفة مفعول مطلق مقدر أى رسالة كافة أى عامة وللناس متعلق به والحاصل ان ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فهم من هذه الآية العموم والخصوص فاستدل بها فلا يقال انه لا يلزم من انه لا ينطق الا بلسان قومه انه لم يرسل الا لهم لانه على مقتضى الظاهر فلا يدعى غيره الا بدليل والدليل قائم على خلافه كما

(وعن خالد بن معدان) بفتح ميم وسكون عين فدال مهملتين كلاعى شامى روى عن ابن عمر وثوبان ومعاوية رضى الله تعالى عنهم كان يسبح فى اليوم والليلة أربعين ألف تسبيحة أخرج له الأئمة الستة وقد أخرج عنه ابن اسحق ووصله أحمد والدارمى (ان نفرا من أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قالوا يا رسول الله أخبرنا عن نفسك) أى مبدأ أمرك (وقد روى نحوه) بصيغة المجهول والواو للحال أى مثله معنى لا مبنى (عن أبى ذر) رضى الله تعالى عنه صحابى جليل (وشداد) بتشديد الدال الاولى (ابن أوس) بفتح فسكون وهو ابن ثابت بن المنذر بن حرام بالراء صحابى انصارى ابن أخى حسان بن ثابت نزل بيت المقدس ومات بالشام (وأنس بن مالك رضى الله تعالى عنهم فقال) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى جواب كل منهم (نعم) أى أخبركم بأول قصتى وما ظهر من نبوتى على لسان ابراهيم وغيره (أنا دعوة أبى ابراهيم يعنى قوله) أى حكاية عن ابراهيم واسمعيل واقتصاره على الاول لانه المعول (ربنا وابعث فيهم) أى فى الامة المسلمة المذكورة فى الآية الماضية (رسولا منهم) ولم يبعث فيهما من ذريته من نسل اسمعيل غيره صلى الله تعالى عليه وسلم فهو المجاب به دعوتهما (وبشرى عيسى) أى بشارته حين قال لقومه ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد وفى نسخة وبشرى عيسى بالموحدة وياء الاضافة والظاهر انه تصحيف لمخالفة ماقبله وان كان يلائم قوله (ورأت أمى) وفى بعض الروايات ورؤيا أمى ولعل العدول لئلا يتوهم ان رؤيا منامية (حين حملت بى) بالباء للتعدية وفى رواية حين وضعتنى ويمكن جمعهما بالحمل على مرتين وأما تجويز الدلجى كون الرؤيا منامية فبعيد جدا من حيث استدلاله صلى الله تعالى عليه وسلم برؤيتها فان رؤيا غير الانبياء ليست معتمدا عليها حتى لا يعمل بمقتضاها (انه خرج منها نور أضاءله) أى استنار لذلك النور (قصور بصرى) بضم موحدة فسكون مهملة مقصورا مدينة بحوران (من أرض الشام) وهى أول مدينة فتحت صلحا وذلك فى شهر الربيع الاول لخمس بقين منه سنة ثلاث عشرة وقد وردها صلى الله تعالى عليه وسلم مرتين (واسترضعت) أى كنت رضيعا (فى بنى سعد بن بكر) قبيلة معروفة

(وعن خالد بن معدان رحمه الله تعالى) هذا الحديث روى من طرق كما أشار اليه المصنف ورواه ابن اسحق مرسلا والدارمى وأحمد موصلا عن خالد عن عبد الرحمن السلمى عن عتبة بن عبد السلمى بطوله ومعدان حمصى تابعى من كبار التابعين وزهادهم أدرك سبعين من الصحابة وتوفى سنة أربع ومائة (ان نفرا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يا رسول الله أخبرنا عن نفسك) أى عن حالك وشانك من ابتداء أمرك (وقد روى نحوه) أى نحو ما رواه خالد (عن أبى ذر) الغفارى الصحابى رضى الله عنه أخرجه الدارمى (وشداد بن أوس) بن ثابت بن منذر بن حرام وهو ابن أخى حسان بن ثابت بن حرام بالمهملتين المفتوحتين صحابى نزل بيت المقدس وتوفى بالشام سنة ثمان وخمسين رضى الله عنه والرواية عنه أخرجها أبو نعيم فى الدلائل (وأنس بن مالك) أخرجه أبو نعيم أيضا (فقال) صلى الله تعالى عليه وسلم لمن ساله عن نفسه (نعم) جواب لسؤالهم أى أخبركم بذلك (أنا دعوة أبى ابراهيم) بدل من أبى أو عطف بيان أى أثر دعوته أو عينها مبالغة ونعته بانه أب لاطلاقه على الجد ولبيان انه من ذريته الذين دعا لهم (يعنى قوله ربنا وابعث فيهم رسولا منهم) فهو المراد به بالرسول فى دعوته المجابة (وبشرى عيسى) عليه الصلاة والسلام تقدم بيانه (ورأت أمى) أراد رؤيا أمه فغير الاسلوب لانه نوع لما قبله فهو على نهج قوله وجعلت قرة عينى فى الصلاة كما تقدم (حين حملت بى) وفى رواية حين وضعتنى فالرؤيا وقعت مرتين وهذا يحتمل انه رؤيا منام ورؤية يقظة والمرئى محذوف دل عليه قوله (انها خرج منها نور أضاءله قصور بصرى) بضم الباء والقصر بلدة من أعمال دمشق هنا وهى أيضا اسم بلدة أخرى من قرى بغداد بقرب عكبرا كما فى معجم ياقوت وهى مدينة حوران وقيل انها قيسارية أو خوارزم وهو غير صحيح لان قوله (من أرض الشام) ياباه فهو غفلة من قائله والصحيح انها مدينة بين المدينة ودمشق وهى أول بلاد الشام فتوحا فتحت سنة ثلاثة عشرة والشام الاقليم المعروف بهمزة ويجوز ابدالها ألفا كراس وفيه لغة أخرى شآم بالمد قال ابن قرقول أباها أكثرهم وحده طولا من العريش الى الفرات وقيل الى نابلس وعرضا من جبل أخا (٢) وسلمى الى بحر الروم وما سامته ودخله من الصحابة كثيرون ودخله صلى الله تعالى عليه وسلم أربع مرات مرة مع عمه أبى طالب لما رآه بحيرا ومرة فى تجارته لخديجة مع غلامها ميسرة ومرة حين أسرى به ومرة فى غزوة تبوك قال ابن عساكر رؤية آمنة النور حقيقة حين وضعته وأما رؤيتها له حين حملت فكانت فى المنام كما قاله الواقدى ثم حقق الله لها ذلك اذا وضعته لانها كما ورد فى الحديث أتيت وقيل لها انك حملت بسيد هذه الامة وآية ذلك ان يخرج معه نور يملأ قصور بصرى فحقق الله لها ما رأته أولا وهو كلام حسن وتخصيصه لانه أول فتح فى الاراضى المقدسة (واسترضعت) بالبناء للمجهول أى طلبت أمى أن أكون رضيعا (فى بنى سعد بن بكر) أرضعته منهم حليمة السعدية بنت أبى ذؤيب زوجة الحارث بن رفاعة بعدما أرضعته ثويبة مولاة أبى لهب وله أخوة من الرضاعة مذكورون

(٢) قوله أخا بضم الهمزة وتشديد الخاء المعجمة وبالقصر اسم موضع بالبصرة اهـ

(فبينا أنا) أى بين أوقات كنت أنا (مع أخ لى) أى رضاعا (خلف بيوتنا نرعى بهما لنا) بفتح موحدة وسكون هاء جمع بهمة ولد الضان ذكرا كان أو أنثى وقيل ولد الضان والمعز مجتمعة ولعله باعتبار التغلبة والا فولد المعز حال انفراده يسمى سخلة (اذ جاءنى رجلان) أى على صورة رجلين فقيل هما جبريل واسرافيل (عليهما ثياب بيض) تركيب توصيف (وفى حديث آخر ثلاثة رجال) قيل ثالثهم ميكائيل أى جاؤا (بطست) بفتح طاء وجوز كسره وضمه فسين مهملة و كذا بمعجمة على ما فى القاموس فلا عبرة بمن قال انه لغة العامة وانه خطأ وهو اناء معروف يكون من نحاس أو صفر وأصله الطسس أبدل من احدى السينين تاء (من ذهب) فيه ايماء الى ذهاب حظ الشيطان عنه بعصمة ربه وذهابه عن الامة بسببه قال التلمسانى وفيه دليل على جواز تغشية آلات الطاعة بالذهب والفضة كالمصحف وآلات الغزو انتهى والاظهر ان استعمال آنية الذهب والفضة حرام لا أعلم فيه خلافا بين علماء الانام لكن الملائكة لا يعصون الله ما أمرهم و يفعلون ما يؤمرون فلا يقاس الانسان بالملك كما لا يقاس الحداد بالملاك هذا وقد ذكر البغوى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فى قوله تعالى فيه سكينة من ربكم هى طست ذهب من الجنة يغسل فيه قلوب الانبياء عليهم السلام (مملوءة) يجوز همزه وابداله مدغما ولعل التاء للمبالغة أو باعتبار كونه آنية (ثلجا) بسكون اللام وهو ماء جامد لانه يبرد القلب و ينظفه وقد روى حكمة وفسرت بالنبوة والاولى تفسيرها باتقان العلم واحسان العمل (فاخذانى) أو فاخذونى (فشقا بطنى) أو شقوه (قال) ووقع فى أصل الدلجى وقال (فى غير هذا الحديث من نحرى الى مراق بطنى) بفتح الميم وتخفيف الراء وتشديد القاف لا واحد له من لفظه وميمه زائدة أى من أعلى صدرى الى مارق ولان من بطنى (ثم استخرجا) أى أخرجا أو أخرجوا (منه قلبى فشقاه) أى قلبى

مع قصة ارضاعه فى كتب السير (فبينا أنا مع أخ لى) من الرضاع لا من النسب اذ ليس له صلى الله تعالى عليه وسلم أخ ولا أخت من النسب وبينا ظرف وألفه للاشباع أو كافة كبينما والكلام عليهما مفصل فى كتب العربية (خلف بيوتنا) أضاف البيوت له باعتبار السكنى أو التغليب لان المراد بيوت بنى سعد (نرعى بهما) الرعى أكل الحيوانات النبات والذهاب بها للترعى وهو المراد هنا والمراد انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان مع الرعاة لا راعيا لصغر سنه والبهم بفتح الباء الموحدة وسكون الهاء والميم وهى جمع بهمة اسم لاولاد الضان وأولاد المعز سخال و يطلق على ما يعمهما قال

صغيرين نرعى البهم ياليت اننا ✽ الى اليوم لم نكبر ولم تكبر البهم

(لنا) أضافها له معهم لاختلاطه باصحابها الادنى ملابسة (اذ جاءنى رجلان) اى ملكان فى صورة رجلين فهو مجاز (عليهما ثياب بيض) وفى حديث آخر ثلاث رجال وهم جبريل واسرافيل وميكائيل عليهم الصلاة والسلام كما أشار اليه بقوله (وفى رواية أخرى ثلاثة رجال) وجمع بينهما بانه جاء اثنان أولا لشق صدره والثالث أتى بعد لمباشرته (بطست من ذهب مملوءة ثلجا) وفى رواية كوكبان كأنهما انقضا عليه كوكبان ثم تمثلا بصورة رجلين والطست بفتح الطاء وسكون السين المهملة ومثناة فوقية وفيه لغة أخرى طس بتشديد السين وطسه بهاء وفى طائه الفتح والكسر ففيه خمس لغات وهو اناء معروف واستعمال الذهب لم يكن حراما اذ ذاك لاسيما وهو من الجنة لا من جنس ذهبنا فلا حاجة للجواب بانه يجوز للصغار وانه يجوز تحلية آلات الطاعة به كالمصحف والسيف مع سافيه وفى رواية انه من زمرد أخضر وانه صب عليه من ابريق فضة وأما كون الطشت بشين معجمة فقيل انه غلط وقيل انه لغة فيه ومملوءة بالتانيث لان الطست يذكر و يؤنث أو هو لتاويله بآنية وهى مجرورة صفة أو منصوبة حال والمراد انه نقى بالثلج أو بمائه ولا حاجة للبحث فيه هل هو مطهر أم لا لان هذه أمور لا يطلع عليها وروى انه غسل بماء الجنة و بماء زمزم وهذا كان فى حال الطفولية ووقع فى رواية انه كان بعد هذه البعثة لما أسرى به فمنهم من قال الروايتان متعارضتان ورد هذه وقال السهيلى لا تعارض بينهما وانه وقع مرتين الاولى لتنقيته من الحظوظ النفسانية والاخرى ليقدس فيقوى على العروج لمشاهدة الانوار العلوية وكونه مخلوقا من النور لا ينافيه كما توهم وروى بان الطست مملوء حكمة وايمانا وان الثلج لبرد اليقين فهو اما بتاويله أو بتجسم الاعراض وليس ذلك على الله بعزيز والثلج بسكون اللام وقال التلمسانى بفتحها بمعنى اليقين فيجوز قراءته بالفتح فتكون هذه الرواية كرواية مملوءة حكمة وايمانا (فاخذانى) أى أمسكاه صلى الله تعالى عليه وسلم وأضجعاه (فشقا بطنى قال فى غير هذا الحديث من نحرى الى مراق بطنى) النحر أعلى الصدر ومراق بفتح الميم وتشديد القاف وهو مارق ولان من البطن ولا واحد له من لفظه والميم زائدة (ثم استخرجا منه) عائد على الجوف المعلوم من السياق أو للبطن لتاويله به (قلبى) مفعول استخرجا (فشقاه) أى القلب وهذا من المعجزات لان الاطباء اجمعوا على

على ان القلب لا يحتمل جراحة أصلا فكيف يعيش صاحبه اذا شق (واستخرجا منه علقة سوداء فطرحاها) أى رمياها الا نها حظ الشيطان ومغمزه وفيها الحسد والحقد ووسوسة الشيطان والحرص والشهوة المذمومة والعلقة دم منجمد كالعلقة المعروفة فى دود الماء قال السبكى رحمه الله تعالى فى طبقاته سئل الوالد رحمه الله عن هذه العلقة التى أخرجت من قلبه صلى الله تعالى عليه وسلم حين شق فؤاده وقول الملك هذا حظ الشيطان منك فاجاب بان تلك العلقة خلقت فى قلوب البشر قابلة لما يلقى الشيطان فيه ولم يكن للشيطان فيه حظ وانما الذى نقاه الملك منه أمر فى الجبلة البشرية فازيل القابل الذى لا يلزم من حصوله حصول الالقاء فى القلب وانما خلقت على هذا لانها من أجزاء البدن المكملة لخلقه فلا بد منه ثم نزعت بامر ربانى طرا بعده وقريب منه قول الاستاذ محمد البكرى فى رسالته النافعة نزع العلقة من باطنه المقدس المطهر وقول الملك انها حظ الشيطان أى لو تعلق الشيطان بمحل منه كان هذا فخلق ابتداء تكملة لاصل الخلقة وتسوية للنشأة الانسانية مع زيادة اظهار يأس الشيطان باخراجها منه وهذا من تقديس السر وتنزيهه اعلاه واشرفه وقدر لا يدانيه أحد فيه * أقول حاصله ان الله خلقه صلى الله عليه وسلم كامل البنية مكملا فاقتضت الحكمة الربانية ان يكون جسمه أحسن الاجسام وقلبه أقوى القلوب كما ان روحه صلى الله تعالى عليه وسلم أعظم الارواح وأنورها ولما كان القلب رئيس الاعضاء بقوته تقوى صفاته من الشجاعة والفطنة وغيرها وهذه العلقة جزء سوداوى به يكون القلب قوى البنية زاهى الثمرة وعليه ينبنى لكونه كحب العنب والفواكه فبعد نضج ثمرته ينزع عجمه ويرمى ولكونه سوداويا ردىء الاخلاط كان محلا لافذاء الاوهام والخيال الذى هو لريحان الفكر كالحشيش النابت بينه بقلعه يقوى فاندفع انه لم يخلقه الله بدونها حتى يتطهر من دنس الوسوسة ومايقبلها فلا يألم بشق وقلع وظهر ان معنى كونه احظ الشيطان انها محل حظه لو كان لكنه لم يكن وانما أطلت هنا لانه سر من أسرار الله تعالى ولله در ص قرناص الحموى فى قوله

أما والله لو شقت قلوب * ليعلم ما بها من فرط حب
لارضاك الذى لك فى فؤادى * وأرضانى رضاك بشق قلبى

(ثم غسلا قلبى وبطنى بذلك الثلج حتى انقياه) ولما كان أرضه صلى الله تعالى عليه وسلم لا ثلج بها غسل بذلك ليعلم انه من عالم الغيب والجنة ويقال نقاه بالتشديد وأنقاه اذا جعله نقيا نظيفا والمشهور الاول وفى هذا دليل على عصمته صلى الله تعالى عليه وسلم قبل النبوة من جميع الآثام والنقائص وكيف يتصور بعد هذا ان يصدر منه زلة أو أمر لا يرضى الا سهوا ومثله لا يؤاخذ به (قال) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (فى حديث آخر ثم تناول أحدهما) أى أخذ من ملك غيره أو أخرجه من يده وأصل المناولة الاخذ من غيره (شيئا فاذا بخاتم فى يده من نور) أى يتلألأ ويضىء اضاءة زائدة حتى كأنه مجسم من النور ففيه مبالغة فى اشراقه كقوله تعالى خلق الانسان من عجل وفى رواية انه خيط بمخيط وكان يرى فى صدره الشريف أثر الخياطة (يحار الناظر دونه) أى فيما دونه أو أقل منه (بهاء) أى نورا ونفاسة والناظر اما بمعنى الشخص الذى ينظره ويحتمل ان يريد به العين وانسانها لانه يطلق عليها فعلى الاول

(فاستخرجا منه علقة) أى قطعة دم منعقدة (سوداء) يكون فيها الحسد والحقد والشهوة النفسية وسائر الاخلاق الرديئة (فطرحاها) أى رميا بقوة وفى رواية مسلم وقالا هذا حظ الشيطان منك قال العلامة تقى الدين ابن السبكى تلك العلقة خلقها الله تعالى فى قلوب البشر قابلة لما يلقيه الشيطان فيها فازيلت من قلبه صلى الله تعالى عليه وسلم فلم يكن فيه مكان قابل لان يلقى الشيطان فيه شيئا قال فهذا معنى الحديث فلم يكن للشيطان فيه صلى الله تعالى عليه وسلم حظ قط فان قلت لم خلق هذا القابل فى هذه الذات الشريفة وكان يمكن ان لا يخلقه فيها قلت لانه من جملة الاجزاء الانسانية فخلقه تكملة للخلق الانسانى ونزعه أمر ثان طرأ بعده انتهى ونظيره خلق الاشياء الزائدة فى بدن الانسان من القلفة وتطويل الظفر والشارب وامثال ذلك فلله الحكمة البالغة وعلى العبد احتمال الكلفة (ثم غسلا قلبى وبطنى بذلك الثلج حتى انقياه) أى نظفاه عن تلوث تعلق العلقة قال التلمسانى شق قلبه صلى الله تعالى عليه وسلم مرتين مرة فى صغره عند ظئره وذلك ليذهب عنه حظ الشيطان ومرة عند الاسراء ليدخل على طهارة ظاهرة وباطنة على الرحمن قلت ومرة عند نزول القرآن فى جبل حراء على ما ذكره أبو نعيم والطيالسى وغيره على ما فى المواهب اللدنية وقد قيل شق صدره مرة فى صباه ليصير قلبه مثل قلوب الانبياء ومرة ليلة المعراج ليصير قلبه مثل قلوب الملائكة قلت ومرة عند نزول الوحى ليصير مثل قلوب الرسل والله تعالى أعلم (وقال صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث آخر ثم تناول أحدهما شيأ فاذا بخاتم فى يده من نور يحار) بفتح أوله أى يتحير (الناظر دونه) أى عنده فلا يدري كيف يهتدى الى معرفة كنهه

(فختم به قلبي) أي لئلا يصل اليه مالا يليق بجناب ربي (فامتلأ ايمانا وحكمة) أي ايقانا أو علما وفهما (ثم أعاده) أي رده (مكانه ثم أمر) بتشديد الراء أي أذهب (الآخر) أي منهما (يده على مفرق صدري) بفتح الميم والراء وبكسر الراء ذكره الشمني والحلبي وقال الدلجي بكسر الميم مع فتح الراء وبفتحها مع كسرها انتهى ولايخفى ان كسر الميم الموضوع للآلة غير مناسب هنا فانه وسط الرأس حيث يفرق فيه الشعر في أصل اللغة الا انه استعير هنا لموضع الشق (فالتأم) بهمزة مفتوحة بعد التاء أي فاجتمع والتحم وانتظم (وفي رواية) أي للدارمي وأبي نعيم في الدلائل (قال قلب) أي هذا قلب (وكيع أي شديد) تفسير من أحد الرواة ومعناه متين في العلم ومحكم في الفهم كما يشير اليه قوله (فيه) وفي أصل التلمساني له (عينان تبصران) أي تدركان للامور العقلية (واذنان سميعتان) وفي نسخة تسمعان أي تعيان العلوم النقلية وضمير فيه راجع الى القلب وهو أقرب أو الى القالب وهو أنسب (ثم قال) أي أحدهما (لصاحبه) أي من الملكين (زنه) بكسر الزاي أمر من الوزن (بعشرة من أمته) أي في الفهم والعقل أو في الاجر والفضل (فوزنني بهم) أي حسا (أومعنى فرجحتهم) بتخفيف الجيم أي فغلبتهم في الرجحان (ثم قال) أي أحدهما وقال لصاحبه (زنه بمائة من أمته فوزنني بهم) أي بمائة منهم (فوزنتهم) أي رجحتهم في الوزن (ثم قال زنه بالف من أمته فوزنني بهم فوزنتهم)

المعنى انه يتحير من نوره وحسنه في معرفته وعلى الثاني النسبة اليه مجازية والمراد صاحبه أو معناه يبهت ولا يطرق اجفانه وفيه وفي قوله دونه لانه اذا تحير فيما دونه فكيف به (فختم به قلبي) كما يختم الكيس والخزانة التي فيها الجواهر وكل نفيس وختمه لئلا يصل اليه مالا يليق به من الوسوسة ولئلا يضيع ما فيه وفيه اشارة الى انه خاتم الانبياء وليس هذا ولا أثره خاتم النبوة المذكور في الحديث حتى يقال انه اختلف فيه هل ولد به أو كان حدوثه حين نبئ ولا في هذا الحديث بيان لانه كان حين شق صدره كما توهم والختم حفظا له عن ان يخرج مما أحرزه شئ بغير علمه فلا يرد ماقاله السهيلي انه ينافي انه صلى الله تعالى عليه وسلم يعلم الناس الحكمة وتفجرت من قلبه ينابيع الحكم وفاضت أنواره على العالم (فامتلأ ايمانا وحكمة) في تفسيرها أقوال والذي صححوه منها انها العلم المشتمل على معرفة الله مع البصيرة وتحقيق الحق والعمل به وفي التفريع هنا خفاء لان مقتضى الظاهر ان يقدمه على الختم ولا يرتبه عليه فيقول ملأه فامتلأ ثم ختمه لانه بعد الختم لا يدخله شئ الا ان يؤول بانه تبين في انه امتلأ اللهم الا ان يقال انه دخل فيه نور من الخاتم ثم ملأه بما ذكر وان العلم والحكمة معنى لا يملأ حيزه فاما ان يقال انه تجسم أو جعل بمنزلته (ثم اعاده مكانه) أي أعاد الخاتم في مكانه الذي كان من يده أو يد غيره وليس الضمير للختم كما توهم حتى يقال انه يشعر بانه كان من أصل خلقته (وأمر) بتشديد الراء المهملة أخره أي مسح وألصق يده مارة (الآخر) أي الملك الآخر (يده على مفرق صدري) بفتح الميم والراء وكسرها بينهما فاء ساكنة أي محل الشق والافتراق الذي كان منه فهو بمعناه اللغوي وان اختص عرفا بوسط الرأس أو هو مصدر ميمي (فالتأم) بهمزة بعد المثناة الفوقية أي انضم واجتمع حتى لم يبق فرجة من الشق (وفي رواية أخرى ان جبريل عليه الصلاة والسلام قال) بعدما أمر (قلب وكيع اي شديد) وفي كتب اللغة تفسيره بصلب وغليظ والمراد هنا ماذكره المصنف ومنه نقل العلم (فيه) أي في قلبه صلى الله تعالى عليه وسلم (عينان تبصران وأذنان سميعتان) لايخفى ان حمله على ظاهره كما قيل بعيد فالمراد انه شديد الادراك لما يبصر ويسمع وكون القلب لا يدرك المحسوسات لانه انما يدرك المعقولات لا وجه له فانه يدركها بواسطة الحواس وفي التعبير عن الاول بالمضارع وعن الثاني بالاسم الدال على الثبوت تفنن وايماء الى ان الاول لا يكون الا بفعل يحدث منه كالمقابلة وفتح الجفن بخلاف الثاني واسنادهما اليه مجازي وهذا كالتعليل لما قبله (ثم قال أحدهما) أي الملكين (لصاحبه زنه بعشرة من امته فوزنني بهم فرجحتهم ثم قال زنه بمائة من أمته فوزنني بهم فرجحتهم ثم قال زنه بالف من أمته فوزنني بهم فوزنتهم) الوزن معروف ورجحانه زيادة مافي الكفتين وثقله فينزل الراجح ويعلو مقابله والمراد بامته من اتبعه صلى الله تعالى عليه وسلم وآمن به وهم أمة الاجابة أو من وجد في عهده وهم أمة الدعوة فمن فسره بالاول يعلم الثاني منه بالطريق الاولى وعدم الاعتداد بغيرهم ويجوز ارادة الثاني وهذا الوزن الظاهر ان المراد منه مجرد المقابلة بين كماله صلى الله تعالى عليه وسلم وكمالاتهم بحسب النظر العلمي ومنهم من ذهب الى انه على ظاهره وحقيقته وان لم يعرف كيفيته الا انه يحتاج لتاويله لان الامة لم يكونوا موجودين فقيل المراد بهم أرواحهم وان الله أطلعهم على ذلك وانما ذكروه ليطلع على ذلك وتعلم به امته ثم انه وقع في هذا الحديث اختلاف في رواية أبي ذر رضي الله تعالى عنه ان الوزن قبل الشق وانه ابتدأ في الوزن بالواحد ثم العشرة واختار المصنف هذه الرواية لان الرجحان بما أودعه الله تعالى فيه بعد اماطة مالا وزن له عند الله وفيه أيضا انه وضع فيه خاتم النبوة بين كتفيه

وقال شيخ والدى الشهاب بن حجر الهيثمى انه وقع فى بعض الروايات انه ولد بخاتم النبوة فان الحاكم روى بسند حسن عن عائشة رضى الله تعالى عنها عن بعض الاحبار انه قال ولد فى هذه الليلة يعنى ليلة مولده صلى الله تعالى عليه وسلم نبى هذه الامة بين كتفيه علامة فيها شعرات وفيه دليل على انه ولد بخاتم النبوة لكن جاء بسند أصح من هذا ان الملكين لما شقا صدره الشريف ختماه بخاتم النبوة ويمكن الجمع بانهما ختما ذلك المحل الثانى عند الوضع بعد ختمه أولا اشارة الى زيادة الاعتناء والتشريف ثم رأيت من جمع بينهما بانه كان فى موضعين على الكتف وبين كتفيه وروى بسند ضعيف انه رفع بعد موته صلى الله تعالى عليه وسلم واعلم ان بعض الشراح قال ان الشق والغسل فى ذلك ليس مخصوصا به صلى الله تعالى عليه وسلم بل كان لسائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام لما روى انه كان فى تابوت السكينة الطست الذى غسلت فيه قلوب الانبياء عليهم الصلاة والسلام (ثم قال دعه عنك فلو وزنته بامته لوزنها) أى لغلبهم فى الوزن ولا عادلهم وباب المغالبة معلوم من كتب الصرف وفى هذا الحديث دليل على انه صلى الله تعالى عليه وسلم أفضل من جميع الناس واقواهم شجاعة وقدرة على الجماع وعلما وفطنة كما مر لما أودع فى قلبه صلى الله تعالى عليه وسلم مما لم ينله غيره (قال فى الحديث الآخر ثم ضمونى الى صدورهم) أى عانقونى اظهارا لمحبتهم وتكريمهم لى (وقبلوا رأسى وما بين عينى) بشد الياء للتثنية وفيه استحباب تقبيل الرأس وما بين العينين لمن ينبغى محبته واكرامه اظهارا لذلك (ثم قالوا يا حبيب) بالبناء على الضم وأصله يا حبيب الله (لم ترع) بضم المثناة الفوقية وفتح الراء المهملة وعين مهملة أى لم تخف وتفزع وهو مبنى للمجهول أى حصل لك من قوة القلب مالا يعتريك بعده خوف من شئ والمراد تطمين قلبه صلى الله تعالى عليه وسلم بعدما وقع من الشق له ثم استأنف بجملة مؤيدة لما قبلها فقال (انك لو تدرى ما يراد بك من الخير) أى ما يريده الله لك من الكمال والخير الدنيوى والأخروى (لقرت عيناك) أى لسررت سرورا عظيما وقدمر ان قرة العين الفرح وهو ضد سخنت فهو من القر بمعنى البرد لان دمع السرور بارد ودمع الحزن حار ومن قر بمعنى ثبت وسكن طرفه لانه لم يبق له شئ يطمح له عينه وينظره (وفى بقية هذا الحديث من قولهم) أى من قول هؤلاء الملائكة وهذا موافق لكونهم ثلاثة كما مر (ما اكرمك على الله) تعجب من رفعته صلى الله تعالى عليه وسلم وكرامته عند ربه (ان الله معك وملائكته) بعنايته وفضله وليس فى قوله من قولهم ما يقتضى انه مشتمل على مقولهم ومقول غيرهم كما قيل (قال فى حديث أبى ذر) المشهور المذكور أولا وهذا الحديث رواه الدارمى (فما هو) أى فعلهما بعد ذلك وما نافية وقيل الضمير للشان وهو على حد قولك لم يلبث فلان ان فعل كذا والمراد السرعة (الأن وليا) أى رجعا وانصرفا عنى بعد فعلهما ومقالتهما السابقة (فكأنما أرى الامر معاينة) المراد بالامر هنا ما اكرمه الله به وما سيكرمه به من مقدمات النبوة وارهاصاتها وما زاد فى فطنته وعلمه ولتحققه لذلك جعل كالمحسوس المرئى ببصره وليس المراد به القصة المذكورة من مشاهدة الملكين وما فعلاه كما توهم وقد أتى بخبط وخلط فى تفسيره لا طائل تحته (وحكى أبو محمد مكى وأبو الليث السمرقندى وغيرهما) تقدم ترجمتهما والكلام عليهما (ان آدم عليه الصلاة والسلام عند

ثم قال دعه عنك) أى اترك وزنه (فلو وزنته بامته) أى جميعهم (لوزنها) أى لما منح من المنح السنية ومن المنن العلية (وقال) أى النبى عليه الصلاة والسلام (فى الحديث الآخر) أى فى الرواية الأخرى وهى حديث ثلاثة رجال بشهادة قوله (ثم ضمونى الى صدورهم وقبلوا رأسى) أى اشعارا بر ياستى وانى رئيس أمتى (وما بين عينى) بصيغة التثنية لا غير ايماء الى انه قرة العينين فى الكونين (ثم قالوا لى يا حبيب) أى يا محبوب لمطلق الخلق والحق ويروى فقالوا انك حبيب الله (لم ترع) بضم ففتح فسكون من الروع أى لا تفزع وفى التعبير بالماضى مبالغة فى تحققه وفى رواية ان تراع بتأكيد نفى الاستقبال (انك لو تدرى ما يراد بك من الخير) أى الذى لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (لقرت عيناك) بفتح القاف وتشديد الراء أى لطابت نفسك وسكن قلبك أو لسررت وفرحت وأصله برد الله تعالى دمعة عينيك لان دمع السرور بارد وقيل معناه بلغك الله تعالى أمنيتك حتى ترضى وتسكن عينك فلا تستشرف الى غيره (وفى بقية هذا الحديث) أى حديث ثم ضمونى (من قولهم) بيان للبقية (ما أكرمك على الله ان الله معك) معية مكانة وقربة وحضور وجمعية لا معية مكانية واجتماعية واتصالية واتحادية على ما تقوله الطائفة الاتحادية (وملائكته) أى معك كذلك فى الحفظ والحراسة والنصرة والمعونة (قال) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (فى حديث أبى ذر) كما رواه الدارمى (فما هو) أى الامر والشان (الأن وليا) أى أدبرا الملكان ورجعا (عنى فكأنما أرى الامر) أى أمر النبوة والرسالة (معاينة وحكى أبو محمد المكى وأبو الليث السمرقندى وغيرهما ان آدم عليه السلام عند

معصيته) أى الصورية وهى التى خرج بسببها من الجنة (قال كما رواه البيهقى والطبرانى من) حديث ابن عمر بسند ضعيف (اللهم بحق محمد) أى المغفور من ذريتى (اغفر لى خطيئتى) ويروى تقبل توبتى ولا منع من الجمع (فقال له الله تعالى من أين عرفت محمدا) أن ولا رأيته ابدا (قال رأيت فى كل موضع من الجنة) أى من شرف قصورها وصدور حورها وأطراف انهارها واتحاف أشجارها (مكتوبا لا اله الا الله محمد رسول الله ويروى) أى بدلا من هذه الجملة أو زائدا بعد هذه الكلمة (محمد عبدى ورسولى) أى المختص بى من بين عبيدى و رسلى الشامل للملائكة (فعلمت انه أكرم خلقك عليك) أى حيث خصصته بتشريف الاضافة اليك ولم تذكر

غيره من الخلق لديك (فتاب الله عليه وغفر له) أى رجع عليه بقبول توبته وحصول مغفرته ووصول هدايته كما قال تعالى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى (وهذا) أى قوله اللهم بحق محمد لا كما توهم الدلجى انه لا اله الا الله محمد رسول الله (عند قائله) أى راويه وناقله (تاويل قوله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات) أى تلقاها من الهامه واعلامه وان كان المشهور عند الجمهور ان المراد بالكلمات هى قوله ربنا ظلمنا أنفسنا الآية (وفى رواية أجرى) بمد الهمزة وضم الجيم وتشديد الراء بعدها ياء نسبة قال الحلبى الظاهر انه الامام القدوة أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله البغدادى مصنف كتاب الشريعة فى السنة والاربعين وغير ذلك روى عنه أبو نعيم الحافظ وخلق وكان عالما عاملا سكن مكة ومات بها سنة ستين وثلاثمائة وفى نسخة وفى رواية أخرى بضم همزة وسكون خاء معجمة (فقال آدم) أى فى جواب ما تقدم (لما خلقتنى) أى حين خلقتنى فى أول وهلتى (رفعت رأسى الى عرشك فاذا فيه) أى فى قوائمه كما فى رواية (مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله) يعنى وليس فيه ذكر رسول سواه (فعلمت انه) أى الشان (ليس أحد أعظم قدرا عندك ممن جعلت اسمه مع اسمك) أى مقرونا به فى عرشك الذى هو أعظم خلقك

معصيته) أى أكله من الشجرة وسيأتى الكلام عليه فى عصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام وهذا الظرف متعلق بقوله (قال) ومقوله (اللهم بحق محمد) أى بما يستحقه عندك من الزلفى والكرامة وهذا الحديث رواه البيهقى والطبرانى عن عمر رضى الله عنه بسند فيه ضعف وفيه دليل على انه يجوز ان يقال فى الدعاء بحق الانبياء ونحوه خلافا لمن أفتى من علماء العصر انه لا يجوز ان يقال مثله لانه ليس لاحد على الله حق وقد وقع مثله فى أحاديث كثيرة ومعناه ما مر (اغفر لى خطيئتى ويروى وتقبل توبتى فقال له الله من أين عرفت محمدا فقال رأيت فى كل موضع من الجنة) رأى هنا بصرية (مكتوبا لا اله الا الله محمد رسول الله) نائب فاعل اسم المفعول (ويروى محمد عبدى ورسولى) بدل رسول الله (فعلمت) بما رأيته من كتابته واقتران اسمه باسمك (انه أكرم خلقك) أى مخلوقاتك (عليك فتاب الله عليه وغفر له) ذنبه لتوسله الى الله بحبيبه وصفيه وبما علمه من ذلك (وهذا) أى الحديث المذكور (عند قائله) أى عند من رواه واعتمده وهو مكى رحمه الله تعالى ومن سبق ذكره وليست الاشارة لقول آدم عليه السلام اللهم الى آخره كما قيل (تاويل قوله تعالى) أى تفسيره لان التاويل يرد بمعنى مطلق التفسير وبمعنى التفسير بمقتضى العربية من غير نقل ماثور ويكون أيضا بمعنى ما يؤول اليه ويتحقق به فى الواقع وهو أصل معناه (فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه) وهذا فيه خفاء لان معنى تلقيها من الله أخذها منه بغير واسطة والمذكور انه رآها مكتوبة فى الجنة فكانه جعل الهام الله له الدعاء بمنزلة تلقيها عنه وقيل انه على قراءة ابن كثير بنصب آدم ورفع كلمات ومعنى تلقيها استغناؤها باخذها والعمل بها حين علمها وأشار بقوله عند قائله الى ان فيه أقوالا أخر فقيل الكلمات المتلقاة هى ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وقيل اللهم لا اله الا أنت سبحانك وبحمدك انى ظلمت نفسى فاغفر لى فانك خير الغافرين اللهم لا اله الا أنت سبحانك وبحمدك انى ظلمت نفسى فتب على انك أنت التواب الرحيم فسقط ما قيل انه ليس فيه على هذه الرواية انه تلقى من الله والكتابة لا تسمى كلمات الا مجازا ولا قرينة تدل عليه قيل وفيه دلالة على ان آدم عليه الصلاة والسلام كان يعلم الكتابة وسؤال الله له بقوله من أين الى آخره ليس استفهاما على حقيقته لعلمه به وانما هو تشريف له بخطابه وليبين له فضيلة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم عقبه (وفى رواية أخرى فقال آدم عليه الصلاة والسلام لما خلقتنى رفعت رأسى الى عرشك فاذا فيه مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله) فيه خبر مقدم ومكتوب مبتدأ مؤخر صفة شئ مقدر ولا اله الا الله الى آخره بدل منه أو هو مبتدأ ومكتوب خبره وفى بعض النسخ وفى رواية الآجرى بالمد وضم الجيم وتشديد الراء المهملة وياء نسبة للآجر المعروف وهو الامام القدوة أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله البغدادى مصنف كتاب الشريعة شيخ أبى نعيم سكن مكة وتوفى بها فى المحرم سنة ستين وثلثمائة (فعلمت انه ليس أحد أعظم قدرا عندك ممن جعلت اسمه مع اسمك)

ملازما

(فاوحى الله اليه وعزتى وجلالى) أى وعظمتى (انه لآخر النبيين من ذريتك) ايماء الى انه بمنزلة الثمرة لهذه الشجرة وانه فى مرتبة العلة الغائية فى الحلقة الانسانية واشارة الى انه الغاية القصوى والمقصد الاسنى من مظاهر الاسماء الحسنى كما يدل عليه قوله (ولولاه ماخلقتك) ويقرب منه ماروى لولاك لما خلقت الافلاك (قال) أى الآجرى (وكان آدم يكنى) بصيغة المجهول مخففا ومثقلا (بابى محمد) كما رواه البيهقى عن على مرفوعا ووجه تخصيصه لكونه أفضل أولاده أو للتشرف باستناد (وقيل بابى البشر) أى عموما وفيه تنبيه انه لم يكن يكنى بغيره من أولاده وذريته اشعار بخصوصيته ولما تحت العموم من اندراج قضيته ولا يبعد تقدير مضاف بان يقال كان يكنى بابى خير البشر فاقتصر فتدبر (وروى عن سريج بن يونس) أى ابن ابراهيم الحارث البغدادى العابد القدوة أحد أئمة الحديث روى عنه مسلم والبغوى وأبو حاتم وهو بضم مهملة وفتح راء وسكون تحتية فجيم وأما ضبطه بالشين المعجمة فى نسخة فتصحيف وكذا بالحاء المهملة (انه قال ان لله تعالى ملائكة سياحين) بتشديد التحتية أى سيارين على وجه الارض للعبادة (عيادتها) بالتحتية أى زيادة تلك الجماعة من الملائكة السياحة وتفقدها من عاد يعود اذا زار ورجع للزيارة وفى نسخة بالموحدة ولا يخفى مزية العبادة على العادة بالتعمية الخفية (على كل دار) وفى نسخة على دار أى واقعة للمحافظة على كل دار (فيها أحمد أو محمد) أى مسمى باحدهما وفى نسخة عبادتها كل دار واقتصر عليها الشمنى حيث قال عبادة بالباء الموحدة مبتدأ خبره كل دار على حذف مضاف أى حفظ أهل كل دار أو اعانة أهل كل دار اكرامامنهم لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم حيث عظموا دارا فيها اسميه (وروى ابن قانع القاضى) بالقاف وكسر النون فمهملة هو ابن مرزوق واسمه عبد الباقى صاحب معجم الصحابة وكتاب اليوم والليلة وتاريخ الوفيات من أول سنة الهجرة فروى فى معجم الصحابة له وكذا رواه الطبرانى

ملازما المقارنته قيل هذا فى الرواية الاولى ظاهر اذ فيها فى كل موضع وأما هنا فهو فى موضع واحد وأجيب بانه يحتمل ان الرواية الاولى زيادة على هذه وتركها لئلا يتكرر ولا يخفى بعده ولا حاجة الى مافهمه من لزوم المقارنة بل المقارنة فى هذا المحل العظيم تكفى فيما قاله قلت ومن هذا الحديث يؤخذ ان كتابة أسماء الله ونحوها فى سقوف المساجد وغيرها مكروهة كما توهم (فاوحى الله اليه وعزتى وجلالى انه لآخر النبيين من ذريتك ولولاه ماخلقتك) فروحه صلى الله تعالى عليه وسلم مخلوقة قبل الارواح والانبياء كلهم خلقوا لاجله ووجوده سبب لوجودهم فهو أب معنوى لهم وكلهم اتباعه فى الوجود قيل قوله فاوحى الله اليه يقتضى ان هذا الخطاب وحى لامشافهة وقوله لما خلقتنى قبله يدل على خلافه وقد يقال انه خاطبه أولا وأوحى اليه بعد ذلك مع ان الداعى مخاطب ربه وان لم يخاطبه فلا يدل كلامه الاول على ان كلام الله معه بدون وحى (قال وكان آدم عليه الصلاة والسلام يكنى بابى محمد وقيل بابى البشر) كما رواه البيهقى عن على كرم الله وجهه مرفوعا والثانى أشهر * (تنبيه) قوله ولولاه ماخلقتك خلاف اللغة فانها فى الاكثر يليها ضمير رفع منفصل يحذف خبره وجوبا اذا كان عاما وقد يكون مخصوصا فيذكر على قول ويليها ضمير مجرور صورة كما هنا قليلا فيقال لولاى ولولاك ومنعه المبرد رحمه الله تعالى وأجازه غيره فقيل انها حرف جر وقيل انه نائب عن المرفوع واتصل بغير عامله ومنعه سيبويه بمنع النيابة فى غير الضمائر المنفصلة وغيره يجيزه مع الحروف والافعال كما تقرر فى محله وعليه الزمخشرى (وروى عن سريج بن يونس) بضم السين وفتح الراء المهملتين وياء مثناة تحتية وجيم وصحفه بعضهم بشين معجمة وحاء مهملة وهو غلط وهو أبو الحارث البغدادى امام الحديث توفى سنة خمس وثلاثين ومائتين وروى له مسلم والبخارى (انه قال) ان كان الضمير للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم لانه المعلوم من السياق فهو ظاهر وان كان لسريج فهو فى حكم المرفوع لان مثله لا يقال بالرأى (ان لله تعالى ملائكة سياحين) من السياحة من ساح الماء اذا جرى ثم شاعت فى السير الطويل والمشى فى الارض والسفر من غير مقصد معين للنظر فى المصنوعات ونحو ذلك (عبادتها) أى الملائكة وأنثه نظر الظاهر أو لتأويله بطائفة وعبادتها بباء موحدة ففيه مضاف مقدر أى حفظ (كل دار فيها) من اسمه (أحمد أو محمد) أو دخول كل دار ونحوه وضبط أيضا مثناة من تحت والمراد بالعبادة الزيارة وقدم أحمد لانه مسمى به قبل محمد ولانه صلى الله تعالى عليه وسلم معروف به عند الملائكة أو للترقى (اكراما منهم لمحمد صلى الله عليه وسلم) أى زيارتهم لاجل الاكرام وقال منهم لئلا يتوهم انهم أتوا باكرام من غيرهم وانهم رسل فى ذلك والا فهو حشو ويأتى ان أهل مكة ونقل أيضا عن أهل المدينة يقولون كل دار فيها من اسمه محمد يوسع الله رزقهم وهو عن تجربة منهم وقيل هذا لا يختص بهذين الاسمين بل كل من تسمى باسم من أسمائه صلى الله تعالى عليه وسلم كذلك وفيه نظر (وروى ابن قانع القاضى) بقاف ونون بعد ألف وعين مهملة

(عن أبي الحمراء) بفتح حاء مهملة فسكون ميم فراء ممدودة قال الحجازي هو مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واسمه بلال بن الحارث وقال اليمني هو اسم صحابيين أحدهما مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أخرج هذا الحديث ابن ماجه عنه والآخر مولى أبي عفراء ولا يعلم له رواية وقال الحلبي كان ينبغي للقاضي أن يذكر بقية هذا السند من ابن قانع الى أبي الحمراء حتى نعرفهم ونعرف من أبو الحمراء فان أبا الحمراء في الصحابة اثنان أحدهما مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اسمه هلال بن الحارث بن ظفر أخرج حديثه ابن ماجه في التجارات أعني غير هذا الحديث المذكور في الاصل وأما هذا فليس له شئ في السنة والله تعالى أعلم روى عنه أبو داود والاعمش وغيره وقال ابن معين كان بحمص وقال البخاري يقال ليس له صحبة ولا يصح حديثه انتهى وأما الثاني فيقال مولى الحارث بن رفاعة شهد بدرا وأحدا ولا أعلم له رواية وان كان أبو الحمراء من التابعين أو من بعدهم فلا أعلم فيهم أحدا يقال له أبو الحمراء وقد وقفت على الحديث المذكور لكن من رواية أنس وقد قال الذهبي فيه شئ تراه (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لما أسري بي الى السماء اذا على العرش مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله أيدته) أي قويته (بعلي) أي لغاية قوته وعلو همته قال الدلجي وقد ورد انه حمل باب حصن خيبر وتترس به ورواه ابن عدي عن عيسى بن محمد عن الحسين بن ابراهيم البياني عن حميد الطويل عن أنس بلفظ لما عرج بي رأيت على ساق العرش مكتوبا لا اله الا الله محمد رسول الله ايدته بعلي أو نصرته بعلي

بالباء

قال في الميزان وهذا اختلاف من الحسين بن ابراهيم (وفي التفسير عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما) كما رواه الخطيب فيما رواه مالك عنه (في قوله تعالى وكان تحته كنز لهما) وقد رواه البزار مرفوعا من حديث أبي ذر وموقوفا على عمر وعلي (قال) أي ابن عباس وكذا من روى نحوه من غيره (لوح) أي الكنز المذكور جامع في المبنى والمعنى فانه لوح (من ذهب فيه مكتوب عجبا لمن أيقن بالقدر) أي بتقديره الذي لا يتصور تغييره

وهو عبد الباقي بن قانع بن مرزوق الاموي البغدادي صاحب معجم الصحابة وكتاب القوم وترجمته في الميزان وهو ثقة في الرواية الا انه قيل انه تغير في آخر عمره وتوفي في سنة احدى وخمسين وثلثمائة قال البرهان كان على المصنف أن يذكر تقدم السند من ابن قانع الى قوله (عن أبي الحمراء) حتى يعرفه ويعرفه أبا الحمراء واعتذر بانه لم يلتزم الاسناد في كتابه وانما اشترط ما صح عنده واشتهر والظاهر انه استغنى عنه بروايته عن ابن قانع لانه ذكره مسندا فيه وقد اسنده الطبري أيضا وفي بعض النسخ ابن نافع بالفاء وهو الفقيه صاحب الامام مالك وهو وهم وتحريف وأبو الحمراء بحاء مهملة وميم وراء مهملة ممدود قال البرهان ولا يعرف من المراد به فان أبا الحمراء الصحابي مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اسمه هلال بن الحارث أو ابن ظفر أخرج له ابن ماجة حديثا غير هذا وكان بحمص وقال لا يقال له صحبة ولا يصح حديثه ومن الصحابة أبو الحمراء مولى آل عفراء البدري ولا يعرف له رواية ولا يعرف في التابعين من اسمه أبو الحمراء ولا فيمن بعدهم (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لما أسري بي الى السماء اذا) هي فجائية أي صادفت فجاة (على العرش مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله) العرش في اللغة سرير الملك وعرش الرحمن غير السموات وهو سقف الجنة وهل هو الكرسي أو غيره فيه خلاف ليس هذا محله وكون اسمه صلى الله تعالى عليه وسلم مكتوبا مع اسم الله على العرش وفي الجنة ورد في أحاديث كثيرة والظاهر ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عرف تلك الكتابة بالهام من الله أو بذكر جبريل عليه الصلاة والسلام لها أو غيره من الملائكة قالوا له هذا اسمك مكتوب هنا فلا يقال انه صلى الله تعالى عليه وسلم أمي لا يقرأ ولا يكتب وقد تقدم ما في ذلك (أيدته بعلي) كرم الله وجهه في حياته لما له من الصحبة القديمة والآثار العظيمة في غزواته معه والتاييد التقوية والنصر ولا يلزم من هذا تفضيله على غيره من الخلفاء كأبي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما ولان تاييده له أعظم ولعل لتخصيصه هنا وجها لا يقف عليه الا الانفس القدسية (وفي التفسير) أي في كتبه ولم يعين المنقول عنه لوجوده في كثير منها (عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما) رواه الخطيب عن مالك وورد مرفوعا عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه وأخرجه البزار موقوفا عن علي وعمر رضي الله تعالى عنهما والبيهقي في الشعب (في) تفسير (قوله تعالى وكان تحته) أي الجدار الذي أقامه الخضر عليه الصلاة والسلام (كنز لهما) لليتيمين (قال) أي ابن عباس رضي الله عنهما المراد بالكنز وهو المال المدفون (لوح من ذهب فيه مكتوب عجبا) منصوب بفعل محذوف وجوبا أي أعجب عجبا واللوح بفتح اللام وقد تضم صحيفة مبسوطة (لمن أيقن بالقدر) أي تيقن قضاء الله وقدره وانه لا يكون الا ما قدر وما قدر لابد ان يكون فلتضمينه معنى أمن عداه

(كيف ينصب) بفتح الصاد أى كيف يتعب وماقدرله يأتيه ان تعب وان لم يتعب لكن قد يقال ان من جملة ماقدر تقديره ان يتعب فكيف لا يتعب قال البغوى القدر سر من أسراره سبحانه وتعالى لم يطلع عليه ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا ولا يجوز الخوض فيه ولا البحث عنه بل الله تعالى خلق خلقه فمنهم شقى ومنهم سعيد وقال رجل لعلى اخبرنى 227 عن القدر فقال طريق مظلم لا تسلكه فاعاد السؤال فقال بحر عميق لا تلجه فاعاد فقال سر الله قد خفى عليك (عجبا لمن أيقن بالنار) أى بوجودها (كيف يضحك) أى قبل ورودها (عجبا لمن يرى) وفى نسخة لمن رأى (الدنيا وتقلبها باهلها) أى فى انقلاب أحوالها لاسيما وسائلها الى زوالها (كيف يطمئن اليها) أى يغتر بها ولا يعتبر بمن مضى فيها (انى أنا الله لا اله الا أنا محمد عبدى ورسولى) أى الى الخلق كافة كما ان الاله الههم عامة (وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما) قال الدلجى لا أعلم من رواه عنه (على باب الجنة مكتوب أنا الله لا اله الا أنا محمد رسول الله لا أعذب من قالها) أى من صميم قلبه وتوفيق ربه على ثباته الى مماته (وذكر انه وجد) بصيغة المفعول فيهما وضمير انه للشان (على الحجارة القديمة) أى العتيقة (مكتوبا محمد تقى) أى من الشرك و (نقى) من الشك (مصلح) أى لما أفسد الخلق من الحق تغييرا أو تبديلا و(سيد) أى للخلق (أمين) أى عند الخالق والحق (وذكر السمنطارى) بكسر مهملة وميم وسكون نون فمهملة من جملة المحدثين والأئمة المصنفين له تآليف كثيرة فى فنون العلوم على ماذكره التلمسانى (انه شاهد فى بعض بلاد خراسان

بالباء واليقين الاعتقاد الجازم (كيف ينصب) بفتح أوله وثالثه من النصب بصاد مهملة وهو التعب والاستفهام للتعجب الانكارى أى كيف يتعب نفسه فى تحصيل رزقه وماقدر له لا يتخلف عنه مقدار ذرة ولحظة وللقاضى ناصح الدين الارجانى

يا قلب تخل من هموم وشجون * بادر فرص الزمان من قبل يخون
لا تأس فان جملة الهم جنون * ماقدر أن يكون لابد يكون

(عجبا لمن أيقن بالنار كيف يضحك) أى من تيقن وجود النار وعلم انه لا يخلو من زلة يعاقب عليها فكيف لا يخاف منها ويكون ضاحكا مسرورا وهو لا يعلم أشقى هو أم سعيد والموت أقرب له من حبل الوريد (عجبا لمن يرى الدنيا وتقلبها باهلها) أى تغير أحوالها فى كل حين قال الراغب التقلب التصرف قال الله تعالى أو يأخذهم فى تقلبهم فالباء بمعنى فى أو مع أى تصرفها فى أهلها أو تغيرها وتغير أهلها (كيف يطمئن) قلبه ويركن (اليها) بعدما رأى منها وشاهد (أنا الله لا اله الا أنا) فله الحكم والامر وبيده كل شئ فى قبضة تصرفه (محمد عبدى ورسولى) أرسلته للناس كافة وهذا التفسير يشعر بانه حديث قدسى أوحاه الله لبعض أنبيائه وقد ذكره القرطبى فى تفسيره بهذا اللفظ عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه كان لوحا من ذهب مكتوب فيه بسم الله الرحمن الرحيم عجب لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن عجب لمن يؤمن بالرزق كيف ينصب عجب لمن آمن بالموت كيف يفرح عجب لمن آمن بالحساب كيف يغفل عجب لمن عرف الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله انتهى وعجب فى هذه الرواية مرفوع بالابتداء كسلام عليكم وهذه رواية عطاء عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وقيل الكنز مال وقيل غير ذلك (وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما على باب الجنة مكتوب انى أنا الله لا اله الا أنا محمد رسول الله من قالها) أى من نطق بكلمة الشهادة مؤمنا مخلصا (لا أعذبه) وان ارتكب الذنوب وهذا كقوله تعالى لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا وقد ورد مثله كثيرا فى الاحاديث الصحيحة (وذكر انه وجد) بالبناء للمجهول فيهما ولم يذكر فاعلهما لعدم وقوفه عليهما ولا ينافى هذا انه ذكر هنا ماصح أو اشتهر لانه باعتبار الاغلب وكونهما مبنيين للفاعل والضمير المستتر لابن عباس كما قيل يحتاج لنقل (على الحجارة القديمة) أى الموجودة قبل عصر النبوة لان الكتابة لو كانت جديدة بخط هذه الامة لم تكن دالة على مانحن فيه (مكتوب محمد تقى) أى ممتثل لاوامر الله مجتنب لنواهيه صلى الله تعالى عليه وسلم (مصلح) لجميع الناس بهدايتهم لكل خير وسعادة وللدنيا بعدله (وسيد أمين) على الوحى وغيره كما تقدم (وذكر السمنطارى) بسين مهملة وميم مكسورتين ونون ساكنة وطاء مهملة بعدها ألف وراء مهملة وياء نسبة مشددة قال صاحب القاموس فى تاريخ المدينة انه نسبة اسمنطار قرية من جزائر الغرب وقيل هو الذهبى بلسان أهل المغرب وهو أبو بكر بن عتيق بن على أحد عباد الجزيرة وزهادها وله كتاب الرقائق فى اثنى عشر مجلدا كبيرا لم يسبق لمثله ومنه نقل المصنف هذا الحديث انتهى وقال التلمسانى انه من الاجلة وله تآليف فى فنون العلم فمن قال لم أر له ترجمة ونحن فى غنية عما نقل عنه من الغريب فقد شهد على نفسه بقلة الاطلاع (انه شاهد فى بعض بلاد خراسان) هو أقليم معروف قيل وقد تسكن راؤه وتحذف ألفه وفى الزاهر لابن الانبارى معناه مطلع الشمس لان خور

مولوداولدعلى أحد جنبيه مكتوب لااله الاالله وعلى الآخر محمد رسول الله) أقول اذا ثبت ماسبق من كونه مكتوبا على العرش وغيره بروايات معتبرة فلا يحتاج الى مثل هذه الرواية التي يحتمل أن تكون معتمدة وكذا قوله (وذكر الاخباريون) بالخاء المعجمة (ان ببلاد الهند وردا أحمر مكتوب عليه بالابيض) أي منقوش به بجعل الاحمر على أطرافه أو بالابيض كالاسفيداج ونحوه وفي نسخة صحيحة مكتوبا على الورد الاحمر بالابيض (لااله الاالله محمد رسول الله) وعن الحافظ المزي أخبرني من سافر الى بلاد الهند ان فيه شجرة معروفة يسقط منها في كل سنة ورقة مكتوب عليها لااله الاالله محمد رسول الله وقال ابن القيم في تاريخه في ترجمة الحسن بن أحمد ابن الحسن الوراق الخواص المصيصي ٢٢٨ مسندا عنه الى علي بن عبد الله الهاشمي الرقي انه قال دخلت في بلاد الهند الى بعض قراءها فرأيت وردة كبيرة طيبة الرائحة سوداء عليها مكتوب بخط أبيض لااله الاالله محمد رسول الله أبو بكر الصديق عمر الفاروق فشككت في ذلك وقلت انه معمول فعمدت الى وردة لم تفتح ففتحتها فكان فيها مثل ذلك وفي البلد منه شئ كثير وأهل تلك القرية يعبدون الحجارة لايعرفون الله تعالى انتهى وقال الشيخ عبد الله بن أسعد اليافعي في كتابه المسمى بروض الرياحين قال بعض الشيوخ دخلت في بلاد الهند فدخلت مدينة فيها شجر يحمل ثمرا يشبه اللوز له قشران فاذا كسر خرج منه ورقة خضراء مطوية مكتوب عليها بالحمرة لااله الاالله محمد رسول الله كتابة جلية وهم يتبركون بها ويستسقون بها اذا منعوا من الغيث فحدثت بهذا أبا يعقوب الصياد فقال لي ما أستعظم هذا كنت أصطاد على نهر الايلة فاصطدت سمكة مكتوب على جنبها الايمن لااله الاالله وعلى جنبها الايسر محمد رسول الله فلما رأيتها قذفتها في الماء احتراما لما عليها كذا ذكره الشمني والذي يخطر بالبال الفاتر والله أعلم بالظواهر والسرائر ان هذه كلها كشوفات مكشوفات لاهلها لايراها من لم يكن أهلها وربما يقال ان اسمه سبحانه وتعالى مع اسم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مرسوم على كل شئ من الاشياء بحكم قوله تعالى ورفعنا لك ذكرك أي جعلنا ذكرنا معك في كل شئ من ملك وفلك وبناء وسماء وفرش وعرش وحجر ومدر وشجر وثمر ونحو ذلك ولكن أكثر الخلق لايبصرون تصويرهم ونظيره قوله سبحانه وتعالى وان من شئ الا يسبح بحمده ولكن لاتفقهون تسبيحهم (وروي عن جعفر) أي الصادق (ابن محمد

تقدم

بالفارسية معناه الشمس (مولوداولد) أي حين ولادته وخروجه من بطن أمه فلايتوهم ان وصف المولود بانه ولد من اللغو (وعلى أحد جنبيه) أي شق بدنه وصفحته (مكتوب لااله الاالله وعلى الآخر محمد رسول الله وذكر الاخباريون) المراد بهم المؤرخون الذين لهم اعتناء باخبار الامم السالفة ولما كان الاخبار جمع خبر وهو عام مخصوص بهذه الطائفة نسب للجمع لمشابهته العلم كانصار وأنصاري ولولا هذا رد في النسبة لمفرده كسائر الجموع المنسوب اليها (ان ببلاد الهند وردا أحمر مكتوب عليه بالابيض لااله الاالله محمد رسول الله) أي مكتوب فيه بلون أبيض عكس المشهور من كتابة الالوان في البياض للدلالة على انه ليس من صنع البشر وهذا كقول الابوصيري في مطلع قصيدة له

كتب المشيب بابيض في اسود ✽ بغضا العين الحاسد الخرد

وقد ذكر ابن العديم في تاريخه حكايات كثيرة منها انه وجد ببلاد الهند مثله في الثمار والاوراق وان الصيادين رأوا امثله في السمك واعلم ان ما اشتهر من ان الورد الاحمر خلق من عرق النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أو من عرق جبريل عليه الصلاة والسلام موضوع كما نقله ابن حجر عن النووي والذهبي وابن عساكر وكذا ما في الفردوس من ان الورد الابيض خلق من عرقي ليلة المعراج والورد الاحمر خلق من عرق جبريل والورد الاصفر خلق من عرق البراق وعن أنس رضي الله تعالى عنه يرفعه قال لما عرج بي الى السماء بكت الارض من بعدي فنبت اللصف وهو الكبر من مائها فلما ان رجعت قطر من عرقي على الارض فنبت ورد أحمر ألا من أراد ان يشم رائحتي فليشم الورد الاحمر والورد كما قاله أبو حنيفة الدينوري نور كل شجرة وزهر كل نبت ثم خص بهذا الورد المعروف فقيل لاحمره الخوجم ولابيضه الوتير في شرح سقط الزند الورد ما يضرب الى الحمرة يقال أسد ورد وعنبر ورد ودم ورد أي أحمر والورد المشموم ليس بعربي في الاصل الا ان العرب تسمي الزهر وردا انتهى وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال اذا كان يوم القيامة ينادي مناد في الموقف ألا ليقم من كان اسمه محمدا فليدخل الجنة لكرامتي ويأتي شرحه فيما بعده وفي رواية يقول الله عبدي لم تستح مني اذا عصيتني واسمك محمد وأنا أستحي أن أعذبك واسمك اسم حبيبي اذهبوا به الى الجنة والى هذا أشار في البردة بقوله

فان لي ذمة منه بتسميتي ✽ محمدا وهو أوفى الخلق بالذمم

(وروي عن جعفر بن محمد) هو جعفر الصادق وقد تقدمت ترجمته ومحمد هو محمد الباقر وقد

عن أبيه) أي محمد الباقر وهو من أكابر أهل البيت واجلاء التابعين أدرك جابرا وغيره (اذا كان يوم القيامة نادى مناد) أي في الموقف كما في رواية (ألا ليقم من اسمه محمد فيدخل الجنة لكرامة اسمه) صلى الله تعالى عليه وسلم أي لاظهار كرامته واشعار شفاعته واليه أشار صاحب البردة بقوله

فان لي ذمة منه بتسميتي * محمدا وهو أوفى الخلق بالذمم

(وروى ابن القاسم) أي العتقي واسمه عبد الرحمن جمع بين الزهد والعلم صحب مالكا عشرين سنة ومات بمصر أخرج له البخاري وأبو داود والنسائي (في سماعه) أي عن مالك ورد عنه انه قال خرجت الى مالك اثنتي عشرة مرة أنفقت في كل مرة ألف دينار أخرج له البخاري وغيره (وابن وهب) وقد سبق ترجمته قريبا وهو ممن تفقه على مالك وابن دينار والليث بن سعد وصنف الموطا الكبير والموطا الصغير وكان مالك يكتب اليه الى أبي محمد المفتي (في جامعه عن مالك قال سمعت أهل مكة) أي بعض علمائهم (يقولون ما من بيت فيه اسم محمد الا نما) من النمو أي زاد وزكا يعني كثر بركته وفي نسخة نمى بناء على ان المادة واويه و يائية وفي أخرى الا قدوقوا بضم واو وقاف أي حفظوا (ورزقوا ورزق جيرانهم) أي ببركة اسمائهم وايمانهم وايقانهم واحسانهم (وعنه عليه الصلاة والسلام انه قال) أي على ما رواه ابن سعد من حديث عثمان العمري مرفوعا (ما أضر أحدكم أن يكون في بيته محمد ومحمدان وثلاثة) أي وأكثر ويميز بينهم مثلا بالاصغر والاسط والاكبر هذا وفي مسند الحارث بن أبي أسامة عنه صلى الله تعالى عليه وسلم من كان له ثلاثة من الولد ولم يسم أحدهم بمحمد فقد جهل

تقدم أيضا (عن أبيه) أبوه محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (اذا كان) هي تامة بمعنى وجد (يوم القيامة نادى مناد) من الملائكة أمره الله بالنداء بقوله (ألا ليقم من اسمه محمد) ألا حرف استفتاح وتنبيه والمراد بالقيام الانفصال عمن معه ليمتاز عن غيره ممن لم يسم بهذا الاسم كما ان من قام عند قوم جالسين يتميز عنهم فهو استعارة أو مجاز مرسل أريد به لازمه أو كناية وليس هذا أمر تسخير للاموات قبل احيائهم أي ليقوموا من قبورهم أو لمن قعدوا في أرض المحشر لما عرض له من الاهوال وطول القيام فانه بعيد من السياق ويأباه قوله (فليدخل الجنة) لانه مؤمن شرفه الله بهذا الاسم اذ لم يعهد لتسمية أحد من الكفار به بعد بعثة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (لكرامة اسمه عليه الصلاة والسلام) وهذا من تتمة الحديث فهو من كلام النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كما علم من الرواية المتقدمة ولم يقل باسمي التفاتا أو تجريدا أو هو مما يدرج فيه من كلام جعفر رضي الله تعالى عنه وعلى الاول هو من كلام المنادى وليس هذا مما يقال بالرأي فهو حديث له حكم الرفع وما قيل من انه يؤدي الى الاتكال وعدم العمل مما لا يلتفت اليه وقد تقدم تتمته قريبا (وروى ابن القاسم) فقيه مصر عبد الرحمن بن القاسم بن خالد بن جنادة صاحب مالك وراوي الموطأ عنه وهو من الثقات توفي سنة احدى وتسعين ومائة (في سماعه) أعني كتابا له في مسموعاته عن شيوخه (وابن وهب) أبو محمد عبد الله ابن وهب تفقه بمالك وروى عنه وعن غيره كابن دينار والليث بن سعد وصنف الموطأ الكبير والموطا الصغير وكان أسن من ابن القاسم بثلاث سنين وعاش بعده خمس سنين (في جامعه) وهو اسم كتاب له ألفه على الابواب بخلاف ما ألفه على الصحابة فانه من المسانيد (عن مالك) محيي السنة وامام دار الهجرة الامام المشهور رحمه الله تعالى (قال سمعت أهل مكة يقولون ما من بيت فيه اسم محمد) أي مسمى باسمه أو المراد ظاهره لانه لا يكون الاسم بدون مسماه (الا نمى) أي زاد ذلك البيت بكثرة الاولاد والاهل فيه وزادت البركة فيه (ورزقوا) أي زاد الله رزقهم ببركة ذلك الاسم وفي نسخة الا وقدوقوا من الوقاية أي حفظهم الله من كل سوء واسم محمد يحتمل ان يكون اضافته بيانية أي اسم هو محمد فيختص بهذا الاسم أو لامية أي اسم من أسماء هذه الذات فيشمل جميع أسمائه وفي نسخة (ورزق جيرانهم) جمع جار وهو لغة الملاصق وشرعا الى أربعين دارا ويحتمل ارادة هذا أيضا لان بركته تعم جميع الدنيا (وعنه صلى الله تعالى عليه وسلم) في حديث مرفوع مسند كما قاله السيوطي وذكر سنده (ما ضر أحدكم) ما نافية وأحدكم مفعول ضر (وان يكون في بيته محمد ومحمدان وثلاثة) فاعله في محل رفع ولا يصح كونها موصولة ونفي الضرر المراد به وجود النفع ولكن هذا يستعمل للحث يعني لو لم يكن فيه ضرر كفى سببا فكيف وفيه نفع عظيم وأي نفع ويجوز أن يكون استفهامية وان يكون مجرورا بحرف مقدر أي أي شئ حصل له من الضرر لكونه في بيته وتوهم بعضهم انه لا يصح لان أن يكون فاعله فتبقى الجملة التي هي خبر عنها بلا عائد فيها وعندي انه أحسن لقول الناس ما ضرك لو صليت لمن ترك الصلاة وهذا فيه حث عظيم حتى لا يتركه الا لمانع وضرر والاستعمال عليه وكون الضرر باعتبار الالتباس في

تعدد المسمى باسم واشتقاق مما لا يلتفت اليه وفي بعض النسخ (وعن علي رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما اجتمع قوم في مشورة) بفتح الميم وضم الشين المعجمة ويجوز سكونها أي في أمر يتشاورون فيه (معهم رجل اسمه محمد لم يدخلوه في مشورتهم الا لم يبارك لهم رواه جماعة منهم ابن عتاب) لان من تسمى به يبارك الله فيه ويلقن الرأي السديد ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم ومن أعرض عنه كان بضد ذلك (وعن عبد الله بن مسعود) رضي الله عنه في حديث رواه أحمد والبزار والطبراني بسند رجاله ثقات وهو وان كان موقوفا له حكم الرفع لان مثله لا يقال من قبل الرأي كما اتفق عليه في مصطلح الحديث أكثر المحدثين (ان الله نظر الى قلوب العباد) وما فيها من العقل وقيل المراد أرواحهم لان القلوب تطلق عليها (فاختار منها قلب محمد) أي اصطفاه وارتضاه (فاصطفاه لنفسه (٢)) أي جعله صفيا له مقربا منه مختصا به لا تعلق له بغير الله في ظاهره وباطنه ولذا جعله محلا لسره ومبلغا لأوامره ونواهيه وهذا كله على طريق التمثيل فهو استعارة أي عامله معاملة عظماء الملوك الذين ينتخبون من الناس من يكون وزيرا مخزنا لاسرارهم والمراد ان روحه وقلبه أشرف مما عداه فلذا كان مقربا عنده وخليفة له وفي اطلاق النفس على الله من غير مشاكلة كقوله تعالى ويحذركم الله نفسه وادعاء انه مشاكلة تقديرية تكلف فقول أهل المعاني انه لا يطلق عليه الا مشاكلة كقوله تعالى تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك غير صحيح وجمع بين القولين بعض المحققين فقال النفس لها معنيان الذات وهذا يصح اطلاقه من غير مشاكلة والجسم وما يلزمه من النفس اللوامة والامارة وهذا لا يطلق عليه الا مشاكلة (وحكى النقاش) أبو بكر محمد بن الحسن المفسر المشهور وقد تقدمت ترجمته (ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لما نزلت) آية (وما كان لكم) أي لا ينبغي لكم ولا يحل ولا يجوز (ان تؤذوا رسول الله) بأي أذية كانت (ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده) أي بعد موته (أبدا الآية) لان حرمتهن مؤبدة وهي أمهات المؤمنين حتى قال الشافعي رضي الله تعالى عنه من استحل ذلك كان كافرا لانه صلى الله تعالى عليه وسلم حي لم تزل عصمته عنهن وهن معه في الجنة وكسوتهن ونفقتهن من بيت المال وسبب نزول هذه الآية ان بعض المنافقين قال ان مات محمد تزوجت عائشة وما قيل ان القائل ذلك طلحة أحد العشرة المبشرة وانه ندم فحج ماشيا وأعتق رقبة وحمل على عشرة أفراس في سبيل الله كفارة لمقالته لا يصح لان مثله لا يصدر عنه مثل ذلك بل لا يصدر ممن دونه بطبقات (قام خطيبا) على عادته صلى الله تعالى عليه وسلم فيما اذا بلغه ما لا يجوز وأراد اعلام الناس به (فقال) في خطبته (يا معشر أهل الايمان) المعشر الجماعة (ان الله فضلني عليكم تفضيلا) عظيما تفضل به على الامة (وفضل نسائي على نسائكم تفضيلا الحديث) لانهن أفضل من جميع نساء عصره وفي فضل بعضهن على بعض كلام ليس هذا محله وأشار به الى عدم كفاءة أحد لهن وان كان الله خصه بما لا يجوز لاحد نكاح زوجاته لما مر

(فصل في تفضيله صلى الله تعالى عليه وسلم بما تضمنته كرامة الاسراء) أي ما اشتملت عليه قصة الاسراء ووقع في ضمنها مما فضله الله به على سائر الرسل عليهم الصلاة والسلام والمراد ما أكرمه الله به من خارق العادة وليس المراد به ما يقابل المعجزة فانه من أعظم معجزاته وقد أعلم به وبما فيه من فضله ولك ان تقول المراد به ظاهره لانه أمر لا يطلع عليه غيره وما هو كذلك لا يتحدى به ولذلك عبر المصنف عنه بالكرامة والباء للتعدية أو السببية والاسراء مصدر أسرى ويقال سرى وأسرى اذا سار ليلا واختلف فيهما فقيل هما بمعنى وقيل بينهما فرق فقيل أسرى سار من أول الليل وسرى سار من آخره وقيل العرب تقول سرى ليلا اذا سار بعضه وأسرى ليلة اذا سار جميعها ولا يقال أسرى

(وعن ابن مسعود) كما رواه أحمد والبزار والطبراني (ان الله تعالى نظر الى قلوب العباد) أي جميعهم من أولهم الى آخرهم (فاختار منها قلب محمد عليه الصلاة والسلام فاصطفاه لنفسه) أي اختاره لذاته أن يكون مظهر صفاته (فبعثه برسالته) أي الى جميع كائناته (وحكى النقاش ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لما نزلت وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا الآية) تمامها ان ذلكم كان عند الله عظيما (قام خطيبا فقال يا معشر أهل الايمان ان الله فضلني عليكم تفضيلا) أي زائدا يليق بقدره وهو على وفق محله (وفضل نسائي على نسائكم تفضيلا) أي احتراما له وتكريما ورفعا لشأنه وتعظيما

(فصل)

(في تفضيله بما تضمنته كرامة الاسراء

(٢) فبعثه برسالته نسخة اهـ

ليلا

ليلا الا اذا وقع سيره في اثنائه فاذا وقع في أوله قيل ادلج فعنى اسرى بعبده ليلا انه في وسطه وأسرى متعد ومفعوله محذوف هنا أي أسرى البراق وقيل انه لازم لسرى وانهما متغايران معنى كما ولفظا لان سرى من السرى وأسرى من السراة وهي الظهر فعنى أسرى به ذهب به في سراة الارض وهي ظهرها كذا في المفردات ويدل على تغايرهما اتفاقهما على التعبير بالاسراء هنا دون السرى واتفاقهم على القراءة به فصار معناه سيره الى بيت المقدس فالاسراء غير المعراج كما سيأتي ثم بين ما تضمنه بقوله (من المناجاة) وهي الكلام سرا لان السر يقال له نجوى وتختص المناجاة في العرف بكلام العبد مع ربه كمناجاة موسى صلى الله تعالى عليه وسلم (والرؤية) أي رؤيته صلى الله تعالى عليه وسلم لربه بعين بصره أو رؤيته ما في الملأ الاعلى من العجائب ورأى اذا كانت بصرية مصدرها رؤية واذا كانت علمية مصدرها رؤيا واذا كانت اعتقادية مصدرها رأى * وقال السهيلي الرؤيا تكون بمعنى الرؤية أيضا وله شواهد في كلام العرب وعليه قول المتنبي * ورؤياك أحلى في العيون من الغمض * فلا يرد عليه شئ كما توهم وما يقوله صلى الله تعالى عليه وسلم بمنزلة ما يرويه (وامامة الانبياء) أي صلاته صلى الله تعالى عليه وسلم بالانبياء اماما لهم فانه يدل على تفضيله عليه الصلاة والسلام ولذا استدل على تقديم أبي بكر رضي الله تعالى عنه في الفضل بتقديم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم له في الصلاة في مرض موته وقالوا لا نرضى لدنيانا ما رضيه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لديننا (والعروج به الى سدرة المنتهى) العروج بمعنى الصعود في جهة العلو وفعله عرج يعرج كقتل يقتل ويأتي في الحديث عرج بي بفتحتين وقال المصنف رحمه الله تعالى انه بضم العين وكسر الراء ومنه المعراج والمعراج بكسر الميم وهو السلم ذو الدرج وجمعه معارج ومعاريج وللسماء معراج تصعد فيه أرواح الموتى وهو الذي يشخص اليه بصر المحتضر لما يرى من نوره وحسنه فاذا رآه لم يتمالك روحه ان تخرج وبه تصعد الملائكة بالاعمال وبه فسر قوله ذي المعارج فالاسراء سيره صلى الله تعالى عليه وسلم لبيت المقدس والمعراج صعوده للسماء وهو مصدر ميمي أو اسم السلم أطلق عليه أو فيه مقدر وقد يطلق الاسراء على جميع الاسراء والمعراج ويطلق المعراج على كل ذلك مجازا فقيل انه تغليب وفيه نظر والسدرة شجرة معروفة وهي شجرة النبق وقيل للتي في الجنة سدرة المنتهى وهذه الشجرة في السماء السابعة وقيل في السادسة واقتصر عليه المصنف رحمه الله فيما يأتي وجمع بينهما بان أصلها في السادسة وأعلاها في السابعة ويأتي ان نبقها كقلال هجر وان أوراقها كآذان الفيلة وانه يغشاها نور من الله وفراش من ذهب وانه يسير الراكب في ظلها مائة عام ويخرج من أصلها انهار أربعة منها النيل والفرات وانه انما سميت سدرة المنتهى لانه ينتهى اليها ما يهبط من فوقها وما يصعد من تحتها وقيل انه ينتهى اليها علم الخلائق فلا يعلم وراؤه أو منتهى الملائكة فلا يتجاوزونها وقيل لان من وصل اليها انتهى لاقصى الكرامة الى غير ذلك من الاقوال (ومارأى من آيات ربه الكبرى) ما موصولة عائدها مقدر أي رآه أو مصدرية والكبرى مفعول رأى ومن آياته بيان مقدم عليه أو هو صفة لآياته ومن تبعيضية أو زائدة وآيات الله كل ما رآه مما يدل على عظمته أو جبريل على صورته الاصلية أو ما يغشى السدرة من الانوار التي لا يمكن النظر اليها ولا وصفها وقيل هو رفرف أخضر سد السماء والرفرف ما يسمى بالفارسية سايبان وقيل انه بساط (ومن خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم) أي ما خصه الله به من دون الانبياء عليهم الصلاة والسلام مع ماله من المعجزات التي تساوي معجزات سائر الانبياء كما فصل في محله (قصة الاسراء وما انطوت عليه) أي احتوت عليه وتضمنته (من درجات الرفعة) أي العلو في

من المناجاة) أي المكالمة (والرؤية) أي البصرية أو القلبية (وامامة الانبياء) أي امامته لهم في بيت المقدس (والعروج به الى سدرة المنتهى) فانها ينتهى اليها ما ينزل من فوقها وما يصعد من تحتها (ومارأى من آيات ربه الكبرى) هذا بيان قضيته اجمالا واما تفصيل قصته في الجملة كما لا فقوله (ومن خصائصه عليه الصلاة والسلام) أي من جملة ما خص به في الاعطاء ولم يعط مثله لسائر الانبياء (قصة الاسراء) أي اسرائه الى السماء (وما انطوت) أي اشتملت (عليه من درجات الرفعة) أي بحسب ما ثبت في أنباء الانباء

(مما نبه عليه الكتاب العزيز) أى من بعض الاسرار (وشرحته صحاح الاخبار) أى وبينته الاحاديث والآثار وفى نسخة صحائح الاخبار قال الحلبي وكلاهما جمع صحيح واطلاق كل منهما فصيح (قال الله تعالى سبحان الذى أسرى بعبده) أى سيره (ليلا) منصوب على الظرفية وتنكيره للدلالة على تقليل المدة الاسرائية مع ما فيه من الصنعة التجريدية فان السرى والاسراء كلاهما هو السير بالليل واختير زيادة الهمزة للمبالغة فى مقام التعدية المقرونة بالمصاحبة والمعية المشيرة الى التخلية من مقام التفرقة الى التحلية والتجلية فى مرتبة الجمعية (من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الآية) أى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير ثم سبحان علم للتسبيح بمعنى التنزيه ولعل ايراده هنا للتنبيه على انه منزه عن المكان وان اسراءه عليه الصلاة والسلام لاعلاء الشان ولاطلاعه على عجائب الملك والملكوت فى ذلك الزمان وهو مضاف الى الموصول الذى بعده كما يدل عليه قوله فسبحان الله ونحوه ونصبه على المصدرية وأغرب الشمنى فى اعرابه حيث قال وهو غير منصرف لوجود الزيادة والعلمية وقال والنجم اذا هوى الى قوله لقد رأى من آيات ربه الكبرى وقد ألفت رسالة مستقلة فى خصوص هذه المسئلة وبدأتها بتفسير صدر سورة الاسراء وختمتها بتفسير صدر سورة النجم وذكرت فيما بينهما بعض ما يتعلق بهذه الكرامة العظمى وسميتها المدارج العلوى فى المعراج النبوى وههنا اتبع كلام الشيخ فى تبيين مبناه وتعيين معناه واتتبع كلام شراحه وحواشيه واختار ما ألفاه من مقتضاه ثم الظاهر من الآية المذكورة ان ابتداء الاسراء كان من نفس المسجد لحديث بينا انا فى الحجر عند البيت بين النائم واليقظان أتانى جبريل بالبراق وليطابق المبتدأ المنتهى لانه ليس حرم للمسجد الاقصى أو من الحرم كما قال صاحب البردة للنبي

* سريت من حرم ليلا الى حرم * وسماه مسجدا لاحاطته به ولحديث انه كان فى بيت أم هانئ بعد صلاة العشاء فاسرى به ورجع من ليلته وقص عليها من قصته ويمكن الجمع بينهما بان كان فى بيت أم هانئ فرجع بعد صلاة العشاء الى المسجد وأتى الحجر عند البيت كما يشير اليه قوله بين النائم واليقظان ثم عند نزوله رجع اليها وقص عليها القصة وكان ذلك قبل الهجرة بسنة ثم وجه تسميته الاقصى لبعد المسافة بينه وبين المسجد الحرام والمراد بركة حوله بركات الدين والدنيا لانه مهبط الوحى ومتعبد الانبياء من لدن موسى الى زمن عيسى عليهم الصلاة والسلام وهو محفوف بالانهار والاشجار والازهار والاثمار وفى الحديث بارك الله فيما بين العريش والفرات وخص فلسطين بالتقديس ذكره الدلجى ومن جملة اراءة الآيات ذهابه فى لحظة مسيرة أربعين ليلة ورؤيته بيت المقدس للانبياء وامامته لهم مع علو حالاتهم ووقوفه على مقاماتهم

الرتبة والدرجة المرقاة الحسية فشبه ما أعطيه من المراتب المعنوية بالمراقى الحسية واستعار لها اسمها استعارة مصرحة (مما نبه عليه فى كتابه العزيز) فى سورة الاسراء وسورة النجم (وشرحته) أى كشفته وبينته (صحاح الاخبار) وفى بعض النسخ صحائح الاخبار وكلاهما جمع صحيح قال فى القاموس يقال صح يصح فهو صحيح وقوم صحاح بكسر الصاد وصحائح انتهى وصحاح بفتح الصاد بمعنى صحيح أو مصدر بمعنى الصحة وهو من اضافة الصفة للموصوف أى الاخبار الصحاح وهى ما رواه الثقات بسند متصل وسلم من الشذوذ والعلة القادحة كما فصل فى مصطلح الحديث (قال تعالى سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الآية) وقدم الكلام على لفظ الاسراء وسبحان منصوب على المصدرية وهو علم جنس لمعنى كفجار وغدوة فاذا أضيف قصد تنكيره فان علم الجنس منكر كعلم الشخص وأنكره بعضهم بناء على انه غير معين فلا يتصور تنكيره وعلى العلمية هو ممنوع من الصرف فاذا نكر صرف وأنكر بعض النحاة علميته وخطأ من قال به كما ذكره أبو على فى تذكرته والكلام فيه طويل الذيل فسبحان مصدر بمعنى التسبيح والتنزيه أو اسم مصدر وابتداء السورة والقصة به لانه لما ذكر الاسراء والرؤية ربما توهم ان الله تعالى فى جهة فنزهه عن ذلك وهى مع التنزيه تدل على التعجب ولما كذبوه فى الاسراء نزهه الله عن الكذب وعجب عباده فى نسبته لمثله ومما أنعم عليه من النعم التى خصه بها قيل ويحتمل ان يكون بمعنى الامر أى سبحوه تسبيحا وقال ليلا أى فى مدة قليلة ولذا ذكره ونكره مع ان السرى يختص به كما مر وقال بعبده لان صفة العبودية أشرف الصفات واضافه له تشريفا وايماء الى انه مجرد لدخول سرادق العز والمسجد الحرام يخص المسجد نفسه ويكون لمطلق الحرم وكل منهما صحيح هنا واسراؤه به صلى الله تعالى عليه وسلم كان من الحجر وهو نائم به وروى انه كان فى بيت أم هانئ وجمع بينهما بان جبريل أتاه فى بيت أم هانئ فايقظه جبريل عليه الصلاة والسلام وذهب به الى الحرم ثم تباطأ لمجيئه فنام فى الحجر والمسجد الاقصى بيت المقدس سمى به لبعده عن المسجد الحرام وضمير انه هو لله أى هو السميع لما قيل فى حقه والبصير المطلع على أحواله وقيل انه

(وقال) أى الله سبحانه وتعالى (والنجم) أى الثريا أو نجوم السماء أو الرجوم من النجوم أو الكواكب اذا انتثرت أو نجوم القرآن (اذا هوى) أى غرب أو طلع أو انقض أو انتثر أو نزل وانتشر (الى قوله لقد رأى من آيات ربه الكبرى ولا خلاف) كذا بالواو وبلا خلاف فى النسخ المصححة وفى أصل الدلجى فلا بالفاء فحاول ان الفاء فصيحة أى اذا كان الامر كذلك فلا ريب (بين المسلمين) أى من أهل السنة وطائفة المعتزلة وغيرهم (فى صحة الاسراء به عليه الصلاة والسلام) أى بطريق اجمال المرام (اذ هو نص القرآن) أى وعليه اجماع أئمة الاسلام الا ان المعتزلة ومن تبعهم من المبتدعة قصروا الاسراء الى بيت المقدس لا الى السماء فمن أنكر مطلق الاسراء فهو كافر بلا امتراء (وجاءت بتفصيله وشرح عجائبه) أى بسط غرائبه (وخواص محمد فيه) أى وظهور خصوصياته فى اسرائه وتنزلاته فى مراتب سنائه (أحاديث كثيرة منتشرة) أى مشتهرة كادت ان تكون متواترة (رأينا ان نقدم أكملها) أى أكمل الاحاديث الواردة فى لاسراء تسريحا وتوضيحا (ونشير الى زيادة من غيره) أى غير أكملها تلويحا وترشيحا (يجب ذكرها) أى يتعين بيانها تحقيقا وتصحيحا (حدثنا القاضى الشهيد أبو على) أى ابن سكرة (والفقيه أبو بحر) بفتح موحدة وسكون مهملة وهو ابن العاص (بسماعى عليهما) أى منهما أو واقع على كلامهما (والقاضى أبو عبد الله التميمى وغير واحد) أى وكثير (من شيوخنا) أى المحدثين (قالوا) أى كلهم (حدثنا أبو العباس العذرى) بضم مهملة وسكون ذال معجمة نسبة الى عذرة قبيلة (حدثنا أبو العباس الرازى حدثنا أبو أحمد الجلودى) بضم الجيم (حدثنا ابن سفيان حدثنا مسلم بن الحجاج) أى صاحب الصحيح (حدثنا شيبان بن فروخ) بفتح فاء وضم راء مشددة فواو ساكنة فمعجمة غير منصرف للعجمة والعلمية وصرفه فى نسخة قال التلمسانى وصرفه أكثر قيل عنده خمسون ألف حديث وهو من التابعين

للنبى صلى الله عليه وسلم أى هو السميع لكلام ربه المشاهد لآياته (وقال عز وجل والنجم اذا هوى الى قوله لقد رأى من آيات ربه الكبرى) الواو للقسم والنجم عام لكل نجم أو المراد به الثريا الغلبته عليه أو المراد به نجوم القرآن المنزلة عليه وهو بمعنى غرب أو انقض أو طلع أو نزل عليه وحيه وأقسم به لوقوع ذلك ليلا وله تعالى ان يقسم بما شاء أو التقدير ورب النجم والكلام عليه مبسوط فى التفاسير اذا علمت ماذكر من النص (فلا خلاف بين المسلمين فى صحة الاسراء به عليه الصلاة والسلام) بحسب النقل الشاهد له العقل والمسلمون يجمعون عليه وانما اختلفوا فى كونه يقظة أو مناما كما سيأتى (اذ هو نص القرآن) تعليل لعدم وقوع الخلاف فيه بعد نص القرآن الذى لا يجحده مسلم (وجاءت بتفصيله) بعدما أجمله النص (وشرح عجائبه) الواقعة فيه (وخواص نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فيه) أى ماخصه الله به فى الاسراء (أحاديث كثيرة منتشرة) وفى نسخة أخبار كثيرة ومعنى منتشرة انها متفرقة فى كتب الاحاديث باسانيد مختلفة (رأينا) من الرأى وهو النظر والتدبر فى الامور المهمة بعدما رأينا جمعها يطول ويعسر (ان نقدم اكملها) أى الحديث الذى هو اكملها أى أجمعها لهذه القصة وأصحها والمراد بتقديمه اختياره كما فى قوله

فقلت له هاتيك نعمى أتمها * ولا تبتئس ان المهم المقدم

وهذا رواه مسلم فلذا جعله أصح من غيره بناء على رأى المغاربة من انه أصح من البخارى (ونشير الى زيادة من غيره) أى من غير هذا الحديث وقعت روايتها لغير مسلم وهى مهمة (يجب ذكرها حدثنا القاضى الشهيد أبو على) هو الحافظ ابن سكرة وقد تقدمت ترجمته (والفقيه أبو بحر) بالباء الموحدة المفتوحة والحاء المهملة الساكنة ابن القاضى الامام المشهور (بسماعى عليهما) أى بسماعى ممن يقرؤ عليهما فان حدثنا يختص بالسماع عند الجمهور وبعضهم يجعلها تشمل السماع وغيره فذكر المصنف هذا الدفع توهم غيره (والقاضى أبو عبد الله التميمى) وهو محمد أبو عبد الله بن عيسى التميمى استاذ المصنف الذى تفقه عليه واليه أشار بقوله (وغير واحد من شيوخنا) والشيخ فى الاصل معناه الكبير سنا ثم صار فى العرف اسما لمن يقرؤ عليه الناس ويستفيدون منه لانه فى الاكثر لا يصل لهذه المرتبة الا من كبر سنه وكان فى العصر الاول يقال لابى بكر وعمر رضى الله عنهما شيخا الاسلام كما ذكره السخاوى (قالوا حدثنا أبو العباس العذرى) بضم العين المهملة وسكون الذال المعجمة والراء المهملة نسبة لبنى عذرة قوم من العرب مشهورون وفى بعض النسخ بواو بدل الراء وهو تحريف من الناسخ قال (حدثنا أبو العباس الرازى) تقدمت ترجمته قال (حدثنا أبو أحمد الجلودى) تقدمت ترجمته وانه يجوز فيه ضم الجيم وفتحها قال (حدثنا ابن سفيان) تقدمت ترجمته قال (حدثنا مسلم بن الحجاج) صاحب الصحيح الامام المشهور قال (حدثنا شيبان) بالشين المعجمة المفتوحة والمثناة التحتية الساكنة والباء الموحدة (بن فروخ) بفتح الفاء وتشديد الراء المهملة المضمومة وواو ساكنة وخاء معجمة وقال ابن حجر فى التبصرة انه بدون واو

والذى نعرفه فى لغة العجم انه بالواو فان صح ما قاله فلعله تغيير بعد التعريب ومعناه السعيد طالعه وهو علم غير منصرف للعلمية والعجمة وقول البرهان انه ضبط فى بعض النسخ بالتنوين خطأ لا ينبغى ذكره وكذا قول التلمسانى انه يصرف ولا يصرف وصرفه أكثر وقال صاحب العين انه اسم لابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام وهو أبو العجم كما فى المطالع ونقله النووى فى شرح مسلم وتبعه صاحب القاموس وهو أبو محمد الحبطى الايلى روى له أصحاب السنن فهو امام ثقة توفى سنة خمس وثلاثين ومائتين وترجمته فى الميزان قال (حدثنا حماد بن سلمة) بن دينار أحد اعلام المحدثين وهو ثقة صدوق لكنه قد يغلط توفى سنة سبع وستين ومائة وترجمته فى الميزان قال (حدثنا ثابت البنانى) بضم الباء الموحدة نسبة لحى من العرب يقال لهم بنانة ونونه مخففة وهو ابن أسلم رأس العلماء العابدين فى عصره توفى سنة سبع وعشرين ومائة وعمره ستة وثمانون وهو ثقة ثابت كاسمه أخرج له أصحاب الكتب الستة وله ترجمة فى الميزان (عن أنس ابن مالك) صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم (ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتيت بالبراق) بزنة غلام وهو من دواب الجنة سمى به لشدة بريقه ولمعانه أو لسرعته كالبرق الخاطف كما مر (وهو دابة) أى على صورتها وهى فى عرف اللغة ذوات الاربع وأصل معناها وضعا كل ما دب أى يتحرك ويمشى من ذوات الارواح وهو يذكر ويؤنث (أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل) أى فى الجثة وأبيض خبر بعد خبر لا صفة دابة وطوله باعتبار ما بين عنقه وذنبه لانه أعون فى مدخطوه وليس المراد طول قوائمه وقيل انه بادى البشرة خده كخد الانسان وعرفه كالفرس وقوائمه كالابل واظلافه وصدره كالبقر وصدره ياقوت لا يشبه الدواب قال ابن المنير فى المقتفى انما أوتى له صلى الله تعالى عليه وسلم بالبراق تأنيساله بجريه على العادة والله تعالى قادر أن يرفعه بغير شئ واظهار الكرامته فان عادة الملوك اذا دعوا من يحبونه بعثوا اليه بمركوب فى وفادته ولم يكن على شكل الفرس تنبيها على انه حال سلم لا حرب واظهارا للآية فى اسراعه العجيب وليس شكله مما يوصف بالسرعة عادة ولذا ركب صلى الله تعالى عليه وسلم البغلة فى حنين اظهار الثباته وشجاعته وتساوى الحرب والسلم عنده وبغلته بيضاء أيضا كالبراق قال ابن المنير أى شهباء والاشهب المائل الى البياض والشاة البرقاء هى البيضاء ومنه البراق ويجوز الجمع فى التسمية بين البياض واللمعان والسرعة (يضع حافره عند منتهى طرفه) الحافر مجاز كالمشفر فان الحافر لا يطلق لغير الخيل ونحوها وهذا له ظلف كما للبقر لكنه لقربه من البغل سماه حافرا ومنتهى مصدر بمعنى الانتهاء كما مر والطرف العين والمراد به النظر ولا يلزمه أن يصل الى السماء بخطوة كما توهم (قال) صلى الله تعالى عليه وسلم (فركبته حتى أتيت بيت المقدس) بفتح الميم وكسر الدال المخففة وتقدم انه يجوز ضمها وفتح الدال المشددة وانه من التقديس وهو التطهير واختلف هل ركب جبريل عليه الصلاة والسلام معه أم لا فقيل ركب معه لانه ورد فى بعض طرق هذا الحديث فما زلت على ظهره أنا وجبريل وسيأتى التصريح به عن حذيفة وحينئذ فيحتمل انه كان خلفه ويؤكده ما تقدم فى عدة ممن أردفهم ويحتمل انه كان قدامه قال ابن المنير والاظهر اختصاصه بالركوب وقد صرح فى الحديث بان صعوده صلى الله تعالى عليه وسلم كان على البراق ولم يذكر ان هبوطه كان عليه فقال الدميرى ان الله أنزله بدونه اظهارا لقدرته وقيل انه هبط به أيضا ولكنه لم يتعرض له اكتفاء بذكر العروج (فربطته) أى البراق (بالحلقة) بفتح الحاء المهملة وسكون اللام وهى معروفة واختلف فى فتح لامها فجوزه بعض أهل اللغة وجعله بعضهم خطأ وقال الليثى بالتحريك جمع حالق ككاتب وكتبة

التى

(حدثنا حماد بن سلمة) أحد الاعلام ٢٣٤ روى عنه شعبة ومالك وأبو نصر التمار قال عمرو بن عاصم كتبت عن حماد بن سلمة بضعة عشر ألفا (حدثنا ثابت البنانى) بضم الموحدة وتخفيف النون بعدها ألف فنون فياء نسبة الى قبيلة بنانة كان رأسا فى العلم والعمل يلبس الثياب الفاخرة ويقال لم يكن فى وقته أعبد منه أخرج له الائمة الستة وقال الذهبى هو ثابت كاسمه (عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال أتيت) بصيغة المجهول المتكلم (بالبراق) بضم الموحدة لشدة بريقه ولمعانه وسرعة سيره وطيرانه كالبرق (وهو دابة) أى مركوب (أبيض) وفيه ايماء الى ما قيل انه ليس بذكر ولا أنثى (طويل) أى مائل الى الطول (فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه) بفتح فسكون أى نظره وبصره (قال فركبته حتى أتيت بيت المقدس) أى حضرته وهو بفتح فسكون فكسر أو على زنة محمد أيضا لان فيه يتقدس من الذنوب أولانه منزه عن العيوب قال التلسمانى وروى باب المقدس (فربطته) أى البراق (بالحلقة) باسكان اللام وفتحها

(التى يربط) بضم الموحدة وكسرها (بها الانبياء) أى دوابهم عند باب المسجد كما صرح به صاحب التحرير وسيأتى فيه ما ينافيه أو البراق ان ثبت ان له الاسراء أيضا الى بيت المقدس ويؤيده ان ابراهيم عليه السلام كان يزورها جر بمكة عليه ويقويه قول جبريل له فما ركبك أحد أكرم على الله تعالى منه كما سيأتى وفى حديث الترمذى من طريق بريدة انه صلى الله تعالى عليه وسلم حين انتهى الى بيت المقدس أشار جبريل عليه السلام الى الصخرة فخرقها وربط البراق بها ويمكن الجمع بانه كان الخرق فيها مسدودا فاظهر خرقها ثم فى ربطه دليل على ان الايمان بالقدر لا يمنع الحازم من توقى المهالك والحذر فى السفر والحضر ومنه قوله عليه الصلاة والسلام أعقل وتوكل وقد قال وهب ابن منبه كذا وجدته فى سبعين كتابا من كتب الله القديمة ثم اعلم ان نسخ الشفاء كلها اتفقت على لفظ بها بضمير المؤنث وهو ظاهر وقال النووى فى شرح مسلم وهو فى الاصول يعنى أصول مسلم به بضمير المذكر اعاده على معنى الحلقة وهو الشئ انتهى ولا يخفى ان الاولى رجع الضمير الى خرقها بحذف مضاف أو ارتكاب مجاز اخر فتدبر (ثم دخلت المسجد) أى الاقصى (فصليت فيه ركعتين) أى تحية المسجد (ثم خرجت) أى منه (فجاءنى جبريل باناء من خمر واناء من لبن) أى امتحانا من الله تعالى قال التلمسانى هكذا فى مسلم وفى البخارى واناء من ماء وروى ثلاثة لبن وخمر وعسل وروى أربعة لبن وخمر وعسل وماء ولعل هذا هو الاظهر حيث عرض عليه من الانهار الاربعة الموعودة فى الجنة واختياره اللبن لانه مغنى عن غيره بخلاف غيره وقيل العسل اشارة لزهرة الحياة الدنيا ولذتها وحلاوتها والماء للغرق ولذا قيل لو اخترته لغرقت وغرقت أمتك ولعل المراد بغرقهم استغراقهم فى جمع المال الذى يؤدى الى سوء الحال ونقصان المآل وأما الخمر فاشارة الى جميع الشهوات (فاخترت اللبن) أى واعرضت عن الخمر وروى فاخذت اللبن (فقال جبريل اخترت الفطرة) أى علامة الاسلام والاستقامة لكونه طيبا طاهرا سهل المرور فى الحلق سليم العاقبة سائغا شرابه وطيبا مذاقه والخمر أم الخبائث جالبة لانواع شرور الحوادث

(التى يربط بها الانبياء) وروى به فى مسلم وفى الشفاء لتاويل الحلقة بشئ ونحوه وقالوا أمر التذكير والتانيث سهل وعبر بالمضارع حكاية للحال الماضية ولم يبين أين كانت الحلقة فقيل كانت بباب المسجد الاقصى والذى فى حديث الترمذى انه صلى الله تعالى عليه وسلم حين انتهى الى بيت المقدس أشار جبريل عليه الصلاة والسلام الى الصخرة فخرقها وربط البراق فيها وهذا هو المعروف ولا أعرف ماقبله عمن نقل ولم يذكر المربوط وظاهر السياق انه البراق بناء على ان الانبياء كانت تركبه وهو الصحيح فان ركبه جميعهم فهو ظاهر والافيراد بالانبياء الجنس وأثبت للجميع فعل البعض وهو جائز واحتمال ان المعنى تربط دوابهم بعيد وكون البراق قوى يمكنه قلع الحلقة بجذبه فلا فائدة فى الربط لا يضر لانه مسخر لا يخالف فعل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وفيه اشارة الى مباشرة الاسباب وانها لا تمنع التوكل وكفى شاهدا أعقلوا وتوكلوا (ثم دخلت المسجد) الاقصى وعطف بثم للتراخى الرتبى وجعل بعد مرتبة المسجد عن الارض التى ليست بمسجد بمنزلة البعد الحقيقى (فصليت فيه ركعتين) تحية المسجد وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يصلى قبل فرض الصلاة بالاسراء وفرض عليه صلاة اختلف فيها فقيل صلاة الليل وقيل صلاة بالغداة وصلاة العشى ونقله ابن الملقن وقال ثم فرضت الصلوات الخمس فى الاسراء من غير تعيين أوقاتها فكانوا يصلونها متى أرادوا مجموعة ومفرقة ثم عينت أوقاتها بوحى من الله (ثم خرجت) من المسجد (فجاءنى جبريل باناء من خمر واناء من لبن) وخيرنى فى شرب أيهما أردت (فاخترت اللبن) باخذه وشربه (فقال جبريل اخترت الفطرة) وروى أخذت الفطرة وقد تقدم ان الفطرة الجبلة والطبيعة التى فطر الناس عليها وتكون بمعنى الاسلام والاستقامة أى ما اخترته هو الموافق للخلقة الانسانية التى خلق الله الناس عليها وللطبائع المستقيمة فان اللبن شراب لذيذ وطعام نافع موافق للانسان سريع النماء ولذا كان غذاء للاطفال دون غيره وفى حديث آخر هديت وهديت أمتك ولو اخترت الخمر لغويت أمتك وفى طريق آخر هدى الله بك أو أصاب بك وروى ان الآنية كانت ثلاثا واناء فيه ماء وفى رواية أربع هى واناء فيه عسل والاصح مارواه المصنف وقال ابن المنير التخيير انما يكون بين واجبين كخصال الكفارة أو مباحين كمجالس الحسن أو ابن سيرين أو ما بين واجب وممنوع أو مباح وممنوع فلا فالتخيير بين الخمر واللبن سواء أريد اباحتهما والاذن فيهما جميعا أو أريد الاذن فى أحدهما لا بعينه مشكل فما معنى تخييره حتى اختار أحدهما وقول جبريل له أصبت الفطرة باختيار اللبن أى تنبت الخلقة عليه وبه نبت اللحم ونشز العظم أو اخترته لانه الحلال الدائم فى دين الاسلام وأما الخمر فحرام فيما سيستقر عليه الامر والذى يرفع الاشكال ان يكون المراد تفويض الامر فى التحريم والتحليل الى اجتهاده الذى وافق فيه الصواب بناء على جواز الاجتهاد له فيما لم يوح اليه شئ وانه صلى الله تعالى عليه وسلم معصوم فى اجتهاده بخلاف غيره انتهى وأجاب غيره

(ثم عرج بنا) أى صعد بنا (الى السماء) بنون المتكلم اما لتعظيمه أوله ولمن معه فالضمير الى الله تعالى أو جبريل أو البراق وفى نسخة صحيحة بصيغة المجهول وجزم به الانطاكى وكذا فيما بعده وهو فى غاية من القبول مع الاشارة الى ان سيره من المسجد الاقصى الى السموات العلى لم يكن بالبراق بل بالمعراج الذى درجة له من ذهب وأخرى من فضة وبه سميت القصة (فاستفتح جبريل) أى باب السماء الدنيا استئذانا للملائكة ولا يبعد ان يكون الاستفتاح كناية عن مجرد الاستئذان فلا يكون هنالك فتح واغلاق وهو الاظهر فى مقام أدب الاجلال والاستحقاق (فقيل من أنت قال) أى جبريل (جبريل) أى أنا جبريل (قيل ومن معك) أى لما كوشف لهم ان أحدا معه واستدلوا باستئذانه على خلاف دأبه ومقتضى شانه (قال محمد) أى هو أو معى محمد (قيل أوقد بعث اليه) أى أطلب وقد بعث اليه للاسراء وصعود السماء وليس استفهاما عن بعثة الدعوة لبلوغها من الظهور فى الملكوت الى مالا يخفى على الخزنة ولكونه أوفق بمقام الاستفتاح والاستئذان فى الجملة وقيل كان سؤالهم استعجابا بما أنعم الله عليه من القربة واستبشارا بعروجه لحصول الرؤية ثم هذا ما مؤذن بان للسموات أبوابا حقيقة وعليها ملائكة موكلة هذا وفى رواية صحيحة أرسل اليه وهو قابل للتاويل المذكور مع انه لا يبعد ان يكون بعثة الرسالة خفيت على بعض الملائكة لكمال اشتغالهم بالعبادة على ماذكره الطبرى (قال قد بعث اليه ففتح لنا

بان الخمر لم تحرم اذ ذاك أو انه كان فى السماء وليست دار تكليف أو هى من جملة خمور الجنة وليست محرمة ويجوز ان يترتب عليها غى أمته كما تترتب القبائح على بعض المباحات قال ابن المنير واللبن فى الرؤيا يعبر بالعلم ففيه اشارة الى انه لما ملئ قلبه ايمانا وحكمة أردف ذلك بالعلم وجعل شرب ذلك اللبن سببا لترادف العلوم عليه وشحن قلبه وقالبه بالانوار والاسرار وان كان يقظة الا انه ربما وقع فى اليقظة اشارات على حكم الفال تعبر كما يعبر المنام ولذا كان صلى الله تعالى عليه وسلم يحب الفال الحسن وجاء فى الحديث انه قدم له الاناآن قبل العروج وجاء فى حديث آخر انه بعده ويجمع بينهما بان تقديمهما له صلى الله تعالى عليه وسلم وقع مرتين وكرر جبريل تصويب فعله تأكيدا للتحذير مما سواه (ثم عرج بنا الى السماء) بفتح العين والراء أى عرج جبريل وصعد وضمير بنا له صلى الله تعالى عليه وسلم والبراق أو هو وله وجبريل وفى نسخة بى وفاعل عرج البراق والباء للتعدية أو المصاحبة وتقدم انه يجوز ضم العين وكسر الراء والسماء هى السماء الدنيا هاهنا ولم يبينه لظهوره (فاستفتح جبريل) وهو اما بقرع لها أو بصوت قيل والظاهر الاول لانهم يعرفون صوته أى طلب فتحها من الملائكة الموكلين بها (فقال) الموكل بها (من أنت) أيها المستفتح (فقال) المستفتح انا (جبريل) فهو خبر بل مبتدأ مقدر هو انا أو المستفتح وفيه اشارة الى ان من دق الباب ينبغى له أن يسمى نفسه ولا يقتصر على قوله انا وان السماء لها أبواب تفتح خلافا للحكماء المانعين للخرق والالتئام عليها (قيل ومن معك قال محمد) عطف على مقدر أى جبريل ومن معك قيل انما استفتح لان معه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ولو كان وحده لم يحتج لاستفتاح وقيل انما استفتح تكريما وتانيساله وقال ابن المنير استفتاحه لان أبوابها مغلقة ولم تفتح الا لاجله صلى الله تعالى عليه وسلم تنويها بقدره ولو صادفها مفتوحة لم يعلم ذلك (قيل وقد بعث اليه) أراد الاستفهام فحذف الهمزة للعلم بها وأصله أوقد بعث اليه والنحويون يمنعون حذفها ويحمل كلامهم على انه اذا لم يكن قرينة على الحذف والا فالحديث حجة عليهم كما قاله ابن المنير فى المقتفى ولم يرد بالبعث بعث النبوة والرسالة فانه كان معلوما لهم وانما المراد انه بعث اليه للمعراج وقول ابن حجر انه يجوز ان يكون استفهاما عن أصل بعثته بالنبوة والبواب لم يطلع عليها لاشتغاله بشانه لا وجه له لان المراد بسؤاله بيان سبب موجب لفتح السماء له ومجرد نبوته ليست تصلح للسببية الا انه يحتمل كونه تعجبا مما أنعم الله به واستبشارا بعروجه وهذا مع ما فيه أحسن مما قاله ابن حجر وفيما ذكر دلالة على ان من أذن له فى شئ يقتضى رفع الموانع عما أذن له فيه فمن أذن له بالبيع أذن له فى قبض الثمن والوكيل اذا أذن له فى شئ أذن له فى لوازمه فلذا لم يطلب البواب الاذن له فى الفتح ولذا قال جبريل (قد بعث اليه ففتح لنا) بالبناء للفاعل والمفعول وفى بعض الطرق ان الخازن قال له مرحبا به ولنعم المجئ جاء قال ابن المنير وفيه دليل على ان حاشية الملك اذا فهموا منه اكرام وافد ان يبشروه وان لم يؤذن لهم فيه وليس هذا من افشاء السر لانه تفرس الرضا به لان استدعاءه انما هو لاكرامه فعجل له بالبشرى ثم أفاد فائدة هنا جليلة منقسمة الى متعبد به لا يقوم غيره مقامه وان أدى معناه كالاحرام بلفظ التكبير والتلبية والتشهد الى ما لا حجر فى لفظه فيقوم مقامه كل ما أدى مؤداه كدعاء الجنازة والقنوت وتسبيح الركوع والسجود ونحوه وهذا انما يعلم من جملة الشريعة اذا علمت هذا فالتحية بالسلام هل هو تعبدى من القبيل الاول أو من الثانى فيقوم مقامه

مايؤدى معناه كاهلا وسهلا ومرحبا ولذا كان بعض المتورعين لايرد سلام من لم يلفظ به ويقول ليس هذا بسلام يستحق الرد وأكثر السلف والخلف على التسمح فيه وهذا الحديث دليل لهم فان الملك حياه بمرحبا ونعم المجىء وكذا من لقيه من الانبياء عليهم الصلاة والسلام ولذا قال صلى الله تعالى عليه وسلم (فاذا أنا بآدم) عليه الصلاة والسلام (فرحب بى ودعالى بخير) أى قال لى مرحبا بك أى جعل الله تعالى مكانك رحبا واسعا وهو كناية عن اكرام نزله وبره واذاهى الفجائية وبدأ بآدم عليه الصلاة والسلام لانه أسبقهم وجودا قال ابن المنير فى المقتفى اختلف طرق المتكلمين على حديث الاسراء فى ذكر الانبياء عليهم الصلاة والسلام وترتيبهم فى السموات فمنهم من لم ير التكلم فى سره أصلا ومنهم من تكلم فيه من مشايخ الصوفية وفيه كلام طويل أفردناه برسالة لايسع المقام تفصيله ثم اختلف هؤلاء فمنهم من قال انما اختص من الانبياء بلقائه صلى الله تعالى عليه وسلم على عرف الناس اذا لقوا الغائب مبتدرين للقائه فالغالب ان يسبق بعضهم بعضا ومنهم من يصادفه ومنهم من لا يصادفه وهذه طريقة ابن بطال فى شرح البخارى وذهب بعض شيوخ الاندلس الى ان ذلك تنبيه على الحالات الخاصة بهؤلاء الانبياء عليهم الصلاة والسلام وتمثيل لما سيتفق له صلى الله تعالى عليه وسلم كما اتفق لهم مما قصد الله تعالى فى كتابه قالوا وهذا يرجع الى فن التعبير فمن رأى فى منامه نبيا كان ذلك دليلا على حاله فآدم عليه الصلاة والسلام تنبيه على الهجرة لخروجه من الجنة بعداوة ابليس وحيلته كخروجه صلى الله تعالى عليه وسلم من مكة بأذية قومه له وللمسلمين وعيسى ويحيى عليهما الصلاة والسلام دليل على ما سيلقاه الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم من أذى اليهود لانهم قتلوا يحيى ورامو اقتل عيسى فرفعه الله اليه وكذلك فعلت اليهود برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذ داروا حول قتله وسموه فى ذراع شاة كانت سببا للشهادة فى قصته المشهورة ويوسف دليل على ما فعل به قومه مما كان سببا لرفعته وظفره عليهم ثم احسانه اليهم وعفوه عنهم كما فعل مع عمه العباس وابن عمه عقيل اذ فداهما وقال يوم فتح مكة اذ عفا عن قريش وأطلق الطلقاء أقول كما قال أخى يوسف لاتثريب عليكم اليوم الى آخره ففعل كما فعل يوسف عليه السلام وهارون دليل على عداوة قومه وان تنقلب بغضتهم مودة كما كان هارون عليه السلام محببا عند بنى اسرائيل حتى آثروه على موسى عليه السلام وادريس دليل على كتبه صلى الله عليه وسلم الى الآفاق لانه أول من خط بالقلم مع رفعته وعروجه وموسى دليل لفتحه عليه السلام مكة وقهر المستهزئين به كما فعل موسى بالجبابرة وابراهيم عليه السلام فى اسناد ظهره للبيت المعمور كحاله فى حجه فى آخر عمره ولذا لقيه فى آخر السموات انتهى وفيه اشارة الى حكمة الترتيب فى منازلهم ولقياهم وهذا مما ينبغى تامله فانه مما تفرد به وللمشايخ فى ذلك كلام كما مر وأشار اليه الشيخ فى فتوحاته وقد تقدم ان اليقظة فيها أحوال كالمنام من الفال ونحوه تعبر كما يعبر الرؤيا ولعمر رضى الله تعالى عنه فى ذلك أمور كثيرة كقوله اذ سال رجلا عن اسمه فقال شهاب قال ابن من قال ابن جمرة قال ممن قال من الحرقة اسم قبيلة فقال أين مسكنك قال بالحرة فقال أين أنت منها قال من ذات لظى فقال أدرك قومك فقد احترقوا فذهب فاذا النار مشتعلة فى بيوتهم وفى هذا الحديث انه رأى رجلا فى سماء الدنيا عن يمينه اسودة وعن شماله اسودة اذا نظر ليمينه ضحك واذا نظر ليساره بكى يعنى آدم وذريته وقد استشكل بانه يعارض قوله تعالى ان الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لاتفتح لهم أبواب السماء والحديث الصحيح ان أرواح الكفرة فى سجين وأسفل سافلين وأجيب بان المراد بذلك أرواح العصاة وما فى الآية والحديث المراد به أرواح الكفار الجاحدين وهؤلاء يرحمهم وقد نهى ابراهيم عليه الصلاة والسلام عن استغفاره لابيه للموعدة التى وعده جعل فى صورة ضبع بذبح حين القائه فى النار حين يحزن عليه وأجيب أيضا بانه يجوز ان تمثل أرواح الاشقياء والسعداء ويراهم

فاذا أنا بآدم صلى الله تعالى عليه وسلم فرحب بى) بتشديد الحاء أى قال لى مرحبا كما ورد مرحبا بالابن الصالح والنبى الصالح أى لقيت رحبا وسعة (ودعالى بخير) أى فى الدارين

(ثم عرج بنا الى السماء الثانيه فاستفتح جبريل فقيل من أنت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل أوقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا) فيه ايماء الى ان أهل كل سماء لا يدرون عن حال أهل سماء أخرى أو أرادوا التلذذ بهذه المذاكرة التى هى بالمحاورة أحرى وفيه اشعار الى غاية بسط الزمان ونهاية طى المكان ولا يبعد ان تكون هذه المكالمة على لسان الملائكة أو بالمناداة من غير الواسطة استقبالا لصاحب الرسالة كما يشير اليه تعبير الافعال بقيل ونحوه فى العبارة فيكون كلام الجبار مع سيد الابرار من وراء الاستار فى لباس الاغيار كما يقتضيه معنى المعية والحالة الجمعية من شهود عين الوحدة فى عين الكثرة (فاذا أنا بابنى الخالة) لان أم يحيى ايشاع أخت مريم (عيسى ابن مريم ويحيى بن زكريا) ممدودا ومقصورا (صلى الله تعالى عليهما وسلم فرحبا بى ودعوا لى بخير) وفى نسخة صحيحة دعيا لى بالياء ففى القاموس دعيت لغة فى دعوت (ثم عرج بنا الى السماء الثالثة فذكر مثل الاول) أى مثل ماذكر فيما قبله من استفتاح الباب والسؤال والجواب وهذا اختصار من المصنف أو من غيره والله تعالى أعلم (ففتح لنا فاذا أنا بيوسف صلى الله تعالى عليه وسلم واذا هو قد أعطى شطر الحسن) أى نصفه أو بعضه والمراد بالحسن جنسه أو حسن حواء أو حسن سارة أو حسن نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وهو الاظهر والله تعالى أعلم وروى فى حديث مرفوع مررت بيوسف الليلة التى عرج بى الى السماء فقلت لجبريل من هذا فقال يوسف فقيل يارسول الله كيف رأيته فقال كالقمر ليلة البدر قال البغوى فى تفسيره انه ورث ذلك الجمال من جدته وكانت قد أعطيت سدس الحسن وقال ابن اسحق ذهب يوسف وأمه يعنى جدته بثلثى الحسن انتهى فالمراد بالشطر البعض والله تعالى أعلم (فرحب بى ودعا لى بخير ثم عرج بنا الى السماء الرابعة وذكر مثله فاذا أنا بادريس عليه الصلاة والسلام) وهو سبط شيث وجد والد نوح أو مرسل بعد آدم عليه السلام وأول من خط بالقلم وخاط اللباس ونظر فى علم النجوم والحساب وأما قولهم ادريس مشتق من الدرس اذ قد روى ان الله تعالى أنزل عليه ثلاثين صحيفة فقلب به لكثرة الدراسة فمدفوع بعدم صرفه للعلمية والعجمة (فرحب بى ودعا لى بخير قال الله تعالى ورفعناه مكانا عليا) هو شرف النبوة ومقام القربة وعن الحسن هو الجنة اذ قال لملك الموت أذقنى الموت ليهون على ففعل باذن الله تعالى ثم حيى فقال ادخلنى النار ازدد رهبة ففعل ثم قال له ادخلنى الجنة ازدد رغبة ففعل ثم قال له أخرج فقال قد ذقت الموت ووردت النار فأنا بخارج فقال الله تعالى باذنى دخل دعه وقيل هو فى السماء الرابعة لهذا الحديث

النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اذ مثلوا له وان لم تكونوا هنالك كما كان صلى الله عليه وسلم يرى من خلف ظهره وهذا هو الجواب عن الاشكال الآخر وهو كيف يرى أرواح السعداء والاشقياء وكثير منهم لم يموتوا وأما كون المراد بالاسودة العصاة فغير مستقيم لان المسلمين كلهم من أصحاب اليمين وعلم مما ران آدم عليه الصلاة والسلام انما كان فى أول السموات لانه أول الانبياء وجودا وليكون أقرب للاولاده فينظر لاسودتهم (ثم عرج بنا الى السماء الثانية) فيه مامر أولا (فاستفتح جبريل) عليه الصلاة والسلام (فقيل من أنت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد) عليه السلام (قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا أنا بابنى الخالة عيسى ابن مريم ويحيى بن زكريا عليهم الصلاة والسلام فرحبا بى ودعوا لى بخير) بالف التثنية وفى بعض الروايات أوقد أرسل اليه وهما بمعنى وقوله ابنى الخالة لان مريم ابنت عمران أختها ايشاع أم يحيى على ماقاله السهيلى وهو الموافق للحديث وارتضى غيره ان مريم بنت حنة بنت فاقوذا وأم يحيى أم أبيه زكريا فاقوذا أيضا فاتحدا فى الجدة فيكونان ابنا خالة لان الخالة أخت أم والجدة يقال لها أم واستدل لهذا بقول زكريا لما أراد كفالة مريم عندى خالتها وارتضى هذا السعد فى شرح الكشاف فعلى هذا فى كونهما ابنا خالة تجوز سهل وقال الازهرى يقال هما ابنا عم ولا يقال ابنا خال ويقال ابنا خالة ولا يقال ابنا عمة لان من كان ابن عم انسان كان الآخر ابن عمه أيضا ومن كان ابن خالة انسان كان الآخر ابن خالته أيضا بخلاف ابن الخال وابن العمة وانما كانا فى السماء الثانية لانه رفع الى السماء وسينزل منها فجعل فى مكان قريب الى الدنيا مع يحيى لانه لدته وبينهما من القرابة والمحبة مالا يوصف ولذا جعلا فى سماء واحدة ولم يكن فى سماء اثنان من الانبياء غيرهما وقال ابن المنير لما كان عيسى عليه الصلاة والسلام سينزل كان معينا ليحيى وحده (ثم عرج بنا الى السماء الثالثة فذكر مثل الاول ففتح لنا فاذا أنا بيوسف) عليه الصلاة والسلام (واذا هو قد أعطى شطر الحسن) تقدم معناه وان الشطر النصف (فرحب بى ودعا لى بخير) لم يذكر الدعاء والقول بانه قوله مرحبا لاوجه له فانه لا يسمى دعاء ولما كان لقاؤه له صلى الله تعالى عليه وسلم دليلا على مفارقة أهله ووطنه على وجه يؤول لعزة ونصرة وهو بعد البعثة والدعوة فهو الثالث من أطواره رآه فى الثالثة وقد تقدم بسطه (ثم عرج بنا الى السماء الرابعة وذكر مثله فاذا أنا بادريس) عليه الصلاة والسلام (فرحب بى ودعا لى بخير قال الله تعالى ورفعناه مكانا عليا) ولما ترادف الوحى عليه عليه الصلاة والسلام بعد الهجرة وأظهر المؤمنون

(ثم عرج بنا الى السماء الخامسة فذكر مثله فاذا أنا بهرون فرحب بي ودعالي بخير ثم عرج بنا الى السماء السادسة فذكر مثله فاذا أنا بموسى فرحب بي ودعالي بخير ثم عرج بنا الى السماء السابعة فذكر مثله فاذا أنا بابراهيم مسندا) بصيغة الفاعل منصوب على الحال كما في مسلم وشرح السنة وفي بعض نسخ المصابيح مرفوع على انه خبر مبتدأ محذوف أي وهو مسند (ظهره الى البيت المعمور) قال المصنف يستدل به على الاستناد الى القبلة وتحويل الظهر الى الكعبة وفي استدلاله نظر لاحتمال كون ابراهيم حينئذ متوجها الى الكعبة أو الى العرش على خلاف أيهما أفضل في باب الاستقبال أو باعتبار نظر ذي الجلال مع احتمال ان يكون التقدير مسندا ظهره الى شيء من اجزاء السماء أو الى طرف بابها متوجها الى البيت المعمور (واذا هو يدخل فيه كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون اليه) أي لكثرتهم وقد روي عن علي كرم الله وجهه انه قال البيت المعمور في السماء الرابعة يقال له الضراح وهو بمعجمة مضمومة ومهملة بينهما راء فالف من الضراحة بمعنى المقابلة اذ هو مقابل للكعبة كما قاله ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ومن رواه بصاد مهملة فقد تصحف بصراح الغلط وروى أبو هريرة انه في السماء الدنيا وقيل في الرابعة وقيل في السادسة ولعل كل بيت في كل سماء يسمى بيت المعمور بالمعنى المذكور وانه في السماء السابعة على القول المشهور الوارد في حقه انه نقل من محل الكعبة الى السماء كما بين في محله المسطور (ثم ذهب بي) أي جبريل وضبطه الانطاكي بصيغة المفعول (الى سدرة المنتهى) أي ينتهي علم الخلائق عندها وخصت السدرة لان ظلها مديد وطعمها لذيذ ورائحتها طيبة فشابهت الايمان الذي يجمع قولا ونية وعملا فظلها من الايمان بمنزلة العمل لتجاوزه وامتداده وطعمها بمنزلة النية لكمونه ورائحتها بمنزلة القول لظهوره

شعائر الاسلام وهو طور رابع رأى ادريس في الرابعة لشهرة علمه وكتابته وفيه عز الاسلام وكمال رفعته وفي تلاوة الآية ايماء لهذا وادريس اسمه اخنوخ بالعبرية وهو سبط شيث وجد أبي نوح وهو المثلث بالحكمة لانه أول من نظر في النجوم وخط ودرس وقال له صلى الله تعالى عليه وسلم في الرواية المشهورة مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح وفي اخرى شاذة بالابن الصالح وهو الظاهر وقد استشكل كونه أخا مع انه جد اعلى حتى قال بعضهم ان ادريس الذي لقيه غير ادريس هذا وهو الياس وروي هذا عن ابن مسعود رضي الله عنه وعلى هذا الاشكال وقيل المراد اخوة النبوة والاسلام واختلف في رفع ادريس الى السماء هل هو بعد موته كما رفع سائر الانبياء أو في حياته كعيسى ففي قصص الانبياء ان الملائكة عليهم الصلاة والسلام احبته لكثرة عبادته فسأل ربه ان يذيقه الموت ملك الموت حتى يهون عليه فاذاقه ثم حيي ثم سأله ان يورده النار ليزداد رهبة فاورده ثم خرج منها فسأله ان يدخله الجنة ليزداد رغبة فيها فادخلها فلما قيل له أخرج قال يارب اني ذقت الموت ووردت النار ودخلت الجنة وقد وعدت من دخلها ان لا يخرج منها أبدا فاوحى الله لخازنها دعه فبإذني فعل ما فعل فبقي في الجنة في السماء الرابعة نقله ابن المنير ونبه على وجه كونه في الرابعة على الاصح وقيل انه في الثانية وقيل في السادسة (ثم عرج بنا الى السماء الخامسة فذكر مثله فاذا أنا بهارون) عليه الصلاة والسلام (فرحب بي ودعالي بخير) جعل في الخامسة لانه كالوزير لموسى عليه الصلاة والسلام لا يفارقه فلذا كان في جواره (ثم عرج بنا الى السماء السادسة فذكر مثله فاذا أنا بموسى) عليه الصلاة والسلام (فرحب بي ودعالي بخير) لما كان أجل الانبياء بعد ابراهيم عليه الصلاة والسلام وكتابه أعظم الكتب قبل القرآن وجاهد في سبيل الله وظفر بعالم لم يظفر به غيره رفعت مرتبته على غيره وتوفي في حظائر القدس تحت منزلة الخليل فكان في السادسة (ثم عرج بنا الى السماء السابعة فذكر مثله فاذا أنا بابراهيم) عليه الصلاة والسلام لما كان ابراهيم عليه الصلاة والسلام أفضل الانبياء قبل نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وهو خليل الرحمن كان أرفعهم منزلة وما ذكرناه في وجه التخصيص والترتيب هو بالنظر للظاهر نظر المناسبة الحال بنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وما استدل به عليه ولعل هناك مناسبة أخرى بين أهل كل سماء ومن فيها من الرسل وهذا مما لا نعرفه (مسندا ظهره الى البيت المعمور) وهو بيت تطوف به الملائكة وتحج له للعبادة وهو محاذ للكعبة ويسمى الضراح بضم الضاد المعجمة وراء وحاء مهملتين وسمي معمورا لكثرة الملائكة فيه قال التلمساني قيل فيه دلالة على ان الافضل في غير الصلاة استناد الظهر للقبلة وقيل الافضل استقبالها فعلى هذا لعله اسند ظهره ليتوجه للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم ويخاطبه بما امر وانما أسند ظهره للبيت لانه الذي أول من بنى الكعبة من الناس أولا (واذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون اليه) لان حجهم كفرض الحج علينا أو لاشتغال غيرهم وكونه في السابعة حذاء العرش هو الاصح وقيل انه في الرابعة (ثم ذهب بي الى سدرة المنتهى) لم يقل عرج لانها في السماء السابعة وتقدم

(واذا ورقها كآذان الفيلة) بكسر فاء وفتح تحتية جمع فيل قيل والآذان بالمد جمع الاذن (واذا ثمرها) كذا في النسخ المصححة ووقع في أصل الدلجي واذا نبقها (كالقلال) بكسر القاف جمع قلة كقباب جمع قبة وفي رواية كقلال هجر بفتحتين مدينة قرب المدينة يعمل بها القلال تسع الواحدة مزادة من الماء سميت قلة لانها تقل أي ترفع وتحمل وليست بهجر الذي هو من توابع البحرين (قال فلماغشيها) بفتح فكسر أي علاها وغطاها (من أمر الله تعالى) أي من أجل أمره وارادته أو من آثار عظمته

وأنوار قدرته (ماغشي) أي ماغشيها كما في نسخة وهو مستفاد من قوله تعالى اذ يغشى السدرة مايغشى (تغيرت) أي السدرة (مما غشيها) من اسرار القدرة (فما أحد من خلق الله تعالى يستطيع) أي يقدر (ان ينعتها) أي يصف كيفية غشيتها أوماهية ماغشيها (من حسنها) أي من غاية ضيائها ونهايتها بهائها فقيل هو فراش من ذهب فقيل لعله شبه ماغشيها من الانوار التي تنبعث منها وتتساقط على مواقعها بالفراش وجعلها من الذهب لاضاءتها وصفاء ذاتها وعن الحسن غشيها نور رب العزة فاستنارت (فاوحى الله الى ماأوحى) وهو تفسير لقوله تعالى فاوحى الى عبده ماأوحى وفي ابهامه تفخيم للوحي كما لايخفى (ففرض) أي الله تعالى كما في نسخة (على خمسين صلاة في كل يوم وليلة) لانه بيان لما أوحى كله أو بعضه (فنزلت الى موسى) أي منتهيا اليه (فقال مافرض ربك على أمتك فقلت خمسين صلاة قال ارجع الى ربك فاسئله التخفيف) أي تخفيف هذا التكليف وان كان متضمنا للتعريف والتشريف ويجوز في فاسئله التخفيف بالنقل وغيره كما قرئ بهما في السبعة

معني سدرة المنتهى (واذا ورقها كآذان الفيلة) بكسر الفاء وفتح المثناة التحتية جمع فيل وانما شبهه بها وان لم يكن بارض الحجاز لانها كثيرة في بلاد الحبش وهم كثيرا ما يأتونها للتجارة واليها كانت الهجرة الاولى فهم يعرفونها والا فالتشبيه بما لا يعرف عادة غير مقبولة (وثمرها كالقلال) جمع قلة وهي الجرة وشبهها بها لمد ظلها ولطف ورقها وطيب ثمرها وحسن رائحته وان كان شجر الجنة انما يحكي أمور الدنيا صورة والفرق بعيد (قال فلماغشيها) أي طرأ عليها وغطاها (من أمر الله) الظاهر ان المراد بامر الله وحيه أو تجليه لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فانها بذلك أشرق عليها نور الهي فزهت به وحسنت حسنا لا ينعت ونور لا يمكن ان تقابله الابصار لقوله بعده (ماغشي) أي أمر عظيم غشي فان الابهام بمثله يفيده كقوله تعالى الحاقة ما الحاقة وامثاله (تغيرت) أي عن حالها التي كانت عليه (فما أحد من خلق الله يستطيع) ويقدر (ان ينعتها من) أجل (حسنها) الذي طرأ عليها لكونها من أشجار الجنة المعتادة لاشراق تلك الانوار عليها ولو كانت من أشجار الارض احترقت كما صار الجبل دكا ويدل على ماقلناه قوله (فاوحى الله الى ماأوحى) وفي هذا الابهام تعظيم وتكثير لطرق الكناية الابهامية حتى كانه مما لايمكن ان يدرك فينعت وفي هذا الموصول وتعريفه اشكال أجبنا عنه في حواشي التسهيل لان ما موصولة تتعرف بالعهد الذي في الصلة فاذا كانت كذلك كيف تكون الجملة معهودة معروفة وقيل المراد بها الملائكة التي تغشاها فانه شاهد على كل ورقة منها ملكا وقيل فراش من ذهب وجواهر نزل عليها أو جراد من ذلك وقال مجاهد رفرف أخضر وقيل طيور خضر وانما نهى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عن قطع السدر لذلك وفسر ما أوحى بقوله (ففرض على) وعلى أمتي (خمسين صلاة) تكون (في كل يوم وليلة) وقيل ماأوحاه اليه مبهم لا يعلمه أحد وقيل سورة ألم نشرح وقيل ان الجنة حرام على الانبياء عليهم الصلاة والسلام حتى يدخلها هو صلى الله عليه وسلم وعلى الامم حتى تدخلها أمته وقال السيوطي في الخصائص فرضت الصلاة خمسين والغسل من الجنابة وغسل نجاسة الثوب سبعا سبعا والوضوء لكل صلاة (فنزلت الى موسى عليه الصلاة والسلام) انما قال نزلت لانه كان في السادسة والوحي في السابعة وتخطى ابراهيم ونزل ليشاوره لانه يعلم مافي شريعته من الاحكام والصلوات ومارس من ذلك أكثر من ابراهيم لانه لم يفرض على أمته مافرض على أمة موسى عليه الصلاة والسلام (فقال مافرض ربك على أمتك) قال أولا فرض على وقال هنا على أمتك لان مافرض على النبي فرض على امته ففيه احتباك وهو من انواع البديع وهو ان يذكر شيئين يحذف من كل منهما ماذكر في الآخر فحذف من الاول وعلى أمتي ومن الثاني على ووقع فرض الصلاة في السماء لانها أعظم العبادات ففرضت في أجل المواضع وبين الله فرضها بنفسه من غير واسطة ملك اعتناء بشأنها ولذا قيل يكفر تاركها وذهب الشافعي الى انه يقتل كما سيأتي (قلت) فرض (خمسين صلاة) منصوب لانه تمييز (فقال ارجع الى ربك فاسئله التخفيف) منها برفع بعضها وانما أشار عليه بذلك لمحبته له وجعله له مايليق بنفسه وقيل ذلك

(فان أمتك) أي جميعهم (لا يطيقون ذلك) وكأنه علم عليه الصلاة والسلام ضعفنا وعجزنا فرحمنا فجزاه الله تعالى أفضل الجزاء عنا ثم علل ذلك بقوله (فاني قد بلوت بني اسرائيل) أي جربتهم وبلاه وابتلاه بمعنى في الحديث اللهم لا تبتلنا الا بالتي هي أحسن (وخبرتهم) بتخفيف الموحدة عطف تفسيري أو اشارة الى انه جربهم مدة بعد مدة والمعنى امتحنتهم وعالجتهم فلقيت منهم الشدة وعدم الطاقة فيما قصدت من تحمل الكلمة وقبول الطاعة (فرجعت الى ربي) قال النووي معناه رجعت الى الموضع الذي ناجيته أولا فناجيته فيه ثانيا (فقلت رب خفف عن أمتي) أي الضعفاء وفيه ايماء الى قوة الانبياء والاصفياء اذ كثير منهم واظبوا على ألف ركعة في اليوم والليلة وقد أشار موسى عليه السلام الى هذا المعنى فيما سبق من المبنى وبهذا يظهر ضعف قول الدلجي لم يقل خفف عني حياء من ربه لسؤاله التخفيف عنه (فحط عني) أي فوضع عني في ضمن الحط عن أمتي (خمسا) ولم يقل عن أمتي لئلا يتوهم بقاء فرضية الخمسين عليه وفيه اشارة الى ان من كان لله كان الله له (فرجعت الى موسى فقلت حط عني

خمسا قال ان أمتك لا يطيقون ذلك) أي لا يقدرون على هذا القدر أيضا (فارجع الى ربك فاسأله التخفيف قال فلم أزل أرجع بين ربي) وفي نسخة بين يدي ربي (تعالى وبين موسى) أي بين موضع مناجاتي له تعالى وملاقاتي لموسى ويجوز ان يكون الرجوع بمعنى المراجعة في السؤال واحضار البال والله تعالى أعلم بالحال (حتى قال) أي الرب سبحانه وتعالى (يا محمد انهن) ضمير مبهم يفسره قوله (خمس صلوات) ذكره الدلجي والاظهر انه يقال التقدير ان الصلوات المفروضة أو الخمسين خمس صلوات محتمة (كل يوم وليلة)

بالنصب على الظرفية وفي نسخة وفي كل يوم وليلة (لكل صلاة) أي من الخمس (عشر) أي ثواب عشر صلوات (فتلك خمسون صلاة) أي بحسب المضاعفة ولعل هذه المراجعة منهما لما ألهم اليهما حيث لم يكن الوجوب حتما مبرما أو أوجبها أولا ثم رحمنا فنسخها بيانا فيجوز نسخ وجوب الشيء قبل وقوعه كنسخ وجوب ذبح اسمعيل عليه السلام عند قصده تبيانا لمحل فضله وكرمه ثم لما كان نية نبينا وهمة صفينا له اصالة ولاتباعه نيابة ان يقوم بوظيفة خمسين صلاة وجوزي بذلك حيث خفف عليهم في الكمية وزيد لهم في الكيفية ذكر قضية كلية وقاعدة مطردة قياسية في ضمن الحديث القدسي والكلام الانسي بقوله (ومن هم بحسنة) أي من صلاة نافلة وغيرها بان قصدها وعزم على فعلها (فلم يعملها) أي لعاقة عن عملها (كتبت له حسنة) بصيغة المجهول ونصب حسنة على المصدرية والمعنى كتبت له الحسنة التي هم بها ولم يعملها كتابة واحدة لان الهم سببها وسبب الحسنة حسنة فوضع حسنة موضع المصدر وفي بعض النسخ بصيغة الفاعل والاسناد الى المتكلم وهو ظاهر لكن لا يلائم ما بعده لم تكتب

لانه سأل الله تعالى ان يكون من أمته لما رأى في التوراة مما لامته صلى الله تعالى عليه وسلم من الكمال فقال يارب من هؤلاء قال أمة أحمد فقال يارب اجعلني منهم فخشي ان يفرض عليهم تكاليف شاقة وهو منهم فيقصر فيها وقال السراج البلقيني انما قصد موسى تكرار رؤية محمد عقب رؤيته الله بعينه كما قيل

* لعلي أراهم أو أرى من يراهم *

وموسى عليه الصلاة والسلام وان كان يرى الله في الآخرة لكن رؤيته روحانية وهي ليست جسدية عينية ولا تتيسر في كل حين قال ابن حجر رحمه الله يحتاج ما قاله البلقيني الى ثبوت تجدد رؤيته في كل مرة يعني رؤية محمد صلى الله تعالى عليه وسلم لربه وقال مصلح الدين اللاري ما قاله البلقيني لا يتوقف على تجدد الرؤية ويكفي حصول أصلها (فان أمتك لا يطيقون ذلك) خص الامة اشارة الى أنه صلى الله عليه وسلم يطيق ذلك لما رزقه الله تعالى من قوته على عبادته ولذا كان يواصل الصوم وقد نهى عنه ومعنى لا يطيقونه ان يشق عليهم فيقصرون فيه لانه محال حتى يقال انه مبني على تكليف المحال وهو جائز وفائدته الاخذ في مقدماته حتى يعلم امتثاله ويطيقون بضم أوله مضارع اطاقه (فاني قد بلوت بني اسرائيل وخبرتهم) عطف تفسير لان الابتلاء بمعنى الاختبار والامتحان يقال خبره يخبره كقتله يقتله وفيه مقدر أي خبرتهم مع قوة أجسادهم وطول أعمارهم فلم أجد لهم صبرا على ذلك فكيف حال أمتك وفي نسخة قبلك (قال فرجعت الى ربي فقلت يارب خفف عن أمتي) مفعوله محذوف للعلم به أي ما فرضته عليهم من الصلاة ولم يقل وعني لما مر أو حياء منه بسؤاله لنفسه (فحط عني خمسا) منها وأصل الحط معناه تنزيل الحمل فشبه به الحمل تشبيها مكنيا كما قال الله تعالى لا تحملنا ما لا طاقة لنا به (فرجعت الى موسى فقلت) له (حط عني خمسا) منها (فقال ان أمتك لا يطيقون ذلك فارجع الى ربك فاسأله التخفيف) وفي نسخة فاسأله (قال فلم أزل أرجع بين ربي تعالى وبين موسى) أي بين موضع مناجاتي له تعالى وملاقاتي لموسى عليه الصلاة والسلام (حتى قال) الله تعالى لما انتهى التخفيف الى خمس (يا محمد انهن خمس صلوات كل يوم وليلة) استدل به الشافعية على عدم وجوب الوتر وجوابه مسطور في كتب الفروع الحنفية (لكل صلاة عشر فتلك خمسون) في الثواب والاعتبار لان الحسنة بعشر أمثالها كما سيأتي تحقيقه (ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة) واحدة لنيته عملها

(فان عملها كتبت له عشرا) وهذا أقل المضاعفة كما قال الله تعالى من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها (ومن هم بسيئة فلم يعملها) أى فلم يقدر على عملها (لم تكتب) أى تلك السيئة التى هم بها (شيا) أى ولا سيئة واحدة اذا ندم وتركها الله تعالى بل تكتب له حسنة لاجلها كما ورد كتبها الله تعالى عنده حسنة كاملة وقد زاد مسلم فى رواية انما تركها من جراى بفتح الجيم وتشديد الراء أى من أجلى أو شيئا من الزيادة اذا كان همها باقيا فان هم السيئة المصمم سيئة وشيأ وعشرا منصوبان وفى بعض نسخ المصابيح مرفوعان ولعله غلط من الناسخ (فان عملها كتبت له سيئة واحدة) أى باندراج الهم فى العمل حيث لا مضاعفة فى السيئة كما يستفاد الحصر من قوله تعالى ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها (قال فنزلت حتى انتهيت الى موسى فاخبرته فقال ارجع الى ربك فاسئله التخفيف فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) وفى نسخة صحيحة فقلت (قد رجعت الى ربى حتى استحييت منه) بياءين وفى نسخة بياء واحدة ولعل وجه الحياء هو ان المبالغة فى تخفيف العبادة نوع من الجفاء والقيام بما تعين وتحتم من باب الوفاء فى تحمل البلاء لحصول الولاء هذا ولعل الحكمة فى وجوب الصلاة ليلة الاسراء للايماء الا أنها معراج المؤمن الى أعلى كمالاته ومقاماته ومحل مناجاته من بين عباداته وكمال ترقى منازل سعاداته وأما حكمة ظهور الانبياء المذكورين بخصوصهم من بين عمومهم وتخصيص كل بسماء المشير الى مراتب علوهم فلم يتكلم به أحد من السلف ولم يظهر تحقيقه من الخلف فتبعنا السابقين كما هو وظيفة اللاحقين ثم الصلوات الخمس فرضت بمكة اتفاقا وكذا الزكاة مطلقا وأما تفصيلها فبينت بالمدينة وفرض رمضان ثم الحج بها أيضا فاذكره التلمسانى من أنه فرضت الصلاة والزكاة والحج ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالمدينة وفرض صيام رمضان وزكاة الفطر وهو بمكة خطأ فاحش

(فان عملها كتبت له عشرا ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئا فان عملها كتبت له سيئة واحدة) الهم القصد من غير تصميم فان صمم فهو عزم ومذهب الباقلانى انه يأثم بالعزم المصمم وهذا الحديث محمول على الاول وانكار بعضهم المؤاخذة بالعزم مردود بالنصوص الصريحة كقوله تعالى ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم والكاتب الملائكة فتكتب حتى ما فى القلب كما قاله الطحاوى وفى حديث مسلم القدسى كتبها الله تعالى عنده عشر حسنات الى سبع مائة الى أضعاف كثيرة وهو صريح فى ان المضاعفة تزيد على العشر ولا تقف على سبعمائة وقول القرطبى انها لا يجاوزها مردود بهذا الحديث المجمع على صحته وتحقيقه كما فى الاحياء ان أول ما يرد على القلب الخاطر كما لو خطر له صورة امرأة وراء ظهره بحيث لو التفت لرآها والثانى هيجان الرغبة الى النظر وحركة الشهوة وميل الطبع المتولد من الاول المسمى حديث النفس والثالث حكم القلب بان هذا ينبغى ان يفعل بان ينظر اليها وهو يتبع الخاطر والميل والرابع تصميم القلب على الالتفات وجزم النية ويسمى هذا بالفعل وهذه قد يكون لها مبدأ ضعيف فاذا أصغى الى الخاطر حتى طالت محاولته للنفس حتى تنخرم النية فاذا انخرمت فقد يندم ويترك وقد يغفل فلا يعمل وربما يعوقه عائق عنه فهى أربعة أحوال وهو حديث النفس ثم الميل ثم الاعتقاد ثم الهم فالخاطر لا يؤاخذ به لانه غير اختيارى وكذا هيجان الشهوة والميل المراد بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم عفى عن أمتى ما حدثت به نفوسها فحديث النفس خاطر يهجس فى النفس لا يتبعه عزم والثالث وهو الاعتقاد وحكم القلب وهو اما اضطرارى لا يؤاخذ به أو اختيارى يؤاخذ به والرابع وهو الهم بالفعل فان لم يعمل به وتركه خوفا من الله تعالى وندما على همه كتبت له حسنة لان همه سيئة وامتناعه منه حسنة لمجاهدة نفسه وان عاقه عنه عائق غير خوف الله تعالى كتبت سيئة لان همه فعل اختيارى له (قال) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (فنزلت حتى انتهيت الى موسى) أى انتهى سيرى فوصلت له ولم يقل انتهيت قبل هذا وقاله هنا اشارة الى انه تمام المرجعة ولا مراجعة بعده (فاخبرته) بما قال الله تعالى له (فقال ارجع الى ربك فاسئله التخفيف) من الخمس (فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) فيما قصه من حديث الاسراء (فقلت) لموسى عليه الصلاة والسلام (قد رجعت الى ربى) مرارا وراجعته فى سؤال التخفيف (حتى استحييت منه) ان أراجعه فى السؤال بعد ذلك واعلم انهم اختلفوا فى جواز النسخ قبل التمكن من الفعل والبلاغ وقبل دخول الوقت فذهب أهل السنة الى جوازه وهو مبنى على جواز التكليف بما لا يطاق واستدلوا بانه وقع كما فيما نحن فيه وبقصة الذبيح اذ أمره بذبح ولده ثم نسخه قبل تحققه بالفداء ومنعه المعتزلة فمنهم من قال لم يامره لانه منام ورد بان رؤيا هم وحى يجب العمل به ولذا باشره ومنهم من قال انما أمر بمقدماته من الشد والتل ونحوه ورد بان قوله انى أذبحك يرده والفداء يأباه وقيل انه فعل ولكن انقلبت السكين أو قلب عنقه حديدا وقيل ذبح والتحم وهو مكابرة وقالوا ان النسخ قبل البلاغ مناقض والجواب بانه

(قال القاضي رضي الله تعالى عنه) كذا في النسخ لكن الاولى ان يقال رحمه الله تعالى لان الترضية في العرف مختصة بالصحابة كما ان التصلية والتسليم مختصان بالانبياء والعزة والجلالة بالله سبحانه وتعالى (جود) بتشديد الواو أي حسن (ثابت) أي ابن البناني (رحمه الله تعالى) وفي نسخة رضي الله تعالى عنه (هذا الحديث) أي بيان روايته وضبط عبارته الدالة على درايته (عن أنس رضي الله تعالى عنه ماشاء) أي ماشاء الله تعالى من تجويده وتحسينه وتحريره (ولم يأت أحد) أي من الرواة (عنه) أي عن أنس رضي الله تعالى عنه (أصوب من هذا) أي أقرب الى الصواب من هذا المروي في هذا الكتاب (وقد خلط) بتشديد اللام (فيه) أي في هذا الحديث (غيره) أي غير ثابت من الرواة (عن أنس) رضي الله تعالى عنه (تخليطا كثيرا) أي وتخبيطا كبيرا (لاسيما) أي خصوصا ماورد (من رواية شريك ابن أبي نمر) أي عن أنس وشريك هذا بفتح الشين ونمر بفتح نون وكسر ميم فراء مدني روى عن ابن أنس وابن المسيب وجماعة وعنه مالك وأنس بن عياض وطائفة قال ابن معين لا بأس به وقال النسائي ليس بالقوي انتهى وشريك هذا تابعي صدوق وثقه أبوداود وقال ابن عدى روى عنه مالك رحمه الله تعالى فاذا روى عنه ثقة فانه ثقة ووهاه الحافظ أبومحمد بن حزم لاجل حديثه في الاسراء الذي أشار اليه القاضي وله فيه أوهام معروفة وقد نبه مسلم على ذلك بقوله في صحيحه وقدم فيه شيأ وأخر وزاد ونقص انتهى وقال الحافظ عبد الحق في كتابه الجمع بين الصحيحين بعد ذكر رواية شريك هذا فقد روى حديث الاسراء جماعة من الحفاظ المتقنين والائمة المشهورين كابن شهاب وثابت البناني وقتادة يعني عن أنس فلم يأت أحد منهم بما أتى به شريك وقد زاد فيه زيادة مجهولة وأتى فيه بالفاظ غير معروفة وشريك ليس بالحافظ عند أهل الحديث انتهى والاماكن في حديث الاسراء معدودة عند أهل العلم فيقال أربعة ويقال ثمانية ذكره الحلبي (فقد ذكر) أي شريك (في أوله) أي مبدأ حديثه (مجيء الملك له) أي لاجله (وشق صدره وغسله بماء زمزم

بانه المأمور وقد بلغه ضعيف لانه عام له صلى الله تعالى عليه وسلم ولامته لان الفرض عليه فرض عليهم ولذا قال له موسى عليه الصلاة والسلام ان امتك لا تطيقه وفيه أيضا النسخ قبل البيان لانه لم يبين وقته وعدد ركعاته وهو جائز واعلم انهم يريدون بالمنسوخ خبر التكليف لا نفس الامر لانه قديم ووقع في بعض طرق هذا الحديث ان موسى عليه الصلاة والسلام قال له اسئله التخفيف فاني أعلم بالناس منك فكيف يقول هذا وقد قاسى مع الخضر عليه الصلاة والسلام ماقاسى لما قال أنا أعلم الناس منك وكيف يقوله للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم والجواب ان مراده علم التجربة والرؤية لما رآه ومثله لا يضر وماقيل من انه خبر لا يدخله النسخ مردود بقوله وقيل ان قوله خمسون أولا بيان لما في اللوح المحفوظ والمراد انها بحسب الثواب كذلك فلا نسخ فيه والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم فهمه على ظاهره فراجع ربه في غاية البعد (قال القاضي) هو شيخه القاضي الشهيد المذكور في أول السند السابق ولذا لم يسمه استغناء باعادة المعرفة معرفة وتعريفه عهدي (جود) بفتح الجيم وتشديد الواو أي حسن من الجودة ضد الرداءة والحسن ضد القبيح (ثابت) البناني الراوي (هذا الحديث عن أنس رضي الله تعالى عنه ماشاء) أي أحسن في روايته وأتقنها اتقانا محكما الا ان ما نكرة موصوفة أي تجويدا شاء أي بذل جهده وفعل كل مادخل تحت ارادته والمراد ان روايته جيدة خالية عن الاعتراض ولذا اختارها على غيرها من الروايات وقيل ماشاء كناية عن كثرة تجويده أي أتى بها مجودة تجويدا كثيرا (وقد خلط فيه غيره) خلط بتشديد اللام وضمير فيه للحديث والخلط ادخال شيء في شيء والمراد انهم ادخلوا في حديث الاسراء ماليس منه كشق الصدر كما سنبينه (لاسيما) أي لا مثل روايته وفسرها الرضي رحمه الله تعالى بخصوصا وقال الدماميني رحمه الله تعالى انه لا سند له فيه وشيء منصوب ومابعده يجوز رفعه ونصبه وجره وقد عدها النحاة من كلمات الاستثناء وفيه كلام طويل بيناه في غير هذا الكتاب ونحن في غنية عنه (من رواية شريك بن أبي نمر) بفتح النون وميم مكسورة تليها راء مهملة التابعي الصدوق الثقة القاضي المدني وقد ضعفه ابن حزم رحمه الله تعالى لما وقع له في حديث الاسراء من الاوهام الاربعة التي أشار اليها المصنف رحمه الله وقيل انها ثمانية وتوفي سنة أربعين ومائة وله ترجمة في الميزان (فقد ذكر في أوله) أي ذكر شريك رحمه الله تعالى في أول حديث أنس رضي الله تعالى عنه (مجيء الملك له) اللام للتقوية لان جاء متعد بنفسه (وشق صدره) عليه الصلاة والسلام (وغسله بماء زمزم) وقد تقدم انه بالثلج وفي رواية بماء الكوثر وقد انكروا عليه روايته هذه وقالوا فيه انه وهم من وجوه تزيد على العشر منها ما في سنده فان قتادة رحمه الله تعالى رواه عن أنس رضي الله تعالى عنه عن مالك بن صعصعة والزهري رحمه الله تعالى عن أنس رضي الله تعالى عنه عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه

وشريك جعله عن أنس رضي الله تعالى عنه من غير واسطة وخالف سياقه سياقهم بالزيادة المنكرة والتقديم والتاخير وقد نبه على ذلك مسلم رحمه الله في صحيحه وماذكره المصنف رحمه الله موافق لقدح ابن حزم فيه الاان الحافظ أبا الفضل بن طاهر رحمه الله انتصر له في جزء مستقل ألفه فيه قال تعليل حديثه بتفرده به ودعوى ابن حزم ان الآفة من شريك اذلم يسبق اليه لاتقبل فان أئمة الجرح والتعديل وثقوه ورووا عنه وقالوا لاباس به وحدث عنه مالك رحمه الله وغيره من الثقاة وحديثه اذا رواه عنه ثقة لاضعيف لاباس به وقد روى عنه سليمان بن هلال رحمه الله وهو ثقة وتفرده بقوله الآتي وذلك قبل ان يوحى اليه لايقتضي طرح حديثه فوهم الثقة في موضع لايقتضي رد جميع ماروى ولو قيل بهذا لزم رد كثير من السلف ولعله أراد ان يقول بعد ان أوحى اليه فقال قبله انتهى وقد سبق ابن حزم الى هذا الخطابي رحمه الله تعالى وقال النسائي رحمه الله انه قول ليس بالقوى وكان بعضهم لايحدث عنه وقال محمد بن سعد رحمه الله وأبو داود رحمه الله تعالى انه ثقة والحاصل انه اختلف فيه فيعد ما انفرد به شاذا منكرا وقد خالف غيره في مواضع من هذا الحديث منها أمكنة الانبياء عليهم الصلاة والسلام وكون المعراج قبل البعثة وكونه مناما وكون سدرة المنتهى فوق السابعة والمشهور انها فيها أو في السادسة وفي نهري النيل والفرات وكون أصلهما في سماء الدنيا والمشهور انهما من تحت السدرة وكون شق الصدر عند الاسراء وكون الكوثر في السماء الدنيا وهو في الجنة ونسبة الدنو والتدلى الى الله تعالى وهو لجبريل عليه الصلاة والسلام وكون مراجعته صلى الله تعالى عليه وسلم في سؤال التخفيف عند الخامسة وفي قوله فعلا به الى الجبار وكونه صلى الله تعالى عليه وسلم راجع بعد الخمس فهذه مواضع مخالفته في السند والمتن الذي قال المصنف رحمه الله تعالى انه خلط فيها وقد أجيب عن بعضها (وهذا) أي المذكور من الشق والغسل (انما كان وهو) صلى الله تعالى عليه وسلم (صبي) عند مرضعته حليمة رضي الله تعالى عنها (وقبل الوحي) وأتى بانما ردا لقول شريك رحمه الله تعالى انه كان ليلة الاسراء وأجيب عنه بان الشق وقع مرارا مرة وهو صلى الله عليه وسلم طفل صغير يلعب مع الصبيان لازالة حظ الشيطان معه كما مر ومرة وهو صلى الله عليه وسلم ابن عشر سنين لازالة الطفولية عنه ومرة عند البعثة ليثبت قلبه بالوحي وليلة الاسراء ليقوى عليه وزيد خامسة ضعفها ابن حجر رحمه الله في شرح البخاري وصحح هو والبرهان الحلبي رحمه الله الاربعة الاول (وقد قال شريك في حديثه وذلك قبل ان يوحى اليه) أي شق صدره صلى الله عليه وسلم قبل البعثة (وذكر قصة الاسراء) فقال سمعت أنس ابن مالك رضي الله عنه يقول ليلة الاسراء جاءه ثلاثة قبل ان يوحى اليه وهو نائم في المسجد ثم لم يرهم صلى الله عليه وسلم حتى أتوه ليلة أخرى الخ وقد أجيب عنه بان قبل متعلق بجاءه فيحتمل ان مجيئهم بعد ذلك بسنين لابليالي فلا خطا فيه (ولا خلاف انها) أي ليلة الاسراء (كانت بعد الوحي وقد قال غير واحد انها كانت قبل الهجرة بسنة وقيل قبل هذا)

وهذا) أي ماذكر كله (انما كان وهو صبي وقبل الوحي) فيه انه يمكن تعدده فلا وهم الا بسبب ما بينه المصنف بقوله (وقد قال شريك في حديثه) أي هذا بعينه (وذلك قبل ان يوحى اليه وذكر قصة الاسراء) أي معه (ولا خلاف انها) أي في ان قصة الاسراء (كانت بعد الوحي) فثبت وهمه بهذا التعارض الواقع بين كلاميه ولكن قال الامام الحافظ أبو محمد الحسين البغوي هذا الاعتراض الذي اعترض به على رواية شريك لايصح عندي لان ذلك كان رؤيا في النوم أراه الله تعالى عز وجل قبل الوحي بدليل آخر الحديث فاستيقظ وهو بالمسجد الحرام ثم عرج به في اليقظة بعد الوحي تحقيقا لرؤياه من قبل كما انه رأى عليه الصلاة والسلام فتح مكة في المنام عام الحديبية سنة ست من الهجرة ثم كان تحقيقه سنة ثمان ونزل قوله تعالى لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق انتهى وبهذا الجمع يزول الاشكال عن قوله تعالى وما جعلنا الرؤيا التي أريناك الافتنة للناس فيكون التقدير تصديق الرؤيا وتحقيقها اذلا تترتب الفتنة على نفس الرؤيا كما لايخفى (وقد قال غير واحد) أي كثير من علماء المحدثين (انها كانت) أي قصة الاسراء (قبل الهجرة بسنة) فقد ذكر النووي ان معظم السلف وجمهور المحدثين والفقهاء على ان الاسراء كان بعد البعثة بستة عشر شهرا وقال السبكي الاجماع على انه كان بمكة والذي نختاره ماقاله شيخنا أبو محمد الدمياطي انه قبل الهجرة بسنة وهو في ربيع الاول انتهى وروى السيد جمال الدين المحدث في روضة الاحباب انه كان في سبعة وعشرين من شهر رجب على وفق ما عليه هذا

في الحرمين الشريفين من العمل وقيل في الربيع الآخر وقيل في رمضان وقيل في شوال وقيل بعد نقض الصحيفة وقيل بعد بيعة العقبة وقيل أسرى به في الحجة لانه كان ابن احدى وخمسين سنة وتسعة أشهر وثمانية وعشرين يوما وقيل ليلة اثنى عشر من الربيع الاول ليلة الاثنين منه فيكون زمان معراجه كميلاده ومدراجه باعتبار يوم الاثنين وشهر الربيع الاول والله سبحانه وتعالى أعلم (وقيل قبل هذا) أي قبل ماقبل الهجرة وفي نسخة غير هذا أي غير هذا القول الا انهم اتفقوا على انها كانت بعد الوحي

هذا اشارة الى الخلاف فى سنة الاسراء وزمنها فقيل كانت ليلة سبع وعشرين من ربيع الآخر قبل الهجرة بسنة وقيل قبل البعثة بخمس سنين وقيل بعد البعثة بخمسة عشر شهرا وقول شريك رحمه الله تعالى انه قبل ان يوحى اليه غلط منه الا أن قال هذا الاسراء كان مناما غير هذا كالذى روى عن عائشة رضى الله تعالى عنها انه كان بالمدينة فانه منام أيضا قال ابن المنير رحمه الله تعالى فى المقتفى رجح القاضى عياض رحمه الله تعالى انه كان قبل الهجرة بخمس سنين ولا يرد عليه ان خديجة رضى الله عنها كانت تصلى معه وقد اختلف فى مدة وفاتها قبل الهجرة على أقوال أقلها انها ثلاث سنين والصلاة لم تفرض الا فى الاسراء لان هذه الصلاة غير المفروضة كالتى صلاها فى بيت المقدس وصحح ابن المنير رحمه الله تعالى الاول لان قول غيره تقدير وقوله تحديد وهو قول الحربى رحمه الله تعالى لانه عين ليلة معينة من شهر معين من سنة معينة واذا تعارض خبران أحدهما أحاط بتفصيل القصة كان أولى لانه يدل على ان راويه أحفظ وأوعى قلبا كقول الفقهاء ان الشهادة المؤرخة تقدم وكانت تلك الليلة ليلة الاثنين كما قاله ابن المنير رحمه الله تعالى وكان مقدمه صلى الله تعالى عليه وسلم للمدينة الشريفة يوم الاثنين من ربيع الاول ثانى عشرة قبل الضحى وقيل عند استواء الشمس واذا كان الثانى عشر الاثنين كان أوله الخميس وأول شهر الاسراء السبت أو الاحد أو الاثنين لان بين كل يومين متقابلين من سنتين متواليتين اما ثلاثة أيام أو اربعة أو خمسة ولذا يكون الوقفة من كل سنة خامس يوم الوقفة التى قبلها أو رابعة أو سادسة وأعدل الاحتمالات الخامس فالجمعة يعقبها الثلاثا والاثنين يعقبها الجمعة وقد يكون الرابع وقد يكون السادس وذلك بحسب تمام الشهور ونقصها فبناء على أقل الاحتمالات أول ربيع الاول من سنة الاسراء الاثنين وأول الآخر منه الاربعا بفرض ربيع الاول تاما فالسابع والعشرون منه يوم الاثنين ليوافق مولده صلى الله تعالى عليه وسلم ومبعثه ووفاته فان يوم الاثنين فى حقه صلى الله تعالى عليه وسلم كيوم الجمعة لآدم عليه الصلاة والسلام فانه فيه خلق ونزل الى الارض فيه وتاب الله عليه فيه ومات فيه وقيل انه كان ليلة الجمعة لفضلها ثم ان كونها ليلة سبع وعشرين موافق لليلة القدر فانها ليلة سبع وعشرين من رمضان على الاصح والحاصل انه قيل ان الاسراء قبل الهجرة بسنة وقيل بسنة ونصف وقيل بسنة وكسر وقيل بعد البعثة بخمس سنين وقيل قبل الهجرة بخمس سنين واختلف فى شهره فقيل انه شهر ربيع الاول وقيل الآخر وقيل رجب وقيل رمضان وقيل شوال وقيل قبل نقض الصحيفة وقيل بعد ليلة سبع وعشرين أو سبع عشر أو اثنى عشر ليلة الاثنين أو الجمعة وفى الهدى النبوى ان ابن تيمية رحمه الله سئل هل ليلة الاسراء أفضل أم ليلة القدر فاجاب بان القائل ان ليلة الاسراء أفضل ان أراد انها ونظائرها من كل عام أفضل فلا وجه له وان أراد انها بخصوصها أفضل لانه حصل له صلى الله تعالى عليه وسلم فيها ما لم يحصل له فى غيرها وما لم يحصل لغيره فهو صحيح أن سلم ان ما أنعم الله به عليه صلى الله تعالى عليه وسلم أفضل من انزال القرآن وهو يحتاج الى علم بحقائق تلك الامور انتهى (وقد روى ثابت عن أنس رضى الله تعالى عنه من رواية حماد بن سلمة أيضا) أى كما روى عنه قصة الاسراء (مجىء جبريل) بالنصب مفعول روى (الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهو يلعب مع الغلمان عند ظئره) بكسر الظاء المشالة وسكون الهمزة والراء المهملة والهاء وهى المرضعة التى ليست بام وهى حليمة السعدية (وشقه) مصدر منصوب معطوف على مجىء (قلبه) مفعول الشق (تلك القصة) بدل من مجىء بدل اشتمال وفى نسخة بتلك أى معها (منفردة من حديث الاسراء) وفى نسخة مفردة وهو منصوب على الحال (كما رواه الناس) غير شريك وهم أكثر الحفاظ المحدثين (فجود) من ضبطه أى هذا الراوى المميز بين القصتين كما أشار اليه بقوله (فى القصتين) أى قصة الاسراء وقصة

(وقد روى ثابت) أى البنانى (عن أنس من رواية حماد بن سلمة أيضا مجىء جبريل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهو يلعب مع الغلمان) جمع غلام يعنى الصبيان (عند ظئره) بكسر أوله أى مرضعته حليمة أو زوجها الذى ابنها منه فانه يطلق عليهما (وشقه) أى وكذا روى ثابت شق جبريل (قلبه تلك القصة) بدل لشتمال على كل واحدة من القصة حال كونها (منفردة من حديث الاسراء) أى غير منضمة الى قصة المعراج (كما رواه الناس) أى كما رواه غيره من الرواة الثقاة (فجود) أى ثابت (فى القصتين) أى قصة الشق وقصة الاسراء حيث لم يخلط بينهما

(وفي ان الاسراء) أي ولاخلاف في ان الاسراء (الى بيت المقدس والى سدرة المنتهى كان قصة واحدة وانه وصل الى بيت المقدس) أي أولا (ثم عرج من هناك) أي من بيت المقدس الى سدرة المنتهى عند من قال بالجمع بينهما من أهل السنة والجماعة خلافا للمعتزلة (فازاح) أي ازال ثابت (كل اشكال أوهمه غيره) أي من شريك ونحوه في رواياتهم (وقد روى يونس) أي ابن يزيد الايلي وهو الحافظ أبو بكر الشيباني سمع ابن اسحق وابن شهاب والاعمش قال ابن معين صدوق وقال أبو داود ليس بحجة يواصل كلام ابن اسحق بالاحاديث (عن ابن شهاب) أي الزهري (عن أنس قال كان أبو ذر يحدث ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال فرج) بصيغة المجهول مشددا ومخففا أي كشف وفتح (سقف بيتي فنزل جبريل عليه السلام ففرج صدري) أي شق كما في رواية ومنه قوله تعالى واذا السماء فرجت أي انشقت كما في آية أخرى (ثم غسله من ماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وايمانا فافرغها) أي الحكمة وما في معناها أو من مقتضاها (في صدري ثم أطبقه) أي غطاه وأصلحه (ثم أخذ بيدي فعرج بنا الى السماء وذكر) أي يونس (القصة) أي قصة المعراج بطولها (وروى قتادة الحديث) أي حديث الاسراء (بمثله) أي بمثل ما روى يونس (عن أنس) أي ابن مالك

شق القلب وهو طفل رضيع فلم يخلط احداهما بالأخرى (وفي ان الاسراء الى بيت المقدس والى سدرة المنتهى كان قصة واحدة) لا قصتان كما في رواية شريك وغيره ممن جعل صعوده صلى الله تعالى عليه وسلم الى السماء معراجا آخر (وانه وصل الى بيت المقدس ثم عرج من هناك) أي صعد به الى السماء من البيت المقدس لانه أرفع مكان في الارض (فازاح) بزاي معجمة وألف وحاء مهملة أي ازال واذهب (كل أشكال) أي مشكل (أوهمه) أي أوقعه في ذهن الناس ووهمهم (غيره) أي غير ثابت كشريك الذي وقع في روايته الوهم والتخليط السابق بيانه (وقد روى يونس) بن يزيد الايلي القرشي وفي يونس كيوسف لغات تقدمت مع ترجمته وهو يروى عن الزهري ونافع وتوفي بمصر سنة تسع وخمسين ومائة (عن ابن شهاب) محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زيد بن مرة الزهري التابعي رحمه الله تعالى لقي عشرة من الصحابة توفي ليلة الثلاثاء السبع عشرة ليلة خلت من رمضان سنة أربع وعشرين ومائة ودفن بالشام بقرية تعرف بالشعب وأوصى بدفنه على قارعة الطريق لتدعو له المارة وكان أحفظ أهل زمانه وأحسنهم سياقا لمتون الاحاديث فقيها فاضلا كاملا (عن أنس) بن مالك خادم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقد قدمنا ترجمته (قال كان أبو ذر) الصحابي الغفاري (يحدث ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال فرج سقف بيتي) بضم الفاء وكسر الراء أي شق أو رفع جانب منه حتى صار مكشوفا ينزل منه الملك المرسل اليه ولم يأته من الباب وقد قال تعالى وأتوا البيوت من أبوابها قال ابن المنير تنبيها على المبالغة في المفاجأة وان استدعاءه للكرامة كان بدأ من غير ميعاد وقيل انه ليتيقن كونهم ملائكة أو هو تمهيد لشق صدره صلى الله تعالى عليه وسلم والتئامه من غير تألم لسبق الشق كما تقدم قيل وكان خلفاء بني العباس اذا نصبوا خليفة نقبوا جداره وأخرجوه منه تنويها بأمره وانه لم يكن بطلب منه والبيت لام هانئ وأضافه اليه لادنى ملابسة وروى انه كان بالحطيم وروى ببطحاء مكة فان كان مرارا فظاهر والاحتاج للجمع (فنزل جبريل) عليه الصلاة والسلام (ففرج صدري) بفتح الفاء والراء وقد تقدم ان شق الصدر وقع مرات منها هذه فلا اشكال فيه (ثم غسله) أي صدره (من ماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب) تقدم بيانه وما فيه (ممتلئ حكمة وايمانا) تقدم تفسيره وانه بناء على التجوز أي ملئ نورا ينشأ عنه ما ذكر او انه تعالى قادر على تجسيم المعاني والاعراض كما قيل في وزن الاعمال وذكر الطست وان كانت مؤنثة لتأويلها بالاناء فان كان قوله (فافرغها) ضميره للطست رعاية للفظه فتقديره افرغ ما فيها يقال افرغت الاناء وفرغته تفريغا اذا صببت ما فيه ويجوز كون الضمير للحكمة لدخول الايمان فيها أو لانه عطف تفسير (ثم أطبقه) أي الصدر أي اعاده محله اشارة الى ان شقه والتئامه بغير آلة وقيل شق بمنقار الملك وخيط بخيط لما ورد كنت أرى أثر المخيط في صدره * (فائدة) * قال ابن الجوزي في كتاب الوفاء بعد ما ذكر حديث ولدت مختونا ولم ير أحد سوأتي * فان قيل فلم لم يولد مطهر القلب من حظ الشيطان حتى شق صدره وأخرج قلبه * قلت قال ابن عقيل لان الله سبحانه أخفى أدون التطهيرين التي جرت العادة ان تفعله القابلة والطبيب وأظهر أشرفهما وهو القلب وأظهر آثار التجلي والعناية بالعصمة في طرقات الوحي (ثم أخذ بيدي فعرج بنا الى السماء فذكر القصة) بتمامها وأخذه بيده يحتمل انه على حقيقته وان يكون كناية عن جعله شارعا في العروج (وروى قتادة) بن دعامة أبو الخطاب السدوسي الضرير أعلم الناس بالفقه والقرآن والحديث توفي سنة سبع عشرة ومائة وعمره ست وخمسون بواسط ونسب للتدليس وليس كذلك (الحديث) مفعول روى (بمثله) أي بمثل الرواية المذكورة (عن أنس

(عن مالك بن صعصعة) أي الخزرجي المازني له حديث الاسراء أخرجه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وأحمد في مسنده وليس له في الكتب غير حديث الاسراء على ما ذكره الحلبي قال النووي في تهذيبه روى له عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خمسة أحاديث اتفق البخاري ومسلم على أحدها وهو حديث الاسراء والمعراج وهو أحسن أحاديث الاسراء انتهى وكذا ذكره ابن الجوزي في تنقيحه ان له خمسة أحاديث (وفيها) أي وفي رواية قتادة عن أنس بن مالك (تقديم وتاخير وزيادة ونقص) أي في بعض مواضعها (وخلاف في ترتيب الانبياء في السموات) أي بالنسبة الى بعضهم وبعضها (وحديث ثابت) أي البناني (عن أنس أتقن وأجود) أي من حديث قتادة عن أنس عن مالك وكذا غيره مما قدمه على ما تقدم والله تعالى أعلم (وقد وقعت في حديث الاسراء زيادات) أي من الفوائد على اختلاف روايات (نذكر منها) أي من جملتها (نكتا) بضم ففتح جمع نكتة وجمعها أيضا نكات وهي بمعنى النقط وتطلق على معان لطيفة (مفيدة في غرضنا) أي مقصودنا في هذا الباب من الكتاب (منها حديث ابن شهاب) أي الزهري (وفيه) أي وفي حديثه الذي رواه (قول كل نبي له) أي مختصا له صلى الله تعالى عليه وسلم (مرحبا بالنبي الصالح والاخ الصالح الا آدم وابراهيم فقالا له والابن الصالح) أي بدل والاخ الصالح لانه كان من ذرية اسمعيل ولقوله تعالى ملة أبيكم ابراهيم وأما ما يقوله أهل النسب والتاريخ ان ادريس أب من آباء النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وانه جد نوح عليه السلام فانه لا ينافي كونه أباله فان قوله الاخ الصالح يحتمل انه قاله تادبا وتلطفا وهو أخ له وان كان ابنا فان الانبياء اخوة كما ان المؤمنين اخوة (وفيه) أي وفي حديث الزهري أو في حديث الاسراء (من طريق ابن عباس رضي الله تعالى عنهما) أي كما أخرجه البخاري (ثم عرج بي) بصيغة المفعول أو الفاعل (حتى ظهرت بمستوى) بصيغة المجهول في أوله باء أو لام أي صعدت بمكان عال أو في مكان مرتفع وقيل الباء بمعنى على وقيل هو عبارة عن فضاء فيه استواء

عن مالك بن صعصعة) الخزرجي المازني روى له البخاري وأصحاب السنن حديث الاسراء قال وروى خمسة أحاديث (وفيها) أي في رواية قتادة المفهومة من قوله روى (تقديم وتاخير وزيادة ونقص) عن غيرها من الروايات (وخلاف في ترتيب الانبياء في السموات وحديث ثابت عن أنس أتقن وأجود) أي أكثر اتقانا وجودة منها في الروايات ولذا اختاره المصنف رحمه الله تعالى خلافا للنووي اذ جمع رواية قتادة كما عرفت (وقد وقعت في حديث الاسراء زيادات) من الرواة في بعض طرقه (نذكر منها نكتا مفيدة في غرضنا) من تاليف هذا الكتاب وايراد حديث الاسراء النكت بضم النون وفتح الكاف والتاء المثناة جمع نكتة وهي ما ينكت من الارض وما يكون في الكون مما يخالفه كالنقطة فاستعير لكل معنى دقيق يحصل بالفكر اما لمخالفته لغيره أو لكون الفكر يخط في الارض وشاع حتى صار حقيقة عرفية في ذلك وقد يجمع على نكات أيضا (منها) أي من النكت المفيدة (في حديث ابن شهاب) الزهري الذي تقدم آنفا ومنها خبر مقدم وفي حديث الى آخره صفة مبتدأ مقدر وجاز حذف الموصوف بوصف غير مفرد لانه بعض اسم مجرور بمن قبله لان المعنى من النكت نكت الى آخره ومثله جائز قياسا مطردا (وفيه) أي في حديث ابن شهاب ولو حذف قوله وفيه كما وقع في بعض النسخ كان أحسن والضمير في فيه راجع لحديث الاسراء (قول كل نبي له مرحبا بالنبي الصالح والاخ الصالح الا آدم وابراهيم فقالا له والابن الصالح) فانه ليس كل نبي من اجداده وفي عمود نسبه لكنه جرى منهم على سبيل الشفقة والمحبة كما جرت العادة ان الاقدم والاسن يقول لغيره يا ولدي وفي غير هذه الرواية منهم من قال له الابن الصالح ومنهم من قال الاخ الصالح وقد تقدم انه يشكل قول ادريس له الاخ مع انه جده صلى الله تعالى عليه وسلم وفي وصفه بالصلاح دون غيره وتكراره وكان الظاهر ان يقال الابن الكريم والنبي العظيم مثلا الا انه وصف بالصلاح لانه أمدح الصفات لانه بمعنى الجدير لكل خير كما قاله السبكي فوصف الابن به بمعنى انه حقيق بمحبة الله ومحبة رسله ووصف النبي به بمعنى انه المستحق بالذات لان يكون نبيا وان كان في العرف لا يمدح به الكبار لان الصلاحية بشئ لا يقتضي الاتصاف به بالفعل ولذا قال ابن المنير رحمه الله ان الله أطلق على كثير من الانبياء انه كان نبيا صالحا ولا يصح ان يقال لاحد منهم انه رجل صالح لانه يوهم التسوية بينهم وبين آحاد الامم كما انه لا يجوز ان يقال لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم انه ملك وسلطان لايهامه التعظم والتجبر وان كان كذلك في نفس الامر انتهى ولما لم يفهم هذا بعض المفسرين قال ان المراد به مدح الصفة لا الموصوف كما في شروح الكشاف ومنه يعلم ان الصفة قد تكون مدحا في مقام ومن قائل وذما في غيره كصالح ومبارك (وفيه من طريق) البخاري المسندة (عن ابن عباس) رضي الله تعالى عنهما (ثم عرج بي حتى ظهرت) أي علوت وصعدت كما في قوله والشمس في حجرتها لم تظهر أي لم تعل أو بعدت كقوله * وتلك شكاة ظاهر عنك عارها * وفي نسخة ثم انطلق بي حتى ظهرت (بمستوى) بضم الميم

(أسمع فيه صريف الاقلام) أى صوت حركتها وجريانها على المخطوط فيه مما تكتبه الملائكة من أقضية الله سبحانه وتعالى ووحيه وينسخ من اللوح المحفوظ ومنه قوله تعالى كل يوم هو فى شان وفى نسخة صرير برائين وهو أشهر فى اللغة على ماصرح به بعضهم ثم جمع الاقلام يحتمل ان يكون للتعظيم أولكبره فى التجسيم (وعن أنس رضى الله تعالى عنه) أى مرفوعا (ثم انطلق بى) بصيغة المجهول أو المعلوم (حتى أتيت سدرة المنتهى فغشيها ألوان) أى اصناف من الانوار وأنواع من الاسرار (لا أدرى ماهى) أى ماهيتها وحقيقتها (قال ثم أدخلت الجنة وفى حديث ٢٤٨ مالك بن صعصعة رضى الله تعالى عنه) أى كما رواه الشيخان وغيرهما (فلما جاوزته يعنى موسى عليه السلام) تفسير من بعض الرواة (بكى) أى تاسفا على قومه اذلم يتبعوه فينتفعوا به انتفاع هذه الامة بنبيهم اذلا حسد فى ذلك العالم لاحاد المؤمنين فضلا عن الانبياء والمرسلين كذا قرره الدلجى وغيره ويؤيده قوله يدخل من أمته الجنة أكثر من أمتى ولا يبعد ان يراد به الغبطة على تلك المنزلة وكثرة الامة والظاهر انه لما جاوزته عن مقامه ومرتبته كما يشير اليه قوله فلما جاوزته ولما سيأتى صريحا من قول موسى عليه السلام لم أظن أن يرفع على أحد ويعضده قوله عليه الصلاة والسلام لقيت موسى فى السماء السادسة فلما جاوزته بكى وقال يزعم بنو اسرائيل انى أكرم ولد آدم وقد جاوزنى هذا وكأنه سلم التقديم لابراهيم لكونه جداله يحق له التعظيم مع سبقه عليه بسبعمائة سنة فى مقام التقديم ولذا عبر عنه عليه الصلاة والسلام بالغلام فتامل فى هذا المقام لعله يتبين لك المرام ثم الاظهر ان وجه الغبطة فى القربة أمور كثيرة من أنواع علو الرتبة (فنودى مايبكيك قال رب هذا غلام بعثته) وفى نسخة بعث (بعدى يدخل من أمته الجنة أكثر مما يدخل من أمتى) ولعله سماه غلاما مع كونه حينئذ كهلا أو شيخا على اختلاف القولين فى تعريفهما والغلام انما يطلق فيمن بلغ سبعا أو ثمانى وقد يطلق على الطفل تفاؤلا وقد يقال له مادام شابا فكأنه نظر الى قصر عمره وتاخر عصره مع جموم مناقبه وعموم مراتبه (وفى حديث أبى هريرة) أى ومنها فى حديثه الذى رواه البيهقى وغيره (وقد رأيتنى) بضم التاء حكاية عن نفسه وفى أصل الدلجى ولقد رأيتنى

وفتح الواو والباء بمعنى فى أو على وهو اسم مكان عال أو وسط أو واسع منبسط (أسمع فيه) أى المستوى (صريف الاقلام) الصريف بصاد وراء مهملتين وفاء كالصرير وهو صوت حركة الاجرام والمراد صوت القلم على الورق أى انتهى صلى الله تعالى عليه وسلم الى محل سمع فيه صرير اقلام الملائكة الكتبة وهى تكتب ماتنقله من اللوح أو مايؤمر بكتابته من الوحى وغيره فالاقلام على ظاهرها قيل ويحتمل ان الجمع للتعظيم وهو صريح فى ان اللوح والقلم والكتابة على ظاهرها خلافا لمن تاوله ونحن نؤمن بانه على ظاهره وحقيقته ويجب علينا اعتقاده وهذا عبارة عن غاية القرب منه لان مثله لايسمع من بعيد وروى لمنتهى بدل بمستوى قال التوربشتى يعنى انه بلغ من الرفعة لمقام أطلع فيه على التكوين ومايراد ويؤمر به من تدبير الله عز وجل وهذا منتهى لايرام ولا تصل اليه الافهام ولا ينطق فيه غير صرير الاقلام (وعن أنس) فيما رواه عنه الشيخان (ثم انطلق بى) بالبناء للفاعل والضمير فيه لجبريل عليه الصلاة والسلام أو بالبناء للمجهول (حتى أتيت سدرة المنتهى) تقدم معناه (فغشيها ألوان لا أدرى ماهى) لكونها ليست مما تشبه ألوان غيرها فى الحسن أو لان شدة نورها يمنع تحقيقها (قال) صلى الله تعالى عليه وسلم (ثم ادخلت الجنة) وهذا يدل على انها موجودة الآن وانها فى السماء وهو الذى نعتقده بلا شبهة (وفى حديث مالك بن صعصعة فلما جاوزته) أى فارقته وقدتم لى ماتم وفسر ضمير المفعول بقوله (يعنى موسى عليه الصلاة والسلام بكا) لحزنه اذلم ينل هو وأمته مانا له صلى الله تعالى عليه وسلم لامنافسة وحسد التنزههم عن مثله (فنودى) أى ناداه الله أو الملك وقال له (مايبكيك قال رب) هذا يدل على الاول بحسب الظاهر (هذا غلام) اطلاقه هذا عليه وهو اذذاك كهل أو شيخ لانه فى نحو الخمسين اما لانه أسن منه أو لانه فى الزمن الاول يعد مثله غلاما وقال ابن قرقول معناه القوى وهو غير قوى (بعثته بعدى يدخل من أمته الجنة أكثر مما يدخل من أمتى) لما علم عموم دعوته صلى الله تعالى عليه وسلم وتابيد رسالته علم كثرة أمته وقد ورد انه يراهم فى عرض المحشر اضعاف الامم وقد جوز كون بكائه غبطة وهى غير مذمومة كالحسد بل هى ممدوحة لانها من علو الهمة وقيل انه علم من أكثرية أمته فى الجنة فضيلته على غيره لانه لازم بين وأما كونه على قلة أمته فليس بشئ (وفى حديث أبى هريرة رضى الله تعالى عنه) فى الاسراء الذى رواه البيهقى وغيره (وقد رأيتنى) بضم التاء ضمير المتكلم والرؤية هنا بصرية بناء على الصحيح من ان الاسراء يقظة الا انهم قالوا لا يتعدى عامل لضمير والفاعل ضمير مثله الا فى افعال القلوب وماحمل عليها كما مر وأجيب بانها لمشابهتها الرأى العلمية لفظا ومعنى لانها جهة ادراك أجازوا فيها ذلك وقد سمع كقول عائشة رضى الله تعالى عنها لقد رأيتنا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وما لنا طعام الا الاسودان الماء والتمر وقول الحماسى

ولقد أرانى للرماح درية * من عن شمالى تارة وامامى

(فى جماعة من الانبياء) أى باجسامهم أو بأرواحهم ممثلة بصورهم التى كانوا عليها (فحانت الصلاة) أى دنت الصلاة الجامعة لعظمة تلك الواقعة وقد أبعد الدلجى فى قوله ولعلها صلاة الصبح اذ الاسراء لا يكون الا آخر الليل وهى مما فرض على الانبياء انتهى وقد سبق ان ابتداء الاسراء كان بعد صلاة العشاء وهو لم يكن الا زمنا قليلا من الليل على ما يفيده تنكير ليلا فلا يتصور حمله على صلاة الصبح أصلا (فأممتهم) بتخفيف الميم الثانية أى صليت بهم تلك الصلاة اماما وقال النووى فى بعض فتاواه يحتمل ان تكون صلاته بالانبياء ليلة الاسراء ببيت المقدس قبل صعوده الى السماء ويحتمل ان تكون بعد نزوله منها قلت وهذا يتوقف على صحة ان يكون رجوعه اليه منها ثم قال واختلف العلماء فى هذه الصلاة فقيل انها الصلاة اللغوية وهى الدعاء والذكر والثناء وقيل هى الصلاة المعهودة المعروفة وهذا أصح لان اللفظ يحمل على الحقيقة الشرعية قبل اللغوية الا اذا تعذر حمله على الشرعية ولم يتعذر هنا فوجب الحمل على الحقيقة الشرعية وكان قيام الليل واحياؤه واجبا قبل ليلة الاسراء ثم نسخ ليلة الاسراء ووجبت فيها الصلوات الخمس (فقال قائل منهم يا محمد هذا مالك خازن النار) فيه اشعار بان الصلاة كانت فى

السماء وفى رواية انها كانت فى المسجد الاقصى ولا منع من الجمع ولا النزول مالك وان كان مقره فى السماء (فسلم عليه) بصيغة الامر لانه عليه السلام كالقائم وهو كالقاعد والقائم يسلم على القاعد وان كان مفضولا (التفت) أى نظرت اليه (فبدأنى بالسلام) لانه كان بمنزلة الوافد أو عملا بالافضل خصوصا مع التادب بالنبى الاكمل واما ما قيل انما بدأه به ليزيل ما يستشعره من الخوف منه فليس فى محله (وفى حديث أبى هريرة رضى الله تعالى عنه) أى المحكى عنه ما تقدم من الزيادة (ثم سار حتى أتى

(٣٢ شفا نى)

بيت المقدس فنزل فربط فرسه) أى براقه (الى صخرة) أى قريبة من صخرة بيت المقدس أو الى صخرة عظيمة معروفة مشهورة فى وسط المسجد الاقصى قال البرقى فى غريب المواطن قيل ان مياه الارض كلها تخرج من تحت صخرة بيت المقدس وهى من عجائب مخلوقات الله تعالى فى أرضه ومن غرائبه فانها صخرة صماء فى وسط المسجد الاقصى مثل الجبل بين السماء والارض قد انقطعت عن الارض كلها من كل جهة لا يمسكها الا الله الذى أمسك السماء ان تقع على الارض الا باذنه وفى اعلاها من جهة الخوف موضع قدم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حين ركب البراق ليلة الاسراء وقد مالت من تلك الجهة من هيبته ومن الجهة الاخرى أثر أصابع الملائكة التى أمسكتها اذ مالت به ذكره التلمسانى اعلم ان التعبير بالفرس جاء فى تذكرة القرطبى برواية البيهقى عن الربيع بن أنس عن أبى العالية عن أبى هريرة وكذا رواه الطبرانى وجاء فى التفسير فى سورة الملك عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ومقاتل والكلبى فى قوله تعالى خلق الموت والحياة ان الموت والحياة جسمان فجعل الموت فى هيئة كبش لا يمر بشئ ولا يجد ريحه شئ الا مات وخلق الحياة على صورة فرس أنثى بلقاء وهى التى كان جبريل والانبياء عليهم السلام يركبونها خطوها مد البصر فوق الحمار ودون البغل لا تمر بشئ يجد ريحها الا حيي ولا تطأ شيأ الا حيي وهى التى أخذ السامرى من

(فى جماعة من الانبياء) أى بينهم أو معهم (فحانت الصلاة) بالحاء المهملة أى دخل وقتها وجاء حينها لا بمعنى دنت وقربت كما قيل لانه مجاز قامت القرينة على خلافه وهذه الصلاة قيل انها العشاء لان الاسراء يكون فى أول الليل كما هو الظاهر لانها كانت مفروضة على بعض الانبياء كما رواه المحدثون واختاره النووى قالوا وهذا كان بارواحهم ممثلة أو باجسادهم لانهم أحياء ثم ان هذا ان كان بعد الاسراء فهى الصلاة المفروضة لان المعراج تعدد كما سيأتى تفصيله والا فهى تنفل وليس المراد بالصلاة الدعاء كما قيل لان قوله (فأممتهم) أى صليت معهم جماعة وأنا امامهم يأباه ظاهرا (فقال قائل) قيل هو جبريل عليه الصلاة والسلام (هذا مالك خازن النار) أى الموكل بها وباهلها (فسلم) مالك (عليه) أى على القائل أو سلم جبريل على مالك وهو الظاهر ويحتمل ان جبريل أمره عليه الصلاة والسلام بالسلام على مالك (فالتفت) أى مالك (فبدأنى بالسلام) على والالتفات الانصراف عما كان ينظر اليه لغيره ولو بعنقه وانما بدأه بالسلام لانه قادم وليعظمه ويعلمه بامنه منه لتامين الله له لان السلام أمان وسلامة ومالك رئيس خزنة النار وملائكة العذاب ولهم صور مهولة جدا وفى الروض الانف انه صلى الله عليه وسلم لم يلقه أحد من الملائكة الا ضاحكا مستبشرا غير مالك فانه لم يضحك لاحد قط وهذا ينافيه ما ورد انه صلى الله عليه وسلم تبسم فى صلاة فسئل عن ذلك فقال رأيت مالكا راجعا من طلب القوم وعلى جناحه الغبار فضحك الى فتبسمت وأجيب بان المعنى انه لم يضحك منذ خلقت النار الا فى هذه المرة وهذه القصة وقعت بعد الخبر الاول وهذه الرؤية يحتمل ان تكون بصورته الاصلية وبغيرها وفى فتاوى النووى هذه الصلاة يحتمل ان تكون بعد صعوده صلى الله عليه وسلم للسماء ويحتمل ان تكون بعدها والظاهر الاول (وفى حديث أبى هريرة رضى الله تعالى عنه ثم سار) أى جبريل عليه الصلاة والسلام (حتى أتى الى بيت المقدس فربط فرسه الى صخرة) المراد بالفرس هنا البراق لقرب صورته منها الا ان

أثرها وألقاه في العجل حكاه الثعلبي والقشيري عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما والماوردي عن مقاتل انتهى فلا يحتاج الى ما تكلف بعضهم من القول بتعدد الاسراء والله تعالى أعلم (فصلى مع الملائكة) أي الحاضرين من الزائرين (فلما قضيت الصلاة) بصيغة المجهول (قالوا يا جبريل من هذا معك فقال) وفي نسخة قال (هذا محمد رسول الله خاتم النبيين قالوا وقد أرسل اليه قال نعم قالوا حياه الله) جملة دعائية أم من الحياة بمعنى البقاء أي بقاه الله وابقاه بمعنى عمره أو من التحية أي سلمه الله أو سلم عليه (من أخ) اذ المؤمنون أخوة عموما والانبياء خصوصا لحديث الانبياء أخوة بنو علات أبوهم واحد أي الايمان وامهاتهم شتى يعني الشرائع (وخليفة) أي لله في الارض حيث يحكم بحكمه من أمره ونهيه (فنعم الاخ ونعم الخليفة) أي هو صلى الله تعالى عليه وسلم (ثم لقوا) أي النبي وجبريل ومن معه من الملائكة أولان الاثنين أقل الجمع أو جمع للتعظيم والمعنى ثم لقي (أرواح الانبياء) أي ممثلة أو منضمة الى أشباحهم ولعل الاقتصار على الارواح لكمال صفائهم وضيائهم ثم هذه الملاقاة اما ببيت المقدس بعد انقضاء الصلاة أو بعد العروج في مراتبهم من السموات (فاثنوا على ربهم) أي شكرا لما أنعم عليهم (وذكر) أي أبو هريرة (كلام كل واحد منهم) أي عما اثنوا على ربهم (وهم ابراهيم وموسى وعيسى وداود وسليمان عليهم الصلاة والسلام ثم ذكر كلام النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي فيما اثنى على ربه روي ان ابراهيم عليه السلام قال الحمد لله الذي اتخذني خليلا وأعطاني ملكا عظيما وجعلني أمة قانتا يؤتم بي وأنقذني من النار وجعلها بردا وسلاما وقال موسى عليه الصلاة والسلام الحمد لله الذي كلمني تكليما واصطفاني وأنزل على التوراة وجعل اهلاك فرعون ونجاة

الفارس يطلق على مقابل الماشي سواء كان راكبا فرسا أو حمارا أو بغلا وقد ورد تسمية البراق فرسا في حديث المعراج في رواية أخرى انه أتي بفرس فحمل عليه واحتمال ان يكون جبريل ركب فرسا معه كما جاء في قصة مقاتلة الملائكة معه بعيد والمراد بالصخرة صخرة بيت المقدس التي كانت قبلة قال البرقي في غريب الموطأ انها من غرائب الدنيا فان جميع المياه تخرج من تحتها وهي صخرة صماء في وسط المسجد الاقصى كجبل بين السماء والارض معلقة لا يمسكها الا الله وفي أعلاها موضع قدم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حين ركب البراق ليلة الاسراء فمالت من تلك الجهة من هيبته وفي الجهة الاخرى أثر أصابع الملائكة التي أمسكتها اذ مالت ولذا كان بعضها أبعد من الارض من بعض وتحتها غار عليه باب يفتح لمن يدخله للصلاة والدعاء وعدى ربط بالى لتضمينه معنى ضم أو الى بمعنى الباء أو عند كقوله * أشهى الى من الرحيق السلسل * (فصلى) أي جبريل عليه الصلاة والسلام وقيل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (مع الملائكة) لما وجدهم يصلون ثمه (فلما قضيت الصلاة) أي تمت وفرغوا منها وقضى مبني للمجهول نائب فاعل الصلاة وتاؤه ساكنة للتأنيث وضبط في الشرح الجديد بالبناء للفاعل وضم تائه على انه التفات وهو خلاف الظاهر فان استند لرواية فبها ونعمت (قالوا يا جبريل من هذا معك) خبر بعد خبر أو حال (قال هذا محمد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خاتم النبيين) والرسل لان نفي الاعم يستلزم نفي الاخص وخاتم بكسر التاء وفتحها بمعنى آخرهم كما مر وقوله في الحديث لا نبوة بعدي الا ما شاء الله المستثنى هو المبشرات ان صحت هذه الرواية كما مر ولا يرد عيسى عليه الصلاة والسلام لانه ينزل على شريعته صلى الله تعالى عليه وسلم ولم ينبأ بعده كما مر (قالوا وقد أرسل اليه قال نعم) تقدم شرحه (قالوا حياه الله من أخ وخليفة فنعم الاخ ونعم الخليفة) هي تحية ودعاء بالبقاء والسلامة فان حيي وأحيي بمعنى ومن زائدة أو مبينة للضمير وجعله الملائكة أخالهم والمراد اخوة الايمان وخليفة لانه خليفة الله في أرضه استخلفه فيها لعمارة الارض وسياستها وتكميل النفوس البشرية وتنفيذ الاوامر الالهية لا لاحتياجه تعالى بل لقصور الخلق عن التلقي بغير واسطة وتاؤه للمبالغة قال التلمساني لا يقال للسلطان خليفة الله لان الله حي لا يغيب وانما الخليفة لمن يغيب أو يعجز وانما يقال له خليفة فقط ان اتبع الشرع والسنة والا يقال له أمير (ثم لقوا أرواح الانبياء) ببيت المقدس بعد انقضاء الصلاة أو بعد العروج في مراتبهم في السماء أي لقي الملائكة أرواح الانبياء وفي هذا دلالة على تشكل الارواح وتمثلها في الملأ الاعلى على ما كانوا عليه في الدنيا من الرتبة وما تقدم أيضا يحتمل هذا (فاثنوا على ربهم) أي أثنى الملائكة على ربهم اذ لاقوا أرواح الانبياء كما تقول اذا رأيت أحدا من الصالحين الحمد لله الذي من علينا بلقائك الا ان آخر الحديث يدل على انهم الانبياء عليهم الصلاة والسلام بدليل قوله الآتي كلكم أثنى على ربه وأنا أثني على ربي وقوله (وذكر كلام كل واحد منهم) أي من الانبياء (وهم ابراهيم وموسى وعيسى وداود وسليمان عليهم الصلاة والسلام ثم ذكر كلام النبي صلى الله عليه وسلم

فقال

بني اسرائيل على يدي وجعل من أمتي قوما يهدون بالحق وبه يعدلون وقال داود عليه السلام الحمد لله الذي جعل لي ملكا عظيما وعلمني الزبور وألان لي الحديد وسخر لي الجبال يسبحن معي والطير وآتاني الحكمة وفصل الخطاب وقال سليمان عليه السلام الحمد لله الذي سخر لي الرياح وسخر لي الشياطين يعملون لي ماشئت من محاريب وتماثيل وعلمني منطق الطير وآتاني ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي وجعل ملكي ملكا طيبا ليس فيه حساب وقال عيسى عليه السلام الحمد لله الذي جعلني كلمته وجعلني مثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون وعلمني الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل وجعلني أخلق من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيرا باذن الله تعالى وجعلني أبرئ الاكمه والابرص وأحيي الموتى باذن الله تعالى ورفعني وطهرني واعاذني وأمي من الشيطان الرجيم فلم يكن للشيطان علينا سبيل (فقال) أي أبو هريرة رضي الله تعالى عنه (وان محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم أثنى على ربه فقال كلكم أثنى على ربه وأنا أثني على ربي الحمد لله الذي أرسلني رحمة للعالمين) أي لعامة الخلق (وكافة للناس) أي أجمعين كما في نسخة (بشيرا) أي بالثواب (ونذيرا) أي بالعقاب (وانزل على الفرقان) أي المبالغ في الفرق بين الحق والباطل والحلال والحرام (فيه تبيان لكل شئ) أي من مهمات أمور الدنيا والدين اما بالنص أو بالاحالة على السنة بقوله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا أو بالحث على الاجماع لقوله تعالى ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين أو بالقياس لقوله تعالى فاعتبروا يا أولي الابصار (وجعل أمتي خير أمة) أي أخرجت للناس الآية (وجعل أمتي أمة وسطا) أي خيارا عدولا أو معتدلين في أعمارهم وأخلاقهم وأرزاقهم مقتصدين في أعمالهم (وجعل أمتي هم الاولون) أي في دخول الجنة (وهم الآخرون) أي في حصول الخلقة وفي اتيان ضمير الفصل تبيان انهم هم المختصون بهذا الفضل كذا ذكره الدلجي لكن فيه بحث اذهم في هذا التركيب مبتدأ والاولون خبره والجملة في محل نصب على انه مفعول ثان لجعل هذا وفي صحيح مسلم نحن الآخرون من أهل الدنيا والاولون يوم القيامة المقضي لهم قبل الخلائق نحن أول من يدخل الجنة (وشرح لي صدري) أي ليسع مناجاة الحق ودعوة الخلق (ووضع عني وزري) أي ثقل حمل اعباء النبوة وما يترتب عليه من لأواء المشقة

فقال وان محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم أثنى على ربه فقال كلكم أثنى على ربه وأنا أثني على ربي فأقول الحمد لله الذي أرسلني رحمة للعالمين) فيه مخالفة لما ذكر في أول الحديث من الانبياء وهو من باب الابدال لا الزيادة الا أن يكون اقتصر هنا على الزيادة وقوله الحمد لله دليل على انه تحديث بنعم الله لا مدح والعالمين شامل للمسلمين ورحمته ظاهرة لسعادتهم في الدارين في معاشهم ومعادهم وللكافرين بامنهم من الخسف والمسخ والاستئصال (وكافة للناس) بيان لعموم رسالته فهو كما رأيته صفة مصدر أي ارساله كافة أي عامة كفتهم عن الخروج منها فهو مفعول مطلق لارسلني أو اسم فاعل حال من الياء أي حال كوني كافا للناس فالتاء للمبالغة وكونه حالا من الناس مقدما على صاحبها المجرور قول ضعيف (بشيرا ونذيرا) أي مبشرا بالخير لمن آمن واتقى محذرا من كفر وعصى وهو حال مترادفة أو متداخلة حمدا أولا على ما أنعم به عليه ثم ثنى بماله من المنافع والفوائد (وأنزل على الفرقان فيه تبيان كل شئ) سمي الفرقان لانه يفرق بين الحق والباطل وهو بحسب اللغة عام خصه العرف بالغلبة وهو مصدر صار بمعنى الفارق أو المفرق آياته أو انزاله والتبيان بكسر التاء كالتلقاء شاذ وقياسه الفتح وهو جائز في غير القرآن وكونه مبينا لكل شئ كما قال تعالى ما فرطنا في الكتاب من شئ يحتاج اليه من الامور المهمة الشرعية تفصيلا في بعض واجمالا في بعض واحالة على الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم اذ امر باتباعه وعلى الاجماع بقوله تعالى ويتبع غير سبيل المؤمنين واتباع أئمة الدين وهو شامل للقياس والاجتهاد كما في الكشاف وغيره من التفاسير (وجعل أمتي خير أمة) كما قال تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس وفسره بقوله تعالى تأمرون بالمعروف الآية (وجعل أمتي أمة وسطا) أي عدولا خيارا جامعين بين العلم والعمل وسائر الصفات التي بين التفريط والافراط استعير من المكان المستوي الجوانب لما ذكر (وجعل أمتي هم الاولون وهم الآخرون) هم ضمير مبتدأ أو يفيد الحصر وليس ضمير فصل لانه لو كان كذلك قال الاولين ومعنى أوليتهم سبقهم الناس في القيام من القبور وفي دخول الجنة وفصل القضاء وتأخرهم باعتبار الوجود الخارجي وقد فسره بهذا في حديث البخاري وهو قوله نحن الاولون السابقون يوم القيامة بيد انهم أوتوا الكتاب قبلنا وليس تفسيره بسبق السعادة في الازل كما قيل بواضح (وشرح لي صدري) أي وسعه بالعلم والايمان والحكمة واليقين بحيث لا أحزن على أمر من أمور الدنيا أو شقه وملأه بانواره كما مر (ووضع عني وزري) أي ظهر قلبي من حظ الشيطان وعصمني فلا أرتكب ما لا يرضي الله ولذا قال الله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر فسوى بين ما تقدم وما تأخر لعدم وقوعهما أو خفف

(ورفع لی ذکری) أی باقتران اسمه لاسمه واشتراك طاعته لرسمه (وجعلنی فاتحا) أی لابواب التحقیق وأسباب التوفیق وحاکما فی خلقه أو بادئا فی ظهور أمره ووجود نوره بمناسبة قوله (وخاتما) أی وجعلنی خاتم النبیین والاظهر ان یقال معناهما أولا وآخرا لما روی انه علیه الصلاة والسلام قال کنت أول الانبیاء فی الخلق وآخرهم فی البعث (فقال ابراهیم بهذا) أی بمجموع ما ذکر فیما حمده وشکره (فضلکم محمد) أیها الانبیاء وهو بتخفیف الضاد أی بهذا صار أفضلکم (ثم ذکر) أی أبو هریرة رضی الله تعالی عنه (انه) أی جبریل (عرج به) وفی نسخة بصیغة المجهول فضمیر انه للشان (الی السماء الدنیا ومن سماء الی سماء نحو ما تقدم) فیه ایماء الی ان ملاقاته الانبیاء هذه کانت ببیت المقدس والله تعالی أعلم (وفی حدیث) ابن مسعود (رضی الله تعالی عنه) أی مما رواه أبو نعیم فی دلائله وابن عرفة فی جزئه (وانتهی بی)

یعنی جبریل علیه السلام قاله الدلجی لکنه بصیغة المجهول فی النسخ المصححة (الی سدرة المنتهی وهی فی السماء السادسة) کذا فی مسلم قال النووی فی جمیع أصوله وعن المصنف هو الاصح وقول الاکثرین ومقتضی تسمیتها بالمنتهی انها فی السماء السابعة ولذا صحح فی بعض النسخ المعتمدة بلفظ السابعة وقد جمع بینهما النووی بان أصلها فی السادسة ومعظمها فی السابعة انتهی وفی روایات الاخر من حدیث أنس رضی الله تعالی عنه انها فوق السماء السابعة قال المصنف وخروج النهرین الظاهرین النیل والفرات من أصلها مؤذن بانه فی الارض انتهی وفیه بحث لا یخفی ومع تسلیم ظاهره ادعی یمکن الجمع بان مبدأها فی الارض ومعظمها فی السماء السادسة وانتهاؤها ومحل اثمارها وغشیان أنوارها فی السماء السابعة ان

ویؤیده قوله (والیها) أی الی السدرة (ینتهی ما یعرج به من الارض) بصیغة المجهول وکذا قوله (فیقبض منها) أی تقبضه الملائکة الموکلون فیها باخذ ما صعد به من الاعمال والارواح الیها (والیها ینتهی ما یهبط) أی ینزل (فیقبض من فوقها منها) أی فیقبضه من أذن له بقبضه وایصاله الی من قضی له به وفی الحاشیة قال ابن عباس والمفسرون سمیت سدرة المنتهی لان علم الملائکة ینتهی الیها ولم یجاوزها أحد الا رسول الله صلی الله تعالی علیه وسلم والله سبحانه وتعالی أعلم (قال) أی الله سبحانه وتعالی (اذ یغشی السدرة ما یغشی) أی یغطیها ما یغطی مما یصعد الیها من تحتها ویهبط علیها من فوقها وهذه عبارة لأمر من عبر بها وبهذا یجمع بین روایات مختلفة اذ روی انه یغشاها جم غفیر من الملائکة وفی روایة رفرف من طیر خضر وتقدم عن الحسن انه نور رب العزة

اعباء النبوة والتبلیغ بافاضة أیادیه علی فالجملتان فی غایة التناسب (ورفع ذکری) أی جعلنی مذکورا فی الملأ الاعلی وجعل اسمی طراز الجنان ومقرونا مع اسمه علی کل لسان وعلی المنار فی کل اقامة وأذان کما قال حسان رضی الله عنه

وضم الاله اسم النبی الی اسمه * اذا قال فی الخمس المؤذن أشهد

(وجعلنی فاتحا وخاتما) للنبوة اذ خلق روحی قبل الارواح ونبأها قبل کل نبی (فقال ابراهیم علیه الصلاة والسلام بهذا) أی بمجموع ما ذکر وبکل واحدة منها لا بالاول فقط کما قیل (فضلکم محمد) أی زاد فضله صلی الله علیه وسلم علیکم وقدم المعمول للحصر وقال هذا ابراهیم علیه الصلاة والسلام خطابا للانبیاء لما سمع مقالته صلی الله تعالی علیه وسلم (ثم ذکر انه) أی النبی صلی الله تعالی علیه وسلم أو جبریل فقوله (عرج به) مبنی للفاعل أو المفعول (من السماء الدنیا ومن سماء الی سماء نحو ما تقدم وفی حدیث ابن مسعود رضی الله تعالی عنه) الذی رواه ابن عرفة فی جزأیه وأبو نعیم فی الدلائل (وانتهی بی) أی جبریل علیه الصلاة والسلام أی وصل نهایة عروجه بی أو هو مبنی للمفعول (الی سدرة المنتهی وهی فی السماء السادسة) وتقدم ان الاکثر علی انها فی السابعة والجمع بینهما بان أصلها فی السادسة وفروعها فی السابعة الا أنه قیل أن خروج النیل والفرات من أصلها یقتضی انها فی الارض وورد فی حدیث آخر ان الانهار أربعة هذان وسیحان وجیحان وورد انها فی الجنة قال ابن المنیر رحمه الله تعالی فان قلت کیف انصبابها للارض قلت یمکن أن یکون کالمطر فیفترق ثم یجتمع ویساق کل لمستقره ومجراه ویحتمل ان انصبابها فی نواح من الارض غائبة عنا شاسعة بعیدة غیر متصلة بمبادی هذه الانهار فان منها ما لم نقف علی مبادیه الی الآن قلت یشهد له قصة النیل وبهذا یجمع بین کونها فی السماء والجنة والارض وقوله (الیها ینتهی ما یعرج به من الارض) بالبناء للمفعول أی ما تعرج به الملائکة علیهم الصلاة والسلام من أمور الارض للعرض علی الله من أمور عبیده (فیقبض منها) بالبناء للمجهول والقاف والضاد المعجمة قبلها باء موحدة مفتوحة کذا صححوه أی تقبضه الکتبة وتکتبه ومن للابتداء والضمیر للسدرة والمراد انه عندها یرفع الیهم (والیها ینتهی ما یهبط من فوقها) من العرش بواسطة الملائکة المقربین (فیقبض منها) أی یوحی الیهم عامه ولو قیل ضمیر منها للملائکة للعلم بهم من السیاق کان أظهر (قال تعالی اذ یغشی السدرة ما یغشی) أی أمر عظیم لا یعلم کنهه وظاهر السیاق ان المراد بهذا أمر الله ووحیه فکان علیه

(قال) أى ابن مسعود رضى الله تعالى عنه (فراش من ذهب) الفراش بفتح الفاء الطائر الذى يلقى نفسه فى ضوء السراج وقد يطلق على الحباب الذى يعلو النبيذ ونحوه وقد ذهب توجيهه (وفى رواية أبى هريرة رضى الله تعالى عنه) أى ومنها فى روايته (من طريق الربيع بن أنس رضى الله تعالى عنه) والربيع هذا بصرى نزل خراسان روى عن جماعة من الصحابة وروى عنه الثورى وابن المبارك وطائفة (فقيل لى هذه) أى المشار اليها (سدرة المنتهى) وفى نسخة صحيحة السدرة بالالف واللام قال الانطاكى هذا ما وقع فى النسخ فى هذه الرواية السدرة بالالف واللام وفى باقى الروايات سدرة المنتهى بدونهما وكذا وقع فى صحيح مسلم السدرة بالالف واللام فى قوله عليه الصلاة والسلام ثم ذهب بى الى السدرة المنتهى قال النووى فى شرحه وفى غيره من الروايات سدرة المنتهى يعنى بدون الالف واللام ولم يذكر لذلك علة (ينتهى اليها كل أحد) أى روحه أو عمله أو بكليته عند دخول جنته (من أمتك خلا على سبيلك) أى مضى على طريقتك ومنه قوله تعالى وان من أمة الا خلا فيها نذير أى مضى نبى منذر وأما ما ضبط فى حاشية بضم الخاء وتشديد اللام على أنه مبنى للمفعول فتصحيف وتحريف (وهذه سدرة المنتهى يخرج من أصلها أنهار من ماء غير آسن) بهمزة ممدودة أو مقصورة كما قرئ بهما فى السبعة غير متغير طعما ولونا وريحا (وأنهار من لبن لم يتغير طعمه) لعل الاقتصار على الطعم لان مدار التنعم عليه أو للزوم تغييره بتغير لونه وريحه (وأنهار من خمر لذة) تانيث لذ أى لذيذة أو ذات لذة (للشاربين) وقد يقال وصفها بلذة للمبالغة كأنها نفسها وعينها (وأنهار من عسل مصفى) أى مخلص من خلط شمع وغيره من فضلات النحل وغيرها فانه مخلوق لا من صنع نحل (وهى) أى سدرة المنتهى (شجرة) أى عظيمة (يسير الراكب فى ظلها سبعين عاما) وفى رواية الترمذى مائة سنة (وان ورقة منها) أى من أوراق تلك الشجرة بسبب كبرها وكثرة طولها وعرضها (مظلة الخلق) بضم الميم وكسر الظاء المعجمة من الاظلال وفى نسخة بفتحهما أى محل ظلالهم والمعنى ان ظلها شامل لهم حائل عليهم والتشبيه السابق لورقها بآذان الفيلة من حيث الهيئة لا ينافى كبرها باعتبار العظمة (فغشيها نور) أى نور عظيم من الانوار الالهية لقوله (وغشيتها الملائكة) أى بانوارهم الملكية فبقى نور على نور وقيل غشيها ملائكة كأمثال الطير يقعن على الشجر وهذا التقرير أولى من قول الدلجى فى قوله غشيها نور ولعله نور الملائكة حين أقبلت اذ قد خلقت من نور ثم رأيت فى حاشية انه قال فى التفسير فغشاها نور رب العزة وقد سبق انه قول الحسن فهو أحسن (قال) أى الراوى (فهو قوله تعالى اذ يغشى السدرة ما يغشى) أى فيما سبق هو معنى قوله تعالى ما يغشى وايضاح له بعد ابهامه تفخيما وتعظيما وتكثيرا لما يغشاها

ان يبينه (قال) أى ابن مسعود رضى الله تعالى عنه (فراش من ذهب) أى ذهب على صورة فراش وفراش مرفوع عامله مقدر أى غشيها فراش والفراش معلوم (وفى رواية أبى هريرة من طريق الربيع ابن أنس) البكرى البصرى نزيل خراسان التابعى الثقة يروى عن أنس رضى الله عنه والرواية عنه مشهورة توفى فى سنة تسع وثلاثين ومائة (فقيل لى هذه سدرة المنتهى) التى سمعت بها والظاهر ان القائل جبريل عليه الصلاة والسلام ووقع فى بعض النسخ السدرة المنتهى بتعريفهما دون اضافة كالآتى أى السدرة التى هى المنتهى فالمنتهى مبدل منها (ينتهى) ويصل (اليها كل أحد من أمتك خلا) بفتح المعجمة واللام المخففة أى مضى كقوله تعالى تلك أمة قد خلت وفى نسخة بضم الخاء وتشديد اللام المكسورة (على سبيلك) أى على طريقتك وسنتك أى من مات من أمتك مؤمنا بك عرج بروحه مع الملائكة اليها فيقال هذا عبدك فلان ابن فلان فيؤتى له بصك الامان وبهذا فسر قوله تعالى ان كتاب الابرار لفى عليين الآية (وهى السدرة المنتهى يخرج من أصلها) أى عروقها الداخلة فى الارض (أنهار من ماء غير آسن) أى لا يتغير طعمه ولونه ورائحته أصلا وان طال مكثه وعدم جريانه وليس المراد نفى التغير فى الحال لان كثيرا من أنهار الدنيا كذلك وهذا مع عذوبته فان المياه العذبة هى القابلة للتغير ولذا كان البحر المحيط بالدنيا مالحا على ما قرره ارباب الطبائع فى علم الحكمة (وانهار من لبن لم يتغير طعمه) أى لم يحمض كغيره اذا مكث (وانهار من خمر لذة للشاربين) أى لذة سائغة ليس كخمر الدنيا المرة المستكره شربها حتى على من ابتلى بشربها حتى قالوا أثقل من القدح الاول (وانهار من عسل مصفى) من القذا والشمع وان لم تمسه نار لانه ليس رجيع النحل وقئ الذباب (وهى شجرة) يسير الراكب فى ظلها سبعين عاما (وان ورقة منها مظلة الخلق) بضم الميم وكسر الظاء المشالة وتشديد اللام المكسورة اسم فاعل من أظل مضاف للخلق والمراد الجمع الكثير لا سائر الخلق اذ لا يصح هنا وهذا عبارة عن سعة ظلها * فان قلت قد تقدم انها كآذان الفيلة * قلت أجيب بانه فى الشكل ومن قال التشبيه فى الكبر فيه ما فيه (فغشيها نور) من الانوار الالهية (وغشيتها الملائكة) وهم نور مصور قابل للصور (قال فهو قوله تعالى اذ يغشى السدرة ما يغشى) أى فى تفسير هذه الآية على قول كامر

(فقال الله تبارك وتعالى) ولا يخفى مناسبة هذا التمجيد هنا لان تبارك تفاعل من البركة و كثرة الخير الفائض منه ولذا لا تسند هذه الصيغة لغيره والتعالى العظمة والرفعة فى عظمة الربوبية لا المحسوس فانه منزه عنه (له) أى لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم (سل) أصله اسئل فخفف وحذف المفعول للعموم أى سل كل ما تريد (فقال انك اتخذت ابراهيم خليلا) أى اصطفيته وخصصته بالخلة وسياتى تحقيقها والفرق بينها وبين المحبة (وأعطيته ملكا عظيما) قال ابن المنير الملك العظيم الذى أوتيه ابراهيم يحتمل انه ما أوتيه ذريته كيوسف وسليمان وداود وغيره من ملوك بنى اسرائيل من ذريته كما قال الله تعالى فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما وكونه ملك النفس والزهد غير مناسب هنا والمراد قهره صلى الله تعالى عليه وسلم لعظماء الملوك فى عصره كنمرود اذ القاهر أعظم من المقهور وجاء فى التفسير ان الملك النبوة * فان قلت كيف هذا وقد قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم للأعرابى خفف عليك فلست بملك وقال أبو سفيان للعباس رضى الله تعالى عنهما اذ أوقفه على كتائب الفتح فلم يرضها حتى مرت الكتيبة الخضراء التى فيها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكانوا يسمونها الخضراء لكثرة الحديد فيها وهو عند العرب أخضر ولذا قال ابن هانئ

وجنيتم ثمر الوقائع يانعا * بالنصر من ورق الحديد الاخضر

وربماسه والسيف بذلك بلغة فقال لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيما فقال لا تقل ملكا انما هو النبوة فلم يرض تسميته صلى الله تعالى عليه وسلم ملكا قلت المنفى الملك العرفى المذكور فى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم الخلافة بعدى ثلاثون عاما ثم تعود ملكا وأما الملك الحقيقى الدينى فليس بمنفى ومع هذا لا يجوز ان يطلق على نبينا وابراهيم عليهما الصلاة والسلام انهما ملكان لان مقام النبوة أشرف وعدمه فيه صلى الله تعالى عليه وسلم وفى آبائه من دلائل النبوة ولذا سال هرقل هل كان فى آبائه ملك وخرجت الخلافة عن أهل بيته لئلا يتوهم انه ملك متوارث انتهى وبهذا يندفع ما يرد على الفقهاء فى تقسيم أحكامه الى فتيا وقضا وسلطنة (وكلمت موسى تكليما) أى خصصته بكلامك له من غير واسطة حقيقة كما يشير اليه التاكيد خلافا لمن أنكره من المعتزلة كما بين فى الاصول (وأعطيت داود ملكا عظيما) أى ملكا شرعيا لا عرفيا وهو الخلافة العظمى حتى سخرت له الطير والجبال (وألنت له الحديد) بحيث كان فى يده كالعجين يتخذ منه الدروع (وسخرت له الجبال) فكانت تسبح معه اذا سبح (وأعطيت سليمان ملكا عظيما) اذ ملكته الدنيا باسرها (وسخرت له الجن والانس) فكانت الجن تخدمه عليه الصلاة والسلام فى بنائه وغيره فبنت له بيت المقدس بالرخام المزخرف بناء عاليا حتى كان يضىء فى الليلة المظلمة ولم يزل كذلك حتى خربه بخت نصر ونقل ما فيه لمملكته بالعراق وكان جميع جنده ورعاياه لا يعصونه فى شئ (والشياطين) وهم مردة الجن فهو من عطف الخاص على العام فكانوا يغوصون البحار ويستخرجون الدرر والجواهر ويعملون له ما يريد (والرياح) فكانت تجرى بامره كما يشاء تحمل كرسيه وبساطه مسيرة شهر غدوا ومسيرة شهر رواحا (وأعطيته ملكا لا ينبغى لاحد من بعده) كان ساله من الله وهو

(فقال تبارك) أى تكاثر خيره وتزايد بره (وتعالى) أى تنزه شانه وتبين برهانه (له) أى للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم (سل) أى تعط (قال انك اتخذت ابراهيم خليلا) أى والخلة أعظم خلة اذ هى كرامة جليلة ومقامة جميلة تشبه كرامة الخليل عند خليله ماخوذة من الخلال فانها ودية تتخلل النفس وتخالطها وقد روى ان ابراهيم عليه السلام بعث الى خليل له بمصر يمتاز منه لازمة أى شدة منه أصابت الناس فقال لو أن ابراهيم أراد ذلك لنفسه فعلت ولكن يريد لاضيافه وقد علم ابراهيم ما أصاب الناس فاجتاز غلمانه ببطحاء لينة فلأوا منها أوعيتهم فوجده أهل بيته دقيقا حوارى فخبزوا منه فشم ابراهيم رائحة الخبز فقال من أين لكم هذا فقيل من خليلك المصرى فقال بل من خليلى الله فسماه الله تعالى خليلا (وأعطيته ملكا عظيما) أى ملكا جسيما كما قال الله تعالى فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما أى آل ابراهيم معه ومنهم داود وسليمان (وكلمت موسى تكليما) أى وعظمته بذلك تعظيما وتكريما (وأعطيت داود ملكا عظيما) قال ابن عباس رضى الله تعالى عنه كان أشد ملوك الارض سلطانا كان يحرس محرابه كل ليلة ستة وثلاثون ألف رجل ذكره البغوى فى تفسيره (وألنت له الحديد) أى كالشمع لا يحتاج الى احماء وطرق (وسخرت له الجبال) أى معه كما فى أصل الدلجى وقد قال الله تعالى انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشى والاشراق والطير محشورة كل له أواب (وأعطيت سليمان ملكا عظيما) أجمله ثم فصله بالعطف التفسيرى فى قوله (وسخرت له الجن والانس والشياطين) أى كل بناء وغواص وآخرين مقرنين فى الاصفاد (وأعطيته ملكا لا ينبغى) أى لا يوجد (لاحد من بعده) وهذا تعميم بعد تخصيص واعاده ثانيه زيادة وتلويح الى ما حكاه الله عنه رب اغفر لى وهب لى ملكا لا ينبغى لاحد من بعدى وانما قاله ليكون له معجزة خارقة للعادة لا انه قصد به الحسد فى الرياسة والمنافسة

ملك

أو لئلا يقع أحد فيما وقع فيه من ابتلاء الحالة التي لا تخلو من نوع المحاسبة والمناقشة وصنف من المخاطرة من نقصان كمال المرتبة (وعلمت عيسى التوراة) أي تبعية (والانجيل) أصلية بروي وعلمت موسى التوراة وعيسى الانجيل (و جعلته يبرئ الاكمه) أي من ولد أعمى أو هو الممسوح العين (والابرص) أي ممن ببدنه بياض أمهق

كالجص روى انه ربما اجتمع الالوف عليه ومن لم يطق اتيانه ذهب اليه وما يداوي الا بالدعاء لديه والمعنى ان هذا في حال الكبر (واعذته وأمه من الشيطان الرجيم) أي في حال الصغر (فلم يكن له) أي الشيطان (عليهما سبيل) لقوله سبحانه ان عبادي ليس لك عليهم سلطان ولاستعاذة جدته حنة امرأة عمران (فقال له ربه تعالى) أي تسلية لنبينا عن مرتبة الغبطة بالعطية من أعلى الرتبة (قد اتخذتك حبيبا) والمحبة أخص من الخلة فانها من حبة القلب ولان الفعيل يحتمل معنى الفاعلية والمفعولية فله الجمع بين مرتبتي المحبية والمحبوبية ويؤيده ان في نسخة صحيحة خليلا وحبيبا وهي في ارادة هذا المعنى صريحة وأما قوله (فهو مكتوب في التوراة محمد حبيب الرحمن) فلا ينافيه ما قدمناه من البيان اذ اذكر ما خص به من مقام الاعيان هذا وقد قال الدلجي هذا مدرج من كلام الراوي اقامة بينة لصحة زيادة رواية أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ولعل وجه تخصيص اضافته الى الرحمن لكونه رحمة للعالمين من عند أرحم الراحمين (وأرسلتك الى الناس كافة) أي رسالة عامة فارساله الى الناس تعميما يفيد تعظيما بالنسبة الى من أوتي ملكا عظيما ثم زاده عليه بما ضم اليه من

ملك الانس والجن والرياح فذلك ما فوق الارض وما تحتها وقد عرض هذا على نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فلم يقبله واختار كونه عبد الله (وعلمت عيسى) وهو صغير (التوراة والانجيل) الذي أنزل عليه وحفظ التوراة وعمل بها لان الانجيل ليس فيه أحكام وانما هو حكم وحقائق التوحيد وقيل فيه أحكام قليلة بالنسبة للتوراة وفي نسخة وعلمت موسى التوراة وعيسى الانجيل (و جعلته يبرئ الاكمه) الذي ولد أعمى بدعائه صلى الله تعالى عليه وسلم باسمك وقال التلمساني هو الذي لا يبصر بالليل ويبصر بالنهار قاله البخاري عن قتادة ولا يعلم هذا في لغة والمعروف ما تقدم والذاهب البصر بعد الابصار أعمى والاكمه الذي سلب عقله بتنزيل البصيرة منزلة البصر أو الذي اعترته ظلمة فغيبت بصره انتهى وكلامه تناقض فان المعنى الاخير هو عين ما انكره فان كان منقولا عن اللغة صح ما قاله قتادة وهو ثقة ليس متهما بالمجازفة في تفسير القرآن لاسيما وقد تابعه البخاري ومتابعته تعتمد في حديث لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فكيف اللغة (والابرص) وهو علة مزمنة لا يتيسر علاجها للحكماء بها يبيض لون البدن ويصير قبيحا وهو أقبح الامراض بعد الجذام ولذا جوز الشافعي رضي الله تعالى عنه فسخ النكاح به (واعذته) أي حفظته وأجرته (وأمه) مريم (من الشيطان الرجيم) الرجم كناية عن اللعن والطرد من رحمة الله ولذا قال اني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم وسيأتي في حديث مسلم ما من مولود يولد الا نخسه الشيطان فيستهل صارخا من نخسه الا ابن مريم وأمه وكذا نبينا عليه أفضل الصلاة والسلام لان المتكلم لا يدخل في عموم كلامه ولانه علم بالحديث انه صلى الله تعالى عليه وسلم ولد مشيرا الى السماء ناظرا لربه ولم يسلط عليه شيطان كما جعل بينه وبين مريم وابنها حجابا وهذا غير القرين الذي مع كل أحد حتى الانبياء عليهم الصلاة والسلام وفي هذا كلام في الكشاف وشروحه سيأتي بيانه مع الكلام على الحديث (فلم يكن له عليهما سبيل) اذ حماهما وعصمهما منه (فقال له ربه) أي لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم لما سمع مقالته وان المقامات العلية سبق لها السابقون من الرسل عليهم الصلاة والسلام (قد اتخذتك حبيبا) هذا في مقابلة الخلة والمحبة أعظم من الخلة كما سيأتي ولم يذكر ما يقابل ما بعده لانه معلوم اذ هو لم يرض الملك وقد خبأ دعوته صلى الله تعالى عليه وسلم لما هو أعظم من هذا وهو الشفاعة العظمى والقرآن أعظم من التوراة والانجيل وابراء الاكمه ونحوه وقد وقع منه صلى الله تعالى عليه وسلم مثله كرد عين قتادة وبرء كثير من الامراض بمس يده الشريفة كما سيأتي وتقدم الكلام على اعاذته من الشيطان (فهو مكتوب في التوراة محمد حبيب الرحمن) وهذا من كلام الراوي كالشاهد لصحة الزيادة المذكورة وفي السبعيات للهمداني قال ثبت في الحديث انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال هممت ليلة المعراج أن أخلع نعلي فسمعت النداء من قبل الله تعالى يا محمد لا تخلع نعليك لتشرف السماء بهما فقلت يا رب انك قلت لموسى اخلع نعليك انك بالواد المقدس فقال يا أبا القاسم ادن مني لست عندي كموسى فان موسى كليمي وأنت حبيبي انتهى وقد سئل الامام القزويني عن وطئ النبي صلى الله تعالى عليه وسلم العرش بنعاله وقول الرب جل جلاله لقد شرف العرش بنعلك يا محمد هل ثبت ذلك أم لا فاجاب بان ذلك ليس بصحيح ولا ثابت بل وصوله صلى الله تعالى عليه وسلم الى ذروة العرش لم يثبت في خبر صحيح ولا حسن ولا ثابت أصلا وانما الذي صح في الاخبار انتهاؤه الى سدرة المنتهى فحسب وأما الى ما وراءها فلم يصح وانما ورد ذلك في أخبار ضعيفة أو منكرة لا يعول عليها انتهى وتابعوه على ذلك وقوله (وأرسلتك الى الناس كافة) قد تقدم

قوله (وجعلت أمتك هم الاولون) أى فى دخول الجنة شهودا (وهم الآخرون) أى فى الدنيا وجودا (وجعلت أمتك) أى أمة الاجابة (لا يجوز لهم خطبة حتى يشهدوا انك عبدى ورسولى) أى ولو خارج الخطبة فلا يرد على أبى حنيفة فى تجويز الخطبة على نحو تسبيحة وتحميدة أو المراد بالامة أمة الاجابة والمراد بنفى الجواز انه لا ينبغى ترك الشهادة لاسيما حال القدرة فالمعنى على نفى الكمال كحديث كل خطبة ليس فيها تشهد فهى كاليد الجذماء أى ناقصة مقطوعة الفائدة كحديث كل أمر ذى بال لا يبدأ فيه ببسم الله أو بالحمد لله فهو أجذم أو أبتر أو أقطع روايات (وجعلتك أول النبيين خلقا) أى لانه سبحانه وتعالى خلقه قبل آدم فلما خلق آدم قذفه فى صلبه فلم يزل فى صلب كريم الى رحم طاهر من السفاح حتى خرج من بين أبويه فكان أولهم خلقا وجودا (وآخرهم بعثا) وشهودا مع زيادة انه أعظمهم خلقا (وأعطيتك) أى خاصة (سبعا من المثانى) وهى الفاتحة على الصحيح من قوله سبحانه وتعالى ولقد آتيناك سبعا من المثانى والقرآن العظيم الآية (ولم أعطها نبيا قبلك) تأكيد لما قبله وتأييد (وأعطيتك خواتيم سورة البقرة) الظاهر انها من قوله آمن الرسول الى آخر السورة (من كنز تحت العرش لم أعطها نبيا قبلك) أى بانزال مضمونها على أحد منهم ادخارا لك وقال التوربشتى بل المعنى انه استجيب له ولمن بعده مضمون قوله تعالى غفرانك ربنا الخ قال الدلجى ويؤيده انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما دعا بهن قيل له قد فعلت وأوثر الاعطاء مناسبة للتعبير بكنز تحت العرش انتهى ولا يخفى انه لا منافاة بين الجمع فالحمل عليه أولى (وجعلتك فاتحا وخاتما) أى مبدأ للخيرات ومنتهى للمبرات أو أولا وآخرا باعتبار الارواح والاشباح من بين الانبياء (وفى الرواية الاخرى) أى التى رواها مسلم (قال) أى ابن مسعود (فاعطى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثلاثا) أى مما لم

شرحه وكذا قوله (وجعلت أمتك هم الاولون وهم الآخرون) لسبقهم فى دخول الجنة وتأخرهم وجودا والمنة بهذا عليه لما تضمنه من كثرتهم وقلة مكثهم فى القبور وعدم نسخ شريعتهم (وجعلت أمتك لا يجوز لهم خطبة) هى كلام يقال على رؤس الاشهاد للاعلام بامر مهم وكان عادة العرب اذا اجتمعوا فى نادقام منهم واحد فخطب اذا تفاخروا أو تصالحوا أو أرادوا وعظا والقس فى سوق عكاظ خطيب مشهور فجاء الشرع على نهجهم فكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا وقع أمر قام بينهم خطيبا فالخطبة مشتقة من الخطب وهو الامر العظيم وبقى ذلك مشروعا فى الجمعة والعيدين والنكاح والاستسقاء لوعظ الناس ونحوه (حتى يشهدوا انك عبدى ورسولى) أى لا يعتد بخطبهم الا اذا أتوا فيها بكلمتى الشهادة لما ورد فى الحديث كل خطبة ليس فيها تشهد فهى كاليد الجذماء أى هى ناقصة لا بركة فيها وهذا يقتضى ان التشهد فيها ركن أو شرط قيل وهذا لم يقل به أحد من الفقهاء وأئمتهم * فان قيل المراد انه لا يصح خطبة من لم يصدر منه الشهادة أى لا تصح الا خطبة المسلم المصدق بك والامة أمة الدعوة فهو بعيد وأجيب بان الشافعى وغيره اشترط فى الخطبة الصلاة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهى تتضمن الشهادة بذلك ولا تخفى ان هذا غير موافق لظاهر الحديث فالظاهر انه كان واجبا فنسخ وجوب الاقتصار على مقدار تهليلة وتسبيحة وقال أبو يوسف ومحمد رحمهما الله تعالى لابد من ذكر طويل يسمى خطبة وأقله قدر التشهد الى قوله عبده ورسوله يثنى بها على الله ويصلى على نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم ويدعو للمسلمين لان الخطبة واجبة وما دون ذلك لا يسمى خطبة عرفا كما قاله الزيلعى والحديث شاهد له (وجعلتك أول النبيين خلقا) لانه خلق روحه قبل الارواح ثم خلق الارواح ونبأه فهو أولهم خلقا ونبوة (وآخرهم بعثا) وارسالا كما تقدم بيانه (وأعطيتك سبعا من المثانى) أى الفاتحة لانها سبع آيات وهى تثنى وتكرر فى كل ركعة أو السبع الطوال البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والانعام والاعراف والتوبة وحدها أو مع الانفال بناء على انهما سورة واحدة لعدم البسملة بينهما لتكرر المواعظ والعبر فيها (ولم أعطها نبيا قبلك) كما تقدم بيانه (وأعطيتك خواتيم سورة البقرة من كنز تحت عرشى) الكنز المال المدفون فشبه به ما فى اللوح المحفوظ مما لم يطلع عليه خلقه كجعل خواتيم سورة البقرة وما فيها من الثواب المعد لمن قرأها مالا عظيما أخرج من ذلك الكنز الذى هو اللوح وفى الحديث من قرأها كفتاه أى عن قيام الليل أو من الشيطان ويؤيده ما روى عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال أنزل الله على آيتين من كنوز الجنة ختم بهما سورة البقرة كتبهما الرحمن بيده قبل ان يخلق الخلق بالفى عام من قرأهما بعد العشاء مرتين كفتاه من شر الشيطان ولا يكون له عليه سلطانا وقال التوربشتى المعنى انه استجيب له مضمون قوله غفرانك الى آخره ونصره ولما قرأهن صلى الله تعالى عليه وسلم قيل له قد فعلت وأوثر الاعطاء لمناسبة الكنز (لم أعطها نبيا قبلك) أى لم يعط مثل ثوابها أحد قبله صلى الله عليه وسلم (وجعلتك فاتحا وخاتما) أى فاتحا لكل خير وشريعة فهو أعم من قوله جعلتك أول النبيين خلقا وآخرهم بعثا فمن فسره به فقد قصر (وفى الرواية الاخرى) التى رواها مسلم (قال فاعطى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثلاثا) من الفضائل المخصوصة به صلى

الله

يعطها غيره (أعطى الصلوات الخمس) أي فريضة في كل يوم وليلة (وأعطى خواتيم سورة البقرة) أي قراءة وإجابة (وغفر لمن لا يشرك بالله شيئا) أي من الشرك (من أمته المقحمات) أي السيآت المهلكات أهلها ولو من غير توبة وفيه إشارة إلى أنه من خصوصيات هذه الامة المرحومة ببركة نبي الرحمة لكنه مع هذا تحت المشيئة ومختصة بمن تعلقت به الارادة لقوله تعالى ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فاندفع ما أورده الدلجي من وجه الاشكال بقوله يفيد ظاهره العموم فيلزم أنه لا يعذب أحد من الاجماع على تعذيب بعض عصاة المؤمنين أي من هذه الامة والافلا اشكال وأبعد من قال أراد بغفرانها أن لا يخلد أحد منهم في النار لا أن لا يعذب أصلا إذ فيه أنه لا خصوصية حينئذ قطعا ثم المقحمات بضم ميم وكسر حاء مهملة مخففة وقيل مثقلة الذنوب العظام التي من شأنها أن تقحم صاحبها في النار وتدخله الشدة في دار البوار وهو مرفوع على أنه نائب الفاعل لقوله غفر والمعنى أنه أعطى الشفاعة لاهل الكبائر من الامة (وقال) أي ابن مسعود في قوله تعالى (ما كذب الفؤاد ما رأى الآيتين) أي في هذه الآية وفي ما بعدها من قوله تعالى ولقد رآه نزلة أخرى (رأى جبريل في صورته أي التي خلق عليها في أصل) جبلته (له ستمائة جناح) أي مختص بزيادة الاجنحة على سائر الملائكة كما قال سبحانه وتعالى جاعل الملائكة رسلا أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق ما يشاء وأشار إليه سبحانه وتعالى بقوله علمه شديد القوى ذو مرة فاستوى لان القوة على قدر زيادة الاجنحة اللازمة لعظم الجثة ومنه حديث أبي داود وغيره أن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم إما حقيقة صيانة لامره وحفظا لشأنه أو تواضعا تعظيما لحقه وأما ما ذكره السهيلي من أنه قد قال أهل العلم في أجنحة الملائكة أنها ليست كما يتوهم من أجنحة الطير ولكنها صفات ملكية لا تفهم إلا بالمعاينة فهو خلاف الظاهر المتبادر من معنى الحقيقة التي لا ينافيها عقل ولا نقل وقد أبعد بقوله واحتجوا بالآية فإنه لم ير طائر له ثلاثة أجنحة أو أربعة حيث غفلوا عن أنه لا يقاس الغائب على الحاضر وجهلوا معنى قوله سبحانه وتعالى يزيد في الخلق ما يشاء إن الله على كل شئ قدير وفي الآية قول آخر لبعض الائمة وهو أنه رأى ربه تعالى والمعنى ما كذب بصره ما حكاه له قلبه (وفي حديث شريك) أي ومنها في روايته (أنه) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم

الله تعالى عليه وسلم (أعطى الصلوات الخمس) أي لم تجتمع لغيره ولغير أمته ولا لنبي قبله فإن الانبياء قبله كانت لهم صلاة موافقة لبعض هذه دون مجموعها وكان عليه الصلاة والسلام يصلي قبل الاسراء ولكن لم يشتهر بيان كيفيتها ونقل السيوطي رحمه الله في آخر الخصائص أنه لم يكن فيها ركوع ولذا نزل قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا وقدمر ذلك (وأعطى خواتيم سورة البقرة) كما تقدم (وغفر لمن لم يشرك بالله شيأ من أمته المقحمات) بضم الميم وقاف وحاء مهملة مكسورة بزنة اسم الفاعل من الاقحام وهو الالقاء والمراد الكبائر التي تلقي صاحبها في النار أو المهلكات وهذا كقوله تعالى إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء أي بتوبة وبدونها خلافا للمعتزلة والكلام فيه مشهور (وقال) أي ابن مسعود رضي الله تعالى عنه في الحديث الذي رواه (ما كذب الفؤاد ما رأى الآيتين) هذا لفظ القرآن والمنقول عن راويه من الزيادة إنما هو تفسيره بقوله (رأى جبريل في صورته) الاصلية التي خلق عليها (له ستمائة جناح) لا في صورة تمثل بها فإن الله أعطى الملائكة قوة التشكل بأي صورة أرادوا ونقل الشمني عن السهيلي في قوله صلى الله تعالى عليه وسلم إن الله أبدل جعفرا رضي الله تعالى عنه بيديه جناحين يطير بهما في الجنة حيث شاء ليس هذا كما يسبق إلى الوهم جناح بريش كالطير لان الصورة الآدمية أشرف وإنما هي عبارة عن قوة روحانية ملكية أعطيها جعفر رضي الله تعالى عنه كما أعطى الملائكة فإن أجنحتهم صفات ملكية لا تدرك إلا بالمعاينة لان قوله تعالى فيهم أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع يدل على ذلك إذ لم ير طائر بأكثر من جناحين فكيف بستمائة كما في صفة جبريل عليه الصلاة والسلام فدل على أنها صفات لا تضبط كيفيتها بالفكر انتهى واعترض عليه بأن هذا أشبه بكلام الفلاسفة والحشوية فأي مانع من ابقائه على ظاهره وكون طيور الجنة ليس لها غير جناحين غير ضار والاحاديث صريحة في أنها أجنحة حقيقية كثيرة من زبرجد وياقوت ملونة كأجنحة الطواويس ولا ينكر هذا الا من ينكر الملائكة وكون جناحي جعفر رضي الله تعالى عنه حقيقيين يؤيده كون أرواح الشهداء في جيوف طيور خضر في الجنة فأي حاجة للتأويل ومثله لا يليق بمثل الامام السهيلي (وفي حديث شريك) المتقدم مع ما فيه (أنه صلى الله تعالى عليه وسلم

(رأى موسى في السابعة) أي السماء السابعة كما في أصل الدلجي وقد تقدم الجمع بينهما فلا يحتاج الى حمله على تعدد الاسراء أو تكلفه بان احداهما موضع استقراره والاخرى غير موضع استيطانه أو باعتبار طلوعه ورجوعه وهذا أولى مما قاله الانطاكي ولعله رآه في السادسة ثم ارتقى الى السابعة وهذا أوجه التوفيق بين ما روى في صحيح مسلم أنه عليه الصلاة والسلام وجد ابراهيم في السادسة وبين ما روي انه وجده في السماء السابعة انتهى والاظهر انه من وهم بعض الرواة فان النسيان يغلب الانسان (قال) أي شريك أو النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (بتفضيل كلام الله تعالى) أي له كما في أصل الدلجي والمعنى ان جعله في السابعة مسبب عن ذلك قال ياموسى انى اصطفيتك على الناس

برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين أي ولا تطلب المعراج

رأى موسى في السابعة) وهو مخالف لما مر من انه في السادسة فان كان الاسراء متعددا فظاهر انه لا منافاة والا فيجمع بينهما بانه رآه أولا في السادسة ثم صعد الى السابعة فرآه بعد رجوعه فيها (قال) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أو الراوي على انه من كلام شريك فهو مدرج فيه (بتفضيل كلام الله) أي علو رتبته عليه الصلاة والسلام وصعوده للسابعة لفضله على غيره بكونه كليم الله فالباء سببية وهو مضاف للفاعل (قال) شريك في الحديث (ثم علا به) أي برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من السابعة (فوق ذلك) الاشارة للسماء السابعة (بما لا يعلمه الا الله) أي بمقدار لا يعلم محله وحقيقته وقيل نهايته وهو بدل من فوق والباء للاستعلاء كما في قوله تعالى تامنه بقنطار أو بمعنى الى كما في قوله تعالى وقد أحسن بي فكان مقامه صلى الله تعالى عليه وسلم أرفع من مقام موسى عليه الصلاة والسلام ولذا عقبه بقوله (فقال موسى) اذا رأى رفعته صلى الله تعالى عليه وسلم (لم أظن ان يرفع على أحد) ومنشا ظنه تفرده بتكليم الله وقد شاركه في ذلك وزاد عليه بما اقتضى رفعته على سائر الانبياء واعترض على هذا بانه كيف يقول موسى عليه الصلاة والسلام هذا وقد علم بتفضيله وهو مذكور في التوراة واللائق بالانبياء عليهم الصلاة والسلام التواضع وهذا مما يطعن به في رواية شريك (وقد روى عن أنس) ابن مالك (رضي الله تعالى عنه أنه صلى الله تعالى عليه وسلم صلى بالانبياء ببيت المقدس) اماما ولا حاجة الى حمله على انه بعد الاسراء الذي فرضت فيه الصلاة وان كان محتملا أيضا كما مر (وعن أنس) رضي الله تعالى عنه كما رواه البزار والبيهقي (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بينا أنا قاعد ذات يوم اذ دخل جبريل عليه الصلاة والسلام) أصله بين فاشبعت فتحته ألفا وهو ظرف مضاف للجملة مضمن معنى الشرط والعامل في اذ معنى المفاجاة أي وقعودي يوما فاجاني فيه دخول جبريل أو وقت دخوله وذات يوم توكيد دفعا لتوهم التجوز عن مطلق الزمان وذات وذو تزاد كثيرا كقوله رجل من ذي يمن (فوكز) أي ضرب ضربا خفيفا كما يفعل من يوقظ غيره بحيث لا يطلع على ايقاظه وقيل الوكز الضرب بجمع الكف (بين كتفي) وفي رواية بينا أنا نائم وجمع بينهما بانه صلى الله تعالى عليه وسلم يجوز ان ينام وهو قاعد ولذا وكزه ليستيقظ وهذا من جملة الزيادة وفي بعض الشروح انه كان ببيت المقدس (فقمت) معه من محل قعودي (الى شجرة فيها مثل وكري الطائر) مثنى وكر وهو للطير كالبيت للانسان والجحر للحشرات والكناس للظبي كما بينه أهل اللغة أي بيتين شبيهين بالعش وضعا وهيئة لا مقدارا لانه لا يسع الآدمي ولو كان كفوا في الطير كالنسر والعقاب (فقعد) أي جبريل عليه الصلاة والسلام (في واحدة

ولا الرؤية في ذلك المدراج (ثم علا به) بصيغة المفعول وفي أصل الدلجي ثم علا بي أي جبريل (فوق ذلك) أي فوق ما ذكر من السماء السابعة والسدرة (بما لا يعلمه الا الله) أي بمقدار لا يعلمه سواه فلا يحتاج الى ما تكلف له الدلجي بقوله انه بدل من فوق ذلك والباء للاستعلاء كما في قوله تعالى ومن أهل الكتاب من ان تامنه بقنطار أي عليه أو بمعنى الى كما في وقد أحسن بي أي على بي على مكان أو الى مكان لا يعلمه الا الله (فقال موسى لم أظن ان يرفع على أحد وقد روى) بصيغة المجهول أي ومنها انه قد روى (عن أنس رضي الله تعالى عنه أنه صلى الله تعالى عليه وسلم صلى بالانبياء ببيت المقدس) أي اماما وهو لا ينافي ما روى أنه صلى بهم في السماء أو صلى مع الملائكة في المسجد الاقصى (وعن أنس رضي الله تعالى عنه) أي ومنها ما رواه البزار والبيهقي عنه (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بينا أنا قاعد ذات يوم اذ دخل جبريل عليه السلام فوكز) بالواو والزاي أي دفع باطراف أصابعه أو ضرب بكفه مجموعة (بين كتفي) بتشديد التحتية وهذا ضرب بتلطف ومحبة أو سبب قيام وخفة ويشير اليه قوله (فقمت الى شجرة فيها مثل وكري الطائر) أي مكانين مماثلين للوكرين وهو بفتح الواو عش الطائر سواء كان في جحر أو في شجر وقيل ان كان في شجر فهو عش أو في جحر فهو وكر (فقعد) أي جبريل (في واحدة) ولعل تانيث الوكر باعتبار البقعة أو القطعة من الشجرة

وقعدت

(وقعدت فى الاخرى) وماذكرناه أولى وأحرى مما قاله الحلبي ان تانيثه هنا حمل على الغالب اذ الغالب ان ما يلازم الوكر الانثى للبيض والجلوس عليه وغير ذلك فاكتسب التانيث بحسب الاضافة انتهى ويرده ما فى القاموس من ان الوكر عش الطائر وان لم يكن فيه وأما قول الدلجى انثهما باعتبار ان كلا منهما بمعنى العش وأهل مكة يذكرونه ويؤنثونه والغالب الآن على ألسنتهم التانيث فليس فى محله لانه غير مسموع بل فى القاموس ما يدل على انه من وجهين مدفوع حيث قال العش بالضم موضع الطائر يجمعه من دقاق الحطب فى افنان الشجر ويفتح (فنمت) بفتح النون والميم من النمو أى زادت وفى نسخة صحيحة فسمت بالسين المهملة والميم المخففة من السمو أى ارتفعت والضمير الى الاخرى (حتى سدت الخافقين) بتشديد الدال المهملة أى طرفى السماء والارض أو أفقى المشرق والمغرب (ولوشئت) أى من كمال رفعتى (لمسست السماء) ٢٥٩ بكسر السين الاولى وتفتح وقد تحذف كما فى نسخة (وانا أقلب طرفى) بتشديد اللام والطرف بسكون الراء بمعنى النظر والجملة حالية أى والحال انى أردد بصرى تبع البصيرة قلبى فى آيات ربى فى الآفاق وفى الانفس (ونظرت جبريل) أى رأيت كما فى نسخة أى وابصرته نازلا عنى وبعيدا منى (كأنه حلس) بكسر وسكون وفى نسخة بفتحهما أى كساء رقيق يلى ظهر البعير تحت قتبه شبه به لرؤيته له (لاطئا) بكسر مهملة فهمزة أى لاصقا لما الم به من هيبة الله تعالى وشدة الخشية من كمال عظمته كذا قرره الدلجى بناء على نصب لاطئا فى أصله لكنه مخالف للاصول المصححة لانه مرفوع على انه نعت لقوله حلس ومنه حديث أبى بكر رضى الله تعالى عنه كن حلس بيتك حتى تاتيك يد خاطئة أو منية قاضية أمره بلزوم بيته هذا وقد روى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال مررت ليلة أسرى بى وجبريل بالملأ الاعلى ساقط كالحلس البالى من خشية الله تعالى (فعرفت فضل علمه بالله سبحانه على) لانه انما يخشى الله من عباده العلماء ولان من يكون أعلم يكون أخشى واتقى وهذا من باب تواضعه صلى الله تعالى عليه وسلم وتعليم لامته واتباعه وتنبيه نبيه على ان أفضل الملائكة اذا كان يخشى هذه الخشية مع ظهور العصمة فغيره أولى بان يكون على تلك الحالة مع احتمال وجود السيئة وتحقق الغفلة (وفتح لى باب السماء) بصيغة المفعول (ورأيت) وفى نسخة ونظرت (النور الاعظم) أي نور الحضرة الالهية ذكره الدلجى والله تعالى أعلم

وقعدت فى الاخرى) قيل أنثه لانه كالعش يذكر ويؤنث والغالب على ألسنة أهل مكة تانيثه أو هو لتاويله بالزاوية والطاقة ونحوهما وما قيل لانه ماوى أناث الطيور غالبا لاوجه له (فنمت) بالنون والضمير للشجرة أى زادت وارتفعت وروى سمت بالسين من السمو كا علو لفظا ومعنى (حتى سدت الخافقين) هما المشرق والمغرب لخفوق الشمس والنجم فيهما أى غيابهما أو حركتهما وأصل معنى الخفوق الاضطراب والحركة ولذا احسن قوله

أما والله لولا خوف شخصك ✽ لهان على ما ألقى برهطك
ملكت الخافقين فزدت عجبا ✽ وليس هما سوى قلبي وقرطك

(ولوشئت) لعلوها وقربى منها (لمسست السماء) بكسر السين وفتحها ويروى لمست بسين واحدة من اللمس أو هو مخففة ونقل حركته (وانا أقلب طرفى) تقليب طرفه بمعنى نظره فى جوانبها اثباته صلى الله تعالى عليه وسلم وعدم دهشته وتامله فى آيات الله فى الآفاق (ونظرت جبريل) اذ قلبت طرفى فوقع عليه بحذائى (كأنه حلس) بكسر الحاء المهملة وسكون اللام وسين مهملة وهو كساء رقيق يوضع تحت القتب والبردعة ويبسط فى البيت (لاطئا) أى لاصقا بالارض والمراد انه لما قرب من السماء غشيته مهابة حتى خضع والتصق بالارض من الغشى الذى هو فيه والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم متثبت لم يمسه روعة كما غشى جبريل عليه الصلاة والسلام ويقال فلان حلس بيته لمن لا يخرج منه قال أبو بكر رضى الله تعالى عنه كن حلس بيتك حتى تاتيك يد خاطئة أو منية قاضية ولاطئ بلام وطاء مهملة مهموز بمعنى لاصق كما فى الصحاح وفى بعض النسخ حلس لاطئا بفتحتين ونصب لاطئ وصحح روايه ولم يفسر وجملة كأنه حال جبريل (فعرفت فضل علمه بالله على) أى عرفت بما اعترى جبريل عليه الصلاة والسلام من الخشية انه أعرف بالله منى لانه بقدر العلم يكون الخوف والخشية قيل هذا تواضع منه عليه الصلاة والسلام لانه أفضل منه ورد بانه قد يكون فى المفضول ما ليس فى الفاضل والملائكة المقربون قد يعرفون من احوال الملكوت ما لا يعرفه غيرهم وان كان أفضل والقول بانه صلى الله عليه وسلم قاله قبل العلم بتفضيله عليه لا يناسب هنا (وفتح لى باب السماء ورأيت النور الاعظم) قيل هو نور العرش أو الله تعالى لانه يسمى نورا كما قال الله نور السموات والارض والحكماء والمتكلمون جوزوه من غير تاويل بل قال الاشعرى نور لا كالانوار وقال الغزالى النور هو الظاهر بنفسه المظهر لغيره

(ولط) بضم لام وتشديد طاء مهملة أي أرخى وفي نسخة واذا أدنى باذا المفاجأة أي قرب ودنا (الحجاب) أي ستر باب الجنان لان رب الارباب منزه عن ان يدخل تحت الحجاب أو يخرج من تحت النقاب (وفرجه) بالنصب وهو بضم الفاء وسكون الراء أي مركوز في شقة (الدر والياقوت) ويروى فوقه الدر والياقوت والظاهر انه تصحيف وضبط في حاشية التلمساني وغيره بضم الفاء وفتح الراء جمع فرجة وهو الاظهر فتدبر (ثم أوحى الله الى ماشاء ان يوحى) أي الى كما في نسخة صحيحة (وذكر البزار عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه) وفي نسخة بخط مغلطاي البراء بفتح موحدة وخفة الراء والصواب هو الاول وهو بموحدة فزاي مشددة فالف فراء نسبة الى عمل بزر الكتان زيتا بلغة البغداديين وهو الحافظ العلامة أبو بكر بن أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البصري صاحب المسند الكبير المعلل سمع عبد الاعلى بن حماد والحسن ابن علي بن راشد وطائفة وعنه أبو الشيخ والطبراني وجماعة فانه ارتحل في آخر عمره الى اصبهان والى الشام والى النواحي ينشر علمه ذكره الدارقطني واثنى عليه وقال ثقة يخطئ و يتكل على حفظه مات بالرملة سنة اثنتين وتسعين ومائتين (قال لما أراد الله تعالى ان يعلم) بتشديد اللام أي تعلمه ويلهمه (الاذان) أي مايختار للاعلام بدخول أوقات الصلوات (جاءه جبريل بدابة يقال لها البراق فذهب يركبها) أي شرع وأراد أن يركبها (فاستصعبت عليه فقال لها جبريل عليه السلام أسكني فوالله ماركبك عبد أكرم على الله من محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فركبها حتى أتى بها) أي انتهى بها (الى الحجاب الذي يلي الرحمن تعالى) أي عرشه سبحانه وتعالى (فبيناهو) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (كذلك) أي بالوصف الذي هنالك (اذخرج ملك) أي فاجأه خروجه (من الحجاب فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يا جبريل من هذا) أي من الملائكة (قال) أي جبريل (والذي بعثك بالحق اني لاقرب الخلق مكانا) أي في السماء أو من الحجاب لامن رب الارباب لانه منزه عن المكان والزمان وسائر سمات الحدثان (وان هذا الملك مارأيته منذ خلقت قبل ساعتي هذه) يعني فهو داخل تحت قوله سبحانه ومما لا يعلمون وقوله تعالى و يخلق مالا تعلمون (فقال الملك الله أكبر الله أكبر

فان فهمت فهو نور على نور وبعد هذا كلام لايصرح به (ولط دوني الحجاب) وفي نسخة واذا دوني الحجاب ولط بضم اللام وتشديد الطاء المهملة مبني للمجهول يقال لططت الباب اذا أغلقته وكذا اذا استرته يعني انه صلى الله تعالى عليه وسلم بعدما شاهد النور أرخى بينه وبينه حجاب ستره عنه وسيأتي الحجاب وتاويله عن قريب (وفرجه) بضم الفاء وفتح الراء المهملة والجيم مضافا لضمير الحجاب جمع فرجة بوزن غرفة وهي ما بين الشيئين من خلاء أو بين اجزاء شئ مفتوحة أي فرج الحجاب المرخى وطاقاته الذي يخرج منها نوره (الدر والياقوت) وهما نوعان من الجواهر معلومان (ثم أوحى الله الى ماشاء ان يوحى) بالبناء للفاعل أو المفعول وحديث أنس هذا ساقط من بعض النسخ (وذكر البزار) بفتح الموحدة وتشديد الزاي المعجمة وألف وراء مهملة نسبة لعمل البزر وهو بزر الكتان الذي يستخرج منه السليط و بالذال المعجمة كل بذر يبذر للزراعة وهذا هو أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البصري صاحب المسند الكبير المعلل توفي بالرملة سنة اثنين وتسعين ومائتين وترجمته مشهورة وهو ثقة حافظ واعلم ان البزار كذا هو في أكثر النسخ قال البرهان الحلبي وفي نسخة بخط الحافظ مغلطاي البزاز بزاي معجمة آخره وفي صحتها نظر والمعروف انه براء مهملة آخره (عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه لما أراد الله تعالى ان يعلم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي يعرفه (الاذان) الذي شرع له للاعلام بدخول وقت الصلاة (جاءه جبريل بدابة يقال لها البراق) مر الكلام عليه وظاهر سياقه ان هذا معراج آخر غير الذي كان بمكة قبل الهجرة كما مر وهذا بعده فان الاذان كان بالمدينة وسياقه يقتضي ان هذا المعراج كان المقصود منه تعليم الاذان وسياتي ما فيه (فذهب يركبها) أي شرع في الركوب وذهب وردت بهذا المعنى كثيرا وليس من الذهاب بمعنى المضي تقول ذهب يقول كذا أي شرع في مقاله وقوله (فاستصعبت) تلك الدابة (عليه فقال لها جبريل اسكني فوالله ماركبك عبد أكرم على الله من محمد صلى الله عليه وسلم فركبها حتى أتى بها الى الحجاب الذي يلي الرحمن تعالى فبيناهو كذلك اذ خرج ملك من الحجاب فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا جبريل من هذا) الملك (قال والذي بعثك بالحق اني لاقرب الخلق مكانا وان هذا الملك ما رأيته منذ خلقت قبل ساعتي هذه) تقدم شرحه فلا نكرره وتانيث البراق لغة أو ماول بدابة وهذا الحديث رواه بسند متصل بعلي رضي الله تعالى عنه وفي سنده زياد بن المنذر وقد قيل فيه انه كذاب والحديث ضعيف ومال السهيلي لصحته وذكر الحجاب وسياتي بيانه (فقال الملك) الذي خرج من خلف الحجاب ولم يعرفه جبريل عليه الصلاة والسلام (الله أكبر الله أكبر) الى آخر الاذان واجابة المؤذن بما يليق برب العزة فلذا شرع لنا ذلك بما يناسب حالنا على ما عرف في كتب الفقه والسنة

فقيل له) أى جوابا عن مقوله (من وراء الحجاب صدق عبدى أنا أكبر أنا أكبر) هذا يحتمل انه أمر ملكا أن يقوله عن أمر ربه كعكسه حين حكى الله عن الملائكة فى قوله وما نتنزل الا بامر ربك (ثم قال الملك أشهد أن لا اله الا الله فقيل من وراء الحجاب صدق عبدى أنا الله لا اله الا أنا) ووقع فى أصل الدلجى أنه لا اله الا أنا وهو مخالف للنسخ المعتمدة (وذكر) أى الراوى (مثل هذا) أى الذى ذكر قولا وجوابا (فى بقية الاذان الا أنه لم يذكر) فقيل له من وراء الحجاب (جوابا عن قوله حى على الصلاة حى على الفلاح وقال) أى الراوى (ثم أخذ الملك) أى المؤذن (بيد محمد فقدمه) أى فى المقام الاتم (فام أهل السماء) أى من الملائكة والانبياء (فيهم آدم) أبو البشر الاكبر (ونوح) أبو البشر الاصغر ولعل هذا وجه تخصيصهما فتدبر وأما ما وقع فى أصل الدلجى من قول آدم وابراهيم ثم قوله وخصا بالذكر لانهما أبو الانبياء فهو مخالف للاصول المعتبرة (قال أبو جعفر) أى الصادق وهو الباقر (محمد بن على بن الحسين) أى ابن على ابن أبى طالب وهو زين العابدين رضى الله تعالى عنهم ويسمى سلسلة الذهب (روايه) أى راوى هذا الحديث الذى ذكره البزار فى مسنده حيث قال حدثنا محمد بن عثمان بن مخلد حدثنا أبى عن زيادة بن المنذر عن محمد بن على بن الحسين عن أبيه عن جده على بن أبى طالب قال لما أراد الله تعالى ان يعلم رسوله الاذان فذكره وفى سنده زياد بن المنذر وهو كذاب وقد أخرج له الترمذى وقد مال السهيلى فى روضه الى صحته لما يعضده ويشاكله من أحاديث الاسراء والله تعالى اعلم وقد تصحف فى أصل الدلجى فوقع رواية بالمصدر بدل راويه (أكمل الله تعالى) أى أكمل وأتم (لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم الشرف) أى السيادة الاعم (على أهل السموات والارض

(فقيل له من وراء الحجاب صدق عبدى أنا أكبر أنا أكبر ثم قال الملك أشهد أن لا اله الا الله فقيل له من وراء الحجاب صدق عبدى أنا الله لا اله الا أنا وذكر) الراوى (مثل هذا) الذى ذكر قولا وجوابا للمؤذن (فى بقية الاذان الا أنه لم يذكر جوابا عن قوله حى على الصلاة حى على الفلاح) لانه يتصور فى حقه معناه أولان جوابه لا حول ولا قوة الا بالله أى لا نقدر على الصلاة والسعى لها وأداء حقوقها الا من هى له وهذا لا يليق الا بالمخلوق بخلاف ما قبله (وقال) أى الراوى (ثم أخذ الملك بيد محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فقدمه) على من كان بحضرته من الانبياء عليهم الصلاة والسلام (فام) أى صار اماما يؤم (أهل السماء) حال كونهم (فيهم آدم ونوح عليهما الصلاة والسلام) خصهما بالذكر لانهما أبو الانبياء الجسمانيين كما انه أبوهم الروحانى المتقدم عليهم تقدما حقيقيا ومعنى حى اقبل وهلم وهو اسم فعل قال القاضى منذر بن سعيد والعرب تريد بها جئ سريعا حثيثا لا كما يقول الفقهاء مطيعا وفى حى لغات مذكورة فى كتب العربية واللغة وأصلها حى هلا ثم قد تفرد حى وقد تفرد هلا والمعنى واحد والفلاح معناه الفوز بالسعادة يقال أفلح الرجل اذا أصاب خيرا وفاز وقيل معناه البقاء والمعنى اقبلوا على البقاء فى الجنة (قال أبو جعفر محمد بن على بن الحسين) بن على بن أبى طالب وهو أبو جعفر الامام المشهور فى آل الرسول وأهل بيته (راويه) أى راوى هذا الحديث الذى رواه عن أبيه عن جده (أكمل الله لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم الشرف) والعلو (على أهل السموات وأهل الارض) أما على أهل الارض فلانه صلى الله تعالى عليه وسلم أشرف الرسل وأمته أشرف الامم وأما على أهل السماء فلانه صلى الله تعالى عليه وسلم أشرف من سائر الملائكة بدليل انه أمهم وتقدم عليهم كما تدل عليه الاحاديث المذكورة بقى ههنا ان ما ذكر يدل على ان الاذان شرع ليلة الاسراء قبل الهجرة مع انهم جزموا بانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يصلى بغير أذان منذ فرضت الصلاة الى أن هاجر الى المدينة وفى حديث ابن عمر رضى الله تعالى عنهما الصحيح المذكور فى الصحيحين قال كان المسلمون حين قدموا المدينة يجتمعون يتحينون الصلاة ليس ينادى لها فتكلموا فى ذلك يوما فقال بعضهم اتخذوا ناقوسا مثل ناقوس النصارى وقال بعضهم بوقا مثل بوق اليهود فقال عمر رضى الله تعالى عنه أولا تبعثون رجلا ينادى بالصلاة فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يا بلال قم فناد بالصلاة وفى حديث أبى اسحق بزيادة على ما ذكر فبينما هم على ذلك اذ سمع عبد الله بن زيد بن ثعلبة الخزرجى النداء فاتى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال يا رسول الله انى قد طاف بى الليلة طائف مر بى رجل عليه ثوبان أخضران يحمل ناقوسا فى يده فقلت يا عبد الله أتبيع هذا الناقوس فقال وما تصنع به قلت ندعو به الى الصلاة قال أولا أدلك على خير من ذلك قلت وما هو قال تقول الله أكبر الله أكبر الى آخره فلما أخبر به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال انها رؤيا حق فقم لبلال فالقها عليه فليؤذن بها فانه أندى صوتا منك فلما أذن بلال رضى الله تعالى عنه سمعه عمر رضى الله تعالى عنه وهو فى بيته فخرج يجر رداءه وهو يقول يا نبى الله والذى بعثك بالحق نبيا لقد رأيت مثل الذى رأى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله وفى وسيط الغزالى انه رأى هذه

قال القاضي رحمه الله تعالى مافي هذا الحديث من ذكر الحجاب فهو في حق المخلوق) أي مقصور من جميع الابواب اذ الحجاب لغة المنع
والستر وحقيقته للاجرام المحدودة الا أنه قد يطلق مجازا و يقصد به التمثيل لما يفهم من مجرد المنع من رؤيته

تعالى بالمشاهدة ليتصوره السامع حتى يكون مستحضرا كانه ينظر اليه متيقنا له متبصرا وأما المعنى الحقيقي فهو منحصر في حق المخلوق (لا في حق الخالق) لانه منزه عن ذلك (فهم المحجوبون) أي حسا ومعنى (والبارئ) أي الخالق البرئ عن مشابهة المخلوقين (جل اسمه) أي وعز مسماه (منزه عما يحجبه) أي يستره عن خلقه ويجعله محجوبا في حقه (اذ الحجب) بضمتين جمع حجاب (انما تحيط بقدر) أي محدود (محسوس) أي داخل تحت نطاق حاسة البصر (ولكن حجبه) بضمتين جمع حجاب و بفتح فسكون مصدر أي قد يكون حجابه (على أبصار خلقه) بفتح الهمزة أي أعينهم الظاهرة (و بصائرهم) أي أعينهم الباطنة (وادراكاتهم) عطف تفسير (بما شاء) أي من أنواع الحجاب وفي الحديث حجابه النور أي لكماله في الظهور (وكيف شاء) أي في هذا الباب (ومتى شاء) أي من أوقات تعلق الحجاب (كقوله) أي في الكتاب

الرؤيا بضعة عشر رجلا وأنكره النووي وابن الصلاح وقالا لم يثبت الا رؤيا زيد وعمر رضي الله تعالى عنهما فهذا يدل على ان الاذان انما رؤي بالمدينة وما ذكرهنا يدل انه بمكة في الاسراء وهما متعارضان الا ان الثاني صحيح والاول ضعيف وقال ابن حجر رحمه الله تعالى قول القرطبي انه لا يلزم من رؤيته في الاسراء مشروعيته في حقه فيه انه يأباه قوله في الحديث لما أراد ان يعلم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الاذان وقول الطبري يحمل الاذان في الاسراء على معناه اللغوي يأباه ذكره بالفاظه بعينها وما قيل من انه صلى الله عليه وسلم رآه في الاسراء ولم يؤمر به بمكة للعجز عن اظهاره بين المشركين وأخره الرسول صلى الله عليه وسلم ثم لما رؤي ذلك أظهره ليكون مدحه على لسان غيره في غاية الضعف ولو كان كذلك لم يؤخره حين قدم المدينة أقول هذا كله كلام مضطرب والذي ظهر لي في التوفيق بين الحديثين على وجه لا كدر فيه ان المذكور في رواية البزار اسراء غير المعروف وانه بروحه أو في رؤياه لان الاسراء تعدد فيكون رأى في منامه ذلك ورؤيا الانبياء وحي وعقب ذلك قص عليه الصحابة رضي الله تعالى عنهم رؤياهم فاظهره موافقتهم والعمل بها لتكون الشهادة والمدح من غيره وليسروا بموافقتهم رأيهم وكون ذلك مأثورا عنهم والا فهو فرض كفاية مشروع ومباح لا يثبت برؤيا غيره فيحتاج الى انه اجتهاد بما يوافق الرؤيا وهو خلاف وهذا ان شاء الله من بركاته ولمعات مشكاته ثم ان المصنف رحمه الله تعالى استشعر اعتراضا فيما مر من الحديث الذي ذكر فيه الحجاب وهو في حقه تعالى محال لاستلزامه الجهة والتحيز فاراد دفعه بقوله (قال القاضي) أبو الفضل عياض مؤلف هذا الكتاب رضي الله عنه (ما في هذا الحديث من ذكر الحجاب فهو في حق المخلوق) الرائي (لا في حق الخالق) زاد الفاء في خبر الموصول لتضمنه معنى الشرط وهو جائز وكذا ما ورد في الحديث حجابه النور اذ الحجاب بمعنى المنع والحاجب المانع ومنه حاجب العين وحاجب الامير والحاجب يحيط بالمحجوب فيقتضي تناهيه وتحيزه تعالى الله عن ذلك ولذا قال ابن عطاء الله رحمه الله كيف يتصور ان يحجبه شيء وهو الذي أظهر كل شيء كيف يتصور ان يحجبه شيء وهو أظهر من كل شيء كيف يتصور ان يحجبه شيء وهو الواحد الذي ليس معه شيء (فهم) أي الخلق (المحجوبون والباري جل اسمه منزه عما يحجبه) لما سيأتي ولذا علا علي كرم الله وجهه بالدرة من قال لا والذي احتجب بسبعة أطباق وقال ويحك بالكم ان الله لا يحتجب ثم علل استحالة ذلك في حقه فقال (اذ الحجب) بضمتين جمع حجاب أو بفتح فسكون مصدر (انما تحيط بقدر محسوس) أي بذي مقدار له طول وعرض وعمق في جهة تحس بتوجه الناظر فيقتضي الجهة وهو منزه عن ذلك (ولكن حجبه عن أبصار خلقه و بصائرهم) جمع بصيرة وهي القوة المدركة لغير المحسوس من العقل ونحوه فلا تحيط به أبصارهم أي لا تدرك ادراك احاطة بذاته لاقتضائه التحديد والتناهي ونحوه مما هو منزه عنه كما فسره به قوله لا تدركه الابصار كما ذكره البيضاوي ردا على من أنكر الرؤية واستدل بهذه الآية و يأتي الكلام عليها ولا تدركه بصائرهم والمراد بالادراك العلم أي لا تعلم كنهه وحقيقته عقولهم ادراكا تاما يقينا (و) حجبه عن (ادراكاتهم) أي أنواع العلم والادراك مغطاة عن ادراك ذاته فلا رؤية ولا تصور ولا اكتناه في غير اناه (بما شاء وكيف شاء ومتى شاء) متعلق بحجب أي منعهم عن رؤيته وادراك ذاته ومعرفة حقيقته ليس بحجاب كحجاب البشر بل بسبب ارادة وكيفية لا يدركها في أي زمان أراده وفيه ايماء الى ان رؤية الله في الدنيا ممكنة وفي الآخرة واقعة وان معرفة حقيقته ممكنة لنا وهو الاصح بل واقعة للانبياء عليهم الصلاة والسلام ومن أمسك ذيل حقيقتهم (كقوله) أي كقول الله في الكفار

(كلا

(كلاانهم) أي الكفار (عن ربهم يومئذ لمحجوبون) أي لممنوعون عن رؤيتنا وشهودقدرتنا بخلاف المؤمنين فانهم في عين عنايتنا وزين رعايتنا وحمايتنا عن غين الاغيار ورين الاوزار (فقوله في هذا الحديث الحجاب) يجوز جره على الحكاية ورفعه على الاعراب في قوله عليه الصلاة والسلام اذخرج ملك من الحجاب (يجب ان يقال انه حجاب حجب به من وراءه) أي بحسب ظاهره (من ملائكته عن الاطلاع) بتشديد الطاء (على مادونه) أي بحسب باطنه (من سلطانه وعظمته وعجائب ملكوته وجبروته) وقد سبق ان الملكوت هو الملك العظيم والجبروت كمال العظمة بناء على ان بناء الفعلوت للمبالغة وما أحسن قول ابن عطاء في كشف هذا الغطاء * مما يدلك على وجود قهره سبحانه وتعالى ان حجبك عنه بما ليس بموجود معه * وقدانشدوا في هذا المعنى واطنبوا في هذا المبنى

من أبصر الخلق كالسراب
فقد ترقى عن الحجاب
الى وجود براه رتقا
بلا ابتعاد ولا اقتراب
ولم يشاهد به سواه
هناك يهدى الى الصواب
فلا خطاب به اليه
ولا مشير الى الخطاب

(ويدل عليه) ماذكرناه (من الحديث) أي من بعض مافي نفس الحديث (قول جبريل) عن الملك الذي خرج من وراثه ان هذا الملك مارأيته منذ خلقت قبل ساعتي هذه فدل على (ان هذا الحجاب) أي تعلقه (لم يختص بالذات) بل اختص بالمخلوقات نعم الذات محتجب بالصفات والصفات محتجبة بالموجودات لابمعنى ان ذلك الجناب يحجب بالحجاب بل بمعنى ان أكثر الكائنات احتجبوا بوجود الخلق عن شهود صفات الحق وبشهودها عن الموجود المطلق ثم منهم من حجب عن الله تعالى بالشهوات الدنيوية والدرجات الاخروية أو المقامات العلية ومنه قولهم العلم حجاب في هذا الباب وكل ذلك من اغيار العدمية والوجودات الوهمية ولوارتفع الحجاب عنهم لفنوا عن أنفسهم وارادتهم وبقوا بربهم فان الفناء على ثلاثة أوجه فناء في الافعال ومنه قولهم لافاعل الا الله تعالى وفناء في الصفات ومنه لاحي ولاعالم ولاقادر ولامريد ولاسميع ولابصير ولامتكلم على الحقيقة الا الله تعالى وفناء في الذات أي لاموجود على الاطلاق الا الله وأنشدوا في هذا المبنى لتصحيح المعنى

فيفنى ثم يفنى ثم يفنى * فكان فناؤه عين البقاء

(ويدل عليه) أي على ماذكرنا من تعلق الحجاب بالكائنات دون الذات (قول كعب) أي كعب الاحبار

(كلاانهم عن ربهم) أي ان الكفار (يومئذ) أي يوم القيامة وفي الآخرة اذتنعم المؤمنون برؤيته ورضوانه (لمحجوبون) وقال كقوله بالكاف لان المدعى عام وهذا خاص بالكفار ولكن فيه اثبات لمدعاه اذجعلهم هم المحجوبون لاالله * فان قلت الحجب أمر نسبي لابدمن تعلقه بالطرفين فيلزمك ما فررت منه * قلت نعم هو نسبي ولكن بين حاجب ومحجوب والحاجب سبحات الانوار وستائر العظمة والمحجوب مخلوقاته لاهو لانه محجوب عنه لامحجوب فيجوز ان يوصف بانه محجوب عنه وحاجب ومحتجب خلافالمن أنكره ومثاله حفرة عميقة فيها نمل على رأسها انسان حديد البصر فالنمل محجوب عن رؤيته بالحفرة لايرى من فوقه وهو يشاهده ويشاهد حركاته والحجاب للشهود لاللشاهد فعلى هذا يطلق الحجاب ونحوه عليه لوروده بهذا المعنى مطلقا أومقيدا اذا بهام ماسمع من الشارع ونحوه لايلتفت اليه كاليد والبصر وغيره فاعرفه فانه أمرمهم كثير في القرآن والحديث (فقوله في هذا الحديث الحجاب) بالجر على حكاية الحجاب أو الرفع (و) قوله (اذخرج ملك من الحجاب) أرادملك الاذان الذى سئل عنه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم جبريل (يجب ان يقال) في تفسير معناه (انه حجاب حجب به) الله تعالى (من وراءه من ملائكته عن الاطلاع) بكسر الطاء المشددة أي رؤيتهم متعلق بحجب (على مادونه) أي ماخلفه ووراءه من جانب الغيب وباطنه فهو الباطن والظاهر (من سلطانه) الظاهر انه أراد به ما بقبضة قدرته عند تصرفه ممالا يطلع عليه رسل الملائكة وغيرهم الاباذنه نادرا (وعظمته وعجائب ملكوته) ومالايدرك من ذلك والمراد بالملكوت عالم غيب الغيب أي ماغيب عن الملائكة (وجبروته) وهو يطلق على القهر وعلى عظائم الملكوت وغرائبه مما احتجب عن غيره وهو المراد وجبروته بغير همزة قال الحلبي وهو مهموز في بعض النسخ وهو لحن (ويدل عليه) أي يدل على ان الحجاب لغيره لالذاته (من الحديث قول جبريل) له صلى الله تعالى عليه وسلم (عن الملك الذى خرج من ورائه ان هذا الملك مارأيته منذ خلقت قبل ساعتي هذه) فانه صريح في ان الحجاب انما حجب الخلق فان جبريل قد حجبه الله تعالى عما في سرادق جلاله وخلف حيطة عظيمته (فدل على ان هذا الحجاب) المذكور في الحديث (لم يختص بالذات) أي لم تختص محجوبيته بذاته تعالى اذحجب بعض الملائكة أيضا كملك الاذان وبما فسرنا به علمت انه لايتوهم ان المصنف رحمه الله حقه ان يقول يختص بغير الذات لان نفي الاختصاص يقتضي المشاركة كمالايخفى (ويدل عليه) أي على عدم اختصاص الحجاب بالذات كمامر (قوله كعب) الاحبار

(في تفسير سدرة المنتهى) أي في بيان سبب تسميتها بها (قال اليها ينتهي علم الملائكة) يعني وسببه انهم عندها (يجدون أمر الله تعالى) أي لاعند غيرها (لايجاوزها علمهم) أي فهم محجوبون عما وراءها (واما قوله الذي يلي الرحمن فيحمل على حذف المضاف أي الذي يلي عرش الرحمن أو امراما) كذا بالنصب في النسخ والظاهر كونه مجرورا أو مرفوعا ولعله أراد ان أي بمعنى يعني أو أعني أمرا من الامور اللائقة بمرام هذا المقام وذهب الدلجي الى ان التقدير يلي امراما (من عظيم آياته ومبادي حقائق معارفه) أي المتعلقة بذاته وصفاته (مما هو أعلم به) أي من أسرار مكنوناته (كما قال تعالى) أي في استعمال حذف المضاف (واسال القرية أي أهلها) يعني انه من قبيل مجاز الحذف وهو أشهر مما قيل انه من باب ذكر المحل وارادة الحال والله تعالى أعلم بالحال (وقوله فقيل من وراء الحجاب صدق عبدي أنا أكبر) كما تقدم (ظاهره انه سمع) بصيغة المجهول وقال الدلجي أي سمع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (في هذا الموطن كلام الله تعالى ولكن من وراء حجاب) ٢٦٤ قلت فيأول الاشكال في هذا الباب مع مافيه من سماع كلامه من جهة محصورة يوهم الحجاب ولهذا دفعه بقوله (كما قال الله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب) فان المراد بالوحي على طريق المكاشفة لان الوحي اعلام في خفاء اما بالالهام وهو القذف في القلب كما أوحى الى أم موسى عليه السلام أو في المنام كما أوحى الى ابراهيم عليه السلام في ذبح ولده وبقوله من وراء حجاب ان يكون البشر من وراء حجاب البشرية المانعة من شهود الذات الصمدية بان يسمعه ولا يراه كما يكون موسى عليه الصلاة والسلام وليس المراد ان هناك حجابا يفصل موضعا عن موضع لو يدل على تحديد المحجوب وانما هو بمنزلة مايسمع من وراء الحجاب حيث لم ير المتكلم في هذا الباب والله تعالى أعلم بالصواب ولذا قال المصنف (أي وهو) أي البشر (لايراه) أي الحق سبحانه وتعالى (حجب بصره) أي منعه (عن رؤيته) أي لاذاته عن بصره (فان صح القول بان محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم رأى ربه) أي بعين البصر (فيحتمل انه) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم رآه (في غير هذا الموطن بعد هذا) أي هذا الوقت (أو قبله) أي من الزمان بمعنى انه (رفع الحجاب عن بصره حتى رآه) وفي أصل الدلجي فرآه (والله تعالى أعلم) أقول ولا مانع من انه رآه في ذلك الحين بعينه اذ لا يختص برفع الحجاب وكشف النقاب مكان دون مكان ولا زمان دون زمان لارادة العيان كما لايخفى على الاعيان ولابن عطاء حكم توجب في الجملة كشف غطاء فاجبت ان أذكرها وهي قوله * كيف يتصور ان يحجبه شئ وهو الذي أظهر كل شئ * أم كيف يتصور ان يحجبه شئ وهو أظهر من كل شئ * بل وهو الظاهر قبل وجود كل شئ وهو الواحد الذي ليس معه شئ * فالحق ليس بمحجوب وانما المحجوب أنت عن النظر اليه * اذ لو حجبه شئ لستره ما يحجبه ولو كان له ساتر لكان لوجوده حاصر * وكل حاصر

(في تفسير سدرة المنتهى) أي في بيان سبب تسميتها به (قال اليها ينتهي علم الملائكة وعندها يجدون أمر الله لايجاوزها علمهم) فهذا وجه تسميتها به ومنه يعلم ان الحجاب انما هو بالنسبة لغيره لا له وان المحجوب عنهم ذاته وامره وملائكته المقربون وقوله يجدون معناه يقفون و يعلمونه (واما قوله) في الحديث (الذي يلي الرحمن) لما كان ظاهره انه حائل بينه وبين غيره أشار الى تأويله بقوله (فيحمل) أي يفسر بانه (على حذف المضاف أي الذي يلي عرش الرحمن) فالمضاف المقدر لفظ عرش أو لفظ أمر (أو أمرا ما) زيادة ما للعموم أو للتعظيم أي يلي أمر الرحمن (من عظيم آياته) من بيانية لايضاح ما ابهم أولا وهو أوقع في النفوس لحصوله بعد التشوق اليه (أو من مبادي حقائق معارفه) أي أمرا يكون مبدأ لما يتحقق به معرفة الله (مما هو) أي الله تعالى (أعلم به) من رسله وملائكته عليهم الصلاة والسلام (كما قال تعالى واسئل القرية التي كنا فيها أي أهلها) اشارة الى ان تقدير المضاف لقرينة عقلية كثير بليغ لان القرية لاتسئل وانما يسئل أهلها (وقوله) تعالى في حديث الاذان اجابة للملك لما قال الله أكبر من كل كبير (فقيل من وراء الحجاب صدق عبدي) أي الملك القائل (أنا أكبر فظاهره انه) صلى الله تعالى عليه وسلم (سمع في هذا الموطن) أي المكان الذي كان قاراته كما يقر الانسان في وطنه (كلام الله) من غير واسطة كما سمعه موسى صلى الله تعالى عليه وسلم (ولكن من وراء حجاب) حجبه عن رؤية الله تعالى وهو يراه من غير حجاب بالنسبة له وان كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم محجوبا عن رؤيته معاينة ثمة فهو لايراه ثم استدل على ذلك بقوله (كما قال تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب أي وهو) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (لايراه) أي لايرى الله معاينة اذ (حجب بصره) أي بصر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (عن رؤيته) أي رؤية النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ربه في هذه الدنيا ولما كان هذا يوهم امتناع الرؤية مطلقا قال (فان صح) الحديث و (القول بان محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم رأى ربه) عيانا حين أسرى به (فيحتمل انه في غير هذا الموطن) الذي سمع فيه الاذان (بعد هذا) الموطن والمقام (أو قبله رفع الحجاب عن بصره حتى رآه) عيانا في مقام آخر (والله أعلم)

(فصل

لشئ فهوله قاهر وهو القاهر فوق عباده * انتهى واذا قال الله تعالى لا يحيطون به علما كيف يحيطون با جرما وأين للعدم حتى يغلب القدم نعم ان الله سبحانه وتعالى سبعين ألف حجاب من النور فى عالم الظهور لو كشفها لاحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه نور بصره وقد قال الله تعالى كل شئ هالك الا وجهه أى باطل ومضمحل وفان فى نظر ارباب العرفان فى كل آن وزمان ولذا قال بعض أرباب الشهود سوى الله والله ما فى الوجود وقال بعض الشطار ليس فى الدار غيره ديار فهو من غاية ظهوره باطن ومن نهاية بطونه ظاهر وفى عين أبديته أول وفى عين أزليته آخر وغيره كالهباء فى الهواء والسراب فى نظر مشتاق الشراب والا فاللتراب ورب الارباب والله تعالى أعلم بالصواب

(فصل) أى من متعلقات هذا الباب (ثم اختلف السلف) أى الصحابة والتابعون (والعلماء) أى الخلف المجتهدون (هل كان) أى وقع (الاسراء بروحه) أى فقط (أو جسده) أى مع روحه فى جميع اسرائه أوفى بعضه كما سيأتى فى كلامه يندرج فيه أيضا قول آخر لبعضهم انه أسرى به مرتين مرة مناما ومرة يقظة جمعا بين الروايتين وكذا قول التوقف بان يقال أسرى به ولا يقال يقظة ولا مناما وهو قول غريب حكاه امام الجوزية فى أوائل كتابه الهدى ولعل وجهه انه ورد فى بعض طرق الخبر انه كان بين النائم واليقظان فلم يعرف حقيقة أمره ولذا عبر بعضهم عنه بالنوم وبعضهم باليقظة اعتبارا بالغلبة وكان المصنف لم يلتفت الى هذه المقالة فينتظم قوله (على ثلاث مقالات) أى لطوائف ثلاث كما فصلها بقوله (فذهبت طائفة الى انه اسراء بالروح وانه رؤيا منام) بدل مما قبله أو عطف تفسير له اذ هو فى هذا المقام انما يكون فى حال المنام (مع اتفاقهم ان رؤيا الانبياء حق) أى ثابت غير كذب (ووحى) أى يعمل به بخلاف رؤيا غيرهم ويدل عليه قوله تعالى حكاية يا بنى انى أرى فى المنام انى أذبحك وحديث تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم (والى هذا ذهب معاوية رضى الله تعالى عنه) أى من الصحابة كما رواه ابن اسحق وابن جرير عنه وهو ابن أبى سفيان كلاهما من مسلمة الفتح وهو أحد كتبة الوحى وقيل انما كتب له كتبه الى الاطراف وتولى الشام فى زمن عمر رضى الله تعالى عنه ولم يزل بها حاكما الى ان مات وذلك أربعون سنة روى عنه ابن عباس وأبو سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنهما وكان عنده ازار رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ورداؤه وقميصه وشئ من شعره وأظفاره فقال كفنونى فى قميصه وأدرجونى فى ردائه وفى رواية وازرونى بازاره واحشوا منخرى وشدوا مواضع السجود منى بشعره وأظفاره وخلوا بينى وبين أرحم الراحمين

(فصل) فى تحقيق الاسراء اعلم انهم اختلفوا فى المعراج والاسراء هل كانا فى ليلة واحدة أو ليلتين وهل كانا جميعا يقظة أو مناما أو بعضه يقظة وبعضه مناما فقيل ان الاسراء كان مرتين مرة بروحه مناما ومرة بروحه وبدنه يقظة ومنهم من قال بتعدد الاسراء فى اليقظة أيضا بل قيل انه أربع مرات وبعضها كان بالمدينة ووافق أبو شامة رحمه الله تعالى بين الروايات بالتعدد وانه وقع من مكة لبيت المقدس فقط على البراق ومرة من مكة الى السموات الى آخر ما فصله وقال انه لبيت المقدس ثابت بنص القرآن والحديث وقد تقدم الفرق بين الاسراء والمعراج وان الاول سيره للبيت المقدس والثانى صعوده منه للملأ الاعلى وان كلا منهما يطلق على الجميع واما حمل البدنى على انه بطريق الانسلاخ الذى ذهب اليه الصوفية فاخراج للحديث عن ظاهره لمعنى لا ينبغى التعويل عليه وانما ذكرناه لننبهك عليه لئلا تغتر بكلام بعض جهلة المتصوفة والحكماء (ثم اختلف السلف والعلماء) من عطف العام على الخاص والمراد بالسلف الصحابة ومن عاصرهم وبالعلماء من بعدهم (هل كان اسراء بروحه أو جسده) اسراء بالنصب خبر كان أى هل كان الاسراء الى آخره (على ثلاث مقالات) أى اختلاف واقع على ثلاثة أقوال للسلف والخلف ثم فسره وفصله بقوله (فذهب طائفة) أى جماعة ممن سيصرح به (الى انه) أى الاسراء (اسراء بالروح وانه رؤيا منام) عطف تفسير لا بدل كما توهمه الدلجى وفى تفسير القاضى اختلف فى انه كان فى المنام أو فى اليقظة بروحه أو بجسده وقوله بروحه أو بجسده لف ونشر أى بروحه فى المنام أو بجسده مع روحه فى اليقظة وليس متعلقا بقوله فى اليقظة فقط كما توهم والصحيح الثانى كما سيأتى قال البرهان وبقى قولان أحدهما انه تعدد مرة بجسده ومرة أو مرات بروحه والثانى انا نقول بالاسراء ولا نعين كونه يقظة أو مناما كما فى الهدى النبوى وهو غريب (مع اتفاقهم) سلفا وخلفا على (ان رؤيا الانبياء حق ووحى) لانهم عليهم الصلاة والسلام تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم ولان الشيطان لم يسلط عليهم فيتمثل لهم والوحى على أنواع منها المنام الا أنه على قسمين منه ما يقع بعينه وهو الاكثر ولذا ذهب الخليل الى ذبح اسمعيل عليهما الصلاة والسلام ومنها ما يعبر ويأول (والى هذا ذهب معاوية) ابن أبى سفيان بن حرب بن أمية كما رواه عنه ابن جرير وابن اسحق وهو رضى الله تعالى عنه صحابى ابن صحابى توفى بالشام حاكما بها سنة ستين وعمره ثمان وسبعون أو ست وثمانون وكان عنده ازار رسول

(وحكى) أى مثل ذلك (عن الحسن) أى البصرى (والمشهور عنه خلافه) وهو انه كان فى اليقظة (واليه) أى والى هذا القول (أشار محمد بن اسحق) أى ابن يسار امام المغازى (وحجتهم) أى لقولهم انه رؤيا منام (قوله تعالى وما جعلنا الرؤيا التى أريناك) أى ظاهرة اذ فى آخر الآية دلالة على انه كان باليقظة حيث قال (الا فتنة للناس) أى ابتلاء وامتحانا فى تصديق القضية اذ انكرته قريش وارتد كثير من أهل التقليد وصدقه الصديق وأهل التوفيق والتأييد اذ من المعلوم انه لا فتنة الا اذا كان فى حال اليقظة فالرؤيا بمعنى الرؤية ولعل تسميتها بها لانها من غرابتها فى معنى الرؤيا وقد سبق جواز تقدير مضاف أى تحقيق الرؤيا وتصديقها وبه يجمع بين الروايات فانه رأى أولا رؤيا وثانيا رؤية فقد قال السهيلى وذهب طائفة منهم شيخنا أبو بكر الى ان الاسراء كان مرتين احداهما فى نومه توطئة له وتيسيرا عليه كما كان بدء نبوته الرؤيا الصادقة ليسهل عليه أمر النبوة فانه أمر عظيم تضعف عنه القوى البشرية وكذا الاسراء سهل عليه بالرؤيا لان هوله عظيم ورأيت المهلب فى شرح البخارى قد حكى هذا القول عن طائفة من العلماء وانهم قالوا كان الاسراء مرتين مرة فى نومه ومرة فى يقظته ببدنه صلى الله تعالى عليه وسلم انتهى ولا يبعد ان يقال اسراؤه الروحى كان مرات باعتبار المكاشفات فى اليقظات والمنامات واما اسراؤه الجسدى فمرة واحدة تحقيقا لتلك المقامات والحالات مع الزيادة الحاصلة بالكلام والرؤية وسائر الدرجات هذا مع أن آية وما جعلنا الرؤيا قد قيل المراد بها ما رآه عام الحديبية انه وأصحابه دخلوا مكة بدليل قوله تعالى لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام الآية فلما صدوا فيه عنه فتنوا فقيل اسرا لم يقل فى هذا العام فدخلها بعد اماراتها فى وقعة بدر بدليل قوله تعالى اذ يريكهم الله فى منامك قليلا ووقع فى أصل الدلجى وقيل رآها عام الحديبية وهو يوهم انه من أصل الكتاب وهو ليس فى الاصول الصحيحة على الصواب (وما حكوا) أى وحجتهم أيضا ما حكوه من رواية ابن اسحق وابن جرير (عن عائشة رضى الله تعالى عنها ما فقدت جسد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) ويبطله انه لم يدخل بها الا بعد الهجرة والاسراء انما كان بمكة بعد البعثة كما قال ابن اسحق بعد ان فشا الاسلام بمكة والاشبه انه كان بعدها بخمس سنين كما نقله النووى عن المصنف وروى عنها ما فقد جسد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بصيغة المفعول وهو أظهر فى الاحتجاج المنقول (وقوله) أى وحجتهم أيضا قوله عليه السلام (بينا أنا نائم) أى فى الحطيم وربما قال فى الحجر

الله صلى الله تعالى عليه وسلم ورداؤه وشئ من شعره وظفره فكفن برداثه وازاره وحشى شعره وظفره بفيه ومنخره بوصية منه رضى الله تعالى عنه (وحكى عن الحسن) البصرى رحمه الله تعالى وحكى مبنى للمجهول (والمشهور عنه) أى عن الحسن (خلافه) أى له قولان أشهرهما انه كان يقظة (واليه) أى الى ما ذكر عن الحسن أولا (أشار محمد بن اسحق) بن يسار صاحب المغازى وهو ثقة وان طعن فيه بعضهم (وحجتهم) أى دليل القائلين بانه رؤيا منام (قوله تعالى وما جعلنا الرؤيا التى أريناك الا فتنة للناس) لانكار كثير منهم له وارتداد بعض ممن أسلم حين بلغهم ذلك لضعف عقولهم وايمانهم ولا حجة فى ذلك لان لها تفاسير أخر وفى بعض النسخ هنا (وقيل رآها عام الحديبية) اسم بئر مشهور وياؤها مخففة وروريت مشددة أيضا كما سيأتى بيانه لانه صلى الله تعالى عليه وسلم رأى انه هو وأصحابه دخلوا مكة كما قال الله تعالى لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق الى آخره فلما صدوا عن الدخول فتن بعضهم فقيل لم يقل فى هذا العام وقيل الآية فى قصة بدر لقوله تعالى اذ يريكهم الله فى منامك قليلا وقيل المراد بها رؤيا بنى أمية تنزو على منبره صلى الله تعالى عليه وسلم (و) مما احتجوا به (ما حكى عن عائشة رضى الله تعالى عنها ما فقدت جسد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) وفى نسخة ما فقد بالبناء للمفعول وفى رواية لم تفقد مجهول أيضا قال التلمسانى وهى الاشبه بالصواب فهو اخبار منها عن غيرها لانها لم تكن حينئذ زوجته بل لم توجد انتهى وستأتى الاشارة اليه فى كلام المصنف مع ان له صلى الله تعالى عليه وسلم زوجات أخر فلا يلزم من عدم فقدها له لذلك فقد غيرها له وقيل ولا حجة فيه أيضا لاحتمال انه تعالى أراد أن يحجب عنها حقيقة ذلك مع ان النفى مقدم على الاثبات ولا يخفى ما فيه من التكلف (وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم فى رواية (بينا أنا نائم) قال ابن المنير فى المقتفى جنح هؤلاء الى قضايا ظنوها تحيل الاسراء يقظة من حيث العقل وذلك غلط بين وانما هو استبعاد عادى ظنوه محالا عقليا فاحتجوا بما ورد فى بعض الروايات من التصريح بانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان نائما فايقظه الملك وقوله بين النائم واليقظان ليس بصريح بان النوم استمر بل كان مجىء الملك اليه صلى الله تعالى عليه وسلم وهو واسن وباقل من ذلك يستيقظ النائم المستغرق لاسيما الوسن واحتجوا على انه استمر بان المنام مصرح به وبما ورد فى بعض الطرق أى الآتية فاستيقظت وأنا بالمسجد الحرام وردعليهم بان المراد الافاقة البشرية من الغمرة الملكية أى كما سيأتى بيانه وبالجملة فان صح النقل فى الطرق وتعارضت وتعذر التأويل حمل على التعدد وتنزيله على

(وقول أنس رضي الله تعالى عنه) أي وحجتهم أيضا قوله في حديثه (وهو نائم في المسجد الحرام وذكر القصة) أي قصة الاسراء وفيه ان كونه نائما في أول الوهلة لا ينافي وقوع القصة في اليقظة آخر الدفعة (ثم قال) أي أنس رضي الله تعالى عنه (في آخرها) أي القصة (فاستيقظت وأنا بالمسجد الحرام) وفيه ان المراد بالاستيقاظ هو الاستحضار والاستشعار عما كان له من الاستغراق في مقام الابرار مع احتمال ان نومه في حال رجوعه واستيقاظه وقت وقوعه (وذهب معظم السلف والمسلمين) أي من الخلق (الى انه اسراء بالجسد) أي مع الروح لا بالروح بدون الجسد (وفي اليقظة) بفتح القاف ولا يجوز تسكينها وهي ضد المنام (وهذا هو الحق) أي الثابت عند أهله (وهو قول ابن عباس وجابر) أي ابن عبد الله (وأنس

رضي الله تعالى عنه) أي ابن مالك (وحذيفة) أي ابن اليماني (وعمر رضي الله تعالى عنه) أي ابن الخطاب وكان حقه ان يقدم على ما سبق من الاصحاب (وأبي هريرة ومالك بن صعصعة رضي الله تعالى عنهما) مدني سكن البصرة وروى عنه أنس وغيره (وأبي حبة) بفتح حاء مهملة وتشديد موحدة قيل بالنون وقيل بالتحتية (البدري) قيل هو الانصاري وقيل هو غيره (وابن مسعود) رضي الله عنه وكان حقه ان يذكر بعد عمر لانه أفضل الصحابة بعد الخلفاء الاربعة وبه تم ذكر الصحابة رضي الله تعالى عنهم (والضحاك) أي ابن مزاحم الهلالي البلخي المفسر تابعي جليل يروي عن أبي هريرة وأنس وابن عباس وابن عمر رضي الله تعالى عنهم وثقه أحمد وابن معين وذكره الشيرازي في فقهاء خراسان من أصحاب عطاء الخرساني وغيره (وسعيد بن جبير) يروي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وغيره قتل في شعبان شهيدا أخرج له الائمة الستة (وقتادة) أي ابن دعامة (وابن المسيب) بفتح التحتية المشددة وتكسر (وابن شهاب) أي الزهري (وابن زيد) أي ابن أسلم وهو متكلم فيه (والحسن) أي البصري (وابراهيم) أي النخعي (ومسروق) أي ابن الاجدع الهمداني يروي عن أبي بكر ومعاذ رضي الله تعالى عنهما وكان أعلم بالفتيا من شريح أخرج له الائمة الستة وهو من الزهاد الثمانية يقال انه سرق صغيرا ثم وجد فسمي مسروقا وقد كانت عائشة تبنته فسمي ابن عائشة وكني بها روى عنه الشعبي والنخعي وغيرهما

اسرا آت بعضها يقظة وبعضها مناما لا يقال لو كان كذلك لما تكرر فرض الصلاة فانها انما فرضت دفعة قلنا فرضت في اليقظة وجاء في المنام بعد ذلك كالذكرى وتجديد العهد أو تقدم المنام كالتقدمة والتعريض بالفرض وبما سيكون ثم فرضت يقظة وكثيرا ما يرى النائم انه فعل فعلا كان فعله قبله ويقع له انه الفعل المتقدم بعينه فيكون ذلك المعنى انتهى (وقول أنس رضي الله تعالى عنه وهو نائم في المسجد الحرام وذكر القصة) الواردة في حديث الاسراء الذي رواه البخاري وهو يدل على انه كان مناما (ثم قال في آخرها فاستيقظت وأنا بالمسجد الحرام) أي انتبهت من منامي فوجدتني بهذه الحالة فانتفى كونه حجة لذلك وقد علمت ما فيه (وذهب معظم السلف والمسلمين) عطف للعام على الخاص وفيه اشارة الى ان خلافه لا ينبغي لمسلم اعتقاده (الى انه اسراء بالجسد) مع الروح (وفي اليقظة) المقابلة للنوم وهي بفتح الياء والقاف وتسكينها لحن الا لضرورة شعرية كقول التهامي

فالعيش نوم والمنية يقظة * والمرء بينهما خيال ساري

وبالتسكين علم كاليقظان (وهذا هو الحق) الذي يقتضيه الاسلام اذ لا حاجة لصرف النصوص عن ظاهرها بغير داع ولو كان كذلك لم يذكره أحد من العقلاء (وهو قول ابن عباس وجابر وأنس وحذيفة وعمر وأبي هريرة) رضي الله تعالى عنهم وهو عبد الرحمن بن صخر على الاصح من الاقوال في اسمه مشهور كما تقدم (ومالك بن صعصعة) الصحابي المدني كما تقدم (وأبي حبة البدري) بفتح الحاء المهملة بلا خلاف ثم باء موحدة مشددة على الاصح وقيل انه بنون مشددة وقيل بمثناة تحتية مشددة ثم هاء واسمه عامر وقيل مالك وقيل عمرو وقيل ثابت بن النعمان كما في الاستيعاب واختلف في أبي حبة الانصاري وأبي حبة البدري هل هما واحد أو اثنان على اختلافهم في ضبطهم المتقدم وقوله البدري أي شهد بدرا اشارة الى انه من كبار الصحابة رضي الله تعالى عنهم وقيل اسمه كنيته (وابن مسعود والضحاك) وهو مزاحم البلخي المفسر المكني بأبي القاسم أو أبي محمد يروي عن ابن عباس وأبي هريرة وهو ثقة وان ضعفه بعضهم توفي سنة خمس ومائة وقيل سنة ست وأخرج له أصحاب السنن الاربعة دون الشيخين (وسعيد بن جبير) المشهور وهو الوالبي أبو محمد أخرج له أصحاب الكتب الستة (وقتادة) المتقدم ترجمته (وسعيد بن المسيب) بفتح الياء وكسرها كما تقدم في ترجمته (وابن شهاب) أبو بكر محمد ابن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري كما تقدم (وابن زيد) عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وترجمته في الميزان (والحسن) بن أبي الحسن البصري كما تقدم (وابراهيم) النخعي المتقدم ذكره (ومسروق) بن أجدع أبو عائشة الهمداني أحد الاعلام الذي لم يخرج من همدان مثله صاحب المناقب الجمة وكان أعلم بالفتيا

(ومجاهد) أي ابن جبير (وعكرمة) أي المفسر مولى ابن عباس لكنه اباضي وسيأتي في كلام المصنف بيانه (وابن جريج) بالجيمين مصغرا فهؤلاء كلهم من اجلاء التابعين رحمهم الله تعالى (وهو دليل قول عائشة) أي مذهبها المختار لها وهو لا ينافي ما سبق مما نسب اليها وحكي عنها وهذا الاستعمال شائع فيما بين العلماء والفقهاء حيث يقال هذا قول أبي حنيفة ومالك رحمهما

الله ويحكى عنهما خلاف ذلك وبهذا بطل اعتراض الدلجي على المصنف بقوله كيف يكون الاسراء يقظة دليل قولها ما فقدت جسده المحتج به آنفا انه كان مناما وقد سمعت ابطاله وتعجبه من حكاية المصنف له في المذهبين مع امتناع كونه حجة للاول وكون الثاني دليلا له فانه سهو لا ريب من ذي فهم ثاقب انتهى ومما يدل على ما قدمنا عنها انها نفت الرؤية البصرية وقالت بالرؤيا البصرية ومثل هذه المسئلة الخلافية لا تتصور الا اذا كانت القضية في اليقظة بخلاف الحالة المنامية (وهو قول الطبري) أي محمد بن جرير (وابن حنبل) أي الامام أحمد صاحب المذهب (وجماعة عظيمة) أي رتبة وكثرة (من المسلمين وهو قول أكثر المتأخرين من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين والمفسرين وقالت طائفة) أي من الجامعين بين

الروايات المختلفة (كان الاسراء بالجسد يقظة الى بيت المقدس) يروى يقظة في المسجد الحرام وقع
الى المسجد الاقصى (والى السماء بالروح) أي مناما وهذا يشبه قول المعتزلة (واحتجوا بقوله سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى) ووجه الاحتجاج ما بينه المصنف بقوله (فجعل المسجد الاقصى غاية الاسراء الذي وقع التعجب فيه

من شريح توفي سنة ثلاث أو اثنتين وستين وأخرج له أصحاب الكتب الستة ولقب بمسروق لانه سرق وهو صغير ثم وجد (ومجاهد) بن جبير المتقدم ترجمته (وعكرمة) بن عبد الله الامام المفسر مولى ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أحد أوعية العلم الثقة وهو اباضي وسيأتي بيان الاباضية آخر الكتاب روى له الشيخان وتوفي سنة خمس أو ست أو سبع ومائة وترجمته مفصلة في الميزان (وابن جريج) عبد الملك بن عبد العزيز وقد تقدمت ترجمته (وهو دليل قول عائشة رضي الله تعالى عنها) قيل كيف يكون الاسراء يقظة دليل قول عائشة ما فقدت جسده الشريف الدال على انه مناما لا يقظة وهذا عجيب اذ ذكره في المذهبين وجعل ما يبطله دليلا عليه كما سيأتي فهذا سهو منه بلا ريبة * أقول لا شك انه وارد وان كلامه لا يخلو من اشكال الا ان يقال انه سقط منه شيء وأصله دليل على عدم صحة قول عائشة لانه لم يثبت نقله عنها وقد يقال مراده انه دليل على قول عائشة قولا موافقا لما عليه أكثر الصحابة وانها قائلة بانه يقظة كالجمهور كما سيأتي في كلامه فالمراد ابطال ما نقلوه عنها وهذا وان كان مخالفا للظاهر لكنه أسهل من تغليط المصنف وهو الانسب بقوله (وهو قول) محمد بن جرير (الطبري) المتقدم ترجمته (وأحمد بن حنبل وجماعة عظيمة) أي كثيرة والعظمة تطلق بمعنى الكثرة كثيرا وان كان المعروف خلافه أو المراد انهم أئمة مقدارهم جليل (من المسلمين وهذا قول أكثر المتأخرين من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين والمفسرين) فعلى كثرة نقلته وشهرة الاخبار الصحيحة به لا يناسب مخالفة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها فيه (وقالت طائفة) هذا هو القول الثالث (كان الاسراء بالجسد يقظة من المسجد الحرام الى بيت المقدس) فقط (و) منه (الى السماء بالروح) يعني مناما ولا يخفى بعده اذ لم ينقل انه صلى الله تعالى عليه وسلم نام ثمة وهذه الحالة لا تناسب النوم ثمة (واحتجوا بقوله سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى بيت المقدس) وفي نسخة الى المسجد الاقصى وهي الموافقة للنظم الشريف وهي أصح عندي واعلم انهم فسروا العروج الروحاني بالمنام وليس بمتعين لانها قد تفارق البدن بدونه وهذا مما اتفق عليه الحكماء وأهل التصوف وليس هذا محل تحقيقه وقوله (فجعل الى المسجد الاقصى غاية الاسراء) تفسير وتفصيل للاحتجاج لانه لما جعله غاية اقتضى انه لم يتجاوز الى السماء ببدنه الشريف ولا حجة فيه لان كونه غاية لمسيره في الارض لا ينافي صعوده لما يحاذيه في جهة العلو وما قيل من انه انما يتم اذا كان الاسراء مرة واحدة وعلى تقديره يكون غاية لركوبه البراق ثم عرج منه الى السماء والحكمة في عدم ذكرها بيانه للسنة دون الكتاب وهو أبلغ في المدح انتهى ليس بشيء ولو قيل انه هو الذي أنكروه وانما اكتفى بأقل ما تثبت به معجزته واقتصار على ما تفهمه عقولهم القاصرة كان أظهر ونحوه قول ابن المنير في المقتفي ورد الاحتجاج بان الحكمة في تخصيص المسجد الاقصى ان يسأل قريش على سبيل الامتحان عن الاعلام التي عرفوها والصفات التي شاهدوها في بيت المقدس وقد علموا ان الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم لم يسافر اليها قط فيجيبهم بما عاين ويوافق ما يعلمونه فتقوم الحجة عليهم وكذلك وقع ولذا لم يسألوه صلى الله تعالى عليه وسلم عما رأى في السماء اذ لا علم لهم بذلك انتهى وأقصى بمعنى أبعد لانه أبعد مسجد في الارض وآخر محل عبد الله فيه بحق وقوله (الذي وقع التعجب فيه) ضمير فيه للاسراء أي

بعظيم القدرة) أي المؤثرة وفق الارادة حيث كان ساعة في سيره طي مسافة كثيرة والتعجب من لوازم المعجزة وان صدر من أعدائه على طريق الاستحالة (والتمدح) أي ووقع التمدح (بتشريف النبي محمد) صلى الله تعالى عليه وسلم (به) أي بالاسراء نفسه (واظهار الكرامة له) أي ووقع اظهار الكرامة له صلى الله تعالى عليه وسلم (بالاسراء اليه) أي الى المسجد الاقصى بخصوصه (قال هؤلاء) أي الذاهبون الى المذهب الثالث في الاسراء (ولو كان الاسراء بجسده زائدا على المسجد الاقصى لذكره) أي الله سبحانه في كتابه (فيكون) أي ذكره فيه (أبلغ في المدح) أي في مقام مدحه من عدم ذكره ولعل الحكمة في ذلك أن يكون الايمان في هذه القصة ثابتا بمجموع الكتاب والسنة (ثم اختلفت هذه الفرقتان) أي الثانية والثالثة في أنه صلى الله تعالى عليه وسلم (هل صلى ببيت المقدس أولا) فقيل نعم (ففي حديث أنس وغيره رضي الله عنهم ما تقدم من صلاته فيه) أي بالانبياء وسبق أنه صلى الله تعالى عليه وسلم صلى مع الملائكة ولا منع من الجمع (وأنكر ذلك) أي كونه صلى الله تعالى عليه وسلم صلى فيه (حذيفة بن اليماني وقال) أي حذيفة كما رواه أحمد عنه (والله مازالا) أي النبي وجبريل عليهما السلام (عن ظهر البراق حتى رجعا) وهو بعيد جدا لما سبق صريحا فيما ورد صحيحا من ربط البراق بباب المسجد وصلاته فيه على ما هو اللائق بآداب المسجد من التحية التي هي السنة فيه ثم من القواعد المقررة ان المثبت مقدم على النافي ومن حفظ حجة على من لم يحفظ (قال القاضي رحمه الله تعالى عليه والحق من هذا) أي ما ذكر (والصحيح ان شاء الله تعالى) استثناء للتبرك بمنزلة والله تعالى أعلم (انه اسراء بالجسد والروح في القصة كلها وعليه) أي وعلى هذا (تدل الآية وصحيح الاخبار) أي مجموعهما على جميعها غايته ان دلالة الآية على الاسراء من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى نص قاطع يكون جاحده كافرا أو منافقا ودلالة الاحاديث على اسرائه الى السماء وسدرة المنتهى ومقام قاب قوسين أو أدنى ظنية منكره يكون مبتدعا فاسقا

وقع التعجب في شأنه لقطع مسافة طويلة في بعض ليلة والتعجب يفيده قوله سبحان لانه مصدر منصوب على المصدرية ومعناه تنزيه الله عما لا يليق بعظمته ثم شاع استعماله في التعجب ووجهه مذكور في الكشاف وشروحه والتعجب من المعجزات لكونها خارقة للعادة وهو من الله تعجيب لما تعجب منه وقد ورد استعماله في حق الله وورد في الحديث كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم عجب ربنا من كذا وهو من البشر لاستحالة ما تعجبوا منه أو استبعاده وأشار الى المراد من تعجب الله فقال (تعظيم القدرة) منصوب لانه مفعول له أي لتعظيم قدرة الله الباهرة المؤثرة على وفق الارادة وفي نسخة بعظيم بالباء الجارة (والتمدح بتشريف النبي محمد صلى الله تعالى عليه وسلم به) أي بالاسراء والجار متعلق بتشريف ويجوز رفعهما بوقع أي وقع فيه تعظيم القدرة والتمدح وكذا قوله (واظهار الكرامة له) صلى الله تعالى عليه وسلم (بالاسراء اليه) أي الى المسجد الاقصى وهو من وضع الظاهر موضع الضمير اعتناء به لانه من أجل كراماته وأعظم معجزاته (قال هؤلاء) الذاهبون الى ان الاسراء بجسده صلى الله تعالى عليه وسلم الى المسجد الاقصى وهم أرباب المذهب الثالث (ولو كان الاسراء بجسده الى) مكان أرفع (زائد على المسجد الاقصى لذكره) الله تعالى في القرآن حين قص قصة الاسراء (فيكون) ذكره فيه (أبلغ في المدح) من عدم ذكره (ثم اختلفت هذه الفرقتان) الثانية والثالثة في أنه صلى الله تعالى عليه وسلم (هل صلى ببيت المقدس) حين أسري به (أم لا) فقيل صلى به وأم معادلة لهل وهو من نوادر العربية سمع ذلك في قوله صلى الله تعالى عليه وسلم لجابر رضي الله عنه * هل تزوجت بكرا أم ثيبا وان أنكره بعض النحاة (ففي حديث أنس وغيره ما تقدم من صلاته) صلى الله تعالى عليه وسلم بالانبياء (فيه) أي في بيت المقدس وستأتي رواية أخرى أنه صلى الله تعالى عليه وسلم صلى بهم في السلام وفي رواية أنه لم يصل بهم فيه كما أشار اليها بقوله (وأنكر ذلك) أي صلاته بالانبياء عليهم الصلاة والسلام فيه (حذيفة بن اليمان وقال) كما رواه أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى (والله مازالا) أي جبريل والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وزال هنا تامة أي لم ينفصلا ولم ينزلا (عن ظهر البراق حتى رجعا) الى الارض فكان جبريل عليه الصلاة والسلام راكبا معه صلى الله تعالى عليه وسلم ويروى أنه كان ماشيا (قال القاضي) أبو الفضل عياض المؤلف رضي الله تعالى عنه (والحق من هذا والصحيح) رواية (ان شاء الله) قيده بالمشيئة مع انه أمر واقع وانقطع تبركا وتأدبا وللاشارة الى احتمال التعدد فكل رواية لا تنافي الاخرى فلا ينافي قوله ان شاء الله كونه حقا صحيحا كما قد يتوهم وهذا كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم * وانا ان شاء الله بكم لاحقون (انه اسراء بالجسد والروح) لا بالروح فقط مناما أو يقظة (في القصة كلها) أي في قصة الاسراء الى المسجد الاقصى والسموات (وعليه تدل) أي مما يدل عليه نقلا لا نص القرآن وهو (الآية) الدالة على شطرها صريحا (وصحيح الاخبار) المشهورة المستفيضة الدالة على عروجه صلى الله تعالى عليه وسلم

(والاعتبار) بالرفع معطوف على ماقبله على مااقتصر عليه الحلبي ولا يبعد أن يكون مجرورا بالعطف على الاخبار والمراد به المقايسة يعني اذا ثبت اسراؤه من الحرم الى الحرم معجزة بدلالة الآية فيجوز اسراؤه الى السماء بالمقايسة المقرونة بالاحاديث الثابتة اذ لافرق بينهما في تعلق الارادة

والقدرة (ولا يعدل عن الظاهر) بصيغة المجهول أي ولا يصرف عن ظاهر دلالة الآية والاخبار الواردة (والحقيقة) أي ولا عن ارادة الحقيقة اللغوية المنضمة مع الارادة العرفية (الى التأويل) أي فيهما أو في أحدهما (الا عند الاستحالة) أي العقلية والشرعية (وليس في الاسراء بجسده) أي الشامل لبدنه وروحه (وحال يقظته استحالة) أي لاشرعا ولا عقلا حتى يحتاج الى تأويل في ماله بل يتعين أن يكون بكمال حاله وبيقظة حاله (اذ لو كان مناما لقال بروح عبده ولم يقل بعبده) أي لانه بحسب اطلاقه محمول على كمال افراده من عباده (وقوله) أي ويدل على كونه يقظة لامناما قوله (مازاغ البصر وماطغى) اذ ليس للروح بصر بل بصيرة وأيضا لايمدح عدم زيغ بصر النائم اذ لا حقيقة لحاله فلا يعد عدم الطغيان من كماله ومعنى الآية مامال بصره يمينا ولا شمالا الا في مقام أدبه مع ربه وما جاوز ما أمر به (ولو كان) أي الاسراء (مناما لما كان فيه آية) وقد قال الله تعالى لقد رأى من آيات ربه الكبرى (ولا معجزة) أي أمر خارق للعادة وان كان رؤيا الانبياء حقا واخبارهم عنها صدقا (ولما استبعده الكفار ولا كذبوه فيه) أي في أخباره (ولا ارتد به ضعفاء من أسلم وافتتنوا به) أي ولا وقعوا به في الفتنة في انباء اسرائه (اذ مثل هذا) أي الحال (من المنامات لاينكر) أي لايعد من المحال لان أحد الناس يرى في نومه انه يسير في الشرق مرة وفي الغرب أخرى وهو لم يتحول عن مكانه ولم تتبدل حالته الاولى

الى السماء والاحاديث الآحاد الدالة على دخوله الجنة ووصوله الى العرش أو طرف العالم كما سيأتي وكل ذلك بجسده يقظة (والاعتبار) بالرفع معطوف على ماقبله كما صححه البرهان والمراد به التتبع لاقوال السلف أو دقيق الفكر والتأمل في الاحاديث المروية والقصة يعني انه يدل على ذلك العقل والنقل (ولا يعدل) بالبناء للمجهول من العدول أي لايخالف أحد ولا يرجع ويميل (عن الظاهر) الذي يقتضيه العقل والنقل (والحقيقة) المتبادرة من لفظ الحديث الصحيح وليس عطفا تفسيريا كما قيل (الى التأويل) متعلق بيعدل أي لا يصرف عن ظاهره ويؤول النصوص الواردة فيه (الا عند الاستحالة) أي الا اذا كان ظاهره مستحيلا عقلا وشرعا حتى يتعذر حمله على حقيقته وليس ما نحن فيه كذلك (وليس في الاسراء بجسده حال يقظته استحالة) تقتضي العدول عن الظاهر والتأويل وما قيل من ان ما ذكره غير مسلم لانه يكفي في المصير الى التأويل قيام المعارض للظاهر من الروايات التي أوردها المخالف الذاهب الى انه منام لا يقظة مردود بان هذه الرواية عنده أصح وأقوى لتعدد من رواها وذهب اليها من كبار الصحابة وكثرتهم جدا كما قيل به فان قيل بالتعدد كما تقدم لم تكن معارضة أيضا فتدبر

(تنبيه) الاستحالة المذكورة أي عد الاسراء محالا صدر من كفار قريش ومن بعض ضعفاء المسلمين اذ توهموا ان قطع مثل هذه المسافة ذهابا وايابا في بعض ليلة محالا لانها بعيدة بحيث تقطع في أيام كثيرة ومن بعض أرباب علم الهيئة الذين قالوا ان الافلاك لافرجة فيها ولا تقبل الخرق والالتئام وكلاهما خطأ عقلا ونقلا ألا ترى نقل عرش بلقيس في مسافة أبعد من هذه في طرفة العين وغير ذلك مما هو مأثور مشهور وقد نطقت النصوص بان السماء لها أبواب تفتح وتغلق فلا عبرة باوهام الفلاسفة وقال البيضاوي تبعا للامام الرازي الاستحالة مدفوعة بما ثبت في الهندسة ان ما بين طرفي قرص الشمس ضعف ما بين طرفي كرة الارض مائة ونيفا وستين مرة ثم ان طرفها الاسفل يصل لموضع طرفها الاعلى في أقل من ثانية والاجسام كلها متساوية في قبول الاعراض والله قادر على كل الممكنات فيقدر على أن يخلق مثل هذه الحركة السريعة في بدن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أو فيما حمله والتعجب من لوازم المعجزات انتهى وقد أورد عليه اعتراضات بسطناها مع جوابها في حواشينا عليه واعلم ان كلامه مبني على ان الحقيقة تقدم مطلقا وعند الشافعي يقدم المجاز الغالب عليها ثم ان التعجب والعجب اذا أسند الى الله فهو مأول وكذا صيغة التعجب وفي حديث عجب ربكم من شاب ليس له صبوة قال ابن فورك في كتاب الكشف قد ورد مثله في أحاديث كثيرة والعجب والتعجب أصله ان يفجأ أمر لم يعلمه من فاجاه فيستعظمه وهذا لا يليق بالله عز وجل فالمراد لازمه يعني انه خلقه عظيما بحيث يتعجب من خلقه أو المراد الرضاء والقبول لان من أعجبه شيء رضيه وقبله فلا يتعجب مما يكرهه غالبا فاذا أراد تعظيم شيء أخبر عنه بما يقتضي تعظيمه الى آخر ما فصله وسبحان كثر استعماله في ذلك وقوله (اذ لو كان مناما لقال بروح عبده ولم يقل بعبده) تعليل لصحة كونه يقظة ولعدم الاستحالة (وقوله مازاغ البصر وماطغى ولو كان مناما لما كانت فيه آية ولا معجزة ولما استبعده الكفار ولا كذبوه فيه ولا ارتد به ضعفاء من أسلم وافتتنوا به) ووقعوا في فتنة أي بلية عظيمة توقعهم في العذاب لردتهم وتكذيبهم له وانكارهم لما أخبر به صلى الله عليه وسلم بما هو خارق للعادة وهو قد أخبر به لانه معجزة تحداهم بها (اذ مثل هذا من المنامات لاينكر)

تعليل

(بل لم يكن ذلك) أي الانكار والاستبعاد وعده من الاستحالة ووقوع الارتداد (منهم الا وقد علموا ان خبره) أي عن اسرائه (انما كان عن جسمه) أي مع روحه (وحال يقظته) أي أخذا من خبره منضما (الى ما ذكر) أي النبي عليه الصلاة والسلام وقال الحلبي انه بصيغة المجهول (في الحديث) أي الحديث المشهور في الاسراء (من ذكر صلاته بالانبياء ببيت المقدس) أي قبل اسرائه الى السماء (وفي رواية أنس أو في السماء على ماروى غيره) أي غير أنس كما تقدم ولا منافاة بينهما اذ لا يخفى وجه جمعهما (وذكر مجيء جبريل عليه السلام له) عطف على قوله ذكر صلاته المجرور بمن البيانية أي ومن ذكر مجيء جبريل له عليه السلام (بالبراق وخبر المعراج) أي ومن ذكر خبر حال عروجه الى السماء بالاسراء والمراد بالمعراج آلة العروج كالسلم للصعود (واستفتاح السماء فيقال ومن معك) أي وعدما يقال من أنت فيقول جبريل فيقال ومن معك (فيقول محمد) أي وأمثال هذا من الدلالات في الروايات (ولقائه) أي ومن ملاقاته عليه الصلاة والسلام (الانبياء فيها) أي في السماء باصنافها (وخبرهم معه) أي خبر الانبياء معه بتفصيل مقاماتهم وتبيين حالاتهم (وترحيبهم به) أي وتحيتهم له كما في نسخة وأصل الترحيب قول مرحبا (وشانه) أي وقصته (في فرض الصلاة) أي خمسين أولا (ومراجعته) أي ومكالمته (مع موسى في ذلك) أي في تخفيفها أو مراجعته الى الله تعالى مع مساعدة موسى عليهما الصلاة والسلام في ذلك (وفي بعض هذه الاخبار) أي أدلة صريحة على هذا المدعى وروايات صحيحة المبنى من طريق الشيخين عن أنس رضي الله تعالى عنه (فاخذ يعني جبريل بيدي) تفسير من بعض الرواة (فعرج بي الى السماء) أي فلما جئت السماء الدنيا قال جبريل لخازنها افتح فلما افتتح علونا السماء الدنيا اذا رجل قاعد على يمينه اسورة وعلى يساره اسورة الحديث بطوله (الى قوله ثم عرج بي حتى ظهرت

تعليل لعدم الاستبعاد والتكذيب * فان قلت هذا يقتضي ان رؤية الله في المنام جائزة بلا خلاف وقد قالوا انه اختلف فيها * قلت قال الامام الغزالي ان الخلاف فيها غير معتد به ولان المرئي مثال له وفرق بين المثال والمثل وقد أفرده برسالة فان أردت تحقيقه فراجعها (بل لم يكن منهم ذلك) المذكور من الاستبعاد والتكذيب والارتداد والافتتان (الا وقد علموا ان خبره انما كان عن) اسرائه بـ(جسمه وحال يقظته) أخذا مما قاله لهم وأما كون رؤيا الانبياء وحي وحق فهذا انما يعرفه من صدقه وصدق بخبره فما قيل من انه ممنوع لان رؤياهم حق ولذا قال الله تعالى لابراهيم عليه السلام قد صدقت الرؤيا واذا كانت رؤياهم كذلك استقام كونها معجزة له ويتعلق الانكار بان رؤياهم حق كلام في غاية السقوط (الى ماذكر في الحديث) المتقدم وذكر مبني للمجهول ويصح بناؤه للفاعل أيضا والى بمعنى مع كقوله ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم وللغاية بتقدير من البيت المقدس الى المذكور في الحديث بقرينة المقام وقوله (من ذكر صلاته بالانبياء ببيت المقدس) بيان لما وبيت المقدس هو مسجد ايلياء ومعنى ايلياء بالسريانية وهي لغة آدم عليه الصلاة والسلام بيت الله (في رواية أنس أو في السماء على ماروى غيره) كما تقدم بيانه (وذكر مجيء جبريل له) صلى الله عليه وسلم (بالبراق وخبر المعراج) بكسر الميم اسم آلة للعروج وهو الصعود في جهة العلو كالسلم وقد تقدم بيانه (واستفتاح السماء) أي طلب فتحها له صلى الله تعالى عليه وسلم من جبريل (فيقال) من أنت أي تقول ملائكة السماء لجبريل من أنت فيقول جبريل فيقال له (ومن معك فيقول محمد ولقائه) الضمير لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم (الانبياء فيها) أي السماء (وخبرهم معه) فيما وقع له معهم من المكالمة (وترحيبهم به) أي قولهم له صلى الله تعالى عليه وسلم مرحبا بالاخ الصالح أو الابن الصالح كما مر وهو تفعيل من الرحب بضم الراء المهملة وفتحها ومعناه السعة أي صادفت مكانا رحبا ذا سعة وهو كناية عن وجوده فيه ما يسره ويكرمه (وشانه في فرض الصلاة) خمسين عليه وعلى أمته ثم تخفيفها وهو مجرور معطوف على مجيء والشان الامر العظيم الذي جرى له في ذلك (ومراجعته موسى) أي رجوعه في المشاورة (في ذلك) كما مر (وفي بعض هذه الاخبار) والحديث الذي رواه الشيخان عن أنس رضي الله تعالى عنه (فاخذ يعني جبريل بيدي) أي أمسك بيده ليصعد معه (فعرج بي الى السماء) أي صعد وأنا معه (الى قوله ثم عرج بي) بالبناء للفاعل أو المفعول وعرج كقعد عرجا ومعرجا ارتقى قال في القاموس اذا كان خلقة فعرج كفرح أو يثلث في غير الخلقة وهو أعرج بين العرج انتهى ولبعض الادباء في أعرج من رسالة

قامت العصا بيده مقام رجله * وقلت أعواد الاغصان من أجله
فعرج الى الارض لا الى السما * وغرس العود بكفه لكن ما أورق ولا نما
وحمل العصا هو العذاب الاليم * ولا أفلح من لازمها بعد موسى الكليم

انتهى (حتى ظهرت) أي صعدت وعلوت وهو كناية لانه يلزم من العلو على مكان عال ان يظهر ويشاهد

بمستوى اسمع فيه صريف الاقلام) أى صريرها كما فى رواية وقد فرض الله هنالك عليه خمسين صلاة فرجع فمر بموسى فلم يزل بينه وبينه حتى قيل له هى خمس وهن خمسون (انه وصل الى سدرة المنتهى وانه دخل الجنة) أى جنة المأوى (ورأى فيهما ماذكره) أى من جنابذ اللؤلؤ وان ترابها المسك قال الدلجى وظاهر هذا كله شاهد صدق بانه ما نزل عن البراق وان أنكره حذيفة انتهى ولا يخفى ان الظاهر عدم النزول عن البراق الا ان يدل دليل صحيح وصارف صريح فيما هنالك لذلك (قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما) أى كما رواه البخارى (هى رؤيا عين رآها النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) أى فى حال اليقظة (لا رؤيا منام) أى وان كان رؤيا الانبياء حقا فى ثبوت المرام وقد قيل بتعدد المعراج الى سبع مرات فيمكن الجمع بذلك بين الروايات (وعن الحسن) أى البصرى (فيه) أى فى حديث معراجه كما رواه ابن اسحق وابن جرير عنه مرسلا (بينا أنا نائم فى الحجر) بكسر الحاء المهملة وسكون الجيم وقال النووى انه رأى لبعض المصنفين على المهذب انه يقال أيضا بفتح الحاء كحجر الانسان فقيل كله من البيت وقيل ستة أذرع وقيل سبعة هذا وقد سبق انه رأى بين النائم واليقظان ولا يبعد أن يراد بالنائم المضطجع فانه على هيئة النائم وقد يعبر به عنه على انه لا ينافى بين كونه نائما فى أول القضية ومستيقظا فى آخر القصة مع انه روى بينا أنا جالس فى الحجر (جاءنى جبريل فهمزنى) أى غمزنى (بعقبه فقمت فجلست فلم أر شيئا فعدت لمضجعى ذكر) أى الحسن أو النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (ذلك ثلاثا فقال فى الثالثة فاخذ بعضدى) بصيغة الافراد وفيه أربع لغات فتح العين مع ضم الضاد وكسرها وسكونها وضم العين مع السكون أى أمسك ما فوق مرفقى (فخرنى الى باب المسجد) قال الدلجى الله أعلم بصحة هذا الحديث لنزاهة جبريل عن ان يفعل به ذلك انتهى ولا يخفى انه اذا ثبت من طريق امامين جليلين هذا المبنى فينبغى أن يحمل على محمل لطيف فى المعنى وهو مناسبة الرجل للرجل فى قوله فهمزنى بعقبه وقد نبه صلى الله تعالى عليه وسلم بعض أصحابه من المنام بهذه الكيفية فهذا ليس من باب قلة الادب بل من طريق عدم التكلف الدال على كمال الخصوصية وقد قيل ان الهمز تنبيه الرجل بحركة لطيفة وأما الاخذ بالعضد فلا خفاء فى المناسبة المساعدة للتقوية العضدية وأما قوله فخرنى فكناية عن كمال الجذبة الملكية المنتسبة عن الجذبة الالهية على ما تقتضيه القضية الاسرائية الى المراتب الاصطفائية وقد روى فجبذنى وهو مقلوب جذبنى

من هو به (بمستوى أسمع فيه صريف الاقلام) المستوى بضم الميم أوله مقصور واسم مكان وقد تقدم الكلام عليه وان الصريف والصرير بمعنى وهو الصوت الذى يسمع من الاجرام الجامدة اذا حركت وان المراد بالاقلام اقلام الملائكة عليهم الصلاة والسلام التى تكتب ماقدره الله وهنالك وقع فرض الصلاة أو هو قلم واحد لله جمع تعظيما أو لكثرته مكتوبه وهو العلم المقارن للوح المحفوظ كما قيل (وانه وصل الى سدرة المنتهى) ورأى ماغشيها من الالوان وغيرها كما تقدم (وانه دخل الجنة ورأى فيها ماذكره) من جنابذ اللؤلؤ وترابها المسك الى آخر ماذكره (قال ابن عباس) رضى الله تعالى عنهما فيما صح عنه من رواية البخارى (هى رؤيا عين رآها النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لا رؤيا منام) ولا يعارضه ماروى عن عائشة وغيرها كما قيل لصحة هذا وكثرة طرقه وشهادة ظاهر النصوص له كما مر ولا وجه لما قيل أيضا ان صوابه رؤيا نائم كما لا يخفى (و) روى ابن اسحق وابن جرير مرسلا (عن الحسن) البصرى (فيه بينا أنا نائم) وفى نسخ جالس (فى الحجر) بكسر الحاء المهملة وسكون الجيم ونقل التلمسانى عن بعضهم انه يقال بفتح الحاء المهملة وفى القاموس ان الاول معناه وما حواه الحطيم المدار بالكعبة من جانب الشمال وديار ثمود والانثى من الخيل وبالهاء الحجرة أقول ماقاله وان سبقه اليه غيره ليس بصواب فانه ورد فى الحديث وصححه بعض أهل اللغة كالقزوينى فى مثلثاته واليه ذهب شيخنا المقدسى فى حواشيه والحجر معروف بجنب البيت الشريف كنصف دائرة عليه جدار قصير وهو من البيت وقيل الذى منه مقدار ستة أذرع أو سبعة كما أفاده البرهان (جاءنى جبريل فهمزنى بعقبه) همزه كضربه وماوقع فى بعض النسخ نهزنى من تحريف النساخ أى مسنى بشدة لينبهنى والهمز والضغط بمعنى وفى العين همزته غمزته والهمزة فى الحروف لانها تهمز فتنهمز عن مخرجها انتهى وهو يدل على انها صحيحة لغة فلا وجه لما فى بعض شروح الكشاف من انها لم تسمع وانما اسمها ألف وعقبه بفتح العين المهملة وكسر القاف ثم الموحدة مؤخر الرجل وهذا يدل على انه تمثل له صلى الله تعالى عليه وسلم بصورة رجل حين همزه والضمير لجبريل عليه الصلاة والسلام وليس فيه سوء أدب ممن لم يقصد التنقيص كما قيل (فقمت) أى انتبهت من منامى بدليل قوله (فجلست) والقيام بهذا المعنى كثير (فلم أر شيئا فعدت لمضجعى) أى رجعت لما كنت عليه من هيئة النائم فالمضجع مصدر ميمى أو اسم مكان (ذكر ذلك ثلاثا) وانما ذكره ثلاثا لانه وقع الهمز ثلاث مرات (فقال فى المرة) (الثالثة فاخذ بعضدى) بالاضافة الى ياء المتكلم المخففة والعضد مافوق المرفق (فخرنى الى باب المسجد) أى أخرجه اليه تأدبا منه اذ لم يدخل ماهو على صورة دابة لفناء بيت الله وقيل الله أعلم بصحة هذا لنزاهة جبريل عن ان يفعل به صلى الله تعالى عليه وسلم

(فاذا بدابة وذكر خبر البراق وعن أم هانئ) بكسر النون فهمز وهي بنت أبي طالب أخت علي رضي الله تعالى عنهما أسلمت يوم الفتح وقد خطبها النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقالت اني امرأة مصبية واعتذرت اليه فعذرها روى عنها علي وابن عباس وعكرمة وعروة وعطاء وخلق كما روى ابن اسحق والطبراني وابن جرير عنها انها قالت (ما أسري برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الا وهو في بيتي تلك الليلة) عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان الحرم كله مسجد

أي لاحاطته بالمسجد والتباسه به فلا ينافي قوله تعالى من المسجد الحرام (صلى العشاء الآخرة) أي بان خرج منه ودخل الحجر فصلى فيه (ونام بيننا) أي فيما بيننا بان رجع ونام مع أهل بيت أم هانئ وهو كناية عن انه كان بعد صلاة العشاء الآخرة عندهم في مكة فبيننا بمعنى عندنا وقد تصحف على الدلجي بقوله شيأ أي نام شيأ من الليلة أو بعضها من النوم (فلما كان قبيل الفجر أهبنا) بتشديد الموحدة أي أيقظنا (رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) وظاهر هذا الحديث ان الاسراء انما كان في الثلث الاخير من الليل وهو وقت السحر وزمان التهجد للعبادة على انه لا يلزم من ايقاظه لهم حينئذ ان يكون عقب نزوله اذ يمكن انه كان في المسجد مشتغلا بالطواف والعبادة فلما قارب الصبح رجع اليهم وأيقظهم (فلما صلى الصبح) أي نفلا أو كانت صلاتان فريضة قبل الاسراء صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها والاظهر انه صلى الصبح المفروض في ليلة الاسراء من جملة الخمس (وصلينا) أي معه أو بدونه (قال يا أم هانئ لقد صليت معكم العشاء الآخرة) فيه نوع تغليب ان صلت معه صلى الله تعالى عليه وسلم حقيقة أو معنى (كما رأيت بهذا الوادي) أي وادي مكة لاحاطة الجبال بها

ذلك الجزء وفيه نظر (فاذا بدابة وذكر خبر البراق) المتقدم في شكله وهيئته وسرعته وهذا رواه ابن اسحق وابن جرير والطبراني (وعن أم هانئ) بهمزة في آخره وتبدل ياء واختلف في اسمها فقيل فاختة وقيل عاتكة وقيل جمانة وقيل فاطمة وقيل رملة وهي بنت أبي طالب صحابية عظيمة المقدار أخرج لها أصحاب الكتب الستة وكانت أسلمت يوم الفتح وهرب زوجها هبيرة المخزومي فمات بنجران كافرا وخطبها النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فاعتذرت بانها مصبية أي ذات أولاد (ما أسري برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الا وهو في بيتي) وهو مخالف لما مر انه كان بالحجر أو غيره فان قيل بتعدد الاسراء فلا اشكال (تلك الليلة) التي أسري به فيها من بيتها (صلى العشاء الآخرة) والعشاء الاولى المغرب (ونام بيننا) أي بين أهل بيتها وأولادها وفي رواية ونام شيأ بشين معجمة أي نام قليلا من الليل (فلما كان قبيل الفجر) بتصغير قبل تصغير تقريب وتقليل (أهبنا) بالهمزة أوله وتشديد الموحدة أي أيقظنا يقال هب اذا استيقظ واهبه أيقظه من منامه ونبهه منه (فلما صلى الصبح) أي صلاة الصبح (وصلينا) معه (قال يا أم هانئ لقد صليت معكم العشاء الآخرة كما رأيت) بكسر التاء أي كما شاهدت صلاتي لها (بهذا الوادي) أي بمكة وهي واد لاحاطة الجبال بها وانخفاضها بينها قالوا وهذا مشكل من وجوه لانها انما أسلمت عام الفتح كما مر فكيف يكون صلت معه العشاء وأيضا ان الصلاة انما فرضت في الاسراء وأول صلاة صلاها بعد الفريضة الظهر فما معنى صلاة العشاء والصبح ولذا أشار المصنف لتضعيف هذا في الفصل الذي يليه وأيضا المغرب لا تسمى عشاء لغة وشرعا وقولهم العشاآن للمغرب والعشاء تغليب وما قيل من انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يصلي قبل الاسراء قبل طلوع الشمس وغروبها وان المراد بقولها صلينا هيأنا له ما يحتاج اليه في صلاته كلام لا يجدي لانه في غاية الخفاء أو هو مدرج من كلام غيرها نعم كون المغرب لا تسمى عشاء أولى غير متجه لانه ورد في الحديث تسميته اعشاء أولى والمراد بالعشاء أول الليل وكونه ورد تغليبا غير مسلم فان الاصل هو الحقيقة * أقول الذي يظهر لي في التوفيق بين الروايات والجواب عما ذكر ان لم نقل بتكرار الاسراء مرارا اذ عليه الامر ظاهر انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان ببيت أم هانئ ثم خرج الى الحرم للصلاة فغشيه نوم ثم استيقظ وعرج به وأما قول أم هانئ رضي الله تعالى عنها وصلينا فيدفع اشكاله المذكور بانها بنت أبي طالب وأبو طالب وآله كانوا محبين له صلى الله تعالى عليه وسلم معتقدين صدقه ولم يظهروا ذلك لغيره جاهلية وحكمة خفية ولذا أسلم علي كرم الله وجهه في صباه وكان رضي الله تعالى عنه معه صلى الله تعالى عليه وسلم وذكر ذلك أبو طالب في شعره المشهور في السير فلما خرج صلى الله تعالى عليه وسلم من بيتها تلك الليلة وصلى بالحرم ومعه علي فلا شك انه كان يصلي قبل الاسراء بالغداة والعشي صلاة غير الخمس المفروضة فقولها صلينا كقولهم بنو فلان قتلوا قتيلا والقاتل واحد منهم لان الفعل المرضي لجماعة اذا وقع من أحدهم ينسب للجميع وهو مجاز بليغ مشهور أي صلى معه بعض آلنا وهو علي رضي الله تعالى عنه أو يقال انها كانت مسلمة سرا كما نقل مثله عن العباس رضي الله تعالى عنه فاندفاع الايراد الذي ظنوه غير مندفع ظاهر

(ثم جئت بيت المقدس) أى ذهبت اليه (فصليت فيه) أى صلاة التهجد مع الانبياء والملائكة (ثم صليت الغدوة) أى صلاة الغدوة وهى الصبح (معكم الآن كما ترون) أى كما رأيتم فالعدول عن الماضى الى المضارع لاستحضار الحال الماضية (وهذا بين) بتشديد التحتية المكسورة أى وهذا الحديث برهان ظاهر (فى أنه) أى الاسراء (بجسمه) أى لا بروحه فقط ولا ينافى قولها وصلينا انها أسلمت عام الفتح وهو بعد الاسراء بكثير لان المراد بضمير الجمع جماعة قد أسلموا قبل ذلك وصلوا هنالك وأما قول الدلجى انه ليس من قولها بل أدرجه الراوى فى كلامها فحمل بعيد وتأويل غير سديد وكذا تأويل الشمنى ان معنى صلينا هيأنا له ما يحتاج اليه فى الصلاة ثم هذا كله مبنى على ان المعراج من بيت المقدس وانه مع الاسراء فى ليلة واحدة وأما على انه من مكة وانه ليس مع الاسراء فى ليلة واحدة فقولها صلى الصبح على حقيقته من غير تأويل لان الصلوات الخمس كانت ليلة المعراج وهو على هذا القول كان فى رمضان قبل الهجرة بثمانية عشر شهرا والاسراء كان فى الربيع الاول قبل الهجرة بسنة (وعن أبى بكر رضى الله تعالى عنه من رواية شداد ابن أوس عنه) أى كما رواه البيهقى وابن مردويه (انه قال للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة أسرى به طلبتك يا رسول الله البارحة فى مكانك) أى فى محلك المعتاد أول الليلة أو آخرها (فلم أجدك فاجابه ان جبريل عليه السلام) أى بانه (حملنى) وهو الظاهر المتبادر فلا يحتاج الى تكلف الدلجى من غير نص على كسر ان حيث قال التقدير فاجابه بقوله له ان جبريل حملنى أى على البراق (الى المسجد الاقصى) ثم هذا الحديث أيضا دليل ساطع على ان الاسراء كان يقظة (وعن عمر رضى الله تعالى عنه) أى كما رواه ابن مردويه من طريق عنه (قال قال صلى الله تعالى عليه وسلم صليت ليلة أسرى بى فى مقدم المسجد) أى المسجد الاقصى (ثم دخلت الصخرة) أى تحتها أو مكانها (فاذا بملك) وفى نسخة فاذا ملك (قائم) بالجر أو الرفع بناء على النسختين (معه آنية ثلاث) أى من اللبن والخمر والعسل (الحديث) أى كما سبق (وهذه التصريحات) أى فى الروايات الصحيحات (ظاهرة فى أن القصة كانت يقظة غير مستحيلة) أى شرعا وعقلا وثبت نقلا (فتحمل على ظاهرها) أى ولا يجوز العدول عنها (وعن أبى ذر رضى الله تعالى عنه) كما فى الصحيحين مرفوعا

الصحابى

فلا حاجة لما قيل الصلاة هنا اللغوية بمعنى الدعاء (ثم جئت بيت المقدس فصليت فيه ثم صليت الغداة معكم الآن كما ترون) وتشاهدون والغداة والغدو بمعنى وهو أول النهار وهو بتقدير مضاف أى صلاة الغداة وهى صلاة الصبح (وهذا) المذكور برهان ودليل (بين) بتشديد الياء المكسورة أى ظاهر واضح (فى أنه) أى الاسراء (بجسمه) وروحه لا بروحه فقط كما قيل وقيل انما البين فيه قوله ثم نام وفيه نظر (وعن شداد بن أوس) بن ثابت بن المنذر بن الحرام أبو يعلى الانصارى الصحابى نزيل بيت المقدس وليس بدريا كما توهم وقد أخرج له الائمة الستة وأحمد فى مسنده وهذا الحديث ليس فيها وانما رواه البيهقى وابن مردويه توفى سنة ثمان وخمسين ودفن بفلسطين وهو ابن أخى حسان بن ثابت كما مر فى ترجمته (عن أبى بكر) الصديق رضى الله تعالى عنه أفضل الصحابة وفى أكثر النسخ عن أبى بكر من رواية شداد بن أوس عنه (انه قال للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة أسرى به) فى هذا ما لا يخفى اذ لا يصح مع قوله (طلبتك البارحة) وهى الليلة الماضية قبل ليلتك ومنه المثل ما أشبه الليلة بالبارحة فهو بتقدير بعد ليلة أسرى به ومعنى طلبتك انى تفقدت جسدك فى مضجعك (فلم أجدك) فيه أو فيه تقديم والتفات أى طلبتك البارحة ليلة أسرى بك وهذا كله خلاف الظاهر ولم ينبهوا عليه فاجابه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله (ان جبريل حملنى) وفى نسخة حمله (الى المسجد الاقصى) وان بكسر الهمزة أو مفتوحة والتقدير بان الى آخره قيل هذا يحتمل انه كان ببيت عائشة رضى الله تعالى عنها بدليل السياق لكنه معارض بقول عائشة المتقدم وقوله حملنى جبريل مخالف لكونه على البراق الا أن يقال لكونه سببا له أسند اليه مجازا وفيه نظر وهذا دليل على انه كان يقظة بجسده أيضا (وعن عمر رضى الله تعالى عنه) كما رواه ابن مردويه من طرق (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم صليت ليلة أسرى بى فى مقدم المسجد) الاقصى (ثم دخلت الصخرة) أى دخلت المسجد الذى تحت الصخرة المعروف الآن بمسجد داود عليه الصلاة والسلام ففيه مضاف مقدر أى تحت (فاذا بملك قائم) لم يسموه (معه آنية ثلاث وذكر الحديث) أى ساقه الى آخره واذا هنا فجائية أى فاجأنى بغتة لقاؤه والآنية بالمد جمع اناء كوعاء وزنا ومعنى وأوانى جمع الجمع وليس مفردا كما توهم العامة كما مر ولذا وصفه بانه ثلاث فهو صفة أو بدل منه وقيل خبر هى مقدرة وكان الظاهر أن يقال ثلاثة لان مفرده مذكر فكأنه أوله بكأس ونحوه يعنى اناء من خمر واناء من لبن واناء من ماء وانه خير فيه فاختار اللبن وقيل له اخترت الفطرة ولو اخترت الخمر غوت أمتك وهذا تمام الحديث وقد تقدم واعترض بانه محتمل لكونه مناما ولا مانع فى هذه الرواية أصلا فقوله (وهذه التصريحات ظاهرة) فى انه كان يقظة (غير مستحيلة) شرعا وعقلا حتى تقتضى استحالتها التأويل (فتحمل على ظاهرها) ولا يعدل الى التأويل مع عدم الحاجة اليه يؤيد ذلك (وعن أبى ذر)

الصحابى الغفارى رضى الله تعالى عنه فى حديث رواه الشيخان (عنه صلى الله تعالى عليه وسلم) انه قال (فرج) مبنى للجهول مخفف الراء ونائب فاعله (سقف بيتى) وفى نسخة عن سقف بيتى والمعنى كشف من السقف جانب حتى انفتحت منه فرجة ولم يبق حائل بينه وبين السماء (وأنا) مقيم (بمكة) قبل الهجرة وهذا مع قوله سابقا بينا أنا بالحجر أو الحطيم وقول أم هانئ السابق ما أسرى به صلى الله تعالى عليه وسلم الا وهو بيتى بينهما من المعارضة ما لا يخفى * فان قيل بالتعدد فلا منافاة بين الروايات ولا يكفى هنا كون اضافة البيت له لانه ساكن فيه ولام هانئ لكونه ملكها وقد تقدم قول ابن المنير ان فرج السقف وعدم اتيان بيته من بابه انه مبالغة فى الفجاءة وتنبيه على ان دعوته صلى الله تعالى عليه وسلم وكرامته كانت على غير ميعاد وكان هذا اعادة الخلفاء العباسيين * قلت وليدل على ان هذا أمر الهى وكرامة تسر ولا تضر ولو أتى من الباب لتوهم انه أحد من أعدائه الذى هو بين أظهرهم (فنزل جبريل عليه الصلاة والسلام فشرح صدرى) وفى رواية ففرج صدرى أى شقه وهى أنسب بفرج البيت (ثم غسله بماء زمزم الى آخر القصة) لانه أفضل المياه حتى الكوثر فى قول ولانه صلى الله تعالى عليه وسلم ألفه صغرا وكبرا وشرح الصدر لا ينافى شق القلب لانه مقدم عليه ولا حاجة الى القول بانه تجوز عن القلب بالصدر لعلاقة المجاورة وقد تقدم انه شق قلبه وصدره صلى الله تعالى عليه وسلم وهو صغير عند ظئره حليمة رضى الله تعالى عنها فهذه مرة ثانية فالاولى ليطهره من الكدورات البشرية ويرشحه للرسالة والنبوة وهذه ليقوى على العروج ومشاهدة عجائب الملكوت فهو وقع مكررا فى مرة غسل بماء زمزم وفى اخرى بماء ثلج ليثلج صدره ويصبره فلا تعارض بين الروايات قال ابن المنير ولما لم يقع هذا للكليم عليه الصلاة والسلام لم يطق فى الدنيا الرؤيا ولم يذكر هنا انه كان معه ملكان بطست وماء كما مر وانه وضع عليه خاتم النبوة وسيذكره (ثم أخذ بيدى فعرج بى) بالبناء للفاعل أو المفعول كما مر وشرح صدره كان بعد نزول جبريل عليه الصلاة والسلام اليه والتعقيب بالفاء عرفى نسبى فلا ينافى قوله (وعن أنس أتيت) بالبناء للمجهول لا للفاعل كما توهم (فانطلق بى) مجهول أيضا وفى نسخة فانطلقوا بى بصيغة الجمع لان مع جبريل ملكان آخران معهما طست الذهب كما مر ولا منافاة بين الروايات كما يتوهمه من لا بصيرة له (الى زمزم فشرح عن صدرى) أى شق صدره وقلبه ووضع فيه النور ليقوى على العروج ومشاهدة الملكوت وعجائبه (و) روى مسلم (عن أبى هريرة) رضى الله تعالى عنه عبد الرحمن بن صخر (عنه) صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال (لقد رأيتنى) جواب قسم مقدر للتأكيد بالمثناة الفوقية المضمومة ورأى علمية أو بصرية (فى الحجر) تقدم ضبطه وما يتعلق به (وقريش تسألنى عن مسراى) جملة حالية والمسرى مصدر ميمى أو اسم مكان أى ساله كفار قريش عن علاماته بعد ما كذبوه تحقيقا لما زعموه (فسالتنى) قريش وتانيثه باعتبار القبيلة (عن أشياء) من بيت المقدس واماراته (لم أثبتها) أى لم أكن أثبت صورتها فى ذهنى وفكرى لاشتغاله بما هو أهم منها من معاينة ما وقع له ثمه من صلاته مع الانبياء وتهيئه للعروج فسقط ما قيل من ان هذا يدل على انه كان مناما لان النائم أقل ضبطا لما يراه فى منامه من المستيقظ ورؤياه صلى الله تعالى عليه وسلم حق وان نامت عيناه

(عنه صلى الله تعالى عليه وسلم فرج) بصيغة المفعول مخففا وجوز مشددا أى كشف وأزيل (سقف بيتى) أضيف اليه تارة لانه كان ساكنا فيه واليها أخرى من حيث انه كان ملكها (وأنا بمكة) جملة حالية (فنزل جبريل عليه السلام فشرح صدرى) أى فعل بى ما يوجب شرح صدرى وتصحف على الدلجى بقوله ففرج بالفاء والجيم وفسره بقوله شقه (ثم غسله بماء زمزم) لانه أفضل مياه العالم وقد أبعد الدلجى حيث علله بقوله لانه قد ألفه صغرا وكبرا (الى آخر القصة) أى كما سبقت (ثم أخذ بيدى فعرج بى وعن أنس رضى الله تعالى عنه أتيت) بصيغة المفعول أى أتانى آت وهو جبريل عليه السلام كما صرح به فى رواية (فانطلق) بصيغة المجهول أى فذهب (بى) وفى نسخة فانطلقوا بى (الى زمزم فشرح عن صدرى) الجار نائب الفاعل (وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه عنه صلى الله تعالى عليه وسلم) كما رواه مسلم (لقد رأيتنى) بضم تاء المتكلم (فى الحجر وقريش تسألنى عن مسراى) بفتح ميم وسكون سين أى عن علامات سيرى أو مكانه (فسألتنى عن أشياء) أى من بيت المقدس وطريقه (لم أثبتها) من باب الافعال أى لم أحفظها ولم أضبطها وعدم اثباته تلك الاشياء لكمال ثباته فى مقام الاسراء باشتغاله بالملائكة والانبياء وعجائب ملكوت الارض والسماء وأبعد من توهم ان قوله لم أثبتها قرينة على ان القضية كانت مناما فان النائم أقل ضبطا من المستيقظ حيث لم يعرف انه لا فرق بين ضبطه مناما ويقظة اذ الانبياء لا تنام قلوبهم ورؤياهم وحى واما الاحاطة بجميع علامات الطرق والمسجد الاقصى فليس شرطا فى حصول العلم به اذ يكفيه اخباره ببعض العلامات مما يوجب كونه من الآيات وخوارق العادات

(فكربت كربا) بفتح فسكون أي غما يأخذ النفس والفعل مبني للمجهول كقوله (ما كربت مثله قط فرفعه الله تعالى لي أنظر اليه) فما سألوني عن شئ الا أنبأتهم (ونحوه عن جابر) أي روي عن جابر نحو ما روي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه مع اختلاف في المبنى دون المعنى (وقد روي عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه في حديث الاسراء عنه عليه الصلاة والسلام انه قال ثم رجعت الى خديجة) أي بسرعة (وما تحولت عن جانبها) أي الى جانب آخر منها وفيه اشعار بتقليل زمن الاسراء مع انه كان الى السموات العلى وسدرة المنتهى ومقام قاب قوسين أو أدنى ولعله صلى الله تعالى عليه وسلم أول ما رجع دخل على خديجة ثم ذهب الى أم هانئ في بيتها •

(فصل)

(في ابطال حجج من قال انها نوم) ويروى انها رؤيا نوم ثم الحجج بضم حاء وفتح جيم جمع حجة وهو بمعنى دليل وبينة وأنث ضمير انها مع انه راجع الى الاسراء باعتبار القول بانه كان رؤيا منام احتجوا بتشديد الجيم أي استدلوا (بقوله تعالى وما جعلنا الرؤيا التي أريناك فسماها رؤيا) بالتنوين يعني والرؤيا مختصة بالنوم كما ان الرؤية باليقظة (قلنا قوله سبحان الذي أسرى بعبده يرده) أي يدفع الاحتجاج به (لانه لا يقال في النوم أسري) لان الاسراء هو السير في الليل وهو لا يكون حقيقة الا في اليقظة واعتبار الحقيقة أولى من المجاز ما لم يصرف عنها صارف نعم الرؤيا أيضا في النوم حقيقة وفي اليقظة مجاز لكن لنا أجوبة صارفة لها عن المعنى الحقيقي الى القصد المجازي كما بينه المصنف بقوله (وقوله فتنة للناس يؤيد انها رؤيا عين واسراء شخص) أي بجسده (اذ ليس في الحلم) بضمتين وتسكن اللام بمعنى الاحتلام ورؤية المنام (فتنة

لا ينام قلبه (فكربت كربا ما كربت مثله قط) بضم الكاف من الماضي المجهول والكرب الغم والحزن الشديد مع القلق والاضطراب قال الراغب أصله من كرب الارض وهو قلبها بالحفر والحرث والغم مثير النفس كاثارة ذلك وفي المثل الكراب على البقر وليس ذلك من قولهم الكلاب على البقر في شئ (فرفعه الله لي أنظر اليه) أي رفع الله له صلى الله تعالى عليه وسلم بيت المقدس حتى ينظر اليه ويثبت ما فيه ويخبرهم به على حقيقته فجملة أنظر اليه حالية أو مستأنفة (ونحوه عن جابر رضي الله تعالى عنه وقد روي عن عمر) بن الخطاب رضي الله عنه (في حديث الاسراء عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رجعت) من مسراي (الى خديجة) أم المؤمنين رضي الله عنها (وما تحولت) أي والحال ان خديجة رضي الله عنها ما تحولت وتحركت (عن جانبها) التي كانت عليه حين فارقها النبي صلى الله عليه وسلم وهذا يقتضي انه كان في بيت خديجة وقد تقدم انه كان في بيت أم هانئ رضي الله تعالى عنها وفي رواية انه كان في الحجر وفي أخرى في الحطيم وهو الحجر الذي يلي الميزاب الذي هو قبلة أهل المغرب وقيل الحطيم ما بين المقام الى الباب وروي عن مالك وعن ابن جريج هو ما بين الركن والمقام عند زمزم قيل والصحيح انه ما بين الركن الاسود الى الباب

(فصل في ابطال حجج من قال انها نوم) لا يقظة وان الاسراء لم يتكرر مرارا أربعة كما ارتضاه أبو شامة رحمه الله تعالى وتأنيث ضمير انها لان الرؤيا مؤنث سماعي لا باعتبار انها رؤيا منام كما قيل (احتجوا بقوله تعالى وما جعلنا الرؤيا التي أريناك الا فتنة فسماها رؤيا) وهذا مبني على ان رأى مشترك فيكون بمعنى أبصر يقظة ومصدرها رؤية ومناما ومصدرها رؤيا ورأى بمعنى علم وحكم ومصدر الاخير الرأي وهذا هو المشهور وقد رده السهيلي في الروض الانف وقال الرؤيا مشتركة أيضا بين البصرية والحلمية وأورد له شواهد من كلام العرب وقدم جميع ذلك وقيل الرؤيا اذا كانت بصرية تختص بما يرى ليلا (قلنا) جوابا عما احتجوا به (قوله تعالى سبحان الذي أسرى بعبده يرده لانه لا يقال في النوم أسرى) اذ الاسراء كما مر هو السير ليلا وهذا انما يكون يقظة لاسيما وقد ذكر في الحديث ما يستلزمه لزوما بينا من صلاته صلى الله تعالى عليه وسلم بالانبياء عليهم الصلاة والسلام واستصعاب البراق عليه أو غير ذلك مما تقدم واحتمال ان يكون معناه انه رأى في منامه انه أسري به بعيد جدا ولذا جعله ابطالا لما قالوه لانه في قوة الخطأ فقيل ان الاولى ان يقول يخدشه ما ذكر ليس بشئ يعول عليه (وقوله فتنة للناس) أي بلية ومحنة جرأتهم على تكذيبه صلى الله تعالى عليه وسلم ورده بعضهم (يؤيد انها رؤيا عين) باصرة يقظة (واسراء بشخص) أي سير بجسده حقيقة يقظة لا تخيلا نوما كما قيل (اذ ليس في الحلم) بضمتين أو ضم فسكون وهو ما يراه النائم واصل معناه العقل يقال حلم في نومه يحلم حلما وحلما وقيل حلم بضم ثم فتح كرفع قاله الراغب

(فتنة) أي امتحان وخبرة (ولا يكذب به احد لان كل أحد يرى مثل ذلك في منامه من الكون) أي حدوث شيء لم يكن والالف واللام بدل من المضاف اليه أي من كونه (في ساعة واحدة في أقطار متباينة) أي في أطراف مختلفة وجوانب متفرقة ونواحي متباعدة (على ان المفسرين قد اختلفوا في هذه الآية) أي في تفسيرها وفي المراد بورود الرؤيا وتعبيرها (فذهب بعضهم الى انها نزلت في قضية الحديبية) وهي بتخفيف التحتية قبل هاء التانيث مصغرا ذكره الشافعي وأهل اللغة وبعض المحدثين وكثير من المحدثين على تشديدها وهي قرية صغيرة سميت ببئر هناك عند مسجد الشجرة على نحو مرحلة من مكة قريبة من جدة في طريق جدة وتسمى الآن تلك البئر بئر شميس والاصح ان الشجرة التي وقع تحتها بيعة الرضوان غير معروفة الآن وهي كانت عند آخر الجبل وأول الحرم على ما قيل وقال مالك الحديبية من الحرم وقال ابن القصار بعضها من الحرم كذا قال الواقدي وهو الصحيح عندنا هذا والقضية بالضاد المعجمة واحدة القضايا قال الانطاكي ومما يؤيد ان بعضها من الحرم ما روى ان مضارب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يعني معسكره وموضع خيامه عام الحديبية كانت في الحل ومصلاه في الحرم والله تعالى أعلم وفي نسخة في قصة الحديبية بكسر قاف وتشديد صاد مهملة وهي انه صلى الله تعالى عليه وسلم رأى في المنام انه دخل المسجد الحرام فصده المشركون في ذلك العام (وما وقع) أي ونزلت فيما وقع (في نفوس الناس) أي جماعة منهم (من ذلك) أي من جهة صدهم وعدم دخولهم حتى امتنع بعضهم من تحللهم فقيل انه لم يقل في هذا العام فدخل من قابل المسجد الحرام واعترض بان الآية مكية وأجيب بانه رآها بمكة وأخبر بها يومئذ

(فتنة ولا يكذب به احد لان كل احد يرى مثل ذلك في منامه من الكون في ساعة واحدة في اقطار متباينة) أقطار جمع قطر وهو الجانب والمتباين البعيد ومن بيان لذلك أو لمثل أي يرى في مدة قليلة انه وصل لاماكن بعيدة ولا ينكره عليه أحد من العقلاء ثم أشار الى رد دليلهم بوجه آخر فقال (على ان المفسرين قد اختلفوا في هذه الآية) التي استدلوا بها وعلى بمعنى مع هنا والعلاوة ضم أمر لآخر كقوله * على ان قرب الدار خير من البعد * والمراد بالآية وما جعلنا الرؤيا الآية (فذهب بعضهم الى انها نزلت في قضية الحديبية) القضية بالضاد المعجمة واحدة القضايا على الاصح لما سياتي وروى قصة بالصاد المهملة والحديبية مصغرة بحاء ودال مهملتين وياء تحتية ساكنة وباء موحدة مكسورة وياء مخففة وهاء تانيث وتشدد ياؤه أيضا وعليه أكثر المحدثين وبعض أهل اللغة فهي صحيحة رواية ودراية فلا وجه لمنعه وسميت بها شجرة حدباء وقع تحتها بيعة الرضوان ثم صار اسماء لبئر بها وقرية على مرحلة من مكة عند مسجد الشجرة وهل هي من الحل أو من الحرم أو بعضها من الحل وبعضها من الحرم أقوال ذهب الى كل منها بعض العلماء وكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أقام بالمدينة منصرفه عن غزوة بني المصطلق في شوال وخرج في ذي القعدة معتمرا ومعه من الانصار والمهاجرين نحو ألف وخمسمائة وساق الهدي معه وهو محرم ليعلم انه لم يخرج لحرب فلما بلغ قريشا ذلك خرج منهم جمع صادين له صلى الله تعالى عليه وسلم عن دخول مكة وانه ان قاتلهم قاتلوه وخرج مع الكفار خالد بن الوليد رضي الله عنه الى كراع الغميم فلما وصل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى الحديبية بركت ناقته فقال حبسها حابس الفيل والله لا تدعوني قريش اليوم الى خطة فيها صلة رحم الأعطيتهم اياها ولم يكن ثمة ماء فغرز سهما له في بئر فغار ماؤها حتى كفى الجيش ثم جاءت السفراء بين رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والكفار وتنازعوا حتى جاءه سهيل بن عمرو العامري وقاضاه على ان ينصرف ويأتي في العام القابل وان يكون بينهم صلح عشرة أعوام يأمن بعضهم بعضا على ان من أتاه مسلما منهم رده اليهم ومن أتاهم لم يردوه فعظم ذلك على المسلمين ووقع ما وقع ولذا سمي عام القضية قال ابن عبد السلام في قواعده * فان قيل لم التزم صلى الله تعالى عليه وسلم الصلح وما شرطوه مع ما فيه من ادخال الضيم على المسلمين والدنية في الدين * قلنا وقع ذلك دفعا لمفاسد عظيمة وهي قتل المؤمنين والمؤمنات الذين كانوا اخاملين بمكة لا يعرفهم أهل الحديبية وفي قتلهم معرة عظيمة على المؤمنين فاقتضت المصلحة ايقاع الصلح على ما أرادوه وهو أهون من قتل أولئك مع انه علم ان في تاخير القتال مصلحة عظيمة وهي اسلام جماعة من الكفار ولذا قال تعالى ليدخل الله في رحمته من يشاء أي في ملة الاسلام وقال لو تزيلوا الآية والى هذا اشار بقوله (وما وقع في نفوس الناس من ذلك) أي من صلح الحديبية حتى راجعه عليه السلام في ذلك عمر رضي الله عنه مرارا وقال ما قال واشمأزت خواطرهم وقال ابن المنير لم يكن ذلك شكا وريبة ولكن من فرط الغيرة وقوة الحمية على الحق والغضب لله ورسوله وكان عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من علمه بالعاقبة الحميدة ما ليس عندهم فلما تبين لهم ذلك

(وقيل غير هذا) أى غير ما تقدم فقيل رآها يوم بدر لقوله تعالى اذ يريكهم الله فى منامك قليلا تثبيتا للاصحاب وتشجيعا لهم على عدوهم ولقوله حين ورد ماء بدر كأنى انظر الى مصارع القوم هذا مصرع فلان وهذا مصرع فلان فبلغ ذلك قريشا فسخروا منه (واما قولهم انه قد سماها فى الحديث) أى المتقدم (مناما وقوله فى حديث آخر بين النائم واليقظان) بفتحتين (وقوله أيضا) أى فى الحديث (وهو نائم وقوله ثم استيقظت) أى كما فى حديث آخر (فلا حجة فيه) أى فى كل واحد منها لعدم تصريح فى الدلالة بها (اذ قد يحتمل ان أول وصول الملك اليه كان وهو نائم) أى كما يدل عليه حديث الحسن البصرى بينا أنا نائم فى الحجر جاءنى جبريل عليه السلام فهمزنى بعقبه فجلست الحديث (وأول حمله) أى ويحتمل ان أول أخذه (والاسراء به وهو نائم) أى فى حال نومه الحديث وهو نائم بالمسجد الحرام ولا يلزم منه استمرار المنام (وليس فى الحديث) أى فى حديث ما لا صحيح ولا ضعيف (انه كان نائما فى القضية كلها) أى فى قضية الاسراء جميعها من أولها الى آخرها (الا ما يدل عليه) أى فى الجملة قوله (ثم استيقظت وانا فى المسجد الحرام) لكن يحتمل احتمالات تمنع صحة الاستدلال بها على تصحيح المنام وتصريح المرام (فلعل قوله ثم استيقظت بمعنى أصبحت) اذ الاستيقاظ غالبا يكون حالة الاصباح فعبر به عنه مجازا وهذا لا يخفى بعده (واستيقظ) وفى نسخة صحيحة أو استيقظ (من نوم آخر) أى حدث حال نزوله (بعد وصوله بيته ويدل عليه) أى على كونه نوما آخر (ان مسراه لم يكن طول ليله) أى فى جميعه (وانما كان فى بعضه) أى اماذها با أو ايابا كما يشير اليه تنكير ليلا (وقد يكون قوله استيقظت وانا فى المسجد الحرام لما كان غمره) بالغين المعجمة ثم الراء أى لاجل ما غشيه وعلا قلبه وغطاه (من عجائب ما طالع من ملكوت السموات والارض) قال المحققون ان الملك الظاهر العالم والملكوت باطنه وقيل الملكوت الملك العظيم (وخامر) بالخاء المعجمة أى خالط ومازج (باطنه من مشاهدة الملأ الاعلى) أى من ملائكة السماء وأصل الملأ الجماعة من الاشراف والوجوه مما يملأ العيون كثرة وعزة وأراد بالملأ الاعلى الملائكة المقربين وصفوا بذلك لعلوهم كأنهم أى لعلو منزلتهم وشأنهم عند ربهم

عادوا لارضاء والوفاق (وقيل) فى تفسير الآية وسبب نزولها (غير هذا) الذى تقدم من ان هذه الرؤية لم تكن عام الحديبية وانما كانت قبيل بدر وهى التى فى قوله تعالى اذ يريكهم الله فى منامك قليلا الآية (واما قولهم انه قد سماها فى الحديث مناما وقوله فى حديث آخر بين النائم واليقظان) كالنعسان جالسا (وقوله أيضا وهو نائم وقوله ثم استيقظت) وانا بالمسجد الحرام (فلا حجة فيه) للقول بانها رؤيا منام كما (اذ قد يحتمل ان أول وصول الملك اليه وهو نائم) بدليل قوله فى الحديث فهمزنى بعقبه السابق مع ما يضاهيه (أو أول حمله) على البراق (والاسراء به وهو نائم) ولا يخفى بعده مع كونه صلى الله تعالى عليه وسلم تنام عيناه ولا ينام قلبه وقيل أيضا انه مخالف للظاهر فهو مشترك الالزام (وليس فى الحديث انه كان نائما فى القصة كلها الا ما يدل عليه قوله ثم استيقظت وأنا فى المسجد الحرام) فانه يقتضى انه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يستيقظ قبل وصوله اليه وعوده وكون استيقظت بمعنى أصبحت أو استيقظت من نوم آخر تكلف لا حاجة اليه وتأييده بانه لم يستغرق الليل باسرائه فيكون لسرعة مسيره ومشقته نام بعده للاستراحة أبعد منه فلذا عبر عنه بقوله (فلعل قوله استيقظت بمعنى أصبحت) أى دخلت فى وقت الصباح لان صيغة الترجى تقتضى ضعفه على عادة المصنفين فى التعبير بها (أو استيقظت من نوم آخر) غير ما كان قبله فى الحجر أو فى بيت أم هانئ أو غيره (بعد وصوله بيته) أى البيت الذى كان فيه فالاضافة لادنى ملابسة فلا ينافى ما قلناه (ويدل عليه ان مسراه لم يكن طول ليله وانما كان فى بعضه) بدليل قوله تعالى ليلا فى الآية كما ذكره المفسرون (وقد يكون قوله استيقظت وأنا فى المسجد الحرام) وعبر بقد اشارة لضعفه أيضا (لما) بكسر اللام وتخفيف الميم احترازا من ما المصدرية (كان غمره) أى لاجل الذى عرض له مما يدهشه ويستغرق لبه وفكره (من عجائب ما طالع) أى شاهد ورأى (من ملكوت السموات والارض) الذى لم يطلع عليه غيره من البشر فاستعار لتلك المشاهدة الغمرة وهو ما يغمر من الماء ويقطر منه ففيه استعارة تصريحية تبعية أو مكنية وتخييلية أو هو تشبيه بليغ كقوله تعالى الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر على ان من تجريدية بيانية ولما كانت المطالعة بمعنى المشاهدة بالحواس الظاهرة قدمها وأتبعها بقوله (وخامر باطنه) بالخاء المعجمة وألف وميم وراء مهملة بمعنى مازجه وخالطه لا بمعنى ستره ومنه الخمر لسريانها فى بدن شاربها وان قيل انما سميت بها لسترها العقل والمراد بباطنه قلبه وحواسه الباطنية (من مشاهدة الملأ الاعلى) وتعبيره بالمشاهدة يقتضى ما فسرنا به المخامرة وان اشتهرت بمعنى الستر كما فى قول سلمان الفارسى لابى الدرداء رضى الله تعالى عنهما حين دعاه الى الارض المقدسة يا أخى ان بعدت الدار من الدار فان الروح من الروح قريب وطير السماء على أرفه خمر الارض يقع على أى خصب يستر وجه الارض يعنى ان وطنه أرفه وأرفق به فلا يفارقه والمراد بالملأ الاعلى

السموات

(ومارأى من آيات ربه الكبرى) أى وما حصل له من شهود الكثرة فى الوحدة ووجود الوحدة فى الكثرة ونور الوحدة بلا ظهور الكثرة والاستغراق فى بحور الشهود ولجة الوجود والذهول عن غير المعبود والمقصود (فلم يستفق) أى لم يتنبه (ويرجع) أى ولم يعد من مشاهدة التجليات الالهية (الى حال البشرية) أى من اقتضاء صفات العنصرية (الا وهو بالمسجد الحرام) هذا وقول الدلجى خامر أى ستر ليس فى محله وما ذكر فيه من الشاهد أيضا غير ملائم وهو قوله كتب أبو الدرداء الى سلمان يدعوه الى الارض المقدسة فكتب يا أخى ان بعدت الدار من الدار فان الروح من الروح قريب وطير السماء على أرفه خمر الارض يقع أى على أحصب ساتر فيها أراد ان وطنه ارفه له وأرفق به فلا يفارقه (ووجه ثالث) أى فى الجمع بين الروايات المتفرقة والرد على من زعم ان الاسراء انما كان بروحه فقط (أن يكون نومه واستيقاظه حقيقة على مقتضى الظاهر) أى المفاد منه بطرفى حديث أنس رضى الله تعالى عنه وهو قوله وأنا نائم فى المسجد الحرام وقوله فاستيقظت وأنا فى المسجد الحرام (ولكنه أسرى بجسده وقلبه حاضر ورؤيا الانبياء حق) أى ولو فى المنام (تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم) أى كما ثبت فى الحديث ولعل الحكمة فى جعل جسده مع ان العمل حينئذ كله لروحه ان يشاهد الملائكة ذاته ويفاض عليهم من بركاته ويصير مرآة للتجلى الالهى فى تنزلاته وانعكاس ظهور كمال صفاته (وقد مال بعض أصحاب الاشارات) وفى نسخة أهل الاشارات (الى نحو من هذا) أى مما ذكرناه من كونه نائم العين حاضر القلب لشهود ملكوت الرب (قال) أى بعض أصحاب الاشارات (تغميض عينيه) أى سدهما نوما أو قصدا (لئلا يشغله) بفتح أوله وثالثه وجوز ضم أوله وكسر ثالثه (شئ من المحسوسات عن الله عز وجل) وفيه ان من وصل الى حالة الجمعية وزال عنه مرتبة التفرقة لا يحجبه شهود الكثرة عن وجود الوحدة وبالعكس وفيه أيضا ان المقام مقام مشاهدة عجائب الملكوت لقوله تعالى لنريه من آياتنا اذ المتبادر منه رؤية العين والمحسوسات من الحواس وهى خمس السمع والبصر والشم والذوق واللمس وهى هيئة حالة فى جميع الجسد (ولا يصح هذا) أى تغميض العين (أن يكون فى وقت صلاته بالانبياء) لانه فى حال الصلاة مكروه عند عامة الفقهاء

السموات وما فيها أو الملائكة لان الملأ الجماعة الاشراف (ومارأى من آيات ربه الكبرى) العظيمة التى تدهش عظمتها من رآها وما قيل من انه خلاف الظاهر لانه صلى الله تعالى عليه وسلم أثبت الرسل قلبا فلا تعروه لذلك دهشة ليس بشئ لانه لم يرد بها دهشة بمرتبة الذهول وان كان قوله (فلم يستفق) يقال أفاق واستفاق بمعنى تنبه واستيقظ من نومه (ويرجع الى حال البشرية الا وهو بالمسجد الحرام) يوهمه اذ المراد به حالة اعترته وأنسته عالم الدنيا وكسته حلة ملكية على انه لو سلم كان مؤيدا للمصنف غير وارد عليه وليس المراد انه عرض له صلى الله تعالى عليه وسلم النوم فى رجوعه كما توهم فانه ينافى قوله (ووجه ثالث) وهو (أن يكون نومه واستيقاظه حقيقة على مقتضى) ظاهر (لفظه) وضاد مقتضى يجوز فيها الفتح والكسر والمراد بلفظه قوله ثم استيقظت وأنا بالمسجد الحرام (ولكنه أسرى بجسده) وعيناه نائمتان (وقلبه حاضر) وان غض بصره كالنائم منافهو وما اوليقظان (ورؤيا الانبياء) عليهم الصلاة والسلام (حق تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم) وقد قيل عليه ان كون عينه صلى الله تعالى عليه وسلم نائمة مع الاسراء بجسده مع انه خلاف المعتاد لا فائدة فيه وما ذكره المصنف من الحكمة الآتية من انه لئلا تشغله المحسوسات عن الله لا يدفع ما ذكر لان الحكم حينئذ للروح فلا معنى لرفع الجسد وهو حاصل بدونه وقوله تعالى لنريه من آياتنا يأباه وقد استدرك عليه المصنف بقوله الآتى ولا يصح أن يكون هذا فى وقت صلاته الى آخره والجواب بانه ليشاهده الملائكة ويفيض عليهم بركاته لا يجدى نفعا (وقد مال بعض أصحاب الاشارات) يعنى بهم مشايخ الصوفية والمراد بالاشارة ما يأخذونه من الحقائق من النصوص القرآنية وغيرها وهم لا يقصدون بتفسيرهم انه صريح النص كما ذكره العز بن عبد السلام ومن لا يعرف ذلك يعترض عليهم بما لا وجه له (الى نحو من هذا) أى الى قريب مما قاله صاحب هذا الوجه حيث (قال تغميض عينيه لئلا يشغله شئ من المحسوسات عن الله) قال الزمخشرى فى شرح الفصيح قولهم جسم حساس لحن كما لحنوا فى قولهم محسوسات لان فعالا لا يبنى من أفعل والحق ثبوته وثبوت حس بمعنى أحس كما قاله الدماميني فى شرح التسهيل والنووى فى شرح مسلم فعلى هذا لا لحن فى هذه العبارة (ولا يصح أن يكون هذا) المذكور من ان الاسراء بجسده صلى الله تعالى عليه وسلم وهو نائم ليوفق بين الروايتين ان لم نقل بالتعدد (فى وقت صلاته بالانبياء) عليهم الصلاة والسلام لان النائم لا يصلى ولا تصح صلاته وظاهره انه فيما عده من أمور الاسراء صحيح بلا تردد وانما يأباه لفظ الحديث ولا يخفى ان مناجاته ربه ومراجعة موسى عليه الصلاة والسلام لذلك فكان ينبغى أن يقول والامور الواقعة

(ولعله كان له في هذا الاسراء حالات) أي مراتب ومقامات فكان في أوله نائما وفي وقت صلاته بهم قائما وفي شهود الآيات مطالعا وفي حال التجلي مستغرقا وفي حال الرجوع متحيرا والحاصل انه كان بين سكر وشكر وقبض وبسط وصحو ومحو وفناء وبقاء (ووجه رابع) أي شاهد بانه كان يقظة ويؤول ما يكون فيه مخالفة (هو ان يعبر بالنوم هنا عن هيئة النائم من الاضطجاع) ووقع للدلجي هنا زيادات وكذا فيما قبله مكررات ليست في الاصول المعتمدة والنسخ المعتبرة (ويقويه) أي ويؤيده التعبير بالنوم عن الاضطجاع (قوله) أي في الحديث (في رواية عبد بن) بالوصف لا بالاضافة (حميد) بالتصغير وهو حافظ كبير شهير واسمه عبد الحميد وعبد لقب له (عن همام) بفتح الهاء وتشديد الميم امام حافظ يروي عن الحسن وعطاء وخلق وعنه ابن مهدي وغيره قال أحمد

ثبت عند كل المشايخ أخرج له أصحاب الكتب الستة (بينا أنا نائم وربما قال مضطجع وفي رواية هدبة) بضم الهاء وسكون الدال المهملة بعدها موحدة وهو ابن خالد القيسي الجهني أبو خالد البصري الحافظ المسند ويقال له هداب عن همام بن يحيى وحماد ابن سلمة وجرير بن حازم وعنه البخاري ومسلم وأبو داود والبغوي وأبو يعلى قال ابن عدي لا أعرف له حديثا منكرا قال الحلبي وفي نسخة معاوية بدل هدبة وهو غير صحيح (عنه) أي عن همام (بينا أنا نائم في الحطيم) قال الدلجي أي بين الركن والباب وفيه ان هذا أحد الملتزم نعم قد يطلق ويراد به ما بين الركن الاعظم والمقام وزمزم لكن الاظهر انه يراد به الحجر لقوله (وربما قال في الحجر مضطجع) وسمي حطيما لما حطم من جداره فلم يسو ببناء البيت على ما ذكره البغوي وسمي حجرا لانه حجر عن البيت أي من ادخاله فيه فؤداهما واحد وهو المستدير بالبيت جانب الشمال وعن مالك الحطيم ما بين المقام الى الباب وعن ابن جريج ما بين الركن والمقام والله تعالى أعلم بالمرام (وقوله) أي وكذا يقويه قوله (في الرواية الاخرى بين النائم واليقظان فيكون) أي النبي عليه الصلاة والسلام (سمى هيئته) أي الاضطجاع (بالنوم لما كانت) أي تلك الهيئة (هيئة النائم غالبا) وقيده به اذ قد ينام وهو قاعد أو مستلق ونحو ذلك (وذهب بعضهم الى ان هذه الزيادات من النوم) أي من ذكره (وذكر شق البطن ودنو الرب) أي قربه المنزه عن المكان (الواقعة) بالنصب صفة الزيادات أو بدل منها أي التي وقعت (في هذا الحديث) أي من أحاديث الاسراء

في حديث الاسراء لا يصح في بعضها أن يكون مناما * فان قيل يجوز أن يكون رأى ذلك في المنام * قلنا وكذا يجوز أن يكون رأى في منامه أنه صلى الله تعالى عليه وسلم صلى بهم أيضا لا ان يفرق بينهما (ولعله كان له) صلى الله تعالى عليه وسلم (في هذا الاسراء حالات) فكان في بعضها نائما غاضا البصره تاديا أولئك لا يرى سوى ربه وفي بعضها مستيقظا وفي بعضها بين النائم واليقظان وبهذا يجمع بين الروايات وقيل ان الحديث الذي وقع فيه هذا ملفق من أحاديث وهذا الوجه قيل انه حدس وتخمين ولو تركه المصنف كان أحسن لما مر (ووجه رابع) لتأييد كونه يقظة وتأويل ما يخالفه (وهو ان يعبر بالنوم ههنا) في هذه الرواية (عن هيئة النائم من الاضطجاع) بيان للهيئة والاضطجاع الصاق بدنه ممتدا بالارض غير جالس ولا قائم فهو استعارة أو مجاز مرسل لازمه غالبا النوم فكان على هذه الهيئة عند وصول الملك اليه وفي بعض النسخ اذ كثيرا ما يعبر بالنوم عن الاضطجاع ونحوه لما بينهما من الملابسة وفي بعض الشروح هنا تكرار لا حاجة اليه ولذا قال انه يتعين كونه مجازا مرسلا ولا ليس بلازم (ويقويه) أي يقوي هذا التأويل (قوله في رواية عبد بن حميد) الامام الحافظ المقدم ترجمته وعبد غير مضاف هنا وهو أبو نصر عبد الرحمن بن الكشي ويقال الكجي بشين أو جيم (عن همام) بفتح الهاء وتشديد الميم الاولى ابن يحيى العوذي بفتح العين المهملة وسكون الواو وذال معجمة وياء نسبة منسوب للعوذ بطن من الازد امام ثقة أخرج له الستة وتوفي سنة ثلاث وستين ومائة (بينا أنا نائم وربما قال) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (مضطجع) فتعبيره بهذا تارة وبهذا أخرى يشهد لانهما بمعنى (وفي رواية هدبة) بضم الهاء وسكون الدال المهملة والموحدة وتاء تانيث ابن خالد القيسي البصري الحافظ الثقة روى له الشيخان وغيرهما وتوفي سنة خمس وثلاثين ومائتين وفي بعض النسخ بدل هدبة معاوية (عنه) أي عن همام (بينا أنا نائم في الحطيم وربما قال في الحجر مضطجع) تقدم الكلام فيه والتوفيق (وقوله في الرواية الاخرى بين النائم واليقظان) يؤيد كون المراد بالنائم المضطجع (فيكون سمى هيئته) أي هيئة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أو هيئة النوم (بالنوم لما كانت) تلك الهيئة (هيئة النائم) حقيقة (غالبا) أي في الغالب وبما ذكرنا سابقا من ان هذا في أول وصول الملك له سقط ما قيل من ان هذا ينبو عنه السمع لان ركوبه صلى الله تعالى عليه وسلم البراق وربطه بالحلقة وصلاته بالانبياء عليهم الصلاة والسلام بإباه وأما قوله فاستيقظت وأنا بالمسجد الحرام فاول أيضا بما مر فلا ينافي هذا فتامله (وذهب بعضهم الى ان هذه الزيادات من النوم وذكر شق البطن ودنو الرب) أي قربه من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (الواقعة في) رواية (هذا الحديث) أي حديث الاسراء

(أنما هي من رواية شريك)وهو ابن عبدالله بن أبي نمر(عن أنس رضي الله تعالى عنه فهي)أي فهذه الزيادات المذكورة(منكرة) بفتح الكاف (من روايته)أي شاذة مخالفة لروايات سائر الثقاة (اذ شق البطن في الاحاديث الصحيحة انما كان في صغره عليه الصلاة والسلام)أي مرة عند مرضعته(وقبل النبوة) تأكيد لما قبله لان أول بعثة النبوة كان بعد أربعين سنة نعم ثبت شق صدره أيضا بجبل حراء عند نزول صدر سورة اقرأ ولا يبعد ان يشق صدره عند الاسراء أيضا كما صرح به السهيلي ان الشق وقع مرتين مرة في صغره ومرة في كبره عند رقيه الى العالم العلوي وكان الاول لازالة حظ الشيطان والآخر لملئ الحكمة والايمان لكن شريك منفرد بذلك في هذا الحديث وان وافقه السهيلي فيما هنالك هذا وقد روى الطيالسي والحارث في مسنديهما من حديث عائشة رضي الله تعالى عنها ان الشق وقع مرة أخرى عند مجيء جبريل عليه السلام بالوحي في غار حراء ومناسبته ظاهرة جدا وروى الشق وهو ابن عشر أو نحوها في قصة له مع عبدالمطلب أخرجه أبو نعيم في الدلائل قال العسقلاني و روى مرة خامسة ولا يثبت لكن تعقبه بعض المتأخرين وقال رواه أبو نعيم من حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عن آمنة قلت واذا ضم الى ذلك قصة شق الصدر في المنام فتكون سادسة (ولانه)أي شريكا(قال في الحديث قبل ان يبعث والاسراء باجماع كان بعد المبعث)ويروى البعث(فهذا)أي فما ذكر كله(يوهن)من الايهان أو التوهين أي يضعف(ما وقع في رواية أنس رضي الله تعالى عنه)أي من طريق شريك

لكن قال العسقلاني في باب المعراج من كتاب المبعث استنكر بعضهم وقوع شق الصدر ليلة الاسراء وقال انما وقع وهو صغير في بني سعد ولا انكار في ذلك فقد تواردت الروايات به وثبت شق الصدر أيضا عند البعثة كما أخرجه أبو نعيم في الدلائل ولكل منها حكمة فالاول وقع فيه من الزيادة كما عند مسلم فاخرج علقة فقال هذا حظ الشيطان منك وكان هذا في زمن الطفولية فنشأ على أكمل الاحوال من العصمة من الشيطان ثم وقع شق الصدر عند المبعث زيادة في اكرامه ليبلغ ما أوحي اليه بقلب قوي في أكمل الاحوال من التطهير ثم وقع شق الصدر عند ارادة العروج الى السماء ليتأهب للمناجاة ويحتمل أن تكون الحكمة في هذا الغسل المبالغة في الاسباغ بحصول المرة الثالثة كما في شرعه انتهى وقال أيضا في كتاب التوحيد قد تقدم الرد على من أنكر شق الصدر عند الاسراء وبينت انه ثبت في غير رواية شريك في الصحيحين من حديث أبي ذر وان شق الصدر أيضا وقع عند البعثة كما أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده وأبو نعيم والبيهقي في دلائل النبوة انتهى وقال العراقي قد أنكر وقوع الشق ليلة الاسراء ابن حزم وعياض وادعيا انه تخليط من شريك وليس كذلك فقد ثبت من غير طريق شريك في الصحيحين وقال القرطبي لا يلتفت لانكاره لانه رواية ثقاة مشاهير هذا ووقع شق الصدر الكريم أيضا في حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه حين كان ابن عشر سنين وهي عند عبدالله بن أحمد في زوائد المسند ذكره العسقلاني وقال صاحب الآيات البينات في حديث شق الصدر وهو ابن عشر سنين رواه ابن حبان والحاكم والضياء في المختارة وصححوه (مع ان أنسا قد بين من غير طريق)أي من طرق كثيرة (انه)أي أنسا(انما رواه)أي الحديث(عن غيره) كمالك بن صعصعة وأبي ذر مرفوعا

(انما هي من رواية شريك عن أنس رضي الله تعالى عنه فهي منكرة من روايته)لا مطلقا والانكار المراد به معناه اللغوي أو مصطلح المحدثين وهو رواية المتغير بسوء حفظه والمخالف للثقاة وشريك طعن فيه ابن حبان وغيره وقالوا ليس بثبت (اذ شق البطن)أي بطنه وصدره صلى الله تعالى عليه وسلم (في الاحاديث الصحيحة انما كان في صغره عليه الصلاة والسلام)وهو عند مرضعته حليمة كما مر (وقبل النبوة)أي قبل ظهورها للناس هذا بيان لوجه انكار هذه الرواية وقد تقدم عن الامام السهيلي وغيره ان الشق وقع مرتين مرة لتهيئته للنبوة ومرة أخرى بعد مبعثه ليقوى على المعراج ومشاهدة عجائب الملكوت فلا يرد ما ذكر على هذه الرواية تقتضي انها منكرة وقيل انه وقع أربع مرات عند حليمة وبحراء وليلة الاسراء ومرة أخرى في النوم الا ان ابن حجر قال ان هذه لم تثبت كما تقدم (ولانه)أي شريك (قال في)هذا(الحديث)الذي رواه عن أنس رضي الله تعالى عنه (قبل ان يبعث والاسراء بالاجماع)من المحدثين(كان بعد المبعث)مصدر ميمي بمعنى البعث وقد تقدم الكلام فيه (فهذا كله يوهن)بتشديد الهاء أي يضعف أو تخفيفها لانه يقال وهنه وأوهنه فوهن أي ضعف (ما في رواية أنس)هذه التي رواها شريك عنه (مع ان أنسا قد بين من غير طريق)أي من طرق متعددة لا من طريق واحدة(انه انما رواه عن غيره)من الصحابة كمالك بن صعصعة وأبي ذر عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فهو مرسل الصحابي وفيه ان مرسل الصحابي اذا روى من طريق مقبول فهذا لا يضعفه

(وانه لم يسمعه من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي من غير واسطة (فقال) أي أنس (مرة) أي في رواياته (عن مالك بن صعصعة) وهذا لا يضر لان مراسيل الصحابة بالاتفاق مقبولة محجوج بها (وفي كتاب مسلم لعله عن مالك بن صعصعة على الشك) أي من الراوي عن أنس (وقال مرة كان أبو ذر يحدث) ولا منع من الجمع بان أنسا سمع الحديث منهما جميعا فتارة أضاف الى واحد وأخرى الى آخر فتدبر ثم رأيت الحلبي ذكر انه وقال الحاكم في الاكليل حديث المعراج صح سنده بلا خلاف بين الائمة نقله العدل عن العدل ومدار الروايات فيه على أنس رضي الله تعالى عنه وقد سمع بعضه من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وبعضه من أبي ذر وبعضه عن مالك يعني ابن صعصعة قال وبعضه عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه (وأما قول عائشة) أي كما رواه ابن اسحق وابن جرير (مافقد جسده) بصيغة المجهول وفي أصل الدلجي وهو رواية مافقدت بصيغة المتكلم (فعائشة لم تحدث به عن مشاهدة لانها لم تكن حينئذ) أي حين اذ وقع الاسراء (زوجه) بالاضافة وفي نسخة زوجة أي له صلى الله تعالى عليه وسلم (ولا في سن من يضبط) بضم الموحدة وكسرها أي بل ولا كانت حينئذ في سن من يحفظ الامور (ولعلها لم تكن ولدت بعد) بضم الدال أي تلك الساعة (على الخلاف في الاسراء) أي بناء على الاختلاف الواقع للعلماء في زمن الاسراء (متى كان فان الاسراء كان في أول الاسلام على قول الزهري ومن وافقه بعد المبعث) ويروى البعث بدل المبعث (بعام ونصف) وهو مخالف لما نقله النووي فيما مر عنه من انه بعده بخمسة أعوام (وكانت عائشة في الهجرة) أي زمنها (بنت نحو ثمانية أعوام) فكان الاسراء على هذا قبل ولادتها بنحو ثلاثة أعوام ونصف اذ قد مكث بمكة بعد البعثة ثلاثة عشر عاما

(وقد قيل كان الاسراء لخمس) أي من السنين (قبل الهجرة وقيل قبلها بعام والاشبه) أي الاظهر (انه لخمس) أي قبل الهجرة وهو مخالف لما حكاه النووي عنه ثم اختلف في الشهر الذي أسري به صلى الله تعالى عليه وسلم فيه فقيل في الربيع الاول وجزم به النووي في الفتاوى وقيل في الربيع الآخر وبه جزم أيضا في شرح مسلم تبعا للقاضي المصنف وقيل في رجب وجزم به النووي أيضا في الروضة وقال الواقدي في رمضان وقال الماوردي في شوال والله تعالى أعلم بالحال هذا ومعظم السلف والخلف من المحدثين والفقهاء ان الاسراء كان بعد البعثة لستة عشر شهرا على ما نقله النووي عن الحربي قال السبكي الاجماع على انه كان بمكة والذي نختاره ما قاله شيخنا أبو محمد الدمياطي انه قبل الهجرة بسنة وهو في الربيع الاول قال ولا احتفال بما تضمنته التذكرة الحمدونية انه في رجب واحياء المصريين ليلة السابع والعشرين منه بدعة

(وانه لم يسمعه من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) بيان لانه سمعه من غيره (فقال مرة عن مالك بن صعصعة وفي كتاب مسلم لعله عن مالك بن صعصعة على الشك) من مسلم فلعل مستعارة من الترجي بجامع عدم الوقوع فيهما وقال الحاكم مدار حديث المعراج على أنس رضي الله تعالى عنه وقد سمع بعضه من مالك بن صعصعة وبعضه من أبي ذر وبعضه من أبي هريرة (وقال) أنس (مرة كان أبو ذر يحدث) أي ينقل حديث الاسراء السابق عنه صلى الله تعالى عليه وسلم (وأما قول عائشة) رضي الله تعالى عنها (مافقد جسده) صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا الحديث رواه عنها ابنا اسحق وجرير وتقدم ان فيه رواية مافقدت بالاسناد لضميرها والاسناد للفاعل وهو في هذه الرواية مبني للمجهول (فعائشة لم تحدث به عن مشاهدة) له صلى الله تعالى عليه وسلم لانه كان بمكة قبل تزوجها أو قبل ولادتها كما أشار اليه بقوله (لانها لم تكن حينئذ) أي في وقت الاسراء أو زمانه (زوجة) له صلى الله تعالى عليه وسلم (ولا في سن من يضبط) بالتحتية والفوقية أي لم يكن سنها أو عمرها حينئذ سن ضبط واتقان لعدم تمييزها لصغرها فهو مستعار من الضبط وهو الامساك والحفظ للعلم والتمييز فالرواية عنها ليست مسلمة أو هي حدثت به عن غيرها فعلى رواية مافقد الامر ظاهر وعلى رواية مافقدت فيه تقدير أي قال فلان أو فلانة مافقدت الى آخره وهو في غاية البعد كما قيل (ولعلها لم تكن ولدت) بالبناء للمجهول (بعد) مبني على الضم أي بعد هذه القصة ووقوعها وهي ضد قبل ويستعملان في التقدم والتأخر المتصل والمنفصل والمراد هنا الاول والمراد زمان وقوعه للمجاورة والتضاد وهو استعمال شائع وحينئذ لا ينبغي ان ينسب لها هذا القول اذ لم يثبت كما سياتي وكونها حدثت به عن غيرها يأباه سياقه (على الخلاف في) زمن (الاسراء متى كان فان الاسراء كان في أول الاسلام) بمكة قبل الهجرة (على قول) محمد بن مسلم بن شهاب (الزهري ومن وافقه بعد المبعث بعام ونصف وكانت عائشة في) وقت (الهجرة بنت ثمانية أعوام) فعلى هذا لم تكن ولدت في زمن الاسراء (وقد قيل كان الاسراء لخمس قبل الهجرة) هذه اللام توقيتية أي وقت هو سنة خمس كما فصله النحاة في باب العدد وفصل التاريخ (وقيل قبل الهجرة بعام والاشبه) أي القول الاصح الاولى والاحسن (انه لخمس) لان مثله يكون كثير الشبه بخلاف النادر الغريب الذي لا نظير له

(والحجة

(والحجة لذلك) أى الابطال كونه مناما ذكره الدلجى والاظهر ان يكون مراده لما ذكره من الادلة والاقوال المختلفة فى تاريخ وقت المعراج بخصوصه (تطول ليست من غرضنا) فضربنا صفحا من اطالتها لئلا يقع أحد فى حد ملالتها (فاذا لم تشاهد ذلك عائشة) أى سواء ولدت قبله أو بعده (دل على انها احدثت بذلك عن غيرها) أى بتاء المتكلم

حكاية لقول من أخبرها باقيا على صورته الاولى كقولك لمن قال هذه ثمرتك أدعني من ثمرتك قال ذوالرمة سمعت الناس ينتجعون غيثا برفع الناس أى سمعت هذا القول فكأنها قالت سمعت من فلان أو فلانة مافقدت جسد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (فلم يرجح خبرها على خبر غيرها) أى لروايتها اياه عن مجهول بل لعدم ثبوته (وغيرها يقول خلافه مما وقع نصا فى حديث أم هانئ وغيره) أى وفى غيره حديث أم هانئ كحديث أبى ذر ومالك بن صعصعة (وأيضا) مصدر آض بمعنى عاد ورجع والمعنى وقلت معاودا (فليس حديث عائشة رضى الله تعالى عنها) أى مافقدت جسده (بالثابت) أى عند أئمة الحديث لقادح فى سنده عنها اذ فيه ابن اسحق وقد تكلم فيه مالك وغيره (والاحاديث الأخر) بضم ففتح جمع آخر أى الواردة فى الاسراء (أثبت) أى أكثر ثبوتا وأصح رواية من حديثها (لسنا) وفى نسخة صحيحة ولسنا (نعنى) أى لانريد بقولنا والاحاديث الآخر أثبت (حديث أم هانئ) أى ما أسرى برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الا وهو فى بيتى (وماذكرت فيه خديجة) بصيغة المفعول أى ولانعنى حديث عمر الذى ذكرت فيه خديجة لعدم ورودهما فى الصحيح

(والحجة لذلك تطول وليست من غرضنا) أى ليس مقصودنا فى هذا الكتاب بسط الادلة والحجج بل الاكتفاء بما صح من اوصافه صلى الله تعالى عليه وسلم أو المراد ان مقصوده الاختصار وعدم التطويل وتفصيله كما فى المقتفى لابن المنير قال الاقوال فيه كثيرة أصحها عندى قول ابراهيم الحربى انه كان ليلة سبع وعشرين من ربيع الآخر قبل الهجرة بسنة وقيل بعد المبعث بخمس سنين وقيل بعده بخمسة عشر شهرا وقال ابن اسحق أسرى به صلى الله تعالى عليه وسلم وقد فشا الاسلام وفى مسلم عن شريك انه قبل ان يوحى اليه ولا يصح هذا و وجه الاعلى القول بانه منام كما وقع لعائشة انه كان بالمدينة ورجح القاضى عياض القول بانه قبل الهجرة بخمس سنين وقول ابن اسحق انه قبل الهجرة بسنة وضعف هذا بان خديجة رضى الله عنها صلت معه صلى الله تعالى عليه وسلم وهى ماتت قبل الهجرة بمدة أقل ماقيل فيها ثلاث سنين والصلاة لم تفرض الا فى الاسراء وهو غير وارد لانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يصلى قبل الاسراء صلاة غير الخمس على خلاف فيها والحجة لنا فى ترجيحه ان كل قول سواه خرج مخرج التقدير لا التحديد لانه لم يعين فيه الشهر فضلا عن اليوم وقول الحربى عين فيه ليلته بعينها من شهر بعينه وسنة بعينها فقال ليلة سبع وعشرين من ربيع الآخر قبل الهجرة بسنة واذا تعارض خبران أحدهما أحاط راويه بتفصيل فى القصة زائد فالمفصل أحضر ذهنا وأوعى قلبا من أجمل وعليه الفقهاء فى كتاب الشهادة اذا أرخت احدى البينتين واليوم الذى أسفرت عنه ليلة الاسراء يوم الاثنين ثانى عشر شهر ربيع الاول واذا كان الثانى عشر من الشهر يوم الاثنين كان أوله الخميس قطعا فاول ربيع اما السبت أو الاحد أو الاثنين لان بين كل يومين متقابلين من سنتين متواليتين اما ثلاثة أيام أو أربعة أو خمسة ولذا تكون الوقفة من كل سنة خامس يوم من الوقفة التى قبلها أو رابعة أو سادسة وأعدل الاحتمالات الخامس والجمعة يعقبها الثلاثاء والاثنين تعقبها الجمعة وقد يكون الرابع وقد يكون السادس وذلك بحسب التمام والنقص الى آخر ماذكره وقد قدمناه (فاذا لم تشاهد ذلك) المذكور من زمن الاسراء (عائشة) رضى الله تعالى عنها (دل) عدم مشاهدتها (على انها حدثت بذلك عن غيرها) من الصحابة فحديثها من مرسلات الصحابة فهو صحيح أيضا كما عليه المحدثون الا انه لم يوفق بينه و بين غيره (فلم يرجح خبرها على خبر غيرها) الظاهر ان يقول فيرجح خبر غيرها على خبرها لروايتها عن مجهول بل لعدم ثبوته عنها كما سيأتى (وغيرها يقول خلافه مما وقع نصا) أى صريحا فان النص له معان منها هذا (فى حديث أم هانئ) وفى نسخة من حديث أم هانئ بيان لما (وغيره) كحديث أبى ذر ومالك بن صعصعة وأبى هريرة وقد قيل عليه ان حديث أم هانئ المذكور فى الفصل الذى قبل هذا غير صريح فيما ذكر ويدفع بانه ظاهر فيه والعدول عن الظاهر لا وجه له (وأيضا) منصوب على المصدر به مصدر آض بمعنى رجع (فليس حديث عائشة) أى قولها مافقدت جسده (بالثابت) عنها عند المحدثين لما فى متنه من العلة القادحة وفى سنده محمد بن اسحق وقد ضعفه مالك وغيره (والاحاديث الأخر) الواردة فى الاسراء عن غيرها (أثبت) أكثر ثبوتا وأصح من حديثها (لسنا نعنى) أى لا أريد انا وغيرى من المحدثين بقولنا انها أثبت (حديث أم هانئ) وقولها ما أسرى به صلى الله تعالى عليه وسلم الا وهو فى بيتى (وما) أى وحديث عن غيرها كحديث عمر رضى الله تعالى عنه الذى (ذكرت فيه خديجة) رضى الله تعالى عنها

(وأيضافقدروى فى حديث عائشةمافقدت) أى جسده (ولم يدخل بها الابالمدينة) جملة حالية مؤذنة بعدم صحة حديث مافقدت عنها اذالاسراء كان بمكة اجماعا (وكل هذا) أى وكل ذلك سابقا ولاحقا (يوهنه) أى بالوجهين أى يضعف حديث مافقدت ويروى يوهنونه بفتح الواو وكسر الهاء مشددة وبالواو وضمير الجماعة ذكره الحجازى وفيه نظر (بل الذى يدل عليه صحيح قولها انه) بفتح الهمزة وكسرها أى ان اسراءه كان (بجسده لانكارها ان يكون رؤياه لربه) أى ليلة الاسراء (رؤيا عين ولو كانت عندها مناما لم تنكره) أى لم تنكر كون رؤيته لربه مناما (فان قيل فقد قال الله تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى فقد جعل ما رآه للقلب) أى لا للبصر (وهذا) أى الجعل (يدل على انه رؤيا نوم ووحى) بالرفع عطف على رؤيا وقد أبعد الدلجى فى قوله ووحى بالجر عطف على نوم أى رؤيا وحى فيه (لا مشاهدة عين وحس) أى لا على انه مشاهدة عين وحس بصرى فهو عطف تفسيرى وقال الانطاكى مشاهدة نصب أى لا رؤيا مشاهدة عين فحذف المضاف وأعرب المضاف اليه باعرابه انتهى وبعده لا يخفى (قلنا) أى فى الجواب عنه (يقابله) أى تعارضه (قوله تعالى مازاغ البصر وماطغى) أى ما مال عما رآه وما تجاوزه (فقد أضاف الامر) فى الرؤية (الى البصر وقد قال أهل التفسير فى قوله تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى أى لم يوهم القلب) بالرفع (العين) بالنصب وفى نسخة عكس ذلك (غير الحقيقة) أى غير حقيقة ما رآه (بل صدق رؤيتها) ويؤيده قراءة التشديد (وقيل ما أنكر قلبه ما رأت عينه) أى فيكون ضمير رأى راجعا اليه صلى الله تعالى عليه وسلم لا الى الفؤاد والله تعالى أعلم بالمراد وحاصله ومأقبله انه لم يقل قلبه لما رأى لم أعرفك ولو قاله لكذب اذقد عرفه كما عرفه بصره اذ الامور القدسية يدركها القلب أولا ثم يوردها على البصر ثانيا بدليل حديث مسلم هل رأيت ربك قال رأيته بفؤادى كذا قرره الدلجى ولا يخلو عن خلجان فى القلب لعله تظهر بعد ذلك بتوفيق الرب قريب

لانهما لم يردا فى الصحيح بل أحاديث أخر تعارضها غير هذين (وأيضا فقد روى فى حديث عائشة مافقدت) باسناد الفعل المعلوم لضميرها كما روى مافقد بالبناء للمجهول المسند لغيرها كما مر (ولم يدخل بها النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الا بالمدينة) والاسراء كان بمكة وهى صغيرة ليست عنده أو لم تولد والجملة حالية وهذا يدل على عدم صحته وتأويله بما علمت من هذا أو بكونه حكاية لكلام غيرها فى غاية البعد (وكل هذا) أى ذلك المذكور سابقا ولاحقا مما سبق وما تأخر (يوهنه) بالتشديد والتخفيف أى يضعفه (بل الذى يدل عليه) أى الذى يدل على ما ذكر من عدم صحته عنها (صحيح قولها) أى ما صح عنها رضى الله تعالى عنها من رواية أخرى (انه) أى الاسراء (بجسده الشريف لانكارها رؤياه لربه) ليلة الاسراء (رؤيا عين) فان هذا يدل على انه أسرى بجسده صلى الله تعالى عليه وسلم الا انه لم ير ربه عيانا (ولو كانت) الرؤيا فى الاسراء (عندها مناما لم تنكره) لان الرؤيا المنام جائزة وانما الكلام فى رؤيا العيان والخلاف فيها فنزاعها فى ذلك الآتى يدل على ما ذكر وهذا يدل على ان لها قولا آخر مرويا عنها مخالف لما اشتهر وهذا معنى قوله فيما سبق دليل قولها فتذكره وليس وصف قولها بانه صحيح مناقضا لما مر من الطعن فى حديثها لان هذا رواية أخرى لها وما قيل من انه مؤيد لكونه مناما عندها ناشئ من عدم التدبر (فان قيل) فى رد كونه يقظة (قال الله تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى فجعل ما رآه للقلب) أى أثبت الرؤية للقلب دون البصر وعلقها به وفيه اشارة الى ان الفؤاد بمعنى القلب وله معان أخر وما مصدرية والجار والمجرور متعلق بجعل أو بمقدر أى مسند للقلب (وهذا) الجعل أو المذكور (يدل على انه رؤيا نوم ووحى) بالجر عطفا على نوم (لا مشاهدة عين وحس) بصرى والعطف تفسيرى (قلنا) فى الجواب عنه (يقابله) أى يعارضه فيسقط عن مرتبة الاحتجاج وستأتى الاشارة الى انه لا يعارضه أيضا (مازاغ البصر وماطغى) زاغ بمعنى مال وطغى تجاوز عن الرؤية المتحققة بل أثبتها وتيقنها (فأضاف الامر) أى أمر الرؤية (للبصر و) يقابله أيضا ما (قد قال أهل التفسير) فى تأويله أى معناه حتى لا يعارضه وينافيه (فى) تفسير (قوله ما كذب الفؤاد ما رأى أى) معناه (لم يوهم القلب العين) فهو مقول القول والقلب مرفوع فاعل يوهم والعين منصوب مفعوله وقوله (غير الحقيقة) مفعول ثان له لانه ينصب مفعولين وغير بغين معجمة ومثناة تحتية وراء مهملة ونقل عن بعض الشروح انه يجوز فى كل من العين والقلب الرفع والنصب والمرفوع فاعل تقدم أو تأخر وتوقف فى فهمه التلمسانى وليس بمحل توقف لان المراد ان البصر والبصيرة متفقان لم يخالف أحدهما الآخر لوقوفهما على الحقيقة لان العين قد ترى أمرا ثم يتبين خلافه وانه غير متحقق وقد يتصور القلب شيئا فيشاهد خلافه والحاصل ان ما رآه ليس تخيلا كاذبا بل أمرا محققا تواطأ عليه العين والقلب وما قيل من ان الامور القدسية يدركها القلب أولا ثم يوردها على البصر ليس بمسلم (بل صدق رؤيتها وقيل) فى التوفيق بينهما ودفع التناقض (ما أنكر قلبه) صلى الله تعالى عليه وسلم (ما رأته عينه) وهذا

(فصل) (وأما رؤيته صلى الله تعالى عليه وسلم لربه جل) أى عظم شأنه (عز) أى وغلب سلطانه (فاختلف السلف فيها) أى فى رؤيته له سبحانه وتعالى بعين بصره (فانكرتها عائشة رضى الله تعالى عنها) أى كونها او وقوعها أو قول مسروق لها هل رأى محمد ربه وفى أصل الدلجى فانكرتها عائشة أى الرؤية المذكورة (حدثنا أبو الحسين سراج بن عبد الملك الحافظ) أى للحديث (بقراءتى عليه قال حدثنى أبى) أى عبد الملك ووهم الحلبى فى قوله أبوه هو القاضى سراج وكانه وقع فى أصله أبو الحسين بن سراج وهو مخالف للنسخ المعتمدة (وأبو عبد الله بن عتاب) بفتح فتشديد (قالا) أى كلاهما (حدثنا القاضى يونس بن مغيث) بضم ميم فغين معجمة مكسورة فتحتية فمثلثة قال ابن ماكولا فى اكماله وأبو محمد بن عبد الله بن محمد بن مغيث الاندلسى يعرف بابن الصفار مشهور بالعلم والادب جمع من اشعار الخلفاء من بنى أمية كتابا وابنه يونس بن عبد الله بن محمد بن مغيث أبو الوليد قاضى الجماعة بقرطبة سمع أبا بكر محمد ابن معاوية القرشى المعروف بابن الاحمز والعباس بن عمر والصقلى وروى عنه أبو عمر بن عبد البر النمرى وأبو محمد بن حزم قاله الحميدى (ثنا أبو الفضل الصقلى) بكسر الصاد وسكون القاف نسبة الى صقلية جزيرة من جزائر بحر الغرب ذكره الحلبى وغيره وضبط فى بعض النسخ بضم الصاد وضبطه ابن خلكان بفتحتين وتبعه الحجازى وزاد تشديد اللام وقال التلمسانى بفتح الصاد والقاف وكسرهما واللام مخففة فيهما (ثنا ثابت بن قاسم بن ثابت عن أبيه وجده) أى قاسم وثابت (قالا) أى كلاهما (ثنا عبد الله بن على ثنا محمود بن آدم) هو مرزوى يروى عن ابن عيينة وأبى بكر عياش وجماعة وعنه البخارى وأبو بكر بن أبى داود وطائفة توفى سنة ثمان وخمسين ومائتين (ثنا وكيع) تقدم ذكره (عن ابن أبى خالد) هو اسمعيل بن سعيد البجلى الكوفى عن ابن أبى أوفى وأبى جحيفة وقيس وخلق وعنه شعبة وغيره حافظ امام وكان طحانا تابعى ثقة أحد الاعلام أخرج له الائمة الستة (عن عامر) وهو الصواب لا ما وقع فى بعض النسخ عن مجاهد ذكره الشمنى وزاد الحلبى فانه ليس له شئ من الكتب الستة عن مسروق وهو عامر بن شرحبيل أبو عمرو الشعبى الهمدانى قاضى الكوفة أحد الاعلام ولد فى خلافة عمر وروايته عن على فى البخارى وروى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه والمغيرة وخلق قال أدركت خمسمائة من الصحابة وقال ما كتبت سوادا فى بياض ولا حدثت بحديث الا حفظته مات سنة ثلاث ومائة أخرج له الائمة الستة وقال الدلجى قد روى المصنف هنا حديث مسلم بسند آخر شاهدا

قريب مما قبله ولتعارضهما ظاهر المدرجه فى حجج ابطال كونه مناما ويعطفه عليه وأورده سؤالا وجوابا ولما كان محصل الجواب انه يدل على ثبوت الرؤية تبين سقط ما قيل انه مشترك الالزام والاعتراض بانه لافرق بين الجوابين لان المراد انه لم يطرأ عليه وسوسة نفس ونزغة شيطان تشككه فيما رآه وتوهمه خلاف ما شاهدت عيناه

(فصل وأما رؤيته صلى الله تعالى عليه وسلم لربه عز وجل) بعينه يقظة فى اسرائه بجسده والرؤية تختص بالبصرية فلذا عبر بها هنا وان أطلقت على غيرها تكون على خلاف المشهور عكس الرؤيا كما تقدم (فاختلف السلف فيها فانكرته عائشة رضى الله عنها) ذكر ضمير الرؤية لان تانيث المصدر غير معتبر او باعتبار الوقوع كما قيل وفى بعض النسخ فانكرتها وهى ظاهرة وانكارها لما وقع فى مسلم وغيره كما أشار اليه المص بقوله (حدثنا أبو الحسين سراج) بكسر السين وفتح الراء المهملة المخففة وآخره جيم (ابن عبد الملك) المراد بالملك الله فى الاعلام لكراهة التسمية بعبد فلان حتى بعبد النبى وهو امام حافظ شيخ المصنف رحمه الله تعالى وجده وزير لغوى جليل القدر (الحافظ بقراءتى عليه) تقدم الكلام فيه (قال حدثنى أبى وأبو عبد الله بن عتاب الفقيه) تقدمت ترجمته (قالا حدثنا القاضى يونس بن مغيث) بضم الميم وكسر الغين المعجمة والمثناة التحتية الساكنة وبالمثلثة ويونس مثلث النون كما مر وهو يونس بن عبد الله بن محمد بن مغيث بن عبد الله الانصارى المعروف بابن الصفار ولد فى رجب سنة سبع وأربعين وأربعمائة وتوفى بقرطبة سبعة اثنين وثلاثين وخمسمائة اثمان من جمادى الاولى (قال حدثنا أبو الفضل الصقلى) بفتح الصاد المهملة والقاف وتشديد اللام المكسورة نسبة لصقلية بلد بالاندلس (قال حدثنا ثابت بن قاسم بن ثابت عن أبيه وجده) ثابت بن حزم العوفى السرقسطى وأبوه أبو محمد قاسم بن ثابت مؤلف كتاب الدلائل فى غريب الحديث يروى عن أبيه وجده وعمر جده حتى قرأ عليه وكان ثابت وقاسم يشتركان فى التاليف والشيوخ والرحلة وولد أبوه سنة خمس وخمسين ومائتين ومات بسرقسطة سنة اثنين وثلاثمائة (قالا حدثنا عبد الله بن على قال حدثنا محمود بن آدم) هو المروزى توفى سنة ثمان وخمسين ومائتين (قال حدثنا وكيع) بن الجراح بن مليح بن عدى الحافظ الثقة ولد سنة تسع وعشرين ومائة وتوفى سنة ست أو سبع وسبعين ومائة (عن ابن أبى خالد) هو اسماعيل بن سعيد البجلى الكوفى توفى سنة خمس أو ست وأربعين ومائة وأخرج له أصحاب الكتب الستة (عن عامر

لانكارها ذلك يقظة وهو بفتح الشين وسكون العين واختلف فى نسبته وقد يضرب به المثل فى الحفظ فيقال احفظ من الشعبى وقال الزهرى العلماء أربعة ابن المسيب بالمدينة والشعبى بالكوفة والحسن بالبصرة ومكحول بالشام وقال مكحول ما رأيت أفقه من الشعبى فى زمانه (عن مسروق انه قال لعائشة يا أم المؤمنين هل رأى محمد ربه) يعنى ليلة الاسراء فى حال اليقظة (فقالت لقد قف شعرى) بفتح القاف وتشديد الفاء من القفقفة وهى الرعدة أى اقشعر وقال شعر جسدى من الفزع (مما قلت) أى طالبا منى تصديقى بثبوت رؤيته لربه أولا ثبوتها أو لكونى سمعت ما ينبغى ان يقال (ثلاث من حدثك) كذا بكاف الخطاب ثبت بخط القاضى المصنف وعند العرفى فى بحذفها وكلاهما صحيح والمعنى من أعلمك أوروى وأخبر (بهن فقد كذب) وفى نسخة كذبك أى افترى فرية بلا مرية فيهن و بيانها قولها (من حدثك ان محمدا رأى ربه فقد كذب ثم قرأت) أى للاستشهاد على دعوى المراد (لا تدركه الابصار الآية) أى وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير وأجيب بان الآية دالة على انه لا تحيط به ولا بحقيقته حاسة بصر اذا تجلى بنور كماله وصفة كبرياء جلاله لحديث مسلم نورانى أراه أى حجابه نور فكيف أراه اذ كمال النور يمنع الادراك من غاية الظهور وأما اذا تجلى بما يسعه نطاق القدرة البشرية من صفات جماله الصمدية فلا استبعاد لرؤيته بدون احاطة فنفى الآية رؤيته على سبيل الاحاطة لا يوجب نفى رؤيته بدونها الا محالة (وذكر) مسروق (الحديث) أى الخ قال التلمسانى الاولى هذه والثانية قولها رضى الله تعالى عنها من زعم انه صلى الله تعالى عليه وسلم كتم شيئا من الوحى ثم قرأت يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك الآية والثالثة من زعم انه صلى الله تعالى عليه وسلم يخبر بما يكون فى غد فقد أعظم الفرية ثم قرأت ان الله عنده علم الساعة الآية انتهى وزاد الانطاكى ولكنه رأى جبريل مرتين وقال الغزالى فى الاحياء والصحيح ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما رأى الله تعالى ليلة المعراج لكن النووى صحح الرؤية فى الفتاوى ونقله عن المحققين والله سبحانه وتعالى اعلم قال الحلبى هذا الحديث الذى ساقه القاضى هنا هو فى البخارى ومسلم والترمذى والنسائى وهو فى البخارى فى التفسير عن يحيى عن وكيع بالسند الذى ساقه القاضى وهو بدل ولو رواه القاضى من طريق البخارى كان يقع له أعلى من هذا وسبب عدول القاضى عن اخراج هذا الحديث من أحد هذه الكتب مع انه بين القاضى و بين شيخ الشيخ البخارى وكيع سبعة وهذا الذى ساقه بينه و بين وكيع ثمانية فالذى فى الصحيح أعلى ليتنوع وليظهر كثرة الشيوخ والمسموعات والله سبحانه وتعالى أعلم بالنيات (وقال جماعة) أى من المحدثين والمتكلمين (بقول عائشة

عن مسروق انه قال لعائشة) رضى الله تعالى عنها (يا أم المؤمنين رأى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ربه) عز وجل ليلة الاسراء بقرينة السؤال لانها لا تنكر رؤية الآخرة ولا رؤية المنام (فقالت) مجيبة له (لقد قف شعرى) القفيف فى الشعر معناه قيامه وانتصابه وانما يكون هذا غالبا عند الفزع والخوف القوى (مما قلت) أى خفت من كلامه ان يهلك الله من قاله واستمعه لانه أمر منكر لا يرضاه الله ولم يثبت عندها وقال التلمسانى قف بمعنى اقشعر وأصله ان الجلد ينقبض عند البرد والجزع فيقوم الشعر لذلك والمراد انكار ما قاله واستعظامه وما فى قولها مما قلت مصدرية أو موصولة (ثلاث من حدثك بهن فقد كذب من حدثك ان محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم رأى ربه فقد كذب ثم قرأت) مستدلة لما قالته (لا تدركه الابصار الآية) بناء على ان الادراك شامل للرؤية وانه حكم كلى فان قلنا الادراك بمعنى الاحاطة أى لا يحيط به الابصار ولا تعرف كنهه ورفع الايجاب الكلى سلب جزئى لم يكن فى الآية دليل ما ذكر و يأتى بيانه عن قريب وقد استدل بهذه الآية المعتزلة على نفى الرؤية مطلقا وورده أهل السنة كما فصل فى كتب الاصول وروى فى بعض النسخ من حدث بلا كاف عن العزفى والثلاث الاولى هى هذه والثانية قولها من زعم انه صلى الله تعالى عليه وسلم كتم شيأ من الوحى ثم قرأت يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك الى آخره والثالثة من زعم انه صلى الله تعالى عليه وسلم يخبر بما يكون فى غد فقد أعظم الفرية ثم قرأت ان الله عنده علم الساعة الآية واعلم ان هذا الحديث فى البخارى ومسلم والترمذى والنسائى وهو فى البخارى عن يحيى عن وكيع بسند المصنف رحمه الله تعالى فهو بدل أو موافقة كما فصله البرهان (وذكر) مسروق (الحديث) بتمامه كما سمعته آنفا من ذكر الثلاث قال مسروق وكنت متكأ فجلست وقلت يا أم المؤمنين أنظرينى ولا تعجلى ألم يقل الله تعالى ولقد رآه بالافق المبين ولقد رآه نزلة أخرى فقالت أنا أول هذه الامة سأل عن ذلك رسول الله عليه الصلاة والسلام فقال انما هو جبريل لم أره على صورته التى خلق عليها غير هاتين المرتين كما رواه مسلم (وقال جماعة) من المحدثين والعلماء لا المتكلمين لان خلافهم ليس فى رؤية الاسراء (بقول عائشة) رضى الله تعالى

عنها

وهو المشهور) أي كما رواه الشيخان (عن ابن مسعود) انه رأى جبريل (ومثله) أي في كونه مشهورا ما رواه البخاري (عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه) انه قال (انما رأى جبريل عليه السلام واختلف عنه) أي عن أبي هريرة اذ قد روي عنه انه قال رآه بعينه كابن مسعود وأبي ذر والحسن وابن حنبل (وقال بانكار هذا وامتناع رؤيته في الدنيا جماعة من المحدثين والفقهاء والمتكلمين) جوزان يكون المشار اليه ما لم يشتهر من قول أبي هريرة انه رآه بعينه وان يكون ما أنكرته عائشة أي بانكارها ما أنكرته وفاقا لها ولذا أكده بالجملة الثانية دفعا لتوهم كون انكارهم انكار الانكار كذا حققه الدلجي ونقل الحلبي انه حكى أبو عبد الله ابن امام الجوزية عن عثمان بن سعيد الدارمي الحافظ لما ذكر مسئلة الرؤية ما لفظه وهي مسئلة خلاف بين السلف والخلف وان كان جمهور الصحابة بل كلهم مع عائشة كما حكاه عثمان بن سعيد الدارمي اجماعا للصحابة (وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه رآه بعينه) وبه قال أنس وعكرمة والربيع (وروى عطاء عنه) أي عن ابن عباس (بقلبه) أي انه رآه

بعين بصيرته وعطاء هذا هو ابن أبي رباح بفتح الراء والموحدة أبو محمد المكي الفقيه أحد الاعلام يروي عن عائشة وأبي هريرة رضي الله تعالى عنهما وخلق وعنه أبو حنيفة والليث والاوزاعي وابن جريج وأمم أخرج له الأئمة الستة وقد أخرج هذا الحديث مسلم عن عطاء عن ابن عباس في صحيحه في باب الايمان عن أبي بكر ابن أبي شيبة عن حفص بن غياث عن عبد الملك ابن أبي سليمان عن عطاء عنه به (وعن أبي العالية عنه) أي عن ابن عباس (رآه بفؤاده مرتين) وأبو العالية هذا هو رفيع بن مهران الرياحي بكسر الراء والمثناة تحت وهذه الرواية أخرجها مسلم في الايمان (وذكر ابن اسحق) أي محمد بن اسحق بن يسار الامام في المغازي عن عبد الله ابن أبي سلمة (ان ابن عمر ارسل الى ابن عباس يسئله هل رأى محمد ربه) أي بعين بصره اذ لا خلاف في رؤيته ببصيرته (فقال نعم) والحاصل انه اختلفت الرواية عن ابن عباس في مسئلة الرؤية (والاشهر عنه) أي عن ابن عباس (انه رأى ربه بعينيه روى ذلك) أي القول الاشهر (عنه من طرق) أي باسانيد متعددة اقتضت الشهرة (وقال) أي في بعض طرقه وهو ما رواه الحاكم والنسائي والطبراني ان ابن عباس قال تقوية لقوله انه رأى ربه بعينيه (ان الله اختص موسى بالكلام) أي من بين سائر الانبياء عليهم السلام فلا ينافي انه صلى الله تعالى عليه وسلم وقع أيضا له الكلام على وفق المرام وكذا قوله (وابراهيم بالخلة) بضم الخاء فانه صلى الله تعالى عليه وسلم جمع له بين كونه خليلا وحبيبا (ومحمدا بالرؤية) أي البصرية هذا ولا منافاة بين قول ابن عباس رآه بعينه وبين قوله رآه بفؤاده لامكان الجمع بينهما بثبوت الرؤية للبصر والبصيرة كما يشير اليه قوله تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى أي ما كذب فؤاده مرئيه بل صدقه وطابقه ووافقه

عنها (وهو المشهور عن ابن مسعود وغيره ومثله) أي مثل قول ابن مسعود وعائشة (روي عن أبي هريرة) رضي الله تعالى عنه في تفسير قوله تعالى ولقد رآه نزلة أخرى (انه) بفتح الهمزة (قال) أي أبو هريرة (انما رأى جبريل) لا ربه عز وجل كما قيل فاتى بصيغة انما للرد على من فسر الآية بما ذكر (واختلف) بالبناء للمفعول في النقل (عنه) أي عن أبي هريرة فروي عنه انه قال رآه بعينه كغيره وفي رواية أخرى أنكره (وقال بانكار هذا) القول المجوز لرؤيته ووقوعه (وامتناع رؤيته تعالى في الدنيا) وجوازه في الآخرة (جماعة من المحدثين) انكروا صحة نقله عنه صلى الله تعالى عليه وسلم (والفقهاء) ذكروه في مباحث الردة والكفر وان أحدا لو قال رأيت الله بعيني في الدنيا هل يكفر أم لا (والمتكلمين) من علماء أصول الدين والخلاف بين أهل السنة والمعتزلة في هذه المسئلة وادلتها مشهور في كتبهم حتى انه أفرد بالتأليف (وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه رآه بعينه وروى عطاء عنه) أي عن ابن عباس (انه رآه بقلبه) وعطاء هو ابن أبي رباح الفقيه المكي (وعن أبي العالية) وهو رفيع بن مهران الرياحي وقيل هو زياد بن فيروز وقيل اسمه فيروز (عنه) أي عن ابن عباس انه (رآه بفؤاده مرتين وذكر ابن اسحق) صاحب المغازي عن عبد الله ابن أبي سلمة (ان ابن عمر رضي الله تعالى عنهما ارسل الى ابن عباس يسأله هل رأى محمد ربه فقال نعم) مراده هل رآه يقظة بعينه فقوله (والاشهر عنه) أي عن ابن عباس (انه رأى ربه بعينه) وفي نسخة بعينيه مثنى وهما بمعنى تفسير للرواية التي قبله وان كانت ظاهرة انه غيره لتخالفهما في العبارة (وروي ذلك عنه من طرق) أي باسانيد مختلفة لفظا لا معنى يقوي بعضها بعضا وهو لا ينافي ما روي عنه انه رآه بفؤاده فهو كقوله تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى أي ما زاغ البصر وما طغى كما مر (وقال) أي ابن عباس فيما روي عنه الحاكم والنسائي والطبراني وهو في معنى ما قبله في ان الرؤية فيهما بصرية (ان الله اختص موسى بالكلام) بغير واسطة لقوله تعالى وكلم الله موسى تكليما (وابراهيم بالخلة) بضم الخاء المعجمة لقوله تعالى واتخذ الله ابراهيم خليلا (ومحمدا صلى الله تعالى عليه وسلم بالرؤية) البصرية لا القلبية لعدم اختصاصها به صلى الله تعالى عليه وسلم قيل

(وحجته) أي دليل ابن عباس أي على انه صلى الله تعالى عليه وسلم رأى ربه (قوله تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى) أي بعينه اذ لا يقال ما كذب الفؤاد ما رأى بقلبه فالمعنى ما اعتقد قلب محمد خلاف ما رأى ببصره وهى مشاهدة ربه تعالى بفؤاده بجعل بصره فيه أو ببصره بجعل فؤاده فيه لان مذهب أهل السنة ان الرؤية بالارادة لا بالقدرة هذا والراجح كما قال النووي عند أكثر العلماء انه رآه بعيني رأسه ليلة الاسراء واثبات هذا ليس الا بالسماع منه صلى الله تعالى عليه وسلم وهو مما لا شك فيه وانكار عائشة وقوعها لم يكن لحديث روته ولو كان لحديث ذكرته بل احتجت بقوله تعالى لا تدركه الابصار قلنا المراد بالادراك الاحاطة اذ ذاته تعالى لا تحاط ولا يلزم من نفيها نفي الرؤية بدونها و بقوله وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا قلنا لا تلازم بين الرؤية والكلام لجواز وجودها بدونه كذا قرره الدلجي فيما نقله عن النووي وفيه انه لا يعرف حديث مسموع مرفوع بل كل من عائشة وابن عباس مستدل بآية من الكتاب والله تعالى أعلم بالصواب (أفتمارونه على ما يرى) أي أفتشكون أو أفتجادلونه بالاستفهام الانكاري وانما وقع الجدل والشك في رؤية البصر اذ لا يشك أحد في رؤية البصيرة ولعل الاستدلال بهذه الآية بناء على ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب والا فالظاهر ان الشك انما وقع من الكفار في نفس الاسراء وما رأى في عالم السماء (ولقد رآه نزلة أخرى) وهى فعلة من النزول اقيمت مقام المرة ونصبت نصبها قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كانت له في تلك الليلة عرجات لحط عدد الصلوات ولكل عرجة نزلة ذكره الدلجي وفي الاحتجاج بهذه الآية نظر ظاهر اذ جمهور المفسرين على ان ضمير المفعول راجع الى جبريل عليه السلام لا سيما اضعف الاحتمال لضعف الاستدلال (قال الماوردي) سبق ذكره (قيل ان الله تعالى قسم كلامه ورؤيته بين موسى ومحمد فرآه محمد مرتين) أي حيث كان قاب قوسين أو أدنى وعند سدرة المنتهى (وكلمه موسى مرتين) أي مرة وقت ارساله الى فرعون ومرة بعد هلاكه ورجوعه الى الطور وفيه أن قائل هذا مجهول فاستدلال به غير معقول

لكون

عليه ان الخلة والكلام ثبتا لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم أيضا فتفريق هذه الخصائص غير ظاهر واجيب عنه بان مراده ان موسى الكليم اشتهر بذلك وان كان نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم كلمه الله في الاسراء في مقام أعلى والخلة ثبتت له مع زيادة المحبة فمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم خليل وحبيب كما اعترف به الخليل عليه الصلاة والسلام في حديث الشفاعة حيث قال انما كنت خليلا من وراء وراء وهذا الجواب لا يجدي نفعا فالاولى ان المراد بالكلام مناجاته تعالى بغير واسطة في الارض وبالخلة معاملة مخصوصة له مع الله تعالى في هذه الدار أيضا وسيأتي بيانه (وحجته) أي دليله على الرؤية (قوله تعالى (ما كذب الفؤاد ما رأى) أي ما اعتقد قلبه خلاف ما رآه بصره في مشاهدة ربه فسماه كذبا تجوزا لاشتراكهما في ان كلا منهما خلاف الواقع أي ما رآه صلى الله تعالى عليه وسلم ببصره ليلة الاسراء لثبوت ذلك بالاحاديث الصحيحة واما انكار عائشة رضي الله تعالى عنها لذلك فقد تقدم ما فيه واستدلالها بقوله تعالى لا تدركه الابصار أجابوا عنه بوجوه منها ان الادراك بالبصر ليس رؤية مطلقة بل رؤية على وجه الاحاطة بجوانب المرئي لان حقيقة الادراك اللحوق والوصول في المكان كقول أصحاب موسى انا لمدركون أو الزمان كما يقال أدرك فلان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أو الصفة كما يقال أدرك الغلام اذا بلغ وأدركت الثمرة اذا نضجت ثم نقل لابصار الشيء المتناهي المحدود بالجهات لتوهم معنى اللحوق فيه كان البصر قطع المسافة التي بينه وبينه حتى بلغه ووصل اليه فابصار ما ليس في جهة لا يتحقق فيه معنى البلوغ فلا يسمى ادراكا فلا يلزم من نفيه وهو رؤية مخصوصة نفي المطلقة وهذا تحقيق ما في التفسير وكتب الكلام (أفتمارونه على ما يرى) أي أتجادلونه في رؤيته لما رآه من مريت الضرع اذا مسحته للحلب فاستعير للمجادلة كأن كلا من المتجادلين يمتري ما عند صاحبه لطلبه له (ولقد رآه نزلة أخرى) أي مرة أخرى قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كانت له في تلك الليلة مرات من العروج ولكل مرة نزلة لسماء أخرى لما راجع في حط الصلوات وهذا مراده هنا (قال الماوردي) الامام الجليل أبو الحسن علي بن محمد الشافعي صاحب التآليف الجليلة كالتفسير الكبير والحاوي وغيرهما وتقدمت ترجمتها وهذا نقله عنه ابن سيد الناس في سيرته (وقيل ان الله قسم) أي جعل (كلامه ورؤيته) مقسومين (بين موسى ومحمد صلى الله تعالى عليهما وسلم فرآه محمد) صلى الله تعالى عليه وسلم (مرتين) حيث كان قاب قوسين أو أدنى وعند سدرة المنتهى (وكلمه موسى) عليه الصلاة والسلام (مرتين) مرة وقت ارساله لفرعون ومرة بعد هلاكه ورجوعه للطور والحق انه كلمه في الدنيا مرارا عديدة في مناجاته ولذا خص عليه الصلاة والسلام بالكليم لانه لم يكلمه في الدنيا بغير واسطة غيره ولا يلزم من هذا شرفه على نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم لتكليمه اياه مع قربه منه في حظائر قدسه لكن

(وحكى أبو الفتح الرازى) الله أعلم به كذا ذكره الدلجى وقال التلمسانى هو سليمان بن أيوب مات غريقا سنة سبع وأربعين وأربعمائة (وأبو الليث السمرقندى) تقدم ذكره (الحكاية) أي التى ذكرها الماوردى (عن كعب) وفيه ان كعب الاحبار هو من أهل الكتاب والتواريخ فلا يكون قوله حجة في هذه المسئلة (وروى عبد الله بن الحارث) هو زوج أخت محمد بن سيرين روى عن جماعة من الصحابة وروى هذا الحديث مرسلا كذا ذكره الشمنى تبعا للحلبى وفى كون هذا الحديث مرسلا نظر ظاهر في المنقول ولا يخفى على من له المام بعلم الاصول وقال الانطاكى هو أبو الوليد عبد الله بن حارث

البصرى روى عن عائشة وأبى هريرة وزيد بن أرقم وابن عباس وابن عمر وغيرهم وعنه ابنه يوسف والمنهال بن عمرو وعاصم الاحول وخالد الحذاء وجماعة وثقه أبو زرعة والنسائى وأخرج له الائمة الستة (قال) أي عبد الله بن الحارث (اجتمع ابن عباس وكعب فقال ابن عباس اما نحن بنو هاشم فنقول ان محمدا قد رأى ربه عز وجل مرتين فكبر كعب حتى جاوبته الجبال وقال) أي كعب أو ابن عباس (ان الله قسم رؤيته وكلامه بين محمد وموسى فكلمه موسى ورآه محمد بقلبه) أي وبعينه أيضا قاله الدلجى أقول الظاهر ان هذا قول كعب وانه مخالف لقول ابن عباس وتكبيره كان لتعظيم الامر وتفخيم القدرة وأما ما قاله أبو الفتح اليعمرى في سيرته في الاسراء ما لفظه وروينا من طريق الترمذى حدثنا ابن أبى عمر حدثنا سفيان عن مجالد عن الشعبى قال لقى ابن عباس كعبا بعرفة فسأله عن شئ فكبر حتى جاوبته الجبال فقال ابن عباس انا بنو هاشم نقول ان محمدا رأى ربه فقال كعب ان الله تعالى قسم رؤيته وكلامه بين محمد وموسى فكلم موسى مرتين ورآه محمد مرتين فقال الحلبى لم أر هذا الحديث في أطراف المزى فان كان في الجامع فلعله سقط من نسختى وان كان من طريقه في غير الجامع فلم أقف عليه قلت وعلى تقدير ثبوته فلعله عنه روايتان (وروى شريك عن أبى ذر في تفسير الآية) أي قوله تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى (قال رأى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ربه) فيه انه مبهم يحتمل احتمالين وأغرب الدلجى هنا حيث قال أي بقلبه بشهادة أول الآية وهو مناقض لما سبق عنه من تقرير الرواية بالبصرة فتدبر (وحكى السمرقندى) أي كرواية ابن أبى حاتم

لكون تكليم موسى مما يعرفه الناس خص بكونه كليما فاندفع ما مر (وحكى أبو الفتح الرازى) ليس هو الفخر الرازى كما توهم (وأبو الليث السمرقندى) الحنفى وقد قدمنا ترجمته والمحكى ما مر عن الماوردى كما أشار اليه بقوله (الحكاية) الذى ذكرها الماوردى (عن كعب) وليست ضعيفة وصيغة قيل في كلامه ليست للتمريض فانها يقصد بها مجرد النقل * فان قلت كيف قال قسم الكلام والرؤية والقسمة انما تكون في أمر واحد يوزع بين اثنين فاكثر ولذا قيل ان هذه العبارة مما لا ينبغى * قلت هذا وهم من قائله فان المراد قسم تقريبهما وتعظيمهما قسمين وجعل قسما لهذا وقسما لهذا كقوله

قسم الاله الامر بين عباده * فالصب ينشد والخلى يسبح

(وروى عبد الله بن الحارث) كما ذكره الترمذى وهو عبد الله بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب البصرى سكنا الوالى بها مات بعمان بعد انقضاء فتنة ابن الاشعث لما خرج اليها هاربا من الحجاج وولد في زمنه صلى الله عليه وسلم ومات سنة أربع وثمانين ومن الرواة أيضا عبد الله بن الحارث أبو الوليد البصرى حدث عن ابن عباس رضى الله عنهما وهو زوج أخت محمد بن سيرين وجزم الشمنى رحمه الله بانه هو المذكور هنا وهو الراجح لان عبد الله الاول وان وافقه في الاسم والنسبة لكن الحارث جده وهذا راوى ابن عباس كما مر (قال اجتمع ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وكعب) الاحبار (فقال ابن عباس اما نحن بنو هاشم فنقول ان محمدا رأى ربه مرتين) خص بنى هاشم لانهم أقرب اليه وأعرف بحاله لاسيما قبل الهجرة وكان اجتماعهما بعرفة كما ذكره الترمذى وبنو هاشم مرفوع بدل من نحن كما في النسخ ولو نصب على الاختصاص جاز وليس المراد بنى هاشم ما سوى العباس وظاهره انه رأى واجتهاد منهم وهذا لا ينافى ما مر عن ابن عباس رضى الله عنهما لان عنه روايتين فلا وجه للاعتراض على المصنف (فكبر كعب) الاحبار لسروره بمقالته الموافقة لما عنده (حتى جاوبته الجبال) أي رفع صوته بالتكبير حتى سمع صداه من الجبال وجعله جوابا تجوزا ويجوز أن يكون تكبيره تعجبا مما قاله واستعظاما له كقوله (وقال) أي كعب الاحبار (ان الله قسم رؤيته وكلامه بين محمد وموسى فكلمه ورآه محمد بقلبه) فيكون منكرا لرؤيته بعين رأسه أو نقول هو موافق لان الرؤية القلبية لا تنافى البصرية وعليه الشراح وانفراد موسى عليه الصلاة والسلام بكونه كليما مر من ان المراد كلامه مرارا في الارض فلا ينافى كون نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم كلمه أيضا بغير واسطة كما مر (وروى شريك) تقدم الكلام عليه وعلى روايته (عن أبى ذر في تفسير الآية) المذكورة ما كذب الفؤاد ما رأى الآية وفيه نظر (قال رأى محمد) وفى نسخة بدله النبى (صلى الله عليه وسلم ربه) هذا كلام مجمل متفق عليه وقيل المراد انه رآه بقلبه بشهادة أول الآية وفيه نظر (وحكى السمرقندى) الحنفى المتقدم

(عن محمد بن كعب) أى القرظى كما فى نسخة صحيحة وهو تابعى جليل (وربيع بن أنس) هو أيضا تابعى مشهور (أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم سئل هل رأيت ربك قال رأيته بفؤادى ولم أره بعينى) وهذا الحديث صريح فى طرفى الاثبات والنفى ولا يضر كون الحديث مرسلا لانه حجة عند الجمهور لاسيما وقد اعتضد بما رواه ابن جرير عن محمد بن كعب عن بعض أصحاب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم مرفوعا وأما قول الدلجى لعله فى المرة الاولى اذ قد روى ابن عباس انه رآه مرتين فلا يقاوم الحديث من وجوه يعلمها أهله (وروى مالك بن يخامر) بضم تحتية فخاء معجمة مخففة فالف فميم مكسورة فراء لا ينصرف للعلمية ووزن الفعل يقال له صحبة والاصح انه تابعى روى عن جماعة من الصحابة منهم عبد الرحمن بن عوف وروى عنه معاوية بن أبى سفيان وجماعة من التابعين وفى نسخة وروى عن مالك بن يخامر (عن معاذ عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال رأيت ربى) فيه احتمالان ان كان فى الاسراء لكن قال المزى حديث مالك ابن يخامر عن معاذ مبين فى بعض الروايات انه فى النوم (وذكر كلمة) أى جملة من الكلام وقال الانطاكى من دأب السلف اذا وقع فى الحديث لفظ يستعظمون التصريح به ان يعبروا عنه بقولهم وذكر كلمة أى كلمة عظيمة (فقال يا محمد فيم يختصم الملأ الاعلى الحديث) وهذا حديث جليل ولفظه طويل ونفعه جزيل فلابد من ايراده ليقع الوقوف على مراده فقد رواه أحمد وغيره عن معاذ قال صلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالنصب صلاة الغدوة ثم أقبل علينا فقال انى سأحدثكم انى قمت من الليل فصليت ما قدر لى فنعست وفى رواية فوضعت جنبى فاذا أنا بربى فى أحسن صورة وهو حال منه صلى الله تعالى عليه وسلم أو من ربه ولا اشكال فيه كما قال البيضاوى اذ قد يرى النائم غير المتشكل متشكلا وعكسه ولا يعد ذلك خللا فى الرؤيا ولا فى خلد النائم فقال يا محمد فيم يختصم الملأ الاعلى وفى رواية المصابيح فيم يختصم الملأ الاعلى يا محمد قلت أنت أعلم أى رب مرتين قال فوضع كفه وفى رواية يده بين كتفى فوجدت بردها بين ثديى وفى رواية فوجدت برد أنامله بين ثديى فعلمت ما فى السماء والارض وفى الرواية الثانية فتجلى لى كل شئ وعرفت ما فى السماء والارض ثم تلا هذه الآية وكذلك

(عن محمد بن كعب القرظى) بضم القاف وفتح الراء المهملة وكسر الظاء المعجمة نسبة لبنى قريظة وهو تابعى واسمه محمد كما تقدم (وربيع بن أنس) التابعى الذى تقدمت ترجمته فالحديث مرسل كما رواه ابن جرير عن محمد بن كعب عن بعض الصحابة (أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم سئل هل رأيت ربك فقال رأيته بفؤادى ولم أره بعينى) وهذا يحتمل أن يكون فى المرة الاولى فانه روى عن ابن عباس وغيره انه رآه مرتين فلا ينافى ما مر وما قيل من ان المراد نفى مجرد الرؤية أو نفى رؤيته كسائر الاشياء المرئية تعسف لا ينبغى ذكره هنا (وروى مالك بن يخامر) بضم المثناة التحتية وخاء معجمة يليها ألف وميم مكسورة ثم راء مهملة علم منقول ممنوع من الصرف وهو سكسكى حمصى يقال ان له صحبة والاصح انه تابعى روى عن معاذ بن جبل كما ذكره المصنف وعبد الرحمن بن عوف وغيرهما ومات سنة سبعين أو اثنين وسبعين وروى عنه جماعة (عن معاذ عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال رأيت ربى) فى حديث رواه أحمد بن حنبل وغيره وهو حديث صحيح أوله قال معاذ رضى الله تعالى عنه صلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الغداة ثم أقبل علينا فقال انى سأحدثكم انى قمت من الليل فصليت ما قدر لى ونعست وفى رواية فوضعت جنبى فاذا أنا بربى فى أحسن صورة فقال يا محمد فيم يختصم الملأ الاعلى قلت أنت أعلم أى ربى فوضع كفه وفى رواية يده بين كتفى فوجدت بردها بين ثديى فعلمت ما فى السموات والارض ثم تلا وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض الى آخره ثم قال فيم يختصم الملأ الاعلى يا محمد قلت فى الكفارات قال وما هن قلت المشى على الاقدام الى الجماعات والجلوس فى المساجد خلف الصلوات وابلاغ الوضوء اماكنه فى المكاره من يفعل ذلك يعش بخير ويمت بخير ويكون من خطيئته كيوم ولدته أمه وروى يخرج من خطيئته ومن الدرجات اطعام الطعام وبذل السلام وان يقوم بالليل والناس نيام قال قل اللهم انى أسئلك الطيبات وترك المنكرات وحب المساكين وان تغفر لى وترحمنى وتتوب على واذا أردت فتنة فى قوم فتوفنى غير مفتون وهذا الحديث أخرجه أيضا الترمذى والبغوى فى المصابيح وهو تمثيل لتجلى الله له بلطفه وحسن معاملته وما أفاضه عليه من المعارف الكاشفة لغيبه مع ثلج صدره ببرد اليقين وتحقيقه فى شرح المصابيح وشرح الاربعين للصدر القونوى وادراج بعض الشراح له هنا فى المتن كعادته غير متجه (وذكر كلمة) اشارة لما مر وهو اسم جمع لكلمة مضافا لضمير الله أو الحديث لادنى ملابسة (فقال) الله (فيم يختصم الملأ الاعلى) أى فيم يسأل الملائكة بعضهم بعضا عن المراتب المقربة الى الله المكفرة بالخطايا ولذا أمره صلى الله تعالى عليه وسلم بالدعاء بنيل كمال هذه المراتب (الحديث)

نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين ثم قال فيم يختصم الملأ الاعلى يامحمد قلت فى الكفارات قال وماهن قلت المشى على الاقدام الى الطاعات والجلوس فى المساجد بعد الصلوات وفى رواية خلف الصلوات وابلاغ الوضوء اماكنه على المكاره وفى رواية فى المكاره من يفعل ذلك يعش بخير ويمت بخير ويكن من خطيئته كيوم ولدته أمه ومن الدرجات اطعام الطعام وبذل السلام وان يقوم بالليل والناس نيام ثم قال قل اللهم انى اسئلك الطيبات وترك المنكرات وفعل الخيرات وحب المساكين وان تغفرلى وترحمنى وتتوب على واذا أردت فتنة فى قوم فتوفنى غير مفتون قال الانطاكى واعلم ان من العلماء من امتنع عن الكلام فى تاويل قوله عليه الصلاة والسلام فى أحسن صورة منهم أحمد بن حنبل روى انه هجر اباثور فى تاويله قوله عليه الصلاة والسلام ان الله خلق آدم على صورته ومنهم من تكلم فيه فقيل قوله فى أحسن صورة يحتمل أن يكون حالا من الرائى وهو النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ومعناه رأيته وانا فى أحسن صورة وصفة من غاية انعامه ولطفه تعالى على ويحتمل أن يكون حالا من المرئى وهو الرب جل جلاله وصورته تعالى ذاته المخصوصة المنزهة عن المماثلة وقال الخطابى الصورة ترد فى كلام العرب على ظاهرها وعلى معنى حقيقة الشئ وعلى معنى صفته يقال صورة هذا الامر كذا وكذا أى صفته وقال وهو المراد هنا وقال فى جامع الاصول المراد انه أتاه فى أحسن صفته ثم المراد بالاختصام تقاولهم فى فضل تلك الاعمال وأى بفتح الهمزة بمعنى يا وقوله مرتين متعلق بقوله فقال فيم يختصم الخ أى جرى السؤال من ربى والجواب منى مرتين وقوله فوضع كفه بين كتفى كناية عن تخصيصه تعالى ٢٩١ اياه بمزيد الفضل وايصال الفيض اليه والا فلا كف ولا وضع حقيقة كما ان من عادة الملوك اذا أراد أحدهم أن يقرب بعض خدمه من نفسه ويذكر معه احوال مملكته أن يضع يده على ظهره ويلقى ساعده على عنقه تلطفا به وتعظيما لشانه والبرد الراحة والضمير فى بردها يعود الى الكف وأراد بقوله بين ثديى قلبه وهو كناية عن وصول ذلك الفيض الى قلبه انتهى

بالنصب أى اقرأ اواذكر (وحكى عبد الرزاق) همام بن رافع الصنعانى صاحب التصانيف الجليلة أخرج له الائمة الستة وتوفى سنة احدى عشرة ومائتين وترجمته مشهورة (ان الحسن) البصرى السابق ذكره وترجمته (كان يحلف بالله لقد رأى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ربه) بعين بصره (وحكاه أبو عمر الطلمنكى) عمر بزنة زفر وهو بالطاء المهملة واللام والميم المفتوحات وسكون النون وكاف مكسورة يليها ياء نسبة كما ضبطه الحفاظ وهو الامام الحافظ المقرئ أحمد بن عبد الله بن لب بن يحيى المغافرى الاندلسى عالم قرطبة ولد سنة أربعين وثلاثمائة وتوفى فى ذى الحجة سنة تسع وعشرين وأربعمائة وروى عنه ابن حزم وابن عبد البر وغيرهما من الاعلام (عن عكرمة) مولى ابن عباس رضى الله تعالى عنهما (وحكى بعض المتكلمين هذا المذهب) وهو رؤية الله بعينه (عن ابن مسعود) رضى الله تعالى عنه (وحكى ابن اسحق) محمد بن اسحاق بن يسار الامام الحافظ صاحب المغازى وقد تقدمت ترجمته (ان مروان) بن الحكم بن أبى العاصى بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشى الاموى ولد سنة اثنين ولم يصح له سماع ولا رواية وانما له رواية عن عثمان رضى الله تعالى عنه وميسرة وغيرهما وكانت دولته تسعة أشهر وأياما وتوفى فى سنة خمس وستين فى رمضان ثم تولى ابنه عبد الملك وترجمته مفصلة فى التواريخ (سال أباهريرة رضى الله تعالى عنه هل رأى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ربه) بعينه (فقال نعم

وهذا كله يحتاج اليه اذا صح الحديث فى اليقظة والله أعلم (وحكى عبد الرزاق) وهو ابن همام بن رافع الحافظ الكبير الصغانى احد الاعلام صاحب التصانيف روى عن عبيد الله ابن عمر وعن الاوزاعى والثورى ومعمر وخلائق وعنه أحمد واسحق وابن معين وجماعة وقد وثقه غير واحد وأخرج له الائمة الستة ونقموا عليه التشيع وهو غير ثابت فيه بل كان يحب عليا رضى الله تعالى عنه ويبغض من قاتله وقد قال سلمة بن شبيب سمعت عبد الرزاق يقول والله ماانشرح صدرى قط ان أفضل عليا على أبى بكر وعمر رضى الله تعالى عنهم (ان الحسن) أى البصرى (كان يحلف بالله لقد رأى محمد ربه) فيه احتمالان (وحكاه) أى نقل مثله (أبو عمر الطلمنكى) بفتح الطاء المهملة واللام والميم فنون ساكنة فكاف مكسورة وهو الامام الحافظ المقرئ أبو عمر بضم العين روى عنه ابن عبد البر وابن حزم وغيرهما وكان رأسا فى علم القرآآت ذا عناية تامة بالحديث اماما فى السنة توفى فى ذى الحجة سنة تسع وعشرين وأربعمائة (عن عكرمة) تقدم ذكره (وحكى بعض المتكلمين) قال الحلبى لا أعرفه (هذا المذهب عن ابن مسعود وحكى ابن اسحق) أى صاحب المغازى (ان مروان سال أباهريرة هل رأى محمد ربه قال نعم) ومروان هذا ابن عبد الحكم ابن أبى العاص ابن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشى الاموى ولد سنة اثنتين ولم يصح له سماع ولا رؤية روى عن عثمان وعلى وزيد بن ثابت وروى عنه عروة ومجاهد وعلى ابن الحسين دولته تسعة أشهر وأيام وتملك ابنه عبد الملك بعده أخرج لمروان الستة غير مسلم الا أن البخارى روى حديث الحديبية عنه مقرونا بالمسور بن مخرمة

(وحكى النقاش عن أحمد بن حنبل انه قال انا أقول بحديث ابن عباس بعينه رآه رآه) أى كرره (حتى انقطع نفسه) بفتح الفاء (يعنى نفس أحمد) أى ابن حنبل كما فى نسخة صحيحة وهذا تفسير من المصنف أو غيره قال بعض الحنابلة من العلماء كلاما معناه ان أحمد لم يقل انه رآه ليلة الاسراء وانما رآه فى النوم يعنى الحديث الذى فيه رأيت ربى فى أحسن صورة الحديث يعنى رؤيا الانبياء وحى (وقال أبو عمر) الظاهر انه أراد به ابن عبد البر فانه الفرد الاكمل الاشهر خلافا للحلبى ومن تبعه حيث قال الظاهر انه أبو عمر المتقدم يعنى الطلمنكى (قال أحمد بن حنبل رآه بقلبه وجبن) بفتح الجيم وضم الموحدة وقيل تفتح أى خاف أحمد وتأخر (عن القول برؤيته بالابصار) أى الحسية (فى الدنيا وقال سعيد بن جبير لا أقول) أى انه (رآه ولا لم يره) وهذا يدل على غاية الاحتياط منه وعلى تعارض الادلة عنده (وقد اختلف فى تاويل الآية) أى ٢٩٢ آية ما كذب الفؤاد ما رأى أو قوله تعالى ولقد رآه نزلة أخرى (عن ابن عباس وعكرمة والحسن وابن مسعود رضى الله تعالى عنهم فحكى) بصيغة المجهول (عن ابن عباس وعكرمة رآه بقلبه وعن الحسن وابن مسعود رأى جبريل وحكى عبد الله ابن أحمد بن حنبل) هو الامام الحافظ المحدث محدث العراق روى عن أبيه وخلائق وعنه النسائى وغيره (عن أبيه انه قال رآه) وقد سبق الكلام عليه من جهة مبناه ومعناه (وعن ابن عطاء فى قوله ألم نشرح لك صدرك قال شرح صدره للرؤية وشرح صدر موسى للكلام) أى اجابة لدعائه عليه الصلاة والسلام رب اشرح لى صدرى وما بينهما بون بين اذ الاول مراد ومطلوب للمحبوب والثانى مريد وطالب للمرغوب (وقال أبو الحسن على بن اسمعيل الاشعرى رضى الله تعالى عنه) كذا فى النسخ والاولى ان يقال رحمه الله تاييد

لانه ليس من الصحابة (وجماعة من أصحابه انه) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (رأى الله تعالى ببصره وعينى رأسه) قال الحلبى هذا هو الشيخ القدوة امام المتكلمين على بن اسمعيل ابن أبى بشر بن سالم بن عبد الله بن موسى بن بلال ابن أبى بردة ابن أبى موسى عبد الله ابن قيس أبو الحسن الاشعرى كان أولا معتزليا ثم ترك ذلك برؤيا رآها فى نومه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وكان لا يتكلم فى علم الكلام الا أن يجب عليه قياما فى الحق وكان حبرا عظيما لا يناضل ولا يبارى قال القاضى أبو بكر الباقلانى أفضل أحوالى أن أفهم كلام أبى الحسن ولد سنة اثنتين ومائتين ومات قبل الثلاثين والثلاثمائة على الاصح قال الشيخ أبو محمد الجوينى والد امام الحرمين كان شافعيا تفقه على الشيخ أبى اسحق المروزى وقال التلمسانى وأبو الحسن هذا مالكى المذهب

وحكى النقاش) محمد بن الحسن بن زياد وقد تقدم ترجمته (عن أحمد بن حنبل انه قال أنا أقول بحديث ابن عباس بعينه رأى ربه) بدل من حديث ولم يزل يكرر ما قاله رافعا بصره (رآه رآه حتى انقطع نفسه) بفتحتين أى عجز عن التكلم وأعيى فترك التكلم (يعنى نفس أحمد) بن حنبل وانما فسره بذلك لئلا يتوهم عوده لابن عباس (وقال أبو عمر) السابق ذكره (قال أحمد بن حنبل رآه بقلبه وجبن عن القول) بفتح الجيم وضم الباء وحكى الجوهرى فتحها وهو ضعف فى القلب يقتضى عدم الاقدام يريد انه لم يتجرأ تأدبا عن ان يقول أى عن القول (برؤيته فى الدنيا بالابصار) بكسر الهمزة وفتحها جمع بصر وتعبيره بالجبن يدل على انها جائزة عقلا عنده وهو الحق (وقال سعيد بن جبير) الصحابى المشهور رضى الله تعالى عنه (لا أقول رآه ولا لم يره) أى توقف فى ذلك ولم يمل لاحد القولين (وقد اختلف فى تاويل الآية) يعنى قوله تعالى (ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى) فى النقل (عن ابن عباس وعكرمة والحسن وابن مسعود فحكى عن ابن عباس وعكرمة رآه بقلبه) رواه مسلم عنه فى صحيحه فى تفسير هذه الآية فالضمير فى رآه لله والرؤية قلبية (وعن الحسن وابن مسعود رأى جبريل) فالضمير فيها لجبريل عليه الصلاة والسلام كما فى مسلم عن ابن مسعود وأبى هريرة فرآه بالافق الاعلى وله ستمائة جناح ينتثر منها الدر والياقوت كما قاله المهدوى (وحكى عبد الله بن أحمد بن حنبل عن أبيه) وهو كابيه امام فى السنة والفقه أخذ عنه الاعلام وتوفى فى سنة تسعين ومائتين فى سن أبيه (انه قال رآه) أى بعينه لانه المتبادر وقد روى عنه التصريح به ولا ينافى ذلك ما مر من انه جبن عن القول بذلك لانه قد يخفيه فى بعض المجالس المقتضى لذلك (وعن ابن عطاء فى) تفسير (قوله ألم نشرح لك صدرك قال شرح صدره للرؤيا وشرح صدر موسى للكلام) أى قوى قلبه واذهب رعبه حتى سر مع مشاهدة جلاله وعظمته وسماع كلامه (وقال أبو الحسن على بن اسمعيل الاشعرى) ابن أبى بشير بن اسحق بن أبى سالم بن اسمعيل بن عبد الله ابن موسى بن بلال بن أبى بردة بن أبى موسى الاشعرى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعروف أن أبا الحسن هذا شافعى المذهب وقال التلمسانى انه مالكى المذهب ونسبته الى أشعر وهو ثابت بن أدد ويشجب بن يعرب بن زيد بن كهلان بن سبأ وكان حبرا عظيما وهو امام أهل السنة صاحب التصانيف المشهورة ولد سنة سبعين ومائتين ومات سنة أربع وعشرين وثلثمائة وقيل أربع وثلاثين فى ذى الحجة (وجماعة من أصحابه انه صلى الله تعالى عليه وسلم رأى الله ببصره وعينى رأسه)

تأييد لكون الرؤيا بصرية وإضافة العينين للرأس احترازا عن عين قلبه وظهره فإنهما وردت في الحديث فإن لم تكن عينا حقيقة (وقال) الاشعري رحمه الله تعالى (كل آية) ومعجزة (أوتيها نبي) أي أعطاها الله لنبي (من الانبياء فقد أوتي مثلها نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم) وقد فصله ابن المنير في المقتفى والكلام فيه طويل لا يسعه كتابنا هذا ولا ينافي هذا تخصيص موسى عليه الصلاة والسلام بالكلام كما مر قيل الحقيقة المحمدية صورة الاسم الاعظم الجامع للاسماء فله التصرف في العوالم ومنه تستفيد وتستمد ما فيها من جهة حقيقته لا من جهة بشريته فهو الخليفة حقيقة وأي معجزة كانت لنبي فهو له أولا وبالذات ثم جاءت منه لغيره وإلى هذا أشار في البردة بقوله

وكل آي أتى الرسل الكرام بها * فإنما اتصلت من نوره بهم

أقول الحق أن نقول إن الله خلق روحه صلى الله تعالى عليه وسلم قبل الارواح وخلع عليها خلعة النبوة ثم خلق أرواح البشر وأمر أرواح الانبياء بأن يؤمنوا به وأخذ عليهم الميثاق باتباعه إن أدركوه كما نطق به الكتاب العزيز فلما أجابوه أشرق عليهم نوره الروحاني الرباني وصارت في أرواحهم قوى مستعدة لاظهار المعجزات كالاولياء أمته إذا أظهروا الكرامات لما أشرق عليهم نوره وهذا هو الذي قصده الابوصيري رحمه الله تعالى فاعرفه (وخص من بينهم) أي اختص صلى الله تعالى عليه وسلم عن سائر الانبياء (بتفضيل الرؤية) أي بتفضيله برؤيته ربه عيانا في الدنيا فلم يره غيره فيها (ووقف بعض مشايخنا في هذا) أي توقف فيه فلم يعتقد ثبوته ولا نفيه والمشايخ جمع مشيخة أو شيخ على خلاف القياس وفيه كلام في شرح أدب الكاتب (وقال ليس عليه) أي على ثبوته (دليل واضح) أي صحيح ظاهر (ولكنه جائز) بحسب العقل (أن يكون) أي أن يصح ويوجد في الدنيا (قال القاضي أبو الفضل) عياض المصنف رضي الله تعالى عنه (والحق الذي لا امتراء فيه) أي القول الحق الذي لا شك فيه ولا شبهة لأن المرية هي الشبهة (أن رؤيته تعالى في الدنيا جائزة عقلا) لأنه موجود حقيقة في كل موجود وكل موجود تجوز رؤيته عيانا (وليس في العقل ما يحيلها) أي ما يقتضي أنها مستحيلة ثم ذكر دليلا نقليا يؤيد العقل فقال (والدليل على جوازها في الدنيا سؤال موسى عليه الصلاة والسلام لها) بقوله رب أرني أنظر إليك وموسى من أولي العزم لا يسأل من الله تعالى ما لا يجوز فلو لم يعتقد صحة ذلك ما سأله وإلا كان جهلا منه بأحوال الربوبية وهو مبرأ منه وكلامه في تحقيق الرؤية لا في وقوعها فقط فما قيل من أنه ليس الكلام في جوازها بل في وقوعها والفرق بينهما ظاهر والقائلون بامتناعها لهم أدلة على مقالهم وإن كانت مردودة والقائلون بالجواز العقلي ذاهبون للمنع الشرعي ولذا قال النسفي رؤية الله في الدنيا جائزة عقلا ممتنعة شرعا والمصنف بصدد اثبات الوقوع له صلى الله تعالى عليه وسلم وهو أمر نقلي لا مجال للعقل فيه فكلامه خارج عن المطلوب الآن يقال إنه استطرادي انتهى ليس بشيء لأنه إن لم يثبت الجواز لا يثبت الوقوع والوقوع أمر نقلي قد بينه أولا ثم حقق ما يتوقف عليه من الجواز عقلا وما نقله عن النسفي مخالف لما ارتضاه المصنف وإذا كان هذا نقليا وثبت نقله كيف لا يكون عقليا فما ذكره كلام مموه تركه خير منه وما ذكره المصنف هو دليل أهل السنة على جواز رؤيته تعالى والمعتزلة يقولون لم يسأله لجوازه عنده بل لتبكيت القائلين له أرنا الله جهرة (ومحال أن يجهل نبي ما يجوز على الله تعالى وما لا يجوز عليه) بتنوين نبي للتنكير والتعميم أي أي نبي كان فكيف بالكليم عليه الصلاة والسلام وقيل إنه للتعظيم أي نبي عظيم من أولي العزم كبار الرسل والاستحالة عادة مقررة وعقلا لأنه بعث لتعليم أمته الشريعة والعقائد الحقة وهي معرفة ما يجوز على الله ويمتنع فلو جهل ذلك كان الله

(وقال) أي الاشعري (كل آية) أي معجزة (أوتيها نبي من الانبياء عليهم السلام فقد أوتي مثلها) أي حقيقة ونظيرها صورة (نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وخص من بينهم بتفضيل الرؤية) أي بزيادة حصول الرؤية واللقاء ووصول الدرجة العلياء في ليلة الاسراء (ووقف) أي توقف (بعض مشايخنا) جمع مشيخة وهو القياس أو شيخ على غير قياس (في هذا) أي في ذلك كما في نسخة (وقال ليس عليه دليل واضح) أي على ثبوت وقوعه (ولكنه جائز أن يكون) أي وجائز أن لا يكون وهذا يحتمل أن يكون من كلام القاضي وأن يكون من كلام الاشعري (قال القاضي أبو الفضل رحمه الله) أي المصنف (والحق الذي لا امتراء) افتعال من المرية أي لا شك (فيه أن رؤيته تعالى في الدنيا جائزة عقلا وليس في العقل ما يحيلها) أي شيء من توهم واحتمال يحكم باستحالتها لجزمه بجواز وقوعها فيها (والدليل على جوازها في الدنيا سؤال موسى لها) أي حيث قال رب أرني أنظر إليك مع اعتقاده أنه تعالى يجوز أن يرى فيها فسألها (ومحال) بضم الميم أي ومن المحال (أن يجهل نبي ما يجوز على الله وما لا يجوز عليه

بل لم يسأل الاجائزا غير محال) أي غير مستحيل كما في نسخة لاستحالة سؤال الانبياء ما يكون من المحال (ولكن وقوعه ومشاهدته) أي لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم خاصة (من الغيب الذي لا يعلمه الا من علمه الله تعالى) بتشديد اللام أي أطلعه اياه (فقال له الله تعالى) أي لموسى أي غير ناف للجواز (لن تراني) أي دون لن أرى المؤذن بنفيه أي المشعر بنفي جوازه بل فيه ما يدل على نفي وقوعه فقط حيث قال لن تراني (أي لن تطيق) أي تحمل تجلياتي (ولن تحتمل رؤيتي) أي في الدنيا لانها دار الفناء واللقاء انما يكون في دار البقاء وحال الاسراء بعد من أمر الآخرة بدليل الكشوفات الذاخرة والمقامات الفاخرة المقتضية لخرق العادة في قوة بنية نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم في تلك الحالة (ثم ضرب) أي بين (له مثالا) وفي نسخة مثلا (مما هو أقوى من بنية موسى) بكسر موحدة وسكون نون فتحتية أي من تركيب بناء جسده وأعضاء جسمه (وأثبت) تفسير لاقوى (وهو الجبل) أي بحسب الهيكل الصوري حيث قال ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني (وكل هذا ليس فيه ما يحيل رؤيته في الدنيا) أي يقتضي ردها ويروى وقوعها محالا (بل فيه جوازها على الجملة) أي دليل جواز وقوعها في الجملة حيث علق وقوع رؤيته على استقرار الجبل في مكانه بعد تجلي رؤيته والتعليق بالممكن يفيد الامكان اذ معنى التعليق هو ان يقع على تقدير وقوع المعلق عليه والمحال لا يقع على تقدير أصلا (وليس في الشرع) أي في الكتاب والسنة (دليل قاطع على استحالتها) أي استحالة جوازها (ولا امتناعها) أي ولا دليل على امتناع وجودها (اذ كل موجود) أي لانه سبحانه وتعالى موجود بل واجب الوجود وكل موجود جائز الرؤية (فرؤيته جائزة غير مستحيلة) كما قال الاشعري (ولا حجة لمن استدل على منعها) أي امتناع جوازها (بقوله تعالى لا تدركه الابصار لاختلاف التاويلات في

أمر الله بما لا يعلمه وهو محال لانه اما جهل أو عبث والمعتزلة يقولون انما يلزم هذا لو كان سؤالا حقيقيا اما لو كان لالزام غيره أو تبكيته لمن سأله من قومه فلا وهذا مردود لان السياق يأباه وتفصيله في علم الكلام (بل لم يسأل) موسى من الله تعالى (الاجائزا غير مستحيل) لان سؤال المحال من مثله محال وكونه سأله مع علمه باستحالتها ليتأكد الدليل العقلي بالسمع وليطمئن قلبه كما قال ابراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى ثم قال ليطمئن قلبي فان العلم يتفاوت قوة وضعفا مردود بان تفاوته غير مسلم والخليل لم يسأله لذلك وانما كان علم ان الله متخذا خليلا يحيي الموتى بدعائه فسأل ذلك ليعلم أهو هو أم لا ولو سلم فلا يلزم طلب ما لا يجوز وينافي الادب عنده بهذه الطريقة اذ له ان يقول رب بين لي علم ذلك جوازا أو استحالة (ولكن وقوعه ومشاهدته من الغيب) أي جوازه مقرر ثابت ووقوعه له دون غيره بمشاهدة ربه أمر مغيب عن كل أحد كسائر المغيبات الجائزة كالخمس وغيرها فالغيب بمعنى المغيب عن البشر (الذي لا يعلمه الا من علمه الله) باخباره به واطلاعه على حاله وقوعا وعدمه مطلقا وفي بعض الاحوال فلذا أعلمه الله به (فقال له الله لن تراني) أي الرؤيا جائزة ولكنك لا تصل اليها في الدنيا (أي لن تطيق) أي تقدر (ولا تحتمل رؤيتي) أي لا تقوى عليها في هذه الحالة وهذا كله مما يدل على الجواز (ثم ضرب له مثالا) أي أتى له بمثال من المخلوقات فانه لا يطيق تجلي الله عيانا لينكشف له أمرها ويعلم حاله من حال غيره (مما هو) وفي بعض النسخ مما تعلقا بضرب (أقوى من بنية موسى وأثبت) أي أشد قوة وأكثر ثباتا وبنية بكسر الباء الموحدة وسكون النون الخلقة والتركيب (وهو الجبل) في قوله ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني فلما لم يثبت الاقوى علم عدم ثباته بالطريق الاولى ولما كان استقرار الجبل ممكنا كان ما علق عليه ممكن أيضا فعلم منه جواز الرؤية والى ذلك أشار بقوله (وكل هذا ليس فيه ما يحيل رؤيته في الدنيا) أي يقتضي استحالتها فيها (بل فيه) ما يقتضي (جوازها على الجملة) كما سمعته آنفا من ان سؤاله وتعليقه بالممكن يقتضي امكانه وقوله على الجملة بمعنى انه بطريق الاجمال لا التفصيل فانه من قبيل اشارة النص والمعروف في كلامهم في الجملة والمعنى واحد لان المراد جواز اقتضائه على طريق الاجمال (وليس في الشرع دليل قاطع على استحالتها ولا) دليل قاطع على (امتناعها) وان لم تكن مستحيلة فلا دليل على امتناع وقوعها مطلقا أو في الدنيا (اذ كل موجود) في الخارج جوهرا كان أو عرضا لا في العلم والذهن كما قيل لتصور الممتنعات وهو تعليل الجواز لان اذ تاتي للتعليل كما حققه النحاة وأهل المعاني والتعليق بالمشتق يقتضي عليه مبدأه فالعلة الوجود لا الحدوث وهو مشترك بين الباري تعالى وسائر الموجودات فكما تجوز رؤيتها تجوز رؤيته الا انه قيل انه يقتضي صحة رؤية نحو الاصوات والروائح والطعوم وكيفية الملموس فانها موجودة مع انها غير محسوسة بالبصر الا ان هذا الدليل منقول عن الاشعري وهو التزم جواز رؤيتها والكلام في الجواز لا الوقوع (فرؤيته جائزة غير مستحيلة) تفسير للجواز فانه قد يقابل الحرمة والوجوب (ولا حجة) مسلمة عند الخصم (لمن استدل على منعها) أي الرؤية (بقوله تعالى لا تدركه الابصار لاختلاف التاويلات في) هذه

الآية

(الآية) كما حققناه لك فلا افادة في الاعادة (واذ ليس) معطوف على قوله اذ كل موجود أو على قوله لاختلاف لان معناه ليس (يقتضي قول من قال) بمنعها (في الدنيا الاستحالة) مطلقا بل تخصيص الدنيا يقتضي وقوعه في الآخرة فيدل على الجواز في الدنيا وهذا رد على المعتزلة فان هذه الآية أعظم أدلتهم على نفي الرؤية في الدنيا والآخرة ثم بالغ في الرد عليهم بان ما استدلوا به عليهم لا لهم (وقد استدل بعضهم بهذه الآية) أي قوله لا تدركه الآية (نفسها على جواز الرؤية وعدم استحالتها على الجملة) كما يعلم من ذكره اختلاف التاويل وانما استدل بها لان نفي الشئ عند البلغاء يقتضي جوازه والا كان عبثا فلا يقال للحائط انه لا علم له والله تعالى قد ساق نفي ادراك الابصار في سياق المدح وانما يتمدح بامر ثبوتي كمالي لا بالعدم الصرف فكل نفي مدح به تضمن أمرا وجوديا كنفي السنة أو النوم المتضمن لكمال القيومة ونفي الموت المتضمن للحياة السرمدية فلو كان نفي الابصار معناه انه لا يرى أصلا كسائر المعدومات لم يكن فيه مدح بل المراد لا يحيط بعظمته وجلاله الابصار وهذا ما فهمه الصحابة رضي الله عنهم ولذا فسره ابن عباس رضي الله تعالى عنهما بلا تحيط به الابصار كما ذكره المصنف وكذا ذكره غيره فنفي الاحاطة تفسير للرؤية بدونها أو المراد العموم أي لا تراه جميع الابصار فان منها ما حجبه فهي سالبة في قوة موجبة جزئية كما مر واليه أشار بقوله (وقد قيل لا تدركه أبصار الكفار وقيل) معنى (لا تدركه الابصار لا تحيط به وهو قول ابن عباس) لانه كما قيل يحتمل ان يكون رفعا للايجاب الكلي بان لا يلاحظ الايجاب الكلي أو الاثم يرد عليه النفي وحينئذ لا احتجاج لهم علينا فانا قائلون بان الكفار لا يرونه أو المنفي ادراك بتقليب الحدقة نحو المرئي فانه المتبادر من اطلاق ادراك البصر وهو المعتاد وانما يحتاج لهذا اذا كان تعريف الابصار استغراقيا والا تكون القضية سالبة مهملة فهي في قوة السالبة الجزئية كما تقرر بمعنى لا تدركه بعض الابصار وتخصيص النفي بالبعض يدل بالمفهوم على الاثبات للبعض فالآية حجة لنا وعلى تقدير تسليم عمومها للاشخاص لا نسلم عمومها للاوقات لانها سالبة مطلقة وهي أعم من السالبة الدائمة وما ذكر من ان تدركه الابصار موجبة مطلقة فنقيضها سالبة دائمة ممنوع لجواز كون الامر بالعكس بل الظاهر عكسه أقول كونه دالا بالمفهوم على الاثبات للبعض قال بعضهم فيه نظر لان القضية المهملة والدالة على رفع الايجاب الكلي ليس صريح مفهومها السلب الجزئي والتعرض للنفي عن البعض بل السلب الجزئي لازم معناها الصريح المحتمل للسلب الكلي والجزئي مع الايجاب للبعض فبمجرد كون مفهومها مستلزما للسلب الجزئي لا يدل مفهومه على مفهوم السلب الجزئي فلا حجة لنا فيه وانما يكون حجة ان لو كان صريح مفهوم القضية (وقد قيل) في بعض التاويلات (لا تدركه الابصار) نفسها (وانما يدركه المبصرون) يعني ان الادراك نوع من العلم وهو صفة الناظر حقيقة لا نفس النظر فانه واسطة دالة ولا يخفى ركاكة هذا التاويل وان كانت عهدته على قائله (وكل هذه التاويلات) السالفة (لا تقتضي منع الرؤية ولا استحالتها) بل جوازها كما مر فلا حجة فيها (وكذلك لا حجة لهم بقوله تعالى لن تراني الآية) التي استدل بها بعض المعتزلة وقال ان للنفي المؤيد والمؤكد فاذا نفي عن موسى عليه الصلاة والسلام فغيره يعلم بالطريق الاولى وقد رد بانها للنفي في المستقبل فقط وكلام الله تعالى وغيره دال عليه كما أثبته النحاة مما هو مشهور في كتبهم ونفي الرؤية عنه لا يدل على نفيها عن غيره لانه نفي مخصوص فلا دليل لهم فيه (وقوله تبت اليك) من سؤال الرؤية المقتضي لانه محال وطلب ما لا يليق

(الآية) أي ومع الاحتمال لا يصح ان يكون حجة اذ قد قيل المراد بالادراك الاحاطة ولا يلزم منه نفي مطلق الرؤية وقيل ليس عاما في الاوقات فيخص ببعضها ضرورة الجمع بين الادلة ولا في الاشخاص اذ هو في قوة قولك لا كل بصر يدركه فيخص ببعضهم لقوله تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون وقد أغرب عز الدين بن عبد السلام في قوله لا تراه الملائكة (واذ ليس) عطف على الاختلاف وقيل على قوله كل موجود ولا يخفى بعده أي ولانه (لا يقتضي قول من قال في الدنيا) أي بمنعها في الدنيا (الاستحالة) أي للرؤية لانه ليس نصا في المنع بل أخذ بتاويل واحتمال لا يقتضي الاستحالة (وقد استدل بعضهم بهذه الآية) أي آية لا تدركه الابصار (نفسها على جواز الرؤية وعدم استحالة على الجملة) اذ مفهوم نفي الاحاطة جواز الرؤية (وقد قيل) أي في تاويل الآية (لا تدركه الابصار ابصار الكفار) على ان اللام للعهد بقرينة قوله كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون (وقيل لا تدركه الابصار لا تحيط به) أي كما مر مرارا (وهو قول ابن عباس وقد قيل) أي في التاويلات (لا تدركه الابصار) أي أنفسها (وانما يدركه المبصرون) أي بسببها أو بقوة الهيئة فيها وهو بضم الميم واسكان الباء وكسر الصاد قال تعالى فمن أبصر فلنفسه والمعنى ان الادراك انما يكون للمبصر بواسطة البصر لا للبصر نفسه (وكل هذه التاويلات لا تقتضي منع الرؤية ولا استحالتها) أي بل تقتضي جوازها (وكذلك لا حجة لهم) أي على منعها (بقوله لن تراني الآية وقوله تبت اليك)

(لما قدمناه) أي للتأويل الذي قدمناه وهو قوله أي لن تطيق عما يؤذون بجوازها كسؤال موسى اياها (ولانها) أي آية لن تراني
(ليست على العموم) وفي نسخة من العموم أي في نفيها لجميع افراد الانسان في جميع الازمان لجواز أن يراه غير موسى عما يخلق الله
فيه استعدادا لها في آياتها كليلة الاسراء فان لن لنفي المستقبل فقط ولا تفيد توكيد النفي في الاستقبال ولا تأبيده على ما عليه أهل السنة
خلافا للزمخشري وأهل الاعتزال حيث يدعون انها تفيد التوكيد أو التأبيد ورد بقوله تعالى ولن يتمنوه أبدا وبقوله فلن أكلم اليوم

أنسيا اذ يلزم تكرار الابد وعدم فائدة التقييد باليوم (ولان من قال معناها لن تراني في الدنيا انما هو تأويل) أي

فهو ذنب وسيأتي جوابه (لما قدمناه) من أدلة الجواز الصريحة المقتضية لتأويل هذه الآية (ولانها) أي هذه الآية (ليست على العموم) بل مخصوصة بموسى عليه الصلاة والسلام في المستقبل والنفي الخامس لا يدل على عموم ولا استحالة (ولان من قال معناها ان تراني في الدنيا انما هو تأويل) فلا دليل فيه على مدعاهم العام ولا على الاستحالة فان القائل بين معنى الآية ولم يذكر انه تفسير مأثور ولا انه برهان على المنع العقلي والعموم فلا حجة فيه (وأيضا ليس فيه نص الامتناع) أي صريح عموم امتناع الرؤية لكل أحد (وانما جاءت في حق موسى عليه الصلاة والسلام) أي ان آية لن تراني مخصوصة بموسى عليه الصلاة والسلام فكيف يستدل بها على امتناع الرؤية مطلقا في الدنيا وغيرها يقظة ومناما كما ذهب اليه المعتزلة ولا يلزم من نفي الوقوع نفي الجواز الذي نحن بصدد اثباته (وحيث تتطرق التأويلات) أي اذا أمكن تأويل ما استدلوا به (وتتسلط الاحتمالات) أي توجد احتمالات في الدليل (فليس للقطع به سبيل) فلا يصح القطع والجزم بما استدل كما قالوا اذا ظهر الاحتمال سقط الاستدلال وفيما استدلوا به على امتناع الرؤية أمور كثيرة ذكرها المفسرون والمتكلمون كما قدمه المصنف وأصل معنى التطرق وجود الطريق وسلوكه فشبه التأويلات بصاحب مطلب وجد الطريق اليه على سبيل الاستعارة التبعية أو المكنية والتخييلية وكذا في التسلط لانه من السلاطة وهي القهر والغلبة قال الله تعالى ولو شاء الله لسلطهم عليكم ومنه السلطان كما قاله الراغب وغيره من أهل اللغة وقيل يتطرق من الطرق وهو الخلط أو من التطارق وهو التتابع والازدحام وهو عبارة عن كثرتها وهو قريب من التسلط (وقوله تعالى تبت اليك) الذي استدلوا به على انه دال على امتناعه عقلا لعدهم سؤال الرؤية ذنبا لاستحالتها لادلالة على مدعاهم لان له تفسيرا آخر (أي من سؤالي مالم تقدره لي) في الدنيا في ذلك الوقت لحكمة خفية لما غشيه من أنوار عظمته حتى صعق كما يقول من فعل أمرا جائزا اعتراه منه مشقة عظيمة تبت عن مثل هذا كما قال ابن نباتة السعدي

أأمل ماء ولا لغير صدودها * فوا خجلتي اني الى الحد تائب

وتقدر بضم المثناة وتشديد الدال وتخفيفها (وقد قال أبو بكر الهذلي) الامام العلامة تلميذ ابن القوطية صاحب الافعال كان من الادباء الظرفاء وله شعر بديع (في) تفسير (قوله تعالى لن تراني أي ليس لبشر أن يطيق) أي يقدر (ان ينظر الي في الدنيا وانه من نظر الي) فيها (مات) وقيل هذا ماخوذ من قوله تعالى وخر موسى صعقا فانه يدل على ان القوى البشرية لا تطيق النظر في الدنيا لسبحات جلاله الا من أقدره الله تعالى واذا لم يطق ذلك مثل موسى عليه الصلاة والسلام فغيره يموت بغتة لخوفه أو لاحراق سبحات النور له وفي هذا دليل على جواز وقوعه في الدنيا لكنه من وقع له فيها لا يعيش كما قيل ان من رأى الملك في الدنيا يعمى كما نقل عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وان قيل انه لم يصح والمراد غير الانبياء هنا

عما لا يقتضي استحالة ولا منعا فيها مطلقا لجواز اختصاص المنع فيها بموسى دون غيره على انه قد يقال ان حالة الاسراء عما لا يعد من احوال الدنيا بل انما هي من مقامات العقبى أو حالة أخرى كالبرزخ (وأيضا ليس) وفي نسخة فليس (فيه) أي في قوله تعالى لن تراني (نص الامتناع) أي من الرؤية مطلقا (وانما جاءت) أي آية لن تراني مفصحة بامتناعها (في حق موسى) أي خصوصا ولا يلزم من منع الخصوص منع العموم مع انه قابل للتقييد بذلك المكان والزمان (وحيث تطرق التأويلات) بحذف احدى التائين أي تردد وتتابع وتزاحم ويؤيده انه في نسخة تتطرق ويقويه قوله وتتسلط الاحتمالات) عطف تفسير (فليس للقطع) أي لقطع المنع (اليه) أي الى امتناع الرؤية (سبيل) أي طريق ودليل (وقوله تبت اليك) أي ماول بقولهم (وقد
(أي من سؤالي) أي من الاقدام على دعائي (مالم تقدر لي) روي بضم التاء وفتحها وفتح القاف فلا يلائم الا مع ضم التاء وتشديد الدال فيكون المعنى مالم تقدره لي في الازل وكتبته علي في سابق علمك وأما سكونها فمعناها لم تجعله في قدرتي ووسعي كذا ذكر التلمساني (وقال أبو بكر الهذلي) بضم هاء وفتح ذال معجمة (في قوله لن تراني أي ليس لبشر أن يطيق ان ينظر الي في الدنيا) أي والاسراء ليس من الدنيا بل من الاخرى (وانه) أي الشان (من نظر الي) أي في الدنيا (مات) أي في الحال بدليل صعق موسى حين رأى الجبل قال المزي ويؤيده ما في مسلم من حديث الدجال فاعلموا انه أعور وان الله سبحانه تعالى ليس باعور وان أحدا منكم لن يرى ربه حتى يموت

(وقد رأيت لبعض السلف والمتأخرين ما معناه ان رؤيته تعالى في الدنيا ممتنعة) أي لا من حيث ذاتها الثبوت جوازها فيها كما مر الكلام عليها وانما امتنعت فيها (لضعف تراكيب أهل الدنيا) أي بنيتهم (وقواهم) بضم القاف وتخفيف الواو أي حواسهم (وكونها متغيرة عرضا) بفتحتين وضبطه بعضهم بفتح الغين المعجمة والراء والضاد المعجمة أي هدفا فالانسان غرض والآفات سهام وفي نسخة صحيحة وكونها عرضة بتشديد الراء المفتوحة أي هدفا (للآفات) من نوائب مقلقة ونوائب للاكباد مقلقة تقتضي نقصانها (والفناء) أي مما يوجب زوالها (فلم تكن لهم قوة على الرؤية) أي في الدنيا (فاذا كان) أي الشأن (في الآخرة وركبوا تركيبا آخر) أي أقوى وأبقى من الاول (ورزقوا قوى) بضم وتخفيف قاف منونا جمع قوة أي ٢٩٧ أعطوا حواس وفي نسخة قوة (ثابتة)

(وقد رأيت لبعض السلف) من المتقدمين (و) لبعض (المتأخرين ما معناه ان رؤيته تعالى في الدنيا ممتنعة) لمانع منها لا لذاتها من حيث هي هي لما مر من جوازها عقلا فامتناعها لعارض (لضعف تراكيب أهل الدنيا) أي لضعف ابدانهم المركبة كما قال الله تعالى خلق الانسان ضعيفا (وقواهم) جمع قوة وهي أمر أودعه الله تعالى في البدن بها الادراك والمراد به المعنى اللغوي (وكونها) أي التراكيب والقوى أو هو راجع للقوى فقط (متغيرة) بالازدياد في أول أمرها ثم التنزل والنقص بعده وذلك يدل على ضعفها (غرضا للآفات) هو حال أو خبر بعد خبر للكون ولم يعطف لكونه سببا لما قبله وقيل لكمال الاتصال بينهما وفيه ان ذلك مخصوص بالجمل كما حقق في مباحث الفصل والوصل والغرض بالغين والضاد المعجمتين أصله الهدف الذي ينصب لرمي السهام فشبه الجسد بهدف وآفات الدهر ومصائبه كسهام لا تزال ترمى بها حتى يفنى كما قال أبو العتاهية

ان الفتى لغرض الآلام * يرميه نبل الدهر والايام * يصيبه رام ويخطى رام

ويجوز ان يكون بالعين المهملة أي معرضا لها ولكن الاول أصح رواية ودراية وقال التلمساني روي معترضة بدل قوله متغيرة أي ذات اعراض وهي الآفات والامراض أو من العرضة أي متعرضة للآفات وقيد بعضهم عرضا بفتح العين المهملة أي منصوبا بالآفات مقابلا لها كالهدف والآفة والعاهة كل ما يعرض لشيء فيفسده (والفناء) بفتح الفاء والمد وهو الزوال والعدم (فلم يكن لهم قوة على الرؤية) لضعف أبدانهم وقواهم في الدنيا (فاذا كان في الآخرة) أي اذا أحياهم الله تعالى وأدخلهم دار البقاء (وركبوا تركيبا آخر) غير تركيبهم الاول (ورزقوا قوى ثانية) بمثلثة ونون ومثناة تحتية أي قوى غير القوى الاولى الدنيوية وفي بعض النسخ ثابتة بموحدة ومثناة فوقية فقوله (باقية) تفسير له أي مخلدة لا تفنى لقوة تركيبها وتمام قواها (وأتم انوار أبصارهم وقلوبهم) أي جعلها تامة كاملة مستعدة للبقاء السرمدي (قووا بها على الرؤية) جواب اذا والضمير راجع للمذكورات من التركيب والقوى والانوار التي منحها الله تعالى لهم في الآخرة فهذا يدل على وقوع الرؤية في الآخرة وجوازها في الدنيا لانه لو رزقهم ذلك في الدنيا صح ذلك منهم أيضا ولذا شق صدر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم واودع فيه ما قوي به على ذلك كما تقدم وهذا كما أوحي لايوب عليه الصلاة والسلام قال عطاء أوحى الله لايوب انك لتنظر الى غدا فقال يارب أفبهاتين العينين فقال أجعل لك عينين باقيتين فينظر الى البقاء بالبقاء (وروى) وفي نسخ وقد رأيت (نحو هذا لمالك بن أنس) رحمه الله تعالى (قال لم ير) بضم التحتية ونائب الفاعل عائد على الله (لانه باق ولا يرى الباقي بالفاني فاذا كان) النظر أو الناظر (في الآخرة

من الثبوت وفي نسخة ثانية بالنون والياء (باقية) أي تامة وافية (وأتم) بصيغة الفاعل أو المفعول أي أكمل (الله أنوار أبصارهم) أي الظاهرة (وقلوبهم) أي وبصائرهم الباطنة (قووا بها) بفتح قاف وضم واو وأصله قويوا فاعل بالنقل والحذف وهو جواب الشرط أي صاروا ذوي قوة في الآخرة (على الرؤية) وهذا أمر ظاهر وقول باهر ولا غبار عليه ولا شقاق لديه اذ لا مرية ان الله تعالى يخلقهم في العقبى على خلق أكمل منهم في الدنيا من جهة جميع القوى كما جاءت الاخبار فيه في الاكل والشرب والجماع وغير ذلك فلا ينكر زيادة قوة السامعة والباصرة ونحوهما هنالك لاسيما وقد نفى في الشرع اثبات الرؤية للعامة في الدنيا

(٣٨ - شفا ني) وأثبتها للخاصة في العقبى فلا بد من الجمع بين الادلة كما هو دأب الائمة وهو لا ينافي استواء القدرة الكاملة في حالتي الراهنة والمستقبلة الشاملة فاندفع قول الدلجي وهذا منهم دعوى بلا بينة اذ القادر على خلق ذلك لهم في الآخرة قادر على خلقه لهم في الدنيا فلا وجه لتخصيص ذلك بالآخرة ولا دليل عليه اذ الرؤية مجرد خلقه غير مشروطة بشيء (وقد رأيت نحو هذا) أي مثل هذا القول المنقول عن بعض السلف بعينه (لمالك بن أنس) وهو امام المذهب (رحمه الله قال لم ير) بصيغة المجهول أي ما يرى الله سبحانه وتعالى (في الدنيا لانه) أي الله تعالى (باق ولا يرى الباقي بالفاني) أي بالحس الفاني أو بالمكان الفاني (فاذا كان) أي أمر الرؤية (في الآخرة

ورزقوا أبصارا باقية) أي وبصائر قوية (رؤى الباقي بالباقي) وضبط الانطاكي رئ بكسر الراء وسكون الياء ثم بهمزة على بناء المجهول (وهذا) أي الذي قاله مالك وماسبق هنالك (كلام حسن مليح) أي ومرام مستحسن صريح ولا عبرة بمنع الدلجي هذه العلة (وليس هو) أي امتناعه وفي نسخة صحيحة وليس فيه أي في امتناعه في الدنيا (دليل على الاستحالة) أي على كونه محالا في العقبى أو مطلقا أو في ذاته بل ليس امتناعه واستحالته (الا من حيث ضعف القدرة) أي قدرة العبد وضعف بنيته وفناء حالته وقوته (فاذا قوى الله تعالى من شاء من عباده) أي على ماشاء من مراده (وأقدره) وفي أصل الدلجي قدره بتشديد الدال أي وجعله قادرا (على حمل اعباء الرؤية) بفتح الهمزة وسكون العين فموحدة بعدها ألف ممدودة جمع عبئ بالكسر وهو الحمل الثقيل ومنه العباء أي تحمل اثقالها تحت تجلي جمالها وجلالها (لم تمتنع) أي الرؤية (في حقه) أي في أي وقت كان وفي أي شخص بان روى ابن عطاء ان الله سبحانه وتعالى أوحى الى أيوب عليه السلام انك

لتنظر الى غدا فقال يارب أبها تين العينين فقال أجعل لك عينين يقال لهما عينا البقاء فتنظر الى البقاء بالبقاء وحكي انه دخل على ابن الماجشون رجل ينكر حديث القيامة وان الله يأتيهم في صورته فقال له يابني ماتنكر من هذا فقال ان الله تعالى أعظم من ان يرى في هذه الصفة فقال ياأحمق ان الله تعالى ليس تتغير عظمته ولكن تتغير عيناك حتى تراه كيف شاء فقال الرجل أتوب اليه ورجع عما كان عليه (وقد تقدم ماذكر في قوة بصر موسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام ونفوذ ادراكهما) بالذال المعجمة أي مضيه وبلوغه (بقوة الهية منحاها) بصيغة المجهول أي أعطياها (لادراك ما أدركاه ورؤية مارأياه) أي في الجملة

ادراكا

اذ رؤية موسى كانت مترتبة على النظر حين تجلي الرب على الجبل بخلاف رؤية نبينا الاكمل (والله تعالى أعلم) أي بحقيقة الحال وحقيقة المآل (وقد ذكر القاضي أبو بكر) يعني الباقلاني لان القاضي أبا بكر بن العربي معاصر للمصنف اذ مولده سنة ثمان وستين وأربعمائة ومماته سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة ومولد المصنف سنة ست وسبعين وأربعمائة ومماته سنة أربع وأربعين وخمسمائة ذكر الشمني ونسبه بالنون على غير قياس اذ القياس ان يقال بالهمز بدله (في أثناء أجوبته عن الآيتين) الدالتين على نفي الرؤية وهما لا تدركه الأبصار ولن تراني (مامعناه) أي الذي مؤداه لا لفظه ومبناه (ان موسى عليه الصلاة والسلام رأى الله تعالى) أي بواسطة تجلي ربه للجبل (فلذلك خر) بتشديد الراء (صعقا) بفتح فكسر وروي بفتحتين أي سقط مغشيا عليه والا فالصعق بمجرد رؤية الجبل كاد بعيدا في النظر السديد (وان الجبل رأى ربه

و رزقوا أبصارا باقية رؤى الباقي بالباقي) ظاهره ان البقاء الابدي علة لصحة الرؤية والفناء مانع ولامدخل للبقاء في الرؤية كما ان الفناء والحدوث لامدخل له في المنع لان الرؤية بخلق الله وليست مشروطة بشئ عند أهل السنة فكأنه أراد أن البقاء يلزمه قوة التركيب والقوى المعدة لصحة النظر فيكون بمعنى ماقبله ولذا قيل أن مراده أن الرائي والمرئي لابد أن يكون بينهما مناسبة وأبصار هذه الدار فانية فاذا عادت وكساها الله صفة دوام البقاء تحملت رؤية الحي القيوم للمناسبة في الجملة وان كان بقاؤه قديما ذاتيا وبقاؤها طارعرضي وهو كلام اقناعي (وهذا كلام حسن مليح) عنده على مافيه (وليس فيه دليل على الاستحالة) والامتناع عقلا بل هو دال على الجواز اذ لامانع منه (الا من حيث ضعف القدرة) البشرية في الدنيا (فاذا قوى الله من شاء من عباده) بان رزقه قوة تطيق ذلك (وأقدره على حمل اعباء الرؤية) أي جعل له قدرة وطاقة على رؤيته ومشاهدته والاعباء جمع عبء بكسر العين المهملة وسكون الموحدة وهمزة وهو الحمل الثقيل وهو في المحسوسات حقيقة فاستعيرت للمعاني (لم تمتنع) الرؤية (في حقه) لتمكنه منها بما منحه من القوة (وقد تقدم ماذكر في قوة بصر موسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام ونفوذ ادراكهما) بذال معجمة أي خروجه وبلوغه (بقوة الهية منحاها) بضم أوله مبني للمجهول أي أعطياها (لادراك ماأدركاه ورؤية مارأياه والله أعلم) بحقيقة ذلك (وقد ذكر القاضي أبو بكر) محمد بن الطيب امام أهل السنة الباقلاني بالنون نسبة الى الباقلاء على خلاف القياس كالصنعاني توفي سنة ثلاث وأربعمائة وقيل ثلاث وتسعين وثلاثمائة قالوا وليس هو الامام أبو بكر بن محمد بن العربي شيخ المصنف (في أثناء أجوبته عن الآيتين) أي في خلال كلامه في الجواب عما استدل به المانعون من الآيتين لاتدركه الابصار ولن تراني (مامعناه) ماموصولة أو موصوفة مفعول ذكر اشارة الى انه رواية عنه بالمعنى دون اللفظ والعبارة (ان موسى عليه الصلاة والسلام رأى الله فلذلك خر صعقا) مغشيا عليه مع صحته لانه وقوع مثل هذا بمجرد رؤية الجبل دكا بعيد وان جاز أن يكون لتجليه وظهور أنواره لكن هذا مناف لظاهر قوله لن تراني وقوله أنظر الى الجبل ولما نقله المصنف أولا من ان الله قسم الكلام والرؤية بين موسى ومحمد صلى الله تعالى عليه وسلم (وان الجبل) أيضا (رأى ربه) أي خلق فيه

فصار دكا) أي مدكوكا مدقوقا (بادراك) متعلق برأى (خلقه الله تعالى له) أي في الجبل كما نقله الماتريدي عن الاشعري وقال الامام الرازي في المعلم خلق الله تعالى في الجبل حياة وعقلا وفهما وخلق فيه الرؤية فرأى بها (واستنبط) أي القاضي أبو بكر (ذلك) أي رويتهما ربهما (والله تعالى اعلم من قوله ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه) أي وبقي على

حاله وشانه عند تجلي ربه (فسوف تراني ثم قال فلما تجلى ربه للجبل) أي بلا كيف (جعله دكا وخر موسى صعقا وتجليه للجبل هو ظهوره له) أي ظهورا تاما بلا كيف (حتى رآه) أي بناء (على هذا القول) أي الذي عزاه القاضي أبو بكر (وقال جعفر) أي الصادق (ابن محمد) أي الباقر في حكمة الواسطة في الرؤية (شغله) أي سبحانه وتعالى أي موسى (بالجبل حتى تجلى) الاظهر حين تجلى (ولولا ذلك) أي الشغل بالجبل (لمات) أي موسى (صعقا بلا افاقة) أي بعده مطلقا قال المصنف (وقوله هذا) أي قول جعفر (يدل على ان موسى رآه) أي روية بواسطة من وراء حجاب فلا ينافي قوله تعالى لن تراني بلا واسطة وهذا جمع سديد وقد أبعد الدلجي بقوله هنا وهذا بعيد (وقد وقع لبعض المفسرين) أي حيث

قال (في الجبل) أي في حقه (انه رآه) أي رأى تجلي ربه بادراك وعلم خلقه في خلقته فاندك اذ الدك بمجرد التجلي بلا ادراك بعيد كيف وقد نقل الماتريدي عن الاشعري ان معنى التجلي ان الله تعالى خلق فيه حياة وعلما ورؤية فرآه وهذا نص منهما على اثباتها كذا ذكره الدلجي (وبرؤية الجبل له) أي لربه تعالى (استدل من قال برؤية نبينا له) أي الله سبحانه وتعالى

ادراكا وحياة (فصار دكا) أي انهد حتى صار ترابا من هيبة الله وذلك (بادراك خلقه الله له) كما نقله الماتريدي عن الاشعري رحمهما الله تعالى وهذا مما يدل على جواز الرؤية لان الذي قدر الجماد على ذلك كيف لا يقدر كل البشر (واستنبط) أي استخرج (ذلك) وأصل الاستنباط استخراج الماء من البئر فاطلق على مطلق الاستخراج أو استعارة له وذلك اشارة لرؤية موسى عليه الصلاة والسلام ورؤية الجبل (والله اعلم) فيه اشارة الى انه لم يصرح به (من قوله تعالى ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني ثم قال فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا) أي مدكوكا والدك والدق متقاربان وفسر دكه بانه صار رملا أو ترابا وقيل غار وقيل استوى بالارض وقيل افترق فرقا قال الواحدي هذا الجبل يسمى زبير وليس هو الطور (وخر موسى صعقا) أي سقط صائحا مغشيا عليه من هول ما رآه من هذا الجبل (وتجليه للجبل هو ظهوره له حتى رآه) أي شاهد المتجلي ونوره فذاب كما يذوب الحديد من النار فلو لم يخلق له حياة وادراكا ورؤية لم يخف خوفا هده وفتته (على هذا القول) أي قول أبي بكر الباقلاني السابق بان موسى والجبل رأياه معا وهذا بناء على مذهب أهل السنة في انه يجوز خلق العلم والنظر في أي جرم أراد وليس من شرطه البنية والمزاج كما قاله المعتزلة فانه وهم باطل كما قاله ابن عرفة قيل هذا غير ظاهر لان التجلي لموسى لا للجبل وكون موسى خر صعقا انما هو لدكه الجبل وشدة وقوعه لا من تجلي الله له ورؤيته ويناسبه قوله (وقال جعفر) الصادق (بن محمد) المتقدم ترجمته (شغله) الله تعالى (بالجبل) وأصوات دكه حين أمر بالنظر اليه (حتى تجلى) أي ظهر ظهورا تاما لموسى عليه الصلاة والسلام فرآه (ولولا ذلك) أي اشتغاله بالجبل بان ظهر له نور التجلي ابتداء (لمات صعقا) بسكون العين وكسرها وعلى الاول هو تمييز وعلى الثاني حال (بلا افاقة) من صعقته وغشيه (وقوله هذا) أي قول جعفر (يدل على ان موسى عليه الصلاة والسلام رآه) كالجبل لانه معنى التجلي لانه لا يقال تجلى له الا اذا شاهده فما قيل من انه في غاية البعد لان التجلي الواقع في الآية انما هو للجبل لا لموسى عليه الصلاة والسلام غير متجه لان المصنف رحمه الله تعالى انما بنى كلامه على ما قاله هؤلاء وفهمه وهو الناقل لا عهدة عليه فان حاصله ان موسى لما سأل الرؤية في مناجاته لربه أمره بالنظر للجبل ليلهيه به اذا تجلى له ابتداء لم يهلك وتحرقه الانوار ويموت وهذا بناء على انه حين صعق لم يمت وذهب كثير من المفسرين الى انه مات ثم أحياه الله وما قاله هؤلاء مخالف لكلام المفسرين فانهم ذهبوا الى انه انما أمر موسى عليه الصلاة والسلام بالنظر للجبل ودكه ليعلم انه لا طاقة له على رؤيته تعالى فان ما لا تطيقه الجبال كيف تطيقه بنية الانسان (وقد وقع لبعض المفسرين) انه قال (في الجبل انه رآه) بحياة وادراك خلقه الله تعالى فيه فرآه وشاهده وقد نقله الماتريدي عن الاشعري وهو الظاهر من التجلي وان حملوه على معنى آخر قال في الكشاف في تفسيره فلما ظهر اقتداره وتصدى له أمره وارادته جعله دكا أي مدكوكا والظاهر انه عنده استعارة تمثيلية وقيل انه على حذف مضاف وفيه مجاز آخر حيث أسند التجلي للاقتدار وليس بشيء (وبرؤية الجبل له) أي الله عز وجل (استدل من قال برؤية نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم له) قيل الجبل ليس له ادراك ونظر الا انه يجوز ان يخلق الله فيه ذلك وليس جعله دكا متوقفا على الرؤية ومستلزما لها ولو كان كذلك قال فان رأى واستقر فانما دكه ليعلم موسى عدم طاقته لمشاهدة نور الانوار وفي الحقيقة جعله دليلا فيه ما فيه الا أن يقال معنى قوله

(اذجعله) أي جعل الله تعالى ماذكر من رؤية الجبل له (دليلا على الجواز) أي للرؤية قال الدلجى ذكر الضمير نظرا لما بعده والاولى ماقدمنا مع ان المصدر يؤنث ٣٠٠ ويذكر فتدبر (ولامرية) بكسر الميم وتضم أي ولاشك (في الجواز) أي جواز الرؤية (اذليس في الآيات) أي آية لاتدركه الابصار وآية لن تراني وآية فان استقر مكانه فسوف تراني (نص في المنع) أي للرؤية بل هي مشيرة الى الجواز في مقام المراد كما سبق عليه الكلام (وأما وجوبها) أي وجوب وقوعها (لنبينا) صلى الله تعالى عليه وسلم (والقول) أي الجزم (بانه رآه بعينه فليس فيه قاطع) أي من قواطع الادلة أي على وقوع الرؤية (ولانص) أي دليل صريح يعول في ثبوت وقوعه عليه (اذالمعول فيه) أي المعتمد عليه في هذا الاستدلال (على آيتي النجم) أي قوله تعالى ما كذب الفؤاد مارأى مازاغ البصر وماطغى والتنازع فيهما ماثور أي والاختلاف في معنى الآيتين بين الائمة في كتب التفسير والسير مذكور ومسطور (والاحتمال) أي العقلي والنقلي (لهما ممكن) أي من حيث دلالتهما على الرؤية وعدمها لعدم صراحتهما بها (ولاأثر قاطع متواتر عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه بذلك) أي بكونه رآه بعينه وفي نسخة صحيحة لذلك أي لما ذكر (وحديث ابن عباس رضي الله تعالى عنه) أي الذي تقدم من أنه رآه بعينه (خبرعن اعتقاده) أي الذي نشا عن استنباطه (ولم يسنده الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي حتى يعتبر

(اذجعله دليلا على الجواز) انه جعل تعليق الرؤية بامر ممكن في نفسه دليلا على جوازها فاذا كانت أمرا جائز الاحاجة لتاويل الاحاديث الواردة بانه صلى الله عليه وسلم رأى ربه (ولامرية) بكسر الميم وضمها معناها الشك والتردد (في الجواز) أي جواز الرؤية (اذليس في الآيات) التي استدل بها على عدمها كآية لاتدركه الابصار ولن تراني ونحوها (نص في المنع) للرؤية صريح فيه اذهي مأولة بل مشيرة للجواز كما مر (وأما وجوبه لنبينا صلى الله عليه وسلم) أي وجوب وقوع رويته لربه في الاسراء بعين رأسه واعترض عليه بانه لم يقل أحد بالوجوب وانما قيل بالجواز والوقوع والجواب بانه من خصائصه التي يجب اعتقادها تعسف وليس المراد وجوبه على الله حتى يقال انه لايجب عليه شئ وكل ذلك محض تفضل منه وقيل المراد وجوب الجواز لان الجائز عقلا اذا وقع في الخارج انقلب واجبا بالغير وان كان في حد ذاته ممكنا والمراد وقوع الرؤية انتهى ولايخفى مافيه من التعسف والتمحل الذي لايساعده العبارة وكون الجائز اذا وقع انقلب واجبا بالغير لامعنى له فالظاهر ان يقول ان الوجوب هنا بمعناه الاصطلاحي لانه لو ورد مصرحا به في نص قطعي من القرآن أو الحديث المتواتر أو المشهور وجب علينا اعتقاده ولايسع أحدا من أهل الملة ان يخالف فيه واليه أشار في آخر الفصل بقوله وجب المصير اليه ألاترى انه لما صح انه صلى الله تعالى عليه وسلم أخبر بالاسراء وورد في القرآن انه أسرى به من الحرم للبيت المقدس لايجوز انكاره سواء كان مناما أو يقظة أو هو بمعناه اللغوي وهو الوقوع فانه أصل معناه واطلاق الواجب على اللازم عقلا أو شرعا معنى عرفي منقول منه والمراد بالعرف فيه عرف اللغة وهذا مما صرح به أئمة اللغة والمصنف منهم قال الامام الراغب يقال وجبت الشمس اذا وقعت ومنه قوله فاذا وجبت جنوبها وقول الفقهاء الواجب اذا لم يفعل استحق عليه العقاب وصف له بما هو عارض له فيجري مجرى قولك الانسان اذا مشى مشى برجلين انتهى والى هذا أشار فقهاؤنا في الفرق بين الفرض والواجب فقوله (والقول بانه رآه بعينه) يشير اليه من طرف خفي فلا اشكال في كلامه وهذا يقع في مقابلة الجائز بمعنى الممكن بلا وقوع كما صرح به الراغب أيضا فلا يرد على ماقلنا ان وقوعه في مقابلة الجائز في كلامه يأباه فان هذا كله انما جاء من توهم انه أريد بهما ماقاله الفقهاء وقوله بعينه متعلق برآه أو توكيد للضمير ففيه صنعة من البديع وهي حسنة اذا جاءت أحيانا من غير تكلف لا كما يقصده بعض شعراء مصر فانه قبيح وهذا كقوله

رأيت من أهواه لما ان رما * فقلت هذا قاتلي بعينه

(فليس فيه قاطع) أي دليل قطعي (أيضا) أي كما ان المنع لم يقم لمدعيه دليل قطعي (ولانص) أي دليل صريح فيه من الكتاب والسنة (اذالمعول فيه) أي المعتمد في استدلالهم على وقوعه لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم (على آيتي) أي على آيتين في سورة (النجم) ما كذب الفؤاد مارأى ولقد رآه نزلة أخرى الآية * (والتنازع فيهما ماثور) أي النزاع في اطرادهما مامنقول عن سلف المفسرين والمتكلمين كما مر للقول بان الضمير لجبريل والرؤية له بصورته الاصلية (والاحتمال لهما ممكن) لعدم صراحتهما وقطعيتهما في المدعى (ولاأثر) أي حديث (قاطع متواتر عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك) أي بكونه صلى الله تعالى عليه وسلم رآه بعين رأسه (وحديث ابن عباس) رضي الله تعالى عنهما الموقوف عليه المتقدم الذي ذكر فيه انه رآه بعينه (خبر عن اعتقاده) أي أخبر به عما كان يعتقده بحسب ما أدى اليه علمه الجازم (ولم يسنده الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي لم ينقله عنه ويقول

(فيجب) بالنصب (العمل) وفي نسخة العلم (باعتقاد مضمنه) بتشديد الميم المفتوحة أي مفهومه ومضمونه من رؤية ربه بعينه (ومثله حديث أبي ذر في تفسير الآية) أي قوله رأى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ربه (وحديث معاذ) أي رأيت ربي في أحسن صورة (محتمل) بكسر الميم (للتاويل) أي على ما تقدم من انه رآه بفؤاده أو في منامه (وهو) أي والحال ان حديثه (مضطرب الاسناد والمتن) أي ومن المعلوم ان اضطراب أحدهما موجب لضعف الحديث فلا يصلح للاستدلال لا سيما مع ما سبق من الاحتمال ثم اضطرابه من حيث الاسناد فانه تارة يروى عن عبد الرحمن بن عابس الحضرمي مرسلا فان عبد الرحمن ليس بصحابي وتارة عن معاذ بن جبل واضطرابه من حيث المتن فانه رواه الطبري في كتابه باسناده عن مالك بن يخامر عن معاذ بن جبل قال احتبس علينا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن صلاة الغدوة حتى كادت الشمس تطلع فلما صلى الغدوة قال اني صليت الليلة ما قضي لي ووضعت جنبي في المسجد فاتاني ربي في أحسن صورة الحديث ورواه أحمد ابن حنبل على هذا السياق وفيه اني قمت من الليل فصليت ما قدر لي فنعست في صلاتي حتى استيقظت فاذا أنا بربي عز وجل في أحسن صورة الحديث فقد اختلف متن الحديث كما ترى وسياق الاسناد واحد والاختلاف في متن حديث واحد موجب للاضطراب (وحديث أبي ذر الآخر) بالرفع على انه صفة لحديث (مختلف) بكسر اللام أي من حيث اللفظ والمبنى (محتمل) أي من حيث المعنى (مشكل) أي حيث لا يمكن الجمع بينهما ولا ترجيح أحدهما أو محتمل لان يكون رآه ولم يره أو رآه بعينه أو بقلبه مشكل من حيث اطلاق النور على الذات والنور بمعنى المنور من جملة الصفات (فروى) ويروى فيروى وهو حديث أبي ذر قال سالت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هل رأيت ربك فقال (نور) أي هو نور عظيم (أني أراه) بهمزة مفتوحة فنون مشددة مفتوحة بمعنى كيف أي كيف يتصور اني أرى الله تعالى فان الشيء يرى بالنور وهو اذا غشي البصر حجبه عن رؤية ما وراءه من كمال الظهور فالضمير في أراه عائد الى الله تعالى كما صرح الامام أبو عبد الله المازري أي كمال النور منعني عن الرؤية وتمام الظهور كما جرت العادة باغشاء الانوار الابصار فيمنعها من الابصار قال الحلبي هكذا رواه جميع الرواة في جميع الاصول أي جميع أصول مسلم والروايات ومعناه حجابه النور فكيف أراه

انه صرح له بذلك حتى يعتبر (فيجب العمل) أي القول به والجزم (باعتقاد مضمنه) بضم الميم الاولى وفتح الضاد المعجمة والميم المفتوحة المشددة أي ما تضمنه ودل عليه لفظه من رؤيته صلى الله تعالى عليه وسلم لربه بعينه فسماه عملا لانه من الاعمال القلبية وان اشتهر ان العمل فيما يكون بالجوارح الظاهرة يعني ان الرؤية العينية ليس فيها نص قرآني ولا حديث قطعي حتى يجب اعتقاده ويكفر منكره لمخالفة كثير من الصحابة والعلماء في وقوعها وان كان الراجح عندهم ثبوتها وبه صرح الغزالي والنووي واليه ذهب المصنف رحمه الله تعالى وان قيل انه مال لخلافه في شرح مسلم (ومثله) أي مثل قول ابن عباس في اثبات الرؤية (حديث أبي ذر) الغفاري رضي الله عنه الذي رواه مسلم قال سألته صلى الله تعالى عليه وسلم هل رأيت ربك فقال رأيت نورا الى آخره (في تفسير الآية) يعني آية سورة النجم (وحديث معاذ) ابن جبل (محتمل للتأويل) بما مر (وهو مضطرب الاسناد) أي الطريق في روايته (والمتن) هو نفس الحديث وكلام الرسول الذي رواه لانه المراد منه والمتن أصله الظهر الذي به قوام البدن فشبه به ما يقصد من الكلام كلفظ الحديث واللفظ المنقول ليشرح واضطرابه اختلاله واختلافه افتعال من الضرب قيل اضطراب سنده لانه رواه تارة عن ابن عباس الحضرمي مرسلا لانه ليس بصحابي وتارة عن معاذ بن جبل واضطراب متنه لانه قال فيه رأيت ربي في أحسن صورة فقال ففيم يختصم الملأ الاعلى الحديث الذي تقدم وفيه لما صلى الغداة قال صليت الليلة ما قضي لي ثم وضعت جنبي فاتاني ربي وفي أخرى عنه قمت من الليل فصليت ما قدر لي فنعست في صلاتي حتى استيقظت فاذا أنا بربي واختلافه والسند واحد يوجب الاضطراب وقيل ان الحديث بطوله رواه ابن حنبل والترمذي وقال انه حسن غريب وقال انه صحيح الاسناد وهو أحسن ما يتمسك به في الرؤية وكذا قال المنذري في الترغيب فما ذكره المصنف رحمه الله تعالى من اضطرابه ان أراد معناه اللغوي لاختلاف ألفاظه فهو غير قادح لان الحديث الواحد قد تختلف ألفاظه ولا يختلف معناه وان أراد معناه الاصطلاحي وهو ما اختلف فيه راو بان فاكثر فرووه بوجوه مختلفة لم يترجح أحدها فليس فيه شيء منه ولو كان كذلك أوجب ضعفه وأئمة الحديث صححوه كما سمعته آنفا وفيه نظر (وحديث أبي ذر الآخر مختلف) ألفاظه المروية ومثله قد يوجب الضعف لدلالته على عدم ضبط الراوي (محتمل) للرؤية العينية وغيرها (مشكل) من حيث المعنى لجعله ذاته تعالى نورا (فروى) بالبناء للمجهول (نور) منون مرفوع ويروى منصوبا أيضا (اني) بفتح الهمزة وتشديد النون وألف بعدها مقصور بمعنى كيف (أراه) أي منعني وحجبني أو ظهر لي نور أو رأيت نورا غشيني فكيف أرى ذات الله وقد حال بيني وبينه

(وحكى بعض شيوخنا) انه روى نوراني (أي بفتح النون والراء بعده ألف فنون مكسورة وتحتية مشددة منونة وأراه) بضم همزة على ماذكره الحجازي قال المزي وهذا تصحيف والصواب الاول ويدل عليه قوله رأيت نورا وقوله حجابه النور انتهى وقال التلمساني يحتمل ان يكون معناه راجعا الى ماسبق ولا يخفى بعده وغرابته اذ الاول دال على نفي رؤيته واستبعاده والثاني على اثباته واستعداده (وفي حديثه الآخر) أي وفي حديث آخر لابي ذر (سألته) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم رأيت ربك (فقال رأيت نورا) أي رأيت نورا كيف أراه وفي شرح الدلجي قال المصنف

وهذه الرواية لم تقع لنا ولا رأيتها في أصل من الاصول أي أصول مسلم ومحال ان يكون ذاته تعالى نورا اذ النور جسم يتعالى الله عنه ومن ثمة كان تسميته سبحانه وتعالى في الكتاب والسنة نورا بمعنى ذي النور أي منوره أو منه النور كما قيل نور السماء بالشمس والقمر والنجم ونور الارض بالانبياء والعلم وروي بالنبات والاشجار أو المراد بالنور خالقه هذا وفي تخريج أحاديث الاحياء للعراقي في كتاب المحبة قال ابن خزيمة في القلب من صحة اسناده شئ أي من حيث ان في رواية أحمد عن أبي ذر رأيته نورا اني أراه ورجالها رجال الصحيح (وليس يمكن الاحتجاج بواحد منهما) أي من حديثي أبي ذر (على صحة الرؤية) أي وقوعها ونفيها لتعارض معنييهما وتناقض اسناديهما (فان كان الصحيح) أي متنا أو اسنادا (رأيت نورا فهو قد أخبر انه لم ير الله تعالى وانما رأى نورا منعه وحجبه عن رؤية الله تعالى والى هذا) أي الى معنى قوله رأيت نورا (يرجع قوله نوراني أراه أي كيف أراه مع حجاب النور المغشي) بصيغة الفاعل مخففا ومشددا أي المغطي (للبصر وهذا) أي حديث نوراني أراه (مثل مافي الحديث الآخر) أي من حيث المعنى (حجابه النور) كما رواه الطيالسي عن أبي موسى الاشعري وأصله في مسلم وأوله ان الله لا ينام ولا ينبغي له ان ينام (وفي الحديث الآخر) أي الذي رواه ابن جرير عن محمد بن كعب عن بعض الصحابة (لم أره بعيني ولكن رأيته بقلبي) زيد فيه ههنا (مرتين وتلا) أي قرأ الراوي شاهد الصحة رؤيته ربه بقلبه

سبحات النور المانعة من الرؤية في جاري العادة وروي نوراني بالنسبة للنور على خلاف القياس كصنعاني وقيل انه تصحيف والصواب الاول وفي المقتفي للبرهان يحتمل هذه الرواية ماسبق بان يكون معناه الخالق للنور المانع للرؤية فهو من صفات الافعال وقال المصنف رحمه الله تعالى لم أر هذه الرواية ومن المستحيل ان يكون ذاته نورا لانه جسم وهو تعالى منزه عنه باجماع المسلمين ومعنى نور السموات منورها أو هادي أهلها أو منور قلوبهم أو ذو بهجة وجمال وقال العراقي في تخريج أحاديث الاحياء مارأيت لهذا الحديث منكرا وقال ابن خزيمة في القلب من صحة اسناده شئ وزاد أحمد في حديث أبي ذر رجال اسناده رجال الصحيح انتهى وقيل هذا الحديث لا يشعر برؤية ولا بعدمها والمتفق على روايته هو الاول وكيف للانكار أو التعجب أي كيف يتمكن من رؤيته ويحتمل انه قاله لان عنده من حديث اسلامه ممن لا يفهم مراده لانه روي رأيت نورا وماذكره البرهان تكلف فان النور من اسمائه تعالى * أقول كل هذا كلام مديح والذي ارتضاه الغزالي كما يأتي ان النور يطلق على الله تعالى حقيقة فان معناه الظاهر بنفسه المظهر لغيره وهو وان كان منزعا حكميا صوفيا فقد وقع في كلام الاشعري ما يوافقه فانه قال الله نور ليس كالانوار كما سيأتي وعلى هذا فالروايتان بمعنى فانه نور النور والخفي بفرط الظهور فان فهمت فهو نور على نور وقوله انه جسم غير مسلم (وحكى) أي نقل (بعض مشايخنا انه) أي هذا الحديث أو هذا اللفظ (نوراني أراه) قد عرفت معناه وسمعت ماقاله المصنف أي في شرح مسلم من ان هذه الرواية لم تثبت (وفي حديثه) أي حديث أبي ذر (الآخر) أي المروي من طريق آخر (سألته) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقلت له هل رأيت ربك (فقال رأيت نورا وليس يمكن الاحتجاج بواحد منها على صحة الرؤية فان كان الصحيح رأيت نورا) هذا محتمل لان يكون أطلق عليه النور حقيقة كما مر أو باعتبار لازمه كسائر أسمائه التي لا تليق حقيقتها به أو ان المراد انه لم يره لان حجابه النور والى هذا أشار المصنف بقوله (فهو) أي النبي صلى الله عليه وسلم (قد أخبر انه لم ير الله تعالى وانما رأى نورا منعه وحجبه عن رؤية الله تعالى) بناء على مافهمه ولم يرتضه بعض الشراح (والى هذا المعنى) وانه لم يره (يرجع قوله نوراني أراه) فانه تعجب أو انكار لرؤيته (أي كيف أراه) هذا كقوله تعالى كيف تكفرون بالله فكيف للانكار أو التعجب أي كيف يتمكن من رؤيته (مع حجاب النور المغشي للبصر) أي الساتر أو المانع له عن الرؤية كالغشاوة (وهذا مثل مافي الحديث الآخر حجابه النور) وهذا الحديث رواه مسلم والطيالسي والبخاري عن أبي موسى الاشعري وهو ان الله لا ينام ولا ينبغي له ان ينام ولكنه يخفض القسط ويرفعه ويرفع عمل الليل قبل النهار وعمل النهار قبل الليل حجابه النور لو كشفه أحرقت سبحات وجهه ماانتهى اليه بصره من خلقه وهو حديث صحيح (وفي الحديث الآخر لم أره بعيني ولكن رأيته بقلبي مرتين وتلى) قوله تعالى (ثم

(ثم دنا) اى قرب نبينا (فتدلى) أى زاد فى التقرب اليه سبحانه وتعالى فكان قاب قوسين أو أدنى (والله قادر على خلق الادراك الذى فى البصر فى القلب) أى على أن يجعله فى القلب (أو كيف شاء) أى بان يخلق ادراك الرؤية فى السمع أو غيره وان يخلق ادراك السمع فى البصر ونحوه (لا اله غيره) أى حتى يمانعه ويدافعه عن مراده فى عباده (فان ورد حديث نص بين) بتشديد الياء المكسورة أى ظاهر لا يحتمل تاويلا (فى الباب) أى فى باب الرؤية من ثبوتها ووقوعها (اعتقد) بصيغة المجهول وفى نسخة احتمل (ووجب المصير اليه اذ لا استحالة فيه) أى فى جواز الرؤية وحصولها (ولا مانع قطعى) أى من جهة شهود العقل أو ورود النقل (يرده) أى عند المحقق (والله الموفق) أقول والله سبحانه وتعالى أعلم انه يمكن الجمع بين الادلة فى هذه المسألة المشكلة بان ماورد مما يدل على اثبات الرؤية انما هو باعتبار تجلى الصفات وما جاء مما يشير الى نفى الرؤية فهو محمول على تجلى الذات اذ التجلى للشئ انما يكون بالكشف عن حقيقته وهو محال فى حق ذاته باعتبار احاطته وحياطته كما يدل عليه قوله تعالى لا تدركه الابصار وقوله تعالى ولا يحيطون به علما ومما يؤيده انه قال تعالى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا ففى ذكر الرب والجعل تلويح لما قررنا وكذا فى قوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة تلميح لما حررنا وكذا فى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم ستروون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون فى رؤيته تصريح بما قررنا والحاصل ان ما علم يقينا من معرفته فى الدنيا يصير عن اليقين بها فى العقبى مع ان التجليات الصفاتية الكاشفة عن الحقيقة الذاتية لانهاية لها فى المقامات الابدية والحالات السرمدية فالسالك المنتهى فى السير الى الله تعالى يكون فى الجنة أيضا سائرا فى الله كما قال تعالى وان الى ربك المنتهى مع أنه لا نهاية لآخريته كما انه لا بداية لاوليته فهو الاول والآخر والباطن والظاهر وهو أعلم بالظواهر والضمائر وما كشف للعارفين من الحقائق والسرائر

(فصل) فى فوائد متفرقة مما وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم فى ليلة الاسراء (وأما ماورد فى هذه القصة) أى قصة الاسراء (من مناجاته لله عز وجل) أى مكالمته سرا (وكلامه معه) جهرا أو من محادثته صلى الله تعالى عليه وسلم له سبحانه وتعالى وكلام الله معه عز شانه (بقوله) أى بدليل ماورد من قوله تعالى (فاوحى الى عبده ما أوحى

(ثم دنى فتدلى) أى نزل ليقرب من عنده وهذا بناء على ان الضمير فيهما لله تعالى لا لجبريل عليه الصلاة والسلام وتدليه من المتشابه كقوله ينزل ربنا الى سماء الدنيا والكلام فيه مشهور ثم بين معنى الرؤية القلبية فقال (والله قادر على خلق الادراك الذى فى البصر فى القلب) بان يدرك بقلبه ما يدرك ببصره حتى يكون مشاهدا محسوسا له واقفا على ذاته لان فى القلب نورا هو مبدأ الابصار فيقربه الله حتى يرى بلا واسطة للعين (أو كيف شاء) أى بكيفية أخرى غير خلق الادراك فى قلبه أرادها لمن أراد أن يتجلى له بان يجعل له علما ضروريا يدركه به على وجه لا يعلمه الا هو (لا اله غيره فان ورد حديث نص) صريح (بين فى الباب) فى ثبوت الرؤية له بحيث لا يحتمل التاويل (اعتقد) بالبناء للمجهول أى اعتقده كل من وقف عليه وثبت عنده (ووجب المصير اليه) أى وجب علينا ان نذهب لاعتقاده ولا نعدل عنه (اذ لا استحالة فيه) أى فيما ذكره من صحة الرؤية ووقوعها وهذا معنى الوجوب الذى قاله أولا كما وعدناك به (ولا مانع قطعى يرده) فيمنع من اعتقاده ويوجب تاويله أو التوقف فيه كسائر المتشابهات (والله الموفق للصواب) أى الخالق للتوفيق المنعم به على عباده وفى الختم بهذا لطف لما فيه من الاشارة الى أن تعارض أحاديث الرؤية محتاج للتوفيق لمن رزق التوفيق ولا شبهة فيما قاله وهو لا ينافى ان الاصح الراجح انه صلى الله تعالى عليه وسلم رأى ربه بعين رأسه حين أسرى به كما ذهب اليه أكثر الصحابة الا انه لما ورد ونقل خلافه أيضا ذهب الى انه أمر غير قطعى فالاعتراض عليه بانه ان أراد بالقطعى كلام الله أو حديثا متواترا فسلم لكنه ليس بلازم فكم من أمر علمناه وجزمنا به وهو ليس فى القرآن ولا فى الحديث المتواتر وان أراد انه ليس فيه حديث صحيح صريح يعمل به فهو غير مسلم ساقط واه تركه خير منه والله أعلم (فصل وأما ماورد فى هذه القصة) أى قصة الاسراء (من مناجاته لله تعالى) أى مخاطبته له ومحادثته لما ارتفع الى المقام الاعلى والمناجاة تكون بمعنى المحادثة وبمعنى المسارة بما يرضاه وأصل معناها أن يخلو بمن خاطبه على نجوة أى مكان مرتفع من الارض وقيل هو من النجاة لان من سره نجا من أن يطلع عليه غيره ثم شاع فى مطلق المخاطبة فلذا عطف عليه قوله (وكلامه معه) ليبين المراد به والضمير الاول للرسول كضمير مناجاته أو لله كضمير معه أى كلامه معه الثابت (بقوله فاوحى الى عبده) المقرب اليه والى سرادقات عظمته وهو الرسول المكرم صلى الله عليه وسلم أو جبريل وقد مر ان مقام العبودية أشرف المقامات فلذا قال الى عبده ولم يقل رسوله ولا نبيه (ما أوحى) أى ما يوحى أمرا عظيما لا يحيط به العبارة ففى الابهام اشارة الى تفخيمه وتعظيمه وانه محرم لاسرار المعارف لا يطلع على ما أطلعه الله عليه غيره

(الى ماتضمنته الاحاديث) أى مع ماوردت به السنة مما سيذكر فى هذا المعنى (فاكثر المفسرين على ان الموحى هو الله تعالى الى جبريل وجبريل الى محمد الاشذوذا منهم) أى الاطائفة قليلة من المفسرين خارجة عن جمهورهم منفردة عنهم (فذكر عن جعفر بن محمد الصادق) صفة جعفر (قال أوحى الله اليه بلاواسطة) أى كما يقتضيه مقام الكرامة وحالة المباسطة (ونحوه عن الواسطى) أى منقول (والى هذا) أى قوله (ذهب بعض المتكلمين ان محمدا كلم ربه فى الاسراء) أى فى ليلته أو حالته (وحكى عن الاشعرى) أى القول بانه كلمه فيها (وحكوه عن ابن مسعود وابن عباس وأنكره) أى نفى تكليمه بلاواسطة (آخرون) وسيرد ما يردهم (وذكر النقاش عن ابن عباس فى قصة الاسراء عنه صلى الله تعالى عليه وسلم فى قوله دنا فتدلى قال) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (فارقنى جبريل) أى فى مقام معين له كما أخبر الله سبحانه وتعالى عن الملائكة بقوله ومامنا الا له مقام معلوم وقال معتذرا لودنوت أنملة لاحترقت (فانقطعت الاصوات عنى) أى بعد مفارقة جبريل منى وحصل الرعب والوحشة فى قلبى (فسمعت كلام ربى وهو يقول ليهدأ) بكسر لام الامر ففتح فسكون ففتح فهمز ساكن أى ليسكن (روعك) بفتح الراء أى فزعك وان روى بضم الراء فالمعنى ليطمئن نفسك فانى معك وأصل الروع بالضم القلب ومنه الحديث نفث جبريل فى روعى فيحتمل انه ذكره لانه محل الروع فسمى باسم ماحل فيه أو سمى كله باسم القلب الذى فيه الروع فسمى باسم بعضه ان (يا محمد أدن) بضم همز ونون أمر من الدنو (أدن) كرر للتاكيد وافادة زيادة القرب والتاييد فالدنو بالنسبة اليه صلى الله تعالى عليه وسلم دنو رتبة وقربة ومكانة لادنو مكان ومسافة ومساحة أو المراد الدنو الى عرشه المحيط بعلو العالم وفرشه (وفى حديث أنس فى الاسراء نحو منه) أى موقوفا عليه أو مرفوعا عنه فان صح رفعه وكذا وقفه لانه يعطى حكمه فلا كلام فيه مع انه يمكن الجمع بان ما أوحى اليه من الوحى الجلى وهو القرآن المبين فلا يكون الا بواسطة جبريل الامين كما قال تعالى نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من

فى الابهام ولفظ العبد هنا موقع لايليق بغيره (الى ماتضمنته الاحاديث) الآتية والى بمعنى مع أو غاية لابتداء مقدر أى ينتهى من الكلام الى ماتضمنته الاحاديث (فاكثر المفسرين) جواب ماقيل الاكثر يقابله الكثير فلا يناسب مقابلته بالشاذ والنادر منهم فحق العبارة جمهور المفسرين والامر فيه سهل (على ان الموحى) اسم فاعل أوحى أى الفاعل للايحاء فى قوله فاوحى فى هذه الآية (الله الى جبريل عليه الصلاة والسلام وجبريل الى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم الاشذوذا منهم) أى الاجماعة من المفسرين قليلة شاذة خالفوهم فيه فشذوذا ماجمع شاذ كقعود جمع قاعد أو مصدر أطلق على الفاعل مبالغة فى اتصافهم به حتى كأنهم عينه (فذكر) مبنى للمفعول (عن جعفر بن محمد الصادق) صفة جعفر وقد تقدمت ترجمته انه (قال أوحى اليه بلاواسطة) أى كلم الله محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم بلاواسطة ملك أو غيره والمراد بالوحى هنا الكلام وان كان أعم منه فعلى هذا ضمير أوحى لله والمراد بالعبد محمد صلى الله عليه وسلم وهذا بيان للمذهب الشاذ (ونحوه) أى ومثل ماقاله جعفر نقل (عن الواسطى) وقد تقدمت ترجمته (والى هذا) القول المنقول عن جعفر والواسطى (ذهب بعض المتكلمين ان محمدا صلى الله عليه وسلم كلم ربه فى الاسراء) بفتح همزة أن وهو وما بعده بدل من هذا (وحكى) ببناء المجهول (عن الاشعرى وحكوه عن ابن مسعود وابن عباس) رضى الله تعالى عنهم (وأنكره) أى أنكر تكلم الله له صلى الله تعالى عليه وسلم بلاواسطة قوم (آخرون) وليس المنكر النقل فقط كما توهم لان السياق يأباه (وذكر النقاش) السابق ذكره فى تفسيره المشهور نقلا (عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فى قصة الاسراء عنه عليه الصلاة والسلام فى) تفسير (قوله دنى فتدلى قال) صلى الله تعالى عليه وسلم (فارقنى جبريل) أى تخلف عنه فى المعراج لان له مقاما لايتعداه (فانقطعت الاصوات عنى) بعد مافارقته وبعدت عنه (فسمعت كلام ربى وهو يقول لى) جملة حالية أى قائلا لى (ليهدأ روعك يا محمد) بلام الامر ويهدأ بفتح الياء المثناة التحتية وسكون الهاء ودال مهملة خفيفة مفتوحة وهمزة ساكنة لانه مضارع مجزوم بلام الامر فاذا أبدل الفاء جاز حذفها كالمعتل الآخر والروع بفتح الراء الخوف والهدأ معناه السكون والمعنى ليسكن فزعك أى ليذهب فزعك وخوفك ويجوز ضم الراء المهملة والروع بالضم القلب والمراد ليقر قلبك ولا يضطرب من الخوف ويجوز أن يراد بالمفتوح أيضا القلب لانه محله فالروايتان بمعنى (ادن ادن) أمر من الدنو وهو القرب أى تقدم وادخل الى حظائر القدس وانما قال له تشريفا له صلى الله تعالى عليه وسلم واعلاء لمنزلته وتانيسا لاستيحاشه لما انقطعت عنه الاصوات ولذا أمره باطمئنان قلبه أولا وكرر أمره تاكيدا أو بيانا لزيادة قربه من الله تعالى وان كان أقرب اليه فى كل حال لتنزهه عن المكان وانما هذا بالنسبة له فاخباره عنه بقوله دنا اشارة الى امتثاله الامر (وفى حديث أنس رضى الله تعالى عنه فى الاسراء) السابق ذكره (نحو منه) أى مايفيد مثله فالحاصل فى قوله فاوحى الآية

المنذرين بلسان عربي مبين وما أوحي اليه من الوحي الخفي فهو بلا واسطة أحد وبلا تقييد لغة كما هو قضية الالهام مما لا يخفى على العلماء الاعلام ومشايخ الاسلام من هداة الانام (وقد احتجوا) أي الآخرون (في هذا القول) بانه كلمه بلا واسطة (بقوله تعالى وما كان لبشر) أي لآدمي (أن يكلمه الله الا وحيا) كلاما خفيا يدرك بسرعة لا بتأمل وروية وهو اما بطريق المشافهة به كما وقع لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم أو على سبيل الهتف كما حصل لموسى عليه السلام

في وادي الطور بطوى (أو من وراء حجاب) أي كما وقع لسائر الانبياء من الوحي الخفي ولبعض الاصفياء من الالهام الجلي (أو يرسل) أي الله تعالى الى البشر (رسولا) من الملائكة (فيوحي اليه) أي بالواسطة بان يبلغ الملك الرسول من البشر (باذنه ما يشاء) أي من الاحكام والانباء وهذا الذي ذكرناه أظهر مما ذكره المصنف بقوله (فقالوا هي) أي الآية الدالة على أنواع الكلام أو مكالمته تعالى للبشر على (ثلاثة أقسام من وراء حجاب كتكليم موسى هذا) أي أحدها (وارسال الملائكة) الاظهر الملك بصيغة الافراد لان المشهور ان جبريل هو صاحب الوحي ولعل وجه الجمع انه ما يخلو عن صحبته جماعة من الملائكة كما يستفاد من قوله تعالى عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول فانه يسلك من

بين يديه ومن خلفه رصدا (كحال جميع الانبياء) الاولى كحال سائر الانبياء جميعها (وأكثر أحوال نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) وهذا هو القسم الثاني قال الواحدي المفسر في قوله تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى الآية الرسول الذي أرسل الى الخلق باخبار جبريل اليه عيانا وحاوره شفاها والنبي الذي تكون نبوته الهاما أو مناما فكل رسول نبي وليس كل نبي رسولا هذا كلام الواحدي قال النووي في تهذيبه فيه نقص في صفة النبي فان ظاهره ان النبوة المجردة لا تكون برسالة ملك وليس كذلك (والثالث قوله) أي ما أفاد (الا وحيا) وهو وما بعده أحوال أي الا موحيا أو مسمعا من حجاب أو مرسلا

ان الضمير الاول في أوحى لجبريل وفي عبده لله والمراد به محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وفيه اضمار قبل الذكر لانه معلوم وضمير أوحى الثاني يجوز ان يكون لجبريل وفيه تفخيم وتعظيم للوحي أو لله أي أوحى جبريل لعبد الله محمد ما أوحى الله اليه ويجوز ان يكون الضمير في أوحى الاول لله وعبده محمد صلى الله تعالى عليه وسلم أي أوحى الله الى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ويجوز ان يكون المراد بعبده جبريل أي أوحى الله تعالى الى جبريل والضمير في أوحى الثاني لله أي أوحى الله الى عبده محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ما أوحاه الله اليه ففيه تفخيم للوحي أيضا ويجوز ان يكون لجبريل أي أوحى الله الى عبده محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ما أوحى جبريل اليه فايحاؤه اليه بواسطة وعلى ان المراد بعبده جبريل وضمير أوحى الثاني لله والمعنى أوحى الله لعبده جبريل ما أوحى الله اليه ففيه تفخيم وعلى ان المراد بعبده جبريل وضمير أوحى الثاني له أي أوحى الله لعبده جبريل ما أوحى جبريل لمحمد صلى الله عليه وسلم أو لكل رسول لانه أمين وحيه وما مصدرية أو موصولة والذي أوحاه أحكامه أو أمر الصلاة أو أوحي اليه لا يدخل نبي ولا أمة الجنة قبلك وقبل أمتك أو هو سر في سر كما قيل

بين المحبين سر ليس يعرفه * قول ولا قلم للخلق يحكيه

وسيأتي تفسير بقية الآية وتحقيقه (وقد احتجوا في هذا) أي استدلوا على انه تعالى كلمه بلا واسطة (بقوله تعالى وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء) ووجه الاحتجاج بينه بقوله (فقالوا هي) أقسام الكلام المثبتة في هذه الآية على وجه يفيد نفي ماعداها لان معنى ما كان لا يصح ولا يقع (ثلاثة أقسام) منحصرة فيها الاول منها الكلام (من وراء حجاب) يحجب من خاطبه وكلمه عن رؤية ذاته لا يحجب الله فانه يراه ولا يحجبه شئ كما مر تفصيله فهو يسمع كلامه من غير واسطة وهو لا يراه والحجاب سبحات النور وما لا يعلمه الا الله (كتكليم موسى) أي كتكليمه تعالى لموسى عليه الصلاة والسلام في الدنيا وموسى لا يراه فالتشبيه فيما ذكر فانه سمع من الشجرة كلام الله تعالى بغير واسطة ملك وهو لا يرى ذاته تعالى (و) القسم الثاني من الوحي يكون بـ(ارسال الملائكة) الى رسل البشر ليبلغوهم كلامه تعالى ووحيه الذي أوحاه اليهم وهذه الحالة في الوحي (كحال جميع الانبياء) عليهم الصلاة والسلام (وأكثر حال نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم) وموسى أيضا في غير ما ندر من كلامهما بغير واسطة في الدنيا قيل سواء رأوا الملك أو لم يروه فان الوحي على أقسام كما كان يسمع كصلصلة الجرس من غير أن يراه وفيه نظر فان هذا داخل في قوله وحيا وفي قوله بارسال الملائكة اشارة الى انه غير مختص بجبريل لما روي ان اسرافيل عليه الصلاة والسلام وكل به صلى الله تعالى عليه وسلم ثلاث سنين في أول الامر وقد قسموا الوحي الى نحو أربعين قسما ولكنها لا تخرج عن هذه الاقسام (الثالث) من أقسام الوحي وكلام الله لرسله عليهم الصلاة والسلام (قوله وحيا) أي القاء في قلبه بالهام ونحوه قال الراغب في مفرداته أصل الوحي الاشارة السريعة ولتضمنه السرعة قيل أمر

وحى فذلك يكون بالكلام على سبيل الرمز والتعريض وقد يكون بصوت مجرد عن التركيب وباشارة بعض الجوارح وبالكناية ويقال لما يلقى لانبيائه وحى وهو على اضرب حسبما دل عليه قوله وما كان لبشر الى آخره فذلك امابرسول مشاهد يرى ذاته ويسمع كلامه كتبليغ جبريل للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى صورة معينة واما بسماع كلام من غير معاينة كسماع موسى كلام الله واما بالقاء فى الروع كماذكر ان روح القدس نفث فى روعى واما بالهام أومنام انتهى فالاخير هو المراد بالوحى هنا وسيشير اليه المصنف (ولم يبق من تقسيم صور الكلام الا المشافهة) أى الكلام من غير واسطة وهو فى الاصل ماخوذ من الشفة فتجوز به عن هذه المخاطبة والمكالمة (مع المشاهدة) أى معاينة المخاطب لمن كلمه من غير واسطة ولا حجاب مانع من الرؤية فيخص الله بها من شاء من خلص من عباده المقربين كنبينا صلى الله عليه وسلم وقد استدل بهذه الآية على نفى الرؤية لحصر تكليم البشر فى الثلاثة فاذا لم يره من يكلمه وقت الكلام لم يره غيره اجماعا واذا لم يره هو أصلا لم يره غيره أيضا اذلا قائل بالفصل والجواب انه يحتمل ان يكون المراد حصر التكليم فى الدنيا فى هذه الثلاثة أونقول يجوز ان تقع الرؤية حال التكليم وحيا اذ الوحى كلام بسرعة كما تقرر وهو لا ينافى الرؤية فلا دليل على ماذكر أصلا كما حققه ابن الخطيب فى رسالته المشهورة يعنى ان اعلام أحد أحدا بامر امابغير مشافهة وكلام معروف أو بمشافهته بواسطة أو بدونها والثانى امامع مشاهدة أو بدونها فانحصر فى هذه الصور الاربعة والآية استوفت الاقسام الاما كان مع مشاهدة الذى خص الله من أراد وقد علمت ان ماذكره غير متعين ولذا قال بعضهم ان قوله لم يبق الا المشافهة مع المشاهدة ممنوع الاان سند منعه غير صحيح ولم يعرج أحدمنهم على تحرير كلامه هنا (وقد قيل) القائل هو الراغب وغيره كما سمعته آنفا (الوحى هنا) فى هذه الآية (هو مايلقيه فى قلب النبى) أى فى قلب أى نبى كان من الانبياء عليهم الصلاة والسلام الهاما ونحوه (دون واسطة) أى بغير واسطة ملك يبلغه ما أوحاه الله اليه والالهام كما قال الزركشى ماحرك القلب بعلم يلقيه الله فيه يدعوه الى العمل به من غير نظر واستدلال بحجة والذى عليه الجمهور انه خيال لا يجوز العمل به الا عند فقد الحجة وذهب بعضهم الى انه حجة بمنزلة الوحى بقوله تعالى فالهمها فجورها وتقواها ونحوه وقال السمعانى انكار أصله لايجوز انتهى ولا يخفى ان الخلاف فى غير الهام الانبياء ومن كان فى حكمهم فانه وحى وعلى هذا ينبغى تقييد مافى شرح جمع الجوامع وقال الواحدى فى تفسيره نقلا عن الواقدى فى تفسير قوله تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تمنى الآية ان الرسول الذى أرسل الى الخلق باخبار جبريل عيانا وشفاها والنبى تكون نبوته الهاما أومناما فكل رسول نبى وليس كل نبى رسولا وقال النووى فى تهذيبه ماظاهره ان النبوة المجردة لا تكون برسالة ملك بذلك وليس كذلك وكلام الغزالى الذى يستشهد به يرد عليه انتهى (وقد ذكر أبو بكر البزار) بموحدة وزاى معجمة وألف وراء نسبة لعمل بزر الكتان واستخراج زيته وهى لغة بغدادية وهو الامام الحافظ الذى تقدمت ترجمته (عن على كرم الله وجهه فى حديث الاسراء) الذى رواه المصنف رحمه الله تعالى بتمامه فى أول الباب (ماهو أوضح فى سماع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لكلام الله من الآية) يعنى قوله تعالى فاوحى الى عبده ماأوحى لان الآية فيها احتمالات وحديث على رضى الله تعالى عنه فيه التصريح بسماعه صلى الله تعالى عليه وسلم كلام الله من وراء الحجاب وقوله صدق عبدى فلا يأباه كون ضمير عبده لجبريل فى قول وان خلافه شاذ وكذا كون الوحى فى الآية مبهم وثمة معين ولا ينافيه اختصاص نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم بالمشافهة مع الرؤية اختصاص موسى عليه الصلاة والسلام بالتكليم كما توهم (فذكر) أى البزار أو على رضى الله

(ولم يبق من تقسيم صور الكلام) أى المنحصر فى هذا المقام تم الكلام كذا فى نسخ الكرام وقال التلمسانى الكلام كذا ثبت بخط القاضى المصنف وبخط العزفى المكالمة وهو الصواب بدليل قوله (الا المشافهة مع المشاهدة) فاختص بها نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم والله سبحانه وتعالى أعلم وحاصل قوله انه لم يبق من تقسيم صور الكلام الخ انه ينبغى أن يحمل قوله وحيا على المشافهة مع المشاهدة اذ لم يبق من التقسيم الا هذا (وقد قيل الوحى ههنا) أى فى عالم السماء أوفى هذه الآية الاسمى (هو مايلقيه) أى يقذفه الهاما (فى قلب النبى) صلى الله تعالى عليه وسلم أى قلب نبينا أو النبى من الانبياء (دون واسطة) أى من الوحى الخفى كما سبق اليه الاشارة (وقد ذكر أبو بكر البزار) بتشديد الزاى ثم راء نسبة الى عمل بزر الكتان زيتا بلغة البغداديين (عن على رضى الله تعالى عنه فى حديث الاسراء ماهو أوضح) أى أظهر وأصرح (فى سماع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الكلام الله تعالى من الآية) أى من الاستدلال بمفهومها من الاقسام الثلاثة وقال الدلجى من آية فاوحى الى عبده ماأوحى وهو بعيد كما لا يخفى فذكر

تعالى

فيه) أي على مرفوعا أو موقوفا يقتضي أن يكون في الحكم مرفوعا (فقال الملك) بفتح اللام (الله أكبر الله أكبر فقيل لي) فيه دلالة على ان

تعالى عنه (فيه فقال الملك الله أكبر الله أكبر فقيل لي من وراء الحجاب) أي قال الله تعالى للملك الاذان (صدق عبدي أنا أكبر أنا أكبر وقال في سائر كلمات الاذان مثل ذلك) الا قوله حي على الصلاة حي على الفلاح كما مر ولكونه معلوما لم يذكره عليه ووجهه ان المشروع لسامع الاذان أن يقول ما يقوله المؤذنون كلمة بكلمة تصديقا له باقراره الا قوله حي على الصلاة الى آخره فانه يقول فيه لا حول ولا قوة الا بالله وهذا لا يليق به تعالى فلذا لم يجبه * (تنبيه) * هذا أمران الاول اختلف العلماء في صفة الاذان على أربع صفات مشهورة * أحدها تثنية التكبير وتربيع الشهادتين وباقيه مثنى وهو مذهب أهل المدينة ومالك وغيره واختار جماعة من أصحاب مالك الترجيع وهو ان يثني الشهادتين أولا خفيا ثم يثنيهما مرة ثانية برفع الصوت * والصفة الثانية أذان المكيين وبه قال الشافعي رحمه الله تعالى وهو تربيع التكبير الاول والشهادتين وتثنية باقي الاذان * والصفة الثالثة أذان الكوفيين وهو تربيع التكبير الاول وتثنية باقي الاذان وبه قال أبو حنيفة رحمه الله تعالى * والصفة الرابعة أذان البصريين وهو تربيع التكبير الاول وتثليث الشهادتين وحي على الصلاة وحي على الفلاح يبدأ بأشهد أن لا اله الا الله حتى يصل حي على الفلاح ثم يعيده كذلك مرة ثانية أعني الاربع كلمات نسقا ثم يعيده ثالثة وبه قال الحسن البصري وابن سيرين كذا قال ابن رشد في كفاية المقتصد * الثاني أن حديث علي رضي الله تعالى عنه يقتضي ان الاذان شرع ليلة المعراج وحديث الصحيحين المشهور انه شرع بعد الهجرتين لما رآه بعض الصحابة في منامه كما مر ولا يخفى ما بين الحديثين من التعارض ولم يتعرض أحد لا توفيق بينهما وان اعترض ذلك بانه كيف يثبت التشريع بمنام لغير النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأجيب بانه ثبت بوحي لكنه صادف ذلك المنام فاظهر العمل به تطمينا لقلوبهم وجبر الخواطرهم والظاهر ان يقال انه ثبت بحديث الاسراء الا انه لم يبين له زمانه ولم يمكن اعلامه به قبل الهجرة فأخر ذلك حتى يستقر ظهور الدين وبهذا يتم التوفيق بينهما (ويجيء الكلام في) بيان (مشكل هذين الحديثين في الفصل بعد هذا مع ما يشبهه وفي أول فصل من الباب منه) وسنذكر ما فيه ثمة (وكلام الله) عز وجل (لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم ومن اختصه من أنبيائه) اختص وردلازما ومتعديا كما هنا بمعنى خصه (جائز غير ممتنع عقلا) أي ثبت جوازه وعدم امتناعه عقلا وسمعا كما مر فلا يضر نزاع المعتزلة فيه كما توهم (ولا ورد في الشرع قاطع يمنعه) أي دليل قطعي يمنعه كما يرد دليل قطعي بثبوته أيضا (فان صح في ذلك) أي في الكلام بلا واسطة لغير موسى عليه الصلاة والسلام (خبر اعتمد عليه) في الجزم بوقوعه وروى احتمل وكلاهما مبني للمجهول كما قاله البرهان (وكلامه تعالى لموسى) وروى ومكالمته لموسى عليه الصلاة والسلام (كائن حق مقطوع به نص ذلك) بالبناء للمجهول على الحذف والايصال كشترك أي نص عليه (في الكتاب) العزيز والقرآن (وأكده) الله تعالى (بالمصدر دلالة على الحقيقة) أي دلالة على ان الكلام فيه بمعناه الحقيقي وان اختلف أهل السنة في معناه الحقيقي القديم بل هو الكلام اللفظي أو النفسي كما ذهب اليه الاشعري وتحقيقه في كتب الاصول وهو مبحث طويل الذيل لا يسعه هذا المقام وهذا رد على المعتزلة القائلين بان الله لم يكلمه وانما خلق الكلام في جسم آخر كالشجرة فسمعه عليه الصلاة والسلام منها لانهم نفوا الكلام النفسي وقالوا اللفظي حادث لا يقوم بذاته ودعوى قدمه لا تعقل عندهم فمعنى متكلم عندهم خالق الكلام وموجده قائما بغيره فان قالوا انه حقيقة لانه الخالق له والفاعل فباطل لان الفاعل

(من وراء الحجاب صدق عبدي أنا أكبر أنا أكبر وقال) أي الله تعالى من وراء الحجاب (في سائر كلمات الاذان مثل ذلك) أي صدق عبدي مع ما يناسب ما قبله من النداء وفيه انه انما يدل على كلامه بلا واسطة لا مع المشافهة والمشاهدة كما يقتضيه أقسام الآية (ويجيء الكلام في مشكل هذين الحديثين) أي حديث ابن عباس وعلي (في الفصل بعد هذا) أي الفصل (مع ما يشبهه) أي مما ورد في حديث غيرهما (وفي أول فصل من الباب منه) أي سيجيء الكلام على دفع اشكال المرام وضمير منه يعود الى ما في قوله مع ما يشبهه (وكلام الله تعالى لمحمد) عليه الصلاة والسلام (ومن اختصه من أنبيائه) كموسى عليه السلام (جائز غير ممتنع عقلا ولا ورد قاطع في الشرع يمنعه) أي يمنع جوازه نقلا (فان صح في ذلك خبر) أي في كلامه لغير موسى عليه السلام

منهم (اعتمد عليه) بصيغة المجهول وفي نسخة احتمل عليه (وكلامه تعالى لموسى كائن) أي واقع (حق) أي ثابت (مقطوع به نص ذلك في الكتاب) أي بقوله وكلم الله موسى (وأكده بالمصدر) أي بقوله تكليما (دلالة) بفتح الدال ويكسر أي علامة (على الحقيقة) أي ودفعا لتوهم ارادة المجاز في القضية بناء على ما ذهب اليه المحققون من ان الفعل اذا أكد بالمصدر دل على الحقيقة ولذا يقال أراد

زيد ارادة ولا يقال أراد الجدار ارادة لانه لا يتصور منه حقيقة الارادة (ورفع مكانه) أي الحسي المشعر بعلو قربه المعنوي (على ما ورد في الحديث) أي جاء التصريح في بعض طرق الحديث الصحيح بانه (في السماء السابعة) أي على ما رواه البخاري في التوحيد ان موسى في السماء السابعة وابراهيم في السادسة ثم قال بتفضيله لكلام الله تعالى وهو موافق لما في الاصل وقيل صوابه السادسة لان موسى فيها وابراهيم في السابعة فالسابعة لموسى غلط ويؤيده انه قال الحاكم تواترت الاحاديث انه في السادسة ثم هذه الرفعة في المقام (بسبب كلامه) أي تكليم الله تعالى اياه عليه السلام (ورفع محمد فوق هذا كله) كما أشار اليه قوله سبحانه وتعالى ورفع بعضهم درجات (حتى بلغ مستوى) أي مكانا مستويا لاترى فيه عوجا ولا امتا (وسمع صريف الاقلام) أي صوت جريانها بما تكتبه من الاقضية والاحكام (فكيف يستحيل في حق هذا) أي النبي عليه الصلاة والسلام (أو يبعد) أي يستغرب ويستبعد منه (سماع الكلام فسبحان من اختص) وفي نسخة من خص (من شاء بما شاء) أي من جزيل كرمه وجميل نعمه (وجعل بعضهم فوق بعض درجات) أي في المقامات العاليات ومعنوي

(فصل)

أي في متممات هذه القصة ومكملات هذه القضية (وأما ما ورد في حديث الاسراء) أي أحاديث سيره الى السماء (وظاهر الآية من الدنو والقرب من قوله دنا فتدلى) أي حيث ظواهر الضمائر اليه صلى الله تعالى عليه وسلم لا الى جبريل كما قيل

الحقيقي في اللغة من قام به الفعل لا من أوجده فهذا ناشئ من عدم الفرق بين الفاعل الحقيقي اللغوي والحقيقي في الحقيقة ونفس الامر كما حققه الابهري في حواشي العضد فيلزمهم اثبات المشتق بدون ثبوت مأخذه له فان قالوا هو مجاز فالتاكيد بالمصدر في قوله وكلم الله موسى تكليما يرده لان التاكيد اللفظي والمعنوي يمنع التجوز كما ذكره أهل المعاني وهذا من قبيل الاول كما أشار اليه المصنف هكذا قرره الاصوليون ورده ابن عبد السلام بان التاكيد بالمصدر لمنع التجوز في الظرف ودفع الشك في الحديث لا المحدث عنه والاسناد اذ التاكيد انما هو للفعل فالكلام وقع حقيقة ولكن ممن صدر والتاكيد لتحقيق وقوعه فقط وأجاب ابن عرفة بان تاكيد المصدر وان كان لازالة الشك في الحديث فلا بد من ملاحظة من صدر عنه فهو لازالة الشك عن حديث فلان ولذا قال البيانيون في قول هند زوجة روح بن زنباع تهجوه

بكى الخز من روح وأنكر جلده * وعجت عجيجا من جذام المطارق

انه ترشيح للمجاز * أقول هذا كلام ساقط جدا فانهم ادعوا ان تاكيد المصدر يرفع التجوز عن الاسناد فيقتضي ان التكليم مسند لفاعله الحقيقي والمعترض يمنعه ويقول انما يمنع التجوز في الظرف وهو الكلام لا مؤكد لفعله كما صرح به وأهل المعاني لم يتعرضوا لهذا والبيت وارد عليهم لان العجيج مجاز وقد أكد فلا يمنع مجازا أصلا وكونه ترشيحا عليه لا له وبهذا عرفت ما يرد على المصنف (ورفع مكانه) أي مكان موسى الكليم (على ما ورد في الحديث) الصحيح الذي فيه مقامات الانبياء عليهم الصلاة والسلام الذين لقيهم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في السموات حين أسري به انه (في السماء السابعة) هذا بناء على بعض الروايات والذي صححه الحاكم وغيره أنه صلى الله تعالى عليه وسلم في السماء السادسة وجزم به ابن المنير وغيره وما ذكره المصنف رحمه الله موافق لما ذكره البخاري في التوحيد وعدل عن المشهور لانه أنسب بمراده فالقول بانه غلط وان الذي في السماء السابعة ابراهيم عليه الصلاة والسلام وهم من قائله وقوله (بسبب كلامه) متعلق برفع أي بسبب رفعته عليه الصلاة والسلام على غيره كونه شرفه بكلامه في الدنيا (ورفع محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم) حين أسري به (فوق هذا كله) أي فوق هذه المقامات كلها في حياته صلى الله تعالى عليه وسلم بهيكله البشري (حتى بلغ مستوى وسمع صريف الاقلام) تقدم شرحه (فكيف يستحيل) ويمتنع عقلا (في حق هذا أو يبعد) بعد جوازه وثبوت ما يدل عليه (سماع الكلام) من كلام الله تعالى بغير واسطة (فسبحان) تنزيه لله وتعظيم له حمدا له على ما أنعم به لا تعجب فانه غير مناسب هنا (من اختص من شاء) من رسله وخلص عباده (بما شاء) من جزيل نعمه وكرمه (وجعل بعضهم) راجع لمن باعتبار معناه (فوق بعض درجات) كنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم اذ فضله على جميع الانبياء وخصه بنعم لم يصل اليها سواه وهذا اقتباس من قوله تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات فالمراد ببعضهم هنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وأبهمه تفخيما لشانه واشارة الى تعينه كما قيل

وأقول بعض الناس عنك كناية * خوف الوشاة وأنت كل الناس

وان اختلف المفسرون في المراد به في الآية ولا يخفى ما في ختم الفصل بهذه الآية من حسن المناسبة وبراعة المقطع لما فيها من ذكر الكلام ورفع الدرجات المناسب لهذا المقام

(فصل وأما ما ورد في حديث الاسراء وظاهر الآية من الدنو والقرب) عطف تفسيري وهو بيان لما وظاهر بالرفع والجر (من قوله ثم دنا فتدلى) الدنو القرب ولذا عطف عليه عطفا تفسيريا وهو حسي

(فكان قاب قوسين) أى قدرهما (أو أدنى) أى بل أقرب وكون أو للتنويع أنسب (فاكثر المفسرين ان الدنو والتدلى منقسم ما بين محمد وجبريل عليهما السلام) اذ قد دنا كل منهما من الآخر (أو مختص باحدهما) أى بان محمدا أو جبريل دنا (من الآخر) وفيه انه لم يكن بينهما بعد حتى يقال دنا فتدلى فتدبر قال النووى المراد بالقاب فى الآية عند جميع المفسرين هو المقدار ثم اعلم ان من ذهب الى ان الدنو والتدلى ما بين محمد وجبريل يقول المعنى دنا جبريل من النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فتدلى أى نزل عليه وذلك ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ساله ان يراه على صورته التى جبل عليها فقال ان تقوى على قال بلى قال فاين تشاء ان أتخيل لك قال بالابطح قال لا يسعنى قال فبمنى قال لا يسعنى قال فبعرفات قال ذلك بالحرى يسعنى فواعده فخرج النبى صلى الله تعالى عليه وسلم للوقت فاذا جبريل قد استوى له أى قام فى صورته التى خلقه الله تعالى عليها له ستمائة جناح وهو بالافق الاعلى أى فى جانب المشرق فى أقصى الدنيا عند مطلع الشمس فسد الافق من المغرب فلما رآه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كبر وخر مغشيا عليه فتدلى جبريل عليه السلام فنزل عليه حتى اذا دنا منه قدر قوسين أفاق فرآه فى صورة الآدميين كما فى سائر الاوقات فضمه الى نفسه وقال لا تخف يا محمد فقال صلى الله تعالى عليه وسلم ما ظننت ان أحدا من خلق الله هكذا قال كيف لو رأيت اسرافيل عليه السلام ان العرش لعلى كاهله وان رجليه قد خرقتا تخوم الارضين السفلى وانه ليتصاغر من عظمة الله حتى يصير كالوضع يعنى كالعصفور الصغير قيل ولم ير جبريل عليه السلام أحد من الانبياء فى صورته الحقيقية غير محمد فانه رآه فيها مرة فى الارض ومرة فى السماء ليلة المعراج عند سدرة المنتهى ذكره الانطاكى (أو من سدرة المنتهى) وهذا فى غاية من البعد على ما لا يخفى (قال الرازى وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما) أى كما رواه ابن أبى حاتم (هو محمد دنا فتدلى من ربه وقيل معنى دنا قرب) بضم الراء (وتدلى زاد فى القرب) أظن لا معنى له غيره (وقيل هما بمعنى واحد) أى جمع بينهما للتاكيد أى قرب غاية القرب والاول أظهر لان التاسيس هو الاكثر ولان زيادة المبنى تفيد الزيادة المعنى وقال ابن الاعرابى تدلى اذا قرب بعد علو (وحكى مكى والماوردى

ومعنوى والتدلى الامتداد من علو الى أسفل كما يلقى الدلو فى البئر هذا أصله ثم استعمل فى القرب من علو حسا أو معنى فهو أخص مما قبله فلا تقديم ولا تأخير فيه أصلا والاصل فتدلى فدنا وليسا بمعنى لان العطف بالفاء يأباه والتاسيس خير من التاكيد وقيل دنا بمعنى قصد القرب منه صلى الله عليه وسلم فتحرك من مكانه نحوه وقيل تدلى من الدلال كتمطى أصله تمطط والضمير فيهما لجبريل عند الجمهور أى دنا جبريل من النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بعد استوائه بالافق الاعلى من الارض فتدلى عليه لانه لما رآه بصورته هاله فرده الله تعالى لصورته التى كان يراه عليها وقرب منه وقيل الضمير لله أى دنا من نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم وهو مجاز عن اجابة دعائه واعطائه ما تمناه باشراق نور المعرفة ومشاهدة اسرار الغيب لانه منزه عن المكان كما سياتى بيانه (فكان قاب قوسين أو أدنى) القاب ما بين مقبض القوس وموضع ربط الوتر من طرفيه ولكل قوس قابان وقيل القاب حيث الوتر من القوس وقيل معناه قدر والقوس معروف وقيل هى هنا الذراع لانه يقاس به فالمعنى قدر ذراعين وروى عن ابن عباس وعلى الاول قيل فيه قلب أى قابى قوس أى بينهما مسافة مقدار قاب قوسين أى بين النبى وجبريل لان جبريل هو الموصوف بما قبله وهذا رواية عائشة عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ورجح هذا الوجه على رواية شريك انه الله ولهم فيها كلام كثير وقال الرازى هذا على عادتهم اذا تعاقد كبيران أو تصالحا جعل كل واحد منهما قوسه بطرف قوس صاحبه ومن دونهما يضع كفه بكفه وأو لتحقق قدر المسافة لا للشك كقوله فارسلناه الى مائة ألف أو يزيدون وقيل للشك بالنسبة للراوى وقيل بمعنى بل أو الواو وأدنى أفعل تفضيل أقرب من قاب (فاكثر المفسرين) جواب اما (ان الدنو والتدلى منقسم بين محمد وجبريل عليهما الصلاة والسلام) أى كل منهما ثبت لكل منهما الا الله أى دنا محمد من جبريل ودنا جبريل من محمد وتدلى كل منهما للآخر أو المراد ان الدنو لمحمد والتدلى لجبريل فالانقسام بمعنى توزيع الوصفين بينهما وهذا لما رآه بصورته الاصلية (أو مختص باحدهما من الآخر) أى مختص بمحمد صلى الله عليه وسلم أو بجبريل والمعنى دنى وتدلى محمد من جبريل أو دنا وتدلى جبريل من محمد (أو من السدرة المنتهى) أى يختص الدنو والتدلى من السدرة لا من الآخر (قال الرازى) فخر الدين المشهور (وقال ابن عباس) كما رواه ابن أبى حاتم عنه (هو) أى الذى دنى وتدلى فى الآية (محمد دنا فتدلى من ربه) ودنوه منه كناية عن قرب منزلته ومشاهدته من قدسه ما لم يتيسر لغيره (وقيل معنى دنا قرب وتدلى زاد فى القرب) فهو ترق فى تقربه من ربه قربا معنويا لا حسيا (وقيل هما) أى دنا وتدلى (بمعنى واحد أى قرب) قربا معنويا بنيله انعامه ولا يخفى ان العطف بالفاء غير وارد فى مثله ولذا ضعفه وأخره والقول بانه للتاكيد وافادة انه قرب بليغ لا تساعده العبارة (وحكى مكى والماوردى

عن ابن عباس) رضى الله تعالى عنهما فى رواية ابن جرير عنه (هو) أى من أسند اليه الدنو (الرب دنا من محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) ليس المراد الدنو المكانى لتنزه الله عنه ولا العلم لانه لا يختص به حتى يذكر فى مقام مدحه وتعظيمه بل قرب المنزلة باعلاء مقامه واطلاعه على عجائب ملكوته (فتدلى اليه) أى نزل الرب لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم فهو على حد قوله تعالى ينزل ربنا الى السماء الدنيا فى الثلث الاخير أى تجلى له ونظر اليه بلطفه وكرمه وتشريفه بخطابه كما سيأتى بيانه فقوله (أى أمره وحكمه) لم يرد به انه فاعل تدلى كما قيل وانما هو ضمير الله أيضا وهو استعارة أو كناية عما ذكر واليه أشار القاضى رحمه الله تعالى بقوله المقصود من الآية تمثيل تحقيق اسماعه لما يوحى اليه بنفى البعد عنه (وحكى النقاش) فى تفسيره (عن الحسن) البصرى انه (قال دنا) الله (من عبده محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) دنو مرتبة وقرب معنوى (فتدلى) أى (فقرب منه) بعنايته واختصاصه والاولى فزاد قربه اليه كما مر (فاراه ماشاء ان يريه من) آثار (عظمته وقدرته) فارى بصرية تعدت لمفعولين أو علمية مفعولها الثالث مقدر أى أراه عظمته وقدرته مشاهدة معاينة والاول أظهر وأقرب (قال) أى النقاش أو الحسن (وقال ابن عباس هو مقدم ومؤخر) فاصله فتدلى فدنى أى (فتدلى الرفرف لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة المعراج) وهو البساط مطلقا أو البساط الاخضر وقيل ما كان من الديباج وفى الصحاح الرفرف ثياب خضر تتخذ منه المجالس وكسر الخباء وجوانب الدرع وما تدلى منه واحده رفرفة فهو من البسط والفرش وفسر بالزرابى والمرافق وقيل الثوب العريض أو حواشيه من رف يرف تحرك ومنه رفرفة الطائر بجناحيه ويطلق على الستارة وطرف الخيمة وفى الحديث زرنا النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فرفع لنا الرفرف فرأينا وجهه ومنه رفرف الاولياء فى الجنة وهو بساط اذا استقروا عليه طار بهم لاى جهة أرادوها بقدرة الله تعالى وورد فى المعراج انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما بلغ سدرة المنتهى جاءه بالرفرف جبريل عليه الصلاة والسلام فتناوله فطار به الى العرش يرفعه ويخفقه وجبريل رافعا صوته بالتمجيد فهو مركب له صلى الله تعالى عليه وسلم كالبراق وقد فسر قوله متكئين على رفرف خضر ببعض هذه الوجوه وبانه رياض الجنة والى هذا أشار بقوله (فجلس عليه ثم رفع) أى رفعه الله بقدرته وهو مبنى للمجهول (ودنا) الرفرف أو النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (من ربه) بالمعنى السابق (قال) صلى الله تعالى عليه وسلم بيانا لما وعليه بعد ان علا الرفرف فارقنى جبريل وانقطعت عنى الاصوات) أى أصوات الملائكة عليهم الصلاة والسلام (فسمعت كلام ربى) عز وجل من غير واسطة وليس كلاما خلقه الله تعالى فى بعض الاجرام كما زعمه المعتزلة كما مر وفيه اثبات الكلام اللفظى لله تعالى كما ذهب اليه السلف وتبعهم الشهرستانى فى مقالته المشهورة ومن ينكره يقول الكلام

النفسى

عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما) أى كما رواه ابن جرير (هو الرب دنا من محمد) أى تجلى بوصف القرب اه وأما قول الدلجى دنو علم فليس فى محله اذ لا خصوصية له ولا بمقامه ثم لا معارضة بين قولى ابن عباس اذ نسبة القرب بينهما متلازمة بل اضافته الى الرب هو الحقيقة فانه لولا قربه لما تصور تقربه كما حقق فى قوله سبحانه وتعالى يحبهم ويحبونه (فتدلى اليه) أى نزل اليه صلى الله تعالى عليه وسلم (أى أمره وحكمه) يعنى على حذف مضاف أو ارتكاب مجاز والانسب فى معناه قرب الرب منه فتقرب اليه والاول يسمى قرب الفرائض والثانى قرب النوافل هكذا قرره بعض أرباب الفضائل (وحكى النقاش عن الحسن) أى البصرى (قال دنا) أى الرب الامجد (من عبده محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فتدلى فقرب منه) أى قرب مكانة لا قرب مسافة وقرب انعام لا قرب اقدام وقرب عناية لا قرب غاية (فاراه ماشاء ان يريه من قدرته وعظمته) أى مما لا اطلاع لاحد على تفصيل جملته وفيه ايماء الى تفسير قوله تعالى لقد رأى من آيات ربه الكبرى (قال) أى الحسن أو النقاش وهو الاقرب والانسب (وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما هو) أى مجموع قوله دنا فتدلى (مقدم ومؤخر) أى فيه تقديم وتاخير كما بينه بقوله (تدلى الرفرف) وهو بساط أخضر من نحو الديباج وقيل ما تدلى من الاسرة من غالى الثياب والبسط وقيل هى المرافق وقيل النمارق والطنافس وقيل كل ثوب عريض وقيل هو البساط مطلقا (لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة المعراج فجلس عليه ثم) فى نسخة (حتى رفع) أى بصيغة المجهول أى لربه (فدنا من ربه) أى دنوا بالنسبة اليه (قال) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كما سبق عنه (فارقنى جبريل) أى فى مقام قرب الجليل وقال لو دنوت أنملة لاحترقت (وانقطعت عنى الاصوات) أى أصوات الملائكة وسائر المخلوقات (وسمعت كلام ربى) أى بجميع الحواس من جميع الجهات وهذا فى المعنى هو تجلى الذات بجميع الصفات

(وعن أنس في الصحيح) أي على ما رواه شريك ابن أبي نمير (عرج بي جبريل الى سدرة المنتهى ودنا الجبار) أي القاهر لعباده على وفق مراده (رب العزة) أي الغلبة والقوة في القدرة (فتدلى) أي الجبار (حتى كان منه) أي من سيد الابرار (قاب قوسين) أي قدره وهو غاية القرب في الكونين (أو أدنى) أي بل أقرب مما يوصف بالقرب للمريد فانه في مقام المزيد أقرب من حبل الوريد (فاوحى اليه بما شاء) أي من غير واسطة أحد من الوعيد ثم التقدير في الآية مكان مسافة قربه مثل قدر قوسين عربيين وفي أنوار التنزيل والمقصود من الآية تحقيق استماعه لما يوحى اليه بنفي البعد الملبس (وأوحى اليه خمسين صلاة) أي بان يصلي هو والامة في كل يوم وليلة (ثم خففت حتى قال يا محمد هي خمس وهي خمسون) أي خمسون حقيقة أو حكما لا يبدل القول لدي في انها خمسون في الجملة وفي رواية انهن خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة عشر فتلك خمسون صلاة هذا الحديث في الصحيح من رواية شريك عن أنس وقد استغرب الذهبي في الميزان هذا اللفظ فقال بعد ان ذكر حديث الاسراء الى ان قال ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلمه الا الله حتى جاء سدرة المنتهى ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى وهذا من غرائب الصحيح كذا ذكره الحلبي (وعن محمد بن كعب) أي القرظي كما في نسخة (هو) أي المراد بمن في الآية (محمد دنا من ربه فكان قاب قوسين) أي في مقام قربه لكمال حبه ووقع في أصل الدلجي هو محمد دنا محمد فتكلف له بان وضع الظاهر موضع المضمر لكمال العناية بذكره الا انه مخالف لما في الاصول (وقال جعفر بن محمد) أي الصادق (أدناه ربه منه) أي غاية الدنو وهو يحتمل جعل فاعل دنا الرب أو محمد والاول أقرب (حتى كان منه كقاب قوسين) ما أحسن هذه العبارة من زيادة الكاف المفيدة بحسب الاشارة الى انه ليس مقدار قوسين في المسافة في مقام القرب المعنوي بل يشبه به باعتبار القرب الحسي كما يستفاد هذا المعنى من قوله الآتي (وقال جعفر بن محمد) أي الصادق ولم يطلقه لئلا يشتبه بجعفر الطيار (والدنو من الله لا حد له) أي لا يدخل تحت حدود العبارة ولا في ضمن وجود الاشارة على وفق سائر حقائق صفاته فضلا عن حقيقة ذاته (ومن العباد بالحدود) أي والدنو من العباد لا يتصور الا بالحدود الغائية المنتهية الى غاية ونهاية في الشهود (وقال) أي جعفر (أيضا) أي حال كونه معاودا منتقلا الى معنى الكلام في الدنو ومقام المرام (انقطعت الكيفية عن الدنو) أي عن معرفة كنهه وحقيقته (ألا ترى كيف حجب جبريل عليه السلام) بفتح الحاء أي الرب الجليل (عن دنوه) أي دنو الخليل فكيف يطمع غيره الى معرفته سواء السجيل صح لاختلاف القال والقيل (ودنا محمد الى ما أودع قلبه) بصيغة المفعول أو الفاعل (من المعرفة

النفسي يسمعه الله تعالى بقدرته والمبحث بطوله مقرر في علم الكلام (وعن أنس في الصحيح) أي مروي في صحيح البخاري (عرج بي جبريل) صاعدا (الى سدرة المنتهى ودنا الجبار رب العزة) عطف بيان أو بدل والجبار هنا بمعنى العلي الاعلى من قولهم نخلة جبارة أي طويلة مرتفعة هذا هو المناسب للمقام لانه أنسب من تفسيره بالقاهر لعباده على ما أراده من أمر ونهي وان فسر به أيضا والعزة من عز يعز بالفتح اشتد وبالكسر صار عزيزا وهذا من حديث شريك السابق وقد استغرب به الذهبي وفيه نظر (فتدلى) تقدم تفسيره (حتى كان) رب العزة (منه) صلى الله تعالى عليه وسلم (قاب قوسين أو أدنى فاوحى اليه بما شاء وأوحى اليه خمسين صلاة) كما مر (وذكر حديث الاسراء) بتمامه كما تقدم (وعن محمد ابن كعب) القرظي السابق بيانه (هو) أي الموصوف بانه دنى كما سياتي بيانه (محمد) صلى الله عليه وسلم أي (دنا) محمد صلى الله عليه وسلم (من ربه فكان قاب قوسين) أي مقدار قاب قوسين في القرب منه (أو أدنى قال) أي محمد بن كعب (وقال جعفر بن محمد) وهو الآتي بعده أيضا (أدناه ربه منه حتى كان منه كقاب قوسين وقال جعفر بن محمد) المذكور (والدنو من الله لا حد له) أي الدنو من جانب الله ليس دنوا مكانيا محدودا بحيز كالاجسام بل دنو معنوي (ومن العباد بالحدود) المكانية الحاضرة لهم لا الحد المنطقي المميز للماهية (وقال) جعفر (أيضا) كما قاله السابق (انقطعت الكيفية عن الدنو) من جانب الله أي دنو من عباده ليس له كيفية مخصوصة وحالة معروفة لانه أمر معنوي غير محسوس والكيفيات أحوال محسوسة وسميت كيفية لانها يسئل عنها بكيف وهذه لفظة مولدة لم تسمع من العرب ومخالفة للقياس لان كيف لا تنسب اليها ثم وضح ذلك بقوله (ألا ترى) الخطاب عام لكل من وقف عليه كقوله تعالى ولو ترى اذ وقفوا على النار والرؤية نظرية أو ادعائية أو علمية والا بفتح الهمزة وتخفيف اللام وما في بعض النسخ الا بصورة الاستثناء وانه سمع منه بعيد (كيف حجب) بالبناء للفاعل أي منع (جبريل) بالنصب مفعوله ويجوز بناؤه للمجهول ورفعه (عن دنوه) الى ربه (ودنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم الى ما) موصولة أو موصوفة وفي نسخة ودنوه مصدر منصوب على كيف أي ألا ترى كيف الخ وترك دنوه (أودع قلبه) صلة ما أو صفة له وأودع مبني للمجهول وقلبه نائب فاعله وفي بعض النسخ بالبناء للفاعل ونصب قلبه مفعوله كما قاله البرهان (من المعرفة) الالهية والمواهب الربانية

والايمان) أي من كمال المعرفة وزيادة الايمان المنتجة الى مقام الاحسان وشهود العرفان (فتدلى بسكون قلبه الى ماأدناه) أي قربه اليه وأشرق بانوار المعارف واسرار العوارف لديه (وزال عن قلبه الشك والارتياب) أي عن توهم حلول الشك حول ذلك الجناب في حصول فتح هذا الباب والله تعالى أعلم بالصواب وهذا معنى خاص في الآية على طريق الاشارة القريب الى معنى العبارة (قال القاضي أبو الفضل رحمه الله تعالى) أي المصنف (اعلم ان ماوقع من اضافة الدنو والقرب هنا من الله) أي لعبده (أو الى الله) أي من عبده (فليس بدنو مكان) أي مسافة بل دنو عناية ومكانة (ولا قرب مدى) بفتح الميم والدال منونا أي ولا قرب غاية ونهاية تعالى الله عن الاتصال والانفصال والحلول والاتحاد ومايقوله أرباب الضلال والاضلال (بل كماذكرنا عن جعفر بن محمد الصادق ليس بدنو حد) أي بحس يبصر أو يدرك بنظر (وانما دنو النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من ربه وقربه منه) عطف تفسير (ابانة عظيم منزلته) أي اظهار عظمته ومرتبته (وتشريف رتبته) أي واظهار شرف رتبة قربته الناشئة من نهاية محبته وغاية طاعته (واشراق أنوار معرفته) أي بذاته وصفاته (ومشاهدة اسرار غيبه) أي مغيباته في ملكوت أرضه وسمواته (وقدرته) أي على ماتعلقت به مشيئته من وجود مخلوقاته (من الله تعالى) أي من جهته سبحانه وتعالى وهو متعلق بابانة ووقع في أصل الدلجي زيادة الواو العاطفة وهو مخالف لما في الاصول المعتبرة (له) أي سبحانه وتعالى في حق نبيه أو لنبيه في مقام قربه (مبرة) بفتح الميم والباء وتشديد الراء بمعنى البر أي مزيد جزيل فوائده اليه وجميل عوائده عليه (وتانيس) أي وزيادة أنس (وبسط) أي غاية انبساط (واكرام) أي وظهور احسان وانعام (ويتاول) بصيغة المجهول (فيه) أي في دنوه سبحانه وتعالى من نبيه (ماتؤول في قوله) أي على ماورد في الكتب الستة عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه مرفوعا (ينزل ربنا الى سماء الدنيا كل ليلة) أي يأول دنوه تعالى منه

(والايمان) مما لاطريق له الا السمع بعد البعثة وعليه حمل قوله تعالى ما كنت تدري ماالكتاب ولا الايمان أي الايمان بما يقتضيه العقل كوجود الباري ووحدانيته ومعنى قوله (فتدلى) أي نزل عما كان عليه قبل هذا (بسكون قلبه الى ماأدناه) الى ربه لما اطمان قلبه (وزال عن قلبه الشك والارتياب) في انه هل يصل الى حضرة القرب وينال انافته بالاكرام والانعام ويترقى الى أعلى مقام فانجح الله تعالى أمنيته وليس المراد الشك فيما يتعلق بالله ومعرفته فانه صلى الله تعالى عليه وسلم أقوى الناس معرفة وايمانا وأثبتهم جاشا وايمانا وأشدهم طمانينة وسكونا وبهذا اسقط ماقيل انه لم يكن عنده شك لامتلاء قلبه بالمعرفة والايمان وتطهيره من دنس الشك ووسوسة الشيطان وقيل انه لما فارق جبريل حين اختطفه الرفرف خشي ان يكون ذلك الاخذ مؤديا الى الهلاك وخاف من مكر الله به وشك فيما يؤول اليه أمره فلما خاطبه الله وقال له ليهدأ روعك علم ان الله انما أراد تقريبه والانعام التام عليه فزال شكه وانشرح صدره وثلج قلبه ببرد اليقين وحصول مراتب التمكين والافظاهره لايليق بمقامه (قال القاضي أبو الفضل) عياض المؤلف رضي الله عنه (اعلم ان ماوقع) بفتح الهمزة وتقدم معنى اعلم (من اضافة الدنو والقرب هنا) أي من اسناده (الى الله أو من الله تعالى) ووصفه به فالاضافة بالمعنى اللغوي لا الاصطلاحي وقوله هنا أي في هذه الآية (فليس بدنو مكان) هو خبر ان المفتوحة وزيد فيه ألفا لان اسمها موصول أي ليس فيه قربا محسوسا بل معنوي (ولاقرب مدى) بزنة فتى فسر بالغاية والنهاية والظاهر ان معناه المكان الممتد كما يقال مدى البصر ومده ولاعبرة بما قيل ان الثاني خطأ فانه ورد في الحديث كماذكره النووي في شرح مسلم (بل كماذكرناه عن جعفر بن محمد الصادق ليس بدنو حد وانما دنو النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من ربه وقربه منه ابانة عظيم منزلته) الابانة بكسر الهمزة بمعنى الاظهار وهو مرفوع خبر دنو المبتدأ وتقدم معنى المنزلة والرتبة وانها العلو المعنوي (وتشريف رتبته) بالجر ويجوز رفعه (واشراق أنوار معرفته) أي اظهار آثار معرفة الله عليه ففيه استعارة مكنية أو تشبيه ان كان من قبيل لجين الماء (ومشاهدة اسرار غيبه وقدرته) أي وقوفه على مافي عالم الملكوت لماهو مغيب عن خلقه الا من خصه الله تعالى باطلاعه عليه (ومن الله تعالى له) أي انما دنو الله لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم ونحوه بعد العلم بتنزيهه عن الحيز والقرب الحسي معناه (مبرة) مفعلة بالفتح بمعنى البر وله معان منها القبول والاحسان (وتانيس) أي لطف به يذهب استيحاشه لما انقطعت عنه الاصوات وغاب أليفه وهو جبريل عليه الصلاة والسلام (وبسط) أصل معناه التوسعة قال الله تعالى ولو بسط الله الرزق لعباده ومنه البساط ويطلق على المسرة أيضا وليس بمعنى مولد لانه ورد في الحديث فاطمة بضعة مني يبسطني مايبسطها كما مر وذكره ابن قرقول في مطالعه وهو المراد أي تانيسه بمايسره من مخاطبته بمايسره (واكرام) بتجليه وتعظيمه (ويتاول فيه) أي يأول الدنو الوارد في الحديث (مايتاول في قوله ينزل ربنا الى السماء الدنيا) يعني ان الدنو الواقع في الآية

بما باوّل به نزوله سبحانه وتعالى (على أحد الوجوه) أى من ان نزوله انما هو يكون (نزول افضال واجمال وقبول واحسان) والمعنى انه تعالى يتجلى ذلك الزمان بهذه الصفات من افاضة الفضل وافادة الكرم ورعاية القبول ونهاية الاحسان (قال الواسطى من توهم) أى من المريدين (انه بنفسه) أى بحوله وقوته (دنا) أى قرب من ربه (جعل ثمه) بفتح المثلثة وتشديد الميم أى فى ذلك المقام (مسافة) أى ولا مسافة فى قربه للاستحالة (بل كلما دنا بنفسه من الحق) أى بزعمه (تدلى بعدا) أى فى حقيقة أمره ونتيجة حكمه (يعنى) تفسير من المصنف أو غيره أى يريد (عن درك حقيقته) بسكون الراء وفتحها أى بعد عن ادراك حقيقته وتصور دقيقته اذ هو منزه عن شمول احاطته (اذ لا دنو للحق ولا بعد) أى دنو مسافة ولا بعد مساحة واما قوله تعالى فانى قريب فتمثيل لكمال علمه واجابته (وقوله قاب قوسين أو أدنى) يحتمل احتمالين فى المعنى (فمن جعل الضمير) أى فى دنا ويروى فان جعل الضمير (عائدا الى الله تعالى لا الى جبريل عليه السلام على هذا) أى يحتاج الى تاويل وهو انه (كان) أى الدنو (عبارة عن نهاية القرب)

(٤٠ ـ شفا نى) أى المعنوى (ولطف المحل) أى المقام الانسى (وايضاح المعرفة) من باب الافعال أو الافتعال أى وضوح المعرفة فى مقام المشاهدة وروى المنزلة بدل المعرفة (والاشراف) بالفاء وفى نسخة بالقاف أى الاطلاع (على الحقيقة) أى المنزهة عن المسافة

الآية كما ورد مثله فى بعض الاحاديث ان أولياء الله تعالى قريبون من الله ليس على ظاهره قربا حسيا بل معنويا باللطف والاكرام وقد يأول بعلم الله ببواطنهم وظواهرهم وقدرته على التصرف فيهم وعليه قوله تعالى ونحن أقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون كما أول النزول المسند الى الله تعالى فى حديث أبى هريرة رضى الله عنه المتفق على صحته انه صلى الله عليه وسلم قال ينزل ربنا الى السماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الاخير يقول من يدعونى فاستجيب له من يسألنى فاعطيه من يستغفرنى فاغفر له بالاقبال عليهم بانعامه واجابة دعائهم ومغفرة ذنوبهم وافاضة مواهبه عليهم وتاويله بنزول ملائكته بعيد هنا وان ذهب اليه بعضهم ويتاول فيهما مبنى للمجهول (على أحد الوجوه) فى تاويله من ان نزوله تعالى انما هو (نزول افضال) بتفضيله وانعامه (واجمال) أى فعل جميل بهم على عادته (وقبول) لتوبتهم واستغفارهم (واحسان) بالجود والكرم عليهم وليس المراد انه بتقدير مضاف من مجاز النقص أى ينزل احسانه كما قيل فهو تمثيل لسرعة اجابته وانجاح طلبته ولزيادة لطفه واعتنائه به بمن قربه كبير له مقام عال حتى انه قد ينزل اليه اذا سمع نداءه فهو استعارة تمثيلية أو تبعية تصريحية (وقال الواسطى) المتقدم ترجمته (من توهم انه) تعالى وله المثل الاعلى (بنفسه دنا) دنوا حقيقيا محسوسا بذاته لا دنو لطف واكرام معنوى مجازى فقد (جعل ثم) بفتح المثلثة وتشديد الميم ويقال ثمة بتاء أيضا كما يكون بها مرسومة خطا ثابتة لفظا فى الوقف ومعناه هنالك وأصل وضعها للاشارة الى المكان بعيدا أو قريبا على اختلاف فيها وقد يتجوز بها عن المعنى ونحوه بتشبيهه بالمكان على انه استعارة فيه كما هنا فانه اشارة للآية والحديث المذكور فيه الدنو والنزول وقوله (مسافة) باعتبار مدلوله فان جعلت الاشارة اليه على تقدير انه على حقيقته فلا والمسافة المفازة من السوف وهو شم التراب والبول ومنه قيل للمفازة مسافة لان الدليل يشم ترابها كما حققه الراغب ولا مسافة لاستحالتها عليه تعالى (بل كلما دنا) أحد من المخلوقات بزعمه (بنفسه من الحق) أى الله تعالى (تدلى) نزل من علو الى أسفل (بعدا) أى لبعده عما قصده فهو مفعول له أو تمييز من نسبة تدلى (يعنى) الواسطى بقوله هنا تدلى بعدا أى كلما حاول القرب نزل لساحة البعد (عن درك حقيقته) متعلق بمقدر يعنى بعدا أو بعدا عن ادراك حقيقته وذاته قال البرهان الحلبى فى حاشيته درك بفتح الدال والراء المهملتين وضبطه بعضهم باسكان الراء والاشهر هنا الفتح ومعناه الادراك واما الدرك ضد الدرج فبالفتح لا غير وحكى فيه الوجهان وفيه نظر (اذ لا دنو للحق ولا بعد) بالمعنى المكانى لاستحالتهما عليه تعالى وما ورد مما يوهمه مأول كما عرفته واما علم حقيقته بكنهها ففيه خلاف ليس هذا محله ولا وجه للتعرض له هنا (وقوله قاب قوسين أو أدنى) بالمعنى الذى مر بيانه وهذا جواب عن سؤال ودفع لما يتوهم من انه يقتضى قربا حقيقيا ومسافة كما أشار اليه بقوله (فمن جعل الضمير) المقدر فى قوله تعالى ثم دنا فتدلى (عائدا الى الله تعالى لا الى جبريل عليه السلام على هذا) التاويل السابق آنفا (كان) الدنو المذكور (عبارة عن نهاية القرب) أى معبرا به عن غاية القرب المعنوى من عباده (ولطف المحل) اللطف عبارة عن الامور الخفية وما لا يدرك بالبصر كما فى قوله وهو اللطيف الخبير أى هو عبارة عن دنو معنوى ومنزلة معنوية لا تحس بالابصار (واتضاح المعرفة) الالهية التى وهبها من العلم اللدنى فى حظائر قدسه لمن خصه برفعة المنزلة من خلص عباده الذين جعلهم محرم أسراره واتضاح بالمثناة الفوقية افتعال من الوضوح وفى بعض النسخ بالمثناة التحتية مصدر أوضحه ايضاحا (والاشراف على الحقيقة) أى الاطلاع عليها وأصله من أشرف اذا

(من محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) أى من جهته ورعايته (وعبارة) بالنصب عطف على عبارة السابقة (عن اجابة الرغبة) أى مرغوباته (وقضاء المطالب) باداء مطلوباته (واظهار التحفى) بفتح المثناة الفوقية والحاء المهملة وتشديد الفاء المكسورة أى المبالغة فى ظهور البر والاحسان أو فى اظهار العلم والايقان يقال تحفى فلان بصاحبه أى بالغ فى بره وتلطفه بالسؤال عن حاله ومنه قوله تعالى انه كان بى حفيا قال الزمخشرى هو البليغ فى البر (وانافة المنزلة) أى رفعة الرتبة أو زيادتها ويروى ابانة من البيان

وقف على شرف وهو المكان العالى ثم أريد به لازمه من الوقوف والاطلاع كناية أو مجازا (من محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) أى كان الدنو بالمعنى المذكور من نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم (و) كان الدنو المعنوى (عبارة عن اجابة الرغبة) أى اجابته لمأموله الذى هو غاية مطلوبه ومرغوبه (وقضاء المطالب) أى اعطاءه طلبه الذى طلبه منه ووعده به وفى القضاء اشارة الى انه كالدين لان عدة الكريم دين (واظهار التحفى) بحاء مهملة وفاء ومثناة تحتية وهو المبالغة فى البر (وانافة المنزلة) بالنون والفاء بمعنى اعلائها ورفعها (والمرتبة) عطف تفسير (من الله له) متعلق بما قبله اشارة الى انه كله فضل وموهبة منه تعالى (ويتأول فيه) بالبناء للمجهول أى يتأول القرب والدنو بتاويل مثل (ما يتأول فى قوله) صلى الله تعالى عليه وسلم فى الحديث الصحيح الذى رواه البخارى على طريق التمثيل والاستعارة فى قوله تعالى (من تقرب منى شبرا تقربت منه ذراعا ومن أتانى يمشى) أى من أطاعنى وسعى فى امتثال أوامرى والمراد انه يمشى مشيا غير بطئ بالهوينا المقابلته بقوله (أتيته هرولة) وهى المشى والجرى بسرعة والمراد انى أعجل له جزائى وأوصل اليه احسانى سريعا وتفسيره بسبقته بجزائى غير صحيح هنا (أى) والتاويل الذى أول به من تقرب الى آخره وما بعده هو (قرب بالاجابة) لدعائه وهو مرفوع خبر لمبتدأ مقدر (والقبول) لتوبته (واتيان بالاحسان وتعجيل بالمأمول) اشارة لمعنى الهرولة وهذا بعض حديث قدسى صحيح رواه أبو هريرة رضى الله تعالى عنه أوله قال الله تعالى الكبرياء ردائى والعظمة ازارى من نازعنى واحدا منهما قذفته فى النار ومن اقترب منى شبرا اقتربت منه ذراعا ومن اقترب منى ذراعا اقتربت منه باعا ومن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى ومن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منه وأطيب ومن جاءنى يمشى أتيته هرولة ومن جاءنى يهرول جئته سعيا قالوا معناه سرعة الاجابة والثواب لمن دعاه وأطاعه فالتقرب تمثيل للتحبب الى الله بالطاعة والعبادة وتفويض أموره وانه يضاعف ثوابه ويزيده بما هو خارج عن القياس وليس فى قوله فى ملأ خير منه دليل على أفضلية الملائكة كما سيأتى ان شاء الله تعالى وهذا تاييد لما سبق وتوضيح له فلا يعترض عليه بانه تكرار من غير فائدة

(فصل فى ذكر) ما يدل على (تفضيله) صلى الله تعالى عليه وسلم (فى القيامة بخصوص الكرامة) أى بما خصه الله يوم القيامة وفضله به على سائر الانبياء والرسل عليه وعليهم الصلاة والسلام وذكر ما يدل على ما عقد له بحديث أسنده المصنف من طريق الترمذى فقال (حدثنا القاضى أبو على) الشهيد المعروف بابن سكرة وقد تقدمت ترجمته قال (حدثنا أبو الفضل) ابن خيرون السابق ترجمته أيضا (وأبو الحسين) بالتصغير وهو المبارك بن عبد الجبار هكذا هو فى أكثر النسخ الصحيحة وفى بعضها أبو الحسن مكبرا والصواب الاول كما ذكره البرهان الحافظ فالحسن ليس بالحسن هنا وهذا الحديث تقدم فى أول الكتاب مسندا الى الترمذى بهذا السند (قالا حدثنا أبو يعلى) بفتح أوله وهو أحمد بن عبد الواحد بن محمد بن جعفر المعروف بابن زوج الحرة كما تقدم فى ترجمته قال (حدثنا السنجى) أبو على الحسن بن محمد بن احمد بن شعبة السابق ذكره وضبطه قال (حدثنا ابن محبوب)

(والمرتبة) أى القربة (من الله تعالى له ويتأول فيه) أى فى هذا الدنو (ما يتأول فى قوله) أى المروى فى صحيح البخارى (من تقرب منى شبرا تقربت منه ذراعا) هذا الحديث القدسى والكلام الانسى تمثيل لقرب معنى القرب المعنوى فى لباس القرب الحسى فانه أوقع فى النفس الانسى (ومن أتانى يمشى) أى فى طاعته (أتيته هرولة) أى سبقته مسرعا بجزاء عطيته أو بتوفيق عبادته فالدنو فى الآية والقرب فى الحديث (قرب بالاجابة والقبول واتيان بالاحسان وتعجيل المأمول) أى واسراع لتحصيل المسؤل لكن بين المقامين بون بين وبين القربين تباين متعين فلا تقاس الملوك بالحدادين لتفاوت مراتب المقربين ومنازل السالكين من المحبين والمحبوبين نفعنا الله ببركاتهم أجمعين *(فصل)* (فى ذكر تفضيله صلى الله تعالى عليه وسلم فى القيامة بخصوص الكرامة حدثنا القاضى) أى الشهيد (أبو على) أى الحافظ ابن سكرة (ثنا أبو الفضل) أى ابن خيرون (وأبو الحسين) بالتصغير وفى نسخة أبو الحسن بفتحتين والاول هو الصواب على ما حققه الحلبى وهو المبارك ابن عبد الجبار (قالا) أى كلاهما (حدثنا أبو يعلى) وهو المعروف بابن زوج الحرة (ثنا السنجى) بكسر السين وسكون النون فجيم منسوبا (ثنا ابن محبوب) هذا هو أبو العباس المحبوبى راوى

جامع الترمذي عنه (حدثنا الترمذي ثنا الحسين بن يزيد الكوفي) هو الطحان (ثنا عبد السلام بن حرب) أي النهدي يروي عن عطاء بن السائب وغيره وعنه ابن معين ونحوه أخرج له الأئمة الستة (عن ليث) أي ابن أبي سليم الكوفي أحد الاعلام روى عن مجاهد وطبقته ولا نعلم أنه لقي صحابيا وعنه شعبة وخلق وفيه ضعف يسيرة من سوء حفظه وكان ذا صلاة وصيام وعلم كثير وبعضهم احتج به (عن الربيع بن أنس) تقدم (عن أنس رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أنا أول الناس خروجا) أي من القبر (اذا بعثوا) بصيغة المفعول أي أثيروا من قبورهم ونشروا (وأنا خطيبهم) أي متكلم عنهم فيما بينهم (اذا وفدوا) أي قدموا على ربهم (وأنا مبشرهم) أي بمايسرهم (اذا يئسوا) أي قنطوا من رحمة ربهم من شدة حسابهم وهول عذابهم (لواء الحمد) أي يومئذ كما في الجامع الصغير (بيدي) أي لانفراده بالحمد الذي يلهم به أولانه يحمده الاولون والآخرون تحت لوائه كما قال آدم ومن دونه تحت لوائي يوم القيامة ولذا سمى مقاما محمودا وهو قيامه بالشفاعة العظمى واصل اللواء الراية ولا يمسكها الا صاحب الجيش وموضوع اللواء شهرة مكان الرئيس ليعتمدوا عليه ويرجعوا اليه (وأنا أكرم ولد آدم) أي هذا الجنس (على ربي) أي عنده (ولا فخر) أي ولا أقول هذا فخرا من أثر عجبي بل تحدثا بنعمة ربي (وفي رواية ابن زحر) بفتح زاي فسكون حاء مهملة فراء وهو عبيد الله بن زحر الافريقي العابد يروي عن علي ابن يزيد وابن اسحق وطبقتهما وله مناكير ضعفه أحمد وقال النسائي لا بأس به وقد أخرج له البخاري في الادب المفرد (عن الربيع بن أنس في لفظ هذا الحديث) لعله من طريق أخرى للمصنف غير طرق الترمذي فاندفع به قول الحلبي هذه الرواية ليست في الكتب الستة فضلا عن قول الترمذي وتوجيه قول الدلجي ان هذه رواية أبي نعيم في الدلائل عن ابن زحر ثم رأيت التلمساني ذكر انه ثبت بخط القاضي وفي رواية ابن زحر والربيع بن أنس يعني بالعطف وعند العرفي عن الربيع عن أنس يعني كما في الاصل وعلى كلا الوجهين المروي عنه هو أنس بن مالك

أبو العباس المحبوبي راوي جامع الترمذي عنه قال (حدثنا الترمذي قال حدثنا الحسين بن يزيد الكوفي) المعروف بابن الطحان أخرج له أبو داود والترمذي وقال أبو حاتم انه لين توفي سنة أربع وأربعين ومائتين وترجمته في الميزان قال (حدثنا عبد السلام بن حرب) النهدي روى عنه أصحاب الكتب الستة وترجمته في الميزان (عن ليث) بن أبي سليم بالتصغير القرشي الكوفي العابد الزاهد وفيه ضعف يسير لسوء حفظه توفي سنة ثمان وثلاثين ومائة (عن الربيع بن أنس عن أنس رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انا أول الناس خروجا اذا بعثوا) أي خرجوا من قبورهم الى المحشر لانه صلى الله عليه وسلم رأسهم وقائدهم فيبعث قبل موسى وسائر الرسل كما سيأتي وهذا الحديث انفرد به الترمذي وقال انه حسن غريب (وأنا خطيبهم اذا وفدوا) أي قدموا على الله وقاموا بين يديه للحساب وأصل الوفد الجماعة تقدم الى من لهم فيه رجاء وعنده قضاء أمورهم وعطاياهم ولما كان صلى الله تعالى عليه وسلم هو الشفيع المشفع في المحشر المأذون له في التكلم وفصل القضاء كان ثمة كالخطيب في المجمع على عادتهم اذ كان لكل وفد خطيب غالبا وهذا أنسب هنا من قول اما مهم لا لانه لا تكليف ثمة كما توهم وفيه دليل على افضليته صلى الله عليه وسلم وانه لم يدهش لهول المحشر (وانا مبشرهم) بالخلاص من المحشر وطول موقفه (اذا أيسوا) من النجاة من شدة ذلك اليوم وهوله اذا أزفت الآزفة وبلغت القلوب الحناجر والاياس بتقديم الهمزة القنوط من رحمة الله وروي يئسوا بتقديم الياء على الهمزة وهما لغتان وروايتان (لواء الحمد بيدي) يوم القيامة ليعرفه صلى الله تعالى عليه وسلم ويتبعه كل من في الموقف واللواء معروف وهو لواء حقيقي سمى لواء الحمد لانه حمد الله بمحامد لم يحمده بها غيره أو لحمد الناس كلهم له ويجوز ان يكون كناية عن شهرته وتقدمه كقوله

اذا ما راية رفعت لمجد * تلقاها عرابة باليمين

فهو اشارة لتقدمه صلى الله تعالى عليه وسلم وعظمته وكثرة حمده وأمته الحمادون وهو أحمد ومحمد وتقدم الكلام عليه واللواء والعلم والراية والبند متقاربة معنى لكن اللواء أكبرها وروى الطبري ان لواء الحمد يحمله علي كرم الله وجهه بين يديه صلى الله تعالى عليه وسلم ولعل الاختلاف باعتبار مواطن الحمد فلا مخالفة بينهما (وانا اكرم ولد آدم على ربي) أي أشرفهم ذاتا وصفة وأقربهم منزلة والكرم صفة تجمع كل خير وان اختص عرفا بالسخاء وهذا تحدث بنعم الله تعالى واظهار لما يجب اعتقاده وفي نسخة على ربه والضمير لاكرم أو آدم والرواية الصحيحة الاولى والولد صفة مشبهة بمعنى المولود يطلق على الواحد وغيره كما مر (ولا فخر) جملة حالية مؤكدة أي انا لا أذكره للفخر بل للتحدث بنعم الله أو لا أفخر بهذا اذ لي عند الله ما هو أعظم وأشرف من هذا مع اني لم أنله بسعي واجتهادي وخبر لا محذوف أي فيه أو عندي ونحوه والفخر الافتخار والتبجح بالامر بان يذكره ليظهر علوه على غيره (وفي رواية ابن زحر عن الربيع بن أنس في لفظ هذا الحديث) وزحر بفتح الزاي المعجمة وسكون الحاء ثم راء مهملتين وهو

(انا أول الناس خروجا اذا بعثوا وانا قائدهم اذا وفدوا) أي مقدمهم وفي الحديث قريش قادة رادة (وانا خطيبهم اذا انصتوا) أي سكتوا ولم يقدروا ان يتكلموا فاناعتذر لهم عما فعلوا (وانا شفيعهم اذا حبسوا) أي وقفوا يوم القيامة فيموج بعضهم في بعض فيفزعون الى الانبياء فيقول كل نفسي نفسي فياتونه فيشفع لهم الشفاعة العظمى لفصل القضاء (وانا مبشرهم اذا ابلسوا) بضم همز وسكون موحدة وكسر لام فسين مهملة أي يئسوا وتحيروا ومنه قوله تعالى فاذا هم مبلسون وبه سمى ابليس وكان اسمه عزازيل هكذا ذكره التلمساني وروى يئسوا بتقديم الياء على الهمز من اليأس وروى بتقديم الهمزة على الياء من الاياس وهو قطع الرجاء (لواء الكرم) أي الذي ترتب عليه الحمد (بيدي) أي بتصرفي وأصل اللواء العلم والراية ويجوز ان يراد به حقيقته وهو الاولى لان الرئيس علامته اللواء ويجوز ان يكون اشارة لرفعة مقامه وظهور مرامه ويؤيد الاول ما ورد من انه يكون يوم القيامة لكل متبوع لواء يعرف به انه قدوة حق أو اسوة باطل وجاء في حديث عقبة ابن عامر ان أول من يدخل الجنة الحامدون لله تعالى على كل حال يعقد لهم يوم القيامة لواء فيدخلون الجنة ثم قيل اللواء ما كان مستطيلا والراية ما كان مربعا والاظهر ان اللواء هو الراية العظيمة فهي أعم والله تعالى أعلم (وانا أكرم ولد آدم على ربي ولا فخر) أي ولا أقول فخرا بل أمتثل أمرا (ويطوف على ألف خادم) أي من أفضل خدام أهل الجنة (كأنهم لؤلؤ مكنون) أي مصون عن الغبار والصفار مثل الدر في الصدف على طراوته أو المصان المدخر لنفاسته وفي اللؤلؤ أربع لغات الهمز فيهما وتركه وهمز الاولى مع ترك الثانية

عبد الله بن زحر الافريقي العابد وأصل معنى الزحر الصوت والاذين ومنه الزحير للرض المعروف في الامعاء والعامة تغلط فيه وتقول زحيل باللام وروى عنه أصحاب السنن له وترجمة في الميزان وأخرج له البخاري في الادب وفي رواية زيادة ومغايرة في اللفظ على الرواية السابقة وهي ظاهرة وفي الاصل بخطه وفي رواية ابن زحر والربيع بن أنس وفي رواية العزفي عنه عن الربيع عن أنس وعلى كلا الوجهين المروي عنه أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه كما قاله التلمساني (انا أول الناس خروجا اذا بعثوا) كما تقدم (وانا قائدهم اذا وفدوا) القائد في الاصل الذي يقود الدابة بزمام ونحوه ثم صار حقيقة في الرئيس الذي يتبعه الناس ويرتضونه وفي أمر الجيوش وجمعه قادة وتقدم معنى الوفد وان المراد به القادمون للحشر فالمراد انه صلى الله تعالى عليه وسلم مقدم ثمة حسا ومعنى (وانا خطيبهم اذا انصتوا) أي انا المتكلم بين يدي ربي في أمرهم والشفاعة لهم وقد سكتوا ولم يطيقوا نطقا لحيرتهم والانصات والسكوت بمعنى (وانا شفيعهم اذا حبسوا) في الموقف واضطربوا وفزعوا للانبياء عليهم الصلاة والسلام فقال كل منهم نفسي نفسي فيشفع لهم صلى الله تعالى عليه وسلم الشفاعة العظمى في فصل القضاء (وانا مبشرهم) بالخلاص من هول الموقف والحبس فيه (اذا ابلسوا) انقطعت حجتهم وتحيروا وسكتوا واليأسهم من النجاة وقيل الابلاس الحيرة والندم ومنه ابليس (لواء الكرم بيدي) قريب مما مر لفظا ومعنى (وأنا اكرم ولد آدم على ربي ولا فخر ويطوف على ألف خادم) في الجنة من الحور العين (كأنهم لؤلؤ مكنون) رواه الترمذي وصححه ومكنون بمعنى محفوظ مستور لم تمسه الايدي فهو كناية عن كونها بكرا ذات بهاء بحيث لم ير مثلها (وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه) في حديث رواه الترمذي وصححه (واكسى حلة من حلل الجنة) أصل معنى الحلة ثوبان من برود اليمن واحد فوق واحد ثم أطلق على كل لباس فاخر يعطى رعاية للابسه وفيه دلالة على قربه صلى الله تعالى عليه وسلم وكرامته اذ كسي وجميع الناس عراة وحفاة (ثم أقوم عن يمين العرش ليس احد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيري) ذلك في محل نصب على الظرفية وفي مقامه صلى الله تعالى عليه وسلم في جانب اليمين في مقام لم يقم فيه نبي مرسل ولا ملك مقرب من التكريم الدال على غاية القرب وسماع كلامه وقبول رجائه بما يليق بمقامه الشريف والخلائق جمع خليقة وهو اسم جمع بمعنى جماعات من المخلوقين (وعن أبي سعيد)

الخدري

وعكسه ويسمى كباره المرجان لقوله تعالى كأنهن الياقوت والمرجان لان المراد الحمرة والبياض والله تعالى أعلم وخلاصة المعنى انهم في الحسن والبياض والصفاء والضياء كأنهم لؤلؤ مستور في صدفه لم تمسه الايدي من الكن وهو الستر (وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه) كما روى الترمذي وصححه (واكسى) بصيغة المجهول أي ألبس (حلة) أي عظيمة (من حلل الجنة ثم أقوم عن يمين العرش) تلويح بقربه من ربه وكرامته في مقام حبه (ليس احد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيري) يعني به المقام المحمود وصدر الحديث على ما في الجامع الصغير من رواية الترمذي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه مرفوعا انا أول من تنشق عنه الارض فاكسى حلة الحديث (وعن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه) أي الخدري كما في نسخة وقد رواه أحمد والترمذي وحسنه وابن ماجه عنه مرفوعا (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

(أناسيد ولد آدم يوم القيامة) قيده به لظهور سيادته ووضوح رياسته مطلقا فيه لكل أحد من غير منازع ولا مدافع وفي الاصول ولا فخر هنا أيضا (وبيدي لواء الحمد ولا فخر) أي الا بمثل هذا (ومانبي) وفي نسخة ولا نبي وفي نسخة صحيحة وما من نبي (يومئذ آدم) بالنصب ويجوز رفعه (فمن سواه) بكسر السين وضمها أي فمن بعده ولو كان أفضل منه كابراهيم ونوح وموسى وعيسى عليهم السلام كما يستفاد من العطف بالفاء دون الواو (الا تحت لوائي) ووقع في أصل الدجى آدم يومئذ فمن سواه فتكلف في توجيهه بقوله اعتراض بين النفي والاستثناء أفاد ان آدم بالرفع بدلا أو بيانا من محله (وانا أول من تنشق عنه الارض ولا فخر) وفي الاصول هنا زيادة وانا أول شافع وأول مشفع ولا فخر (وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه) كما رواه مسلم وأبو داود (انا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من ينشق عنه القبر وأول شافع وأول مشفع) بفتح الفاء المشددة أي أول مقبول في الشفاعة وانما ذكر الثاني باعادة أول لانه قد يشفع اثنان فيشفع الثاني منهما قبل الاول ذكره النووي ففي البخاري يحدس المؤمنون يوم القيامة فيقولون لو استشفعنا الى ربنا فيريحنا من مكاننا الى ان قال فياتوني فاستاذن على ربي في داره فيؤذن لي عليه فاذا رأيته وقعت ساجدا فيدعني ماشاء أن يدعني فيقول محمد ارفع وقل تسمع واشفع تشفع (وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما) كما روى الترمذي والدارمي (انا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر) أي الا بهذا قيل يعارض هذا الحديث ونحوه ماروى عنه عليه الصلاة والسلام اللواء يحمله يوم القيامة علي وأجيب بان حديث علي هذا ذكره ابن الجوزي في الموضوعات قيل ولئن صح فالجواب ان عليا لما كان حاملا للواء بامره أضاف حمله الى نفسه والاولى أن يقال لواء على خاص له ولاشياعه وكذا لابي بكر وأتباعه وكذا لكل امام وشيخ مقتدى مع تلامذته ومريديه لما تقدم والله تعالى أعلم (وانا أول شافع وأول مشفع ولا فخر) أي بهذا بل لي عند الله فوق ذلك مما افتخر به هنالك (وانا أول من يحرك حلق الجنة) أي بابها للاذن بدخولها والحلق بفتحتين وقد تكسر حاؤه جمع حلقة (فيفتح لي) بصيغة المجهول (فادخلها فيدخلها معي) أي من أمتي (فقراء المؤمنين) أي من المهاجرين وغيرهم على مراتبهم (ولا فخر) أي في هذا المقام الا بالفقر وأما حديث الفقر فخري فموضوع كما صرح به الحافظ ثم الفقر قد يكون مذموما كما ورد كاد الفقر ان يكون كفرا ومنه أعوذ بك من الفقر والمحمود منه انما هو بغنى النفس كما ورد ليس الغنى عن كثرة العرض انما الغنى غنى النفس ونعم ماقيل

غنى النفس مايكفيك عن سد حاجة * فان زاد شيأ عاد ذاك الغنى فقرا

وقد قال الله تعالى والله الغني وأنتم الفقراء والفقير الحقيقي هو الذي يرى دوام افتقاره في حال اضطراره واختياره

الخدري في حديث رواه ابن ماجه والترمذي وحسنه (أناسيد ولد آدم يوم القيامة) ظرف متعلق بسيد وتقييده به ليس للتخصيص كما سيأتي بل لانها سيادة مسلمة له صلى الله تعالى عليه وسلم وهي أشرف من سيادة الدنيا وم ان الصحيح ان السيد يجوز اطلاقه على الله وعلى غيره والخلاف فيه مشهور وعلى ثلاثة أقوال مشهورة (وبيدي لواء الحمد ولا فخر) تقدم معناه (ومامن نبي آدم فمن سواه) بدل من نبي أي جميع الانبياء (الا تحت لوائي) أي تابع لي في القيامة وليس المراد انه تحته حقيقة وعطف فمن بالفاء لانهم بعده من غير فاصلة والمراد الترتيب الرتبي أو الحقيقي (وانا أول من تنشق عنه الارض) يوم تبعثر القبور وتنشق بقدرة الله تعالى وفيه اكرام له صلى الله تعالى عليه وسلم (ولا فخر) تقدم معناه (وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه) في حديث صحيح رواه مسلم (عنه صلى الله تعالى عليه وسلم أناسيد ولد آدم يوم القيامة) أي انا أشرفهم وأقربهم عند الله في يوم لا يسود فيه غيري كما مر (وأول من ينشق عنه القبر) أي قبره الشريف (وأول شافع) يشفع للناس في الموقف (وأول مشفع) بفتح الفاء المشددة أي أول من يؤذن له في الشفاعة وتقبل شفاعته وتفصيله ما في حديث البخاري يحدس المؤمنون يوم القيامة فيقولون له صلى الله تعالى عليه وسلم استشفعنا الى ربنا فيريحنا من مكاننا فاستاذن على ربي فيؤذن لي فاذا رأيته وقعت ساجدا فيدعني ماشاء أن يدعني فيقول ارفع رأسك محمد وقل تسمع واشفع تشفع (وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما) في حديث رواه الترمذي والدارمي (انا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر) كما مر (وانا أول شافع) في ازالة هول الموقف (وأول مشفع) تسمع شفاعته وتقبل (ولا فخر) لي فخر تكبر وتبجح فيما خصني الله به (وانا أول من يحرك حلق) باب (الجنة) ليفتح لي ولمن يدخلها بعدي وحلق بفتح الحاء المهملة واللام ويجوز كسر الحاء فيكون بزنة بدر جمع حلقة بسكون اللام وقد تفتح وتكسر وفي القاموس ليس في الكلام حلقة محركة الا جمع حالق أو هي لغة ضعيفة والمراد بباب الجنة باب مخصوص به صلى الله تعالى عليه وسلم يسمى باب محمد وباب الرحمة ولها أبواب غيره وقيل المراد جميع أبوابها وانه الظاهر والظاهر خلافه (فيفتح لي) بابها (فادخلها) وفي رواية وأدخلها بالواو (و) يدخلها (معي فقراء المؤمنين ولا فخر) ويفتح بالتحتية والبناء للمجهول والفاتح

(وانا أكرم الاولين والآخرين ولافخر) أي الابالغية عنهم وبالحضور مع ربهم (وعن أنس رضي الله تعالى عنه) كما روى مسلم (انا
أول الناس يشفع) وفي نسخة يشفع بتشديد الفاء المفتوحة (في الجنة) أي لرفع درجات المطيعين ولدخول العصاة

خزنتها أو الفوقية والضمير للجنة والفاء للتعقيب من غير مهملة في الفتح والدخول والمراد بالفقراء الفقراء الصابرين وهو شامل للساكين والفرق بينهما مشهور والخلاف معروف وفي هذا دليل على ان الفقير الصابر أفضل من الغني الشاكر وقيل الغني الشاكر أفضل والاول أصح ولذا اختار الفقر كثير من الانبياء والاولياء وأنفق أبو بكر رضي الله تعالى عنه في سبيل الله ليدخل في سلكهم والمحمود منه ما كان القلب والنفس فان الغنى ليس بكثرة العرض وانما هو غنى النفس وهو كما قيل

غنى النفس ما يكفيك عن سد حاجة * فان زاد شيأ عاد ذاك الغنى فقرا

وفقر النفس ولوم المال مذموم ولذا استعاذ النبي صلى الله تعالى عليه وسلم منه وكونه صلى الله تعالى عليه وسلم أول من يدخل الجنة لا ينافي ما ورد في حديث الترمذي من انه صلى الله تعالى عليه وسلم دعا بلالا رضي الله تعالى عنه وقال له يا بلال بم سبقتني الى الجنة فما دخلتها قط الا سمعت خشخشتك وفي رواية سمعت دق نعليك بين يدي في الجنة فانه كان في رؤياه لا في هذا الدخول أو هو كما قال ابن القيم كان دخوله دخول الخادم والحاجب الذي يتقدم سيده والمطرق في طريق سيده وهو بيان لفضيلة الاذان وانما سأله صلى الله تعالى عليه وسلم وان كان أعلم به تطييبا لنفسه والمراد بقوله معي ليس المساواة بل التبعية فلا يقال لا حاجة لقوله معي في الجملة وهي حالة تقتضي المقارنة (وانا أكرم الاولين والآخرين ولا فخر) المراد انه صلى الله تعالى عليه وسلم أشرف من جميع الخلق (وانا أكثر الناس) أي الانبياء عليهم الصلاة والسلام وكذا روي أيضا (تبعا) جمع تابع كخدم جمع خادم يعني ان أمته صلى الله تعالى عليه وسلم أكثر من سائر الامم ويقتضي هذا أكثرية أجره عليهم وياتي التصريح به وأفضليته على كل واحد منهم وعلى جميعهم أيضا كما قررناه في محله (وعن أنس رضي الله تعالى عنه) كما رواه الشيخان (أنا سيد الناس) وأجلهم وأعظمهم (يوم القيامة) خصه مع انه صلى الله تعالى عليه وسلم سيدهم في الدنيا والآخرة لظهوره ثمة واختصاصه به ظاهرا من غير منازع ومنكر كما وقع في الدنيا من المشركين وسياتي تفصيله في كلام المصنف رحمه الله تعالى (وتدرون لم ذلك) فيه استفهام مقدر أي أتدرون ما سبب هذه السيادة وحذف الاستفهام لقرينة جائز كما صرحوا به (يجمع الله الاولين والآخرين) في المحشر (وذكر حديث الشفاعة) أي ذكر أنس رضي الله عنه هذا الحديث المذكور فيه الشفاعة بتمامه ولم يذكره هنا لانه سياتي في الشفاعة وانه اذا كان يوم القيامة ماج الناس بعضهم في بعض فياتون آدم عليه الصلاة والسلام ليشفع لهم فيقول لست لها الى ان قال فاقول أنا لها الخ (وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال أطمع) أي أرجو من الله تعالى طمعا ورجاء حققه له كقوله والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين وتعبيره صلى الله تعالى عليه وسلم بالطمع هضما لنفسه (ان أكون أعظم الانبياء أجرا يوم القيامة) لان أمته صلى الله تعالى عليه وسلم أكثر الامم وأجر أعمالهم له مثله لان من سن سنة حسنة له أجرها وأجر من عمل بها الى يوم القيامة وأعمالهم مضاعفة وله صلى الله تعالى عليه وسلم مثلها ومثل اضعافها وهو أعظمهم مشقة لعموم دعوته وكثرة من عتا وعاند من الكفرة مع تحمله وصبره حتى قيل له صلى الله تعالى عليه وسلم لعلك باخع نفسك (وفي حديث آخر أما ترضون) معاشر المسلمين (ان يكون ابراهيم) الخليل عليه الصلاة والسلام (وعيسى) عليه الصلاة والسلام (كلمة الله فيكم) أي

من المؤمنين (وانا أكثر الناس) أي من الانبياء (تبعا) ولفظه في مسلم على ما في الجامع الصغير انا أكثر الانبياء تبعا يوم القيامة وانا أول من يقرع باب الجنة (وعن أنس رضي الله تعالى عنه) كما في الصحيحين (قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنا سيد الناس يوم القيامة وتدرون لم ذلك) كأنه قيل الله ورسوله أعلم فقال أولما علم انهم لا يدرون ما هنالك قال (يجمع الله الاولين والآخرين وذكر حديث الشفاعة) وهو اذا كان يوم القيامة ماج الناس بعضهم في بعض فياتون آدم ليشفع لهم فيقول لست لها الى ان قال فيأتوني فاقول انا لها الحديث أي انا الكائن لها والمتكفل بها ومن ثم قيل أنت لها أهل من بين البشر (وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه انه عليه الصلاة والسلام قال أطمع ان أكون أكثر الانبياء أجرا يوم القيامة) لانه أعظمهم في المشقة بما كلف من عموم الدعوة مع تمرد الكفرة وعتو الفجرة أو المعنى أكثرهم أجرا لكون أمته أكثرهم نفرا (وفي حديث آخر) أي عنه أو عن غيره (أما ترضون أن يكون ابراهيم وعيسى فيكم) أي محشورين في جماعتكم

(يوم القيامة) أما تخصيص ابراهيم عليه السلام فلقوله تعالى ان أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا
ولموافقته في كمال التوحيد في مقام التفريد كما يشير اليه قوله تعالى ثم أوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا ولكونه جده ومنه جده
وأما عيسى عليه السلام فلما انه يتبعه في ملته بعد نزوله من رفعته ويدفن بعد موته في تربته (ثم قال انهما في أمتي يوم القيامة أما
ابراهيم فيقول أنت دعوتي) أي أثر اجابة دعائي حيث قلت في ندائي ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم
الكتاب والحكمة ويزكيهم (وذريتي) أي وأنت من ذريتي المذكورة في دعوتي أيضا بقوله ربنا اني أسكنت
من ذريتي بواد الآية ولا نزاع انه من نسل ولده اسمعيل وانه لم يبعث منهم نبي سواه فهو المجاب به دعوته (وأما عيسى عليه السلام فالانبياء) أي جميعهم (اخوة) أي أولاد أب واحد حقيقة وكذا حكما لاتفاقهم فيما بعثوا لاجله من توحيد وايمان بما يجب تصديقه ودعوة الخلق الى الحق وارشادهم الى نظام معاشهم وتمام مرادهم في معادهم فتساويهم في أصولهم اعتقادا كان لهم كأب واحد ولتفاوتهم واختلافهم في بعض فروعهم عملا (بنو علات) بفتح عين مهملة وتشديد لام أي أولاد أمهات مختلفات وأبوهم واحد وبنوا الاخياف لمن أمهم واحدة والآباء مختلفون وبنو الاعيان لمن أمهم واحدة وكذا أبوهم واحد كما بينه بقوله
(وأمهاتهم شتى) بفتح شين وتشديد تاء جمع شتيت كمرضى جمع مريض أي متفرقات في نسبة الولادات التي يتولد منها الاختلافات
(وان عيسى أخي) أي بالخصوص من حيث انه بشر بي قبلي وقام بديني بعدي ويروى وان عيسى ع م (ليس بيني وبينه نبي)
ففيه كمال اتصاله بي وكأنه جاري في مقامي (وأنا) ويروى فأنا (أولى الناس به) أي أحقهم بره وأخصهم باتصاله بي وقد روى
البخاري ومسلم أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الاولى والآخرة الانبياء بنو علات أمهاتهم شتى ودينهم واحد وليس بيننا وبينه
نبي وأما ما ذكره في مستدرك الحاكم من ان فيما بين عيسى ومحمد عليهما السلام بعض الانبياء كخالد بن سنان فأسانيده لا تقاوم
الصحيح وعلى فرض صحته يقال المعنى ليس بيننا نبي مرسل

محسوبان من جملتكم ومحشوران معكم (يوم القيامة) فيعدان من أمتي وخصهما بالذكر لان ابراهيم عليه الصلاة والسلام أشرف الانبياء بعد محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وهو أبو الانبياء وأبو اسمعيل عليهما الصلاة والسلام الذي كانت العرب تزعم انهم على ملته ولان عيسى يبعث آخر الزمان على دين محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ويغير أحكام النصرانية وأما أداة استفتاح كألا أو مركبة من همزة الاستفهام وما النافية والمعنى واحد (ثم قال) صلى الله تعالى عليه وسلم (انهما في أمتي يوم القيامة) أي يعدان منهم (أما ابراهيم فيقول) له صلى الله تعالى عليه وسلم (أنت دعوتي وذريتي) أما دعوته فقوله ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك الخ فجعل عين الدعوة مبالغة أي أنت ممن جعله الله منهم باجابة دعوتي والذرية النسل والولد يطلق على الواحد وغيره ولا شبهة في أنه صلى الله تعالى عليه وسلم من نسل ولده اسمعيل عليه الصلاة والسلام ولم يبعث فيهم نبي سواه فهو المجاب دعوته (وأما عيسى) أي كونه تابعا له صلى الله تعالى عليه وسلم وفي جملة أمته يوم القيامة (فالانبياء كلهم اخوة) أي كالاخوة في اتحاد أمورهم مع الله تعالى ومع الخلق والاخوة أما لاب وأم ويقال لهم بنو الاعيان أو لاب فقط وهم بنو العلات أو لام وهم بنو الاخياف فلذا قال (بنو علات) المراد بالعلات الزوجات الضرائر وهو من العلل وهو الشرب مرة بعد مرة والشرب الاول يسمى نهلا فكان الزوجات موارد للزوج أو كان الاولاد مشاربهم مختلفة في الرضاع وهذا أقرب والى هذا أشار بقوله أمهاتهم شتى وأمهات جمع أم وأصلها أمهة ولذا جمع على أمهات وصغر على أميهة وقيل انه في الاصل مضاعف لقولهم أمات وأميمة وقيل أكثر ما يقال أمات في البهائم ونحوها وأمهات في الانسان وهو يطلق على الام القريبة والبعيدة وشتى من الشتات وهو التفرق جمع شتيت كمرضى ومريض أي مختلفة في الذوات والنسب فشبه الدين والعقيدة الحقة التي هي سبب لبقائهم بالاب الواحد لاتحاد اعتقادهم ومعرفة ربهم على طريقة الاستعارة وأثبت لهم الاخوة تخييلا وكونه بنو علات ترشيح وليست الاستعارة تحقيقية كما توهم وشبه فروع الشرائع والاحكام بالامهات في حفظهم وتعيشهم فهو استعارة مستقلة تحقيقية أو ترشيح بناء على جواز التجوز فيه والحاصل انهم صلى الله عليهم وسلم بعثوا متفقين في أصول التوحيد مختلفين في فروع الشرائع وقيل أراد انهم في أزمان متباينة والاول أولى (وان عيسى أخي) بكسر همزة ان وأقيم الظاهر فيه مقام الضمير والاخوة بمعنى المشابهة في الرسالة والصفات الحميدة (ليس بيني وبينه نبي) لانه لم يبعث في الفترة التي كانت بينهما أحد من الانبياء (و) لما بينهما من المناسبة والقرب زمانا ومعنى كان (أولى الناس به) وهو افعل تفضيل من الولاء والتوالي وهو عدم الفاصل بين الشيئين ثم صار عبارة عن القرب

فيقال أولى بمعنى أحق وأقرب من حيث المكان أو الزمان أو النسب أو الدين كما ذكره الراغب وهو المراد هنا وهذا من حديث رواه البخاري ومسلم وهو أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الاولى والآخرة الانبياء بنو علات أمهاتهم شتى ودينهم واحد وليس بيننا نبي وهو حديث صحيح روي من طرق فعلم ان ماذكره الراغب والزمخشري وابن عربي في فصوصه من انه كان بينهما نبي اسمه خالد بن سنان كان هو وقومه بعدن فخرجت نار عظيمة من مغارة أهلكت الزرع والضرع فالتجأ قومه اليه فاخذ خالد يضرب تلك النار بعصاه حتى رجعت هاربة الى المغارة التي خرجت منها فقال لقومه أنا أدخل خلفها المغارة حتى أطفيها وأمرهم ان يدعوه ثلاثة أيام تامة فانهم ان نادوه قبلها يخرج ويموت وان صبروا خرج اليهم سالما فلم يصبروا ونادوه في اليوم الثاني فخرج وقال لهم أضعتموني وأضعتم أمري وأمرهم ان يدفنوه أربعين يوما يصبرون فيها فاذا انمت أتاهم قطيع غنم يقدمه حمار مقطوع الذنب فاذا حاذى قبره نبشوه فيقوم ويخبرهم باحوال البرزخ وما عاينه يقينا فلما تم الميعاد كما قال هم مؤمنوا قومه ان ينبشوا قبره فابى أولاده خوف العار وان يقال لهم أولاد المنبوش فمنعتهم الحمية الجاهلية على ان ضيعوه فلما بعث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم جاءته ابنته فقال لها مرحبا بابنة نبي أضاعه قومه غير صحيح وما قيل من ان المراد نفي نبي مشرع مبلغ للاحكام يأباه لفظ الحديث فان النبي أعم ولو كان كما ذكر لقال انه رسول وأحسن منه ان يقال انه كان مستعدا للنبوة ولم يرزق ذلك وكذا ما نقل انه كان بينه وبينه غيره كلقمان وسفيان فان مثله لا يعارض حديث الصحيحين كما ذكره الحافظ ابن حجر والبرهان وغيرهما واعلم أنه صلى الله تعالى عليه وسلم انما خص هذين بالذكر لان ابراهيم عليه الصلاة والسلام أبو الانبياء عليهم الصلاة والسلام واسمعيل كان على شريعته والعرب يزعمون انهم على ملته وعيسى عليه الصلاة والسلام قريب العهد وسيصير من أمته حقيقة وهذا لا ينافي قوله تعالى ثم أوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا كما توهم لان المأمور به اتباعه في التوحيد والعقائد دون غيرها من الاحكام وليس المراد تقليده بل مراده انه موافق له فتأمل (وقوله) صلى الله تعالى عليه وسلم في الاحاديث السابقة (أنا سيد الناس يوم القيامة) جواب عن سؤال مقدر وهو لم خص سيادته صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك اليوم وهي غير مخصوصة به (وهو سيدهم في الدنيا ويوم القيامة) بل سيد جميع المخلوقات والجملة حالية (ولكن أشار) عليه الصلاة والسلام بقوله هذا كما تقدم (لانفراده) عن غيره (فيه بالسودد والشفاعة) العظمى الدال على عظمة قدره عند الله (دون غيره) من الرسل والملائكة المقربين والسودد بضم السين المهملة وفتح الدال الاولى وقد تضم وتهمز الواو وانضم ماقبلها وهي لغة طي بمعنى السيادة وسيد وزنه فيعل أو فعيل ودلالة الثانية للالحاق (اذ لجأ الناس اليه) أي التجأوا واستندوا للتوسل به صلى الله تعالى عليه وسلم (في ذلك) الوقت أو ذلك الامر وهو تعليل لما قبله (فلم يجدوا سواه) صلى الله تعالى عليه وسلم يشفع لهم ويخلصهم مما هم فيه من الكرب الذي لا يطيق غيره دفعه (والسيد) معناه لغة (هو الذي يلجأ الناس اليه في حوائجهم) أي يعتمدون عليه اذا قصدوه لقضاء مصالحهم فلذا وقع هنا موقعه اذ المعنى أنا من يقضي حوائج جميع الناس في الموقف ومن هذا ظهر للتخصيص وجه آخر الا ان هذا تفسير له بلازم معناه لان معناه من يتبعه جماعة قومه وسواده والحوائج جمع حاجة على خلاف القياس أو مفرده حائجة مقدر أو نادر وقد ورد في الاحاديث وكلام العرب كثيرا فصيحا فلا وجه لمن أنكره كالحريري تبعا لما شنع عليه ابن بري وأنشد له شواهد كثيرة وقد كان صلى الله تعالى عليه وسلم يحب قضاء الحاجة وهو دأبه في الدنيا والآخرة ولله در الصرصري في قوله

(قوله) صلى الله تعالى عليه وسلم أي في الحديث السابق (أنا سيد الناس) وفي نسخة ولد آدم (يوم القيامة) أي بقيده ليفيد ظهوره كقوله تعالى والامر يومئذ لله ومالك يوم الدين والملك يومئذ الحق للرحمن (هو سيدهم في الدنيا ويوم القيامة) أي وما بعده من العقبى (ولكن أشار عليه السلام لانفراده) أي الى اختصاصه (فيه بالسودد) بضم السين وسكون الواو وفتح الدال الاولى (والشفاعة) أي العظمى (دون غيره اذ لجأ الناس اليه في ذلك) تحتمل اذ أن تكون تعليلية وان تكون حينية ظرفية (فلم يجدوا سواه) أي ملجأ وملاذا يعتمدون عليه (والسيد هو الذي يلجأ الناس اليه في حوائجهم) أي في قضائها

(فكان حينئذ) أى وقت يلجاون اليه ويتضرعون لديه (سيدا منفردا من بين البشر لم يزاحمه أحد فى ذلك) أى ممن استحق السيادة (ولا ادعاه) أى أحد ممن لا يستحقها وهذا منه صلى الله عليه وسلم (كما قال تعالى) أى يوم القيامة (لمن الملك اليوم) فلا يجيبه أحد من هول ذلك المشهد فيجيب نفسه بقوله بعد (لله الواحد القهار والملك له تعالى) أى والحال ان حقيقة الامر ناطقة بانه له الملك (فى الدنيا والآخرة لكن فى الآخرة) لكون زوال أسبابه وارتفاع وسائطه (انقطعت دعوى المدعين ٣٢١ لذلك) أى للملك أو الملك فى الجملة (فى الدنيا) أى لغفلتهم عن نعت المولى (ولذلك لجا الى محمد جميع الناس فى الشفاعة) أى ليريحهم من هول تلك الساعة (فكان سيدهم فى الاخرى دون دعوى) أى من أحد كان يدعى السيادة فى الدنيا (وعن أنس رضى الله تعالى عنه) كما فى مسلم (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم آتى) بمد الهمزة أى أجىء (باب الجنة يوم القيامة فاستفتح) أى فاطلب فتحها لادخلها (فيقول الخازن) أى رضوان (من أنت) قيل واسم خازن النار مالك وناسب كل اسم ما وكل عليه فالجنة دار الكرامة والرضى فناسب رضوان والنار دار المشقة والعذاب والشدة فناسب مالك كذا ذكره التلمسانى ولا يبعدان يقال لان الجنة انما تحصل بالرضى عن المولى والنار انما تنشا عن طلب الملك والملك فى الدنيا (فاقول محمد فيقول بك) أى بسببك (أمرت ان لا أفتح لاحد قبلك) أو أمرت أن أفتح لك حال كونى لا أفتح لاحد قبلك (وعن عبد الله بن عمرو) أى ابن العاص كما فى الصحيحين (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حوضى) أى مسافته أو دورته ومساحته (مسيرة شهر) أى قدر سير شهر (وزواياه) بفتح الزاى جمع زاوية أى نواحيه (سواء) بفتح السين ممدودا أى مستوية أى لتربيع أرضه لا يزيد طوله على عرضه قيل أركانه أربعة وسقاته أربعة أبو بكر وعمر وعثمان وعلى رضوان الله تعالى عليهم أجمعين فمن أبغض واحدا لم يسقه الآخرون وأورد التلمسانى حديثا فى هذا المعنى ولكن الله تعالى اعلم بصحة المبنى

ألا يا رسول الاله الذى * هدانا به الله فى كل تيه
سمعت حديثا من المسندات * تسر فؤاد النبيل النبيه
وانك قد قلت فيه اطلبوا * الحوائج عند حسان الوجوه
ولم أر أحسن من وجهك * الكريم فذلى بما أرتجيه

(فكان) صلى الله تعالى عليه وسلم (حينئذ) أى فى وقت التجائهم اليه (سيدا منفردا من) سائر (البشر) أى منفردا عن جميع الناس حتى الانبياء عليهم الصلاة والسلام بهذه السيادة (لم يزاحمه أحد فى ذلك) أى لم يشاركه أحد فى كونه ملجا للناس وأصل معنى المزاحمة المدافعة (ولا ادعاه) لانكشاف الامر يوم القيامة حتى لا يمكن أحدا أن يدعى ما ليس فيه (كما قال تعالى لمن الملك اليوم) يعنى انه تعالى يقول يوم القيامة لمن الملك فى هذا اليوم أو ينادى به مناد على رؤس الاشهاد فلا يجيبه أحد فيجيب نفسه بقوله (لله الواحد القهار) أى الملك مخصوص به أو يقول أهل الموقف يعنى ان قوله صلى الله تعالى عليه وسلم أنا سيد ولد آدم اليوم كقوله تعالى لمن الملك اليوم ووجه الشبه انه خص الملك بذلك اليوم كما خص رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم سيادته به (والملك له تعالى فى الدنيا والآخرة لكن) انما خصصه بملك هذا لانه (فى الآخرة انقطعت دعوى المدعين لذلك فى الدنيا) متعلق بالمدعين ان ملوك الدنيا لما تصرفوا فيها تصرف الملاك بتقديره تعالى ذلك لهم وتفضله عليهم ظنوا ان لهم ملكا حقيقة فلما قهرهم بالموت وكشف الغطاء ظهر انهم عبيد عاجزون ليس لهم من الامر شئ فانقطعت الدعاوى (وكذلك) أى مثل كونه تعالى منفردا بالملك وظهوره حين انقطعت الدعاوى وتفرده صلى الله تعالى عليه وسلم حتى (لجا الى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم جميع الناس فى الشفاعة) العظمى المعهودة (فكان سيدهم فى الاخرى) أى الآخرة لانه يقال لها أخرى وآخرة وفى نسخة فى الآخرة (دون دعوى) من أحد من أهل الموقف انه سيد لعدم المنازع والمدافع (وعن أنس رضى الله تعالى عنه قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) فى حديث صحيح رواه مسلم (آتى) بمد الهمزة (باب الجنة يوم القيامة فاستفتح) أى أطلب الفتح بتحريك الحلقة (فيقول الخازن) أى بواب الجنة الموكل بها والمراد به رضوان رئيس خزنتها لانه ورد التصريح بان لها خزنة (من أنت فاقول) أنا (محمد فيقول بك أمرت) أى بسببك أمرت بالفتح اذا قرع الباب وتقديم الجار والمجرور للحصر بالنسبة لاول الفتح كما أشار اليه بقوله (ان لا أفتح لاحد قبلك) والجملة مستانفة لبيان ما أمر به وقيل انه بدل مما قبله أى أمرت بان لا أفتح لاحد قبلك وانما فتح له قبل كل أحد لسبق روحه صلى الله تعالى عليه وسلم للنبوة وسبق ذريته فى الاجابة على سائر الذرات وفيه اشارة الى أنه صلى الله تعالى عليه وسلم أكثر الناس عملا واعتقادا وأفضلهم لقوله تعالى وتلك الجنة التى أورثتموها بما كنتم تعملون (وعن عبد الله بن عمرو) ابن العاص حديث رواه الشيخان (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حوضى مسيرة شهر) أى مسافة كل جانب منه

(وماؤه أبيض) افعل تفضيل وهو حجة للكوفي على البصري أي أشد بياضا (من الورق) بكسر الراء وسكونها وحكى كسر الواو وسكون الراء ونسب الى الفراء وحكى فتحهما الصغاني وادعى انه قرئ بهما في قوله تعالى بورقكم أي الفضة أو الدراهم المضروبة وفي نسخة من اللبن بدل من الورق والاول هو المذكور في جميع نسخ صحيح مسلم والثاني وقع في نسخة المصابيح والجمع بتعدد الرواية (وريحه أطيب من المسك) أي من ريحه وفي تخصيصه ايماء الى أنه أفضل نوع من جنس الطيب (كيزانه) جمع كوز (كنجوم السماء) أي كثرة واضاءة وهي من ذهب وفضة كما في رواية ثم قيل المراد به الكثرة لاعددها على الحقيقة والصواب ماقاله النووي من ان العدد على ظاهره ولامانع شرعا ولاعقلا مما ثبت نقلا لاسيما وقد ورد مؤكدا بالقسم في حديث والذي نفسي

بيده لاكثر من عدد نجوم السماء (من شرب منه لم يظما) أي لم يعطش (أبدا) أي بعده وفيه اشكال سيذكر في آخر الفصل حله (وعن أبي ذر رضي الله عنه نحوه) أي على مارواه مسلم (وقال) أي أبو ذر في حديثه هذا (طوله مابين عمان) بضم العين وتخفيف الميم من قرى اليمن وبفتح العين وتشديد الميم من قرى الشام بالبلقاء من أقصى حوران والمعروف انه غير مصروف والمعنى ان مسافة مابين طرفيه طولا مثل المسافة منها (الى ايلة) بهمزة مفتوحة وتحتية ساكنة قرية في آخر طرف الشام بساحل البحر متوسطة بين المدينة ودمشق وثمان مراحل بينها وبين مصر قيل هي التي قال الله تعالى واسئلهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر هذا وقد قال ابن قرقول عمان التي في الحوض رويناه بفتح العين وتشديد الميم وهي قرية بالشام من عمل دمشق وكذا قاله الخطابي وحكى أيضا فيه تخفيف الميم وفي الترمذي من عدن الى عمان البلقاء والبلقاء بالشام قال البكري ويقال فيه أيضا عمان بالضم والتخفيف وزعم انه المراد بالحديث لذكره مع ايلة جرباء وأذرع والكل من قرى الشام وأما عمان التي ببلاد اليمن فبالضم والتخفيف لاغير ووقع في كتاب ابن أبي شيبة مايدل على انها المراد في حديث الحوض لقوله مابين بصرى وصنعاء اليمن ومثله في البخاري وفي مسلم وعرضه من مقامي الى عمان بالفتح والتشديد عند الصدفي وعند غيره بالضم والتخفيف وقال ابن الاثير حديث الحوض من مقامي الى عمان هو بفتح العين وتشديد الميم مدينة قديمة بالشام من أرض البلقاء

مقدار شهر والحوض مجمع الماء وهو معروف وهذا الحوض العظيم مخصوص به صلى الله تعالى عليه وسلم كما صرح به القرطبي في شرح مسلم وورد في حديث مرفوع رواه الترمذي ان لكل نبي حوضا ترده أمته وروى انه صلى الله عليه وسلم له حوضان أحدهما في أرض الموقف والآخر بعد الصراط له ميزابان من الكوثر وقوله وزواياه سواء يدل على انه مربع (وماؤه أبيض من الورق) بفتح الواو وفتح الراء المهملة وكسرها وسكونها الفضة مطلقا أو ماضرب منها وفي نسخة من اللبن وأبيض افعل تفضيل من البياض ضد السواد وقد سمع من العرب وورد في الحديث الا ان صاحب القاموس قال انه شاذ وعلى الاول فلا وجه لاطلاق بعض النحاة انه لايبنى افعل من الالوان ومن العيوب وانما يقال أشد بياضا وأبلغ ونحوه (وريحه أطيب من المسك) الريح كالرائحة مايشم ويطلق على الهواء وهو الاشهر ويجوز ارادته أيضا لان الهواء اذا تكيف بكيفية طيبة كان طيبا أيضا (كيزانه كنجوم السماء) كثرة واشراقا وكونها أكثر من النجوم حقيقة لامانع منه لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم في الحديث والذي نفسي بيده لآنيته أكثر من عدد نجوم السماء لما كيد بالقسم وقيل المراد المبالغة والكيزان جمع كوز وهو اناء صغير يتناول به الماء للشرب والاصل انه اناء ضيق الفم له عروة فان لم يكن له عروة فهو كوب وجمعه أكواب كما تقدم فان كان فيه شراب فهو كأس (من شرب منه شربة لم يظمأ أبدا) أي لم يعطش بعده أبدا وروى ان يظما ولا يظما ولا كلام فيه وأما هذه الرواية فاستشكلت بان لم لنفي الماضي والمراد هنا نفي الظما في المستقبل بدليل قوله أبدا المفيدة لاستغراق المستقبل وأجيب بان المراد نفي الماضي كأنه لم يذق ظما في الماضي لشدة اللذة التي أنسته ماقبلها وأما أبدا فانها تكون لماضي أيضا كما في التسهيل * أقول هذا تعسف فالحق انها لنفي المستقبل بقرينة قوله أبدا وهي ترد كذلك اذا قرنت بالشرط نحو ان لم تحسن لي غدا كان كذا وهو كثير في كلامهم ومن هنا شرطية أو في معناها فهذا سهو من قائله ويظماه مهموز ساكن الهمزة ويجوز ابدالها ألفا وقيل ان لذة المشروب انما تكون بالاشتهاء وهو انما يكون لمن عطش وأهل الجنة منعمون في المآكل والمشرب وأجيب بان المراد انه لايشتد عطشه وليس بشيء لانه قد يشرب بدون عطش للتلذذ كما يشاهد في خمور الدنيا وروي من يشرب بالرفع على ان من موصولة وبجزم وما على انها شرطية كما تقرر (وعن أبي ذر رضي الله تعالى عنه) جندب بن جنادة (نحوه) أي روى عنه ماهو بمعناه أو قريب منه وان لم يكن مثله (وقال) زيادة على مامر في روايته (طوله مابين عمان الى ايلة) أي طول الحوض كطول مابين هاتين البلدين

وعمان

فامابالضم والتخفيف فهو صقع عندالبحرين وله ذكرفى الحديث وقال السهيلى بالضم والتخفيف قرية باليمن سميت بعمان بن
سنان من ولدابراهيم فيماذكرواو بالفتح والتشديدقرية بالشام قرب دمشق سميت بعمان بن لوط بن هاران كان يسكنهافيما
ذكرواوقال الحافظ المزى يتعين الضم والتخفيف فان فى الحديث الآخرايلةوصنعاء(يشخب) بفتح الخاءوضمهامن شخب
اللبن كمنع ونصراى يسيل سيلاناشديدامتواليا وقيل يصب بصوت وفى رواية يغت بغين معجمةوتاءمثناةومعناه اتباع الصب
وروى يعب بعين مهملةو باءموحدةومعناه الشرب بسرعةفى نفس واحدوفى روايةابن ماهان يثعب

بثاءمثلثةوعين مهملة و باءموحدةومعناه يتفجر (فيه) أى فى ذلك الحوض(ميزابان) بكسر الميم وسكون الياء وقديهمزاذأصله الهمز وقديشددتثنية ميزاب وهومثعب الماءأى الجدول الذى يجرى منه الماءالى الحوض لكن فى التعبيرعنه بالميزاب اشعاربان أرض الموقف فى أسفل (من الجنة) أى من أنهارها(وعن ثوبان مثله وقال) أى ثوبان فى روايته فيما رواه مسلم(أحدهما من ذهب والآخر من ورق)أى فضةوانمانوع للزينة كمافى الحلى المرصعةوالعمارات المزخرفة (وفى رواية حارثة بن وهب) أى فيمارواه الشيخان عنه وهو بالحاءالمهملةوبعد الراءثاءمثلثة خزاعى له صحبةوهوأخوعبد
اللهبن عمربن الخطاب لامه (كمابين المدينةوصنعاء) بفتح الصادوسكون النون ممدودةقاعدةاليمن ومدينته العظمى وهى من
عجائب الدنيا كماقال الشافعى وأماصنعاءالروم فقرية فى ناحيةربوةدمشق والله تعالى أعلم(وقال أنس رضى الله تعالى عنه ايلةوصنعاء
وقال ابن عمر) أى فيمارواه الشيخان عنه (كمابين الكوفةوالحجر الاسود)واختلاف الروايات يدل على ان المراد كثرةطوله وانما
وردتقديره تمثيلالكل أحد بحسب بعده وتقريبا لفهمه(وروى حديث الحوض أيضاأنس) كمافى الصحيحين(وجابر بن سمرة)
فيمارواه مسلم وفى نسخةوجابروسمرةفعلى تقديرصحته فقدروى جابر بن عبدالله حديثا فى الحوض وهوفى مسندأحمدوأماسمرةفلم
تعرف حديثه فالصواب هوالنسخه الاولى(وابن عمر) كمارواه الشيخان وأبو داود(وعقبة بن عامر) كمارواه مسلم وغيره

وعمان بضم العين وفتح الميم المخففةو بفتح العين وتشديدالميم وهوالمروى فى حديث الحوض قرية
بالشام وحكى فيه التخفيف أيضاوهوالمرادوالتى باليمن بالضم والتخفيف لاغيروقيل انهاالمرادة هنا
لروايةمابين بصرى وصنعاءوالمرادزيادةالطول فلاتتعارض الروايات وايلة بفتح الهمزة وسكون
المثناةالتحتية ولام وهاءبلدةبالشام بساحل البحر بين طيبةودمشق وقيل غيرذلك وهى سميت
بعمان بن لوط لانه سكنهاوقيل بعمان بن سنان من ولدابراهيم عليه الصلاةالسلام(يشخب فيه
ميزابان من الجنة) بفتح الياءالمثناة التحتيةوسكون الشين وضم الخاءالمعجمتين وفتحهاوموحدة
ومعناه انه ينصب مع صوت وروى يغت بغين معجمةمضمومةومثناةفوقية ومعناه يتوالى صبه
وروى ابن ماهان يثعب بمثلثةوعين مهملةوموحدةومعناه يتفجرماؤه وأصل الشخب مايخرج من
الضرع عندالحلب والميزاب بكسر الميم وهمزةساكنةوتبدل ياءمسيل الماء(وعن ثوبان مثله)أى
مثل حديث أبى ذر(وقال)أى ثوبان عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم(أحدهما)أى أحد
الميزابين(من ذهب والآخرمن ورق)أى فضة (وفى رواية حارثةبن وهب) الخزاعى الصحابى
المعروف رضى الله عنه وأخرج له أصحاب الكتب الستة(كمابين المدينةوصنعاءوقال أنس ايلة
وصنعاء) هى بصادوعين مهملتين مدينةباليمن والنسبةاليهاصنعانى على خلاف القياس و بينها
و بين المدينةمسيرةشهروالمرادعظمه فالروايات كلهابمعنى و بقرب دمشق قرية تسمى صنعاأيضا
(وقال ابن عمررضى الله تعالى عنهما)فى حديث رواه الشيخان(كمابين الكوفة)مدينةالعراق
المشهورة(والحجرالاسود)والروايات متحدة كماعرفته فانهاتقريبيةلاتحديديةفخاطب صلى الله
تعالى عليه وسلم كلا بمايعرفه ولاحاجة الى أن يقال انه وقع الخطاب به عندالحجرالاسودكماقيل
وأصل معنى الكوفةمستديرأوحجارة بيض فسمى بهاثم شرع المصنف رحمه الله فى بيان هذا الحديث
روى من طرق كثيرةدالةعلى صحته وانه على ظاهره ولذاذهب المصنف رحمه الله تعالى الى أنه متواتر
فقال(وروى حديث الحوض أيضا) كالروايات المتقدمة(أنس) بن مالك الانصارى الصحابى خادم
النبى صلى الله تعالى عليه وسلم رواه عنه مسلم من غيرالطريق المتقدمة فلايقال انه تقدمت روايته
وأيضايقتضى مغايرةماتقدم (وجابر بن سمرة) بفتح فضم ابن جنادةالصحابى السوائى ومافى بعض
النسخ هناوفى أول الشفاءجابروسمرةقال البرهان صوابه جابر بن سمرةوكذاهوعلى الصواب فى النسخ
مكتوب عليه صح فان صحت الرواية الاخرى فالحديث رواه جابر بن عبدالله وسمرةالاأن رواية جابر بن
عبدالله فى مسندأحمدوأماروايةسمرةفلم أقف عليهافالثابت روايةبن سمرة كمافى مسلم وغيره(وابن عمر
وعقبة) هوعبدالله بن عمر بن الخطاب الصحابى أحد العبادلةوعقبةوهوابن عامرالصحابى المشهور

(وحارثة بن وهب الخزاعي) بضم أوله كما رواه البخاري والترمذي (والمستورد) بصيغة الفاعل على ما رواه الشيخان وهو ابن شداد بالشين المعجمة كما أفاده الحلبي (وأبو برزة) بفتح الموحدة وبتقديم الراء على الزاي (الاسلمي) فيما رواه أبو داود وابن حبان والبيهقي (وحذيفة بن اليمان) كما رواه مسلم وغيره (وأبو امامة) على ما رواه ابن حبان والبيهقي وهو صدي بن عجلان على ما هو الظاهر والا ففي الصحابة خمسة يقال لهم أبو امامة (وزيد بن أرقم) فيما رواه أحمد بن حنبل والبيهقي (وابن مسعود) كما رواه الشيخان (وعبد الله ابن زيد) كما في الصحيحين (وسهل بن سعد) بروايتهما أيضا (وسويد) بالتصغير (ابن جبلة) بفتح

الجيم والموحدة تابعي وقيل صحابي فكان ينبغي تأخيره عمن اتفق على صحبته رواه عنه البيهقي وأبو زرعة الدمشقي في مسند أهل الشام ووقع في أصل الحلبي هنا زيادة قوله وابن بريدة وتفرع له اعتراض على المصنف لكنه مخالف لما في النسخ المصححة هذا وفي حاشية قال الصواب سويد بن غفلة بفتح الغين المعجمة والفاء وهو مخضرمي عاش مائة وعشرين سنة ومات عام الفيل كذا في الاصل ولعله تصحيف وصوابه ولد عام الفيل (وأبو سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه) فيما رواه مسلم (وعبد الله الصنابحي) بضم الصاد المهملة فنون بعده ألف فموحدة مكسورة فحاء مهملة فياء نسبة قيل هو صحابي نسب الى جده صنابح رواه أحمد وابن ماجه عنه (وأبو هريرة رضي الله تعالى عنه) كما في الصحيحين (والبراء) بفتح الباء وتخفيف الراء أي ابن عازب كما في نسخة رواه أحمد والطبراني عنه (وجندب) بضم الجيم والدال ويفتح رواه الشيخان عنه وهو عبد الله بن سفيان البجلي والا ففي الصحابة ممن يقال له جندب غيره اثنا عشر قال ابن الاثير متى أطلق اسم جندب من غير ذكر أبيه فهو جندب بن عبد الله هذا والا فاسم أبي ذر الغفاري جندب بن جنادة الغفاري مشهور بكنيته (وعائشة) كما في مسلم (وأسماء بنت أبي بكر رضي الله تعالى عنه) على ما في الصحيحين (وأبو بكرة) أي الثقفي رواه الطبراني واسمه نفيع مصغرا وهو ممن اعتزل يوم الجمل ولم يقاتل مع أحد من الفريقين وكان يقول أنا مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال السهيلي وقد تدلى من سور الطائف على بكرة فتسمى أبا بكرة وهو من أفاضل الصحابة

منيع

الجهني (وحارثة بن وهب الخزاعي) الصحابي المنسوب لخزاعة قبيلة معروفة (والمستورد) بصيغة اسم الفاعل ابن شداد الفهري نزيل مكة ثم مصر الصحابي (وأبو برزة الاسلمي) نضلة بن عبيد الله الصحابي الامام الجليل وبرزة بفتح الباء الموحدة وسكون الراء المهملة وزاي معجمة تليها هاء توفي سنة ستين أو أربع وستين وحديثه في الصحيح والترمذي وأسلم قبيلة معروفة (وحذيفة بن اليمان) العبسي الاشهلي الصحابي صاحب سر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وحديثه رواه مسلم وابن ماجه (وأبو امامة) بن صدي بن عجلان الباهلي الصحابي وحديثه أخرجه الطبراني وامامة بضم الهمزة (وزيد بن أرقم) الخزرجي الصحابي المشهور وحديثه أخرجه ابن حنبل والحاكم وصححه (وابن مسعود) الصحابي المشهور وحديثه أخرجه الشيخان (وعبد الله بن زيد) الصحابي الذي أرى الاذان في منامه كما مر وحديثه أخرجه الشيخان أيضا (وسهل بن سعد) الصحابي (الساعدي) منسوب لساعدة بنو ساعدة قوم من الخزرج واليه تنسب السقيفة التي كانت فيها بيعة أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه (وسويد بن جبلة) بفتحات وهو سويد بن جبلة الفزاري قيل لم تصح صحبته فحديثه مرسل وقيل انه صحابي ولم يرو عنه الا حديث واحد وقيل لعله سويد بن عقلة وهم سويد بن عامر وهذا الحديث عنه في سنن البيهقي والاولى تأخيره للاختلاف في صحبته (وأبو سعيد الخدري) الصحابي المشهور وقد تقدم (وعبد الله الصنابحي) بضم الصاد المهملة وفتح النون وألف يليها باء موحدة مكسورة وحاء مهملة وياء نسبة صحابي وقيل نسب لجده صنابح واسمه عبد الله وقيل أبو عبد الله وقيل أبو عمرو وقيل انه منسوب لصنابح اسم بطن من العرب وفي الشرح الجديد لم أقف على من نسب لهذا البطن من الصحابة سوى عسال الصنابحي وآخر اسمه صنابح بن الاعز فلعله نسب لجده وفي التابعين عبد الرحمن بن عبلة الصنابحي فلعله التبس على القاضي وقيل صوابه الصنابح (وأبو هريرة) وحديثه في الصحيحين (والبراء) بن عازب وحديثه في الصحيحين أيضا (وجندب) عبد الله بن سنان البجلي الصحابي وهو بضم الجيم وسكون النون وفتح الدال المهملة وضمها وفي الصحابة ممن يسمى جندب غيره ولكنه متى أطلق فالمراد هذا (وعائشة) أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها (وأسما بنت أبي بكر) الصديق رضي الله تعالى عنهم والحديث في الصحيحين وفي بعض النسخ (وأبو بكر وعمر بن الخطاب وابن بريدة) مصغر بردة ولبريدة ابنان سليمان وعبد الله قاضي مرو وعالمها وهما تابعيان فلا ينبغي ذكرهما هنا مع الصحابة وفي مسند أحمد رواية حديث الحوض عن عبد الله بن بريدة قال حدثني به أخي قال البرهان لعل القاضي أراد ابن بريدة هذا أو قال بريدة فزيد عليه ابن ولم أر لبريدة بن الحصيب حديثا في الحوض في الكتب الستة ومسند أحمد وله ذكر في مسند البزار (وأبو بكرة) وهو

(وخولة) بفتح الخاء المعجمة (بنت قيس) كما رواه أحمد وغيره عنها وهي انصارية نجارية زوج حمزة بن عبد المطلب (وغيرهم) رضي الله تعالى عنهم كأبي بكر الصديق وفي صحيح أبي عوانة والبيهقي وعمر للبيهقي في البعث وأبي بن كعب وأسامة بن زيد وحذيفة بن أسيد بفتح فكسر والحسن بن علي وسلمان الفارسي وسمرة بن جندب وأبي الدرداء وأبي معوذ كلهم في الطبراني وأسيد بن حضير في الصحيحين وابن عباس في البخاري وأم سليم في مسلم وجابر بن عبد الله وعائذ بن عمرو وثابت بن أرقم وخولة بنت حكيم رواه أحمد في مسنده عنهم ولقيط ابن صبرة في زيادات المسند وخباب بن الارت في المستدرك وكعب بن عجرة في الترمذي والنسائي وبريدة في مسند البزار وعتبة بن عبيد والعرباض بن سارية في صحيح ابن حبان والنواس بن سمعان في كتاب ابن أبي الدنيا وعثمان بن مظعون في تاريخ ابن كثير وعبد الرحمن بن عوف في الطبراني ومعاذ بن جبل في حادي الارواح ذكره الدلجي وقال زعم المصنف تواتر حديث الحوض والظاهر ان تواتره معنوي لا لفظي لقول ابن الصلاح وغيره لا يكاد يوجد ٣٢٥ شرط هذا وفي نسخة بعد قوله وسويد بن جبلة وأبو بكر وعمر وابن بريدة ونقل عن ابن جبيران هذه الزيادة وقعت في طرة الامام بخط المؤلف بغير علامة تخرج اليها في ابن بريدة قال الحلبي هو تابعي فحديثه مرسل قلت المرسل حجة عند الجمهور فكيف اذا كان مع جمع حديثهم مشهور هذا وممن روى حديثا في الحوض ولم يذكره القاضي خولة بنت حكيم وعبد الله بن عباس أخرجهما أحمد في مسنده كما ذكره الحلبي وقد جمع ذلك كله الامام الحافظ أبو بكر البيهقي في كتاب البعث والنشور باسانيده وطرقه المتكاثرات

منيع بن الحارث كناه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم به لانه تدلى ببكرة من حصن الطائف لما منع من الخروج (وخولة بنت قيس) بن فهد بن قيس الانصارية النجارية الصحابية زوجة سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب وحديثها في مسند أحمد والطبراني (وغيرهم) من الصحابة وترك المصنف ذكرهم اختصارا فاذا تركناهم اقتداء به وقد تقدم ان المصنف لكثرة طرق هذا الحديث قال انه متواتر وقيل تواتره معنوي لقول ابن الصلاح انه لا تكاد توجد شروطه

(فصل في تفضيله) صلى الله تعالى عليه وسلم على غيره من الانبياء (بـ) صفتي (المحبة والخلة) كما سيأتي تحقيقه أي بكونه حبيب الله وخليله (جاءت بذلك الآثار الصحيحة) معنى ورواية وقد تقدم الكلام على الاثر والحديث وان الاثر يطلق على الحديث مرفوعا كان أو موقوفا أو غيرهما واما تخصيص الفقهاء الاثر بالموقوف فاصطلاح لهم وما رواه الخطيب في جامعه مرفوعا ما جاء عن الله فهو فريضة وما جاء عني فهو حديث وما جاء عن أصحابي فهو سنة وما جاء عن أتباعهم فهو أثر وما جاء عمن دونهم فهو بدعة فهو موضوع كما نص عليه ابن حجر والسخاوي والمحبة من العبد لله ومن الله لعبده كما قال الله تعالى يحبهم ويحبونه وهذا مما لا خلاف فيه الا ان المحبة ميل القلب لما تلتذ به حواسه الباطنة والظاهرة ولا يتوقف هذا على الصورة الحسنة كمحبة الصلحاء والعلماء أو غيرهم من أرباب الكمال فهي في حقه تعالى ليست بميل قلب ونحوه بل هي ارتضاؤه له لاتصافه بالكمال وانقياده لطاعة مولاه وحبه له من طريق الفضل لا من طريق الانس والراحة وهو الذي كمله وحببه ولذا قيل انه عبر عن الالطاف بالمحبة ومحبة العبد تعظيمه له بمشاهدة صفات كماله ومعاملته لانعامه واحسانه فان القلوب مجبولة على حب من أحسن اليها والخلة صفة الخليل وهو مما يستوي فيه المذكر والمؤنث يقال خل وخليل بين الخلة والخلولة وخليل الله معناه من اصطفاه وخصه بكرامته لتخلقه باخلاق الله لان الخليل من يخالك أي يوافقك في خلالك ويسايرك في طريقتك من الخل وهو الطريق في الرمل أو يسد خللك ومعنى كون الله خليل عبده انه محب له قائم بأموره بحيث لا يحوجه لغيره أصلا (واختص

واختلف في ان الحوض هل هو قبل الصراط أو بعده أو له حوضان أحدهما بعده والآخر قبله والله تعالى أعلم هذا وقد قال المصنف ظاهر الحديث ان الشرب من الحوض يكون بعد الحساب والنجاة من النار فهذا هو الذي لا يظمأ بعده قال وقيل لا يشرب منه الا من قدر له السلامة من النار قال ويحتمل ان من شرب من هذه الامة وقدر عليه الدخول لا يعذب فيها بالظمأ بل يكون عذابه بغير ذلك لان ظاهر الحديث ان جميع الامة تشرب منه الا من ارتد وصار كافرا قال وقيل ان جميع المؤمنين يأخذون كتبهم بايمانهم ثم يعذب الله من يشاء من عصاتهم وقيل انما يأخذ بيمينه الناجون خاصة قال وهذا مثله والله تعالى أعلم

(فصل) (واما تفضيله بالمحبة والخلة) بضم المعجمة وتشديد اللام وسبق فيهما الكلام وسيأتي ما يتحقق به المرام في هذا المقام (جاءت بذلك) أي بتفصيل تفضيله (الآثار الصحيحة) أي من الاخبار الصريحة (واختص) بصيغة المفعول أو الفاعل

(صلى الله تعالى عليه وسلم على ألسنة المسلمين بحبيب الله) يعني وألسنة الخلق اقلام الحق لاسيما وهذه الأمة لاتجتمع على الضلالة مع كونه جاء صريحا في بعض الاحاديث بانه حبيب الله (أنا) أى أخبرنا (أبو القاسم بن ابراهيم الخطيب) وهو الامام المقرى يعرف بابن النحاس بالحاء المعجمة المشددة (وغيره) أى وغير أبي القاسم أيضا من المشايخ (عن كريمة) بفتح الكاف وكسر الراء هي الحرة الزاهدة (بنت أحمد) أى ابن محمد بن حاتم المروزى سمعت جامع البخارى من الكشميهنى وسمعت زاهد بن أحمد السرخسى وحدثتها كثيرا وكانت مجاورة بمكة الى ان ماتت رحمها الله كذا ذكره الامير في اكماله على مانقله الحلبي فما في بعض

صلى الله تعالى عليه وسلم على ألسنة المسلمين بحبيب الله) أى جرى على الالسنة تخصيصه صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك دون خليل الله لاطلاقه على ابراهيم عليه الصلاة والسلام وان كان غيره من الانبياء محبوبا لله أيضا ثم استدل على اتصافه صلى الله عليه وسلم بالخلة بحديث رواه مسندا عن البخارى فقال (أخبرنا أبو القاسم ابن ابراهيم الخطيب وغيره) هو الامام المقرى خلف بن ابراهيم المعروف بابن النخاس بالخاء المعجمة المشددة ولد سنة سبع وعشرين وأربعمائة ومات بقرطبة سنة احدى وعشرين وخمسمائة يوم الثلاثاء سادس عشر صفر والتكنية بابى القاسم جائزة بعده صلى الله عليه وسلم على الصحيح كما سيأتى (عن كريمة بنت أحمد بن محمد) وفي نسخة بنت محمد وصححها رواية بعض الشراح وفي الاكمال انها كريمة بنت أحمد بن محمد بن حاتم المروزية سمعت صحيح البخارى من الكشميهنى وروت الحديث وحدثت به كثيرا وجاورت بمكة الى ان ماتت قالت (حدثنا أبو هيثم) الكشميهنى وقد تقدم ضبطه وترجمته (وحدثنا حسين بن محمد) بن سكرة (الحافظ) السابق ذكره (سماعا عليه) فهو أحد شيوخه وهذا اسناد وطريق آخر للمصنف في رواية هذا الحديث وفي نسخة وحدثنا وح تكتب عند الانتقال من سند لآخر اشارة الى التحول كما فصلوه في مصطلح الحديث قال (حدثنا القاضي أبو الوليد) الباجى الذي بيناه سابقا قال (حدثنا عبد بن أحمد) عبد بغير اضافة أبو ذر الهروى السابق ذكره قال (حدثنا أبو الهيثم) الكشميهنى السابق في الطريق الاول قال (حدثنا أبو عبد الله محمد بن يوسف) الفربرى الامام الحافظ راوى البخارى المشهور كما تقدم قال (حدثنا محمد بن اسماعيل) هو الامام البخارى صاحب الصحيح المشهور قال (حدثنا محمد بن عبد الله) المعروف بالمسندى والبخارى يروى عن أربعة كل منهم اسمه محمد بن عبد الله والمراد هنا هذا كما ذكره الكلاباذى وهو عبد الله بن محمد بن عبد الله بن جعفر بن السمان توفى في يوم الخميس لست بقين من ذى القعدة سنة تسع وعشرين ومائتين قال (حدثنا أبو عامر) عبد الملك بن عمرو بن قيس العقدى بفتح العين والقاف ودال مهملتين وهو محدث بصرى مشهور اخرج له الائمة الستة توفى سنة خمس ومائتين قال (حدثنا فليح) بضم الفاء وفتح اللام ومثناة تحتية وحاء مهملة ابن سليمان العدوى المدنى أخرج له أصحاب الكتب الستة وهو ثقة وقيل ليس بالقوى توفى سنة ثمان وستين ومائة وترجمته في الميزان قال (حدثنا أبو النضر) بالضاد المعجمة الساكنة سالم ابن أبي أمية المدنى الثقة راوى أنس توفى سنة تسع وعشرين ومائة (عن بسر بن سعيد) بضم الباء الموحدة وسكون السين وراء مهملتين المدنى الزاهد الثقة توفى سنة مائة (عن أبي سعيد) سعيد بن مالك بن سنان الخدرى السابق ترجمته رضى الله تعالى عنه (عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال

النسخ بنت محمد غير صحيح (ثنا) أى حدثنا (أبو الهيثم) أى الكشميهنى (وحدثنا) بالواو الدالة على تحويل السند وفي أصل الحلبي وأخبرنا (حسين بن محمد الحافظ سماعا عليه) هو ابن سكرة (ثنا القاضي أبو الوليد) أى الباجى (ثنا عبد بن أحمد) بالوصف لا بالاضافة هو أبو ذر الهروى (ثنا أبو الهيثم) أى الكشميهنى (ثنا أبو عبد الله محمد بن يوسف) أى الفربرى (ثنا محمد بن اسمعيل) أى الامام البخارى (ثنا عبد الله بن محمد) الظاهر انه المسندى ومستنداته انه من طلبة أبي عامر والا فقد روى البخارى عن أربعة كل منهم اسمه عبد الله بن محمد على ما ذكره الحلبي وقال الكلاباذى هو عبد الله ابن محمد بن جعفر السمان أبو جعفر المعروف بالمسندى لانه كان وقت طلبه يتتبع الاحاديث المسندة ولا يرغب في المقاطيع والمراسيل (ثنا أبو عامر) أى عبد الملك بن عمرو بن قيس أى العقدى بفتح العين والقاف بصرى أخرج له الستة (ثنا فليح) بضم الفاء وفتح اللام فمثناة تحتية ساكنة فحاء مهملة ابن سليمان العدوى مولاهم المدنى واسمه عبد الملك ولقبه فليح محتج به في الصحيحين وقال ابن معين وأبو حاتم والنسائى ليس بالقوى أخرج له الائمة الستة (ثنا أبو النضر) بالضاد المعجمة وهو سالم ابن أبي أمية المدنى التابعى (عن بسر) بضم موحدة وسكون سين مهملة (ابن سعيد) أى ابن الحضرمى المدنى الزاهد مات ولم يخلف كفنا (عن أبي سعيد) أى الخدرى (عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال

لو

لو كنت متخذا خليلا غير ربي لاتخذت أبا بكر) أي خليلا والمعنى جعلته مخصوصا بالصداقة والمحبة وهو فعيل من الخلة بالضم وهي الصداقة التي تتخلل باطن القلب فالخليل الصديق أو فعيل بمعنى الفاعل كما في هذا الحديث وانما قال ذلك لقصر خلته على حب ربه وربما ورد بمعنى مفعول وهو المناسب لقوله (وفي حديث آخر وان صاحبكم خليل الله) كما سيأتي مصرحا في حديث ابن مسعود وربما يفرق بينه صلى الله تعالى عليه وسلم وبين ابراهيم عليه السلام بهذا التغاير في المعنى مع الاشتراك في المبنى

والحديث الاول رواه البخاري في فضل أبي بكر وقد رواه مسلم والترمذي والنسائي أيضا (ومن طريق عبد الله بن مسعود وقد اتخذ الله صاحبكم خليلا وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما) كما رواه الدارمي والترمذي عنه (قال جلس ناس) أي جمع (من أصحاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ينتظرونه) أي خروجه اليهم ووصوله لديهم رجاء انزال فيضه عليهم (فخرج) أي من مقامه متوجها لهم (حتى اذا دنا منهم) أي قرب (سمعهم) وفي رواية فخرج سمعهم أي حال كونه قد سمعهم (يتذاكرون) أي متذاكرين كلاما فيما بينهم (فسمع حديثهم) أي فحققه وفهمه (فقال بعضهم عجبا) أي تعجبا (ان الله) بالكسر او تعجبت عجبا أن الله بالفتح (اتخذ ابراهيم من خلقه خليلا) أي كما أخبره تعالى وقد سقط لفظ ابراهيم من أصل الدجى فقال يريد ابراهيم عليه السلام (وقال آخر) أي بعض أو صحابي آخر (ماذا) أي ليس هذا وهو اتخاذ الله ابراهيم خليلا (باعجب من كلام موسى كلمه الله تكليما) أي كما أخبره تعالى (وقال آخر فعيسى كلمة الله وروحه) الفاء فصيحة أي اذا ذكرتم خليل الله وكليمه في مقام الافتخار فاذكروا عيسى فانه كلمة الله خلقه بامر كن من غير أب أو اضافته للتشريف أي كلمته مقبولة عنده سبحانه ودعوته مستجابة لديه وهو روح مجرد من عند ربه نفخ فيه بغير واسطة أو رحمة منه

لو كنت متخذا خليلا غير ربي لاتخذت أبا بكر) هذا حديث صحيح رواه البخاري وغيره من طرق متعددة ومفعوله الثاني محذوف تقديره خليلا ولو حرف شرط لامتناع ما يليه وهو الشرط فان لم يكن للجزاء سبب غيره لزم من امتناعه امتناعه والا فلا يلزم فامتنع اتخاذه خليلا غير ربه فيلزم امتناع اتخاذ أبي بكر خليلا فالمعنى لا أصل في محبة أحد من الخلق الى مرتبة الخلة فانها مختصة بربي فلو فرض جعلها لأحد كان أبو بكر أليق بها من جميع الخلق لبذل نفسه وماله ووطنه وأهله في طاعته وهذا صريح في تفضيله على غيره وتقدمه عنده فان كان من الخلة بالضم وهي الصداقة والمحبة التي تتخلل باطن القلب ي ان محبته مقصورة على ربه وان كان من الخلة بالفتح والكسر وهي الحاجة فالمعنى اني أبرؤ من الاعتماد والافتقار الى غير ربي وفي هذا الحديث دلالة على ما عقد له الفصل وهو تفضيله صلى الله تعالى عليه وسلم بالمحبة والخلة وقد تقدم ما اتفق عليه المسلمون من المحبة وما هنا دال على الخلة وما قيل من انه كان ينبغي للمصنف ان يذكر حديثا صريحا في اتخاذ الله خليلا وتقدم ما ذكره في آخر الفصل غني عن الرد (وفي حديث آخر وان صاحبكم خليل الله) يعني نفسه صلى الله تعالى عليه وسلم على طريق التجريد والاحاديث تفيد ان المخاللة من الجانبين اذا كانت بمعنى المحبة لا من الخلة بمعنى الحاجة فان الله غني عن العالمين (ومن طريق عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه) التي رواها البخاري وغيره (وقد اتخذ الله صاحبكم خليلا) كما اتخذ ابراهيم عليه الصلاة والسلام ولا يصح ان يراد بصاحبكم أبو بكر كما توهم وفي هذا دلالة على انه من جانب الله فتم دلالته على انه من الجانبين بخلاف ما قبله ولا ينافيه كون ابراهيم عليه الصلاة والسلام خليلا كما سيأتي تحقيقه (وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما) في رواية الدارمي والترمذي (قال جلس ناس من أصحاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ينتظرونه) أي ينتظرون خروجه من بيته لمجلس أصحابه والجملة حال من ناس لوصفه بالجار والمجرور (قال) ابن عباس رضي الله تعالى عنهما (فخرج) النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (حتى اذا دنى) قرب (منهم سمعهم يتذاكرون) أي يذكر بعضهم لبعض فيتحادثون أو يذكر بالتشديد كل منهم من عنده ما نسيه (فسمع) النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (حديثهم) وفسر هذا الحديث بقوله (فقال بعضهم عجبا ان الله اتخذ ابراهيم من خلقه خليلا) أي من دون خلقه أو اختاره للخلة من بينهم أي تعجب عجبا من هذا والعجب يكون من أمر فيه غرابة ولا أغرب عند من عرف عظمة الله وغناءه عن مخلوقاته وان كل شئ من فضله واحسانه استغرب اتخاذه خليلا من عبيده وهو ابراهيم صلى الله تعالى عليه وسلم غير ان نبينا كان خليلا انه كان مختصا بذلك فلا وجه لما قيل انه يرد اختصاص ابراهيم بكونه خليلا على ما مر (وقال آخر ماذا) أي ليس اتخاذ الله ابراهيم عليه السلام خليلا (باعجب من كلام موسى) حين ناجاه في الدنيا و(كلمه الله تعالى تكليما) مع انه تعالى في الدنيا لم يكلم أنبياءه الا بواسطة ملك الوحي (وقال آخر فعيسى كلمة الله وروحه) هذه الفاء فصيحة في جواب شرط مقدر أي اذا ذكرتم خليل الله وكليمه وتعجبتم من ذلك فاذكروا عيسى عليه السلام وكونه كلمة الله وروحه وسمي عيسى كلمة الله لان الله خلقه من دون أب بمجرد قوله كن أو لاهتداء الناس كما اهتدوا بكلامه وقال الصدر القونوي في نفحاته لكل شئ في عرصة

(وقال آخر آدم اصطفاه الله) أي في أصل خلقته من غير واسطة من أب وأم في فطرته وجعله أبا البشر وجد الانبياء والاصفياء وذكره في كتابه بوصف الاجتباء وحاصل كلامهم انه يتوهم من هذه الاوصاف لهم انهم أفضل من نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم حيث مابلغهم صريحا انه اختص ببعض المقامات ٣٢٨ العاليات كما يشير اليه قوله تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات (فخرج عليهم) أي وصل اليهم (فسلم) فتكراره ليناط به غير ما انيط به أولا أو خرج أولا من مكان الى آخر فسمع قولهم مارا ثم خرج منه وسلم عليهم (وقال قد سمعت كلامكم) أي في تخصيص بعض الرسل ببعض الفضائل (وعجبكم) أي واظهار تعجبكم باختصاصهم ببعض الشمائل كما بينه قوله (ان الله) الخ وتكلف الدلجي حيث قدر له عاملا بقوله أي أدركت عجبكم وجعله من قبيل قلدته سيفا ورمحا وعلفتها تبنا وماء باردا وتبعه الانطاكي ورأيت بخط قطب الدين عيسى الصفوي انه لاحاجة الى هذا التكلف فان المراد سماع مايدل على تعجبهم هذا وفي نسخة صحيحة ان الله وهي بكسر الهمز أو بفتحه (اتخذ ابراهيم خليلا وهو كذلك) أي خليله أو اتخاذه محقق (وموسى نجي الله) أي كما قال الله تعالى وقربناه نجيا من المناجاة وهي المكالمة سرا (وهو كذلك) أي نجيه أو امره كذلك (وعيسى روح الله وهو كذلك) أي ذو روح منه خلقه بلا واسطة أب (وآدم اصطفاه الله) أي اجتباه (وهو كذلك) أي صفيه بالنبوة والرسالة كما قال الله تعالى الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس (الا) أي تنبهوا لخصائصي مع اشتراكي معهم في الاصطفاء كما قال (وأنا حبيب الله) بمعنى محبوبه الذي هو أخص من كل مرتبة ومقام عند ربه

العلم الالهي الازلي مرتبة الحرفية فاذا صبغه الحق بنوره الذاتي وذلك بحركة معقولة معنوية يفيضها شان من الشؤون الالهية المعبر عنها بالكتابة تسمى تلك الصورة كلمة فالموجودات كلمات الله تعالى كما قال تعالى * اليه يصعد الكلم الطيب * أي الارواح الطاهرة انتهى ومعنى روحه انه روح منه بدون واسطة تولد فالاضافة للتشريف (وقال آخر) ممن كان ثمة (وآدم اصطفاه الله) أي اختاره وجعله صفيه وهذا كله مما يتعجب منه من لاحظ عظمة الربوبية وانه غني عن العالمين (فخرج النبي) صلى الله تعالى عليه وسلم (عليهم فسلم) لما ذكر قوله فخرج أولا ثم اعاده هنا وهو مكرر ولا يصح كونه تأكيدا فقيل كرره ليناط به غير ما نيط به أولا ويحتمل ان يكون الخروج الاول من مكان والثاني من آخر قلت هذا التوهم ان العطف ينافي التأكيد وليس كذلك فان النحاة ذكروا كما في التسهيل ان التأكيد قد يقترن بالعاطف فالاكثر انه كقوله كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون وقد يكون بالفاء وصرح المفسرون بانه قد يعاد اللفظ اذا طال الكلام تذكيرا به وههنا بحث نفيس وهو ان ماقاله النحاة ينافي ما اتفق عليه أهل المعاني من ان التأكيد لا يصح عطفه لما بينهما من شدة الاتصال ولان العطف يقتضي المغايرة والتأكيد عين المؤكد والعجب منهم انهم لم يتعرضوا لما قاله النحاة والمسئلة من مسائل الكتاب فان لم يقفوا عليه فهو عجيب وان وقفوا عليه واعتقدوا خلافه فهو أعجب كما قيل

فان كنت لاتدري فتلك مصيبة * وان كنت تدري فالمصيبة أعظم

(وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم (قد سمعت كلامكم وعجبكم) أي تعجبكم وقولكم عجبا كما مر في أول الحديث وقد قيل ان سمعت مضمن معنى أدركت أو فيه مقدر عامل في الثاني أي وعرفت عجبكم على حد قوله قلدته سيفا ورمحا أي وأعطيته ولاحاجة لما ذكر لما قدمناه لك وقوله (ان الله اتخذ ابراهيم خليلا) وقد صحح في النسخ المقروءة بفتح همزة أن فهو بدل وفي الشرح الجديد يجوز أن يكون جملة مستأنفة كأن سائلا سأل ما كلامهم وما تعجبوا منه فاجابهم بقوله ان الله الخ وأن يكون مقول قول محذوف وهو يقتضي ان ان مكسورة الهمزة (وهو كذلك) أي اتخذه خليلا (وموسى نجي الله) أي كليمه والمناجاة المكالمة وأصل معناها أن يخلو بنجوة من الارض ليسار غيره ثم شاع فيما ذكر وقيل أصلها من النجاة فمعناه أن يكلمه بما فيه خلاصه (وهو كذلك) أي هو نجي الله وكليمه فما ذكره واقع (وعيسى روح الله وهو كذلك) أي هو روح الله كما قلتم وتقدم بيانه وان الاضافة للتشريف أو هو بمعنى رحمة الله (وآدم اصطفاه الله وهو كذلك) كما قلتم فان الله اصطفاه واختاره للنبوة والخصائص الروحانية وكونه أبا البشر (الا وأنا حبيب الله) ألا بفتح الهمزة وتخفيف اللام حرف استفتاح يؤكد به الكلام المستأنف فيحقق ما بعده نحو ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم وتدخل على الجملتين ودخولها هنا على العاطف لتحقيق اختصاصه بكونه حبيبا لله واشارة الى ان هذه الصفة أعلى درجة مما قبله أي من عجب مما وصف به الانبياء قبلي فانا موصوف بما هو أعجب وأعلى وهو كوني حبيب الله أي محبوب له فانه فعيل بمعنى مفعول وما قيل من انه من القول بالموجب البديعي كقوله تعالى ليخرجن الاعز منها الاذل * ولله العزة ولرسوله فانه سلم لهم اخراج الاذل بمعنى غير الذي أرادوه فانهم أرادوا بالاعز غير المؤمنين وبالاذل المؤمنين

(ولافخر) أى ولا اقوله فخرا بل تحدثا بنعمته شكرا (وأناحامل لواء الحمد) كما قال فى حديث آخر وآدم ومن دونه تحت لوائى (يوم القيامة) أى فى المحشر الاكبر فى المقام المحمود الذى يحمده الأولون والآخرون (ولافخر) أى الابقر بى لربى (وأناأول شافع) أى فى الشفاعة العظمى أى فى كل مرتبة من مراتب الشفاعات الحسنى (وأول مشفع) أى مقبول الشفاعة (ولافخر) أى بالنسبة الى مالى من الذخر (وأناأول من يحرك حلق الجنة) بفتح الحاء واللام وبكسر أوله أى حلق بابها (فيفتح الله لى) أى بامره لرضوان الجنة بان يفتح لى كما فى رواية (فيدخلنيها) أى الله بفضله وكرمه كما قال الا ان يتغمدنى الله برحمته (ومعى فقراء المؤمنين) أى بعمومهم على تفاوت مراتبهم مقدمون على اغنيائهم على اختلاف احوالهم وهو ولا ينافى ماورد بلفظ ومعى فقراء المهاجرين لانهم أفضل فقراء المؤمنين ووقع فى أصل الدلجى ما يخالف الاصول المعتبرة (ولافخر) أى بهذا أيضا لانه ورد فى الحديث القدسى والكلام الانسى أعددت لعبادى الصالحين مالاعين رأت ولا أذن سمعت ولاخطر على قلب بشر (وأناأكرم الأولين والآخرين) أى من الخلائق أجمعين وهذا فذلكة الكلام ونتيجة المرام (ولافخر) أى فى هذا المقام أيضا اذالفناء عن السوى والبقاء فى حضرة اللقاء هو المقام الاسنى والحالة الحسنى (وفى حديث أبى هريرة رضى الله تعالى عنه) أى من أحاديث الاسراء (من قول الله تعالى) وفى نسخة فى قول الله أى فى جملة قوله سبحانه وتعالى (لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم انى اتخذتك خليلا) أى كما اتخذت ابراهيم فجمع له بين كونه خليلا وحبيبا فله فى المزية زيادة مرتبة المحبوبية كما أشار اليه قوله سبحانه وتعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله أى يحصل لكم حظ من المنزلة المحبوبية بواسطة المتابعة المطلوبية ويؤيده قوله (فهومكتوب فى التوراة أسب) كذا فى نسخة صحيحة من غير ضبط على هذه الصورة وهى ألف بعدها سين مهملة ثم جرة وفى بعض النسخ مكتوب بازائها على الطرة ذكر ابن جبير بخطه فى كتابه ان هذه اللفظة وقعت فى الام المبيضة بخط المؤلف كما هى هنا مبهمة فحكيتها كما وقعت ذكره الشمنى ولا يبعد ان يكون بالتاء الفوقية فى آخر الكلمة وهى للربط فى الجملة بالفارسية وفى نسخة ضبط بكسر الهمزة وسكون السين المهملة وضم الموحدة وقيل بفتح الهمزة وسكون السين وضم المثناة فوق ولعلها كلمة سريانية بقرينة ذكرها فى التوراة أى أنت كما فى نسخة (حبيب الرحمن) وفى نسخة أحمد حبيب الرحمن ولعل ولعله مدلولها هذا وقد قال الانطاكى كذا وقع فى النسخ خليلا ولعله مصحف فقد تقدم حديث أبى هريرة هذا فى فصل ذكر تفضيله عليه الصلاة والسلام بما تضمنته كرامة الاسراء ولفظ الحديث هنالك قد اتخذتك حبيبا قال وأيضا لفظ الحبيب هنا أنسب بآخر الحديث وهو قوله أنت محمد حبيب الرحمن قال ثم انى وقفت على نسخة قديمة قد كان اللفظ فيها أولا انى اتخذتك حبيبا ثم غيرته أيدى التحريف فصيرته خليلا وعلامة الاهمال تحت الحاء كانت باقية فيها بعد والله يعلم المفسد من المصلح قلت حمل جميع النسخ على التصحيف بعيد عن صوب الصواب وميل الى التحريف لاسيما والنسخة القديمة أيضا ظهرت سقيمة وصحت سليمة هذا من جهة المبنى واما من حيثية المعنى فلاشك ان التاسيس أولى من التاكيد مع مافى مغايرة العبارة من الاشارة الى الجمع بين النعتين الجليلين والوصفين الجميلين ثم الظاهر ان هذا رواية أخرى عن أبى هريرة لمغايرة ألفاظهما فى المحلين من الكتاب والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب

المؤمنين فعكسه عليهم وهو على ضربين كما تقرر فى علم المعانى غير صحيح لانهم لم يقصدوا تفضيلهم على نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يقصد الرد عليهم حتى يقال انه من هذا القبيل باعتبار نفى لازمه ولذا قال التلمسانى انه قريب من القول بالموجب لانه قرر أولا ماذكروه من فضائلهم بقوله هو كذلك ثم نبه على أنه أفضل منهم كلهم وقوله (ولافخر وأناحامل لواء الحمد يوم القيامة ولافخر وأناأول شافع وأول مشفع ولافخر وأناأول من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لى) تقدم شرحه فى حديث آخر (ويدخلنيها) بضم المثناة التحتية والضمير الثانى للجنة ويجوز فيه الفصل والوصل خلافا لسيبويه للزوم الفصل عنده كقوله ان الله ملككم اياهم (ومعى فقراء المؤمنين) اكراما لهم وفيه اشارة الى ان الفقير الصابر أفضل من الغنى الشاكر كما مر والجملة حالية (ولافخر وأناأكرم الاولين والآخرين ولافخر وفى حديث أبى هريرة) الذى رواه البيهقى وصححه (من قول الله تعالى) وفى نسخة فى قول الله والاصح روايته بلفظ من (لنبيه صلى الله عليه وسلم انى اتخذتك خليلا) كما تقدم (فهومكتوب فى التوراة أسب حبيب الرحمن) قال الشمنى انه وقع هكذا فى النسخ المعتمدة من الشفاء بهمزة مفتوحة وسين مهملة ساكنة وباء موحدة وهى هكذا فى نسخة المصنف المبيضة المروية عنه وصحفها بعضهم فكتب أنت وهى لفظة عبرانية بمعنى أنت وقال الدلجى ان بعد السين تاء مثناة فوقية وفسره بانت وعبر الشمنى بقوله بعد السين جرة أى مدة خطية فلم يعينها الشكل فيها قيل حاصله انه ثبت لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم

وصف المحبة من غير مشاركة فيها والخلة التي شاركه فيها ابراهيم عليه الصلاة والسلام وقد أثبتها صلى الله تعالى عليه وسلم لنفسه في آخر خطبة خطبها قبل وفاته بخمسة أيام فقال بعد حمد الله تعالى والثناء عليه عز اسمه انه قد كان لي فيكم أخوة وأصدقاء واني أبرؤ الى الله تعالى أن أتخذ احدا منكم خليلا ولو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ان الله قد اتخذني خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا أوتيت البارحة مفاتيح خزائن الارض والسماء وهو تعريف منه صلى الله تعالى عليه وسلم باعلى مقامه وأكمل حالاته وبين خلته وخلة ابراهيم عليه الصلاة والسلام فرق لان خلته حقيقية أصلية وخلة ابراهيم مستعارة من خلته الذاتية ولذا قال ابراهيم في حديث الشفاعة انما كنت خليلا من وراء وراء فالخليل غيره وهو محمد صلى الله تعالى عليه وسلم انتهى فهو صلى الله تعالى عليه وسلم مختص بالمحبة وبالخلة الحقيقيتين والا فقد قال تعالى يحبهم ويحبونه ولكل صفة مراتب فهو صلى الله تعالى عليه وسلم مختص باعلاهما وسيأتي تحقيقه قريبا (قال القاضي أبو الفضل وفقه الله تعالى) هو عياض المصنف (اختلف) بالبناء للمجهول أي اختلف العلماء (في تفسير الخلة) وبيان معناها (وأصل اشتقاقها) بيان لمحل الخلاف ومنشاه وفي قواعد الطوفي الاشتقاق اقتطاع لفظ من لفظ يوافقه في حروفه الاصول كضارب من الضرب والاشتقاق الاكبر رد تراكيب المادة الواحدة المختلفة الى معنى واحد مشترك بينهما وقد يكون ظاهرا في بعضها خفيا في البعض فيحتاج في رده الى ذلك المعنى الى تلطف في معرفة المناسبات انتهى وتفسير أقسام الاشتقاق وتحقيقه مذكور في كتب ابن جني كالخصائص وغيرها (فقيل الخليل) المذكور هنا (المنقطع الى الله) أي الذي قطع رجاءه واعتماده عما عدا الله (الذي ليس في انقطاعه اليه ومحبته له اختلال) أي خلل ونقص يحتاج لجبره تكميل لخلوصه فيه ويقينه الذي لا يختل أصلا وتحقيقه ما قاله الامام الراغب انه يقال خل الثوب بالخلال والرمية بالسهم ادخله فيه والخلة بالضم الطريق في الرمل وبالفتح الاختلال العارض للنفس لشهوتها أو لحاجتها اليه ولذا فسرت الخلة بالحاجة والخصلة والمودة لانها تتخلل النفس أي تتوسطها أو تؤثر فيها تاثير السهم في الرمية أو لفرط الحاجة وابراهيم عليه الصلاة والسلام خليل لافتقاره الى الله وقيل من الخلة واستعمالها كاستعمال المحبة وقال أبو القاسم البلخي هو من الخلة بالفتح لا من الخلة بالضم ومن قاسه بالحبيب فقد اخطا لانه تعالى لا يجوز ان يحب عبده فان محبته الثناء منه ولا يجوز ان يخاله وهذا منه تشبه فان الخلة من تخلل الود نفسه ومخالطته ولذا يقال تمازج روحاهما والمحبة بلوغ الود حبة القلب يقال حببته اذا أصبت حبة قلبه فاذا استعملت في الله أريد مجرد الاحسان وكذا الخلة فيتجوز في أحدهما كما يتجوز في الآخر فاما ان يراد بالمحبة بلوغ حبة القلب وبالخلة جبر الخلل فحاشا الله عنه انتهى وفي كلام المصنف رحمه الله تعالى دلالة على ان الخلة تستلزم المحبة ومن تفسيره للخليل يعلم معنى الخلة التي هي ماخذه فلا يرد ان أول كلامه في الخلة وماذكره تفسير للخليل فسقط ما قيل من انه انما يستقيم على ان الخلة بمعنى الخليل يستوي فيه المؤنث والمذكر لانه مصدر في الاصل وان الكلام في معناه اللغوي الوضعي الثبوتي فتفسيره بالسلبي غير مناسب لانه بيان لحاصل معناه (وقيل الخليل) معناه (المختص) بمن خالله مطلقا فهو الصديق الذي صار من خلص أحبابه وأصدقائه وتفسيره بانه اختص بخدمة الله واختيار ما كلفه من فعل وترك اقتصار

(قال القاضي أبو الفضل رحمه الله تعالى) كذا في الاصول المعتبرة ووقع في أصل الدلجي هنا فصل (اختلف) بصيغة المجهول وفي نسخة اختلفوا (في تفسير الخلة) بالضم (وأصل اشتقاقها فقيل الخليل المنقطع الى الله) أي المعرض عما سواه بزيادة نعته بانه (الذي ليس في انقطاعه اليه ومحبته له اختلال) أي نقص وخلل لديه فعليه اشتقاقه من الخلال وهو وسط الشئ فان الود يتخلل النفس ويخالطها بحيث لا يختل بحصول خالل فيه حال خلاله وفي هذا المعنى قوله تعالى وتبتل اليه تبتيلا وقوله سبحانه وتعالى ففروا الى الله (وقيل الخليل المختص) أي بوصف الخلة سواء يكون مشتقا من الخلة بضم الخاء كما سبق أو من الخلة بفتح بمعنى الفقر والحاجة من الخل اذ كل خليل محتاج الى ان يسد خلل خليله وفي الحديث اللهم ساد الخلة أي الحاجة والفاقة أو من الخلة بمعنى الخصلة فانهما يتوافقان في الخصال كما ورد المرء على دين خليله وقيل هو المختص بخدمة مولاه والذي اختصه الله تعالى فجعله من خلاصة عباده وسلالة عباده ولكن لا يظهر وجه الاشتقاق في هذين القولين وان كان الدلجي ذكرهما واقتصر عليهما ثم رأيت الانطاكي قال المختص يعني بالصداقة والمحبة يقال دعا فلان فخلل أي خص

(واختار هذا القول) أى الاخير (غير واحد) أى كثير من الاخبار (وقال بعضهم أصل الخلة) بالضم (الاصطفاء) أى الاختيار من الصفوة أو الصفاء أى يختار كل خليل رضى خليله أو يصفو معه فى كل حالة كخليله (وسمى ابراهيم خليل الله لانه يوالى فيه و يعادى فيه) أى يحب فى الله و يبغض فى الله أولا بتغاء رضاه ليس له غرض سواه فى البخارى الحب فى الله والبغض فى الله من الايمان أى من كماله (وخلة الله له) أى لابراهيم (نصره) أى على عدوه (وجعله امامالمن بعده) كما قال تعالى انى جاعلك للناس اماما فلم يبعث نبى بعده الا كان من ذريته مأمورا باتباع ملته قال الدلجى وفى نسخة وجعله أمانا لمن بعده بشهادة اجعل هذا بلدا آمنا والظاهر انه تصحيف وتوجيهه تحريف (وقيل الخليل أصله الفقير المحتاج المنقطع) أى عن الاعوان والاخوان أو عما سوى الله تعالى فى الاكوان (مأخوذ من الخلة) بفتح الخاء (وهى الحاجة) أى شدتها الملجئة الى الفاقة (فسمى بها) أى بالخلة يعنى بالاتصاف بها فى اطلاق الخليل ووقع فى أصل الدلجى به بالضمير المذكور وهو واضح دراية لو ثبت رواية أى فسمى بالخليل (ابراهيم لانه قصر حاجته) أى حصرها (على ربه) أى على طلبها من ربه أو على حصول قربه ليس له مأمول غيره فى قلبه و يؤيد قوله (وانقطع اليه بهمه) أى بهمته ونهمته وعزيمته ونيته أو المراد بالهم ما يهمه و يغمه لقوله (ولم يجعله) أى همه (قبل) بكسر القاف وفتح الموحدة أى عند غيره والمعنى لم يكل همه الى أحد غيره اذ ليس للغير أثر وجود فى نظره وكان هذا حال الخليل فى المقام الجليل (اذ جاءه جبريل وهو فى المنجنيق) بفتح الميم والجيم وقيل بكسر أوله لانه آلة للرمى و يؤيده الاول ما فى كتب اللغة انها هى آلة ترمى بها الحجارة معربة وأصلها بالفارسية من جه نيك أى ما أجودنى و يقال جنق اذا رمى بالمنجنيق قالوا كنا نجنق مرة ونرشق أخرى (ليرمى به فى النار) بصيغة المجهول (فقال ألك حاجة قال أما اليك فلا) وزيد فى رواية فقال فاسئل ربك قال حسبى من سؤالى علمه بحالى

فيه قصور (واختار هذا القول غير واحد) من الأئمة المحققين ورجحه الشراح (وقال بعضهم أصل الخلة) بالضم (الاستصفاء) أى كون محبته ومودته صافية أى خالصة من الكدورات وقيل هو من الصفوة بمعنى الاختيار وهو من لوازم الصداقة ثم فرع على الاقوال قوله (وسمى ابراهيم خليل الله لانه يوالى فيه و يعادى فيه) الموالاة المحبة وفى بمعنى اللام كقوله تعالى والذين جاهدوا فينا أى لاجلنا أى لا يحب الا من أحبه الله من المؤمنين أهل الطاعة ولا يبغض الا أهل المعصية والضلال كقوله تعالى لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولذا قالوا

اذا صافى صديقك من تعادى ※ فقد عاداك وانفصل الكلام

(وخلة الله له) أى لابراهيم عليه الصلاة والسلام (نصره) على عدوه كنمرود وهذا جواب سؤال مقدر أى قد علم معنى كون ابراهيم خليل الله فما معنى كون الله خليلاله (وجعله امامالمن بعده) لقوله تعالى انى جاعلك للناس اماما أى مقتدى متبعا لجميع من بعده لان الانبياء بعده كلهم من ذريته وهذا من تمام نصرته لانه لو لم ينتصر خالفه من بعده ولذا ذكره معه تاييدا وتاكيدا (وقيل الخلة أصله) أى أصل معناه الذى وضع له لغة (الفقير المحتاج) صفة كاشفة مفسرة له (المنقطع) أى المنفرد عن الناس لعدم أعوانه واخوانه (ماخوذ من الخلة) بفتح الخاء (وهى الحاجة) لاحتياج صاحبها لغيره لعجزه عما يقوم بأموره (فسمى بها) أى لقب بما اشتق منها وهو الخليل (ابراهيم) فالضمير للحاجة أو للفظة الخلة والاظهر انه بتقدير مضاف أى بمشتقها ونحوه (لانه قصر) بفتح القاف والصاد المخففة والقصر كالحصر بمعنى التخصيص (حاجته على ربه) أى لم يكن له حاجة الا الى ربه فلا يؤمل نفعا من غيره ولا يقبله (وانقطع اليه بهمه) الهم هنا ما يهتم به المرء ويعتنى به و يعزم عليه يعنى كما انه قصر حاجته على الله قصر أمله وعزمه على الله وعلى ما يرضيه (ولم يجعله قبل غيره) قبل بكسر القاف وفتح الموحدة واللام بمعنى المقابل الذى يدرك و يرى فالمراد انه عنده وفى جانبه وانه لم يجعل أمره ورجاءه فى غير الله أى لم يطلب شيا من غيره ولم يؤمله (اذ جاءه) أى جاء ابراهيم عليه الصلاة والسلام (جبريل) عليه الصلاة والسلام (وهو فى المنجنيق ليرمى به) أى وقد وضع فيه ليرمى به (فى النار) التى أوقدت لاحراقه وكان لهبها اشتد حتى لم يمكن أحدا أن يدنو منها حتى يرمى شيأ فيها فصنعوا المنجنيق لالقائه من بعيد وهو بفتح الميم وكسرها آلة لرمى العدو بحجارة كبيرة بان يشد سوارى مرتفعة جدا من الخشب يوضع عليها ما يراد رميه ثم تضرب بسارية توصله لمكان بعيد جدا وكانت هذه الآلة قديمة قبل وضع النصارى للبارود والمدافع وهو فارسى معرب وفى وزنه ومعناه قبل التعريب كلام طويل لهم وأصله من جى نيك أى ما أجودنى وهو مؤنث كما قال

لقد تركتنى منجنيق ابن جندل ※ أحيد عن العصفور حين أحيد

وميمه زائدة ووزنه منفعيل وقال سيبويه فعليل والاستدلال عليه مشهور (فقال له) جبريل عليه الصلاة والسلام (ألك حاجة) عندى من سؤال ما ينجيك ونحوه (قال أما اليك فلا) حاجة لى لقصر

حاجته على ربه كما رو هذا رواه أبو نعيم (وقال أبو بكر بن فورك) بضم الفاء وفتح الراء المهملة وكاف ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة وقال البرهان انه صحح فى النسخ بالتنوين والصرف لظن انه علم مرتجل وقيل انه عربى معناه الفار ولا يعرف فى اللغة وانما المذكور فيها انه بمعنى نوع من الظباء ومن قال معناه الفار لعله أراد انه من عجمة أندلس وتحريف عامتهم قلت رأيت فى كتب التواريخ ان ملك الهند أرسل للاسكندر رسولا اسمه فورك وسالت عنه فقيل معناه غلام حقير وهو يقتضى انه أعجمى غير مصروف وعندى انه يجوز فيه الوجهان وقدم فيه كلام لنا وما قلناه هنا زبدته (الخلة صفاء المودة) وهى المحبة مع التودد وهى المؤانسة والمساعدة وصفوها خلوصها بان يوافق الظاهر الباطن كما قال المعرى

والخل كالماء يبدى لى ضمائره * مع الصفاء ويخفيها مع الكدر

(التى توجب الاختصاص) أى يلزمها اختصاص الوادين بوده بان يلازم صحبته واسعافه (بتخلل الاسرار) جمع سر وهو ما يخفيه المرء عن غيره وتخللها دخولها فى باطنه لاطلاعه عليها وعلمه بها فلا يخفى عليه شئ من أحواله والباء سببية وقيل الاسرار بتجاويف حبات القلوب وهو مجاز أو معناه رسوخ المودة فى القلب واعلم انه تقدم ان الفرق بين المحبة والمودة والخلة ان المحبة ميل القلب لما هو حسن عنده سواء كان حسن صورة أو كمال كمحبة العلماء والصلحاء أو انتفاع وانعام لان القلوب مجبولة على حب من أحسن اليها والمودة مواصلة من تحبه والتودد اليه فاذا زادت المودة وخلصت كانت خلة * فان قلت فحينئذ الخلة أخص من المحبة فتكون أفضل فلم قيل ان المحبة أفضل * قلت المحبة أعم فقد تكون من غير مخالطة وقرب فلا خلة فيها الا ان المحبة قد تصل الى مرتبة بحيث يكون الحبيب لا يغيب عن ذكره وذكره طرفة عين حتى يصل الى الهيام وذهاب العقل وتبذل لها الارواح فضلا عما سواها وهذه تسمى عشقا والعشق لا يجوز فى الشرع اضافته لله فلا يقال عشقت الله كما ذكره ابن تيمية وغيره وان وقع من بعض الحكماء والصوفية وان كان مع هذه المرتبة خلة وتقريب فليس كهذا الحب محب ولا كحبيبه حبيب وهذه المحبة هى التى اختص بها نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم بعد الاسراء لما رأى الله وشاهد من جماله وجلاله ووصل من قربه لمرتبة لم يصل لها رسول ولا ملك مقرب وتمت له خلة مقربة لم ينلها غيره فلم يحتج لغيره ولا سال سواه وعرض عليه مفاتيح خزائن السموات والارض وأعانه الله ونصره نصرة عزيزة وغفر له ما تقدم وما تاخر مع انه لم يصدر عنه زلة وأطلعه على أسراره بحظائر قدسه وأى خلة كهذه فلذا كان صلى الله تعالى عليه وسلم مخصوصا بانه خليل الله أيضا وقال الخليل عليه الصلاة والسلام أنا خليل من وراء وراء كما مر وكرر وراء اشارة الى زيادة قرب نبينا فى الارض والسماء فلا منافاة بين اختصاصه ووصف ابراهيم وان اشتهر بذلك لانه أجل صفاته واشتهر محمد بالحبيب لانه بهذا المعنى أجل من الخليل وهذا من جانب العبد وأما من الله فمحبته له بمعنى تقريبه وانعامه وتعليمه ما لم يعلمه غيره وتفضيله على ما سواه وخلته له واسعافه له بجليل هذه النعم وتوفيقه لجعله نصب بصره وبصيرته حتى كأنه معه فى كل حين فاعرفه (وقال بعضهم أصل الخلة المحبة) يحتمل ان أصل معناها الوضعى المحبة لانها من تخلله فى قلبه وروحه ويحتمل ان المراد ان المحبة أساس الخلة ومنشؤها لانها تكون بعد تحققها (ومعناها) أى معنى الخلة الوضعى بناء على الثانى وهو الارجح وقيل ضميرها راجع للمحبة المرادفة للخلة (الاسعاف) أى الاعانة والنصرة والامداد لكل ما أراد (والالطاف) بفتح الهمزة أى الانعام والاحسان قال الزمخشرى فى شرح مقاماته الالطاف الهدايا

(وقال أبو بكر بن فورك) بضم الفاء وفتح الراء غير منصرف وقد ينصرف (الخلة) بالضم (صفاء المودة) أى خلوص المحبة التى لا يتخللها نوع من المخالفة (التى توجب الاختصاص) أى فى حالتى المسرة والمضرة من المحبوب للمحب وعكسه (بتخلل الاسرار) بفتح الهمزة جمع سر اى يدخل فى قلوب الاخيار وصدور الاحرار والجملة حالية ولو قرئت بالباء الجارة وصيغة المصدر لكان له وجه وجيه (وقال بعضهم أصل الخلة المحبة) أى مطلقا فى اللغة (ومعناها) أى مؤداها (الاسعاف) بكسر الهمزة أى انجاز الحاجة بلا مهملة (والالطاف) بالكسر أى الاعانة على وجه اللطافة

(والترفيع) أي رفعه على نفسه في مقام أنسه وهو معنى قول بعضهم الترفيع التعظيم والتكريم (والتشفيع) أي قبول شفاعته وحصول رعايته (وقد بين) أي الله تعالى (ذلك) أي هذا المعنى (في كتابه) أي في مفهوم المبنى (بقوله وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله) أي اتباع ابنيه عزير والمسيح على حذف المقدر أو نزلوا أنفسهم منزلتهم مما في المقام المعتبر فتدبر وكذا قوله (وأحباؤه) أي محبوبوه أو محبوه ويلزم كونهم محببه للملازمة الغالبية في نسبة المحبة أو المحبوبية كما يشير اليه قوله سبحانه يحبهم ويحبونه (قل فلم يعذبكم بذنوبكم) أي ان صح ما زعمتم فلم يعذبكم بذنوبكم اذ من كان بهذه المكانة لا يعذب بهذه المثابة وقد عذبكم في الدنيا بالقتل والاسر والمسخ والاصر وسيعذبكم في النار الموقدة باعترافكم أياما معدودة (فاوجب) أي الله بطريق الاشارة المفهوم من العبارة (للمحبوب ان لا يؤاخذ) بفتح الخاء أي لا يعاقب (بذنوبه) وان كان قد يعاتب بعيوبه فالحبيب لا يعذب حبيبه بالنار والوالد لا يرمي ولده في النار (قال) أي الله سبحانه وتعالى (هذا) أي هذا الكلام أو قال ذلك البعض خذ هذا أو الامر هذا أو هذا كما ذكر (والخلة أقوى) أي في النسبة (من البنوة) بتقديم الموحدة على النون وضمهما وتشديد الواو (لان البنوة قد يكون فيها) أي يوجد معها (العداوة) أي الموجبة للمخالفة (كما قال الله تعالى ان من أزواجكم وأولادكم) أي بعضهم (عدوا لكم) بالمخالفة الدينية أو الدنيوية (فاحذروهم) أي عن المخالطة والمغالطة (الآية) أي وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا فان الله غفور رحيم (ولا يصح أن تكون عداوة مع خلة) أي مع صداقة على الحقيقة فانهما ضدان لا يجتمعان على وجه الكمال نعم قد توجد عداوة من حيثية وصداقة من حيثية كمحبة ولد عاق وعداوة والد جاف وعلى هذه الحالة مدار معاشرة العامة بل ومداراة الخاصة (فاذا) بالتنوين أي فحينئذ (تسمية ابراهيم ومحمد) وفي نسخة تسميته أي تسمية الله ابراهيم ومحمدا عليهما الصلاة والسلام (بالخلة

واحدها لطف بفتحتين قال كذا له عندنا التكريم والالطاف انتهى ويحتمل انه جمع لطف كقفل وهو التوفيق لفعل كل خير وتسهيله وكونه بكسر الهمزة تحريف (والترفيع) باعلاء رتبته بالكمالات الظاهرة والباطنة (والتشفيع) باذنه له في الشفاعة وقبولها اوله صلى الله عليه وسلم شفاعات كما مر فيشفع في فصل القضاء ولرفع درجات قوم في الجنة ولمن مات بالمدينة كما رواه الترمذي وسيأتي ولبعض المؤمنين في التجاوز عن سيئاتهم ولبعض من كان من أهل النار بعدم دخولها واخراجه منها وللتخفيف عذاب بعض الكفرة كأبي طالب لجعله في ضحضاح من نار يغلي منه دماغه كما رواه البخاري وهو لا ينافي قوله تعالى لا يخفف عنهم العذاب كما قيل وقد بيناه في حواشي القاضي ولقبول شفاعة بعض الانبياء والصلحاء وقيل التشفيع بمعنى التأييد والتقوية من الشفع (وقد بين ذلك تعالى) أي كون المحبة والخلة تقتضي الاسعاف وما بعده بطريق المفهوم واللزوم (في كتابه بقوله وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم الآية) يعذبكم مضارع بمعنى الماضي أي عذبكم في الدنيا بالمسخ والقتل وغير ذلك وهذا برهان أي لو كنتم أبناؤه وأحباؤه ما عذبكم لكنه عذبكم فلستم كذلك أو هو على أصله أي لم يعذبكم في الآخرة فعلم منه ان من كان محبوبا لله لا يعذبه ولا يسوءه لاقتضاء المحبة لذلك والعجب ان هذا مع ظهوره قيل عليه انه لا دليل في الآية على مدعاه وليس فيها على تقدير التسليم الا عدم مؤاخذة المحبوب بذنبه على انه ممنوع في أحباء الله لان من أحبه الله عصمه من الذنوب ويمتحنه بالمناقشة والابتلاء ولا دليل فيها على ان أصل الخلة المحبة وهو مما يقضي منه العجب وقولهم أبناء الله أي منا أبناؤه وهو المسيح وعزير ونحن أتباع بنيه وقيل انهم ادعوا ذلك لانهم رأوا في التوراة يا أبناء أحبائي فبدلوها يا أبناء أبكاري (فاوجب للمحبوب) أي بطريق اشارة النص فيهم ان كل محبوب وخليل يحب (ان لا يؤاخذ بذنوبه) أي لا يعاقب بها ويجازى عليها (قال) ذلك البعض (هذا) اسم الاشارة يتخلص به من كلام لآخر فيكون خبر مبتدأ مقدر أي الامر هذا أو مبتدأ خبره مقدر وقد يذكر كما في قوله هذا ذكر أو مفعول فعل مقدر أي خذ هذا وقد يقال ها اسم فعل بمعنى خذ وذا مفعوله لكن الرسم يخالفه (والخلة أقوى من البنوة) بموحدة ونون مصدر بمعنى كونه ابنا ولذا منعه ثم بين ذلك بقوله (لان البنوة قد يكون فيها العداوة) أي معها أو فيمن اتصف بها وهو من ظرفية الصفة للموصوف (كما قال الله تعالى ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم) أي منهم من يظهر العداوة والعقوق كما هو مشاهد فاحذروهم وخافوا شرهم (ولا يصح أن يكون عداوة مع خلة) لان المحبة معناها أو داخلة فيه أو لازمة له وهي ضد العداوة فلا يجتمعان بخلاف البنوة فانها وان كانت الفطرة تقتضي المحبة لكن قد يتخلف لعارض ويكفي هذا فلا وجه للاعتراض بان الاصل فيها المحبة والعارض لا يعتد به كما توهم ومن العجب انه أيده بقولهم زيد أبوك عطوفا وكله مثلها تجاوز الله عنه (فاذن) تفريع على ما قبله (تسمية ابراهيم ومحمد عليهما الصلاة والسلام بالخلة) أي بما أخذ من الخلة وهو الخليل أو المراد بالتسمية الوصف

اما بانقطاعهما الى الله) أى بالكلية (ووقف حوائجهما عليه) أى حتى فى الامور الجزئية والانقطاع (عما دونه) أى فى الاحوال الظاهرية (والاضطراب) أى الاعراض والانصراف (عن الوسائط والاسباب) أى فى الخواطر السرية كما قال أرباب الاشارات التوحيد اسقاط الاضافات (أو لزيادة الاختصاص منه تعالى لهما) أى من بين الانبياء والاصفياء (وخفى ألطافه) بفتح الهمزة أى ولزيادة ألطافه الخفية (عندهما) أى من أخفى الشئ اذا ستره لا من خفيته بمعنى أظهرته وحديث خير الذكر الخفى يحتملهما على ماذكره الدلجى لكنه بمعنى الظهور بعيد كما لا يخفى نعم لو قيل المعنى هنا ظهور الطافه لظهر له وجه وفى نسخة وحفى بالحاء المهملة وكسر همزة الطافه أى ولزيادة مبالغته فى اكرامه من حفى اذا بالغ فى الاكرام واستقصى عن سؤال المرام ومنه قوله تعالى يسالونك كأنك حفى عنها ومنه أيضا حديث ان امرأة دخلت عليه عليه الصلاة والسلام فسالها فاحفى وقال انها كانت تاتينا فى زمن خديجة وان كرم العهد من الايمان (وماخالل) أى خالط وباشر (بواطنهما من اسرار الهيته) أى وأنوار صمديته (ومكنون غيوبه) أى ومن استار مغيباته (ومعرفته) أى تعريفاته بذاته وصفاته (أو لاستصفائه) أى اختيار الله سبحانه وتعالى (لهما) ومنه حديث محمد خيرة الله من خلقه (واستصفاء قلوبهما عمن سواه) أى تخليصهما عن التعلق بالعوائق من الخلائق (حتى لم يخالالهما حب لغيره) بل اذا أحبا أحدا أحباه لله سبحانه وتعالى وقديم

ولذا دعا صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله اللهم لا تجعل لفاجر على يدا يحبه قلبى وبقوله اللهم انى أسئلك حبك وحب من يحبك (ولذا) أى المعنى المستفاد من هذا المبنى (قال بعضهم الخليل من لا يتسع قلبه) بتشديد التاء وكسر السين ويروى من لا يتبع قلبه (لسواه) أى على جهة الشركة فى المحبة الاصلية (وهو) أى هذا المعنى هو (عندهم معنى قوله عليه الصلاة والسلام) أى كما رواه البخارى ان من أمن الناس على فى صحبته وماله أبا بكر (ولو كنت متخذا خليلا) أى من الناس أرجع فى المهمات عليه وألجأ فى الملمات اليه (لاتخذت أبا بكر خليلا لكن اخوة الاسلام) ورواية المصابيح ولكن بالواو أى ليس بينى وبينه خلة لكن اخوة الاسلام ثابتة بينى وبينه فى أعلى المرتبة

تجوزا وقدم ابراهيم عليه الصلاة والسلام لتقدمه رتبة وشهرته وهو باضافة تسمية وفى نسخة اضافة بالضمير (اما بانقطاعهما الى الله تعالى) هذا ناظر لان الخلة الحاجة أى لاعتمادهما عليه واما المنع الخلو فقط (ووقف حوائجهما عليه) أى جعلها موقوفة على انعامه لاكتفائهم بفضله (والانقطاع عمن دونه) أى الانقطاع اليه تعالى وترك غيره (والاضراب عن الوسائط والاسباب) الاضراب بمعنى الاعراض والترك يقال اضرب عن كذا اذا أمسك عنه وتركه (أو لزيادة الاختصاص منه تعالى لهما) معطوف على ما بعد اما بان الله اختصهما زيادة اختصاص به فاغناهما عما سواه كما يغنى الخليل خليله وهذا ناظر الى انه من الخلة بالضم (وخفى الطافه عندهما) خفى بالخاء المعجمة لان لطفه يكون من حيث لا يدرى أو بالحاء المهملة أى زيادة مبالغة فى اكرامه لهما يقال أحفى به وحفى اذا بالغ فى اكرامه وهو مجرور معطوف على زيادة أو ما أضيف اليه والطاف بالفتح تقدم تفسيره وقيل انه بكسر الهمزة مصدر وفيه مامر (أو ماخالل) أى تخلل ودخل (بواطنهما من أسرار الهيته) اشارة الى انه من التخلل كما تقدم وفى نسخة من أسرار الهيبة بمثناة تحتية فوحدة (ومكنون غيوبه) جمع غيب وهو ما لا يدرك بالحواس الظاهرة أو ما سيكون قبل وقوعه وهو من جملة المعجزات ولا يطلع على غيبه الا من ارتضى من رسول والمكنون بمعنى المستور (ومعرفته) أى معرفة افاضها عليهما من علمه اللدنى أو معرفة ذاته وصفاته مما لا يطلع عليه كل أحد (أو لاستصفائه لهما) أى لاختياره لهما من دون خلقه وجعلهما صفوة له حتى يستحقا وصف الخلة لانهما خيرة الله من خلقه والمصدر مضاف لفاعله وقوله (واستصفاء قلوبهما) مضاف لمفعوله واسم العضو المضاف للعين يجوز افراده وجمعه وتثنيته أى جعل مراتبهما صافية خالصة له صالحة لاسراره ومعرفته (عمن سواه) بحيث لا يكون فيها غير معرفته وحبه (حتى لم يخالالهما) أى يدخل فى خلالهما (حب لغيره) هو نتيجة الاستصفاء وماله فارتضاهما وصفى قلبيهما من كدر حب السوى الناشئ عن الطبع البشرى (ولهذا) أى لكون معنى الخلة الانقطاع عما سواه والاعراض عن العوارض البشرية (قال بعضهم الخليل من لا يتسع قلبه لسواه) لامتلائه بمحبته ومشاهدة جلاله بحيث لا يبقى فى قلبه سواه وسوى مراقبته كما قيل

تملك بعض حبك كل قلبى * فان ترد الزيادة هات قلبا

(وهو) أى ماذكر من معنى الخليل ونعته (عندهم معنى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم) فى حديث البخارى ان من أمن الناس على فى صحبته وماله أبا بكر (ولو كنت متخذا خليلا) من الناس غير ربى ارجع اليه فى أمورى وأعتمد عليه فيما يهمنى (لاتخذت أبا بكر خليلا) لانه أعز أصحابى وأقدم أصدقائى فلو تعلق قلبى باحد لم يكن يتعلق بغيره لما أعرفه من ايثاره لى على نفسه وأهله (لكن اخوة الاسلام)

فيقوم مقام اتخاذي له خليلا قال التلمساني كذا وقع في النسخ الصحيحة من الشفاء أخوة بالالف وفي الاكمال خوة دون ألف ثم قال كذا للعذري ولغيره بالالف وقوله عليه الصلاة والسلام لو كنت متخذا خليلا الخ قال في المشارق لو كنت متخذا خليلا أفتقر اليه وألتجئ اليه في جميع أموري لكان أبا بكر ولكن الذي ألتجئ اليه وأفتقر اليه هو الله تعالى أو كنت منقطع الحب مخلوق لكان أبا بكر لكن مرافقة الاسلام انتهى وفيه ايذان الى ان الخلة فوق الاخوة والمودة (واختلف العلماء وأرباب القلوب) أي أصحاب القلوب الصافية والالباب الواعية من المشايخ الصوفية الجامعين بين المعارف اليقينية البهية والاخلاق السنية الرضية (أيهما أرفع) أي الخصلتين أو الحالتين أعلى أو أغلى في الدرجة العلية والرتبة الجلية (درجة الخلة) أي درجة الخلة أرفع من درجة المحبة (أو درجة المحبة) أي أرفع من درجة الخلة فهما مرفوعان بناء على انهما بدل من أيهما المرفوع ويجوز نصب درجة على انه تمييز ذكره التلمساني وهو بعيد جدا الا سيما مع وجود أو الترديدية وكونهما معرفة بالاضافة نعم لو ثبت الجر لكان له وجه من حيث انه بدل من المضاف اليه في أيهما والصحيح ما أشرنا اليه من انهما مرفوعان بالابتداء وان خبرهما أرفع مقدارا مع تقدير الاستفهام في أولهما (فجعلهما بعضهم سواء) أي في المرتبة ليس بينهما تفاوت في الدرجة (فلا يكون الحبيب الا خليلا ولا الخليل الا حبيبا لكنه خص ابراهيم عليه السلام بالخلة ومحمدا صلى الله تعالى عليه وسلم بالمحبة) أي بناء على الغلبة ولكن في هذا الاختصاص دلالة باهرة واشارة ظاهرة الى زيادة درجة المحبة على رتبة الخلة كما لا يخفى على أرباب المعرفة (وبعضهم قال درجة الخلة أرفع) أي من مرتبة المحبة وهذا بعيد جدا الا ان يراد بالخلة معنى الخصوص وبالمحبة معنى العموم وليس الكلام فيه لا في المنطوق ولا في المفهوم (واحتج) أي ذلك البعض لما زعمه (بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي فيما رواه البخاري (لو كنت متخذا خليلا غير ربي) لاتخذت أبا بكر خليلا (فلم يتخذه) أي غير ربه خليلا (وقد أطلق المحبة لفاطمة وابنيها) أي الحسنين رضي الله تعالى عنهم (واسامة) أي وكذا لاسامة ابن مولاه زيد بن حارثة الملقب بحب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقد كان اسامة أسود كالغراب وأبوه زيد أبيض كالقطن (وغيرهم) أي كابي بكر وعمر وعائشة فلو كانت المحبة أرفع من الخلة لم يتخذ غيره به مما ذكر حبيبا كما لم يتخذ غيره خليلا وفيه انه لم يطلق على أحد منهم بكونه حبيبا وانما أراد بمحبتهم المحبة الطبيعية الناشئة عن النسبة الجزئية أو الحالة الصادرة عن تحقق الشمائل الرضية مع انه صلى الله تعالى عليه وسلم سمي حبيب الله بمعنى محبوبه فاين هذا المعنى من ذلك المبنى فليس له شريك في هذا الوصف على وجه الكمال كما لا يخفى وهذا هو المشهور وعند

وقديم الصحبة لذى هو بمنزلة القرابة القريبة النسبية كما قيل

صحبة يوم نسب قريب * وذمة يعرفها اللبيب

وهو استدراك على مضمون الجملة الشرطية فنفى الخلة وأثبت الاخوة المؤذنة بالمساواة تفضلا منه فالخلة أعظم من البنوة والاخوة واخوة بهمزة مضمومة وروى في الاكمال انه خوة بدون ألف وهي لغة قليلة (واختلف العلماء وأرباب القلوب) أي أصحاب القلوب الكاملة الصافية بخلاف غيرهم كأنه لا قلب له والمراد بهم الاولياء وذوو النفوس القدسية وقيل المراد بهم الباحثين عن أحوال القلوب وقيل المراد بهم أكابر الصوفية وسموا بذلك لنظرهم في العلوم الباطنة دون ظواهر الالفاظ (أيهما) أي المحبة والخلة (أرفع) أي أيهما أفضل في نفس الامر وعند الله (درجة الخلة أو درجة المحبة) وكني برفع الدرجة عن رفع ما فيها وأفضليته والتقدير أهو درجة الخ (فجعلهما بعضهم سواء) أي الدرجتين أو المحبة والخلة متساويتين في الفضيلة لا تفاوت بينهما (فلا يكون الحبيب الا خليلا ولا الخليل الا حبيبا) لا يخفى ان هذا انما يقتضي تلازمهما لا مساواتهما رتبة ودرجة ثم أشار الى جواب سؤال مقدر وهو انهما اذا استويا وتلازما فلم خص كل منهما بموصوف فقال (لكنه) أي الله أو الامر والشان (خص) مبني للفاعل أو المفعول (ابراهيم بالخلة ومحمدا) بالنصب أو الرفع (بالمحبة) بان سمى الاول خليلا والثاني حبيبا وهو أمر اتفاقي لمجرد التمييز بينهما ولا يخفى ضعفه (وبعضهم قال درجة الخلة أرفع) منزلة وأفضل وأعلى درجة ويشهد له ان المحبة مأخوذة من معنى الخلة وأخص منها لكنه قيل انه يرد عليه ما تقدم من قوله في مناجاته حيث قال له الله سل تعطه فقال يا رب اتخذت ابراهيم خليلا وكلمت موسى تكليما فقال تعالى له ألم أعطك خيرا من هذا واتخذتك حبيبا أو ما في معناه مما يقتضي ان درجة المحبة أرفع الا ان قوله لو كنت متخذا الحديث يخالفه فالمقام لا يخلو من الاشكال والجواب ان القائل انما فضله بمجموع ما ذكر في الحديث (واحتج) هذا القائل لمدعاه (بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم) في حديث رواه البخاري (لو كنت متخذا خليلا غير ربي فلم يتخذه) أي غير الله (خليلا وقد أطلق المحبة) أي وصفه بمحبته غير ربه والجملة حالية (لفاطمة) الزهراء ابنته صلى الله تعالى عليه وسلم وهو متعلق باطلق (وابنيها) الحسن والحسين (واسامة) ابن زيد بن حارثة فانه ذكر انه كان يحبه ويسمى حب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (وغيرهم) كأبي بكر وعمر وعائشة رضي الله تعالى عنهم وقد ورد هذا

الجمهور ولذا قال (وأكثرهم جعل المحبة) أى الخالصة دون المودة العامة (أرفع) أى درجة (من الخلة) أى مع انهامن مراتب الخاصة (لان درجة الحبيب نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم أرفع من درجة الخليل ابراهيم عليه السلام) يعنى اختصاص هذا الوصف بمن هو أكمل يدل على انه أفضل من سائر أوصاف الكمل والالكان الانعكاس أولى فتامل فانه اندفع به ماذكره الدلجى بقوله وأنت خبير بان أرفعية المحبة على الخلة انما هى من أرفعية موصوفها الامن حيث ذاته ثم من مايدل على هذا التحقيق الموجب للتوفيق ان الخليل انما هو فعيل بمعنى الفاعل مسندا الى ابراهيم عليه السلام واما الحبيب فيحتمل أن يكون بمعنى فاعل أومفعول ولاشك ان النسبة المفعولية فى هذا المقام أتم من نسبة الفاعلية فى المرام كما يشير اليه قوله سبحانه وتعالى يحبهم ويحبونه لاسيما ومحبة الله تعالى كاملة سابقة ذاتية أبدية أزلية ومحبة العبد ناقصة لاحقة عرضية واما حديث لو كنت متخذا خليلا غير ربى لاتخذت أبابكر وقد اتخذ الله صاحبكم خليلا فهو محمول على انه اتخذه أن يكون خليلا خاصا لايتخذ غيره خليلا على مايدل عليه سياق الكلام وسباقه فهو بمعنى الفاعل على حاله وليس كما توهم الدلجى انه بمعنى المفعول والحاصل انه يقال محمد حبيب الله والله حبيب محمد ولايقال الله خليل ابراهيم مع جواز ابراهيم خليل الله وقد صرحوا بان المعنى الاول أصح يعنى كونه مشتقا من الخلة بالضم لانها تتصور من الجانبين والحاجة لاتتصور من الجانبين فلا يجوز أن يقال الله تعالى خليل ابراهيم لما فيه من ايهام أن يكون ماخوذا من الخلة التى هى الحاجة (وأصل المحبة) أى الماخوذة من حبة القلب أو أصل معناها (الميل الى مايوافق المحب) أى يلائم طبعه ويستلذ به وهذا ظاهر فى كونه اسم الفاعل من أحبه فهو محب على ماصرح به الانطاكى وضبطه الحلبى بضم الميم وفتح الحاء أى المحبوب وتبعه الدلجى وزاد عليه قوله من غيره ارادة طاعاته وابتغاء مرضاته لكنه مخالف للرواية وغير مناسب للدراية لانه ليس أصل المحبة هذا بل نتيجة محبة المحب للمحبوب ان لاتقع منه المخالفة كما قالت رابعة رضى الله تعالى عنها

تعصى الاله وأنت تزعم حبه * هذا لعمرك فى الصنيع بديع
لو كان حبك صادقا لاطعته * ان المحب لمن يحب مطيع

هذا وقد قال الانطاكى وفى بعض النسخ وقع محب بفتح الحاء والظاهر انه خطأ لما سيأتى فى كلام المصنف من ان حقيقة المحبة الميل الى مايوافق الانسان (ولكن هذا) أى التعريف (انما يصح فى حق من يصح الميل) أى وجوب ميلان القلب (منه) أى الى محبوبه أو مطلقا (والانتفاع بالوفق) بفتح الواو وسكون الفاء أى وفى حق من يتصور منه الانتفاع والارتفاق بالشئ الذى فيه الموافقة له أو على وفق ميل القلب وهو النفس اليه (وهى) أى المحبة بمعنى الميل (درجة المخلوق) أى صفته ورتبته (فاما الخالق) أى الذى قدس عن القلب والميلان وسائر نعوت الحدثان (فمنزه عن الاغراض) بالغين المعجمة وهى العلل والحاجات وكذا عن الاعراض بالعين المهملة وهى الامراض والآفات

كله مصرح به فى أحاديث صحيحة وقد قدمنا لك ان محبة الله تعالى لعبده بمعنى غير محبة العبد لله ولغيره وان محبة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لله بمعنى كونه ليس فى قلبه وذكره غيره وانها ماخوذة من حبة القلب كما قلت

قد تملكت حبة القلب منى * ولذا سمى الحبيب حبيبا

فلا ينافى كونه يحب فلانا لانه المطلق الميل وبهذا سقط الاحتجاج بما ذكر وسيأتى مايؤيده (وأكثرهم) أى أكثر العلماء وأرباب القلوب (جعل المحبة ارفع) درجة وأفضل (من الخلة لان درجة الحبيب نبينا) صلى الله تعالى عليه وسلم بدل من الحبيب أو عطف بيان (أرفع من درجة الخليل ابراهيم) فيقتضى ان صفته وهى المحبة أفضل من صفته وهى الخلة وفيه انه لايقتضى ذلك لان تفضيل الذات على الذات قد يكون لمعنى آخر غير تلك الصفة لاسيما اذا قلنا ان الخلة هى المحبة أوغايتها (وأصل المحبة) الوضعى الحقيقى (الميل الى مايوافق المحب) بضم وفتح الحاء بمعنى المحبوب يقال حبه وأحبه بمعنى الا انهم أخذوا اسم الفاعل فى أكثر استعمالهم من المزيد فقالوا محب واسم المفعول من الثلاثى فقالوا محبوب وحبيب وقلوا فى غير الاكثر حاب ومحب بالفتح كقول عنترة فى معلقته

* منى بمنزلة المحب المكرم *

فراعوا كلا منهما والمراد بما يوافقه ما يرتضيه ويميل اليه فيحب كل مايحبه ويبتغيه ويترك لاجله مراداته والمراد بالميل ميل قلبه ولذا قال (ولكن هذا) المعنى يكون (فى حق من يصح الميل) القلبى (منه) أى المحب لا المحبوب والعكس جائز وجزم به بعضهم (والانتفاع بالوفق) بفتح الواو وسكون الفاء قبل القاف أى الموافق فسمى الفاعل بالمصدر أو هو على أصله بمعنى الموافقة بين الشيئين وهذا الاخير خير (وهى درجة المخلوق) وهو راجع الى المحبة بمعنى الميل القلبى ممن يصح منه أو أنث باعتبار الخبر فيرجع للميل والدرجة مجاز عن الصفة (واما الخالق جل جلاله فمنزه عن الاغراض) بغين معجمة وراء مهملة وضاد معجمة على ماتقدم فالميل بمعنى ترجيح شئ وتقديمه على

(فحبته لعبده تمكينه من سعادته) أي باقداره على طاعته وعبادته (وعصمته) بالرفع وأبعد الدلجي في تجويز الجر أي ومحافظته عن ارتكاب معصيته (وتوفيقه) أي على ارتكاب الحسنات واجتناب السيآت (وتهيئة أسباب القرب) بضم فسكون ولا يبعد ان يكون بضم ففتح أي من النوافل كصلاة وصوم وصدقة وتسبيح وتحميد وتكبير وتهليل وسائر القرب (وافاضة رحمته عليه) أي بقبول ما منه اليه وجعله مقربا لديه (وقصواها) بضم القاف مقصورة أي غاية المحبة ونهايتها بالنسبة الى الخالق (كشف الحجب عن قلبه) أي كشف الرب الحجب النفسانية والنقب الانسانية عن قلب المحب لجمال الذات الربانية وكمال الصفات الصمدانية (حتى يراه بقلبه) أي يرى جمال ربه بعين قلبه (وينظر اليه) أي الى تجلي ربه في مقام عظمته (ببصيرته) أي بعين بصيرته فيفنى عن نفسه وحجبه ويبقى ببقاء ربه فيكون محوا بعد ما كان صحوا وسكرا بعد ما كان فكرا وشكرا وحاضرا في الحضرة بعد ما كان غائبا في الغفلة (فيكون كما قال) أي سبحانه وتعالى (في الحديث) أي القدسي والكلام الانسي على ما رواه البخاري لا يزال العبد يتقرب الي بالنوافل حتى أحبه (فاذا أحببته) أي أظهرت حبي له فان حبه سبحانه وتعالى قديم غير حادث بعد تقرب عبده (كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به) وفي رواية زيادة ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي عليها أي كنت حافظ اعضائه وحامي اجزائه ان يتحرك بغير رضاي وان يسكن الى

(٤٣ – شفا ني)

غير قضاي والحاصل انه جعل سلطان محبته لربه آخذا بمجامع قلبه فلا يهم الا بمرضاة محبوبه ولا يسعى بجميع جوارحه الا في سبيل مطلوبه وقيل أي كنت أسرع الى قضاء حوائجه من سمعه في الاسماع وبصره في النظر ولسانه في النطق وهنا معنى أدق من هذا وهو انه يظهر للعبد في هذا المقام ما يتم به المرام وهو انه يشاهد ان قوة سمعه وبصره ولسانه وسائر أركانه انما من آثار قدرة ربه وقوته عز شانه وليس المراد منه الحلول والاتحاد والاتصال على ما توهمه أهل الضلال كما قال (ولا ينبغي ان يفهم) بصيغة المفعول (من هذا) أي الحديث (سوى التجرد لله) أي تجرد القلب عن غير حب الرب (والانقطاع الى الله) أي ترك الالتفات الى ما سواه (والاعراض عن غير الله) أي بالتوجه الكلي الى مولاه حتى كأنه يسمع منه ومرآي له فيما يتحراه

غيره لفائدة غرض وعلة للفعل لا يجوز على الله ولذا ذهب أكثر الاصوليين الى ان افعاله تعالى لا تعلل بالاغراض لانه يقتضي استكماله تعالى بغيره وهو منزه عنه اما بمعنى الثمرات والفوائد المترتبة على الفعل فلا يضر وخالفهم بعض المحققين وقال النصوص تدل على خلافه والاستكمال عنده غير مسلم وقد بسطنا الكلام عليه في غير هذا الكتاب وفي نسخة الاعراض بعين مهملة وليس جمع عرض بمعنى مرض وبزنته كما قيل بل بمعنى الكيفيات النفسانية الحادثة والميل منها وفي نسخة الاعتراض ولا مناسبة لها هنا الا بتكلف واذا كانت المحبة بهذا المعنى لا تليق برب العزة (فحبته) أي الله (لعبده تمكينه من سعادته) أي اقداره على ما يفيده سعادة الدارين بتوفيقه لطاعته وعبادته (وعصمته) من ارتكاب الذنوب ويجوز رفعه وجره عطفا على تمكين وسعادة والعصمة هنا معناها الحفظ (وتوفيقه) في أموره بجعلها على وفق رضاه ويجوز رفعه وجره أيضا (وتهيئة أسباب القرب) تهيئة بزنة تكرمة بياء مثناة تحتية بعد الهاء وهمزة وهاء تأنيث مصدر هيأته اذا جعلته حاضرا سهل التناول أي يسر له الله كل سبب يقربه الى ربه من صلاة وجهاد ومعرفة ونحوها (وافاضة رحمته عليه) أي ايصال الخيرات الدنيوية والاخروية اتصالا كثيرا متواليا فشبه الرحمة بالماء واثبت الافاضة بمعنى الصب بكثرة على طريقة المكنية والتخييلية (وقصواها) بضم القاف وسكون الصاد المهملة فعلى من أقصاه اذا أبعده والمراد غايتها والضمير للمحبة المفسرة بتمكينه وما بعده وذكر الغاية لان صفاته تعالى التي لا تليق به تؤخذ باعتبار غايتها وغاية المحبة (كشف الحجب) بضمتين جمع حجاب أي ازالة الموانع (عن قلبه) كالشواغل الدنيوية (حتى يراه بقلبه) أي يعلمه علما يقينيا كالمشاهدة المحسوسة (وينظر اليه ببصيرته) وهي قوة للقلب كالبصر يدرك بها ما يتوجه اليه (فيكون كما قال) أي الله تعالى أو الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم الناقل له (في الحديث) الذي رواه البخاري (فاذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به) ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وهو حديث قدسي طويل ومعناه اذا صفى قلبه وشغل نفسه بالله أحبه الله ومحبة الله تقدم انها عنايته ولطفه به وافاضة نعمه على ظاهره وباطنه فتكون حواسه وادراكها واعضاؤه وحركاتها كلها متوجهة لله ولما فيه رضاه من غير تصنع ومشقة فيقوى به على ذلك حتى يكون كأن افعاله صادرة عن الله والى هذا أشار المصنف بقوله (ولا ينبغي ان يفهم) بالبناء للمجهول أي لا يفهم أحد (من هذا) الحديث والكلام (سوى التجرد الى الله) أي تجريد أفعاله واحساسه عما يشغله عن الله (والانقطاع الى الله) بترك غيره واخراجه عن فكره ونظره (والاعراض عن غير الله) حتى يصير مراقبا له في جميع أحواله

(وصفاء القلب لله) بحيث لا يكون في فكره غيره فيصفو من كدر الاوهام ودنس الخلق (واخلاص الحركات لله) بان لا يحرك عضوا من اعضائه الا لعبادته أو لما يعين عليها (كما قالت عائشة رضي الله عنها) كما تقدم (كان خلقه القرآن) أي اخلاقه صلى الله تعالى عليه وسلم كلها على وفق ما أمر به في القرآن فجعلت القرآن عين خلقه مبالغة والى هذا يشير قولها (برضاه يرضى) أي يرضى ويحب ماذكر في القرآن انه فعل مرضي لله من واجب ومندوب ومباح يقصد به مايصيره قربة (وبسخطه) بفتحتين وضم وسكون (يسخط) أي يكره ماذكر فيه ان الله يكرهه من كل حرام ومكروه وخلاف الاولى وقدم الجار والمجرور للحصر فلا يرضى الا مايرضاه ولا يكره الا ما أباه والحاصل علم مماذكر ان اخلاقه صلى الله عليه وسلم الطبيعية اضمحلت وذهبت لما شق قلبه الشريف فلم يبق له ارادة لغير مايريده الله ولا رضا لغير مايرضاه ولا يخفى ارتباط هذا بما قبله من قوله كنت سمعه وبصره فاعرفه (ومن هذا) اشارة الى ماسبق في أول كلامه من معنى الخلة قبل ذكر الخلاف فيها وماخذ اشتقاقها (عبر بعضهم عن الخلة) بقوله

قد تخللت مسلك الروح مني * وبذا سمي الخليل خليلا
فاذا ما نطقت كنت حديثي * واذا ما سكت كنت الغليلا

وفي رواية كنت الدخيلا يعني ان الشاعر عبر عن معنى الخلة بناء على انها من التخلل كانها تخللت باطنه وجرت مجرى الروح المجسمة السارية في البدن سريان سريان ماء الورد في الورد بناء على ان أحد الاقوال فيها الاعلى انها مجردة خارجة عنه ومتصلة أو بناء على انها لطيفة نورانية في أحد طاقي القلب لها الحياة والاحساس ومسلك منصوب على الظرفية بتخللت المتضمن معنى دخلت أسند التخلل اليه مبالغة والمراد تخلل محبته ومودته في مسالك روحه أو في قلبه الذي هو مقرها بحيث لا يكون فيه سواه كما مر ثم فرع على انه ليس في روحه وقلبه غيره انه اذا تحدث لم يذكر غير محبوبه وخليله واذا سكت لم يكن في فكره وقلبه غيره فالمراد بالغليل بالغين المعجمة ما كان داخل القلب من قولهم تغلغل الماء وتغلل بين النبات اذا جرى تحته مستترا وكذا المراد بالدخيل ماهو داخل القلب والبدن لا الاجنبي كما في قول السكاكي الدخيل كالناشئ هذا ماقصده الشاعر وأشار اليه المصنف وان كان ظاهر الشعر على تفضيل الخلة على المحبة فالمراد بالخليل فيه كل متصف بالخلة لا ابراهيم كما قيل فانه لا يصح هنا وليس المراد بالغليل حرارة العطش أي كنت لعدم ذكري لك مضرما جوانح قلبي عطشا لعدم ذكرك فان ازاحة الغم واراحة النفس بذكر الاحبة وما زائدة في الشعر والدخيل بدال مهملة وخاء معجمة ومن العجيب قوله في الشرح الجديد ان المعنى اذا سكت كتمت حبك في قلبي كما يكتم الحقد والضغائن فالمراد بالغليل الحقد والضغائن ولا يستقيم الا على الاستعارة فانه تعسف لا ينبغي ذكره (فاذن) تفريع لجواب سؤال متفرع على ماسبق (مزية الخلة) أي فضيلة الخلة وفي شرح العلامة انه لم يبن له فعل وتقدم انه يرده قوله في الاساس تميزت عليه اذا زدت في الفضل عليه (وخصوصية المحبة) بفتح الخاء وضمها بمعنى اختصاصها وعبر في الاول بالمزية اشارة الى ان الخلة وان تشارك فيها النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والخليل عليه الصلاة والسلام فهي مختصة بنبينا باعتبار معنى زائد فيها الاشتمالها على المحبة المختصة معنى ولفظا وان لم يطلق على الخليل حبيب الله كما مر وان كانت محبته شاملة لهما بل لغيرهما كما قال تعالى فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه ان هذه غير المحبة المختصة كما مر

(وصفاء القلب لله) أي بحيث لا يخطر بباله سواه كما قال العارف بالله ابن الفارض

ولو خطرت لي في سواك ارادة * على خاطري سهوا احكمت بردتي

(واخلاص الحركات لله) وكذا جعل السكنات في رضاه لان من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل ايمانه وقد قال تعالى حكاية حال ابراهيم ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين (كما قالت عائشة رضي الله تعالى عنها كان خلقه القرآن) أي في جميع الشأن (يرضى برضاه ويسخط بسخطه) أي لا ينشأ عنه شيء من الهوى ولا ينظر في جميع أحواله غرض السوى بل يدوم على التخلق باخلاق المولى (ومن هذا) أي المقام (عبر بعضهم عن الخلة) أي التي هي خلاصة المرام لسلالة الكرام من الانام (بقوله قد تخللت مسلك الروح مني) أي تداخلت محبتي اياك تخالط الروح من بدني وهو كالماء في العود الطري وكالطراوة في اللؤلؤ المعدني (وبذا) أي وبذلك التخلل الماخوذ من الخلة (سمي الخليل) أي ابراهيم وغيره (خليلا * فاذا ما) زائدة (نطقت) أي عنك (كنت حديثي) أي منك لما قيل من ان الاناء يترشح بما فيه ولما ورد من أحب شيأ أكثر من ذكره (واذا ما سكت) أي بك أو عن غيرك أو عن بيان حالي معك (كنت الغليلا) بالغين المعجمة وألف الاطلاق أي حرارة العطش وفي نسخة الدخيلا أي الذي يداخل في الامور ويخالل بما في الصدور (فاذا) بالتنوين وقد يكتب بالنون أي فحينئذ (مزية الخلة وخصوصية المحبة)

تحقيقه

(حاصلة لنبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم بما دلت عليه الآيات) وفى نسخة الآثار وهى ملائمة لقوله (الصحيحة المنتشرة المتلقاة بالقبول من الامة) كحديث لو كنت متخذا خليلا غير ربى لاتخذت أبا بكر خليلا وفى رواية ولكن أخى وصاحبى وقد اتخذ الله صاحبكم خليلا وكحديث أنا حبيب الله ونحو ذلك من شواهد الاحاديث الصحيحة المطابقة للآيات الصريحة (وكفى بقوله تعالى) أى كفى شاهدا ودليلا قوله سبحانه وتعالى (قل ان كنتم تحبون الله الآية) أى فاتبعونى يحببكم الله وفيه الغاية القصوى فى المقام الاسنى حيث جعل متابعته شرط صحة دعوى محبته له تعالى ورتب على متابعته محبته سبحانه وتعالى له ولعل الانبياء عليهم الصلاة والسلام تمنوا كونهم فى أمته ومتابعة ملته لتحصيل هذا المرام وهو مرتبة المحبوبية والمراد به المجذوبية المطلوبية لاهل الكمال من السادة الصوفية ولذا قالوا جذبة من جذبات الحق توازى عمل الثقلين وقد قال الله تعالى يجتبى اليه من يشاء ويهدى اليه من ينيب فالجملة الاولى اشارة الى مقام المراد فى مرتبة المريد والثانية الى مقام المريد فى حال الانابة ووصف ٣٣٩ المستزيد والحاصل ان هذه الآية الشريفة لما كانت دالة على المرتبة المنيفة (حكى أهل التفسير ان هذه الآية لما نزلت قال الكفار انما يريد محمد ان نتخذه حنانا) بفتح الحاء المهملة وتخفيف النونين أى معبودا ومسجودا (كما اتخذ النصارى عيسى ابن مريم) وهذا باطل قطعا من وجهين أحدهما انه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يرد هذا المعنى أصلا بل لما قيل له أنسجد لك قال لو أمرت ان يسجد أحد لاحد لامرت أن تسجد المرأة لزوجها وأيضا انما نزل القرآن من أوله الى آخره على رد أهل الشرك العنيد واثبات التوحيد على وجه التجريد والتفريد فكيف يتصور له أن يريد خلاف ذلك حيث يكون مناقضا لما هنالك ولكنهم على زعمهم وقياس الكاملين على نفوسهم ومقتضى طباعهم صدر هذا الكلام عنهم وظهر هذا المرام منهم وثانيهما ان التشبيه فى كلامهم غير صحيح لان عيسى ابن مريم لم يرد اتخاذ النصارى له الها معبودا كما ظنوا الا انه من صغره الى حال كبره كان يقول انى عبد الله وأبرئ الاكمه والابرص وأحيى الموتى باذن الله ولم يخطر بباله وجود من سواه فضلا عن اشراكه مع مولاه واما ما ذكره الدلجى من قوله الحنان الرحمة أو العطف أى نتخذه موضع حنان من الرحمة فنرحمه ونعطف عليه ونتبرك به كما اتخذت النصارى عيسى ابن مريم حنانا فلا يناسب التشبيه الذى يلائم التنزيه ولا يسدب لما قال أهل التفسير (فانزل الله غيظا لهم) أى زيادة غيظ فى حالتهم (ورغما) بفتح الراء وبضم وحكى كسرها أى ردا (على مقالتهم هذه الآية) أى الآية وهى قوله (قل أطيعوا الله والرسول) لان اطاعة كل واحد مستلزمة لاطاعة الآخر وفيه ايماء له خفاء الى ان الرسول لا يأمر بالمنكر فتدبر

تحقيقه وكان المحبة من الجانبين فكذلك الخلة فانه يقال حبيب الله والله حبيبه كما يقال خليله خلافا لمن توهم ان الخليل لا يطلق على الله للحديث المتقدم ولو كنت متخذا خليلا غير ربى وبهذا تبين نكتة تعبيره بالمزية والخصوصية (حاصلة لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم) وفى نسخة خالصة أى مختصة وكان الظاهر ان يقول حاصلتان لكنه أفرد لجعلهما كالشئ الواحد (بما دلت عليه الآثار الصحيحة) الباء للتعدية متعلقة بحاصلة ويجوز أن يكون سببية والمراد بالآثار الاحاديث التى تقدمت كقوله لو كنت متخذا خليلا غير ربى الى آخره وقوله الا وأنا حبيب الله وقوله (المنتشرة) أى الشائعة المشهورة (المتلقاة بالقبول من الامة) ذكر شهرتها والقبول لها مؤيد الاختصاصه صلى الله تعالى عليه وسلم وزيادته على غيره من الرسل ثم استشهد لذلك بنص القرآن فقال (وكفى بقوله قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله الآية) الباء زائدة فى فاعل كفى أو للتعدية وكفى بمعنى اكتفى كما هو مشهور ووجه الدلالة فى هذه الآية انه لما جعل من اتبعه محبوبا لله علم انه محبوب عند الله محبة ليس فوقها محبة ومقرب تقربا لا يدانيه أحد فيه فعلم منه خلته وحبه ولذا قال المصنف وكفى الى آخره ومن لم يفهم مراده قال هذا لا يدل على مدعاه لانه علق محبته على اتباعه فيما جاء به من الشرائع وتصديقه وذلك محبوب لله وانما يدل لو علق محبته على محبتهم للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فقال ان كنتم تحبون الله فاحبوا الرسول (حكى أهل التفسير ان هذه الآية لما نزلت قال الكفار انما يريد محمد) بقوله لنا اتبعونى يحببكم الله (أن نتخذه حنانا) بفتحتين مخفف النون معناه الرحمة والاشفاق ماخوذ من الحنين وهو يكون مع صوت والمراد ان نعطف عليه ونجعله موضع الحنان والرحمة أى نتبرك ونتضرع به وقد تقدم الكلام فيه (كما اتخذت النصارى عيسى ابن مريم) عليه الصلاة والسلام حنانا ومعبودا يتقربون بعبادته الى الله تعالى (فانزل الله تعالى غيظا لهم) مفعول له أى أنزل الله ليغيظهم ويعلمهم بغضبه عليهم فان الغيظ الغضب على الفاجر (ورغما على مقالتهم) بتثليث الراء المهملة وسكون الغين المعجمة والميم وهو الذل والخزى والاساءة بما يكره وأصله كل موذ يصيب الانف ولذا يقال رغم أنفه وعلى رغم أنفه وضمنه معنى التبكيت والتقريع فعداه بعلى والمآل الى انه أذلهم بتوبيخهم ورد مقالتهم هذه وقوله (هذه الآية) مفعول أنزل (قل أطيعوا الله والرسول) ثم بعد ما تبين سبب النزول من انكارهم جعل

(فزاده شرفابامرهم بطاعته وقرنها بطاعته ثم توعدهم على التولى) أى الاعراض (عنه) أى ابتداء وانتهاء (بقوله فان تولوا) يحتمل الماضى والمضارع أى تتولوا (فان الله لايحب الكافرين) أى لا يرضى عنهم ولا يثنى عليهم وفى وضع الظاهر موضع المضمر تسجيل على كفرهم لئلا يشمل الفاجرين بنوع من التولى لا يكون موجبا للكفر وفيه أيضا تنبيه نبيه على ان مدار الامر على

الخاتمة ونوع حض على التوبة الموجبة للمحبة والمغفرة والمثوبة (وقد نقل الامام أبو بكر بن فورك) بضم أوله وهو غير منصرف للعلمية والعجمة وقد يصرف (عن بعض المتكلمين كلاما فى الفرق بين المحبة والخلة بطول جملة اشاراته) أى وتفصيل عباراته (ترجع الى تفضيل مقام المحبة على الخلة ونحن نذكر منه طرفا) بفتحتين أى شيئا يسيرا من الكلام (يهدى الى ما بعده) أى من مقام المرام (فمن ذلك قولهم الخليل يصل) أى الى من اتخذه خليلا (بالواسطة) أى أخذا لوصوله اليه بها دليلا (من قوله تعالى وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض) أى وليكون بواسطة اراءة الله له ذلك من الموقنين لما هنالك (والحبيب يصل اليه) أى لحبيبه كما فى نسخة (به) أى بذاته دون واسطة من اراءة كائناته أخذا له (من قوله تعالى فكان قاب قوسين) أى قدرهما (أو ادنى) أى بل أدنى من قابهما (وقيل الخليل الذى تكون مغفرته   المقامك
فى حد الطمع) أى لانه من المريدين وهذا المعنى ماخوذ (من قوله تعالى والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى) أى يوم الدين (والحبيب هو الذى مغفرته فى حد اليقين) أى الناجز الذى غير متوقف ولا متاخر الى حين لكون صاحبه من المرادين (من قوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر) أى من جميع ما يصح فيه العتاب دون العقاب لعدم مناسبته فى هذا الباب وفى عطف ما تاخر اعتناء عظيم

اتباعه سبب محبة الله لهم وتقربهم الى الله تعالى ذكر الآية وانها أبلغ من الاولى وأشد لان الاولى لا تقتضى لزوم اتباعه فانه تعالى يتقرب اليه بالنوافل ويحب فاعلها والامر بطاعته يقتضى الوجوب واقترانها بطاعته يدل على تاكيده مع تعظيمه وتشريفه كما دل عليه قوله (فزاده شرفا بامرهم بطاعته) وايجابها عليهم (وقرنها بطاعته) أى الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم زيادة فى تشريفه والاتباع وان كان عين الطاعة أو لازمها فليس هو أمر وايجاب ومن غفل عنه قال هما سواء الا أن هذا فيه التصريح بالطاعة (ثم توعدهم على التولى عنه) بالاعراض عن طاعته وهو عدمها (بقوله فان تولوا فان الله لا يحب الكافرين) كان الظاهر أن يقال فان الله لا يحبهم فوضع الظاهر موضع المضمر وعلقه بالمشتق الذى هو علة للحكم فكأنه قال لا يحبهم لانهم كفروا بالله سواء كان تعريفه للاستغراق أو للعهد فهذه الآية أصرح وأدل على وجوب طاعته وعلو رتبته صلى الله تعالى عليه وسلم على غيره من الانبياء كعيسى عليه السلام (وقد نقل الامام أبو بكر بن فورك عن بعض المتكلمين كلاما فى الفرق بين المحبة والخلة بطول) هذه الجملة صفة قوله كلاما فاشار الى انه لم ينقله لطوله ثم استانف فقال (جملة اشاراته ترجع الى تفضيل مقام المحبة على الخلة ونحن نذكر منه) أى من كلام ابن فورك (طرفا) بفتحتين أى بعضا قليلا (يهدى) أى يدل (على ما بعده) أى باقيه فالبعدية غير مرادة لانه مجاز (فمن ذلك قولهم) أى قول المتكلمين الذى نقله ابن فورك عنهم (الخليل يصل) الى من خالله (بالواسطة) أى بتوسط آخر بينه وبين خليله كما بينه قوله يصل به الآتى ثم بين ان هذا المعنى ماخوذ (من قوله) عز وجل (وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين) فوصل لمعرفة الله بواسطة ما رآه من آيات ملكوته التى أوصلته لمعرفته (والحبيب يصل لحبيبه به) أى هو دله على نفسه بنفسه من غير واسطة لغيره وهذا ماخوذ (من قوله فكان قاب قوسين أو أدنى) فرآه عين اليقين كما تقدم وهذا وان كان المصنف رحمه الله تعالى ناقلا له والعهدة فيما نقله على قائله الا أن هذا غير ظاهر لانه ان أراد بالوصول الوصول الى الله برؤيته وسماع كلامه من غير واسطة فالآية لا مناسبة لها لما ذكر وان أراد الوصول الى معرفة الله تعالى ومشاهدته فكذلك ثم انه لا يتم الفرق لانه ان أراد بين مفهوم المحبة والخلة فما ذكر لا يدل عليه بل ليس بصحيح وان أراد بين ذاتى من قاما به فلا يفيد شيئا مما نحن فيه ثم انه مبنى على القول بان ابراهيم عليه الصلاة والسلام لم يعرفه قبل هذا الاستدلال بناء على جواز مثله على الانبياء مطلقا أو قبل البلوغ مع ان المحققين على أنه ورد على طريق الجدل مع قومه الذين كانوا يعبدون الكواكب وبالجملة فهذا كلام غير منقح (وقيل الخليل الذى تكون مغفرته) أى مغفرة الله له ما قد يصدر عنه محتاجا لعفوه عنه (فى حد الطمع) أى واقعة فى حال يطمع صاحبها فى التجاوز عنها الا ان الخليل لا يؤاخذ خليله بزلاته وأصل معنى الحد الحاجز بين الشيئين والمحيط به كحدود الدار فاستعير للحال المميزة له والمقتضية لتحققه (من قوله والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين) أى قول ابراهيم عليه الصلاة والسلام فى قصته مع قومه هضما لنفسه وتعليما لامته والا فهو معصوم (والحبيب الذى مغفرته فى حد اليقين) أى متيقنة وهذا ماخوذ (من قوله) أى قول الله لمحمد حبيب الله صلى الله تعالى عليه وسلم (ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر) أى كل ما صدر عنك وما لم يصدر مما هو بالنسبة

فتدبر فان الغفران السابق يشمل الواقع واللاحق الآية أى ومع زيادة تمام النعمة واكمال المنة بالهداية الخاصة والنصرة العامة المستفادة من تتمة الآية التى هى قوله سبحانه وتعالى ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما وينصرك الله نصرا عزيزا هذا وقد ذكر فرقا آخر بينهما بقوله (والخليل قال ولاتخزنى يوم يبعثون) أى لكونه طالبا فى الطريق (والحبيب قيل له يوم لايخزى الله النبى) أى لانه مطلوب فى مقام التحقيق وهذا المعنى فى التوفيق هو الذى بينه المصنف بقوله (فابتدئ) أى الحبيب (بالبشارة) أى بنفى الخزى والفضاحة عنه (قبل السؤال) أى بحصول المنال فى المآل بخلاف الخليل حيث وقع منه السؤال ولم يقع جواب حصوله لا فى الحال ولا فى الاستقبال فيكون بين الخوف والرجاء فى تحسين المآل ثم ذكر فرقا آخر فقال (والخليل قال فى المحنة) أى فى ابتلائه بنمرود حين ألقاه فى النار (حسبى الله) أى كافى فى دفع بلائى ورفع عنائى فكانت عليه بردا وسلاما (والحبيب قيل له يا أيها النبى حسبك الله) ووجه الفرق ان بونا بينا بين من يقول هو حسبى وبين من يقال له أنا حسبك فان كل أحد يدعى انه محب لله ولكن الكمال هو أن يقول الله أنا محبوبه أو محبه ونظير هذا الفرق ماوقع بين قول يحيى وعيسى عليهما السلام حيث قال فى الاول وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا وقال فى الثانى والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا ولاشك ان السلام الاول فى هذا المحل أفضل لانه شهادة من الله تعالى على سلامته فى جميع حالاته بخلاف الثانى فانه يخبر به عن حال نفسه وان كان صادقا فى مقاله ولايتصور تخلف فى وقوعه ثم هذا لاينافى كون عيسى أفضل من يحيى لانه قد يوجد فى المفضول مالايوجد فى الفاضل مع انه قد يقال ان عيسى كان فى مقام الانبساط والبقاء فطال لسانه وكان يحيى فى مقام القبض والفناء فكل لسانه فقام الحق عنه فى الانتهاء كما قام هو بحقه سبحانه وتعالى فى الابتداء حيث لم يهم بمعصية فى الاثناء ومن كان لله كان الله له ومن ترك حظ نفسه قام الله معه هذا (والخليل قال واجعل لى لسان صدق) أى فى الآخرين كما فى نسخة أى ثناء جميلا وذكرا جزيلا فيمن يجئ بعده الى يوم الدين فاستجيب له فما من أمة الا وهم محبون له ومثنون عليه ويتمنون أن ينتسبوا اليه ولايبعد أن يقال المراد بالآخرين هذه الامة من السابقين واللاحقين (والحبيب قيل له ورفعنا لك ذكرك) أى فوق المنائر والمنابر مقرونا بذكر ربه بل مكتوبا على ساق عرشه وأشجار جنته وقصورها ونحور حورها (أعطى) أى الحبيب صلى الله تعالى عليه وسلم ذلك المنال فى الحال (بلاسؤال) وأجيب دعوة الخليل عليه السلام فى الاستقبال (والخليل قال واجنبنى وبنى أن نعبد الاصنام) أى بعدنى واياهم عن عبادتها وهذه لغة نجد ولغة الحجاز جنبنى وأراد بنيه لصلبه حتى يصدق عليه ان دعاءه مستجاب عند من لم يجوز الكفر من بعض احفاده وفيه ايماء الى ان عصمة الانبياء بتوفيق الله وحفظه

لمقاماتك قد يقتضى نقصا وفى الآية اشارة الى انه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يصدر منه ذنب سوى المتقدم بالمتأخر فى عدم الوقوع ولذا سر صلى الله تعالى عليه وسلم بها لما نزلت مرجعه من الحديبية وقال نزلت على آية أحب الى مما على وجه الارض والكلام على الآية مبسوط فى التفسير وقد تقدم طرف منه أيضا ثم ذكر فرقا آخر قريبا من هذا فقال (والخليل قال ولاتخزنى يوم يبعثون) أى لاتفضحنى ولاتعذبنى فى يوم القيامة وقد قيل انه ورد فى الحديث ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام اذا رأى أباه فى المحشر يقول يارب وعدتنى أن لاتخزنى فيمسخ الله آزر ذيخا بذال معجمة ومثناة تحتية وخاء معجمة وهو ضبع مبين فيقال له أنظر لما تحت قدميك فيراه فينكره ويلقى فى النار فحول الله صورته حتى لايعرفه الناس حين يلقى فى النار فيفتضح بين أمته قيل ومنه يعلم ان أبوى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ليسا فى النار وفيه ماسيأتى (والحبيب) أى نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم (قيل له يوم لايخزى الله النبى فابتدئ بالبشارة) بنفى الخزى عنه برؤية مايكره (قبل السؤال) لذلك كما سأله غيره منهم والخزى ليس هو العذاب كما فى قوله تعالى ربنا انك من تدخل النار فقد أخزيته وانما هو الفضاحة بكل مؤلم له أو لامته كالعتاب فلا يقال ان الله أمنه من غضبه وعذابه فما فائدة البشارة بعدها ثم ذكر فرقا آخر فقال (والخليل قال فى المحنة) هى والامتحان بمعنى الابتلاء والمراد بذلك قصته مع نمرود حين ألقاه فى النار فكانت عليه بردا وسلاما وقال (حسبى الله) أى هو كاف لى فى جميع أمورى (والحبيب) وهو نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم (قيل له يا أيها النبى حسبك الله) يعنى ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال ذلك طالبا كفاية الله له وهذا قاله الله له فتكون كفايته له محققة مقررة بخلاف الاول كما ستسمعه قريبا (والخليل قال واجعل لى لسان صدق) أى ذكرا جميلا صدقا فعبر باسم الآلة عما يصدر منها مجازا (فى الآخرين) أى فى الامم الآتين من بعدى الى يوم القيامة فهو طلب ودعاء وأجابه الله فما من أمة الا وهى تثنى عليه وتحبه (والحبيب قيل له ورفعنا لك ذكرك) أى جعلناه عاليا شريفا لما تضمنه من الثناء مقرونا باسم الله فى الصلاة والخطبة والاذان وغيرها (أعطى) الحبيب (بلاسؤال) منه وهذا بيان لمزية الحبيب كما نبهناك عليه أولا (والخليل قال واجنبنى وبنى أن نعبد الاصنام) اجنبنى كجنبنى بمعنى بعدنى بعدا حسيا

ومعنويا بأن لا يصدر منهم ذلك وقد أجاب الله تعالى دعاءه لأن المراد بنو صلبه وفيهم أنبياء عصمهم الله تعالى وأتقياء حفظهم (والحبيب قيل له) أي قال الله تعالى له (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس) هو كل مستقذر حسا أو طبعا أو عقلا أو شرعا أي الله كرمكم بأن حفظكم من الذنوب وما يدنس الاعراض وقال يريد الله ليذهب ولم يقل اذهب مع انه أخصر اشارة الى انه قضى لهم بذلك في الازل وفي عالم الارواح والذر (أهل البيت) منصوب على المدح أو النداء والمراد أهل بيت النبوة فيشمل أولاده صلى الله تعالى عليه وسلم وزوجاته وأتباعه وأقاربه ولا يختص ذلك بعلي وفاطمة والحسنين كما زعمه الشيعة وهذا أبلغ مما في حق ابراهيم بوجوه لاختصاصه بنفي عبادة الاصنام وهذا عام في كل ذنب ونقص وذلك خاص بنبيه وهذا شامل للكل من شمله بيته كما سمعته وتفاوت مبالغته في تطهيره بقوله ويطهركم تطهيرا ولا يخفى ان كل ما نقله ابن فورك انما يدل على شرف النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وزيادة علو مرتبته على غيره ولا علاقة له بنفس المحبة والخلة لا سيما الآيات لم يذكر فيها بعنوان لفظ الحبيب (وفيما ذكرناه) من تفسير المحبة والخلة واشتقاقهما والخلاف في أيهما أرفع درجة (تنبيه على مقصد أصحاب هذا المقال) المقصد مصدر ميمي بمعنى القصد أو هو بمعنى المقصود لأن مفعلا يأتي بمعنى مفعول كمركب وان كان نادرا أو هو مجاز من المصدر أو من اسم المكان باستعارته منه استعارة مصرحة أصلية (من تفضيل المقامات والاحوال) بيان للقصد والمقامات بفتح الميم جمع مقام وهو محل القيام وبضمها محل الاقامة وجمعه جمع المؤنث لاطراده فيما لا يعقل كحمامات وسجلات والمراد بالمقام هنا أمر يكون عليه العارف بالله تعالى من الانبياء والاولياء يرتفع به من حضيض البشرية في درجات العبودية حتى يرقى الى المقام الاعلى وما يطرق عليه هو المراد بالاحوال وليس بمعنى واحد هنا كما قيل وقيل المقامات الصفات الثابتة والاحوال الصفات الزائلة وهو قريب مما قلنا والظاهر ان المراد بقوله السابق ما ذكرناه ما لخصه من كلام ابن فورك وهو جواب عما تقدم من ان هذا لا يدل على بيان الخلة والمحبة الذي هو بصدده فأشار الى انه وان تعلق بذات الحبيب والخليل فالمقصود به ان تفاوت وصفهما فيرجع ما قاله الى بيانهما فان منهم من يسلك مسلك التصريح ومنهم من يقصد الايماء والتلويح (وكل يعمل على شاكلته) أي لكل أحد طريقة يختارها والمشاكلة في الآية التي اقتبس منها المصنف وهي قل كل يعمل على شاكلته بمعنى سجيته وجبلته وهي كما قال الراغب مأخوذة من الشكال وهو قيد يقيد به الدابة لانها قيدته وذلك لان سلطان السجية قاهر لصاحبه ومنه شكل الكتاب يقال شكلت الخط كما يقال قيدته وأشار بقوله (فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا) أي الله يعلم من طريقته أقوم وأكثر ايصالا الى الحق وارشادا للهداية يشير الى ان الخلاف السابق في تفضيل الخلة والمحبة مبني على أمور نظر اليها كل من الفريقين فكأنه لم يجزم بأحدهما لان الخلاف كاللفظي وقد قيل ان غاية ما ذكره ابن فورك تفضيل نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم على ابراهيم عليه الصلاة والسلام في حد ذاته من غير نظر لما جعلوه علة من تفضيل الصفة على الصفة والحق تفضيل الخلة كما ذكره ابن قيم الجوزية وقد علمت ما فيه وقد قدمنا لك ما يغني عنه

(فصل في تفضيله) صلى الله تعالى عليه وسلم برفعة مقامه على غيره (بالشفاعة) ان كان تعريفه للعهد والمراد الشفاعة العظمى في المحشر التي يخلص الله بها أهله من هوله وكربه فقوله (والمقام المحمود) عطف تفسير والأفهو من عطف الخاص على العام والمقام المحمود كل مقام يتضمن كرامة محمد ولكنه خص هنا بفرد معين من افراده اختلف فيه كما قاله البرهان نقلا عن القرطبي على ستة أقوال فقيل هي الشفاعة العامة السالفة وقيل اعطاؤه لواء الحمد وهو لا ينافي ما قبله وقيل هو أن يجلس صلى الله تعالى عليه وسلم مع الله على الكرسي وهذا انما نقل فيه حديث طعنوا فيه ويأتي ما فيه ومنهم من أوله وقيل

بالنصب على المدح أو النداء ولعل المراد بأهل البيت من كان في زمنه صلى الله تعالى عليه وسلم من أولاده وذريته وأزواجه هذا والخليل قال الملائكة لسارة زوجته رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت فمن هنا نشأ فرق آخر بين نسبة أهل بيت الحبيب ونسبة أهل بيت الخليل (وفيما ذكرناه) أي من الخلاف في تفسير الخلة والمحبة وما صدر من أهل المعرفة (تنبيه على مقصد أصحاب هذا المقال من تفضيل المقامات والاحوال) أي للمحبة والخلة وتفاوت مرتبة كل منهما في الحال والمآل وهو بالضاد المعجمة أو المهملة كما في النسخ المختلفة (وكل يعمل على شاكلته) أي طريقته التي تشاكل حاله في الهدى والضلال أو على عادته وجبلته التي طبع عليها في أوائل الاحوال كما قال الله تعالى فأما من أعطى واتقى الآيتين (فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا) أي وبمن هو أخطأ مسلكا ودليلا فسبحان من أراد جعله مهتديا عزيزا ولو شاء صيره مهينا ذليلا (فصل وفي تفضيله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي على غيره (بالشفاعة) أي العظمى تحت اللواء الممدود (والمقام المحمود) كالتفسير لما قبله

هو شفاعته صلى الله تعالى عليه وسلم لاخراج بعض أهل النار منها وقيل هو شفاعته رابع أربعة اذ يقوم له روح القدس جبريل عليه الصلاة والسلام ثم يقوم ابراهيم ثم يقوم موسى أو عيسى عليهم الصلاة والسلام ثم يقوم محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فيشفع ولا يشفع أحد بعده في أكثر مما يشفع وبه فسرت الآية وقيل هو مقام يكون أقرب فيه من جبريل والشفاعة ثابتة له صلى الله تعالى عليه وسلم بالاجماع الا انها عند أهل السنة لاصحاب الكبائر لحديث شفاعتي لاهل الكبائر من أمتي وعند المعتزلة لزيادة الثواب لالدرء العقاب والكلام عليه مفصل في كتب الاصول وكونه محمودا على ظاهره أو اسناده مجازي أي صاحبه محمود (قال الله تبارك وتعالى عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا) استشهد بالآية على ماقاله وقد علمت مافسر به المقام المحمود ومقاما منصوب على الظرفية بمحذوف أي يقيمك مقاما أو بتضمين يبعث معناه أو هو حال بتقدير أي ذا مقام وأما الوجه الثالث وهو جلوسه صلى الله تعالى عليه وسلم مع الله على العرش والكرسي وقال الواحدي رحمه الله تعالى انه قول فاسد مبني على التجسيم وبين فساده بوجوه منها ان البعث هو الاثارة والاقامة والجلوس ضده فكيف يفسر به وأيضا هو يقتضي التحديد والتناهي المستلزم للحدوث وأيضا انه قال مقاما ولو كان كذلك لقال مقعدا ومثله لا يدل عليه البعث ورد هذا بانه رواه أحمد من طرق شتى ومثله من المتشابه كقوله تعالى الرحمن على العرش استوى وقد صححه الدارقطني وقال رداعلى منكره وأجاد في ذلك رحمه الله تعالى رحمة واسعة

حديث الشفاعة عن أحمد * الى أحمد المصطفى نسنده
وقد جاء الحديث باقعاده * على العرش أيضا ولا نجحده
أمروا الحديث على وجهه * ولا تدخلوا فيه ما يفسده
ولا تنكروا انه قاعد * ولا تنكروا انه يقعده

فجلوسه صلى الله عليه وسلم لا مانع منه وأما نسبة ذلك لله وقوله انه معه فليس المراد ظاهره بل هو وأمثاله مأولة وهي كثيرة وعسى للترجي ومعناها وعملها مشهور في كتب النحو فمعناها الترجي في المحبوب والاشفاق في المكروه والترجي منه صلى الله عليه وسلم ظاهر ومن الله قالوا انه ايجاب أي جزم بوقوعه اذ الله تعالى لا يجب عليه شئ كما تقرر في الكلام (حدثنا) وفي نسخة أخبرنا (الشيخ أبو علي الغساني الجياني) شيخ المصنف وغسان اسم ماء في الاصل سمي به قبيلة من اليمن نزلت عليه وجيان بالجيم المفتوحة وتشديد الياء المثناة التحتية بوزن شداد بلدة بالاندلس منها ابن مالك وأبو حيان رحمهما الله تعالى (فيما كتب الى بخطه) اشارة الى أن هذا الاخبار ليس بالمشافهة أي اخبارا كائنا في ضمن أمور أخر وأحاديث كتبها له والكتابة نوع من التحمل والاجازة لها حكم الاتصال عند كثير من المحدثين وأهل الاصول كالسمعاني وصاحب المحصول ووقع ذلك في الصحيحين سواء كاتبه حاضرا أو غائبا بشرط ان يعرف خطه قال (حدثنا سراج بن عبد الله القاضي) السابق ذكره وترجمته قال (حدثنا أبو محمد الاصيلي) الذي تقدم الكلام عليه وعلى نسبته قال (حدثنا أبو زيد) المروزي وقد تقدمت ترجمته (وأبو أحمد) محمد بن محمد بن يوسف بن مكي الجرجاني (قالا حدثنا محمد بن يوسف) الفربري السابق ترجمته قال (حدثنا محمد بن اسمعيل) هو امام السنة صاحب الصحيح البخاري وقد تقدم قال (حدثنا اسمعيل بن أبان) أبو اسحق الوراق الازدي الكوفي وأبان بفتح الهمزة وتخفيف الباء علم منقول تردد في صرفه وعدم صرفه بعضهم وأجاز بعضهم فيه الصرف وعدمه وسبب الخلاف فيه ان منهم من قال وزنه فعال فيتعين صرفه وقيل انه منقول من ماضي أبان يبين وجزم به ابن مالك وصاحب التوضيح وقال القرافي المحدثون والنحاة على منع صرفه ونقله ابن يعيش على الجمهور بناء على ان وزنه افعل بمعنى

(قال الله تعالى عسى ان يبعثك ربك) أي يقيمك (مقاما محمودا) أي يحمده فيه الاولون والآخرون (أخبرنا الشيخ أبو علي الغساني) بفتح الغين المعجمة وتشديد السين المهملة (الجياني) بفتح الجيم وتشديد التحتية (فيما كتب) أي به كما في نسخة (الى) أو مرسلا أو واصلا الى (بخطه) أي اجازة فان القاضي لم يسمع منه شيا (ثنا) أي حدثنا (سراج بن عبد الله القاضي حدثنا أبو محمد الاصيلي حدثنا أبو زيد) أي المروزي (وأبو أحمد) أي الجرجاني (قالا) أي كلاهما (حدثنا محمد بن يوسف) أي الفربري (حدثنا محمد بن محمد بن اسمعيل) أي البخاري (حدثنا اسمعيل بن أبان) بفتح الهمزة وفيه الصرف وعدمه والاجود الصرف هو أبو اسحق الوراق أزدي كوفي روى عنه أحمد بن معين والدارمي وأبو حاتم وخلق وثقه أحمد وجماعة وقال البخاري صدوق وقال غيره فيه تشيع ذكره الحلبي قلت هو لا ينافي كونه صدوقا

أوضح فاعل على خلاف القياس وأبقى على أصله فاندفع قول الدماميني لوكان كذلك وجب تصحيحه لان أفعل الاجوف الوصفي لايعل وفي شرح مسلم انه يجوز فيه الصرف وعدمه والصحيح صرفه كما في جامع اللغة وبه جزم ابن السيد * أقول عدم صرفه تعسف وقد تتبعت كلام العرب فوجدته مصروفا فيه كقول أبي عطاء الحماسي

أتعرف مسجدا لبني تميم * فويق الميل دون بني أبان

وقال مهلهل

لهف نفسي على عدي ولم * أعرف عديا اذ مكنتني اليدان

طل من طل في الحروب ولم * أعرف قتيلا أباؤه من أبان

الى غير ذلك مما لايحصى فلا وجه للتردد فيه ولذا قال بعض أئمة اللغة من لم يصرف أبان فهو أتان وهو امام ثقة توفي سنة ست عشرة ومائتين وترجمته في الميزان قال (حدثنا أبو الاحوص) بحاء وصاد مهملتين واسمه سلام بتشديد اللام ابن سليم بالتصغير الامام الثقة الرواية توفي سنة مائة وتسعة وتسعين وأخرج له أصحاب الكتب الستة وقيل اسمه عوف بن مالك بن فضالة والصحيح الاول (عن آدم بن علي) العجلي الثقة التابعي يروى عن ابن عمر وغيره (قال سمعت ابن عمر) الصحابي المشهور رضي الله تعالى عنهما (يقول) حال أو مفعول كما بينه النحاة وقد تقدم بيانه (ان الناس يصيرون يوم القيامة جثى) هذا الحديث رواه البخاري في التفسير موقوفا على ابن عمر ومثله مما لامحال للرأي فيه له حكم المرفوع واحتمال انه سمعه من أهل الكتاب بعيد لايعول عليه وكونه سمعه من صحابي آخر لايضر لان مرسل الصحابي مقبول * أقول هذا مما قاله أهل الاصول وقبله الائمة في مصطلح الحديث وفيه بحث لانه يجوز أن يكون الصحابي ممن قرأ الكتب القديمة أو يكون استنبطه من كتاب أو سنة فينبغي تقييده بما ذكر وجثى بضم الجيم مقصورا منونا ويجوز كسر جيمه أيضا جمع جثوة مثلث الاول وأصله الكوم المجتمع من تراب ونحوه فاستعير لمعنى الجماعة أي يجتمعون جماعات كل أمة جماعة تابعة لنبيها كما ذكره وروى البرهان عن الحافظ العراقي جثاء بضم الجيم والمد وانه كذا صحح في نسخ البخاري وصححه الهروي وابن الاثير وروي جثي بضم الجيم وكسر المثلثة وتشديد الياء جمع جاث وهو البارك على ركبتيه وقيد بعضهم بان يجلس كذلك للخصومة وأنشدوا * قوله

أخاصمهم مدة قائما * واجثوا اذا ماجثوا للركب

ولاشاهد فيه وهذا على خلاف القياس اذا صحت الرواية فلا يرد عليه ان فاعل لايجمع على فعل كما قيل (كل أمة تتبع نبيها يقولون) حال من فاعل يقول أي تكون معه تابعة له بانضمامها اليه (يافلان اشفع لنا يافلان اشفع لنا) أي تنادي كل أمة نبيها باسمه يسئلونه ان يشفع لهم عند ربهم في الخلاص من هول الموقف كما مر فيجيبهم بانه لايقدر على الشفاعة كما تقدم فيذهبون لغيره من الرسل فيجيبهم مثله (حتى تنتهي الشفاعة الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي حتى تنتهي الامم وسؤالهم لواحد بعد واحد يكون غايته ان يلتجؤا له صلى الله تعالى عليه وسلم فيجيبهم ويشفع لهم فتقبل شفاعته ففي الحديث طي لجمل علمت من السياق ومن أحاديث أخر صرح فيها بذلك ومعنى تنتهي تبلغ وتصل كما يقال بلغ الامير قصتي وهذه هي الشفاعة العظمى وقد تقدم ان له صلى الله تعالى عليه وسلم شفاعات أخر (فذلك) أي ماذكر من الشفاعة ومامعها (يوم يبعثه الله المقام المحمود) أي كائن في ذلك اليوم بنصب يوم على

الناس يصيرون) أي يكونون (يوم القيامة جثى) بضم الجيم فمثلثة مقصورا منونا جمع جثوة بضم جيمها وقد تكسر وحكي الفتح وهي ماجمع من تراب ونحوه ثم استعير للجماعة ومنه حديث عامر رأيت قبور الشهداء أجثاء أي أتربة مجموعة وأما قول بعضهم جمع جاثي وهو الذي يكون معتمدا على ركبتيه فبعيد بل لايصح لان فاعلا لايجمع على فعل مخففا وفي نسخة جثاء مضموم الجيم ممدود الآخر أي جماعات واحدها جثوة وفي أخرى بتشديد المثلثة جمع جاث وهو من يجلس على ركبتيه ومنه حديث علي أنا أول من يجثو للخصومة بين يدي الله أي يصيرون فيه جماعات متخاصمين ومنه قوله تعالى وترى كل أمة جاثية كل أمة تدعى الى كتابها وهو الملائم لقوله (كل أمة تتبع نبيها يقولون) أي قائلين لانبيائهم باسمائهم (يافلان اشفع لنا) أي لخصوصنا أو لعمومنا

(يافلان اشفع لنا) أي وهكذا واحدا بعد واحد وهو يقول لست لها (حتى تنتهي الشفاعة) أي العظمى
(الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فذلك) أي الوقت (يوم) بالرفع وروي بالنصب أي فذلك الحال في يوم الظرفية (يبعثه الله المقام المحمود

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه) أي فيما رواه أحمد والبيهقي (سئل عنها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يعني قوله) أي يريد أبو هريرة بضمير عنها آية هي قوله (عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا فقال) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم جوابا لمن سال (هي الشفاعة) أي المراد بها مقام الشفاعة الكبرى لاهل الموقف عامة ولا يبعد ان يكون الضمير راجعا الى المقام المحمود وتانيثه باعتبار الخبر فتدبر (وروى كعب بن مالك) أي كما رواه أحمد (عنه صلى الله تعالى عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة فاكون انا وأمتي على تل) أي مكان مرتفع (ويكسوني ربي حلة خضراء) لعله اشارة الى مقام سعادة السيادة (ثم يؤذن لي) أي في القول بعد ان الخلق ما كانوا ينطقون (فاقول ماشاء الله ان أقول) أي من محامد الحق وشفاعة الخلق (فذلك المقام المحمود) وهذا لا ينافي ماورد عن بعضهم منهم مجاهد ان المقام المحمود هو ان الله يجلس معه محمدا على كرسيه كما ورد به حديث وتعقبه القرطبي بانه قول غريب وانه ان صح يتاول على انه يجلسه مع أنبيائه وملائكته ثم ذكر كلام ابن عبد البر قريبا منه على ما نقله الحلبي وفيه انه تاويل بعيد عن المقام غير سديد في حصول المرام بل المراد بالمعية انفراده صلى الله تعالى عليه وسلم عن البرية في مرتبة المزية كقول موسى ان معي ربي وسياتي مايؤيد هذا التاويل في مقام التفصيل (وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما) أي في رواية (وذكر حديث الشفاعة) أي العظمى (قال فيمشي) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (حتى ياخذ بحلقة الجنة) بسكون اللام وتفتح (فيؤمئذ) أي فحينئذ (يبعثه الله المقام المحمود الذي وعده) بصيغة الفاعل أو المفعول أي وعده الله سبحانه وتعالى ان يقيمه يوم القيامة وفي رواية فاستاذن على ربي في داره

الظرفية فان رفع بجعل القصة المختصة به كأنها عينه مبالغة وتجوزا جاز (وعن أبي هريرة رضي الله عنه سئل عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم) أي عن الآية المذكورة كما أشار اليه بقوله (يعني قوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا) وضمير يعني راجع لابي هريرة وهذا الحديث رواه أحمد والبيهقي (فقال) أي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم جوابا عن السؤال (هي الشفاعة) العظمى الواقعة لفصل القضاء وقيل لاخراج المذنبين من النار والمشهور هو الاول وضمير هي راجع للشفاعة كقولك هي الحياة أو للمقام وانث رعاية للخبر أو للآية بالتجوز على ان المراد المعنى المقصود منها وقيل المراد انها هي الشفاعة في اليوم المسمى بالمقام المحمود وهو تكلف جدا (وروى كعب بن مالك) الانصاري الصحابي أحد الثلاثة الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في غزوة تبوك وتاب الله عليهم بنص القرآن وهذا الحديث رواه أحمد بن حنبل مسندا (عنه عليه الصلاة والسلام) انه قال (يحشر الناس يوم القيامة) بعد الخروج من القبور أي يجتمعون للحساب (فاكون أنا وأمتي على تل) بمثناة فوقية مفتوحة ولام مشددة هو رابية من تراب أو رمل ونحوه عالية مرتفعة وجمعه تلال واتلال نادر وفي القاموس التل من التراب والكوم من الرمل وتفسيره بمكان عال كالجبل بيان للمقصود أو تسامح وفيه اشارة الى اعلاء مقامه صلى الله عليه وسلم ومقام أمته واللطف بهم في تخليصهم من زحام الموقف ومشقته (ويكسوني ربي حلة خضراء) وفيه استئناس لما يلبسه الاشراف الآن من العمامة الخضراء وان كان ذلك مما حدث في زمن السلطان الاشرف تمييزا لهم عن غيرهم وان لم يكن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فعل ذلك كما فصلناه في محله والحلة بضم فتشديد من برود اليمن ولا تسمى حلة الا اذا كان ثوبين أحدهما فوق الآخر أو ثوب واحد له بطانة وسمي بذلك لان كلا منهما يحل على الآخر أو لكونهما جديدين كما حل طيهما ثم شاع في مطلق الكسوة النفيسة وكسوته صلى الله تعالى عليه وسلم بعد كسوة ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام في الزمن كما سياتي التصريح به في الحديث وليس فيه تفضيل له عليه لان حلة نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم أعلى وأحسن وانما قدم جزاء لما فعله به نمرود حين عراه ليلقيه في النار ورعاية له بما يسر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لانه جده وزمنه أسبق وسنه أزيد (ثم يؤذن لي) بالبناء للمجهول من الاذن أي ياذن الله لي في التكلم بين يديه والشفاعة لاهل المحشر أجمعين فيقال له قل واشفع تشفع كما مر (فاقول ماشاء الله ان أقول) من حمد الله بمحامد لائقة والشفاعة العظمى (فذلك المقام المحمود) وهذا لا ينافي تفسيره بالشفاعة العظمى كما قال المحب الطبري وذلك اشارة الى جميع ما تقدم من أول الحديث الى آخره (وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما) في حديث ساقه (وذكر حديث الشفاعة) معطوف على مقدر وقوله (قال فيمشي) يعني النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بدل من قوله ذكر (حتى ياخذ بحلقة) باب (الجنة) وفي رواية قال فامشي حتى آخذ والحلقة معروفة بسكون اللام وجوز فتحها وأنكره بعض أهل اللغة كما تقدم والحديث تقدم بتمامه (فيومئذ) أي يوم اذ مشى صلى الله تعالى عليه وسلم وأخذ بالحلقة واليوم على ظاهره أو بمعنى مطلق الوقت (يبعثه الله المقام المحمود الذي وعده) به في القرآن في قوله تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما

فيؤذن لى عليه فاذا رأيته وقعت ساجدا فيدعنى ماشاء الله ان يدعنى الى ان تلا عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا قال وهذا المقام
المحمود الذى وعده نبيكم (وعن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه) كما رواه أحمد وغيره (عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه) أى المقام
المحمود الموعود (قيامه عن يمين العرش مقاما لا يقومه غيره يغبطه) بفتح الياء وكسر الباء أى يتمناه (فيه الاولون والآخرون) وفى
أصل الدلجى به وجعلها ما ظرفية أو سببية (ونحوه عن كعب) أى كعب الاحبار (والحسن) أى البصرى (وفى رواية هو المقام
الذى أشفع فيه لامتى) أى اصالة ولغيرهم تبعا أو جعل الكل أمة له لانه أخذ الميثاق منهم بانهم لو أدركوه لآمنوا

به واتبعوه كما ورد لو كان موسى حيا لما وسعه الا اتباعى (وعن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه) على ما رواه أحمد (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انى لقائم المقام المحمود) اللام المفتوحة للتأكيد فى خبر ان وتوهم الدلجى حيث قال أى والله انى لقائم ثم قال وهذا مرشد الى جواز القسم فى الامر العظيم انتهى ولا خلاف فى جوازه مطلقا الا ان بعض العارفين لم يحلفوا من جهة أمر الدنيا لحقارتها (قيل وماهو) وللدارمى عنه قيل له ما المقام المحمود (قال ذلك يوم) روى بالنصب على انه ظرف مضاف الى الجملة وبالرفع والتنوين فيقدر فيه (ينزل الله تبارك وتعالى على كرسيه) أى يتجلى عليه كتجليه سبحانه على الطور وهو صلى الله تعالى عليه وسلم
جالس على الكرسى كما سبقت به الرواية ولا يبعد ان يكون ينزل بضم أوله وكسر الزاى أى قال
يوم يجلسه الله على كرسيه اشعارا للمقام عليه لكن يوافق المعنى الاول بقية الحديث الذى أشار اليه بقوله (الحديث) أى بطوله مع
تتمة قوله فيئط أى يصوت كما يئط الرحل الجديد من تضايقه به أى لعظمة تجليه عليه وهو أى الكرسى يسع السماء والارض
ويجاء بكم حفاة عراة غرلا بضم فسكون أى قلفا غير مختونين لقوله تعالى كما بدأكم تعودون فيكون أول من يكسى ابراهيم لانه أول من
عرى فى ذات الله حين ألقى فى النار والظاهر ان الاول هنا اضافى لقوله عليه الصلاة والسلام فيما سبق و يكسونى ربى حلة خضراء مع

محمودا وهو مقام يشفع فيه لسائر الخلائق الشفاعة العظمى ويحمده فيه الاولون والآخرون فلذا
سمى بذلك ووعده مبنى للمجهول ومفعوله الاول عائد على النبى صلى الله عليه وسلم مستتر والبارز عائد
على المقام ويجوز بناؤه للفاعل أيضا وقيل المقام المحمود هنا وقوفه ثمة وأخذه بحلقة باب الجنة وهو
مغلق ليفتحه فيدخلها من هو معه والحامدون له على هذا المسلمون وأهل الجنة لان من عداهم ألقى
فى النار فهذا تفسير آخر فتأمله (وعن ابن مسعود) رضى الله تعالى عنه (عنه عليه الصلاة والسلام انه)
أى المقام المحمود الموعود به (قيامه عن يمين العرش مقاما لا يقومه غيره) ظاهره ان المقام هو القيام
نفسه على انه مصدر وقوله مقاما منصوب على الظرفية وليس كذلك فان المراد ان المقام هو المحل الذى
قربه الله فيه قربا لم يتيسر لغيره وقيل المراد اقامته ومكثه فى ذلك المقام فلا ينافى مامر من انه صلى الله
تعالى عليه وسلم يجلس على منبر عن يمين العرش (يغبطه فيه الاولون والآخرون) أى جميع الامم
والناس والغبطة بالغين المعجمة والموحدة والطاء المهملة هى تمنى المرء ان ينال مثل ما رآه عند غيره من
النعم وكل أمر محمود من غير ان يحب زوالها فان أحب زوالها فهو الحسد المذموم وقيل الحسد تمنى
الامر المحمود مطلقا فهو أعم من الغبطة ومنه ما يذم ويحمد والمشهور الاول ويغبط بزنة يضرب وفى
نسخة به والباء ظرفية أو سببية والغبطة لا ضرر فيها وقد يكون حميدة وفى الحديث هل يضر الغبط قال
لا الا كما يضر العضاة الخبط انتهى وفى النهاية الاثيرية ان الغبط لا يضر ضرر الحسد وانما يلحق الغابط
منه ضرر يسير وانه ينقص ثوابه كما يلحق العضاة بخبط ورقها والذى يظهر لى انه صلى الله تعالى عليه
وسلم انما أراد انه لا ضرر فيه على الغابط فى أمر محمود تمناه من غير تمنى زواله بل ربما يناله منه نفع لجده فى
تحصيل مثله أو لنيله شيئا من صاحبه فهو على حد قوله

ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب

(ونحوه) أى مثله معنى مروى (عن كعب) هو كعب الاحبار (والحسن) البصرى (وفى رواية هو)
أى المقام المحمود (الذى أشفع لامتى فيه) فتكون هذه الشفاعة غير الشفاعة العظمى لسائر الناس
وهو أحد الاقوال فى تفسيره كما مر ومافى الشرح الجديد من عود الضمير لقيامه عن يمين العرش وان
المراد بالشفاعة الشفاعة العظمى فى فصل القضاء وهى وان لم تكن خاصة بامتى فهم المقصودون
بالذات منها تعسف لا حاجة اليه (وعن ابن مسعود) رضى الله تعالى عنه فى حديث رواه أحمد فى مسنده
(انى لقائم المقام المحمود) بكسر همزة ان لوقوعها فى ابتداء كلام مستأنف وقيل انه جواب قسم مقدر
أى والله انى لقائم وفيه بيان انه يجوز القسم فى الامر العظيم ولذا أكد بان والاسمية وفيه نظر والمقام
منصوب على الظرفية أو المصدرية (قيل وماهو قال ذلك يوم ينزل الله تبارك وتعالى عن كرسيه) وفى
نسخة على كرسيه (الحديث) أى أذكره أو انظر تمامه وهو كما رواه أحمد رحمه الله قيل له ما المقام المحمود

انه لابدع ان يكون فى المفضول بعض مالا يوجد فى الفاضل لاسيما وهو فى مقام النبوة وحاله التبعية فى مرتبة النبوة يقول الله تعالى اكسوا خليلى فيؤتى بريطتين أى ملاءتين رفيعتين بيضاوين من رياط الجنة ثم أكسى على أثره بفتحتين وبكسر فسكون أى على عقبه وهو يحتمل ان يكون خلعة أخرى بعد ماسبقت له الكسوة الاولى ثم أقوم على يمين الله أى يمين عرشه أو كرسيه أو جانب يمينه حال تجليه مقاما يغبطنى الاولون والآخرون أى يتمنون ان يعطوا مثل ما أعطى ولا ينالونه أبدا (وعن أبى موسى) أى الاشعرى مات بمكة وقيل بالكوفة (عنه عليه الصلاة والسلام) كما رواه ابن ماجه (خيرت) بصيغة المجهول أى جعلت مخيرا وفى رواية المصابيح أتانى آت فخيرنى (بين ان يدخل نصف أمتى الجنة) أى من غير حساب وعذاب (وبين الشفاعة) أى فى هذا الباب (فاخترت الشفاعة) أى من أول الوهلة (لانها أعم) أى فى المنفعة والظاهر ان هذه الشفاعة دون الشفاعة العظمى

مختصة بهذه الامة اما الادخال جماعة الجنة بغير محاسبة أولمن استحق دخول النار فلا يدخلها أولمن دخلها فيخرج منها وفى الجملة الشفاعة ثابتة على ما أجمع عليه أهل السنة لقوله تعالى يومئذ لا تنفع الشفاعة الامن أذن له الرحمن ورضى له قولا ولا عبرة بمنع الخوارج وبعض المعتزلة مستدلين بقوله تعالى فما تنفعهم شفاعة الشافعين فانه مخصوص بالكافرين وأما تخصيصهم أحاديث الشفاعة بزيادة الدرجات فى الجنة فباطل لتصريح الادلة باخراج من دخل النار من المؤمنين منها كما يشير اليه قوله صلى الله تعالى عليه وسلم (أترونها) بالاستفهام الانكارى بمعنى النفى وبضم التاء وفتح الراء أى لاتظنون الشفاعة التى اخترتها (للمتقين) أى عن المعاصى خاصة (ولكنها) وفى نسخة لا ولكنها أى الشفاعة (للمذنبين الخطائين) وفى نسخة للمؤمنين أى الكاملين وفى أخرى للمنقين بفتح النون وتشديد القاف المفتوحة والظاهر انه تصحيف نعم رواية ابن عرفة أترونها للمنقين ولكنها للمذنبين الملوثين فالتلويث يناسب التنقية فى مقام المقابلة ثم رأيت الحلبى قال وهو كذا فى أصلنا السنن ابن ماجه وهو أصل صحيح وقفه الملك المحسن وقد كتب تجاهه على الهامش ن ق وعليها تصحيح مرتين والله تعالى أعلم ثم الخطائين بتشديد الطاء أى المبالغين فى الخطأ أى بالتعمد أو الكثرة أو العظمة ويؤيده قوله عليه السلام فيما رواه أبو داود والترمذى شفاعتى لاهل الكبائر من أمتى وفى نسخة الخاطئين وفى أخرى للخاطئين باعادة العامل تأكيدا

قال ذلك يوم ينزل الله على كرسيه فيئط كما يئط الرحل الجديد من تضايقه به وهو بسعة ما بين السماء والارض ويجاء بكم حفاة عراة غرلا فيكون أول من يكسى ابراهيم عليه الصلاة والسلام فيقول الله عز وجل اكسوا خليلى فيؤتى بريطتين بيضاوين من رياط الجنة ثم أكسى على أثره ثم أقوم عن يمين الله مقاما يغبطنى فيه الاولون والآخرون وقد علمت ان هذا الحديث من المشابه لانه تعالى منزه عن صفات الاجسام كالنزول والجهة قيل ولذا تركه المصنف رحمه الله تعالى وهو تمثيل لتجليه تعالى لعباده بعظمته وجلاله واقباله عليهم لفصل القضاء واجراء حكم عدله فيهم كما يتجلى الملك لجنده ورعاياه لينظر فى أمورهم ويقرب من شاء منهم والكرسى غير العرش كما ورد الحديث فى المصابيح والكلام عليه مفصل فى شروحه (وعن أبى موسى) عبد الله بن قيس الاشعرى الصحابى المشهور وهذا الحديث رواه ابن ماجة فى سننه رواية (عنه صلى الله تعالى عليه وسلم خيرت) أى خيرنى الله بين أحد أمرين (بين ان يدخل) بالبناء للفاعل أو المفعول (نصف أمتى الجنة) أى أمة الاجابة لا الدعوة (وبين الشفاعة) لبعض المذنبين منهم الذين استوجبوا دخول النار وليس المراد بها الشفاعة العظمى فى فصل القضاء (فاخترت الشفاعة) على دخول نصف أمتى الجنة ثم بين وجه اختياره بقوله (لانها) أى الشفاعة (أعم) أى أشمل وأكثر من النصف وهذه الشفاعة غير الشفاعة فيمن دخل النار وقيل انها شاملة لها وهذه الشفاعة ثابتة بأحاديث كثيرة بلغ مجموع طرقها التواتر ولا يعتد بمن أنكرها من الخوارج والمعتزلة تمسكا بقوله تعالى ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع لان المراد بالظالمين الكفرة فان الشرك ظلم عظيم (أترونها) بهمزة الاستفهام وضم المثناة الفوقية وفتح الراء المهملة والضمير للشفاعة أى أتظنون الشفاعة خاصة (للمتقين) جمع متق بكسر القاف اسم فاعل من التقوى وفى نسخة للمؤمنين قال البرهان والاول هو المحفوظ من مشايخى وردوا على من رواه المنقين بنون مفتوحة ثم قاف مفتوحة مشددة ثم ياء مثناة تحتية ساكنة جمع منقى اسم مفعول وهو النظيف وكذا فى أصلنا السنن ابن ماجة وهو أصل صحيح وكتب على هامشه ن ق وعليها تصحيح مرتين انتهى ففيه ثلاث روايات والمنقين من النقى قال المزى وحسن هذه الرواية انه روى (ولكنها للمذنبين الخطائين المتلوثين) فقابله بالمتلوثين تحسنه وهو اسم مفعول من التلوث بمثناة فى أوله ومثلثة فى آخره والتلوث التلطخ بالاقذار لان الذنوب كالنجاسة والخطائين جمع خطاء وهو الكثير الخطا وروى الترمذى شفاعتى لاهل الكبائر من أمتى

(وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه) أي قال كما في نسخة وقد رواه البيهقي عنه وكذا نسخه أبي عبد الله الحاكم وصححه (قلت يا رسول الله ماذا ورد) من الورود أي نزل (عليك في الشفاعة) ما استفهامية وذا موصولة بمعنى الذي وصلته ما بعده وفي نسخة صحيحة ماذا رد بضم راء وتشديد دال أي ماذا أجيب عليك في مقام الشفاعة أو في أهلها وفي أخرى بصيغة الفاعل لله أو الملك (فقال شفاعتي) أي ورد على شفاعتي أو أجيب شفاعتي (لمن شهد أن لا اله الا الله) أي وان لم يكن من امتي وقيل التقدير واني رسول الله اكتفاء باحد الجزئين عن الآخر علما بانه لابد من الاتيان به في صحة الاسلام وقيل هذه الكلمة صارت علما لكلمتي الشهادة (مخلصا) أي لا كرها ولا نفاقا ولا رياء (يصدق) بتشديد الدال أي يطابق ويوافق (لسانه) بالنصب على انه مفعول أو بالرفع على انه فاعل وقوله (قلبه) عكس ذلك (وعن أم حبيبة) أي أم المؤمنين كما رواه البيهقي الحاكم (أريت) بضم الهمزة وكسر الراء أي أظهر الله لي (ما تلقى) أي من النوائب والمتاعب (أمتي) وفي أصل الدلجي من أمتي أي بعضهم (من بعدي) متعلق بتلقى وفي نسخة بعدي أي بعد ذهابي الى ربي (وسفك بعضهم دماء بعض) وهو مصدر مضاف الى فاعله معطوف على ما تلقى ولا يبعد ان يكون سفك ماضيا عطفا على ما تلقى أي وما سفك ويؤيده قوله (وسبق) أي وما سبق (لهم من الله ما سبق للامم قبلهم) أي من الابتلاء ببعض الالم (فسالت الله ان يؤتيني) أي يعطيني (شفاعة) وفي نسخة يوليني شفاعتهم بتشديد اللام المكسورة أي يجعلني متوليا الشفاعتهم (يوم القيامة فيهم) أي في حقهم (ففعل) أي أعطاه ما سال (وقال حذيفة) كما رواه البيهقي والنسائي وهو وان كان موقوفا لكنه مرفوع حكما (يجمع الله الناس في صعيد واحد) أي أرض مستوية لا ترى فيها عوجا ولا امتا (حيث يسمعهم الداعي) أي صوته وهو بضم الياء وكسر الميم وهذا على الفرض والتقدير وقال الدلجي لعله بعد الشفاعة لفصل القضاء أيتها الخلائق هلموا الى الحساب انتهى ويرد عليه ما سياتي من بقية الحديث في الكتاب

ويسمع

وقيل المنقي بالنون عام لانه يجوز ان يكون مذنبا نقي بالتوبة والمنقي أخص وفيه نظر (وعن أبي هريرة) رضي الله تعالى عنه في حديث صحيح رواه الحاكم والبيهقي (قلت يا رسول الله ماذا رد عليك في الشفاعة) بضم الراء المهملة وتشديد الدال المفتوحة مبني لما لم يسم فاعله كذا رواه البرهان واقتصر عليه وروي ورد من الورود مبني للفاعل كما ذكره التلمساني وتبعه غيره من الشراح وما اسم استفهام وذا اسم موصول بمعنى الذي ويجوز ان يكون اسم اشارة والرد الجواب وورد بمعنى جاء أي ما أجابك به الله أو الملك لما سالته الشفاعة في أمتك (فقال شفاعتي) هو فاعل مرفوع تقديرا أي جاءني أو ورد على ان أشفع (لمن شهد أن لا اله الا الله) أي لمن أقر بوحدانية الله تعالى ولم يقل واني رسول الله اكتفاء باحد جزئي كلمة الشهادة للعلم بانه لابد من الاتيان بهما في صحة الاسلام (مخلصا) حال من الموصول أي غير مشوبة شهادته بشك أو شرك (يصدق لسانه) بالنصب على المفعولية وقوله قلبه مرفوع فاعله ويجوز عكسه أي يطابق اعتقاده لما نطق به (وعن أم حبيبة رضي الله تعالى عنها) في حديث رواه الحاكم والبيهقي وهي أم المؤمنين بنت أبي سفيان بن حرب أخت معاوية رضي الله تعالى عنهم واسمها رملة على الصحيح وقيل هند وهي من السابقات الى الاسلام وترجمتها معروفة توفيت سنة أربع وأربعين (قالت قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أريت) بضم الهمزة والبناء للمجهول أي أعلمني الله وأخبرني بواسطة الملك (ما تلقى أمتي من بعدي) أي أريت ما اطلعت به على ما ينوبها فرأى علمية وقيل انه من باب الكشف عما سيكون بتوقيف من الله له صلى الله تعالى عليه وسلم كرامة وليس من الرؤية البصرية (وسفك بعضهم دماء بعض) منصوب معطوف على ما تلقى وسفك الدم اراقته وصبه وهو مصدر مضاف لفاعله قيل أراه ذلك وحيا أو مشافهة أو الهاما لما يقع بينهم من الحروب والفتن التي يقع فيها القتل واراقة الدماء (وسبق لهم من الله ما سبق للامم قبلهم) ماض معطوف على تلقى صلة الموصول أي أريت وأعلمت بما سبق لامتي مما قدره الله تعالى عليهم وأراده لهم فوقع على وفق ارادته في الازل وعلمه القديم (فسالت الله تعالى ان يؤتيني فيهم شفاعة يوم القيامة ففعل) أي أعطاه الله تعالى ما ساله فشفعه في المذنبين منهم (وقال حذيفة) بالتصغير وهو ابن اليمان الصحابي رضي الله تعالى عنه صاحب سر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث موقوف عليه رواه البيهقي والنسائي (يجمع الله الناس في صعيد واحد) أي في مكان يجتمعون فيه غير متفرقين وأصل معنى الصعيد التراب فاريد به هنا أرض المحشر أو قيل هو تربة ليس فيها رمل ولا شجر يوم تبدل الارض غير الارض والمراد بالناس الثقلان من الجن والانس أو المراد الانس واقتصر على الاشرف فلا يرد ان الجن والبهائم تحشر معهم أيضا (حيث يسمعهم الداعي) صوته ونداءه كما قال تعالى ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا أنتم تخرجون

(وينفذهم البصر) بفتح الياء وضم الفاء والذال المعجمة وفي نسخة بضم الياء وكسر الفاء أي يبلغهم ويجاوزهم بصر الباصر بحيث لايخفى أحدمنهم من الاكابر والاصاغر لاستواء الصعيد الباهر وعن أبي عبيد ينفذهم بصر الرحمن اى ياتي عليهم جميعهم وفيه ان بصره تعالى دائما محيط بهم وقد يدفع بان اثباته مقيد الاينافي دوامه ولعل وجه التخصيص هو افادة هول المقام أوظهور ذلك الوصف على وجه الكمال والتمام على سائر الانام كما ذكروا في قوله سبحانه مالك يوم الدين وعن أبي حاتم ان المحدثين يروونه بالذال المعجمة وانما هو بالمهملة أي يبلغ أولهم وآخرهم حتى يراهم كلهم من نفد الشئ وأنفدته قال الحجازي وفيما قاله نظر اذفي الصحاح نفذ البصر بالمعجمة القوم بلغهم وجاوزهم ونفد بالمهملة فني ولعله من انفد فيضم أول مضارعه انتهى وقال النووي محصله خلاف في فتح الياء وضمها وفي الذال والدال وفي الضمير في ينفذهم والاصح فتح الياء وبالذال المعجمة وانه بصر المخلوق انتهى قال أبو عبيد وحمل الحديث على بصر المبصر أولى من حمله على بصر الرحمن لان الله يجمع الناس يوم القيامة في أرض يشهد جميع الخلائق حساب العبد الواحد على انفراده ويبصرون مايصير اليه هذا وقد روى أن صفوف أهل الجنة مائة وعشرون صفامنها ثمانون صفا لامة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وباقيها لغيرهم زاد كعب مابين كل صفين كما بين المشرق والمغرب (عراة) لاثياب على بدنهم ولا نعال بارجلهم وفي رواية حفاة وزاد الشيخان في روايتهما غرلا بضم الغين المعجمة وسكون الراء جمع أغرل وهو الاقلف (كما خلقوا) أى أول مرة (سكوتا) أى غير ناطقين (لاتكلم) بحذف احدى التائين أى لاتتكلم (نفس) أى بما ينفع أو ينجي من جواب أو شفاعة (الاباذنه) كقوله تعالى لايتكلمون الامن أذن له الرحمن وهذا في موقف واما قوله هذا يوم لاينطقون ولايؤذن لهم فيعتذرون ففي موقف آخر والماذون فيه هو الجوابات الحقة والممنوع منه هو الاعتذارات الباطلة (فينادى) بصيغة المفعول (محمد) بالرفع والتنوين على انه نائب الفاعل وفي رواية بالضم على حذف حرف النداء ويؤيد الاول قوله (فيقول لبيك) أى أجبت لك اجابة بعد اجابة (وسعديك) أي ساعدت طاعتك مساعدة بعد مساعدة

ويسمع بضم التحتية مضارع اسمع وحيث ظرف مكان مبني على الضم (وينفذهم البصر) بفتح الياء المثناة التحتية وروى بضمها وكسر الفاء وعلى الاول هي مضمومة والمراد بصر الرائي أي يراهم دفعة واحدة وليس المراد بصر الله كما قاله أبو عبيد وقيل المراد يبلغهم ويتجاوزهم لانهم في أرض مستوية لاعوج ولاشجر فيها وهو بالدال المهملة والمحدثون يروونه بالذال المعجمة وهو صحيح أيضا لانه لاحاطته بهم وتجاوزه كانه يخرقهم فلاوجه للرد مع صحة الرواية (حفاة عراة) منصوبان على الحالية وحفاة جمع حاف وهو الذى لانعل له ولاخف وقيل جمع حفي وهو الذى رق جلد قدميه وعراة جمع عار وقيل جمع عريان وهو قليل في الاستعمال وهو الذى لاثوب له ولالباس يستره ويعارضه ماروى في الحديث الصحيح أن أباسعيد الخدرى رضي الله تعالى عنه لما احتضر دعا بثياب جدد فلبسها ثم قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول ان الميت يبعث في ثيابه التى يموت فيها وعن معاذ ابن جبل أيضا رضي الله تعالى عنه أحسنوا اكفان موتاكم فانهم يحشرون فيها وجمع بينهما بان هذا محمول على الشهداء وثيابهم التى قتلوا فيها والحديث وارد فيهم وأبو سعيد حمله على العموم وقيل أن بعضهم يحشر عاريا وبعضهم بثيابه وقيل انهم يحشرون باكفانهم ثم تتناثر من عليهم في المحشر وقيل المراد بثيابهم أعمالهم كقوله تعالى ولباس التقوى ذلك خير ولايخفى مافي هذا من الضعف فليحرر (كما خلقوا) حال أى كائنين على حال خلقهم الاول من غير نقص شئ من أجزائهم كما ورد غرلا فشبه حال اعادتهم بحال اخراجهم من العدم كما قال كما بدأكم تعودون أوما كافة أومصدرية (سكوتا) جمع ساكت حال من الناس أومن ضمير خلقوا (لاتكلم) أصله تتكلم فخفف (نفس الاباذنه) فلايتكلمون الامن أذن له الرحمن وهذا في موقف وقوله هذا يوم لاينطقون ولايؤذن لهم فيعتذرون في موقف آخر والثانى مخصوص بذوى الاعذار الباطلة فلاتعارض بينهما وبهذا يجاب أيضا عن قوله تعالى وأقبل بعضهم على بعض يتلاومون وقوله يوم تاتى كل نفس تجادل عن نفسها (فينادى) بالبناء للمجهول (محمد) بالتنوين نائب الفاعل أوهو غير منون مبنى على الضم والنداء بمعناه الظاهر أى يقال له يامحمد فحذف حرف النداء وعلى الاول ينادى بمعنى يدعى ويطلب وكلا الوجهين حسن وفي نسخة فينادى يامحمد (فيقول لبيك وسعديك) منصوبان على المصدرية بفعل لايظهر في الاستعمال من التلبية وهى اجابة المنادى من ألب بالمكان اذا أقام ولايستعملان الابصيغة التثنية والمراد بها مجرد التكرير ولو مرارا عديدة أى أجبتك اجابة بعد اجابة وأساعدك بطاعتى لك وأنامقيم على ذلك لاأنصرف عنه

(والخير في يديك) أي بتصرفك وفي حيز ارادتك وقدرتك في الدنيا والعقبى كما قال الله تعالى وان لنا للآخرة والاولى (والشر ليس اليك) أي منسوبا وان كنت خالقه أدبا أو لا يتقرب به اليك أصلا أو لا يصعد اليك وانما يصعد اليك الخير قولا وعملا أو ليس الشر بالنسبة الى حكمك وحكمتك فانك لا تحكم باطلا ولا تخلق عبثا والافن المعلوم عند أهل الحق من أهل السنة والجماعة ان جميع الكائنات خيرها وشرها ونفعها

وضرها وحلوها ومرها من الله تعالى ومنسوبة الى خلقه على وجه أراده (والمهتدى) أي

(والخير في يديك والشر ليس اليك) أي مقضيك بالفرض وصادر عنك بالتبع لان بعض ما يتضمن الخير الكثير يستلزم شرا قليلا فكان ترك الخيرات الكثيرة لاجل ذلك الشر القليل شرا لا يصدر عنه وهو المنزه عن الفحشاء ولا يجري في ملكه الا ما شاء والى هذا أشار القاضي في تفسيره والمعتزلة قدروا في مثله والشر ليس منسوبا اليك واستدلوا به على مذهبهم وغيرهم قدره والشر ليس متقربا به اليك كما يتقرب الى البعض ظلمة الملوك ببعض القبائح قاله القرافي في قواعده أو المعنى لا يضاف اليك تادبا وقيل المعنى لا يصعد اليك فانه انما يصعد اليه الكلم الطيب واليد اسم للجارحة المعروفة وأصله يدى بالسكون لقولهم في جمعه أيد وقيل يدى بالفتح لقولهم في تثنيته يديان واستعير للنعمة وللملك والتصرف والقدرة والقوة والنصرة واذا أضيف الى الله تعالى يراد به المعنى المجازي لتنزهه عن الجارحة وثنى هنا وفي قوله تعالى لما خلقت بيدي اشارة الى زيادة تصرفه فيه واختصاصه به وجعل الخير مستقرا فيهما ترشيح للاستعارة والاحسن أن يقال انه اشارة لما ران وجهي تصرفه في الموجودات بالخير والشر خير كله فتدبر (والمهتدى من هديت) أي الموفق للهداية من خلقته مهتديا ووفقته لطاعتك وتعريف الطرفين يفيد الحصر أي لا يهتدي الا من هديته (وعبدك بين يديك) أراد به نفسه الشريفة أي انه صلى الله تعالى عليه وسلم حاضر لديه واقف في مقام المذلة والفقر وقيل انه تشبيه لقربه من ربه ومزيد اختصاصه من بين الجهتين المسامتتين ليدى الانسان واستعير لذلك (ولك واليك) أي أمره كله لك فانه عبدك وأمره موكول اليك (لاملجا) بالهمز والقصر للازدواج أي لا يلتجئ ولا يستند لاحد سواك (ولا منجا) بلاهمز أو به للازدواج أي لا ينجيه ولا يخلصه أحد (منك) أي هو عبدك ومصيره اليك (الا اليك) وليس باتباع ولا لف ونشر كما قيل (تباركت وتعاليت) أي كثر خيرك وزاد عن كل شئ وعلا قدرك في ذاتك وصفاتك وتنزهت عما لا يليق بك والكلام عليه مفصل في التفسير (سبحانك) أي تنزهت (رب البيت) بالرفع خبر مبتدأ مقدر والنصب على النداء أي يارب البيت والمراد به الكعبة أو البيت المعمور في السماء ولما كان البيت قد يشعر بالحلول قدم التنزيه عليه احترازا عن توهمه وقال رب البيت دون رب العالمين اظهارا لشرفه وشرف الحج اليه المشابه جمع الخلائق فيه بالمحشر وهم عراة حفاة (قال) أي النبي عليه السلام لانه معلوم من السياق أو حذيفة راويه وهو في حكم المرفوع (فذلك) أي المقام الذي جمع فيه ووقع فيه هذه المناجاة (هو المقام المحمود الذي ذكره الله) في القرآن في قوله تعالى عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا (وقال ابن عباس رضي الله عنهما اذا دخل أهل النار النار) قدمه ترهيبا وترغيبا في تجنب سبب دخولها ولان ذكر النعمة بعد النقمة أوقع في النفس (وأهل الجنة الجنة) بجر الاول ونصب الثاني أي ودخل أهل الجنة الجنة والمراد غالب أهل النار وغالب أهل الجنة بدليل قوله (فتبقى آخر زمرة من الجنة) أي من أهل الجنة (وآخر زمرة من النار) أي من أهل النار والزمرة الجماعة القليلة ومنه شاة زمرة أي قليلة الشعر ورجل زمر قليل المروءة أو من الزمر وهو الصوت لانها لا تخلو عنه (فتقول زمرة النار) أي الزمرة الباقية من أهل النار (لزمرة الجنة) أي للزمرة الباقية من أهل الجنة الذين لم يؤذن لهم في دخولها

في الحقيقة وفي نسخة والمهدى (من هديت) أي بخلق الهداية وتوفيق الطاعة وتحقيق الرعاية (وعبدك بين يديك) أي حاضر معتمد عليك (ولك) أي الحكم والقضاء (واليك) أي مرجع الخلق والامر في الابتداء والانتهاء (لاملجا) بالهمز مقصورا (ولا منجا) بالقصر وقد يهمز للازدواج وقد يبدل همز الاول ألفا للمشاكلة أي لا مستند ولا معتمد ولا ملاذ ولا معاذ (منك) أي من قضائك (الا اليك) أي بالرجوع الى ساحة فنائك (تباركت) أي تكاثر خيرك (وتعاليت) أي تعظم شانك (سبحانك رب البيت) بالنصب على النداء وجوز رفعه على الابتداء أي أنت رب البيت والاضافة للتشريف (قال) أي حذيفة (فذلك) أي المجمع المذكور والمقال المسطور هو (المقام المحمود الذي ذكره الله) أي ذكره في كتابه المشهور بقوله عسى ان

يبعثك ربك مقاما محمودا (وقال ابن عباس) لفظه موقوف وحكمه مرفوع (اذا دخل أهل النار النار (ما وأهل الجنة الجنة) لعل تقديم أهل النار للاشعار بانهما الابرار والفجار أو لان ذكر النعمة أوقع في النفس بعد ذكر النقمة أو ترهيبا في أول الوهلة من أهوالها وترغيبا في الجنة نظرا الى حسن مآلها (فتبقى آخر زمرة) أي جماعة (من الجنة) أي زمر أهلها باقية في النار (وآخر زمرة من النار) أي ثابتة فيها (فتقول زمرة النار) أي من الكفار (لزمرة الجنة) أي الواقعة في النار من الفجار

(مانفعكم ايمانكم) أى المجرد عن الطاعة حيث لم يدخلكم الجنة (فيدعون ربهم ويضجون) بفتح الياء وكسر الضاد المعجمة وتشديد الجيم أى ويصيحون لما يجزعون من شماتة الاعداء فى فظاعة البلاء ولذا قيل النار ولا العار (فيسمعهم أهل الجنة فيسئلون آدم وغيره بعده فى الشفاعة لهم) ولعل الحكمة (فى سؤالهم من غير نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم) أولا ليظهر اختصاصه بذلك المقام آخرا (فكل) أى فكل واحد منهم (يعتذر) أى بما عوتب عليه وبما نسب من صورة الذنب اليه (حتى يأتوا محمدا فيشفع لهم) أى فيشفع فى حقهم وتقبل شفاعته لهم (فذلك المقام المحمود) أى فى الجنة وهو لا ينافى كونه المقام المحمود أيضا فى الموقف (ونحوه) أى مثل قول ابن عباس فيما رواه أحمد والطيالسى (عن ابن مسعود أيضا ومجاهد) أى موقوفا أو مقطوعا (وذكره) أى مثله أو نحوه (على بن الحسين) أى ابن على بن أبى طالب قيل لم ينجب من ولد السرارى الا ثلاثة على بن الحسين بن على بن أبى طالب وسالم ابن عبد الله بن عمر بن الخطاب والقاسم بن محمد ابن أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنهم (عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) أى مرسلا ورواه الحاكم عن أهل العلم عنه موصولا (وقال جابر بن عبد الله) أى كما رواه مسلم (ليزيد الفقير) هو يزيد بن صهيب الفقير لانه كان يشكو فقار ظهره فهو فعيل بمعنى مفعول وفقرات الظهر خرزاته من عجب الذنب الى نقرة القفا ثنتان وثلاثون فقرة وقد ضربت عائشة مثلا فى عثمان فقالت ركبوا منه الفقر الاربع استعارته من فقار الظهر لما ارتكبوا منه لانها موضع الركوب أى انتهكوا فيه أربع حرم حرمة الصحبة والصهورة والخلافة والبلدة روى عنه أبو حنيفة ومسعر وجماعة ثقة أخرج له الشيخان وغيرهما (سمعت) بفتح التاء أى أسمعت (بمقام محمد يعنى الذى يبعثه الله فيه) أى من المقام المحمود (قال) أى يزيد (قلت نعم) أى سمعت اللفظ الذى أفادنيه (قال) أى جابر (فانه مقام محمد) أى الخاص به (المحمود الذى يخرج الله به) أى بسببه (من يخرج) بضم ثم كسر أى من يخرجه من عصاة عامة المؤمنين أو خاصة هذه الامة والاول أظهر لما سبق فتدبر (يعنى من النار) أى يريد اخراج من يخرجه من النار (وذكر) أى جابر (حديث الشفاعة فى اخراج الجهنميين)

(مانفعكم ايمانكم) ما استفهامية انكارية أو نافية خبرية أى لم ينفعكم ايمانكم ولم يغن عنكم شيأ لانهم بجهلهم باحوالهم ظنوا انهم لا يدخلون الجنة وانهم منعوا من دخولها (فيدعون ربهم) الضمير للزمر المتخلفة من أهل الجنة (ويضجون) أى يصيحون ويرفعون أصواتهم فزعا مما لحقهم من تعيير أهل النار لهم وأصل الضجيج بضاد معجمة وجيم الصياح من الفزع للحوق المكروه والضجة ارتفاع الاصوات المختلفة مطلقا (فيسمعهم أهل الجنة) أى يسمعون صياحهم واستغاثتهم بربهم ليأذن لهم فى دخول الجنة (فيسالون آدم) ان يشفع لهم فى دخول الجنة (وغيره بعده) أى يسالون بعد آدم عليه الصلاة والسلام غيره من الانبياء كنوح وابراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام (فى الشفاعة لهم فكل يعتذر) لهم بانه لا يقدر على الشفاعة ولم يؤذن له كما مر تفصيله (حتى يأتوا محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم) بعد ما يئسوا من شفاعة غيره من الرسل (فيشفع لهم فذلك المقام المحمود) الذى يحمده فيه الناس ويظهر فضله على جميع الرسل وهذا الحديث موقوف على ابن عباس وهو فى حكم المرفوع (ونحوه) أى فى معناه حديث مروى (عن ابن مسعود أيضا ومجاهد وذكره على بن الحسين) بن على بن أبى طالب وهو زين العابدين كما تقدم (عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) أى مرفوعا وما قبله موقوف (وقال جابر بن عبد الله) رضى الله تعالى عنهما الصحابى وقد تقدمت ترجمته (ليزيد الفقير) هو ابن صهيب ولقب بالفقير لانه أصيب فى فقار ظهره فكان يشكوها وفقار الظهر خرزات العظم التى من عجب الذنب الى نقرة القفا وهى اثنان وثلاثون فقرة فهو فعيل بمعنى مفعول وقول عائشة رضى الله تعالى عنها فى حق عثمان رضى الله تعالى عنه ارتكبوا منه الفقراء الاربع استعارة أى انتهكوا له حرمات أربع الصحبة والصهر والخلافة والبلد وهذا الحديث رواه مسلم ويزيد هذا امام ثقة روى عنه أبو حنيفة وأصحاب الكتب الستة (سمعت) بفتح تاء الخطاب وأصله أسمعت فحذف همزة الاستفهام أو هل أى أسمعت أو هل سمعت (بمقام محمد صلى الله عليه وسلم) أى هل رويت فيه شيأ يفسره (يعنى الذى يبعثه الله فيه) أى فجابر أراد السؤال عن حقيقة المقام المذكور فى قوله تعالى عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا وفى قوله فيه اشارة الى انه منصوب على الظرفية وانه محل القيام حقيقة (قال) يزيد (نعم) أى سمعت ما ورد فيه اجمالا (قال) أى جابر بن عبد الله البجلى الصحابى المشهور وكان الظاهر ان يقول فقال (فانه مقام محمد المحمود الذى يخرج الله به من يخرج يعنى من النار) ضمير به للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم أو للمقام أى يخرج الله بسبب الشفاعة لواقعة فيه فالمراد به مقام آخر فيه شفاعة غير الشفاعة العظيمة لاهل المحشر واليه أشار بقوله (وذكر) أى جابر رضى الله تعالى عنه (حديث الشفاعة فى اخراج الجهنميين) المنسوبين لجهنم لانهم المؤمنون الذين دخلوا النار بمعاصيهم

أى فوجا فوجا من النار على حسب مراتب الفجار (وعن أنس رضى الله تعالى عنه نحوه) أى فى رواية الشيخين (وقال) أى أنس (فهذا) أى الاخراج المذكور (المقام المحمود الذى وعده) أى الله سبحانه وتعالى وفى نسخة الدلجى بصيغة المجهول (وعن سلمان) أى الفارسى وهو سلمان الخير بن الاسكار عاش ثلثمائة وفى أصل التلمسانى عن شيبان بدل عن سلمان قال وهو بشين معجمة وياء مثناة من أسفل وبعدها موحدة لعله شيبان بن عبد الرحمن النحوى انتهى والظاهر انه مصحف لمخالفته سائر النسخ المعتبرة والاصول المعتمدة (المقام المحمود هو الشفاعة فى أمته يوم القيامة) أى بالاصالة وفى غيرهم بالتبعية أولانه هو البادئ فى مقام الشفاعة ويتبعه الانبياء فى تلك الساعة (ومثله عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه) كما فى الصحيحين (وقال قتادة) تابعى مشهور (كان أهل العلم) أى من أكابر الصحابة واجلاء التابعين (يرون) بصيغة الفاعل من الرأى أو بصيغة المفعول أى يظنون (المقام المحمود شفاعته يوم القيامة) أى لعامة الخلق فى اراحتهم من عذاب الموقف (وعلى) أى وكانوا على (ان المقام المحمود) أى هو كما فى نسخة (مقامه عليه الصلاة والسلام للشفاعة) أى العظمى فى الساعة الكبرى (مذاهب السلف) أى السالفين (من الصحابة والتابعين وعامة أئمة المسلمين) أى من المجتهدين والمفسرين والمحدثين وسائر علماء الدين رضى الله تعالى عنهم أجمعين

(وبذلك) أى ويطبق ماذكر وعلى وفق ماسطر (جاءت) الشفاعة (مفسرة) أى مبينة (فى صحيح الاخبار) أى مما كادت ان تتواتر عن الاخيار (عنه عليه الصلاة والسلام وجاءت مقالة فى تفسيرها شاذة) أى منفردة (عن بعض السلف) وهو مجاهد مخالفة لنقل الثقات ضعيفة فى أصول الروايات وحصول الدرايات (يجب ان لا تثبت) أى عند الاثبات لعدم الاثبات (اذ لم يعضدها) أى لم يقوها (صحيح أثر) أى من منقول (ولا سديد نظر) أى من معقول والنظر السديد والسداد ما كان (فيهتمون)
موافقا للحق والرشاد ومنه قوله تعالى وقولوا قولا سديدا (ولو صحت) أى على فرض صحة بعض أسانيدها حيث لا يقاوم ما يعارضها (لكان لها تاويل غير مستنكر) أى معروف معتبر عند أرباب النظر جمعا بين الادلة كما هو طريق المحققين من الائمة وحاصله انه روى عن مجاهد انه قال يجلسه معه على العرش وعن عبد الله بن سلام قال يقعده على الكرسى وأمثال ذلك مما ظاهره منكر من القول فيجب رده وانكاره على ناقله أو تاويله لحسن الظن بقائله وبعضهم أول ذلك بان يجلسه مع أنبيائه وملائكته على ماحكاه الطبرى وقد قدمنا تاويلا آخر فتدبر (لكن ما فسره النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يرده) بتشديد الدال أى يرد ظاهر ما جاء بخلافه ويدفعه فيتعين ان يؤول غيره اليه ولا ينعكس الامر عليه وفى نسخة ترده بفتح التاء وكسر الراء وتخفيف الدال أى ترد عليه ويلائمه قوله (فلا يجب ان يلتفت اليه) أى بتاويله وقال وقيل لانه تضييع عمر فى توضيح أمر (مع انه لم يات) أى خلافه (فى كتاب ولا سنة) أى ثابتة حتى يحتاج الى تاويل ومعالجة (ولا اتفق) وفى نسخة ولا اتفقت (على المقال به أمة) أى جماعة من المجتهدين وعلماء الدين حتى يحتاج الى تاويل يجمعه أرباب اليقين (وفى اطلاق ظاهره منكر من القول وشنعة) بضم فسكون أى وشناعة فى العبارة ياتى دفعها بالاشارة (وفى رواية أنس وأبى هريرة وغيرهما) على ما فى الصحيحين ونحوهما (دخل حديث بعضهم فى حديث بعض) أى فيما ذكرناه هنا عنهم (قال عليه الصلاة والسلام يجمع الله الاولين والآخرين يوم القيامة) أى يوم يقوم الناس لرب العالمين

وهذا بعض حديث رواه مسلم اقتصر منه المصنف على محل الشاهد لما هو بصدده ولفظه قال يزيد الفقير رحمه الله تعالى كان قد شغفنى رأى من رأى الخوارج فخرجت فى عصابة ذوى عدد نريد ان نحج فمررنا على المدينة فاذا جابر بن عبد الله رضى الله عنهما جالس الى سارية يحدث الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فاذا هو قد ذكر الجهنميين فقلت له يا صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هذا الذى يقولون والله يقول انك من تدخل النار فقد أخزيته * وكلما أرادوا ان يخرجوا منها أعيدوا فيها فما هذا الذى تقول فقال أتقرأ القرآن قلت نعم فقال هل سمعت بمقام محمد يعنى الذى يبعثه الله فيه قلت نعم قال فانه مقام محمد المحمود الذى يخرج به من يخرج قال ثم نعت وضع الصراط ومر الناس عليه قال وأخاف ان لا أكون أحفظ ذاك وقال غير واحد ان قوما يخرجون من النار بعد أن يكونوا فيها كأنهم عيدان السماسم فيدخلون نهرا من أنهار الجنة فيغتسلون فيه فيخرجون كأنهم القراطيس الى آخر الحديث الذى رواه مسلم والكلام عليه مبسوط فى شروحه فالمعنى ان يزيد مال الى رأى الخوارج فى خلود عصاة المسلمين فى النار فلما سمع من جابر ما رواه عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم له علم بطلان رأيهم ورجع عنه (وعن أنس) فى حديث رواه أحمد فى مسنده (نحوه) أى ما هو فى معنى هذا الحديث (وقال) أنس بعد ماذكر ما تقدم (فهذا المقام المحمود الذى وعده) بالبناء للمجهول ونائب الفاعل ضمير النبى صلى الله عليه وسلم والضمير البارز للمقام (وفى رواية أنس وأبى هريرة وغيرهما) فى حديث رواه الشيخان (ودخل حديث بعضهم فى حديث بعض) أى وافق رواية كل منهم رواية غيره لفظا ومعنى (قال عليه الصلاة والسلام يجمع الله الاولين والآخرين يوم القيامة) فى أرض المحشر للحساب وفصل القضاء

(فيهتمون) بتشديد الميم أى فيحزنون حزنا شديدا الا أنه لايهتم أحد الا لنفسه ولا يلتفت الى غيره ولو كان أقرب أهله و يقصدون ازالة هذا الهم العظيم والكرب الفخيم وذلك لما وجد فى حديث ان ربى غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله ولا بعده مثله (أو قال فيلهمون) أى الى طلب الشفاعة بالوسيلة الى أحد من كبراء البرية (فيقولون لو استشفعنا الى ربنا) أى لكان حسنا أو لربما يكون فيه نجاتنا أو لو للتمنى ولا جواب له (من طريق آخر) أى لهذا الحديث باعتبار اسناده أو راويه (عنه) أى عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (ماج الناس بعضهم فى بعض) أى دخلوا فيما بينهم واضطربوا اضطراب ماء البحر حال شدة غليانه ايماء الى قوله تعالى وتركنا بعضهم يومئذ يموج فى بعض واشارة الى قوله تعالى أو كظلمات فى بحر لجى يغشاه موج من فوقه موج (وعن أبى هريرة) أى فى حديث الشيخين (فتدنو الشمس) أى تقرب من رؤسهم قدر الميل كما فى رواية على اختلاف فى ان المراد منه ميل الفرسخ أو ميل المكحلة ثم قيل الشمس فى الدنيا وجهها الى جهة السماء وهى ظاهرة لنا من جهة القفا فينقلب أمرها فى العقبى (فيبلغ الناس) بالنصب وقيل بالرفع (من الغم) بيان مقدم لقوله (مالا يطيقون) أى الصبر عليه والتحمل لديه وهذا معنى قوله (ولا يحتملون) أى لا يقدرون ولا يستطيعون (فيقولون) أى بعضهم لبعض (ألا تنظرون) أى ألا تختارون (من يشفع لكم) أى الى ربكم فى ازاحة شدة الموقف عنكم (فيأتون آدم) بدأوا بما بدأ الله به ليظهر جلالة ما ختم الامر بسببه (فيقولون) أى له جل مقصودهم من الشفاعة لمعبودهم (زاد بعضهم) أى فى بيان ما أجمل من القول (أنت آدم أبو البشر) أى فيتعين عليك الشفقة والمرحمة على الذرية مع كونك معظما مكرما عنده سبحانه وتعالى من جملة الطائفة البشرية (خلقك الله بيده) أى بقدرته من غير واسطة فى خلقته (ونفخ فيك من روحه) أى الخاص بتشريفه وكرامته (وأسكنك جنته) أى وأظهر عليك نعمته ورحمته (وأسجد لك ملائكته) أى تعظيما لشانك وتفخيما لبرهانك (وعلمك أسماء كل شئ) أى دليلا على ظهور سلطانك (اشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا) من الاراحة بمعنى الازاحة واعطاء الراحة بالازالة من محل الغضب الى موضع حكم به الرب من دار الثواب أو دار العقاب (فيقول ان ربى غضب اليوم غضبا) أى عظيما لكونه عميما (لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله) أى فلا يمكننى الشفاعة فيه لاسيما

(فيهتمون) افتعال من الهم بمعنى الحزن أو العزم والتصميم يقال اهتم اذا غتم وحزن واهتم بكذا اذا جعله من همه وليس من الهمهمة وهى الصوت الخفى (أو قال فيلهمون) بالبناء للمجهول من الالهام وهذا شك من الراوى فى لفظ الحديث أى يلهمهم الله (فيقولون لو استشفعنا الى ربنا) أى لو طلبنا من يشفع لنا عند الله فى أن يخلصنا من هول هذا الموقف وشدته ولو للتمنى هنا وقد ذكره النحاة مفصلا فى بابه فنزلوا الشفاعة لخوفهم منزلة الممتنع الذى لا يمكن (ومن طريق آخر عنه) عليه الصلاة والسلام أى فى رواية أخرى (ماج الناس بعضهم فى بعض) أى دخل بعضهم فى بعض واختلطوا واضطرابهم (وعن أبى هريرة) رضى الله عنه فى حديث الشفاعة الذى رواه الشيخان (وتدنو الشمس) أى تقرب من رؤس أهل الموقف (فيبلغ الناس من الغم) أى من الكرب وشدة الحر (مالا يطيقون) أى مالا يقدرون على تحملهم له (ولا يحتملون) عطف تفسير أى لا يقدرون ولا يستطيعون (فيقولون ألا تنظرون من يشفع لكم) أى يقول بعضهم لبعض هذا الكلام (فيأتون آدم) عليه الصلاة والسلام بدؤا به لانه أول الانبياء وأبوهم المشفق عليهم كما قال (زاد بعضهم فيقولون أنت آدم أبو البشر) فينبغى لك ان تشفع لهم وترحمهم (خلقك الله بيده) أى أوجدك من العدم بقدرته من غير واسطة أم وأب (ونفخ فيك من روحه) اضافة الروح له تعالى للتعظيم والاختصاص ونفخ الروح ايجاده متصلة بجسده كما يقال بيت الله (وأسكنك جنته) بعد نفخ الروح فيه وايجاده والمراد الجنة المعروفة على الاصح وقيل المراد بها بستان فى الارض والخلاف فيه مشهور فى كتب التفاسير والادلة من الطرفين مفصلة فى محلها (وأسجد لك ملائكته) أى أمرهم بالسجود لك سجود تحية وتعظيم له واداء لحقه لا سجود عبادة هو كالقبلة له وكان ذلك جائزا شرعا ثم نسخ (وعلمك أسماء كل شئ) كما ذكره الله تعالى فى القرآن وهذا كله مما يدل على شرفه صلى الله عليه وسلم وعلو رتبته عند ربه ومزيد قربه المقتضى لقبول شفاعته صلى الله تعالى عليه وسلم كما بينه بقوله (اشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا) هذا وهو المحشر ويريحنا بمعنى يحصل لنا راحة (ألا ترى ما نحن فيه) من الكرب والهول الذى لا يطاق (فيقول) لهم آدم (ان ربى غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله) أى أظهر شدة غضبه وسخطه على من عصاه مريدا ايقاع العذاب الذى فى الآخرة بادخالهم النار وهذا لم يكن قبل يوم القيامة ولا بعده فلذا

خاف آدم عليه الصلاة والسلام وقال (ونهاني عن الشجرة) أي عن الاكل منها والمراد بها العنب الذى فى الكرم أو الحنطة وسماها شجرة مجازا لان الشجر ماله ساق (فعصيت) أي خالفت أمره تعالى بالا كل منها وفى كون هذا معصية كلام سيأتى فى عصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام (نفسي نفسي) اعتذارا عن تركه الشفاعة لهم لخوفه على نفسه وكررها تأكيدا وبيانا لانه لا يقدر على مصلحة غيره لاشتغاله بنفسه وذكر الانبياء تدريجا الاول فالاول والاقدم فالاقدم على وجه يظهر به فضل نبينا صلى الله عليه وسلم (اذهبوا الى غيرى) من الرسل يشفع لكم ثم بين من يذهبون له فقال (اذهبوا الى نوح) فانه الاب الثانى لكم بعدى ولم يقل اذهبوا الى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ليعلم فضله بانه صاحب الشفاعة وانها منحصرة فيه (فيأتون نوحا فيقولون أنت أول الرسل الى أهل الارض) كافة لانحصارهم وانحصار التبليغ فيه وهذا لا ينافى اختصاص عموم الرسالة بنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم لان عمومها لا يختص بعصره وقال ابن حجر رحمه الله تعالى لانه لم يكن بعد الطوفان الا من كان مؤمنا معه وقد كان مرسلا اليهم والعموم لم يكن فى أصل بعثته وانما اتفق بعده فالحادث الذى وقع وهو انحصار الخلق الموجودين بعد هلاك سائر الناس وأما نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فعموم رسالته من أصل البعثة فثبت اختصاصه صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك وأما كونه أول رسول كما صح فى حديث الشفاعة فالمراد به انه أول رسول أرسل الى جميع أهل الارض فى حياته فليس المراد عموم بعثته مطلقا بل اثبات أولية ارساله ولو سلم فهو مخصوص بعدة آيات على ان بعثة نوح عليه الصلاة والسلام كانت الى قومه ولم يذكر انه أرسل الى غيرهم واستدل على عموم رسالته بدعائه على جميع من فى الارض فاهلكوا غير أهل السفينة ولولاه ما أهلكوا لقوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وقد ثبت انه أول الرسل وأجيب بجواز ان يرسل غيره فى زمنه وعلمه بانهم لم يؤمنوا فدعا عليهم وهو حسن لو نقل مجيء رسول فى زمنه غيره أو خصوصية نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم ببقاء شريعته الى يوم القيامة أو دعوته لقومه بتوحيد بلغ الناس عنه فتمادوا واستحقوا العذاب واليه ذهب ابن عطية فى سورة هود وبعد عدم بلوغ نبوته القريب والبعيد مع طول مدته وقال ابن دقيق العيد يجوز ان تكون الدعوة للتوحيد عامة فى بعض الانبياء وان لم تعم فروع شريعته لان منهم من قاتل غير قومه على الشرك ويحتمل انه لم يكن فى عهده غير قومه فبعثته خاصة وان عمت صورة * أقول هذا ما قاله ابن حجر فى شرح البخارى ولم يبين كون نوح أول الرسل مع من تقدمه من الانبياء وتحقيقه ان آدم صلى الله عليه وسلم كان نبيا رسولا ولكنه أرسل لبنيه ولم يظهر للكفر فى حياته قوة وأثار فكان كالعظيم الضابط لاهله وخدمه فلذا لم يكن كغيره من الرسل عليهم الصلاة والسلام وادريس تنبأ فى زمنه وشيث كان وصيه الى أن بعث الله تعالى نوحا فاظهر الناس الكفر ومخالفة دعوته حتى احتاج الى اهلاكهم فهو أول رسول بعث لدعوة الناس ومجادلتهم ومعاقبتهم ومن قبله لم يكن كذلك كما لا يخفى (وسماك الله عبدا شكورا) فى الكتب القديمة لانه كان كلما أكل أو شرب شكر ربه فاشتهر بذلك فى الامم السالفة والصحف الموحى بها كما نقل فى تفسير قوله تعالى ذرية من حملنا مع نوح انه كان عبدا شكورا على الاصح من ان الضمير راجع له لا لموسى كما قيل فانه قول غير مرضى (ألا ترى ما نحن فيه) من شدة الموقف وهوله (ألا ترى ما بلغنا) بسكون الغين المعجمة وفتحها أي ما وقعنا فيه من الكرب أو ما وصل الينا منه وقال النووى الاصح المعروف فتح الغين بدليل انه روى ألا ترون ما بلغكم ولو كان بالاسكان قال ما بلغتم والوجه ما تقدم (ألا تشفع لنا الى ربك) فى الخلاص مما نحن فيه (فيقول مثله) أي ما تقدم بعينه وفى نسخة التصريح به (فيقول ان ربى غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله نفسي نفسي) وقد تقدم

(ونهانى عن الشجرة) أي أكلها ٣٥٤ (فعصيت) أي بذوقها وهى شجرة الكرم وقيل السنبلة وقيل شجرة العلم عليها معلوم الله تعالى من كل لون وطعم ذكره الحلبي وفيها أقوال أخر وهى النخلة والتين والكافور ذكرها الحجازى (نفسي نفسي) أي أهم عندى من غيرى أو ألزم نفسى أو أخلص نفسى ولا أجترئ على غير مقامى (اذهبوا الى غيرى) من الانبياء والاصفياء عموما (اذهبوا الى نوح) أي خصوصا لانه أول أولى العزم من الرسل (فيقولون) أي فيأتون نوحا فيقولون (أنت أول الرسل الى أهل الارض) أي من الكفار والفجار فلا ينافى ان آدم أيضا مرسل الى أولاده الابرار وكذا شيث بن آدم وادريس جد نوح ولد شيث على ما عليه علماء الاخيار (وسماك الله عبدا شكورا) أي وصفك به حيث قال فى كتابه انه كان عبدا شكورا أي مبالغا فى الشكر مع انه تعالى قال وقليل من عبادى الشكور (ألا ترى ما نحن فيه) أي من الغم والحزن (ألا ترى ما بلغنا) بفتح الغين وجوز اسكانها أي وصلنا من الشدة (ألا تشفع لنا الى ربك) اي ليكون خلاصنا بسببك (فيقول ان ربى غضب اليوم) أي أظهر (غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله) أي لانقطاع تكليف من يؤاخذ بترك ما كلفه (نفسي نفسي)

شرحه

فيه ايماء الى قوله تعالى يوم تاتي كل نفس تجادل عن نفسها (قال) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (في رواية أنس ويذكر) أي نوح اعتذارا عن ترك الشفاعة في تلك الساعة (خطيئته التي أصاب) أي أصابها وتابها (سؤاله ربه) بيان أو بدل مما قبله (بغير علم) حال من الضمير في سؤاله ووجه العتاب انه كان الاولى ان يفوض الامر الى المولى ولم يقل ان ابني من أهلي حتى لا يقال انه ليس من أهلك عندي (وفي رواية أبي هريرة) أي زيادة في قول نوح (وقد كانت لي دعوة) أي مستجابة في حق العامة (دعوتها على قومي اذهبوا الى غيري) أي من بعدي من أكابر اخواني (اذهبوا الى ابراهيم فانه خليل الله فيأتون ابراهيم فيقولون أنت نبي الله تعالى) أي ورسوله (وخليله من أهل الارض) أي في زمانه (اشفع لنا الى ربك الاترى ما نحن فيه) أي من الكرب (فيقول ان ربي قد غضب اليوم غضبا فاذكر مثله) أي مثل آدم أو مثل نوح أو مثل ما تقدم (ويذكر ثلاث كلمات) أي في صورة كذبات وهي اني سقيم وفعله كبيرهم هذا وانها أختي لسارة (كذبهن) أي وليست كذبات وانما هي معاريض وتوريات حيث أراد بقوله فعله كبيرهم هذا معنى التبكيت بدليل قوله تعالى ان كانوا ينطقون وبقوله اني سقيم أي سأسقم لان من عاش يسقم أو يهرم ويموت وبقوله أختي في الاسلام الا ان الاولى لمراتب الانبياء تركها (نفسي نفسي لست لها) أي للشفاعة العظمى لكوني متلوثا بنوع من الخطايا (ولكن عليكم بموسى) استدراك لدفع ما أرهقهم من خيبة الامل ووصمة الخجل وعليكم اسم فعل والباء زائدة لمزيد الاستعانة أي الزموا موسى واستعينوا به على الشفاعة عند المولى (فانه كليم الله تعالى) ويقتضي انه ممن طال لسانه لا ممن كل بيانه

شرحه (قال في رواية أنس ويذكر خطيئته التي أصاب) صفة خطيئة والعائد محذوف أي التي أصابها أي التي عملها والانبياء عليهم الصلاة والسلام معصومون كلهم ولكنهم لشدة تعظيمهم لله تعالى وخوفهم منه يعدون ما صدر منهم نسيانا وسهوا وغفلة ذنبا عظيما والمراد بخطيئته ما فسره بقوله (سؤاله ربه بغير علم) فهو منصوب بدل أو عطف بيان من قوله خطيئته مفعول يذكر وقوله بغير علم صفة مصدر محذوف أو حال أي سؤالا كائنا بغير علم منه بان ما سأله لا يليق ان يسأله وهو قوله رب ان ابني من أهلي وقد وعدتني ووعدك الحق ان تنجي أهلي من الغرق وهو منهم فنجه فقيل له انه ليس من أهلك الذين آمنوا وعملوا الصالحات وانه عمل غير صالح فلا تسألني ما ليس لك به علم وابنه هذا هو كنعان وليس ربيبه وابن زوجته كما زعمه أهل الكتاب قيل انما عاقه هذا عن الشفاعة وزجره وجعل جهلا لانه ممن سبق عليه القول من أهله ودلت الحال على ما يمنعه من السؤال ولكن حب الولد شغله حتى اشتبه عليه أمره وهذا أقول قريب من قول من قال انه ظنه مؤمنا بدليل قوله تعالى اركب معنا ولا تكن مع الكافرين فلا وجه لتخطيئة قائله (وفي رواية أبي هريرة) في حق نوح عليه الصلاة والسلام (وكانت لي دعوة دعوت بها على قومي) اشارة الى ما ورد في الحديث ان لكل نبي دعوة والمراد ان الله تعالى وعد كل نبي بان يجيب له دعوة يدعو بها على جميع أمته فيستجاب أو يدعو بها لهم فلا ينافي كون دعاء الانبياء عليهم الصلاة والسلام مستجابا وهذا اعتذار منه عليه الصلاة والسلام في ترك الشفاعة ولذا عقبه بقوله (اذهبوا الى ابراهيم فانه خليل الله) وأبو الانبياء ومقتداهم فانه أحق بالشفاعة وأقدر عليها مني (فيأتون ابراهيم فيقولون) له (أنت نبي الله وخليله من أهل الارض) أي انفردت من بينهم بالخلة كما تقدم وفيه اشارة الى انه أهل للشفاعة (اشفع لنا الى ربك ألا ترى ما نحن فيه فيقول ان ربي قد غضب اليوم غضبا فاذكر مثله) أي مثل ما تقدم (ويذكر ثلاث كلمات كذبهن) هي قوله اني سقيم لما دعي الى أصنام وقوله لزوجته لما طلبها الملك منه انها أختي وقوله في حق الاصنام فعله كبيرهم هذا وهذا كله مخالف للواقع ولاعتقاده الا ان ابراهيم على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام لم يقصد به حقيقته وانما قاله لضرب من التأويل قصده فليس بكذب فان في المعاريض مندوحة منه وانما سماه كذبا نظرا لما يظهر منه للمخاطب وخاف أن يؤاخذه لعلو مرتبته وعظمة الربوبية عنده وان مقامه يقتضي ان لا يداري مخلوقا أو يخافه والا فهو صلى الله تعالى عليه وسلم كسائر الانبياء معصوم من الكذب وغيره وعدمنها في مسلم قوله في الكوكب هذا ربي والمشهور خلافه لانه ذكره على طريق الالزام والجدل ويلزمه زيادة على الثلاثة وقد صرح بالحصر فيها في بعض الروايات وقيل في قوله اني سقيم انه كانت به حمى حقيقة لا تعد سقما وفيه نظر وسيأتي تفصيله في محله ان شاء الله تعالى وهذا اعتذار منه عليه الصلاة والسلام في عدم الشفاعة (نفسي نفسي) أي أنا مشغول بنفسي وتخليصها (لست لها) أي لست أهلا للشفاعة لغيري (ولكن عليكم بموسى) استدراك لدفع ما لزم من كلامه الاول من خيبة أملهم ويأسهم من الشفاعة وعليكم اسم فعل والباء زائدة أي الزموه فانه أقدر مني وأقرب الى الله وهذا تواضع منه صلى الله تعالى عليه وسلم ثم بين مزيته عليه بقوله (فانه كليم الله) أي انه كلم الله في الارض شفاها من غير واسطة

(وفى رواية فانه عبد) فى نسخة عبد الله (آتاه الله التوراة) أى وهى من أعظم الكتب الالهية وأولها (وكلمه) أى تكليما (وقربه) أى تشريفا وتكريما (نجيا) أى مناجيا (قال فيأتون موسى فيقول لست لها) أى للحال التى ظننتم انى مستعد لها (ويذكر خطيئته التى أصاب) أى أصابها ووقع فيها (وقتله النفس) أى وقتله القبطى وهو عطف تفسيرى بدليل رواية بعض رواة البخارى بدون عاطفة وقد عده خطيئة كما عده من عمل الشيطان فى الآية وسماه ظلما واستغفر ربه منهجا على عادة الانبياء فى استعظامهم محقرات جائزة صدرت عنهم اذ لم يكن هذا عن عمد بل وقع خطأ فى كافر حربى ظالم على مسلم سبطى قبل الاذن بقتله وقد أبعد الدلجى فى شرحه للخطيئة بعجلته الى ربه فانها فى نفسها نقيصة ومن ثم عتبه عليها بشهادة وما أعجلك عن قومك يا موسى فانه سؤال عن سببها تضمن انكارها من حيث انها نقيصة انضم اليها اغفال قومه انتهى ولا يخفى ان هذه جراءة عظيمة ونقيصة فخيمة من الدلجى حيث أثبت خطيئة لكليم الله تعالى هو عنها نزيه وقد لاطفه سبحانه وتعالى بقوله وما أعجلك عن قومك يا موسى ليترتب عليه الجواب بالوجه الاولى كما قال تعالى وما تلك بيمينك يا موسى قال هى عصاى أتوكأ عليها وأهش بها على غنمى ولى فيها مآرب أخرى فكذا فى الجواب هنا قال هم أولاء على أثرى وعجلت اليك رب لترضى أى ما تقدمتهم الا بخطى يسيرة ابتغاء لمرضاتك فى المسارعة الى امتثال أمرك والمبادرة الى الوفاء بوعدك (ولكن عليكم بعيسى فانه روح الله تعالى) أى ذو روح خاص من خلقه أجراه فيه بنفخ جبريل فى جيب درع أمه فاحدثه فى بطنها بلا توسط مادة أو اضافته للتشريف كبيت الله وناقة الله (وكلمته) أى حيث كان بكلمة كن أو كان يكلم الناس فى المهد بطريق خرق العادة فكذا ينبغى ان يتكلم فى مقام الشفاعة وهول الساعة فى موقف القيامة (فيأتون عيسى فيقول لست لها) أى مجازا أو مأذونا لامرها (عليكم بمحمد) فان علمه ووصفه معلم بكون المقام المحمود له خاصة (عبد) بالجر على انه صفة لمحمد وبالرفع على تقدير هو عبد (غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر) أى بالنص فى كتابه وأما غيره فمن أبهم فى جوابه والحاصل انه غير معاتب بما صدر عنه فيطلب هذا المقام منه (فاوتى) بصيغة المفعول المضارع المتكلم من أتى يأتى وابدال الهمزة الثانية واو للاجتماع الذى وقع فيه الاجماع والمعنى فيأتون كما فى رواية وهى بتشديد النون أى فيجيئوننى ويطلبون الشفاعة منى (فاقول أنا لها) أى كائن أو معد أو مختص أو مدخر أو مأذون أو مخلوق (فانطلق) أى الى جهة العرش أو باب الجنة (فاستاذن على ربى) أى فى الطلوع الى الكرسى أو فى الدخول الى الجنة أو فى مقام الشفاعة لما ورد مصرحا به فى مكان لا يقف فيه داع الا أجيب ليس فيه بينه وبين ربه حجاب (فيأذن لى) أى ويتجلى على بظهور آثار الجمال وسر مكاشفة أستار الكبرياء والجلال (فاذا رأيته) أى علمته بهذا الحال من أوصاف الكمال (وقعت ساجدا) أى شكرا لما أنعم على من الافضال هذا ولا يدع أن يكون المراد بالرؤية رؤية الذات الجامعة لجوامع كمال الصفات فانه جائز فى الآخرة عند أهل السنة والجماعة خلافا للمحرومين

فهو أقوى على الشفاعة منى (وفى رواية أخرى فانه عبد آتاه الله التوراة) التى هى أعظم الكتب الالهية قبل القرآن (وكلمه) بيان لكونه كليما أو المراد أوحى الله اليه كلامه (وقربه نجيا) أى جعله قريبا منه حال كونه نجيا له أى مناجيا ومخاطبا له والقرب ليس مكانيا بل رتبيا (قال فيأتون موسى) عليه الصلاة والسلام (فيقول لست لها) أى لست أهلا للشفاعة لكم (ويذكر) موسى (خطيئته التى أصاب) أى التى وقعت منه وعاتبه الله عليها بقوله وما أعجلك عن قومك يا موسى كما هو مبين فى التفسير (وقتله النفس) وهو القبطى الذى استغاثه الاسرائيلى عليه فوكزه موسى فمات ولم يكن عامدا لقتله وانما هو لدفع الصائل ومثله جائز لكنه عليه الصلاة والسلام خشى المؤاخذة به ولذا استغفر منه وعده من فعل الشيطان فلا ينافى هذا عصمته عليه الصلاة والسلام ثم قال كما قال غيره (نفسى نفسى ولكن عليكم بعيسى) عليه الصلاة والسلام (فانه روح الله وكلمته) تقدم بيانه مفصلا (فيأتون عيسى) عليه الصلاة والسلام (فيقول لست لها لكن عليكم بمحمد عبد) بدل مجرور لا صفة كما قيل لانه نكرة ويجوز رفعه ونصبه وفى نسخة فانه عبد (غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر) أى غفر الله له كل ما صدر منه مما يعاتب عليه وان لم يكن معصية لعصمته من الذنوب ومن كان كذلك فهو جدير بقبول الشفاعة منه (فاوتى) بالبناء للمفعول أى فيأتينى أهل الموقف لسؤال الشفاعة لهم (فاقول لهم أنا لها) الفاء فصيحة أى فيسئلونى أن أشفع لهم فاقول لهم أنا أهل للشفاعة مدخر لها (فاستاذن على ربى) اى أطلب منه ان يأذن لى فى القرب منه والشفاعة للناس (فيؤذن لى) بالبناء للمجهول أى يأذن الله لى فى الدخول الى مكان لا يقف فيه داع الا أجيب وهو موقف ليس بينه وبين الله فيه حجاب وانما لم نقل من موقف العرض والحساب الى موقف آخر لان الموقف الاول محل سياسة وخوف والثانى موقف كرامة ولطف ورحمة فهو أدل على قبول الشفاعة واطمئنان قلب الشفيع (فاذا رأيته وقعت ساجدا) أى اذا رأى صلى الله عليه وسلم ربه عيانا

من سعادة الزيادة ثم الحكمة في نقله صلى الله تعالى عليه وسلم من موقف العرض والحساب المؤذن بحالة السآمة والملامة الى موقف الرحمة والكرامة لتقع الشفاعة موقع الاجابة لكن بتحري بدعائه موقف الخدمة فانه أحق بالاستجابة لموضع الحرمة وقد جاء في مسند أحمد ان هذه السجدة والسجدة الآتية بعدها مقدار كل سجدة جمعة من جمع الدنيا وجاء في بعض الاخبار ان كل يوم مقدار عشر سنين فهاتان السجدتان كل سجدة مقدار سبعين سنة (وفي رواية فآتي) أي فاجيء (تحت العرش فاخر ساجدا وفي رواية) أي بدل فآتي تحت العرش (فاقوم بين يديه) أي بين يدي العرش أو بين يدي ربه يعني في مقام العبودية والخلوص عن الملاحظة الغيرية (فاحمده بمحامد لا أقدر عليها) أي الآن كما في نسخة يعني لا أعرفها في الدنيا ولا أقدر على

ان أعبر عنها رواية و يلهمني محامد أحمده بها لا تحضرني الآن (الا انه) أي لكنه سبحانه وتعالى (يلهمنيها) أي في ذلك المقام لتكميل المرام وفي نسخة الان يلهمنيها وفي أخرى ان يلهمنيه الله وفي نسخة بمحامد لا أقدر عليه قال النووي هكذا هو في الاصول يعني في أصول مسلم قال وهو صحيح ويعود الضمير في عليه الى الحمد (وفي رواية فيفتح الله على بمحامد) وفي النسخة من محامده (وحسن الثناء عليه) عطف تفسيري على ماقاله الدلجي والاظهر هو التاسيس بالمغايرة فان الثناء أعم من الحمد كما لا يخفى من ان الحمد قد يرد بمعنى الشكر (شيأ) أي عظيما (لم يفتحه على أحد قبلي)

أي ولا بعدي من باب الاكتفاء أو بالبرهان الاولى أو المعنى قبل وقتي هذا (قال في رواية أبي هريرة رضي الله تعالى عنه فيقال يا محمد ارفع رأسك) أي رفع الله قدرك (سل) أي لنفسك (تعطه) بهاء السكت على بناء المفعول مجزوما على جواب الامر (واشفع) أي في حق غيرك (تشفع) بتشديد الفاء المفتوحة أي تقبل شفاعتك ولا ترد دعوتك (فاقول يا رب أمتي يا رب أمتي) أي أسئلك عفوهم أولا وعفو غيرهم آخرا أولوحظ في الامة معنى التغليب للاشرفية أو كان جميع الامة في تلك الحالة كامتة لرجوعهم الى حضرته والتجائهم الى دعوته والتكرير للتاكيد أو أمتي حقيقة أمتي كافة مجازا وهذا كله اذا أريد بالمقام المحمود من الشفاعة الكبرى كما هو الظاهر من السياق والسباق واللحاق (فيقول) أي الله سبحانه وتعالى أو ملك بامره وفي نسخة (فيقال ادخل من أمتك) أي من أهل الاجابة

عيانا سجد تعظيما لله وشكرا له على تقريبه له وفيه دليل على وقوع رؤية الله في الآخرة (وفي رواية فآتي تحت العرش) أي آتي أنا مكانا تحت العرش قريبا منه (فاخر ساجدا) أي أقع وأسقط في ذلك المكان ساجدا لله سجدتين وقال الراغب خر بمعنى سقط سقوطا يسمع معه صوت كصوت خرير الماء والريح وغير ذلك مما يسقط من علو وقوله خروا سجدا تنبيه على اجتماع أمرين السقوط وحصول الصوت منهم بالتسبيح وقوله تعالى وسبحوا بحمد ربهم تنبيه على ان ذلك الخرير كان تسبيحا بحمد الله لا بشئ آخر انتهى وقال التلمساني هذا المكان الذي يأتيه صلى الله تعالى عليه وسلم يسمى بخصة العرش وهي دار عظيمة وجنة هي أوسع الجنان وأكثرها بساتين يجتمع فيها أهل الجنة لرؤية ربهم في كل جمعة ولم تعد الا لرؤيته تعالى ولا كرام من أكرمه الله برضوانه ومشاهدة عظمة ملكوته مع تنزهه عن الحلول والمكان وفي المشارق بدل قوله فآتي فيأتوني وفي شرحه للكازروني انه سمع بتشديد النون وبه ضبط قال البرهان ومقدار كل سجدة جمعة من جمع الدنيا كما في مسند أحمد وقيل مقدارها سبع سنين فانظره (وفي رواية فاقوم بين يديه) أي بين يدي الله تعالى وهو تمثيل لشدة القرب منه وتصويرله وقيل الضمير للعرش وهو بعيد كيف (فاحمده بمحامد لا أقدر عليها الآن) أي لا أحسنها ولا أعرف كيفيتها في الدنيا (الا أن يلهمنيها الله) أي الا ان يوقعها الله في قلبي بالهام منه والهام الانبياء عليهم الصلاة والسلام نوع من الوحي وهو في غيرهم ليس بحجة لانه لا ينبني على دليل (وفي رواية فيفتح الله على من محامده) هو قريب معنى من قوله يلهمني لان الفتح ازالة الاغلاق الحسي كفتح الباب والقفل ثم شاع في حصول الشئ ابتداء من غير عسر (وحسن الثناء عليه) هو عطف تفسير لما قبله (شيأ لم يفتحه على أحد قبلي) مطلقا أو المراد انه لم يتيسر لغيره من الرسل قبله ولا بعده ففيه اكتفاء (قال في رواية أبي هريرة فيقال لي) وأنا ساجد (يا محمد ارفع رأسك) من السجود (وسل) ماشئت من الشفاعة وغيرها (تعطه واشفع تشفع) والفعلان مجزومان في جواب الامر (فارفع رأسي فاقول يا رب أمتي يا رب أمتي) أي ارحم أو انج أمتي وفي رواية تأتي أمتي بدون قوله يا رب وهو معنى الرواية الاولى على الصحيح وقيل انه يحتمل النداء أي يا أمتي وناداهم ليأتوه ويكونوا معه لينجوا مما هم فيه وانما خصهم على ان هذه الشفاعة هي الشفاعة العظمى الشاملة لسائر الامم اعتناء بهم واشارة الى انهم المقصودون بالذات من بينهم وحذف الفاعل لضيق المقام وشدة الاهتمام بتعجيل خلاصهم ولذا كرر (فيقول) الله له بعد رفع رأسه (ادخل من امتك) أي أذن له في دخول الجنة

(من لاحساب عليه) أى لامؤاخذة ولاعتاب اماعدلا واسافضلا وهو الاظهر فضلا (من الباب الايمن) أى الابرك أو الاقرب بكونه يمينا فان أبواب الجنة من جهة اليمين لاشك انها كثيرة كما يشير اليه قوله (من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيماسوى ذلك من الابواب) أى ان اختاروا ادخولهم منها وهذا غاية التعظيم ونهاية التكريم انه يعرض عليهم جميع الابواب ويختار لهم الافضل الابرك الاقرب الى ذلك الجناب قال المؤلف فى شرح مسلم للجنة ثمانية أبواب باب الصلاة وباب الصدقة وباب الصوم ويقال له الريان وباب الجهاد وباب التوبة وباب الكاظمين الغيظ والعافين عن الناس وباب الراضين ثم قال فهذه سبعة أبواب جاءت فى الاحاديث ولعل الثامن هو الباب الايمن الذى يدخل منه من لاحساب عليه والله تعالى أعلم (ولم يذكر) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (فى رواية أنس رضى الله تعالى عنه) أى عنه (هذا الفصل) أى من الكلام وهو قوله عليه الصلاة والسلام فى رواية أبى هريرة فيقال يا محمد ارفع رأسك الى قوله فيماسواه من الابواب (وقال) أى فى رواية أبى هريرة رضى الله تعالى عنه (مكانه) أى بدل ماسبق (ثم أخر) بفتح همز وكسر خاء معجمة فتشديد راء أى أسقط (ساجدا) أى لله متوسلا به لانه أقرب حال يكون العبد من ربه فى مقام قربه (فيقال لى يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك) أى كل كلامك (واشفع تشفع وسل تعطه) أى جميع مرامك (فاقول يارب أمتى أمتى فيقال انطلق فمن كان فى قلبه مثقال حبة) أى وزنها (من برة) بضم موحدة وتشديد راء أى حنطة (أوشعيرة) شك من الراوى فى رواية مسلم (من ايمان) أى من ثمراته من اعمال القلب كشفقة على مسكين أو خوف من الله تعالى أونية صادقة أونحو ذلك والله تعالى أعلم لان نفس الايمان لايتجزأ أو يدل عليه وهو ماجاء فى رواية أخرى ولو كان فى قلبه من الخير مايزن كذا (فاخرجه) أى من النار أومن موقف العار (فانطلق) أى فاذهب (فافعل) أى ماأمرت به من اخراج من يستوجب العذاب قال الغزالى وفى مفهوم هذا الحديث ان من ايمانه يزيد على مثقال حبة من برة أو شعيرة لايدخل النار اذلو دخل لامر باخراجه أولا ول ومن أهل النار من يعذب قليلا ومنهم من يعذب ألف سنة وأقصاه فى حق المؤمنين سبعة آلاف سنة قال وذلك آخر من يخرج من النار ماورد فى الاخبار (ثم أرجع الى ربى) أى الى مقام الخطاب (فاحمده بتلك المحامد وذكر مثل الاول) أى مثل ماتقدم أومثل ماذكر الراوى الاول وهو قوله ثم أخر ساجدا الخ (وقال فيه) أى فى هذا الحديث من رواية مسلم (مثقال حبة من خردل) أى من ايمان والخردل بالدال حب الرشاد والواحد خردلة (فافعل) وفى نسخة قال فافعل (ثم أرجع) أى الى ربه كما فى نسخة صحيحة (وذكر مثل ماتقدم وقال) فى نسخة ثم قال (فيه) أى فى الحديث من رواية مسلم (من كان فى قلبه أدنى أدنى أدنى) ثلاث مرات كذا فى أصول مسلم على ماذكره النووى

(من لاحساب عليه) أى خواص أمتك المتقين الذين لاذنب لهم يحاسبون بسببه (من الباب الايمن من أبواب الجنة) الذى هو أشرف أبوابها وهو الباب الثامن وهو مخصوص باتقياء هذه الامة (وهم) أى الذين لاحساب عليهم (شركاء الناس فيماسوى ذلك) وفى نسخة فيماسواه (من الابواب) وهى باب الصدقة وباب الصوم ويقال له الريان وباب الجهاد وباب التوبة وباب الكاظمين الغيظ والعافين وباب الراضين وباب الصلاة كما بينه المصنف رحمه الله تعالى فى شرح مسلم (ولم يذكر فى رواية أنس هذا الفصل) الذى فى رواية أبى هريرة من قوله فيقال يا محمد ارفع رأسك الى هنا (ثم قال مكانه) وفى نسخة وقال مكانه أى أتى به بدلا منه (فاخر) وفى نسخة ثم أخر (ساجدا فيقال لى يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك واشفع تشفع وسل تعطه) الضمير لما سأل أوهو هاء سكت للوقف (فاقول يارب أمتى فيقال انطلق) أمر أى اذهب من مقام الشفاعة المقرب به (فمن كان فى قلبه مثقال حبة من برأوشعير) المثقال بكسر الميم وسكون المثلثة معناه موازن وموازلانه يقابله ليعرف مقدار ثقله فعبر به عن مطلق المقدار ومن برالى آخره بيان للحبة وهى واحدة البر المعروف وقوله (من ايمان) بيان لمثقال أى من كان فى قلبه أقل قليل من الايمان والموزون صحف الاعمال أوهى نفسها بناء على جواز تجسيم الاعراض وأمور الآخرة لاتقاس بامور الدنيا (فاخرجه) بقطع الهمزة أمر من الاخراج معطوف على الامر قبله (فانطلق فافعل) ماأمرنى به الله من اخراج من فى قلبه أقل قليل من الايمان وهذه الشفاعة ان كانت هى الشفاعة العظمى فالمراد باخراجهم تخليصهم من هول الموقف وكربه وان كان المراد مابعدها فالمراد اخراجهم من النار واطلاقه صلى الله تعالى عليه وسلم كان من مقام القرب الذى وقع فيه الشفاعة كما تقدم ولذا قال (ثم أرجع الى ربى فاحمده بتلك المحامد) التى ألهمتها كما تقدم (وذكر مثل الاول) أى مثل الكلام الاول فى قوله فاخر ساجدا الخ (وقال فيه) أى فى الحديث الذى رواه مسلم (مثقال حبة من خردل) وهو حب معروف فى غاية الصغر والمعنى واحد فى كونه كناية عن غاية قلة الايمان (قال فافعل ثم أرجع الى ربى وذكر مثل ماتقدم وقال فيه) كما رواه مسلم (من كان فى قلبه أدنى أدنى)

(من مثقال حبة من خردل) وهذا كله مثل للقلة لان الايمان والمعرفة عرض لا يوزن بالكمية وانما يختلف باعتبار الكيفية (فافعل) وفي نسخة قال فافعل أي في المرة الثالثة ما أمرت به من الاخراج (وذكر في المرة الرابعة) أي من رواية البخاري (فيقال لي ارفع رأسك وقل تسمع) كما في نسخة أي يجب قولك وتستجب دعوتك (واشفع تشفع وسل) وفي نسخة واسئل (تعطه فاقول يارب ائذن لي فيمن) أي في شفاعة من (قال لا اله الا الله) أي في اخراج من اكتفى بالتوحيد المقرون باقرار النبوة من النار وادخاله في دار الابرار وفي هذا اشعار بان ماسبق من تقدير مثقال حبة ونحوها من الايمان ثمرته المعبر عنها بالايقان أو العمل بالاركان لا مجرد

وهو أفعل تفضيل من الدنو وأصل معناه القرب في المكان أو الزمان أو المنزلة كقوله تعالى قنوان دانية ثم عبر به عن الاقل ويقابل بالاكثر وعن الاصغر ويقابل بالاكبر وعن الارذل ويقابل بالخير كما قال تعالى أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير وأفعل هنا مضافة لما بعدها للمبالغة أي أقل من الاقل وفي صحيح مسلم من رواية أنس تكرير لفظ أدنى ثلاثا وهو كذلك في بعض نسخ الشفاء وفي بعضها كرر مرتين ووقع كذلك في صحيح البخاري من رواية الكشميهني وقوله (من مثقال حبة من خردل) بيان لادنى الادنى وقوله (فافعل) أي أخرج من في قلبه أقل قليل من الايمان (وذكر في المرة الرابعة) من رجوعه الى ربه ومراجعته له في الشفاعة فانه وقع مرارا في رواية البخاري وفيما ذكر دلالة على ان الايمان يزيد وينقص فان قلنا بدخول اعمال الطاعة مطلقا أو الفرض فهو ظاهر وان قلنا انه لمجرد التصديق القلبي فاختلف فيه فقيل لا يقبله فانه لا يقبله الا باحتمال النقيص وهو كفر وذهب العضد وغيره من المحققين الى انه يقبله أيضا فان اعتقادنا وتصديقنا ليس كتصديق الانبياء عليهم الصلاة والسلام وتفاوته باعتبار قبوله التشكيك وعدمه وتحقيقه في الكتب الكلامية (فيقال لي ارفع رأسك وقل تسمع) أي تجب ويقبل رجاؤك (واشفع تشفع وسل تعطه فاقول يارب ائذن لي في) الشفاعة واخراج (من قال لا اله الا الله) أي من نطق بكلمة التوحيد والظاهر انه مع اعتقاده لذلك اعتقادا ما من غير مناقشة له وتفتيش عن حاله فما قيل من انه ان اعتبر تصديق القلب اللسان فهو كمال الايمان فما وجه الترقي من الادنى المؤكد وان لم يعتبر دخل فيه المنافق وهو مشكل غير متجه فتدبر (قال) أي الله تعالى (ليس ذلك اليك) أي ليس ذلك مفوضا اليك بل الي (ولكن وعزتي وكبريائي وعظمتي) قسم دال على تحقق المقسم عليه والعزة الغلبة والقهر والكبرياء بمعنى الترفع عن الانقياد والعظمة ظهور ذلك وزيادته وهي متقاربة (وجبريائي) بالمد مضاف لياء المتكلم وجيمه مكسورة وجوز فتحها وباؤه ساكنة وقيل انه مقصور ومد لمشاكلة الكبرياء ورد بانه سمع كذلك من غير ازدواج وهو والجبروت بفتح الباء وسكونها بمعنى وتاؤه للمبالغة كالملكوت (لاخرجن من النار من قال لا اله الا الله) من غير شفاعة أحد واستدل بهذا الكرامية على ان مجرد النطق بكلمة الشهادة كاف في صحة الايمان ولا حجة لهم فيه وفيه رد على من قال بخلود أصحاب الكبائر من المعتزلة وما خص النبي صلى الله تعالى عليه وسلم باخراجه من أمر ايمانه مزيد يقين أو عمل وما أخرجه رب العزة من تجرد ايمانه عن كل شيء عداه ويدل له قوله في حديث الشيخين الذي فيه لم يبق الا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار يخرج فيها قوما لم يعملوا خيرا قط يعني غير قولهم لا اله الا الله خالصا من قلبه كما ورد في رواية أخرى وقوله من قلبه للتأكيد كنظرت بعيني وسمعت باذني (ومن رواية قتادة عنه) أي عن أنس رضي الله تعالى عنه (قال) أي أنس لا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كما توهم لان الشك في قوله (فلا أدرى في الثالثة أو الرابعة) انما هو من

الايمان الذي هو التصديق القلبي والاعتراف اللساني فكأنه أراد بمن قال لا اله الا الله من لم يصدر عنه عبادة سواه (قال ليس ذلك) أي الامر بالشفاعة في حقه راجعا (اليك) ولعل وجهه انه لم يصدر عنه ما يوجب المتابعة الباعثة على الشفاعة وانما وقع منه مجرد الطاعة لامر الالهي بالتوحيد الرباني وقبول ارسال النبي الصمداني هذا ولما كان النفي موهما أن لا شفاعة لهم أصلا ولا خلاص لهم فضلا وانما يجب عذابهم عدلا كما توهم المعتزلة في هذه المسئلة فضلا استدرك سبحانه وتعالى وأكده بالقسم وعظم شانه بقوله (ولكن وعزتي وكبريائي) أي ارتفاع مقامي (وعظمتي وجبريائي) بكسر الجيم والراء ممدودا قيل أي به كذا اتباعا والصحيح انه لغة في

الجبروت أي وجبروتي المشعر بالجبر والقهر المشير الى اني لا أبالي (لاخرجن من النار من قال لا اله الا الله) أي ولو مرة من غير تكرار وأكثار يعني من شهد انه لا معبود موجود قادر على كل شيء سواه وبه خص عموم حديث البخاري أسعد الناس بشفاعتي من قال لا اله الا الله خالصا من قلبه أي وعمل عملا صالحا ربه ويؤيده حديث الشيخين ولم يبق الا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط أي غير لا اله الا الله (ومن رواية قتادة عنه) أي عن أنس رضي الله تعالى عنه (قال) أي النبي عليه الصلاة والسلام (فلا أدرى في الثالثة أو الرابعة) اعتراض بين قال ومقوله أفاد صدور شك اما من أنس أو من قتادة في أيتهما قال

(فأقول يارب مابقي في النار الامن حبسه القرآن) أي منعه ترك الايمان بما نزل به القرآن وقوله (أي من وجب عليه الخلود) حاصل المعنى وخلاصة المبنى وهذا تفسير قتادة قيل ومعناه من أخبر القرآن انه مخلد في النار وهم الكفار (وعن أبي بكر) أي الصديق رضي الله تعالى عنه برواية أحمد وابن حبان (وعقبة بن عام) أي برواية ابن أبي حاتم وابن مردويه (وأبي سعيد) أي برواية الترمذي (وحذيفة) أي برواية أبي داود في البعث (مثله) أي مثل حديث أنس (قال فيأتون محمدا فيؤذن له) أي بالشفاعة (وتاتي الامانة والرحم فتقومان) بالتانيث تغليبا (جنبتي الصراط) بفتح النون وتسكن أي جانبيه وناحيتيه وطرفيه يمنة ويسرة والمعنى انهما يمثلان أو يجسمان فيشهدان للامين والواصل وعلى الخائن والقاطع وقال بعضهم ويجوز ان تحمل الامانة على الامانة العظمى المؤذن بها آية انا عرضنا الامانة والرحم على صلتها الكبرى المشير اليها قوله تعالى يا أيها الناس اتقوا ربكم الى قوله تعالى واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام فيدخل في الحديث معنى التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله فكأنهما اكتنفتا جنبتي الصراط المستقيم والدين القويم هذا وقد جاء ان الصراط صعوده ألف سنة واستواؤه ألف سنة وهبوطه ألف سنة وفي مسلم عن أبي سعيد بلغنا انه أحد من السيف وأدق من الشعر وهذا جاء مسندا مرفوعا عنه عليه الصلاة والسلام واما قول الحلبي فان قيل الصراط مم هو فقال فالجواب انه شعرة من جفون عين مالك فغير منقول المبنى ولا معقول المعنى فلا يجزم بهذا الجواب بل يقال في مثل هذا لا أدري لانه نصف العلم والله تعالى أعلم بالصواب (فذكر) وفي نسخة وذكر بالواو (في رواية ابن مالك) كما أخرجه أبو داود في البعث (عن حذيفة فيأتون محمدا فيشفع فيضرب الصراط) بصيغة المجهول أي فيوضع على متن جهنم جسر ممدود وفي حديث الحاكم على شرط مسلم ورواه غيره أيضا يوضع الصراط مثل حد الموسى

الراوي والمراد بالثالثة والرابعة مرات مراجعته ربه وانطلاقه لاخراج المشفوع لهم قيل في هذا الحديث اشكال لان أوله يدل على ان هؤلاء أهل الموقف والمحشر وآخره يدل على انهم دخلوا النار فاخرجوا منها بشفاعته وأجيب بانهم صاروا فرقتين فرقة في المحشر شفع لهم فلم يعذبوا وفرقة دخلوها ثم أخرجوا منها بشفاعته ففي الكلام اختصار وطي (فأقول يارب مابقي في النار الامن حبسه القرآن أي وجب عليه الخلود) أي لم يبق بعد هؤلاء الخارجين الامن حكم الله في القرآن بخلوده في العذاب ولم يؤذن في الشفاعة لهم وهم المنافقون والكفار لقوله تعالى ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا أي شفيعا وقوله ان الله لا يغفر أن يشرك به ونحوه من الآيات كقوله تعالى ان الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا (وعن أبي بكر) الصديق (وعقبة بن عامر وأبي سعيد) الخدري الصحابي المشهور (وحذيفة) بن اليمان (مثله) أي مثل الحديث السابق (قال) أي قال كل واحد منهم أو النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الاان قوله صلى الله تعالى عليه وسلم (فيأتون محمدا) بياء ظاهر اذ الظاهر ان يقول يأتوني أي يأتونه صلى الله تعالى عليه وسلم بعد مراجعة الانبياء وذكرهم العذر في عدم الشفاعة لهم والآتون هم أشراف أهل المحشر من أتباع الرسل وقال الغزالي في الكشف انهم العلماء العاملون يلهمهم الله تعالى طلب ذلك من الانبياء قال وبين اتيانهم لكل نبي وآخر بعده ألف عام لكن قال الحافظ ابن حجر هذا التعيين للزمن لم أقف له على أصل وقد أكثر في كتبه من مثله فلا تغتر به انتهى (فيؤذن له) أي يأذن الله تعالى لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم في الشفاعة (وتاتي الامانة والرحم فتقومان عن جنبي الصراط) أي ناحيتيه يمنة ويسرة واحدة جنبة بفتح النون وسكونها والامانة ضد الخيانة والرحم القرابة وأصلها مقر الحمل يعني انهما يمثلان ويجسمان بقدرة الله تعالى ليشهدا على الخائن وقاطع الرحم وخلافهما وقيل المراد بالامانة العظمى التي في قوله تعالى انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال وهي التوحيد والاقرار به في عالم الذر التي فطر الناس عليها والرحم هي المذكورة في قوله تعالى واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام وهذا التعظيم أمر الله وشفقته على خلقه وفي هذا ونحوه مما بلغ حد التواتر المعنوي رد على المعتزلة المنكرين للصراط كما بين في الكتب الكلامية ورأى يحيى بن اليمان رجلا نائما وهو اسود الرأس واللحية شاب فاستيقظ وهو أبيض شعر الرأس واللحية فاخبره انه رأى في منامه كأن الناس قد حشروا واذا بنهر من نار وجسر يمر عليه الناس فدعي فدخل الجسر فاذا هو كحد السيف يمور به يمينا وشمالا فشاب من ذلك (وذكر في رواية أبي مالك عن حذيفة فيأتون محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم فيشفع لهم) في الخلاص من الموقف وهوله نسأل الله السلامة (فيضرب الصراط) أي يوضع كما ورد في رواية أخرى وعبر به فيما يأتي من ضرب الخيمة اذا نصبها وعبر بالضرب لدق أوتاده وأطرافه وتوهم بعضهم ان الضرب بمعنى الجلد

(فيمرون) أي عليه كما في نسخة وجاء في رواية فيتهافت أهل النار فيها وينجو أهل الجنة منها كما قال تعالى ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا (أولهم كالبرق) أي الخاطف كما في رواية (ثم كالريح والطير) أي وكالطير (وشد الرجال)

فقال ان ضربه يشعر بمرور الصراط نفسه مع من عليه فان كان المراد مرور من عليه فضربه لاستعجالهم وتخويفهم وهذا مما يقتضي منه العجب وهو جسر ممدود أي منصوب عليها العبور المسلمين عليه الى الجنة وعن الفضيل بن عياض قال بلغنا ان الصراط مسيرة خمس عشرة ألف سنة خمسة الآلاف صعود وخمسة الآلاف مستوى لا يجوز عليه الا ضامر مهزول من خشية عز وجل وهذا معضل لا يثبت فتأمل نفسك اذا جزت على الصراط ووقع بصرك على جهنم من تحته ثم قرع سمعك شهيق النار وزفيرها وسوادها وسعيرها وكيف بك اذا وضعت احدى رجليك عليه فاحسست بحده ثم اضطررت الى ان ترفع القدم بعد القدم والخلائق بين يديك يزلون والزبانية تلتقطهم بالخطاطيف والكلاليب وأنت تنظر الى ذلك فياله من منظر ما أقطعه ومدبصر ما أصعبه ومجاز ما أضيقه نسأل الله السلامة والاعانة والعافية انتهى وهو على متن جهنم أدق من الشعرة وأحد من السيف أو الموسى وعند ابن المبارك وابن أبي الدنيا عن سعيد ابن هلال بلغنا ان الصراط أدق من الشعرة على بعض الناس ولبعض الناس مثل الوادي الواسع وهو مرسل أو معضل انتهى كما ورد في الحديث وما قيل انه شعرة من عين مالك لا أصل له وانما هو من أكاذيب الوعاظ وأصحاب القصص والصراط بالصاد والسين والزاي كما بين في اللغة وكتب التفسير وعلم القراآت (فيمرون) أي يمر الناس عليهم فمنهم من يقع في النار ومنهم من ينجو وهم فرق (أولهم كالبرق) في السرعة من غير مهلة ومشقة (ثم كالريح والطير) في السرعة مع الزمان الممتد أكثر من الاول (وشد الرجال) بالجيم جمع رجل ضد المرأة كما صحح في النسخ والشروح وصحح العزفي تلميذ المص رواية عنه كما نقله التلمساني انه الرحال بالحاء المهملة جمع راحلة وهي رواية ابن ماهان والمراد به هنا البعير فقد ذكر بعضهم ان الرحل ما يوضع على البعير ويعبر به تارة عن البعير انتهى فاقيل ان روايته بالحاء المهملة خطأ خطأ وان كان لا يخلو من التكلف وفي بعض الشروح هنا ما يتعجب منه ولا حاجة لنا بايراده والشد سرعة الجري وقال الراغب انه مستعار من قولهم أشد الريح وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم (ونبيكم صلى الله تعالى عليه وسلم) في هذا الحديث يعني به نفسه على طريق التجريد المعروف في علم البديع (على الصراط) يحتمل انه على ظاهره ويحتمل ان المراد انه صلى الله تعالى عليه وسلم وقف عنده لكنه لقربه منه كالواقف عليه (يقول اللهم سلم سلم) جملة حالية تدل على اعتنائه صلى الله عليه وسلم بهم والدعاء لهم بالسلامة من الوقوع في جهنم (حتى يجتاز الناس) يجتاز افتعال من الجواز وهو المرور وهو غاية لقوله أي لا يزال يقوله حتى يمروا أو علة له أي قوله حتى يسلموا فيمروا والناس أعم من أمته (وذكر آخرهم جوازا الحديث) أي أذكره أي سمى آخر من يمر على الصراط قيل هو هناد وقيل جهينة وقيل هما واحد وأحدهما اسم والآخر لقب والذي رأيناه ان جهينة آخر من يخرج من النار وعند جهينة الخبر اليقين كما ذكر في كتب الحديث وفي شرح التلمساني قيل آخر من يخرج من النار هناد ولم يقع اسمه في الصحيح وروى ان الحسن قال ياليتني كنت هنادا فقيل انما تمنى هذا لانه علم انه قطع له بخاتمة الايمان في الحديث وقيل لان بدخوله الجنة كملت النعمة على أهلها لانهم كالجسد الواحد انتهى (وفي رواية أبي هريرة فاكون أول من يجيز يومئذ) هذا مما رواه الشيخان فهو أول من يجيز أمته من الرسل وهو يقتضي ان المراد بالناس السابق أمته وانهم أول الامم جوازا على الصراط فله صلى الله عليه وسلم قصب السبق في كل أمر فهو أول من نبئ في عالم الارواح والذر وأول من يشفع وأول من يفتح باب الجنة وأول من يدخلها

بالجيم أي عدوهم وجريهم وقد اخطئ من رواه بالمهملة وهو العزفي وجعله جمع رحل وهي رواية ابن ماهان والمراد به هنا الناقة فان الرحل ما يوضع على البعير ثم يعبر به تارة عن البعير مجازا لكن الاول هو الصحيح المعروف بخط المصنف مضبوط بالجيم وهو كذا لكافة رواة مسلم وعند الهروي الرحال بالحاء قال ابن قرقول وهو تصحيف هذا وقد أغرب بعضهم في قوله ان المرور للصراط بهم (ونبيكم) بالرفع يعني نفسه على طريقة التجريد (على الصراط) أي مستعليا (يقول اللهم سلم سلم) التكرير للتكثير أي بالنسبة الى كل أحد من دعوة التغرير ويؤيده قوله (حتى يجتاز الناس) وحتى تحتمل الغاية والعلة (وذكر) أي النبي عليه الصلاة والسلام (آخرهم جوازا) بفتح الجيم أي مرورا على الصراط ولو روى بكسرها لجاز ويكون معناه مجاوزة عنه (وفي رواية أبي هريرة رضي الله تعالى عنه فأكون أول من يجيز) بضم الياء وكسر الجيم وبالزاي أي من يمضي عليه ويقطعه وفي نسخة يجوز وهما لغتان يقال جاز وأجاز بمعنى كما ذكره النووي وزاد في نسخة صحيحة يومئذ

(وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنه عنهما) أى كما رواه الشيخان (عنه عليه الصلاة والسلام يوضع) بجوز تذكيره وتأنيثه (للانبياء منابر) أى على قدر مراتبهم (يجاسون عليها ويبقى منبرى لاأجلس عليه قائما) أى تاركا جلوسى حال قيامى (بين يدى ربى منتصبا) أى على هيئة طالب الحاجة عند صاحب النعمة (فيقول الله تبارك وتعالى ماتريد ان أصنع بامتك فاقول يارب عجل حسابهم فيدعى بهم فيحاسبون فمنهم من يدخل الجنة برحمته) أى بتوفيق طاعته (ومنهم من يدخل الجنة بشفاعتى) أى لتقصيره فى متابعتى (ولا أزال أشفع حتى أعطى) بصيغة المفعول للمتكلم (صكاكا) بكسر الصاد جمع صك بفتح الصاد فارسى معرب أى كتبا (برجال) أى باشخاص كتب فيها أسماؤهم (قد أمر بهم الى النار) أى أولا فيقع خلاصهم بالشفاعة آخرا (حتى ان خازن النار) بكسر الهمزة وفتحها (ليقول) بفتح اللام المؤكدة (يامحمد ماتركت لغضب ربك فى أمتك من نقمة) بكسر نون وسكون قاف ويقال انها كلمة أى عقوبة وفى نسخة بقية أى من نفس باقية (ومن طريق زياد) أى ابن عبدالله (النميرى) بضم النون وفتح الميم بصرى اختلف فى توثيقه وتضعيفه (عن أنس) كما رواه البيهقى وأبو نعيم (ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال أنا أول من تنفلق) بالفاء بعد النون أى تنشق وتنفرق (الارض عن جمجمته) بضم الجيمين أى عن رأسه ومنه قوله تعالى فالق الحب والنوى أى شاقهما للانبات والمعنى انه أول من ينشق عنه القبر فى البعث (ولا فخر) أى ولا أقول فخرا بل أتحدث شكرا أو أمتثل أمرا (وأنا سيد الناس يوم القيامة ولا فخر (ومعى

وأول من يجيز أمته على الصراط ويجيز مضارع وليس بمعنى جاز كما قيل (وعن ابن عباس) رضى الله تعالى عنهما (عنه صلى الله تعالى عليه وسلم) انه قال (توضع للانبياء) عليهم الصلاة والسلام فى أرض المحشر (منابر من نور) جمع منبر أى كرسى مرتفع (يجلسون عليها) والناس وقوف على أقدامهم اكراما لهم وتمييزا لهم عمن عداهم برفعة مقامهم ليسر المؤمن بهم ويخزى من كفر (ويبقى منبرى) خاليا يعنى (لاأجلس عليه) حال من المضاف وقوله (قائما) حال من فاعل اجلس فهى متداخلة لاحال بعد حال (بين يدى ربى منتصبا) أى قريبا منه تعالى قربا معنويا التنزهه عن الزمان والمكان والجارحة فهو تمثيل وقيامه صلى الله تعالى عليه وسلم مع جلوس غيره من الانبياء فيه زيادة تكريم له لما فيه من الاشارة الى أنه من المقربين فى حظائر القدس الناظرين فى أمور غيرهم عند ربهم ولذا فرع عليه قوله (فيقول الله ماتريد ان أصنع بامتك) لما فيه من الدلالة على زيادة محبته واكرام اتباعه اذ هو فى صورة الاستشارة له (فاقول يارب عجل حسابهم) أى قدم النظر فى أمورهم على غيرهم حتى يخلصوا من هول الموقف ويدخل الجنة من هو داخلها منهم ويعلم من عذب منهم عدم خلوده فى النار فلامنافاة بين هذا وحديث من نوقش الحساب عذب ولذا قالت عائشة رضى الله تعالى عنها لايحاسب أحد يوم القيامة الادخل الجنة (فيدعى بهم) أى بامة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وهو مبنى للمجهول كقوله (فيحاسبون فمنهم من يدخل الجنة برحمته) تعالى من غير شفاعة لغلبة حسناته على سيآته ولطف الله تعالى به (ومنهم من يدخل الجنة بشفاعتى) له وذلك رحمة أيضا (ولا أزال أشفع) فى العصاة (حتى أعطى صكاكا) غاية أو علة لاستمرار شفاعته وامتدادها وصكاك بالصاد المهملة وكاف مكررة جمع صك كصكوك واصك وهو الورقة التى تكتب للصالح والعرف خصها بحجة القاضى وهو معرب جك بالجيم المعجمة (برجال قد أمر بهم الى النار) فهى متعلقة بهم فكأنها ترسل خلفهم بعد ذهاب ملائكة العذاب بهم وأمر مبنى للمجهول أى أمرهم الله باخذهم ليدخلوها أو باخراجهم بعدمادخلوها (حتى ان خازن النار) الملك الموكل بها وهو مالك أو المراد خزنتها فيشمل مالكا واتباعه (ليقول) لما رآه من كثرة انقاذه لمن أمر به (يامحمد ماتركت لغضب ربك فى أمتك من نقمة) الغضب ارادة الانتقام والنقمة بكسر أوله العذاب أى لم تدع أحدا ممن استحق العذاب يعذب وحتى هنا ابتدائية (ومن طريق زياد) بن عبدالله البصرى (النميرى) بالتصغير نسبة الى نمير قبيلة سميت باسم أبيها وقد اختلف فيه فقيل انه ثقة وقيل ضعيف لايحتج به وهذا الحديث رواه البيهقى وأبو نعيم فى الحلية (عن أنس انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال أنا أول من تنفلق الارض) أى تنشق والفلق شق الشئ وابانة بعضه من بعض قال تعالى فالق الاصباح (عن جمجمته) بضم الجيم الاولى والثانية وهى الرأس أو قحف الرأس وعظمه الذى فيه الدماغ وخصها لانها أول مايظهر منه (ولا فخر) أى لاأقول هذا اظهارا للافتخار والتبجح بل بيانا لما أنعم الله به على وتحدثا بنعمته ولاينافيه ماورد فى الحديث * لاتفضلونى على موسى فان الناس يصعقون فاكون أول من يفيق فاذا موسى آخذ بساق العرش لانه صلى الله تعالى عليه وسلم قاله قبل علمه بانه سابق عليه فى البعث وانه لايلزم منه أفضلية موسى عليه فتامل (وأنا سيد الناس يوم القيامة ولا فخر) المراد انه صلى الله تعالى عليه وسلم سيدهم وأشرفهم فى الدنيا والآخرة وخص الثانى بالذكر لعدم اعتداده بغيره أولانه يعلم منه بالطريق الاولى أولانه مسلم لاينكر كما

ومعي لواء الحمد يوم القيامة وأنا أول من يفتح له الجنة) أي بابها (ولا فخر) أي فيه وفيما قبله أيضا (فآتي) الفاء تفصيلية أي فاجئ (فآخذ بحلقة الجنة) بسكون اللام وتفتح والمعنى فاحركها كما في رواية (فيقال من هذا فاقول محمد فيفتح لي فيستقبلني الجبار تعالى) أي بتجلي الصفات العلى (فاخر له ساجدا) أي استعطافا له على مراده وطلبا منه لمرضاته على عباده (وذكر نحو ما تقدم) أي من رواية عباس رضي الله تعالى عنهما (ومن رواية أنيس) تصغير أنس وفي نسخة من رواية أنس والاول هو الصواب وهو رجل من الانصار روى عنه شهر بن حوشب ولم ينسبه ولم يرو عنه غيره حديثه كذا في الاستيعاب وقال اسناده ليس بالقوي (سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول لاشفعن يوم القيامة لاكثر مما في الارض من حجر وشجر) وقد رواه أحمد بسند حسن عن بريدة اني لاشفع الخ والمعنى لعددها وأكثر مما في الارض جميعها من حجر وشجر والقصد الكثرة أو المراد بهما نوع من الحجر والشجر فتدبر وقد أبعد الدلجي حيث قال ولا يستبعد ان يستغيث به صلى الله تعالى عليه وسلم والناميات والجمادات مما لا يعقل فرقا من حر نار جهنم وبرد زمهريرها نعوذ بالله منها (فقد اجتمع من اختلاف هذه الآثار) وفي نسخة صحيحة من اختلاف ألفاظ هذه الآثار أي الاخبار المنقولة عن الاخيار (ان شفاعته صلى الله تعالى عليه وسلم) أي للخلق (ومقامه المحمود) أي بين يدي الحق (من أول الشفاعات) وهو الشفاعة العظمى لفصل القضاء (الى آخرها) وهو اخراج المؤمنين من النار (من حين يجتمع الناس) بفتح النون وفي نسخة بالتنوين أي من وقت فيه يجتمع الناس (للحشر) فهذا الجار والمجرور خبران أو ما قبله هو الخبر وهذا ظرف لوقوع الشفاعات وظهور مقامه المحمود فيه ومن ابتدائية أي فابتداؤهما من حين اجتماعهم للحشر بعد سؤالهم الانبياء ليشفعوا وكما يشير اليه قوله (وتضيق بهم الحناجر) حتى لا يكاد أحدهم يخرج نفسا من تفاقم الهم وتراكم الغم بصوادع القول وصوارع الهول فيرتفع الى الحنجرة وهي رأس الغلصمة حيث تراه ناشئا فيضيق ومنه قوله تعالى وبلغت القلوب الحناجر وهذا كناية عن ضيق الاحوال عند مشاهدة الاهوال

(ومعي لواء الحمد يوم القيامة) أي معي لواء موضوع عندي أو هو بيده صلى الله تعالى عليه وسلم على عادة العرب في أخذ الرئيس اللواء والمراد لواء الرياسة العظمى الذي يحمده ويغبط به سائر الخلق لتفرده صلى الله تعالى عليه وسلم به وهو على حقيقته أو كناية عن تقدمه على غيره (وأنا أول من تفتح له الجنة ولا فخر) أي يفتح له بابها وفي نسخة أبواب الجنة (فآتي فآخذ بحلقة) باب (الجنة) بسكون اللام كما مر أي أمسكها وأحركها حتى يسمع خزنتها (فيقال من هذا) الذي دق الباب (فاقول) انا (محمد فيفتح لي) لعلمهم بانه أذن له صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك (فيستقبلني الجبار تعالى) أي فاراني الله عيانا بعد الفتح وعبر بالجبار دون غيره لانه يوم جزاء وانتقام كما ان الله غضب في ذلك اليوم غضبا لم يغضب قبله ولا بعده (فأخر له ساجدا) لما شاهده صلى الله عليه وسلم من عظمة الله تعالى وانعامه عليه وتجليه له برؤيته ورضوانه قال السنوسي في هذا تمثيل بحاله كمن قدم على ملك عظيم في سلطانه وكرسي مملكته ودار كرامته فاستقبله لما قدم عليه تشريفا له واظهار العظمة مقامه عنده وتطمينا له ولاتباعه ليزداد سروره مع علوه وجبروته واستغنائه عن خلقه فلا يتوهم ان المقام يناسب ان يقال استقبلني الرحمن لا الجبار (وذكر نحو ما تقدم) من حمده بمحامد لم يكن حمده بها قبل (ومن رواية أنيس سمعت رسول الله عليه السلام يقول) بالتصغير وفي بعض النسخ أنس مكبرا والصحيح الاول وهو صحابي أنصاري أشهلي ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب وروى عن شهر بن حوشب ولم ينسبه وذكر حديثه هذا الطبراني في الاوسط وقالوا اسناده ليس بقوي وقول بعضهم يؤيد ضعفه تعلق الشفاعة بما لا يعقل من الشجر والحجر سهو لان معنى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم (لاشفعن يوم القيامة لاكثر مما في الارض من حجر وشجر) أنه يشفع لناس أكثر عددا من عدد الشجر والحجر لا لما توهمه والعجب ممن اعتذر له بانه لا يبعد ان يستغيث به صلى الله تعالى عليه وسلم الجمادات فرقا من نار جهنم وزمهريرها (فقد اجتمع من اختلاف ألفاظ هذه الآثار) أي اذا سمعت ما تقدم من الاحاديث مرفوعة وغير مرفوعة واختلاف ألفاظها في شفاعته صلى الله تعالى عليه وسلم وتفسير المقام المحمود الذي وعده الله تعالى به تبين لك من مجموعها (ان شفاعته صلى الله تعالى عليه وسلم ومقامه المحمود) بالنصب عطف على اسم ان وخبرها قوله الآتي من حين الى آخره فلا يتوهم انه لا خبر لها مذكور وانه مقدر وقوله (من أول الشفاعات الى آخرها) بيان لمقامه المحمود وفيه اشارة الى تعدد شفاعته صلى الله تعالى عليه وسلم وقد قال القرطبي انها أربعة وفي الحديث زيادة عليها وهي شفاعته العظمى في الخلاص من كرب الموقف لجميع الناس وشفاعته لدخول أهل الجنة الجنة وللمذنبين في العفو عن ذنوبهم ولمن أمر به الى النار ولمن قال لا اله الا الله ولاخراج من دخل النار منها ولرفع درجات أهل الجنة كما جميع ذلك (من حين يجتمع الناس للحشر) هذا اخبار ان ومن ابتدائية (وتضيق بهم الحناجر) هذا كناية عن شدة

(ويبلغ منهم) أي يؤثر فيهم (العرق) أي عرق الخجالة (والشمس) أي حرارتها مع دنوها (والوقوف) أي تعب القيام على أرجلهم (مبلغه) أي نهاية وصوله وغاية حصوله (وذلك) أي وجميع ما ذكر من أنواع التعب الحاصل لعامة الخلق (قبل الحساب) أي الذي يترتب عليه الثواب والعقاب (فيشفع حينئذ لاراحة الناس من الموقف) بالراء أي لتخليصهم من تعبه وبالزاي لازالتهم وتبعيدهم من نصبه (ثم يوضع الصراط) أي على ظهر جهنم كما ورد (ويحاسب الناس كما جاء في الحديث عن أبي هريرة وحذيفة رضي الله تعالى عنهما) أي كما سبق (وهذا الحديث أتقن) بالتاء الفوقية والقاف أي أحكم وبالقبول أحق ولو روي بالياء التحتية لجاز ومعناه أثبت (فيشفع في تعجيل من لا حساب عليه من أمته الى الجنة) أي أولا (كما تقدم في الحديث) أي السابق (ثم يشفع فيمن وجب عليه العذاب) أي استحق العقاب لارتكاب المعاصي من المؤمنين (ودخل النار منهم حسب) بسكون السين وفتحها ونصبه على المصدر أي وفق ومثل (ما تقتضيه الاحاديث الصحيحة) أي بالدلالات الصريحة (ثم فيمن قال لا اله الا الله) أي وعمل عملا ما اقتضاه (وليس هذا) أي قبول شفاعته لمن قال لا اله الا الله (لسواه صلى الله تعالى عليه وسلم) أي من بين الشفعاء (وفي الحديث المنتشر) أي المشتهر (الصحيح) أي الوارد في الصحيحين (لكل نبي دعوة) أي عامة (يدعو بها) أي لامته أو عليهم وقد دعا بها كل منهم في الدنيا كما وقع لنوح بان وصالح وهود وموسى عليهم السلام (واختبأت) وفي رواية ادخرت (دعوتي شفاعة لامتي يوم القيامة) أي لاجل النفع العام في أهم المقام (قال أهل العلم) أي بعضهم (معناه) أي معنى حديث لكل نبي دعوة لكل منهم (دعوة أعلم) بصيغة المجهول أي أعلم (انها) أي تلك الدعوة (تستجاب لهم) أي بضمير الجمع نظرا الى معنى كل أو فرد في أعلم باعتبار لفظه وفي رواية اعلموا بصيغة الجمع مجهولا وهو ظاهر (ويبلغ) بصيغة المجهول أي يوصل (فيها مرغوبهم) ويحصل مطلوبهم (والا) أي وان لم يكن كذلك ولم يحمل على ما هنالك

الهول والكرب والحشر جمع الناس في المحشر والنشر الخروج من القبور بعد الاحياء والحناجر جمع حنجرة وهي الحلقوم أو طبقتان منه مما يلي الغلصمة أو رأسه أو المراد انها تضيق عن اخراج النفس لكثرته وشدته لتراكم الغم والهم حتى يبلغها كما قال الله تعالى اذ القلوب لدى الحناجر كاظمين (ويبلغ منهم العرق) بفتحتين وهو معروف (والشمس والوقوف مبلغه) أي نهايته التي يمكن بلوغها والوصول اليها وفي الحديث يكون عرق الناس على قدر أعمالهم فمنهم من يكون عرقه لكعبه ومنهم من يكون لركبته ومنهم من يزيد حتى يلجمه قالوا وهذا أمر خارق للعادة فان الناس اذا كانوا في الماء في مكان مستو يكون تغطية الماء لهم على السوء ومبلغ الشمس قدر ميل وهذا أيضا خارق للعادة فان الشمس ليست في سماء الدنيا كما انهم عراة ولا يرى أحدهم عورة غيره (وذلك قبل الحساب) الاشارة الى اجتماعهم للحشر (فيشفع حينئذ لاراحة الناس من الموقف) أي حين اذ تضيق الحناجر ويبلغ ذلك مبلغه (ثم يوضع الصراط) السابق ذكره ومر انه ليس شعرة من جفن مالك كما قيل (ويحاسب الناس كما جاء في الحديث) الذي تقدم ذكره (عن أبي هريرة وحذيفة وهذا الحديث أتقن) أي أكثر اتقانا من غيره (فيشفع في تعجيل من لا حساب عليه من) أتقياء (أمته) ويشفع معلوم أو مجهول لكونه معلوما (الى الجنة) متعلق بتعجيل (كما تقدم) من دخولهم من الباب الايمن (ثم يشفع) شفاعة ثانية (فيمن وجب عليه العذاب) أي تحقق فالوجوب ليس على ظاهره (ودخل النار منهم) كما تقدم (حسب) بسكون ثانيه وفتحه ونصبه على المصدرية أو الظرفية أي على وفق ومثل (ما تقتضيه الاحاديث الصحيحة) السالفة (ثم) يشفع (فيمن قال لا اله الا الله) خالصا مخلصا من قلبه كما تقدم فان قلت هذا ينافي ما تقدم من قوله فأقول يا رب ائذن لي فيمن قال لا اله الا الله فيقول ذلك ليس اليك قلت أجيب عنه بانه ليس فيه الا أن اخراجهم من النار مفوض الى الله لا اليه صلى الله تعالى عليه وسلم وهو لا ينافي اخراجهم بشفاعته وفيه خفاء وقد يقال المذكور شفاعته فقط وقيل المراد من أمر توحيده زيادة طمأنينة له والسابق المفوض لله تعالى من تجرد توحيده عما عداه (وليس هذا) أي الشفاعة فيمن قال لا اله الا الله (لسواه) من الشفعاء (وفي الحديث المنتشر) أي الشائع ولا يلزم منه صحته فلذا قال (الصحيح) لذي رواه الشيخان (لكل نبي دعوة يدعو بها) تقدم ان المراد بها دعوته لجميع أمته لا لمخصوصة به أو ببعض أمته والا فللانبياء عليهم الصلاة والسلام دعوات كثيرة مستجابة بل لبعض أممهم بدليل قوله صلى الله تعالى عليه وسلم (واختبأت دعوتي شفاعة لامتي يوم القيامة) وأشار المصنف رحمه الله تعالى الى جواب آخر بقوله (قال أهل العلم معناه) أي معنى هذا الحديث المقصود منه (دعوة أعلم) بضم الهمزة وكسر اللام مبني للمجهول أي أعلمه الله وروي اعلموا بالبناء للمجهول أي الانبياء وعلى الاول النائب الفاعل ضمير مستتر وقوله (انها تستجاب لهم) مفعول ثان له أي يتيقنون اجابتها (ويبلغ فيها مرغوبهم) بالبناء للمجهول ومرغوبهم أي مطلوبهم الذي رغبوا في حصوله وأحبوه نائب الفاعل (والا) أي وان لم نقل ان معناه ما ذكر

(فكم) أي فكثيرا (لكل نبي منهم من دعوة مستجابة) أي استجيبت لهم في الدنيا (ولنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم منها) أي من أصناف الدعوة (ما لا يعد) أي ما لا يحصى (لكن حالهم) أي في باقي دعواتهم (عند الدعاء بها) أي بالدعوة التي لم يعلموا باستجابتها (بين الرجاء والخوف) وهو لا ينافي غلبة رجاء المراد على خوف فوته في بعض المواد (وضمنت لهم) بصيغة المجهول مخففا أي جعلت مضمونة (اجابة دعوة) أي واحدة (فيما شاؤه) أي أرادوه واختاروه (يدعون بها على يقين من الاجابة) حال من ضمير يدعون (وقد قال محمد بن زياد) أي الجمحي البصري روى عن أبي هريرة وعائشة رضي الله تعالى عنهما وغيرهما وعنه شعبة والحمادان وآخرون ثقة (وأبو صالح) أي السمان الزيات الكوفي هو من الأئمة الثقاة روى عن عائشة وأبي هريرة وغيرهما وعنه

بأن يبقى على ظاهره وانه يستجاب له دعوة فقط كان مخالفا للواقع (فكم لكل نبي من دعوة مستجابة) أي أجاب الله تعالى دعاءه بها في الدنيا (ولنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم) خصوصا (منها ما لا يعد) من الدعوات المشاهد استجابتها (ولكن حالهم عند الدعاء بها) قبل تحقق اجابتها (بين الرجاء) لاجابتها (والخوف) من عدم قبولها (وضمنت لهم اجابة دعوة فيما شاؤه يدعون بها على يقين من الاجابة) أي ضمن الله لهم قبولها يقينا وهذه هي الدعوة المذكورة في هذا الحديث والجار والمجرور حال أي متيقنا اجابتها ثم أشار الى جواب آخر بقوله (وقد قال محمد بن زياد) الجمحي البصري الثقة الذي أخرج له أصحاب الكتب الستة (وأبو صالح) ذكوان السمان الثقة (عن أبي هريرة في) تاويل (هذا الحديث) وتفسيره (لكل نبي دعوة دعا بها في) حق (أمته) وشأنهم سواء كانت لهم أم عليهم (فاستجيب له وأنا أريد أن أؤخر دعوتي شفاعة) بالنصب أي لاجل الشفاعة (لامتي يوم القيامة وفي رواية أبي صالح) السابق ذكره وهذا مما رواه الشيخان عنه (لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته) فيه اقامة الظاهر مقام المضمر لان المقام بشارة يطلب فيه البسط (ونحوه في رواية أبي زرعة) بن عمرو بن جرير بن عبد الله البجلي الامام الثقة أخرج له أصحاب الكتب الستة وقد اختلف في اسمه فقيل جرير وقيل عبد الله وقيل عبد الرحمن وقيل هرم وقيل هذا وهم وانما هو هارم وقيل عمرو (عن أبي هريرة) رضي الله تعالى عنه (وعن أنس مثل رواية ابن زياد عن أبي هريرة) أي موافقة لها معنى وأشار بكثرة طرقه الى صحته وقوة روايته ثم بين المراد بهذا الجواب وانه غير الجواب السابق بقوله (فتكون هذه الدعوة مخصوصة بالامة مضمونة الاجابة والا) أي وان لم يفسر الحديث بما ذكر لزم الخلف (فقد أخبر صلى الله تعالى عليه وسلم انه سأل لامته أشياء من أمور الدين والدنيا منع بعضها وأعطى بعضها) فتبين انها ليست الدعوة الموعود بها وهذا اشارة لما في الصحيح من أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال سألت الله عز وجل ثلاث خصال فاعطاني ثنتين ومنعني واحدة منها سألته أن لا يهلكنا بما أهلك به الامم فاعطانيها وسألته أن لا يظهر علينا عدوا من غيرنا فاعطانيها وسألته أن لا يلبسنا شيعا وفي رواية يذيق بعضنا بأس بعض فمنعها وهو والمذكور في سورة الانعام في آية قل هو القادر على أن يبعث الخ ومن فسر الدعوة التي ادخرها بهذا فقد أخطأ وغفل عن قوله (وأدخر لهم هذه الدعوة) بالدال المهملة المشددة أي جعلها ذخيرة مؤخرة (ليوم الفاقة) وهي الفقر وشدة الحاجة والمراد به يوم القيامة لاحتياج الناس فيه الى رحمة الله تعالى وشفاعة نبيه حيث لا ينفع غيره (وخاتمة المحن) جمع محنة بكسر الميم وهي البلية المحيرة يعني هول

بنوه وخلق سمع منه الاعمش ألف حديث توفي بالمدينة واسمه ذكوان بالذال المعجمة (عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه في هذا الحديث لكل نبي دعوة دعا بها) أي استعجل بها (في أمته) أي في هلاكهم أو نجاتهم (فاستجيب له وأنا أريد أن أؤخر دعوتي) بهمزة يبدل وفي نسخة صحيحة أدخر بالدال المشددة أي أجعلها ذخيرة لوقت الشدة (شفاعة لامتي يوم القيامة وفي رواية أبي صالح عن أبي هريرة) كما في الصحيحين (لكل نبي دعوة مستجابة) أي في حق عامة أمته (فتعجل كل نبي دعوته) أي طلب حصولها في الدنيا واني ادخرت شفاعتي لامتي في العقبى

أي فإن نفعها أعم وأبقى زاد مسلم فهي نائلة أي واصلة وشاملة ان شاء الله تعالى من مات لا يشرك بالله شيا (ونحوه في رواية أبي زرعة عن أبي هريرة) وأبو زرعة هذا هو عارم بن عمرو بن جرير بن عبد الله البلخي الكوفي يروي عن جده وغيره وروى عنه خلق من التابعين وثقه ابن معين وغيره (وعن أنس مثل رواية ابن زياد عن أبي هريرة فتكون هذه الدعوة المذكورة مخصوصة بالامة مضمونة الاجابة) أي في حق العامة (والا فقد أخبر صلى الله تعالى عليه وسلم أنه سأل) أي ربه (لامته) أي لبعضهم أو لكلهم (أشياء من أمور الدين والدنيا أعطى بعضها ومنع بعضها) أي من حيث انها لم تكن مضمونة الاجابة (وادخر لهم هذه الدعوة) أي لعامة الامة التي هي مضمونة الاجابة (ليوم القيامة) وفي نسخة صحيحة ليوم الفاقة أي لوقت شدة الحاجة (وخاتمة المحن) أي وغاية أنواع المحنة ونهاية أصناف الشدة

(وعظيم السؤال) بسكون الهمز ويبدل هو الامنية (والرغبة) عطف تفسيرى (جزاه الله) أى عنا (أحسن ماجزى) أى الله تعالى (نبياعن أمته) أى ورسولا عن دعوته (وصلى الله تعالى عليه وسلم تسليما كثيرا) أى سلاما كثيرا يترتب عليه مراما كبيرا هذا وقد ثبت أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال سالت ربى لامتى ثلاثا فاعطانى ثنتين ومنعنى واحدة سالته ان لايهلك أمتى بالسنة فاعطانيها وسالته ان لايهلك أمتى بالغرق فاعطانيها وسالته ان لايجعل باسهم بينهم فنعنيها وفى مسلم استاذنت ربى فى ان أستغفرلها يعنى أمه فلم يؤذن لى واستاذنت فى ان أزور قبرها فاذن لى والله سبحانه وتعالى أعلم ثم قيل آخر من يخرج من النار هناد بعد سبعة آلاف سنة قال الحسن ياليتنى كنت هنادا يعنى لقطعه بحسن الخاتمة خوفا من سوء العاقبة فنسئل الله تعالى العافية

(فصل فى تفضيله صلى الله تعالى عليه وسلم فى الجنة بالوسيلة)

وهى منزلة القربة والوصلة (والدرجة الرفيعة) أى العالية التى ليس فوقها درجة (والكوثر) فوعل من الكثرة ومعناه الخير الكثير والعطاء لوفير وفى الحديث أعطيت الكوثر وهو نهر فى الجنة يعنى ويصب منه فى حوض الكوثر يوم القيامة (والفضيلة) أى الصفة الزائدة التى عجزعن بيانها الواصفون مما لاعين رأت ولاأذن سمعت ولاخطر على قلب بشر ولايبعد ان يرادبها أنواع الفضيلة فهو تعميم بعد تخصيص (حدثنا القاضى أبو عبد الله محمد بن عيسى التميمى) تقدم (والفقيه أبو الوليد هشام بن أحمد) سبق (بقراءتى عليهما قالا ثنا) أى حدثنا (أبو على الغسانى) بتشديد السين المهملة مر ذكره (قال ثنا النمرى) بفتح النون هو الحافظ ابن عبد البر (ثنا ابن عبد المؤمن) أى عبد الله بن محمد بن المؤمن القرطبى (ثنا أبو بكر التمار) بتشديد الميم نسبة الى التمر (ثنا أبو داود) وهو محدث العصر صاحب السنن (ثنا محمد بن سلمة) أى المرادى أبو الحارث المصرى وكان أحد الائمة الاثبات (ثنا ابن وهب) سبق ذكره (عن ابن لهيعة) بفتح فكسر حضرمى بصرى ضعيف وكان قاضى مصر (وحيوة) بفتح الحاء المهملة وسكون التحتية ابن شريح المصرى الحمصى كان حافظا مجاب الدعوة روى عنه البخارى وغيره

الموقف اذلابلية دعده الاالنار (وعظيم السؤال والرغبة) بالجر معطوف على يوم الفاقة أو على الفاقة أو جعل اليوم نفس محنة والرغبة عطف تفسيرى لماقبله أو هو أخص منه ولماذكر ماتفضل به النبى صلى الله عليه وسلم على أمته الداخل فيهم دخولا أوليا ختم الفصل بدعائه له بقوله (جزاه الله) تبارك وتعالى (ماجزى نبيا عن أمته) أى بما جزاه أو بمثله وفى نسخة أحسن (وصلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا) دائما أبدا الى يوم الدين ولبعض الشراح هنا كلام طويل لاطائل تحته تركناه خوف السآمة مما لافائدة فيه والله تعالى أعلم

(فصل فى تفضيله صلى الله تعالى عليه وسلم) على غيره (فى الجنة بالوسيلة) أصل الوسيلة أمر يكون موصلا لامر تبتغيه كالهدية والتودد ونحوه قال الراغب الوسيلة التوسل الى الشئ برغبة وهى أخص من الفضيلة ولتضمنها معنى الرغبة عديت بالى قال تعالى وابتغوا اليه الوسيلة وحقيقة الوسيلة الى الله تعالى مراعاة سبيله بالعلم والعبادة وتحرى مكارم الشريعة وهى كالقربة انتهى والمراد بها منزلة عالية فى الجنة كما سياتى فهو مجاز من باب اطلاق السبب على المسبب ومن فسرها بالقرب من الله تعالى فقد تسامح فى العبارة قال الزبيدى يقال وسل اذا تقرب لانها المقرب (والدرجة الرفيعة) أى المرتفعة العالية والدرجة هنا المنزلة وأصلها مايصعد فيه كدرجات السلم وهذا تفسير لماقبله وقال السخاوى فى المقاصد الحسنة لم ترد هذه اللفظة فى الدعاء الذى يدعى به عقب الاذان كما يفعله من لاخبرة له بالسنة فذكره فى الدعاء لاأصل له (والكوثر) تقدم تفسيره وانه فوعل من الكثرة والمراد به نهر فى الجنة (والفضيلة) فعيلة من الفضل ضد النقص ثم ذكر المصنف شواهد لتفضيله فى الجنة على غيره منها حديث رواه مسلم وأبو داود والترمذى واقتصر فى الرواية على مافى أبى داود دون الترمذى ومسلم لقرب سنده الى الاول دونهما فقال (حدثنا القاضى أبو عبد الله محمد بن عيسى التميمى) نسبة لتميم قبيلة وقد تقدمت ترجمته (والفقيه أبو الوليد هشام بن أحمد) تقدم أيضا (بقراءتى عليهما) لابسماعى من لفظهما وفى نسخة عليه بالافراد وهذه أعلى من السماع من شيخه كما علمت (قالا حدثنا أبو على الغسانى) الجيانى السابق ذكره قال (حدثنا النمرى) بفتح النون والميم وهو الامام ابن عبد البر المتقدم قال (حدثنا ابن عبد المؤمن) قال (حدثنا أبو بكر التمار) بفتح المثناة الفوقية نسبة الى التمر المعروف وتقدم ان الاول عبد الله بن محمد ابن عبد المؤمن القرطبى وأبو بكر التمار تقدمت ترجمته أيضا قال (حدثنا أبو داود) الحافظ صاحب السنن وقد تقدم أيضا قال (حدثنا محمد بن سلمة) بفتح السين واللام ومافى بعض النسخ من انه مسلمة بميم فى أوله سهو من الناسخ وهو أبو الحارث محمد بن سلمة المرادى المصرى أخرج له أصحاب الكتب الستة وتوفى سنة مائتين وثمان وأربعين قال (حدثنا ابن وهب) هو عبد الله بن وهب تقدمت ترجمته (عن ابن أبى لهيعة) بفتح أوله وكسر ثانيه وهو عبد الله الحضرمى ثم المصرى الامام الحافظ وهو ثقة خلافا للذهبى اذ ضعفه روى عنه مالك وأصحاب السنن وتوفى سنة مائة وأربع وسبعين (وحيوة)

(وسعيد ابن أبي أيوب) أي المصري ثقة (عن كعب بن علقمة) وفي نسخة عن كعب عن علقمة والاول هو الصواب كما صرح به الحلبي وغيره وهو تابعي روى عن سعيد بن المسيب وطائفة وعنه الليث وجماعة (عن عبد الرحمن بن جبير) بضم الجيم وفتح الموحدة مصري فقيه مقرئ ثقة وكان مؤذنا (عن عبد الله بن عمرو بن العاص) وفي نسخة العاصي بالياء والصواب الاول (انه سمع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يقول) قال الحلبي هذا الحديث أخرجه القاضي كما ترى من سنن أبي داود وقد أخرجه أبو داود في الصلاة وأخرجه مسلم أيضا فيها بالسند الذي أخرجه أبو داود سواء الا انه قال عن ابن وهب عن حيوة بن شريح وسعيد بن أيوب وغيرهم كلهم عن كعب بن علقمة به وأخرجه الترمذي في المناقب وقال صحيح والنسائي في الصلاة وفي اليوم والليلة وانما أخرجه المصنف من عند أبي داود ولم يخرجه من عند مسلم للتنوع في الروايات ولان بينه وبين أبي داود في هذا الحديث خمسة أشخاص

بالسماع ولو روى بالاجازة عن أبي علي الغساني كان بينه وبينه أربعة وليس كذلك مسلم فلم يقع له بالسماع بينه وبينه ستة وتارة خمسة فوقع له حديث مسلم موافقة في شيخه انتهى وحاصله انه انما أسنده الى أبي داود دون مسلم لقرب سنده اليه (اذا سمعتم المؤذن) أي صوته وفي نسخة يؤذن أي حال كونه يؤذن أو حين اذانه (فقولوا مثل ما يقول) أي من كلمات الاذان جميعها الا الحيعلتين لحديث مسلم وغيره عن عمر المستفاد منه انه يقال عند سماعهما لا حول ولا قوة الا بالله ثم هل الامر بالقول المعلق بالسماع واجب على من سمع حيث لا مانع أو مندوب قال النووي فيه خلاف ذكره الطحاوي والصحيح عن الجمهور ندبه واختلفوا هل يندب عند سماع كل مؤذن أو الاول فقط والاصح يندب اجابة الكل وكون الاول آكد (ثم صلوا علي) قال الحلبي صرفه عن الوجوب الاجماع (فانه) أي الشأن (من صلى علي مرة) كذا في الاصول وكأنها سقطت من أصل الدلجي فقال أي مرة بقرينة المقام (صلى الله عليه) أي بها كما في أصل الدلجي وقال بالمرة أو بالصلاة مرة لكنه هو غير موجود في الاصول والمعنى رحمه وضعف أجره (عشرا) أي باعتبار أقل المضاعفة الموعودة بقوله تعالى من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها (ثم اسئلوا) وفي نسخة ثم سلوا (الله لي الوسيلة فانها منزلة) أي عظيمة كائنة (في الجنة فلا تنبغي) وفي نسخة لا ينبغي أي لا تحصل أو لا تليق (الا لعبد) أي كامل (من عباد الله) أي من أنبيائه وأصفيائه (وأرجو أن أكون انا هو) ثم جوز ان يجعل انا مبتدأ خبره هو والجملة خبر أكون وان يجعل تأكيدا لاسمها وخبرها وضع موضع اياه أو موضع اسم اشارة أي أنا ذلك العبد وأتى بلفظ الرجاء تأدبا

بفتح الحاء المهملة وسكون المثناة التحتية وواو وهاء وقياسه حية بالادغام الا انه لم يغير فرقا بين العلم وغيره وهو ابن شريح الحمصي ثم المصري توفي سنة مائتين وأربعة وعشرين وروى عنه أصحاب السنن (وسعيد بن أبي أيوب) أبو يحيى بن مقلاص الخزاعي المصري الثقة أخرج له أصحاب السنن وتوفي سنة احدى وستين ومائة (عن كعب بن علقمة) بن عمرو بن زيد بن جشم الانصاري الخزرجي الصحابي البدري توفي سنة أربع وثلاثين وسنه سبعون سنة وفي بعض النسخ عن كعب عن علقمة والصواب الاول (عن عبد الرحمن بن جبير) القرشي مولى نافع الثقة توفي سنة سبع وتسعين وأخرج له أصحاب الكتب الستة (عن عبد الله بن عمرو بن العاص) السابق ذكره (انه سمع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يقول) حال وعبر بالمضارع للحكاية حتى كانه مشاهد حاضر (اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول) من كلمات الاذان غير الحيعلتين فانه يقال عند سماعهما لا حول ولا قوة الا بالله وهذا على سبيل الندب على الصحيح وفي قول عند الشافعية انه واجب واذا تكرر سماعه تكفي اجابة الاول وفي فتاوي ابن عبد السلام انه يندب اجابة الكل والاول أصح وكذا في الاقامة عند الشافعي ويقول عند قوله قد قامت الصلاة أقامها الله وأدامها وعند قوله الصلاة خير من النوم صدقت وبررت قيل ولا يلزم سماع جميعه ولا فهمه (ثم صلوا علي) أي قولوا عقب الاجابة اللهم صل وسلم عليه وهذا مندوب أيضا (فانه من صلى علي) أي أتى بصيغة من صيغ الصلاة مرة واحدة بقرينة قوله (صلى الله عليه بها) أي بصلاته وضمير انه للشان (عشرا) لتضاعف الحسنات (ثم سلوا الله لي الوسيلة) أي ادعوا الله لي بان يؤتينيها فقولوا اللهم آت محمدا الوسيلة ثم فسرها بقوله (فانها منزلة في الجنة) أي مقام عال فيها أعلى مما عداه (لا ينبغي) أي لا يليق اعطاؤها (الا لعبد) عظيم جليل عند الله فالتنوين والتنكير للتعظيم (من عباد الله) الاشراف الاقربين فالاضافة لاختصاصهم بالشرف والقرب من سيدهم قال ابن كثير هي أقرب منازل الجنة الى العرش وأعلاها وأشرفها وتقدم ان الوسيلة من التوسل وهو التقرب * فان قلت ما وجه تخصيص الدعاء بها بعد الاذان * قلت لما كان المؤذن يدعو الناس للصلاة وهي مقربة الى الله ومعراج المؤمنين وهذا من الله به علينا بارشاده وهدايته ناسب ان يجازى ذلك بالدعاء بالقرب من الله ورفعة المنزلة فان الجزاء من جنس العمل (وأرجو أن أكون أنا هو) ضمير الغيبة للعبد وانا مبتدأ وهو خبر والجملة خبر كون وكون أنا تاكيدا للضمير المستتر وهو خبر استعير ضمير الرفع للنصوب أو وضع موضع الظاهر والاصل أكون أنا اياه وذلك خلاف الظاهر وتعبيره صلى الله عليه

واِيماء الى انه لا يجب على الله شئ (فمن سأل الله الوسيلة) أى هذه الدرجة وفى معناه كل ما يتوسل به الى زيادة الزلفة (حلت) بتشديد اللام أى نزلت ووقعت (عليه الشفاعة) أى وجبت وجوبا واقعا عليه وقيل غشيته وقيل حقت وثبتت له وفى الحديث ايذان بجواز سؤال الدعاء من المفضول ليفوز من الفاضل المدعو له مع ثواب الله سبحانه وتعالى لهما بفائدة عظيمة وعائدة جسيمة من نحو شفاعة وسعادة قربة مع الايماء الى ان مراتب القرب الى الله تعالى لا يتصور فيها الانتهاء (وفى حديث آخر) كما رواه الترمذى

(عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه الوسيلة أعلى درجة فى الجنة وعن أنس رضى الله تعالى عنه) كما فى البخارى (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بينما أنا أسير فى الجنة اذ عرض لى) أى فاجأنى وظهر لى (نهر) بفتح الهاء وتسكن (حافتاه) بتخفيف الفاء أى جانباه وطرفاه (قباب اللؤلؤ) بكسر القاف جمع قبة وهى بيت صغير مستدير ووقع فى أصل الدجى فيهما لؤلؤ مثل القباب وهو ليس من نسخ الكتاب ولا أظنه انه رواية فى هذا الباب بل هو من تصرف الكتاب وفى أصل التلمسانى اللؤلؤ والدر فقيل هما بمعنى وقيل اللؤلؤ الكبير (قلت لجبريل ما هذا) أى الذى أراه (قال هذا الكوثر الذى أعطاكه الله تعالى) أى خاصة (قال) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (ثم

وسلم بالرجاء مع تحقق اختصاصه بارفع المنازل عند ربه تأدبا وتشريفا للامة بالدعاء له وفيه دليل على جواز دعاء المفضول للفاضل ليفوز بالثواب كما أشار اليه بقوله (فمن سأل الله تعالى لى الوسيلة حلت عليه الشفاعة) بالحاء المهملة وتشديد اللام بمعنى وجبت من حل يحل كضرب يضرب أو غشيته ونزلت عليه من حل يحل كقعد يقعد وروى وجبت وروى له بدل عليه ولا حاجة لجعل اللام بمعنى على لان وجب يتعدى وليس المراد بالوجوب معناه المشهور بل التحقق والتيقن ولا يستشكل بان الشفاعة للمذنبين وقائلها ليس بمذنب بل عابد لله تعالى لان الشفاعة أنواع كما مر كالشفاعة فى دخول الجنة من غير حساب وفى رفع الدرجات وزيادة العطيات ولا يختص هذا بمن قاله مخلصا مستحضرا الا خلاقه صلى الله تعالى عليه وسلم بل يكفى فيه مجرد قصد الثواب الا انه ينبغى ان لا يكون غافلا لاهيا واستحباب هذا لغير المصلى فرضا أو نفلا فان قاله فيها لا تبطل صلاته لانه ذكر الا فى قوله صدقت فانه من كلام الناس فتامل (وفى حديث آخر) رواه الترمذى أيضا (عن أبى هريرة لوسيلة أعلى درجة فى الجنة) مخصوصة به صلى الله عليه وسلم وهى أقرب الى العرش من سائر المنازل وليس هذا معلوما من الحديث السابق الا انه المراد منه (وعن أنس) فى حديث رواه البخارى (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا أنا أسير فى الجنة) تقدم الكلام على بينا بالالف والظاهر ان سيره هذا كان مناما ويحتمل انه يقظة فى الاسراء (اذ عرض لى نهر) أى فاجأنى عروضه أى ظهوره بمروري عليه (حافتاه) أى جانباه وشطاه وهو بتخفيف الفاء المفتوحة وهو مبتدأ خبره (فيهما اللؤلؤ مثل القباب) وفى نسخة حافتاه قباب اللؤلؤ جمع قبة المعروفة أو هى بيت صغير تضربه العرب لتنزل فيه والجملة صفة نهر بسكون الهاء وفتحها والمراد انها لؤلؤ حقيقى أو مثله فى الحسن والنضارة (قلت لجبريل ما هذا) النهر لانه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يعرفه (قال هذا الكوثر الذى أعطاكه الله) أى وهبه لك فى قوله انا أعطيناك الكوثر وهو فوعل صفة مشبهة من الكثرة لكثرة مائه وأوانيه ولذا فسره ابن عباس رضى الله تعالى عنهما بالخير الكثير كما يأتى بما فيه وهو أصل معناه ثم نقل وجعل علما لهذا النهر ودخلت عليه اللام للمح الاصل ووصل الضميرين المنصوبين على اللغة الفصحى ولو فصل وقال أعطاك اياه جاز وورد فى صفته انه أبيض من اللبن وأحلى من العسل كما سيأتى (قال) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (ثم ضرب) جبريل عليه الصلاة والسلام (بيده الى طينه) بالتنوين والاضافة الى ضمير النهر وسماه طينا لانه بمنزلته وعلى صورته وضرب يده مجاز عن ادخالها فيه (فاستخرج مسكا) أى أخرج من قعره وعرضه ليعرفه بفضله وان طينه مسك فليس كانهار الدنيا (و) روى (عن عائشة وعبد الله بن عمرو) بن العاص (مثله) أى مثل حديث أنس المذكور (قال) أى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى هذا الحديث (ومجراه) بفتح الميم مصدر ميمى أى جرى هذا النهر أى مجرى مائه (على الدر والياقوت) الذى فوق طينه الذى هو مسك كما ان الانهار تجرى على طين وحصى فهذا طينه مسك وحصاه جواهر فلا منافاة بين

ضرب) أى جبريل (بيده الى طينته) بالاضافة وفى نسخة الى طينة بالتنكير وتاء التانيث أى كون من طينه (فاستخرج مسكا) أى شيئا هو مسك أو كمسك وسماه طينا جريا على غالب العادة فى كونه مقر الماء طينا أو بحسب الصورة (وعن عائشة وعبد الله بن عمرو) بالواو (مثله) أى مثل حديث أنس قبله (قال) أى فى حديثهما (ومجراه) أى جريان مائه (على الدر) اسم جنس واحده درة وكذا قوله (والياقوت) أى ومن تحتهما المسك كالطين تحت حصى الماء فلا منافاة بين حديثهم

(وماؤه أحلى) أي أكثر حلاوة وأشد لذاذة (من العسل وأبيض) وفي رواية وأشد بياضا (من الثلج) وفي رواية أبيض من اللبن قال قال الدلجي ولا يلزم من كونه أحلى من العسل الاستغناء به عن أنهار العسل المصفى في الجنة لانها ليست للشرب انتهى ولا يخفى ان نفي كونها للشرب يحتاج الى بيان حجة في تحقيق المدعى والتحقيق ان الانهار الاربعة عامة لاهل الجنة والكوثر موضوع للخاصة مع انه قد يقال التقدير وماؤه أحلى من العسل الموجود في الجنة باعتبار كمال اللذة (وفي رواية عنه) أي عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (فاذاهو) أي ماؤه (يجرى) أي على وجه الارض من غير نهر (ولم يشق) بصيغة الفاعل وفي نسخة بصيغة المفعول (شقا) أي لم يمل الى شق من أحد طرفيه بل يجرى جريا مستويا كما أراده سبحانه وتعالى أو تمناه صاحبه من أهل الجنة (عليه) أي على النهر (حوض) أي عظيم (ترده عليه) وفي نسخة صحيحة ترده (أمتى) أي ضيافة في الجنة أو يوم القيامة والثاني أظهر لقوله (وذكر) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (الحوض) ومطلقه ينصرف الى الاشهر مع احتمال التعدد فتدبر ومعنى كون الحوض على النهر اعتماده عليه من حيث ان ماءه ممتد من مائه ومنتهى اليه اذا النهر في الجنة والحوض خارجها لما ورد ليردن على الحوض أقوام أعرفهم و يعرفوني ثم يحال بيني وبينهم فاقول انهم مني فيقال لا تدرى ما أحدثوا بعدك فاقول سحقا سحقا لمن غير بعدى (ونحوه) أي ونحو ما ذكر عن المذكورين مروى (عن ابن عباس أيضا) كما في البخاري (قال الكوثر الخير الذي أعطاه اياه) أي ومنه الحوض وغيره ولعله لم يعرفه بالكثير كما في بعض الروايات لما يستفاد من الصيغة للمبالغة (وقال سعيد بن جبير والنهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه الله) أي لانه مقصور على النهر أو الحوض بل الكوثر أتم وأعم والله تعالى أعلم

كون مجراه على الجوهر وكون طينه مسكا كما مر (وماؤه أحلى من العسل وأبيض من الثلج) بفتح المثلثة وسكون اللام قبل الجيم و بفتحها مصدر ثلج صدري بكذا أي بردلتيقنه وأبيض افعل تفضيل من البياض وقد سمع من العرب على خلاف القياس فلا ينافي قول النحاة ان أفعل التفضيل لا يصاغ من الالوان كما مر و يجوز ان يكون صفة كاحمر وأسود الا انه خلاف الظاهر وفي الحديث ان الله أعطاني نهرا يقال له الكوثر لا يكاد أحد من أمتي يسمع خريره الا سمعه فقيل يا رسول الله كيف ذلك قال أدخل أصبعيك في أذنيك وسدهما فالذي تسمعه خريره نقله السهيلي وفي رواية أبيض من اللبن وكونه أحلى من العسل لا ينافي ان من أنهار الجنة نهرا من عسل (وفي رواية عنه فاذاهو) أي الكوثر (يجرى) جريا معتدلا (ولا يشق شقا) جملة حالية من ضمير يجرى أي لا يشق الارض بشدة جريه وكذا سائر أنهار الجنة تجرى من غير ان تتخذ اخدودا كما قاله التلمساني و يشق مبنيا للفاعل وقيل انه روى مبنيا للمجهول وقيل المراد انه يجرى معترضا لا مستطيلا من قولهم شق البرق اذا لمع مستطيلا وهو بعيد لما ورد في الحديث انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لا تظنون ان أنهار الجنة اخدودا لا والله انها السائحة على وجه الارض وقدير جع ما ذكر اليه فيكون المعنى واحدا (عليه) أي على الكوثر (حوض) والظاهر انه بجانب قريب منه كما يقال مررت على زيد أي على مكان قريب منه والحوض معروف وقد قيل المراد بكونه عليه انه يمتد منه لان عليه ميزابين يشخبان فيه من الكوثر الا أنه بجانبه اذهو في الجنة والحوض خارجها للحديث الآتي ليردن على أقوام أعرفهم ولا يعرفوني ثم يحال بيني و بينهم فاقول انهم أمتي فيقال لا تعلم ما أحدثوا بعدك فاقول سحقا سحقا لمن غير بعدى فتامل (ترد عليه أمتي) أي يأتونه للشرب منه ولعله بعد الحساب والنجاة من النار (وذكر حديث الحوض) الآتي وهذا يدل على انه غير الكوثر وقد جاء في بعض الاحاديث ان الكوثر هو الحوض والحق انه غيره على قول من أقوال عدة ولو قيل بتعدد الحوض لم يبعد (ونحوه عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما) أي روى عن ابن عباس ما يوافقه (وعن ابن عباس أيضا) أي في رواية أخرى ذكرها البخاري (قال) في تفسيره (الكوثر الخير الكثير الذي أعطاه الله اياه) تشريفا له صلى الله تعالى عليه وسلم وتكريما وهذا بناء على انه فوعل من الكثرة مطلقا ثم خص بالكثير من الخير و بالنهر الذي في الجنة فان أراد ابن عباس بهذا بيان ما وضع له لغة أو بيان معنى عام خص في الحديث والآية فلا كلام فيه وان أراد تفسير ما في الآية فالاحاديث الصحيحة وردت بخلافه وفي الآية ستة عشر قولا فقيل انه النهر السابق ذكره وقيل النبوة والكتاب وقيل القرآن وقيل الاسلام وقيل تحقيقات الشريعة وقيل كثرة الامة وقيل رفعة الذكر وقيل نور النبوة المحمدية وقيل كثرة المعجزات وقيل الدعوات المجابة له صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل كلمة التوحيد لا اله الا الله محمد رسول الله وقيل الفقه في الدين وقيل الخمس صلوات التي خصت بها أمته صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل الحوض والاصح انه نهر في الجنة مخصوص (وقال سعيد بن جبير والنهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه الله اياه) يعني انه على عمومه وهذا داخل فيه أوهو المراد منه

(وعن حذيفة فيماذكر عليه الصلاة والسلام عن ربه) أى راويا عنه (وأعطانى الكوثر نهرا من الجنة) بنصب نهرا على انه بدل أو بتقدير اعنى أو على المدح ووقع فى أصل الدلجى مخالفا للنسخ نهر بالرفع فقال خبر حذف مبتدأه أى هو بشهادة رواية أعطيت الكوثر وهو نهر فى الجنة (يسيل) أى ينصب (فى حوضى) أى يوم القيامة أو فى الجنة (وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما) كما روى ابن جرير وابن أبى حاتم بسند صحيح ٣٧٠ (فى قوله) أى فى تفسير قوله تعالى (ولسوف يعطيك ربك فترضى قال) أى ابن عباس (ألف قصر من لؤلؤ ترابهن المسك وفيه) أى وفى كل قصر أو فيماذكر من القصور وقد أخطأ التلمسانى بقوله صوابه فيهن (ما يصلحهن) بضم الياء وكسر اللام أى ما يصلح القصور ويزينهن ويحسنهن من الخدم والازواج والاناث وأصناف الحور وأنواع الحبور (وفى رواية أخرى) أى مبينة للاولى (وفيه) أى وفى كل قصر (ما ينبغى) أى يليق له (من الازواج) أى نساء الجنة من الحور وغيرها من نساء الدنيا وهى أفضلهن وأكملهن جمالا لما قدمن فى الدنيا أعمالا (والخدم) أى من غلمان كأنهن لؤلؤ مكنون والله تعالى أعلم وقد ذكر الدارقطنى من طريق مالك بن مغول عن الشعبى عن مسروق عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله تعالى أعطانى نهرا يقال له الكوثر لا يشاء أحد من أمتى ان يسمع خرير ذلك الكوثر الا سمعه فقلت يا رسول الله كيف ذلك قال أدخلى أصبعيك فى أذنيك وسدى فالذى تسمعين فيهما من خرير الكوثر ونقله السهيلى ذكره التلمسانى (حدثنا

(فصل) (فان قلت اذا تقرر) أى ثبت وتحرر (من دليل القرآن وصحيح الاثر) وفى نسخة الآثار ووقع فى أصل الدلجى الاخبار (واجماع الامة) أى من اتفاقهم (كونه صلى الله تعالى عليه وسلم أكرم البشر) يعنى والبشر خير من الملك كما هو مقرر (وأفضل الانبياء) وهم أعم من الرسل (فما معنى الاحاديث الواردة بنهيه عن التفضيل) أى بين الانبياء (كقوله فيما حدثناه الاسدى قال

(و) يؤيده ما روى (عن حذيفة) بن اليمان (فيما ذكره عليه الصلاة والسلام عن ربه) حيث بينه له فى حديث قال فيه (وأعطانى الكوثر وهو نهر فى الجنة يسيل فى حوضى) الذى فى الموقف أو بعد الصراط يسقى منه أمته وفيه اشارة الى تفسيره بالحوض لان ماءه منه (وعن ابن عباس) فى حديث صحيح رواه ابن جرير بسنده وابن حبان (فى) تفسير (قوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى) أى يعطيك الى أن ترضى بما أعطاك وتقر عينك (قال) من جملة ما أعطاه (ألف قصر من لؤلؤ ترابهن المسك) أى هى من لؤلؤ وترابها من المسك فالضمير للقصور الذى دل عليها قوله ألف قصر (وفيه) أى فى كل قصر فاعاد الضمير عليه مفردا رعاية للفظه لان كل مفرد مذكر (ما يصلحهن) الضمير عائد عليه أيضا رعاية لمعناه وقيل ضمير فيه عائد عليه نظر اللفظ قصرا ولتأويله بما ذكر فاقيل ان صوابه فيهن لا وجه له والمراد ما يقوم بمصالح تلك القصور من الخدم والزوجات والآلات كالاوانى كما أشار اليه بقوله (وفى رواية أخرى وفيه ما ينبغى له) أى فى كل قصر ما يناسبه ويليق به (من الازواج والخدم) بفتحتين جمع خادم وفعل جمع لفاعل ورد فى ألفاظ ذكرها النحاة وقيل انه اسم جمع والازواج جمع زوج أو زوجة وذكر هذا هنا لمناسبته للمنزل والمقام وهذا الحديث رواه المصنف موقوفا على ابن عباس انه كان فاعل قال ابن عباس لا النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهو الظاهر ورواه الاوزاعى مرفوعا الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال حدثنا اسمعيل بن عبد الله عن على بن عبد الله بن عباس عن أبيه عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه رأى ما هو مفتوح على أمته فسر بذلك فانزل الله عز وجل عليه والضحى والليل اذا سجى الى قوله فترضى فاعطاه الله عز وجل ألف قصر الخ وقيل فى الآية انه أعطاه ما هو شامل لكل خير أعطاه ولما ادخره له مما لا يعرف كنهه الا الله وتقدم انها لما نزلت قال صلى الله تعالى عليه وسلم اذن والله لا أرضى وواحد من أمتى فى النار وقد تقدم الكلام عليه

(فصل) فى بيان شبهة ترد على ما تقدم من انه صلى الله تعالى عليه وسلم أفضل الرسل وأعظمهم عنده وجرد من نفسه سائلا خاطبه بقوله (فان قلت) وأتى بالفاء الاستئنافية اشارة الى نشأته مما قبله وترتبه عليه (قد تقرر من دليل القرآن) وفى نسخة فاذا تقرر أى تحقق وثبت واضافة دليل للقرآن بيانية أو تخصيصية لامية (وصحيح الاثر) أى الحديث وهو معطوف على القرآن أو على دليل (واجماع الامة المحمدية (كونه) صلى الله تعالى عليه وسلم (أكرم البشر) أى أشرف بنى آدم (وأفضل الانبياء) والرسل خاصة منهم ولم يقل أكرم الخلق لان قوله اجماع الامة يأباه لما فيه من خلاف المعتزلة فى خواص الملائكة وان كان الصحيح خلافه فلا وجه للاعتراض بذلك (فما معنى الاحاديث الواردة بنهيه صلى الله تعالى عليه وسلم عن التفضيل) بين الانبياء أو الناهية بتفضيله عليهم (كقوله) صلى الله عليه وسلم فى حديث رواه الشيخان ورواه المصنف رحمه الله تعالى من طريق مسلم (فيما حدثناه) متعلق بكقوله أو حال منه (الاسدى) نسبة الى أسد قبيلته قال

حدثنا السمرقندى ثنا) أى حدثنا (الفارسى) بكسر الراء وهو عبد الغفار (ثنا الجلودى) بضم الجيم واللام (ثنا أبو سفيان) وهو ابراهيم (ثنا مسلم) وهو صاحب الصحيح (ثنا ابن مثنى) وفى نسخة محمد بن مثنى بضم ميم وفتح مثلثة وتشديد نون منون (ثنا محمد بن جعفر) وهو غندر وقد تقدم (ثنا شعبة) أى ابن الحجاج (عن قتادة سمعت أبا العالية) يراد به هنا رفيع بن مهران فانه الذى يروى عنه قتادة واما زياد بن فيروز فيروى عنه أيوب السختيانى ومطر الوراق وبديل بن هبيرة كما حققه الحلبى (يقول حدثنا ابن عم نبيكم صلى الله تعالى عليه وسلم يعنى) أى يريد به (ابن عباس) وهو عبد الله (عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) قال الحلبى وهذا الحديث فى البخارى ومسلم وأبى داود (ما ينبغى) أى ما يصح أو ما يصلح (لعبد ان يقول أنا خير من يونس ابن متى) بفتح الميم وتشديد المثناة فوق مقصورا وقد تقدم انها أمه والمراد بعبد كل مكلف ثم يختلف الحكم برجع أنا فان لم يكن نبيا فقد كفر لما فيه من الانتقاص الذى بمثله كفر ابليس اذ قال أنا خير منه وان كان نبيا فينبغى له التواضع لما أكرم به النبوة كذا قرره الدلجى والظاهر انه صلى الله تعالى عليه وسلم يريد انه لا يجوز لاحد من أمتى ان يعظمنى وان يقول أنا خير من يونس ابن متى تفضيلا لى عليه وهذا من كمال التواضع لديه قال التوربشتى وانما خص يونس بالذكر دون غيره من الرسل لما قصه الله تعالى فى كتابه عنه من توليه عن قومه وتضجره منهم وقلة صبره فقال ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادى وهو مكظوم وقال وهو مليم وقال اذ ابق الى الفلك المشحون فلم يأمن صلى الله تعالى عليه وسلم ان يخامر بواطن ضعفاء أمته ما يؤدى الى تنقيصه فبين ان ذلك ليس بقادح فيما منحه الله له من كرامة النبوة وشرف الرسالة وانه مع ما صدر منه كاخوانه من المرسلين انتهى وقد يقال وجه تخصيصه من بين الانبياء لكونه صلى الله تعالى عليه وسلم لما وقع عروجه الى السماء ليلة الاسراء وحصل له مقام قاب قوسين أو أدنى مع سائر الكرامات وكان معراج يونس بطن الحوت فى الظلمات لربما يتوهم متوهم ان معراج السموات أقرب الى الرب فيكون صاحبه أفضل وأحب فدفع بان الامكنة بالنسبة الى الله تعالى مستوية اذ هو بذاته تعالى منزه عن المكان ولو كان أعلى فى ظهور الشان

(حدثنا السمرقندى) تقدمت ترجمته قال (حدثنا الفارسى) عبد الغافر السابق ترجمته قال (حدثنا الجلودى) تقدم بيانه وبيان نسبته قال (حدثنا ابن سفيان) ابراهيم بن محمد بن سفيان السابق ترجمته قال (حدثنا مسلم) الامام صاحب الصحيح المتقدم قال (حدثنا ابن المثنى) محمد أبو موسى البصرى توفى سنة اثنين وخمسين ومائتين كما تقدم قال (حدثنا محمد بن جعفر) أبو عبد الله الهذلى البصرى الملقب بغندر بضم الغين المعجمة وسكون النون وضم الدال وفتحها او راء مهملة وقد تقدم انه توفى فى ذى القعدة سنة ثلاث أو أربع وتسعين ومائة قال (حدثنا شعبة) بن الحجاج بن بسطام كما تقدم (عن قتادة) تقدم بيانه قال (سمعت أبا العالية) التابعى السابق ترجمته (يقول حدثنى ابن عم نبيكم صلى الله تعالى عليه وسلم يعنى ابن عباس) رضى الله تعالى عنهما ابن عبد المطلب المشهور وهو أحد العبادلة وغالب روايته عن الصحابة رضى الله تعالى عنهم لصغر سنه فى زمانه صلى الله تعالى عليه وسلم واختلف فيما رواه عنه بلا واسطة فقيل أربعة أحاديث وقيل تسعة وقيل عشرة وقيل عشرون حديثا (عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ما ينبغى) أى ما يصح ولا يجوز (لعبد) من عباد الله نبيا كان أو غيره (ان يقول أنا خير من يونس بن متى) بفتح الميم وتشديد التاء المثناة الفوقية وألف مقصورة وهو اسم أمه وقيل اسم أبيه وصحح كلا من القولين طائفة والاول أشهر كما مر وهو من ولد بنيامين بن يعقوب عليه الصلاة والسلام وكان بعد سليمان عليه الصلاة والسلام وقيل كان بينهما أيوب عليه الصلاة والسلام وكان قبل النبوة من عباد بنى اسرائيل فهرب ونزل بشاطئ دجلة فبعثه الله الى أهل نينوى من أرض الموصل وهو ابن أربعين سنة فضاق ذرعا بالرسالة فشكى ذلك للملك وأعلمهم انهم ان لم يستجيبوا له حل بهم العذاب وأجل لهم أربعين يوما وأعلمهم بالاجل فقالوا ان رأينا امارات ذلك آمنا بك وانصرفوا فلما مضى من الميقات خمسة وثلاثون يوما غامت السماء بغيم أسود له دخان فايقنوا بالعذاب فخرجوا من القرية باهلهم وفرقوا بين النساء وأولادهن وضجوا الى ربهم فرحمهم فقبل توبتهم وساح يونس عليه الصلاة والسلام فى الارض ومر براع سقاه لبنا فقال له اقرأ على قومى السلام فقال له يا نبى الله لا أستطيع فان من كذب منا قتل فقال له ان كذبوك فشاتك وعصاك يشهدان لك فاخبرهم فانكروا مقاله فشهد له الشاة وعصاه فصدقوه وملكوه عليهم أربعين سنة وقيل كان ميقاته ثلاثة أيام فانتظر يونس فخاف لانه من كذب ولم يقم بينة قتل فى شرعهم فذهب مغاضبا وركب سفينة فركدت وغيرها من السفن يسير فسألوه عن سبب ذلك فقال ان عبدا أبق من ربه وانها لا تسير حتى يلقوه فى البحر فقالوا أما أنت يا نبى

(وفي غير هذا الطريق عن أبي هريرة قال يعني) أي يريد أبو هريرة بالقائل (رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما ينبغي لعبد الحديث) أي الخ كما تقدم (وفي حديث أبي هريرة) أي كما رواه الشيخان (في اليهودي الذي قال) أي حين استب هو ورجل من الانصار (والذي اصطفى موسى على البشر) أي في زمانه ولكنه باطلاقه المتبادر كان يعم نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم بحسب الظاهر (فلطمه رجل من الانصار) أي غيرة على نبينا المختار (وقال تقول ذلك) أي أتقول هذا القول (والنبي بين أظهرنا) أي بيننا موجودا لعنا بطلوعه مسعود (فبلغ ذلك) أي الخبر (النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي فدعا الانصاري فاخبره بذلك (فقال لا تفضلوا) بضم أوله وتشديد الضاد المكسورة أي لا توقعوا التفضيل (بين الانبياء) يعني بمجرد الاهواء والآراء وزاد بعضهم ثم قال ولا أقول ان أحدا أفضل من يونس ابن متى ثم ان النسخ والاصول ٣٧٢ بالضاد المعجمة وأغرب الدلجي حيث قال ومعناه بالصاد المهملة أي لا تفرقوا بينهم بتفصيل و بالمعجمة لا توقعوه بينهم انتهى وهو صحيح المعنى وانما الكلام في ثبوت المبنى مع ما فيه من معارضته لقوله تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض فلابد من اعتقاد التفضيل بالاجمال أو التفصيل واما قوله تعالى لا نفرق بين أحد منهم فالمعنى نؤمن بكلهم تعريضا لليهود فيما حكاه الله تعالى عنهم ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض (وفي رواية) أي للشيخين ولابي داود والنسائي (لا تخيروني) بضم التاء وكسر الياء المشددة أي لا تفضلوني (على موسى) قاله تواضعا أو ردعا عن تفضيل يوجب نقيصة أو فتنة مفضية الى عصبية وحمية جاهلية أو كان هذا قبل ان يعلم انه سيد ولد آدم والله تعالى أعلم (فذكر) أي الراوي (الحديث) أي بقيته وهي قوله وفيه قال فان الناس يصعقون يوم القيامة فاصعق فاكون أول من يفيق فاذا موسى باطش بجانب العرش فلا أدري أكان فيمن صعق فافاق قبلي أو كان فيمن استثنى الله تعالى وفي رواية فلا أدري أجوزي بالصعقة أم لا وهي لغة ان يغشى على الانسان من صوت شديد يسمعه وربما مات ثم استعمل في الموت كثيرا والمراد بها ههنا ما أفاده وخر موسى صعقا قال المصنف رحمه الله تعالى وهذا من أشكل الاحاديث لان موسى مات فكيف يصعق وانما يصعق الاحياء فتحمل ان تكون هذه الصعقة صعقة فزع بعد البعث حين تنشق السماء ويؤيده قوله فافاق فانه انما يقال أفاق من الغشي وبعث من الموت وبه جزم التوربشتي حيث قال واما الصعقة

الله فلا نلقينك فقال اقترعوا فاقترعوا ثلاث مرات وسهم القرعة يقع عليه صلى الله تعالى عليه وسلم فالقوه فابتلعه حوت وغاص به الى قرار الارض فسمع يونس تسبيح الحصى فنادى في الظلمات ظلمة الليل والبحر وبطن الحوت أن لا اله الا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين فنبذ بالعراء وهو سقيم كطير ممعوط لا ريش له فانبت الله عليه شجرة من يقطين استظل بها وأصاب منها فيبست فبكى فاوحى الله اليه أتبكي على شجرة يبست ولا تبكي على مائة ألف أو زيادة هلكوا فنادى أن لا اله الا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين واختلف في مكثه في بطن الحوت فقيل بعض يوم وقيل عشرون وقيل سبعة أيام وقيل أربعون يوما وقيل ثلاثة وانما خص يونس بالذكر لما يعلم مما يأتي وهو خشية ممن سمع قصته ان يقع في نفسه شئ لقلة صبره وعدم ثباته في الشدائد ويأتي ان النهي عنه تفضيل يؤدي الى تنقيص أحدهم ولذا قيل ان من قال أنا خير من بعض الانبياء يخشى عليه الكفران لم يكن نبيا فان كان فلا ينبغي له ذلك وهذا مخصوص بما اذا لم يكن كذلك وقاله افتخارا ولذا وقع من نبينا صلى الله عليه وسلم تحدثا بنعمة الله (وفي غير هذا الطريق) المذكورة آنفا (عن أبي هريرة قال يعني رسول الله) صلى الله تعالى عليه وسلم (ما ينبغي لعبد الحديث) أي أذكره الخ كما (وفي حديث أبي هريرة) رضي الله تعالى عنه الذي رواه الشيخان في رجل من الانصار تنازع مع يهودي بالمدينة وبينه المصنف رحمه الله تعالى بقوله (في اليهودي) أي في رجل من اليهود ولم يذكروا اسمه (الذي قال والذي اصطفى موسى على البشر) أي اختاره وفضله على سائر بني آدم من الانبياء وغيرهم (فلطمه رجل من الانصار) لم يذكروا من هو وفي سيرة ابن اسحق ان اسم اليهودي فنحاص (وقال) أي الرجل الانصاري (تقول ذلك) أي تفضيل موسى على البشر (ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا) جملة حالية أي مع وجود النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الذي هو أفضل من موسى وغيره ولفظ أظهر جمع ظهر مقحمة أي بيننا (فبلغ ذلك) الذي قاله اليهودي والرد عليه (النبي صلى الله عليه وسلم فقال لا تفضلوا بين الانبياء) بالضاد المعجمة أي لا تقدموا وأعلى الحكم بافضلية بعضهم على بعض وليس هذا على ظاهره كما سيأتي وجوز بعضهم ان يكون بالصاد المهملة أي لا تفرقوا وتميزوا بعضهم من بعض (وفي رواية لا تخيروني على موسى) وهذه الرواية في الصحيحين وسنن أبي داود والنسائي والنهي عن تفضيل يقع من غيره مؤد الى نقص أو على سبيل العصبية والتفاخر فلا ينافي قوله أنا سيد ولد آدم ولا فخر وسيأتي تفصيله (فذكر الحديث

في الحديث فهي بعد البعث عند نفخة الفزع واما البعث فلا تقدم لاحد على نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فيه واختصاص موسى
عليه السلام بهذه الفضيلة لا يوجب له تفضيلا على من فاز بسوابق جمة ولواحق عمة (وفيه) أي وفي هذا الحديث (ولا أقول ان أحدا
خير من يونس ابن متى وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه) كما في رواية البخاري (ومن قال انا خير من يونس ابن متى)

وفيه ولا أقول ان أحدا أفضل من يونس ابن متى) وفي هذا الحديث زيادة ذكر موسى وهو من عظماء
الرسل أولي العزم فالتفضيل عليه أقوى فيما نحن بصدده فلا وجه لما قيل من انه كان ينبغي تقديم
هذا الحديث على الذي قبله والحديث المذكور أوله استب رجل من المسلمين ورجل من اليهود
فقال المسلم مقسما والذي اصطفى محمدا على العالمين فقال اليهودي والذي اصطفى موسى على العالمين
فلطمه المسلم فذهب اليهودي الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فاخبره بما جرى بينهما فقال لا تخيروني
على موسى فان الناس يصعقون فاكون أول من يفيق فاذا موسى باطش بجانب العرش فلا أدري
أحوسب بصعقة الطور أو بعث قبلي (ولا أقول ان أحدا أفضل من يونس بن متى) وكانت القصة في
عرض سلعة وقال البرهان لا أعرف اسم اليهودي والمسلم اللاطم له وقال غيره اليهودي اسمه فنحاص
أي كما تقدم واللاطم أبو بكر رضي الله تعالى عنه الا أن قوله في الحديث رجل من الانصار يأباه الا أن
يقال الانصار هنا بمعناه اللغوي وهو خلاف الظاهر وهذه الصعقة هي المذكورة في قوله تعالى ويوم
ينفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله وهذا والاستثناء المذكور في
الحديث فالصعق الاحياء والاخراج من القبور مجاز الان حقيقتها الصراخ مع غشي يخر منه وقيل
المراد بها حقيقتها وانها في عرصات القيامة بعد الحشر يوم الفزع الاكبر وقال ابن قيم الجوزية في كتاب
الروح نقلا عن تذكرة القرطبي ان هذه الرواية دخل فيها حديث في حديث ولذا أشكل عليهم والذي
يزيح الاشكال ان الموت ليس بعدم محض بل ترحال وانتقال من حال الى حال والانبياء والشهداء أحياء
لكنهم غيبوا عنا في مراقدهم فاذا نفخ في الصور فمن مات حي ومن كان حيا من الانبياء ونحوهم كالمغشي
عليه صعق ثم أفاق ولذا ورد في حديث مسلم فاكون أول من يفيق فلذا تردد النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم في أنه أول من تنشق عنه الارض فأفاق أم موسى عليه الصلاة والسلام سبقه لانه حوسب بصعقة
الطور فلم يغش عليه ويصعق وهذه فضيلة لموسى عظيمة فلذا ذكرها ونهى عن تفضيله عليه وان
لم يلزم كونه أفضل منه من سائر الوجوه فلذا خصه بالذكر وخص يونس لما روسئل امام الحرمين عن
نفي الجهة ودليلها فقال دليلها قوله صلى الله تعالى عليه وسلم لا تفضلوني على يونس بن متى لانه خاطب
الله في قعر البحر والظلمات الثلاث بقوله سبحانك كما خاطبه نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم في مقام
قربه قاب قوسين على الرفرف فلم يكن ثمة أقرب من يونس (وعن أبي هريرة) في حديث رواه البخاري
(ومن قال أنا خير من يونس بن متى فقد كذب) ذكروا فيه احتمالين أن يكون أنا عبارة عن النبي صلى
الله تعالى عليه وسلم أي من فضلني على يونس عليه الصلاة والسلام فقد كذب وان يكون أنا عبارة عن
القائل غيره أي أي أحد من الناس قال أنا خير من يونس لتوهمه انه فضله بعلمه وعبادته وغير ذلك من
الفضائل لان أحدا لا يبلغ درجة الانبياء عليهم الصلاة والسلام وقد قالوا انه كفر وهذا يؤيد ان المراد
الاول ويأتي بيان الثاني في كلام المصنف رحمه الله (وعن ابن مسعود ولا يقولن أحدكم أنا خير من يونس
ابن متى وفي حديثه الآخر) أي حديث ابن مسعود الذي رواه مسلم وأبو داود والترمذي (فجاءه صلى الله
تعالى عليه وسلم رجل فقال يا خير البرية) أي يا أفضل الخلق كلهم والبرية بتشديد الياء من برأ يبرأ

أي من جميع الوجوه
(فقد كذب) أو قد يكون
له خصوصية في نوع من
الفضيلة قال الدلجي
ويجوز رجوع أنا كما مر
اليه صلى الله تعالى عليه
وسلم أو الى كل قائل أي
لا يقول ذلك أحد وان
بلغ في العلم والعبادة أو
غيرهما من الفضائل
ما بلغ اذ لا يبلغ ما بلغه
يونس من درجة النبوة
انتهى ولا يخفى ان انا في
الحديث السابق يحتمل
الاحتمالين واما هنا
فالاحتمال الى القائل
بعيد عن موضع تحقيق
وتأييد لان جزاءه حينئذ
فقد كفر كما سبق فتدبر
وأيضا ما كان أحد يتوهم
منه انه يدعي كونه أفضل
من يونس حتى ينهى عنه
وانما كان يتوهم بعضهم
ان نبينا صلى الله تعالى
عليه وسلم أفضل منه في
أمر النبوة والرسالة أو في
علو المرتبة وفضيلة الدرجة
فنهاهم اما اعلاما
بتسوية نسبة النبوة
والرسالة واما تواضعا لربه
وهضما لنفسه واما قبل

علمه بعلو مقامه (وعن ابن مسعود ولا يقولن أحدكم أنا خير من يونس ابن متى وفي حديثه) أي ابن مسعود (الآخر) أي الذي رواه مسلم
وأبو داود والترمذي (فجاءه) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (رجل فقال يا خير البرية) أي الخلق من برأه الله يبرأه برأ أي خلقه
خلقه فهو فعيل بمعنى مفعول والتاء للمبالغة في الكثرة وأصله مهموز كما قرأ به نافع وابن ذكوان ثم أبدلت الهمزة ياء وادغمت وهي
قراءة الباقين فقول صاحب النهاية ولم يستعمل مهموزا مبني على عدم علمه بالقراءة

(فقال ذاك) وفى نسخة ذلك باللام (ابراهيم) قاله تواضعا واكراما لكونه أبا أولانه أمرنا باتباعه أو قبل العلم بانه أفضل منه (فاعلم) جواب الشرط السابق أى فان قلت الخ فاعلم (ان للعلماء فى هذه الاحاديث) أى الناهية عن التفضيل بين الانبياء (تاويلات) أى وجوها أربعة أو خمسة تقدم بيان بعضها فى حل لفظها (أحدها) أى الوجه الاول منها (ان نهيه عن التفضيل) أى فيما بينهم (كان قبل ان يعلم انه سيد ولد آدم فنهى عن التفضيل اذ يحتاج الى توقيف) أى الى سماع فى تفضيل الانبياء اذ لا درك فيه لعقول العلماء (وان من فضل) أى أحدا منهم على غيرهم (بلا علم) أى يقينى أو ظنى يصلح للاستدلال (فقد كذب) أى فى ذلك المقال (وكذلك) أى ماول (قوله لا أقول ان أحدا أفضل منه) أى يونس (لا يقتضى تفضيله هو) أى يونس على اطلاقه وقد أبعد الدلجى فى قوله أى هو صلى الله تعالى عليه وسلم على يونس لدخوله فى عموم النكرة فى سياق النفى انتهى ووجه غرابته لا يخفى مع عدم ملاءمته للمدعى بحسب المعنى (وانما هو) أى قوله هذا (عن الظاهر كف) بتشديد الفاء أى منع منه صلى الله تعالى عليه وسلم لغيره (عن التفضيل) اذ من شانه ان يكون منشأ للنقص أو التجهيل (الوجه الثانى انه قاله صلى الله تعالى عليه وسلم على طريق التواضع) مع اخوانه وأقرانه أو لربه فى عظمة شانه (ونفى التكبر والعجب) أى عن باطنه تعليما لامته وارشادا الى طريقته (وهذا) أى الوجه من التاويل (لا يسلم من الاعتراض) أى فى صحة التعليل فان عدم جريه على موجب علمه اخبار بخلاف وقوعه وهو ينافى منصب النبوة وفيه ان هذا الاعتراض انما يرد لو ثبت نفيه تواضعا بعد علمه بكونه أفضل وصفهم الانبياء أو بتفضيل التفضيل بين الاصفياء واما قبل العلم فلا يرد اعتراض أصلا مع احتمال حمل التواضع من حيث انه لا مفضول الا وقد يوجد فيه ما لا يوجد فى الفاضل فليس أحد منهم أفضل مطلقا على ان من تواضع لله رفعه الله وقد أبعد التلمسانى حيث قال الاعتراض هو انه لا يظهر حينئذ فائدة تخصيص يونس عليه السلام بالذكر انتهى وتبعه الانطاكى وبعد كلامهما ما لا يخفى لانه كما قال الخطابى انما خص يونس عليه السلام لان الله تعالى لم يذكره فى جملة أولى العزم من الرسل فكأنه قال فاذا لم آذن لكم ان تفضلونى على يونس فلا تفضلونى على غيره من أولى العزم بالاولى (الوجه الثالث ان لا يفضل بينهم تفضيلا يؤدى الى تنقيص بعضهم) أى طلب نقصان فى المرتبة أو ظهور منقصة فى المنقبة لبعضهم

مهموزا بمعنى خلق من البرأ بمعنى التراب الا انه التزم فيه ابدال الهمزة ياء كما فى النهاية (فقال ذاك) وفى نسخة ذلك والاشارة لخير البرية (ابراهيم) الخليل عليه الصلاة والسلام وهو فى الحقيقة أفضل البرية والرسل بعد نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وقال السيوطى انه متفق عليه (فاعلم) جواب الشرط فى قوله فان قلت وهو شروع فى تحقيق المسئلة والجمع بين الاحاديث المتعارضة فى التفضيل وعدمه (ان للعلماء فى هذه الاحاديث) الناهية عن التفضيل وما يخالفها (تاويلات) تقدم بعض منها وسيأتى تحقيقها (أحدها ان نهيه) صلى الله تعالى عليه وسلم (عن التفضيل كان قبل ان يعلم انه سيد ولد آدم) بالبناء للفاعل أو المفعول أى يعلمه الله وهذا دليل على ان قوله انا السابق عبارة عنه عليه الصلاة والسلام (فنهى عن التفضيل اذ يحتاج الى توقيف) أى اعلام به من الله واذن فيه فلا يقدم عليه بالعقل وكون التفضيل فى الحديث خاصا بموسى ويونس عليهما الصلاة والسلام فيه دلالة عليه فى الجملة فلا يرد ما قيل انه لا يقتضى المنع مطلقا فتأمله (وان من فضل بلا علم فقد كذب) لانه لا يطابق ما فى نفس الامر عنده اذ لم يعلم وهذا تشديد فى النهى والا فاخباره على غلبة ظنه انه واقع لا يعد كذبا (وكذلك قوله لا أقول ان أحدا أفضل منه لا يقتضى تفضيله هو) لانه نفى لقوله وهو لا يدل على انتفائه فى نفس الامر وما كل ما يعلم يقال وضمير تفضيله هو للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم أى تفضيله على يونس أو ليونس صلى الله تعالى على نبينا وعليه السلام (وانما هو فى الظاهر كف) أى امتناع أو منع لغيره (عن التفضيل) بينهم وقد يكون لامر آخر (الوجه الثانى انه قاله صلى الله تعالى عليه وسلم على طريق التواضع ونفى التكبر والعجب) بضم فسكون أى عجبه وخيلائه بنفسه ومدحه لها فانه كذلك فى الغالب والتكبر اظهار عظمته والعجب استحسانه لنفسه وسياسته والتواضع لين الجانب وخفض جناحه لغيره (وهذا) الجواب (لا يسلم من الاعتراض) الوارد عليه لانه يعد الاخبار بخلاف الواقع الذى هو كذب مذموم تواضعا وقيل ولان نفى التكبر والعجب يقتضى ثبوتهما له وانه مع ما علم من حاله كيف يتوهم فيه ما لا يتوهم فى غيره من صلحاء أمته ولا يخفى انه اعتراض ساقط فان التواضع صفة محمودة وهو من شانه صلى الله تعالى عليه وسلم كما تقدم (الوجه الثالث) ان مقصوده صلى الله عليه وسلم بنهيه (ان لا يفضل بينهم تفضيلا يؤدى) بضم التحتية وفتح الهمزة وتشديد الدال المهملة أى ينجر ويوصل (الى تنقيص بعضهم) تفعيل من النقص أى يقتضى

(أو الغض) بغين وضاد مشددة معجمتين أى النقص منهم جميعا كذا ذكره الدلجي وفيه ان النسخ كلها (منه) بضمير الافراد الراجع الى بعضهم فالاولى ان يفسر الغض بالاغماض الذى هو كناية عن الاعراض (لاسيما) كلمة استثناء مركبة من سي بمعنى مثل ومن ماوهى اماموصولة فيرتفع الاسم بعدها خبر مبتدأ محذوف كما فى جاء القوم لاسيما أخوك أى لامثل الذى هو أخوك واما زائدة فينجر مابعدها بسى لانها كما فى أكرم القوم لاسيما أخيك أى لامثل أخيك اكراما وقول امرئ القيس ولاسيما يوم بدارة جلجل وردمرفوعا ومجرورا والمعنى هنا خصوصا اذا كان التفضيل المتنازع فيه (فى جهة يونس عليه السلام اذ أخبر الله عنه بما أخبر) أى فى تنزيله بقوله ولاتكن كصاحب الحوت اذنادى وهو مكظوم وبقوله فالتقمه الحوت وهو مليم وبقوله اذابق الى الفلك المشحون فوقع النهى عن التفضيل عليه (لئلا يقع فى نفس من لايعلم) أى مقام قربه وانه تداركه نعمة من ربه (منه) متعلق بيقع أى لئلا يقع فى نفس الجاهل بمقامه من جهة منزلته (بذلك) أى بسبب ماأخبر الله عنه (غضاضة) بفتح أوله مرفوعة على انها فاعل يقع أى نقص وحقارة (وانحطاط) أى تنزل (من رتبته) بضم الراء أى مرتبته (الرفيعة) أى العالية التى هى أصل النبوة والرسالة (اذ قال تعالى) بدل من قوله اذ أخبر الله تعالى (عنه) أى حكاية عن حاله ورواية عن مآله حيث قال فى موضع (اذ ذهب مغاضبا) أى فارق قومه وخرج عنهم حال كونه مغاضبا عليهم لاصرارهم على الكفر والعدوان وعدم رجوعهم الى الايمان والاحسان وكان خروجه وذهابه لم يكن عن اذن من الرحمن ولذا عبر عنه بقوله (اذابق) بفتح الباء وحكى كسرها (الى الفلك المشحون) أى المملوء فان أصل الاباق هو الهرب من السيد فحسن اطلاقه عليه ههنا لهربه من قومه بغير اذن ربه (فظن أن لن نقدر عليه) أى لن نضيق عليه أو لن نقضى عليه بالعقوبة وينصره قراءته مثقلا وروى الزمخشرى ان معاوية قال لابن عباس رضى الله تعالى عنه ضربتنى أمواج القرآن البارحة فغرقت فيها فلم أجد لنفسى خلاصا الا بك قال وماهى يامعاوية فقرأ هذه الآية فقال أو يظن نبى الله ان لايقدر الله عليه فقال له هذا من القدر لامن القدرة قال ابن عرفة أى من الارادة أى فظن ان لن نريد عقوبته (فربما يخيل لمن لاعلم عنده حطيطته) أى حط مرتبته ونقص منزلته عن رتبة نبوته ورفعة رسالته (بذلك) أى بسبب ماذكر ومن جهة ماأخبر (الوجه الرابع منع التفضيل) أى نهيه (فى حق النبوة والرسالة) أى باعتبار أصلهما وحقيقة ماهيتهما لافى ذوات الانبياء وزيادة خصائص الاصفياء

وصفهم بما فيه نقص لهم وذم (أو الغض منه) بفتح الغين والضاد المعجمتين المشددة المكسورة كالغضاضة وهى النقص والعيب وأصله من غض الطرف والصوت وهو خفضه فاستعير لما ذكر وضمير منه للبعض وفى نسخة منهم ويفهم من هذا جوازه ان لم يؤد لما ذكر (لاسيما) أى خصوصا (فى جهة يونس عليه الصلاة والسلام) أى فى حقه ووصفه لان الجهة تطلق على الصفة منه ومنه وجهات القضايا ولاسيما عده النحاة من أدوات الاستثناء وليس هذا محل الكلام عليه (اذ أخبر الله عنه بما أخبر) فى قوله ولاتكن كصاحب الحوت الخ (لئلا يقع فى نفس من لايعلم منه) أى لايعلم من يونس وما قص من قصته (بذلك) أى بسبب ذلك المذكور وهو متعلق بقوله (غضاضة) أى نقص وحقارة يتوهمها من لاعلم عنده وعطف عليه عطف تفسير قوله (وانحطاط من رتبته الرفيعة) استعارة بتنزيل شرفه منزلة أمر عال حسا نزل من علو الى سفل (اذ قال الله تعالى) حاكيا (عنه اذ أبق الى الفلك المشحون) أى خرج الى سفينة مملوءة بما فيها من الناس والمتاع والاباق هروب العبد من سيده حسن اطلاقه عليه اذ خرج بغير اذن ربه وقال تعالى (اذ ذهب مغاضبا) لقومه لما لم يجيبوا دعوته كما تقدم (فظن أن لن نقدر عليه) أى لن نضيق عليه بالعقوبة ويؤيده انه قرئ مثقلا أو تمثيلا لحاله بحال من ظن انا لانقدر عليه فى مراغمة قومه لعدم انتظاره لامرنا وروى ان معاوية قال لابن عباس أيظن نبى ان لايقدر الله عليه فقال هو من القدر لا القدرة قال ابن برى أى من الارادة فظن ان لن نريد عقوبته (فربما يخيل) بالبناء للمجهول ونائب فاعله قوله حطيطته وقوله (لمن لاعلم عنده) بمعانى القرآن وما قيل فى تاويل هذه الآية متعلق به (حطيطته) أى نقصه (بذلك) ونزول مقامه عن مقام غيره من الرسل لنظره لظاهر الآية وقد نقل المفسرون فيه أقوالا فقيل معنى ذهب مغاضبا انه غضب من قومه لامن ربه وهذا خلاف الاولى اذ كان حقه الصبر كما وقع لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فى أحد وغيرها فلا يذهب بغير أمر ولذا قال الله تعالى له ولاتكن كصاحب الحوت وأما قوله فظن ان لن نقدر عليه فقد تقدم تاويله وقيل أحسن ما قيل فيه ان معناه لن نضيق عليه وقول البيضاوى انها خطرة شيطانية سبقت الى وهمه سميت ظنا للمبالغة مما لايليق ان يقال لعصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام عن مثله (الوجه الرابع منع التفضيل) بين الانبياء والرسل الذى أفاده النهى الوارد فى الحديث انما هو (فى حق النبوة والرسالة) نفسهما

(فان الانبياء فيها على حد واحد) أي سواء غير متعدد (اذ هي) أي مادة النبوة والرسالة (شيء واحد) وهو البعثة المجردة الحاصلة بالوحي فقط وتسمى النبوة أو منضمة الى تبليغ الغير وتسمى الرسالة وهي في حد ذاتها شيء واحد (لا تتفاضل) أي بالنسبة الى أصحابها فلا يقال مثلا نبوة آدم أفضل من نبوة غيره منهم ونظيرها حقيقة الايمان فانها شيء واحد بالنسبة الى المؤمنين حال الايقان وهذا معنى قوله عليه الصلاة والسلام لا تفضلوني على اخواني المرسلين فانهم بعثوا كما بعثت (وانما التفاضل في زيادة الاحوال) أي الناشئة عنها من تحسين الاخلاق والاعمال (والخصوص) أي والخصوصيات في مقامات أرباب الكمالات (والكرامات) أي المعجزات وخوارق العادات (والرتب) أي ومراتب العبادات والمجاهدات (والالطاف) أي وأنواع الملاطفة وأصناف المخالطة من حسن المعاشرة والمجاملة والمداراة مع الامة كاختلاف مراتب أهل الايمان من ظهور ثمرات الايقان ونتائج الاحسان ولوائح العوارف ولوامع المعارف وخوارق العادات للاولياء ومراتب الاجتهادات للعلماء والاصفياء (وأما النبوة في نفسها) وكذا الايمان في حد ذاته (فلا تتفاضل) أي لا تتفاوت في حالاتها ولا تتزايد في مقاماتها (وانما التفاضل بامور أخر) أي كما سبقت الاشارة اليها (زائدة عليها) أي على حقيقتها (وكذلك منهم رسل) أي بعض الانبياء موصوفون بزيادة وصف الرسالة على نعت النبوة (ومنهم أولو العزم) أي الجد والاحتياط والحزم (من الرسل) أي بناء على ان من تبعيضية وهو المعتمد لا بيانية ثم هم مجموعون في آيتين احداهما قوله تعالى واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وفي تقديم منك اشعار باوليته وأفضليته صلى الله تعالى عليه وسلم على بقيتهم والباقي ذكر على ترتيب وجودهم حين بعثتهم وان كان بعضهم أفضل من بعض في مقام كرمهم وجودهم وسيرتهم وفهم (ومنهم) أي وكان من الانبياء (من رفع مكانا عليا) كادريس عليه السلام وهو سبط شيث وجد نوح كما قال تعالى ورفعناه مكانا عليا أي رفع الى السماء وقيل الى الجنة (ومنهم من أوتي الحكم) أي النبوة أو الحكمة أو فهم التوراة (صبيا) أي حال صغره كيحيى عليه السلام كما قال تعالى وآتيناه الحكم صبيا قيل أوتي النبوة وهو ابن ثلاث سنين وقيل قرأ التوراة وهو صغير

لا الانبياء والرسل قال السنوسي في شرح عقائده بعد ما ذكر ما قاله المصنف ومما دل على عدم التفاضل بين الانبياء في نفس النبوة وحقيقتها منع ان يقال ثبت لفلان النبي النصيب الاقل من النبوة ولفلان النصيب الاوفر منها ونحوه من العبارات التي تقتضي ان النبوة مقولة بالتشكيك ولا شك ان الامتناع من هذه العبارة معلوم من الدين بالضرورة بين السلف والخلف فدل ذلك على ان حقيقة النبوة من المتواطئ المستوي افراده ولا يلتفت لمن خالف مقتضاه لوضوح فساده انتهى وفي ذكره ذلك في النبوة دون الرسالة ايماء لفرق بينهما في ذلك فتأمله وقريب منه قوله (فان الانبياء فيها) أي في النبوة من حيث هي هي (على حد واحد) فرتبتها وقدرها متحد فيهم (اذ هي شيء واحد) أي متحد في جميعهم (لا تفاضل) أي لا تزيد بعضها على بعض (وانما التفاضل) والتفاوت (في زيادة الاحوال) أي العوارض الطارئة عليها (والخصوص) أي ما خص به بعضهم دون بعض (والكرامات) التي أكرم الله بها بعضهم (والرتب) الدنيوية والاخروية (والالطاف) أي العطايا التي أعطاها الله بعضهم جمع لطف بفتحتين وهو الهدية كما مر فهو استعارة هنا (وأما النبوة في نفسها فلا تتفاضل وانما التفاضل بامور أخر زائدة عليها) طارئة ليست من نفس حقيقتها كما بيناه (ولذلك) أي لما ذكر من ان التفاضل لامر زائد (كان منهم رسل) غير أولي العزم (ومنهم أولو العزم من الرسل) والعزم القوة والشدة والتصميم على تنفيذ ما يراه أولى به وبغيره والرسل جمع رسول وهو صاحب الرسالة من الله بشر بعثه المأمور بالتبليغ فهو أخص من النبي على المشهور من الرسل بالكسر وهو تتابع الدر ومنه على رسلك أي تمهل وتثبت وقد اختلف في أولي العزم والحزم منهم فقيل هم خمسة نوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله على نبينا وعليهم وهم أصحاب الشرائع وقيل أربعة نوح وهود وابراهيم ومحمد صلوات الله على نبينا وعليهم وقيل ستة ابراهيم وموسى وداود وسليمان وعيسى ومحمد صلوات الله على نبينا وعليهم وقيل هود ونوح وصالح وشعيب ولوط وموسى وهم المذكورون على نسق في الاعراف والشعراء وقيل هم نوح لصبره على أذى قومه وابراهيم لصبره على النار واسحق لصبره على الذبح في قول ويعقوب لصبره على فقد ولده ونور بصره ويوسف لصبره على السجن وأيوب لصبره على الضر وقيل هم المأمورون بالجهاد وقيل نجباء الرسل المذكورون في الانعام واختاره الحسن لقوله أولئك الذين هدى الله الخ وهذا مبني على تفسير العزم ثم بين بعض ما وقع فيه التفاضل فقال (ومنهم من رفع) أي رفعه الله (مكانا عليا) وهو ادريس سبط شيث وجد نوح واسمه قديما أخنوخ رفع الى السماء أو الجنة كما قاله المفسرون وكذا عيسى (ومنهم من أوتي الحكم صبيا) وهو يحيى اذ احكم الله عقله ونبأه وآتاه الحكمة

(وأوتى) أو أعطى (بعضهم الزبور) وهو داود عليه السلام ووقع فى أصل التلمسانى ههنا الزبر بضمتين جمعا أى صحائف نورة أى مكتوبة كما قال تعالى وآتينا داود زبورا (وبعضهم البينات) أى المعجزات الظاهرات أو المبينات للنبوة بحسب الدلالات كعيسى عليه السلام كما قال الله تعالى وآتينا عيسى ابن مريم البينات أى كاحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص والاخبار بالمغيبات (ومنهم من كلم الله تعالى) كموسى كلمه مرتين ليلة الحيرة وعلى الطور (ورفع بعضهم درجات) تفضيلا له على غيره فى المقامات وهو نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم اذ لا تحصى درجات كمالاته ولا تعد مراتب مقاماته وحالاته مع مشاركته لكل من الانبياء فى ظهور آياته واقتران زيادة معجزاته وخصوصياته ولعله أبهم اعتمادا على ما أبهم لانه كالمتعين من حيث انه الفرد الاكمل لاسيما فى مقام الختم المؤذن بكونه الافضل (قال الله تعالى ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض الآية) فالتفضيل ثابت مقطوع به فى الجملة بين أرباب النبوة وكذا بين أصحاب الرسالة لقوله (وقال) أى الله سبحانه وتعالى (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض) أى بفضائل سنية وشمائل بهية وفواضل انسانية منزهة عن علائق جسمانية وعوائق شهوانية ونحوها فى الدنيا ومراتب جلية ودرجات علية وأمثالها فى العقبى فان الدنيا مزرعة للآخرة (قال بعض أهل العلم والتفضيل المراد لهم هنا فى الدنيا) أى غير مقصور فى العقبى لانه غير موجود فى الاخرى (وذلك) أى سبب تفضيلهم فى الدنيا (بثلاثة أحوال) أى يعرف بثلاثة أوصاف (ان تكون آياته) أى خوارق عاداته (ومعجزاته) أى المقرونة بالتحدى فهى أخص مما قبله (أبهر) أى أظهر (وأشهر) ولاشك ان معجزات نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم أظهر وأشهر ولو لم يكن الا القرآن لكفى دليلا وبرهانا (أو تكون أمته أزكى) أى أنقى (وأكثر) أى أزيد من غيرهم كيفية وكمية أما الكيفية فقد قال تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس وأما الكمية فقد ثبت انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال صفوف المؤمنين مائة وعشرون وأمتى منهم ثمانون وفى نسخة أظهر بالظاء المعجمة بدل أكثر والاظهر هو الاول فتدبر وعلى تقدير صحته فلعل معناه أغلب (أو يكون) أى النبى المفضل (فى ذاته أفضل وأطهر) بالطاء المهملة أى أنور وقد تصحف بالمعجمة على الدلجى وفسره بأشهر ثم مما يدل على أفضلية نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فى ذاته انه سبحانه وتعالى خلقه قبل جميع موجوداته بل جعله كالعلة الغائية فى مراتب مخلوقاته وجعله أولا وآخرا فى مقامات كائناته وجعل نوره مشكاته محل فيوض أنوار ذاته وأسرار صفاته ومعدن ظهور تجلياته هذا (وفضله) أى وفضل كل نبى (فى ذاته راجع الى ما خصه الله تعالى به من كرامته) أى من اكرام الله له بمناقب عظيمة ومراتب جسيمة (واختصاصه) بالجر أى والى اختصاص كل نبى بمقام على وحال جلى (من كلام) أى كما وقع لموسى فى الطور ولنبينا فى مقام دنا بل أدنى فى معرض الظهور (أو خلة) أى كما ثبت للخليل ولنبينا الجليل مع زيادة المحبة

وفيهم التوراة وأكثر الانبياء نبئ بعد الاربعين وقد ذكر مثل هذا فى عيسى أيضا (وأوتى بعضهم الزبور) وهو داود وفى نسخة الزبر جمع زبور بمعنى المزبور المكتوب فيشمل موسى وعيسى وادريس وشيث وداود وقيل انه يكون مصدرا كما فى الحجة لابى على (وأوتى بعضهم البينات) أى المعجزات الظاهرة الباهرة التى لم يؤتها أحد قبله من أحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص ونحوه مما فضله الله تعالى به وهو عيسى عليه الصلاة والسلام (ومنهم من كلم الله) من غير واسطة وهو موسى اذ كلمه بالطور لما رأى نورا (ورفع بعضهم درجات) عالية فضله بها على غيره وهذا اجمال لفضائل لم تذكر أو المراد به محمد صلى الله تعالى عليه وسلم اذ فضله على من سواه بوجوه متعددة ومراتب متباعدة كدعوته العامة للعرب والعجم والجن والانس والملائكة ومعجزاته الباقية الى يوم القيامة ومن أجلها القرآن وغيره مما يفوت الحصر (قال تعالى ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض الآية وقال) تعالى (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض الآية) هذا بيان لما قبله أو ناظر لجميعه كما أشرنا اليه وقوله تلك أنثه باعتبار الجماعة (قال بعض أهل العلم) بالكتاب والسنة (والتفضيل المراد لهم هنا) عطف على مقدر أو على ما تقدم وهنا اشارة لما ذكر قبله (فى الدنيا) متعلق بالتفضيل (وذلك بثلاثة أحوال) وفى نسخة أوجه (ان تكون آياته ومعجزاته أبهر) أى أقوى وأغلب من بهر ضوء القمر الكواكب اذا غلبها أو أظهر (وأشهر) عطف تفسير له كانشقاق القمر والقرآن وانفلاق البحر وانقلاب العصا حية (أو تكون) بالنصب (أمته أزكى وأكثر) أى أنقى وأكثر من غيرهم كنبينا صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس وقد أرسل للناس كافة (أو يكون) بالنصب (فى ذاته أفضل) بزيادة علمه وخصاله المحمودة (وأظهر) بالمعجمة أى أشهر وبالمهملة أنقى وأتقى (وفضله فى ذاته) ونفسه (راجع الى ما خصه الله به) أى ماله ومعناه (من كرامته) أى اكرام الله له بمآثر ومناقب عظيمة وهبها له (واختصاصه) بالجر معطوف على مدخول الى أو من فى قوله (من كلام) بيان لاختصاصه بمعنى ما خصه به بغير واسطة كموسى ونبينا صلى الله تعالى عليهما وسلم (أو خلة) تقدمت وانها لابراهيم أوله ولنبينا صلى الله تعالى

الخاصة والحالة الجامعة بين المحبية والمحبوبية بل الوسيلة لكل محب ومحبوب في المرتبة المطلوبية والمجذوبية (أورؤية) أي بصرية كما اختص به نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم على ما تقدم أورؤية بصرية وهي مقام المشاهدة برفع الحجب الجسمانية كما يحصل للكمل من الأفراد الانسانية (أوماشاء الله من ألطافه) أي الخفية وهي بفتح الهمزة جمع لطف وهو بر دقيق (وتحف ولايته) أي العلية وهي بضم التاء وفتح الحاء جمع تحفة بمعنى الهدية (واختصاصه) أي اياهم بالمراتب الجلية (وقد روى) كما في تفسير ابن أبي خاتم ومستدرك الحاكم عن وهب بن منبه (ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان للنبوة) أي المقرونة بالرسالة (أثقالا) أي تكاليف مثقلة ذات مرارة تعرض لها بسبب التبليغ بشارة ونذارة كما أشار اليه قوله تعالى انا سنلقي عليك قولا ثقيلا (وان يونس) أي لعدم تحمله وغلبة ضجره في مقام صبره عند ترك انقياد قومه واصرارهم وشدة عنادهم وتمادي اضرارهم (تفسخ منها) أي انسلخ منها وتجرد عنها (تفسخ الربع) بالنصب أي كتفسخه تحت الحمل الثقيل وهو بضم الراء وفتح الباء أي الفصيل وهو ولد الناقة يولد في الربيع والمعنى أن يونس عليه السلام لم يستطع أن يحمل اعباء النبوة كما أن الربع لا يستطيع أن يحمل الأثقال الكبيرة (فحفظ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي بنهيه عن التفضيل بينهم (موضع الفتنة من أوهام) أي التي هي أوهام (من يسبق اليه) أي الى فهمه من وهمه والوهم هو الاحتمال المرجوح عند تردد حكم العقل (بسببها) أي بسبب أثقالها من سآمة وضجر وضيق نفس وقلة صبر (جرح) بفتح الجيم وسكون الراء أي طعن (في نبوته) وفي نسخة بفتح حاء وراء وبجيم أي ضيق والظاهر انه تصحيف (أوقدح) أي عيب (في اصطفائه) أي بالرسالة أو في اجتبائه الثابت في قوله تعالى فاجتباه ربه فجعله من الصالحين (وحط من رتبته) أي وضع من رفعته (ووهن في عصمته) أي ضعف فيها بتوهمه ذلك (شفقة) علة لحفظ أي راعى هذا المعنى المفاد من المبنى أي مخافة (منه صلى الله تعالى عليه وسلم على أمته) ورحمة على أهل ملته كيلا يقع أحد في وهدة غفلته وينجر عن الاقدام على جرأته

عليهما وسلم (أورؤية) عيانا قبل دخول الجنة كما في المعراج (أوماشاء الله) وأراده لهم غير ما ذكر (من ألطاف) بفتح الهمزة أي عطايا كما تقدم وفي نسخة ألطافه بالاضافة (وتحف ولايته) أي تحف أولاها لهم (واختصاصه) عما أحبهم به من قرة أعين لا يعلمها الا هو (وقد روى) بالبناء للمجهول وهذا رواه ابن أبي حاتم والحاكم في مستدركه عن وهب بن منبه وهو رجوع الى تنزيه يونس صلى الله تعالى عليه وسلم عما ذكر من الاوهام (ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان للنبوة أثقالا) أي أحمالا ثقيلة قال تعالى وتحمل أثقالكم جمع ثقل والثقل كعنب وسكن مقابل الخفة قال الراغب وأصله في الاجسام ثم يقال في المعاني كأثقله العزم والوزر وهو في الانسان ذم في أكثر المتعارف وقد يكون مدحا كقوله

تخف الارض اما بنت عنها * وتبقى ما بقيت بها ثقيلا
حللت بمستقر الارض منها * فتمنع جانبيها ان تميلا

والمراد هنا المشاق التي تكون في تبليغ الرسالة (وان يونس تفسخ منها) الضمير للاثقال والاحمال وتفسخ بالفاء والسين المهملة المشددة والخاء المعجمة تفعل من الفسخ أي تقطعت أعضاؤه وتفككت لعدم طاقته صلى الله تعالى عليه وسلم لحملها يقال تفسخ البعير تحت الحمل الثقيل وفسخ ثيابه اذا أزالها ومنه فسخ العقود عند الفقهاء (تفسخ الربع) تفعل مصدر من الفسخ والربع بضم الراء المهملة وفتح الباء الموحدة والعين المهملة وهو الفصيل أي ولد الناقة الصغير الذي يولد في الربيع وبعده الهبع الذي يولد في الصيف وتفسخ منصوب بالمصدرية لتفسخ أي تفسخ كتفسخه أي لم يطلق مشاقها ولم يصبر عليها وفي تشبيهه بالربع اشارة الى أنه كان في مبدأ أمره وفي قوله أثقالا استعارة تصريحية وفي تفسخ استعارة تصريحية تبعية ولا ينافي التشبيه ويجوز أن تكون استعارة تمثيلية وهو أحسن ثم بين مراده فقال (فحفظ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) بنهيه عن التفضيل (موضع الفتنة) أي ما يقع الناس بسببه في فتنة وأمر محذور من تنقيص الانبياء عليهم الصلاة والسلام فجعله كأنه موضع لها تقر فيه (من أوهام) التي يتوهمها من لا علم له وهو متعلق بحفظ أي صانه مما يتوهم أو هو بيان لموضع (من يسبق اليه بسببها) أي المواضع أو الاوهام وقيل المراد بسبب أثقالها من سأم وضجر وقيل بسبب الفتنة وقيل بسبب قصة يونس عليه السلام (جرح في نبوته) بفتح الجيم أي ذكر ما لا يليق بمقام النبوة مما يقتضي عدم العصمة (أوقدح في اصطفائه) أي ذم وتنقيص لكونه صفوة مختارا عند ربه مفضلا على غيره والقدح ذكر المعائب والنقائص (وحط من رتبته) أي تنزيل له من علو مقامه (ووهن في عصمته) أي عد عصمته فيها ضعف لما توهمه من ظاهر قصته السالفة فلذا نهاهم صلى الله تعالى عليه وسلم عن تفضيله عليه فضلا على تنقيصه لنساويهم في حقيقة النبوة وان تفاوتت أحوالهم وصفاتهم كما سمعته مفصلا (شفقة منه صلى الله تعالى عليه وسلم) بالنصب مفعول له أو علة لحفظ (على أمته)

(وقد يتوجه على هذا الترتيب) أى على مارتب من ان يونس ممن خصه الله تعالى بعد النبوة والطاف الكرامة (وجه خامس وهو أن يكون انا) أى فى الحديث السابق (راجعا الى القائل نفسه أى لا يظن) يعنى لا يتوهم (أحد) أى من العلماء والاولياء (وان بلغ من الزكاء) أن وصلية أى وان وصل من الفهم العالى وهو بالزاى فى خط المصنف وعند العرفى بالذال المعجمة ومعناه قريب من الاول فتامل (والعصمة) أى من الافعال الردية (والطهارة) أى من الاخلاق الدنية (مابلغ) أى من الغاية والنهاية فى مرتبة الولاية (انه خيرمن يونس لاجل ماحكاه الله تعالى عنه) أى من ظهور تضجره وتبرمه وقلة صبره على تمادى قومه فى ترك الايمان بماجاءبه (فان درجة النبوة أفضل) وروى أعظم (وأعلى) أى من درجة الولاية ولهذا فرق بين الحفظ والعصمة حيث خصت العصمة للانبياء والحفظ للاولياء اذلا يتصور حصول الذنب عمدا من أرباب النبوة بخلاف أصحاب الولاية ولذا لما سئل جنيد ايزنى العارف فاطرق مليا ثم قال وكان أمر الله قدرا مقدورا وبهذا يتبين انه لا يوجد فى النبى مايكون سببا لسلب النبوة أو الايمان والمعرفة بخلاف الولى فانه قد يخرج عن مرتبة الولاية بارتكاب الكبيرة ويخاف عليه من سوء الخاتمة نسأل الله العافية ولعل هذا التفصيل يبين لك معنى قوله (وان) بكسر الهمزة وفتحها (تلك الاقدار) أى المقدرات جمع قدر محركة وتسكن (لم تحطه عنها) بتشديد الطاء أى لم تنزله عن درجة النبوة (حبة خردل) وهى حبة الرشاد (ولا أدنى) أى أقل منها بقدر ذرة بل أقول انها كلها كانت أسباب زيادة مثوبة ورفعة درجة من حيث انها نشأت عن الغضب فى الله والهجرة فى مرضاته الا أن بعضها كان خلاف الاولى بالنسبة الى المقام الاعلى فان حسنات الابرار سيئات الاحرار فعوتب فى ذلك تنبيها لما هنالك (وسنزيد فى القسم الثالث فى هذا) أى المبحث (بيانا) أى شافيا كافيا (ان شاء الله تعالى) أى أراد كونه جامعا مانعا (فقد بان لك الغرض) بفتح الغين المعجمة والراء أى المقصود (وسقط بما حررناه شبهة المعترض) أى المردود (وبالله التوفيق) أى على طاعة المعبود (وهو المستعان) أى فى كل مورود (لا اله الا هو) أى الواجب الوجود وصاحب الكرم والوجود وهو نعم الاله ولا اله سواه

أى يقع منهم مالا يليق بمقام النبوة فيكون لهم وزر يستحقون به سوء العاقبة بسخط الله تعالى وعقابه (وقد يتوجه) أى يحصل توجيه آخر فى الجواب عما مر أو يتاتى وينبنى (على هذا الترتيب) أى على مارتبناه على النبوة من الاختصاص بامور أكرمها الله تعالى بها (وجه خامس وهو ان يكون لفظ انا) فى الاحاديث السابقة (راجعا الى القائل نفسه) المذكور فى قوله لا ينبغى لاحد ان يقول فليس المراد بضمير المتكلم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كما فى الوجوه المتقدمة (أى لا يظن أحد) من الناس غير الانبياء (وان بلغ من الزكاء) أى انه بلغ من الزكاء بالزاى المعجمة أى الصلاح وزيادة الخير قال التلمسانى انه بخط المصنف رحمه الله تعالى هكذا ورواه العرفى تلميذ المصنف بالذال المعجمة وهو الفطنة (والعصمة) أى الحفظ من الذنوب وليس المراد بها ماخص به الانبياء وهى المذكورة فى قوله أسألك العصمة فى الخطرات والسكنات ولذا جوز بعضهم الدعاء بها ومنعه بعضهم كما فصله ابن حجر فى فتاويه (والطهارة) أى البراءة من الاوزار (مابلغ) أى مبلغا عظيما فما مصدرية أو موصولة (انه خير من يونس) بن متى وهذا معمول يظن المنفى (لاجل ماحكى الله عنه) تعليل لظنه أى ماقصه فى قصته من لومه على تضجره وعدم صبره على قومه لتماديهم فى غيهم وعدم اجابتهم دعوته صلى الله تعالى عليه وسلم للايمان وسوق كلامه مؤذن بان القائل من غير الانبياء كما يشهد له قوله (فان درجة النبوة) ورتبتها العالية (أفضل وأعلى) عند الله من درجة غيرهم من الاتقياء وهذا أمر فرضى أو مبنى على عدم العلم بالنهى عن مثله فلا يرد عليه انه كيف يكون تقيا وقد صدر منه تنقيص الانبياء الذى قيل انه كفر وأيضا كيف وصفه بالعصمة وهو غير نبى (فان تلك الاقدار) جمع قدر بفتح القاف والدال المهملة أى ماقدره الله عليهم لحكمة باهرة وليس بمعجمة وان جاز تاويله بانه بالنسبة لمقامهم ذنب مستقذر فانه غير مناسب لفظا ومعنى (لم تحطه عنها) أى لم تنزل يونس عليه الصلاة والسلام عن درجته (مقدار حبة خردلة) التى هى أصغر الحب والاحسن حبة خردل بدون هاء (ولا أدنى) أى أقل وأصغر من خردلة أى لم ينقصه أصلا (وسنزيد فى القسم الثالث فى هذا بيانا) بايضاحه وتفصيله (ان شاء الله تعالى) ذلك (فقد بان لك الغرض) المقصود الذى قصدناه فى هذا الكتاب (وسقط بما حررناه) أى بما قررناه أو لخصناه أو كتبناه والتحرير التلخيص واظهار الزبدة لان أصله جعل الشئ حرا أى خالصا ومنه حر الوجه لاكرم موضع منه والحر المقابل للعبد والتحرير بمعنى الكتابة من الخاص الذى صار عاما وأصله كتابة ملخصة أو كتابة العتاقة كما فى الكشف (شبهة المعترض) الذى اعترض على ماتقدم ولو قال من اعترض كان سجعا لكن المصنف رحمه الله تعالى لم يقصده ولما كان ماتقدم فى ذكر فضائله وأسمائه صلى الله تعالى عليه وسلم دالة على ذلك عقبه بذلك كما أشار اليه بقوله

(فصل) (فى اسمائه عليه الصلاة والسلام وما تضمنته من فضيلته) أى المشعرة بتفضيله على سائر الكرام اعلم ان ابن العربى المالكى فى الاحوذى شرح الترمذى حكى عن بعضهم ان لله تعالى ألف اسم وللنبى صلى الله تعالى عليه وسلم ألف اسم ثم ذكر منها على التفصيل نيفا وستين قال الحلبى وقد رأيت مجلدين فى القاهرة مصنفا يقال له المستوفى فى اسماء المصطفى لابن دحية الحافظ جمع فيه للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم فوق الثلاثمائة قلت وكان شيخ مشايخنا السيوطى اختصره فى كراريس وسماها بالبهجة البهية فى الاسماء النبوية واقتصرت منها على التسعة والتسعين وفق عدد اسماء الله الحسنى الثابتة بالطرق المرضية اذ قد قال ابن فارس هى ألفان وعشرون وفى الجملة كثرة الاسماء تدل على شرف المسمى المشعرة بكثرة النعوت والاوصاف

(حدثنا أبو عمران) بكسر أوله (موسى ابن أبى تليد) بفتح فكسر (الفقيه) بالرفع (ثنا) أى حدثنا (أبو عمر الحافظ) أى ابن عبد البر (ثنا سعيد بن نصر ثنا قاسم بن أصبغ) بفتح همزة وسكون مهملة وفتح موحدة فغين معجمة غير مصروف الامام الحافظ محدث الاندلس سمع ابن قتيبة وابن أبى الدنيا وروى عنه حفيده قاسم بن محمد والحافظ الباجى وفى آخر عمره قطع الرواية خوفا من الغلط وانتهى اليه علو الاسناد والحفظ والجلالة وتوفى بقرطبة سنة أربعين وثلاثمائة (ثنا محمد بن وضاح) بتشديد الضاد المعجمة (ثنا يحيى) أى راوى الموطا (ثنا مالك) أى الامام (عن ابن شهاب) أى الزهرى (عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه) قال التلمسانى لم يثبت فى رواية يحيى هكذا وانما أرسله ابن شهاب عن محمد بن جبير عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قيل وارساله هو الصحيح عن مالك فى الموطا ووصله غيره عن مالك وغيره عن ابن شهاب عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ورواه ابن بكير والقعنبى وابن القاسم وعبد الله بن يوسف واسمعيل بن أبى أويس كيحيى ووصله معن بن عيسى وعبد الله بن نافع وأبو مصعب ومحمد بن المبارك الهروى ومحمد بن عبد الرحيم ورواه القعنبى عن مالك مرسلا وعن ابن عيينة مسندا والاكثر عن ابن شهاب عن محمد بن جبير ورواه حماد بن سلمة عن جعفر ابن أبى وحشية عن نافع بن جبير بن مطعم عن أبيه يعنى جبير ابن مطعم بن عدى بن نوفل صحابى أسلم بعد الحديبية قال الحلبى هذا الحديث أخرجه القاضى من الموطا كما ترى وهو فى البخارى ومسلم

(فصل فى أسمائه) صلى الله تعالى عليه وسلم (وما تضمنته من فضيلته) أى ماهو بعض مدلوله أولازم لمقتضاه حتى كأنه ضمنه والاسماء جمع اسم والكلام على كونه من السمة أو السمو وأغنانا شهرته عن ذكره وأما البحث عن كونه عين المسمى أوغيره فبحث لاطائل تحته فلاوجه لذكره هنا وقد أفردناه بالتأليف والاسم له معان فيطلق على مقابل الفعل والحرف وعلى مقابل اللقب والكنية وعلى مقابل الصفة المشتقة ويكون بمعنى العلم والظاهر ان المراد به هنا ماشاع اطلاقه عليه صلى الله عليه وسلم سواء كان علما أوصفة أوغيرهما وسواء اختص به وضعا أم لافهو العلم ومايشبهه وكثرة الاسماء تدل على شرف المسمى ولو ادعاء فلايرد كثرة أسماء الخمر أو هو أكثرى وهو الظاهر وفى شرح الترمذى ان للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم ألف اسم كما ان لله تعالى ألف اسم ونقل مغلطاى انها تبلغ ثلثمائة وقيل انها تسعة وتسعون كأسماء الله ومنها ماهو بلفظ الفعل والمصدر وأكثرها صفات مادحة كما أشار اليه المصنف بقوله تضمنته من فضيلته ولابن دحية تأليف مستقل فى اسمائه صلى الله تعالى عليه وسلم ثم ان المصنف رحمه الله تعالى ذكر هنا حديثا رواه الشيخان عن محمد بن جبير عن أبيه بسنده متصل الاأن المصنف رواه عنه مرسلا لعلو سنده فيه بدرجتين فقال (حدثنا أبو عمران موسى بن أبى تليد الفقيه) تليد بفتح المثناة الفوقية وآخره دال مهملة بمعنى قديم العهد لولادته معه فتاؤه مبدلة من واو وهو ضد الطارف وقد تقدمت ترجمته (قال حدثنا أبو عمر الحافظ) ابن عبد البر وقد تقدم أيضا قال (حدثنا سعيد بن نصر) تقدمت ترجمته أيضا قال (حدثنا قاسم بن أصبغ) بهمزة مفتوحة وصاد مهملة وموحدة تحتية وغين معجمة وهو قاسم بن أصبغ بن محمد بن يوسف بن واضح بن عطاء الامام الحافظ محدث الاندلس أبو محمد الاموى مولاهم القرطبى كان صدرا عالى الاسناد ثقة ولذا قطع الرواية فى آخر عمره خوفا من الغلط ولد سنة سبع وأربعين ومائتين وتوفى بقرطبة فى جمادى الاولى سنة أربعين وثلثمائة (قال حدثنا محمد بن وضاح) بن بزيغ متولى ملك الاندلس أبو عبد الرحمن بن معاوية الاموى الحافظ محدث الاندلس أبو عبد الله القرطبى مولده سنة تسع وسبعين ومائة أو سنة مائتين بقرطبة وتوفى فى المحرم سنة سبع وثمانين ومائتين قال الذهبى انه صدوق روى عنه كثير من أهل الاندلس قال (حدثنا يحيى بن يحيى) الليثى عالم الاندلس وراوى الموطا وليس له رواية فى الكتب الستة الانادرة وقد تقدم الكلام عليه (عن مالك عن ابن شهاب عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه) ومحمد هو أبو على

وأبي داود والنسائي وإنما يخرجه من عند البخاري مثلا فانه بين القاضي وبين مالك في هذا الحديث ستة أشخاص ولو أخرجه من طريق البخاري كان بينه وبين مالك في بعض الطرق ثمانية أشخاص فاجتمع له في رواية هذا الحديث علو لا يجتمع له اذا رواه من عند البخاري وكذا يجتمع اذا أخرجه من بقية الكتب والله تعالى أعلم (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لي خمسة أسماء) أي عظيمة أو شهيرة (أنا محمد) اسم مفعول من التحميد مبالغة الحمد نقل من الوصفية الى الاسمية تسمى به رجاء ان يحمده الاولون والآخرون بالهام الله تعالى وكان كذلك في الدنيا والعقبى وعن ابن قتيبة ان من اعلام النبوة انه لم يسم قبله أحد باسمه صيانة من الله تعالى لوسمه اذ قد سماه به في كتبه وبشر به الانبياء قبله فلو تسمى به غيره وقع الاشتراك له وربما انتشرت دواعي النبوة ووقعت الشبهة وقامت الفتنة لكن لما قرب زمنه وبشر بقربه أهل الكتاب تسمى به قليلون لم يدع أحد منهم النبوة لئلا تقع الشبهة والله تعالى ولي العصمة (وأنا أحمد) اسم تفضيل بمعنى الفاعل أو المفعول كما سيأتي بيانه من المنقول (وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر) أي الكفر العام أو غلبته على دين الاسلام ولم يقل به ليعود ضمير الصلة الى الموصول لان قصده الاخبار عن نفسه مع ان ضميرها عبارة عنه فلم يبال بعوده اليه لامن اللبس لديه وقال التلمساني روي الكفر ومعناه يذهب أصله والتشرع به حتى يكون معتقدا ومذهبا وروي الكفرة جمع كافر فالتقدير دين الكفرة أو نفس الكفرة قتلا وسبيا وجلاء (وأنا الحاشر) أي الجامع (يحشر الناس) بصيغة المجهول (على قدمي) بتخفيف الياء وكسر الميم على الافراد أي على سابقتي كذا قيل وبتشديدها مع فتح الميم على التثنية قال النووي كذا ضبطوه بالوجهين أي على أثري وبعد ظهوري وقيامي من قبري بدليل حديث أنا أول من تنشق عنه الارض كما ذكره البغوي في شرح السنة وبهذا المعنى يغاير قوله (وأنا العاقب) أي الآتي عقب الانبياء ليس بعدي نبي ففي الصحاح العاقب يعني آخر الانبياء وكل من خلف بعد شيء فهو عاقبه وبالجمع بينهما أشار الى حديث نحن الاولون والآخرون وقيل معنى على قدمي على أثري وزمان نبوتي وليس بعدي نبي بشهادة رواية وأنا الحاشر الذي يحشر الناس خلفه وعلى ملته دون غيره فيكون قوله وأنا العاقب كالتأكيد لما قبله (وقد سماه الله في كتابه محمدا) أي بقوله وما محمد الا رسول ومحمد رسول الله (وأحمد) أي بقوله حكاية عن عيسى ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد

وقد روى عنه الزهري وهو روى عن أبيه جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل وهو صحابي أسلم بعد الحديبية وروى عنه ابناه محمد ونافع وروى عنه ابن المسيب وكان سيدا وقورا توفي في سنة تسع وخمسين وأخرج له الأئمة الستة وأحمد في مسنده وهذا الحديث أخرجه مالك في الموطأ والترمذي في الشمائل والبخاري وهو حديث صحيح مسندا (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لي خمسة أسماء) قدم الجار والمجرور للتقرير والتأكيد أو للتخصيص باعتبار انه لم يسم بها أحد قبله أو لاشتهارها في الامم الماضية فالتخصيص المستفاد من التقديم اضافي لا حقيقي لزيادتها على ذلك وقال السيوطي في كتاب الرياض الانيقة في أسماء خير الخليقة انه قبل أن يطلعه الله تعالى على بقية اسمائه وقال المصنف رحمه الله تعالى فيما يأتي قيل انها موجودة في الكتب القديمة وعند الامم السالفة ورد بان فيها أكثر فالحق ان مفهوم العدد غير معتبر فلا يفيد الحصر وقال ابن عساكر في كتاب المبهمات يحتمل ان لفظ العدد ليس من كلام النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أو التخصيص لان المراد خمسة أسماء فاضلة أو معظمة مشهورة انتهى ولا يخفى ما فيه وانه مخالف للظاهر وقال ابن فارس ان أسماءه صلى الله تعالى عليه وسلم ألفان وعشرون وقيل المراد خمسة سماني بها ربي وباقيها أوصاف وأسماؤه صلى الله تعالى عليه وسلم توقيفية فلا يجوز ان يسمى بما لم يسمه به الله أو يسمي هو به نفسه أو أبوه وجده (أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر) أي يزيله حقيقة من جزيرة العرب وحكما من جميع الارض وقيل كما يأتي في الحديث يمحو به سيئات من تبعه كقوله تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم بي كان الظاهر ان يقول به لكنه راعى فيه المعنى كقوله * أنا الذي سمتني أمي حيدرة * والكلام عليه مفصل في كتب العربية (وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي) بتشديد الياء مفتوحة وتخفيفها ساكنة أي يحشرون على أثري وبعد نبوتي اذ ليس بعده صلى الله تعالى عليه وسلم نبي كما يأتي تفسيره وقد روي ان الحاشر الذي يحشر الناس خلفه وعلى ملته دون ملة غيره (وأنا العاقب) الآتي عقب الانبياء عليهم الصلاة والسلام فلا نبي بعده وعيسى عليه الصلاة والسلام تقدم انه يأتي على شريعته وقال ابن الاعرابي العاقب من يعقب غيره في الخير ومنه العقب بمعنى الولد وسيأتي تفصيل معنى الحديث (وقد سماه الله في كتابه) وهو القرآن (محمدا وأحمد) في قوله تعالى ما كان محمد أبا أحد من رجالكم وقوله يأتي من بعدي اسمه أحمد وكونه محكيا عن عيسى عليه الصلاة والسلام لا ينافي كون المسمى له الله ولذا قيل ان عيسى عليه الصلاة والسلام انما أطلقه عليه باعلام الله واذن له

فالمسمى حقيقة هو الله (فمن خصائصه تعالى له) أى الكائنة له ان قلنا بجواز حذف الموصول مع بعض الصلة فهو صفة له أو هو متعلق به لما فيه من معنى التكريم وقيل انه مفعول له واللام مزيدة للتقوية والظاهر انه اسم غير موصوف بالتعدى وضده (ان ضمن أسماءه) فاعل ضمن ضمير الله والضمير المضاف اليه للنبى صلى الله عليه وسلم (ثناءه) مفعول ضمن وهو مصدر مضاف للفاعل أو للمفعول باعتبار ان الضمير لله أو للرسول أى ثناء الله عليه (وطوى أثناء ذكره) بفتح الهمزة وسكون المثلثة والمد جمع ثنى كقفل وهو ما انعطف من الوادى ويقال هو فى أثنائه ومثانيه أى داخله ونصبه على الظرفية وطوى من قولهم طوى الثوب اذا عطف بعضه على بعض وهو كناية عن الكتم والاخفاء فالمعنى أخفى داخل ذكر النبى أى فى أسمائه التى سماه بها (عظيم شكره) أى شكره العظيم والضمائر لله أو للنبى فان كان ضمير شكره للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم فاضافته له من اضافة الفاعل أو المفعول أى كونه شاكرا أو مشكورا عظيما لان أكثرها أوصاف غلبت عليه أو اختصت به اختصاص الرحمن بالله مع بقاء الوصفية أو اعلام منقولة ملموح أصلها فيفيد المدح والاعلام وضعت لتعيين الذات لكن المنقولة من الصفات تشعر بمعانيها الاصلية ولذا جاز دخول أل عليها ومع تمام اعلامه كذلك (فاما اسمه أحمد) وزنه (افعل مبالغة فى صفة الحمد) مبالغة مرفوع خبر بعد خبر أو منصوب مفعول له والجار والمجرور صفته والمبالغة لانه أفعل تفضيل حذف المفضل عليه قصدا للتعميم نحو الله أكبر أى من كل شئ ثم نقل ولحظ أصله فلا يرد عليه انه علم فكيف يفيد ماذكر وما قيل من انه للتفضيل لا للمبالغة والمبالغة لها صيغ مخصوصة فقد وهم وأطال من غير طائل على عادته وقال السخاوى فى سفر السعادة أحمد اسم النبى صلى الله عليه وسلم ليس بمنقول من المضارع ولا من أفعل التفضيل فهو كاحمر وأصفر وهو أبلغ من محمد وهو كل من تكاملت مناقبه وبلغ النهاية فى الحمد قال الاعشى

اليك أبيت اللعن كان كلالها * الى الماجد الفرع الجواد المحمد

انتهى وفيه نظر لا يخفى وقدمه المصنف رحمه الله تعالى لانه اسمه صلى الله تعالى عليه وسلم فى الكتب القديمة وقد سماه به موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام كما نطق به القرآن وسماه الله به لانه حمده فى مقام لم يحمده فيه سواه بمثل محامده كما تقدم وستأتى تتمته (ومحمد مفعل مبالغة من كثرة الحمد) فهو فى الاصل اسم مفعول من التفعيل فينبئ عن الكثرة ففيه مبالغة أيضا ولهذه الصيغة معان أخر مذكورة فى كتب التصريف وفى شرح الهادى انه مرتجل قال ابن معطى وهو غلط وتوجيهه بانه لم يستعمل فى غير العلمية يرده بيت الاعشى المذكور وروى عن ابن عباس بسند متصل كما رواه البيهقى فى دلائل النبوة انه لما ولد صلى الله تعالى عليه وسلم عق عنه عبد المطلب بكبش وسماه محمدا فقيل له يا أبا الحارث ما حملك على ان سميته محمدا ولم تسمه باسم آبائه فقال أردت ان يحمده أهل السماء ويحمده الناس فى الارض وأخرج عنه ابن اسحق مسندا ان أمه آمنة بنت وهب حدثت انها أتيت حين حملت به صلى الله عليه وسلم فقيل لها انك قد حملت بسيد هذه الامة فاذا وقع الى الارض فقولى أعيذه بالواحد من شر كل حاسد وكل بر عاهد وكل عبد زائد يرود غير رائد وروى فانه عند الحميد الماجد * حتى أراه قد أتى المشاهد فاذا وضع فسميه محمدا فان اسمه فى التوراة أحمد يحمده أهل السماء والارض واسمه فى الفرقان محمد فسمته بذلك وقال أبو الربيع بن سالم فى سيرته روى ان عبد المطلب انما سماه محمدا لرؤيا رآها كأن سلسلة من فضة خرجت من ظهره لها طرف فى السماء وطرف فى الارض وطرف فى المشرق وطرف فى المغرب ثم عادت كأنها شجرة على كل ورقة منها نور وأهل المشرق والمغرب يتعلقون بها فقصها فعبرت بمولود من صلبه يتبعه أهل المشرق والمغرب ويتبعه أهل السماء والارض

أى تضمين الله سبحانه (أسماءه) أى من نحو أحمد ومحمد مع انهما اعلام له (ثناءه) أى مايثنى به عليه (فطوى) بالفاء لا بالواو كما وقع فى أصل الدلجى أى فادخل (اثناء ذكره) أى خلال ذكر اسمه (عظيم شكره) كقوله وانك لعلى خلق عظيم وانك لتهدى الى صراط مستقيم (فاما اسمه أحمد فافعل) أى للتفضيل (مبالغة) أى لافادته ثبوت زيادة الحمد وحذف متعلقه لافادة الشمول والا فافعل ليس من صيغ المبالغة كالحماد لكن فى المعنى أبلغ منه (من صفة الحمد) أى ماخوذ منه (ومحمد مفعل مبالغة) أى للمبالغة (من كثرة الحمد) أى المحمودية المستفادة من مصدره الذى هو التحميد الموضوع باعتبار بنائه للتكثير والمبالغة فى التكرير قال التلمسانى وقد ضمن اسمه سورة الحمد انتهى وقد أشار اليه العارف الجامى حيث قال فى الم الف لام الحمد ميم يعنى بطريق التبديل على قواعد التعمية فيصير المعنى محمد وان الاشارة به فى ذلك اليه صلى الله تعالى عليه وسلم فانه الكتاب الجامع واللباب اللامع

فلذا

(فهو صلى الله تعالى عليه وسلم أجل من حمد) أى أعظمه بفتح فكسر (وأفضل من حمد) بضم فكسر أى أكرمه ففيه لف ونشر مشوش أولا يبعد أن يكون مرتب لمعنى أحمد ومحمد وضبط فى بعض النسخ بعكس ماذكر فيكون لفا ونشرا المعنيان مستفادين من أحمد وحده لان أفعل قد يبنى للفاعل وقد يبنى للمفعول ويراد بقوله (وأكثر الناس حمدا) كون مصدره بمعنى المفعول وان احتمل كونه للفاعل أيضا والحاصل ان صفة الحامدية والمحمودية فيه بلغت غاية الكمال ونهاية الجمال (فهو أحمد المحمودين وأحمد الحامدين ومعه لواء الحمد يوم القيامة) أى المسمى بيوم الدين (ليتم له) بفتح ياء وكسر تاء وروى بصيغة المجهول (كمال الحمد ويشتهر) من باب الافتعال وفى نسخة ويتشهر من باب التفعل أى وتظهر هيبته وتنتشر (فى تلك العرصات) بفتح الراء جمع عرصة بسكون الراء وهو فى الاصل كل موضع واسع لابناء فيه من فناء الدار وساحتها وجمع للمبالغة كما فى عرفات والمراد به مقامات يوم القيامة ومواقفها ولا يبعد أن يكون وجه الجمع هو ان كل عرصة مخصوصة بامة (بصفة الحمد) أى العامة للخلق (ويبعثه ربه هنالك مقاما محمودا كما وعده) أى فى كتابه بقوله عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا (يحمده فيه الاولون والآخرون بشفاعته

فلذا اسماه محمدا مع ما احد ثته به آمنة انتهى (فهو صلى الله تعالى عليه وسلم أجل من حمد) بفتح الحاء وكسر الميم والبناء للفاعل أى أجل الحامدين (وأفضل من حمد) بالبناء للمجهول قيل انه لف ونشر مرتب فالاول راجع الى اسم أحمد والثانى لمحمد والتفضيل استفيد من محمد لما فيه من التكثير وكون الله لم يسم به غيره فكان أفضل من حمد والحمد مصدر محتمل للحامدية والمحمودية وان تعين فى محمد الثانى وجوز ابن القيم فى أحمد أن يكون بمعنى المفعول أى أكثر محمودية والفرق بينه وبين محمد انه لزيادة الكيفية ومحمد لزيادة الكمية وهذا أبلغ فى مدحه صلى الله تعالى عليه وسلم ولو أريد الفاعل لقيل حماد بدل أحمد واعترض عليه بانه تخصيص من غير مخصص وبناء اسم التفضيل من المفعول شاذ كاشغل من ذات النحيين وكون حماد أبلغ من أحمد كما اقتضاه كلامه لا وجه له * أقول هو لم يعين ماقاله وانما ادعى جوازه وانه أولى لسلامته من التكرار والترادف الذى هو خلاف الاصل وترجيح حماد على أحمد ليس لابلغيته بل لانه أكثر وأقيس وأما كون التفضيل من المفعول شاذا فسلم ولكنه سمع من العرب فى قولهم العود أحمد وأثبته العلامة الزمخشرى وأول من قال العود أحمد خداش بن حابس التميمى وقول المصنف (وأكثر الناس حمدا) أى محمودية بدليل قوله (فهو أحمد المحمودين) والاعتراض عليه بما ورد على ابن القيم ساقط لما سمعته آنفا (وأحمد الحامدين) هو ومابعده بيان لوجه التسمية بهما ويصح ارجاعه الكل منهما من غير لف ونشر قيل اسمه أحمد قيل محمد فى النشاتين فانه تعالى لما خلق نوره قبل كل مخلوق حمده بمحامد ألهمه اياها لم يحمده بها غيره فكان أحمد من دخل تحت كلمة كن فى عالم الخلق والامر ولما ظهر للثقلين حمده على ألسنتهم استحق ان يسمى محمدا فاذا كان يوم القيامة كان أحمد الخلق فسمى أحمد فلما عمت شفاعته العظمى حمده الخلق فسمى محمدا وفيه من التكلف مالا يخفى ويأتى فيه كلام للسهيلى (ومعه لواء الحمد يوم القيامة) تقدم ان اللواء علم الجيش وهو أكبر من الراية أى انه تحت أمره أوفى قبضته وهذا يحتمل انه على حقيقته ليعلم انه صلى الله تعالى عليه وسلم نال هذه المرتبة بتفوقه على كل مخلوق فى كونه حامدا ومحمودا ومعنى لواء الحمد انه لواء يتبعه كل حامد ومحمود ويعلم ذلك بالهام الله أو بنداء الملائكة معه أو باعلان الحمد خلفه ونحوه وأصحاب الحمد حينئذ من لهم الشفاعة وكلهم الانبياء ويحتمل انه تمثيل لشهرته صلى الله عليه وسلم فى أهل الموقف وعدم التاويل أسلم (ليتم له كمال الحمد) مبنى للمفعول أو الفاعل واختار البرهان الاول واتمام حمده له باشتهاره وتسليم كل أحد له من غير تردد كما كان فى الدنيا لبعض أهلها كما أشار اليه بقوله (ويشتهر) وفى نسخة ويتشهر (فى تلك العرصات) بسكون الراء ويجوز فتحها وعرصة الدار ساحتها وهى البقعة الواسعة التى ليس فيها نبات وجمعها عراص وعرصات وفى التهذيب سميت ساحة الدار عرصة لان الصبيان يعرصون فيها أى يلعبون ويمرحون والمراد هنا أرض الموقف والمحشر (بصفة الحمد) وهو الثناء على الجميل الاختيارى على جهة التعظيم وقيل حقيقته اظهار الصفات الكمالية باللسان أو بغيره وفيه كلام فى شرح الزوراء للجلال الدوانى (ويبعثه ربه هنالك) أى فى العرصات (مقاما محمودا كما وعده) بقوله عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا ونصب مقاما على المفعولية بتضمين يبعث معنى يعطى أو على الظرفية لمشابهته للمبهم أو هو حال على مافصل فى الكشاف وشروحه ثم بين محموديته بقوله (يحمده فيه الاولون والآخرون) أى جميع الخلق لانهم تحت لوائه صلى الله تعالى عليه وسلم وهو مقام الشفاعة العظمى حين اعترف جميع الرسل بالعجز وقيل له اشفع تشفع (بشفاعته صلى الله تعالى عليه

وسلم لهم) في فصل القضاء كما تقدم (ويفتح عليه فيه) أي في ذلك المقام (من المحامد) جمع محمدة بمعنى حمد أي يلهمه الله محامد عظيمة يحمده بها ثمة وأصل الفتح ضد الغلق فاستعير للاعطاء والالهام وتيسير الامور كما استعير المغلاق للصعب ومن بيان لمقدر أي أمرا ونحوه أو لما بعده ان قلنا بجوازه كما مر وقوله (كما قال عليه الصلاة والسلام) اشارة الى وروده في الحديث كما تقدم (مالم يعط غيره) من الانبياء ويعطى مبني للمجهول وغيره بالرفع نائب الفاعل (وسمى) الله تعالى لعلمه من السياق أو هو مجهول وهو الاولى (أمته في كتب أنبيائه) كالتوراة والانجيل كما ورد في الاحاديث (بالحمادين) أي البالغين في الحمد وروى الدارمي عن كعب انه قال نجده مكتوبا في التوراة محمد رسول الله مولده بمكة وهجرته بطيبة وملكه بالشام وأمته الحمادون الى آخره (لحقيق ان يسمى محمدا وأحمد) أي بأن يسمى لانه يتعدى بالباء وقد يتعدى بعلى كما في حقيق على ان لا أقول على الله الا الحق لما فيه من معنى الوجوب كما في الحجة لابي علي وتفريعه على ما قبله لانه اذا حمد بما لم يحمده غيره وحمده الاولون والآخرون وكثر حمد أمته كان جديرا بذلك (ثم في هذين الاسمين) محمد وأحمد أي في تسمية الله له بهما قبل وجوده (من عجائب خصائصه) أي من العجائب التي خصه الله بها ولم يسبق أحد لمثلها (وبدائع آياته) أي غرائب علاماته التي اخترعت وتفسير البديع بالحسن فيه مسامحة (فن آخر) أي نوع آخر غير ما تقدم (وهو ان الله جل اسمه) أي عظم في ذاته وفيه مناسبة وايماء لعظمة اسم نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم اذ قرنه باسمه وخصه به كما اختص باسمائه الحسنى (حمى) أي منع وصان عن (ان يسمى بها أحد قبل زمانه) مع ذكرهما في الكتب القديمة والامم السالفة كما مر وبشر بنبي اسمه أحمد وانما صان اسمه ليعلم اذا سمي بهما انه النبي الموعود به وعد من الخصائص لانه بعد الاعلام باسمه منع من التسمية به مع انهما اعلام منقولة فلا يرد ان كثيرا من الاعلام المرتجلة للانبياء غيرهم لم تسبق تسمية غيرهم بها كآدم وشيث ونوح ويحيى قال تعالى ولم نجعل له من قبل سميا (أما) اسمه (أحمد الذي أتى في الكتب) الالهية السالفة (وبشرت به الانبياء) كعيسى وموسى كما قال تعالى ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد وقال تبع الاول كما نقل في السير

ويملك بعدهم رجل عظيم * نبي لا يرخص في الحرام
يسمى أحمدا يا ليت اني * أعمر بعد مخرجه بعام

(فمنع الله بحكمته) أي بسبب حكمته أو منعا ملتبسا بعلمه وحكمته التي استأثر بها أو أظهرها لبعض خلص عباده (ان يسمى به أحد غيره ولا يدعى) مبني للمجهول بوزن يرمى أي يسمى (به مدعو قبله) يسمى قبله قال أكثر العلماء ان هذا هو الصواب وما نقل من ان الخضر عليه الصلاة والسلام اسمه أحمد قول مردود واه كما قاله ابن دحية وأما أحمد بن غجيان بضم الغين المعجمة وسكون الجيم ومثناة تحتية بزنة سفيان وبفتح الجيم وتشديد الياء فلا أصل له وقيل تسمى في الجاهلية قبل الاسلام بزمان طويل أحمد ابن ثمامة الطائي وأحمد بن دومان البكيلي وأحمد بن زيد بن خراش السكسكي ومن القبائل بنو أحمد

لهم) أي عامة وخاصة (ويفتح) أي الله تعالى (عليه فيه) أي في ذلك المقام (من المحامد) جمع محمدة بمعنى الحمد (كما قال عليه الصلاة والسلام مالم يعط غيره) أي أحد من العالمين (وسمى أمته) أي وصفهم (في كتاب أنبيائه بالحمادين) كما في حديث الدارمي عن كعب يحكي عن التوراة قال نجده مكتوبا فيها محمد رسول الله عبدي المختار لا فظ ولا غليظ ولا سخاب بالاسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر مولده بمكة وهجرته بطيبة وملكه بالشام وأمته الحمادون يحمدون الله تعالى في السراء والضراء يحمدون الله في كل منزل ويكبرونه على كل شرف رعاة للشمس يصلون الصلاة اذا جاء وقتها يتأزرون على انصافهم ويتوضأون على أطرافهم مناديهم ينادي في جو السماء صفهم في القتال وصفهم في الصلاة سواء لهم بالليل دوي كدوي النحل (لحقيق) أي واذا اختص بما منحه الحق من مناقب حميدة ومراتب محمودة لجدير (ان يسمى محمدا وأحمد) أي لاكثرية حامديته وأظهرية محموديته (ثم في هذين الاسمين) أي العظيمين الوسيمين (من عجائب خصائصه) أي غرائب خصوصياته (وبدائع آياته) أي الدالة على كمال صفاته (فن آخر) أي نوع آخر من أنواع كراماته (وهو ان الله جل اسمه حمى) أي حفظ اسمي حبيبه ومنع بالقدرة ان يسمى بهما أحد (قبل زمانه) أي لئلا يشاركه أحد في علو شأنه كما يشير اليه قوله تعالى في
لم نجعل له من قبل سميا (أما أحمد الذي أتى في الكتب) أي من نحو الانجيل (وبشرت به الانبياء) كموسى وعيسى عليهما السلام (فمنع الله تعالى بحكمته) أي وبارادته وقدرته (ان يسمى) وفي نسخة يتسمى (به أحد غيره) أي على جهة العلمية (ولا يدعى به مدعو قبله) أي على نسبة الوصفية

في همدان و بنو أحمد في بكيل و بنو أحمد في طي ولم يكن قريبا من عهده من تسمى به صيانة له وأما بعده فاول من تسمى به أحمد بن عمرو بن تميم الفرهودي أو الفراهيدي أبو الخليل النحوي الزاهد وببركة هذا الاسم كان له من العلم والتقوى مالم يكن لغيره ثم بين حكم صيانته بقوله (حتى لا يدخل على ضعيف القلب لبس) أي التباس واشتباه لعدم تمييزه وضعيف القلب من لا عقل له تام ورأى صائب ونظر مفرق بين الحق والباطل فتردد في صدق مدعى النبوة بمجرد شئ سبق له فيجوز كونه أحمد الموعود به في الكتب فضعف القلب كناية عن قلة العقل الذي هو محله وقوته كناية عن ضده وان اشتهر في الجرأة وعدمها (أو شك) معطوف على لبس ويجوز ان يراد به هنا ما يقابل الوهم والظن ومطلق التردد وعدم الجزم ومن ظن تعيينه هنا وتأييده بالابجدى ليس بشئ (وكذلك محمد) أي مثل أحمد في عدم التسمية به قبل بعثته صلى الله تعالى عليه وسلم وجعله مشبها به لانه لم يسم به أصلا على الاصح (أيضا) مصدر آض بمعنى عاد ورجع ويراد به في العرف التشبيه فهو تأكيد لقوله كذلك (لم يسم به أحد من العرب ولا غيرهم الى ان شاع واشتهر قبيل وجوده صلى الله عليه وسلم) قبيل في النسخ مصغر كبعيد لتقليل زمانه وتقريبه (وميلاده) عطف تفسير على وجوده أي ولادته أو زمانها وقيل الميلاد وقت الولادة والمولد مكانها وحملت به صلى الله تعالى عليه وسلم أمه آمنة نهارا وولد ليلا في شعب أبي طالب عند الجمرة لوسطى ووافق مولده يوم عشرين من نيسان سنة اثنين وثمانين وثمانمائة من التاريخ الاسكندري وقيل كان في الساعة العاشرة لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الاول فكان كما قيل ربيع في ربيع في ربيع وقيل ولد في شعب بني هاشم بعد الفيل بشهر أو أربعين أو خمسين وتسعة وخمسين يوما وقيل غير ذلك وسيأتي تفصيله ان شاء الله تعالى (ان نبيا يبعث) أي يرسل من بعث بمعنى أثار وقد فصل زمان بعثه وسنه اذ بعث في السير (اسمه محمد فسمى قوم قليل من العرب أبناءهم بذلك) الاسم (رجاء ان يكون) أي لاجل رجاء ان يكون الولد المسمى به (أحدهم) أي أحد أبنائهم المسمى بمحمد (هو) أي النبي الموعود ببعثته فهو اسم يكون واحدهم منصوب بخبر مقدم أو مرفوع اسمها وهو خبرها استعير فيه ضمير الرفع لضمير النصب والاصل اياه والاول أولى (والله أعلم حيث يجعل رسالاته) اقتباس لبيان انه لم يفدهم ذلك اذ ليس كل محمد رسول ولا كل فاطمة بتول والآية رادة لهم كما تبطل قول من زعم من الحكماء ان النبوة والرسالة تكتسب بالمجاهدة وتصفية الباطن فانها موهبة الهية وان اختصت بمن جد في العبادة والتصفية حتى صار أحسن الناس خلقا وخلقا الى غير ذلك مما يستعد به لتلقي وحيه ومشاهدة ملائكته وحيث ظرف متصرف هو هنا مفعول به لفعل مقدر أي يعلم لان أفعل لا ينصب المفعول وان صح تعلق الجار والظرف به وليس هو هنا ظرفا لان علمه تعالى لا يوصف بانه في مكان أو زمان لقدمه وتفصيله في كتب العربية ويجوز افراد رسالته كما قرئ به هنا وانما سموا أبناءهم به لما بلغهم من الاخبار والكهان وروى في المبشرات وبشروا بقرب زمانه فكانوا ينتظرونه انتظار المحب لحبيب له سيقدم (وهم) أي المسمون باسمه قبل ظهوره صلى الله تعالى عليه وسلم رجاء لكونه المبشر به (محمد بن أحيحة بن الجلاح الاوسي) وقال البلاذري انه محمد بن عقبة بن أحيحة وتردد فيه ابن حجر في الاصابة وأحيحة بضم الهمزة وحاء مهملة مفتوحة يليها مثناة تحتية ساكنة ثم حاء مهملة مفتوحة وهاء والجلاح

(حتى لا يدخل لبس) بفتح اللام أي التباس واشتباه صوري (على ضعيف القلب) أي ممن ينظر الى مجرد الاسم ولم يتفكر في حقيقة مسماه (أو شك) أي تصوري في معدن النبوة ومنبع الرسالة فيستوي عنده الاسمان مع ان مسمياهما لا يستويان كما وقع لبعض أرباب العقول الخالية من المعقول والمنقول من التسوية بين الله العالمين

وبين الاله المنحوت من الحجر والطين ولهذا قال الله تعالى قل هل يستوي الاعمى والبصير أم هل تستوي الظلمات والنور قال الانطاكي وهذا الذي ذكره المؤلف هو الصواب ونقل الحافظ أبو حفص الانصاري عن القشيري قولا في تسمية الخضر باحمد ثم قال وقد وهاه ابن دحيه والله تعالى أعلم (وكذلك) أي وكاسمه أحمد (محمد أيضا) أي حمى (لم يسم) وفي نسخة لم يتسم (به أحد من العرب ولا غيرهم الى ان شاع) أي باخبار الرهبان وغيرهم (قبيل وجوده عليه الصلاة والسلام وميلاده) أي وقبيل زمان ولادته (ان نبيا) أي عظيم الشان في آخر الزمان (يبعث) أي يرسل (اسمه محمد فسمى قوم) أي جمع قليل من العرب (أبناءهم بذلك رجاء ان يكون أحدهم هو) أي اياه يعني النبي المبعوث (والله أعلم حيث يجعل رسالته) وفي قراءة رسالاته (وهم أي المسمون بمحمد قبل ميلاده (محمد ابن أحيحة) بضم همزة وفتح حائين مهملتين بينهما تحتية ساكنة (ابن الجلاح) بجيم مضمومة وتخفيف اللام في آخره مهملة وعده من الصحابة ابن عبد البر وأبو موسى (الاوسي) بفتح الهمزة نسبة الى قبيلة من الانصار

(ومحمد بن مسلمة) بفتح فسكون ففتح (الانصاري) أحد بني حارثة شهد بدرا وغيرها ومات بالمدينة وفي عده منهم نظر ذكر الشمني
وغيره (ومحمد بن براء) بفتح موحدة وتشديد دال مهملة بعدها ألف ممدودة وفي نسخة صحيحة بباء موحدة

بضم الجيم وفتح اللام المخففة ثم ألف وحاء مهملة والاوسي نسبة للاوس قبيلة الانصار (ومحمد بن مسلمة الانصاري) بن خالد بن عدي بن مجدعة بن حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الاوس الانصاري ووصف هذا بالانصاري دون محمد بن أحيحة وهو من قبيلة الانصار لانه لم يسلم وانما يقال الانصاري لمن أسلم منهم ولذا قال الذهبي من عد محمد بن أحيحة من الصحابة فقد وهم لانه لم يدرك الاسلام وانما هذا أبو عبد الرحمن المدني حليف بني عبد الاشهل المولود قبل البعثة باثنين وعشرين سنة وهو ممن سمي محمدا في الجاهلية كما في الاصابة عن الواقدي من غير تردد فيه وهو صحابي شهد بدرا وكان عمر رضي الله تعالى عنه بعده لكشف المعضلات في خلافته ومات بالمدينة سنة ثلاث وأربعين وقيل غير ذلك وهو من قدماء الصحابة وقول بعض الشراح ان ذكر المصنف لمحمد بن مسلمة ليس في محله لانه بصدد ذكر من سمي محمدا قبل مولده وهو ولد بعد مولده بنحو عشرين سنة لاوجه له لما سمعته من خلافه مما هو مصحح في السير نقلا عن الواقدي وماقاله قول مرجوح وان قاله مغلطاي في سيرته (ومحمد بن براء البكري) نسب لبكر قبيلة مشهورة وبراء بموحدة تحتية مفتوحة وراء مهملة تليها مدة وهو ابن ظريف بن عتوارة ابن عازب بن لهب بن بكر بن عبد مناف بن كنانة واسم أبيه براء رأيته مصححا كذا في حواشي الحلبي وفي غيره براء بفتح الموحدة وتشديد الدال المهملة قيل وقد تخفف وقال البرهان الحلبي ان محمد بن أحيحة ومحمد بن مسلمة ومحمد بن براء لم يدركوا الاسلام بل هلكوا في الجاهلية فعدهم فيمن أسلم أمر عجيب فلا يليق بالمصنف وان كانوا ممن سمي بمحمد قبل البعثة (و) كذا (محمد بن سفيان بن مجاشع) التميمي فانه لم يدرك الاسلام وقد خطئ أبو نعيم في عده من الصحابة (ومحمد بن حمران الجعفي) بضم الجيم نسبة للجعفة قرية معروفة وحمران بضم الحاء المهملة وسكون الميم وراء مهملة ثم ألف ونون وفي بعض نسخ السير عمران بدله وهذا أيضا لم يدرك الاسلام كما قاله البرهان (ومحمد بن خزاعي السلمي) بضم السين المهملة وفتح اللام وميم وياء نسبة لقبيلة وخزاعي بضم الخاء وزاء معجمتين وألف وعين مهملة نسبة لخزاعة وهو من بني ذكوان واسم أبيه علقمة وهو لم يدرك الاسلام أيضا كما قاله البرهان الا أن هذا لا نعترض به على المصنف لانه انما عد من تسمى محمدا قبل الاسلام أسلم أم لا وهم ستة (لاسابع لهم) وهذا على ما اختاره المص ومنهم من نقص عددهم كالسهيلي فانه لم يزدهم على ثلاثة ومنهم من زاد حتى بلغ العشرين كما قاله ابن حجر مع تكرار في بعضهم وتردد في بعض وسيأتي لهم سابع وقد علمت ما طعن به في محمد بن مسلمة (ويقال ان أول من تسمى به) أي باسم محمد قبله صلى الله تعالى عليه وسلم وفي نسخة بمحمد (محمد بن سفيان) بن مجاشع التميمي السابق ذكره (واليمن) أي أهله فهو من اطلاق اسم المحل على الحال فيه (تقول) وفي نسخة يقولون لم يسم به أولا هذا (بل) الذي سمي أولا (محمد بن اليحمد من الازد) وفي نسخة الازدي نسبة الى الازد من اليمن أبوهم أزدي الغوث ويقال أسد وفي نسخة بعد ما ذكر ومحمد بن سراقة بالسين أيضا ومن نسله الانصار كلهم وأزد شنوءة عمان والسراة واليحمد قال البرهان انه في النسخ بفتح الياء وسكون الحاء وضم الميم وقال ابن ماكولا انه بضم الياء وسكون الحاء المهملة وكسر الميم وأصحاب الحديث يضمون الميم وفي شرح مسلم للنووي انه بضم الياء وسكون الحاء وكسر الميم وكذا في تقييد المهمل للغساني وهو علم منقول من المضارع وأل مقارنة لنقله لا داخلة بعد العلمية فانه شاذ قبلها كقوله * ما أنت بالحكم الترضى حكومته * فكيف به بعدها * وقال ان هذا ليس من الستة فيكون سابعا وهو ينافي قوله هنا لاسابع لهم وفي سيرة مغلطاي زيادة محمد بن عدي بن ربيعة

فراء ممدودة وعده من الصحابة أبو موسى (البكري) بفتح فسكون (ومحمد بن سفيان بن مجاشع) بضم الميم وكسر الشين المعجمة واختلف في صحبته على ماقاله أبو نعيم وأبو موسى قال التلمساني والصحيح انه لم يسلم (ومحمد بن عمران) بكسر العين وسكون الميم وفي نسخة حمران بضم الحاء من الحمرة واقتصر عليه التلمساني (الجعفي) بضم الجيم (ومحمد بن خزاعي) بضم الخاء وبالزاي المعجمة (السلمي) بضم ففتح (الاسابع لهم) وزاد بعضهم على المصنف أسماء اخر لا فائدة في ذكرها (ويقال أول) وفي نسخة ان أول (من سمي) بصيغة المجهول وفي نسخة تسمى (بمحمد محمد بن سفيان) أي ابن مجاشع التميمي (واليمن تقول) أي وأهل اليمن يقولون (بل) وفي نسخة محمد بن سفيان باليمن ويقولون بل (محمد بن اليحمد) أي هو المسمى به أولا واليحمد بضم الياء وسكون الحاء وكسر الميم على ماضبطه المحققون كالنووي وغيره وفي نسخة بفتح الياء وضم الميم وفي أخرى بالفتح والكسر وفي القاموس يحمد كيمنع وكيعلم قال التلمساني وروي الحمد مصدر حمد (من الازد) بفتح

المنقري

الهمزة وسكون الزاي قبيلة عظيمة في اليمن فيكون هو السابع على ما هو الشائع

المنقري ومحمد بن عثمان السعد قال وأظنهما واحدا ومحمد الاسيدي ومحمد بن عتوارة الليثي ومحمد بن حرمان العمري ومحمد بن خولة الثمالي ومحمد بن يزيد بن ربيعة ومحمد بن ابروايه بن مالك فزاد تسعة أو ثمانية وتوقف المصنف رحمه الله تعالى في واحد منهم وقد قيل في بعض هؤلاء انه ادرك الاسلام وكلام المصنف لا ينافي هذا الا في قول الانصاري كما تقدم والامر فيه سهل اذ لا مانع من اطلاقه على من لم يسلم لقرابته منهم تسمحا (ثم حمى الله) أي صان ومنع بصرفه الهمة (كل من تسمى به) أي بمحمد قبله صلى الله تعالى عليه وسلم (ان يدعي النبوة) تقديره من ادعى ادعائها بنفسه بان يقول أنا نبي (أو يدعيها أحد له) بان يقول هو نبي (أو يظهر عليه) بفتح الياء التحتية وضمها مبني للفاعل ويجوز بناؤه للمجهول والاول أظهر وضمير عليه لمن (سبب يشكك احدا في أمره) أي شئ في ذاته يكون سببا موقعا للناس في شك في انه هو النبي الموعود كنجابته وصفاته الباهرة كما وقع له صلى الله تعالى عليه وسلم من الارهاصات والاخلاق الباهرة أو يجري على يديه ما يشككهم من سحر ومخرقة والعطف باو بعد حمى الذي هو في معنى النفي والنهي يفيد العموم كقوله تعالى ولا تطع منهم آثما أو كفورا ولو عطف بالواو أوهم ان المحمي عنه المجموع وان وقع بعض منها (حتى تحققت) أي ظهرت وتبينت في الخارج (السمتان) أي الصفتان اللتان هما المحمدية والاحمدية اللتان هما علتان لموافقة اسمه لمسماه وفي بعض النسخ السيمتان بياء بعد السين وهو خطأ كما قال التلمساني وطغيان من القلم (له صلى الله عليه وسلم) متعلق بالفعل أو بالسمتان وهو تسميته بما هو دال على انه المبشر به في الكتب السالفة والامم الماضية فادعى الرسالة وشهدت له الكائنات بصدق دعواه (ولم ينازع فيهما) بفتح الزاي المعجمة والبناء للمجهول أي لم ينازعه أحد في السمتين (واما قوله) صلى الله تعالى عليه وسلم في هذا الحديث (وأنا الماحي الذي يمحو الله به الكفر) بيان لمعناه المراد منه ولذا أتى بقوله بعده (ففسر في الحديث) بالفاء التفسيرية وفسر مبني للمجهول أي فسره النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بقرينة قوله في الحديث وهو صفة له وقيل علم منقول منها وأل للمح الوصفية ولما ترآى هنا سؤالان أحدهما انه تقدم فلا حاجة لاعادته كما قيل وان المحو معناه الازالة بالكلية والكفر موجود في كثير من الناس والبلدان أشار الى دفعهما بقوله (ويكون محو الكفر اما من مكة) بعد الفتح اذ اظهره الله تعالى عليهم ولم يبق بها منه عين ولا أثر (وبلاد العرب) الظاهر انه وجه آخر والمراد بها جزيرة العرب وساحة الاسلام فانه لم يبق منه الا ما تلاشى واضمحل حتى صار كالعدم وقد كانت مملوءة بالشرك فاستأصله الله على يد خيرته من خلقه (و) كذلك قوله و(ما زوي له من الارض) اشارة لما ورد في الحديث من قوله صلى الله تعالى عليه وسلم زويت لي الارض مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتي ما زوي لي منها وأصل الزوي بالزاي المعجمة الجمع ومنه انزوى الجلد بالنار أي انه تعالى جمع له جميع الارض بيد قدرته وطواها في قبضة قدرته حتى نظرها كلها او بشره بان أمته تملكها كلها حقيقة بعد نزول عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام أو قبله ان قلنا ان ما ملكوه منها أعظمها وأشرفها وهو الذي ارتضاه المصنف لقربه (ووعد) أي الله والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم لما ورد في الحديث (انه يبلغه) أي يصل اليه ويحوزه (ملك أمته) بضم الميم ويجوز كسرها أي تملكها وسلطانها على الوجه السالف وقد ورد انه زوي له جانبا من الارض وأخبره انه يبلغه ملك أمته ويمحو ما فيه من الكفر لاضمحلاله حتى يصير ما بقي منه كالعدم ولما كان محو الكفر بامره وشرعه وبركته نسب المحو له صلى الله تعالى عليه وسلم فكأنه الماحي حقيقة وقد قيل انه كله جواب واحد وقوله (أو يكون المحو عاما) شاملا لجميع الارض وليس المراد بها أرضا مخصوصة

(ثم حمى الله تعالى كل من تسمى به ان يدعي النبوة) أي بنفسه (أو يدعيها أحد له) أي ويتبعه (أو يظهر عليه سبب) أي من خرق العادات (يشكك) بكسر الكاف الاولى أي يوقع في الشك (أحدا) أي من أهل زمانه (في امره) أي شانه (حتى تحققت السمتان) بكسر السين وفتح الميم أي العلامتان الدالتان على المحمدية والاحمدية (له صلى الله تعالى عليه وسلم) وفي بعض النسخ السيمتان بياء بعد السين والصواب الاول هذا وتحققت بصيغة الفاعل على ما هو المتبادر وضبطه الانطاكي بضم التاء والحاء على بناء المجهول وهو خلاف الظاهر (ولم ينازع) بفتح الزاي لم يعارضه أحد (فيهما) أي في النعتين المرسومتين (وأما قوله وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر) أي يزيله بسببي (ففسر) بصيغة المجهول أي فبين (في الحديث) أي نفسه من غير احتياج الى تفسير غيره غايته ان محوه مجمل محتمل كما بينه (ويكون محو الكفر) أي ذهاب أثره (اما من مكة وبلاد العرب) أي أيام حياته (وما زوي) بضم الزاي وكسر الواو

أي قبض وجمع (له من الارض) كما ورد ان الله زوى لي الارض فرأيت مشارقها ومغاربها وان أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها (ووعد) بصيغة المجهول (انه يبلغ ملك أمته) أي بعد مماته فعلى هذا يكون المحو خاصا (أو يكون) حقه ان يقول واما أن يكون (المحو عاما

بمعنى الظهور والغلبة) أى فى الحجة على كل دين وملة فى جميع الامكنة والازمنة (كما قال الله تعالى ليظهره) أى
ليغلبه ويعليه والضمير الى دين الحق أو الى الرسول المطلق (على الدين كله) أى على الاديان جميعها بمحو أدلتها وبرهانها وظهور بطلانها وابطال سلطانها (وقد ورد تفسيره فى الحديث) أى على ما رواه البيهقى وأبو نعيم (انه الذى محيت به سيئات من أتبعه) قال الدلجى لقوله تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وفيه أن هذا حكم عام غير مختص به عليه الصلاة والسلام فالاولى ان تحمل السيئات على الصغائر والاتباع معظم الحسنات واجتناب الكبائر بشهادة قوله تعالى ان الحسنات يذهبن السيئات وقوله تعالى فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات ولا يبعد ان تكون هذه الخصلة من خصائص هذه الملة (وقوله وأنا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمى) قد سبق تحقيق مبناه وتدقيق معناه الا أنه زاد الموصول هنا ثم لم يقل على قدمه لان قصده الاخبار عن نفسه كما فى قول على أنا الذى سمتنى أمى حيدره واعاده هنا أيضا ليفسره بقوله (أى على زمانى وعهدى) فالمراد بالناس الخلائق الآتون بعده كما بينه بقوله (أى ليس بعدى نبى) أى يكونون وما على عهده وفيه ايماء الى ان عيسى بعد نزوله يكون تابعا له فى دينه وحاكما على وفق قوله كما قال الله تعالى وخاتم النبيين بكسر التاء وفتحها

(بمعنى الظهور والغلبة كما قال الله تعالى ليظهره على الدين كله) جواب ثان فيبقى على عمومه ولا يخص بأمر فالمراد بالمحو علو الدين وغلبته لغيره من الاديان بنسخها وبيان ما غير وبدل منها وعلو أهله على جميع من عاداهم بتسلطهم عليهم وقهرهم وايقاع الرعب فى قلوبهم كما هو مشاهد قال الله تعالى عز وجل هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ويوضحه ان المحو لغة اذهاب الاثر وهو قد يكون مع بقاء العين وان ما لا أثر له كالعدم ولذا عبر بالماحى دون المزيل وما قيل من ان هذا جعله المصنف وجها واحدا وحمل المحو على ازالة يدهم عن تلك الاراضى وجعل بعض أهل الارض كالعبيد بضرب الجزية عليهم وجعلهم بازالة تصرفهم كالموتى وجعل محو آثار غيرهم كمحو ذواتهم ونسخ أديانهم وكتبهم التى هى بمنزلة أرواحهم وابطال شوكتهم وقهرهم كازالة ذواتهم ونحوها من صحائف الوجود ففيه مجاز باعتبار وجوه مختلفة (وقد ورد تفسيره) أى الماحى بغير ما مر (فى الحديث) والتفسير المذكور (انه الذى محيت به سيئات من أتبعه) بما أنعم الله تعالى به على أمته من المكفرات وبما قبله من شفاعته لهم فى الدنيا والآخرة والعفو كالمغفرة موافق للمحو لغة ومعنى وهذا مروى عن المصنف وقد سقط من بعض النسخ فاسناده الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم مجاز اذ هو سببه والعافى والغافر حقيقة هو الله تعالى وهذا من خصائص أمته وقد فسر قوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر بيغفر لامتك وقد روى هذا التفسير الذى ذكره المصنف للماحى الحاكم فى مستدركه وأبو نعيم والبيهقى وقال ابن دحية انه حديث مرسل صحيح الاسناد وقال السيوطى انه متصل ولفظه وأما ماحى فان الله محى به سيئات من تبعه وقال ابن حجر فى شرح الشمائل معناه ان من آمن به صلى الله تعالى عليه وسلم يمحى ذنب كفره وما عمله فيه قال الله تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وفى الحديث الاسلام يجب ما قبله أو يهدم ما قبله وخص بهذا نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم لانه لم يمح أحد الكفر كما محاه اذ جاء على فترة وقد عم الكفر وعبد الحجر فبلغ مسير النيرين والمراد بكونه من خصائصه ان الله تعالى لطف بامته بكثرة المكفرات كثرة لم تكن قبله فهو مطلق مخصوص لوقوع خلافه فى الآيات والآثار كقول نوح عليه الصلاة والسلام لامته استغفروا ربكم انه كان غفارا (وقوله) فى هذا الحديث (وأنا الحاشر) فسره صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله بعده (الذى يحشر الناس) جميعهم مؤمنهم وكافرهم لدخولهم كلهم فى شفاعته العظمى لتخليصهم من هول الموقف والمحشر وتعجيل الحساب لانه صلى الله تعالى عليه وسلم رحمة للعالمين (على قدمى) بالتخفيف والتشديد كما روى فى رواية على عقبى ولما كان ظاهره انه يسوق الناس للحشر وليس بمراد فسره بقوله (أى على زمانى وعهدى) وهما بمعنى لانه يقال هذا كان على عهد الخلفاء فى عصرهم ثم قال (أى ليس بعدى نبى كما قال وخاتم النبيين) فهو اما بتقدير مضاف أى على أثر قدمى من غير فاصل أو القدم سواء كان مفردا أو مثنى ما يتبعه الناس فيه وهو الشرع وقال الكرمانى معناه على أثرى كما جاء على عقبى أو على زمانى ووقت قيامى على القدم بظهور علامات الحشر فيه اذ لا نبى بعده ويحتمل ان يريد أول محشور لانه صلى الله تعالى عليه وسلم أول من تنشق عنه الارض كما تقدم والقدم معروفة وهى مؤنثة لتصغيرها على قديمة ويتجوز بها عن معان أخر كما فى الاساس فيقال جعله تحت قدمه اذا عفا عنه وله قدم فى كذا أى تقدم فنسب له ذلك لتقدمه فيه وكونه السبب فيه ثم انهم يحشرون فى المحشر حتى يشفع لهم فهو حاشر فى هذا الحشر الثانى الى مقرهم من جنة أو نار فيتبعه صلى الله تعالى عليه وسلم جميع الخلائق فهو على هذا حاشر حقيقة وهذا هو المراد فى رواية من روى قدمى بالتشديد بدمثنى وقول الكرمانى ويحتمل الخ سبقه اليه الخطابى وان كان ظاهره انه من بنات أفكاره وارتضاه ابن دحية

(وسمي عاقبا لانه عقب) بفتح القاف أي خلف (غيره من الانبياء) وجاء بعدهم لتكميل الخير وزيد في بعض النسخ المصححة هنا وفي الصحيح أنا العاقب الذي ليس بعدي نبي (وقيل معنى على قدمي أي يحشر الناس بمشاهدتي) أي بمشهد مني ومحضر عندي (كما قال الله تعالى لتكونوا شهداء على الناس) أي شاهدين لهم أو شاهدين عليهم (ويكون الرسول عليكم شهيدا) أي شاهدا ومطلعا أو مزكيا ومثنيا وبهذا الذي قررناه دفع قول الدلجي وهذا مخالف لظاهر الآية المفاد فيها بالتعدية بعلى ولو كانت كما زعم لكانت باللام على ان على قد تأتي بمعنى اللام في الكلام كقوله تعالى ولتكبروا الله على ما هداكم وزيد في بعض النسخ هنا (وقيل على قدمي) أي معناه (على سابقتي) أي سبق قدمي وتقدم قيامي من قبري وتحقق تقدمي في مقامي (قال الله تعالى ان لهم قدم صدق عند ربهم) أي مراتب تقدم مترتب على تفاوت صدق لهم في حالهم عند ربهم ووقوفهم على قدر مقامهم (وقيل على قدمي أي قدامي وحولي أي يجتمعون الي في القيامة) يعني ويلجاون الي في طلب الشفاعة (وقيل قدمي على سنتي) أي على قدر متابعتي ومقدار طاعتي في الدنيا ليكون لهم القرب والمنزلة في العقبى وفي نسخة وقيل قدمي سنتي (ومعنى قوله لي خمسة أسماء) أي مع ان له أسماء كثيرة (قيل انها موجودة) أي الخمسة جميعها مذكورة ومسطورة (في الكتب المتقدمة) أي باجمعها (وعند أولي العلم) أي ومشهورة عند العلماء من الانبياء والاصفياء (من الامم السالفة) أي الماضية فهذا وجه تخصيصها (والله أعلم) أي بما أراد نبيه بها (وقد روى) أي كما في الدلائل لابي نعيم وفي تفسير ابن مردويه من طريق أبي يحيى التيمي وهو وضاع عن سيف بن وهب وهو ضعيف عن أبي الطفيل (عنه صلى الله تعالى عليه وسلم) وفي نسخة عليه الصلاة والسلام (لي عشرة أسماء) الجمهور على ان مفهوم العدد ليس بحجة فلا معارضة بينه وبين ما سبق من حديث لي خمسة أسماء (وذكر منها) أي من جملة العشرة (طه ويس حكاه مكي) أي كما سبق واعاده

وما ذكره المص وان سبق اليه فيه خفاء الان يريد ان القدم مجاز عن الاثر كناية أو مجاز الا انه يتكرر مع قوله العاقب وقال السيوطي ان الله وصف نفسه بالحشر في قوله ويوم نحشرهم فيكون هذا من أسمائه التي سماه بها فان سلم ما قاله كان ما قبله كذلك وحشر الناس في وقت نبوته لبقاء ملته لانها لا تنسخ وليس بعدها شرع آخر فلا يرد عليه ان الساعة تقوم وليس على وجه الارض من يقول الله وتقدم ان كونه خاتم النبيين أي آخرهم أو من ختمهم وانه على قراءة الفتح لا ينافيه نزول عيسى عليه السلام بعده لانه ينزل تابعا له صلى الله تعالى عليه وسلم عاملا بشرعه ولذا يدفن عنده لانه آخر خلفائه وقيل المراد انه صلى الله تعالى عليه وسلم آخر من نبئ وعيسى نبئ قبله وان مات بعده كالخضر والياس على قول وقيل سمي حاشرا لانه حشر بني النضير من حصونهم وخرب أرضهم وهو ضعيف رواية ودراية (وسمي عاقبا لانه عقب غيره من الانبياء) عليهم الصلاة والسلام أي خلفهم في الخير ومنه عقب الرجل لولده وفسر بمن لا نبي بعده فان العاقب الآخر وقد فسر في حديث مروي عن ابن جبير فهو أصح وأحسن (وفي الصحيح وأنا العاقب الذي ليس بعده نبي) وقيل العاقب عند العرب من يكون خلف سيد القوم فمعناه خليفة الله لانه أحق بخلافته من جميع الرسل ومن الغريب ما قيل انه اسمه عند أهل النار من أمته لان الله تعالى ينسيهم اسمه محمدا فاذا ذكروه ارتفع عنهم العذاب وهو ضعيف (وقيل معنى على قدمي انه يحشر الناس بمشاهدتي) أي بقربي ومعي بمرأى مني لسبقي للناس في القيام من القبر (كما قال الله تعالى لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) وهذا بناء على انه من الشهادة بمعنى المشاهدة والمعاينة والجمهور على انه الشهادة الحقيقية كما ورد في الصحيحين من ان أمته تشهد للرسل بالتبليغ وهو صلى الله تعالى عليه وسلم يشهد لامته بالصدق ومعنى جعلهم أمة وسطا أي عدولا وخيارا كما مر بيانه وأخر المصنف رحمه الله تعالى هذا وهو متعلق بما قبله من معنى الحاشر اشارة الى انهما بمعنى (ومعنى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم لي خمسة أسماء) جواب عن سؤال مقدر تقديره ان له صلى الله تعالى عليه وسلم أسماء كثيرة فجعلها خمسة أو عشرة ان قلنا بمفهوم العدد مخالف للواقع والا فهو زيادة بغير فائدة (قيل انها موجودة في الكتب المتقدمة) المنزلة على الانبياء عليهم الصلاة والسلام كالتوراة والانجيل (وعند أولي العلم من الامم السالفة) أي السابقة فتخصيصها بالذكر لهذه الفائدة ومرضه لما سيأتي من انه صلى الله تعالى عليه وسلم له أسماء أخر في الكتب القديمة أيضا وكون العدد لا مفهوم له لا يدفع السؤال كما توهم وكونه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يقف على هذه الزيادة حتى ذكره بعيد (والله أعلم) بوجه التخصيص فيما ذكر (وقد روي عنه عليه الصلاة والسلام) في حديث رواه أبو نعيم في الدلائل وابن مردويه في تفسيره من طريق يحيى التيمي وهو وضاع عن سيف بن وهب وهو ضعيف عن أبي الطفيل (لي عشرة أسماء) وقد تقدم انه لا معارضة بينه وبين غيره من الاحاديث (وذكر منها طه ويس كما حكاه مكي) تقدمت ترجمته وقد تقدم هذا وانما أعاده ليتبعه تفسيره الذي ذكره وقال

هنا البيان مبناه وتبيان معناه (وقد قيل فى بعض تفاسير طه انه يا طاهر يا هادى وفى يس يا سيد) ايماء بذكر الحروف الواقعة فى أوائل المسميات الى تلك الصفات غايته انه مع تصريح ياء النداء فى يس وتقديره فى طه (حكاه) أى هذا التأويل

(السلمى) بضم ففتح وهو أبو عبد الرحمن محمد ابن عبد الخبير صاحب تفسير الحقائق (عن الواسطى) وهو الامام الجليل الصوفى محمد بن موسى (وجعفر بن محمد) أى وعنه أيضا وهو الامام جعفر الصادق ابن الامام محمد الباقر أحد أكابر أئمة أهل بيت النبوة (وذكر غيره) أى غير أبى محمد مكى (لى عشرة أسماء فذكر) أى ذلك الغير (الخمسة) أى الاسماء (التى فى الحديث الاول) وهى محمد وأحمد والماحى والحاشر والعاقب (قال) أى ذلك الغير فى بيان الخمسة الأخر (وأنا رسول الرحمة) الخ واما تفسير الدجى قال كما رواه ابن سعد عن مجاهد مرسلا فهو وان كان يناسب المقام الا انه ينافى المرام هذا وقد جاء أنا رحمة مهداة وقال الله تعالى وما أرسلناك الا رحمة للعالمين (ورسول الراحة) أى لما يترتب على الراحة الرحمة فى الدنيا والآخرة والاظهر ان المراد بالراحة نفى الكلفة و رفع المشقة عن هذه الامة لقوله تعالى و يضع عنهم أصرهم والاغلال التى كانت عليهم ولقوله وما جعل عليكم فى الدين من حرج ولقوله عليه الصلاة والسلام عليكم بدين العجائز

أبو بكر بن العربى فى أحكام القرآن اختلف الناس فى معناه على أربعة أقوال * الاول انه اسم من أسماء الله تعالى قاله الامام مالك وروى عنه أشهب قال سألته هل ينبغى لاحد ان يسمى بيسين قال ما أراه ينبغى لقوله تعالى * يس والقرآن الحكيم * أى هذا اسمى يسين * الثانى قال ابن عباس رضى الله عنهما يس يا انسان بالحبشة و يا طه و يا رجل وروى عنه انه اسم الله تعالى كما قال مالك * الثالث انه كنى به النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قيل له يس أى يا سيد كما يأتى * الرابع انه من فواتح السور وروى عن ابن عباس انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سمانى الله تعالى فى القرآن بسبعة أسماء محمد وأحمد وطه و يس والمزمل والمدثر وعبد الله وهذا حديث لم يصح وروى أشهب عن مالك لا يتسمى أحد بيسين لانه اسم الله وهو كلام بديع وذلك ان العبد يجوز له ان يسمى باسم الرب اذا كان فيه معنى منه كعالم وقادر وانما منع مالك من التسمية بهذا الاسم لانه من الاسماء التى لا يدرى ما معناها فربما كان ذلك معنى ينفرد به الرب فلا ينبغى ان يقدم عليه من لا يعرف لما فيه من الخطر فاقتضى النظر المنع منه فان قيل فقد قال الله تعالى * سلام على آل يسين * قلنا ذلك مكتوب بهجائه فتجوز التسمية به وهذا ليس بمتهجى وهو الذى تكلم مالك عليه لما فيه من الاشكال انتهى وهو كلام نفيس الا ان فيه بحثا لان تجويز التسمية بيس من وجه ومنعه من آخر وانه عند التلفظ لا يعرف منه الهجاء وعدمه اللهم الا ان يقال مراده المنع فى غير ما ورد فى القرآن فتدبر (وقد قيل فى بعض تفاسير طه انه يا طاهر يا هادى) على انه اسم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كما رواه السيوطى عن أبى الطفيل وتقدم انه قيل انه من أسماء الله وما ذكره السيوطى رحمه الله مروى عن الواسطى وأراد به ان كل حرف منه مروى بعض من اسم فالطاء من طاهر من كل عيب وذنب والهاء من هادالى كل خير فهو اسم مركب من اسمى حرفين كما فى الم وفى البخارى عن سعيد بن جبير معناه يا رجل بلغة عك وقيل معناه اطمئن وقيل معناه طأ الارض والهاء ضمير الارض وقيل يا رجل بالسريانية فعرب وقيل هو بالنبطية وهى لغة أهل سواد العراق وقيل معناه بلغة عك يا حبيبى وقيل طوبى لمن هدى (و) قيل (فى) بعض تفاسير (يس انه يا سيد حكاه السلمى) بضم السين وفتح اللام وهو أبو عبد الرحمن كما تقدم فى ترجمته (عن الواسطى) نسبة الى واسط بلدة معروفة وقد تقدمت ترجمته (وجعفر بن محمد) هو جعفر الصادق الامام المشهور كما تقدم وهذا مروى فى اسمائه عن أبى الطفيل ورواه البيهقى فى دلائله مسندا وقال السهيلى لو كان من أسمائه لقيل يا يسين بالضم وقال ابن دحية هذا غير لازم مع انه روى عن الكلبى انه قرأه بالضم أيضا وقيل معناه يا انسان بلغة طى واصله يا انيسين فاقتصر على بعض منه وقد بسطنا الكلام عليه فى حواشى البيضاوى وكذا فيما مر أوائل الكتاب وقيل معناه يا رجل وقيل يا سيد البشر (وذكر غيره) أى غير الواسطى انه روى (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال لى عشرة أسماء فذكر الخمسة التى فى الحديث الاول) الذى سمعته آنفا (و) زاد عليها (قال وأنا رسول الرحمة) لقوله تعالى * وما أرسلناك الا رحمة للعالمين * لانقاذهم من العذاب فى الدنيا والآخرة فمن اتبعه نجا فى الدنيا من القتل أو من ذلة الكفر والجزية وفى الآخرة من العذاب المخلد والخزى المؤبد واراحهم من التعب فيها فلذا سمى بذلك كما قال (ورسول الراحة) لانه صلى الله عليه وسلم راحة للمؤمنين فى الدنيا لما رفع عنهم مما كان فى الامم السالفة من الاصر والمشاق بما فى شريعته من الرخص والتخفيفات وفى الآخرة راحتهم العظمى لأمنهم وازالة تعبهم ورفع لتكليف عنهم وراحة للكافرين بترك قتلهم وسبى ذراريهم اذا قبلوا الجزية فنزلوا فى حرم الايمان آمنين وأمنت أمته من عموم الخسف والمسخ وسترت عليهم معاصيهم وكان من قبلهم اذا عصى أصبح وقد

كتب

(ورسول الملاحم) بفتح الميم وكسر الحاء المهملة جمع ملحمة وهو الحرب الشديد وأصلها معركة القتال وهي موضعه ولفظ مجاهد فيما رواه ابن سعد عنه مرسلا أنا رسول الرحمة أنا رسول الملحمة وأضيف اليهما لحرصه على المجاهدة المأمور بها ومن ثم قال علي كنا اذا احمر البأس اتقينا برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلم يكن أحد منا الى العدو أقرب منه ثم لا تعارض بين كونه رسول الرحمة ورسول الملحمة اذ هو سلم لاوليائه وحرب لاعدائه كالنيل ماء للمحبوبين ودماء للمحجوبين وكالقرآن شفاء ورحمة للمؤمنين وداء ونقمة للمتكبرين وقد قال الله تعالى في حقه بشيرا ونذيرا أي للمطيعين والعاصين ولعل رحمته كانت غالبة تخلقا باخلاق ربه حيث قال في الحديث القدسي والكلام الانسي سبقت رحمتي غضبي كما يشير اليه تقديم البشير في مقام العموم وهو لا ينافي

كتب على باب داره فلان فعل الليلة كذا وكذا وتسميته صلى الله عليه وسلم بنبي الرحمة رواه ابن ماجة والحاكم مسندا عن أبي هريرة وصححوه وورد في بعض طرقه نبي الراحة وما سبق أنسب بالآية (ورسول الملاحم) جمع ملحمة وهي الحرب والقتال سميت بذلك لالتحام الابطال فيها أي ازدحامهم فيها لانه صلى الله تعالى عليه وسلم أرسل بالسيف وأمر بالجهاد ولم يقع لنبي ولا أمته من الجهاد والقتال ما وقع له صلى الله تعالى عليه وسلم ولامته ولا يزالون كذلك حتى يقاتلوا الدجال وينزل عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام وهذا لا ينافي كونه صلى الله تعالى عليه وسلم رحمة لانه رحمة حقيقة اذ في قتاله غنيمة للمسلمين وهداية بعض الكافرين الى الاسلام وأمن دار الاسلام وغير ذلك مما لا يحصى والجواب بانه صلى الله تعالى عليه وسلم رحمة لاوليائه حرب لاعدائه مع ما فيه لا يناسب العالمين (وأنا المقفى قفيت النبيين) كلاهما بتشديد الفاء كما قال تعالى ثم قفينا على آثارهم وهو اما بمعنى التابع الذي جاء على أثرهم لان معنى قفا تبع ومنه القافية وفيه من الفضل أنه صلى الله تعالى عليه وسلم وقف على أحوالهم وشرائعهم فاختار له الله من كل شيء أحسنه وكان في قصصهم له ولامته عبر وفوائد أو المراد انه خاتمهم وآخرهم ووقع في بعض النسخ المقتفي بزيادة التاء الفوقية واقتصر عليه بعض الشراح ونقله عن الطيبي ثم قال ان المقفى ذكره غير الطيبي ولم يرد به نص صريح وفيه نظر (وأنا قيم) بالقاف ومثناة تحتية بزنة سيد (و) فسره المصنف بقوله و(القيم الجامع الكامل) أي الجامع لمكارم الاخلاق النفسية الكامل فيها أو الجامع لشمل الناس بتأليفه بينهم وجمع شتاتهم لان القيم يكون بمعنى السيد لقيامه بأمر الناس وأمر الدين كما قاله ابن الاشرم لما ولد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كما رواه الآمدي

بدلت دينا بعد دين قد ندم * وكنت في الدين كأني في ظلم * يا قيم الدين أقمنا نستقم

كما ورد في الحديث أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال أتاني ملك فقال أنت قيم وخلقك قيم * أي مستقيم حسن وفي النهاية القيم القائم بأمور الخلق ومدبر العالم في جميع أموره وهو مرادف للقيوم الذي هو من أسمائه تعالى ولا بعد ان يسمى النبي صلى الله عليه وسلم بشيء من أسماء الله تعالى بمعنى يليق كالقيم اذا كان بمعنى القيوم كما يسمى بغير ذلك من أسمائه والقيم أيضا من أسماء الله تعالى كما ورد في الحديث في قوله صلى الله عليه وسلم أنت قيم السموات والارض ومن فيهن وقال ابن دحية هو بمعنى القائم كما نقله السيوطي في الرياض الانيقة (كذا وجدته) أي تسميته صلى الله تعالى عليه وسلم بالقيم في كتب الحديث (ولم أروه) بطريق من الطرق المعتبرة عند المحدثين الا اني وجدته فيما رواه غيره وهذا عند المحدثين يسمى الوجادة وله شروط عندهم وهو مما يستأنس به وهذا رواه الديلمي في مسند الفردوس وفي النهاية الاثيرية أيضا كما مر (وأرى ان صوابه) بحسب الرواية (قثم) بالثاء المثلثة المفتوحة المخففة

تقديم الانذار حال خطاب الكفار المفيد في ذلك المحل تقديم التخويف فتأمل قال التلمساني وروى ان قوما من العرب قالوا يا رسول الله أفنانا الله تعالى بالسيف فقال ذاك أنقى لآخركم فهذا معنى الرحمة المبعوث بها صلى الله تعالى عليه وسلم والله تعالى أعلم (وأنا المقتفي) بصيغة الفاعل من باب الافتعال وفي نسخة المقفي بضم ففتح فتشديد فاء مكسورة بصيغة الفاعل كما صرح به شمر وهو أنسب بقوله (قفيت) بتشديد الفاء وفي نسخة بتخفيفها وفي نسخة قفوت (النبيين) أي جئت بعدهم واتبعت هديهم أو أريد به المولى لذاهب والمعنى انه آخر النبيين فاذا قفى فلا نبي بعده وأما قول الدلجي قال الله تعالى ثم قفينا على آثارهم برسلنا فيوهم ان الوصف بصيغة المفعول وليس كذلك (وأنا قيم) بتشديد الياء المكسورة (والقيم الجامع) أي للخير الكثير (الكامل) أي للفضائل والفواضل في تحسين الشمائل (كذا وجدته) أي بخط بعض العلماء أو في تصنيف بعض العلماء (ولم أروه) أي عن أحد من أئمة الحديث في طريق الانباء لكن رواه الديلمي في فردوسه ولم يسنده في مسند الفردوس وفي النهاية حديث أتاني ملك فقال أنت قيم وخلقك أي حسن مستقيم (وأرى) بفتح الهمزة والراء أي أذهب أو بضم الهمزة وفتح الراء أي وأظن (ان صوابه قثم) بالثاء أي المثلثة المفتوحة بعد القاف المضمومة وهو غير مصروف لانه معدول عن قاثم وهو المعطي

(كما ذكرناه بعد) أي كما سيأتي ذكره بعد ذلك (عن الحربي) أي منقول عنه بلفظ قثم بالمثلثة وهو المأخوذ من القثم بمعنى الجمع كما أشار
إليه بقوله (وهو أشبه) أي من حيث اللفظ ٣٩٢ (بالتفسير) أي الذي سبق قريبا من قوله الجامع الكامل واستحسن كلامه الحلبي ولا
يبعد أن تكون الروايتان ثابتتين وكون احداهما أشبه بالتفسير لا يفيد صوابها وتصحيف غيرها مع انه قد يكون التفسير حاصل المعنى لأصل المبنى على ان قوام الشيء واستقامته لا يكون الا بكماله وجامعيته في حد ذاته ويؤيد ما قررنا ويقوي ما حررنا قوله (وقد وقع أيضا) أي القيم بالتحتية (في كتب الانبياء) أي الماضية ومنها رواية المصنف (قال داود عليه السلام اللهم ابعث لنا محمدا مقيم السنة) أي مقومها بطريق الوفرة (بعد الفترة) أي الفتور في الطاعة (فقد يكون القيم بمعناه) أي بمعنى المقيم الوارد بمعنى المقوم كما فسر الدعاء الوارد اللهم أنت قيم السموات بمعنى مقومها ومقيمها ومديمها وقد أبعد الدلجي في تقييد قوله معناه بالمثلثة (وروى النقاش عنه عليه الصلاة والسلام لي في القرآن) أي مذكور مسطور (سبعة أسماء محمد) وهو قوله تعالى محمد رسول الله (وأحمد) وهو قول
عيسى عليه السلام يأتي من بعدي اسمه أحمد (وطه ويس) وفي نسخة تقديم وتأخير بينهما وسبق بيانهما واقتصر
(والمدثر والمزمل) أي في أوائل سورهما (وعبد الله) كما في قوله سبحانه وتعالى وانه لما قام عبد الله ولعله اقتصر عليها لشهرتها والا
فله فيه أسماء كثيرة كالنبي والرسول والخاتم والحريص والعزيز والرؤف والرحيم وأمثال ذلك مما يدل على صفات له هنالك

وضم القاف فرأى انه تصحف عليهم وهو معدول عن قاثم ممنوع الصرف كما ذكره ابن فارس وغيره ورواه ابن اسحق في حديث غريب هو قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أتاني ملك فقال أنت قثم وخلقك قثم ونفسك مطمئنة قال ابن دحية في اشتقاقه معنيان أحدهما من القثم وهو الاعطاء يقال قثم له من العطاء اذا أعطاه فسمى صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك لجوده وعطائه والثاني من القثم وهو الجمع يقال للرجل الجامع للخير قثوم وقثم وقد كان صلى الله تعالى عليه وسلم جامعا للفضائل وجميع الخير والمناقب وقد علمت ما فيه (كما ذكرناه بعد) بالبناء على الضم أي فيما سيأتي (عن الحربي) قال البرهان لهم أبو اسحق الحربي واسحق بن الحسين الحربي والثاني ثقة حجة سمع من هوذة وحسين بن محمد وغيرهما ووثقه الدارقطني وصحح عليه في الميزان وذكر الذهبي أنه مبهم (وهو أشبه بالتفسير) يعني انه أقرب شبها بتفسيره المأثور بالجامع وفيه نظر لان قثم بالمثلثة بمعنى مجتمع أيضا كما تقدم آنفا وقد كان عبد الله أبو النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يكنى بأبي محمد وأبي قثم وقالوا انه الجامع للخير أو لشمل أمته ويأتي ان هذا الاسم معروف في جماعة من أهل البيت منهم قثم شقيق الحارث عم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وابن عبد الملك وبه سميت محلة بسمرقند دفن فيها وبها مدرسة قثم أيضا وقثم بن عبد الله بن العباس ثم عاد المصنف الى ذكر القيم بالتحتية وأشار الى ما يصححه فقال (ووقع أيضا في كتب الانبياء) المنزلة من السماء كصحف ابراهيم وداود (قال داود عليه الصلاة والسلام اللهم) أي يا الله وألحقوا الميم في آخر هذا الاسم ايذانا بجمع أسمائه وصفاته فالسائل اذا قال اللهم فكأنه قال ادعو بأسمائه وصفاته فأتى بالميم المؤذنة بالجمع في آخره ايذانا بسؤاله بأسمائه كلها ولذا قال العطاردي اللهم فيها تسعة وتسعون اسما من أسمائه وقال النضر من قال اللهم فقد دعا الله بجميع أسمائه ووجه هذا ان اللهم بمنزلة واو الجمع فانها من مخرجها فكان الداعي بها يقول يا الله الذي اجتمعت له الاسماء الحسنى والصفات العلى وشددت لتكون عوضا عن الواو والنون في نحو مسلمون (ابعث لنا محمدا يقيم السنة) أي الطريقة الشرعية والدين (بعد الفترة) أي انقطاع الوحي والرسل وضمير لنا للناس (فقد يكون القيم بمعناه) أي بمعنى المقيم للسنة المأخوذ مما ذكر لدلالته عليه فيكون اذا سلم انه اسم للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم بهذا المعنى وقد قالوا انه اسمه في الزبور كما يشير اليه كلام المصنف وفي التوراة كما نقله السيوطي ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا اله الا الله فالسنة سنة الرسل وهي الشريعة والتوحيد والفترة ما بين كل رسولين من الزمان وهو المراد وقد يخص بما بين عيسى ونبينا صلى الله تعالى عليهما وسلم وأصل معناها الضعف وتسمية ترك العبادة فترة منه فليس معنى أصليا كما توهم فان كان ضمير لنا له ولقوله فجملة ابعث الدعائية للتمني ان يبعث في زمنه وقيل ضمير بمعناه لقثم بالمثلثة وفي كتاب فضل الصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لابن القيم ان اللهم لا تستعمل الا في الطلب نحو اللهم اغفر لي قلت وهذا ينافي قوله بعد هذا انه يسوغ استعماله في موضع لا يكون بعده دعاء نحو اللهم لك الحمد واليك المشتكى فتأمله (وروى النقاش) تقدمت ترجمته (عنه عليه الصلاة والسلام) أنه قال (لي في القرآن سبعة أسماء) تقدم المراد بالاسماء وانها تشمل الصفات غير الاعلام ثم ذكرها فقال (محمد وأحمد ويس وطه والمدثر والمزمل وعبد الله) تقدم الكلام على بعضها وسيأتي تتمته ومحالها من القرآن معلومة في أوائل السور وغيرها كقوله تعالى وانه لما قام عبد الله يدعوه

(وفى حديث) أى ثابت (عن جبير) بالتصغير (ابن مطعم) بضم ميم وكسر عين (رضى الله تعالى عنه هى) أى أسمائى (ست) الظاهر ستة ولعل وجه التذكير تأنيث الضمير (محمد وأحمد وخاتم) بكسر التاء وفتحها (وعاقب وحاشر وماح) اسم فاعل من المحو وقد سبق معانيها فى ضمن مبانيها (وفى حديث أبى موسى الاشعرى رضى الله تعالى عنه) كما رواه مسلم (انه كان عليه الصلاة والسلام يسمى لنا نفسه أسماء) أى متعددة (فيقول أنا محمد وأحمد والمقفى) بكسر الفاء المشددة أى الذاهب المولى فمعناه آخر الانبياء والمتبع لهم كالقفا فكل شئ يتبع شيئا فقد قفاه (والحاشر) أى الجامع للحشر والباعث للنشر (ونبى التوبة) أى من حيث انه يتوب على يده جمع كثير من أهل دينه أو لان توبة هذه الامة حاصلة بمجرد الندامة وما يتبعها من العلامة بخلاف توبة الامم السالفة فانها كانت بارتكاب الامور الشاقة أو انه كثير التوبة بالرجعة والاوبة لحديث البخارى انى لاستغفر الله تعالى فى اليوم مائة مرة أو لان باب التوبة يغلق فى آخر هذه الملة (ونبى الملحمة) بفتح الميم والحاء القتال العظيم وهو كقوله بعثت بالسيف (ونبى الرحمة ويروى المرحمة والراحة) روايات أربع (وكل) أى من الالفاظ المذكورة (صحيح ان شاء الله تعالى) أى كما سيأتى وجوهها مسطورة (ومعنى المقفى معنى العاقب) وقد سبق بيانه

واقتصر على هذه لشهرتها والا فقد ورد فيه غيرها كالرسول والنبى والخاتم والرؤف والرحيم والصاحب ومفهوم العدد غير معتبر وقيل انه كان قبل وصف الله له بهذه أو المراد ما يختص به كما يشعر به تقديم الخبر والجواب بان رؤف ورحيم صفتان لا اسمان لتعلق الجار بهما كما فى قوله تعالى بالمؤمنين رؤف رحيم ثم استفيد كونهما اسمين بعد القرآن غير مسلم لما مر وقوله فى القرآن يشير الى ان له أسماء أخر ليست فيه وفى الصحيحين فى فترة الوحى بينا أنا أمشى اذ سمعت صوتا من السماء فرفعت بصرى فاذا الملك الذى جاءنى بحراء قاعد على كرسى بين السماء والارض فرعبت منه ورجفت فقلت زملونى زملونى وفى رواية دثرونى فانزل الله تعالى يا أيها المدثر قم فانذر والمدثر والمزمل اسمان من الحالة التى كان عليها حين النزول والمدثر المتلفف فى الدثار وهو الثياب والمزمل بمعناه وأصله المتدثر والمتزمل فقلب وأدغم كما هو معلوم من علم التصريف وقال ابن الورد انما نزل يا أيها المدثر عقيب قوله زملونى لان هذا التزمل أريد به الدثار من برد يعترى المروع كالمحموم كما كان يعتريه صلى الله تعالى عليه وسلم عند نزول الوحى عليه فخاطبه بما طلب من تزمله أى يا أيها المتزمل المتدثر دع الدثار وجد فى الانذار تأنيسا له من الروع وتنشيطا له على فعل ما أمر به كما تقول أرسلته لامر فتخوف وتثبط عنه يا أيها المتخوف امض لامرك وقال السهيلى فيه ملاطفة لانه ورد أنا النذير العريان فوصفه بالانذار مع الدثار تلميح بالطباق وهو منزع بديع وكان تدثره صلى الله تعالى عليه وسلم بقطيفة فى بيت خديجة وذكر عائشة بدل خديجة خطأ لانه كان بمكة وعائشة انما كانت معه بالمدينة وقيل معناه المدثر بالقرآن وقيل معنى المزمل الحامل لاعباء الرسالة من المزاملة فهو استعارة تصريحية وقال السهيلى ليس المزمل من أسمائه صلى الله عليه وسلم وانما هو مشتق من حالته المتلبس بها حال الخطاب والعرب تفعله ملاطفة ومعاتبة كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم لعلى كرم الله وجهه وقد نام على الارض قم يا أبا تراب ملاطفة لما كان بينه وبين فاطمة رضى الله تعالى عنهما من المغاضبة وما روى عن عائشة رضى الله تعالى عنها انه كان بمنزلها مزملا بمرط طوله أربعة عشر ذراعا نصفه عليها وهى نائمة لا أصل له فان نزول يا أيها المزمل كان بمكة ودخوله صلى الله تعالى عليه وسلم على عائشة انما كان بالمدينة وقد علمت ان عبد الله سماه الله تعالى به فى آيات والعبودية أشرف صفاته صلى الله تعالى عليه وسلم وأصل معناها الخضوع والتذلل وان العبد هو الانسان رقيقا أم لا وقال المشايخ العبودية القيام بحق الطاعات بشرط التوفيق والنظر لما صدر منه بعين التقصير وفى بعض النسخ (وفى حديث عن جبير بن مطعم هى) أى أسماؤه صلى الله عليه وسلم (ست محمد وأحمد وخاتم وحاشر وعاقب وماحى) وقد علمت معانيها (وفى حديث أبى موسى الاشعرى رضى الله تعالى عنه انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يسمى لنا نفسه أسماء فيقول أنا محمد وأحمد والمقفى) وفى رواية كما تقدم المقتفى (والحاشر ونبى التوبة) هذا الحديث أسنده السيوطى فى الرياض الانيقة وقدم تفسير هذه الاسماء غير الاخير ومعناه ان توبة أمته مقبولة من غير حرج عليهم حتى تطلع الشمس من مغربها أو يغرغر وكانت الامم السالفة منهم من لا تقبل توبته أصلا ومنهم من تقبل توبته بشرط أمور شاقة كما لم تقبل توبة بنى اسرائيل من عبادة العجل الا بقتل أنفسهم وهذه الامة تقبل منهم مطلقا وان تكررت مع تكرر الذنوب وبه فسر قوله تعالى ان الله يحب التوابين بشرط الندم والعزم على عدم العود ورد حقوق العباد أو استحلالهم ونحوه كما فصلوه فى محله فهو لا ينافى قبول توبة غير هذه الامة فى الجملة (ونبى الملحمة) تقدم تفسيره (ونبى المرحمة والرحمة وكل صحيح ان شاء الله) رواية ودراية كما تقدم أيضا (ومعنى المقفى هو معنى العاقب) كما مر مفصلا والاولى تفسير كل منهما بمعنى هربا من التكرار فمعنى

(وقيل المتبع للنبي وأماني الرحمة والتوبة والمرحمة والراحة فقد قال الله تعالى وما أرسلناك الا رحمة للعالمين) يعني والرحمة مرادفة للرحمة ومتضمنة للراحة ومتسببة عن التوبة (وكما وصفه) أي سبحانه وتعالى (بانه) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لكونه منعوتا بالرحمة الموجبة للراحة والباعثة على التوبة المقتضية للرحمة (يزكيهم) أي يطهر أمته عن دنس المعصية (ويعلمهم الكتاب والحكمة) أي السنة وكلها أسباب

الرحمة وبواعث التوبة (ويهديهم الى صراط مستقيم) أي ويدلهم على دين قويم (وبالمؤمنين رؤف رحيم) أي وعلى العاصين كافة كريم حليم (وقد قال) أي النبي عليه الصلاة والسلام (في صفة أمته انها أمة مرحومة) أي مغفور لها متاب عليها كما رواه الحاكم في الكنى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما بسند ضعيف ورواه أبو داود والطبراني والحاكم في المستدرك والبيهقي في شعب الايمان بسند صحيح أمتي هذه أمة مرحومة ليس عليها عقاب في الآخرة انما عذابها في الدنيا الفتن والزلازل والقتل والبلايا (وقد قال تعالى فيهم) أي في حقهم اصالة وفي حق غيرهم تبعا حيث نزل فيهم (وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة) أي بموجبات الرحمة أو بها كافة على البرية (أي يرحم بعضهم بعضا فبعثه عليه الصلاة والسلام

المقفى التابع لهدى النبيين وسننهم والعاقب الخاتم لباب النبوة والرسالة واليه أشار بقوله (وقيل) معنى المقفى (المتبع لهدى النبيين وأماني الرحمة والتوبة) يأتي جواب اما وقيل معنى نبي التوبة انه كثير التوبة والاستغفار لنفسه لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم اني لاستغفر الله في اليوم والليلة سبعين مرة (والمرحمة والراحة) لان من رحمه الله تعالى فقد أراحه من العقاب واذا أعلمه بذلك أراحه من القلق والضجر (فقد قال تعالى وما أرسلناك الا رحمة للعالمين) دليل وتفسير لما قبله وقد تقدم انه لا ينافي انه نبي الملحمة والسيف أي القتال به لما تقدم وفي شرح السنة ان الامم السالفة كان من كفر منهم بعد ظهور المعجزات يعذب بالاستئصال فأمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بالجهاد بسيفه ليرتدعوا عن الكفر فالسيف فيه بقية لهم ويؤيده نزول ملك الجبال عليه صلى الله عليه وسلم ليطبقها عليهم واباؤه ذلك رجاء ان يكون من ذريتهم من يعبد الله ورفع عنهم الاصر وأثابهم الكثير على العمل القليل مع قصر أعمارهم وقد أثاب الله تعالى الامم السالفة مع كثرة أعمارهم وأعمالهم بأقل من ذلك وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وفي جعله صلى الله تعالى عليه وسلم عين الرحمة وتعميم العالمين بها مبالغة ظاهرة (وكما وصفه) أي مثل وصفه الذي وصفه به في هذه الآية ووصفه له في غيرها (بانه يزكيهم) أي يطهرهم من الاخلاق الذميمة والآثام المدنسة لهم بمقاله وحاله وضمير يزكيهم للعالمين وقيل لامته (ويعلمهم الكتاب) أي القرآن (والحكمة) أي العلوم النافعة والعقائد الحقة ومعاني القرآن وفسرت أيضا باصابة الحق قولا وفعلا ووردت بمعنى القرآن أيضا والحكمة من الله معرفة حقائق الاشياء وايجادها على غاية الاحكام ومن الناس معرفة الموجودات وفعل الخيرات وهو الذي وصف به لقمان ويصح ارادته هنا أيضا (ويهديهم الى صراط مستقيم) أي يدلهم على طريق لا عوج فيه بالوحي والشريعة توصلهم الى سعادة الدارين (وبالمؤمنين رؤف رحيم) قدم متعلقه للتخصيص أو للاهتمام والتشريف مع رعاية الفاصلة وموافقة نظم القرآن قصدا للاقتباس عن مشكاته وتقديم الرؤف كما مر لانه الشفقة والتلطف بالمنعم عليه وهو مقدم كما مر وما قيل من انه قدم للفاصلة وحقه التأخير بناء على انه أشد الرحمة تقدم رده (وقد قال) النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أو الله في غير القرآن اذ لم يقع فيه بهذا اللفظ (في صفته أمته انها أمة مرحومة) في الدنيا والآخرة في الحياة والممات والامة أمة الدعوة أو الاجابة (وقد قال تعالى فيهم) أي في حقهم وشأنهم (وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة) معطوف على جملة الصلة في قوله تعالى الذين آمنوا (أي يرحم بعضهم بعضا) أي أوصى بعضهم بعضا بالصبر على طاعة الله وعن معاصيه وبالرحمة على خلق الله (فبعثه الله) وفي نسخة فبعثه صلى الله عليه وسلم ربه (رحمة لامته) متفرع على ما قبله باعتبار العلم والظهور وهو في الحقيقة سببه ورحمته المختصة بهم ظاهرة ورحمة مفعول له أو حال من الله أو من ضمير النبي بمعنى راحما لهم (ورحمة للعالمين ورحيما بهم) أي جعله عين الرحمة لارشاده لهم ولطفه بهم وحمله على ذلك فلا تكرار فيه مع ما قبله (ومترحما ومستغفرا لهم) أي داعيا لهم بالرحمة والمغفرة لشفقته

صلى

ربه تعالى) أي على وجه الاكرام (رحمة لامته) أي خاصة (ورحمة للعالمين) أي عامة اذ هو رحمة للكفار من عذاب الاستئصال في هذه الدار (ورحيما لهم) أي بخصوصهم وعمومهم بحسب استحقاقهم (ومترحما) أي متكلفا لاظهار الرحمة أو مبالغا في استنزال الرحمة (ومستغفرا لهم) أي طالبا المغفرة لذنوب أمة الاجابة وتوفيق الايمان لامة الدعوة

(وجعل) أي الله سبحانه وتعالى (أمته أمة مرحومة) أي لكونه نبي الرحمة (ووصفها بالرحمة) أي بكونها راحمة كما قال الله تعالى رحماء بينهم لكونه نبي الرحمة فهم جامعون بين الراحمية والمرحومية كما يشير اليه قوله (وأمرها بالتراحم) أي بان يترحم بعضهم على بعض (وأثنى عليه) أي ومدح التراحم وبالغ فيه ليكون سببا للرحمة سبحانه وتعالى عليهم وفي نسخة وأثنى عليها أي على صفة الرحمة (فقال ان الله يحب من عباده الرحماء) كما رواه الشيخان عن أسامة بن زيد الا أنه بلفظ يرحم بدل يحب (وقال) أي في حديث آخر رواه أبو داود والترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص (الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الارض يرحمكم) بالجزم والرفع (من في السماء) أي من الملأ الاعلى أو من في السماء ملكه وعرشه أو من هو معبود في السماء زاد الترمذي والرحم شجنة من الرحمن أي قطعة مأخوذة من صفة الرحمن من وصلها وصله الله تعالى ومن قطعها قطعه الله تعالى وهو حديث مسلسل بالاولية لبعض أرباب

الرواية لكن أسانيده غير صحيحة عند أصحاب الدراية لانقطاع التسلسل من عمرو بن دينار عن أبي قابوس عن مولاه ابن عمرو (واما رواية نبي الملحمة) على ما أخرجه ابن سعد عن مجاهد (فاشارة الى ما بعث به من القتال والسيف) أي وضرب السيف بعد انقطاع المقال وثبوت الحجة ووضوح المحجة حال الجدال بسببه (صلى الله تعالى عليه وسلم وهي) أي هذه الرواية أو الاشارة (صحيحة) وعلى تصحيح المدعى صريحة قال تعالى يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم (وروى حذيفة مثل) حديث (أبي موسى) كما رواه أحمد والترمذي في الشمائل (وفيه) أي وفي حديث حذيفة (نبي الرحمة ونبي التوبة ونبي الملاحم وروى الحربي) أي كأبي نعيم في الدلائل عن يونس بن ميسرة (في حديثه عليه الصلاة والسلام انه قال أتاني ملك فقال) أي لي كما في نسخة (أنت قثم) بالمثلثة (أي مجمع) يعني لانواع العطاء فان القثم هو الاعطاء (قال) أي الحربي (والقثوم) بفتح القاف (الجامع للخير) روي والقثم ويؤيده قوله (وهذا) أي قثم (اسم هو في أهل بيته عليه الصلاة والسلام معلوم) أي عند أهله وهو قثم بن العباس وقثم عم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أيضا هذا وقال التلمساني والجامع اما للخير أو ما افترق في غيره أو جمع الله به شمل الامة وكان قد افترق الملة ثم قال وقثم عم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو شقيق الحارث بن عبد المطلب وبه سميت محلة بسمرقند لانه دفن فيها انتهى والصحيح ان قثم عمه مات صغيرا وان المحلة التي بسمرقند دفن فيها قثم بن العباس على ما ذكره المغرب ونقله الانطاكي (وقد جاءت من ألقابه عليه الصلاة والسلام) وهي الصفات الغالبة عليه (وسماته) بكسر أوله جمع سمة وهي العلامة

صلى الله عليه وسلم عليهم ففيه حسن ترتيب وايهام للتأكيد (وجعل أمته أمة مرحومة ووصفها بالرحمة) لاجابة دعائه وتحقيق رجائه لهم ويجوز ان يكون بيانا للمأمور لاعتنائه به وتفضيله (وأمرها) أي الامة (عليه الصلاة والسلام بالتراحم وأثنى عليهم) أي أمر أمته بان يرحم بعضهم بعضا ثم فسره بقوله (وقال) عليه الصلاة والسلام (ان الله يحب من عباده الرحماء وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم (الراحمون يرحمهم الرحمن) وهذا خبر لفظا مآل معناه الامر فلذا أردفه بصريحه بقوله (ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء) بالرفع والجزم وحديث ارحموا الخ صحيح مشهور مسلسل بالاولية قيل ويؤخذ من كونه صلى الله تعالى عليه وسلم رحمة انه لا ينبغي أن يدعى له بالرحمة فيقال اللهم ارحم محمدا ورده العراقي بان كونه رحمة للعالمين من جملة الرحمة فهو دليل لهم لا عليهم وما ورد في الحديث يتبع وقيل انه مخصوص بالتشهد لعدم وروده في غيره وسيأتي تفصيله في بحث الصلاة عليه صلى الله تعالى عليه وسلم (واما رواية نبي الملحمة فاشارة الى ما بعث به من القتال والسيف وهي صحيحة) متنا وسندا كما ذكره المحدثون وظاهرة معنى لانه صلى الله تعالى عليه وسلم فرض عليه القتال وأحلت له الغنائم ونصر بالرعب ووقع له من الحرب والجهاد والنصرة ما لم يتفق لغيره من الرسل وبقي ذلك في أمته الى يوم القيامة وما أحسن ما قيل

جمع الشجاعة والخشوع لربه * ما أحسن المحراب في المحراب

فلاختصاصه بذلك أضيف له (وروى حذيفة) وفي نسخة عن حذيفة وهذا رواه أحمد والترمذي في الشمائل (مثل حديث أبي موسى) الاشعري السابق أي بمعناه ولفظه (وفيه ونبي الرحمة ونبي التوبة ونبي الملاحم) بالجمع للكثرة اشارة الى انه اختص بكثرتها (وروى الحربي) تقدم ذكره وانه متعدد ولم يعينه المصنف رحمه الله تعالى ورواه أبو نعيم في الدلائل عن يونس بن ميسرة (في حديثه عليه الصلاة والسلام انه) بيان لانه مرفوع (قال أتاني ملك فقال أنت قثم) بالثاء المثلثة كعمر (أي مجتمع) أي مجموع فيك كل كمال وخير فكنى عن ذلك بكونه مجتمع في ذاته ولذا اعقبه بقوله (قال والقثوم الجامع للخير) كله في ذاته ولغيره (وهذا اسم) له صلى الله عليه وسلم (هو في أهل بيته معلوم) فسمي به غيره كما تقدم وتفسيره (وقد جاءت من ألقابه) وهي اسماؤه المنقولة واللقب ما أشعر بمدح وأما قوله تعالى ولا تنابزوا بالالقاب فخصوص بما فيه ذم ويؤذي كما ذكره المفسرون (وسماته) بمعنى صفاته أو هو عطف تفسيري والسمة في

(فى القرآن) أى نعوته المعلمة المعلومة فيه مما نسب اليه (عدة كثيرة) أى جملة معدودة مبينة لديه (سوى ماذكرناه) أى ومعنا ماقررناه
(كالنور) أى قوله تعالى قدجاءكم من الله نور (والسراج المنير) أى فى قوله تعالى وسراجا منيرا (والمنذر) أى فى قوله
تعالى وتنذر يوم الجمع
وليكون من المنذرين
(والنذير والمبشر) أى
فى قوله تعالى انا أرسلناك
شاهدا ومبشرا ونذيرا
(والبشير) قال تعالى
فقد جاءكم بشير ونذير
(والشاهد) كماسبق لقوله
تعالى وشاهد ومشهود
(والشهيد) قال تعالى
وجئنا بك على هؤلاء
شهيدا (والحق المبين)
لقوله تعالى لقد جاء الحق
من ربكم وهو أولى من
قول الدلجى لمافى حديث
البخارى اللهم أنت قيم
السموات والارض ومن
فيهن وفيه ومحمد حق اذفيه
ان هذا ليس فى القرآن
والكلام فى أسماء
مذكورة فيه مع انه خبر
عنه لا وصف له كمافى بقية
الحديث والجنة حق
والنار حق الا أن حق
المصنف كان ان يقول
والمبين بالعطف للاشارة
الى انهما وصفان مستقلان
وللاشعار الى قوله تعالى
لتبين للناس مانزل اليهم
فان وصفه عليه الصلاة
والسلام بمجموع الحق
المبين غير معروف لافى
الكتاب ولافى السنة ولعله
ذكرهما بحذف العاطف
(وخاتم النبيين) كماقال
تعالى ولكن رسول الله وخاتم النبيين وهو بفتح التاء عطف على الاسم أى آخرهم وبالكسر على الفاعل لانه الامر
خاتم النبيين فهو خاتمهم ذكره الانطاكى والتحقيق ان المراد بالفتح مايختم به من الطابع فقوله أى آخرهم حاصل المعنى لاجل المبنى

الاصل الوسم والكى ثم عم لكل علامة واشتهر بمعنى الصفة أو المراد الصفات الواردة (فى القرآن) لان أكثر مافيه صفات منزلة منزلة الاعلام (عدة كثيرة سوى ماذكرناه) مما تقدم ذكره ومنها ماهو حقيقة ومنها ماهو استعارة (كالنور والسراج المنير) كماقال تعالى قدجاءكم من الله نور وقال وسراجا منيرا وفسر بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم فانه نور لا يطفى ويأبى الله الا أن يتم نوره وهذا بناء على مااختاره ومنهم من فسره بالقرآن ولكل وجهة والذى حققه المشايخ نور الله تعالى مراقدهم كمافى مشكاة الانوار لحجة الاسلام ان حقيقة النور هو الظاهر بنفسه المظهر لغيره والعالم مشحون بالانوار الظاهرة المحسوسة والباطنة المعقولة التى يفيض بعضها على بعض قال والنور الحقيقى هو الله تعالى فهو نور السموات والارض ونور الانوار وقال الاشعرى انه نور ليس كالانوار والروح النبوية القدسية لمعة من نوره والملائكة شرر تلك الانوار وبهذا صرح فى هيا كل النور فلذا سمى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم نورا ولاقتباسه من الانوار الالهية سمى سراجا لمافاض عليه من الانوار العلوية فليس الوصف به لغوا ولامؤكدا فان فهمت فنور على نور فهو فى الاصل استعارة ثم ان كان سمى به صار حقيقة عرفية (والمنذر والنذير) وهما متقاربان معنى وأصل الانذار الاعلام بمافيه تخويف قال تعالى انما أنت منذر ولكل قوم هاد وقال انى انا النذير المبين وفى البخارى انما مثلى ومثل مابعثنى الله به كمثل رجل أتى قوما فقال ياقوم انى رأيت الجيش بعينى وانا النذير العريان فالنجاة النجاة فاطاعه طائفة من قومه فادلجوا وانطلقوا على مهلهم فنجوا وكذبته طائفة فاصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش فاهلكهم واجتاحهم فذلك مثل من أطاعنى واتبع ماجئت به ومثل من عصانى وكذب ماجئت به من الحق والنذير للمبالغة فى صدقه وجده فى انذاره ووصفه بالعريان لانه أبلغ فى انذاره وقيل كان النذير يتجرد من ثيابه ويلوح بها مع الصياح تاكيد الانذاره (والمبشر والبشير) قال تعالى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ونحوه من الآيات وهما من البشارة بكسر الباء وضمها وهو الاخبار بخبر سار وقوله تعالى فبشرهم بعذاب أليم تهكم وسميت به لتغييرها بشرة الوجه أى ظاهره وقيده بعضهم بالخبر الصادق وبنوا عليه ما لو علق عليه طلاقا أو عتاقا كما بين فى كتب الفقه والاصول وقيل انه يعم الخير والشر حقيقة وقدمر ذلك كله وقال السيوطى انه من اسماء الله أيضا لقوله تعالى يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وفيه نظر (والشاهد والشهيد) قال تعالى انا أرسلناك شاهدا ويكون الرسول عليكم شهيدا ونحوه والشهادة كمافى الصحاح الخبر القاطع وأصل معنى الشهادة المعاينة وسمى به لشهادته على الامم لتبليغ أنبيائهم لهم ويشهد على أمته بالايمان كماورد فى الحديث ويأتى ان الشهيد من اسماء الله تعالى ومعناه العالم أو الشاهد على عباده يوم القيامة ثم سمى به النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (والحق المبين) قال تعالى حتى جاءهم الحق ورسول مبين وقال قدجاءكم الحق من ربكم ونحوه وفسرا به صلى الله تعالى عليه وسلم والحق والصدق متقاربان وفرق بينهما الامام بان الصدق نسبة الشئ الى الواقع والحق نسبة مافى الواقع الى الشئ من حق اذا ثبت وسمى به صلى الله تعالى عليه وسلم لحقية نبوته ورسالته وماجاء به وجعل عين الحق مبالغة والمبين من أبان ويكون متعديا ولازما بمعنى تبين فمعناه الظاهر فى نفسه والمظهر لغيره قال تعالى لتبين للناس مانزل اليهم وان من اسمائه تعالى لتبين ألوهيته وعظمته ولتبيينه لعباده أمر معادهم ومعاشهم وشرائعهم (وخاتم النبيين) بكسر التاء اسم فاعل وبفتحها اسم آلة كطابع كأنه ختمهم بنفسه فهو استعارة فى الاصل شاع وصار حقيقة قال تعالى ولكن رسول الله وخاتم النبيين من ختمت

(والرؤف الرحيم) جمع بينهما من غير عاطف كما جاء في الآية بالمؤمنين رؤف رحيم والرأفة شدة الرحمة فأخر لمراعاة الفاصلة أو للتعميم والتتميم (والأمين) لقوله تعالى عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين على أحد القولين في تفسيره ولحديث اني لأمين في الارض أمين في السماء وكان قبل البعثة يسمى أمينا (وقدم الصدق) أي من حيث انه أوحى

اليه ان يبشر الذين آمنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم فهو أولى بهذا الوصف من غيره وكان حق المصنف ان يأتي به منكرا على طبق ورود وقيل سمي قدم صدق لانه يشفع لهم عند ربهم (ورحمة للعالمين) لقوله تعالى وما أرسلناك الا رحمة للعالمين (ونعمة الله) أي أنعم به على من آمن به في الدارين ذكره الدلجي والاولى ان يقال لقوله تعالى وبنعمة الله هم يكفرون كما قاله المفسرون (والعروة الوثقى) أي من حيث ان من آمن به فقط تمسك من الدين بعقد وثيق لا تحله شبهة ذكره الدلجي والاظهر لقوله تعالى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى أي بعهد المصطفى وذمة المجتبى قال الانطاكي قيل انه محمد عليه الصلاة والسلام وقيل هو الاسلام (والصراط المستقيم) أي من حيث هدايته من آمن به اليه ودلالته عليه كذا ذكره الدلجي ولعله مأخوذ من قوله تعالى يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم أي الى نبي كريم ودليل قويم قال الانطاكي قوله الصراط المستقيم قيل هو رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل هو طريقه عليه الصلاة والسلام وقيل هو طريق الجنة وقيل طريق أهل السنة والجماعة وقيل هو الاسلام وقيل هو القرآن انتهى والكل متقارب البيان في معرض البرهان وزيد في نسخة هنا طه ويس وهي غير صحيحة لقول المصنف سوى ما ذكرناه وقد ذكرا فيما

الامر اذا تممته وبلغت آخره وفي الصحيحين مثلي ومثل الانبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتا وأحسنه وأكمله الا موضع لبنة من زاوية فجعل الناس يطوفون به ويعجبون ويقولون هلا وضعت تلك اللبنة فانا تلك اللبنة وأنا خاتم النبيين وحكمة كونه خاتما ليكون الختم رحمة ولئلا يطول مكث أمته تحت الارض ولئلا تطلع الامم على أحوال أمته ولئلا تنسخ شريعته ولذلك نزل عيسى عليه السلام على شريعته كما تقدم (والرؤف الرحيم) تقدم معناهما مفصلا (والأمين) فعيل بمعنى مفعول مبالغة ويكون بمعنى فاعل كقوله تعالى وهذا البلد الأمين وتسميته به مشهورة قبل البعثة ووقع في القرآن في قوله تعالى انه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين في قول بعض المفسرين ان المراد به النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كما روان كان المشهور خلافه وانه جبريل عليه السلام وقال المصنف انه قول أكثر المفسرين كما نقله السيوطي عنه وقيل انا لم نعلمه في القرآن في غير هذه والراجح خلافه الا انه وقع فيه بطريق الالتزام لانه وصف به فيه من هو دونه كقوله تعالى في موسى اني لكم رسول أمين وفيه تكلف وقد سمي به وبالمأمون في الجاهلية قال كعب بن زهير

سقاك بها المأمون كأسا روية * فانهلك المأمون منها وعلكا

ومر انه لما تشاحنت قريش فيمن يضع الحجر الاسود قالوا أول من يدخل من هذا الباب تضعه فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأوه قالوا قد جاء الامين وانه كان مشهورا به قبل البعثة فكانت توضع عنده الودائع والامانات (وقدم الصدق) كما عده كثير من أسمائه صلى الله تعالى عليه وسلم وفي البخاري عن زيد بن أسلم في قوله تعالى وبشر الذين آمنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم قال هو محمد صلى الله عليه وسلم ومر الكلام عليه مفصلا في أول الكتاب وعن علي كرم الله وجهه كما أخرجه ابن مردويه انه قال في تفسيره هو محمد شفيع وفيه اشارة الى وجه التسمية من انه تبشير بان يشفع لهم لان من عادة الشافع تقدمه على من يشفع له فعلى هذا انه سماه الله تعالى به وكذا روي عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه ان معناه شفيع مصدق ومر عنه في كلام المصنف رحمه الله تعالى شفيع صدق عند ربهم ومر فيه عن سهل ان معناه سابقة رحمة أودعها الله تعالى أي عهده بها أزلا انه سيجعله رحمة لهم ولذا اعقبه المصنف رحمه الله بقوله (ورحمة للعالمين) فهو كالتفسير له والقدم واحد الاقدام ويطلق على التقدم لانه يكون بها ويقال لفلان قدم أي تقدم كما قال ذو الرمة

لكم قدم لا ينكر الناس انها * مع الحسب العادي طمت على الفخر

وكونه رحمة لجميع العالمين كما في قوله تعالى وما أرسلناك الا رحمة للعالمين وقدمر الكلام عليه (ونعمة الله) فهو صلى الله عليه وسلم نعمة لهم وعن ابن عباس في تفسير قوله تعالى بدلوا نعمة الله كفرا قال هم كفار قريش ونعمة الله محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فسمي نعمة كما سمي رحمة وذلك حقيقة لمن اتبعه ولذا قال (والعروة الوثقى) قال ابن دحية وأبو عبد الرحمن السلمي في قوله تعالى فقد استمسك بالعروة الوثقى هو محمد صلى الله تعالى عليه وسلم والعروة ما يتمسك به من الحبل والوثقى الوثيقة المتينة وفيه استعارة تمثيلية تصريحية لان من اتبعه لا يقع في هوة الضلال كما ان من مسك حبلا متينا صعد من حضيض المهالك (و) من أسمائه صلى الله تعالى عليه وسلم (الصراط المستقيم) ذكره ابن دحية وقال

أبو العالية في قوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخرجه ابن أبي حاتم وسمي به لانه طريق الى الله تعالى موصل اليه وتقدم ان الصراط بالصاد والسين والزاي المشمة الطريق المستوي أو الواضح والمستقيم الذي لا عوج فيه فاستعير له صلى الله تعالى عليه وسلم لان التابع له واصل لسعادة الدارين ناج والمنحرف عنه ضال غير مهتد فلذا عقبه بقوله (والنجم الثاقب) اشارة لقوله تعالى وبالنجم هم يهتدون وروي عن السلف في قوله تعالى والنجم الثاقب انه محمد صلى الله عليه وسلم وقيل قلبه وهو بعيد وقدم هذا وما قبله في كلام المصنف رحمه الله عن جعفر الصادق في تفسير والنجم اذا هوى وان الثاقب بمعنى المضيء المتوهج قال

أضاءت لهم احسابهم ووجوههم * دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه

وهو تشبيه بليغ أو استعارة من مطلق النجم أو من نجم مخصوص وهو زحل لانه يهتدى به صلى الله تعالى عليه وسلم كما يهتدى بالنجم أو لانه استنارت به ظلمة الجهل فان خص بزحل فوجه الشبه الاضاءة مع الرفعة كما قيل (والكريم) المتفضل أو العفو أو الكثير الخير أو العلي كما يأتي وكله صحيح في حقه صلى الله تعالى عليه وسلم وهو سمي به في قوله تعالى انه لقول رسول كريم بناء على انه المراد به وقيل المراد جبريل عليه السلام كما روي ويأتي والخلاف في تفسيره مشهور ولا حاجة لاثباته بهذه الآية لاتصافه صلى الله عليه وسلم به وبمعناه في الاحاديث الصحيحة (والنبي الامي) قال الله تعالى الذين يتبعون الرسول النبي الامي وهو من لا يقرؤ ولا يكتب وقيل هو الذي يقرؤ ولا يكتب ورجحه السبكي والسيوطي وفيه أقوال أحدها وثانيها هذان وقيل كان يقرؤ ويكتب وقيل كان لا يقرؤ ولا يكتب في أول أمره ثم لما زالت الشبهة علمه الله ذلك وذهب الى هذا بعض المحدثين من علماء المغرب ومن تبعهم وسيأتي تفصيله مع انه تقدم مرارا والامي منسوب الى الام كأنه على الحالة التي ولدته أمه عليها أو الى أم القرى وهي مكة أو الى أمة العرب وكني به عما ذكر لان القراءة والكتابة لم تكن معروفة فيهم وقيل منسوبة الى الامة لانه أمة بنفسه وأميته معجزة له صلى الله تعالى عليه وسلم وان عدت منقصة لغيره لانه مع ما ظهر منه من العلوم والمعارف اللدنية ومعرفته باخبار الامم السالفة وشرائعهم وهو لا يقرؤ ولا يكتب ولم يدارس ولم يتلقن ممن قرأ أو كتب أمر غريب عجيب والمقصود من القراءة والكتابة ذلك لانهما آلة وواسطة له غير مقصودة في نفسهما فاذا حصلت له الثمرة المطلوبة منهما استغنى عنهما بخلاف غيره مع ما في ذلك من الرتبة والاستغناء بكتابته عن ملاقاته كما قال الله تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون وروي انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لا أريد الخط لئلا يقع ظل القلم على اسم الله تعالى رواه الترمذي ولم يسنده فجزاه الله تعالى على ذلك ان يرفع ظله عن الارض فلا يوطأ وان لا ترفع الاصوات على صوته وسيأتي ان من وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم بالامية على وجه يشعر بالتنقيص له حكم الساب (وداعي الله) أي داعي الناس الى توحيد الله وطاعته كما قال الله تعالى وداعيا الى الله باذنه وأجيبوا داعي الله ونحوه وفي الحديث الصحيح ان ربكم فتح دارا وصنع مأدبة فمن أجاب الداعي رضي عنه السيد ودخل الدار وأكل من المأدبة فالسيد هو الله والداعي محمد والدار الاسلام وقال البخاري الجنة وكذا المأدبة قال السيوطي وقد وصف الله تعالى نفسه بانه داع في قوله تعالى والله يدعو الى دار السلام فهو من جملة أسماء الله تعالى التي سماه بها وقال على لسان الجن أجيبوا داعي الله ففيه دليل على انه صلى الله تعالى عليه وسلم مبعوث اليهم وقال مقاتل لم يبعث الى الجن نبي قبله وفسر قوله بعثت الى الاسود والاحمر بالانس والجن كما تقدم وهو مشكل بسليمان عليه السلام وقد يوفق

قدمناه وحرزناه (والنجم الثاقب) أي المضيء كأنه يثقب الظلام بضوئه فينفذ فيه بظهوره وهو مأخوذ من قوله تعالى والسماء والطارق وما أدراك ما الطارق النجم الثاقب ولعل في ايراده ايماء الى انه مشبه به (والكريم) قال تعالى انه لقول رسول كريم (والنبي الامي) أي الذي لا يقرأ ولا يكتب قال تعالى فآمنوا بالله ورسوله النبي الامي (وداعي الله) لقوله تعالى وداعيا الى الله باذنه ولقوله سبحانه وتعالى ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وكان الاظهر ان يقال والداعي الى الله ثم رأيت قوله تعالى أجيبوا داعي الله قال البغوي يعني محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم

بينهما بان الله سخر له الجن مع أمره لهم بتوحيد الله تعالى لانه لا يرضى الكفر الا انه لم يكلفهم بفروع شريعته والنبي صلى الله عليه وسلم مأمور بدعوتهم وتكليفهم بالعمل بشرعه ولم يؤمر باستخدامهم وتسخيرهم له كسليمان (في أوصاف كثيرة وسمات جليلة) عظيمة مبجلة أي ورد ما ذكر في القرآن والآثار مع صفات أخر كثيرة أطلقت عليه كاطلاق الاسم على مسماه فجعل الكثير باشتماله على غيره كالظرف المحتوي على مظروفه وسمات جمع سمة وهي العلامة لكن تجوز بها عن مطلق العلامة كالمرسن للانف وشاع حتى صار كالحقيقة أو بمنزلتها ثم تجوز بها عن الصفة وهو المراد هنا وعبر به للتفنن في العبارة (وجرى منها في كتب الله المتقدمة) أي وقع منها في كتب الله المتقدمة على القرآن كالتوراة والانجيل وغيرهما وجرى حقيقته أسرع من المشي وفي المائعات بمعنى سال كجرى النهر ثم شاع عرفا بمعنى وقع وحدث فيقال جرى الماء على كذا ولذا تلطف الشاعر في قوله

ويحدث الماء الزلال مع الصفا ✽ فجرى النسيم عليه يسمع ما جرى

(وكتب أنبيائه) قيل المراد بها كلمات منقولة فان لهم عليهم الصلاة والسلام أحاديث دونها أحبارهم في زمانهم قبل نسخ أحكامهم ونقلها المسلمون عنهم ودونوها كالاسرائيليات وهذا يعلم من مقابلته لما قبله (وأحاديث رسوله) صلى الله تعالى عليه وسلم الواقع فيها وصفه أو تسميته لنفسه أو قالها أصحابه بنقل عنه وبدونه وهذه كلها تسمى أحاديث أيضا (واطلاق الامة) غير الصحابة أو المراد الاعم أي تسميتهم له صلى الله عليه وسلم ووصفهم فان اطلاق اللفظ بمعنى استعماله سواء كان حقيقة أم لا مشهور ومتعارف وهو في الاصل من الاطلاق بمعنى فك الوثاق ثم نقل عرفا لما ذكر وأسماؤه صلى الله عليه وسلم وان كانت توقيفية عند بعضهم كاسماء الله تعالى فما اشتهر فيها وتلقي بالقبول في حكم المنقول فان الامة لا تجتمع على الضلالة وقد وقع هذا في كثير من أسمائه وصفاته (جملة شافية) فاعل جرى من شفاء المريض أي شافية من داء الجهل أو من شفاء الغليل وهو حر العطش لانه يروي الظمأ ويثلج الصدر (كتسميته بالمصطفى والمجتبى) هذا مما أطلقه عليه الامة ولم يرد في كتاب ولا سنة وهما بمعنى وفي الصحاح اجتباه بمعنى اصطفاه واختاره وأصله كما قاله الراغب من جبيت الماء في الحوض اذا جمعته لجمعه صلى الله تعالى عليه وسلم المكارم والصفات الحميدة بفيض الهي من غير سعي كما قال الله تعالى يجتبي اليه من يشاء ويهدي اليه من ينيب قال السيوطي المصطفى من أشهر أسمائه صلى الله تعالى عليه وسلم ومثله المختار وفي مسند الدارمي ان في التوراة محمد رسول الله عبدي المختار الى آخره (وأبي القاسم) وهذا أشهر كنية له صلى الله عليه وسلم ومنها أبو ابراهيم كما يأتي وأبو المؤمنين وأبو الارامل كما ذكره السيوطي وهذا ورد في الحديث الصحيح ففي مسلم عن جابر رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال تسموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي فاني أبو القاسم أقسم بينكم ويأتي الكلام في أوائل القسم الرابع ومثله ما في كتاب الذخائر والاعلاق في أدب النفوس ومكارم الاخلاق انه كني به لانه يقسم الجنة بين أهلها يوم القيامة والذي جزم به أهل السير انه كني بابنه القاسم وهو أول أولاده صلى الله تعالى عليه وسلم من خديجة ولادة ووفاة وظاهر النهي فيه تحريم التكني بكنيته مطلقا وهو الاصح من مذهب الشافعي وقيل انه جائز بعد موته صلى الله تعالى عليه وسلم والنهي مخصوص بحياته ورجحه النووي ووجهه أن النهي عن ذلك لئلا يتأذى باجابة دعوة غيره فيجد المنافقون فرجة لاذاه وهو يزول بوفاته صلى الله تعالى عليه وسلم ولذا لم ينه عن اسمه مع منع الله تعالى من ندائه به وفي قول يحرم لمن اسمه محمد دون غيره لما روي عن جابر مرفوعا (من تسمى باسمي فلا يتكنى بكنيتي) ويأتي بسط ذلك في القسم المذكور وقال السبكي وحيث حرمناه فالمحرم التكنية وهو وضع الكنية لاحد والتكني وهو قبول المسمى لذلك وأما الاطلاق فأمر ثالث

(في أوصاف كثيرة) أي مع صفات أخر كثيرة (وسمات جليلة) أي نعوت عظيمة شهيرة (وجرى منها) أي من أسمائه (في كتب الله المتقدمة) كالتوراة والزبور والانجيل (وكتب أنبيائه) أي الماضية من الصحف الوافية (وأحاديث رسوله) أي الثابتة (واطلاق الامة) أي من العلماء والائمة (جملة شافية) فاعل جرى جملة من الاسماء والصفات شافية في حصول المهمات (كتسميته بالمصطفى) وهو وان شاركه سائر الرسل حيث قال الله تعالى الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس الآية الا انه هو انفرد الاكمل من هذا الجنس الافضل وكذا قوله (والمجتبى) من قوله تعالى الله يجتبي اليه من يشاء ويهدي اليه من ينيب (وأبي القاسم) وهو كنية بولده القاسم

الا أن يكون ذلك الشخص لا يعرف الا به فيكون عذرا واختلفوا في عمر ابنه القاسم فقيل سنتان وقيل غير ذلك (والحبيب) وحبيب الله تعالى وهذا ثبت بالحديث الصحيح الذي رواه البيهقي في الشعب عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه اتخذ الله ابراهيم خليلا وموسى نجيا واتخذني حبيبا وقال وعزتي وجلالي لأوثرن حبيبي على خليلي ونجيي وقدم الكلام على المحبة والخلة والفرق بينهما والكلام على أيهما أفضل وهذا الحديث صريح في تفضيل المحبة لان لها معنيين أحدهما مطلق وهو في الخلق مطلق الميل وفي الله ايثاره وتفضيله على غيره وخاص وهو في الناس ايثاره على نفسه وغيره وجعله نصب عينه بحيث لا يفتر عن ذكره وتملكه لقلبه بحيث لا يكون فيه محل لسواه والخلة المودة والمعاونة مع ميل ما ولا شك انها بهذا المعنى أفضل وأعلى فقول ابن القيم في كتاب الداء والدواء مما يظنه بعض الغالطين من ان المحبة أكمل من الخلة فمن جهله فان المحبة عامة والخلة خاصة فانها نهاية المحبة فانه صلى الله تعالى عليه وسلم أخبرنا بانه لم يتخذ خليلا غير ربه مع اخباره صلى الله عليه وسلم بمحبته عائشة وغيرها لم يصادف محزه (ورسول رب العالمين) لم ينتظم هذا في سلك ما وقع في القرآن لانه وان ورد فيه كثيرا الا انه لم يقع فيه مضافا لرب العالمين قال الازهري الرسول المبلغ لاخبار من بعثه من قولهم جاءت الابل رسلا أي متتابعة والفرق بينه وبين النبي مشهور (والشفيع المشفع) أي المقبول شفاعته وسمي شافعا أيضا وقد تقدم أن له صلى الله تعالى عليه وسلم شفاعات سبعة كما تقدم تفصيله (والمتقي) والتقي والاتقى لحديث مسلم أنا أتقاكم لله والتقوى لها مراتب مفسرة في تفسير البيضاوي (والمصلح) للخلق بارشاده وهدايته قال المصنف رحمه الله وجد على بعض الحجارة القديمة محمد تقي مصلح أمين لانه ألف بين قلوب الناس وأزال ما بينهم من الضغائن كما كان بين العرب والعجم وقبائل العرب كما قال الله تعالى واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم (والطاهر) بالمهملة لطهارته صلى الله عليه وسلم من النقائص والادناس الحسية والمعنوية حتى ذهب الشافعية الى طهارة فضلاته كغائطه وبوله ودمه ورجحه السبكي والبلقيني وأفتوا به كما مر وقد شربت بوله أم أيمن وشرب جماعة من دمه ولم ينكره صلى الله تعالى عليه وسلم وطهارته من الذنوب والاخلاق الردية كما تقدم (والمهيمن) ويأتي ان هذا اسما به عمه العباس رضي الله تعالى عنه في شعره المشهور الذي مدحه صلى الله تعالى عليه وسلم به وقد تقدم روايته له وفيه

حتى احتوى بيتك المهيمن من * خندف علياء تحتها النطق

وميمه الاولى مضمومة والثانية مكسورة وروى فتحها أيضا وهو كما انه اسم له صلى الله عليه وسلم صح انه من أسماء الله تعالى ومن أسماء القرآن قال الله تعالى وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه وفسر في الآية بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم على انه حال من كاف اليك والراجح تفسيره بالقرآن على انه حال بعد حال من الكتاب ولذا لم يذكره المصنف في أسمائه صلى الله تعالى عليه وسلم الواردة في القرآن وقال ابن قتيبة انه من أسماء الله تعالى معناه الشاهد وقيل الحفيظ وقيل الرقيب وقيل القائم على خلقه وقيل الامين وتبعه المصنف في بعض ذلك كما يأتي بيانه وأصله مؤيمن قلبت همزته هاء وقيل المهيمن وهو في أسماء النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بالمعنى الاول أو الرابع أو الخامس انتهى وهو عنده أي المصنف مصغر مؤمن على ما سيأتي وتصغيره للتعظيم وقد رد هذا وشنع عليه فيه بان أسماء الله وأسماء النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والقرآن بل كل معظم لا يجوز فيها التصغير كما يأتي ولم يرد مثله ولذا ارتضى أبو علي في الحجة انه اسم مكبر ورد بهذه الزنة كالمبيقر والمسيطر وفتح ميمه يدل على ما قاله واذا وصف به القرآن فمعناه رئيس الكتب العالي عليها الحفظ من

(والحبيب) لما سبق من حديث الا وأنا حبيب الله (ورسول رب العالمين) فانه أولى من يطلق عليه من بين المرسلين (والشفيع المشفع) أي المقبول شفاعته التي تعم أمته وسائر أهل محبته (والمتقي) اسم فاعل من الاتقاء وأصله الموتقي من الوقاية وهو من يقي نفسه مما يوجب العذاب ومما يقتضي الحجاب (والمصلح) أي لما أفسده غيره من أمر الدين ففي التوراة ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء أي ملة ابراهيم وسميت عوجاء لتغيير العرب اياها (والطاهر) أي بحسب الباطن والظاهر (والمهيمن) أي المبالغ في المراقبة لاحوال الامة

التغيير والتبديل واعجازه ببلاغته ومزاياه وقيل معناه المصدق و يبعده تعديته بعلى الأن يقال انه لما فيه من معنى العلو وعلى انه من الامن ظاهر لانه أمنهم من الخوف (والصادق والمصدوق) وسمى بالصدق أيضا والمصدق اسم فاعل بالتشديد كما ذكره أبو بكر بن عربى وفى صحيح البخارى حدثنا رسول الله وهو الصادق المصدق قاله ابن مسعود وقد ورد هذا فى عدة أحاديث رواه السيوطى لانه صدق الانبياء والكتب التى قبله والمصدوق اسم مفعول من صدق المتعدى كما ورد صدق وعده والصادق من أسماء الله أيضا ورد فى حديث الاسماء كما قاله السيوطى رحمه الله تعالى (والهادى) عده جماعة من أسمائه أخذا من قوله تعالى وانك لتهدى الى صراط مستقيم وهو من أسماء الله تعالى أيضا و يأتى ان الهداية تطلق على خلق الاهتداء و يوصف بها الله تعالى خاصة وهو المنفى فى قوله انك لاتهدى من أحببت على قول وعلى البيان والدلالة بلطف وهذه يوصف بها الله تعالى والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم و يطلق على الداعى ومنه ولكل قوم هاد ولا تستعمل الا فى الخير وقوله واهدوهم الى صراط الجحيم تهكم وهدايته صلى الله عليه وسلم لما فيه من صلاح المعاش والمعاد ظاهرة وقد أشبعنا الكلام عليه فى حواشى القاضى (وسيد ولد آدم) وقد ورد اطلاقه عليه فى أحاديث كثيرة صحيحة كما فى حديث الشفاعة انطلقوا الى سيد ولد آدم وفى الصحيحين أنا سيد الناس يوم القيامة وهو من أسماء الله تعالى أيضا كما أثبته البيهقى فى كتاب الصفات فيجوز اطلاقه على الله تعالى وعلى غيره مطلقا وهو أحد أقوال أربعة فقيل يختص بالله مطلقا وقيل يختص به معرفا وقيل يختص بغيره ولا يجوز اطلاقه عليه واستدل للاول بانه لما قال له صلى الله عليه وسلم وفد بنى عامر أنت سيدنا قال السيد هو الله وهو حديث صحيح كما مر وتحقيقه انه على الاطلاق معناه العظيم المحتاج اليه غيره وهذا مما يوصف به الله وغيره وأما تخصيصه بغير الله كما روى عن مالك فلانه لم يثبت عنده اطلاقه على الله تعالى ولان معناه رئيس القوم الذى يفخر و يعز باتباعه وسيد القوم منهم وهذا لا يليق بالله تعالى ولذا فسر اذا أطلق على الله بمامر وأما اختصاصه بالله فلان معناه المالك المتصرف فى أمور غيره وهذا فى الحقيقة انما هو الله وأما التفصيل فلانه معرفا المعهود بالعظمة وكونه ملجأ لكل أحد وهذا مختص به تعالى وهذا أضعفها * فان قلت اذا صح الاول فما تصنع بالحصر فى حديث السيد هو الله * قلت اذا ثبت وصف شئ وحده أو مع غيره وأريد رده فللعرب فيه طرق أظهرها ان يؤتى بصريح الحصر كقولك لا معبود الا الله قلبا وافرادا أو يعرف الطرفان كالمعبود الله وهو كالذى قبله معنى الا أنه قد يختار ايماء لفطنة مخاطبه فهو أبلغ فى مقامه أو يجعل من أثبته الزاعم له الصفة عين من هى له فى نفس الامر كما يقال للدهرى الدهر هو الله أى لا دهر ولا تصرف لسوى الله فاثبت له التصرف ونفاه عما عداه بطريق برهانى كقوله تعالى ان كان للرحمن ولد الى آخره وهذا نوع أدق من غيره سماه الشيخ التنويع وذكره سيبويه فى باب الاستثناء فقوله السيد هو الله يحتمل اجراؤه على ظاهره وان يكون من هذا القبيل فلا دليل فيه على انه من أسماء الله تعالى فضلا عن اختصاصه فاعرفه فانه من نفائس الذخائر المكنوزة فى دفائن الخواطر وقد قدمنا ذلك أول الكتاب فى الباب الاول وانما أعدناه لطول العهد به والمراد بولد آدم النوع الانسانى وكذا كل جماعة سموا باسم أبيهم جاز اطلاق الاولاد عليه واطلاقه عليهم كما يقال تميم لاولاده وكذا يقال بنو تميم لما يشمل تميم وهو القبيلة وهذا مجاز شاع حتى صار حقيقة عرفية كما فصله القرافى فى كتاب العقد المنظوم وعده من ألفاظ العموم فمن قال الولد للواحد والجمع فان كان مفردا ينبغى ان تكون الاضافة للاستغراق بقرينة المقام أى أنا سيد كل ولد آدم وان كان للجمع فالامر ظاهر ويلزم من كونه سيد ولد آدم سيادته على آدم اذ فيهم من هو أفضل من آدم كابراهيم وموسى عليهما الصلاة والسلام فقد تكلف بلا حاجة اليه لعدم وقوفه

(والصادق) أى قولا ووعدا وفعلا (والمصدوق) أى من يأتيه الصدق من عند ربه شهادة فى حق أمره (والهادى) أى للخلق الى الحق (وسيد ولد آدم) أى من المبدأ والمختم عموما

على ماذكر ومر في الحديث أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وانه خص يوم القيامة لانه يظهر فيه سيادته على
سائر المرسلين من غير منازع فيه وان كان سيدا في الدارين كما (وسيد المرسلين) كما ورد في أحاديث
صحيحة واذا كان صلى الله تعالى عليه وسلم أفضل من سائر المرسلين فهو أفضل من سائر النبيين لان
الرسول أفضل من النبي وان اختلف في تفضيل الرسالة والنبوة (وامام المتقين وقائد الغر المحجلين)
جمعهما المصنف رحمه الله تعالى لورودهما كذلك في حديث رواه البزار انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال
ليلة أسري بي انتهيت الى قصر من لؤلؤة يتلألأ نورا وأعطيت ثلاثا قيل لي انك سيد المرسلين وامام
المتقين وقائد الغر المحجلين وقد ورد تسميته صلى الله عليه وسلم بامام النبيين وامام المتقين وامام الناس
وامام الخير كما في الرياض الانيقة والاول ذكره ابن سيد الناس في سيرته وعن قتادة في قوله تعالى يوم
ندعو كل أناس بامامهم ان الامام المراد به النبي صلى الله عليه وسلم والامام في اللغة المقتدى به ويطلق
على الواحد كقوله تعالى انى جاعلك للناس اماما وعلى الجمع كقوله تعالى واجعلنا للمتقين اماما قاله
ابن الانباري وسمي صلى الله تعالى عليه وسلم امام النبيين لانه أسبقهم في النبوة الروحانية ولانه
أمهم في الاسراء كما مر وأخرج أحمد والترمذي اذا كان يوم القيامة كنت امام النبيين وخطيبهم
وصاحب شفاعتهم وفي رواية لاحمد كنت امام الناس ومنها أخذ تسميته صلى الله تعالى عليه وسلم به
وامام المتقين ان أريد به أمته صلى الله تعالى عليه وسلم فظاهر وان أريد الاعم وافقه لرواية امام
الناس فلاقتداء الانبياء به وفي بعض الشروح ان كل متق سواء كان من أمته أو من الامم السالفة مقتد به
لانهم في السير الباطني اشرفوا على المقام المحمدي وآمنوا به واهتدوا بهديه وامام الخير ورد في حديث
رواه ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال اذا صليتم على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاحسنوا الصلاة
عليه فانكم لاتدرون لعل ذلك يعرض عليه قالوا له فعلمنا قال قولوا * اللهم اجعل صلواتك ورحمتك
وبركاتك على سيد المرسلين وامام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك امام الخير وقائد الخير
ورسول الرحمة اللهم ابعثه المقام المحمود الذي يغبطه به الاولون والآخرون * وقائد اسم فاعل من القود
وهو تقدمه على من يتبعه باختياره وهو يقودهم الى الجنة برضاهم وفي القاموس القود نقيض السوق
والغر جمع أغر وأصل الغرة بياض في جبهة الفرس فالمراد به مطلق بياض الوجه هنا والتحجيل
بياض في القوائم وفي الصحيحين ان أمتي يدعون يوم القيامة غرا محجلين من آثار الوضوء وورد بمعناه
من طرق كثيرة وفيه زين لهم وقد جعل ذلك علامة لهم يعرفون بها بين الامم يوم القيامة والتعبير به
وبالقود مما هو معروف من صفات الخيل فيه اشارة الى أنهم جياد سابقون على غيرهم ففيه استعارة
مكنية وتورية كقوله الناس للموت كخيل الطراد * والسابق السابق منها الجواد
وبها استدل على ان الوضوء من خصائص هذه الامة وقيل انه غير مختص بهم وانما المختص بهم الغرة
والتحجيل لحديث هذا وضوئي ووضوء الانبياء من قبلي وأجيب بضعفه واحتمال ان يكون الانبياء
عليهم الصلاة والسلام اختصوا به دون أممهم على تقدير صحته بعيد وكون بياض الغرة أثر الوضوء لا ينافي
كونه من أثر السجود وادعاء انه غيره فيه نظر (وحبيب الله) تقدم بيانه مفصلا (وخليل الرحمن) تقدم
تحقيقه (وصاحب الحوض المورود) رواه ابن حبان والحاكم وقال السيوطي حديث الحوض مروي
عن أكثر من خمسين صحابيا وتقدم سرد بعضهم في كلام المصنف ومنهم أبو برزة الاسلمي وحديثه قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان لي حوضا ما بين ايلة الى صنعاء عرضه كطوله فيه ميزابان
من الجنة أحدهما من ورق أي فضة والآخر من ذهب ماؤه أحلى من العسل وأبرد من الثلج وأبيض
من اللبن من شرب منه لم يظمأ حتى يدخل الجنة فيه أباريق عدد نجوم السماء وقال القرطبي ذهب

(وسيد المرسلين) أي
خصوصا (وامام
المتقين) أي من الاولياء
الصالحين والعلماء
العاملين (وقائد الغر)
بضم الغين وتشديد
الراء أي بيض الوجوه
من آثار أنوار الوضوء
اطلاقا لاسم الجزء على
الكل اذ الغرة بياض
الجبهة قدر الدرهم
(المحجلين) بتشديد الجيم
المفتوحة أي المبيضين
أيديا وأرجلا من أنوار
الطهارة وآثار العبادة
(يوم القيامة) وفيه
اشارة الى ما استدل به
الائمة على ان الوضوء من
خصائص هذه الامة
وقيل لا وانما المختص
الغرة والتحجيل
لحديث هذا وضوئي
ووضوء الانبياء من قبلي
وأجيب بضعفه وعلى
فرض صحته احتمل
أن يكون الانبياء
اختصوا بالوضوء دون
أممهم (وخليل الرحمن)
لحديث مسلم وقد اتخذ
الله صاحبكم خليلا يعني
نفسه (وصاحب
الحوض المورود) أي
يوم القيامة وقد ورد فيه
أحاديث صحيحة وفي
بيان اختصاصه صريحة

(والشفاعة) أي العظمى (والمقام المحمود) عطف تفسير أو مغاير ان أريد بالشفاعة جنسها الشامل لجميع أنواعها (وصاحب الوسيلة) لحديث مسلم سلوا الله لى الوسيلة فانها منزلة فى الجنة لا تنبغى الا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون انا هو فمن سأل لى الوسيلة حلت عليه الشفاعة (والفضيلة) أي المرتبة على مرتبة الوسيلة لحديث الشيخين من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذى وعدته حلت له شفاعتى يوم القيامة وفى رواية النسائى وابن حبان والبيهقى المقام المحمود (والدرجة الرفيعة) أي العالية (وصاحب التاج) أي الخاص به فى الجنة يلبس فيها ليمتاز به عن أهلها فقد روى أبو داود عن سهل بن معاذ عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ القرآن وعمل بما فيه ألبس والداه تاجا يوم القيامة ضوؤه أحسن من ضوء الشمس فى بيوت الدنيا لو كانت فيكم فما ظنكم بالذى عمل بهذا الحديث فما ظنكم بالذى جاء به ونزل عليه وهو سيد الأولين والآخرين وما أبعد الدلجى وغيره حيث فسروا التاج بالعمامة وقالوا كانت اذ ذاك خاصة بالعرب فهى تيجانهم ومن ثم قيل العمائم تيجان العرب انتهى وتعبيره بقيل غير مرضى اذ ورد فى حديث رواه الديلمى فى مسند الفردوس عن على وابن عباس مرفوعا (والمعراج) أي صاحبه الخاص به (واللواء) لحديث آدم ومن دونه تحت لوائى يوم القيامة (والقضيب) أي السيف فعيل بمعنى الفاعل من قضب اذا قطع وقيل العصا فهو فعيل بمعنى المفعول لانه مقطوع من الشجر

جماعة الى ان حوضه صلى الله عليه وسلم بعد الصراط والصحيح ان له حوضين احدهما فى الموقف قبل الصراط والثانى فى الجنة وكلاهما يسمى كوثرا واختلف هل هو قبل الميزان أو بعده والصحيح انه قبله والمعنى يقتضيه فان الناس يخرجون من قبورهم عطاشا ويزداد عطشهم فى السعى الى المحشر فيردونه قبل الميزان والصراط وورد أيضا تسميته صلى الله عليه وسلم بصاحب الكوثر وسمى به لاختصاصه به وفى بعض الكتب لكل نبى حوض وتسميته به صلى الله تعالى عليه وسلم لعظم حوضه وزيادته ومثله يحتاج لنقل والمورود اسم مفعول من الورد بالكسر وهو الذهاب للماء ويلزمه الشرب عادة فاذا عبر به عنه وهو وان كان اسم مفعول لا يدل على المبالغة فالمراد به كثرة الواردين عليه ولولاه كان الوصف به لغوا وقد ورد التصريح به (والشفاعة) أي من اسمائه صلى الله تعالى عليه وسلم صاحب الشفاعة وقد تقدم بيانه (و) صاحب (المقام المحمود) وهو مقام الشفاعة العظمى كما مر (و) صاحب (الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة) الوسيلة السبب الموصل لامر عظيم سمى به لانه سبب لكل خير وفسر فى الحديث بمنزلة مخصوصة كما ورد فى حديث مسلم السابق سلوا الله لى الوسيلة فانها منزلة فى الجنة لا ينبغى الا لعبد من عباد الله وارجو ان اكون هو وأصل الوسيلة كما قال السيوطى القرب من الله والمنزلة عنده وكونه صلى الله تعالى عليه وسلم صاحب فضيلة ودرجة عالية رفيعة حسا ومعنى فى الدنيا والآخرة غنى عن البيان (وصاحب التاج) قيل المراد بالتاج هنا العمامة ونقل عن المصنف رحمه الله تعالى والعمائم تيجان العرب لكونها معروفة عندهم دون غيرهم فكنى به عن انه من صميم العرب وأشرفهم حسبا ونسبا وروى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه لم يلبس العمامة غيره من الانبياء وفى مقدار عمامته وكيفيتها تفصيل فى السير ولنا فيه رسالة مستقلة وكان له صلى الله تعالى عليه وسلم عمامة تسمى السحاب يحتها القلنسوة ودخل مكة فى الفتح وعلى رأسه عمامة سوداء وهو لا ينافى رواية أنس رضى الله تعالى عنه انه كان على رأسه مغفر ولبس صلى الله تعالى عليه وسلم عمامة حمراء أيضا ولم يلبس خضراء أصلا (و) صاحب (المعراج) وهو السلم فهو اسم آلة وقال السيوطى هو عروجه وصعوده صلى الله تعالى عليه وسلم للسماء والاسراء سيره من مكة الى بيت المقدس فهو مصدر ميمى فبينهما فرق وان أطلق كل منهما على الآخر كما مر وهو الذى تصعد عليه الارواح والملائكة ولم يصعد عليه فى الدنيا بجسده أحد غيره صلى الله تعالى عليه وسلم فلذا خص بالتسمية به (و) سمى أيضا صاحب (اللواء) قال السيوطى المراد به لواء الحمد الذى تقدم وقد يحمل على اللواء الذى كان يعقده صلى الله تعالى عليه وسلم للحرب فهو كناية عن القتال قال وهو ما يحمل فى الحرب ليعلم به صاحب الجيش يحمله هو بنفسه وقد يحمله غيره وقريب منه الراية وفرق بينهما وفى الترمذى عن ابن عباس رضى الله عنهما كانت رايته صلى الله تعالى عليه وسلم سوداء ولواؤه أبيض وقيل كان مكتوبا عليه لا اله الا الله محمد رسول الله وأول ما حدثت الرايات فى الاسلام يوم خيبر وما كانوا يعرفون قبل ذلك الا الالوية (والقضيب) أي من اسمائه صلى الله تعالى عليه وسلم صاحب القضيب وهو السيف كما قاله المصنف رحمه الله تعالى وتبعه السيوطى ويأتى انه وقع مفسرا به فى الانجيل حيث قال معه قضيب من حديد يقاتل به وانه يحتمل أن يراد به القضيب الممشوق الذى يمسكه الخلفاء وفى كتاب البيان للجاحظ

انه كانت له صلى الله تعالى عليه وسلم مخصرة وقضيب وعنزة تحمل بين يديه وهكذا كانت عادة عظماء العرب وخطبائهم فاذا أريد الاول فهو كناية عن جهاده وكثرة قتاله وان كان الثانى فعبارة عن كونه من صميم العرب وخطبائهم وماقيل من ان المراد به القضيب الذى أعطاه صلى الله تعالى عليه وسلم لبعض الصحابة فانقلب سيفا كما هو معروف فى معجزاته تكلف ناشئ من ضيق العطن (وراكب البراق والناقة والنجيب) البراق بزنة غراب من المخلوقات العلوية وروى ان وجهه كوجه الانسان وجسده كالفرس وقوائمه كالثور وذنبه كالغزال وليس بذكر ولاانثى وسمى به لسرعته أولبياضه وصفائه أولمافيه من قليل سواد من قولهم شاة برقاء وركبه صلى الله عليه وسلم لما أسرى به واختلف فيه هل ركبه غيره من الانبياء أم لا وهل ركب معه جبريل أم لا كما تقدم ذلك كله فان قلنا لم يركبه غيره فوجه التسمية به ظاهروان قلنا ركبه غيره فوجهه ان ركوبه بهذه السرعة وصعوده به الى السماء مخصوص به على ان وجه التسمية لايلزم اطراده والنجيب الجمل وقد سمى براكب الجمل أيضا فى الكتب القديمة كما سمى عيسى عليه الصلاة والسلام براكب الحمار ولذا قال النجاشى لما جاءه كتابه صلى الله تعالى عليه وسلم وآمن به أشهد أن بشارة موسى براكب الحمار كبشارة عيسى براكب الجمل وسمى به مع ركوبه صلى الله تعالى عليه وسلم الفرس والبغل والحمار لانه كناية عن تواضعه أولهجرته عليه أو كونه من صميم العرب وكان له صلى الله تعالى عليه وسلم جمال ونوق مذكورة فى السير وقيل المراد بالنجيب الناقة وقيل النجيب اسم فرس له صلى الله تعالى عليه وسلم اشتراه من اعرابى وهو الذى شهد له به خزيمة وهو غريب (وصاحب الحجة) وهى الدليل الذى يحج به الخصم وهو المراد أو المراد المعجزة وهى بلغت ألفا وأعظمها القرآن (والسلطان) بضم السين وسكون اللام وقد تضم وهو يذكر ويؤنث وله معان منها البرهان والملك والنبوة والغلبة ويصح ارادة كل منها هنا وسمى صلى الله تعالى عليه وسلم بهذا فى كتاب شعيا وبعض الكتب القديمة (والخاتم) أى صاحب الخاتم بالكسر والفتح وهو خاتم النبوة الذى كان بين كتفيه صلى الله تعالى عليه وسلم كزر الحجلة وبيضة الحمامة وقيل انه كان فيه كتابة الله وحده لاشريك له أو محمد رسول الله أوتوجه حيث شئت فانك منصور وذكره مع السلطان لانه ورد مقرونا به فى كتاب شعيا وقيل المراد به الخاتم المعروف لانه لم يعرف فى العرب ولافى الانبياء من ختم الكتب سواه وفيه نظر (والعلامة) أى علامة النبوة وهى الخاتم أيضا وقد ورد نعته به فى الكتب القديمة وهو من شواهد نبوته صلى الله عليه وسلم الدال على ان الانبياء ختموا به كما ورد فى حديث ويجوز ان يراد به مطلق العلامات التى كان أهل الكتاب يعرفونه بها كما يعرفون أبناءهم (وصاحب الهراوة) بكسر الهاء ثم راء مهملة وألف وواو وتاء تأنيث وهى العصا قال فى النهاية لانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يمسك بيده القضيب ويمشى بالعصا بين يديه وتغرز له ليصلى اليها وقال الجوهرى هى العصا الضخمة وجمعها هراوى كمطايا وقال المصنف رحمه الله كما يأتى انها العصا الواردة فى حديث الحوض انه يذود بها الناس عنه وقال النووى انه ضعيف أوباطل لان المراد وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم بما يعرفه الناس ويعلم أهل الكتاب انه المبشر به فى كتبهم فلاوجه لتفسيره بامر يكون فى الآخرة فالصواب ماتقدم ومن سنن الانبياء حمل العصا تواضعا (والنعلين) أى صاحب النعلين وقد ورد تسميته صلى الله تعالى عليه وسلم بهذا فى الانجيل وفى كيفية نعليه كلام مفصل أفرده بعض أهل العصر بالتاليف وكان له صلى الله تعالى عليه وسلم نعلان سبتية بكسر السين أى لاشعر عليها أومدبوغة وماقيل من انه سمى به لمافيه من مخالفته لاهل الجاهلية من تنعلهم فى رجل واحدة وقد ورد النهى عنه فى الحديث الاولى ترك وصاحبهما اذ كان يمشى بهما وأماماقيل ياخير من يمشى بنعل فرداى طاق واحدة لم تخصف مع غيرها على عادة عرب البادية وهم يمدحون رقته ويجعلونه من لباس الملك ونعمته

فانه عرفا يطلق على الخفيف السريع من الابل ولعله زيد لمراعاة السجع فى مقابلة القضيب (وصاحب الحجة) أى القاطعة (والسلطان) أى السلطنة الغالبة والدولة القاهرة (والخاتم) أى وصاحب الخاتم بفتح التاء وهو بخاتم النبوة أقرب وبكسرها وهو بملبوس اليد أنسب واما قول الدلجى لان الله تعالى ختم به أنبيائه بشهادة وخاتم النبيين أى آخرهم فليس فى محله اذ يأباه اضافة الصاحب اليه (والعلامة) أى وصاحب العلامة الدالة على نبوته وامامته وكم من علامة ظاهرة على رسالته وكرامته (والبرهان) أى صاحب البرهان الظاهر والتبيان الباهر (وصاحب الهراوة) بكسر الهاء أى العصا وهو القضيب قاله سطيح واراد به نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم اذ كان كثيرا ماتحمل بين يديه ويمسكها ويمشى بها وتغرز له فيصلى اليها وقد افردت رسالة لها وقال الهروى الهراوة هى العصا الضخمة وتبعه الجوهرى (والنعلين) أى

تركه (ومن أسمائه صلى الله تعالى عليه وسلم في الكتب) الالهية المنزلة على من قبله من الانبياء عليهم الصلاة والسلام (المتوكل) هو اسمه في التوراة ونصها أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل وهو الذي يكل أمره الى الله ويعتصم به والتعلق بالله على كل حال وقيل التوكل ترك تدبير النفس والانخلاع من الحول والقوة وهو فرع التوحيد وكان صلى الله عليه وسلم أرسخ الانبياء قدما فيه وتوكل العوام مباشرة الاسباب مع الاعتماد على مسببها واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم لو توكلتم على الله حق التوكل لرزقكم كما يرزق الطير تغدو بطانا وتروح خماصا وتوكل الخواص وهو ترك الاسباب بالكلية (والمختار) اسم مفعول من الاختيار وهو الاصطفاء لانه خيار من خياره في التوراة عبدي المختار لا فظ ولا غليظ (ومقيم السنة) سمي به في التوراة والزبور في قوله اللهم ابعث لنا محمدا يقيم السنة بعد الفترة لن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء والمراد سنته من قبله من الانبياء عليهم الصلاة والسلام وطريقتهم باظهار التوحيد ودعوة الخلق من قامت السوق نفقت ففيه استعارة مكنية بجعل ذلك كالامتعة المرغوب فيها أو معدلها ومسويها (والمقدس) بالتشديد اسم مفعول وفي الرياض الانيقة معناه المفضل على غيره وقال ابن دحية معناه المطهر المنقى من دنس الذنوب والنقائص من التقديس وهو التطهير ومن أسماء الله تعالى القدوس أي المنزه عن سمات النقص والحدوث وقيل تقديسه الصلاة عليه صلى الله تعالى عليه وسلم (وروح القدس) بضمتين وضم وسكون وهذا ساقط من بعض نسخ الشفاء أي الروح المقدسة من النقائص وروح القدس في القرآن فسر بجبريل عليه الصلاة والسلام والقدس الطهارة أو الله واضافة الروح له تشريفية كروح الله لعيسى (وروح الحق) الحق هو الله وقال الشيخ ابن عربي في النصوص انه اسم الله الاعظم وهو صلى الله عليه وسلم مظهره (وهو) أي روح القدس وروح الحق (معنى البارقليط في الانجيل) فانه فيه سمى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الفارقليط وفسر بما ذكر ورواية مفسرا به في شرح الانجيل للمسيحي الطيب الا انه حرفه وقال المراد بروح الحق أحد الاقانيم الثلاثة عندهم قاتلهم الله (وقال ثعلب) وهو أحمد بن يحيى الشيباني البغدادي امام أهل اللغة والعربية المشهورة ومولده في حدود المائتين ووفاته في جمادى الآخرة سنة احدى وتسعين ومائتين في تفسيره (البارقليط الذي يفرق بين الحق والباطل) قال ابن دحية وهو اسمه صلى الله تعالى عليه وسلم في الكتب المنزلة القديمة وروي عن ابن عباس أيضا وروي بالفاء الفصيحة وبالباء غير صافية وفي المقتفي للحلبي الذي أحفظه انه بموحدة في أوله وألف وراء مكسورة وقاف ساكنة ثم لام تليها ياء مثناة تحتية ساكنة وطاء مهملة وهو الصحيح وفي بعض الحواشي انه روي بفتح الراء وقد تسكن وقاف تفتح مع السكون وتسكن مع الفتح ومعناه محمد وفي الرياض الانيقة معناه الحامد أو الحماد والذي عليه أصحاب الانجيل ان معناه المخلص وعبارة الانجيل اني ذاهب الى أبي وأبيكم ليبعث اليكم الفارقليط وفي شرح هياكل النور للدواني انه بالفاء ثم ألف وراء مكسورة وقاف ساكنة ولام مكسورة ثم طاء مهملة وألف مقصورة وهو لفظ عبراني معناه الفارق بين الحق والباطل والمراد مظهر الولاية التي هي باطن النبوة والمراد بابي وأبيكم ربي وربكم والاوائل يسمون المبادي بالاباء انتهى فالحاصل انه بباء مشوبة بفاء وآخره ألف ثم عرب بياء وفاء وحذفت الالف من آخره ففيه ثلاثة أوجه وقالوا حقيقته المخلص كما علمت وتفسيره بالفارق الى آخره بيان لحاصل المعنى ومن كذب جهلة النصارى ان الفارقليط نار تنزل على التلاميذ من السماء بها يفعلون العجائب وفي ترجمة الانجيل اذا أوحشتموني فاحفظوا وصيتي وأنا أطلب ليعطيكم فارقليط آخر يكون معكم الدهر كله وقال بعض أهل العلم بالكتب السالفة هذا صريح في ان الله يبعث اليهم من يقوم مقامه في تبليغ رسالته وتكون شريعته مؤيدة وليس الا هو محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وهم يختلفون في معنى الفارقليط والذي صح عنهم انه الحكيم الذي يعرف السر

(ومن أسمائه في الكتب) أي من التوراة وغيرها (المتوكل) أي على ربه دون غيره في جميع أمره (والمختار) أي من بين البرية (ومقيم السنة) كما ورد عن داود عليه السلام اللهم ابعث مقيم السنة أي مظهر الملة (والمقدس) أي المنزه عن المنقصة (وروح القدس) بضم الدال وسكونها وسمي به لمجيئه بما فيه حياة الارواح التي بها قوة الاشباح (وروح الحق) لاحياء الحق به فهو بمنزلة روحه (وهو معنى البارقليط) بالباء الموحدة وبفتح الراء وتكسر وبسكون القاف وقد تسكن الراء وتفتح القاف وكسر اللام بعدها ياء مثناة ساكنة فطاء مهملة (في الانجيل) أي باللغة العبرانية قيل وأكثر النصارى على ان معناه المخلص (وقال ثعلب) هو العلامة المحدث شيخ اللغة والعربية أبو العباس أحمد بن يحيى البغدادي المقدم في نحوي الكوفيين مات سنة احدى وتسعين ومائتين (البارقليط الذي يفرق بين الحق والباطل) أي فرقا بينا وفصلا معينا بحيث لا تشتبه أحدهما بالآخر أصلا وقطعا

(ومن أسمائه فى الكتب السالفة) باللام والفاء أى السابقة (ماذماذ) بفتح ميم فألف فذال معجمة ممنونة فيهما وفى نسخة بضم الذال من غير تنوين على انه غير مصروف للعلمية والعجمة وفى نسخة بسكون الذال ولعله اجراء للفصل مجرى الوصل قال الحلبي ماذ بميم ثم ألف لا همزة ثم ذال معجمة ساكنة كذا فى النسخة التى وقفت عليها او ينبغى ان تضم الذال لانه لا ينصرف للعجمة والعلمية أى أنت ماذا وياماذ وان كان فى الاصل صفة انتهى وفيه بحث لا يخفى واما ماضبطه الدلجى بميم مضمومة فاشمام الهمزة ضمة بين الواو والالف ممدودة فغير مطابق للرواية وغير موافق للدراية ثم رأيت الحجازى نسبه الى السهيلى منقولا عن رجل أسلم من علماء بنى اسرائيل قال (ومعناه طيب طيب) ولعل التكرار كناية عن غاية من الطيب فان الظاهر ان مجموع اللفظين هو الاسم (وحمطايا) بكسر الحاء المهملة وفتحها وسكون الميم وطاء مهملة ثم ياء تحتية وفى نسخة بفتح الحاء والميم مشددة أى حامى الحرم ومحتمى الحرم وفى النهاية لابن الاثير مالفظه وفى حديث كعب انه عليه الصلاة والسلام فى الكتب السابقة محمد وأحمد وحياطا كذا بفتح الحاء وسكون الميم فياء تحتية بعدها ألف فطاء فألف قال أبو عمرو وسألت بعض من أسلم من اليهود عنه فقال معناه يحمى الحرم ويمنع من الحرام ويعطى الحلال انتهى (والخاتم) بالخاء المعجمة (والحاتم) بالحاء المهملة وهذا هو المطابق للنسخ المعتمدة والحواشى المعتبرة وهو الموافق لترتيب ماسيأتى من معنيهما وعكس الحلبي فى ضبطهما فقال الحاتم بالحاء المهملة والخاتم هذا بالخاء المعجمة (حكاه كعب الاحبار) وقد سبق عنه الا انه بلفظ حمياطا

والحاتم والخاتم

وفى الانجيل مايدل على انه الرسول فانه قال هذا الكلام الذى تسمعونه ليس هو لى بل للاب الذى أرسلنى أكلمكم بهذا وأنا معكم دائما البارقليط فروح القدس الذى يرسله الى باسمى فهو يعلمكم كل شئ ويذكر جميع ماأقول لكم وهم يزعمون ان روح القدس تفسير للبارقليط كما رأيته فى شرح الانجيل واما الاب فكلمة تعظيم للعلم وهم يسمون العلماء آباء روحانية وقوله يرسله باسمى أى يشهد بصدق رسالتى وبهذا اتضح لك لفظه ومعناه وهذا مما انتخبته من كتب عديدة تاحفظه (ومن أسمائه صلى الله عليه وسلم فى الكتب السالفة ماذماذ ومعناه طيب طيب) وروى موذموذ وميذميذ والاول هو الذى صح روايته عند المصنف والثانى ذكره العزفى وقال انه اسمه صلى الله تعالى عليه وسلم فى صحف ابراهيم وذكر الثالث وقال انه اسمه صلى الله تعالى عليه وسلم فى التوراة وهو بميم مفتوحة وألف غير مهموزة وذال معجمة ساكنة كما فى المقتفى وقال انه ينبغى ضم ذاله لانه اسم غير منصرف للعلمية والعجمة وتقديره أنت ماذماذ وياماذ ونقل الشهاب الحجازى الاديب شيخ السيوطى نقلا عن السهيلى ان ميمه مضمومة وألفه مهموزة بين الواو والالف وقال انه سمعه من بعض أحبارهم والظاهر انه تكرار للتأكيد أو المراد انه طيب فى نفسه أو فى دنياه وطيب فى صفاته وآخرته وكونه اسما واحدا مثل مرمر أو مركب خلاف الاصل وقيل ان داله مهملة وفى شرح رسالة الكندى المنسوب للغزالى انه سمع ممن أسلم من أحبار اليهود انه فى التوراة اشارة لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم فى قوله لابراهيم انى قد استجبت لك فى اسماعيل وأنا أباركه وأعظمه بماذماذ وهو محمد من طريق العدد لان فيه ميمين فى مقابلة وباء موحدة وألفين ودالين باثنى عشر وهو عدد الحاء والدال من محمد وهذا يقتضى ان داله مهملة وهذا مما لم يذكره أحد من أرباب الحواشى والشروح وماقاله التلمسانى من انه يحتمل ان يكون مأخوذا من الماذى وهو العسل الابيض لحلاوته فى ذاته وصفاته أو الماذى بمعنى الدرع اللينة السهلة لانه حصن حصين للعالمين ليس بشئ لانه يقتضى انه عربى ولم يقل به أحد قط (وحمطايا) هذا وماقبله رواه أبو نعيم فى الدلائل عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وضبطه الشمنى فى حاشيته بفتح الحاء المهملة وفتح الميم المشددة وطاء مهملة مخففة وألفين بينهما مثناة تحتية وفى العزيين انه بكسر الحاء وميم ساكنة تليها ياء مثناة تحتية وألف ثم طاء وألف هكذا حمياطا وفى المواهب انه بفتح الحاء وسكون الميم ومثناة تحتية وألف وطاء مهملة وألف بعدها وقال انه بكسر وياء أو نون واما معناه فقال أبو عمرو عن بعض الاحبار ان معناه يمنع من الحرام ويحمى الحرم أى يمنع ماكان فى الجاهلية من الانكحة وغيرها من المحرمات فالحرم بفتحتين أو بضم ثم فتح وفى الرياض الانيقة معناه حامى الحرم أونبى الحرم (والخاتم والحاتم حكاه كعب الاحبار) تقدمت ترجمته واختلف الشراح فى ضبطه وروايته فقيل هما بالخاء المعجمة الا ان الاول بفتح التاء والثانى بكسرها أو بالعكس وهو بعيد لانه تقدم فلا وجه لاعادته وقيل الاول معجمة والثانى مهملة وفسر بانه أحسن الانبياء خلقا وخلقا كما ذكره والظاهر انه من الحتم وهو الاحكام لاحكام القضاء والاحكام ويجمع على حتوم كما قال أمية ابن أبى الصلت

عبادك يخطئون وأنت رب * بكفيك المنايا والحتوم

(وقال) الاظهر قال (ثعلب) كما فى أصل الحلبى والدلجى (فالخاتم) أى بالمعجمة وفتح التاء أو كسرها (الذى ختم الله به الانبياء والحاتم) أى بالمهملة وكسر التاء لاغير وهو من له السماحة والملاحة والحلاوة والرحمة والراحة (أحسن الانبياء خلقا) بفتح الخاء أى صورة وبشاشة (وخلقا) بضم الخاء أى سيرة ولطافة (ويسمى) أى هو صلى الله تعالى عليه وسلم (بالسريانية) بضم السين وسكون الراء وبتشديد الباء الثانية وهى اللغة الاولى التى تكلم بها آدم والانبياء والالسنة ثلاثة سريانى وعبرانى وعربى وهو لاهل الجنة وفى الموقف سريانى قال السيوطى وسؤال القبر بالسريانية أقول ولعله مختص بالامم الماضية لئلا يخالف ظواهر الاحاديث الواردة وأما العبرانية فسميت بذلك لان ابراهيم عليه السلام انما نطق بالعبرانية حين عبر النهر فارا من النمرود وقد كان النمرود قال للطلاب الذين أرسلهم فى طلبه اذا وجدتم من يتكلم بالسريانية فردوه فلما أدركوه استنطقوه فحوّل الله لسانه عبرانيا ذكره السهيلى (مشفح) بضم ميم وفتح شين معجمة ففاء مشددة مفتوحة فحاء مهملة منونة وفى نسخة بالقاف بدل الفاء وهو أصل الحاشية الحجازية ولا يعرف له معنى فى العربية وأما قول الدلجى غير منصرف للعلمية والعجمة فغير ظاهر لانه مع مخالفته للنسخ المصححة غير صريح فى العلمية بل ظاهر فى الوصفية (والمنحمنا) بضم ميم فنون ساكنة فحاء مهملة مفتوحة فميم مكسورة فنون مشددة مفتوحة وهو مقصور كذا فى النسخ بالقلم ذكره الحلبى وتبعه الدلجى وعبر عنه بقيل ثم قال وقيل جميع حروفه مفتوحة الا المهملة فساكنة انتهى وهو أصل صحيح من النسخ المعتمدة وفى نسخة بضم الميم الاولى وكسر الميم الثانية وضبطه الحجازى بفتح الميم والمهملة وسكون النون الاولى وتشديد الثانية ثم فى آخره ألف فى أكثر النسخ وفى بعضها بياء مبدلة من ألف كالمستصفى هذا وقد قال أبو الفتح اليعمرى فى سيرته والمنحمنا بالسريانية هو محمد صلى الله تعالى عليه وسلم قال الحلبى وهذا الكلام يحتمل معنيين أحدهما أن يكون معناه بالسريانية محمد بالعربية ويحتمل غير ذلك قلت وفى سيرة ابن سيد الناس هو بالسريانية اسم محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وهو فى المعنى الثانى أظهر فتدبر وقال ابن اسحق هو بالزنجانية محمد صلى الله تعالى عليه وسلم (واسمه أيضا فى التوراة أحيد) بفتح همزة فسكون حاء مهملة فكسر تحتية فدال مهملة مضمومة غير منونة وفى نسخة بضم الهمزة وكسر الحاء وسكون الياء التحتية وفى نسخة وهى موافقة لما ذكر الحلبى بضم فسكون ففتح وفى أخرى بضم ففتح وفى أخرى بكسر التحتية وهى التى اقتصر عليها الدلجى وفى أخرى بضم ففتح فسكون وفى أخرى بفتح فسكون ففتح وهو مختار الحلبى وصوبه الانطاكى لحديث أورده أبو حذيفة اسحق بن بشر فى كتاب سماه المبتدأ وأسنده الى ابن عباس أنه عليه الصلاة والسلام قال اسمى فى القرآن محمد وفى الانجيل أحمد وفى التوراة أحيد قال سميت أحيد لانى أحيد أمتى عن نار جهنم يوم القيامة انتهى ووجه تصويبه غير ظاهر كما لا يخفى

والحاتم القاضى كما فى الصحاح ووجه الاول انه جمال الانبياء كالخاتم الذى يتزين به فهذا ان كان تفسيرا للخاتم بالمعجمة فهو فى قوله (وقال ثعلب فالخاتم الذى ختم الله به الانبياء والخاتم أحسن الانبياء خلقا وخلقا) يكون اشارة الى تفسيره على وجه يسقط به التكرار وسكت عن الثانى لظهوره وان كان الاول هنا بالمعجمة والثانى بالمهملة كما ضبط فى بعض الشروح والحواشى وهو مروى عن المصنف ففيه مع التكرار ان تفسير الحاتم بالمهملة بما ذكر ليس معروفا فى اللغة وانما معناه ما تقدم حتما الا ان يتكلف انه من الحتم بمعنى الخالص وقد قالوا فيه انه مقلوب من المحت ولك ان تقول انه من الحتامة وهى بقية الطعام كأنه آخر ما بقى من نعم الله تعالى وقرن بالخاتم وان تكرر لهذه النكتة والعجب من الشراح اذ لم يتعرضوا لهذا مع ظهوره (ويسمى بالسريانية) وهى لغة آدم عليه الصلاة والسلام وأول اللغات ومنها تشعبت سائر اللغات ثم صار أصول اللغات ثلاثا السريانية والعبرانية والعربية وفى بيان معنى نسبتها كلام لا حاجة اليه ههنا وهى بضم السين وراء ساكنة أو مكسورة وما قيل انه من السر لان الله تعالى علمها لآدم سرا بعيد وقال السيوطى رحمه الله تعالى ان سؤال القبر بالسريانية (مشفح) بضم الميم وفتح الشين المعجمة وفاء مفتوحة أو مكسورة مشددة فيهما وروى بالقاف وحاؤه مهملة وسمى به صلى الله تعالى عليه وسلم فى كتاب شعيا وقال البرهان لا أعلم صحته ولا معناه ونقل بعض أهل العصر عن ابن فورك ان معناه محمد لانهم يقولون شفح لاها أى يحمد الله وتبع فيه التلمسانى (والمنحمنا) قال البرهان هو بضم الميم ونون ساكنة ثم حاء مهملة مفتوحة وميم مكسورة ونون مفتوحة مشددة وألف مقصورة وقال التلمسانى الميم الثانية مثلثة ومعناه روح القدس وهو بالسريانية محمد وبالرومية البرقليطس ونحوه منه فى تذكرة الصفدى وضبطه بعضهم بفتح الميمين ونقله السيوطى عن ابن دحية وقال ابن سيد الناس فى السيرة معناه محمد وهو محتمل لانه اسم له ولكونه بمعناه (واسمه فى التوراة أحيد) قال الشمنى هو بضم الهمزة وسكون الحاء المهملة وفتح المثناة التحتية وكسرها ودال

(روى) وفي نسخة وروى (ذلك) أي كون اسمه في التوراة أحيد (عن ابن سيرين) وهو تابعي جليل وكان ثقة حجة كثير العلم والورع قيل كان يصوم يوما ويفطر يوما وله سبعة أوراد في اليوم والليلة هذا وقد قال المصنف بعدما نقل من المبني في الاسماء (ومعنى صاحب القضيب أي السيف) يعني بدليل انه (وقع ذلك) أي اللفظ (مفسرا في الانجيل) أي مبينا بقرينة اقترانه بما يدل عليه (قال) أي الله سبحانه وتعالى في الانجيل عند نعته عليه الصلاة والسلام (معه قضيب من حديد) أي معه سيف حديد مشابه للقضيب طولا وعرضا وطراوة ولطافة أو سيف قاطع من حديد حاد (يقاتل به) بكسر التاء أي يجاهد به أعداءه (وأمته كذلك) أي معهم قضبان يقاتلون بها أعداءه ويتابعون أهواءه ويتبعون اقتداءه (وقد يحمل) أي القضيب في الحديث (على انه القضيب الممشوق) أي الطويل الدقيق (الذي كان يمسكه عليه الصلاة والسلام) أي بيده حال القيام وعند خطبته للانام وموعظته لاصحابه الكرام (وهو والآن عند الخلفاء) أي وكانوا يتداولونه واحدا فواحدا على سيرة الخطباء (وأما الهراوة التي وصف بها) أي بكونه صاحبها وحاملها (فهي في اللغة العصا) أي مطلقا أو الضخمة على ما ذكره الجوهري تبعا للهروي (وأراها) بضم الهمزة وأظنها ان المراد بها ههنا (والله تعالى أعلم العصا المذكورة في حديث الحوض) في أي حيث قال (أذود) بضم الذال المعجمة أي أدفع وأمنع وأطرد (الناس) أي العصاة (عنه) أي عن حوضي (بعصاي) أي التي في يدي حينئذ (لاهل اليمن) أي أذود الناس لاجلهم حتى يتقدموا وفي هذا كرامة لاهل اليمن في تقديمهم للشرب منه مجازاة لهم بحسن صنيعهم وتقدمهم في الاسلام وفي نسخة لاهل اليمن وهي رواية مسلم في المناقب وهي التي جعلها الدلجي أصلا والحلبي صوبها

مهملة وقيل انه بفتح الحاء المهملة وسكون الياء التحتية والمحفوظ فتح الهمزة وسكون المهملة وفتح التحتية وهو غير عربي وفي الكامل رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه صلى الله عليه وسلم قال اسمي في القرآن محمد وفي الانجيل أحمد وفي التوراة أحيد وانما سميت أحيد لاني أحيد أمتي عن نار جهنم وكذا أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ويؤيده انه ضبطه بكسر الحاء مع فتح الهمزة وضمها وهو عربي من حاد يحيد اذا عدل ومال ان لم يكن من توافق اللغات وذكره الماوردي في تفسيره وضبطه بمد الالف وكسر الحاء كما في الرياض الانيقة وفي الشرح الجديد ان الذي في النسخ بضم الهمزة وحاء مكسورة مهملة ومثناة تحتية ساكنة والمشهور فتح الهمزة وسكون الحاء وفتح الياء وفي نسخة بفتحها وكسر الحاء وسكون الياء وما قيل انه من الواحد لانفراده في ذاته وصفاته فيه ما لا يخفى (وروى ذلك ابن سيرين) الامام الحجة الثقة الزاهد الورع الشائع صيته في الآفاق أبو بكر محمد بن سيرين الانصاري وروى عنه الائمة الستة وتوفي بعد مائة وعشر وهو من أعلم التابعين رضوان الله عليهم أجمعين ثم انه رجع الى تفسير بعض الاسماء السابقة فقال (ومعنى صاحب القضيب أي السيف) كما تقدم ومعنى مبتدأ خبره (وقع ذلك مفسرا في الانجيل قال) أي الله في الانجيل وكون فاعله ضمير الانجيل تجوز أو تكلف وفي القاموس القضيب السيف القاطع كالقاضب سمي به من القضب لانه اقتطع من الحديد (معه قضيب من حديد يقاتل به وأمته كذلك) أي يقاتل بالسيف الاعداء ثم أشار الى معنى آخر فقال (وقد يحمل على انه القضيب الممشوق) أي قد يفسر به وهو مجاز من الحمل على الظهر فيجعل التأويل به كجعله عليه استعارة صارت حقيقة شائعة فيه وقد للتحقيق وقد تجعل للتقليل لقلة تفسيره بالنسبة لما قبله وقضيب فعيل بمعنى فاعل من قضبه بمعنى قطعه فهو في السيف بمعنى انه بالغ في القطع الى حد لم يصل اليه سواه فهو عبارة عن شجاعته وكثرة جهاده وكثرة غزواته وفتوحاته وغنائمه فان كان بمعنى العصا فهو بمعنى مفعول لانه مقطوع من الشجر وقد مر انه كان له صلى الله تعالى عليه وسلم عصا على عادة العرب في اتخاذ عظمائهم وخطبائهم عصيا يشيرون بها كما قال الشاعر

في كفه خيزران ريحه عبق * في كف أروع في عرنينه شمم

كما في كتاب العصا للجاحظ وفي القاموس قضيب ممشوق طويل دقيق من المشق وهو جذب الشئ ليطول وكان له صلى الله تعالى عليه وسلم قضيب يسمى الممشوق ومحجن يستلم به الركن وقال ابن الجوزي كان له صلى الله تعالى عليه وسلم قضيب وهو (الذي كان يمسكه عليه الصلاة والسلام وهو الآن عند الخلفاء) يمسكونه تبركا به فكان لهم واحدا بعد واحد (وأما الهراوة التي وصف بها) وصفا لغويا في تسميته صاحب الهراوة وتقدم تفسيرها فكان صلى الله تعالى عليه وسلم يحملها ويتوكأ عليها وهو من سنن الانبياء (فهي في اللغة العصا وأراها والله أعلم) بضم الهمزة أو فتحها بمعنى أظنها أو اعتقدها أو ان المراد بها هنا في التسمية (العصا المذكورة في حديث الحوض) الذي قال فيه صلى الله تعالى عليه وسلم (أذود الناس عنه بعصاي لاهل اليمن) أذود بمعنى أطرد وأمنع وهذا بذال معجمة

وقال المراد بها الحجبة المعروفة عن يمين الكعبة انتهى والاظهر ان المراد باهل اليمن أصحاب اليمين من أرباب الجنة ويدخل في عمومهم أهل اليمن وخص بهم لان السابقين يفهم منه بالاولى كما لا يخفى هذا وقد ضعف النووى هذا الظن من القاضي بان المراد من وصفه بها تعريفه بصفة يراها الناس معه ويستدلون بها على صدقه وانه المبشر به المذكور في الكتب السالفة فلا يصح تفسيرها بعصا تكون في الآخرة فالصواب ماقوله الائمة في تفسير كونه صاحبها انه يمسك القضيب بيده كثيرا وقيل لانه كان يمشي والعصا بين يديه وتغرزله فيصلي اليها وهذا في الصحيح مشهور هكذا ذكره الدلجي وقرره تبعا للحلبي حيث قال وتعقبه النووى بان هذا ضعيف و باطل الى آخر ماذكره وأقول لعل وجه مااختاره المصنف هو الاحرى بحمل هذا النعت على الدار الآخرة لان أخذ العصا من سنن الانبياء في الدنيا فاذا لم يحمل على هذا المعنى لم يتميز عن اخوانه بالوصف الاول بخلاف الصفة الاولى فانه النعت المختص به في العقبى لاسيما وعامة العرب لا يمشون الا بالعصا فلا يصلح ان يكون علامة لخاتم الانبياء مع ان أخذه اياها انما كان أحيانا ثم لا يلزم من ذكر نعوته في الكتب السابقة ان لا يكون بعضها متعلقة بالدار الآخرة وبعضها بالاحوال السابقة (وأما التاج فالمراد به العمامة) فيه بحث فان المراد به غير معلوم الا لرب العباد وأما باعتبار اللغة والعرف فهو مستعمل في غير العمامة على اختلاف في عرف العامة وأما ورد في الحديث فظاهره انه أراد المعنى المجازى حيث نزل العمامة منزلة التاج وأقامها مقامه في مرتبة الوقار والرواج كما يدل عليه أو يشير اليه قوله (ولم تكن) أى العمامة (حينئذ) أى حين

في أوله ومهملة في آخره وهذا الحديث رواه مسلم في المناقب هكذا لاهل اليمن أى لاجلهم فانهم على بعد شقتهم أجابوا دعوته صلى الله تعالى عليه وسلم من غير تردد وقتال فاوردهم الحوض قبل غيرهم ليريحهم كما أراحوه فالجزاء من جنس العمل وفيه روايات فروى لاهل اليمن كما ذكر ومع صحته معنى قالوا انه من طغيان القلم وعن النووى ان هذا التوجيه ضعيف أو باطل لان المراد تعريفه صلى الله تعالى عليه وسلم بصفة يعرفها الناس و يستدل بها عليه وانه المبشر به في الكتب السالفة التى ميز فيها العنوان فلا وجه لتفسيره بما في الآخرة مما لم يتيقنوه ولكن يكفي في ذلك ذكره ماوقع في الكتب الالهية التى لم يقرأها أو يقول من فسره بهذا انما أراد تفسيره بأمر مختص به و يصيره علما له وتقدم انه قيل الاحسن حمله على العصا التى أعطاها صلى الله تعالى عليه وسلم لبعض الصحابة فانقلبت سيفا فانه معجزة له كما قال الصرصرى يمدحه صلى الله تعالى عليه وسلم

وعصاه لما مسها بيمينه * فضلت عصا صارت ثعبان

يعنى انها صارت معجزة أقوى من معجزة موسى عليه الصلاة والسلام بعصاه (وأما التاج فالمراد به العمامة) كما تقدم (ولم تكن حينئذ) أى في عهد مبعثه وحياته صلى الله تعالى عليه وسلم (الا للعرب والعمائم تيجان العرب) أى قائمة مقام تيجان العجم المعهودة بينهم والتاج ماوضع على الرأس من الذهب المرصع بالجواهر والعمائم جمع عمامة وسيأتى الكلام على عمامته صلى الله عليه وسلم ولما لم يقنع في وصف الحبيب المعمم بما مر قال (وأوصافه) أى الاوصاف التى أطلقت عليه (وألقابه وسماته) جمع سمة وهى العلامة كما تقدم (في الكتب كثيرة) أراد بها كتب الحديث والسير أو الكتب الالهية (وفيما ذكرناه منها مقنع ان شاء الله) أى في المقدار الذى ذكره ما يحصل به القناعة عن غيره مما في الكتب وفي المصباح مقنع كجعفر ما يقنع به يعنى انه اسم مكان تجوزبه عما يقنع به وقيل انه مصدر ميمى من قنع بمعنى رضى والاول أولى وفي بعض النسخ هنا زيادة من الحاق المصنف وهى (وكانت كنيته المشهورة) والكنية ماصدر باب أو أم ونحوه (أبا القاسم) اشتهر بها صلى الله تعالى عليه وسلم لانه

وجوده صلى الله تعالى عليه وسلم (الا للعرب) أى وكان الناس كلهم أصحاب التيجان امامع العمامة أو بدونها (والعمائم) أى بدون التيجان (تيجان العرب) أى اكتفاء بها عن غيرها وفيه اشعار بانهم من أهل القناعة الدنيوية وموصوفون بعدم التكلف في موجبات الرعاية العرفية والحاصل ان الاصح ان يراد بقوله صاحب التاج تاج الكرامة يوم القيامة كما قدمناه (وأوصافه) أى نعوته من أسمائه (وألقابه) أى المشعرة بانواع مدحه وثنائه (وسماته) بكسر السين أى شمائله وعلامات فضائله (في الكتب) أى الماضية أو المتقدمة (كثيرة وفيما ذكرناه منها) أى وان كانت قليلة يسيرة (مقنع) بفتح الميم والنون أى محل كفاية ومكان قناعة (ان شاء الله تعالى) اذ احصاؤها غير ممكن كما لا يخفى (وكانت كنيته المشهورة أبا القاسم) لحديث البخارى كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في السوق فقال رجل يا أبا القاسم فالتفت اليه فقال انما دعوت هذا فقال سموا باسمى ولا تكنوا بكنيتى ولعل وجهه انه كان يدعى بالكنية تعظيما ولا يدعى باسمه للنهى الوارد عنه تكريما وزيد في رواية فانى انما جعلت قاسما أقسم بينكم وفيه اشارة الى أن المراد بابى القاسم هو الموصوف بهذا الوصف وهو لا ينافي كونه أبا الولد له مسمى بالقاسم

(وروى عن أنس رضي الله تعالى عنه) كما في مسند أحمد والبيهقي (انه لما ولد له ابراهيم) أي ابن نبينا عليه الصلاة والسلام من مارية (جاءه جبريل عليه السلام فقال له السلام عليك يا أبا ابراهيم) فهي كنيته أيضا وهو يحتمل انه صلى الله تعالى عليه وسلم قد سمى ولده ابراهيم قبل نزول جبريل عليه السلام ويحتمل ان تكون تسميته وقعت في ضمن تكنيته أثناء تهنئته وفي الجملة صار صلى الله عليه وسلم أبا ابراهيم كما كان أبوه ابراهيم فكأنه صلى الله عليه وسلم أحيى اسم جده عليهما الصلاة والسلام ثم قيل وكنيته أيضا أبو الارامل وهو لقب في المعنى وان كان كنية في المبنى فان معناه مراعي الارامل ومحافظ أحوالهن ومتفقد مالهن والله سبحانه وتعالى أعلم

(فصل)

(في تشريف الله تعالى له بما سماه به من أسمائه الحسنى) تأنيث الاحسن لان الاسماء في معنى الجماعة (ووصفه به من صفاته العلى) بضم العين جمع العليا ووصفه بفتح الواو والصاد والفاء عطفا على ما سماه ويحتمل كونه مصدرا معطوفا على تشريف الله (قال القاضي أبو الفضل) يعني المصنف نفسه (وفقه الله) أي لما يحبه ويرضاه (ما أحرى هذا الفصل) بالنصب فان الصيغة للتعجب أي ما أحقه وأخلقه وأجدره وأليقه (بفصول الباب الاول) أي من هذا الكتاب وهو المعنون بالفصل في ثناء الله تعالى عليه واظهار عظيم قدره لديه كما أشار في ضمن تعليله وجه الاحرى اليه بقوله (لانخراطه) أي لانضمامه (في سلك مضمونها وامتزاجه) باخراجه أي اختلاطه (بعذب معينها) بفتح ميم وكسر عين أي بحلو مائها وعلو صفائها (لكن لم يشرح الله) وفي نسخة لكن الله لم يشرح (الصدر للهداية الى استنباطه) أي استخراجه أي أماكنه وهو استدراك على وجه الاعتذار عما فاته من جعل هذا الفصل من تلك الفصول المناسبة لهذه الاسرار المتضمنة للانوار

أول أولاده صلى الله تعالى عليه وسلم كما تقدم (وروى عن أنس رضي الله تعالى عنه) رواه أحمد في مسنده والبيهقي (انه لما ولد له) أي للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم ولده (ابراهيم) من مارية القبطية جاريته المشهورة (جاءه جبريل عليه الصلاة والسلام فقال السلام عليك يا أبا ابراهيم) فكناه به كما كناه بالقاسم ومما كني به صلى الله تعالى عليه وسلم أبو الارامل وأبو المؤمنين وقرئ في الشواذ وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم وقيل ان هذا وأمثاله مما لم يضف للابناء الحقيقية لقب لا كنية كأبي تراب

(فصل في تشريف الله تعالى له صلى الله تعالى عليه وسلم) أي تعظيمه وتفضيله (بما سماه به من أسمائه) عز وجل والباء سببية أو للتعدية (الحسنى) أي الحسنة الجليلة لدلالتها على معان محمودة وقال الراغب الفرق بين الحسن والحسنة والحسنى ان الحسن يقال في الاعيان والاحداث وكذلك الحسنة اذا كانت وصفا واذا كانت اسما فهي متعارفة في الاحداث والحسنى تكون في الاحداث دون الاعيان انتهى (ووصفه به من صفات العلى) بالضم جمع عليا ككبر وكبرى وفي بعض النسخ العليا وفي المصباح العليا كل مكان مشرف ولا وجه لتخصيصه بالمكان وقال الراغب العلى جمع لتأنيث أعلى بمعنى أفضل وأشرف والصفتان كاشفتان (قال القاضي أبو الفضل) هو عياض المصنف (رضي الله عنه) وهو مما عبر به عن نفسه من غير قصد التمدح لاشتهاره أو زاده تلامذته كقوله في بعض النسخ وفقه الله والتوفيق تهيئة الاسباب الموافقة وهي جملة دعائية معترضة (ما أحرى) بفتح الهمزة وحاء ساكنة مهملة وراء مقصور بمعنى أحق وأولى وهي صيغة تعجب من زيادة لياقته (هذا الفصل) قال البرهان الفصل ضبط في الاصل بالرفع والظاهر نصبه لان ما تعجبية كما تقول ما أكرم زيدا كما هو معروف في النحو (بفصول الباب الاول) المعقود لثناء الله عليه واظهار عظيم قدره وهذه التسمية دالة على ذلك كما أشار اليه بقوله (لانخراطه في سلك مضمونه) أي لدخوله فيما تضمنه ودل عليه من المناقب التي خرست عندها السنة الاقلام وفي السلك استعارة تخييلية ومكنية غير انهم فسروا الانخراط بالانتظام وقد تتبعت اللغة وكلام العرب فلم أجد الانخراط بهذا المعنى بل هو مناف له فان اخترط السيف اخراجه من غمده واختراط ورق الشجر ازالته عنه بجمع الكف ومنه خرط القتاد الا أنهم استعملوها كثيرا في كلام المصنفين الموثوق بهم كالزمخشري والسكاكي ولم يزل هذا يختلج في صدري ولم أجد ما يثلجه حتى وجدت ابن عباد قال في جامع اللغة خرطت الجواهر جمعتها في الخريطة وهي الكيس فعلمت ان هذا منه غير انهم تسمحوا في استعماله فذكروا السلك مكانه لانه مثله في جمع الجواهر فحمدت الله على ذلك (وامتزاجه) أي اختلاطه بحيث لا يتميز أحدهما عن الآخر ومنه المزاج (بعذب معينها) وهو بفتح الميم وكسر العين المهملة بمعنى الجاري مطلقا أو على وجه الارض وأصله معيون فاعل كمبيع فهو من عين الماء وميمه زائدة وقيل ان وزنه فعيل ومعناه البعيد مجراه من أمعن في سيره والعذب الحلو الذي يتغذى به وفي تفسيره بالغزير مسامحة ووجه الاستعارة فيه ظاهر ثم استدرك الاعتذار عن عدم ذكره في الباب الاول فقال (لكن الله لم يشرح الصدر للهداية الى استنباطه) أي لم يفتح الله عليه به أولا

(ولا انار الفكر) بالنون أي لا أشرقه ولا اضاءه وفي نسخة بالثاء المثلثة أي لا بعثه ولا هيجه (لاستخراج جوهره والتقاطه) أي من بحره و بره الشامل لعموم كرم علمه وبر حلمه (الا عند الخوض) أي الشروع والدخول (في الفصل الذي قبله) أي في شرح الصدور للهداية الى ذلك أولى على وفق ما هنالك (فرأينا ان نضيفه اليه) أي بتعقيبه له زيادة عليه (ونجمع به شمله) أي تفرقه عند حصوله لديه (فاعلم) أي أيها الطالب الراغب (ان الله تعالى خص كثيرا من الانبياء) أي الذين هم من جملة الاصفياء (بكرامة خلعها) أي ألقاها (عليهم) وفي نسخة عليه وعليهم أي ألبسهم خلعة الكرامة الواصلة اليهم والحاصلة لديهم وفي نسخة جعلها أي صيرها اعلاما عليهم (من أسمائه) بان ذكر فيهم صفات هي مبادي اشتقاق وصف له وأخذ من بنائه (كتسمية اسحق واسمعيل) أي ابني ابراهيم الخليل على خلاف في المراد بالمبشر به من أحد أولاد الخليل وكان الاولى تقديم اسمعيل لانه أكبر ولكونه جدا لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم ولموافقة قوله سبحانه وتعالى الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسمعيل واسحق (بعليم) في قوله تعالى و بشروه بغلام عليم (وحليم) في قوله سبحانه وتعالى فبشرناه بغلام حليم وجمع بينهما للاشعار بان الكمال هو الوصف باجتماع العلم والحلم المنبعث عنهما جميع الفضائل البهية والشمائل السنية وقد أغرب الدلجي حيث جعل الوصفين نشرا مرتبا على الابنين اذ لم يقل أحد بالتفضيل بينهما وانما اختلفوا في ان أيهما المراد به مع الاتفاق على ان المبشر به أحدهما ولذا قال الانطاكي ولعل المؤلف من أجل الاختلاف جمع هنا بين اسحق واسمعيل وقد أفرد السيوطي رسالة في تعيين الذبيح وتوقف في ان أيهما الصحيح لكن المعتمد عند المفسرين والمحدثين المعتبرين انه اسمعيل لحديث أنا ابن الذبيحين وغيره من أدلة ليس هذا محل بسطها (وابراهيم بحليم) أي في قوله تعالى ان ابراهيم لاواه حليم ولعل الاكتفاء به للعلم بانه عليم أو للزومه أو لغلبة حلمه على علمه ولذا استغفر لوالده (ونوح بشكور) أي في قوله سبحانه وتعالى انه كان عبدا شكورا (وعيسى ويحيى ببر) بفتح الباء وتشديد الراء مبالغة بار في قوله تعالى و برا بوالدتي وبرا بوالديه

باخراجه في محله وأصل الاستنباط اخراج الماء ففيه مع ما قبله مناسبة لطيفة وفي ذكر الخوض الآتي بعده لطف

يزيدك وجهه حسنا * اذا ما زدته نظرا

وقوله (ولا انار) أي دل دلالة واضحة (الفكر) بكسر الفاء وسكون الكاف أو فتحها جمع فكرة (لاستخراج جوهره والتقاطه) أي استخراجه من بحاره أو أخذ لقطته وهذا ناظر لانخراطه في سلكه ففيه استعارة ولف ونشر غير مرتب ففيه درة ودرة (الا عند الخوض في الفصل الذي قبله) أي لم يهده الله للوقوف عليه الا عند الشروع فيما قبله وأصل الخوض الشروع في المرور في الماء فاستعير لمطلق الشروع الا انه كما قال الراغب أكثر ما ورد في القرآن فيما يذم الشروع فيه (فرأينا ان نضيفه اليه) أي الى الفصل الذي قبله بان نذكره عقبه لمناسبته له ومراده أن يجعله كالضيف الذي أنزل عنده فلذا قال (ونجمع به شمله) أي نضمه اليه والشمل بمعنى المتفرق أي نجمع ما تشتت منه ويكون بمعنى الجمع فهو من الاضداد (فاعلم) خطاب لكل من يصح توجيه الخطاب له كما مر (ان الله تعالى خص كثيرا من الانبياء عليهم الصلاة والسلام بكرامة) أي بامر أكرمه وشرفه به (خلعها عليهم من اسمائه) أي اعطاها لهم وألبسها اياهم والاصل في الخلعة انها ثوب يلقيه الملك على من يكرمه أو يوليه ولاية وشاع في عرف الكتاب تسمية الخلعة تشريفا واليه أشار المصنف رحمه الله تعالى بقوله في أول هذا الفصل في تشريف الله له بما سماه من أسمائه ففيه لطف لم ينتبهوا له وفي نسخة عليه بالافراد وفي نسخة جعلها بدل خلعها والصحيح الاول لما عرفته وفيه استعارة لطيفة بجعل الاسم خلعة لما فيهما من الشهرة واظهار التكريم (كتسمية اسحق واسمعيل بعليم وحليم) في قوله تعالى و بشروه بغلام عليم يعني اسحق وقوله تعالى فبشرناه بغلام حليم يعني اسمعيل وهذا بناء على ان المبشر به اسحق وقيل هو اسمعيل قيل ولهذا جمع المصنف رحمه الله تعالى هنا بين اسحق واسمعيل (وابراهيم بحليم) في قوله ان ابراهيم لاواه حليم (ونوح بشكور) أي كثير الشكر في قوله تعالى ذرية من حملنا مع نوح انه كان عبدا شكورا في الاسراء بناء على ان الضمير له لا لموسى عليهما الصلاة والسلام كما تقدم (ويحيى وعيسى ببر) في قوله و برا بوالديه وبرا بوالدتي وهو صفة مشبهة من البر والبر خلاف البحر لما فيه من السعة توسعوا فيه فاشتقوا منه أي التوسع في فعل الخير وينسب ذلك تارة الى الله نحو انه هو البر الرحيم والى العبد فيقال بر العبد ربه أي توسع في طاعته فمن الله الثواب ومن العبد الطاعة وذلك ضربان ضرب في الاعتقاد وضرب في الاعمال وقد استعمل منه قوله تعالى ليس البر ان تولوا وجوهكم الآية ولذا لما سئل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عن البر تلا هذه الآية و بر الوالدين التوسع في الاحسان اليهما و يستعمل البر في الصدق

(وموسى بكريم) أي في قوله سبحانه وتعالى وقد جاءهم رسول كريم في الدخان (وقوى) أي في قوله سبحانه حكاية عن بنت شعيب وتقرير الكلام مها ان خير من استأجرت القوى الامين وفي نسخة بدلهما بكليم والظاهر انه أصل سقيم (ويوسف بحفيظ عليم) أي في قوله سبحانه حكاية عن يوسف مقررا شانه ومعتبرا بيانه حيث أنطق لسانه بقوله انى حفيظ عليم (وأيوب بصابر) أي في قوله تعالى آنا وجدناه صابرا وفيه ان الصابر غير معروف من اسمائه وانما الصبور من اسمائه سبحانه على المشهور

لكونه بعض الخير المتوسع فيه قاله الراغب (وموسى بكريم وقوى) في قوله تعالى وقد جاءهم رسول كريم وقوله ان خير من استأجرت القوى الامين وفي بعض النسخ بدل كريم كليم والصحيح الاول لانه لم يسم به الله وان كان الكلام من صفاته (ويوسف بحفيظ عليم) أي حافظ كثير العلم وهذا في قوله تعالى اجعلني على خزائن الارض انى حفيظ عليم (وأيوب بصابر) في قوله تعالى انا وجدناه صابرا نعم العبد (واسمعيل بصادق الوعد) في قوله تعالى واذكر في الكتاب اسمعيل انه كان صادق الوعد لشهرته بوفاء ما وعده من صبره على الذبح ووفائه به ولا يرد عليه ان فيما ذكر ماهو من كلام الملائكة والانبياء لانه تعالى حكاه وأقره فكان في الحقيقة وصفا من الله بما ذكر واسمعيل هو ابن ابراهيم عليهما الصلاة والسلام لا ابن حزقيل عليه السلام فانه قول غير مشهور وما قيل من ان هذه الصفات يوصف بها كل من قامت به فكل من قام به علم أو حلم يقال له عليم وحليم مثلا فلا اختصاص لهذه الاسماء بمن ذكر والجواب بالفرق بين ثناء الله تعالى وثناء غيره فالاختصاص من حيث ان الله تعالى وصفهم بها وفيه غاية الاختصاص وثناء الله على كثير من المؤمنين بالصبر والصدق أيضا لا ينافيه لان الثناء بهذه الصفات على هؤلاء من حيث ان الله تعالى جبلهم عليها وكذا ما قيل من ان عيسى عليه الصلاة والسلام هو الذي وصف نفسه بما ذكر الا انه لما كان في حال الطفولية والله هو الذي أنطقه على خرق العادة فالواصف هو الله في الحقيقة كلها تكلفات نحن في غنية عنها فان المصنف لم يذكر الاختصاص وانما قال ان من اسماء الله تعالى ما سمى به رسله تشريفا لهم وبيانا لتخلقهم باخلاقه ولا شك ان هذه الصفات اذا أجريت على الله تعالى فلها معان لا تليق بغيره ولما كان سمى ببعض منها بعض رسله دل على انها بمعنى لا يليق بغيرهم أيضا وقد قال ابن القيم في كتاب الفوائد ان الاسماء التى تطلق على الله تعالى وعلى غيرها اختلف فيها فقيل انها حقيقة في الله مجاز في غيره وقيل على العكس وقيل انها مشتركة بينهما وان كان هذا محتاجا للبسط والبيان (كما نطق بذلك الكتاب العزيز) أي كما دل عليه القرآن نصا وتصريحا فالنطق مجاز عما ذكر كما في قولهم نطقت الحال والعزيز بمعنى الغالب لغيره من الكتب باعجازه واستيعابه لما ليس في غيره من الكتب (من مواضع ذكرهم) أي مستفادا من مواضع ذكرهم فيه وان حكاه عن غيره ففيه اشارة لما تقدم (وفضل نبينا محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم) في القرآن على غيره ممن ذكر (بان حلاه منها في كتابه العزيز) الباء سببية متعلقة بفضل وحلاه بفتح الحاء المهملة وتشديد اللام من الحلية وهي الصفة الظاهرة أو الحلي التى يتزين بها أي بان وصفه أو زينه وكرمه بما وصفه وسماه به في القرآن (وعلى ألسنة أنبيائه) في الكتب المنزلة عليهم أو فيما نقل لنا عنهم (بعدة كثيرة) بكسر العين وتشديد الدال أي بعدة اسماء وصفات كثيرة فيزه بكثرتها لان كثرة الاسماء تدل على شرف المسمى (اجتمع لنا منها جملة) أي انه جمع منها أسماء متعددة (بعد اعمال الكفر) مصدر اعمله أي جعله عاملا فاعلا لما يريده فكأنه

(واسمعيل بصادق الوعد) أي في قوله تعالى عند ذكره انه كان صادق الوعد ولعل وجهه قوله سبحانه وتعالى ولن يخلف الله وعده وحديث صدق الله وعده والا فصادق الوعد والصادق المطلق ليس من الاسماء المشهورة (كما نطق به) وفي نسخة صحيحة بذلك أي بما خص أنبياءه (الكتاب العزيز) أي بانبائه على وفق اشتقاق اسمائه (في موضع ذكرهم) بالاضافة أي مواضع ذكرهم ووصفهم وشكرهم فيها كما قدمناه وفي نسخة صحيحة من مواضع بدل في ولعلها بمعناها أو بيان للابهام مبناها (وفضل نبينا محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم) أي على سائر الانبياء والاصفياء بزيادة اشتقاق بناء الاسماء في الانبياء (بان حلاه) بفتح الحاء المهملة وتشديد اللام أي زينه (منها) أي من اسمائه سبحانه (في كتابه

استخدم

العزيز) أي البديع المنيع المشتمل على التعجيز أو القوى الغالب على سائر الكتب بنسخها على وجه التمييز وقد قال الله تعالى وانه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد (وعلى ألسنة أنبيائه) أي كما نقله بعض أوليائه (بعدة كثيرة) أي بجملة كثيرة وهي بكسر العين والباء للسببية والباء الاولى بيانية أي بسبب تعداد نعوت كثيرة واوصاف غريزة (اجتمع لنا منها جملة بعد اعمال الفكر) بكسر الهمزة أي استعماله

(واحضار الذكر) بضم الذال وكسرها والمعنى بعد افراغ الوسع تفكرا وتذكرا (اذلم نجد) أى من العلماء المصنفين (من جمع منها فوق اسمين ولامن تفرغ فيها التأليف فصلين) أى ليعرف منه بيان فرعين أو أصلين (وحررنا) بحاء وراءين مهملات ويروى جردنا بجيم ودال أى أخرجنا (منها فى هذا الفصل نحو ثلاثين اسما) أى مما اشتق من أسماء الله الحسنى والصفات العلى (ولعل الله تعالى) أى أرجو من كرمه انه (كما ألهم) أى أرشد (الى ماعلم) بتشديد اللام أى عرف (منها وحققه يتم النعمة) اى يكملها (بابانة مالم يظهره لنا الآن) أى باظهار أسراره وابداء أنواره (ويفتح غلقه) بفتحتين أى اغلاقه واشكاله

وأمثلته وأمثاله اذا عرفت ذلك (فمن أسمائه) أى الله سبحانه وتعالى (الحميد) وهو فعيل بمعنى المفعول أو الفاعل والاول أظهر ولذا اقدمه بقوله (ومعناه المحمود لانه حمد نفسه) أى أزلا (وحمده عباده) أى أبدا وقد يقال هو المحمود فى ذاته سواء حمد أولم يحمد على لسان مخلوقاته مع انه وان من شئ الا يسبح بحمده فى مراتب تعيناته فهو المحمود فى كل فعال وجميع حال اذ هو المولى لكل نوال (ويكون) أى الحميد (أيضا) أى كما يكون بمعنى المحمود (بمعنى الحامد لنفسه) أى فى نفسه أو فى كلام قدسه تعليما لعباده على وفق مراده (ولاعمال الطاعات) بمعنى ثنائه وشكر أهله وجزائه وقد يقال له الحامدية والمحمودية فى جميع مراتب الربوبية فهو الحامد وهو المحمود لانه فى نظر الشهود دسوى الله والله مافى الوجود (وسمى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) أى نبيا وهو مرفوع أو منصوب وهو الاظهر فتدبر (محمدا وأحمد فحمد بمعنى محمود) بل أبلغ منه (وكذا) أى محمدا ومحمود (وقع اسمه فى زبر داود) بضم الزاى والباء أى فى صحفه المزبورة بمعنى المكتوبة والمراد بها الزبور ووقع فى أصل التلمسانى على ماضبطه بكسر الزاى وسكون الباء أى فى كتابه وهو غير معروف فى الرواية والدراية

استخدم افكاره فى النظر فيما يؤخذ منه ويدل عليها (واحضار الذكر) أى استحضارها وتذكرها وذاله معجمة مكسورة وجوز ضمها وتفسير الذكر بالقرآن هنا لا وجه له والحاصل انه اجتهد فى جمعها وبذل فيها جهده وطاقته (اذلم نجد من جمع منها فوق اسمين) قيل هما رؤف رحيم فى سورة براءة (ولامن تفرغ فيها التأليف فصلين) الفراغ خلاف الشغل الحسى والمعنوى يقال تفرغ لعمله اذا اشتغل به وترك غيره واذ تعليل لما قبله (وحررنا منها فى هذا الفصل نحو ثلاثين اسما) نحو هنا بمعنى قريب أى يقرب من هذا العدد فلا يضر زيادة أو نقص قليل منها كما ان فوق فيما سبق بمعنى أزيد والتحرير بمعنى الكتابة أو التهذيب والتحقيق كما مر (ولعل الله تعالى) أى أرجو من الله تعالى عزوجل الذى ألهمنا ان يتم ما ألهمنا والمراد الدعاء (كما ألهم الى ماعلم منها) ضمن ألهم معنى أرشد وهدى فعداه بالى فانه يتعدى بها وباللام وعلم بتشديد اللام أى علمنى من هذه الاسماء (وحققه) أى بين حقيقته أو جعله محققا متيقنا وأطلعه عليه (يتم) هذه (النعمة) وهى التعليم والتحقيق (بابانة) أى اظهار (مالم يظهره لنا) حتى نقف عليه والكاف للتشبيه وقدم المشبه على المشبه به اهتماما به أوهى للمبادرة كما فى قولهم كما يدخل صلى (الآن) مبنى على الفتح والالف واللام لازمة زائدة أى لم يظهره الى حين تحرير هذا الفصل (ويفتح غلقه) بفتح الغين المعجمة وفتح اللام والقاف وهو مايغلق أى يقفل به كما فى المقتنى وفى بعض الشروح انه بضمتين وهو الباب المغلق ففيه استعارة تصريحية مرشحة ويجوز ان يكون بفتحة ثم بكسرة بزنة كتف من قولهم كلام غلق فالاستعارة تبعية فى قوله يفتح (فمن أسمائه تعالى الحميد بمعنى المحمود) فهو فعيل بمعنى مفعول لاستحقاقه الحمد (لانه حمد نفسه وحمده عباده) ببناء الفعل للفاعل فيهما وذكر الاول توطئة للثانى وبيانا لانه المحمود الحقيقى وحمد غيره له انما هو باقداره عليه وخلقه لقوة النطق فيه فكأنه فى الحالين حمد نفسه وبهذا فسر قوله الحمد لوليه أى لموليه ومعطيه فليس أحد مستحق الحمد سواه (ويكون أيضا) أى الحميد فى أسمائه كما يكون بمعنى المفعول يكون بمعنى الفاعل كما قال (بمعنى الحامد لنفسه ولاعمال الطاعات) والاعمال الصالحة الصادرة من عباده وقال الغزالى فى شرح الاسماء الحسنى انه يجوز ان يطلق على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الحميد لانه من حمدت جميع أخلاقه وعاداته وأعماله الا انه لما لم ينقل لم يذكره المصنف فاشار الى انه ورد اطلاق ماهو بمعناه عليه فقال (وسمى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم محمدا وأحمد) وهما بمعنى حميد على الوجهين (فحمد بمعنى محمود) لان كلا منهما اسم مفعول دال على مبالغة فى كونه محمودا (وكذا وقع اسمه) صلى الله تعالى عليه وسلم أى تسميته بمحمود (فى زبور داود) وفى نسخة زبر بكسر الزاى وضمها وضم الباء وسكونها وهو مصدر او جمع بجعل كل جزء منه زبورا بمعنى مزبور فلا يرد عليه ان هذا لادليل فيه على تسميته باسم الله تعالى فلا يناسب ماهو بصدده ثم أشار الى المعنى الثانى بقوله

(وأجد بمعنى أكبر) أي أعظم (من حد) بفتح الحاء (وأجل من حد) بضم الحاء وفيه ايماء الى ان افعل التفضيل قد يكون بمعنى الفاعل وهو أكثر وقد يكون بمعنى المفعول وهو هنا أظهر والجمع بينهما أبهر لحيازته شرف الحامدية والمحمودية المشيرة الى مرتبة المحبية والمحبوبية فاحمد بهذا الاعتبار يكون أبلغ من محمد في نظر النظار مع ما فيه من الاشارة الى الصفة الجامعة بين مرتبة المجذوبية المطلوبية ومنزلة المرادية المحبوبية بالنسبة الازلية الممتدة الى الأبدية بخلاف وصف الحامدية المشعرة بتعلق الحادثة الكونية كما علم تحقيق هذا المعنى في قوله تعالى يحبهم ويحبونه من تدقيق المبنى (وقد أشار الى نحو هذا) أي مما قررناه وحررناه (حسان) أي ابن ثابت بن المنذر بن حرام بالراء الانصاري النجاري عاش هو والثلاثة فوقه من آبائه كل واحد مائة وعشرين سنة وقد عاش حسان ستين في الاسلام وستين في الجاهلية وقد شاركه في الوصف الثاني حكيم بن حزام قيل وغيره أيضا (وشق) بفتح الشين أي الله تعالى (له) صلى الله تعالى عليه وسلم (من اسمه) قطع همزة الوصل ضرورة ولو قال من نعته أو وصفه لخاص (ليجله) أي ليعظمه بالمشاركة في الجملة الاسمية من حيث تلاقي اسميهما اشتقاقا من مأخذ واحد ولم يرد الاشتقاق الاصطلاحي لان مبدأهما متحد بل أراد كون اسمه بمعنى اسمه كما يشير اليه قوله (فذو العرش محمود وهذا محمد) فمحمود مأخوذ من معنى الحمد على ما سبق وقد ورد بالله المحمود في كل فعاله والحاصل ان لفظ شق من شق الشيء جعله شقين أي نصفين ومعناه انه أعطاه من معنى اسمه جزأ من مبناه وقيل شق بمعنى اشتق أخذه منه وصاغه من حروف اسمه هذا وقد قال الامام حجة الاسلام في المقصد الاسنى في أسماء الله الحسنى الحميد من عباد الله تعالى من حمدت عقائده وأخلاقه وأفعاله وأقواله وهو نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ومن قرب منه من الانبياء والاولياء فكل واحد منهم حميد بقدر ما حمد من أوصافه والحميد المطلق هو الله سبحانه وتعالى (ومن أسمائه تعالى الرؤف الرحيم) أي ذو الرأفة والرحمة وقدم الابلغ منهما لما مر غير مرة (وهما بمعنى) أي واحد (متقارب) أي في المؤدى وان كانت الرأفة شدة الرحمة (وسماه) أي نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم (في كتابه) بذلك أي بما ذكر من الوصفين أو بالجمع بين النعتين (فقال بالمؤمنين رؤف رحيم ومن أسمائه تعالى الحق المبين ومعنى الحق الموجود) أي دوامه الثابت قيامه (والمتحقق أمره) لانه الثابت مطلقا لوجوب شانه واما غيره فلا وجود له في حد ذاته لامكانه وهذا أوجه قوله تعالى كل شيء هالك الا وجهه والى هذا المعنى أشار لبيد بقوله * ألا كل شيء ما خلا الله باطل * وهذا ايراد شيخ مشايخنا أبو الحسن البكري قدس الله سره السري بقوله استغفر الله مما سوى الله (وكذا المبين أي البين) يعني الظاهر

الظاهر

(وأجد بمعنى أكبر من حد) بالموحدة وحد مبني للفاعل (وأجل من حد) بالبناء للمفعول ففيه لف ونشر (والى نحو هذا) أي كون اسمه بمعنى ما ذكر (أشار حسان) بن ثابت الانصاري المشهور (بقوله) في شعر له من قصيدة مدح بها النبي صلى الله عليه وسلم (وشق له من اسمه ليجله * فذو العرش محمود وهذا محمد) والشعر هكذا بتمامه

ألم تر ان الله أرسل أحمدا * ببرهانه والله أعلى وأمجد
وشق له من اسمه ليجله * فذو العرش محمود وهذا محمد
نبي أتانا بعد يأس وفترة * من الدين والاوثان في الارض تعبد
فأرسله ضوأ منيرا وهاديا * يلوح كما لاح الصقيل المهند

وشق مبني للفاعل من شق الشيء اذا جعله قطعتين أي اشتق له صلى الله تعالى عليه وسلم من اسمه اسما أجله وعظمه وهمزة اسمه مقطوعة للضرورة وانما قال المصنف رحمه الله تعالى نحو ولم يقل الى هذا لان ما في الشعر انه مأخوذ من محمود والمصنف رحمه الله تعالى بصدد أخذه من حميد وزيد في هذا

اغر عليه للنبوة خاتم * من الله من نور يلوح ويشهد
وضم الاله اسم النبي الى اسمه * اذا قال في الذكر المؤذن أشهد

وشق الخ والبيت المذكور رواه البخاري في تاريخه وعزاه لابي طالب وهو منقول عن علي بن زيد فحسان رضي الله تعالى عنه توارد معه أو ضمنه واستعان به (ومن أسمائه تعالى الرؤف الرحيم وهما بمعنى متقارب) لان الرأفة نوع من الرحمة وقد تقدم تحقيقه (و) قد (سماه) الله (في كتابه) أي القرآن (بذلك) أي الرؤف الرحيم (فقال بالمؤمنين رؤف رحيم ومن أسمائه تعالى الحق المبين ومعنى الحق الموجود والمتحقق أمره) أي المتصف بالوجود الازلي الابدي من ذاته لذاته لانه واجب الوجود والمتحقق بمعنى المتيقن وجوده لثبوته بالبراهين القاطعة وأمره بمعنى شأنه وما يجب ثبوته من صفاته وأفعاله والمتحقق بفتح القاف ويجوز كسرها وللحق معان أخر (وكذلك المبين) اسم فاعل من أبان اللازم لانه ورد لازما ومتعديا (أي البين)

(أمره) أى أمر وجوده وشأن ربوبيته (والهيته) أى بوصف أحديته وواحديته ثم قوله (بان وأبان بمعنى واحد) يعنى ان أبان ههنا بمعنى بان فهما الازمان وقد يكون ابان متعديا فيكون المبين بمعنى المظهر وهذا معنى قوله (ويكون بمعنى المبين لعباده أمر دينهم) أى مايتعلق به من معاشهم فى دنياهم (ومعادهم) أى وأمر معادهم فى عقباهم وهذا المعنى فى حقه تعالى (وسمى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك) أى بماذكر من الاسمين (فى كتابه فقال) أى بعد قوله بل متعت هؤلاء وآباءهم (حتى جاءهم الحق ورسول مبين) وهذا على قول بعض المفسرين من ان المراد بالحق هو الرسول الامين خلافا لمن قال ان المراد بالحق هو الكتاب المبين (وقال وقل انى أنا النذير المبين) أى ظاهر الانذار أو مظهر الاخبار (وقال) أى بعد قوله يا أيها الناس (قد جاءكم الحق من ربكم) يعنى به محمدا أو القرآن (وقال فقد كذبوا بالحق لما جاءهم قيل) أى المراد بالحق (محمد) أى كذبوا بالنبى الثابت نبوته المتحقق معجزته بدليل الآيات السابقة المشيرة اليه فلا التفات الى قول الدلجى وهذا القيل مما لا دليل عليه (وقيل القرآن) وكلاهما صحيح وفى المدعى صريح فان تكذيب كل منهما يستلزم تكذيب الآخر سواء تقدم الاول أو تأخر فتدبر (ومعناه) أى ومعنى الحق (هنا) أى فى كل من التفسيرين (ضد الباطل والمتحقق صدقه وأمره) أى شأنه جميعه ثم المتحقق بكسر القاف الاولى وهو مرفوع عطفا على ضد الباطل فهو خبر بعد خبر اشعارا بان للحق معنيين مشهورين وأما قول الحلبى بفتح القاف الاولى المشددة وهو مبتدأ وصدقه الخبر وأمره معطوف على الخبر فهو مرفوع أيضا فخطأ من جهة البناء الصرفى والاعراب النحوى (وهو بالمعنى الاول) أى فيما سبق فتأمل (والمبين) أى على انه نعت الرسول الامين معناه (المبين أمره ورسالته) أى الظاهر والواضح بناء على ان آبان لازم (أو المبين) بتشديد الياء المكسورة أى المظهر والمخبر (عن الله تعالى ما بعثه به) أى من أمر الرسالة لتعليم الامة بناء على ان آبان متعد (كما قال الله تعالى لتبين للناس ما نزل اليهم) أى من مرغوب ومرهوب (ومن أسمائه تعالى النور ومعناه ذو النور) يعنى على مضاف مقدر (أى خالقه) أو سمى نورا مبالغة كالعدل فمعناه النور ومبناه الظهور لانه تعالى ظاهر بذاته وصفاته ومظهر حقائق مخلوقاته أو معنى ذى النور ان حجابه النور بحيث لو انكشفت سبحات وجهه لاحرقت ما انتهى اليها بصره من خلقه أو لان ظهور الاشياء انما هو بنوره وتبين الامور ليس الا ظهوره وأما اطلاق النور عليه سبحانه وتعالى بناء على ما هو فى عرف الحكماء من انه كيفية تدركها الباصرة أولا ثم بها تدرك سائر المبصرات كالكيفية الفائضة من القمرين على الاجرام المحاذية لها فلا يصح حقيقة الا انه قد يتجوز من حيث ان ظهوره تعالى بذاته الموصوف بالقدم مبرأ عن ظلمة العدم وان ظهور غيره ووجوده فائض عنه تعالى ثم تحقيق هذا المبنى وتدقيق هذا المعنى عند قوله تعالى الله نور السموات والارض حيث قيل من جملة معانيه

الظاهر (أمره والهيته بان وأبان بمعنى) واحد فيكون متعديا ولازما وأبان يكون بمعنى قطع وفصل أيضا وبينه على اللزوم وعلى التعدى (ويكون بمعنى المبين لعباده أمر دينهم) فى الدنيا (ومعادهم) فى الآخرة (وسمى النبى) صلى الله عليه وسلم (بذلك) أى الحق المبين (فى كتابه فقال) تعالى (حتى جاءهم الحق ورسول مبين) بناء على ان المراد بالحق محمد صلى الله عليه وسلم ومبين بمعنى ظاهر لعظم آياته ومعجزاته فلا وجه لما قيل ان هذا ليس على وجه التسمية وانما هو وصف للرسالة (وقال) تعالى (وقل انى أنا النذير المبين) أى المحذر لكم من الله والمبين لكم أمور دينكم (وقال) تعالى (قد جاءكم الحق من ربكم) على ان المراد به محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل المراد به القرآن (وقال) تعالى (فقد كذبوا بالحق لما جاءهم) من الله (قيل) هو (محمد) أى المراد به فى هذه الآية وتكذيبه صلى الله تعالى عليه وسلم بتكذيب رسالته وما جاء به (وقيل) المراد به (القرآن) بدليل التكذيب (ومعناه) أى الحق (هنا ضد الباطل) من حق بمعنى ثبت (والمتحقق صدقه وأمره) هو تفسير لما قبله أو معنى آخر وفى تفسير البيضاوى الحق الثابت الذى لا يسوغ انكاره فعم الاعيان والافعال الصائبة والاقوال الصادقة من قولهم حق الامر اذا ثبت ومنه ثوب محقق محكم النسج (وهو بالمعنى الاول) ضمير هو راجع الى قوله المتحقق صدقه وأمره والمراد بالمعنى الاول كون الحق اسما لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم (والمبين) على هذا التفسير (البين) الظاهر الذى لا يخفى (أمره ورسالته) وهذا على كونه من بان اللازم (أو) هو (المبين) بتشديد المثناة التحتية المكسورة (عن الله ما بعثه به) للخلق كافة وعداه لتضمنه معنى المبلغ أو هو حال بتقدير ناقلا (كما قال) تعالى (لتبين للناس ما نزل اليهم) من شرائعه وأحكامه وهذا على انه من أبان المتعدى (ومن أسمائه تعالى النور) وقد قدمنا ما قاله الغزالى انه حقيقة فى ذات الله تعالى لان معناه الظاهر بنفسه المظهر لغيره واليه ذهب الحكماء ويشير اليه قول الاشعرى رحمه الله تعالى انه نور ليس كالانوار وما قاله السهيلى فى الفرق بينه وبين الضياء بانه ذات المنير والضوء والضياء أشعته المنتشرة عنه ولذا قال جعل الشمس ضياء والقمر نورا لكثرة أشعتها فلا وجه لما يتوهم من ان الظاهر العكس ولا حاجة لتأويله اذا أطلق على الله فان أردت فطالع مشكاة الغزالى والمشهور فيه التأويل كما أشار اليه المصنف بقوله (ومعناه ذو النور وخالقه) عطف تفسير وهذا تأويل له بتقدير مضاف فيه لما مر

(أومنور السموات والارض) أي كما قرئ به في الآية على ان النور بمعنى التنوير مصدر بمعنى الفاعل وقوله (بالانوار) أي بسبب الانوار الحسية من الكواكب القمرية والشمسية (ومنور قلوب المؤمنين بالهداية) أي الوهبية أي بسبب امداد الانوار المعنوية في الافلاك القلبية (وسماه) أي النبي عليه السلام (نورا) أي على أحد التفسيرين (فقال قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين قيل) أي المراد بالنور (محمد وقيل القرآن) وقيل المراد بهما محمد لانه كما هو نور عظيم ومنشأ لسائر الانوار فهو كتاب جامع مبين لجميع الاسرار (وقال فيه) أي في حق نبيه (وسراجا منيرا) أي شمسا مضيأ لقوله تعالى وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا ففيه

(أومنور السموات والارض) فعلى الاول هو حقيقة وعلى هذا هو مجاز كعدل بمعنى عادل لانه المنعم على أهلهما (بالانوار) الفائضة عليها بواسطة الكواكب ودونها والنور على هذا بمعناه الحقيقي (ومنور قلوب المؤمنين بالهداية) ولذا ورد تفسيره بالهادي وهذا على استعارة النور للهداية لما فيها من الدلالة ثم استعماله بمعنى المنور الهادي ففيه مجاز على مجاز لاشتهار الاول حتى صار كالحقيقة (وسماه) أي سمى الله نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم (نورا فقال قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين قيل) المراد بالنور في هذه الآية (محمد) صلى الله تعالى عليه وسلم لظهور آياته (وقيل القرآن) لازالته ظلمة الكفر والجهل ولا يشكل على الاول افراد الضمير بعده في قوله يهدي به الله من اتبع رضوانه مع تغايرهما وعطفهما بالواو دون أو كما قيل لان الضمير راجع اليهما معا باعتبار المذكور أو لانهما كالشئ الواحد وهداية أحدهما عين هداية الآخر وقد صرح الفراء في تفسيره بجواز مثله جوازا مطردا وبه ورد القرآن في آيات كثيرة كما بيناه في السوانح وأنشد عليه شاهدا

رماني بأمر كنت منه ووالدي ❊ بريئا ومن جول الطوى رماني

(وقال فيه) أي في وصف النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وشأنه (وسراجا منيرا) فسماه سراجا كما سماه نورا على نهج الاستعارة أو التشبيه البليغ ثم بينه بقوله (سماه بذلك) أي بالنور والسراج وفي نسخة سمى بذلك (لوضوح أمره) كالنور الذي لا يخفى (وبيان نبوته) أي كونها بينة ظاهرة (وتنوير قلوب المؤمنين والعارفين به) وبما جاء به وهذا ناظر لقوله ومنور قلوب المؤمنين بالهداية وفيه تبيين لاطلاقه على القرآن ضمنا (ومن أسمائه تعالى) التي شرف بها نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم (الشهيد) من الشهادة وهي المعاينة والاخبار بما عاينه أو من الشهود وهو الحضور (ومعناه العالم) لان من شاهد شيأ علمه علما تاما قال تعالى لم تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون أي تعلمون وفي شرح المواقف الشهيد القائم بالغائب والحاضر ويوافقه اطلاق المصنف فلا يرد عليه انه فسر الاخص بالاعم وقول الغزالي اذا اعتبر العلم مطلقا فهو العليم وان أضيف الى الغيب والامور الباطنة فهو الشهيد فتدبر (وقيل الشاهد على عباده يوم القيامة) اذ يبين لهم ما صدر منهم في حياتهم الدنيا اذ لا يخفى عليه خافية (وسماه) أي سمى الله تعالى نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم (شهيدا وشاهدا فقال انا أرسلناك شاهدا) مقبولا شهادتك على أمتك ولهم وهو حال مقدرة (وقال) تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس (ويكون الرسول عليكم شهيدا) اشارة الى ما رواه مسلم من ان الله يسأل الانبياء عليهم الصلاة والسلام هل بلغتم فيقولون نعم فتنكر أممهم فيقول من يشهد لكم فيقولون محمد وأمته فتشهد أمة محمد ويشهد عليه الصلاة والسلام لامته بصدقهم وهذا معنى الآية وهذه الشهادة لهم لا عليهم لكن ضمن شهيد معنى رقيبا وقدم الجار لاختصاصه بهذه الشهادة وفيه فضيلة له صلى الله عليه وسلم فان

تنبيه نبيه ان الشمس أعلى الانوار الحسية وان سائرها مستفيض منها فكذلك النبي عليه الصلاة والسلام أعلى الانوار المعنوية وأما باقيها فمستفيد منه بحكم النسبة الواسطية والمرتبة القطبية في الدائرة الكلية كما يستفاد من حديث أول ما خلق الله نوري وأما الحق فهو في مقام المطلق (سمى بذلك) أي بما ذكر من النور والسراج المنير (لوضوح أمره) أي بيان أمر رسالته وبيان نبوته (وتنوير قلوب المؤمنين) عموما (والعارفين) خصوصا (بما جاء به) وما ظهر لهم من الانوار والاسرار بسببه قال الحلبي ولعل ابن سبع استنبط من هذا ومن الحديث الذي سأل فيه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ربه ان يجعل في جميع أعضائه وجهاته نورا

وضع ذلك لقوله واجعلني نورا ما قاله من أنه صلى الله تعالى عليه وسلم كان من خصائصه انه كان نورا وكان اذا مشى في الشمس أو القمر لا يظهر له ظل والله سبحانه وتعالى أعلم (من أسمائه تعالى الشهيد) من الشهود بمعنى الحضور (ومعناه العالم) أي بظاهر ما يمكن مشاهدته كما ان الخبير هو العالم بباطن ما لم يمكن احساسه (وقيل) أي في معناه (الشاهد على عباده يوم القيامة) الاولى اطلاقه لقوله تعالى وكفى بالله شهيدا ولعل وجه تقييده المناسبة في اطلاقه على صاحب الرسالة (وسماه) أي الله نبيه في كتابه (شهيدا وشاهدا) كان الاولى تقديم شاهد اليلائم ترتيب ما رتبه (فقال انا أرسلناك شاهدا) أي عالما أو مطلعا (وقال) في موضع آخر (ويكون الرسول عليكم شهيدا

الانبياء يحاسبون يوم القيامة وهو لا يحاسب وفضيلة لامته اذ لم ينكروا تبليغه وقد تقدم الكلام على هذه الآية (وهو) أي الشهيد الذي أطلق عليه صلى الله تعالى عليه وسلم (بمعنى الاول) أي الشاهد أو بمعنى الشهيد الاول الذي أطلق على الله تعالى والاولية على الوجهين لمطلق التقدم وقيل وصف اسمه الشاهد بالاولية مع كونه ثانيا الذكر أمته قبل آية اسمه الشهيد (ومن أسمائه تعالى) أي من أسماء الله التي سمى بها نبيه (الكريم ومعناه الكثير الخير) وهو أصل معناه لغة وان اختص في عرف اللغة والعرف العام بالسخي الكثير العطاء واليه أشار المصنف رحمه الله تعالى بقوله (وقيل المفضل) بوزن محسن ومعناه ولذا فسر بمن يعطي عفوا بغير وسيلة وسؤال (وقيل العفو) فعول من العفو وهو التجاوز عن سيئات من أساء قيل وهو أبلغ من الغفور من حيث ان الغفر ستر السيئة والعفو محوها وهو في الاصل القصد لتناول الشئ فاستعير لقصد ازالة المحو (وقيل العلي) وهو البالغ الى رتبة فوق كل رتبة فهو العلي في ذاته وصفاته وفسره الغزالي بانه الذي اذا قدر عفا واذا وعد وفا واذا أعطى زاد على منتهى الرجاء ولا يبالي كم أعطى ولا لمن أعطى وان رفعت حاجة الى غيره لا يرضى واذا جفي عاتب وما استقصى ولا يضيع من لاذ به والتجا فيغنيه عن الوسائل والشفعاء فمن اجتمع له جميع ذلك لا بالتكليف فهو الكريم المطلق وذلك هو الله وحده لا يناله غيره الا باكتساب وتمحل ومع ذلك لا يستوفي جميع أنواعه ولذا اجاز اطلاقه على غيره تعالى كالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم (وفي الحديث المروي) الذي رواه ابن ماجه في سننه (في أسمائه تعالى) أي في أسماء الله وهو متعلق بالمروي أو بمقدر أي عد في أسمائه (الاكرم) أي الزائد على غيره في صفة الكرم وهذا يقتضي مشاركته لغيره في هذه الصفة ان فسرت بمعنى يوجد فيه وفي غيره فان فسرت بما تقدم عن الغزالي وهو مختص بالله فالتفضيل ليس على بابه بل بمعنى الكريم أو على أصله على طريق التسامح كما في قوله أحسن الخالقين قال ابن عبد السلام في أماليه هذا ونحو أرحم الراحمين وأحكم الحاكمين مشكل لان أفعل يضاف الى جنسه وهذا ليس كذلك لان خلق الله ايجاده وهو من غيره بمعنى الكسب وهما متباينان والرحمة من الله ان حملت على الارادة صح لان المعنى أعظم ارادة من سائر المريدين وان جعل من مجاز التشبيه وهو ان معاملته تشبه معاملة الراحم صح أيضا لانه مشترك بينه وبين عباده فان أريد ايجاد الرحمة فهو مشكل اذ لا موجد غير الله وأجاب الآمدي بان معناه أعظم من يسمى بهذا الاسم واستشكل بان التفاضل في غير ما وضع له اللفظ ويصح على مذهب المعتزلة لان الفاعلين عندهم كثير ثم انه قيل على المصنف ان اثباته تسمية الله بالاكرم بالحديث غفلة عن تسميته بذلك في القرآن في قوله تعالى اقرأ وربك الاكرم ولك ان تقول ان الذي في الآية على سبيل التوصيف والذي ذكره انه عد في الحديث في سلك الاسماء الحسنى وهو أدل على مراده (وسماه الله تعالى كريما) أي سمى الله به نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم (بقوله انه لقول رسول كريم قيل) أي قال بعض المفسرين هو في هذه الآية (محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل جبريل عليه الصلاة والسلام) وهو قول أكثر المفسرين كما لانه الظاهر من السياق وقال صلى الله تعالى عليه وسلم أنا أكرم ولد آدم) أي أشرف من سائر الخلق الانبياء وغيرهم وقد تقدم مرارا روايته ومعناه ثم أشار بقوله (ومعاني الاسم) أي الكريم والاكرم (صحيحة في حقه صلى الله تعالى عليه وسلم) لاتصافه بغاية الكرم الى أنه لاتصافه بمعناه والمراد بالاسم ما يطلق عليه سواء كان اسما أو صفة فسقط ما قيل ان تسميته كريما على سبيل التوصيف لا على طريق الاسماء الاعلام وقوله أكرم ولد آدم المراد به تفضيله صلى الله تعالى عليه وسلم عليهم لا التسمية بهذا الاسم بل ينبغي ان يقال باختصاص الاكرم بالله وهو

وهو بمعنى الاول) أي الا انه أبلغ وأدل والاظهر انه سادة الشهادة فتأمل فانه المعول (ومن أسمائه الكريم ومعناه الكثير الخير) أي النفع (وقيل المفضل) بضم الميم وكسر الضاد أي ذو الافضال بالنوال قبل السؤال (وقيل العفو) وفيه ان عفوه من جملة كرمه (وقيل العلي) أي رفيع الشان عظيم البرهان يتعالى كرمه عن النقصان (وفي الحديث المروي) أي عما رواه ابن ماجه (في أسمائه تعالى الاكرم) وكذا جاء في التنزيل اقرأ وربك الاكرم (وسماه كريما بقوله انه لقول رسول كريم قيل) أي المراد به (محمد وقيل جبريل) وهو الاظهر وعليه الاكثر (قال عليه السلام أنا أكرم ولد آدم) وسنده قد تقدم وفي لفظ أنا أكرم الاولين والآخرين أي أفضلهم (ومعاني الاسم) أي اسم الكريم والاكرم على ما تقدم (صحيحة في حقه عليه السلام) أي بالكمال والتمام اذ من جملة ما صدر عنه من الكرم والانعام ما يدل عليه قول صفوان بن أمية وقد أعطاه غنما بين جبلين ان محمدا يعطي عطاء من لا يخشى الفقر وهذا غاية الكرم في ابن آدم

(ومن أسمائه تعالى العظيم) من عظم الشئ اذا كبر جسما وهيئة ثم استعير لما كبر قدرا ورتبة (ومعناه الجليل الشأن الذى كل شئ دونه) أى فى الظهور والبرهان وهذا وقيل الكبير اسم للكامل فى ذاته والجليل فى صفاته والعظيم فيهما فهو أجل منهما (وقال تعالى فى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) فى كلامه القديم (وانك لعلى خلق عظيم) فله العظمة المعنوية باعتبار أخلاقه البهية (ووقع فى أول سفر) بكسر أوله أى أول دفتر (من التوراة) أى من أسفاره (عن اسمعيل) أى ابن الخليل والمعنى عن جهته وفى حقه (وستلد عظيما) بالخطاب وفى نسخة بالغيبة بناء على جهتى التعبير من رعاية المبنى والمعنى وستلد ولدا عظيما يكون نبيا كريما (لامة عظيمة) أى فى الكمية أو الكيفية كما يشير اليه قوله تعالى كنتم خير أمة وخيرية كل أمة تابعة لخيرية نبيها (فهو عظيم) أى فى ذاته (وعلى خلق عظيم) أى فى صفاته وتعبيره بعلى الموضوع للاستعلاء تمثيل لتمكنه من غاية الاستيلاء (ومن أسمائه تعالى الجبار) فعال للمبالغة من الجبر بضرب من القهر على ماهو فى الاصل ثم قد يستعمل فى الاصلاح المجرد كقول على رضى الله تعالى عنه ياجابر كل كسير ومسهل كل عسير وتارة فى القهر المجرد ومنه ماورد لاجبر ولا تفويض ومن ثم قيل كما قال (ومعناه المصلح) أى لامور عباده على وفق مراده (وقيل القاهر) أى فوق عباده فلا موجود الا وهو مقهور تحت قدرته وهدف لارادته ومشيئته (وقيل العلى) أى الرفيع البرهان (العظيم الشأن وقيل المتكبر) أى المستغنى عن كل أحد فى كل زمان ومكان ولا يستغنى عنه أحد فى كل شان وأوان (وسمى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى كتاب داود) وفى نسخة فى كتب داود أى زبوره أو زبره (بجبار) الاظهر ان يقول بالجبار لقوله (فقال) أى مناديا له فى عالم الارواح ومستحضرا له فى عالم الاشباح (تقلد أيها الجبار سيفك) أى للكفار

غفلة عما قررناه بل هو ناشئ عن عدم فهم كلام المصنف رحمه الله تعالى وفى ذلك اشارة الى تشريفه بكونه كريما وأكرم (ومن أسمائه تعالى العظيم) وهو الذى عظم جسما أو قدرا ورتبة والمراد الثانى لانه عز وجل هو العظيم على الاطلاق لبلوغه مرتبة من العظمة لا تحيط بتصورها الافهام ولا تتخيلها الاوهام لتنزهه عن ان تحيط العقول بكنه ذاته وصفاته فلذا قال (ومعناه الجليل الشان) بهمزة أو ألف مبدلة منها (الذى كل شئ دونه) أى قاصر عن بلوغ رتبته اذ لا كمال يدنو من كماله فى ذاته وصفاته والعظيم والجليل والكبير معانيها متقاربة الا أنه قيل ان الكبير هو الكامل فى ذاته والجليل هو الكامل فى صفاته والعظيم هو الكامل فيهما (وقال) تعالى (فى) حق (النبى عليه السلام وانك لعلى خلق عظيم) فقد جمع الله له من محاسن الاخلاق مالا يتصور فى أحد سواه واذا وصف خلقه بالعظيم فقد وصفه به فكان من أسمائه فلا يرد عليه انه وصف لخلقه صلى الله تعالى عليه وسلم لا له فيلبس ولان العظمة مختصة بالله أو نقول انه توطئة لقوله (ووقع فى أول سفر من التوراة) بكسر السين وسكون الفاء وراء مهملة وهو الكتاب (عن اسمعيل) نبى الله ابن خليل الله عليهما الصلاة والسلام وكان الظاهر ان يقول فى حق اسمعيل فكأنه صفة سفر أى سفر فيه ما يصدر عن اسمعيل عليه الصلاة والسلام (وستلد عظيما لامة عظيمة) وفيه مبالغة فى وصفه للعظمة اذ جعل اتباعه عظماء فما بالك به

واذا سخر الاله سعيدا ＊ لاناس فانهم سعداء

(ومن أسمائه تعالى الجبار) وهو صيغة مبالغة على خلاف القياس اذ لم يجئ جبر بل تجبر فهو متجبر وجبار وجبر متعد ولازم يقال جبرت العظم وجبر جبورا وجبر الفقير ويتصف به من الناس الشديد العدوان وله معان فى كلام العرب القهار والمسلط قال الله تعالى وما أنت عليهم بجبار كما يأتى والقوى العظيم الجسم والمتكبر والقتال والنخلة الطويلة وتجبر النبت طال وجبره على كذا أكرهه والجبر خلاف القدر والجبرية بفتح الباء وسكونها وقال أبو عبيد انه مولد والمجبر الذى يجبر العظام المكسورة أى يصلحها يقال أجبرت وجبرت وهو أكثر وقد جبر الدين الاله فجبر ويقال جبرتها أيضا ولما ذكرناه من معناه الحقيقى لغة اختلفوا فى تفسيره حيث وقع صفة كما قال المصنف رحمه الله (ومعناه المصلح) للعالم ولامور عباده تفضلا به من جبرت العظم والفقير فهو من صفات الافعال (وقيل القاهر) فيرجع الى صفة القدرة الذاتية فما من مخلوق الا وهو مقهور فى قبضة تصرفه يفعل به ما يريد (وقيل العلى العظيم الشأن) من قولهم نخلة جبارة ونبت جبار أى طويل فاستعير من العلو الحسى للمعنوى ولذا فسروه بالعالى فوق خلقه فهو صفة ذاتية (وقيل المتكبر) المتعظم الذى يرى الكل حقيرا بالاضافة الى ذاته من قولهم فيه جبرية وجبروت أى تكبر وعظمة ولذا كان صلى الله تعالى عليه وسلم يقول فى سجوده وركوعه سبحان ذى الملك والملكوت سبحان ذى العزة والجبروت (وسمى النبى صلى الله عليه وسلم) بالبناء للمجهول أى سماه الله تعالى (فى كتاب داود) أى الصحف الالهية المنزلة عليه صلى الله عليه وسلم (بجبار فقال) الله تعالى مخاطبا له صلى الله تعالى عليه وسلم لتنزيله منزلة الموجود لتحققه فى علمه الحضورى عنده (تقلد أيها الجبار سيفك) يقال تقلد السيف اذا جعل حمائله على عاتقه وحمله

(فان ناموسك) بالالف قال التلمساني بهمز ويسهل والناموس وعاء العلم وصاحب سرك الذي تطلعه على باطن أمرك وجبريل عليه السلام قال الانطاكي والمراد هنا والله تعالى أعلم ما يوحى اليه وهو القرآن انتهى والاظهر أن يقال في المعنى أي اعتبارك واقتدارك وأنوار علومك واسرارك (وشرائعك) أي أحكامك وأخبارك (مقرونة بهيبة يمينك) أي قوة تصرفك وغلبة قهرك وكثرة نصرك على وفق يقينك (ومعناه في حق النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي باعتبار معانيه في حقه سبحانه والمناسبة التامة مما يقتضي شأنه (اما لاصلاحه الامة بالهداية والتعليم) أي باظهار العناية والرعاية مما يحتاجون في البداية والنهاية (أو لقهره أعداءه) أي وجبره أحباءه (أو لعلو منزلته على البشر) أي جنس بني آدم في الفواضل النفسية والفضائل الانسية (وعظيم خطره) بفتحتين أي قدره ومزيته على غيره (ونفى) أي الله تعالى (عنه في القرآن جبرية الكبر التي لا تليق به) وفي نسخة جبرية التكبر والاظهر جبرية القهر لقوله (فقال وما أنت عليهم بجبار) أي بمسلط وقهار تقهرهم على الايمان وتقدرهم على العرفان أو وما أنت عليهم بوصف الجبابرة بل بنعت الرأفة والرحمة

كالقلادة وفيه اشارة الى انه سيؤمر بالقتال (فان ناموسك) أي الوحي النازل عليك أو عظمتك في قلوب الناس وهذا المعنى شائع بين الناس وأصل معناه كما في القاموس صاحب السر المطلع على باطن أمرك أو صاحب سر الخير وصاحب سر الشر جاسوس وقترة الصائد وهي شئ يختفي فيه الصائد ليأخذ الصيد وفي البيان للجاحظ قال الزبيدي الناموس دويبة تلسع الانسان مشتق من نمس الكلام أخفاه وسمى جبريل عليه الصلاة والسلام بالناموس الاكبر لانه يخفي الكلام حتى يلقيه الى الرسل عليهم الصلاة والسلام انتهى (وشرائعك) يحتمل انه عطف تفسير ولذا وحد الخبر في قوله (مقرونة بهيبة يمينك) أي بالخوف من سيفك فكنى بما ذكرعنه أو تجوز باليمين عما فيه (ومعناه في حق النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي معنى الجبار الذي هو من أسماء الله اذا أطلق في وصف النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يقال كذا ورد في حق كذا أي أمره وشانه المتحقق فيه ولو فسر الجبار في كتاب داود بالمجاهد القتال الذي هو أحد معانيه بقرينة ما بعده كان أولى من قوله (اما لاصلاحه لامته بالهداية والتعليم) أي ارشادهم لما فيه صلاح معاشهم ومعادهم وتعليم أمور دينهم فعلى هذا سمى صلى الله تعالى عليه وسلم باسمه الجبار بمعنى المصلح (أو لقهر أعدائه) وفي نسخة لقهره اعدائه وهذا اشارة الى انه سمى بالمعنى الثاني الذي مر بيانه (أو لعلو منزلته على البشر) فهو مسمى به باعتبار المعنى الثالث وهو العلي ولو قال على الخلق كان أحسن وقيل انه يفهم من تفضيله على البشر تفضيله على الجن والملك بالطريق الاولى وفيه نظر (وعظيم خطره) هذا اشارة الى انه اما مستعار من العلو الحسي فينزل الرتبي منزلته ويتخيل فيه انه ارتفع في مكان عال أو علو القدر وهو العظمة وهذا على هذا الوجه وعلى الاول هو كقول أبي تمام وقد ذكر علو ممدوحه

ويصعد حتى يظن الجهول * بان له حاجة في السماء

وأصل الخطر ما يعطى في الرهان للمسابقة ثم استعير للشرف فيقال له خطر ورجل خطير وهو من اضافة الصفة لموصوفها ولله در الغزالي رحمه الله تعالى في قوله الجبار من العباد من ارتفع عن الاتباع ونال درجة الاستتباع وتفرد بعلو رتبته بحيث يجبر الخلق بهيئته وصولته على الاقتداء به وعلى متابعته في سمته وسيرته فيفيد الخلق ولا يستفيد ويؤثر ولا يتأثر ويستتبع ولا يتبع لا يشاهده أحد الا ويغني عن ملاحظة نفسه ويصير مستوفى الهم به غير ملتفت الى ذاته ولا يطمع أحد في استدراجه واستتباعه وانما حظى بهذا الوصف سيد البشر صلوات الله وسلامه عليه حيث قال لو كان موسى حيا ما وسعه الا اتباعي وأنا سيد ولد آدم ولا فخر وفي كلامه لف ونشر والجواز اذ أصل معناه في حقه عليه الصلاة والسلام كمعناه في حق الله وان لم يكن يساويه أو يقاربه ويدانيه ولما كان المعنى الاخير وهو التكبر لا يصح في حق النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بوجه من الوجوه قال (ونفى عنه في القرآن جبرية التكبر) بفتح الباء كجبره وجبروت وجبورة كفروجة الكبر كما قاله القرطبي في شرح الاسماء الحسنى وأضافها الى التكبر احترازا عن الجبرية بمعنى الجبر وهو خلاف القدر وقال القرطبي الجبرية بفتح الباء خلاف القدرية عن الجوهري وحكى عن الزجاج الجبرية بالاسكان وهو أصوب وعن أبي عبيد انه مولد (التي لا تليق به) صلى الله تعالى عليه وسلم لما تقدم من تواضعه صلى الله تعالى عليه وسلم ولان الكبرياء والتكبر من صفات الله التي لا تليق بغيره ومعنى تليق تناسب وتصح (فقال وما أنت عليهم بجبار) تفسير لقوله ونفى عنه وتقدم انه فسر بمسلط والتكبر هو التعاظم على الغير واستحقاره وهو محرم على كل مخلوق وبما ذكرناه علم ما في قول القرطبي في شرح الاسماء الحسنى انه يجب على كل مسلم مكلف ان لا يتصف باسم الجبار ولا يتعاطاه وانما حظه الاتصاف بنقيضه فان اطلاقه يأباه اطلاقه عليه صلى الله تعالى عليه وسلم فينبغي تقييده ببعض معانيه وقيل تفسيره بالمسلط أولى لانه نزل في حق

أهل مكة وانكارهم لبعثته فامره بان ينذرهم ولا يجبرهم على الايمان ويتسلط عليهم حتى يسلموا والآية منسوخة بآية السيف لانها من سورة ق وهي مكية وانما أمر صلى الله تعالى عليه وسلم بالقتال بالمدينة وعلى ما ذكره المصنف رحمه الله تعالى يكون غير منسوخة (ومن اسمائه تعالى الخبير) وقد ورد في القرآن معرفا ومنكرا وقال ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير من الخبر بالضم وحقيقته استكشاف باطن المخبور حتى يستوي عنده ظاهره وباطنه ولذا قيل للحارث خابر ويكون بمعنى المخبر والمختبر والله تعالى مختبر لعباده قال تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة فهو من صفات الافعال ويكون بمعنى العليم من صفات الذات واذا كان بمعنى المخبر رجع الى صفة الكلام فقوله (ومعناه) اذا أطلق على الله (المطلع بكنه الشئ) أي الواقف على حقائق الاشياء وكنه الشئ بضم فسكون له معان منها الحقيقة كما في التهذيب يقال اكتنهه اذا بلغ كنهه فقوله في شرح المفتاح انه مولد لا وجه له وتعديه بعلى لانه بمعنى (العالم بحقيقته) وهي ذاته لا غايته كما قيل (وقيل معناه المختبر) وأصله المجرب والمراد به في حقه تعالى استدراج عباده حتى يعلم الصابر من غيره فيلزمه الحجة أو يعلم سلوكه المحجة وهو أعلم بهم وفي بعض النسخ الخبير أي المخبر أنبياءه ورسله بكلامه المنزل عليهم أو المخبر عباده يوم القيامة باعمالهم فانه لا يغيب عن علمه شئ ثم شرع في بيان تسمية الرسول صلى الله عليه وسلم به فقال (قال الله تعالى) وهو الذي خلق السموات والارض في ستة أيام ثم استوى على العرش الرحمن (فاسئل به خبيرا) أي عنه أو الباء تجريدية والضمير لخلق السموات والارض والاستواء على العرش المذكور قبله والخبير بمعنى العالم ثم قال المؤلف رحمه الله تعالى (قال القاضي بكر بن العلا) بفتح الموحدة والعين المهملة وهو بكر بن محمد ابن العلا بن زياد القشيري من ولد عمران بن الحصين رضي الله تعالى عنه توفي ليلة السبت لسبع بقين من ربيع الاول سنة أربع وأربعين وثلاثمائة (المأمور بالسؤال) في الآية (غير النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) من كل من يتأتى منه السؤال لا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لانه المخاطب (والمسؤل الخبير هو النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) لانه العالم بحقيقة ما ذكر دون غيره ففيه دليل على تسميته خبيرا (وقال غيره) أي غير القاضي بكر (بل السائل النبي) صلى الله تعالى عليه وسلم لانه المخاطب به (والمسؤل الله تعالى فالنبي خبير بالوجهين المذكورين) أي على التفسيرين فالباء بمعنى على أو ظرفية أما الاول فظاهر لاطلاقه عليه ولانه لو لم يكن خبيرا لم يؤمر بسؤاله واما على الثاني فلان اذنه له في السؤال دال على اعلامه به وقيل المراد بالوجهين تفسير الخبير بالعالم بالحقيقة وتفسيره بالمختبر (قيل لانه عالم على غاية من العلم بما أعلمه الله من مكنون علمه وعظيم معرفته) أي سمي خبيرا لما أعلمه الله به من الخفيات والمغيبات التي اطلعه عليها بوحيه وما جبله عليه من المعرفة العظيمة مخبر لامته بما اذن له في اعلامهم به) دون ما لم يؤذن فيه من الاسرار الالهية وما بعد قيل ناظر لكونه بمعنى العالم وهذا لكونه بمعنى المخبر والفرق بين هذا وما قبله لانه سمي خبيرا باعتبار ما أجابه به بعد سؤاله والقيل باعتبار انه عالم قبل السؤال فتدبر (ومن أسمائه تعالى الفتاح) قال الراغب أصل معنى الفتح ازالة الاغلاق والاشكال وهو ضربان أحدهما ما يدرك بالبصر كفتح الباب والقفل والمتاع والثاني ما يدرك بالبصيرة كفتح الهم والمشكل ومنه فتح القضية اذا فصل الحكم فيها ومنه الفاتح والفتاح للقاضي وفتح الممالك الظفر بها عنوة وفتح الله برزقه

(ومن اسمائه تعالى الخبير) مبالغة من الخبرة وهي العلم بالامور الخفية (ومعناه المطلع بكنه الشئ) بضم الكاف أي على غايته ونهايته (العالم) وفي نسخة والعالم (بحقيقته) أي بماهيته وكيفيته (وقيل معناه المخبر قال الله تعالى فاسئل به خبيرا) واختلف في المراد بالسائل والمسؤل (قال القاضي بكر بن العلاء) هو بكر بن محمد بن العلاء بن محمد ابن زياد القشيري من أولاد عمران بن الحصين رضي الله تعالى عنه مات سنة أربع وأربعين وثلاثمائة ذكره التلمساني وقال الانطاكي هو المالكي (المأمور بالسؤال هو غير النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والمسؤل الخبير هو النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي فاسئل بما ذكرا وعما ذكر مما تقدم من خلق الاشياء ووصف الاستواء عالما يخبرك بحقيقة الانباء وهو سيد الانبياء (وقال غيره) أي غير بكر (بل السائل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والمسؤل الله تعالى) وهو أظهر الاقوال وقيل جبريل أو من وحد الله في كتبه المتقدمة (فالنبي خبير بالوجهين المذكورين) أي ما قدمه القاضي آنفا من قوله الخبير امامعناه العالم بحقيقة الشئ أو المخبر (قيل) أي في توجيه الوجهين (لانه عالم على غاية من العلم بما أعلمه الله من مكنون علمه وعظيم معرفته) يعني فيصلح ان يكون سائلا (مخبر لامته بما أذن) اذا أي أبيح (له في اعلامهم به) أي بما ينفعهم معاشا ومعادا فيصح ان يكون خبيرا بمعنى مخبرا فيصير مسؤلا (ومن أسمائه تعالى الفتاح) أي كما قال الله تعالى وهو الفتاح العليم

(ومعناه الحاكم بين عباده) كقوله تعالى ربنا افتح بيننا وبين قومنا أي احكم لان الحكم فتح أمر مغلق بين الخصمين وقد بين الله الحق وأوضحه وميز الباطل وادحضه بانزال الكتاب المبين واقامة البراهين في أمر الدين (أو فاتح أبواب الرزق) أي على أنواع الخلق من أسباب النعمة الدنيوية والاخروية (والرحمة) أي من قبول التوبة وحصول المغفرة (والمنغلق) بالنون الساكنة والغين المعجمة المفتوحة واللام المكسورة أي المشكل (من أمورهم عليهم أو يفتح قلوبهم) أي أعين بصيرتهم فقوله (وبصائرهم) عطف تفسير وفي نسخة وأبصارهم فالمعنى أبصارهم الباطنة والظاهرة (لمعرفة الحق) أي وتمييزه عن الباطل (ويكون) أي الفتاح (أيضا بمعنى الناصر) وكان الاظهر ان يقول ويكون الفتح بمعنى النصر (كقوله تعالى ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح أي ان تستنصروا فقد جاءكم النصر وقيل معناه) أي معنى الفتاح (مبتدئ الفتح والنصر) يعني ملاحظة المعنيين من الفتح وهو الافتتاح والفتح ولا يبعد ان تكون الدال مفتوحة فمعنى جاءكم الفتح أي مبتدأه وأوله وهذا كله بناء على النسخ المعتمدة من بناء الكلمة على الابتداء من باب الافتعال وفي أصل الدلجي مبدئ الفتح والنصر من الابداء من باب الافعال ولذا قال أي مظهرهما (وسمى الله تعالى نبيه محمدا عليه السلام الفاتح في حديث الاسراء الطويل) أي على ماسبق بطوله (من رواية الربيع ابن أنس عن أبي العالية وغيره عن أبي هريرة) أي مرفوعا (وفيه من قول الله تعالى) يعني الحديث القدسي (وجعلتك فاتحا وخاتما) بكسر التاء فيهما (وفيه من قول النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في ثنائه على ربه وتعديد مراتبه) أي قياما بشكره (ورفع لي ذكري) أي بعدما شرح صدري ووضع عني وزري (وجعلني فاتحا وخاتما) أي أولا بالنبوة في عالم الارواح وآخرا بالرسالة في عالم الاشباح (فيكون) أي فيحتمل ان يكون (الفاتح هنا بمعنى الحاكم) أي بين الخصوم بما أعطى له من العلوم (أو الفاتح لابواب الرحمة على أمته) أي لكونه رحمة للعالمين وأمته أمة مرحومة (والفاتح) الاظهر أو الفاتح (لبصائرهم لمعرفة الحق والايمان بالله) أي على جهة الصدق

اذا جاءه من حيث لا يحتسب (ومعناه) في حق الله (الحاكم بين عباده) في فصل القضاء أو بانصاف المظلوم من الظالم فهو من صفات الافعال (أو فاتح أبواب الرزق والرحمة) لهم بتيسير أرزاقهم لهم وتهيئة أسبابها وفتح اقفال موانعها والرحمة الانعام أي المنعم عليهم الرازق لهم قال تعالى ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وهو استعارة في الاصل صار حقيقة عرفية (والمغلق من أمورهم عليهم) بالجر عطف على أبواب أي فاتح المنغلق بمعنى ميسر كل صعب ومسهله وعليهم متعلق بفاتح أو بالمنغلق (أو يفتح قلوبهم وبصائرهم لمعرفة الحق) الذي هو الله أو خلاف الباطل أي يزيل اقفال قلوبهم المانعة لهم أو غشاوة أبصارهم وبصائرهم حتى يعرفوه ويهتدوا بهدايته ويفتح مضارع معطوف على فاتح فان الفعل يعطف على الاسم الصفة لانهما بمعنى وفي بعض النسخ بفتح بالباء الجارة والظاهر الاول وهذا معطوف على مقدر أي المنغلق بتيسيره أو بفتح الى آخره (ويكون) الفتاح (أيضا) كما كان بمعنى الحاكم (بمعنى الناصر) المعين لان من شان الحاكم نصرة المظلوم وخفائه استشهد له بقوله (كقوله تعالى ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح) أي لانه فسر هكذا (ان تستنصروا فقد جاءكم النصر) من عند الله بخذلان أعداء دينه ونصرته للحق (وقيل معناه مبتدئ الفتح والنصر) لان الفتح جاء بمعنى البدء ومنه فاتحة الكتاب لاوله ومبدئه ومعنى مبتدئ النصر انه موجده وميسره وما النصر الا من عند الله وقوله ان تستفتحوا خطاب من الله لاهل مكة أبي جهل واضرابه ممن قتل ببدر تعلقوا باستار الكعبة عند خروجهم من مكة وقالوا اللهم انصر أعلى الجندين وأهدى الفريقين وأكرم الحزبين فاجابهم الله تعالى متهكما بهم ان قد نصرتم (وسمى الله تعالى نبيه محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم بالفاتح في حديث الاسراء الطويل) الذي تقدم ذكره (من رواية الربيع بن أنس عن أبي العالية وغيره عن أبي هريرة) والفاتح بمعنى الفتاح والمبالغة التي فيه لا تنافي مشاركته له في أصل معناه كما توهم وكذا ما قيل من انه ليس بخاص به ولا على وجه التسمية ونحوه مما لا ينبغي ذكره (وفيه) أي في حديث الاسراء (من قول الله تعالى) لنبيه محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فيما خاطبه به اذ عرج به (وجعلتك فاتحا وخاتما) أي أول الانبياء وآخرهم لما مر من انه صلى الله تعالى عليه وسلم نبي قبل خلقهم وقد تقدم بيانه أو المراد به ما قاله في شرح قوله (وفيه) أي في حديث الاسراء (من قول النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في ثنائه على ربه) اذ حمده بمحامد لم يلهمها قبل (وتعديد مراتبه) أي مقاماته بين يدي ربه (ورفع لي ذكري) بجعله قرينا لذكره كما تقدم (وجعلني فاتحا وخاتما فيكون الفاتح هنا الحاكم) وانما خصه بذلك لانه لم يكن لاحد قبل شريعته كشريعته (والفاتح لابواب الرحمة على أمته) اذ هداهم الى ما أرشدهم الى سعادة الدارين (أو الفاتح لبصائرهم لمعرفة الحق والايمان بالله)

(أو الناصر للحق) أي بخذلان أعدائه وتبيان أحبائه (أو المبتدئ بهداية الامة) بكسر الدال بمعنى البادئ المأخوذ من الفتح بمعنى الافتتاح ومنه الفاتحة (أو المبدأ) بضم الميم وفتح الموحدة وتشديد الدال المهملة ثم همزة مقصورة أي المبتدأ كما في نسخة (المتقدم في الانبياء) أي عند خلق أنوارهم وتقسيم أسرارهم (والخاتم لهم) أي بالمنع عن اظهارهم (كما قال عليه الصلاة والسلام كنت أول الانبياء في الخلق) أي في حال الخلقة (وآخرهم في البعث) أي في بعثة الدعوة (ومن أسمائه تعالى في الحديث) أي على ما رواه الترمذي وغيره عن أبي هريرة رضي الله تعالى ٤٢٢ عنه مرفوعا (الشكور) وفي القرآن ان ربنا لغفور شكور وهو مبالغة الشاكر (فمعناه المثيب) أي المجازي بالجزاء الجزيل (على العمل القليل) فيرجع الى صفة الفعل (وقيل المثني على المطيعين) فيرجع الى صفة الذات وقيل الشكور لمن شكره فيكون من قبيل المقابلة واما قول الدلجي المجازي عباده على شكرهم فليس من باب المشاكلة كما وهم بل يرجع الى الاخص من المعنى الاول فتأمل (ووصف بذلك نبيه نوحا عليه الصلاة والسلام فقال انه كان عبدا شكورا) ولقد قال أيضا في حق هذه الامة ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور أي لكل مؤمن كامل عالم عامل فان الايمان نصفان نصفه صبر ونصفه شكر فالاول باجتناب المعصية والثاني بارتكاب الطاعة وقد قال تعالى اعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادي الشكور وقيل الشكور هو المعترف بالعجز عن اداء الشكر هذا وقد قال الانطاكي لم يقع هذا من القاضي مؤديا موقعه لانه في معرض تحرير ما فضل الله تعالى به نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم وما خلع الله تعالى عليه من أسمائه واما من خص بكرامة غير محمد من الانبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام فقد قدمهم في أول الفصل وذكر نوحا عليه الصلاة والسلام في جملتهم وكان في ذلك غنية عن اعادة ذكره هنا مرة أخرى (وقد وصف النبي صلى الله تعالى عليه وسلم نفسه بذلك) أي الوصف (فقال) أي في الحديث المتقدم كما ذكره الترمذي وغيره لما قيل له حين انتفخت قدماه من قيام الليل أتتكلف هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر (أفلا أكون عبدا شكورا) يعني وعلى مشقة عبادته صبورا (أي معترفا بنعم ربي عارفا بقدر ذلك) أي بمقدار انعامه عندي

لدعوتهم الى معرفته تعالى وتوحيده (أو الناصر للحق) والدين القويم بجهاده في سبيله تعالى (أو المبتدئ بهداية الامة) لتقديمه ذلك على كل مهم له (أو المبدأ المقدم في الانبياء) كما بيناه أولا والمبدأ بضم الميم وتشديد الدال المهملة وهمزة كما قاله البرهان فالمقدم تفسير له فان كانت به رواية فبها والا فيجوز فتح الميم وسكون الباء الموحدة المفتوحة أولا وتخفيف الدال بمعنى الاول (والخاتم لهم كما قال كنت أول الانبياء في الخلق) لخلق نوره روحه قبلهم وأخذ عليهم الميثاق في اتباع من أدركه منهم (وآخرهم في البعث) باعتبار الزمان وبما قررناه علمت الجواب عما قيل من انه لا اختصاص لما ذكر غير الاخير به الان يقال انه وقع على أتم وجه بحيث لا يشاركه فيه غيره ثم ان المصنف رحمه الله تعالى لم يقل انه لا بد في أسمائه من اختصاص معانيها به فتدبر (ومن أسمائه) أي من أسماء الله التي سمى بها نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم (في الحديث) الصحيح الذي رواه الترمذي وغيره عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه في تعداد الاسماء الحسنى (الشكور) وفي القرآن ان ربنا لغفور شكور وللشكر معنيان لغوي وعرفي مشهوران واما في حقه تعالى (فمعناه المثيب) أي المعطي الثواب الجزيل (على العمل القليل) فهو من صفات الافعال وهو مجاز لان حقيقته الثناء المقابل للاحسان فاطلق على الانعام المقابل للشكر لان العمل شكر اذ هو لا يختص باللسان فهو استعارة أو من اطلاق السبب على المسبب كقوله تعالى لئن شكرتم لأزيدنكم وهذا أقرب مما قيل انه الذي يجازي على قليل من عمل الطاعة في أيام قليلة ما لا نهاية له من النعم المخلدة كما قال تعالى كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الايام الخالية أي في الحياة الدنيا لان المغايرة بينهما سهلة خلافا لمن توهم ذلك (وقيل المثني على المطيعين) وهذا أنسب بمعنى الشكر الحقيقي وأقرب وقد أثنى الله على عباده الصالحين كثيرا في القرآن وكتبه المنزلة وهو الذي خلق فيهم القدرة على الطاعة ووفقهم لها كما قال ابن عطاء الله في حكمه * من نعمه عليك ان خلق فيك ونسب اليك ومع ذلك يثني باحسانه عليك * فهو انما اثنى في الحقيقة على نفسه ثم ذكر ما يدل على ان أسماء الله التي سمى بها رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم لا يلزم اختصاصه بها فقد تشرف بها غيره كما قال (ووصف) أي الله عز وجل (نبيه نوحا عليه الصلاة والسلام بذلك فقال انه كان عبدا شكورا) قيل ويعلم من وصفه به وصف من هو أفضل منه وهو محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فلا ينافي ما هو بصدده من ذكر تسمية نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم باسمائه ولا حاجة اليه مع قوله (وقد وصف النبي صلى الله تعالى عليه وسلم نفسه بذلك فقال) في حديث مشهور تقدم ذكره (أفلا أكون عبدا شكورا) فان الاستفهام الانكاري يدل على انه وصف مقرر له وما ذكره في حق نوح عليه الصلاة والسلام مبني على ان الضمير راجع له لقربه لا لموسى عليه الصلاة والسلام كما ذهب اليه بعض المفسرين (أي معترفا بنعم ربي) مقرا بها (عارفا بقدر ذلك)

(مثنيا عليه) أى بلسانى وجنانى (مجهدا نفسى) أى فى القيام بأركانى (فى الزيادة) أى فى تحصيلها (من ذلك لقوله تعالى لئن شكرتم لازيدنكم) أى نعمة على نعمة والحاصل ان المبالغة فى القيام بشكر المنحة موجبة لزيادة مراتب المنة ومقتضية لازالة مثالب المحنة (ومن أسمائه تعالى العليم) قال الله تعالى وهو العليم الحكيم (والعلام) كان حقه أن يقول علام الغيوب أو علام الغيب اذلم يرد العلام فى أسمائه سبحانه وتعالى (وعالم الغيب والشهادة) أى فى آية وفى أخرى عالم الغيب امالا كتفاء واما على برهان الاولى وغيبوبته بالنسبة الى غيره والا ففى الحقيقة لا غيب بالنسبة اليه تعالى لانه موجد كل شئ وخالقهم (ووصف نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم بالعلم) أى فى الجملة مع المشاركة لغيره (وخصه بمزية منه) أى بفضيلة زائدة منه على غيره لاختصاصه بفضل منته عليه (فقال وعلمك مالم تكن تعلم) أى من المعارف الدينية والعوارف اليقينية (وكان فضل الله عليك عظيما) أى بالنسبة الى غيرك من الانبياء والاصفياء وان أعطى كل منهم حظا جسيما (وقال) أى فى مرتبة التكميل بعد مزية الكمال (ويعلمكم الكتاب) أى قراءته مبنى (والحكمة) أى السنة لبيانه معنى (ويعلمكم مالم تكونوا تعلمون) أى بعقولكم مالا طريق الى معرفته سوى الوحى بابداء نبوته واظهار رسالته وفى تكرير الفعل ايماء الى انه نوع آخر فتدبر لعل المراد به أحوال الحقيقة وبما سبق من الكتاب والسنة أحكام الشريعة والطريقة وقد روى الشريعة أقوالى والطريقة أفعالى والحقيقة أحوالى (ومن أسمائه تعالى الاول) أى وجودا بلا ابتداء (والآخر) أى شهودا بلا انتهاء (ومعناه ما السابق للاشياء قبل وجودها) أى أزلا (والباقى بعد فنائها) أى أبدا لحديث اللهم أنت الاول فليس قبلك أى قبل ابدائك شئ وأنت الآخر فليس بعدك أى بعد افنائك الخلق شئ وأنت الظاهر فليس فوقك أى فوق ظهورك شئ باعتبار مظاهر أفعالك وصفاتك وأنت الباطن فليس دونك أى دون بطونك شئ باعتبار حقيقة ذاتك اقض عنى دينى واغننى من الفقر يعنى فانك الغنى المغنى

مؤديا لحقه (مثنيا عليه) بلسانى وأركانى (مجهدا) بزنة منعم أى باذلا جهدى وطاقتى ومتعبا (نفسى فى الزيادة من ذلك) أى من الاعتراف والثناء عملا بقوله تعالى (لئن شكرتم لازيدنكم) من النعم التى شكرتموها وعدا ممن لا يخلف الميعاد اذ قال لبنى اسرائيل واذ تأذن ربكم لئن شكرتم لازيدنكم (ومن أسمائه تعالى العليم والعلام وعالم الغيب والشهادة) أى أحاط علمه بكل شئ مما غاب وخفى وما حضر وظهر ودق وجل وعلمه تعالى لا يشبه علم غيره وتحقيقه فى علم الكلام (ووصف نبيه صلى الله عليه وسلم بالعلم وخصه بمزية منه) بمزية كعطية بمعنى فضيلة وقال العلامة فى شرح المفتاح لا يبنى منه فعل وتبعه بعضهم هنا وفى الاساس تمزيته عليه ومر التنبيه على ذلك وفسر المزية بقوله (فقال وعلمك مالم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما) بما خصك به من العلم والمعارف الالهية والامور الدينية وفيه اشارة الى أن له صلى الله تعالى عليه وسلم مزية فى ذلك لم ينلها غيره ولا ينافيه قوله (وقال) كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم (ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم مالم تكونوا تعلمون) مما لا طريق له سوى الوحى غير المتلو ولذا أعاد الفعل لتغايرهما ولما كان هو المعلم لهم وما أعلمهم بعض مما علمه الله لم يشاركوه فى هذه المزية وانما ذكر هذه الآية وان كان ظاهرها ليس مما هو بصدده لانها تدل على زيادة علمه صلى الله تعالى عليه وسلم وانه معلم لغيره غير متعلم من غير ربه (ومن أسمائه تعالى الاول والآخر) وقد سمى به فى القرآن والاحاديث الصحيحة ومعناه بحسب اللغة وبحسب الاشتقاق وكون فائه واوا وهمزة معلوم فى العربية ووزنه أفعل ويكون أول اسم تفضيل وظرفا وليس هذا محل الكلام فيه وانما الكلام فى معناه فى أسماء الله تعالى فقال ابن العربى للعلماء فيه عبارات فقيل الاول الموجود قبل الخلق فكان ولا شئ قبله ولا معه قاله ابن عباس رضى الله عنهما وقيل انه الذى لا ابتداء له وقيل انه الذى له كل شئ وبه كل شئ ومنه كل شئ كما يقال فلان أول هذا الامر وآخره وقيل الاول بصفاته وقيل بمحبته لاوليائه ومقابله الآخر فقيل هو الموجود بعد الخلق فلا شئ بعده وقيل هو الذى لا انتهاء له وقيل الذى يرجع اليه كل شئ وقال الضحاك هو الذى آخر الاواخر أى الذى جعل لكل شئ آخرا وقيل الآخر بقضائه وقدره وقال الغزالى رحمه الله تعالى الاول والآخر متناقضان فالشئ الواحد لا يكون أولا وآخرا من وجه واحد فانت اذا نظرت الى ترتيب سلسلة الموجودات فالله تعالى بالاضافة اليها أول لانها استفادت منه الوجود وأما هو فموجود بمعنى انه غير مستفيد لوجوده من غيره فاذا نظرت الى ترتيب السلوك ومنازل السائرين فيه اليه فهو آخر ما يرتقى اليه درجة العارفين ولما كان الاول والآخر مع كونهما كالمتضادين يوهم الانتهاء من الطرفين فسره بما فيه دقة والى هذا أشار المصنف بقوله (ومعناهما السابق للاشياء) أى جميع الموجودات (قبل وجودها) لانه الذى أوجدها وأبدعها (والباقى بعد فنائها) ثم صرح

(وتحقيقه) أي تحقيق كونه أولا وآخرا (انه ليس له أول) يعني وهو موجد الاشياء ومبدؤها (ولا آخر) الا انه مفني الاشياء ومعيدها فهما بهذا المعنى من صفات التنزيه له تعالى وان كان باعتبار مؤداهما من افادة كونه أزليا وأبديا يكون وصفا ثبوتيا (وقال عليه الصلاة والسلام كنت أول الانبياء في الخلق) أي في بدء عالم الخلق (وآخرهم في البعث) أي في نهاية عالم الامر (وفسر بهذا) أي بكونه أول الانبياء خلقا (قوله تعالى واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم) أي عهدهم بتبليغ دعوة الحق والرسالة الى الخلق (ومنك ومن نوح) أي وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وخصوا بالذكر لانهم أشهر أرباب الشرائع وهم أولو العزم من الرسل (فقدم) أي الله سبحانه (محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم) أي ذكره على المتقدمين من الانبياء المذكورين مع انه متأخر في الوجود عنهم في عالم الاشباح لسبق رتبته وتقدم نبوته في عالم الارواح وقد روى أول ما خلق الله نوري وفي لفظ روحي وورد انه أول من قال بلى في الميثاق (وقد أشار الى نحو منه عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه) أي فيما تقدم من قوله بابي أنت وأمي يارسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند الله ان بعثك آخر الانبياء وذكرك أولهم أي في الانبياء فقال واذ أخذنا من النبيين الآية (ومنه) أي ومن قبيل قوله كنت أول الانبياء الخ أي باعتبار النسبة الاولية والسابقية والقبلية في الجملة من مرتبة المزية (نحن الآخرون) أي في الخلقة (السابقون) أي في البعثة يوم القيامة أو المقضي لهم قبل الخليقة كما صرح به في حديث مسلم (وقوله) أي ومنه قوله (أنا أول من تنشق الارض) وفي نسخة عنه قبل الارض (وأول من يدخل الجنة) أي هو وأمته من الباب الايمن من أبوابها كما ورد في بعض طرق الحديث (وأول شافع وأول مشفع) أي مقبول الشفاعة (وهو خاتم النبيين) أي لا نبي بعده (وآخر الرسل) تأكيد لما قبله (صلى الله تعالى عليه وسلم) أي وعليهم أجمعين قال الدلجي وهو صلى الله تعالى عليه وسلم سمي بالاول والآخر انما هو من حيث كونه أولا في الخلق وآخرا في البعث لا من حيث معناهما في حقه تعالى فلا التفات الى ما ذكر هنا انتهى ولا يخفى انه لا خصوصية للتفرقة بهذين الوصفين من بين سائر الصفات السابقة واللاحقة اذ لا يتصور اشتراك المخلوق مع الخالق في نعت من النعوت بحسب الوصف الحقيقي وانما يكون بملاحظة المعنى المجازي أو العرفي فالله سميع بصير عليم حي قدير مريد متكلم وقد أثبت هذه الصفات أيضا لبعض المخلوقات ولكن بينهما بون بين ولا يخفى مثل هذا على دين وقد أفرد المصنف كما سيأتي فصلا في بيان هذا الفضل لئلا يعدل أحد

بالمقصود من دفع الابهام فقال (وتحقيقه انه ليس له أول ولا آخر) ولا ابتداء ولا انتهاء فلا سابق عليه ولا باقي بعده فهو واجب الوجود وجوده عين ذاته لا يتصور انفكاكه عنه فهو من صفات التنزيه وقال القرطبي انه الاول بوجوده في الازل وقبل الابتداء والآخر بوجوده في الابد وبعد الانتهاء وعلى هذا يكون من أسماء الذات ويجوز أن يكون من أسماء الافعال على معنى أول الاول وآخر الآخر في الوجود ثم أشار الى اطلاقه عليه صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله (وقال عليه الصلاة والسلام كنت أول الانبياء في الخلق) يعني انه في عالم الذر والارواح خلقت روحه ونبئ قبلهم ولذا عبر بالانبياء دون الرسل كما تقدم بيانه ولا وجه لتفسيره بانه كان نورا في وجه آدم اذ لا يطابق قوله صلى الله تعالى عليه وسلم (وآخرهم في البعث) فهو خاتمهم ونبوته صلى الله تعالى عليه وسلم ورسالته لا تنقطع بموته (وفسر بهذا) أي بتقدم خلقه وتأخر بعثته (قوله تعالى واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح) الميثاق هو ان يؤمنوا بالله ويوحدوه (فقدم محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم) في الذكر لتقدمه في الخلق بل والبعث وهذا التفسير رواه قتادة عن الحسن عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال سئل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن قوله عز وجل واذ أخذنا الآية فقال كنت أولهم في الخلق وآخرهم في البعث وأما ما روى عن مجاهد من ان هذا في ظهر آدم عليه الصلاة والسلام فتفسير آخر لا وجه لذكره هنا (وقد أشار الى نحو من هذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه) في قوله كما تقدم لما بكى على النبي صلى الله عليه وسلم اذ توفي بابي أنت وأمي يارسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند الله ان بعثك آخر الانبياء وذكرك أولهم فقال واذ أخذنا من النبيين الآية وانما قال أشار ونحو لانه ليس فيه تصريح بتقديم خلقه صلى الله تعالى عليه وسلم اذ التقدم الذكري ليس صريحا فيه لجواز كونه لشرف رتبته عنده (ومنه) أي من قبيل ذكر كونه أولا وآخرا (قوله نحن الآخرون) أي هو صلى الله عليه وسلم آخر الانبياء بعثة وأمته آخر الامم (السابقون) أي أول من يقضى بينهم ويقضى لهم يوم القيامة قبل الخلائق كما صرح به في حديث مسلم (وقوله) صلى الله عليه وسلم كما تقدم (أنا أول من تنشق عنه الارض) في الخروج من القبر للحشر (وأول من يدخل الجنة) هو وأمته كما مر (وأول شافع وأول مشفع) أي مأذون له في الشفاعة المقبولة وهذا بيان لاطلاق الاول عليه وقوله (وهو خاتم النبيين وآخر الرسل صلى الله عليه وسلم) لبيان اطلاق الآخر عليه أيضا فعلم منه انه يقال له صلى الله عليه وسلم الاول والآخر

عن مقام العدل هذا وقد روى التلمساني عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم نزل جبريل فسلم علي فقال في سلامه السلام عليك يا أول السلام عليك يا آخر السلام عليك يا ظاهر السلام عليك يا باطن فأنكرت ذلك عليه وقلت يا جبريل كيف تكون هذه الصفة لمخلوق مثلي وانما هذه صفة الخالق الذي لا تليق الا به فقال يا محمد اعلم ان الله تعالى أمرني أن أسلم بها عليك لانه قد فضلك بهذه الصفة وخصك بها على جميع النبيين والمرسلين فشق لك اسما من اسمه ووصفا من وصفه وسماك بالاول لانك أول الانبياء خلقا وسماك بالآخر لانك آخر الانبياء في العصر وخاتم الانبياء الى آخر الامم وسماك بالباطن لانه تعالى كتب اسمك مع اسمه بالنور الاحمر في ساق العرش قبل ان يخلق أباك آدم بألفي عام الى ما لا غاية له ولا نهاية فأمرني بالصلاة عليك فصليت عليك يا محمد ألف عام بعد ألف عام حتى بعثك الله بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا وسماك بالظاهر لانه أظهرك في عصرك هذا على الدين كله وعرف شرعك وفضلك أهل السموات والارض فما منهم من أحد الا وقد صلى عليك صلى الله عليك فربك محمود وأنت محمد وربك الاول والآخر والظاهر والباطن وأنت الاول والآخر والظاهر والباطن فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الحمد لله الذي فضلني على جميع النبيين حتى في اسمي وصفتي (ومن أسمائه تعالى القوي وذو القوة المتين) وهو تفسير لما قبله (ومعناه القادر) أي التام القدرة الكامل القوة (ووصفه الله) أي نبيه بذلك فقال (ذي قوة عند ذي العرش مكين قيل) أي المراد (محمد وقيل جبريل

والآخر كما يقال على الله وان كان اطلاقهما على الله بمعنى مختص به كما مر واطلاقهما عليه صلى الله تعالى عليه وسلم بمعنى آخر مقيد بقيود أخر تدل على تغايرهما فكفاه شرفا تسميته باسم الله ومشاركته في لفظه فسقط ما قيل ليس هذا المعنى بالمعنى الاول قطعا ولا نسبة بينهما فهو غفلة منه وزلة قدم اذ مثله لا يخفى عليه مثله * واعلم انه وقع هنا في بعض الحواشي انه سماه بالاول والآخر والظاهر والباطن وفسر الاول والآخر بما مر والظاهر بانه الذي لا يخفى على عاقل وجوده أو القادر والباطن بالمحجوب عن عباده في الدنيا أو الذي لا يحاط به أو الذي لا كيفية له وقيل الظاهر القريب والباطن العليم الحكيم وروى فيه حديثا وهو ان جبريل عليه الصلاة والسلام نزل عليه صلى الله تعالى عليه وسلم وقال السلام عليك يا أول السلام عليك يا آخر السلام عليك يا ظاهر السلام عليك يا باطن فقال يا جبريل كيف تكون هذه الصفة لمخلوق مثلي وهي صفة للخالق لا تليق الا به فقال ان الله تعالى أمرني ان أسلم عليك بها وقد خصك بها دون الانبياء والمرسلين وشق لك أسماء من اسمه ووصفه من صفته وسماك بالاول لانك أول الانبياء خلقا وسماك آخر لانك خاتم النبيين وسماك بالباطن لانه عز وجل كتب اسمك مع اسمه بالنور الاحمر على ساق العرش قبل ان يخلق أباك آدم بألف عام الى ما لا غاية له ولا نهاية وأمرني بالصلاة والسلام عليك فصليت عليك ألف عام حتى بعثك اليه بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا وسماك بالظاهر لانه أظهرك في عصرك وأظهر دينك على الدين كله وفضلك على أهل السموات والارض فما منهم أحد الا وقد صلى عليك صلى الله تعالى عليه وسلم فربك محمود وأنت محمد وربك الاول والآخر والظاهر والباطن وأنت الاول والآخر والظاهر والباطن فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الحمد لله الذي فضلني على جميع النبيين في اسمي وصفتي انتهى وهذا مما لم نره لغيره (ومن أسمائه تعالى القوي وذو القوة المتين) بالتشديد المحكم قوته فالمتين أخص من القوي ولذا وصف بهما والقوي وذو القوة ورد اطلاقهما عليه في القرآن وأصله قوو فاعل بالقلب والقوة خلاف الضعف وهي ما يجد به القادر نفسه مستطيعا لتقدير المراد وان لم يفعله فهي والقدرة متقاربان وقد يراد بالقوة كثرة الاسباب المعينة كالجند والمال ونحوه ومنه قوله تعالى واعدوا لهم ما استطعتم من قوة وقال الخطابي القوي يكون بمعنى القادر ومن قوي على شئ قدر عليه ويكون معناها التام القوة الذي لا يستولي عليه العجز بحال من الاحوال فيما لا يتناهى وهي مخصوصة بالله ولذا قال تعالى ان القوة لله جميعا فلا قوة لعبده الا اذا قواه الله تعالى ولذا تعبدنا بقول لا حول ولا قوة الا بالله كما قيل

بك أسطو واذا سطوت ولولا * ك لما استمسكت قوى أوصالي

(ومعناه القادر) وان كان بين القوة والقدرة فرقا كما أشرنا اليه لكنهما متلازمان ولذا فسره به الخطابي وأباه القرطبي في شرح الاسماء الحسنى الا انه لا اختلاف بينهما (وقد وصفه الله تعالى) أي وصف الله تعالى نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم (بذلك فقال) انه لقول رسول كريم (ذي قوة عند ذي العرش مكين) أي ذي مكانة ورتبة علية عند الله (قيل) المراد بذي قوة (محمد وقيل جبريل) عليهما الصلاة والسلام وعليه أكثر المفسرين كما مر وبه استدل المعتزلة على تفضيل جبريل ولا دليل فيه كما سيأتي

ومن أسمائه تعالى الصادق) كما رواه ابن ماجه فى الاسماء الحسنى (فى الحديث المأثور) أى المروى عن أبى هريرة مرفوعا وقد يؤخذ من قوله تعالى ومن أصدق من الله قيلا والحمد لله الذى صدقنا وعده (وورد فى الحديث) أى الصحيح عن ابن مسعود (أيضا اسمه عليه الصلاة والسلام بالصادق) أى فيما يقوله (المصدوق) أى فيما يخبره يعنى المشهود له بصدقه فى كلامه سبحانه وتعالى بقوله وما ينطق عن الهوى (ومن أسمائه تعالى) أى فى القرآن (الولى) أى من قوله تعالى الله ولى الذين آمنوا كذا ذكره الدلجى وكأنه غفل عن قوله تعالى فالله هو الولى وقوله تعالى وهو الولى الحميد (والمولى) قال تعالى فنعم المولى (ومعناهما) أى معنى كل من الولى والمولى (الناصر) والاظهر المغايرة بينهما لقوله سبحانه وتعالى فنعم المولى ونعم النصير فالولى هو المتصرف فى أمر عباده على وفق مراده وكذلك المولى فى وصفه تعالى بالمعنى الاعم من معنى النصير كما لا يخفى على الناقد البصير وهو لا ينافى انه قد يراد بالولى والمولى الناصر كما بينه المصنف بقوله (وقد قال الله تعالى انما وليكم الله ورسوله وقال عليه الصلاة والسلام أنا أولى كل مؤمن) رواه البخارى عن أبى هريرة ورواه أحمد وأبو داود عن جابر نحوه وقال الله تعالى النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم (وقال عليه الصلاة والسلام) أى على ما رواه الترمذى وحسنه (من كنت مولاه فعلى مولاه) أى من أحبنى وتولانى فليتوله فانه معنى قال الشافعى ولاء الاسلام كقوله تعالى ذلك بان الله مولى الذين آمنوا وان الكافرين لا مولى لهم وقد قال عمر لعلى رضى الله تعالى عنهما أصبحت مولى كل مؤمن أى وليه على لسان نبيه قيل سببه ان اسامة بن زيد قال لعلى لست مولاى انما مولاى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال من كنت مولاه فعلى مولاه (ومن أسمائه تعالى العفو) أى كثير العفو (ومعناه الصفوح) أى كثير الاعراض عن الاعتراض وأصله امالة صفحة العنق عن الجانى ثم استعمل مجازا فى المعانى (وقد وصف الله تعالى نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم بهذا

(ومن أسمائه تعالى) التى سمى بها رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم (الصادق المصدوق) كما رواه ابن ماجه والمصدوق بمعنى المصدق فيما جاء به وقد ورد فى أسماء الله الحسنى (فى الحديث المأثور) المروى بسند صحيح (وورد فى الحديث أيضا تسميته صلى الله تعالى عليه وسلم بالصادق المصدوق) وتقدم لفظه والكلام عليه فى الفصل السابق (ومن أسمائه تعالى لولى) كما قال تعالى الله ولى الذين آمنوا أى الذى يتولى أمرهم ويقوم بنصرتهم ومن أسمائه أيضا الوالى وهو بمعناه (والمولى) كما قال تعالى ذلك بان الله مولى الذين آمنوا وان الكافرين لا مولى لهم (ومعناهما) أى المولى و لولى (الناصر) أى الذى ينصرهم على أعدائهم (وقال تعالى انما وليكم الله ورسوله) والذين آمنوا أى ناصركم ولم يقل أولياؤكم لان نصرتهم واحدة أو لان الناصر انما هو الله وغيره بتبعيته واعانته كما قال تعالى وما النصر الا من عند الله (وقد قال عليه الصلاة والسلام أنا أولى كل مؤمن) كما رواه البخارى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه ورواه أحمد وأبو داود أنا أولى بكل مؤمن من نفسه وفى البخارى أيضا أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم فمن مات وعليه دين ولم يترك وفاء فعلى قضاؤه ومن ترك مالا فلورثته وكان صلى الله تعالى عليه وسلم فى أول الاسلام يؤتى بالرجل المتوفى فيسئل هل عليه دين وهل له وفاء فان قالوا له عليه دين وليس له وفاء قال صلوا على صاحبكم والاصلى عليه فلما فتح الله بالفتوح والغنائم قال صلى الله تعالى عليه وسلم من مات وعليه دين فعلى قضاؤه فقيل انه كان واجبا عليه وارتضى امام الحرمين والماوردى انه لم يكن واجبا عليه وانما كان فعله تكرما وهل كان صلى الله تعالى عليه وسلم يقضيه من الغنائم أو من خالص ماله احتمالان (وقد قال تعالى النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم) أى أحق بهم من أنفسهم فانه يتولى صلاحهم وينصرهم ويقضى ديونهم كما مر ويخلصهم مما يكرهون فى الدنيا والآخرة (وقال عليه الصلاة والسلام) فى حديث رواه الترمذى وحسنه (من كنت مولاه فعلى مولاه) والمراد ولاء الاسلام ونصرته كما قال الشافعى وهذا الحديث ورد فى قصة غدير خم وقيل سببه ان اسامة بن زيد رضى الله تعالى عنهما قال لعلى كرم الله وجهه لست مولاى انما مولاى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلما سمعه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم * قال من كنت الى آخره ولا دليل للشيعة فيه على انه رضى الله عنه وكرم وجهه أحق بالخلافة لاسيما والمولى من الولاء وله معان كالنصرة والعتق وغيره فلا حجة لهم فيه (ومن أسمائه تعالى العفو) مبالغة فى العفو عن السيئات وهو محوها وازالتها ولذا قيل انه أبلغ من الغفور لانه من الغفر وهو الستر وأما الصفح فمعناه الاعراض وهو دونهما لكنه يطلق على ذلك أيضا فلذا قال (ومعناه الصفوح) فلا يرد عليه انه لا ينبغى تفسيره به (وقد وصف الله تعالى

بهذا) وفي نسخة صحيحة بهذا نبيه (في القرآن و) في (التوراة) أما التوراة فكما سيأتي وأما القرآن فكما قال المصنف (وأمره بالعرف) ولا شك انه كان ممتثلا لامره فيتحقق وصفه به (فقال خذ العفو) أي هذه الخصلة الحميدة وهي المجاوزة عن مرتكب السيئة اذا كانت بنفسك متعلقة وتمامه وأمر أي الناس بالعرف أي المعروف شرعا وعرفا أو نقلا وعقلا وأعرض عن الجاهلين أي المعاندين من المجادلين (وقال) أي عز وجل (فاعف عنهم) أي تجاوز (واصفح) أي تغافل (وقال له جبريل وقد سأله) أي النبي (عن قوله) أي عن معنى قوله تعالى (خذ العفو) أي الآية (قال ان تعفو عمن ظلمك) أي وتصل من قطعك ٤٢٧ وتعطي من حرمك (وقال في التوراة) زيد في نسخة والانجيل قال الانطاكي قال شيخنا برهان الدين الحلبي هذا الحديث ذكره البخاري في صحيحه من رواية عبد الله بن عمرو وليس فيه ذكر الانجيل (في الحديث المشهور) أي الذي رواه عبد الله ابن عمرو بن العاص فيما سبق (في صفته) أي نعته في التوراة (ليس بفظ) أي سيئ الخلق (ولا غليظ) أي جافي القلب (ولكن يعفو) أي يمحو في الباطن (ويصفح) أي ويعرض في الظاهر فاشتق له من اسمه العفو لاتصافه بكثرة العفو (ومن أسمائه تعالى الهادي وهو) أي الهداية في صفة الحق (بمعنى توفيق الله تعالى لمن أراد من عباده) أن يخلق الاهتداء فيه فيصير مهتديا به فالمراد بالهداية هنا الدلالة الموصولة الى المطلوب ومنه قوله تعالى انك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وقد يستعمل بمعنى البيان ومجرد الدلالة كما في قوله تعالى وأما ثمود فهديناهم وقوله سبحانه وتعالى وهديناه النجدين وهذا معنى قوله (وبمعنى الدلالة) أي على طريق الحق وبيان سبيل الرشد (والدعاء) أي وبمعنى الدعاء وهو قريب مما قبله (قال تعالى والله يدعو) أي عامة الخلق بدعوة الحق (الى دار السلام) أي دار الله التي فيها رؤيته التي هي أعز المرام أو دار يسلم الله تعالى وملائكته على من فيها بوجه الدوام أو دار السلامة من الآفة والملامة (ويهدي) بتوفيقه (من يشاء) بتخصيصه (الى صراط مستقيم) أي دين قويم

بهذا نبيه) عليه الصلاة والسلام (في القرآن) اذ أمره به فيه اذ قال خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين فأمره صلى الله تعالى عليه وسلم بالتخلق بذلك فكان ممتثلا متخلقا به فيقتضي الاتصاف به على أبلغ وجه وأتمه اذ كان جبلة له صلى الله تعالى عليه وسلم فلا يرد عليه انه لم يطلق عليه في القرآن وانما أمر به ولو سلم اتصافه به لانه لا يعصى له أمر لا يقتضي كونه على وجه المبالغة التي دل عليها صيغة فعول والامر لا يقتضي التكرار على الاصح (والتوراة) وفي نسخة والانجيل (وأمره بالعفو فقال) بيان لما في القرآن (خذ العفو وقال فاعف عنهم واصفح) هذا مبني على ان العفو في هذه الآية الصفح ويدل عليه ما روي انها لما نزلت قال صلى الله تعالى عليه وسلم لجبريل ما هذا فقال لا أدري حتى أسأل ربي فسأله ثم رجع فقال ان ربك أمرك ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عن ظلمك وتحسن الى من أساء اليك وهذا رواه البغوي والقرطبي ونقل بصيغة التمريض وعليه اعتمد المصنف بقوله (وقال له جبريل وقد سأله) صلى الله تعالى عليه وسلم (عن قوله خذ العفو قال ان تعفو عن ظلمك) فاختصره والذي عليه الاكثر ان العفو المال الفاضل عن نفقة العيال كما في قوله تعالى يسئلونك ماذا ينفقون قل العفو ثم نسخت بآية الزكاة فلا شاهد فيها على ما نحن بصدده (وقال) هذا بيان لما في التوراة وفي بعض النسخ التصريح بقوله (في التوراة) والانجيل (في الحديث المشهور) الذي تقدم عن عبد الله بن عمرو بن العاص انه صلى الله تعالى عليه وسلم (ليس بفظ ولا غليظ ولكن يعفو ويصفح) وقد تقدم شرحه وان قول النساء لعمر رضي الله تعالى عنه في قصة الحجاب لانت أفظ من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ليس التفضيل فيه على أصله أو انه فظ على من يستحق الفظاظة كالكفرة (ومن أسمائه تعالى الهادي وهو) الضمير للهداية التي في ضمن الهادي وذكره لان تأنيث المصدر غير معتبر أو لانه بمعنى ان يهدي كما في الكشاف (بمعنى توفيق الله لمن أراد من عباده) اللام زائدة للتقوية لتعدي التوفيق بنفسه وأصل معنى الهداية كما قاله الراغب الدلالة بلطف لما يوصل أو الموصلة على الخلاف المشهور وهي على أنواع الاول ما يعلم كل مكلف من العقل والعلوم الضرورية والثاني دعاؤه اياهم على ألسنة رسله والثالث التوفيق الذي يختص به من اهتدى والرابع الهداية في الآخرة التي في قوله الحمد لله الذي هدانا لهذا والانسان لا يقدر أن يهدي أحدا الا بالدعاء ولذا نفيت تارة وأثبتت أخرى انتهى والى أحد أنواعها أشار بما ذكره وأشار الى الآخر بقوله (وبمعنى الدلالة والدعاء) أي الدعوة (قال الله تعالى والله يدعو الى دار السلام) أي الجنة (ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم) أي يرشدهم الى طريق مستقيم يوصلهم الى الجنة بما خلقه فيهم من العقل وارسل من الرسل ووفقهم لاتباعهم وتقدم ان التوفيق خلق قدرة الطاعة في العبد وضده الخذلان ومن فسر المعنى بالهداية والتوفيق فقد ضل عن الطريق وكذا ما بناه عليه من ان تفسير الهداية بما ذكر مبني على مذهب المعتزلة

(وأصل الجميع) أي جميع أنواع الهداية مما هو بمعنى التوفيق وهو خلق الاهتداء وما هو بمعنى الدلالة وما هو بمعنى الدعاء (من الميل) أي والاقبال (وقيل من التقديم) يعني مكان من هدى مال الى ما هدى اليه أو قدم اليه وكلا القولين غير معروف في كتب اللغة مع انه لا يظهر وجه الدلالة على سبيل الاصالة ثم لا فائدة فيه غير الاطالة (وقيل في تفسير طه انه) أي معناه باشارة مبناه (يا طاهر يا هادي يعني) أي يريد به أو بهما (النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقال تعالى له) أي في حقه عليه الصلاة والسلام (وانك لتهدي الى صراط مستقيم) أي لتدعو كما قرئ به والمعنى تدل الخلق الى طريق الحق (وقال فيه وداعيا الى الله باذنه) أي بامره أي بتيسيره زيد في نسخة وسراجا منيرا والحاصل انه صلى الله تعالى عليه وسلم موصوف بكونه هاديا الا انه مختص بالمعنى الثاني وهو مجرد الدلالة والدعاء (فالله تعالى مختص بالمعنى الاول) وهو التوفيق لمن يشاء بخلق الاهتداء (قال الله تعالى انك لا تهدي من أحببت) أي لا تقدر ان تخلق فيه قبول الهداية وانما وظيفتك مجرد الدعوة والدلالة (ولكن الله يهدي من يشاء) بتوفيقه للاجابة وقبول الهداية (وبمعنى الدلالة يطلق على غيره) أي قد يطلق على غيره سبحانه وتعالى فاستعمال الهداية في حق الباري بالمعنى الاعم وهو ارادة المعنيين واختصاصه تعالى بالمعنى الاول واختصاص غيره بالمعنى الثاني ولذا زيد في نسخة هنا فهو في حقه صلى الله تعالى عليه وسلم بمعنى الدلالة أي لا غير (ومن أسمائه تعالى المؤمن المهيمن) بكسر الميم الثانية وقد تفتح ما

(قيل هما بمعنى واحد) وهذا مبني على قول فاسد كما سيجيء معبرا عنه بقيل من ان الصيغة للتصغير وان الهمزة مبدلة بالهاء فان التصغير الذي وضع للتحقير غير مناسب لوصف العلي الكبير فالصحيح ان المهيمن مأخوذ من هيمن على كذا صار رقيبا اليه وحافظا عليه نعم قد يقال ان معناهما واحد من آمن غيره من الخوف على ان أصله مؤأمن قلبت الهمزة الاولى هاء والثانية ياء وقيل هو بمعنى الامين أو المؤتمن (فمعني المؤمن في حقه تعالى المصدق وعده

في خلق العباد لافعالهم وان ماذكره المصنف لا تساعده الاصول الى غير ذلك من الخلط الناشئ عن عدم معرفته بقدر المصنف رحمه الله (وأصل الجميع) من معاني الهداية وفيه اشارة الى انها معان مختلفة أصلها لغة (من الميل) فمعنى هداه الى كذا صرفه اليه وأماله عن غيره لانه من التهادي وهو التمايل وفي الحديث خرج صلى الله تعالى عليه وسلم يتهادى بين اثنين أي يتمايل (وقيل) انها مأخوذة لغة (من التقديم) ومنه هوادي الوحش للمتقدم منها والهادية العنق وهو الذي ارتضاه الراغب ثم شرع في بيان اطلاقه على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال (وقيل في تفسير طه انه يا طاهر يا هادي) على طريق الرمز والاكتفاء بحرفين من الاسمين يدلان على الباقي لما في قوله

* قلت لها قفي فقالت قاف * أي وقفت (يعني النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي يريد الله تعالى بهذين الاسمين نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم لطهارته من كل دنس وهدايته لخلقه (وقال له الله تعالى) خطابا لرسوله صلى الله تعالى عليه وسلم (وانك لتهدي الى صراط مستقيم) أي تدل وتدعو الى الاسلام والطريق الموصلة الى سعادة الدارين وهذا على قراءته مبنيا للفاعل وهي المشهورة وعلى المجهول لتهدى (وقال فيه) أي في حقه وشانه صلى الله تعالى عليه وسلم (وداعيا الى الله باذنه) أي بتيسيره وارادته والاذن يستعمل مجازا مشهورا في ذلك وأصل الاذن معروف الاجازة وعبر في الاولى بقوله له لكونه بصيغة الخطاب يقال قال له كذا اذا خاطبه ولما لم يكن في الثانية خطابا قال فيه لانه في حقه ووصفه فلا وجه لما قيل انه لا وجه لتغاير المتعلقين ثم أشار الى ان معاني الهداية منها ما يختص بالله ومنها ما يطلق عليه وعلى غيره فقال (والهداية بالمعنى الاول) وهو التوفيق بخلق الاهتداء (مختص بالله) فانه لا يقدر عليه سواه ولذا نفي عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بهذا المعنى (قال تعالى انك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء) ويريد توفيقه (وبمعنى الدلالة) بكسر الدال المهملة وفتحها وهي اراءة الطريق (تطلق على غيره تعالى) كالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم والمؤمنين من العلماء لوقوع الدلالة منهم وقوله تعالى انك لا تهدي من أحببت نزلت في أبي طالب عمه لا في العباس عمه رضي الله تعالى عنه كما قيل وكان صلى الله تعالى عليه وسلم حريصا على اسلامه حتى دخل عليه في مرض موته وقال له يا عماه قل لا اله الا الله كلمة أحاج لك بها عند الله وعنده أبو جهل وصناديد قريش فقالوا له أترغب عن ملة المطلب فكان آخر ما قال انه على ملة عبد المطلب فنزلت هذه الآية والشيعة يقولون انه قالها خفية وشهد بذلك ثقات مسلما وقد رده الحفاظ وقالوا انه لم يثبت (ومن أسمائه تعالى) التي سماه صلى الله تعالى عليه وسلم بها (المؤمن المهيمن قيل هما) في أسماء الله تعالى (بمعنى واحد) ولفظهما من مادة واحدة لان الهاء عند هذا القائل مبدلة من همزته (فمعنى المؤمن) على هذا القول (في حقه تعالى المصدق وعده) أي

ماوعدبه (عباده) فى الدنيامن الثواب ونعيم الآخرة والنصر العزيز فى الدنيا الى غير ذلك من وعدمن لايخاف الميعاد (والمصدق قوله الحق) أى الذى صدق ماقاله من الحق كما قال فو رب السماء والارض انه لحق (والمصدق لعباده المؤمنين ورسله) أى يصدق ماقالوه أو جاعلهم صادقين فى قولهم ملتزمين للصدق فى أقوالهم وعهودهم كما قال الله تعالى رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه فعلى الاول اللام غير زائدة وعلى الثانى مزيدة للتقوى وتحقيقه ان هذا الاسم سمى الله به نفسه فى القرآن والاحاديث الصحيحة وأجمعت عليه الامة وهو من آمن يؤمن ايمانا فهو مؤمن أى مصدق فانه كذلك فى لغة العرب واستعمالهم وعلى هذا قيل معناه مصدق مؤمن عباده أو الذى لايخاف ظلما وقيل معناه الذى يأمن أولياء عذابه قال الشاعر

والمؤمن العائذات الطير تمسحها * ركبان مكة بين الغيل والسند

وقال الحاكم معناه انه اذا وعد صدق وعده وقال الخطابى بعد مافسره بالمصدق اه يحتمل وجوها أحدها انه يصدق عباده وعده ويفى بما ضمنه لهم من رزق الدنيا وثواب الآخرة والآخر انه يصدق ظنون عباده المؤمنين ولايخيب آمالهم كقوله أنا عند ظن عبدى بى (وقيل الموحد نفسه) بقوله تعالى شهد الله انه لااله الاهو وقوله تعالى اننى أنا الله لااله الا أنا فصدق مانطقت به الكائنات وحكته البراهين من توحيده فى ألوهيته وهذا كله على انه من الايمان بمعنى التصديق وقوله (وقيل المؤمن عباده) كلهم مؤمنهم وكافرهم (فى الدنيا من ظلمه) لتنزهه عنه وماربك بظلام للعبيد (والمؤمنين فى الآخرة من عذابه) معطوف على قوله عباده مفعول مؤمن بوزن منصف بمعنى معطى الامان فعلى هذا هو من الامن ضد الخوف فهو من صفات الافعال وعلى الاول صفة ذاتية لانه راجع للكلام ثم بعد مابين معنى المؤمن شرع فى بيان معنى المهيمن على انه بمعناه فقال (وقيل المهيمن بمعنى الامين) فوزنه مفيعل وهمزته مبدلة فيه هاء وأصله مؤيمن وميمه الاولى مضمومة زائدة ومعناه الامين كما ذكر وفى بعض النسخ بمعنى الامن وهو من طغيان القلم الا ان يراد معنى مادته المأخوذ منها وهو من أسمائه الواردة فى القرآن والحديث وأجمعت عليه الامة وورد اطلاقه على غيره تعالى كما سيأتى فى بيت العباس وأطلق على أبى بكر أيضا رضى الله عنه فى قول الشاعر

ألا ان خير الناس بعد نبيه * مهيمنه التالى على العرف والنكر

ولم ينكره وقال ابن الحصار لانعلم أحدا سمى به الا انه ليس فى الشرع مايمنعه وقوله (مصغر منه) أى مصغر من الامين وهو قول ابن قتيبة الا انه رد بانه قول مرغوب عنه لان أسماء الله تعالى لايجوز تصغيرها لايهامه التحقير وان جاء للتعظيم فى قوله * دويهية تصفر منها الانامل لانه انما جاء فيما يجوز تصغيره فصغروه تلطفا منهم كما قال وتقدم

ماقلت حبيبى من التحقير * بل يعذب اسم الشخص بالتصغير

وأما أسماؤه تعالى وأسماء أنبيائه عليهم الصلاة والسلام فلايجوز ذلك فيها قطعا وانما هو اسم فاعل من هيمن فهو مهيمن والياء فيه كياء ضيغم وحيدر وليست للتصغير وقد جاء فى كلامهم ألفاظ على وزنه كمسيطر ومصيطر ومبيطر وهو البيطار ويقال له بيطر أيضا والمدبر بالموحدة من الادبار ومجيمر اسم جبل وهذا البناء من النوادر غير متصرف ولم يرد له فعل فلا يقال هيمن يهيمن هيمنة وحكى الخطابى عن بعض أهل اللغة المهيمنة بمعنى القيام على الشئ والرعاية له وذكره ابن الانبارى فى الزاهر والغرابة اختلفوا فى معناه على أقوال عشرة * الاول انه بمعنى الامين كما ذكره المصنف رحمه الله

عباده) أى وعده عباده كما فى نسخة أى المنجز ماوعدهم فى الدنيا من نعيم العقبى كما جاء فى التنزيل وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده أو بالمعنى الاعم كما فى الحديث صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الاحزاب وحده (والمصدق) أى بذاته (قوله الحق) بنصبه على انه نعت له أى من كلماته الثابتة فى آياته كما قال الله تعالى فو رب السماء والارض انه الحق (والمصدق لعباده المؤمنين) كما أشار فى التنزيل رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه (ورسله) حيث قال فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله (وقيل الموحد نفسه) أى بقوله شهد الله انه لااله الاهو وقوله سبحانه اننى أنا الله لااله الا أنا فهو مؤمن بتصديقه لنفسه (وقيل المؤمن) بتخفيف الميم بعد الهمزة الساكنة وفى نسخة بتشديدها بعد الهمزة المفتوحة وهو ممالاحاجة اليه أى معطى الامن والامان (عباده فى الدنيا من ظلمه) أى لتنزهه عن وقوعه وفى نسخة من غضبه وهى فى غير محلها العموم عباده كما يدل عليه عطف خواصهم عليه بقوله (والمؤمنين فى الآخرة من عذابه) أى من عذابه المخلد أو من تعذيبه فان مايقع لبعض المجرمين فهو من باب تهذيبه أو أراد بالمؤمنين الكاملين (وقيل المهيمن بمعنى الامين) مفيعل من الامانة (مصغر منه) أى من الامين بزيادة ميمه الاولى فصار مؤيمن كذا ذكره الدلجى وهو غير متجه فى العربية بل الصواب انه مصغر على ماقيل من المؤمن على ان أصله مؤيمن

(فقلبت الهمزة هاء) اذ كثيرا ما يتعاقبان قلبا كما قيل اراق وهراق وايهات وهيهات واياك وهياك وقد قدمنا ما يتعلق به من التحقيق والله ولي التوفيق (وقد قيل ان قولهم) أي قول المؤمنين (في الدعاء) أي في عقبه (آمين) أي بالمد والقصر (اسم) وفي نسخة انه أي آمين اسم (من أسماء الله تعالى) والظاهر انه بكسر همزة وانه بجملته ساد مسد خبر ان الاول فتأمل وقال الانطاكي انه بفتح الهمزة وهو للتعليل أي لانه اسم من أسماء الله تعالى كما روي ذلك عن مجاهد قال الانطاكي فمعناه يا آمين استجب انتهى ولا يخفى ان هذا تركيب في المعنى بين اقولين في المبنى قال النووي في التهذيب وهذا لا يصح لانه ليس في أسماء الله تعالى اسم مبني ولا غير معرب مع ان اسم الله تعالى لا يثبت لا قرآنا أو سنة متواترة وقد عدم الطريقان ذكره الحلبي ثم قال وقوله أو سنة متواترة كذلك آحادا وقد ذكر هو عن امام الحرمين انه يثبت اطلاقه عليه بالآحاد ذكره في قوله ان الله جميل يحب الجمال انتهى ولا يخفى ان ورود آمين ثبت آحادا بل كاد ان يثبت متواترا باعتبار جمع معنى ما ورد افرادا الا ان المراد به اسمه سبحانه في محل الاحتمال والله تعالى أعلم بالحال نعم قد ورد في الحديث آمين خاتم رب العالمين على لسان عباده المؤمنين كما رواه ابن عدي والطبراني في الدعاء عن أبي هريرة لكن المشهور في معناه استجب وهو اسم مبني على الفتح يمد ويقصر والمد أكثر وورد في حديث قال بلال لرسول الله لا تسبقني بآمين أي بعد قراءة الفاتحة في الصلاة ولعل الكلام وقع مقلوبا والمعنى قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في التأمين لبلال لا تسبقني بآمين هذا وفي القاموس آمين بالمد والقصر وقد يشدد الممدود ويمال أيضا عن الواحدي في البسيط اسم من أسماء الله تعالى أو معناه اللهم استجب أو كذلك مثله فليكن أو كذلك فافعل انتهى فتأمل (ومعناه معنى المؤمن) ولعله مأخوذ من الامين مقصورا بمعنى المؤمن كما ان البديع بمعنى المبدع ويكون المدة تولدا من اشباع الحركة (وقيل المهيمن بمعنى الشاهد) فهو مغاير للمؤمن من جهة المعنى على ما قدمناه من تحقيق المعنى اذ معنى الشاهد العالم الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة أو الذي يشهد على كل نفس بما كسبت من خير أو شر (والحافظ) أي وبمعنى الحافظ والواو بمعنى أو أي الحافظ لعباده أحوالهم والمحصي عليهم أفعالهم وأقوالهم (والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم أمين) أي مأمون بمعنى معصوم ومصون أو صاحب الامانة وطالب الديانة (ومهيمن) أي بمعنى عالم وشاهد ورقيب وقريب (ومؤمن) أي مصدق أو معطي الامن (وقد سماه) أي الله (أمينا) أي عند بعض المفسرين (فقال مطاع ثم أمين) وقيل المراد به جبريل الامين (وكان عليه الصلاة والسلام) أي فيما بين أهل الجاهلية (يعرف بالامين وشهر به قبل النبوة وبعدها) أي لكمال امانته ووضوح ديانته وحفظ الله سبحانه اياه عن خيانته

*والفضل

(فقلبت الهمزة هاء) لانها أخف منها كما قالوا في اراق هراق وفي انك هنك وقول المصنف انه مصغر منه أي من مادته ونوعه والا فهو من الامن مصغر مؤمن ويجوز ان يعود ضمير منه الى مؤمن فليس مراده انه تصغير أمين كما توهمه عبارته الا انه لظهوره لم يوضح عبارته فلا يرد عليه ما قيل انه سهو منه لان تصغير أمين أمين بضم أوله وتشديد يائه وجعله شاذا لا داعي اليه وأسماء الله لا تصغر فياؤه زائدة للتكثير ثم ذكر اسما آخر من هذه المادة فقال (وقد قيل ان قولهم في الدعاء آمين) بالمد وقد يقصر اسم فعل كصه ومه قال الحسن معناه استجب أو افعل أو لا تخيب وأمن اذا قال آمين وقائله مجاهد (انه اسم من أسماء الله تعالى) بدل من قوله ان قولهم قيل أصله على هذا أمن بالقصر مبني على الفتح وادخلت عليه همزة النداء وأبدلت الثانية ألفا ورده ابن قرقول بانه ليس في أسماء الله اسم مبني وقال الراغب عن أبي علي ان القائل بذلك أراد انه فيه ضمير الله لان معناه استجب وقيل انه عبراني وقيل سرياني وقيل لا يعلم أصله (ومعناه معنى المؤمن) اذا كان اسم الله ولذا قيل ينبغي تقديمه على هذا والكلام عليه مفصل في التفاسير * والقول الثاني في المهيمن ما أشار اليه بقوله (وقيل المهيمن بمعنى الشاهد) أي الحاكم أو الذي يشهد على كل نفس بما كسبت وقريب منه الثالث وهو الشهيد (و) الرابع (الحافظ) للموجودات عن العدم حتى يريد غيره أو المحصي لاقوالهم وأفعالهم * والخامس انه بمعنى العلي المتعالي * والسادس الشريف وهو قريب مما قبله * والسابع المصدق * والثامن الوالي قاله عكرمة * والتاسع القاضي قاله ابن الزبير * والعاشر الرقيب وفيه كلام في شرح الاسماء الحسنى للقرطبي ثم شرع في ذكر تسمية النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك فقال (والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم أمين ومهيمن ومؤمن) أي يسمى بهذه الاسماء الثلاثة التي سمى الله بها وان لم تتحد معانيها من كل الوجوه بشهادة حديث اني لامين في الارض وأمين في السماء وكانت قريش تسميه صلى الله تعالى عليه وسلم قبل البعثة محمد الامين كما مر وأشار اليه بعد وسيأتي ذكر المهيمن (وقد سماه الله تعالى أمينا فقال مطاع ثم أمين) ان لم نقل المراد به جبريل عليه الصلاة والسلام كما تقدم أي مطاع أمره وأمين على وحيه وأسراره (وكان يعرف بالامين وشهر به قبل النبوة وبعدها) بين أهل مكة وطوائف العرب

(وسماه العباس) أي في شعره كما في نسخة (مهيمنا في قوله) أي من أبيات أنشاها في مدحه عليه الصلاة والسلام (ثم احتوى بيتك المهيمن من * خندف علياء تحتها النطق) وقدم بيانه مبنى ومعنى فالمهيمن مرفوع على انه فاعل احتوى وهو المناسب للمرام في هذا المقام (وقيل المراد يا أيها المهيمن) فيكون المراد به الله تعالى (قاله القتيبي) بالتصغير وفي نسخة بدون التحتية وفي أخرى بالعين بدل القاف والظاهر الاول فانه الامام أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة وقد صرح به التلمساني بانه منسوب الى قتيبة بالتصغير لكن ذكر الانطاكي عن الاصمعي أن الاقتاب هي الامعاء واحدتها اقتبة وتصغيرها قتيبة وبها سمي الرجل والنسبة اليها قتبي كما تقول جهني في جهينة حكاه عن الجوهري وغيره ثم هو عن الدينوري بكسر الدال وفتح النون وقيل المروزي النحوي

* والفضل ما شهدت به الاعداء * وهذا مؤيد لما قبله لان شهرته بذلك بتقدير الله تعالى واظهاره فلا يرد عليه انه بصدد تسمية الله تعالى له صلى الله تعالى عليه وسلم لا الناس حتى يقال انه لما أقره ورضي به دل على انه باذن الله تعالى وسمي بالمأمون أيضا كما في قول كعب حين كتب لاخيه بجير في حال جهالته

سقاك بها المأمون كأسا روية * فانهلك المأمون منها وعلكا

فلما سمعها صلى الله تعالى عليه وسلم قال مأمون ان شاء الله ان لم نقل المراد به أبو بكر رضي الله تعالى عنه ثم بين تسميته صلى الله تعالى عليه وسلم بالمهيمن بقوله (وسماه العباس) ابن عبد المطلب عمه عليه الصلاة والسلام (في شعره مهيمنا في قوله) في الشعر الذي قدمناه مع شرحه (ثم احتوى بيتك المهيمن من * خندف علياء تحتها النطق) وتقدم شرحه فانظره (وقيل المراد يا أيها المهيمن) ولولا هذا لم يكن اسما ومرضه المصنف رحمه الله تعالى وتبرأ منه بعزوه لقائله بقوله (قاله القتبي) عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري البغدادي الامام المشهور نسبة لقتيبة جده توفي سنة ست وسبعين ومائتين وتآليفه كثيرة (والامام أبو القاسم القشيري) عبد الكريم بن هوازن منسوب لقشير قبيلته وانما مرضه لانه تكلف ضعيف لان المعرف بأل لا ينادى وتقدير أيها مع تقدير حرف النداء لا يرتضيه نحوي وأثقل من هذا ما قيل ان البيت هنا بمعنى العز والشرف كما في قوله

ان الذي سمك السماء بنى لنا * بيتا دعائمه أعز وأطول

واذا أعزه وشرفه بالمهيمن كان صفة له على أبلغ وجه لان صفة الصفة صفة ومثل هذه الدقة لا يتحملها الكلام فانه زهرة لا تحتمل الفرك (وقال تعالى) في وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم بانه مؤمن أي مصدق (يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين أي يصدق) لعلمه بخلوصهم واللام لتضمنه معنى يذعن ويسلم أو مزيدة والآية نزلت في حقه صلى الله تعالى عليه وسلم لما قالوا في حقه أمرا منكرا وقالوا اذا بلغه ذلك نحلف ونعتذر فانه اذن أي يصدق بكل ما يسمعه فقال تعالى قل هو اذن خير لكم يؤمن الخ (وقال صلى الله تعالى عليه وسلم أنا أمنة لاصحابي) هذا طرف من حديث النجوم أمنة في السماء فاذا ذهبت أتى السماء ما توعد وأنا أمنة لاصحابي فاذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون وأصحابي أمنة لامتي فاذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون يعني ان النجوم اذا رفعت قرب وقت فنائها وانشقاقها ولذا كثر سقوطها عند بعثته صلى الله تعالى عليه وسلم اشارة الى قرب الساعة فهو صلى الله تعالى عليه وسلم أمان لاصحابه رضي الله تعالى عنهم من وقوع بأسهم بينهم ووقوع الفتن فاذا توفاه الله ابتدأ وقوع ذلك كقصة عثمان وعلي والحسين وأصحابه صلى الله تعالى عليه وسلم أمان للناس من ظهور الفساد في البر والبحر

صاحب كتاب المعارف وأدب الكاتب كان فاضلا سكن بغداد وحدث بها عن اسحق ابن راهويه وأبي حاتم السجستاني وتلك الطبقة وله تصانيف كثيرة مفيدة منها غريب القرآن وغريب الحديث ومشكل القرآن ومشكل الحديث ومنها التاريخ وطبقات الشعراء وغير ذلك توفي سنة ست وسبعين ومائتين على ما صححه ابن خلكان (والامام أبو القاسم القشيري) هو عبد الكريم ابن هوازن النيسابوري صاحب الرسالة وولي الله توفي سنة خمس وستين وأربعمائة (وقال تعالى) أي في حق نبيه (يؤمن بالله) أي يصدق بوجوده لما شاهد عنده من كرمه وجوده (ويؤمن للمؤمنين) أي يصدقهم بعلمه بخلوصهم واللام مزيدة للفرق بين ايمان الشهود والتصديق وايمان الامان بوجود التحقيق فقوله (أي يصدق) تفسير لمطلق الايمان وقيل عدي بالباء واللام لانه قصد التصديق بالله الذي هو نقيض الكفر به وقصد السماع من المؤمنين وان يسلم لهم ما يقولون ويصدقهم لكونهم صادقين عنده ونحوه قوله تعالى وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين وقالوا أنؤمن لك واتبعك الارذلون (وقال) أي كما في حديث مسلم على ما مر مبنى ومعنى (أنا أمنة) بفتحتين (لاصحابي) أي ذو أمن أو هو من باب رجل عدل (فهذا بمعنى المؤمن) أي معطي الامن والامان لاهل الايمان اذا كانت الصحابة في ظل حرم كنفه آمنين وأما قول الدلجي جمع آمين كبررة جمع بر فهو غير موافق أصلا لانه غير مطابق وزنا ومحلا

(ومن أسمائه تعالى القدوس) بضم القاف ويفتح صيغة مبالغة من القدس وهو الطهارة والنزاهة ولذا قال (ومعناه المنزه عن النقائص) أى أزلا (المطهر من سمات الحدوث) بكسر السين جمع سمة وهى العلامة أى من صفات الحدوث أبدا وقد يقال فى معناه المبرأ من ان يدركه حس أو يتخيله وهم أو يحيط به عقل أو يتصوره فهم لما قيل ماخطر ببالك فالله وراء ذلك (وسمى بيت المقدس) أى على ماورد وهو بفتح الدال المشددة وضم الميم وقيل بفتح الميم وكسر الدال مخففا والظاهر ان بيت مرفوع على نيابة الفاعل والمفعول الثانى مقدر وترك لظهوره وثقل تكرره أى سمى بيت المقدس ببيت المقدس وجزم الانطاكى بان بيت بالنصب على انه المفعول الثانى لسمى والمفعول الاول القائم مقام الفاعل مستكن فيه أى وسمى بيت المقدس بيت المقدس انتهى ولا يخفى ان تقديرنا أولى لان المفعول الثانى بالحذف أحرى لكونه فضلة والمفعول الاول بالثبات أنسب لكونه كالعمدة (لانه يتطهر) بصيغة المجهول أى يتنظف (فيه من الذنوب) بناء على انه يعبد فيه علام الغيوب (ومنه الوادى المقدس) أى كما جاء فى القرآن وهو بمعنى المطهر أو المبارك وهو الاظهر (وروح القدس) أى ومنه روح القدس بضم الدال وسكونها فى قوله تعالى وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس بضم الدال وسكونها أى قويناه بجبريل (ووقع فى كتب الانبياء) أى الكرام والمعنى فى جميعها أو بعضها (فى أسمائه عليه الصلاة والسلام) أى فى بيان نعوته وصفاته (المقدس) أى وقع المقدس فى جملة أسمائه وسماته (أى المطهر من الذنوب) يعنى والمبرأ من العيوب (كما قال تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر) أى على فرض وقوع ذلك فتدبر (أو الذى يتطهر به من الذنوب ويتنزه باتباعه عنها) أى عن العيوب

فاذا ذهبوا بدا أظهر ذلك وأمنة بفتح الهمزة وضمها مصدر بمعنى الامان أو بزنة المبالغة كرجل عدل فيقع على الواحد وغيره قال الراغب يقال رجل أمنة وآمنة يثق بكل أحد وأمين ويؤمن به انتهى ونحوه فى الاساس وكونه جمع أمين وهو الحافظ خلاف الظاهر للاخبار به عن الواحد وانما ذكره المصنف رحمه الله تعالى تأييدا لما قبله لانه خارج عما هو بصدده من ذكر تسميته صلى الله تعالى عليه وسلم بأسماء الله اذ ليس من هذا القبيل (ومن أسمائه تعالى) التى أطلقت عليه صلى الله تعالى عليه وسلم (القدوس) مبالغة من القدس وهو الطهارة والنزاهة باتفاق أهل اللغة وهو بضم القاف فى الاشهر وان كان الاقيس فتحها وهو لغة فيه وقرئ بها وكل اسم على فعول مفتوح الاول كتنور وسمور الا السبوح والقدوس ومنه القدس بفتحتين للسطل والعامة تقول له قادوس وظاهر كلام القرطبى فى شرح الاسماء الحسنى انه سمع والمشهور خلافه (ومعناه المنزه عن النقائص المطهر عن سمات الحدوث) أى علاماته وآثاره فلا يتصف بشئ منها (وسمى بيت المقدس به) أى من هذه المادة بالمعنى المذكور وبيت المقدس مخفف بزنة مرجع اسم مكان أو مصدر ميمى من القدس وهو الطهر وجاء فيه ضم الميم وفتح القاف والدال المشددة من التقديس وهو التطهير وجاء بكسر الدال المشددة اسم فاعل ويقال له البيت المقدس بالتوصيف والاشهر الاضافة قاله الكرمانى وقد تقدم (لانه يتطهر فيه من الذنوب) بزيارته والعبادة فيه وروى النسائى باسناد صحيح عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام لما بنى بيت المقدس سأل الله تعالى خلالا ثلاثا حكما يصادف حكمه وملكا لا ينبغى لاحد من بعده وان لا يأتى بيت المقدس أحد لا ينهزه الا الصلاة فيه يخرجه من خطيئته كيوم ولدته أمه فأعطى جميع ذلك انتهى ولذا تشد اليه المطى كما تشد الى الكعبة ومسجد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (ومنه الوادى المقدس) المسمى طوى وهو واد بالشام كلم الله فيه موسى عليه الصلاة والسلام سمى به لان الله تعالى قدسه وشرفه بظهور كلامه فيه وهو من الارض المقدسة أيضا فهو مطهر مبارك وقد فسر المقدس بالمبارك أيضا (و) منه (روح القدس) بضمتين وضم فسكون كما مر وهو جبريل عليه الصلاة والسلام قال الله تعالى قل نزله روح القدس انزوله بما يطهر النفوس من القرآن والحكمة والفيض الالهى وهذا هو الاصح وفيه وجوه أخر (ووقع فى) بعض (كتب الانبياء) المنزلة من عند الله تعالى عليهم (فى أسمائه عليه الصلاة والسلام المقدس) هذا هو الصحيح وما فى بعض النسخ من انه القدوس من غلط الناسخ فانه لا يجوز ان يقال فى حق مخلوق القدوس مطلقا (أى المطهر من الذنوب) لعصمة الله تعالى له صلى الله تعالى عليه وسلم من التدنس بها ومغفرتها لو فرض وقوع شئ منها يسمى ذنبا بالنسبة له صلى الله تعالى عليه وسلم (كما قال الله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر) وقيل المراد ما تقدم من ذنوب أمتك وما تأخر منها كما سيأتى بيانه وخوطب لانه سبب المغفرة (أو الذى يتطهر به من الذنوب ويتنزه) ببناء المجهول فيهما والتنزه البعد ولذا أخره لاشعار التطهير بالوقوع وقوله (باتباعه عنها) متعلق بيتنزه والباء سببية لان من اتبعه صلى الله تعالى عليه وسلم واتبع

(كما قال تعالى ويزكيهم) أي يطهرهم مما لا يليق بهم صدوره عنهم (وقال ويخرجهم من الظلمات الى النور) أي من ظلمات أنواع الكفر الى نور وحدة الايمان والشكر أو من ظلمات الشبهة في الدين بما يهديهم الله به ويضيء لهم نور اليقين ولا يخفى بعد هذا المعنى من هذا المبنى فان صيغة المفعول بمعنى الآلة للدلالة غير معقول ولا منقول وعلى تقدير انه منقول فيلزم منه ان يكون هذا النعت لاتباعه أكثر قبول (أو يكون) أي النبي عليه الصلاة والسلام (مقدسا بمعنى مطهرا من الاخلاق الذميمة) بالذال المعجمة أي الردية (والاوصاف الدنيّة) بتشديد الياء التحتية وأصله الهمز في الدناءة بمعنى الرداءة كما في نسخة وهذا المعنى يقارب ما سبق من قوله المطهر من الذنوب لان المراد به الطهارة من ذنوب الظواهر وعيوب السرائر (ومن أسمائه تعالى العزيز) من عز يعز بالكسر (ومعناه الممتنع) أي بذاته (الغالب) باعتبار صفاته (أو الذي لا نظير له) من قوله فلان عزيز الوجود في نظر أرباب الشهود وهو معنى البديع المنيع (أو المعز لغيره) فهو فعيل بمعنى مفعل كبديع بمعنى مبدع على قول وقد يقال معناه القوي عن عز يعز بالفتح ومنه قوله تعالى فعززنا بثالث أي قوينا (وقال تعالى ولله العزة) أي القوة والغلبة والمنعة (ولرسوله أي الامتناع) يعني بظهور السلطان (وجلالة القدر) أي بارتفاع الشأن له سبحانه وتعالى ولمن أعزه كرسوله فعزته بربه في الآية وكذا قوله تعالى وللمؤمنين لان عزتهم بربهم أولا وبنبيهم آخرا هذا وذكر الحلبي انه قال المعلق أراد به الشيخ تاج الدين عبد الباقي اليمني في الاكتفاء في شرح الشفاء منه ولقائل ان يقول يجوز ان يكون هذا الوصف أيضا للمؤمنين لشمول العطف اياهم فلا اختصاص للنبي والغرض اختصاصه وعجيب من القاضي كيف خفي عليه مثل هذا الشان انتهى ولا يخفى ان قوله والغرض اختصاصه يحتاج الى البيان فانه غير ظاهر في معرض البرهان فان أكثر الاوصاف المتقدمة انما هي واقعة بالصفة المجتمعة ومنها المؤمن حيث أطلق عليه سبحانه وعلى رسوله وعلى كل فرد من أفراد اتباعه على انه لا يلزم من وصف الشيء بالشيء اختصاصه به ولا نفيه عن غيره ثم كان الاحسن ان يستدل بقوله تعالى لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز على ان ما بعده وهو قوله عليه ما عنتم كلام منقطع عما قبله وصفة أخرى له

شرعه المطهر لا يرتكب الذنوب وان ارتكبها غفرت ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم (كما قال) الله تعالى هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته (ويزكيهم) يطهرهم من الشرك وخبائث الجاهلية ويعلمهم ما يكفهم عن الآثام (وقال ويخرجهم من الظلمات الى النور) أي من الكفر والمعاصي الى الايمان وتقوى الله وطاعته بارشادهم وتوفيق الله لهم ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم ففيه استعارة تصريحية (أو يكون مقدسا) الموصوف به النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (بمعنى مطهرا من الاخلاق الذميمة) بالمعجمة أي المذمومة (والاوصاف الدنية) الحقيرة التي لا تليق بجنابه صلى الله تعالى عليه وسلم وفي الشرح الجديد هنا ما تركه خير منه (ومن أسمائه تعالى العزيز ومعناه الممتنع) الذي لا ينال ولا يدرك والعرب تقول حصن عزيز اذا كان لا يوصل اليه قال الهذلي في العقاب

حتى انتهيت الى فراش عزيزة * سوداء روثة أنفها كالمخصف

كذا قاله القرطبي نقلا في شرح الاسماء الحسنى وهذه صفة ذاتية وقوله (الغالب) القاهر من صفات الافعال فكان ينبغي له ان يقول أو الغالب لانه معنى آخر صرح به في شرح أسماء الله والجمع بينهما على انه مركب من نعت حقيقي ونعت تنزيهي كما قيل خلط وخبط يعرفه من نظر شرح القرطبي لاسماء الله الحسنى ثم ان اطلاق الغالب على الله لم يأت في عداد الاسماء وورد في قوله والله غالب على أمره أي الفعال في مخلوقاته ما يريده أحبوا أو كرهوا وفي التنزيل كتب الله لاغلبن انا ورسلي وقال الحاكم الغالب والطالب جرت عادتهم باستعمالهما في اليمين أي الممتنع أي الممهل فانه يمهل ولا يهمل وهو على الامهال بالغ مرة انما نملي لهم ليزدادوا اثما (أو الذي لا نظير له) هذا معنى آخر قال الخطابي العزة تكون بمعنى نفاسة القدر يقال منه عز يعز بكسر العين فيتناول معنى العزيز على هذا انه لا يعادله شيء وانه لا مثل له انتهى وبما سمعته من تفسير العزيز ظهر ان ما قيل انه انحصر في فرد كالشمس والقمر داخل فيه فيحتاج لزيادة قيود أخر ليس بشيء (أو المعز لغيره) فهو فعيل بمعنى مفعل وهو عزيز في العربية ولذا أخره المصنف يعني به انه لا عزيز الا من أعزه فالعزة له وبيده لا بيد غيره ولذا صح الاستشهاد له بقوله (وقال الله تعالى ولله العزة ولرسوله) صلى الله تعالى عليه وسلم والآية نزلت في حق المنافق أبي بن سلول حيث قال ليخرجن الاعز منها الاذل يعني بالاعز نفسه وبالاذل المسلمين فرده الله عليه على طريق القول بالموجب ثم نفاها عنه بتقديم الخبر هنا فلا يتوهم ان انحصار العزة في الله لا يقتضي انه معز بل معزز بالفتح وقد جوز في الاسم الشريف ان يكون المعزز المعظم وقد يقال يكفي في كونه معزا اثبات العزة للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم والمؤمنين وانه محل الاستشهاد (أي الامتناع وجلالة القدر) معطوف على ما قبله

(وقد وصف الله تعالى نفسه بالبشارة) يعني بطريق الاشارة لا على سبيل العبارة حيث أثبت له هذا الفعل وان لم يذكره بطريق الوصف (والنذارة) بكسر النون ولعل الانذار يؤخذ من قوله تعالى تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا على ان ضمير يكون راجع الى الموصول على تجويز عوده الى الفرقان والى عبده المعنى به رسوله (فقال) أى عز وعلا (يبشرهم) بالتشديد والتخفيف (ربهم برحمة منه) للعامة (ورضوان) للخاصة (وقال تعالى ان الله يبشرك بيحيى) أى فى موضع (و) فى محل آخر يبشرك (بكلمة منه) أى اسمه المسيح عيسى (وسماه الله تعالى) أى محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم

لانه بمعنى العزة عدم النظير وتقديره وبزيادة المصنف المذكر اندفع ما تقدم أيضا وقال الغزالى العزيز من العباد من يحتاج اليه فى المهم وهو الحياة الاخروية وهو مما يعز وجوده وهو مرتبة الانبياء والخلفاء وورثتهم من العلماء المرشدين وذوى العدالة من الحكام ثم ذكر اسما للرسول ووصفه بها الله لا على طريق الاسمية فقال (وقد وصف الله تعالى نفسه بالبشارة والنذارة) الاول بكسر أوله والثانى بفتحه والبشارة الخبر السار سمى به لانه يؤثر فى بشرة الوجه ولذا لو قال لعبيده من بشرنى بقدوم زيد فهو حر فبشروه على ترتيب عتق الاول ولو قال من أخبرنى عتق الجميع كما مر والنذارة الاعلام بما فيه وعظ وتخويف وقوله فبشرهم بعذاب أليم تهكم كما مر (فقال يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وقال ان الله يبشرك بيحيى وبكلمة منه) اسمه المسيح عيسى بن مريم ومن يكتفى بوجود المادة يجوز ان يسمى الله مبشرا ومنذرا ومثله يكفى فى كونه توقيفيا والاشعرى رحمه الله تعالى يقول لابد من وروده بعينه (وسماه الله تعالى مبشرا ونذيرا وبشيرا أى مبشرا لاهل طاعته) بما يسرهم فى الدنيا والآخرة (ونذيرا لاهل معصيته) بما يسوءهم من العقاب ونحوه (ومن أسمائه تعالى فيما ذكره بعض المفسرين طه ويس وقد ذكر بعضهم انهما من أسماء محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) وشرف وكرم وتقدم الكلام عليه مفصلا فلا حاجة لاعادته * (تنبيه) * فى فتاوى السبكى رحمه الله تعالى فى قوله تعالى فى سورة الاسراء انه هو السميع البصير ان الضمير فى قوله انه يعود على الله تعالى وقد ورد فى أربعة مواضع من القرآن وقال بعضهم ان الضمير هنا يعود على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فيكون هذان الاسمان من أسمائه صلى الله تعالى عليه وسلم ومعنى وصفه بهما انه الكامل فى السمع والبصر اللذين يدرك بهما الآيات التى يريه اياها وهو نذير والانذار بالعقل وأعظم الحواس الموصلة الى العقل السمع والبصر فعلى هذا وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك لانه لا أحد أكمل منه فى الانذار والاستدلال انتهى * أقول يعنى ان وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم بهما هنا على هذا وقع بطريق الحصر المستفاد من تعريف الطرفين وسيق للمدح وهو أمر عام فقسره بما يخصصه به وبصيره مدحا ولا حاجة لهذا مع بعده فانه قد تبين توجيه أظهر منه وهو السميع لكلام الله تعالى من غير واسطة والناظر الى نور جماله وجلاله بعين بصره وهذا مما اختص به صلى الله عليه وسلم

* (فصل قال القاضى أبو الفضل) * عياض المؤلف (رضى الله تعالى عنه وههنا نكتة) وفى نسخة وها أناذا كر نكتة وها حرف تنبيه والاكثر وقوع اسم الاشارة خبرا عن المبتدأ الواقع بعدها نحو ها أناذا أقول وقد لا يؤتى به كما صرحوا به فمن ظنه لازما واعترض على المصنف رحمه الله تعالى لم يصب والنكتة بضم أولها وفتح المثناة الفوقية هى الامر الدقيق المحتاج الى فكر وتأمل سميت به لان صاحبها كثيرا ما

(مبشرا ونذيرا) أى فى قوله تعالى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وزيد فى نسخة وبشيرا أى وسماه بشيرا فى قوله سبحانه وتعالى وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا وهو فعيل بمعنى مفعل كالنذير (أى مبشرا لاهل طاعته) يعنى بدار الثواب (ونذيرا) أى ومنذرا ومخوفا (لاهل معصيته) يعنى دار العقاب (ومن أسمائه تعالى فيما ذكره بعض المفسرين طه ويس) ولعل ايماء فى الطاء الى طاهر وفى الهاء الى الهادى وفى الياء الى يد الله مبسوطة وفى السين الى انه سيد وسميع (وقد ذكر بعضهم أيضا) أى من المفسرين (انهما من أسماء محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) وفى نسخة وشرف وكرم فهو طاهر وهاد كما تقدم وقد

سبق ان يس معناه يا سيد كما يدل عليه قوله سبحانه آل يس على ما ذكره بعض المفسرين وقد قال بعض العلماء المعتبرين ان طه أيضا منادى بحذف حرف النداء وان المعنى يا مشبها بالقمر ليلة البدر فان الطاء والهاء أربعة عشر على حساب أبجد الجمل فتأمل وأغرب الدلجى فى قوله ان هذا قيل بلا بينة ولا دليل يعتمد والله تعالى أعلم بمراده بهما انتهى ولا يخفى ان المراد خفى فى المقطعات وسائر المتشابهات وانما ذكر ما ذكرنا على الاحتمالات الناشئة من العبارات أو المنبئة على الاشارات يبحث

* (فصل قال القاضى أبو الفضل) أى المصنف (وفقه الله تعالى) لما يحبه ويرضاه (وههنا) أى فى هذا المقام (أذكر نكتة) أى

جملة مفيدة (اذيل بهاهذا الفصل) بتشديد التحتية المكسورة أى أجعل له ذيلا لتمام المرام فى مقام الفضل ووقع فى أصل الدلجى وغيره وهاأنا على ان ها حرف تنبيه بعده مبتدأ أوخبر نبه به عن حاله فى ذكره بعد فكره وكذا ذكره الحجازى وقال وروى أذكر (وأختم بهاهذا القسم) أى من بين أقسام بيان الفضل بالفصل بين الفرع والاصل (وأزيح الاشكال بها) بضم الهمزة وكسر الزاى أى وازيل بها الاغلاق الواقع (فيما تقدم) أى من متشابه الحديث وغيره (عن كل ضعيف الوهم) بسكون الهاء ويحرك (سقيم الفهم) أى حذرا من وقوعه فيما يرويه (تخلصه) أى تلك النكتة تنجيه (من مهاوى التشبيه) بفتح الميم وكسر الواو جمع مهواة وهى الحفرة العميقة المهلكة أى مهالكه فى مباديه وتناهيه ويروى وساوس جمع وسوسة وهى حديث النفس والشيطان (وتزحزحه عن شبه التمويه) بضم الشين وفتح الموحدة أى وتبعده عن الشبهات المموهة الخالية عن التنزيه لان الطريق القويم والدين المستقيم هو اعتقاد التنزيه المتوسطة بين التعطيل والتشبيه (وهو) قال الدلجى أى ضعيف الوهم وهو وهم والصواب أى ذلك الاشكال (ان يعتقد) أى ضعيف الخيال (ان الله جل اسمه) أى وصفه ورسمه (فى عظمته) أى أى فى ذاته (وكبريائه) أى فى صفاته (وملكوته) أى فى أرضه وسمواته (وحسنى أسمائه) اى وأسمائه الحسنى (وعلى صفاته) بضم العين وفتح اللام مقصورا ومعناه الرفيعة أى وصفاته العلى وضبط فى نسخة صحيحة بفتح العين وكسر اللام وتشديد الياء مجرورا ومعناه الرفيع أى وصفاته العلية ونعوته السنية (لاتشبه) أى الله سبحانه (شيئا من مخلوقاته ولا يشبه به) بصيغة المجهول أى ولا يمثل به شئ من مكنوناته لكمال ذاته وجلال صفاته

يبحث فى الارض بقضيب ونحوه وهو بمعنى النكت لغة (أذيل بهاهذا الفصل) أى أختمه بها وأطوله فيكون كذيل الثوب الذى يطول به وفى حديث مصعب بن عمير رضى الله تعالى عنه انه كان فى الجاهلية متردفا يدهن بالعنبر ويذيل يمنة ليمن أى يطيل ذيلها واليمنة بردمن برود اليمن ففيه استعارة تصريحية تبعية واليه أشار بقوله (واختم به هذا القسم) الذى فيه ذكره الاسماء (وأزيح الاشكال بها فيما تقدم) أى أزيل مايشكل على سامعه (عن كل ضعيف الوهم) قيل المراد بالوهم الذهن والادراك لا القوة الواهمة المعارضة للعقل فان ضعفها بقوة العقل المزيل للاوهام والاشكال فقوله (سقيم الفهم) كالتفسير له وسقمه بمعنى قلته فهو استعارة وتعبيره فى الاول بالضعف وفى هذا بالسقم تفنن حسن والوهم بسكون الهاء وفتحها (تخلصه من مهاوى التشبيه) بكسر الواو جمع مهواة وهى كالهاوية الحفرة العميقة التى من يقع فيها يصعب طلوعه ومن اضافة المشبه للمشبه به كلجين الماء أوهى تخييلية ومكنية والمراد بالتشبيه تشبيه الله وصفاته بغيرها لان اطلاق بعض الاسماء على الله وعلى غيره يقتضى ذلك (وتزحزحه) أى تزيله وتبعده قال تعالى ﴿فمن زحزح عن النار﴾ (عن شبه التمويه) أى الشبه بزنة غرر جمع شبهة وهو مايلتبس وأصله مالا يتميز عن غيره لما بينهما من التشابه والتمويه من الماء والمراد به زخرفة الكلام الذى لاحقيقة له وتحسينه حتى يروج على من لاعلم عنده وهو استعارة قال فى الاساس سرج مموه مطلى بالذهب أوالفضة وحديث مموه مزخرف وما أحسن موهة وجهه بهاؤه ورونقه انتهى وانما سمى تمويها لانه يذاب حتى يصير كالماء ويقال موه عليه الخبر أخبره بخلاف ماسأله عنه (وهو) عائد على مايفهم مما تقدم وهو مايزيل الاشكال ويزيح الاوهام والعجب ممن أعاده على ضعيف الوهم وسقيم الفهم (ان يعتقد ان الله جل اسمه) أى عظم وتنزه عن الالحاد فى اسمائه بالتأويلات الباطلة ولقد أصاب قوله هنا جل اسمه محزه وطبق مفصله (فى عظمته وكبريائه) الكبرياء الترفع عن الانقياد والعظمة جلالة ذاته فى نفسها ولظهور الاولى ورد فى الحديث الكبرياء ردائى والعظمة ازارى من نازعنى فى شئ منهما قصمته والفرق بينهما فيه تفصيل ليس هذا محله والجار والمجرور متعلق بما سيأتى من قوله لايشبه الى آخره وقيل انه حال لازمة من ضمير اسمه أى متصفا بهما وبما بعدهما وكنى بالظرفية عن تمكنه فيهما من غير تصور ظرفية واستقرار ففيه استعارة تبعية أوهو ظرف مستقر كأنه لتمكنه وانفراده باعلى مراتبهما فيهما انتهى وفيه تكلف (وملكوته) أى عظم وعز سلطانه وهى كلمة صيغة مبالغة من الملك كالجبروت وقد يقابل بالملك فيراد به عالم الغيب وبالملك عالم الشهادة وكلا المعنيين صحيح هنا (وحسنى اسمائه) أى اسماؤه الحسنى ووصفت بالحسنى لدلالتها على أحسن المعانى وأمدحها فهى صفة كاشفة لامخصصة ومنها مايختص به كالخالق ومايطلق عليه وعلى غيره ولها تقاسيم أخر (وعلى صفاته) بضم العين وفتح اللام مقصور جمع عليا وهى الشريفة الرفيعة وروى على بفتح العين وكسر اللام وتشديد الياء وهما بمعنى (لاتشبه شيئا من مخلوقاته) بالتاء الفوقية أى المذكورات من لفظ العظمة ومابعده وهو خبر ان ومابعده متعلق به أوحال مما قبله وليس معترضا كما قيل (ولا تشبه به) مبنى للمجهول بضم الفوقية مشدد الباء الموحدة ويجوز ضبطهما بالتحتية أى معانى أسمائه وصفاته لاتشابه

غيرها بوجه من الوجوه لقدمها وكونها على أعظم رتبة لايصل اليها غيرها وهو جواب عن سؤال وشبهة نشأت مما تقدم تقديره ان بعض أسمائه تعالى أطلق على نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم وغيره فيلزم مشاركة عبيده له فيها كما قال (وان ماجاء) من اسمائه تعالى (مما أطلقه الشرع) فى القرآن والاحاديث والكتب الالهية (على الخالق وعلى المخلوق) كشكور وحفيظ وغيره مما تقدم واعاد الجار اشارة الى تغايرهما وان اتحد لفظهما (فلا تشابه بينهما فى المعنى الحقيقى) الذى هو مأخذ الاشتقاق من الشكر والحفظ قال العلامة ابن القيم فى كتابه بدائع الفوائد اسماؤه تعالى التى تطلق عليه وعلى غيره كسميع هل هى حقيقة فيه مجاز فى غيره أو مجاز فيه حقيقة فى غيره أو حقيقة فيهما ثلاثة اقوال والاسماء الحسنى منها ماهو علم وصفة والوصف فيها لاينافى العلمية بخلاف العباد فانها مشتركة انتهى وهو كلام مشكل فان منها ماهو حقيقة قطعا كالاله والخالق ومنها ماهو مجاز كالرحيم فان الرحمة رقة القلب وقد صرحوا بانه أطلق عليه باعتبار غايته الا أن يقال بانه حقيقة شرعية فان تغايرها باعتبار الصفات كالقدم والحدوث لايستلزم اشتراكها بل كونها مقولة بالتشكيك فقوله (اذصفات القديم بخلاف صفات المخلوق) لايتم دليلا على مدعاه (فكما ان ذاته لاتشبه الذوات) أى حقيقته ونفسه ومن ذهب الى ان الذات لم ترد بهذا المعنى ينكر دخول أل عليه الا أن الظاهر صحته ويشهد له قولهم الذوين لملوك اليمن وقوله تعالى ذواتا افنان (فكذلك صفاته لاتشبه صفات المخلوقين) وكون ذاته لاتشبه شيئا من الذوات هو الحق الذى ذهب اليه الاشعرى وغيره من المتكلمين خلافا لمن ذهب الى انها تشبه غيرها فى الحقيقة وان امتازت بالوجوب والالوهية وغيرهما وتفصيله فى الكتب الكلامية * واعلم ان فى اطلاق لفظ الذات على الله تعالى شرعا ولغة خلاف فقيل انه غير صحيح لانه مؤنث ذو ودخول أل عليه غير صحيح لغة وقال السهيلى ذهب كثير الى اطلاقها عليه وجواز تعريفها لانها بمعنى النفس والتأنيث غير مراد فيقولون ذات البارى بمعنى حقيقته ويحتجون بما ورد فى الحديث الصحيح ثلاث كذبات فى ذات الله تعالى وقول حبيب رضى الله تعالى عنه

وذلك فى ذات الاله وان يشأ * يبارك على أوصال شلو ممزع

وقد اثبت ذلك البخارى وأحمد فى مسنده وقال ابن القيم وابن قدامة ليست هذه اللفظة كما زعموا فى اللغة والشرع بالاستقراء ولم يرد الا مجرورا بفى والظرفية غير صحيحة فهى صفة لمؤنث مقدر ومعناها طاعة الله وشريعته كما قال النابغة * مجلتهم ذات الاله ودينهم * ومن فسره بغير ذلك فقد وهم فتدبر (اذ صفاتهم لاتنفك عن الاعراض والاغراض) الاول بعين مهملة والثانى بغين معجمة أو العكس ثم راء مهملة وضاد معجمة فيهما فالاول جمع عرض بفتحتين وهو مايقابل الجوهر أى لايقوم بذاته أو بمعنى كالمرض ويكون بمعناه أيضا الان مايعرض للبدن ان استمر فهو مرض عند الاطباء والافعرض ويطلق كل منهما على الآخر والثانى هو الامر الباعث على وجود الفعل وايجاده وهذا تعليل لكون ذات الله تعالى وماتعلق بها لايشبه شيأ من المخلوقات فان الخلق وصفاتهم لاتنفك أى لاتفارق الاعراض والله تعالى منزه عن الاعراض المحسوسة والكيفيات النفسانية لانها تابعة للمزاج المستلزم للتركيب المستلزم للحدوث المنافى لوجوب الوجود الذاتى خلافا للحكماء والكرامية وأفعاله تعالى لاتعلل بالاغراض وان كان لها ثمرات وحكم كثيرة جليلة وهى تسمى غرضا أيضا لكنه ليس محل خلاف وذهب النسفى وبعض المحققين الى جوازه والخلاف فيه لفظى فان الغرض ان كان مايستكمل به الفاعل ويحتاج اليه فهو منفى عنه والا فيجوز اثباته له خلافا للحكماء وليس هذا محل بسط الكلام فيه وفى كلامه تجنيس (وهو تعالى منزه عن ذلك) فلا يحل به عرض ولا يفعل لغرض (بل لم يزل) موجودا أزلا

(وان ماجاء) أى من الاسم والصفة (مما أطلقه الشرع) أى فى الكتاب والسنة (على الخالق) أى تارة (وعلى المخلوق) أى أخرى لما بينهما من الاشتقاق اللغوى (فلا تشابه بينهما فى المعنى الحقيقى) بل اطلاقه على غيره سبحانه وتعالى انما هو بطريق المجازى (اذصفات القديم) أى الازلى الابدى لان ماثبت قدمه استحال عدمه (بخلاف صفات المخلوق) أى المشاهد حدوثه بالدليل العقلى والنقلى (فكما ان ذاته تعالى لاتشبه الذوات) أى وان وقع الاشتراك فى اطلاق الذات (كذلك صفاته) كالعليم والحليم والصبور والشكور والسميع والبصير والحى والمريد والمتكلم والقادر (لاتشبه صفات المخلوقين) أى من جميع الجهات (اذصفاتهم) أى لحدوثها (لاتنفك) أى لاتزول (عن الاعراض) بالعين المهملة (والاغراض) أى عن عروضهما (وهو تعالى منزه عن ذلك) اذلاعرض يعرض هنالك لانه لايعترى ذاته عرض ولاتعلل افعاله بغرض واما مايشبه فى فعله من العلة فهو محمول على سبب الحكمة (بل لم يزل

بصفاته وأسمائه) أي موجودا ولا يزال بذاته ونعوته في نظر أرباب التوحيد وأصحاب التفريد شهودا وأما صفات الأفعال كالخالق والرازق والمحيي والمميت فهي قديمة أيضا على ما اختاره المحققون من الماتريدي ومتابعيه خلافا للأشعري ومتابعيه وليس هذا محل تبيين مبانيها أو تعيين معانيها وأما قول الدلجي من أنه سبحانه وتعالى موصوف بسمع وبصر يزيد الانكشاف بهما على الانكشاف بالعلم فهو خطأ نشأ من القياس حيث يوجب التشبيه بأوصاف الخلق من قبول نعت الزيادة والنقصان باعتبار بعض الحواس مع أنه سبحانه وتعالى يجب التنزيه له عن ذلك إذ ليس كمثله شيء هنالك لا ذاتا ولا صفة ولا فعلا أصلا (وكفى في هذا) أي حسبك وكون ذاته وصفاته سبحانه وتعالى لا تشبه ذات مخلوقاته وصفات مكوناته في جميع حالاتهم وعلو مراتبهم ودرجاتهم (قوله ليس كمثله شيء) قيل الكاف زائدة في هذا المقام إذ الكلام يتم بدونه في حصول المرام وقيل بزيادة ٤٣٧ المثل مبالغة في نفي المثل كما في قولهم مثلك لا يبخل فإنه إذا نفي عن مشابهه ومناسبه كان نفيه عنه أولى في مراتبه وقيل المعنى ليس كذاته وصفته شيء وقال التلمساني والمحققون على أن لا صلة لأن المراد منه نفي المماثلة من وجه وهذا لأنه لم يقل أحد بأن لله مثلا من كل وجه وإنما قالوا بالمماثلة من وجه فيحتاج إلى نفي هذه المماثلة ومن شأنهم أنهم يقولون عند ثبوت المماثلة من كل وجه هذا مثله وعند ثبوتها من وجه هذا كمثله انتهى وهنا وجه أدق وهو للبيان أحق وهو أن نفي مثل المثل يوجب نفي المثل (ولله در من قال) الدر في الأصل اللبن حال كثرته وقصد به هنا عمله أو خيره (من العلماء العارفين) أي الجامعين في العلم والمعرفة الباهرة بين الأنوار الظاهرة والأسرار الباطنة (المحققين) أي في تبيان المبنى والمدققين في برهان المعنى (التوحيد إثبات ذات غير مشبهة) بكسر الباء مخففة أو بفتحها مثقلة أي غير مشبهة (للذوات) أي لسائر ذوات الموجودات وفيه رد على الوجودية والاتحادية والحلولية (ولا معطلة من الصفات) أي الصفات الكاملات القديمات إذ التعطيل نفيها وإليه ذهب المعتزلة هربا من تعدد القدماء مبالغة في التوحيد قلنا لا محذور في تعدد الصفات وإنما المحذور تعدد الذوات (وزاد هذه النكتة) أي معناها (الواسطي بيانا) أي وضوحا برهانا وظهورا وتبيانا (وهو مقصودنا) أي ليعرف معبودنا ومشهودنا (فقال ليس كذاته ذات) أي لاتصافه بالقدم وحدوث غيره بالعدم (ولا كاسمه) أي الخاص به (اسم) أي كاسم الله والرحمن فإنهما لا يطلقان على غيره (ولا كفعله فعل) أي من خلق ورزق وإحياء وإفناء وإيجاد وإمداد (ولا كصفته صفة) أي لقدمها وحدوث غيرها أو لكمالها ونقصان ما عداها

وأبدا (بصفاته وأسمائه) الدالة على ذاته وصفاته فهي قديمة أما صفاته الذاتية فلا كلام في قدمها ومنها ١ ما هو عينه ومنها ما هو غيره أو لا عينه ولا غيره عند الأشعري وأما صفات الأفعال كالإحياء والإماتة والخلق فاختلف فيها فقيل إنها قديمة والحادث تعلقها عند الماتريدية والمصنف رحمه الله تعالى تبعهم هنا وقيل إنها حادثة إذ هي إضافات تعرض له ولا محذور فيه كما حققه المتكلمون وصفاته السلبية قديمة أيضا وأسماؤه على ما ذكره قديمة أيضا لأنه تعالى سمى نفسه بها في كلامه وهذا بناء على قدم الكلام اللفظي وهو مذهب السلف وبعض الخلف كالشهرستاني (وكفى بهذا) أي يكفي في إثبات كون ذاته وصفاته وأسمائه لا يشبهه شيء فيها (قوله تعالى ليس كمثله شيء) فإنه صريح فيه سواء قلنا إن مثله كناية عن ذاته كقولهم مثلك لا يبخل والكاف غير زائدة أو قلنا إنها زائدة وقيل الفرق بين مثله وكمثله أن الأول يدل على المشابهة من سائر الوجوه وكمثله يدل على المشابهة بوجه ما (ولله در من قال من العلماء العارفين المحققين) الدر بفتح الدال وتشديد الراء المهملتين أصل معناه اللبن الحليب ويتجوز به عن الخير والعمل الصالح واللام في لله للتعجب وكذا يستعملونه فيقال لله دره للثناء عليه والتعجب من محاسنه ولم يقولوا لله هو لأنه أبلغ مراتب لتعجبهم من لبن ارتضعه كما يقال لله أبوه وبلده وأضافوه لله إشارة إلى أنه لا يقدر عليه سواه وأراد بالعارفين مشايخ الصوفية لما سيحكيه عنهم فإن العارف مختص في العرف بأولياء الله تعالى (التوحيد إثبات ذات) وهي ذات الله تعالى (غير مشبهة للذوات) جميعها بوجه من الوجوه (ولا معطلة من الصفات) أصل معنى العطل فقد الزينة والشغل والمراد به النفي هنا أي غير منفي عنها الصفات كما يقوله المعتزلة هربا من تعدد القدماء والمحذور تعدد ذوات قدماء لا ذات وصفات وفيه تشبيه للصفات بالزينة (وزاد هذه النكتة) وهي معنى التوحيد الذي قاله المشايخ (الواسطي) تقدمت ترجمته (بيانا وهي) أي الزيادة التي زادها فهو عائد على ما فهم مما قبله (مقصودنا) لدلالتها على ما عقد له هذا الفصل (فقال ليس كذاته ذات) أي ليس كحقيقته حقيقة فلا يشاركه بوجه من الوجوه إذ لو شاركته لزم أمر آخر يميز ذاته عن ذات غيره وإلا الاتحاد وهذا يستلزم التركيب والحدوث (ولا كاسمه اسم) أي لا يشبه مدلول اسمه مدلول اسم آخر كما مر (ولا كفعله فعل) لأنه في غاية الكمال والإتقان وليس لغرض ولا عرضا كما مر (ولا كصفته صفة) لأنها عظيمة قديمة

(الامن جهة موافقة اللفظ اللفظ) أي مطابقة لفظ وصف الخالق لنعت الحق كالعليم والحليم وغيرهما مما سبق (وجلت) بتشديد اللام أي عظمت (الذات القديمة ان تكون لها صفة حديثة) أي حادثة أوجديدة وجدت بعد عدم لانها ان كانت صفة كمال فخلوه عنها قبل حدوثها مع جواز اتصافه بها نقص اتفاقا ولا استحال اتصافه بها اجماعا وأيضا لايجوز ان تكون ذات القديم محلا للحوادث كما في علم الكلام بتمام المرام (كما استحال ان تكون للذات المحدثة صفة قديمة) لامتناع وجود صفة قبل موصوفها وهو من العلوم الضرورية والامور البديهية (وهذا) أي الكلام من زبدة المشايخ الكرام (كله مذهب أهل الحق والسنة والجماعة) أي من العلماء والائمة (رضي الله تعالى عنهم) أي أجمعين (وقد فسر الامام أبو القاسم القشيري قوله) أي قول الواسطي (هذا)

أي المذكور سابقا (ليزيده بيانا) أي وبرهانا لاحقا (فقال هذه الحكاية) أي ما زاده الواسطي آنفا مما تقدم عنه الرواية (تشتمل على جوامع مسائل التوحيد) أي مما عليها مدار أرباب الدراية وهي اعتقاد ان لاشريك له في الالهية والصفات الذاتية والفعلية واستحقاق العبودية بمقتضى النعوت الربوبية (وكيف) استفهام تعجب أو انكاري أي ولا (تشبه ذاته) أي الغنية بصفاته (ذات المحدثات) أي المفتقرة الى موجدها في جميع الحالات (وهي) أي والحال ان ذاته تعالى (بوجودها) أي بوجوب وجوده أو ثبوت شهودها واتصافها بكرمها وجودها (مستغنية) أي عن جميع الاشياء كما قال

والله الغني وأنتم الفقراء (وكيف يشبه فعله فعل الخلق) يجوز كونه فاعلا أو مفعولا في نسخة من فعل الخالق (وهو) أي والحال ان فعله لايعلل بغرض ولا عرض ولا عوض فصدوره عنه (لغير جلب أنس) لاستغنائه عن جليس وأنيس (أو دفع نقص) أي ولا دفع نقص (حصل) أي تدارك لما به يتكمل (ولا لخواطر) باللام ويروى بالباء فاللام تعليلية والباء سببية أي ولا يكون بحصول خواطر باعثة له عليه (واغراض) بالغين المعجمة (وجد) أي شيء منها لامتناع ان يكون فعله معللا بغرض وتصحف على الدلجي بقوله وجد بكسر الجيم وتشديد الدال فقال ولا يكون فعله تعالى باجتهاد على انه مستدرك بقول المصنف (ولا بمباشرة ومعالجة) أي لا بانفراده ولا بالواسطة بل كما قال تعالى اذا أراد شيأ أن يقول له كن فيكون

وغيرها ليس كذلك (الامن جهة موافقة اللفظ اللفظ) في بعضها كسميع وبصير وحي فمثل ذلك في حقه ليس مثله في غيره وان كان اللفظ متحدا لمناسبة ما ثم وضحه فقال (وجلت الذات القديمة) أي عظمت وتعالت وتنزهت عن (ان تكون لها صفة حديثة) أي محدثة موجودة بعد العدم لانها ان كانت صفة كمال لزم خلو الذات عنها قبل وجودها وهو نقص لايليق بكماله والا استحال اتصافه بها وهذا مبني على قدم صفات الافعال كما تقدم (كما استحال ان تكون للذات المحدثة صفة قديمة) لامتناع وجود صفة قبل موصوفها (وهذا كله مذهب أهل الحق والسنة والجماعة) الماتريدية فالجماعة اذا أطلق فالمراد به هؤلاء دون غيرهم من الفرق الضالة المضلة (وقد فسر الامام أبو القاسم القشيري) تقدمت ترجمته (قوله هذا) أي قول الواسطي السابق (ليزيده بيانا) وايضاحا على ايضاح (فقال هذه الحكاية) أي المحكي المنقول عن الواسطي (تشتمل) وفي نسخة اشتملت (على جوامع) أي أمور جامعة مستوفية (مسائل التوحيد) وهو اعتقاد ان الله تعالى واحد في ذاته وصفاته لامثل له ولا ضد ولاند ولا شريك له في ألوهيته واستحقاقه للعبادة (وكيف تشبه ذاته ذات المحدثات) بفتح الدال المهملة أي الامور الحادثة (وهي بوجودها مستغنية) مستقلة غير محتاجة ومستندة لغيرها لوجوب وجودها وكونه عين ذاتها والا كانت ممكنة (وكيف يشبه فعله فعل الخلق) في حقيقته ولوازمه وكماله (وهو) أي فعله (لغير جلب) بفتح الجيم وسكون اللام وفتحها بالموحدة وهو التحصيل وأصل معناه السوق (أنس) أي استئناس ودفع وحشة لاستغنائه عن الانيس والجليس (أو دفع نقص حصل) أي ليس شيء من افعاله لنفع له بل كله لنفع عباده فانه الغني المطلق (ولا بخواطر واغراض) والباء سببية وفي نسخة لخواطر باللام التعليلية واغراض بغين معجمة أي ليس شيء من افعاله تعالى لخواطر يطرأ عليها وباعث يدعوه لفعله كما تقدم وفي نسخة ولا بجواهر واعراض بالمهملة والصحيح رواية ومعنى الاول وهذا تحريف من النساخ وان احتمل رجوع الجواهر لذاته والاعراض لافعاله على ما فيه وقوله (وجد) ماض للمجهول كما قاله البرهان ووقع في مقابلة قوله حصل أي ليس لدفع نقص حاصل ولا لخاطر وغرض موجود وفي بعض الشروح بكسر الجيم وتشديد الدال أي ليس فعله باجتهاد وجد منه والذي غره قوله (ولا بمباشرة ومعالجة) الا ان قوله (ظهر) يأباه فان الافعال الثلاثة فيها ضمير عائد على الفعل فان معناه ليس فعله لدفع نقص حصل له أو لخاطر وغرض وجد في نفسه ولا لكد ظهر وقت فعله وقد وقع كل من الافعال الثلاثة في محله فوصف النقص بحصل لانه طار عليه ووصف الخاطر بانه وجد بغتة في نفسه كما هو شأنه كما ان شأن المباشرة كونها محسوسة فهذا ناشيء من عدم تأمل كلامه والمباشرة فعل الشيء بنفسه ومزاولته بجوارحه والفعل ضربان بمباشرة وتولد

(وفعل الخلق لايخرج عن هذه الوجوه) أي من الغرض والعرض والمباشرة والمعالجة (وقال آخر) غير معروف كما ذكره الحلبي (من مشايخنا) أي مخاطبا المريديه (ماتوهمتموه بأوهامكم أو أدركتموه بعقولكم) أي ولو في أكمل أحوالكم وأفضل مرامكم (فهو محدث) بفتح الدال أي حادث (مثلكم) واختصره بعض العارفين فقال ماخطر

ببالك فالله وراء ذلك (وقال الامام أبو المعالي) عبد الملك أي ابن أبي محمد (الجويني) بالتصغير وهو المشهور بامام الحرمين ولد سنة تسع عشرة وأربعمائة وحج وجاور بمكة والمدينة أربع سنين ثم عاد الى وطنه نيسابور وهو من جملة مشايخ الغزالي (من اطمأن الى موجود انتهى اليه فكره) أي وتقرر فيه ذهنه وتصور انه بعينه لايتصور غيره (فهو مشبه) بكسر الموحدة والمشددة أي فهو من أهل التشبيه لله بذلك الموجود مما سواه (ومن اطمأن) أي سكن (الى النفي المحض) أي ذاتا وصفة (فهو معطل) أي من أهل تعطيل الكون من أن يكون له مكون كالدهرية أو المعتزلة (وان قطع بموجود) أي من غير توهم تشبيه وتصور تعطيل (اعترف بالعجز عن درك حقيقته) بفتح الراء وسكونها أي ادراك حقيقته من جهة ذاته وصفاته (فهو موحد) كما روى عن الصديق الاكبر العجز عن درك الادراك ادراك ويؤيده حديث سبحانك لانحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك ويقويه قوله تعالى ولايحيطون به علما وهذا أحد محامل ماورد عليكم بدين العجائز (وما أحسن قول ذي النون المصري) وهو الزاهد الواعظ العارف بالله كان أبوه نوبيا وصار عالما فصيحا حكيما توفي في سنة خمس وأربعين ومائتين قال الدارقطني روى عن مالك بن أنس أحاديث في اسنادها نظر

كأنه يمس بشرته وظاهر بدنه والمعالجة المباشرة بجد وقوة يقال اعتلجوا اذا اقتتلوا أي لمس فعله كفعل غيره بعلاج وأعمال وانما هو بارادته من غير شئ من ذلك انما أمره اذا أراد شيأ أن يقول له كن فيكون (وفعل الخلق لايخرج عن هذه الوجوه) المذكورة من جلب نفع ودفع ضر واغراض ومباشرة ومعالجة (و) قد (قال آخر من مشايخنا) جمع شيخ والشيخ من كبر سنه وفي العرف من تصدر للافادة لانه انما يحصل باتفاق العمر وله جموع منها مشايخ على الاصح وقال بعض أهل اللغة انه لاأصل له ولم يسمع في كلام العرب وردبانه سمع كما في شرح الفصيح (ماتوهمتموه بأوهامكم) أي كل شئ واقع في أوهام الناس انه حقيقة البارى ليس كما توهمتموه (أو أدركتموه بعقولكم) أي تصورتموه وعلمتموه بعقولكم (فهو محدث مثلكم) لان الاوهام والعقول مألوفة بادراك ماتشاهده فتظن ان الله تعالى جل وعلا مثله وتقيس الغائب على الشاهد والله تعالى أجل من أن يحيط به ادراك المدرك للامور المحدودة المتناهية وهو تعالى منزه عما يليق به مما ألقته النفس من المدركات وليس المراد انه لاتدرك ذاته وصفاته بوجه مافانه معلوم بالنظر الصحيح والبراهين القاطعة فالمراد انه لايدرك كنه ذاته وصفاته ومسمى أسمائه بكنهه ولم نكلف بهذا وانما كلفنا بمعرفة ذاته وصفاته ووحدانيته وانه لارب ولامعبود سواه (وقال الامام أبو المعالي الجويني) امام الحرمين عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني النيسابوري أبو المعالي امام الائمة على الاطلاق ونادرة الزمان أعجوبة العصر وحامل راية المذهب رضي الله عنه صاحب الفضائل والتصانيف الجليلة ولد ثاني عشر المحرم سنة تسع عشرة وأربعمائة في خامس وعشرين من ربيع الثاني وجوين بضم الجيم من نواحي نيسابور وهو شيخ الغزالي ومفخره (من اطمأن) بطاء مهملة ساكنة وميم وهمزة مفتوحة ونون مشددة بمعنى سكن بعد انزعاج أي تقرر وتيقن عنده بعد الشك والشبه (الى موجود انتهى اليه فكره) أي تيقن أمرا موجودا على وجه معين ارتسم في ذهنه أنه الله (فهو مشبه) أي معتقد لتشبيه الله تعالى بغيره مما في خزانة فكره وهو خطأ لانه ليس كمثله شئ وفكره انما هو مدركاته المشاهدة فيأتيه التشبيه منها واحترز بقوله اطمأن عن الوسوسة فانها ليست بتشبيه لعدم ركون النفس لها (ومن اطمأن الى النفي المحض) الخالص بان نفى ذات البارى حقيقة أو حكما كالفلاسفة القائلين لايصدر عن الواحد بالذات الا واحد (فهو معطل) ناف للصانع وهم الدهرية القائلون بالطبائع الى غير ذلك مما لايصدر عن عاقل (وان قطع) أي جزم (بموجود) اله واجب الوجود (اعترف بالعجز عن درك حقيقته) بسكون الراء وقد تفتح أصل معناه اللحوق ثم صار بمعنى العلم كالادراك لوصول العقل اليه أي عجز عن علم بكنهه (فهو موحد) لانه عرف الله وحده واعترف بانه لايقدر على معرفته بكنهه وهو التوحيد الصرف قال الراغب وروى عن أبي بكر رضي الله عنه أنه قال يامن غاية معرفته العجز عن معرفته اذ كان غاية معرفته أن يعرف الاشياء فيعلم انه ليس شئ منه ولابمثله بل هو موجد كل ماأدركته انتهى (وما أحسن قول ذي النون المصري) الزاهد العارف بالله تعالى أبو الفيض ويقال أبو الفياض واسمه ثوبان بن ابراهيم الاخميمي كان أبوه نوبيا توفي رحمه الله تعالى سنة خمس وأربعين ومائتين وكان عالما بالعلوم والخطوط القديمة وحدث انه قرأ من خط قديم

تدبر بالنجوم ولست تدرى ※ ورب النجم يفعل مايشاء

(حقيقة التوحيد ان تعلم أن قدرة الله فى الاشياء) أى فى ايجادها (بلا علاج) أى بلا معالجة ومزاولة ومباشرة واستعمال آلة (وصنعه) أى وتعلم ان صنعه (لها بلا مزاج) أى بلا خلط شئ بشئ أو بأشياء لتركيبه فى الابداء بل خلق الاشياء اما ابداعا بدون مادة كالسموات أو تكوينا منها كالانسان من نطفة بحسب ما تعلق القدرة بمقدورها على وفق الارادة (وعلة كل شئ صنعه) أى بمجرد صنعته وظهور قدرته بحسب ارادته

(ولا علة لصنعه) لان أفعاله لا تعلل (وما تصور) بصيغة المفعول أو الفاعل أى وما خطر (فى وهمك فالله بخلافه) أى بخلاف ذلك قال المصنف (وهذا الكلام عجيب نفيس) أى مرام غريب (محقق) أى ثابت فى مقام العلم مدقق (والفصل الاخير) وفى نسخة الآخر بكسر الخاء وهو الفقرة لثالثة يعنى قوله وما تصور فى وهمك فالله بخلافه (هو تفسير) أى توضيح وتعبير (لقوله ليس كمثله شئ والثانى) أى من الفصول وهو قوله وعلة كل شئ صنعه ولا علة لصنعه (تفسير لقوله تعالى لا يسئل عما يفعل) أى كما أشار اليه الحديث القدسى والكلام الانسى خلقت هؤلاء للجنة ولا أبالى وخلقت هؤلاء للنار ولا أبالى ومجمله فى التفسير قوله تعالى فريق فى الجنة وفريق فى السعير وغايته ان فعله وقع أولا فضلا وثانيا عدلا (والثالث) أى من الفصول وهو قوله التوحيد الخ (تفسير لقوله انما قولنا لشئ اذا أردناه ان نقول له كن فيكون) أى ليس هنالك المصنف الا ظهور أثر القدرة على وفق الارادة من غير تصور العلة (ثبتنا الله تعالى واياك على التوحيد) أى على العلم بالوحدانية له سبحانه من جهة الذات (والاثبات) أى من جهة الصفات (والتنزيه) أى واعتقاد ان ذاته ليست كسائر الذوات وصفاته ليست كصفات المحدثات (وجنبنا) أى بعدنا (طرق الضلالة والغواية من التعطيل والتشبيه) أى من جهة ذاته وصفته (بمنه وفضله ورحمته) اذ لا يجب عليه شئ لبريته *(الباب الرابع)* أى من القسم الاول (فيما أظهره الله تعالى على يديه من المعجزات) أى الامور الخارقة للعادة الشاهدة بصدق دعوى الرسالة

واه ترجمة فى الميزان (حقيقة التوحيد ان تعلم ان قدرة الله فى الاشياء) أى فى ايجادها وابداعها (بلا علاج) أى بلا معالجة ومكابدة واستعمال آلة (و) تعلم ان (صنعه لها بلا مزاج) المزاج لغة كالمزج الخلط وما ركب عليه البدن من الطبائع وعند الاطباء كيفية له من العناصر المتماسة بحيث يكسر سورة كل منهما سورة الآخر وهو بالمركبات العنصريه والمراد ان ايجاده لها لا يحتاج الى مادة ومعاونة تركيبه منها بل قدرته تعالى العلية أوجدته ابتداء من العدم بعد ان لم تكن بمجرد قوله كن فيكون فلا يحتاج الى شئ من العلل الاربع كما أشار اليه بقوله (وعلة كل شئ صنعه) بمجرده ومجرد قدرته (ولا علة لصنعه) تعينه فى ايجاده اذ أفعاله تعالى لا تعلل بالاغراض (وما تصوره وهمك فالله بخلافه) فان ذاته لا تشبه الذوات وأفعاله لا تشبه أفعال غيره فهو منزه عن أن تتصوره الاوهام (وهذا كلام عجيب نفيس محقق) من النفاسة وهى الشرف وعلو القدر (والفصل الاخير) من كلام ذى النون وهى الفقرة الثالثة أعنى قوله وما تصوره وهمك فالله بخلافه (تفسير لقوله) عز وجل أى بمعنى قوله (ليس كمثله شئ) فان ما لا مثل له لا يرتسم فى الوهم (والثانى) أى الفصل الثانى وهو قوله وعلة كل شئ صنعه ولا علة لصنعه (تفسير) وبيان (ا) معنى (قوله لا يسئل عما يفعل وهم يسألون) فانه لا علة لفعله حتى يقال له لم فعلت كذا بخلاف غيره من عبيده المكلفين (والثالث) فى العدد وهو الاول أعنى قوله حقيقة التوحيد ان تعلم أن قدرة الله فى الاشياء بلا علاج وصنعه لها بلا مزاج (تفسير لقوله انما قولنا لشئ اذا أردناه أن نقول له كن فيكون) وفى كلامه لف ونشر غير مرتب وهذا تمثيل لسرعة الايجاد والتسخير (ثبتنا الله واياك على التوحيد) أى على العقيدة الحقة فى اعتقاد وحدانية الله تعالى فى ذاته وانفراده بجميع شؤنه (والاثبات) أى اثبات ما يليق بذاته لذاته وبصفاته لصفاته وليس المراد اثبات واجب الوجود المنافى للتعطيل فانه معلوم من التوحيد الا ان يريد مجرد التوكيد (والتنزيه) لذاته وصفاته عما لا يليق بها (وجنبنا) أى بعدنا (طرفى الضلالة والغواية من) طرفى (التعطيل والتشبيه) من بيانية وأراد بالضلالة التعطيل وبالغواية ادعاء التشبيه والتجسيم وجعل للاعتقاد الحق طرفين افراط وتفريط والوسط هو الصراط المستقيم والدين القويم وهذا كله استدلال على ان ما أطلق على الله وعلى غيره ليس لاشترا كهما فى حقيقة المدلول والمسمى كما مر بيانه مبسوطا ولما كانت هذه التسمية تشريفا وتمييزا لهم عما عداهم أردفه بما يتم به التمييز وهو المعجزات فقال

(الباب الرابع)

من القسم الاول (فيما أظهره الله على يديه) صلى الله عليه وسلم ما على اليد هو ما وضع فوقها فكنى به عما كان مشاهدا (من المعجزات) وهى الامور الخارقة للعادة التى يظهرها الله تعالى على يد أنبيائه عليهم الصلاة والسلام لالزام من كذبهم اذا عجزوا عن الاتيان بالمثل وهذا هو الفرق بينها وبين الكرامة وليس الفرق ان المعجزة للنبى والكرامة للرسول كما قيل فان الكرامة تكون للنبى أيضا كما أشار اليه

(وشرفه به من الخصائص) أى الخصوصيات (والكرامات) حتى لعلماء أمته وأوليا ملته قال الحلبي نقل بعض مشايخي فيما قرأته عليه بالقاهرة عن الزاهد مختار بن محمود الحنفي شارح القدروى ومصنف القنية فى رسالته الناصرية انه قيل ظهر على يد نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم ألف معجزة وقيل ثلاثة آلاف انتهى ولعله أراد غير المعجزات التى فى القرآن كما سيأتى

المصنف رحمه الله تعالى بقوله (وشرفه به من الخصائص والكرامات) أى ما خصه الله تعالى به وأكرمه عالم يكن لغيره والفرق بينها وبين السحر ليس ادعاء النبوة فان الساحر قد يدعيها كاذبا بل انها أمر الهى ليس بمزاولة العزائم ونحوها من تسخير الكواكب كما يدل عليه قوله أظهره الله وهى دالة على صدقه فى دعوى النبوة وما كان قبل البعثة فهو ارهاص أى تأسيس للنبوة وادخلها بعضهم فى المعجزة قال الزركشى فى البحر اختلف فى دلالتها فذهب القشيري الى انها وضعية وبادل وضعا يجوز ان يتبدل واختار الامام فى الارشاد وأبو اسحق انها عقلية وقال الآمدى فى أبكار الافكار الذى ذهب اليه المحققون ان دلالة المعجزة على صدق الرسول ليست دلالة عقلية ولا سمعية أما الاول فلان ما يدل عقلا يدل بنفسه و يرتبط بمدلوله لذاته وقد تقع الخوارق عند تصرم الدنيا مع عدم دلالته على تصديق مدعى النبوة فانه لا ارسال ولا رسول اذ ذاك وأما الثانى فلأن الدلالة السمعية تتوقف على صدقه فلو توقف صدق الرسول عليها كان دورا بل دلالتها على صدقه غير خارج عن الدلالات الوضعية النازلة منزلة قول الله تعالى صدق عبدى انتهى وفيه بحث (قال القاضى أبو الفضل) عياض المؤلف (رضى الله تعالى عنه حسب المتأمل) بسكون السين أى يكفيه أو كفايته والمتأمل هو المفكر الناظر نظرا صحيحا (ان كتابنا هذا لم نجمعه) أى نؤلفه (لمنكر نبوة نبينا) صلى الله تعالى عليه وسلم ممن كفر به (ولا لطاعن فى معجزاته) أى معترض ومعارض معاند فى ثبوت بعضها وان كان مظهرا للاسلام كبعض الزنادقة وأصل الطعن الرشق بالسنان ونحوه فاستعير لتعييب الناس وذمهم يقال طعنه يطعنه بالضم والفتح وقال ابن برى الاكثر فى طعن السلاح بضم عين المضارع وفى القول فتحها ونقله بعضهم عن غيره من الائمة فتأمله (فيحتاج) بالرفع على الاستئناف أو النصب فى جواب النفى بناء على رأى من جوزه مستدلا بقوله

لم ألق بعدهم حيا فأخبرهم * الا يزيدهم حبا الىهم

وقد منعه بعض النحاة وهم نحاة المغرب (الى نصب البراهين عليها) أى على اثباتها الادلة القاطعة الملزمة لمن أنكرها أو طعن فيها ونصبها اقامتها وايضاحها من قولهم نصب رأيا اذا أشار اليه بان لا يعدل عنه كما فى الاساس (وتحصين حوزتها) بفتح الحاء المهملة وسكون الواو وفتح الزاى المعجمة وهى الناحية والجانب وتحصينها جعلها حصينة محفوظة كأن عليها حصنا يحميها وفيه استعارة تمثيلية تخييلية بجعل المنكر كالعدو القاصد لخراب المملكة و يقال حمى حوزته وبيضة بلده اذا حفظ جواره وما يلزمه حفظه (حتى لا يتوصل المطاعن اليها) جمع مطعن وهو الطعن والرد بالاباطيل الفاسدة التى تصدر عن أهل الالحاد وضميرها للحوزة أو للمعجزة والاول أولى وأبلغ لان عدم الوصول الى الحوزة يستلزم عدم الوصول اليها (ويذكر شروط المعجزة والتحدى) بفتح المثناة الفوقية المشددة والحاء المهملة وكسر الدال المهملة المشددة وياء تحتية وهو طلب المعارضة وأصله تقابل الحاديين فى حداء الابل (وحده) معطوف على يحتاج الداخل فى حيز النفى وحده بمعنى تعريفه منصوب كقوله (وفساد قول من أبطل نسخ الشرائع ورده) أى لا نذكر فساده ورده معطوف على فساد أو ناصبا معطوف على أبطل أى لم نجمعه لاجل شئ من ذلك حتى يحتاج الى ذكر ما يدفعه و يقيم الحجة على بطلانه كما هو دأب المتكلمين ان يقدموا قبل مباحث اثبات النبوة أو ذكر المعجزات مبحث ابطال قول المنكرين للنسخ لعدم فرقهم بينه وبين البداء وهم اليهود الذين تمسكوا بذلك فى ابطال نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ونبوة

فى كلام المصنف من البيان (قال القاضى أبو الفضل) أى المؤلف رحمه الله تعالى (حسب المتأمل) بسكون السين أى كافيه (ان يحقق ان كتابنا هذا) أى المسمى بالشفاء (لم نجمعه لمنكر نبوة نبينا) أى ورسالته (ولا لطاعن فى معجزاته فيحتاج) هو بالنصب بتقدير ان أى حتى نحتاج نحن معه فى بحث الدين (الى نصب البراهين) أى الادلة النقلية والعقلية (عليها) أى على اثبات معجزاته (وتحصين حوزتها) بمهملة مفتوحة فواو ساكنة ثم زاى مفتوحة وأصلها بيضة الملك ودائرتها بأجمعها من حوليها وأطرافها ونواحيها أى وحفظ افرادها مجموعة محصنة (حتى لا يتوصل الطاعن اليها) أى الى مقدماتها بالتردد فى اثباتها (ونذكر) بالنصب عطفا على فنحتاج أى وحتى نظهر (شروط المعجز) وهو النبى المدعى (والتحد)

 بالنصب أى ونبين التحدى وهو بكسر الدال المشددة طلب المعارضة وهو شرط كونه معجزة (وحده) بالنصب أيضا وهو بفتح الحاء وتشديد الدال أى وتعريفه بانه طلب المعارضة (وفساد) أى ونذكر فساد (قول من أبطل نسخ الشرائع) كاليهود وغيرهم (ورده) أى ونذكر رد قول مبطله والحاصل انالم نجمعه لشئ من ذلك فلم نحتج الى ذكر ما يدفع شيأ مما هنالك

(بل القناه) بتشديد اللام أي جمعنا كتابنا هذا (لاهل ملته) أي لاهل اجابة دينه وشريعته من أمته (الملبين) بتشديد الموحدة المكسورة أي المجيبين (لدعوته المصدقين لنبوته ليكون) أي ما في تأليفنا هذا (تأكيدا في محبتهم له ومنماة) بفتح الميم مفعلة من النمو أي ومزيدا (لاعمالهم) أي على وفق مبايعتهم له (وليزدادوا ايمانا مع ايمانهم) أي بضم ايقانهم الى مجرد

عيسى عليه الصلاة والسلام لنقلهم عن التوراة ما يدل على تأييد شريعة موسى عليه الصلاة والسلام مع وقوع النسخ فيها كما فصل في كتب الاصلين (بل القناه لاهل ملته) أي انما القناه لاهل ملة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من المؤمنين به (الملبين لدعوته) بالباء الموحدة المشددة أي القائلين لبيك اذ دعاهم صلى الله عليه وسلم للتوحيد والدين الحق لبيك وهو عبارة عن اطاعته وتصديقه ولذا قال (المصدقين لنبوته) لاقرارهم واعترافهم بكل ما جاء به ولا يقال ان جميع التآليف الاسلامية كذلك فانه ليس بشئ ثم بين الداعي لتأليفه فقال (ليكون تأكيدا في محبتهم له) صلى الله عليه وسلم دفعا لما عسى ان يقال ان المؤمنين غير محتاجين اليه مع اعترافهم واقرارهم بذلك فاجاب بانه مؤكد لمحبتهم له صلى الله عليه وسلم (منماة لاعمالهم) بالنون من النمو بمعنى الزيادة مصدر او اسم محل أي يزيدهم رغبة في أعمالهم الصالحة أو يبلغهم الاعمال أو يبلغ أعمالهم الى الله تعالى من نميت الحديث اذا بلغته (وليزدادوا ايمانا مع ايمانهم) بذلك فانه يزيده أو يثبته في قلوبهم وفي تقديمه زيادة الايمان اشارة الى ان زيادته مبنية على دخول الاعمال والقول في قبول الايمان الزيادة مقرر في محله (ونيتنا) بالنون والمثناة التحتية المشددة والمثناة الفوقية والنون قبل الالف أي قصدنا وما عزمنا عليه في هذا الباب (ان نثبت في هذا الباب) أي نقرر ونكتب وهو بكسر الموحدة مخففة ومشددة رواية من الافعال أو التفعيل (أمهات معجزاته) أي كبارها وعظامها جمع أم (ومشاهير آياته) غاير بينهما تفننا فان الآيات بمعنى المعجزات أيضا أو المراد ما اشتهر من كراماته صلى الله تعالى عليه وسلم من غير تحدي غيره (ليدل) ما أثبتناه على عظيم قدره (عند ربه) لما أجراه على يديه من عظيم الآيات (وأتينا منها) أي ذكرنا من تلك المعجزات (بالمحقق) أي ما اشتهر وشاع حتى لم يبق فيه شبهة (والصحيح الاسناد) أي ما صح سنده وتقدم ان الاسناد الاتيان بالسند وهو عبارة عن الرجال الذين نقلوا الحديث منقول من سند الجبل وهو ما ارتفع من سفل الجبل وقد يكون الاسناد بمعنى السند وصحته باستيفاء شروطه المذكورة في كتاب ابن الصلاح وغيره (وأكثره) أي أكثر ما أتيناه به (مما بلغ القطع) أي وصل الى رتبة القطع بحيث لا يقبل التشكيك كالقرآن (أو كاد) أي قارب بلوغ القطع لشهرته وصحته فهو وان كان ظنيا لكنه قوي حتى صار متيقنا لما حفه من القرائن وحذف معمولي كاد شائع في كلام العرب لا سيما في السجع كما هو فيما نحن فيه (وأضفنا اليها) أي ضممنا الى المعجزات المحققة والمقاربة لها (بعض ما وقع في مشاهير كتب الائمة) يعني أئمة الحديث الذين تلقى الائمة كتبهم بالقبول كدلائل النبوة للبيهقي والسنن وبقية الكتب (واذا تأمل المتامل المنصف ما قدمناه) أي من نظر بعين الرضا والانصاف في صفاته صلى الله تعالى عليه وسلم التي قدمها المصنف رحمه الله تعالى قبل هذا الباب وهذا تأكيد لما قبله من ان ذكر المعجزات ليس لاثبات نبوته صلى الله تعالى عليه وسلم لان من تأمل صفاته علم انه غير محتاج في اثبات نبوته الى برهان بذكر معجزاته وانما ذكرت لمحبتها وتأكيد ذلك كما قال المتنبي

صفاته لم تزده معرفة * لكنها لذة ذكرناها

(من جميل أثره) صلى الله تعالى عليه وسلم بفتحتين وهو بقية الشئ وما يبقى بعده من آثار فعله كالصدقة الجارية والولد الصالح والعلم النافع مما يرسم في صحائف الايام وقيل جمع اثرة من آثره يؤثره ايثارا اذا

ايمانهم (ونيتنا) أي قصدنا وغرضنا (ان نثبت) بالتخفيف والتشديد أي نذكر (في هذا الباب أمهات معجزاته) أي معظماتها وأصولها (ومشاهير آياته) أي من فصولها (لتدل) بالتاء الفوقية أي تلك المعجزات الواضحات والكرامات البينات (على عظيم قدره) وفي نسخة عظم قدره بكسر العين وفتح الظاء أي على عظمة مقداره وقربه (عند ربه) أي وفق كمال حبه وفي نسخة لندل بالنون أي بسبب تأليفنا ووقع في أصل الدلجي بصيغة التذكير فقال أي ما نواه من اثباتها (وأتينا) بفتح الهمز أي وجئنا (منها) أي بعد ان نوينا اثباتها (بالمحقق) بفتح القاف أي بالثابت وقوعه في القرآن القديم (والصحيح الاسناد) أي الواقع في الحديث الكريم كحنين الجذع وتسبيح الحصى وتكثير الطعام والشراب (وأكثره)

أي أغلب ما ذكر في هذا الباب (مما بلغ القطع) أي العلم القطعي أو الامر اليقيني (أو كاد) أي قارب ان يبلغه للتواتر المعنوي دون اللفظي وحذف خبر كاد مراعاة لسجع ماسبق من الاسناد أو للاكتفاء بالعلم بالمراد (وأضفنا اليها) أي الى المعجزات الثابتة بالكتاب والسنة (بعض ما وقع في مشاهير كتب الائمة) من نحو صحاح الستة (واذا تأمل المتامل المنصف) أي الخارج عن وصف التعسف يقال أنصف اذا أعطى الحق من نفسه (ما قدمناه من جميل أثره) أي مآثره الجميلة ومفاخره الجزيلة

أعطاه

(وحميد سيره) أى شمائله الحميدة وفضائله السعيدة (وبراعة علمه) أى بتفوقه على جميع العلماء (ورجاحة عقله وحلمه) أى رزانتهما وزيادتهما على سائر العقلاء والحكماء (وجملة كماله) أى ومجمل كمالاته العلية (وجميع خصاله) أى أعماله وأحواله السنية (وشاهد حاله) من ظهور شمائله البهية (وصواب مقاله) أى من حكمه الجلية (لم يمتر) جواب اذا أى لم يشك (فى صحة نبوته وصدق دعوته) أى فى نسبة رسالته بتبليغ دعوة الحق الى عامة الخلق (وقد كفى هذا) أى ماذكرنا (غير واحد) أى ممن تأمل فى حال كونه داخلا (فى اسلامه) أى من جهة انقياده (والايمان به) أى من حيث اعتقاده (فروينا) بصيغة المجهول وقد تشدد واوه وروى بصيغة الفاعل أيضا والمعنى فوصل الينا رواية (عن الترمذى) وهو صاحب الجامع (وابن قانع) وهو الحافظ عبد الباقى ابن قانع وهو بالقاف والالف والنون والعين المهملة وقد تصحف بابن نافع بالنون أولا والفاء بعد الالف وقد سبق ترجمتهما (وغيرهما) أى من المخرجين (باسانيدهم ان عبد الله ابن سلام) بتخفيف اللام وهو من الصحابة الكرام (قال لما قدم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم المدينة) أى الامينة السكينة (جئته) جواب لما أى أتيته (لانظر اليه) أى الى وجه أمره وظهور شأنه وأتأمل فى تحقيق بيانه وتدقيق برهانه (فلما استبنت وجهه) أى رأيت ظاهر وجهه الدال على صدق سره وباطنه وفى رواية فلما تبينت وجهه أى أبصرت وجهه ظاهرا (عرفت) أى ظهر لى من امارات صدقه اللائحة على صفحة وجهه لان الظاهر عنوان الباطن (ان وجهه ليس بوجه كذاب) وتركيبه بالاضافة ويجوز بالوصفية للمبالغة (حدثنا به) أى بالحديث الآتى بعد اتمام سنده والمراد بحديث عبد الله بن سلام هذا بعينه (القاضى الشهيد أبو على رحمه الله) وهو الحافظ ابن سكرة (ثنا أبو الحسين) بالتصغير هو الصواب على ما تقدم فى صدر الكتاب (الصيرفى وأبو الفضل بن خيرون) بفتح الخاء المعجمة وسكون التحتية وضم راء وسكون واو ونون منصرف ويمنع (عن أبى يعلى البغدادى) بالدال المهملة أولا والمعجمة

أعطاه وما اثر العرب مكارمها ومفاخرها التى تروى وتذكر (وحميد سيره) جمع سيرة كسدرة وسدر وهى الطريقة والسنة المحمودة (وبراعة علمه) أى علمه الفائق به على غيره يقال برع براعة وبروعا اذا فاق فى علم أو غيره (ورجاحة عقله) أى عقله الزائد بحيث لو وزن بغيره رجح عليه (وحلمه) الراجح أيضا (وجملة كماله) أى جميع كمالاته التى لم تجتمع لغيره (وجميع خصاله) جمع خصلة وهى الصفة الحسنة وهى مجاز من الخصل وهى ما يعطى فى الرهان فاستعير لما ذكر كما ذكره فى الاساس (وشاهد حاله) أى ما حكى عما كان يشاهد من حاله وفى تعبيره بالشاهد لطف لان فيه ايهام انه يشهد لمحاسنه وهو بمعنى الحاضر (وصواب مقاله) أى ما يحكى من كلامه صلى الله تعالى عليه وسلم الذى هو صواب كله وحكم وحكم والكل بالجر عطف على جملة وقوله (لم يمتر) جواب اذا أى لم يشك ويشتبه عليه ويقع له تردد (فى صحة نبوته) التى ادعاها وأظهرها (وصدق دعوته) أى صدقه صلى الله تعالى عليه وسلم فى مدعاه أو فيما دعا الخلق اليه من دينه وتوحيد ربه (وقد كفى هذا غير واحد) هذا فاعل كفى وهو اشارة لما ذكر من الجهل وما بعده وغير مفعوله (فى اسلامه والايمان به) أى كفاه ما رآه من أحواله صلى الله تعالى عليه وسلم عن طلب برهان وآية على نبوته وصدق رسالته والانقياد لامره فاسلم وآمن به وتبعه من غير تلعثم كأبى بكر رضى الله تعالى عنه فانه كان كلما رآه صلى الله تعالى عليه وسلم قال ما خلق الله هذا الا لامر عظيم فلما دعاه للاسلام قال هذا الذى كنت أرجو منك (فروينا عن الترمذى) الامام المشهور صاحب السنن وقدمنا ترجمته (وابن قانع) بقاف ونون مكسورة وعين مهملة بعد ألف وصحفه بعضهم بنافع بنون وفاء وهو غلط وهو عبد الباقى بن قانع الامام الحافظ كما تقدم (وغيرهما باسانيدهم) جمع اسناد وجمع وان كان مصدر النقله الى الاسمية (ان عبد الله بن سلام) الصحابى المشهور وهو بتخفيف اللام وغيره مشدد اللام واختلف فى بعضها أيضا (قال لما قدم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم المدينة) فى هجرته هو وأبو بكر رضى الله تعالى عنه (جئته لانظر اليه) جواب لما يعنى انه سمع بقدومه صلى الله تعالى عليه وسلم من مكة وقولهم انه رسول الله فاتاه ليعرف أمره وهو من علماء أهل الكتاب صاحب فراسة وذكاء (فلما استبنت وجهه) استفعال من البيان وهو الوضوح والظهور والسين للمبالغة (عرفت ان وجهه ليس بوجه كذاب) أى لاح له من سيماه ونور النبوة فى محياه صلى الله تعالى عليه وسلم ان مثله لا يكذب فيما ادعاه بخلاف الله تعالى فيه علما ضروريا بصدقه صلى الله تعالى عليه وسلم مع ما كان علمه من صفته فى التوراة والكتب السالفة وقال رضى الله تعالى عنه لليهود يا معشر يهود اتقوا الله تعالى واقبلوا ما جاءكم به فوالله انكم لتعلمون انه رسول الله الذى تجدونه عندكم مكتوبا فى التوراة باسمه وصفته وانى أؤمن به وأصدقه ثم شرع فى ذكر سنده لما رواه عن الترمذى ولم يقدمه لئلا يفصل بينه وبين ما استشهد له به فقال (حدثنا به) أى بحديث ابن سلام (القاضى الشهيد أبو على رحمه الله تعالى) الحافظ المعروف بابن سكرة كما تقدم (قال حدثنا أبو الحسين الصيرفى) بالتصغير ومن قال أبو الحسن مكبرا فهو مخطئ (وأبو الفضل ابن خيرون) تقدمت ترجمته (عن أبى يعلى البغدادى) بفتح

ثانيا وهو أفصح من عكسه وكذا من اهمالهما والاعجامهما وهو معروف بابن زوج الحرة (عن أبي على السنجى) بكسر السين المهملة فنون ساكنة فجيم فياء نسبة (عن ابن محبوب) وهو المحبوبى (عن الترمذى) صاحب الجامع (ثنا محمد بن بشار) بفتح الموحدة وتشديد المعجمة (حدثنا عبد الوهاب الثقفى) أى الحافظ أحد الاشراف عن أيوب ويونس وحميد وعنه أحمد بن اسحق وابن عرفة وثقه ابن معين وقال اختلط بآخره أخرج له الائمة الستة (ومحمد بن جعفر) وهو غندر وقد سبق (وابن أبى عدى) بصرى سلمى يروى عن حميد وطبقته وعنه جماعة ثقة أخرج له أصحاب الكتب الستة (ويحيى بن سعيد) هذا هو القطان البصرى أحد الاعلام عن هشام وحميد والأعمش وعنه أحمد وابن معين وابن المدينى قال أحمد ما رأت عيناى مثله وقال بندار امام أهل زمانه يحيى القطان واختلفت اليه عشرين سنة فما أظن انه عصى الله قط (عن عوف أبى جميلة) بفتح الجيم وكسر الميم وهو عوف (الاعرابى) لدخوله درب الاعراب قاله ابن دقيق العيد أخرج له الائمة الستة (عن زرارة) بضم الزاى فى أوله (ابن أوفى) وفى نسخة ابن أبى أوفى قال الحلبى والصواب الاول وهو قاضى البصرة وروى عن عمران بن حصين والمغيرة ابن شعبة وعنه قتادة وغيره عالم ثقة كبير القدر أم فى داره فقرأ فاذا نقر فى الناقور فشهق فمات قال الحلبى وقد ذكر خبر موته كذلك الترمذى فى جامعه فى باب ما جاء فى وصف صلاة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالليل بسنده أخرج له الائمة الستة (عن عبد الله ابن سلام الحديث) أى على ما تقدم آنفا قال الحلبى وحديثه المذكور هنا على ما أخرجه القاضى عياض من جامع الترمذى أخرجه فى الزهد وقال صحيح وهو فى سنن ابن ماجه أيضا فى الصلاة عن محمد بن بشار به أى بسنده وفى الاطعمة عن أبى بكر ابن أبى شيبة عن أبى أسامة عن أبى عوف نحوه وكما روى أن أبا بكر الصديق رضى الله تعالى عنه فى أول أمره كلما نظر اليه صلى الله تعالى عليه وسلم وتأمل فى ذاته الكريمة كان يقول خلق هذا لامر عظيم فلما دعاه الى الاسلام قال هذا الذى كنت أرجو منك فى سابق الايام (وعن أبى رمثة) بكسر الراء وميم ساكنة مثلثة (التميمى) بميمين وفى نسخة التيمى ويقال ان فى حقه على ما ذكره الحلبى (أتيت) وفى نسخة قال أتيت (النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) أى جئته (ومعى ابن لى) لا يعرف اسمه (فاريته) بصيغة المجهول أى فارانيه بعض من يعرفه من أصحابه وغيرهم (فلما رأيته) وظهر لى ما عليه من لوامع الصدق ولوائح الحق (قلت هذا نبى الله) رواه ابن سعيد (وروى مسلم وغيره ان ضمادا) بكسر الضاد المعجمة وهو ابن ثعلبة من ازدشنوءة وكان صديقا له صلى الله تعالى عليه وسلم قبل بعثته بالنبوة

التحتية وهو المعروف بابن زوج الحرة كما تقدم (عن أبى على السنجى) تقدم ضبطه وبيان نسبته (عن ابن محبوب) المعروف بالمحبوبى راوى السنن (عن الترمذى) كما تقدم قال (حدثنا محمد بن بشار) بفتح الموحدة وتشديد المعجمة كما تقدم قال (حدثنا عبد الوهاب الثقفى) بن عبد المجيد بن الصلت بن عبد الله ابن الحكم بن أبى العاص الثقفى الحافظ وثقه ابن معين وقيل انه اختلط فى آخر عمره توفى سنة أربع وتسعين ومائة وأخرج له أصحاب الكتب الستة وترجمته فى الميزان (ومحمد بن جعفر) هو غندر كما تقدم (وابن أبى عدى) محمد بن ابراهيم بن أبى عدى البصرى الثقة توفى سنة أربع وتسعين ومائة وروى له أصحاب الكتب الستة (ويحيى بن سعيد) بن فروخ أبو سعيد القطان البصرى التميمى الحافظ أحد الائمة الاعلام توفى سنة ثمان وتسعين ومائة وترجمته فى الميزان (عن عوف بن أبى جميلة) بفتح الجيم وكسر الميم (الاعرابى) سمى به لسكناه بدرب الاعراب قاله ابن دقيق العيد وهو ثقة ثبت توفى سنة سبع وأربعين ومائة وأخرج له أصحاب الكتب الستة كما فى الميزان (عن زرارة بن أبى أوفى) وفى نسخة ابن أوفى وهو من خلط الناسخ وزرارة بضم الزاى المعجمة وراءين مهملتين وهو مكنى بابى صاحب قاضى البصرة ثقة عالم تقى أم فى داره فقرأ فاذا نقر فى الناقور فشهق شهقة ومات سنة ثلاث وتسعين وروى له أصحاب الكتب الستة (عن عبد الله بن سلام الحديث) كما تقدم (وعن أبى رمثة التيمى) بكسر الراء المهملة وسكون الميم وثاء مثلثة قبل هاء علم منقول من رمثة نوع من النبات واختلف فى اسمه فقيل رفاعة وقيل عمارة وقيل غير ذلك التيمى وقيل التميمى اختلف فى نسبته لتيم أو تميم وهما قبيلتان مشهورتان وقيل انه بلدى أيضا (أتيت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ومعى ابن لى) حكاية لحاله التى جاء بها ولا دخل له فى القضية (فاريته) أى أرانيه وعرفنى به غيرى باشارة ونحوها وهو بضم الهمزة مجهول أراه يريه لانه لم يكن رآه قبل ذلك (فلما رأيته قلت هذا نبى الله) أى بمجرد تعلق نظره به اعترف بنبوته صلى الله تعالى عليه وسلم لما شاهده من عظمته ونور نبوته فاوقع الله فى قلبه علما ضروريا بصدقه صلى الله تعالى عليه وسلم (وروى مسلم وغيره ان ضمادا) بكسر الضاد المعجمة وميم مفتوحة مخففة وألف ودال مهملة وهو ضماد بن ثعلبة الازدى نسبة لازدشنوءة قبيلة مشهورة وكان

صديقا للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم قبل البعثة فلما قدم مكة وسمعهم يقولون فيه ماقالوه تابعه وأسلم في أول الاسلام وكان عاقلا يتطبب ويرقى ذكره ابن عبد البر في الصحابة وفي الصحابة شخص آخر يسمى ضمادا وله وفادة ولا ثالث لهما (لما وفد عليه) أى لما قدم على النبي صلى الله عليه وسلم وهو بمكة في ابتداء الاسلام وقد تقدم ان الوفود القدوم على العظماء من مكان بعيد قصدا وكان راقيا يرقى الناس في الجاهلية فلما سمعهم يقولون ان محمدا مجنون وفد عليه وقال يا محمد انى راق فهل بك من شئ فارقيك فاجابه صلى الله تعالى عليه وسلم دفعا لما قاله مما نسبوه اليه كما بينه بقوله (فقال له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان الحمد لله) جوزوا في ان كسر الهمزة وتشديد النون وفتح الهمزة مع التخفيف وهو ظاهر والحمد وكون جملته انشائية أو خبرية مشهور وحسن تأكيده سؤاله له وطلبه ان يرقيه لتوهمه صدقهم فيما قالوه فاجابه صلى الله تعالى عليه وسلم وصدر كلامه بحمد الله اشارة الى ان الله أنعم عليه بنبوته ففيه رد لما زعموه على أبلغ وجه ثم قال (نحمده ونستعينه) فاردف الجملة الاسمية بفعلية مضارعية لانه قصد بالاولى ان الحمد ثابت ومستحق له بالاستحقاقين بقطع النظر عن الحامدين والجملة محتملة للخبرية والإنشائية ثم أردفها بجملة أخرى لانشاء حمده بنفسه لما أنعم الله به عليه من جلائل النعم التى أجلها نعم النبوة المؤيدة بالمعجزات الباهرات ولذا قطعها عما قبلها وأتى بها مضارعية لتدل على الاستمرار التجددي وأسنده لضمير المتكلم مع الغير اشارة الى انه لا يقدر وحده على وفاء حق حمده فان كان الضمير له وحده فليس لتعظيم نفسه بل لتعظيم الحمد والمحمود ونستعينه بمعنى نطلب المعونة والمساعدة منه على اداء حق حمده أو على جميع أمورنا التى من جملتها الحمد وفيه اقتداء بما أرشدنا اليه من ان الطالب للشئ يقدم عليه حمد الله وتعظيمه كما في سورة الفاتحة ولذا أردفه بقوله (من يهده الله) اشارة الى انه طلب منه الهداية الى الطريق المستقيم كما في قوله اهدنا الصراط المستقيم ومن شرطية جوابها قوله (فلا مضل له) أى لا يقدر أحد على اضلاله (ومن يضلل فلا هادى له) وفيه تعريض بمن تعرض له صلى الله تعالى عليه وسلم باسناده له مالا يليق به وان الله بيده الهداية والضلال (وأشهد) أعلم وأذعن وأعتقد (أن لا اله الا الله) أى لا معبود بحق سوى واجب الوجود المستحق لجميع المحامد (وحده لا شريك له) في ألوهيته وجميع شؤنه وهو مؤكد لما قبله لتضمنه للحصر المقدم عليه (وان محمدا عبده ورسوله) أرسله لهداية خلقه وارشادهم لتوحيده وفيه دعوة أى اعتراف بانه عبده وجواب لما قوله (قال له) ضماد المذكور لما سمع ماقاله صلى الله تعالى عليه وسلم (أعد على كلماتك هؤلاء) المذكورة من قوله الحمد لله الى آخره وانما طلب اعادتها ليتأملها ويفهم ما أراده وهؤلاء وأولئك اشارة الى جمع المذكر والمؤنث من العقلاء وغيرهم كما قال الشاعر

(لما وفد عليه) أى جاء اليه بمكة وقد سمع بعض قريش يقول محمد مجنون فقال يا محمد انى راق هل بك شئ أرقيك (فقال له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) نفيا لما نسب اليه باثبات كمال العقل مما يظهر من دلالة كلامه عليه (ان الحمد لله) بكسر الهمزة وتشديد النون ونصب الحمد وفي نسخة واقتصر عليها الشمني بفتح الهمزة وكسر النون المخففة ورفع الحمد ووجهه غير ظاهر وان اختاره كثير من الشراح واقتصر عليه بعض المحشين نعم لفظ الحديث على مافي الحصن الحصين وان تولى عقد الخطبة ان الحمد لله فضبط هنالك بالوجهين واماهنا فلا يصح كون ان المصدرية بعد القول لاقتضائه الجملة ولا التفسيرية لوجود القول الصريح وهى لا تكون الا مقرونة بما فيه معنى القول كالوحى والندا وأمثال ذلك (نحمده) جمع بين الجملة الاسمية والفعلية تأكيدا للقضية فان الاولى تفيد الثبات والدوام والثانية تدل على تجدد الانعام أو الاولى خبرية والثانية انشائية أو الاولى نظرا الى افراده ووحدته والثانية اشتراكا لغيره من أمته وأهل ملته واما كون النون للعظمة على ماذكره الدلجى فلا يلائم مقام العبودية (ونستعينه) أى في الحمد وغيره (من يهد الله) وفي نسخة صحيحة من يهده الله (فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له) بحذف المفعول في جميع الاصول وفيه نكتة لا يخفى على أصحاب الوصول (وأشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له) تأكيد لما قبله (وان محمدا عبده ورسوله) أفرد الفعل في مقام التوحيد كما يناسبه مرام التفريد ولان الشهادة أمر غيبي لا يطلع عليه كل أحد بخلاف ظهور الحمد والاستعانة بالحق فانه ظاهر على جميع الخلق وهذا كله أولى مما جعله الدلجى على التفنن في العبارة والتنوع في الاشارة (قال) أى ضماد (له) أى للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم (أعد على كلماتك هؤلاء) أى كررها لدى وأظهرها على فانه كما قيل

أعد ذكر نعمان لنا ان ذكره * هو المسك ما كررته يتضوع

ثم هؤلاء اشارة الى الكلمات فان هؤلاء قد يستعمل لغير العقلاء وقد جاء وفي رواية انه عليه السلام أعادها عليه ثلاث مرات فقال لقد سمعت قول الكهنة وقول السحرة وقول الشعراء فما سمعت مثل كلماتك هؤلاء

(فقد بلغن قاموس البحر) بالقاف والميم أى وصلن الى وسطه أو قعره أو لجته وتموج حجته وتبين محجته تعجبا من فصاحة مبانيها وبلاغة معانيها وفى نسخة قاعوس بالعين المهملة وفى أخرى قابوس بالموحدة وفى أخرى تاعوس بالتاء الفوقية أو النون مع العين المهملة والمعانى متقاربة ولعل بعض النسخ مصحفة (هات) بكسر التاء أى اعطنى (يدك) أى اليمنى (أبايعك) بسكون العين جزما على جواب الامر أى لابايعك على الايمان فبايعه وهو ممن أسلم فى أول الاسلام على ماذكره ابن عبد البر وأما قول الحلبى هات أمر من هاتى يهاتى فهو خلاف المشهور وما عليه الجمهور من انه اسم فعل ولذا ذكره صاحب القاموس فى مادة هيت وقال هات بكسر التاء أى اعطنى لكن ذكره فى المعتل اللام أيضا وقال هات يارجل أى اعط والمهاتاة مفاعلة منه ويؤيده انه يقال للمرأة هاتى (وقال جامع ابن شداد) بتشديد الدال الاولى وجامع هذا محاربى اسدى كوفى يقال له أبو صخرة يروى عن صفوان بن محرز وعدة وعنه القطان وابن عدى وهو ثقة توفى سنة ثمان عشرة ومائة على ماقاله ابن سعد ذكره الحلبى والحديث رواه البيهقى عنه انه قال (كان رجل منا) أى من أهل زماننا (يقال له طارق) وهو ابن شهاب أبو عبد الله المحاربى وله صحبة ورواية (فاخبرانه رأى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بالمدينة فقال) أى النبى عليه الصلاة والسلام له ولرفقائه (هل معكم شئ تبيعونه هذا الى

البعير) أى معنا للبيع (قال بكم) أى تبيعونه من الثمن (قلنا بكذا وكذا) لعل العطف لبيان عددين (وسقا من تمر) بفتح الواو وتكسر أى ستين صاعا على مافى حديث (فاخذ) أى النبى عليه الصلاة والسلام (بخطامه) أى برسنه الذى يقاد به (وسار الى المدينة) وفيه دلالة على صحة المعاطاة فى المعاملة (فقلنا) أى فيما بيننا (بعنا) أى بعيرنا (من رجل لاندرى من هو) أى باسمه ولا برسمه

ذم المنازل بعد منزلة اللوى * والعيش بعد أولئك الايام

فالمشار اليه هذه الكلمات (فلقد بلغن قاموس البحر) أى اشتهرت مقالتك هذه فى جميع أقطار الارض شرقا وغربا وقاموس البحر وسطه أو لجته أو قعره كما فى كتب اللغة من قمسه اذا غمسه ووزنه فاعول وهذه أشهر الروايات وأصحها وفيه روايات أخر فروى تاعوس بمثناة فوقية وعين وسين مهملتين بينهما واو ساكنة وروى قاعوس وروى فاعوس بفاء بدل القاف ورواه أبو داود قاموس أو قابوس على الشك فى الميم والباء الموحدة وروى ناعوس بالنون أيضا وقيل ان الكل تصحيف ماعدا قاموس وفاعوس كما قاله ابن قرقول يقال قال فلان قولا بلغ قاموس البحر أى سمعه كل ذى روح حتى دواب البحر وهو مبالغة فى شيوعه وروى قاعوس من القعس وهو خروج الصدر وبروزه وقيل انه تعجب ممن لم يسمعها ولم يصدق بها من العقلاء مع بلوغها هذا المبلغ (هات) بكسر التاء اسم فعل معناه اعط (يدك أبايعك) بالجزم فى جواب الامر ووجه استشهاد المصنف به انه بمجرد رؤيته وسماع كلامه صلى الله تعالى عليه وسلم آمن به من غير تردد وليس فى كلامه مايدل على صدق مدعاه ولكنه لما رأى نور وجهه الشريف وحسن بهجته آمن به (وقال جامع بن شداد) فى حديث رواه عنه البيهقى وهو أبو ضمرة الاسدى الكوفى والحديث روى عن صفوان وغيره وأخرج له أبو داود والنسائى وتوفى سنة ثمان أو سبع عشرة أو عشرين ومائة (كان رجل منا يقال له طارق) بن عبد الله المحاربى وهو صحابى كما أشار اليه بقوله (فاخبرانه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة) كما قال ابن شداد وغيره وله رواية عنه وقال ابن حبان انما رآه بمكة بذى المجاز وهو سوق بينه وبين عرفة فرسخ وهو مخالف لما قاله المصنف (فقال) له صلى الله تعالى عليه وسلم ولمن لقيه معه (هل معكم شئ تبيعونه) انما سألهم لانهم اعراب وانما يقدم مثلهم للبيع والشراء (قلنا هذا البعير قال بكم) تبيعونه (قلنا بكذا وكذا وسقا من تمر) بكسر الواو وفتحها وهو ستون صاعا مما يكال (فاخذ بخطامه) بخاء معجمة وطاء مهملة وميم وهو كالزمام وزنا ومعنى أى رسنه الذى يقاد به والباء مزيدة أى أخذه ليجره ويذهب به (وسار) أى ذهب من عندنا بالبعير (فقلنا) أى قال بعضنا لبعض (بعنا) بعيرنا (من رجل لاندرى من هو) حتى نطالبه بالثمن والوسق المبهم فى الحديث كان ستون صاعا كما ورد التصريح به فى رواية أخرى وقوله من هو مفعول ندرى والمعنى لاندرى جواب هذا السؤال وعدى البيع بمن وهو متعد بنفسه اما بناء على مذهب الاخفش من جواز زيادة من فى الاثبات وقال النووى انه لغة فيه فيتعدى بنفسه وبمن كانكح وزوج فانه يقال أنكحه وزوجه وأنكح وزوج منه وقد وقع هذا فى كثير من الاحاديث فلا عبرة بقول من عده من لحن الفقهاء وفى مسلم لو بعت من أخيك وفى البخارى تبيعه من الصواغين الى غير ذلك مما لايحصى *(تنبيه)* قوله وسقا منصوب لانه تمييز وكذا مركبة من كاف التشبيه واسم الاشارة ثم كنى به عن العدد وغيره وتكون مفردة ومكررة بعطف ودونه وذهب البصريون الى ان تمييزها لايكون الا مفردا منصوبا وذهب الكوفيون

(ومعنا ظعينة) أي امرأة مسافرة أو في هودجها أو تحمل اذا ظعنت أي ارتحلت على راحلتها وقد أبعد الدلجي في قوله أي امرأة سميت ظعينة لانها تظعن أي تسير مع زوجها حيث سار (فقالت أنا ضامنة) أي متضمنة وفي نسخة بالاضافة

الى انها بحسب ما يكنى بها عنه كناية عن ثلاثة الى عشرة وكذا كذا عبد كناية عن مائة فصاعدا وكذا كذا عبدا كناية عن أحد عشر واخواته وكذا كذا عبد كناية عن واحد وعشرين الى تسعة وتسعين وكذا عبدا كناية عن عشرين واخواته وتفصيله في شروح التسهيل وقد أفرده بالتصنيف ابن هشام وغيره (ومعنا ظعينة) جملة حالية والمراد بالظعينة المرأة من الظعن وهو الارتحال ولذا قيل ان حقيقته امرأة في هودج على جمل ثم تجوز به عما ذكر وللهودج بلا امرأة وللجمل نفسه وهو بظاء معجمة وعين مهملة وسميت المرأة ظعينة لظعنها مع زوجها (فقالت) أي المرأة لما سمعت كلامهم (أنا ضامنة لثمن البعير) أي أعطيه لكم من عندي ان لم يجئ لكم منه وانما أرادت انها واثقة بانه لابد أن يجئ به لما وقع في قلبها من أن مثله صلى الله عليه وسلم لا يغدر ولا يخالف بفراسة منها حين شاهدته ولذا قالت (رأيت وجه رجل مثل القمر ليلة البدر) هذا استئناف بيان لوجه ضمانها لمن لم تعرفه بانها رأت في وجهه صلى الله عليه وسلم نورا وحسن سيماء تدل على انه ليس ممن يصدر منه شر وشبهت وجهه الشريف بالقمر عند كماله وزيادة نوره على عادتهم في تشبيه الوجه الحسن به والا فأين للبدر مثل نوره وحسنه ولقد أجاد بعض الظرفاء في قوله

بلا غيبة للبدر وجهك أجمل * وما أنا فيما قلته متجمل

لكنما الشئ بالشئ يذكر كما قيل

ظبي اذا ما بدا محياه * أقول ربي وربك الله

وقد هجا ابن الرومي البدر فقال

لو أراد الاديب أن يهجو البدر * رماه بالخطة الشنعاء
قال يا بدر أنت تغرر بالشاري * وتعري بزورة الحسناء
كاف في شحوب وجهك يحكي * غشا فوق وجنة برصاء
يعتريك المحاق في كل شهر * فترى كالقلامة الحجناء
ويليك النقصان في آخر الشهر * فيمحوك من أديم السماء

(لا يخيس بكم) أي حسن صورته صلى الله تعالى عليه وسلم يدل على حسن سيرته فمثله لا يصدر عنه ما ظننتموه يقال خاس يخيس ويخوس اذا غدر وكذب فنكث عهده وأخلف وعده وهو بخاء معجمة وسين مهملة (فأصبحنا) أي مضى بعد أخذه صلى الله تعالى عليه وسلم البعير يوم وليلة ثم دخلنا في صبيحة يوم بعده (فجاء رجل) من أتباعه صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا الرجل لا يعرف اسمه (بتمر فقال أنا رسول رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اليكم) ثم استأنف جواب سؤال مقدر أو مطوى كأنهم قالوا ما فعل أو ما يقول فقال (يأمركم أن تأكلوا من هذا التمر) الذي جاء به (وتكتالوا) أي تكيلوا منه ثمن البعير (حتى تستوفوا) أي تأخذوا الثمن من التمر الذي جاء به وافيا كاملا غير ما أكلتموه فانه هبة منه لكم وفيه من المكارم وحسن المعاملة ما لا يخفى وفي الحديث خياركم أحسنكم قضاء (و) ورد (في) حديث رواه ابن اسحق في (خبر الجلندى) وقصته (وهو) أي الجلندى (ملك عمان) وسلطانها في عهد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وفي القاموس جلندا بضم أوله وفتح ثانيه وهو اللام المخففة ممدودا وبضم ثانيه فيقصر ووهم الجوهري فقصره مع فتح ثانيه قال الاعشى

وهي مصحفة (اثمن البعير) مبالغة في ضمانها بقبول الذمة لكمال الهمة وزوال التهمة (رأيت وجه رجل مثل القمر ليلة البدر) أي في وقت كماله من القدر (لا يخيس) بفتح الياء أي لا يغدر (بكم فاصبحنا) أي على ذلك المنوال (فجاء رجل بتمر) أي كثير (فقال أنا رسول رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اليكم يأمركم أن تأكلوا من هذا التمر) أي مقدار ما شئتم ضيافة لكم (وتكتالوا) أي وان تكتالوا (حتى تستوفوا) أي حتى تقبضوا قيمة بعيركم وافية (ففعلنا وفي خبر الجلندى) بضم الجيم واللام وسكون النون ودال مهملة وألف مقصورة أو ممدودة على اختلاف في اللغة وعبارة القاموس وجلنداء بضم أوله وبفتح ثانيه ممدودة وبضم ثانيه مقصورة اسم ملك عمان ووهم الجوهري فقصره مع فتح ثانيه انتهى وقوله (ملك عمان) بضم العين وتخفيف الميم على ما اختاره الحلبي وقال وفي نسخة عوض عمان غسان انتهى والظاهر انه سهو أو تصحيف كما لا يخفى وذكر الدلجي انه بفتح العين وتشديد الميم مدينة قديمة بالشام من أرض البلقاء وأما هو بالضم والتخفيف فصقع عند البحرين وحاصله انه روى وسيمة في كتاب الردة عن ابن اسحق في خبر الجلندى ملك عمان

(لما بلغه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يدعوه الى الاسلام) أي مع سائر الانام وهو يحتمل أن يكون بالكتابة أو بالرسالة (قال الجلندي والله لقد دلني على هذا النبي الامي) أي على صدق قضيته وثبوت حقيقته (انه) أي كونه عليه الصلاة والسلام (لا يأمر بخير) أي أحدا (الا كان أول آخذ به) بصيغة الفاعل أي عامل له (ولا ينهى عن شئ) أي أحدا (الا كان أول

وجلندا في عمان مقيما * ثم قيسا في حضرموت المنيف

ولا حجة له فيما ذكره لاحتمال انه ضرورة كما قاله تلميذه البرهان الحلبي وفي شرح المفصل لابن الحاجب الاولى ان لا تدخل عليه الالف واللام ومعناه القوي المتحمل من الجلادة كما قاله المعري في رسالة الغفران وعمان بفتح العين المهملة وتشديد الميم مدينة قديمة بالشام وبالضم والتخفيف صقع عند البحرين وفي الشروح نقلا عن الذهبي انه أشعر بما يدل على اسلامه وهذا يدل على عدم جزمه به والذي نقله النووي في تاريخه الجزم به وانه صلى الله تعالى عليه وسلم بعث عمرو بن العاص في سنة ثمان من الهجرة الى جيفر وعبد ابني الجلندي وهما من الازد والملك منهما جيفر وكتب اليهما كتابا فلما قدم عمان عمد الى عبد وكان أعلمهما وأحسنهما خلقا وقال اني رسول رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اليك والى أخيك فقال أخي مقدم علي في السن وهو الملك وأنا أوصلك اليه فمكث ببابه أياما ثم دعاني فدخلت عليه ودفعت اليه الكتاب ففض ختمه وقرأه ثم دفعه الى أخيه فقرأه فقال دعني يومي هذا وارجع الى غدا فلما رجعت اليه قال اني فكرت فيما دعوتني اليه فاذا أنا أضعف العرب ان ملكت رجلا ما في يدي فعلت اني خارج فلما أيقن بخروجي أرسل الي وأجاب الى الاسلام هو وأخوه وصدقا بالنبي صلى الله عليه وسلم وخليا بيني وبين الصدقة والحكم بينهم فلم أزل مقيما بينهم حتى بلغني وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى وهذا يدل على ان ملك عمان ابن الجلندي لا هو الا ان يقال كل من ملك عمان يسمى جلندي وأما ما في بعض الشروح من ان في بعض النسخ ملك غشان بتشديد الشين كشداد اسم قبيلة ولعل تلك القبيلة سكنت تلك البلدة وكان الجلندي ملكها فمما لا يعول عليه لمخالفته الرواية والنسخ الصحيحة وهو الذي صححه السهيلي والشراح كلهم (لما بلغه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يدعوه الى الاسلام) كما سيتم مفصلا (قال الجلندي والله لقد دلني على هذا النبي الامي) الذي لا يقرأ ولا يكتب ووصفه به لشهرته صلى الله تعالى عليه وسلم به في الكتب القديمة ولانه مدح له كما تقدم (انه لا يأمر بخير الا كان أول آخذ به) أي أول عامل بما أمر به صلى الله تعالى عليه وسلم (ولا ينهى عن شئ الا كان أول تارك له) كما قال صلى الله عليه وسلم اني لأتقاكم لله وأخشاكم له وهو كما قيل

لا تنه عن خلق وتأتي مثله * عار عليك اذا فعلت عظيم

وقوله انه الى آخره اسم تأويلا وهو فاعل دل (وانه يغلب) أعداءه وينتصر عليهم وهو مبني للفاعل (فلا يبطر) أي لا يطغى ويغتر ويظهر الفرح وهو خفة مذمومة وبطر من باب علم (ويغلب) بالبناء للمفعول أي يغلب أحيانا فان الحرب سجال كما جرت به عادة الله في أيامه (فلا يضجر) أي يقلق ويجزع بل يصبر ويتحمل ما أصابه في سبيل الله احتسابا للاجر ورضاء بما قدره الله تعالى كما هو عادة الانبياء عليهم الصلاة والسلام (ويفي بالعهد) فاذا عاهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أحدا لا ينكث عهده كما قال الله تعالى وأوفوا بالعهد (وينجز الموعود) أي يعجل ما وعد به لكرمه فالموعود اسم مفعول ويجوز أن يكون مصدرا فانه جاء على مفعول الا انه نادر (وأشهد أنه نبي) لما تحققه من أخلاقه وكمال صفاته صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا شاهد لما عقد له الفصل من ان من تأمل صفاته صلى الله تعالى عليه وسلم صدق بنبوته وان لم يشاهد معجزته (وقال نفطويه) ابراهيم بن محمد الامام الجليل بن

تارك له) وفي نسخة عن شر بدل عن شئ وهو الملائم لمقابلة قوله بخير (وانه) أي عليه الصلاة والسلام (يغلب) بصيغة المعلوم أي على أعدائه (فلا يبطر) بفتح الطاء أي لا يطغى أو لا يفتخر عند أحبائه (ويغلب) بصيغة المجهول (فلا يضجر) بفتح الجيم أي لا يجزع ولا يفزع بناء على قوله تعالى وتلك الايام نداولها بين الناس ولما في حكم ابن عطاء

ما دمت في هذه الدار لا تستغرب وقوع الاكدار وكما قيل الحرب سجال ولقول بعضهم

فيوما علينا ويوما لنا
ويوما نساء ويوما نسر

وفيه تنبيه على حسن الرضى تحت حكم القضاء مع العلم بان في غالبيته نصرة الاولياء وفي مغلوبيته كثرة الشهداء كما قال تعالى قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين فكل أمر المؤمن مقرون بخير في الكونين وقد قال تعالى ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون (ويفي بالعهد وينجز) بضم الياء وكسر الجيم (الموعود) أي ويصدق الوعد (وأشهد انه نبي) فلله دره وما أتم نظره حيث جعل محاسن جملته على الاقرار بنبوته من غير حاجة الى اظهار حجته وبيان معجزته (وقال نفطويه) بكسر النون وسكون الفاء وفتح الطاء المهملة والواو وفتح التحتية ساكنة فهاء مكسورة وقد سبق ذكره

عرقة

(في قوله تعالى يكاد زيتها يضيء) أي يفيض بالانوار من حيث ذاته (ولولم تمسسه نار) تفيد انارته باستنارة صفاته (هذا مثل ضربه الله تعالى لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله) أي كأنه تعالى يقول (يكاد منظره) أي يقرب ظاهر رؤيته (يدل على نبوته وان لم يتل قرآنا) من التلاوة وروى وان لم يقل من القول والفاعل فيهما ضميره صلى الله تعالى عليه وسلم أي وان لم ينضم لرؤيته تلاوة قراءته الدالة على أنواع معجزته (كما قال ابن رواحة) أي في نعته وهو بفتح الراء أنصاري نقيب بدري أحد شعرائه صلى الله تعالى عليه وسلم حضر أحدا والخندق واستشهد بمؤتة بضم الميم أميرا فيها سنة ثمان من الهجرة (لولم تكن فيه آيات مبينة) بكسر التحتية وفتحها أي لولم يوجد في حقه آيات ظاهرة ومعجزات باهرة (لكان منظره ينبيك بالخبر) أصله ينبئك بالهمزة فسكن ضرورة ثم جوز ابداله ياء لغة هذا وقد نسب الشيخ تقي الدين ابن تيمية هذا البيت الى حسان مع تغيير شطره الثاني حيث قال وما أحسن قول حسان

لولم تكن فيه آيات مبينة
كانت بديهته تأتيك بالخبر

انتهى ولا يخفى انه يمكن الجمع بالتوارد في المبنى وان كان أحدهما أظهر في المعنى (وقد آن) أي حان (ان نأخذ) أي نشرع (في ذكر النبوة) وهي حالة الولاية قبل نعت الرسالة (والوحي) أي وبيان الوحي الشامل لحال النبوة والرسالة أي وبيان الرسالة وما تتميز به عن مرتبة النبوة (وبعده) أي وبعد فراغ هذا الشان نشرع (في معجزة القرآن) أي وما يتعلق به من البيان (ومافيه) أي في القرآن (من برهان) أي حجة (ودلالة) بفتح الدال وتكسر أي وبينة من آية وعلامة تبين مبانيها وتعين معانيها ثم في هذا الباب ثلاثون فصلا

(فصل) (اعلم ان الله تعالى

عرفة بن سليمان الازدي الواسطي النحوي المفسر الاديب وقد تقدمت ترجمته وضبط اسمه بفتح أوله وواوه وسكون يائه وان المحدثين يضمون ماقبل الواو ويسكنونها كامر (في قوله تعالى) مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لاشرقية ولاغربية (يكاد زيتها يضيء ولولم تمسسه نار هذا مثل ضربه الله لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم) هذا بناء على الوقف على قوله تعالى الله نور السموات والارض وان معنى قوله تعالى مثل نوره وان الضمير في قوله تعالى مثل نوره لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم وان المشكاة هو أو صدره والمصباح علمه والزجاجة قلبه والزيتونة نبوته والمعنى ان نبوته تظهر وان لم يبد معجزة وبرهانا عليها وقد تقدم ذكر المصنف لهذه الآية وان هذا أحد تفاسيرها وانه بعيد وانما أعادها لما فيها على هذا من دلالتها على المقصود من ان المتأمل يشهد ويصدق نبوته وان لم يقم برهانا عليها فلا تكرار في كلامه كما توهم وهو على هذا تشبيه تمثيلي وهو ظاهر (يقول) الله تعالى (يكاد منظره) أي ما يتعلق به النظر من ذاته صلى الله عليه وسلم وصفاته (يدل على نبوته وان لم يتل قرآنا) أي وان لم يظهر صلى الله عليه وسلم معجزة وخص القرآن لانه أعظم معجزاته وتلاوة القرآن معلومة وروى وان لم يقل قرآنا ثم استشهد له بما يدل على معناه فقال (كما قال ابن رواحة) رضي الله عنه وهو عبد الله بن رواحة بن ثعلبة الانصاري الصحابي أحد شعراء رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقد شهد معه المشاهد الا الفتح فانه مات شهيدا بمؤتة سنة ثمان من الهجرة وهو أحد الامراء الثلاثة بها وهم زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب ومما روى من مدحه صلى الله عليه وسلم قوله

لولم تكن فيه آيات مبينة * لكان منظره ينبيك بالخبر

ومبينة بكسر الياء المشددة اسم فاعل وبفتحها اسم مفعول ومنظره مرآه وظاهره وفي رواية كانت بداهته وهذا على نهج قوله نعم العبد صهيب لولم يخف الله لم يعصه أي مما يترتب الجواب فيه على وجود الشرط وعدمه وهي على فقد الشرط أولى ويجوز ان يبقى على حاله لانه عند ظهور الآيات لا يحتاج الى الاستدلال بظاهر الحال فلا اشكال فيه أصلا وأصل ينبيك ينبؤك بالهمزة فابدلت ياء وأسكنت على حد قراءة بار يكم وفي جعل المنظر مخبرا من البلاغة مالا يخفى (وقد آن ان نأخذ) أي نشرع (في ذكر النبوة والوحي والرسالة) يقال أخذ في القراءة أي شرع فيها وأصل الاخذ التناول باليد ثم تجوز به عن معان منها هذا وآن بمعنى قرب أوانه (وبعده) أي بعد ذكرها نشرع (في معجزات القرآن وما فيه من برهان ودلالة) أي دليل قاطع على نبوته وهي بفتح الدال وكسرها مصدر ويستعمل بمعنى الدليل

(فصل اعلم) أمر بالعلم اهتماما بما بعده والخطاب عام لكل من وقف على كتابه أو لمن سأله تأليفه كما تقدم (ان الله جل اسمه) أي عظم وعظمت أسماؤه وجلالة اسمه تدل على جلالته بالطريق الاولى

قادر على خلق المعرفة) أي جميع المعارف الجزئية من العلوم الشرعية والعرفية (في قلوب عباده) أي على وفق مراده كما حكى عن سنته سبحانه في بعض الانبياء وكما روى عن مجاهد أوحى الله الزبور الى داود عليه السلام في صدره (والعلم) أي وعلى خلق العلم الكلي الاجمالي المتعلق (بذاته) أي الاسنى (وأسمائه) أي الحسنى (وصفاته) أي العلى (وجميع تكليفاته) أي التي ألزمها عقلاء مخلوقاته (ابتداء) أي بافاضة جذبة من جذباته (ودون واسطة) أي من ارسال ملائكته (لوشاء) أي لو تعلقت به مشيئته واقتضته حكمته (كما حكى عن سنته في بعض الانبياء) أي وروى عن بعض الاولياء من أمته حيث حصل لهم العلم اللدني من الالهام الالهي في أمور خارقة للعادة ظهر تحقيقها عند أصحاب الارادة (وذكره بعض أهل التفسير في قوله تعالى وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا) أي وحي الهام أورؤيا منام كما وقع لام موسى عليه السلام (وجائز) أي في قدرته بعد تعلق ارادته وفق حكمته (ان يوصل اليهم جميع ذلك) أي ما ذكر من العلوم الكلية والمعارف الجزئية (بواسطة) أي من ملك أونبي أوولي (يبلغهم كلامه) أي مما يقتضي مرامه (وتكون تلك الواسطة امامن غير البشر كالملائكة مع الانبياء أو من جنسهم كالانبياء مع الامم) وفي معناهم الاولياء مع اتباعهم فيما ينبغي لهم أتباعهم (ولا مانع لهذا) أي لما ذكر من حالتي الابتداء والواسطة في الابداء (من دليل العقل) أي وقد ثبت بدليل النقل (واذا جاز هذا) أي نقلا وعقلا (ولم يستحل) أي ولم يعد ذلك محالا أصلا (وجاءت الرسل بما دل على صدقهم من معجزاتهم) أي الباهرة وآياتهم القاهرة (وجب) أي على المرسل اليهم (تصديقهم في جميع ماأتوا به) أي من الامور الواجبة عليهم (لان المعجزة مع التحدي) أي طلب المعارضة (من النبي) أي ممن يصح ان يكون له نعت النبوة ولم يكن من أهل الاستدراج والسحر والمكر والحيلة (قائم مقام قول الله تعالى) أي شهادته في تحقيق دعوته

(صدق

(قادر على خلق المعرفة في قلوب عباده) وهي العلم بالجزئيات ويكون بمعنى مطلق العلم أيضا (والعلم بذاته) علما يقينيا وان لم يكن بالكنه والحقيقة (وأسمائه وصفاته) الذاتية وغيرها (وجميع تكليفاته) التي ألزمهم بها من الامور الشرعية والعبادات (ابتداء) فسره بقوله (دون واسطة) يتوسط بينه وبينهم في اعلامهم وتعليمهم ماذكر (لوشاء كما حكى عن سنته) أي عادته تعالى وطريقته (في بعض الانبياء) عليهم الصلاة والسلام اذعرفهم بعض الامور السابقة بدون واسطة بان أوقع ذلك في قلوبهم وكشفه لهم أو ألهمهم أوأراهم ذلك في مناماتهم الصادقة وهذا مما شاع وذاع وملأ الاسماع وكون كل علم منقسم الى نظري وضروري المراد به غير علوم الانبياء كما صرحوا به وفي الكشاف جرت العادة بان كل علم نظري كسبي ثم في قدرة الله تعالى احداث علم واحداث القدرة عليه من غير تقدم نظر قال بعضهم كعلوم الانبياء التي ليست ضرورية ولا نظر به فيخلق فيهم العلم بلا تقدم نظر لئلا يكونوا زمان النظر شاكين وذلك لا يصح عليهم في التوحيد ولو كان ضروريا لم يكن عليه أجر فجمع بين كونه مقدورا لينالوا الاجر وعدم تقدم النظر لينتفي الريب وهذا هو الذي ارتضاه المحققون فمانقل عن بعض مشايخ الصوفية ان علوم الانبياء جميعها ضرورية غير مسلم (وذكره بعض أهل التفسير في قوله وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا) بناء على ان الوحي يشتمل الالهام ونحوه وليس المراد به ما كان بواسطة الملك فقط (وجائز ان يوصل) الله معطوف على قوله أولاقادر (اليهم جميع ذلك) المذكور من العلوم السالفة (بواسطة يبلغهم) صفة واسطة بالفوقية أو التحتية أي يوصله بكلام يدل عليه (وتكون تلك الواسطة امامن غير البشر كالملائكة مع الانبياء) عليهم الصلاة والسلام سواء رأوهم متمثلين بصورة غير صورتهم أوعلى صورتهم الاصلية كما وقع لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم أولم يروهم كما كان يأتيه صلى الله تعالى عليه وسلم الوحي أحيانا كصلصلة الجرس وليس رؤية الملك مخصوص بالانبياء عليهم الصلاة والسلام بل قد يراه غيرهم من خلص عباده كريم (أومن جنسهم كالانبياء مع الامم) الذين يبلغونهم عن الله ما أمرهم بتبليغه (ولا مانع لهذا) المذكور بقسميه (من دليل العقل) أي من دليل هو العقل فالاضافة بيانية أو هي حقيقية يعني انه غير مستحيل خلافا للبراهمة الذين جعلوه مستحيلا لالذاته فنفوا ارسال الرسل كفرا وضلالا عما نطقت به الكتب الالهية ودلت عليه الادلة العقلية كما بين في الكتب الكلامية كما أشار اليه بقوله (واذا جاز هذا ولم يستحل) أي لم يعد محالا عقلا (وجاءت الرسل بما دل على صدقهم من معجزاتهم) الظاهرة المحققة (وجب تصديقهم في جميع ماأتوا به) عن الله وبلغوه لاممهم (لان المعجزة مع التحدي من النبي) أي اظهار النبي معجزة له وطلبه ممن أنكر نبوته الاتيان بما يماثلها لان معنى التحدي هو الطلب المذكور لانه مأخوذ من حدى الابل اذا تغنى لها لينشطها ومن دأبهم فيه ان يتقابل شخصان يتناوبان ذلك فهو من النبي (قائم مقام قول الله) الذي أقدره على ذلك وأمره به

(صدق عبدى فاطيعوه) أى فى الاصول (واتبعوه) أى فى الفروع (وشاهد على صدقه فيما يقوله) أى من اخبار الاولين وانباء الآخرين واحوال الدنيا واهوال العقبى فان التصديق بالفعل كالتصديق بالقول وتوضيحه انه اذا ادعى نبى الرسالة ثم قال آية صدقى فى دعواى ان الله تعالى أرسلنى ان يفعل كذا فنعل الله تعالى ذلك كان ذلك من الله تصديقا له فيما يدعيه من الرسالة بما فعل من نقض العادة فيكون ذلك كقوله عقيب دعواه صدقت ويستحيل من الحكيم تصديق الكاذب اللئيم ونظيره ان الرجل اذا قام فى محل عظيم وقال معشر الاشهاد انى رسول الملك اليكم ودعواه هذه بمرأى من الملك ومسمع ثم قال فان كنت أيها الملك صادقا فى دعواى فخالف عادتك وانتصب قائما وضع يدك على رأسى ثم أقعد فاذا فعل الملك ذلك اضطر الحاضرون الى تصديق الملك اياه وعلم صدقه بالضرورة فى دعواه (وهذا كاف) أى للمدعى (والتطويل فيه خارج عن الغرض) أى الاصلى ههنا (فن أراد تتبعه) أى مستقصى (وجده مستوفى فى كتب أئمتنا) أى مصنفات أئمتنا كما فى نسخة (رحمهم الله تعالى) حيث بالغوا فى تحقيق أمر التوحيد وما يتعلق به من أمر النبوة وما يتبعه من اثبات المعجزة وغيرها مع الادلة العقلية والنقلية وبيان المذاهب الباطلة كالحكماء والدهرية ثم المراد بالائمة علماء هذه الامة وأبعد الدلجى فى قوله يعنى المالكية اذلا دخل لهذه المباحث فى الفروع الفقهية الخلافية (فالنبوة فى لغة من يهمز) وهو نافع من بين القراء (مأخوذة من النبأ وهو الخبر) وتعديته بالهمزة تارة كقوله تعالى انبئونى وبالتضعيف أخرى كقوله سبحانه نبئ عبادى (وقد لا تهمز على هذا التأويل) أى مع بقائه على هذا المبنى وارادته من المعنى (تسهيلا) أى تخفيفا أوجبه كثرة الاستعمال بجعل الهمزة واوا وادغامها فى مثلها كالمروة واما فى نحو النبى فتخفيفه بجعل الهمزة ياء وادغامها فيما قبلها واما فى الانبياء فبابدال الهمزة ياء لانكسار ما قبلها (والمعنى) أى حينئذ على القراءتين (ان الله تعالى أطلعه على غيبه) أى بعض مغيباته أو على غيبه المختص به من عند ربه (وأعلمه انه نبيه فيكون نبينا) أى فى المبنى (منبأ) أى فى المعنى وهو بضم الميم وسكون النون وفتح الموحدة بعدها الهمزة المنونة أو بفتح النون وتشديد الموحدة (فعيل بمعنى مفعول) أى ولو كان على زنة مفعل (أو يكون) أى النبى (مخبرا عن ما بعثه الله به ومنبئا) بالتخفيف أو التشديد مكسورا أى معلما (عما أطلعه الله تعالى عليه ففعيل بمعنى فاعل أو يكون) أى النبى (عند من لم يهمزه) أو لم يقل بتسهيله وادغامه بعد تبديله (من النبوة) أى مأخوذا من النبوة بفتح النون وسكون الموحدة (وهو) ذكر باعتبار ما أخبر بقوله (ما ارتفع من الارض) أو بمعنى الرفعة (ومعناه) أى حينئذ على طبق مبناه (ان له رتبة شريفة ومكانة نبيهة) أى منزلة لطيفة

(صدق عبدى) ورسولى فيما ادعاه لما معه من البرهان الذى لا يقدر عليه أحد من جنسه (فاطيعوه واتبعوه) فى كل ما يأمركم به لانه من عند الله (وشاهد على صدقه) فى كل ما قاله وهو معطوف على قوله قائم خبران وقد تقدم الكلام على دلالة المعجزة وانها سمعية أو وضعية والفرق بينها وبين الكرامة والسحر (وهذا) الكلام (كاف) فيما قصدناه (والتطويل فيه خارج عن الغرض) الذى صنف الكتاب لاجله (فن أراد تتبعه) أى الوقوف عليه (وجده مستوفى) خبر من أو جوابها أى يقف عليه بتمامه وتفصيله (فى مصنفات أئمتنا رحمهم الله تعالى) وعلمائنا وفى نسخة فى كتب أئمتنا (والنبوة فى لغة من همزه) اشارة الى ان فيه لغتين الهمز وتركه الا أن الهمز هو الاصل كما ذهب اليه كثير من اللغويين والنحاة وان كان ترك الهمز هو الاكثر ولذا قيل انه لغة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وانه أنكر على ما قال له يا نبىء الله بالهمز ويأتى الكلام عليه (مأخوذ من النبأ وهو الخبر) لانبائه واخباره عن الله تعالى وقال الراغب النبأ خبر ذو فائدة عظيمة يحصل به علم أو غلبة ظن فلا يقال له نبأ حتى يتضمن هذه الاشياء الثلاثة ويكون صادقا فالخبر أعم منه (وقد لا تهمز) بالتاء الفوقية والبناء للمجهول أى النبوة ويجوز قراءته بالمثناة التحتية باعتبار اللفظ (على هذا التأويل) أى تفسيره بالنبأ (تسهيلا) أى تبدل همزته واوا لتخفيفها لكثرة الاستعمال فتبدل من جنس الحركة التى قبلها وهى الضمة والتسهيل عند القراء بمعنى جعل الهمزة بينها وبين الحرف الذى منه حركتها وليس بمراد هنا (والمعنى) أى معنى النبى المفهوم من الكلام على هذا القول (ان الله أطلعه على غيبه) أى أعلمه وأخبره بمغيباته (وأعلمه انه نبيه) الموحى اليه (فيكون نبيا منبئا) بصيغة المفعول مشدد الباء الموحدة ويجوز تخفيفها أى يكون من أطلعه وأعلمه نبيا بمعنى منبئا (فهو فعيل بمعنى مفعول أو يكون) معناه (مخبرا) بكسر الباء اسم فاعل (عما بعثه الله به ومنبئا) اسم فاعل بتشديد الباء وتخفيفها (عما أطلعه الله عليه) من علمه ومغيباته فهو (فعيل بمعنى فاعل) على هذا (ويكون عند من لم يهمزه) أى يقول بان أصله الهمز من النبأ مأخوذ (من النبوة) مصدر بزنة سلوة فى الاصل نقل وشاع بمعنى المرتفع (وهو) ذكره باعتبار اللفظ أى نظرا للخبر أى (ما ارتفع من الارض) فهو كالربوة لفظا ومعنى ثم بين المراد منه بقوله (معناه ان له) عند الله فى الواقع (رتبة شريفة ومكانة نبيهة) أى عالية مشهورة والنبيه ضد

(عندمولاه منيفة) بضم الميم وكسر النون أى زائدة أو مرتفعة وأصلها من أناف اذا أشرف ثم هو أيضا بهذا المعنى يحتمل أن يكون فى المبنى بمعنى الفاعل أو المفعول أى مرتفع الشان (أورفيع البرهان فالوصفان فى حقه مؤتلفان) أى الوصفان بالمعنيين من الخبر والرفعة وبالمبنيين من البناء للمفعول والفاعل باعتبار كل منهما فى حق النبى مجتمعان بل متلازمان واما قول الدلجى فالوصفان من كونه منبأ أومنبئا فقاصر عن استيفاء حق الموصوف كما لا يخفى على أهل المعروف (واما الرسول فهو المرسل) من ربه الى مكلفى خلقه لانفاذ حكمه (ولم يأت فعول بمعنى مفعل الانادرا) أى قليلا وقوعه بل ولم يعلم لغيره وروده (وارساله) أى لكونه ليس بحقيقى بل على وجه حكمى هو (أمر الله له بالابلاغ) وروى بالبلاغ أى بتبليغ أمره (الى من أرسل اليه) قال تعالى يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك ثم هذا الارسال قد يكون بواسطة الملائكة وقد يكون بدون الواسطة كما وقع لموسى اذناداه ربه بالوادى المقدس طوى اذهب الى فرعون انه طغى (واشتقاقه) أى أخذه من حيث المبنى (من التتابع) أى من حيث المعنى لقوله (ومنه قولهم جاء الناس أرسالا) بفتح أوله جمع رسل بفتحتين (اذا تبع بعضهم بعضا) أى فى المأتى وقد ورد انهم صلوا عليه صلى الله تعالى عليه وسلم أرسالا أى بعضهم تبع بعضا (فكأنه) أى الرسول (ألزم) بصيغة المجهول (تكرير التبليغ) بالنصب على انه مفعول ثان وفى نسخة التزم تكرير التبليغ فهو مفعول أول (أو) وفى نسخة الاول بالواو (ألزمت) وفى نسخة التزمت (الامة اتباعه) فهذا بيان التفرقة بين النبى والرسول بحسب المبنى وعلى مقتضى أصل اللغة فى المعنى (واختلف العلماء) أى بحسب الاصطلاح الشرعى أو العرفى (هل النبى والرسول بمعنى) واحد فيكونان مترادفين فى اطلاق كل منهما على الآخر (أو بمعنيين) أى متباينين أو متغايرين بان يكون النبى أعم والرسول أخص (فقيل هما سواء) أى فى المعنى فكل منهما انسان أوحى اليه بشرع مجدد أو غير مجدد

الخامل لتنبهه سعده من نومة الخمول والمكانة كالرتبة تختص بالمنازل المعنوية فجعل علوه معنى بظهوره كعلوه حسا (عند مولاه) وربه الذى تولى أموره (منيفة) عالية لا تصعد لها سواه وهو على هذا أيضا فعيل بمعنى مفعول لانه أى النبى مرفوع على غيره أو بمعنى فاعل لانه مرتفع لماله من رفيع الدرجات (فالوصفان) أى وصفه بالنبى بمعنى المخبر أو بمعنى المرتفع (مؤتلفان) أى متوافقان بحسب المعنى لان من بعثه الله وأطلعه على مالم يطلع عليه غيره له منزلة عالية ومن له مقام عال يطلع على ذلك أو المراد بالوصفين فعيل بمعنى فاعل أو مفعول والذى ارتضاه سيبويه انه مهموز كالذرية والبرية التزم تخفيفه فى الاكثر وكلاهما لغة وبهما قرئ فى السبع كما يأتى وقرأ نافع بالهمز فى جميع القرآن الافى موضعين ان وهبت نفسها للنبى * لاتدخلوا بيوت النبى والخلاف انما هو فى أيهما أصل ولذا قدم المصنف رحمه الله تعالى المهموز (واما الرسول فهو المرسل) اسم مفعول من أرسله اذا بعثه لامر وتبليغ رسالة (ولم يأت فعول) بفتح أوله اسم مفعول من الافعال (بمعنى مفعل) بضم الميم وفتح العين المهملة (فى اللغة) أى لغة العرب وكلماتهم ويجوز ان يراد به علم اللغة وكتبها (الانادرا) أى الافى ألفاظ قليلة قال السمين فى الدر المصون فعول بمعنى مفعول قليل جاء منه ركوب وحلوب بمعنى المركوب والمحلوب والرسول بمعنى المرسل انتهى وكلام المصنف رحمه الله تعالى يقتضى ان النادر فعول بمعنى مفعل من المزيد وكلام العرب انه قليل بمعنى المفعول مطلقا فان الغالب فيه معنى الفاعل كصبور وشكور الا أنه ان قيل ان الرسول فى الاصل مصدر بمعنى الرسالة لم يكن مما نحن فيه بل مجاز للمبالغة كالدرهم ضرب الامير أى مضروبه وقد ورد فى قول كثير بهذا المعنى وهو قوله

لقد كذب الواشون مابحت عندهم * بسر ولا أرسلتهم برسول

أى برسالة فما قيل ان فيه شيأ ليس بشئ (وارساله أمر الله له بالابلاغ الى من أرسل اليه) أى تبليغهم شريعته ودينه بنفسه أو بواسطة (واشتقاقه من) الارسال بمعنى (التتابع) أى التوالى والتكرار لتبليغه فالمناسبة بينهما ظاهرة (ومنه قولهم جاء الناس أرسالا) بفتح الهمزة جمع رسل بفتحتين اى فرقة بعد فرقة متتابعين يتبع بعضهم بعضا كما بينه بقوله (اذا تبع بعضهم بعضا) كما ورد فى الحديث انهم صلوا عليه صلى الله عليه وسلم أرسالا يتبع بعضهم بعضا ثم بين وجه اشتقاقه بقوله (فكأنه) صلى الله عليه وسلم (ألزم تكرير التبليغ) مرة بعد أخرى الى أمته (وألزمت الامة اتباعه) فرقة بعد فرقة وأمة بعد أمة لعموم رسالته فالتكرار والتتابع اما فى نفس تبليغه أو باعتبار اتباعه وأمته ولو عطفه باو كما فى نسخة كان أحسن فما قيل من ان فى كلامه بحثا لانه مأخوذ من جهة المعنى والاشتقاق من الالفاظ وان قولهم جاء الناس أرسالا ليس مصدر أرسلته لاختلاف المعنى كلام ناشئ من عدم فهم كلام المصنف رحمه الله تعالى وفيه خلط وخبط لا يخفى على من له بصيرة (واختلف العلماء) فى جواب قولهم (هل النبى والرسول بمعنى) واحد فهما مترادفان (أو بمعنيين) فهما متغايران غير مترادفين وفى نسخة أم بمعنيين ولذا قيل ان أو أحسن هنا وفيه كلام فى المغنى وشروحه ليس هذا محله (فقيل هما سواء) أى متساويان أو مترادفان لان

الاول التساوى فى الماصدق دون المفهوم كالانسان والناطق والثانى والتساوى فيهما فعبارته شاملة لهما الا ان مابعده أقرب الى الاول فعناهما كل من أوحى اليه بشرع (وأصله من الانباء وهو الاعلام) والارسال فيه اعلام أيضا لانه انما أرسل لذلك فهما متساويان واختلاف مفهومهما وترك بيانه للعلم به مما قبله ولا يرد عليه ان الاعلام أعم لانه قد يعلمهم بما لم يرسل به من نبوته وكذا قوله ان الآية لا تدل على ماذكر فانه من تلقى الركبان (واستدلوا) على تساويهما (بقوله تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى) لانه علق فعل الارسال بهما فاذا أرسل النبى لزم ان يكون الرسول نبيا والنبى رسولا واليه أشار بقوله (فقد أثبت لهما معا الارسال قال) المستدل (ولا يكون النبى الا رسولا ولا الرسول الا نبيا) وقيل عليه ان الآية انما تدل على ان النبى أعم من الرسول فانها ترق من ذكر الاخص الى ذكر الاعم والحديث الآتى الناطق بزيادة عدد الانبياء على عدد الرسل يأباه واعادة النفى تقتضى المغايرة فما ذكر ممنوع (وقيل هما مفترقان من وجه) فبينهما عموم وخصوص وجهى فكل رسول نبى وليس كل نبى رسول فمآله الى موجبة كلية وسالبة جزئية كما سيأتى بيانه والمشهور انه على هذا من أوحى اليه بامر الهى أمر بتبليغه أم لا والرسول من أوحى اليه بذلك وأمر بالتبليغ وقيل انه من كانت له شريعة ناسخة لغيرها وقيل من أنزل عليه كتاب والى هذا أشار المصنف رحمه الله تعالى بقوله (اذ قد اجتمعا) أى النبوة والرسالة (فى النبوة التى هى الاطلاع) بتشديد الطاء وتخفيفها أى سكونها (على الغيب) أراد به مالم يعلمه من أوامر الله تعالى وتشريعه له ما يختص به أو به وبغيره (والاعلام) من الله تعالى (بخواص النبوة) أى ما يختص بالنبوة الشاملة للرسالة كالعصمة والوحى بواسطة الملك أو بدونها كما وقع لموسى عليه الصلاة والسلام اذ كلمه الله تعالى قبل ارساله (أو الرفعة بمعرفة ذلك) المذكور من الاطلاع والاعلام وفى نسخة لمعرفة باللام بدل الباء السببية (وحوز درجتها) أى درجة النبوة العلية والحوز بحاء مهملة مفتوحة وواو ساكنة وزاى معجمة وهى حيازتها وتحصيلها وقوله الاطلاع والاعلام اشارة الى انها من النبئ المهموز ومابعده الى انه من النبوة الواوى وهى الرفعة كما تقدم ولا تكلف فى شئ من كلامه كما توهم (وافترقا) أى النبوة والرسالة (فى زيادة الرسالة) أى الامر بالتبليغ المعتبر (فى الرسول) دون النبى (وهو) أى الرسالة وذكره مراعاة للخبر وهو (الامر بالانذار والاعلام) بما أمر بتبليغه وهذا القيد المخصوص هو الذى حصل به الافتراق فى ماصدق عليه النبى ولا مخالفة بينه وبين ماقاله المنطقيون كما قيل لانهم اعتبروا ذلك فى ماصدقا عليه لا فى المفهوم وهذا كلام ناشئ من قلة التدبر (كما قلنا) اشارة الى ماقرره أولا (وحجتهم) أى دليل القائلين بان بينهما العموم والخصوص من وجه وليسا مترادفين مأخوذة (من الآية نفسها) التى استدل بها من ذهب الى القول فهى عليهم لا لهم (والتفريق بين الاسمين) يعنى النبى والرسول فان العطف واعادة النفى يدل على

(وأصله) أى أصل هذا المعنى باعتبار المبنى مأخوذ (من الانباء) أى الاخبار (وهو الاعلام) يعنى فيلزم معنى النبوة اذا كانت من الانباء معنى الرسالة التى بمعنى الاعلام والابلاغ وفيه انه لا يلزم من أنباء الله تعالى لعبده أمرا ان يكون مأمورا باعلامه لغيره (واستدلوا) أى لكونهما سواء فى المعنى (بقوله تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى فقد أثبت) أى الله تعالى (لهما الارسال معا) أى ولم يجعل للعطف حكما بمغايرة بينهما (ولا يكون) وفى نسخة قال ولا يكون والصحيح قالوا ولا يكون والاظهر فلا يكون (النبى الا رسولا ولا) أى ولا يكون (الرسول الا نبيا) أى بناء على ذلك المعنى وفيه ان الارسال هنا بالمعنى اللغوى وهو البعث والاظهار لا بالمعنى الاصطلاحى والا لكفى ان يقول وما أرسلنا من قبلك أحدا وسيأتى زيادة بيان لهذا المبحث (وقيل هما مفترقان من وجه) يعنى ومجتمعان من وجه اذ العطف يقتضى التغاير فى الجملة لاسيما وجود لا المزيدة للتأكيد والمبالغة (اذ قد اجتمعا) تعليل للقضية المطوية أى اجتمع مادتهما معنى (فى النبوة) أى على تقدير انها مهموزة وهى مأخوذة من الانباء (التى هى الاطلاع) أى لهما من عنده سبحانه وتعالى (على الغيب) أى على بعض الامور الغيبية من الامور الدينية والدنيوية والاخروية (والاعلام) أى وكذا الاعلام لهما من عند ربهما (بخواص النبوة) أى والرسالة والمعنى باختصاصهما بامور لا توجد فى غيرهما (أو الرفعة) أى أو اجتمعا فى الرفعة (بمعرفة ذلك) أى شأن النبوة والرسالة (وحوز درجتهما) أى احاطة مرتبة كل منهما (وافترقا فى زيادة الرسالة للرسول) أى باختصاص الارسال (وهو الامر بالانذار) وهو الاعلام بالشئ الذى يحذر منه (والاعلام) تفسير أو أخص مما قبله لشموله التبشير وتبيين أحكام الاسلام (كما قلنا) أى بينا فيما سبق من الكلام (وحجتهم) أى دليل أصحاب هذا القبيل من الاجتماع من وجه والافتراق من آخر لا كما قال الدلجى أى من قال بافتراقهما فتدبر (من الآية) أى من جهة الآية المتقدمة (نفسها) أى بعينها (التفريق بين الاسمين) أى ضرورة كون المعطوف غير المعطوف عليه كما هو الاصل فى تغاير المتعاطفين

تغايرهما (ولو كانا شيئا واحدا المحاسن تكرارهما في الكلام البليغ) وليس المقام مقام اطناب ولا تأكيد اذ لو كان كذلك حسن التكرار كقوله تعالى كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون ونحوه (قالوا والمعنى) ان معنى الآية على هذا (وما أرسلنا قبلك) أي أوحينا وأعلمنا (من رسول الى أمة) أمر بتبليغهم ما أرسل به وفي بعض النسخ من نبي والاولى أوفق بالنظم وأظهر (أو نبي ليس بمرسل الى أحد) فافترقا على هذا التفسير افتراقا ظاهرا وفي كلامه نوع خفاء أراد بعضهم ان يصلحه فافسده وفي الآية ترق لانه ترقى في النفي بذكر العام بعد الخاص وفي الاثبات ترقى به على العكس كما تقول ما في الدار انسان ولا حيوان ولو عكسته كان ذكر الانسان بعده لغوا فان قلت الذي استدل به أولا تعلق أرسلنا بهما فانه يقتضي ان النبي مرسل أيضا وما ذكره المصنف لا يدفعه * قلت وجه دفعه بما ذكرناه لما اقتضى هذا العطف التغاير لزم تاويل أرسلنا بمعنى يشملهما أي ما أرسلنا ملائكتنا أو حينا لاحد من نبي أو رسول لان ارسل متعد بنفسه أو هو من قبيل * وزججن الحواجب والعيونا *
ومن زائدة بعد النفي أي ما أرسلنا ولا نبأنا نبيا فتأمل (وقد ذهب بعضهم) مجاز من الذهاب وهو الخروج من مكان الى آخر قال في الاساس ذهب فلان الى قول أبي حنيفة اذا أخذ به واتخذه مذهبا (الى ان الرسول من جاء بشرع مبتدأ) ولم يكن مقررا لشرع غيره فشرعه لم يسبق اليه ومبتدأ بفتح التاء صفة شرع ويجوز كسرها على انه حال من ضمير جاء والاول أولى (ومن لم يأت به) أي بشرع مبتدأ لم يسبق اليه (نبي غير رسول وان أمر بالابلاغ والانذار) فبينهما عموم من وجه آخر (والصحيح والذي عليه الجماء الغفير) بمد الجماء وفي نسخة الجم والمعنى واحد أي الجماعة الكثيرة والجم بفتح الجيم وتشديد الميم والغفير بغين معجمة وفاء وفي الصحاح الجماء الغفير جماعة الناس يقال جاؤا جماء غفيرا ويمد ويقصر والجماء الغفير بالمد وجم الغفير والجم الغفير أي جميعا وأل زائدة والغفير صفة لازمة للجماء لا يفرد بدونها من الغفر وهو الستر كأنهم لكثرتهم ستروا وجه الارض ومعناه جاؤا جميعا بجملتهم شريفهم ووضيعهم وهو اسم ينصب كالمصدر كجاؤا جميعا وقاطبة والجم الكثير ونصبه لانه اسم وضع موضع المصدر وقيل انه مصدر ولا يلزم نصبه عند الكسائي وعليه يتمشى كلام المصنف رحمه الله تعالى لا على من ألزمه النصب وليس المراد الجميع بل الاكثر حتى يستشكل هو ويجاب بانه لم يعتد بغيرهم وصيرهم كالعدم (ان كل رسول نبي وليس كل نبي رسولا) وهو صادق القولين الاخيرين فبينهما عموم وخصوص وجهي لانه يشترط في الرسول دون النبي ان يؤمر بالتبليغ أو يكون له شرع جديد أو أنزل عليه كتاب والاول هو المشهور ولذا قال المحدثون اذا ورد في الحديث ذكر أحدهما أو قال قال رسوله أو نبيه لا يجوز له ان يبدله من يرويه وقيل انه لا يلزم ولكنه أولى وهذا في غير الاذكار فانها توقيفية ولذا ورد في حديث ان بعضهم قال في بعض الادعية آمنت بكتابك الذي أنزلت ورسولك الذي أرسلت فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم قل ونبيك الذي أرسلت كما في شرح مسلم وفيه بحث وقيل الرسول أعم يشمل رسل الملائكة كجبريل عليه الصلاة والسلام لكن الكلام انما هو في رسل البشر وقال صاحب القاموس في كتاب الصلاة ان النبي من أوحي اليه بأمر يختص به في نفسه حتى لا يجوز لغيره ان يتبعه فان أمر بتبليغ ما أمر به لامة مخصوصة أو لجميع الناس فهو رسول فان لم يكن له حكم مختص به فهو رسول لا نبي وان كان مع التبليغ له ما يختص به كنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فهو نبي ورسول فعلى هذا بينهما عموم وخصوص مطلق وليس كل رسول نبيا وقال انه الحق الذي لا شك فيه وهو مخالف لكلام المصنف رحمه الله تعالى * واعلم ان النبي ان كان من النبأ فهو مهموز وان كان من النبوة فغير مهموز كما تقدم وكلاهما جائز بهما قرئ في السبعة وما قوله صلى الله تعالى عليه وسلم لاعرابي قال له يا نبيء الله أي بالهمزة لست بنبيء الله ولكني نبي الله لان نبأ في لغة بمعنى خرج من أرضه وطرد فلا يسامه ذلك منعه وورد أيضا لا تنبئوا باسمي فانما

(ولو كانا شيئا واحدا) أي هنا (لما حسن تكرارهما في الكلام البليغ) أي البالغ غاية البلاغة المعجز لارباب الفصاحة عن قدرة المعارضة بأقصر سورة (قالوا) أي هؤلاء (والمعنى) أي المراد بالآية (وما أرسلنا من رسول) وفي نسخة من نبي (الى أمة) أي مأمور بالعبادة والدعوة (أو نبي) أي مأمور بالعبادة فقط (وليس بمرسل الى أحد) أي من الخلق بدعوة الى طريق فالاول كامل والثاني مكمل فهو أخص وذاك أتم وأعم والله تعالى أعلم (وقد ذهب بعضهم الى ان الرسول من جاء بشرع مبتدأ) أي مجدد بان لا يكون مقررا لشرع من قبله (ومن لم يأت به) أي بشرع مبتدأ وقد أوحي اليه فهو (نبي غير رسول وان أمر) أي ولو أمر (بالابلاغ والانذار) لانه لم يأت بزيادة من الاحكام والآثار (والصحيح) وكذا الشهير (والذي عليه الجماء) بفتح الجيم وتشديد الميم ممدودا وفي نسخة الجم (الغفير) بالغين المعجمة والفاء أي الجمع الكثير وهم الجماهير (ان كل رسول نبي وليس كل نبي رسولا) اذ النبي انسان أوحي اليه سواء أمر بالتبليغ أم لا بخلاف الرسول فانه نبي مأمور بتبليغ الرسالة سواء تكون هذه الرسالة تقدمت أو تجددت

أنا

أنا نبي الله ومعنى لا تنبؤا لا تهمزوا وليس في هذا ما يقتضي منعه على الاطلاق كما قاله ابن سيده (وأول الرسل آدم وآخرهم محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) ولا ينافي هذا ما في البخاري في حديث الشفاعة من انهم يقولون لنوح عليه الصلاة والسلام أنت أول الرسل الى أهل الارض لانهم لم يقولوا انه أول الرسل مطلقا بل أول الرسل الى أهل الارض في عصره ولذا قال في الدعاء عليهم لا تذر على الارض من الكافرين ديارا وآدم عليه الصلاة والسلام انما أرسل الى بنيه وهم مؤمنون به وادريس وشيث عليهما الصلاة والسلام لم تعم رسالتهما وهذا لا ينافي اختصاص نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم بعموم الرسالة الى آخر الزمان فلم تختص بعصر ولا بقوم وعمت رسالته الانس والجن والملك كما تقدم (وفي حديث أبي ذر) الذي رواه أحمد في مسنده وابن حبان والحاكم في مستدركه وسيأتي بطوله (عنه) صلى الله تعالى عليه وسلم (ان الانبياء مائة ألف وأربعة وعشرون ألف نبي) وقد قال الحاكم في مستدركه انه طعن في بعض رواته وقيل انه منكر وقال القرطبي انه أصح حديث ورد في عدد الانبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام وقيل ان أصحابه عليهم الصلاة والسلام كانوا بهذه العدة أيضا عند وفاته صلى الله تعالى عليه وسلم وعن كعب الاحبار انهم ألفا ألف ومائتا ألف وعن مقاتل انهم ألف ألف وأربعمائة ألف وأربعة وعشرون ألفا وقد عرفت ان الاول أصح ما في الباب (وذكر ان الرسل منهم) أي من الانبياء عليهم الصلاة والسلام (ثلثمائة وثلاثة عشر أولهم آدم عليه الصلاة والسلام) وقيل أربعة عشر كعدد أصحاب طالوت ويوافقه ان أحرف اسم نبينا بالجمل الكبير ثلثمائة وأربعة عشر اذ فيه ثلاث ميمات لان الحرف المشدد بحرفين ولفظ ميم ثلاثة أحرف فجملتها مائتان وسبعون ولفظ دال بخمسة وثلاثين ولفظ حاء بتسعة ففي اسمه الكريم اشارة الى ان جميع الكمالات الموجودة في المرسل موجودة فيه صلى الله عليه وسلم وزيادة واحد على القول الاول والحديث الاول طويل أورده الحاكم في

(وأول الرسل آدم عليه السلام) أي الى بنيه وكانوا مؤمنين وكذا شيث وادريس عليهما السلام وأما نوح عليه السلام فاول رسول الى كفار قومه (وآخرهم محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) أي اجماعا بشهادة قوله تعالى وخاتم النبيين والحديث لا نبي بعدي (وفي حديث أبي ذر عنه) أي عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مرفوعا على ما رواه أحمد وابن حبان (ان الانبياء مائة ألف وأربعة وعشرون ألف نبي وذكر) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (ان الرسل منهم) أي من الانبياء (ثلثمائة وثلاثة عشر) وفي رواية خمسة عشر جم الغفير أي الجمع الكثير فهو من باب مسجد الجامع (أولهم آدم عليه السلام) أي أول الرسل آدم وهو في مستدرك الحاكم أيضا في ترجمة عيسى ابن مريم بسنده الى أبي ذر قال دخلت على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو في المسجد فاغتنمت خلوته فقال لي يا أبا ذر ان للمسجد تحية ركعتان فركعتهما ثم قلت يا رسول الله انك أمرتني بالصلاة فما الصلاة قال خير موضوع فمن شاء أقل ومن شاء أكثر ثم ذكر الحديث الى ان قال قلت كم النبيون قال مائة ألف وأربعة وعشرون ألف نبي قلت كم المرسلون منهم قال ثلثمائة وثلاثة عشر وذكر باقي الحديث وتعقبه الذهبي في تلخيص المستدرك فقال قلت السعدي ليس بثقة انتهى وفي الصحيحين في باب الشفاعة قالوا يا نوح أنت أول الرسل الى أهل الارض الحديث قال القاضي في شرح مسلم وتبعه النووي ومثل هذا يسقط الاعتراض بآدم وشيث ورسالتهما الى من معهما وان كانا رسولين فان آدم انما أرسل لبنيه ولم يكونوا كفارا بل أمر بتبليغهم الايمان وطاعة الله وكذلك خلفه شيث بعده فيهم بخلاف رسالة نوح الى كفار أهل الارض قال القاضي وقد رأيت أبا الحسن بن بطال ذهب الى ان آدم وادريس رسولان هذا وذكر بعضهم ان عدد أصحابه عليه الصلاة والسلام كعدد الانبياء مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا وذكر أبو زرعة أنه مات رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأصحابه مائة ألف وأربعة عشر ألفا ولعله اقتصر على ذكر الصحابة الكبار أو الرواة منهم والله تعالى أعلم ثم قيل والرسل ثلثمائة وأربعة عشر وقيل كعدد أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر ولم يجاوزه الا مؤمن وهم ثلثمائة وبضعة عشر وكذا عدد أهل بدر وقيل ان عدد الرسل مأخوذ من لفظ حروف محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وجملته ثلثمائة وأربعة عشر وان مد الحاء فخمسة عشر فالميم ثلاثة أحرف ميم وياء وميم والحاء حرفان حاء وألف والميمان المضعفان ستة أحرف والدال ثلاثة أحرف دال وألف ولام فاذا عددت حروف اسمه كلها ظواهرها الجلية وبواطنها الخفية حصل لك ثلثمائة وأربعة عشر فالثلاثة عشر والثلثمائة على عدد الرسل الجامعين للنبوة ويبقى واحد من العدد وهو مقام الولاية المفرق على جميع الاولياء والاقطاب التابعين للانبياء فاسمه جامع للنبوة والولاية وفيه انه هو أصلهم وما افترق فيهم اجتمع فيه ومن هذه الزبدة ما في البردة

وكلهم من رسول الله ملتمس * غرفا من البحر أو رشفا من الديم

هذا وقد ذكر التلمساني في حديث أبي ذر بلفظ طويل جدا ومن جملته بابي أنت وأمي يارسول الله فكم كتاب أنزل الله قال أنزل الله تعالى مائة كتاب وأربعة كتب أنزل على شيث بن آدم خمسين صحيفة وعلى ادريس ثلاثين وعلى ابراهيم عشرا وروى عشرين وعلى موسى من قبل انزال التوراة عشر صحائف وأنزل التوراة والانجيل والزبور والفرقان الحديث ثم اعلم ان الاحوط ان لانعين في الانبياء والرسل عددا معينا ولا حدا مبينا بل نؤمن ان أولهم آدم وآخرهم نبينا الخاتم وان مابينهما من الانبياء والمرسلين كانوا على الحق المبين لانك متى حصرتهم على عدد يحتمل أن يكونوا أزيد من ذلك أو أنقص مما هنالك فيؤدي اما الى انكار بعض الانبياء أو الى شهادة غير النبي بانه نبي ٤٥٦ وهذا طريق الماتريدي (فقد بان) أي ظهر وتبين (لك معنى النبوة والرسالة وليستا)

أي النبوة والرسالة (ذاتا للنبي) لقضاء البديهة به (ولا وصف ذات) أي قائمة بها (خلافا للكرامية) بتشديد الراء والياء التحتية للنسبة وفي نسخة بتخفيف الراء على انه لغة بمعنى الكرم أو الكرامة وفي أخرى بكسر الكاف على انه جمع الكريم والمعول هو الاول على انه علم له أو لقب لكونه عاملا في الكرم أو حافظا له والله تعالى أعلم والحاصل انهم ينسبون الى محمد بن كرام ومحمد هذا كنيته أبو عبد الله السجزي سمع على ابن حجر وغيره مات بالقدس سنة خمس وخمسين ومائتين وهو صاحب المقالة كذا ذكره الحلبي وفي القاموس ومحمد بن كرام كشداد امام الكرامية القائل بان معبوده مستقر على العرش وانه جوهر تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا

مستدركه كما رونقل البرهان مافي بعض رواته من الكلام وطويناه لانه لاثمرة له هنا (فقد بان لك معنى النبوة والرسالة) على الاقوال الثلاثة من الترادف والعموم والخصوص من وجه أو مطلقا كما فصلناه (وليستا) أي النبوة والرسالة (ذاتا للنبي عند المحققين) أي ليستا أمرا ذاتيا في الرسول جبله طبعه الله عليها كالعقل وغيره من الغرائز وليست النبوة مكتسبة برياضة وتصفية باطن كما ذهب اليه الحكماء وانما هي أمر طارئ عليه بارادة الله تعالى وفضله والله تعالى أعلم حيث يجعل رسالته (ولا صفة ذات) أي ليست صفة قائمة بذاته موجودة فيه صلى الله عليه وسلم قبل الوحي اليه (خلافا للكرامية) فهؤلاء قالوا انهما أمران غير الوحي وأمر الله بتبليغ شريعته فصاحبهما متصف بهما وان لم يوح اليه * أقول ان أراد هؤلاء ان الله تعالى خلق له نفسا قدسية وأودع فيها قوى يستعد بها التلقي الوحي والعلم بربه وان سمى النبوة هذا وان أطلقوها على مايترتب عليها وانه ركب فيه نورا كان يشاهد في آبائه وينقل في أصلابهم وذلك من نعم الله أيضا كايجادنا ابتداء فالامر فيه سهل والا فهو لغو من القول والكرامية بتشديد الراء وتخفيفها على القولين وفتح الكاف وكسرها على التخفيف قال في المغرب أخبرني صديقي الثقة ابن خولة ان عبد العزيز العرجي ذكر في تاريخه هذا الرجل وهو محمد بن كرام الذي نسب اليه الكرامية فقال كرام بوزن حذام وقطام وقيل انه كرام على لفظ جمع كريم وهو الجاري على ألسنة أهل سجستان وهي بلدته كما قال فيه البستي رحمه الله

ان الذين لجهلهم لم يقتدوا * بمحمد بن كرام غير كرام
الفقه فقه أبي حنيفة وحده * والدين دين محمد بن كرام

فهم منسوبون لمحمد بن كرام بفتح الكاف وتشديد الراء كما قال السمعاني وقال لان والده كان يحفظ كرما أو يعمل فيه وكذا صححه في الميزان وقال ابن الصلاح انه لامعدل عنه وكذا صححه ابن ماكولا والذهبي وأنكره ابن الهيضم وهو من أهل مذهبه ادعى انه أدرى كما عن البستي وانما هو مخفف الراء مع فتح الكاف بمعنى كرم أو كرامة وبكسرها على لفظ الجمع وكان صاحب مذهب العقائد وغيرها واه رواية في الحديث وكان يجوز الكذب على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في الترغيب والترهيب لانه له لا عليه فعليه ماعليه ومات في القدس في صفر سنة خمس وخمسين ومائتين (في تطويلهم) في بيان مقالتهم وتأييدها (وتهويل) أي تخويف وتقريع لمن عدل عن مذهبهم في هذا (ليس عليه تعويل) أي هو مع ذلك ساقط ضعيف لايعتمد عليه ولايلتفت اليه ويجوز ان يريد بالتهويل تزيين الباطل وزخرفته ففي القاموس التهويل الالوان المختلفة وزينة النصارى وهذا أقرب

وكان قد سجن بنيسابور ثمانية أعوام لاجل بدعته ثم أخرج فسار الى بيت المقدس ومايلي الشام (في لتسمية تطويلهم) أي في كثرة تعليل (وتهويل) أي تخويف وتخييل (ليس عليه تعويل) أي اعتماد من جهة دليل اذ قالوا هما صفتان قائمتان بذات الرسول سوى الوحي وأمر الله له بالتبليغ والمعجزة والعصمة وصاحبهما الاتصافه بهما رسول وان لم يرسله الله ويجب عليه ارساله لاغير فهو اذا أرسل مرسل وكل مرسل رسول بلا عكس أي وليس كل رسول مرسلا اذ قد لايرسله قالوا ويجوز عزل المرسل عن كونه مرسلا دون الرسول اذ لايتصور عزله عن كونه رسولا على مازعموا كذا ذكره الدلجي وقال التلمساني ان الكرامية قائلون بان الانبياء والرسل مجبولون على النبوة والرسالة وانهم أنبياء مذ خلقوا من دون ان يوحى اليهم واستدلوا على ذلك بما روى عن أبي هريرة قال قالوا يارسول الله متى وجبت لك النبوة قال وآدم بين الروح والجسد

(وأما الوحي) أي وان كان يطلق على معان من الصوت الخفي والالهام والاشارة ونحوها (فاصله الاسراع) لحديث اذا أردت أمرا فتدبر عاقبته فان كان شرا فانته وان كان خيرا فتوجه أي فاسرع اليه وهاؤه للسكت كذا ذكره الدلجي والظاهر انه تصحف عليه وانه بالجيم وسكون الهاء الاصلي على انه أمر من التوجه ويؤيده ان لفظ الحديث على ما في الجامع الصغير للسيوطي اذا أردت أمرا فتدبر عاقبته فاذا كان خيرا فامضه وان كان شرا فانته رواه ابن المبارك في الزهد عن ابن جعفر عبد الله بن مسور الهاشمي مرسلا وفي معناه حديث اذا أردت أمرا فعليك بالتؤدة حتى يريك الله منه المخرج رواه البخاري في الادب المفرد والبيهقي في شعب الايمان عن رجل من بلي مرفوعا (فلما كان النبي) أي جنسه (يتلقى) أي يأخذ ويتلقن (ما يأتيه من ربه بعجل) أي بسرعة من غير تؤدة (سمي وحيا) ولعله من هذا القبيل كان سرعة أخذه يناسب صلى الله تعالى عليه وسلم في تناول التنزيل عند قراءة جبريل حتى نزل تسلية له في التحصيل قوله تعالى لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم ان علينا بيانه (وسميت أنواع الالهامات) أي الواردة لافراد الانسان والحيوانات (وحيا) كقوله تعالى وأوحينا الى أم موسى أن ارضعيه وقوله سبحانه وتعالى وأوحى ربك الى النحل الآية (تشبيها) أي لها (بالوحي الى النبي) أي في تلقيها بعجلة والالهام هو القاء شئ في الروع يبعث على الفعل أو الترك يختص به الله من يشاء من عباده ومخلوقاته (وسمي الخط) أي الكتابة (وحيا لسرعة حركة يد كاتبه) أو لسرعة ادراك الخط من صاحبه (ووحي الحاجب) أي اشارته (واللحظ) أي ايماء العين (لسرعة اشارتهما) أي حركتهما بهما (ومنه) أي ومن قبيل اطلاق الوحي على الاشارة المطلقة (قوله تعالى فاوحى اليهم ان سبحوا بكرة وعشيا أي (أومأ أو رمز) أي أشار باحد أعضائه (وقيل كتب) أي لهم على الارض ان سبحوا (ومنه) أي من كون الوحي بمعنى الاشارة بالسرعة قولهم كما في حديث أبي بكر رضي الله تعالى عنه (الوحاء) بفتح الواو (الوحاء) يمد ويقصر على ما ذكره الجوهري وقيل ان كرر مد وقصر وان أفرد مد والتكرير للمبالغة ونصبه على الاغراء ومعناه كما قال (أي السرعة السرعة) بضم السين وقيل بفتحها أيضا يعني الزموها ويقال الوحاء الوحاء بكسر الواو أي البدار البدار بمعنى المبادرة والمسارعة (وقيل أصل الوحي السر) أي الاسرار (والاخفاء) ومن ثمة قالوا هو الاعلام على وجه الخفاء (ومنه) أي ومن كون الوحي هو السر (سمي الالهام وحيا) أي لخفائه على غير أهله (ومنه قوله تعالى وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم) يعني من المشركين (أي يوسوسون في صدورهم) يعني لاغوائهم (ومنه

لتسمية المصنف (وأما الوحي فاصله) أي معناه الحقيقي الذي وضع له أولا (الاسراع) وفي الحديث اذا أردت أمرا فتدبر عاقبته فان كان شرا فانته وان كان خيرا فتوجه أي أسرع فيه والهاء للسكت وقال الاعشى

مثل ريح المسك ذاك ريحها * صبها الساقي اذا قيل توجه

ويقال أوحى بمعنى أومأ أو تكلم بكلام خفي (فلما كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يتلقى ما يأتيه من ربه بعجل سمي) أي ما يأتيه من ربه (وحيا) أي متلقي بسرعة فاطلق عليه المصدر مبالغة ثم صار حقيقة في كل ما يوحى اليه (وسميت أنواع الالهاميات وحيا) كقوله تعالى وأوحى ربك الى النحل (تشبيها بالوحي الى النبي) في سرعته ووقوعها في القلب فهو استعارة تحقيقية والالهام القاء أمر في الروع باعث على الفعل أو الترك (وسمي الخط وحيا) على الاستعارة التحقيقية أيضا أو المجاز المرسل (لسرعة حركة يد كاتبه) هو وجه الشبه بينهما (ووحي الحاجب واللحظ) هو في أصل مؤخر العين ثم أطلق على النظر فيقال لحظه بعينه وهو هنا مستعار (لسرعة اشارتهما) أي حركتهما بسرعة للاشارة بهما (ومنه) أي من اطلاق الوحي على الاشارة (قوله تعالى فاوحى اليهم ان سبحوا بكرة وعشيا أي أومأ) بهمزة في آخره وقد استعمل منقوصا أيضا بالالف كاوحى لفظا ومعنى (ورمز) بتخفيف الميم أي أشار بالعين أو بالشفة (وقيل) معناه هنا (كتب) لان الوحي يكون بمعنى الكتابة كما تقدم (ومنه قولهم) أي قول العرب (الوحاء الوحاء) بفتح الواو والمد والقصر ويقال الوحاك بكاف الخطاب أيضا كما في الاساس وهو منصوب بفعل مقدر للاغراء (أي السرعة) والعجلة (وقيل أصل الوحي) لغة (السر والاخفاء ومنه) أي من كونه بمعنى الاخفاء (سمي الالهام وحيا) لخفائه وهو أظهر مما تقدم من ان معناه السرعة (ومنه) أي من هذا القبيل (قوله تعالى وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم) أي من يوالهم ويصادقونهم من المشركين (أي يوسوسون في صدورهم) أي يلقون في قلوبهم والمراد بالشياطين مردة الجن والمراد باوليائهم كفرة قريش أو مردة الانس من مجوس هجر وفارس والوسوسة كالالهام الالقاء في القلب الا ان الاول يختص بالخير وهذا بغيره ولذا أتبعه بقوله (ومنه) قوله تعالى

(وأوحينا الى أم موسى أى ألقى فى قلبها) بصيغة المجهول كما صرح به الحلبي وغيره ويجوز ان يكون بصيغة المعلوم أى قذف الله تعالى الهاما أو مناما أن ارضعيه أى ما أمكنك اخفاؤه فاذا خفت عليه الآية (وقد قيل ذلك) أى ما ذكر من الوحي

(وأوحينا الى أم موسى) أن ارضعيه (أى ألقى) ببناء المجهول (فى قلبها) مناما والهاما وقيل انه وحى حقيقى كالوحى الى الانبياء عليهم الصلاة والسلام (وقد قيل ذلك) التفسير السابق (فى قوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا أى ما يلقيه فى قلبه دون واسطة) والذى رجحوه فى هذه الآية ان المراد بالوحى فيها المشافهة بكلام الله تعالى لنبينا صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج وكلامه لموسى عليه الصلاة والسلام وحديث أبى ذر المشار اليه هو هذا قال دخلت المسجد فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس فجلست اليه فقلت بابى أنت وأمى أمرتنى بالصلاة فاى الصلاة وقال الصلاة خير موضوع استكثر منه أو أقل قال فقلت فاى الاعمال أفضل قال ايمان الله وجهاد فى سبيل الله فقلت أى المؤمنين أكمل ايمانا قال أحسنهم خلقا فقلت أى المسلمين أسلم قال من سلم المؤمنين من يده ولسانه فقلت أى الهجرة أفضل فقال هجر السيئات فقلت أى الصلاة أفضل قال طول القنوت قلت أى الليل أفضل قال جوف الليل الغابر قلت أى الصلاة أفضل قال فرض مجزى عند الله وعند الله أضعاف كثيرة قلت أى الصدقة أفضل قال جهد من مقل يسير الى فقير قلت فاى الرقاب أفضل قال أغلاها ثمنا وأنفسها عند أهلها قلت فاى الجهاد أفضل قال من هرق دمه وعقر جواده قلت فاى شئ أعظم مما أنزل الله عليك قال آية الكرسى يا أبا ذر ما السموات السبع والارضون السبع فى الكرسى الا كحلقة ملقاة فى فلاة من الارض وفضل العرش على الكرسى كفضل تلك الفلاة على الحلقة قلت بابى أنت وأمى فكم الانبياء قال مائة الف وأربعة وعشرون ألفا قلت فكم الرسل من ذلك قال ثلاثمائة وثلاثة عشر جم غفير قلت فمن كان أولهم قال آدم قلت نبى مرسل قال نعم خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه ثم سواه قال يا أبا ذر أربعة سريانيون آدم وشيث واخنوخ وهو ادريس وهو أول من خط بالقلم ونوح وأربعة من العرب هود وصالح وشعيب ونبيكم يعنى نفسه صلى الله تعالى عليه وسلم وابراهيم وسائرهم من بنى اسرائيل فاول الانبياء آدم وآخرهم أنا وأول أنبياء بنى اسرائيل موسى وآخرهم عيسى قلت فكم كتاب أنزله الله تعالى قال مائة كتاب وأربعة كتب أنزل على شيث بن آدم خمسين صحيفة وأنزل على أخنوخ ثلاثين صحيفة وأنزل على ابراهيم عشر صحائف وأنزل على موسى قبل التوراة عشر صحائف وأنزل التوراة والانجيل والزبور والقرآن قلت فما كان فى صحف ابراهيم قال كانت امثالا كلها منها أيها المغرور المسلط انى لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها الى بعض ولكن لترد عنى دعوة المظلوم فانى لا أردها وفيها على العاقل ما لم يكن مغلوبا على عقله أن لا يكون ظاعنا الا فى ثلاث تزود لمعاد وحرفة لمعاش ولذة فى غير محرم

* (فصل اعلم ان معنى تسميتنا ما جاءت به الانبياء) * عليهم الصلاة والسلام (معجزة هو ان الخلق عجزوا عن الاتيان بمثلها) العجز عند العرب ان لا يقدر على ما يريده يقال عجز بفتح الجيم يعجز بكسرها ويقال أيضا بكسر الجيم فى الماضى وفتحها فى المضارع كما حكاه الاصمعى وغيره ويقال عجزه كذا اذا فاته وقيل المعجز فى الحقيقة هو الله خالق العجز فيمن تحدى فلم يقدر على المثل فان من خرجت عن مقدورهم لا يتصور فيهم العجز لعدم قدرتهم وما لم عليه قدرة لا يتصور عجزهم عنه أيضا فان العجز يقارن المعجوز عنه فلو عجزوا وجدت المعارضة منهم ولم توجد فالمعنى مجازا امتناع المعارضة وانتفاء القدرة وحقيقته ان الاعجاز اثبات عجز المرسل اليهم فاستعير لاظهار العجز وأسند لسببه الذى هو اظهار الخوارق وجعل اسما فالتاء للنقل من الوصفية الى الاسمية أو للمبالغة كتاء علامة وفيه بحث لا يخفى (وهى) المعجزة (على ضربين) أى هى اسم شامل لنوعين مقدور وغير مقدور (ضرب هو من نوع قدرة البشر) أى مقدورهم الذى يمكنهم الاتيان

بمعنى الالهام أو المنام (فى قوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا أى ما يلقيه فى قلبه) يعنى الهاما أو مناما (دون واسطة) أى كما يفهم من المقابلة بقوله أو من وراء حجاب كموسى عليه السلام أو يرسل رسولا كجبريل أو غيره من الملائكة فالواسطة اما معنوية أو صورية ودونها مختصة بالواقعة القلبية والله سبحانه وتعالى أعلم بحقائق القضية

* (فصل) *

(اعلم ان معنى تسميتنا ما جاءت به الانبياء) أى من الآيات الخارقة للعادة (معجزة هو ان الخلق) أى المرسل اليهم (عجزوا) بفتح الجيم وهى اللغة الفصحى ومنه قوله تعالى أعجزت وتكسر على لغة فالمستقبل على عكسهما أى لم يقدروا وحيث ضعفوا (عن الاتيان بمثلها) فكأنها أعجزتهم عن معارضة اظهار نظيرها والا فالمعجز فى الحقيقة هو الله سبحانه وتعالى كما انه قادر على اقدار العبد بنحوها أو على ابدائها على يد مظهرها والتاء للمبالغة أو لكونها

وصف للآية الخارقة للعادة (وهى) أى المعجزة (على ضربين) أى صنفين من حيث كونها مقدورة للبشر وغير مقدورة لهم (ضرب هو من نوع قدرة البشر) أى فى الجملة أو بالقوة على تقدير خلق القدرة فيه بان يمكن دخوله تحت قدرتهم

بما

(فعجزوا عنه) أي بناء على صرفهم (فتعجيزهم) أي تعجيز الله تعالى اياهم (عنه) بصرف توجههم عنه (فعل الله دل على صدق نبيه) لانه كصريح قوله صدق عبدي في دعواه الرسالة لجري العادة بخلقه تعالى عقبه علما ضروريا بصدقه كمن قال لجمع أنا رسول الله اليكم ثم نتق فوقهم جبلا ثم قال ان كذبتموني وقع عليكم وان صدقتموني أنصرف عنكم فكلما هموا بتصديقه بعد عنهم أو بتكذيبه قرب منهم فانهم يعلمون حينئذ ضرورة صدقه مع قضاء العادة بامتناع صدور ذلك من الكاذب (كصرفهم) أي كصرف الله تعالى لكفار اليهود (عن تمني الموت) بقوله تعالى قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين ثم أخبر عنهم بقوله ولن يتمنوه ابدا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم لو تمنوا اليهود الموت لماتوا ورأوا مقاعدهم من النار كما رواه البخاري وغيره (واعجازهم) بالجر عطفا على صرفهم أي وكاعجاز المشركين وغيرهم (عن الاتيان بمثل القرآن على رأي بعضهم) أي انه بناء على صرفهم كالنظام من المعتزلة والمرتضى من الشيعة والحق ان عجزهم عنه انما كان لعلو درجته في فصاحته وبلاغته وغرابة أساليبه وجزالة تراكيبه مع اشتماله على أخبار الأولين وآثار الآخرين وتضمنه للامور الغيبية الواقعة سابقا ولاحقا فهو معجزة من جهة المبنى ومن حيثية المعنى (ونحوه) أي وكتعجيزهم عن نحو الاتيان بمثل القرآن من سائر خوارق العادة (وضرب) أي نوع من المعجزة (هو خارج عن قدرتهم) أي حتى بالقوة (فلم يقدروا على الاتيان بمثله) أي بالكلية (كاحياء الموتى) أي ليس من جنس أفعال البشر ولا الملك واما احياؤهم بدعاء عيسى معجزة له فانما كان من الله تعالى لا منه بدليل قوله تعالى وأحيي الموت باذن الله (وقلب العصا حية) أي تسمى معجزة لموسى (واخراج ناقة من صخرة) أي بلا واسطة وأسباب معهودة معجزة لصالح

بمثله من نوعه (فعجزوا عنه) الفاء فصيحة أي فطلب منهم فعجزوا عنه (فتعجيزهم عنه) أي جعلهم عاجزين والمصدر مضاف لمفعوله أي تعجيز الله اياهم (فعل الله دل على صدق نبيه) أي خلق العجز فيهم ومنعهم عما من شأنهم القدرة عليه فهو في قوة قول الله تعالى صدق عبدي فيما ادعاه والعادة جارية بان يقع بعده علم ضروري بصدقه (كصرفهم عن تمني الموت) أي منع الله اليهود عن تمني الموت لما قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى فكذبهم الله تعالى وألزمهم بقوله قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين أي قل لهم يا محمد ان كنتم أحباب الله تعالى والجنة مختصة بكم فاطلبوا الموت فان من أحب الله أحب لقاءه ومن كانت داره الجنة يبادر لدخولها فلم يتمنه احد منهم ولو بلسانه لصرف الله لهم عن ذلك ولذا ورد لو تمنوه لم يبق على وجه الارض يهودي وسيأتي بيان هذا مطولا في محله وهذا أعظم حجة على صدقه صلى الله تعالى عليه وسلم كما قاله المفسرون وهذا وان كان تركا وعدما تضمن لمعنى وجودي وهو السكوت والخوف ونحوه فسقط ما قيل ان المعجزة فعل خارق وليس هذا من قبيل الافعال (وتعجيزهم عن الاتيان بمثل القرآن على رأي بعضهم) القائل بان اعجازه بالصرفة أي بصرف العرب الفصحاء عن معارضته مع تحديه لهم وتقريعهم بذلك على رؤس الاشهاد حتى عدلوا عن مجادلة الحروف الى مجالدة السيوف كما هو مشهور معروف وهذا مذهب النظام وبعض المعتزلة والشيعة فقيل صرفهم بان لم يكن دواعي وبواعث لذلك وقيل سلبهم المعارف المركوزة في طباعهم من معرفة فنون البلاغة وأساليبها على القولين المشهورين في الصرفة والذي عليه الجمهور المحققون ان اعجازه انما هو بما تضمنه من الفصاحة والبلاغة وغرابة الاساليب وبلاغة التراكيب وجزالتها وأنواع البديع ومطابقة المقامات وبدائع الفواتح والمقاطع وروائع الاستعارات الى غير ذلك مما خرج عن طوق البشر وبلغ الى ذروة لا تصل اليها خطى الافكار مع حلاوة وطلاوة تعين السامع الى غير ذلك مما قرروه وقيل اعجازه بما فيه من المغيبات وقيل بجميع ذلك والاقوال معروفة مقررة في الاصول والمعاني وغيرها من كتب السلف (ونحوه) مما نوعه مقدور لهم (وضرب) من المعجزة (هو خارج عن قدرتهم) اذ تحداهم به (فلم يقدروا على الاتيان بمثله كاحياء الموتى) الذي وقع لابراهيم ولعيسى عليهما السلام فما قيل ان ما كان بدعاء عيسى عليه السلام معجزة له انما كان من الله لا منه بشهادة وأحيي الموتى باذن الله واذ تخرج الموتى باذني لا وجه له وهذا أيضا مما وقع لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فيما وقع لابويه على الصحيح (وقلب العصا حية) معجزة لموسى صلى الله تعالى عليه وعلى نبينا وسلم وسيأتي انه ما من معجزة لنبي من الانبياء الا ولنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم مثلها أو زيادة (واخراج ناقة من صخرة) بلا واسطة وأسباب معتادة معجزة لصالح عليه الصلاة والسلام لما اقترح عليه جندع بن عمرو سيد قومه ان يخرج لهم من صخرة اسمها كاثبة ناقة عشراء فصلى ودعا ربه فتمخضت تمخض النتوج

(وكلام شجرة) أي لموسى من قبل الله تعالى أو لنبينا عليه الصلاة والسلام باظهار كلمة الاسلام (ونبع الماء من الاصابع) وفي نسخة من بين الاصابع معجزة لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم كما وردت به الاخبار الصحيحة والآثار الصريحة (وانشقاق القمر) معجزة لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم كما صح به الخبر ونص القرآن بقوله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر

بولدها فانصدعت عن ناقة عشراء وهم ينظرون ثم نتجت مثلها في العظم فآمن جندع في جمع من قومه وتمادى غيرهم في الكفر حتى عقروا الناقة فاخذتهم الرجفة (وكلام الشجرة) وفي نسخة الشجر وهذا مما وقع لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم ومثله حنين الجذع المشهور (ونبع الماء من الاصابع) أي من بين أصابعه صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا مما وقع له صلى الله عليه وسلم أيضا كما سيأتي ولله در الابوصيري في قصيدة عارض بها بانت سعاد حيث قال

ومنبع الماء عذب من أصابعه * وذاك صنع به فيناجري النيل

(وانشقاق القمر) معجزة له صلى الله تعالى عليه وسلم حتى صار فلقتين يشاهده الناس وقد ثبت هذا في الاحاديث الصحيحة وروي من طرق متعددة خرجها السيوطي وبه فسر قوله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر ولعل النوبة تفضي لتفصيله وهذا النوع كله وأمثاله (مما لا يمكن ان يفعله احد الا الله) عز وجل (فيكون) اجراء (ذلك) الذي لا يفعله الا الله (على يد النبي) أي وقوعه من نبي من أنبيائه بحسب الظاهر فعله وهو في الحقيقة (من فعل الله تعالى) الذي أظهره على يده بقدرته (وتحديه) بتشديد الدال مصدر مضاف للفاعل وهو ضمير النبي ويجوز عوده على الله لامره به وهو طلب المعارضة ولاتيان بمثله كما تقدم وهو مبتدأ وقوله (من يكذبه) مفعوله قوله (ان يأتي بمثله) بتقدير الجار أي لان يأتي بمثله أو بدل من تحديه أو خبر وقوله (تعجيزا له) خبر بعد خبر أي يظهر عجزه عن ذلك (واعلم ان المعجزات) جمع معجزة وقيل جمع معجز لانه لما لم يعقل (التي ظهرت على يد نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم) وصدرت منه (ودلائل نبوته وبراهين صدقه) عطف تفسير له كانشقاق القمر ونحوه مما تقدم وسيأتي مما لا يحصى (من هذين النوعين معا) خبران أي بعضها مقدور وبعضها غير مقدور كالقرآن ونحوه (وهو) أي نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم (أكثر الانبياء معجزة) منصوب على التمييز أي معجزاته أكثر من معجزات سائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام (وأبهرهم آية) تمييز والآية المعجزة لانها علامة للنبوة وأبهر أفعل تفضيل من بهر بمعنى ظهر أو غلب يقال بهر القمر فهو باهر اذا ملأ الارض ومن ذلك قول عمر بن أبي ربيعة

ثم قالوا تحبها قلت بهرا * عدد الرمل والحصى والتراب

وفيه وجوه ذكرها الادباء فالمعنى ان معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم أكثر وأظهر وأقوى (وأظهرهم برهانا) هذا أعم مما تقدم لان البرهان وهو الدليل القاطع أعم من المعجزة ويجوز ان يريد المعجزة أيضا (كما سنبينه) في آخر هذا الباب وفي قوله أكثر وأظهر ما يدل على ان سائر الانبياء أتت بدلائل ومعجزات وبراهين ومعجزات نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وبراهينه أقوى وأظهر وانها تسمى بذلك كما تسمى به آيات نبينا وقد أطلق عليها آية وبرهان الا أنه لم يطلق عليها في القرآن معجزة قيل ولا في السنة والمعجزة مخصوصة بالانبياء عليهم الصلاة والسلام وخوارق الاولياء تسمى كرامة وقد يطلق عليها وأطلق عليها المعجزة أيضا الامام أحمد بن حنبل وأباه غيره (وهي) أي معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم (في كثرتها لا يحيط بها ضبط) أي لا يحيط بها حصر وعدد أو حفظ لان الناس يطلقونه على هذا تجوزا من الضبط بمعنى الاخذ باليد والحفظ بمعنى الصيانة واما اطلاقهم الضابط على القاعدة الكلية فمولد من كلام المصنفين ووجه التجوز فيه احاطته بافراده ففي كلامه استعارة مكنية وتخييلية

والمعنى ان ذلك وأمثاله (مما لا يمكن) وفي نسخة مما لا يجوز (ان يفعله احد الا الله تعالى فيكون ذلك) أي هذا الضرب الذي لا يفعله الا الله وفي نسخة فيكون ذلك (على يد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي صورة (من فعل الله تعالى) أي حقيقة كما حقق في قوله تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى (وتحديه) أي وطلب معارضة النبي (من يكذبه ان يأتي بمثله تعجيز) وفي نسخة تعجيز له أي عن ذلك (واعلم ان المعجزات التي ظهرت على يد نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم ودلائل نبوته وبراهين صدقه) أي في دعوى رسالته واعلاء حجته كانشقاق القمر ومجيء الشجر وتسليم الحجر وحنين الجذع واماسقوط شرف بناء الاكاسرة وخرور الاوثان ليلة ولد واظلال الغمام قبل البعثة فهو من الارهاصات لا المعجزات خلافا لما توهمه عبارة الدلجي (من هذين النوعين معا) أي جميعا باعتبار البعض والبعض فمنها ما هو من نوع قدرة البشر ومنها ما هو خارج عنها (وهو) أي نبينا (أكثر الانبياء معجزة وأبهرهم آية) أي أنورهم (وأظهرهم برهانا) أي حجة وبيانا (كما سنبينه) في محله ان شاء الله تعالى وحده (وهي) أي معجزاته (في كثرتها لا يحيط بها ضبط) أي لجزئياتها ولم

(فان واحدا منها) أي مما هو وأعظمها وهو القرآن أي من حيث آياته وسوره المشتملة على دلالات بذاته (لا يحصى) بصيغة المجهول أي لا يحصر ولا يعد عدد معجزاته بالف ولا الفين ولا أكثر لما أورثه من فنون البلاغة وصنوف الفصاحة من جملتها افادة المعاني الكثيرة في المباني اليسيرة الى غير ذلك من أنواعها العجيبة وأصنافها الغريبة التي عجز عنها الخطباء والبلغاء من العرب العرباء (لان النبي) وهو الرسول الاعظم والنبي الافخم صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم (قد تحدى بسورة منه) أي طلب المعارضة باقصر سورة من سور القرآن (فعجز عنها) بصيغة المجهول أي فعجز جميع أهل المعاني والبيان عن الاتيان بمثل سورة من الفرقان تصديقا لقوله تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القرآن لا ياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا أي معاونا ونصيرا (قال العلماء وأقصر السور) أي سور الفرقان وفي نسخة سوره بالضمير (انا أعطيناك الكوثر) أي الى آخره وكان الاظهر الاقصر ان يقول وأقصر السور سورة الكوثر لانها ثلاث آيات حروفها أقل من حروف آيات سورة هي ثلاث مثلها كقل هو الله أحد كذا قرره الدلجي وهو وهم منه لان سورة الاخلاص أربع آيات نعم سورة العصر نحوها في عدد الآيات لكنها أطول منها باعتبار الحروف والكلمات في عددها (فكل آية) أي منه (أو آيات منه) أي من القرآن وسورة (بعددها) أي طويلة بعدد أقصر سورة من جهة الآيات أو الحروف أو الكلمات (وقدرها معجزة) فقوله تعالى فأتوا بسورة أعم من ان تكون حقيقية أو حكمية (ثم فيها) أي في سورة الكوثر (نفسها) أي بعينها معجزات أي بخصوصها (على ما سنفصله) أي نبينه (فيما انطوى) أي اشتمل القرآن واحتوى (عليه من المعجزات) أي التي لا تكاد تستقصى (ثم معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم) أي الثابتة لدينا والواصلة الينا (على قسمين) أي باعتبار ما يكون حصوله قطعيا ووصوله ظنيا (قسم منها علم) أي لنا من طريق كونه (قطعا) كذا قرره الدلجي بناء على جعله لفظ علم مصدرا والتصحيح انه فعل ماض مجهول وان قطعا صفة لمصدره مقدر أي علم ذلك القسم علم قطع كما يدل عليه عطف قوله (ونقل الينا تواترا) أي نقل تواتر وفي نسخة متواترا (كالقرآن) فانه لكون طريق وصوله الينا تواترا صار علمه لدينا قاطعا (فلا مرية) بكسر الميم وقد تضم أي ولا شك ولا شبهة ويروى بلا مرية (ولا خلاف) أي بين أئمة الامة (بمجيء النبي به وظهوره من قبله) بكسر القاف وفتح الباء أي من جهته وهو عطف

ولم يتعرض له في الاساس ثم بين ذلك بقوله (فان واحدا منها) أي معجزة واحدة من جملة معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم (وهو القرآن) فانه بجملته معجزة وكذا آياته وسوره قال الامام مجد الدين في نهاية العقول التحدي وقع مرة بالقرآن كقوله تعالى قل لئن اجتمعت الجن والانس على ان يأتوا بمثل هذا القرآن ومرة بعشر سور كقوله تعالى بعشر سور ومرة بسورة كقوله تعالى فأتوا بسورة من مثله ومرة بآية كقوله فليأتوا بحديث مثله وذلك نهاية التحدي وهو كقول الرجل لمن يفاخره هات قوما كقومي هات كنصفهم هات كربعهم هات كواحد منهم انتهى والى هذا أشار المصنف رحمه الله تعالى بقوله (لا يحصى) أي لا يعد ويضبط وكانوا يعدون ما كثر بالحصى ثم استعمل في مطلق العدد ولذا قال الاعشى

ولست بالاكثر منهم حصى * وانما العزة للكاثر

(عدد معجزاته) أي معجزات القرآن (بالف ولا الفين) لما في كل آية من الاعجاز (ولا أكثر) من ذلك لما في ألفاظه من البلاغة وفنونها كالتوكيد والتلميح والتشبيه والاستعارة والايجاز وحسن الفواتح والخواتم والفواصل الى غير ذلك مما لا يحصى (لان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قد تحدى بسورة منه) أي طلب مثلها من بلغاء قريش (فعجز عنها) فاعل عجز من تحداه المعلوم مما قبله أو هو مبني للمجهول وهو أولى (قال أهل العلم) بالقرآن وبلاغته (وأقصر سورة) من القرآن وهو منون أو هو جمع مضاف لضميره (انا أعطيناك الكوثر) سميت بجزئها هذا كما تسمى سورة الكوثر لذكره فيها لانها ثلاث آيات وسورة قل هو الله أحد كذلك وسورة النصر الا ان حروف هذه أقل منهما (فكل آية) طويلة من القرآن بعدد حروفها ومقدارها (أو آيات منه) أي القرآن (بعددها) أي بعدد الكوثر آيات وحروفا وكلمات (وقدرها معجزة) للبلغاء عن معارضتها لما فيها من البلاغة وهذا بيان أقل مراتب الاعجاز فيه ومنه يعلم كثرته (ثم فيها نفسها) أي في سورة الكوثر (معجزات) كثيرة (على ما سنفصله) نبينه تفصيلا (فيما انطوى) أي اشتمل القرآن (عليه من المعجزات) التي لا تحصى ولا تحصر (ثم معجزاته صلى الله عليه وسلم على قسمين) أي علم واستقرا انقسامها انقسام الكلي الى جزئياته فشبه استقرارها باعتلاء الراكب على مركوبه لانها اما ان تعلم اما يقينا قطعا أولا فالاول (قسم منها علم قطعا ونقل الينا تواترا كالقرآن فلا مرية) بكسر الميم وضمها وسكون الراء المهملة ومثناة تحتية وهي الشك والتردد كما تقدم بيانه (ولا خلاف بمجيء النبي صلى الله تعالى عليه وسلم به) الباء الاولى بمعنى في والثانية صلة المجيء (و) لا خلاف ولا مرية في (ظهوره من قبله) بكسر القاف وفتح الباء الموحدة ومعناه جهته وجانبه كما سيأتي في قوله من قبل الله على ما فيه

تفسير لزيادة تقرير (واستدلاله بحجته) أي واستشهاد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بحجة القرآن على صدق محجته وتصديق نبوته وارسال الله اياه الى كافة بريته (وان أنكر هذا) أي ماذكر من مجيئه به وظهوره من قبله واستدلاله به (معاند) أي حائد برد الحق مع علمه (جاحد) أي منكر له ملحد في حكمه (فهو) أي انكاره ذلك (كانكاره وجود محمد في الدنيا) حيث أنكر كلا منهما انكار مكابرة ومجاحدة لتحقق وجودهما بثبوت مشاهدة وان كان أحدهما حسيا والآخر معنويا والحاصل ان وجوده صلى الله تعالى عليه وسلم وشهوده لا ينكره أحد من الموجودين (وانما جاء اعتراض الجاحدين) أي المنكرين والملحدين في الحجة به أي في كونه حجة له قاله الدلجي والصحيح في الاحتجاج به أو في ثبوت الحجة بكتابه كما ورد في طعن المشركين اذ قالوا أساطير الاولين ما أنزل الله على بشر من شئ هذا سحر مبين (فهو) أي القرآن (في نفسه) أي في حد ذاته (وجميع ما تضمنه) أي من سوره وآياته (من معجز) الاولى من معجزاته (معلوم ضرورة) أي بديهة لا تقتضي رؤية كما شهد به الاعداء من أهل الخبرة كالوليد ابن المغيرة اذ قال في حقه لما تلي عليه بعضه ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان أسفله لمغدق وان أعلاه لمثمر وما هو من كلام البشر (ووجه اعجازه معلوم ضرورة ونظرا) كان الاولى أن يقال ووجه اعجازه مفهوم ضرورية ونظرية لئلا يقع تكرار صريح في العبارة اما ضرورة فلان سلاسة مبناه وجزالة معناه ونظم آياته والفة كلماته وصباحة وجوه فواتحه وخواتمه في بد آياته ونهاياته في أعلا مراتب البلاغة وأعلا مناقب الفصاحة لا يحتاج العلم به الى الدلالة فيحكم العقلاء باعجازه في البداهة وأما نظرا فلافتقار بعض وجوهه الى النظر والتفكر (خلاف في خصوص ذلك الامر (كما سنشرحه) أي نبين ذلك القدر (قال بعض أئمتنا) أي أئمة المالكية وفي نسخة صحيحة بعض مشايخنا (ويجري هذا المجرى) أي مجرى كون القسم الاول من معجزاته والذي علم قطعا ونقل الينا تواترا (على الجملة) أي في الجملة باعتبار المعنى لا بطريق المبنى (انه) فاعل يجري أي الشأن (قد جرى على يده) وفي نسخة صحيحة على يديه (صلى الله تعالى عليه وسلم آيات) أي علامات أو معجزات (وخوارق عادات) أي شاملة لمعجزات وكرامات (ان لم يبلغ واحد منها) أي لم يصل أمر واحد من تلك الامور (معينا) أي مشخصا ومبينا (القطع) بالنصب أي العلم القطعي بالنسبة الى غير الصحابي (فيبلغه) أي العلم اليقيني (جميعها) أي باعتبار معانيها دون مبانيها (٢ على يديه) أي بناء على ما صدر لديه (ولا يختلف مؤمن ولا كافر) كان الاولى ان يقول وكافر بدون لا أو يقول ولا يخالف مؤمن ولا كافر (انه قد جرت على يديه عجائب) أي آيات غرائب مما زاغت أبصارهم وحيرت بصائرهم (وانما

(واستدلاله) أي استدلال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم على صدقه ونبوته (بحجته) الاضافة بيانية أي بحجة هي القرآن (وان أنكر هذا) المذكور الذي لا مرية فيه (معاند جاحد) أي منكر له عنادا مع علمه به (فهو كانكاره وجود محمد صلى الله تعالى عليه وسلم في الدنيا) وهو سفسطة وانكار للمحسوسات التي لا تسمع ولا تصدر من عاقل (وانما جاء اعتراض الجاحدين) اشارة الى ان انكارهم لما علموا خلافه (في الحجة به) أي الاحتجاج به وانه كلام الله كقول المشركين هذا سحر مبين وأساطير الاولين وما أنزل الله على بشر من شئ الى غير ذلك (فهو) أي القرآن (في نفسه) أي في كلامه المفرد (وجميع ما تضمنه) واشتمل عليه (من معجز) أي من كل أمر معجز كالبلاغة والاخبار عن المغيبات (معلوم ضرورة) علما ضروريا لمن كان من أهل البلاغة ولذا قال الوليد بن المغيرة لما سمعه ان له حلاوة وعليه طلاوة وأسفله مغدق وأعلاه مثمر وما هو من كلام البشر كما يأتي بيانه * والفضل ما شهدت به الاعداء (فوجه اعجازه معلوم ضرورة) عند أهل اللسان لا عند كل أحد لما فيه من فنون البلاغة (ونظرا) أي استدلالا عند غيرهم أو لافتقار بعض وجوهه اليه (كما سنشرحه) ونبينه قريبا (قال بعض أئمتنا) أي علماء الحديث والتفسير لا المالكية اذ لا اختصاص لما ذكر بمذهب (ويجري هذا المجرى) بفتح الميم اسم مكان أو مصدر ميمي أي يقارب ما تقدم ويشبهه لان ما جرى في مجرى شئ ساواه (على الجملة) أي اجمالا من غير تفصيل لوجه المشابهة وفاعل يجري (انه قد جرى على يديه) أي صدر منه (صلى الله تعالى عليه وسلم آيات وخوارق عادات) عطف تفسيري أو من عطف الخاص على العام والاول أولى (ان لم يبلغ) أي يصل (واحد منها معينا) اسم مفعول حال من النكرة لوصفها ولو رفع كان أولى
٢ (القطع) والجزم مفعول يبلغ (فيبلغه جميعها) أي مجموعها وهذا يسمى التواتر المعنوي كشجاعة علي وزهد الحسن البصري فان كل حال من أحوال هؤلاء لم يبلغ مبلغ التواتر ومجموعها اجمالا بلغ ذلك بحيث لم يبق شبهة فيه كتذليله الجبابرة مما شاهدوه من خوارق عاداته وانقياد الملوك له وغير ذلك (فلا مرية في جريان معانيها على يديه) مشهورة ناطقة بتصديقه شاهدة برسالته (ولا يختلف مؤمن ولا كافر) من الامم السالفة (انه) أي نبيهم قد (جرت على يديه عجائب) أي أمور خارقة للعادة حيرت أبصارهم وألبابهم حتى يتعجب المتعجب منها (وانما) وقع

---

٢ وقد يسقط هنا في هذا الشرح قوله فلا مرية في جريان معانيها

خلاف المعاند) أى مخالفته مع الموحد (فى كونها) أى فى وصول العجائب فائضة (من قبل الله تعالى) أى من جهة المبدأ الفياض كما يقوله المؤمن الموحد أو حاصلة من تلقاء نفسه عليه الصلاة والسلام وانه شاعر أو ساحر ونحوهما كما تفوه به المشرك الملحد (وقد قدمنا كونها) أى كون المعجزة فائضة (من قبل الله تعالى) أى لا واصلة من تلقاء نبيه (وان ذلك) أى المعجزة مع التحدى (بمثابة قوله) أى الله سبحانه وتعالى (صدقت) أى يا عبدى فيما ادعيت من رسالتى (فقد علم وقوع مثل هذا) أى الذى قدمناه (أيضا من نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم (ضرورة) أى بديهة (لاتفاق معانيها) أى مع قطع النظر عن اختلاف مبانيها فى كونها خوارق عادات وعلى صدق صاحبها علامات (كما يعلم ضرورة) أى عند الاخباريين كذا عند بعض العامة (جود حاتم) بكسر التاء أى

(خلاف المعاند فى كونها) أى تلك العجائب صادرة (من قبل الله) بكسر القاف وفتح الباء أى من المبدأ الفياض المبدع البدائع (وقد قدمنا) أولا (كونها) بيان كون العجائب (من قبل الله وان ذلك بمثابة قوله) أى الله عز وجل لرسوله (صدقت) فى نبوتك وما ادعيته ومعنى مثابته منزلته وفى حكمه مفعلة من أثابه كذا اذا عوضه ومنه الثواب بالثاء المثلثة لجزاء الطاعة والجاحد العنيد يزعم تارة انه سحر وكهانة وان ما سمع من كلام الشجر والجماد كلام جن سحرها الى غير ذلك من الخرافات التى صاروا اليها فاصبحوا بها سخرة اذا عرفت هذا (فقد علم وقوع مثل هذا) الذى وقع للانبياء عليهم الصلاة والسلام والامم السالفة مما علمه كل مؤمن وكافر وبر وفاجر (أيضا) كما وقع لاولئك (من نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ضرورة) أى علم علما ضروريا متواترا تواترا معنويا (لاتفاق معانيها) أى لتوافقها كلها فى معنى واحد (كما يعلم ضرورة جود حاتم) الطائى وشهرته تغنى عن ذكره فأخباره فى الجود مشهورة أيضا وكان فى الجاهلية قريبا من مبعثه صلى الله تعالى عليه وسلم وأدرك ابنه عدى الاسلام وكان من كبار الصحابة رضى الله تعالى عنهم (وشجاعة عنترة) بالهاء ويقال له عنتر أيضا وهو عنترة بن معاوية بن شداد القيسى وهو علم منقول من عنتر وهو نوع من الذباب أزرق ونونه اختلف فى زيادتها وهو من فرسان العرب وفصحائها المشهورين (وحلم أحنف) بن قيس التميمى أدرك الاسلام وأسلم لكنه لم ير النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهو من كبار التابعين وأحنف بفتح الهمزة وسكون الحاء المهملة معناه مائل الرجل وله كلمات من الحكم مشهورة فى كتب وعنه فى الحلم حكايات عجيبة وكان من المعمرين ثم وضع ذلك على طريق اللف والنشر المرتب فقال (لاتفاق الاخبار الواردة) أى المروية (عن كل واحد منهم) ثم أبدل من قوله عن كل واحد قوله (على كرم هذا) يعنى حاتما (وشجاعة هذا) يعنى عنترة (وحلم هذا) يعنى أحنف وأشار بهذا لقرب ذكرهم وحضورهم فى الذهن (وان كان كل خبر) من أخبار هؤلاء الثلاثة (بنفسه) أى وحده (لا يوجب العلم) القطعى (ولا يقطع بصحته) لعدم تواتره بانفراده وانما المتواتر ما يحصل من مجموعها كالكرم والشجاعة والعلم والحاصل ان ما جرى على يديه صلى الله تعالى عليه وسلم تواتر تواترا معنويا لا لفظيا حقيقيا والمعنوى هو حصول العلم القطعى من مجموع أمور جزئية وأخبار واردة مستفيضة كما اذا أخبر واحد بان حاتما أعطاه دينارا وآخر بانه أعطاه بعيرا وآخر بانه وهبه غنما وآخر بانه كساه وآخر بانه ذبح له فرسه فقد اتفقوا كلهم على مطلق الاعطاء والتواتر الحقيقى ان يخبر جماعة عن جماعة الى آخره يؤمن تواطئهم على الكذب فى خبر واحد متفق اللفظ والمعنى وكلاهما يفيد علما ضروريا عند سماعه من غير حاجة الى نظر

ابن عبد الله بن سعد الطائى مشهور بين العرب والعجم مات على كفره (وشجاعة عنترة) بفتح العين المهملة وسكون النون وفتح التاء الفوقية فراء بعدها هاء وهو العبسى (وحلم أحنف) أى ابن قيس التميمى (لاتفاق الاخبار الواردة عن كل واحد منهم) أى من المؤرخين والاخباريين (على كرم هذا) يعنى حاتما (وشجاعة هذا) يعنى عنترة (وحلم هذا) يعنى أحنف فأشار الى كل واحد بما للقريب تنزيلا له فى ذهنه منزلته (وان كان كل خبر) أى من أخبار هؤلاء الثلاثة (بنفسه) أى بانفراده ويروى فى نفسه (لا يوجب العلم) أى القطعى (ولا يقطع بصحته) لعدم تواتر كل واحد منها منفردا فى كل عصر وطبقة ثم

اعلم ان حاتما هذا والد عدى قدم المدينة ابنه على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم سنة تسع فى شعبان وكان نصرانيا فأسلم وأسلمت أخته بنت حاتم قبل عدى رضى الله تعالى عنهما وأما عنترة فهو ابن معاوية بن شداد وكان عنترة شديد السواد وأمه زبيبة أمة سوداء كانت لابيه وكان من أشهر فرسان العرب وأشدهم بأسا وفى القاموس عنتر كجعفر وجندب فى لغية الذباب والعنترة صوته والشجاعة فى حرب هذا ولو قال كشجاعة على لكان أظهر فانه بهذا الوصف بين العرب والعجم أشهر وأما الاحنف فهو بفتح الهمزة ثم حاء مهملة ساكنة ثم نون مفتوحة ثم فاء روى عن عمر وعثمان وعلى وعدة وعنه الحسن وحميد بن هلال وجماعة وكان سيدا نبيلا أخرج له الائمة الستة مخضرم وقد أسلم فى عهده عليه الصلاة والسلام ودعا له ولم يتفق له رؤيته قال صاحب القاموس تابعى كبير

(والقسم الثانى) أى من معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم هو (مالم يبلغ) أى لم يصل علمه (مبلغ الضرورة والقطع) أى قطعا يصير ضروريا بديهيا ولافكريا قطعيا (وهو) أى هذا القسم الذى بمنزلة الجنس (على نوعين نوع مشتهر) أى عند الخاصة (منتشر) أى عند العامة وكلاهما بصيغة الفاعل (رواه العدد الكثير) أى من الصحابة والتابعين (وشاع الخبر به عند المحدثين) أى من المخرجين والمصنفين (والرواة) أى من المتأخرين (ونقلة السير) بفتح النون والقاف جمع ناقل والسير بكسر السين وفتح الياء جمع سيرة أى ومن الذين نقلوا سير النبى صلى الله

المتعلقة بسيد الابرار صلى الله تعالى عليه وسلم الواردة عن بقية العلماء الاخيار (كنبع الماء من بين أصابعه) أومن أصابعه كما فى بعض طرقه (وتكثير الطعام) أى المأكول والمشروب كما فى حديث أنس وغيره وكحنين الجذع وكلام الضب والذراع مما رواه الشيخان وغيرهما (ونوع منه وهو لذى غير مشتهر ولا منتشر (اختص به) أى بنقله (الواحد) أى تارة (والاثنان) أى أخرى (ورواه العدد اليسير) أى ولو وصل الى مرتبة الجمع فى بعض طرقه (ولم يشتهر) أى هذا القسم (اشتهار غيره) أى الثابت بالعدد الكثير والجم الغفير (لكنه اذا جمع الى مثله) أى فى المبنى (اتفق فى المعنى) أى المراد به ثبوت الاعجاز فى المدعى (واجتمعا على الاتيان بالمعجز كما قدمنا) أى من انه لامرية فى جريان معانيها على يديه وانه اذا ضم بعضها الى بعض أفاد القطع لديه (قال القاضى أبو الفضل) أى المصنف (وأنا أقول صدعا بالحق) أى جهرا به ومنه قوله تعالى فاصدع بما تؤمر (ان كثيرا من هذه الآيات) أى الواردات كمجىء الشجر اليه وتسليم الحجر عليه وتسبيح الحصى فى يديه (المأثورة) أى المروية (عنه عليه الصلاة والسلام) أى ولو كانت آحاد المبنى (معلومة بالقطع) لتواترها معنى (أما انشقاق القمر) أى على يديه بمكة حين سأله كفار قريش آية (فالقرآن نص بوقوعه) أى فى الجملة لانه ظنى الدلالة وأما قول الدلجى أما انشقاق القمر فانه متواتر لفظا اذ القرآن نص بوقوعه فليس على اطلاقه

حصل

واستدلال بشروط مقررة فى الاصول خلافا لامام الحرمين والرازى فانه عندهما يفيد علما نظريا لتوقفه على مقدمات أخر ولا يشترط فيه عدد مخصوص والاسلام (والقسم الثانى) من المعجزات (مالم يبلغ مبلغ الضرورة والقطع) عطف تفسيرى أى لم يصل الى مرتبته (وهو على نوعين نوع مشتهر منتشر) أى له شهرة وشيوع بين الناس ويسميه المحدثون مشهورا ومستفيضا (رواه العدد) الكثير (وشاع الخبر به عند المحدثين) الحفاظ الذين رووه وهو لا يبلغ رتبة المتواتر المفيد للعلم الضرورى ولا النظرى وذهب بعض الاصوليين الى انه يفيد العلم القطعى وقيل انه يفيد العلم النظرى والمشهور انه يفيد الظن ولابد أن تكون شهرته عن أصل وروايه فان اشتهر لاعن أصل وهو المسمى بالمشهور على الالسنة لم يعتد به المحدثون مالم يعلم أصله فان علم ذلك تقوى بشهرته فى الجملة (والرواة ونقلة السير) جمع ناقل بفتحتين ككاتب وكتبة والسير جمع سيرة كما مر وهى أخبار المغازى (والاخبار) عطف تفسيرى (كنبع الماء من بين الاصابع) أى أصابعه صلى الله تعالى عليه وسلم (وتكثير الطعام) الذى رواه أنس وغيره كحنين الجذع وكلام الضب والذراع الذى رواه الشيخان وغيرهما (ونوع منه) لم يشتهر ولم ينتشر بل (اختص به) روايه (الواحد والاثنان ورواه العدد اليسير) أى القليل (ولم يشتهر اشتهار غيره) كالقسم الاول والنوع الاول من القسم الثانى ويسمى عزيزا وهو لا يفيد العلم الا بقرينة كما فى جمع الجوامع وقيل لا يفيده مطلقا وقال أحمد انه يفيد العلم مع عدالة راويه لوجوب العمل به ولو لم يفده يجب العمل به وله أدلة مذكورة مع الجواب عنها فى الاصول (لكنه اذا جمع الى مثله) من أحاديث المعجزات (اتفق فى المعنى) من أصل الاعجاز وثبوته كما أشار اليه بقوله (على الاتيان) أى اتيان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (بالمعجز كما قدمنا) من جريانها على يديه وانضمام بعضها الى بعض المقوى له (قال القاضى أبو الفضل) عياض المصنف (رضى الله تعالى عنه وأنا أقول صدعا بالحق) تقديم المسند لافادة التقوية ويجوز ارادة الحصر لانفراده بعبارته المخصوصة ومجموع ما قاله وقوله صدعا أى صادعا صدعا فهو حال أو مفعول لاجله أو مطلق لمقدر أو لا قول لانه بمعناه كقوله فاصدع بما تؤمر مستعار من صدع الزجاج ونحوه من الاجرام الصلبة لاظهار الحق والجهر به كانه يصدع قلبه أو يصدع شبهته ويبطلها أو من انصداع الفجر لظهوره ويقال للفجر صديع لهذا (ان كثيرا من هذه الآيات والمعجزات المأثورة عنه) أى المروية عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (معلومة بالقطع) لتواترها حقيقة أو معنى (أما انشقاق القمر) أى اما معجزته صلى الله تعالى عليه وسلم بانشقاق القمر له بمكة حين سأله كفار قريش آية غير ما جاءه أولا فأراهم ذلك فهى ظاهرة باهرة (فالقرآن نص بوقوعه) أى صرح به فى قوله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر وقرئ وقد انشق أى اقترب وقد

(وأخبر عن وجوده) أي ثبوته وحصوله لقوله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر وقرئ وقد انشق أي اقتربت وقد حصل من آيات
اقترابها انشقاق القمر قبلها (ولا يعدل عن ظاهره) أي من تحقق وقوعه وثبوت وجوده الى تأويل بأنه سينشق يوم القيامة وانه جيء
بالماضي لتحقق وقوعه في مستقبله (الا بدليل) موجب لحمله عليه وصرفه اليه (وجاء) أي وقد ورد (برفع
احتماله) أي احتمال
الدليل الدال على صرف
الآية عن ظاهرها
(صحيح الاخبار) أي
الاخبار الصحيحة والآثار
الصريحة (من طرق
كثيرة) كخبر الصحيحين
وغيرهما (ولا يوهن)
وكان الانسب في ترتيب
السبب ان يقال فلا
يوهن بالفاء وهو بضم
الياء وكسر الهاء مخففا أو
مثقلا أي لا يضعف
(عزمنا) أي جزمنا
(خلاف أخرق) أي
مخالفة جاهل أحمق
افعل من الخرق ضد
الرفق (منحل عرى
الدين) بضم ميم وسكون
نون وحاء مهملة مفتوحة
ولام مشددة مضاف الى
عرى بضم العين وفتح
الراء جمع عروة وهي ما
يتمسك به في أمر الديانة
ومنه قوله تعالى فقد
استمسك بالعروة الوثقى
لا انفصام لها أي لا انقطاع
لها (ولا يلتفت) بصيغة
المجهول أي ولا ينظر
(الى سخافة مبتدع)
بفتح السين المهملة
والخاء المعجمة أي رقة
عقل ضال عدل عن الحق المبين (يلقي) بضم الياء وكسر
القاف أي يوقع (الشك) أي التردد والشبهة (على قلوب ضعفاء المؤمنين) فربما قبلته ووقعت في ضلالة المبتدعين (بل نرغم بهذا
أنفه) بصيغة الفاعل المتكلم من أرغم أنفه ألصقه بالرغام بالفتح وهو التراب والمعنى نذله

حصل من آيات اقترابها انشقاقه ولتضمنه معنى صرح عداه بالباء والا فهو متعد بعلى فقد تواتر ذلك لفظا
على القراءة المشهورة ومجيئه بقد يأبى تأويله بان معناه انه سينشق اذا قامت القيامة والتعبير عنه
بالماضي لتحقق وقوعه فهو استعارة تبعية وقرينتها اقترانها بلفظ الساعة فلا يرد عليه انه ليس معه
قرينة تصححه كما توهم الا أنه لا يدفع كونه خلاف الظاهر (وأخبر بوجوده) في هذه الآية وقراءة انشق
تؤيد التأويل فقد تعارضا ويرجح الاول انه الاصل والمتبادر منه (ولا يعدل عن ظاهر) بالتنوين أي
عن ظاهر القرآن (الا بدليل) قوي يقتضي العدول عنه وتأويله بما تقدم وقولهم انه لو وقع شاهده
الناس كلهم يرده انه آية ليلة قد تخفى على بعض الناس (وجاء برفع احتماله صحيح الاخبار) أي احتمال
خلاف الظاهر ورد في الاخبار الصحيحة ما يرفعه ويدفعه كما سيأتي (من طرق كثيرة) تؤيد حمل الآية على
ظاهرها لاسيما وقد روى في الصحيحين وقد قال خاتمة الحفاظ ابن حجر ان ما روى في الصحيحين يفيد
علما نظريا وان لم يتواتر وقد صرح بهذا قبله أبو اسحق الاسفرائني والحميدي وأبو الفضل بن طاهر
فان احتف به قرائن وورد من طرق آخر زاد قوة وبلغ العلم المستفاد مرتبة تقرب من القطعي ثم أشار الى انه
لا يلتفت لخلاف من خالف في مثل هذه المطالب فقال (فلا يوهن) بالتخفيف والتشديد أي يضعف
(عزمنا) أي ما عزمنا عليه وقصدناه جزما من اثبات هذه المعجزات وحمل النصوص الواردة بها على
ظاهرها من غير تأويل (خلاف أخرق) بالاضافة أي مخالفة أحمق وأصله الذي لا يحسن العمل بيده
كأنه يخرق ما يريده وقال الثعالبي في فقه اللغة في أنواع الحمق أولها أحمق ثم أبله فان كان معه عدم
الرفق فهو أخرق فالحاصل ان المخالف في مثله جاهل لا دراية له ولا معرفة بالاحاديث ثم وصف ذلك
المخالف بقوله (منحل عرى الدين) فهو بالجر صفة أخرق أي هو مع جهله قليل الدين ضعيفه لعدوله
عن ظاهر النصوص وتشبثه باذيال الشبه وعرى بضم العين وفتح الراء المهملتين وألف مقصورة جمع
عروة وهي ما يعقد في الحبل ليتمسك به وقال الراغب العرا مقصورا الناحية ومنه العروة وهو ما يتمسك
به قال الله تعالى فقد استمسك بالعروة الوثقى وهو على طريق التمثيل انتهى فان شبه الدين بالعروة فهو
من اضافة المشبه للمشبه به كلجين الماء وان شبه بالحبل للتوصل به لما يعلو كما في الحديث كتاب الله حبل
ممدود من السماء الى الارض فان الحبل مستعار في كلام العرب كقوله اني بحبلك واصل حبلي فهو
استعارة مكنية وتخييلية والمراد انه غير متمسك بالدين (ولا يلتفت الى سخافة مبتدع) الالتفات
الانحراف للنظر الى شئ ثم صار كالنظر كناية عن الرعاية بلطف واحسان ومنه قوله تعالى ولا ينظر اليهم
يوم القيامة والسخافة أصلها عدم أحكام النسج ثم تجوز به عن قلة العقل فيقال هو سخيف العقل لمن
عقله وفكره غير قوي والمبتدع مرتكب البدع وهو المحدث على خلاف الشرع وقوله (يلقي الشك على
قلوب ضعفاء المؤمنين) اشارة الى ما هو من شأن أهل البدع من القائهم الشبه والمشككات على ضعفاء
العقول من المؤمنين وخصهم بذلك لان غيرهم لا يقبل مثل هذه الآراء الواهية وأما ضعيف العقل فقد
يأخذ باقوالهم فيتبعهم ويفتتن (بل يرغم بهذا أنفه) أي يرد ما قاله ويظهر جهله وسخافة عقله حتى
يفتضح ويذل ويخزى لان أصله ان يلصق أنفه بالرغام وهو التراب فتجوز به عن الاذلال والتسخير
وكنى به هنا عما فسرناه به وهذا اشارة الى ما ذكر من النقول الصحيحة التي لا تصرف عن ظاهرها بغير

(وننبذ) بفتح النون الاولى وكسر الموحدة أى نطرح (بالعراء) أى بالصحراء والفضاء وكان الخلاء (سخفه) بضم السين المهملة وتفتح وسكون الخاء المعجمة أى رقة عقله وكثافة جهله والمعنى نلقى جهله بالعراء لاشئ يستره من البناء وفى بعض النسخ برغم وينبذ بصيغة التذكير وبناء المجهول وأنفه وسخفه مرفوعان (وكذلك) أى وكانشقاق القمر فى كثرة الرواة طرقا صريحة وأسانيد صحيحة (قصة نبع الماء) أى من بين أصابعه ٤٦٦ أومن أصابعه (وتكثير الطعام رواها) أى قصة النبع والتكثير (الثقاة)

أى من الرواة (والعدد الكثير) أى من الاثبات والمراد منهم طبقة الاتباع (عن الجماء) وفى نسخة الجم (الغفير) أى عن الجمع الكثير من من التابعين (عن العدد الكثير من الصحابة) فمن روى نبع الماء بالزوراء بقرب مسجده بالمدينة السكينة الشيخان عن أنس رضى الله تعالى عنه وبالسفر البخارى عن ابن مسعود وممن روى تكثير الطعام البخارى والنسائى عن الشعبى عن جابر فى قضاء دين والده والشيخان والترمذى والنسائى عن أنس فى قصة أبى طلحة يوم الخندق (ومنها) أى ومن جملة المعجزات أو من جملة رواية الثقاة (ما رواه الكافة) أى الجماعة (عن الكافة) أى عن مثلهم فى الكثرة (متصلا) أى نقلا متصلا لاغير منقطع أصلا (عمن حدث بها) أى بالمعجزة أو بتلك الرواية الدالة عليها (من جملة الصحابة) بيان لمن وفى نسخة من جلة الصحابة بكسر الجيم وتشديد اللام أى أكابرهم أو معظمهم ويؤيده قوله (وأخيارهم) على ماضبط فى نسخة صحيحة من فتح الهمزة ثم الياء التحتية لكن فى أكثر النسخ أخبارهم بكسر الهمزة ثم الموحدة مجرورا ولا يظهر وجهه ولعله مرفوع عطفا على مارواه أى ومنها نقل الصحابة (ان ذلك) أى ماذكر من تكثير الطعام (كان فى موطن اجتماع الكثير منهم) أى من الصحابة وغيرهم (فى يوم الخندق) أى حول المدينة فى غزوة الاحزاب وكانت سنة خمس

معروفا

دليل (وننبذ بالعراء سخفه) النبذ بنون وموحدة وذال معجمة يقال نبذه ينبذه كضربه يضربه اذا طرحه وألقاه والعراء بالمد المكان الخالى الذى لاسترة فيه وبالقصر الناحية ويقال عراه اذا قصده وسخفه قلة عقله ودينه ونبذ سخفه بالعراء أى ألقاه فى مكان خال عن الناس وهو عبارة عن ابطاله بالكلية وهذا أبلغ من عدم الالتفات الذى هو معنى الاعراض وعدم الاعتداد بالشئ فهذا ترق لان الاول يكون مع استماعه وحضوره عنده وهذا ابعاده لرميه بالفلاة ولا تكرار فى كلامه وتفسيره باهماله مهمل لا يلتفت اليه وحاصله ان انشقاق القمر فى الآية على ظاهره لوروده فى الاحاديث الصحيحة من طرق متعددة فمن حمله على ان المراد انه سينشق اذا قامت القيامة يوم تشقق السماء لم يأت بشئ وان ارتضاه جمع لانه لو وقع شاع وذاع وملأ الاسماع لانه آية عظيمة وقيل معناه ظهر الامر لان العرب تضرب المثل بالقمر لما وضح كما قال النسترى فى لامية العرب

فقد حب الحاجات والليل مقمر * وشدت لطيات مطايا وارجل

وقيل معناه انشقاق الظلم عنه بطلوعه كما يقال انفاق الصبح وانشق كما قال النابغة

فلما أدبروا ولهم دوى * دعانا عند شق الصبح داعى

والداعى لهم على هذا عدم الوقوف على ماورد فى السنة والفهم لاقوال الحكماء الذاهبين الى امتناع الخرق والالتئام فى الاجرام الفلكية ونحوه من الخرافات الفلسفية (وكذلك قصة نبع الماء) من بين أصابعه صلى الله تعالى عليه وسلم (وتكثير الطعام) القليل ببركة وضع يده الشريفة فيه (رواها) أى القصة (الثقاة) من حفاظ المحدثين (والعدد الكثير عن الجم الغفير) تقدم معناه مفصلا ويأتى أيضا مع زيادة (عن العدد الكثير من الصحابة) كالشيخين عن أنس رضى الله عنه والبخارى عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه قيل استعمل الجم الغفير مجرورا بالحرف والذى فى كتب العربية أنه لازم النصب وجوز بعضهم رفعه كما تقدم ولا وجه له لان من لم يقل بلزوم نصبه يجوز جره أيضا اذ لا مانع منه (ومنها) أى رواية قصة تكثير الماء والطعام (ما رواه الكافة عن الكافة) أى مارواه جماعة عن جماعة ومثل هذه العبارة من تعريف كافة وجره وقع فى كلام كثير من العلماء والفصحاء وقد خطأهم فيه الحريرى فى درة الغواص وتبعه صاحب القاموس وغيره بناء على انه يلزم تنكيرها ونصبها وقد صرح به كثير من النحاة قال فى القاموس لايقال جاءت الكافة لانه لايدخلها أل ولا تضاف ووهم الجوهرى وقد بسطنا الكلام عليه فى شرح الدرة وبينا انه مردود رواية ودراية فانه سمع فى كلام العرب فان أردت معرفة ذلك فانظره (متصلا عن من حدث بها) أى بتلك القصة (من جلة الصحابة وأخبارهم) بفتح الهمزة وكسرها مرفوع معطوف على قوله مارواه (ان ذلك) بفتح الهمزة أى بان الى آخره ويجوز كسرها (كان فى موطن) بمعنى محل فاصله محل التوطن (اجتماع الكثير منهم فى يوم الخندق) بالمدينة وهو بفتح الخاء المعجمة وسكون النون وفتح الدال المهملة وقاف وهو فارسى معرب كنده بمعنى الحفر والمراد غزوة الخندق وتسمى غزوة الاحزاب لاجتماع أحزاب المشركين واليهود بها حول المدينة فامر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بحفر خندق حول المدينة أشار عليه سلمان الفارسى رضى الله تعالى عنه ولم يكن ذلك

معروفا عند العرب بواغساه ومن مكائد الفرس وكان ذلك فى شوال وقيل فى ذى القعدة سنة أربع أو خمس من الهجرة النبوية وقد فصلوها فى السير (وفى غزوة بواط) بضم الباء وفتحها وهو اسم جبل من جبال جهينة بينه وبين المدينة أربعة برد بقرب رضوى وهو جبل أيضا وهى التى ظفر فيها النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بعير قريش سنة اثنين ولم يكن بها حرب أيضا وبواط قيل فيه الصرف وعدمه والظاهر الاول وأشار بالاول الى قصة جابر رضى الله تعالى عنه لما دعا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لعناق ذبحها مع صاع من شعير خبزه فأتاه صلى الله تعالى عليه وسلم ومعه ناس كثير وكان دعاه وحده فأكلوا وشبعوا وفضل ذلك الطعام وكانوا نحوا ألف وبالثانى الى قصة بواط وهى انه وضع عنده صلى الله تعالى عليه وسلم ماء قليل للوضوء فقال لجابر ادع الناس فلما أتوا وضع يده الشريفة فى الماء فنبع الماء من بين أصابعه حتى توضؤا كلهم كما سيأتى (وعمرة الحديبية) بالجر عطف على المجرور ويفى قبله والحديبية مصغر كدويهية اسم مكان أو بئر فيه قريبة من مكة سميت بشجرة حدباء فيها وهى التى وقع تحتها بيعة الرضوان وهى بتخفيف الياء الثانية على الصحيح وشددها بعضهم واليه ذهب كثير من المحدثين وكانت فى سنة ست والآية التى كانت فيها انه صلى الله تعالى عليه وسلم خرج من المدينة معتمرا فلما وصل اليها صده المشركون عن البيت وكان بين يديه ركوة فتوضأ منها وماء البئر قليل جدا نزعه الناس وشكوا العطش الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فنزع سهما من كنانته وأعطاه لناجية بن عميرة فغرزه فى البئر فجاش ماؤها وجاءت جارية من الانصار معها دلوها فأقبلت به على ناجية وهو فى القليب وقالت منشدة

يا أيها المائح دلوى دونكا * انى رأيت الناس يحمدونكا
يثنون خيرا ويمجدونكا * أرجوك للخير كما يرجونكا

الى آخر ما فصل فى السير وسيأتى بتمامه (وغزوة تبوك) فى السنة التاسعة من هجرته عليه الصلاة والسلام أو السابعة وهو اسم موضع بين الشام والمدينة غير مصروف سميت بعين ما بها أمرهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان لا يمسوا ماءها فسبق رجلان بسهمين جعلاهما فيها ليكثر ماؤها فزجرهما رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال لهما ما زلتما تبوكانها أى تحفرانها ليخرج ماؤها وأشار المصنف الى آية فيها رواها أبو هريرة رضى الله تعالى عنه وهى ان الناس أصابتها مجاعة فقال عمر رضى الله تعالى عنه يا رسول الله ادع بفضل الازواد فدعا بنطع وبسطه ودعا بفضل أزوادهم فجعل الرجل يجئ بكف من ذرة والآخر بكف من تمر والآخر بكف من شعير فجمع ذلك وبرك عليه ثم قال خذوا فأخذوا فى أوعيتهم حتى ما بقى فى العسكر وعاء الا ملؤه وأكلوا حتى شبعوا وفضلت فضلة وعقد المصنف رحمه الله تعالى لكل آية فصلا كما سيأتى (وأمثالها من محافل المسلمين) مجرور معطوف على موطن والضمير للغزوات المذكورة والمحافل جمع محفل من حفل القوم اذا اجتمعوا وكثروا وقيل المحفل مجمع الرجال والمأتم مجمع النساء والنادى مجمع الناس فى الشتاء ودار الندوة والمصطبة مجمع الغرباء وقيل محل اجتماعهم لامورهم والمجلس مقر الناس فى بيوتهم والخان محل المسافرين والحانوت محل البيع والشراء وقد يخص بمحل بيع الخمر (ومجتمع العساكر) أى محل اجتماعهم وهو المعركة والعساكر جمع عسكر وهو الجيش والجمع الكثير مطلقا من الرجال والخيل وقيل انه معرب (ولم يؤثر) بالبناء للمجهول أى لم ينقل من أثره اذا نقله ومنه الاثر بمعنى الخبر وقد يخص بغير الحديث (عن أحد من الصحابة مخالفة للراوى) نائب الفاعل (فيما حكاه) الراوى من الامور والآيات المذكورة (ولا) نقل عن أحد (انكار لما ذكر عنهم) ذكر مبنى للمجهول نائب فاعله (فانهم رأوه

(وفى غزوة بواط) بضم الباء الموحدة وتفتح جبل من جبال جهينة وكانت فى شهر ربيع الاول على رأس ثلاثة عشر شهرا من الهجرة (وعمرة الحديبية) بتخفيف الياء الثانية وتشدد وكانت سنة ست فى ذى القعدة ووهم من قال فى رمضان وانما كان الفتح فيه (وغزوة تبوك) بفتح الفوقية وضم الموحدة ممنوعا وقد يصرف وكانت فى السنة التاسعة وهى آخر غزواته صلى الله تعالى عليه وسلم بذاته وهو موضع بطرف الشام بينه وبين المدينة أربع عشرة مرحلة (وأمثالها من محافل المسلمين) أماكن اجتماعهم (ومجمع العساكر) أى مكان جمع المجاهدين وكان الاولى ان يؤتى بصيغة الجمع فيهما أو بافرادهما (ولم يؤثر) بصيغة المفعول من الاثر أى ولم ينقل (عن أحد من الصحابة مخالفة للراوى) أى منه فى قصتهما (فيما حكاه) أى رواه (ولا) أى ولا نقل عن أحد منهم (انكار لما ذكر عنهم) بصيغة المجهول أى ذكره بعضهم (فانهم) أى بقية الصحابة (رأوه) أى شاهدوه منه صلى الله تعالى عليه وسلم

كما رآه) أي عنه (فسكوت الساكت منهم) أي إذا وقعت الرواية في مكانهم أو زمانهم (كنطق الناطق) أي بمنزلة رواية الراوي منهم به (إذهم المنزهون) أي المبرؤون (عن السكوت على باطل والمداهنة في كذب) بفتح الكاف وكسر الذال أو بكسر فسكون وهذا بشهادة قوله تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس وبدلالة قوله عليه الصلاة والسلام خير القرون قرني فكلهم عدول رضي الله تعالى عنهم (وليس هناك رغبة) أي ميل وطمع (ولا رهبة) أي خوف وفزع والمعنى انه ما كان هناك موجبة من مداراة مع الخلق ومداهنة في الحق (تمنعهم) من الانكار وتحملهم على السكوت الذي هو بمنزلة الاقرار (ولو كان ما سمعوه منكرا عندهم وغير معروف لديهم) أي ولو في الجملة (لانكروه) أي ذلك المسموع وأنكروا على ناقله أيضا (كما أنكر بعضهم) أي بعض الصحابة (على بعض) أي آخرين (أشياء رواها) أي نقلها بعضهم (من السنن والسير وحروف القرآن) بيان لاشياء والمراد بالسنن الاحاديث المتعلقة بالاحكام وبالسير الروايات المختصة بشمائله عليه الصلاة والسلام وبحروف القرآن قراآته كانكار عمر رضي الله تعالى عنه على هشام بن حكيم بن حزام اذ سمعه يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقرأه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فجاء به اليه فقال سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقرأتنيها فقال اقرأ يا هشام فقرأ فقال هكذا أنزلت ثم قال اقرأ يا عمر فقرأ فقال هكذا أنزلت ان هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرؤوا ما تيسر منه رواه الائمة الستة (وخطأ بعضهم بعضا) بتشديد الطاء أي نسب بعضهم بعضا الى الخطأ في اجتهاداتهم واستنباطاتهم (ووهمه) بتشديد الهاء أي ونسب بعضهم بعضا الى الوهم في رواياتهم (في ذلك) أي في جميع ما ذكر من السنن والسير والقرآت

كما رآه) أي لم ينقل انكاره انهم رأوا من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كما رآه منهم الآخر بل سكتوا حين سمعوا من بعض الرواة انه شاهد بعض آياته صلى الله تعالى عليه وسلم (فسكوت الساكت منهم كنطق الناطق) لانه في محله اقرار (إذهم المنزهون عن السكوت على باطل) يسمعه من غيره ولا يصرح له بانكاره وكون السكوت كالنطق ليس على اطلاقه كما ذكره الفقهاء وأهل الاصول ولذا قالوا السكوت في محل الحاجة بيان (و) المنزهون عن (المداهنة في كذب) فان الصحابة كلهم عدول لا يخشون في الله لومة لائم والمداهنة الملائمة والمطاوعة الا أن الفرق بينها وبين المداراة ان المداراة في الحق والمداهنة في غيره ولذا جعلت من الغش قال الله تعالى أفبهذا الحديث أنتم مدهنون وهي استعارة من الدهن للين كلام صاحبها وجانبه وهي مذمومة لانها نفاق (وليس هناك رغبة ولا رهبة تمنعهم) أي الصحابة رضي الله تعالى عنهم ليسوا ممن يطمع ويرغب في دنيا غيره ولا يخافون أحدا عدل عن الحق لصلابة دينهم فلا يداهنون لأن الحامل على المداهنة هذان الامران فليس عندهم ما يمنعهم من الانكار على من كذب (ولو كان) الاحسن ان يقول فلو بالفاء لترتبه على ما قبله (ما سمعوه منكرا عندهم) أي في اعتقادهم (وغير معروف لديهم) اذ لم يبلغهم عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مثله (لانكروه) على قائله تنزها عن الاقرار على الباطل وما يخالف الظاهر واما احتمال ان غيرهم سمع ما لم يسمعه وحمل قائله على الصلاح فغير مناف هنا لان الصحابة رضي الله عنهم في العصر الاول كان عندهم حرص على معرفة أحواله صلى الله تعالى عليه وسلم وأقواله لتوفر دواعيهم على نقلها والعمل بها والمعجزات المتحدى بها لغرابتها وعظمها ليس مما يخفى مثله نعم بعد عصرهم يجوز هذا لان خبر الآحاد مقبول فتدبر (كما أنكر بعضهم) أي بعض الصحابة (على بعض) منهم (أشياء رواها من السنن) أي سنن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم جمع سنة بمعنى طريقة والمراد الاحاديث النبوية (والسير) جمع سيرة وهي أحوال الغزاة (وحروف القرآن) أي قراآته المتعددة يطلق عليه حرف وبه فسر حديث أنزل القرآن على سبعة أحرف أي لغات ووجوه منقولة على المعنى المشهور من معانيه وفي السنن الستة ان عمر رضي الله تعالى عنه أنكر على هشام بن حكيم قراءة قرأها في سورة الفرقان لم يسمعها فجاء به الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقال سمعت هذا يقرأ بغير ما أقرأتنيها فقال اقرأ يا هشام فقرأ فقال هكذا أنزلت ثم قال اقرأ يا عمر فقرأ فقال له هكذا أنزلت ان هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرؤوا ما تيسر منه وفيه بيان لحكمته وكما وقع بين عمر وابن عباس رضي الله عنهم في انكاره عليه ما قاله في نكاح المتعة وأمثاله كثيرة في كتب الحديث (وخطأ بعضهم بعضا ووهمه في ذلك) يعني ان بعض الصحابة نسب بعضهم الى الخطأ والوهم اذا ذكر أمرا لم يكن معروفا عندهم مما يتعلق بسنن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وسيره أو بالقراآت وغير ذلك مما يتوقف على النقل ولا يقال بالرأي فانهم لا مداهنة عندهم ولا مداراة في الحق ألا ترى ان عمر رضي الله تعالى عنه مع جلالته لما قبل الحجر الاسود وقال اني أعلم انك حجر لا تضر ولا تنفع ولكن رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقبلك فقبلتك فسمعه علي كرم الله وجهه فقال له

لا

(مما هو معلوم) أي عند أرباب الدرايات كتخطئة ابن عباس رضي الله تعالى عنهما نوفل البكالي في قوله ان موسى الخضر ليس
موسى بني اسرائيل (فهذا النوع) أي الذي رواه العدد اليسير لا الجمع الكثير (كله) أي جميع افراده (يلحق) بفتح الياء على
ماقاله الحلبي وغيره وكذا بفتح الحاء والاظهر ان يكون بصيغة المجهول ووقع في أصل الدلجي ملحق بالميم وصيغة المفعول وهو نسخة
أيضا والمعنى يوصل (بالقطعي من معجزاته) ويعطى حكمه من كراماته (لما بيناه) مما يؤذن بان رواية بعضهم وسكوت بعضهم
بمنزلة وقوع الاجماع فان هذه الامة لا تجتمع على الضلالة (وأيضا فان امثال الاخبار التي لا أصل لها) أي كالموضوعات
(وبنيت على باطل) أي غرض فاسد من الخيالات (لابد مع مرور الازمان) أي مضي الاوقات (وتداول الناس) أي في الروايات (وأهل البحث) أي عن حال الرواة (من انكشاف ضعفها) أي لاوراق من تبين ضعف أمرها (وخمول ذكرها) أي وخموده عند أهل المعرفة بسندها (كما يشاهد) بصيغة المجهول وفي نسخة بضم النون وكسر الهاء أي كما نرى ونعلم ونظهر (في كثير من الاخبار الكاذبة والاراجيف الطارئة) بالهمزة ويبدل أي الحكايات العارضة (واعلام نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم) بفتح الهمزة أي معجزاته التي هي لشهرتها وانتشارها كالاعلام جمع علم على عجز من ناواه وورد من عاداه (هذه الواردة) أي
كل واحد منها (من طريق الآحاد) أي المفيدة للظن مبني لكنه اذا ضم بعضها الى بعض صارت متواترة موجبة للقطع معنى (لا تزداد)
أي بايراد تلك الآحاد (مع مرور الزمان الا ظهورا) أي اجلالا للمؤيد بها وامدادا وارغاما للمنكر لها عنادا (ومع تداول الفرق) أي
للامور فرقة ففرقة كذا قرره الدلجي بناء على ما وقع في أصله وفي أكثر النسخ تداول القرون وهو المناسب لمقابلة ما سبق من قوله
تداول الناس (وكثرة طعن العدو) أي الاعداء فانه يطلق على الجمع والمفرد مع افراد لفظه ولذا قال (وحرصه على توهينها) أي
ابطالها (وتضعيف أصلها) أي باعتبار متنها واسنادها (واجتهاد الملحد) أي بذل الظالم وسعه عادلا عن الحق قال الدلجي وفي نسخة
واجهاد بلا تاء أي نفسه أي ايقاعها في مشقة وجد وكد ومبالغة

لا نقل كذا فان الله تعالى لما أخذ العهد على ذرات بني آدم أودع كتاب العهد فيه
وقال من قبله فقد وفى بالعهد فيشهد له الحجر بذلك يوم القيامة فدعا له عمر وقال لا عدمناك يا أبا الحسن
والوهم والخطأ هنا بمعنى وروى وهنه بالنون من الوهن وهو الضعف في الرأى (مما هو معلوم) بيان
لذلك (فهذا النوع كله) من المعجزات المروية بطريق الآحاد ولم يشتهر اشتهارا يقرب من التواتر
(يلحق) بفتح أوله وضمه (بالقطعي) أي يعد من قبيل المقطوع به (من معجزاته كما بيناه) من نقل
بعض الصحابة له نقلا صحيحا وسكوت غيرهم عليه ممن بلغه فهو كالاجماع السكوتي (وأيضا) لنا وجه
يؤيد كونها كالقطعي (فان امثال) هذه (الاخبار) المتعلقة بالمعجزات الثابتة في عصر الصحابة لو لم تكن
صحيحة وكانت من الاخبار (التي لا أصل لها) رواية (وبنيت على باطل) بان كانت كذبا محضا تبطل
وتضمحل اذ (لا بد مع مرور الازمان) عليها في نقلها في عصر بعد عصر (وتداول الناس) أي تلقي
الناس لها فيما بينهم عصرا بعد عصر قال الراغب يقال تداول القوم كذا اذا تناولوه وأخذه بعضهم من
بعض قال الله تعالى * وتلك الايام نداولها بين الناس (وأهل البحث) أي التفتيش عنها والمراد
علماء الحديث الذين يبحثون عن رواة الحديث صحة وسقما (من انكشاف ضعفها) أي ظهوره
(وخمول ذكرها) بان تنسى ولا يشتهر لها ذكر لكونها لا أصل لها (كما يشاهد) بالمثناة التحتية أو
الفوقية ويجوز قراءته بالنون ان يعرف ويتحقق (في كثير من الاخبار الكاذبة) التي ظهرت في
بعض الازمنة ثم تبين كذبها وصارت كأن لم تكن شيئا مذكورا كاخبار مسيلمة الكذاب واضرابه
(والاراجيف الطارئة) أي الاكاذيب التي حدثت في بعض السنين الخالية والاراجيف جمع ارجاف
بكسر الهمزة وفتحها وقيل انه جمع رجفة من الرجف وهو الاضطراب والتحرك بحركات متوالية
ولذا سمي البحر رجافا لاضطراب أمواجه وقال بعض الشعراء فيمن اصابته رعشة في يده

ما كان من رجاف كفك منكر * فالبحر من أسمائه الرجاف

وهي هنا بمعنى الاخبار السيئة التي تشيع بين الناس ثم تنسى لظهور كذبها والطارئة بالهمزة والياء
التحتية من طرأ اذا حدث وتجدد (واعلام نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم) بفتح الهمزة جمع علم بمعنى
علامة أو راية كبيرة والمراد معجزاته المعلومة المشهورة (هذه الواردة) أي المروية (من طريق
الآحاد) بالمد أي التي رويت آحادا ولم تتواتر (لا تزداد مع مرور الازمان الا ظهورا) ولو كانت غير
صحيحة ازدادت خفاء وضعفا (ومع تداول الفرق) أي تكلم الناس بها فرقة بعد فرقة وهو بكسر الفاء
وفتح الراء جمع فرقة (وكثرة طعن العدو) من أعداء الدين الكفرة والطعن القدح والدخل بالمعارضة
(وحرصه على توهينها) أي تضعيفها وفي نسخة بدل حرصه حضه بضاد معجمة أي حثه وتحريضه
(وتضعيف أصلها) بالانكار والعناد وادعاء انها سحر وافتراء (واجتهاد الملحد) أي بذل طاقته وقوته

(على اطفاء نورها) يعني وهي لاتزداد مع ذلك (الاقوة وقبولا) أي للصنف المذعن للحق (ولا للطاعن) أي ولا تزداد للذام العائب (عليها الاحسرة وغليلا) بفتح الغين المعجمة أي حرارة وعطشا يهلك من كان غليلا (وكذلك) أي وكاعلامه بفتح الهمزة فيما ذكر من الازدياد (اخباره) بكسر الهمزة أي اعلامه (عن الغيوب) كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم مما أخبر به عن المغيبات في حديث الحاكم بلاء يصيب هذه الامة حتى لايجد الرجل ملجأ يلجأ اليه من الظلم وقد وجد هذا عند أهل العلم (وانباؤه) بكسر الهمزة أي واخباره (بما يكون) أي في الآخرين (وكان) أي وبما كان في الاولين أو بما يكون في الغيوب وبما كان من العدم (معلوم) أي كل ذلك معلوم كونه (من آياته) أي علاماته الدالة على صدق حالاته وصحة معجزاته (على الجملة) أي من غير نظر الى الطريق المفصلة (بالضرورة) أي بالبداهة العقلية فهو في الجملة قطعي الدلالة من غير احتياج علمنا بكونه منها الى كسب من تفكر واستدلال بالادلة (وهذا حق) أي أمر ظاهر (لاغطاء عليه) ولا مرية لديه (وقد قال به) أي بكون اخباره بما يكون الخ (من أئمتنا) أي الاشعرية (القاضي) قال الحلبي الظاهر انه أبو بكر الباقلاني المالكي

أو الملحد العادل عن الحق من الزنادقة والالحاد الميل عن الاستقامة والحد ولحد في دين الله حاد عنه وعدل وعن ابن عباس في قوله تعالى ان الذين يلحدون في آياتنا هو تبديل الكلام ووضعه في غير موضعه وفي نسخة باجتهاد بدون تاء من أجهد أي اتعابه نفسه وكدها (على اطفاء نورها) أي ابطالها فشبه المعجزات لسراج منير ونار على علم في الظهور والتحقق على طريق الاستعارة المكنية واضاف الاطفاء اليها على طريق التخييل وعدى الاجتهاد بعلى مشاكلة لما قبله أو ضمنه معنى الملازمة والانكباب فهم كما قال الله تعالى يريدون ليطفؤا نور الله بافواههم ويأبى الله الا ان يتم نوره ومن حكم أهل الهند ان الرجل ذو المروءة والعقل ليكون خامل المنزلة غامض الامر فما تبرح به مروءته وعقله حتى يستبين ويعرف كالشعلة من النار التي يصونها صاحبها وتأبى الا ارتفاعا ومنه أخذ ابن الرومي قوله

كالذي طأطأ الشهاب ليخفى * وهو أدنى له الى التضريم

ومنه أخذ الارجاني قوله

مالشانئك يلتظي من غرور * وله آخر ترقب قمعه
كلما رام منه للرأس رفعا * زاد خفضا كأنه نار شمعه

وأحسن من هذا كله قوله في بعض الحساد

رام بالذل ان ينكس قدري * حاسد زاد في سناو سناء
قلت ان الشهاب شعلة نار * كلما نكسوه زاد ضياء

وقوله (الاقوة وقبولا) معطوف على قوله الاظهورا كما ان قوله ومع تداول الفرق معطوف على قوله مع مرور الازمان وفي نسخة الزمان وقوته بظهور حقيقته وتيقنه وهو مقابل لما في ضده من التضعيف والقبول باذعان العقول السليمة له وهو مقابل لطعن الطاعنين وانكارهم (وللطاعن) أي المنقص الذي يعيبها ويسعى في ابطالها والجار والمجرور حال من المستثنى بعده بعدما كان صفة وعداه بعلى في قوله (عليها) لانه ضمنه معنى المتعدي عليها لانه يتعدى بفي وقوله (الاحسرة) وهو التأسف والتندم على مهم فاته وآيس منه (وغليلا) بالغين المعجمة وأصله حرارة وتلهف في الجوف من شدة العطش والمراد به هنا مجازا الحقد المضمر والحسد معطوف عليه وان لم يشاركه في متعلقه الا بتأويل فتدبر (وكذلك) أي كاعلامه بفتح الهمزة فيما ذكر من الازدياد (اخباره) بكسر الهمزة مصدر أخبر (عن الغيوب) جمع غيب وهو ما خفي علمه عن الناس كالدجال والمهدي ودابة الارض وغير ذلك مما أخبر به بعض الصحابة رضي الله تعالى عنهم (وانباؤه) بوزن أخباره ومعناه (بما يكون) في المستقبل من اشراط الساعة ومما يقع بين أمته عليه الصلاة والسلام من الفتن وغيرها (و) بما (كان) في الماضي كأحوال الانبياء عليهم الصلاة والسلام والامم السالفة ونحوه مما لا يعلم الا بوحي أو حفظ الكتب الالهية التي لم يقرأها ولم ير من عرفها (معلوم) انه (من آياته) ومعجزاته الخارقة للعادة اما الاول فظاهر وأما الثاني فلانه عليه الصلاة والسلام أمي ولا يخالط من علم ذلك

كفاك بالعلم في الامي معجزة * في الجاهلية والتأديب في اليتم

(على الجملة بالضرورة) أي معلوم بعلم ضروري مجموعه واجماله وان لم يكن كل فرد كذلك (وهذا حق) أي أمر محقق متيقن (لاغطاء عليه) ظاهر منكشف من غير لبس وشبهة فيه (وقد قال به) أي اعتقده وصرح به يقال قال كذا اذا نطق به وقال به اذا ذهب اليه واختاره (من أئمتنا) المقتدى بهم من الاشعرية أو المالكية (القاضي) أبو بكر الباقلاني الاصولي المالكي لانه المراد به اذا أطلق وبه صرح

صاحب

(والاستاد) بالدال المهملة وقيل بالمعجمة (أبو بكر) أي ابن فورك بضم الفاء (من الشافعية وغيرهما) أي من الائمة الحنفية والحنبلية والمشايخ الماتريدية من أكابر أهل السنة والجماعة (وعندي أوجب قول القائل) بالنصب وفي أصل الدلجي ما أوجب أي ما أثبت قوله وفي نسخة وما عندي أوجب قول القائل (ان هذه القصص المشهورة) أي في باب المعجزات وخوارق العادات (من خبر الواحد) أي انما هي من خبر الآحاد وهي لا تفيد الا ظنا مبينا الا علما يقينا وما ألجأه الى قوله هذا (الا قلة مطالعته) أي ملاحظة هذا القائل (للاخبار) أي للاحاديث الصريحة (وروايتها) أي وقلة معرفته بالاسانيد الصحيحة (وشغله بغير ذلك من المعارف) بضم الشين وفتحها وبضمتين أي وكثرة اشتغاله بغير ما ذكر من الادلة النقلية المفيدة للعلوم اليقينية من الآلات والادوات العربية والمعارف الجزئية التي مأخذها الامور الظنية والعوارف الوهمية (والا) أي وان لم يكن موجب قوله ذلك قلة اعتنائه بما هنا لك (فمن اعتنى) أي اهتم (بطرق النقل) أي أسانيد المنقول في هذا الباب (وطالع الاحاديث والسير) أي كتبهما على ما رتب في الابواب (لم يرتب) من الارتياب أي لم يشك (في صحة هذه القصص المشهورة) أي الروايات المأثورة والحكايات المذكورة وتبين له انها (على الوجه الذي ذكرناه) أي على الطريق الذي قررناه والمنهج الذي حررناه من انها من باب التواتر معنى وان كانت من أحاديث الآحاد مبنى (ولا يبعد ان يحصل العلم بالتواتر عند واحد) أي من أهل الحديث والقراءة مثلا (ولا يحصل عند آخر) اذا كان عاريا عن معرفتها أصلا وفرعا (فان أكثر الناس يعلمون بالخبر كون) وفي نسخة ان في أخرى كون ان (بغداد موجودة وانها مدينة عظيمة) أي كبيرة مشهورة (ودار الامامة والخلافة) ومحل العلماء ومنزل الاولياء بعد ان عمرت في زمن أبي جعفر المنصور العباسي أخي السفاح سنة خمس وأربعين ومائة وكانت قبل ذلك مبقلة وسبق انه يجوز في داليها اعجام واهمال والمرجح اهمال الاول واعجام الثاني كما صرح في رواية الشاطبية

صاحب المقتفى هنا قال والمراد بقوله (والاستاذ أبو بكر) ابن فورك كما تقدم من كلامه المصنف وقيل المراد بالاول أبو بكر بن العربي شارح الترمذي وبالثاني أبو بكر الباقلاني أو العكس والاول مالكي والثاني عده المصنف من المالكية وعده السبكي في طبقاته من الشافعية وقال التلمساني ان المراد بالثاني أبو بكر محمد بن الوليد الفهري الطرطوشي والاستاذ بضم الهمزة وآخره ذال معجمة معناه الماهر وهو معرب فارسية بالدال المهملة والمولدون يريدون به الطواشي وقد بسطنا الكلام عليه في كتابنا شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل (وغيرهما) من الائمة أي ذهب هؤلاء كلهم الى انها معلومة بعلم ضروري قطعي فهي متواترة بحسب المعنى وان لم تتواتر مفرداتها (وما عندي أوجب قول القائل) وفي نسخة تأخير ما عن عندي وهي نافية ومعنى عندي في اعتقادي وحكمي وهو متعلق بأوجب (ان هذه القصص المشهورة من باب خبر الواحد) أي من قبيل خبر الآحاد التي لا توجب العمل وأوجب بمعنى اقتضى واستلزم وألجأ أي لم يلجئه لذلك (الا قلة مطالعته للاخبار) النبوية ومطالعتها الاطلاع عليها (وروايتها وشغله) بضم أوله أي اشتغاله (بغير ذلك من المعارف) غير الاحاديث من العربية والامور والعلوم العقلية وفيه تأدب مع العلماء وعدم المجاهرة بالقدح فيهم (والا) أي لو لم نقل بقلة اطلاعهم لاشتغالهم بما ذكر (فمن اعتنى) أي كانت له عناية واشتغال (بطرق النقل) أي الامور النقلية السماعية (وطالع الاحاديث والسير) النبوية بان درسها وقرأها (لم يرتب) أي لم يحصل عنده ريبة وشك (في صحة هذه القصص المشهورة) عند المحدثين والحفاظ (على الوجه الذي ذكرناه) من جمع طرقها وضم بعضها البعض حتى تقوى وتصير متواترة بحسب المعنى قيل وقوله لم يرتب قاض برد اعتراضه على من قال انها آحاد اذ لم يرد به مجموعها بل جميع افرادها وفيه نظر ثم أشار الى دفع شبهة هي انه لو كانت الآحاد تصل رتبة التواتر بالاعتناء بالنقول ومطالعة الاحاديث كانت متواترة معنى عند غيره فقال (ولا يبعد ان يحصل العلم بالتواتر) الحقيقي (عند واحد ولا يحصل عند آخر) فبالطريق الاولى التواتر المعنوي وقد قيل بمثل هذا في البسملة وجمع به بين الخلاف وبين الائمة فان اثباتها في أوائل السور واسقاطها قراءتان متواترتان من السبعة كما قاله ابن حجر ومن تبعه وان خفي على كثير (فان أكثر الناس يعلمون بالخبر) المتواتر (كون بغداد موجودة) وهي المدينة المشهورة بدار السلام اما السلامة أهلها من فساد وتغير المزاج أو لان نهرها يسمى السلام وهي فارسية معربة ومعناها محل البساتين لان باغ معناه بستان وقيل بغ اسم صنم وداد معناه العطية أي عطية الصنم ولذا كره بعضهم تسميتها بذلك وفيها ست لغات اهمال الدالين واعجامهما واهمال الاول واعجام الثاني وعكسه وبغدان بالنون مع الاهمال وزاد يعقوب ابدال الباء ميما مع الدال والنون والاهمال والاعجام والاهمال أصح وقالوا بغدين أيضا (وانها مدينة عظيمة ودار الامامة والخلافة) بكسر أولهما وهما بمعنى

(وآحادمن الناس) أى الذين فى أطراف العالم واكنافه (لايعلمون اسمها فضلا عن وصفها) أى من رسمها ووسمها (وهكذا) أى وكعلم بعض الناس بغداذو جهل غيرهم بها (يعلم الفقهاء من أصحاب مالك) أى مثلا من حيث تقليدهم لما هنالك (بالضرورة) أى بالبديهة الضرورية من غير احتياج الى التفكر والرؤية (وتواتر النقل) وفى نسخة صحيحة والنقل المتواتر (عنه) أى عن مالك الامام (ان مذهبه ايجاب قراءة أم القرآن) أى سورة الفاتحة من غير البسملة (فى الصلاة للمنفرد والامام) أى دون المأموم وان لم يسمع قراءة امامه بل يكره له فى الجهرية

قراءتها وهذا موافق لمذهب الامام أبى حنيفة رحمه الله تعالى على

والخلافة هى الولاية العامة لانه خليفة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فهى السلطنة بحق وسميت امامة لان الامامة والخطبة فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين لازمة له لا يقوم بها غيره الا بطريق النيابة عنه كالقضاء والحكومة ولذا احتاجت لتقليد السلطان ونحوه ومعنى دارها مقرها ومحلها وأول من بنى بغداد هذه أبو جعفر المنصور المعروف بالدوانيقى ثانى خلفاء بنى العباس (وآحاد) بالمد جمع واحد (لايعلمون اسمها) لعدم سماعه (فضلا عن وصفها) من كونها دار الخلافة منتزهة عظيمة البناء وفضلا منصوب بالمصدرية يفيد أولوية ما بعدها والكلام فيها مبسوط فى العربية مشهور ثم ذكر مثالا آخر فى الشرعيات فقال (وهكذا) أى مثل أمر بغداد (يعلم الفقهاء من أصحاب مالك) المقلدين لمذهبه فتجوز بالصحبة عما ذكر تجوزا مشهورا (بالضرورة) أى بالعلم الضرورى أى البديهى لا الاضطرارى لتواتره عندهم فقوله (وتواتر النقل عنه) كالمفسر له (ان مذهبه ايجاب أم القرآن) أى الفاتحة ووجه التسمية مشهور (فى الصلاة للمنفرد والامام) دون المأموم فان قراءة امامه قراءة له وان لم يسمعها ولا فرق بين الصلاة الجهرية وغيرها وكذا مذهب أبى حنيفة رضى الله تعالى عنه كما فصل فى كتب الفقه (واجزاء النية) أى نية صوم رمضان كله (فى أول ليلة من رمضان عما سواه) الضمير راجع لاول فلا يحتاج فى بقية الشهر الى نية أخرى اكتفاء بتلك النية والاجزاء بمعنى الكفاية والاغناء وقيل معناه سقوط القضاء ورده الاصفهانى فى شرح المحصول والفرق بينه وبين الصحة مفصل فى كتب أصول الفقه (وان الشافعى رضى الله عنه يرى) من الرأى بمعنى المذهب (تجديد النية كل ليلة) قبيل الفجر فمذهبه ان النية واجبة فى كل ليلة لا مندوبة وهذا معلوم بالضرورة عند الفقهاء لتواتره عند أصحابه وغيرهم لان صوم كل يوم عبادة مستقلة فيفتقر الى نية جديدة لحديث (انما الاعمال بالنيات) والمراد الاعمال الشرعية أى انما صحتها وغيره يقدر انما كمالها كما بين فى محله (والاقتصار على مسح بعض الرأس) أى ويعلم ضرورة ان الاقتصار على مسح بعض الرأس يجزى عند الشافعى لتواتر نقل ذلك عنه خلافا لمالك فانه يجب عنده مسح الرأس كله احتياطا (وان مذهبهما) أى مالك والشافعى (القصاص) أى وجوبه (فى القتل بالمحدد) اسم مفعول مشدد الدال وهو حديد له حد جارح كالسيف ونحوه (وغيره) مما لا حد له كالعصا والحجر والشجر (وايجاب النية فى الوضوء) فهى واجبة عندهما لانه عبادة فلا بد من النية فيه ليكون قربة ولتميز العبادة عن العادة باخلاص العمل بالنية (واشتراط الولى) وهو من تكون له ولاية شرعية على المنكوحة كالاب والسيد (فى النكاح) أى فى صحته وانعقاده كما فصل فى كتب الفقه (وان أبا حنيفة) النعمان بن ثابت الامام المشهور وشهرته تغنى عن ذكر ترجمته (يخالفهما فى هذه المسائل) فلا يوجب القصاص فى غير المحدد بل الدية ولا يوجب النية فى الوضوء وخالف فيه بعض الحنفية كما فى الاسرار للدبوسى ولا يشترط

تفصيل فى كتبهم والشافعى يوجبها على المأموم أيضا (واجزاء النية) أى وان مذهبه الاكتفاء بالنية (فى أول ليلة من رمضان) أى لجميع أيامه (عما سواه) أى من بواقى لياليه (وان الشافعى) أى وكذا يعلم الفقهاء من أصحابه وربما يعلم غيرهم أيضا بالضرورة ونقل المتواتر عنه وكذا عن أبى حنيفة انه (يرى) أى وجوبا لا ندبا (تجديد النية كل ليلة) أو قبل نصف النهار الشرعى عند أبى حنيفة (والاقتصار) أى وان الشافعى يرى الاقتصار (فى المسح على بعض الرأس) وهو ما يطلق عليه اسم المسح أخذا باليقين ومالك يرى وجوب مسح كله احتياطا وأبو حنيفة عمل بحديث مسلم فى مسحه صلى الله تعالى عليه وسلم على الناصية وهو ربع الرأس ودليلنا حجة فى

عليهما (وان مذهبهما) أى مالك والشافعى (القصاص) أى القود (فى القتل بالمحدد) أى مما يجرح كالسنان (وغيره) مما لا يجرح كالعصا (وايجاب النية فى الوضوء) أى فى أوله (واشتراط الولى فى النكاح) أى فى عقده (وان أبا حنيفة يخالفهما فى هذه المسائل) أى لما قام عنده مما صح من الدلائل كما بيناه فى شرحنا المسمى بالمرقاة للمشكاة فى حل المشكلات لكل طالب وسائل وما يتوقف عليه من الوسائل

(وغيرهم) أى من الفقهاء المذكورين ونحوهم كالحنبليين (ممن لم يشتغل بمذاهبهم ولا روى) وفى نسخة صحيحة ولا رأى (أقوالهم) أى ولا عرف مشاربهم (لا يعرف) وفى نسخة صحيحة ولا يعلم (هذا) أى ماذكر من هذه المسائل وأمثالها (من مذاهبهم) أى ولو كان على منهجهم وادعى بانه فى مشربهم لكنه ما باشر الاعلوما أخر وضيع عمره فيما لا ينفعه فتدبر (فضلا عمن) وفى نسخة (عما سواه) أى ممن لم يباشر العلوم أصلا ولم يمازج كتابا ولا فصلا ولا فرعا ولا أصلا (وعندذكرنا آحادهذه المعجزات) أى

اجمالا كافيا (نزيد الكلام فيها بيانا) أى شافيا (ان شاء الله تعالى)

(فصل)

(فى اعجاز القرآن) أى بيان اعجازه فى أطنابه وايجازه (اعلم وفقنا الله واياك ان كتاب الله العزيز) أى الغالب على سائر الكتب لكونه معجزا ولكونه ناسخا لغيره فى بعض أحكامه (منطو) أى مشتمل ومحتو (على وجوه من الاعجاز) أى من أنواع (كثيرة) وأصناف غزيرة (وتحصيلها) مبتدأ أى وتحصيل وجوهه الكثيرة بطريق اجمالها (من جهة ضبط أنواعها) أى مع اندماج أصنافها واندراج أجناسها (فى أربعة أوجه) أى منحصرة فيها (أولها حسن تأليفه) أى تركيبه بين حروفه وكلماته وآياته وسوره وقصصه وحكاياته

(والتئام كلمه) أى وانتظام كلماته فى سلك مبانيها المتناسبة لمقتضى معانيها المتناسبة بين أعاليها وأدانيها (وفصاحته) أى ووضوح بيان معانيه مع اقتصاد مبانيه (ووجوه ايجازه) أى من قصر وحذف لا كتفاء وايماء (وبلاغته) أى فى عجائب التراكيب وغرائب الاساليب وبدائع العبارات وروائع الاشارات (الخارقة) أى المتجاوزة (عادة العرب) من فصاحتهم وبلاغتهم (وذلك) أى ماذكر من عادتهم (انهم كانوا أرباب هذا الشأن) أى من جهة الفصاحة (وفرسان الكلام) أى فى ميدان البراعة

فى النكاح الولى كما فصلوه يعنى ان مذهبه يخالف مذهبهما فى هذه المسائل فانه لم يرهما حتى يخالفهما والفقهاء يستعملون مثل هذه العبارة كثيرا فى كتبهم فيقولون خالف فلان فى كذا فلانا وان تقدم عصره عليه (وغيرهم) أى غير الفقهاء وأصحاب المذاهب (ممن لم يشتغل بمذاهبهم) أى مذاهب الفقهاء ومن ذكر من الائمة (ولا روى أقوالهم) عمن قلدهم واشتغل بكتبهم (لا يعرف هذا) الا الامر الذى وقع فيه الخلاف منه (من مذاهبهم) وأقوالهم (فضلا عما سواه) أى سوى هذا من دقائق المذاهب ومسائلها الغريبة (وعندذكرنا آحادهذه المعجزات نزيد الكلام فيها بيانا) بتفصيلها وذكر ما يتعلق بها من الفوائد (ان شاء الله تعالى ذلك

(فصل فى اعجاز القرآن) أى فى بيان اعجازه والقرآن بالهمزة وقد تسهل وتبدل ووزنه فعلان على الصحيح وتقدم بيان الاعجاز وهو جعل غيره عاجزا عن معارضته والاتيان بمثله (اعلم وفقنا الله واياك) أى رزقنا التوفيق والجملة دعائية وتصديره باعلم تنبيها له على ما بعده أنه مهم يلزم علمه (ان كتاب الله العزيز) بفتح الهمزة وهو وما بعده ساد مسد مفعولى اعلم وتقدم ان العزيز بمعنى القوى الغالب وبمعنى الذى لا نظير له ويجوز فيه الجر والنصب على انه صفة الله أو الكتاب ولك ان ترفعه قطعا والكتاب المراد به القرآن لغلبته فيه وله معنيان الكلام النفسى وما بين الدفتين وكلاهما قديم عند بعض المحققين كالشهرستانى والكلام فيه مشهور والمراد الثانى لانه هو المتصف بالاعجاز (منطو) أى مشتمل ومحتو افتعال من الطى وهو معروف (على وجوه من الاعجاز كثيرة) أى أنواع يعرف بها اعجازه وكونه لا يقدر عليه البشر (وتحصيلها) أى محصلها اجمالا فالمراد بالمصدر اسم المفعول مبالغة كالدرهم ضرب الامير أى مضروبه والضمير للوجوه (من جهة ضبط أنواعها) أى حصرها وجعلها مضبوطة محفوظة (فى أربعة أوجه) خبر تحصيل أو متعلق بقوله ضبط (أولها حسن تأليفه) أى نظم كلماته مؤتلفة متوافقة (والتئام كلمه) عطف تفسير أى كونها متناسبة بحسب الدلالة بحسب مقتضى مقاماتها والكلم اسم جنس جمعى لكلمة كتمر وتمرة لا جمع ولا اسم جمع على الاصح (وفصاحته) قدمها على البلاغة لتوقفها عليها بمعناها المشهور فى كتب المعانى (ووجوه ايجازه) أى قلة لفظه وكثرة معانيه ووجوهه معروفة فى المعانى (وبلاغته الخارقة عادة العرب) عادة بالنصب مفعول خارقة بمعنى خارجة عن عادتهم كما يقال خرق الاجماع اذا خالفه وخرج عنه ثم بين ذلك فقال (وذلك) أى ماذكر من عادتهم (لانهم) أى العرب (كانوا أرباب هذا الشان) الشان هو الامر العظيم والمراد به البلاغة وجعلهم أربابها أى أصحابها المالكون لها الذين بيدهم أزمتها وهو مبالغة فى اتصافهم بالفصاحة والبلاغة (وفرسان الكلام) جمع فارس أو جمع فرس الذى هو جمعه والفرس يكون أيضا جمع فارس بمعنى عجمى كما فى شرح شواهد الايضاح ومنه قولهم لغة الفرس فشبه الكلام الذين تمكنوا من التصرف فيه بجواد علوه وتسابقوا به فى ميادين البلاغة والرهان وفازوا بقصب السبق فيه

(قد خصوا من البلاغة والحكم) أى خصهم الله تعالى من دون الناس ببلاغة كلامهم المخصوصة بلغاتهم وبما تضمنه من الحكم أى المعانى المحكمة المتقنة وما يحث على مكارم الاخلاق ومحاسن الصفات وفيه كلام تقدم (بما لم يخص به غيرهم) قيل كان الظاهر ان يقول بما لم يوجد فى غيرهم لكنه عبر به ليشاكل ماقبله ولان نفى الوجود يفهم من اختصاصهم به دون غيرهم فلا يقال انه لا يلزم من نفى الاختصاص نفى الوجود وهو المقصود وفيه بحث (من الامم) أى جميع الامم السالفة واللاحقة (وأوتوا) بالبناء للمجهول أى أعطاهم الله (من ذرابة اللسان) المراد الجارحة المعروفة والكلام نفسه والذرابة بذال معجمة وراء مهملة وموحدة أصل معناها حدة السيف والسنان ونحوه وقيل هى ان تسقى السم والذراب السم فاستعير لطلاقة اللسان مع الخلو عن اللكنة قال

أرحنى واسترح منى فانى * ثقيل محملى ذرب لسانى

وهذا أمر محمود وقد يكون بمعنى كونه سليطا صخابا فيكون ذما كالحدة قال الله تعالى سلقوكم بالسنة حداد (مالم يؤت انسان) أى لم يؤته غيرهم من الامم لكنه أتى بما ذكر لقصد السجع والخطابة كقوله (ومن فصل الخطاب) أى الخطاب البين الفاصل عند المحاجة الذى لا لبس فيه ولا خفاء كما تقدم (ما يقيد الالباب) جمع لب وهو العقل و يقيدها بمعنى يحيرها اذا سمعته حتى كأنها قيدت ومنعت عن الحركة لدهشتها من حسنه و براعته (جعل الله لهم ذلك) المذكور الذى خصوا به (طبعا وخلقة) مركوز فى طباعهم لا بتكلف وتعلم وتقليد لغيرهم (وفيهم غريزة) أى جبلة وسجية مركوزة فيهم (وقوة) المراد بالقوة مقابل الفعل وليس بمعنى الشدة وهذا استعمال مولد وهو قريب من الطبيعة أيضا وتكرار الالفاظ المتقاربة لا بأس به هنا لانه مقام خطابة أو المراد بالقوة القدرة أى هذا أمر طبعهم الله عليه و جعل لهم زيادة قدرة فيه فلذا أعقبه بقوله (يأتون منه على البديهة بالعجب) أصل معنى البديهة الفجاءة ولذا قيل لكل كلام من غير اتعاب فكر ونظر بديهة فيقال أجاب على البديهة وله بدائع بداهة وهذا معلوم فى بداهة العقول ولحقه فى بداهة جريه والعجب بمعنى الامر الذى يعد عجيبا لحسنه وجزالة معناه فكأنه لم يعهد فما قيل انه غير صحيح هنا لا وجه له (و يدلون به) بضم المثناة التحتية وسكون الدال المهملة و باللام من أدلى دلوه فى البئر اذا نزله لاخذ الماء ثم عبر به عن مطلق التوصل كما قال عمر رضى الله تعالى عنه لما استسقى بالعباس رضى الله تعالى عنه وقد دلونا اليك مستشفعين أى توصلنا (الى كل سبب) أى طريق ووسيلة الى حصول مهمات أمورهم كالزام الخصوم وجلب محبة القلوب واستعطاف الملوك والرؤساء فاذا ذكروا هذه الوسائل عبروا عنها بعبارات بليغة رائقة تسحر السامعين وتقود بعنان البيان سواد القلوب والخواطر وفى قوله سبب هنا تورية لانه فى الاصل بمعنى الحبل فذكره بعد الادلاء فيه لطف وقيل المراد اقبلنا وسقنا من الدلو وهو السوق والرفق وقيل المراد بالسبب الطلب العالى الشبيه باسباب السموات أى نواحيها كأنه شبه ذلك الطلب فى عزة نيله بنواحى السماء والعرب كانوا يصلون الى هاتيك المطالب بما نالوه من القرائح الزكية ولعل المراد بالاسباب مقتضيات الاحوال وقد بين ذلك بقوله (فيخطبون) الى آخره انتهى ولا يخفى انه يلائم ما نحن فيه (بديها) أى ينشؤن الخطب بمقتضى طباعهم بديهة من غير تكلف (فى المقامات) أى محافل الناس ومجامعهم على رؤس الاشهاد بديهة من غير تصنع جمع مقام أو مقامة يقال قام بين يدى الامير بمقامة حسنة اذا تكلم بعظة ونحوها وكانوا يخطبون قياما فلذا سميت مقامة ثم أطلقت على نفس الكلام المقول فيها كمقامات البديع والحريرى وغيرهما (وشديد الخطب) أى الامر العظيم الشان الذى من شانه ان يقع فيه المخاطبات والمنازعات فكان لكل قوم خطيب يقوم بينهم بحثهم على مهماتهم وقيل ان الخطر الشان عظم أو صغر

غيرهم من الامم) أى سابقة ولاحقة (وأوتوا من ذرابة اللسان) بفتح الذال المعجمة أى حدته و بساطته وسلاطته (ما لم يؤت) أى مثله (انسان) أى ممن عداهم وكان الاولى ان يقول الانسان و يراد به جنسه لانه أنسب فى مقام سجعه (ومن فصل الخطاب) أى بيان المراد فى الفصول والابواب (ما يقيد الالباب) بكسر التحتية الثانية المشددة أى يمنع أرباب العقول الخالصة ان يأتوا بمثل كلامهم وعلى نهج مرامهم (جعل الله لهم ذلك) أى ماخصوا به (طبعا وخلقة) أى سليقة وجبلة (وفيهم) جعل ذلك فيهم (غريزة) أى سجية (وقوة) أى وقدرة بديعة (يأتون منه) أى من الكلام الوافى للمرام (على البديهة) من غير الروية (بالعجب) أى العجاب (و يدلون) بضم الياء واللام أى يتوسلون (به الى كل سبب) أى من الاسباب فى السؤال والجواب وسائر فصول الخطاب (فيخطبون) أى الخطب البليغة (بديها) أى من جهة البديهة (فى المقامات) أى على حسب ما يلائمها من المقالات (وشديد الخطب) أى فى الامر العظيم الشأن والحال الذى يقع فيه تفخيم البيان

وسبب

(ويرتجزون به) أي يوردونه مرتجزا في حال الحرب (بين الطعن والضرب) فالطعن بالرمح ونحوه والضرب بالسيف وغيره (ويمدحون) أي بعضهم بعضا اظهارا للمفخرة أو كسبا للمحمدة أو جلبا للفائدة (ويقدحون) أي ويطعنون ويذمون بعضهم بعضا أيضا لاحد الاغراض السابقة وهذا المعنى بحسب التقابل هو المناسب للمرام وأبعد الدلجي في قوله ويقدحون افكارهم فيستخرجون سحر الكلام في أحسن النظام (ويتوسلون) أي به الى من يقصدون منه نجاح مآربهم (ويتوصلون) أي به الى الفوز بمطالبهم (ويرفعون) أي يمدحهم من أرادوا (ويضعون) أي يذمهم من شاؤا (فيأتون من ذلك) الكلام على وجه الاجمال وطريق الكمال (بالسحر الحلال) وهو ما لطف مبناه وشرف معناه ويستعار للكلام البليغ وقد ورد ان من البيان لسحرا أي سواء كان نثرا أو شعرا فانه ربما سحر الانسان وصرفه عن حيز التبيان والسحر في الشرع حرام الا أنه حلال في مقال وقع في مقام مرام (ويطوقون) بكسر الواو المشددة أي يحملون (من أوصافهم) أي صفاتهم الحميدة وسماتهم المجيدة من ظنوه أهلا لتلك الاحوال نعوتا (أجمل من سمط اللآل) بكسر السين هو الخيط ما دام فيه الخرز والا فهو سلك وفي نسخة بضمها على انه جمع سمط واختاره اليماني لكن في القاموس ان جمعه سموط هذا وقد قال الحلبي اللؤلؤة الدرة وجمعها اللؤلؤ واللآلي انتهى وفيه مسامحة اذ اللؤلؤ جنس واللآلي جمع وقد حذف المصنف ياءه مراعاة للسجع ونظيره في الفواصل قوله تعالى الكبير المتعال (فيخدعون الالباب) في ملهياتهم (ويذللون الصعاب) أي يهونونها في مهماتهم بحسب ما يبنون مراماتهم في مقالاتهم على وفق مقاماتهم (ويذهبون) بضم الياء وكسر الهاء أي يزيلون (الاحن) بكسر الهمزة وفتح الحاء جمع احنة بكسر فسكون وهي الحقد والضغينة واضمار العداوة

وسبب الامر ولا يناسب المقام والتكلم بكلام بليغ ارتجالا يدل على سجية وغريزة قوية (ويرتجزون به) أي ينشدون رجزا في تلك المقامات بديعة يعدونه كالخطب ولذا ذهب بعضهم الى انه ليس بشعر (بين الطعن والضرب) كما ينشدون في أنديتهم وهذا كقول علي رضي الله عنه لما بارز مرحبا بخيبر

أنا الذي سمتني أمي حيدرة * كليث غابات كريه المنظرة * أكيلكم بالسيف كيل السندرة

وأمثاله مما لا يحصى (ويمدحون) من يستحق المدح في مقاماتهم بديهة بأبلغ الاشعار (ويقدحون) أي يذمون ويهجون يقال قدح في عرضه اذا عابه ومن فسره بقوله أي يقدحون افكارهم فيستخرجون معجز الكلام في أحسن نظام لم يصب محز الكلام (ويتوسلون) بما ذكر من بليغ الكلام نظما ونثرا (ويتوصلون) عطف تفسير أي بالمذكور الى مطالبهم العالية (ويرفعون) من مدحوه بمدائحهم حتى يرتقي لمرتبة لم يكن له بشهرة مدحه فيصير نابه الذكر بعد ان كان خاملا كما وقع للمحلق لما نزل عنده الاعشى ضيفا فنحر له وسقاه وعنده بنات لم يرغب أحد في تزوجهن فمدحه بقصيدة قافية مشهورة فلم يمض زمن حتى خطبوا بناته ورغبوا فيهن (ويضعون) مقدار من ذموه بقدحهم حتى يصير سبة بينهم ففيه لف ونشر (فيأتون من ذلك) المذكور كله (بالسحر الحلال) السحر في الاصل الفطنة وكل ما دق ثم انه يشبه به الكلام البليغ الذي تلذ به النفوس وتنجذب له القلوب ومنه ان من البيان لسحرا فهو تشبيه بليغ والسحر معناه الحقيقي معروف وهو قبيح محرم فوصفه بالحلال بيان للمعنى المراد منه وتجريد للتشبيه والسحر حق واقع وهو بامور يعرفها أهلها وسيأتي الكلام عليها عند قوله وقولهم ان هذا الا سحر يؤثر (ويطوقون) بالتشديد من الطوق وهو ما يجعل في العنق من ذهب ونحوه (من أوصافهم) البديعة البليغة وفيه استعارة مكنية وتخييلية أي من وصفهم لغيرهم بمدحهم (أجمل من سمط اللآل) أجمل بمعنى أزين وأحسن وسمط بكسر فسكون المراد به جنسه لعمومه بالاضافة فمن قال صوابه سموطه لم يصب وهو السلك ما دام فيه الخرز والا فهو خيط وقال البرهان السمط الخيط ما دام فيه الخرز والا فهو سلك وتبعه الانطاكي ونسبه للجوهري وقال ان غيره قال ان السمط للجوهر والسلك للخرز والنظام للابر وفيه نظر وفصله عقد المدائح على اللآلي لانه لا يفنى ولا يقاومه ثمن لعزته وأصل اللآل اللآلي بهمزة في آخره فابدلها ياء لسكونها وقفا ثم عامله معاملة المعتل في الوقف فاسقطها كالعاص (فيخدعون الالباب) الخداع هو المكر واظهار أمر على خلافه لمن تريد به أمرا مكروها والالباب جمع لب وهو العقل كما مر والمراد انهم يستميلون العقول حتى تنقاد لهم ففيه استعارة مكنية وتخييلية وتقدير ذوي العقول يذهب برونق الكلام (ويذللون الصعاب) أي يسهلون بفصاحتهم الامور الصعبة فان كان من الذل بالكسر والذال معجمة من الارض الذلول وهي التي يسهل المشي فيها ففيه استعارة تبعية وكذا ان كان من الذل بضمها والمراد على كليهما انهم يجعلونها طيعة لهم ويجوز ان تكون مكنية وتخييلية على ان الصعاب جمع صعبة وهي الناقة التي لا تنقاد (ويذهبون الاحن) بكسر

(ويهيجون) بتشديد الياء الثانية المكسورة وفى نسخة بفتح الياء الاولى وكسر الهاء وتخفيف الياء الثانية أى يحركون ويثيرون (الدمن) بكسر الدال المهملة وفتح الميم جمع دمنة وهى فى الاصل ماتدمنه الابل ونحوها بابوالها وابعارها أى تلبده فى مرابضها ثم استعمل فى الحقد لتلبده فى باطنه ولكونه من دمائم خاطره وفى نسخة الزمن بفتح الزاى وكسر الميم المقعد والمفلوج وفى نسخة الذمر بفتح الذال المعجمة وكسر الميم فراء وهو الشجاع وهو وان كان يخالف ماقبله من مراعاة السجع الا أنه أبعد من التكرار المعنوى وأقرب للقابل اللفظى بقوله (ويجرؤن الجبان) بتشديد الراء المكسورة أى يحملونه على الجرأة والشجاعة والجبان بفتح الجيم والموحدة المخففة ضد الشجيع (ويبسطون) بضم السين أى ويفتحون (يد الجعد البنان) أى البخيل اللئيم الشان وأصل الجعد بفتح الجيم وسكون العين وهو الانقباض فى الشعر ضد السبط المسترسل والبنان بفتح الموحدة وتخفيف النونين أطراف الاصابع جمع بنانة ومنه قوله تعالى بلى قادرين على أن نسوى بنانه (ويصيرون) بتشديد التحتية الثانية أى يحولون (الناقص كاملا) بحسن رعايتهم وعين عنايتهم (ويتركون النبيه) أى المشهور بالنباهة والتنبه عن نوم الجهالة (خاملا) أى متروكا شانه ومجهولا بيانه (منهم البدوى) أى من يسكن البادية مع كون غالبهم عنه المعرفة عارية (ذو اللفظ الجزل) بفتح الجيم وسكون الزاى أى صاحب الالفاظ التى فيها الجزالة والسلاسة الكاملة فى الدلالة من مراتب الفصاحة والبلاغة (والقول الفصل) أى البين أمره والمبين حكمه (والكلام الفخم) أى العظيم المرام (والطبع الجوهرى) منسوب الى جوهر وهو معرب واحده جوهرة وهذا مدح جزيل ووصف جليل كذا ذكره الحلبى واقتصر عليه ووقع فى أصل الدلجى بلفظ الجهورى أى الشديد الصوت العالى والواو زائدة من جهر بصوته اذا رفعه بشدة وفى حديث العباس انه نادى بصوت جهورى انتهى والظاهر انه تصحيف فى المبنى وتحريف فى المعنى اللهم الا أن يتكلف كما اقتصر عليه الشمنى فقال المراد بالطبع الجبلة والجهورى الذى قد اشتهر من قولهم جهر بصوته اذا شهره ورفعه اذ الطبع لا يقبله والمقام لا يلائمه كما لا يخفى على من تأمله

الهمزة وفتح الحاء المهملة جمع احنة بكسر فسكون وهى الحقد (ويهيجون الدمن) بضم أوله وفتح ثانيه وكسر المثناة التحتية المشددة ويجوز كسر الهاء مع سكون الياء أى يحركونها ويظهرونها والدمن بكسر الدال المهملة وفتح الميم والنون جمع دمنة وهى فى الاصل مافى مبارك الابل من بعرها المتلبد عليه من أبوالها استعير للحقد المضمر المجتمع فى الباطن وهى استعارة بليغة شائعة فى كلامهم قال الشاعر

أرعى الامانة لا أخون ولا أرى * أبدا أدمن عرضة الاخوان

وكون المراد به آثار السكان فى الديار والمعنى انهم يندبون الاطلال وسكانها فيهيجون الاشواق بذكرها وان سلم من التكرار بعيد هنا فلا يغتر بما قيل (ويجرؤن الجبان) بالتشديد والهمز من الجرأة وهى الاقدام والشجاعة والجبان ضد الشجاع أى يجعلونه شجاعا بعد جبنه (ويبسطون يد الجعد البنان) باضافة الجعد الى البنان والبنان الاصابع وعقدها وبسطها مدها واذهاب جعودتها وهى انقباضها والجعد اذا أضيف الى اليد أو البنان كان للذم بمعنى البخيل اللئيم فان أطلق كان بمعنى الجواد الكريم والجعودة ضد السبوطة وهى الانبساط والمعنى انهم بفصاحتهم يصيرون البخيل كريما قال أبو عبيد الجعد فى صفة الرجال يكون مدحا ويكون ذما ففى المدح معناه شديد الخلق مدبر للامور أو ان شعره جعد غير سبط لان السبوطة أكثر فى العجم وفى الذم معناه القصير أو البخيل (ويصيرون الناقص كاملا) بحثه على اكتساب الكمال حتى يصير التطبع طبعا وان كانت الطباع يعسر تغييرها وتبدلها (ويتركون النبيه) الشريف المشهور (خاملا) أى خامل الذكر متروكا بعد شهرته بسبب ذمهم له وتنقيصه بالهجاء ونحوه ثم قسمهم فقال (منهم) أى من العرب (البدوى) وهم سكان البادية النازلون فى الاخبية والدارات وهو بالباء الموحدة والدال المهملة المفتوحتين الذين لا يسكنون القرى والامصار ويسمى ساكنها حضرا وحاضرة لحضور بعضهم لبعض فيها والنسبة للبادية أو للبدو بالسكون على خلاف القياس ويقال بداوى بفتح أوله وكسره أو هو نسبة للبدا كالفتى بمعنى البادية أيضا (ذو اللفظ الجزل) أى صاحب اللفظ المحكم القاطع الفاصل ويكون الجزل بمعنى الكثير أيضا ومنه الثواب الجزيل (والقول الفصل) بالصاد المهملة أى الفاصل بين الحق والباطل قال الله تعالى انه لقول فصل وما هو بالهزل وأصل معنى الفصل الحجز ومنه فصول الكتب (والكلام الفخم) أى المفخم المعظم لشهامتهم وعدم مداراتهم أو المتين المعانى الرائقة يقال وجه فخم اذا كان له جمال ومهابة أو هو من التفخيم ضد الترقيق لاعتيادهم باخراج الحروف من حاق مخارجها والجهر بها لقواه (والطبع الجهورى) أى طبعوا على جهر الصوت وعلوه ومنه الحروف المجهورة قال فى القاموس جهر ككرم وفخم الصوت ارتفع وكلام جهر ومجهر وجهورى عال وفى الحديث نادى

(والمنزع القوى) بفتح الميم والزاى أى والمشرب الصفى (ومنهم الحضرى) بفتحتين أى من يسكن الحاضرة عند البادية من المصر او القرية (ذو البلاغة البارعة) أى الفائقة اللائقة (والالفاظ الناصعة) أى الخالصة من شوائب الركاكة لبلاغة مبانيها وفصاحة معانيها (والكلمات الجامعة) أى لمعان كثيرة فى ضمن مبان يسيرة (والطبع السهل) أى المنقاد للاهل كالماء فى سلاسته والنسيم فى لطافته (والتصرف فى القول القليل الكلفة) أى اليسير المؤنة لسهولة المعونة (الكثير) أى وفى القول الكثير (الرونق الرقيق الحاشية) أى الجزيل الحسن فى المبنى واللطيف الطرف فى المعنى (وكلا البابين) أى بابى كلام كل (فى كل مقام مطابق) لما قصد من المرام (فلهما فى البلاغة الحجة البالغة) أى الواصلة الى مقام النهاية والغاية واعادة المصنف الضمير فى فلهما الى معنى كلا وهو مذهب الكوفى واختار رأى البصرى وهو ان يفرد الضمير بناء على لفظه وبه جاء القرآن فى قوله سبحانه وتعالى كلتا الجنتين آتت أكلها (والقوة الدامغة) أى الماحقة للامور الزاهقة ومنه قوله تعالى بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه وفى حديث على دامغ جيش الاباطيل (والقدح) بكسر القاف أى السهم والمراد به واحد الازلام لا الذى قبل ان يراش كما يتوهم من تقرير الحلبى نعم هو أصله لكن قصد هنا فصله بقرينة قوله (الفالج) بكسر اللام أى الفائز الغالب

بصوت جهورى وفى نسخة جوهرى نسبة للجوهر وهو الخالص النقى أو القدم الجرى فان كان من الجوهر المعروف كالياقوت والزبرد ونحوه فهو استعارة للنفس وفى القاموس الجوهر كل حجر يستخرج منه شئ ينتفع به ومن الشئ ما وضعت عليه جبلته والجرى المقدم انتهى والواو زائدة وقيل انه بمعناه المعروف معرب والعرب تمدح بالجهر بالكلام وتعبر به عن البهاء والحسن كما قال الاعرابى

جهير الرواء جهير الكلام * جهير العطاس جهير النعم

وهذا أشبه بطريقة المصنف رحمه الله تعالى فى فصاحته (والمنزع القوى) مفعل من النزع وهو الجذب والاخذ ونزع الماء من البئر أخرجه ونزع القوس جذبه وهو مصدر ميمى أو اسم مكان والاول أظهر أى يأتون بنوع من الكلام يستخرجونه من بين أنواع الكلام بطباعهم السليمة بحيث اذا سمعه السامع شفى غليله (ومنهم الحضرى) نسبة الى الحضر بفتحتين مقابل البدو وهو الحاضرة أيضا والحضارة سكنى الحضر وهى الامصار والقرى (ذو البلاغة البارعة) أى الفائقة من برع اقرانه اذا فاقهم برقة طبعه وتهذيب كلامه (والالفاظ الناصعة) أى الخالصة من الالفاظ الوحشية الغريبة السالمة من الركاكة (والكلمات الجامعة) للمعانى الكثيرة فى الالفاظ القليلة الموجزة (والطبع السهل) اللين المنقاد بسهولة لسلامة ذوقه وانسجام كلامه الذى هو أرق من النسيم يكاد من عذوبة الالفاظ تشرب به مسامع الحفاظ فيدخل الاذن بلا اذن (والتصرف فى القول القليل الكلفة) فيخرج من نوع لنوع من غير تكلف لكونه سجية له والقليل صفة للتصرف أو للقول فلا يورد فى كلامه ما يعسر فهمه على السامع لغرابته أو تعقيده (الكثير الرونق) أى الحسن واللطافة من رونق السيف وهو ماؤه وحسنه كما قال البحترى

وبديع كأنه الزهر الضاحك فى رونق الربيع الجديد

مشرق فى جوانب السمع ما يخلقه عوده على المستعيد

(الرقيق الحاشية) أصل الحاشية طرف البرد والثوب ورقة حاشيته عبارة عن رقته وحسن نسجه والكلام يشبه بالحلل والبرود والتكلم بالنسج وفى الاساس من المجاز عيش رقيق الحواشى وكلام رقيق الحواشى وهو عبارة عن سهولته وسلاسته بان يكون لفظه رشيقا عذبا وفخما سهلا ومعناه ظاهرا مكشوفا وقريبا معروفا (وكلا البابين) أى كلا القسمين من كلام البدوى والحضرى فى مقامه ومحله وعند أهله (فلهما فى البلاغة الحجة البالغة) قيل ان فى الكلام تقديرا وأصله واما كلا البابين الى آخره فالفاء واقعة فى جواب اما المقدرة ولا يخفى انه ركيك ولو حذفها كان أولى ولو قيل كلا مبتدأ خبره مقدر تقديره وكلاهما مما اختصوا به أو مما له شان عظيم وما بعده مبنى عليه كان أحسن لان اما حذفها من غير عديل ليس سهلا والحجة البرهان والدليل من حجه اذا خصمه وألزمه والبالغة بمعنى الواصلة والافصح افراد ضمير كلا رعاية للفظه ومعناه وان جاز تثنيته وقد جمع بينهما القائل فى قوله

كلاهما حين جد الجرى بينهما * قد اقلعا وكلا انفيهما رابى

(والقوة الدامغة) أى الغالبة لغيرها من سائر اللغات وأصل الدمغ الضرب على الدماغ فاريد به ما ذكر من الغلبة والقهر يقال دمغ الحق الباطل أى أبطله ودمغت فلانا قهرته (والقدح الفالج) بسكون القاف وسكون الدال والحاء المهملتين واحد قداح الميسر وهو سهم بغير ريش وقداح الميسر التى كانوا يقامرون بها فى الجاهلية ولها أسماء مشهورة ومنها ماله نصب زائد ومنها ما لا نصيب له والفالج بالفاء واللام والجيم بمعنى الفائز يقال فلج أمره أى فاز وسعد أى لهذه اللغة شرف وفوز عند سامعها

(والمهيع) بفتح الميم والتحتية أي الطريق الواسع (الناهج) أي السبيل السالك الواضح وفي حديث علي اتقوا البدع والزموا المهيع (لا يشكون ان الكلام طوع

مرادهم) أي منقادون لما يريدون من ايرادهم (والبلاغة ملك قيادهم)

وقيل المراد ما تنتجه الافكار واصابة الآراء وجودة الانظار وهو أمر لا تعلق له بنفس الكلام والكلام فيه (والمهيع الناهج) بفتح الميم وسكون الهاء وفتح المثناة التحتية وهي الطريق الواسع والناهج بمعنى البين الواضح المسلوك وأصله السالك فتجوز به عن السلوك كما دافق بمعنى مدفوق وعيشة راضية وأراد به سعة لغتهم وظهور دلالتها (لا يشكون ان الكلام طوع مرادهم) قيل كان الاحسن الظاهر ان يقول لا يشك بيناء المجهول ليكون أبلغ وهذا من عدم معرفته بمقاصده فان هذا هو المناسب لما هو بصدده فان البليغ الفائق اذا كان هذا حاله كان له اقدام على المعارضة عند التحدي فلله دره ما أدق نظره والمراد انهم يعلمون ما جبلوا اليه من البلاغة والقدرة على ايراد كل كلام بليغ في مقامه على ما يقتضيه حاله وسبكه في قوالبه ونظره لاساليبه المطاوعة له ومعرفته بذلك (والبلاغة ملك قيادهم) بكسر القاف وهو حبل تقاد به الدابة أي والبلاغة مملوكة لهم منقادة وأصله ملكهم وفي قيادهم فعدل عنه لما ذكره لانه أبلغ ففيه استعارة في الملك والقيادة وهي اضافية على حد قوله مكر الليل يعني انهم متصرفون في أفانينها من غير تكلف (قد حووا فنونها) أي جمعوا وحازوا أنواع البلاغة واقسامها والفنون جمع فن (واستنبطوا عيونها) أي استخرجوا اخيارها ومحاسنها وأصل معنى الاستنباط استخراج الماء من الآبار والعيون النابعة فعيون هنا في موقعها وفيها تورية لا يهامه لعيون الماء والمراد خيارها الان عين كل شيء خياره وليس من اطلاق اسم الجزء على الكل كما توهم (ودخلوا من كل باب من أبوابها) أي سهل عليهم الوصول الى مقاصدهم باي عبارة أرادوها كالحقيقة والمجاز والكناية وبسط الكلام في مقام وايجازه في مقام والتصريح والاخفاء وفيه استعارة مكنية وتخييلية بجعل مقاماتها قصورا واسعة لها أبواب متعددة ولذا عقبه بقوله (وعلوا صرحها) وهو البيت العالي المزخرف بناؤه والبيت المنفرد وعلوا بتخفيف اللام بمعنى صعدوا ويجوز تشديدها (لبلوغ أسبابها) جمع سبب وهو كل ما يتوصل به لشيء آخر كالحبل والسلم وهو علة للعلو أي علوا قصر البلاغة ليصلوا الى ما فيه من الاسباب الموصلة لمهماتهم ومطالبهم النفيسة كمن يدخل قصر اليقابل الملك فينال عنده لذة انعامه واحسانه وفيه ايماء لقوله تعالى يا هامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ الاسباب الآية فما قيل ان الاحسن ان يقول صرح أسبابها تركه أحسن منه لان معناه انهم علوا ذروة البلاغة فوصلوا بها الكل ما أرادوه فعبروا بعباراتهم لمقاصدهم واللام لام العاقبة هنا وفيه استعارة مكنية تخييلية لتشبيه مرتبة الاعجاز التي عجزوا عنها بسماء لم يصلوا اليها (فقالوا) أي تكلموا بكلامهم البليغ (في الخطير) أي في الامر العظيم الذي له خطر أي شرف ومزية على غيره (والمهين) بفتح الميم أي الحقير من المهانة وهي الحقارة (وتفننوا) أي أتوا بكل فن من فنون الكلام متصرفين (في الغث) بفتح الغين المعجمة وتشديد المثلثة وأصله اللحم المهزول الذي يكره تناوله فاستعير للامر القبيح والفاسد (و) ضده (السمين) وفي حديث أم زرع زوجي لحم جمل غث وفي المثل غثك خير من سمين غيرك وقد علمت ان فقالوا في أكثر النسخ بالقاف من القول وفي بعضها فغالوا بالغين المعجمة وفتح اللام أي زادوا والاول رواية الانطاكي وفسره التلمساني بانشاد المدائح والهجاء والمدح والذم أو الجد والهزل وله وجه (وتقاولوا) تفاعل من القول أي أداروا الكلام بينهم (في القل والكثر) بضم أولهما وأجاز البرهان كسرهما أي القليل والكثير مدحا وذما وجدا وهزلا قيل وفيه ثقل ولو قال في الكثير والنزر كان أحسن

بكسر الميم ثم كسر القاف وهو حبل تربط به الدابة ذكره الحلبي فيكون من القيد أي يقيدونه بما أرادوا والاظهر انه ما يقاد به فهو من القود وهو السوق من قدام أي يقودونه حيث شاؤا من روائع لطائفه وبدائع عوارفه (قد حووا) بفتح الواو أي حازوا وجمعوا (فنونها) أي من مبانيها (واستنبطوا عيونها) أي استخرجوا من معانيها لبابها (ودخلوا من كل باب من أبوابها وعلوا صرحا) أي ورفعوا بناء ظاهرا (لبلوغ أسبابها فقالوا في الخطير والمهين) بفتح الميم أي في العظيم والحقير (وتفننوا في الغث) بفتح الغين المعجمة وتشديد المثلثة أي المهزول (والسمين) ومنه قول ابن عباس لعلي ابنه الحق بابن عمك يعني عبد الملك ابن مروان فقل له فغثك خير من سمين غيرك والمعنى فغاروا في كلامهم بين أسلوب واسلوب وايراد وايراد بلطائف مبان وشرائف معان في كل مراد (وتقاولوا) أي فيما بينهم (في القل والكثر) بضم أولهما أي في القليل والكثير مدحا وهجوا وايجازا واطنابا

وأخف

وأخف وأنسب بقوله (وتساجلوا في النظم والنثر) والتساجل تفاعل من السجل بالفتح وهو الدلو الكبير وسجلت الماء صببته ثم لما كانوا يتناوبون في سقي الماء استعاروا المساجلة للعطاء وللمفاخرة كما قال

من يساجلني يساجل ماجدا * يملأ الدلو إلى عقد الكرب

وقيل الحرب سجال أي تارة تغلب وتارة تغلب كما قيل

فيوما علينا ويوما لنا * ويوما نساء ويوما نسر

فالمراد أنهم تناوبوا أو تفاخروا وتعارضوا في عد المآثر كما هو متعارف عندهم وليس المراد به المبارزة بأن يدعو أحدهما الآخر للقتال فيبرز من الصف كما قيل فإنه لا وجه له هنا وهي جائزة لفعل الصحابة رضي الله تعالى عنهم لها ومنعها بعضهم شرعا لما فيها من المخاطرة والنظم والنثر غني عن البيان (فراعهم) أي بينما هم كذلك فجاءهم أمر بغتة لم يكن لهم علم به ولم يطرق مسامعهم مثله وفي الأساس ما راعني إلا مجيئك أي ما شعرت إلا به وهو من الروع بمعنى الخوف والفزع (الا رسول كريم) بعث بين أظهرهم صلى الله تعالى عليه وسلم (بكتاب عزيز) لا نظير له شريف ومنيع بحماية الله وهو استثناء مفرغ من عام مقدر أي لم يفجأهم ويفزعهم شيء سوى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم جاءهم من الله أتاهم بخلاف هواهم وعكس مناهم إذ كانوا يتوهمون أن رتبتهم في البلاغة لا يفوقها كلام فأتاهم بكتاب أخرس شقاشقهم وأصم أسماعهم والباء للمصاحبة أي مؤيدا بكلام معجز (لا يأتيه الباطل) أي لا يأتيه باطل وأمر فاسد بحسب العقل والشرع أو ما يبطله كالنسخ والطعن المقبول (من بين يديه) أي قدامه وفي مقابلته (ولا من خلفه) أي وراء ظهره والمراد من جهة من الجهات فلا يجد سبيلا لوصوله إليه وما وقع فيه من المطاعن اضمحل وانمحق حتى صار كالعدم ولذا قال تعالى لا ريب فيه وقال تعالى جاء الحق وزهق الباطل (تنزيل من حكيم) محكم لمصنوعاته وتدبيره لجميع مخلوقاته (حميد) محمود يحمده جميع الكائنات بلسان القال والحال (أحكمت آياته) أي نظمت نظما محكما لا يعتريه فساد ولا خلل ومنعها الله تعالى وحفظها من التبديل والتحريف الذي وقع في غيره من الكتب فهو من أحكمت الدابة إذا وضعت في فيها حكمة تمنعها الجماح أو جعلت حكيمة لاشتمالها على أمهات الحكم النظرية والعملية من حكم بالضم إذا صار حكيما وآيات القرآن جمع آية وهي جملة كلمات من القرآن لها ابتداء ومقطع (وفصلت كلماته) أي فصل وبين ما فيها من الفوائد الجليلة كالعقائد الحقة والأحكام الشريفة والمواعظ والأخبار الصادقة أو جعلت سورا أو أنزلت نجما نجما أو فرقت بين الحق والباطل وجمعت الوعد والوعيد (وبهرت) أي غلبت وأدهشت (بلاغته العقول) جميعا لغرابة أسلوبها وحسن بديعها الذي أعجز البلغاء (وظهرت فصاحته) أي اتضحت كالشمس وسط النهار أو علت وارتفعت مرتبة إعجازها (على كل مقول) أي كل كلام نظما ونثرا (وتظافر) بالظاء المشالة كما في أكثر النسخ تفاعل من الظفر وهو الفوز ونيل الأماني (إيجازه) أي قلة ألفاظه الوافية بأداء المعاني من غير خلل (وإعجازه) أي كونه في أعلى مراتب البلاغة المعجزة للبشر فالمعنى أن الإيجاز أخذ من الإعجاز ما يليق به والإعجاز استوفى من الإيجاز ما يحق له ففيه مع المبالغة استعارة مكنية وتخييلية فمن قال إنه لم يجد في كتب اللغة ما يفسره به فقد قصر وفي بعض النسخ بالضاد المعجمة أخت الصاد المهملة بمعنى تعاونا وتقويا على منع معارضته والإتيان بمثله من ضفر الحبل والشعر إذا جمع بعضه على بعض ليقوى وهو مجاز مستعمل يقال تضافر القوم إذا تجمعوا وتعاونوا وقيل إنه بالطاء المهملة من الطفرة بمعنى الوثوب أي وثب كل منهما والمراد أنهما بلغا الغاية في بابهما والأوجه الثلاثة معانيها متقاربة فلا وجه لتصويب بعضها دون بعض (وتظاهرت حقيقته ومجازه) أي عضد كل منهما الآخر وقواه

(وتساجلوا) بالسين المهملة والجيم مأخوذ من السجل وهو الدلو أي تناوبوا وتراسلوا (في النظم والنثر) أي تفاخروا وتكاثروا وعن ابن الحنفية رحمه الله تعالى أنه قرأ هل جزاء الإحسان إلا الإحسان فقال هي مسجلة للبر والفاجر أي مرسلة مطبقة في الإحسان إلى كل واحد من أفراد الإنسان ومنه قولهم الحرب سجال (فراعهم) أي ما أفزعهم شيء أليم (الا رسول كريم) أي جاءهم بخلاف هواهم لكن معه هداهم وطريق مناهم حين أتاهم (بكتاب عزيز) أي بديع منيع رفيع حيث لا نظير لمثله (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) أي لا يتعلق البطلان به بوجه من وجوهه (تنزيل من حكيم حميد) يحمده خلقه بما أظهر عليهم من نعمه (أحكمت آياته) أي نظمت نظما محكما متقنا لا يغشاه خلل لا لفظا ولا معنى (وفصلت كلماته) أي ميزت وبينت ما يحتاج إليه في أبواب الدين من عقائد وأحكام وأخبار ومواعظ ووعد ووعيد على وجه اليقين (وبهرت بلاغته العقول) أي غلبتها (وظهرت فصاحته على كل مقول) أي نظما ونثرا (وتظافر) بالظاء المشالة أي تظاهر وتغالب على غيره (إيجازه وإعجازه) أي مبنى ومعنى ومنه قوله تعالى أن أظفركم عليهم وهو الموافق لما في النسخ المصححة وتصحف على الدلجي فقال تضافر بالصاد من تضافر القوم تعاونوا (وتظاهرت حقيقته ومجازه) أي تعاونت لبلوغهما أقصى مراتبهما

(وتبارت): بشناة فوقية فوحدة أى تعارضت (فى الحسن مطالعه ومقاطعه) والمعنى تجارت فيه فواتح صوره وآياتها وقصصها وخواتمها تسارعا وتسابقا الا يتصور له لاحق فضلا عن ان يوجد له سابق ثم التبارى معتل لامهموز وفى الحديث نهى عن أكل طعام المتبارئين أى المتسابقين المتعارضين بفعلهما ليغلب أحدهما الآخر فى صنعهما وانما كرهه لما فيه من المباهاة والرياء أو لاشتمالهما على عدم الرضى لاعطائهما بسيف الحياء ويمكن حمل كلام المصنف على هذا المعنى أى تعارضت مطالعه ومقاطعه فى الحسن وتغالبت كأن كل واحدة منهما غالبت أختها وعارضت شبيهتها (وحوت) أى جمعت (كل البيان بالنصب) أى جميع ما يحتاج الى البيان من جهة الاديان (جوامعه) أى بكلم قليلة وحكم جزيلة (وبدائعه) أى على أوفق ايجاز وأوثق اعجاز (واعتدل مع ايجازه) أى استقام قال الدلجى والاظهر توسط بين غاية الاطناب ونهاية الايجاز (حسن نظمه) وفى نسخة حسن لفظه بجزالة بلاغته وغرابة براعته (وانطبق) أى احتوى (على كثرة فوائده) أى من معانيه (مختار لفظه) أى من ايجاز مبانيه (وهم أفسح) أى أوسع (ما كان فى هذا الباب) أى باب السؤال والجواب (مجالا) أى قوة واحتمالا وفى نسخة صحيحة أفصح بالصاد وهو ظاهر المراد (وأشهر فى الخطابة) أى فى باب المخاطبة والمحاورة (رجالا) ولو قال فى الخطاب لكان سجعا لما فى الكتاب من لفظ الباب ثم نصب مجالا ورجالا كليهما على التمييز لمحول عن الفاعل فيهما والجملتان حاليتان أى مجالهم ورجالهم اذ مجالهم فى باب البلاغة أظهر ورجالهم فى باب الفصاحة أشهر (وأكثر) أى من غيرهم (فى السجع) أى فى الكلام المقفى فى النثر (والشعر) بزيادة قيد الموزون فى النظم (ارتجالا) أى انتقالا من كلام الى كلام ومن مرام الى مرام بقوة تفننهم فى نوعى الكلام ووقع فى أصل الدلجى بالجيم فقال أى بدون تروى ومهلة اذ كان لهم سجية وطبيعة انتهى وفى القاموس ارتجل الكلام تكلم به من غير ان يهيئه وفى نسخة سجالا أى تارة وتارة باعتبار المناوبة أو المغالبة

لما صار اداه ظهيرا ومستندا لما بينهما من العلاقة أو تشابها فى الظهور ولوضوح معانيه وظهور قرائنه لا كما يكون فى بعض المجازات من الخفاء والتعقيد (وتبارت فى الحسن مطالعه ومقاطعه) أى تشابهت وتساوت أوائله وأواخره من قولهم فلان يبارى فلانا اذا فعل مثله والتبارى يكون بمعنى التسابق فى الجرى فالمعنى ان مطلعه وهو مبدؤه ومقطعه وهو منتهاه وغايته كفواتح السور والآيات وخواتمها يجارى كل منهما الآخر ويسابقه ليحوز قصب السبق من الفصاحة وصحة المعانى وهو عبارة عن تشابههما (وحوت كل البيان) أى ما ينبغى بيانه واظهاره (جوامعه) أى جوامع كلمه التى جمعت المعانى الكثيرة فى ألفاظ قليلة (وبدائعه) أى ما ابتدع فيه مما لم يسبق مثله فى كتاب وكلام الله تعالى مما لا يقبل تحريفا ولا يخشى تصحيفا وكفى بالدهر ممثلا وبالذوق مستمليا (واعتدل) أى استقام من غير افراط ولا تفريط (مع ايجازه) وعدم تطويل لفظه (حسن نظمه) أى تناسب كلماته لفظا ومعنى وقلما يكون ايجاز كذلك وهذا من أدلة اعجازه وليس هذا مكررا مع قوله حوت كل البيان جوامعه وبدائعه كما توهم (وانطبق) أى وافق (على كثرة فوائده) أى معانيها التى تفيدها (مختار لفظه) أى لفظه المهذب الذى كأنه انتخب ونقى وهذا من وجوه الاعجاز أيضا لان اللفظ الذى يفيد معانى كثيرة من الفصحاء يحتاج غالبا الى ترك ألفاظ غير منقحة (وهم) أى فصحاء العرب من كل باد وحاضر (أفسح ما كانوا فى هذا الباب مجالا) أى أوسع يقال فسحت مجلسه فتفسح فيه ومنه فسحت له ان يفعل كذا أى وسعت له فهو فى فسحة مرة وما كانوا بمعنى أكوانهم فما مصدرية واضافة أفعل للمصدر على التجوز كأخطب ما يكون الامير قائما والمجال محل الجولان وهو الحركة والجملة حالية من ضمير راعهم ومجالا تمييز عن النسبة محول عن الفاعل والمراد بالباب جنس البلاغة وجعله بابا وصولهم به الى مقاصدهم أى جاءهم صلى الله تعالى عليه وسلم بالكتاب المجيد ومجالهم فى غاية الاتساع وتفسير المجال بالاتساع وان كان ينبئ عنه فيه تكلف (وأشهر) أى أعظم شهرة وفى نسخة وأشهرهم بالاضافة لضمير الناس (فى الخطابة) بفتح الخاء أى انشاء الكلام فى المحافل وقوله (رجالا) تمييز كالذى قبله وأشهر معطوف على خبرهم أى ورجالهم أشهر من غيرهم فى هذا وليس المراد بالرجال مطلق الذكور بل الاشراف كما يقال رجالات قريش لاشرافهم وليس هذا منافيا لقوله خصوا بالبلاغة والحكم بما لم يخص به أحد من الامم لان اسم التفضيل يقتضى مشاركة غيرهم لهم فيما كان مختصا بهم لان اختصاصهم بما ذكر على ظاهره والتفضيل مجازى بأن يكون على طريق الفرض كما فى حديث ما رأيت ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل منكن اذ الخطاب لجنس النساء أو نقول انه على حد قوله الخل أحلى من العسل أى انه فى حموضته أقوى من العسل فى حلاوته ولاسم التفضيل استعمالات أخر ذكرناها فى المطولات (وأكثر فى السجع) وهو الكلام المنثور الذى له فواصل مقفاة كالشعر وهو منقول من سجع الحمام لكونه على وتيرة واحدة ولذا لا يجوز اطلاقه على القرآن (والشعر) وهو الكلام الموزون المقفى بالقصد (ارتجالا)

(وأوسع) أي ممن عداهم (في الغريب) أي غريب الاستعمال (واللغة) بالمعنى الاعم ٤٨١ المتناول للقريب والغريب على وجه الكمال (مقالا) أي قالا مما يوجب حالا ومنالا (بلغتهم) متعلق بكتاب أوحالا منه أي حال كونه بالسنتهم (التي بها يتحاورون) أي يتجاوبون في محاوراتهم (ومنازعهم) بفتح الميم أي محال المنازعة بمعنى المجاذبة في الاعيان والمعاني (التي عنها يتناضلون) بالضاد المعجمة أي يتغالبون بالكلام من النظم والنثر (صارخا بهم) أي حال كون النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أو القرآن المعظم داعيا لهم ومناديا عليهم (في كل حين) أي زمان من ليل ونهار منفردين أو مجتمعين تسجيلا عليهم بانكارهم للدين واستكبارهم عن الحق معرضين (ومقرعا) بتشديد الراء المكسورة بعد القاف أي وموبخا (لهم بضعا وعشرين عاما) بكسر الموحدة وقد تفتح ما بين الثلاث الى التسع والمراد به هنا ثلاثة على الصحيح من انه بعث على رأس الاربعين وعاش ثلاثا وستين وقيل خمسا وستين وقيل ستين وقد جمع بين الاقوال الثلاثة كما قرر في محله ولعل المصنف لوقوع اختلاف ما أطلق بضعا وعشرين عاما

أي تكلما به من غير فكر وروية وهو في الاصل الانتصاب والقيام على الارجل فاطلق على التكلم قائما لانه كان عادتهم ثم نقل لما ذكر وشاع حتى صار حقيقة فيه وفي كتاب بدائع البداية انه في الاصل الانتصاب بسهولة ومنه شعر رجل وقيل هو من ارتجال البئر وهو ان ينزلها برجليه من غير حبل كالبديهة وهو من بدهه بمعنى بداه كما قالوا امدحه ومدهه الا ان الارتجال أسرع من البديهة و بعده التروية انتهى وفي نسخة وأكثر في الشعر والسجع سجالا والمراد بالسجال هنا المحاورة وأصل معناه الدلو كما تقدم وقيل المراد به المفاخرة (وأوسع في الغريب) المراد به ما يستغرب من الكنايات والمجازات البديعة لتصرفهم في الكلام وقيل المراد به ما يحتاج الى تنقير وتفتيش من كتب اللغة وهو بالنسبة الينا * فان قلت هذا مما يخل بالفصاحة وسياق الكلام لمدحهم * قلت قال ابن هلال في كتاب الصناعتين انه ليس مخلا بها لمن كانت لغته من الاعراب والقح من العرب العرباء فاطلاق أهل المعاني غير صحيح ولم أر من نبه عليه (واللغة مقالا) اللغة معناه الكلام ولكل قوم لغة وتكون اسما لعلم مدون يبين فيه معناها والمراد هنا الاول والمقال مصدر ميمي بمعنى القول يعني ان لغة العرب أكثر من سائر اللغات ألفاظا فقلما يكون معنى الا وله أسماء مترادفة حتى انه يوجد في كلامهم ماله مائة اسم فاكثر وقد أفردوه بالتأليف وهذا كناية عن كونهم اقدر على الكلام من غيرهم فاذا أعجزهم القرآن فغيرهم يعلم عجزه بالطريق الاولى وعطف اللغة على الغريب من عطف العام على الخاص (بلغتهم التي بها يتحاورون) الجار والمجرور صفة كتاب أو حال منه والتحاور ادارة الكلام والمراجعة فيه سؤالا وجوابا من الحور وهو التردد والضمير للعرب وقيل لقريش لان القرآن نزل بلغتهم فان كان ما قبله كذلك فلا اشكال في كلامه (ومنازعهم) بفتح الميم والنون وزاي معجمة وعين مهملة جمع منزع بالفتح مجرور بالعطف على لغتهم من النزع وهو كما مر الجذب والاخذ والمنزع مصدر بمعنى النزع واسم مكان ويكون اسما للسهم الذي يرمى به يقال رماه بمنزع أي سهم بعيد المرمى قال * فهو كالمنزع المريش من الشوحط ألتبه بين المغالي * قاله في الاساس قيل وهو المراد هنا لمناسبته لقوله (التي عنها يتناضلون) بالضاد المعجمة أي يترامون بالسهام يقال ناضلته وخرجوا يتناضلون و ينتضلون ونضلت من الكنانة سهما اخترته ومن المجاز ناضل عن قومه اذا دافع وحاج والمناضلة المفاخرة فشبه الكلام الدائر بينهم في المخاصمة والمفاخرة بالسهام وأثبت له المناضلة تخييلا وقيل المنزع هنا اسم مكان والمعنى انهم يتغالبون في كلامهم نظما ونثرا في حال المنازعة وهي المجاذبة في الاعيان والمعاني وهو بعيد وأبعد منه ما قيل ان المنزع ما يرجع اليه الرجل من رأيه وطريقته أي أتاهم الكتاب بما هو دينهم الذي لا يتركونه فاكبوا على مدافعته (صارخا بهم في كل حين) حال من الكتاب أو الرسول من الصراخ وهو الصياح والنداء بصوت شديد يسمع من بعيد أي مصرخا بدعوته في كل وقت يتلو القرآن عليهم ويبكتهم و يدعوهم لمعارضته (ومقرعا) بضم الميم وفتح القاف وتشديد الراء المهملة و بعين مهملة أي معيرا وموبخا لهم من القرع وهو الضرب ومنه القرعة (لهم بضعا وعشرين عاما) سنة وهو بكسر الباء الموحدة وضاد معجمة ساكنة وعين مهملة وهو من الثلاث الى التسع من كسور العدد و يقال بضعة أيضا في لغة قليلة وفيه أقوال أخر في القاموس هذا أصحها و يستعمل مع العشرة وما فوقها الى تسعين ولا يختص ببعض العقود منها وهذه المدة مدة دعوته صلى الله عليه وسلم من بعثته الى وفاته وقد اختلف فيها مع انه بعث على رأس الاربعين وحياته بعده قيل عشرون وقيل ثلاث وعشرون وهو الاصح وقيل خمس وعشرون ولذا قال بضعا من غير تعيين العام والسنة بمعنى وقد تختص الثانية بالشمسية والاول بالقمرية ولذا اختاره لان بها حسابهم ولانها قد يعبر بها عن الشدة والقحط * واعلم

(على رؤس الملأ) أى من أشرافهم ورؤسائهم (أجمعين أم يقولون افتراه) اقتباس أورده شاهدا بثبوت نبوته وأم بمعنى بل والهمزة للانكار أى بل أيقولون اختلقه محمد وجاء به من عنده وكذب على ربه (قل) أى لهم ان كان الامر كما زعمتم وتوهمتم (فأتوا) على صورة الافتراء (بسورة) أى باقصر سورة (مثله) أى تماثله فى بلاغة مبانيه وفصاحة معانيه فانكم عربيون مثلى بل أنتم مشهورون بالخطابة نظما ونثرا من قبلى (وادعوا من استطعتم من دون الله) أى استعينوا بمن يمكن استعانتكم به من غيره تعالى (على الاتيان بسورة مثله) لانه تعالى فانه قادر عليه بانفراده (ان كنتم صادقين) أى فى انه أتى به من عنده (وان كنتم فى ريب) أى فى شك وشبهة (مما نزلنا على عبدنا) أى فى كل سورة (فأتوا بسورة من مثله الى قوله ولن تفعلوا) وهو قوله ان كنتم صادقين فى انه سبحانه وتعالى ما أنزله عليه وما أوحاه اليه فان لم تفعلوا أى فى الحال ولن تفعلوا أى فى الاستقبال فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة فهذه الآية منادية عليهم بعجزهم عن المعارضة فى الازمنة الحاضرة مع أخباره سبحانه وتعالى بان الخلق كلهم عاجزون عن الاتيان بمثله الى يوم القيامة (وقوله) أى وأصرح من هذا كله تعالى (قل لئن اجتمعت الانس) ومنهم أصناف العرب (الجن) ومنهم أنواع الملائكة (على ان يأتوا بمثل هذا القرآن) فى كمال مبناه وجمال معناه (الآية) يعنى قوله لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا أى متعاونين على الاتيان بمثله وقال الدلجى ولم يدرج الملائكة فى الفريقين مع عجزهم أيضا عنه لانهما المتحديان به انتهى ولا يخفى ان ادراجهم معهم كما حررناه هو الاولى فانه أظهر فى المدعى لاسيما وقد قال بعض العلماء بان نبينا مبعوث الى الملائكة بل الى الخلق كافة كما قررناه فى محله اللائق به (وقيل) أى فى آية أخرى وفى نسخة وقل (فأتوا بعشر سور مثله مفتريات) أى مختلفات من عند أنفسكم وحاصله انه ألزمهم الحجة باتيان قرآن مثله ثم أرخى العنان بتنزله الى عشر صور مثله ثم تحداهم بسورة واحدة كائنة من عندهم تسهيلا للامر عليهم وتسجيلا بنداء العجز لديهم كذا قرره الشراح وهو المستفاد مما سيأتى فى كلام المصنف على ما حرره وفيه انهم من أول الوهلة طولبوا المعارضة لا بعد تمام القرآن سورة وسورة والقرآن كما يطلق على الكل يطلق على البعض كما عرف فى علم الاصول بما يؤيده من دليل المنقول والمعقول فالوجه ان المراد بالقرآن قدر ما تتعلق به المعجزة وهو أقصر سورة أو قدرها من آيات وحروف وكلمات ويقويه قوله تعالى قل فأتوا بحديث مثله ان كنتم صادقين وعلى كل تقدير فالتحدى بعشر سور مثله تهكم بهم فى ثبات عجزهم (وذلك

ان البضع ليس كصريح العدد فى انه يذكر مع المؤنث ويؤنث مع المذكر وما نقله فى القاموس عن مبرمان يرده ما فى الحديث الايمان بضعة وسبعون شعبة فلا يرد على المصنف ان الصواب ان يقول بضعة وعشرون كما قيل ولا حاجة للتأويل (على رؤس الملأ أجمعين) الرؤس جمع رأس وهو العضو المعروف الشريف السيد والملأ الجماعة وقد يخص بالاشراف ويقال كلامه على رؤس الناس وعلى رؤس الاشهاد اذا صرح بما يريده وأشاعه لان من يريد ذلك يقوم فى المحافل مستعليا على رؤسهم أى انه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يزل مظهر الدعوته مدة بعثته منذرا لهم قائما عليهم بين أظهرهم والجار متعلق بقوله مقرعا أو تنازعه مقرعا وصارخا (أم يقولون افتراه) هذا حال أيضا أى قائلا وتاليا لهم أم يقولون الخ ولم يعطفه رعاية لنظم القرآن فيكون اقتباسا من مشكاة أنواره والافتراء كالاختلاف الكذب والاستفهام انكارى توبيخى (قل) ان كان الامر كما زعمتم (فأتوا بسورة مثله) فى النظم والبلاغة فانه نزل بلغتكم وأنتم فصحاء (وادعوا من استطعتم) أى كل من قدرتم على دعوته ليعينكم على افتراء كلام يضاهيه (من دون الله) أى غير الله تعالى فانه القادر على كل شئ (ان كنتم صادقين) فى قولكم انه افتراء وهذا توبيخ وتقريع بتعجيزهم عن أقل مراتبه وليس مقابلا للسجعة الاولى كما قيل ثم انه أتى بآية أخرى فى معناها فقال (وان كنتم فى ريب) فى شك وشبهة (مما نزلنا على عبدنا) أى نزل منجما بحسب الوقائع (فأتوا بسورة من مثله الى قوله وان تفعلوا) وقوله من مثله صفة سورة أى سورة كائنة من مثله والضمير لما نزلنا ومن للتبعيض أو للتبيين وزائدة عند الاخفش أى بسورة مماثلة للقرآن فى البلاغة وحسن النظم أو لعبدنا ومن للابتداء أى بسورة كائنة ممن هو على حاله من كونه بشرا أميا لم يقرأ الكتب ولم يتعلم العلوم أو صلة فأتوا والضمير للعبد وهذه الآية أبلغ مما قبلها للدلالة على عجزهم فى المستقبل بقوله ولن تفعلوا والكلام على الآيات مما كفانا المفسرون مؤنته (وقل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن) نظما وبلاغة (لا يأتون بمثله الآية) وهو جواب قسم مقدر ولذا لم يجزم ولم يذكر الملائكة لان اتيانهم بمثله لا ينافى اعجازه فتأمل (وقل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات) أى محض كذب واختلاق منكم وخص الكذب بالذكر لقوله (وذلك) أى الاتيان بالمفتريات كما

وتقريعا

وتقريعا (ان المفترى) اسم مفعول (أسهل) تلفيقا (ووضع الباطل أقرب) تناولا وأروج تنميقا ومع ذلك لم يقدروا عليه (واللفظ اذا تبع المعنى الصحيح كان أصعب) لانه يلاحظ فيه ما في الواقع ونفس الامر ثم يؤتى باللفظ على طبقه وترتيبه بحيث لا يخرج عنه (والمختلق) بفتح اللام اسم مفعول بمعنى الكذب المفترى كما قال تعالى وتخلقون افكا وهو من الخلق بمعنى التقدير لانه أمر مقدر في النفس من غير نظر للواقع وقيل انه من الخلق وهو الثوب البالي لان الحق يزيد كل يوم جدة والكذب يزداد بلى (على الاختيار أقرب) المراد بالاختيار ضد الالجاء والاضطرار فان الصادق مضطر الى اتباع الحق وقد يضيق عليه نطاق البيان بخلاف الكاذب فانه يجد برا واسعا كما قال تعالى ألم تر انهم في كل واد يهيمون وقيل ههنا بحث وهو ان التحدي بقوله فأتوا بسورة الى آخره ان كان الاتيان بما هو واقع على وجه الحق فهو غير ممكن قطعا وان كان بالاتيان بمثله وعلى صورته لفظا فلا يخرج عن كونه مفترى وحينئذ يستوى الامران والذي دار في خلدي ان ذكر مفتريات لمشاكلة قوله افتراه تهكما وتقريعا لما قاله المصنف رحمه الله تعالى انتهى وليس بشئ لانا نختار الثاني وبقولهم انهم لعجزهم لا يستويان وهو في غاية الظهور فتدبر وضمن أقرب معنى أهون ولذا عداه بعلى كقوله تعالى وهو أهون عليه ولولا ذلك لعداه بالى أو اللام (ولذا) أي لكون المختلق أسهل وأقرب من الحق الصحيح عبارة (قيل) أي قال الادباء ومن لهم دربة في صناعة الصياغة للكلام (فلان) أي المنشئ لرسائل الملوك ونحوه ممن يقول الحكم والمواعظ من الفصحاء (يكتب كما يقال له) أي كتب في شان أمر واقع لرسالته فيفتق اكمام الكلام عن زهر المعاني الزاهية الزاهرة حتى يفوح عبيرها في نادي البراعة (وفلان) ممن ينشئ المقامات (يكتب كما يريد) من كل ما يطرؤ على خاطره من غير نظر لصدقه وكذبه فاذا صعب عليه التعبير عن معنى عدل عنه لغيره فهو يكتب كما يريد لا كما يراد وهذا اشارة كما حكى عن بديع الزمان انه رتب له راتب بين كتبة الديوان فلم يقدر على كتابة الرسائل فلما أخبر الصاحب بذلك قال دعوه فانه يكتب كما يريد لا كما يراد وحكى مثله عن الحريري أيضا (وللاول) الذي يكتب كما يقال له (على الثاني) وهو الذي يكتب كما يريد والمراد بالكتابة هنا مطلق الكلام وان لم يكتب (فضل) أي زيادة شرف ورتبة (وبينهما شأو) أي مسافة ومدى (بعيد) والشأو بفتح الشين المعجمة وسكون الهمزة وقد تبدل ألفا وبالواو بمعنى السبق والغاية والامد فتجوز به عن المسافة ثم كنى به عن التفاوت الزائد (فلم يزل صلى الله عليه وسلم يقرعهم) أي يعيرهم ويعيبهم ويشنع عليهم لما تحداهم بالقرآن (أشد التقريع) لانذارهم بالهلاك والعذاب الاليم (ويوبخهم غاية التوبيخ) هو بمعنى ما قبله لكن المقام مقام اطناب وخطاب يحسن فيه مثله (ويسفه أحلامهم) أي يصفهم بالسفه وهو قلة العقل وخفته والسفه الخفة والاحلام جمع حلم بضمتين وضم فسكون وهو العقل (ويحط اعلامهم) بحاء مهملة مضمومة واعلام جمع علم بفتحتين وهي الراية الكبيرة والجبل والسيد والاسم المختص والكل محتمل هنا أي ينكس راياتهم ويهدم جبالهم ويذل ساداتهم ويزرى باسمائهم والمعنى على كل حال انه يحقرهم ويقهرهم بطعنه فيهم

ان المفترى) بفتح الراء على ما صرح به الحلبي وغيره (اسهل) أي اهون تلفيقا (ووضع الباطل والمختلق) بفتح اللام أي المكذوب (على الاختيار) أي اختيار المعارض (أقرب) أي انسب تزويقا وأروج تنميقا ومع ذلك فلم يجدوا اليه طريقا (واللفظ) أي بعد وضعه في المبنى الفصيح (اذا تبع المعنى الصحيح كان أصعب) أي ترتيبا وأتعب تهذيبا وهذا أيضا وجه عجزهم عن المعارضة لان القرآن جمع بين غرائب المعاني وعجائب البيان (ولذلك) وفي نسخة ولهذا أي ولكون المبنى اذا تبع المعنى أصعب في المدعى (قيل فلان يكتب كما يقال له) فيفتق اكمام ما قيل له من اخبار مبانيه عن أزهار معانيه ويراعي جميع ما يوافيه بتحريره ويدفع كل ما ينافيه بتقريره حتى يستحسنه المملي اذ عبر عن مراده في شانه ما كان عاجزا هو عن ايراد بيانه (وفلان يكتب) أي ما يقال له الا أنه (كما يريد) أي بنفسه لا أنه كما يراد منه بحسب انسه (وللاول) أي من الكاتبين (على الثاني فضل) أي مزيد سديد (وبينهما شأو بعيد) وفي نسخة صحيحة شأو وبعد وهو بفتح الشين المعجمة وسكون الهمزة فواو منون أي مدى ونهاية وسبق وغاية والمعنى فرق بعيد وفصل عميق لاتيان الاول بالمأمور مفرغا في قالب مراد آمره دون الثاني لاتيانه بمأموره في قالب مراد نفسه اذا عرفت ذلك (فلم يزل صلى الله تعالى عليه وسلم يقرعهم) بتشديد الراء (أشد التقريع) تفسيره قوله (ويوبخهم غاية التوبيخ) أي اسوأه ولا يبعد ان يكون احدهما بمعنى يهددهم بل هو أولى لان التأسيس بالنسبة الى التأكيد أعلى (ويسفه احلامهم) بتشديد الفاء أي ينسب عقولهم الى السفه ويعدهم سفهاء كقوله تعالى سيقول السفهاء وقوله ألا انهم هم السفهاء (ويحط) بضم الحاء وتشديد الطاء أي ينكس (أعلامهم

ويشتت) بتشديد التاء الاولى أي يفرق (نظامهم) ويمزق مرامهم (ويذم آلهتهم) أي يعيبها في حد ذاتها بقوله ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيد يبطشون بها أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم آذان يسمعون بها (وآباءهم) أي ويعيبهم على عبادتها بقوله ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم وقوله مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وأمثالهما (ويستبيح أرضهم وديارهم وأموالهم) أي بالاستيلاء عليها (وهم) أي والحال انهم (في كل هذا) أي مما ذكر من الاحوال (ناكصون) أي راجعون القهقرى الى وراء (وعن معارضته محجمون) بحاء ساكنة وجيم مكسورة أي متأخرون (وعن ٤٨٤ معارضته محجمون

مماثلته) لظهور مباينته (مخادعون أنفسهم بالتشغيب) أي بتهييج الشر واثارة الفتنة والمخاصمة بين القريب والغريب وفي نسخة بالتكذيب وجمع بينهما أصل الدلجي وهو لايناسب التهذيب خصوصا مع تكرار الباء وعدم العاطف المفيد للجمع أو الترتيب (والاغراء بالافتراء) أي بالحث والالزام على وجه التزام نسبة سيد الانبياء بالافتراء على خالق الاشياء وقد تصحف الاغراء على الدلجي بتوهم الاعتراء على ما في بعض النسخ فقال من عراه اذا مسه وأصابه الى آخر ما ذكره (وقولهم) أي وبقول بعضهم كالوليد بن المغيرة كما حكى الله عنه بقوله ثم أدبر واستكبر فقال (ان هذا) أي ما هذا (الا سحر يؤثر) أي يروى عن أهل بابل وغيرهم وانما قال هذا الكلام حين سمع النبي عليه الصلاة والسلام يقرأ حم السجدة فقال لقد سمعت من محمد كلاما ليس بكلام انس ولا جن وانه ليعلو ولا يعلى فقيل قد صبا الوليد فقال ابن أخيه انا أكفيكموه فقعد اليه حزينا وكلمه بما أحماه فقال لهم تزعمون أن محمدا مجنون هل رأيتموه يخنق وزعمتم انه كاهن هل رأيتموه تكهن وانه شاعر هل رأيتموه يقول شعرا قالوا لا فقال ما هو الا ساحر اما رأيتموه يفرق بين المرء وأهله وولده ومواليه فاهتز النادي فرحا وفي نسخة زيد هنا ان هذا الا قول البشر

وقوله

واظهار ضلالهم وسوء حالهم (ويشتت نظامهم) أي يفرق جمعهم ويبطل آراءهم بجداله وجلاده والنظام ماينتظم به الدرر ونحوها والتشتيت التفريق كما مر فاستعير لما ذكر (ويذم آلهتهم) أي اصنامهم التي عبدوها في الجاهلية (وآباءهم) الذين اقتدوا بهم في الكفر وقالوا انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون والآباء بالمد جمع أب (ويستبيح أرضهم وديارهم) أي يجعلها مباحة للمسلمين باستيلائهم عليها واجلائهم عنها (وأموالهم) ماملكوه من الاثاث والمواشي وغيرها (وهم في كل هذا المذكور من التوبيخ والتسفيه وما بعده الى استباحة الاموال والديار (ناكصون) يقال نكص على عقبيه اذا أحجم وتأخر فاستعير للاعراض عن معارضته فيما فعله وما أتى به للقرآن (عن معارضته) والاتيان بمثله والجملة حالية من الضمير قبلها (محجمون عن مماثلته) أي عن الاتيان بشيء مماثل أقصر سورة منه لما تحداهم وأحجم كنكص بمعنى تأخر وهو كناية عن عدم القدرة يقال حجمته فأحجم وهو من النوادر كمثل كببته فأكب (يخادعون أنفسهم) أي يمنون أنفسهم أماني كاذبة ويؤملون آمالا فارغة ويمكرون مكرا يعود عليهم بالوبال فكأنهم بذلك خادعوا أنفسهم فهو كقوله تعالى وما يخدعون الا أنفسهم وتحقيقه في الكشاف وشروحه (بالتشغيب) وهو تهييج الشر والفتن من الشغب بفتح الغين المعجمة وسكونها (والتكذيب) أي بادعائهم كذب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيما جاء به من الحق الذي لامرية فيه وقيل هو من قولهم كذبته نفسه اذا خيلت له آمالا تحثه على اتباع الباطل وهو تعسف لاوجه له والذي غره قوله (والاغراء بالافتراء) هكذا في النسخ الصحيحة بغين معجمة وراء مهملة ومدة وفي بعضها الاغتراء افتعال منه وقال التلمساني صوابه الاغراء بغير تاء وهو المولع بالحث والتحريض قال تعالى فاغرينا بينهم العداوة أي ألزمناها أقول قال بعضهم اصله من الغراء الذي يلصق به وعلى هذا فالاعتراض ساقط لما في القاموس من انه يقال اغتراه اذا ألصقه والمصنف أجل من أن يوهم في اللغة فانه قدوة فيها ولا حاجة الى انه لمشاكلة الافتراء والافتراء الكذب كما تقدم وصيغة الافتعال تفيد مبالغة ليست في المجرد كما قرروه في قوله لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت (وقولهم) بالجر معطوف على التكذيب (ان هذا الا سحر يؤثر) أي ينقل ويروى عن السحرة كأهل بابل وغيرهم وسبب نزول هذه الآية ان الوليد لما سمع منه صلى الله تعالى عليه وسلم حم السجدة قال سمعت من محمد كلاما ليس بكلام انس ولا جن وانه ليعلو ولا يعلى فقيل قد صبا الوليد فقال ابن أخيه أبو جهل لعنه الله أنا أكفيكموه فجلس عنده حزينا وكلمه بكلام أحماه فقال لهم تزعمون ان محمدا مجنون هل رأيتموه يخنق وزعمتم انه كاهن هل رأيتموه يكهن وانه شاعر هل رأيتموه قال شعرا قالوا لا فقال ما هو الا ساحر اما رأيتموه يفرق بين المرء وأهله وولده فاهتز النادي فرحا ويأتي ذلك كله مبسوطا واعلم ان السحر كما نقله الاكفاني في ارشاده قد صنف فيه كتب كثيرة أكبرها غاية الحكيم للمجريطي وهو حقيقي وغير حقيقي يقال له الاخذ بالعيون والى القسمين الاشارة بقوله سحروا أعين الناس

(وسحر مستمر) أى وقول بعضهم كما حكى الله تعالى عنهم وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر أى هو أو هذا سحر مطرد دائم صادر عنه أو ذاهب باطل كما قاله قتادة ومجاهد رحمة الله تعالى عليهما أو قوى محكم يغلب كل سحر كما قاله أبو العالية والضحاك (وافك افتراه) أى وقال الذين كفروا ان هذا الا افك افتراه أى كذب صرفه عن وجهه ٤٨٥ واختلقه من تلقاء نفسه وأعانه

وقوله واسترهبوهم وجاؤا بسحر عظيم ولما خفيت أسبابه اختلفت طرقه فطريقة الهند تصفية النفس وتجريدها لانهم رأوه افعالا تصدر عن النفس وطريق النبط عمل أشياء مناسبة للغرض المطلوب مضافة لرقية وعزيمة ودخنة فى وقت مناسب وتلك الاشياء تماثيل وتصاوير وعقد ينفثون فيها وكتابة تدفن أو تعلق فى الهواء وتحرق والعزائم تضرع للكواكب المؤثرة عندهم وطريق اليونان تسخير روحانية الافلاك والكواكب دون اجرامها فى وقت خاص وطريق القبط والعبرانيين والعرب الاعتماد على أسماء وعزائم مجهولة كأنهم يخاطبون بها حاضر الاعتقاد انها تصدر عن الجن بتسخير الملائكة لها وأنواعه ثلاثة الاستخدام والاستنزال والاستحضار وتكون يقظة بتوسط تلبس الروح ببدن منفعل ينطق بلسانه كصبى وامرأة حال غيبته عن الحس ويختص باسم الاستحضار فان كان مناما اختص باسم الجليان انتهى ملخصا (وسحر مستمر) أى دائم باق لما رواه من تتابع الوحى غضا طريا أو محكم متقن وأصله من مر الحبل وهو فتل مرائره وهى طاقاته أو ذاهب غير قار من المرور أو مستبشع مر المذاق (وافك افتراه) أى كذب اخترعه واختلقه والافك أسوأ الكذب (وأساطير الاولين) أى شئ أخذه مما سطره الاولون وزخرفوه وهو جمع سطر أى صنف من الكتابة على خلاف القياس وقال المبرد انه جمع اسطورة كارجوحة وأراجيح على القياس أو اسم مفرد مقدر كاسطارة واسطيرة وقائل هذا هو النضر بن الحارث بن كلدة وفيه نزلت الآية وقتل يوم بدر (والمباهتة) بالجر عطفا على التكذيب وهى بمعنى البهتان وهى الكذب الذى يبهت ويدهش سامعه وكذا قوله (والرضى بالدنيئة) بالهمزة وتبدل فتدغم ومعناه الخصلة الحقيرة الخسيسة المنحطة التى لا يرضى بها من له عقل ومروءة وفسرها بقوله (كقولهم قلوبنا غلف) لان ظاهره الوصف بالحماقة وعدم الفهم وهو أمر مذموم لا يرتضيه العقل وهو جمع أغلف أى فى غلاف يقال سيف أغلف فهى بمعنى فى أكنة جمع كنان بزنة كتاب غطاء ومعناها مغطاة وغلام أغلف بمعنى أقلف والغلفة القلفة وقيل انه جمع غلاف وأصله غلف بضم اللام ككتب وبه قرئ ثم خفف بالسكون أى هى أوعية للعلم مملوءة به فلا تحتاج للتعلم منك وعلى الاول معناه لا نفهم ما تقول ولا يصل الينا وهذا هو الملائم لكلام المصنف ولقوله (وفى أكنة مما تدعونا اليه) وهو القرآن والايمان (وفى آذاننا وقر) أى صمم وأصل معناه الثقل والحمل (ومن بيننا وبينك حجاب) أى مانع عن وصول ما يقوله لنا وفى من اشارة الى انه مبتدأ وانه استوعب المسافة المتوسطة بينهما بحيث لم يبق فراغ وهو تمثيل لنبو قلوبهم عن ادراكها مادعاهم له ومج اسماعهم له وامتناع مواصلتهم وموافقتهم له (و) قال الذين كفروا (لا تسمعوا لهذا القرآن) أى لا تصغوا وتنصتوا له (والغوا فيه) بفتح الغين المعجمة وضمها من لغى يلغى ويلغو والاول أصح وهو المقروء به والمراد هنا رفع الاصوات باى كلام كان حتى يتشوش على قارئه فيقطع قراءته أو يمنع من استماعه ولغو الكلام ما لا يعتد به وهو من اللغا وهى أصوات الطيور يقال لغى لغوا ولغا كل وقد يسمى كلام قبيح لغوا قال تعالى لا يسمعون فيها لغوا أى قبيحا كما قاله الراغب وانما فعلوا هذا لعجزهم عن معارضته (لعلكم تغلبون) قارئه بقطع قراءته فغلبتهم انما هى بالجهل والسفه كما هو شأن

عليه قوم آخرون (وأساطير الاولين) أى وقالوا هذا أو هو أقاويلهم المزخرفة التى سطرها المتقدمون (اكتتبها) أى استكتبها لنفسه فهى تملى عليه بكرة وأصيلا (والمباهتة) أى والاغراء بالمباهتة من بهته اذا رماه بما يتحير منه والمعنى ويخادعون أنفسهم باكاذيب وافتراآت يحيط بهم ضررها ويحيق بهم مكرها ولا يتخطاهم أثرها (والرضى بالدنيئة) بالهمز وقد يسهل أى ويرضاهم منه بالخصلة الرديئة (كقولهم قلوبنا غلف) جمع أغلف أى هى مغشاة باغطية لا يصل اليها هدايه ولا روايه (وفى اكنة) أى وقالوا قلوبنا فى أكنة أى فى أغطية (مما تدعونا اليه) أى مانعة من وصوله اليها فضلا عن حصوله لديها (وفى آذاننا وقر) أى ثقل وصمم (ومن بيننا وبينك حجاب) أى حاجز مانع من تقربنا اليك ومن نفعنا بما لديك وزيد من تلويحا بان الحجاب ابتدأ منهم وانتشأ عنهم وامتد مستوعبا للمسافة المتوسطة بينهما بحيث لم يبق فراغ فيها (ولا تسمعوا) أى وقال الذين كفروا لاصحابهم وأحبابهم لا تسمعوا (لهذا القرآن والغوا فيه) أى بخرافات الكلام وساقطات المرام (لعلكم تغلبون) أى قارئه بتشويش خاطره الباعث على ترك قراءته

(والادعاء مع العجز) أى وبمجرد دعواهم مع ظهور عجزهم عن مدعاهم (بقولهم لونشاء لقلنا مثل هذا) ولعمرى أى مانع ما كان لهم لوساعدتهم الاستطاعة ان يشاؤا ذلك حيث تحداهم وقرعهم بالعجز مع فرط الفتهم واستنكافهم ان يغلبوا الاسيما فى ميدان الفصاحة والبيان والتجأوا الى معالجة السلاح من السيف والسنان والعاقل لا يترك الاسهل ويتبع الاثقل (وقد قال لهم الله تعالى ولن تفعلوا فـافعلوا ولاقدروا) فاخباره صدق وكلامه حق (ومن تعاطى ذلك) أى ومن تجرأ على قصد المعارضة فى ميدان الفصاحة والبلاغة (من سخفائهم) أى سفهائهم (كمسيلمة) أى الكذاب بهذيانات مخترعات منها قوله ياضفدع الانقين اعلاك فى الماء وأسفلك فى الطين لا الماء تكدرين ولا الشراب تمنعين ومنها قوله حين سمع أول سورة النازعات والزارعات زرعا والحاصدات حصدا والذاريات قمحا والطاحنات طحنا والخافرات حفرا والباردات بردا واللاقمات لقما القد فضلتم على أهل الوبر وماسبقكم أهل المدر ومنها قول آخر ألم تر كيف فعل ربك بالحبلى أخرج من بطنها نسمة تسعى وقال آخر الفيل ما الفيل وما أدراك ما الفيل له ذنب وثيل ومشفر طويل وان ذلك من خلق ربنا القليل (كشف عواره) بفتح العين المهملة وتضم وقيل الضم أفصح أى أظهر عيب نفسه (لجميعهم) أى من عقلائهم اذ لم يكن ما عارضه به من بديع كلامهم وبليغ نظامهم بل كان مما ينفر عنه الطبع السليم وينبو عنه السمع القويم من قلة سلاسته وكثرة ركاكته اعتداده

وأغرب من هذا انه لما قتل مسيلمة على يد المسلمين من الصحابة قال رجل من بنى حنيفة يرثيه

لهفى عليك أبا ثمامه * لهفى على ركن اليمامه

كم آية لك فيهم * كالشمس تطلع من غمامه

حكاه السهيلى وقاب كذب بل كانت آياته منكوسة فانه كما يقال تفل فى بئر قوم سألوه ذلك تبركا فملح ماؤها ومسح رأس صبى فقرع قرعا فاحشا ودعا لرجل فى ابنين له بالبركة فرجع الى منزله فوجد أحدهما قد سقط فى البئر والآخر قد أكله الذئب ومسح على عينى رجل استشفى بمسحه فابيضت عيناه (وسلبهم الله تعالى ما ألفوه) أى استعملوه

العاجز المعاند ومثله دنية لاترضى (والادعاء) مجرور كالذى قبله (مع العجز بقولهم لونشاء لقلنا مثل هذا) وهذه وقاحة لفرط عنادهم ومكابرة ولو استطاعوه مامنعهم ان يشاؤا وقد تحداهم وقرعهم بالعجز عشرين سنة ثم قارعهم بالسيوف فلم يقدروا مع استنكافهم من ان يغلبوا خصوصا فى الفصاحة وقائل هذا هو النضر بن الحارث أيضا لكنه أسنده الى الجميع كاسناد فعل الرئيس الى المرؤسين أو على حد قولهم بنوا فلان قتلوا قتيلا والقاتل واحد منهم (وقد قال لهم الله تعالى) مكذبا لهم (ولن تفعلوا) نفى قدرتهم فى المستقبل فلو قدروا لجيئهم فعلوا ولو لم يقل فان تأتوا بسورة من مثله لما فيه من الكناية والايجاز (فـافعلوا ولاقدروا) نفى الفعل ظاهر والقدرة فى الانسان قوة غير محسوسة فنفيها يعلم من انهم ونحوا وعيروا فلم ينطقوا ببنت شفة مع شدة غيرتهم واشتعال نار حميتهم (ومن تعاطى ذلك) أى فعله وتكلم بما توهمه معارضة وأصل معناه المناولة (من سخفائهم) ممن له طيش وقلة عقل (كمسيلمة) تصغير مسلمة فلامه مكسورة وميمه مضمومة والعامة تفتح لامه وهو خطأ منهم والضمير للعرب وهو كذاب يضرب به المثل فيقال أكذب من مسيلمة وهو ابن حبيب اليمنى من بنى حنيفة قبيلة وهذا لقبه واسمه هارون ويقال له أبو ثمامة وكان وفد على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يسلم حتى قتله خالد بن الوليد فى خلافة أبى بكر رضى الله عنه وقيل قتله وحشى قاتل حمزة رضى الله تعالى عنه وكان له حيل ونيرنجات يوهم انها معجزات وأرسل للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم مكتوبا صورته من مسيلمة رسول الله سلام عليك أما بعد فانى قد أشركت معك بان لنا نصف الارض ولقريش نصفها ولكن قريشا يعتدون علينا * فاجابه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكتب اليه من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب سلام على من اتبع الهدى اما بعد فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين انتهى ومن هذيانه الذى زعم انه وحى نزل عليه والزارعات زرعا والحاصدات حصدا والطاحنات طحنا والخابزات خبزا والثاردات ثردا ضفدع بنت ضفدعين الى كم تنعين لا الماء تكدرين ولا الشراب تمنعين الى غير ذلك مما تمجه الاسماع وتستقبحه الطباع (فكشف عواره) فى نسخة بدون فاء واثباتها أحسن أى أظهر بما قاله من الكلام السخيف الركيك عيبه وحماقته وهو بضم العين المهملة بزنة غراب على الافصح وآخره راء مهملة وبفتح العين أيضا وقيل انها الافصح (لجميعهم) أى العرب ممن سمعه وقد نقل صاحب الدلائل منه كلاما كثيرا وشرحه ولا حاجة لتسويد وجه الصحف به والعوار مأخوذ من عور العين وفيه اشارة الى مانقل من انه مسح عين من استشفى بمسحه فابيضت عينه (وسلبهم الله) أى أخذ منهم والضمير لمن وجمع نظرا لمعناه (ما ألفوه) أى

(من فصيح كلامهم) أى فى صحيح مرامهم وهذا يوهم ترجيح القول بالصرفة كما فهم الدلجى وصرح بقوله ولا أقول به بل الصارف
عن معارضته كمال بلاغته وأنا أقول وانما صرفوا عن ما ألفوا لما أراد الله بهم من فصاحتهم والا لو عارضوا وانطبق كلمات محاورتهم
لربما أوهموا الضعفاء انهم قاموا بمعارضتهم كما يشير اليه قوله (والا فلم يخف على أهل الميز) أى أصحاب التمييز (منهم انه) أى
كلامهم هذا فى مقام معارضتهم (ليس من نمط فصاحتهم) بضم النون والميم أى من نوعها (ولا جنس بلاغتهم)

اعتادوه بطباعهم (من فصيح كلامهم) بيان لما أى لما أرادوا المعارضة لم يقدروا على كلام مثل كلامهم قبله وليس هذا قولا بالصرفة كما توهم لان من فعل هذا ليس له صرفة وهذه الجملة معطوفة على جملة مافعلوا ولو وليست الواو للغية ولا حالية كما قيل (والا) أى وان لم يسلبهم الله فصاحتهم المألوفة (فلم يخف على أهل الميز) بفتح الميم وسكون التحتية والزاى المعجمة أى التمييز والعقل وزاد الفاء فى الجواب لانه ماض لفظا ومعنى أو بتقدير المبتدأ أى فهم لم يخف الى آخره ووجهه دفع توهم كون الاستثنائية فاندفع ماقيل ان الصواب اسقاطها لصحة مباشرته للشرط يقال مازه يميزه اذا ميزه أى لو نظر تلك الجمل ومازها ظهر انه كلام ماراق وما زهى (انه ليس من نمط فصاحتهم) بفتحتين ونون وميم وطاء مهملة أى من نوع الفصاحة وعلى طريقتها التى اعتادها فانه معجز خارج عن طوق البشر وضمير انه للقرآن يقال عندى متاع من هذا النمط وهذا أبلغ من ليس فصيحا لانه نفى عنه كونه من جنسه (ولا جنس بلاغتهم) لركاكته وقباحته (بل ولوا عنه مدبرين) اضراب عن مثله ومدبرين أى معرضين حال مؤكدة لولوا بمعنى رجعوا وأعرضوا (وأتوا مذعنين) بذال معجمة وعين مهملة أى منقادين مسلمين والاذعان الانقياد وأما اطلاقه على العلم فى قولهم اذعان النسبة تصديق فمولد ليس من كلامهم (من بين مهتد) أى مصدق بحقيقته واعجازه لهداية الله تعالى له (وبين مفتون) متحير فى أمره منكر لاعجازه وفيه لف ونشر مشوش (ولهذا) أى لكونه ليس من نمط كلامهم (لما سمع الوليد بن المغيرة من النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله يأمر بالعدل والاحسان الآية) لما سأله ان يقرأ عليه شيأ من القرآن لينظر فى أمره وقرأ هذه الآية عليه دون غيرها لمناسبتها له لانه من أقاربه وفيها عظة له وتنبيه وهو من رؤساء عقلائهم فرجا بذلك ان يهديه الله للاسلام قال السيوطى وهذا الحديث رواه البيهقى عن عكرمة مرسلا وفى المقتفى فى الاحياء فى آداب تلاوة القرآن حديث ان خالد بن عقبة جاء الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال اقرأ على فقرأ عليه ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى الآية فقال أعد فأعاد فقال ان له لحلاوة الى آخر ماذكره المصنف هنا وكذا ذكره ابن عبد البر فى الاستيعاب بغير اسناد ورواه البيهقى فى الشعب من حديث ابن عباس بسند جيد الا انه قال ان الوليد بن المغيرة بدل خالد بن عقبة كما قاله المصنف رحمه الله تعالى وكذا ذكر ابن اسحق فى سيرته فان صح فهما قضيتان والوليد والد خالد بن الوليد والمغيرة بضم الميم وكسر الغين المعجمة هو ابن عبد الله المخزومى وباقى نسبه معروف مات كافرا وترجمته معروفة (قال) لما سمع ماتلاه عليه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (والله ان له) أى لما تلا (حلاوة) أى عذوبة فصاحة عند من له ذوق فهو استعارة لما يستلذه السمع (وان عليه لطلاوة) بضم الطاء ويجوز فتحها لغة ومشاكلة وتكسر أيضا فهو مثلث ومعناها الحسن والقبول والرونق وجاء بمعنى السحر أيضا وهو استعارة كالذى قبله وأكده بالقسم وان والاسمية وقدم الخبر للحصر اشارة الى انه لا يشبهه غيره من الكلام (وان أسفله لمغدق) بلام التوكيد وضم الميم وسكون الغين المعجمة وكسر الدال المهملة كما فى النسخ كلها من الغدق بفتحتين وهو كثرة

أى فى فنها (بل ولوا) أى أهل الميز من عقلائهم ولو كانوا من فصحائهم وبلغائهم (عنه مدبرين) أى اعرضوا عن الاتيان بمثله مولين بأدبارهم عن نحوه (وأتوا مذعنين) أى منقادين مقرين بكونهم عاجزين غايته انهم صاروا مفترقين (من بين مهتد) أى مصدق به وبمن أنزل عليه من جهة رسالته (وبين مفتون) أى متحير فى بديع بلاغته ومنبع فصاحته متعجب من عجزهم عن معارضته (ولهذا) أى ولكونه ليس من نمط فصاحتهم وجنس بلاغتهم (لما سمع الوليد بن المغيرة من النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله يأمر بالعدل والاحسان الآية) يعنى وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون (قال) أى الوليد (والله ان له لحلاوة) وفى نسخة حلاوة أى لذة

عظيمة يدركها من له سجية سليمة (وان عليه لطلاوة) بفتح الطاء وقد تضم أى رونقا وحسنا فائقا (وان أسفله لمغدق) بغين معجمة اسم فاعل من الغدق بفتحتين وهو كثرة الماء تلويحا بغزارة معانيه فى قوالب مبانيه وفى نسخة لمعذق من غير ميم وضبط بفتح عين مهملة فسكون ذال معجمة استعارة من النخلة التى ثبت أصلها وهى العذق وهو رواية ابن اسحق وبفتح معجمة فكسر مهملة من الغدق وهو الماء الكثير وهو رواية ابن هشام قال السهيلى ورواية ابن اسحق أفصح لانها استعارة تامة يشبه آخر الكلام أوله قال الحلبى فيوجه اللفظ الذى قاله القاضى من الكلام على رواية ابن اسحق وابن هشام

(وان أعلاه لمثمر) اشارة الى غزارة نفعه وزيادة رفعه بكريم فوائده وعميم عوائده (مايقول هذا) أى مثل هذا (بشر) أى مخلوق وفى أصل الدلجى ماهذا بقول بشر وفى حاشية الحلبى قال الغزالى فى كتاب الاحياء عند آداب تلاوة القرآن حديث أن خالد بن عقبة جاء الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال اقرأ على فقرأ عليه ان الله يأمر بالعدل والاحسان الآية فقال أعد فأعاد فقال ان له لحلاوة الخ كما هو فى الاحياء وذكره أبو عمر

وابن عبد البر فى استيعابه بغير اسناد ورواه البيهقى فى شعب الايمان من حديث ابن عباس بسند جيد الا أنه قال الوليد بن المغيرة بدل خالد بن عقبة كما قال القاضى وكذا ذكره ابن اسحق فى السيرة فان صح ماقاله الغزالى تبعا لما فى الاستيعاب فانهما قضيتان والله تعالى أعلم بالصواب (وذكر أبو عبيد) بالتصغير وفى نسخة وأبو عبيدة بزيادة تاء وهو الامام الحافظ القاسم بن سلام بتشديد اللام البغدادى معدود فيمن أخذ عن الشافعى الفقه وكان اماما بارعا فى علوم كثيرة منها التفسير والقراآت والحديث والفقه واللغة والنحو والتاريخ قال الخطيب كان أبو سلام عبدا روميا لرجل من أهل هراة سمع أبو عبيد اسمعيل بن جعفر وشريكا واسمعيل بن عياش وابن علية وغيرهم وروى عنه محمد بن اسحق الصاغانى وابن أبى الدنيا والحارث ابن أبى اسامة وآخرون توفى فى سنة أربع وعشرين ومائتين (ان اعرابيا سمع رجلا يقرأ فاصدع بما تؤمر) ما مصدرية أو موصولة وعائدها محذوف أى اجهر بأمرك أو بالذى تؤمر به من صدع بالحجة اذا تكلم بها جهارا أو أفرق بين الحق والباطل على ان أصل الصدع بالحجة هو التمييز والابانة وتتمة الآية واعرض عن المشركين أى ولا تبال بانكار من أنكر وباشراكه كفر (فسجد) أى الاعرابى لله وانقاد لما أبداه (وقال سجدت لفصاحته) أى لوصوله نهاية فصاحته وبلوغه غاية بلاغته

الماء ورواه ابن اسحق وان أصله لعذق وان فرعه لجناة والعذق فيه بفتح العين المهملة وسكون الذال المعجمة هو النخلة التى أصلها ثابت ورواه ابن هشام لغدق بفتح المعجمة وكسر المهملة من الغدق بفتحتين قال السهيلى ورواية ابن اسحق أفصح لانها استعارة تامة فيها آخر الكلام يشبه أوله والجناة بفتح الجيم والنون الثمرة (وان أعلاه لمثمر) أى له ثمر طيب كثير والجملة الثانية بتمامها استعارة تمثيلية والمراد انه كلام أصله قوى ليس من جنس كلام البشر ومعانيه مفيدة مرشدة لسعادة الدارين وحسن العاقبة وهو كقوله تعالى ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء أو استعارتان تمثيليتان وأراد بأسفله ماتضمنه من المعانى كما يقال تحت هذا الكلام معان غزيرة وان أراد بأعلاه ماينتجه من الفوائد والعوائد التى تظهر من فهم معانيه وتيقنها فشبه الكلام لفصاحته وبلاغته بشجرة شربت عروقها ماء غزيرا فاهتزت وربت وأينعت ثمرتها وكثرت وعذبت ويجوز أن تكون مكنية وتخييلية قلت اختلاف الروايات يدل على تعدد القضية ثم بنى على هذا قوله (ماهذا بقول بشر) لانه لايشبه كلامهم بوجه من الوجوه وفى نسخة مايقول هذا بشر بصيغة المضارع أى ليس من كلام البشر لحلاوة نظمه وبديع أسلوبه وبلاغة معانيه وجزالة مبانيه يعنى انه ليس مفترى مختلقا وخص البشر لانهم المعروفون بالبلاغة والافهو معجز للجن أيضا مع ان فى هذا الخبر التصريح بذلك حيث قال وليس بشعر فما فيكم رجل أعلم بالشعر منى ولا أعلم برجزه ولا بقصيدة منى ولا بأشعار الجن والله مايشبه الذى يقول شيأ من هذا وانه ليعلو ومايعلى وانه ليحطم ماتحته كما رواه البيهقى فى الدلائل ثم انه روى الفربرى أن القارئ على الوليد عثمان بن مظعون لا النبى صلى الله عليه وسلم كما رواه المصنف رحمه الله تعالى فان عثمان رضى الله تعالى عنه قال ما أسلمت ابتداء الا حياء من النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حتى نزلت ان الله يأمر بالعدل الآية وأنا عنده فاستقر الايمان فى قلبى فقرأتها على الوليد بن المغيرة فقال يا ابن أخى أعد الى آخر الحديث وهذا يؤيد ماسبق من تعدد القضية (وحكى أبو عبيد) القاسم بن سلام بتشديد اللام الامام فى الفقه والحديث واللغة البغدادى الحبر الهمام الجليل أخذ عن الشافعى وغيره وكان عبدا روميا لرجل من هراة وأحواله وترجمته معروفة توفى فى سنة أربع أو ثلاث وعشرين ومائتين (ان اعرابيا سمع رجلا يقرأ فاصدع بما تؤمر) واعرض عن المشركين أى اجهر بما أمرت بتبليغه ولاتبال بما يقولونه وما موصولة أو موصوفة أو مصدرية وأصل معنى الصدع التفريق والتمييز فاستعير لما ذكر لتفريقه بين الحق والباطل وماقيل من انه لايجوز أن تكون مصدرية لانه بمعنى أمرك وهو مصدر مبنى للمفعول والصحيح عدم جوازه ولاموصولة لانه يحتاج لتقدير العائد أى تؤمر به ولايجوز الا اذا جر بما جر به الموصول واتحدا متعلقا والاول متعلق باصدع والثانى بتؤمر سهو من قائله وان سبقه اليه بعض المعربين لان الخلاف فى المصدر الصريح لافى ان والفعل كما فى هذه الآية ولانه انما حذف العائد بعد حذف الجار ونصبه (فسجد) الاعرابى لما أدهشه من بلاغته (وقال سجدت لفصاحته) اذ ليست آية سجدة وانما هزه العجب لفصاحته حتى ذل ومرغ وجهه فى التراب وكان هذا معروفا

(وسمع آخر) أي اعرابي آخر أو رجل آخر من المشركين (رجلا) أي من المسلمين (يقرأ فلما استيأسوا منه) أي حين يئسوا من يوسف اذ لم يجبهم وزيادة السين والتاء للمبالغة (خلصوا نجيا) أي انفردوا واعتزلوا متناجين في تدبير أمرهم ووحده لكونه مصدرا أو فعيلا (فقال أشهد أن مخلوقا) أي أحدا من الانام (لا يقدر على مثل هذا الكلام) أي في غاية النظام ونهاية المرام (وحكى ان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه كان يوما) أي من الايام (نائما في المسجد) ولعله كان معتكفا في مسجد سيد الانام (فاذا هو) أي عمر (بقائم) أي واقف (على رأسه) ووقع في أصل الدلجي وعلى رأسه قائم فقال جملة حالية (يتشهد شهادة الحق) أي يأتي بكلمتي الشهادة على وجه الاخلاص وطريق الصدق (فاستخبره) أي عمر عن سبب ذلك الخبر والمعنى انه طلب منه خبره وما أوجب أثره (فاعلمه) أي ذلك القائم (انه) أي باعتبار أصله (من بطارقة الروم) بفتح الباء الموحدة جمع بطريق بكسرها وهو كالامير والوزير في لغتهم (ممن) أي وانه من جملة من (يحسن كلام العرب) أي فهمه (وغيرها) أي وغير لغة العرب أو كلماتهم من كلام الترك والعجم والهند ونحوها (وانه سمع رجلا من أسراء المسلمين) أي من اسرائهم في أيدي أعدائهم (يقرأ آية من كتابكم فتأملها فاذا) أي هي كما في نسخة

 (قد جمع) بصيغة المجهول أي اجتمع (فيها ما أنزل الله على عيسى ابن مريم من أحوال الدنيا) أي من علائق المعاش (والآخرة) أي من لواحق المعاد (وهي) أي تلك الآية الجامعة (قوله تعالى ومن يطع الله) في فرائضه (ورسوله) أي في سننه أو في جميع ما يأمر به وينهى عنه (ويخش الله) أي ويخف خلافه وعقابه وحسابه (ويتقه) فيه قراآت مشهورة في محلها مسطورة أي ويتق الله فيما بقي من عمره في جميع أمره (الآية) تمامها فاولئك هم الفائزون أي الظافرون بالمراد في المبدأ والمعاد

في مثله حتى قال بعضهم للشعر سجدت وليس المعنى سجدت لله لاجل فصاحته كما توهم وضمير فصاحته للكلام المقرو لا للقارئ كما توهم لانه لا يناسب المقام (وسمع) اعرابي (آخر رجلا يقرؤ) قوله تعالى (فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا) أي لما يئسوا من يوسف عليه الصلاة والسلام وزيدت السين والتاء للمبالغة في اليأس وخلصوا بمعنى اعتزلوا وانفردوا ونجيا بمعنى متناجين في تدبير أمره وهو يطلق على الواحد المذكر وغيره (فقال أشهد ان مخلوقا لا يقدر على مثل هذا الكلام) لاعجاز بلاغته وخروجها عن طوق البشر فانك اذا وزنت قولك لما لم يطعهم يوسف عليه الصلاة والسلام ولم يجبهم ذهبوا وتشاوروا فيما يقولون بعد هذا وكيف يرجعون لابيهم بهذا النظم عرفت بالذوق انه لا مناسبة بينهما ولولا خوف السآمة فصلنا وجوه البلاغة فيها (وحكى ان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه كان يوما نائما بالمسجد) أي مسجد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالمدينة والظاهر ان مراده بقوله نائما مضطجعا لينام فانه يستعمل كثيرا بهذا المعنى لقوله (وعلى رأسه قائم) أي في جانب رأسه رجل منتصب القامة وليس المراد انه واطئ لرأسه وهو حقيقة عرفية في مثله والجملة حالية والضمير لعمر رضي الله تعالى عنه وفي نسخ فاذا هو بقائم على رأسه فاذا فجائية والباء للملابسة (يتشهد شهادة الحق) أي يقول أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله (فاستخبره) أي طلب عمر رضي الله تعالى عنه منه الاخبار عن سبب تشهده وعن حاله (فاعلمه) ذلك الرجل المتشهد (انه من بطارقة الروم) بطارقة جمع بطريق بكسر الراء معرب بترك ومعناه الرئيس وقائد الجيش وقد تكلمت به العرب قديما قال الجواليقي في كتاب المعرب البطريق بلغة الروم وهو القائد للجيش وجمعه بطارقة وقد تكلموا به ولما سمعت العرب بان البطارقة أهل رياسة وصفوا الرئيس به يريدون المدح قال أبو ذؤيب

هم رجعوا بالعرج والقوم شهد * هوازن تحدوها حماة بطارق

وهذا يقتضي ان بطريق هو المعرب وهو المعروف وقال ابن خالويه في كتابه ليس البطرك معرب بطريق عربته العرب قديما قال يعلو الظواهر فردا في التلال له * كبطرك قد مشى في غيط كتان وهذا مما يتعجب منه فخره والروم جيل من الناس معروفون سموا باسم جدهم روم بن عيصو بن اسحق وكان أصفر فلذا قيل لهم بنو الاصفر والواحد رومي وقول الجوهري رامي غلط منه (ممن يحسن كلام العرب وغيرها) من العبرانية والسريانية والرومية وانما قال هذا توطئة لانه يفهم القرآن والانجيل ويقدر على النظر في معانيهما ولذا قال (وانه سمع رجلا من أسارى المسلمين) بضم الهمزة وفتحها جمع أسير وأصله من الاسر وهو الشد بالقيد ثم عم لكل من أسر وصار في يد عدوه (يقرأ آية من كتابكم) أيها المسلمون تعني القرآن (فتأملتها) أي نظرت بفكري في معناها (فاذا قد جمع فيها ما أنزل الله على عيسى ابن مريم) عليه الصلاة والسلام في الانجيل (من أحوال الدنيا والآخرة) بيان لما أي من الاحوال التي تلزم العبد في الدنيا التي هي سبب للفوز والنجاح في الآخرة (وهي) أي الآية التي سمعها (قوله) عز وجل (ومن يطع الله ورسوله) في أمره مما فرض وسن ونهيه عن غيره (ويخش الله ويتقه) أي يخافه ويتجنب ما يستوجب عقوبته (فاولئك هم الفائزون) بسعادة الدارين وقوله جمع

(وحكى الاصمعى) وهو عبد الملك بن أصمع المصرى صاحب اللغة والغريب والأخبار والملح ولد سنة ثلاث وعشرين ومائة (انه
جارية) أى بنتا أو مملوكة خادمة تتكلم بعبارة فصيحة واشارة بليغة وهى خماسية أو سداسية وهى تقول استغفر الله من ذنوبى فقال
لها مم تستغفرين ولم يجر عليك قلم فقالت أستغفر الله لذنبى كله * قتلت انسانا لغير حله مثل غزال ناعم فى دله *
انتصف الليل ولم أصله ٤٩٠ (فقال لها قاتلك الله ما أفصحك) أى هى حقيقة بأن يقال لها ذلك تعجبا من فصاحة قولها كما يقال
قاتله الله ما أعجب فعله أى بلغ فى الكمال غاية لم يصل غيره اليها فاستحق ان يحسد فيه فيدعى عليه (فقالت أو) بفتح الواو (بعد هذا) بصيغة المجهول والمفهوم من الدلجى ان أصله بصيغة الخطاب المعلومة حيث قال عطف على مقدر أى أيعجبك وتعده (فصاحة بعد قوله تعالى وأوحينا الى أم موسى) أى أشرنا اليها الهاما أو مناما (أن ارضعيه) أى اخفيه ما أمكنك فيه (الآية) وهى قوله تعالى فاذا خفت عليه أى من لحوق الهم فالقيه فى اليم ولا تخافى عليه ضياعه ولا تحزنى لفراقه انا رادوه اليك لتقرى عينا وجاعلوه من المرسلين عنا بمراى منا (فجمع) الله سبحانه وتعالى فى آية (واحدة بين أمرين) هما أرضعيه وألقيه (ونهيين) أى لا تخافى ولا تحزنى (وخبرين) يعنى وأوحينا فاذا خفت عليه (وبشارتين) أى رادوه وجاعلوه (فهذا)
أى الجمع بين المذكور فى الآية ذكره الدلجى والاظهر ان هذا الذى ذكر من غاية الفصاحة وانما
ونهاية البلاغة فى هذه الآية وغيرها مما سبق ذكرها (نوع من اعجازه) اى اعجاز القرآن (منفرد) وفى نسخة مستقل (بذاته غير
مضاف الى غيره) أى من أنواعه المتعلقة بصفاته من حيث اخباره عن مغيباته وانبائه عن أحكام عباداته ومعاملاته ومأموراته
ومنهياته (على التحقيق) أى عند أهل التدقيق (وعلى الصحيح من القولين) أى اللذين سبق ذكرهما بالتصريح فان الاول وهو
الاولى هو القول بانه خارج عن قدرة البشر وثانيهما انه صرفهم عن معارضته خالق القوى والقدر فتأمل وتدبر

بالبناء للمفعول ويجوز بناؤه للفاعل ويقرأ بالافراد فاعله ضمير رجل وقيل انه روى يقرؤن بضمير الجمع للاسارى وهو محتاج للتكلف (وحكى الاصمعى) بصاد مهملة ساكنة وميم مفتوحة وعين مهملة وهو عبد الملك بن قريب بالتصغير ابن أصمع وهو لقب جده ومعناه صغير الاذن وهو امام اللغة والنحو والادب والنوادر ولد بالبصرة سنة ثلاث وعشرين ومائة وتوفى بها سنة عشر ومائتين (انه سمع جارية) أى امرأة شابة من العرب تتكلم بكلام فصيح (فقال لها قاتلك الله ما أفصحك) تعجب من فصاحة لسانها وبالغ فى تعجبه فانها تقال لمن أتى بأمر بديع غريب وهى فى الاصل جملة دعائية يراد بها شدة الاستحسان كأنه ممن يستحق ان يحسد ويدعى عليه (فقالت أو بعد) بفتح الهمزة الاستفهامية والواو العاطفة والهمزة مقدمة من تأخير أو داخلة على مقدر معطوف عليه ويعد بالياء التحتية مجهول أو الفوقية معلوم (هذا) الكلام (فصاحة) أى فصيحا (بعد قول الله) أى مع فصاحة القرآن لا يقال لكلام غيره انه فصيح لمن سمعه فانه أزرى بكل فصاحة فصيرها كالعدم كالمتاع النفيس اذا نشر بجنب ما هو أعظم نفاسة منه فانه يعد غير نفيس كما قيل

ولا قبح فيها غير ان جمالها * يصير كل الغانيات قباحا

(وأوحينا الى أم موسى) أى ألهمناها أو أريناها مناما (أن ارضعيه الآية) أى فاذا خفت عليه فالقيه فى اليم ولا تخافى ولا تحزنى انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين (فجمع فى آية واحدة بين أمرين) أرضعيه وألقيه (ونهيين) لا تخافى ولا تحزنى (وخبرين) أوحينا وخفت عليه (وبشارتين) رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين والمراد بالفصاحة هنا البلاغة فانها تطلق عليها كما ذكره الشيخ عبد القاهر (فهذا) أى الجمع بين ما ذكر فى آية واحدة (نوع من اعجازه) أى القرآن (منفرد بذاته) أى مستقل بنفسه غير محتاج لغيره (غير مضاف لغيره) أى غير تابع لنوع غيره من البلاغة (على التحقيق) لما فى الواقع عند من عرفه (والصحيح من القولين) بالجر معطوف على التحقيق والظاهر ان مراده بالقولين هنا كما قاله بعضهم القول بان اعجاز القرآن هل هو بمجموع بلاغته وأسلوب نظمه أو هو متحقق بكل واحد منهما على حدته وانفراده بدون اضافة أحدهما الى الآخر فان كلا منهما خارق للعادة خارج عن طوق البشر وهذا هو المتبادر من سياقه وقيل المراد بالقولين القول بان اعجازه ببلاغته التى لا يرتقى احد الى مرتبتها والقول بانه معجز بغير ذلك كالصرفة والاخبار بالمغيبات ولا شك فى ان من يقول باعجازه لبلاغته وأسلوبه يقول أيضا انه بالنظر لمعناه أيضا اذ لا يمكن قطع النظر عنه كما قاله العلامة الزركشى فى برهانه اذ قال أكثر المحققين على ان الاعجاز من جهة البلاغة لكن تعذر الاحاطة بتفصيلها فان أجناس الكلام مختلفة ومراتب البيان متفاوتة فمنها البليغ الرصين الجزل والفصيح القريب السهل والجائز الطلق الرسيل فهذه أقسامها المحمودة والاول أعلاها والثانى أوسطها والثالث أدناها وقد حازت بلاغة القرآن من كل شعبة فانتظم له نمط جمع الفخامة والعذوبة وهما كالمتضادين لان العذوبة نتاج السهولة والمتانة والجزالة يعالجان الزعورة فكان اجتماعهما فضيلة خص بها القرآن ليكون آية بينة

(وكون القرآن) أي نزوله باعتبار ظهوره ووصوله (من قبل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) بكسر القاف وفتح الموحدة أي من جانبه وطرف حصوله (وانه أتى به معلوم ضرورة) أي بديهة لا يفتقر الى اقامة بينة ولا قيام حجة (وكونه عليه الصلاة والسلام متحديا به) أي طالبا لمعارضته ولو بأقصر سورة (معلوم ضرورة وعجز العرب عن الاتيان به) أي المتحدين به

وانما تعذرت على البشر لان علمهم لا يحيط بجميع اللغة العربية وظروف معانيها وأفهامهم لا تدرك جميع معانيها ووجوه نظمها فيتخير وأحسنها حتى يأتوا بمثله وانما يقوم الكلام بلفظ حامل ومعنى عليه قائم ورباط له ناظم فاذا تأملت القرآن وجدته استوفى ذلك كله ورقى لاعلى درجاته وهذا لا يتيسر لغير العليم القدير فانما صار معجزا لانه جاء باحسن الالفاظ وأبدع النظم والتأليف وأصح المعاني من الدعاء للتوحيد وطاعة الرب المجيد والتحليل والتحريم والعظة والتقويم والارشاد الى محاسن الاخلاق والزجر عن مساويها واضعا كل شئ في موضعه بحيث لا ترى محلا أولى من محل مودعا فيه مثلات أخبار القرون الماضية منذرا بالحوادث المستقبلة أزمانها جامعا للحجج والمحتج له المؤكدة للزوم ما دعا له ولا شك ان استيفاء هذه الامور متسقا أحسن نسق لا يمكن لغيره عز وجل (وكون القرآن من قبل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) بكسر القاف وفتح الباء الموحدة واللام أي من عنده قال تعالى فما للذين كفروا قبلك مهطعين ويستعار للقوة والقدرة على المقابلة أي المجازاة فيقال لا قبل لي بكذا ومنه قوله بجنود لا قبل لهم بها والمراد كونه بلغته فقوله (وانه أتى به) عطف تفسير فليس المراد انه كلامه صلى الله تعالى عليه وسلم (معلوم ضرورة) لتواتر وتوفر الدواعي على نقله (و) كذا (عجز العرب عن الاتيان به) أي بمثله (معلوم ضرورة) لمشاهدتهم له (و) كذا (كونه) صلى الله تعالى عليه وسلم (متحديا به) أي طالبا منهم الاتيان بمثله (معلوم ضرورة) لسماعهم له (و) كذا (كونه في فصاحته) في سببية مستعارة استعارة تبعية بتشبيه السبب بالظرف المتمكن فيه (خارقا للعادة) أي مخالفا للعادة فصحاء العرب في كلامهم الفصيح من قولهم خرق الصف اذا تجاوزه وتعداه (معلوم ضرورة للعالمين بالفصاحة ووجوه البلاغة) أي أنواعها ومقاماتها المقتضية لها العجز هم عن معارضته وقد طلب منهم ذلك سرا الاتحصى وهم أحرص الناس على ذلك (وسبيل من ليس من أهلها) أي طريق من ليس من أهل الفصاحة الجبلية الموصلة لمعرفة اعجازه كالمولدين والعجم (علم ذلك) أي الاعجاز واسم الاشارة قائم مقام الضمير (بعجز المنكرين من أهلها) لاعجازه وانه ليس من كلام البشر اذا تحدوا (عن معارضته) والاتيان بمثله وعن متعلق بعجز (واعتراف) هو في الاصل افتعال من المعرفة صار بمعنى الاقرار بما عرفوه فقوله (المقرين) بأنه كلام الله المعجز من اقامة الظاهر مقام الضمير (باعجاز بلاغته) لهم ولغيرهم عن ان يزفوا ببنت شفة الامن غلب عليه السفه وتعلق هذا بما نحن بصدده أظهر من الشمس وانكاره مكابرة وقوله سبيل مبتدأ وعلم بزنة مسك خبره مصدر علم يعلم والمبتدأ معرفة باضافته لمن الموصولة والخبر باضافته لاسم الاشارة ولارباب الحواشي هنا خبط يتعجب منه فمنهم من قال علم مجرور بدل من من الموصولة وذلك مفعوله وبعجز الى آخره خبره أي سبيل علم من ليس أهلا لذلك أي كونه خارقا للعادة وهو بعجز الى آخره وأعجب منه قولهم ان علم بفتح العين وسكون اللام بمعنى علامة من علمت شفته اذا انشقت فهو أعلم وبعجز متعلق بمقدر وقيل علم فعل ماض مبني للمجهول أو للمعلوم وهو تخليط لا داعي له ثم ذكر آيات استوضح بها ما قدمه فقال (وأنت اذا تأملت) أي أمعنت النظر ودققته كمن ينظر لما له فيه أمل وانت فاعل فعل مقدر يفسره ما بعده على حد قوله تعالى اذا السماء انشقت ان منعنا دخولها على الجمل الاسمية (قوله تعالى ولكم في القصاص حياة) وما أودع فيه من

الموجودين في زمنه معلوم ضرورة (وكونه) أي القرآن (في فصاحته) أي وبلاغته (خارقا للعادة معلوم ضرورة للعالم) بكسر اللام وفي نسخة صحيحة للعالمين أي للعلماء (بالفصاحة ووجوه البلاغة) أي لمقاماتها المقتضية (وسبيل من ليس من أهلها) أي من المعرفة بفنون الفصاحة ووجوه البلاغة (علم ذلك) بكسر العين وفي نسخة بصيغة الماضي معلوما وقيل مجهولا والاول هو المعول أي هو ان يعلم كون القرآن في الفصاحة والبلاغة معجزة خارقا للعادة (بعجز المنكرين) أي لكونه كلام الله تعالى (من أهلها من معارضته واعتراف المقرين) أي بكونه كلامه (و) اعتراف (المفترين) أي القائلين بافترائه (باعجاز بلاغته) أي لهم عن مناقضته (وأنت) أي أيها المخاطب (اذا تأملت) أي من جهة الايجاز الباهر في الاعجاز الظاهر (قوله تعالى ولكم) أي ولغيركم (في القصاص حياة) أي المودع فيه من بدائع التركيب وروائع الترتيب مع ما فيه من المطابقة بين معنيين متقابلين وهما القصاص والحياة ومن الغرابة بجعل القتل الذي هو مفوت الحياة ظرفا لها ومن البلاغة حيث أتى بلفظ يسير متضمن لمعنى كثير فان الانسان اذا علم انه اذا قتل اقتص منه دعاه الى ردعه عن قتل صاحبه فكأنه أحيى نفسه وغيره فيرتفع بالقصاص كثير من قتل الناس بعضهم بعضا فيكون القصاص حياة لهم مع ما في القصاص من زيادة الحياة الطيبة في

الآخرة وهو أولى من كلام موجز عندهم وهو ان القتل أنفى للقتل فى قلة المبانى وكثرة المعانى وعدم تكرار اللفظ المنفر للحفظ وفى الايماء الى ان القصاص الذى بمعنى المماثلة سبب للحياة دون مطلق القتل بالمقابلة اذ ربما يكون سببا للفتنة فيها قتل فئة وفساد جماعة (وقوله) بالنصب (ولو ترى اذ فزعوا) أى عند موتهم أو بعثهم أو وقت هلاكهم (فلا فوت) أى لهم من الله بهرب وسبب غريب (وأخذوا من مكان قريب) أى من ظهر الارض الى بطنها أو من الموقف الى النار قعرها أو من نحو صحراء بدر الى قليبها (وقوله تعالى ادفع) أى سيئة من أساء اليك من الكائنات (بالتى) أى بالحسنة التى (هى أحسن) الحسنات أو بالخصلة التى هى أحسن الاخلاق فى المعارضات من الحلم والصبر والعفو وما يمكن دفعها به من المستحسنات (فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم) أى صديق قريب رفيق

(وقوله وقيل يا أرض ابلعى ماءك) أى انشفى (ويا سماء أقلعى) أى أمسكى (الآية) يعنى وغيض الماء أى نقص وقضى الامر أى أمر هلاك الاعداء وانجاء الانبياء واستوت أى استقرت السفينة على الجودى جبل بالموصل أو الشام روى انه ركبها عاشر رجب وهبط منها بعد استقرارها عليه عاشر شهر المحرم وصامه فصار سنة وقيل بعدا للقوم الظالمين أى هلاكا لهم حين وضعوا العبادة فى غير موضعها وفى نداء الارض والسماء مع انهما ليستا من العقلاء ايماء الى باهر عظمته وقاهر قدرته حيث انقادتا لما يريد منهما ايجادا واعداما كما حكى الله سبحانه وتعالى عنهما بقوله فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين امتثالا لامره وانقيادا لحكمه مهابة من عظمته ومخافة من سطوته وان أردت تفصيل ما يتعلق بهذه الآية فى الجملة فعليك بشرح لدجى حيث ذكر بعض ما يتعلق بها من حسن مبانيها ولطافة معانيها وبديع الحكم التى أودعت فيها (وقوله تعالى فكلا) أى عقيب ارسالنا الانبياء الى أممهم وتكذيبهم بهم كلا منهم (أخذنا بذنبه) عاقبناه باصراره على كفره وعدم رجوعه الى توحيد ربه (فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا) أى ريحا عاصفا فيه حصباء وهم قوم لوط (الآية) تمامها ومنهم من أخذته الصيحة وهم ثمود ومدين ومنهم من خسفنا به الارض وهو قارون ومنهم من أغرقنا وهم قوم نوح وفرعون مع قومه

البدائع والروائع مع لطائف الايجاز وأنوار الاعجاز الساطعة من مشكاته ورسوخ عروقه فى الفصاحة وحلاوة ثمرات بلاغته فى الذوق، وما اشتمل عليه من بديع البديع كالاعراب بجعل القتل الذى هو ضد الحياة ظرفا لها الا من علم انه اذا قتل اقتص منه كف عنه فكان سببا للحياة من يهم بقتله وهو أوجز مما عدوه من أفصح كلامهم وهو قولهم القتل أنفى للقتل مع ما فيه من التكرار والقتل مطلقا لا ينفيه ففى القصاص تصريح بالمعنى المراد اذ القتل قد يكون ظلما وفيه كلام وفوائد كثيرة فى شروح الكشاف والمفتاح والثمرة تدل على الشجرة ولا أقول البعرة تدل على البعير لما فيه من نجاسة سوء الادب (وقوله ولو ترى اذ فزعوا) من حلول الاجل أو من بعثهم من القبور أو فى يوم بدر (فلا فوت وأخذوا من مكان قريب) أى من ظهر الارض الى بطنها أو من الموقف الى النار أو من صحراء بدر الى قليبها ففى هذه الآية من الايجاز والبلاغة وعذوبة الالفاظ ما يعرفه من له بصيرة (وقوله) تعالى (ادفع بالتى هى أحسن) أى ادفع سيئة من أساء اليك بالحسنة التى هى أحسن من كل شئ حسن أو باحسن ما يمكن دفعه ولا حاجة الى القول بان أحسن بمعنى حسن وعدل عنه للمبالغة فانظر ما فى هذه الآية من الايجاز بحذف مفعول ادفع وهو السيئة لانه لا يدفع الحسن ولطف المعنى وما تضمنه من المبالغة ومكارم الاخلاق وهذا كقولهم أحسن الى من أساء كفى المسىء فعله وفى طى ذكر السيئة نكتة سنية واما دعوى المناسبة للمقام بما فيها من دفع السائل وتكلف المناسبة بينها وبين قوله (وقوله) تعالى (وقيل يا أرض ابلعى ماءك ويا سماء أقلعى) فبعيدة بمراحل وتكلف من غير طائل وفى هذه الآية من البلاغة المعجزة مع الايجاز انه ناداهما كما ينادى العقلاء وأمرهما بما يؤمرون به تمثيلا لباهر قدرته وعظمته لانقيادهما لما أراد كالمأمور المطيع المبادر للامتثال حذرا من سطوة آمره والبلع استعارة للجفاف والاقلاع الامساك وفيها لطائف أخر مفصلة فى شرح المفتاح (الآية) وتمامها وغيض الماء وقضى الامر واستوت على الجودى وقيل بعدا للقوم الظالمين (وقوله) تعالى (فكلا) ممن ذكر قبله من المكذبين (أخذنا بذنبه) أى عاقبناه به (فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا) أى ريحا عاصفة فيها حصباء وهى الحجارة الصغيرة أو ملكا رماهم بها وهم قوم لوط عليه الصلاة والسلام (الآية) وتمامها ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الارض ومنهم من أغرقنا والاول قوم ثمود ومدين والثانى قارون والثالث قوم نوح وفرعون وفى الآية من وجوه البلاغة الاجمال والتفصيل وحسن السبك والنظم

(واشباهها) بالنصب أي امثال هذه الآية ووقع في أصل الدلجي وأشباهه فقال أي اشباه ماذكر (من الآي) أي من سائر آيات القرآن (بل أكثر القرآن) أي وبل اذا تأملت أكثر القرآن أي مما هو محل من ايجاز لايرام واعجاز لايسام (حققت) جواب اذا تأملت أي عرفت (ما بينته من ايجاز ألفاظها) أي مبانيها (وكثرة معانيها وديباجة عبارتها) أي مما يكثر ها زينة اشارتها (وحسن تأليف حروفها) أي من غير تنافر فيما بينها (وتلاؤم كلمها) بفتح فكسر أي توافق كلماتها وتناسبها في مقاماتها قال الدلجي وقد تخفف همزة تلاؤم فتصير ياء من الملايمة أي الموافقة لاواوا وما روى في الحديث بها فتحريف لاأصل له لان الملاومة مفاعلة من اللوم انتهى ولايخفى ان تخفيف الهمز المضموم بعد الالف لايعرف الا بالواو كالتناوس واما عروض المشابهة بعد التخفيف فلاعبرة به أصلا كما حقق في تخفيف رئاء وامثالها (وان تحت كل لفظة منها) أي من مبانيها (جملا) أي من جمل الكلام المجملة (كثيرة) أي من معانيها (وفصولا جمة) أي غزيرة من الفصول المهمة والامور المتمة (وعلوما زواخر) لها في مقام الكثرة فواخر كما قال ابن عباس جميع العلم في القرآن لكن تقاصر عنه افهام الرجال وقد سئل بعض الحكماء من بعض العلماء ما في كتاب الله تعالى من علم الطب فقال كله في نصف آية هي قوله تعالى كلوا واشربوا ولا تسرفوا فقال صدقت وبالحق نطقت (ملئت الدواوين) أي الدفاتر (من بعض ما استفيد منها) أي مما يعسر احصاؤه (وكثرت المقالات في المستنبطات عنها) أي مما لايمكن استقصاؤه (ثم هو) مبتدأ أي القرآن الكريم (في سرد القصص الطوال) أي في ايرادها متتابعة (واخبار القرون السوالف) أي أهلها السوابق متوالية (التي يضعف) أي يعجز (في عادة الفصحاء عندها الكلام) أي لطولها

والنظم والاعلام باحوال من مضى للاعتبار والايجاز والانسجام الرائق (وأشباهها) أي ما يضاهي ماذكر في البلاغة ووجوه الاعجاز (من الآي) اسم جنس جمعي ككلم وكلمة أو اسم جمع وهو منصوب معطوف على مفعول تأملت ثم اضرب بيانا لانه لاينحصر في آيات مخصوصة مشيرا الى وجوه من الاعجاز فيها فقال (بل أكثر القرآن) وجواب اذا قوله (حققت ما بينته) لك آنفا (من ايجاز ألفاظها وكثرة معانيها) مع لطائف ودقائق (و) لطائف (ديباجة عبارتها) قيل معنى الديباج نوع من الحرير له وبر يقال فلان يلبس الديباج ويركب الهملاج وقيل انه معرب فاصله ديباز يد فيه الجيم كما يقال في قولون وهو من الامراض قولنج ثم استعير فقالوا دبج المطر الارض اذا زينها بالنبات والرياض وفلان يصون ديباجتاه أي خداه وفي ضده يبتذلهما ومنه أخذ ديباجة الكتاب والقصيدة لاوله والحواميم ديباج القرآن أي رياضه التي يرتع فيها القارئ فالمراد حسن عبارته ففيه استعارة مكنية وتخييلية شبهت العبارة بحمى وأثبت له الديباج بمعنى الرياض والنبات ثم كنى به عما مر (وحسن تأليف حروفها) حيث كانت سالمة من التنافر والثقل (و) حسن (تلاءم كلماتها) بالهمزة وقد تبدل ياء فيقال تلايم وملايمة أي مناسبة وموافقة واما ابدالها واوا فهو خطأ من رسم الهمزة بالواو ولان الملاومة مفاعلة من اللوم فقراءة بعض المحدثين له بالواو لحن يعني ليس فيه تعقيد ولاضعف تاليف وتنافر كلمات (وان تحت كل لفظة منها جملا كثيرة) أي فيها معان كثيرة وفوائد غريزة وجعل مايدل عليه تحته تجوزا (وفصولا جمة) أي أنواعا كثيرة من محاسن الكلام كما يقال جعل الكلام فصلا فصلا والجم الكثير وغاير بينهما تفننا كقوله (وعلوما زواخر) بزاء وخاء معجمتين ثم راء مهملة أي علوما كثيرة كالبحار الزواخر من زخر البحر اذا كثر ماؤه وارتفعت أمواجه ففيه مكنية وتخييلية ويجوز ان يكون تشبيها بليغا واستعارة مصرحة وزواخر ممنوع من الصرف وما في بعض النسخ من تنوينه للتناسب لاوجه له (ملئت الدواوين) أي امتلأت كتب التفسير وغيره من الفنون (من بعض ما استفيد منها) بالبناء للمجهول أي أخذه كل باحث عنه بحسب فهمه واذا ملأها بعضه فكله لايمكن حصره ولايحويه كتاب كما قال تعالى قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ودواوين جمع ديوان وهو الكتاب وقد تقدم الكلام عليه (وكثرت المقالات) أي كلام الائمة والمصنفين (في المستنبطات عنها) أي في المعاني والاحكام المستخرجة بطريق الاشارة والدلالات الالتزامية وهو من قولهم استنبط الماء من البئر اذا استخرجه فاستفيد هو ما دل عليه صريحا وما استنبط غيره (ثم هو) أي القرآن وعطفه بثم لتراخي رتبته عما قبله (في سرد القصص الطوال) أي ذكرها في اثنائه مستعار من سرد الدرع لنسجه (واخبار القرون السوالف) معطوف على القصص جمع قصة والمراد بالقرون السوالف الامم المتقدمة على عصر النبوة من سلف بمعنى تقدم والقرن مدة من الزمان مختلف فيها والمراد أهله (التي يضعف في عادة الفصحاء عندها الكلام) صفة للقصص والاخبار أي انها لطولها اذا أريد ذكرها

(ويذهب ماء البيان) أي عند ارادة تقريرفصولها (آية) خبر المبتدأ اي علامة ظاهرة (لمتأمله) أي لمتذكره وحجة باهرة لمتدبره (من ربط الكلام) أي من جهة ارتباط اجزاء كلامه (بعضه ببعض) في ترتيب مقامه وتحصيل مرامه (والتئام سرده) أي وتناسب ماقبله لمابعده (وتناصف وجوهه) أي توافق ضروبه وتعانق فنونه كان كلا منها انصف الآخر في أخذ حظه من قولهم تناصفوا اذا أنصف بعضهم بعضا من نفسه (كقصة يوسف على طولها) أي المشتملة على دررها وغررها من بيان أبوابها وفصولها (ثم اذا ترددت) أي تكررت (قصصه) بكسر القاف جمع قصة بخلاف فتحها فانه مصدر قص كما يستفاد من قوله تعالى نحن نقص عليك أحسن القصص وليس كما يتوهم جمع بانه جمع (اختلفت العبارات) أي ايجازا واطنابا وتفننا في بيانها غيبة وخطابا (عنها) أي عن تلك القصة (على كثرة ترددها) أي مع كثرة ترددها وتكرارها (حتى تكاد كل واحدة) أي من القصص (تنسى) بضم التاء وكسر السين مخففا أو مثقلا أي تذهب على خاطر المستمع المصغي المتأمل (في البيان) أي في مراتب بيانه ومناقب شانه من القصص (صاحبتها) أي نظيرتها (وتناصف) بضم التاء وكسر الصاد أي وتحاكي (في الحسن) أي في حسن مطالعتها حال مقابلتها مرآة (وجه مقابلتها) بكسر الباء (ولانفور للنفوس من ترديدها) أي ولا تنفر للنفوس النفيسة من سماع تكريرها وتعداد تقريرها

بتمامها يصعب على الفصيح حكايتها ويضعف نطقها عن ادائها واجمالها لمن لا يعلمها الا تفيده فائدة يعتد بها وليس المراد انه واقع في الخارج بعجز الفصيح عن مطابقة حكايته له (ويذهب ماء البيان) أي رونقه وحسنه لانه لطوله قد لا تتناسب كلماته ويشق نظامه ولا يحكم ارتباطه والبيان ايضاح المعاني وهو معطوف على يضعف الصلة ففيه عائد مقدر كالذي قبله (آية لمتأمله) أي علامة بينة لمن تأمل نظمه وسرده القصص والاخبار وآية خبر المبتدأ الذي هو هو أو مبتدأ مؤخر والجار والمجرور خبر مقدم والجملة خبر هو والرابط الالف واللام القائمة مقام الضمير الذي هو في سرد قصصه آية لمن تأمله حق التأمل وقوله (من ربط الكلام) صفة لآية ومن بيانية أو متعلق بمقدر أي يظهر كونه آية دالة على اعجازه من ارتباط الكلام (بعضه ببعض) بالجر بدل من الكلام أي من كون اجزائه الى غاية التناسب حتى كان كل كلمة مرتبطة باختها (والتئام سرده) بالهمزة والياء أي مناسبة كلماته المسرودة أي المتتابعة كحلق الدرع الداخل بعضها في بعض مع فصاحتها وحسن تأليفها (وتناصف وجوهه) المراد بالوجوه انواع بلاغته من الاستعارة والكناية وتناصف تفاعل من النصفة والانصاف يقال اعضاؤه متناصفة حسنا أي لا ينقص حسن بعضها عن بعض وهو من بليغ الكلام الذي لا يعرفه الا من ذاق حلاوة العربية كما أشار اليه المبرد رحمه الله تعالى في الكامل قال الشاعر

لما مرضت الى تناصف وجهها ❊ غرض المحب الى الحبيب الاول

وأصل معنى الانصاف المواساة ونحوها كأنك تعطيه نصفا وتأخذ نصفا ومن ظن عدم تغاير هذه المعاني فقد وهم (كقصة يوسف عليه الصلاة والسلام على طولها) قصها الله تعالى على أعجب ترتيب وأبدع تهذيب بحيث لم ينصب ماء بيانها ولم ينحل عقد نظامها مرتبطة الهوادي بالاعجاز على أصح وجه وأوضح نهج (ثم اذا ترددت) أي اذا كررت (قصته) المذكورة في القرآن من قولهم فلان يتردد على فلان اذا كان يكثر الاتيان اليه كقول بعضهم

ان كنت لم أكثر زيادة حبكم ❊ فحبي لكم بغير تردد

أي ما كرر من قصص القرآن ليس تكرارا مخلا اذ قد (اختلفت العبارات عنها) فذكرت في كل مكان لمعنى ضربت له مثلا غير المكان الآخر وحكيت بعبارات مختلفة النظم والالفاظ وان كان المعنى واحدا (على كثرة ترددها) وتكرارها والجار والمجرور حال من ضمير عنها وهذا من عظيم قدرة قائلها ويحكى عن ابن عباد رحمه الله تعالى انه مات له ولد فاشتد حزنه على فقده فلما صلوا على جنازته في محفل عظيم قام الناس لتعزيته فلم يعد عبارة للعزي بن له مع كثرتهم وكونه في حالة حزن وألم حتى تعجب الحاضرون من بلاغته (حتى تكاد كل واحدة) من القصص المكررة (تنسى في البيان صاحبتها) يعني ان سامعها كأنه انما سمعها الآن ولم يسبق لها ذكر قبل ذلك لان العبارة غير الاولى والسياق ومناسبة المقام تفيد فوائد أخر وتجدد لمن سمعها حظا عظيما للعبارة المغايرة لما تقدمها وعبر بكاد لانها لم تنس حقيقة (وتناصف في الحسن وجه مقابلتها) لتفاوتهما باعتبار المقامات المحكية فيها كقصة آدم وحواء وموسى عليهم الصلاة والسلام مع بني اسرائيل (ولانفور للنفوس من ترديدها) وتكريرها وهذا اشارة الى الجواب عما قاله بعض الطاعنين في القرآن بان فيه مكررات

كثيرة

(ولا معاداة) أي من أحد (لمعادها) بضم الميم أي لمكررها والضمير للقصص على منوال ما قبلها ووقع في أصل الدلجي لمعاده بافراد الضمير المذكر فقال أي القرآن والحاصل انه كما قال الشاطبي وخير جليس لا يمل حديثه * وترداده يزداد فيه تجملا
وكما قال غيره أعد ذكر نعمان لنا ان ذكره * هو المسك ما كررته يتضوع
ولكن هذا بالنسبة الى صاحب قلب سليم لا الى من له طبع سقيم

(فصل) (الوجه الثاني من اعجازه) أي من وجوه ضبط أنواع اعجاز القرآن (صورة نظمه العجيب) لما فيه من بدائع التركيب وروائع الترتيب (والاسلوب) بضم الهمزة واللام الفن (الغريب) وكان المناسب أن يقول وأسلوبه الغريب (المخالف) أي بغرابته مع نهاية فصاحته وغاية بلاغته (لاساليب كلام العرب) أي لما أودع فيه من دقائق البيان وحقائق العرفان وحسن العبارة ولطف الاشارة وسلامة التركيب وسلامة الترتيب (ومناهج نظمها) أي طريق مبانيها الواضح البين عند أهلها (ونثرها) أي خطبا ورسائل وغيرها (الذي جاء عليه) أي نزل على وفقه القرآن ايماء بان ما عجزوا عنه انما هو كلام منظوم من عين ما ينظم كلامهم منه ليعلموا انه ليس من كلام النبي الكريم بل هو منزل عليه من عند الله العظيم (ووقفت مقاطع آيه) أي أواخر وقوف فواصلها من التام والكافي والحسن باختلاف محالها وزيد في أصل الدلجي هنا لفظ عليه فقال أي على الاسلوب الغريب الذي قصرت عن وصف كنه اعجازه العبارة اذ الاعجاز كالملاحة يدرك ولا يوصف بالاشارة (وانتهت فواصل كلماته اليه ولم يوجد قبله) أي من الكتب المتقدمة (ولا بعده) أي ولا يتصور ان يوجد بعده (نظير له) أي شبيه ومثل في حسن المباني ورونق المعاني (ولا استطاع أحد مماثلة شئ منه) أي لجزالة فصاحته وفخامة بلاغته (بل حارت فيه عقولهم) أي تحيرت (وتدلهت) بالدال المهملة وفي نسخة تولهت بالواو أي اندهشت (دونه) أي عنده (أحلامهم) أي فهومهم في تصوره وتدبيره (ولم يهتدوا الى مثله) أي الى اتيان شبهه

كثيرة وهو مما ينفر الطبع السليم (ولا معاداة لمعادها) أي لا تعادي الطباع المكررة المعاد في القرآن من قصصه كما قال الشاعر * طبع النفوس معاداة المعادات * وفيه تمليح لما ذكر وتجنيس لطيف

(فصل الوجه الثاني) من وجوه اعجاز القرآن (من اعجازه صورة نظمه العجيب والاسلوب الغريب) أشار بالاسلوب والصورة الى رشاقة عبارته وفخامة معانيه وهذا باعتبار نظمه وطريقه الوارد فيها فانه مع الرغبة لا يشبه الشعر ولا الخطب ولا غيرهما مما كان عادتهم ومحاوراتهم قرى الاسماع بعوائده وفوائده وبهذا اضمحل ما قيل انه بحسب المعنى راجع للاول لان حسن تأليفه والتئام كلمه راجع لصورة نظمه فان قيل ان قوله (المخالف لاساليب كلام العرب) منزه عنه قلت لا لان قوله الخارق للعادة بمعناه انتهى والاساليب جمع أسلوب وهو الفن والنوع وفي كلامه اشارة الى ان الاعجاز ليس مداره على الالفاظ ولذا عبر بالنظم دون اللفظ قال عبد القاهر النظم توخي المعاني على حسب الاغراض التي صيغ لها الكلام لا توالي الفاظ في النطق وضم بعضها البعض كيف ما اتفق (ومناهج نظمها ونثرها) مجرور معطوف على أساليب أي مخالف لمناهجها جمع منهج وهو الطريق أي لا يشبه كلامهم المنظوم وهو الشعر ولا المنثور من الخطب وغيرها (الذي جاء عليه) صفة نظم أي النظم الذي جاء عليه من عند الله تعالى واردا على أسلوبه العجيب الذي لا يشبه كلام البشر (ووقفت مقاطيع آيه) جمع آية مضاف لضمير القرآن وفي نسخة آياته والمقاطع جمع مقطع وهو آخر الكلام الذي يقف عليه القارئ وقفا تاما أو كافيا واسناد الوقف اليها مجازي والواقف انما هو القارئ وهو بمعنى انتهت ووصلت ولذا عداه بالى وهو معطوف على الصلة (وانتهت فواصل كلماته اليه) وفي بعض النسخ ووقفت مطالع آيه عليه والفواصل جمع فاصلة وهي الكلمة الاخيرة من الفقرة ونحوها والضمير للموصول بتقدير مضاف الى آخره قالوا لا يقال في القرآن انه سجع وانما يقال فواصل لقوله فصلت آياته (ولم يوجد) أي لم يسمع كلام بليغ (قبله ولا بعده نظير له) يماثله في بلاغته وعلو رتبته وغرابة أسلوبه (ولا استطاع) وقدر (أحد مماثلة شئ منه) بان يأتي بكلام مما يشبهه في الجزالة والبلاغة (بل حارت فيه عقولهم) فوقعوا في الحيرة فالعناد منعهم من الاعتراف وظهور اعجازه يكذبهم في قولهم انه مفترى أو سحر أو نحوه مما لا يقبله الطبع (وتدلهت دونه أحلامهم) بفتح الدال المهملة واللام المشددة أي دهشت وتحيرت في شأنه فهو مما قبله وفي نسخة تولهت بواو بدل الدال من الوله وهو الحيرة أيضا والاحسن ان يقصر التدله بذهاب العقل من الهوى فيكون ترقى من حيرته الى ذهابه ودونه بمعنى ما لم يبلغ منزلته كما في قوله تعالى لا تتخذوا بطانة من دونكم والاحلام جمع حلم وهو بمعنى العقل وله معان أخر يعني ان عقولهم لم تصل اليه اذ تحيرت فيما هو أقل منه فكيف به (ولم يهتدوا الى مثله) أي لم

(في جنس كلامهم من نثر أو نظم او سجع) أي في أحدها (أو رجز) بفتح الراء والجيم وفي آخره زاي وهو من بحور الشعر وأنواعه وقيل لا يسمى شعرا ولذا عطف عليه بقوله (أو شعر) وعلى الاول يكون تعميما بعد تخصيص وضبط في بعض النسخ بفتح الزاي وسكون الجيم في آخره راء والظاهر انه تصحيف لعدم المناسبة بين السابقة واللاحقة (ولما سمع كلامه صلى الله

يسمعوا به من فصحائهم ولم يقدروا على الاتيان بشئ يماثله أو يقرب منه (في جنس كلامهم) الذي يقدرون عليه وتفي به قواهم البشرية (من نثر) كالخطب والرسائل (أو نظم) من القصائد والفقر (أو سجع) وهو الكلام المقفى غير المنظوم وهو يطلق على مجموع هذا وعلى الكلمات الاخيرة من النثر و يطلق على الاتيان به ونفس التوافق الواقع فيه (أو رجز) وهو نوع من الشعر معروف وأفرده بالذكر مع دخوله في النظم لانه خلافه في عدم التزامهم رويا واحدا فعد نوعا مستقلا من الكلام أفرد باسم يخصه ولم يعده بعضهم من الشعر حتى سمي قائله راجزا لا شاعرا (أو شعر) لو لم يذكره كان أحسن لانه مكرر مع النظم (ولما سمع كلامه صلى الله تعالى عليه وسلم الوليد بن المغيرة) تقدم ضبطه وانه أبو خالد وكان من صناديد قريش وعقلائهم وفصحائهم الا ان الله لم يهده الى الاسلام كما مر واسم ولده خالد رضي الله تعالى عنه سيف الله (وقرأ عليه القرآن) أي أسمع الوليد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بعض القرآن رجاء اسلامه (رق) قلبه ومال طبعه الى الاعتراف به والاسلام وأصل الرقة ضد الغلظة فتجوز به عن الملائمة والميل كما قال ابن سعيد المغربي

قد طال شوقي الى ثغور * ملأى من الشهد والرحيق
عنها أخذت الذي تراه * يعذب من شعري الرقيق

(فجاءه أبو جهل) لعنه الله تعالى لما بلغه ميله الى كلام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ليصده عنه وكان ابن أخيه واسمه عمرو بن هشام (منكرا عليه) بميله له واستحسانه لما قرأه صلى الله تعالى عليه وسلم عليه وهو حال من فاعل جاء (فقال) الوليد ردا لانكار أبي جهل عليه (والله ما منكم) يا معشر قريش (أحد أعلم بالاشعار مني) انكارا لقولهم انه شاعر (والله ما يشبه الذي يقوله) محمد صلى الله تعالى عليه وسلم من القرآن (شيأ من هذا) الشعر الذي ينشدوا أشار اليه بالقرب لشهرته وحضوره في الذهن كالشاهد المحسوس (وفي خبره الآخر) أي في خبر آخر عن الوليد رواه البيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما (حين جمع) الوليد (قريشا) يعني أشرافهم ورؤساؤهم (عند حضور الموسم) مفعل من الوسم وهو العلامة والمراد موسم الحجاج وهو زمان اجتماعهم لانها معالم كانوا يجتمعون فيها بمكة وحضوره مجيء زمانه أو مجيء أهله ولما كان يجتمع به جميع قبائل العرب من كل فج خشي ان يسمعوا بأمر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فيتبعوه فجمعهم وحدثهم ليتشاوروا ويروا رأيا فيما يصد الناس عنه صلى الله تعالى عليه وسلم كما أشار الى بيان ذلك بقوله (وقال ان وفود العرب) جمع وفد وهم كما مر الجماعة الذين يقدمون من بلادهم الى مكة من غير أهلها وأصل معنى الوفد الاشراف (ترد) أي يقدمون من غير البلاد وأصل الورود الذهاب للماء (فأجمعوا فيه) أي في النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأمره أي دبروا وتداركوا (رأيا) أي أمرا يعتقدون له فائدة ونتيجة وأجمعوا بقطع الهمزة من الاجماع يقال أجمعت كذا وكذا وأجمعت عليه وأكثر ما يقال فيما يكون جمعا يتوصل اليه بالفكر نحو فاجمعوا أمركم وشركاءكم ويقال أجمع المسلمون على كذا اذا اجتمعت آراؤهم عليه ويجوز أن تكون همزته همزة وصل أيضا لانه يقال جمع له رأيا أيضا وبه فسر قوله تعالى ان الناس قد جمعوا لكم أي جمعوا آراءهم وتدبيرهم كما قال الراغب ولا عبرة بانكار الحريري في الدرة لصحته كما بيناه في شرحها (لا يكذب

تعالى عليه وسلم الوليد ابن المغيرة) وهو والد خالد رضي الله تعالى عنه لكن هلك على دينه لقلة يقينه (وقرأ عليه القرآن رق) بتشديد القاف أي تأثر بسماعه لما ألقي عليه (فجاءه أبو جهل) وهو ابن أخيه (منكرا عليه) أي رقته لديه (قال) وفي نسخة فقال أي الوليد (والله ما منكم أحد أعلم بالاشعار) أي بانواع الشعر (مني والله ما نشبه الذي يقول شيأ من هذا) أي من جنس الشعر (وفي خبره الآخر) أي عن الوليد كما رواه البيهقي عن ابن عباس (حين جمع قريشا عند حضور الموسم) أي قرب ورود أهله وهو بفتح ميم وكسر سين قال الشمني موسم الحاج مجمعهم سمي بذلك لانه معلم يجتمع اليه وهو يصلح ان يكون اسما للزمان والمكان انتهى والظاهر الاول فتأمل (وقال) وفي نسخة فقال (ان وفود العرب) جمع وفد وهو القوم يجتمعون ويردون البادة والقرية لما آرب نحو جهم الى النقلة (ترد) أي يجيئون اليكم و ينزلون عليكم (فاجمعوا فيه رأيا) بعضكم بفتح الهمزة و كسر الميم من أجمع الامر وازمعه اذا نواه وعزم عليه أي اجتمعوا عليه بالعزم على رأي فيه صلى الله تعالى عليه وسلم ومنه قوله تعالى فاجمعوا كيدكم وقرأ أبو عمرو بهمزة الوصل وفتح الميم ووجهه ظاهر ولا يبعد ان يضبط هنا كذلك أيضا أي أجمعوا رأيا فيه لا توجد ما ينافيه كما أشار اليه بقوله (لا يكذب

بعضكم بعضا) وهو بتشديد الذال وتخفف كما قرئ بهما في قوله تعالى فانهم لا يكذبونك والمعنى لا ينسب بعضكم بعضا الى الكذب (قالوا) وفي نسخة فقالوا (نقول كاهن) وهو من يزعم انه يخبر عن الكائنات في الازمنة الآتية ويدعى معرفة أسرار المغيبات الماضية وكان في العرب كهنة كشق وسطيح وهما اللذان أخبرا ببعث النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فمنهم من زعم ان له رئيا من الجن يلقى اليه أخبارا يسترقها من السماء ويلقطها مما يراه في أطراف الارض ومنهم من زعم انه يعرف الامور بمقدمات أسباب من كلام من يسأله أو فعله أو حاله ويخصونه باسم العراف كمن يزعم معرفة المسروق ومكان الضال وحلوان الكاهن والعراف حرام (قال) أي الوليد (والله ماهو بكاهن) اذ لم يعهد منه صلى الله تعالى عليه وسلم انه سلك طريقهم في تزوير أقاويل باطلة روجها بسجع في كلمات متقابلة اذ كانوا يروجون أخبارهم المزورة وأقوالهم المصورة باسجاع مزخرفة تروق السامعين يستميلون بها قلوبهم وأوهامهم ويستصغون اليها أسماعهم وأفهامهم ولا يتكلمون الا بالسجع المتكلف في تأدية مرامهم ومن ثم عاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قول من قال في حديث قتل الجنين كيف ندى من لا أكل ولا شرب ولا استهل ومثل ذلك بطل أي يهدر وفي رواية بطل انما هذا من اخوان الكهان لما تضمنه سجعه من الباطل وما ليس تحته طائل والا فقد ورد السجع في كلامه صلى الله تعالى عليه وسلم كثيرا (ماهو) أي ليس كلامه صلى الله تعالى عليه وسلم المعنى به القرآن أو مطلق ما يظهره في عالم البيان (بزمزمته) أي بزمزمة الكاهن (ولا سجعه) وهو صوت خفي لا يكاد يفهم فكانه والله تعالى اعلم اذا أراد حضور قرينه من الجن زمزم له فحضر عنده وأخبره والنفي الثاني بمنزلة الدليل للنفي الاول فتأمل أو معطوف عليه بحذف الباء كما سيأتي في قراءته هذا وقيل زمزمة الكهان صوت يديرونه في خياشيمهم وأفواههم من غير صريح نطق وربما فهموا به من الفهم (قالوا مجنون) أي مصاب اختلط عقله من مس الجن على ما يعتقدون فيما يزعمون ولقد رأى رجل قوما مجتمعين على انسان فقال ماهذا قالوا مجنون قال هذا مصاب انما المجنون الذي يضرب بمنكبيه وينظر في عطفيه ويتمطى في مشيته وما أحسن مقابلته بالمصاب فانه المخطئ في فعله من صوب الصواب لكونه أصيب بآفة في عقله الخارج عن دائرة أولي الالباب (قال) أي الوليد (ماهو بمجنون ولا بخنقه) بفتح الخاء المعجمة وكسر النون وتسكن وتفتح وبالقاف مصدر لدخول حرف الجر بعد لا المزيدة لتأكيد النافية السابقة والمقصود انه ليس بفعل نفي كما توهم قال الحلبي الخنق بكسر النون كذا في غير مؤلف في اللغة ولكن في مطالع ابن قرقول قال بضبط المصدر بفتح النون والاسكان ولم يتعرض للكسر فحصل من ذلك ثلاث لغات في المصدر قلت وفي القاموس اقتصر على الاول حيث قال خنقه خنقا ككتف فهو خنق أيضا وخنيق ومخنوق انتهى والمصدر هنا بمعنى المفعول أي ليس هو ممن أصابه الجن وخنقه ولا وسوس في صدره لعدم ظهور أثره في أمره كما أفاده بقوله (ولا وسوسته قالوا فنقول شاعر قال) أي الوليد

بعضكم بعضا) أي اتفقوا على أمر قبل قدومهم حتى لا يحصل افتراق كلمة واختلاف في شأنهم (فقالوا نقول) هو (كاهن) وهو الذي يخبر عن المغيبات ويدعى معرفة الاسرار وكانوا في العرب كثيرا كشق وسطيح وكان لهم كلام مسجع مصنع فمنهم من له جني يخبره ويلقى اليه الاخبار ومنهم من يدعى معرفة ذلك باسباب وأمور يأخذها من كلام السائل وفعله وحاله ويقال له عراف وأكثرها أمور ظنية تخطئ وتصيب أحيانا (فقال) الوليد لهم (والله ماهو بكاهن) أي حاله لا يشبه حال الكهان وكلامه لا يشبه كلامهم المسجع الذي كانوا يلفقونه وينمقونه وفيه أكاذيب باطلة فليس هذا رأيا مقبولا ولا يروج عند العقلاء (ماهو بزمزمته ولا سجعه) الضمير للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم والباء للملابسة أي ليس معروفا بزمزمته أو لكلامه المفهوم من السياق أي وما كلامه مشبها بزمزمته والزمزمة صوت خفي لا يكاد يفهم وكان للكهان زمزمة ورقى يحضرون بها الجن وزمزمة المجوس قراءتهم وكلام الكهان كان مسجعا ولذا كره النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قول القائل في الجنين كيف ندى من لا أكل ولا شرب ولا استهل ومثل ذلك بطل وقال هذا من اخوان الكهان وهذا لا يدل على كراهة السجع مطلقا فانه في كلامه صلى الله تعالى عليه وسلم به أحيانا فلما رفض الوليد هذا الرأي فيه صلى الله عليه تعالى وسلم (قالوا) نقول هو (مجنون) أي رجل اختلط عقله فاختل كلامه وفعله وذلك باصابة الجن له وهو المعروف عند الاطباء وأصله من جنه وأجنه اذا ستره لاستتار عقله ومنه الجان والجنين (قال) الوليد ردا لرأيهم هذا (ماهو بمجنون ولا بخنقه ولا وسوسته) أي لا يشبه حاله حال المجانين والخنق بفتح الخاء المعجمة وسكون النون مصدر وهو الاختناق والجنون يقال له خنق بكسر النون وفتحها والوسوسة بفتح الواو مصدر وهو شيء يلقى في القلب أو في السمع بصوت خفي وقد يحدث المرء به نفسه ولذا سمى حديث النفس (قالوا فنقول شاعر قال) أي الوليد

(ماهو بشاعر قد عرفنا الشعر كله) أي أصنافه جميعه مأخوذ من الشعور وقال اليمني هو مصدر شعرت بالشيء بالفتح أشعر به أي فطنت له ومنه قولهم ليت شعري أي ليتني علمت وفي الاصطلاح هو الكلام المقفى المقصود به الشعر ليخرج ما لم يقصد مما وافق في الوزن والتقفية كما جاء في القرآن والسنة وعبارات الأئمة من غير قصد ويقال في كلامه سبحانه وتعالى انه غير مقصود بالذات والا فلا يتصور بدون ارادته وقوع شيء من الكائنات (رجزه وهزجه) بفتحتين فيهما (وقريظه ومبسوطه

ومقبوضه) بيان لبعض أنواعه وأصول أصنافه هذا وقوله قريظه في النسخ بالظاء المعجمة وفي أصل الدلجي بالضاد المعجمة فقال فعيل بمعنى مفعول من القرض وهو لغة القطع وسمي الشعر قريضا لان قارضه أي الشاعر يورده قطعا قطعا انتهى وهو الموافق لما في القاموس في حرف الضاد من قوله قرضه قطعه وجاراه كقارضه والشعر قاله وقال اليمني وسمي قريضا لكونه يقرض ويقال قرظته اذا مدحته ويجوز ان تكتب هذه اللفظة بالضاد والظاء (ماهو بشاعر) تأكيد للاول وفي نسخة وماهو بشاعر أنطقه الله تعالى بالصدق وما وفقه للحق فما أقربه في الظواهر وما أبعده في السرائر فهو ممن أضله الله على علم بقدرته القاهرة وارادته الباهرة (قالوا فنقول ساحر قال ماهو بساحر ولا نفثه ولا عقده) بالجر فيهما على انهما معطوفان على مدخول الباء أي ولا هو ينفث الساحر أي نفخه ولا بعقده في خيط عند نفثه ومنه قوله تعالى ومن شر النفاثات في العقد (قالوا فما نقول قال ما أنتم بقائلين شيئا من هذا) أي عما رميتموه به في الأباطيل (الا وأنا أعرف انه باطل) أي وليس تحته طائل (وان أقرب القول

(ماهو بشاعر) أي ليس كلامه بشعر ولا وزنا ولا معنى اذ الشعر مدح وهجو وتشبيب وليس فيما سمعوا منه صلى الله تعالى عليه وسلم شيء من ذلك (قد عرفت الشعر كله) بانواعه وأوزانه ومعانيه ثم فصل بعضا منه بقوله (رجزه) هو نوع من الشعر معروف يسمى بالرجز ويقال للقصيدة منه أرجوزة وجمعها أراجيز وسمي رجزا لاضطرابه في وزنه واختلاف أوزانه واختلاف قوافيه (وهزجه) بفتحتين ومعجمتين وهو اسم لبحر من بحور الشعر معروف وبه فسر هنا ولكن الذي قالوا ان أسماء البحور منقولات اصطلاحية نقلها الخليل بن أحمد فهي منقولة من الهزج لنوع مضطرب من الاغاني ولو قيل انه اسم لضرب من الشعر كانت العرب تتغنى به كان أقرب وأنسب بقوله (وقريضه) لانه ليس اسم بحر من بحور العروض لانه في اللغة بمعنى الشعر مطلقا من قرضه بمعنى قطعه فعيل بمعنى مفعول لان الشاعر يقتطع نوعا مخصوصا من الكلام لغرض له فالظاهر ان المراد به ما يقابل القصائد وهي المقطوعات وقرض الشعر ملكة يقتدر بها على نظمه وفي العرب معرفة محاسن الشعر وقبيحه (ومبسوطه) أي مطولات قصائده مطلقا المقابلة لما قبل فيتناول جميع أنواعه من الطويل والبسيط وغيره فمن فسره ببحر البسيط وقال زيادة الميم فيه لمشاكلة قوله (ومقبوضه) فقد تكلف ما لا دليل عليه وكان المراد بمقبوضه مختصر أوزانه المسمى في العروض بالمجزو والمنهوك وليس المراد مصطلح العروضيين وهو المحذوف ثاني السبب الخفيف الذي هو خامس كمفاعيلن الذي حذفت ياؤه فصار مفاعلن لان هذا اصطلاح أحدثه المولدون لا تعرفه العرب قديما وقوله رجزه وما عطف عليه منصوب بدلا من الشعر لا من كله لانه توكيد لا يصح البدل منه لانه لا يقع مفعولا كما توهم (قالوا فنقول) هو (ساحر قال) أي الوليد (ماهو بساحر) أنكره لما يعلمه من ان الساحر هو الذي يستعين على ما يأتي من خارق العادة بأمر علوي أو بعزائم يسخر بها الجن أو بطلسمات يستمزج بها السفلي بالعلوي والناس جميعهم يعلمون انه صلى الله عليه وسلم ليس كذلك ولذا قال (ولا نفثه ولا عقده) بفتح العين المهملة وسكون القاف أو بضم ففتح جمع عقدة والنفث النفخ مع ريق والعقد عقد حبال أو شعر مضفور ونحوه كما يعرفه السحرة مما يؤثر أمورا خارقة للعادة في الخارج عنه وكني به عن انه ليس عمل مما يعمله السحرة فقد تربى صلى الله تعالى عليه وسلم بين أظهرهم ولم ير أحد منه ذلك فلذا خطأهم الوليد في وصفهم له صلى الله تعالى عليه وسلم وبين لهم ان تدبيرهم الباطل لا يروج على عاقل كما قيل

يا سطوة الله حلي عقد ما ربطوا * وشتتي شمل أقوام بنا اختلطوا
الله أكبر سيف الله قاطعهم * وكلما قد علوا في ذمهم هبطوا

(قالوا فما نقول) بالنون أو بالمثناة الفوقية أي نحن أو أنت ما نريد وما رأيك (قال ما أنتم بقائلين من هذا) أي مثل هذه الآراء (شيأ) في حقه (الا وأنا أعرف انه باطل) ليس بمقبول عندي ولا عند العقلاء الذين يعرفونه وتقديم الضمير لتقوية الحكم لانه يقدم لتقوية الكلام أو للحصر لتعسفها اعتقاد بعض جهلتهم فيه والجملة حالية مستثناة يجوز اقترانها بالواو وعدمه (وان أقرب القول) في حقه وان كان الكل مفترى

(انه

انه ساحر) بفتح الهمزة على انه مع اسمه وخبره خبر ان الاولى فتأمل ولا تتبع طريق الدلجي فى ضبط الهمزة بالكسر على انه مقول لقول مقدر حيث قال وأقرب القول فيه ان يقال بانه ساحر (ثم قال) أى الوليد (فانه سحر) أى كلامه مشابهه حال كونه (يفرق) أى به كما فى نسخة أى بكلامه المماثل للسحر (بين المرء وابنه) أى أعز أولاده وأقاربه وفى نسخة ٤٩٩ وأبيه أى والده الذى هو أقرب أسلافه واجداده (والمرء وأخيه) أى شقيقه وأقوى قرينه ورفيقه (والمرء وزوجه) أى امرأته أو الشخص الشامل للمرأة وزوجها باحد معنييه (والمرء وعشيرته) أى عموم قرابته بواسطة المخالفة فى دينه وملته (فتفرقوا) أى راضين على هذا القول من ذلك المجلس (وجلسوا على السبل) أى سبل الوافدين وطرق الواردين (يحذرون الناس) أى عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ومتابعته (واقتفاء سننه وطريقته فانزل الله تعالى فى الوليد) أى ما يشير الى الوعيد الاكيد تهديدا شديدا (ذرنى ومن خلقت وحيدا) حال من الياء فى ذرنى أى اتركنى معه وحدى فانا أكفيكه أو من العائد المحذوف أى ومن خلقته وحيدا لا مال له ولا ولد بل فريدا أو تهكم به صرفا له عن كونه لقب مدح له بانه وحيد قومه فى الدنيا تقدما ورياسة ويشار الى ذمه وعيبه بما يقتضى ان يكون وحيدا فى شره (الآيات) أى من قوله تعالى وجعلت له مالا ممدودا وبنين شهودا الى قوله سبحانه وتعالى فقال ان هذا الا سحر يؤثر ان هذا الا قول البشر (وقال عتبة بن ربيعة) أى ابن عبد شمس ابن عبد مناف قتل فى بدر كافرا وقد قيل قتله حمزة حين كر هو وعلى عليه (حين سمع القرآن ياقوم قد علمتم انى لم أترك شيأ الا وقد علمته وقرأته وقلته

(انه ساحر) بفتح الهمزة وكسرها كما فى كل ما وقع بعد افعل تفضيل مضاف للقول على ان المصدر خبر ان والجملة المحكية لا تحتاج لرابط لانها عين المبتدأ هنا وهذا رجل عاقل ختم الله تعالى على قلبه وسمعه ونسجت عناكب الضلالة على بصره ثم بين وجه أقربيته بحسب النظرة الحمقى بقوله (فانه سحر) أى كالسحر ووجه المشابهة انه (يفرق بين المرء وابنه) بالباء الموحدة والنون أو الياء المثناة التحتية ومعناهما ظاهر (والمرء وأخيه) وفى نسخة بين المرء وأبيه وأخيه (والمرء وزوجه) أى امرأته وفيه لغتان هذه وزوجته بتاء التأنيث (والمرء وعشيرته) أى أقاربه الادنون المعاشرين له وقد كان ذلك فان من ذاق حلاوة الاسلام ترك ما عداه لاجله صلى الله تعالى عليه وسلم كما كان مشاهدا فى الصحابة رضى الله تعالى عنهم ومنهم من ترك ملكه كنيرز بن النجاشى كما فى سيرة ابن هشام والتوفيق بين هذا وبين ما حكاه الزمخشرى عن الوليد هذا من انه قال لهم ما هو الا سحر اما رأيتموه يفرق بين المرء الى آخره وما حكاه عنه من قوله ان هذا الا سحر يؤثر كما تقدم انه أراد ما هنا من انه كالساحر فيما ذكر لكنه ساقه فى معرض الجزم ولم يروج عندهم أو انه قال مرة ثم راجع عقله فرجع عنه وهو الاوفق بما فى الآية ومناسبة ما ذكر لما هو بصدده فى غاية الظهور فالقول بان الانسب ان يذكر ما حكى عنه من انه قال لبنى مخزوم والله قد سمعت محمدا يقول كلاما ما هو وتقول ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان أعلاه لمثمر وان أسفله لمغدق وانه يعلو ولا يعلى كما تقدم ولا وجه له (فتفرقوا) من المجلس الذى جمعهم للمشاورة فيه (وجلسوا على السبل) بضمتين جمع سبيل وهو الطريق ليخبروا الوافدين بما قالوه حتى لا يتبعوه صلى الله تعالى عليه وسلم و(يحذرون الناس) منه حتى لا يصدقوه فيقولون لكل من رأوه محمد شانه كذا وكذا فاحذروه لا يفتنكم عن دينكم والجملة الاولى معطوفة أو حالية بتقدير قد وكذا الثانية من ضمير تفرقوا وهما حالان متداخلتان فقالوا ذلك لكل من قدم للحج ففشا أمره صلى الله تعالى عليه وسلم فى قبائل العرب وخشى أبو طالب من ذلك ومن تعييب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لآلهتهم وسبها ان يقع منهم ما يحرضهم على ضرره فقال فى قصيدته اللامية الطويلة المشهورة يمدحه صلى الله عليه وسلم ويذكر حسن حاله وما هو عليه صلى الله تعالى عليه وسلم فيها افخم اقوله

لعمرى لقد كلفت وجدا باحمد * واخوته دأب المحب المواصل

الى آخرها ولولا خوف الاطالة أوردتها لما فيها من مدحه صلى الله تعالى عليه وسلم وبيان حقيقته وتقييده بحميته (فانزل الله فى الوليد) وقصته المذكورة التى هى سبب النزول وهذا من اقامة الظاهر مقام الضمير للتسجيل عليه بذم الله تعالى له (ذرنى ومن خلقت وحيدا الآيات) أى دعنى معه فانا أكفيه من كيد أعدائه وان كان وحيدا منفردا عن أهله وعترته لتركهم له أو لا نظير له وتمام النظم وجعلت له مالا ممدودا وبنين شهودا ومهدت له تمهيدا ثم يطمع ان أزيد كلا انه كان لآياتنا عنيدا سأرهقه صعودا انه فكر وقدر فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر ثم نظر ثم عبس وبسر ثم أدبر واستكبر فقال ان هذا الا سحر يؤثر والكلام على هذه الآيات مفصل فى التفسير والمقام لا يسعه (وقال عتبة بن ربيعة) ابن عبد شمس بن عبد مناف والد هند أم معاوية رضى الله تعالى عنهما وهذا قتله عبيدة بن الحارث فى غزوة بدر كافرا (حين سمع القرآن ياقوم لقد علمتم انى لم أترك شيأ الا وقد علمته وقرأته وقلته) هذا عبارة عن انه عنده علم بالكتب المنزلة لقراءته بعضها وانه قرأ القصص السالفة وقال الشعر وله

والله لقد سمعت) أي من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (قولا ما سمعت مثله قط ما هو) أي ليس قوله (بالشعر ولا بالسحر
ولا بالكهانة وقال النضر
ابن الحارث نحوه وفي
حديث اسلام أبي ذر
أي الغفاري بكسر الغين
وقد رواه مسلم (ووصف)
أي والحال انه وقد وصف
أبو ذر (أخاه أنيسا) بضم
الهمزة وفتح النون
وسكون التحتية فسين
مهملة وكان أبو ذر أرسله
قبل اسلامه الى النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم
بمكة والقصة مشهورة
وهو صحابي معروف
(فقال) أي أبو ذر (والله
ما سمعت بأشعر) أي
بأكثر شعرا وأحسن
نظما (من أخي أنيس
لقد ناقض) أي عارض
(اثني عشر شاعرا) أي
معروفا (في الجاهلية
أنا أحدهم وانه) أي
أنيسا (انطلق الى مكة
وجاء الى أبي ذر) نقل
بالمعنى أو الالتفات في
المبنى وفي نسخة وجاءني
(بخبر النبي) أي باخبار
بعثته واظهار نبوته صلى
الله تعالى عليه وسلم
(قلت فما يقول الناس)
أي في وصفه ونعته (قال
يقولون شاعر كاهن
ساحر) أي هم مختلفون
بين قول شاعر وكاهن
وساحر أو هم قائلون بانه
لا يخلو عن واحد من هؤلاء الطوائف المذكورة أو مدعون بانه جامع بين
هذه الاوصاف الثلاثة المسطورة ثم قال أخو أبي ذر (لقد سمعت ما قال الكهنة) أي كثيرا (فما هو) أي قوله

أو

سعة علمه بالبلاغة وليس ظاهره مرادا اذ لا يمكن لمثله ما ادعاه (والله لقد سمعت قولا) يعني به القرآن العظيم الذي سمع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يتلوه (والله ما سمعت مثله قط) هو للاستغراق في الماضي (ما هو بالشعر) الباء زائدة أي ليس بشعر ولا يشبه كلامه (ولا بالسحر ولا بالكهانة) أي ليس يشبه كلام السحرة والكهنة المسجع المتكلف ولم يكن في قائله شيء من أعمال السحرة المعهودة والكهانة مصدر كهن يكهن بكسر الكاف وفتحها كالكتابة والقسامة كما قاله الشريشي في شرح المقامات (وقال النضر) بفتح النون المشددة وسكون الضاد المعجمة علم منقول من النضارة بمعنى الحسن (بن الحارث) بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف بن عبد الدار الذي قتله النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بالصفراء صبرا وقصته مذكورة في السير (نحوه) أي مثل ما قاله عتبة والوليد في اعترافه بالقرآن وانه لا يشبه كلام البشر (وفي حديث اسلام أبي ذر) الغفاري الصحابي رضي الله تعالى عنه وهو جندب ابن جنادة كما مر وغفارة قبيلة من العرب مشهورة وغفار قبيلة من كنانة وهو غفار بن مليك بن ضمرة ابن بكر بن عبد مناف بن كنانة بن خزيمة وحديثه رواه مسلم وغيره ووصفه البيهقي في دلائل النبوة واسنده الى عبد الله بن الصامت وهو حديث طويل وكان اسلامه بمكة رابع أربعة فلذا كان يقول كنت رابع الاسلام وقوله (ووصف أخاه أنيسا) بالتصغير ووصف ماض والجملة حالية بتقدير قد (فقال) تفسير لوصفه المذكور (والله ما سمعت بأشعر من أخي أنيس لقد ناقض) بقاف وضاد معجمة من المناقضة مفاعلة من النقض وهو هدم البناء وحل طاقات الحبل ثم صارت بمعنى كون الكلام له معنى لا يمكن اجتماعه مع نقيضه كزيد قائم وزيد ليس بقائم وهذا اصطلاح المنطقيين وعند العرب نقائض الشعر في الجاهلية انه اذا قال أحدهم شعرا ذكر فيه افتخارا بآبائه وشرفهم على قوم غيره أو ذكر فيه هجاء غيره ومثالبه ونقيض حسبه وآله فيعارضه غيره بشعر يذكر فيه ضد ما قاله فيسمى ذلك مناقضة ويقال للقصائد نقائض ومنه نقائض جرير والفرزدق لقصائد من الطرفين جمعت وشرحت وفي الاساس يقال في كلامه تناقض وهذا مناقضه ونقيضه وتناقض القولان والشاعران وناقض أحدهما الآخر يقول قصيدة فينقض صاحبه عليه وهذه القصيدة نقيضة قصيدة فلان وهما نقائض ومنه نقائض جرير والفرزدق انتهى وفسره في الشرح الجديد بما في النهاية من ان المناقضة مفاعلة من نقض البناء وهو هدمه أي ينقض قولهم وينقضون قوله واراد به المراجعة والمراودة انتهى وهو تفسير لا يفي بالمقصود لما عرفته (اثنا عشر شاعرا في الجاهلية) أي عارضهم في قصائدهم فاتى بمثلها وهذا يدل على فصاحته ومعرفته بالشعر وقدرته على انشائه وزمان الجاهلية كان فيه الشعراء الفحول كثيرا وذكر هذا تمهيد لما سيأتي من انكاره عليهم في قولهم ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم شاعر (أنا أحدهم) ذكره اعترافا بقوة شاعريته (وانه) أي أخاه أنيسا (انطلق الى مكة) أي ذهب اليها بعدما كان في غنم لهما ترعى فقال لأخيه ان لي صاحبا بمكة فاكفني أمر الغنم حتى آتيك فانطلق حتى أتى مكة فابطأ على أبي ذر ثم أتاه فقال ما حبسك قال رأيت رجلا يزعم انه على دينك الى آخر القصة التي ذكرها البيهقي وأشار الى بعض منها المصنف بقوله (وجاء بخبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الى أخيه (أبي ذر) وكان أسلم بمكة قبل أخيه وأسلم أخوه بعده فهما صحابيان (قلت) له بعدما أخبرني (فما يقول الناس) فيه صلى الله تعالى عليه وسلم (قال) يقولون (شاعر كاهن ساحر) أي بعضهم يقول هذا وبعضهم يقول هذا ثم أشار الى بطلان ما قالوه بقوله (لقد سمعت قول الكهنة) جمع كاهن مثل كاتب وكتبة (فما هو) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم

أوكلامه ملتبس (بقولهم ولقد وضعته) بالضاد المعجمة المفتوحة والعين المهملة الساكنة أى وضعت قوله صلى الله تعالى عليه وسلم (على اقراء الشعر) يعنى انه قابله وقاسه بالشعر ونزله عليه لينظر هل فيه مايشبهه وهو مجاز من قولهم وضع النعل على النعل أى طابقه به لينظر هل هو مساوله والاقراء بفتح الهمزة والمد جمع قلة أريد به الكثرة هنا قال فى القاموس من اقرأ الشعر انواعه وانحاؤه أى امثاله فهو جمع قرء بالضم وقيل انه جمع قرء بالفتح وهو طرفه وانواعه وبحوره وقال الزمخشرى انه قوافيه التى يختم بها كاقراء الطهر التى ينقطع عندها الدم واحدها اقرء بفتح او كسر اوضم فهو مقاطع آياته وحدودها (فلم يلتئم) بالهمز من الملائمة أى لم أره مناسبا ولا موافقا لفظا ولا معنى وأين الثريا من الثرى ولذا قال الفقهاء رحمهم الله تعالى لاتكتب فيه البسملة واجازها بعضهم مع الكراهة قال وهذا فى مدح النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ونحوه من التوحيد ومنظومات العلوم اما الهجاء فينبغى ان لا يختلف فى عدم كتابتها فيه كما قاله التلمسانى (ومايلتئم) أى يتيسر ويتفق (على لسان أحد بعدى انه شعر) بفتح همزة انه أى لا يتم لاحد غيرى ان يقول انه شعر لانه ليس أحد باعلم بالشعر وأقدر عليه منى فلو أمكن لاحد ان ينزله على الشعر ويعارضه به كنت فعلت فحيث لم يتيسر لى لايتيسر لغيرى والمراد ابطال كونه سحرا وكهانة فلذا عقبه بقوله (وانه) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (لصادق) فى قوله انه كلام معجز من عند الله (وانهم) أى الكفرة (لكاذبون) فى جميع ماقالوه ونسبوه له من الاباطيل وتتمة الخبر انه قال لانيس هل أنت كاف حتى انطلق فانظر قال نعم وكن على حذر من أهل مكة فانطلقت حتى أتيت مكة فقلت لرجل أين هذا الذى تدعونه الصابى فاشار اليه فقال على أهل الوادى يرجمونى حتى خرجت مغشيا على ثم أتيت زمزم فشربت منها وغسلت الدم ودخلت تحت أستار الكعبة ولبثت نحو ثلاثين ليلة ومالى طعام الا ماء زمزم فشبعت وماوجدت جوعا فبينما أنا فى ليلة وامرأتان تطوفان وتدعوان اسافا ونائلة فلما رأيانى ولتا وانطلقتا فاستقبلهما أبو بكر ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هابطين من الجبل فقالا مالكما فقالتا صابى بين الكعبة واستارها فجاء رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأبو بكر فاستلما الحجر وطافا ثم صليا فاتيته وحييته بتحية الاسلام وكنت أول من حياه بها فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته فمن أنت قلت من غفار فرفع رأسه ثم قال متى كنت ههنا قلت منذ ثلاثين ليلة ويوما قال ما كان طعامك قلت ما كان لى طعام الا ماء زمزم فسمنت حتى تكسرت عكن بطنى فقال انها مباركة انها طعام طعم وشفاء سقم فقال أبو بكر يارسول الله ائذن لى فى طعامك الليلة فانطلقت معهما حتى فتح أبو بكر بابه وجعل يفيض لى من زبيب الطائف فكان ذلك أول طعام أكلت بمكة ثم أتيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال انى وجهت لارض ذات نخل ما أحسبها الا يثرب فهل أنت تبلغ عنى قومك لعل الله ينفعهم بك ويؤاجرك فانطلقت حتى أتيت أخى أنيسا فقال لى ماصنعت قلت أسلمت فقال مابى رغبة عن دينك فانى أسلمت وصدقت ثم أتيت أمى فقالت مثله ثم احتملت وأتيت قومى فاسلم نصفهم قبل ان يقدم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم المدينة وكان يؤمنا خفاف وهو سيدهم ومنا فلما قدم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم المدينة أسلم بقية قومى وجاءت أسلم فقالوا يارسول الله نسلم على الذى أسلم عليه اخواننا فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم غفار غفر الله لها وأسلم سالمها الله وهذا خبر اسلامه باختصار (والاخبار فى هذا) الذى ذكر من اعتراف البلغاء باعجازه وانقياد من هداه الله تعالى منهم للايمان به (صحيحة كثيرة) مع اختلاف أنواعها ورواياتها (والاعجاز) لجميع الخلق بتعجيزهم عن الاتيان بمثله (بكل واحد من النوعين) اللذين ذكرهما والنوع الاول منهما (الايجاز والبلاغة بذاتها) اشارة الى قوله فى أول هذا الفصل أولها

(بقولهم) أى لعدم المناسبة (ولقد وضعته) أى كلامه (على اقراء الشعر) بفتح الهمزة وسكون القاف قراء ممدودة أى طرقه وانواعه وأى أنواع بحوره (فلم يلتئم) أى لم يلائم على شئ من أوزانه (ومايلتئم) أى ومايتفق (على لسان احد بعدى) أى غيرى أيضا (انه شعر) اذ الشعراء اتفقوا على ذلك لما استوزنوا كلامه على اقراء شعرهم هنالك (وانه) أى النبى عليه الصلاة والسلام (لصادق) أى فى دعوى الرسالة فى قوله نقلا عن ربه وما علمناه الشعر وماينبغى له (وانهم لكاذبون) فى كونه شاعرا أو كاهنا أو ساحرا (والاخبار فى هذا) أى المعنى المذكور والمدعى المسطور (صحيحة) أى اسنادا (كثيرة) متنا صريحة دلالة (والاعجاز) أى عن الاتيان بمثل هذا القرآن (بكل واحد من النوعين) أى اللذين أحدهما (الايجاز والبلاغة بذاتها) أى بانفرادها فهما مرفوعان كما فى بعض النسخ على انهما خبران لمبتدأ مقدر وفى بعضها بكسرهما على كونهما بدلين من النوعين وفى نسخة والايجاز والبلاغة بذاتهما على انهما عطف بيان لما قبلهما والحاصل ان الايجاز والبلاغة كلاهما نوع كما سبق ذكره حيث عبر عنهما بصورة نظمه العجيب والنوع الآخر وهو والذى بينه بقوله

(أو الاسلوب الغريب بذاته) أي مع قطع النظر عن بقية صفاته وفي نسخة ان بدل أو ووجهه لا يظهر فتأمل وتدبر ثم صرح بمقصوده في ضمن وروده تحت قوله (كل واحد منهما) أي من النوعين وهو النظم العجيب والاسلوب الغريب (نوع اعجاز على التحقيق) أي عند أرباب التوفيق وأصحاب التوفيق

وفي نسخة نوع ايجاز والظاهر انه تصحيف اذ في المعنى تحريف (لم تقدر

حسن تأليفه والتئام كلمه وفصاحته ووجوه ايجازه وبلاغته الخارقة عادة العرب وحاصله ان اعجازه من نفس جوهر كلامه بكونه في أعلى طبقات البلاغة والفصاحة بحيث يسلم عن ضعف التأليف وتنافر الحروف والكلمات وايجازه ورعاية معان ووجوه يقتضيها المقام وتضمن نكات يعجز عنها طاقة البشر منها والنوع الثاني ما أشار اليه بقوله (أو الاسلوب الغريب بذاته) يعني كونه على نمط لا يشبه نمط كلامهم المنظوم ولا المنثور فانه ليس بشعر ولا سجع ولا خطب وان وقع فيه من غير تكلف سجع أحيانا ونظم حتى ذهب الخطيب في تكملة العمدة ان النظم الواقع فيه مقصود كالابيات واشعارها التي تقع في اثناء الانشاء نادرا ولا يسمى بها الكلام شعرا الا انه لم يقصد بالذات وهو قول غريب وقوله بالذات بمعنى فقط وتغاير النوعين ظاهر وان لم يفرق بينهما بعض الشراح وقال ان في النوعين تداخلا اذ لا يتصور كونه اسلوبا غريبا دون البلاغة الى آخر ما ذكره مما لا طائل تحته (اذ كل واحد منها) بضمير الواحدة المؤنثة الراجع للبلاغة وفي نسخة منهما مثنى والضمير للنوعين وقيل الاولى أولى وكل مبتدأ خبره (نوع اعجاز على التحقيق) غير محتاج الى الآخر ثم بين اعجازه بقوله (لم يقدر العرب على الاتيان بواحد منها) وفي نسخة منهما كما تقدم (خارج عن قدرتها) لانه (مباين) أي مخالف (لفصاحتها وكلامها) لما فيه من وجوه البلاغة التي لا تحيط بها قدرهم ولم تألف طباعهم مع انسجامه وعذوبة ألفاظه (والى هذا) القول الدال على ان كل واحد منهما نوع مستقل من الاعجاز كاف في اثباته (ذهب غير واحد) أي جماعة كثيرة (من أئمة المحققين) العارفين بالبلاغة ووجوه الاعجاز يعني ان منهم من قال بلاغته باسلوبه الغريب ونظمه العجيب الذي لا يشبه كلام البشر ولا يطيقه القوى والقدر مع انه بلغتهم وكلماته كلماتهم التي يعرفونها كما قيل في معنى الحروف في أوائل السور نحو الم والمر يعني انه كلام مركب من هذه الحروف التي تركب منها كلامهم فلم يأتوا بمثله (وذهب بعض المقتدى بهم) اسم مفعول بوزن المصطفى (الى ان الاعجاز في مجموع البلاغة والاسلوب) لا بكل واحد منهما وحده (وأتى على ذلك) القول الذي اختاره وضمن أتى معنى استدل فعداه بعلى (بقول تمجه) بضم الميم وجوز بعضهم فتحها أي ترميه ولا تعتد به (الاسماع) بفتح الهمزة جمع سمع بمعنى الاستماع وبمعنى جارحة السمع يقال مج الماء من فيه اذا طرحه ففيه استعارة مكنية وتخييلية لتشبيه الاذن بالفم والكلام بالماء في الرقة والعذوبة وتبريد الحرارة كما قال بعض أهل العصر

يكاد من عذوبة الالفاظ * تشربه مسامع الحفاظ

وقال الغزي

وتغير المعتاد يحسن بعضه * للورد خد بالانوف يقبل

(وتنفر عنه القلوب) من النفار وهو الذهاب بسرعة فكأن القلوب تهرب منه لعدم قبولها له وهو عبارة عن كونه قولا ضعيفا مردودا ولذا قال في الاول انه قول الائمة المحققين وأشار بالمقتدى بهم الى ان هذا القول له وجه أيضا ليس كالقول بالصرفة (والصحيح ما قدمناه) من ان كل واحد منهما وجه في الاعجاز كاف فيه (والعلم بهذا كله) أي العلم بايجازه وبلاغته وأساليبه العجيبة على القولين (ضرورة وقطعا) بنصبهما أي من سمعه قطع بما عنده من العلم الضروري

العرب على الاتيان بواحد منهما) أي لا بالنظم العجيب ولا بالاسلوب الغريب (اذ كل واحد) أي من النوعين (خارج عن قدرتها) أي عن قدرة العرب العرباء (مباين لفصاحتها وكلامها) أي مغاير لفصاحتهم وبلاغتهم من الشعراء والخطباء (والى هذا) أي القول بان كل واحد منهما نوع اعجاز بذاته (ذهب غير واحد) أي كثيرون (من أئمة المحققين) بسلامة فطنتهم وصحة فطرتهم (وذهب بعض المقتدى بهم) بفتح الدال أي بعض من يقتدي الناس بهم ويميلون في الجملة الى تقليدهم وقبول قولهم (الى ان الاعجاز في مجموع البلاغة) أي المتضمنة للفصاحة (والاسلوب) أي من جهة الغرابة والحاصل ان تحقق الاعجاز بهما مجتمعا لا بكل واحد منهما منفردا (وأتى على ذلك) أي واستدل على ما ذهب اليه أي من ان الاعجاز في مجموعهما (بقول تمجه الاسماع) بضم الميم وتشديد الجيم أي تدفعه الطباع السليمة وتقذفه الفهوم المستقيمة (وتنفر منه القلوب) أي من أول الوهلة ومبدأ المقدمة (والصحيح ما قدمناه) أي من كون الاعجاز لكل واحد منهما بذاته منفردا (والعلم بهذا كله ضرورة قطعا) عند أصحاب الذوق من ان وجه الاعجاز أمر من جنس البلاغة يدرك كالملاحة ولا يوصف ولا طريق اليه من جهة الصنيع الا معرفة علوم المعاني والبيان والبديع مع معونة فيض الهي يورث العلم بكون ذلك ضرورة قطعا

(ومن تفنن) وفي نسخة ومن تكلم (في علوم البلاغة) وفي نسخة في فنون البلاغة أي من علم فنون البلاغة وصنوف الفصاحة (وأرهف خاطره) بالنصب أي رقق وحدد ذهنه بتوجه جنانه (ولسانه) أي بتحصيل بيانه (أدب هذه الصناعة) فاعل أرهف والمعنى ان من أكثر ممارستها وأطال خدمتها حتى صارت له بديهة معرفتها (لم يخف عليه ما قلناه) ٥٠٣ أي ما قدمناه كما في أصل الدلجي من ان كلا منهما نوع اعجاز بذاته منفرد اعند أهل التحقيق بصفاته (وقد اختلف أئمة أهل السنة) وفي نسخة أئمة المسلمين (في وجه عجزهم عنه) أي عن الاتيان بمثله (فأكثرهم يقول) أي قالوا مستمرين على قولهم (انه) أي وجه عجزهم (مما جمع) بصيغة المجهول وفي نسخة بصيغة الفاعل أي جمع الله (في قوة جزالته) أي لطائف معانيه (ونصاعة ألفاظه) أي شرائف مبانيه بخلوصها من شوائب الركاكة وتنافر الكلمات والغرابة (وحسن نظمه وايجازه) أي واستحسان نظم المعاني الكثيرة في ضمن المباني اليسيرة من غير خلل في مبناه ولا قصور في معناه (وبديع تأليفه وأسلوبه) أي على صنيع منيع ليس على أسلوب نظم الشعراء ولا نثر الخطباء (لا يصح أن يكون في مقدور البشر) لاشتماله على لطائف وشرائف في باب البلاغة والفصاحة الى ان خرج عن طاقة الخلق فتعين انه من كلام الحق (وانه من باب الخوارق الممتنعة عن اقدار الخلق) بفتح الهمزة أي مقدوراتهم (عليها كاحياء الموتى وقلب العصا وتسبيح الحصى) أي مما لا يقدر عليه غيره تعالى (وذهب الشيخ أبو الحسن) أي علي بن اسمعيل بن اسحق بن سالم بن عبد الله ابن أمير العراقيين بلال ابن أبي بردة بن أبي موسى الاشعري امام أهل السنة

في انه في أعلى طبقات الكلام أو هو مما يدرك بالذوق ولا يدرك بالوصف كالملاحة والطريق له تتبع كلام البلغاء وخدمة علم البلاغة الذي يورثه علما ضروريا ولذا قال (ومن تفنن في علوم البلاغة) أي عرف فنونها ومارسها حتى حصل له ملكة يعرف بها خواص التراكيب ووجوه ايرادها في طرقها المختلفة في الوضوح وأنواع محاسنها البديعة وهو من علمي المعاني والبيان وتوابعهما (وأرهف) أي سن وحدد ودقق من قولهم أرهف السيف فهو مرهف اذا سنه ودق حده (خاطره ولسانه) أي فكره ونطقه بحيث يسهل عليه تصوره والتعبير عنه وأصل الخاطر المعنى الذي يخطر على القلب الذي هو محل العقل والفهم ويراد به نفس الفهم والعقل فارهافه ممارسته حتى يتمكن من علمه واللسان الجارحة ويراد به نفس الكلام فشبه ذلك بالسيف المسنون في سرعة نفوذه ودقته وأرهف فعل ماض فاعله (أدب هذه الصناعة) أي صناعة البلاغة وعلم المعاني والبيان وأدب بوزن طلب يكون بمعنى الظرف والحسن والعلم يقال أدبه فأحسن تأديبه أي علمه وأصله من المأدبة وهي الطعام الذي يدعى له كما قيل الادب مأدبة ما لاحد فيها مأدبة ويصح ارادة كل واحد هنا وأقربها الاخير وأما اطلاق الادب على علمي النظم والنثر فمولد وان قرب من معناه الاصلي وأصل الصناعة معرفة ما يزاول بالجوارح كالخياطة ثم شاع في معنى العلم (لم يخف عليه ما قلنا) أي جميع ما تقدم وان كلا منهما نوع مستقل (وقد اختلف أئمة أهل السنة في وجه عجزهم عنه) أي في سببه ومنشأه الذي يوجبه عجز الفصحاء عن معارضته (فأكثرهم يقول) أي قال وعبر به لحكاية الحال الماضية حتى كأنها حاضرة (انه) وجه اعجازه ناشئ (مما جمع في قوة جزالته) الجزالة الغلظة والصلابة والقوة يقال حطب جزل ثم يطلق على الكثرة فيقال عطاء جزيل فاستعير هنا لاحكام نظمه وعدم ركاكته وأضاف اليه القوة اشارة الى انه في أعلى مراتب الاحكام حتى لا يتطرق اليه خلل أصلا ولا يختلف نظمه ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ولا حاجة لتفسيره بالقوة ويقال للقوة قوة ويصح اضافتها اليها (ونصاعة ألفاظه) بفتح النون والصاد والعين المهملتين أي وضوحها وخلوصها ومنه أبيض ناصع وقيل الجزالة القطع ومنه القضاء الجزل أي القاطع للشك ونصاعته بياضه وهو تكلف لا داعي اليه وكونه اشارة الى المحسنات البديعة لا وجه له (وحسن نظمه وايجازه) لسلاسته وانسجامه (وبديع تأليفه) وتراكيب كلماته المؤتلفة المتواخية (وأسلوبه) طريق بلاغته أي لا يسلكها كلام غيره وقوله مما جمع مقدم من تأخير متعلق بقوله (لا يصح أن يكون في مقدور البشر) مقدور اسم مفعول أو مصدر على وزن مفعول بمعنى القدرة أي لا يمكنهم القدرة على مثله لما جمعه مما لا تطيقه قدرتهم (وانه من باب الخوارق) أي من جنسها ونوعها يقال هذا من باب هذا أو بابته أي من جنسه (الممتنعة عن اقدار الخلق عليها) أي التي لا يقدرون عليها كأنها امتنعت منهم وأبت مطاوعتهم وهو من بليغ الكلام (كاحياء الموتى) بفتح الميم جمع ميت وهذا مما وقع لعيسى عليه الصلاة والسلام وابراهيم الخليل صلى الله تعالى عليه وسلم (وقلب العصا) حية كما وقع لموسى عليه الصلاة والسلام وسيفا حديدا كما وقع لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وأطلقه المصنف رحمه الله تعالى ليشملهما فيكون فيه ذكر لمعجزة نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وهو المناسب لقوله (وتسبيح الحصا) في كفه صلى الله تعالى عليه وسلم كما ثبت في معجزاته ثم ذكر مذهبا آخر فقال (وذهب الشيخ أبو الحسن) الاشعري امام أهل السنة وقد تقدم بعض من

(الى انه) أي القرآن (مما يمكن أن يدخل مثله تحت مقدور البشر) أي في الجملة ممن هو ماهر في وجوه البلاغة وباهر في فنون الفصاحة (ويقدرهم الله عليه) بضم الياء وكسر الدال أي وان يعطيهم القدرة والقوة على اتيان مثله لانه من جنس نتائج افكارهم وكرائم أسرارهم (ولكنه) الضمير للشان (لم يكن هذا ولا يكون) أي هذا وفي نسخة زيد هذا هو والشان أي الشان عدم قدرتهم عليه (فنعهم الله هذا وعجزهم عنه) بتشديد الجيم أي وجعلهم عاجزين عن أمر المعارضة في ميدان المقاومة (وقال به

جماعة من أصحابه) أي من علماء الامة لكن هذا هو القول بالصرفة فقدم انه مرجوح عند أكابر الائمة (وعلى الطريقين) أي من ان كونه معجزا بذاته عن مقاومته أو بتعجيزه سبحانه وتعالى اياهم عن معارضته (فعجز العرب عنه ثابت) أي بلا شبهة (واقامة الحجة عليهم) أي واقع (بما يصح أن يكون في مقدورهم) وفي نسخة مقدور البشر أي على ماذهب اليه الاشعري وبعض أتباعه (وتحديه) أي وطلب معارضته صلى الله تعالى عليه وسلم لهم (بان يأتوا بمثله قاطع) أي بلا ريبة (وهو) أي تحديهم ان يأتوا بمثله مع كونه مما يصح أن يكون في مقدورهم (أبلغ في التعجيز وأحرى) أي أليق وأولى (بالتقريع) أي بالتوبيخ (والاحتجاج) مبتدأ أي والاستدلال على عجزهم (بمجيء بشر مثلهم) وفي نسخة منهم أي من جلتهم (بشيء ليس من قدرة البشر لازم) أي على القول بانه معجز بنظمه العجيب وأسلوبه الغريب (وهو) أي كونه ليس من قدرة البشر (أبهر آية) أي أظهر علامة (وأقمع) أي أقهر (دلالة) أي في ثبوت الحجة (وعلى كل حال) أي على تقدير من قولي الاعجاز بالصرفة أو البلاغة (فأتوا) بفتح الهمزة أي فجاؤا (في ذلك) أي في معارضته (بمقال) أي في مقام جدال (بل صبروا على الجلاء) بفتح الجيم أي الخروج من أوطانهم (والقتل) أي وعلى قتل أنفسهم واخوانهم (وتجرعوا كاسات الصغار) بفتح الصاد الحقارة (والذل) أي المسكنة والمهانة غصصها

ترجمته (الى انه) أي القرآن المعجز (مما يمكن ان يدخل مثله تحت مقدور البشر) أي انه فرد من أفراد الكلام البليغ داخل فيه مندرج في جنسه ومثله قولهم الحيوان جنس تحته الانسان والفرس وهو تجوز معروف (ويقدرهم الله عليه) عطف تفسير لما قبله على مذهبه من خلق الافعال (ولكنه لم يكن هذا) فيما مضى (ولا يكون) في الحال والمستقبل (فنعهم الله عن هذا) أي عن معارضته والاتيان بمثله وهذا هو القول بالصرفة وفيه اختلاف أيضا فقيل معناه ان فيهم قدرة على التكلم بمثله وعندهم علم بوجوه البلاغة وأساليبها حالة التحدي لكن الله صرف دواعيهم عن ذلك مع توفر أسبابها من التقريع والتبكيت وتكرير الطلب وهو قول النظام والاستاذ من أهل السنة وقيل بل سلبهم الله عند التحدي القدرة والعلم بعلوم البلاغة فاذا أرادوا ذلك لم يقدروا عليه وتسمية التحدي صرفة بحسب ظاهر حالهم وما علم من اقتدارهم وهذا مذهب المرتضى علم الهدى من الشيعة ونقل عن الاشعري الا انه لم يشتهر عنه وكلام المصنف محتمل للوجهين فان قلنا هذا اشارة الى الاتيان بمثله فهو المذهب الاول وان قلنا الاقتدار فهو الثاني وحمله بعضهم على الثاني وقال يحتمل أن يكون المراد بأبي الحسن رجل آخر غير الاشعري ولا حاجة لمثله من التكلف (وعلى الطريقين) بل الطرق من اعجازه ببلاغته وأسلوبه والصرفة (فعجز العرب عنه ثابت) محقق مع كمال بلاغتهم وفرط تهالكهم ونفخ عنادهم لاطفاء نوره وما زاده الا اشتعالا واضاءة (واقامة الحجة عليهم) بتكليفهم بأقل قليل منه (بما يصح) أي يمكن ويتيسر فانه ورد بهذا المعنى في اللغة (أن يكون في مقدورهم) على مذهب الاشعري (وتحديهم) مصدر مضاف لمفعوله أي طلب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من العرب الفصحاء (ان يأتوا بمثله) أي مثل القرآن في البلاغة وعجز العرب مبتدأ خبره ثابت واقامة مبتدأ خبره (قاطع) بعجزهم مما لاريب فيه (وهو) أي ما ذكر أو التحدي بما هو مقدورهم (أبلغ في التعجيز) بغيره مما لا يقدرون كاحياء الموتى (وأحرى) أفعل تفضيل بحاء وراء مهملتين بمعنى أحق وأولى (بالتقريع) وهو التوبيخ والتعيير من القرع بالعصا وهو الضرب (والاحتجاج بمجيء بشر مثلهم) من جنسهم وأهل لغتهم (بشيء ليس من قدرة البشر لازم) على القول الاول من اعجازه بمادته وصورته (وهو) أي المذكور من عدم قدرتهم (أبهر آية) أي أظهرها وأغلبها السائر الآيات الباهرة لارتفاع شأنه وعلوه في مرتبة لا يدنو منها كلام بليغ كام تفصيله (وأقمع دلالة) بالنصب على التمييز والجر على الاضافة والدلالة بكسر الدال مصدر أو بمعنى الدليل وأقمع من قمعه اذا قهره وردعه وأذله بعجزهم عن معارضته (وعلى كل حال) من الاحوال السابقة أي سواء قلنا بانه معجز ببلاغته أو بالصرف عن معارضته فقد عجزوا (فما أتوا في ذلك بمقال) أي لم تسمع منهم كلام عارضوه به ولو صدر منهم ذلك شاع وذاع (بل صبروا على الجلاء) بفتح الجيم والمد وهو ترك الوطن والمال (والقتل) لفرط عنادهم وعدم انقيادهم (وتجرعوا) أي شربوا جرعة بعد جرعة (كاسات) جمع كأس وهو ما يشرب به الخمر ونفس الخمر (الصغار والذل) بفتح الصاد المهملة وهو المذلة فالعطف تفسيري وفيه استعارة تصريحية أو مكنية أي صبروا على التحقير والاهانة وتجرعوا

(وكانوا) أي والحال انهم كانوا (من شموخ الانف) بضم الشين المعجمة أي من شماخته ورفعته كبرا وعتوا وهو بفتح الهمزة وسكون النون عضو معروف وجمعه أنوف وفي نسخة بضمتين على انه جمع أنف وضبطه الحلبي بهمزة ممدودة يعني وضم نون على انه جمع آخر (واباءة الضيم) بكسر همزة فوحدة فالف بعدها همزة أو ياء فتاء وفي نسخة بغير تاء وفي أخرى الضير براء بدل الميم وكلاهما بفتح الضاد أي وكانوا من منوع الضر وتحاميه وتباعدا منه (بحيث لا يؤثرون ذلك) أي لا يختارون ماذكر من الجلاء والقتل والصغار والذل (اختيارا) أي طوعا ولا يرضونه (الا اضطرارا) أي كرها (والا) أي وان لم يكن الامر من عجزهم وصبرهم على ذلهم (فالمعارضة) أي للقرآن وسائر المعجزات (لوكانت من قدرهم) بضم ٥٠٥ وفتح أي مقدوراتهم (والشغل بها

غصصها (وكانوا من شموخ الآنف) بفتح الهمزة والمد وضم النون جمع أنف كذا ضبطوه ويجوز فتح الهمزة وسكون النون بالافراد والشموخ بضم الشين المعجمة مصدر شمخ اذا ارتفع وهو كناية عن غاية التكبر والجملة حالية بتقدير قد (واباءة الضيم) بكسر الهمزة والموحدة والمد مصدر أبى اذا امتنع مما يكرهه والضيم الذل والتحقير (بحيث لا يؤثرون) بالمثلثة أي لا يرضون (ذلك) أي الذل والضيم (اختيارا) أي باختيارهم وعدم جبرهم وقهرهم (ولا يرضونه الا اضطرارا) أي قسرا والجاء وهو عطف تفسير لما قبله ونصبهما على التمييز أو المفعول المطلق (والا) مركب من ان الشرطية ولا النافية أي وان لم يكن الامر كماذكر (فالمعارضة) للقرآن بالاتيان بما يماثله (لوكانت من قدرهم) بضم القاف وفتح الدال المهملة جمع قدرة أي لوكان المعارضة مقدورة لهم (والشغل بها أهون عليهم) جملة حالية أي اشتغالهم بمعارضته أسهل عليهم من الصبر على ماذكر (وأسرع بالنجح) بضم النون وسكون الجيم وحاء مهملة وهو الظفر والفوز بمطلوبهم وهو ابطال الحجة عليهم (وقطع العذر) أي قطع ما اعتذروا به عن عدم المعارضة من الاعذار الفاسدة (وافحام الخصم) أي اسكاته عما قرعهم به (لديهم) أي عندهم وهو متعلق بجميع ماقبله من أهون وأسرع وقطع وافحام (وهم من هم قدرة) تمييز والجملة حالية وليس قدرة حال بمعنى مقتدرين كما قيل لتكلفه وهم مبتدأ أول ومن استفهامية وهم الثاني خبره أو بالعكس على المذهبين والجملة خبرهم أي وهم أي شيء هم أي أمر عظيم لا يقدر قدره ولا يعلم كنهه وهو أبلغ المدح كقولهم زيد وما زيد كقوله تعالى الحاقة ما الحاقة وهو مشهور كما في كلام العرب والعجم وقد يقال هم هم بدون من أي هم القوم المعروفون بالبلاغة وشهامة النفس واباءة الضيم الذين لا يعادلهم فيه أحد فناهيك بما أوقعهم في حضيض الذل ومزقهم الصبا والدبور وأيدي سبا (على الكلام) متعلق بقدرة (وقدوة) أي مقتدى بهم وهو منصوب رواية ودراية معطوف على قدرة (في المعرفة به) أي بمعرفة الكلام وصياغته لسلامة فطرتهم وصفاء قرائحهم (لجميع الانام) متعلق بقدوة وأتى به للقافية أي هم في كل ذلك أئمة مقتدى بهم لا تبع لغيرهم فكيف عجزوا ورضوا بما رضوا ثم انه لما ذكر شمم أنفهم وتكبرهم ربما توهم متوهم ان تركهم للمعارضة لعدم تنزلهم وعدم مبالاتهم فدفعه بقوله (وما منهم) أحد (الا من جهد) ماض بزنة ضرب فالاستثناء مفرغ من عام مقدر (جهده) بفتح الجيم وضمها الطاقة والمشقة وقيل الجهد بالفتح المشقة وبالضم الوسع وقيل الجهد بالضم ما يجهد الانسان فيه أي يجتهد فيه ويتعب نفسه كقوله تعالى لا يجدون الا جهدهم فالمعنى انهم بذلوا ماعندهم في الطلب فلم يقدروا على شيء منه (واستنفد ماعنده) بالدال المهملة أي استفرغ ما في طاقته وقوته (في اخفاء ظهوره)

أهون عليهم) والظاهر ان يقال فالشغل بالفاء أولكان الشغل ولعل الجملة حالية وهو بضم فسكون وبضمتين وبفتح وبفتحتين أي الاشتغال بالمعارضة أسهل اليهم (وأسرع بالنجح) بضم نون فسكون جيم أي بالظفر على المراد (وقطع العذر) أي المعذرة عند العباد في البلاد (وافحام الخصم) أي الزامه (لديهم) أي عندهم (وهم) أي والحال انهم (ممن لهم اقتدار) وفي نسخة قدرة (على الكلام) وفي نسخة وهم من هم بفتح الميم قدرة بفتح القاف والدال جمع قادر وفي أخرى وهم ممن هم قدرة بفتحتين وقدرة في الجميع مرفوعة وفي أصل الدلجي وهم منهم قدرة بالنصب فقال تمييز للضمير المنفصل قبله والجملة حالية من ضمير لديهم (وقدوة) عطف على قدرة وهو بضم القاف وكسرها وحكي فتحها أي اقتداء وأسوة (في المعرفة به) أي بالكلام (لجميع الانام) متعلق بالقدرة (ومامنهم) أي من أحد (الامن جهد جهده) بضم الجيم وفتحه أي بذل جهده وبالغ اجتهاده (واستنفد) بالفاء والدال المهملة أي استفرغ (ماعنده) أي من قوة طاقته (في اخفاء ظهوره) أي ظهور نور القرآن أو علو نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم من جهة رفعة الشأن

واطفاءنوره) و يأبى الله الا أن يتم نوره و يعلو ظهوره وهو مقتبس من قوله تعالى يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم و يأبى الله الا يتم نوره (فاجلوا في ذلك) أى فأظهروا في مقام المعارضة مما اجتهدوا فيه غاية المجاهدة (خبيئة) بفتح الخاء المعجمة وكسر الموحدة فتحتية ساكنة فهمزة مفتوحة أو مبدلة مدغمة أى مخبوءة ومخفية (من بنات شفاههم) بفتح الموحدة قبل النون أى من كلمات صدرت من أفواههم والشفاه بكسر الشين المعجمة جمع الشفة بفتحها وتكسر وشفتا الانسان طبقافه (ولا أتوا بنطفة) أى ولا جاؤا بقطرة يسيرة (من معين مياههم) أى من ظواهر أنهار بلاغتهم وأسرار فصاحتهم بل صاروا بكما في معارضتهم (مع طول الامد) أى الزمان (وكثرة العدد) أى الاعوان (وتظاهر الوالد وما ولد) الاولى ان يقال والولد أى ومعاونتهم ومعاضدتهم في مقام الرد واما في نسخة من الامل باللام بدل الامد بالدال فتصحيف وتحريف (بل أبلسوا) بصيغة الفاعل أى آيسوا من المعارضة ويئسوا من المقاومة (فانبسوا) بفتح النون والموحدة المخففة وقيل المشددة وبضم السين المهملة أى فما نطقوا (ومنعوا) بصيغة المفعول عليه أى فما أعطوا القدرة على المقاومة (فانقطعوا) أى عن المعارضة (فهذان النوعان) وفي نسخة صحيحة نوعان (من اعجازه) أى اجتماعا أو انفرادا

أى القرآن أو النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (واطفاء نوره) و يأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره المشركون (فاجلوا) أى أظهروا من جلاء العروس على المنصة بزينتها الذكر البنات بعده (في ذلك) أى ما اجتهدوا فيه وحاولوه (خبيئة) بفتح الخاء المعجمة وكسر الباء الموحدة وسكون المثناة التحتية والهمزة والهاء فعيلة بمعنى مفعولة أى مخبأة في ضمائرهم ومستورة خلف أستار سرائرهم (من بنات شفاههم) اى كلمة يتلفظون بها شبهت بالبنت والشفة بالام لظهورها منها وهي استعارة مشهورة مكنية أو مصرحة (ولا أتوا بنطفة) بضم النون وسكون الطاء المهملة والفاء وهي الماء الصافي من نطف بمعنى صب والناطف السائل والمراد القطرة القليلة وفي بعض النسخ نقطة بالقاف مقدمة على الطاء وتسمى اللؤلؤة نطفة أيضا كما قاله الراغب والنطفة تطلق على قليل الماء وعلى كثيره كما جاء في الحديث فجاء رجل بنطفة في اداوة وهو المراد هنا (من معين مياههم) المعين الماء الجاري ظاهر او الميم زائدة من العين وقيل انها أصلية من معن بمعنى سار في الارض ومياه جمع ماء وأصله موه أى لم يقدروا على شئ مما طلب منهم وهو استعارة مصرحة مرشحة أو مكنية أى مع مالهم من موارد فصاحتهم ومجارى كلامهم لم يجدوا قطرة من عذب قطراته (مع طول الامد) أى اتساع زمن التحدى (وكثرة العدد) من فصحائهم (وتظاهر) أى تعاون ومساعدة (الوالد وما ولد) أى الكبير والصغير وهذا دفع للشبه وازالة الاعذار اذ لو ضاق الزمان وقل الاخوان كان لهم معذرة ما (بل أبلسوا) بالبناء للفاعل وفتح الهمزة يقال أبلس اذا أيس قيل ومنه ابليس ليأسه من رحمة الله تعالى ولو كان اسمه عزازيل و يكون بمعنى الانكسار والحزن والمراد الاول (فانبسوا) بنون وباء موحدة مفتوحة مخففة وورد تشديدها كما في قوله * ان كنت غير صائد فنبس ومعناه نطقوا وقيل هو مختص بالنفي وأورد البيت المذكور وقد يقال المخصوص بالنفي المخفف فتدبر (ومنعوا) بالبناء للمجهول (فانقطعوا) عن المعارضة لعجزهم وقد يقال هذا اشارة الى القولين فأبلسوا فانبسوا يشير لعجز طاقتهم عن بلاغته ومنعوا أى منعهم الله ايماء للصرفة وفي الارشاد لامام الحرمين * فان قيل ان العرب لم تترك المعارضة للعجز بل لعدم الاكتراث به قيل هذا ركيك من القول لا يخطر ببال عاقل وقد كانوا اذا قال شاعر شعرا في حقهم هاموا المعارضة فكيف وقد بخوا أشد توبيخ وحقرت أصنامهم وسفهت أحلامهم وقوتلوا حتى نكست اعلامهم وقد مر ما ينبهك عليه من اشارة المصنف رحمه الله تعالى لهذا وجوابه والاضراب لتوكيد نفي المعارضة كما يقال ما تكلم زيد بل سكت عجزا (فهذان نوعان من اعجازه) الاشارة الى اعجازه بنفس كلامه وخواص تراكيبه و بصورة نظمه وأسلوبه ولم يلتفت للصرفة لضعف القول بها عنده كما تقدم فانهم أفسدوه بان قوله قل لئن اجتمعت الخ دليل ظاهر على عجزهم مع بقاء قدرتهم ولو سلبوا القدرة لم يبق فائدة لاجتماعهم لانهم حينئذ بمنزلة اجتماع الموتى وليس عجز الموتى مما يحتفل بذكره هذا مع ان الاجماع منعقد على اضافة الاعجاز للقرآن والقول بالصرفة يلزمه اضافته الى الله تعالى لا الى القرآن وحينئذ يلزمه زوال الاعجاز بزوال زمان التحدى وفيه خرق لاجماع الامة اذ معجزة الرسول العظمى باقية ولا معجزة له باقية أظهر من القرآن و يلزم الصرفة أيضا انه لا فضيلة للقرآن على غيره فان قلت القول بعجزهم مع بقاء قدرهم فيه الجمع بين النقيضين وهو محال قلت معنى قدرتهم ان هممهم توجهت الى المحاكات لظنها القدرة عليها فعجزت وعلى القول بالصرفة لم يتوجهوا المعارضته أصلا لقطعهم من نفوسهم بعجزها وانه لا قدرة لها

(فصل) (الوجه الثالث من الاعجاز) أى من وجوهه (ما انطوى) أى اشتمل واحتوى (عليه من الاخبار) بكسر الهمزة أى الاعلام (بالمغيبات) أى الكائنات فى الازمنة السابقة (ومالم يكن ولم يقع) أى بعد (فوجد) أى فى الايام اللاحقة (كما ورد) أى مطابقا لما ورد (على الوجه الذى أخبر كقوله تعالى) خطابا للنبي عليه الصلاة والسلام وأصحابه الكرام (لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله) تعليق لعدته بالمشيئة تعليما للعباد وايماء الى عدم وجوب شئ على الله تعالى فى تحقيق مراده وتلويحا بان بعضهم لا يدخله لعلة من موت أو غيبة أو حكاية لما قاله ملك الرؤيا أو النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لاصحابه حالة الرواية (آمنين) حال من واو لتدخلن والجملة الشرطية معترضة (وقوله وهم من بعد غلبهم) أى والروم من بعد غلبة الفرس لهم (سيغلبون) الفرس وكانوا مجوسا والروم نصارى فورد خبر غلبة الفرس اياهم مكة ففرح المشركون وشمتوا بالمسلمين وقالوا أنتم والنصارى أهل كتاب ونحن وفارس أميون لا كتاب لنا وقد ظهر اخواننا على اخوانكم ولنظهرن عليكم فنزلت الآية الى قوله فى بضع سنين لله الامر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون فقال أبو بكر رضى الله تعالى عنه لا يقرن الله أعينكم فوالله لتظهرن الروم على فارس فى بضع سنين فقال أبى ابن خلف كذبت اجعل بيننا وبينك أجلا فراهنه على عشر قلائص من كل واحد منهما وجعلا الاجل ثلاث سنين فاخبر أبو بكر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال البضع ما بين الثلاث الى التسع فزايده أى فى الابل وماده فى الاجل فجعلها مائة قلوص الى تسع سنين ومات أبى بعد فقوله من أحد بجرح من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بسرف كافرا وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية فاخذ أبو بكر القلائص من ورثة أبى فقال له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم تصدق بها وبه أخذ أئمتنا الحنفية جواز العقود الفاسدة فى دار الحرب وأجاب الشافعية بانه كان قبل تحريم القمار والله تعالى أعلم

عليه البتة فان قلت توجه الهمم اليها مع العجز عنها فى نفس الامر لا يسمى قدرة قلت ممنوع بل تسمى قدرة باعتبار العرف وقطع النظر عن الغايات ولا شك فى ان أهل البلاغة لا يقطعون بسبب القدرة عن المحاكات ابتداء بل بعد الاختبار فتأمله لتعلم سقوط ما قيل كيف يخاطبون بالتحدى مع القطع بعجزهم عنه ونظير ذلك خطاب الله من علم منه عدم الايمان بالايمان كأبى جهل وأبى لهب نظرا لقدرتهما عليه باعتبار الظاهر واعراضا عن النظر للغايات

(فصل الوجه الثالث من وجوه الاعجاز) أى اعجاز القرآن الكريم بوجه آخر غير الوجهين السالفين أو غير الوجوه الثلاثة (ما انطوى عليه) أى اشتمل عليه ووقع فى ضمنه (من الاخبار) بكسر الهمزة مصدر (بالمغيبات) بفتح الياء المثناة التحتية المشددة جمع مغيب أو مغيبة اسم مفعول وهو شامل لما سبق مما لم يدركه هو ولا أهل عصره وما سيقع بعد ذلك مما لا يعلمه الا الله والمراد هنا الثانى لان الاول يمكن الوقوف عليه فلذا عطف عليه قوله (ومالم يكن ولم يقع) فمن فسره بما كان ووقع من القرون الماضية بناء على ان الاصل فى العطف التغاير فقد خالف كلامه الآتى من جميع ما مثل به وان كان صحيحا فى نفسه لاندراجه فيها (فوجد) بعد ذلك مطابقا لخبره ومصدقا له وعبر عنه بالماضى وان كان مستقبلا بالنسبة لما قبله (على الوجه الذى أخبر) به فى هذه الآية (كقوله تعالى) فى سورة الفتح (لتدخلن المسجد الحرام) اللام داخلة على جواب قسم مقدر للتأكيد والتحقيق (ان شاء الله) علقه بالمشيئة مع تحققه تعليما للعباد أو تلويحا بعدم دخول بعضهم لموته أو غيبته أو حكاية لما قاله ملك الرؤيا أو النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (آمنين) حال من فاعل لتدخلن والشرط اعتراض لانه صلى الله تعالى عليه وسلم رأى وهو بالمدينة قبل عام الحديبية انه دخله مع أصحابه وأخبرهم بذلك فظنوه انه فى ذلك العام فلما صدهم المشركون عن الدخول شق عليهم ذلك فاخبرهم الله بانه سيقع بعد ذلك وكان كما أخبر (وقوله تعالى وهم من بعد غلبهم سيغلبون) فاخبر الله تعالى ان الروم تغلب فارس بعد مدة أقل من عشر سنين وكان كما أخبر الله به فى كتابه وذلك ان الروم كانوا أهل كتاب وفارس لا كتاب لهم كالمشركين فكان المشركون كلما تحارب فارس والروم يرجون غلبة فارس ويفرحون بذلك تفاؤلا بغلبتهم للمسلمين فبعث كسرى جيشا الى الروم فالتقيا باذرعات وبصرى فغلبت فارس الروم ففرح المشركون وشق ذلك على المسلمين فانزل الله تعالى هذه الآية وأخبر أبو بكر رضى الله تعالى عنه المشركين بذلك وقال ستظهر الروم على فارس فلا تفرحوا وقد أخبر الله تعالى نبينا صلى الله عليه وسلم بذلك فقال له أمية بن خلف كذبت فقال بل أنت كذبت يا عدو الله فقال اجعل بينى وبينك

وقوله) أى وكقوله تعالى (هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره) أى ليغلب دين الحق ويعليه (على الدين كله) أى على جنس الدين جميعه بتمام أفراده بتسليط المسلمين على أهله بالعزة والغلبة والقهر والقوة فضلا عن الحجة (وقوله وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم الآية) أى فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم أى من الانبياء السالفة وأممهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لايشركون بى شيأ (وقوله اذا جاء نصر الله والفتح) أى فتح مكة (الى آخرها) أى الى آخر السورة أو الى آخر ما يتعلق به من معنى الآية وهو قوله ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا (فكان جميع هذا كما قال) أى وقع كله كما أخبر عنه أى فكان جميعه كما قال معجزة ومن أعلام النبوة (فغلبت الروم على فارس فى بضع سنين) أى يوم الحديبية قيل عند رأس سبع سنين وكان حقه ان يقول أيضا ودخل أهل الاسلام فى المسجد الحرام آمنين محلقين رؤسهم ومقصرين غير خائفين فى عام عمرة القضاء وكان صلح الحديبية مقدمة فتح مكة وهذا وان كان باعتبار الآية الواردة فيه مقدما لكن وقوعه عن قضية غلبة الروم صار مؤخرا (ودخل الناس فى الاسلام) أى بعد فتح مكة (أفواجا) أى فوجا بعد فوج من أهل مكة والطائف واليمن وغيرها (فمات النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وفى بلاد العرب كلها موضع لم يدخله الاسلام واستخلف) أى الله تعالى كما فى نسخة (المؤمنين فى الارض) أى فى عامة البلاد (ومكن فيها دينهم) أى ثبته فيما بين العباد (وملكهم اياها) أى الارض وبلادها (من أقصى المشارق

أجلا على عشر قلائص يأخذها الصادق منا فراهنه على ذلك الثلاث سنين وأخبر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك فقال له مد الاجل وزد فى الرهان فان الله قال فى بضع سنين وهى من الثلاث الى التسع فجعل القلائص مائة الى تسع سنين ففعل فوقع ذلك بعد سبع سنين فاخذ القلائص أبو بكر رضى الله عنه فقال له صلى الله عليه وسلم تصدق بها وكان هذا قبل تحريم القمار وانما أمره بالتصدق بها لانه قد علم خبثها الا انها ستحرم أو شكر الله على تصديق مقالته وتكذيب مقالتهم (وقوله تعالى ليظهره على الدين كله) هذا وعد من الله تعالى بان دين رسول الله سيظهر ويغلب سائر الاديان وتقهر أمته صلى الله تعالى عليه وسلم جميع الامم فان العزة لله ولرسوله وكان كما قال من غير شبهة وكم شاهدنا من تأييد الله لجنده ونصرهم مع ما للكفرة من الكثرة فى المال والجند (وقوله وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم الآية) أى ليجعلنهم خلفاء فى أرضه مالكين لها منصورين على أعدائهم وهذه الآية وان كانت عامة المراد بها غلبة المسلمين لاهل الردة فى خلافة أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه (وقوله اذا جاء نصر الله الى آخرها) أى الى آخر السورة وهذه الآية وان كانت شاملة لكل فتح لكنها نزلت مبشرة بفتح مكة ناعية لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولما نزلت وتلاها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عليهم بكى العباس رضى الله عنه فقال ما يبكيك يا عم فقال نعيت اليك نفسك فقال انه كما تقول وعبر بالمجىء ايماء الى ان المقدرات متوجهة من الازل الى أوقاتها المعينة لها مترقبة القدوم وفيه من البلاغة ما لايخفى ثم أشار الى تفسير ما ذكر بقوله (فكان جميع هذا كما قال) الله عز وجل مطابقا لما أخبر به والاشارة الى ما تقدم من المغيبات المخبر بها وكان بمعنى تحقق ووقع بعد الاخبار به ثم فصله على اللف والنشر بقوله (فغلبت الروم) وهم جيل من الناس معلومون (فارس) وهم الفرس أى قوم العجم ويطلق على بلادهم أيضا وهو لفظ معرب فان أريد الثانى قدر أهل وقد تقدم بيانه وهو ممنوع من الصرف للعلمية والتأنيث (فى بضع سنين) أى سبع سنين كما مر أى فى رأس سبع سنين وآخرها والرأس يطلق على ذلك مع الزمان ويكون بمعنى الاول أيضا (ودخل الناس فى الاسلام أفواجا) أى جماعات كثيرة بعد جماعات وفوجا بعد فوج لما أعز الله الدين ونشر اعلامه فى الخافقين وهذا اشارة لما فى سورة النصر السالفة (فمات النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وفى بلاد العرب كلها موضع لم يدخله الاسلام واستخلف الله المؤمنين فى الارض) أى جعلهم خلفاء لرسوله صلى الله تعالى عليه وسلم بعده وآخر هذه الآية عن ذكر سورة النصر لان الاستخلاف وقع بعد ذلك الدخول وان تقدمت فيما ذكر قبله وهذا مبنى على عموم الذين آمنوا فى قوله وعد الله الذين آمنوا الآية لجميع الامة وعدم اختصاصها بابى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه كما تقدم (ومكن فيها) أى فى الارض (دينهم) وهو دين الاسلام أى جعله متمكنا قارا الى نزول الى يوم القيامة يقال مكنته ومكنت له فتمكن وهو فى الاصل التمكن من المكان (وملكهم اياها) أى الارض لان أشرف المعمور منها فى أيديهم وباقيها فى انقيادهم فهم بالقوة كالمالكين لها أو انه باعتبار ما سيكون بعد نزول عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام الى الارض على دينه معدودا من أمته صلى الله تعالى عليه وسلم ولذا قال (من أقصى المشارق

الى

الى أقصى المغارب) أي أبعد مكان من جانب المشرق الى أبعده من جانب الغرب وقدم المشارق اقتداء بالكتاب والسنة أو لشرفه لانه محل الرسل وفيه الاراضي المقدسة وقد وقع للادباء مفاخرة بينهما فقال محيي الدين بن سحنون

من أين للغرب فضل * الا لمن يتغالى
والشمس تفقد فيه * والبدر يلقى هلالا
دلائل النقص فيه * فكيف يحوى الكمالا

وقال

فلا تبخس الشرق حقا وخذ * من الوصف فيه على ما اتفق
مهب الصبا ومفيد الضياء * ووجه الزمان وثغر الفلق

وعارضه الوداعي رحمه الله تعالى فقال

الغرب خير وعند ساكنه * أمانة أوجبت تقدمه
والشرق من نيريه عندهم * يودع ديناره ودرهمه

ثم أنصف من قال

حوى كل من الافقين فضلا * يقربه الغبي مع النبيه
فهذا مطلع الانوار منه * وهذا منبع الانواء فيه

وهذه لمحة أدبية ونفحة مسكية اجتضناها (كما قال عليه الصلاة والسلام) في حديث صحيح رواه مسلم عن ثوبان رضي الله تعالى عنه (زويت لي الارض) بزاء معجمة وواو وياء مبني للجهول أي جمعت وطويت (فاريت) مبني للمجهول من المزيد أي أراني الله (مشارقها ومغاربها) أي جميع أماكنها وبلدانها (وسيبلغ ملك) بضم الميم (أمتي ما زوي لي منها) وجمع بمرأى عيني وما زوي منها هو المشارق والمغارب السالفة وتوهم بعضهم انه غيره وان أول الحديث مخالف لآخره ثم جمع بينهما بان المراد بما زوي المعمور منها وما من شانه ان يملك فكأنه قال جميعها وفيه ما لا يخفى وقدم المصنف رحمه الله تعالى خبر الله على الحديث رعاية للادب بتقديم الاصل الاشرف (وقوله انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) فاخبر بانه تعالى تولى حفظ القرآن من التبديل والتغيير في سائر الزمان بدلالة الاسمية المؤكدة (فكان كذلك) في المستقبل كما أخبر فلا مبدل لكلماته بخلاف سائر الكتب فانه تعالى وكل حفظها للامم المنزلة عليهم فقال بما استحفظوا من كتاب الله أي طلب حفظه منهم فوقع فيها التبديل والتحريف حتى صارت لا يوثق بما نقل منها والمراد بالذكر القرآن (لا يكاد يعد) بالبناء للمجهول أي لا يعد لكثرته (من سعى) أي اجتهد (في تغييره وتبديل محكمه) ويكاد بمعنى يقرب ونفي القرب من العد أبلغ من نفي العد وقال تبديل محكمه دون تبديله ارشادا للمانع من تبديله وقوله (من الملحدة) بيان لان أي من الطائفة الملحدة من الالحاد وهو الميل كما سموا بذلك لعدولهم عن ظواهر الشريعة وتأويلها بامور سخيفة ويسمون باطنية وهم الاسماعيلية وزعم بعضهم ان مصحف عثمان رضي الله تعالى عنه نقص منه بعض القرآن كما ذكره القرطبي في أول تفسيره (والمعطلة) الذين نفوا الصانع وتستروا بزي الاسلام خوفا من القتل وسعوا في نقض الدين وتزيين ما روج على بعض العقول القاصرة (لاسيما القرامطة) هم طائفة من الملحدين أيضا قال السمعاني في الانساب القرمطي بكسر القاف وسكون الراء وكسر الميم والطاء المهملة نسبة لطائفة خبيثة وهم من أهل هجر والحسا وأصلهم رجل من سواد الكوفة يقال له قرمط وقيل حمدان بن قرمط وسبب ظهورهم ان جماعة من أولاد بهرام جور ذكروا آباءهم وجدودهم وما كانوا فيه من العز والملك وزوال ذلك بدولة الاسلام في أيام أبي مسلم الخراساني

فيما رواه مسلم عن ثوبان مرفوعا (زويت لي الارض) بضم الزاي وكسر الواو أي جمعت وطويت لاجلي (فاريت) بصيغة المجهول وفي أصل الدلجي فرأيت (مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتي ما زوي لي منها) أي باسرها (وقوله انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) أي من التحريف بالزيادة والنقصان عما تواتر عند علماء الاعيان من قراء الزمان (فكان كذلك) أي بمقتضى حفظه (لا يكاد يعد) بصيغة المجهول أي يحصر (من سعى في تغييره) أي من مبانيه (وتبديل محكمه) أي في معانيه (من الملحدة) أي المائلة عن الحق الى الباطل كالحلولية والاتحادية وامثالهما (والمعطلة) أي القائلة بتعطيل الكون من المكون كالدهرية ونحوها (لاسيما القرامطة) بالرفع على ان سي بمعنى مثل وما موصولة صدر صلتها محذوف أي ولا مثل الذين هم القرامطة وبالجر على ان ما زائدة وبالنصب على انها اداة استثناء وهم طائفة معروفة وقال بعضهم فرقة من الاباضية وهم اتباع حمدان القرمطي

(فاجمعوا كيدهم وحولهم) أي جهدهم (وقوتهم) أي جدهم (اليوم) أي الى يومنا هذا (نيفا) بفتح النون وسكون الياء مخففة
وقيل مشددة مكسورة أي زيادة (على خمسمائة عام) أي بالنسبة الى تاريخ زمن المصنف واما الآن فهو نيف وألف
(فاقدروا) أي القرامطة وغيرهم من الملاحدة ونحوهم (على اطفاء شئ من نوره ولا تغيير كلمة من كلامه) وفي نسخة صحيحة من كلمه بفتح فكسر ويجوز بكسر فسكون (ولا تشكيك المسلمين في حرف من حروفه) أي لا من حروف مبانيه ولا من حروف معانيه ولا ترديدهم في اعراب بل ولفظه مما ينافيه في باب (والحمد لله) أي على تمام هذه المنة واتمام هذه النعمة أي (ومنه) ومن اعجاز القرآن في اخبار الغيب من مستقبل الزمان (قوله تعالى سيهزم الجمع) أي جمع أهل الكفر (ويولون الدبر) أي الادبار كما قرئ به وأفرد لقصد الجنس أو لارادة كل واحد ولمراعاة الفواصل وعن عمر رضي الله تعالى عنه لما نزلت لم أعلم ماهو حتى كان يوم بدر سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو يلبس درعه ويقول سيهزم الجمع فعلمته (وقوله تعالى) أي ومنه قوله
تعالى (قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم) أي قتلا (الآية) أي ويخزهم اسرا وينصركم عليه نصرا من
ويشف صدور قوم مؤمنين أي مما امتلأت منهم ضجرا قيل هم خزاعة حلفاء رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بطون من اليمن
وردوا مكة واسلموا فلقوا من أهلها أذى كثيرا فقال لهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اصبروا فان الفرج قريب

ونقله الخلافة المروانية وهو من الموالي وهم من أولاد الملوك فاتفقوا على رفع الاسلام وقالوا ينبغي ان نفرقهم ونفسد الرعايا عليهم فقسموا الدنيا أربعة أقسام لكل ربع رجل منهم واحد ذهب الى الكوفة فاول من أجابه حماد بن قرمط فاعانه على الدعوة وقيل انما سموا قرامطة لان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم رأى عامرا يمشي وهو من أهل المدينة فقال انه ليقرمط في مشيه انتهى أي يقارب خطاه ومنه الخط المقرمط وعلى هذا فهو عربي وقيل انه معرب وان جدهم كان يسمى كرمد فغيروه وعربوه وكان رجلا أحمر العينين من سواد الكوفة فالكاف عجمية في الاصل من الكرمية وهي الحرارة وكان ظهوره في سنة ثمان وسبعين ومائتين فلم يزل يظهر الصلاح حتى اجتمع عليه الخلق فزعم ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بشر به وانه الامام المنتظر فابتدع مقالات وزعم انه انتقل اليه كلمة المسيح وجعل الصلاة ركعتين بعد الصبح وركعتين بعد المغرب والصوم يومين بالنيروز والمهرجان فكانت له وقائع وحروب ودعاة وخلفاء مذكورة في التواريخ حتى ظهر منهم سليمان بن الحسن الجنابي فعاث في البلاد وأفسد وقصد مكة فدخلها يوم التروية سنة سبع عشرة وثلاثمائة في خلافة المقتدر فقتل الحجاج ورماهم بزمزم وقلع باب الكعبة وأخذ كسوتها وأخذ الحجر الاسود فبقي عندهم سنين ثم ردوه مكسورا فنصب في محله وقد كان بذلهم فيه خمسون ألف دينار فأبوا ولم يزالوا كذلك حتى أخذوا الشام وغيرها حتى قاتلهم جوهر القائد فهزمهم وقتل منهم خلقا كثيرا وكانت مدة خروجهم ستا وثمانين سنة وكانوا يحرفون القرآن ويتأولونه بتأويلات فاسدة لم تقبلها العقول ومابعد سيما تجوز فيه وجوه الاعراب الثلاثة كما تقدم بيانه (فاجمعوا كيدهم) بقطع الهمزة والمراد بالكيد الحيلة والمكر في تحريف القرآن (وحولهم وقوتهم) أي اعملوا حيلهم وبذلوا قوتهم وقدرتهم في ان يحرفوا القرآن (اليوم) منصوب على الظرفية قيل بتقدير أعد اليوم أو بنزع الخافض أي الى هذا اليوم والمراد مطلق الزمان والوقت الحاضر في زمن المصنف (نيفا) بكسر الياء المشددة وسكونها بعد نون مفتوحة ومعناه الزيادة أي مدة تزيد (على خمسمائة عام) وهي مدة سعي هؤلاء فيما ذكر (فما قدروا) في هذه المدة الطويلة (على اطفاء شئ من نوره) تمثيل لحالهم في سعيهم في تحريف القرآن بمن أراد اطفاء نور عظيم منتشر في الآفاق (ولا على تغيير كلمة من كلامه) تفسير لما قبله بجعل كلام الله نورا (ولا تشكيك المسلمين في حرف من حروفه) فضلا عن كلمة من كلامه فهو ترق (والحمد لله) على هذه المنة العظيمة وهي حفظ الله تعالى لكلامه وبقاء رونق نظامه وخيبة سعي من سعى في اطفائه وافتضاح جهلة أعدائه (ومنه) أي مما أخبر به من المغيبات المعجزة (قوله) عز وجل (سيهزم الجمع ويولون الدبر) نزلت بمكة فلم يدر الصحابة رضي الله تعالى عنهم ما المراد بها حتى كان يوم بدر بعد سبع سنين من نزولها فلبس صلى الله تعالى عليه وسلم درعه وهو يقول سيهزم الجمع ويولون الدبر قال ابن عمر رضي الله تعالى عنهما فعلمت المراد منها أي سيهزم كفار قريش ويولون المسلمين أدبارهم أي يجعلون المسلمين متولين على أدبارهم بالطعن والضرب فعبر عن شدة انهزامهم ابلغ عبارة ففيها اعجاز لفظا ومعنى (وقوله قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم الآية) أي ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين وفيها من الاخبار عن الغيب ان ناسا من اليمن وبني خزاعة أسلموا وبقوا بمكة بعد الهجرة فلقوا من المشركين أذى شديدا فشكوا ذلك لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال اصبروا وابشروا بفرج قريب فنزلت هذه الآية فكان بعدها ما أوقع الله تعالى بهم

(وقوله تعالى) أى وكذا منه قوله تعالى (هو الذى أرسل رسوله بالهدى الآية) وقد سبق وهذا من التكرير فى التعبير (وقوله لن يضروكم الاأذى) أى ضررا يسيرا كطعن فى الدين وتهديد فى التخمين (وان يقاتلوكم الآية) أى يولوكم الادبار أى منهزمين ثم لا ينصرون أى لا ينصر أحدهم ولا يدفع بأس عنهم (فكان كل ذلك) أى فوقع هنالك كل ذلك كذلك من هزم جمعهم وتعذيبهم وشفاء صدور المؤمنين بنصرهم عليهم وانحصار الاذى فى ضررهم وانهزامهم كبنى قريظة والنضير وأمثالهم (ومافيه) أى ومما فى القرآن (من كشف أسرار المنافقين واليهود ومقالهم) أى من ايضاح أقوالهم وافضاح أحوالهم (وكذبهم فى حلفهم وتقريعهم بذلك) أى ومن توبيخ الله تعالى اياهم بسوء أعمالهم وتقبيح آمالهم وتفظيع مآلهم (كقوله) أى كما فى قوله سبحانه وتعالى (ويقولون فى أنفسهم) أى فيما بينهم أو فى نفوسهم (لولا يعذبنا الله بما نقول) أى هلا يعاقبنا بقولنا فى محمد طعنا منا فيه وفى الاسلام ودفعا عنا السام بدل السلام قال الله تعالى وهو العليم الخبير حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير (وقوله) أى وكقوله تعالى فى حق المنافقين (يخفون فى أنفسهم مالا يبدون لك الآية) يعنى لو كان لنا من الامر شئ كما زعم محمد ان الامر كله لله وان حزبه هم الغالبون ماقتلنا ههنا أى فى المعركة (وقوله) أى وكقوله تعالى فى حق اليهود (من الذين هادوا) أى بعض اليهود أو منهم قوم (سماعون للكذب الآية) أى أكالون للسحت الخ (وقوله من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه) أى يميلونها عن مواضعها التى وضعها الله تعالى فيها بازالتها من مكانها واثبات غيرها فى محلها أو يأولونها على ما يشتهون فيها (الى قوله وطعنا فى الدين وقد قال

من القتل ونصرة المؤمنين التى شفيت بها صدورهم وخرابهم بالسبى والجلاء وسلب نعمهم (وقوله هو الذى أرسل رسوله بالهدى الآية) فيها اخبار بالغيب من ظهور دينه على سائر الاديان على رغم أنفهم وقد تقدم الكلام على هذه الآية (وقوله لن يضروكم الاأذى) أى لا يقدرون عليكم الا بأذية يسيرة كالطعن فيهم وتهديدهم (وان يقاتلوكم الآية) أى يولوكم الادبار ثم لا ينصرون فأخبرانهم كلما قاتلونا غلبوا وكانت عاقبة النصر لنا عليهم والامور بخواتيمها والحرب سجال (فكان كل ذلك) أى وقع كلما أخبر الله تعالى به قبل على طبق خبره من هزيمة جموعهم وتعذيبهم بما يشفى صدور المؤمنين واظهار دينه وتولية الدبر كل من قاتل منهم (و) مما فى القرآن من المغيبات (مافيه) أى القرآن (من كشف أسرار المنافقين) أى اظهار ما أخفاه المنافقون فى قلوبهم مما لا يعلمه الا الله تعالى مما أنزله فى حقهم فى سورة المنافقين (و) كشف أسرار (اليهود ومقالهم) أى اظهار ماقالوه فيما بينهم وهم يظنون انه لا يشعر به غيرهم (وكذبهم فى حلفهم) أى كذب المنافقين وقسمهم عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على مقالتهم انها صادقة والله يعلم انهم لكاذبون كما ذكر فى سورة المنافقين ومثله كثير فى القرآن (وتقريعهم بذلك) أى توبيخ الله تعالى لهم بسبب ماقالوه وحلفهم بايمان فاجرة ثم مثل لما ذكر فقال (كقوله) عز وجل (ويقولون فى أنفسهم) أى قول اليهود فيما بينهم وفى خلوة تناجيهم (لولا يعذبنا الله بما نقول) أى هلا يعذبنا الله بقولنا فى حق محمد لو كان نبيا دعا علينا حتى نعذب أو بما كانوا يقولون هم والمنافقون فيما بينهم فى حق النبى صلى الله تعالى عليه وسلم والمسلمين فأخبر الله تعالى بذلك وفضح سرائرهم وزاد بقوله حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير (وقوله تعالى يخفون فى أنفسهم مالا يبدون لك الآية) يعنى انهم يسرون فى ضمائرهم غير ما يظهرونه لك اذا أتوك وهذا بيان لحال المنافقين ومكرهم والذى أخفوه قولهم يوم أحد وقد غشيهم النعاس ولم يكن لهم هم غير تخليص أنفسهم من القتل وقال بعضهم لبعض فى خلوة من المؤمنين لو كان لنا من الامر شئ ماقتلنا ههنا الآية فأعلم الله رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك فأخبرهم بما قالوه وهو من جملة المغيبات (وقوله) عز وجل (ومن الذين هادوا سماعون للكذب الآية) أى سماعون لقوم آخرين لم يأتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه (وقوله من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا ليا بألسنتهم وطعنا فى الدين) دعا عليهم بالصمم أو بالموت أو لا نسمع مادعينا اليه فأخبره الله تعالى بتحريفهم كتابهم ومقالتهم وعدم اطاعتهم وهو من الاخبار بالغيب الدال على اعجاز القرآن وهذا فى حق اليهود وفى الآية كلام مفصل فى التفاسير واحتمالات أخر ووجوه من الاعراب ليس هذا محل تفصيلها وقوله فى هذه الآية وراعنا ليا بألسنتهم وطعنا فى الدين أى بالتكذيب والاستهزاء والسخرية فهذا اخبار بالغيب عما كان اليهود يقصدونه من التحقير ويبرزونه فى صورة التوقير فيقولون راعنا وصفا له صلى الله تعالى عليه وسلم بالرعونة موهمين التماس نظره ورعايته لهم مكرا منهم وليا بألسنتهم وكلامهم (وقد قال) الله تعالى حال كونه

مبدئا) بالهمزة والياء أي حال كونه تعالى مظهرا (ماقدره الله) بتشديد الدال أي ماقضاه (واعتقده) ويروى وما اعتقده (المؤمنون)
أي مقتضاه الواقع (يوم بدر) على وفق رضاه من الظفر باحدى الطائفتين العير والنفير (واذ يعدكم الله احدى الطائفتين) أي
القافلة الراجعة من الشام أو الطائفة الآتية من بيت الله الحرام (انها لكم) حاصلة من أموال احداهما أو غنيمة أخراهما (وتودون)
أي تتمنون وتحبون (ان غير ذات الشوكة) وهي السلاح يعني العير المقبلة مع أبي سفيان (تكون لكم) حيث

(مبدئا) بالياء أي مظهرا (ماقدره الله) وقضى به (واعتقده المؤمنون) من الظفر باحدى الطائفتين العير أو النفير (يوم بدر) أي في وقعتها الآن اليوم يطلق على ذلك في قولهم أيام العرب كما تقدم وهو من المغيبات التي أخبرهم بها بقوله (واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم) بدل مما قبله (وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم) الشوكة مستعارة من الشوك المعروف للقوة والحدة بكثرة السلاح والرجال ومنه شاكي وشاك السلاح للرجل المستعد للحرب بآلاته وهذا اخبار للمؤمنين بأمر وقع في أنفسهم ودوه وأحبوه وهو مغيب على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أعلمه به جبريل عليه الصلاة والسلام فلما تلاه عليهم زاد ايمانهم باعجاز القرآن وذلك ان المسلمين لما علموا بقدوم عير المشركين بمالهم من التجارة وأحبوا الخروج اليها علم الكفار بذلك فخرج أبو جهل بمقاتلة مكة وهم النفير ولما علم أبو سفيان بخروج النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لذلك أخذ بالعير الى جانب ساحل البحر فقيل لابي جهل ارجع بالناس فأبى وسار بمن معه الى بدر فوعد الله تعالى نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم بأحد الامرين الظفر بالعير أو قتل النفير وكانت الصحابة رضي الله تعالى عنهم يودون في أنفسهم أخذ العير لما فيها من المال وقلة ماعندهم من السلاح والرجال فقدر الله تعالى انهم يلقون العدو ليقطع دابر الكافرين فقتل صناديدهم وأيد الله المؤمنين وأعز الدين (ومنه) أي من أخباره بالغيب في كلامه المعجز (قوله تعالى انا كفيناك المستهزئين) وهم خمسة من الكفار أو سبعة كانوا يؤذونه صلى الله عليه وسلم أشد الاذى ويسخرون به فأخبره الله تعالى بهلاكهم سريعا وكفايته أمرهم قبل وقوعه فكان كما قال وهذا من جملة المغيبات التي أخبرها رسول الله صلى الله عليه وسلم كالذي قبله ولذا جعلهما في قرن كما أشار اليه بقوله في سبب نزول هذه الآية كما رواه الطبراني في الاوسط (ولما نزلت) هذه الآية عليه صلى الله عليه وسلم (بشر بذلك أصحابه) أي بهلاكهم لما كان عندهم من الالم من شدتهم فأخبرهم (بان الله كفاه اياهم) باهلاكهم (وكان المستهزؤن نفرا بمكة) من أهلها (ينفرون الناس عنه) صلى الله عليه وسلم بطعنهم واستهزائهم (ويؤذونه فهلكوا) وهم الاسود بن عبد يغوث والاسود بن عبد المطلب والوليد بن المغيرة والعاص بن وائل السهمي وعدي بن قيس وقيل منهم الحارث بن عيطلة وفكيهة بن عامر الفهري والحارث بن الطلاطلة ذكرهما الماوردي في أعلام النبوة وروي ان جبريل أخبره صلى الله تعالى عليه وسلم بهلاكهم وكيفيته وقدمر وابه رجلا رجلا وكيفية هلاكهم مفصل في السير وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انهم هلكوا في ليلة واحدة والذي ذكره غيره انهم هلكوا في أيام متقاربة بعد مادعا عليهم بفناء البيت فأجاب الله تعالى دعوته صلى الله تعالى عليه وسلم وأنزل عليه الآية كما قال في الهمزية

وكفاه المستهزئين وكم سا * ء نبيا من قومه استهزاء
فرماهم بدعوة من فنا البيـ * ـت وفيها للظالمين فناء
خمسة كلهم أصيبوا بداء * والردى من جنوده الادواء

لاحدة فيها ولاشدة بخلاف ذات الشوكة من النفير وهو الجمع الكثير من نفروا مع أبي جهل من مكة لاستنقاذ العير واستخلاصهم من أيدي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأصحابه متقوين بكثرة عددهم (ومنه) أي ومن اعجازه سبحانه وتعالى (قوله تعالى انا كفيناك المستهزئين) أي الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل وعدي والحارث بن قيس والاسود بن عبد يغوث والاسود بن المطلب بن أسد وقيل وكذا عمه أبو لهب وعقبة ابن أبي معيط والحكم ابن أبي العاص الا انه أسلم يوم الفتح والباقون أهلكوا بأنواع من العقوبة (ولما نزلت) أي هذه الآية فيهم على مارواه الطبراني في الاوسط (بشر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أصحابه بان الله كفاه اياهم) أي شرهم وأذاهم (و)
رواه البيهقي وأبو نعيم بمعناه (وكان المستهزؤن نفرا بمكة) أي جماعة مترصدين للواردين بها والصادرين عنها (ينفرون الناس عنه) بتشديد الفاء أي يصدونهم عن الايمان به (ويؤذونه) أي بهذا وأضرابه (فهلكوا) أي بضروب البلاء وفنون العناء فتم نوره وكمل ظهوره

(و) من الاخبار بالغيب (قوله والله يعصمك من الناس) أى يحفظك من جميع الناس الذين يريدون بك سوءا وكان الصحابة يحرسون النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى أسفاره فلما نزلت منعهم من الحراسة ومران هذا الاينافى ما أصابه صلى الله تعالى عليه وسلم باحد لان الآية نزلت بعدها أو المراد حفظه من القتل كما فصله الخيضرى فى خصائصه (فكان كذلك) أى محفوظا معصوما كما أخبر الله تعالى وكان هنا تامة وكذلك أى وقع ووجد كما أخبر به أو ناقصة وكذلك خبرها وقوله (على كثرة من رام) أى قصد (ضره) مفعوله وفسره بقوله (وقصد قتله) اشارة الى صحة ما تقدم عن الخيضرى من ان العصمة انما هى عن القتل لا عن غيره من أنواع الاذى كما مر (والاخبار بذلك معروفة صحيحة) كما فى صحيح مسلم عن جابر ابن عبد الله قال غزونا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قبل نجد فادركنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى واد كثير العضاة فنزل تحت شجرة فعلق سيفه بغصن من أغصانها وتفرق الناس فى الوادى يستظلون بالشجر فاتاه رجل وهو صلى الله عليه وسلم نائم فاخذ السيف فاستيقظ وهو قائم على رأسه والسيف مصلت فى يده فقال له من يمنعك منى قال الله ثم قال ذلك ثانيا فقال الله فشام السيف قال وها هو جالس ثم لم يعرض له رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ملك قومه فانصرف حين عفا عنه وقال والله لا أكون فى قوم هم حرب لك ومثله كثير

(فصل الوجه الرابع) من وجوه الاعجاز القرآنية (ما أنبأ به) أى ما أخبر الله به (من أخبار القرون السالفة) هو جمع قرن وهم أهل كل عصر وزمان من الاقتران لاقتران زمانهم وأحوالهم فقيل هو أربعون سنة وقيل ثمانون وقيل مائة وقيل هو مطلق الزمان أى أخبار الامم والملل المتقدمة والبلاد البعيدة مما لا يطلع عليه الا من تتبع التواريخ أو ساح فى أقطار الارض وقد عمر عمرا طويلا وكلا الامرين منتف فى حقه صلى الله عليه وسلم (والامم البائدة) أى الهالكة الذين أفناهم الموت وطحنتهم رحى الدهر حتى اندرست آثارهم (والشرائع الداثرة) بدال مهملة وثاء مثلثة من دثر اذا اندرس ولم يبق له أثر والدثور والدروس بمعنى النسيان فالمراد معرفته بالشرائع القديمة التى نسيت ونسخت أحكامها من تدثر بثيابه اذا تلفف بها وفى تعبيره نوع من البلاغة تسمى التفنن لان السالفة والبائدة والداثرة متغايرة اللفظ متقاربة المعانى (مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة) بيان لما كقوله من أخبار على حد قوله تعالى كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا على ما حقق فى شروح الكشاف (الا الفذ) الفذ هو الفرد والشاذ وهما بمعنى وكلاهما بذال معجمة وفى الحديث لا تدع شاذة ولا فاذة (من أحبار أهل الكتاب) أحبار جمع حبر بكسر الحاء المهملة وفتحها وسكون الموحدة وراء مهملة ومعناه العالم الحافظ الواسع علمه والعرف يخصه بعلماء أهل الكتاب ومنه كعب الاحبار للتابعى المشهور ويقال له كعب الحبر ووجه اطلاقه انه من الحبر وهو المداد الذى يكتب به واليه نسب كعب المذكور أو لانه يحبر الكلام ويزينه وفى المصباح الحبر بالكسر المداد الذى يكتب به واليه نسب كعب فقيل كعب الحبر لكثرة كتابته بالحبر حكاه الازهرى وعن الفراء الحبر العالم والجمع أحبار مثل حمل وأحمال ويقال الاحبار أيضا أى عالم العلماء وكذا فى تهذيب الاسماء للنووى وحينئذ فلا عبرة بقوله فى القاموس كعب الحبر بالفتح ويكسر ولا تقل كعب الاحبار (الذى قطع عمره فى تعلم ذلك) أى تعلم أخبار من سلف وشرائعهم فاذا كان لا يعلمه الا من قرأه ودرسه طول عمره وأما من كان أميا فى أمة أمية لم يقارن من له علم بذلك فعلمه به وأخباره مفصلا أمر خارق للعادة فى حقه محال لا لذاته (فيورده) متفرع على قوله أنبأ أى اذا أخبر به النبى صلى الله عليه وسلم فى الوحى المتلو المنزل عليه يورده أى يذكره (النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على وجهه) حال من الفاعل أو صفة مصدر مقدر أى ايرادا كائنا على وجهه أى على أتم حال يليق به وينبغى له كما يقال دبر

كما أخبر به من لا خلف فى خبره (على كثرة من رام ضره) أى مع كثرة من قصد ضره (وقصد قتله والاخبار بذلك معروفة) أى مشهورة فى كتب المغازى فى باب السير (صحيحة) أى مذكورة عند أرباب الاثر فعصمه الله تعالى وحفظه حتى انتقل من دار الدنيا الى منازل الحسنى فى العقبى

(فصل)

(الوجه الرابع) أى من وجوه اعجاز القرآن (ما أنبأ به) أى وأعلمه (من أخبار القرون السالفة) أى الماضية (والامم البائدة) أى الهالكة الفانية (والشرائع الداثرة) أى الدارسة (مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة الا الفذ) بفتح الفاء وتشديد الذال المعجمة أى الفرد الواحد المنفرد عن اقرانه فى علو شأنه (من أحبار أهل الكتاب) بالحاء المهملة أى من علمائهم (الذى قطع عمره) أى صرفه (فى تعلم ذلك) أى الخبر الواحد من ألسنة كبرائهم أو من كتب فضلائهم (فيورده النبى صلى الله تعالى عليه وسلم

على وجهه) اذلا ينطق عن الهوى ان هو الاوحى يوحى

(ويأتي به على نصه) أي كما قرأه عليه جبريل من غير تصرف في لفظه (فيعترف العالم) أي منهم كما في نسخة (بذلك) أي بسبب ما أورده (بصحته وصدقه) متعلق بيعترف (وان مثله لم ينله بتعليم) أي لم يصل اليه بواسطة تعليم وتعلم من الخلق وحينئذ قد يعترف من بحر تحقيقه ويتشرف بتوفيق تصديقه لعلمه انه أخبر الخالق بوحي من الحق (وقد علموا) أي جميعهم قبل ذلك (انه صلى الله تعالى عليه وسلم أمي) أي في جميع أمره (لا يقرأ ولا يكتب) أي في جميع عمره (ولا اشتغل بمدارسة) أي مع العلماء (ولا مثافنة) بالمثلثة والفاء والنون أي ولا مجالسة مع الشعراء والفضلاء وفي نسخة بالقاف والموحدة ولعلها مصحفة أو يراد بها المزاحمة في المعرفة من ثقوب الذهن وهو وصوله الى الصواب ثم هذا فيما بينهم (ولم يغب عنهم) أي غيبة يمكنه التعلم فيها من غيرهم (ولا جهل حاله أحد منهم) أي منذ كان صغيرا الى ان بعث كبيرا لانه كان من أعيانهم والحاصل انه كما قال صاحب البردة ذاتقا من هذه الزبدة * كفاك بالعلم في الامي معجزة (وقد كان أهل الكتاب) أي من اليهود والنصارى (كثيرا ما) أي في كثير من الاوقات (يسألونه صلى الله تعالى عليه وسلم عن هذا) أي عن أخبار القرون الماضية (فينزل) بصيغة الفاعل أو المفعول مخففا أو مشددا (عليه من القرآن ما يتلو عليهم منه ذكرا) أي بيانا لاعمالهم وأحوالهم وماجرى لهم في مآلهم (كقصص الانبياء مع قومهم) أي أقوامهم من أممهم اجمالا تارة ومفصلا أخرى وعموما مرة وخصوصا كرة كما أشار اليه بقوله (وخبر موسى والخضر) بفتح فكسر وروى بكسر فسكون قيل لانه اذا جلس أو صلى اخضر ما حوله وفي البخاري انه جلس على فروة فاذا هي تهتز خلفه خضراء والفروة الارض اليابسة أو الحشيش اليابس وفي اسمه اختلاف وكذا في كونه نبيا مرسلا أو غيره أو وليا وبه جزم جماعة وأغرب ما قيل انه من الملائكة وقيل انه من ابن آدم وقيل

الامر على وجهه كما في الاساس (ويأتي به على نصه) أي في غاية مرتبة من كماله ورفعته يقال بلغ الشئ نصه أي نهايته كما في الاساس لان معنى نص رفع ومنه المنصة وفيه تورية لان عبارة القرآن تسمى نصا (فيعترف العالم بذلك بصحته وصدقه) أي من يعلم تلك الاخبار والشرائع اذا سمعها ممن لم يسمع بها علم صحة كلامه وصدقه فيما قاله (وان مثله) أي مثل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أو مثل هذا الكلام (لم ينله) أي لم يصل اليه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (بتعليم) أي من البشر بل بوحي من الله تعالى (وقد علموا) أي علم الناس من المسلمين والمشركين (انه صلى الله تعالى عليه وسلم أمي) أي لا يعرف القراءة ولا الكتابة فقوله (لا يقرؤ ولا يكتب) صفة له مفسرة وموضحة وقول النحاة الجملة المفسرة لا محل لها من الاعراب ليس على اطلاقه ولما كان هذا لا يكفي لاحتمال ان يسمعه ممن قرأ أو كتب قال (ولا يشتغل بمدارسة) أي بحفظ وتلق من الافواه (ولا مثافنة) بضم الميم وتليها مثلثة ثم ألف وفاء ونون أي مداومة طلب ومجالسة تحتك فيها الركب بالركب حتى يؤثر فيها الاحتكاك وهو عبارة عن كثرة الجلوس مع أهل العلم بالاخبار والشرائع للتعلم منهم وهو مجاز من ثفن البعير اذا برك والثفناء ركبته التي يبرك عليها حتى يغلظ من حك الارض كثفنته على كذا اذا أعنته وكان يقال لابن عباس ذو الثفنات لطول جلوسه في طلب العلم أو لكثرة سجوده حتى يصير في جبهته أثر السجود وهذا أبلغ مما قبله وهو الصحيح الموافق لدأب المصنف في بلاغته وما قيل من انه بمثلثة وقاف وموحدة من ثقب رأيه اذا نفذ وذهن ثاقب وان الاول بمعنى التعب من نفقت يد الرجل بكسر الفاء اذا غلظت من كثرة العمل فهو من تحريف الكتبة الذي لا يلتفت اليه من له علم بكلام العرب وان نقله عن بعض الشراح وقد تقدم ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان أميا لا يقرؤ الخط ولا يكتبه وانه من معجزاته ورد ما قيل انه مخصوص باول أمره وانه كتب بيده الشريفة عام الحديبية فكان ذلك معجزة له أخرى وقد شنع على قائله علماء الاندلس ونسبوه للزندقة كما مر مبسوطا غير مامرة (ولم يغب عنهم) أي لم يغب صلى الله عليه وسلم عن قومه غيبة يحتمل انه تعلم فيها ما أخبرهم به (ولا جهل حاله أحد منهم) من ولادته صلى الله تعالى عليه وسلم الى وفاته حتى يتوهم تعلمه ذلك من أهل الكتاب (وقد كان أهل الكتاب) أي أحبار اليهود والنصارى (كثيرا ما يسألونه) أي في كثير من الاحيان فهو منصوب على الظرفية وما مزيدة لتأكيده معنى الكثرة أو صفة مصدر مقدر أي يسألونه (صلى الله تعالى عليه وسلم) سؤالا كثيرا (عن هذا) أي عن خبر من تقدم من الامم السالفة (فينزل عليه) عقب سؤالهم جوابا لهم (من القرآن ما يتلو عليهم منه ذكرا) المراد بالذكر القرآن المذكر لهم (كقصص) مصدر بالفتح أو جمع قصة بالكسر أي سير (الانبياء مع قومهم) فيذكره صلى الله تعالى عليه وسلم لهم مفصلا بابلغ عبارة وألطف اشارة (وخبر موسى والخضر) بفتح الخاء وكسر الضاد المعجمتين

المعجمتين ويجوز سكون ثانيه مع فتح أوله وكسره وهو ماقصه الله تعالى فى سورة الكهف وموسى هو ابن عمران الكليم على الاصح لانبى آخر كما يزعمه أهل الكتاب والخضر هو بليا بن ملكان على أقوال فى الاختلاف فى اسمه وقد اختلف أيضا فى نبوته ورسالته وانه هل هو حى الى الآن أومات قبل تمام المائة الاولى أوقبل زمانه صلى الله تعالى عليه وسلم وأكثر علماء الصوفية على انه حى الى الآن الا أن الله تعالى أخفاه عنا وقد أطبق أكثر الصالحين على ذلك وانهم يلاقونه ويتحدثون معه وانه يحج فى كل سنة وليس فى ذلك دليل قاطع ولكن حسن الظن يصدق ماقالوه والاكثر انه ولى لانبى ومن الغريب ماقيل انه ملك وقيل انه لايموت الا فى آخر الزمان حين يرتفع القرآن وفى صحيح مسلم فى حديث الدجال انه يقتل رجلا ثم يحييه قال ابراهيم بن سفيان راوى كتاب مسلم يقال انه الخضر وكذلك قال معمر فى مسنده وسمى خضرا لانه اذا جلس على أرض اخضرت له أولانه اذا صلى اخضر ماحوله وفى جامع الاصول عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال صلى الله تعالى عليه وسلم انما سمى بذلك لانه جلس على فروة بيضاء فاخضرت تحته وفى صحيح البخارى من حديث همام بن منبه عن أبى هريرة مرفوعا انما سمى الخضر لانه جلس على فروة فاذا هى تهتز من خلفه خضراء والفروة الارض اليابسة أو الحشيش اليابس قال ابن فارس الفروة كل نبات مجتمع اذا يبس وقال الخطابى الفروة وجه الارض أنبتت واخضرت بعد ان كانت جردا (ويوسف واخوته) وهو وأسماء اخوته والخلاف فى كونهم أنبياء أم لا سيأتى مفصلا وقد كان اليهود سألوه صلى الله تعالى عليه وسلم عنها فانزل الله عليه السورة (وأصحاب الكهف) ومعناه المغارة لانهم وجدوا بها واختلف فى مكانها ولهم أسماء يونانية اختلف فى ضبطها وكانوا فروا من ملك يسمى دقيانوس وقصتهم مفصلة فى التفاسير وسبب نزولها ان قريشا بعثوا النضر ابن الحارث وعقبة بن أبى معيط الى أحبار اليهود ليسألوهم عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأمره لانهم عندهم علم من الكتاب الاول فقدموا المدينة قبل الهجرة وسألوهم عن ذلك فقال لهم الاحبار سلوه عن ثلاث فان أخبركم عنها فهو نبى مرسل والا فهو متقول سلوه عن فتية ذهبوا فى الدهر الاول ما كان أمرهم العجيب وعن رجل طاف مشارق الارض ومغاربها ما كان نبأه وسلوه عن الروح ماهى فان لم يبينها فهو نبى مرسل على ما يأتى فسألوه عن ذلك فقال أخبركم غدا ولم يقل ان شاء الله فانقطع عنه الوحى أياما اختلف فى عددها فارجف بذلك كفار مكة وحزن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم أنزل الله عليه ماقصه فى سورة الكهف (وذى القرنين) اختلف فيه وفى اسمه وسبب تسميته فقيل

ابن فرعون وقال الثعلبى نبى على جميع الاقوال معمر محجوب عن الابصار واختلف فى حياته وقد انكرها جماعة منهم البخارى وقال ابن الصلاح هو حى عند جماهير العلماء والصالحين والعامة معهم على ذلك وانما شذ بانكارها بعض المحدثين قال الحلبى ونقل النووى عن الاكثرين حياته وقيل انه لايموت الا فى آخر الزمان وفى صحيح مسلم فى أحاديث الدجال انه يقتل رجلا ثم يحييه قال ابراهيم بن سفيان راوى مسلم يقال انه الخضر وكذا قال معمر فى مسنده واما ما استدل به البخارى ومن تبعه كالقاضى أبى بكر بن العربى على انه مات قبل انقضاء المائة لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم ارأيتكم ليلتكم هذه فانه على رأس مائة سنة لايبقى ممن هو على ظهر الارض أحد فالجواب ان هذا الحديث عام فيمن يشاهده الناس ويخالطونه لا فى من ليس كذلك كالخضر بدليل ان الدجال خارج عن هذا الحديث لما روى مسلم من حديث الجساسة الدال على وجود الدجال فى زمن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى بقائه الى زمن ظهوره مع ان مسلما روى عن ابن عمر ان المراد بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم على رأس مائة سنة لايبقى ممن هو على ظهر الارض أحد انخرام ذلك القرآن (يوسف واخوته) كما هو مبين فى سورته باحسن صورته (وأصحاب الكهف) قال الحلبى واختلف فى بقائهم الى الآن فروى عن ابن عباس انه أنكر أن يكون بقى منهم شئ بل صاروا ترابا قبل المبعث وقال بعض أصحاب الاخبار غير هذا وان الارض لم تأكلهم ولم تغيرهم وانهم على مقربة من القسطنطينية وفى مكانهم أقوال وروى انهم سيحجون البيت اذا نزل ابن مريم قال الامام السهيلى بقيت هذا الخبر فى كتاب البدء لابن أبى خيثمة هذا وقد اختلف فى عدتهم ومدة اقامتهم (وذى القرنين) روى الحاكم فى المستدرك انه صلى الله تعالى عليه وسلم سئل عن ذى القرنين فقال لاأدرى انبى هو ام لا وجاء فيه عنه عليه السلام انه كان ملكا يسيح فى الارض بالاسباب وقيل فى قوله تعالى وآتيناه من كل شئ سببا أى علما يتبعه وفى قوله تعالى فاتبع سببا أى طريقا يوصله وقال ابن هشام فى غير السيرة السبب حبل من نور كان ملك يمشى به بين يديه فيتبعه واختلف فى تسميته بذى القرنين كما اختلف فى اسمه واسم أبيه فاصح ماقيل فى ذلك ماروى عن أبى الطفيل عامر بن واثلة قال سأل ابن الكوا على ابن أبى طالب فقال أرأيت ذا القرنين أنبيا كان أم ملكا فقال لانبيا كان ولاملكا ولكن كان عبدا صالحا دعا قومه الى عبادة الله فضربوه على قرنى رأسه ضربتين وفيكم مثله يعنى نفسه وقيل ذو القرنين

ملك الخافقين وأذل الثقلين وعمر ألفين ثم كان في ذلك كلحظة عين (ولقمان وابنه) تقدم ذكرهما وفي سورته بعض حكمته (وأشباه ذلك من الانبياء) كخبر نوح وابنه وابني آدم (وبدء الخلق) أي ابتدائهم وانتهائهم (ومافي التوراة والانجيل والزبور وصحف ابراهيم وموسى مما صدقه فيه العلماء) أي من أهل الكتاب (بها) أي حين تلاها عليهم (ولم يقدروا) أي وماقدر

أحد منهم (على تكذيب ماذكر منها بصيغة الفاعل أو المفعول) أي على تكذيبه في شئ ذكر من الكتب المذكورة (بل اذعنوا) أي انقادوا له (لذلك) أي لعلمهم بصدقه (فمن موفق) بتشديد الفاء المفتوحة أي موافق (آمن) أي بالقرآن وماأنزل عليه (بماسبق له) أي في الازل (من خير) أي سابقة ارادة السعادة له (ومن شقي) أي مخذول (معاند حاسد) وزيد في نسخة خاسر جاهل وقال الحجازي يروى خاسر ويروى جاهل أي لم يصدقه بماسبق له في الازل من سابقة ارادة الشقاوة له (ومع هذا فلم يحك عن أحد) وفي أصل الدلجي وغيره عن واحد (من النصارى واليهود على شدة عداوتهم له) أي مع مبالغتهم في مناقضتهم لحقه (وحرصهم على تكذيبه وطول احتجاجه عليهم بما في كتبهم) أي بما أوجب العلم بانه

يوناني اسمه هرديس وقيل حميري اسمه الصعب بن ذي مرائد وفي خطبة لقس بن ساعدة أين الصعب ذو القرنين ملك الخافقين وأذل الثقلين وعمر ألفين ثم كان كلحظة عين وهو الاسكندر وسمي ذا القرنين فقيل لانه عمر مدة قرنين وقيل لانه ضرب على قرني رأسه وقيل لذؤابتين له والقرن الشعر وقيل غير ذلك (ولقمان وابنه) وهو لقمان بن عنقاء بن مروان كان وليا صالحا وقيل انه نبي والاصح خلافه وقيل انه نوبي من أهل ايليا واسم ابنه فاران عند ابن قتيبة (وأشباه ذلك من الانباء والقصص) والاخبار المذكورة في القرآن عمن مضى من الامم السالفة (وبدء الخلق) أي ابتداء خلق الله للدنيا وماجرى في ذلك مما لا يطلع عليه الا من قرأ الكتب ودرسها وخلقه للسموات (والارض ومافي التوراة والانجيل) من أحكام الشرائع والتوحيد (والزبور وصحف ابراهيم وموسى) من المواعظ والاذكار وذكره لبدء الخلق لما تضمنه من الاخبار عما سلف أيضا من أخبار الامم فلا يرد عليه ما قيل من ان بدء الخلق اخبار عن فعل الله تعالى وهو جدير بالحاقه بالاخبار بالغيب (مما صدقه فيه العلماء بها) أي الاحبار من أهل الكتاب حين ذكر لهم (ولم يقدروا على تكذيب ماذكر منها) لكونه مطابقة للواقع ولما عندهم مما لم يمكن انكاره (بل أذعنوا لذلك) فاقروا به واعترفوا منقادين له (فمن موفق) اسم مفعول من التوفيق أي الذين سمعوا ماقصه صلى الله عليه وسلم عليهم وعرفوا حقيقته منهم من وفقه الله تعالى فهداه و(آمن) بالمد فعل ماض مفتوح الآخر (بما سبق له من خير) أي بسبب ماسبق له في علم الله الازلي وحكم بانه سعيد فسبق فعل ماض بسين مهملة وباء موحدة وقاف والخير هو احسان الله وانعامه عليه بهدايته ويجوز كسر سينه قبل ياء مثناة تحتية ماض مجهول ساقه أي بما ساقه الله تعالى له وأوصله اليه من الخير (ومن شقي معاند حاسد) أي أشقاه الله تعالى حتى حمله العناد والحسد على عدم الانقياد لما علم حقيته كما حمل الحسد ابليس لعنه الله تعالى على ضلاله لما كتب له من الشقاوة الازلية فلم يصدق ولم يؤمن (ومع هذا) العناد والحسد الذي أظهروه (فلم يحك) بالبناء للمجهول ونائب فاعله انه أنكر الواقع بعد سطور وهو بالفاء التفريعية تفصيل وتبيين لقوله لم يقدروا على تكذيب ماذكر منها والمقام مقام اطناب وخطابة فلا وجه للاعتراض عليه بانه لاموقع له بعد ماتقدم أي لم يذكر (عن واحد من النصارى واليهود على شدة عداوتهم له) صلى الله عليه وسلم أي هم مع انهم أشد الناس عداوة له وعلى بمعنى مع كقوله وانه لحب الخير لشديد أي على حب الخير لشديد (وحرصهم على تكذيبه) أي على شئ من كلامه يقدرون على نسبته الى الكذب فيه (وطول احتجاجه) عليه الصلاة والسلام (عليهم) أي اقامة الحجة عليهم (بما في كتبهم) المنزلة على أنبيائهم عليهم الصلاة والسلام (وتقريعهم) أي توبيخهم وتفضيحهم (بما انطوت عليه مصاحفهم) جمع مصحف بتثليث الميم كما نقل عن ثعلب والفتح غريب من أصحف اذا جمع على الصحف فهي بمعنى الصحف هنا (وكثرة سؤالهم له عليه الصلاة والسلام) عما لا يعلمه الا من له تبحر في العلم منهم (وتعنيتهم اياه) تفعيل من العنت وهو المشقة والتعب أي تكليفهم بما هو شاق (عن أخبار أنبيائهم) متعلق بسؤالهم (وأسرار علومهم) أي الامور الخفية الدقيقة من علومهم (ومستودعات سيرهم)

رسول الله الى كافة الناس (وتقريعهم) أي توبيخهم ردعا لهم (بما انطوت عليه مصاحفهم) أي بما اشتملت عليه كتبهم وكان الاظهر ان يقول صحفهم أو صحائفهم (وكثرة سؤالهم له عليه الصلاة والسلام) أي اختبارا أو امتحانا (وتعنيتهم اياه) أي تكليفهم له بما يشق عليه بكثرة سؤالهم (عن أخبار أنبيائهم وأسرار علومهم ومستودعات سيرهم) أي كل ذلك تعنتا وعنادا لاتفهما وارشادا

أي

أى سؤالهم عما أودع فى مصاحفهم من سير أنبيائهم (واعلامه لهم بمكتوم شرائعهم) وفى نسخة بمكنون بدل مكتوم أى اخباره صلى الله تعالى عليه وسلم لمن سأله منهم عن أمور مكتومة مخفية عندهم ستروها عن غيرهم (ومضمنات كتبهم) أى ماتضمنتها كتبهم من الاحكام وغيرها (مثل سؤالهم عن الروح) فى الحديث الصحيح الذى رواه الشيخان كما تقدم بيانه (وذى القرنين وأصحاب الكهف وعيسى) لما قال علماء اليهود للمشركين سلوه عنها فان سكت أو أجاب عن الجميع فليس بنبى وان أجاب عن الاولين وسكت عن الروح وكل علمها الى الله فانه كذلك فى التوراة فهو نبى مرسل (وحكم الرجم) أى سؤالهم له صلى الله تعالى عليه وسلم عن حكم الرجم للزانى المحصن الذى أنكروه فبينه لهم صلى الله تعالى عليه وسلم كما فى التوراة (وماحرم اسرائيل على نفسه) اسرائيل هو يعقوب عليه الصلاة والسلام ومعناه صفوة الله وكان اليهود سألوه امتحانا له عما حرم على نفسه فقال لحوم الابل وألبانها والعرق ومافيه عرق فصدقوه لانه كان سكن البدو فخوفا من أخيه العيص ثم نذر انه ان دخل بيت المقدس سليما من الامراض والآفات ان يذبح آخر أولاده وأعزهم عليه فلما سار وقرب منه بعث الله ملكا وكز فخذه فمرض بعرق النساء حتى كان من وجعه ما كان وذلك لئلا يلزمه ذبح ولده فحرم على نفسه ما مر لانه يضر عرق النساء وكان ذلك باجتهاد منه والانبياء يجوز لهم الاجتهاد على الصحيح ويعقوب مات بمصر فحمله يوسف عليهما الصلاة والسلام فدفنه عند أبيه بوصية منه (و) سألوه أيضا عن (ماحرم عليهم) أى على بنى اسرائيل (من الانعام ومن الطيبات) من المآكل (كانت أحلت لهم) أى جعلها الله حلالا لهم (فحرمت عليهم ببغيهم) أى حرمت عليهم عقوبة بسبب ظلمهم يشير الى قوله تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر الآية فحرم الله تعالى عليهم مالم يكن مشقوق الاصابع من البهائم والطيور كالابل والنعام والاوز والبط وقيل كل ذى مخلب من الطيور وكل ذى حافر من الدواب وحرم عليهم شحم البقر والغنم والكليتين الا ما التصق بالظهر والجنب كما بينه المفسرون وفصلوه فى سورة الانعام وقوله ببغيهم أى بقتل أنبيائهم وأخذهم أموال الناس بالباطل فقالوا ان الله لم يحرم علينا شيأ فنزلت هذه الآيات بتكذيبهم حتى افتضحوا واذعنوا (و) مثل (قوله) تعالى (ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الانجيل الآية) الاشارة الى قوله تعالى سيماهم فى وجوههم من أثر السجود كزرع أخرج شطأه الى آخر ماذكره فى آخر سورة الفتح فاخبرهم الله تعالى على لسان رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم بما فى كتبهم (وغير ذلك من أمورهم التى نزل بها القرآن) مما لا يعلم مثله الا بوحى (فاجابهم) عما سألوه (وعرفهم) بما كتموه (بما أوحى اليه من ذلك) السابق ذكره كله (انه أنكر ذلك أو كذبه) بفتح همزة ان والمصدر المسبوك منها ومما دخلت عليه نائب فاعل لم يحك وهو ظاهر ثم اضرب عن ذلك اضرابا انتقاليا على سبيل الترقى فقال (بل أكثرهم صرح) أى تكلم بكلام صريح ناطق (بصحة نبوته) أى قال انه صلى الله تعالى عليه وسلم صادق فى دعوى النبوة وان له نبوة صحيحة (وصدق مقالته)

(واعلامه لهم بمكنون شرائعهم) أى مخفيها ومستورها (ومضمنات كتبهم مثل سؤالهم) أى على لسان قريش اذ قالوا لهم سلوه (عن الروح) كما رواه الشيخان (وذى القرنين وأصحاب الكهف) فيما رواه ابن اسحق والبيهقى فان أجاب عنها أو سكت فليس بنبى وان أجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبى فبين لهم كما رواه الشيخان قصتى أصحاب الكهف وذى القرنين وأبهم أمر الروح كما هو مبهم فى التوراة (وعيسى عليه الصلاة والسلام) أى وسؤالهم عن عيسى فبينه لاهل الكتابين (وحكم الرجم) فبينه لليهود (وماحرم اسرائيل على نفسه) أى وسؤالهم عنه كما روى الترمذى أى حرم باجتهاده أو باذن من ربه لحوم الابل وألبانها فبينه لهم بقوله تعالى كل الطعام كان حلا لبنى اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة (وماحرم عليهم) بصيغة المجهول (من الانعام) أى وسؤالهم عنه فبينه بقوله سبحانه وتعالى وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر الآية (ومن طيبات كانت أحلت لهم فحرمت عليهم ببغيهم) أى وسؤالهم عنها فبينه بقوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم الآية (وقوله) أى مثل قوله تعالى (ذلك) أى سيماهم فى وجوههم من أثر السجود (مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الانجيل) أى كزرع أخرج شطأه فآزره الآية والمراد وصفهما العجيب الشان فيهما (وغير ذلك من أمورهم التى نزل فيها القرآن) أى لكشف مستورهم (فاجابهم) أى عن ذلك كله (وعرفهم بما أوحى اليه من ذلك) أى من بيانه (انه) بفتح الهمزة متعلق بما سبق وما بينهما معترضة أى فلم يحك عن أحد منهم انه (أنكر ذلك أو كذبه بل أكثرهم صرح بصحة نبوته وصدق مقالته) وفى نسخة بصحة مقاله وفى أخرى بفتح الصاد وتشديد الدال على انه فعل ماض ومقاله مفعوله

(واعترف بعناده) أي بعناد نفسه (وحسده اياه) وفي نسخة صحيحة وحسدهم (كأهل نجران) بفتح النون وسكون الجيم طائفة من النصارى حين حاجوه في عيسى فدعاهم الى المباهلة كما في آيتها وسيأتي تفصيل حكايتها (وابن صوريا) بضم الصاد وكسر الراء مقصورا وفي نسخة ممدودا ويقال له ابن صوري وقد ذكر السهيلي عن النقاش انه أسلم نقل ذلك الذهبي في تجريد الصحابة (وابني أخطب) بالخاء المعجمة يهوديان معروفان هلكا على كفرهما (وغيرهم ومن باهت ذلك) أي فيما لم ينكر منه ولم يكذب فيه (بعض المباهتة) أي نوع من المباحثة (وادعى ان فيما عندهم من ذلك لما حكاه) أي النبي عليه الصلاة والسلام (مخالفة دعى) بصيغة المجهول أي فقد دعى من جانب ربنا سبحانه وتعالى (الى اقامة حجته وكشف دعوته) أي من ان عنده فيما حكاه مخالفة كموافقته لابراهيم عليه السلام في تحليل لحوم الابل وألبانها ويروى وكشف عورته (فقيل له) أي للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم (قل فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين) روي انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما قال لهم ذلك بهتوا ولم يجترؤا ان يأتوا بها وهذا برهان عظيم على نبوته وصدق دعوته (الى قوله الظالمون) يعني فمن افترى على الله الكذب أي بزعمه ان ذلك حرم على بني اسرائيل وعلى من قبلهم قبل نزول التوراة من بعد ذلك أي بعد ظهور الحق له وثبوت الحجة عنده فاولئك هم الظالمون بعدم انصافهم من أنفسهم ومكابرتهم وعنادهم بعدما تبين الحق لهم

أي صدق كل ما قاله صلى الله عليه وسلم مما ادعاه ومما نقله عن كتبهم وصدق مصدر مضاف للفاعل ومقالته مجرور أو فعل ماض مشدد الدال ومقالته منصوب بمفعوله (واعترف بعناده وحسده اياه) فاقر بان جحده لما قاله صلى الله تعالى عليه وسلم محض عناد وحسد وافراد ضمير حسده رعاية لافراد لفظ أكثر وروي بضمير الجمع رعاية لمعناه وليس حسده فعل ماض لقوله اياه فانه يأباه (كأهل نجران) بفتح النون وسكون الجيم وراء مهملة قبل ألف ونون وهم قوم من نصارى العرب منزلهم بين مكة واليمن على سبع مراحل من مكة سموا نجران بنجران بن زيد بن سبأ وسيأتي الكلام عليهم (وابن صوريا) بضم الصاد وراء مهملتين وواو ساكنة قبل الراء ومثناة تحتية مقصور وجوز البرهان مده وهو عبد الله بن صوريا وهو حبر من أحبار اليهود الذين كانوا بالمدينة وهو الذي وضع يده على آية الرجم وهو لفظ عبراني واختلف في اسلامه فقيل انه أسلم وقيل مات على كفره (وابني أخطب) تثنية ابن واخطب بزنة أفعل التفضيل بخاء معجمة ساكنة وطاء مهملة مفتوحة وموحدة علم لابيهما وهما حيي بضم الحاء المهملة وفتح الياء المثناة التحتية يليها ياء مشددة وأبو ياسر وهما يهوديان من يهود المدينة معروفان ماتا على كفرهما وحيي هذا هو أبو صفية أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها قالت كان عمي أبو ياسر احسن رأيا من أبي كان يقول ألست تجده في كتبنا فيقول نعم هو هو فيقول له فما في نفسك منه فيقول معاداته (وغيرهم) من أحبار اليهود والنصارى (ومن باهت في ذلك بعض المباهتة) أي لم يقر بحقية ما جاء به صلى الله تعالى عليه وسلم وادعى انه كذب مكابرة منه يقال بهته وباهته اذا كذبه ونسبه للبهتان * ومنكر طيب المسك كذبه الشذاء * وقوله بعض المباهتة أي في بعض أموره التي يمكن المكابرة فيها وفيه اشارة الى ان من اخباره صلى الله تعالى عليه وسلم ما لا يمكن انكاره من أحد من العقلاء وقد علمت انه يقال بهته بكذا وباهته كما في الاساس ومن أنكره فقد أتى ببهتان من عنده (وادعى ان فيما عندهم) من كتبهم (من ذلك لما حكاه) متعلق بقوله (مخالفة) بالنصب اسم ان ومن الموصولة في قوله من باهت مبتدأ خبره (دعى) بالبناء للمجهول أي دعاه الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم باذن ربه (الى اقامة حجته) أي الى دليل بالاتيان بنص من كتبهم يخالف ما أخبرهم به (وكشف دعوته) أي بيان ما ادعاه (فقيل له) أي قال الله له صلى الله تعالى عليه وسلم قل لهم (فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين الى قوله الظالمون) يعني قوله تعالى فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك فاولئك هم الظالمون وسبب نزولها ان اليهود قالوا له صلى الله تعالى عليه وسلم تزعم انك على ملة ابراهيم وأنت تأكل لحم الابل ولبنها وذلك يحرم في شرعه وقيل ان المسلمين قالوا لهم انما حرمت عليكم الطيبات ببغيكم فقالوا انها كانت محرمة قبل ذلك فامروا بابراز التوراة حتى يتلى ما فيها من تحريم ذلك فلم يجدوا ذلك فيها وافتضحوا وقيل انهم أتوا برجل وامرأة زنيا فقال لهم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كيف تفعلون فقالوا نحممهما ونضربهما فقال لهم ان الذي في التوراة رجمهما فانكروه فقال لهم كذبتم ائتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين فأتوا بها وقرؤا حكم الزاني فيها فوضع القارئ يده على آية الرجم وقرأ ما قبلها وما بعدها فانتزعت من يده ووجد

(فقرع) بتشديد الراء (ووبخ) بتشديد الموحدة أي فاظهر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم التقريع والتوبيخ لهم (ودعا) أي دعاهم (الى احضار ممكن غير ممتنع) وهو الاتيان بالتوراة فلم يقدروا على ذلك وتفرقوا باختلافهم هنالك (فمن معترف بما جحده) أي أنكره اما باسلامه أو بانصافه (ومتواقح) بالقاف والحاء أي ومن قليل حياء (يلقى) بضم الياء وكسر القاف أي يضع (على فضيحته) أي الكاشفة لعيبه التي هي ظاهرة (من كتابة يده) بالنصب على انه مفعول يلقى وفي أصل الدلجي من كتابه يده بالاضافة والظاهر انه تصحيف بل تحريف وهي آية الرجم سماها بالفضيحة لانها سبب لهتك حالته قال الحلبي وقد جاء في صحيح البخاري ان عبد الله بن سلام قال له ارفع يدك يا أعور وسماه بعض الحفاظ عبد الله بن صوريا الاعور والحبر الذي تقدم ذكره وانه سلم بعده (ولم يؤثر) بصيغة المفعول أي ولم يرو واحد (ان واحدا منهم) أي من أهل الكتاب (أظهر خلاف قوله) صلى الله تعالى عليه وسلم (من كتابه) وفي نسخة من كتبه (ولا أبدى) أي ولا أظهر (صحيحا ولا سقيما من صحفه) جمع صحيفة والظاهر من تغاير المتعاطفين ان الصحيفة تطلق على الكتاب الصغير والكتاب اذا أطلق فالمراد به الكبير وان كان معناه الاعم لاسيما حال الجمع بينهما وهذا أولى مما قال الدلجي من انه جمع بينهما تفننا وتزينا ومما يؤيده ما قدمناه حديث عيينة ابن حصين أنه صلى الله تعالى عليه وسلم كتب له كتابا فلما أخذه قال يا محمد أترى اني حامل الى قومي كتابا كصحيفة المتلمس وهو شاعر معروف قدم هو وطرفة الشاعر على عمرو بن هند فنقم عليهما أمرا فكتب لهما كتابين الى عامله بالبحرين يأمره بقتلهما وأعطى كلا صحيفة وقال اني كتبت لكما بالجائزة فاجتازا بالحيرة فقرأ المتلمس صحيفته فاذا فيها الامر بقتله فألقاها في الماء ومضى الى الشام وقال لطرفة اقرأ صحيفتك وألقها فانها كصحيفتي فأبى ومضى الى العامل فقتله فصار مثلا (قال تعالى يا أهل الكتاب) اللام لام الجنس والمراد بهم اليهود والنصارى جميعهم (قد جاءكم رسولنا) يعني محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم (يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب) كنعته صلى الله تعالى عليه وسلم وآية الرجم مما في التوراة وبشارة عيسى به عليهما السلام مما في الانجيل (ويعفو عن كثير) أي مما تخفونه مما لا ضرورة الى تبيينه أو عن كثير منكم لحلمه حيث لا يؤاخذه بجرمه (الآيتين) يعني قوله تعالى قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم

فيها الرجم فرجما (فقرع ووبخ) أي قرعهم الله وغيرهم بتكذيبهم وافترائهم على الله صريحا وتلويحا وجعلهم ظالمين (ودعا الى احضار ممكن غير ممتنع) وهو أمرهم بالاتيان بالتوراة وهي حاضرة بين أيديهم فصاروا قسمين (فمن معترف بما جحده) وأنكره من أحكام التوراة (ومتواقح) بضم الميم ومثناة فوقية مفتوحة وقاف مكسورة وحاء مهملة أي متكلف للوقاحة وهي قلة الحياء وصلابة الوجه حتى لا يبالي بافتضاحه والمراد به ابن صوريا الذي وضع يده على آية الرجم فقال له ابن سلام ارفع يدك يا أعور كما أشار اليه بقوله (يلقي على فضيحته) أي ما يفضحه ويجعله سخرة بين الناس (من كتابه) أي من الكتاب الذي معه (يده) أي يضعها عليه وعلى الآية التي فيها ما يخالف دعواه ويكذبه (ولم يؤثر) بالبناء للمجهول بمعنى ينقل معطوف على قوله فلم يحك المتقدم ونائب فاعله (ان واحدا منهم) أي من أهل الكتابين (أظهر خلاف قوله) صلى الله تعالى عليه وسلم (من كتبه) أي من الكتب التي عندهم مما أنزل على أنبيائهم (ولا أبدى) أي أظهر نقلا (صحيحا ولا سقيما) أي محرفا لفظه أو مأولا معناه (من صحفه) جمع صحيفة وهي الكتاب (قال الله تعالى) بيانا لما كانوا عليه في هذا الامر (يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب) كصفته صلى الله تعالى عليه وسلم وقصة الرجم وبشارة الكتب ببعثته صلى الله تعالى عليه وسلم وشأنه (ويعفو عن كثير) لحلمه وستره عليهم رجاء هدايتهم بتوفيق الله (الآيتين) وهما قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم

(فصل هذه الوجوه الاربعة من اعجازه بينة) في غاية الظهور (لانزاع فيها) أي لا ينازع أحد من العقلاء في كونها ثابتة معجزة (ولا مرية) بكسر الميم وضمها كامر بمعنى شبهة وشك في ذلك وهي عامة في جميع الآيات وفي جميع الاخبار الواقعة فيها كما قال تعالى ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب (ومن الوجوه البينة في اعجازه من غير هذه الوجوه) الاربعة (آي) جمع آية أو اسم

(فصل) (هذه الوجوه الاربعة) أي المتقدمة في فصولها السابقة (من اعجاز) أي اعجاز القرآن (بينة) أي واضحة ولائحة (لانزاع فيها) أي ليس لاحد فيها منازعة (ولا مرية) أي لا شك ولا شبهة (ومن الوجوه البينة في اعجازه من غير هذه الوجوه) الاربعة الواردة في حق تعجيز الامة (آي) بهمزة ممدودة أي آيات

تعالى عنهم (انهم لا يفعلونها) أى كقوله تعالى ولا يتمنونه أبدا وأما شرح الدلجى بقوله ولن يفعلوا ففيه ان هذا من الامور العامة لا من القضايا الخاصة (فما فعلوا ولا قدروا على ذلك) أى بل عجزوا عن المعارضة هنالك (كقوله لليهود) على ما نص عليه فى سورة الجمعة بقوله قل يا أيها الذين هادوا ان زعمتم انكم أولياء الله الآية (قل ان كانت لكم الدار الآخرة) أى الجنة وما فيها من المثوبة (عند الله خالصة) أى لكم (من دون الناس) أى باقيهم أو المؤمنين كما ادعيتم بقولكم لن يدخل الجنة الا من كان هودا (الآية) أى فتمنوا الموت ان كنتم صادقين أى فى دعواكم على وفق متمناكم لان من أيقن انه من أهل الجنة اشتاقها وأحب الخلاص من دار الاكدار اليها ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم أى من الاعمال السيئة الموجبة لدخول النار المؤبدة (قال أبو اسحق الزجاج) بتشديد الجيم الاولى (فى هذه الآية أعظم حجة وأظهر دلالة على صحة الرسالة لانه) أى الله سبحانه وتعالى (قال لهم فتمنوا الموت وأعلمهم انهم لن يتمنوه أبدا فلم يتمنه أحد منهم وعن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم

أى

جنس جمعى كتمر وتمرة وليس كل ما يفرق بينه وبين واحده بالتاء اسم جنس جمعى كما فصله البدر بن مالك فى باب الجمع من شرح الالفية والآية جملة من القرآن لها مبدأ ومقطع كما مر (وزدت بتعجيز قوم) أى جاء فيها اظهار عجز طائفة مخصوصة من الناس (فى قضايا) جمع قضية وهى الحادثة الواقعة فى حكم قضاه الله تعالى وقدره (واعلامهم انهم لا يفعلونها) الاعلام بكسر الهمزة مصدر اعلم مجرور معطوف على تعجيز والضمير للقضايا (فما فعلوا ولا قدروا على ذلك) المذكور من تلك القضايا ونفى القدرة أبلغ من نفى العلم (كقوله) عز وجل (لليهود) لما ادعوا دعاوى باطلة كقولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى فكذبهم وألزمهم الحجة فقال خطابا له صلى الله عليه وسلم (قل ان كانت لكم الدار الآخرة) وهى الجنة (عند الله خالصة) أى خاصة بكم وهو حال من الدار الآخرة والخطاب لاهل الكتاب (من دون الناس) أى باقيهم من المؤمنين وغيرهم (فتمنوا الموت ان كنتم صادقين) فى قولكم انكم من أهل الجنة وانها مخصوصة بكم لان من تيقن دخول الجنة اشتاق لها وأحب التخلص من هذه الدار واكدارها ومن أحب لقاء الله أحب الله لقاءه (ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم) فنفى عنهم تمنى الموت فى جميع الازمنة المستقبلة بقوله لن وأبدا وما قدمته أيديهم الكفر بالله وتحريفهم التوراة فما فى هذه الآية من المعجزات لانه أخبار بالغيب وهو كما أخبر اذ لو تمناه أحد منهم مع توفر الدواعى على نقله اشتهر والتمنى وان كان من اعمال القلب الخفية كما يأتى فالنطق به وقولهم تمنينا مما لا يخفى ولو تمنوه ماتوا فانهم لحرصهم على الحياة وخوفهم لن يتمنوه وقد صرفهم الله تعالى عن ذلك معجزة له صلى الله تعالى عليه وسلم وقد استشكل ما قاله المصنف هنا بان ما ذكره هنا داخل فى الوجوه السابقة فان قوله لن يتمنوه أبدا مثل قوله فأتوا بسورة من مثله الى قوله فان لم تفعلوا ولن تفعلوا الاعلام بانهم لا يفعلون لعجزهم وعدم قدرتهم فهو داخل فى النوع المتقدم لانه اخبار عما استأثر الله بعلمه فى المستقبل فجعله أدنى منه غير مسلم وقد سوى بينهما فى الكشاف والجواب عنه ان ما تقدم أمر معجز فى نفسه فى سائر الازمنة بخلاف ما نحن فيه فان قول أحدهم ليتنى أموت ونحوه أمر ممكن لهم ولغيرهم واعجازه انما هو بمجرد الاخبار عن عدم وقوعه فهو مغاير لما قبله وأدنى منه بمراتب (قال أبو اسحق الزجاج) فى تفسيره المسمى بمعانى القرآن وهو تفسير جليل يعتمد عليه الزمخشرى فى كشافه وهو مأخذه كما مر وهو العلامة فى فنون العربية التى تلقاها عن المبرد واسمه ابراهيم بن السرى بن سهل بن الزجاج نسبة لصنعته توفى سنة احدى عشر وثلثمائة يوم الجمعة تاسع عشر جمادى الآخرة كما تقدم (فى هذه الآية أعظم حجة وأظهر دلالة على صحة الرسالة) أى رسالة نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم (لانه قال لهم فتمنوا الموت وأعلمهم انهم لن يتمنوه أبدا فلم يتمنه واحد منهم) وفى نسخة أحد منهم وفى الكشاف * فان قلت التمنى من اعمال القلوب وهو سر لا يطلع عليه أحد فمن أين علمت انهم لن يتمنوه * قلت ليس التمنى من اعمال القلوب وانما هو قول الانسان بلسانه ليت لى كذا وليت كلمة تمن ومحال ان يقع التحدى بما فى الضمائر والقلوب ولو كان بالقلوب لقالوا قد تمنيناه بقلوبنا ولم ينقل انهم قالوه وفى حواشيه للقطب انه استدلال على ان التمنى ليس من أفعال القلوب لان التحدى انما يكون بأمر ظاهر وفيه ان التحدى انما يكون باظهار المعجزة لالزام من لم يقبل الدعوى والتمنى ليس بمعجز فهو كقول الخصم احلف لى ان كنت صادقا ويمكن ان يقال التحدى هنا طلب دفع المعجزة فان اخباره بانهم لن يتمنوه أبدا معجزة طلب دفعها بتمنيهم والدفع لا يكون الا بأمر ظاهر وهو كلام حسن منعه قول من لم يصل الى العنقود (وعن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) فى حديث رواه البيهقى من طريق الكلبى عن

والذي نفسي بيده لا يقولها) أي لا يتمناها بهذه التمنية أو لا يتصور في نفسه هذه الامنية (رجل منهم الاغص بريقه) بفتح الغين المعجمة وتشديد الصاد المهملة لا بضم أوله لانه لازم لا يبنى مفعول له ذكره الدلجي والظاهر في بعض النسخ من انه بصيغة المجهول وان معناه شرق بريقه في حلقه بعدم بلعه وفي القاموس الغصة الحزن وما اعترض في الحلق فاشرق (يعني يموت مكانه) أي الاظهر مات مكانه ولفظة الحديث هذا ما رواه البيهقي من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس مرفوعا ورواه أحمد بسند جيد عن ابن عباس عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ولفظه لو ان اليهود تمنوا الموت لماتوا (فصرفهم الله عن تمنيه)

أبي صالح عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما بهذا اللفظ الآتي وأحمد في مسنده عن ابن عباس مرفوعا بسند جيد بلفظ لو ان اليهود تمنوا الموت لماتوا (والذي نفسي بيده) أقسم بالله قسما مناسبا للمقسم عليه فان معناه ان روحه بيد الله ان شاء أرسلها فتحيى وان شاء أمسكها فتموت وكان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كثيرا ما يقسم به (لا يقولها) أي كلمة التمني المفهوم من السياق (رجل منهم) أي واحد من بني اسرائيل والرجل على ظاهره والمراد ما يعم المرأة (الا غص بريقه) غص بضم الغين المعجمة وفتح الصاد المشددة المهملة أو بفتحهما وفاعله ضمير الرجل وعليه اقتصر بعضهم ولا ينافي الاول كونه لازما كما توهم والغصة ما تقف في الحلق فتمنع النفس حتى تهلكه يقال غص بالطعام وشرق بالشراب وسجى بالعظم وحرض بالريق وقد يستعمل كل منهما مكان الآخر والريق رطوبة الفم وغصص الدهر مصائبه وهو كناية عن سرعة وقوع الموت بهم كما في النهاية واليه أشار اليه بقوله (يعني يموت مكانه) أي في مكانه الذي غص فيه فلا يمهل لانتقاله لفراشه (فصرفهم الله عن تمنيه) مصدر مضاف لمفعوله وهو ضمير الموت (وجزعهم) بفتح الجيم وتشديد الزاي المعجمة وفتحها أو فتح العين المهملة وفي نسخة في جزعهم وكونه جزعهم براء مهملة غلط (ليظهر صدق رسوله) صلى الله تعالى عليه وسلم (وصحة ما أوحي اليه) ثم بينه بقوله (اذلم يتمنه أحد منهم) لخوف الموت لتيقن صدق خبره (وكانوا على تكذيبه أحرص لو قدروا) على تكذيبه بان يتمنوا ولا يموتوا والجملة حالية بتقدير قد (ولكن الله) بالتخفيف والتشديد (يفعل ما يريد) من تمنيهم وعدمه (فظهرت بذلك) أي بصرفهم عما هم أحرص عليه (معجزته وبانت حجته) بصدق خبره عن الغيب (قال أبو محمد الاصيلي) تقدم الكلام عليه وعلى نسبته (من أعجب أمرهم) أي اليهود (انه) الضمير للشان (لا يوجد منهم جماعة ولا واحد من يوم) أي من حين (أمر الله بذلك نبيه صلى الله عليه وسلم) بقوله قل لهم فتمنوا الموت (يقدم عليه) أي على تمني الموت (ولا يجيب اليه) أي الى قوله تمنوا الموت أو الى قول أحد تمني الموت لشدة خوفهم ولما جبلهم الله عليه من حرصهم على حب الحياة كما قال ولتجدنهم أحرص الناس على حياة (وهذا) المذكور من امتناعهم عن التمني (موجود مشاهد لمن أراد أن يمتحنه منهم) أي كل من أراد ان يعرفه اذا ذكره لهم ظهر به ما في طباعهم والامتحان هو التجربة وانما ذكره دفعا لما يقال التمني أمر خفي فقد يقال انه موجود ولم يطلع عليه (وكذلك آية المباهلة) أي مثل قصة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في بني اسرائيل قصة المباهلة في نصارى نجران لان فيها تكليفا بالتكلم بامر لو قالوه هلكوا وقد أخبره الله تعالى به قبل وقوعه فكان كما أخبره ولم يجبه أحد منهم الى ما دعاهم اليه كما لم تتمن اليهود الموت فهو (من هذا المعنى) يعني انهما متقاربان كما قررناه آنفا وأصل معنى المباهلة كما حققه الراغب من البهل وهو الاهمال كارسال البعير وكحل صرار الناقة يقال أبهلت فلانا

أي تمني الموت (وجزعهم) بتشديد الزاي أي ادخل الخوف قلوبهم (ليظهر) بضم الياء وكسر الهاء أو بفتحهما أي ليبين أو يتبين (صدق رسوله) أي في دعوى رسالته (وصحة ما أوحي اليه) بصيغة المفعول أو الفاعل (اذلم يتمنه) أي الموت (أحد منهم وكانوا على تكذيبه أحرص) أي من غيرهم (لو قدروا) أي على ما أمكنهم من الكيد (ولكن الله تعالى يفعل ما يريد فظهرت بذلك) أي بصرفهم عن تمنيهم مع كونهم على تكذيبه أحرص من غيرهم (معجزته وبانت) أي ظهرت (حجته قال أبو محمد الاصيلي) بفتح فكسر (من أعجب أمرهم انه) أي الشأن (لا يوجد منهم جماعة ولا واحد) أي منهم (من يوم أمر الله بذلك نبيه) أي بقوله تعالى قل ان كانت لكم الدار الآخرة الى قوله فتمنوا الموت (يقدم عليه) بضم الياء وكسر الدال أي على تمني الموت (ولا يجيب اليه) أي الى تمنيه اذا قيل له تمنه (وهذا) أي امتناعهم من تمنيه (موجود) أي ثابت فيما بينهم (مشاهد) بفتح الهاء أي معلوم (لمن أراد ان يمتحنه منهم وكذلك) أي مثل ما تقدم مثل آية التمني (آية المباهلة) بفتح الهاء من البهلة وتضم اللعنة فهي الملاعنة والدعاء باللعنة على الظالم من الفريقين وباهل بعضهم بعضا وتباهلوا أي تلاعنوا والابتهال والاجتهاد في الدعاء واخلاصه (من هذا المعنى) أي من حيثية عدم الاجابة الى ما دعت اليه الآية

(حيث وفد) بفتح الفاء أى قدم (عليه أساقفة نجران) جمع أسقف بضم الهمزة والقاف وتشديد الفاء رئيس دين النصارى وقاضيهم ونجران بنون مفتوحة وجيم ساكنة بلدة كان فيها النصارى بين مكة واليمن على نحو سبع مراحل من مكة (وأبوا الاسلام) بفتح الهمزة والباء وضم الواو أى وامتنعوا عن قبول الاسلام والايمان وأصروا على اعتقادهم الفاسد فى حق عيسى عليه السلام (فانزل الله عليه آية المباهلة) أى الملاعنة (بقوله فمن حاجك) أى جادلك وخاصمك (فيه) أى فى عيسى عليه السلام وأنكر خلقه وزعم انه اله يعبد (الآية) يعنى فقل تعالوا أى هلموا بالعزم والرأى ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم أى يدع كل منا نفسه وأعز أهله وألصقهم بقلبه فتقديمهم على الانفس لمخاطرة الانسان بنفسه لهم ومدافعته عنهم كذا ذكره الدلجى والاظهر ان المراد بانفسنا أقرب أقاربنا كما سيأتى خروجه صلى الله تعالى عليه وسلم مع الحسنين وفاطمة وراءهما وعلى وراءها فترتيبهم على مراتبهم ويؤخذ منه علو مناقبهم نبتهل أى نتضرع الى رب العالمين فنجعل لعنة الله على الكاذبين أى منا ومنكم (فامتنعوا منها) أى بعد ما دعاهم اليها (ورضوا باداء الجزية) أى عوضا عنها (وذلك ان العاقب عظيمهم قال لهم قد علمتم انه نبى) أى بما جاءكم من أمر الحق من ربكم (وانه ما لاعن قوما نبى قط) أى أبدا (فبقى كبيرهم وصغيرهم) وتمام الحديث فان أبيتم الا الف دينكم فوادعوه وانصرفوا فأتوه وهو محتضن حسينا وأخذ بيد الحسن وفاطمة تمشى وراءه وعلى وراءها وهو يقول اذا دعوت فآمنوا فقال أسقفهم يا معشر النصارى انى لارى وجوها لو سألوا الله ان يزيل جبلا من مكانه لازاله فلا تباهلوا فتهلكوا فاذعنوا له وبذلوا له الجزية كل سنة ألفى حلة وثلاثين درعا من حديد فقال صلى الله تعالى عليه وسلم لو باهلوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادى نارا ولاستأصل الله نجران حتى الطير على الشجر

اذا خليته وارادته ومنه الابتهال وهو تضرع الدعاء قال ومن فسره باللعن فلما فيه من الاسترسال فيه قال الشاعر * نظر الدهر اليهم فابتهل * أى استرسل اليهم فافناهم انتهى وفيه رد على بعض أهل اللغة اذ ظن ان حقيقته الملاعنة ويؤيده ظاهر قوله تعالى ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين (حيث وفد عليه) الوفد هو القادم من غير أهل الديار كما مر وحيث هنا الزمان اى لما قدموا عليه من ديارهم (اساقفة نجران) جمع أسقف بضم الهمزة والقاف وبينهما سين مهملة وآخره فاء مشددة وهو رئيس النصارى فى دينهم وقاضيهم وامامهم قيل سمى به لانحنائه وخضوعه ونجران بفتح النون واسكان الجيم بلدة كانوا فيها وهى بين مكة واليمن على سبع مراحل من مكة قدموا منها على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم ستون راكبا منهم أربعة عشر رجلا رؤساؤهم ومنهم ثلاثة نفر بيدهم كل أمرهم وأميرهم اسمه العاقب كما يأتى وذو رأيهم كالوزير اسمه المسيح وثمالهم السيد وصاحب رحلهم الايهم وأبو حارثة بن علقمة أخو بكر بن وائل أسقفهم وامامهم وقصتهم مشهورة فى الاسلام (وأبوا الاسلام) أى امتنعوا ان يسلموا لادعائهم حقية دينهم وعدم نسخه (فانزل الله عليه) صلى الله عليه وسلم فى حقهم (آية المباهلة بقوله فمن حاجك فيه الآية) وتمامها من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين ومعنى وأنفسنا وأنفسكم أى ليدع بعضنا بعضا فان الانسان لا يدع نفسه وكيفيتها كما قصه الله تعالى ان يجمع كل من المتخاصمين أهله ثم يتوجه كل منهما الى الله تعالى ويقول اللهم ان هذا يقول كذا وكذا وأنا أقول كذا وكذا اللهم فاجعل لعنتك على الكاذب منا فان عذاب الله يحل بمن كذب من غير بطئ وهذا لم ينسخ فان سلطان العلماء العز بن عبد السلام أسند اليه بعض أهله شيأ لم يقله فقال أباهله الى الله ففعل فلم يمض سنة حتى هلك من باهله وانما جمع الاهل تخويفا لهم بحلول العذاب من الله بهم أجمعين ومن قال هنا معنى البهلة بالضم والفتح اللعنة لم يصب كما مر عن الراغب وهذا مما نحن فيه من وجه ومن قال الاسقف مشتق من السقف كما قاله ابن السكيت والهاء للعجمة ففى كلامه تناقض (فامتنعوا منها) أى من المباهلة خافوا لما شاهدوه من الهلاك على أنفسهم بدعائه صلى الله عليه وسلم (ورضوا باداء الجزية) وهو الخراج الموظف على الناس ويطلق على ما يعين على الاراضى فاختار وها مع ما فيها من المذلة وكانوا قالوا له صلى الله تعالى عليه وسلم مالك تشتم نبينا فتقول عبد الله فقال هو عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها الى العذراء البتول فغضبوا وقالوا هل رأيت انسانا من غير أب فانزل الله عز وجل ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم الخ ثم دعاهم للمباهلة (وذلك ان العاقب عظيمهم قال لهم قد علمتم انه نبى وانه ما لاعن قوما نبى قط فبقى كبيرهم ولا صغيرهم) أى هلكوا جميعا لاجابة دعائه عليهم ثم قال لهم ان أبيتم الا الاقامة على دينكم فصالحوه وانصرفوا الى دياركم وروى ان القائل هذا منهم هو السيد الذى كان يسمى شرحبيل فقال لهم رسول الله صلى الله

تعالى عليه وسلم أسلموا يكن لكم وعليكم ما للمسلمين وعليهم فابوا فقال نقاتلكم فقالوا ما لنا طاقة بحرب العرب ولكن نصالحك على ان لا تغزونا ولا تخيفنا ولا تردنا عن ديننا على ان نؤدى اليك كل عام ألفي حلة ألفا فى صفر وألفا فى رجب فصالحهم صلى الله تعالى عليه وسلم على ذلك وقال لو تلاعنوا لمسخوا قردة وخنازير واضطرم عليهم الوادى نارا وفيه دليل على مشروعية الملاعنة قال فى المواهب وقد جربته وانه لا يمضى على الكاذب سنة كما سمعته وقد علمت ان هؤلاء امتنعوا من الملاعنة كما امتنع اليهود عن تمنى الموت ولذا أورده المصنف رحمه الله تعالى هنا (ومثله قوله وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا الى قوله فان لم تفعلوا ولن تفعلوا) أى مثل قوله فمن حاجك فيه (فاخبرهم) الله تعالى فى هذه الآية (انهم لا يفعلون) فى المستقبل ابدا وهو مادل عليه الجملة المعترضة بين الشرط وأجزائه وهى قوله ولن تفعلوا (كما كان) فى الماضى الدال عليه فان لم تفعلوا فان عجزهم عن معارضة القرآن أمر محقق وواقع وانما أتى بان الشرطية وكان مقتضى المقام اذا باعتبار ما عندهم من الشك فى قدرتهم تهكما بهم (وهذه الآية) أى قوله تعالى وان كنتم فى ريب مما نزلنا الى آخره (ادخل فى باب الاخبار بالغيب) أى اندراجها فيه أظهر وأوضح لتحقق النفى فى المستقبل بالنفى فى الماضى الذى علم من التحدى بخلاف آية تمنى الموت وآية المباهلة لعدم تقدم شئ من نوعها وقيل لان فيها تصريحا بنفى فعلهم فى المستقبل بخلاف آية المباهلة فان فيها اشعارا بالعجز عن المباهلة فى الحال والاشعار بالنفى فى المستقبل الذى هو من الاخبار بالغيب من لوازمها لا من صريحها وفيه بحث (ولكن فيها من التعجيز ما فى التى قبلها) أى فى آية سورة البقرة التى فيها تعجيزهم عن الاتيان بمثل سورة ما من مثله تعجيز كتعجيزهم عن المباهلة وفيه نظر لانهم لم يعجزوا عن المباهلة وانما خافوا من عاقبتها فاحجموا عنها ولو أرادوها لم يكن عندهم مانع منها فتدبره

(فصل ومنها) أى من وجوه اعجاز القرآن وجه غير الوجوه الاربعة التى تقدمت (الروعة) بفتح الراء والعين المهملتين المرة من الروع وهو الفزع والخوف الذى يطرأ عند سماعه لجلالته وهيبته كما وقع لسيدنا عمر رضى الله تعالى عنه لما سمع أول سورة طه فاسلم من غير تردد لما وقع فى قلبه عند سماعه (التى تلحق قلوب سامعيه) أصله تلحق قلوب السامعين له فحذفت نونه لاضافته لضمير القرآن (واسماعهم) بالنصب معطوف على قلوب مفعول تلحق وهو جمع سمع بمعنى الحاسة وفيه تسمح لان الفزع لا يلحق السمع وانما يلحق القلب بواسطته وهو كقوله ان تضل احداهما فتذكر احداهما الأخرى أى لتذكر احداهما الأخرى اذا ضلت كما حقق فى الكشاف وشروحه وانما عطف عليه ليفيد ان هذه الروعة تلحق من يفهمه ومن لا يفهمه مؤمنا كان أو كافرا فما قيل ان فى عده ذا وجها مستقلا من وجوه الاعجاز نظرا لانه معنى زائد عن النظم مشروط بتدبره وهو فى المؤمن واضح واما فى الكافر فليقر به ليس بسديد لمن ألقى السمع وهو شهيد وقوله (عند سماعه) يأباه والضمير للقرآن (والهيبة) بالرفع معطوف على الروعة ومعناه الخوف يقال هابه اذا خافه كما فى القاموس وهو قريب من الروعة والتحقيق انهما ليسا بمعنى واحد كما فى عروس الافراح قال ربما يتوهم ان الروع والمهابة واحد وليس كذلك بل الروع الفزع والمهابة الاجلال قال

اهابك اجلالا ومابك قدرة * على ولكن ملء عين حبيبها

وقال الشريف فى قول السكاكى ادخال الروعة وتربية المهابة والمهابة يراد بها عرفا الحالة التى تكون فى قلوب الناظرين الى الملوك وتربيتها تقويتها والروعة الخوف الذى يتجدد بمخاطبتهم انتهى (التى تعتريهم) أى تطرأ عليهم وتغشاهم (عند تلاوته) وقراءته والاول ناظر للسامع والثانى للقارئ نفسه

(ومثله) أى ومثل فمن حاجك فيه (قوله تعالى وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا) والاظهر ان المثل هنا بمعنى النظير فان المحاجة من القضايا الخاصة وهذه الآية من الامور العامة (الى قوله فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاخبرهم) أى الكفار وغيرهم (انهم) أى أحدا منهم (لا يفعلون) أى المعارضة فى الازمنة المستقبلة (كما كان) أى كما تحقق عدم فعلهم فى الايام الماضية (وهذه الآية أدخل) أى من جهة المعجزة (فى باب الاخبار عن الغيب) أى من حيث انه سبحانه وتعالى نفى عنهم صدور ما طلب منهم تحديا فى المستقبل أبدا (ولكن فيها) أى فى هذه الآية (من التعجيز) أى لقريش وأمثالهم (ما فى التى قبلها) أى من التعجيز لنصارى نجران بخصوصهم اذ كل منهما طلب منه الاسلام فابوا وادعوا انهم على الحق وكذبوا النبى المطلق فطولبوا بصداقه فعجزوا

(فصل)

(ومنها الروعة) بفتح الراء أى الخشية (التى تلحق قلوب سامعيه واسماعهم عند سماعه) أى سماعهم له على لسان تاليه (والهيبة) أى العظمة (التى تعتريهم) أى تصيبهم وتحصل لهم عند تلاوته

لقوة حاله) أى حالته فى تمام حلاوته وفى نسخة لقوة جلالته (وانافة خطره) بفتحتين أى رفعة قدره وعظمة أمره (وهى) أى روعته
أو تلاوته (على المكذبين به أعظم) أى أصعب منها على المصدقين به (حتى كانوا) أى المكذبون (يستثقلون سماعه ويزيدهم نفورا)
أى هربا من استماعه (كما قال الله تعالى) أى فيما أخبر عنهم بقوله واذا ذكرت ربك فى القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفورا (ويودون
انقطاعه) أى تلاوته (لكراهتهم له) أى كما قال الله تعالى واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون

بالآخرة واذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون (ولهذا) أى ولما ذكر من ودادهم انقطاعه وكراهتهم تلاوته واستماعه (قال عليه الصلاة والسلام) أى كما رواه الديلمى وغيره عن الحكم بن عمير مرفوعا (ان القرآن) وفى نسخة صحيحة ان هذا القرآن (صعب) أى شديد (مستصعب) بكسر العين وتفتح وهو تأكيد (على من كرهه) وفى أصل الدلجى يكرهه (وهو) أى القرآن (الحكم) بفتحتين أى الحاكم بين الحق والباطل والفاصل بين البر والفاجر المبين لكل نفس جزاء ما عملت من خير أو شر المميز بين السعيد والشقى بالثواب والعقاب (وأما المؤمن) أى به كما فى نسخة (فلا تزال روعته به) أى روعة القرآن بالمؤمن (وهيبته اياه مع تلاوته توليه) بضم التاء وسكون الواو أى تعطيه (انجذابا) وفى نسخة انجباذا أى فى
اقباله عليه (وتكسبه هشاشة) بفتح الهاء أى ارتياحا واستبشارا وفرحا وخفة (لميل قلبه اليه وتصديقه به) أى بما لديه (قال الله
تعالى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم) أى ترتعد وتنقبض مما فيه من الوعيد بالعقوبة (ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله)
أى تسكن وتطمئن الى ما فيه من ذكر الوعد بالرحمة والمغفرة

أو هما بمعنى (لقوة حاله) أى لما فيه من الحالة القوية باعتبار ما فيه من المواعظ والانذار وهذا ناظر للروعة عند من فهمه (وانافة خطره) أى علو مرتبته على غيره من الكلام الذى يهابه سامعه فهو ناظر للهيبة ويمكن كل منهما لكل منهما (وهى) أى الروعة والهيبة وأفراد الضمير لانهما شئ واحدا وكالواحد (على المكذبين به أعظم) منها على المؤمنين لشدة خوفهم منه كما قيل الخائن خائف والمؤمن وان هابه فهو متلذذ به مطمئن قلبه ببشائره (حتى كانوا) أى المكذبون (يستثقلون سماعه) لصعوبة ما فيه عليهم (ويزيدهم) سماعه (نفورا) عن الحق والاصغاء اليه (كما قال تعالى) واذا ذكرت ربك فى القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفورا أى ولوا معرضين عنه لعدم ذكر آلهتهم فيه (ويودون) أى يحبون (انقطاعه) أى قطع تلاوته عندهم (لكراهتهم له) لخبث طباعهم كما تضر رياح الورد بالجعل (ولهذا) المذكور من محبة انقطاعه وكراهتهم له (قال صلى الله تعالى عليه وسلم) فى الحديث الذى رواه الديلمى وغيره عن الحكم بن عمير وسيأتى بتمامه (ان القرآن صعب) فى نفسه بمعنى انه لا يقدر أحد على محاكاته وضبط ألفاظه وحفظها بسهولة كما قال تعالى انا سنلقى عليك قولا ثقيلا (مستصعب) بفتح العين وكسرها أى يعسر فهمه وتفسيره بالرأى ولا يمكن تغييره وتحريفه لانه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه لانه ليس من جنس كلام البشر (على من كرهه) من الكفار والمنافقين (وهو) أى القرآن (الحكم) بفتحتين أى الحاكم الفاصل بين الحق والباطل بما تضمنه من الاحكام والبر والفاجر بما نصب فيه من الادلة الدالة على حقيته ولذا قيل له فرقان وهذا فى حق غير المؤمن (واما المؤمن) معادلة لاما مقدرة معلومة مما قبله أى اما غير المؤمن فلا يزال صعبا عليه لكراهته له واما المؤمن (فلا تزال روعته به) بفتح الراء أى فزعه وخوفه من زواجره ومواعظه وهيبته منزله الحاصلة بسببه (وهيبته اياه) الضمير الاول للمؤمن والثانى للقرآن أو بالعكس (مع تلاوته) أى قراءته من تلاه اذا تبعه أو هو بمعناه اللغوى أى اتباعه لاوامره ونواهيه والتلاوة فى العرف تختص بالقرآن وقيل لا تختص به (توليه) أى تعطيه من أولاه معروفا اذا أعطاه فهو بضم المثناة الفوقية وسكون الواو وكسر اللام المخففة (انجذابا) بنون وجيم وذال معجمة وموحدة من جذبه اذا أماله لجهته بشدة أى يستميل قلبه وسمعه لمحبته له وشبه الشئ منجذب اليه (وتكسبه) بضم التاء الفوقية وسكون الكاف (هشاشة) بفتح الهاء والشين المعجمة أى مسرة وخفة ولينا لما فيه من البشائر السارة والمعانى اللذيذة التى تجعله فى نشاط (لميل قلبه اليه وتصديقه به) فهو دائما يرتع فكره منه فى روضات أنيقة فاذا عرف من يناجى وانه جليس الرحمن سر ونشط ثم استشهد لهذا بقوله (قال الله تعالى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله) أى يعرض لجلود أبدانهم قشعريرة أى قيام من الخوف من هيبته فاذا تأمله وتدبره لان قلبه وجلده لانسه وسروره به ولذا ترى بعض الصالحين اذا تلى القرآن تواجدوا وصاحوا وقد يتعدى ذلك الى الغشى وشق الثياب ونحوه ومثله لا ينكر ومن لم يذق لا يعرف ولا يأبى هذا انه لم يقع من الصحابة رضى الله تعالى عنهم لان مقامهم مقام تمكين وقد بسط هذا

(وقال) أى الله سبحانه وتعالى (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل الآية) أى لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله أى متشققا ومتقطعا من هيبته (ويدل على ان هذا) أى ما يغشى قلوب سامعيه واسماعهم عند تلاوة تاليه (شئ خص) أى القرآن (به) أى دون سائر كتب الله تعالى وصحفه (انه) بدل من هذا أو تقديره وهو انه (يعترى) أى يصيب (من لا يفهم معانيه ولا يعلم تفاسيره) أى المتعلقة بمجمل مبانيه كما هو مشاهد فى كثير من العوام انه يحصل لهم هذا المقام من وصول المرام بل وقد يحصل لمن لم يكن مؤمنا به (كما روى عن نصرانى انه مر بقارئ) أى بمن يتلو القرآن (فوقف يبكى فقيل له لم) أو مم (بكيت) وفى نسخة مم تبكى (فقال للشجى) بفتح معجمة فسكون جيم وفى بعض النسخ بفتحتين مقصورا وهو الظاهر أى للحزن الذى أصابه من استماعه فرق قلبه وخشع بدنه أو للطرب الذى حصل له من أثر كلام الرب (والنظم) أى لما جمع بين المعانى الدقيقة البيان وبين الفصاحة والبلاغة فى ميدان التبيان (وهذه الروعة قد اعترت جماعة قبل الاسلام وبعده) أى فى قليل من الأيام (فمنهم من أسلم لها الاول وهلة وآمن به ومنهم من كفر) أى استمر على كفره أو كفر حينئذ ثم رجع بعده الى ربه ولعله تعالى أشار الى هذا المعنى فى قوله تعالى ألم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الامد فقست قلوبهم أى اشتدت أو اسودت (فحكى فى الصحيح) بل روى فى الصحيحين (عن جبير بن مطعم قال سمعت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يقرأ فى المغرب

فى الاحياء فان أردته فارجع اليه وعدى تلين بالى لما فيه من معنى الميل وذكر الجلود فى الاول وضم اليها القلوب فى الثانى اشارة الى ان الاول قبل التدبر التام فاذا تدبر ذلك وقر فى قلبه وزالت تلك الحالة الظاهرة عنه (وقال) تعالى (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل الآية) يعنى لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون وهذا تمثيل لما فيه من الروعة التى تهد الجبال فما بالك بالرجال والآية مبينة فى التفاسير فلا حاجة للتطويل بذكر ما فيها (ويدل على ان هذا) أى ما يحدث للقلوب والاسماع من الروعة والمهابة (شئ خص به) القرآن دون غيره من الكلام (انه) أمر (يعترى) أى يطرأ أو يحدث (من لا يفهم معانيه ولا يعلم تفاسيره) ممن لا يمارس كتبه ويقرؤها حتى يقف على دقائقه ولطائفه فعلم من هذا ان تأثر السامع به لسر فيه وأمر ربانى ولذا كان يثاب قارئه وسامعه وان لم يفهمه بخلاف غيره (كما روى عن نصرانى) ليس من شانه فهم القرآن ولا الوقوف على تفسيره ففيه ايضاح لما قبله (انه مر بقارئ) يتلو القرآن جهرا (فوقف) ليسمع قراءته وهو (يبكى فقيل له مم بكيت) وانما سئل عن سبب بكائه لانه لا يصدق به ولا يفهمه (فقال للشجا والنظم) الشجا بفتح الشين المعجمة والجيم مقصور يقال شجى يشجى شجا وهو شج اذا حزن أو طرب أو غضب والثانى أنسب هنا كما قاله البرهان والمراد بالنظم رونق انتظامه وحسن انسجامه فأثر ذلك فى نفسه وهو لا يفهمه حتى أبكاه وسمع بعض العرب بخراسان مغنية حسنة الصوت تغنى بالفارسية فشوقه ذلك وأشجاه وقال

ومسمعة يحار السمع فيها * ولا يفهمه لا يصمم صداها
ولم أفهم معانيها ولكن * ورت كبدى فلم أفهم شجاها
فكنت كأننى أعمى معنى * يحب الغانيات ولا يراها

ولم يذكر المصنف رحمه الله تعالى ان ذلك القارئ قرأ بصوت حسن حتى يكون تأثره وطربه لنغماته وهو أبلغ وأدل على مقصده (وهذه الروعة) الحاصلة عند سماع القرآن لمن لم يتدبره (قد اعترت جماعة) وحصلت لهم (قبل الاسلام) أى قبل اسلامهم (وبعده) ثم فصل حال من اعترته الروعة قبل اسلامه لكنه تسمح فى العبارة لان القبلية تقتضى عروض الاسلام فلا ينافى قوله ومنهم من كفر وكذلك قوله بعده فعبارته لا تخلو من المسامحة وكان الظاهر ان يقول اعترت جماعة منهم من أسلم ومنهم من بقى على كفره بقوله (فمنهم من أسلم لها) أى لهذه الروعة (لاول وهلة) بفتح الواو وسكون الهاء وهى المرة من الوهل وهو الفزع يقال وهل منه واليه اذا فزع ثم قيل أول وهلة لاول ما يقرع السمع ويقع فى الوهم والفكر وهو المراد كما أشار اليه فى الاساس وأسلم بمعنى أقر واعترف (وآمن به) أى صدق بقلبه (ومنهم من كفر) أى دام على كفره لاصراره على عناده لحماقته وجاهليته (فحكى فى) الحديث (الصحيح) الذى رواه الشيخان مسندا (عن جبير بن مطعم) بن عدى بن نوفل بن عبد مناف الصحابى رضى الله تعالى عنه وقد تقدمت ترجمته وانه أسلم فى فتح خيبر أو فتح مكة انه (قال سمعت رسول الله) وفى نسخة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (يقرأ فى) صلاة (المغرب) وذلك قبل اسلامه

بالطور) أي بسورة الطور (فلما بلغ هذه الآية أم خلقوا من غير شيء) أي من غير موجد ومحدث وخالق فلا يعبدونه (أم هم الخالقون) أي أنفسهم (الى قوله المسيطرون) يعني قوله تعالى أم خلقوا السموات والارض بل لا يوقنون في قولهم هو الله اذا سئلوا من خلق السموات والارض اذ لو يقنوا في خالقيته لما أعرضوا عن عبوديته قضاء لحق ربوبيته أم عندهم خزائن

(بالطور) أي بسورة الطور (فلما بلغ هذه الآية أم خلقوا من غير شيء) أي من غير خالق لهم كما تقول الدهرية (أم هم الخالقون) لانفسهم بشهادة قوله بعده أم خلقوا السموات والارض وقرأ (الى قوله أم هم المصيطرون) أي المدبرون للاشياء كما يريدون وبينهما بل لا يوقنون أم عندهم خزائن ربك يقال مصيطر ومسيطر للسيد المالك (كاد قلبي ان يطير للاسلام) أي حدث عندي فزع وخوف شديد ظننت ان قلبي ذاب وفني حتى لم يبق معي وطيران القلب يراد به تارة شدة الخوف وهو المراد هنا لان القلب متحرك دائما لحرارته فاذا زالت الحرارة الغريزية لخوف أو شدة شوق وحب زاد خفقانه فيشبه حينئذ بطائر يخفق جناحه كما قال القائل

كأن قطاة علقت بين أضلعي * لان فؤادي دائم الخفقان

وقلت عجبا لقلبي طائر فزعا * وعليه ناحل اضلاعي قفص

وعليه قول العرب أفزع روعه كما حقق في كتب اللغة (وفي رواية) أخرى غير رواية الشيخين (وذلك أول ما وقر الايمان في قلبي) وقر بالقاف بزنة ضرب بمعنى سكن وثبت وذلك انه كان مشركا في أسارى بدر أو في فداء أساراها فلما سمع الآية وفهمها علم ما فيها من برهان الايمان القاطع لعرق الكفر لدلالتها على انه لا خالق يستحق العبادة الا الله فسكن قلبه بعد اضطرابه حتى كاد يطير وهذه رواية البخاري أيضا في المغازي وفي رواية فصدع قلبي وفيه دليل على صحة رواية المسلم ما تحمل حال كفره وفيه بيان لروعة القرآن لمن سمعه وان تلك الروعة سبب لاسلامه (وعن عتبة بن ربيعة) هو أبو الوليد ابن عبد شمس بن عبد مناف المشهور وهو ممن قتل كافرا ببدر فلا يتوهم اسلامه بقول المصنف رحمه الله تعالى عن عتبة هنا وهذا الحديث رواه ابن اسحق في سيره والبغوي في تفسيره (انه كلم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فيما جاء به من خلاف قومه) يشير لما في السير من ان أبا جهل لعنه الله تعالى قال لقريش قد التبس علينا أمر محمد فلو أتانا منا من كلمه فذهب اليه عتبة وكان ذا رأي وحزم وقال له يا محمد أنت خير أم هاشم أنت خير أم عبد المطلب فلم تشتم آلهتنا وتسفه أحلامنا وتضللنا وأنت منا بسطة قومنا فان كنت تريد الرياسة عقدنا لك اللواء وكنت رئيسنا وان كان بك الباءة زوجناك من تختار من بنات قريش وان كنت تريد المال جمعنا لك من أموالنا حتى تكون من أكثرنا مالا وان كان لك رئي لا تستطيع رده طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا أو كما قال والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم يسمع كلامه حتى فرغ فقال له أفرغت يا أبا الوليد قال نعم قال اسمع مني ما أقول (فتلا عليهم) أي على الوليد ومن معه أو من علم انه سيبلغه ما تلاه عليه وفي نسخة عليه بالافراد من سورة (حم) تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب (فصلت) آياته (الى قوله) فان أعرضوا فقل أنذرتكم (صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود) أي الصاعقة التي أهلكت قوم هود وقوم صالح (فامسك عتبة على فيه) أي وضع يده على فم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حتى يقطع كلامه وما تلاه عليه من هذه السورة لخوفه من وقوع ما أنذرهم به وفي نسخة فامسك عتبة بيده على في النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (وناشده الرحم ان يكف) أي سأله مقسما عليه بالرحم وهي القرابة القريبة المقتضية للرحمة والتعطف عليهم من حلول ما ذكره من العقاب بهم يقال ناشدته ونشدته اذا أقسمت عليه قسم استعطاف (وفي رواية) أخرى لابن اسحق في سيرته عن كعب القرظي (فجعل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم

ربك أي حتى يعطوا النبوة من شاؤا أم هم المسيطرون أي الغالبون على الاشياء يدبرونها كيف أرادوا وأم في المواضع الثلاثة منقطعة بمعنى بل والهمزة لانكار القضية (كاد قلبي ان يطير) أي فزعا بما اعتراه من الروعة والهيبة أو فرحا لما حصل له من شرح الصدر وسعة القلب في معرفة الرب ويؤيده قوله (للاسلام وفي رواية أخرى) أي عنه (وذلك أول ما وقر الايمان) أي تمكن وثبت واستقر (في قلبي) وفي نسخة الاسلام بدل الايمان (وعن عتبة) بضم فسكون (بن ربيعة) أي ابن عبد شمس ابن عبد مناف قتل كافرا بالله في بدر والحديث رواه البغوي في تفسيره (انه كلم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فيما جاءه من خلاف قومه) أي بما لم يوافق اعتقاداتهم الباطلة وضلالاتهم العاطلة (فتلا عليهم حم كتاب فصلت الى قوله

فأنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود) أي قوم هود وصالح (فامسك عتبة بيده على فيه) يقرأ)
أي فم النبي عليه الصلاة والسلام كما في نسخة (وناشده الرحم) أي اقسم وسأله بالقرابة التي بينهم (ان يكف) أي يمسك عن تلاوته ويقف في قراءته (وفي رواية) أي لابن اسحق في سيرته عن محمد بن كعب القرظي (فجعل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم

يقرأ) قال الراغب جعل لفظ عام في الافعال كلها أعم من فعل وصنع واخواتهما وتاتي على أوجه فتجري مجرى صار وطفق فلا تتعدى تقول جعل زيد يقول كذا الخ فالمعنى انطلق في قراءة السورة وقوله لا تتعدى أي هي من أفعال الشروع والفعل خبرها الامفعولها والشروع لا ينافي الاستمرار كما توهم (وعتبة مصغ) اسم فاعل من أصغى بوزن منذر أي مستمع لقراءته منصت لها (ملق بيديه خلف ظهره) لاعتماده عليهما (معتمد عليهما) كالتفسير له (حتى انتهى) أي وصل (الى آية السجدة فسجد) صلى الله تعالى عليه وسلم (وقام عتبة) من عنده (لا يدري بم يراجعه) أي بكلامه بعد تلاوته لروعته التي أدهشته بما سمعه منه صلى الله تعالى عليه وسلم (ورجع الى أهله) أي دخل عتبة منزله ولم يقابل أحدا ممن كان ينتظر خبره (ولم يخرج) من بيته (الى قومه) واستمر في بيته (حتى أتوه) ليسئلوه عن انقطاعه عنهم ما سببه (فاعتذر لهم) عن عدم خروجه لهم واخباره بما جرى له معه صلى الله تعالى عليه وسلم (وقال) فيما اعتذر لهم به (والله لقد كلمني) النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (بكلام والله (ماسمعت أذناي بمثله قط) أي بما ماثل له في حسنه وجزالته وتأثيره في القلوب (فما دريت ما أقول له) فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين وفيه دليل لما نحن فيه من الروعة والهيبة لمن بقي على كفره ممن أضله الله على علم وفي رواية لما رأوه قالوا والله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به فلما جلس اليهم قالوا ماوراءك يا أبا الوليد قال وراءي اني سمعت قولا والله ماسمعت مثله قط والله ماهو بالشعر ولا بالسحر ولا الكهانة يامعشر قريش أطيعوني وخلوا بين هذا الرجل وبين ماهو فيه واعتزلوه فوالله ليكونن لقوله الذي سمعته نبأ عظيم فان تصبه العرب كفيتموه بغيركم وان يظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم وكنتم أسعد الناس به فقالوا سحرك والله يا أبا الوليد قال هذا رأيي فيه فاصنعوا مابدا لكم (وقد حكي) بالبناء للمجهول (عن غير واحد) أي عن كثير وغير الواحد شامل للقليل والكثير ولكنه خص عرفا بهذا كما (ممن رام معارضته) أي قصد ان يأتي بكلام يماثله في البلاغة (انه اعترته) أي حدثت له وأصابته (روعة وهيبة) حين تلاه وسمعه (كف بها) أي بتلك الروعة والفزع (عن ذلك) أي المذكور من روم المعارضة ثم ذكر بعض من سخف عقله ممن هم بذلك فقال (فحكي ان ابن المقفع طلب ذلك ورامه) أي قصد معارضة القرآن والكلام بما يماثله وفي المقتفى للبرهان الحلبي المقفع بضم الميم وفتح القاف والفاء المشددة قبل العين المهملة ولم يتعرض ابن ماكولا لبيان حركة الفاء وهي مضبوطة في النسخ بالكسر والذي أحفظه الفتح وذكر ابن ماكولا شخصا يقال له مروان بن المقفع فليحرر هل هو هذا أم لا انتهى وهو غريب من مثل هذا الحافظ فانه بالفتح من غير شبهة قال في القاموس مقفع اليدين كمعظم متشنجهما ومروان بن المقفع تابعي وأبو عبد الله بن المقفع فصيح بليغ وكان اسمه روزبه أوداذبه بن داودحس قبل اسلامه وكنيته أبو عمرو ولقب أبوه بالمقفع فتقفعت يداه أي تشنجتا وهذا مما يعرفه الخاصة والعامة الان التلمساني قال في حواشيه المقفع اليابس اليدين والرجلين من برد وقال ابن مكي في تثقيف اللسان ان الصواب فيه المقفع بكسر الفاء لانه كان يعمل القفاع جمع قفعة وهي شئ يشبه الزنبيل بلاعروة من خوص وليس بالكبير وقيل انه كاتب المنصور وهو أول من هذب المنطق وقتله سفيان المهلبي لما ولي البصرة وحضره أهلها وفيهم ابن المقفع فذكر عنده الوطيس فلم يعرفه وسأل عنه من حضر فضحك ابن المقفع ثم انصرفوا فأمر ابن المقفع بالجلوس حتى خلا المجلس فامر بتنور عظيم وأمر بان يسجر وأمر بطرحه فيه فاحترق كما في مشكاة أنوار الخلفاء وكان ابن المقفع من جملة قوم زنادقة كانوا يجتمعون لذكر مطاعن القرآن وصياغة هذيان

أي مستندا اليهما (حتى انتهى) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (الى السجدة) أي آيتها ونهايتها (فسجد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي ومن معه لله سبحانه وتعالى (وقام عتبة لا يدري بما يراجعه) أي يحاوره ويراده (ورجع الى أهله ولم يخرج الى قومه حتى أتوه) أي جاؤا اليه وعاتبوا عليه بما جرى لديه (فاعتذر لهم) أي عن انقطاعه عنهم وعدم خروجه اليهم (وقال والله لقد كلمني) أي محمد عليه الصلاة والسلام (بكلام ماسمعت أذناي بمثله قط) أي لجزالة مبانيه وفخامة معانيه (فادريت) أي ماعلمت (ما أقول له) أي شيأ مما يناقضه وينافيه (وقد حكي عن غير واحد) أي عن كثيرين (ممن رام معارضته) أي قصد مناقضته (انه اعترته روعة وهيبة) أي أصابته فزعة وخشية (كف) أي منع نفسه وامتنع (بها) أي بتلك الروعة المقرونة بالهيبة (عن ذلك) أي عما قصده

من محاولة المجادلة (فحكي ان ابن المقفع) بضم الميم وفتح القاف وتشديد الفاء المفتوحة أو المكسورة فعين مهملة (طلب ذلك ورامه) أي قصده

يعارضونه بها كما أشار اليه المصنف رحمه الله تعالى بقوله (وشرع فيه) أي في المعارضة وذكره لان تأنيث المصادر غير معتبر لتأويله بان والفعل (فر بصبي يقرأ وقيل يا أرض ابلعي ماءك فرجع) وقد تقدم بيان بلاغتها وما فيها من الاعجاز على ما في المفتاح وشروحه (فمحى) جميع (ما عمل) يعني غسله وأبطل ما في صحفه لما رآها لا مناسبة بينها وبين شئ من الكتاب العزيز (وقال أشهد) أي أقر وأعترف وأعلم كل أحد (ان هذا لا يعارض) أي لا يقدر أحد على الاتيان بمثله (وما هو من كلام البشر) لظهور اعجازه (وكان أفصح أهل وقته) فليس ممن قال ذلك بغير علم لمعرفته بصناعة الصياغة والمراد بوقته زمانه وعصره الموجود فيه * (فائدة) * قال أبو الفرج ابن الجوزي نقلت من خط أبي الوفاء علي بن عقيل الحنبلي صاحب الفنون قال وجدت في تعاليق محقق من أهل العلم ان سبعة مات كل منهم وله ست وثلاثون سنة فعجبت من قصر أعمارهم مع بلوغ كل واحد منهم الغاية فيما كان فيه وانتهى اليهم فمنهم الاسكندر ذو القرنين وأبو مسلم صاحب الدولة العباسية وابن المقفع صاحب الخطابة والفصاحة وسيبويه صاحب التصانيف والتقدم في علم العربية وأبو تمام الطائي وما بلغ في الشعر وعلومه وابراهيم النظام المتعمق في علم الكلام وابن الراوندي وما انتهى اليه من التوغل في المخازي فهؤلاء السبعة لم يجاوز أحدهم ستا وثلاثين سنة بل اتفقوا على هذا القدر من العمر انتهى قلت فلينظر الزركشي فانه لم يجاوز الاربعين فانه مات في ست وثلاثين فيضم اليهم وكذا شيخ الاسلام تقي الدين السبكي فانظر الى مؤلفاته التي زادت على أكثر من ثلاثين ما بين مبسوط ومختصرمات عن خمسة وعشرين سنة فيضم اليهم (وكان يحيى بن الحكم) بفتح الحاء المهملة وكاف مفتوحة بعدها وقيل انما هو الحكيم بوزن الطبيب كما ذكره الذهبي وقال انه من شعراء المائة الثانية توفي بعد مائة وخمسين ولست على ثقة منه وذكره ابن خلكان في تاريخه وقال انه من شعراء الاندلس وذكره في الذخيرة أيضا (الغزال) بمعجمتين وزاؤه مشددة وقيل انها مخففة عند الذهبي أيضا في كتاب المشتبه فعلى الاول هو وصف منسوب لصنعة الغزل وعلى الثاني هو علم منقول من اسم الحيوان وهو بكري قرطبي الدار كان في زمن هشام بن الحكم أقول الذي ذكره ابن حيان في المقتبس تاريخ الاندلس انه يحيى بن الحكم البكري الجياني لقب بالغزال في صغره لحسنه وكان في المائة الثالثة حكيم الاندلس وشاعرها وله شعر في غاية الحسن وارتحل لمصر ثم عاد للاندلس وعمر أي بلغ من العمر مائة وثلاثين سنة وأرسل رسولا لبلاد الفرنج فأعجب ملكها فنادمه وسألته امرأته عن سنه فقال عشرين سنة فقالت له فما هذا الشيب فقال أما رأيت مهرا ولد أشهب فضحكت والى هذا يشير بقوله في قصيدة

قالت أرى فرديه قد نورا * دعابة توجب ان أدعبا

قلت لها ما باله انه * قد ينتج المهر كذا أشهبا

قال وحكي انه أراد ان يعارض سورة الاخلاص فعرضت له حالة أوجبت توبته وهو ما ذكره المصنف رحمه الله تعالى الآتي (بليغ الاندلس في زمنه) أي معروف بالبلاغة وفصاحة النظم والنثر في عصره والاندلس بفتح الهمزة وضم الدال وفتحها وضم اللام ليس الا وهي معربة لم تتكلم بها العرب قديما وانما عرفتها في الاسلام قال ياقوت في معجمه اشتهر على الالسنة انها تلزمه أل وقد وردت بدونها في قول بعض العرب

سألت القوم عن أنس فقالوا * باندلس واندلس بعيد

وهي بلغاتها لا نظير لها سواء قلنا أفعلل أو فنعلل والظاهر ان الهمزة زائدة لان بعدها أربعة أحرف ولو كانت عربية جاز ان يقال وزنها انفعل * فان قلت قال سيبويه انفحل الشيخ المسن ولا يعرف ما في

(وشرع فيه) أي فيما بدا له على ظن ان كلامه يفيد مرامه من المعارضة لما في القرآن من فنون البلاغة وفنون الفصاحة التي صار بها معجزة (فر بصبي يقرأ وقيل يا أرض ابلعي ماءك فرجع) أي قبل ان يسمع بقية الآية (فمحا) أي مسح وغسل (ما عمل) أي على منوال القرآن ظنا منه ان مهملاته تصلح كونها معارضا في مقام مناقضاته ومرام مجادلاته (وقال أشهد ان هذا لا يعارض وما هو من كلام البشر) أي حتى يناقض (وكان) أي ابن المقفع (من أفصح أهل وقته) أي في دقة فهمه وحدة فطنته (وكان يحيى بن الحكم) بفتح الحاء المهملة والكاف وفي المشتبه للذهبي ابن حكيم بزيادة ياء (الغزال) بتشديد الزاي وذكره الذهبي في قسم المخفف من المشتبه واختاره الشمني (بليغ الاندلس) بفتح الهمزة والدال وقيل بضمهما أقليم بالمغرب وضم اللام متفق عليه (في زمنه)

تحكى) بصيغة المجهول (انه رام) أى أراد (شيأ من هذا) أى الذى ذكر من المعارضة (فنظر فى سورة الاخلاص يحذو على مثالها) أى ليأتى على أسلوبها (وينسج) بكسر السين وضمها (بزعمه) بضم الزاى وفتحها أى وينظم الكلام ويسرد المرام بمقتضى ظنه وبموجب وهمه (على منواله) قال) أى يحيى المذكور (فاعترتنى منه خشية ورقة) أى أصابتنى هيبة ولينة

أوله زيادتان مما ليس جاريا على الفعل * قلت هو العربى البحت وهى تجاه تونس أرض تحتوى على بلاد وليست جزيرة الان البحر يحيط بها من ثلاث جهات هى أكثرها فلذا سماها بعضهم جزيرة (تحكى) بالبناء للمجهول (انه رام شيأ من هذا) أى معارضة القرآن ونسج كلاما على منواله فى الفصاحة (فنظر فى سورة الاخلاص) التى هى أقصر سورة أى تدبر فى نظمها ليأتى من عنده بمثلها وسميت سورة الاخلاص لاشتمالها على ما يجب اخلاص اعتقاده من التوحيد لذات الله وصفاته (ليحذو على مثالها) من حذوته بحاء مهملة وذال معجمة اذا قفت بحذائه أى مقابلته وحذا النعل بالنعل اذا قطعها بمقدارها وقالبها فالمعنى ليقول مثلها وفى الحديث لتركبن سنن من قبلكم حذو النعل بالنعل أى تعملون مثل أعمالهم من غير زيادة ونقص فهو استعارة تمثيلية (وينسج بزعمه) بزاى معجمة مثلثة وهو الظن وأكثر ما يستعمل فى الكذب فان الزعم مطية الكذب (على منوالها) هو بمعنى ما قبله والمنوال بكسر الميم خشبة ينسج عليها الثياب فهو استعارة تخييلية ومكنية بتشبيه التكلم والكلام ببرود تنسج وأثبت لها ما له من النسج والمنوال أوهى تمثيلية أو تبعية وهو أمر سهل (قال) أى ابن الحكم (فاعترتنى) أى عرض لى فى حال النظر (خشية) أى خوف وتعظيم له (ورقة) أى رقة قلب وخشوع أوضعف ولين (حملته) التفات اذ الظاهر حملتنى والحمل الالجاء والقسر (على التوبة) كما كنت هممت به والندامة على ما عزم عليه (والانابة) أى الرجوع عنه وفى نسخة والاوبة وتركه لذلك لعلمه بانه أمر لا يقدر عليه البشر

(فصل ومن وجوه اعجازه المعدودة) أى الذى عده العلماء منها اشارة الى انه مسبوق بذكره (كونه آية) ومعجزة (باقية) فسره بقوله (لاتعدم مابقيت الدنيا) أى مدة بقائها الى قيام الساعة وما ورد فى حديث حذيفة من انه تأتى ليلة يرفع فيها القرآن لا يبقى فى الارض منه آية هو بعد نزول عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام وظهور يأجوج ومأجوج وهو فى حكم الساعة ووجود الدنيا حينئذ والعدم سواء وبقاؤه ببقاء تلاوته محفوظا من النسخ والتبديل والتغيير وهذا فضل يتميز به عن سائر الكتب الالهية فضلا عن غيرها وما قيل من ان عد هذا من وجوه الاعجاز لا وجه له فانه لا تعلق له بالنظم المعجز ساقط فان بقاءه كما ذكر من لوازم اعجازه بعدم مشابهته لكلام البشر حتى يؤتى بامثاله أو يدخل فيه ما ليس منه أو نقول انه من جملة ما أخبر الله به عنه فهو من عينه وهذا أنسب بقوله (مع تكفل الله تعالى بحفظه فقال انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) والمراد بالذكر القرآن وضمير له له لاله صلى الله تعالى عليه وسلم فلما تولى حفظه بعظمته وجلال ذاته ولم يكله لغيره كغيره المقول فيه بما استحفظوا من كتاب الله كما تقدم تأبد وتأيد حفظه لبقاء حافظه ورفعة نعمة حفظه (وقال لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه الآية) فلا يجد اليه سبيلا من جهة من الجهات ما يبطله ولا يكون قبله ولا بعده ما يكذبه أو ينسخه (وسائر معجزات الانبياء) والرسل عليهم الصلاة والسلام أى بقيتها غيره (انقضت) أى مضت وذهبت (بانقضاء أوقاتها) أى بعد عصرهم وزمن وجودهم انعدمت (فلم يبق الا خبرها) أى الاخبار المأثورة عنها دون ذواتها ونفسها كعصا موسى وناقة صالح وانفلاق البحر وغيرها مما هو مذكور فى السير كما قيل

(حملتنى على التوبة) أى عن تلك الارادة التى هى أقبح المعصية (والانابة) أى وعلى الرجوع الى الله تعالى والاقبال عليه فى طلب العفو والمغفرة

(فصل)

(ومن وجوه اعجازه المعدودة) أى عند علماء الاعيان (كونه آية باقية) أى على صفحات الزمان متلوة فى كل مكان (لاتعدم مابقيت الدنيا) أى لا تفقد مدة ما أراد الله تعالى بقاء الدنيا وأهلها فى خير وعافية (مع تكفل الله تعالى بحفظه) أى من النقصان والزيادة (فقال) أى الله سبحانه وتعالى ردا لانكارهم واستهزائهم فى يا أيها الذى نزل عليه الذكر انك لمجنون (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) أى بحملنا القرآن على حفظه ولذا ورد أهل القرآن أهل الله وخاصته (وقال لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) أى لا يجد اليه سبيلا ليتعلق به (الآية) يعنى تنزيل من حكيم حميد (وسائر معجزات الانبياء عليهم السلام) أى حتى سائر معجزات نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم (انقضت بانقضاء أوقاتها) أى مضت بانقطاع ساعاتها (فلم يبق) وفى نسخة ولم يبق (الا خبرها) أى عند أرباب أثرها

(والقرآن العزيز) أي البديع المنيع (الباهرة آياته الظاهرة معجزاته) أي اللائحة مبانيه واللامعة مغانيه (على ما كان عليه)
أي في أول مباديه (اليوم) بالنصب أي الى يومنا هذا (مدة خمسمائة عام وخمس وثلاثين سنة) وفي نسخة

وانما المرء حديث بعده * فكن حديثا حسنا لمن وعى

(والقرآن العزيز) أي المنيع المحمي بحمايته من قاله (الباهرة آياته) أي الغالبة لغيرها والظاهرة وآياته بمعنى أنواع معجزاته السالفة أو كل آية متلوة منه فقوله (الظاهرة معجزاته) على الاول توضيح وتوكيد وعلى الثاني بيان وتأسيس باقية (على ما كان عليه اليوم) أي الى يومنا هذا فتعريف اليوم للتعريف الحضوري كهذا الآن والجار والمجرور خبر المبتدأ وهو القرآن والمراد باليوم عصر المؤلف كما أشار اليه بقوله (مدة خمسمائة عام وخمس وثلاثين سنة) وروى سبع بدل خمس والصواب الاول لانه روى ان تأليفه للشفاء كان في أيام قضائه في سنة خمس وثلاثين وخمسمائة قال التلمساني هكذا نقله الثقاة عن أبي عبد الله بن مرزوق ولم أسمعه منه انتهى (لاول نزوله الى وقتنا هذا) أي من ابتداء الوحي ونزول القرآن على نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم الى وقت تأليف المصنف رحمه الله لهذا الكتاب فاللام بمعنى من نحو سمعت له صريحا أي منه كما ذكره النحاة ويدل عليه مقابلته بالى (حجته قاهرة) المراد بالحجة نفس القرآن أي هو حجة غالبة لمن كفر به أو المراد ما فيه من الحجج والادلة (ومعارضته ممتنعة) أي الاتيان بمثله لا يمكن ولم يقع (والاعصار كلها طافحة) الاعصار جمع عصر بفتح فسكون لا ضم وسكون لان جمع الجمع غير قياسي وطافحة بطاء وحاء مهملتين بينهما ألف وفاء من طفح اذا فاض وتدفق (باهل البيان) متعلق بطافحة فان كان مجازا مرسلا بمعنى ممتلئة فظاهر وان كان استعارة تخييلية فعلى ان البيان مشبه بالماء على طريق الكناية والمعنى ببيان أهل الكتاب والمراد العارفون بايراد التراكيب البليغة على حسب مقاماتها (وحملة علم اللسان) حملة جمع حامل ككتاب وكتبة وهو الحافظ للسان بمعنى اللغة العربية (وأئمة البلاغة) أي العلماء بعلم البلاغة من المعاني والبيان وقرض الشعر وغيره من العلوم الادبية (وفرسان الكلام) الذين لهم فطرة مجبولة على القدرة على التكلم بكلام بليغ نظما ونثرا وفيه استعارة مكنية وتخييلية اذ شبه الكلام بجواد فاره والمتكلم برجل عارف برياضته والسبق به وأثبته له (وجهابذة البراعة) أي أساتذة الفصاحة الفائقة في بابها جمع جهبذ بكسر الجيم والباء وبينهما هاء ساكنة وآخره ذال معجمة يقال رجل جهبذ أي عالم نحرير وهو لفظ معرب وأصل معنى الجهبذ النقاد البصير والسمسار الخبير فاستعير لما ذكر كذا قالوا والذي عندي في هذه التراكيب الخمسة ان المراد بها أهل اللسان العارفون به بجبلة نقادة وطبيعة وقادة والعلماء بعلوم العربية واللغة فالمراد باهل البيان الفصحاء وبالحملة علماء اللغة وبالائمة البلغاء الخطباء من العرب العرباء وبالفرسان الشعراء وأهل الانشاء المحدثين وبالجهابذة العلماء بقرض الشعر وانشاء النثر فلا تكرار في كلامه وان كان في مقام خطابة يحمد فيه البسط والاسهاب ولذا كان هؤلاء فرقتان مهتد لا يكد طبعه في العناد وضده (والملحد فيهم كثير) الملحد اسم فاعل من ألحد عن الحق اذا مال ومنه لحد القبر والالحاد كما قال الراغب ضربان الحاد الى الشرك بالله والحاد الى الشرك بالاسباب والاول ينافي الايمان ويبطله والثاني يوهن عراه ويحل عقدته (والمعادي للشرع عتيد) أي مهيأ حاضر باذل جهده في عداوته واعتد واعد متقاربان لفظا ومعنى أي مع كثرة من يريد المعارضة (فما منهم من أتى بشئ) من الكلام (يؤثر) أي يحفظ وينقل (في معارضته) والاتيان بما يماثله (ولا ألف كلمتين في مناقضته) المناقضة التكلم بما يخالفه ويبطله ومنه نقائض جرير كما تقدم وهي المراجعة والمحاورة (ولا قدر فيه على مطعن صحيح) أي لم يعبه

وسبع عطف بيان وقال الدلجي اليوم خبر المبتدأ أعني القرآن وما بينهما صفات له هذا وفي نسخة منذ خمسمائة عام الخ وهذا تاريخ زمن المصنف رحمه الله تعالى ولذا قال (لاول نزوله أي الى وقتنا هذا) ونقول وكذا مدة ألف وزيادة عشر الى زماننا هذا (حجته قاهرة) أي بينته غالبة وفي نسخة ظاهرة أي مبينة (ومعارضته ممتنعة والاعصار) أي أهلها من أرباب القرى وأصحاب الامصار (كلها طافحة) أي مملوءة وفائضة (باهل البيان) أي في الفصاحة (وحملة علم اللغة اللسان) أي اللغة (وأئمة البلاغة وفرسان الكلام) أي في ميدان المرام (وجهابذة البراعة) أي المهرة في تقدم الصناعة وهو بفتح الجيم وكسر الموحدة جمع الجهبذ والبراعة مصدر برع اذا فاق (والملحد) أي والحال ان المائل عن الحق الى الباطل (فيهم كثير والمعادي للشرع عتيد) أي المخالف والمناوي لهم حاضر مهيئ في مقام النكير وفي نسخة عنيد بالنون أي معاند شرير (فما منهم من أتى بشئ يؤثر) أي ولم يروى (في معارضته ولا ألف كلمتين) أي ولا ركبهما وألف بينهما (في مناقضته ولا قدر فيه على مطعن صحيح) أي لم يجد في القرآن محلا يتعلق به طعن صحيح أو عيب صريح

ولم يعترض عليه باعتراض يسمع منه وقد فعل ذلك بعض الزنادقة فافتضح وصار سخرة كابن فى مطاعن القرآن التى ذكرها السلف (ولاقدح) القدح ذكر المعائب يقال قدح فى نسبه وعرضه اذا ذمه وقدح الزناد ضربه لاجل النار والمراد الاول لكن فيه تورية بالثانى لقوله (المتكلف من ذهنه فى ذلك الا بزند شحيح) والمتكلف هو الذى يفعل مالا يحسنه بكلفة منه والذهن قوة الفكر وذلك اشارة الى القدح والطعن والشحيح البخيل استعارة للزند الذى لا يخرج منه شرر منيرة أى لم يفده قدحه شيأ غير الخيبة يقال زند شحيح اذا كان لا يورى ولله در المصنف رحمه الله تعالى ما ألطف صنعه ومن لم يذق حلاوة كلامه قال لو قال ولا ضرب المتكلف بسيف ذهنه الا ارتد وهو جريح وحسن استعارته كون الذهن يوصف بالتوقد والاشتعال كما قيل

ويكاد يحرقه توقد ذهنه * لولا مياه الجود فيه والندا

لكن لا تعدم الحسناء ذاما فما أبلغ السكوت فى محله (بل المأثور) والمنقول (عن كل من رام ذلك) أى قصد الطعن فيه بذكر ما يؤدى زكاجته (القاؤه فى العجز بيديه) الالقاء بالقاف بمعنى الرمى ومفعوله محذوف أى القاؤه نفسه ورميها فى مهالك العجز ومهاويه فشبه العجز ببئر ونحوه مما يهلك الواقع فيه وبيديه متعلق به أى هو الرامى والطارح لنفسه وقيل معناه ألقى نفسه بها فى العجز ولزومه له جعله ظرفا له وهو معنى ركيك وقول التلمسانى انه الغاوه بالغين المعجمة من لغو الكلام الذى يحسن السكوت عنه لا عليه (والنكوص على عقبيه) أى المأثور الرجوع عما قاله بالاعتراف بعجزه يقال نكص على عقبيه وهما مؤخر الرجل اذا رجع القهقرى وقال الراغب النكوص الاحجام عن الشئ وفى القاموس نكص على عقبيه رجع عما كان عليه من خير فهو خاص بالرجوع عن الخير ووهم الجوهرى فى اطلاقه وقيل عليه ان قلت معارضة القرآن شر فكيف يكون الرجوع عنها نكوصا على العقبين قلت هو مبنى على زعمه أو هو تهكم به كما أطلق على رجوع الشيطان يوم بدر عن اعانة قريش على النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه على ان الاصح جواز اطلاقه على خلافه نادرا أقول هذا استعارة من رجوع القهقرى لانه بمعنى الرجوع على العقبين حقيقة فيتجوز به عن العود الى حاله الاول مطلقا شرا كان أو خيرا فالحق ما قاله الجوهرى

* (فصل وقد عد جماعة من الائمة ومقلدى الامة) * ضبطه بفتح لام مقلد ليناسب ما قبله وقيل انه بكسرها والمراد بالاول المجتهدين ولك ان تقول انه اشارة الى ضعف أقوالهم (فى اعجازه وجوها كثيرة منها ان قارئه لا يمله) أى لا يسأم طبعه من كثرة قراءته ولو أعاده مرارا كثيرة مع ان الطباع جبلت على معاداة المعادات (وسامعه لا يمجه) أى لا يكره تكراره على مسامعه يقال مج الشراب ونحوه اذا رماه من فيه فالمج حقيقته طرح المائع من الفم فان كان غير مائع يقال لفظه فاقيم الاذن مقام الفم واللفظ مقام المائع لرقته ولطفه وهى استعارة لطيفة كما قال الغزى فيما تقدم

وتغير المعتاد يحسن بعضه * للورد خد بالانوف يقبل

فاستعير لتركه استعارة تبعية أو مكنية وتخييلية فكأنه كالنفس الذى يكرره لا يمل منه لانه مادة الحياة كما قال المعرى

ردى حديثك ما أمللت مستمعا * ومن يمل من الانفاس ترديدا

ويمجه بضم ميم المضارع كقتله يقتله فهو من باب قتل (بل الاكباب على تلاوته) أى ملازمة قراءته وتكراره فهو مجاز من الاكباب وهو الوقوع على الوجه كما قال أفمن يمشى مكبا على وجهه وفى اختياره على الوقوع اشارة الى توجهه اليه قال لبيد

ينوح الهالكى على يديه * مكبا يجتلى نقب النصال

(ولاقدح المتكلف من ذهنه فى ذلك) أى فى طعنه (الا بزند شحيح) أى باخراج النار عند وريه فلم يور بقدحه وتحقيقه ان الزند بفتح الزاى وسكون النون قد يراد به موصل طرف الذراع فى الكف وقد يطلق على العود الذى يقدح به النار وهو الاعلى والزندة بالهاء هى السفلى وهو فى المدن قطعة حديد تضرب بحجر صلد والظاهر ان القاضى قصد معنى الزند ووصف كلامهما بالشحيح اما العضو فشحه ان لا يخرج درهما أو دينارا وأما زند النار فشحه كونه لا يخرج نارا وفى الجمع بينهما اشارة الى غاية القلة (بل المأثور) أى المروى والمحكى (عن كل من رام ذلك) أى قصد الطعن فيه (القاؤه فى العجز بيديه والنكوص على عقبيه) أى التأخر فى الرجوع بالقهقرى أى الى الورى

(فصل)

(وقد عد جماعة من الائمة) وهم علماء السلف (ومقادى الامة) بفتح اللام وهم فضلاء الخلف (فى اعجازه وجوها كثيرة منها ان قارئه لا يمله) بفتح الميم وتشديد اللام أى لا يسامه (وسامعه لا يمجه) بضم الميم وتشديد الجيم أى لا يدفعه (لا يدفعه بل الاكباب) أى الاقبال والآداب (على تلاوته

(تزيده حلاوة) أى ترداد قراءته تزيده حلاوة ففيه ترق من عدم الملل الى زيادة حلاوته وأصاب به الحز لان ما يمج يكون مرا أو ما لحا يكرهه الطبع وهو كقول الشاطبى رحمه الله تعالى

وخير جليس لا يمل حديثه ❊ وترداده يزداد فيه تجملا

(وترديده) أى اعادته وتكريره (يوجب له محبة) لزيادة حلاوته وحسنه (لا يزال) كلما كرر (غضا) أى جديدا وهو مجاز من غض الصوت والطرف قال جارية شبت شبابا غضا (طريا) أى رطبا ناعما فلا تتغير بهجته ونضارته قال الشاطبى رحمه الله تعالى

واخلق به اذ ليس يخلق جدة ❊ جديدا مواليه على الجد مقبلا

فكأنه فى كل مرة قريب عهد بالنزول (وغيره من الكلام ولو بلغ من الحسن والبلاغة مبلغه) أى لو فرض ان بعض كلام البشر وصل الى رتبته فى البلاغة (يمل) بالبناء للمجهول أى يمل قارئه وسامعه (مع الترديد) أى مع التكرير مرارا (ويعادى اذا أعيد) أى يكره ويثقل وتنفر منه النفس كما تنفر ممن يعاديها وهذا على فرض المحال والا فقد تقدم انه لا يوجد مثله ولا ما يقرب منه

❊ وأين الثريا عن يد المتناول ❊ (وكتابنا) معاشر الامة المحمدية النازل الينا بواسطة نبينا صلى الله عليه وسلم وهو القرآن (مستلذ به فى الخلوات) أى يجد قارئه لذة اذا اختلى بقراءته وخص الخلوة لانها محل اجتماع الحواس واطمئنان القلوب بذكر الله تعالى فهو فيها أعظم لذة وان كان له لذة أيضا (ويؤنس ٢) بالبناء للمجهول أى يجد به انسا يدفع وحشته (فى الازمات) جمع أزمة وهى الشدة كما فى حديث ❊ اشتدى أزمة تنفرجى ❊ ولام خلوات وزاى أزمات ساكنتان فى المفرد والجمع لانه اذا جمع على فعلات يسكن فى الاسماء ويحرك فى الصفات كما بين فى التصريف والضمير فى كتابنا لجماعة المؤمنين لا للتعظيم لانه لا يناسب المقام قيل ولو قال كتابنا يستأنس به فى الخلوات ويستعان به على الازمات كان أحسن وما قصده المصنف أعلى مما قاله لان الخلوة أنسب باللذة وقرينتها لان المرء يستلذ الخلوة بمن يحبه ❊ ولذة الاحمق مكشوفة ❊ يسعى بها كل عدو رقيب والشدائد لا تجد فيها رفيقا يعين عليها أو يدفع كربها والمعالى قليلة الرفقاء ولكل وجهة (وسواه من الكتب) سوى اذا ضم أوله أو كسر قصر واذا فتح مد والرواية على القصر وهو بمعنى غير لكنه تفنن فعبر فى الاول بغير وفى هذا بسوى والظاهر أن المراد بالكتب الكتب المنزلة قبله كالزبور (لا يوجد فيها ذلك) أى اللذة والانس المذكورين (حتى أحدث أصحابها) أى اخترعوا وألفوا والمراد بأصحابها من يقرؤها (لها لحونا) أى للكتب التى يدرسونها واللحون جمع لحن واحد الالحان الاغانى والنغمات التى تزين بها الاصوات وتوزن بضروب الموسيقى على مقاماتها وشعبها وأسماء وهو معروف عندهم يقال لحن فى قراءته اذا طرب واللحن معان منها هذا والايماء والرمز وان اشتهر فى خطأ الاعراب والمراد به هنا ترجيع الاصوات للتطريب والغناء تحسينا للقراءة والشعر وفى الحديث اقرؤا القرآن بلحون العرب وأصواتها واياكم ولحون أهل الفسق وأهل الكتابين يعنى اليهود والنصارى يقرؤن كتبهم بنحو من ذلك وهكذا يفعل أهل مصر بقراءتهم فى مجامع الناس المعروفة بالجوق وهى مما حرمه الفقهاء وشددوا النكير على فاعله وهو لا ينافى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم ليس منا من لم يتغن بالقرآن على أحد المعنيين فان المراد به الحان العرب المذكورة من غير تمطيط وتغيير كما فصل فى أدب القارئ (وطرقا) جمع طريق وهى ما يجرى على قانون الموسيقى وضروبها الموزونة (يستجلبون) أى يطلبون وجودها أو يجلبونها لهم ولمن يسمعهم (بتلك اللحون) والنغمات (تنشيطهم) أى وجود نشاطهم وطربهم

٢ بتلاوته نسخة اهـ

تزيده حلاوة) أى لذة (وترديده) أى تكراره (يوجب له محبة) أى يقتضى زيادة مودة فقد ورد من أحب شيأ أكثر ذكره (لا يزال غضا طريا) أى لا تزول طراوته وطلاوته (وغيره من الكلام ولو بلغ فى الحسن والبلاغة مبلغه) أى تمام نظام المرام (يمل مع الترديد) أى فى السمع (ويعادى) بفتح الدال أى ويكره فى الطبع (اذا اعيدا) لقولهم المعاداة معاداة ولقوله صلى الله تعالى عليه وسلم فضل كلام الله على غيره كفضل الله على خلقه (وكتابنا) أى الذى فيه خطابنا وعتابنا وثوابنا وعقابنا (يستلذ به فى الخلوات ويؤنس) بالهمز ويبدل وبالنون مخففا ومشددا أى ويستأنس (بتلاوته فى الازمات) بفتح الهمز والزاى جمع أزمة بفتح فسكون وهى الشدة أى فى أوقات الآفات (وسواه من الكتب) أى المؤلفات المصنوعة والمركبات الموضوعة (لا يوجد فيه ذلك) أى ما ذكر من اللذة والانسة المطبوعة (حتى أحدث أصحابها لها لحونا وطرقا يستجلبون بتلك اللحون تنشيطهم) أى تنشيط أنفسهم وغيرهم

(على قراءتها) أى على تطويل قراءتها وزيادتها أو على ان يقرأها غيرهم كقراءتهم ان أريد باللحون تغنى القارى نفسه ويحتمل ان يريد بما أحدثوه ما يكون مع القارى من آلات الطرب كالمزامير وما يسمى أرغنون من أوتار كثيرة تضرب مع القراءة ويأتلف بعضها ببعض حتى كان القارى على نغماته على قرين الآية

يملى على عوده انغامه * وتراه يفرك اذنه ان قصرا

(ولهذا) أى لما اختص به القرآن من عدم ملال قارئه وما بعده (وصف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم القرآن) فى حديث رواه الترمذى عن على كرم الله وجهه بدون قوله الآتى هو الذى لم تنته الجن الخ (بانه لا يخلق) بفتح الياء وضم اللام أى لا يبلى ولا يتغير حاله بمرور الزمان ويجوز فتحها وضم أوله وكسر ثالثه من أخلق بمعنى خلق لانه ورد متعديا ولازما فلامه مثلثة بمعنى واحد (على كثرة الرد) بمعنى مع والرد كالترديد بمعنى كثرة التكرار فى قراءته ورده ورددة بمعنى كرره وكثرة التكرار فى العادة تؤثر وتفنى ما كرر كالثوب اذا تكرر لبسه كما قيل

أماترى الحبل بتكراره * فى الصخرة الصماء قد أثرا

وفيه استعارة مكنية وتخييلية لتشبيهه ببرد رقيق يلبس ليتجمل به والمراد به اما الملل منه فهو بمعنى ما تقدم من ان قارئه لا يمله وكل مكرر يمل ولا يتغير بتحريف ونسخ لا ينسى وقد ورد ان بعضهم كرر آية واحدة طول ليله (ولا تنقضى عبره) بكسر العين المهملة وفتح الباء الموحدة جمع عبرة بسكونها والمراد بها عجائبه أو مواعظه التى يعمل بها ويعتبر وهو عبارة عن كثرتها وبقائها والثانى أولى لئلا يتكرر مع قوله (ولا تفنى عجائبه) أى لكثرتها لا تنفد وتنتهى جمع عجيبة وهى ما يتعجب منه فكلما أعدت النظر فيها ظهر لك ما هو أغرب وأعجب مما عرفته أولا (هو الفصل) أى الحد الفاصل بين الحق والباطل يقال كلام فصل أى حق مبين محكم أو المفصول المتميز عن غيره فهو فعل بمعنى فاعل أو مفعول (ليس بالهزل) كما قال تعالى وما هو بالهزل أى ليس فيه لعب ولا كلام سخيف وهو فى الاصل من الهزال ضد السمن فهو كله سمين لاغث فيه لما فيه من الاوامر والنواهى التى يهابها سامعها (لا تشبع منه العلماء) أى لا تستغنى عنه ولا تزال تستنبط منه معانى وفوائد فى كل حين وفى الحديث منهومان لا يشبعان طالب علم وطالب دنيا فشبهه بمأكول به قوام حياته الان كل مأكول يشبع آكله اذا امتلأ منه جوفه وهذا مخالف لذلك ففيه استعارة تبعية أو مكنية وتخييلية فوائد فوائد ممدودة وألوان لذائذ غير مقطوعة ولا ممنوعة (ولا تزيغ به الاهواء) بفتح المثناة الفوقية وزاى وغين معجمتين بينهما تحتية ساكنة من زاغ اذا مال وعدل عن منهجه والاهواء بالمد جمع هوى وهو ما تهواه وتشتهيه الانفس من الضلال أى لا يضل من اتبعه ويميل الى هوى نفسه الامارة (ولا تلتبس به الالسنة) جمع لسان وهو الجارحة المعروفة شاع فى الكلام واللغات فالمعنى انه لا يشبه غيره من الكلام فلا يمكن اختلاطه به وادخاله فيه لان أسلوبه ونظمه لا يشبه غيره فالمراد انه لا يمكن ان يدس فيه دسيسة وقيل المعنى انه لا يعسر قراءته على المؤمنين وهو بعيد لانه افتعال من اللبس وهو الاشتباه وقوله (هو الذى لم تنته الجن حين سمعته ان قالوا) أصل معنى انتهى بلغ النهاية وهى آخر الشئ وغايته ويكون بمعنى كف وترك وهذا هو المراد هنا أى لم تكف الجن عن هذه المقالة ومن لم يترك شيأ بادر اليه وأقبل عليه ولذا قيل معناه لم يلبثوا وان مصدرية بفتح الهمزة ومحله نصب أو جر بتقدير عن وما قيل انه فى معنى العلة أى لم ينتهوا عن القول من أجل قولهم لقومهم اذا رجعوا اليهم فيه خلط وخبط (انا سمعنا قرآنا عجبا) أى عجيبا فى بلاغته وعلو رتبته وبركته وعزته

الله صلى الله تعالى عليه وسلم القرآن بانه لا يخلق) كما رواه الترمذى وغيره عن على كرم الله وجهه مرفوعا القرآن لا يخلق وهو بفتح الياء وضم اللام لا فتحها كما فى نسخة نقلها الحلبى وتبعه الحجازى أو بضم ياء وكسر لام أى لا يبلى (على كثرة الرد) أى مع كثرة ترديده وتكريره (ولا تنقضى عبره) بكسر ففتح جمع عبرة أى لا تنتهى مواعظه المعتبرة (ولا تفنى عجائبه) أى لا تنفد عجائب مبانيه وغرائب معانيه (وهو الفصل) أى البالغ فى الفرق بين الحق والباطل (ليس بالهزل) أى أمره جد كله (لا يشبع منه العلماء) أى تدبرا وتبصرا وعبارة واشارة (ولا تزيغ) أى ولا تميل (به الاهواء) عن طريق السواء (ولا تلتبس به الالسنة) أى ولا تشتبه به اللغات المختلفة المناقضة (هو الذى لم تنته الجن) أى طائفة من جن نصيبين وفى صحيح مسلم انهم كانوا من الجزيرة ولا منع من الجمع (حين سمعته ان قالوا) أى لم يتوقفوا عن قولهم لبعضهم أو لقومهم حين رجوعهم اليهم (انا سمعنا قرآنا عجبا) أى مقروأ عجيبا من جهة جزالة مبانيه ومدلولا غريبا من فخامة معانيه بديعا فى بلاغته ومنيعا فى فصاحته

(يهدى الى الرشد) أى يدل على الصواب من الايمان والتوحيد وهو تبكيت لقريش اذ مكثوا سنين مع معرفتهم بالفصاحة لم يفهموه وهؤلاء الجن بمجرد سماعهم من غير توقف آمنوا به وقال البرهان كانوا سبعة شاطر وماصر ومنشى وماشى والاحقب وهؤلاء الخمسة ذكرهم ابن دريد فى مناقب عمر بن عبد العزيز قال بينما هو يمشى بفلاة اذا هو بحية ميتة فكفنها بفضل ردائه ودفنها فاذا قائل يقول ياسرق أشهد بالله لقد سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول ستموت بارض فلاة و يدفنك رجل صالح فقال عمر رضى الله عنه من أنت رحمك الله قال رجل من الجن الذين سمعوا القرآن من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لم يبق منهم الا انا وسرق وهذا سرق قد مات وعن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه انه كان فى نفر من أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يمشون فرفع لهم اعصار عظيم ثم انقشع فاذا حية قتيل فعمد رجل منا الى ردائه فشقه وكفن الحية ببعضه ودفنها فلما جن الليل اذا امرأتان تسألان أيكم دفن عمرو بن جابر فقلنا ماندرى من عمرو فقالتا ان كنتم ابتغيتم الاجر فقد وجدتموه ان فسقة الجن اقتتلوا مع مؤمنيهم فقتل عمرو وهو الحية التى رأيتموها وهو ممن استمع القرآن من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال الذهبى الذى دفنه بالعرج صفوان بن المعطل وهو من الصحابة وسماه عمرو بن طارق ومن لقى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مؤمنا منهم عد من الصحابة والاعتراض بانه ينبغى ان يعد منهم الملائكة أيضا كجبريل وميكائيل رده الذهبى بانه أرسل اليهم ولم يرسل للملائكة وبيانه يحتاج لتفصيل ليس هذا محله ومشى شيخنا الرملى على مقتضى كلام الذهبى تبعا لوالده والمعتمد خلافه وارساله صلى الله تعالى عليه وسلم عام لكل الخلق حتى الملائكة وهؤلاء من جن نصيبين بلدة بالجزيرة لا باليمن كما قيل والكلام على الجن مبسوط فى كتاب لقط المرجان فى أحكام الجان وسيأتى بيانه فى الكلام على نطق الشجر (ومنها) أى من وجوه اعجازه التى ذكرها بعضهم (جمعه لعلوم ومعارف) أى علوم كلية كانت فى الامم السالفة كعلم النجوم ودقائقه وعلم الطب كما فى قوله لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر وقوله وكلوا واشربوا ولا تسرفوا والمعارف الجزئية كالاخبار عن قصة يوسف عليه الصلاة والسلام وتفصيلها مما لا يعرفه الا من شاهدها ومن ذلك ما قيل ان قوله تعالى الى ظل ذى ثلاث شعب انه اشارة الى شكل المثلث وبعض أحكامه المذكورة فى الهندسة وفيه اشارة الى انه لا يفهم تفسيره الا من تضلع من جميع العلوم (لم تعهد العرب) بالبناء للمفعول أى لم تعرف فى عهدها وزمانها (عامة) أى جميع العرب وعامة منصوب على الحال لافادة العموم مثل كافة وطرا (ولا محمد صلى الله عليه وسلم قبل نبوته) ونزول الوحى بها عليه (خاصة) أى لم يعرف له صلى الله تعالى عليه وسلم بخصوصه علم بها قبل البعثة اما بعدها فقد أطلعه الله تعالى على علوم الاولين والآخرين (بمعرفتها) متعلق بتعهد والضمير للعلوم والمعارف (ولا القيام بها) ومداومته عليها (ولا يحيط بها أحد من علماء الامم) أى لم يحط علم أحد من علماء السلف كالحكماء والاحبار من أهل الكتاب بشئ منها (ولا يشتمل عليها كتاب من كتبهم) أى لم يدون قبله حتى يقال انه أخذ علمه منها وفسر ما ذكره بقوله (فجمع فيه من بيان علم الشرائع) جمع مبنى للمجهول أى جمع الله تعالى فى كلامه ما ذكر والشرائع جمع شريعة وهى والملة والدين بمعنى متحد الماصدق متغاير المفهوم وهى وضع الهى سائق الى ما فيه الخير فى الدارين منقولة من الشريعة وهى موردة الماء اذا الطريق الواسع كالشارع (والتنبيه على طرق الحجج العقليات) أى تنبيه الناس وارشادهم الى نصب الادلة العقلية وكيفية الزام الخصم بها كما فى قصة

(يهدى الى الرشد) أى صوب الصواب أو الى طريق الثواب والعقاب هذا وذكر أبو على الغسانى فى مناقب عمر بن عبد العزيز قال بينما عمر يمشى بارض فلاة فاذا هو بحية ميتة فكفنها بفضل ردائه ودفنها واذا قائل يقول ياسرق أشهد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لك ستموت بارض فلاة ويدفنك رجل صالح فقال من أنت يرحمك الله تعالى فقال رجل من الجن الذين سمعوا القرآن من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لم يبق منهم الا أنا وسرق هذا سرق قد مات (ومنها جمعه لعلوم) أى كلية (ومعارف) أى جزئية (لم تعهد العرب عامة ولا محمد قبل نبوته خاصة بمعرفتها) أى بعلم شئ منها (ولا القيام بها) أى الدوام والثبات عليها (ولا يحيط بها أحد من علماء الامم) أى من أحبار اليهود والنصارى وغيرهم (ولا يشتمل عليها كتاب من كتبهم) أى من السماوية وغيرها (فجمع) بصيغة المجهول أى فجمع الله (فيه من بيان علم الشرائع) أى أصولها وفروعها من النقليات (والتنبيه) أى فى أثناء التعبيرات (على طرق الحجج) أى أنواع الدلالات (العقليات) وفى نسخة العقلية

ابراهيم

(والرد على فرق الامم) أى من أرباب الضلالات (براهين قوية) أى قاهرة (وأدلة بينة) ظاهرة (سهلة الالفاظ) أى المبانى (موجزة المقاصد) بصيغة المجهول أى مختصرة المعانى (رام المتحذلقون) بالحاء المهملة والذال المعجمة من الحذق زيدت فيه اللام للمبالغة والتاء للمطالبة أى قصد المبالغون فى الحذاقة اذا أظهروا المهارة فى مقام الفصاحة والبلاغة (بعد) أى بعد ورودها فى عالم وجودها (ان ينصبوا أدلة مثلها) أى مشابهتها فى الجملة (فلم يقدروا عليها) أى على ان يقربوا اليها وانى لهم المقدرة على مقاومة المعجزة (كقوله تعالى أوليس الذى خلق السموات والارض) أى مع كبرهما وسعة قدرهما (بقادر على أن يخلق مثلهم) أى مع صغر جرمهم (بلى) جواب من الله ايماء الى ان لا جواب سواه أى بلى قادر على خلقهم ابتداء وايجادهم انتهاء وهو الخلاق العليم يعنى الابلغ من خالق (وقل) أى وكقوله الله سبحانه قل (يحييها الذى أنشأها أول مرة) أى لبقاء قدرته وفق ارادته وقابلية مادته على خلقه وهو بكل خلق عليم أى بأعضائه وأجزائه (ولو كان فيهما آلهة الا الله) أى غيره (لفسدتا) أى لخرجتا عن نظامهما واختلفا عن مرامهما لوجود التمانع المانع من اتمامهما (الى ماحواه) أى منضما الى ماجمعه القرآن أومع مااشتمله الفرقان (من علوم السير) بكسر ففتح جمع سيرة أى المفهومة من أخبار الانبياء والاصفياء (وانباء الامم) أى أحوالهم الاعم من الاحباء والاعداء (والمواعظ) أى بالترغيب فى ولائه والترهيب عن بلائه (والحكم) بكسر ففتح أى الكلمات المرشدة الى تكميل النفوس الانسانية باقتباس العلوم الربانية كقوله تعالى حكاية عن لقمان يابنى انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة أو فى السموات أو فى الارض يأت بها الله ان الله لطيف خبير (وأخبار الدار الآخرة) أى من النعيم المقيم والجحيم الاليم (ومحاسن الآداب والشيم) بكسر ففتح أى الاخلاق فى جميع الابواب (مما تقدم ذكره) أى بيانه بقوله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وان الله يأمر بالعدل والاحسان الآية

ابراهيم عليه الصلاة والسلام ونظره للكواكب لاقامة الحجة على وجود الصانع وكما فى قوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وغيره مما لا يحصى كما يأتى بيانه (والرد على فرق الامم) الضالة ممن عبد الكواكب وغيرهم (براهين قوية) محكمة الالزام جارية على قانون المناظرة والجدل وآداب البحث (وأدلة بينة) ظاهرة (سهلة الالفاظ) يفهمها كل من سمعها

تكاد من عذوبة الالفاظ * تشربها مسامع الحفاظ

كلام (موجزة المقاصد) قليلة ألفاظها الدالة على معانيها المهمة الكثيرة فليس فيها اختصار مخل ولا عبارة مغلقة (رام المتحذلقون بعد) بالبناء على الضم أى بعد الوقوف عليها والمتحذلقون بزنة اسم الفاعل بحاء مهملة وذال معجمة ولام وقاف وهو مدعى الحذق وهو سرعة الفهم أى قصد مدعى الزكاء فى العلم واقامة البراهين يقال حذلق اذا أظهر الحذق وادعى أكثر مما عنده كتحذلق فهو مأخوذ من الحذق ولامه زائدة (ان ينصبوا أدلة مثلها) نصب الدليل واقامته ذكره فى مقام المخاصمة (فلم يقدروا عليها) أى لم يكن لهم قدرة على الاتيان بمثل أدلته وبراهينه (كقوله أوليس الذى خلق السموات والارض) رد على منكرى الحشر والمعاد الجسمانى أى من قدر على اختراع مثل هذه الاجرام العظيمة من العدم (بقادر على أن يخلق مثلهم بلى) أى مثل هذه الاجسام الحقيرة الصغيرة ويعيدها وهو أهون عليه كما قال تعالى لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس فهذه حجة ظاهرة (و) قوله (قل يحييها الذى أنشأها أول مرة) أى من أوجدها من عدم محض قادر على اعادتها واحيائها بطريق الاولى وفى هذا أيضا حجة باهرة (و) منها قوله (لو كان فيهما) أى فى السماء والارض (آلهة الا الله لفسدتا) فلو تعددت الآلهة فسد نظام العالم وبطل وفيها برهان قوى قطعى وليس اقناعيا كما فى شرح العقائد ويسمى برهان التمانع وفى بيانه واعرابه كلام مفصل لا يسعه هذا المقام وقد أفرده بالتأليف خاتمة المحققين مصلح الدين اللارى فحسبك من القلادة ما أحاط بعنق التقليد فان لكل مقام مقالا (الى ماحواه) أى مضموما ماذكر من البراهين الى مااشتمل القرآن عليه (من علوم السير) جمع سيرة وهى الطريقة والاخلاق الحميدة ويخص فى العرف بالغزوات واخبار الجهاد ولكل وجهة هنا (وانباء الامم) أى أخبار من مضى منهم (والمواعظ والحكم) أى أمور الترغيب والترهيب وجوامع الكلم الحكمة المرشدة لتكميل النفوس بالملكات الفاضلة (وأخبار الدار الآخرة) من الجنة والنار والحشر وأهوال الموقف وغير ذلك (ومحاسن الآداب) جمع أدب وهو الاوصاف المحمودة التى يشرف صاحبها (والشيم) بشين معجمة ومثناة تحتية ويهمز أيضا بزنة عنب جمع شيمة وهى الطبيعة وأهل مصر تستعملها بمعنى دارات الماء كقول القيراطى رحمه الله تعالى

لك يانيل مصرنا كرم أخجل الديم * أنت فينا حقيقة ظاهر الوصف والشيم

(قال الله جل اسمه) أى عظم اسمه وعم نماه (مافرطنا فى الكتاب) أى القرآن الجامع للفصول والابواب (من شئ) يحتاج اليه أرباب الالباب (ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شئ) أى مما يحتاج اليه فى أمر الدين (ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل) أى بينا لهم فيه بعض الامثال الحكمية ٥٣٦ ليقتبسوا المعانى الحقيقة من صور المبانى الحسية (وقال عليه الصلاة والسلام) أى كما رواه الترمذى عن على وتقدم بعضه وأورده ههنا بتعيين بعض لفظه وزيادة فى صدره (ان الله أنزل هذا القرآن آمرا) أى بكل معروف واجبا كان أو ندبا (وزاجرا) أى ناهيا عن كل منكر حراما كان أو مكروها (وسنة خالية) أى طريقة متبعة ماضية (ومثلا مضروبا) أى مبينا ومعينا فى الالسنة الجارية (فيه نبأكم) أى الخبر المتعلق بكم (وخبر من كان قبلكم) أى من الامم السالفة (ونبأ ما بعدكم) أى عما يكون الى يوم القيامة (وحكم ما بينكم) بفتح الحاء والكاف أى والحكم الذى تحتاجون اليه فيما بينكم مما لكم وعليكم (لا يخلقه) بضم الياء وكسر اللام أى لا يبليه (طول الرد) أى كثرة تكراره وترديد أخباره (ولا تنقضى عجائبه) أى لا تنتهى غرائبه (هو الحق) أى الحكم العدل (ليس بالهزل) بل هو الجد فى بيان الفصل (من قال به صدق) أى فى قوله (ومن حكم به عدل) أى فى حكمه (ومن خاصم به فلج) بفتح الفاء واللام والجيم
فى
أى غالب على مرغوبه وظفر بمطلوبه (ومن قسم به) بتخفيف السين ويجوز بتشديده أى عين قسط كل واحد ونصيبه فى حكم متعلق به (أقسط) أى عدل فى أمره وأصاب فى حكمه يقال أقسط فهو مقسط اذا عدل ومنه قوله تعالى ان الله يحب المقسطين وقسط فهو قاسط اذا جار ومنه قوله تعالى وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا فهمزة أقسط للسلب كما فى شكا اليه فأشكاه أى أزال شكواه

وهى لغة عامية لا أصل لها (قال الله جل اسمه مافرطنا فى الكتاب من شئ) أى لم نترك شيأ يحتاج اليه الا بيناه فى القرآن بناء على ان المراد بالكتاب القرآن لا اللوح المحفوظ كما قيل والتفريط الترك المخل ضد الافراط وهو يتعدى بفى من غير تضمين معنى أغفلنا كما توهم والمعنى انه مشتمل على جميع ما يحتاج اليه اجمالا تصريحا وتلويحا كما بينه المفسرون ومن زائدة بعد النفى فى المفعول الذى تعدى اليه بتضمين ترك ونحوه ثم أردفه بآية تؤيد ان المراد بالكتاب القرآن فقال (ونزلنا عليك) يا محمد (الكتاب تبيانا لكل شئ) أى مبينا لكل شئ يحتاج اليه وهو بكسر التاء مصدر على خلاف القياس بمعنى مبين ولا ثانى له غير تلقاء على كلام فيه (ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل) ضرب المثل معلوم أى آتينا لكل أمر مهم بمثال يوضحه لما فى ضرب الامثال من الفوائد المهمة (وقال صلى الله تعالى عليه وسلم) فى حديث رواه الترمذى عن على رضى الله تعالى عنه تقدم بعض منه وأورد بقيته هنا مع زيادة فيه (ان الله أنزل القرآن) من اللوح المحفوظ منجما بحسب المصالح وأنزل ونزل يستعمل كل منهما بمعنى الآخر فاذا جمع بينهما أو قامت قرينة أريد بالانزال الدفعى وبالتنزيل التدريجى كما فصلوه (آمرا) بالمد حال من الفاعل أو المفعول على الاسناد المجازى (وزاجرا) أى مانعا وكافيا وناهيا والزجر الطرد بصوت يستعمل تارة فى الطرد وأخرى فى الصوت كما قاله الراغب (وسنة خالية) أى طريقة متبعة مستقيمة لمن كان قبلكم من الامم من خلا بمعنى ذهب ومضى ويكون بمعنى تفرغ (ومثلا مضروبا) جعله عين المثل مبالغة لكثرة اشتماله على الامثال كغيره من الكتب الالهية وهى مقررة لما مثل له لتنزيل المعقول منزلة المحسوس قال البيضاوى ولامر ما أكثر الله والانبياء والحكماء فى كلامهم من الامثال وقوله (فيه نبأكم) بالرفع كالمعطوف عليه ان كان نائب فاعل مضروبا فهو بتقدير مضاف أى مثل نبائكم وان كان مبتدأ ففيه خبر مقدم والجملة حالية وتغيير الاسلوب يحتاج لنكتة فكأنها الاشارة الى انها حال أخرى غير مختصة بالقرآن كالتى قبلها والنبأ الخبر عن أمر عظيم والخطاب للامة وما قيل للصحابة رضوان الله تعالى عنهم (وخبر ما كان قبلكم) عبر بالخبر تفننا واشارة لشرف هذه الامة وما شامل لمن يعقل تغليبا للاكثر أو لصفات من يعقل كقوله تعالى وما ملكت أيمانكم (ونبأ ما بعدكم) أى ما بعد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وأصحابه رضى الله تعالى عنهم أو لما يقع بعدهم من الفتن واشراط الساعة وغير ذلك الى يوم القيامة (وحكم ما بينكم) أى بيان للاحكام فيما يقع ويحدث بينكم معاشر هذه الامة المحمدية وهو بضم الحاء المهملة وسكون الكاف (لا يخلقه طول الرد) تقدم معناه وانه بضم أوله وفتحه من الثلاثى والمزيد أى لا يبليه ويفنيه تكرار تلاوته (ولا تنقضى عجائبه هو الحق ليس بالهزل) تقدم تفسيره (من قال به صدق) أى من اختار ما فيه وحكم به فقد أتى بأمر صادق لا ريب فيه وفى القاموس قال به غلب ومنه سبحان من تعطف بالعز وقال به وهذا لا يناسب قوله صدق (ومن حكم به عدل) أى قضى بما فيه من الاحكام فهو عادل فانه حكم الله وما ربك بظلام للعبيد (ومن خاصم به) أى خاصم بحجة وأدلة مأخوذة منه (فلج) أى غلب وفاز بالنصر على من خاصمه وهو بفتح الفاء واللام وجيم يقال فلج اذا فاز وظفر بالغلبة (ومن قسم به قسط) قسم بفتح القاف والسين المخففة أى من تولى قسمة أمر فقسمها بما

(ومن عمل به أجر) بصيغة المفعول أي أثيب على عمله من عند ربه وفضله (ومن تمسك به) أي تشبث علما وتعلق عملا (هدى) بصيغة المجهول أي هداه الله فاهتدى (الى صراط مستقيم) أي مذهب قويم ودين كريم (ومن طلب الهدى من غيره) أي من غير بابه (أضله الله) أي أعماه بحجابه (ومن حكم بغيره) أي عدولا عن حكمه وأمره (قصمه الله) أي كسره وأهلكه وفي الحديث استغنوا عن الناس ولو بقصمة السواك وهي بالكسر ما انكسر منه بابانته وفي رواية ولو بشوص السواك على ما رواه البزار والطبراني والبيهقي عن ابن عباس وفي النهاية شوص السواك غسالته وقيل ما يتفتت منه عند تسوكه (هو الذكر الحكيم) أي المشتمل على الحكم والاحكام والحاكم على وجه الاتقان والاحكام (والنور المبين) أي الظاهر أو المظهر لليقين (والصراط المستقيم) أي ذو الاستقامة المنتهى الى الفوز بالسعادة والكرامة معاشا ومعادا (وحبل الله المتين) من المتانة وهي القوة أي عهده المحكم الذي لا ينقطع وسبب وصول وعده الذي لا يمتنع وقال ابن الاثير حبل الله نور هداه وقيل عهده وأمانه الذي يؤمن من العذاب والحبل للعهد والميثاق انتهى (والشفاء النافع) أي لكل داء وبلاء (وعصمة لمن تمسك به) أي معتصم ونيق لمن تشبث به وتعلق بذيله وفيه وفيما قبله اقتباس من قوله واعتصموا بحبل الله (ونجاة لمن اتبعه) بتشديد التاء أي تبعه علما وعملا (لا يعوج) بتشديد الجيم (فيقوم) بفتح الواو المشددة ونصب الميم أي لا يميل عن صوب الاستقامة فتحتاج الى تقويم العدالة (ولا يزيغ) أي ولا يميل عن منهج الحق (فيستعتب) أي فيحتاج الى العتب في عدوله عن نهج الصدق (ولا تنقضي عجائبه ولا يخلق) بالوجهين (على كثرة الرد) أي الترداد والتكثار في العد (ونحوه) أي نحو هذا الحديث في المعنى مع اختلاف في المبنى

في كتاب الله كقسمة المواريث والغنائم وغيرها اعدل يقال قسط اذا جار وأقسط بالهمزة اذا عدل فهو مقسط فالهمزة للسلب كاشكيته اذا أزلت شكايته وهو مأخوذ من القسط وهو الميزان كالقسطاس وفي الحديث ان الله يخفض القسط ويرفعه وهو تمثيل ويقال قسط اذا عدل أيضا فهو من الاضداد (ومن عمل به أجر) بالبناء للمفعول أي حاز الاجر والثواب الجزيل (ومن تمسك به هدى الى صراط مستقيم) هو كقوله تعالى فقد استمسك بالعروة الوثقى ففيه استعارة مكنية وتخييلية هنا بتنزيل المعقول منزلة المحسوس لايصاله لمن اقتدى به الى الطريق الحق وهو الصراط المستقيم الذي لا عوج فيه ولا ضلالة (ومن طلب الهدى من غيره) كعقله وأقوال غيره (أضله الله) أي جعله شقيا ضالا لعدوله عن الطريق الحق (ومن حكم بـ) حكم (غيره قصمه الله) أي قتله وأهلكه هلاكا شديدا وأصل معنى القصم القطع بابانة وانفصال فاستعير لما ذكر ويجوز في هذه الجملة ان تكون خبرية ودعائية انشائية (هو الذكر الحكيم) الذي بمعنى القرآن والحكيم ذو الحكمة لاشتماله عليها أو سمى باسم قائله أي الحكيم قائله ففعيل بمعنى فاعل أي الذي يحكم الاشياء ويتقنها أو الحاكم لهم وعليهم أو المحكم الذي لا خلل فيه (والنور المبين) الواضح البين الذي تهتدي بانواره العقول الى الخروج من ظلمة الجهل والضلالة (والصراط المستقيم) أي الموصل الى السعادة الابدية فيصل الناس به ومنه الى المقصد الاسنى كما تصل من الطريق الى ما تريد من الدار ومنازلها (وحبل الله المتين) أي عهده وأمانه الذي يؤمن من العذاب وكل ما يكره ويشق على النفس ويتوصل به الى ما ينجيه ويوصله لمطالبه والمتين بمعنى القوي المحكم يقال متن اذا صلب (والشفاء النافع) اما ان يراد بالشفاء ظاهره لانه يسترقى به فيشفي من بعض الامراض أو يراد به مطلق النفع على طريق المجاز كالمستفز أو على طريقة الاستعارة بان يشبه الجهل بالداء ويجعل ما يزيله كالدواء والعلاج النافع الذي لا سقم بعده لنفعه في الدنيا والآخرة (عصمة لمن تمسك به) بكسر العين وسكون الصاد المهملتين فعلة من العصم وهو الامساك والاعتصام التمسك ويجوز ضم عينه أيضا والاكثر الافصح الكسر وتجئ العصمة بمعنى السوار ومنه المعصم لانه محلها والمراد انه حام ومانع لمن أتبعه وعمل به عن ارتكاب الفاحشة والزلل (ونجاة لمن اتبعه) أي منج له ومخلص مما يخشاه (لا يعوج) بفتح أوله وتشديد جيمه ورفعه أي ليس فيه خلل لفظا ولا معنى كما قال تعالى ولم يجعل له عوجا والعوج بفتحتين الميل والانعطاف المدرك بالبصر وبكسر أوله ما يدرك بالبصيرة (فيقوم) بالنصب في جواب النفي أي لا يحتاج الى تقويم يزيل عوجه فليس كسائر الكلام المحتاج للاصلاح (ولا يزيغ) بمعجمتين بوزن نصير أي لا يميل عن الحق والصواب (فيستعتب) بالنصب أي لا يستحق العتاب واللوم لعدم خروجه عن الاستقامة والعتب مخاطبة ادلال وموجدة ففيه استعارة مكنية وتخييلية وفي رواية الترمذي ولا تزيغ به الاهواء أي تميله (ولا تنقضي عجائبه ولا يخلق على كثرة الرد) تقدم بيانه (ونحوه) أي نحو هذا

(عن ابن مسعود) كما رواه الحاكم عنه مرفوعا (وقال) أي ابن مسعود (فيه) أي في مرويه (ولا يختلف) بالفاء أي ليس محلا للاختلاف بل وقع مبناه ومعناه على وجه الائتلاف والمعنى ما وجد فيه أحد تخالفا يسيرا ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا وفي نسخة بالقاف فهو بمعنى لا يخلق على كثرة الرد كما سبق (ولا يتشان) بتشديد النون بعد الالف مأخوذ من الشن كما صرح به الهروي وابن الاثير في هذا الحديث وقال اليمني هو الصواب وهو الجلد اليابس البالي أي لا تذهب طلاوته ولا تبلى طراوته حين تكثر تلاوته وترداد قراءته لما أودع فيه من بدائع

الكمال وروائع الجمال وفي نسخة صحيحة ولا يتشنأ بنون مخففة بعدها

الحديث المروي عن علي كرم الله وجهه سارواه الحاكم (عن ابن مسعود وقال) أي ابن مسعود رضي الله تعالى عنه (فيه ولا يختلف) أي لا يقع فيه ما يخالف بعضه بعضا مع طوله وبعد عهده ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا (ولا يتشان) بفتح الياء التحتية والتاء الفوقية والشين المعجمة وألف بعدها نون مشددة تفاعل من الشن وهي القربة البالية فهو مستعار للبلاء والفناء بمعنى قوله في الرواية الاخرى لا يخلق على كثرة الرد وفي رواية لا يتفه ولا يتشان والتفه الحقارة وشيء تفه حقير كذا هو في أكثر الروايات وصححوه وفي نسخة ولا يتشنأ بياء تحتية مفتوحة أو مضمومة وتاء فوقية مفتوحة وشين معجمة وألف بعدها نون وهمزة من الشنء وهو البغض والعداوة فاستعير لتنافر الكلمات وعدم تناسبها حتى كان بينها عداوة أو تخالف معانيه فهو كقوله ولا يختلف معنى وهو معنى ظاهر مكشوف فما قيل الصواب هو الاول ان أرادوا بحسب الرواية فسلم وان أرادوا بحسب الدراية فلا وجه له (فيه نبأ الاولين والآخرين) تقدم بيانه بما يغني عن اعادته (وفي الحديث) الذي رواه ابن الضريس في فضائل القرآن عن كعب الاحبار انه قال في التوراة أنزلت على محمد فذكره وأخرج ابن أبي شيبة في المصنف عن مغيث بن سمي مرسلا أنزلت على توراة الخ (قال الله عز وجل لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم اني منزل عليك توراة) أي كتابا سماه أو شبيها بالتوراة لكثرة ما اشتمل عليه من الاحكام والمواعظ والوعد والوعيد والامثال والحكم والعقائد اليقينية فاطلاق التوراة عليه استعارة تصريحية أو مجاز مرسل أو حقيقة ان قلنا انه عبراني معناه كتاب وانما عبر به لشهرته وعظم شانه فانه أجل كتاب نزل قبل القرآن ولشهرته بين اليهود من أهل الكتاب الذين هم أقرب اليه وهو حديث قدسي نزل عليه صلى الله تعالى عليه وسلم قبل الوحي أو في ابتداء أمره (حديثة) أي قريبة عهد بالنزول وهو كقوله ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث فلا دليل فيه لمن يقول بحدوث القرآن ولما كان كلام الله تعالى يسمى نورا وشفاء قال (تفتح بها أعينا عميا) أي ترشد بها من كان في ضلالة كالاعمى لعدم اهتدائه للحق (وآذانا صما) أي وتسمع بها آذانا لا تسمع الحق فتقبله (وقلوبا غلفا) لا يصل اليها ما يهديها الى السعادة كأنها في غلاف وغشاء مانع عن وصول الحق اليها وعن الفهم وقد تقدم بيانه فسمى ازالة المانع مطلقا فتحا أو هو من قبيل قوله متقلدا سيفا ورمحا (فيها) أي في التوراة يعني القرآن (ينابيع العلم) جمع ينبوع وهي العين التي ينبع منها الماء الجاري فشبه العلم النافع بالماء الذي تحيى به النفوس على طريق الاستعارة المكنية وأثبت له الينبوع على طريق التخييل (وفهم الحكمة) أي ما يفهم الحكم وهي المواعظ وكل كلام محكم نافع جعل الفهم كأنه فيها مبالغة لكونها ينبوعه ومعدنه (وربيع القلوب) الربيع يكون بمعنى الخصب والمطر أي فيها ما تحيى به القلوب وتنمو وتخصب وتمرح وتسرح وتتنزه وتفرح ففيه

همزة من الشنئان ولكن ينبغي ان يضبط بصيغة المجهول وأما ما ذكره الحلبي من انه بفتح أوله ثم مثناة فوق مفتوحة ثم شين معجمة ثم ألف ثم نون ثم همزة ممدودة ونسبه الى النسخة التي وقف عليها فلا يصح بوجه أي لا يتباغض ولا يكره ولا يمل (فيه نبأ الاولين والآخرين) أي بما وقع لهم في الدنيا وبما سيقع لهم في العقبى (وفي الحديث) أي القدسي من رواية ابن أبي شيبة مرسلا لكن بلفظ أنزلت على محمد توراة محدثة فيها نور الحكمة وينابيع العلم ليفتح بها أعينا عميا وقلوبا غلفا وآذانا صما وروى ابن الضريس في فضائل القرآن عن كعب انه قال في التوراة (قال الله تعالى لمحمد اني منزل عليك) بالتخفيف والتشديد أي ملق اليك

استعارة

(توراة) أي كتابا كالتوراة أو ما جمع مضمون ما في التوراة (حديثة) أي جديدة الانزال أي قريبة العهد من الملك المتعال (تفتح بها أعينا عميا) أي عن سنن الحق (وآذانا صما) أي عن استماع الصدق (وقلوبا غلفا) أي ممنوعة عن طريق الوفق وممتنعة عن وصول الرفق (فيها ينابيع العلم) أي هي منابع العلوم الكثيرة والمعارف الغزيرة (وفهم الحكمة) أي وفيها معرفة الحكم الربانية والاحكام الحكمة الصمدانية (وربيع القلوب) أي وفيها من الانوار والاسرار نظير ما يشتمل عليه فصل الربيع من أزهار وأثمار الاشجار بواسطة الامطار

(وعن كعب) أي كعب الاحبار ويقال كعب الحبر (عليكم بالقرآن) أي خذوا بمبانيه والزموا بمعانيه (فانه فهم العقول) أي غاية فهوم عقول الفحول (ونور الحكمة) أي لعين البصر والبصيرة ونظر العبرة (قال الله تعالى ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل) أي اليهود والنصارى (أكثر الذي هم فيه يختلفون) أي كلهم فيما بينهم أو كل صنف منهم من التشبيه والتنزيه وعزير وعيسى وما فيه من أنواع التنبيه (وقال هذا بيان للناس) أي لاحوالهم واحكامهم وآمالهم في مآلهم (وهدى) لما فيه كمالهم (الآية) أي وموعظة للمتقين أي نصائح في أعمالهم بها نجاتهم وخص المتقين لكونهم المنتفعين (فجمع فيه) بصيغة المجهول أي فجمع الله في كلامه ما أراده من مرامه (مع وجازة ألفاظه) بفتح الواو أي مع اختصار مبانيه (وجوامع كلمه) أي باعتبار اكثار معانيه (أضعاف ما في الكتب) أي الكتب المنزلة على الانبياء (قبله التي ألفاظها على الضعف) بالكسر أي التزايد (منه) أي من القرآن (مرات) لاشتمالها على الاطناب الموجب لتكثير كلمات واحتواء القرآن على ايجاز بحسب البلاغة والفصاحة موجب اعجاز (ومنها جمعه فيه) أي جمع الله سبحانه وتعالى في كلامه عز شانه (بين الدليل ومدلوله) أي برهانه وتبيانه (وذلك) أي وسبب ذلك الجمع في معرض البيان (انه احتج بنظم القرآن) أي بادخال جواهر معانيه في سلك مبانيه (وحسن وصفه) أي ويحسن وصفه حيث صيغ حلي كلماته في قوالب مقاماته وفي نسخة رصفه بالراء بدل الواو أي تركيب وصفه من تهذيبه (وايجازه) أي باتيان معان كثيرة في مبان يسيرة وفي أصل الدلجي واعجازه أي كل منطق فصيح (وبلاغته) أي الرائعة المنضمة الى فصاحته البارعة (واثناء هذه البلاغة) أي في خلالها (أمره ونهيه ووعده ووعيده فالتالي له) أي ممن يدرك معانيه (يفهم موضع الحجة والتكليف) باعتبار مبانيه (معا) أي مجتمعين في بيان علومه (في كلام واحد) أي باعتبار منطوقه ومفهومه (وسورة منفردة) أي باعتبار عبارتها واشارتها فيفهم مثلا من قوله تعالى فلا تقل لهما أف تحريم غير الاف بالاولى وان الكف عنه أقوى ومن قوله فصل لربك وانحر انه حجة لوجوب صلاة العيد والاضحية وانه مكلف بهما في القضية

استعارة لطيفة (وعن كعب) ابن ماتع المعروف بكعب الاحبار كما تقدم (عليكم بالقرآن) اسم فعل بمعنى الزموا وتمسكوا يقال عليك كذا وبكذا فالمراد ملازمة تلاوته وتدبر معانيه (فانه فهم العقول) أي مفهوم للعقول ما يخفى عليها فهو مصدر بمعنى اسم فاعل مبالغة لا بمعنى مفعول كنسج بمعنى منسوج فانه ركيك كما يرشد اليه قوله بعده هذا بيان للناس (ونور الحكمة) أي منورها أو هو كلجين الماء أي فيه حكم يشرق نورها ويتلألأ وضوحا ويهتدى بها (وقال الله تعالى ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون) يعني انه بين فيه لاهل الكتاب ما اشتبه عليهم واختلفوا فيه مما لم يعرفوه من كتابهم ففيه اشارة الى ان القرآن أجمع للاحكام من غيره من الكتب المنزلة قبله وأوضح (وقال) تعالى (هذا بيان للناس وهدى الآية) أي لجميع الناس (من أهل الكتاب) وغيرهم وموعظة للمتقين والآيتان مما يؤيد ما قاله كعب ثم وضح ما قاله وفسره بقوله (فجمع فيه) أي في القرآن (مع وجازة ألفاظه) أي اختصارها وقلة ألفاظه مع كثرة معانيه (وجوامع كلمه) معنى جوامع الكلم انها الكلام الجامع للمعاني الجمة في ألفاظ قليلة واضحة وتطلق على القرآن كما في حديث أوتيت جوامع الكلم (أضعاف ما في الكتب قبله) مفعول جمع أي جمع ما يزيد على سائر الكتب مثله أو مثليه (التي ألفاظها على الضعف منه مرات) أي مع زيادة ألفاظها عليه بامثاله جمع من المعاني ما يزيد على أمثاله معانيه وضعف الشئ يكون بمعنى مثليه وأمثاله والتضعيف الزيادة مطلقا وفيه كلام لاهل اللغة ليس هذا محله (ومنها) أي من وجوه الاعجاز التي ذكروها (جمعه فيه) أي جمع الله في القرآن (بين الدليل والمدلول) الدليل هو الدال المرشد أي ما يمكن التوصل بالنظر فيه الى مطلوب خبري والمدلول هو المطلوب بالدليل هنا وان كان بمعنى المعنى مطلقا ثم بين معنى الجمع المذكور بقوله (وذلك) أي الجمع بينهما (انه احتج) بالبناء للمجهول فهو بضم أوله وثالثه أي ان الله أقام فيه الحجة على ما أراد اثباته والالزام به لمن أقيمت عليه الحجة (بنظم القرآن) أي بنظامه البديع المعجز (وحسن رصفه) براء وصاد مهملتين وفاء لا بواو كما في بعض النسخ وهو من رصف البناء وهو ضم بعضه الى بعض فالمراد حسن نظمه وتأليفه كما يؤلف البناء شيأ بعد شئ حتى يتم ويكمل في غاية الاحكام وضميرانه لله أو للقرآن (وايجازه وبلاغته) وفي نسخة اعجازه أي كونه في أعلى طبقات البلاغة المعجزة لكل بليغ (واثناء هذه البلاغة) بالنصب على الظرفية خبر مقدم أي في خلالها واثناء بالمد على وزن أفعال جمع ثنا بالضم والقصر وهو ما انثنى ودخل بعضه في بعض كما أشار اليه ابن هشام اللخمي في شرح الدريدية كما مر وهذا هو الدليل السابق ذكره ثم ذكر المدلول فقال (أمره ونهيه ووعده ووعيده) وغير ذلك من المقاصد العظيمة التي أرادها الله تعالى (فالتالي له) أي القارئ بفهم وتدبر لمعانيه (يفهم موضع الحجة والتكليف) بالجر والنصب (من كلام واحد وسورة منفردة) عن غيرها مما هو حجة أو محتج عليه يعني ان كل مقدار معجز منه دال

(ومنها ان جعله) أى الله سبحانه (فى حيز المنظوم) بفتح الحاء وتشديد التحتية المكسورة أى فى مقامه (الذى لم يعهد) أى لم يعرف مثله ولم يسبق قبله بجعله ذا قرائن لها فواصل معلومة القوافى كقوافى الابيات المنظومة (ولم يكن فى حيز المنثور) أى المتفرق الخارج عن هيئة المنظوم (لان المنظوم أسهل) أى من المنثور (على النفوس) أى فى درك مبانيه (وأوعى للقلوب) أى واحفظ لها فى أخذ معانيه (وأسمح) بالحاء المهملة أفعل تفضيل من السماح وهو بمعنى الجود والكرم والمسامحة هى المساهلة والتساهل ومنه حديث السماح رباح أى اسهل قبولا وأقرب وصولا (الى الآذان) بمد الهمزة جمع الاذن والمراد بها الاسماع

وأغرب الدلجى فى قوله اسمح بحاء مهملة من الاسماح لغة فى السماح انتهى ووجه غرابته لايخفى وقال الحلبى بالحاء المهملة من سمح العود اذا لان انتهى وهو تكلف مستغنى عنه مع ان صاحب القاموس استاذه ذكر اسمحت الدابة لانت بعد استصعاب وعود سمح لاعقدة فيه انتهى وكلاهما لايلائم المقام كما لايخفى على طباع الكرام هذا وقدم الحلبى على هذا قوله اسمع هو من سماح الاذن أى أسرع استقرارا فى سماح الاذن انتهى ويؤيده انه فى نسخة اسمع بالعين المهملة (وأحلى على الافهام) لاشتمال ما فيه من التلاوة على أنواع من الحلاوة مع زيادة الطراوة والطلاوة (فالناس اليه أميل والاهواء اليه أسرع) أى وأقبل والحاصل ان منهجه ليس على طريق

الكشاف

الشعراء فى نظمهم وقوافيهم ولا على طريق الخطباء فى التزام سجعهم فى أواخر مبانيهم بل كلام بديع منيع يباين كلام غيره سبحانه وتعالى مع عظمة شأنه وسلطنة برهانه (ومنها تيسيره) أى تسهيله (تعالى حفظه لمتعلميه) أى طالبى تعلمه نظرا (وتقريبه) أى تهوينه (على متحفظيه) أى طالبى حفظه غيبا (قال الله تعالى ولقد يسرنا القرآن للذكر) تمام الآية فهل من مدكر كما فى نسخة أى من متعظ وأصله مذتكر

على مقصد من مقاصده يكون دالا على مطلوب ومدعى وعبارته الدالة عليه برهان مصدق له لاعجازها وقيل المعنى انه وقع فيه الجمع المذكور كما فى قوله فى سورة الواقعة لما حكى كلام منكرى المعاد وهو أئذا متنا الخ عقبه بما قطع عرق شبهتهم بقوله أفرأيتم ما تمنون الى آخره وقيل انه كقوله فلا تقل لهما أف انه حجة لتحريم التأفيف ومكلف باجتنابه وقوله فصل لربك وانحر حجة لوجوب الصلاة والاضحية وانه مكلف بهما وهذا كلام لامحصل له ومحل يحتاج للتحرير (ومنها) أى من وجوه اعجازه (ان جعله فى حيز) يقال تحيز وتحوز تفعيل وهذه المادة معناها فى كلام العرب يتضمن العدول من جهة أخرى من الحيز وهو فناء الدار ومرافقها ثم قيل لكل ناحية فالمستقر فى موضعه كالجبل لا يقال له متحيز ويراد بالمتحيز عند غير العرب ما يحيط به حيز موجود وهو أعم من هذا والمتكلمون يريدون به أعم من هذا وهو كل ما أشير اليه سواء كان له حيز أولا فالعالم كله متحيز كما قاله ابن تيمية (المنظوم الذى لم يعهد) أى المؤلف الواقع على طريقة لاتشابه شيأ من كلامهم المنظوم لاشعرا ولاخطبة ولا رسالة مع كونه واضح الدلالة بلسانهم وهذا انما يعرفه من له معرفة بكلام العرب نظمه ونثره وسجعه كما بينه فى كتاب الابانة ثم قال فان قلت وما هذه المباينة العظيمة التى بين القرآن وبين سائر كلام العرب وجميع المنظوم والاوزان حتى صار لاجلها معجزا باهرا قلت هى ما فى القرآن من البلاغة التى لا يقدر أشد أهل البلاغة واللسن تقدما فى البيان ان يأتى بمثلها أو ما يقاربها (ولم يكن فى حيز المنثور) أى لم يشبه أقسام منثورهم من السجع الملتزم فيه حروف كحروف روى الشعر ولا خطابة لمقاطع فصول الخطب ومواضع استراحاتها الا اشتماله على الفواصل كما توهم (لان المنظوم أسهل على النفوس) أى الكلام المنسق نظمه وتأليفه على نهج واحد والمفضل عليه المنثور بالمعنى السابق (وأوعى للقلوب) جمع قلب أى ادخل فى وعائه وهو القوة الحافظة له وفى الحديث بعد ذكر الانبياء الذين رآهم فى السماء أوعيت منهم أى أدخلته فى وعاء قلبى فهو اسم تفضيل من المبنى للفاعل على القياس واللام داخلة على الفاعل كما يقال هو أوعى لى ولا قلب فيه والصواب والقلوب أوعى له كما توهم (واسمح فى الآذان) بسين وحاء مهملتين أى أسهل مستعار من السماحة وليس من أسمع المزيد كما قيل وليس أيضا بخاء معجمة من السماخ وهو الصماخ أى منفذ الاذن كما توهم (وأحلى على الافهام) أى يستعذبه الذوق السليم فيجد له لذة وحلاوة (فالناس اليه أميل) أى أكثر ميلا ومحبة كما قال الششترى * فانى الى قوم سواكم لاأميل * (والاهواء اليه أسرع) جمع هوى وهو ميل النفس وانجذابها أى ميل القلوب نحوه أشد من ميلها لغيره (ومنها) أى من وجوه اعجازه (تيسيره تعالى حفظه لمتعلميه) أى من يريد تعلمه (وتقريبه على متحفظيه) أى تسهيل حفظه لمن يريده (قال تعالى ولقد يسرنا القرآن للذكر) فى

الكشاف معنى الآية سهلناه للاذكار والاتعاظ بان شحناه بالمواعظ الشافية وصرفنا فيه من الوعد والوعيد وقيل معناها سهلناه للحفظ وأعنا من أراد حفظه ويجوز ان يكون معنى يسرناه هيئناه من يسر ناقته للسفر اذا رحلها وفرسه للغزو اذا أسرجه وألجمه كما قال

وقمت اليها باللجام ميسرا ❊ هنالك يجزيني الذي كنت أصنع

وعلى الوجه الثاني بنى المصنف استشهاده بالآية (وسائر الامم) التى قبل هذه الامة من أهل الكتابين وغيرهم (لايحفظ كتبها الواحد منهم) أي لايوجد فيها واحد يحفظ كتابهم المنزل على أنبيائهم الانادرا وروى عن ابن جبير ان بنى اسرائيل لم يكن فيهم من يحفظ التوراة فكانوا لايقرؤنها الانظروا في صحفها غير موسى وهارون ويوشع بن نون وعزير فقيل انها رفعها الله تعالى وقيل انها احرقت فجاء عزير وتلاها عليهم كما أنزلت من حفظه فافتتنوا به وقالوا انه ابن الله وقد من الله تعالى على هذه الامة بان يسر عليهم حفظ كتابه وجعل فيهم حفظة لاتحصى الى الآن (فكيف الجماء) منهم أي فاذا لم يتيسر ذلك لواحد منهم الانادرا كيف يتيسر للكثير والجماء بفتح الميم المشددة والمد بعد جيم مفتوحة من الجوم وهو الاجتماع والكثرة التى لاتعد وفى بعض النسخ فكيف الجم بدون مد وكلاهما صحيح رواية ودراية وفى الاساس عدد جم وجبل وحبا جاوجاؤا جماغفيرا والجماء الغفير اشتق من جة الشعر وماقيل من ان الصواب الجم لانه لايتلفظ بالجماء الاموصوفا نحو جاؤا الجماء الغفير لاأصل له وذلك انما هو اذا كان منصوبا كماذكره أهل العربية (على مرور السنين عليهم) أي مع طول أعمارهم وامتداد أزمنتهم لم يتيسر لهم حفظ كتبهم (والقرآن ميسر حفظه للغلمان) أي لغلمان هذه الامة وأطفالهم فى مكتبهم (فى أقرب مدة) أي فى زمن قليل كسنة ونحوها كما شاهدناه وغلمان بكسر الغين المعجمة وهو من حين يولد الى ان يشب (ومنها) أي من وجوه الاعجاز عند بعضهم (مشاكلة بعض اجزائه بعضا) أي مشابهة بعضه لبعض قال الراغب المشاكلة فى الهيئة والصورة والند فى الجنسية والشبه فى الكيف والشكل الدل وهو فى الحقيقة الانس الذى بين المتماثلين فى الطريقة ومن هذا قيل الناس اشكال وآلاف وأصل المشاكلة من الشكل أي تقييد الدابة بالشكال ومنه شكل الكتاب (وحسن ائتلاف أنواعها) أي مناسبة أنواع تلك الاجزاء فتكون كلماته متناسبة وجمله المركبة أيضا بينها الفة وحسن مناسبة تامة (والتئام اقسامها) بهمزة ويجوز ابدالها ياء أيضا أي توافقها وانضمام كل قسم الى مشاكله (وحسن التخلص من قصة الى أخرى) وهو ان يوافق مطلع السابقة مبدؤ اللاحقة حتى يصير كالقصة الواحدة (والخروج من باب الى غيره) أي الانتقال من نوع من الكلام الى نوع آخر وفى ذكر الخروج مع الباب لطف ظاهر (على اختلاف معانيه) الضمير للقرآن وعلى بمعنى مع أي تراه مع اختلاف مقاصده لايخرج عن المناسبة التامة فى جمله وتفاصيله وهذا يعلم من كتاب المناسبات وقد صنف فيه كتب أجلها مناسبات البقاعى وحسن التخلص مما اعتنى به البلغاء والشعراء كقوله

يقول فى فرس صحبي وقد أخذت ❊ منى السرى وخطى المهرية القود

أمطلع الشمس تبغى ان تؤم بنا ❊ فقلت كلا ولكن مطلع الجود

والانتقال من غير مناسبة يسمى اقتضابا (وانقسام السورة الواحدة على أمر ونهى وخبر واستخبار) أي استفهام وهو أحد اقسام الانشاء المقابل للخبر وعدى الانقسام بعلى والمعروف تعديته بالى الى اقسامه وانما يتعدى بعلى لمن يعطى تلك الاقسام فتقول النقد ينقسم الى دراهم ودنانير وتقول قسمته على الفقراء والمساكين فاذا استعمل أحدهما فى مكان الآخر وأراد الكلام كان تجوز النكتة وهى هنا

فاللام للعهد الذهنى الذى هو فى المعنى نكرة وهى فى سياق النفى تفيد العموم وحينئذ يناسب قوله (فكيف الجماء) وفى نسخة الجم أي فيستبعد ان يحفظه الجم الغفير والجمع الكثير (على مرور السنين عليهم) وفى نسخة الاعوام جمع عام بمعنى سنة (والقرآن) أي بحمد الله والمنة (ميسر) وفى نسخة متيسر (حفظه على الغلمان) بكسر الغين جمع غلام أي الاولاد الصغار (فى أقرب مدة) أي كسنة أو أقل أو أكثر بحسب مراتب جودة الذهب والفطنة والفطرة (ومنها مشاكلة بعض اجزائه بعضا) أي مشابهته فى تناسب مبانيه وتجاذب معانيه (وحسن ائتلاف أنواعها) أي أمرا ونهيا ووعدا ووعيدا وقصة وموعظة (والتئام اقسامها) أي توافقها فى سلامة التركيب وسلامة الترتيب (وحسن التخلص) أي الانتقال (من قصة الى أخرى والخروج من باب الى غيره على اختلاف معانيه) أي المأخوذة من تفاوت مبانيه (وانقسام

ووعد ووعيد واثبات نبوة) أقول وقد اجتمعت هذه الوجوه في آية وهي قوله تعالى قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده مع زيادة الاعتذار بقوله وهم لا يشعرون مع التنبيه لهم في صدر الآية بالنداء وتنزيل النمل منزلة العقلاء وغير ذلك من الاشارات والايماء (وتوحيد) أي في الذات (وتفريد) أي في الصفات (وترغيب) أي الى الطاعة بالمثوبة (وترهيب) أي عن المعصية بالعقوبة (الى غير ذلك من فوائده) أي منضمة الى ما عدا ذلك من منافعه وعوائده مما يلتقط من مساقط موائده كضرب مثال وبيان حال واشعار وايثار يوجب للسالك وصوله (دون خلل يتخلل فصوله) أي أنواع أبواب مما يقتضي حصوله وأبعد الدلجي في جعل الفصل بمعنى الفاصلة (والكلام الفصيح) كان الاظهر ان يقول اذ الكلام أو لان الكلام الفصيح ولو كان على المنهج الصحيح والغرض الصريح (اذا اعتوره) أي تداوله وفي أصل الدلجي اذا اعتراه أي غشيه وألم به (مثل هذا) أي الذي يتخلل الفصول وهو في الحقيقة بمعنى الفضول (ضعفت قوته) أي نزلت مرتبته في فن البلاغة (ولانت جزالته) أي وهانت منزلته عن درجة عظمة الفصاحة (وقل رونقه) أي حسنه وبهجته في تأديته الحلاوة (وتقلقلت ألفاظه) أي اضطربت مبانيها واختلفت معانيها وفي نسخة تقلقت بلام واحدة مشددة أي صارت قلقة في المبنى وغلقة في المعنى (فتأمل) أي في بيان المرام (أول ص) أي سورتها حيث صدرها بقوله ص أي يا صادق والقرآن ذي الذكر أي صاحب العز والشرف للوافق (وما جمع فيهما من أخبار الكفار وشقاقهم) وخلافهم مع سيد الابرار بقوله تعالى حكاية عنهم بل الذين كفروا في عزة وشقاق أي استكبار عن الحق واستدبار عن الصدق (وتقريعهم) أي ومن توبيخهم وتخويفهم (باهلاك القرون من قبلهم) بقوله تعالى كم أهلكنا من قبلهم من قرن فنادوا ولات حين مناص (وما ذكر من تكذيبهم بمحمد) صلى الله تعالى عليه وسلم (وتعجبهم مما أتى به) أي حيث قال تعالى وعجبوا ان جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب (والخبر عن اجتماع ملئهم) وفي نسخة عن اجماع ملئهم (على الكفر) وذلك لما روى ان عمر رضي الله تعالى عنه لما أسلم شق ذلك على قريش فقال أشرافهم لابي طالب أنت شيخنا وكبيرنا وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء فاقض بيننا وبين ابن أخيك فقال له هؤلاء قومك يسئلونك القصد فلا تمل عليهم كل الميل فقال ما تسئلونني قالوا ارفضنا وآلهتنا وندعك والهك فقال أرأيتم ان أعطيتكم ما سألتم أمعطي أنتم كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم قالوا نعم وعشرا فقال قولوا لا اله الا الله فقالوا اجعل الآلهة الها واحدا ان هذا الشيء عجاب أي في غاية من العجب

هؤلاء

جعل المقسم الكلي كأنه أمر خارج قسم على افراده أو أنواعه فنال كالاحصة منه لوجوده في ضمنه فلا يحسن ذلك في كل محل ولا من كل قائل (ووعد ووعيد واثبات نبوة وتوحيد) كقوله وما كنت ثاويا في أهل مدين اذ قضينا الى موسى الامر وقوله انما الله اله واحد (وتقرير) لبعض ما شرع أولا (وترغيب وترهيب) بوعد من اتقى بالنعيم المخلد وان من كفر في سواء الجحيم منضما ما ذكر (الى غير ذلك من فوائده) كضرب الامثال وذكر القصص للعبرة بها (دون خلل) أي أمر يخل به وينقصه (يتخلل فصوله) أي يكون في اثناء فصوله والفصل عبارة عن جمل من الكلام مستقلة وقيل انه بمعنى الفاصلة وهي الكلمة مما يضاهي السجع (والكلام الفصيح) من كلام البشر (اذا اعتوره) أي ورد عليه وطرأ وتداوله (مثل هذا) أي تضمن أنواعا من المقاصد كوعد ووعيد وعبرة وتخلل فصوله التي ينشئها المتكلم الفصيح (ضعفت قوته) لانه يكل خاطر قائله بتعدد أنواع المقاصد فينزل عن مرتبتها التي ساقها في أوله (ولانت جزالته) أي صلابته وشدته تنقلب لضدها (وقل رونقه) أي صفاؤه ونضارته (وتقلقلت ألفاظه) أي اضطربت والقلقلة في الاصل الحركة بعنف ويقال تقلقل في البلاد اذا طال سفره فاستعير لتنافر الكلام الطويل (فتأمل) أي تدبر واطل النظر والفكر (أول) سورة (ص) والقرآن ذي الذكر الى آخره (وما جمع فيها) بالبناء للفاعل أو المفعول وانث ضمير أول لانه بمعنى الفاتحة أو لاكتسابه التأنيث مما أضيف اليه من اسم السورة (من أخبار الكفار) أي كفار قريش من تعجبهم بان جاءهم نذير منهم وقولهم انه ساحر كذاب وغيره (وشقاقهم) أي عداوتهم لله ورسوله صلى الله عليه وسلم بقوله بل الذين كفروا في عزة وشقاق (وتقريعهم) وتوبيخهم (باهلاك القرون من قبلهم) بقوله كم أهلكنا قبلهم من قرن (وما ذكر) فيها (من تكذيبهم بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم) في قولهم ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة ان هذا الا اختلاق (وتعجبهم مما أوتي به) في قوله أأنزل عليه الذكر من بيننا الى آخره (والخبر عن اجتماع ملائهم على الكفر) الخبر هنا بمعنى الاخبار والملأ جماعة الاشراف والرؤساء وذلك انه لما أسلم عمر رضي الله تعالى عنه شق عليهم اسلامه فاجتمعوا عند أبي طالب وقالوا له أنت شيخنا وكبيرنا وقد رأيت ما فعل هؤلاء السفهاء فاقض بيننا وبين ابن أخيك فجاءهم له صلى الله عليه وسلم وقالوا له يا محمد

هؤلاء قوم ملك يسألونك القصد فلا تمل عليهم كل الميل فقال لهم ماتسألونى قالوا دعنا وآلهتنا وندعك والهك فقال أرأيتم ان أعطيتكم ماسألتموه أتعطيني أنتم كلمة واحدة تدين لكم بها العرب والعجم قالوا نعم وعشرا قال قولوا لا اله الا الله فقالوا امشوا واصبروا على آلهتكم ان هذا لشئ يراد (وماظهر من الحسد فى كلامهم) أى ماظهر فى كلامهم مما يدل على حسدهم له صلى الله تعالى عليه وسلم على ما آتاه الله فى قولهم أأنزل عليه الذكر من بيننا مما دل على اعترافهم وتيقنهم بصدقه صلى الله تعالى عليه وسلم الا ان الحسد أخرس ألسنتهم وأعمى قلوبهم (وتعجيزهم) حيث قال أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب أم لهم ملك السموات والارض ومابينهما فليرتقوا فى الاسباب فانهم لما أنكروا اختصاصه صلى الله تعالى عليه وسلم من بينهم بالنبوة بين لهم انها رحمة منه يصيب بها من يشاء ممن ارتضاه من عباده فلا مانع لما أراد فانهم لايملكون خزائنه والتصرف فيها حتى يضعوا النبوة فى صناديدهم فان أنكروا ذلك فليصعدوا الى السماء وينزلوا الوحى لمن ارادوه وفى هذا غاية التهكم بهم واظهار عجزهم وقصورهم (وتوهينهم) أى اظهار ضعفهم ووهن كيدهم وتحقيرهم بقوله جند ماهنالك مهزوم من الاحزاب أى هؤلاء الذين كذبوك وتحزبوا عليك جند ذو احقارة لاقدرة لهم على التصرف فى الامور الربانية فلاتكترث بهم (ووعيدهم بخزى الدنيا) بهزيمتهم (والآخرة) بذوقهم العذاب فيها (وتكذيبهم الامم قبلهم) أى وعيدهم بذكر من كذب من الامم قبلهم (واهلاك الله لهم) بقوله كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون الى قوله فحق عقاب (ووعيد هؤلاء) يعنى كفار قريش الذين كذبوه كما كذب الامم رسلهم فيحل بهم ماحل بهم (مثل مصابهم) منصوب بقوله وعيدهم (وتصبير النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على أذاهم) أى أمره بالصبر بقوله اصبر على مايقولون الى آخره (وتسليته بكل ماتقدم ذكره) من بيان ما آل اليه أمرهم وان له صلى الله تعالى عليه وسلم فيمن تقدمه من الرسل اسوة (ثم أخذ) أى شرع بعد تصبيره وتسليته (فى ذكر داود عليه الصلاة والسلام) بقوله واذكر عبدنا داود الى آخره قيل لما فى قصته من تقطيع المعصية بذكر ماصدر منه من خلاف الاولى الذى صدر منه فعوتب عليه فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب فبالك بغيره فهذا وجه ذكره هنا فتدبر (وقصص الانبياء) بفتح القاف وكسرها كسليمان وأيوب وابراهيم واسحق ويعقوب عليهم الصلاة والسلام بقوله ولقد فتنا سليمان الى آخره فذكرهم الله تعالى مثنيا عليهم (كل هذا) المذكور فى أول سورة ص مذكور (فى أوجز كلام وأحسن نظام) على أتم ارتباط من غير خلل يزيل رونقه ويقل ماء فصاحته (ومنه) أى من اعجاز القرآن وفى بعض النسخ ومنها ويحتمل ان يريد مما ذكر فى أول سورة ص (الجمل الكثيرة) من المعانى لقوله (التى انطوت عليها) واشتملت (الكلمات القليلة) بالنسبة لمعانيها وفى القلة والكثرة

(وماظهر من الحسد فى كلامهم) أى من قوله تعالى حكاية عن مرامهم أأنزل عليه الذكر من بيننا (وتعجيزهم) أى بقوله تعالى فليرتقوا فى الاسباب (وتوهينهم) أى وتحقيرهم بقوله سبحانه وتعالى جند ما هنالك مهزوم من الاحزاب (ووعيدهم بخزى الدنيا) وفى نسخة بخزى فى الدنيا أى بهزيمتهم فيها (والآخرة) أى بذوق عذاب أليمها (وتكذيب الامم قبلهم) أى أنبياءهم ورسلهم (واهلاك الله لهم) أى للمكذبين منهم بقوله كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الاوتاد وثمود وقوم لوط وأصحاب الايكة أولئك الاحزاب ان كل الا كذب الرسل فحق عقاب (ووعيد هؤلاء) يعنى قريشا واحزابهم (مثل مصابهم) بقوله تعالى وماينظر هؤلاء الا صيحة واحدة مالها من فواق (وتصبير النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) أى حمله على الصبر (على أذاهم) أى الذى من جملته مابالغوا فى تكذيبهم له وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب فسلاه بقوله تعالى اصبر على مايقولون أى لاتبال بقولهم ولا تكترث بفعلهم وكن معنا مشاهد الناقى آياتنا وقدرتنا على كائناتنا (وتسليته) أى الشاملة (بكل ماتقدم ذكره) أى بيانه عنهم (ثم أخذ) أى شرع بعد تسليته (فى ذكر داود) أى بقوله تعالى واذكر عبدنا داود ذا الايد انه أواب أى كثير الرجوع الى أبواب رب الارباب فانت كذلك لازم الباب ولاتلتفت الى ماصدر من أرباب الحجاب وأما ماذكره الدلجى هنا فمالا يصلح ان يفسر به فصل الخطاب ولذا أعرضت عن ذكره فى الكتاب والله تعالى أعلم بالصواب (وقصص الانبياء) أى حكاياتهم كسليمان وأيوب وابراهيم واسحق ويعقوب وغيرهم عليهم الصلاة والسلام مع مااشتمل عليه من عظيم الثناء وكريم العطاء (كل هذا) أى الذى ذكره أول ص (فى أوجز كلام وأحسن نظام) أى وأتم مرام (ومنه) أى ومن اعجاز القرآن أو من هذا القبيل الذى ذكر أول ص من اعجاز الفرقان (الجملة) الاولى الجمل (الكثيرة) أى من جهة المعانى (التى انطوت) أى اشتملت (عليها الكلمات القليلة) أى من حيثية المبانى

طباق البديع وقيل عليه ان محصل هذا انه ايجاز وقد تقدم ذكره غير مرة فلا حاجة لاعادته وعده وجها مستقلا ولذا استدركه بقوله (وهذا كله) أى ماذكر هنا (وكثير مماذكرنا) فى هذا الفصل من أوله الى هنا (انه ذكر فى اعجاز القرآن) مضافا (الى وجوه كثيرة ذكرها الائمة لم نذكرها اذا كثرها داخل فى باب بلاغته) أشار بقوله أكثرها الى ان منها مالايدخل فى البلاغة كتسهيل حفظه وان كان يرجع اليه بوجه بعيد والالم يعده الائمة من وجوه الاعجاز (فلا يجب ان يعد فنا منفردا فى اعجازه) بل يجعل من توابعه أوثمراته (الافى باب تفصيل فنون البلاغة) فيعد فنا منها كمشاكلة أجزائه وحسن التخلص فانه فن منفرد من البلاغة لامن الاعجاز فانه لايتوقف عليه اذ من المعجز مالايكون فيه ذلك كسورة الاخلاص مثلا (وكذلك) أى من مثل المذكور (كثير مماقدمناه ذكرها عنهم) أى عن الائمة (يعد فى خواصه وفضائله لا اعجازه) لانه لامدخل له فيه (وحقيقة الاعجاز) عند من لم يقل بالصرفة انما هى (الوجوه الاربعة) التى قدمها المصنف رحمه الله تعالى أولا كما قال (التى ذكرنا فليعتمد عليها) فى تحقيق الاعجاز ويستند اليها من أراد تحقيقه (ومابعدها) مماذكر فى هذا الكتاب فانما هو (من خواص القرآن) التى لاتوجد فى كلام غيره (وعجائبه التى لاتنقضى) أى لاتعد ولا تتناهى (وبالله التوفيق) أى ما التوفيق والهداية للوقوف على عجائبه التى لاتتناهى الامن الله وعنايته وفى بعض النسخ والله الموفق وفى حديث قدسى من شغله القرآن عن دعائى ومسألتى أعطيته أفضل ثواب الشاكرين اللهم فاجعله ربيع قلبى وشفاء همى وغمى ثم عقب معجزة القرآن التى هى أعظم معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم بمعجزة أخرى عظيمة مناسبة له فى انها سماوية ومعجزة عليه فقال

()

تم بحمد الله الجزء الثانى من نسيم الرياض على الشفاء ويليه الجزء الثالث أوله (فصل انشقاق القمر وحبس الشمس)

(وهذا) أى ماذكر (كله) أى جميعه (وكثير مماذكرنا انه ذكر فى اعجاز القرآن الى وجوه) أى مع وجوه أومنضما الى وجوه (كثيرة ذكرها الائمة لم نذكرها) أى نحن فى وجوه اعجازه (اذ أكثرها داخل فى باب بلاغته) أى المتضمنة لمراتب فصاحته (فلا يجب ان يعد) بصيغة المجهول أى فلا يليق أن يجعل على حدته وفى نسخة صحيحة فلا نحب أى لانود ان نعد بنون المتكلم فيهما (فنا منفردا) أى وفى نسخة منفردا أى من أنواع بلاغته (فى اعجازه الافى باب تفصيل فنون البلاغة) وفى نسخة صحيحة بالضاد المعجمة (وكذلك) أى مثل ماهو داخل فى بابها (كثير مماقدمنا ذكره عنهم يعد فى خواصه) أى التى لاتوجد فى غيره (وفضائله) أى الزائدة من نحوه (لا اعجازه) بالجر وفى نسخة صحيحة لافى اعجازه (وحقيقة الاعجاز) أى مابه العجز (الوجوه الاربعة التى ذكرناها) أى فى فصولها (فليعتمد عليها وما بعدها) وأما ماعداها مماذكرنا فانما هو (من خواص القرآن وعجائبه التى لاتنقضى) أى لاتنتهى غرائبه وهذا غاية التحقيق (والله ولى التوفيق)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(فصل في انشقاق القمر وحبس الشمس) أى في ذكر معجزته صلى الله تعالى عليه وسلم بشق القمر له وجعله فلقتين وفي منع الشمس عن مسيرها للغروب كما سيأتي بيانه وهذا كان عقب قصة الاسراء وفي معناه رد الشمس الآتي في قصة علي واقتصر في الترجمة على هذا لانهما في المعنى سواء ولما سيأتي (قال الله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر) قدم اقتراب الساعة عليها تخويفا لمنكري ذلك واثباتا له وتقريرا في نفوس المؤمنين بها اذ تشقق السموات فيها فالقادر على ذلك الفعال لما يريد كيف لا يقدر على شق القمر واقتربت بمعنى صارت قريبة من بعثته صلى الله تعالى عليه وسلم كما ورد في الحديث بعثت أنا والساعة كهاتين وأشار باصبعه الوسطى والسبابة لان التفاوت بينهما مقدار سبع وبعثته صلى الله تعالى عليه وسلم في الالف السابعة على ما اشتهر عند المحدثين وغيرهم وانما كانت الساعة قريبة لان عمر الدنيا على المشهور سبعة آلاف وكسور وقيل أكثر من ذلك وقد بعث نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم في آخرها ألفا وحيث لم تبق الا صبابة وقوله انشق القمر أي وقع شقه وجعله فلقتين في الزمن الماضي بمكة معجزة له صلى الله تعالى عليه وسلم اذ قال المشركون له أرنا آية وهذا ما عليه جمهور المفسرين وقيل ان المعنى انه سينشق في المستقبل اذا قامت القيامة وعبر بالماضي لتحققه ورده جماعة وقالوا انه مبني على قول الفلاسفة ان الاجرام العلوية لا تقبل الخرق والالتئام ويكذبه القرآن وقوله فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان وقوله (وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر) أي دائم أو محكم من أمر الحبل اذا أحكم فتله وقد ثبت انشقاق القمر له صلى الله تعالى عليه وسلم في الصحيحين وأخبر به جماعة من الصحابة والى بيان ذلك أشار بقوله (أخبر الله تعالى بوقوع انشقاقه بلفظ الماضي واعراض الكفرة عن آياته) ومعجزاته التي لا يمكن البشر الاتيان بمثلها (وأجمع المفسرون وأهل السنة

(فصل) (في انشقاق القمر وحبس الشمس) قال اليمني لا يسمى قمرا الا بعد مضى ثلاث ليال من الشهر والكرة الارضية أكبر منه بمقدار مائة وعشرين مرة ومن جملة خواصه انه يبلي الكتان اذا ترك في سمره ويعفن اللحم اذا ترك تحته وأما الشمس فيقال انها تنور العالمين العلوي والسفلي وان الله جعل فيها خواص اصلاح العالم من الحيوان والنبات والمعدن (قال الله تعالى اقتربت الساعة) أى قربت غاية القرب (وانشق القمر) روى ان الكفرة سألوه آية فانشق ويؤيده قراءة حذيفة وقد انشق القمر ويقويه قوله (وان يروا آية) أى معجزة (يعرضوا) أى عن الايمان بها (ويقولوا سحر مستمر) أى دائم لترادف الآيات وتتابع المعجزات (أخبر تعالى بوقوع انشقاقه بلفظ الماضي) أى فيجب تحققه حقيقة ولا يجوز صرفه الى المجاز بلا ضرورة وحمله على انه سينشق يوم القيامة وانه عبر بالماضي لتحقق وقوعه في المستقبل (واعراض الكفرة عن آياته) أى وأخبر تعالى باعراضهم عن آياته وهذا مما يدل على وقوعه فانه لا يتصور الاعراض الحقيقي قبل تحققه (واجمع) وفي نسخة صحيحة بالفاء أي فلهذا أجمع (المفسرون) على أى من السلف (وأهل السنة) أى أرباب الحديث أو أهل السنة والجماعة الجامعون بين الكتاب والسنة من السلف والخلف

(على وقوعه) قال الانطاكي في قول القاضي أجمع المفسرون نظر فقد نقل السجاوندي والنسفي في تفسيرهما عن الحسن البصري ان معناه سينشق عند الساعة وكذا أبو الليث قال في تفسيره وأكثر المفسرين قالوا ان هذا قد مضى انتهى ويمكن دفعه بانه أراد بالمفسرين المشهورين منهم أو انه لم يطلع على خلافهم وعلى تقدير الخلاف لا يلزم عدم وقوع انشقاق القمر في عهده صلى الله تعالى عليه وسلم اذا جمعوا على تحققه بالاحاديث الستة وانما الخلاف في معنى الآية هل يراد به الانشقاق الماضي أو الانشقاق الآتي والله سبحانه وتعالى أعلم (أخبرنا الحسين بن محمد الحافظ) أي أبو علي الغساني (من كتابه) لان المصنف ليس ٣ له الا الاجازة في بابه (ثنا) أي حدثنا (القاضي سراج بن عبدالله ثنا الاصيلي ثنا المروزي) تقدم ذكرهما (ثنا الفربري) بكسر الفاء وفتح الراء وقيل غيره وقد سبق ذكره (ثنا البخاري) أي صاحب الجامع الصحيح (ثنا مسدد) بفتح الدال المهملة المشددة وهو كاسمه مسدد بصري أسدي (ثنا يحيي) أي ابن سعيد روى عنه أحمد وغيره وأخرج له الأئمة الستة (عن شعبة) أي ابن الحجاج أمير المؤمنين في الحديث (وسفيان) أي ابن عيينة أحد الاعلام وهو الاعور الكوفي (عن الاعمش عن ابراهيم) أي النخعي (عن أبي معمر) بفتح الميمين ازدي كوفي مخضرم (عن ابن مسعود) أي موقوفا كما ساقه القاضي عن البخاري وقد أخرجه البخاري في تفسيره وقد أخرجه أيضا عنه مسلم والترمذي والنسائي وقال الترمذي حسن صحيح (قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي زمانه (فرقتين) أي فلقتين كما في رواية الترمذي عن ابن عمر بمعنى قطعتين وفي الصحيحين بلفظ شقتين بكسر الشين المعجمة أي نصفين ولفظ في حديث جبير فانشق القمر باثنتين وفي رواية أبي نعيم في الدلائل فصار قمرين (فرقة) بالنصب على البدلية ويجوز رفعها على الابتدائية أي منهما فرقة (فوق الجبل) أي جبل حراء أو أبي قبيس (وفرقة دونه) أي أسفل منه أو قريب منه هذا وقد قال الحجازي يجوز النصب والضم أفصح منه ومنه قوله تعالى قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله قلت وقد يقال الضم أصح اذا فصل النعت والا فالبدل في مثل هذا التركيب أفصح كما حقق في قوله تعالى الحمد لله رب العالمين

على وقوعه) في الماضي وقال السبكي رحمه الله تعالى انه متواتر لا يجوز انكاره وردوا قول الماوردي ان الجمهور على خلافه وتأويل ينشق بمعنى سينشق فانه لو وقع لم يبق أحد الا رآه ولم يعتد المصنف رحمه الله تعالى بهذه المقالة وهي لا تخرق اجماع السلف من أهل السنة ومثله ليس من أهل التفسير بل من أهل التأويل عنده الا أن بعضهم نظر في حكاية الاجماع بان السجاوندي والنسفي قالا في تفسيريهما انه منقول عن الحسن البصري وكذا قال أبو الليث في تفسيره ان معناه سينشق وعزاه بعضهم للجمهور ومن الغريب ما حكي عن بعض شراح المدونة ان فلقة منه نزلت لجنبه وخرجت من كمه صلى الله تعالى عليه وسلم ولما أرسل أبو بكر بن الطيب رسولا لملك الروم بقسطنطينية وقيل له انه أجل علماء الاسلام أحضر بعض بطارقته لمناظرته فقال له تزعمون ان القمر انشق لنبيكم فهل للقمر قرابة منكم حتى ترونه دون غيركم فقال له وهل بينكم وبين المائدة أخوة ونسب اذ رأيتموها ولم ترها اليهود ويونان والمجوس الذين انكروها وهم في جواركم فافحم ولم يبق بفيه شئ (أخبرنا الحسين بن محمد) هو أبو علي الغساني الجياني تقدم مفصلا ترجمته (الحافظ من كتابه) لا بقراءته عليه قال (حدثنا القاضي سراج بن عبدالله الاصيلي) السابق ترجمته وفي نسخة أخبرنا في جميع ما يأتي قال (حدثنا المروزي) تقدم مع بيان نسبته قال (حدثنا الفربري) تقدم بيانه وضبط نسبته قال (حدثنا البخاري) الامام المشهور قال (حدثنا مسدد) عبد الملك بن عبد العزيز الاسدي ومسدد بوزن اسم المفعول لقب له كسرهد وهو مسدد بن مسرهد بن مسربل بن مغربل بن مرعبل بن ارندل بن سرندل بن عرندل بن ماشل بن المستورد محدث البصرة وقال أبو نعيم لو كان في أول هذه النسبة بسم الله الرحمن الرحيم كانت رقية للعقرب وهو امام حافظ روى عنه أصحاب الكتب الستة وتوفي سنة ثمان وعشرين ومائتين قال (حدثنا يحيي) بن سعيد بن ابان الاموي الحافظ أخرج له أصحاب الكتب الستة وتوفي سنة أربع وتسعين ومائة وسنه ثمانون وترجمته في الميزان (عن شعبة) بن الحجاج العتكي الحافظ أمير المؤمنين في الحديث كما تقدم (وسفيان) بن عيينة أبو محمد الهلالي الكوفي أحد الاعلام الذي أخرج له الستة وتوفي سنة ثمان وتسعين ومائة كما تقدم (عن الاعمش) سليمان بن مهران السابق ترجمته (عن ابراهيم) النخعي السابق ترجمته (عن أبي معمر) الازدي الكوفي وهو بفتح الميمين وسكون العين (عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي في زمانه وحياته والعهد يأتي بهذا المعنى كما في القاموس وغيره وذكره للرد على من يقول انه سيكون بعده يوم القيامة (فرقتين) بكسر الفاء وسكون الراء المهملة بمعنى قطعتين والمراد نصفين وانتصابه على المصدر به من معنى انشق كقعد جلوسا أو بتقدير وافترق (فرقة فوق الجبل وفرقة دونه) بالنصب بدل من فرقتين والجبل حراء أو أبو قبيس وفوق يجوز رفعه ونصبه ودونه بمعنى في مقابلته منفصلا عنه لا تحته كما قيل

(فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أى لما رآه منشقا (أشهدوا) الظاهر انه خطاب للكفار فانهم أهل الانكار والمعنى أشهدوا على نبوتى أو الخطاب للمؤمنين فالمعنى أشهدوا على معجزتى وأخبروا من بعدى من أمتى (وفى رواية مجاهد) أى فى الصحيحين عن ابن مسعود زيادة قوله (ونحن مع النبى ٤ صلى الله تعالى عليه وسلم وفى بعض طرق الاعمش ونحن بمنى) وفى نسخة زيادة قوله بمنى

لماسيأتى (فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أشهدوا) انما قال ذلك لان المشركين اجتمعوا اليه صلى الله تعالى عليه وسلم فقالوا ان كنت صادقا فشق لنا القمر فرقتين فقال لهم ان فعلت تؤمنوا قالوا نعم فسأل ربه ان يعطيه ما قالوا فانشق القمر فرقتين ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ينادى يا فلان يا فلان أشهدوا وذلك بمكة قبل الهجرة رواه ابن الجوزى فى الوفاء عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وقاله لانه وقع ليلا فى وقت الغفلة أى أشهدوا على معجزتى ونبوتى ووقوع ما طلبوه لانهم أهل بهتان وجحد وفى صحيح مسلم انه انشق مرتين قال ابن القيم فى كتاب اغاثة اللهفان المرات يراد بها الافعال تارة والاعيان أخرى وأكثر ما تستعمل فى الافعال وأما فى الاعيان فكقوله فى الحديث انشق القمر مرتين أى فلقتين ولما خفى هذا على بعضهم زعم ان الانشقاق وقع مرتين ويأتى ما فيه عن قريب (وفى رواية مجاهد) التى رويت عن ابن مسعود فى الصحيحين (ونحن مع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) جملة حالية تفيد انه شاهد ذلك ولم يسمعه من غيره (وفى بعض طرق الاعمش) كما رواه أحمد فى مسنده بزيادة قوله (بمنى) منون وغير منون اسم بقعة معلومة سميت بها لكثرة ما يمنى بها من الدم أى يراق ويقال لها المنازل أيضا ويقال نزلوا اذا أتوا منى قال أنازلة أسماء أم غير نازلة قاله ابن هشام اللخمى فى شرح المقصورة واختلفت الروايات فى محل الانشقاق فقيل بمكة وقيل بمنى وفى أخرى رئى حراء بينهما وقيل شقة منه على أبى قبيس وأخرى على السويداء والذين طلبوا ذلك منه صلى الله تعالى عليه وسلم الوليد بن المغيرة وأبو جهل والعاص بن وائل والعاص بن هشام والاسود بن عبد يغوث والاسود بن عبد المطلب ونظراؤهم وهذه الروايات فى محله لا تنافى بينها لان كل راء يرى القمر باذاء مكان رؤيته (ورواه أيضا عن ابن مسعود الاسود) بن يزيد بن قيس بن عبد الله بن علقمة بن سلامان ولم يعينه المصنف رحمه الله لشهرته وهو من كبار التابعين معروف بالرواية عن ابن مسعود وهو من المعمرين بالزهد وكثرة العبادة توفى فى سنة خمس وسبعين (وقال) أى ابن مسعود (حتى رأيت الجبل) يعنى جبل حراء على ما تقدم (بين فرجتى القمر) أى فلقتيه وقطعتيه لبعد ما بينهما وهى بضم الفاء وفتحها والضم أولى لان فعلة بالفتح للمرة وبالكسر للهيئة وبالضم للمقدار الحاصل كالغرفة للغروف والفرجة الفضاء ما بين الشيئين فتجوز به عن المنفرج نفسه اذ الظاهر بين القطعتين المنفرجتين وقصة أبى عمرو مع الحجاج فى قراءته غرفة وسماعه من العرب

ربما ضاقت النفوس من الامر * رله فرجة كحل العقال

مشهورة (ورواه) أى ما ذكر (عنه) أى عن ابن مسعود كما ذكره البيهقى فى الدلائل (مسروق) بن الاجدع الهمدانى الكوفى من كبار التابعين تقدمت ترجمته وانه توفى فى سنة ثلاث وستين (انه) أى الشق أو ابن مسعود (كان بمكة وزاد فقال كفار قريش سحركم ابن أبى كبشة) يعنون النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال ابن حجر هو أحد أجداد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقيل هو جد وهب جد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لامه وقيل عليه أن أم وهب اسمها عاتكة بنت الاوقص بن مرة بن هلال ولم يقل أحد من النسابين ان الاوقص يكنى بابى كبشة وقيل هو جد عبد المطلب لامه وتعقب أيضا بان أم عبد المطلب سلمى بنت عمرو

وهذا لا يعارض قول أنس وذلك كان بمكة لانه لم يصرح بانه عليه الصلاة والسلام كان ليلتئذ بمكة فراده ان الانشقاق كان وهم بمكة قبل ان يهاجروا الى المدينة وفيه ايماء الى أنه لم يشاهد القضية بالرؤية بل وصلت اليه بالرواية لانه اذ ذاك كان ابن أربع أو خمس بالمدينة (ورواه) أى الحديث المذكور (أيضا عن ابن مسعود الاسود) أى كما ذكره أحمد فى المسند وأسود هذا تابعى جليل روى عن عمر رضى الله تعالى عنه وعلى ومعاذ وغيرهم له ثمانون حجة وعمرة وكان يصوم حتى احتضر ويختم القرآن فى ليلتين (وقال) أى ابن مسعود (حتى رأيت الجبل فرجتى القمر) بضم الفاء وتفتح أى فلقتيه (ورواه) أى الحديث المسطور (عنه) أى عن ابن مسعود (مسروق انه) أى انشقاقه (كان بمكة) كما رواه البيهقى فى دلائله (وزاد) أى ومسروق فى رواية عنه

(فقال كفار قريش سحركم ابن أبى كبشة) بفتح كاف فسكون موحدة فشين معجمة ابن يعنون النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وأبو كبشة اسم رجل قاله قديما أو فارق دين الجاهلية وعبد الشعرى فشبه المشركون النبى صلى الله تعالى عليه وسلم به وقيل بل كانت للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم أخت من الرضاعة تسمى كبشة وكان أبوه من الرضاعة يكنى بها وقيل بل كان فى أجداده لامه من يكنى بذلك قيل وذكر بعضهم ان جماعة من جهة أبيه وأمه يكنون بابى كبشة

(فقال رجل منهم) وروى من القوم قيل انه أبو جهل (ان محمدا ان كان سحر القمر) أي لعيونكم وقت السحر (فانه لا يبلغ من سحره ان يسحر الارض) أي أهلها (كلها) أي جميعها (فاسئلوا من يأتيكم من بلد آخر هل رأوا هذا) أي الانشقاق (فأتوا) أي جاء بعضهم من بلد آخر (فسألوهم) أي أهل مكة من قريش (فأخبروهم انهم رأوا ٥ مثل ذلك) أي كما ذكر من انشقاق القمر فرقتين (وحكى السمرقندي نحوه) أي بمعناه مع اختلاف في مبناه (وقال) أي السمرقندي فيما رواه (فقال) وفي نسخة قال (أبو جهل هذا سحر) أي نوع من الاختلاق (فابعثوا الى أهل الآفاق) أي بنسبتهم الى اختلاف المطالع في حيز الخلاف والشقاق (حتى تنظروا أرأوا ذلك أم لا) أي أوما رأوا ذلك كذلك هنالك (فاخبر أهل الآفاق انهم رأوه منشقا) أي بوصف الانشقاق (فقالوا) يعني الكفار (هذا سحر مستمر) أي دائم بنعت الاستمرار أو ذاهب وماض وزائل ومار (ورواه) أي الحديث السابق (عن ابن مسعود علقمة) أي ابن قيس الليثي النخعي ولد في حياته عليه الصلاة والسلام وروى عن أصحابه الكرام كأبي بكر وعمر وعثمان وغيرهم (فهؤلاء الاربعة) أي مجاهد وأبو معمر والاسود ومسروق وعلقمة (عن عبد الله) أي رووه كلهم عن ابن مسعود على وفق ما رواه عنه معمر فتدبر (وقد رواه غير ابن مسعود) أي من الصحابة (كما رواه ابن مسعود) أي فليس هو شاذا في هذه الرواية (منهم) أي ممن رواه (أنس وابن عباس رضي الله تعالى عنهما) كما رواه الشيخان عنهما وهما وان لم يدركا بأعينهما فقد سمعا عمن حضر وروى ومرسل الصحابة بالاجماع حجة (وابن عمر) أي فيما رواه مسلم والترمذي

ابن زيد الخزرجي ولم يقل أحد ان عمرا يكنى بأبي كبشة أيضا وقيل انه أبوه من الرضاعة وهو الحرث بن عبد العزى وله بنت تسمى كبشة كني بها وذكر ابن حبيب ان له صلى الله تعالى عليه وسلم أجدادا من قبل أبيه وأمه تكنوا بذلك وانما قالوه لان من عادتهم اذا بغضوا أحدا نسبوه لجد غامض له وفي النهاية انه رجل من خزاعة خالف قريشا في عبادة الاوثان وعبد الشعرى العبور فلما خالفهم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يرض آلهتهم شبهوه به في ذلك وفي القاموس انها كنية وهب بن عبد مناف أو كنية عمرو والد حليمة السعدية مرضعته صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى كل حال أرادوا به تنقيصه فزاده ذلك شرفا (فقال رجل منهم) أي من كفار قريش قيل انه أبو جهل (ان محمدا ان كان سحر القمر) حين شقه أو خيل لكم شقه (فانه لا يبلغ) أي لا يصل شئ (من سحره ان يسحر الارض كلها) أي أهلها كلهم (فاسئلوا من يأتيكم من بلد آخر) غير مكة (هل رأوه) أي القمر أو شقه أو الامر الذي وقع وفي نسخة هل رأوا هذا (فأتوا) أي أتوا من قدم على أهل مكة من غيرها (فسئلوا) أي سئلوهم هل رأوا ذلك (فاخبروهم) لما سألوهم (انهم رأوا مثل ذلك) أي مثل رؤيتهم فالتشبيه بين الرؤيتين والمرئي واحد وهو القمر المنشق (وحكى السمرقندي) تقدم ترجمته (عن الضحاك نحوه) أي مثل الحديث الذي ذكره أولا (وقال) أي الضحاك فيما رواه (فقال أبو جهل) لقريش لما شاهدوا انشقاق القمر بعد ما سئلوه (فابعثوا الى أهل الآفاق) بالمد جمع أفق بضمتين أو بضم فسكون وهو هنا بمعنى الناحية وما ظهر من الفلك ومطلع الشمس كما بينه علماء الهيئة وهو الافق المرئي والافق الغير المرئي له احكام أخر والمعنى أرسلوا ناسا لمن جاوركم من البلاد ليسئلوا من بها (حتى ينظروا) أي يعرفوا (أرأوا ذلك أم لا) الهمزة استفهامية وفي نسخة هل رأوا وشاهدوا مثل ما رآه أهل مكة أم لم يروه لانهم خيل لهم أم لم يقع وفي نسخة حتى تنظر بنونين (فاخبر أهل الآفاق انهم رأوه) أي القمر حالة كونه (منشقا) والفاء فصيحة أي فسئلوهم فاخبروا (فقالوا يعني الكفار هذا سحر مستمر) أي دائم باق غير ذاهب على حاله الى غير النهاية من المرور أو محكم قوي من امرار الحبل وهو شده فتله وقال أبو عبيدة معناه باطل وهو بعيد بحسب اللغة وانما قالوا انه مستمر لان هذا اشارة الى ما صدر قبله من الآيات المتتابعة يقفو بعضها أثر بعض كما أشار اليه القاضي ولولا هذا لم يتأت ما قالوه فان انشقاقه لم يستمر بعد الليلة التي وقع فيها وهذا يكون اشارة للشخص وللنوع كما حققه النحاة (ورواه أيضا عن ابن مسعود علقمة) بن قيس ابن مالك النخعي الفقيه الكبير التابعي الجليل ولد في حياة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وتوفي سنة اثنين وستين والرواية عنه مشهورة في الكتب الستة (فهؤلاء الاربعة) يعني مجاهدا والاسود ومسروقا وعلقمة كلهم رووا هذا الحديث (عن عبد الله) بن مسعود رضي الله عنه ثم ذكر له طريقا آخر فقال (وقد رواه غير ابن مسعود كما رواه ابن مسعود) وقدم حديث ابن مسعود وجعل رواية غيره كالمتابعة له لانه لم ير وحديث الانشقاق روايه مسندها في غاية الصحة واعتمدها الائمة غيره وهي مما اتفق عليه الشيخان وأحمد بن حنبل وابن الصلاح وغيره رجحوا ما اتفق عليه الشيخان على غيره وقال انه مقطوع بصحته (منهم) أي ممن رواه غير ابن مسعود وأعاد ضمير الجمع نظرا لمعناه (أنس وابن عباس وابن عمر

(وحذيفة) أى ابن اليمان كما عند ابن جرير وابن أبى حاتم وأبى نعيم فى الدلائل (وعلى) أى ابن أبى طالب قال الدلجى لا يعرف مخرجه (وجبير بن مطعم) أى على ما رواه أحمد والبيهقى عنه (فقال على من رواية أبى حذيفة الارحبى) بفتح الهمزة فسكون الراء ففتح الحاء المهملة فوحدة مكسورة فياء نسبة الى قبيلة من همدان وقيل الى مكان أخرج له مسلم والترمذى والنسائى وفى نسخة الارجى بجيم بعد راء ساكنة وفى أخرى بزاى بدل الراء قال الحلبى وكلاهما تصحيف والصواب ما تقدم والله تعالى أعلم (انشق القمر) هذا مقول على كرم الله تعالى وجهه وفى نسخة وانشق القمر بالواو العاطفة اما على كلام سبق له أو أراد الحكاية (ونحن مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أى وقد شاهدناه (وعن أنس سأل أهل مكة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان يريهم آية) أى معجزة باهرة وعلامة ظاهرة على صدق ما ادعاه من النبوة ٦ والرسالة (فأراهم انشقاق القمر مرتين) أى فرقتين كما فى نسخة صحيحة (حتى رأوا حراء بينهما) وهو جبل عن ثلاثة أميال من مكة على يسار المار منها الى منى وهو بكسر الحاء المهملة ممدود ويقصر ويصرف ولا يصرف ويؤنث ويذكر وقد خطأ الخطابى فتح الحاء وقصر الراء وقال النووى والصحيح انه مذكر مصروف (رواه) أى الحديث (عن أنس قتادة) أى بهذا اللفظ (وفى رواية معمر وغيره عن قتادة عنه) أى عن أنس (أراهم القمر مرتين) أى شقين أو فلقتين ويؤيده انه فى نسخة فرقتين وقيل بمعنى كرتين وقوله (انشقاقه) بالنصب بدل اشتمال من القمر وفى صحيح مسلم فأراهم انشقاق القمر مرتين قال الحلبى هذه المسئلة فتشت عنها كثيرا حتى وجدتها فى كلام أبى عبد الله ابن امام الجوزية ذكرها فى كتابه اغاثة اللهفان فذكر كلاما وفيه ان المرات يراد بها الافعال تارة والاعيان تارة وأكثر ما تستعمل فى الافعال واما الاعيان فكقوله فى الحديث انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مرتين أى شقين وفلقتين ولما خفى هذا على من لم يحط به علما زعم ان الانشقاق وقع مرة بعد مرة فى زمانين وهذا مما يعلم أهل الحديث ومن له خبرة بأحوال الرسول وسيرته انه غلط وانه لم يقع الانشقاق الا مرة واحدة انتهى وقال شيخى العراقى فى سيرته التى نظمها انه انشق مرتين بالاجماع وان ذلك متواتر وقد راجعته بكتاب وذكرت له فيه كلام ابن القيم فلم يرد جوابه على أقول ولعله أعرض عن الجواب اكتفاء بما بين فى الكتاب ان ارادة الفلقتين بالمرتين هو الصواب وقال العسقلانى وأظن قوله بالاجماع يتعلق بقوله انشق لا بمرتين فانى لا أعلم من جزم من علماء الحديث بتعدد الانشقاق ولعل قائل مرتين أراد فلقتين وهذا الذى لا يتجه غيره جمعا بين الروايات هذا

وحذيفة وعلى وجبير بن مطعم رضى الله عنهم) وهذه الروايات كلها فى الكتب الستة وغيرها مخرجة فرواية أنس وابن عباس فى الصحيحين ورواية ابن عمر فى صحيح مسلم والترمذى ورواية حذيفة بن اليمان فى الدلائل وغيرها ورواية ابن مطعم بكسر العين فى مسند أحمد والبيهقى ولذا قال (فقال على كرم الله وجهه (من رواية أبى حذيفة الارحبى) واسمه سلمة بن صهيف على الاصح نسب لارحب حى من همدان بهمزة مفتوحة وراء مهملة ساكنة وحاء مهملة مفتوحة وباء موحدة قبل ياء النسبة وهو من الثقات المشهورين (انشق القمر ونحن مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) والجملة حالية وضمير نحن لعلى ومن كان معه لما تقدم (وعن أنس) خادمه صلى الله تعالى عليه وسلم وحديثه من مرسل الصحابة لان الحادثة وقعت وهو لم يسلم اذ ذاك وهذا من مرجحات حديث ابن مسعود رضى الله تعالى عنه (سأل أهل مكة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم آية) معجزة غير ما رأوه وفى الرواية المتقدمة انهم سألوه ان يشق لهم القمر (فأراهم انشقاق القمر فرقتين) بكسر الفاء وسكون الراء وفى رواية فلقتين باللام بدلها وهما بمعنى قطعتين ونصفين كما مر (حتى رأوا حراء ما بينهما) أى بين القطعتين وما زائدة للتأكيد وفى نسخة حذفها وحراء بكسر الحاء وفتح الراء المهملتين وهمزة ممدودة وتفتح حاؤه مع القصر وهو جبل بمكة معروف كان صلى الله تعالى عليه وسلم يتعبد فيه كذا قاله التلمسانى وقال انه يذكر ويؤنث ويحرك ولا يحرك ٢ وهذا مما ذكره غيره من أهل اللغة اذا عرفت هذا فما قاله الخطابى من انهم يغلطون فى حراء ثلاث غلطات يفتحون حاءه وهى مكسورة ويقصرونه وهو ممدود ويميلونه وهو لا يمال شئ لا أصل له الا قلة النظر فى كتب اللغة (رواه عن أنس قتادة وفى رواية معمر وغيره عن قتادة عنه) أى عن أنس (أراهم القمر مرتين انشقاقه) بالنصب بدل من القمر بدل اشتمال وفى تقديم مرتين فى هذه الرواية دليل على ما قلناه سابقا من ان التعدد فى الاراءة لا فى الانشقاق وانه مرتين كما ذهب اليه من نظر لظاهر هذه الرواية وان ما قيل من ان أصل المرات فى الازمان والافعال وانها قد تكون فى الاعيان والاول أكثر وهذا من قبيل الثانى فمعناه ومعنى فرقتين وفلقتين واحد وان هذا خفى على من قال ان الانشقاق وقع مرتين وهو لم يقع الا مرة بلا اختلاف فيه ودعوى الحافظ العراقى فى منظومته الاجماع على تعدده سهو منه وغفلة عما ذكر كدعواه تواتره

٢ أى ينصرف ولا ينصرف

(ورواه عن جبير بن مطعم ابنه محمد وابن ابنه جبير بن محمد) أى النوفلى (ورواه عن ابن عباس عبيد الله بن عبد الله بن عتبة) أى ابن مسعود ولد أخى عبد الله بن مسعود وهو الفقيه الاعمى أحد الفقهاء السبعة معلم عمر بن عبد العزيز وكان من بحور العلم (ورواه عن ابن عمر مجاهد ورواه عن حذيفة أبو عبد الرحمن السلمي) بضم ففتح هو الامام مقرئ الكوفة يروى عن عمر وعثمان وعنه عاصم ابن أبي النجود وأبو اسحق (ومسلم ابن أبي عمران الازدى) والمقصود نفى توهم أن يكون أحد من الرواة وقع منفردا أو شاذا فى الرواية بل ثبت تعدد الصحابة والتابعين فى اسناد هذه الحكاية (وأكثر طرق هذه الاحاديث) أى مما بيننا وبين السلف (صحيحة والآية مصرحة) بكسر الراء أى ودلالة الآية فى هذه القضية صريحة فتكاد أن تصير متواترة معنوية وان لم تكن لفظية (ولا يلتفت) بصيغة المجهول أى ولا ينظر عن صوب اقبال قبول (الى اعتراض مخذول) أى متروك النصرة من المبتدعة كطبقة المعتزلة وجمهور الفلاسفة وعامة الملاحدة الواقع فى قول مائل الى المجاز وعادل عن الحقيقة فى مدلول الآية متشبثا بأصلهم الفاسد بان الاجرام العلوية لا يتأتى فيها الانخراق والالتئام متمسكا (بانه) أى الشان (لو كان هذا) أى الانشقاق واقعا أو لو وقع هذا الامر (لم يخف على أهل الارض) أى كلهم (اذ هو شئ ظاهر لجميعهم) وهذا المقدار بيان الاعتراض وأما بيان خذلانه فهو قوله

تواتر فيها وما قيل من انه كان مرة بمكة ومرة بحراء وهو على ثلاث أميال من مكة فى طريق الذاهب لمنى وانه يدل على تعدد الازمان والالزم التناقض فى هذه الروايات وهى كلها صحيحة ولا يمكن عادة أن يكون الناس الذى رواه فى ذلك الوقت فى هذه الامكنة الثلاثة وقد قالوا ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا مما يقطع بتعدد الازمنة والامكنة ليس بشئ فانهم اذا رأوه بمكة شاهدوا وقوع فلقة منه خلف حراء وأخرى امامه من تعدد النظر لسمته من الافق وان لم يكونوا ثمة كما مر ولا يخفى بعد كون من ذكر من كبار الكفرة معه ليلا بحراء أو غيره من جبال مكة وبراريها فالذى تحرر فى الجمع بين هذه الروايات انه تباعد ما بين الفلقتين جدا ليكون أظهر فى دفع الانكار فانه لو تقارب لقال هؤلاء الحول العقول انه من غلط الحس فلما أشهدهم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على ذلك أشار مرة الى فلقة منه وقال اشهد يا فلان ويا فلان ثم أراهم مرة أخرى فلقة أخرى وقال اشهدوا وكل هذا كان بمكة ليلا والقمر فى وسط السماء بحذاء حراء وبحذاء غيرها من الجبال والاماكن البعيدة فلا تعدد فى الشق ولا تدافع بين الروايات ولا يطعن فى شئ منها وهذا ان شاء الله مما لا ينبغى العدول عنه فان القول بان المرات فى الاعيان لا صحة له فى اللغة واستعمال الناس فلو قطع انسان بطيخة قطعتين دفعة واحدة وقال قطعتها مرتين كذبه من سمعه واستهزأ به فعليك بالنظر الحديد وان تطرح من جبذ فكره على التقليد فنزلت اقتربت الساعة وانشق القمر تؤيد المعجزة صلى الله تعالى عليه وسلم وبهذا يقوى الحديث وصار كالمتواتر وتأويله بانه سينشق اذا قامت القيامة يأباه قوله بعده وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر كما لا يخفى على من له نظر سديد (ورواه عن جبير بن مطعم ابنه محمد وابن ابنه جبير بن محمد) فرواه عن أبيه عن جده وجبير الثانى روى عنه أبو داود حديثا واحدا قال البرهان ولا أعلم له تجريحا ولا توثيقا ورد بان ابن حبان ذكره فى كتاب الثقات (ورواه عن ابن عباس عبيد الله بن عبد الله بن عتبة) الامام الجليل القدر أحد الفقهاء السبعة وهو ثقة مأمون خرج له أصحاب الكتب الستة وتوفى سنة ثمان وتسعين ومائة (ورواه عن ابن عمر مجاهد) بن جبير وقدمنا ترجمته (ورواه عن حذيفة أبو عبد الرحمن السلمي) بضم السين وفتح اللام وهو أبو عبد الرحمن بن عبد الله بن حبيب الامام المشهور مقرئ الكوفة وحافظ السنة توفى سنة ثلاث وسبعين تقريبا وخرج له الأئمة الستة رحمهم الله تعالى (ومسلم ابن أبي عمران الازدى) البصرى هو أبو عبد الله المعروف بالبطين نسب للازد بسكون الزاى المعجمة ويقال لها أسد بالسين أيضا اسم قبيلة عظيمة والازد اسم جدهم الاعلى وهم حى باليمن واليهم ينتهى نسب الانصار (وأكثر طرق هذه الاحاديث صحيحة) الطرق هى الاسانيد والرواة تسمى طرقا لوصول الحديث الينا منها وعبر بالاكثر اشارة الى ان فى بعضها ضعفا وقيل مراده بالصحيح هنا ما يقابل الحسن فكلها صحيحة مع التفاوت فيها (والآية مصرحة) بما فى الاحاديث من الانشقاق وفيه اشارة لما قلناه من ان فيها ما يمنع التأويل الذى جوزه بعضهم (ولا يلتفت الى اعتراض مخذول) أصل معنى الخذل ترك النصرة والاعانة ثم قيل لكل من لم يكن على الحق وطريق الهداية والمراد به من أنكر هذا بقصد الطعن فى المعجزة لا من أول الآية بخلافه فانه ذهب اليه بعض المفسرين كما مر الا انه أيضا لا ينبغى القول به أيضا (بانه لو كان هذا) الانشقاق (لم يخف على أهل الارض) كلهم (اذ هو شئ ظاهر لجميعهم) تعليل لقوله لم يخف

(اذلم ينقل لنا عن أهل الارض انهم رصدوه تلك الليلة) أى انتظروا انشقاق القمر حتى نظروا شقاقه أو رأوا خلافه فى تلك الليلة وهذا معنى قوله (فلم يروه انشق) أى مع ان القاعدة الاصولية مضبوطة بان رواية المثبت مقدمة على رواية النافى بلا شبهة كما فى رواية الهلال مشاهدة هذا ومن المعلوم انهم لم يترصدوه لكونهم غافلين عن القضية ذاهلين عن المقدمة المطوية وانما أراد المصنف فرض الوقوع فى البلية فبطل قول

الدجى بعد قوله فلم يروه انشق وفيه نظر لتوقف رصده على معرفة انه سينشق فى ليلة فيرصدونه ثم قال المصنف على طريق ارخاء العنان مع الخصم فى ميدان البيان (ولو نقل الينا عن لا يجوز تمالؤهم) أى توافقهم وتواطؤهم (لكثرتهم) أى المتعاضدة (على الكذب لما كانت علينا به) أى بسبب نفيهم على فرض ترصدهم (حجة) أى دلالة قاطعة ملزمة (اذ ليس القمر فى حد واحد لجميع أهل الارض) أى لاختلاف مطالعه وتباين مقاطعه كما بينه بقوله (فقد يطلع على قوم قبل ان يطلع على الآخرين) وفى نسخة على آخرين (وقد يكون) أى القمر فى مرئى (من قوم بضد ماهو من مقابليهم) أى بضد مرأى من قوم مخالفيهم (من أقطار الارض) أى جوانبها (أو يحول بين قوم وبينه) أى بين القمر (سحاب أو جبال) وكذا حجاب (ولهذا) أى ولكونه ليس فى حد واحد من العباد (نجد الكسوفات) أى محو أحد النيرين (فى بعض البلاد دون بعض) أى من البلاد حتى لا يوجد فيها كسوف أصلا وقد نقل الحافظ المزى عن ابن تيمية ان بعض المسافرين ذكر انه وجد فى بلاد الهند بناء قديما مكتوبا عليه بنى ليلة انشق القمر (وفى بعضها) أى ونجد الكسوفات فى بعض البلاد أو فى بعض الاوقات بالنسبة الى بعض العباد (جزئية) أى وقوعها باعتبار بعض أجزائه (وفى بعضها كلية) أى وقوعها يستوفى أطرافه كلها (وفى بعضها لا يعرفها) أى الكسوفات (الا المدعون لعلمها) أى الماهرون والحاذقون بمعرفتها المصنف

(اذ لم ينقل الينا عن أهل الارض انهم رصدوه تلك الليلة) أى ترقبوه ونظروا الى مطلعه والرصد الترقب ومنه أخذ الرصد المعروف عند المنجمين فهو منه قول منه وليس بمعنى لغوى (فلم يروه انشق) رأى هنا بصرية وانشق حال أى وقد انشق ولا يلزم ان يعرفوا انه سينشق فى تلك الليلة فيرصدوه كما قيل بل يكفى فيه سماعهم له من النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فيرصدوا ما وعدهم به ليعرفوا حال خبره وهو ظاهر واذ الثانية تعليل لعدم الالتفات ثم أجاب بجواب آخر على فرض تسليم ما ذكر فقال (ولو نقل) بالبناء للمجهول (الينا) انهم رصدوه فلم يروه انشق (عمن لا يجوز تمالؤهم على الكذب) أى طائفة من الارض لا يجوز اجتماعهم على الكذب فى خبرهم (لكثرتهم) من الملأ وهم الجماعة المجتمعون المتفقون على أمر واحد لانهم يملؤن مكان اجتماعهم (لما) اللام جواب لو وما نافية فيهما مخففة (كانت علينا به حجة) أى لم يكن ما اجتمعوا عليه حجة ودليلا يقوم على عدم وقوعه فعلينا مقدم من تأخير متعلق بحجة لتوسعهم فى الظرف (اذ ليس القمر فى حد واحد) الحد الوصف المميز للشئ مأخوذ من الحد بمعنى الحاجز ومنه حدود الدار أى ليس القمر على حال واحد (لجميع أهل الارض) أى عند جميعهم لاختلاف أحواله باختلاف مطالعه بالنسبة لبعض دون بعض فقد يطلع فى ليلة فى بعض البلاد دون بعض كما بينه علماء الهيئة فقد يكون ليلة انشقاقه طالعا بمكة دون غيرها فلو قال غيرهم لم نره انشق فى تلك الليلة لم يكذبوا ولذا قال المصنف (فقد يطلع على قوم قبل ان يطلع على آخرين) ولهذا لو شهد أهل بلد برؤية هلال رمضان لم يلزم غيرهم صومه كما قرره الفقهاء (وقد يكون) مرأى القمر (من قوم بضد ماهو من مقابلتهم من أقطار الارض) جمع قطر بضم فسكون وهو الناحية كالطلوع فى بعضها والخفاء فى بعض (أو يحول) بالحاء المهملة أى يكون حائلا مانعا من رؤيته (بين قوم وبينه سحاب أو جبال) شاهقة فلا يرونه مع رؤية غيرهم له (ولهذا) أى لكونه ليس على حال واحد فى جميع أقطار الارض (نجد الكسوفات فى بعض) من البلاد (دون بعض) منها والكسوف معروف وهو كون جرم القمر غير مضئ مسود لحيلولة الارض بيننا وبينه كما بين فى محله (وفى بعضها جزئية وفى بعضها كلية) والكسوف الجزئى كسوف جزء منه والكلى كسوف جميع جرمه نسبة للجزء وللكل (وفى بعضها لا يعرفها الا المدعون لعلمها) أى فى بعض البلاد يعرف الكسوفات بعض الناس الذين يعرفون علم الهيئة دون غيرهم ممن لا يعرفونه كالكسوف تحت الارض فانه يقع كثيرا عندهم ويترتب عليه أحكامه وغيرهم لا يعرفها بل لا يقدر على تصورها وعبر بالادعاء اشارة الى ان مثله ليس بثابت عند علماء الشريعة وليس المراد به اختلاف المطالع كما قيل وما ذكره المصنف بناء على ان الكسوف يكون فى القمر فلا يرد عليه ما قيل من ان الصواب ان يقول الخسوف قال الراغب الخسوف للقمر والكسوف للشمس وقال بعضهم الكسوف فيهما اذا زال بعض ضوئهما والخسوف اذا ذهب كله يقال خسفه الله وخسف هو انتهى وقد يستعمل كل منهما بمعنى الآخر مطلقا وعليه الاستعمال فى عرف التخاطب وعليه مشى

(ذلك تقدير العزيز) أي الغالب بقدرته (العليم) أي المحيط علمه بإرادته وحكمته ووقع في أصل المصنف الحكيم بدل العليم ولا يرد عليه انه مخالف للفظ التنزيل لانه ما قصد به الآية اذ ليس عليه شيء من الدلالة هذا (وآية القمر كانت ليلا) أي مبهما وقته ومجهولا ساعته قال الخطابي الحكمة في وقوعها ليلا ان من طلبها من الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم بعض من قريش خاص فوقع لهم ذلك ليلا ولو أراد الله تعالى ان تكون هذه المعجزة نهارا لكانت داخلة تحت الحس قائمة للعيان بحيث يشترك فيها الخاصة والعامة لفعل ذلك ولكن الله تعالى بلطفه أجرى سنته بالهلاك في كل أمة أتاها نبيها بآية عامة يدركها الحس فلم يؤمنوا وخص هذه الامة بالرحمة فجعل آية نبيها عقلية وذلك لما أوتوه من فضل الفهم بالنسبة الى سائر الامم والله ٩ سبحانه وتعالى أعلم (والعادة من الناس بالليل) أي بحسب الاغلب (الهدو) بضم الهاء والدال فواو مشددة أو ساكنة بعدها همزة على أصل الكلمة ومعناه قوله (والسكون) أي عن الحركة والمشي والتردد في الطرق مع قطع النظر عن ملاحظة ما في السماء وترصدهم الى مراكز القمر ناظرين اليه غير غافلين عنه ولعل ذلك انما كان في قدر اللحظة التي هي مدرك البصر (وإيجاف الابواب) بهمزة مكسورة وتحتية ساكنة فجيم أي اغلاقها بسرعة (وقطع التصرف) أي بالتردد في داخل البيوت من أغلاقها وأعماقها (ولا يكاد يعرف من أمور السماء) أي لا سيما في فصل الشتاء (شيأ) أي من أمر السماء لحجاب البناء وعدم توجه نظرهم الى صوب الهواء (الا من رصد ذلك) أي انتظره قصدا لما هنالك ومنه قوله تعالى ان ربك لبالمرصاد أي بالطريق المنتظر (واهتبل به) بفوقية فموحدة أي تحيل واعتنى بنظره (ولذلك) أي ولكون آيته كانت ليلا وفي نسخة وكذلك (ما يكون الكسوف القمري) أي بخلاف الشمسي النهاري (كثيرا) خبر كان أي لم يكن وقوعه كثيرا (في البلاد) وجعل الدلجي كثيرا حالا من اسم كان وخبرها في البلاد (وأكثرهم لا يعلم به) أي والحال ان أكثر الناس أو أكثر أهل البلاد لا يعلم بكسوف القمر (حتى يخبر) أي بوقوعه في السمر والمعنى لا يقع فيها كثيرا مع عدم تعلق العلم به الا يسيرا (وكثيرا ما) أي وأحيانا كثيرة (يحدث الثقاة) أي من العلماء بالهيئة الفلكية (بعجائب يشاهدونها من أنوار) أي ظاهرة (ونجوم طوالع عظام) أي باهرة (تظهر في الاحيان بالليل) أي بعض الاوقات أو الساعات منه (ولا علم لاحدها)

المصنف رحمه الله تعالى فلا اعتراض عليه وله تفصيل ليس هذا محله (ذلك تقدير العزيز العليم) أي سير القمر وأحواله من الكسوف وغيره كله بقدرة الله العلي العظيم الغالب بقدرته على كل مقدور المحيط علمه بكل معلوم لا كما يقول الفلاسفة انه بقوة فلكية لاحكام نجومية لا يمكن تخلفها وقيل انه وقع في أصل الحكيم بدل العليم وان صوابه العليم لانه الموافق للتلاوة واعتذر له بانه لم يرد الاقتباس من القرآن ولذا لم يقل قال الله تعالى والذي رأيناه في جميع النسخ العليم (وآية القمر كانت ليلا) أي الآية والمعجزة بانشقاق القمر وقعت في الليل قال الخطابي الحكمة في ذلك أن من طلبها من قريش طلبها ليلا فاراد الله تعالى وقوعها ليلا ولو أراد وقوعها نهارا لتكون محسوسة لكل أحد فعل ذلك ولكن الله جرت عادته باهلاك كل أمة أتاها نبيها بآية عامة يدركها الحس ان لم يؤمنوا بها فخص الله تعالى هذه الامة برحمته بجعل آية نبيها صلى الله تعالى عليه وسلم على حال لا يقتضي اهلاكها (والعادة من الناس بالليل) أي فيه (الهدو والسكون) عطف تفسير أي النوم وعدم الحركة كما قال جعل الليل سكنا والهدو بهمزة بعد الواو ويجوز ابدالها واوا وادغامها (وإيجاف الابواب) أي اغلاقها بكسر الهمزة وسكون المثناة التحتية وجيم وفاء وأصل معناه الاسراع في السير واستعمل في الاغلاق لانه مما يسارع اليه عند الحاجة لاسيما ليلا وهو تجوز سائغ شائع فما قيل انه لم يوجد في كتب اللغة فلعله هنا وجف بمعنى اضطرب والهمزة فيه للسلب لان بغلق الابواب يزول الاضطراب تكلف لا داعي له ومن يغلق بابه ولا يخرج من بيته لا يرى القمر فكنى به عن ذلك (وقطع التصرف) والنظر لشيء فضلا عن رصد النجوم وكل هذا مبالغة في ان هذا أمر لا يستبعد (ولا يكاد يعرف من أمور السماء شيأ الا من رصد ذلك) أي الا من تقيد بالنظر اليه وترقبه ليلا (واهتبل به) أي بذل جهده واعتنى به غاية الاعتناء من قول العرب اهتبل الصيد اذا طلبه من مظانه وهو متعد بنفسه وعداه المصنف رحمه الله تعالى بالباء لانه ضمنه معنى الاعتناء (ولذلك) أي لكونه أمرا ليليا في زمان غفلة ونوم (ما يكون الكسوف القمري كثيرا في البلاد) ما زائدة لتحقيق الكلام وقيد بالقمري بناء على شمول الكسوف للشمس والقمر واحترز عن الشمس لظهوره (وأكثرهم لا يعلم به حتى يخبر) بالبناء للمجهول أي يخبره الناس العارفون بوقوعه (وكثيرا ما) منصوب على الظرفية أو المصدرية وما زائدة للتأكيد (يحدث الثقات بعجائب يشاهدونها من أنوار) بيان العجائب وجمع النور وهو على ظاهره لانه قد يحدث في الجو نور زائد على ما يعهد أو المراد به شعل نارية في بعض الليالي و ينسب لها أمور تذكر في كتب الملاحم (ونجوم طوالع عظام تظهر كذوات الاذناب التي تمتد في الافق في الاحيان بالليل في السماء ولا علم عند أحد منها) لانها تسير تحت الارض حتى تقطع درجات في دائرتها

أى من غيرهم وفى نسخة ولا علم عند أحد. ثم هذا مما يتعلق بانشقاق القمر على ما نزل به الآية وورد فيه صحيح الخبر وصريح الأثر (وأما رد الشمس له) صلى الله تعالى عليه وسلم فاختلف المحدثون فى تصحيحه وضعفه ووضعه والأكثرون على ضعفه فهو فى الجملة ثابت باصله وقد يتقوى بتعاضد الاسانيد الى أن يصل الى مرتبة حسنة فيصح الاحتجاج به (وخرج) بتشديد الراء أى أخرج (الطحاوى فى مشكل الحديث) وهو الامام ١٠ الحافظ العلامة صاحب التصانيف المهمة روى عنه الطبرانى وغيره من الائمة وهو مصرى من أكابر علماء الحنفية لم يخلف مثله بين الائمة الحنفية وكان أولا شافعيا يقرأ على خاله المزنى ثم صار حنفيا توفى سنة احدى وعشرين وثلثمائة وطحا من قرى مصر قال بعضهم كان أولا شافعيا ثم تقلد مذهب مالك كذا نقله التلمسانى ولعله انتقل من مذهب مالك الى مذهب أبى حنيفة كما يشهد به كتبه فى الرواية والدراية (عن أسماء) وأصله وسماء من الوسامة فابدلت واوه همزة وقيل جمع اسم والاول أولى وهو منقول عن سيبويه ولعل وجهه ان اطلاق الجمع على المفرد بعيد جدا مع ان اسم الجمع لا يجعل علما أبدا (بنت عميس) بضم مهملة وفتح ميم فتحتية ساكنة فسين مهملة وتقدمت ترجمتها (من طريقين) أى باسنادين وكذا الطبرانى رواه باسانيد رجال بعضها ثقاة (انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يوحى اليه) أى مرة (ورأسه فى حجر على) أى ابن أبى طالب كرم الله وجهه (فلم يصل) أى على العصر (حتى غربت الشمس فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أى بعد ما أفاق من الاستغراق (أصليت يا على قال لا فقال) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (اللهم انه كان فى طاعتك وطاعة رسولك) أى لما بينهما من الملازمة (فاردد عليه) أى لاجله (الشمس) أى شرقها كما فى نسخة بالتحريك ويسكن وهو منصوب على الظرفية أى فى ارتفاعها أو على البدلية أى ضوءها وفى

وتصل الى ما فوق الارض فتظهر بعد الخفاء وهو مشاهد كثيرا مفصل فى فنه (وخرج الطحاوى) بالخاء المعجمة المفتوحة وتشديد الراء المهملة المفتوحة قبل الجيم والتخريج نقل حديث بسنده من الكتب المعتمدة ومسانيد الائمة المحدثين وبيان صحته وغيرها والطحاوى بفتح الطاء والحاء المهملتين وألف وواو وبعدها ياء نسبة منسوب لطحا قرية من قرى مصر وهو الامام الجليل القدر المحدث أبو جعفر أحمد بن محمد بن مسلمة بن عبد الملك بن سلمة بن سليم الازدى ثم المصرى الحنفى لا المالكى كما قيل ولد سنة تسع وثلاثين ومائتين وتوفى ليلة الخميس مستهل ذى القعدة سنة احدى وعشرين وثلاثمائة وكان أولا شافعيا من تلامذة المزنى ثم تحنف وانتهت اليه رئاسة الحنفية بمصر وله تآليف جليلة (فى مشكل الحديث) هو كتاب جليل له فى الحديث اشتهر بالآثار (عن أسماء بنت عميس) مصغر وهى زوجة أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنهما وترجمتها مشهورة وكانت أولا زوجة جعفر بن أبى طالب (من طريقين) وسندين مختلفين فى روايته هذا الحديث عنها ورواه الطبرانى باسانيد مختلفة رجال أكثرها ثقات وهذا الحديث فى رد الشمس أو حبسها لعلى رضى الله تعالى عنه كما سيأتى قال ابن الجوزى انه موضوع بلا شك ورواياته مضطربة وفى روايته رجال متهمون بالكذب والوضع كاحمد بن داود فان الدارقطنى وابن حبان قالا انه كذاب متروك الحديث وضاع وعمار بن مطر متروك أيضا ذكره الذهبى فى الميزان وذكر كلام الناس فيه وانه روى حديث رد الشمس وتعقبه بما روى عن أبى هريرة رضى الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال لم ترد الشمس الا على يوشع بن نون وفى طريقه الثانى فضيل بن مرزوق وقد ضعفه يحيى وقال ابن حبان انه يروى الموضوعات وهذا الحديث باطل قال ابن الجوزى ولا اتهم فيه الا ابن عقبة فانه رافضى يحدث بمثالب الصحابة وقد رواه ابن مردويه من حديث داود بن فراهيج عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال نام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى حجر على ولم يكن أى على صلى العصر حتى غربت الشمس فذكر نحوه وداود ضعيف ضعفه شعبة قال ابن الجوزى ومن غفلة واضعه انه نظر الى فضيلة ولم يتلمح الى عدم الفائدة فيها فان صلاة العصر بعد غيبوبة الشمس صارت قضاء ورجوع الشمس لا يعيدها أداء وقد ذكر ابن تيمية الحديث فى كتاب رد الروافض بطرقه وما فيه وأطال فيه قلت طالعته ورأيت ما ذكره فيه من ان ذلك كان مرتين وأنشد فيه شعر الحميرى (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كان يوحى اليه) مرة بالصهباء (ورأسه) الشريف (فى حجر على) جملة حالية والحجر مثلث الحاء المهملة قبل جيم ساكنة وراء مهملة بمعنى الحضن وهو معروف والاظهر ان المراد انها كانت موضوعة على ركبته وهو نائم (فلم يصل) على رضى الله تعالى عنه (العصر حتى غربت الشمس) وغابت فانتبه (فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) لعلى (أصليت يا على) بهمزة الاستفهام وفى نسخة هل صليت (فقال لا) أى لم أصلها (فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اللهم انه كان فى طاعتك وطاعة رسولك) لانه لم يزعج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من منامه وانتظر يقظته (فاردد عليه الشمس) أى أعدها لمكانها الذى غربت منه ليصلى الصلاة فى وقتها يقال أردد بالفك ورد بالادغام وهو دعاء وقد سمعت ما قاله ابن الجوزى انه لا فائدة فيه بعدما صارت قضاء ويأتى ما فيه (مشرقها) أى فى محل شروقها

(قالت أسماء فرأيتها غربت ثم رأيتها طلعت) أي رجعت على أدراجها من مغربها بعدما غربت (ووقفت على الجبال والارض) ويروى وقعت بالعين بدل الفاء (وذلك بالصهباء) وهو بالمد ويقصر وهو موضع على مرحلة من خيبر وكذا رواه ابن مردويه بسند فيه ضعف عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال نام رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجر علي ولم يكن صلى العصر حتى غربت الشمس فذكر نحوه (قال) أي الطحاوي (وهذان الحديثان ثابتان) أي عنده وكفى به حجة (ورواتهما ثقاة) أي فلا عبرة بمن طعن في رجالهما وانما جعله حديثين لروايته له من طريقين هذا وقال ابن الجوزي في الموضوعات حديث رد الشمس في قصة علي رضي الله تعالى عنه موضوع بلاشك وتبعه ابن القيم وشيخه ابن تيمية وذكروا تضعيف رجال اسانيد الطحاوي ونسبوا بعضهم الى الوضع الا ان ابن الجوزي قال أنا لا أتهم به الا ابن عقدة لانه كان رافضيا يسب الصحابة انتهى ولا يخفى ان مجرد كون راو من الرواة رافضيا أو خارجيا لا يوجب الجزم بوضع حديثه اذا كان ثقة من جهة دينه وكان الطحاوي لاحظ هذا المبني وبنى عليه هذا المعنى ثم من المعلوم ان من حفظ حجة على من لم يحفظ والاصل هو العدالة حتى يثبت الجرح المبطل للرواية واما ما قال الذهبي تبعا لابن الجوزي من انه ولو قيل بصحته لم يفد ردها وان كان منقبة لعلي وقوع صلاته اداء لفواتها بالغروب فمدفوع لقيام القرينة على الخصوصية

وفي رواية شرقها وهذا في بعض النسخ وهو بفتح الراء وسكونها وهو بدل من الشمس أو منصوب على الظرفية ومعناه ضوءها أو ارتفاعها على الحيطان أو انبساطها على الارض وقيل انها انما حبست ومنعت من الحركة حتى يؤدي الصلاة في وقتها و ينافيه قوله (فقالت أسماء فرأيتها غربت ثم رأيتها طلعت بعدما غربت ووقفت على الارض والجبال وذلك بالصهباء) في القاموس قاعة بقرب خيبر وكذا قاله غيره ففي قوله (في خيبر) مسامحة أو فيه مضاف مقدر أي في قربها وخيبر بوزن ضيغم أرض بقرب المدينة فيها اقلاع وقرى كان بها مساكن اليهود ثم خربت واليه الاشارة بقوله في الهمزية

ردت الشمس والشروق عليه * لعلي حتى يتم الاداء

ثم ولت لها صرير وهذا * لفراق له الوصال دواء

(قال) أي الطحاوي (وهذان الحديثان ثابتان) رواية (ورواتهما) أي أكثرهما (ثقات) جعلهما حديثين والمذكور حديث واحد تسمحا لانه روي من طريقين ذكره واعترض عليه بعض الشراح وقال انه موضوع ورجاله مطعون فيهم كذابون ووضاعون ولم يرد ان الحق خلافه والذي غره كلام ابن الجوزي السابق ولم يقف على ان كتابه أكثره مردود وقد قال خاتمة الحفاظ السيوطي وكذا السخاوي ان ابن الجوزي في موضوعاته تحامل تحاملا كثيرا حتى أدرج فيه كثيرا من الاحاديث الصحيحة كما أشار اليه ابن الصلاح وهذا الحديث صححه المصنف رحمه الله تعالى وأشار الى ان تعدد طرقه شاهد صدق على صحته وقد صححه قبله كثير من الائمة كالطحاوي وأخرجه ابن شاهين وابن منده وابن مردويه والطبراني في معجمه وقال انه حسن وحكاه العراقي في التقريب ولفظه انه صلى الله تعالى عليه وسلم صلى الظهر بالصهباء ثم ارسل عليا في حاجة فرجع وقد صلى النبي صلى الله عليه وسلم العصر فوضع رأسه في حجر علي فنام ولم يحركه حتى غابت الشمس فقال صلى الله تعالى عليه وسلم اللهم ان عبدك عليا انما احتبس نفسه على نبيه فرد عليه الشمس الى آخره وانكار ابن الجوزي فائدة ردها مع القضاء لا وجه له فانها فاتته بعذر مانع عن الاداء وهو عدم تشويشه على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهذه فضيلة أي فضيلة فلما عادت الشمس حاز فضيلة الاداء أيضا وقد قال ابن حجر في شرح الارشاد لو غربت الشمس ثم عادت عاد الوقت أيضا لهذا الحديث واما حديث ان الشمس لم ترد الا ليوشع حين قاتل الجبارين يوم الجمعة فلما أدبرت الشمس خاف ان تغيب الشمس ويدخل السبت فلا يحل له قتالهم فدعى الله تعالى فرد عليه الشمس حتى فرغ من قتالهم فقد أجيب عنه بانه قاله قبل قصة خيبر أو المراد انها لم ترد لاحد من الامم السالفة فالحصر اضافي مع انه نقل ابن حجر عن المصنف رحمه الله تعالى في الاكمال ان الشمس حبست لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم في الخندق حين شغل عن صلاة العصر حتى أدركها أداء وما روي انه قضاها بعدما غربت الشمس لعله كان في يوم آخر وفي تفسير

مع احتمال التأويل في القضية بان يقال المراد بقوله غربت أي عن نظرها أو كادت تغرب بجميع جرمها أو غربت باعتبار بعض اجزائها وان المراد بردها حبسها وبقاؤها على حالها وتطويل زمان سيرها بطئ تحركها على عكس طي الازمنة وبسطها فهو سبحانه قادر على كل شئ شاءه واما ما ذكره الذهبي من قوله وقد روى هشام عن ابن سيرين عن أبي هريرة ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال لم ترد الشمس الا على يوشع بن نون وذكره ابن الجوزي من ان في الصحيح ان الشمس لم تحبس لاحد الا ليوشع فالجواب ان الحصر باعتبار الامم السالفة مع احتمال وروده قبل القضية اللاحقة

(وحكى الطحاوى عن أحمد بن صالح) وهو أبو جعفر الطبرى المصرى الحافظ سمع ابن عيينة ونحوه وروى عنه البخارى وغيره وقد كتب عن ابن وهب خمسين ألف حديث وكان جامعا يحفظ ويعرف الحديث والفقه والنحو ومات بمصر سنة مائتين وثمان وأربعين وكان أبوه من أهل طبرستان وجرت ١٢ بين أحمد هذا وابن حنبل مذاكرات وكتب كل واحد منهما عن صاحبه وكان يصلى بالشافعى (كان يقول لا ينبغى لمن سبيله) وفى نسخة لمن يكون سبيله (العلم) أى بسير سيد الانبياء (التخلف عن حفظ حديث أسماء لانه من علامات النبوة) أى وآيات الرسالة (وروى يونس بن بكير) بالتصغير وهو الحافظ أبو بكر الشيبانى عن هشام بن عروة ولاعمش ومحمد بن اسحق بن بشار امام المغازى وعنه أبو كريب وابن نمير والعطاردى قال ابن معين صدوق وقال أبو داود ليس بحجة يوصل كلام ابن اسحق بالاحاديث أخرج له مسلم متابعة وقد خرج له البخارى فى الشواهد وأخرج له أبو داود والترمذى وابن ماجه (فى زيادة المغازى روايته) أى فى روايته كما فى نسخة (عن ابن اسحق) أى امام أهل المغازى (لما أسرى برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أى ليلة المعراج (وأخبر قومه بالرفقة) بضم الراء ويجوز تثليثها أى الجماعة من الرفقاء (والعلامة التى فى العير) بكسر العين المهملة أى القافلة من الابل والدواب يحمل الطعام وغيره من التجارات (قالوا) أى الكفار (متى تجئ) أى القافلة الى مكة (قال يوم الاربعاء) بالمد وهو بتثليث الباء والاجود كسرها كذا فى المحكم وقال ابن هشام فيه لغات فتح الهمزة وكسر الباء وكسر الهمزة وفتح الباء وكسرهما قال وهذه أفصح اللغات (فلما كان

ذلك

البغوى والكواشى والثعلبى ان الشمس ردت لسليمان أيضا وروى عن على وضمير ردوها عائد على الشمس فى الآية لعلمها وان لم يجر لها ذكر وأقول ان السيوطى صنف فى هذا الحديث رسالة مستقلة سماها كشف اللبس عن حديث رد الشمس وقال انه سبق بمثله لابى الحسن الفضلى أورد طرقه باسانيد كثيرة وصححه بما لا مزيد عليه ونازع ابن الجوزى فى بعض من طعن فيه من رجاله والحاجة التى أرسل صلى الله تعالى عليه وسلم لها عليا قسمة غنائم خيبر وما ذكره من الحديث المعارض له لا يعارضه وهو انه لم يكن لنبى معجزة الا وكان لنبينا مثلها وهذه المعجزة كانت ليوشع وسليمان ومن غريب طرقه ما رواه الطبرانى فى الكبير عن أسماء أيضا قالت اشتغل على رضى الله تعالى عنه مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى قسمة الغنائم يوم خيبر حتى غابت الشمس فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يا على أصليت العصر قال لا يا رسول الله فتوضأ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وجلس فى المسجد فتكلم بكلمتين أو ثلاثة كأنها من كلام الحبشة فارتجعت الشمس كهيئتها فى العصر فقام على فتوضأ وصلى العصر ثم تكلم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بمثل ما تكلم به قبل ذلك فرجعت الشمس الى مغربها فسمعت لها صريرا كالمنشار فى الخشبة وطلعت الكواكب انتهى واذا صح الحديث علم منه ان الصلاة ليست بقضاء بل يتعين بهذا الدعاء الاداء والا لم يكن له فائدة فما أورده وارد عليه ولا حاجة الى ان يقال انه من خصائصه فانه لا يقع مثله حتى يقاس عليه وقد يقال نظيره على القول باختلاف المطالع ما لو صام أول يوم من رمضان ببلده ثم سافر وأفطر ووصل لبلد فيها الشهر ناقص وعلم انه تم ببلدته فهل يلزمه قضاؤه تماما أم لا (وحكى الطحاوى عن أحمد بن صالح) هو أبو جعفر الطبرى الحافظ الثقة روى عنه أصحاب السنن وتوفى سنة ثمان وأربعين ومائتين وله ترجمة فى الميزان (كان يقول لا ينبغى لمن سبيله العلم) أى لمن طريقته ودأبه الاشتغال بالعلم ومعرفة الحديث فجعل نفس العلم طريقا لانه يصل به صاحبه الى سعادة الدارين (التخلف عن حفظ حديث أسماء) بنت عميس الذى روته فى رد الشمس (لانه من علامات النبوة) أى من الآيات الدالة على ثبوتها لانه معجزة عظيمة وهذا مؤيد لصحته فان أحمد هذا من كبار أئمة الحديث الثقات ويكفى فى توثيقه ان البخارى روى عنه فى صحيحه فلا يلتفت الى من ضعفه وطعن فى روايته وبهذا أيضا سقط ما قاله ابن تيمية وابن الجوزى من ان هذا الحديث موضوع فانه مجازفة منهما وما قيل من ان هذه الحكاية لا موقع لها بعد نصهم على وضع الحديث وان كونه من علامات النبوة لا يقتضى تخصيصه بالحفظ خلط وخبط لا يعبأ به بعد ما سمعت (وروى يونس بن بكير) بالتصغير وهو أبو بكر الشيبانى الامام الثقة وقول أبى داود انه ليس بحجة مردود فان ابن معين وثقه وقال انه صدوق توفى سنة تسع وتسعين ومائة وله ترجمة فى الميزان (فى زيادة المغازى روايته عن ابن اسحق) محمد بن يسار صاحب السيرة وروايته مفعول روى (لما أسرى برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأخبر قومه) من قريش بعد اسرائه (بالرفقة والعلامة التى فى العير) بكسر العين المهملة وهى الابل والرفقة جمع رفيق مثلث الراء أى أخبرهم بقافلتهم ومن فيها من الجماعة المترافقين والعلامة هى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم انه يقدمها جمل أورق على ما فصل واشتهر فى السير ويأتى بعضه قريبا (قالوا متى تجئ) جواب لما أى فى أى يوم تصل لمكة وسؤالهم لامتحانه صلى الله تعالى عليه وسلم (قال يوم الاربعاء) بتثليث الباء والمد أى تجئ يوم الاربعا (فلما كان

ذلك اليوم) أى الموعود وهو بالرفع على انه نعت لذلك المتقدم الذى هو اسم كان التامة كقوله تعالى وان كان ذو عسرة وفى بعض النسخ المعتمدة ضبط بالنصب ولا وجه له (أشرفت قريش) أى أقبلت (ينظرون) أى ينتظرون (وقد ولى النهار) بتشديد اللام المفتوحة أى أدبر أوله وأقبل آخره (ولم تجئ) أى العير (فدعا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فزيد له فى النهار ساعة) أى بسط فى ساعاته (وحبست له الشمس) أى بطئ تحركها وقيل توقفت وقيل ردت على ادراجها كما تقدم والله تعالى أعلم هذا وقد حبست الشمس له صلى الله تعالى عليه وسلم فى يوم من أيام الخندق حين شغل عن صلاة العصر كما ذكره المصنف فى غير هذا الكتاب وحبست لداود كما ذكره الخطيب فى كتاب النجوم وضعف رواته كما نقله عنه مغلطاى فى سيرته وفى تفسير البغوى انها حبست لسليمان عليه السلام لقوله تعالى ردوها على ونوزع بان الضمير عائد الى الصافنات الجياد وأيضا لم يكن هناك مأمورون صالحون لرد الشمس عليه مع مخالفته للحديث الصحيح الصريح فى حصر حبس الشمس ليوشع من بين الامم المتقدمة نعم ذكر الشيخ معين الدين فى معراج النبوة انها حبست لابى بكر رضى الله تعالى عنه أيضا والله سبحانه وتعالى أعلم هذا وقد قال بعضهم حديث رد الشمس له صلى الله تعالى عليه وسلم ليس بصحيح وان أوهم تخريج القاضى له فى الشفاء عن الطحاوى من طريقين فقد ذكره ابن الجوزى فى الموضوعات وقال ابن تيمية العجب من القاضى مع جلالة قدره وعلو خطره فى علوم الحديث ١٣ كيف سكت عنه موهما صحته وناقلا ثبوته موثقا رجاله انتهى وفى المواهب قال شيخنا قال أحمد لا أصل له وتبعه ابن الجوزى فأورده فى الموضوعات ولكن قد صححه الطحاوى والقاضى عياض وأخرجه ابن منده وابن شاهين من حديث أسماء بنت عميس وابن مردويه من حديث أبى هريرة انتهى قال القسطلانى وروى الطبرانى أيضا فى معجمه الكبير باسناد حسن كما حكاه ابن العراقى فى شرح التقريب عن أسماء بنت عميس ولفظه ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم صلى الظهر بالصهباء ثم أرسل عليا فى حاجة فرجع وقد صلى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم العصر فوضع عليه الصلاة والسلام رأسه فى حجر على فقال له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم صليت العصر قال لا يا رسول الله فدعا الله تعالى فرد عليه الشمس حتى صلى العصر قالت فرأيت الشمس طلعت بعد ما غابت حين ردت حتى صلى العصر قال وروى الطبرانى أيضا فى معجمه الاوسط بسند حسن عن جابر ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أمر الشمس فتأخرت ساعة من النهار انتهى وقال الخطابى انشقاق القمر آية عظيمة لا يكاد يعدلها شئ من آيات الانبياء وذلك انه ظهر فى ملكوت السموات خارجا عن جملة طباع ما فى هذا العالم المركب من الطبائع فليس مما يطمع فى الوصول اليه بحيلة فلذلك صار البرهان به أظهر قلت وفى معناه الشمس بل سلطانها أكبر وأبهر وأنور الا انها الكمال قرب غروبها لم تظهر للاكثر فتدبر وأما ما قال الجوزقانى بعد ان نقل عن ابن الملقن فى شرح العمدة انه روى الحسن وغيره عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه مرفوعا لم تحبس الشمس الا ليوشع حيث سار الى بيت المقدس هذا الحديث فيه رد لحديث اسماء فقد قدمت الجواب عنه واما قوله وهذا حديث منكر مضطرب لانه عليه الصلاة والسلام أفضل من على ولم ترد الشمس له بل صلى العصر بعد ما غربت فمردود عليه لانها انما ردت على على ببركة دعائه صلى الله تعالى عليه وسلم مع ان كرامات الاولياء فى معنى معجزات الانبياء وقد سبق عن البغوى انها ردت عليه أيضا فما صلى العصر الا فى وقتها مع ان المفضول قد يوجد فيه ما لا يوجد فى الفاضل كما يلزم من القول بعدم حبسها الا ليوشع فتأمل وتوسع

ذلك اليوم) بالرفع والنصب والاول أولى لانه نعت فاعل كان التامة بمعنى وجد (أشرفت قريش) بشين معجمة وراء مهملة أى قامت على شرف وهو المكان المرتفع وقوله (ينتظرون) حال أو مستأنف أى يترقبون قدوم عيرهم وقافلتهم فى اليوم الموعود (وقد ولى النهار) أى قارب ذلك اليوم وهو يوم الاربعاء ان يتم ويدخل الليل بغروب الشمس فيه (ولم تجئ) العير وتصل اليهم فى المكان الذى وقفوا فيه لانتظارها (فدعا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أى سأل ربه وتضرع له ان يمد ذلك اليوم حتى تجئ العير قبل انقضائه (فزيد له فى النهار ساعة و) ذلك انه (حبست له الشمس) ساعة أى أمسكها الله بقدرته وعوقها عن سيرها المعتاد مقدار ساعة حتى قدمت العير قبل غروبها فى ذلك اليوم وقد تقدم انها حبست له صلى الله تعالى عليه وسلم فى الخندق أيضا وفى سيرة مغلطاى نقلا عن الخطيب فى كتاب النجوم انها حبست لداود عليه الصلاة والسلام أيضا وقال انه رواية ضعيفة وذكر البغوى وغيره فى سورة ص انها حبست لسليمان عليه الصلاة والسلام حين عرض الجياد كما مر آنفا (تنبيه) الذى ذكرنا من حبس الشمس وان العير قدمت بعد العصر قبيل الغروب ينافيه ما ورد من انها قدمت صباحا وعليه اقتصر المفسرون كالزمخشرى والبيضاوى فى أول سورة الاسراء وهو انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما رجع من الاسراء فعد حزينا لعلمه بتكذيبهم له فمر به أبو جهل عدو الله وقال له مستهزأ هل استفدت من شئ قال نعم أسرى بى فى الليلة الى بيت المقدس قال وأصبحت بين ظهرانينا قال نعم قال

أتحدث قومك بهذا قال نعم فنادى هلموا فانفضوا اليه حتى جلسوا اليهما فقال حدثهم بما حدثتني به فقصه عليهم فمن بين مصفق و واضع يده على رأسه تعجبا للكذب على زعمهم وارتد ناس وسعى بعضهم الى أبي بكر رضي الله تعالى عنه وقال له هل لك في صاحبك يزعم انه أسرى به الخ قال قد صدق وانى لاصدقه فيما هو أعظم من ذلك من أخبار السماء فسمى لذلك الصديق وكان فيهم من رأى المسجد الاقصى فقالوا له هل تستطيع ان تنعته لنا قال نعم فنعته لهم ثم التبس عليه بعض أمره فجيء بالمسجد الاقصى و وضع دون دار عقيل فنظره فنعته لهم فقالوا أصاب ثم قالوا له أخبرنا عن عيرنا هل لقيتها قال نعم مررت على عير بنى فلان بالروحاء وقد ضلوا بعيرا لهم وطلبوه وفي رحالهم قدح ماء وعطشت فشربته فسألوهم هل وجدوا ماء في القدح قالوا نعم وهذه آية قال ومررت بعير بنى فلان وفلان راكب قعودا نفر فوقع وانكسر قالوا نعم وهذه آية قالوا فاخبرنا عن عيرنا قال مررت بها بالتنعيم قالوا أخبرنا عن عدتها واحمالها وهيآتها ومن فيها قال كنت في شغل عن ذلك ثم مثلت له فنعت ذلك لهم وقال يقدمها جمل أورق عليه غرارتان مخيطتان تطلع عليكم عند طلوع الشمس قالوا نعم وهذه آية أخرى ثم خرجوا يشتدون نحو الثنية وقالوا لقد قضى محمد بيننا وبينه حتى أتوا كدا فجلسوا ينتظرون طلوع الشمس كى يكذبونه فقال قائل منهم هذه الشمس قد طلعت وقال آخر هذه الابل قد طلعت يقدمها بعير أورق فرأوا فيها كل ما ذكر فقالوا ان هذا الا سحر مبين انتهى مع طى لبعض ألفاظه وهذا مناف لما رواه المصنف رحمه الله تعالى والعجب من بعضهم اذ اورده هنا ولم يتنبه لما قلنا

(فصل) (في نبع الماء من بين أصابعه وتكثيره ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم) وفي نسخة وتكثيره ببركته

فوالله ما أدرى أحلام نائم * ألمت بنا أم كان في الركب يوشع

(لطيفة) من الاتفاقات الحسنة ان المظفر الواعظ ذكر يوما قريب الغروب فضائل على كرم الله وجهه ورد الشمس له والسماء مغيمة غيما مطبقا فظنوا ان الشمس غربت وهموا بالانصراف فاصحت السماء ولاحت الشمس صافية الاشراق فاشار اليهم بالجلوس وأنشد ارتجالا

لا تغربى يا شمس حتى ينتهى * مدحى لآل المصطفى ولنجله
واثنى عنانك ان اردت ثناءهم * أنسيت اذ كان الوقوف لاجله
ان كان للمولى وقوفك فليكن * هذا الوقوف لخيله ولرجله

(فصل في نبع الماء من بين أصابعه) أى خروجه من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم معجزة له يقال نبع ينبع نبعا ونبوعا من باب نصر وعلم وضرب ومنه الينبوع لعين الماء وهو مصدر مضاف لفاعله (وتكثيره ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم) أى تكثير الماء ببركة وضع يده الشريفة فيه وهو نبع أيضا وان لم يشاهده الناس وقد كان هذا مرات كثيرة وروى بطرق متعددة في الصحيحين وغيرهما ففى بعضها أتى بقدح وفي بعضها جفنة وفي بعضها ميضأة وهى اناء معدة للوضوء وفي بعضها مزادة والماء قليل فكفى جماعة كثيرة في بعضها كانوا خمس مائة وفي بعضها ثمان مائة وفي بعضها خمس مائة وألف الى غير ذلك مما اعتنوا بجمعه في المعجزات وهذه المعجزة أعظم من معجزة موسى عليه الصلاة والسلام اذ نبع له الماء من الحجر لانه معتاد وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار الآية واما خروجه من لحم ودم فلم يعهد كما قال الشاعر

ان كان موسى سقى الاسباط من حجر * فان في الكف معنى ليس في الحجر

ولله در الابوصيرى في قوله في لاميته

ومنبع الماء عذبا من أصابعه * وذى أياد عليها قد جرى النيل

قالوا وهذا الماء أفضل من ماء زمزم والكوثر ويحتمل قوله وتكثيره ان لا يكون عطف تفسير

(أما الاحاديث فى هذا) أى فى هذا النوع من جنس المعجزة (فكثيرة جدا) منصوب على المصدر وأريد به المبالغة فى الكثرة فان ذلك فى مواطن متعددة واعداد مختلفة كما ذكره ابن حبان فى صحيحه ففى بعضها أتى بقدح وفى بعضها زجاج وفى بعضها جفنة وفى بعضها ميضأة وفى بعضها مزادة وفى بعضها كانوا خمس عشرة مائة وفى بعضها ثمانمائة وفى بعضها زهاء ثلثمائة وفى بعضها ثمانين وفى بعضها سبعين انتهى وفى صحيح البخارى فى حديث جابر فى قصة نبع الماء من بين أصابعه انهم كانوا ألفا وأربعمائة وفى رواية عنهم انهم كانوا خمس عشرة مائة وهذه القصة كانت بالحديبية وفى عددهم أقوال مختلفة ١٥ ثم هذه المعجزة أعظم من تفجر الماء من الحجر كما وقع لموسى عليه السلام فان ذلك من عادة الحجر فى الجملة قال الله تعالى وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وأما من لحم ودم فلم يعهد من غيره صلى الله تعالى عليه وسلم والله تعالى أعلم (وروى حديث نبع الماء من بين أصابعه صلى الله تعالى عليه وسلم جماعة من الصحابة منهم أنس وجابر وابن مسعود) أما حديث أنس فرواه الشيخان عنه أيضا الا ان المصنف ساقه شاهدا بسنده الى الامام مالك عنه فقال (حدثنا أبو اسحق ابراهيم بن جعفر الفقيه رحمه الله بقراءتى عليه حدثنا القاضى عيسى بن سهل حدثنا أبو القاسم حاتم ابن محمد) وقد تقدم ذكره (حدثنا أبو عمر بن الفخار) بفتح الفاء وتشديد الخاء المعجمة

بل من عطف الاعم على الاخص ليشمل ما كان بدعائه وتفل ريقه فيه وهو الاظهر والبركة اليمن وأصل معناه زيادة الخير فهو مناسب هنا جدا (أما الاحاديث فى هذا فكثيرة جدا) أى كثيرة عظيمة تفوت الحصر وهو مصدر لازم النصب والتنكير وفيه ايماء الى انها لا تدرك الا بغاية الجد والاجتهاد فيها وقال النووى رحمه الله تعالى انها بلغت مرتبة التواتر (روى حديث نبع الماء من بين أصابعه صلى الله تعالى عليه وسلم جماعة من الصحابة) بفتح الصاد مصدر فى الاصل كالصحبة ثم صار جمعا للصحابى (منهم أنس وجابر وابن مسعود) رضى الله تعالى عنهم وأشار بمن التبعيضية الى انه روى عن كثير غير هؤلاء كبلال وابن عباس رضى الله تعالى عنهم الا انه وقع بين الجم الغفير منهم فى الحديبية وغيرها كما قال أولا ان أحاديثه كثيرة جدا فلا حاجة لما قيل ان الكثرة باعتبار المخرجين لها فى كتبهم من أئمة الحديث حتى صار متواترا تواترا معنويا وانما نص على رواية هؤلاء لقوة صحتها برواية الامام مالك والشيخين لها (حدثنا أبو اسحق ابراهيم بن جعفر الفقيه رحمه الله تعالى بقراءتى عليه) هو ابن أحمد القاسى اللواتى نسبة للواتة بفتح اللام والواو المخففة تليها مثناة فوقية وهو شيخ المصنف رحمه الله تعالى قال (حدثنا) القاضى (عيسى بن سهل) ضد الصعب وتقدمت ترجمته قال (حدثنا أبو القاسم) حاتم بن محمد كما تقدم فى ترجمته قال (حدثنا أبو عمر بن الفخار) بفتح الفاء وتشديد الخاء لقب بمعنى كثير الفخر ونوع من الاوانى تجعل من الطين ولذا قيل

لا يفخرن امرء بذات يد * فالكسر يدنو لكل فخار

وقيل على المصنف رحمه الله تعالى ان الصواب أبو عبد الله بن الفخار قال ابن رشد أبو عمر الذى يروى عن أبى عيسى ليس بابن الفخار وانما هو ابن القطان الفقيه وهو أبو عمر أحمد بن محمد بن عيسى القرطبى المتوفى سنة ستين وأربع مائة وبقراءته على أبى عيسى سمع الموطأ يونس بن المغيث لكن ابن أبى حاتم لم يذكر لروايته عنه وانما روى عن عبد الله محمد بن عمر بن الفخار المتوفى سنة تسع عشرة وأربع مائة ففى كلام المصنف رحمه الله تعالى سهو من وجهين اذ سماه أبو عمر وهو أبو عبد الله وفى قوله قال (حدثنا أبو عيسى) قال (حدثنا يحيى) اذ اسقط راويا بين أبى عيسى ويحيى وهو عبيد الله أبو مروان وقد ذكر المصنف رحمه الله تعالى على الصواب فى غير هذا المحل فيما مر وفيما سيأتى وأبو عيسى هذا هو يحيى بن عبد الله بن يحيى بن كثير صاحب مالك وراوى الموطأ عنه وليس من قبيل الانقطاع لتصريحه بصيغة التحديث اللهم الا ان يقال انه جعل اتصاله فى غير هذا المحل قرينة على تقديره هنا فليتأمل قال أبو محمد القرطبى صوابه حدثنا عيسى حدثنا عبيد الله الخ وصوابه أبو عيسى بالكنية لا عيسى بالاسم لان أبا عيسى انما يحمل عن عبيد الله بن يحيى عن أبيه يحيى وأبو عيسى هو يحيى بن عبد الله بالتكبير ابن يحيى سمع عم أبيه عبيد الله بالتصغير ابن يحيى وقد تقدم على الصواب فى فصل الحلم والاحتمال ويأتى أيضا كذلك

(حدثنا أبو عيسى) هو يحيى بن عبد الله بن يحيى بن كثير الليثى وقد سبق ذكره (حدثنا يحيى) وفى نسخة عن يحيى وهو يحيى ابن يحيى الليثى وفى نسخة صحيحة قبل قوله حدثنا يحيى حدثنا عبد الله بن يحيى عن أبيه يحيى ويؤيده ما قاله الحلبى انه سقط رجل بين أبى عيسى وبين يحيى وهو عبد الله أبو مروان ولا بد منه وقد تقدم على الصواب وكذا يأتى على الصواب أيضا وحاصله ان عبد الله يروى عن يحيى عن أبيه ويحيى عن مالك

(قال حدثنا مالك) وهو امام المذهب (عن اسحق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس بن مالك) وهو عمه لامه (رأيت) وفي نسخة قال أي أنس رأيت (رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وحانت صلاة العصر) أي وقد قرب وقتها أو دخل فان الحين الوقت (فالتمس الناس الوضوء) بفتح الواو أي ماء الوضوء بضمها وفي نسخة بضمهما والمعنى ماءه بتقدير مضاف

والمؤدى واحد وقيل يطلق على كل منهما لكن الظاهر ان أحدهما مجاز (فلم يجدوه فأتي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي جيء (بوضوء) أي في أناء (فوضع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في ذلك الاناء يده وأمر الناس ان يتوضؤا منه) أي من الماء أو من الاناء أو من ماء ذلك الاناء (قال) أي أنس (فرأيت الماء ينبع) بتثليث الموحدة والضم أشهر أي يفور (من بين أصابعه صلى الله تعالى عليه وسلم) قال النووي في كيفية النبع قولان أحدهما ان الماء كان يخرج من نفس أصابعه وينبع من ذاتها وهو قول أكثر العلماء وثانيهما انه تعالى أكثر الماء في ذاته فصار يفور من بين أصابعه (فتوضأ الناس) أي منه (حتى توضؤا من عند آخرهم) أي الى انتهاء أولهم فالقضية معكوسة للمبالغة والمراد جميعهم وقال النووي من هنا بمعنى الى وهي لغة (ورواه أيضا عن أنس وقتادة) (وفي كما في صحيح مسلم (وقال) أي أنس أو قتادة عنه (باناء) أي فأتي باناء (فيه ماء يغمر أصابعه) بسكون الغين المعجمة وضم الميم أي يغطيها ويسترها (أولا يكاد يغمر) شك من الراوي (قال) أي قتادة لانس كما صرح به الترمذي (كم كنتم) أي حينئذ وكم اسم استفهام وسؤال عن العدد (قال زهاء ثلثمائة) بضم زاي وهاء ممدودة أي كنا قدر ثلثمائة

في فصل كنيته قال (حدثنا مالك) امام دار الهجرة المشهور (عن اسحق بن عبد الله بن أبي طلحة) الامام المشهور الفقيه وأنس عمه توفي سنة اثنين وثلاثين ومائة (عن أنس بن مالك) قال فيما رواه مالك في موطأه عنه والشيخان عنه (رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) وقد (حانت صلاة العصر) بمهملة ونون أي قربت أو دخل وقتها وهو مأخوذ من الحين بمعنى الوقت (فالتمس الناس الوضوء) بفتح الواو وهو الماء الذي يتوضأ به ويجوز ضمها والالتماس افتعال من اللمس بمعنى المس ثم صار حقيقة في مطلق الطلب (فلم يجدوه فأتي) بالبناء للمجهول (بوضوء) تقديره باناء وضوء بقرينة قوله (فوضع يده فيه) وفي مسلم بقدح زجاج (وأمر الناس ان يتوضؤا منه قال) أي أنس (فرأيت الماء ينبع من بين أصابعه فتوضأ الناس من عند آخرهم) أي جميعهم وتقدم معنى ينبع وانه بتثليث الباء وقد قالوا انه يحتمل ان الماء خرج من أصابعه صلى الله تعالى عليه وسلم حقيقة وهو الظاهر ويحتمل انه كثر من غير نبع منها وانما وضع يده فيه سترا عن الناس حتى لا يروه فيفتتن بعضهم به وتأدبا مع الله الذي لا يوجد المعدوم سواه وأصابع جمع أصبع وفيه عشر لغات تثليث الهمزة مع تثليث الباء والعاشرة أصبوع قال ابن مالك رحمه الله تعالى

تثليث با أصبع مع ضم همزته * والفتح والكسر والاصبوع قد كملا

وعند مثلث العين والأفصح الكسر وهي ظرف مكان يلزم النصب على الظرفية أو الجر بمن ويتجوز بها عن العلم وغيره من معانيه وقوله من عند آخرهم لفظ مسموع من فصحاء العرب قديما وقال النووي انه لغة لبعضهم وعندهم من للغاية بمعنى الى ولم يأت على الاصل لان الى عنده لحن عندهم ونقله عن سيبويه وقيل بل هي هنا ابتدائية لابتداء الغاية اذ لم تسمع بمعنى الى وانه كناية عن الاستيعاب والشمول والمعنى توضؤا كلهم بحيث لو قيل ان ابتداء وضوئهم كان من آخرهم صدق قائله *أقول سمع أيضا من آخرهم بدون عند كما في الكشاف في أول البقرة وماذكره ركيك جدا فالصواب ان يقال انه كناية كما قال وتوجيهه ان ماء الوضوء كأنه مأخوذ ومبذول من آخرهم والمعروف انه لا يبذل الا ما فضل عن حاجته فكأنهم بذلوه لاولهم ولمن بعدهم وما قاله النووي أسهل وأظهر وقد نقل انه لغة في شرح مسلم وهي عبارة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ولشراح الكشاف فيه كلام فيها (ورواه أيضا) أي كالرواية السابقة (عن أنس) رضي الله عنه (قتادة) كما في صحيح مسلم (قال) أي أنس في هذه الرواية فأتي (باناء فيه ماء) الاناء بكسر الهمزة مفرد وتقدم ان آنية جمعه وليس مفردا كما يتوهم (يغمر أصابعه) بالغين المعجمة وميم وراء مهملة هو ما يسترها ومنه استعير الغمرة للشدة (أو لا يكاد يغمرها) يعني انه قليل لا يغطيها وتقدم أنه صلى الله تعالى عليه وسلم فعله تسترا وتأدبا مع الله تعالى الذي لا يوجد المعدوم سواه وكاد للمقاربة ونفيها أبلغ من نفي الفعل الذي هو خبرها والكلام عليها مشهور فلا حاجة لتكثير السواد به هنا كما فعله بعضهم (قال) أي قتادة لانس رضي الله تعالى عنه (كم كنتم) معاشر الناس الذين توضؤا من ذلك الماء (قال زهاء) بضم الزاي المعجمة والمد ويقال أيضا لهاء باللام أي مقدار (ثلاثمائة) رجل وأصل الزهاء العدد الذي يقدر بالتخمين فقد ينقص أو يزيد بمقدار يسير يقال زهوت القوم اذا حذرتهم وقدرتهم من غير عد حقيقي وليس من الزهو بمعنى الفخر والعجب

(وفى رواية عنه) أى عن أنس (وهم بالزوراء) بفتح الزاى وسكون الواو فراء ممدودة مكان يعرف بالمدينة قرب المسجد (عند السوق) وفى البخارى بالسوق أى سوق المدينة قال الداودى وهو مرتفع كالمنار (ورواه أيضا حميد) بالتصغير وهو الطويل وكان طوله فى يديه مات وهو قائم يصلى ثقة لكنه يدلس أخرج له الائمة الستة (وثابت) تقدم ذكره (والحسن) أى ابن أبى الحسن البصرى (عن أنس) أى كلهم عنه الا أن البخارى انفرد بالاولى والثالثة واتفقا على الثانية (وفى رواية حميد قلت كم كانوا قال ثمانين) أى كانوا ثمانين أى رجلا كما فى نسخة (ونحوه عن ثابت عنه) أى نحو مروى حميد عن أنس فى العدد ورد عن ثابت عن أنس (وعنه)

(وفى رواية عنه) أى عن أنس رضى الله تعالى عنه (وهم بالزوراء عند السوق) الزوراء مكان مرتفع قريب من مسجد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بالمدينة وثمة سوقها (ورواه) أى حديث نبع الماء (أيضا حميد) بالتصغير وهو المعروف بالطويل واختلفوا فى اسمه فقيل تير وقيل تيرويه وقيل طرخان وقيل غير ذلك وهو أبو عبيدة مولى طلحة الطلحات الخزاعى أو الدارمى مات وهو قائم يصلى سنة اثنتين وأربعين ومائة وهو ثقة أخرج له الائمة الستة الا أنه نسب للتدليس وترجمته فى الميزان (وثابت والحسن) ابن أبى الحسن البصرى كما تقدم (عن أنس) وتفرد البخارى عن مسلم بالرواية الاولى والثالثة واتفقا على الثانية (وفى رواية حميد قلت كم كانوا قال) كانوا (ثمانين ونحوه عن ثابت عنه) أى عن أنس (وعنه أيضا) أى عن أنس (وهم نحو من سبعين رجلا) وفى مسلم عنه أيضا بين الستين الى الثمانين وحمل اختلاف الرواية عنه على انهما كانا قضيتين فى وقتين ووقعتا حال حدث عنهما واذا كان الامر على التقريب والتخمين فلا اشكال أيضا (وأما ابن مسعود ففى الصحيح) أى الحديث الصحيح أو صحيح البخارى (عنه) أى عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه (من رواية علقمة) تقدم ترجمته (بينا نحن مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أى كانوا مجتمعين عنده وبين ظرف والالف فيه اشباع كافة عن الاضافة كما ذكره النحاة وفى نسخة بينما وهى كبينا فيما ذكر وتقع بعدها الجملة الاسمية والفعلية وقد يتلقى باذ واذا والاصمعى يستفصح تركهما كما هنا (وليس معنا ماء فقال لنا اطلبوا من معه فضل ماء) أى بقية من ماء كان أو زيادة منه على حاجته وقدمر انه صلى الله تعالى عليه وسلم انما طلبه تسترا لئلا يتوهم انه موجد له من العدم دون الله وهو الواجد الموجد للكل فتأدب بذلك مع الله ولو شاء لاوجده بدعائه وطلبه له من الله تعالى ولو شاء لاوجده ابتداء من غير شئ (فأتى بماء) بالبناء للمجهول والفاء فصيحة أى فطلبوا الماء فوجده بعضهم وأتى به (فصبه فى اناء) أى صبه وسكبه فى اناء آخر مكشوف وكأنه أتى به فى مزادة لا تدخلها اليد (ثم وضع كفه فيه) أى فى الاناء الثانى والعطف بثم لما بينهما من تراخ يسير بدعائه أى فدعا الله تعالى ثم الى آخره (فجعل ينبع) بمثلث الموحدة كما مر وجعل بمعنى صار وليس الاسناد مجازيا كما قيل (من بين أصابعه صلى الله تعالى عليه وسلم) وهذه القصة هى المتقدمة وانما أعادها اشارة الى تعدد طرقها الدالة على ذلك ويحتمل انها غيرها (وفى الصحيح) أى صحيح البخارى أو المراد فى الحديث الصحيح له ولغيره (عن سالم بن أبى الجعد) الاشجعى الكوفى وهو من كبار التابعين الثقات روى عن ابن عباس وغيره وتوفى سنة مائة وله ترجمة مفصلة فى الميزان (عن جابر رضى الله تعالى عنه عطش الناس يوم الحديبية) وهو يوم معروف بمكان معروف بين مكة والطائف وهو مصغر وياؤه مخففة على الافصح ويجوز تشديدها كما تقدم (ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

أى وعن أنس (أيضا) أى برواية ثابت أو غيره (وهم نحو من سبعين رجلا) ولعل رواية السبعين والثمانين فى غير قصة الحديبية لما سبق من تعدد القضية ثم رأيت النووى قال انهما قضيتان جرتا فى وقتين فحدث بهما جميعا أنس (وأما ابن مسعود ففى الصحيح) أى للبخارى وغيره (من رواية علقمة عنه) كما فى نسخة أى عن عبد الله بن مسعود (بينما) أى بين ساعات أو أوقات (نحن مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أى حاضرون (وليس معنا ماء فقال لنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أطلبوا من معه فضل ماء) قيل انما طلب الماء كيلا يظن انه موجد للماء فان ذلك لله سبحانه وتعالى وفيه ان الكل من عنده تعالى

وفيه ان الكل من عنده تعالى (فأتى) أى فجئ (بماء) أى فى نحو سقاء (فصبه فى اناء ثم وضع كفه) أى مع أصابعه (فيه فجعل الماء ينبع) أى فشرع يخرج (من بين أصابع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أى كما ينبع من الارض وفى نبعه احتمالان من زيادة الكمية أو الكيفية وهو أظهر كما يدل عليه طلبه فضل الماء ويشير اليه ما سبق من الترجمة فى قوله وتكثيره ببركته (وفى الصحيح) أى للبخارى وغيره (عن سالم) أى الاشجعى (ابن أبى الجعد) وهو من ثقاة التابعين روى عنه انه قال اشترانى مولاى بثلاثة دراهم وأعتقنى فقلت باى حرفة احترف فاحترفت بالعلم فما تمت لى سنة حتى أتانى أمير البلد زائرا فلم آذن له (عن جابر عطش الناس) بكسر الطاء (يوم الحديبية) بالتخفيف وتشديد بئر بين مكة وجدة قبيل جدة وأما قول الدلجى بين مكة والطائف فوهم (ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

بين يديه ركوة) جملة حالية والركوة بفتح الراء وتضم اناء من جلد نحو الابريق ذكره الدلجى وهو وغيره لا ثم لوضع اليد فيه اللهم الا أن قال ان المراد به وضع اليد على فيه عند خروج الماء منه ثم رأيت فى القاموس ان الركوة مثلثة زورق صغير انتهى وهو يحتمل ان فمه كبير ثم رأيت التلمسانى ذكر انها الماء من الادم كالتور يتوضأ منه (فتوضأ منها واقبل الناس نحوه) أى متعطشين اليه (وقالوا) عطف على واقبل الناس وجعل الدلجى الواو للحال أى قائلين (ليس عندنا ماء الا ما فى ركوتك) اى التى هى موجودة فى حضرتك (فوضع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يده فى الركوة) أى ثانيا (فجعل الماء يفور) أى يرتفع متدفقا (من بين أصابعه كامثال العيون) أى كامثال مياهها أوشبه أصابعه بمنابع عيون الماء أى بين كل أصبعين يفور الماء كالعين (وفيه) أى فى حديث سالم (فقلت) أى لجابر (كم كنتم) أى يؤمئذ (قال لو كنا مائة ألف) أى مثلا (لكفانا) أى لكونه معجزة (كنا) أى لكنا (كنا خمس

عشرة مائة) يعنى ألفا وخمسمائة وقيد ثمانين ألفا أو رجلا أو أربعين أو خمسة وعشرين رجلا أو ألفا وستمائة بناء على الاختلاف فى عدد من بايع تحت الشجرة قال الحلبى فيقال أربع عشرة مائة وكذا هو فى الصحيح وأكثر الروايات كما قال البيهقى انه ألف وأربعمائة هذا وقال اليمنى قوله كنا خمس عشرة مائة هذه اللغة الى الآن بنجد سمعتها منهم لا تألف ألسنتهم الآلاف بل يقولون عشر مائة واحدى عشرة مائة وعشرون مائة وهلم جرا (وروى مثله) أى مثل حديث سالم كما فى مسند الدارمى (عن أنس عن جابر) وهو من رواية الاصاغر عن الاكابر فانهما صحابيان قال الحلبى كذا فى النسخة التى وقفت عليها الآن بالشفاء وعلى عن التى بين انس وجابر صح يعنى من ان أنسا رواه عن جابر فان صح ذلك فرواية أنس عن جابر ليست فى الكتب الستة (وفيه) أى وفى هذا الحديث (انه كان بالحديبية) يعنى فالاختلاف مبنى على اختلاف عدد من حضر فى تلك القضية (وفى رواية الوليد بن عبادة بن الصامت) الوليد هذا ولد فى حياته عليه الصلاة والسلام روى عن أبيه وعنه ابنه عبادة (عنه) أى عن جابر (فى حديث مسلم الطويل) صفة للحديث (فى غزوة بواط) بضم الموحدة وتخفيف الواو وفى آخره طاء مهملة (قال قال لى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يا جابر ناد بالوضوء) بفتح الواو وتضم وفى نسخة صحيحة الوضوء من غير الباء أى ناد الناس له أو به أو نصبه على الاغراء أى أعطوا أو ناولوا الماء وهو بيان النداء (وذكر الحديث بطوله

بين يديه) أى عنده فى مكان قريب منه (ركوة) بتثليث الراء المهملة وكاف وواو والافصح فيه الفتح وجمعه ركاء بالكسر والمد وهى اناء للماء من جلد كالابريق (فتوضأ) صلى الله تعالى عليه وسلم (منها واقبل الناس نحوه) أى جاؤا اليه صلى الله عليه وسلم (وقالوا له ليس عندنا ماء الا ما فى ركوتك) جملة حالية والاستثناء متصل (فوضع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يده فى الركوة فجعل الماء يفور) أى ينبع ويرتفع لزيادته (من بين أصابعه كأمثال العيون) أى كان بين كل أصبعين من أصابعه الشريفة عين ماء نابعة (وفيه) أى فى حديث سالم هذا (فقلت) لجابر رضى الله تعالى عنه (كم كنتم) معاشر الصحابة (قال لو كنا مائة ألف لكفانا) ذلك الماء المشاهد من فورانه الدال على عدم انقطاعه (كنا خمس عشر مائة) يعنى ألفا وخمس مائة رجل وهم أصحاب الشجرة وبيعة الرضوان وقد اختلف فى عددهم وهذه رواية مشهورة ولذا اقتصر عليها المصنف رحمه الله تعالى وقيل كانوا ألفا وأربع مائة وصحح هذه الرواية البيهقى وقيل كانوا ألفا وست مائة وقيل ألفا وخمسمائة وأربعون وقيل وخمسة وعشرون وقيل وثمانون وقيل وثلث مائة وجمع ابن دحية رحمه الله بين الروايات بانه كان حزرا وتخمينا لا تحقيقا وتحديدا ورواية سبع مائة وهم من راويها (وروى مثله) بالبناء للمجهول أى مثل حديث سالم المذكور (عن أنس عن جابر) صحح فى النسخ بدون عاطف بينهما فان صح هذا فليس رواية أنس عن جابر رضى الله تعالى عنه فى الكتب الستة كما قاله البرهان الحلبى (وفيه) أى فى هذا الحديث (انه كان بالحديبية) كما فى الرواية التى قبله (وفى رواية الوليد بن عبادة بن الصامت عنه) أى عن جابر رضى الله تعالى عنه والوليد هذا ولد فى حياته صلى الله تعالى عليه وسلم وتوفى فى خلافة عبد الملك بن مروان وهو ثقة لكنه قليل الحديث وأخرج له الشيخان والترمذى وابن ماجه وهو يروى عن أبيه (فى حديث مسلم الطويل) صفة للحديث (فى ذكر غزوة بواط) بضم الباء الموحدة وفتح الواو المخففة وألف وطاء مهملة وهى ثانى غزواته وهى مفصلة فى مسلم وغيره ويجوز فتح بائه أيضا وهى اسم لجبال لجهينة على ابراد من المدينة فهى بقرب الينبع وكانت فى ربيع الاول سنة اثنين وفى هذا الحديث معجزات له صلى الله عليه وسلم (قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جابر ناد الوضوء) ناد أمر من النداء محذوف الآخر المعتل والوضوء بفتح الواو وهو منصوب بمقدر ومفعول ناد مقدر أيضا أى ناد الناس وقل لهم أعطوا أو ناولوا الوضوء وهو الماء الذى يتوضأ به وفيه حث لهم عليه (وذكر الحديث بطوله) وفيه ان رجلا

وانه) أى الشأن (لم نجد) بالنون وفى نسخة بالياء وفى أصل الدلجى لم يجدوا (الا قطرة) أى شيأ قليلا من الماء (فى عزلاء شجب) بالاضافة وهو بفتح العين المهملة فسكون الزاى فلام ممدودة فم المزادة الاسفل والشجب بمعجمة مفتوحة فجيم ساكنة فموحدة ما بلى من القربة وعتق من السقاية (فأتى) أى فجىء (به النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ١٩ فغمزه) بالزاء أى فغطاه وستره وفى أصل الدلجى بالزاى أى فكبسه بيده وعصره (وتكلم بشئ) أى من الاسماء أو الدعاء والثناء (لا أدرى ماهو وقال ناد بجفنة الركب) بفتح الجيم وسكون الفاء وهى أكبر قصاع الاطعمة والركب اسم جمع أو جمع للراكب كالصحب وهم العشرة فصاعدا والباء مزيدة ولما كانت الجفنة محل الآية نوديت فكانها تعقل أو على حذف أى ياقوم هاتوها أو عدى النداء بالباء لتضمنه معنى الاتيان أى ائت بها وأحضرها (فأتيت بها) أى فجئت بها اليه صلى الله تعالى عليه وسلم وقال الحلبى هو مبنى لما لم يسم فاعله أى فأتوانى بها وفى نسخة فأتيها بضم همزة وكسر ثانية (فوضعتها بين يديه وذكر) أى جابر (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بسط يده فى الجفنة وفرق) بتشديد الراء ونشر (أصابعه وصب جابر عليه) أى الماء (وقال) أى النبى صلى الله عليه وسلم (بسم الله) أى وعلى بركة رسول الله وروى بسم الله كما أمره على ما فى أصل المؤلف (قال) أى جابر (فرأيت الماء يفور) أى يظهر مرتفعا (من بين أصابعه ثم فارت الجفنة واستدارت) أى ارتفع ماؤها ودار (حتى امتلأت) ورواية مسلم ثم فارت الجفنة فدارت كذا ذكره الدلجى تبعا للحلبى قيل لان المقام مقام آية فكما نبع الماء استدارت الجفنة وحديث جابر هذا ليس فى شئ من الكتب الستة الا فى مسلم على ما صرح به الحلبى وغيره (وأمر الناس بالاستقاء) أى باخذ الماء (فاستقوا حتى رووا) أى بأجمعهم وهو بضم الواو الاولى

من الانصار كان يبرد لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ماء فى سقاء فلما أخبره انه نادى فلم يجد الماء قال له اذهب الى فلان الانصارى فانظر هل فى اشجابه من شئ قال فانطلقت اليه وأخبره بماء عنده (وانه لم يجد) عند الانصارى (الا قطرة) أراد ماء قليلا جدا (فى عزلاء شجب) بالاضافة أى فم قربة بالية وعزلاء بفتح العين المهملة وسكون الزاى المعجمة ولام بعدها مدة وهمزة وهو فم الراوية ومصب الماء منها وجمعه عزالى بفتح اللام وكسرها وشجب بفتح الشين المعجمة قيل أو كسرها وسكون الجيم وباء موحدة ما قدم من القرب أو أعواد تعلق عليها القرب ونحوها وجمعه شجب وأشجاب وأصل معناه الهلاك (فأتى به) بالبناء للمفعول ويجوز بناؤه للفاعل والرواية الاولى وضمير به للمذكور (النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فغمزه) بفتح الغين المعجمة والميم والزاى المعجمة أى وضع يده عليه وكبسه بها والغمز هنا كالذى فى قوله

وكنت اذا غمزت قناة قوم * كسرت كعوبها أو تستقيما

والغمز بالغين الاشارة بها معنى آخر (وتكلم بشئ لا أدرى ماهو) وفى الحديث انه صلى الله تعالى عليه وسلم جعل يتكلم بشئ لا أدرى ماهو فكأنه سر من أسرار الله تكلم به بالسر بانية ونحوها ليخفى على غيره وقد تقدم حكاية مثله فى رد الشمس المتقدم (وقال ناد بجفنة الركب) الجفنة كالقصعة لفظا ومعنى وهى التى تشبع عشرة فأكثر ودونها الصحفة ثم المأكلة والركب بفتح ثم سكون اسم جمع لراكب والمراد الناس وان يكونوا راكبين بالفعل وهذا وقع فى رواية لقتادة والذى فى مسلم ناد بجفنة فكأنه لم يكن معهم الا جفنة واحدة وضمن ناد معنى ائت بها بدليل قوله (فأتيت بها) بالبناء للمفعول كما قاله البرهان وغيره ويجوز البناء للفاعل وقيل مفعوله محذوف أى ناد القوم ليأتوا بجفنتهم أو هى منزلة منزلة من يعقل الا أن الله تعالى خلق فيها ادراكا حتى تنادى هى فتأتى بنفسها ويكون ذلك معجزة له صلى الله عليه وسلم لانه لم ينقل لنا مثله (فوضعتها بين يديه وذكر) جابر رضى الله تعالى عنه (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بسط يده) بالسين والطاء وبهما قرئ أى وضع يده الشريفة (فى الجفنة) مبسوطة ليكون أبرك (وفرق أصابعه وصب جابر عليه) ما كان فى القربة من الماء (وقال) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (بسم الله) أتبرك وأطلب نبع الماء ويحتمل القسم لصحة نيته بذلك واقتصر عليه لانه المأثور وفى سائر الافعال لا لبيان انه يجرى بدون الرحمن الرحيم كما قيل ولو قلنا فاعل قال بسم الله جابر كان أوفق بما فى الرواية من انه وضع يده فى قعر الجفنة وقال خذ يا جابر صب على وقل بسم الله فصببت عليه صلى الله عليه وسلم وقلت بسم الله فلا يقال كيف استبد جابر بالصب من غير اذن وان المصنف رحمه الله تعالى غير الرواية ونسب لجابر ما لم يقله فيجاب بان كمال جابر وما علم من آداب الصحابة رضى الله تعالى عنهم معه صلى الله تعالى عليه وسلم قرينة على ما ذكر (قال) جابر رضى الله تعالى عنه (فرأيت الماء يفور) أى يزيد ويرتفع حتى يتدفق من فار القدر اذا غلا ما فيه (من بين أصابعه) صلى الله عليه وسلم (ثم فارت الجفنة) أى فار ماؤها ففيه مضاف مقدر أو الاسناد مجازى للمبالغة فى فورانه (واستدارت) أى دار ماؤها لان الماء اذا زاد بسرعة يرى كأنه يدور وليس المراد ان الجفنة نفسها استدارت لعظم الامر فانه لا محصل له (حتى امتلأت وأمر الناس بالاستقاء فاستقوا حتى رووا) أى أخذ

وأصله روبوا كرضوا ولقوا (فقلت هل بقي أحد له حاجة) يجوز أن تكون هل نافية كما في قوله تعالى فهل ترى لهم من باقية وفي حديث وهل ترك لنا عقيل من دار أي ما بقي من محتاج الى الماء (فرفع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي يده كما في أصل الدلجي وغيره (من الجفنة وهي ملأى) فعلى من الملء ويجوز أن تكون هل استفهامية ورفعه يده بعد جوابهم ما بقي لاحد حاجة ولا يبعد أن يكون المراد بقوله فقلت تردده في نفسه انه هل بقي لاحد حاجة اليه أم لا فرفع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يده شهادة لنفي البقاء فيكون كرامة أخرى (وعن الشعبي) بفتح أوله تابعي جليل فحديثه هذا مرسل وهو حجة عند الجمهور خلافا للشافعي (أتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي جيء (في بعض أسفاره ٢٠ باداوة ماء) وهي بكسر الهمزة اناء صغير من جلد يتخذ للماء ويسمى المطهرة

(وقيل ما معنا يارسول الله ماء غيرها) أي غير ما في الاداوة هذه وهي لم تكف الجماعة شربا ووضوأ (فسكبها) أي صبها (في ركوة) أي اناء صغير من جلد يشرب فيها الماء كانت معه كما في نسخة (ووضع أصبعه) بتثليث الهمزة والباء والاشهر كسر الهمزة وفتح الباء والمراد الجنس أي أصابعه (وسطها) بفتح السين وسكونها أي في وسطها (وغمسها) أي غطس أصابعه وادخلها (في الماء وجعل الناس يجيؤن) أي يأتون اليه (ويتوضأون) أي منه (ويقومون) أي عنه وفي نسخة صحيحة ثم يقومون (قال الترمذي) أي صاحب الجامع (وفي الباب) أي وفي الاحاديث الواردة في هذا النوع من الكتاب (عن عمران بن حصين) وهو كما سيأتي في الفصل الآتي من هذا الباب (ومثل هذا) أي ما ذكر من خوارق العادة (في هذه المواطن الحفلة) بفتح الحاء المهملة وكسر الفاء أي الممتلئة المجتمعة الغزيرة وفي نسخة الحفيلة بزيادة الياء وهما بمعنى (والجموع الكثيرة لا تتطرق التهمة) بضم التاء وسكون الهاء وتفتح أي لا تتوصل تهمة كذبه (الى المحدث به) بكسر الدال المشددة أي المخبر به (لانهم) أي السلف من الصحابة والتابعين (كانوا أسرع شيء الى تكذيبه) أي تكذيب من أخبر به لو عرفوا انه كاذب في خبره (لما جبلت) بصيغة المجهول أي خلقت وطبعت (عليه النفس) أي النفوس كما في نسخة صحيحة

كل منهم من الماء ما يكفيه ودوابه وشربوا حتى ذهب عطشهم والري مقابل العطش وفيما رواه المصنف رحمه الله بعض مخالفة لما في صحيح مسلم بحسب اللفظ دون المعنى كقوله ودارت وفي بعض نسخة فارت الجفنة ثم فارت بالتكرار (فقلت هل بقي أحد له حاجة) أي قال جابر فقلت الى آخره وهل هنا قيل انها نافية كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم هل ترك لنا عقيل من دار ويجوز أن يكون استفهامية وقوله (فرفع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يده من الجفنة) الفاء فيه فصيحة أي فقال لا فرفع الى آخره وحديث جابر هذا ليس في شيء من الكتب الستة غير مسلم (وهي ملأى) بوزن سكرى أي مملوءة بالماء لم ينقص شيئا بما أخذوه (وعن الشعبي) هو من كبار التابعين فحديثه هذا مرسل والمرسل يستدل به عند مالك والمصنف رحمه الله تعالى مالكي المذهب (أتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) بالبناء للمجهول أي أتاه بعض الصحابة (باداوة) بكسر الهمزة وفتح الدال المهملة وألف وواو وهاء وجمعها أداوي وهي اناء صغير للماء من جلد ولذا أضافها لقوله (ماء في بعض أسفاره وقيل ما معنا يارسول الله ماء غيرها فسكبها في ركوة) أي صبها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بنفسه أو أمر بصبها (ووضع أصبعه) بالافراد وقد تقدم لغات الاصبع وانها عشرة (وسطها) بفتح السين وسكونها وهو منصوب على الظرفية أي وضعه في وسط مائها وفي الفرق بين الوسط مسكنا ومحركا كلام في كتب العربية ليس هذا محله وبيناه في شرح الدرة وتقدم فيما مر ما فيه الكفاية (وغمسها في الماء) تفسير لما قبله والغمس بغين معجمة الادخال (وجعل الناس يجيؤن ويتوضؤن) جعل هنا بمعنى صار وطفق نحو جعل زيد يقول كذا وهو احد معانيه الخمسة (ثم يقومون) بعد الوضوء (قال الترمذي) أبو عيسى امام أهل السنة المشهور صاحب الجامع وغيره (وفي الباب) أي في هذا الباب الذي ذكر فيه معجزاته ونبع الماء (عن عمران بن حصين) بضم الحاء وفتح الصاد المهملتين أي روى عنه مثله (ومثل هذا) الامر المعجز المروي في هذا الحديث (في هذه المواطن) جمع موطن وهو موضع التوطن وهو هنا بمعنى المجالس (الحفلة) بفتح الحاء المهملة وكسر الفاء واللام والهاء أي الكثيرة الناس (والجموع الكثيرة) أي جموع الناس الكثيرة في مثل هذه المحافل (لا تتطرق التهمة) بضم المثناة الفوقية وفتح الهاء ويجوز تسكينها وتاؤه مبدلة من الواو والتهمة ما يتوهم وهو يظن في شيء على خلاف الواقع وقيل التسكين غلط وهو ظاهر ما في القاموس والصحاح ولا يكون الاسم لما يتهم به وقيل انه بالسكون مصدر وبالفتح اسم كما في شرح المفتاح لابن كمال وفيه نظر ويتطرق بمعنى يصل وأصل معناه يجد طريقا (الى المحدث به) بفتح الدال المهملة المشددة وكسرها (لانهم كانوا أسرع شيء الى تكذيبه) أي تكذيب الخبر عنه أو الخبر لو وقعه بين ناس كثيرين لا يمكن تواطئهم على الكذب (لما جبلت عليه النفوس

من

(من ذلك) أى الاسراع الى التكذيب (ولانهم كانوا ممن لا يسكت على باطل) أى باجمعهم لانكارهم على الباطل ولو من بعضهم لكونه فرض كفاية على كلهم (فهؤلاء) أى المذكورون من الصحابة وغيرهم (قد رووا هذا) أى الحديث الذى سبق من نبع الماء من بين أصابعه (واشاعوه) أى نقلوه وافشوا اسنده (ونسبوا حضور الجماء الغفير له) وفى نسخة الجم الغفير أى الجمع

من ذلك) أى الاسراع الى التكذيب (ولانهم) أى من حضر تلك المحافل (كانوا ممن لا يسكت على باطل) فلا يقرؤنه على ماقاله اذا كذب فيهم وهم عرفوا خلافه ولا يخافون فى الله لومة لائم (وهؤلاء) المذكورون من الصحابة وغيرهم (قد رووا هذا) الحديث الذى فيه نبع الماء من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم (واشاعوه ونسبوا حضور الجماء الغفير له) أى قالوا انه وقع فى محافل ناس لا يحصون كثرة فلا يمكن كونه كذبا وحضور الجماء الغفير كجاؤا الجماء الغفير أى كلهم شريفهم ووضيعهم بحيث لم يتخلف منهم أحد وفيه لغات واستعمالات كثيرة ذكرها فى القاموس وليس هذا محل تفصيلها (ولم ينكر أحد من الناس عليهم ماحدثوا به عنهم) أى لم يقل أحد ان مانقلوه من هذه المعجزة انها لا أصل لها ونحوه (انهم فعلوه وشاهدوه) بفتح همزة ان بدل من ماحدثوا وما فعلوه كوضوئهم وتفديهم الاداوة وصب الماء وغيره مما تقدم وماشاهدوه من نبع الماء وتدفقه وكثرته (فصار) ماذكر من كثرة من نقله من عدول الصحابة وعدم انكار غيره (كتصديق جميعهم له) أى لذلك الخبر والحديث فيتواتر تواترا معنويا وأمرا مجمعا عليه وفى نسخة لهم

(فصل ومما يشبه هذا) أى من المعجزات المشبهة لنبع الماء من بين أصابعه صلى الله تعالى عليه وسلم (من معجزاته) بيان لما أو حال من اسم الاشارة (تفجير الماء ببركته) صلى الله تعالى عليه وسلم والتفجير الشق الواسع يقال فجر الارض فانفجرت وتفجرت ومنه الفجر بمعنى الصبح فاضافته للماء اضافة مجازية من اضافة ما للمحل الى الحال قال عز وجل وفجرنا الارض عيونا أو التفجير مجاز بمعنى الاخراج وهو شائع فيه وقوله ببركته أى بيمنه ووجوده فى مكان أخرج منه الماء والبركة الخير الدائم وهى فى الاصل من البرك وهو الموضع الذى يضعه البعير على الارض اذا برك ومنه البركة وهو الموضع الذى يحبس فيه الماء وقوله تبارك وتعالى رب انزلنى منزلا مباركا أى كثير الخير وتبارك الله بمعنى زاد خيره الذى أفاضه على عباده وهو لا ينصرف ولا يستعمل فى غير الله (وابتعاثه) وهو افتعال من البعث وهو الاثارة والاخراج للماء حتى يجرى (بمسه ودعوته) أى بلمسه لمحله ودعائه فيه وأخر هذا عن نبعه من بين أصابعه لان الاول أقوى فى المعجزة لاحتمال هذا لكونه من الاتفاقيات كغيره من الماء الجارى وفى بعض النسخ انبعاثه من الانفعال بالنون وهما بمعنى واحد مطاوع بعثه فانبعث وابتعث كانشوى واشتوى وجعل هذا مشبها لذلك لما تقدم (مما روى مالك فى الموطأ) ومسلم فى صحيحه وعزاه المصنف للموطأ دونه لان روايته له أعلى سندا عنده أو لترجيح روايته (عن معاذ بن جبل) الصحابى المشهور رضى الله تعالى عنه (فى قصة غزوة تبوك) بفتح المثناة الفوقية اسم مكان بين الشام والمدينة غزاه صلى الله تعالى عليه وسلم فى غزوة مبينة فى السير (وانهم) أى الجيش الذين كانوا معه صلى الله عليه وسلم (وردوا العين) تعريفها للعهد أى عينا بتبوك نزلوا عليها فى سفرهم هذا (وهى تبض) مضارع بض برنة رد بموحدة وضاد معجمة مشددة من بض الماء اذا سال سيلانا قليلا ويجوز ان يكون بصاد مهملة من بص اذا لمع وبرق وهو رواية فيه وهو كناية عن قلة الماء ولذا قال (بشئ من ماء مثل الشراك) بكسر الشين المعجمة وفتح الراء المهملة وألف وكاف وهو سير النعل الذى يكون على وجهه وشبهه به لقلته وضعف جريانه وليس بمعنى أخدود فى الارض كما قيل (فغرفوا من العين بايديهم حتى اجتمع) الماء الذى

الكثير كما فى قضية الحديبية (ولم ينكر أحد من الناس) أى من حضر تلك الوقعة (عليهم ماحدثوا به عنهم انهم فعلوه) أى من شربهم وسقيهم (وشاهدوا) أى باعينهم فى غيرهم (فصار كتصديق جميعهم لهم) فيكون اجماعا سكوتيا منهم

(فصل)

(ومما يشبه هذا) أى النوع (من معجزاته) وهو نبع الماء من بين أصابعه لكرامته (تفجير الماء ببركته وانبعاثه) بالرفع أى ثورانه وجريانه (بمسه) أى اياه بجارحته (ودعوته) أى بلسانه أو جنانه (فيما روى مالك) أى رواه كما فى نسخة (فى الموطأ) بتشديد الطاء المفتوحة فهمزة وقيل بالف مقصورة وكذا أخرجه مسلم فى صحيحه (عن معاذ بن جبل فى قصة غزوة تبوك) وهى غزوة معروفة كانت سنة تسع الهجرة (وانهم وردوا العين) أى التى كانت فيها (وهى تبص) بكسر الموحدة وتشديد المهملة أى تلمع وتلمع أو المعجمة أى تقطر وتسيل واختاره النووى (بشئ) أى قليل (من ماء) أى مما يسمى ماء (مثل الشراك) بالجر على انه نعت لشئ أو ماء وفى نسخة بالرفع على تقديره هو وفى أخرى بالنصب على انه حال من شئ أى مماثلا للشراك فى طوله وعرضه وهو سير رقيق يجعل فى النعل والمقصود المبالغة فى حد القلة (فغرفوا) أى اغترف القوم (من العين بايديهم حتى اجتمع) أى الماء كما فى نسخة

(فى شئ) أى من الاناء فيما لديهم (ثم غسل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيه وجهه ويديه ثم اعاده) أى الماء المغسول به (فيها) أى فى العين التى بها ماء يسير (فجرت) الفاء عاطفة أى فسالت (بماء كثير فاستقى الناس) أى فشربوا منه وأسقوا دوابهم (قال) أى معاذ (فى حديث ابن اسحق) أى فيما يرويه امام أهل المغازى عنه (فانخرق) بالنون والخاء المعجمة والراء أى انفجر وجرى (من الماء ماله حس) بكسر الحاء المهملة وتشديد السين أى حركة وصوت لجريه (كحس الصواعق) جمع صاعقة وهو صوت شديد وربما كان معه نار لطيفة حديدة لاتمر بشئ الا أتت عليه وأهلكته لكنها مع حدتها سريعة الخمود (ثم قال) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (يوشك) أى يسرع ويدنو ويقرب (يامعاذ ان طالت بك حياة) أى مدة عمرك (ان ترى ماههنا) أى الموضع الذى ههنا لاجل كثرة ما فيه من الماء (قدملئ) بصيغة المجهول أى امتلاء (جنانا) بكسر الجيم جمع جنة بالفتح وهو البستان الكثير الاشجار وهى مرة من مصدر جنه جنا اذا ستره فكأنها مرة واحدة بشدة ألفافها واظلالها ونصبه على التمييز قال الحلبى هذا ذكره ابن اسحق فى طريق تبوك وقت الرجعة ولفظه ثم انصرف قافلا يعنى من تبوك الى المدينة وكان فى الطريق ماء ما يروى الراكب والراكبين والثلاثة بواد يقال له وادى المشقق فذكر القصة والله تعالى أعلم (وفى حديث البراء) أى على ما رواه البخارى عنه (وسلمة بن الاكوع) أى كما رواه مسلم عنه (وحديثه) أى حديث سلمة (أتم) أى من حديث البراء (فى قصة الحديبية (فبصق) وهم أربع عشرة مائة) أى ألف وأربعمائة (وبئرها لاتروى) أى بضم التاء وكسر الواو أى لاتكفى بمائها (خمسين شاة) قال المزى المعروف عند أهل الحديث خمسين اشاء بفتح الهمزة والمد وهى النخلة الصغيرة ذكره الشمنى وقال التلمسانى وهو الصواب (فنزحناها) أى فنزعنا مافيها كله (فلم نترك فيها قطرة فقعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على جباها) بفتح الجيم والموحدة المخففة مقصورا ماحولها وبالكسر ماجمع فيها من الماء وليس مرادا هنا وروى شفاها بفتح المعجمة والفاء مقصورا أى جانبها وطرفها (قال البراء وأتى) أى جيء النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (بدلو) أى فيه ماء (منها)

غرفوه (فى شئ) من الاوانى التى كانت معهم وليس فيه قلب وان الاصل غرفوا فى شئ حتى اجتمع ماء كثير كما توهم (ثم غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه وجهه ويديه) ضمير فيه للشئ بمعنى الاناء أو للماء وكان الظاهر منه ولكنه لمشاكلة قوله (واعاده فيها) أى فى العين التى غرفوا منها وضمير اعاده للماء لا للوجه كما توهم (فجرت بماء كثير) أى جرى من تلك العين ماء كثير (فاستقى الناس) أى شربوا وسقوا دوابهم (قال) معاذ بن جبل رضى الله تعالى عنه (فى حديث ابن اسحق) صاحب السير فيما رواه عن معاذ فى سيرته (فانخرق) بنون وخاء معجمة وراء مهملة وقاف أى انفجر انفجارا بشدة (من الماء ماله حس كحس الصواعق) الحس بحاء وسين مهملتين بمعنى الصوت المحسوس بحاسة السمع وهو مجاز مشهور يقال لمشيه حس أى يسمع حركته والصواعق يكون معها أصوات شديدة من الصعقة وهى الصيحة وهو من تشبيه المحسوس بالمحسوس وهذا كان فى رجعته صلى الله تعالى عليه وسلم من تبوك كما قال ابن اسحق ثم انصرف قافلا من تبوك الى المدينة وكان فى الطريق ما يخرج من وشل ما يروى الراكب والراكبين والثلاثة بواد يقال له وادى المشقق فذكر القصة (ثم قال) النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بعد جرى الاستقاء (يوشك) بضم الياء المثناة التحتية وواو وشين معجمة مكسورة وكاف مضارع أوشك وفتح شينه لغة رديئة كما فى القاموس وغيره ومعناه يقرب ويسرع من غير بطؤ (يامعاذ ان طالت بك حياة) أى ان أطال الله عمرك ورأيت هذا المكان (ان ترى) بعينك وهو فاعل يوشك وان بالفتح مصدرية (ماههنا) ما موصولة أى الذى ههنا وهو اشارة للمكان (قدملئ) بالبناء للمجهول (جنانا) منصوب على التمييز وهو بكسر الجيم جمع جنة بفتحها وهى البستان أى يكثر ماؤه ويخصب أرضه فيكون بساتين ذات ثمار وشجر كثيرة والحديث طويل اقتصر المصنف منه على بعضه المراد منه اختصارا (وفى حديث البراء) بن عازب بفتح الباء الموحدة كما تقدم (وسلمة بن الاكوع) أفعل من الكوع بفتحتين وهو اعوجاج اليد وحديث البراء فى صحيح البخارى وحديث سلمة بفتحتين فى مسلم (وحديثه) أى حديث سلمة الذى رواه مسلم (أتم) من حديث البراء كما سيأتى (فى قصة الحديبية) التى قدمناها وفيها بيعة الرضوان (وهم أربع عشرة مائة) رجل من الصحابة كما تقدم (وبئرها) أى وماء بئرها (لاتروى) بضم المثناة الفوقية (خمسين شاة) الشاة معروفة وروى اشاء بهمزة مكسورة فى أوله ومفتوحة فى آخره وهى النخلة الصغيرة (فنزحناها) أى أخرجنا جميع ما فيها من الماء بطينه (فلم نترك فيها قطرة) من مائها (فقعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على جباها) بفتح الجيم والباء الموحدة مقصورا وهو فم البئر وما حولها وبالكسر ما جمع فيها من الماء وروى شفاها بشين معجمة وهما بمعنى هنا (قال البراء وأتى) بالبناء للمفعول (بدلو منها) أى من تلك البئر أى بماء دلو مما نزحوه منها

فبصق) أى بزق فيه (فدعا) أى بالبركة فى مائها وكب مافى الدلو فيها وهذه رواية البراء من غير شك وترددبها (وقال سلمة) أى ابن الاكوع (فاما دعا واما بصق فيها) بكسر الهمزة على الشك فيهما ولعله أطلع على أحدهما دون الجمع بينهما بخلاف البراء فمن حفظ حجة على من لم يحفظ وعلى كل تقدير (فجاشت) بالجيم والشين المعجمة أى فارت البئر ٢٣ وارتفع ماؤها بوصف الكثير (فارووا أنفسهم وركبهم) أى سقوا ذواتهم ودوابهم (وفى غير هذه الروايتين) أى رواية البراء ورواية سلمة وكان الاولى أن يقول وفى غيرها تين الروايتين كما فى نسخة أو فى هذه الرواية عنهما (هذه القصة) أى قصة زيادة ماء البئر وفى نسخة فى هذه القصة (من طريق ابن شهاب) أى الزهرى (فى الحديبية) وقد أبعد الدلجى حيث قال هذه القصة أى قصة الحديبية اما له الى قصة الحديبية فى الحديبية (فاخرج) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (سهما من كنانته) بكسر الكاف أى جعبته وهى كنانته التى فيها سهامه لانها تكنها وتسترها (فوضع) أى سهمه وهو بصيغة الفاعل ويؤيده نسخة وضعه بابراز الضمير وفى نسخة ضبط بصيغة المفعول وهو أتم مبنى وأعم معنى (فى قعر قليب) أى عمق بئر لم تطو يعنى لم تبن وقيل عادية وهو يؤنث ويذكر ولذا قال (ليس فيه ماء فروى الناس) بكسر الواو أى بأنفسهم ودوابهم (حتى ضربوا بعطن) بفتح المهملتين منزل الابل حول الماء لتبرك فيه اذا شربت لتعاد الى الشرب مرة أخرى وهو ضرب مثل للاتساع والاستغناء لاسيما فى باب الاستقاء والمعنى حتى رووا ورويت ابلهم قال التلمسانى والذى نزل بسهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هو البراء بن عازب وقيل ناجية

(فبصق) أى ألقى ريقه (ودعا) بعد بصاقه أو هو شك من الراوى هل بصق فيها أو دعا الله لتكثير مائها كما أشار اليه بقوله (وقال سلمة) راوى الحديث (اما دعا واما بصق فيها) بكسر همزة اما فيهما بيان للشك فى الرواية وفى نسخة فاما دعا الى آخره وضمير فيها راجع للبئر لا للدلو كما قيل (فجاشت) البئر أى فار ماؤها حتى ارتفع لفمها من جاشت القدر اذا غلت (فارووا أنفسهم وركابهم) أى شربوا منها حتى ارتووا وسقوا ركابهم حتى رويت والركاب بكسر الراء المهملة الابل جمع لا واحد له من لفظه وقد علم ان حديث البراء رواه البخارى ولفظه قال تعدون أنتم الفتح فتح مكة وقد كان فتح مكة فتحا ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية كنا مع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أربع عشر مائة والحديبية بئر فنزحناها فلم نترك فيها قطرة فبلغ ذلك النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فأتاها فجلس على شفيرها ثم دعا باناء من ماء فتوضأ فتمضمض ودعا ثم صبه فيها فتركناها غير بعيد ثم انها أصدرتنا نحن وركابنا أى صرفتنا ونحن وابلنا رواء ولم يحتج للقيام بها لاجل الماء وان حديث سلمة فى صحيح مسلم وهو انه قال قدمنا الحديبية مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ونحن أربع عشر مائة وعليها خمسون شاة لا ترويها قال فقعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على جباء الركية فاما دعا واما بصق فيها قال فجاشت فسقينا واستقينا قال ثم ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم دعانا للبيعة فى أصل الشجرة فبايعته أول الناس ثم بايع حتى اذا كان فى وسط النهار قال بايع ياسلمة فقلت قد بايعتك يا رسول الله فى أول الناس قال وأيضا ورآنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أعزل أى ليس معى سلاح فأعطانى جحفة أو درقة ثم بايع حتى كان فى آخر الناس قال ألا تبايعنى ياسلمة قلت قد بايعتك يا رسول الله أول الناس وأوسط الناس قال وأيضا فبايعته الثالثة الحديث ومنه تعلم ما قدمه المصنف من ان حديث سلمة أتم لما فيه من تفصيل القصة وانه كان عليها من يستقى للشاء حين قدموا ولذكره كيفية المبايعة وما جرى له معه صلى الله تعالى عليه وسلم (وفى غير هذه الروايتين) كذا فى أكثر النسخ بتوحيد هذه وفى بعضها هاتين الروايتين قيل وهو الصواب لتثنية المشار اليه ووجه الاول بانه وحد اسم الاشارة لاتحاد الروايتين معنى لان القصة فيهما واحدة لكنه لا يخلو من التكلف والروايتان رواية البراء ورواية سلمة (فى هذه القصة) أى قصة الحديبية (من طريق ابن شهاب) الزهرى وقد تقدمت ترجمته مرارا (فى الحديبية) تفسير للقصة (فأخرج سهما من كنانته) هى ما يوضع فيه السهام لانها تكنها أى تسترها (فوضع) بالبناء للمجهول وفى بعض النسخ فوضعه أى أمر بوضعه (فى قعر قليب ليس فيها ماء) القليب البئر المحفورة من غير بناء فان بنيت فهى طوى ويذكر ويؤنث وهو مخالف للرواية السابقة انه كان ماء قليل والذى وضع السهم البراء وقيل ناجية على ما يأتى (فروى الناس) بفتح الراء المهملة والمثناة التحتية بينهما واو مكسورة أى شبعوهم ودوابهم لقوله (حتى ضربوا بعطن) هو بفتح العين والطاء المهملتين ونون محل تبرك فيه الابل عند الماء بعد شربها لتعود لعلل بعد نهل وضربوا بمعنى أقاموا من ضرب الخيمة اذا نصبها يقال ضربت الابل بعطن اذا بركت يعنى انهم لما رأوا كثرة الماء نزلوا عنده وهذا الحديث رواه البيهقى مسندا لمروان بن الحكم والمسور بن مخرمة قال فيه خرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لزيارة البيت لا يريد حربا فذكر الحديث وفيه أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال أيها الناس انزلوا فقالوا

مابالوادي ماء ننزل عليه فأخرج سهما من كنانته أعطاه رجلا من أصحابه فقال انزل للقليب واغرزه فيـه ففعل فجاش المـاء حتى ضرب الناس بعطن وفيه ان الذي نزل في البئر خـلاد الغفاري دلاه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بعمامة وقيل هو ناجية السلمي وكان البراء بن عازب رضي الله تعـالى عنه يقول أنا الذي نزلت كذا في دلائل النبوة (وعن أبي قتادة) هو الحـارث بن ربعي وقيل النعمان بن ربعي وقيل اسمه عمرو وهذا الحديث رواه البيهقي أيضا فاذا عطفـه فقال (وذكر ان الناس شكوا الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم العطش في بعض أسفاره) لانه كان يوما شديد الحر (فدعا بالميضأة) بكسر الميم وياء منقلبة عن واو لانها آلة الوضوء وهي مقصورة وزنها مفعلة وقد تمد فوزنها مفعالة ودعا بمعنى طلب مطهرة ماء لوضوء فأتى بها (فجعلها في ضبنه) بكسر الضاد المعجمة وسكون الباء الموحـدة والنون وهو ماتحت الابط قريب من الحضن يقال أضبنته اذا جعلتـه في ضبنك وبه سمي العيال كما في الغريبين والمراد انه أمسكها وضمها اليه (ثم التقم فمها) أي أدخل فمها في فيه كما تدخل اللقمة (فالله أعلم) أي قال الراوي اني لا أعـلم (نفث فيها أم لا) أي أنفث في تلك الميضأة أم لا والنفث بنون وفاء وثاء مثلثـة نفخ لطيف بغير ريق كالنفخ وأقل من التفل (فشرب الناس) من تلك الميضأة (حتى رووا) أي حصل لهم الري المزيل للعطش (وملؤا كل اناء معهم) ممـا فضل عن شربهم (فخيل) بالبناء للمجهول (الي انها كما أخذها مني) أي مثل ما أخـذها مني لم تنقص شيأ ممـا كان فيها حين أخذها مني وانمـا قال خيـل لانه بالحدس اذ لم يتحقق مقدار ما كان فيها (وكانوا اثنين وسبعين رجلا وروى مثله عمران بن حصين وذكر الطبري) محمد بن جرير الامام المشهور (حديث أبي قتادة) المذكور (على غير ما ذكره أهل الصحيـح) أي فيه مخالفة لمـا رواه أصحاب الحديث المعتنون بتصحيحه (وان النبي صلى الله تعالى عليه وسـلم خرج بهم) أي بهؤلاء المذكورين من الصحابة رضي الله تعالى عنهم (ممدا لاهل موتة) بضم الميم وسكون الواو وجوز بعضـهم همزها ساكنة ثم مثناة فوقيـة وهي أرض من البلقاء وقرية بين تبوك وحوران من الشام وممدا بمعنى مقويا ومعينا (عندما بلغه قتل الامراء) ما مصدرية والامراء جمع أمير وهم زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وجعفر بن أبي طالب وعبد الله بن رواحة وذلك أنه صـلى الله تعالى عليه وسلم أرسل حارث بن عمير الازدي بكتاب الى ملك بصرى فلما نزل بموتة عرض له شرحبيـل ابن عمرو الغساني فقتله ولم يقتل رسول له قبله فأمر رسول الله صلى الله تعالى وسلم زيد بن حارثة على ثلاثة آلاف وأرسـلهم لقتال شرحبيل وقال ان قتـل زيد فأميركم جعفر فان قتل جعفر فأميركم عبد الله بن رواحة فان قتل فليرض المسلمون برجل منهم وعقد للسرية لواء دفعه لزيد وأوصاهم كما ذكره أهل السير فلما التقوا قتـل زيد ثم جعفر ثم عبد الله كما أخبرهـم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فدفعت الراية لخالد بن الوليد الى آخر الحديث وفيه معجزات له صلى الله تعـالى عليه وسلم من أخباره بالغيب كما أشـار اليه بقوله (وذكر) أي ابن جرير (حديثا طويلا فيه معجزات وآيات للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم) كما ذكر وما شاهـده من جعفر وطيرانه في الجنـة بجناحين وغير ذلك ممـا فضله الله تعالى به وعظم قدره (وفيـه

(وعن أبي قتادة وذكر) على ما رواه البيهقي عنه (ان الناس شكوا الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم العطش في بعض أسفاره فدعا بالميضأة) بكسر الميم وسكون التحتية وفتح الضاد المعجمة والهمزة مقصورا وقـد يمد فوزنها مفعلة أو مفعالة من الوضوء بزيادة الميم للآلة أي مطهرة كبيرة يتوضأ منها والمعنى فطلبها (فجعلها في ضبنه) بكسر ضاد معجمة وسكون موحـدة فنون فهاء ضـمير أي حضنه بين كشحه وابطه (ثم التقم فمها) أي أدخله في فمه تشبيها له باللقمة لانه أدخل فمه فيها كما توهم التلمساني (والله أعلم) أي وأنا لا أعلم (نفث) أي أنفـخ بريق أو بـلا ريق (فيها أم لا) أي أم لم ينفث (وشرب الناس حتى رووا) بضم الواو أي بأنفسـهم ودوابهم (وملؤا كل اناء معهم فخيل) أي بصيغة المجهول أي تصـور في ذهـني (انهـا) الميضأة ملأى (كما أخذها مني) أي عـلى حالها ما نقص شئ منها وقال التلمساني وروى اليـه أقـول والظاهـر انه تصحيف لديه (وكانوا اثنـين وسبعين رجـلا وروى مثله) أي مثـل مروي أبي قتـادة (عمـران بن حصين) بالتصغير (وذكر الطبراني) وهو محمـد بن جرير (حديث أبي قتادة على غـير ما ذكره أهـل الصحيح وان) وفي نسخة صحيحة ان على انه بيان لمـا ذكره الطبري مخالفا لغيره وهو أن (النبي صلى الله تعالى عليه وسلم خرج بهم) أي بأصحابه (ممدا) أي معينا (لاهل مؤتة) بضم الميم وسكون الهمزة و يبدل قرية بين تبوك وحوران من الشام

اعلامهم)

(عندما بلغه قتل الامراء) أي أمرائه وهم زيد بن حارثة مولاه عليه الصلاة والسلام وجعفر بن أبي طالب وعبـد الله بن أبي رواحـة (وذكر) أي الطبري (حديثا طويلا فيه معجزات) أي باهرة (وآيات) أي علامات وكرامات ظاهرة (للنبي صلى الله عليه وسـلم) أي تعظيما لقدره وتفخيما لامره (وفيه

اعلامهم) أى اخباره لاصحابه (أنهم يفقدون الماء) بكسر القاف أى يعدمونه ولا يجدونه (فى غد) فهو من أعلام النبوة لقوله تعالى وماتدرى نفس ماذا تكسب غدا (وذكر) أى الطبرى (حديث الميضأة) أى كما سبق (قال) أى أبو قتادة (والقوم) أى أصحابه (زهاء ثلاثمائة) أى قدرها تخمينا قال المزى الوجه نصب زهاء ولكن أهل الحديث يرفعونه ذكره الشمنى (وفى كتاب مسلم) يعنى صحيحه (انه) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (قال لابى قتادة) أى بعدما قال لهم انهم يفقدون الماء فى غد (احفظ على) أى لاجلى وفى نسخة علينا (ميضأتك فانه) أى الشأن (سيكون لها نبأ) أى خبر عظيم قال القاضى فى الاكمال قال الامام للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى هذا الحديث معجزتان قولية وهى اخباره بالغيب انها سيكون لها نبأ وفعلية وهى تكثير الماء القليل (وذكر) أى الطبرى (نحوه) أى نحو ماسبق مماذكره غيره (ومن ذلك) أى ومما يدل على تفجر الماء من بين أصابعه (حديث عمران

اعلامهم انهم يفقدون الماء فى غد وذكر) ابن جرير (حديث الميضأة) السابق (قال والقوم زهاء ثلاثمائة) أى قريب من ذلك بطريق الحزر والتخمين كما تقدم آنفا (وفى كتاب مسلم انه) صلى الله تعالى عليه وسلم (قال لابى قتادة) وقد رأى معه ميضأته (احفظ على) وفى نسخة علينا (ميضأتك) هذه وأمسكها عندك (فانه) ضمير شأن (سيكون لها نبأ) أى خبر عظيم وقصة عجيبة فى أمر مائها وكفايته القوم وما يظهر بها من المعجزة العظيمة (وذكر نحوه) أى مثل ماتقدم (ومن ذلك) أى من قبيل المعجزة السابقة فى تفجير الماء (حديث عمران بن حصين حين أصاب النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه عطش فى بعض أسفارهم فوجه رجلين من أصحابه) أى أرسلهما جهة من الجهات (وأعلمهما انهما يجدان امرأة بمكان كذا) الرجلان عمران بن حصين الراوى وعلى بن أبى طالب كرم الله وجهه وقيل انهما على والزبير بن العوام وفى البيهقى ان عليا خرج فى نفر من أصحابه ولم يسم أحد هذه المرأة الا أنه وقع فى السير انها أسلمت ولم يذكروا اسم المكان الا أن فى الحديث انه بروضة خاخ ان كانت القصة واحدة (معها بعير) قال أهل اللغة انه يطلق على الذكر والانثى (عليه مزادتان) المزادة بفتح الميم ظرف من جلد يحمل فيه الماء كالقربة وهو من الزيادة لانه زيد فيه جلد مع جلد لا من الزاد كما توهمه بعضهم فقال والتثنية المزود (الحديث فوجداها) أى المرأة (وأتيا بها الى النبى صلى الله عليه وسلم فجعل فى اناء من مزادتيها) أى جعل ماء من مائها فى اناء عنده أى وضع فيه بعض ماء المزادتين (وقال فيه) أى فى الماء الموضوع فى الاناء (ماشاء الله ان يقول) المراد دعاء وذكر اسم الله عليه ونحوه مما لم يسموه ولذا أبهموه (ثم أعاد الماء) الذى أخذه فى انائه من المزادتين فرده بعدما دعا له (فى المزادتين) اللتين للمرأة (ثم فتحت عزاليهما) ببناء الفعل للمجهول وعزاليهما بكسر اللام جمع عزلاء وهو فم القربة كما تقدم والتأنيث والجمع وليس للقربة الافم واحد قيل لانها كانت تتعدد فى قربهم عزلاء وان من أسفل وعزلاء وان من فوق وما كان من أسفل يخص باسم العزلاء والاحسن ان الجمع قد يطلق على الواحد وليس على حد قوله قد صغت قلوبكما لاختصاصه بما اذا كان المضاف مثنى وانما جئ على مائها لانها كانت حربية ولضرورة العطش وقد قيل ان هذه المرأة أسلمت لما شاهدت هذه المعجزة العظيمة منه صلى الله عليه وسلم (وأمر) صلى الله عليه وسلم (الناس)

ابن حصين) أى كما فى الصحيحين عنه انه قال (حين أصاب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وأصحابه عطش) أى شديد (فى بعض أسفارهم) وفى نسخة من أسفارهم (فوجه رجلين) بتشديد الجيم أى فارسلهما وهما على بن أبى طالب وعمران بن حصين (من أصحابه) كما صرح بهما فى بعض طرق هذا الحديث (وأعلمهما انهما يجدان امرأة) لا يعرف اسمها الا انها أسلمت بعد ذلك (بمكان كذا) وفى نسخة بتكرار كذا وبعين الموضع فى حديث صاحبه حاطب ابن أبى بلتعة وهو روضة خاخ (معها بعير عليه مزادتان) تثنية مزادة بفتح الميم ظرف من جلد يحمل فيه الماء كالراوية أكبر من القربة وميمها زائدة وهى من مادة الزيادة لزيادتها على القربة وميمها زائدة وهى مادة الزيادة لزيادتها على القربة ولا يبعد أن تكون مأخوذة من الزاد والله تعالى أعلم بالمراد ثم قيل هى الراوية مجازا وانما الراوية هو البعير الذى يحملها (الحديث) أى بطوله والمعنى فذهبا على أثرها وطلباها (فوجداها وأتيا بها النبى) وفى نسخة الى النبى (صلى الله تعالى عليه وسلم فجعل) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (فى اناء) أى مما عنده (من مزادتيها) أى بعض مائهما (وقال فيه ماشاء الله) أى من ثناء أو دعاء أو أسماء (ثم أعاد الماء) أى رد الماء المأخوذ (فى المزادتين ثم فتحت) بصيغة المجهول ولا يبعد ان يكون بصيغة الفاعل (عزاليهما) بفتح العين المهملة والزاى تثنية عزلاء وهو فمها الاسفل واللام مفتوحة وقيل هو جمع فاللام مكسورة (وأمر الناس) وفى نسخة ثم أمر الناس

(فملأوا أسقيتهم) جمع سقاء وهو اناء من جلد يتخذ للماء (حتى لم يدعوا) بفتح الدال أي لم يتركوا (شيئا) أي من أوانيهم (الاملأوه وقال عمران) وفي نسخة وعن عمران بن حصين (ويخيل الي) بصيغة المضارع المجهول من التخييل وفي نسخة بصيغة الماضي المعلوم من التخيل أي وتصور عندي وتقرر في ذهني (انهما) أي المزادتين (لم تزدادا) وفي نسخة بصيغة الافراد أي كل واحدة منهما (الا امتلاء) بكسر التاء على المصدرية أي من زيادة ٢٦ البركة في الكمية والكيفية (ثم أمر) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أصحابه ان يزودوها من زادهم زيادة على ماتوهمت انهم أخذوا من مزادتيها وفي مرادها (فجمع) بصيغة المفعول (للمرأة) وفي نسخة لها (من الازواد) جمع الزاد أي من جملتها (حتى ملأ) أي ذلك الزاد وفي نسخة ملأوا (ثوبها وقال) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (اذهبي فانا لم نأخذ من مائك شيئا) أي من كميته (ولكن الله سقانا) أي بسبب زيادة كيفيته ببركة أسمائه (وعن سلمة بن الاكوع) وفي نسخة وقال سلمة (قال النبي) وفي نسخة نبي الله (صلى الله تعالى عليه وسلم هل من وضوء) بفتح الواو أي أمعكم أو أعندكم أو أثم ماء وضوء (فجاء رجل باداوة) بكسر الهمزة أي اناء صغير من جلد يتخذ للماء (فيها نطفة) أي شيء يسير من الماء (فافرغها) أي صبها (في قدح فتوضأنا كلنا) بالرفع توكيد لنا (فدغفقه دغفقة) بدال مهملة وغين معجمة ففاء فقاف أي فصبه صبا كثيرا (أربع عشرة مائة) بيان لقوله كلنا أي ألف وأربعمائة (وفي حديث عمر) كما رواه ابن خزيمة في صحيحه والبيهقي والبزار عنه (في جيش العسرة) أي الضيق والشدة وهي غزوة تبوك سنة تسع من الهجرة وكانت في نهار حر ووقت الثمار وكثرة ظلال الاشجار

ان يملؤا منه (فملأوا أسقيتهم) جمع سقاء وهو اناء من جلد يوضع فيه الماء (حتى لم يدعوا شيئا) من أوانيهم (الاملئوه) ماء (قال عمران) بن حصين رضي الله عنه (و) أنا (يخيل الي) بالبناء للمجهول (انهما لم يزدادا الا امتلاء) فالجملة حالية بتقدير مبتدأ أي حال كوني وقع في مخيلتي ان المزادتين بعد أخذ الناس منهما الماء انهما لم ينقصا بل زادا عما كان عليه (ثم أمر) صلى الله تعالى عليه وسلم ان يعطوها من زادهم شيئا بدلا عما أخذ من مائها تفضلا منه فان مائها لم ينقص (فجمع) بالبناء للمفعول أي جمع الناس (للمرأة من الازواد حتى ملأ ثوبها) وحملوه على بعيرها (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم للمرأة (اذهبي فانا لم نأخذ من مائك شيئا ولكن الله سقانا) من فضله واختلفت الروايات هنا ففي بعضها ماذكره المصنف فقط وفي بعضها انهم ملئوا أسقيتهم وسقوا ابلهم وانه أمرهم بذلك واستعماله صلى الله عليه وسلم من ماء القربة التي للكافرة لاينافي النهي منه عن استعمال أوانيهم وانهم نجس وأمره بغسلها اذا اضطر والاستعمال لها لاختصاصه بما يحتمل النجاسة كقدورهم وأوانيهم التي يضعون فيها الخمر والخنزير وقرب الماء لايتوهم فيها ذلك (الحديث بطوله) أي اقرأ الحديث بطوله وتمامه ان أردت الوقوف عليه وفيه اشارة الى أنه حديث طويل مروي في كتب الحديث كالبخاري وغيره لاشتماله على رجوعها لقومها وذكرها لهم القصة بتمامها وتعجبها مما رأته من المعجزة له صلى الله تعالى عليه وسلم لكن المصنف اقتصر على محل الشاهد منه (وعن سلمة بن الاكوع) رضي الله تعالى عنه تقدم بيانه انه (قال قال نبي الله صلى الله تعالى عليه وسلم) في يوم من الايام (هل من وضوء) بفتح الواو كما تقدم وانه الماء الذي يتوضؤ به وبالضم نفس الفعل ومن زائدة في المبتدأ المقدر خبره أي هل معكم وضوء وسوغ الابتداء بالنكرة وقوعه بعد الاستفهام (فجاء رجل باداوة) بكسر الهمزة ودال مهملة أي اناء من جلد صغير (فيها نطفة) أي ماء قليل وقد تطلق على غيره لتنزيله منزلته لنكتة وأصل معناها القطرة ومنه نطفة الرجل لمنيه (فافرغها في قدح) أي صبها في اناء (فتوضأنا كلنا) بالرفع توكيد لضمير الفاعل (ندغفقه دغفقة) مفعول مطلق وندغفقه بضم النون وفتح الدال المهملة وسكون الغين المعجمة ثم فاء مكسورة وقاف أي نصبه صبا كثيرا من قولهم عيش دغفق أي واسع (أربع عشرة مائة) من الرجال وأربع بالرفع خبر مبتدأ مقدر أي ونحن أربع الى آخره أو بدل من ضمير ندغفقه أو توضأنا لانه بيان لعدد من توضأ وكثرتهم مع قلة الماء وصغر الاناء ونصبه على الحالية عن أحد الضمائر (وفي حديث عمر) بن الخطاب رضي الله تعالى عنه الذي رواه البيهقي والبزار وابن خزيمة في مسنده بسند صحيح (في جيش العسرة) بضم العين فسكون السين المهملتين وهي غزوة تبوك الواقعة في سنة تسع من الهجرة وسميت بذلك لانها اتفقت في زمان كانت النفقة والزاد في غاية القلة عندهم ولذا لم يور النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فيها كما كانت عادته في أسفاره ولعثمان بن عفان

رضي

(وذكر) أي عمر رضي الله تعالى عنه (ما أصابهم) أي المسلمين (من العطش) أي الشديد (حتى ان الرجل) بكسر الهمزة وتفتح (لينحر بعيره) بفتح اللام المؤكدة (فيعصر فرثه) أي ما في كرشه (فيشربه فرغب أبو بكر) أي مال وتوجه (الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في الدعاء) أي أمره أو في حمله على الدعاء (فرفع يديه) أي ويدعو ربه ويتضرع لديه ويثني عليه ويلتجئ اليه (فلم يرجعهما) من رجع المتعدي لم يرديه بعد رفعهما اليه وفي نسخة فلم ترجعا من رجع اللازم أي لم يتغير اليدان عن حالهما (حتى قالت السماء) أي أمطرت فان القول يستعمل في جملة من الفعل وقيل مالت وروى قامت

بالميم أي اعتدلت بالسحاب أوقامت توجهها بالخيرات (فانسكبت) أي فانصب ماؤها بكثرة (فملأوا ما معهم من آنية) أي جميع أوانيهم (ولم تجاوز) أي السماء المراد بها السحاب وفي نسخة بالتذكير أي ولم يتعد المطر (العسكر) أي ما انتهى عنهم بل كان السحاب كالظلة عليهم وفيه ايماء الى انه ما كان من القضايا الاتفاقية بل كان معجزة وكرامة خاصة لديهم (وعن عمرو بن شعيب) أي ابن محمد بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص أخرج له الائمة الاربعة (ان أبا طالب قال للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو رديفه) جملة حالية تحتمل احتمالين خلافا للتلمساني حيث جزم بان ضمير هو للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم والمضاف لابي طالب والرديف الراكب من خلف (بذي المجاز) بفتح الميم والجيم وزاي في آخره سوق عند عرفة من أسواق أهل الجاهلية (عطشت) بكسر الطاء قال الحلبي وهذا الحديث الذي ذكره القاضي هنا معضل لا أعلمه في الكتب الستة والرواية عن أبي طالب معلوم ما فيها انتهى وذكر الدلجي عن ابن سعد انا اسحق بن يوسف الازرق ثنا عبد الله بن عوف عن عمرو هو ابن دينار ان أبا طالب قال كنت بذي المجاز ومعي ابن أخي يعني نبي الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقلت له عطشت (وليس عندي ماء) وروى عنده وروى معي وعنده مثلث العين ذكره التلمساني (فنزل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي عن البعير (وضرب بقدمه الارض فخرج الماء فقال)

رضي الله تعالى عنه فيها اليد البيضاء لما جهزهم بماله كما بين في السير وتسمى الفاضحة لافتضاح المنافقين فيها والعسرة هي الشدة والضيق (وذكر) عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه (ما أصابهم) أي جيش العسرة (من العطش) لقلة الماء (حتى ان الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه) هو ما في كرشه (فيشربه) أي يشرب ما عصره منه مع تغيره وقلته وهم كانوا يفعلون ذلك في ضرورتهم (فرغب أبو بكر) رضي الله تعالى عنه (الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) والرغبة طلب ما يحبه ويتعدى للمطلوب بفي فيقال رغب في كذا ولضده بعن فيقال رغب عنه ويكون بمعنى التضرع فيتعدى بالى لمن طلب منه أي تضرع وتذلل (في الدعاء) أي في دعائه صلى الله تعالى عليه وسلم وتوجهه لربه ليزيل ما بالناس من البأس الذي علمه منهم (فرفع يديه) نحو السماء التي جعلها الله تعالى قبلة للدعاء ورفع اليدين نحوها سنة كمسح الوجه بهما بعده كما ذكره ابن حجر أي ودعا ربه وتضرع اليه كما ورد انه طفق يهتف بربه أي يدعوه ويناشده في سرعة اجابته (فلم يرجعهما) بفتح الياء أي لم يرد يديه من دعائه ويرجع متعد كما في قوله تعالى فان رجعك الله ويكون لازما أيضا (حتى قالت السماء) أي غيمت وظهر فيها سحاب من قولهم قال كذا اذا تهيأ له واستعد كما في القاموس وفي بعض الحواشي يقال قالت السماء اذا أرعدت وغيمت وتفسيرها بامطرت لا يناسب قوله (فانسكبت) أي انسكب ماؤها فالاسناد مجازي وكون السماء بمعنى المطر بعيد هنا وكذا كونه استخداما كقوله

اذا نزل السماء بارض قوم * رعيناه وان كانوا غضابا

(فملؤا ما معهم من آنية) جمع اناء كأوان وبعضهم ظنه مفردا وهو وهم كما ان الاناء معروف (ولم يجاوز العسكر) في يجاوز ضمير مستتر راجع للسماء بمعنى السحاب أو للمطر المعلوم من السياق وهذه معجزة أخرى (وعن عمرو بن شعيب) بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص السهمي الصحابي المشهور وفي الاحتجاج بعمرو هذا اختلاف واقوال والاكثر على الاحتجاج به وهو يروي عن أبيه وغيره وأخرج له أربعة من أصحاب السنن وهذا الحديث ليس فيها وتوفي سنة ثمان عشرة ومائة ودفن بالطائف (ان أبا طالب قال للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو رديفه) أي راكب خلفه وضمير هو للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وضمير رديفه لابي طالب (بذي المجاز) بفتح الميم والجيم والف ثم زاي معجمة وذي بمعنى صاحب أي محل الجواز وذو المجاز اسم سوق بقرب عرفة كانوا يجتمعون فيه في الجاهلية كما كانوا يجتمعون بعكاظ وهذا الحديث رواه ابن سعد عن اسحق بن الازرق عن عبد الله بن عون عن عمرو (عطشت وليس عندي ماء فنزل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) عن الدابة التي أردف عليها (وضرب بقدمه الارض فخرج الماء فقال صلى الله تعالى عليه وسلم لابي

اشرب) قال الدلجى الظاهر ان هذا كان قبل البعثة يعنى فيكون من الارهاصات ولا يبعد أن يكون بعد النبوة فهو من المعجزات ولعل فيه ايماء الى انه سيظهر نتيجة هذه الكرامات من بركة قدم سيد الكائنات فى أواخر الزمان قريب الالف من السنوات عين فى عرفات تصل الى مكة وحواليها من آثار تلك البركات هذا أبو طالب لم يصح اسلامه واما قول التلمسانى وروى اسلام أمه باسناد صحيح وروى اسلام أبويه فمردود عليه كما بينت هذه المسئلة فى رسالة مستقلة ردا على السيوطى فى رسائله الثلاث (والحديث) اللام للجنس أى والاحاديث (فى هذا الباب كثيرة) أى غير ما ذكر فى هذا الكتاب (ومنه الاجابة بدعاء الاستسقاء وماجانسه) أى من أنواع استجابة الدعاء

(فصل)

(ومن معجزاته تكثير الطعام) أى كمية أو كيفية (ببركته) أى بركة حصول وجوده أو وصول يده (ودعائه) أى لربه مقرونا بثنائه (قال) أى المصنف (حدثنا القاضى الشهيد أبو على رحمه الله تعالى) هو الحافظ ابن سكرة (حدثنا العذرى) بضم مهملة فسكون معجمة (ثنا الرازى ثنا الجلودى) بضم الجيم وتفتح (ثنا ابن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج) يعنى صاحب الصحيح (ثنا سلمة بن شبيب) بفتح الشين المعجمة وكسر الموحدة الاولى بعدها تحتية ساكنة وهو أبو عبد الرحمن النيسابورى حجة أخرج له مسلم والاربعة مات سنة ست وأربعين ومائتين بمكة (ثنا الحسن بن أعين) بفتح فسكون ففتحتين ثقة أخرج له الشيخان وأبو داود والنسائى (ثنا معقل) بفتح الميم وكسر القاف صدوق تردد فيه ابن معين أخرج له مسلم وأبو داود والنسائى (عن أبى الزبير) بالتصغير حافظ ثقة روى عنه مالك والسفيانان وأخرج له مسلم والاربعة وأخرج له البخارى مقرونا بقوله كان مدلسا واسع العلم (عن جابر ان رجلا أتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يستطعمه) أى يطلب طعاما منه لاهله (فاطعمه شطر وسق شعير) الوسق بفتح الواو وتكسر ستون صاعا وشطر الشئ نصفه وهو بفتح أوله ولا يصح كسره قال النووى والشطر هنا معناه شئ كذا فسره الترمذى (فمازال) أى ذلك الرجل السائل المستطعم منه عليه الصلاة والسلام (يأكل منه) أى من ذلك الطعام (وامرأته

فصل

طالب (أشرب) قيل هذا كان قبل البعثة قيل ولم يذكره على سبيل الاحتجاج لان أبا طالب كافر لا يستدل بقوله (والحديث فى هذا الباب) أى باب نبع الماء وخروجه ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم (كثير ومنه الاجابة بدعاء الاستسقاء) أى دعاؤه صلى الله تعالى عليه وسلم بطلب السقيا وايجاد الماء عند الحاجة له (وماجانسه) أى شابه الاستسقاء من السماء كما ذكر هنا وهو مأخوذ من الجنس وهو معروف

(فصل) مناسب لما قبله لان الاكل والشرب توأمان (ومن معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم تكثير الطعام ببركته ودعائه) النافعين عند الحاجة وبدأه بحديث رواه مسلم فى صحيحه بسند صحيح وهو (حدثنا القاضى الشهيد أبو على رحمه الله) هو الحافظ ابن سكرة وتقدمت ترجمته قال (حدثنا العذرى) قال (حدثنا الرازى) تقدمت ترجمتهما وبيان نسبتهما قال (حدثنا الجلودى) تقدمت ترجمته ونسبته وانه يجوز ضم الجيم وفتحها قال (حدثنا ابن سفيان) هو ابراهيم بن محمد بن سفيان راوى صحيح مسلم وقد تقدمت ترجمته قال (حدثنا مسلم بن الحجاج) صاحب الصحيح المشهور كما تقدم قال (حدثنا سلمة بن شبيب) أبو عبد الرحمن النيسابورى الحافظ الثقة أخرج له أصحاب السنن وتوفى سنة سبع وأربعين ومائتين قال (حدثنا الحسن بن أعين) أفعل تفضيل من العين وهو الحسن بن أعين بن محمد الحرانى الثقة قال (حدثنا معقل) بفتح الميم وسكون المهملة والقاف المكسورة (عن أبى زبير) محمد بن مسلم الثقة وترجمته مشهورة (عن جابر) الصحابى المشهور رضى الله تعالى عنه (ان رجلا أتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يستطعمه) أى يطلب منه طعاما له ولاهله لشدة احتياجه وهذا الرجل لم يعرفوا اسمه لانه من أهل البادية والطعام ما يؤكل وبه قوام البدن ويطلق على غيره مجازا (فاطعمه) أى أعطاه لان الاطعام يكون بمعنى الاعطاء كثيرا حتى انه لكثرته يستعمل فيما لم يكن مأكولا فيقال أطعمه السلطان بلدة وهو مجاز مرسل أو استعارة (شطر وسق شعير) الشطر هنا بمعنى النصف وهو أصله ويكون بمعنى البعض مطلقا وبمعنى الجهة كقوله تعالى فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره والمراد جهته والوسق بفتح الواو وكسرها وسكون السين المهملة وقاف بمعنى الحمل فيقال وسق بعير أى حمله ثم خص وصار حقيقة عرفية فى ستين صاعا بصاعه صلى الله تعالى عليه وسلم وهو ثلاث مائة وعشرون رطلا حجازية وأربع مائة وثمانون رطلا عراقية على الاختلاف فى قدر الصاع والمد فشطره ثلاثون صاعا وعلى الاول مائة وستون رطلا وعلى الثانى مائتان وأربعون رطلا والكلام فى المقادير الشرعية مفصل فى كتب الفروع (فمازال يأكل منه وامرأته) بالرفع معطوف على الضمير المستتر فى يأكل من غير

وضيفه) أى كذلك فهما مرفوعان أو معهما فهما منصوبان ويروى وصيفه بواو فهملة (حتى كاله) أى ليعرف نقصانه وكماله ويوجب اكتياله ما يبين حاله وما آله ففنى بهذه الحركة وزالت عنه البركة (فاتى) أى الرجل (النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فاخبره) أى بانه كاله وجرب حاله (فقال لولم تكله) أى وما جربته (لا كلتم منه) أى كلكم طول عمركم (ولقام بكم) أى باودكم مدة بقائكم وفى هذا الحديث ان البركة أكثر ما تكون فى المجهولات والمبهمات وكان الصوفية من هنا قالوا المعلوم شوم * قيل والحكمة فى ذلك ان الكائل يكون متكلا على مقداره لضعف قلبه وفى تركه يكون متكلا على ربه والاتكال عليه سبحانه وتعالى مجلبة للبركة واما الحديث الآخر كيلوا طعامكم يبارك لكم فيه فقالوا المراد ان يكيله عند اخراج النفقة منه لئلا يخرج أكثر من الحاجة أو أقل بشرط ان يبقى الباقى مجهولا ثم هذا الرجل هو جد سعيد بن الحارث وذلك انه استعان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى نكاحه امرأة فالتمس النبى عليه الصلاة والسلام ما سأله فلم يجد له فبعث أبا رافع الانصارى وأبا أيوب بدرعه فرهناها عند يهودى فى شطر وسق من شعير فدفعه عليه الصلاة والسلام اليه قال فاطعمنا منه ثم أكلنا منه سنة وبعض سنة ثم كلناه فوجدناه كما أدخلناه كذا ذكره التلمسانى وهو خلاف ظاهر ما حرره القاضى ويمكن الجمع بينهما (ومن ذلك) أى مما يدل على ما هنالك من تكثير الطعام ببركته ودعائه عليه الصلاة والسلام (حديث أبى طلحة المشهور) بالرفع صفة لحديث وهو المروى فى الصحيحين عن أنس فى قصته وأبو طلحة هذا هو عم أنس بن مالك زوج أم سليم انصارى نجارى خزرجى بدرى أحد الفقهاء قال فيه صلى الله تعالى عليه وسلم صوت أبى طلحة فى الجيش خير من فئة ذكر انه قتل يوم حنين عشرين رجلا وأخذ سلبهم روى عنه ابنه عبد الله وابن زوجته أنس بن مالك (واطعامه) بالرفع (صلى الله تعالى عليه وسلم ثمانين أو سبعين رجلا) وجزم مسلم فى روايته بثمانين رجلا (من أقراص) أى قليلة (من شعير جاء) وفى نسخة أتى (بها) أى بتلك الاقراص وفى نسخة به أى بما ذكر (أنس تحت يده أى ابطه) يعنى حال كون انس واضعالها تحت ابطه من كمال قلتها (فأمر بها) أى بالاقراص أو بفتها (ففتت) بضم الفاء وتشديد الفوقية الاولى مفتوحة أى فجعلت فتاتا والمعنى كسرها بأصابعه وثردها وفى حديث اذا قل طعامكم فاثردوه

فصل مؤكد كاسكن أنت وزوجك الجنة وهو الافصح وقد يعطف بفاصل من غير ضمير كما هنا فانه فصله بقوله منه وهو فصيح أيضا وقد يعطف من غير فاصل أصلا كما فى قول على كرم الله وجهه كنت وأبو بكر وعمر لكنه قليل (وضيفه) أى من ينزل عليه من غير أهله وهو يطلق على الواحد وغيره وقد يختص بالمفرد فيقال ضيف وضيفان وضيوف أى لم يزالوا يأكلون منه وهو باق بحاله من غير نقص لانه لا يزال يكثر ببركة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهو محل استشهاد المصنف وفى نسخة وضيف (حتى كاله) غاية لا كله أى استمر أكلهم منه من غير نقص شئ منه الى ان كاله فظهر نقصه بعد الكيل بما يأخذه منه فكانت البركة فى ترك كيله حتى لولم يكله لم ينفد وترك الكيل والعد فيه بركة لما فيه من الاتكال على الله وهو أكثر بركة وهكذا جرت عادة الله واما ما ورد فى الحديث من قوله صلى الله تعالى عليه وسلم كيلوا طعامكم يبارك لكم فيه فهو بالنسبة لمن كان يخشى خيانة فيه وقيل المراد كيلوا ما تخرجونه للنفقة منه لئلا يخرج أكثر من الحاجة أو أقل بشرط ان يبقى الباقى مجهولا غير مكيل وقيل انه انما كان كذلك لافشائه سرا من أسرار الله تعالى ينبغى كتمه (فاتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فاخبره) بتكثير ما عطاه له صلى الله تعالى عليه وسلم ببركته (فقال لولم تكله لا كلتم منه) أى لاستمر أكلكم منه الى غير النهاية (ولقام بكم) أى لكفاكم مدة حياتكم وكان فيه قوام لكم من غير نقص وهذا الرجل هو جد سعيد بن الحارث وكان استعان به صلى الله تعالى عليه وسلم فى نكاحه فانكحه امرأة فطلب منه طعاما يقوم به وبزوجته ولم يكن عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم شئ فبعث أبا رافع وأبا أيوب الانصاريين بدرعه فرهناه عند يهودى فى شطر وسق من شعير ودفعه اليه قال فأكلنا منه سنة وبعض سنة ثم كلناه فوجدناه كما أدخلناه (ومن ذلك) أى تكثير الطعام ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم (حديث أبى طلحة المشهور) فى قصته التى رواها الشيخان عن أنس رضى الله تعالى عنه وهو زيد بن سهل بن الاسود الانصارى الصحابى رضى الله تعالى عنه توفى سنة احدى وثلاثين وقيل غير ذلك والمشهور بمعنى انه كثرت روايته فى كتب الحديث وتعددت طرقه ويحتمل ان يريد بالمشهور معناه المعروف فى مصطلح الحديث (واطعامه صلى الله تعالى عليه وسلم) مرفوع عطف على حديث (ثمانين أو سبعين رجلا) وجزم مسلم بالثمانين (من أقراص من شعير) جمع قرص وهو رغيف صغير (أتى بها أنس) بن مالك وفى نسخة جاء وهو عم أبى طلحة (تحت يده أى ابطه) بكسر الهمزة والباء وتسكينها والابط ما تحت المنكب وفسره به لان اليد تشمله وغيره والابط يذكر ويؤنث (فامر بها) أى بالاقراص (ففتت) يقال فتته اذا قطعه باصابعه وقطعا صغيرة بمقدار اللقمة وقد يطلق

(وقال فيها) أي في حق الاقراص (ماشاء الله ان يقول) أي من ثناء ودعاء واسماء وأمرهم بجيء عشرة عشرة حتى أكل القوم كلهم الحديث بطوله قال النووي وانما أذن صلى الله تعالى عليه وسلم لعشرة عشرة ليكون أرفق بهم فان القصعة التي فت فيها تلك الاقراص لا يتحلق عليها أكثر من عشرة الابضرر يلحقهم لبعدها عنهم وقيل لئلا يقع نظر الكثير على الطعام اليسير فيزداد حرصهم ويظنون انه لا يكفيهم فتذهب بركته ويحتمل ان يكون لضيق المنزل وهو أقرب (وحديث جابر) أي ومن ذلك حديث جابر كما رواه البخاري عنه (في اطعامه صلى الله ٣٠ تعالى عليه وسلم يوم الخندق) أي زمن حفره وهو يوم الاحزاب (ألف رجل من صاع شعير وعناق) بفتح أوله وهي الانثى من أولاد المعز مالم يتم لها سنة (قال جابر فاقسم بالله لاكلوا) أي منه (حتى تركوه) أي على حاله وفي أصل الدلجي لاكلوا حتى شبعوا غايته للاكل حتى تركوه غاية للشبع (وانحرفوا) أي مالوا الى حرف أي جانب وطرف والمعنى وانصرفوا (وان برمتنا) بكسر الهمزة حالية والبرمة بضم الموحدة هي القدر من حجر أومدر (لتغط) بفتح التاء وكسر الغين المعجمة وتشديد المهملة أي تغلي من حرارة النار تحتها حتى يسمع غطيطها وهو صوت غليانها (كما هي) أي على هيئتها الاولى وماهيتها بكمالها كأنه لم يؤخذ منها شيء وما كافة مصححة لدخول الكاف على الجملة وهي مبتدأ والخبر محذوف

برنة

أي مثل ماهي قبل ذلك (وان عجيننا ليخبز) أي كما هو وكل ذلك بعد ان شبعوا وتركوا وانصرفوا (وكان) أي وقد كان (رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بصق) أي بزق (في العجين والبرمة وبارك) أي ودعا لهما بالبركة (رواه عن جابر سعيد بن ميناء) بكسر الميم ممدودا ويقصر ويجر ولا يجر بناء على انه مفعال أو فعلاء وحديث سعيد هذا عن جابر في الصحيحين (وأيمن) بفتح الميم عطف على سعيد وهو أيمن الحبشي المكي وأمه أم أيمن حاضنة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ومولاته أخو اسامة بن زيد لامه استشهد يوم حنين وحديثه عن جابر في الخندق أخرجه البخاري في المغازي وزيد في بعض النسخ الصحيحة ههنا بعد قوله أيمن

بمعنى التكسير مطلقا (وقال فيها) أي في شانها بان دعا ببركتها وذكر أسماء الله عليها وقيل في بمعنى على كقوله تعالى لاصلبنكم في جذوع النخل (ماشاء الله ان يقول) أي ماقدره وعلمه من الذكر الذي لم يطلع عليه وهو حديث طويل في الصحيحين اقتصر المصنف على بعضه اعتمادا على شهرته وفيه ان أبا طلحة رضي الله تعالى عنه قال لام سليم لقد سمعت صوت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ضعيفا أعرف فيه الجوع فهل عندك شيء فقالت نعم فاخرجت أقراصا من شعير وفيه انه دعا القوم عشرة عشرة وحكمته ان لا يزدحموا على قصعة واحدة كانت صغيرة وهذا كان بالمدينة لا بالخندق كما توهمه القسطلاني وقد علمت ان الحديث طويل والكلام عليه مفصل وفيه انهم بعدما أكلوا دفعه لاهل المنزل فاكلوا وأطعموا جيرانهم (وحديث جابر) رضي الله تعالى عنه الذي رواه البخاري (في اطعامه صلى الله تعالى عليه وسلم (يوم الخندق) أي قصة الخندق المشهورة في السير ومعناه معروف وهو معرب كندة بمعنى الحفر (ألف رجل) بالنصب مفعول اطعام ويوم الخندق منصوب على الظرفية وحديث مبتدأ خبره مقدر أي من ذلك وقوله (من صاع شعير) بالاضافة وفي نسخة من صاع من شعير وتقدم معنى الصاع (وعناق) بفتح العين وهي الانثى من أولاد المعز لم يتم لها سنة وقيل هي التي قاربت الحمل ولم تحمل (قال جابر فاقسم بالله لاكلوا) وفي نسخة لقد أكلوا ولما كان هذا أمرا غريبا خارقا للعادة أكده بالقسم لانه مظنة الانكار (حتى تركوه وانحرفوا) أي أكلوا كلهم حتى شبعوا وقاموا وانصرفوا والانحراف الميل الى جهة أخرى غير التي كان متوجها لها من الحرف وهو الطرف ومنه قوله تعالى ومن الناس من يعبد الله على حرف أي على طرف غير متمكن (وان برمتنا لتغط) البرمة بضم الباء الموحدة وسكون الراء المهملة ثم ميم وهاء القدر مطلقا أو من حجارة وهو المعروف وجمعها برام وتغط بفتح المثناة وفتح أو كسر الغين المعجمة وبعدها طاء مهملة مشددة أي تغلي غليانا شديدا يسمع لها صوت كهدير النائم والمخنوق (كما هي) أي على حالها الاول لم ينقص منها شيء مع كثرة من أكل منها وهذا محل الشاهد (وان عجيننا ليخبز) أي انهم استمروا على خبز العجين وايصاله شيأ فشيأ لمن يأكل منه ولم ينقص ببركة النبي صلى الله عليه وسلم لانه بصق في البرمة والعجين وبارك عليه كما ذكره المصنف بقوله (وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بصق في العجين والبرمة وبارك) فيهما ومعنى بارك دعا فيهما بالبركة كما مر أي الزيادة والنمو (رواه) أي روى هذا الحديث (عن جابر سعيد بن ميناء) بكسر الميم وسكون المثناة التحتية والنون والمد والقصر والصرف وعدمه على ان وزنه فعلاء أو مفعال وسعيد هذا أخرج له البخاري ومسلم وميناء علم منقول من الميناء وهي مرسى السفن وجوهر الزجاج (وأيمن)

(وعن ثابت مثله عن رجل من الانصار وامرأته ولم يسمهما) أي الراوي عنهما لكن جهالتهما لاتضر لكونهما صحابيين (قال) أي ثابت أو كل من الرجل والمرأة (وجيء بمثل الكف) أي من العجينة (فجعل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يبسطها) أي يدلكها ويوسعها (في الاناء ويقول ماشاء الله) أي من الدعاء والثناء (فأكل منه من في البيت والحجرة) بضم الحاء وتفتح ناحية قريبة من الدار (والدار) أي وما حولها من الفناء (وكان ذلك) أي المقام (قد امتلأ ممن قدم معه صلى الله تعالى عليه وسلم لذلك) أي المرام (وبقي) أي ذلك الطعام (بعدما شبعوا مثل ما كان في الاناء) أي سابقا ببركته عليه الصلاة والسلام (وحديث أبي أيوب) أي ومن ذلك حديث أبي أيوب بدري مشهور وهو خالد بن زيد انصاري نجاري عقبي بدري نزل عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في خروجه من بني عمرو بن عوف حين قدم المدينة فلم يزل عنده حتى بنى مسجده ومساكنه شهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وفد على ابن عباس البصرة فقال اني أخرج لك عن مسكني كما خرجت

لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن مسكنك وأعطاه ما أغلق عليه ولما قفل أعطاه عشرين ألفا وأربعين عبدا مرض في غزوة القسطنطينية فقال اذا مت فاحملوني فاذا صاففتم العدو فادفنوني تحت أرجلكم فدفن عند باب القسطنطينية فقبره مع سورها فقال مجاهد فكانوا اذا محلوا كشفوا عن قبره فيمطرون وحديثه هذا رواه الطبراني والبيهقي عنه (انه صنع لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولابي بكر من الطعام زهاء ما يكفيهما) بضم الزاي أي مقدار ما يشبعهما وفيه اشعار بكمال اختصاصهما (فقال له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ادع ثلاثين من أشراف الانصار) خصهم بالدعوة كي يسلموا بالالفة ومشاهدة المعجزة اذ كان ذلك أول الهجرة وسماهم أنصارا لعلمه بانهم يسلمون على يديه وينصرون دينه (فدعاهم فأكلوا حتى تركوا) وفي نسخة تركوه أي الاكل أو الطعام والثاني أظهر في المرام لقرينة المقام ولقوله (ثم قال ادع ستين فكان مثل ذلك) أي فدعاهم فأكلوا حتى تركوه (ثم قال ادع سبعين فأكلوا حتى تركوه وما خرج منهم أحد حتى أسلم) أي أظهر الاسلام أو ثبت على ذلك المرام قال التلمساني في الاصل هكذا الا حتى أسلم وصوابه حتى أسلم (وبايع) أي على الجهاد ونصرته عليه الصلاة والسلام لما شاهد المعجزة في بركة ذلك الطعام (قال أبو أيوب فأكل من طعامي مائة وثمانون رجلا) وكان عشرين أكلوا بعد المائة والستين (وعن سمرة بن جندب) بضم الجيم والدال وتفتح وحكى بكسرهما وكان الاظهر أن يقول وحديث سمرة بن جندب وهو مارواه الترمذي والبيهقي وصححاه والنسائي عنه ولفظه (أتي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي جيء

برنة أفعل من اليمن وهو أيمن الحبشي المكي والد عبد الواحد بن أيمن مولى عمرة المخزومي الثقة وقال ابن حبان انه أيمن بن أم أيمن مولاة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأخو أسامة لامه قال البرهان وفيه نظر لان ابن أم أيمن هذا قتل بحنين فقد خلط ترجمته بترجمة وتبعه التلمساني (وعن ثابت مثله) أي مثل حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما (عن رجل من الانصار وامرأته ولم يسمهما قال وجيء بمثل الكف) وفي نسخة بملئ الكف (فجعل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يبسطها في الاناء ويقول ماشاء الله) ان يقول (فأكل منه من في البيت والحجرة والدار وكان ذلك) أي ماذكر من الثلاثة (قد امتلأ ممن قدم معه صلى الله تعالى عليه وسلم لذلك وبقي بعدما شبعوا مثل ما كان في الاناء) وقد علم ان ذلك ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم (وحديث أبي أيوب) أي ومن ذلك حديث أبي أيوب الانصاري رضي الله عنه الذي رواه عنه الطبراني والبيهقي وهو (انه صنع لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولابي بكر) حين قدما المدينة في الهجرة (من الطعام زهاء) أي مقدار (ما يكفيهما) أي طعاما يكفي رجلين فقط وهو بيان لقلته (فقال له النبي صلى الله عليه وسلم) لما أخبره بذلك ودعاه (ادع ثلاثين من أشراف الانصار) انما خصهم قيل ليتألفهم كي يسلموا فان ذلك كان في أول الهجرة وسماهم أنصارا لعلمه صلى الله عليه وسلم بانهم سينصرونه وتفاؤلا بذلك (فدعاهم فأكلوا حتى تركوه) أي شبعوا وتركوا الطعام أو الاكل منه (ثم قال) صلى الله عليه وسلم (ادع ستين) أي من أشراف الانصار (فكان مثل ذلك) أي أكلوا حتى تركوه (ثم قال) صلى الله تعالى عليه وسلم له (ادع سبعين) فدعاهم (فأكلوا حتى تركوا) الطعام والاكل كما مر (وما خرج أحد منهم) أي ممن دعاه وأكل حتى شبع (حتى أسلم وبايع) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على الجهاد معه ونصرته لما رأوا من تلك المعجزة ولطفه بهم وفي نسخة الا حتى أسلم قيل وصوابه اسقاط الا ولا وجه له (قال أبو أيوب) رضي الله تعالى عنه (فأكل من طعامي مائة وثمانون رجلا) ذكر بعضهم وترك الباقي كأنه لكونهم لم يدعهم بأمره والمذكور مائة وستون غير أبي بكر والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم (وعن سمرة بن جندب) تقدمت ترجمته وانه بضم الدال وفتحها (أتي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) بالبناء للمجهول اذ لا يتعلق غرض

(بقصعة) بفتح القاف لا بكسر (فيها لحم فتعاقبوها) أي تناوبها أي تناولها الصحابة جماعة بعد جماعة (من غدوة) بضم فسكون ففتحتين لانها معرفة (حتى الليل) أي الى آخرها ر تلك الغدوة مع أخذ بعض الوقف من العشية (يقوم قوم ويقعد آخرون) جملة مستأنفة مبينة للتعاقب والمناوبة فلا ينافي ما قال التلمساني هكذا في الاصل والمعروف من حديث سمرة من غدوة الى الظهر وقال فقيل لسمرة هل كان يمد قال فمن أي شئ تعجب ما كان يمد الا من ههنا وأشار الى السماء (ومن ذلك حديث عبد الرحمن ابن أبي بكر) على ما في الصحيحين عنه (كنا عند النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ثلاثين) أي رجلا (ومائة) أي رجلا وهو لغة في مائة وثلاثين (وذكر) أي عبد الرحمن (في الحديث) أي في حديثه هذا (انه عجن صاع) من طعام بصيغة المفعول وفي نسخة عجن صاعا (من طعام وصنعت شاة) بصيغة التأنيث للمجهول ويحتمل المتكلم على بناء الفاعل وفي أصل الدلجي وصنع شاة أي فرغ من شأنها وهذا ايجاز بليغ اذ بسطه أن يقول وذبحت وسلخت وقطعت وهذا من كمال صانعه العادة ان يعجز واحد عن القيام بأمورها كلها فقد روى أن النبي صلى الله تعالى ٣٢ عليه وسلم كان في بعض أسفاره يأمر باصلاح شاة فقال رجل يا رسول الله على ذبحها وقال آخر على سلخها وقال آخر على طبخها فقال عليه الصلاة والسلام وعلى جمع الحطب فقالوا انا نكفيك فقال قد علمت انكم تكفونني ولكني أكره أن أتميز عنكم لان الله يكره من عبده ان يراه متميزا بين أصحابه وقام عليه الصلاة والسلام وجمع الحطب في ذلك المقام (فشوى سواد بطنها) على بناء المفعول ويحتمل الفاعل والمراد بسواد بطنها كبدها خاصة أو معاليقها مما في جوفها واختاره الهروي والنووي الاول وخص الكبد لانه أصل الحياة وقيل القلب (قال) وفي نسخة ثم قال أي عبد الرحمن (وأيم الله) بهمزة وصل أو قطع وضم الميم ويكسر وهو ألفاظ من ألفاظ القسم كعمر الله وعهد الله وأصله وأيمن الله كما في نسخة وهو جمع يمين والمعنى أقسم ببركة الله وقدرته وقوته (مامن الثلاثين ومائتين) أي أحد (الا وقد حزله) بفتح الحاء وتشديد الزاي (حزة) بفتح الحاء وتضم أي قطع له قطعة من سواد بطنها قال الحلبي قوله حزة بفتح الحاء في النسخة التي وقفت عليها ولا أعرفها ولا أحفظها الا بالضم وهي القطعة المحزوزة وأما بالفتح فالمرة من الحز وليست المراد هنا انما المراد القطعة انتهى ولا يخفى ان الظاهر ان المرة من الحز هو المراد في هذا المقام والله تعالى أعلم بالمرام ثم رأيت الشمني جوز الوجهين فتم النظام (ثم جعل) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (منها) أي من لحم الشاة وما معه من الطعام (قصعتين) أي جفنتين كبيرتين (فاكلنا أجمعون وفضل) بفتح الضاد في الماضي وضمها في المستقبل وبكسرها في الماضي وفتحها في المضارع أي وزاد (في القصعتين) وقيل الاول من الفضل في السودد والثاني من الفضلة وهي بقية الشئ وقد سوى بينهما الجوهري حيث قال فضل منه شئ مثل دخل يدخل وفيه لغة أخرى مثل حذر يحذر

بنيان الآتي هنا (بقصعة) بفتح القاف ولا تكسر القصعة (فيها لحم) مطبوخ (فتعاقبوها) أي دخل جماعة من الصحابة بعد جماعة لان كلا منهم أتى على عقب بعض أي من غير فاصل بينهم لانه محل الاعجاز (من غدوة حتى الليل) بالجر ويجوز رفعه ونصبه (يقوم قوم ويقعد آخرون) تفسير لما قبله من تعاقب القوم وقيل عليه المعروف من حديث سمرة من غدوة الى الظهر فيقوم قوم ويقعد قوم آخرون قال فقيل لسمرة هل كان يمد قال فمن أي شئ تعجب ما كان الا من هنا وأشار الى السماء (ومن ذلك حديث عبد الرحمن بن أبي بكر) الصديق رضي الله تعالى عنهما أي من معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم في تكثير الطعام ببركته وهذا الحديث رواه الشيخان في صحيحيهما (كنا مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) ضمير كنا له مع غيره من الصحابة وخبر كان (ثلاثين ومائة) ومع النبي حال من اسم كان أوهما خبران أي خبر بعد خبر (وذكر في الحديث انه عجن صاعا من طعام) روى ببناء عجن للفاعل ونصب صاعا وببنائه للمفعول ورفعه وصنعت بمعنى طبخت في قوله (وصنعت شاة فشوى) ببناء المفعول (سواد بطنها) المراد به الكبد خاصة أو حشوها مطلقا والاول أظهر (قال) أي عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله تعالى عنهما (وأيم الله) قسم كعهد الله وهو مبتدأ خبره محذوف تقديره قسمي فهو مرفوع وجوز بعضهم جره بواو القسم وفيه لغات كثيرة وهمزته همزة وصل وهو اسم وقيل حرف وقيل انه في الاصل جمع يمين والكلام عليه مفصل في باب القسم ولا يجر بالاضافة بعده الا لفظ الله وجوز ابن مالك جر غيره (مامن الثلاثين ومائة) احد (الا وقد حزله حزة) بفتح الحاء المهملة والزاي المعجمة المشددة والحز هو القطع بالسكين والحزة بالضم القطعة من اللحم (من سواد بطنها) أي كبدها كما مر والحز بعينه بحسب الظاهر وهو أنسب بمحل الاستشهاد لكفاية الكبد لهم في تفريقها عليهم (ثم جعل منها) أي طبخ من الشاة ما جعل ملئ (قصعتين فأكلنا أجمعون) بالرفع تأكيد لاسم كان من غير أن يكون تابعا للكل كقوله لاغوينهم أجمعين (وفضل في القصعتين) أي فضل من لحمها مقدار في

القصعتين

(فحمله) أي ذلك الزائد (على البعير ومن ذلك حديث عبد الرحمن ابن أبي عمرة الانصاري عن أبيه) أي أبي عمرة وهو أنصاري بدري له حديث في بركة الطعام في بعض غزواته عليه الصلاة والسلام رواه عنه ابنه عبد الرحمن قال ابن المنذر قتل أبو عمرة مع علي رضي الله تعالى عنه بصفين أخرج له النسائي فقط كذا قرره الحلبي وقال الدلجي حديثه هذا رواه ابن سعد والبيهقي عنه انتهى وليس بينهما تناف اذ حصر الاول بالنسبة الى صحاح الستة وهما خارجان عنهم البتة (ومثله) أي مثل مروي عبد الرحمن (عن سلمة بن الاكوع وأبي هريرة) كما رواه البخاري عنهما (وعمر بن الخطاب) كما رواه أبو يعلى بسند جيد عنه (فذكروا) أي هؤلاء الثلاثة (مخمصة) بفتح الميمين أي مجاعة شديدة (أصابت الناس مع رسول الله

صلى الله تعالى عليه وسلم في بعض مغازيه فدعا ببقية الازواد) جمع الزاد والباء زائدة كما في نسخة أي فطلبها ليبرك فيها فتكثر كميتها أو كيفيتها (فجاء الرجل بالحثية من الطعام) بفتح الحاء المهملة وسكون المثلثة فتحتية أي باليسير منه ويكون قدر الغرفة وفي نسخة بضم الخاء المعجمة وسكون الباء الموحدة فنون فتاء وهي ما يحمل في الحضن (وفوق ذلك) أي في الكثرة أو القلة (وأعلاهم) أي في الزيادة (الذي يأتي بالصاع من التمر فجمع على نطع) بكسر النون وفتحها مع سكون الطاء وبفتحتين وكعنب بساط من الادم كذا في القاموس وقال الحلبي تلميذه أفصحهن كسر النون وفتح الطاء انتهى وتبعه الشمني وهو خلاف ما يتبادر عن عبارة القاموس وكذا هو على خلاف ما هو المشهور على السنة العامة من فتح النون وسكون الطاء مع انه أخف أنواع هذه اللغة هذا وقد وقع في أصل الدلجي فجعله باللام بدل فجمعه بالميم فاحتاج لقوله أي ما جمع من الازواد والظاهر انه تصحيف والله تعالى أعلم بالمراد (وقال سلمة فحزرته) بفتح الحاء المهملة والزاي فسكون الراء أي خمنته وقدرته (كربضة العنز) بفتح الراء وسكون الموحدة فمعجمة وقيل بكسر الراء وصوب لانه للهيئة والفتح للمرة أي مثل جثتها اذا بركت والعنز هي الانثى من المعز وأشار سلمة بهذا الى قلة التمر

القصعتين بعد ما أكلوا حتى شبعوا وقد صرح به في الصحيحين قيل ولو ذكره المصنف رحمه الله تعالى كان أولى لانه محل الشاهد وفضل بمعنى بقي فيه ثلاث لغات كدخل يدخل وعلم يعلم بالكسر في الماضي وضم عين المضارع وهي شاذة أو من التداخل فان كان من الفضيلة فبالفتح والضم لا غير (فحملته على البعير) فيه اشارة لكثرة ما بقي بعد أكلهم كلهم (ومن ذلك) أي من معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم في تكثير الطعام ببركته صلى الله عليه وسلم ما رواه ابن سعد والبيهقي وصححاه (حديث عبد الرحمن بن أبي عمرة) بفتح العين وسكون الميم وراء مهملة (الانصاري عن أبيه) أبي عمرة بشير بن عمرو بن محصن الانصاري البخاري الصحابي البدري قتل مع علي كرم الله وجهه بصفين وفي اسم أبي عمرة اختلاف وابنه عبد الرحمن أخرج له أصحاب الكتب الستة الا الدارقطني فقط وهو ثقة وهذا الحديث مروي في بعض غزواته صلى الله تعالى عليه وسلم (ومثله) أي مثل حديث عبد الرحمن (لسلمة بن الاكوع وأبي هريرة) في مسلم (وعمر بن الخطاب) ورواه أبو يعلى بسند جيد (فذكروا) أي هؤلاء (مخمصة) بفتح الميمين بينهما خاء معجمة ساكنة ثم صاد مهملة وهي الجوع من الخمص وهو خلو البطن من الطعام أي مجاعة (أصابت الناس مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في بعض مغازيه) جمع مغزاة بمعنى موضع الغزو أو هو بمعنى الغزو نفسه واختلف في هذه الغزوة والذي في مسلم خرجنا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في غزوة وفي دلائل النبوة انه في غزوة غطفان وفي غيره عن ابن عباس انه في مرجعهم من الحديبية كلمه بعض أصحابه وقالوا جهدنا وفي الناس ظهر فانحره لنا الحديث فالقصة وقعت مرتين (فدعا ببقية الازواد) أي طلب من كل رجل منهم ان يأتي بما بقي عنده من زاده (فجاء الرجل بالحثية) بفتح الحاء المهملة وسكون الثاء المثلثة والمثناة التحتية ويقال حثوة بالواو لانه يقال حثى يحثي وحثا يحثو وهي والحفنة بالفاء والنون بمعنى وهو ما يملأ اليدين معا وقيل بالفاء في اليدين وبالثاني أحدهما وروي بالخبنة بخاء معجمة مضمومة وبعدها موحدة تحتية ساكنة ونون وهي ما يحمل في الحضن تحت الكشح والاول أشهر وأظهر وتعريف الرجل هنا للعهد الذهني كادخل السوق وليس المراد به رجل معين (من الطعام) اليسير الذي بقي عنده (وفوق ذلك) أي أزيد منه بيسير (وأعلاهم) أي أكثرهم زادا وبقية (الذي يأتي بالصاع من التمر فجعله) أي وضع ما اجتمع من الازواد (على نطع) بكسر النون وفتح الطاء المهملة بزنة عنب بساط من أدم وفيه لغات أربع هذه أفصحها وبفتح نونه مع فتح الطاء وسكونها وبكسر نونه مع سكون الطاء (قال سلمة فحزرته) بحاء مهملة وزاي معجمة وراء مهملة أي قدرته بطريق الحدس والتخمين (كربضة العنز) براء مهملة مفتوحة وقيل انها مكسورة لا غير لان المراد بيان الهيئة وموحدة وضاد معجمة

(ثم دعا الناس) أي طلب النبي صلى الله عليه وسلم (باوعيتهم) الاوعية والازود واحد وقوله في نص الحديث حتى ملأ القوم أزودتهم قال القاضي في الاكمال كذا الرواية فيه في جميع أصول شيوخنا والازودة هي الاوعية كما قال في الحديث الآخر أوعيتهم (فما بقي في الجيش وعاء) بكسر الواو أي ظرف واناء (الاملأوه وبقي منه) أي قدر ما جعل كما في نسخة أي جمع أولا (وأكثر) أي وقد يقال أكثر (ولو ورده أهل الارض لكفاهم) أي لما فيه من خير كثير ولعل هذا معنى قوله تعالى بقية الله خير لكم (وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه) كما روى ابن أبي شيبة والطبراني في الاوسط بسند جيد انه قال (أمرني النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان أدعواه) أي أطلب أنا لاجله (أهل الصفة) بالضم والتشديد أي من فقراء المهاجرين وكانوا كثيرين ممن لم يكن له منزل فأووا موضعا مظللا من مسجده صلى الله تعالى عليه وسلم فعن ابن سعد

بسنده الى أبي هريرة قال رأيت ثلاثين رجلا من أهل الصفة يصلون خلف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ليس عليهم أردية ثم قال أبو الفتح اليعمري منهم أبو هريرة وأبو ذر وواثلة ابن الاسقع وفي صحيح البخاري من حديث أبي هريرة لقد رأيت سبعين رجلا من أهل الصفة وقد عد من أهل الصفة أبو نعيم في الحلية مائة ونيفا فيهم أبو هريرة وابن الاسقع وأصحاب بشر معوية وفي عوارف المعارف للسهروردي انهم كانوا نحو أربعمائة والله تعالى أعلم وعد منهم سعد ابن أبي وقاص وعمار بن ياسر وعقبة ابن عامر وسلمان و بلال وصهيب وحذيفة وغيرهم قال في نظم الدرر وأهل الصفة أضياف الاسلام لا يأوون على أهل ولا مال ولا على أحد اذا أتت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم صدقة بعث بها اليهم ولم يتناول منها شيئا واذا أتته هدية أرسلها اليهم وأشركهم فيها وقال صاحب الكشاف أصحاب الصفة كانوا نحو أربعمائة رجل من مهاجري قريش لم يكن لهم مسكن في المدينة ولا عشيرة كانوا في صفة المسجد يتعلمون القرآن بالليل و يرضخون النوى بالنهار وكانوا يخرجون في كل سرية بعثها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومن كان عنده فضل طعام أتى بهم اذا أمسى (فتتبعتهم) بتشديد الموحدة أي فتفحصتهم (حتى جمعتهم فوضعت بين أيدينا صحفة) أي قصعة مبسوطة (فأكلنا منها ماشئنا وفرغنا وهي مثلها) حين وضعت يعني انها ما زادت ولا نقصت (الا ان فيها أثر الاصابع) أي أصابع الآكلين فانها ازدادت

من الربوض وهو كالجلوس في الانسان والبروك للابل والجثوم للطير أي مقداره مقدار جثة عنز باركة على الارض أو هو تقدير لموضع من النطع بموضع ربوضها (ثم دعا الناس باوعيتهم) أي طلب مجيئهم ومعهم أوعيتهم ليأخذوا مما اجتمع عنده في الحديث حتى ملأ وأزودتهم قال المصنف في الاكمال كذا الرواية عن جميع شيوخنا والازودة بمعنى الاوعية كما سميت الاسقية روايا وورد أيضا جاؤا باوعيتهم (فما بقي في الجيش وعاء الاملؤه) مما اجتمع عنده (وبقي منه) أي فضل منه بقية بعدما أخذ الجميع كفايتهم والمصنف اقتصر على محل الشاهد من الحديث لطوله وفيه انهم أكلوا حتى شبعوا ثم حشوا في أوعيتهم وقبله انهم لما أصابهم الجوع قال له بعضهم لو أمرتنا فنحرنا نواضحنا أي ابلنا فقال افعلوا فقال عمر رضي الله تعالى عنه ان فعلوا قل الظهر يعني ما يركب ولكن ادع بفضل أزوادهم فجعل الرجل يجيء بكف ذرة والآخر بكف تمر والآخر بكسرة حتى اجتمع على النطع فدعا بالبركة وقال خذوا فأخذوا كلهم وفضلت فضلة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أشهد أن لا اله الا الله واني رسول الله الحديث (وعن أبي هريرة) في حديث رواه ابن أبي شيبة والطبراني بسند جيد (أمرني رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أن أدعو له أهل الصفة) تقدم ان الصفة محل مرتفع في الدار والمسجد وغيره مفرز عن غيره للجلوس فيه وكان في مسجده صلى الله تعالى عليه وسلم محل كذلك فيه المنقطعون عنده صلى الله تعالى عليه وسلم من فقراء الصحابة الاغراب وغيرهم كسلمان وأبي ذر قال أبو نعيم في الحلية كانوا نيفا ومائة وفي عوارف المعارف انهم كانوا نحو الاربعمائة ونحوه في الكشاف ولا ينافيه ما روى انه روى منهم نحو ثلاثين رجلا يصلون مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بلا أردية وهؤلاء هم صفوة خلق الله هنيئا لهم وانا نتوسل الى الله تعالى بهم ان يجعلنا في بركتهم (فتتبعتهم) أي ذهبت لكل واحد منهم في مكان كان فيه لانهم في النهار يتفرقون في المدينة لان كل أحد لا يخلو من حاجة يذهب لها (حتى جمعتهم) عند النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (فوضعت) بالبناء للمجهول (بين أيدينا صحفة) بالرفع نائب الفاعل وهي اناء بين الصغير والكبير يعد للطعام (وأكلنا ماشئنا وفرغنا) أي حتى شبعنا وانتهت ارادتنا للاكل (وهي مثل ما وضعت) جملة حالية أي وهي مملوءة بما فيها كما كانت حين وضعت بين أيدينا (الا ان فيها أثر الاصابع) أي أصابع من أكل منها وهذا تشبيه لحالها بعد الاكل بحالها قبله فليس فيه تشبيه الشيء بنفسه كما لا يخفى وكان أهل الصفة يسمون أضياف الاسلام

لان

(وعن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه) كما رواه أحمد والبيهقي بسند جيد انه (قال جمع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بني عبد المطلب وكانوا أربعين) أي رجلا (منهم قوم) أي بعض (يأكلون الجذعة) أي الشاة الجذعة وهي بفتح الجيم وسكون الذال المعجمة الداخلة في السنة الثانية اذا كانت من المعز وما أتى عليه ثمانية أشهر من الضأن قبل والمراد بها هنا الابل كما ورد مفسرا في بعض الاحاديث وهو منها ما يدخل في الخامسة أو الرابعة (ويشربون الفرق) بفتح ٣٥ الفاء والراء وتسكن مكيال يسع ثلاثة أصبع بكيل الحجاز وقيل اناء يسع اثني عشر صاعا بصاع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وذلك ستة عشر رطلا (فصنع لهم مدا من الطعام) أي قدر مد وهو بضم الميم مكيال وهو رطلان ورطل وثلث أو ملء كفي الانسان المعتدل اذا ملأهما ومد يده بهما وبه سمي مدا قال صاحب القاموس وقد جربت ذلك فوجدته صحيحا (فأكلوا) أي منه (حتى شبعوا وبقي كما هو) أي كأن لم يؤكل شئ منه (ثم دعا بعس) بضم عين وتشديد سين مهملتين قدح كبير من خشب يروي الثلاثة والاربعة من لبن (فشربوا حتى رووا) بضم الواو (وبقي كأنه لم يشرب منه) أي شئ (وقال أنس) أي على ما رواه الشيخان واللفظ لمسلم (ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حين ابتنى) أي تزوج ودخل (بزينب) أي بنت جحش قال الحلبي المعروف ان مثل هذه القصة اتفقت في بنائه بصفية وفي شرح مسلم للمصنف ان الراوي أدخل قصة في قصة وقال بعضهم في حديث الصحيح يحتمل انه اتفق الشيآن يعني الشاة والحيس (أمره) أي أنسا (ان يدعو له قوما سماهم) أي جماعة بأسمائهم وخصهم ثم عمهم بعطف وغيرهم حيث قال (وكل من لقيت) أي فدعوتهم (حتى امتلأ البيت

لان أكثرهم أعراب وقال أكلنا بضمير المتكلم مع الغير لان أبا هريرة منهم (وعن علي بن أبي طالب) في حديث رواه أحمد والبيهقي بسند جيد (جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بني عبد المطلب وكانوا أربعين) رجلا وهذا كان بمكة في ابتداء البعثة (منهم قوم) هو في الاصل مصدر قام ثم صار اسم جمع للرجال خاصة لقيامهم بالامور (يأكلون الجذعة) بفتح الجيم والذال المعجمة والعين المهملة وهي من البقر والغنم ما تم له سنة وقيل انه في البقر ما دخل في الثالثة والمراد هنا الاول أي أقل ما يكفيهم كما يقال لمن دونهما كله رأس (ويشربون الفرق) بفتح الفاء والراء المهملة ويجوز تسكينها وهو مكيال يسع ثلاثة آصع وهو ستة عشر رطلا كما تقدم أي يرويهم ما فيه وفي النسخ هنا اختلاف ففي بعضها بني عبد المطلب منهم من يأكل جذعة بني عبد المطلب منهم قوم يأكل الجذعة وفي بعضها منهم قوم يأكل وفي بعضها منهم قوم يأكلون وهذه أقرب وفي التي قبلها قلق ما وقال التلمساني المراد بالجذعة جذعة الابل كما ورد مفسرا في بعض الروايات وهي التي تدخل في الخامسة (فصنع لهم مدا من طعام) أي طبخه وسواه (فأكلوا حتى شبعوا وبقي كما هو) ما موصولة وهو مبتدأ خبره محذوف أي قبل الاكل والجملة صلة والمراد انه لم ينقص كأنه ما أكل منه شئ (ثم دعا بعس) بضم المهملة وتشديد السين المهملة وهو قدح من خشب يروي الثلاثة والاربعة والمعنى بعس من لبن طلبه من أهله لهم (فشربوا) من العس (حتى رووا) أي تم شربهم منه (وبقي كأنه لم يشرب) منه شئ وتفصيله كما في الدلائل للبيهقي وغيره بسند صحيح انه لما نزل عليه صلى الله تعالى عليه وسلم قوله تعالى وانذر عشيرتك الاقربين الآية قال صلى الله تعالى عليه وسلم ان بدأت قومي بها رأيت منهم ما أكره فصمت فجاء جبريل عليه الصلاة والسلام فقال يا محمد ان لم تفعل ما أمرك به ربك عذبك فدعا عليا رضي الله تعالى عنه وأخبره بذلك وبما قاله جبريل له ثم قال له فاصنع طعاما واعد لنا عس لبن ثم اجمع بني المطلب وهم نحو أربعين من أعمامه فلما اجتمعوا اقدم لهم الطعام وقال كلوا بسم الله فأكلوا ثم شربوا فلما أراد أن يكلمهم قال أبو لهب سحركم محمد فتفرقوا ولم يكلمهم فلما كان في الغد فعل مثل ذلك فلما أراد ان يكلمهم تفرقوا وفي الثالثة قال لهم يا بني عبد المطلب انه لم يجئكم أحد بأفضل مما جئتكم به اني قد جئتكم بأمر الدنيا والآخرة الى آخر الحديث والذي في البخاري عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه لما نزلت صعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على الصفا ونادى يا بني فهر يا بني عدي ويا بطون قريش حتى اجتمعوا الى آخره ولعل ذلك تكرر فخصص أولا ثم عمم (وقال أنس) رضي الله تعالى عنه في حديث رواه الشيخان واللفظ لمسلم (ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لما) وفي نسخة حين (ابتنى بزينب) بنت جحش أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها وهو افتعال من البناء وهو التزوج هنا ويقال بنى بها وعليها (أمره) أي أمر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنسا (ان يدعو له قوما سماهم) أي عينهم بأسمائهم (وكل من لقيت) بتاء الخطاب ومن منصوبة محلا بمقدر أي قال له صلى الله تعالى عليه وسلم ادعهم وادع كل من لقيته من غيرهم فهو تعميم بعد تخصيص لمن اعتنى به فدعاهم أو فقال فدعوتهم (حتى امتلأ البيت) بالناس

والحجرة) وهي موضع منفرد عنه وقيل يريد بالبيت الصفة وهكذا جاء مفسرا في حديث أنس الآتي في آخر هذا الفصل وهو قوله تزوج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وصنعت أم سليم حيسا الى قوله حتى ملأوا الصفة والحجرة الحديث وكانت لكل واحد من نسائه صلى الله تعالى عليه وسلم حجرة هي بيتها (فقدم) وفي نسخة وقدم (لهم تورا) بفتح الفوقية اناء من صفر أو حجارة كالاجانة وهي التي تسمى مركنا طستا أو سطلا وقيل كان (فيه قدر مد من تمر جعل حيسا) أي بضم سمن واقط اليه وربما يجعل عوضا عن الاقط دقيق أو فتيت أو سويق (فوضعه) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (قدامه) أي بين يديه (وغمس ثلاث أصابعه) أي فيه (وجعل القوم) أي شرعوا (يتغدون) بتشديد الدال المهملة المفتوحة من الغداء وهو خلاف العشاء وفي نسخة بالذال المعجمة وهو ما يؤكل أعم من العشاء والغداء قال الحلبي في النسخة التي وقفت عليها بالذال المعجمة وهو غير مناسب لان الغذاء بكسر الغين وبالذال المعجمتين أعم من الغداء بفتح الغين وبالدال المهملة وفي صحيح مسلم فدعا الناس بعد ارتفاع النهار فذكر القصة وفيه أيضا من حديث أطعمنا الخبز واللحم حين امتد ٣٦ النهار أي ارتفع وهذا صريح في ان ذلك كان في صدر النهار يعني فيناسب الدال المهملة لكن فيه ان المعنى الاخص مندرج في المعنى الاعم والله تعالى أعلم (ويخرجون) أي حتى خرج آخرهم (وبقي التور) أي بما فيه (نحوا مما كان) وهو تمييز لنسبة بقي أو حال من التور (وكانوا) وفي نسخة وكان القوم (احدا أو اثنين وسبعين) وفي أصل الدلجي أحدا وثلاثين أو اثنين وسبعين (وفي رواية أخرى في هذه القصة) أي قصة وليمة زينب (أو مثلها) أي أو في مثل هذه القصة وهي قصة وليمة صفية (ان القوم كانوا زهاء ثلاثمائة) بضم الزاي أي قدرها (وانهم أكلوا حتى شبعوا) بكسر الباء (وقال لي) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بعد ان شبعوا (ارفع) أي التور وفي أصل التلمساني لترفع بلام الامر وتاء المخاطب وهو قليل ومنه قوله تعالى فبذلك فلتفرحوا في قراءة شاذة ومنه قوله عليه الصلاة والسلام لتاخذوا مصافكم هذا وعن ابن عمر مرفوعا اذا وضعت القصعة فليأكل كل أحد كم مما يليه ولا يتناول من ذروة القصعة فان البركة تأتيها من أعلاها ولا يقوم الرجل حتى ترفع المائدة ولا يرفع يده وان شبع حتى يرفع القوم وليعذر فان ذلك يخجل جليسه ولعله يكون له بالطعام حاجة رواه يحيى ابن أبي كثير عن عروة عن ابن عمر فرفعته (فلا أدري) وفي أصل الدلجي فما أدري (حين وضعت كانت أكثر أم حين رفعت) بصيغة التأنيث على بناء المجهول فيهما ولعل التأنيث باعتبار معنى التور من الاجانة ونحوها ولا يبعد أن يكون بصيغتي الفاعل للمتكلم على ان المفعول محذوف والتقدير وضعته ورفعته وأقول بل حين رفعت لحصول البركة وتعلق المعجزة حين رفعها بخلاف حال وضعها

وهذا

المراد به المنزل كله وقيل انه أراد به الصفة التي فيه كما ورد مصرحا به (والحجرة) هي بمعنى البيت والغرفة وكان لكل زوجة من أزواجه صلى الله تعالى عليه وسلم حجرة تخصها وأصل معنى الحجرة بقعة تفرز ببناء الحجر ثم عم (وقدم اليهم تورا) بمثناة فوقية مفتوحة وواو ساكنة وراء مهملة وهو اناء من صفر او حجارة كالاجانة أو كالقدح الذي يشرب فيه (فيه قدر مد من تمر) بيان للمد وقد تقدم تفسيره (جعل) بالبناء للمفعول (حيسا) مفعوله الثاني وهو بفتح الحاء المهملة وسكون المثناة التحتية والسين المهملة وهو تمر خلط بسمن واقط أو دقيق قال * التمر والسمن يقال الاقط * أو الدقيق الحيس لما يختلط وقال ابن قرقول انه قيل انه تمر ينزع نواه ويخلط بالسويق والاول أعرف وأصل معنى الحيس الخلط (فوضعه) صلى الله تعالى عليه وسلم والضمير للتور (قدامه) بين يديه (وغمس ثلاث أصابعه) أي أدخلها فيه لتحصل البركة وليطيب قلوبهم بما كله معهم والسنة ان يا كل بثلاث أصابع ففيه تعليم لهم (وجعل القوم يتغذون) بذال معجمة من الغذاء بمعجمتين وهو أعم من الغداء بالدال المهملة وفي مسلم انه دعا الناس بعد ارتفاع النهار فيصح أن يكون بالمهملة أيضا كما في المقتفى (ويخرجون) من الحجرة (وبقي التور نحوا) تمييز أو حال (مما كان) قبل الاكل منه لم ينقص نقصا كثيرا (وكان القوم أحدا أو اثنين وسبعين) رجلا وهو شك من الراوي وقيل ان هذه القصة في بنائه صلى الله تعالى عليه وسلم بصفية والراوي أدخل قصة في قصة وقيل يحتمل انه اتفق الشيآن من الشاة والحيس الذي لام سليم وفي قوله بقي التور تجوز أي بقي ما فيه (وفي رواية أخرى في هذه القصة) أي قصة وليمة زينب رضي الله تعالى عنها (أو مثلها) فيما ذكر من الطعام (ان القوم كانوا زهاء ثلاثمائة) أي مقدارهم (وانهم أكلوا حتى شبعوا وقال) لي بعد ما شبعوا (ارفع) التور من مكانه (فما أدري حين وضعت) بضم التاء للمتكلم أي حين وضعته أو بتاء التأنيث الساكنة كالتي في قوله (كانت) بالتانيث باعتبار انه آنية (أكثر أم حين رفعت) بالوجهين وروي لترفع بدل أرفع بلام الامر والخطاب والاول أولى وأفصح

وهذا حديث طويل في مسلم اختصره المصنف رحمه الله تعالى اقتصارا على محل الشاهد منه (وفي حديث جعفر) الصادق (عن أبيه محمد) الباقر (عن علي) بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه جد والد محمد أعني زين العابدين بن علي بن الحسين بن علي فهو حديث منقطع كما رواه ابن سعد رضي الله تعالى عنه فان كان عليا المذكور على الاصغر فالحديث مرسل أو معضل فهو ضعيف (ان فاطمة) الزهراء (طبخت قدرا) أي طعاما في قدر ففيه تجوز أو هو بتقدير مضاف أي طعام قدر (لغذاء) بالمعجمة وهو كل ما يؤكل في أي وقت أو بمهملة وهو ما يؤكل أول النهار أي لاجل غدائها وفي نسخة تتغذى به وفي نسخة لغدائهما (ووجهت عليا) أي أرسلته (الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي لجهته والمراد بيته (ليتغذى معها) وفي نسخة معهما (فامرها) أي قال لها اغرفي من القدر (فغرفت) بالغين المعجمة (لجميع نسائه) التسع المعروفة (صحفة صحفة) منصوب كتعلمت النحو بابا بابا والصحفة اناء صغير معروف (ثم له ولعلي) أي ثم غرفت له صلى الله عليه وسلم ولعلي (ثم لها) أي ثم غرفت لنفسها ما تتغذى به رضي الله عنها (ثم رفعت القدر) بعد ما غرفت لجميع من ذكر (وانها لتفيض) جملة حالية وتفيض بفاء وضاد معجمة من الفيض والمراد انه بعد ما غرف منه بقي مملوأ بطعام كثير يسيل من جوانبه ببركته صلى الله عليه وسلم وكأنها بعثت له صلى الله تعالى عليه وسلم ليجيئها ويأكل معها وحده فلم يأت وأمرها بما ذكر فيه لما فيه من مكارم الاخلاق والايثار (قالت) فاطمة رضي الله تعالى عنها (فأكلنا منها) أي أكلنا كلنا من طعامها والضمير للقدر لانها مؤنثة وقيل يجوز تذكيرها وتأنيثها فالمراد ان أهل فاطمة رضي الله تعالى عنها وأهل بيتها أكلوا مما بقي في القدر بعد ما فرقته (ما شاء الله) أي الذي أراده الله لنا أو مدة ارادة الله تعالى ذلك وهو كناية عن كثرة ذلك (وأمر) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث آخر (عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان يزود أربعمائة راكب) أي يعطيهم ما يكفيهم من الزاد (من أحمس) بزنة أحمر بحاء وسين مهملتين بينهما ميم اسم قوم من العرب وهم بطن من ضبيعة يقال لهم بنو حمس وهو من الحماسة وهي الشدة والصلابة ويقال لقريش الحمس لتصلبهم في دينهم في الجاهلية (فقال) عمر رضي الله تعالى عنه (يا رسول الله ما هي الأصوع) بفتح الهمزة وضم الواو ويجوز ان تبدل همزة كما في الصحاح وهو اناء يشرب فيه ومكيال معلوم وهو جمع صاع قال ابن قرقول فيه لغات صاع وصوع وصواع ويجمع على أصول وصيعان وفي كثير من الروايات أي في الحديث آصع بالمد والصواب أصوع انتهى وقوله والصواب أصوع غير مسلم واذا جاء نهر الله بطل نهر معقل وهو مبني على عدم صحة الاستدلال بالحديث في العربية وهو على الاطلاق فاسد أي قال عمر رضي الله تعالى عنه ليس التمر الذي عندي يكفي فانه أصوع قليلة فان الصاع مكيال يسع أربعة أمداد والمد رطل وثلث أو رطلان عراقيان على اختلاف فيه كما تقدم والضمير أعني هي راجع للاصوع وان تأخر لا للوديعة كما في قوله تعالى ان هي الا حياتنا الدنيا قال الزمخشري هذا ضمير لا يعلم ما يعنى به الا بما يتلوه وأصله ان الحياة الا حياتنا الدنيا ثم وضع الضمير موضع الحياة لان الخبر يدل عليها ويبينها ومنه قوله

(وفي حديث جعفر) أي الصادق (ابن محمد) أي الباقر (عن أبيه) أي أبي جعفر محمد (عن علي) أي ابن أبي طالب جده والد محمد وهو زين العابدين علي بن الحسين بن علي كذا رواه ابن سعد منقطعا لان محمدا ووالده لم يدركا عليا فقول الحلبي رواية الباقر عن علي مرسلة فيه نوع مسامحة (ان فاطمة طبخت قدرا) أي طعام قدر واذكرت المحل وارادت الحال (لغدائهما) بفتح الغين المعجمة والدال المهملة (ووجهت عليا) أي أرسلته (الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) وفي أصل التلمساني في النبي أي في طلبه والتوجيه اليه أو في بمعنى الى (ليتغدى معهما) أي فجاءها (فامرها ففرقت لجميع نسائه صحفة صحفة) وهن كن تسعا عائشة وحفصة وزينب وأم حبيبة وأم سلمة وسودة وميمونة قرشيات وصفية قرظية وجويرية مصطلقية (ثم له عليه الصلاة والسلام ثم لعلي ثم لها) أي ولاولادها أو لمن كان معها (ثم رفعت القدر وانها لتفيض) بفتح الفوقية أي لتفور وتسيل من جوانبها (قالت) أي فاطمة (فأكلنا) وفي نسخة وأكلنا (منها ما شاء الله) أي ان نأكل منها (وأمر) النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (عمر ابن الخطاب ان يزود) بتشديد الواو المكسورة أي يعطي الزاد (أربعمائة راكب من أحمس) بفتح الهمزة والميم اسم رجل نسب اليه قبيلة معروفة والحماسة الشجاعة والشدة في الديانة ولذا سميت قريش الحمس لتشددهم في دينهم وذلك انهم كانوا أيام منى لا يستظلون ولا يدخلون البيوت من أبوابها وفي رواية أربعمائة راكب من مزينة وهي قبيلة من مضر (فقال يا رسول الله ما هي الأصوع) بضم الواو جمع صاع قال الجوهري وان شئت أبدلت من الواو المضمومة همزة وفي نسخة آصع بهمزة ممدودة وصاد مضمومة قال ابن قرقول وجاء في كثير من الرواة آصع والصواب أصوع

(فقال اذهب) أي فزودهم منه (فذهب فزودهم منه وكان) أي الذي أعطاهم (قدر الفصيل) أي ولد الناقة اذا انفصل عن أمه أي فطم (الرابض) بكسر الموحدة أي الحقير أو البارك (من التمر وبقى) أي التمر بعد تزويدهم منه (بحاله) أي كأن لم يؤخذ منه شئ (من) أي هذا الحديث من (رواية دكين) بالتصغير وأوله دال وقيل راء (الاحمسي) رواها أبو داود في الادب الا انه قال عن دكين بن سعيد المزني قال أتينا النبي صلى الله تعالى ٣٨ عليه وسلم فسألناه الطعام أي الزاد فقال يا عمر اذهب فاعطهم فارتقى بنا الى علية بضم العين وتشديد اللام المكسورة فتحتية مشددة أي غرفة فاخذ المفتاح من حجزته بالزاي ففتح أي فاعطانا ما أعطانا قال الحلبي يقال له الاحمسي والمزني والخثعمي له صحبة وليس له في الكتب الا في سنن أبي داود وليس له فيه الا هذا الحديث وهو مختصر منه (ومن رواية جرير) يعني أيضا (ومثله من رواية النعمان) بضم النون (ابن مقرن) بتشديد الراء المكسورة وقيل بالسكون والتخفيف احمسي أيضا أسلم مع اخوته الستة وقال السهيلي بنو مقرن المزني هم البكاؤن الذين نزل فيهم قوله سبحانه وتعالى ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم الآية (الخبر) بالرفع أي الحديث هذا (بعينه) أي من غير زيادة ونقصان فيه على ما رواه أحمد والبيهقي بسند صحيح عنه (الا انه قال) أي النعمان (أربعمائة راكب من مزينة) أي كما مر عن أبي داود هذا والخبر مرفوع على انه خبر ومثله مبتدأ وأبعد الدلجي بقوله منصوب باعني (ومن ذلك) أي من قبيل تكثير الشئ اليسير كدعائه وعظمة ثنائه (حديث جابر في دين أبيه بعد موته) كما رواه البخاري عنه (وقد كان) أي جابر (بذل لغرماء أبيه أصل ماله) أي أراد ان يبذل لهم أو عرض عليهم ورضي لهم ان يأخذوا جميع ماله وبذل بالمعجمة أي أعطى وأما بالمهملة فبمعنى العوض (فلم يقبلوه) أي استحقارا لاصل ماله لعدم الوفاء بكماله كما بينه بقوله (ولم يكن في ثمرها سنتين) أي ثمر البساتين المعبر عنها باصل ماله أو ثمر نخيل جابر أو أبيه بكماله

* هي النفس ما حملتها تتحمل * وهي العرب تقول ما شاءت انتهى قال ابن مالك وهذا من جيد كلامه وفيه كلام في شرح التسهيل لا يسعه المقام (قال) صلى الله تعالى عليه وسلم لعمر رضي الله تعالى عنه (اذهب) وافعل ما أمرتك به ولا تبال بقلة ما عندك (فذهب) عمر (فزودهم منه) أي أعطاهم ما يكفي لهم من التمر الذي عنده (وكان) أي التمر (قدر الفصيل) هو ولد الناقة الصغير (الرابض) أي البارك على الارض وهو بيان لمقداره تخمينا (من التمر) بيان لقدر (وبقي بحاله) أي لم ينقص شيأ مع اعطائهم منه وهو من المعجزات (من رواية دكين) خبر مبتدأ مقدر أي وهذا الحديث من رواية دكين وهو بضم الدال المهملة وكاف مفتوحة ثم ياء تصغير ونون ورواه العزفي بالراء بدل الدال وقال انه الصحيح ودكين هو ابن سعيد بالتصغير وقيل سعد وقيل مسعد المزني وقيل الخثعمي وله صحبة وهذا الحديث رواه أبو داود في الادب قال أتينا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فسألناه الطعام فقال يا عمر اذهب فاعطهم فارتقى بنا الى علية فاخذ المفتاح من حجرته ففتح وليس له غير هذا الحديث ولم يروه غير أبي داود (الاحمسي) نسبة لبني أحمس قبيلة كما تقدم وهو صفة دكين (ومن رواية جرير) أي مثل رواية دكين ولم يخرجه (ومثله) أي مثل المروي المذكور ما أخرجه أحمد والبيهقي بسند صحيح (من رواية النعمان بن مقرن) بضم الميم وفتح القاف وكسر الراء المهملة المشددة وقيل القاف ساكنة والراء مخففة مكسورة وهي احمسي أيضا أو أحمس فخذ من مزينة وتقدم انهم من ضبيعة من نسل اد بن طابخة وللنعمان سبعة اخوة كلهم صحابة هم النعمان ومعقل وعقيل وسويد وسنان وعبد الرحمن ولم يسم السابع قال السهيلي بنو مقرن المزني هم البكاؤن الذين نزل فيهم * ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم الآية (الخبر بعينه) بالرفع والنصب والباء مزيدة في التأكيد يقال هذا عينه وبعينه كما ذكره وتلطف القائل متغزلا

فقلت فهذا قاتلي * بعينه وحاجبه

وزيادة حاجبه فيه من كلام المولدين لتوهمهم أولايهامهم انها الباصرة (الا انه قال) في هذه الرواية (أربعمائة راكب من مزينة) فزاد قوله من مزينة وكذا رواه أبو داود في سننه قيل واختلاف الروايات يدل على تعدد القصة وفيه شئ (ومن ذلك) أي من معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم في جعل القليل كثيرا (حديث جابر) بن عبد الله الانصاري رضي الله تعالى عنهما وهذا الحديث رواه البخاري (في دين أبيه بعد موته) أي في قصته لما مات أبوه وعليه دين أراد اداءه لغرمائه (وكان قد بذل) بموحدة وذال معجمة أي أعطى وهو مجاز بمعنى أراد بذله (لغرماء أبيه) جمع غريم وهو صاحب الدين الطالب له من الغرام وهو اللزوم كما قال تعالى ان عذابها كان غراما (أصل ماله) أراد باصل ماله بستانا ونخلا له كان يتقوت منه والمال في لسان العرب لا يختص بالنقود كما في العرف وشاع اطلاقه على الابل قديما كما يشير اليه قوله (فلم يقبلوه) اما لانه لا يفي بدينهم أو لعدم احتياجهم أو لانه لم يكن مرضيا لهم (ولم يكن في ثمرها) أنث الضمير الراجع للمال نظرا لمعناه لان المراد بها هنا النخيل جمع نخل وهي تؤنث والثمر بالمثلثة واحده ثمرة ولا حاجة لجعله راجعا لامواله المعلومة

(كفاف دينهم) بفتح الكاف أى وفاء لادائه قال الدلجى ومنه قول الحسن ابدأ بمن تعول ولا تلام على كفاف أى اذا لم يكن عندك كفاف فلا تلام على عدم اعطائه انتهى والكفاف قوت الرزق والاظهر ان المعنى فلا تلام على تحصيل ما يكفيك من المال عن السؤال وتشتت البال ثم صدر الكلام وهو قوله ابدأ بمن تعول من حديثه عليه الصلاة والسلام كما رواه الطبرانى عن حكيم بن حزام (فجاءه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بعد ان أمره) أى جابرا (بجدها) بفتح الجيم وتشديد الدال المهملة أى بقطع ثمرها (وجعلها بيادر فى أصولها) بفتح الموحدة وكسر الدال المهملة جمع بيدر أى جعلها كومات تحت نخيلها (فمشى فيها) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (ودعا) أى بالبركة فيه (فأوفى) أى أعطى (منه جابر غرماء أبيه وفضل) تقدم الكلام عليه وقال التلمسانى تثلث ضاده والكسر أعلى أى زاد (مثل ما كانوا يجدون) بضم الجيم وكسرها وتشديد الدال المهملة أى يقطعون (كل سنة وفى رواية مثل ما أعطاهم) أى فضل (قال) أى جابر (وكان الغرماء يهودى) خبر كان غير منصرف علم طائفة من اليهود (فعجبوا) بكسر الجيم أى فتعجبوا (من ذلك) أى لما عظم موقعه عندهم مع خفاء سببه اذ هو شأن العجب وسبب تعجبهم هو وفاء دينهم الكثير من الشئ اليسير مع زيادته بدعائه وبركته فان هذا وأمثاله مما ذكر سابقا ولاحقا من أعلى المعجزات وأعظم الكرامات (قال أبو هريرة) على ما رواه البيهقى عنه (أصاب الناس مخمصة) أى مجاعة شديدة (فقال لى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هل من شئ) أى أهل عندك بعض شئ فمن تبعيضية لا زائدة كما قاله الدلجى ثم تنكير شئ للتقليل فيفيد المبالغة فى المطالبة ولو شئ يسيرا وقدر حقير (قلت نعم) أى عندى (شئ) أى قليل (من التمر فى المزود) بكسر الميم وفتح الواو وعاء من جلد يجعل فيه الزاد

المعلومة من قوله مال ولا الى تفسيره بالفوائد مطلقا فيشمل الالبان والنتاج كما قيل ولا وجه له لما نسمعه فى الحديث وقوله (سنتين) مثنى سنة وفى نسخة سنين بصيغة الجمع والاول هو الصحيح (كفاف دينهم) بفتح الكاف بمعنى ما يفى به ويكفيه ومنه اللهم اجعل رزقى كفافا أى مقدار الكفاية وبفتحها معناه الخيار وهو غير مناسب هنا كقراءة تمر بمثناة فوقية وان صح معنى وسنتين ظرف مستقر لانه متعلق بثمر بالمعنى المصدرى حال من ثمر (فجاءه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بعد ان أمره بجذها) بفتح جيمه وذال معجمة ويجوز اهمالها وكلاهما بمعنى قطع الثمار وجمعها (وجعلها) بصيغة المصدر (بيادر) بمثناة تحتية ودال وراء مهملتين جمع بيدر بزنة حيدر وهو الموضع الذى يوضع فيه التمر لينشف والبر ونحوه ليخلص من تبنه والكوم من الطعام كالتمر والحنطة ويصح ارادة كل منهما هنا والظاهر الثانى والبيدر هو الجرين والجرن وأهل العراق يسمونه اندر وجمعه أنادر وفى المغرب يسمونه نادر وكانه غلط من الاندر (فى أصولها) أى جعلها كوما كوما فى أصول الثمار وهى النخل والمراد انه كونه فى حديقة نخله حتى يعلم مقدارها (فمشى فيها) النبى صلى الله عليه وسلم وفيه مضاف مقدر أى فى أرضها أو المراد ما بينها وفعل ذلك لتحصل البركة وينمو ما فيها (ودعا) الله تبارك وتعالى ان يبارك فيها فنمت وزادت (فأوفى منه جابر غرماء) أى أعطاهم مما فى البيدر مقدار حقهم بتمامه من قولهم أوفاه حقه ووفاه فاستوفاه وتوفاه أخذه بتمامه وضمير غرماه لابيه لعلمه مما تقدم أوله لقيامه مقامه فى اداء دينه وفى نسخة غرماء أبيه وهى ظاهرة (وفضل) أى بقى منه بعد ما أدى كل ذى حق حقه وهو مثلث الضاد المعجمة والفتح أفصح (مثل ما كانوا يجذون) بفتح المثناة التحتية وضم الجيم وتشديد الذال معجمة أو مهملة أى ما كانوا يقطعونه من ثمارها (كل سنة) أى فيها (وفى رواية مثل ما أعطاهم) أى بقى مثل ما أعطى غرماء أبيه وفيه زيادة كثيرة على ما فى الرواية الاولى من ان ثمرها لا يفى بدينهم فى سنتين أو سنين (قال) أى جابر رضى الله تعالى عنه (وكان الغرماء يهود) بالنصب خبر كان وهو ممنوع من الصرف لانه علم لهذه الطائفة وقد ينكر وينون (فعجبوا من ذلك) أى مما رأوه من كفاية ثمرها وزيادته مع انه كان لا يكفى فى سنين وهو من معجزاته صلى الله عليه وسلم العظيمة وهذا الحديث قد علمت انه فى البخارى وكذا فى غيره واقتصر المصنف رحمه الله على محل الشاهد منه وكان أبو جابر عبد الله استشهد بأحد وترك عليه دينا كثيرا وله ست بنات وكان الدين لرجل من اليهود كما علم ثلاثين وسقا فاستنظره جابر فلم ينظره فكلم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى ذلك فكلم اليهودى فلم يرض فأمره رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بما مر فأتاه وطاف ببيدره ثلاث مرات وأمره بان يكيل لهم فكال حتى وفى لهم ثلاثين وفضل سبعة عشر وفيه فلما حضر جذاذ النخل أتيته صلى الله تعالى عليه وسلم وفيه تصريح بان ماله حديقة نخل وهذا ما عندك به فلا تكن من الغافلين (وقال أبو هريرة) رضى الله عنه فى حديث رواه البيهقى مسندا (أصاب الناس مخمصة) أى جوع كما مر (فقال لى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هل) عندك (من شئ) من جنس الطعام ومن زائدة هنا لاطراد زيادتها بعد النفى والاستفهام وشئ مبتدأ خبره مقدر كما ذكرناه (قلت نعم شئ نصفين من التمر) قليل (فى المزود) بكسر الميم

(قال فأتني به) أي فأتيته به (فأدخل يده فأخرج قبضة) بفتح القاف أي مرة من القبض بمعنى مقبوضة كالغرفة بمعنى المغروفة وهي مأخوذة من القبض وهو الاخذ بجميع الكف وبالضم اسم للشئ المقبوض كالغرفة بالضم بمعنى المغروف والرواية بالفتح كما ذكر الحجازي وهو ملئ الكف قال الحلبي ويفتح أيضا ويؤيده ما في القاموس القبضة وضمه أكثر ما قبضت عليه من شئ هذا وفي نسخة بالصاد المهملة ففي القاموس قبصه تناوله بأطراف أصابعه وذلك المتناول القبصة بالفتح والضم والقبصة من الطعام ما حملت كفاك و بضم انتهى ولا يخفى ان هذا المبنى أبلغ في المعنى (فبسطها) أي يده (ودعا بالبركة) أي لما فيها (ثم قال ادع عشرة) أي فدعوتهم (فأكلوا حتى شبعوا ثم عشرة) بالنصب أي دعوتهم (كذلك) على ما في نسخة أي فأكلوا حتى شبعوا وهكذا بقية من هنالك (حتى أطعم الجيش كلهم وشبعوا) أي وتركوا فضلهم وقد سبقت الحكمة في الاقتصار على العشرة في الجفنة وقيل خصت العشرة لان لها فضلا حيث ان الله تعالى أقسم بها وفي العشر ليلة القدر وفيها ليلة النحر وفيها يوم عاشوراء وقال تعالى وأتممناها بعشر وقال تلك عشرة كاملة (وقال) وفي نسخة قال وفي نسخة ثم قال أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (خذ ما جئت به) أي مع الزيادة الحاصلة من البركة (وأدخل يدك) أي فيه (واقبض منه) بكسر الموحدة (ولا تكبه) بفتح التاء وضم الكاف وتشديد الموحدة المفتوحة وقد تضم أي لا تقلبه (فقبضت) أي فأخذت (على أكثر ما جئت به فأكلت منه وأطعمت) أي غيري أيضا (حياة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم)

وهو وعاء الزاد (قال فأتني به) فأتاه به أي بالمزود أو التمر (فأدخل يده) الشريفة في المزود (فأخرج منه (قبضة) بفتح القاف وهي المرة كالضربة أريد بها المقبوض من القبض وهو الاخذ بالكف وبالضم اسم المقبوض (فبسطها) أي وضعها مبسوطة متفرقة ليعلم قلتها (ودعا بالبركة) أي بان يبارك الله فيها حتى تزيد (ثم قال) صلى الله تعالى عليه وسلم بعد ما دعا (ادع عشرة) من الناس فدعاهم (فأكلوا حتى شبعوا) من ذلك التمر (ثم) قال ادع (عشرة كذلك) أي فدعوتهم فأكلوا حتى شبعوا وهكذا (حتى أطعم الجيش كلهم وشبعوا) وهذا يقتضي انه كان في بعض غزواته وقد صرح به في بعض الروايات وسيأتي (وقال) لي (خذ ما جئت به) لانه أطعمهم كلهم وبقي ما جاء به كما كان وهو محل الاستشهاد فانه أمره برفعه وان يأخذ كل ما أراد وقال له ولا تكبه ليبارك فيه كما مر (وأدخل يدك واقبض منه ولا تكبه فقبضت على أكثر مما جئت به) قال (فأكلت منه وأطعمت) أهلي ومن أردت اطعامه (حياة رسول الله) أي مدة حياته (صلى الله تعالى عليه وسلم و) في مدة حياة (أبي بكر وعمر الى ان قتل عثمان) بن عفان رضي الله تعالى عنهم (فانتهب مني) بالبناء للمجهول أي نهبه الناس وأغاروا عليه فأخذوه في زمن الفتنة (فذهب) أي عدم ولم يبق منه شئ ولولا ذلك لكفاه مدة حياته لما فيه من البركة (وفي رواية) رواها الترمذي في سننه وحسنها عن أبي هريرة رضي الله عنه (فقد حملت من ذلك التمر) الذي أعطانيه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أي جعلته محمولا معي في اسفاري (كذا وكذا) كناية عن مقدار ما حمله (من وسق) بيان لكذا وكذا والوسق حمل بعير كما مر (في سبيل الله) أي من أسفاري غازيا وسبيل الله الطريق الموصلة اليه فاذا أطلق فالمراد به ما ذكر وفي رواية فلقد حملت بلام القسم وكان يعلقه خلف رحله وكان يقول أصبت بثلاث مصائب لم أصب بمثلهن موت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقتل عثمان وذهاب مزودي وروى هذا الحديث بطريق آخر قريبة مما هنا (وذكرت مثل هذه الحكاية) بالبناء للمجهول وأنث لانه اكتسب التأنيث من المضاف اليه وفي نسخة وذكر (في غزوة تبوك وان التمر كان بضعة عشر تمرة) ذكره لانه أبلغ في المعجزة لغاية قلته (ومنه) أي من تكثير الطعام ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم (أيضا حديث أبي هريرة) رضي الله تعالى عنه الذي رواه البخاري (حين أصابه الجوع) وعلمه منه صلى الله تعالى عليه وسلم (فاستتبعه النبي صلى الله عليه وسلم) أي طلب منه ان يتبعه فقال له اتبعني وكن ماشيا معي فتبعه (فوجد لبنا في قدح) في بيته (قد أهدى اليه) صلى الله

تعالى

أي مدة حياته (وأبي بكر وعمر الى ان قتل عثمان) وهو عام خمس وثلاثين (فانتهب مني) بصيغة المجهول أي سلب (فذهب) أي فاستمر غائبا عني في المكان ولعل فقده حينئذ لفساد الزمان (وفي رواية) أي حسنة للترمذي (لقد) وفي نسخة فقد (حملت من ذلك التمر كذا وكذا) كناية عن تعدد مقدار ما حمله (من وسق في سبيل الله عز وجل وذكرت مثل هذه الحكاية في غزوة تبوك) أي من الرواية (وان التمر) بكسر الهمزة والجملة حالية (كان بضع عشرة تمرة) وروى بضعة عشرة والاول أولى (ومنه) أي ومن تكثير الطعام ببركة دعائه عليه الصلاة والسلام (أيضا) كما في نسخة أي كما وقع مكررا في مقام المرام (حديث أبي هريرة) كما رواه البخاري (حين أصابه الجوع) يعني أبا هريرة (فاستتبعه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي فأمره ان يتبعه فتبعه (فوجد) أي النبي أو أبو هريرة (لبنا) أي قليلا (في قدح) أي صغير (قد أهدى اليه) أي الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم

(وأمره) أي أباهريرة (ان يدعو أهل الصفة) أي بقيتهم اليه (قال) أبو هريرة رضي الله تعالى عنه (فقلت) أي في نفسي (ماهذا اللبن) أي ما تأثيره (فيهم) والاستفهام بمعنى النفي أي لا يغني من شبعهم شيأ (كنت) أي أنا وحدي (أحق ان أصيب منه شربة) أي مرة واحدة وأغرب التلمساني في قوله بضم الشين (أتقوى بها) يعني ولعلها تكفيني أم لا ومع هذا امتثلت الامر (فدعوتهم) أي فحضروا (وذكر) أي أبو هريرة (أمر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم له ان يسقيهم) بفتح الياء الاولى وضمها ولفظ الدلجي وأمرني ان أسقيهم ولعله نقل بالمعنى وتغيير في المبنى (فجعلت) أي شرعت (أعطي الرجل فيشرب حتى يروى) بفتح الياء والواو (ثم يأخذ الآخر) أي فيشرب (حتى) يروى وهكذا حتى (روي جميعهم) بكسر الواو ولفظ الدلجي حتى رووا جميعهم بضم الواو على صيغة الجمع (قال) أي أبو هريرة (فأخذ النبي صلى الله تعالى عليه وسلم القدح) أي قدح اللبن (وقال بقيت أنا) تأكيد لضمير بقيت ليصح عليه عطف قوله (وأنت) نحو قوله تعالى أسكن أنت وزوجك الجنة (أقعد) أمر أدب (فاشرب فشربت ثم قال اشرب) أي فشربت كما في أصل الدلجي (وما زال يقولها) أي كلمة اشرب (وأشرب حتى قلت لا) أي لا أشرب ٤١ أولا أقدر على زيادة الشرب (والذي بعثك بالحق) أي الى كافة الخلق (ما أجد) وفي نسخة صحيحة لا أجد (له مسلكا) أي مساغا وهو يحتمل ان يكون جوابا للقسم أو مستأنفا مبينا لامتناعه كأنه علة له (فأخذ) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (القدح فحمد الله) أي على ما منحه من البركة (وسمى وشرب الفضلة) أي البقية وفيه ايذان بان أفضل القوم يكون آخرهم شربا ذكره الدلجي وفي الحديث ساقي القوم آخرهم شربا رواه الترمذي وابن ماجه عن أبي قتادة وغيرهما عن غيره وفيه تنبيه أيضا على وجه

تعالى عليه وسلم (وأمره ان يدعو أهل الصفة) ليكونوا تابعين معه وهم فقراء المهاجرين الذين تقدم بيانهم (قال فقلت ما) موقع (هذا اللبن فيهم) وما مقداره القليل كاف لهم (كنت أحق) منهم لشدة جوعي وما علمه الرسول من حالي (ان أصيب منه شربة) أي من ذلك اللبن (أتقوى بها) أي يكون فيها تقوية لضعفي بجوعي وليس هذا انكارا على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لانه لا يليق بمثله فهو اما تعجب منه لما استغرب قبل مشاهدة الحقيقة ومثله من الخواطر لا يؤاخذ بها وقيل غايته انه ارتكب خلاف الاولى ولا حاجة لمثله (فدعوتهم) الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (و) بعد حضورهم (أمرني ان أسقيهم) وفي نسخة وذكر أمر النبي صلى الله عليه وسلم ان يسقيهم (فجعلت) أي شرعت (أعطي الرجل) منهم (فيشرب) بالنصب (حتى يروى) بفتح المثناة أي يروي عطشه (ثم يأخذه الآخر) أي فيشرب حتى يروى وهكذا (حتى روي جميعهم) أي جميع أهل الصفة (قال) أبو هريرة رضي الله تعالى عنه (فأخذ النبي صلى الله تعالى عليه وسلم القدح) الذي فيه اللبن وهذا القدح يحتمل ان يكون لصاحب اللبن الذي أهداه له أو هو من أقداحه صلى الله تعالى عليه وسلم صب فيه اللبن الذي جاءه (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم لابي هريرة رضي الله تعالى عنه (بقيت أنا) تأكيد لضمير الفاعل ليعطف عليه قوله (وأنت أقعد فاشرب) أمره بالقعود لان الشرب قائما من غير ضرورة مكروه (فشربت ثم قال اشرب) مرة أخرى (وما زال يقولها) أي كلمة اشرب (وأشرب) بالرفع أي وأنا أشرب والجملة حالية (حتى قلت لا) أشرب بعد هذا نفي للشرب المأمور به واعتذر عن رده بقوله (والذي بعثك بالحق لا أجد له) أي اللبن (مسلكا) أي لم يبق في جوفي محل خاليا يدخله وهو جواب القسم ان لم يكن تأكيد النفي قبله وما بعده استئناف أو تعليل له (فأخذ) صلى الله عليه وسلم أي تناول من يد أبي هريرة رضي الله تعالى عنه (القدح فحمد الله تعالى) على ما أنعم به من الزيادة (وسمى) فقال بسم الله (وشرب الفضلة) أي ما بقي منهم بعد شربهم كلهم والحديث بتمامه في صحيح البخاري اقتصر المصنف رحمه الله تعالى

(٦ شفا ش) حكمة تأخير أبي هريرة عن القوم مع الايماء الى وجه اختيار الايثار لاسيما حال المخمصة والاضطرار والله تعالى أعلم بهذه الاسرار وعن عبد الله بن الحارث عن أبيه عن أبي عبد الرحمن السلمي قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اتخذوا عند الفقراء أيادي فان لهم دولة قيل يا رسول الله وما دولتهم قال ينادي يوم القيامة يا معشر الفقراء قوموا فلا يبقى فقير الا قام حتى اذا اجتمعوا قيل ادخلوا الى صفوف أهل القيامة فمن صنع معكم معروفا فأوردوه الجنة قال فجعل يجتمع على الرجل كذا وكذا من الناس فيقول له الرجل ألم أكسك فيصدقه ويقول الآخر يا فلان ألم أكلمك فلانا فلا يزال يخبرونه بما صنعوا اليه وهو يصدقهم حتى يذهب بهم جميعا حتى يدخلهم الجنة فيبقى قوم لم يكونوا يصنعون المعروف فيقولون يا ليتنا كنا نصنع المعروف حتى ندخل الجنة وعن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان ممن كان قبلكم ملك مسرف على نفسه وكان مسلما واذا أكل طعامه طرح ثفالة طعامه على مزبلة فكان يأوي اليها عابد فان وجد كسرة أكلها وان وجد بقلة أكلها وان وجد عرقا تعرقه فلم يزل كذلك حتى قبض الله ذلك الملك فادخله النار فخرج العابد الى الصحراء مقتصرا على بقلها ومائها ثم انه سبحانه وتعالى قبض ذلك

العابد فقال له هل لاحد عليك معروف تكافئه قال لا يارب قال فمن أين كان معاشك وهو أعلم به منه قال كنت آوي الى مزبلة ملك فان
وجدت كسرة أكلتها وان وجدت بقلة أكلتها وان وجدت عرقا تعرقته فقبضته فخرجت الى البرية مقتصرا على بقلها وسائها فامره تعالى
ان خذ بيده فادخله الجنة من معروف كان منه اليك وهو لم يعلم به أما انه لو علم به ما أدخلته النار (وفي حديث خالد بن عبد العزى) أي ابن
سلامة الخزاعي له صحبة روى عنه ابنه مسعود الا أن حديثه ليس في الكتب الستة على ما في التجريد كما ذكره الحلبي وقال الدلجي
حديثه هذا رواه البيهقي عنه (انه أجزر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي أعطاه (شاة) أي تصلح للجزر وهو الذبح ولا تكون الا
من الغنم فلا يقال أجزرت القوم ناقة لانها قد تصلح لغير الذبح اذا نزل عليه بالجعرانة وطال عنده

وأمسى ثم بدت له صلى الله تعالى عليه وسلم العمرة فارسل الى رجل من تهامة يقال له محرش بن عبد الله ليأخذ به طريقا الى مكة يأمن فيه على نفسه لخوفه من دخولها وحده فانحدر به الى الوادي حتى بلغا اشغاب قال يا محرش من هذا المكان الى الكر وماوالاه فهو لخالد وما بقي من الوادي فهو لك ثم سار به حتى قضى نسكه وأحله محرش أي حلقه ثم رجعا الى خالد (وكان عيال خالد) بكسر العين أي من يعوله (كثيرا) أي عددهم (يذبح الشاة) حال أو استئناف مبين لكثرتهم واللام في الشاة للجنس فهو في حكم النكرة أي قد يذبح خالد شاة (فلا تبد عياله) بضم الفوقية وكسر الموحدة وتشديد
الدال المهملة من بد الشيء وأبده فرقه وأعطى كل واحد بدته أي نصيبه (ذكر
على حدته قال الهروي وفي الحديث اللهم أحصهم عددا واقتلهم بددا أي متفرقين واحدا بعد واحد والمعنى لا تكفي الشاة كلهم اذا
فرقت عليهم (عظما عظما وان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) بكسر الهمزة جملة حالية (أكل من هذه الشاة) أي التي أجزرها اياه
(وجعل فضلتها) أي بقيتها (في دلو خالد ودعا له بالبركة فبثر) بفتح الموحدة فضم المثلثة بعدها راء أي كثر (ذلك لعياله) وفي نسخة
صحيحة بالنون والمثلثة المفتوحتين أي انتثر ذلك لعياله حتى وسعهم وقيل أي صبه وأخرجه ورمى به (فاكلوا وافضلوا) أي ودخلوا
زيادة البركة

منه على محل الشاهد منه كما هو دأبه (وفي حديث خالد بن عبد العزى) الذي رواه البيهقي مسندا عنه ولم
يذكره أصحاب الكتب الستة وخالد هذا كما قاله البرهان هو ابن سلامة أبو خناش بخاء معجمة مضمومة
ونون وآخره شين معجمة ونونه مخففة وهو خزاعي وله صحبة وروى عنه ابن مسعود رضي الله تعالى
عنه وقال التلمساني انه خالد بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي هاجر الى الحبشة في المرة
الثانية فمات في الطريق وهو ابن أخي خديجة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها (انه أجزر النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم شاة) بالنصب مفعول أجزر بمعنى أعطى والنبي بالنصب أيضا مفعول أول وأجزره أعطاه
جزرة وهي شاة أو نعجة أو كبش أو عنز تعطى لتجزر أي تذبح ولا تكون في الناقة فانه يقال أجزره أو
جزره اذا أعطاه جزورا والغير الذبح كالركوب وهو معنى قول الجوهري يقال أجزرت القوم اذا أعطيتهم
شاة يذبحونها أو كبشا أو عنزا ولا تكون الجزرة الا من الغنم ولا يقال أجزرهم ناقة لانها قد تصلح لغير
الذبح انتهى وفي القاموس هنا كلام غير مهذب وقصة خالد هذه كانت بالجعرانة لما نزل عليه رسول الله
صلى الله عليه وسلم وأمسى ثم بدت له صلى الله تعالى عليه وسلم العمرة فارسله الى رجل من تهامة كما في
بعض الشروح هنا (وكان عيال خالد كثيرا يذبح الشاة) لاجلهم واطعامهم (فلا تبد عياله) بفتح المثناة
الفوقية وضمها وضم الموحدة وكسرها وفاعله ضمير الشاة يقال بده بموحدة ودال مهملة مشددة يبده
اذا فرقه وقال ابن القطاع بددت الشيء فرقته وأبددتهم العطاء فرقته فيهم وفي المحكم أبد الطعام بينهم اذا
أعطى كل واحد منهم نصيبه على حدة وهو بيان لكثرتهم يعني ان الشاة اذا فرقت عليهم لا تكفيهم
وقوله (عظما عظما) أي اذا فرقت عليهم قطعة قطعة وعظمة بعد عظمة لا تكفيهم لكثرتهم (وان
النبي صلى الله عليه وسلم) بفتح همزة ان بالعطف على قوله انه أجزر الى آخره الذي هو مبتدأ مقدم
خبره وهو قوله في حديث خالد (أكل من هذه الشاة) التي أجزرها اله خالد (وجعل فضلتها) أي ما بقي
منها بعد أكلهم (في دلو خالد) هو وعاء من ادم وجلد نستقي به الماء فالمراد به هنا جراب يشبه الدلو ويجوز
ان يراد حقيقته لانه لم يكن معه وعاء غيره (ودعا له) أي لخالد ويجوز ان يعود للدلو (بالبركة) أي بالزيادة
ولفظه اللهم بارك لابي خناش (فنثر ذلك) الطعام الذي في الدلو أي رماه (لعياله) بكسر العين قال
الصاغاني في التكملة انه جمع عيل كجياد جمع جيد وهو من يلزمه الانفاق عليه ويكون
اسما للواحد كما استعمله الحريري في مقاماته وذكره المطرزي في شرحه (فاكلوا
وافضلوا) أي أبقوا بقية زادت عن كفايتهم ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم وبركة دعائه

(ذكر خبره الدولابي) بضم الدال المهملة انصاري رازي سمع محمد بن بشار وغيره من طبقته بالحرمين والعراق ومصر والشام وغيرها وصنف التصانيف وروى عنه ابن أبي حاتم وابن عدي والطبراني وغيرهم قال الدارقطني تكلموا فيه وما تبين في أمره الا خير توفي بين مكة والمدينة بالعرج في ذي القعدة سنة عشر وثلثمائة هذا وقد قال ابن ماكولا في الاكمال ما لفظه واما خناش أوله خاء معجمة مضمومة وبعدها نون وآخره شين معجمة فهو أبو خناش خالد بن عبد العزى في الصحابة ذكره أبو بشر الدولابي في كتاب الاسماء والكنى بسنده الى أن قال عن مسعود بن خالد عن خالد بن عبد العزى بن سلامة انه أجزر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم شاة وكان عيال خالد كثيرا يذبح الشاة فلا تبد عياله عظما عظما وان النبي صلى الله تعالى عليه ٤٣ وسلم اكل منها ثم قال أرني دلوك يا أباخناش ووضع فيها فضلة الشاة ثم قال اللهم بارك لابي خناش فانقلب به فنشره لهم وقال تواسعوا فيه فأكل عياله وفضلوا ذكره الحلبي (ومن حديث الآجري) بهمزة ممدودة وضم جيم وتشديد راء بعدها ياء نسبة صاحب كتاب الشريعة وهو أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله البغدادي منسوب الى عمل الآجر (في نكاح النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لعلي فاطمة) أي في تزويجها له (ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أمر بلالا بقصعة من أربعة أمداد أو خمسة) أي من دقيق خبز شعير أو حنطة (وذبح جزور) أي بعير (لوليمتها) وفي نسخة ويذبح جزورا بصيغة المضارع وفي أخرى وبذبح جزور بمصدر مضاف (قال) أي بلال (فاتيته بذلك) أي فجئت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بالذي أمره ان يصنعه من القصعة (فطعن في رأسها) أي في أعلاها بيده لتنزل البركة عليه (ثم أدخل الناس) أي أمرهم بالدخول عليه (رفقة رفقة) بضم الراء وجوز تثليثها أي جماعة بعد جماعة (يأكلون منها) وفي نسخة صحيحة فأكلوا منها (حتى فرغوا) أي عنها (وبقيت منها فضلة) وفي نسخة فضلة منها أي بقية وزيادة (فبرك) بتشديد الراء أي فدعا بالبركة (فيها وأمر بحملها الى أزواجه) أي من النساء التسع (وقال) أي لهن بعد ارساله اليهن (كلن) أي بانفسكن (وأطعمن من غشيكن) أي اتاكن وحضر عندكن فان البركة توافي كلكن (وفي حديث أنس) كما رواه الشيخان (تزوج النبي صلى الله تعالى

(ذكر خبره) أي خبر خالد أو خبر ما ذكر من الاكل والزيادة (الدولابي) فاعل ذكره وهو بضم الدال المهملة وواو ساكنة ولام وألف وباء موحدة وهو اسم بلدة نسب اليها وهو منقول من الدولاب بضم الدال وفتحها معرب دولاب وهو الحافظ أبو بشر محمد بن أحمد بن حماد بن سعيد بن مسلم الانصاري الرازي الوراق المحدث الجليل صاحب التصانيف روى عنه الكبار كالطبراني وأبو حاتم وتوفي بين مكة والمدينة بالعرج في ذي القعدة سنة عشر وثلاثمائة ومولده سنة أربع وعشرين ومائتين وفيه كلام مفصل في الميزان في ترجمته وله ذرية مشهورة ولهم دولابي آخر وهو أبو جعفر بن الصباح صاحب السنن والمراد الاول كما ذكره البرهان وغيره (وفي حديث الآجري) بالمد وضم الجيم وتشديد الراء المهملة منسوب للآجر المعروف بالطوب نسب لعمله وهو أبو بكر بن محمد الامام البغدادي كما تقدم تفصيله في ترجمته (في انكاح النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فاطمة لعلي رضي الله تعالى عنهما) أي عقده نكاحها واللام مزيدة للتقوية (ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أمر بلالا) ان يأتي (بقصعة) مملوءة (من أربعة امداد أو خمسة) من حنطة أو غيرها (ويذبح جزورا) بنصب يذبح بان مصدرية مقدرة وجزورا مفعوله أي ان يذبح أو معطوف على مقدر كما أشرنا اليه أو على أمر بتقدير وأمره أن يذبح والجزور بوزن الشكور رأس من الابل ناقة أو جملا سميت بها لانها مما يجزر أي وهي مؤنثة سماعية وان عمت ففيها شبه تغليب فافهم (لوليمتها) الوليمة هي الدعوة طعام يصنع في النكاح خاصة ويجمع على ولائم وهو مستحب (قال) بلال رضي الله تعالى عنه (فاتيته بذلك) الذي أمرني به من القصعة والجزور (فطعن في رأسها) ان كان الضمير للقصعة فرأسها بمعنى أعلاها وان كان للجزور فهو ظاهر وطعنه فيها ادخال يده فيها أو مسها لتحصيل البركة فيها (ثم ادخل الناس) أي أمر صلى الله تعالى عليه وسلم بدخولهم ليأكلوا (رفقة رفقة) بالنصب أي حال كون دخولهم جماعة بعد جماعة والرفقة بضم الراء وكسرها بمعنى الجماعة المترافقين المتصاحبين (يأكلون منها) جملة مستأنفة أو حال مقدرة (حتى فرغوا) أي أكلوا جميعا الى ان شبعوا وفرغوا من أكلهم (وبقيت منها فضلة) أي فضل منها ما زاد على أكلهم (فبرك فيها) وفي نسخة بها وبرك بتشديد الراء المهملة أي دعا بان يبارك فيها ويجعل فيها البركة وهو الزيادة والنمو كما مر (وأمر بحملها) أي بحمل القصعة بما فيها أو بحمل الفضلة (الى أزواجه) أي الى بيوتهن (وقال) لازواجه (كلن وأطعمن من غشيكن) بفتح الغين وكسر الشين المعجمتين أي كل من يأتي اليكن من غير أهل البيت يقال غشيه غشيا وغشاه اذا أتاه اتيان ما قد غشيه أي ستره (وفي حديث أنس) الذي رواه الشيخان مسندا (تزوج رسول الله صلى الله تعالى

عليه وسلم بعض نسائه) قال الحلبي تقدم ان هذا كان في ابتنائه بصفية (فصنعت أي أم سليم) بالتصغير (حيسا) تقدم مبناه ومعناه
(فجعلته في تور) سبق كذلك (فذهبت) أي أنا وفي نسخة فبعثتني (به) أي بالتور (الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

فقال ضعه وادع لي فلانا وفلانا) أي كأبي بكر وعمر خصوصا (ومن لقيت) أي من غيرهما عموما (فدعوتهم) أي المعينين جميعهم (ولم ادع) بفتح الدال أي ولم اترك (احدا لقيته) أي في طريقي ذاهبا وآيبا (الا دعوته وذكر) أي أنس (انهم) أي المدعوين والمجتمعين لا كما قال الدلجي أي الذين دعاهم (كانوا زهاء ثلثمائة) أي مقدارهم تقريبا (حتى ملأوا الصفة والحجرة فقال لهم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم تحلقوا) بفتح اللام المشددة أي استديروا كالحلقة المفرغة (عشرة عشرة) أي كل عشرة حلقة أو كل حلقة عشرة (ووضع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يده على الطعام) أي المسمى بالحيس الذي صنعته أم سليم وجاء به أنس اليه عليه الصلاة والسلام (فدعا فيه) أي بما شاء الله من الدعاء (وقال ماشاء الله ان يقول) أي من أصناف الاسماء وأنواع الثناء (فاكلوا حتى شبعوا كلهم فقال لي ارفع) فرفعته (فما أدري

حين وضعت كانت أكثر أم حين رفعت) بصيغة المجهول فيهما ولا يبعد ان يضبط بصيغة المتكلم المعلوم وتانيث اضطراب
الضمير مع انه راجع الى التور باعتبار الآنية ووقع في أصل الدلجي وضع ورفع بصيغة التذكير فيتعين كونهما للمفعول كما لا يخفى

عليه وسلم) بعض أزواجه وهي صفية بنت حيي رضي الله تعالى عنها في مرجعه من خيبر بمحل يسمى سد الصهباء فقال أنس رضي الله تعالى عنه (فصنعت أمي) وكنية والدة أنس (أم سليم) بضم السين مصغرا واسمها سهلة وهي زوجة أبي طلحة الخزرجية الصحابية الصالحة القانتة وكان لها منزلة عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (حيسا) وقد تقدم انه طعام يصنع من لبن وأقط وتمر وسمن يحاس أي يخلط بعضه ببعض (فجعلته) أي وضعته (في تور) بفتح المثناة الفوقية وواو ساكنة وراء مهملة وهو اناء من صفر أو حجارة واسع رحراح كالصينية القريبة القعر (فذهبت) بضم التاء وهو ضمير أنس المتكلم (به الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال ضعه) على الارض (وادع لي فلانا وفلانا) ممن كان معه ثمة من كبار الصحابة وخصهما تشريفا لهما ثم عمم فقال (ومن لقيت) أي وادع كل من صادفته (فدعوتهم) أي دعوت من عينه أولا ولم يقل دعوتهما الا ان قوله فلانا فلانا مختصر كناية عمن عينه من القوم أولان الاثنين جمع على قول (ولم أدع) أي لم أترك (احدا) أي دعوته (لقيته الا دعوته) كما أمرني به (وذكر) أنس (انهم) أي من دعاهم (كانوا زهاء) أي مقدار (ثلاثمائة) رجل فاجتمعوا اليه (حتى ملأوا الصفة) وهي موضع مظلل قدام البيت أو دكة عليه فيه وليس المراد صفة المسجد المعهودة (والحجرة) وهي البيت الصغير المفرز من الدار (فقال لهم صلى الله تعالى عليه وسلم) بعد اجتماعهم (تحلقوا) تفعل أي استديروا حول الطعام كالحلقة طائفة بعد طائفة من غير ازدحام (عشرة عشرة) يسعهم مكان الطعام (ووضع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يده على الطعام) الموضوع وهو الطعام الذي جاء (فدعا فيه) بالبركة (وقال ماشاء الله ان يقول) أي ما أراد الله من دعائه الذي علمه وأبهمه لانه أسره فلم يسمعوه لانه من الاسرار التي خصه الله تعالى بها (فاكلوا حتى شبعوا كلهم فقال) صلى الله تعالى عليه وسلم (لي) أي لانس (ارفع) التور بما فيه (فما أدري حين وضع) عنده قبل الاكل منه (كان) الطعام (أكثر أم حين رفع) بالبناء للمجهول وفي بعض النسخ وضعت ورفعت واعلم ان هذا الحديث ذكره بعينه عن أنس قبل هذا فاعادته هنا تقتضي ان القصة صح تكررها وانه وقع مرة في تزوجه صلى الله تعالى عليه وسلم بزينب بنت جحش وأخرى حين تزوج صفية وقد استشكله المصنف رحمه الله تعالى في شرح مسلم فقال ما وقع في الحديث من ان تكثير الطعام كان في وليمة زينب يخالف الروايات المشهورة من ان وليمتها كانت بالخبز واللحم ولم يذكر فيها تكثير الطعام وانما فيه انهم شبعوا من الخبز واللحم ففيه وهم من الراوي ادخل فيه قصة في قصة فان التكثير في قصة صفية لا في وليمة زينب التي نزلت فيها آية الحجاب وتعقبه القرطبي بانه لا وهم فيه وانه لا مانع من الجمع بين الروايتين بان الذين دعوا للخبز واللحم أكلوا وذهب منهم جمع وبقي آخرون يتحدثون فجاء أنس بالحيس ودعا الناس كما ذكره المصنف رحمه الله هنا وقال ابن حجر أيضا الاوجه لا انكاره تكثير الطعام في حديث الخبز واللحم فان أنسا قال انه أولم بشاة أشبعت الناس وما قدرها حتى تشبعهم وهم نحو الالف فالظاهر ان المصنف رحمه الله تعالى رأى هنا تعدد القصة ولذا صرح بزينب أولا ولم يسمها اشارة الى انها صفية الا ان فيه توقفا عندي من جهة أخرى فان وليمة صفية كانت في السفر وذكر الصفة والحجرة ينافيه والحيس فيها صنعه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا أم سليم وما قيل من ان أم سليم أهدته له صلى الله تعالى عليه وسلم بعد قدومه المدينة فرحا بتزوجه لا يخفى ما فيه من البعد وبعد كل كلام فكلام المصنف رحمه الله تعالى فيه

(وأكثر أحاديث هذه الفصول الثلاثة) أى التى أولها فصل نبع الماء من بين أصابعه (فى الصحيح وقد اجتمع على معنى حديث هذا الفصل) وفى نسخة حديث الفصل هذا ووقع فى أصل الدلجى حديث هذه الفصول (بضعة عشر) بكسر الباء وتفتح أى ثلاثة عشر أو أكثر (من الصحابة) واما قول الجوهرى تقول بضع سنين وبضعة عشر رجلا فاذا جاوزت العشر لا تقول بضع وعشرون فهو منقوض بقوله عليه الصلاة والسلام صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ ببضع وعشرين درجة ولقوله فى حديث مسلم وغيره الايمان بضع وسبعون شعبة (رواه عنهم) أى روى معنى حديث هذا الفصل أو هذه الفصول ٤٠ عمن ذكر من الصحابة (اضعافهم من التابعين ثم) أى بعدهم رواه عن اضعافهم منهم (من لا يعد) بصيغة المجهول أى لا يحصر وفى نسخة لا ينعد (بعدهم) أى من تابعيهم (وأكثرها) أى وأكثر أحاديث هذه الفصول الثلاثة (وردت فى قصص مشهورة) بكسر القاف أى حكايات مأثورة (ومجامع مشهودة) أى محضورة مما تقدم فيها (ولا يمكن التحدث عنها الا بالحق) أى على وفق الصدق حذرا من التكذيب فى رواية منها (ولا يسكت الحاضر لها) أى المشاهد لها (على ما أنكر منها) حذرا من ان ينسب اليه ما لا يليق بجنابه

(فصل)

(فى كلام الشجر وشهادتها له بالنبوة واجابتها دعوته صلى الله تعالى عليه وسلم قال) أى المصنف (حدثنا أحمد بن محمد بن غلبون) بفتح فسكون فضم موحدة وهو منصرف وقد يمنع بناء على ان مطلق المزيدتين علة عدم الانصراف (الشيخ الصالح فيما أجازنيه) هذه لغة حكاها ابن فارس والمعروف أجازه لى ذكره الحلبى وغيره (عن أبى عمر) وفى نسخة أبى عمرو بالواو (الطلمنكى) بتشديد لام مفتوحة فميم مفتوحة ونون ساكنة (عن أبى بكر بن المهندس) بكسر الدال (عن أبى القاسم البغوى) بفتحتين وهو الحافظ الكبير السند البغوى الاصل البغدادى ابن بنت أحمد بن منيع البغوى روى عن أحمد بن حنبل عاش مائة وثلاث سنين وتوفى ليلة عيد الفطر سنة سبع عشرة وثلاثمائة وله ترجمة فى الميزان وقال فى آخرها وهذا الشيخ الحجازى يعنى به أبا العباس أحمد بن الشحنة راوى صحيح البخارى وغيره بينه وبين البغوى أربعة أنفس وهذا شىء لا نظير له فى الاعصار وذلك ان الحجازى توفى سنة

اضطراب يحتاج للتحرير (وأكثر أحاديث هذه الفصول الثلاثة) أى نبع الماء من بين أصابعه وانفجاره بدعوته وتكثير الطعام ببركته (فى الصحيح) من الاحاديث وكتبها المعتمدة وقوله أكثر اشارة اضعف بعضها (وقد اجتمع على معنى هذا الفصل بضعة عشر من الصحابة) يعنى توافقوا على ما يفيده المجموع بقطع النظر عن كل واحدة على حدة وتقدم ان البضع بكسر الباء من الثلاثة الى التسعة مع اختلاف فى استعماله فيما فوق العشرين والصحيح جوازه لوروده فى الحديث وقوله ببضع وعشرين درجة فى فضل الصلاة وتفصيله مشهور (رواه عنه اضعافهم من التابعين ثم) رواه عن الاضعاف من التابعين وتبع التابعين (من لا يعد بعدهم) بصيغة المجهول وفى بعض النسخ من لا ينعد بالنون (وأكثرها) أى أكثر أحاديث الفصول الثلاثة (فى قصص مشهورة) بحسب الرواية (ومجامع مشهودة) جمع مجمع وهو محل يجتمع فيه الناس بكثرة قال الفرزدق * اذا جمعتنا يا جرير المحافل * والمشهد من الشهود بمعنى الحضور وفيه تجنيس وتورية بديعية وما يقع بين كثير من الناس لا يمكن ان يكون غير واقع أو منتقل (ولا يمكن التحدث عنها الا بالحق) أى لا ينقل عن مثلها الا الامور الصادقة المحققة (ولا) يمكن ان (يسكت الحاضر) فى مجالس وقوعها والتحدث بها وضمن الحاضر معنى السامع فعده باللام فى قوله (لها على ما أنكره) منها مما خالف الواقع

(فصل فى كلام الشجر) الآتى بيانه والشجر ما قام على ساق واحده شجرة وما عداه نبات وقد يطلق على بعض النبات شجر كاليقطين والحنطة والكلام ما يتلفظ به اسم ويجىء بمعنى التكليم وتكليمه له صلى الله تعالى عليه وسلم بان يخلق الله تعالى فيه نطقا ولما كان هذا أمرا خارقا للعادة لم يقل ومن معجزاته فلا حاجة لذكره كما قيل (وشهادتها له بالنبوة) من عطف الخاص على العام (واجابتها دعوته) أى طلبه صلى الله تعالى عليه وسلم منها ان تجىء نحوه كما سيأتى وله منها حديث رواه البيهقى والبزار والدارمى مسندا عن ابن عمر وهو ما ذكره بقوله (حدثنا أحمد بن محمد بن غلبون) بفتح الغين المعجمة وسكون اللام وموحدة ممنوع من الصرف للعلمية وشبه العجمة كزيدون وسعدون ومثله كثير فى لسان أهل المغرب (الشيخ الصالح فيما أجازنيه) عداه بنفسه لمفعولين وهو لغة حكاها ابن فارس فى المجمل ويتعدى باللام والباء والاجازة الاذن فى الرواية عنه والكلام على أنواعها ولغتها مفصل فى ابن الصلاح وحواشيه فلا حاجة لذكره هنا (عن أبى عمرو الطلمنكى) بالطاء المهملة واللام والميم المفتوحات ونون ساكنة وكاف تقدم الكلام عليه وعلى نسبته (عن أبى بكر بن المهندس) المعروف بابن أبى طاهر والمهندس بوزن اسم الفاعل ويقال مهندز بالزاى وهو معرب وليس فى لغة العرب دال بعدها زاى والهندسة اسم علم معروف من الرياضيات وفى العرف العارف باحوال البناء (عن أبى القاسم البغوى) نسبة الى بغ ويقال بغا وهى قرية بين مرو وهراة وأصلها بغشور فخفف

ثلاث وسبعمائة فيكون بين وفاته ووفاة البغوى أربعمائة سنة وبضع عشرة (حدثنا أحمد بن عمران الاخنسى) بفتح الهمزة وسكون المعجمة روى عنه ابن أبى الدنيا وغيره (حدثنا أبو حيان) بتشديد التحتية (التيمى) وفيه ان الاخنسى لم يدركه على ماصرح به المزى ولعله أسقط محمد بن فضيل ويؤيده ما وجد فى نسخة صحيحة قبله حدثنا محمد بن فضيل ويؤيده ماسيأتى فى ماساق المصنف فى أول فصل فى الآيات فى ضروب الحيوانات حديثا فى اسناده حدثنا أبو العلاء أحمد بن عمران حدثنا محمد بن فضيل الخ والله تعالى أعلم (وكان) أى أبو حيان (صدوقا) وقد روى عن أبى زرعة والشعبى وعنه يحيى القطان وأبو اسامة أخرجه الأئمة الستة (عن مجاهد) تابعى جليل (عن ابن عمر) وقد رواه الدارمى والبيهقى والبزار أيضا عنه (قال كنا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى سفر فدنا) أى قرب (منه اعرابى) أى بدوى (فقال يا اعرابى أين تريد قال أهلى) أى أريد أهلى أو أهلى أريدهم وفى نسخة الى أهلى أى مرادى التوجه اليهم (قال هل لك) أى ميل ورغبة (الى خير) أى من أهلك أو خير محض لك فى حالك ومآلك (قال وما هو) أى ذلك الامر أو الخير (قال تشهد) أى ان تشهد أى شهادتك أو خبر معناه أمر أى اشهد (ان) مخففة من المثقلة حذف اسمها أى انه (لا اله) موجود أو معبود أو مشهود (الا الله وحده) حال مؤكدة أى متوحدا ومنفردا (لا شريك له) أى فى وحدانية ذاته وسبحانية صفاته (وان محمدا عبده ورسوله) الى كافة مخلوقاته (قال من يشهد لك على ما تقول) أى من دعوى التوحيد والرسالة (قال هذه الشجرة السمرة) بفتح فضم وهى بدل مما قبلها فانها من الطلح شجر عظام من العضاة له شوك كثير وظل يسير قالوا وهو شجر الصمغ العربى (وهى بشاطئ الوادى) أى طرفه وجانبه (فاقبلت) أى بمجرد قوله عليه الصلاة والسلام هذه الشجرة تشهد على حقية الاسلام وفى نسخة صحيحة فادعها فانها تجيبك وفى أخرى تجبك قال أى الاعرابى فدعوتها فاقبلت وهذا أبلغ فى قبول الاجابة والمعنى فشرعت الشجرة فى الاتيان اليه صلى الله تعالى عليه وسلم (تخد الارض) بضم الخاء المعجمة وتشديد الدال المهملة ومنه الاخدود وهو الشق فى الارض أى حال كونها تشق الارض وتسعى اليه على ساق بلا قدم (حتى قامت) أى وقفت كما فى نسخة (بين يديه

وهذا هو عبد الله بن محمد بن عبد العزيز بن المرزبان الامام الحافظ الجليل البغدادى ابن بنت أحمد بن منيع وليس هو البغوى المشهور صاحب المصابيح والتفسير محيى السنة ومولده ذا فى رمضان سنة أربع عشرة ومائتين وتوفى ليلة عيد الفطر سنة سبع عشرة وثلاثمائة وترجمته فى الميزان قال (حدثنا أحمد بن عمران الاخنسى) بياء النسبة لاخنس بخاء معجمة ونون وسين مهملة بوزن افعل وقيل انه الاخنس بغير نسبة لقب له وهو كذلك فى بعض النسخ وقيل هما واحد وقيل اسمه محمد وتوفى فى حدود الثلاثين ومائتين وكان ببغداد وفيه كلام قال (حدثنا أبو حيان التيمى) بحاء مهملة مفتوحة ومثناة تحتية مشددة منسوب لتيم قبيلة مشهورة وهو امام ثقة أخرجه الستة وتوفى فى سنة خمس وأربعين ومائة وهذا الحديث منقطع فانه سقط بين ابن عمران وأبى حيان راو وهو محمد بن فضيل كما سيأتى فى كلام المصنف فى بعض النسخ وتردد فى تعيينه البرهان ومثله لا يكون رجما بالغيب (وكان صدوقا) وثقة ردا على بعض من طعن فيه (عن مجاهد) تقدمت ترجمته (عن ابن عمر) الصحابى المشهور رضى الله تعالى عنهما (قال كنا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى سفر فدنا منه) أى قرب منه من الدنو (اعرابى) نسبة الى الاعراب وهم سكان البادية من العرب وفى النسبة اليه وهو جمع حقه ان يرد لمفرده كلام مشهور (فقال) له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (يا اعرابى أين تريد) أى تقصد بسيرك وسفرك هذا (قال الى أهلى) أى أريد مكانا فيه أهلى ولم يعينه لانهم نزالة رحالة وعداه بالى لتضمنه معنى التوجه والارادة متعدية بنفسها وانما قدم سؤاله تأنيسا له وازالة لما فى نفسه من مهابته صلى الله تعالى عليه وسلم فانه كان مهيبا لمن رآه وتوطئة لقوله (قال هل لك الى خير) أى هل تنقاد وتذعن لخير مما أنت فيه (قال وما هو) أى الخير الذى دعوتنى اليه (قال تشهد ان) مخففة من الثقيلة (لا اله الا الله وحده) حال لازمة أى متوحدا منزها عما يشاركه فى ذاته وصفاته وفى كونه معبودا بحق وقوله (لا شريك له) تأكيد الوحدانيته بعد تأكيد (وان محمدا عبده ورسوله) قدم العبودية تنزيها لنفسه عن الاطراء فى مدحه (قال) الاعرابى (من يشهد لك على ما تقول) من دعوى الرسالة (قال هذه السمرة) بفتح السين المهملة وضم الميم وراء مهملة مفتوحة وهى شجرة عظيمة ذات شوكة من الطلح وأشار اليها لقربها منه وفى نسخة بعدما تقدم فادعها فانها ستجيبك قال فدعوتها (وهى) أى السمرة (بشاطئ الوادى) بشين معجمة وألف وطاء مهملة وهمزة بمعنى جانب وطرف والوادى الارض الواسعة المستوية من ودى بمعنى سال لما فيها من المياه السائلة (فاقبلت) الفاء فصيحة أى فدعاها التشهد له فاقبلت (تخد الارض) بمثناة فوقية وخاء معجمة مضمومة ودال مهملة مشددة أى تشقها ومنه الاخدود وشقها التسعى بعروقها التى فى جوف الارض ولولا ذلك لم تتحرك (حتى وقفت بين يديه)

فاستشهدها ثلاثا) أي طلب منها أن تشهد له ثلاث مرات (فشهدت) أي ثلاثا (انه) أي الامر (كما قال) أي النبي عليه الصلاة والسلام ان الله واحد لا شريك له وانه عبد الله ورسوله (ثم رجعت الى مكانها وعن بريدة) بالتصغير وهو ابن الحصيب بن عبد الله الاسلمي أسلم حين مر به عليه الصلاة والسلام مهاجرا ثم قدم المدينة قبل الخندق وشهد الحديبية ومات بمدينة مرو بخراسان

صلى الله تعالى عليه وسلم بان قامت محاذية له قريبا منه (فاستشهدها ثلاثا) أي قال لها ثلاث مرات وطلب منها ان تشهد له بانه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وجملة تخد الارض حالية أو مستأنفة وانما كرر استشهادها تأكيدا لتقرر ذلك في قلب الاعرابي (فشهدت) له بأنه رسول الله حقا أرسله الله الذي لا شريك له ولم يبين ما نطقت به لانه معلوم من السياق (ثم رجعت الى مكانها) الذي كانت فيه وفي هذه القصة معجزات له صلى الله تعالى عليه وسلم خلق الله في الجماد ادراكا ونطقا وحركة ارادية يجيء بها ويذهب وقد وقعت على سبيل التحدي فهذا المعجزة منطبق على كل واحدة منها (و) في حديث رواه البزار مسندا (عن بريدة) بضم الموحدة وفتح الراء المهملة ومثناة تحتية ودال مهملة علم منقول من مصدر البردة المعروفة وهو أبو عبد الله بن الحصيب مصغر حصب بمهملتين وموحدة وهو صحابي أسلم قبل بدر وشهد الحديبية ومات بمرو وخراسان غازيا في أيام معاوية أو يزيد سنة اثنين أو ثلاث وستين من هجرته صلى الله عليه وسلم (سأل اعرابي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم آية) أي علامة ومعجزة تدل على أنه رسول الله حتى يؤمن به (فقال له قل لتلك الشجرة) مشيرا لسمرة كانت ثمة وهي تلك السمرة المذكورة في الحديث الذي قبله أو غيرها (رسول الله يدعوك) بكسر الكاف أي يطلب منك المجيء اليه والحركة نحوه (قال) أي بريدة فدعاها (فمالت الشجرة عن يمينها وشمالها وبين يديها وخلفها) أي مالت ميلا شديدا وتحركت في جهاتها الاربع حتى تخلص عروقها من الارض وتمكنها الحركة نحوه صلى الله تعالى عليه وسلم (فتقطعت عروقها) المتمكنة في مغرسها وهو اما على ظاهره أو المراد انها تخلصت وهذا هو الظاهر من قوله (ثم جاءت تخد الارض) وتشقها (تجر عروقها) من خلفها وهذا يدل على انها لم تقطع ولو تقطعت فسدت ولم تبق نابتة بحالها وقيل انه معجزة أخرى مخالفة للعادة من بقائها بعد تقطع عروقها التي هي سبب حياتها والجملتان حالان مترادفتان أو متداخلتان والثانية مؤكدة للاولى ولذا لم تعطف عليها (مغيرة) أي مسرعة في مشيها قال الله تعالى (فالمغيرات صبحا) ومنه المغارة على العدو وهو منصوب على الحال أيضا ومغيرة اسم فاعل من الغارة وبعد الغين المعجمة مثناة تحتية ساكنة وقيل انه بباء موحدة مشددة مكسورة وراء مهملة مخففة وقيل الغين ساكنة والباء مفتوحة مخففة والراء مفتوحة مشددة من الغبار وهو حال من الفاعل المستتر أو من العروق ولكل منها ذهب بعض (حتى وقفت بين يدي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) قريبا منه مواجهة له (فقالت السلام عليك يارسول الله) وفيه شهادة برسالته وتوقيره ولم يذكر انه رد عليها السلام لان السلام انما شرع تحية موجبة للرد في حق البشر لانه أمان وليست من أهله فما قيل من أنه صلى الله عليه وسلم رد عليها السلام مكافاة لها لا وجوبا اذ ليست مكلفة أمر محتاج للنقل فكان عليه بيانه والسلام دعاء بالسلامة وقيل انه هنا اسم الله أي الله معك حفيظ لك وفيه كلام ليس هذا محله (قال الاعرابي مرها) بضم الميم أمر أصله أو مرها فخفف (فلترجع الى منبتها) تفسير للامر ومنبتها بكسر الباء موضع نباتها ويجوز فتحها فأمرها (فرجعت) لمحلها (فدلت عروقها) أي أدخلتها في الارض أصلها (فاستوت) أي انتصبت قائمة من غير

غازيا وأما بريدة ابن سفيان الاسلمي فلا صحبة له وان ذكره بعضهم في الصحابة بل هو تابعي متكلم فيه كما رواه البزار عنه انه قال (سأل اعرابي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم آية) أي علامة تكون معجزة دالة على صدق الرسالة (فقال له قل لتلك الشجرة رسول الله يدعوك قال) أي بريدة (فمالت الشجرة عن يمينها وشمالها وبين يديها وخلفها) أي من جهاتها كلها واضطربت في مكانها وارتفعت في شأنها متوجهة بجميع دواعيها الى داعيها (فقطعت عروقها) أي المتعلقة بأصولها (ثم جاءت تخد الارض تجر عروقها) حالان متداخلان أو مترادفان (مغبرة) بتشديد الراء والباء (حتى وقفت بين يدي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقالت السلام عليك يارسول الله) قال الدلجي لعله صلى الله تعالى عليه وسلم رد عليها السلام مكافأة لها لا وجوبا اذ ليست مكلفة انتهى وتعليله غير مستقيم كما لا يخفى (قال) وفي نسخة فقال (الاعرابي مرها فلترجع الى منبتها) بكسر الموحدة سماعا وتفتح قياسا (فرجعت) أي بعد أمرها (فدلت عروقها) بتشديد اللام أي أرسلتها ومكنتها (في ذلك) أي المكان قال التلمساني في الموضع سقط عند العزفي وثبت عند غيره (فاستوت) أي قائمة

ميلـبها (فقال الاعرابي) لما رأى هذه المعجزة وآمن به صلى الله تعالى عليه وسلم (ائذن لي) أمر من الاذن بكسر الهمزة الاولى وسكون الثانية ويجوز ابدالها ياء (أسجد لك) مجزوم في جواب الامر أو جواب شرط مقدر أي ان تأذن لي في السجود أسجد لك فأبى صلى الله عليه وسلم ذلك و(قال) له (لو أمرت أحدا أن يسجد لاحد) أي لو جاز لي أمر مخلوق بالسجود لمخلوق مثله (لامرت المرأة ان تسجد لزوجها) لوجوب طاعته عليها ولما له عليها من الحقوق الموجبة للتعظيم والخضوع والسجود والركوع لا يجوز لغير الله تعالى في ملتنا وقد قيل انه كان جائزا في الشرائع التي قبل شريعتنا بقصد التعظيم لا العبادة ولذا قال الله تعالى ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدا اذا كان الضمير ليوسف عليه الصلاة والسلام ولذلك جاز سجود الملائكة لآدم عليه الصلاة والسلام ثم نسخ هذا في شريعتنا وكان ذلك تحية الملوك عندهم ولذا طلب الاعرابي الاذن في تعظيمه عليه الصلاة والسلام بذلك فنهاه عنه وكذلك الانحناء على هيئة الركوع نهي عنه وعوضنا عن ذلك تحية الناس بالسلام والمصافحة (قال) الاعرابي لما نهاه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عن السجود (فأذن لي أقبل) مجزوم في جواب الامر (يديك ورجليك) تعظيما لك (فأذن له) في تقبيل يديه ورجليه فقبلهما وفيه دليل على جواز تقبيل اليد والرجل من الفاضل للمفضول اذا كان لزهده وصلاحه أو علمه وشرفه وليس بمكروه بل يستحب اذا كان تعظيمه لامر ديني كما قاله النووي في الاذكار فان كان لامر دنيوي فهو مكروه وقد ورد في أحاديث كثيرة صحيحة تقبيل يد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وبهذا رد على المتولي من أئمة الشافعية حيث أطلق القول بعدم جوازه (وفي الصحيح) أي الحديث الصحيح أو المراد به صحيح مسلم لانه روى هذا الحديث مسندا فيه (في حديث جابر بن عبد الله الطويل) بالجر صفة الحديث ووصفه به لتوجيه عدم ايراده بتمامه هنا (ذهب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) الى الصحراء (يقضي حاجته) لانه لم يكن في بيته خلاء وهكذا سائر بيوتهم وهو كناية عن التغوط أي ذهب لاجل ذلك (فلم يرشيأ يستتر به) أي حائلا بينه وبين رؤية عورته بعد كشفها (فاذا بشجرتين) اذا الفجائية والباء زائدة أي فاجاه بغتة من غير ترقب منه أي فاذا هو والمبتدأ مقدر هنا (في شاطئ الوادي) بالهمزة أي طرفه وجانبه (فانطلق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى احداهما) أي توجه الى احدى الشجرتين حتى قرب منها (فأخذ بغصن من أغصانها) أي أمسكه صلى الله تعالى عليه وسلم بيده (فقال) للشجرة (انقادي علي) أي طاوعيني وميلي علي لتكون ساترة له عن الاعين (باذن الله) أي بتيسيره وتسهيله وارادته لا بقوة جذبي واذن الله يتجوز به تجوزا مشهورا (فانقادت معه) أي طاوعته ومالت حتى سترته كما أراد وانما أمسك غصنها ولم يكتف بمجرد دعوتها كما في الحديث الذي قبله لان ذلك كان لاظهار المعجزة حتى يسلم الاعرابي وهنا لم يقصد ذلك (كالبعير المخشوش) أي كما ينقاد البعير المخشوش ان يقوده بسهولة وهو اسم مفعول بخاء وشينين معجمتين وهو الذي يوضع في أنفه خشاش بكسر الخاء والبعير الذي يعسر قوده يخرق أنفه ويوضع فيه شيء يذلل به فان كان عودا من خشب فهو خشاش وان كان مفتولا من وبر ونحوه فهو خزام وان كان من نحاس ونحوه من المعدنيات فهو برة كما قاله الخطابي وبهذا علمت موقع قوله المخشوش هنا لان الغصن من جنس العود فلذا لم يقل المخزوم وهي نكتة سرية لم ينبهوا عليها والتشبيه في السرعة والسهولة وفيه تشبيه الشجرة بالبعير وهو واقع في كلامهم كعكسه في قوله في الابل

لمن شجر قد أثقلتها ثمارها * سفائن بر والسراب بحارها

(فقال الاعرابي ائذن لي) يقرأ في الوصل بسكون همزة الاصل وفي الابتداء بهمزة الوصل وابدال همزة الاصل بالياء أي مرني (أسجد لك) جواب الامر وفي نسخة صحيحة أن أسجد لك (قال لو أمرت أحدا أن يسجد لاحد) أي غير الله سبحانه وتعالى (لامرت المرأة ان تسجد لزوجها) أي لما عليها من حقوقه (قال فأذن لي) وفي نسخة فقال ائذن لي (أقبل) وفي نسخة أن أقبل (يديك ورجليك فأذن له) أي فقبلهما (وفي الصحيح) أي صحيح مسلم (في حديث جابر بن عبد الله) أي الانصاري كما في نسخة وهما صحابيان جليلان (الطويل) نعت الحديث (ذهب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقضي حاجته) كناية عن فعل الغائط أو البول (فلم يرشيأ يستتر به) أي من عيون الانس والجن فتحير في أمره (فاذا بشجرتين) أي ثابتتين أو نابتتين (بشاطئ الوادي) أي في جانبه (فانطلق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي ذهب (الى احداهما فأخذ بغصن من أغصانها فقال) أي لها كما في نسخة (انقادي علي) أي استسلمي لي وأطيعيني (باذن الله) أي بأمره وتيسيره (فانقادت معه كالبعير المخشوش الذي

والخشاش

الذي يصانع قائده) أي يلاينه وينقاد له وهو بالخاء والشينين المعجمات الذي جعل في انفه خشاش وهو بالكسر عود يربط عليه حبل ويجعل في أنفه ويشد به الزمام لينقاد بسهولة ثم ان كان من شعر فهو خزامة أو من صفر أو حديد فهو برة بضم موحدة فتخفيف راء (وذكر) أي جابر (انه) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (فعل بالاخرى) أي من الشجرتين (كذلك) أي مثل ما فعل بالاولى (حتى اذا كان بالمنصف) بفتح الميم واسكان النون وفتح الصاد وتكسر أي وسط الطريق (بينهما) أي

بين موضعيهما وهو بيان أو تأكيد (قال) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم للشجرتين (التئما) أي اجتمعا وانضما (على باذن الله فالتأمتا وفي رواية أخرى) أي لمسلم وغيره (فقال يا جابر قل لهذه الشجرة) أي التي بشاطئ الوادي (يقول لك رسول الله الحقي) بفتح الحاء أي اجتمعي واتصلي (بصاحبتك) أي بنظيرتك وهي الشجرة التي في مقابلتك (حتى أجلس خلفكما) أي فاقضي حاجتي مستترا بكما وفي أصل الدلجي حتى يجلس بناء على المعنى (ففعلت فرجعت) أي الشجرة عن حالتها التي كانت عليها وفي نسخة فزحفت بالزاي والحاء المهملة والفاء أي انتقلت من محلها (حتى لحقت بصاحبتها فجلس خلفهما) الظاهر ان القضية متكررة وان الشجرة الواحدة ما كانت تصلح ان تكون سترة (فخرجت أحضر) بضم الهمزة وسكون الحاء المهملة وكسر المعجمة أي أعدو وأجري انما فعل ذلك رضي الله تعالى عنه لئلا يحس به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انه قريب منه فيتأذى بقربه (وجلست أحدث نفسي) أي بهذا الامر الغريب والحال العجيب (فالتفت) أي فنظرت الى أحد طرفي (فاذا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي فاجأته بغتة فابصرته (مقبلا والشجرتان قد افترقتا) أي من محل اجتماعهما وانتقلتا الى موضعهما

والخشاش مأخوذ من قولهم خش بمعنى دخل لادخاله في الانف وقوله (الذي يصانع قائده) صفة البعير وهو يطلق على الذكر والانثى كما مر والمصانعة مفاعلة من الصنع وهو العمل والمراد به الملاينة وسهولة الانقياد مستعار من المصانعة وهي المداراة والاعطاء ولذا قيل للرشوة مصانعة كما قاله الراغب (وذكر) أي جابر رضي الله تعالى عنه في حديثه هذا (انه) صلى الله تعالى عليه وسلم (فعل بالاخرى) أي بالشجرة الاخرى التي كانت بالوادي (مثل ذلك) أي مثل ما فعل بالاولى بان أمسك غصنا منها حين انقادت له صلى الله عليه وسلم بسهولة (حتى اذا كان) صلى الله تعالى عليه وسلم أي حل ووجد (بالمنصف) بفتح الميم وسكون النون وفتح الصاد المهملة المخففة أي حل في وسط المكان (بينهما) أي بين الشجرتين وهذا أستر له (قال التئما) بفتح المثناة الفوقية وكسر الهمزة أي انضما واجتمعا (على باذن الله فالتأمتا) بتيسيره وارادته والالتئام الاجتماع ومنه التئام الجرح والاستتار من رؤية العورة واجب اذا كان عنده من لا يغض بصره ممن يحرم نظره اليها وهذا لا ينافي كون هذا معجزة له صلى الله تعالى عليه وسلم فان اللازم التستر باي وجه كان (وفي رواية أخرى) لحديث جابر رضي الله تعالى عنه من غير طريق مسلم (فقال) صلى الله عليه وسلم (يا جابر قل لهذه الشجرة) التي بشاطئ الوادي (يقول لك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الحقي بصاحبتك) أي تحركي واذهبي حتى تكوني مع الشجرة الاخرى وسماها صاحبة لكونهما في واد واحد أو باعتبار ما يؤول بعد اللحوق والانضمام (حتى اجلس) لقضاء الحاجة مستترا (خلفكما فزحفت) بزاي معجمة وحاء مهملة وفاء وفي نسخة فرجعت براء وعين مهملتين بينهما جيم (حتى لحقت بصاحبتها فجلس خلفهما) أي بان جعلهما بينه وبين الناس قال جابر رضي الله تعالى عنه (فخرجت أحضر) بضم الهمزة وسكون الحاء المهملة وكسر الضاد المعجمة والراء المهملة أي أسرع في العدو من الحضر بالضم والسكون قال الجوهري الحضر بالضم العدو يقال أحضر الفرس احضارا واحتضر اذا عدا انتهى فهو مضارع المزيد للمتكلم كأكرم يكرم (وجلست أحدث نفسي) حديث النفس مجاز عما يخطر بالبال من هذه الامور العجيبة والمنقبة الشريفة التي شاهدها رضي الله تعالى عنه من معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم وانما أسرع وعدا لما كان يعلمه منه من المبالغة في التستر والابعاد عن الناس اذا قضى حاجته لشدة حيائه صلى الله تعالى عليه وسلم حتى انه كان يذهب وهو بمكة لقضاء حاجته الى المغمس وهو مكان بينه وبين مكة نحو ميلين ولذا تأدب ولم يمش على تؤدته حتى يقف صلى الله تعالى عليه وسلم منتظر البعده عنه (فالتفت) أي حولت وجهي وأنا جالس الى جانبه لانظر ما حدث بعد الحدث (فاذا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مقبلا) اذا فجائية أي فاجأني بغتة بعد التفاتي فابصرته ومقبلا اسم فاعل من الاقبال مرفوع خبر رسول وفي نسخة مقبلا بالنصب على الحالية من مقدر أي جاء مقبلا والجملة خبر المبتدأ والحال مؤكدة كولى مدبرا (والشجرتان قد افترقتا) وعادت كل واحدة منهما لمحلها وهي جملة اسمية حال من الضمير المستتر في قوله

(فقامت كل واحدة منهما على ساق) أى فى منبتها (فوقف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقفة) أى خفيفة (فقال برأسه) أى فاومأ به أى فاومأ به الى الشجرتين (هكذا يمينا وشمالا) تفصيل لما قبله اجمالا ولعله كان وداعا للشجرتين أو لمن هنالك من الملائكة واما قول الدلجى وقد تبعه التلمسانى اذنا منه لهما بالرجوع الى مكانهما فيأباه الفاء كما لا يخفى على أهل الوفاء (وروى اسامة بن زيد نحوه) أى كما رواه البيهقى وأبو يعلى بسند حسن عنه (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى بعض مغازيه) أى غزواته (هل تعنى) بالفوقية أى تقصد وتعين ٥٠ (مكانا لحاجة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أى لقضاء حاجته فيه وتصحف الدلجى وضبط لفظ تعنى بالتحتية وتكلف بقوله هل استفهام اكتفى به عن المستفهم عنه استهجانا للتصريح باسمه ومن ثمه بينه الراوى بقوله يعنى مكانا لحاجته نعم هذا انما يصح بناء على نسخة هل ترى يعنى مكانا الخ وقد تبعه التلمسانى فقال أى ترى أو تجد وهو اما حذفه للعلم به وأما حذفه الراوى لانه لم يسمعه أو لم يفهمه أو لم يجده فى أصله انتهى وكله تكلف وتعسف مستغنى عنه (فقلت ان الوادى ما فيه موضع بالناس) أى ليس فيه مكان مستقر بهم بل كله خال عنهم فما التفت الى كلامه حيث لم يكن على وفق مرامه (فقال هل ترى من نخل أو حجارة) أى ولو فى بعد وأغرب التلمسانى فى قوله ان بالناس معمول ان أى غاص أو ملآن أو عامر أو كائن وكائن بعيد هنا ثم قال موضع يستتر فيه أو يقضى الحاجة وحذف للعلم به (قلت أرى نخلات) بفتح الخاء أى (متقاربات) بكسر الراء وتفتح وفى أصل التلمسانى مقاربات (قال انطلق وقل لهن رسول الله) وفى نسخة ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يامركن ان تأتين لمخرج رسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم) أى لتستره بكن (وقل للحجارة) أى لجنسها من الحجارات هنالك (مثل ذلك) أى كما قلته للنخلات من الاتيان لمخرجه (فقلت لهن ذلك فوالذى بعثه بالحق) فيه تلويح الى جواز القسم بالامر العظيم ذكره الدلجى والصواب انه قسم بفعل الله الكريم (لقد رأيت النخلات يتقاربن حتى اجتمعن والحجارة) أى ورأيت الحجارة (يتعاقدن حتى صرن ركاما) بضم الراء أى متراكمة بعضها فوق بعض

مقبل (فقامت كل واحدة منهما على ساق) منتصبة فى منبتها مفارقة لصاحبتها والساق حقيقة فيما قام عليه الشجر وما لا ساق له فهو نجم ونبت فاذا ظهر على وجه الارض فهو عشب فاذا غطى الارض فهو كلأ كما فصله أهل اللغة (فوقف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقفة) يسيرة ينتظر لما أكرمه الله تعالى به من مشى الشجر لاجله (فقال برأسه) أى حركه (هكذا) وفسره بقوله (يمينا وشمالا) منصوبان على الظرفية أى فى جانب اليمين والشمال وقال هنا بمعنى مال أى ميل رأسه الشريف فى الجهتين قال فى القاموس قال ابن الانبارى يجىء قال لمعان تقول قال فاكل وقال فضرب وقال فتكلم ومال وأقبل الى آخر ما فصله وقيل قال هنا مجاز عن الاشارة لاشتراكهما فى الافهام وقيل انه اذن لهما فى الرجوع الى مكانهما وهو لا يوافق قوله فقامت كل واحدة منهما على ساق فتدبر (وروى اسامة بن زيد) فى حديث أخرجه البيهقى فى الدلائل وأبو يعلى بسند حسن عنه (نحوه) أى بمعنى الحديث الذى قبله (قال) اسامة (قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض مغازيه) جمع مغزاة بمعنى الغزاة أو محلها كما مر (هل) استفهام حذف المستفهم عنه للعلم به أو استهجان ذكره أو لانه لم يسمعه أو لم يفهمه أو لم يجده فى أصله أى هل ترى مكانا لائقا بقضاء الحاجة واليه أشار بقوله (تعنى مكانا لحاجة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) الحاجة هنا كناية عن البول والغائط (فقلت ان الوادى ما فيه موضع بالناس) الباء سببية وما نافية أى ما فيه موضع خال بسبب نزول الناس فيه فهو مملوء بهم (فقال هل ترى من نخل أو حجارة) مرتفعة يمكن ان يستتر بها كالنخل يقضى الحاجة خلفه ويكون فيه سترة ومن زائدة بعد الاستفهام (قلت أرى نخلات) جمع نخلة (متقاربات) أى قرب بعضها من بعض وهو مناسب للسترة بها للجلوس بينها وروى متكاربات بالكاف وهو لغة بمعنى متقاربات والقاف تبدل كافا كثيرا وقرئ فى الشواذ لا تكهر فى لا تقهر وروى بصرية وكونها علمية بعيد فهى صفة نخلات منصوبة (قال انطلق وقل لهن) أى للنخلات (ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يأمركن ان تأتين) أى تجتمعن ويتزايد قربكن ليكون أستر له (لمخرج رسول الله) صلى الله تعالى عليه وسلم أى لمكان خرج اليه لقضاء حاجته فيه (وقل للحجارة مثل ذلك) أى مثل قولك للنخلات من أمره صلى الله تعالى عليه وسلم لها ان تأتين لمخرجه وفى كلام اسامة لم يأمر الحجارة اما لعدم الحاجة اليها مع النخيل أو لانها لم تكن مرفوعة حتى تعد ساترة (فقلت ذلك لهن) الفاء فصيحة أى فذهبت فقلت ما أمرنى به لهن (فوالذى بعثه بالحق) قسم أى بالدين الحق (لقد رأيت النخلات يتقاربن) أى يدنو بعضها من بعض (حتى اجتمعن) فى مكان واحد (والحجارة) بالنصب (يتعاقدن) أى ينضم بعضها الى بعض حتى يصرن كالبنيان المعقود بعضه ببعض (حتى صرن ركاما) بضم الراء المهملة

(خلفهن) أي وراء النخلات (فلما قضى حاجته قال لي قل لهن) أي لمجموع النخلات والحجارات (يفترقن) أي ليفترقن أو مجزوم على جواب الأمر مبالغة في تأثيره لهن نحو قوله تعالى قل للذين آمنوا يقيموا الصلاة الآية ثم قال جابر (والذي نفسي بيده) وغاير بين القسمين تفننا (لرأيتهن) أي النخلات والحجارة (يفترقن) أي بجميع أفرادهن (حتى عدن) بضم العين أي صرن على حالهن ورجعن (إلى مواضعهن وقال يعلى ابن سيابة) بسين مهملة بعدها تحتية مخففة مفتوحتين فألف فموحدة أمه وأبوه مرة وله صحبة أيضا حضر الحديبية وخيبر والفتح والطائف وفي تجريد الذهبي أن يعلى بن مرة بن وهب الثقفي بايع تحت الشجرة وله دار بالبصرة ولم يتعرض لكونه ابن سيابة وقد ذكره في التهذيب فجعلهما واحدا وكذا المزي جعلهما واحدا ثم قال وزعم أبو حاتم أنهما اثنان انتهى وسيأتي قريبا في كلام المصنف ما يؤيد الأول وقد روى حديثه هذا أحمد والبيهقي والطبراني بسند صحيح عنه أنه قال (كنت مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في مسير) أي سير سفر (وذكر نحوا من هذين الحديثين وذكر) يعلى (فأمر) أي المصطفى (وديتين) بفتح الواو وكسر الدال المهملة وتشديد التحتية أي نخلتين صغيرتين وضبطهما الشمني بفتح الواو فسكون الدال وتخفيف الياء (فانضمتا) أي اجتمعتا وفي أصل الحجازي فانضما قال وصححه المزي بالتأنيث وكذا رأيته في النسخ المصححة (وفي رواية أشاءتين) بفتح الهمزة والشين المعجمة الممدودة بمعنى ودييتين وضبط في نسخة بكسر الهمزة وهو سبق قلم مخالف لما في كتب اللغة (وعن غيلان بن سلمة الثقفي) بفتحتين نسبة إلى قبيلة ثقيف وغيلان هذا بفتح الغين المعجمة أسلم بعد الطائف وله عشر نسوة فأمره النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أن يمسك أربعا ويفارق سائرهن فذهب فقهاء الحجاز إلى أنه يختار أربعا كما شاء وفقهاء العراق إلى أن يمسك الأربع التي تزوجها أولا وهو ممن وفد على كسرى وخبره معه عجيب قال له كسرى ذات يوم أي ولدك أحب إليك فقال له غيلان الصغير حتى يكبر والمريض حتى يبرأ والغائب حتى يؤوب فقال له كسرى زه مالك ولهذا الكلام هذا من كلام الحكماء وأنتم من قوم جفاة لا حكمة فيهم فما غذاؤك قال خبز البر قال هذا العقل من البر لا من اللبن والتمر وكان شاعرا توفي في آخر خلافة عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه (مثله) أي نحو ما سبق مروي غيره (في شجرتين) أي من اجتماعهما وافتراقهما

أي بعضها فوق بعض (خلفهن) متعلق بركاما والضمير للنخلات يعني أن الحجارة اجتمعت مع النخل وفي نسخة لخلفهن فالضمير للنخلات والحجارة (فلما قضى حاجته قال لي قل لهن يفترقن) أي يرجع كل نخلة وحجر إلى موضعه الذي كان فيه أولا (فوالذي نفسي بيده) أي الله الذي روحي في قبضة تصرفه وإرادته إن شاء أبقاها وإن شاء أماتها والنفس لها معان مشهورة منها الروح وغاير بين القسمين تفننا مع مناسبة الأولى للقسم عليه من أن له دينا حقا وهو رسول له معجزات منها ما ذكر ومناسبة الثاني لحاله من أن من آمن بالله وخشيه لا يتكلم إلا بالحق لا سيما فيما ذكر (لرأيتهن والحجارة) بالنصب عطف على الضمير وهو مفعول معه والضمير للنخلات واللام في جواب القسم (يفترقن حتى عدن إلى مواضعهن) وفيه معجزات له صلى الله تعالى عليه وسلم في سعي النخل والحجارة بأمره مرتين وخلق الله تعالى فيها قوة تسمع وتأتمر بأمره والحديث طويل وفيه معجزات أخر من إتيان امرأة له صلى الله تعالى عليه وسلم بولد لها صغير كان يصرع فتفل في فيه فلم يعد له ذلك وأن أمه أتت له صلى الله تعالى عليه وسلم بشاة فسواها أسامة له فقال له ناولني منها ذراعا فناوله ثم قال ذلك فناوله ثم قال فقال أسامة إنها ذراعين فقال لو سكت لم تزل تناولني منها وكان ذلك في سفره للحج بمحل يقال له الروحاء (وقال يعلى ابن سيابه) في حديث صحيح رواه أحمد والبيهقي والطبراني ويعلى بزنة يرضى علم منقول من المضارع وسيابة بفتح السين المهملة وتشديد المثناة التحتية وألف وموحدة يليها هاء اسم أمه فيرسم ابن بالألف وأبوه مرة بن مرازم وقيل مرة بن وهب الثقفي وقيل إنهما اثنان وهو صحابي بصري أو كوفي وترجمته مفصلة في الإصابة والرواية عنه نادرة وهو من أهل الشجرة (كنت مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في مسير) بفتح الميم مصدر ميمي أو اسم زمان أو مكان قيل والأول أولى (وذكر نحوا من هذين الحديثين) اللذين قبله في ذهابه لقضاء حاجته وأمره للشجرتين غير أنه قال (وذكر فأمر وديتين) تثنية ودية بفتح الواو وكسر الدال المهملة والمثناة المشددة قبل الهاء وهي صغار النخل التي تخرج من أصول كبارها فتنقل وتغرس وتسمى فسيلا وفراخا (فانضمتا) أي انضمت إحداهما للأخرى كالذي مر (وفي رواية أشاءتين) بفتح الهمزة وكسرها في بعض النسخ خطأ وشين معجمة وألف ممدودة وهمزة وتاء تأنيث مثنى أشاءة وهي من صغار النخل أيضا لكنها أكبر من الودية وهمزة الثانية منقلبة عن ياء وقيل أصلية (وعن غيلان بن سلمة الثقفي مثله في شجرتين) وغيلان بفتح الغين المعجمة وتحتية مثناة ولام ونون وهو غيلان بن سلمة بن معتب بوزن معلم بالتشديد ابن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن

(وعن ابن مسعود عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مثله في غزاة حنين) بفتح الغين أي غزوته (وعن يعلى بن مرة) وهو أبوه (وهو ابن سيابة) وهي أمه (أيضا) أي هما واحد لا اثنان كما توهم بعضهم (وذكر) أي يعلى (أشياء) أي من خوارق العادات (رآها من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فذكر ان طلحة) بالتنوين واحدة الطلح شجر عظيم من شجر العضاة وبه سمي طلحة (أو سمرة) تقدم انها بضم الميم وانهما من شجر الطلح فأو شك من الراوي كذا قرره الشراح وأرادوا الشك في رواية المبنى مع اتحاد المعنى والاظهر ان السمرة نوع خاص من جنس شجر الطلح ويحتمل ان يكون أو بمعنى بل (جاءت) أي احداهما أو أخراهما (فاطاقت به) أي ألمت به وقاربته على ما في القاموس وفي أصل الدلجي فطافت به أي دارت حوله صلى الله تعالى عليه وسلم (ثم رجعت الى منبتها فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انها) أي الشجرة المذكورة (استاذنت) أي ربها (ان تسلم علي) أي فاذن لها فجاءت وسلمت (وفي حديث عبد الله بن مسعود) أي عند الشيخين (آذنت) بهمزة ممدودة وفتح الذال والنون أي أعلمت (النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بالجن) أي باتيانهم اليه وحضورهم لديه (ليلة استمعوا له) أي لقراءته أو لكلامه (شجرة) فاعل آذنت وهي سمرة على ما في بعض السنن قال الدلجي وفيه تلويح بانه لم يرهم ولم يقرأ عليهم وانما اتفق حضورهم في بعض أوقات قراءته انتهى وفيه انه ثبت تصريح بتوجهه صلى الله تعالى عليه وسلم اليهم للقراءة عليهم وقد أخبر

عم

ببعض صورهم مما رآه لديهم نعم فيه ايماء باتيان الشجرة في حضورهم حال الابتداء (وعن مجاهد عن ابن مسعود) نقل الحافظ العلاء عن أبي زرعة انه مرسل ولا مضرة فانه عند الجمهور حجة (في هذا الحديث) أي المتقدم آنفا (ان الجن قالوا من يشهد لك) أي بانك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (قال هذه الشجرة) أي الحاضرة (تعالى يا شجرة) بفتح اللام وسكون الياء وقد تكسر لامه كما قرئ في تعالوا بالضم وأغرب التلمساني حيث جزم بان اللام مكسورة واقتصر عليها أي ارتفعي الى عن مقامك
واطلبي من عندي مرامك

عوف بن ثقيف الصحابي الشاعر أسلم بعد الطائف وتوفي في آخر خلافة عمر وهو الذي أسلم على عشر نسوة وفي هذه الرواية لم تعين الشجرتان (وعن ابن مسعود مثله في غزاة حنين) اسم موضع معروف وغزوة حنين كانت بعد الفتح بسنة كما فصل في السير وضمير مثله راجع لما ذكر من أمر الشجرتين (وعن يعلى بن مرة وهو ابن سيابة أيضا) اشارة الى ما مر من الاختلاف في اسم أبيه كما سمعته آنفا وان سيابة اسم أمه (وذكر أشياء رآها من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي ذكر ابن سيابة أمورا خارقة للعادة من معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم شاهدها منه صلى الله تعالى عليه وسلم في تلك الغزوة (فذكر ان طلحة أو سمرة رضي الله تعالى عنهما) بفتح المهملة وضم الميم كما مر نوعان من شجر البرية ذات شوك تسمى العضاة وأو للشك من الراوي في تلك الشجرة (جاءت فطافت به) صلى الله تعالى عليه وسلم أي دارت حوله وفي بعض النسخ فاطافت بهمزة قبل الطاء المهملة وهو بمعناه يقال طاف وأطاف ويطوف واستطاف بكذا اذا ألم به ودار حوله وأما كونه من الطوف بمعنى الغائط ويقال منه أيضا طاف وأطاف اذا ذهب الى البراز ليتغوط وانه أسند الى الشجرة مجازا فتكلف لا حاجة اليه وليس في هذا التجوز معنى حسن يرتكب لاجله وان كان صحيحا بحسب اللغة ولا يناسب قوله بعده (ثم رجعت الى منبتها) أي موضعها الاول الذي نبتت فيه (فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انها) أي تلك الشجرة (استاذنت ان تسلم علي) أي استأذنت ربها ويجوز ان يكون هذا مجازا والمعنى انها طلبت من الله تعالى ان يعطيها قدرة كقدرة العقلاء من المشي اليه صلى الله تعالى عليه وسلم والسلام عليه بالمقال لا بلسان الحال وهذا صريح في انه لم يكن للتغوط كما قيل (وفي حديث عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه) الذي رواه الشيخان مسندا (آذنت) بالمد بمعنى أعلمت وفاعله شجرة الآتي وقوله (النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) بالنصب مفعوله و(بالجن) متعلق به أي بحضورهم عنده صلى الله تعالى عليه وسلم واستماعهم منه القرآن (ليلة استمعوا له) منصوب على الظرفية أي في الليلة التي استمعوا قراءته صلى الله تعالى عليه وسلم للقرآن (شجرة) وفيه دلالة على انه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يرهم عيانا في هذه القصة وانما كانوا عنده وهو لم يرهم وانما نطقت الشجرة وأعلمته بحضورهم واستماعهم وفي هذه القصة كلام سنفصله (وعن مجاهد عن ابن مسعود في هذا الحديث) الذي رواه الشيخان (ان الجن قالوا) له صلى الله تعالى عليه وسلم لما اجتمعوا به (من يشهد لك) بانك رسول الله (قال هذه الشجرة) ثم دعاها للشهادة فقال (تعالى يا شجرة) بفتح اللام وسكون الياء التحتية وهو أمر من تعالى يتعالى بالطلوع لمكان عال ثم

عم وصار بمعنى أقبل مطلقا وكسر اللام قال كثير من النحاة انه لحن ولم يرتضه الزمخشري وقال انه قرئ به في الشواذ وانه لغة وعليه قول أبي فراس وهو أسير يسمع تغريد حمامة شوقته لاوطانه * ومعاهد الفه واخوانه

أقول وقد ناحت بقربي حمامة * أيا جارتي هل بات حالك حالي
معاذ الهوى ماذقت طارقة النوى * ولا خطرت منك الهموم ببالي
أتحمل محزون الفؤاد قوادم * الى غصن نائي المسافة عالي
أيا جارتي ما أنصف الدهر بيننا * تعالي أقاسمك الهموم تعالي
تعالي ترى روحا لدي ضعيفة * تردد في جسم يعذب بالي
أيضحك مأسور وتبكي طليقة * ويسكت محزون ويندب سالي
لقد كنت أولى منك بالدمع مقلة * ولكن دمعي في الحوادث غالي

(فجاءت) امتثالا لامره صلى الله تعالى عليه وسلم اذ قال تعالى (تجر عروقها) لانها لما خرجت من محلها أخرجت عروقها التي كانت في داخل الارض فلما مشت انجرت خلفها (لها) أي لعروقها أو للشجرة نفسها (قعاقع) أي صوت قوي كصوت الرحا وهو جمع قعقعة وهي حكاية صوت الحركة من الاجرام الصلبة وقيل يجوز ان يراد به صوت كلام جهوري لما اذ أنطقها الله تعالى أو الصوت من شق الارض كما انها جاءت تخد الارض أو صوت اصطكاك أغصانها وقال الحافظ العراقي حديث مجاهد عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه مرسل نقلا عن شيخه العلائي وابن الصلاح (وذكر) مجاهد (مثل الحديث الاول) أي ما يشابهه لفظا ومعنى (أو نحوه) أي قريبا منه وان لم يكن بينهما شبه تام ونحو يكون بمعنى مثل مطلقا ويكون بمعنى ما يقرب منه وان لم يكن مثله وهو المراد هنا لجمعه بينهما وقوله في أول الحديث ان الشجرة أعلمته بالجن يقتضي انه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يرهم وقوله بعده انهم قالوا له من يشهد لك يقتضي انه رآهم وخاطبهم ولا تناقض فيه لان القصة تعددت وتحقيقها كما في كتاب آكام المرجان في أحكام الجان انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما أيس من ثقيف رجع من الطائف لمكة فقام بنخلة يصلي جوف الليل فمر به نفر من الجن جن نصيبين وسمعوا قراءته فآمنوا به وأتوا قومهم منذرين كما أخبر الله تعالى عنهم بقوله واذ صرفنا اليك نفرا من الجن الى آخره وفي هذا القصة كما في الصحيحين لم يقرأ عليهم ولا رآهم وانما كانت الشياطين لما حيل بينهم وبين خبر السماء تفرقوا في الارض ليعلموا سبب ما حدث فمر به صلى الله تعالى عليه وسلم نفر منهم من جن تهامة وهو راجع من عكاظ وقد قام يصلي الفجر باصحابه فلما سمعوا قراءته صلى الله عليه وسلم قالوا هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء فرجعوا وأخبروا قومهم وأنزل الله عليه قل أوحي الى السورة كما قاله ابن عباس رضي الله عنهما قال البيهقي وهذا كان في أول أمره ولم يرهم وأتاه مرة أخرى داعي الجن فرآهم وقرأ عليهم كما رواه ابن مسعود وفي القصة الاولى لم يرهم وانما الذي أعلمه بهم الشجرة وروي انه صلى الله عليه وسلم قرأ عليهم سورة الرحمن فكانوا كلما قال فبأي آلاء ربكما تكذبان قالوا ولا بشيء من آلائك ربنا نكذب فلك الحمد وابن مسعود أعلم بقصة الجن من ابن عباس لانها كانت قبل الهجرة بسنة احدى عشرة من النبوة وابن عباس طفل وقال السهيلي رحمه الله تعالى انهم كانوا يهودا لقولهم من بعد موسى دون عيسى كما ذكره ابن سلام واختلف في عددهم فقيل سبعة وقيل تسعة وفي مسلم انه قيل لابن مسعود هل صحب أحد منكم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة الجن قال لا وكنا فقدناه ليلة فالتمسناه في الاودية فلم نجده وبتنا بشر ليلة فلما أصبحنا جاء من قبل حراء وقال أتاني الليلة داعي الجن فذهبت معه

(فجاءت تجر عروقها) أي من محل أصولها (لها) أي لعروقها (قعاقع) بفتح القاف الاولى وكسر الثانية جمع قعقعة وهي حكاية حركة شيء يسمع له صوت من سلاح ونحوه (وذكر) أي مجاهد أو ابن مسعود (مثل الحديث الاول) أي في مبناه (أو نحوه) أي باعتبار معناه من اتيان الشجرة وبيان الشهادة ورجوعها الى مكانها الاول فتأمل

(قال القاضي أبو الفضل) أي المصنف (فهذا ابن عمر وبريدة وجابر وابن مسعود ويعلى بن مرة واسامة بن زيد) راعى الترتيب بينهم لا باعتبار مراتبهم بل على حسب روايتهم لكن كان حقه على هذا ان يقدم اسامة ويعلى على ابن مسعود والا فهو أجل الصحابة بعد الخلفاء الاربعة ثم قوله (وأنس بن مالك وعلى ابن أبي طالب وابن عباس) بناء على ما سيأتي عنهم قوله (وغيرهم) أي كالحسن وابن فورك وابن اسحق من الائمة المذكورين هنا ومنهم عمر او عمرو على اختلاف فيهما (قد اتفقوا على هذه القصة نفسها) أي باعتبار مبناها أو معناها (ورواها عنهم من التابعين اضعافهم) أي في العدد لا في الرتبة (فصارت في انتشارها) أي فشوها هذه القصة (من القوة حيث هي) أي على حالها الاول (وذكر ابن فورك) بضم الفاء يصرف ويمنع وهو الاظهر (انه صلى الله تعالى عليه وسلم سار في غزوة الطائف) وهي كانت في السنة الثامنة بعد الفتح وبعد حنين وفي أصل الدلجي زيد وحنين (ليلا) أي من الليالي (وهو وسن) بفتح الواو وكسر المهملة صفة مشبهة من الوسن بفتحتين وهو أول النوم ومقدمته ومنه السنة وأصلها الوسنة كالعدة والمعنى ليس بمستغرق في النوم بل هو نعسان

ثم

وقرأت عليهم القرآن وانطلق بنا وأرانا آثار نيرانهم وذكر لنا ما أمرهم به من الزاد وهذه غير الليلة التي أعلمهم بها وذهب معه ابن مسعود وخط له خطا وغاب عنه ثم عاد اليه وكانت بمكة وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم لأصحابه من أحب منكم ان يحضر الليلة أمر الجن فليفعل فلم يحضر أحد منهم غيري فانطلقنا حتى اذا كنا بأعلى مكة خط لي برجله خطا أمرني أن اجلس فيه ثم انطلق حتى قام يقرأ فغشيته اسودة حالت بيني وبينه صلى الله تعالى عليه وسلم ثم انصرفوا مثل قطع السحاب الى الفجر ثم أتاني وفي هذه الرواية ان ابن مسعود قال سمعتهم يقولون من يشهد انك رسول الله الى آخر ما ذكر من قصة الشجرة وما هنا من اعلامه لهم وخروجه معه الى آخره وما روي عنه من انهم التمسوه وباتوا بشر ليلة يدل على ان قصة الجن تعددت وقول البيهقي انها واحدة لا يمكن فيه الجمع بين الروايتين ويعينه ما رواه أبو نعيم في دلائله من ان القصة كانت بالمدينة بالبقيع وروى ابن الزبير انه حضرها بالمدينة فهذه مرة ثالثة وذكر مثله عن بلال باحاديث مفصلة ثم قال دل مجموع الاحاديث ان وفادة الجن عليه صلى الله تعالى عليه وسلم كانت ست مرات الاولى لم يشعروا بها والتمسوه فيها فلم يجدوه والثانية كانت باعلى مكة في الجبال والثالثة ببقيع الغرقد قد حضرها ابن مسعود رضي الله عنه وخط عليه الخط والرابعة كانت مع ابن مسعود أيضا والخامسة خارج المدينة مع ابن الزبير والسادسة في بعض أسفاره مع بلال رضي الله تعالى عنه ولكل منها احاديث مسندة ان أردته فانظر الكتاب المذكور فانه لم يصنف في معناه مثله * أقول وفيما ذكرناه معجزات أخر منها انقياد الجن له صلى الله تعالى عليه وسلم باختيارهم وهي أعظم من تسخيرهم لسليمان عليه الصلاة والسلام ومنها كلام الشجرة له ومنها سعيها له وعودها لمحله بعد خروج عروقها من منبتها وهو أمر خارق للعادة وفي الحديث فوائد منها كراهة الاستنجاء بالعظم فانه صلى الله تعالى عليه وسلم نهى عن ذلك فيه ومنها ان غيره صلى الله تعالى عليه وسلم من الانبياء بعث للجن كموسى عليه الصلاة والسلام وانهم مكلفون وقد اختلف هل بعث منهم رسول أم لا فقيل منهم رسولا يسمى يوسف وثمة فوائد أخر لا يسعها نطاق البيان هنا (قال القاضي أبو الفضل) هو عياض المصنف (رضي الله تعالى عنه) وهذا فذلكة لما تقدم بقوله (فهذا ابن عمر) رضي الله تعالى عنهما (وبريدة وجابر) بن عبد الله رضي الله عنهما (و) عبد الله (ابن مسعود ويعلى بن مرة واسامة بن زيد وأنس بن مالك وعلى بن أبي طالب و) عبد الله (بن عباس) رضي الله تعالى عنهما (وغيرهم) الى قوله (قد اتفقوا على هذه القصة نفسها) يعني كلام الشجر (أو معناها) مما يدل على ذلك (وقد رواها عنهم) أي عمن ذكر من الصحابة (من التابعين اضعافهم) لتعدد طرقهم والضعف هو المثل أو المثلان (فصارت في انتشارها) أي اشتهار روايتها عنهم (من القوة حيث هي) يعني انها نقلت عن كثير من الصحابة والتابعين حيث بلغت التواتر المعنوي وصارت في مرتبة قوية لا يشك فيها أحد من العقلاء فحيث ظرف مكان مضاف لجملة وهي ضمير القصة مبتدأ خبره محذوف تقديره هي معروفة مشهورة (وذكر ابن فورك) تقدم الكلام عليه وعلى صرف فورك وعدمه وانه امام ثقة جليل القدر (انه صلى الله عليه وسلم سار في غزوة الطائف) اسم بلدة قريبة من مكة كثيرة المياه والاشجار يقال ان جبريل اقتطعها من أرض صنعاء وهي المذكورة في سورة ن في قوله تعالى فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون والطائف هو جبريل عليه الصلاة والسلام اقتلعها وطاف بها حول البيت ثم أنزلها حيث هي كما نقله السهيلي عن بعض المفسرين قال فلذا سميت بالطائف وهذه الغزوة كانت في السنة الثامنة من الهجرة (ليلا) متعلق بسار (وهو وسن) بزنة حذر والوسن قريب من النعاس وفي فقه اللغة في مراتب النوم أوله النعاس ثم الوسن ثم الترنيق ثم الكرى والغمض ثم التعفيق ثم الاغفاء ثم التهويم

(فاعترضته) أي ظهرت في عرض وجهه (سدرة) أي وهو سائر (فانفرجت له نصفين حتى جاز) أي جاوز (بينهما وبقيت) أي تلك الشجرة (على ساقين) أي من غير التئام لهما (الى وقتنا) أي هذا كما في نسخة (وهي) أي تلك الشجرة (هناك) أي في طريق الطائف (معروفة معظمة) قلت ولعلها كانت في زمانهم وأما في زماننا هذا فليست مشهورة (ومن ذلك) أي ومن قبيل ما ذكر من اجابة الشجرة (حديث أنس) كما رواه ابن ماجه والدارمي والبيهقي عنه (أن جبريل قال للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم ورآه) أي وقد رأى جبريل النبي عليهما الصلاة والسلام (حزينا) أي من تكذيب قومه له فالجملة حال من ضمير قال (أتحب أن أريك آية) أي علامة على صحة نبوتك وصدق رسالتك (قال نعم) أي أحب أن تريني آية من آيات ربي ليطمئن قلبي (فنظر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى شجرة) أي بعيدة كائنة (من وراء الوادي) أي الذي كان فيه والمعنى من قدامه أو خلفه (فقال) أي لجبريل ويحتمل عكس هذا القيل (ادع تلك الشجرة) أي فدعاها (فجاءت تمشي) أي اليه (حتى قامت) أي وقفت (بين يديه قال) كما (مرها فلترجع) أي الى منبتها كما في نسخة وفي نسخة الى مكانها أي فأمرها بالرجوع الى محلها (فعادت الى مكانها) أي مما كانت فيه أي في ابتداء حالها (وعن علي نحو هذا) أي الحديث الذي رواه أنس (ولم يذكر) أي علي (فيه) أي في مرويه وفي نسخة فيها أي في هذه الرواية (جبريل) يعني بل فيه (قال) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم على ما رواه أبو نعيم عنه (اللهم أرني آية) أي معجزة أطمئن بها وأدفع الحزن عني بسببها ويكون من جملة نعتها (لاأبالي) أي لا أكترث ولا أحزن (من كذبني بعدها فدعا شجرة) أي فجاءته (وذكر) أي علي (مثله) أي مثل حديث أنس (وحزنه صلى الله تعالى عليه وسلم لتكذيب قومه) أي لا لضيق حاله وقلة ماله فكان حزنه لأمر دينه ومرضاة ربه فان قلت سبق في حديث هند ابن أبي هالة ان ابن القيم قال انه صلى الله تعالى عليه وسلم لا يجوز أن يكون حزنه على الكفار لان الله تعالى قد نفاه عنه قلت لعل الحزن في الحديث المفسر هنا قبل النهي عن حزنه على الكفار على ان حزنه لتكذيب قومه لا يلزم أن يكون حزنا عليهم لجواز أن يكون لما نسبوه اليه مما هو معصوم منه وهو الكذب عليه

ثم الضرار ثم التهجاج وهو الهجوج يعني أنه صلى الله عليه وسلم نعس وهو سائر على دابته بحيث لا يرى ما في طريقه (فاعترضته سدرة) أي وقع اتفاقا ان شجرة في طريقه أتت دابته لها بحيث كادت تمنعه عن سيره لسدها طريقه وهو صلى الله عليه وسلم لنومه لم يعدل عنها الطريق أخرى (فانفرجت له نصفين) أي انشقت وتباعد بعضها عن بعض بحيث صار بينهما فرجة يمر فيها الراكب (حتى جاز بينهما) أي بين النصفين (وبقيت) الشجرة شجرتين (على ساقين) قائمة (الى وقتنا) أي الى زمن أدركه ابن فورك (وهي هناك) أي في الارض التي فيها من الطائف (معروفة معظمة) لانها من آثار معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم (ومن ذلك) أي من معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم في الشجر ما ورد في حديث رواه الدارمي وابن ماجه والبيهقي كما قاله السيوطي وهو (حديث أنس أن جبريل عليه الصلاة والسلام قال للنبي صلى الله عليه وسلم ورآه حزينا) جملة حالية أي وقد رآه محزونا لعدم اطاعة قومه له في أول البعثة اذ عرض نفسه على القبائل (أتحب أن أريك آية) أي معجزة تزيل حزنك لانه اذا أطاع دعوته الجماد دل ذلك على ان الناس ستطيعه ولكن تأخيره لحكم خفية (قال نعم) أحب ذلك ليزول حزني واعلم أن الله سينصرني ويلين قلوب قومي لاجابة دعوتي (فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى شجرة من وراء الوادي) الذي كان فيه مع جبريل (فقال) جبريل له صلى الله تعالى عليه وسلم (ادع تلك الشجرة) أي مرها بان تأتي اليك ولم يدعها هو ليكون معجزة له لا لجبريل كما توهم فأمرها (فجاءت تمشي حتى قامت بين يديه) صلى الله تعالى عليه وسلم بمكان قريب منه (ثم قال مرها فلترجع) الى مكانها الذي كانت فيه فأمرها (فعادت الى مكانها) كما كانت (وعن علي) كرم الله وجهه (نحوه) قال السيوطي لم أجده عن علي وانما هو عن جابر رضي الله تعالى عنه (ولم يذكر فيها) أي في هذه الرواية (جبريل) وكلامه له (وانما) الذي فيه أنه صلى الله تعالى عليه وسلم (قال اللهم أرني آية) أي معجزة ملزمة لمن رآها دالة على اني مستجاب دعوتي وينفذ بلاغي واللهم معناه يا الله كما فصل في النحو وتقدم منه ما فيه الكفاية (لاأبالي من كذبني بعدها) لانها معجزة قطعية لا يفيد انكارها وجحدها عنادا ولا أبالي بمعنى لا أعتد ولا ألتفت لمن خالفها قال ابن فارس رحمه الله تعالى في المجمل اشتبه على اشتقاق لا أبالي فرأيت قول ليلى الاخيلية

تبالى رواياهم هبالة بعدما * وردن الماء بالجم يرتمي

اذ فسر التبالي بالمبادرة للاستقاء يقال تبالى القوم اذا تبادروا والماء عند قلته وانتظار بعضهم لبعض فقولهم لا أبالي معناه لا أبادر الى اقتنائه بل أنبذه ولا أعتد به انتهى (فدعى شجرة وذكر مثله) من مجيئها ورجوعها (وحزنه) بالنصب أي التعب والكدر كما مر (لتكذيب قومه) له في أول أمره

(فطلبه) بالرفع أي واستدعاؤه (الآية) أي المعجزة (لهم) أي لاستقامة أمته أو اقامة حجته (لاله) أي لا للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم لكمال يقينه في معرفته وعدم تردده في طويته (وذكر ابن اسحق) أي امام المغازي وكذا رواه أبو نعيم

(وطلبه الآية لهم) أي لقومه المكذبين (لاله) صلى الله تعالى عليه وسلم لانه على يقين من أمره وعلمه بقدرة ربه (وذكر ابن اسحق) مما رواه في سيره ورواه أبو نعيم والبيهقي عن أبي امامة بسند من طريقين مرفوعا ومرسلا (أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أرى ركانة مثل هذه الآية في شجرة دعاها فأتت حتى وقفت بين يديه ثم قال ارجعي فرجعت) كما ستسمعه قريبا في الحديث الذي أذكره لك وركانة بضم الراء المهملة وفتح الكاف المخففة وألف تليها نون وهاء وهو ركانة بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف القرشي المكي الصحابي الذي أسلم عام الفتح وتوفي بالمدينة في خلافة معاوية رضي الله عنه سنة اثنين وأربعين وكان شديد البأس قويا جسيما معروفا بالقوة في المصارعة بحيث انه لم يصرعه أحد قط وليس جنبه الارض مغلوبا قط وقد صح أنه صلى الله تعالى عليه وسلم صارعه فصرعه وأما مصارعته لرجل آخر يقال له أبو جهل فلم تصح كما قاله المقدسي وكان ركانة قبل اسلامه يرعى غنماله بوادي اضم بالمدينة وهو من أفتك الناس وأشدهم فخرج صلى الله تعالى عليه وسلم يوما من بيته وتوجه لذلك الوادي فلقيه ركانة وليس ثمة أحد غيرهما فقال له أنت الذي تشتم آلهتنا وتدعو الهك العزيز ولولا رحم بيني وبينك لقتلتك ولكن ادع الهك أن ينجيك مني اليوم وأنا أدعوك لامر وهو ان تصارعني وتدعو الهك وأدعو اللات والعزى فان غلبتني فلك من غنمي هذه عشرة تختارها فصارعه صلى الله تعالى عليه وسلم فغلبه فقال لم تصرعني وانما غلبني الهك وخذلني اللات والعزى وما وضع جنبي على الارض أحد قبلك ولكن عد فان صرعتني فلك على عشرة أخرى فعاد فصرعه فقال له كما قال أولا ثم دعاه ثالثة فصرعه فقال له دونكها الثلاثين من غنمي تختارها فقال له لا أريد ذلك ولكن أدعوك الى الاسلام فاسلم تسلم من النار فقال لا الا ان تريني آية فقال له ان أريتك آية تسلم قال نعم وكان بقربه شجرة سمرة فقال لها أقبلي باذن الله تعالى فانشقت اثنتين وأقبل نصفها حتى كان بين يديه صلى الله تعالى عليه وسلم ويدي ركانة فقال أريتني أمرا عظيما فمرها فلترجع فقال ان أمرتها فرجعت تسلم قال نعم فأمرها فرجعت والتأمت بقضبانها وفروعها مع نصفها الآخر فقال له اسلم فقال أكره ان يتحدث نساء المدينة وصبيانها باني أجبتك لرعب قلبي منك ولكن الغنم لك فقال لا حاجة لي بها وانطلق فلقيه أبو بكر رضي الله تعالى عنه فقال له تخرج الى الوادي وبه ركانة فضحك صلى الله تعالى عليه وسلم فقال أليس الله عصمني وحدثه الحديث المار والحديث يقتضي جواز المصارعة الا انهم قالوا انها بالمال حرام كالمسابقة عليه والجواب أنه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يطلب منه ذلك وانما أقره على مقالته ليريه آية رجاء اسلامه أو انه من خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم أو تحريه ورده الغنم عليه قيل انه كان بعد اسلامه وصارعه هنا ثلاثا كما علم وقيل مرتين وقيل انه كان صارعه بمكة ولم يسلم الا يوم الفتح (وعن الحسن) في حديث رواه البيهقي مرسلا وهو الحسن بن علي رضي الله عنهما وقيل يحتمل انه الحسن البصري رحمه الله تعالى (أنه صلى الله عليه وسلم شكى الى ربه من قومه) في أوائل البعثة قبل قوة الاسلام وأهله (وانهم يخوفونه) كما قال الله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك وهو عطف تفسيري لان المراد أنه صلى الله تعالى عليه وسلم شكى له تعالى تخويفهم له وانما شكى ذلك لانه خاف القصور في تبليغ ما أرسل به فلا ينافي كونه صلى الله تعالى عليه وسلم على كمال يقين من الله في رسالته كما توهم وهذا كان قبل الهجرة وقبل نزول قوله تعالى والله يعصمك من الناس (وسأله آية) ومعجزة (يعلم بها ان لا مخافة عليه) ان هنا مخففة من الثقيلة وأصلها أنه (فأوحى الله اليه ان ائت وادي كذا) من أودية مكة

عن أبي امامة (أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أرى ركانة) بضم الراء وهو ابن عبد بن يزيد صحابي صارعه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأما ركانة المصري الكندي غير منسوب فختلف في صحبته كذا حققه الفيروزآبادي (ومثل هذه الآية) أي المعجزة (في شجرة دعاها) أي طلبها (فأتت) أي جاءت اليه (حتى وقفت بين يديه ثم قال ارجعي فرجعت) أي الى محلها (وعن الحسن) أي برواية البيهقي مرسلا (أنه عليه الصلاة والسلام شكا الى ربه من قومه) أي بعضهم (وانهم يخوفونه) أي بضربه أو حبسه أو اخراجه أو قتله (وسأله آية) أي علامة (يعلم بها) أي يزيد علمه بها ويطمئن قلبه بسببها (ان لا مخافة عليه) ان مخففة من المثقلة أي انه كذا ذكره الدلجي والظاهر ان هنا مصدرية ومحلها نصب على المفعولية والمعنى يعرف بها عدم المخافة عليه من ايصال أذيتهم اليه (فأوحى اليه) بصيغة المفعول وفي نسخة بصيغة الفاعل (فان) وفي أخرى فأوحى الله تعالى اليه (أن ائت وادي كذا) وروي أرأيت وادي كذا أي أبصرت أو علمت وان مصدرية أو تفسيرية

(فيه شجرة) أى عظيمة وهى بالرفع مبتدأ خبره الجار قبله قال التلمسانى أو بالنصب بفعل مضمر أى فانظر فيه شجرة أو أطاب انتهى ولا يخفى تكلفه بل تعسفه كما يدل عليه قوله (فادع غصنا منها) أى من الشجرة أو أغصانها (يأتك) وفى نسخة يأتيك باثبات الياء على انه مرفوع أو مجزوم على لغة (ففعل) أى ما ذكر (فجاء) أى الغصن منها (يخط الارض خطا) أى يشقها شقا باثرها فى الاتيان اليه (حتى انتصب) أى وقف (بين يديه) أى امامه وقدامه وأغرب التلمسانى حيث فسر انتصب بقوله جلس وغرابته من جهة المبنى والمعنى لا تخفى (فحبسه ما شاء الله) أى من زمان بقائه لديه (ثم قال له ارجع كما جئت) أى على وجه خرق العادة (فرجع) أى يخط الارض خطا حتى قام بمنبته (فقال يارب علمت ان لا مخافة على) أى بعد اراءتك لى هذه الآية وكان صاحب البردة أشار الى هذه الزبدة بقوله

جاءت لدعوته الاشجار ساجدة * تمشى اليه على ساق بلا قدم

كأنما سطرت سطرا لما كتبت * فروعها من بديع الخط فى اللقم

(فان فيه شجرة فادع غصنا منها) أى غصنا وطرفا من أطرافها (يأتك) مجزوم فى جواب الامر (ففعل) أى أتى الوادى ودعا الغصن كما أمر (فجاء يخط الارض خطا) أى يشقها شقا وهذا يدل على انه غصن مع بعض ساق منها وهو بمعنى قوله فيما تقدم يخد ويحتمل ان الطاء مبدلة من الدال المهملة وقيل المراد بالخط أثر مشيه الذى يشبه خط الكتابة كقول الابوصيرى

جاءت لدعوته الاشجار ساجدة * تمشى اليه على ساق بلا قدم

كأنما سطرت سطرا لما كتبت * فروعها من بديع الخط فى اللقم

(حتى انتصب بين يديه) أى قام عنده (فحبسه ما شاء الله) أى جعله مدة من زمان أرادها الله قائما عنده (ثم قال له ارجع كما جئت فرجع) الى مكانه الذى كان فيه والتأم باصله (فقال) صلى الله تعالى عليه وسلم (يارب علمت ان لا مخافة على) بتسخير الجمادات لامتثال أمرى الدال على ان من عصاه سيرجع عما كان عليه (ونحو منه) أى فيما رواه البزار وأبو يعلى والبيهقى بسند حسن ما هو قريب مما ذكر فى هذا الحديث مروى (عن عمر) بن الخطاب رضى الله تعالى عنه (وقال) عمر (فيه) أى فيما رواه (أرنى آية لا أبالى من كذبنى بعدها) أى لا أعتد وأهتم به لاطمئنان قلبى وذهاب خوفى (فذكر نحوه وعن ابن عباس) رضى الله تعالى عنهما فى حديث رواه البخارى فى تاريخه والدارمى والبيهقى مسندا (انه صلى الله عليه وسلم قال لاعرابى أرأيت) بهمزة الاستفهام وتاء الخطاب بمعنى أخبرنى وقل لى وهو مجاز مشهور ورأى فيه علمية أو بصرية فاريد به لازمه كما بينه النحاة (ان دعوت) ان شرطية أى أمرت (هذا العذق) اشارة لعذق كان عنده وهو بكسر العين المهملة وسكون الذال المعجمة والقاف وهو العرجون من النخلة وشمار يخها كما بينه بقوله (من هذه النخلة) وقد يطلق على النخلة نفسها ولا يناسبه قوله من هذه النخلة فلا وجه لتفسيره به هنا وقيل ان النخلة يقال لها عذق بفتح العين (أتؤمن بانى رسول الله) أى أتؤمن بى وبما أرسلت به وتقر بذلك (قال نعم) أشهد بانك رسول الله (فدعاه) أى العذق بان أمره بالمجىء اليه (فجعل) أى طفق وصار العذق (ينقز) بفتح المثناة التحتية وسكون النون وضم القاف وكسرها كما فى المحكم فى الاقتصار على الضم قصور وآخره زاى معجمة ومعناه يثب صعدا وروى هذا الحديث مفصلا البيهقى وقال ان الاعرابى من بنى عامر (حتى أتاه) ووصل الى مكان عنده بقربه (فقال) له (ارجع فعاد الى مكانه) الذى كان فيه (وخرجه) بالتشديد أى رواه بسند (الترمذى وقال هذا حديث صحيح) متنا وسندا

فروعها من بديع الخط فى اللقم (ونحو منه) أى من مروى الحسن كما رواه البزار وأبو يعلى والبيهقى بسند حسن (عن عمر رضى الله تعالى عنه) أى ابن الخطاب وفى نسخة عن عمرو أى ابن العاص (وقال) أحدهما (فيه) أى فى مرويه أو وقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى دعائه بعد قوله (اللهم أرنى آية لا أبالى من كذبنى بعدها وذكر) وفى نسخة فذكر أى الراوى المختلف فيه بقية الحديث (نحوه) أى نحو ما رواه الحسن (وعن ابن عباس) كما رواه البخارى فى تاريخه والدارمى والبيهقى (انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لاعرابى أرأيت) أى أخبرنى (ان دعوت

المعجمة أى هذا العذق) بكسر العين المهملة وسكون الذال العرجون بما فيه من الشماريخ والعرجون عود العذق الذى تركبه الشماريخ وهى العيدان التى عليها البسر والعذق بالفتح النخلة كلها (من هذه النخلة) أى الحاضرة وأجابنى (أتشهد انى رسول الله قال نعم فدعاه فجعل ينقز) بضم القاف ويكسر وبالزاى أى فشرع يثب اليه متوجها لديه (حتى أتاه) أى أتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (فقال ارجع فعاد الى مكانه وخرجه الترمذى) بتشديد الراء أى أخرجه فى جامعه (وقال هذا حديث صحيح) ووقع فى أصل الدلجى وغيره حسن صحيح فقيل جمع بينهما لروايتهما من طريقين احداهما تقتضى صحته والاخرى حسنه أو حسن لذاته صحيح لغيره باعتبار تعاضد رواية أو حسن لغة صحيح حجة

(فصل) (فى قصة حنين الجذع له صلى الله تعالى عليه وسلم و يعضد) بضم الضاد أى يقوى و يؤيد (هذه الاخبار) أى الاحاديث السابقة الواردة فى كلام الاشجار ومجيئها الى سيد الاخيار (حديث أنين الجذع) وفى نسخة حنين الجذع أى شوقه اليه وبكاؤه لديه صلى الله تعالى عليه وسلم والجذع بكسر ٥٨ الجيم أصل النخلة والمراد به هنا ما كان من عمد المسجد وكان يتكئ عليه حال الخطبة وسيجئ بقية القصة (وهو) أى وحديثه هذا (فى نفسه) أى باعتبار مبناه مشهور أى عند السلف (منتشر) أى عند الخلف (والخبر به) أى بانينه وحنينه باعتبار معناه (متواتر) أى يفيد العلم القطعى لمن أطلع على طريق الحديث الاحادى المفيد بانفراده العلم الظنى قال الحلبى وكذا قال غيره انه متواتر وقد أبعد التلمسانى حيث قال أراد به التواتر اللغوى يقال تواترت الكتب أى جاء بعضها فى أثر بعض من غير ان ينقطع والاول أظهر فتدبر وقد قال السهيلى حديث خوار الجذع وحنينه منقول بالتواتر لكثرة من شاهد خواره من الخلف وكلهم نقل ذلك أو سمعه من غيره فلم ينكره أحد انتهى وسبه ما بينه المصنف بقوله (قد خرجه) بتشديد الراء أى أخرجه (أهل الصحيح) أى ممن التزم الصحة فى رواياته الواردة فى كتابه كالبخارى ومسلم وان حبان وابن خزيمة (ورواه من الصحابة بضعة عشر) بكسر الموحدة وتفتح أى ثلاثة أو أكثر الى تسعة اذ البضع منها اليها (منهم) أى بعضهم وهم عشرة منهم (أبى بن كعب) وهو أقرأ الصحابة وقد رواه عنه الشافعى وابن ماجه والدارمى والبيهقى (وجابر بن عبد الله) أى الصحابى ابن الصحابى وسيأتى حديثه (وأنس بن مالك) وهو خادمه عليه الصلاة و السلام وحديثه فى الترمذى وصححه (وعبد الله بن عمر) وهو أشهر من ان يذكر (وعبد

(فصل) من معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم ما اشتهر (فى قصة حنين الجذع) الحنين بفتح الحاء المهملة ونونين بينهما ياء تحتية وهو صوت كالانين يكون عند الشوق لمن يهواه اذا فارقه وتوصف به الابل كثيرا قال الجوهرى الحنين الشوق وتوقان النفس يقال حن اليه يحن حنينا وحنين الناقة صوتها فى نزاعها الى ولدها والجذع بكسر الجيم وسكون الذال المعجمة وعين مهملة وهو ساق النخلة اليابس وقيل انه لا يختص به لقوله تعالى وهزى اليك بجذع النخلة وتعريف الجذع للعهد والمراد به جذع كان قائما بالمسجد النبوى كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اذا خطب يستند اليه و يخطب قائما ولم يكن له منبر فلما وضع له المنبر وخطب عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع للجذع حنين لمفارقته له كما يأتى قال البرهان وغيره ان الخبر به متواتر وكذا قال المصنف رحمه الله تعالى هنا وهذا الجذع من سوار المسجد النبوى وهكذا كانت سواريه كلها وسقفه من جريد النخل كما يأتى فى رواية جابر رضى الله تعالى عنه ولا بدع فى ان يخلق الله تعالى فيه حياة وصوتا فما قيل انه لا يلزم من سماع صوته عنده ان يكون منه مما لا ينبغى ذكره (و يعضد هذه الاخبار) المذكورة فى الفصل الذى قبل هذا من كلام الشجر ومشيها اليه صلى الله تعالى عليه وسلم أى يقويها و يؤيدها وهو بعين مهملة وضاد معجمة من عضد اليد وساعدها (حديث أنين الجذع) الانين صوت المريض والانين والحنين متقاربان وقيل الانين فيه زيادة امتداد الصوت وفى تعبيره به اشارة الى أنه لحقه ألم كما يلحق المريض ولله در الشهاب المنصورى فى قوله

يا أسنا فصحاء قد خرست * ان الجماد بفضله نطقا

واعلم ان المصنف رحمه الله تعالى انما عطف الانين على الحنين لنكتة وهى أن حقيقة الحنين فى الابل فتحن اذا فارقت أولادها ثم شاع فى مطلق الشوق ولو بالكلام كقوله

والمرء يشتاق الديار وأهلها * وحنينه أبدا لاول منزل

وأما الانين فانه مما لا يفهم كالتأوه ففيه اشارة الى ان حنين الجذع لم يكن بكلام يفهم وانما كان بصوت يفهم منه الحزن بدلالة طبيعية كانين المريض فهو من عطف الخاص على العام فتنبه (وهو) أى حديث الجذع (فى نفسه) بقطع النظر عن غيره مما يؤيده فانه غير محتاج لذلك لانه (مشهور ومنتشر) أى شائع بين الخلف والسلف (والخبر به متواتر) لكثرة طرقه الصحيحة ونقل جماعة له عن جماعة لا يمكن تواطئهم على الكذب (خرجه أهل الصحيح) أى رواه مسندا أصحاب الكتب الستة الصحيحة كالبخارى ومسلم وابن حبان وابن خزيمة وما وصل الى مثلهم بطرق متعددة صحيحة يكون متواترا حقيقة لاجماع من بعدهم على صحتها كما قاله ابن حجر ردا على ابن الصلاح فى قوله ان التواتر لا يكاد يوجد كما بينه فى شرح النخبة والمراد باهل الصحيح من التزم ان يورد فى كتابه الاحاديث الصحيحة عنده (ورواه من الصحابة بضعة عشر) تقدم ان البضع من الثلاثة الى تسعة فما زاد على العقود مطلقا كبضعة وستين ونحوه على الصحيح عند أهل اللغة وهو كما بكسر الباء وفتحها (منهم) أى من الصحابة الذين رووه مرفوعا (أبى بن كعب) كما رواه عنه الشافعى فى مسند، وابن ماجة والدارمى والبيهقى (وجابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنه) كما رواه عنه البخارى (وأنس بن مالك رضى الله تعالى عنه) كما رواه عنه الترمذى وصححه (وعبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما) كما رواه عنه البخارى

(وعبدالله بن عباس) أي ابن عم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (وسهل ابن سعد) الساعدي رضي الله تعالى عنهما وحديثه رواه الشيخان (وأبو سعيد الخدري) رواه عنه الدارمي (و بريدة) بالتصغير وقد سبق ذكره (وأم سلمة) أي أم المؤمنين رواه عنها البيهقي (والمطلب) بتشديد الطاء (ابن أبي وداعة) بفتح الواو وهو من مسلمة الفتح وقد رواه عنه الزبير بن بكار في أخبار المدينة (كلهم) أي جميع المذكورين وغيرهم (يحدث) أفرد ضميره باعتبار لفظ كل أي يحدثون (بعني هذا الحديث) أي وان كانت ألفاظهم مختلفة في باب التحديث وعلى هذا المبنى حصل التواتر في المعنى (قال الترمذي

وحديث أنس صحيح) أي اسناده (قال) وفي نسخة وقال (جابر) أي ابن عبدالله كما في نسخة صحيحة (كان المسجد) أي مسجد المدينة وهو المسجد النبوي (مسقوفا على جذوع نخل) بمعنى نخيل فانه اسم جنس ثم بناه عمر ثم عثمان رضي الله تعالى عنهما (وكان) وفي نسخة فكان (النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي دائما أو غالبا (اذا خطب يقوم الى جذع) أي معين (منها) أي من تلك الجذوع (فلما صنع له المنبر) بصيغة المجهول وقد صنعه له غلام امرأة من الانصار أو غيره من أثل الغابة وله ثلاث درجات (سمعنا لذلك الجذع صوتا كصوت العشار) بكسر مهملة فمعجمة جمع عشراء بضم وفتح ممدودة وهي الناقة الحامل أو التي أتى لحملها عشرة أشهر على القول الاشهر وظاهر هذا الحديث ان الجذع بمجرد صنع المنبر قبل طلوع سيد البشر صدر منه البكاء لما أحس من علامة قرب البعد عن مقام دنا وحال الاتكاء (وفي رواية أنس) أي وهي قوله فلما قعد على المنبر خار الجذع كخوار الثور أي صاح كصياحه (حتى ارتج) بتشديد الجيم أي اضطرب وارتعد (المسجد) أي باهله (لخواره) بضم الخاء المعجمة وبالواو وفي نسخة بالباء السببية بدل اللام للعلة وفي نسخة بضم الجيم فهمزة مفتوحة بعدها ألف وهو أظهر في هذا المقام باعتبار تمام المرام ففي القاموس جأر جؤارا اذا رفع صوته بالدعاء وتضرع واستغاث والبقرة والثور صاحا واما الخوار بضم الخاء المعجمة من صوت البقر والغنم والظباء والسهام انتهى قال الحجازي واما

(وعبدالله بن عباس رضي الله عنهما) كما رواه عنه أحمد في مسنده باسناد صحيح على شرط مسلم والدارمي والبيهقي (وسهل بن سعد) كما رواه عنه الشيخان (وأبو سعيد الخدري) بالدال المهملة كما تقدم في ترجمته رواه عنه الدارمي (وأم سلمة) أم المؤمنين كما رواه عنها البيهقي (والمطلب بن أبي وداعة) بفتح الواو والدال المهملة وألف وعين مهملة بعدها هاء ابن الحرث بن صبرة بن سعيد القرشي السهمي الصحابي ممن أسلم عام الفتح رواه عنه أحمد والزبير بن بكار (كلهم يحدث بمعنى هذا الحديث) فجميع رواياتهم متفقة بحسب المعنى وكأنه اشارة الى ان تواتره معنوي لا اصطلاحي لما مر عن ابن الصلاح وقد علمت ما فيه (قال الترمذي) صاحب السنن الامام المشهور وقد تقدمت ترجمته (وحديث أنس صحيح) انما نص على صحته لرجحانه عنده على غيره لا لنفي صحة غيره حتى ينافي ما مر من رواية أهل الصحيح له أو لان في بعض رجاله شئ (وقال جابر بن عبدالله رضي الله تعالى عنه) في روايته (كان المسجد) أي مسجد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بالمدينة (مسقوفا) اسم مفعول من سقفت البيت ونحوه اذا جعلت عليه سقفا وهو معروف (على جذوع نخل) جمع جذع وقد تقدم يعني انه له سواري وضع السقف عليها من النخل والاضافة بيانية (فكان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اذا خطب) أي قام للخطبة (يقوم) مستندا (الى جذع منها) وكان هنا تفيد تكرار ذلك كثيرا منه صلى الله تعالى عليه وسلم لان كان اذا كان خبرها مضارعا تفيد ذلك في استعمالهم كقولهم كان حاتم يقري الضيف وقال الله تعالى وكان يامر أهله بالصلاة والزكاة وهو مما صرح به في كتب العربية والاصول وفي وجه دلالتها على ذلك كلام مقرر مشهور ولا حاجة لنا به هنا (فلما صنع) بالبناء للمجهول وفي نسخة وضع (له) صلى الله تعالى عليه وسلم (المنبر) بكسر الميم من نبره بمعنى رفعه ورقاه لانه يرتفع القائم عليه به عن غيره (سمعنا لذلك الجذع) الذي كان يستند اليه صلى الله تعالى عليه وسلم في خطبه (صوتا كصوت العشار) بكسر العين المهملة وشين معجمة وألف وراء مهملة جمع عشراء كنفساء وهي الناقة التي أتى عليها الفحل عشرة أشهر وزال عنها اسم المخاض ثم لا يزال ذلك اسمها حتى تضع وبعد وضعها أيضا والمراد خوارها حين وضعها أو عقبه نزاعا لولدها اذا تذكره وفيه مناسبة تامة هنا لما عرفته من ان الحنين أصله في النوق والتشبيه به لشدته وانه لحزنه على مفارقته صلى الله تعالى عليه وسلم كانه في النوق كذلك ويزيده حسنا ان النوق تشبه بالنخل فليس المقصود تشبيه مسموع بمسموع فقط كما قيل (وفي رواية أنس) انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما قعد على المنبر خار الجذع (حتى ارتج المسجد) بهمزة الوصل وسكون الراء المهملة وفتح التاء الفوقية وتشديد الجيم مطاوع رجه فارتج اذا تحرك حركة شديدة واضطرب وهو بتقدير مضاف أي أهله أو هو على ظاهره بان تتحرك حيطانه وجدرانه لشدة صوته اما حقيقة أو لظن ذلك ممن هو فيه (لخواره) بضم الخاء المعجمة وفتح الواو بعدها ألف وراء مهملة بوزن فعال وهو

بالخاء المعجمة والواو المخففة فصياح الثور ولا أعلم به رواية انتهى والحلبي جعله أصلا ونسب الاول الى نسخة في الهامش واليمني اقتصر على الثاني وجوز الشمني الوجهين والحاصل ان رواية الجيم أعم وفي الدراية أتم والله تعالى أعلم (وفي رواية سهل) أي ابن سعد الساعدي (وكثر بكاء الناس لما رأوا به) أي من الحنين والانين من جهة التبعد عن خدمة سيد المرسلين أو من خشيته من التنزل في درجته وهو بكسر اللام وتخفيف الميم ويجوز بفتح اللام وتشديد الميم كما قرئ بهما في قوله تعالى وجعلناهم أئمة يهدون بامرنا لما صبروا (وفي رواية المطلب) أي ابن أبي وداعة السهمي وزيد في نسخة صحيحة وأبي ويشير اليه قول الحلبي وهو بضم الهمزة وفتح الموحدة ثم ياء مشددة (حتى تصدع) بتشديد الدال اي تشقق (وانشق) عطف تفسير قاله الدلجي وغيره والاظهر ان المعنى واستمر على انشقاقه (حتى جاء) أي أتاه (أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فوضع يده عليه) أي تسلية لما لديه (فسكت) أي حيث سكن اليه وسيأتي في رواية انه عانقه بيديه (زاد غيره) أي غير المطلب ومن معه وقال الدلجي في رواية الشافعي عن أبي بن كعب فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (ان هذا بكى لما فقد) بالوجهين أي بعد (من الذكر) أي الموعظة البليغة في الخطبة ومنه قوله تعالى فاسعوا الى ذكر الله (و زاد غيره) أي غير ذلك الغير وفي رواية أبي يعلى عن أنس (والذي نفسي بيده) أي بتصرف قدرته وقبضة ارادته (لو لم التزمه) أي اعتنقه (لم يزل هكذا) للعباس

أي باكيا (الى يوم القيامة تحزنا) بضم الزاي اظهار اللحزن الزائد على الصبر (على رسول الله) أي على فراقه (صلى الله تعالى عليه وسلم) وما أحسن من قال من بعض أرباب الحال

الصبر يحمد في المواطن كلها * الا عليك فانه مذموم

(فامر به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فدفن تحت المنبر) أي حتى يقرب الى الذكر وما يتبعه من أثر الخير

بناء مطرد في اسماء الاصوات والخوار في الاصل كما قال الراغب يختص بصياح البقر ثم توسعوا فيه في أصوات جميع البهائم وفي بعض النسخ جؤار بضم الجيم وفتح الهمزة والراء المهملة وهو بمعنى الاول وقال الراغب قال تعالى اليه يجأرون من جار اذا أفرط في الدعاء تشبيها له بجؤار الوحشيات كالظباء ونحوها انتهى والمعنى فيهما واحد أي صاح (وفي رواية سهل وكثر بكاء الناس لما رأوا به) البكاء بالمد ويقصر معروف وما موصولة والعائد محذوف أي رأوا به الجذع ورأى بصرية وكونها قلبية يجوز على بعد والمرئى حركته ونحوها والباء بمعنى في أو سببية وفيه تجوز اي للذي رأوا آثاره بسببه اذ الصوت لا يرى ويجوز كونها مصدرية (وفي رواية المطلب) ابن أبي وداعة (وأبي) بن كعب (حتى تصدع وانشق) عطف تفسيري لان حقيقة الصدع شق الاجسام الصلبة كالزجاج والحديد يقال صدعته فانصدع وصدعته فتصدع ثم استعير منه صدع الامر اذا فصله كقوله تعالى فاصدع بما تؤمر ومنه صداع الرأس لوجعه وانصداع الفجر وهو مبالغة في شدة صياحه كما يقال صاح حتى انفلق ويجوز بقاؤه على ظاهره ويؤيد الاول قوله (حتى جاء النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي نزل عن منبره وأتى له (فوضع يده عليه فسكت) أي ترك خواره لما زال ألمه بقربه صلى الله تعالى عليه وسلم منه ومشيه له (زاد غيره) أي غير المطلب وهو في رواية أبي بن كعب (فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان هذا بكى لما فقد من الذكر) فقد كقتل من الفقد وهو العدم بعد الوجود فهو أخص من العدم والمراد بالذكر ذكر الله أو الموعظة أو القرآن وجوز ان يكون نفس النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لانه أطلق عليه الذكر أيضا (وزاد غيره) أي غير الغير أو من ذكر (والذي نفسي بيده) قسم بالله على عادته صلى الله تعالى عليه وسلم والنفس الروح هنا وبيده معناه بقبضة قدرته وتصرفه حياته ومماته متى أراد (لو لم التزمه) هو افتعال من اللزوم وعدم الفراق ثم استعير للعناق كما في الاساس يقال التزمه اذا اعتنقه وضمه اليه (لم يزل هكذا) أي له صراخ وجؤار (الى يوم القيامة تحزنا على) مفارقة (رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) والتحزن تفعل من الحزن والمراد به الزيادة لا التكلف (فامر به نبي الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي أمر بعض الصحابة باخذه أو بدفنه (فدفن تحت المنبر) وانما أمر بذلك لئلا يشتغل به الناس وربما افتتن به بعد العصر الاول وفيه اشارة الى انه سينبت في الجنة كما سيأتي وان بعض أغصان الاشجار بعد قطعها اذا دفن نبت وطلع من الارض * واعلم ان سواري المسجد في زمنه صلى الله تعالى عليه وسلم معدودة مفصلة في تاريخ المدينة كهيئة حرمه ومنبره صلى الله تعالى عليه وسلم كان من خشب اثل الغابة والاثل بالمثلثة شجر معروف والغابة اسم موضع بالمدينة فيه أشجار وفي النجار الذي صنعه له صلى الله تعالى عليه وسلم أقوال كثيرة فقيل انه قبيصة المخزومي وقيل انه غلام

(كذا في حديث المطلب) أي السهمي (وسهل ابن سعد) أي الساعدي (واسحق) أي ابن عبد الله ابن أبي طلحة وهو تابعي روى عن أبيه وعدة وعنه مالك وابن عيينة وجماعة وهو حجة ثقة أخرج له الأئمة الستة

(عن أنس) وهو عمه من أمه (وفي بعض الروايات عن سهل فدفنت تحت منبره أو جعلت في السقف) أي في سقف المسجد شك من الراوي ولعل وجه التأنيث كونه جذع النخلة فاكتسب التأنيث من الاضافة وفي أصل التلمساني فدفن قال وفي طريق فدفنت فاراد الخشبة وقال البرقي انما دفنه وهو جاد لانه صار في حكم المؤمن لحبه وحنينه قلت ولعل دفنه تحت منبره ليكون على قربه ولا يحرم من سماع ذكره واما المنبر فقد احترق أول ليلة من رمضان سنة أربع وخمسين وستمائة وكان ذلك على الناس من أعظم مصيبة (وفي حديث أبي) أي ابن كعب (فكان) أي أولا (اذا صلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم صلى اليه) وهو (لا ينافي انه عند خطبته كان يعتمد عليه فلما هدم المسجد) أي عند ارادة تجديده وتوسيعه في تجديده وهو في خلافة عثمان رضي الله تعالى عنه ليزيد فيه من جهة القبلة توسعة للامة أو في أيام اباحة يزيد المدينة في أحد الايام الثلاثة (أخذه أبي فكان عنده الى ان أكلته الارض) كذا في النسخة المصححة والمراد بها الدابة التي يقال لها الارضة سميت بفعلها وأضيفت اليه في آية سبأ بقوله دابة الارض تأكل منسأته قال المزي المشهور عند أهل الحديث الارضة

للعباس اسمه صباح وقيل هو غلام اسمه باقوم أو باقول باللام غلام سعيد بن العاص وقيل هو تميم الداري وقيل غلام لسعد بن عبادة وقيل انه غلام امرأة انصارية وقول الكرماني رحمه الله تعالى انه غلام لعائشة رضي الله تعالى عنها لا مستند له فيه وقيل انها عائشة الانصارية وقيل هي من بني سعد وكان وضع منبره صلى الله تعالى عليه وسلم في السنة السابعة وقيل الثامنة من الهجرة وعلى القول بانه تميم تكون التاسعة لانه أسلم سنة تسع الا ان يقال عمله قبل اسلامه وهو أول منبر في الاسلام وكان له درجة ثلاثا ومن قال اثنين أسقط محل قيامه صلى الله عليه وسلم عليه وقيل انه كان أكثر من ثلاث وكان طوله أكثر من ذراعين وعرضه ذراع وطول صدره وهو مستنده ذراع ورمانتاه اللتان يمسكهما بيده الكريمة في قيامه ولما حج معاوية رضي الله تعالى عنه كساه قباطي ثم لما رجع الى الشام كتب لمروان وهو عامله على المدينة فرفعه وزاد عليه ست درجات فصارت تسعا ثم لما قدم جدده بعض بني العباس واتخذ من اعواده القديمة امشاطا يتبرك بها الى آخر ما فصل في تاريخ المدينة (كذا في حديث المطلب وسهل بن سعد واسحق عن أنس) وفي بعض النسخ هنا وفي بعض الروايات عن سهل فدفنت تحت منبره أو جعلت في السقف انتهى وضميره دفنت وجعلت على هذه الرواية لاعواده أو لتأويل الجذع بالخشبة واسحق المذكور هو ابن عبد الله بن أبي طلحة الانصاري أخرج له الستة وتوفي سنة اثنين وثلاثين ومائة من الهجرة وكونه دفن تحت المنبر على ظاهره أو تسمح فيه لانه قيل دفن في يسار المنبر وروي دفن في المسجد (وفي حديث أبي فكان اذا صلى النبي صلى الله عليه وسلم صلى اليه) أي استقبله وجعله كالسترة للمصلي من المارين (فلما هدم) بالبناء للمجهول والهدم والهد نقض البناء ونحوه (المسجد) أي مسجده صلى الله تعالى عليه وسلم وهدمه في زمن عمر رضي الله تعالى عنه لان بنائه في عهده صلى الله تعالى عليه وسلم لم يكن بالحجارة ثم هدمه عثمان رضي الله تعالى عنه وزاد فيه كما ذكر في تاريخ المدينة (أخذه أبي رضي الله تعالى عنه) هذا لا ينافي ما مر من انه جعل في السقف أو دفن تحت المنبر أو في المسجد قريبا منه لجواز وضع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم له تحت المنبر ثم رفع في السقف لئلا يداس بالارجل تكريما لاثر الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ثم حين الهدم أخذه أبي تبركا به (وكان عنده الى ان أكلته الارض) ووقع في رواية الارضة بفتحات وهي دويبة صغيرة تأكل الخشب وغيره من الثياب والكتب وهي العثة وقال الامام المزني ان هذه الرواية هي المشهورة عند المحدثين وما ذكره المصنف رحمه الله تعالى صحيح والارض فيه اما بمعناها المشهور ولانها تبلي ما يدفن فيها فاستعير له الاكل أو هو بتقدير أي دابة الارض وهي تلك المتقدمة بعينها أو مصدر أرض يأرض أرضا اذا أكلته الارضة وبه فسر قوله تعالى دابة الارض تأكل منسأته كما ذكره السيوطي ولابن عنين

يا أهل مصر وجدت أيديكم * عن بسطها بالنوال منقبضه
لما عدمت النوال عندكم * أكلت كتبي كأنني ارضه

فليس في كلامه ما يعترض به عليه كما توهم قاله القسطلاني * فان قلت هذا يخالف قوله صلى الله تعالى عليه وسلم لو لم التزمه لبقي هكذا الى يوم القيامة وكيف يتصور هذا مع قوله تعالى كل من عليها فان قلت هذا وقع على طريق المبالغة كقوله تعالى حتى يلج الجمل في سم الخياط وان لم يقع وهذا مما لا حاجة اليه وبقاؤه على ظاهره لا مانع منه فانه علق بقاءه على عدم فعله به ما فعله فاذا فعله تغير وفني وقد علم الله بما

(وعاد رفاتا) بضم الراء ففاء فتاء فوقية أي وصار دقاقا وفتاتا قال الحلبي قوله الى أن أكلته الارض كذا في النسخة التي وقفت عليها بالشفاء والحديث المذكور أعني حديث أبي وهو مطول في مسند أحمد وفيه الارضة وهي دابة تأكل الخشب وهو باختصار في سنن ابن ماجه في الصلاة انتهى وهذا يدل على تصحيح رواية جعله في السقف وينبغي ان يحمل رواية دفنه تحت منبره بعد ان أكلته الارض عند أبي حفظا له عن تفرقه وصونا له عن مهانته وتحرقه وما أحسن مناسبة ما تحت منبره كون قبره لحصول دوام ذكره وتمام شكره فان منبره على حوضه وحوضه داخل في روضه

(وذكر الاسفرائني) بكسر الهمزة وسكون السين وفتح الفاء وتكسر فراء ممدودة فهمزة فنون فياء نسبة الى بلد في العجم في خراسان وفي نسخة بنون بين يائين والظاهر ان المراد به أبو اسحق ويحتمل انه أبو خالد (ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم دعاه الى نفسه فجاءه يخرق) بضم الراء وكسرها أي يشق (الارض فالتزمه) أي اعتنقه تودعا منه (ثم أمره فعاد الى مكانه) والحاصل ان قصة حنين الجذع واحدة لرجوعها الى معنى واحد في المآل وما وقع في ألفاظها من اختلاف الاقوال مما ظاهره التغاير الموجب للاشكال فمن تفاوت نقول الرجال والله تعالى أعلم بحقيقة الحال (وفي حديث بريدة فقال يعني النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي خطابا للجذع (ان شئت أردك الى الحائط) أي البستان (الذي كنت فيه) أي أولا على وما
حالك قبل ان تصير محولا كما بينه بقوله (ينبت لك) بصيغة الفاعل ويجوز بالبناء للمفعول أي يخرج لك (عروقك) وتثبت في محل أصولك (ويكمل) بفتح فسكون فضم وبضم ففتح فتشديد ميم مفتوحة أي ويتم (خلقك) أي خلقتك على ما عليه فطرتك (ويجدد لك خوص) بضم الخاء ورق النخل (وثمرة) بالمثلثة (وان شئت أغرسك) بكسر الراء (في الجنة) أي الموعودة (فيأكل أولياء الله تعالى من ثمرك) أي تمرك (ثم أصغي له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي ألقى له سمعه وقرب رأسه اليه (يستمع ما يقول) أي مما يرده عليه

ذكر (وعاد رفاتا) عاد هنا بمعنى صار لا بمعنى رجع لامر كان عليه وهو أحد معنييه كما بين في كتب اللغة وغيرها والرفات بوزن غراب براء مهملة وفاء ومثناة فوقية كالقناة وهو ما تكسر وتفرق (وذكر الاسفرائني) بكسر الهمزة وسكون السين المهملة وفتح الفاء والراء المهملة وألف بعدها همزة مكسورة ونون بلدة بالعجم نسب اليها هذا الاستاذ الامام الاصولي المتبحر في سائر العلوم المعروف بالزهد والورع وهو أبو اسحق لانه اذا أطلق فالمراد هو وان نسب لهذه البلدة غيره من الائمة كأبي حامد وطاهر بن محمد (ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم دعاه) أي دعا الجذع المذكور (الى نفسه) أي أمره بان يأتيه ويقبل ساعيا اليه وزاد لفظ نفس هنا لئلا يتحد ضمير الفاعل والمفعول بواسطة ودونها فانه ممتنع في غير افعال القلوب وما الحق بها كما مر وقد أورد عليه نحو قوله وهزي اليك بجذع النخلة وصرهن اليك وقد أجيب عنه بما يطول وقد فصلناه في السوانح والمقام يضيق عنه هنا (فجاءه يخرق الارض) أي يشقها بمشيه فيها (فالتزمه) واعتنقه (ثم أمره) بالرجوع لمحله (فعاد الى مكانه) الذي كان فيه من المسجد وهذه زيادة منه لا يقال مثلها من قبل الرأي وهو امام ثقة على ان هذا رواه الامام البيهقي في دلائله والحافظ أبو القاسم في تاريخه عن العباس كما في الشرح الجديد ولو وقف عليه المصنف عزاه له (وفي حديث بريدة) علم منقول من تصغير البردة المعروفة وهو بريدة بن الحصيب بن عبد الله بن الحرث بن الاعرج السلمي واختلف في كنيته فقيل هو أبو عبد الله وقيل أبو سهل وقيل غير ذلك وهو صحابي أسلم حين مر به النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مهاجرا ثم قدم المدينة قبل الخندق ثم نزل البصرة وأخرج له أحمد في مسنده وغيره وليس هو بريدة الاسلمي كما توهم فانه تابعي روى أحاديث مرسلة فظن انه صحابي وله ترجمة في الميزان (فقال يعني النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) للجذع حين سمع حنينه (ان شئت) بتاء الخطاب خاطبه لما علم ان الله خلق فيه حياة وادراكا (أردك الى) مكانك (الحائط الذي كنت فيه) هو في الاصل اسم فاعل من حاطه اذا أحاط به ودار عليه ثم نقل للبستان نفسه الذي فيه الشجر والنخل وهو المراد هنا ولذا قال الذي كنت فيه (ينبت لك عروقك) بدل من قوله أردك أو مستأنف لبيان علة الرد الى مكانه الذي نبت فيه (ويكمل خلقك ويجدد لك خوص وثمرة) الخوص بضم الخاء المعجمة وواو ساكنة وصاد مهملة واحده خوصة وهي كالورق للنخل والثمر بمثلثة واحده ثمرة أي تعود لك خلقتك بتمامها ونضارتها (وان شئت) مفعوله مقدر أي غرسك فقوله (أغرسك في الجنة) جواب الشرط مجزوم (فيأكل أولياء الله من ثمرك) معطوف على الجواب وهو مرتبط بقوله فالتزمه في الكلام الذي قبله فخيره صلى الله تعالى عليه وسلم بين الحياة الدنيوية والحياة الاخروية (ثم أصغى له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) بصاد مهملة وغين معجمة أي أمال رأسه وقربها منه (يستمع ما يقول) أي ليسمع قوله

(فقال بل تغرسني في الجنة فيأكل مني أولياء الله تعالى) أي في دار النعمة (وأكون) أي ثابتا وناب‌تا (في مكان لا أبلى فيه) بفتح الهمزة واللام أي لا أخلق ولا أعتق ولا أفنى قال الحلبي ابلى بفتح الهمزة ووقع في النسخة التي وقفت عليها الآن مضموم الهمزة بالقلم ولا يصح قلت يصح أن يكون مجهولا من ابلاه متعدي بلى كما صرح باسناده صاحب القاموس (فسمعه) أي كلام الجذع (من يليه) أي يقربه والضمير له أي للنبي عليه الصلاة والسلام قيل وممن سمعه ابن عمر رضي الله عنهما قال غاب الجذع فلم ير بعد ذلك ذكره التلمساني (فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قد فعلت) أي قبلت أو جزمت على هذا الفعل أو غرست كما أردت (ثم قال) أي النبي عليه الصلاة والسلام (اختار دار البقاء على دار الفناء فكان الحسن) أي البصري (اذا حدث بهذا) أي الحديث (بكى وقال يا عباد الله الخشبة) أي مع كونها في حد ذاتها ليست من أهل الرقة والخشية (تحن) بفتح فكسر فتشديد نون أي تميل (الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم شوقا اليه لمكانه) أي لمكانة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عنده سبحانه وتعالى أو لاجل مكانه المتبعد من مكانها (فأنتم أحق ان تشتاقوا الى لقائه) ولله در القائل من أهل الفضائل

وألقى حتى في الجمادات حبه * فكانت لاهداء السلام له تهدى
وفارق جذعا كان يخطب عنده * فأن أنين الام اذ تجد الفقدا
يحن اليه الجذع يا قوم هكذا * أما نحن أولى ان نحن له وجدا
اذا كان جذع لم يطق بعد ساعة * فليس وفاء ان نطيق له بعدا

(رواه) أي الحديث الذي مر (عن جابر حفص بن عبيد الله) بالتصغير (ويقال عبد الله بن حفص) قال الحلبي ويقال جعفر بن عبد الله والصواب الاول وانه حفص بن عبيد الله بن أنس بن مالك يروي عن جده وأبي هريرة رضي الله تعالى عنهما وغيرهما وعنه ابن اسحق واسامة بن زيد وجماعة قال أبو حاتم لا يثبت له السماع الا من جده انتهى وحديثه هذا عن جابر في البخاري

وما يجيبه به وهو من الصغى بمعنى الميل كما علم يقال صغت الشمس اذا مالت للغروب وصغيت الاناء وأصغيته اذا أملته وأصغيت الى فلان ملت بسمعي نحوه وحكي صغوت اليه أصغو واصغوا وصغيت أصغى قاله الراغب (فقال) أي الجذع (بل تغرسني في الجنة) أي تصيرني من غراس الجنة وتغرسني بيدك (فيأكل مني) أي من ثمري (أولياء الله وأكون في مكان لا أبلى فيه) أبلى كأفنى لفظا ومعنى من البلاء بالكسر وهو الفناء فاختار الحياة الباقية كسائر أهل الجنة وأشجارها وأبلى بفتح الهمزة وضمها خطأ (فسمعه من يليه) أي سمع كلام الجذع والضمير الاول له والثاني يحتمل عوده له وللنبي صلى الله تعالى عليه وسلم ويليه بمعنى يقرب منه (فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قد فعلت) بضم التاء للمتكلم أي أجعلك من غراس الجنة (ثم قال) صلى الله تعالى عليه وسلم (اختار دار البقاء) وهي الجنة كما تقدم (على دار الفناء) وهي الدنيا (فكان الحسن) البصري التابعي الامام المشهور (اذا حدث بهذا بكى وقال يا عباد الله الخشبة) يعني الجذع (تحن الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) تقدم تفسير الحنين (شوقا اليه) مفعول مطلق لقوله تحن كجلست قعودا أو مفعول له والاول أولى لان قوله (لمكانه) لامه للتعليل ان لم يكن بدلا من قوله اليه وقيل انه علة متداخلة فشوقا علة لتحن ولمكانه علة لقوله شوقا أي الخشبة اشتاقت لعلو مقامه وجلالة قدره وهي جماد وهذه معجزة له صلى الله تعالى عليه وسلم أعظم من معجزة موسى عليه الصلاة والسلام في العصا واحياء عيسى عليه الصلاة والسلام للموتى لان الشوق والكلام يستلزمان الاحياء عند الاشعري وان قيل ان مجرد الصوت المسموع لا يستلزمه كما تقرر في محله فالمكان على حقيقته وهو الجنة أو بمعنى علو قدره وشرفه صلى الله تعالى عليه وسلم كما أشرنا اليه (فأنتم أحق) من الجماد (ان تشتاقوا الى لقائه) ونقل عن صاحب القاموس انه استأذن سلطان اليمن في الحج وزيارة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فكتب اليه بكلام قال فيه انه صح في الحديث أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لا يحل بالمؤمن ان يمر عليه أربع سنين ولا يتجدد له شوق للحج وزيارة سيد المرسلين وقد تجدد لي من الشوق ما شب عمره عن الطوق وقد تضعضع السن وتقعقع الشن فما هو الاعظم في جراب وقد بلغت دقاقة الرقاب الى آخر ما قاله وقلت أنا حين وقفت على ما كتبه

لم لا أحن الى المختار من اضم * والجذع حن اشتياقا بعد فرقته
اني لأعجب من خشب مسندة * ما هزها الشوق أحيانا لروضته

والشوق نزاع النفس للشيء والهيجان اليه ونقل ابن عطية في سورة الكهف انه سمع الجوهري الواعظ يقول كلب أحب أهل الخير نالته بركتهم وشرف صحبتهم حتى ذكره الله في كتابه فالخشبة تحن والكلب يحب وهذا عبرة لاولي الالباب وفقنا الله لما يقر[illegible]ـه (رواه عن جابر حفص بن عبيد الله ويقال عبيد الله بن حفص) بتصغير عبيد فيهما وقيل انه حفص بن عبد الله بلا تصغير قال البرهان والصواب الاول وهو حفص بن عبيد الله بن أنس بن مالك وهو يروي عن جده وروى عنه أصحاب السنن وقال أبو

(وأيمن) الحبشي مولى ابن أبي عمرة المخزومي قال الذهبي في الميزان ما روى عنه سوى ولده عبد الواحد ففيه جهالة لكن وثقه أبو زرعة وقال ابن القطان اذا وثق وروى عنه واحد انتفت الجهالة وقد أخرج البخاري وحده لايمن (وأبو نضرة) بفتح النون وسكون الضاد المعجمة واسمه المنذر بن مالك تابعي يروي عن علي مرسلا وعن ابن عباس وأبي سعيد وعنه قتادة وعوف قال الحلبي وقع في نسخة التي وقفت عليها الآن بالشفاء أبو بصرة بنقطة تحت الباء وهذا شيء لا أعرفه ولا أعلم أبا بصرة غير واحد واسمه جميل وهو صحابي غفاري وليس له شيء عن جابر فيما أعلم (وابن المسيب) تابعي جليل (وسعيد بن أبي كرب) بفتح فكسر وهو منصرف وفي نسخة بفتح فسكون وهو همداني وثق (وكريب) بالتصغير يروي عن مولاه ابن عباس وعائشة وجماعة وعنه ابناه وموسى بن عقبة وطائفة وثقوه (وأبو صالح) أريد به ذكوان السمان وقد تقدم (ورواه) أي الحديث الذي سبق (عن أنس بن مالك الحسن) أي البصري (وثابت) وهو كاسمه ثابت (واسحق بن أبي طلحة) مر ذكره (ورواه عن ابن عمر نافع) أي مولاه وهو من اعلام التابعين (وأبو حية) بتشديد التحتية كلبي كوفي روى عن عمر وهناك أبو حية روى عن علي (ورواه أبو نضرة) وهو الذي سبق ذكره قال التلمساني وهو في الموضعين في الاصل بموحدة من أسفل وصاد مهملة وصوابه بنون مفتوحة وضاد معجمة وهكذا عند الحلبي والانطاكي (وأبو الوداك) بتشديد الدال أي رويا الحديث المتقدم كلاهما (عن أبي سعيد وعمار ابن أبي عمار) بتشديد الميم أي روى الحديث المذكور (عن ابن عباس وأبو حازم) بكسر الزاي وهو سلمة بن دينار الاعرج المدني أحد الاعلام (وعباس) بتشديد الموحدة (ابن سهل) أي ابن سعد الساعدي كلاهما (عن سهل بن سعيد) أي عن أبيه (وكثير بن زيد) أي الاسلمي أو الايلي (عن المطلب) أي ابن أبي وداعة (وعبد الله بن بريدة) وهو قاضي مرو وعالمها (عن أبيه والطفيل بن أبي) بالتصغير فيهما كنيته أبو بطن لعظم بطنه (عن أبيه) أي أبي بن كعب (قال القاضي أبو الفضل) أي المصنف (رضي الله تعالى عنه فهذا حديث كما تراه أخرجه) وفي نسخة خرجه (أهل

حاتم انه لم يثبت له سماع الا عن جده (وأيمن) الحبشي والد عبد الواحد بن أيمن مولى بن أبي عمرة المخزومي وقد وثقه أبو زرعة وقد تقدم فيه كلام وان ابن حبان خلط في ترجمته وأيمن منقول من أفعل التفضيل من اليمن وهو البركة (وأبو نضرة) بفتح النون وسكون الضاد المعجمة وراء مهملة ووقع في بعض النسخ بصرة بباء موحدة وصاد مهملة وهو تحريف وليس لنا أبو بصرة غير أبي نضرة واسمه جميل وليس له رواية عن جابر كما قاله الحافظ الحلبي وأبو نضرة الاول اسمه المنذر بن مالك بن قطعة العبدي النضري له رواية عن ابن عباس وغيره وأخرج له أصحاب السنن وله ترجمة في الميزان وكان فصيحا ثقة توفي سنة تسع ومائة (وابن المسيب) سعيد الامام المعروف تقدمت ترجمته وان يائه تفتح وتكسر (وسعيد بن أبي كرب) بكاف وراء مهملة وباء موحدة الهمداني وله ترجمة في الميزان (وكريب) مثله الا انه مصغر وهو ابن رشدين مولى ابن عباس (وأبو صالح) وهو ذكوان السمان وتقدمت ترجمته (ورواه عن أنس بن مالك الحسن) البصري وقد تقدمت ترجمته (وثابت) البناني وقد تقدمت ترجمته (واسحق بن أبي طلحة) السابق بترجمته (ورواه عن ابن عمر نافع) أبو عبد الله مولى ابن عمر الامام الثقة المشهور توفي سنة سبع عشرة ومائة وأخرج له الستة (وأبو حية) بفتح الحاء المهملة وتشديد المثناة التحتية واسمه يحيى الكلبي الكوفي الامام الثقة والد أبي جناب يروي عن ابن عمر ولهم أبو حية آخر يروي عن علي وترجمته في الميزان (ورواه أبو نضرة) السابق ذكره قريبا (وأبو الوداك) بفتح الواو وتشديد الدال المهملة ثم ألف وكاف وهو جبر بن نوف البكالي وله ترجمة في الميزان (عن أبي سعيد) الخدري رضي الله تعالى عنه وقد قدمنا ترجمته (وعمار بن أبي عمار) مولى أبي هاشم وهو ثقة أخرج له مسلم (عن ابن عباس وأبو حازم) بحاء مهملة وزاي معجمة وهو سلمة بن دينار الاعرج المدني الثقة أحد الاعلام أخرج له الستة (وعباس) بعين وسين مهملتين بينهما موحدة مشددة وألف (ابن سهل) بن سعد الساعدي توفي سنة بضع عشرة ومائة وقد زاد على التسعين وأخرج له أصحاب السنن (عن سهل بن سعد) أبو عباس المذكور روى عنه ابنه وغيره (وكثير) بفتح الكاف ومثلثة وراء مهملة (ابن زيد) الاسلمي أبو محمد المدني وله ترجمة في الميزان (عن المطلب) السابق ذكره وروايته كثير عنه ليس لها ذكر في الكتب الستة كما قاله البرهان (وعبد الله بن بريدة عن أبيه) عبد الله قاضي القضاة بمرو وعالمها الثقة وترجمته في الميزان (والطفيل) بصيغة تصغير طفل (ابن أبي عن أبيه) أبي بن كعب وكنيته أبو بطن لعظم بطنه (قال القاضي أبو الفضل) وهو عياض المصنف (رضي الله تعالى عنه فهذا) يعني حديث حنين الجذع (حديث كما تراه) يعني انه علم بما ذكره من كثرة طرقه عن الصحابة والتابعين وغيرهم انه (خرجه أهل

(الصحة)

الصحة) أى من أرباب الحفظ والثقة (ورواه من الصحابة من ذكرنا) أى من اجلائهم (وغيرهم) بالرفع (من التابعين ضعفهم) أى زائد عليهم أو قدرهم مرتين منضمين (الى من لم نذكره) أى للاختصار أو لعدم الاستحضار أو لعدم الاشتهار (ومن دون هذا العدد) أى ويجمع أقل من هذا العدد المذكور وفى نسخة وبدون هذا العدد (يقع العلم) أى القطعى (لمن اعتنى بهذا الباب) أى اهتم بشأنه وجمع جميع ما يتعلق ببيانه (والله المثبت) بتشديد الموحدة ويجوز تخفيفها أى من شاء من عباده (على الصواب)

(فصل) (ومثل هذا) أى ما ذكر من حنين الجذع (وقع له فى سائر الجمادات) أى بقيتها أو جملتها من غير النباتات التى هى قريبة من الحيوانات فهو فى باب المعجزة أقرب وفى خرق العادة أغرب (حدثنا القاضى أبو عبد الله محمد بن عيسى التميمى) وفى نسخة ابن محمد (حدثنا القاضى أبو عبد الله محمد بن المرابط) بضم الميم وكسر الموحدة اذن له أبو عمرو الدانى (ثنا المهلب) بتشديد اللام المفتوحة (ثنا أبو القاسم ثنا أبو الحسن القابسى) بكسر الموحدة (ثنا المروزى ثنا الفربرى) بفتح الفاء ويكسر (ثنا البخارى) صاحب الصحيح (ثنا محمد بن المثنى) بتشديد النون المفتوحة (ثنا أبو محمد الزبيرى) بالتصغير نسبة الى جده فانه محمد بن عبد الله بن الزبير وليس من ولد ابن الزبير بن العوام بل هو كوفى مولى لبنى أسد قال بندار ما رأيت احفظ منه وقال آخر كان يصوم الدهر (قال ثنا اسرائيل) أى ابن يونس ابن أبى اسحق اسمعيل السبيعى الكوفى أحد الاعلام وثقه أحمد وغيره وضعفه ابن المدينى وغيره أخرج له الأئمة الستة (عن منصور) أى ابن المعتمر أبو عتاب السلمى من أئمة الكوفة يروى عن أبى وائل وزيد بن وهب وعنه شعبة والسفيانان (عن ابراهيم) أى ابن يزيد النخعى (عن علقمة) أى ابن قيس (عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه قال لقد كنا) أى نحن معشر الصحابة معه صلى الله تعالى عليه وسلم (نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل) جملة حالية والحديث هذا قد ساقه القاضى كما رأيت من رواية البخارى وهو من علامات النبوة وخوارق العادة وقد أخرجه الترمذى فى المناقب وقال حسن صحيح ذكره الحلبى (وفى غير هذه الرواية عن ابن مسعود) وفى أصل الدلجى وفى روايته عنه أيضا وقال كما فى الترمذى (كنا نأكل مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

الصحة) أى الثقات من المصنفين الذين التزموا فى كتبهم رواية الاحاديث الصحيحة (ورواه من الصحابة من ذكرناه) فى هذا الفصل (وغيرهم من التابعين ضعفهم) بكسر الضاد المعجمة لان كل صحابى روى عنه من طرق كما فصله فاذا ضممتهم (الى من لم نذكره) فاذا علمت هذا تحقق عندك القطع بصحته لتواتره (و) من (دون) وفى نسخة وبدون (هذا العدد) الذى ذكره (يقع العلم) أى يوجد العلم وتتحقق صحته فكيف به (لمن اعتنى) أى اهتم به وتقيد (بهذا الباب) من معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم (والله المثبت) بضم الميم وبالمثلثة المفتوحة وتشديد الموحدة قبل المثناة أى توفيق الثبات وعدم تقلب القلب نعمة من الله على عبده المؤمن فيثبته (على الصواب) وهو ضد الخطأ

(فصل ومثل هذا) من حنين الجذع واشتياقه ونطقه (فى سائر الجمادات) أى جميعها أو بقيتها والجماد ما لا روح له ومثل مرفوع خبره ما بعده أو فاعل فعل مقدر أى ورد مثله وهذا يحتمل انه اشارة لجميع ما سبق من كلام الشجر وغيره واستشهد بحديث رواه البخارى وهو ما أشار اليه بقوله (حدثنا القاضى أبو عبد الله محمد بن عيسى التميمى) تقدم بيانه وترجمته قال (حدثنا القاضى أبو عبد الله محمد بن المرابط) بصيغة اسم الفاعل من المرابطة وهى الاقامة بالثغور بنية الجهاد وهو محمد بن خلف بن سعيد بن وهب المرى توفى بالمدينة قاضيا بها سنة ثمانين وأربعمائة وكان متفننا فى العلوم سمع من المهلب والدانى وغيرهما قال (حدثنا المهلب أبو القاسم) والمهلب بصيغة المفعول هو ابن أبى صفرة وفى التكنية بابى القاسم وجوازه على الصحيح كلام مشهور تقدم وسيأتى بيانه أيضا قال (حدثنا أبو الحسن القابسى) على بن محمد بن خلف الحافظ المغافرى كما تقدم قال (حدثنا المروزى) أبو زيد كما تقدم قال (حدثنا الفربرى) تقدم بيانه وبيان نسبته على اللغتين فى اسم بلده قال (حدثنا البخارى) صاحب الصحيح وقد تقدم بيانه قال (حدثنا محمد بن المثنى) وهو محمد بن المثنى أبو موسى العنزى الحافظ الثقة الورع توفى سنة اثنين وخمسين ومائتين وترجمته مفصلة فى الميزان قال (حدثنا أبو أحمد الزبيرى) بضم الزاى المعجمة وهو محمد بن عبد الله بن الزبير بن عمر الزبيرى نسبة لجده وليس هو الزبير بن العوام بل هو كوفى مولى لبنى أسد توفى فى سنة ثلاث ومائتين قال (حدثنا اسرائيل) بن يونس بن اسحق السبيعى الكوفى أبو يوسف الثقة أخرج له الستة وتوفى سنة اثنين وستين ومائة وترجمته فى الميزان (عن منصور) أبى عتاب بن المعتمر السلمى من أئمة الكوفة (عن ابراهيم) بن يزيد النخعى (عن علقمة) بن قيس تقدم بيانه (عن عبد الله ابن مسعود (قال) أى ابن مسعود (لقد كنا) معاشر الصحابة (نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل) جملة حالية أى فى حال أكلنا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (وفى غير هذه الرواية) يعنى رواية البخارى وهو رواية الترمذى (عن ابن مسعود) أيضا (كنا نأكل مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

الطعام ونحن نسمع تسبيحه) أى قوله سبحان الله وهذا مما يستأنس به لان معنى قوله تعالى وان من شئ الا يسبح بحمده تسبيح حقيقى بلسان القال لا بلسان الحال وانه يشهد له تذييله بقوله ولكن لا تفقهون تسبيحهم وهو حديث صحيح حسن أخرجه الترمذى عن ابن يسار أيضا من طريق آخر وفى قوله كنا الى آخره دليل على تكرره وانه وقع مرارا عديدة كما تقدم وفى هذا معجزة للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وكرامة للصحابة اذ سمعوا ما لم يسمعه غيرهم وهذه المعجزة أعظم من معجزة فهم منطق الطير والجبال لسليمان وداود عليهما الصلاة والسلام وفى الدر المنثور للسيوطى ان كل شئ يسبح الا الكلاب والحمار وتقدم ان التسبيح معناه تنزيه الله عما لا يليق به وأهل الظاهر أولوا الآية بلسان الحال كالزمخشرى وجعلوه خطابا للمشركين ولذا قال لا تفقهون ولم يقل لا تسمعون وذكر المصنف رحمه الله هذه الرواية لما فيها من التصريح بانه كان معه صلى الله تعالى عليه وسلم ولبعض الشراح هنا كلام طويل لا طائل تحته (وقال أنس) فى حديث أخرجه ابن عساكر فى تاريخه (أخذ النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كفا) أى مقدار ملء الكف وهو باطن اليد وقيل فيه مضاف مقدر أى ملء كف (من حصى) جمع حصاة وهى صغار الحجارة (فسبحن فى يد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) من وضع الظاهر موضع المضمر تعظيما واشارة الى انه معجزة وفى نسخة فى يده (حتى سمعنا التسبيح ثم صبهن) أى وضعهن وهو استعارة شائعة فى الاجرام الصعبة كصببنا الصبرة من المكيل وأصله فى المائعات كالماء (فى يد أبى بكر فسبحن) جملة حالية (ثم) صبهن (فى أيدينا فما سبحن) وفى قوله حتى سمعنا اشارة الى خفاء صوتهن وفيه دليل ظاهر على فضل أبى بكر رضى الله تعالى عنه على غيره وايماء الى خلافته ومعنى قوله فما سبحن انه ما سمع تسبيحهن أوان التسبيح لم يكن من الجمادات دائما والاول أولى (وروى مثله أبو ذر) رضى الله تعالى عنه رواه الطبرانى والبيهقى والبزار والمثلية فى مجرد تسبيح الحصى فلا ينافى قوله (وذكر انهن سبحن فى كف عمر وعثمان) رضى الله تعالى عنهما ولفظ هذا الحديث عن أبى ذر فى دلائل البيهقى قال كنت أتتبع خلواته صلى الله تعالى عليه وسلم فرأيته يوما خاليا فاغتنمت خلوته وجئته حتى جلست اليه فجاء أبو بكر رضى الله تعالى عنه فسلم ثم جلس عن يمين رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم جاء عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فسلم وجلس عن يمين أبى بكر رضى الله تعالى عنه ثم جاء عثمان فسلم وجلس عن يمين عمر وبين يدى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سبع حصيات فاخذهن فوضعهن فى كفه فسبحن حتى سمعت لهن حنينا كحنين النحل ثم وضعهن فخرسن ثم أخذهن فوضعهن فى يد أبى بكر رضى الله تعالى عنه فسبحن حتى سمعت لهن حنينا كحنين النحل ثم وضعهن فخرسن ثم تناولهن فوضعهن فى يد عمر فسبحن حتى سمعت لهن حنينا كحنين النحل ثم وضعهن فخرسن ثم تناولهن فوضعهن فى يد عثمان فسمعت لهن حنينا كحنين النحل ثم وضعهن فخرسن فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هذه خلافة النبوة وهكذا أخرجه الحافظ أبو القاسم فى تاريخه مسندا عن أنس رضى الله عنه وزاد فيه بعد عثمان ثم وضعهن فى أيدينا رجلا رجلا فما سبحت حصاة منهن وفى رواية صبهن فى أيدينا رجلا رجلا الى آخره وفى الشرح الجديد انه لم يذكر عليا رضى الله تعالى عنه وكرم وجهه فان كان تسبيحها فى يد غيره مخصوصا بالخلفاء فهو خليفة كابنه الحسن أيضا وأجاب بانه لم يكن حاضرا ثمة أو لان خلافته أدركت الفتنة على ان مثله لا يشين مقامه رضى الله تعالى عنه مع ماله من المناقب * أقول الظاهر ان هذه الواقعة تعددت لان رواية أبى ذر انه لم يكن ثمة غيره وما فى رواية البيهقى يقتضى انه حضرها جماعة من الصحابة لقوله رجلا رجلا وعلى كليهما لم يكن معهم على رضى الله تعالى عنه وفيهما اشارة الى عدم امتداد خلافته استقلالا (وقال على) رضى الله عنه فى حديث رواه الدارمى والترمذى بسند حسن (كنا بمكة مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

الطعام ونحن نسمع تسبيحه) أى تسبيح الطعام والجملة حالية من ضمير نأكل (وقال أنس) وفى نسخة وعن أنس كما روى ابن عساكر فى تاريخه (أخذ النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كفا من حصى) أى حجارة دقاق (فسبحن فى يد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حتى سمعنا التسبيح ثم صبهن) أى حولهن واضعا لهن (فى يد أبى بكر فسبحن ثم) أى بعده وقعن (فى أيدينا فما سبحن وروى مثله) مثل حديث أنس (أبو ذر رضى الله تعالى عنه) على مارواه البزار والطبرانى فى الاوسط والبيهقى عنه (وذكر) أى أبو ذر (انهن سبحن فى كف عمر وعثمان رضى الله تعالى عنهما) ولعل القضية متعددة (وقال على) وفى نسخة وعن على (كنا بمكة مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

فخرج

فخرج الى بعض نواحيها) أى جهاتها واطرافها (فما استقبله) أى ما واجهه (شجرة) وفى نسخة شجر (ولا جبل) أى حجر كما روى (الاقال له السلام عليك يا رسول الله) رواه الدارمى والترمذى بسند حسن قال ابن اسحق وهذا مما بدئ به صلى الله تعالى عليه وسلم من النبوة (وعن جابر بن سمرة عنه عليه الصلاة والسلام انى لاعرف) وفى رواية ٦٧ الآن (حجرا بمكة كان يسلم على) أى يقول السلام عليك يا رسول الله رواه مسلم (قيل انه الحجر الاسود) وقيل انه الحجر المتكلم ومال اليه القابسى وقال انه الحجر المبنى للجدار المقابل لدار أبى بكر قال السهيلى روى فى بعض المسندات انه الحجر الاسود (وعن عائشة رضى الله تعالى عنها انها قالت قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لما استقبلنى جبريل بالرسالة جعلت) أى شرعت (لا أمر) بفتح همز وضم ميم وتشديد راء من المرور (بحجر ولا شجر) وفى نسخة صحيحة بتقديم شجر على حجر وهو الاظهر فتدبر (الاقال السلام عليك يا رسول الله وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنه) كما رواه البيهقى (لم يكن صلى الله تعالى عليه وسلم يمر بحجر ولا شجر الا سجد له) أى انقاد وتواضع له بنحو السلام أو سجود التحية والاكرام كاخوة يوسف عليه السلام له أو كالملائكة لآدم عليه السلام بجعله قبلة (وفى حديث العباس) على ما رواه البيهقى أيضا (اذا اشتمل عليه) أى على عمه (النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى بنيه) أى بنى عمه وهم عبد الله وعبيد الله والفضل وقثم (بملاءة) بميم مضمومة ولام فالف ممدودة ريطة كالملحفة قطعة واحدة وأما قول الدلجى بهمزة ممدودة فسهو قلم من أثروهم نشأ له تبعا للحلبى فى قوله بهمزة مفتوحة ممدودة (ودعا لهم) أى للعباس وبنيه (بالستر من النار) بفتح السين مصدر والاسم بالكسر بمعنى الحجاب ويؤيد الاول قوله

فخرج صلى الله تعالى عليه وسلم الى بعض نواحيها فما استقبله) وفى بعض النسخ فما استقبلته (شجرة) أى وقعت فى مقابلة وجهه قريبا منه (ولا جبل الاقال له) كل واحد منهما (السلام عليك يا رسول الله) بان خلق الله تعالى فيه نطقا وان لم يكن معه حياة لانه لا تلازم بينهما ولكن الظاهر انه كان فيه حياة أيضا وهذا كما قاله ابن اسحق رحمه الله تعالى كان فى بدء النبوة تطمينا لقلبه صلى الله تعالى عليه وسلم وتبشيرا له بانقياد الخلق له بعده واجابتهم لدعوته (وعن جابر بن سمرة) رضى الله تعالى عنه (عنه صلى الله تعالى عليه وسلم) فى حديث صحيح رواه مسلم (انى لاعرف حجرا بمكة كان يسلم على) أى يقول السلام عليك يا رسول الله ونحوه (قيل انه الحجر الاسود) فقد قال السهيلى وغيره روى فى المسندات ان هذا الحجر هو الحجر الاسود وهذا هو المأثور وقد قيل انه حجر غيره وانه معروف الى الآن بمكة فى محل يقال له زقاق المرفق والناس يتبركون به الآن ويقولون انه الذى كان يسلم على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهذه المعجزة أعظم من معجزة داود عليه الصلاة والسلام فى قوله انا سخرنا الجبال معه يسبحن لانها لم تسبح بيده وفى يد من أراده من أمته وتسبيح الطعام أعظم منهما لانه لم يعهد مثله والجبال قد وصفت بالخضوع والخشوع وتأكيده بان وتنكيره اشارة الى ان له شانا خاصا به وانه حجر ليس كسائر الحجارة ولذا فسر بالحجر الاسود فلا يقال ما الفائدة فى ذكر حجر واحد وهو صلى الله تعالى عليه وسلم كان لا يمر بحجر ولا شجر الا سلم عليه كما أشار اليه بقوله (وعن عائشة) رضى الله تعالى عنها عنه صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث صحيح رواه البزار فى مسنده (لما استقبلنى جبريل) عليه الصلاة والسلام أى نزل على وأتانى (بالرسالة جعلت) أى صرت (لا أمر بحجر ولا شجر الاقال السلام عليك يا رسول الله) تشريفا له وتطمينا وانها لعموم رسالته وأمر يقربه الحجر كيف ينكره البشر (وعن جابر بن عبد الله) رضى الله تعالى عنه فى حديث رواه البيهقى (لم يكن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) فى ابتداء بعثته (يمر بحجر ولا شجر الا سجد له) أى انخفض حتى مس الارض على هيئة السجود تواضعا له صلى الله تعالى عليه وسلم وتعظيما له وتكريما كما سجدت الملائكة لآدم عليه الصلاة والسلام والسجود لغير الله سبحانه وتعالى انما يمتنع من البشر وهذا محمول على السماع منه صلى الله تعالى عليه وسلم كما ورد التصريح به فى الحديث السابق ومثله لا يقال من قبل الرأى فلا حاجة الى ان يقال انه علم من باب الكشف ويحتمل ان الراوى شاهد ذلك فى حال مروره معه صلى الله تعالى عليه وسلم (وفى حديث العباس) رضى الله تعالى عنه الذى رواه البيهقى رحمه الله تعالى عن أسيد الساعدى (اذا اشتمل عليه) الضمير للعباس رضى الله تعالى عنه أى الحديث الذى ذكر فيه انه كان فى وقت اشتمل أى ضمه (صلى الله تعالى عليه وسلم) فى رداءه (وبنيه) وهم عبد الله وعبيد الله والفضل وقثم (بملاءة) بميم مضمومة ولام وهمزة ممدودة وهاء وهى الازار والملحفة وقيل الملاءة الازار الذى له شقتان فان كان له شقة واحدة فهى ريطة براء وطاء مهملتين والجمع ملاء وريط (ودعا لهم) أى للعباس وبنيه (بالستر من النار) الستر ما يمنع المستور ويحجبه فهو مجاز واستعارة لما يمنعهم من دخولهم للنار وعن ارتكاب ما يوجب العذاب بها وهو بفتح السين مصدر ستره ثم شبه بعد التجوز فى

(كستره اياهم بملاءته) كأنه قال يارب هذا عمى وصنو أبي وهؤلاء بنوه فاسترهم من النار كسترى اياهم بملاءتي هذه (فامنت) بتشديد الميم أي تكلمت بكلمة آمين (أسكفة الباب) بضم الهمزة والكاف وتشديد الفاء أي عتبته (وحوائط البيت) جمع حائط يعني الجدار أي وجدرانه المحدقة به من جميع نواحيه (آمين آمين) كررا تأكيدا أو تقريرا لوقوعه مكررا أو باعتبار كل من الاسكفة والحوائط وآمين بالمد ويقصر مبنى على الفتح ومعناه استجب أو افعل وفي حديث آمين خاتم رب العالمين (وعن جعفر) أي الصادق (ابن محمد عن أبيه) أي محمد الباقر ابن زين العابدين على بن الحسين بن على رضى الله تعالى عنهم (مرض النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فاتاه) جبريل (بطبق) أي من سعف أو غيره (فيه رمان وعنب) أي من فواكه الدنيا أو الجنة (فاكل منه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي من مجموعهما أو من كل منهما أو من طبقهما (فسبح) أي ما في الطبق عند اكله قال الدلجي لم أدر من رواه قلت يكفي انه رواه المصنف وهو من أكابر المحدثين ولولا ان الحديث له أصل لما ذكره ولذا قال القسطلاني في المواهب ذكره القاضي عياض في الشفاء ونقله عنه عبد الحافظ أبو الفضل في فتح الباري (وعن أنس رضى الله تعالى عنه) كما رواه أحمد والبخاري والترمذي وابن ماجه عنه انه قال (صعد) بكسر العين أي طلع (النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأبو بكر وعمر

وعثمان

قوله (كستره) صلى الله تعالى عليه وسلم (اياهم بملاءته) اذ قال يارب هذا عمى وصنو أبي وهؤلاء بنوه فاسترهم من النار كسترى اياهم بملاءتي هذه (فامنت) بفتح الهمزة والميم المشددة والنون أي قالت آمين طلبا الاستجابة دعائه (أسكفة الباب) بضم الهمزة وسكون السين المهملة وضم الكاف وفاء مشددة مفتوحة وهاء وهي العتبة وما يعلوه الداخل من الباب ومن المجاز وقعت الدمعة على أسكفة عينه أي جفنه الاسفل وهذا محل الشاهد من الحديث لنطق الجماد فيه (وحوائط البيت) جمع حائط وهو معروف أي جدرانه المحيطة بجوانبه ونواحيه (آمين آمين) هو اسم فعل أمر بمعنى استجب وفيه لغات أشهرها مد الهمزة وتخفيف الميم وروى قصرها وتشديد الميم وفيه كلام في التفسير واللغة مشهور وآمين آمين اما معمول لمقدر أي وقالت آمين أولامنت لتضمنه معنى القول وتكريرها على التوزيع أي قالت الاسكفة آمين والحوائط آمين ويحتمل ان كل واحد منهما كرر قوله آمين تأكيدا وتحقيقا للمقال اذ قد يغفل عن مثله وهذا الحديث بتمامه في دلائل البيهقي وفيه انه قال للعباس يا أبا الفضل لا تفارق أنت وبنوك بيتك حتى آتيك فان لي بكم حاجة فانتظروه فلما أتاهم قال كيف أصبحتم فقالوا بخير فقال تقاربوا تقاربوا فاجتمعوا فخمهم معه في ملاءته وقال يارب هذا عمى وصنو أبي وهؤلاء بنوه فاسترهم من النار الى آخر ما ذكره المصنف رحمه الله وفي دلائل أبي نعيم انهم كانوا سبعة الفضل وعبد الله حبر الامة أبو الخلفاء وعبيد الله وعبد الرحمن وقثم وسعيد وأم حبيبة أختهم وفيهم يقول عبد الله الهلالي

ماولدت نجيبة من فحل * بجبل نعلمه أو سهل * كستة من بطن أم الفضل

أكرم بها من كهلة وكهل * عم النبي المصطفى ذي الفضل * وخاتم الرسل وخير الرسل

ومثل هذه القصة حديث أهل الكساء في المباهلة المتقدم وهو جمع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لخمسة من أهل بيته وهم النبي صلى الله عليه وسلم وعلى وفاطمة والحسنان في كسائه ويقال ان جبريل عليه الصلاة والسلام كان معهم كما قيل أفضل من تحت الفلك * خمسة رهط وملك

وقال الخالدي أعاذلي ان كساء التقا * كسانيه حبي لآل الكساء

وقال أبو على الضرير لمن وعده بكساء ثم اخلف

من غزل من هذا الكساء ونسج من * هل في عمان طرازه أم في عدن

ولاى وقت بعد ريح قرة * هبت وأمطار ألمت تحتزن

أم ذا كساء العز آل محمد * فالضن عن بذل له أم حسن

وهذا من تشبيه المعقول بالمحسوس المشاهد فلا يقال عليه ان المشبه هنا أعظم من المشبه به والمعهود في التشبيه عكسه كما قيل (وعن جعفر بن محمد عن أبيه) محمد الباقر بن زين العابدين وقال السيوطي لم أجد هذا في كتب الحديث يعني المشهورة فلا ينافي اطلاع المصنف رحمه الله تعالى عليه (مرض النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فاتاه جبريل عليه الصلاة والسلام بطبق فيه رمان وعنب) المذكور في اللغة ان الطبق بمعنى الغطاء والمراد به هنا الوعاء مجازا لانه على هيأته والظاهر انهما من ثمرات الجنة وكونه من ثمرات الدنيا وانه لو كان من الآخرة لم يغن لقوله أكلها دائم لا يلتفت اليه كالبحث عن كونهما فاكهة أولا (فاكل منه صلى الله عليه وسلم فسبح) أي فاراد الاكل منه اذ تناوله بيده لا بعد الاكل كقوله تعالى اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم الآية ولم يذكر هذا مع الطعام لكونه ليس من طعام الدنيا المعقود له فصله ولذا ذكره مع الجماد وهو ما لا روح له مطلقا (وعن أنس) بن مالك رضى الله تعالى عنه في حديث رواه أحمد والبخاري والترمذي وابن ماجه (صعد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأبو بكر الصديق وعمر

وعثمان رضي الله عنهم أحدا) بضمتين وهو جبل عظيم قرب المدينة (فرجف بهم) بفتح الجيم أي اضطرب من هيبتهم وارتعد من خشيتهم (فقال اثبت أحد) أي يا أحد (فإنما عليك نبي) أي ثابت النبوة (وصديق) أي مبالغ في ثبوت الصداقة (وشهيدان) أي ثابتان في مرتبة الشهادة وبمنزلة حسن الخاتمة بالسعادة ووقع في أصل الدلجي بعد قوله فرجف بهم فضربه برجله وهو غير موجود في النسخ المعتبرة وفي أصل التلمساني أو صديق أو شهيد فهي كالواو للصاحبة أو للتفصيل

وعثمان أحدا) بضمتين وقد يسكن ثانيه وقيل ان تسكينه ضرورة وهو جبل معروف بقرب المدينة وقد قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيه انه جبل يحبنا ونحبه وأخبر انه سيكون في الجنة (فرجف) الجبل (بهم) أي تحرك حركة شديدة واضطرب واضطرابه اما لهيبته صلى الله تعالى عليه وسلم أو لخوفه من الله تعالى أو انه لزلزلة اتفقت عند صعودهم عليه (فقال اثبت أحد) بضم آخره من غير تنوين أي يا أحد فأمره صلى الله تعالى عليه وسلم بالثبات وعدم الحركة وقد خلق الله فيه ادراكا وحياة اذ فهم كلامه وامتثل أمره وهو محل الشاهد في هذا الحديث أي ينبغي ان يكون فيك وقار وسكون لشرف من علا عليك ممن ينبغي عدم الاضطراب المشوش عليهم فلذا قال (فإنما عليك نبي) يعني نفسه صلى الله تعالى عليه وسلم (وصديق) يعني أبا بكر رضي الله تعالى عنه (وشهيدان) يعني عمر وعثمان رضي الله عنهما لانهما ماتا ظلما كما لا يخفى ورواه بعضهم وشهيد بالافراد وقال لم يصف عثمان بالشهادة اختصارا واقتصارا ولا وجه له وكل الشراح على خلافه وروي انه صلى الله تعالى عليه وسلم ضربه برجله أي ركضه بها (ومثله) أي مثل الحديث الذي في أحد ما رواه مسلم (عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه في حراء) بالمد والقصر والتذكير والتأنيث والصرف وعدمه وهو جبل معروف على ثلاثة أميال من مكة وقد تقدم الكلام عليه (وزاد) في هذه الرواية على ما تقدم من ذكر عمر وعثمان وأبي بكر رضي الله تعالى عنهم (ومعه علي وطلحة والزبير) وفي رواية سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه بدل علي (وقال) في هذه الرواية (فإنما عليك نبي أو صديق أو شهيد) أو هنا بمعنى الواو للتقسيم وبها عبر المصنف رحمه الله تعالى عند سياقه هذه الرواية فيما يأتي فقال اثبت انما عليك نبي وصديق وشهيد وسيأتي الكلام عليها ثمه وأراد بذلك ما يشمل ما فوق الواحد وبالشهيد المقتول ظلما مطلقا لان عمر رضي الله تعالى عنه قتله أبو لؤلؤة غلام المغيرة الكافر وعثمان قتل يوم الدار واختلف في قاتله وعلي رضي الله تعالى عنه قتله ابن ملجم الخارجي الشقي والزبير رضي الله تعالى عنه قتل بوادي السباع ظلما وطلحة رضي الله تعالى عنه اعتزل الناس فأصابه سهم فقتله فكلهم قتلوا ظلما فهم شهداء حقيقة وحكما وروي انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال اسكن حراء أو اهدأ حراء الى آخره كما رواه مسلم والترمذي ولم يذكر سعدا كما سيأتي (والخبر) الذي رواه مسلم والترمذي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ورواه الترمذي والنسائي (في حراء أيضا عن عثمان) بن عفان رضي الله تعالى عنه (قال) عثمان رضي الله تعالى عنه في هذه الرواية (ومعه عشرة من أصحابه أنا فيهم وزاد) في رواية عثمان (عبد الرحمن) ابن عوف (وسعدا) ابن أبي وقاص (قال ونسيت الاثنين) تتمة العشرة وهما طلحة والزبير (وفي حديث) آخر رواه أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة (سعيد بن زيد أيضا) ابن عمرو بن نفيل أحد العشرة المبشرة (مثله) أي مثل حديث عثمان وفي الصحابة سعيد بن زيد أنصاري أسلمي وهو غير هذا لانه لا يعرف له رواية (وذكر) في هذه الرواية أيضا (عشرة وزاد نفسه) فيهم (وقد روي) في حديث الهجرة المذكور في السير ولم يسنده السيوطي هنا (انه) صلى الله عليه وسلم (حين طلبته قريش)

(ومثله) أي مثل ما روى أنس في أحد روي (عن أبي هريرة في حراء) بكسر الحاء ومد الراء منصرفا وممنوعا وقصره وهو جبل بمكة على يسار الذاهب الى منى (وزاد) أي أبو هريرة (معه) أي مع ما ذكر (وعلي) أي قوله وعلي بالعطف على ما قبله والمعنى روي ومعه علي (وطلحة والزبير وقال فانما عليك نبي أو صديق أو شهيد) وفي رواية وسعد ابن أبي وقاص بدل وعلي فتحركت الصخرة فقال اسكن حراء فما عليك الا نبي أو صديق أو شهيد رواه مسلم والترمذي في مناقب عثمان ولم يذكر سعدا وقال اهدأ بدل اسكن (والخبر) أي الذي رواه مسلم والترمذي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه رواه الترمذي والنسائي (في حراء أيضا عن عثمان قال) أي عثمان ومعه عشرة من الصحابة (أنا فيهم وزاد) أي عثمان (عبد الرحمن) أي ابن عوف كما في نسخة (وسعدا) وهو ابن أبي وقاص (قال) وفي نسخة وقال أي عثمان (ونسيت) بفتح فكسر والاولى بضم فكسر مشددا (الاثنين) لعلهما طلحة والزبير (وفي حديث سعيد بن زيد) أي كما رواه أبو داود والترمذي وصححه والنسائي وابن ماجه (أيضا مثله) أي مثل الخبر المروي قبله (وذكر عشرة وزاد) أي سعيد نفسه أي ذكرها فيهم (وقد روي) بصيغة المجهول أي في حديث الهجرة من السيرة (انه) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (حين طلبته قريش

لما خرج مهاجرا وأرسلوا خلفه من يطلبه منهم (قال له ثبير) بثاء مثلثة مفتوحة وموحدة مكسورة ومثناة تحتية ساكنة وراء مهملة جبل بالمزدلفة عن يسار الذاهب الى منى ولهم جبال أخر تسمى ثبيرا كلها حجازية وسمى ثبيرا من الثبور وباسم رجل كان يسمى ثبيرا دفن به فسمى باسمه (اهبط يا رسول الله) أى انزل من على ظهرى واذهب الى مكان آخر تختفى به عنهم ثم علل أمره بالهبوط والنزول منه الى مكان آخر بقوله (فانى أخاف ان يقتلوك على ظهرى فيعذبنى الله) بالنصب معطوف على يقتلوك وانما خاف العذاب بسبب قتله لانه لم يذكر له ذلك مع علمه بانه ليس فيه مكان يستره كان غشا منه يستحق به العذاب أولانه لو قتل على ظهره غضب الله على المكان الذى يقع فيه مثل هذا الامر العظيم كما غضب على أرض ثمود فلا يقال انه كيف يعذب بذنب غيره ولا تزر وازرة وزر أخرى حتى يوجه بان خوفه بمعنى حزنه وتأسفه عليه ونحوه من التخيلات التى لا وجه لها كما قيل (فقال له حراء) اسم جبل كما تقدم (الى يا رسول الله) بتشديد الياء المفتوحة تقديره ائت الى أوهو اسم فعل بمعنى أقبل وقال له ذلك لانه ألهمه الله ان يقدره على ان ينشق له ويستتر فى جوفه ونحو ذلك مما تقع به سلامته صلى الله تعالى عليه وسلم وكان هذا قبل توجهه صلى الله تعالى عليه وسلم الى غار ثور الذى اختفى فيه عند الهجرة (وروى ابن عمر) فى حديث رواه مسلم والنسائى وأحمد فى مسنده وما ذكره المصنف هو رواية أحمد بلفظه (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قرأ على المنبر) آية (وما قدروا الله حق قدره) أى ما عظموه حق تعظيمه وما عرفوه حق معرفته قيل ان بعض أحبار اليهود قال له يا محمد ان الله يمسك السموات يوم القيامة على أصبع والارضين على أصبع والجبال على أصبع والماء والثرى على أصبع وسائر الخلق على أصبع و يقول أنا الملك أنا الله فضحك صلى الله تعالى عليه وسلم تصديقا له وتعجبا ثم قرأ وما قدروا الله الآية ونحوه فى جامع الترمذى وقال الخطابى انه انكار لمقالته لتوهمه ان لله يدا حقيقية ذات أصابع وهو منزه عن مثله ولذا قال (ثم قال) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بعد ما تلى الآية (يمجد الجبار نفسه) أى يعظم وينزه ذاته وروى يحمد بالحاء المهملة من الحمد والثناء الجميل وفى ذكره الجبار موافقة للقرآن وهو صيغة مبالغة من الجبر وهو القهر ونفوذ الامر والنهى وفيه دليل على جواز اطلاق النفس بمعنى الذات على الله وان لم يكن بطريق المشاكلة كما ورد فى القرآن أيضا وليس من قبيل قوله تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك فانه يشترط فيه المشاكلة لانه اطلاق آخر ومن اشترط ذلك مطلقا فقد وهم وهذا مما خفى على كثير من الفضلاء يعنى المقصود من الآية تعظيم كبريائه توفيقا العباده على كنه ذاته فلذا قال (أنا الجبار أنا الجبار) وكرره للتأكيد والتهويل (أنا الكبير المتعال) أى المتعالى فى عظمته عما يخطر بالعقول وحذف الياء فى الوقف وهو جائز أى أنا الجليل المتكبر العلى الاعلى المنزه عن الجارحة وفيه اشارة الى ان ما ذكر من الاصبع واليد والقبضة تمثيل لجلالة قدره وعظم ذاته (فرجف المنبر) أى اهتز واضطرب من مهابة مقاله صلى الله تعالى عليه وسلم (حتى قلنا) أى قال من كان حاضرا (ليخرن عنه) أى ليقع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من شدة اضطراب المنبر من عليه أو لينهد المنبر وهذا وما قبله من معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم لنطق الجبل له وفهم المنبر كلامه وتحركه وهو

قال له ثبير) بفتح المثلثة وكسر الموحدة اسم لجبل بظاهر مكة على ما فى القاموس وفى النهاية جبل معروف انتهى والمشهور انه جبل عظيم بمنى قبالة مسجد الخيف على يسار الذاهب الى عرفات وأما قول الشمنى جبل بمزدلفة فعناه انه متصل بآخر مزدلفة وأما قول الحجازى جبل عظيم بالمزدلفة على يمنة الذاهب من منى الى عرفة فالظنه انه وقع سهوا وهو من أسمائه وليس بمراد هنا (اهبط يا رسول الله) أى انزل عنى (فانى أخاف ان يقتلوك على ظهرى فيعذبنى الله تعالى) أى بمشاهدة هذا الامر فوقى وتحمل هذا الفعل منى (فقال حراء الى) أى التجئ واصعد الى وارتفع لدى (يا رسول الله) وكان الخوف غالبا على ثبير والرجاء على حراء (وروى ابن عمر ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قرأ) أى على المنبر (وما قدروا الله حق قدره) أى وما عظموه حق عظمته أو ما عرفوه حق معرفته بجعلهم له شريكا فى ألوهيته ووصفهم اياه بما لا يليق بربوبيته (ثم قال) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (يمجد الجبار نفسه) بتشديد الجيم أى يذكر ذاته بوصف المجد والشرف والعظمة وروى يحمد (يقول) كذا فى نسخة وهو جملة حالية (أنا الجبار أنا الجبار) بالرفع باثبات التكرار وهو الذى يجبر العباد على وفق ما أراد ويقهرهم بالفناء عن البلاء (أنا الكبير) أى العظيم الذات الكريم الصفات قال الحجازى أنا الجبار مرتين وأنا الكبير ويروى مرتين (المتعال) أى المتعال وهو الرفيع الشان المنزه عن التعلق بالزمان والمكان ونحوهما من سمات الحدثان وصفات النقصان (فرجف المنبر) أى اضطرب اضطرابا شديدا وذلك لعظمة الله وهيبته (حتى قلنا ليخرن) بفتح اللام والياء وكسر الخاء المعجمة وتشديد الراء والنون أى ليسقطن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (عنه) أى عن المنبر

محل

(وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما) كما رواه البزار والبيهقي (قال كان حول البيت) أي على جدرانه ذكره الدلجي (ستون وثلاثمائة صنم مثبتة الارجل) بفتح الموحدة المخففة أو المشددة أي مستمرة (بالرصاص) بفتح الراء على ما في القاموس قيل ويكسر (في الحجارة) أي من أحجار البيت ولا يبعد أن تكون الاصنام موضوعة على حجارات كائنة حول البيت منصوبة بتسميرها فيها بالرصاص وكذا كانت الاصنام داخل البيت وفوقه أيضا قال الدلجي وروى

أبو يعلى نحوه أي عنه وانه قال (فلما دخل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم المسجد) أي المسجد الحرام وهو يطلق على الكعبة وما حولها من البقعة (عام الفتح) أي سنة فتح مكة (جعل) أي شرع (يشير بقضيب) أي بسيف لطيف أو عود ظريف (في يده) حال من قضيب (اليها) متعلق بيشير قال الحلبي وفي رواية صحيحة بقضيب يشبه القوس والقوس قضيب انتهى والتشبيه يحتمل أن يكون من حيثية طوله وعرضه أو من جهة انحراف في وسطه (ولا يمسها) أي بيده تجنبا عنها لا بعدها كما ذكره الدلجي (ويقول) أي ما أمره الله به أن يقول (جاء الحق) أي ظهر الحق وأهله (وزهق الباطل) أي اضمحل وذهب أصله (الآية) أي ان الباطل كان زهوقا أي غير ثابت في نظر أهل الحق دائما (فما أشار) أي به كما في نسخة أي بقضيبه (الى وجه صنم الاوقع لقفاه ولا) أي ولا أشار به (لقفاه الاوقع لوجهه) أي سقط عليه هيبة مما أشار به اليه (حتى ما بقي منها صنم) أي الا خر ساقطا اما على وجهه واما على قفاه (ومثله في حديث ابن مسعود) أي على ما رواه الشيخان عنه (وقال) أي ابن مسعود (فجعل يطعنها) بفتح العين ويضم وهو أولى من عبارة الحلبي بضم العين ويفتح لما في كلام استاذه صاحب القاموس طعنه بالرمح كمنعه ونصره ضربه مع ما في الفتح من الخفة المعادلة لثقل العين كما حرر في يسع ويضع ويدع ويقع ثم المراد بالطعن هنا مجرد الاشارة لما سبق صريحا في العبارة والمعنى يشير اليه في صورة الطاعن لديه

محل الشاهد (وعن ابن عباس) في حديث أخرجه الشيخان والبزار والطبراني وأبو يعلى عن جابر وابن مسعود أيضا (كان حول البيت) في الجاهلية وقبل الفتح (ستون وثلاثمائة صنم) اتخذها قريش آلهة يعبدونها من دون الله (مثبتة الارجل بالرصاص في الحجارة) أي قيدت أرجلها ومكنت في الارض برصاص جعل عليها حتى لا تسقط وتزول من مكانها والرصاص معروف قال الجوهري بفتح الراء والعامة تكسره انتهى فكسره كضمه لحن من العامة وكون الاصنام حول الكعبة لا فوقها ورد في كثير من الروايات (فلما دخل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم المسجد) أي مسجد مكة المشرفة (عام الفتح) أي فتح مكة (جعل) أي شرع وطفق (يشير بقضيب) وعصا كانت (في يده اليها) أي الى الاصنام المذكورة واليها متعلق بيشير (ولا يمسها) بيده ولا بقضيبه لاستكراهه صلى الله تعالى عليه وسلم لها ولانه لو مسها توهم ان سقوطها بشدة دفعه لها (ويقول) حال من فاعل يشير لا من فاعل يمسها كما قيل وان جاز بتكلف أي قائلا (جاء الحق وزهق الباطل الآية) والحق التوحيد والاسلام والباطل ضده وزهوقه زواله واضمحلاله وزهقت نفسه خرجت (فما أشار) بالقضيب (الى وجه صنم) أي ما هو على صورة وجه مقابل له (الا وقع) خر ساقطا (لقفاه) أي على قفاه فاللام بمعنى على كقوله
* وخر صريعا لليدين وللفم * والاستثناء مفرغ من أعم الاحوال أي في حال من الاحوال الا حال سقوطه (ولا) أشار (لقفاه الا وقع لوجهه) أي أي جهة أشار صلى الله تعالى عليه وسلم اليها من الصنم وقع على مقابلها (حتى) سقطت كلها و(ما بقي منها صنم) قائم اذ سقطت كلها والقفا مقابل الوجه وهو مقصور وسمع مده في لغة ضعيفة وقيل انه ضرورة والحاصل انها سقطت كلها باشارته صلى الله تعالى عليه وسلم من غير ان يمسها واختلفت الروايات فقيل أشار بيده وقيل بقوس وقيل بقضيب وقيل بعود وهذا فيما كان حول البيت وأما ما كان في جوفه فأمر باخراجه ولم يدخل صلى الله عليه وسلم البيت حتى أخرجت منه ومحيت الصور التي كانت فيه ولم يتعرض له المصنف مع انه في الصحيحين لان كلامه في اطاعة الجمادات له صلى الله تعالى عليه وسلم وقد علم ان هذه الاصنام كانت موثقة بالرصاص لو أراد أحد قلعها لم يقلعها الا بعلاج شديد وقد سقطت باشارته من بعيد فهو كتحريك الشجر من مغرسه له صلى الله تعالى عليه وسلم فلذا اقتصر عليه المصنف رحمه الله وأشار اليه بقوله مثبتة بالرصاص (ومثله) أي مثل هذا الحديث وبمعناه (في حديث ابن مسعود) الذي رواه الشيخان (وقال) أي ابن مسعود في روايته (فجعل يطعنها) أي الاصنام المذكورة ويطعن بفتح العين كمنع يمنع ويجوز ضمها والاول أشهر وأفصح خلافا لمن عكس وقد تقدم اختلاف الروايات فيما طعن به وهي متقاربة والذي مر في الرواية السابقة انه أشار اليها من غير ان يمسها بيده وما فيها من عصا ونحوها وهذه الرواية تقتضي انه مسها بالعصا ودفعها بها كالطاعن لها فبينهما اختلاف ولذا فسر بعضهم طعنها بأشار اليها من غير مس وهو خلاف الظاهر وقيل انها كانت كثيرة فأشار لبعض منها وطعن بعضها فلا تعارض في الروايات

(ويقول) أي كما مر به في آية أخرى (جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد) أي ظهر الحق ولم يبق للباطل ابداء ولا اعادة أو ما يبدئ الصنم خلقا ولا يعيده أو لا يبدئ ضر الاهله في الدنيا ولا يعيده في العقبى (ومن ذلك) أي من قبيل ما ذكر عن الجمادات (حديثه) أي خبره الذي رواه الترمذي والبيهقي ٧٢ (مع الراهب) وهو بحير بفتح الباء الموحدة وكسر الحاء المهملة مقصورا وقيل ممدودا واسمه جرجس أو جرجيس بزيادة ابن عبد القيس من نصارى تيماء أو بصرى ذكره ابن منده وأبو نعيم في الصحابة لايمانه به صلى الله تعالى عليه وسلم قبل بعثته (في ابتداء أمره) أي أمر ظهوره (اذ خرج تاجرا) ظرف لحديثه معه أو لابتداء أمره (مع عمه) أي أبي طالب وفيه انه لم يكن في خروجه معه تاجرا بل تعرض له عند خروجه فقال تتركني وليس لي أحد فاخذه معه وانما خرج تاجرا بعد ذلك مع ميسرة غلام خديجة وفي هذه لقي نسطور الراهب وقصته معه مشهورة وفي كتب السير مسطورة فقوله تاجرا حال من عمه لا من ضمير خرج (وكان الراهب) أي بحيرا (لا يخرج) أي في عادته (الى أحد) أي ممن كان ينزل المكان (فخرج) أي في ذلك الزمان (وجعل يتخللهم) أي شرع يطلب أحدا في خلال من كان في تلك الحال (حتى أخذ بيد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال هذا سيد العالمين يبعثه الله رحمة للعالمين فقال له أشياخ من قريش) (ثم) أي من المشركين (ما علمك) أي ما سبب علمك به وبقربه عند ربه (قال انه لم يبق شجر ولا حجر الا خر ساجدا له ولا تسجد) أي الاشجار والاحجار (الا لنبي وذكر القصة) أي على ما أوردها أهل الاخبار من انه قال واني لاعرفه بخاتم النبوة أسفل من غضروف كتفه مثل التفاحة ثم رجع فصنع لهم طعاما فلما أتاهم به كان صلى الله تعالى عليه وسلم في رعية الابل فقال ارسلوا اليه

(ويقول) معطوف أو حال بتقدير وهو يقول (جاء الحق) أي الدين الحق والتوحيد أو وعد الله بفتح مكة (وما يبدئ الباطل وما يعيد) الابداء الايجاد ابتداء من غير سبق ايجاد آخر والاعادة الايجاد مرة بعد مرة أخرى وما هنا جوز فيها أن تكون نافية أي ان الشرك هلك واضمحل واستفهامية استفهاما انكاريا وهو بمعنى النفي أيضا فالمعنى واحد وانما ذكر حديث ابن مسعود لانه في الصحيحين وقدم الاول لانه أوفق بمراده هنا وفيه زيادة ثقة وهي مقبولة (ومن ذلك) أي مما ذكر من أمر الجمادات (حديثه) الذي رواه الترمذي والبيهقي (مع الراهب) وهو بحيراء واسمه جرجس ويقال جرجيس بياء ابن عبد القيس من نصارى تيما أو بصرى وهو ممن آمن به صلى الله تعالى عليه وسلم قبل بعثته صلى الله تعالى عليه وسلم ولذا عده بعضهم من الصحابة كورقة بن نوفل وفي المسئلة اختلاف ذكره البرهان في النبراس وغيره وقيل ان بحيراء يهودي واسمه بفتح الباء مقصور ويروى مده وتسميته راهبا تؤيد نصرانيته لان الرهبانية وهي الزهد في المأكل وغيره لشدة رهبته أي خوفه معروفة فيهم كما لا يخفى (في ابتداء أمره) صلى الله تعالى عليه وسلم أي وهو صغير السن لم يبعث (اذ خرج تاجرا) أي لاجل التجارة (مع عمه) أبي طالب واعترض عليه بانه لما خرج مع عمه المذكور كان عمره تسع سنين وقيل اثنا عشر ولم يكن تاجرا وانما تعرض لعمه وهو خارج وقال له تتركني وليس معي أحد فأخذه معه وانما خرج تاجرا بعد ذلك مع ميسرة غلام خديجة رضي الله تعالى عنها وميسرة هذا لم يذكر في الصحابة وقدمات قبل البعثة وفي هذه الخرجة لقي راهبا آخر وهو نسطور وقصته مشهورة أيضا ففي كلام المصنف رحمه الله تعالى ما لا يخفى وما قيل في الجواب من ان تاجرا حال من ضمير عمه أو حال من ضميره صلى الله تعالى عليه وسلم المستتر في خرج وجعله تاجرا لمجاورته لعمه الذي خرج للتجارة تعسف وتكلف جدا (وكان الراهب لا يخرج) من صومعة له كان يترهب فيها (الى أحد) ممن يمر عليه من ابناء السبيل لان صومعته كانت على طريق قريش في ممرهم للشام تجارا فكان يراهم ولا يخرج اليهم لانفراده واشتغاله بعبادته على عادتهم (فخرج) على خلاف عادته لما نزل قريبا منه أبو طالب والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم معه وأبصرهم (فجعل) أي صار (يتخللهم) بفتح المثناة التحتية والفوقية والخاء المعجمة واللام المشددة بعدها لام مخففة أي يدخل في خلالهم ويدور بينهم ينظرهم واحدا بعد واحد من تخلل القوم اذا دخل بينهم كما في الصحاح (حتى أخذ بيد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي أمسك بيده الشريفة (فقال هذا سيد العالمين) أي أشرف المخلوقات كلهم لما رأى فيه من الصفات التي علمها من كتبهم (يبعثه الله) أي يرسله لدعوة الكافة بعد ما نبأه (رحمة للعالمين) أي لاجل رحمتهم جميعا لمجيئه بما يسعدهم في الدنيا والآخرة كما تقدم (فقال له) أي للراهب (أشياخ من قريش) جمع شيخ وحقيقته الكبير السن ثم شاع في الشريف المتقدم على غيره (ما علمك) بما ذكرته من كونه سيدا ورحمة عامة أي من أين عرفت هذا (فقال انه لم يبق شجر ولا حجر الا خر ساجدا له) وهو شاهد ذلك من صومعته لما نزلوا عنده ومن معه لم يروا ذلك لاشتغالهم بأحوالهم في السفر (ولا تسجد الا لنبي) تعظيما له اذا مر بها أو نزل عندها والسجود للتحية والاكرام كان سنة عندهم على ان امتناعه انما هو في حق العقلاء دون غيرهم كما مر فانهم لا يتصور منهم شرك فالبحث عنه لا وجه له (وذكر القصة) الى آخرها مفصلة كما في السير وشهرتها تغني عن ذكرها

(ثم قال) أي الراهب أو الراوي (فاقبل وعليه غمامة تظله فقال أنظروا الى الغمامة تظله فلما دنا من القوم وجدهم سبقوه) وفي نسخة فقد سبقوه (الى فيء الشجرة) بفتح الفاء وسكون التحتية بعدها همزة أي الى ظلها (فلما جلس مال الفيء) أي فيء الشجرة (اليه) فقال أنظروا امال الفيء اليه ثم قال أنشدكم الله تعالى أيكم وليه قالوا أبو طالب واذا بسبعة من الروم قد أقبلوا فسألهم فقالوا ان هذا النبي قد خرج من بلاده في هذا الشهر فوجهوا الى كل جهة جماعة ووجهونا الى جهتك فقال أفرأيتم أمرا أراده الله تعالى أيقدر أحد يدفعه قالوا لا فأقاموا عنده ثلاثة أيام ولم يزل يناشده عمه حتى رده وبعث معه أبو بكر بلالا وزوده

الراهب زيتا وكعكا قيل وذكر أبي بكر وبلال فيه وهم

(ثم قال) أي الراهب (فاقبل) صلى الله تعالى عليه وسلم للمنزل (وعليه غمامة تظله) دون من معه من رفقته (فلما دنا من القوم) المرافقين له الذين نزلوا قبله (وجدهم سبقوه الى فيء الشجرة فلما جلس) صلى الله تعالى عليه وسلم (مال الفيء اليه) أي الى جانبه الذي جلس فيه والفيء هو الظل أو الظل بالغداة والفيء بالعشي لانه من فاء اذا رجع وهذا هو أصل معناه لكن توسعوا فيه فاستعملوا كلا منهما مقام الآخر والغمامة السحابة أو البيضاء والمراد الاول وخبر بحيراء صحيح روي من طرق صحيحة الا أنه طعن فيما رواه الحاكم فيه من ان سبعة من الروم اقبلوا يقصدون قتله صلى الله تعالى عليه وسلم فاستقبلهم بحيراء وقال لهم ما جاء بكم فقالوا ان هذا النبي خارج في هذا الشهر وانا بعثنا له فقال لهم أرأيتم أمرا أراده الله هل يستطيع أحد رده قالوا لا فصدهم عما أرادوه وأقاموا معه ورده أبو طالب وبعث معه أبو بكر بلالا رضي الله تعالى عنهما وقال الذهبي انه حديث منكر وانما طعن فيه لان أبا بكر رضي الله عنه كان صغيرا اذ ذاك ولم يملك بلالا وقيل ان هذا مدرج فيه من حديث آخر والآفة فيه من رواته

* وما آفة الاخبار الا رواتها *

(فصل في الآيات في ضروب الحيوانات) الآيات جمع آية وهي العلامة والمعجزة لانها علامة نبوة النبي والضروب جمع ضرب وهو النوع (حدثنا سراج بن عبد الملك أبو الحسين الحافظ قال حدثنا أبي قال حدثنا القاضي يونس) رجال هذا السند تقدموا وكلهم مع الكلام عليهم وعلى أسمائهم فلا حاجة لتكرار المملّ (قال حدثنا أبو الفضل الصقلي) بفتح الصاد المهملة والقاف وكسر اللام المشددة وياء نسبة نسبة لصقلية جزيرة بالاندلس كثيرة الاشجار والثمار قال الشاعر

ذكرت صقلية والاوسى * تأجج نيران تذكارها

وكسر صادها خطأ وان ذكره البرهان ظنا منه عنده (قال حدثنا ثابت بن قاسم بن ثابت عن أبيه وجده قالا حدثنا أبو العلاء أحمد بن عمران قال حدثنا محمد بن فضيل قال حدثنا يونس بن عمرو) كذا في النسخ وقد سقط منه راو وصوابه حدثنا أحمد بن عمران حدثنا محمد بن فضيل قال حدثنا يونس بن عمرو كما في بعض النسخ موصولا وهو من رجال مسلم وأصحاب السنن الاربعة وترجمته في شرحها كما تقدم ويونس هو ابن اسحق السبيعي وهو ثقة صدوق وقيل انه مضطرب لا يحتج به وترجمته في الميزان توفي سنة تسع وخمسين ومائة (قال حدثنا مجاهد) وفي نسخة عن مجاهد (عن عائشة) أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها ومجاهد هو ابن جبر كما تقدم وقيل ان مجاهدا لم يسمع منها والصحيح خلافه (قالت) عائشة (كان عندنا داجن) من المداجنة وهي لزوم البيوت وسكونها والمراد بها شاة تألف البيوت وتعلف فيها وتطلق على غيرها من الحيوانات التي تربى في البيوت كالناقة والحمام والمراد بقولها عندنا منزلها الذي تسكنه وكذا في قوله (فاذا كان عندنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قر وثبت مكانه) أي وقف أو ربض في مكانه

(فصل)
(في الآية) أي الشاهدة بثبوت نبوته وصدق رسالته وما خص به من بديع الكرامات ومنيع المعجزات (في ضروب الحيوانات حدثنا سراج بن عبد الملك أبو الحسين الحافظ) سبق ذكره (حدثنا أبي) قال الحلبي تقدم أبوه فاضبط في بعض النسخ بصيغة التصغير تصحيف وتحريف (ثنا القاضي أبو يونس ثنا أبو الفضل الصقلي) بفتح الصاد وتكسر وسكون القاف (حدثنا ثابت بن قاسم ابن ثابت عن أبيه عن جده) أي كليهما (قالا حدثنا أبو العلاء أحمد بن عمران ثنا محمد ابن فضيل) بالتصغير وهذا هو الاصل الصحيح وقع في أصل المؤلف باسقاط ثنا محمد بن فضيل (ثنا يونس بن عمرو) بالواو وقال أبو معين ثقة

وقال أبو حاتم لا يحتج به (ثنا مجاهد عن عائشة) قال يحيى بن سعيد لم يسمع منها قال وسمعت شعبة ينكر ان يكون سمع منها وتبعه على ذلك يحيى بن معين وأبو حاتم الرازي وحديثه عنها في الصحيحين وقد صرح في غير حديث بسماعه منها والله تعالى أعلم (قالت كان عندنا داجن) بكسر الجيم ما ألف البيت من الحيوان كالشاة والطير مأخوذ من المداجنة وهي المخالطة والملازمة (فاذا كان عندنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) وفي نسخة صحيحة عندنا ثم (قر وثبت مكانه) أي الداجن (فلم يجئ ولم يذهب) أي ولم يغير شانه توقيرا له وتكريما وهيبة منه وتعظيما

(واذا خرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم جاء وذهب) أي تردد واضطرب وهذا الحديث رواه أحمد والبزار وأبو يعلى والطبراني والبيهقي والدارقطني وهو صحيح وفي المدعى صريح (وروى عن عمر) رضي الله تعالى عنه بصيغة المجهول اشعارا بضعفه فقد قال الحافظ المزي لا يصح اسنادا ولا متنا

وقال ابن دحية انه موضوع لكن قال القسطلاني قد رواه الأئمة فنهايته الضعف لا الوضع فمن رواه الطبراني والبيهقي قال وروى أيضا بأسانيد عن عائشة وأبي هريرة رضي الله تعالى عنهما وما ذكرناه ومثلها (ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان في محفل) بفتح الميم وكسر الفاء أي مجتمع (من أصحابه اذا جاء اعرابي قد صاد ضبا) بفتح الضاد المعجمة وتشديد الموحدة حيوان معروف يقال اذا فارق جحره لم يهتد اليه وهو لا يشرب وأطول الحيوان روحا بعد ذبحه ويعيش سبعمائة سنة فصاعدا ويقال انه يبول في كل أربعين يوما قطرة (فقال) أي الاعرابي (من هذا قالوا نبي الله فقال واللات) بواو القسم (والعزى) وهما صنمان كانوا يعبدونهما في وسط الكعبة (لا آمنت بك) أي بنبوتك ورسالتك وفي نسخة لا أومن بك (أو) بسكون الواو (يؤمن) بالنصب أي الى أن يؤمن أو حتى يؤمن كما في نسخة (بك هذا الضب) أي فأومن أنا أيضا بك حينئذ (وطرحه بين يدي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي ألقى الضب بين جهتي يديه يعني قدامه (فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم له يا ضب فأجابه بلسان مبين) أي بين أو مبين حروفه (يسمعه القوم جميعا لبيك) أي اجابتي لك مرة بعد مرة (وسعديك) أي ومساعدتي لطاعتك كرة بعد كرة (يا زين من وافى القيامة) أي يا زينة من أتاها وحضر (قال) أي النبي عليه الصلاة والسلام له (من تعبد) أي ممن يسمى الها (قال

أعبد

لا يتحرك تأدبا معه صلى الله تعالى عليه وسلم (واذا خرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) من منزله (جاء وذهب) أي مشى في البيت وتردد فيه لانه ليس ثمة من يهابه وقيل المعنى انه لم يقر لعدم رؤيته صلى الله تعالى عليه وسلم اشتياقا لرؤيته وهذا حديث صحيح رواه أحمد والبزار وأبو يعلى والبيهقي والدارقطني وهذا من معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم لالف الحيوانات التي لا تعقل ومهابتها له وروى داجنة بالهاء وراجن بالراء وقد علم ان قر من القرار وهو السكون وعدم الحركة (وروى عن عمر) بن الخطاب رضي الله تعالى عنه في حديث رواه الطبراني والبيهقي وروى أيضا عن عائشة رضي الله عنها وأبي هريرة وهو ضعيف كما قاله السيوطي وليس بموضوع كما قيل (ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان في محفل) بفتح الميم وسكون الحاء المهملة وكسر الفاء واللام محل يجتمع فيه ناس كثيرون من حفل بمعنى جمع (من أصحابه اذ جاء اعرابي) أي دخل بغتة عليهم رجل من أهل البادية غير معروف (قد صاد ضبا) جملة حالية بفتح الضاد المعجمة وتشديد الباء الموحدة حيوان برى أكبر من الجرذ دون بيض والاعراب تصطاده وتأكله (فقال) الاعرابي للصحابة (من هذا) سأل عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لانه ينكره أو لم يعرفه (قالوا) له جوابا (نبي الله) أي هو نبي الله ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

وليس قولك من هذا بضائره * البيت يعرف من أنكرت والحرم

(فقال واللات والعزى) وهما صنمان عبدا في الجاهلية وأصل اللات اللاء فحذفوا الهاء وأدخلوا تاء التأنيث عوضا عنها وهو من لوى سمى به لالتوائهم في طوافهم حولها وكان بنخلة والطائف لقريش وثقيف والعزى تأنيث الاعز شجرة من السمرة كانت لغطفان بعث اليها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خالد بن الوليد فقطعها فخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها داعية ويلها فقتلها وقال يا عزى كفرانك لا سبحانك اني رأيت الله قد أهانك ثم أخبر به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال تلك العزى ولن تعبد أبدا واقسم الاعرابي بهما لانه لم يكن مسلما كما يدل عليه ما بعده من قوله (لا آمنت بك) أي بانك رسول الله (أو يؤمن بك هذا الضب) بنصب يؤمن أي الا أن يؤمن هذا الضب فأومن أنا بك أيضا بعد رؤيته معجزتك من نطق هذا الحيوان واقراره برسالتك وأو بمعنى الا أو الى غاية لانتفاء ايمانه وهما مما ينتصب بعده المضارع بعد النفي ونحوه وفي نسخة حتى بدل أو (وطرحه) أي رمى الاعرابي الضب (بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم) أي في مقابلته قريبا منه (فقال) صلى الله عليه وسلم (له) أي للضب (يا ضب) بالضم لانه منادى مفرد (فاجابه بلسان بين) كلامه أو بكلام ظاهر مفهوم (يسمعه القوم) الذين عنده (جميعا لبيك) أي اجابة لك بعد اجابة وهو مثنى منصوب على المصدرية كما بينه النحاة (وسعديك) أي مساعدة وطاعة لك بعد طاعة وهو مثله في المعنى والنصب وهما عبارة عن سرعة الاجابة والانقياد والطاعة (يا زين من وافى القيامة) أي من تزين وتحسن من كل من جاء الى القيامة والموافاة الحضور والمجيء والقيامة معروفة وانما جعله زينا أي مزينا لاهلها ومن بها لانه صلى الله تعالى عليه وسلم سيدهم وقائدهم والشفيع فيهم وهذه العبارة شائعة في لسان عامة العرب فيقولون يا زين القوم لاشرفهم وأحسنهم (قال) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم للضب (من تعبد) سأله ليقر بعبوديته لله فوصفه بما يعرفه كل أحد (قال)

أعبد (الذى فى السماء عرشه) وهو فى الاصل سرير الملك والعرش والكرسى اجمالا معلوم وتحقيقه فى كتب التفسير والمراد بالسماء ما يقابل الارض أو جهة العلو مطلقا فلا ينافى ما ورد من انه فوق السموات كما قال الله تعالى وسع كرسيه السموات والارض وللكلام فى هذا مقام آخر لا تحيط به ظروف الحروف (وفى الارض سلطانه) أى فى الارض ومن فيها ظهر عدله وحكمه وقهره لمن فيها من الثقلين وسلطانه وان كان على كل موجود لكن ظهوره فيمن قد يخالف ظاهر فيهما والسلطان فى الاصل مصدر من التسلط والقهر (وفى البحر سبيله) أى طريقه التى جعلها مسلوكة لعباده بتسخير الريح ونحوه مما لا يقدر عليه غيره كما قال الله تعالى هو الذى يسيركم فى البر والبحر ولذا كانت الكفرة لا يدعون فيهما سواه كما قال الله تعالى فاذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين (وفى الجنة رحمته) المختصة به العظيمة الباقية وان كان رحيم الدنيا والآخرة (وفى النار عذابه) وفى نسخة عقابه فلما آمن بالله ووصفه بما هو مختص به دال على عظمته (قال) له صلى الله تعالى عليه وسلم ليكمل ايمانه (فمن أنا) أى اذا آمنت بى فمن انا (قال رسول رب العالمين) اشارة الى عموم رسالته صلى الله تعالى عليه وسلم لكل موجود حتى الجمادات والحيوانات (وخاتم النبيين) فلا نبى بعده كما تقدم (وقد أفلح) وفاز بسعادة الدارين (من صدقك) وأقر برسالتك (وخاب من كذبك) بانكار رسالتك وعدم اجابة دعوتك (فاسلم الاعرابى) لما رأى معجزته صلى الله تعالى عليه وسلم وعلم علما ضروريا بتوحيد الله تعالى والاقرار برسالة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا الحديث طويل رواه البيهقى وفيه ان الاعرابى من بنى سليم وانه كان ذاهبا بالضب ليشويه ويأكله فلما رأى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقع له معه ما ذكره المصنف رحمه الله تعالى من اسلامه قال لا أتبع أثرا بعد عين والله لقد جئتك وما على ظهر الارض أبغض الى منك وأنت اليوم أحب الى من نفسى وولدى فلما أسلم وتشهد قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الحمد لله الذى هداك ان هذا الدين يعلى ولا يعلى ولا يقبل الا بصلاة ولا صلاة الا بقرآن ثم أعلمه الصلاة والقراءة وعلمه سورة الاخلاص وكان هذا سببا لاسلام قومه وقدومهم على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقد علمت ضعف الحديث وان قال ابن دحية انه موضوع (ومن ذلك) أى من معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم فى تسخير الحيوانات وانطاقها (قصة كلام الذئب المشهورة) التى رواها أحمد والبزار والبيهقى وصححها (عن أبى سعيد الخدرى) رضى الله عنه هو سعيد بن مالك الصحابى كما تقدم (بينا راع) تقدم ان بينا من الظروف وان الالف للاشباع أو كافة عن الاضافة فراع فى محل رفع أو جر وهو اسم فاعل من رعى الغنم ونحوها وهو معروف وقوله (يرعى غنما له) ذكره لبيان ان الغنم له فليس باجنبى وانه كان يرعى غنما فان الراعى قد يرعى غيرها كالابل والبقر واختلف فى اسم هذا الراعى فقيل انه اهبان بن أوس وقد جرى عليه المصنف رحمه الله تعالى فيما يأتى وانه وقع مثل هذه القصة لابى سفيان بن حرب وصفوان بن أمية فى ذئب أخذ ظبيا ولابى جهل وأصحابه وفى حديث آخر ان الذئب أخذ شاة فتبعه الراعى فقال له الذئب من لها يوم السبع يوم لا راعى لها غيرى وان الذى كلمه الذئب اهبان بن أوس الاسلمى وقيل أهبان بن عقبة عم سلمة بن الاكوع أحد أصحاب الشجرة وقيل أهبان بن الاكوع وعند السهيلى انه رافع بن ربيعة وقيل هو أهبان بن عباد الخزاعى وقيل الذى كلمه الذئب سلمة بن الاكوع ويأتى بيان ذلك كله وقيل أهبان ابن صيفى وعن ابن عساكر ان الذى كلمه الذئب رافع بن عميرة الطائى كلمه الذئب وهو فى ضأن له يرعاها ودعاه الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وأمره باللحوق به صلى الله تعالى عليه وسلم فقال

رعيت الضأن أحميها زمانا * من الضبع الخفى وكل ذئب

الذى فى السماء عرشه) أى ملكوته سبحانه (وفى الارض سلطانه) أى ملكه المظهر شأنه (وفى البحر سبيله) أى طريق آياته ولعله من باب الاكتفاء فان فى البر كثيرا من عجائباته (وفى الجنة رحمته) أى ثوابه من أثرها للطيعين (وفى النار عقابه) أى من أثر سخطه للعاصين (قال فمن أنا قال رسول رب العالمين وخاتم النبيين) أى آخرهم وهو بفتح التاء على ما قرأ به عاصم بمعنى ختموا به وبكسرها بمعنى ختمهم ويؤيده قراءة ابن مسعود ولكن نبينا ختم النبيين (وقد أفلح) أى فاز (من صدقك) بتشديد الدال أى أطاعك (وقد خاب) أى خسر (من كذبك) أى عصاك (فاسلم الاعرابى ومن ذلك قصة كلام الذئب المشهورة) بالرفع (عن أبى سعيد الخدرى) كما رواه أحمد والبزار والبيهقى وصححه (بينا) وفى نسخة بينما على ان ما زائدة كافة واما الف بينا فقيل هى اشباع فلا تمنع الجر وقيل مانعة له منه وهو المشهور عند الجمهور (راع يرعى غنماله

عرض الذئب لشاة منها) أي وقت رعي غنمه فاجاء عروض الذئب أي ظهوره في تعرضه لشاة من جملة قطيع الغنم (فاخذها) أي الراعي (منه فاقعى الذئب) أي ألصق أسته بالارض ونصب ساقيه وفخذيه ووضع يديه على الارض (وقال للراعي ألا تتقي الله) أي أما تخاف والمعنى خف الله تعالى فالاستفهام للتوبيخ لا للانكار الداخل على النفي المقيد لتحقق ما بعده كما ذكره الدلجي (حلت بيني وبين رزقي) بضم الحاء أي منعت رزقي عني وهو جملة مبينة قائمة مقام العلة (قال الراعي العجب) أي كل العجب (من ذئب يتكلم بكلام الانس) أي في مقام الانس (فقال الذئب ألا أخبرك بأعجب من ذلك) أي وأغرب فيما هنالك (رسول الله بين الحرتين) بفتح الحاء وتشديد الراء تثنية حرة وهي ارض ذات حجارة سود حول المدينة السكينة (يحدث الناس بانباء من قد سبق) وفي نسخة صحيحة ما بدل من وانما كان أعجب لانه اخبار عما لم يعلم به غير الرب (فاتى الراعي النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره) أي بكلام الذئب له فقال النبي (صلى الله تعالى عليه وسلم له) أي للراعي (قم فحدثهم) أي الحاضرين والغائبين (ثم قال) أي النبي عليه الصلاة والسلام بعد ان حدثهم الراعي أو قبله (صدق) أي الراعي في قوله وبالحق نطق في نقله (والحديث فيه قصة) أي طويلة أو عظيمة وهو الاظهر لقوله (وفي بعضه طول) أي في بعض ألفاظه طول أي ليس هذا محل بسط تلك الفصول وروى انه لما جاء الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأخبره صدقه ثم قال انها امارات بين يدي الساعة قد أوشك الرجل ان يخرج فلا يرجع حتى يحدثه نعلاه ثم وسوطه بما احدث أهله بعده وفي رواية قال والذي نفسي بيده لا تقوم الساعة حتى تكلم السباع الانس وحتى تكلم الرجل عذبة سوطه وشراك نعله ويخبره فخذه بما احدث أهله بعده (وروى حديث الذئب عن أبي هريرة) أي من طرق (وفي بعض الطرق عن أبي هريرة فقال الذئب أنت أعجب واقفا على غنمك) حال

فلما ان سمعت الذئب نادى * يبشرني باحمد من قريب
سعيت اليه قد شمرت ثوبي * عن الساقين قاصدة الركيب
فالقيت النبي يقول قولا * صدوقا ليس بالقول الكذوب
فصيرني لدين الحق حتى * تبينت الشريعة للمنيب
وأبصرت الضياء يضيء حولي * أمامي ان سعيت وعن جنوبي
الا ابلغ بني عمرو بن غوث * واخوتهم جذيلة ان أجيبي
دعاء المصطفى لا شك فيه * فانك ان أجبت فلن تخيبي

وقد علم ان قصة كلام الذئب وقعت مرارا عديدة على انحاء مختلفة وكلامه وان كان لغيره لكن اقراره به معجزة له صلى الله تعالى عليه وسلم (عرض الذئب لشاة منها) أي أتاها لاختطافها واخذها (فاخذها الراعي منه) أي أدركه وانتزعها من يده وردها (فاقعى الذئب) أي مكث على عقبيه ناصبا يديه كما هو معروف في اقعاء الكلب والذئب وللاقعاء معنى آخر كما ذكره الفقهاء في كتاب الصلاة (فقال) الذئب بعد اقعائه (للراعي ألا) حرف استفتاح هنا (تتقي الله) أي تخافه وتحذره (حلت) بضم الحاء المهملة وسكون اللام وفتح تاء الخطاب أي فصلت وفرقت (بيني وبين رزقي) الذي رزقه الله لي (قال الراعي العجب من ذئب يتكلم بكلام الانس) وفي نسخة البشر وهما بمعنى تعجب من نطقه وليس من شانه ذلك (فقال الذئب) مجيبا له (ألا أخبرك باعجب من ذلك) أي من كلام حيوان أعجم (رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بين الحرتين) بفتح الحاء وتشديد الراء المهملتين وتاء تانيث مثنى حرة وهي ثنية مرتفعة ذات حجارة سود كانها اسودت من الحر والحرتان بالمدينة (يحدث الناس بانباء ما سبق) وفي نسخة من سبق أي الامم السابقة وأحوالهم وانما جعله أعجب لانه اخبار بالغيب معجز فلذا عده أعجب من نطق حيوان أنطقه الله الذي أنطق كل شيء وكون الا أعجب يختلف باختلاف الاسباب والانباء جمع نبأ وهو الخبر (فاتى الراعي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فاخبره) بكلام الذئب وقصته معه (فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم للراعي قم) من عندي فاذهب الحاضرين (فحدثهم) بما شاهدته ليزداد ايمانهم ويسرهم ما ظهر من معجزاته (ثم قال صدق والحديث فيه قصة) لما فيه من الغرابة وانه من أشراط الساعة لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم والذي نفسي بيده لا تقوم الساعة حتى تكلم السباع الناس ويكلم الرجل شراك نعله وعذبة سوطه ويخبره فخذه بما احدث في أهله ولما لم يكن في هذا استشهاد لما هو بصدده أسقطه واعتذر عنه بقوله (وفيه) أي في بعض رواياته (طول) ولذا تركه لعدم الحاجة اليه هنا (وروى حديث الذئب عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه) رواه أحمد والبزار والبيهقي وصححه والبغوي وأبو نعيم بسند صحيح (وفي بعض الطرق) بضمتين جمع طريق تجوز به عن الرواية (فقال الذئب) للراعي (أنت أعجب) أي حالك أعجب من حالي في حال كونك (واقفا على غنمك) أي مراعيا وحافظا

(وتركت) أي والحال انك قد تركت (نبيا) أي خدمته وصحبته مع انه نبي عظيم ورسول كريم (لم يبعث الله نبيا قط أعظم منه عنده قدرا) أي رفعة ورتبة (قد فتحت له أبواب الجنة) أي وكذا لمن تبعه من أكابر الامة (وأشرف أهلها) أي اطلع أهل الجنة (على أصحابه ينظرون قتالهم) أي في الغزوة وينتظرون وصالهم بالشهادة وحسن مآلهم في الجنة (ومابينك) أي والحال انه لا حائل بينك (وبينه الا هذا الشعب) بكسر أوله أي قطع هذا الوادي وهو ما انفرج بين الجبلين (فتصير في جنود الله) أي أحزابه المجاهدين (فقال الراعي من) وفي نسخة ومن (لي بغنمي) أي من يقوم لي برعاية غنمي (قال الذئب أنا أرعاها حتى ترجع فاسلم الرجل اليه غنمه ومضى) أي الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وما عنده من غنمه (وذكر) أي الراعي (قصته) أي مع الذئب (واسلامه ووجوده النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي على وفق ما حكاه الذئب له (يقاتل فقال له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عد) بضم العين وسكون الدال المهملة أي ارجع (الى غنمك تجدها) جواب الامر أي تصادفها (بوفرها) بفتح الواو وسكون الفاء أي بتمامها وكمالها ما نقص شيء منها (فوجدها كذلك) أي كما أخبره (وذبح للذئب شاة منها وعن اهبان) بضم الهمزة (ابن أوس) بفتح أوله أي وروى عنه أيضا (وانه) بكسر الهمزة ويجوز فتحها (كان صاحب القصة) أي الحكاية (والمحدث بها ومكلم الذئب وعن سلمة بن عمرو بن الاكوع) على ما في الروض الانف (وانه كان صاحب هذه القصة أيضا) فيه إيماء الى تعدد القصة وتكرر القضية (وسبب اسلامه) أي في هذه الرواية

وحافظها (وتركت نبيا) أي وقد تركت الى آخره فالجملة حالية بتقدير قد (لم يبعث الله نبيا) من أنبيائه السالفة (قط أعظم منه عنده) وأجل (قدرا) ومنزلة عند ربه وهو تمييز لنسبة أعظم (وقد فتحت له أبواب الجنة) بتشديد تاء فتحت وتخفيفها أي هيئت وأعدت له والجملة حالية أيضا وقوله (وأشرف أهلها) يدل على ان المراد انها انفتحت حقيقة لينظر من فيها من الملائكة والاشراف النظر من مكان عال مأخوذ من الشرف وهو المكان العالي (على أصحابه ينظرون قتالهم) أي ينظرون اليهم وهم صفوف واقفون في القتال كصفوف الملائكة (وما بينك وبينه الا هذا الشعب) بكسر الشين المعجمة وسكون العين المهملة بعدها موحدة وهو منفرج بين جبلين يعني انه قريب منك لا عذر لك في التخلف عنه (فتصير في جنود الله) اذا ذهبت اليه وتصير من حزب الله المفلحين فتخلفك عنه مع العجب من نطق الذي تعجبت منه (فقال الراعي) للذئب لما أشار عليه بالذهاب لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (ومن لي بغنمي) أي اذا ذهبت اليه من يتكفل لي بحفظ غنمي حتى أجيء (قال الذئب أنا أرعاها) أي أحفظها وأحرسها (حتى ترجع) اليها من عنده صلى الله تعالى عليه وسلم (فاسلم الرجل) وهو الراعي (اليه غنمه) أي سلمها للذئب وتركها عنده (ومضى) الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (وذكر) له (قصته) مع الذئب وما كلمه به وما فعله معه (واسلامه) الغنم له (ووجوده النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يقاتل) كما قال له الذئب (فقال له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) بعد ما قص قصته عليه وأسلم وآمن به صلى الله تعالى عليه وسلم (عد الى غنمك تجدها بوفرها) بفتح الواو وسكون الفاء أي بتمامها وكمالها لم ينقص منها شيء من قولهم أرض وفرة لم يرع نباتها (فوجدها كذلك) أي تامة غير ناقصة (وذبح للذئب شاة منها) جزاء له على صنيعه وارشاده له (وعن اهبان بن أوس) عطف على قوله عن أبي هريرة وهو بضم همزة اهبان وأوس بفتحها علم منقول معناه العطية وهذا الحديث رواه البيهقي والبخاري في تاريخه عنه (وانه كان صاحب هذه القصة) المذكورة في كلام الذئب (و) انه (المحدث بها ومكلم الذئب) كما في الروض الانف وانه كان في غزوة ذي قرد (و) روي أيضا (عن سلمة بن عمرو بن الاكوع وانه) أي ابن الاكوع لا سلمة كما قيل ويجوز فتح همزة انه وكسرها (كان صاحب هذه القصة أيضا) يعني انها تعددت (و) كانت (سبب اسلامه) وفي مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي اهبان بن الاكوع اسمه عقبة من الطبقة الثالثة من المهاجرين وهو مكلم الذئب في رواية هشام وقد اختلفوا فيه فقال هشام هو اهبان بن الاكوع وعن الواقدي هو اهبان بن أوس الاسلمي الصحابي رضي الله تعالى عنه من أسلم نزل الكوفة وتوفي في خلافة معاوية وحكى ابن سعد عن ابن الاشعث ان مكلم الذئب اهبان بن عبادة بن ربيعة بن كعب بن أمية بن نقطة بن خزيمة من أسلم وذكر جدي في التلقيح ان من اسمه اهبان أربعة اهبان بن الاكوع أبو عقبة واهبان بن أوس الاسلمي واهبان بن صيفي الغفاري واهبان بن عباد الخزاعي مكلم الذئب قال وقيل ان مكلم الذئب اهبان ابن أوس انتهى ولم يذكر في الرواية منهم سوى اهبان بن صيفي والحاصل ان مكلم الذئب على رواية هشام اهبان بن الاكوع وعلى قول الواقدي اهبان بن أوس الاسلمي وعلى قول ابن الاشعث اهبان ابن صيفي الغفاري انتهى ففيه أقوال ارتضى المصنف منها قول الواقدي فان كانت القصة تعددت فلا

(بمثل حديث أبى سعيد) متعلق بروى المقدرة قبل قوله وعن اهبان والحاصل انه اختلاف فى اسم الراعى المتكلم معه الذئب فقيل هو اهبان بن أوس السلمى أبو عقبة سكن الكوفة وقيل اهبان بن عقبة وهو عم سلمة بن الاكوع وكان من أصحاب الشجرة وقيل اهبان بن عباد الخزاعى وقيل اهبان بن صيفى وعن الكلبى هو اهبان بن الاكوع وعند السهيلى هو رافع بن ربيعة وقيل سلمة ابن الاكوع والجمع ممكن بحمل القصة على تعدد القضية واختلاف المراد باهبان فى الرواية (وقد روى ابن وهب مثل هذا) أى مثل ماجرى فى أخذ الذئب شاة (انه جرى لابى سفيان بن حرب) أى والد معاوية (وصفوان بن أمية) بالتصغير (مع ذئب وجداه أخذ ظبيا) أى أراد أخذه (فدخل الظبى الحرم فانصرف الذئب) أى تعظيما للحرم المحترم (فعجبا) بكسر الجيم أى فتعجبا (من ذلك) أى من انصرافه عما هنالك (فقال الذئب أعجب من ذلك) أى مما تعجبا (محمد بن عبد الله بالمدينة يدعوكم الى الجنة) أى الى سببها وهو الايمان (وتدعونه الى النار)

أى موجبها وهو الكفران فهذا مقتبس من قوله تعالى عن مؤمن من آل فرعون وياقوم مالى أدعوكم الى النجاة وتدعوننى الى النار تدعوننى لاكفر بالله واشرك به ماليس لى به علم وأنا أدعوكم الى العزيز الغفار لاجرم ان ما تدعوننى اليه ليس له دعوة فى الدنيا ولافى الآخرة وان مردنا الى الله وان المسرفين هم أصحاب النار فستذكرون ما أقول لكم وأفوض أمرى الى الله ان الله بصير بالعباد (فقال أبو سفيان) أى لصفوان (واللات والعزى لئن ذكرت هذا) أى الخبر (بمكة) أى فيما بين أهلها (لتتركنها خلوفا) بضم الخاء المعجمة واللام أى بلاراع ولاحام كذا فى النهاية ويقال حى خلوف اذا غاب رجالهم وبقى نساؤهم وقيل أى متغيرة أخذا من خلوف فم الصائم والمعنى ان أهلها بعد سماعهم هذا تغيرت أحوالهم وذهبوا الى المدينة ولم يبق أحد منهم الا دخل فى الاسلام مغهم ولعل هذا كان سبب اسلامهم فى آخر أمرهم (وقد روى مثل هذا الخبر) أى الذى جرى لابى سفيان وأحبابه (وانه) بفتح الهمزة وكسرها (جرى لابى جهل وأصحابه) الا انه لم يسلم لما جرى لما سبق له من الشقاوة الابدية فى كتابه هذا وعند ابن القاسم عن أنس كنت مع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى غزوة تبوك فشردت على منه غنمى فجاء الذئب فاخذ منها شاة فاشتدت الرعاء خلفه فقال الذئب طعمة أطعمنيها الله تعالى تنزعونها منى فبهت القول فقال ما تعجبون الحديث وفى الروض أيضا فى غزوة ذات السلاسل وهى فى آخر الكتاب مالفظه وذكر فى هذه السرية صحبة رافع ابن أبى رافع لابى بكر وهو رافع بن عمير وهو الذى كلمه الذئب وله شعر مشهور فى تكلم الذئب له وكان الذئب قد أغار على غنمه فاتبعه فقال له الذئب ألا أدلك على ما هو خير لك قد بعث الله نبيه وهو يدعو الى الله فالحق به ففعل ذلك رافع وأسلم

وتعجبوا

خلاف وليس فى الصحابة من اسمه اهبان بن عقبة وقد يقال انه غلط من أبى عقبة فليحرر (بمثل حديث أبى سعيد) الخدرى أى روى سبب اسلامه بمثله (وروى) عبد الله (ابن وهب) السابق ترجمته (مثل هذا) المذكور من كلام الذئب (انه جرى) أى وقع واتفق (لابى سفيان بن حرب) والد معاوية وأم حبيبة المشهور رضى الله تعالى عنهم (وصفوان بن أمية) الصحابى المعروف وقع هذا لهما قبل اسلامهما وكانا من أشد الناس عداوة له صلى الله تعالى عليه وسلم قبل اسلامهما فلما أسلما صار صلى الله تعالى عليه وسلم أحب اليهما من نفسهما (مع ذئب وجداه أخذ ظبيا) أى أراد أخذه فجرى خلفه فى الحل ليأخذه بقرينة قوله (فدخل الظبى الحرم فانصرف الذئب) عنه لانه فى الحرم المحرم صيده أو انه انفلت منه بعد أخذه (فعجبا من ذلك) أى من كون الذئب عرف حرمة الحرم وكف عن صيد امكنه وهو ليس من العقلاء (فقال الذئب) لما سمع تعجبهما أو علمه من حالهما (أعجب من ذلك) الفعل الذى صدر منه (محمد بن عبد الله) موجود (بالمدينة يدعوكم الى الجنة) بدعوته للاسلام الذى هو مقتضى لدخولها (وتدعونه الى النار) بقولكم له لم لاتوافقنا وتعبد آلهتنا عما هو سبب للخلود فى النار وانما كان هذا أعجب لانه مخالف لما يقتضيه العقل ونطق حيوان أعجم لقدرة الله تعالى واقداره ليس بعجيب كهذا فى النظر السديد والعقل السليم وليس باغرب من عبادة الحجارة (فقال أبو سفيان واللات والعزى لئن ذكرت) بضم التاء وفتحها (هذا) أى تكلم الذئب وما قاله (بمكة) أى ذكرته لاهلها (لتتركنها خلوفا) بضم الخاء المعجمة واللام والفاء مصدر أو جمع خالف والمراد تتركها خالية من أهلها بان يسلموا جميعا ويرتحلون له صلى الله تعالى عليه وسلم لان من سمع مثله لايتردد فى صحة رسالته صلى الله عليه وسلم وسعادة من أتبعه أو المراد يدعها وأهلها متغيرة فاسدة لما يقع بين أهلها من الفساد والفتن باختلاف الكلمة فالاول من قولهم أتيت الحى فوجدته خلوفا أى ليس فيه احد من الرجال بل النساء ويقال لهن خوالف لانهن يخلفن الرجال والثانى من قوله صلى الله عليه وسلم لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك أى رائحته تغيره (وقد روى مثل هذا الخبر) الذى وقع لابى سفيان وصفوان (وانه جرى لابى جهل وأصحابه) أى انهم شاهدوا مثله

(وعن عباس بن مرداس) بكسر الميم وكان الاولى ان يقول ومن ذلك حديث عباس بن مرداس (لما تعجب من كلام ضمار) بكسر الضاد المعجمة ويفتح وميم مخففة فألف فراء ذكره الصغاني وغيره وفي نسخة بالدال (صنمه) بالجر بدل من ضمار أو بيان فانه اسم لصنم كان يعبده هو ورهطه (وانشاده) أي ومن قراءته برفع صوته (الشعر الذي ذكر فيه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) روى ان مرداس لما احتضر قال لابنه عباس أي بني أعبد ضمارا فانه سينفعك ولا يضرك

فتفكر عباس يوما عند ضمار وقال انه حجر لا ينفع ولا يضر ثم صاح بأعلى صوته يا الهي الاعلى اهدني للتي هي أقوم فصاح صائح من جوف الصنم

أودى ضمار وكان يعبد مدة
قبل البيان من النبي محمد
وهو الذي ورث النبوة والهدى
بعد ابن مريم من قريش مهتدي
قل للقبائل من سليم كلها
أودى ضمارا وعاش أهل المسجد

فحرق عباس ضمارا ثم لحق بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأسلم (فاذا طائر سقط) أي وقع ونزل بين يديه (فقال يا عباس أتعجب من كلام ضمار ولا تعجب من نفسك) أي بتخلفك عن مورث انسك (أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يدعو) وفي نسخة صحيحة يدعوك (الى الاسلام وأنت جالس) أي بعيد عن مقام المرام (فكان) أي كلام الطائر (سبب اسلامه) والحديث هذا كما في الطبراني الكبير بسند لا بأس به قريب مما هنا (وعن جابر بن عبد الله) كما روى البيهقي عنه (عن رجل) وهو أسلم أو يسار وهو رجل أسود استشهد في غزوة خيبر كما ذكره أبو الفتح اليعمري في سيرته (أتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وآمن به وهو) أي النبي عليه الصلاة والسلام (على بعض حصون خيبر وكان) أي الرجل (في غنم يرعاها لهم

وتعجبوا منه ولكن الله أشقاه وأشقاهم (وعن عباس بن مرداس) بكسر الميم وهو من الصحابة شاعر مجيد وشجاع شهم وكان ممن حرم الخمر على نفسه في الجاهلية كالصديق رضي الله تعالى عنه وجماعة الا انه كان من المؤلفة قلوبهم ثم حسن اسلامه ونور الله قلبه (لما تعجب) لما ظرف متعلق بمقدر رأى وقع ذلك أو شرطية جوابها قوله فاذا طائر الخ فان جواب لما قد يقترن بالفاء لكنه نادر (من كلام ضمار) بكسر الضاد المعجمة وميم وآخره راء مهملة بوزن كتاب كما في القاموس وفي بعض نسخ الذيل والصلة للصاغاني بالدال المهملة وفيه نظر كما قاله البرهان الحلبي (صنمه) بالجر بدل من ضمار فانه اسم صنم كان يعبده مرداس ورهطه (وانشاده) بالجر معطوف على كلام (الشعر) بالنصب مفعول المصدر (الذي ذكر فيه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) صفة الشعر وضمير انشاده للصنم وسبب ذلك ان مرداس لما احتضر قال لابنه يا عباس أي بني أعبد ضمارا فانه سينفعك ولا يضرك فتفكر عباس يوما عند ضمار وقال انه حجر لا يضر ولا ينفع ثم صاح بأعلى صوته يا الهي الاعلى اهدني للتي هي أقوم فصاح صائح من جوف الصنم

أودى ضمار وكان يعبد مرة * قبل البيان من النبي محمد
وهو الذي ورث النبوة والهدى * بعد ابن مريم من قريش مهتد
قل للقبائل من سليم كلها * أودى ضمار وعاش أهل المسجد

فحرق عباس ضمارا ولحق بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم (فاذا طائر سقط) أي خر من الجو بغتة عليه (فقال) الطائر (يا عباس أتعجب من كلام ضمار) بالتنوين والصرف الا انه وقع في الشعر غير مصروف فان لم يكن ضرورة فهو جائز وتعجبه لنطق الجماد بما سمع من جوفه وانكاره لتعجبه لانه كلام شيطان في جوفه وكلام الطائر أعجب منه (ولا تعجب من نفسك أن رسول الله يدعو الى الاسلام) حذف مفعوله للتعميم أي كل أحد اليه (وأنت جالس) في منزلك متخلف عن اجابة دعوته صلى الله تعالى عليه وسلم التي هي السعادة العظمى (فكان ذلك) المذكور مما سمعه من الصنم والطائر (سبب اسلامه) لانه لما سمع ما ذكر نهض في ثلثمائة فارس من قومه وهم سليم فلما رآه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم تبسم وقال له يا عباس حدثنا بما رأيت فقص عليه القصة وأسلم وقيل ان ضمارا كان صنما لخزاعة يتحاكمون اليه وان قصة نطقه وقعت لعمر بن الخطاب وكأنه صنم آخر والقصة ونطق الاصنام وأخبارها ببعثة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقعت مرارا وفيها أخبار مذكورة في السير قيل انما تركها المصنف لان النطق المسموع منها من الجن (وعن جابر بن عبد الله) رضي الله تعالى عنهما في حديث رواه البيهقي (عن رجل) اسمه أسلم وعن الواقدي ان اسمه يسار وهو رجل أسود كما يأتي قاتل بخيبر حتى قتل كما ذكره ابن سيد الناس في سيرته في غزوة خيبر (أتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وآمن به وهو على بعض حصون خيبر) قوله وهو جملة حالية أي وهو صلى الله تعالى عليه وسلم مقيم عنده لفتحه والحصون جمع حصن وهي القلعة التي يتحصن بها الا القصر كما قيل ولا حذف في هذا الكلام وقيل الضمير للرجل ويبعده قوله (وكان في غنم يرعاها لهم) أي لاهل خيبر والظرفية بمعنى المعية أو هي

فقال يارسول الله كيف بالغنم) أى مع أصحابها (قال أحصب) بفتح الهمزة وكسر الصاد أى ارم بالحصباء وهى دقاق الحصى (وجوهها) أى لترجع الى دور مالكيها (فان) أى لان وفى نسخة بان أى (بسبب ان الله سيؤدى عنك أمانتك ويردها الى أهلها) أى بكمالها من غير خلاف لها (ففعل فسارت كل شاة) أى فى طريقها (حتى دخلت الى أهلها وعن أنس) كما رواه

أحمد والبزار بسند صحيح (دخل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حائط انصارى) أى بستان واحد من الانصار (وأبو بكر وعمر وعثمان ورجل من الانصار) أى معه (وفى الحائط غنم) وهو بحركتين الشاء لا واحد لها من لفظها والواحد شاة وهو اسم مؤنث للجنس يقع على الذكر والاناث وعليهما جميعا (فسجدت له) أى للنبى عليه الصلاة والسلام سجود التحية والاكرام وانقادت له باظهار الاسلام فانه مبعوث الى كافة الانام كما اختاره بعض الاعلام والظاهر ان سجودها كان بوضع الجبهة بعد القيام لقوله (فقال أبو بكر نحن أحق بالسجود لك منها) أى فانها مع قلة عقلها اذا كانت تسجد لك فكيف نحن مع كثرة انتفاعنا بك لكن أمرنا متوقف على اذنك (الحديث) بتثليث المثلثة وسيأتى تمامه (وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه) كما رواه البزار بسند حسن (دخل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حائطا فجاء بعير فسجد له وذكر) أى أبو هريرة (مثله) أى مثل حديث أنس لا مثل حديث أبى هريرة كما توهم الدلجى فقالوا هذه بهيمة لا تعقل فسجدت لك ونحن نعقل فنحن أحق ان نسجد لك فقال لا يصلح لبشر ان يسجد لبشر لو صلح لامرت المرأة ان تسجد لزوجها لما له من الحق عليها

مجازية لقوله واذا كنت فيهم الآية (فقال يارسول الله فكيف بالغنم) أى كيف أفعل بالغنم اذا أسلمت وهى ملك غيرى وأنا أجير (فقال) له صلى الله تعالى عليه وسلم (احصب وجوهها) أى ارمها فى وجوهها بالحصباء وهى صغار الحجارة ودقاقها وما قيل من ان حكمة هذا ان الحصاة وردت بمعنى الفعل فى قوله

وان لسان المرء مالم يكن له * حصاة على عوراته لذليل

ومنه الاحصاء بمعنى العد وأخذ العلم والهداية لها الى أهلها هذيان لا معنى له وانما المراد انه اذا ضرب وجوهها ولت مدبرة فهداها الله ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم للرجوع لمنازل أصحابها حتى يخلص من عهدة ضمانها كما أشار اليه بقوله (فان الله سيؤدى عنك أمانتك) وهى الغنم التى أسلمت لك أى يوصلها ويبلغها (ويردها الى أهلها) وهم أصحابها المالكون لها فتخرج أنت عن عهدة ضمانها (ففعل) ما أمره به رسول الله صلى الله عليه وسلم (فسارت كل شاة حتى دخلت الى أهلها) وانما كان هذا لانه كان مستأمنا وفى يده أمانة لاهل خيبر قبل فتحها فاذا ردها صلى الله تعالى عليه وسلم لاصحابها مع ما فيه من تطمين قلبه من خروجه من عهدتها ولذا لم يجعلها فيئا مع انه علم انها ستكون كذلك بعد الفتح وقيل ان الراعى كان عبدا أسود رقيقا لبعض أهل خيبر فلما غزاها النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وسمع خبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من اليهود جاءه وأسلم أى أظهر اسلامه فلا منافاة بينه وبين ما مر وحسن اسلامه واستشهد فى تلك الغزوة بحجر أصابه أو سهم ولم يصل صلاة قط فشهد له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بالجنة وأخبر انه رأى عنده حوريتان من الحور العين كما رواه مفصلا فى دلائل النبوة وهذا من معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم الظاهرة كما لا يخفى (وعن أنس) فى حديث صحيح مسند رواه أحمد والبزار (دخل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حائط أنصارى) الحائط معروف ويتجوز به عن البستان وهو المراد هنا (وأبو بكر وعمر ورجل من الانصار وفى الحائط) أى البستان (غنم فسجدت له) صلى الله تعالى عليه وسلم تعظيما له لما شاهدت من نور نبوته وألهمها الله تعالى معرفته (فقال أبو بكر) لما رأى سجودها له صلى الله تعالى عليه وسلم (نحن أحق بالسجود لك منها) يعنى لو كان السجود لغير الله تعالى والجار الاول متعلق بالسجود والثانى بأحق وفى بعض النسخ تقديم لك على السجود لانه ظرف يتوسع فيه ومعمول المصدر غيره لا يتقدم عليه لضعف عمله (الحديث) وتتمته أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال له لا ينبغى لاحد أن يسجد لاحد وأحد المخصوص بالنفى يشمل الواحد وغيره ويختص بالعقلاء كما صرحوا به ففى ذلك اشارة الى ان الغنم ونحوها من غير جنس الناس سجودها تعظيما ليس ممنوعا كسجود الكواكب ليوسف عليه الصلاة والسلام (وعن أبى هريرة) قال السيوطى هذا الحديث رواه البزار بسند حسن وحديث ثعلبة بن مالك الآتى رواه أبو نعيم وحديث جابر رواه أحمد والدارمى والبزار والبيهقى وحديث يعلى بن مرة رواه أحمد والحاكم والبيهقى رحمهم الله تعالى بسند صحيح وحديث عبد الله بن جعفر رواه مسلم وأبو داود وحديث عبد الله بن أبى أوفى رواه أبو نعيم والبيهقى (دخل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حائطا) أى بستانا (فجاء بعير) كان فى البستان (فسجد له) صلى الله تعالى عليه وسلم (وذكر مثله) أى مثل الحديث الذى قبله فقالوا هذه بهيمة لا تعقل تسجد لك ونحن نعقل فنحن أحق ان نسجد لك فقال صلى الله تعالى عليه وسلم لا يصلح

لبشر

(ومثله) أى مثل حديث أبى هريرة (فى البعير) وفى نسخة صحيحة فى الجمل (عن ثعلبة بن مالك) كما رواه أبو نعيم قال المزى قدم ثعلبة من اليمن على دين يهود فنزل فى بنى قريظة فنسب اليهم ولم يكن منهم ولم يعرف من الصحابة من اسمه ثعلبة ابن أبى مالك غيره واسم أبى مالك عبد الله (وجابر بن عبد الله) كما رواه أحمد والدارمى والبزار والبيهقى عنه (ويعلى بن مرة) كما رواه أحمد والحاكم والبيهقى بسند صحيح عنه (وعبد الله بن جعفر) كما رواه مسلم وأبو داود عنه قال أبو هريرة (كان لايدخل أحد الحائط) أى

البشر أن يسجد لبشر ولو صلح لامرت المرأة ان تسجد لزوجها لما له من الحق عليها (و) روى (مثله فى الجمل عن ثعلبة بن مالك) الصحابى وهو ممن استشهد باحد لكن الذى ذكره ابن عبد البر انه ثعلبة بن أبى مالك القرظى وأبوه قدم من اليمن على دين اليهودية فنزل على بنى قريظة فنسب اليهم ثم أسلم فقول ابن مالك صوابه ابن أبى مالك (وجابر بن عبد الله ويعلى بن مرة وعبد الله بن جعفر) فى حديث الجمل وسجوده روى من طرق متعددة مرويه عمن ذكر والقصة واحدة كما بينه السيوطى (قال) كل منهم أو عبد الله بن جعفر (وكان لايدخل أحد الحائط) من غير أصحاب البستان (الا شد عليه الجمل) شد هنا بمعنى أسرع وحمل حملة عليه قال الراغب يقال شد واشتد اذا أسرع وشد عليه حمل يعنى انه كان عقورا هائجا على كل من استقر به (فلما دخل النبى صلى الله عليه وسلم عليه) أى على الجمل فى البستان (دعاه) وأمره بالاقبال عليه (فوضع مشفره فى الارض) بكسر الميم وسكون الشين المعجمة وفتح الفاء وراء مهملة وهو فى الابل كالشفة للانسان والجحفلة للفرس والخرطوم للسباع والمنقار للطير كما بينه أهل اللغة فى الفروق (وبرك بين يديه) البروك للجمل كالجلوس للانسان من البرك وهو صدر الجمل ونحوه (فخطمه) أى وضع زمامه الذى يقاد به فى رأسه وعلى فمه لانه برك عنده صلى الله تعالى عليه وسلم وانقاد له متذللا بعدما كان لا يطاق (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم لمن عنده (ما بين السماء والارض شئ) من الحيون والطيور وغيرها والمراد بالارض الجنس فيشمل الاراضى السبع (الا يعلم) وفى نسخة الا و يعلم (انى رسول الله) بعلم خلقه الله فيه و يلهمه له (الا عاصى الجن والانس) أى الا من عصى الله ورسوله و كفر فانه ينكر معرفتى أى معرفة انى رسول الله حقا وعاصى يجوز ان يكون مفردا وأصله عاصين فحذفت النون للاضافة والياء لالتقاء الساكنين وقدم الجن لسبقهم خلقا ومعصية لان أول من عصى الله ابليس والاكثر حيث اجتمعا تقديم الجن فى القرآن (ومثله عن عبد الله بن أبى أوفى) هو وأبوه صحابيان رضى الله تعالى عنهما شهد المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الذى دعا له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حين أتى اليه بصدقته وقال اللهم صل على آل أبى أوفى وحديثه مذكور فى دلائل النبوة لابى نعيم والبيهقى كما علمت ولفظه قريب مما ذكره أولا (وفى خبر آخر فى حديث الجمل ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم سألهم عن شانه) لما أبق منهم وبطش بكل من قرب منه (فاخبروه) وفى نسخة فاخبر بالبناء للمفعول (انهم أرادوا ذبحه) لانه ضعف كما سيأتى (وفى رواية ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال لهم انه شكى كثرة العمل وقلة العلف) وهو بفتحتين فعل بمعنى المفعول والمعلوف يطلق على قوت الدواب من الحبوب وغيرها وشكايته الظاهر انها بنطق فهو من المعجزات (وفى رواية انه شكى الى انكم أردتم ذبحه) ونحروا كثر ما يستعمل فى الابل النحر وفى غيرها الذبح والفرق بينهما قريب جدا فلذا استعمل كل منهما بمعنى الآخر ومعرفته ارادتهم ذبحه بالالهام (بعد ان استعملتموه) أى أكثرتم العمل به من التحميل ونحره (فى شاق العمل) أى فيما يشق أى يصعب عليه من العمل وقولهم عمل مشق غير مسموع فكأنه مبنى على ان التعدية بالهمزة مقيسة وفيه خلاف مذكور فى كتب اللغة (من صغره)

ذلك البستان من غير أهله (الا شد عليه الجمل) أى حمل وصال عليه حفظا لحائطه واستغرابا لداخله ورعاية لصاحبه (فلما دخل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم دعاه) أى الجمل فجاءه خاضعا وانقاد له خاشعا (فوضع مشفره) بكسر الميم وسكون الشين المعجمة وفتح الفاء فراء أى شفته (على الارض وبرك) بتخفيف الراء أى ناخ (بين يديه فخطمه) أى فوضع فى رأسه بخطامه من رسنه وزمامه (وقال ما بين السماء والارض شئ) أى من حيوان أو غيره (الا يعلم) أى الا أنه يعلم وفى نسخة لا يعلم أى ليس يوجد بينهما شئ لا يعلم قال المزى المعروف الا يعلم وقد يكون رواية (انى رسول الله) أى اليه أو الى غيره (الا عاصى الجن والانس) أى الا كافر الثقلين والصيغة يحتمل الافراد والجمع بان

حذفت نونه للاضافة (ومثله) أى مثل هذا المروى بعينه (عن عبد الله ابن أبى أوفى وفى خبر آخر فى حديث الجمل ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم سألهم عن شانه) أى حاله معهم فى ما لهم (فاخبروه انهم أرادوا ذبحه) الاولى نحره وكانه أراد ذبحه اللغوى (وفى رواية ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال لهم) أى لاهل الجمل (انه شكا الى كثرة العمل وقلة العلف وفى رواية انه) أى الجمل (شكا الى أنكم أردتم ذبحه بعد ان استعملتموه فى شاق العمل من صغره

الى ان بلغ الكبر وعجز عن العمل (فقالوا نعم) اعترافا بماذكر فبئس الجزاء الذى أرادوه وهذا الحديث أخرجه الطبرانى وابن ماجة فى سننه فى غزوة ذات الرقاع عن جابر وتميم الدارى وفيه انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لهم ماهكذا جزاء المملوك الصالح بعينه فابتاعه منه وأرسله يرعى فى الشجر حتى قوى والحديث فيه طويل (وقد روى) بالبناء للمجهول قيل وهذه القصة بهذا التفصيل الآتى لا يعرف راويها (فى قصة) الناقة (العضباء) بفتح العين المهملة وسكون الضاد المعجمة والموحدة والمد وهى اسم ناقة للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم ومعناها المشقوقة الاذن وقد اختلف فى ناقته العضباء والقصواء والجدعاء بالمد فيهما أيضا هل هن ثلاثة أو واحدة لها ألقاب متعددة أو اثنتان فذهب التيمى والعراقى فى منظومته الى انها واحدة ولا عضب ولا جدع أى شق اذن فيها وانما هو لقب وقيل كان باذنها عضب أى شق وفى البخارى ان الجدعاء هى التى هاجر عليها وقيل ان التى هاجر عليها القصواء وعن ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم خرج ذات ليلة فمر بناقة باركة فى الدار فقالت السلام عليك يا نبى الله يا زين القيامة يا رسول رب العالمين فالتفت لها وقال وعليك السلام فقالت انى كنت لرجل من قريش يقال له اعضب فهربت منه فوقعت فى مفازة فكان اذا غشينى الليل احتوشنى السباع ينادى بعضها بعضا لا تؤذوها فانها مركب محمد فاذا أصبحت رتعت نادتنى كل شجرة الى الى فانك مركب محمد حتى وقعت ههنا فسميت عضباء باسم صاحبها وفيه انها قالت له صلى الله تعالى عليه وسلم ادع الله أن يجعلنى مركبك فى الجنة فقال قد قضيت وقد قيل ان هذا الحديث كله فى سنده طعن وقد علمت انها واحدة قد سميت عضباء وقصواء وجدعاء بدال مهملة وصلها ومخضرمة والكل متقاربة المعانى والجدع قطع طرف الاذن فاذا بلغ الربع فهو قصو فاذا جاوزه فهو عضب فان استوصل فصلم ونقل ابن الجوزى عن ثعلب انها كلها ألقاب لناقة له صلى الله تعالى عليه وسلم ولا جدع لها ولا عضب واختاره فى القاموس (وكلامها للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم) كلام بمعنى تكليم مصدر والنبى منصوب به مفعوله (وتعريفها له بنفسها) كما سمعته آنفا (ومبادرة العشب اليها) بالدال المهملة مفاعلة من البدار وهو الاسراع وقد تقدم انه كان يناديها الى الى فالمراد طلبه منها ان ترعاه قبل غيره والعشب بالضم معروف (فى المرعى) أى مكان رعيها (وتجنب الوحوش لها) أى عدم أذيتها وأكلها لها كامر (ونداؤهم لها انك) معدة (لمحمد) ولمركوبه وضميرهم للعقلاء وعبر به لصدور فعل العقلاء منها وهو النداء كما فى قوله تعالى رأيتهم لى ساجدين (وانها لم تأكل ولم تشرب بعد موته) صلى الله تعالى عليه وسلم (حتى ماتت) من الحزن والاسف على فراقه صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل انها التى اشتراها أبو بكر رضى الله تعالى عنه من بنى الحريش مع أخرى بثمانمائة درهم فلما هاجر اشتراها صلى الله تعالى عليه وسلم منه بأربعمائة درهم وقد ذكر قصتها مفصلة أبو سعيد فى كتاب الشرف وكان له صلى الله تعالى عليه وسلم نوق أخر كما بينه أصحاب السير (ذكره الاسفرائنى) رحمه الله وقد تقدمت نسبته وترجمته (وروى ابن وهب) رحمه الله تعالى وهذا الحديث لم يخرجوه وأما ابن وهب فقد تقدمت ترجمته (ان حمام مكة) الموجود بحرمها الى الآن والحمام كل ذات طوق برى أو أهلى وقيل انه مخصوص بالبرى وقيل انه كل ما عب وهدر والعب

فقالوا نعم) قال بئس الجزاء أرادوه له كذا نقله الدلجى والظاهر أردتموه له وفى أصل صحيح تم الحديث بقوله نعم والله تعالى أعلم (وقد روى فى قصة العضباء وهى الناقة المشقوقة الاذن ولقب ناقة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ولم تكن عضباء ذكره الفيروزابادى فقيل انها والقصوى والجدعاء واحدة وقيل اثنتان وقيل ثلاث ولم يكن بها عضب ولا جدع وقيل كان باذنها عضب (وكلامها للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وتعريفها له بنفسها) أى بذاتها وحالاتها (ومبادرة العشب اليها فى الرعى) أى فى رعيها (وتجنب الوحوش عنها وندائهم) والاظهر وندائها (لها انك لمحمد) أى فى زمان حالك أو فى مآلك (وانها لم تأكل ولم تشرب بعد موته حتى ماتت ذكره الاسفرائنى) حكى ابن عباس ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم خرج ذات ليلة وناقة باركة فى الدار فلما مر بها قالت السلام عليك يا زين القيامة يا رسول رب العالمين قال فالتفت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اليها فقال وعليك السلام فقالت يا رسول الله انى كنت لرجل من قريش يقال له أعضب فهربت منه فوقعت فى مفازة فكان اذا غشينى الليل احترستنى السباع فنادت بعضها بعضا لا تؤذوها فانها مركب محمد صلى الله تعالى عليه وسلم واذا أصبحت وأردت ان أرتع نادتنى كل شجرة الى الى فانك مركب محمد صلى الله تعالى عليه وسلم حتى وقعت هنا قال فسماها عضباء شق لها اسما من اسم صاحبها ثم قالت الناقة يا رسول الله ان لى اليك حاجة قال وما هى قالت تسأل الله ان يجعلنى من مراكبك فى الجنة كما جعلنى فى الدنيا قال صلى الله تعالى عليه وسلم قضيت ذكره التلمسانى (وروى ابن وهب ان حمام مكة

كرع

أظلت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي جعلت عليه ظلا (يوم فتحها) بفتح فسكون وفي نسخة بفتحات (فدعا لها بالبركة) هذا وقيل انها من نسل الحمامة التي باضت على باب الغار بعد دخول سيد الابرار لكن قال الدلجي واما قصة العضباء فلم أدر من رواها ولا حديث حمام مكة (وروى عن أنس) وفي نسخة عن ابن مسعود (وزيد بن أرقم والمغيرة بن شعبة) على ما رواه ابن سعد والبزار والطبراني والبيهقي وأبو نعيم عنهم (ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال أمر الله ليلة الغار شجرة) وفي نسخة شجرا (فنبتت تجاه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) بضم التاء المبدلة من الواو أي قبالته التي تقتضي مواجهته قال الدلجي هو مجاز عن انباتها كما في كونوا قردة قلت الظاهر انه أمر تكوين وانه على حقيقته كما حقق في قوله تعالى انما ٨٣٠ قولنا لشيء اذا أردناه أن نقول له كن فيكون (فسترته) أي تلك الشجرة عن أعين الفجرة وقد ذكر قاسم بن ثابت في الدلائل فيما شرح من الحديث انه عليه الصلاة والسلام لما دخل الغار ومعه أبو بكر أنبت الله على بابه الراءة مثل الطاعة قال قاسم بن ثابت وهي شجرة معروفة فحجبت عن الغار أعين الكفار وقال أبو حنيفة رحمه الله تعالى الراءة من اعلاث الشجر وتكون مثل قامة الانسان ولها خيطان وزهر أبيض يحشى منه المخاد ويكون كالريش لخفته ولينه لانه كالقطن ذكره السهيلي والاعلاث من الشجر القطع المختلطة مما يقدح به من المرخ واليبس على ما في القاموس (وأمر حمامتين فوقفتا) بالفاء وروى بالعين أي نزلتا (بفم الغار) أي لئلا يظن الاغيار دخول سيد الابرار ومن معه من أصحابه الكبار قال الدلجي فسمت صلى الله تعالى عليه وسلم عليهما أي دعا لهما وانحدرا الى الحرم فافرخا كل حمام فيه (وفي حديث آخر) وفي نسخة صحيحة وان (العنكبوت نسجت على بابه) أي على فم الغار (فلما أتى الطالبون له) أي لسيد الاخيار (ورأوا ذلك) أي ما ذكر من وقوف الحمامتين ونسج العنكبوت (قالوا لو كان فيه أحد) أي ممن دخله هذا الوقت (لم تكن الحمامتان ببابه) أي ولا نسج العنكبوت ولعابه (والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم يسمع كلامهم فانصرفوا) أي ولم يدركوا مرامهم وفي مسند البزار ان الله عز وجل أمر العنكبوت فنسجت على وجه الغار وأرسل اليه حمامتين وحشيتين وان ذلك مما صد المشركين عنه وان حمام الحرمين من نسل تينك الحمامتين

كرع الماء من غير نفس والهدير وقال الهديل ترجيع صوت الطائر المعروف (أظلت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي اجتمعت لتجعل ظلها عليه وقاية من الحر قيل ولذا كانت محترمة لا تصاد وقيل انها من نسل حمامتي الغار وسيأتي (يوم فتحها) أي فتح مكة (فدعا لها بالبركة) فاجاب الله دعاءه فيها وكانت محترمة لا تصاد كما تقرر (وروى عن أنس) رواه عنه ابن سعد والبزار والطبراني والبيهقي وأبو نعيم (وزيد بن أرقم والمغيرة بن شعبة قال أمر الله ليلة الغار) منصوب على الظرفية والغار غار ثور والذي اختفى فيه صلى الله تعالى عليه وسلم لما هاجر وقصته مشهورة مذكورة في القرآن غنية عن البيان (شجرة فنبتت) من وقتها والامر هنا مجاز عن التسخير كقوله كونوا قردة فنزلها منزلة المأمور المختار وروى بشجرة بالباء الجارة وهما بمعنى والشجرة كانت من الطلح تسمى الراء كما قاله السهيلي وهي بمقدار القامة ولها زهر أبيض وبها شيء شبه القطن يحشى به المخاد كالريش خفة ولينا واحده راءة كما في كتاب النبات قال الشاعر

ترى ودك السديف على لحاهم * كمثل الراء لبده الصقيع

(تجاه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) تقدم ان التجاه بضم التاء المثناة الفوقية المبدلة من الواو وأصله وجاه أي في مقابلة وجهه بباب الغار (فسترته) عمن ينظره بحيث لا يراه من طلبه من كفار قريش (وأمر) أي ألهم الله (حمامتين) ذكرا وأنثى فعششتا وباضتا على تلك الشجرة (فوقفتا بفمه) أي بفم الغار لان مثله لا يكون الا بمكان خال من الناس وورد في الحديث فسمت عليهما صلى الله عليه وسلم أي دعا لهما بالبركة فانحدرا الى الحرم فافرخا كل حمام به وفي حديث الاكل سموا الله ودنوا وسمتوا أي اذا بدأتم بالاكل فكلوا مما يليكم ودنا منكم واذا فرغتم فسمتوا أي ادعوا لمن أكلتم عنده وقيل ان الشجرة جاءت تسعى من مكان آخر تشق الارض كما أشار اليه القائل

قامت اليه سرحة سترته من * نظر العدو باحسن الاغصان

(وفي حديث آخر) رواه ابن سعد والبزار والطبراني والبيهقي وأبو نعيم عن أنس وزيد بن أرقم والمغيرة ابن شعبة وفيه فسمت عليهما ودعا لهما وانحدرا الى الحرم فافرخ ذلك الزوج كل شيء في الحرم كما تقدم (ان العنكبوت نسجت على بابه) أي على باب الغار وفيه (فلما أتى الطالبون له) صلى الله تعالى عليه وسلم الذين قصوا أثره واتبعوه ليأخذوه (ورأوا ذلك) المذكور من الشجرة والحمام والعنكبوت بباب الغار (قالوا لو كان فيه) أي في هذا الغار (أحد) من الناس (لم تكن الحمامتان) يقران (ببابه) الذي منه المرور (والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم يسمع كلامهم) لقربهم منه بحيث لو أمعنوا النظر رأوه (فانصرفوا)

(وعن عبد الله بن قرط) بضم القاف وسكون الراء له صحبة ورواية قال ابن عبد البر كان اسمه في الجاهلية شيطانا فسماه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عبد الله انتهى قتل بارض الروم والحديث رواه الحاكم والطبراني وأبو نعيم عنه انه (قال قرب) بضم القاف وتشديد الراء المكسورة أي ادني (الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بدنات) بفتحتين جمع بدنة وحكي بضمتين وهي ناقة أو بقرة ذكره الجوهري وزاد ابن الاثير وهي بالابل أشبه وسميت بدنة لعظمها وسمنها فلا يلتفت الى قول الدلجي وهي خاصة بالابل ولا يلزم من الحاقه صلى الله تعالى عليه وسلم البقرة بها في الاجزاء عن سبعة تناول اسمها للبقرة شرعا بل الحديث وآية الحج يمنعانه انتهى ولا يخفى انه اذا ثبت اطلاق البدنة على البقرة لغة والحاقها بالابل شريعة فالمخالفة فيهما مكابرة ومنع الحديث وآية الحج لهما مصادرة (خمس أو ست أو سبع) شك من الراوي (لينحرها يوم عيد) أي من اعياد الاضحى (فازدلفن اليه) افتعلن من الزلف وهو القرب ومنه قوله تعالى حكاية ليقربونا الى الله زلفى ابدلت تاؤه دالا لمجاورتها الزاي ومنه المزدلفة والمعنى تقربن منه (بايهن يبدأ) أي في نحرها قال المزي صوابه بايتهن بتاء التأنيث وفيه بحث (وعن أم سلمة كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في صحراء) أي بادية قفراء (فنادته ظبية يا رسول الله) فالتفت فاذا هي موثقة (في واعرابي نائم (قال) أي لها (ما حاجتك قالت صادني هذا الاعرابي ولي خشفان) تثنية خشف وهو بكسر الخاء وسكون الشين المعجمتين ولد الظبية الصغير

راجعين تاركين للطلب وكانوا فتيانا من قريش مضوا خلفه صلى الله تعالى عليه وسلم ومعهم سراقة القائف يقص أثره فلما انتهوا الى الغار رأوا نسج العنكبوت والحمامتين على بيضهما فقالوا انه لو دخل أحد لم يكن مثل هذا مع قربهم منه بحيث لو طأطأ أحد رأسه رآه صلى الله تعالى عليه وسلم وفي هذا معجزات شاعت حتى بلغت حد التواتر ورواه المحدثون من طرق كثيرة صحيحة وقد قال فيها الشعراء كثيرا ويعجبني قول ابن النقيب

ودود القز ان نسجت حريرا * يجمل لبسه في كل زي
فان العنكبوت أجل منها * بما نسجت على رأس النبي

وانظر الى هذا مع قولي

على غار ثور عنكبوت بنسجه * لقد حاز فخرا فاق كل فخار
لذلك دود القز يهلك نفسه * وقد غار من نسج له بفم الغار

وفيه معان أخر لا نطيل بها تنبيه قول الابوصيري في همزيته

أخرجوه منها وآواه غار * وحمته حمامة ورقاء
وكفته بنسجها عنكبوت * ما كفته الجنانة الحصداء

الجنانة بنونين هي الدرع لانها تجن البدن أي تستره والحصداء المحكمة النسج كما في كتب اللغة وهذا البيت حرفه شراحه وصاحب المواهب اذ جعلوه الحمامة الحصداء أي الكثيرة الريش وهذا قول من لم يصل الى العنقود ويفسره قوله في البردة

وقاية الله أغنت عن مضاعفة * من الدروع وعن عال من الاطم

(وعن عبد الله بن قرط) بضم القاف وراء مهملة ساكنة يليها طاء مهملة وهو صحابي ثمالي وكان أميرا على حمص من قبل معاوية وقتل بارض الروم سنة ست وخمسين وأخرج له أصحاب السنن وأحمد في مسنده وغيرهم وهذا الحديث رواه الحاكم والطبراني وأبو نعيم مسندا (قرب) بالبناء للمفعول أي أتى بعض الصحابة (الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بدنات) جمع بدنة وهي ما يعد للنحر من الابل خاصة ولا تطلق على البقر وغيرها وان كانت في حكمها شرعا في الاجزاء عن سبعة وقال ابن الاثير انها من الابل والبقر حقيقة وبدنات بفتحات وقال العز في انه بدنات بضم الموحدة وسكون الدال ورد بانه على خلاف القياس الا ان يكون جمع بدن فهو جمع الجمع وهو بعيد الا ان تساعده الرواية وسميت بدنة لعظم بدنها (خمس أو ست أو سبع) الشك من الراوي (لينحرها يوم عيد فازدلفن اليه) افتعال من الزلف وهي القرب أبدلت تاؤه دالا لاجل الزاي أي تقدمت كل واحدة منهن اليه صلى الله تعالى عليه وسلم رغبة في أن يذبحها وانقيادا له بالهام من الله تعالى (بايتهن يبدأ) في الذبح وهذه معجزة باهرة (وعن أم سلمة) في حديث رواه الطبراني والبيهقي واسمها هند او رملة كما تقدم (كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في صحراء فنادته ظبية) أي كلمته بنطق سمعه الناس لا بلسان الحال قالت له (يا رسول الله) فالتفت اليها فاذا هي موثقة عندها اعرابي نائم (قال ما حاجتك) حتى ناديتني (قالت صادني هذا الاعرابي ولي خشفان) مثنى خشف بوزن طفل بمعجمتين وهو الظبي الصغير الذي ولدته أمه

(في ذلك الجبـل فاطلقني) بفتح الهمزة وكسر اللام أي من القيـد وأرسلني (حتى أذهب الى ولدي فارضعهما) بضم الهمزة وكسر الضاد (وارجع) أي اليك (قال أو تفعلين) بفتح الواو أي أتقولين هذا القول وتفعلين هـذا الرجوع وفي نسـخة صحيحة وتفعلين فالهـمزة مقدرة وفي رواية قال أخاف ان لا ترجعي قالت ان لم أرجع فانا شر من يأكل الربا وشر من ينام عن صلاة العشاء وشر من يسمع اسمك ولم يصل عليك (قالت نعم فأطلقها فذهبت و رجعت) أي بعدما أرضعت (فاوثقها) أي فربطها النبي صـلى الله تعـالى عليه وسلم على حالهـا (فانتبه الاعرابي) وهو صلى الله تعالى عليه وسلم في المعالجة لهـا أو عندها (وقال يا رسول الله ألك حاجة قال تطلق) أي نعم هو ان تطلق أو هو خبر معناه أمر وفي نسخة صحيحة أطلق (هذه الظبية فاطلقها فخرجت تعدو في الصحراء) أي تجري (وتقول) أي الظبية (أشهد أن لا اله الا الله وانك رسول الله) رواه البيهقي في دلائل النبوة من طرق وضعفه جماعة من الأئمة

حتى قال ابن كثير لا أصل له وان من نسبه الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقـد كذب لكن طرقه يقوي بعضها بعضا وقد رواه أبو نعيم الاصبهاني في الدلائل باسناده فيـه مجاهيل عـن أم سلمة نحو ما ذكره المصـنف وكذا رواه الطبراني بنحوه وساقه الحافظ المنـذري في الترغيب والترهيب من باب الزكاة (ومن هذا البـاب) أي باب طاعـة الحيوانات مـن طريق خرق العادات لبعض صحابته من تمـام بركته صلى الله تعالى عليه وسلم (ما روى من) وفي نسخة في (تسخير الاسد لسفينة) غـير منصرف للتأنيث والعلمية (مولى رسول الله صلى الله تعـالى عليه وسلم) أعتقته أم سلمة وشرطت عليه ان يخدم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم واسمه مهران عند الاكثر وكنيته أبو عبد الرحمن على الاشـهر ولقبه عليـه الصلاة والسلام سفينة لقضية مشهورة (اذ وجهه) أي كان التسخير حين أرسله النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (الى معاذ باليمن) أي حال اقامته فيه لقضائه (فلقي) أي سفينة (الاسد فعرفه) بتشديد الراء أي فذكراه (انه مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومعه كتابه) أي مكتوبه عليه الصلاة والسلام الى معاذ أو غيره (فهمهم) بهاءين وميمين مفتوحتين فعل ماض من الهمهمة وهي الكلام بالخفية (وتنحى عن الطريق) أي وتبعد وتأخر الاسد عن طريق سفينة (وذكر) أي سفينة (في منصرفه) أي مرجعه (أيضا مثل ذلك) قال الدلجي لم أدر من رواه كذا وقد رواه البيهقي ان لقيه الاسد انما كان حـين ضـل عن الجيش في أرض الروم قلت يحمل على تعدد الواقعة كما يشير اليه قول المصنف

(في ذلك الجبل) تشير لجبل بتلك الصحراء (فاطلقني حتى أذهب فارضعهما وأرجع) بنصب الافعال الثلاثة (قال أو تفعلين) أي ترجعين الى ان أطلقتك (قالت نعم فاطلقها) والاعرابي نائم لا يشعر بذلك (فذهبت) وأرضعتهما (ورجعت فأوثقها) وربطها كما كانت (فانتبـه الاعرابي) ورأى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عنده (فقال لرسول الله صلى الله تعـالى عليه وسـلم ألك حاجة قال تطلق هـذه الظبية فاطلقها) من وثاقها (فخرجت تجري وهي تقول أشهد أن لا اله الا الله وانك رسول الله) فالجملة حالية بتقدير مبتدأ وقد ذكرنا من روى هـذا الحـديث وقد صححه ابن حجر لوروده من طرق أخر فلا نلتفت لقول ابن كثير انه لا أصل له لان في سنده مجاهيل وانما استأذنه النبي صلى الله تعـالى عليه وسلم في ذلك لانه ملكها بالحيازة واتلاف ملك الغير بغير اذنه ممنوع والواو في قوله أو تفعلين محركة عاطفـة على مقدر أي أتقولين ذلك لي وترجعين الي أو استئنافية على القولين في مثله وفي الحـديث معجزات ظاهرة (ومن هذا الباب) أي باب المعجزات باطاعة الحيوانات (ما روى) قال السيوطي لم أقف على هذا الحديث هكذا وأخرج البيهقي انه وقع لسفينة حين ضل عن الجيش بارض الروم الاان البخاري ذكره في تاريخه كما قاله المصـنف فلا اعتراض عليـه (من تسـخير الاسد) أي تذليله وانقياده (لسفينة مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) وهو من خدمة رسول الله صلى الله تعـالى عليه وسلم وهو الذي لقبه سفينة لانه رآه في بعض أسفاره حاملا لامتعة فقال له انما أنت سفينة فاشـتهر بذلك واختلف في اسمه فقيل رومان وقيل مهران وقيل طهمان وروى عنه مسـلم وغـيره من أصحاب السنن وفي الحـديث مناسبة اتفاقيـة لاسمه (اذ وجهه الى معاذ) بن جبل حال كونه (باليمن) وهو الاقليم المعروف وسفينة من مولدي العرب وقيل من فارس اشتراه رسول الله صـلى الله تعـالى عليه وسلم واعتقه وقيـل ان أم سلمة أعتقته فخدم رسول الله صلى الله تعـالى عليه وسلم وكان صلى الله تعـالى عليه وسلم أرسـل معاذ بن جبل لليمن ليجمع الزكاة (فلقي الاسد) في طريقه (فعرفه) أي قال له (انه مولى رسول الله صـلى الله تعالى عليه وسلم ومعه كتابه) فألهمه الله تعالى فهـم كلامه وكف عنه (فهمهم) الهمهمة صوت لا يفهم وقيل صوت فيه بحة وفي الحديث ان سفينة قال ظننته السلام يعني عليـه أو على رسول الله صـلى الله تعـالى عليه وسـلم (وتنحى عن الطريق) أي تأخر عنه في ناحية متباعـدة عن الطريق اذهابا لخوفه (وذكر) أي سـفينة (في منصرفه) أي انصرافه ورجوعه من اليمن (مثل ذلك) أي مثل ما وقع له في

(وفي رواية أخرى عنه) أي عن سفينة كما رواه البيهقي والبزار (ان سفينة) أي من السفن (تكسرت به) أي وسفينة في تلك السفينة (فخرج الى جزيرة) وهي أرض ينجزر البحر عنها (فاذا الاسد) أي حاضر والمعنى فاجأه بغتة (فقلت له أنا مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فجعل يغمزني) بسكون الغين المعجمة وكسر الميم وتضم بعدها زاي أي يشير الي ويحرك علي (بمنكبه) بفتح الميم وكسر الكاف أي بما بين كتفه وعنقه (حتى أقامني) أي دلني (على الطريق) وفي ايراده هذا الحديث اشارة الى ان كرامة الولي بمنزلة معجزة النبي من حيث الدلالة على صدق النبوة والرسالة فان الكرامة متفرعة على صحة المتابعة (أخذ عليه الصلاة والسلام) كان الاولى ان يقال ومن ذلك انه أخذ عليه الصلاة والسلام (باذن شاة لقوم من بني عبد القيس) قبيلة كبيرة مشهورة (بين اصبعيه) بكسر الهمزة وفتح الموحدة وجوز تثليث كل منهما فالوجوه تسعة (ثم خلاها) أي تركها (فصار لها ميسما) بكسر الميم وفتح السين أي صار أثر أصبعيه لها علامة وهو في الاصل الحديدة التي يكون بها ويجعل بسببها علامة فاطلاقه على العلامة مجاز في العبارة ظاهر العلاقة (وبقي الاثر فيها) أي في أصل تلك الشاة (وفي نسلها بعد) بالضم أي بعدها قال الدلجي لا أدري من رواه (وما روى) أي ومن ذلك ما روى (عن ابراهيم بن حماد بسنده من كلام الحمار) في سيرة مغلطاي كان له صلى الله تعالى عليه وسلم من الحمير يعفور وعفير ويقال هما واحد وآخر أعطاه سعد بن عبادة (أصابه) أي في سهمه وفي نسخة الذي أصابه (بخيبر وقال) أي الحمار وهو كان أسود (له اسمي يزيد بن شهاب) يعني ونعتي ان الله تعالى أخرج من نسل جدي ستين حمارا كلهم لم يركبه الا نبي وقد كنت أتوقع ان تركبني ولم يبق من نسل جدي غيري ولا من الانبياء غيرك وكنت ليهودي وكنت أعثر به عمدا وكان يجيعني ويضرب بي على ما رواه ابن أبي حاتم عن حذيفة وفي رواية يجيع بطني ويضرب ظهري (فسماه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يعفورا) بالقصر وفي نسخة بالتنوين وفي نسخة يعفور كيعقوب

ذهابه فيكون لقيه في سفره هذا مرتين (وفي رواية أخرى عنه) أي عن سفينة وهذه الرواية هي التي رواها البيهقي والبزار وصححها السيوطي في تخريجه (ان سفينة تكسرت به) في بعض أسفاره (فخرج الى جزيرة فاذا الاسد) أي فاجأه بها أسد لقيه فيها والجزيرة معروفة (فقلت) للاسد (أنا مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فجعل) أي طفق وصار (يغمزني) بسكون الغين المعجمة وكسر الميم وضمها وزاي معجمة وأصل الغمز الاشارة بالجفن فتجوز به عن الدفع الخفيف بقرينة قوله (بمنكبه) بفتح الميم وكسر الكاف وهو رأس الذراع وما بين الكتف والعنق (حتى أقامني على الطريق) أي حتى أتى بي الى الطريق ليعرفه بما يذهب فيه وقال البيهقي قال سفينة وكنت في البحر فانكسرت السفينة فركبت لوحا منها فاخرجني الى أجمة فيها أسد فرأيته أقبل الي فقلت يا أبا الحارث أنا مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاقبل نحوي حتى ضربني بمنكبه ثم مشى معي حتى أقامني على الطريق ثم همهم ساعة وضربني بذنبه فظننته انه يودعني فكان آخر عهدي به وفيه معجزة لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بانقياد الاسد له اذ ذكر اسمه وكرامة لسفينة أيضا رضي الله تعالى عنه (وأخذ عليه الصلاة والسلام باذن شاة) أي أمسكها وأخذ المتعدي بالباء بمعنى امسك بخلاف أخذه فهو تضمين (لقوم من بني عبد القيس) اسم قبيلة مشهورة (بين أصبعيه) بكسر الهمزة مثنى اصبع معروف وفيه لغات عشر تقدمت (ثم خلاها) أي نحى أصبعيه عنها وتركها (فصار ذلك) أي أخذه باذنها يعني أثره (ميسما) بكسر الميم أصله موسم فقلبت واوه ياء من الوسم وهو الكي فهو اسم آلة الكي من الحديد فاطلقت على العلامة وأثرها مجازا كما يطلق على العضو الذي فيه الاثر كما ورد في الحديث (فيها) أي الشاة (ونسلها بعد) بالبناء على الضم أي بعدها أو بعد أخذه وعهده قالوا وهذا الحديث لا يعلم من رواه من المحدثين (وما روي عن ابراهيم بن حماد بسنده) هذا الحديث رواه ابن حبان لكنهم قالوا انه ضعيف (من كلام الحمار) ونطقه له صلى الله تعالى عليه وسلم صريحا قاله (الذي أصابه بخيبر) أي وجده بها لما فتحها (وقال له ما اسمك قال يزيد بن شهاب) وانه من نسل ستين حمارا كلها لم يركبها الا نبي وقال له كنت أتوقع ان تركبني اذ لم يبق من نسل جدي غيري ولا من الانبياء غيرك وكنت ليهودي فكنت أعثر به عمدا فكان يجيعني ويضربني (فسماه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يعفورا) هو في أكثر النسخ مصروف منون منصوب لانه مفعول سمي وروي غير منون قيل لمنع صرفه للعلمية ووزن الفعل كيعقوب قاله التلمساني أقول فيه نظر لان زيادة الواو فيه أخرجته عن شبه الفعل والظاهر صرفه ويعفور لم يمنع صرفه لذلك بل للعلمية والعجمة ألا ترى ان يعفر بضم الياء

يصرف

(وانه) أي النبي عليه الصلاة والسلام (كان يوجهه) أي يرسله (الى دور أصحابه) أي بيوتهم (فيضرب عليهم الباب برأسه ويستدعيهم) أي يطلب منهم اجابة الدعوة اليه صلى الله تعالى عليه وسلم (وأن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لما مات) أي ودفن (تردى) أي رمى بنفسه (في بئر) أي لابي الهيثم بن التيهان (جزعا) أي فزعا (وحزنا) بفتحتين أو بضم فسكون (فمات) أي فصارت قبره رواه ابن حبان في الضعفاء من حديث أبي منظور وقال لا أصل له واسناده

ليس بشئ وذكره ابن الجوزي في الموضوعات قلت قصة يعفور ذكرها غير القاضي فقد نقلها السهيلي في روضه عن ابن فورك في كتاب الفصول قال السهيلي وزاد الجويني في كتاب الشامل أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان اذا أراد أحدا من أصحابه أرسل هذا الحمار اليه فيذهب حتى يضرب برأسه الباب فيخرج الرجل فيعلم ان قد أرسل اليه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وفي رواية فاذا خرج اليه صاحب الدار أومأ اليه ان أجب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هذا وقد أخرجه ابن عساكر عن أبي منظور وله صحبة نحو ما سبق وقال هذا حديث غريب وفي اسناده غير واحد من المجهولين ورواه أبو نعيم عن معاذ ابن جبل كما تقدم والله تعالى أعلم (وحديث الناقة التي شهدت عند النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لصاحبها انه ما سرقها وانها ملكه) رواه الطبراني عن زيد بن ثابت بسند فيه مجاهيل والحاكم من حديث ابن عمر وقال الذهبي وهو موضوع وفيه نظر (وفي العنز) أي وفي حديث العنز كما في نسخة صحيحة وهي الانثى من المعز (التي أتت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في عسكره) أي حال كونه فيما بين جنده في غزوة له (وقد أصابهم عطش) أي شديد (ونزلوا على غير ماء) أي لضرورة بهم (وهم زهاء ثلثمائة) أحوال متتابعة مترادفة أو متداخلة (فحلبها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

يصرف لذلك قال في الصحاح الاسود بن يعفر بضم الياء منصرف لانه قد زال عنه شبه الفعل انتهى وليس في أوزان الفعل يفعول وفي هذه المسئلة كلام في شرح التسهيل * واعلم أنه صلى الله تعالى عليه وسلم كان له حماران يعفور وعفير وهو الذي رمى نفسه في البئر كما سيأتي ويقال هما واحد وقال ابن فورك انه كان من مغانم خيبر وقيل ان عفيرا كان أشهب وهو مما أهداه له المقوقس ملك القبط وكان له حمار آخر أهداه له فروة كان يركبه وآخر أعطاه له سعد بن عبادة وقصة يعفور هذه نقلها السهيلي في الروض عن ابن فورك في كتاب الفصول قال السهيلي وزاد الجويني في كتاب الشامل (وانه كان يوجهه الى دور أصحابه فيضرب عليهم الباب برأسه ويستدعيهم) ومعنى يوجهه يرسله الى جهة ودور جمع دار ويستدعيهم بمعنى يطلب منهم اجابة دعوة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لانهم كانوا اذا خرجوا لدقه الباب ورأوه علموا انه يطلبهم لانه يكلمهم لكنه يفهم ما أمره به النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بالهام من الله وهو من معجزاته اذ سخره له وفهم مراده (وان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لما مات تردى) الحمار أي ألقى نفسه وطرحها (في بئر) كانت بالمدينة معروفة لابي الهيثم بن التيهان فكانت البئر قبره والتردي تفعل من الردى وهو الهلاك وهو مخصوص بهلاك من ألقى نفسه يقال تردى من الجبل وفي البئر اذا سقط أو ألقى نفسه فيها (جزعا وحزنا) على فراق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وفقده (فمات) وكونه صلى الله تعالى عليه وسلم كان له حمار وانه كان يركبه وان ركوبه سنة لا كلام فيه وانما الكلام في هذا الحديث فانه رواه ابن حبان بسند ضعيف فيه من طعن فيه حتى قيل انه كذب موضوع كما قال ابن الجوزي وغيره وقال بعضهم لا أصل له (و) مما ذكر من معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم في الجماد والبهائم ونطقها (حديث الناقة) الذي رواه الطبراني عن زيد بن ثابت بسند فيه مجاهيل والحاكم عن ابن عمر وقال الذهبي انه موضوع (التي شهدت) بنطق بين (عند النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لصاحبها) ومالكها لذي قيل انه سرقها فقالت (انه ما سرقها وانها ملكه) فحكم له صلى الله تعالى عليه وسلم بها لان للقاضي أن يحكم بعلمه أو نقول انه من خصائص الانبياء عليهم الصلاة والسلام والحديث هو ما قال زيد بن ثابت غزونا معه صلى الله تعالى عليه وسلم حتى اذا كنا بمجمع طرق المدينة أبصرنا باعرابي آخذ بخطام بعير حتى وقف عليه صلى الله تعالى عليه وسلم وقال السلام عليك يا نبي الله فرد عليه السلام فجاء رجل وقال انه سرق هذا البعير فرغا البعير وهو منصت له ثم قال للرجل انصرف فان البعير شهد بانك كاذب الى آخره (وفي العنز) أي في حديث العنز الذي أخرجه ابن سعد والبيهقي وابن عدي عن سعد مولى أبي بكر رضي الله تعالى عنه (التي أتت رسول الله) صفة العنز وفي نسخة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (في عسكره) حال أي وهو في عسكره (وقد أصابهم عطش ونزلوا على غير ماء) أي في مكان لا ماء فيه (وهم زهاء ثلثمائة) أي قريب عددهم تخمينا من ثلثمائة رجل وقد تقدم الكلام على زهاء ومعناه وضبطه (فحلبها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) يحتمل انه على

ظاهره وان يكون أمر بحلبها والاسناد مجازى (فاروى) بلبنها (الجند) باجمعهم لما سقاهم فشربوا حتى زال ما كان بهم من العطش والرى ضده ومنه أروى والعسكر والجيش والجند بمعنى ففيه تفنن واسناد أروى للنبى صلى الله عليه وسلم لانه سببه بحلبه وسقيه فهو مجاز أيضا ان لم نقل فاعل أروى ضمير يعود على ما حلبه المفهوم مما قبله مع بعده (ثم قال) صلى الله عليه وسلم (لرافع) براء وعين مهملتين بينهما ألف وفاء بزنة اسم الفاعل من الرفع علم لصحابى كانت تلك العنز عنده وتقدمت ترجمته (أملكها) أى خذها واتخذها ملكا لك لانها لا صاحب لها اذ وجدت بأرض العدو ويحتمل أن يكون معناه شدها وأوثقها من ملاك الامر أو ملك العجين ونحوه (وما أراك) مالكا لها أو فاعلا ذلك وهو بضم الهمزة مبنى للمفعول أى لا أظنك تملكها أو تحفظها (فربطها) وشدها بوثاق ثم ذهب ورجع (فوجدها قد انطلقت) أى انحل وثاقها ومضت وغابت عنه فالفاء فصيحة (رواه) أى حديث هذه العنز (ابن قانع) بقاف ونون وعين مهملة (وغيره) من الرواة من غير هذه الطريق فقد رواه البيهقى وابن عدى عن جماعة من الصحابة قالوا كنا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى سفر وكنا أربعمائة فنزلنا فى موضع ليس فيه ماء فشق ذلك علينا وأعلمناه بذلك فجاءت شويهة لها قرنان وقامت بين يديه صلى الله تعالى عليه وسلم فحلبها وشرب حتى روى وسقانا حتى روينا وقال يا رافع املكها الليلة وما أراك تملكها فأخذت لها وتدا ونمت ثم قمت فى بعض الليل فلم أجدها فأخبرت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قبل ان يسألنى فقال يا رافع ذهب بها الذى جاء بها وما قيل من انها ليست من جنس حيوان الدنيا وانما هى ككبش الفداء وانما سماها عنزا لكونها على صورتها لا وجه له ومثله من خلاف الظاهر يحتاج للرواية والذى أوهمه ذلك قوله (وفيه فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) لرافع لما أخبره بانطلاقها (ان الذى جاء بها هو الذى ذهب بها) يعنى الله أو الملك (و) من هذا القبيل ما روى أنه عليه الصلاة والسلام (قال لفرسه) الفرس واحد الخيل يطلق على الذكر والانثى الا انه مؤنث سماعى وسمع فرسه وكان له صلى الله تعالى عليه وسلم عدة أفراس مذكورة فى السير بأسمائها ومن أين ملكها ولا داعى لتفصيلها هنا كما ذكره بعضهم (وقد قام الى الصلاة فى بعض أسفاره) والفرس غير مربوط ولم يأمر أحدا بامساكه بل خاطب الفرس وقال له (لا تبرح) أى لا تزل من مكانك الذى أوقفتك فيه من البراح وهو المكان الواسع وبرح بمعنى ثبت فى مكانه وبمعنى زال وهو نفى معين فاذا دخل عليه صار لنفى النفى وهو اثبات كما هنا فمعناه أثبت والزم كما حققه النحاة وأهل اللغة (بارك الله فيك) دعاء له من البركة وقد تقدم تحقيقها ويأتى أيضا مع زيادة (حتى نفرغ من صلاتنا) ونتمها وهو غاية اثباته فى مكانه (وجعله قبلته) أى جعله فى جهة قبلته ساترا ومانعا لمن يمر بين يديه صلى الله تعالى عليه وسلم وفيه دليل على جواز الاستتار بالحيوان والكلام عليه مفصل فى كتب الفقه لا حاجة لذكره هنا (فما حرك) الفرس (عضوا) من أعضائه وهو بضم العين وكسرها وسكون الضاد المعجمة معروف (حتى صلى) أى أتم صلاته (صلى الله تعالى عليه وسلم) وفيه معجزة له عليه الصلاة والسلام لفهم الحيوان كلامه واطاعته له وانقياده لعلمه بأنه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وفى بعض النسخ هنا زيادة وهى (ويلتحق بهذا) المذكور من معجزاته أو من كلام الحيوانات لان فهم لغة لم يعرفها كفهم العربى كلام العجمى قريب منه

(فاروى الجند) أى جميع العسكر (ثم قال لرافع) أى مولاه كذا قاله الدلجى لكن مولاه أبو رافع ولذا قال الحلبى رافع هذا لا أعرفه بعينه وفى الصحابة جماعة كثيرة يقال لكل منهم رافع (أملكها) بفتح الهمزة وكسر اللام أى أوثقها أو اربطها واحفظها (وما أراك) بضم الهمزة أى ما أظنك تملكها وتحفظها (فربطها) أى وغفل عنها (فوجدها قد انطلقت) أى ذهبت برأسها بحيث لم يدر أحد عنها (رواه ابن نافع) وقد سبق ذكره (وغيره) منهم ابن سعد وابن عدى والبيهقى عن مولى أبى بكر رضى الله تعالى عنه (وفيه) أى وفى حديث ابن قانع (فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الذى جاء بها) أى الله سبحانه وتعالى (هو الذى ذهب بها) فيه ايماء الى ان ايجادها واعدامها كليهما من خرق العادة (قال) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (لفرسه عليه الصلاة والسلام) كذا فى بعض النسخ المصححة وانما محله قبله بعد قال كما لا يخفى ثم قيل كانت أفراسه صلى الله تعالى عليه وسلم أربعة وعشرين اتفق منها على سبعة (وقد قام الى الصلاة) أى والحال انه قد أراد قيامه اليها (فى بعض أسفاره) متعلق بقام كما هو أقرب أو بقال (وهو أنسب لا تبرح) أى لا تفارق مكانك (بارك الله فيك حتى نفرغ من صلاتنا وجعله قبلته) أى فى صوب قبلته أو فى جهة مقابلته (فما حرك عضوا) أى من أعضائه وهو بضم أوله ويكسر (حتى صلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أى حتى فرغ منها كما فى أصل الدلجى وألحق فى بعض النسخ هنا وزعم بعضهم انه من الام (ويلتحق بهذا) بصيغة المجهول أو المعلوم ومشابه

(ماروى الواقدى) بكسر القاف قاضى العراق يروى عن ابن عجلان وثور وابن جريج وعنه الشافعى رحمه الله والصغانى قال البخارى
وغيره متروك وقد ذكر له ترجمة حسنة ابن سيد الناس فى أول سيرته وذكر فيها ثناء الناس عليه وجرحهم له

ومشابه له (ماروى الواقدى) صاحب السير وهو محمد بن عمر بن واقد قاضى العراق وعالمها وقد قيل فيه انه ضعيف ونسب للوضع وقيل انه مجمع على ضعفه ونازع فيه بعضهم وقال كفى برواية الشافعى عنه دليلا على صحة ماروواه وترجمته فى الميزان مفصلة وكذا فى أول سيرة ابن سيد الناس (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لما وجه رسله) جمع رسول (الى الملوك) من العرب والعجم أى أرسلهم لجهتهم وناحيتهم لافشاء الاسلام وقوى (فخرج ستة نفر منهم) أى ستة رجال من الرسل والنفر اسم جمع للثلاثة فما فوقها الا انه يستعمل بمعنى الرجل الواحد كما بيناه فى شرح الدرة وقد صرح به الكرمانى فى شرح البخارى وهو عربى فصيح أيضا وكان ارسالهم (فى يوم واحد) خرجوا من عنده صلى الله تعالى عليه وسلم فيه (فاصبح كل واحد منهم يتكلم بلسان القوم الذى بعثه) صلى الله تعالى عليه وسلم (اليهم) من غير مضى زمان يحتمل التعلم فيه وتفصيل الرسل ومن أرسلوا اليه مفصل فى السير أيضا وهذا معجزة له صلى الله تعالى عليه وسلم لشمول بركته لهم (والحديث فى هذا الباب كثير وقد جئنا منه بالمشهور من ذلك وماوقع منه فى كتب الائمة) رضى الله تعالى عنهم ونفعنا ببركاتهم * (خاتمة) * مما يلتحق بمعجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم فى الحيوانات والجمادات ماذكر فى بعض الكتب وشاع فى الاقطار ونظمه الشعراء فى فصيح الاشعار من انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان فى بعض الاحيان اذا مشى غاص قدمه فى الحجارة بحيث بقى ذلك الى الآن وارتسم فيها مثاله بعينه والناس تتبرك به وتزوره وتعظمه كما فى القدس ونقل منه لمصر فى أماكن متعددة حتى قيل ان السلطان قايتباى اشتراه بعشرين ألف دينار وأوصى بجعله عند قبره وهو موجود الى الآن وانه صلى الله تعالى عليه وسلم اذا مشى على الرمل أحيانا لا يكون لقدمه أثر فيه الا أن هذا لم يضبط لان هذا أمر عدمى لا يعرفه الا من كان حاضرا ثمة وقد ذكر هذا السبكى فى تائيته وغيره قال الامام القسطلانى فى المواهب اللدنية كان صلى الله تعالى عليه وسلم اذا مشى على الصخر غاصت قدماه فيه كما هو مشهور قديما وحديثا على الالسنة ونطق به الشعراء فى قصائدهم النبوية والبلغاء فى منثورهم مع اعتضاده بوجود أثر قدمى الخليل عليه الصلاة والسلام فى حجر المقام المنوه به فى التنزيل فى قوله تعالى فيه آيات بينات البالغ تعيينه وانه أثره مبلغ التواتر وفيه يقول أبو طالب

وموطئ ابراهيم فى الصخر وطؤه * على قدميه حافيا غير ناعل

وبما فى البخارى من معجزة موسى عليه الصلاة والسلام بما أثر ضربه فى الحجر ستا أو سبعا لما فر بثوبه حين اغتسل وقد صح مامن معجزة لنبى الا ولنبينا صلى الله عليه وسلم مثلها ويؤيده وجود أثر حافر بغلته صلى الله تعالى عليه وسلم فى مسجد بطيبة عرف بها الى الآن يقال له مسجد البغلة وماذاك الا من سره صلى الله تعالى عليه وسلم السارى فيها ليكون أوضح فى الدلالة على انه أوتى مثل ما أوتى الخليل صلى الله عليه وسلم على وجه أعلى منه ونقل المجد الشيرازى عن ابن بكار فى المغانم المطابة بعد ذكره لحافر البغلة ومسجدها انه فى غربى هذا المسجد أثر كأنه أثر مرفق يذكر انه صلى الله تعالى عليه وسلم اتكى عليه بمرفقه الشريف فاثر فيه وفى آخر أثر أصابعه انتهى وممن ذكر أثر البغلة السيد السمهودى فى تاريخ المدينة وقال انه مسجد بنى ظفر من الاوس شرقى البقيع بطرف الحرة الغربية ويعرف بذلك وذكره ابن النجار فى تاريخه أيضا لكن قال الشيخ محمد بن يوسف الدمشقى فى سيرته ان هذا لا وجود له فى شئ من كتب الحديث وممن أنكره الشيخ برهان الدين التاجى وقال السيوطى فى فتاويه لم أقف له على أصل ولا سند ولا رأيت من خرجه فى شئ من كتب الحديث وتبعه تلميذه العلقمى فى شرح الجامع

وانه نسب الى وضع الحديث وفى آخرها استقر الاجماع على وهن الواقدى (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لما وجه رسله الى الملوك) أى لتبليغ الرسالة اليهم وتحقيق الحجة لديهم (فخرج ستة نفر منهم) أى من رسله (فى يوم واحد فاصبح كل واحد منهم) أى صار لما بلغ عندهم وأراد تبليغهم (يتكلم بلسان القوم الذين بعثه) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (اليهم) أى من الملوك واتباعهم من غير تعلم للسانهم وتعرف بشأنهم قال الكلاعى فى النقاية وفى حديث ابن اسحق قال عليه الصلاة والسلام ان الله بعثنى رحمة كافة فادعوا عنى يرحمكم الله ولا تختلفوا على كما اختلف الحواريون على عيسى فقال أصحابه وكيف اختلفوا يارسول الله قال دعاهم الى الذى دعوتكم اليه فامامن بعثه مبعثا قريبا فرضى وسلم وأما من بعثه مبعثا بعيدا فكره وجهه وتثاقل

فشكا عيسى عليه الصلاة والسلام ذلك الى الله تعالى فاصبح المتثاقلون وكل واحد منهم يتكلم بلغة الامة التى بعث اليها (والحديث فى هذا الباب) أى فى معنى هذا النوع من المعجزة (كثير) أى ورد بطرق متعددة وقضايا متكثرة (وقد جئنا منه بالمشهور) أى فى صحته وثبوته (وما وقع) أى وما ورد (منه فى كتب الائمة) أى المعروفين بالسنة والسيرة

الصغير وزاد انه لم يوجد في شيء من التواريخ المعتمدة فلا يسوغ نسبته له صلى الله تعالى عليه وسلم وقد تعقبه من علماء عصره الشيخ الصالح المحدث أحمد المتولى شارح الجامع الصغير فقال بعد ما ساق ما قلناه مفصلا سبحان من لا ينسى كيف سها السيوطى وقد قال في خصائصه الصغرى أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما وطء على صخر الا وأثر فيه وعزاه للحافظ رزين العبدرى انتهى * قلت لا سهو ولا نسيان فان السيوطى رحمه الله تعالى لم يذكر هذه المعجزة وانما أنكر ما يؤثر بعينه في الاماكن التى ذكروها وكذا ما قاله صاحب المواهب الا ان ما نقله السيوطى من قوله ما وطئ صلى الله تعالى عليه وسلم على صخر الا وأثر فيه لا ينبغى لان الظاهر انه كان في أول البعثة ككلام الحجر والشجر الذى تقدم وأما كونه لا أثر لقدمه صلى الله تعالى عليه وسلم في الرمل فقد رواه ابن سبع والنيسابورى وغيرهما بسند ضعيف وقال انه صلى الله تعالى عليه وسلم ألطف خلق الله وأخفهم ولذا لم يؤثر مشيه في الرمل ولا ينافيه تأثيره في الحجارة فانما هو لبقاء أثره وتبكيت حاسديه وانهم أقسى من الحجارة الا انه وقع في الاحياء ما يقتضى خلافه لانه نقل فيه أثرا فيه ان بعض الصحابة أنكر على أبى موسى رضى الله تعالى عنه دعاءه على المنبر لعمر رضى الله تعالى عنه اذ لم يذكر أبا بكر رضى الله تعالى عنه فقام بين الملأ بالمسجد وقال له أين من كان قبله فشكاه لعمر رضى الله تعالى عنه فامر باشخاصه اليه من البصرة فلما جاءه دق عليه الباب فخرج اليه وقال له أزعجتنى من وطنى فسأله عن سبب شكاية أميره منه فقص عليه القصة فبكى رضى الله تعالى عنه وقال والله ليوم وليلة لابى بكر رضى الله عنه خير من خلافتى يعنى باليوم لما قام على المنبر خطيبا يوم مات النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وبالليلة ليلة ذهابه معه الى الغار فكان يمشى تارة خلفه وتارة أمامه وتارة يحمله يقصد بذلك اخفاء أثر أقدامه في الرمل حتى لا يشعر به من يقص أثره * قلت وكان هذا هو مستند ابن خلدون في مقدمة تاريخه اذ ذكر فيها ان الدعاء للسلاطين في الخطبة سنة وان كان الزركشى قال في كتاب أحكام المساجد انه بدعة لا ينبغى تركها لخوف الفتنة فاعرفه فانه من الفوائد النفيسة الجليلة

(فصل) من معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم (في احياء الموتى وكلامهم) له صلى الله تعالى عليه وسلم واحياء مصدر مضاف لمفعوله وفاعله الله أو النبى صلى الله عليه وسلم لانه سببه وان كان الفاعل الحقيقى هو الله وهو أعظم معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم ولذا قال في البردة

لو ناسبت قدره آياته عظما * أحيى اسمه حين يدعى دارس الرمم

وقد تكلم الناس في معنى هذا البيت وأورد عليه ان من جملة معجزاته صلى الله عليه وسلم القرآن وقد قال صلى الله عليه وسلم آية من كتاب الله خير من محمد وآل محمد فكيف لا يكون في معجزاته ما يناسب مقداره في الشرف وأجيب بان المراد بمعجزاته ما أحدثه الله تعالى على يديه والقرآن صفة لله قديمة ومعناه انه لا يعد شيأ من معجزاته عظيما بالنسبة اليه الا أن يكون منها ان كل أحد لو دعا باسمه وتوسل به في احياء الموتى وقع له ذلك بان يقول اللهم انى أسئلك بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم ان تحيى صاحب هذا القبر وليس عطف الكلام من عطف الخاص على العام كما توهم (وكلام الصبيان) الذين في المهد يصلوا لسن يتكلم فيه مثلهم ولذا عطف على كلام الموتى لانه ليس من شانهم الكلام وأخره لانهم أحياء من شانهم الكلام فهو دونه مرتبة (والمراضع) جمع مرضع اسم مفعول وهو الولد الصغير على القياس وليس جمع راضع على خلاف القياس كما قيل وليس جمع مرضع بكسر الضاد وهو الام لانه ليس فيه خرق للعادة ولا مرضعة بالفتح بمعنى بنت صغيرة ترضع وان الاحسن ان يقول الاطفال لانه عطف تفسير للصبيان بمعنى من ابتدأ ارضاعه والاطفال كالصبيان لا تؤدى مؤداه الذى قصده (وشهادتهم له صلى الله تعالى عليه وسلم بالنبوة) أى قول من في المهد

(فصل) (في احياء الموتى وكلامهم) أى للاحياء قال القرطبى في تذكرته وكذا نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم أحيى الله على يديه جماعة من الموتى قال الحلبى وقد ذكر القاضى فيما يأتى جماعة منهم (وكلام الصبيان) أى الاطفال قبل أوان التكلم (والمراضع) جمع راضع على خلاف القياس وهو أخص من الاول فتأمل ويحتمل ان يكون العطف تفسيريا ووقع في أصل الدلجى وكلام الصبيان المراضع بالوصف بدون العاطف (وشهادتهم) أى الصبيان (له بالنبوة) أى المتضمنة للرسالة (صلى الله تعالى عليه وسلم

إنك

حدثنا أبو الوليد هشام بن أحمد الفقيه بقراءتي عليه والقاضي أبو الوليد محمد بن رشد) بضم فسكون (والقاضي أبو عبد الله محمد بن عيسى التميمي) سبق (وغير واحد) أي وكثيرون من مشايخنا (سماعا) أي رواية (واذنا) أي اجازة (قالوا) أي كلهم (ثنا أبو علي الحافظ) الظاهر انه أبو علي الغساني (ثنا أبو عمر الحافظ) أي ابن عبد البر (ثنا أبو زيد) أي عبد الرحمن بن يحيى كما في نسخة (ثنا أحمد بن سعيد ثنا ابن الاعرابي) تقدم (ثنا أبو داود) صاحب السنن (ثنا وهب بن بقية) بفتح موحدة وكسر قاف وتشديد تحتية روى عنه مسلم والبغوي ثقة (عن خالد هو الطحان) بتشديد الحاء أحد العلماء ثقة عابد زاهد يقال اشترى نفسه من الله ثلاث مرات يتصدق بزنة نفسه فضة (عن محمد ابن عمرو) أي بن علقمة ابن وقاص الليثي يروي عن أبيه وأبي سلمة وطائفة وعنه شعبة ومالك ومحمد بن عبد الله (الانصاري عن أبي سلمة) وهو أحد الفقهاء السبعة على قول الاكثر (عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه) قال المزي في الاطراف كذا وقع هذا الحديث في رواية سعيد عن ابن الاعرابي عن أبي داود مسندا موصولا وعند باقي الرواة عن أبي سلمة وليس فيه أبو هريرة فهو مرسل (ان يهودية) وهي زينب أخت عبد الله بن سلام وقيل زينب بنت الحارث (أهدت للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم بخيبر شاة مصلية) بفتح الميم وكسر اللام وتحتية مشددة أي مشوية (سمتها) بتشديد الميم من السم لا من التسمية أي وضعت السم فيها (فأكل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم منها والقوم) بالرفع ويجوز نصبه وفي نسخة وأكل القوم أي منها أيضا (فقال ارفعوا أيديكم) أي عنها (فانها أخبرتني) أي حينئذ (انها مسمومة فمات) أي من أكلها (بشر بن البراء) بفتح الباء وتخفيف الراء وهو ابن معرور واياك ان تعجمها فانه تصحيف مغرور وهو خزرجي سلمي شهد العقبة وبدرا وأحدا قيل انه مات في الحال وقيل لزمه وجعه حتى مات بعد سنة وقضية خيبر كانت في أول السابعة أو في آخر السادسة

انك نبي الله ورسوله وعطفه على كلام الصديان من عطف الخاص على العام ثم شرع في اثبات ما ذكره بحديث أورده أبو داود مسندا عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه فقال (حدثنا أبو الوليد هشام بن أحمد الفقيه) أي المتبحر في معرفة الاحكام الشرعية الفرعية وقيل المراد به العالم بالعلوم الشرعية مطلقا (بقراءتي عليه والقاضي أبو الوليد محمد بن رشد) علم منقول من ضد الغي وهو محمد بن أحمد بن رشد الامام في كل فن الجليل قاضي قرطبة تولى قضاها بعد أبي القاسم بن حمدين سنة احدى عشرة وخمسمائة ثم عزل سنة أربع عشرة وولي أبو القاسم وذلك في سلطنة يوسف بن تاشفين (والقاضي أبو عبد الله محمد بن عيسى التميمي) الذي تقدمت ترجمته (وغير واحد سماعا واذنا) يعني انه سمع منهم وأذنوا له في الرواية عنهم (قالوا حدثنا أبو علي الحافظ) الغساني الذي تقدم قال (حدثنا أبو عمر الحافظ) هو ابن عبد البر الامام المشهور كما تقدم قال (حدثنا أبو زيد عبد الرحمن بن يحيى) بن محمد المعروف بابن العطار قال (حدثنا أحمد ابن سعيد) تقدمت ترجمته قال (حدثنا ابن الاعرابي) تقدم قال (حدثنا أبو داود) الامام صاحب السنن قال (حدثنا وهب بن بقية) الواسطي أبو محمد ويقال له وهبان توفي سنة تسع وثلاثين ومائتين وروى له مسلم وأبو داود والنسائي (عن خالد هو الطحان) هو خالد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن يزيد المعروف بالطحان كان من الزهاد الصالحين يقال انه اشترى نفسه من الله ثلاث مرات فتصدق بوزنه فضة توفي سنة تسع وتسعين ومائة وولد سنة عشر ومائة وأخرج له أصحاب الكتب الستة (عن محمد بن عمرو) بن علقمة وله ترجمة في الميزان (عن أبي سلمة) أحد الفقهاء السبعة كما تقدم (عن أبي هريرة) رضي الله عنه (ان يهودية) من يهود خيبر اسمها زينب بنت الحرث امرأة سلام بن مشكم صاحب الكنز وهو من بني النضير وقيل انها زينب أخت عبد الله بن سلام (أهدت للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم بخيبر شاة مصلية) أي مشوية من صلاه بالنار اذا شواه وأصلها مصلوية فقلبت الواو ياء وادغمت وكسر ما قبلها (سمتها) أي وضعت فيها السم يقال سممته أنا والعامة تقول سميته وهو خطأ كما قال السراج الوراق رحمه الله تعالى

رزقت بنتا ليتها لم تكن * في ليلة كالدهر قضيتها

فقيل ما سميتها قلت لو * مكنت منها كنت سميتها

وقد يقال أصله سممتها بثلاث ميمات أبدلت الثالثة ياء على القياس (فأكل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم منها وأكل القوم) الذين كانوا معه من الصحابة رضي الله تعالى عنهم أي شرعوا في الاكل (فقال) صلى الله تعالى عليه وسلم (ارفعوا أيديكم) أي كفوها عن الاخذ منها للاكل وأبعدوا أيديكم عنها وأصل الرفع الاعلاء فكني به عما ذكر وشاع حتى صار حقيقة فيه (فانها أخبرتني انها مسمومة) وهو محل الشاهد لانها كلمته صلى الله تعالى عليه وسلم وهي ميتة بكلام لم يسمعه غيره ولو شاء الله أسمعهم كلامها (فمات بشر بن البراء) بفتح الباء الموحدة والراء المهملة والمد ابن معرور بسكون العين المهملة وفتحها خطأ وهو صحابي خزرجي شهد العقبة وبدرا قيل انه مات في الحال وقيل لم يزل

(وقال) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (ما حملك) أي أيتها اليهودية (على ما صنعت قالت) أي حملني ما تردد في باطني من انك (ان كنت نبيا لم يضرك الذي صنعت وان كنت ملكا) بكسر اللام أي ممن يدعي ملكا (أرحت الناس منك قال) أي أبو هريرة كما رواه البيهقي عنه موصولا وأبو داود عن أبي سلمة مرسلا (فامر بها) أي بقتلها (فقتلت وقد روى هذا الحديث) أي حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه (أنس) كما في الصحيحين (وفيه قالت أردت قتلك) ان لم تكن نبيا (فقال ما كان الله ليسلطك على ذلك) ويروى ليسلط على ذلك ويسلطك علي أي على قتلي فاني نبي موعود لاكمال ديني وعصمة روحي (فقالوا أنقتلها) وفي رواية الانقتلها (فقال لا) أي لا تقتلوها ولعل هذا كان قبل موت بشر فلما مات أمر بقتلها به (وكذلك روى) أي هذا الحديث وفي نسخة وكذلك عن أبي هريرة (من رواية غير وهب) أي ابن بقية وهو شيخ أبي داود (قال) أي أبو هريرة رضي الله تعالى عنه (فاعرض لها) أي فما تعرض لها ولم يأمر بقتلها (ورواه أيضا جابر بن عبد الله) كما رواه أبو داود والبيهقي عنه (وفيه) أي في حديثه (أخبرتني به هذه الذراع قال) أي جابر (ولم يعاقبها) أي ولم يؤاخذها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بما صدر عنها قبل موت بشر منها (وفي رواية الحسن) البصري (ان فخذها كلمني انها مسمومة) قلت وفي الجمع بينهما نصاب الشهادة (وفي رواية أبي سلمة بن عبد الرحمن فقالت) أي الشاة بكمالها أو ببعض اجزائها (اني مسمومة) أي فلا تأكل مني (وكذلك ذكر الخبر ابن اسحق) أي المغازي (وقال فيه) أي في حديثه (فتجاوز عنها) أي عفا ابتداء

في

مريضا حتى مات بعد سنة (وقال) صلى الله عليه وسلم (لليهودية ما حملك على ما صنعت) من السم ووضعه حتى خصل منه ما حصل وهو مجاز مشهور من الحمل المشهور من قوله حمله كذا وحمله عليه اذا كلفه به قال الله تعالى مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها أي كلفوا أن يقوموا بحقها فلم يفعلوا فالمعنى ما دعاك لصنعك هذا (قالت) الداعي اني أردت معرفة حالك واختبارك (ان كنت نبيا لم يضرك ما) وفي نسخة الذي (صنعت) من وضع السم وأكلك له (وان كنت ملكا) بكسر اللام أي سلطانا (أرحت الناس منك) بموتك فلما لم يضر السم ضررا يظهر لغيره علم بذلك انه نبي وهذه معجزة له صلى الله تعالى عليه وسلم لان الله عصمه من أذى الناس ولم يمكن أحدا من قتله صلى الله تعالى عليه وسلم بأي طريق كان فانما احتجم بعده كما روى هنا بيانا لاستحباب المداواة وتعليما للامة ولذا لم تخبره الشاة قبل الاكل ولينال مرتبة الشهادة العظمى من غير اهانة له صلى الله تعالى عليه وسلم واختلف في السم هل كان في الشاة كلها وفي الذراع زيادة على غيره لانها سألت ما أحب اليه صلى الله عليه وسلم فقالوا الذراع أو كان في الذراعين فقط لذلك ذهب الى كل منهما ناس وانما سألها صلى الله تعالى عليه وسلم لتقر فتتبين القصة ولانه كان بينه وبين اليهود عهد وهذا نقض له (قال) أي أبو هريرة راوي الحديث كما ذكره البيهقي وان كان رواه مرسلا في محل آخر (فامر بها) أي بقتلها (فقتلت وقد روى هذا الحديث) أي حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه من طريق آخر في الصحيحين (عن أنس) بن مالك (وفيه) أي فيما رواه أنس (قالت أردت قتلك) ان لم تكن نبيا كما مر (فقال) لها (ما كان الله ليسلطك) من التسليط والسلاطة وهي التمكن من القهر والاذية كما قال الله تعالى ولو شاء الله لسلطهم عليكم (على ذلك) أي القتل وروى علي مشددا بجر ياء المتكلم والكاف مكسورة لان الخطاب لمؤنث كما قاله التلمساني (فقالوا أنقتلها) وفي نسخة نقتلها بتقدير همزة الاستفهام وفي أخرى الانقتلها (قال لا) تقتلوها ولعل هذا كان قبل موت بشر بن البراء وبهذا يجمع بين هذه الرواية وبين رواية أبي هريرة انه قتلها وبه يجاب عما قيل انه مشكل لانه كيف يعفى عنها مع قتلها للبراء الآن يقال ان البراء عفى عنها أو على انه لا يقتل بالسم وانما يستحق الدية على ما فصل في كتب الفقه (وكذلك روى) بالبناء للمجهول أي روى هذا الحديث (عن أبي هريرة من رواية غير ابن وهب) بن بقية شيخ أبي داود انه روى و (قال فاعرض لها) عرض بفتحتين بمعنى تعرض المشدد أي تركها (ورواه أيضا جابر بن عبد الله) كما في سنن أبي داود والبيهقي (وفيه) أي فيما رواه جابر (أخبرتني به) أي بالسم الذي فيها (هذه الذراع) أي ذراع الشاة وهو مؤنث سماعي ولذا قال هذه وكذا الفخذ الآتي مؤنث (قال) جابر رضي الله تعالى عنه (ولم يعاقبها) أي لم يقتلها وفي بعض النسخ (وفي رواية الحسن) البصري (ان فخذها) هو بفتح الفاء وكسر الخاء وسكونها ما فوق الساق (كلمتني) أي قالت لي (انها) أي الشاة (مسمومة) اما لان السم عمها أو في ذراعها فقط كما مر وهذا لا ينافي ما مر من ان الذراع كلمته لانه لا مانع من ان تكلمه الذراع والفخذ معا ويكون عود الضمير للفخذ بناء على أحد الوجهين (وفي رواية أبي سلمة بن عبد الرحمن قالت اني مسمومة وكذلك) أي مثل هذه الرواية (وذكر الخبر) السابق (ابن اسحق) في سيرته (وقال فيه فتجاوز عنها) أي عفى عنها ولم يقتلها

(وفى الحديث الآخر) الذى رواه الشيخان (عن أنس انه قال فمازلت أعرفها) أى أثر سمها (فى لهوات رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) بفتح اللام والهاء جمع لهاة وهى اللحمة المعلقة فى سقف أقصى الفم (وفى حديث أبى هريرة رضى الله تعالى عنه) كما رواه ابن سعد وهو فى الصحيح (ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال) فى وجعه الذى مات فيه وفى نسخة منه (مازالت أكلة خيبر) بضم الهمزة أى لقمتها وخيبر بلدة على اميال من المدينة السكينة أكل بها من الشاة المسمومة (تعادنى) بضم التاء وتشديد الدال أى يرادنى ويراجعنى ويعاودنى ألم سمها فى أوقات معينة لها وهو مأخوذ من العداد بكسر العين وهو اهتياج وجع اللديغ لوقت معلوم فانه اذا تمت له سنة من حين اللدغ هاج به الالم (فالآن) وفى نسخة والآن أى وهذا الزمان الذى أنا فيه (أوان قطعت أبهرى) والاوان بفتح الهمزة وتكسر بمعنى الوقت وهو هنا بفتح النون لاضافته الى المبنى كما فى قوله * على حين عاينت المشيب على الصبا * أو بضمها على انه مرفوع على الخبرية أى فهذا الزمان أوان قطعت على بناء الفاعل وهو الاكلة ومفعوله أبهرى وهو بهمزة مفتوحة وسكون موحدة وفتح هاء عرق يكتنف الصلب والقلب اذا قطع لم يبق معه حياة وهو الذى يمتد الى الحلق فيسمى الوريد والى الظهر فيسمى الوتين فكأنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال هذا أوان قتلنى السم فكنت كمن انقطع أبهره كذا ذكره التلمسانى والظاهر انه على ظاهره وان السم سرى الى أبهره وقال الداودى الالم الذى حصل له من الاكلة هو نقص لذة ذوقه قال ابن الاثير وليس يبين لان نقص الذوق ليس بألم قلت هو ألم من العذاب الاليم كما يشهد به الذوق السليم

فى أول الامر ثم لما مات بشر بن البراء قتلها به كما مر فى الجمع بين الروايتين أو لم يقتلها بسببه اما لانه لا يوجب القتل أو لامر آخر رآه (وفى الحديث الآخر) الذى رواه الشيخان (عن أنس انه قال فمازلت أعرفها) أى أعرف الفعلة التى فعلتها اليهودية (فى لهوات رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) بفتح اللام والهاء والواو جمع لهاة بوزن قناة وهى لحمة فى أقصى سقف الفم تنطبق على آخر اللسان وأول الحلق وهى لا ترى الا اذا فتح الفم انفتاحا تاما فكأنه يريد بها الفم باطلاق الجزء على الاول كما فى قولهم اللهى تفتح اللهاء فكان لها أثر فى ظاهره من بثر ونحوها لان الاطلاع على حقيقتها بعيد وقيل المراد انها أثرت فى صورته تأثيرا قليلا يظهر لمن تأمله فاراد باللهاة الصوت ولا يخفى ما فيه والحديث فى البخارى وفيه كلام فى شروحه والحاصل انهم اختلفوا فى قتلها كما روى عن ابن شهاب انها أسلمت فتركها لاسلامها وفى الروض الانف انه تركها أولا لانه كان لا ينتقم لنفسه فلما مات بشر قتلها قصاصا به الا ان فيه ان فقهاءنا والشافعى قالوا ان من قدم لضيفه طعاما مسموما فأكل منه وهو لا يعلم فمات لا يجب القصاص ولذا قيل انه انما قتلها سياسة أو لنقض العهد والقصاص يجب فيه المماثلة والذى فى البخارى ان اليهود سموها الا ينافيه لانه كان بأمرهم واتفاق منهم (وفى حديث) عن (أبى هريرة) رضى الله عنه الذى رواه عنه ابن سعد بسند صحيح (ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى وجعه) يعنى مرضه فعبر عنه بلازمه (الذى مات فيه) أى مات متلبسا به أو فى زمنه وروى منه بدل فيه (مازالت أكلة) بضم فسكون وهى ما يؤكل كالغرفة لما يغرف لان فعلة بالفتح للمرة وبالكسر للهيئة وبالضم للمقدار كما قاله النحاة (خيبر) بمنع الصرف بلدة على أميال من المدينة أهلها يهود (تعادنى) بضم المثناة الفوقية وفتح العين المهملة وألف ودال مهملة مشددة ونون الوقاية وضمير المتكلم أى تعود الى مرة بعد مرة أخرى فى أوقات معلومة من العداد وهو كما قال ابن الاثير ما يأتى لوقت كالحمى والسم وقال السهيلى تعادنى بمعنى تعتادنى وقيل هو ما يهيج بعد سنة من ألم لدغ ونحوه وليس المراد بالالم نقص فى الذوق لانه لا يعد مثله ألما وما قيل من انه المراد مكابرة فى المحسوس لا وجه له مع انه لا ينافى قوله (فالآن) مبنى على الفتح ولا يستعمل بغير أل وهو الزمن الحاضر (أوان قطعت) أى الاكلة بسمها وتأثيره (أبهرى) بهمزة مفتوحة وموحدة وهاء وراء مهملة بزنة افعل التفضيل وهو عرق كبير متصل بالقلب أو داخله وهما ابهران وقيل هو الوريد وهو اذا انقطع يموت صاحبه وقيل انه الاكحل وموته بهذا السم لا ينافى قوله تعالى والله يعصمك من الناس الى آخره لا لانه قبل نزول هذه الآية بل لان المراد عصمته صلى الله تعالى عليه وسلم من قتلهم له بسيف ونحوه مجاهرة بحيث يظهر فى وقته وهذا مع انه سم ساعة لم يظهر فيه صلى الله تعالى عليه وسلم حتى عد من معجزاته لخفاء أثره وانما قدر الله تعالى تأثيره فيه بعد زمان ليرزقه الله تعالى الشهادة وهذا مما لا دخل لمخلوق فيه ومرضه الذى مات فيه صلى الله تعالى عليه وسلم كان حمى مع صداع وروى أبو يعلى بسند ضعيف انه ذات الجنب وأورد عليه انه صلى الله تعالى عليه وسلم لد بقسط وزيت فلما أفاق صلى الله تعالى عليه وسلم قال كنتم ترون ان بى ذات الجنب ما كان الله تعالى ليجعل لها على سلطانا والله لا يبقى أحد فى البيت الا لد ففعلوه واللدود دواء ذات الجنب وقد ورد ان ذات

(وحكى ابن اسحق) أى فى المغازى (ان) مخففة من المثقلة أى ان الشان (كان المسلمون) أى الصحابة والتابعين (ليرون) بفتح اللام وضم الياء أى ليظنون وفى نسخة صحيحة بفتح الياء أى ليعتقدون (ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مات شهيدا) أى نوعا من الشهادة (مع ما أكرمه الله به من النبوة) أى لئلا يخلو من نوع من أبواب السعادة وهذا لا ينافى قوله تعالى والله يعصمك من الناس اذ المراد به عصمته من القتل على أيديهم واما مادونه فقد احتمل صلى الله تعالى عليه وسلم فى ذات الله ومرضاته حتى سم وسحر وكسرت رباعيته كما يشير اليه

قوله صلى الله تعالى عليه وسلم حين أصيبت أصبع رجله بحجر فى طريقه هل أنت الا أصبع دميت وفى سبيل الله مالقيت وقد أجيب بان الآية نزلت بتبوك والسم كان بخيبر قبل ذلك والله تعالى أعلم (وقال ابن سحنون) بفتح السين وضم النون منصرفا وممنوعا وهو محمد بن سحنون بن سعيد التنوخى (اجمع أهل الحديث ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قتل اليهودية التى سمته) وهو محمول على آخر أمرها فلا ينافى ماورد من عدم التعرض لها فى ابتداء حالها فقول الدلجى ان دعوى ابن سحنون يردها مامر من حديث أنس وأبى هريرة رضى الله تعالى عنهما من رواية غير وهب بن بقية ليس فى محله اذ سبق ان كل واحد من الحديثين يحمل نفيه قبل موت البراء وهذا معنى قول المصنف (وقد ذكرنا اختلاف الروايات فى ذلك) أى بحسب ما يتبين التخالف هنالك (عن أبى هريرة وأنس وجابر) أى ابتداء لا انتهاء كما يشير اليه قوله (وفى رواية عن ابن عباس انه دفعها الاولياء بشر بن البراء فقتلوها) أى بعد موت البراء فارتفع النزاع وثبت ماذكره ابن سحنون من الاجماع (وكذلك) أى مثل هذا الاختلاف أو نحوه قد اختلف (فى قتله للذى سحره قال الواقدى وعفوه عنه أثبت عندنا) أى من قتله (وروى) وفى نسخة وقد روى عنه (انه قتله) ولعله عفا عنه أولا بسبب سحره المتعلق بخاصة نفسه ثم قتله لما صدر عنه بالنسبة الى غيره أو لدفع ضرره عن المسلمين فى آخر أمره أو أوحى اليه بعد عفوه ان يأمر بقتله وهذه الجملة معترضة (وروى الحديث) أى حديث الشاة المسمومة

الجنب من الشيطان وأجيب بان ذات الجنب قسمان مرض حار يكون فى مستبطن الحشاء وهو المنفى وآخر يكون بين الاضلاع وهو المروى فى الحديث المذكور والحمى المذكورة انما كانت بسبب ذلك السم (وحكى ابن اسحق ان) بكسر الهمزة وتخفيف النون الساكنة المخففة من الثقيلة واسمها مقدر أصله انهم (كان المسلمون ليرون) بفتح اللام وهى لام الابتداء ويرون بضم الياء المثناة التحتية أى يجوزون ويجوز فتحها (ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مات شهيدا) بسم الشاة ليكرمه الله بنيل الشهادة (مع ما أكرمه الله به من النبوة وقال ابن سحنون) بضم السين وفتحها ومنع الصرف وهو محمد بن عبد السلام المالكى الامام المشهور عمدة مذهب مالك كما تقدم (أجمع أهل الحديث ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قتل اليهودية التى سمته) كما مر فى بعض الروايات مع ما فيه ودعواه الاجماع مع هذا غير مسلمة منه وكون الرواية الاخرى مأولة عنده كما مر لا تصفى كدره واليه أشار المصنف رحمه الله بقوله (وقد ذكرنا اختلاف الروايات فى ذلك) الدال على خلاف ماقاله ابن سحنون (عن أبى هريرة وأنس بن مالك وجابر) وغيرهم من الصحابة رضى الله تعالى عنهم فمع ذلك كيف تصح دعوى الاجماع وماذكر فى الحديث الذى قبل هذا من كون آثار السم تشاهد فى لهواته من تتمة القصة فلا ينافى كون الفصل معقود الاحياء الموتى كما توهم وكذا ماذكر فى هذا الحديث (وفى رواية ابن عباس) التى رواها ابن سعد (انه) صلى الله تعالى عليه وسلم (دفعها) أى سلم المرأة التى سمته (لاولياء بشر بن البراء فقتلوها) يعنى ورثته الذين لهم دعوى القصاص (وكذلك) أى مثل ما اختلف فى قتل من سمه وحكمه (قد اختلف فى قتله من سحره) وفى نسخة الذى سحره وهو رجل يهودى من بنى زريق يقال له لبيد بن الاعصم كما صرح به بعد سحره صلى الله تعالى عليه وسلم حتى كان يخيل له ان يفعل الشئ وما يفعله ثم شفاه الله تعالى منه كما سيأتى الكلام على قصته فى كلام المصنف رحمه الله تعالى (وقال الواقدى وعفوه عنه) أى الساحر (أثبت) أى أقوى وأصح وأصل معناه أشد ثبوتا ولزوما فاستعير لما ذكر (عندنا) معاشر أهل السنة والحديث (وروى عنه انه قتله) وفى الوفاء عن زيد بن أرقم قال سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل يهودى فاشتكى لذلك أياما فاتاه جبريل عليه الصلاة والسلام فقال له ان رجلا من اليهود سحرك فعقد لك عقدا فى بئر كذا وكذا فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا فاستخرجها وجاء بها وحلها فجعل كلما احل عقدة وجد لذلك خفة فقام كأنما نشط من عقال فاذكر لذلك اليهودى ولا أراه فى وجهه قط وقال الثعلبى انهم قالوا له صلى الله عليه وسلم أما تأخذ الخبيث فتقتله فقال أما أنا فقد شفانى الله وأكره ان أثير على الناس منه شرا بسببى وقتل الساحر ذكره الفقهاء مفصلا فى الفروع وفى السحر وجواز تعلمه كلام مشهور بيناه فى غير هذا المحل (وروى الحديث) أى حديث الشاة

المسمومة

(البرا رعن أبي سعيد) أي الخدري (فذكر مثله) أي نحو ما سبق (الا انه قال) أي أبو سعيد (في آخره) أي في آخر حديثه (فبسط) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (يده) أي مدها (وقال) أي لأصحابه كما في نسخة (كلوا باسم الله) أي مبتدئين باسمه ومستعينين بذكره (أكلنا) أي منها (وذكرنا اسم الله) أي عليها (فلم تضر منا أحدا) عن الحافظ ابن حجر انه منكر ذكره الدلجي ولعل وجه الانكار عموم نفي الاضرار مع انه ثبت في الصحيح موت البراء منه كما سبق به التصريح وكذا تقدم أنه صلى الله تعالى عليه وسلم تضرر منها الى ان توفي بسببها وحصل له مرتبة الشهادة بها هذا والحديث رواه الجزري أيضا في الحصين بلفظ وأمر الصحابة في الشاة المسمومة التي أهدتها اليه اليهودية ان اذكروا اسم الله وكلوا فأكلوا ولم يصب أحدا منهم شيء وأسنده الى مستدرك الحاكم قال صاحب السلاح رواه الحاكم في مستدركه عن أبي سعيد الخدري وقال صحيح الاسناد انتهى لكن قال بعض مشايخنا وفيه تأمل لا يخفى اذ المشهور بين أصحاب الحديث وأرباب السير انه لم يأكل من تلك الشاة المسمومة

أحد من الصحابة الا بشر بن البراء أكل منها القمة ومات منها وأمر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم باحراق تلك الشاة ودفنها تحت التراب واحتجم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على كاهله من أجل الذي أكل من الشاة حجمه أبو هند بالقرن والشفرة وهو مولى لبني بياضة من الانصار والله سبحانه وتعالى أعلم بالاسرار (قال القاضي أبو الفضل) أي المصنف (وقد خرج حديث الشاة المسمومة أهل الصحيح) أي الذين التزموا الصحة (وخرجه الائمة) أي البقية من أصحاب السنن المشتملة على الصحيح وغيره من الاقسام (وهو حديث مشهور) أي بين الخاص والعام عند الجمهور من علماء الاعلام (واختلف أئمة أهل النظر) أي من المتكلمين وغيرهم (في هذا الباب) أي باب خلق الله تعالى الكلام في الاجسام (فمن قائل يقول هو كلام يخلقه الله تعالى) أي في محل من الموجودات أعم من الحيوانات والنباتات والجمادات كما بينه مثلا بقوله (في الشاة الميتة) بتخفيف الياء ويجوز تشديدها (أو الحجر أو الشجر) ذكرها بلفظ أو للتنويع (وحروف وأصوات) برفعهما عطف على كلام (يحدثها الله تعالى فيها) أي يوجدها في هذه الاشياء بلا حياة لها لعدم توقف ماذكر عليها (ويسمعها) بضم الياء وكسر الميم أي من شاء من خلقه (منها) أي من الاصوات والحروف (دون تغيير أشكالها) أي أنواع صورها (ونقلها عن هيئتها) أي حالتها وصفتها وتمام حقيقتها (وهو) أي هذا القول (مذهب الشيخ أبي الحسن) أي الاشعري (والقاضي أبي بكر) أي ابن الطيب الباقلاني (رحمهما الله تعالى) أقول فعلى هذا كلام الشاة من جنس سلام الحجر وكلام الشجر فلا يصلح أن يكون مستند الاحياء الموتى على ما ساقه المصنف كما لا يخفى بخلاف ما يستفاد من قوله (وآخرون ذهبوا الى

المسمومة السابق لا حديث السحر كما توهم (البزار عن أبي سعيد الخدري (فذكر مثله الا انه قال في آخره فبسط يده) ومدها صلى الله تعالى عليه وسلم ليتناول من لحمها (وقال) لمن عنده من الصحابة (كلوا) متبركين (بسم الله فأكلنا منها فلم يضر منا أحدا) وهو مصادم لحديث البراء الصحيح الذي تقدم وقال السيوطي نقلا عن الشيخ ابن حجر ان هذا الحديث منكر (قال القاضي أبو الفضل) عياض مصنف هذا الكتاب (رضي الله تعالى عنه وقد خرج حديث الشاة المسمومة أهل الصحيح) الذين اعتنوا بتصحيح الحديث وروايته (وخرجه الائمة) في كتبهم كأصحاب السنن (وهو حديث مشهور) بين المحدثين (واختلف أئمة أهل النظر) من المتكلمين وغيرهم من نقاد الحديث (في هذا الباب) أي باب خلق الله الكلام في أجسام غير ناطقة ثم بين وجوه اختلافهم بقوله (فمن قائل يقول هو كلام يخلقه الله في الشاة الميتة) بالتشديد والتخفيف (أو الحجر أو الشجر) ولما كان الكلام يطلق عند المتكلمين على اللفظي والنفسي بالاشتراك أو بالحقيقة في الاول والمجاز في الثاني أو بالعكس أشار الى أن المراد الاول بقوله (وحروف وأصوات) أي هواء يخرج من الجسم متكيف بكيفية مخصوصة ومجموعها هو الحروف ذات المخارج المعروفة وهو معطوف على قوله كلام (يحدثها) أي يوجد تلك الحروف والاصوات (فيها) أي في تلك الاجسام بلا حياة مخلوقة فيها لعدم توقفها عليها (ويسمعها) بضم التحتية أي يجعلها مدركة بالسمع لمن شاء من خلقه الاحياء (منها) أي من تلك الاجسام لا من الاصوات والحروف كما قيل (دون تغيير اشكالها) جمع شكل بفتح فسكون وهو الصورة والهيئة ومنه المشاكلة قال الله تعالى وآخر من شكله أزواج أي هو مثله في الهيئة ومنه قولهم الناس أشكال وآلاف وهو من الشكل بمعنى تقييد الدابة كما قال الراغب فقوله (ونقلها من هيأتها) أي نقلها من هيأتها الاصلية الى هيئة أخرى لذوات الارواح والنطق (وهو) أي عدم لزوم ماذكر (مذهب الشيخ أبي الحسن) الاشعري امام أهل السنة (والقاضي أبي بكر) الباقلاني فعندهما الحياة ليست بشرط لخلق الكلام في الاجسام (و) قوم (آخرون) من أهل السنة (ذهبوا الى) اشتراط ذلك والى

ايجاده) أى الله سبحانه وتعالى (الحياة) وفى نسخة الى ايجاد الحياة لها أولا (ثم الكلام) بالنصب أو الجر أى ثم ايجاد الكلام (بعده) أى بعد ايجاد الحياة بها مع عدم تغيرها عن حالها (وحكى هذا أيضا عن شيخنا) أى معشر أهل السنة (أبى الحسن) أى الاشعرى (وكل) أى من القولين (محتمل) أى لايجاد الحياة فيها أولعدمها ولما كان التناقض بين القولين دفعه المصنف بحمل القول الثانى على الكلام النفسى لاستلزامه الحياة وحمل الاول على اللفظى لعدم استلزام خلقه فى محل خلقها فيه بقوله (والله أعلم اذلم نجعل) أى نحن ويجوز بصيغة الغائب أى أبو الحسن (الحياة شرطا لوجود الحروف والاصوات اذلا يستحيل وجودها مع عدم الحياة بمجردها) أى فيه (فأما اذا كانت) أى الحروف والاصوات (عبارة عن الكلام النفسى فلابد من شرط الحياة لها) أى للاصوات (اذلا يوجد كلام النفس الامن حى) أقول

(ايجاد الحياة بها أولا) قبل نطقها وصدور الكلام منها (ثم الكلام بعده) أى بعد ايجاد الحياة بها (وحكى هذا أيضا عن شيخنا أبى الحسن) الاشعرى كما حكى القول الاول عنه فله قولان فى هذه المسئلة والضمير لاهل السنة المعلوم من السياق والشيخ هو المسن وشاع بمعنى الاستاذ كما مر ولا يلزم أن يكون المصنف رحمه الله تعالى أدركه وتلمذله كما لا يخفى فى مثله (وكل) من القولين (محتمل) اسم مفعول أى جائز عقلا فيحتمل فيما صدر عنه النطق ان يخلق الله فيه حياة وان ينطقه بدونها ولا تناقض على ماقررناه فى كلام الشيخ حتى يحتاج لحمل أحدقوليه على الكلام النفسى لاستلزامه الحياة كاستلزام العلم لها والآخر على اللفظى لعدم استلزام خلقه فى محل خلقها فيه ومثل هذا لا يلتفت له حتى يسود به وجه الصحف كما لا يخفى (اذلم نجعل الحياة شرطا لوجود الحروف والاصوات) وحينئذ يحتمل أنه تعالى خلق فيها حياة ويحتمل انه أنطقها بدون ذلك اذلا يشترط وجوده ولا عدمه (اذلا يستحيل) ويمتنع عقلا (وجودها) أى الحروف والاصوات (مع عدم الحياة بمجردها) أى وحدها من غير جارحة وحياة ونحوها (فاما اذا كانت) أى الحروف والاصوات أوهذه العبارة التى هى الكلام فالتأنيث لمراعاة الخبر فى قوله (عبارة) أى معبرا بها والظاهر الثانى (عن الكلام النفسى) الذى يعبر به عندهم وتحقيق الكلام النفسى والفرق بينه وبين العلم فيه كلام طويل فى علم الكلام يضيق طوق المقام عنه (فلابد من شرط الحياة لها) لانها العلم أومستلزمة له وعلى كل حال فلابد من الحياة فيها (اذلا يوجد كلام النفس الامن حى) اذلابدله من نفس تقوم به والنفس لاتكون الاذات حياة وأما الكلام اللفظى فلا يشترط فيه ذلك (خلافا للجبائى) بضم الجيم وفتح الباء الموحدة المشددة والمد وياء نسبة الى الجباء قرية بالسواد وهو أبو على محمد بن عبد الوهاب بن سلام مخفف اللام ابن خالد بن حمدان بن أبان مولى عثمان بن عفان البصرى رئيس المعتزلة مات سنة ثلاث وثلثمائة (من بين سائر متكلمى الفرق) أى فرق أهل السنة والمعتزلة فانه تفرد (فى احالة وجود الكلام اللفظى) أى عده محالا عقلا وعادة (والحروف والاصوات الامن حى مركب) قائم بحسب الصورة (على تركيب من يصح منه النطق بالحروف والاصوات) بأن يكون جسماله آلة نطق وجوف ثم لما ورد عليه ماتواتر من نطق غيره قال دفعاله يلتزمه واليه أشار بقوله (والتزم ذلك) أى وجود التركيب المذكور (فى الحصا) بمهملتين جمع حصاة (والجذع والذراع)

وظاهر الآيات والاحاديث يؤيد القول الاول فتأمل منها قوله تعالى وان من شئ الا يسبح بحمده ولكن لاتفقهون تسبيحهم وحديث ان الجبل ينادى الجبل باسمه أى فلان هل مر بك أحد ذكر الله تعالى فاذا قال نعم استبشر الحديث مع انه ليس هناك خرق للعادة فالصحيح من مذهب أهل السنة والصريح من مشرب الصوفية أن الاشياء لها معرفة بموجدها كما يدل عليه قوله سبحانه وتعالى وان منها لما يهبط من خشية الله وان لها ألسنة مسبحة لخالقها ويفهمها جنسها ومن أراد الله ادراكها (خلافا للجبائى) بضم الجيم وتشديد الموحدة بعدها ألف ممدودة نسبة الى جبى قرية بالسواد وهو من متقدمى المعتزلة وكان اماما فى علم الكلام وأخذه عن يعقوب بن عبد الله الشحام

الذى

البصرى رئيس المعتزلة بالبصرة فى عصره وعنه أخذ الشيخ أبو الحسن الاشعرى علم الكلام وله معه مناظرات مستحسنة بعدما أقام على الاعتزال معه أربعين سنة ثم رجع حاله وحسن مآله ومال الى مذهب أهل السنة وصار امام الائمة قيل انه مالكى المذهب وقال السبكى أخذ فقه الشافعى عن أبى اسحق المروزى توفى فى عام ثلاثين وثلثمائة وأما الجبائى فمات سنة ثلاث وثلثمائة (ومن بين سائر متكلمى الفرق) أى فرق الاسلامية اذلم يوافقه أحد منهم (فى احالته) أى عدم امكانه (وجود الكلام اللفظى) والحروف والاصوات الامن حى مركب على تركيب من يصح منه النطق بالحروف والاصوات (والتزم) أى الجبائى (ذلك) أى ماذكر من التركيب (فى الحصى) أى الذى سبح فى يد المصطفى (والجذع) أى الذى حن وأن (والذراع) أى الذى تكلم وبين

(وقال) أى الجبائى (ان الله خلق فيها حياة وخرق) بالراء أى شق ويروى خلق (لها فما ولسانا وآلة) أى مما يتوقف النطق عليها (مكنها) بتشديد الكاف وفى نسخة أمكنها أى أقدرها الله تعالى (بها من الكلام وهذا) أى ما ادعاه دعوى بلا بينة منه فانه كما قال المصنف (لو كان) أى وجد ما ذكره (لكان نقله والتهمم به) أى الاهتمام بنقله (أو كد) لكونه أغرب وأعجب فنقله أهم (من التهمم بنقل تسبيحه) أى الحصى فى يديه صلى الله تعالى عليه وسلم (وحنينه) أى الجذع اليه (وأخباره) أى الذراع له كذا فى شرح الدلجى ولم يوجد لفظ وأخباره فى الاصول المعتمدة (ولم ينقل أحد من التفسير) أى شراح الحديث وفى نسخة من أهل السير أى أرباب التواريخ (والرواية) أى من المحدثين (شيأ من ذلك) أى مما ادعاه الجبائى (فدل) أى عدم نقلهم ما ادعاه (على سقوط دعواه مع انه لاضرورة اليه فى النظر) أى فى نظر العقل وخبر النقل اذ المقام مقام خرق العادة وهو انما يكون على وفق القدرة والارادة وهو سبحانه وتعالى على كل شئ قدير (والله الموفق) أى لتيسير كل عسير وفى نسخة والموفق الله لاسواه (وروى وكيع) الظاهر انه ابن الجراح وقد تقدم (رفعه) بالنصب وفى نسخة بصيغة الفعل أى رفع حديثه (عن فهد بن عطية) بالفاء فى أوله وبالدال فى آخره وفى نسخة بالراء وكلاهما لا يعرف على ما ذكره الدلجى تبعا للحلبى وفى المواهب عن مهد بالميم والدال ولعله تصحيف وانما رواه البيهقى عن سمر بن عطية بكسر السين المهملة وسكون الميم فى آخره راء عن بعض أشياخه (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أتى

الذى نطق له صلى الله تعالى عليه وسلم لتواتره (وقال ان الله خلق فيها حياة وخرق لها فما) أى أبدعه وميزه عن غيره من الاعضاء كما خرق سمعه وشقه اذا أبرزه وصوره (ولسانا وآلة للكلام (أمكنها) أقدرها وجعلها متمكنة بها (من الكلام) والنطق (وهذا) أى المذكور من الآلة والاعضاء دعوى بلا بينة اذ (لو كان) أى ما ادعاه وقع فى الخارج (لكان نقله) أى وجد نقله وسمع فكان فيهما تامة (والتهمم به) تفعل من الهم أى الاهتمام والاعتناء به (آكد) بالمد وأوكد بالواو بمعناه أى أقوى وأشد (من التهمم بنقل تسبيحه) أى تسبيح الحصا (وحنينه) أى الجذع كما تقدم والامر بالعكس فانه نقل تسبيحه وحنينه ونطقه نقلا شائعا ولم ينقل انه روى له فم ولا لسان فما ذكره مكابرة فى المحسوسات ودعوى شهد الحس بخلافها (ولم ينقل أحد من أهل السيرة) أى رواة الحديث والسير النبوية (والروايات) وفى نسخة الرواية (شيأ من ذلك) المذكور الذى ادعاه (فدل) عدم نقلهم (على سقوط دعواه) أى بطلانها (مع انه لاضرورة) داعية (اليه فى النظر) والفكر فى الامور المعقولة وأما كون الله خلق ذلك وأخفاه فاوهى من دعواه (والله الموفق) للصواب (وروى وكيع) بفتح الواو والكاف المكسورة هو أبو سفيان بن الجراح بن مليح بن عدى الراسبى (رفعه) أى رواه مرفوعا له صلى الله تعالى عليه وسلم (عن فهد بن عطية) هو بفاء مفتوحة وهاء ساكنة ودال مهملة وفى نسخة راء مهملة قال البرهان لا أعرفه بدال ولا براء والذى فى البيهقى انه عن شمر بن عطية عن بعض أشياخه فيحتمل انه تحرف على الناسخ (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أتى بصبى قد شب) أى كبر وصار شابا وهو (لم يتكلم قط) من طفوليته لشبابه لانه خلق أخرس (فقال) له (من أنا فقال أنت رسول الله) فانطقه الله معجزة له صلى الله عليه وسلم بعد ما كان أبكم وذكر هذا فى الفصل الذى بعده أظهر وان كان هذا بتنزيل الابكم لمنزلة الميت والجماد لعدم القدرة على النطق (وروى عن معرض بن معيقب) بميم مضمومة وعين مهملة فيهما وضاد معجمة بزنة اسم الفاعل وقيل الراء مكسورة مشددة وروى معيقب بباء وقيل معيقل بلام (رأيت من النبى صلى الله عليه وسلم عجبا) أى أمرا عجيبا وقع عنده وهو انه (جئ) بالبناء للمجهول أى جاء اليه بعضهم (بصبى يوم ولد) مجهول أيضا (فذكر) راويه وهو معرض (مثله) أى مثل ما مر من انه قال له صلى الله تعالى عليه وسلم من أنا فقال له أنت رسول الله (وهو) معروف فى المعجزات بانه (حديث مبارك اليمامة) وفى نسخة وكان يسمى أى ذلك الولد مبارك اليمامة لقوله صلى الله تعالى

بصبى) أى جئ به اليه (قد شب) أى صار شابا (لم يتكلم قط فقال له من أنا فقال رسول الله) أى أنت رسوله (وروى) بصيغة المجهول وقد رواه البيهقى وابن عساكر (عن معرض) بضم ميم وتشديد راء مكسورة وروى معرض بكسر أوله كانه آلة (ابن معيقيب) بالتصغير وفى نسخة معيب بخلاف الياء الثانية (رأيت من النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عجبا) وفى المواهب أسند الحديث الى معيقيب اليمانى قال حججت حجة الوداع فدخلت دارا بمكة فرأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ورأيت منه عجبا أى خرق عادة متضمنا لكرامة (جئ) أى اليه (بصبى يوم ولد فذكر مثله) أى قال له من أنا قال رسول الله (وهو حديث مبارك اليمامة) قال ابن دحية هو موضوع ذكره الدلجى ولعله موضوع باسناد غير معروف لما تقدم من ان الحديث هذا رواه البيهقى وابن عساكر فتأمل فانه محل زالل

(ويعرف) أي حديث المبارك أيضا (بحديث شاصونة) بضم الصاد وسكون الواو وفتح النون فتاء وضبط في بعض النسخ بتحتية بدل النون وفي أخرى بفتح الصاد والواو وسكون الياء فهاء مكسورة وهو أبو عبيد من أهل اليمن (اسم راويه) أي راوي حديث المبارك قال الحلبي هذا الصبي هو مبارك اليمامة وهو مذكور في الصحابة قال الذهبي في تجريده في الصحابة مبارك اليمامة في حديث معرض الصحابة (وفيه) أي في مروي شاصونة (فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم صدقت) أي فيما نطقت (بارك الله فيك) أي في عمرك أو في أمرك (ثم ان الغلام لم يتكلم بعدها) أي بعد هذه الكلمة أو الشهادة (حتى شب) أي بلغ زمن التكلم وفيه ايماء الى أن المراد بالغلام هنا هو الصبي قبل ان يصير شابا فهذا غير الصبي الذي تقدم والله تعالى أعلم (فكان) وفي نسخة صحيحة وكان (يسمى مبارك اليمامة) أي لكونه صلى الله تعالى عليه وسلم دعا له بالبركة أضيف الى اليمامة لانه كان من أهلها وفي القاموس ان اليمامة جارية زرقاء كانت تبصر الراكب من مسيرة ثلاثة أيام وبلاد الجو منسوبة اليها سميت باسمها وهي أكثر نخيلا من سائر الحجاز وهي دون المدينة في وسط الشرق عن مكة هذا وقد جمع الجلال السيوطي رحمه الله تعالى جميع من تكلم وهو صغير في هذه الابيات

تكلم في المهد النبي محمد
ويحيى وعيسى والخليل ومريم
ومبري جريج ثم شاهد يوسف
وطفل لدى الاخدود يرويه مسلم
وطفل عليه مر بالامة التي * يقال لها تزني ولا تتكلم
وماشطة في عهد فرعون طفلها * وفي زمن الهادي المبارك يختم

(وكانت هذه القصة بمكة في حجة الوداع) بفتح الواو وتكسر وهي سنة عشر من الهجرة (وعن الحسن) أي البصري (أتى رجل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي وأسلم هو وامرأته (فذكر) أي الرجل له (انه طرح بنية) بالتصغير (له في وادي كذا) يعني وانها هلكت على ظنه بها أو تردد في حياتها ومماتها (فانطلق) أي فذهب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم

عليه وسلم له بارك الله فيك واليمامة علم لارض باليمن منقول من اسم طائر وهذا مؤخر في النسخ كما سيأتي (ويعرف) ذلك الحديث (بحديث شاصونة) بشين معجمة وألف وصاد مهملة وواو ساكنة تليها نون وهاء وهو (اسم راويه) أي راوي هذا الحديث وبيانه ما قاله السيوطي في خصائصه الكبرى قال الخطيب أخبرني علي بن أحمد الرزاز قال حدثنا أبو عمر محمد بن عبد الواحد بن أبي هاشم املاء قال حدثنا محمد بن يونس بن موسى الكديمي املاء قال حدثنا شاصونة بن عبيد أبو محمد اليمامي منصرفا من عدن سنة عشر ومائتين بقرية يقال لها الجردة قال حدثنا معرض بن عبد الله اليمامي عن أبيه عن جده حججت حجة الوداع فدخلت مكة فرأيت فيها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ووجهه مثل دارة القمر وسمعت منه عجبا جاءه رجل من أهل اليمامة بغلام يوم ولد وقد لفه في خرقة فقال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يا غلام من أنا فقال أنت رسول الله قال صدقت بارك الله فيك ثم ان الغلام لم يتكلم حتى شب قال أبي فكنا نسميه مبارك اليمامة قال شاصونة فسمعت هذا الحديث منه منذ ثمانون سنة ولم أسمع منه الا هذا الحديث قال الدارقطني كان الكديمي يتهم بوضع الحديث ومما تكلم به فيه حديث شاصونة وقيل انه حدث عمن لم يخلق بعد فلما بلغه ذلك قال عقدت بيني وبينه عقدة لا أحلها الا بين يدي الجبار فانتهى اليه الخبر فكان لا يذكره الا بخير وقال الخطيب ان الكديمي لما أملى هذا الحديث استعظمه الناس وقالوا انه كذاب الا أنه قد وقع الينا من غير طريق الكديمي ثم ساقه بسنده الى آخره قال السيوطي فقد وقع روايته من طرق فهو حديث حسن وسبب انكاره انه من الامور الخارقة للعادة وقد وقع في حجة الوداع مع كثرة الناس فكان حقه ان يشتهر انتهى باختصار فقول بعض الشراح تبعا لابن دحية انه موضوع غير مسلم وتبعه السيوطي هنا من غير تعقب له فبين كلاميه تناف (وفيه) أي في هذا الحديث (فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم له) أي للصبي حين تكلم (صدقت بارك الله فيك ثم ان الغلام لم يتكلم بعد) مبني على الضم أي بعد ذلك الكلام (حتى شب) أي كبر ووصل سن النطق (فكان يسمى مبارك اليمامة) لدعاء النبي صلى الله تعالى عليه وسلم له بالبركة (وكانت هذه القصة بمكة في حجة الوداع) بفتح الواو وكسرها سميت بها لانها آخر حجه صلى الله تعالى عليه وسلم وقد ذكر فيها ما يشعر بقرب أجله وانه يودع فيها أمته (وعن الحسن) البصري وقدمنا ترجمته وهذا الحديث لم يخرجه السيوطي (أتى رجل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فذكر انه طرح بنية له) تصغير بنت (في وادي كذا) لم يعينه راويه أي رماها ثمة فماتت وقيل انه وأدها على عادة الجاهلية (فانطلق) أي مشى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم

(معه الى الوادى) أى المعهود (وناداها) أى البنية أبوها أو النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهو الاظهر (باسمها يا فلانة أجيبى) أى دعوة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (باذن الله تعالى) أى بامره وتيسيره (فخرجت) أى من الوادى وظهرت فيه (وهى تقول لبيك وسعديك فقال لها) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (ان أبويك قد أسلما فان أحببت ان أردك عليهما) أى بالحياة الاصلية أو المجددة رددتك عليهما او الافتركتك على حالك (فقالت) وفى نسخة قالت (لاحاجة لى بهما) وفى نسخة فيهما (وجدت الله خيرا لى منهما) والحديث عن الحسن لم نعلم من رواه كذا ذكره الدلجى ثم سياقه يحتمل ان يكون من كلام الصغار أو فى احياء الموتى لان القضية تحتملهما الا ان المصنف رحمه الله لم يرتب فى هذا المحل اذ كان اللائق به ان يذكر أولا ما يتعلق باحياء الموتى ثم يأتى بكلام الصبيان على طبق العنوان ثم رأيت الحديث فى دلائل البيهقى صريحا فى احيائها حيث ذكر انه صلى الله تعالى عليه وسلم

(معه الى الوادى) الذى ذكره له (وناداها) أى نادى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بنت ذلك الرجل (باسمها يا فلانة أجيبينى باذن الله تعالى) أى بارادة الله تعالى وقدرته والاذن يتجوز به عما ذكر تجوزا مشهورا (فخرجت) حية من قبرها (وهى تقول لبيك وسعديك) أى اجابة لك بعد اجابة واسعادا بعد اسعاد ومعناه سرعة الاجابة والانقياد ولا يستعمل الامثنى والكلام عليه مشهور فى كتب النحو كما تقدم (فقال لها) لما اجابته (ان أبويك قد أسلما فان أحببت ان أردك عليهما) بعد استقرار الحياة فيك رددتك عليهما (قالت لاحاجة لى فيهما) ولا أريد الرجوع اليهما (وجدت الله) وما عنده من الخير (خيرا لى منهما) ومما عندهما وفيه دليل ان صح الحديث على ان اطفال الكفار غير معذبين وهو الاصح وفيه من المعجزات احياء الموتى وكلامهم ونطق الطفل الصغير أيضا وقد نطق فى المهد جماعة منهم من ذكر فى هذه الاحاديث وسيأتى تمامه واعلم ان من تكلم فى المهد من الاطفال كثير عدوا منهم عيسى ابن مريم وصاحب الاخدود وابن ماشطة بنت فرعون وصاحب جريج وشاهد يوسف وشاهد الامة والجبار وما ذكره المصنف رحمه الله وقد نظمهم السيوطى فى قوله

تكلم فى المهد النبى محمد * ويحيى وعيسى والخليل ومريم
ومبرى جريج ثم شاهد يوسف * وطفل لدى الاخدود يرويه مسلم
وطفل عليه مر بالامة التى * يقال لها تزنى ولا تتكلم
وماشطة فى عهد فرعون طفلها * وفى زمن الهادى المبارك يختم

وقد تقدمت الاشارة الى ذلك أيضا (وعن أنس) فى حديث رواه البيهقى وابن عدى مسندا (ان شابا من الانصار توفى وأمه عجوز عمياء) وهذا مما يدل على شدة حزنها لكبر سنها وعجزها المحوج لولدها (فسجيناه) بالسين المهملة والجيم أى غطيناه من قولهم سجا الليل اذا ستر بظلمته الارض أو كفناه (وعزيناها) أى صبرناها وسليناها بذكر ما لها من الاجر ونحوه كما هو معلوم والتعزية تسلية أهل الميت عنه وهى سنة معروفة (فقالت لهم) لما عزوها (مات ابنى) فيه استفهام مقدار أى أمات ابنى وانما قالته امالانها لم تعلم أو لتذكر ما بعده أولذهولها بالمصيبة (قلنا نعم فقالت اللهم ان كنت تعلم انى هاجرت) الهجرة الانتقال من بلد الى آخر وهذا ينافى كونها من الانصار لانها قد تسكن فى مكان بعيد هاجرت منه (اليك والى نبيك) الهجرة الى الله بالهجرة لرسوله صلى الله تعالى عليه وسلم والا فالله معها أينما

دعا رجلا الى الاسلام فقال لا أومن بك حتى تحيى لى ابنتى فقال صلى الله تعالى عليه وسلم أرنى قبرها فاراه اياه فقال صلى الله تعالى عليه وسلم يا فلانة قالت لبيك وسعديك فقال صلى الله تعالى عليه وسلم أتحبين ان ترجعى الى الدنيا فقالت لا والله يا رسول الله انى وجدت الله خيرا لى من أبوى ووجدت الآخرة خيرا من الدنيا فقال حق المصنف ان يقدم هذا الحديث بهذا اللفظ فى صدر الباب ليكون مطابقا للعنوان الكتاب ثم يذكر ما اخرجه أبو نعيم ان جابرا ذبح شاة وطبخها وثرد فى جفنة وأتى بها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاكل القوم وكان عليه الصلاة والسلام يقول لهم كلوا ولا تكسروا عظما ثم انه صلى الله تعالى عليه وسلم جمع العظام ووضع يده عليها ثم تكلم بكلام فاذا الشاة قامت تنفض ذنبها كذا ذكره صاحب المواهب واما ما ذكروا عنه عليه الصلاة والسلام من احياء أبويه وايمانهما به على ما رواه الطبرانى وغيره عن عائشة فاتفق الحفاظ على ضعفه كما صرح به السيوطى وقال ابن دحية هو موضوع مخالف للكتاب والسنة وقد بينته فى رسالة مستقلة لتحقق هذه المسئلة ردا على العلامة السيوطى فى رسائله الثلاث المؤلفة وبيان الدلائل المضعفة (وعن أنس) كما رواه ابن عدى والبيهقى وابن أبى الدنيا وأبو نعيم (ان شابا من الانصار توفى وله أم عجوز) أى مات حال وجودها (عمياء فسجيناه) بتشديد الجيم أى غطيناه (وعزيناها) بتشديد الزاى أى أمرناها بالصبر وحملناها على الشكر لوعد الاجر والحذر من الوزر ودعونا لها بجبر المصيبة ولولدها بالمغفرة (فقالت مات ابنى) أى أمات (قلنا نعم فقالت اللهم ان كنت تعلم) أى من نيتى فى هجرتى (انى هاجرت اليك والى رسولك

رجاء) بالنصب أى من أجل أملى (ان تعيننى على كل شدة) أى واقعة لى (فلا تحملن على) بتشديد الياء (هذه المصيبة) اذ لست أحملها مطيقة هذا ولا يبعد ان يكون ان بمعنى اذ لكن الاولى ما قدمناه من ان الترديد غير راجع الى علمه سبحانه وتعالى بل الى معلومه من حيث عدم جزمها بكون هجرتها خالصة وقد أبعد الدلجى بقوله تجاهلا منها فيه (فما برحنا) بكسر الراء أى ماذهبنا من مكاننا ولا نزلنا فى موضعنا (حتى كشف الثوب) كذا ١٠٠ فى أصل الدلجى أى الى ان كشفه وفى الاصول المعتمدة ان كشف الثوب أى فما زلنا كشفه وما فارقنا وفعه (عن وجهه) بعد دعائها الى احيائه (فطعم وطعمنا) بكسر العين أى فعاش مدة بدعائها وأكل وأكلنا معه وفيه اشارة الى ان الكرامات نوع من المعجزات بل هى أبلغ منها حيث حصل للتابع ما يحصل للمتبوع من خوارق العادات هذا وليس فيه صريح دلالة على احيائه بعد اماته لاحتمال اغمائه مع وجود سكتة لكن زال الغم بدعاء الام (وروى) أى على ما نقله البيهقى (عن عبد الله بن عبيد الله الانصارى كنت فيمن دفن ثابت بن قيس ابن شماس) بتشديد الميم قال الحلبى ثابت هذا انصارى خطيب الانصار وقد شهد له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بالجنة وذلك انه لما نزل قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى الآية احتبس ثابت عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكان فى اذنيه صمم فكان يرفع صوته وقال لقد علمتم انى من أرفعكم صوتا على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فانا من أهل النار فذكر ذلك لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال بل هو من أهل الجنة روى عنه بنوه وأنس (وكان) أى ثابت (قتل باليمامة) وكانت وقعة اليمامة سنة اثنتى عشرة فى خلافة الصديق (فسمعنا حين أدخلناه القبر يقول

كما

كانت (رجاء ان تعيننى) بالفوقية خطاب لله لانه هو المعين (على كل شدة) الشدة بمعنى الصعوبة هنا أى على كل أمر شاق يصعب على ويعسر تحمله لا سيما فقد الولد مع كبر السن وعدم البصر وعلقته بان المشعرة بعدم الجزم باعتبار ان خلوصها فى هجرتها الله ورسوله مما يخفى على غيرها ومن شانه ان يشك فيه لا لانها لا تعلم ذلك لانه ينافى توصيلها به الى الله أو باعتبار القبول أو تجاهلا رجاء للاجابة ورجاء منصوب مفعول له (فلا تحملن) بالحاء المهملة وتشديد الميم ونون التوكيد بمعنى لا تكلفن لان التكليف كالحمل الثقيل فاستعير له كقوله تعالى لا تحملنا ما لا طاقة لنا به (على) بجر ياء المتكلم (هذه المصيبة) يعنى موت ولدها فى هذه الحالة (فما برحنا) أى ماذهبنا من مكاننا الذى كنا فيه (حتى كشف) ولدها (الثوب عن وجهه) بعد ما غطى به (فطعم وطعمنا) أى قدم لنا طعام أكل منه ولدها وأكلنا معه وذكروا انه عاش الى وفاة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل بقى بعده كما ذكره ابن أبى الصيف وفيه معجزة حيث انه أحيى الميت للدعاء باسم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فلا يقال ان هذا كرامة لام الصبى (وروى) الراوى له البيهقى رحمه الله تعالى (عن عبد الله بن عبيد الله الانصارى) بتصغير الثانى (كنت فيمن دفن ثابت بن قيس) أى حضر دفنه وهو ابن مالك بن زهير بن امرئ القيس بن مالك بن ثعلبة بن كعب ابن الخزرج الانصارى المدنى الصحابى وكان خطيب الانصار وشهد له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بالجنة (وكان قتل باليمامة) وروى له البخارى والنسائى وأبو داود وكان جهورى الصوت فلما نزل يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى احتبس عن الحضور عنده لانه كان يرفع صوته اذا تكلم فسئل عن سبب ذلك فقال قد علمتم انى أرفعكم صوتا على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاخشى ان أكون من أهل النار فذكر ذلك لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال بل هو من أهل الجنة وقال التلمسانى انه كان باذنه صمم فلذا كان يرفع صوته وفيه ان الاصم لا يحتاج لرفع صوته وقد قال ابن حجر ان الصحابة لم يكن فيهم اصم وكانت وقعة اليمامة فى ربيع الاول سنة اثنتى عشرة فى خلافة الصديق واليمامة اسم بلدة من جانب اليمن كما مر وهى بلدة مسيلمة الكذاب وهى على ستة عشر مرحلة من المدينة وقد قالوا انه أوصى بعد موته ونفذت وصيته ولم تنفذ وصية أحد بعد موته الا هو وذلك انه لما قتل كان له درعان فسرقت احداهما وجعلت تحت قدر وكانت أنفس درعيه فرأى رجل ثابتا فى منامه فقال أوصيك بوصية فاياك ان تقول انها حلم فتضيعها انى قتلت أمس فمر بى رجل فاخذ درعى ومنزله فى أقصى الناس وعند خبائه فرس يستن فى طوله وقد كفى على الدرع برمة وفوق البرمة رحلا فأت خالدا يعنى أميرهم فمره فليأخذها واذا قدمت المدينة فقل لابى بكر ان على دينا للناس مقداره كذا والدائن فلان وفلان وان رقيقى فلانا حر فاتى الرجل خالدا فاخبره فبعث الى من عنده الدرع فوجدها كما وصف وأخبر أبو بكر بوصيته فاجازها (فسمعناه حين أدخلناه القبر يقول) أى سمعنا كلامه ففيه مضاف مقدر أو الضمير مفعوله الاول وقوله يقول مفعوله الثانى على ماذهب اليه أبو على الفارسى من ان سمع اذا تعدى لغير مسموع نصب مفعولين وغيره يقول انه متعد لواحد مقدر والجملة حالية أو مستأنفة وقد خطأ ابن السيد أبا على فى هذه المسئلة فى كتاب الحلل

محمد رسول الله أبو بكر الصديق عمر الشهيد عثمان) وفي نسخة وعثمان (البر) بفتح الموحدة (الرحيم) أي البار لقومه عامة والرحيم برحمة خاصة (فنظرنا) أي مختبرين حاله من حياة وموت (فاذا هو ميت) فهذا الحديث دليل كلام الموتى لا احيائهم كما لا يخفى (وذكر عن النعمان بن بشير) كما رواه الطبراني وأبو نعيم وابن مندة عنه وابن أبي الدنيا في كتاب من عاش بعد الموت عن أنس (ان زيد بن خارجة) بالخاء المعجمة ثم الجيم (خر ميتا) أي سقط من قيام أو قعود حال كونه ميتا وجوز ان يكون التقدير وقد خر حيا فمات به في عقبه ويؤيده ما في رواية ابن أبي الدنيا على ما نقله عنه القسطلاني فبينما هو يمشي في طريق من طرق المدينة بين الظهر والعصر اذ خر فتوفي (في بعض أزقة المدينة) بكسر الزاي وتشديد القاف جمع زقاق أي بعض طرقها المسلوكة في داخلها (فرفع) أي جسده (وسجي) أي غطي وجهه (اذ سمعوه بين العشائين والنساء يصرخن) بضم الراء أي يبكين بصياحهن (حوله) أي ومعهن رجال من أهله (يقول انصتوا انصتوا) بفتح الهمزة وكسر الصاد فيهما أي اسكتوا واستمعوا والتكرير للتأكيد فنظروا فاذا الصوت من تحت الثياب (فحسر) بصيغة الفاعل أي كشف غطاءه (عن وجهه) وفي نسخة بصيغة المفعول ويؤيده انه في رواية فحسروا عن وجهه (فقال) أي القائل على لسانه كما في رواية (محمد رسول الله) صلى الله تعالى عليه وسلم (النبي الامي وخاتم النبيين) أي آخرهم (كان ذلك) أي كونه رسولا نبيا أميا وخاتما كليا (في الكتاب الاول) أي اللوح المحفوظ أي الذي كل ما فيه لا يبدل (ثم قال) أي زيد (صدق صدق) أي رسول الحق والتكرير للتأكيد أو صدق فيما أخبر به عن الابتداء كما انه صدق فيما انبأ به عن الانتهاء

كما فصلناه في غير هذا المحل واجبنا عنه (محمد رسول الله أبو بكر الصديق) مبتدأ أو خبر أي الكامل في التصديق والصدق لانه لم يرتب في تصديقه صلى الله تعالى عليه وسلم وقد سبق الناس في ذلك فلذا خص بالصديقية وسيأتي تحقيقها (عمر الشهيد) أي المخصوص بالشهادة الكاملة من بين الخلفاء لان قاتله كافر مجوسي وهو أبو لؤلؤة غلام المغيرة بخلاف قاتل عثمان فانه من رعاع الناس وهو شهيد أيضا (عثمان) بن عفان (البر الرحيم) ذو البر والاحسان لشهرته بالكرم وهو رحيم أيضا أي ذو رحمة ورأفة بالمسلمين لحسن اخلاقه وشفقته (فنظرنا اليه) لما تكلم بعد موته لتوهمنا انه عادت اليه حياته (فاذا هو ميت) أي فاجأنا بغتة معرفة كونه ميتا على حاله وانما انطقه الله الذي انطق كل شيء لتحقق حياة الشهداء قيل وقوله هذا كان عند سؤال الملكين اما ان قلنا ان الشهداء يسئلون وفيه نظر (وذكر) بالبناء للمجهول وهذا مما رواه الطبراني وأبو نعيم وابن منده ورواه ابن أبي الدنيا عن أنس أيضا (عن النعمان ابن بشير) الصحابي الانصاري الخزرجي البدري وهو أول من بايع أبا بكر واستشهد مع خالد بن الوليد بعين النهر بعد انصرافه من اليمامة والنعمان أول مولود بعد الهجرة ولد بعد أربعة أشهر منها ومات بقرية من قرى حمص في ذي الحجة سنة أربع وستين وولاه معاوية حمصا والكوفة (ان زيد بن خارجة) هذا أصح مما وقع في بعض النسخ ابن حارثة وان كان من بني الحارث بن الخزرج لانه زيد بن خارجة بن زيد بن أبي زهير بن مالك من بني الحارث ابن الخزرج قال في الاستيعاب ولم يختلفوا في انه هو الذي تكلم بعد الموت وقال ابن سيد الناس قال أبو نعيم الاصبهاني خارجة بن زيد هو الذي تكلم بعد الموت على اختلاف فيه والصحيح انه زيد بن خارجة كما قاله ابن عبد البر وابن الاثير في أسد الغابة وكذا قال الذهبي وقيل المتكلم أبوه وهو وهم لانه قتل باحد وجزم به ابن الجوزي ولم يحك فيه خلافا ولابن أبي الدنيا جزء وأفرده لمن تكلم بعد الموت ولم نقف عليه (خر ميتا) أي سقط من قيام في حال كونه ميتا وأصل معنى خر سقط سقوطا يسمع معه خرير وتقدم ان الخرير صوت الماء والريح ونحوه مما سقط من علو قال تعالى وخروا له سجدا (في بعض أزقة المدينة) جمع زقاق كغراب وهو الطريق (فرفع) بالبناء للمجهول أي أخذ من مكانه الذي سقط فيه (وسجي) بالبناء للمجهول أي غطي (اذ سمعوه بين العشائين) اذ هنا فجائية والتقدير فبينما هو كذلك اذ سمعوه الخ والعشائين يعني المغرب والعشاء على التغليب (والنساء يصرخن) بالصاد المهملة والخاء المعجمة ونون النسوة (حوله يقول) مفعول ثان لقوله سمعوه أو حال أو هو جملة مستأنفة كما مر ومقول القول (انصتوا انصتوا) أي استمعوا وكرره للتأكيد (فحسر عن وجهه) بضم الحاء وكسر السين والراء المهملات أي كشف عنه بعد ما كان عليه غطاء (فقال) لما كشف عن وجهه (محمد رسول الله النبي الامي وخاتم النبيين) أي آخرهم بعثا كما مر (كان ذلك) المذكور من كونه رسولا ونبيا أميا خاتما للرسل (في الكتاب الاول) أي في جنسه من الكتب المتقدمة أو اللوح المحفوظ المكتوب فيه كل ما قدره الله تعالى (ثم قال) زيد بن خارجة مخاطبا لمن كان عنده أو لمن يصح ان يتوجه الخطاب اليه أو مجردا من نفسه مخاطبا مأمورا ان كان قوله (صدق صدق) أمرا كما ذهب اليه بعض الشراح فان كان ماضيا كما رأيناه بضبط القلم واعتمد عليه في الشرح الجديد وقال فاعله ضمير

(وذكر أبا بكر وعمر وعثمان) أى بخير او بانهم صدقوا فيما عاهدوا الله عليه أو بانهم ممن قال تعالى فيهم والذى جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون لهم ما يشاؤن عند ربهم ذلك جزاء المحسنين وذلك لما كشف له من أحوال الآخرة هذا وقد تصحف على الدلجى حيث قال صدق صدق أم مخاطب (ثم قال) أى زيد (السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته) وهو سلام وداع اما غيبة واما مشاهدة ويؤيده انه فى رواية قال هذا رسول الله الخ قال التلمسانى روى تركناه أقول الظاهر انه تصحيف (ثم عاد ميتا كما كان) أى عود البدء واعلم ان صاحب الاستيعاب ذكر فى زيد ابن خارجة بن زيد انه هو الذى تكلم بعد الموت لا يختلفون فى ذلك قال الذهبى وهو الصحيح وقيل هو أبوه وذلك وهم لانه قتل يوم أحد قال ابن عبد البر توفى فى زمن عثمان فسجى بثوب ثم انهم سمعوا جلجلة فى صدره ثم تكلم فقال أحمد أحمد فى الكتاب الاول صدق صدق أبو بكر الصديق الضعيف فى نفسه القوى فى أمر الله فى الكتاب الاول صدق صدق عمر بن الخطاب القوى الامين فى الكتاب الاول صدق صدق عثمان بن عفان على منهاجه مضت أربع وبقى سنتان أتت الفتن وأكل الشديد الضعيف وقامت الساعة وسيأتيكم خبر بئر أريس وما بئر اريس هذا وعن سعيد ابن المسيب ان رجلا من الانصار توفى فلما (عن
كفن وأتاه القوم يحملونه تكلم فقال محمد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أخرجه أبو بكر بن الضحاك والله سبحانه وتعالى أعلم

(فصل) (فى ابراء المرضى وذوى العاهات) أى الآفات (قال) أى المصنف (أخبرنا أبو الحسن على بن مشرف) بضم الميم وفتح الشين المعجمة وتشديد الراء المفتوحة (فيما أجازنيه وقرأته على غيره قال) أى أبو الحسن أو كل منه ومن غيره (ثنا أبو اسحق الحبال) بتشديد الموحدة (ثنا أبو محمد بن النحاس) بتشديد الحاء المهملة (ثنا ابن الورد) وهو راوى سيرة ابن هشام

مستتر عائد للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم فالامر ظاهر أى صدق محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فيما بلغ عن الله (وذكر) بعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (أبا بكر وعمر وعثمان) وكانه لم يذكر عليا رضى الله تعالى عنه لعدم ادراكه خلافته لانه توفى فى زمن عثمان كما ذكروه ومراده الثناء عليهم رضى الله تعالى عنهم بما فعلوه وأيدوا به الدين الذى بلغه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن ربه (ثم قال السلام عليك يا رسول الله) دعاء له صلى الله تعالى عليه وسلم وأصله سلمت سلاما فاقيم المصدر مقام فعله ثم عدل الى الرفع وجعل مبتدأ للدلالة على الثبوت ثم عرف ليدل على استغراق أنواع السلام الذى يوجه للانبياء وزيادة ومعناه السلامة من النقائص والتكريم والتشريف اياه بما يليق بجنابه كما بينوه وخص وصف الرسالة بالذكر لانتفاع الامة بها الذى هو من جملتهم (ورحمة الله وبركاته) والرحمة بمعنى الانعام والاحسان أو ارادة ذلك وفيه دليل على جواز الدعاء بالرحمة للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم خلافا لمن أباه لورودها فى حديث التشهد كما مر ويأتى بيانه أيضا والبركات جمع بركة وهى الخير الالهى وكثرته قال الراغب أصل البركة صدر البعير وغيره وبرك البعير التى بركه واعتبر فيه معنى اللزوم فقيل ابتركوا فى الحرب وبركات القتال مكان يلزمه الابطال وسمى محبس الماء بركة والبركة ثبوت الخير الالهى فى الشئ قال الله تعالى لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض ولما كان الخير الالهى يصدر من حيث لا يحس على وجه لا يحصى ولا يحصر قيل لكل من يشاهد منه زيادة غير محسوسة مبارك وفيه بركة (ثم عاد ميتا كما كان) قبل تكلمه حين سجى وكفن * فان قلت المقام والفصل معقود لذكر معجزاته صلى الله عليه وسلم باحياء الموتى وانطاق من ليس من أهل النطق له وما فى هذا الحديث ليس كذلك * قلت هو من امته صلى الله تعالى عليه وسلم وصحابته وكلامه بعد موته كرامة له وكرامات الامة من جملة كراماته وقد يقال انه دليل على ما قبله ومؤكد له لانه اذا كان فى أمته من يصدر عنه مثله فكيف لا يصدر عنه صلى الله تعالى عليه وسلم

(فصل) من معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم (فى ابراء المرضى) جمع مريض كقتلى وقتيل وابراؤهم زوال مرضهم وحصول شفائهم وأصل البرء والبراءة والتبرى التفصى مما يكره ولذلك قيل برئت من المرض اذا خلصت منه (وذوى العاهات) جمع عاهة وهى الآفة ويقال عاه الزرع اذا أصابته العاهة والعاهة قد تخص بالامراض المزمنة وقد لا تخص بها فتكون الامراض ما يعرض مما لم يزمن كالحميات ونحوها فتكون أتم فائدة وهو المراد هنا فليس من عطف المترادفين وتطلق العاهة على بعض الاعضاء كالشلل والعرج والعمى وقد يكون بعضها خلقيا أيضا وهذا هو المعروف (أخبرنا أبو الحسن على بن مشرف فيما أجازنيه وقرأته على غيره) تقدم الكلام على هذا وعلى معنى الاجازة قال (حدثنا أبو اسحق الحبال) بحاء مهملة وموحدة مشددة كما تقدم فى ترجمته قال (حدثنا أبو محمد بن النحاس) بحاء مهملة أيضا كما تقدم قال (حدثنا ابن الورد) عبد الله بن جعفر بن محمد بن الورد بن زنجويه راوى سيرة ابن هشام

(عن البرقى) هوأبوسعيدعبدالرحيم بن عبدالله بن عبدالرحيم بن أبى ذرعة البغدادى الزهرى مولاهم المعروف بابن البرقى نسبة لبرقة اسم مكان (عن ابن هشام) أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الامام الاديب النحوى صاحب السير وهو حميرى معافرى بصرى وسكن مصر وتوفى بها سنة ثلاث عشرة ومائتين وله تآليف نفيسة ككتاب الانساب وغريب أشعار السير وغيره كما فصله ابن خلكان وفى تاريخ وفاته اختلاف (عن زياد البكائى) بفتح الموحدة وتشديد الكاف والمد وهو ربيعة بن عامر بن صعصعة سمى البكائى لانه دخل على أمه فرآها تحت أبيه وهو صغير فخرج يصيح ويقول ان أبى قتل أمى توفى سنة ثلاث وثمانين ومائة وروى له أصحاب السنن وترجمته فى الميزان مفصلة (عن محمد بن اسحق) الامام صاحب المغازى والسير كما تقدم قال (حدثنا ابن شهاب) محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب الزهرى شيخ ابن اسحق الامام المشهور كما تقدم ووقع فى بعض النسخ هنا ابن هشام وهو غلط من الناسخ كما فى المقتفى (وعاصم بن عمر بن قتادة) بن النعمان الظفرى الثقة امام رواة المغازى توفى سنة تسع أو سبع وعشرين أو عشرين فقط ومائة أخرج له الستة وترجمته فى الميزان (وجماعة ذكرهم) فاعل ذكرهم لابن شهاب الزهرى (بقضية أحد بطولها) متعلق بذكرهم والباء بمعنى فى وقضية أحد غزاتها وما وقع فيها (قال وقالوا) أى الجماعة المذكورون الذين رووا هذا الحديث من طريق ابن اسحق التى أسندها المصنف رحمه الله عنهم ورواه البيهقى أيضا (قال سعد بن أبى وقاص) الصحابى المشهور رضى الله تعالى عنه فى قصة أحد التى رواها بطولها (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليناولنى) أى يعطينى بيده وهو معنى المناولة ومنه النوال بمعنى العطية (السهم الذى لا نصل به) بفتح النون وسكون الصاد المهملة قبل لام وهو حديدة فى طرف السهم والرمح وفى بعض النسخ نضل بضاد معجمة بدل الصاد قال البرهان والصحيح الاوّل والثانى لا يتضح معناه ولا يستعمل قلت هو بعيد هنا رواية ودراية وكأنه من تحريف النساخ الا ان معناه صحيح أيضا لان النضل رمى السهام فالمعنى انه ليس مما يرمى به لانه لا نصل له فيؤول الى الرواية الاخرى وان كان لا وجه له هنا (فيقول) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لسعد بعد مناولته السهم له (ارم به) بكسر الهمزة والميم أمر من الرمى والضمير للسهم وفى الكلام مقدر أى فيرمى به ويقتل من أصابه سهمه مع انه لا نصل له ومثله لا يقتل عادة وهذه معجزة له صلى الله تعالى عليه وسلم ولذا ذكره المصنف رحمه الله تعالى وان لم يكن محل الشاهد (وقد رمى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يومئذ) أى يوم أحد (عن قوسه) يقال رمى عن قوسه وبقوسه لا قوسه (حتى اندقت) أى انكسرت والقوس مؤنثة سماعية وأصل معنى الدق الرض بجرم صلب (وأصيبت يومئذ عين قتادة بن النعمان) أصيبت مبنى للمجهول أى أصابها سهم فأخرجها وأذهبها وروى أصيب بدون

(عن البرقى) بفتح الموحدة وسكون الراء وهو سعيد عبد الرحيم بن عبد الله بن عبد الرحيم ابن أبى زرعة البغدادى الزهرى مولاهم (عن ابن هشام) هو الامام الاديب العلامة أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب صاحب السيرة قال السهيلى مشهور بكمال العلم متقدم فى علم النسب والنحو والادب وأصله من البصرة قدم مصر وحدث بالمغازى وتوفى بمصر سنة ثلاث عشرة ومائتين (عن زياد البكائى) بفتح الموحدة وتشديد الكاف نسبة الى جد له اشتهر بالبكاء وقيل سمى به لانه دخل على أمه وهى تحت أبيه فبكى وصاح وقال انه يقتل أمى روى عنه أحمد وقال ابن معين لا بأس به فى المغازى خاصة (عن محمد بن اسحق) وهو الامام فى المغازى (ثنا ابن شهاب) وفى نسخة ابن هشام والاول هو الصواب والمراد به الزهرى وهو أحد مشايخ ابن اسحق المذكور (وعاصم بن عمر ابن قتادة) أى ابن النعمان الظفرى يروى عن أبيه وجابر وعنه جماعة صدوق وكان علامة فى المغازى مات سنة عشرين ومائة أخرج له أصحاب الكتب الستة (وجماعة) أى آخرون (ذكرهم) أى ابن اسحق (بقضية أحد) أى فى غزوته (بطولها) أى بجميع ما يتعلق بها ومنها هذه القصة بخصوصها وقد رواها البيهقى أيضا (قال) أى ابن اسحق (وقالوا) أى مشايخنا المذكورون (قال سعد ابن أبى وقاص) أى فى غزوة أحد وهو أحد العشرة المبشرة (أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ليناولنى السهم لا نصل به) بالصاد المهملة حديدة السهم والرمح وفى نسخة بالضاد المعجمة وهو تصحيف وتحريف (فيقول ارم به) أى فارمى به فيقتل من أصابه وهذا من خرق العادة ولعل هذا كان بعد فراغ السهام التى لها نصل (وقد رمى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أى على ما رواه ابن اسحق والبيهقى عن عاصم بن عمر بن قتادة مرسلا (يومئذ) أى يوم أحد (عن قوسه) وهى المسماة بالكتوم لانخفاض صوتها اذا رمى عنها (حتى اندقت) بتشديد القاف أى انكسرت وفى نسخة حتى اندقت سيتها كذا فى السير (وأصيب) وروى وأصيبت (يومئذ عين قتادة يعنى ابن النعمان) بضم النون هو تفسير من الراوى

(حتى وقعت على وجنته) بتثليث الواو والفتح أفصح أي سالت على أعلى خده فأتى به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال يارسول الله ان لى امرأة أحبها وأخشى ان رأتني تقذرني فأخذها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بيده وردها الى موضعها وقال اللهم أكسه جمالا وفي رواية انه أتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال له ماهذا يا قتادة فقال هذا ما ترى يارسول الله فقال ان شئت صبرت ولك الجنة وان شئت رددتها ودعوت الله لك فلم تفقد منها شيأ فقال يارسول الله ان الجنة أجر جزيل وعطاء جليل جميل ولكني أكره ان أعير بالعور فردها الى واسأل الله لى الجنة فقال افعل فأعادها الى موضعها ودعا لى بالجنة وهذا معنى قوله (فردها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) كما رواه ابن اسحق عن عاصم بن عمرو بن قتادة مرسلا ووصله ابن عدى والبيهقى عن عاصم عن جده قتادة ورواه البيهقى من وجه آخر عن أبي سعيد الخدرى عن قتادة (فكانت) أى عينه المردودة (أحسن عينيه) لانها المقبولة وكانت أيضا أحدهما نظرا ولا ترمد اذا رمدت الاخرى ولذا ظهر ضعف قول التلمساني يجوز أن يكون اكتفى بذكر احدى العينين عن الاخرى اذ روى انهما أصيبتا معا فردهما النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فبرئتا ويمكن الجمع بتفرق القضيتين هذا وقد

تأنيث للتأويل بالعضو أو للفاصل بينهما (حتى وقعت) عينه (على وجنته) الوجنة أعلى الخد وما يلى العين من الوجه ويطلق على الخد كله (فردها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بيده) أى أعاد حدقة عينه التى سالت لمكانها (فكانت) العين المردودة بيده صلى الله تعالى عليه وسلم (أحسن عينيه) أى أجملهما وأقواهما حسنا أى أحسن من عينيه اللتين كانتا له قبل ما أصيب وردت عينه فلا يرد عليه ان الشئ لا يكون أحسن من نفسه وقوله أصيبت عينه ظاهره انما أصيبت عين واحدة وهو كذلك عند الاكثر وروى ان عينيه أصيبتا فيكون من التعبير عن العضوين المتفقين ذاتا وصفة واسما بأحدهما وهو فصيح مشهور كما قال نظر بعينه ومشى بقدمه كما قرره النحاة وقالوا انه حقيقة مشهورة وروى ان عاصم بن عمر بن قتادة وفد على عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه فقال له من أنت فقال بديهة

أنا ابن الذى سالت على الخد عينه * فردت بكف المصطفى ايما رد

فعادت كما كانت لاول أمرها * فياحسن ما عين وياحسن مارد

فقال عمر

تلك المكارم لا قعبان من لبن * شيبا بماء فعادا بعد أبوالا

وروى أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال له ان شئت رددتها لك وان شئت فاصبر ولك الجنة فقال يارسول الله ان الجنة لعطاء جزيل جميل ولكني أكره العور فردها واسأل الله تعالى لى الجنة فردها ودعا له وكان لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قسى اختلف أهل السير فى عددها فقيل سبع وقيل ست وهى الروحاء والصفراء من بتع والبيضاء من شوحط والزوراء والكتوم سميت به لعدم صوت لها والسداد ورند الرنان لصوتها والتى انكسرت بأحد هى الكتوم كما فى الهدى النبوى والكلام على قسيه صلى الله تعالى عليه وسلم ومن أين صارت وتوجيه تسميتها مذكور فى السير وشروحها (وروى قصة قتادة) المذكور فيها رد عينه وهى قصة فيها طول اقتصر المصنف منها على محل الشاهد وذكر أولها لما فيه من المعجزة أيضا (عاصم بن عمر بن قتادة) صاحب القصة (ويزيد بن عمر بن قتادة) كذا فى النسخ كما قاله

وفد على عمر بن عبد العزيز رجل من ذريته فسأله عمر من أنت فقال

أنا ابن الذى سالت على الخد عينه

فردت بكف المصطفى ايما رد

فعادت كما كانت لاول أمرها

فياحسن ما عين وياحسن ماخد

فوصله عمر وأحسن جائزته وقال

تلك المكارم لا قعبان من لبن

شيبا بماء فعادا بعد أبوالا

وأخرج الطبرانى وأبو نعيم عن قتادة قال كنت يوم أحد أتقى السهام بوجهى دون وجه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فكان آخرها سهما ندرت منه حدقتى فأخذتها بيدى وسعيت الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلما رآها فى كفى دمعت عيناه فقال اللهم ق قتادة كما وقى وجه نبيك بوجهه واجعلها أحسن عينيه وأحدهما نظرا

(وروى قصة قتادة عاصم بن عمر بن قتادة) أى كما تقدم قيل وهو الذى قدم على عمر بن عبد العزيز كما سبق (ويزيد بن عياض بن عمر بن قتادة) كذا فى النسخ ولم يعرف فى رواة الحديث بل ولا فى حملة العلم أحد يقال له يزيد بن عياض ابن عمر بن قتادة وقال الحلبي الصواب يزيد بن عياض عن ابن عمر بن قتادة فيكون سقط عن ذلك لان عاصم بن عمر شيخ يزيد هذا ويزيد بن عياض ليثى حجازى حدث عن نافع وابن شهاب والمقبرى وعاصم بن عمر بن قتادة وجماعة وعنه على بن الجعد وشيبان وعدة قال البخارى وغيره منكر الحديث وقد رماه مالك بالكذب وقد أخرج له الترمذى وابن ماجه ولا يحتمل أن يكون يزيد بن عياض يروى عن عمر بن قتادة لان عمر بن قتادة لم يرو عنه الا ولده عاصم ولا يعرف الا برواية عنه وجده ذكره ابن حبان فى الثقات

البرهان

(ورواها) أى قصة قتادة (أبو سعيد الخدرى عن قتادة) فهى رواية الاكابر عن الاصاغر (و بصق) أى برق (على أثر سهم فى وجه أبى قتادة) كما رواه البيهقى من حديث أبى قتادة وهو الحارث بن ربعى وقيل غير ذلك (فى يوم ذى قرد) بفتح القاف والراء فدال مهملة وحكى السهيلى عن أبى على الضم فيهما وهو منصرف ماء على ليلتين وقيل ليلة من المدينة بينها و بين خيبر و يقال لها غزوة الغابة كان يومه قبل خيبر بثلاثة أيام ذكره الحجازى قال ابن سعد كانت فى الربيع الاول سنة ست وفى البخارى بعد حنين بثلاثة أيام وقبل الحديبية وفى مسلم نحوه وقال ابن القيم فى الهدى وهذه الغزوة كانت بعد الحديبية وقدوهم فيها جماعة من أهل المغازى والسير فذكروا انها قبل الحديبية ثم استدل على صحة ما قاله بما أورده فيه (قال) أى أبو قتادة (فما ضرب على) أى ضربا (ولا قاح) من القيح وهى المدة لا يخالطها دم يقال منه قاح الجرح يقيح اذا حصل فيه مادة بيضاء (وروى النسائى) بالقصر ويمد باسناده فى سننه وهو الذى تأخر بعد الثلاثمائة من أصحاب الكتب الستة سمع قتيبة وطبقته وأصحاب مالك انتهى اليه علم الحديث وروى عنه الكتانى وابن السنى (عن عثمان بن حنيف) بضم مهملة وفتح نون وعثمان هذا هو أخو عبادة وسهل وله صحبة ورواية شهد أحدا وما بعدها وهو أحد من تولى مسح سواد العراق لعمر وولى البصرة لعلى

البرهان الحلبى والصواب يزيد بن عياض عن ابن عمر بن قتادة ففيه سقط لان عاصما شيخ يزيد أو سقط عن عاصم ويزيد بن عياض الليثى الحجازى حدث عن نافع الى آخره وكذا وقع فى نسخة على الصواب (ورواها أبو سعيد الخدرى عن قتادة) رضى الله تعالى عنه وأبو سعيد هو أخو قتادة لامه وقتادة بن النعمان أنصارى أوسى وشهد مع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بدرا وأحدا وغيرهما من المشاهد وكانت واقعته يوم أحد وقيل يوم بدر وقيل يوم الخندق والصحيح الاول كما قاله ابن عبد البر وقد اختلف كما هل قلعت عينه أو عيناه والمشهور الاول ووقع الثانى مصرحا به فى بعض الروايات أيضا كما رواه أبو نعيم الاصبهانى ونقله السهيلى وقال الدارقطنى انه غريب تفرد به عمار بن نصر عن مالك وهو ثقة قال ابن حجر فى شرح الهمزية وهى زيادة ثقة فتقبل وترجح به رواية الثنتين وهو رد على من قال ان هذه الرواية غلط وفيه نظر وقد اختلف أيضا هل انفصلت أولا فقيل انها بقيت معلقة وقيل سقطت فاتى بها أو بهما فى كفه فقال له رسول الله ان شئت فاصبر ولك الجنة وان شئت رددتها فقال يا رسول الله انى محب للنساء وعندى امرأة أحبها فاخشى ان تعذرنى فردها وادع الله لى بالجنة ففعل فكانت أقوى عينيه وأحسنهما وتوفى وهو ابن خمس وستين سنة ثلاث وعشرين وصلى عليه عمر رضى الله تعالى عنهما (و) روى البيهقى انه صلى الله تعالى عليه وسلم (بصق على أثر سهم) أى جعل ريقه وما فيه على جراحة (فى وجه أبى قتادة) الحارث ربعى الانصارى السلمى الصحابى توفى بالمدينة وهو ابن أربع وخمسين وقيل ابن سبعين وفى وجه ظرف لغو متعلق بقوله بصق أو مستقر حال أو صفة لسهم (فى يوم ذى قرد) بقاف وراء مفتوحتين ودال مهملتين وروى بضمتين كحبك وهو اسم ما بينه وبين المدينة مسافة يوم وليلتين من جهة خيبر والقرد الوبر والصوف الردى المتجعد فسمى به لانه معاطن فيها ذلك أو لكثرة طحلبه الشبيه به واليوم هنا بمعنى الغزو كما يقال أيام العرب وقد تقدم ويقال ذو القرد معرفا وهى غزوة تسمى أيضا غزوة الغابة وكانت قبل الحديبية وقيل بعدها أورده فى الهدى النبوى والقرطبى فى شرح مسلم وسببها انه كان لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لقاح ترعى بالغابة فيها ابن أبى ذر وامرأة من غفار فاغار عليها عيينة بن حصن الفزارى فى أربعين فارسا فاستاقوها وقتلوا ابن أبى ذر وسبوا المرأة فركبت المرأة ناقة لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على غفلة منهم ونذرت ان نجت لتنحرنها فنجت فاخبرت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك فقال لا نذر فى معصية الله ولا لاحد فيما لا يملك وركب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ونودى يا خيل الله اركبى وكان أول ما نودى به فادركهم فى خمسمائة وقيل سبعمائة فاستنقذ منهم عشرا وفروا بباقيها كما فصل فى السير (قال) أبو قتادة (فما ضرب) الجرح وأثر السهم (على) أى ما آلمنى ولا أوجعنى ضربانه ولا سلط على ضربانه من الضرب بان يقال ضرب الدهر بمعنى ألم (ولا قاح) أى سال منه قيح ومدة يقال قاح يقيح وقيح وتقيح والقيح صديد وهو شئ كالماء أصفر يخالطه قليل دم وهذا حديث حسن صحيح رواه الترمذى والبيهقى (وروى النسائى) والترمذى والحاكم والبيهقى وصححوه والنسائى بالهمزة نسبة لنساء بلدة ويقال نسوى بالواو أيضا وأبو عبد الرحمن ابن أحمد بن شعيب بن على بن سنان الامام المشهور صاحب السنن توفى سنة ثلاث وثلاثمائة على الاصح وله ثمان وثمانون ولم يتأخر عن الثلاثمائة من أصحاب السنن غيره (عن عثمان بن حنيف) بضم الحاء المهملة ونون وفاء مصغر وهو أخو عباد وسهل ابناوهب وله صحبة ورواية وروى عنه أحمد وأصحاب

ان أعمى قال يارسول الله أدع الله ان يكشف لى عن بصرى أى يزيل عنه ماحجبه (قال انطلق) وفى نسخة صحيحة فانطلق أى اذهب (فتوضأ ثم صل ركعتين ثم قل اللهم انى أسألك وأتوجه اليك) أى ملتجئا ومتوسلا (بنبى) وفى رواية بنبيك (محمد نبى الرحمة يامحمد) فيه التفات (انى أتوجه بك

الى ربك ان يكشف لى عن بصرى اللهم) التفات آخر (شفعه فى) بتشديد الفاء والياء أى اقبل شفاعته فى حقى (قال) أى عثمان الراوى (فرجع) أى الاعمى (وقد كشف الله عن بصره) والظاهر ان قوله يامحمد من جملة الدعاء المأمور به فلا يكون التصريح باسمه من باب سوء الادب فى ندائه فلا يحتاج الى تكلف الدلجى بقوله ولعله كان قبل علمه بتحريمه أو قبل تحريمه بقوله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا هذا وقد رواه الترمذى أيضا وقال حسن صحيح غريب والنسائى فى اليوم والليلة وابن ماجه فى الصلاة والحاكم والبيهقى وصححاه (وروى) كما رواه أبو نعيم والواقدى عن عروة (ان ابن ملاعب الاسنة) بضم الميم وكسر العين والاسنة بتشديد النون جمع سنان وهو الرمح ويقال له ملاعب الرماح أيضا وتعبيره بالملاعب أبلغ من اللاعب سمى به لتقدمه وشجاعته فكانه يلاعبها قال الحلبى لا أعرف ابنه وأماهو فعامر بن مالك عم عامر بن الطفيل وقد ذكره بعضهم فى الصحابة لكن قال الذهبى فى تجريده والصحيح انه لم يسلم وقد قدم المدينة فعرض عليه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الاسلام فلم يسلم ولم يبعد من الاسلام فى قصة بئر معونة (أصابه استسقاء) أى المرض المعروف بكثرة شرب الماء وسببه اجتماع ماء أصفر فى البطن معناه

السنن وهو من الاشراف ولى سواد العراق والبصرة وعاش الى زمن معاوية وسنقرر هذا الحديث قريبا الا ان البرهان قال كان ينبغى للقاضى ان يذكر سنده ليعلم انه صحابى لئلا يتوهم ان النسائى سمع منه ومثله سهل (ان أعمى) لم يذكروا اسمه (قال يارسول الله أدع الله لى ان يكشف عن بصرى) المعنى ان يدعو له بان يصح بصره ويزيل الله عنه العمى فعبر عنه بالكشف وهو ازالة الغطاء فاما ان يكون على بصره غشاوة وجلدة رقيقة طلب ازالتها أو شبه عدم الرؤية بحجاب حائل بينه وبين المبصرات والرؤية بازالته ففيه استعارة (فقال) له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أمراله (انطلق) أى قم من مجلسك هذا (فتوضأ) أمر بالوضوء (ثم صل ركعتين) نافلة وتسمى صلاة الحاجة ومنه أخذ ان كل من أهمه أمر ينبغى له ويستحب ان يصلى قبل الدعاء تقربا الى الله (ثم قل اللهم) أى يا الله والكلام عليه مشهور ذكرناه فى غير هذا المحل (انى أسالك) وأطلب منك حاجتى هذه (وأتوجه اليك) أصل معنى التوجه المقابلة بالوجه فاريد الاخلاص فى القصة للدعاء والتوسل (بنبيك) وفى بعض النسخ بنبيى بالاضافة الى ياء المتكلم (محمد نبى الرحمة) بدل من نبيك أو عطف بيان وقد تقدم معناه ثم التفت من خطابه لله تعالى الى خطاب نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم لانه واسطة فى كل ما يصل من الاحسان والفيض الالهى (يامحمد انى أتوجه بك الى ربك) أى أتوسل بك فيما طلبته من الله وهو (ان يكشف عن بصرى) حجابه المانع له عن الرؤية وفيه مقدر أى فدعا فابصر ونداؤه صلى الله تعالى عليه وسلم باسمه انما يحرم اذا كان بحضرته واذا لم يكن فى الدعاء مأثورا به كما هنا لقوله تعالى قل اللهم الى آخره فان امتثال الامر هو عين الادب كما ذكره ابن حجر فما قيل ان نداءه صلى الله عليه وسلم باسمه لعله كان قبل علمه تحريمه أو قبل تحريمه بقوله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا ليس بظاهر وعدل صلى الله تعالى عليه وسلم عن دعائه له بامره ان يدعو لنفسه تعليما وارشادا الامته وتواضعا وتأدبا مع الله تعالى وهذا الحديث مسند صحيح أخرجه الترمذى والحاكم وغيرهما وكان ابن حنيف وبنوه يعلمونه الناس وقد حكى فيه حكايات فيها اجابة دعاء من دعا به من غير تأخر وقد أخرجه البرهان الحلبى من طرق متعددة فلم يبق فيه شبهة فاحفظه (اللهم شفعه) أى أقبل شفاعته (فى) وهو يحتمل ان يريد شفاعته صلى الله تعالى عليه وسلم فيه فى الدنيا برد بصره أو شفاعته له فى الآخرة أو ما يشملهما وهذا أولى ومنه علم استحباب الدعاء عقب الصلاة (وروى) بالبناء للمجهول والراوى له الواقدى وأبو نعيم عن عروة (ان ابن ملاعب الاسنة) قال البرهان الحلبى ان ابن ملاعب الاسنة لا يعرف اسمه ولا ترجمته وأما ملاعب الاسنة فهو عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة سمى ملاعب الاسنة جمع سنان وهو حديد فى طرف الرمح يعد للطعن ويقال له ملاعب الرماح سمى بذلك لانه فى يوم سوبان بزنة طوفان وهو يوم كان فيه بين قيس وتميم وقعة وكان أخوه طفيل بن مالك فارس قرزل وهو اسم فرس له فر فى ذلك اليوم فقال فيه الشاعر

فررت وأسلمت ابن مالك عامرا * يلاعب أطراف الوشيج المزعزع

فسمى بذلك ملاعب الرماح وملاعب الاسنة وهو عم لبيد وهو أبو براء عامر وذكره بعضهم فى الصحابة وقال الذهبى الاصح انه لم يسلم لانه قدم المدينة وعرض عليه النبى صلى الله عليه وسلم الاسلام فلم يسلم وهو عم لبيد بن ربيعة المسمى بربيعة المعترس (أصابه استسقاء) أصل

(فبعث الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي واحدا يستشفيه (فاخذ) أي النبي عليه الصلاة والسلام (بيده حثوة من الارض) بفتح الحاء المهملة وسكون المثلثة لغة في حثية بالياء من حثا التراب عليه يحثوه ويحثيه والمعنى أخذ قبضة منها (فتفل عليها) أي بصق قال أبو عبيد النفث بالفم شبيه بالنفخ واما التفل فلا يكون الا ومعه شئ من الريق (فاعطاها رسوله) أي الذي جاء من عنده (فاخذها متعجبا يرى) بضم الياء أو فتحها أي يظن أو يعتقد (ان قد هزئ به) بضم هاء وفتح وكسر زاي فهمز وان مخففة من المثقلة اكتفاء بمرفوعها واسمها ضمير الشان وضميره به راجع الى ابن الملاعب وذلك لما شاع في هذا الباب ان ذلك تراب (فاتاه بها) أي بالحثوة (وهو على شفا) بفتح الشين المعجمة مقصورا منونا وهو حرف كل شئ ومنه قوله تعالى وكنتم على شفا حفرة من النار أي حرفها وطرفها ويقال أشفى المريض على الموت وما بقي الا شفا أي قليل وأشفى عليه أشرف أي والحال انه مشرف على الموت (فشربها) أي بانضمامها الى ما عنده من الماء فكانه عرف بالايماء اليه انه نافع للاستسقاء (فشفاه الله تعالى) أي عافاه مما ابتلاه (وذكر العقيلي) بضم المهملة وفتح القاف صاحب كتاب الضعفاء قال ابن القطان أبو صفر العقيلي مكي ثقة جليل القدر عالم بالحديث مقدم في الحفظ توفي سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة (عن حبيب بن فديك) مصغر فدك بالدال المهملة (ويقال فريك) أي بالراء وبالاول رواه البيهقي والطبراني ورواه ابن أبي شيبة بالثاني واما حبيب فبفتح الحاء المهملة وروى بضم المعجمة مصغرا (ان أباه ابيضت عيناه فكان لا يبصر بهما شيأ) وروى انه عليه الصلاة والسلام سأله عما أصابه قال كنت أقرد جملا لي فوقعت رجلي على بيض حية فعميت (فنفث رسول الله صلى الله عليه وسلم) أي نفخ (في عينيه فابصر) أي بهما (فرأيته) أي أبي بعد ذلك (يدخل الخيط في الابرة وهو ابن ثمانين) أي سنة كما في رواية وفي رواية وان عينيه لمبيضتان في المواهب رواها ابن أبي شيبة والبغوي والبيهقي والطبراني وأبو نعيم

معناه طلب السقي وهو اسم مرض معروف قال في الاساس سقي بطنه واستسقى وبه سقي بكسر السين وهو ان يقع الماء الاصفر في بطنه انتهى وهو مرض علاجه صعب لا يكاد ينجو من أصابه منه (فبعث الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) قاصدا يلتمس منه الدعاء وان يشفيه الله ببركته وهذا يدل على انه أسلم بخلاف أبيه كما مر (فاخذ) صلى الله عليه وسلم لما قص عليه قاصده أمره (بيده) الشريفة (حثوة من الارض) بفتح الحاء المهملة وسكون المثلثة ويقال حثية بالياء أيضا وهو ملء يده أو يديه وهو من التراب هنا (فتفل) بفتح المثناة الفوقية والفاء وفي نسخة بصق (عليها) أي الحثوة من ماء فمه المبارك (ثم أعطاها) أي حثوة التراب (رسوله) الذي أرسله للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم (فاخذها متعجبا) مما أعطاه وان مثله لا يداوى به الاستسقاء بل يزيده لان مبدأه سدة في الجوف والتراب يزيدها كما يشاهد ممن يأكل الطين (يرى) بفتح الياء وضمها أي يظن (ان قد هزئ به) الضمير للرسول أو لمرسله وهزى بالبناء للمجهول ويجوز فيه بناء الفاعل أيضا (فاتاه بها) أي بالحثوة (وهو) أي ابن ملاعب الاسنة على (شفا) بفتح الشين المعجمة والفاء مقصور أي قريب من الموت وأصل الشفا مكان متصل بحفرة كالبئر قال الله تعالى على شفا جرف هار ويجوز ان يراد به الكناية عن الموت ويراد بالحفرة القبر والجملة حالية وبينه وبين قوله (فشربها فشفاه الله) تجنيس بديع أي وضعها في ماء وشربها فشفاه الله ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم (وذكر العقيلي) بالتصغير وهو الامام الحافظ أبو جعفر محمد بن عمرو بن موسى بن حماد المكي صاحب كتاب الضعفاء الذي رتبه الهيثمي وهو ثقة جليل توفي سنة اثنين وعشرين وثلاثمائة (عن حبيب بن فديك) حبيب بفتح الحاء المهملة وموحدتين بينهما ياء مثناة تحتية وقيل انه بخاء معجمة مضمومة وفديك وقيل فويك بضم الفاء ودال مهملة مفتوحة مصغر وكاف وقيل انه بواو بدل الدال وقيل براء مهملة ذكره الذهبي في الصحابة وقيل انه حبيب بن عمرو بن فديك السلاماني وقد اضطرب فيه وفي اسمه وأخرج حديثه هذا البيهقي والطبراني وابن أبي شيبة في مسنده عن رجل من بني سلامان عن أمه أن خالها حبيب بن فديك حدثها ان أباه خرج به الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعيناه مبيضتان فسأله ما أصابه فقال كنت أقود جملا لي فوقعت رجلي على بيض حية فاصيبت في بصري فلا أبصر شيأ والى بعض ماذكر من الاختلاف في اسمه أشار بقوله (ويقال فويك) بواو وبراء بدل الدال (ان أباه ابيضت عيناه) لغشاوة غطتهما أو هو عبارة عن العمى (فكان لا يبصر بهما شيأ فنفث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) بالمثلثة أي تفل ريقه (في عينيه فابصر) بهما وذهب عنه عماه في ساعته (فرأيته يدخل الخيط في الابرة) لقوة بصره وصحته (وهو ابن ثمانين سنة) وهو من يضعف فيه بصر مثله وان لم يعرض له عارض وليس في الحديث ان البياض لم يزل بعينيه مع شدة نظره وقوته وانه أعظم في المعجزة كما قيل لاحتمال ان البياض زال ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يصرح به

(ورمى كلثوم بن الحصين يوم أحد في نحره) أي صدره (فبصق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيه فبرأ) بفتح الراء ويكسر وقيل برأ من المرض بفتح الراء وبرئ من الدين بكسرها قال الدلجي لا أدري من رواه انتهى قال الحلبي كلثوم بن الحصين أبو رهم الغفاري شهد أحدا وبايع تحت الشجرة واستخلفه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على المدينة في عمرة القضاء وعام الفتح وأصيب بسهم في نحره فسمي المنحور وجاء الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فبصق عليه فبرأ روى الزهري عن ابن أخيه عنه وقد أخرج له أحمد في المسند والبخاري في كتاب الادب المفرد وليس له في الكتب الستة شئ (وتفل) أي بصق رسول الله صلى الله عليه وسلم (على شجة عبدالله بن أنيس) بالتصغير والشجة الضربة في الوجه والرأس فقط وقد يسمى بذلك ما يكون في سائر الجسد مجازا (فلم تمد) بضم التاء وكسر الميم وتشديد الدال من أمد الجرح صارت فيه مدة أي قيح والمعنى لم تحصل مادة من القيح في ذلك الجرح والحديث رواه الطبراني وذلك ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بعث عبدالله بن رواحة في نفر من أصحابه منهم عبدالله بن أنيس الى اليسير بن رزام وكان بخيبر يجمع غطفان لغزو رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قدموا عليه كلموه وقربوا له وقالوا ان قدمت على رسول الله استعملك واكرمك فلم يزالوا به حتى خرج معهم فحمله عبدالله بن أنيس على بعيره حتى اذا كانوا بالقرقرة على تسعة أميال من خيبر ندم اليسير بن رزام على مسيره الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ففطن له عبدالله بن أنيس وهو يدير السيف فاقتحم به ثم ضربه بالسيف فقطع رجله وضربه اليسير بمخرش في يده من شوحط فأمّه فلما قدم عبدالله بن أنيس على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم تفل على شجته فلم تقح ولم تؤذه (وتفل في عيني علي يوم خيبر وكان) أي علي (رمدا) بفتح الراء وكسر الميم أي ذا رمد بفتحتين وهو وجع العين وفي الحديث لاهم الاهم الدين ولا وجع الا وجع العين (فاصبح بارئا) بكسر الراء بعدها همزة أي فصار معافى والحديث رواه الشيخان عن سهل بن سعد الساعدي ففي البخاري في غزوة خيبر انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال أين علي ابن أبي طالب فقالوا يا رسول الله يشتكي عينيه قال فارسلوا اليه فاتي به فبصق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في عينيه فدعا له فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع وفي رواية مسلم من طريق اياس بن سلمة عن أبيه قال فارسلني النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الى علي فجئت به أقوده أرمد فبصق في عينيه فبرأ وعند الطبراني من حديث علي قال فما رمدت ولا صدعت منذ دفع الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الراية يوم خيبر وعند الحاكم من حديث علي فوضع صلى الله تعالى عليه وسلم رأسي في حجره ثم بصق في راحته فدلك بها عيني وعند الطبراني فما اشتكيتهما حتى الساعة قال ودعا لي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال اللهم اذهب عنه الحر والقر قال فما اشتكيتهما حتى يومي هذا

لانه معلوم (ورمى) بالبناء للمجهول (كلثوم بن الحصين) بضم الحاء وفتح الصاد المهملتين ونون مصغر حصن وهو أبو رهم الغفاري الصحابي وهو من أصحاب الشجرة وشهد أحدا واستخلفه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عام الفتح (يوم أحد) لما وقع السهم في نحره وخشي الموت من وقوع السهم (في نحره) أي مقدم عنقه عند حبل الوريد الذي لا يعيش من جرحه (فبصق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيه) أي في نحره ومحل جراحته (فبرأ) بفتحات وهمزة مقصورة آخره ويقال برئ أيضا بزنة علم وضرب كما قاله ابن السكيت أي حصل له البرء من حينه وهذا الحديث لم يخرجوه (و) روى الطبراني حديثا مسندا فيه انه صلى الله تعالى عليه وسلم (تفل) بتاء مثناة وفاء ولام مفتوحات أي بصق (على شجة عبدالله بن أنيس) الشجة بفتح الشين المعجمة والجيم المشددة جراحة ضربة في الوجه أو الرأس وقد تطلق على ما في غيرهما من الجسد والمعروف الاول وأنيس مصغر بن أسعد بن حرام بن مالك بن غنم بن كعب الجهني الانصاري الصحابي شهد أحدا وكان صلى الله تعالى عليه وسلم بعثه مع عبدالله بن رواحة ونفر من الصحابة الى اليسير بن رزام بخيبر لما جمع جمعا من غطفان لغزو رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقالوا له ان قدمت على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أكرمك فلم يزالوا به حتى خرج معهم فحمله ابن أنيس على بعيره حتى اذا كانوا بالقرقرة بقرب خيبر ندم ففطن له ابن أنيس وضربه بسيفه فقطع رجله وضرب اليسير ابن أنيس بعصاه فشجه فلما قدم على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم تفل في شجته (فلم تمد) بضم المثناة الفوقية وكسر الميم وتشديد الدال المهملة المفتوحة أي لم يبق فيها مادة وقيح يقال أمد الجرح اذا صارت فيه مدة وهي القيح كما في الصحاح وغيره والمدة بكسر الميم (وتفل في عيني علي) ابن أبي طالب رضي الله تعالى عنه في حديث رواه الشيخان عن سهل بن سعد (يوم خيبر وكان رمدا) بزنة حذر منصوب منون أي به رمد والرمد وجع العين (فاصبح بارئا) أي صار بارئا في الحال لانه تأخر برؤه الى وقت الصباح وأصبح له معنيان هذا أحدهما والحديث بتمامه في الصحيحين وغيرهما وفي دلائل البيهقي عن بريدة كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ربما أخذته الحمى فيمكث اليوم أو اليومين

لا

(ونفث) أى ثلاث نفثات (على ضربة بساق سلمة بن الاكوع يوم خيبر فبرأت) بفتح الراء وفى نسخة فبرئت بكسر الراء وهى لغة أهل الحجاز وفى نسخة فبرأ وفى رواية فما اشتكاها قط رواه البخارى (وفى رجل زيد بن معاذ) أى ونفث فيها (حين أصابه السيف الى الكعب) أى الى كعب رجله (حين قتل ابن الاشرف) وهو كعب بن الاشرف اليهودى وقصته مشهورة (فبرئت) أى رجله رواه عبد بن حميد فى تفسيره عن عكرمة ورواه ابن اسحق والواقدى أيضا لكن قالا بدل زيد بن معاذ الحارث بن أوس ورواه البيهقى من حديث جابر وذكر بدلهما عباد بن بشر وهو ممن حضر قتل كعب واما زيد بن معاذ فقال الحلبى لا أعرف انه ذكر فى هذه الواقعة بل ولا فى الصحابة أحد يقال له زيد بن معاذ الا ان يكون أحد نسب الى جده أو جد له أعلى بل الذى جرح فى رأسه أو رجله على الشك من الراوى فى قتل كعب ابن الاشرف انما هو الحارث بن أوس بن معاذ ابن النعمان بن امرئ القيس بدرى قتل يوم أحد وله ثمان وعشرون سنة وقيل الذى حضر كعبا هو الحارث بن أوس بن النعمان الحارثى وقد حكى الذهبى القولين ثم قال وقيل هما واحد نسب الى جده الاعلى لكن افترقا بالنسب كما ترى انتهى وقد سمى فى رواية البخارى الذين قتلوا كعبا منهم الحارث بن مسلم وكذا مسلم فى الجهاد فعليه الاعتماد هذا وقد قال بعضهم ان زيد بن معاذ هو ابن أخى سعد بن معاذ وانه نقله غير القاضى كذلك ولعلهما اطلعا على المراد

لا يخرج فلما نزل خيبر أخذته فلم يخرج فاخذ أبو بكر رضى الله تعالى عنه الراية وقاتل قتالا شديدا ثم أخذها عمر رضى الله تعالى عنه وقاتل فلما اخرج وأخبر بذلك قال لاعطينها غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله فتطاول الناس لذلك فاصبح وجاء على وقد عصب عينيه فقال ادن الى وتفل فى عينيه ففتحهما واعطاه الراية وروى انه وضع رأسه فى حجره ثم بصق فى راحتيه ودلك بهما عينيه والحديث طويل والكلام عليه وعلى الاستدلال به التفضيل على مشهور غير محتاج للبيان (و) فى صحيح البخارى انه صلى الله تعالى عليه وسلم (نفث على ضربة بساق سلمة بن الاكوع يوم خيبر فبرئت) من حينها والضمير للساق لانها مؤنث سماعا أو للضربة وبرءها بذهاب أثر الجراحة والتحامها (و) روى عبد بن حميد فى تفسيره انه صلى الله تعالى عليه وسلم نفث (فى) جراحة (رجل زيد بن معاذ) أى جعل ريقه عليها (حين أصابها السيف الى الكعب حين قتل ابن الاشرف فبرأت) رجله أو جراحتها واعترض البرهان الحلبى على المصنف بان قصة كعب بن الاشرف مقررة فى السير ورواها مسلم فى الجهاد كغيره وذكروا الجماعة الذين اشتركوا فى قتله باسمائهم وليس فيهم من اسمه زيد بن معاذ بل لا يعرف فى الصحابة من اسمه زيد بن معاذ الا ان يكون نسبه الى أحد أجداده والى جد اعلى له وهو خلاف الظاهر والجرح الذى فى رأسه أو رجله على الشك من الراوى فى قصة كعب انما هو الحارث بن أوس ابن معاذ بن النعمان بن أخى سعد بن معاذ الاشهلى وقد سمى البخارى الذين قتلوا كعبا وسمى منهم الحارث بن أوس بن سعد بن النعمان وهو الذى تفل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على جرحه وقيل هو الحارث بن أوس بن النعمان وقيل هما واحد وقال التلمسانى ان العزيزى نقل فى تفسيره فى سورة الحشر ما ذكره المصنف بعينه وقال انه زيد بن معاذ وهو ابن أخى سعد بن معاذ فالمصنف لم يقل ما قاله الا عن تحقيق وقع له ولا يخفى ما فيه فانه مصادم للنقول الصريحة ومثله لا يقال بسلامة الامير وكعب بن الاشرف بزنة افعل التفضيل من الشرف يهودى من بنى نبهان وقصته كما فى السير انه لما أصيب أصحاب القليب من كفار قريش وبلغه الخبر قال ان كان محمد أصاب هؤلاء لبطن الارض خير من ظهرها فلما تحقق الخبر خرج لمكة يحرض الكفار على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ويبكى أصحاب القليب ويرثيهم بشعره تارة وتارة يشبب بنساء المسلمين حتى أذاهم فقال صلى الله تعالى عليه وسلم من لابن الاشرف فانه أذى الله ورسوله فقال محمد بن مسلمة أخو بنى عبد الاشهل أنا لك به يا رسول الله قال فافعل ان قدرت فرجع وأقام ثلاثا لا يأكل الطعام ولا يشرب فقال صلى الله تعالى عليه وسلم لم تركت الطعام والشراب قال قلت قولا لا أدرى أفى به أم لا قال عليك الجهد فقال لا بد ان نقول فقال صلى الله تعالى عليه وسلم قولوا ما بدا لكم فانتم فى حل من ذلك فاجتمع فى قتله محمد بن مسلمة وسلكان ابن سلامة أبو نائلة الاشهلى وكان أخا ابن الاشرف من الرضاعة وعباد بن بشر وقيس وأبو عدس بن جبير ثم قدموا الى عدو الله فتقدم ابن سلامة رضيعه وتحدث معه وناشده الاشعار وكان شاعرا ثم قال له ويحك يا ابن الاشرف انى جئتك لحاجة أذكرها لك فاكتمها قال افعل قال كان قدوم هذا الرجل علينا بلاء من البلاء عادتنا العرب ورمتنا عن قوس واحدة وانقطعت عنا السبل حتى ضاعت العيال وجهدت الانفس فقال كعب قد أخبرتك ان الامر سيصير لما أقول فقال انا لا نحب ان ندعه حتى ننظر لم يصير شانه وانى قد جئتك أستسلفك وقال الدمياطى الذى تحدث معه أبو نائلة وهو الذى نزل له كعب من

حصنه فلما استسلفه وقال له نرهنك ما تثق به قال ارهنوا أبناءكم ونساءكم قال أردت ان تفضحنا فانت أشب أهل يثرب وأعطرهم ولكن نرهنك الحلقة والسلاح فقال ان فيها الوفاء وأرادان لا ينكر مجيئهم مسلحين ولى أصحاب جاؤا لذلك فرجع الى أصحابه وأمرهم ان يأخذوا السلاح و يجتمعوا اليه فلما اقفلوا شيعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى البقيع فى ليلة مقمرة فلما انتهوا الى حصنه هتف به أبو نائلة وكان كعب حديث عهد بعرس فقالت له امرأته انك رجل محارب لا ينبغى لك الخروج فى مثل هذا الوقت وان فى الصوت لسواء وانه صوت يقطر منه الدم فقال ان الكريم لودعى لطعنة ايلا أجاب * والبلاء موكل بالمنطق * فقال لها انه أبو نائلة لو وجدنى نائما ما أيقظنى و برزلهم فى ملحفة فتحدثوا معه ثم قالوا نمشى لشعب العجوز نتحدث بقية ليلتنا قال ان شئتم فتماشوا ساعة ثم وضع أبو نائلة يده على رأسه ثم شمها وقال ما رأيت كالليلة طيبا أعطر من هذا ثم تماشى ساعة وفعل مثل ذلك ثم أخذ بفود رأسه وقال اضربوا عدو الله فصاح صيحة أشرف عليه أهل الحصون فلما قتلوه أتوا برأسه و يقال انها أول رأس حملت فى الاسلام وقيل بل هى رأس أبى عزة الجمحى وقيل رأس عمرو بن الحمق فأصاب الحارث بن أوس سيف من أصحابه برجله فابطأ عليهم ثم أتاهم يتحامل فحملوه آخر الليل وأتوا به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو يصلى فاخبروه بقتله و جراحة صاحبهم فتفل على جراحته كما ذكره المصنف على ما فيه وفى هذه القصة اشكال مشهور وهو انهم تكلموا فى حقه صلى الله تعالى عليه وسلم بما لا يجوز مما ظاهره ومثله كفر ولا اكراه فيه وقد أجاب عنه الفقهاء وغيرهم بانه لم يقصد ظاهره وهو من المعاريض التى تجوز لمصلحة واذا تأملت ما قالوه تجده يحتمل المدح وقد أذن لهم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فيه وسيأتى تفصيله فى محله آخر الكتاب ان شاء الله تعالى وفى قوله الى الكعب نكتة يعنى ان الصدمة السيف امتدت الى ان وصلت الى كعبه وكانه قصد تجنيسا لان ابن الأشرف اسمه كعب كما علمت فكأنه قال جرح الى الكعب فى قصة كعب وعلى كل حال فكلامه هنا فيه ما فيه فتأمل (و) نفث (على ساق على بن الحكم يوم الخندق) على هذا صحابى وهو أخو معاوية بن الحكم السلمى وهذا الحديث أخرجه أبو القاسم البغوى فى معجمه كما قاله السيوطى و يوم الخندق هذا كان فى غزوة الاحزاب سمى به لان سلمان رضى الله تعالى عنه أشار على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بحفر خندق حول المدينة ولم تكن العرب تعرف ذلك وانما كان يعمله ملوك الفرس قال الطبرى ان أول من عمله منوشهر بن أيدج بن فريدون وهم يزعمون ان فريدون ابن اسحق وأكثرهم على خلافه وخندق معرب كندة ومعناه الحفر وهو من الالفاظ الاسلامية (اذ انكسرت) أى ساقه لانها مؤنثة وهى ما بين القدم والركبة (فبرئ) أى صح وزال ما به من الكسر و يقال برئ كعلم و برأ كضرب وآخره مهموز (مكانه) بالنصب على الظرفية أى كائنا فى مكانه وسرجه الذى ركب عليه (وما نزل عن فرسه) الذى كان عليه لما جاءه يستشفيه قال أبو القاسم البغوى باسناده عن معاوية بن الحكم عن أبيه قال كنا مع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فأنزل أخى على بن الحكم فرسه الخندق فأصاب رجله جدار الخندق فدقها فأتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وما نزل عن فرسه فمسحها وقال بسم الله فما أذاه شئ منها وقد عده أبو حاتم البغوى فى الثقات (و) روى البيهقى فى الدلائل عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه ورضى الله تعالى عنه قال (اشتكى على ابن أبى طالب) رضى الله تعالى عنه مرضا والمرض يسمى شكاة (فجعل يدعو) الله تعالى لما ضجر كما سيأتى (فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) لما سمعه (اللهم اشفه أو عافه) شك من الراوى فى لفظه والمعنى واحد (ثم ضربه برجله) ليقوم من مضجعه (و) قام و (ما اشتكى ذلك الوجع بعد) مبنى على الضم أى بعد ضربه أو دعائه أو هما ولفظ البيهقى عن عبد الله بن سلمة قال سمعت

(وعلى ساق على بن الحكم) بفتحتين صحابى وهو أخو معاوية بن الحكم السلمى (يوم الخندق اذ انكسرت) أى نفث حين انكسرت ساقه (فبرأ) وفى نسخة فبرئ (مكانه) أى ولم يتعد زمانه (وما نزل عن فرسه) أى والحال انه لم يقدر على نزوله عن فرسه اذ جاءه يستشفيه رواه أبو القاسم البغوى فى معجمه (واشتكى على ابن أبى طالب) أى مرض أو اشتكى وجعا (فجعل) أى شرع على أو قصد (يدعو) أى يطلب الله تعالى ان يعافيه (فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اللهم اشفه) روى بالضمير وهاء السكت وكذا قوله (أو عافه) والشك من الراوى (ثم ضربه برجله) أى لتصيبه بركة فعله بعد أثر قوله (فما اشتكى ذلك الوجع بعد) بضم الدال أى ما شكا بعد دعائه واصابة رجله لبعض أجزائه رواه البيهقى

(وقطع أبو جهل يوم بدر يد ابن معوذ) بتشديد الواو المكسورة وتفتح (ابن عفراء) بمهملة ففاء فراء ممدودة قال الحلبي والمعروف أن ابن أبي جهل عكرمة فعل ذلك بمعاذ بن عمرو بن الجموح حين ضرب أباه وكذا نقله أبو الفتح اليعمري ابن سيد الناس عن القاضي عياض ثم قال معوذ صحابي معروف قتل يوم بدر وهو من جملة أربعة عشر قتيلا من المسلمين في وقعة بدر رضي الله تعالى عنهم أقول ولا منع من الجمع فتأمل (فجاء) أي معوذ أو معاذ (يحمل يده فبصق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي عليها (فألصقها فلصقت) بكسر الصاد (رواه ابن وهب ومن روايته أيضا) وكذا رواه البيهقي عن ابن اسحق (ان خبيب ابن يساف) بفتح الياء وفي نسخة اساف بكسر الهمزة ويفتح وأما خبيب فهو بخاء معجمة وموحدتين بصيغة التصغير في النسخ وهو موافق لما في القاموس ومطابق لما ذكره الحلبي وضبطه الدلجي بمهملة وبيائين بينهما مثلثة والظاهر من كلامه انه بفتح أوله وكسر ثانيه (أصيب يوم بدر مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي حال كونه معه أي بقربه (بضربة على عاتقه) أي ما بين منكبه وعنقه (حتى مال شقه) بكسر الشين وتشديد القاف أي أحد شقيه بانفصاله عنه بحد سيفه (فرده رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي بامالته الى محله (ونفث عليه حتى صح) أي التأم قال الحلبي وخبيب هذا خزرجي شهد بدرا وأحدا وما بعدهما وكان نازلا بالمدينة فتأخر اسلامه حتى سار رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى بدر فلحقه في الطريق فأسلم وشهد بدرا فضربه رجل على عاتقه يومئذ فمال شقه فتفل عليه ولأمه ورده فانطلق فقتل الذي ضربه وتزوج ابنته بعد ذلك وكانت تقول لا عدمت رجلا وشحك هذا الوشاح فيقول لا عدمت رجلا عجل أباك الى النار وتوفي في خلافة عثمان

عليا رضي الله تعالى عنه يقول أتيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأنا شاك أقول اللهم ان كان أجلي قد حضر فأرحني وان كان متأخرا فاشفني وان كان بلاء فصبرني فضربني برجله وقال كيف قلت فأعدت عليه فقال اللهم اشفه أو قال اللهم عافه قال علي رضي الله تعالى عنه فما اشتكيت وجعي ذلك بعد (وقطع أبو جهل يوم بدر) اعترض على المصنف رحمه الله تعالى بان المعروف ان القاطع عكرمة ابن أبي جهل لا هو وان المقطوع معاذ بن عمرو بن الجموح حين ضرب أباه وقد نقله ابن سيد الناس عن المصنف رحمه الله (يد معوذ) بضم الميم وفتح العين المهملة وتشديد الواو المكسورة وتفتح وذال معجمة (بن عفراء) بعين مهملة وفاء ساكنة وراء مهملة ومدة اسم أمه وهو من جملة شهداء بدر وهم أربعة عشر ومعوذ بن الحارث بن رفاعة النجاري الانصاري رضي الله تعالى عنه وعفراء بنت عبيد بن ثعلبة النجارية وعرف بأمه هو وأخواه معاذ وعوف شهدوا بدرا فاستشهد عوف ومعوذ بها وبقي معاذ ابن عفراء الى زمن عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه والذي في سيرة ابن سيد الناس ان معاذ بن عفراء قتل أبا جهل فضربه ابنه عكرمة على عاتقه وطرح يده وتعلقت بجلدة من جنبه وأجهضه القتال فقاتل يومه وهو يسحب يده خلفه فلما أذته وضع عليها قدمه فقطعها (فجاء يحمل يده فبصق عليها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وألصقها فلصقت) كما كانت في مكانها ببركته وبركة ريقه الشريف الذي تفله عليها وهذا لا ينافي كونه فعل الله تعالى ولا حاجة لذكر مثله (رواه ابن وهب) وقد علمت ما يخالفه مما رواه ابن اسحق وصححه ابن سيد الناس والمصنف رحمه الله تعالى في غير هذا الكتاب وقيل ان ابن وهب لا شك في جلالته فما رواه يخالف ما قاله ابن اسحق لجواز كون معاذ قطعت يده أيضا وعكرمة قطع يد أخيه معاذ وأبو جهل نفسه قطع يد معوذ وألصقها له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم قتل وهذا من غير نقل صريح لا يقبل مثله بمجرد الاحتمال فلا ينبغي ذكره من غير تثبت (ومن روايته) أي رواية ابن وهب التي رواها ابن اسحق والبيهقي عنه كما نقله السيوطي (أيضا) كروايته الاولى (ان خبيب) بالتصغير وخاء معجمة وموحدتين تصغير خب وهو المغفل (ابن يساف) بكسر الياء آخر الحروف وسين مهملة وألف وفاء ويقال اساف بهمزة مكسورة (أصيب) بالبناء للمجهول أي أصابته ضربة بسيف (يوم بدر مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بضربة على عاتقه) وكتفه (حتى مال شقه) الذي أصابته الضربة بقطع يده وانفصالها عن عاتقه من غير انفصالها (فرده رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي رد عضوه الى مكانه الذي كان فيه (ونفث عليه حتى صح) أي التأم وعاد كما كان فيه ويساف هو ابن عيينة بن عمرو الخزرجي شهد ابنه خبيب بدرا وأحدا وكان بالمدينة حين قدم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وتأخر اسلامه حتى سار رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى بدر فلحقه وأسلم وشهد بدرا فضربه رجل على عاتقه يومئذ فمال شقه فأتاه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فتفل عليه ورده فالتأم فانطلق وقتل الذي ضربه وتزوج ابنته بعد ذلك فكانت تقول لا عدمت رجلا وشحك هذا الوشاح يعني الضربة التي في محل الوشاح فيقول لا عدمت رجلا عجل أباك

(وأتته امرأة من خثعم) قبيلة معروفة (معها صبي به بلاء) أي عارض (لا يتكلم) أي بسببه (فأتي بماء فمضمض فاه) أي فمه (وغسل يديه) الظاهر الى رسغيه (ثم أعطاها اياه) أي الماء (وأمرها بسقيه) أي بشرب الصبي منه (ومسه به) أي مسحه بيده ووقع في أصل الدلجي وأمرها ان تسقيه ومس به أي مس صلى الله تعالى عليه وسلم الصبي بالماء (فبرأ الغلام وعقل عقلا لا يفضل) بضم الضاد المعجمة وتفتح أي يزيد ويغلب (عقول الناس) رواه ابن أبي شيبة عن أم جندب مرفوعا (وعن ابن عباس جاءت امرأة بابن لها به جنون فمسح) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (صدره فثع ثعة) بمثلثة ومهملة مشددة فيهما أي قاء مرة (فخرج من جوفه مثل الجرو الاسود) بتثليث الجيم ولد الكلب والسبع (فشفي) بصيغة المجهول أي برئ من جنونه وفي نسخة فسعى بفتح السين والعين المهملتين أي مشى واشتد عدوا والظاهر انه تصحيف ثم فاعل سعى الجرو وهو الاقرب أو المبتلى وهو الانسب والحديث رواه أحمد والبيهقي وابن أبي شيبة ففي مسند أحمد حدثنا حماد حدثنا يزيد حدثنا حماد بن سلمة عن فرقد السبخي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ان امرأة جاءت بولدها الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان به لمما وانه يأخذه عند طعامنا فيفسد علينا طعامنا قال فمسح رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم صدره ودعا له فثع ثعة فخرج من فيه مثل الجرو الاسود فشفي وقد ذكره أحمد أيضا من طريق أخرى فقال حدثنا أبو سلمة حدثنا حماد بن سلمة عن فرقد فذكر نحوه الا انه قال فثع أي سعل انتهى والظاهر ان قوله سعل بيان لسبب قيئه أي فسعل فقاء (وانكفأت القدر) بهمزة مفتوحة بعد الفاء أي انقلبت البرمة وسقطت (على ذراع محمد بن حاطب) بحاء مهملة وطاء مكسورة فموحدة وفي نسخة حاتم وهو غير صحيح والمراد به ابن الحارث بن معمر القرشي من بني جمح ولد بالحبشة قيل هو أول من سمي في الاسلام محمدا له صحبة (وهو طفل) جملة حالية (فمسح عليه ودعا له وتفل

الى النار والى ذلك أشار المصنف بما ذكر (و) روى ابن أبي شيبة عن أم جندب أنه صلى الله عليه وسلم (أتته امرأة من خثعم) بخاء معجمة ومثلثة وعين مهملة وميم بزنة جعفر اسم جبل واسم قبيلة نزلت عنده منها هذه المرأة لانها كانت نازلة بالجبل كما توهم (معها صبي) هو ابنها (به بلاء) وهو ما يبتلى به الناس وفسره بقوله (لا يتكلم) فان كان بمعنى لا يقدر على الكلام فبلاؤه انه كان أخرس أو أبكم وان كان بمعنى انه به ذهول وعدم عقل للكلام فهو مستأنف وهذا هو المراد كما سيأتي (فأتي بماء) بالبناء للمجهول أي أمر من يأتيه بماء في أناء فأتاه به (فمضمض فاه) مضمض متعد وفاه مفعوله والمضمضة ادارة الماء في الفم فذكر الفم بعده تجريد أو هو لازم ضمن معنى غسل (وغسل يديه) بذلك الماء (ثم أعطاها اياه) أي أعطى المرأة ذلك الماء الذي رده في أنائه بعد المضمضة وغسل اليدين منه (وأمرها بسقيه) أي أمر المرأة بان تسقي الصبي من ذلك الماء (ومسه به) مصدر مضاف للمفعول أي مسحه بالماء (ف) لما فعلت ما أمرها به (برأ الغلام وعقل عقلا يفضل) بزنة يقعد ويرقد (عقول الناس) أي يزيد على عقول الناس الذي من أمثاله وهذا الحديث رواه أحمد في مسنده بسند متصل بابن عباس قال ان امرأة جاءت بولدها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت يا رسول الله ان به لمما أي جنونا يأخذه عند طعامنا فيفسده علينا قال فمسح رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم صدره ودعا له فثع ثعة أي تقيأ فخرج من فيه مثل الجرو وهو الكلب الصغير جدا وفي كون هذه القصة ما ذكر القاضي بعينه نظر لما بينهما من الخلاف مع احتمال تعدد القصة وهو الظاهر فلا وجه لجعلهما قصة واحدة بل هذه التي رواها أحمد والبيهقي وابن أبي شيبة ما أشار اليه المصنف رحمه الله تعالى بقوله (وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما جاءت امرأة بابن لها به جنون فمسح صلى الله تعالى عليه وسلم صدره) بيده المباركة الشريفة (فثع ثعة) بفتح المثلثة وتشديد العين المهملة أي قاء مرة واحدة كذا قاله أهل اللغة وقال بعض أهل اللغة ثع بمعنى سعل وروى الحديث من طرق متعددة (فخرج من جوفه) وبطنه (مثل الجرو الاسود) بجيم مثلثة وراء مهملة ساكنة وواو وهو الصغير من أولاد الكلاب والسباع ويطلق على صغار الحنظل والقثاء أيضا وهو يحتمل هنا وجمعه أجر كادل بكسر آخره وحذف الواو بعد قلبها ياء (فشفي) بالبناء للمجهول أي شفاه الله (و) في حديث رواه البيهقي والنسائي والطيالسي مسندا مصححا فيه انه (انكفأت) بنون وكاف وفاء وهمزة مفتوحة بعدها تاء تأنيث ساكنة أي انقلبت (القدر) التي يطبخ فيها أي وقع ما فيها من طعام حار كالنار المحرقة (على ذراع محمد بن حاطب) بن الحارث بن معمر القرشي الجمحي الصحابي الذي ولد بالحبشة وهو أول من سمي محمدا في الاسلام وحاطب بزنة فاعل بحاء وطاء مهملتين وموحدة علم منقول من جامع الحطب وسمي لذلك (وهو طفل) صغير والجملة حالية وفيه تقدير أي فخرق ذراعه (فمسح عليه) أي انه صلى الله تعالى عليه وسلم مسح على ذراع محمد أو على محمد نفسه (ودعا له وتفل

عليه)

فيـه فبرأ لحينه) أى على فوره رواه النسائى والطيالسى والبيهقى (وكانت فى كف شرحبيل) بضم أوله ويقال له شراحيـل (الجعفى) بضم الجيم (سلعة) بكسر السين وتفتح وسكون اللام وهى زيادات تحدث فى الجسد بين الجلد واللحم كالغداة تـكون من قدر حمصة الى قدر بطيخة اذا غمزت باليد تحركت (تمنعه القبض على السيف وعنان الدابة) بكسر العين أى لجامها أوزمامها (فشكاها للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم فـازال) أى النبى صلى الله تعالى عليـه وسـلم (يطحنها) بفتح الحـاء أى يعالجها ويفحصها بكفه (حتى رفعها) أى أزالها من كفه (ولم يبق لها أثر) أى فى محلها رواه الطـبرانى والبـيهقى (وسألتـه جاريه) أى بنت أو مـلوكة (طعـاما وهـو يأكل) جـملة حاليـة (فناولهـا من بين يديه) أى بعض ما لديه (وكانت) أى قبـل ذلك (قليـلة الحياء) لعلها لخلل كان بعقلها (فقالت انما أريد من الذى فى فيك) أى فى فمك (فناولها ما فى فيه ولم يكن أى مـن عادته يسـئل شيأ فيمنعه) بالنصب عـلى جـواب النفى (فلما استقر) أى مأكولها الذى ناولها (فى جوفها ألقى عليها مـن الحيـاء ما) أى شئ عظيم منه حتى بسببه (لم تكن امرأة فى المـديـنـة) أى فضلا عن غيرها (أشـد حياء منها) أى ببركتـه ويمن همته

(فصل) (فى اجابة دعائه عليه الصلاة والسلام) أى لقوم وعلى بعض (وهذا باب واسع) أى متسع ذيله وما يتعلق به (جدا) بكسر الجيم وتشديد الدال منصوب على المصدر أى وسعا كثيرا (واجابة دعوة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لجماعة بما

عليه) أى نفخ نفخا فيه ريقه الشريف وفى نسخة وتفل فيه (فبرأ لحينه) من غير بطؤ ومثله يكون فى أيام عديدة ومحمد بن حاطب هذا صحابى ابن صحابى توفى عام أربع وسبعين بمكة وقيل بالكوفة (و) فى حديث رواه الطـبرانى والبيهقى مسـندا (كانت فى كف شرحبيل) بضم الشـين المعجمة وفتح الراء وسكون الحاء المهملتين ومـوحـدة مكسورة ومثناة تحتيـة سا كنة ولام قال ابن السـيد فى شرح أدب الكاتب عن الاصمعى شرحبيل أعجمى وكذا شراحيل وايل معناه الله ومعنى شراحيل وديعة الله عند أهل اليمن ورأى أكثر البصرية خلافه بل شرحبيل كقدعميل وشراحيل كسراويل جمع سمى به أو بزنة الجمع انتهى وهو عند سيبويه اسم عربى غير منصرف (الجعفى) بضم الجيم نسبة للجعفة مكان معروف وشرحبيل صحابى ذكره الذهـبى (سلعة) بكسر السـين وسكون اللام وعين مهملة زيادة بين الجلد واللحم كالغـدة وفيها لغات فتفتح سينها مع سكون اللام وفتحها ويقـال سلعة بزنة عنبـة وقول البرهان هنا من فتح أراد الشبحة لا وجـه له فانها لغة والـكل بمعنى ولا ينافى كون السلعة بمعنى الشبحة كما فى القاموس والسلعة المتاع الذى يباع أيضا (تمنعه) أى تلك السلعة لكونها فى داخل كفه (القبض على السـيف وعنان الدابة) بكسر العين المهملة وهو ما يقاد به الفرس ونحوه (فشـكاها) أصله شكى منها الضرر هاله (للنبى صلى الله تعالى عليـه وسـلم فـازال يطحنها) أى يريد كفه الشريف عليها بقوة كما تدور الرحا وهو بفتح الحاء ونون كسأل يسأل (حتى رفعها) أى حتى أزالها من كفه (ولم يبق لهـا أثر) فى كفه يضره ويمنعه ففى قوله يطحنها استعارة (و) فى حديث رواه الطبرانى عن أبى امامة انه صلى الله عليه وسـلم (سألته جاريه طعاما) أى امرأة صغيرة السن أو خادمة لبعض أهل المدينة (وهو يأكل) جملة حالية أى حال تناوله من طعامه (فناولها) أى أعطاها (من بين يديه) أى من طعامه صلى الله عليه وسلم الذى كان بين يديه (وكانت) الجارية (قليلة الحياء) من الناس لوقاحتها (فقالت) الجارية له صـلى الله تعالى عليه وسـلم (انمـا أريد) بسؤالى ان تناولنى (من الذى) وضعته من الطعام (فى فيك) وقصدت التبرك والتلذذ بما فيه ريقه الشريف لكن فيه من ترك الادب ما لا يخفى (فناولها ما فى فيـه) ولم يحرمها ويردها بعنف (ولم يكن) صلى الله عليـه وسـلم (يسأل) بالبناء للمفعول أى يسأله أحد (شيأ فيمنعه) بالنصب فى جواب النفى فلما استقر) الطعام الذى ناولها من فيه (فى جوفها ألقى) بالبناء للمفعول أى ألقى الله (عليهـا من الحياء) بالمد وأما بالقصر فهو المطر (مالم تـكن امرأة بالمدينة أشد حياء منها) أى حياء لم يكن فى امرأة غيرها لشدته ببركته صـلى الله تعالى عليه وسلم فما موصولة أو موصوفة فى محـل رفع نائب فاعـل ألقى والجملة صلة أو صفة بتقدير العائد أى مالم يكن به أى بسببه وذكر هذا لان قلة الحياء من العاهات النفسية والجبلة الخبيثة التى يصعب زوالها فمناسبة الحديث ظاهرة هنا وفى هذا الباب من أمثال ما ذكر أحاديث كثيرة من أرادها فعليه بالنظر فى مطولات كتب الحديث

(فصـل فى اجابة دعائه صلى الله تعـالى عليه وسلم) أى دعائه للناس وعليهم (وهذا) الامر المذكور هنا والاجابة وذكرها رعاية للخـبر فى قوله (باب واسع جدا) بكسر الجيم منصوب على المصـدرية فهو فى الاصل ضد الهزل ثم استعمل فى معنى الزيادة المفرطة المحققة هنا وهو ظاهر (واجابة دعوة النبى صلى الله تعالى عليـه وسـلم لجماعة) أى لاجل ناس استحقوا ذلك سواء كان ذلك لهـم أو عليهم كما أشار اليـه

دعالهم) أي بالخير تارة (وعليهم) أي بالشر تارة وهذا مفهوم كلام المصنف بحسب الظاهر ولكن الاظهر ان المراد به أنه دعا لبعض منهم بالمنفعة ولآخرين منهم بالمضرة ولذا قال التلمساني فكأنه أوصله نفعا وصب عليه شرا (وهذا أمر متواتر في الجملة) وفي نسخة على الجملة أي لا على التفصيل (معلوم ضرورة) أي عند أهل السيرة (وقد جاء في حديث حذيفة) أي من رواية أحمد بن محمد بن حنبل في مسنده (كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا دعا لرجل أدركت الدعوات) أي أثرها (ولده وولد ولده) وفيه تنبيه على صحة معنى ما يقال الولد سر أبيه ويؤيده قوله تعالى وكان أبوهما صالحا قيل كان بينهما سبعة آباء (قال المصنف) (حدثنا أبو محمد العتابي) بتشديد الفوقية (بقراءتي عليه ثنا أبو القاسم حاتم بن محمد) بكسر التاء (ثنا أبو الحسن) وفي نسخة بالتصغير والاول هو الصحيح (القابسي) بكسر الموحدة (ثنا أبو زيد المروزي حدثنا محمد بن يوسف) أي الفربري (حدثنا محمد بن اسمعيل) أي البخاري صاحب الجامع وقد أخرجه مسلم أيضا (ثنا عبد الله بن أبي الاسود) أي البصري من رواية مالك (ثنا حرمي) بفتح الحاء والراء وهو ثابت بن روح وكنيته أبو عمارة ابن أبي حفصة (ثنا شعبة عن قتادة عن أنس بن مالك قال قالت أمي) وهي أم سليم بنت ملحان (يارسول الله خادمك أنس ادع الله له قال اللهم أكثر ماله) أي حلالا (وولده) أي صالحا (وبارك له فيما آتيته) أي أعطيته من المال والولد فاوتي مالا كثيرا وأولادا مات له في الطاعون الجارف سبعون ولدا من صلبه غير أولاد أولاده

بقوله (دعالهم وعليهم) فان دعا اذا تعدى باللام كان للنفع لانه أوصل لهم بدعوته ما ينفعهم واذا تعدى بعلى كان للضر كأنه أنزل عليهم البلاء وصبه عليهم وهذا مخصوص بلفظ دعا ألا ترى صلى الله على محمد فانه تعدى بعلى للرحمة لما فيه من الحنو والشفقة قيل انما أعاده بلفظ الافراد دون الجمع المعنوي كدعائه كما تقدم لارادة التنصيص على ما وقع منه فردا فردا فالاول على الاجمال المطلق والثاني على الاجمال التشخيصي وقد أدرج شيأ مما عقد له هذا الفصل في الفصل الذي قبله انتهى (متواتر على الجملة) أي متواتر تواترا معنويا باعتبار معناه الاجمالي وان لم تتواتر افراده (معلوم ضرورة) أي بعلم ضروري غير محتاج لدليل (وقد جاء) أي ورد في حديث رواه أحمد بن حنبل (في حديث حذيفة) بن اليمان الصحابي المشهور رضي الله تعالى عنه (كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اذا دعا الرجل أدركت) أي وصلت وأثرت (دعوته) المستجابة له (ولده وولد ولده) فوصل أثرها لهم وظهر فيهم ثم استشهد لما ذكره بقوله فيما رواه من حديث الصحيحين عن أنس رضي الله تعالى عنه (حدثنا أبو محمد العتابي) هو بفتح العين المهملة وتشديد المثناة الفوقية نسبة لعتاب كما تقدم (بقراءتي عليه) من صحيح البخاري قال (حدثنا أبو القاسم حاتم بن محمد) الذي تقدمت ترجمته وتقدم ويأتي انه يجوز التكني بابي القاسم على الصحيح من ان النهي مخصوص بعصره صلى الله تعالى عليه وسلم أو بالجمع بين الاسم والكنية قال (حدثنا أبو الحسن القابسي) الحافظ السابق ترجمته قال (حدثنا أبو زيد المروزي) نسبة لمرو كما تقدم قال (حدثنا محمد بن يوسف) الفربري كما تقدم قال (حدثنا محمد بن اسمعيل) الامام البخاري قال (حدثنا عبد الله بن أبي الاسود) واسمه حميد البصري الحافظ روى عنه البخاري وغيره وتوفي سنة ثلاث وعشرين ومائتين وترجمته في الميزان قال (حدثنا حرمي) بفتح الحاء والراء المهملتين وهو حرمي بن عمارة بن أبي حفصة العتكي توفي سنة احدى ومائتين قال (حدثنا شعبة عن قتادة عن أنس) رضي الله تعالى عنه تقدم تراجم هؤلاء كلهم (قال) أنس رضي الله تعالى عنه (قالت أمي) لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واسم أمه رميلة وقيل الرميصاء وهي أنصارية صحابية وهي أم سليم (يارسول الله خادمك أنس) بن مالك بن ضمضم بن زيد الانصاري النجاري وكنيته أبو حمزة وكان لما قدم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم المدينة صغيرا فخدمه وشهد معه المشاهد وفي عمره اختلاف والاصح انه عمر مائة الا سنة وقيل احدى وتسعين وقيل مائة وعشرين وقال النووي الاصح انه جاوز المائة ومات بمكان يسمى الطف على فرسخين من البصرة ودفن به وقيل انه آخر من مات بالبصرة من الصحابة رضي الله تعالى عنهم وقال ابن عبد البر لا أعلم أحدا مات بعده غير أبي الطفيل وخدم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مدة اقامته بالمدينة وروى عنه كثيرا فروى عنه ألفي حديث ومائتين وستة وثمانين حديثا (ادع الله تعالى له) ولم تعين الدعوة بل فوضتها له صلى الله عليه وسلم (قال اللهم أكثر ماله وولده) أكثر وكثر بمعنى (وبارك له فيما آتيته) أي فيما أعطيته من المال والولد فاجاب الله تعالى دعوته حتى مات له في الطاعون الجارف من نسله سبعون ولدا قيل وفي هذا دليل على فضل الغني على الفقير وارتضوا ان الغني الشاكر خير من غيره والفقير الصابر خير من غيره والظاهر انه يتفاوت بحسب الناس كما ورد في الحديث القدسي * ان

من عبادي من لا يصلحه الا الغنى وان من عبادي من لا يصلحه الا الفقر ودعا له صلى الله عليه وسلم بالبركة لان من بورك له فيما أوتي لم يكن فيه ضرر ولا تقصير في الحقوق وهو غني محمود (ومن رواية عكرمة) عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه كما أخرجه مسلم (قال أنس فوالله ان مالي لكثير) ببركة دعائه صلى الله تعالى عليه وسلم (وان ولدي وولد ولدي) لكثير لما ر (ليعادون اليوم) المراد باليوم الزمن الحاضر مطلقا ويعادون بضم الياء المثناة التحتية وفتح العين المهملة المخففة وألف بعدها دال مهملة مشددة وواو جماعة ونون أي يزيدون (على نحو المائة) وهو مفاعلة من العدد وروي في الصحيحين وغيرهما يتعادون بزيادة تاء فوقية والمعنى واحد وقد وقع في نسخ الشفاء بالروايتين أيضا وفي الاساس بنو فلان يتعادون على بني فلان أي يزيدون انتهى كأن بعضهم يعد بعضا ثم عبر به عما ذكروا قدم والمعنى انهم يزيدون على ما يقرب من المائة اقتصارا على المتيقن المتحقق (وفي رواية) قالوا هذه الرواية لا يعرف من رواها (وما أعلم أحدا أصاب) أي وجد عنده (من رخاء العيش) أصل الرخاء بفتح الراء المهملة وخاء معجمة ومد بمعنى اللين ثم استعير للسعة والعيش بمعنى المعيشة (ما أصبت) أي كالذي أصبته أنا (ولقد) جواب قسم مقدر وقد هنا للتحقيق وكثيرا ما يقترن بها جواب القسم (دفنت بيدي) بالتثنية (هاتين) اشارة ليديه ليبين انه على ظاهره وحقيقته في الجارحة لا بمعنى القدرة والتصرف (مائة من ولدي) ثم بين ان المراد بالولد أولاده الكبار لصلبه فقال (لا أقول) ان الولد كان (سقطا) بتثليث السين المهملة وهو ما سقط من بطن أمه قبل مدة تمام حمله وأوان ولادته (ولا ولد ولد) نفاه لان الولد قد يطلق عليه مجازا وعلى ما يشمل الولد الصلبي وغيره بعموم المجاز وهو منصوب بمقدر أي لا أقول دفنت سقطا الى آخره والجملة مقول القول وحديث أنس هذا صحيح روي من طرق مختلفة في ألفاظها الاختلاف يحتاج للتوفيق ان لم تكن القصة متعددة وفي الوفاء لابن الجوزي انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال في دعائه له واطل حياته وان أنسا قال فاكثر الله مالي حتى ان لي كرما يحمل في السنة مرتين وولد لصلبي مائة وستة وفي مسلم انه قال دخل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم علينا وما هو الا أنا وأمي وأم حرام خالتي فقالت أمي يا رسول الله خويدمك أنس ادع الله له فدعا لي بكل خير وكان في آخر ما دعا لي اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيه وفيه أيضا جاءت أمي الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقد أزرتني بنصف خمارها وردتني بنصفه فقالت هذا ابني أتيتك به يخدمك فدعا له وفيه انه صلى الله تعالى عليه وسلم مر بامي فسمعت صوته فقيل يجوز ان يكون مر فعرفت صوته فدعته لدخول دارها فدخلها * (تنبيه) * قال ابن قتيبة ان ثلاثة من أهل البصرة رزق كل منهم مائة ولد لصلبه أنس وأبو بكرة وخليفة بن بدر وفي تاريخ ابن خلكان ان تميم بن المعتز بن باديس خلف مائة ذكر وستين انثى (ومنه) أي من دعائه صلى الله تعالى عليه وسلم كما رواه البيهقي (دعاؤه لعبد الرحمن بن عوف) الصحابي أحد العشرة المبشرين بالجنة وهو من أغنياء الصحابة رضي الله تعالى عنهم وترجمته معروفة (بالبركة) أي بان يبارك الله تعالى له فيما رزقه (قال عبد الرحمن فلو رفعت حجرا) من مكانه بيدي (لرجوت) ببركة دعائه صلى الله تعالى عليه وسلم (ان أصيب) وأجد

(ومن رواية عكرمة) أي على ما انفرد بها مسلم وهو ابن عمار الحنفي اليمامي وكان مجاب الدعوة (قال أنس فوالله ان مالي لكثير وان ولدي وولد ولدي ليعادون) بضم الياء وتشديد الدال أي يعد بعضهم بعضا وليزيدون (اليوم على نحو المائة) قال التلمساني وفي رواية الصحيحين والمصابيح ليتعادون بزيادة التاء (وفي رواية) وهي غير معروفة (وما أعلم أحدا أصاب اليوم من رخاء العيش) أي سعة المعيشة وكثرة النعمة (ما أصبت) أي ببركة دعوة صاحب النبوة وأثر كثرة الملازمة والخدمة هذا واستدل بعضهم بدعائه عليه السلام لانس على تفضيل الغنى على الفقر وأجيب بانه مختص بدعاء النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وانه قد بارك فيه ومتى بورك فيه لم يكن فيه فتنة فلم يحصل بسببه مضرة (ولقد دفنت بيدي) بتشديد الياء (هاتين مائة من ولدي لا أقول سقطا) بكسر السين ويجوز ضمها وفتحها وهو الجنين الذي يسقط قبل تمامه (ولا ولد ولد) أي لا أحسبها في العدد قال الحلبي واعلم ان في البخاري في الصوم من رواية حميد عن أنس قال حدثتني ابنتي أمينة انه دفن لصلبي مقدم الحجاج البصرة عشرون ومائة قيل وكان مقدمه سنة خمس وسبعين وقد ولد لانس بعد ذلك أولاد كثيرة وتوفي في سنة ثلاث وتسعين ونقل عن ابن قتيبة انه وقع على الارض من صلب المهلب ابن أبي صفرة البصري ثلاثمائة ولد (ومثله) وفي نسخة صحيحة ومنه أي ومن دعائه المجاب (دعاؤه لعبد الرحمن بن عوف بالبركة) على ما رواه البيهقي (قال) أي عبد الرحمن كما في نسخة صحيحة (فلو رفعت حجرا لرجوت ان أصيب

تحته ذهبا وفتح الله عليه) أي فتوحات كثيرة وأموالا غزيرة (ومات فحفر الذهب) بصيغة المجهول أي استخرج مما كان مدفونا (من تركته) بفتح فكسر أي متروكاته بعد خيراته ومبراته (بالفؤس) بضم الفاء والهمزة وسكون الواو جمع فأس بالهمزة ويبدل كراس ورؤس وكأس وكؤس (حتى مجلت) بفتح الجيم ويكسر أي تنفطت من كثرة العمل (فيه

(تحته ذهبا وفتح الله عليه) أي يسر له أمور الدنيا بسهولة وتقدم ان أصل الفتح ازالة الاغلاق والاشكال قال الله تعالى فتحنا عليهم أبواب كل شئ أي وسعنا عليهم باقبال أنواع الخيرات عليهم وهذا ببركة دعائه صلى الله تعالى عليه وسلم له فانه لما قدم المدينة آخا بينه وبين سعد بن الربيع وتعاطى التجارة فرزقه الله تعالى مالا كثيرا (ومات) في سنة احدى وثلاثين وقيل اثنين وثلاثين وهو ابن خمس أو ثلاث أو اثنين وسبعين سنة ودفن بالبقيع (فحفر الذهب من تركته بالفؤس) الحفر معروف وهو في الاصل اخراج تراب الارض قيل المراد به هنا قطعه لانه في صدر الاسلام لم يكن تضرب الدنانير وانما كانت تأتي من غير ديارهم وتجعل الذهب والفضة سبائك وقطعا توزن فكان عنده منها قطع كثيرة لما أريد قسمتها كسرت والتركة بفتح أوله وكسر ثانيه ما تركه الميت خالصا من حق الغير والفؤس بضم الفاء والهمزة تليها واو ساكنة بزنة كؤس جمع فاس بفتح فهمزة ساكنة وتبدل ألفا (حتى مجلت فيه الايدي) بفتح الميم والجيم ويجوز كسرها وفي آخره لام وتاء تأنيث وضمير فيه للحفر المعلوم مما قبله والمجل تغير يكون في اليد من كثرة العمل حتى تخرج في أيديهم نفاطات وجراحات من كثرة عملهم (وأخذت كل زوجة) واحدة من زوجاته (ثمانين ألفا) لم يبين هل هي ذهب أو فضة وهل هي مثاقيل أو دراهم الا أنه وقع التصريح في رواية بانها دراهم والعادة ان يعد الذهب بالمثاقيل والفضة بالدراهم (وكن) أي زوجاته التي مات عنهن ورثته (أربعا) من النسوة (وقيل) ان نصيب كل واحدة من هؤلاء الزوجات الاربع (مائة ألف وقيل بل صولحت) بالبناء للمجهول (احداهن) أي صالحها بعض ورثته بعد موته على طريق الخارج من التركة (لانه طلقها في مرضه) الذي مات فيه والمطلقة في مرض الموت ترث اذا مات وهي في العدة ولم يكن الطلاق بطلب منها بشروط مفصلة في كتب الفقه وهو مذهب أبي حنيفة رحمه الله تعالى عليه وخالفه في ذلك الشافعي رحمه الله تعالى عليه في أحد قوليه وذهب الى كل من المذهبين كثير من الصحابة كما فصل في كتب الفقه وليس هذا محله (على نيف) بفتح النون وتشديد الياء المكسورة بوزن كيس وهو كل ما زاد على عقد الى ان يبلغ ما فوقه من العقود من ناف بمعنى زاد ويجوز تخفيفه (وثمانين ألفا) من الدنانير (وأوصى بخمسين ألفا) من الدنانير كما ذكره الطبراني في الرياض النضرة قال أوصى عبد الرحمن بن عوف بخمسين ألف دينار في سبيل الله وأوصى بحديقته لامهات المؤمنين فبيعت باربعمائة ألف وأوصى لمن بقي من أهل بدر لكل رجل باربعمائة دينار وبالف فرس في سبيل الله وهذا كله (بعد صدقاته الفاشية) أي الظاهرة المشهورة من فشى السر اذا شاع (في حياته وعوارفه العظيمة) جمع عارفة وهي ما يعتاد من الاحسان والعطايا بجعل المعروف عارفا مبالغة وعمايحاوه ومن لطائفهم المشهورة ثم أشار الى شئ مما ذكر فقال (أعتق يوما ثلاثين عبدا وتصدق يوما بعير) بكسر العين المهملة وهي الجمال التي تحمل الميرة اسم جمع لا واحد له وقد يقال لكل ما تحمل الميرة من الابل وغيرها والمراد الاول لقوله (فيها سبعمائة بعير وردت عليه) أي جاءته مع قافلة أرسلها للتجارة (تحمل من كل شئ) أي عليها أحمال من أمور مختلفة كالبر والتمر والثياب والاستغراق عرفي أي من كل ما عهد حمله للتجارة (فتصدق بها) أي بالابل (وبما عليها) من طعام وغيره (باقتابها) جمع قتب بفتحتين ويجوز اسكان ثانيه وهو اكاف صغير يوضع على سنام البعير ليقيه

الايدي وأخذت كل زوجة) أي من زوجاته (ثمانين ألفا وكن أربعا) فجملته ثلثمائة وعشرون ألفا (وقيل مائة ألف) بالنصب أي أخذت كل واحدة منهن مائة ألف فجملته أربعمائة ألف (وقيل بل صولحت احداهن لانه طلقها في مرضه) أي الذي مات فيه (على نيف) بتشديد التحتية المكسورة وتسكينها أي زيادة بمعنى كسر (وثمانين ألفا وأوصى بخمسين ألفا) أي ألف دينار في سبيل الله كما صرح به عروة بن الزبير وكذا أوصى بالف فرس في سبيل الله كما ذكره الحجازي وغيره (بعد صدقاته الفاشية) أي الكثيرة الشائعة (في حياته وعوارفه العظيمة) أي معروفاته الجزيلة قبل مماته (أعتق يوما ثلاثين عبدا وتصدق مرة بعير) بكسر العين أي بقافلة (فيها سبعمائة بعير وردت عليه) أي جاءت من سفر تجارة (تحمل من كل شئ) أي من من أجناس الاموال وأنواعها (فتصدق بها) أي بالابعرة السبعمائة (وبما عليها) أي من أنواع البضائع المختلفة (وباقتابها) جمع قتب بالتحريك وهو للبعير كالاكاف لغيره

(وباحلاسها) جمع حلس بالكسر وهو كساء يلي ظهر البعير تحت القتب وفي ذكرهما مبالغة في الاستيفاء وتأكيد للاستقصاء هذا وقد قال الحلبي الذي استحضره من صدقات عبد الرحمن بن عوف انه تصدق بشطر ماله أربعة آلاف ثم بأربعين ألفا ثم بأربعين ألف دينار ثم تصدق بخمسمائة فرس في سبيل الله ثم بخمسمائة راحلة وفي الترمذي انه أوصى لامهات المؤمنين بحديقة بيعت بأربعمائة ألف قال الترمذي حديث حسن وقال الزهري أوصى لمن بقي من أهل بدر لكل رجل بأربعمائة دينار وكانوا مائة

من الاذى (وباحلاسها) جمع حلس بكسر الهاء المهملة وسكون اللام وسين مهملة وهو كساء يوضع تحت الاكاف على ظهر البعير وهذا قليل مما ذكر في مناقب ابن عوف وصدقاته فانه لا يعد ولا يحصى وكان أهل المدينة عيالا عليه يصلهم دائما ويقضي ديونهم ويقوم بمؤنة فقرائهم وليس هذا محل تفصيله (ودعا) صلى الله تعالى عليه وسلم (لمعاوية) بن أبي سفيان رضي الله تعالى عنهما (بالتمكن في البلاد) التمكن تفعل من المكان والمراد به القدرة على التصرف فيها يقال مكنته ومكنت له قال الله تعالى ولقد مكناكم في الارض (فنال الخلافة) أي صار خليفة وسلطانا مالكا للبلاد بدعائه صلى الله تعالى عليه وسلم وهو اشارة الى حديث رواه أبو سعد فيه انه قال اللهم علمه الكتاب ومكن له في البلاد وقه العذاب ومعاوية رضي الله تعالى عنه أسلم هو وأبوه وأمه هند وأخوه يزيد في فتح مكة وقال معاوية انه أسلم في يوم الحديبية وكتم اسلامه عن أبيه وشهد مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حنينا فاعطاه من غنائم هوازن أربعين أوقية ولما بعث أبو بكر رضي الله تعالى عنه الجيش الى الشام سار هو وأخوه يزيد معهم فاستخلفه أبو بكر على دمشق ثم أقره عمر عليها ثم أقره عثمان عليها فلما قتل لم يبايع عليا لطلبه بدم عثمان ممن كان معه ممن باشر قتله وجرى بينهما ما جرى في وقعة صفين مما ينبغي الكف عنه وقال صلى الله تعالى عليه وسلم لمعاوية اللهم اجعله هاديا مهديا وورد في فضائله أحاديث أخر فكان في أول أمره أميرا لابي بكر وعمر وعثمان رضي الله تعالى عنهم فلما قتل عثمان استقر مكانه ولم يمتثل أمر علي كرم الله تعالى وجهه لاجتهاد أداه لذلك فلما قتل علي واستخلف ابنه الحسن رضي الله تعالى عنه سار معاوية الى العراق وسار اليه الحسن ثم رأى ان الخطب عظيم تراق فيه دماء المسلمين فسلم الامر الى معاوية باختيار منه فرجع الى المدينة فتسلم منه معاوية الخلافة وأتى الكوفة فبايعه الناس واجتمعوا عليه فسمي ذلك العام عام الجماعة وصار معاوية خليفة حقيقة بعدما كان الحق مع علي كرم الله وجهه كما ارتضاه القاضي أبو بكر بن العربي لا متغلبا كما أشار اليه المصنف بقوله نال الخلافة فاندفع ما قيل من ان الصواب ان يقول نال الامارة أو الملك لقوله صلى الله عليه وسلم الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم يكون ملكا عضوضا وسيأتي الكلام على ذلك كله وكملت الخلافة بمدة الحسن بعد أبيه ستة أشهر وقيل الخلافة بالمعنى اللغوي لانه خلف من قبله أو الخلافة اتباع السنة (و) دعا صلى الله تعالى عليه وسلم (لسعد بن أبي وقاص) أي دعى دعاء مستجابا لسعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه كما ورد في حديث رواه الترمذي مسندا متصلا عن سعد والبيهقي عن قيس بن أبي حازم مرسلا حسنا وأبو وقاص كنية أبيه وهو مالك بن وهيب بن عبد مناف الزهري القرشي أحد العشرة المبشرين بالجنة وهو أول من أراق دما في الاسلام وهو من الشجعان الذين كانوا يحرسون رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وآخر العشرة موتا مات سنة خمس وخمسين وله بضع وستون أو سبعون سنة وثمانون ودفن في البقيع ومناقبه مشهورة (ان يجيب الله دعوته) أي كل دعوة له (فما دعا على أحد الا استجيب له) بالبناء للمجهول والاستجابة بمعنى الاجابة قال

فاخذوها وأخذ عثمان فيمن أخذ وأوصى بألف فرس في سبيل الله انتهى وروى انه رضي الله تعالى عنه لما حث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على الصدقة جاءه بأربعة آلاف درهم وقال يا رسول الله كان لي ثمانية آلاف درهم فاقرضت ربي أربعة وأمسكت لعيالي أربعة فقال صلى الله تعالى عليه وسلم بارك الله لك فيما أعطيت وفيما أمسكت فبارك الله في ماله (ودعا لمعاوية) أي ابن أبي سفيان (بالتمكين في البلاد فنال الخلافة) أي أصابها في الجملة أو على وفق ما أراد اذ الصحيح انه لا يسمى خليفة على خلاف بعد نزول الحسن والمعتمد ان الخلافة تمت بخلافة الحسن بعد أبيه بستة أشهر لقوله عليه الصلاة والسلام الخلافة بعدي في أمتي ثلاثون سنة ثم ملك بعد ذلك رواه أحمد والترمذي بسند صحيح وكذا ابن حبان عن سفينة ثم رأيت انه قيل صوابه الامارة وقد روى ابن سعد دعاءه عليه الصلاة والسلام اللهم علمه الكتاب ومكنه في البلاد وقه العذاب وروى انه عليه الصلاة والسلام قال لن يغلب معاوية وقد بلغ عليا هذه الرواية فقال لو علمت لما حاربته (ولسعد ابن أبي وقاص) أي دعا له (ان يجيب الله دعوته فما دعا) أي سعد (على أحد الا استجيب له) رواه الترمذي موصولا ورواه البيهقي عن قيس ابن أبي حازم مرسلا بلفظ اللهم استجب له اذا دعا حسنه وقد استجيب له دعاء

دعوات مروية في الصحيح وغيره منها ان رجلا نال من علي كرم الله وجهه بحضرته فقال اللهم ان كان كاذبا فارني فيه آية فجاء جمل فتحبطه حتى قتله ومنها ما رواه البخاري انه دعا على أبي سعدة اللهم أطل عمره وأطل فقره وعرضه للفتن قال الراوي فلقد رأيته شيخا كبيرا اسقط حاجباه على عينيه يتعرض للجواري يغمزهن فيقال له فيقول شيخ مفتون اصابته دعوة سعد (ودعا) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (بعز الاسلام بعمر ١١٨ أوبأبي جهل فاستجيب له في عمر) رواه الامام أحمد والترمذي في جامعه وغيرهما عن ابن عمر به مرفوعا ولفظه اللهم أيد الاسلام باحب هذين الرجلين اليك بأبي جهل أو بعمر ابن الخطاب وصححه ابن حبان والحاكم في مستدركه عن ابن عباس اللهم أيد الدين بعمر بن الخطاب وفي لفظ أعز الاسلام بعمر وقال انه صحيح الاسناد وفيه عن عائشة اللهم أعز الاسلام بعمر بن الخطاب خاصة وقال انه صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه واما ما يدور على الالسنة من قولهم اللهم أيد الاسلام باحد العمرين فلا يعلم له أصل في المبنى وان كان يصح نقله بالمعنى بناء على تغليب عمر على عمرو بن هشام وهو اسم أبي جهل وكان يكنى أولا أبا الحكم فكناه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أبا جهل فغلبت عليه هذه الكنية (وعن ابن مسعود) وفي نسخة وقال ابن مسعود (مازلنا أعزة) جمع عزيز أي أقوياء وعظماء أو ظاهرين قاهرين (منذ أسلم عمر) قلت وفي الآية أي اشارة الى هذه العزة حيث نزل عند ايمانه قوله تعالى يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين فانه رضي الله تعالى عنه كان تمام الاربعين (وأصاب الناس في بعض مغازيه) أي سير غزواته صلى الله تعالى عليه وسلم (عطش) أي شديد (فسأله عمر الدعاء) أي الاستسقاء (فدعا فجاءت سحابة فسقتهم حاجتهم) بالنصب أي قدر كفايتهم (ثم أقلعت) بفتح الهمزة واللام أي اقشعت السحابة وانجلت (ودعا في الاستسقاء) أي يوم جمعة على المنبر في المدينة كما رواه الشيخان عن أنس (فسقوا) بصيغة المفعول

وداع دعا يامن يجيب الى الندا * فلم يستجبه عند ذاك مجيب

وأصل معناه الاجابة قال الترمذي قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اللهم استجب لسعد اذا دعاك وعن المقداد رضي الله تعالى عنه ان سعدا قال يا رسول الله ادع الله ان يستجيب دعائي فقال يا سعد ان الله لا يستجيب دعاء أحد حتى يطيب طعمته فقال ادع الله ان يطيب طعمتي فاني لا أقوى الا بدعائك فقال اللهم أطب طعمة سعد الحديث ودعواته مشهورة مأثورة وقد أجيب له دعوات مخرجة في الصحيح وغيره (ودعا) صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث رواه الترمذي عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما (بعز الاسلام) بان الله يعز الاسلام أي يقويه وينصره ويظهره باحد الرجلين (بعمر) رضي الله تعالى عنه (أو بأبي جهل) لما كان يعلم من شدتهما وشجاعتهما أو بتفرسه فيهما الا على التعيين وكان هذا بمكة قبل الهجرة وتمكن المسلمين من اظهار الدين (فاستجيب له في عمر) بان هداه الله تعالى وأعز به دينه فسبقت له السعادة وسبقت الشقاوة لأبي جهل عمرو بن هشام فرعون هذه الامة لعنه الله فقتل كافرا يوم بدر في السنة الثانية من الهجرة والمراد بعز الاسلام عز أهله والا فهو دائما عزيز لانهم كانوا قبل اسلام عمر لا يظهرون صلاتهم عند البيت خوفا من المشركين فلما أسلم رضي الله تعالى عنه قاتلهم حتى صلوا معه عند الكعبة ولذا قال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه كان اسلام عمر فتحا وهجرته نصرا وخلافته رحمة وتشريكه صلى الله تعالى عليه وسلم له في الدعاء مع أبي جهل لانه لم يتعين عنده أحدهما أو لم يعينه لامر ما وقد روي من طرق انه صلى الله تعالى عليه وسلم خص عمر بالدعاء فقال اللهم أعز الاسلام بعمر بن الخطاب اللهم أيد الاسلام بعمر وجمع بين الروايتين بانه لما تفرس فيهما الشهامة ونفوذ الكلمة بحيث لا يعصى أمرهما دعا بذلك ثم لما تبين له باعلام من الله تعالى والهام منه ان اللائق بذلك عمر خصه بدعائه ثانيا وكرره حتى استجيب له وقصة اسلامه مفصلة في السير (قال ابن مسعود مازلنا أعزة منذ أسلم عمر) لانه أظهر ذلك وقاتلهم في بلدهم كما فعل حمزة أيضا رضي الله تعالى عنه فكان ذلك ابتداء الظهور وكان ما كان مما لم يحل في خواطر الامكان (و) مما وقع له صلى الله تعالى عليه وسلم من اجابة دعائه ما رواه البيهقي والحاكم وصححه عن عمر رضي الله تعالى عنه (أصاب الناس في بعض مغازيه) صلى الله تعالى عليه وسلم (عطش فسأله عمر الدعاء) للناس ان يسقيهم الله من فيض فضله (فدعا فجاءت سحابة) أي ظهرت سحابة عقب دعائه صلى الله تعالى عليه وسلم وفيه استعارة لتشبيهها برجل يسمع نداءه فجاءه فهي تصريحية تبعية أو تخييلية كما في قوله (فسقتهم) أي شربوا من ماء مطرها وقوله (حاجتهم) مفعوله لتضمنه معنى أعطتهم حاجتهم وهي الماء الذي يزيل عطشهم (ثم أقلعت) أي انجلت وكفت عن المطر بعد قضاء حاجتهم من سائها قيل هذه الغزاة هي غزاة بدر المشار اليها بقوله في سورة الانفال وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به كما ذكره ابن الجوزي في الوفاء وساق الحديث بتمامه ودعا صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث رواه الشيخان عن أنس رضي الله تعالى عنه (في الاستسقاء) أي في دعائه وطلبه ان يسقيهم (فسقوا) بالبناء للمجهول

(ثم شكوا اليه المطر) أى كثرته حيث خيف ضرره فى الجمعة الثانية وهو على منبره (فدعا) أى بكشفه (فصحوا) بفتح الصاد وضم الحاء وفتحها أى فانكشف ما بهم من السحابة (وقال لابى قتادة أفلح وجهك) جملة خبرية فى المبنى دعائية فى المعنى أى بقى وفاز وظفر (اللهم بارك له) أى لابى قتادة (فى شعره) بفتح العين ويسكن (وبشره) بفتحتين أى ظاهر جلده حتى يستمر أحسنين (فمات) أى أبو قتادة (وهو ابن سبعين سنة) جملة حالية وكذا قوله (وكانه ابن خمس عشرة) بسكون الشين المعجمة وتكسر رواه البيهقى (وقال) أى النبى عليه الصلاة والسلام (للنابغة) أى الجعدى واسمه قيس بن عبد الله وقيل عكسه حين أنشده قصيدته الرائية (لا يفضض الله) بضم الضاد المعجمة الاولى وكسر الثانية على ان لا ناهية وضمها على ان لا نافية وهى أبلغ أى لا يسقط وقيل لا يكسر من فض كسر وفرق وروى لا يفض الله فاك من الفضاء وهو الخلاء أى لا يجعل الله فاك فضاء لا اسنان فيه (فاك) أى اسنانك أو اسنان فيك باعتبار أحد المجازين كقوله تعالى واسئل القرية (فما سقطت له سن) رواه البيهقى وابن أبى أسامة وروى مثله عن عمه العباس قال يا رسول الله انى مدحتك فقال لا يفضض الله فاك فأنشد الابيات السابقة (وفى رواية فكان) أى النابغة (أحسن الناس ثغرا) بفتح المثلثة وسكون الغين المعجمة أى سنا وقيل هو ما تقدم من الاسنان ويؤيده الاول عموم قوله

أى سقاهم الله تعالى عقب دعائه ودام السحاب بمطر (ثم شكوا اليه المطر) من كثرته ودوامه المضر بهم (فدعا) الله بان يكف المطر ويقلع السحاب (فصحوا) أى صحت السماء وانكشف غيمها فاسناد الصحو اليهم مجازى وهو بفتح الحاء بزنة رموا ورويت بضمها وأصله صحو وانتقل وحذف (ودعا لابى قتادة) الحارث بن ربعى الصحابى وقد تقدمت ترجمته وهذا الحديث رواه البيهقى فى الدلائل وبين دعاءه بقوله (أفلح وجهك) الفلاح الظفر وادراك البغية وهو دنيوى وهو نيل ما يطيب به حياة الدنيا والبقاء فى عز وغنى وأخروى وهو النعيم المخلد والوجه معروف وقد يعبر به عن الذات كما فى قوله تعالى ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام (اللهم بارك له) أى لابى قتادة رضى الله تعالى عنه وتقدم معنى البركة (فى شعره وبشره) والشعر معروف والمراد به ما يستحسن ويعد زينة والبشر ظاهر الجلد والبدن وكنى بذلك عن جملته وجميع بدنه فدعا له صلى الله تعالى عليه وسلم بان يبقى معمرا على أحسن تقويم كاملا جميع أعضائه (فمات وهو ابن سبعين سنة وكأنه ابن خمس عشرة سنة) فى نضارته وقوته لم يتغير بدنه ولم يشب شعره ببركة دعائه صلى الله تعالى عليه وسلم له وتوفى بالمدينة سنة أربع وخمسين وقد تقدم ان الفلاح دنيوى وأخروى وما ذكره من تمام خلقته دنيوى فتمامه يدل على فوزه بالفلاح الاخروى لان الكريم اذا طلب منه أمران فعجل باحدهما دل على انه يعطى الآخر وانما اقتصر على هذا لانه معلوم مشاهد دال على غيره كما قيل

كما أحسن الله فيما مضى * سيحسن الله فيما بقى

(وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم (للنابغة) الجعدى وهو قيس وقيل حبان بن عبد الله بن عمر بن عدس بوزن عمر وفى الشعراء من لقب بالنابغة غيره كالنابغة الذبيانى ولكنه اذا أطلق يراد به هذا وهو أحد المخضرمين المعمرين قيل انه عاش مائتين وثمانين سنة وقيل مائتين وأربعين وقيل مائة وعشرين سنة كما يأتى واجتمع بالنبى صلى الله عليه وسلم وأخرجاه بقى بن مخلد حديثا ومدح النبى صلى الله عليه وسلم بقصيدته الرائية وهى نحو مائة بيت فى غاية البلاغة أنشدها بين يديه صلى الله عليه وسلم فدعا له بما ذكره المصنف ولما بلغ قوله فيها

بلغنا السماء مجدنا وسناؤنا * وانا لنرجو فوق ذلك مظهرا

قال الى أين يا أبا ليلى قال الى الجنة قال نعم ان شاء الله تعالى ثم لما أنشده صلى الله تعالى عليه وسلم قوله

ولا خير فى علم اذا لم يكن له * بوادر تحمى صفوه ان يكدرا

ولا خير فى جهل اذا لم يكن له * حليم اذا ما أورد الامر أصدرا

قال له صلى الله تعالى عليه وسلم (لا يفضض الله فاك) وروى لا يفضى الله فاك بضم أوله وسكون ثانيه وكسر الضاد يليها ياء ساكنة مضارع أفضى كأعلى يعلى قال المرزوقى فى شرح الفصيح تقول العرب فى الدعاء عليه فض الله فاه وفى الدعاء له لا يفضض الله فاه ومصدره الفض ومعناه الكسر وبعض العرب تقول لا يفضى الله فاك أى لا يجعله فضاء خاليا من الاسنان وهذا كقوله

* قد ترك البرنى فاه بلدا انتهى * فعلى الاول الفم مجاز عما فيه من الاسنان وعلى الثانى على حقيقته والنابغة لقب له لانه نبغ فى الشعر أى فاق أقرانه والهاء للمبالغة كعلامة (فما سقطت له سن) ببركة دعائه صلى الله تعالى عليه وسلم له والسن واحدة الاسنان المعروفة وقد قالوا زيادة السن نقص فى السن فالسن الاول العمر والثانى واحد الاسنان (وفى رواية) لحديث النابغة المذكور (فكان أحسن الناس ثغرا)

(اذا سقطت له سن نبتت له أخرى وعاش عشرين ومائة) هو نابغة في مائة وعشرين (وقيل أكثر من هذا) فقيل عاش مائة وثمانين سنة وقيل مائتين وأربعين سنة وكان في الجاهلية يصوم ويستغفر وبقي الى أيام ابن الزبير وأخرج له بقي بن مخلد حديثا واحدا وفي الشعراء جماعة غيره يقال لكل

منهم النابغة واذا أطلق فهو المراد واختلف في سبب الدعاء له فقيل قوله

بلغنا السماء في مجدنا وسناؤنا

وانا لنرجو فوق ذلك مظهرا

فقال الى أين يا أبا ليلى قال فقلت الى الجنة فقال نعم ان شاء الله وقال الحديث وقيل قوله

ولا خير في علم اذا لم تكن له بوادر تحمي صفوه ان يكدرا

ولا خير في جهل اذا لم يكن له

تأن اذا ما أورد الامر أصدرا

وقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أجدت فلا سقطت له سن (ودعا لابن عباس) كما رواه الشيخان (اللهم فقهه في الدين) أي علمه ما يحتاج اليه في أمر الدين من الامور الواضحة للمجتهدين (وعلمه التأويل) أي تأويل الكتاب والسنة من آل يؤول الى كذا اذا رجع اليه وأريد به صرف اللفظ عن ظاهره لدليل لولاه ما صرف عن حاله (فسمي) أي ابن عباس (بعد) بضم الدال أي بعد دعائه صلى الله تعالى عليه وسلم (له الحبر) بفتح الحاء عليه وتكسر أي حبر الامة وهو عالمها سمي به وهو المداد اذ أولته له غالبا في اداء المراد وفي نسخة البحر بدل الحبر أي بحر العلم (وترجمان القرآن) بفتح التاء وضم الجيم وضمهما وحكي فتحهما أي مفسره ومعبره والترجمان في الاصل من ترجم الكلام أي ينقله من لغة الى لغة أخرى وفي القاموس الترجمان كعنفوان وزعفران وريهقان المفسر للسان

بثاء مثلثة مفتوحة وغين معجمة ساكنة وراء مهملة وهو ما تقدم من الاسنان ويقال أثغر الغلام بتشديد المثلثة وأتغر بتشديد المثناة ويطلق الثغر على الفم ويصح ارادته هنا وثغرا منصوب تمييز (اذا سقطت له سن نبتت له أخرى) مكانها الثلا يخلو فمه من الاسنان (وعاش عشرين ومائة وقيل أكثر من هذا) فقيل مائة وأربعين وقيل مائتين وأربعين وقيل مائتين وثمانين لان دعائه صلى الله عليه وسلم له بان لا تسقط اسنانه يتضمن الدعاء له بطول العمر وفيه معجزة له صلى الله عليه وسلم باجابة دعوته فيه وأكثر أعمار هذه الامة ما بين الستين والسبعين وما زاد لا يزيد غالبا على مائة وعشرين ويزعم الاطباء انه العمر الطبيعي وقد زاد بعضهم على ذلك كما استقصاه الاصمعي في كتاب المعمرين ومنهم سلمان الفارسي وقد اختلفوا في مدته كما هو مفصل في ترجمته وفي الحديث ما يدل على ان مدح الشعراء للاشراف غير مكروه وان الاحسان لمن مدحهم بعطية وجائزة أو بدعاء وجميل من القول سنة وقصيدة النابغة هذه طويلة بليغة رواها ابن حجر بتمامها في بعض كتبه ولولا خوف الاطالة أوردناها هنا (ودعا) صلى الله تعالى عليه وسلم (لابن عباس) في حديث صحيح رواه الشيخان وابن عباس هو عبد الله بن العباس بن عبد المطلب غلب عليه حتى صار علما بالغلبة له دون سائر بنيه وقوله (اللهم فقهه في الدين) معمول مقدر أي فقال أو قائلا الى آخره أي فهمه وعلمه قال الراغب الفقه التوصل الى علم غائب بعلم شاهد فهو أخص من العلم قال تعالى ذلك بانهم قوم لا يفقهون والفقه العلم بالاحكام الشرعية يقال فقه اذا صار فقيها وفقه بمعنى فهم وفقهه فهمه وتفقه اذا طلبه فيخص به كما قال تعالى ليتفقهوا في الدين انتهى (وعلمه التأويل) أي التفسير وقد فرق بينهما فقيل التفسير بيان معنى القرآن بما هو مأثور عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أو كبار الصحابة والتأويل بيانه بما تقتضيه قواعد العربية وهو تفعيل من الاول بمعنى الرجوع الى الاصل ومنه الموئل لموضع الرجوع فهو رد الشئ الى الغاية المرادة منه علما كان أو فعلا فالعلم كقوله تعالى وما يعلم تأويله الا الله والفعل كقوله * وللنوى قبل يوم البين تأويل * وقوله تعالى يوم يأتي تأويله أي بيان غايته المقصودة منه وقوله ذلك خير وأحسن تأويلا بمعنى أحسن معنى وترجمة وقيل أحسن ثوابا في الآخرة فدعاؤه له صلى الله تعالى عليه وسلم بان يعلمه الله الشريعة المحمدية وان يهديه للوقوف على معاني كلامه فأجاب الله دعاءه حتى كان معول الناس عليه في ذلك (فسمي بعد) بالبناء على الضم أي بعد دعائه صلى الله تعالى عليه وسلم له أو بعد موته صلى الله تعالى عليه وسلم (الحبر) مفعول سمي وهو بكسر الحاء وفتحها ومعناه العالم المتقن الذي تبقى آثاره بعده وأصل معنى الحبر الاثر المستحسن ومنه ذهب حبره وسبره أي جماله وبهاؤه أي كان الصحابة وسائر الناس يسمونه بذلك لان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم توفي وابن عباس ابن عشر أو ثلاث عشر أو خمس عشر سنة على اختلاف فيه (وترجمان القرآن) ترجمان بالضم كعنوان والفتح كزعفران وبفتح أوله وضم الجيم وهو من يفسر لسانا بلسان ويطلق الترجمان على من يبلغ الكلام وللترجمة اطلاقات أخر وفي كلام المصنف رحمه الله تعالى شبه اللف والنشر فان كونه حبر الامة ناظر لقوله فقهه في الدين وكونه ترجمان القرآن ناظر لعلم التأويل والتفسير ودعاؤه صلى الله تعالى

(ودعا لعبد الله بن جعفر) أي ابن أبي طالب (بالبركة في صفقة يمينه) أي تبايعه وسمى صفقة لوضع كل من البايعان يده في يد الآخر عرفا وعادة (فما اشترى شيأ الا ربح فيه) رواه البيهق عن عمرو بن حريث (ودعا للمقداد) أي ابن الاسود (بالبركة فكان له) وفي نسخة صحيحة عنده (غرائر) بفتح الغين جمع غرارة بالكسر وهي جوالق (من المال) رواه البيهقي في الدلائل عن بضاعة بنت الزبير (ودعا بمثله) أي بمثل مادعا للمقداد من البركة (لعروة ابن أبي الجعد) قال ابن المديني أخطأ من قال فيه عروة ابن الجعد وانما هو ابن أبي الجعد انتهى وهو صحابي مشهور وحديثه هذا رواه البخاري (قال) أي عروة كما رواه أحمد (فلقد كنت أقوم) أي أقف كما في نسخة (بالكناسة) بضم الكاف موضع أو سوق بالكوفة وكانوا يرمون فيه كناسات دورهم (فما أرجع) أي عنها (حتى أربح) بفتح الموحدة أي أستفيد أربعين ألفا يحتمل الدينار والدرهم (وقال البخاري في حديثه فكان) أي عروة (لو اشترى التراب) أي مثلا (ربح فيه وروى مثل هذا) أي الدعاء بالبركة (لغرقد) بغين معجمة فراء ساكنة (أيضا) قال الدلجي لا أدري من رواه (وندت) بنون وتشديد دال أي نفرت وذهبت على وجهها شاردة (له) أي لغرقد (ناقة فدعا) أي النبي عليه الصلاة والسلام على ما هو ظاهر الكلام

عليه وسلم لابن عباس وقع مرارا وروى من طرق صحيحة منها ماروي عنه انه قال أتى صلى الله تعالى عليه وسلم الخلاء فوضعت له وضوءا أي ماء يتطهر به فقال من صنع هذا فقالوا ابن عباس فقال اللهم الى آخره قال ابن المنير مناسبة الدعاء لما فعله انه يدل على ذكائه لعلمه بانه يحتاج لطلب الماء فبادر لذلك وكان عند خالته ميمونة ليلا وهي المخبرة له صلى الله تعالى عليه وسلم بما صنعه وفي رواية علمه الكتاب وزده علما وفهما ووضع يده الشريفة على كتفه وفي رواية انه صلى الله تعالى عليه وسلم ضمه لصدره وأول من لقبه بترجمان القرآن ابن مسعود وكان أعلم الناس بالفقه والفرائض وأشعار العرب وايامها وكان يجلس لافادته فكان لا يسأل عن شئ الا وجد عنده علم منه كل ذلك ببركة دعائه صلى الله تعالى عليه وسلم (ودعا) صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث رواه البيهقي عن عمرو بن حريث (لعبد الله بن جعفر) بن أبي طالب بن عبد المطلب فعبد الله هاشمي مدني صحابي ولد بالحبشة وتوفي سنة تسعين أو ثمانين وروى عنه أحاديث عدة وجعفر هو الطيار ذو الجناحين وكان عبد الله ولده من أسخى الناس حتى لقب بحر الجود وقطب السخاء (بالبركة) أي الزيادة والنماء (في صفقة يمينه) أي في بيعه وشرائه ومعاملته وسمى ذلك صفقة لانهم كانوا اذا تبايعوا يصفق أحدهم يده بيد الآخر والصفقة ضرب اليد بصوت وذكر اليمين لان الاكثر في الاخذ والعطاء بها تيمنا (فما اشترى شيأ الا ربح فيه) أي وجد فيه ربحا وفائدة (ودعا) صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث رواه البيهقي في الدلائل وأبو نعيم (للمقداد) بن الاسود والمقداد هو ابن عمرو بن ثعلبة ويأتي انه اشتهر بابن الاسود لانه تربى في حجره وهو صحابي مشهور توفي في خلافة عثمان رضي الله تعالى عنه (بالبركة) أي الزيادة في ماله (فكان عنده غرائر من المال) ببركة دعائه صلى الله عليه وسلم له والغرائر جمع غرارة بكسر الغين المعجمة وهي معروفة وقال الجوهري أظنها معربة قال أبو نعيم قالت ضباعة بنت الزبير وهي زوجة المقداد خرج المقداد يوما لقضاء حاجته فبينما هو جالس خرج جرذ من حجره بدينار ولم يزل يخرج دينارا دينارا حتى بلغ سبعة عشر فجاء بها المقداد للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأخبره بخبره فقال له أدخلت يدك في الحجر قال لا والذي بعثك بالحق فقال صدقة تصدق الله بها عليك بارك الله لك فيها قالت ضباعة فما فني آخرها حتى رأيت غرائر الورق في بيت المقداد انتهى (ودعا بمثله) أي بمثل مادعى للمقداد وغيره في حديث رواه البخاري والدارقطني وأحمد في مسنده (لعروة بن أبي الجعد) البارقي وقيل الازدي واختلف فيه فقيل عروة بن أبي الجعد وهو صحابي مشهور أخرج له الستة وأحمد وبارق بطن من الازد نزلوا عند جبل يقال له بارق فنسبوا له قيل من قال ابن الجعد فقد أخطأ وولاه عمر قضاء الكوفة (قال) عروة (فلقد كنت) جواب قسم مقدر (أقوم بالكناسة) بضم الكاف معناها القمامة ثم صارت علما السوق مشهور بالكوفة وقيل انه يجوز ان يراد به حقيقته أي أقوم بمقام حقير يستبعد الكسب في مثله وهو بعيد (فما أرجع) أي أعود من المحل الذي قمت فيه (حتى أربح أربعين ألفا) مما يبيعه ويشتريه (وقال البخاري فيه) أي في حديث عروة (فكان) عروة رضي الله تعالى عنه (لو اشترى التراب ربح فيه) ببركة دعائه صلى الله تعالى عليه وسلم (وروى مثل هذا) أي مثل حديث عروة المذكور (لغرقدة أيضا) بفتح الغين المعجمة وسكون الراء المهملة وقاف ودال مهملة واحدة الغرقد وهو شجر معروف له شوك يسمى العوسج والعضاه وبه سمى بقيع الغرقد وهو مقبرة أهل المدينة وغرقدة صحابي يسمى أبا شبيب روى عنه ابنه (وندت له ناقة) الضمير للنبي صلى الله عليه وسلم وند ماض بفتح النون وتشديد الدال المهملة بمعنى نفرت وشردت حتى غابت عن نظره فلا يراها وأصل معناه انفردت عن اندادها وهذا يختص بالابل ونحوها فلا يقال

نذ الرجل وليس ضميراً له لغرقدة كما توهمه بعضهم (فجاءبها أعصار ريح) الاعصار بحروف مهملة ريح شديدة تثير غباراً ويرتفع الى السماء كأنها عمود وهي الزوابع وقيل ريح تثير سحاباً ذات رعد وبرق والمراد الاول هنا (حتى ردها) الاعصار (عليه) أي على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا الحديث لم يخرجوه وكون الضمير لغرقدة لا يناسب المقام وان اتفقوا عليه والظاهر ما قلناه وليس من هذا أيضاً كما في الشرح الجديد ما وقع في غزوة بني المصطلق لانها هاجت فيها ريح شديدة فاذتهم وكانت ناقته صلى الله عليه وسلم ضلت ليلاً فقال له صلى الله عليه وسلم انها هبت لموت عظيم من الكفار وهو رفاعة بن زيد فقال بعض المنافقين أيزعم محمد انه يعلم الغيب وهو لا يعلم مكان ناقته فأتاه جبريل وأخبره بما قاله وبمكان ناقته بالشعب الى آخر القصة اذ ليس فيها ان الريح ردت الناقة عليه فلعل المصنف وقف عليه من طريق آخر فيه رد الريح (ودعا) صلى الله عليه وسلم في حديث رواه مسلم فيه انه دعا (لام أبي هريرة) رضي الله تعالى عنهما بان يهديها الله للاسلام وكانت مشركة (فاسلمت) وهداها الله للاسلام وحازت شرف الصحبة واسمها أميمة بنت صبيح بن الحرث بن دوس كما ذكره ابن بشكوال وأبوها صبيح بالموحدة وقيل صفيح بالفاء وقيل اسمها ميمونة وحكى القولين ابن الاثير في أسد الغابة وأما أبو هريرة فقد تقدم الكلام على اسمه والخلاف فيه وكان رضي الله عنه حريصاً على اسلامها فدعاها للاسلام فاسمعته ما يكره في حق النبي صلى الله عليه وسلم فأتاه وهو يبكي وقال له اني كنت ادعوها للاسلام فتأبى فدعوتها اليوم فاسمعتني فيك ما أكره فادع الله ان يهديها فقال اللهم اهد أم أبي هريرة فخرج مستبشراً بدعائه صلى الله تعالى عليه وسلم فلما أتى الباب سمعت خشف أقدامه فقالت مكانك يا أبا هريرة فسمع صب الماء فاغتسلت ولبست درعها وخمارها وفتحت له الباب فلما دخل قالت يا أبا هريرة اني أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمداً رسول الله فرجع الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فرحاً وقال أبشر يا رسول الله فقد أجيبت دعوتك وهدى الله تعالى أمي للاسلام فحمد الله تعالى فقال يا رسول الله أدع الله أن يحببني أنا وأمي الى عباده المؤمنين ويحببهم الينا فقال اللهم حبب عبدك هذا وأمه الى عبادك وحببهم لهما فكان لا يسمع به أحد أو يراه الا أحبه كما ذكره مسلم والبيهقي في دلائله (ودعا) صلى الله عليه وسلم (لعلي) بن أبي طالب في حديث رواه البيهقي وابن ماجة بسند صحيح متصل بعلي رضي الله تعالى عنه (ان يكفي) بالبناء للمجهول أي أن يكفيه الله تعالى بفضله (الحر والقر) أي ألمهما وهو بفتح الحاء وتشديد الراء المهملتين وهو ضد البرد والحرارة سخونة تعرض للهواء من نحو الشمس والنار ومنها ما يعرض للبدن من الطبيعة كحرارة المحموم والقر بضم القاف وتشديد الراء هو البرد ويختص ببرد الشتاء كما يختص الحر بحرارة الصيف وهو المراد وحكى ابن قتيبة تثليث قافه فيجوز فتحها هنا للازدواج وأصله من القرار لان البرد يقتضي السكون والحر يقتضي الحركة كما قاله الراغب (فكان) علي رضي الله تعالى عنه بعد دعائه صلى الله تعالى عليه وسلم له (يلبس) في زمن (الشتاء ثياب الصيف) الخفيفة كالقميص الواحد (وفي) زمن (الصيف ثياب الشتاء) وهي المضربات المحشوة والثياب الثخينة (ولا يصيبه) أي لا يجد ويحس (حراً ولا برداً) أي ألمهما ويقصد باظهار ذلك انه اختص بأمر يخالف به غيره لدعائه صلى الله تعالى عليه وسلم فاذا كان لا يضره شدة حر الصيف لا سيما في الحجاز ولا شدة برد فصل الشتاء فغيره بالطريق الاولى وكان دعاؤه صلى الله تعالى عليه وسلم له بخيبر لما أصابه بها رمد شديد قال عبد الرحمن ابن أبي ليلى كان علي رضي الله تعالى عنه يلبس في الحر القباء المحشو والثخين ولا يبالي بشدة الحر ويخرج في البرد الشديد بثوب خفيف ولا يبالي فسئل عن ذلك فقال انه صلى الله عليه وسلم أعطى الراية يوم خيبر أبا بكر ثم عمر فلم يحصل فتح على يديهما فقال

(فجاءبها) وفي نسخة صحيحة فجاءبها (أعصار ريح) بالاضافة والاعصار بالكسر ريح عاصف يستدير في الارض ثم يسطع الى السماء مستديراً كالعمود (حتى ردها) أي الاعصار الناقة (عليه) أي على غرقد (ودعا لام أبي هريرة) أي بالهداية كما رواه مسلم وغيره (فاسلمت) فعن أبي هريرة قال دعوت أمي يوماً الى الاسلام وهي مشركة فاسمعتني في رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما أكره فاتيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأنا أبكي فقلت يا رسول الله ادع الله أن يهدي أم أبي هريرة فقال اللهم اهد أم أبي هريرة فخرجت مستبشراً بدعوته عليه السلام فلما صرت الى الباب فاذا هو مجاف فسمعت أمي خشف قدمي فقال مكانك يا أبا هريرة وسمعت خضخضة الماء ولبست درعها وعجلت عن خمارها ففتحت الباب ثم قالت أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله فرجعت الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأنا أبكي من الفرح فحمد الله وقال خيراً (ودعا لعلي ان يكفي) بصيغة المفعول أي يحفظ (الحر والقر) بضم القاف وفتحها وتكسر البرد أو شديده أي شرهما (فكان) أي علي (يلبس في الشتاء ثياب الصيف وفي الصيف ثياب الشتاء ولا يصيبه) ويروى ولا يسيئه ويروى ولا يسوءه (حر ولا برد) أي مع اختلاف الاحوال والحديث رواه ابن ماجه والبيهقي

لاعطين

لاعطين الراية اليوم رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله خيبر على يديه فدعاني واعطاني الراية وكان بي رمد فشكوته له صلى الله تعالى عليه وسلم فقال اللهم اكفه الحر والبرد فما وجدت لهما ألما بعد ذلك وانما دعا له برفع الحر والبرد مع ان تألمه رضي الله تعالى عنه كان من الرمد ووجع العين لانه صلى الله تعالى عليه وسلم علم ان رمده كان من زيادة الدم الذي حصل له من الحر فدعا له بدفع سبب ذلك وزاد عليه دفع ألم البرد لانه ضده فربما أذاه لقوته بعدم ضده وروي يسيئه من الاساءة ونسوءه من السوء بدل قوله يصيبه والمعنى واحد (ودعا) صلى الله تعالى عليه وسلم (لفاطمة ابنته) رضي الله تعالى عنها في حديث رواه البيهقي عن عمران بن حصين (الله) مفعول دعا وفي نسخة ان الله (ان لايجيعها) أي ان لايجعلها متألمة من الجوع وترك الطعام وأكله (قالت) فاطمة رضي الله تعالى عنها (فما جعت) بضمير المتكلم (بعد) مبني على الضم أي بعد دعائه وبركته قال عمران بن حصين كنت معه صلى الله تعالى عليه وسلم فاقبلت فاطمة ووقفت بين يديه فنظر اليها وقد اصفر وجهها من الجوع فوضع يده على صدرها وقال اللهم مشبع الجاعة ورافع الوضيعة ارفع فاطمة بنت محمد قال عمران فرأيت وجهها وقد احمر وذهبت صفرته ثم جئتها فقالت لي ماجعت بعد يا عمران قال البيهقي بعد ماذكر الحديث هذا كان قبل نزول آية الحجاب وذكر دفع الجوع عنها بعد دفع الحر والبرد عن علي لما بينهما من المناسبة مما لايخفى (وسأله) صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث رواه ابن اسحق بلا سند والبيهقي عنه وابن جرير من طريق الكلبي (الطفيل بن عمرو) بضم الطاء المهملة المشددة والفاء المفتوحة وسكون المثناة التحتية واللام كتصغير عقيل بن عمرو بن طريف بن العاص بن ثعلبة بن سليم الازدي الدوسي ويقال له ذو النور وقتل في وقعة اليمامة وتقدم ان وقعتها كانت في ربيع الاول سنة اثنتي عشرة في خلافة أبي بكر رضي الله تعالى عنه وقيل في عام اليرموك في خلافة عمر رضي الله تعالى عنه وهو من كبار الصحابة ومن أصحاب النور وهم ستة أسيد بن حضير بضم الهمزة وعباد بن بشر وحمزة بن عمرو الاسلمي وقتادة بن النعمان كما يأتي والطفيل هذا والحسن بن علي رضي الله تعالى عنهم ولكل منهم قصة مذكورة في محلها (آية لقومه) مفعول سأل أي سأله صلى الله تعالى عليه وسلم معجزة تكون معه يؤمن بها قومه اذا دعاهم للاسلام وكان آمن بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم قبل الهجرة ودعا قومه فلم يطيعوه فقال يا رسول الله ان دوسا قد عصت وأبت فادع عليها فقالوا اهلكت دوس ان دعا عليها فقال اللهم أهد دوسا فعلم ان الله تعالى سيهديهم ببركة دعائه فطلب الطفيل منه صلى الله تعالى عليه وسلم ان يريهم آية يهتدوا بها (فقال اللهم نور له) الضمير للطفيل أي اجعل معه نورا يكون آية لصدقه رضي الله عنه (فسطع له نور بين عينيه) أي ظهر بين عينيه نور ساطع وأصل معنى السطوع الارتفاع والظهور وهو المراد هنا (فقال) أي الطفيل لما علم بذلك النور الذي بين عينيه (يارب اني أخاف) من قومي اذا رأوا ذلك النور (ان يقولوا مثلة) خبر مبتدأ مقدر أي هو أو هذا مثلة بضم الميم وسكون المثلثة ولام بعدها هاء وهو التنكيل والعقوبة وتغيير الخلقة الاصلية بقطع بعض الاعضاء وتسويد الوجه ونحوه وهذا هو المراد هنا أي خشي ان يعدوه عارا أو توهم انه برص ونحوه وجوز بعضهم نصبه وفتح ميمه وكسرها وهو تكلف لاداعي له (فتحول) ذلك النور (الى طرف سوطه) أي لما شكى الى الله تعالى ما يخافه وتضرع اليه انتقل ذلك النور من بين عينيه الى سوط كان معه والسوط في الاصل بمعنى الخلط فسمي به ما يعد للضرب من جلد ونحوه وهو معروف (فكان) أي سوطه (يضيء في الليلة المظلمة) كالشمع والمصباح (فسمي) الطفيل (ذا النور) أي صاحب النور لذلك وروي الظلماء بدل المظلمة ولا اشكال في شيء من هذا كما توهمه بعضهم وأغرب منه انه قال روي صوته بصاد مهملة ومثناة فوقية ثم

ودعا فاطمة ابنته ان لايجيعها) أي جوعا شديدا (قالت فما جعت بعد) أي بعد ذلك الدعاء أبدا رواه البيهقي عن عمران بن حصين (وسأله) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كما في نسخة (الطفيل) بالتصغير أي ابن عمرو كما في نسخة وهو ابن طريف الازدي الدوسي قتل يوم اليمامة وكان شريفا مطاعا في قومه روى أبو الزناد عن الاعرج عن أبي هريرة انه قال لما قال الطفيل ابن عمرو للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان دوسا قد غلب عليهم الزنى والربا فادع الله عليهم قلنا هلكت دوس حتى قال عليه السلام اللهم أهد دوسا (آية) أي علامة تكون كرامة (لقومه) أي عندهم (فقال اللهم نور له فسطع) أي ظهر ولمع (له نور بين عينيه فقال يارب اني أخاف أن يقولوا مثلة) بضم الميم ويفتح ويكسر وسكون المثلثة أي تنكيل وعقوبة وهي مرفوعة وقيل منصوبة (فتحول) أي فاستجيب دعاؤه وانتقل ذلك النور (الى طرف سوطه فكان يضيء في الليلة المظلمة) وروى الظلماء (فسمي ذا النور) كالحسنين ابني علي وأسيد بن حضير وعباد ابن بشر وحمزة بن عمرو الاسلمي وقتادة بن النعمان كل سمي بذلك وأما ذو النورين فهو لقب عثمان لانه تزوج بنتين لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والحديث هذا رواه ابن اسحق بلا سند والبيهقي عنه وابن جرير من طريق الكلبي

تكلم فى تأويله بخرافات لا ينبغى تسويدها الوجه المصحف وقصة الطفيل كما نقله ابن عبد البر عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال كان الطفيل سيدا مطاعا فى قومه وشاعرا بليغا فقدم مكة ومشى لقريش فقالوا له انك سيد قومك وانا نخشى ان يلقاك هذا الرجل يعنون رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيصيبك فانه يفرق بين المرء وزوجه وولده فمازالوا بى يهونونى ويحذرونى منه حتى قلت لهم لا أدخل المسجد الا سادا أذنى فحشوتهما كرسفا أى قطنا ودخلت المسجد فاذا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قائما قريبا منى وأبى الله الا أن يسمعنى قوله فقلت فى نفسى ان هذا العجز وأنا امرؤ ثبت لا يخفى على الحسن والقبيح والله لأسمعنه فان كان رشدا أخذته أو غيا تركته فنزعت ما بأذنى واستمعت له فلم أسمع احسن وأحلى مما قاله فانتظرته صلى الله تعالى عليه وسلم حتى انصرف وتبعته فدخلت منزله معه وقلت له يا محمد ان قومك قالوا كذا وكذا وقد سمعت ما قلت ووقع فى نفسى انه حق فاعرض على دينك وما تأمر به وتنهى عنه ففعل فأسلمت ثم قلت يا رسول الله انى راجع لدوس وأنا فيهم سيد مطاع وأنا داعيهم الى الاسلام فادع الله تعالى ان يجعل لى آية تكون عونا لى عليهم فقال اللهم اجعل له آية قال فخرجت حتى أشرفت على حاضرة دوس ولى هناك أب شيخ كبير وامرأة وولد فلما علوت الثنية ظهر بين عينى نور كالشهاب فقلت اللهم فى غير وجهى فانى أخشى ان يظنوه مثلة لفراق دينهم فتحول فى رأس سوطى فلقد رأيتنى أسير وانه على رأس سوطى كأنه قنديل معلق فيه فلما قدمت عليهم أتانى أبى فقلت اليك عنى فلست منك ولست منى فانى أسلمت واتبعت دين محمد فقال أى بنى ان دينى دينك فأسلم وحسن اسلامه ثم أتتنى صاحبتى فقلت لها كما قلت لابى فأسلمت وحسن اسلامها واغتسلت ثم دعوت دوسا فابت وتعاصت على فاتيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو بمكة فقلت يا رسول الله ان دوسا غلب عليها الزنا والربا فادع عليهم فقال اللهم اهد دوسا فرجعت اليهم وأقمت بين ظهرانيهم أدعوهم الى الاسلام حتى استجاب لى منهم من استجاب ثم قدمت المدينة عليه صلى الله تعالى عليه وسلم بعد أحد والخندق بثمانين أو سبعين من أهل بيتى حتى فتحت مكة وأرسله رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لاحراق صنم عمرو بن حممة فاحرقه وأقام معه حتى قبض ثم بعثه أبو بكر الصديق رضى الله عنه الى مسيلمة فاستشهد باليمامة وقيل باليرموك فى خلافة عمر رضى الله عنه كما تقدم (ودعا على مضر) أى انه صلى الله تعالى عليه وسلم كما ورد فى حديث صحيح رواه الشيخان والنسائى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما والبيهقى عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه دعا عليهم ومضر اسم قبيلة عظيمة سميت باسم الجد وهو مضر بن معد بن عدنان وفى وجه تسميته اختلاف وتسمى مضر الحمراء وتسمى مضر ربيعة وقبيلة ربيعة الفرس لان نزارا أباهم أوصى لمضر بالذهب وهو وقد يؤنث فيوصف بالحمرة ويقال ذهب حمراء وأعطى ربيعة الخيل فقال لها ربيعة الخيل وكان شعارهم فى الحرب العمائم والرايات الحمر وشعار أهل اليمن الصفر وبه فسر قول أبى تمام فى الربيع

محمرة مصفرة فكأنها * عصب تيمن فى الوغى وتمضر

ومضر أبو قريش (فاقحطوا) بالبناء للمجهول أى أصابهم القحط لاحتباس المطر عنهم حتى كادوا يهلكون وتهلك دوابهم ويجوز بناؤه للفاعل قيل وهو الافصح لانه لازم والهمزة للصيرورة لا للتعدية (حتى استعطفته قريش) أى سألوه صلى الله تعالى عليه وسلم ان يعطف عليهم ويرحمهم بدفع القحط عنهم وما حل بهم من البلاء (فدعا) الله (لهم) ان يمطرهم ويزيل قحطهم (فسقوا) أى سقاهم الله تعالى عز وجل وأمطر أرضهم فزال عنهم القحط بدعائه صلى الله تعالى عليه وسلم سريعا وكان دعاؤه صلى الله تعالى عليه وسلم لما لم يجيبوا دعوته انه قال اللهم اجعلها عليهم سنينا كسنين يوسف فاقحطوا حتى أكلوا الجراد والدم والعظام

(ودعا على مضر) على وزن عمر وهم قبيلة (فاقحطوا) بصيغة المجهول أى فدخلوا فى القحط باحتباس المطر عنهم وانقطاع الخير منهم (حتى استعطفته قريش) أى طلبوا منه ان يعطف عليهم ويرحمهم (فدعا لهم) أى بالمطر (فسقوا) بصيغة المجهول أى فاعطوا مطرا فاخصبوا رواه النسائى عن ابن عباس والبيهقى عن ابن مسعود وأصله فى الصحيحين

فقال له أبو سفيان أو كعب بن مرة انك تأمر بصلة الرحم وان قومك قد هلكوا فادع الله لهم فقال اللهم
اسقنا غيثا مريعا طبقا غدقا عاجلا غير رايث نافعا غير ضار فما أتى عليهم جمعة حتى مطروا كما رواه أبو
نعيم في الدلائل (ودعا) صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث رواه الشيخان عن ابن عباس رضي الله
تعالى عنهما (على كسرى) بكسر الكاف وقد تفتح كام وهو معرب خسرو وهو لقب لكل من ملك
الفرس واسم هذا الذي كتب اليه النبي صلى الله عليه وسلم كتابا يدعوه فيه الى الاسلام ابرويز بن
هرمز وهو من أولاد أنوشروان وقيل ابرويز معناه المظفر وأنوشروان معناه مجدد الملك كما قاله السهيلي
رحمه الله (حين مزق كتابه) الذي بعثه صلى الله عليه وسلم اليه يحثه فيه على الاسلام وسعادة الدارين
وكان بعثه صلى الله عليه وسلم مع عبد الله بن حذافة السهمي وقيل مع غيره فقطعه تحقيرا به وقيل جعله
هدفا ورماه بالسهام حتى تمزق تجبرا منه وقيل لانه كتب اسمه فوق اسمه وصورة الكتاب * بسم الله
الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى كسرى عظيم فارس سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله و رسوله
وشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له أرسله الى الناس كافة لينذر من كان حيا ويحق القول على
الكافرين اسلم تسلم فان توليت فان عليك اثم المجوس وقوله حين مزق كتابه وان كان الدعاء بعده حين
بلغه خبره بعد زمان اما لان المراد زمان ممتد لان الحين يطلق على مطلق المدة كما في قوله تعالى هل أتى على
الانسان حين من الدهر أو المراد حين بلغه تمزيقه ففيه تقدير فما قيل انه كان ينبغي ان يقول من
أجل تمزيقه كتابه ليس بشئ (ان يمزق الله ملكه) معمول دعا أي بان يمزق الى آخره باهلاكه وانتقال
ملكه لغيره فمزق كل ممزق (فلم يبق له) أي لكسرى أو لملكه (باقية) أي نفس باقية من عقبه أو هو
مصدر بمعنى بقية وبقاء والمصدر يكون بوزن فاعلة قليلا (ولا بقيت لفارس) هو معرب بارس بالباء
العجمية ويطلق على القبيلة وعلى بلادهم (رياسة) أي ملك ونفاذ كلمة (في اقطار الدنيا) وفي نسخة
البلاد أي في جميع نواحيها فقطع الله دابرهم وأفناهم بدعائه صلى الله تعالى عليه وسلم عليهم لما عصوه
وتجبروا فلم يزل أمره في انحطاط حتى قتله ابنه شيرويه ثم مات ابنه بعده بزمن يسير ومالت دولتهم حتى
انقرضوا كما فصل في التواريخ والحديث في البخاري والكلام عليه مبسوط في شروحه (ودعا) صلى
الله تعالى عليه وسلم في حديث رواه أبو داود والبيهقي انه دعا (على صبي) صغير قال ابن حبان اسم الصبي
يزيد بن بهرام وقيل انه لا يعرف اسمه وحديثه ضعيف وقال الذهبي أظنه موضوعا لانه أشكل عليهم
بان الصغير غير مكلف فكيف يدعو صلى الله عليه وسلم عليه مع رأفته به وما أجاب به البرهان الحلبي من
ان الاحكام انما تعلقت بالبلوغ بعد أحد كما قاله التقي السبكي أو بعد الهجرة كما قاله غيره أو هو من باب
خطاب الوضع المتعلق بالاتلاف وهو لا يشترط فيه التكليف لا يخفى ما فيه على بعده وأبعد منه وأغرب
ما قيل ان الله أطلعه صلى الله تعالى عليه وسلم على حال هذا الصبي وانه سيصير متعديا وانه لو لم يكن
كذلك أضر بالناس فلذا دعا عليه كما أطلع الخضر عليه الصلاة والسلام على حال الغلام الذي قتله وانه لو
عاش كان كافرا وقد قرر أئمة الحديث انه صلى الله عليه وسلم له ان يحكم بالباطن أحيانا كما يحكم بالظاهر
وانه من خصائصه صلى الله عليه وسلم وقد أفرده السيوطي بجزء ألفه فيه الا انه هنا تعسف لا يلتفت اليه
(قطع عليه صلاته) بمروره بين يديه صلى الله تعالى عليه وسلم وقطع الصلاة مجاز عن افسادها قبل
تمامها حتى يحتاج للاعادة والمصلي اذا صلى في غير العمران يستحب له ان يجعل بين يديه سترة تمنع
المار عن المرور بينه وبين القبلة وينبغي ان تكون مرتفعة ارتفاعا ما فكأنه صلى الله تعالى عليه وسلم
لم يكن له سترة في هذه الصلاة أو كانت ومر الصبي بينه وبين السترة وحينئذ فلو مر انسان أو حيوان
لا يقطع صلاته عند الجمهور من المحدثين والفقهاء ولا يفسدها كما صرحوا به وذهب بعضهم الى انه

(ودعا على كسرى) بكسر الكاف وتفتح لقب لكل ملك الفرس وهو هنا ابرويز بن هرمز قال الطبري وتفسيره
المظفر بن هرمز بن نوشروان وتفسيره بالعربية مجدد الملك (حين مزق كتابه) بتشديد الزاي أي شقق مكتوبه (ان يمزق الله ملكه) أي بتمزيق الله ملكه فمزقه كل ممزق (فلم تبق له باقية) أي نفس باقية أو أثر وبقية قال السهيلي ولما دعا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عليه وقع أمره في الانحطاط الى ان قتله ابن له يقال له شيرويه ومات ابنه الذي قتله بعد أبيه بزمن يسير وسببه ان ابرويز قيل له ان ابنك شيرويه يريد قتلك قال اذا قتلني فانا أقتله ففتح خزانة الادوية وكتب على حقة السم الدواء النافع للجماع وكان ابنه مولعا بالجماع فلما اقتل أباه وفتح الخزانة ورأى تلك الحقة تناول منها فمات من ذلك ومات سائر أولاده وأكثر أقاربه بعد دعائه عليه الصلاة والسلام لستة أشهر ومالت عنهم الدولة حتى انقرضوا عن آخرهم (ولا بقيت لفارس) بكسر الراء مصروفا وممنوعا أي لاهل فارس (رياسة في سائر أقطار الدنيا) أي
نواحيها رواه البخاري من طريق ابن عباس (ودعا على صبي قطع عليه) أي بمروره بين يديه (الصلاة) أي صلاته كما في نسخة

(ان يقطع الله أثره) ومن جملته مشى قدميه كما قال تعالى ونكتب ما قدموا وآثارهم (فاقعد) بصيغة المجهول أي صار مقعدا لا يستطيع النهوض وفي رواية قطع صلاتنا قطع الله أثره وفي أصل الدلجي دابره بدل أثره فتكلف في وجهه بان الدابر في الاصل الآخر ومنه قوله تعالى فقطع دابر القوم الذين ظلموا أي آخرهم فلم يبق أحد منهم ثم استعير للزمانة كما هنا بسبب قوة مشيه هذا والحديث رواه أبو داود والبيهقي ورواه ابن حبان عن سعيد بن عبد العزيز عن يزيد بن مهران يقول مررت بين يدي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو يصلي فقال اللهم اقطع أثره فما مشيت وقد ضعف عبد الحق وابن القطان اسناده وكذا ابن القيم وقال الذهبي أظن انه موضوع ثم على تقدير ثبوته فيه اشكال وهو انه عليه الصلاة والسلام كيف يدعو على الصبي وهو غير مكلف بالاحكام مع ان القاضي جزم بذلك في مقام المرام وجوابه نقل عن البيهقي في المعرفة ان الاحكام انما صارت متعلقة بالبلوغ بعد الهجرة قال الحلبي وفي كلام السبكي انها انما صارت متعلقة بالبلوغ بعد احكام ثم قال الحلبي أو يقال ان هذا من باب خطاب الوضع لانه اتلاف لا يشترط فيه التكليف انتهى وتبعه الانطاكي وقرره التلمساني وفيه ان الصلاة صحيحة بالاجماع فليس من الاتلاف بلا نزاع نعم اتلاف لكمال الحال في حضور البال وهو غير مقتض لهذا النكال ولذا قال الدلجي وأجيب هنا بما لا يشفي ثم أقول ولعل الصبي كان من أولاد الكفار وقد أمره أهله بان يقطع الصلاة على سيد الابرار فاراهم صلى الله تعالى عليه وسلم معجزة اظهار اللعزة ودفعا للدلة أو كان الصبي مراهقا فظنه عليه الصلاة والسلام وليس بالغا وفي قطعه قاصدا فتبين انه كان صبيا قاصرا أو يكون من باب قضية الخضر مع الصغير مكاشفا (وقال لرجل) هو بر بضم الموحدة وسكون المهملة ابن راعي العير الاشجعي قيل كان منافقا (رآه يأكل بشماله) فقال له (كل بيمينك فقال لا أستطيع) أي ان آكل بيميني لعذر بي (فقال لا استطعت) ان تأكل بيمينك دعاء عليه لكونه كاذبا فيه الدعاه (فلم يرفعها) أي يمينه بعد ذلك (الى فيه) أي فمه لا عند أكله ولا في حال غيره والحديث رواه مسلم عن سلمة بن الاكوع واستدل به على وجوب الاكل باليمن ولا دلالة فيه عند المحققين

يقطعها لانه ورد في أحاديث صحيحة منها ما رواه أبو ذر انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال اذا قام أحدكم يصلي بسترة ما يضعه بين يديه مثل آخرة الرحل فاذا لم يكن ذلك فانه يقطع صلاته الحمار والمرأة والكلب الاسود وخصه لانه ورد في الحديث الكلب الاسود شيطان وقد علمت ان الجمهور على خلافه فقيل انه منسوخ وقيل انه مؤول والمعنى يقطع خشوعه في صلاته وهو صلى الله تعالى عليه وسلم وان كان لا يشغله عن الله شئ فعله تشريعا للامة (ان يقطع الله أثره) معمول دعا أي دعا صلى الله تعالى عليه وسلم على ذلك الصبي بان يقطع الله أثره والاثر بفتحتين ما يؤثره بمشيه وغيره ويبقى بعده علامة عليه وقطع الاثر يكنى به في الاكثر عن الفناء والذهاب بالكلية فيقال ما بقي له عين ولا أثر كما قيل

الدهر يفجع بعد العين بالاثر * فما البكاء على الاشباح والصور

وهو هنا كناية عن كونه زمنا مقعدا لان الاثر انما يكون من المشي فاذا انقطع مشيه انقطع أثره كما تقرر ويجوز مراد المعنى الحقيقي فلذا قيل انه كناية لا مجاز كما أشار اليه بقوله (فاقعد) الصبي وصار مقعدا زمنا لا يمكنه المشي ليبس أعصاب رجله التي يتحرك بها وروي ان يقطع الله دابره والدابر في الاصل الآخر كما في قوله فقطع دابر القوم الذين ظلموا أي آخرهم فلم يبق منهم أحد فاستعير هنا للزمانة بان يسلبه الله قوة مشيه وهذا رواه ابن حبان عن ابن مهران قال رأيت مقعدا بتبوك يسمى يزيد بن بهرام يقول مررت بين يدي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو يصلي فقال اللهم اقطع أثره فما مشيت بعد وقد سمعت ما فيه (وقال) صلى الله عليه وسلم في حديث رواه مسلم عن سلمة بن الاكوع انه صلى الله عليه وسلم قال (لرجل) قال البرهان الحلبي اسم هذا الرجل بسر بضم الموحدة وسكون السين وراء مهملة ومن أعجمه فقد صحف وهو بسر بن راعي العير الاشجعي (رآه يأكل بشماله كل بيمينك) ارشادا له للسنة فان الاكل بغير اليمين مكروه وقوله كل الى آخره مقول القول (فقال لا أستطيع) أي لا أقدر على الاكل بيميني (فقال) له صلى الله تعالى عليه وسلم (لا استطعت) بتاء الخطاب وهو دعاء عليه بان يسلبه الله القدرة على الاكل باليمين (فلم يرفعها) أي يده اليمنى لانها مؤنثة سماعا أي لم يقدر بعد دعائه صلى الله عليه وسلم عليه ان يرفع يده اليمنى (الى فيه) ويحركها لانها شلت وبطل عملها بها لانه صلى الله عليه وسلم أمره بالتيمن وهو سنة بالاكل والشرب لقوله اذا أكل أحدكم فليأكل بيمينه واذا شرب فليشرب بيمينه فلا يتركه الا لعذر وقد علم صلى الله تعالى عليه وسلم انه لا عذر له وانه انما لم يمتثل أمره الا لتكبره ولذا قال المصنف في شرح مسلم انه كان منافقا الا ان الذهبي قال انه صحابي جليل فيحتمل انه كان كذلك في أول أمره ثم لما ظهرت له هذه الآية تاب وأخلص لله فلا اشكال فيه وما قيل من ان ترك المندوب لا يقتضي استحقاق العقاب ليس بشئ لان مخالفة أمره صلى الله تعالى عليه وسلم مشافهة بغير عذر لا تجوز

(وقال لعتبة) بضم أوله وفى نسخة بالتصغير (ابن أبى لهب) أى ابن عبد المطلب بن هاشم (اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فأكله الاسد) أى ليلا وهو مسافر وقد جعله أصحابه بينهم محيطين به فتخطاهم نائمين فافترسه رواه ابن اسحق عن عروة بن زبير عن هبار بن الاسود والحاكم من حديث أبى نوفل ابن أبى عقرب عن أبيه والبيهقى من طرق عن عبد الرحمن بن أبى بكر رضى الله تعالى عنهم قال الحلبى واعلم ان عتبة أسلم يوم الفتح وكذا أخوه معتب ولم يهاجرا من مكة وهذا هو المشهور وبعضهم جعل هذا عقير الاسد وجعل عتيبة المصغر هو الذى أسلم وصحب والمشهور ان المصغر عقير الاسد والمكبر هو الصحابى والله تعالى أعلم وسبب دعائه صلى الله تعالى عليه وسلم ماروى عروة ابن الزبير ان عتبة ابن أبى لهب وكان تحته بنت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أراد الخروج الى الشام فقال لآتين محمدا فلأوذينه فأتاه فقال يا محمد وهو كافر بالنجم اذا هوى وبالذى دنى فتدلى ثم تفل فى وجه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ورد عليه ابنته وطلقها فقال عليه الصلاة والسلام اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فرجع عتبة الى أبيه فأخبره ثم خرجوا الى الشام فنزلوا منزلا فاشرف عليهم راهب من الدير فقال لهم ان هذه أرض مسبعة فقال أبو لهب لاصحابه أغيثونا يا معشر قريش فانى أخاف على ابنى دعوة محمد فجمعوا جمالهم وأناخوها حولهم وأحدقوا بعتبة فجاء الاسد يتشمم وجوههم حتى ضرب عتبة فقتله هذا وفى النسخة زيد هنا وقال (لامرأة أكلك الاسد فأكلها) قيل هذا بخطه ليس من الرواية (وحديثه المشهور) أى كما رواه الشيخان (من رواية عبد الله بن مسعود فى دعائه على قريش

وليس هذا الرجل جاهليا كما توهم هذا القائل وخبط وخلط هنا على عادته وليس فى قوله قال دون دعا اشارة لما توهمه (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه الحاكم والبيهقى وابن اسحق من طرق صحيحة مسندة (لعتبة بن أبى لهب) الجهنمى عدو الله ورسوله واسمه عبد العزى بن عبد المطلب بن هاشم المشهور وكان له ثلاثة أولاد عتبة وعتيبة بالتصغير ومعتب أسلم منهم اثنان يوم الفتح ولم يهاجرا من مكة وبقى واحد منهم على الكفر وهو عقير الاسد وكان عنده ابنة للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم فطلقها فاذاه فدعا عليه بما يأتى فافترسه الاسد بالزرقاء من أرض الشام كما رواه الحاكم من حديث أبى نوفل وقال انه صحيح الاسناد قال تجهز أبو لهب وابنه عتبة الى الشام فنزل بالسراة قريبا من صومعة راهب فقال لهم الراهب هنا سباع فاحذروا على أنفسكم فقال أبو لهب لمن معه أنتم قد عرفتم سنى وحقى قالوا أجل فقال ان محمدا دعا على ابنى فاجمعوا متاعكم على هذه الصومعة وافترشوا الابنى عليها وناموا حوله ففعلوا ونام عتبة فوق متاع عال فجاء أسد فشم وجوههم ووثب على عتبة فقطع رأسه وذهب قيل انه لم يأكله لما فيه من خبث الطوية ببغض خير البرية الا انه قيل ان العقير عتيبة مصغر وان عتبة أسلم وحسن اسلامه فهو من كبار الصحابة والصواب عتيبة وقال البرهان ان الذى فى نسخ الشفاء بالتكبير وكذا صححه بعضهم وقال الذى أسلم عتيبة بالتصغير والمشهور ان المصغر عقير الاسد والمكبر هو الصحابى كما فى بعض النسخ مما خالفه على قول خلاف المشهور انتهى فقد علمت الاختلاف فيه وفى النسخ والاصح منها (اللهم سلط عليه كلبا من كلابك) قال فى حياة الحيوان الاسد يسمى كلبا لانه يشبه فى بعض أحواله ويرفع رجله اذا بال فلما أضاف الكلب الى العظيم علم انه أعظم ما يسمى بذلك الاسم كما قاله الثعالبى والى ذلك أشار بقوله (فأكله الاسد) وفى دلائل النبوة للبيهقى كانت أم كلثوم ابنته صلى الله تعالى عليه وسلم فى الجاهلية تحت عتيبة بن أبى لهب وأختها رقية تحت أخيه عتبة فلما نزل تبت يدا أبى لهب وتب قال أبو لهب لابنيه رأسى من رأسيكما حرام ان لم تطلقا ابنتى محمد وقالت أمهما حمالة الحطب مثله فطلقها عتبة وأتاه صلى الله تعالى عليه وسلم فقال له انى طلقت ابنتك فانى لا أحبك ولا تحبنى وشق ازاره وسفه عليه فقال صلى الله تعالى عليه وسلم اللهم سلط الى آخره ثم خرج فى نفر من قريش الى الشام فكانت قصة الاسد وفى روايتها وتسمية ابنه اختلاف كما مر ولا خلاف فى أصل القصة وقد ذكرها حسان رضى الله تعالى عنه فى شعره (وقال) صلى الله عليه وسلم (لامرأة يأكلك) وفى نسخة أكلك (الاسد فأكلها) الاسد قال البرهان الحلبى هذه المرأة لا أعرفها وذكر غيره انها بنت المطعم الانصارية فانها أتت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهو مولى ظهره الشمس فضربت منكبه فقال من هذا أكله الاسد فقالت أنا ابنة مطعم الطير ومبارى الريح أبو ليل جئت لاعرض نفسى عليك لتتزوجنى فقال قد فعلت فرجعت الى قومها وأخبرتهم الخبر فقالوا أنت امرأة غيرى وللنبى صلى الله تعالى عليه وسلم نساء فيدعو عليك فرجعت وقالت له أقلنى فاقالها وتزوجت بغيره فبينما هى فى حائط بالمدينة افترسها ذئب فالاسد هنا بمعنى الحيوان المفترس فلا يقال ان دعوته صلى الله عليه وسلم عليها لم تتحقق وهذا الحديث سقط من بعض النسخ (و) من ذلك (حديثه) صلى الله تعالى عليه وسلم (المشهور) الذى رواه مسلم والبخارى (من عبد الله بن مسعود فى دعائه صلى الله تعالى عليه وسلم على قريش) قبل

الهجرة بمكة (حين وضعوا) أي حين اذ وضع بعض منهم فهو من اضافة ما للبعض الى الكل (السلا) بفتح السين المهملة واللام المخففة مقصور وهو جلد رقيق يخرج مع الولد من بطن أمه ملفوفا فيه قيل وهو كالمشيمة من المرأة وفي النهاية الاول أشبه لان المشيمة انما تخرج بعد الولد والسلا وهو للمواشي ان نزع عنه ساعة يولد بقي حيا والاهلك وكذا اذا انقطع في البطن ويقال للولد بعينه سلا أيضا تسمية له باسم محله ويكون فيه دم ونحوه (على رقبته) الشريفة والرقبة مؤخر أصل العنق عند الكتفين (وهو ساجد) عند البيت في صلاته والجملة حالية (مع الفرث والدم) حال من السلا والفرث بالفاء وراء مهملة وثاء مثلثة هو السرجين مادام في الكرش (وسماهم) فاعل سمى ضمير ابن مسعود وضمير المفعول لقريش وهو يدل على ان المراد بعضهم لا الجميع كما أشرنا اليه وهم المستهزؤن المذكورون في الآية وكانوا سبعة كما تقدم ويحتمل ان فاعل سمى هو النبي صلى الله عليه وسلم وهو الذي صرح به سياق أهل الحديث (فقال) أي ابن مسعود (فلقد رأيتهم قتلوا يوم بدر) فأجاب الله تعالى دعوته صلى الله تعالى عليه وسلم فيهم وحديث ابن مسعود هذا في الصحيحين كما مر قال أنه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يصلي عند البيت وأبو جهل وأصحاب له جلوس فقال بعضهم لبعض أيكم يجيء بسلا جزور بني فلان فيضعه على ظهر محمد اذا سجد فانبعث أشقى القوم فجاء به وانتظر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حتى سجد فجعله بين كتفيه وأنا أنظر فجعلوا يضحكون ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا يرفع رأسه حتى جاءت فاطمة رضي الله تعالى عنها فطرحته عنه فرفع صلى الله عليه وسلم رأسه الشريف ثم قال اللهم عليك بقريش ثلاث مرات اللهم عليك بابي جهل وعتبة بن ربيعة والوليد بن عتبة وأمية بن خلف وعقبة بن أبي معيط وعمارة بن الوليد وعدهم والذي جاء بالسلا وألقاه عقبة وهو أشقاهم لمباشرته الفعل كأشقى ثمود والكلام على الحديث مفصل في شروح البخاري وأما استمراره صلى الله تعالى عليه وسلم في سجوده مع ما عليه من النجاسة المفسدة للصلاة فقد أجابوا عنه باجوبة منها أنه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يرها حتى يتحقق نجاستها وكان هذا في آخر الصلاة فلا يلزم اعادتها مع انه كان قبل الهجرة وتحقق شروط الصلاة المفروضة ثم انه قيل انهم كلهم لم يقتلوا ببدر ولم يلقوا في قليبها فان عقبة بن أبي معيط أسر ببدر ثم قتله صلى الله تعالى عليه وسلم بعد مرحلة منها وعمارة بن الوليد مات بالحبشة فقيل انه باعتبار أكثرهم وغالبهم على ما فيه (ودعا) صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث رواه البيهقي مسندا من طرق صحيحة (على الحكم ابن أبي العاص) بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي القرشي الاموي وهو أبو مروان وعم عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه وهو ممن أسلم في الفتح (وكان) أي الحكم (يختلج بوجهه) أي يحرك وجهه وبعضه كحاجبيه وعينيه (ويغمز) بعينيه أي يحركهما مشيرا بهما وهو جالس (عند النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) قاصدا باشارته وغمزه لمن يراه ثمة من المنافقين ونحوهم ان ما حدث به الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم لا أصل له كما أشار اليه بقوله (أي لا) فهو تفسير للغمز بالمراد منه وليس المراد بالغمز هنا العيب كما قيل لانه غير مناسب هنا وان كان ورد بهذا المعنى في اللغة فلا وجه لتفسير يغمز بيعيب لانه كان يخبر المنافقين بأسراره صلى الله تعالى عليه وسلم والا لما قيل انه كان يحرك ذقنه وشفتيه محاكاة لفعله صلى الله تعالى عليه وسلم (فرآه) صلى الله

تعالى

حين وضعوا له السلا) بفتح المهملة مقصورا هو للبهيمة كالمشيمة لبني آدم وهي جلد رقيق يخرج مع الولد من بطن أمه ملفوفا فيه قال الشمني ان سقط عن وجه الفصيل ساعة ينتج والا قتله وكذا اذا انقطع السلا في البطن فاذا خرج السلا سلمت الناقة وسلم الولد وان انقطع في بطنها هلكت وهلك الولد وقيل يخرج بعد الولد (على رقبته وهو ساجد مع الفرث والدم وسماهم) أي قريشا مجملا ومفصلا حيث قال اللهم عليك الملأ من قريش اللهم عليك بأبي جهل وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد ابن عتبة وأمثالهم (فقال) وفي نسخة وقال أي ابن مسعود (فلقد رأيتهم قتلوا يوم بدر) أي معظمهم فان أشقاهم عقبة بن أبي معيط الذي وضع على رقبته السلا حمل من بدر أسيرا فقتله على بعرق الظبية بأمر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم له مقفلهم من بدر الى المدينة ولعل الحكمة في تأخير الاشقى ليشاهد العقوبة في أصحابه في الدنيا ولعذاب الآخرة أشد وأبقى قال الحلبي وعمار بن الوليد لم يقتل ببدر أيضا وانما جرى له قصة مع النجاشي مشهورة وقد سحر فصار متوحشا وهلك على كفره بارض الحبشة في زمن عمر رضي الله تعالى عنه (ودعا على الحكم بن أبي العاص) اى ابن أمية ابن عبد شمس بن عبد مناف وهو أبو مروان عم عثمان أسلم يوم الفتح وتوفي في خلافة عثمان (وكان يختلج بوجهه ويغمز) بكسر الميم (عند النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي يجلس خلفه صلى الله تعالى عليه وسلم فاذا تكلم يحرك شفتيه وذقنه حكاية لفعله ويرمز مشيرا بعينه أو حاجبه (أي لا) أي أراد به رد الكلام استهزاء وسخرية (فرآه) أي النبي عليه الصلاة والسلام مرة

(فقال كن كذلك) وفي نسخة صحيحة كن (فلم يزل يختلج) أي يرتعد ويضطرب (الى ان مات) رواه البيهقي من طرق عن عبد الرحمن
ابن أبي بكر وعن ابن أبي عمرو عن هند بن خديجة وفي رواية فضربه فصرع شهرين ثم أفاق مختلجا قد أخذ لحمه وقوته وقيل مرتعشا
وقال التلمساني قوله يغمز اي يعيب لانه كان يخبر المنافقين بسر رسول الله صلى الله عليه وسلم أو لانه كان يحكي فعله صلى الله عليه وسلم
في مشيه وأمره ونحوه أولا بالفتح وتشديد الواو خلاف الاخير وروي أي لاباي التفسيرية ولا النافية فعلى الاول معناه كان يختلج أولا وقبل الدعوة ثم اختلج ثانيا بها ومعناه انه كان صحيحا ثم هلك بالدعوة فهو مفعول يختلج أي يختلج أولا أي قبل الدعوة ويجوز ان يريد بالاول زمن الصحة وبالثاني زمن السقم فيكون خبرا لكان أو مفعول يختلج أو أولا يشير الى ما كان عليه من الاستهزاء فكني باولا عنه لان فعله انما كان عن جهالة ولا يخرجه ذلك عن عداد الصحابة فقد ذكر فيهم وعلى الثاني تفسير لفعله وحذف ما بعدها تشنيعا لذكره لان ذكر مثل هذا لا يليق لان فيه تنقيص النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ومعناه لا يكون كذلك الاولى أو الاحق وماشا كل هذا موطن أو موطنين في غيبته أو حضوره والله تعالى أعلم (ودعا على محلم) بكسر اللام المشددة (ابن جثامة) بفتح الجيم وتشديد المثلثة (فمات) في حمص أيام ابن الزبير على ما قاله السهيلي (لسبع) أي بعد سبعة أيام (فلفظته الارض) بفتح الفاء واعجام الظاء أي قذفته الارض ورمته على ظهرها بعد دفنه في بطنها وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم بعدما لفظته الارض ان الارض لتقبل من هو شر منه ولكن أراد الله ان يجعله لكم عبرة فالقوه بين سوحي جبل فاكلته السباع والسوح هو الشق (ثم ووري) بضم أوله مجهول واري أي ستر تحت الارض (فلفظته مرات) ظرف للفعلين (فالقوه) بفتح القاف أي رموه (بين صدين) بفتح الصاد ويضم جبلين أو واديين

تعالى عليه وسلم وهو يختلج (فقال) له (كن كذلك) دعا عليه بان لا يزال وجهه يختلج وفي نسخة كذلك كن (فلم يزل يختلج الى ان مات) بدعائه وكان موته في خلافة عثمان قبل فتنته والقيام عليه باشهر وكان صلى الله تعالى عليه وسلم أخرجه من المدينة ونفاه الى الطائف ومعه ابنه مروان وقيل ان مروان ولد بالطائف فلم يزل بها الى ان رده عثمان في خلافته فكان يسير رده وابنه مما كان ولما توفي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سئل عثمان أبا بكر رضي الله تعالى عنه في رده فقال ما كنت لارد من نفاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني سالت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم رده فوعدني به فقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه اني لم أسمع ذلك ولم تكن معه بينة ثم لما ولي عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه سأله ذلك فقال كما قال أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه فلما تولى عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه عمل بعلمه ورده فلا وجه للتشنيع عليه بذلك والطعن بسببه في خلافته كما تزعم الشيعة مع انه رضي الله تعالى عنه علم من الحكم انه تاب وخلصت طويته واختلف في سبب نفيه فقيل انه كان يستخفي ويسمع ما يسره رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لكبار الصحابة في أمر المشركين والمنافقين فيخبرهم به وقيل انه كان يحاكي مشي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وحركاته فيفعل مثلها ويتغامز في مجلسه كما مر فلما علم ذلك منه نفاه وروي عن عائشة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها انها قالت لمروان لما قال في حق أخيها عبد الرحمن ما قال أما أنت فاشهد ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لعن أباك وأنت في صلبه تشير الى ما روي ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال يوما لاصحابه سيدخل عليكم رجل لعين فدخل عليهم الحكم فلذا قيل

فليت عثمان لم يحكم بعودته * رضي بما حكم الصديق في الحكم

(ودعا) صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث رواه البيهقي وابن جرير موصولا عن ابن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنهما قال بلغنا انه صلى الله تعالى عليه وسلم دعا (على محلم) بميم مضمومة وحاء مهملة مفتوحة ولام مشددة مكسورة ثم (ابن جثامة) بضم الجيم وتشديد الثاء المثلثة وألف وميم وهاء واسمه جثامة بن بدر بن قيس بن ربيعة الكناني الليثي أخو الصعب قيل انه نزل فيه اذا ضربتم في سبيل الله الآية كما يأتي (فمات) أي محلم هلك عقب دعائه عليه (لسبع) أي عند سبع أو بعد سبع ليال من دعائه صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا رواه ابن سيد الناس وغيره وقال السهيلي انه مات بحمص أيام ابن الزبير وسيأتي مثله وبينهما بون بعيد كما قاله البرهان الحلبي (فلفظته الارض) أي قذفته وطرحته وأخرجته من بطنها لعدم قبولها له وهذا مما شوهد كثيرا وورد في الحديث يبقى في كل أرض شرار أهلها تلفظهم أرضوهم (ثم ووري) بواوين مضمومة فساكنة وراء مكسورة ومثناة تحتية أي ستر وغطي وغيب فهو مجهول وأراه اذا غيبه (فلفظته) الارض (مرات) فكانوا كلما دفنوه أصبحوا وأروه فوق الارض تفضيحا له واشارة الى انه من الاشرار فعجزوا (فالقوه) أي ألقوا بدن محلم (بين صدين) مثنى

صد بضم الصاد وفتحها وتشديد الدال المهملتين وهو ناحية الوادى أو الشعب أو الجبل (ورضموا عليه الحجارة) رضم بفتح الراء المهملة والضاد المعجمة وميم من الرضم بالفتح والسكون وهو وضع الصخور بعضها فوق بعض كالبناء والصد بالضم والفتح جانب الوادى وهو الارض الواسعة وهذا أحد الاقوال فيه كما تقدم وسبب دعائه عليه الصلاة والسلام انه بعثه فى سرية أمر عليها عامر بن الاضبط فبلغوا بطن واد فقتل محلم عامرا فلما بلغه صلى الله عليه وسلم ذلك قال اللهم لا تغفر لمحلم ثلاث مرات فمات فلفظته الارض مرات فقال صلى الله عليه وسلم ان الارض لتقبل من هو شر منه ولكن أراد الله ان يجعله لكم عبرة فالقوه بين صوحى جبل حتى أكلته السباع قال الزبيدى الصوح الشق قال التلمسانى والذى رواه ابن عبد البر مسندا الى القعقاع عن أبيه انه قال بعثنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى سرية الى أضم فلقينا عامر بن الاضبط فحيانا بتحية الاسلام فحمل عليه محلم فقتله وسلبه فلما قدمنا على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأخبرناه نزل يا أيها الذين آمنوا اذا ضربتم فى سبيل الله فتبينوا الآية وقد قيل ان الملفوظ غير محلم بن جثامة وان محلما نزل حمصا ومات بها فى زمن ابن الزبير رضى الله تعالى عنهما ولهم اختلاف فى سبب نزول الآية المذكورة وفيمن نزلت على أقوال كثيرة وقد اختلف فى محلم هذا بعد تحقق اسلامه وصحبته هل كان منافقا أم لا (وجحده) صلى الله تعالى عليه وسلم (رجل بيع فرس) أى أنكره وكان اشتراها منه صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا الرجل اعرابى يسمى سواد بن قيس وقيل ابن الحارث وهو صحابى والفرس المرتجز كما قاله الجوهرى وقيل الطرف بكسر الطاء المهملة وقيل النجيب (وهى) أى هذه الفرس (التى شهدت فيها) أى بيعتها (للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم خزيمة) بخاء وزاى معجمتين ويقال اسمه أبو خزيمة وهو صحابى مشهور قتل بصفين مع على رضى الله تعالى عنهما سنة سبع وثلاثين ولما شهد له قبل صلى الله تعالى عليه وسلم شهادته وجعل شهادته بشهادتين وهو من خصائصه رضى الله تعالى عنه (فرد الفرس) بالنصب مفعول رد (بعد) مبنى على الضم أى بعد جحده وشهادة خزيمة له (النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) هو فاعل (رد على الرجل) الذى جحد البيع وهو متعلق برد وانما ردها صلى الله تعالى عليه وسلم تعففا منه وتكرما (وقال) اذ ردها (اللهم ان كان كاذبا فلا تبارك له فيها) أى لا تجعل له بركة فى فرسه (فاصبحت) أى الفرس (شاصية برجلها) الباء زائدة وشاصية بشين معجمة وألف وصاد مهملة ومثناة تحتية وهاء (أى رافعة) رجلها والمراد ان رجلها مرفوعة والاسناد مجازى وارتفاع رجلها كناية عن انها ماتت وانتفخ بطنها حتى صارت رجلها مرفوعة كما يشاهد فى الجيف بعد أيام يقال شصا الميت اذا انتفخ وارتفعت يداه ورجلاه كما قاله أهل اللغة ووقوع مثله عادة لا يكون الا بعد أيام فوقوعه بسرعة من الآيات أيضا وحاصل قصة خزيمة ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ابتاع الفرس من ذلك الاعرابى وتبعه ليقبض الثمن فجعل الناس يساومونه ويزيدون ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا يشعر فناداه الاعرابى ان كنت مبتاعا الفرس والا بعته فقال صلى الله تعالى عليه وسلم قد ابتعته فقال هلم شاهدا فقال خزيمة أنا أشهد فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم أحضرتنا فقال بابى أنت وأمى أنا أصدقك فى أخبار السماء أفلا أصدقك فى ابتياع فرس فسماه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ذا الشهادتين وقال من شهد له خزيمة فحسبه وكان كلام الاعرابى قبل اسلامه أو قبل خلوص اسلامه والا فمثله لا يليق (وهذا الباب) أى باب دعاء النبى صلى الله تعالى عليه وسلم واجابة دعائه وقع كثيرا وروى فى أحاديث كثيرة (أكثر من أن يحاط به) أى لا يمكن أحد من علماء هذه الامة ان يعلم جميع دعواته صلى الله تعالى عليه وسلم فانها كثيرة جدا وما نقله المصنف رحمه الله تعالى منها قطرة من بحر يعلم بها ما سواه اجمالا ويحصل به اليقين لمن كان من المؤمنين وقوله أكثر

(ورضموا عليه) بفتح الراء والضاد المعجمة أى كوموا عليه (بالحجارة) رواه البيهقى عن قبيصة بن ذؤيب وابن جرير موصولا عن ابن عمر وقال الحسن بلغنى انه دعا الحديث وسبب دعائه على محلم انه كان بعث سرية للغزو فيها محلم فامر عليهم عامر بن الاضبط فلما بلغوا بطن واد قتل محلم عامرا غدرا فجرى ماجرى (وجحده رجل) أى من الصحابة على ما ذكره الدلجى ولعله كان منافقا (بيع فرس) أى أنكره (وهى) القصة (التى شهد فيها خزيمة) بالتصغير (للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم) أى بانه اشتراه منه مع أنه لم يره وجعل صلى الله تعالى عليه وسلم شهادته وحدها مقبولة عن اثنين (فرد الفرس بعد) بالضم أى بعد جحده وشهادة خزيمة له (النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على الرجل) والمعنى فرد على الرجل فرسه (وقال اللهم ان كان كاذبا فلا تبارك له فيها) أى فرسه (فاصبحت شاصية برجلها) أى رافعة من سبب نفخها شصا بصره أى شخص (وهذا الباب أكثر من ان يحاط به) أى بجميع فصوله من فروعه وأصوله

من

(فصـل فى كراماته وبركاته وانقلاب الاعيان) أى بتحولها وتغيرها عن حالتها الاولى له (فيما لمسه أو باشره صلى الله تعالى عليه وسلم)
والكرامة اسم من الاكرام (انا) أى أخبرنا كما فى نسخة (أحمد بن محمد) أى ابن غلبون ١٣١ الخولانى (ثنا) أى حدثنا (أبو ذر الهروى
اجازة وثنا القاضى أبو على سماعا) تقدم انه الحافظ ابن سكرة (والقاضى أبو عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن وغيرهما) أى وغير القاضيين أيضا (قالوا) أى جميعهم (حدثنا أبو الوليد القاضى ثنا أبو ذر الهروى) سبق (ثنا أبو محمد) وهو السرخسى (وأبو اسحق) وهو المستملى (وأبو الهيثم) وهو الكشميهنى (قالوا) أى الثلاثة (ثنا الفربرى) بكسر ففتح على الاشهر (ثنا البخارى) أى صاحب الجامع الصحيح (ثنا يزيد بن زريع) بالتصغير وهو أبو معاوية البصرى الحافظ قال الحلبى وقد سقط واحد بين البخارى وبين يزيد ابن زريع فان يزيد ابن زريع ليس شيخا للبخارى وانما هو شيخ شيوخه والساقط هو عبد الاعلى بن حماد وقد أخرج البخارى هذا الحديث الذى ذكره القاضى فى كتاب الجهاد عن عبد الاعلى بن حماد عن يزيد بن زريع بالسند الذى ساقه القاضى قال
الحجازى وكذا وجدته فى النسخة المعتمدة انتهى وعبد الاعلى هذا روى عن الحماد بن مالك وعنه الشيخان وأبو داود وأبو يعلى
والبغوى (ثنا سعيد) أى ابن أبى عروبة (عن قتادة عن أنس بن مالك ان أهل المدينة فزعوا) بكسر الزاى أى خافوا واستغاثوا (مرة)
أى وقتا من الاوقات (فركب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أى قبل الناس حين خرج من المدينة

من أن يحاط به كقولهم أكثر من ان تحصى ومثله كثير وتأويله مشهور فان ظاهره غير مراد اذ لا يعنى انه أكثر من الاحاطة وقد بينوه فى محله حتى أفرده بعض فضلاء العصر بجزء مستقل والاحاطة بالشئ معناها استقصاء جميع أفراده * (تنبيه) * مر ان الدعاء معناه التضرع الى الله تعالى فى جلب ما ينفع ودفع ما يضر وقد قيل اذا كان كل شئ بقضاء وقدر وقد جف القلم فما فائدة الدعاء وأجيب بانه أمر تعبدى محافظة على مقام العبودية وقد يكون ذلك معلقا بالدعاء موقوفا عليه كما أشار اليه صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله اعملوا فكل ميسر لما خلق له فمن أنكر الدعاء وقال انه لا فائدة فيه فقد ضل عن سواء السبيل فاعرفه

* (فصل فى كراماته) * صلى الله تعالى عليه وسلم أى ما أكرمه الله تعالى سبحانه به من الامور الخارقة للعادة والكرامة أعم من المعجزة فان المعجزة تكون بعد دعوى النبوة مقارنة للتحدى بالفعل أو بالقوة والكرامة لا يشترط فيها ذلك ويكون للنبى وغيره من أولياء الله تعالى سبحانه وان غلب فى العرف جعل الكرامة للولى والمعجزة للنبى الا انه لا تختص بذلك على ما عرف وما كان منها قبل النبوة للنبى يسمى ارهاصا لانه تأسيس للنبوة ومقدمة لها (وبركاته) أى ما وقع له صلى الله تعالى عليه وسلم ببركته من الخوارق (وانقلاب الاعيان له) أى تبدل حقيقتها وماهيتها او صورتها وذلك جائز وواقع على الاصح وليس بممتنع كما توهم وليس هذا الفصل مقصورا على هذا وان كان أعظمه فالاحسن ان يقول فى كراماته بانقلاب الاعيان ليس بظاهر والاعيان جمع عين وهى الذات (فيما لمسه) صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة (أو باشره) المباشرة ان يلى الامر بنفسه فهى أعم من اللمس واللمس والمس متقاربان (أخبرنا أحمد بن محمد) بن عبد الله بن عبد الرحمن بن غلبون الخولانى شيخ المصنف رحمه الله توفى سنة ثمان وخمس مائة وكان فى الحديث وسائر الفنون امام عصره قال (حدثنا أبو ذر الهروى) تقدم بيان ترجمته (اجازة وحدثنا القاضى أبو على سماعا) أبو على هو ابن سكرة السابق ترجمته (والقاضى أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن وغيرهما) ابن عبد الرحمن هو ابن سعيد كما تقدم (قالوا حدثنا أبو الوليد القاضى) الباجى الحافظ وقد تقدم قال (حدثنا أبو ذر) يعنى الهروى المتقدم قال (حدثنا أبو محمد) السرخسى المتقدم (وأبو اسحق) المستملى المتقدم (وأبو الهيثم) الكشميهنى المشهور (قالوا حدثنا الفربرى) تقدم بيانه ونعته ونسبته قال (حدثنا البخارى) صاحب الصحيح المشهور قال (حدثنا يزيد بن زريع) بالتصغير أبو معاوية البصرى ولد سنة احدى ومائة ومات سنة ست وثمانين ومائة كذا فى النسخ هنا وصوابه حدثنا البخارى حدثنا عبد الاعلى بن حماد حدثنا يزيد ابن زريع وهكذا هو فى صحيح البخارى فسقط منه راو من قلم المصنف قال حدثنا سعيد بن أبى عروبة كما تقدم وفى نسخة عن سعيد (عن قتادة) تقدمت ترجمته (عن أنس بن مالك) الصحابى المشهور (ان أهل المدينة فزعوا مرة) أى وقع بهم فزع بفتح الفاء والزاى المعجمة والعين المهملة قال المبرد فى الكامل الفزع فى كلام العرب على وجهين أحدهما الخوف والذعر والآخر الاستنجاد والاستصراخ يقال فزع وأفزع وهو من الاضداد قال زهير

اذا فزعوا طاروا الى مستغيثهم * طوال رماح لا ضعاف ولا عزل

وقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انكم لتكثرون عند الفزع وتقلون عند الطمع والمراد هنا الاول أى وقع خوف استصرخوا بسببه وهو أشهر معنييه (فركب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) لما سمع

(فرسا لابي طلحة) أي مستعارا منه (كان) أي الفرس (يقطف) بضم الطاء وبكسر أي يقارب خطوه في سرعة وزيد في أصل الدلجي
به فقال أي بابي طلحة (أو به قطوف) بضم أوله شك ممن رواه عن أنس ذكر الدلجي أو ممن بعده قال الجوهري القطوف من

الدواب البطئ وقال أبو زيد هو الضيق المشي وقد قطفت الدابة قطفا والاسم القطاف (وقال غيره) أي غير أنس (يبطأ) بفتح الطاء المهملة المشددة فهمزة أي لضيق الخطى وهو من البطئ وعند الطبري ثبطا أي ثقيلا وقال أبو عبيد في قوله تعالى فثبطهم أي عوقهم (فلما رجع) أي من الفزع الى المدينة ولم ير بأسا (قال) أي لابي طلحة (وجدنا فرسك بحرا) أي واسع الجري سريع العدو (فكان) أي ذلك الفرس (بعد) أي بعد ركوبه أو قوله هذا (لايجارى) بضم الياء وفتح الراء من الجري بالجيم أي لايسابق ولايباري والمعنى لايسبقه غيره حينئذ (ونخس جمل جابر) بالنون والخاء المعجمة المفتوحتين أي طعنه عند دبره أو جنبه بمحجن أو نحوه (وكان) أي الجمل (قد أعيى) أي عجز عن المشي وتعب عن السير (فنشط) بكسر الشين المعجمة وفي مضارعه بفتحها أي خف وأسرع وفي النهاية وكثيرا ما يجئ في الرواية انشط وليس بصحيح (حتى كان) أي انتهى نشاطي الى ان صار جابر (مايملك) ويروى لايملك (زمامه) رواه الشيخان

صياح الناس وفزعهم لظنهم ان عدوا هجم عليهم فسبق الناس كلهم الى الجانب الذي سمع منه الصوت ورأى الناس في رجوعه فقال لهم لن تراعوا وهو راكب (فرسا لابي طلحة) ركبها عريا من غير سرج عليه وأبو طلحة هو زيد بن سهل الانصاري النجاري الصحابي البدري وهو أحد النقباء ليلة العقبة وممن شهد المشاهد مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وله مقام محمود باحد كما تقدم وروى عنه أحاديث كثيرة وتوفي سنة أربع وثلاثين من هجرته (كان يقطف أو به قطاف) بكسر القاف وبالطاء المهملة والفاء والشك فيه من الراوي قال البرهان يقطف بضم الطاء في قولهم تقطف الدابة بمعنى تبطئ واما من قطف العنب فبكسر الطاء كما قاله الزمخشري والقطاف بكسر القاف الاسم منه وقال الجوهري القطوف في الدواب البطئ وقال أبو زيد الضيق المشي وهما متقاربان ويوصف به الانسان والخيل وهو عيب في الخيل وهو معنى قوله وبه قطاف (وقال غيره) أي غير أنس (يبطأ) مكان يقطف بمثناة تحتية مضمومة وباء موحدة مفتوحة وطاء مهملة مشددة مفتوحة وهمزة مضارع بطأ والبطوء ضيق الخطا فهو قريب من الرواية الاولى والظاهر ان المراد به هنا انه كان يوصف بالبطوء وينسب اليه ذلك وهو مبني للمجهول (فلما رجع) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من الفزع ولقي أبا طلحة (قال) له (وجدنا فرسك بحرا) أي كالبحر في شدة جريه وعدوه بسهولة وهو استعارة تصريحية كما يقال تبحر فلان في علمه أي توسع (فكان) ذلك الفرس (بعد) مبني على الضم أي بعد قول النبي صلى الله تعالى عليه وسلم له ذلك ببركته (لايجارى) مبني للمجهول مفاعلة من الجري وهو مما يوصف به الماء والحيوان أيضا فهو تجريد شبه بالترشيح وفيه مبالغة والمعنى لايسبق فكأنه لذلك لايجاريه أحد بقرينة السياق وهذا الحديث رواه البخاري والكلام عليه مفصل في شروحه وكان ذلك الفرس يسمى مندوبا (و) مما رواه الشيخان من هذا النوع انه صلى الله تعالى عليه وسلم (نخس جمل جابر) بن عبدالله الانصاري الصحابي المعروف رضي الله تعالى عنهما ونخس بخاء معجمة وسين مهملة كنصر من النخس وهو ان يطعنه في جنبه أو نحوه بعود أو نحوه وكان ذلك بمحجن في يده الشريفة (وكان) ذلك الجمل (قد أعيى) أي تعب وقلت حركته من السير (فنشط) بكسر الشين المعجمة في الماضي وفتحها في المضارع أي أسرع في السير وخف من النشاط ضد الكسل والمراد انه ذهب اعياؤه فابدل قوة وسرعة وفي النهاية روى كثيرا انشط وليس بصحيح يقال نشطت العقدة اذا عقدتها وانشطتها اذا حللتها وفي الحديث كأنما انشط من عقال ونشطت الدلو اذا جذبتها بقوة انتهى يعني ان الصواب هنا انشط من المزيد وأصل معناه الجذب بسرعة واذا صحت الرواية بخلافه فكيف يقال انه غير صواب ولايخفى انه استعارة فيجوز ان يستعار من نشط الدلو اذا نزعها فيشبه الجمل بدلو في بئر ويشبه نخسه له حتى جد في سيره باخراجه من البئر كأنه جذبه وأبدا قوته التي لم تكن ظاهرة فيه (حتى كان) أي جابر أو الجمل (لايملك زمامه) الزمام مقود الجمل ويملك يجوز بناؤه للمعلوم فالضمير فيه لجابر وللمجهول فهو للجمل ومعناه انه لايقدر على ضبطه وحبسه لانه اشتد نشاطه يجذبه من يده وينازعه فيه والحديث كما في الصحيحين قال جابر رضي الله تعالى عنه انه كان معه صلى الله تعالى عليه وسلم في غزوة فابطأ به جمله ومر به صلى الله تعالى عليه وسلم فقال له ماشأنك فقال له ابطأ بي جملي وأعيى فتخلفت فنزل ونخسه بمحجن وقال له اركب قال فصار لايقدر على كفه عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم انه اشتراه منه ثم وهبه له كما فصل قصته في الحديث وشروحه وفي ثمنه اختلاف أيضا وفيه من بركته صلى الله تعالى عليه وسلم ولطف معاملته مع أصحابه وكرمه

(وصنع مثل ذلك بفرس لجعيل) بضم الجيم وفتح العين المهملة فتحتية ساكنة (الاشجعى خفقها) أى ضربها (بمخفقة) بكسر الميم وفتح الفاء أى بدرة (معه وبرك عليها) بتشديد الراء أى دعا بالبركة فيها (فلم يملك) أى جعيل بعد ذلك (رأسها نشاطا) بفتح النون أى من أجل اسراعها (باع من نسلها) وفى نسخة من بطنها (باثنى عشر ألفا) وهذا من أثر دعائه بالبركة لها وماقبله من أثر ضربه وتوجهه اليها فهما نشر ولف مرتب لماقبلهما رواه البيهقى (وركب حمارا قطوفا) بفتح القاف (لسعد بن عبادة فرده) أى من محله الذى انتهى اليه أو من وصفه الذى كان عليه (هملاجا) بكسر فسكون ثم جيم أى سريع الهرولة فارسى معرب ويسمى الآن رهوانا (لايساير) بصيغة المفعول أى لاتسايره دابة الاسبقها رواه ابن سعد من حديث اسحق بن عبد الله ابن أبى طلحة (وكان شعرات من شعره) بفتح العين ويسكن أى من شعراته كما فى نسخة صلى الله تعالى عليه وسلم (فى قلنسوة خالد بن الوليد) بفتح القاف واللام وضم السين مايوضع على الرأس مثل الكوفية (فلم يشهد بها) أى فلم يحضر خالد بتلك القلنسوة (قتالا الارزق النصر) بصيغة المفعول ونصب النصر أى أعطى الفتح والظفر رواه البيهقى (وفى الصحيح) أى من رواية مسلم وأبى داود والنسائى وابن ماجه

وكرمه مالايخفى وهذه الغزوة هى غزوة ذات الرقاع كما فى شرح البخارى (وصنع مثل ذلك) أى مثل ماصنع مع جابر رضى الله تعالى عنه فى حديث البيهقى (بفرس لجعيل) بضم الجيم وفتح العين المهملة وياء تصغير ولام وهو جعيل بن زياد وقيل انه سمرة الصحابى الكوفى وقيل اسمه جعال (الاشجعى) بشين معجمة وجيم وعين مهملة منسوب لاشجع وهى قبيلة وحديثه هذا رواه عنه عبد الله بن أبى الجعد قال كنت فى بعض غزواته صلى الله تعالى عليه وسلم على فرس عجفاء ضعيفة فى أخريات الناس فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم ماشانك فقلت انها عجفاء ضعيفة فضربها بمخفقة كانت فى يده وقال بارك الله لك فيها قال فلقد رأيتنى أول الناس ماأملك رأسها وبعت من بطنها عدة كثيرة واليه أشار بقوله (خفقها) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أى ضربها (بمخفقة) كانت (معه) بكسر الميم وسكون الخاء المعجمة وفتح الفاء وقاف وهاء اسم آلة من الخفق وهى الدرة وقيل انها عصا والخفق الضرب ومنه خفق الطائر بجناحه وخفقان القلب والخافقان كله يرجع لهذا (وبرك عليها) بالتشديد تفعيل من البركة أى دعا مرارا بالبركة فيها (فلم يملك رأسها) أى لم يقدر على ضبط رأسها بلجامها لقوة سيرها ومجاذبتها له وهذا من قولهم ملك العجين اذا عجنه بقوة والملك مأخوذ من هذا وهو حقيقته (نشاطا) أى من شدة نشاطها (وباع من بطنها) أى مما ولدته وحصل من نسلها الخارج من بطنها والبطن حقيقة الجوف ثم شاع فى الولد والنسل (باثنى عشر ألفا) وهذه بركة عظيمة لدعائه صلى الله تعالى عليه وسلم ولعله كان عنده منها بطون متعددة تتناسل فيكون ذلك ولدها وولد أولادها وفيه لف ونشر فقوله يملك ناظر لقوله خفقها وقوله وباع الى آخره ناظر لقوله وبرك عليها وهو ظاهر وهذا رواه النسائى وابن عبد البر فى الاستيعاب (و) فى حديث رواه ابن سعد من حديث اسحق بن عبد الله بن أبى طلحة انه صلى الله تعالى عليه وسلم (ركب حمارا قطوفا) قليل السير متقارب الخطا (لسعد بن عبادة) الانصارى سعدهم المشهور (فرده) أى أعاده صلى الله تعالى عليه وسلم لصاحبه بعد ماركبه أو معناه صيره لان رد يكون بمعناها ويعمل عملها كما مر حوابه فعلى الاول مابعده حال وعلى الثانى مفعول ثان (هملاجا) بكسر الهاء وسكون الميم ولام وجيم وهو فارسى معرب وهو من البراذين مايسرع مشيه ويكثر نقله على هيئة مخصوصة والعامة يسمونه رهوان (لايساير) مبنى للمجهول أى يسبق كل ماسار معه فعبر بما ذكر مبالغة كما مر فى قوله لايجارى (و) روى البيهقى انه (كانت شعرات من شعره) صلى الله تعالى عليه وسلم وهو بفتح العين فيهما (فى قلنسوة خالد بن الوليد) أى انه رضى الله تعالى عنه وضعها فى داخل قلنسوته تيمنا بها والقلنسوة بفتح القاف واللام وضم السين وفتح الواو وقبل هائه مايوضع على الرأس وهى معروفة ويقال قلنسية كما فى الصحاح (فلم يشهد بها) أى لم يحضر (قتالا) وحربا قاتل فيه (الارزق النصر) أى الانصره الله تعالى على أعدائه فيقتلهم أو يهزمهم ببركة تلك الشعرات التى كانت فى قلنسوته وجملة الارزق الى آخره حال مستثناة استثناء مفرغا من أعم الاحوال وحكى ابن العديم ان ابن أبى طاهر العلوى كان عنده أربعة عشر شعرة من شعره صلى الله عليه وسلم فبلغه ان بعض أمراء حلب يحب العلويين وله كرم فارتحل له وأهدى تلك الشعرات له فاكرمه ثم أتاه بعد أيام فعبس فى وجهه ولم يلتفت اليه فسأله عن السبب فقال له قال لى فلان ان هذه الشعرات لا أصل لها فسأله احضارها فاحضرت فطلب منه نارا موقدة فاتى بها فرمى شعرات منها فى النار فلم تحترق بل صارت أحسن مما كانت فقبل رجله وأنعم عليه بنعم لاتحصى وأكرمه غاية الاكرام (وفى الصحيح) أى فى

(عن اسماء بنت أبي بكر) أي الصديق رضي الله تعالى عنهما (انها أخرجت جبة طيالسة) بالاضافة كما في شرح مسلم للنووي وفي نسخة بالوصف جمع طيلسان بفتح اللام ويثلث فارسي معرب وفي نسخة طيالسية بزيادة تحتية وفسرت بالخلق وهو امامن أصلها واما المطر أعليها الان هذه الجبة صارت بيد أسماء بعد موت اختها عائشة وهي ماتت بعد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بنحو خمس وأربعين سنة وفسرت بالاكسية وبالخضراء ثم طيالسة بالتنوين لانها في زنة رفاهية وثمانية (وقالت) أي أسماء (ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان يلبسها) بفتح الموحدة (فنحن نغسلها للمرضى يستشفى بها) بجملة حالية أو مستأنفة مبينة وهي بصيغة المفعول وفي نسخة بصيغة المتكلم هذا وقال المصنف (وحدثنا القاضي أبو علي) وهو ابن سكرة (عن شيخه أبي القاسم ابن الميمون) أخذ عن أبي محمد الباجي (قالت كانت عندنا قصعة) بفتح القاف ومن لطائف كلام أرباب اللغة لا تفتح الجراب ولا تكسر القصعة (من قصاع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) بكسر القاف جمع (فكنا نجعل فيها الماء للمرضى يستشفون) وفي نسخة فيستشفون (بها) أي فيشفيهم الله تعالى ببركة نسبتها (فاخذ جهجاه) بالتنوين وهو بالجيمين والهائين منصرفا ابن سعد أو سعيد أو مسعود وقال الطبري المحدثون يزيدون في آخره الهاء والصواب جهجا بدون هاء في آخره (الغفاري) بكسر أوله حضر بيعة الرضوان وعن عطاء عنه انه كان يشرب حلاب سبع شياه فلما أسلم لم يتم حلاب شاة (القضيب) هو عصا النبي التي كان الخلفاء يتداولونها (من يد عثمان) أي وهو على المنبر

الحديث الصحيح أو صحيح مسلم لان هذا الحديث رواه مسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجة (عن أسماء بنت أبي بكر) الصديق رضي الله تعالى عنهما (انها) أي أسماء (أخرجت) أي أظهرت وأرت الناس (جبة) بضم الجيم وتشديد الباء الموحدة وهي ثوب مخيط (طيالسة) قال النووي انه روي باضافة جبة لطيالسة جمع طيلسان بتثليث اللام والاشهر فتحها وطيالسة منون مصروف لانه بزنة ثمانية ورفاهية ويجوز نصبه على انه صفة جبة كثوب اخلاق وقد سقط لفظ طيالسة من بعض النسخ وهذه الجبة كانت عند أختها عائشة أم المؤمنين فلما ماتت بعد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بنحو خمسة وأربعين سنة انتقلت لها والطيالسة نوع من الاكسية قيل انها ذات أعلام خضر ولذا روي جبة خضراء فوصفت بوصف بعضها وقيل معنى طيالسة خلقة وقيل انه جمع طيلس كصيقل وهو المتقن النسج وقيل الطيلسان كساء أخضر يعرف بالساج وقيل الطيلسان رداء من صوف تستعمله العجم ولذا يقال يا ابن الطيلساني في الشتم (وقالت) اسماء (كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يلبسها) أي كان يكثر لبس هذه الجبة لانه كان يفعل كذا يدل على تكرر الفعل عرفا كما ذكره الاصوليون ولبس بطريق الوضع كما مر (فنحن نغسلها) ونأخذ غسالها فنعطيه (للمرضى فنستشفي) المرضى (بها) أي بمائها بان يشرب منه ويمسح به الابدان تيمنا بآثاره صلى الله عليه وسلم فيرزقهم الله الشفاء ببركته وفي مسلم انها جبة كسروانية نسبة لكسرى أي عجمية وانها كانت مكفوفة بالديباج واستدل به بعضهم على حل السجاف من الحرير وقيده بعضهم بان لا يزيد على أربعة أصابع ولا ينافي كونها من الطيالسة ما قيل انه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يستعمل الطيلسان وكرهه بعضهم لما ورد انه حلية قوم الدجال (وحدثنا القاضي أبو علي) هو ابن سكرة وقد تقدم (عن شيخه أبي القاسم بن المأمون) بن محمد بن هشام الرعيني السبتي المعروف بابن المأمون الامام المشهور (قال كانت عندنا قصعة) بفتح القاف ولا تكسر كما مر وهي الجفنة المعروفة وتخص في العرف بما كان من الخشب وقيدها النووي بما كانت تسع عشرة والقائل ابن المأمون فيحتمل انها كانت عنده وصلت اليه بطريق من الطرق ويحتمل انها كانت بديارهم وبلادهم (من قصاع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) بكسر القاف كجمع جفنة وجفان ويجمع على قصع أيضا وقصاعه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يعدوها ولم يذكروا صفاتها لانه صلى الله عليه وسلم كان لا يعتني بها ولا يعدها ولا يدخرها (فكنا نجعل فيها الماء للمرضى) جمع مريض (فيستشفون بها) أي يطلبون الشفاء فيحصل لهم بشربهم مما وضع فيها البركة اثارا آثاره (وأخذ جهجاه الغفاري) جهجاه بجيمين مفتوحتين بينهما هاء وبعد الاخيرة ألف وهاء وقيل ان صوابه جهجا مقصور لا هاء في آخره والغفاري بكسر الغين نسبة لغفار وهي قبيلة معروفة واختلف في اسم أبيه فقيل هو ابن مسعود رضي الله تعالى عنه وقيل ابن سعد بن حرام وقيل ابن سعيد وقيل ابن قيس وهو صحابي مهاجري مدني روى عنه أحاديث وشهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وتوفي بعد عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه بسنة (القضيب) يعني قضيب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الذي كان مع الخلفاء والقضيب عصى قصيرة (من يد عثمان) ابن عفان لما قام عليه قبل يوم الدار فقيل أخذه وجذبه من يده وهو على المنبر وقيل بعد نزوله

منصرفا لداره (ليكسره) أي أخذه بقصد أن يكسره وظاهره انه لم يكسره لصياح الناس عليه وقال ابن عبد البر وبعض أهل السير انه كسر (على ركبته) أي اتكى على ركبته في كسره كما هو معتاد (فصاح به الناس) ليمنعوه من كسر قضيب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فانه أمر عظيم وجراءة لم يرضوها ولذا قال ابن العربي لا يصح كسر العصا عمن أطاع أو عصى وهذه العصا كان يعتمد عليها النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اذا خطب وكذا الخلفاء بعده (فأخذته) أي أصابته ووقعت به وأصل معنى الاخذ التناول فتجوز به عما ذكر (الاكلة) كفرحة وهو داء يصيب بعض الاعضاء فيتأكل أي يتفتت ويتقطع وهو نوع من الجذام والفرق بينهما مذكور في مفصلات كتب الطب والناس تقول آكلة بالمد وقد قيل انه خطأ الا ان الثعالبي أنشد لبعض العرب في كتابه ثمار القلوب

ومن أنت هل أنت الا امرؤ * اذا صح نسلك في باهلة
وللباهلي على خبزه * كتاب لآكله الآكلة

ولم يخطئه فيه وهو من أئمة اللغة فيصح ان تقرأ عبارة المصنف رحمه الله تعالى به الا ان تعارضه الرواية (فقطعها) أي قطع جهجاه ركبته أو رجله من ذلك لئلا يسري المرض لبدنه فان هذا المرض يعالج بقطع العضو كما قيل * القطع طب كل عضو فاسد * فلا حاجة لما قيل ان ضمير الفاعل للاكلة وذكره بتأويل المرض ونحوه (ومات) الجهجاه من قطعها (قبل) تمام (الحول) أي السنة التي وقع فيها القطع بسبب اهانته لقضيبه صلى الله تعالى عليه وسلم قال ابن عبد البر في الاستيعاب انه تناول العصا من يد عثمان رضي الله تعالى عنه وهو يخطب فكسرها فوقعت الاكلة في ركبته وتوفي بعد عثمان رضي الله تعالى عنه بسنة وهو مناف لكلام المصنف رحمه الله تعالى من وجهين لان ظاهره انه لم يكسرها وانه حال عليه الحول وفي الروض الانف انه انتزعها من يد عثمان رضي الله تعالى عنه حين أخرج من المسجد ومنع من الصلاة فيه وهو أيضا مخالف لكلام ابن عبد البر في قوله انه أخذها وهو على المنبر وكان عثمان لما قام عليه الناس وهجموا المدينة يخرج يصلي بالناس على عادة الخلفاء الراشدين ثم خرج في آخر جمعة فحصبوه حتى وقع من على المنبر ولم يقدر على الامامة فصلى بهم أبو أمامة بن سهل ثم حصروه ومنعوه من المسجد وكان من القائمين عليه الجهجاه وشافهه بما لا يليق وفعل بالقضيب ما فعل وفي جراءته على قضيب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مع انه من الصحابة الذين شهدوا المشاهد معه صلى الله تعالى عليه وسلم اشكال لا يخفى فان الظاهر انه يعرف القضيب وحرمته وغضبه على عثمان رضي الله تعالى عنه لا يسوغ له مثل ذلك وعثمان رضي الله تعالى عنه كان مجتهدا مثابا ولا فيما أنكروه عليه وما هذه الا ذلة عظيمة لا تليق بمن كان مؤمنا صحابيا (و) روى البيهقي عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه حديثا متصلا أنه صلى الله تعالى عليه وسلم (سكب من فضل وضوئه) السكب بمعنى الصب وفضل وضوئه ما زاد عليه وقال شيخنا المقدسي قدس الله تعالى روحه في كتابه الرزان الوضوء بالفتح في المصدر كما في الصحاح وبالضم مصدر عن اليزيدي والفتح أولى وفي كتاب سيبويه فيما جاء على فعول بالفتح توضأ وضوأ وتطهر طهورا وولع ولوعا وقبل قبولا وقال ابن خروف في شرحه زعموا ان الوضوء من أسماء الماء كالوقود ولم يحك عمن يوثق به الوضوء بالضم قلت ولولا انه ضعيف ما تبرأ منه الجوهري والقاضي عياض وتبعه النووي وكلاهما لم يحرراه انتهى ما قاله شيخنا فلك هنا الفتح والضم (في بئر قباء) بضم القاف والمد مكان بقرب المدينة الشريفة غير مصروف ويجوز صرفه أيضا باعتبار المكان وألفه ليست للتأنيث وقال في التبصرة انه اسم أماكن ثلاثة وينسب اليه قبائي والى قبا فرغانة قباوي

(ليكسره على ركبته) أي معتمدا عليها (فصاح به الناس) وفي نسخة فصاح الناس به (فاخذته فيها الاكلة) بفتح فكسر ويسكن وبكسر فسكون وبفتحتين أي الحكة وفي نسخة بمد فكسر (فقطعها) أي ركبته وتذكير الضمير العائد الى الاكلة بتأويل الداء (ومات قبل الحول) رواه أبو نعيم في الدلائل وابن السكن في معرفة الصحابة وقال ابن عبد البر هو الذي تناول العصا من يد عثمان وهو يخطب وكانت عصا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وتوفي بعد عثمان بسنة ذكره الحلبي ثم كسر العصا ليس صريحا في كلام القاضي وهو صريح في كلام ابن عمر ولكني رأيت في حاشية على كتاب الروض الانف للسهيلي عن ابن دحية نقلا عن ابن العربي في كتاب العواصم انه لا يصح كسر العصا من أطاع ولا من عصا قلت وكذا لا تخالف بين قوليهما حيث قال القاضي مات قبل الحول وقال ابن عبد البر توفي بعد عثمان بسنة والله سبحانه وتعالى أعلم (وسكب) أي صب (من فضل وضوئه) بفتح الواو ويضم أي ماء وضوئه (في بئر قبا) بهمز مصروف ويمنع وقد يقصر ولعلها بئر أريس

(فانزفت) أى ما فنيت ولا انقدت وفى نسخة بصيغة المجهول ففى الصحاح نزفت ماء البئر اذا نزحته كله ونزفت هى فيتعدى ولا يتعدى ونزفت أيضا على ما لم يسم فاعله وحكى الفراء نزفت البئر اذا ذهب ماؤها (بعد) أى بعد صبه الى يومنا هذا رواه البيهقى عن أنس (وبزق فى بئر كانت فى دار أنس فلم يكن) أى ماء (بالمدينة) وفى نسخة فى المدينة (أعذب منها) أى أطيب وأحلى ماء من تلك البئر رواه أبو نعيم ولله در القائل من صاحب الشمائل ١٣٦ ولو تفلت فى البحر والبحر مالح * لاصبح ماء البحر من ريقها عذبا

(ومر على ماء فسأل عنه فقيل) أى له كما فى نسخة (اسمه بيسان) بكسر موحدة وفتح فسكون تحتية (وماؤه ملح) بكسر فسكون مبالغة مالح أى أجاج (فقال بل هو نعمان) بضم أوله وفى نسخة صحيحة بفتحه واختاره التلمسانى للمشاكلة ولو كسر لكان له وجه وجيه اقتضيه حسن المقابلة وهو مأخوذ من النعمة بكسر أولها أو فتحها (وماؤه طيب فطاب) أى بمجرد قوله صلى الله تعالى عليه وسلم قيل بيسان موضعان أحدهما بالشام وهو المراد فى حديث الدجال والآخر بالحجاز وهو الذى مر به عليه الصلاة والسلام فى غزوة ذى قرد فسأل عنه فقيل له اسمه بيسان فقال هو نعمان وهو طيب فغير صلى الله تعالى عليه وسلم اسمه فغير الله وصفه ورسمه فاشتراه طلحة فتصدق به فسماه عليه الصلاة والسلام طلحة الفياض (فأتى) كذا فى نسخة صحيحة والظاهر وأتى بالواو كما فى بعض النسخ المصححة وهو بصيغة المفعول أى وجىء (بدلو من ماء زمزم فمج) بفتح الميم وتشديد الجيم أى ألقى من فيه ماء (فيه) أى فى الدلو وهو مؤنث وقد يذكر على ما فى القاموس (فصار أطيب من المسك) رواه ابن ماجه وروى البيهقى عن وائل الحضرمى ولم يقل من ماء زمزم (وأعطى الحسن والحسين) أى كلا منهما (لسانه فمصاه) بتشديد الصاد (وكانا يبكيان (عطشا)

والقصر لغة فيه أيضا (فانزفت) البئر أى انقطع ماؤها (بعد) مبنى على الضم أى بعد ما سكب فيها فضل وضوئه صلى الله تعالى عليه وسلم ونزفت بفتح الزاى المعجمة ويجوز كسرها فهو مبنى للفاعل ويجوز بناؤه للمفعول أيضا لانه ورد متعديا وغير متعد فمن اقتصر على الثانى فقد قصر وقد ورد ثلاثيه متعديا ومزيده لازما على خلاف القياس ككبه الله تعالى فاكب وله اخوات فصلناها مع الكلام عليها فى السوانح والمصنف رحمه الله تعالى قال انه صب فضل وضوءه أى بقيته ووقع فى رواية انه تفل فيها وعد هذا من كراماته صلى الله تعالى عليه وسلم وتقدم ان من معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم تفجير الماء فى بئر الحديبية وبئر تبوك لانه ثمة وقع التحدى لمشاهدة الكفار له وهنا لم يقصد التحدى كما قيل (و) روى أبو نعيم فى دلائله أنه صلى الله تعالى عليه وسلم (بزق) بزاى وصاد وكلاهما بمعنى وهو مج الريق من فيه (فى بئر كانت فى دار أنس) ابن مالك خادمه صلى الله تعالى عليه وسلم (فلم يكن بالمدينة) بئر من آبارها (أعذب منها) أى أحلى وألذ من مائها وهذا كان بين أظهر المؤمنين فلذا لم يعده معجزة كما أشرنا اليه (ومر) صلى الله تعالى عليه وسلم (على ماء) فى بعض أسفاره (فسأل عنه) أى عن اسمه (فقيل) له (اسمه بيسان) بموحدة مكسورة وقال التلمسانى بالفتح وهو الظاهر لموازنته لنعمان الآتى ولولاه جاز فتحه وكسره ومثناة تحتية ساكنة وسين مهملة وألف ونون (وماؤه ملح) جملة حالية أى لا عذوبة فيه فلما سمى بما يوهم البؤس ضد النعيم لم يحب صلى الله تعالى عليه وسلم بما يتشأم به فغيره لانه كان يحب الفال الحسن (فقال بل هو نعمان) بفتح النون فعلان من النعيم والنعمة وبيسان موضعان أحدهما بالشام وهو فى حديث الدجال والآخر بالحجاز وهو الذى مر به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى غزوة ذى قرد وهو المذكور هنا فغير اسمه فغير الله ماءه فاشتراه طلحة رضى الله تعالى عنه وتصدق به فقيل له طلحة الفياض وضبط الانطاكى فى حواشيه هنا نعمان بضم النون والصواب ما تقدم وفى الشرح الجديد انه بكسر النون فكأنه قصد بذلك موافقة بيسان وملح هو الفصيح ومالح لغة أيضا لكنها غير فصيحة وليست لحنا كما قيل لورودها فى النظم والنثر كثيرا ولولا خوف الاطالة أوردنا ذلك (وماؤه طيب) هذا من جملة مقوله صلى الله تعالى عليه وسلم والا تناقض كلامه (فطاب) ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم لما غير اسمه وقال انه طيب (و) روى ابن ماجه فى حديث آخر مسندا أنه صلى الله تعالى عليه وسلم (أتى) بالبناء للمجهول أى أعطاه بعض أصحابه صلى الله تعالى عليه وسلم وجاءه (بدلو) مملوء (من ماء زمزم) ورواه البيهقى عن وائل الحضرمى الا انه لم يقل فيه انه من ماء زمزم (فمج فيه) أى ألقى فيه صلى الله تعالى عليه وسلم ماء فمه وريقه (فصارت) رائحته (أطيب من) رائحة (المسك) وقريب منه قصة نافع أحد القراء السبعة المذكورة فى شروح الشاطبية (و) من كراماته صلى الله تعالى عليه وسلم ما رواه الطبرانى عن أبى هريرة انه (أعطى الحسن والحسين لسانه) الشريف أى وضعه فى فمهما (فمصاه) أى جذبا ريقه وشربا منه (وهما يبكيان) جملة حالية أى باكين

(عطشا) تمييز أو مفعول له والعطش حرارة تقتضي اشتهاء ما يشرب (فسكتا) فسكن عطشهما وتركا البكاء وكان الاحسن ان يذكر هذا مع قوله وكان يتفل في أفواه الصبيان الى آخره (و) في حديث صحيح رواه مسلم عن جابر انه (كان لام مالك) الانصارية الصحابية وهي أم سليمان بنت ملحان قيل والصواب ان يقول أم أنس بن مالك وفي الصحابة أم مالك البهزية وليست هذه وفيه نظر لان أم مالك هذه ليست أم أنس وقد قالوا انه لا يعرف اسمها وفي شرح المصابيح للتوربشتي ان أم مالك في الصحابة اثنتان أم مالك الانصارية وأم مالك البهزية وهي صاحبة العكة انتهى (عكة) بتثليث العين المهملة والمشهور ضمها وهي صفن من الجلد يوضع فيه السمن غالبا وكافها مشددة (تهدي فيها للنبي صلى الله عليه وسلم سمنا) أي ترسل به له على طريق الهداية وهو بفتح السين المهملة وسكون الميم وفتحها لحن قال الزبيدي السمن للبقر غالبا ويكون للمعزى أيضا وفي القاموس ان سلاء الزبد ولم يقيده (فامرها النبي صلى الله عليه وسلم ان لا تعصرها) الامر هنا بمعناه اللغوي لان قوله لا تعصرها نهي لا أمر وهو باعتبار لازمه لان النهي يلزمه الامر بالكف وعلى الاول هو مطلق الطلب والعصر الضغط للظرف ليخرج بقية ما فيه مما قل ففيه اشارة الى انه لا ينبغي النظر لقلة ما فيها واحتقاره وتعظيم ما قل من نعم الله يزيده ويجعل فيه البركة ولذا قيل ان فيه دقيقة لمن نظر بعين الحقيقة ويعصر بكسر الصاد كضرب يضرب (ثم دفعها) أي دفع صلى الله تعالى عليه وسلم العكة (اليها) أي الى أم مالك المهدية له (فاذا هي مملوءة سمنا) أي فاجأها نعته ملؤها من ذلك فمملوءة بزنة المفعول مهموز ويجوز ابدال الهمزة واوا وادغامها (فيأتيها بنوها يسألونها الادم) بضم الهمزة وسكون الدال المهملة وضمها وهو جمع ادام هو ما يؤتدم به مع الخبز كالسمن والعسل واختلاف الفقهاء في اللحم هل يسمى اداما عرفا أم لا فلا ينافي ما ورد في الحديث سيد ادام الدنيا والآخرة اللحم وقيل الادم ما يصلح به الطعام (وليس عندهم شئ) يعني من الادام (فتعمد اليها) أي تقصدها وتمسكها بيدها وعمد يعمد بفتح الميم في الماضي وكسرها في المضارع ويجوز العكس كما في شرح الفصيح للبلي (فتجد فيها سمنا) كما كانت فلا تنقص (فكانت تقيم ادمها) أي تجده قائما أي باقيا على حاله (حتى عصرتها) غاية للاقامة أي لما عصرته انتهت اقامة السمن في العكة وفقدته وذهبت بركته لما خالفت أمره صلى الله تعالى عليه وسلم قال النووي في شرح مسلم الحكمة في ذلك ان عصرها يضاد التوكل والتسليم ويتضمن التدبير والاخذ بالحول والقوة فعاقبها الله تعالى بزوال ما أنعم به عليها ولم يذكر هذا في المعجزات لانه لم يتحد به ولانه حصل في بيت أم مالك وفي أسد الغابة لابن الاثير انه صلى الله عليه وسلم أمر بلالا فعصرها ثم دفعها اليها فلما أخذتها اذا هي مملوءة فاتت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقالت يا رسول الله نزل بي شئ فقال ماذاك يا أم مالك قالت رددت على هديتي فدعا بلالا وسأله عن ذلك فقال والذي بعثك بالحق نبيا لقد عصرتها حتى استحييت فقال هنيئا لك يا أم مالك هذه بركة عجل الله ثوابها ثم علمها صلى الله عليه وسلم ان تقول دبر كل صلاة سبحان الله عشرا والحمد لله عشرا والله أكبر عشرا وهذا صريح في ان ما ذكر كان بركة لا معجزة بملاحظته عليه السلام كما قيل فتدبر (و) في حديث رواه البيهقي انه صلى الله عليه وسلم (كان يتفل) بفتح المثناة التحتية وسكون التاء المثناة الفوقية وضم الفاء وكسرها والتفل البصاق وخصه البيهقي بيوم عاشوراء (في أفواه الصبيان) وافواه جمع فم باعتبار أصله لان أصله فوه والصبيان جمع صبي والمراد بهم الصغار الذي يرضعون ولهذا قال (المراضع) بزنة مساجد جمع مرضع بفتح الضاد اسم مفعول من الرضاعة وهي مص الثدي لا جمع رضيع بمعنى مرضع كما قيل فان فعيل لا يجمع على مفاعل وادعاء انه على خلاف القياس لا حاجة اليه وفي

(عطشا) جملة حالية وعطشا مفعول من أجله لا تمييز كما اختاره الحلبي (فسكتا) أي بسكون عطشهما رواه الطبراني عن أبي هريرة (وكان لام مالك) أي الانصارية روى عنها عطاء بن السائب بواسطة رجل أو البهزية روى عنها طاوس والظاهر ان المراد بها الاول وقال الشارح الصواب أم أنس بن مالك فسقط ذكر أنس قاله أبو علي الغساني وهي أم سليم بنت ملحان (عكة) بضم مهملة فكاف مشددة اناء من جلد يجعل فيه السمن (تهدي) بضم التاء وكسر الدال أي ترسل (فيها للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم سمنا) أي ليتأدم به (فامرها النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان لا تعصرها) بضم الصاد أي أمرها بترك عصرها (ثم دفعها اليها فاذا هي مملوءة سمنا فيأتيها بنوها يسئلونها الادم) بضم فسكون وبضمتين وهو كل ما يؤتدم به (وليس عندهم شئ) من الادام أو من السمن (فتعمد اليها) بكسر الميم أي تقصد على العكة (فتجد فيها سمنا فكانت تقيم أدمها) وفي نسخة أدمهم أي تديم ذلك الادام (حتى عصرتها) رواه مسلم عن جابر (وكان يتفل) بضم الفاء وكسرها (في افواه الصبيان المراضع) بفتح الميم أولاد المراضع كما قاله الحلبي وهو الظاهر وقال الدلجي جمع رضيع يعني مرضع اسم مفعول

(فيجزئهم) بضم الياء وكسر الزاى فهمزة وتسهل لا كما قال الدلجى بفتح التحتية أى يكفيهم (ريقه الى الليل ومن ذلك) أى من قبيل كراماته (بركة يده) أى الحاصلة (فيما لمسه) أى مسه بها مطلقا (أى غرسه) أى من شجر وغيره كما فى أصل الدلجى وفى النسخ المصححة وغرسه (ولسلمان) بالواو وهو الظاهر لانه حديث مستقل رواه البيهقى عن سلمان انه عليه الصلاة والسلام غرس له (حين كاتبه مواليه) وهم يهود وأصله من فارس من قوم مجوس فخرج يطلب الدين وطريق اليقين وجعل ينتقل من دين الى دين حتى أخذه قوم من العرب فباعوه فكاتبوه (على ثلاثمائة ودية) بتشديد التحتية صغير فسيل النخل (يغرسها لهم) بكسر الراء (كلها) بالرفع أى جميعها (تعلق) بفتح اللام وتضم أى أى تمسك أو تحبل (وتطعم) بضم التاء وكسر العين أى تعطى الثمرة أو تدرك (وعلى أربعين أوقية) بضم الهمزة وتشديد التحتية على المشهور وبحذف الهمزة وفتح الواو فى لغة وهى كانت أربعين درهما من فضة فى زمنه صلى الله تعالى عليه وسلم فالمراد هنا وزنها (من ذهب قال) الحلبى انما كاتب سلمان مولاه ففيه مجاز ولكن جاء فى بعض طرقه وهو فى المسند انه عليه الصلاة والسلام اشتراه من قوم من اليهود بكذا وكذا درهما وعلى ان يغرس لهم كذا وكذا من النخل يعمل فيها سلمان حتى تدرك (فقام النبى صلى الله عليه وسلم (وغرسها

بعض النسخ مراضيع بزيادة الياء فان صحت روايته فهو على خلاف القياس كما قيل فى جمع خاتم خواتيم الان ابن عصفور قال انه شاذ وادعاء بعضهم انه ضرورة لا يصح فانه ورد فى الحديث الاعمال بخواتيمها وما قيل ان تقديره ذا الكلام صبيان المراضع وهن الامهات خطأ اللهم الان وقع له رواية صبيان المراضع بالاضافة ولم نجده فى شئ من النسخ (فيجزيهم) بضم المثناة التحتية وسكون الجيم وكسر الزاى المعجمة وهمزة أى يكفيهم وأهل الاصول فسروا الاجزاء بالصحة وفى المحصول وشروحه كلام فى الفرق بين الاجزاء والصحة (ريقه) الشريف (الى الليل) أى فيكفيهم عن الرضاعة النهار كله ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم فيقوم المص منه مقام لبن الام الكثير (ومن كراماته) أى من كرامات النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ما رواه البيهقى (بركة يده فيما لمسه) اللمس قريب من المس وهو وضع اليد على الشئ فقوله بيده تأكيد أو تجريد كنظرت بعينى والبركة الزيادة المعنوية والحسية كما تقدم (وغرسه لسلمان الفارسى) أى لاجله كما سيأتى والغرس وضع أصول الشجر فى الارض لينمو وفى نسخة أو غرسه فهو شك من الراوى وسلمان هو أبو عبد الله الفارسى مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو من قرية يقال لها جئ من قرى أصبهان أو رام هرمز لم يتخلف عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بعد ما أعتقه وكان من علماء الصحابة وزهادهم المعمرين وكان رضى الله تعالى عنه يعمل الخوص ويأكل منه مع ان عطاءه من بيت المال خمسة آلاف كل سنة وكان اذا أخذها تصدق بها قال النووى اتفقوا على انه عاش مائتين وخمسين سنة وقيل ثلاثمائة وخمسين سنة وتوفى بالمداين ودفن بها سنة خمس أو ست وثلاثين وقد قال صلى الله عليه وسلم ان الجنة لتشتاق له وكان مولاه قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من اليهود فاشتراه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم منه وقصته مشهورة (حين كاتبه مواليه) من اليهود وهذا ينافى ما قاله البرهان انه صلى الله تعالى عليه وسلم اشتراه وجمع الموالى ولم يكن له الا مولى واحد تجوزا وقد قيل انه على ظاهره لانه ورد انه اشتراه من قوم من اليهود وفيه نظر والمولى هنا هو السيد وهو مشترك بينه وبين العبد وله معان أخر والكتابة معلومة مفصلة فى كتب الفقه (على ثلاثمائة ودية) بفتح الواو وكسر الدال المهملة وياء مثناة تحتية مشددة قبل الهاء وهى صغار النخل (يغرسها لهم كلها تعلق) بفتح التاء الفوقية وسكون العين المهملة وفتح اللام ثم قاف أى تنبت بعد غرسها ويتم غراسها من علقت المرأة اذا حبلت وقال بعض الشراح تؤكل ثمرتها من علق يعلق كعلم يعلم وقيل تدرك وتضم لامه كيكتب فهو متداخل من بابين والمراد الاكل هنا وهو الظاهر وجملة كلها تعلق بدل مما قبله وقوله (وتطعم) أى يوجد فيها ما يؤكل من ثمرها ويؤيد ان المراد بما قبله تدرك وان جاز ان يكون عطف تفسير وهو بوزن يكرم (وعلى أربعين أوقية) بضم الهمزة وتشديد الياء ويقال وقية أيضا بفتح الواو وقال السعد فى شرح الكشاف الاوقية أفعولة فاصلها أوقوية فاعلت أو فعلية من الاوق وهو الثقل والمراد أربعون درهما كما فى كتب اللغة وعند الاطباء وهو المتعارف الآن انها عشرة دراهم وخمسة أسباع درهم وقال الزمخشرى انها اثنان وأربعون درهما انتهى وقيل انها سبعة مثاقيل (من ذهب) بيان للاوقية وانها ليست من فضة ولفظ الوقية وقع فى حديث رواه الشيخان فقول بعضهم انها عامية كما فى النهاية لا وجه له اللهم الا ان يريد انها المشهورة بين العوام فلا ينافى تصحيح أهل اللغة لها كما فى القاموس وغيره والنش بفتح النون وتشديد الشين المعجمة عشرون درهما (فقام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) من مجلسه الى محل عين لغراسها فيه

وغرسها له) أي لسلمان أو لمالكه (بيده الا واحدة) بالنصب (غرسها غيره) وهو عمر بن الخطاب على ما ذكره ابن عبد البر بسنده في الاستيعاب وهو في مسند أحمد أيضا وفي طريق أخرى ذكرها البخاري في غير صحيحه ان الذي غرسها سلمان فيجمع بينهما بان واحدة غرسها عمر وأخرى غرسها سلمان أو ان يكونا غرسا واحدة فلم تطعم ويكون الراوي مرة عزا غرسها للعمر ومرة عزا غرسها لسلمان ان كان الراوي واحدا وهو بريدة كما رواه أحمد وان كان غيره فيكون فيه مجاز كذا حققه الحلبي ويؤيد الثاني من القولين

(وغرسها له بيده) الشريفة تبركا (الا واحدة) منها (غرسها غيره) قيل هو عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه كما رواه ابن عبد البر وقيل انه سلمان ووفق بينهما بانهما غرساها معا أو ان كل واحد منهما غرس واحدة (فاخذت كلها) بمعنى انها اطلعت وادركت فهو مجاز كأنها أخذت من الارض ما قامت به ونمت كما يدل عليه الكلام (الا تلك الواحدة) التي غرسها غيره (فقلعها) من محلها (وردها) أي اعادها الى محلها (فاخذت) أي نبتت وادركت ببركة يده الشريفة ومسها وهو من معجزاته الباهرة صلى الله تعالى عليه وسلم وقوله الا واحدة يدل على بطلان التوفيق بانها غرس كل واحد منهما ودية وفي السير انه صلى الله تعالى عليه وسلم غرسها كلها من غير ذكر الواحدة فينبغي ان يحمل على القصة اجمالا فانه غرس تلك الواحدة بعد ذلك فلا منافاة بينهما (وفي كتاب البزار) بموحدة وزاي معجمة وألف وراء مهملة نسبة لعمل بزر الكتان زيتا عند البغداديين وهو الحافظ المشهور (فاطعم النخل) أي أثمر ذلك النخل الذي غرسه صلى الله تعالى عليه وسلم بيده الشريفة (من عامه) أي في سنته التي غرس فيها ومن ابتدائية (الا الواحدة فقلعها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وغرسها فاطعمت من عامها) واضافة العام لها حقيقية لوقوع الغراس فيه (وأعطاه) أي أعطى صلى الله تعالى عليه وسلم سلمان مما كوتب عليه (مثل بيضة الدجاجة) أي قدر حجمها الاوزنا كما قيل (من ذهب) جاءه من الغنائم (بعد ما أدارها على لسانه) الشريف ليحصل فيها بركته ولا حاجة الى ان يقال انه صلى الله تعالى عليه وسلم دعا بالبركة فيها ولم يسمع فانه لا يقال مثله بالرأي (فوزن) سلمان رضي الله تعالى عنه (منها لمواليه) أي لمن كاتبه كما مر (أربعين أوقية وبقي عنده مثل ما أعطاهم) وهي أربعون أخرى وكانت في رأي العين دون ما كوتب عليه من الذهب لكنها زادت وزنا ورجحت ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم وهو من نمو الاعيان قيل يجوز ان يكون فاعل وزن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وكذا بقي وهو بكسر القاف المخففة ويجوز فتحها مشددة وقصة سلمان رضي الله عنه طويلة مفصلة في السير وحاصلها انه كان يجيء وهي قرية بفارس كان أبوه رئيسها وهو ممن يعبد النار فرسلمان برهبان في كنيسة يصلون ويتعبدون فاعجبه أمرهم وقال هذا خير من ديننا فلما أخبر أباه بذلك نقم عليه وقيده مخافة ان يتبعهم فارسل سلمان اليهم يقول اذا كان عندكم من يذهب الى الشام فاخبروني به وكانوا قالوا له ان ديننا هذا بالشام فاخبروه فكسر قيده وذهب معهم وجاء الى الشام ودخل كنيسة فيها اقسدس يتعبد بها فاستمر عنده الى ان مات فذهب لآخر بعمورية ثم لآخر بالموصل ومكث عنده فمرض وأشرف على الموت فقال له ان مت ما أفعل قال ان ديننا هذا قديم وقد دنا زمن نبي على الحنيفية يظهر بارض النخل فسأله عن علامته فقال به خاتم النبوة ولا يأكل الصدقة ويأكل من الهدية فمر به قوم من كلب وكان له بقرات وغنيمات اكتسبها من عمله فاعطاها لهم على ان يحملوه الى أرض العرب فغدروا به وأسروه وباعوه من يهودي وقيل ابتاعته امرأة والاصح الاول فكان يخدمه حتى قدم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

قوله (فاخذت كلها) أي نبتت واثمرت (الا تلك الواحدة فقلعها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وردها) أي بيده الكريمة (فاخذت) أي أخذت عروقها ونشبت في محلها (وفي كتاب البزار) بتشديد الزاي وفي آخره راء (فاطعم النخل) أي جنس ما ذكر (من عامه الا الواحدة) أي التي غرسها غيره عليه الصلاة والسلام (فقلعها وغرسها فاطعمت من عامه وأعطاه) أي سلمان (مثل بيضة الدجاجة) بفتح الدال ويثلث أي مقدارها وزنا أو حجما (من ذهب بعد أن ادارها) أي تلك القطعة التي هي كالبيضة (على لسانه) أي مبالغة للبركة في شانه واذا جاز حمله على حقيقته فلا معنى لقول الدلجي لعله أراد بذلك انه برك عليها أي دعا فيها بالبركة فلم يسمعه من شاهده فظن انه انما أرادها عليه (فوزن) أي سلمان

(منها لمواليه أربعين أوقية وبقي عنده مثل ما أعطاهم) أي كمية وازيد منه كيفية وكان سلمان من المعمرين عاش على الاصح مائتين وخمسين سنة وقيل ثلثمائة وخمسين سنة وقيل أربعمائة سنة في المجوسية ومائة في اليهودية ومائة في النصرانية ثم لما أسلم قال يا رب عمرني في الاسلام مائة سنة فعاش مائة في الاسلام وكان يأكل من عمل يده ويتصدق بعطائه وهو أحد الذين اشتاقت اليهم الجنة ومناقبه كثيرة وفضائله غزيرة مات بالمدائن سنة خمس وثلاثين وما ترك شيئا يورث عنه

(وفي حديث حنش) بمهملة فنون مفتوحة فشين معجمة (ابن عقيل) بفتح وكسر القاف وفي بعض النسخ المصححة بالتصغير وهو حديث طويل رواه قاسم بن ثابت في الدلائل من طرق موسى بن عقبة عن المسور بن مخرمة عنه وقال الشارح لم أر له أثرا في كتاب الصحابة لابن عبد البر ولا خبر افعلي من رآه أن يرسمه هنا (سقاني رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم شربة من سويق شرب أولها وشربت آخرها فما برحت) بكسر الراء أي ما زلت (أجد شبعها) بكسر ففتح (اذا جعت وريها) بكسر راء فتشديد تحتية (اذا عطشت) بكسر الطاء (وبردها اذا ظمئت) بكسر الميم من الظمأ وهو العطش الشديد من كثرة الحر أو شدة الحرارة (وأعطى قتادة بن النعمان) بضم النون (وصلى معه العشاء في ليلة مظلمة مطيرة) جملتان معترضتان وردتا اعتراضا بين أعطى ومفعوله الثاني كذا ذكره الدلجي والظاهر ان الجملة واحدة وان قوله في ليلة ظرف لقوله صلى (عرجونا) بضم العين والجيم و بكسر مع فتح الجيم وقرئ بهما وهو أصل العذق الذي يعوج ويقطع منه الشماريخ فيبقى على النخل يابسا ولعله هو العذق مطلقا وقيل اذا يبس واعوج وهو الملائم لقوله تعالى حتى عاد كالعرجون القديم (وقال انطلق به فانه سيضيء لك بين يديك عشرا) أي عشرة أذرع أو نحوها والعدد اذا حذف مميزه جاز تذكيره وتأنيثه (ومن خلفك عشرا فاذا دخلت بيتك فستري سوادا) أي جسما اذا سواد أو جسما وشخصا

(فاضربه

المدينة فبينما هو على نخلة من النخيل وسيده الذي اشتراه منهم تحتها اذا برجل غريب جاء الى سيده المذكور وقال هل سمعت ما فعله الانصار قدم عليهم رجل من مكة وهم معهم بقباء الآن فلما سمع سلمان مقالته عراه نافض كالحمى ونزل يسأل الرجل عما قاله فنهره سيده فاضمر مقالته ثم ذهب اليه صلى الله تعالى عليه وسلم بتمرات من نخل سيده فأكلها فلما رأى العلامات المذكورة جاء وكاتب سيده على ما ذكره المصنف رحمه الله تعالى فان قلت تقدم في الحديث انه مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال سلمان منا أهل البيت فكيف يكون هذا وهو مكاتب وكيف أكل صلى الله تعالى عليه وسلم مما أتى به والعبد لا يملك شيأ قلت أجابوا عنه بوجوه منها انه ورد انه صلى الله تعالى عليه وسلم اشتراه منهم مما ذكر وعلى هذا فلا اشكال ومنها انه علم انه لم يمسه الرق كما رواه ابناء وظلما وغصبا ولو سلم فهو مولى موالاة لا مولى رق ولذا قبل صلى الله تعالى عليه وسلم ما أهداه له لانه أجر له أو أذن له سيده في دفعه لمن يريد (وفي حديث حنش) بفتح الحاء المهملة والنون وشين معجمة (ابن عقيل) بفتح العين وكسر القاف وليس مصغرا وهو صحابي ترجمته في الاستيعاب وغيره وهذا الحديث رواه بطوله قاسم بن ثابت في الدلائل عن المسور بن مخرمة (سقاني رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم شربة من سويق) بالسين وقد تبدل صادا وهو قمح يقلى ويطحن ثم يجعل في ماء ونحوه من المائعات ويشرب فهو طعام وشراب وشربة بفتح الشين المرة من المشروب وليس بضم الشين كما قيل فهو مفعول به لا مفعول مطلق كما قيل (شرب) صلى الله تعالى عليه وسلم (أولها وشربت آخرها) يعني انه صلى الله تعالى عليه وسلم شرب منها أولا لتحصل البركة فيها ثم ناوله الاناء فشرب بقيته (فما برحت) أي لم أزل بعدما شربت سؤره (أجد شبعها) أي يحصل عندي الشبع بزنة العنب وهو معروف (اذا جعت) أي اذا جاء وقت الجوع والحاجة الى الطعام (وريها) بكسر الراء وهو برد يحصل في الجوف من الماء ونحوه يغني عن الماء (اذا عطشت) أي جاء وقت الحاجة الى الشرب والضمير ان للشربة (وبردها اذا ظمئت) بزنة علمت بهمزة بعد الميم ويجوز ابدالها وهو من الظمأ وهو العطش فغاير بينهما في العبارة تفننا أي لم يفارق بعد شربها الشبع والري لبركة سؤره صلى الله تعالى عليه وسلم (و) في حديث صحيح رواه أحمد في مسنده عن أبي سعيد انه صلى الله تعالى عليه وسلم (أعطى قتادة بن النعمان) بن زيد ويكنى أبا عمر وهو صحابي مشهور توفي سنة ثلاث وعشرين وصلى عليه عمر رضي الله تعالى عنه وهو الذي ردت عينه كما تقدم وهو من الانصار (وصلى معه العشاء) جملة حالية بتقدير قد أي وقد صلى مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم العشاء (في ليلة مظلمة مطيرة) أي ذات ظلمة من ظلمة الليل والسحاب المطبق بالمطر وهو متعلق بأعطى (عرجونا) بضم العين وسكون الراء المهملتين وضم الجيم كعنقود وبكسر وفتح كفردوس وبهما قرئ وهو فعلون من الانعراج وهو الانعطاف وقيل وزنه فعلول واليه ذهب صاحب القاموس والصحيح الاول (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم لقتادة (انطلق به) أي خذ العرجون واذهب به لمنزلك (فانه سيضيء لك من بين يديك عشرا ومن خلفك عشرا) أي مقدار عشرة أذرع في طريقك حتى تبصرها وليست العشرة من الاشبار كما قيل (فاذا دخلت بيتك فسترى سوادا) وهو ضد البياض والمراد جسم أسود والسواد يطلق على الجثة والشبح وفي توثيق عرى الايمان للبارزي انه كان هيئة قنفذ فاذا رأيته

(فاضربه حتى يخرج فانه الشيطان فانطلق فاضاءله العرجون) هو أصل العذق كما تقدم (حتى دخل بيته ووجد السواد فضربه حتى خرج) رواه أحمد عن أبي سعيد بسند صحيح وفي توثيق عرى الايمان للبارزي فانه قنفذ بدل فانه شيطان ولا تنافي فلعله تمثل بصورته أسود (ومنها) أي ومن كراماته مما كان سببا لانقلاب الاعيان (دفعه) أي اعطاؤه عليه الصلاة والسلام (لعكاشة) بضم أوله وتشديد الكاف وتخفيفه (جذل حطب) بكسر جيم ويفتح وسكون ذال معجمة أي أصل شجرة وأراد به هنا عودا وقيل هو الحطبة أو الخشبة الغليظة (وقال اضرب به حين انكسر سيفه) ظرف لدفعه (يوم بدر) أي زمن وقعته (فعاد) أي فتحول (في يده سيفا) وفي نسخة فصار فيكون مجازا عنه اذ لم يكن قط سيفا فيعود (صارما) أي قاطعا (طويل القامة أبيض) أي بريق اللمعان (شديد المتن) من المتانة وهي القوة أو قوي الظهر فان المتن هو أصل الشئ الذي به قوامه بمنزلة الظهر للاعضاء ومنه متن الحديث (فقاتل به) أي في وقعة بدر حتى انقضت (ثم لم يزل عنده يشهد به المواقف) أي لقتال الكفرة (الى ان استشهد) أي عكاشة (في قتال أهل الردة وكان هذا السيف يقال له) وفي نسخة يسمى (العون) بالمصدر للمبالغة أو بمعنى المعين أو المعان والله المستعان رواه البيهقي وقال الخطابي يجب ان يعلم ان الذين لزمهم اسم الردة من العرب كانوا صنفين صنف منهم ارتدوا عن الدين ونابذوا الملة وعادوا الى الكفر وهم المعنيون بقول أبي هريرة وكفر من كفر وهم أصحاب مسيلمة ومن نحا نحوهم في انكار نبوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم والصنف الآخر هم الذين فرقوا بين الصلاة والزكاة فاقروا بالصلاة وأنكروا الزكاة يعني اعطاءها لا وجوبها وهؤلاء هم أهل بغي وانما لم يخصوا بهذه السمة لدخولهم في غمار أهل الردة بخلاف المسلمين فاضيف الاسم في الجملة الى الردة اذ كانت أعظم الامرين خطبا وصار مبدأ

(فاضربه حتى يخرج) من البيت (فانه) أي السواد المرئي (الشيطان) تصور بهذه الصورة (فانطلق) قتادة (فاضاءله العرجون حتى دخل بيته ووجد السواد فضربه حتى خرج) من بيته كما أخبره صلى الله تعالى عليه وسلم قيل ما ذكره المصنف رحمه الله تعالى رواية بالمعنى فان لفظ الحديث كما رواه أبو سعيد الخدري ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج ذات ليلة لصلاة العشاء وهاجت السماء وأظلمت وبرقت فرأى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قتادة فقال له قتادة قال نعم يا رسول الله علمت ان شاهد الصلاة قليل فاحببت ان أشهدها فقال له اذا انصرفت فأتني فلما انصرف أعطاه عرجونا وقال خذه فسيضيء امامك عشرا وخلفك عشرا الحديث وضيء جاء متعديا فعشرا مفعوله ولازما فهو منصوب على الظرفية والشيطان المراد به واحد من الجن المردة أو ابليس بعينه (ومنها) أي من كراماته صلى الله تعالى عليه وسلم في قلب الاعيان ما رواه البيهقي في حديث مسند وهو (دفعه لعكاشة) بن محصن الصحابي المشهور وهو بضم العين المهملة وتخفيف الكاف وتشديدها وشين معجمة علم منقول وأصله العنكبوت أو بيته وهذه القصة وقعت له وهو ببدر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والدفع أصل معناه الازاحة باليد والمنع ويطلق على الاعطاء والتسليم كما يقال دفع له المال (جذل حطب) بجيم مكسورة وذال معجمة ساكنة ولام وقد تفتح جيمه وهو عود غليظ أو أصل من أصول الشجر ومنه المثل أنا جذيلها المحكك وهو عمود ينصب لتحتك به الابل الجرباء فاستعير لمن يرجع لرأيه ويستشفى بهدايته في المهمات والحطب ما يبس من اغصان الشجر وهو معروف وهو الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم سبقك بها عكاشة وقد كان قال يدخل الجنة سبعون ألفا بغير حساب وهم الذين لا يرقون ولا يسترقون فقال عكاشة ادع الله ان يجعلني منهم فقال جعلك الله منهم ثم قام آخر فقال مثل ما قال فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم سبقك بها عكاشة قال ابن عبد البر الثاني كان من المنافقين ورده السهيلي بانه ورد في رواية فقام رجل من خيار المهاجرين وأيضا ورد انه انما قال لثالث ولعل الساعة الاولى كانت ساعة اجابة انقضت أو لانه عرف صلى الله تعالى عليه وسلم انه لو دعا له استرسل الامر وطال وعم مثله الناس وهو مما يكتم (وقال اضرب به حين انكسر سيفه يوم بدر) أي في وقعة بدر كما مر في اطلاق اليوم على مثله (فعاد في يده سيفا) أي صار لان عاد يكون بمعنى رجع وليس مناسبا هنا وبمعنى صار كما فصل في محله وقوله (صارما) أي قاطعا ومنه الصرم وهو الهجر والقطيعة (طويل القامة) أي طويلا مستقيما (أبيض) اللون (شديد المتن) أي قوي الجرم صلبا من المتانة وهي القوة ولذا سمي الظهر متنا لقوته واشتداد الاعضاء وقوامها به (فقاتل به) ببدر حتى انقضت (ثم لم يزل) السيف (عنده) أي في ملكه وتصرفه والعند للحضرة وترد لمعان أخر منها هذا (يشهد) أي يحضر (به المواقف) أي قتال الكفرة (الى ان استشهد في قتال أهل الردة) واستشهد بمعنى صار شهيدا وقيل معناه طلب الله تعالى منه الشهادة وذلك في خلافة أبي بكر رضي الله تعالى عنه وهو مشهور وقوله الى ان استشهد الى آخره غاية لبقائه في يده فلا ينافيه بقاؤه عند أهله بعده كما توهم (وكان هذا السيف يقال له العون) سمي به هذا

قتال أهل البغي مؤرخا بأيام علي رضي الله تعالى عنه اذ كانوا منفردين في عصره ولم يختلطوا باهل شرك في دهره (ودفعه) أي ومنها دفعه عليه الصلاة والسلام (لعبد الله بن جحش) بفتح الجيم فسكون مهملة (يوم أحد وقد ذهب سيفه) جملة حالية اعتراضية (عسيب نخل) أي جريدة منه مما لا خوص عليه وما نبتت عليه الخوص فهو سعف والخوص الاوراق (فرجع) أي انقلب (في يده سيفا) رواه البيهقي وفي سيرة ابن سيد الناس انه أعطى سلمة بن أسلم يوم بدر قضيبا من عراجين ابن طاب كان في يده فاذا هو سيف جيد فلم يزل عنده حتى قتل يوم جسر أبي عبيدة انتهى ونقله الواحدي باسناده (ومنه) أي ومن هذا النوع (بركته في درور الشياه الحوائل) بالهمز جمع الحائلة وهي الشاة العديمة اللبن (باللبن الكثير كقصة شاة أم معبد) بفتح الميم والموحدة وقصتها ما رواه ابن سعد والطبراني عن أبي معبد الخزاعي انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما هاجر ومعه أبو بكر ومولاه عامر بن فهيرة وعبد الله بن الاريقط استأجره دليلا وهو على دين كفار قريش فأخذ بهم طريق الساحل فمروا بقديد على أم معبد عاتكة بنت خالد الخزاعية وكانت برزة تحتبي بفناء بيتها فتطعم وتسقي من مر بها وكانوا مرملين مسنتين فطلبوا منها لبنا فلم يجدوا فرأوا عندها شاة خلفها الجهد عن الغنم فقال أتأذنين لي ان أحلبها قالت نعم فدعا بها فاعتقلها ومسح ضرعها وسمى الله فتفاجت ودرت ودعا باناء يربض الرهط فحلب فيه ثجا وسقى القوم حتى رووا ثم شرب آخرهم ثم حلب فيه ثانيا ثم تركه عندها وارتحلوا فجاء زوجها أبو معبد يسوق أعنزا عجافا يتساوكن هزالا فرأى اللبن فعجب وقال أنى لك هذا قالت مر بنا رجل مبارك الحديث

المصدر مبالغة لاعانته على الاعداء وكان من عادة العرب وأهل الصدر الاول انهم يسمون آلات حربهم وخيولهم باسماء كالاناسي (ودفعه) مصدر مرفوع مبتدأ خبره مقدر أي من كراماته صلى الله عليه وسلم دفعه أو هو معطوف على دفعه السابق بلا تقدير وهو الاولى (لعبد الله بن جحش يوم أحد) أي في وقعة أحد المشهورة وهو ابن عمته صلى الله تعالى عليه وسلم أميمة بنت عبد المطلب وهو من المهاجرين بالهجرتين ويسمى المجدع لانه استشهد باحد ومثل بقطع أنفه واذنيه لانه طلب ذلك من الله وقصته مشهورة في السير ورواها البيهقي مسندة (وقد ذهب سيفه) جملة حالية أو معترضة فأعطاه صلى الله تعالى عليه وسلم (عسيب نخل) عسيب بوزن كريم بعين وسين مهملتين ومثناة ساكنة تحتية وباء موحدة قيل وهي جريدة النخل لا خوص عليها والصواب ما في الصحاح من انه من السعف ما فوق الكرب لم ينبت عليه خوص كعسب الذنب (فرجع) أي صار العسيب وهو أحد معنيي الرجوع ويكون لازما ومتعديا (سيفا) مفعول رجع قال ابن عبد البر في الاستيعاب انقطع سيف عبد الله بن جحش يوم أحد فأعطاه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يوم أحد عرجون نخلة فصار في يده سيفا يقال ان قائمه كان منه فبقي الى ان بيع من بغاء التركي بمائتي دينار وكذا ذكره ابن سيد الناس وغيره وهذه الرواية تدل على ان العسيب أصل العرجون لا الجريد كما قيل وهذه أعظم من معجزة موسى عليه الصلاة والسلام في عصاه لانها بقيت بعده صلى الله تعالى عليه وسلم وعصا موسى لم تبق بعد موته وقد وقعت مرارا في عصي متعددة وتلك عصا واحدة وفي سيرة ابن سيد الناس مثله لسلمة بن أسلم يوم بدر (ومنه) أي من هذا النوع من الكرامات والبركات (بركته) صلى الله عليه وسلم (في درور الشاة) ودرور بدالين وراءين مهملات مصدر درت الشاة ونحوها درورا واسال لبنها من ضرعها بكثرة والدر اللبن ومنه لله دره ثم شاع في معنى الخير والنفع والشاة من الغنم وأصلها شوهة فاعلت وتطلق على ما يشمل المعز مجازا والشياه بزنة رجال جمع شاة (الحوائل) جمع حائل وهي التي لم تحمل مطلقا أو ما حمل عليها فلم تحمل وقيل انها ما لم تكمل سنة أو سنتين وقيل انها جمع حول جمع حائل جمع الجمع ووصفها بذلك لانها أبعد من الدر (باللبن الكثير) ذكره للايضاح والتأكيد أو أراد بالدرور مطلق الخروج على طريق التجريد والمجاز المرسل (كقصة شاة أم معبد) عاتكة بنت خالد الخزاعي أخت حبيش الصحابي المعروف بالاشعر وأبو معبد أسلم ومات في حياة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وله رواية وقال السهيلي انه لا يعرف اسمه وقيل اسمه حبيش وقيل اكثم بن أبي الجون ومنزله بقديد وقصة أم معبد مشهورة وتقدمت الاشارة اليها وأفردها الحافظ العلائي بالتأليف وملخصها ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مر على خبائها وهو مهاجر للمدينة فنزل عندها وطلب منها زادا فقالت ما عندي غير شاة عجفاء لا لبن فيها فمسح صلى الله تعالى عليه وسلم ضرعها فدرت ما كفاه ومن معه وبقي في الاناء بقية فلما جاء زوجها أخبرته بخبره ووصفته فعرفه ثم قدمت عليه صلى الله تعالى عليه وسلم المدينة بولد صغير لها وأسلمت كما بيناه سابقا وتفصيله في السيرة وشرحها

وهو

(وأعنز معاوية) بفتح همزة وسكون عين وضم نون جمع قلة لعنز أي شاة أنثى وفي أصل العزفي المصحح من أصل المؤلف معونة بفتح الميم وضم العين وبالنون من العون والظاهر انه تصحيف فقد ذكر الطبري في كتاب الدلائل معاوية (ابن ثور) بفتح مثلثة وسكون واو وفد على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو شيخ كبير ومعه ابنه بشر فدعا له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ومسح رأسه وأعطاه أعنزا عشرا فقال محمد بن بشر بن معاوية بن ثور في أبيه

وأبي الذي مسح الرسول برأسه * ودعا له بالخير والبركات

والتقدير وقصتها كما رواه ابن سعد وابن شاهين عن الجعد بن عبد الله (وشاة أنس) أي وقصتها (وغنم حليمة مرضعته وشارفها) وهي المسنة من النوق وقيل من الابل وقيل من المعز على ما رواه أبو يعلى والطبراني وغيرهما بسند حسن (وشاة عبد الله بن مسعود) أي كما رواه البيهقي (وكانت) أي تلك الشاة (لم ينز) بفتح الياء وسكون النون وضم الزاي أي لم يثب ولم يعل (عليها فحل) أي للضراب وروى أنه صلى الله تعالى عليه وسلم مسح ضرع شاة حامل لا لبن لها لابن مسعود فدرت وكان ذلك سبب اسلامه (وشاة المقداد) كما في صحيح مسلم وكلها كانت مثل شاة أم معبد وقد درت ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم هذا وقصة شاة المقداد مختصرة ما روى عنه انه قال أقبلت أنا وصاحبان لي وقد ذهب اسماعنا وأبصارنا من الجهد يعني الجوع فعرضنا أنفسنا على أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلم يقبلنا أحد فأتينا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فانطلق بنا الى أهله فاذا ثلاث أعنز فقال احتلبوا هذا اللبن بيننا فكنا نحتلب فكان يشرب كل انسان نصيبه ونرفع للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم نصيبه فيجيء من الليل فيشرب فوقع في نفسي ذات ليلة ان نبي الله يأتي الانصار فيتحفونه ما به حاجة الى هذه الجرعة فشربتها ثم ندمت على ما فعلت خشية انه اذا جاء فلم يجده يدعو علي فأهلك وجعل لا يجيء النوم وأما صاحباي فناما فجاء النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كعادته وكشف عن نصيبه فلم يجد شيأ فرفع رأسه الى السماء فقلت الآن يدعو علي فقال اللهم اطعم من

وهو مشهور لا حاجة لذكره هنا (و) منها قصة (أعنز) جمع عنز (معاوية بن ثور) بالمثلثة بن عبادة بكسر العين ابن البكاء والد بشر وقصته رواها ابن سعد وابن شاهين عن الجعد بن عبد الله وفي نسخة العزفي انه معونة بعين مضمومة ونون وصححه ولم يذكره الحافظ الحلبي ونقل خلافه عن الذهبي وكان وفد على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو شيخ كبير ومعه ولده بشر ومعه الضجيع بن البكاء والاصم بن كعب فقال يا نبي الله بأبي أنت وأمي أمسح على وجهه أي فمسح عليه وأعطاه أعنزا سبعا ودعا له بالبركة قال الجعد وكانت السنة ذات قحط وغلاء أصاب بني البكاء فأصابتهم بركته صلى الله تعالى عليه وسلم ونمت الاعنز وكتب لهم كتابا هو عند بني بشر المذكور وفيه قصة الاعنز وفي ذلك يقول بشر رضي الله عنه

وأنا الذي مسح الرسول برأسه * ودعا له بالخير والبركات

(وشاة أنس) وقصتها كقصة شاة أم معبد الا ان الشراح لم يذكروها ولم يذكرها السيوطي في تخريجه أيضا لعدم الوقوف عليها (وغنم حليمة مرضعته) صلى الله تعالى عليه وسلم أي قصة غنمها التي رواها أبو يعلى والطبراني وغيرهما بسند حسن لما حملته صلى الله تعالى عليه وسلم لتعرضه في سنة كان فيها قحط أصاب أرض قومها وقل النبات فيها فكان غنمها تأتي من المرعى وقد رعت كثيرا ودر لبنها وغنم قومها تأتي عجافا جافة الضروع فيتعجبون منها وما ذاك الا ببركته صلى الله عليه وسلم ويمن قدمه وحليمة هي بنت عبد الله بن الحارث السعدية وزوجها الحارث بن عبد العزى وقد أسلمت هي وزوجها وأولادها كما تقدم ومرضعته بالجر بدل من حليمة (وشارفها) بالجر عطف على غنم والشارف الناقة المسنة الهرمة وقيل انها تشمل الذكر والانثى والمعز والمراد الاول فكانت خرجت من بلدها مع زوجها وابن رضيع لها ومعهم شارف ليس في ضرعها قطرة لبن فكانوا لاينامون من الجوع فلما أخذت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لترضعه قام زوجها فوجد شارفه حافلة بالدر فحلب منها ما شربوا كلهم وشبعوا وباتوا بخير ليلة فقال لحليمة انه نسمة مباركة فقالت اني والله أرجو بركته الى آخر القصة (وشاة عبد الله بن مسعود) التي روى قصتها البيهقي وابن مسعود من كبار المهاجرين السابقين وترجمته تقدمت وكان وهو صغير يرعى غنما لعقبة بن أبي معيط فمر عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر فقال له هل عندك لبن قال نعم لكني مؤتمن فقال ائتني بشاة لم ينز عليها الفحل فأتيته بجذعة فاعتقلها ومسح ضرعها ودعا الله وأتاه أبو بكر بصحفة فحلب فيها وقال لابي بكر اشرب ثم قال للضرع اقلص فعاد كما كان وكان هذا سبب اسلامه (وكانت لم ينز عليها فحل) نزا الذكر على الانثى اذا علاها لينكحها وانزاه غيره وهو مخصوص بالبهائم والسباع والفحل الذكر فيصح في ينز أن يكون بفتح الياء التحتية وضم الزاي المعجمة مبني للفاعل ويصح ضم أوله وفتح آخره بالبناء للمجهول وهو مبالغة في عدم اللبن بنفي اللازم البعيد لانه اذا نزا عليها حملت ثم ولدت ثم يدر لبنها (وشاة المقداد) بالجر أي قصتها التي رواها مسلم

والبيهقي وهو ابن عمرو لا الاسود وان اشتهر به كما يأتي ابن عبد يغوث الصحابي المشهور وقصته انه قال كنت أنا وصاحبان لي قد بلغ منا الجهد فعرضنا أنفسنا على أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلم يقبلنا أحد فأتينا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فانطلق بنا الى أهله فاذا ثلاثة أعنز فقال احتلبوا منها لبنا بيننا فكنا نحتلب ويشرب منا كل نصيبه ونرفع للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم نصيبه فيجيء من الليل ويشرب به فوقع في نفسي ذات ليلة أنه صلى الله تعالى عليه وسلم يأتيه الانصار لحاجتهم لهذه الجرعة فشربتها ثم ندمت خشية انه اذا لم يجدها يدعو علي فأهلك فلم أنم وقد نام صاحباي فجاءه صلى الله تعالى عليه وسلم لعادته ليكشف الاناء فلم يجد شيأ ورفع بصره الى السماء فقلت الآن يدعو علي فقال اللهم أطعم من أطعمني واسق من سقاني فأخذت الشفرة وانطلقت الى الاعنز لاذبح ما سمن منها فاذا هن حفل كلها فحلبت اناء حتى علت رغوته وجئت اليه صلى الله تعالى عليه وسلم به فشرب ثم ناولني فلما علمت انه روي وأصبت دعوته ضحكت حتى استلقيت فقال صلى الله تعالى عليه وسلم احذر سوآتك يا مقداد يعني انك فعلت سوءة فما هي فقلت يا رسول الله كان مني كذا وكذا فقال ما هذه الا رحمة من الله لو كنت أيقظت صاحبيك فاصابا منها فقلت والذي بعثك بالحق ما أبالي اذا أصبتها وأصبت فضلك من أخطأت من الناس (ومن ذلك) أي من كراماته وبركاته صلى الله تعالى عليه وسلم كما رواه ابن سعد عن سالم بن أبي الجعد مرسلا (تزويده أصحابه) أي اعطاءهم ما يتزودونه أي يكون زادا والزاد يشمل الماء والطعام والمراد الاول لقوله (سقاء ماء) السقاء ككساء جلد كالقربة وضع فيه الماء واللبن ونحوه وضمن تزويد معنى اعطاء ولذا نصب السقاء أو هو على التسمح وقوله سقاء ماء المراد به سقاء فيه ماء كما يشهد له ما بعده (بعد ان أوكاه) أي شده بالوكاء وهو ما يربط به القربة ونحوها (ودعا فيه) أي دعا في شأنه وأمره وبسببه وبعد متعلق بتزويد (فلما حضرتهم الصلاة) أي دخل وقتها حتى كأنها جاءتهم وهذا يقتضي انه كان ما يصلح للوضوء (نزلوا فحلوه) أي حلوا وكاءه ليستعملوا ماءه (فاذا هو لبن حليب) أي فاجأهم كونه لبنا صار بعد ما كان ماء وهذا من قلب الاعيان ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم (وزبدة) بتاء الوحدة أو بالاضافة لضمير اللبن أو للسقاء لما بادني ملابسة (في فمه) أي في فم ذلك السقاء والزبد دليل على خلوص لبنه وجودته وانما أوكاه لئلا يتوهم ان اللبن وضع فيه وبدل لمن لم يكن معه وفي نسخة فنزلا فحلاه بضمير التثنية لرجلين كان السقاء معهما وهذا الحديث (من رواية حماد بن سلمة) بن دينار الامام أبو سلمة أحد الاعلام وله ترجمة في الميزان كما تقدم وذكر انه من روايته على خلاف المعتاد من أسلوبه في تحريره قبل بيان الشأن هذا الحديث حيث رواه مثل هذا الامام الثقة العابد الزاهد الذي كان مجاب الدعوة معدودا من الابدال ومسلم ممن أجله وروى عنه والمغاربة والمصنف رحمه الله تعالى من أجلهم يمشون أثر مسلم فلا يعتدون بمن غض منه وقال ان البخاري لم يرو عنه الاعلى طريق الاستشهاد وهذا من قلة الانصاف وسلمة بفتحتين كما مر (ومسح على رأس عمير بن سعد) أي مر صلى الله تعالى عليه وسلم يده على رأسه قال الحافظ البرهان الحلبي كذا في نسخ من الكتاب وفي بعضها عمر بن سعد بلا تصغير وهو أبو كبشة الانصاري الصحابي وعمير من الصحابة أيضا ولا أعرف من جرت

أطعمني واسق من سقاني قال فأخذت الشفرة وانطلقت الى الاعنز أيتها أسمن أذبحها له فاذا هن حفل كلهن فعمدت الى اناء فحلبت فيه حتى علته رغوة فجئت به اليه فشرب ثم ناولني فلما عرفت أن النبي قد روي وأصبت دعوته ضحكت حتى ألقيت على الارض فقال احذر سوءتك يا مقداد يعني انك فعلت سوءة من الفعلات فما هي قال فقلت يا رسول الله كان من أمري كذا وكذا فقال صلى الله تعالى عليه وسلم ما هذه الا رحمة من الله (ومن ذلك) أي من قبيل كراماته وزيادة بركاته كما رواه ابن سعد عن سالم بن أبي الجعد مرسلا (تزويده أصحابه سقاء) بكسر أوله أي وعاء (ماء بعد ان أوكاه) بألف بعد الكاف أي ربطه بالوكاء وهو خيط يشد به الوعاء (ودعا به فلما حضرتهم الصلاة نزلوا فحلوه) بضم اللام المشددة أي ففتحوا السقاء بحل الوكاء (فاذا به) أي فيه وفي نسخة فاذا هو فاجأهم ذلك الماء في السقاء (لبن طيب وزبدة) بتاء وحدة وفي أصل الدلجي زبده بالاضافة أي زبد اللبن (في فيه) وفي نسخة فمه أي في فم السقاء (من رواية حماد ابن سلمة) متعلق بقوله تزويده قال الحلبي هو الامام أبو سلمة أحد الاعلام قال ابن معين اذا رأيت من يقع فيه فاتهمه على الاسلام وقد تقدم عليه الكلام (ومسح على رأس عمير بن سعد) له بضم عين وفتح ميم وفي نسخة عمر بن سعد كلاهما صحابي قال الحلبي وما أعرف من جرت له القصة منهما قلت ولا يبعد ثبوت القصة عنهما ففي كل نسخة اشارة الى أحدهما بل روى الزبير بن بكار في أخبار المدينة عن محمد بن عبد الرحمن بن سعد انه عبادة لا عمير ولا عمر فتدبر

(وبرك) أي دعا بالبركة (فمات وهو ابن ثمانين سنة فما شاب) أي رأسه خصوصا أو شعره عموما والله تعالى أعلم (وروى مثل هذه
القصص) أي الروايات المتضمنة للحكايات الدالة على عموم البركات (عن غير واحد) أي عن كثير من الصحابة

له هذه القصة منهما وقال السيوطي ان الذي رواه الزبير بن بكار في أخبار المدينة عن محمد بن عبد الرحمن ابن سعد انه عبادة لا عمير ولعل ذلك واقعتان وفي نسخة التلمساني عمر بن سعيد وقال انه أبو يحيى النخعي الكوفي مات سنة خمس عشرة ومائة (وبرك) بالتشديد أي دعا له صلى الله عليه وسلم بالبركة في عمره وصحته (فمات وهو ابن ثمانين) أي وقد بلغ سنة الثمانين فجعله ابنها مجازا ومثله مشهور يجعلون الدهر كالاب والام كما يقال الليالي حبالى قال

فخضت المنون له بيوم * أنى ولكل حاملة تمام

(فما شاب) أي ببركة مس يده الشريفة له لم يشب رأسه وشعره ولم يهرم فنفي الهرم بنفي الشيب لانه من لوازمه (وروى) بالبناء للمجهول نائب فاعله (مثل هذه القصص) من بركاته صلى الله عليه وسلم (عن غير واحد) أي عن كثير فنفي الواحدة كناية عن الكثرة (منهم السائب بن يزيد) بن سعد بن ثمامة بن الاسود (ومدلوك) بفتح الميم وسكون الدال المهملة وضم اللام وواو تليها كاف وهو أبو سفيان القراري له وفادة على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأسلم مع مواليه وعلق البخاري حديثه في غير الصحيح وذكره ابن حبان فقال مدلوك أبو سفيان كان يسكن الشام وأتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فمسح برأسه فكان ما مست يده أسود وسائر رأسه أبيض انتهى وفيه تفضيل عدم الشيب عليه وان كان الشيب وقار الان مدحه لدلالته على الصحة كما مر ولكل شئ جهة مدح وجهة ذم وقد أفرد ذلك الثعالبي في كتاب سماه مدح الشئ وذمه (و) روى الطبراني والبيهقي انه (كان يوجد لعتبة بن فرقد) أي كان موجودا عنده والمضارع لحكاية الحال الماضية وهو أبو عبد الله عتبة بن فرقد بن يربوع السلمي الصحابي شهد خيبر وابتنى بالموصل دارا ومسجدا وابنه عمرو عد من الاولياء وسكن عتبة الكوفة ويقال لاولاده الفراقدة وولي الموصل (طيب) نائب فاعل يوجد والمراد بالطيب الرائحة الطيبة وقيل انه بتقدير مضاف أي رائحة طيب يشم من جسده ويفوح في مجلسه (يغلب طيب نسائه) أصل معنى الغلبة القهر والاستيلاء فاستعير للزيادة والقوة كما ورد غلبت رحمتي غضبي وروى سبقت فالمراد ان رائحته تزيد على رائحة غيره حتى لا يظهر عندها فانه روى كما في الدلائل والاستيعاب عن زوجته أم عاصم انها قالت كنا عنده ثلاث نسوة ما منا واحدة الا وهي تجتهد في الطيب ليكون أطيب ريحا من صاحبتها وعتبة لا يمس طيبا فكان أطيب منا ريحا فقلت له في ذلك فقال أصابني الشرا على عهده صلى الله تعالى عليه وسلم فاقعدني بين يديه وتجردت من ثيابي فتفل في كفه وذلك الاخرى ثم أمرهما على ظهري وبطني فعبق بي ما ترون واليه أشار بقوله (لان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مسح بيديه على بطنه وظهره) وهو متعلق وتعليل لقوله يغلب (وسلت الدم عن وجه عائذ بن عمرو) أي مسح صلى الله تعالى عليه وسلم وجهه بيده متكئا عليه حتى أخرج ما عليه من الدم وهذا معنى السلت ويختص باخراج المائع والرطب الملتصق بشئ آخر يقال سلت القصعة اذا أمر أصابعه على جوانبها التنظف كما في صحاح الجوهري وهو معنى معروف فلا وجه لما قيل انه من سلت الدم قطعه وعائذ بعين مهملة وذال معجمة اسم فاعل من العوذ سمي به وهو عائذ بن عمر بن هلال المزني الصحابي من أصحاب الشجرة وهو مزني وحديثه هذا رواه عنه الطبراني (وكان) عائذ (جرح يوم حنين) أي في وقعته التي وقعت مع هوازن سنة ثمان من الهجرة كما فصل في السير وحنين اسم موضع قريب من الطائف بينه وبين مكة ثلاثة أميال سمي باسم حنين ابن مهيلائيل لنزوله به كما مر وجملة وكان الخ حالية (ودعا له) بجهاده في سبيل الله (فكانت له

(منهم السائب بن يزيد) قد سبق ذكره (ومدلوك) وهو ابن سفيان الفزاري مولاهم أسلم مع مواليه علق البخاري حديثه وقيل هو مولى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وذكره ابن حبان في ثقاته فقال مدلوك أبو سفيان كان يسكن الشام أتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فاسلم فدعا له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ومسح برأسه فكان رأس أبي سفيان ما مسه من يد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أسود وسائر رأسه أبيض (وكان يوجد لعتبة بن فرقد) أي ابن يربوع السلمي له صحبة ولي الموصل لعمر وكان شريفا وشهد خيبر وابتنى بالموصل دارا ومسجدا وأما ابنه عمرو فمن الاولياء ذكره الذهبي (طيب يغلب طيب نسائه) أي رائحة وفائحة (لان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مسح بيده على بطنه وظهره) رواه البيهقي والطبراني (وسلت الدم) أي مسحه وأماطه (عن وجه عائذ) بالذال المعجمة بعد الهمز (ابن عمرو) أي ابن هلال أبو هبيرة المزني بايع تحت الشجرة وكان من الصالحين (وكان) أي وقد كان (جرح يوم حنين) وفي نسخة يوم أحد (ودعا له فكانت) أي بعده كما في نسخة أي بعد سلته من موضعه (له

غـرة) أى بياض فى وجهـه من غـير سوء به (كغرة الفرس) وفى أصل الدلجى ولا كغرة الفرس أى بل أعلى منها رواه الطبرانى (ومسح على رأس قيس بن زيد الجذامى) بضم الجيم له وفادة (ودعا له) أى بالبركة (فهلك) أى مات (وهو ابن مائة سنة ورأسه أبيض وموضع كف النبى) وفى نسخة كف رسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم ومامرت يده عليه من شعره) أى بقيـة شعر رأسـه (أسود فـكان) أى قيس بسبب تلك الغرة فى جبهته (يدعى الاغر) أى تشـبيها لما فى وجهـه من البياض بغرة الفرس ذكره ابن الـكلبى (وروى مثل هذه الحـكاية) أى من مسح الرأس وظهور أثر المسح كما رواه البـيهقى (لعمرو بن ثعلبـة الجهنى) قال الحلبي هذا الآخر لا أعرفـه وقال الدلجى لعـله خزيمة بن سواد بن الحارث اذ قـد روى ابن سعد عن وجه السـعدى انه صـلى الله تعالى عليـه وسـلم مسح وجهه فصارت له غـرة بيضـاء (ومسح وجـه قتـادة بن ملحـان) بكسر الميم وسكون اللام قال الحلبي مسح رأسـه ووجهه لعـل غالب مسحه كان عـلى وجهه ولذا اقتصر عليه (فكان لوجهه بريق) أى لمعان عظيم (حـتى كان ينظر فى وجهه) بصيغة المجهول (كما ينظـر فى المـرآة) بكسر المـيم والهمـزة الممدودة رواه أحـمـد والبيهقى (ووضـع يده عـلى رأس حنظلة بن حذيم) بكسر حاء مهملة وسـكون ذال معجمة ففتح تحتيـة وفى نسخة بالجـيم مصـغرا وهـو تصحيف وضـبطه التلمسانى بخاء معجمة مضمومة وراء مفتوحة وبمثناة من أسفل ساكنة قال وروى مثل ماقدمنا واخترناه قال وكذا ذكره أبو عمر وهو الذى روى حديث لا يتم بعد احتلام قال الذهبي حديثه فى مسند أحمد ولابيه صحبة وذكر فى التجريد حنيفة والد حذيم لها صحبة ولابنـه حنظلة قيل ولابن ابنه أيضا لـكن قال موسى لابن عقبة فيما نقله عنه ابن الجوزى وغيره مانعلم أربعة أدركوا رسول الله صلى الله عليه تعالى وسـلم الا هؤلاء يعنى أبا قحافة وابنه أبا بكر وابنه عبد الرحمن وابنه محمد ويكنى أبا عتيق قال الحلبي ومحمـد أبو عتيق الصحيح انه تابعى ولو قال موسى بن عقبـة عبد الله بن الزبير وأمه أسماء وأبوها أبو بكر وأبو قحافة لـكان صوابا فان هؤلاء لاخلاف فى صحبتهم

غرة) بيضاء منيرة (كغرة الفرس) من أثر يده الشريفـة لما مسح وجهه والغرة بياض منتشر طولا وعرضا فى وجهه فان قلت سميت فرجة وليس فيه مثلة كما توهم فانه كبياض يد موسى عليه الصـلاة والسلام والفرق بينه وبين البرص ظاهر وفى نسخة ولا كغرة الفرس أى لا تشبه غرته لما فيه من النور وليس كالوضح فى البدن (و) ذكر ابن الـكلبى انه صلى الله تعـالى عليـه وسـلم (مسح على رأس قيس بن زيد) وهو صحابى له وفادة على رسول الله صلى الله تعـالى عليـه وسـلم وكان سيد قومه وفى بعض النسخ يزيد بياء فى أوله وأبوه يسمى عامرا (الجذامى) نسبة لجذام كغراب قبيـلة مشهورة (ودعا له) صـلى الله تعالى عليه وسلم بما فيه بقاء صحته وعافيته (فهلك) أى مات فالهلاك والموت بمعنى وقد يخص الهلاك بموت غير مرض لـكنه ليس معنى وضعيا (وهو ابن مائة سنة ورأسه أبيض) اشيبه (وموضع كف النـبى صلى الله تعالى عليـه وسلم ومامرت عليه يده أسود) لم يشب ببركته صـلى الله تعالى عليـه وسـلم (وكان يدعى الاغر) أى كان يسمى بالاغر لما فى وجهه من النور تقول دعوت ابنى محمدا اذا سميته به (وروى) بالبناء للمجهول والذى رواه البيهقى (مثل هـذه الحـكاية لعمرو بن ثعلبة الجهنى) فى مسحه صـلى الله تعـالى عليه وسلم برأسه وبقاء أثره فى وجهه وموته كما مات قيس على أحسن حالة وثعلبة هو وهب بن عدى بن مالك النجارى الزهرى والجهنى منسوب لجهينة وهى قبيلة مشهورة وقصته كما فى دلائل البيهقى انه قال لقيت رسول الله صلى الله تعـالى عليـه وسـلم بالسيالة فاسلمت ومسح على وجهى فمات عمرو وقد أتت عليه مائة سنة وماشاب منه شعرة مستها يد رسول الله صـلى الله تعالى عليه وسلم من وجهه ورأسه وسيالة بوزن سحابة بسين مهملة ولام موضع قريب من المدينة الشريفة (ومسح) صلى الله تعالى عليه وسـلم (على وجه آخر) قال البرهان لا أعرفه وقيل لعله خزيمة بن سواد بن الحارث لانه روى انه مسح على وجهه فصارت له غرة بيضاء وقيل لعله طلحة بن أم سليم فانه روى انه صلى الله تعالى عليـه وسـلم مسح بناصيته فـكان كغرة (فمـازال على وجهه نور) من آثار أنواره صلى الله عليه وسلم (ومسح) صلى الله عليه وسـلم (وجـه قتـادة بن ملحان) بكسر المـيم ويجوز فيـه الصرف وعـدمـه وقتادة هـذا صحابى له رواية وترجـمة (فـكان لوجهـه بريق) أى لمعـان وصـفاء بشرة مـن أثر مرور يده الشريفـة عليـه (حـتى كان ينظر) بالبنـاء للمجهول (فى وجهـه) أى يقـابل وجهـه بوجهـه ليرى الناظر صورة وجهـه فيـه لشـدة صـفاء بشرته (كما ينظـر فى المـرآة) بكسر المـيم اسم آلة من الرؤية معروفـة والظـاهـر انه مبـالغـة فى صفائه وحسـنه وليس المراد حقيقتـه (ووضع) صـلى الله تعـالى عليـه وسـلم يده (على رأس حنظلة) فى حـديث رواه البيهقى بطوله مسـندا (ابن حذيم) قال ابن ما كولا هو بكسر الحـاء المهـملة وسكون الذال المعجمـة وفتـح المثنـاة التحتيـة وميم وقال انه حنيفـة ابن حـذيم أبو حنظلة له صحبـة وكذا قال الذهـبى فى المشـتبه والتجريد حنيفـة والد حـذيم ولهمـا صحبـة ولحنظلة ابنـه وذكر حـذيما فقال حـذيم ابن حنيفـة بن حـذيم الحنـفى والده له فيما قيـل

وبرك عليه) أى دعاله بالبركة (فكان حنظلة يؤتى بالرجل) اللام للعهد الذهنى فهو فى حكم النكرة أى برجل من الرجال (قدورم وجهه) بكسر الراء أى تورم وانتفخ (والشاة) أى وبالشاة (قدورم ضرعها) بفتح أوله أى ثديها (فيوضع) وفى نسخة فيضع أى محل الورم منهما (على موضع كف النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) أى من رأسه (فيذهب الورم) أى من وجه الرجل وضرع الشاة رواه البيهقى وغيره (ونضح) بالحاء المهملة وقيل بالمعجمة وقيل بمهملة ان اعتمد وبعجم ان لم يعتمد رش (فى وجه زينب) أى ربيبته (بنت أم سلمة نضحة من ماء فما يعرف كان) وفى نسخة فما كان يعرف (فى وجه امرأة من الجمال ما بها) أى مثل ما كان بوجهها من الكمال رواه ابن عبد البر فى استيعابه وروى ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حين ابتنى بام سلمة دخل عليها بيتها فى ظلمة فوطئ على زينب فبكت فلما كانت من الليلة الأخرى دخل فى ظلمة فقال انظروا زبانبكم لئلا أطأ عليها أوقال أخرو احكاه السهيلى هكذا ومن قصتها ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان يغتسل فدخلت عليه فنضح فى وجهها بالماء فلم يزل ماء الشباب فى وجهها حتى كبرت وتوفيت يوم مات معاوية (ومسح على رأس صبى به عاهة) أى آفة من قرع ونحوه (فبرأ) أى زال ماله (واستوى شعره) أى على حاله بل أحسن منه فى مآله هذا الحديث لا يعرف من رواه بهذا اللفظ الا ان أبا نعيم روى عن الاوزاعى انه انطلق الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بابن له مجنون فمسح وجهه ودعاله فلم يكن فى الوفد أحد بعد دعوته له أعقل منه أى ببركة دعائه وكان القياس ان يقال ولا أحسن منه ببركته ومسح وجهه هذا وزيد فى نسخة هنا وروى مثله فى خبر المهلب بن قبالة بفتح القاف والباء الموحدة المخففة وباللام وروى هلب بن قنافة بضم الهاء وسكون اللام وآخره موحدة وقنافة بضم القاف وفتح النون مخففة وبالفاء كذا ذكره أبو عمرو قيل وهو الصواب ولعلهما قصتان لرجلين وقال الطبرى هو المهلب بن يزيد بن عدى بن قنافة الطائى وفد على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو أقرع فمسح على رأسه فنبت شعره فسمى المهلب (وعلى غير واحد) أى ومسح على كثيرين (من الصبيان المرضى والمجانين) عطف على الصبيان (فبرؤا) بفتح الراء وبكسر فعوفوا من مرضهم وجنونهم

صحبة ولابنه وابن ابنه صحبة وفيه خلاف انتهى فعلم منه انهم أربعة لهم صحبة وقد قال ابن الجوزى لا نعلم أربعة ادركوه صلى الله تعالى عليه وسلم الا أبا قحافة وابنه أبا بكر وابنه عبد الرحمن وابنه محمد ويكنى أبا عتيق انتهى والصحيح ان أبا عتيق تابعى وجزم عليه الذهبى فى تجريده ولو قالوا عبد الله بن الزبير وأمه اسماء وأبوها أبو بكر وأبوه أبو قحافة كان صوابا فانه لا خلاف فى صحبتهم فحصل من مجموعه ثلاثة أشخاص ولهم رابع ذكره العراقى فى حاشية ألفيته وحنظلة مالكى وقيل حنفى وقيل سعدى هذا محصل ماقاله البرهان (وبرك عليه) بالتشديد أى دعاله بالبركة وقال بارك الله فيك (فكان يؤتى) بصيغة المجهول أى يأتيه الناس (بالرجل) تعريفه للعهد الذهنى المساوى للنكرة (قد ورم وجهه) جملة حالية أى أصابه مرض ورم منه وجهه (والشاة) بالجر من المعز والضأن (قد ورم ضرعها) وهو كالثدى للانسان وهو معروف (فيضع) محل الورم من الوجه والضرع (على موضع كف النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) الذى مسه به (فيذهب الورم) الذى كان أصابه (و) روى ابن عبد البر فى الاستيعاب انه صلى الله تعالى عليه وسلم (نضح فى وجه زينب بنت أم سلمة) بفتحتين علم منقول من اسم شجرة معروفة وأم سلمة هى أم المؤمنين وزينب بنتها ربيبة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأخت ابن الزبير من الرضاعة ونضح ينضح من باب ضرب يضرب بمعنى رش بالماء ونحوه (نضحة) أى رشة (من ماء فما كان يعرف فى وجه امرأة) أى ما كان يرى وينظر فى وجه أحد من النساء أو يعلم بالاخبار لمن لم يرها (من الجمال) أى حسن الوجه ورونقه (ما بها) أى ما كان بها من ذلك ببركة الماء الذى رشه صلى الله تعالى عليه وسلم فى وجهها لان ذلك الماء كان مسه صلى الله تعالى عليه وسلم قال ابن عبد البر فى الاستيعاب دخلت زينب على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو يغتسل فنضح فى وجهها ماء فلم يزل ماء الشباب بوجهها حتى كبرت وعجزت وكانت عند عبد الله بن زمعة فولدت له وكانت من أفقه أهل زمانها وأعقلهم وتقدم ان اسم أم سلمة هند وقيل رملة وأبوها حذيفة المعروف بزاد الراكب وزينب ولدت بارض الحبشة فقدمت بها أمها وكان اسمها برة فسماها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم زينب (ومسح) صلى الله تعالى عليه وسلم بيده الشريفة المباركة (على رأس صبى) كان ذلك الصبى (به عاهة) أى آفة ومرض والمراد انه كان أقرع واسم هذا الصبى لا يعرف (فبرأ) بزنة ضرب وآخره مهموز وأما برئ بمعنى خلق فعل أى زالت عاهته وشفى مما به (واستوى شعره) أى نبت وتم وحسن من قولهم استوت الثمرة اذا كملت والشعر معروف بفتح العين وسكونها وهذا الحديث لم يخرجه السيوطى ولا غيره من الشراح (ومثله روى فى خبر المهلب بن قبالة ومسح) صلى الله تعالى عليه وسلم (على غير واحد) أى على كثير كما مر بيانه (من الصبيان المرضى) جمع مريض (والمجانين فبرؤا) أى زال ما بهم

(وأتاه رجل به أدرة) بضم همزة وتفتح وسكون دال وبفتحتين أي نفخة في خصيته (فامره ان ينضحها) بفتح الياء وكسر الضاد المعجمة أي يرشها (بماء من عين) أي ماء وفي نسخة من عين غس بفتح غين معجمة وتشديد سين مهملة (مج) أي صب من فيه (فيها) أي في تلك العين وفي نسخة فيه أي في الماء أو في ذلك المكان (ففعل) أي النضح (فبرأ) قال الدلجي لا أعلم من رواه (وعن طاوس) يكتب بواو ويقرأ بواوين كداود والهمزة غلط فيهما وهو ابن كيسان اليماني من ابناء الفرس وقيل اسمه ذكوان فلقب به لانه كان طاوس القراء كما قاله ابن معين روى عن أبي هريرة وابن عباس وعائشة وخلق وعنه الزهري وسليمان التيمي وابنه عبد الله بن طاوس وجمع وهو رأس في العلم والعمل توفي بمكة سنة ست أو خمس ومائة أخرج له الأئمة الستة (لم يؤت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي ماجيء (باحد به مس) أي جنون أو وله (فصك) بتشديد الكاف أي ضرب (في صدره الاذهب) أي ما به من المس (والمس الجنون) لانه يحصل بسببه كذا وقفه المصنف على طاوس ولم يعلم من رواه عنه من المخرجين (ومج) بتشديد الجيم أي صب من فمه (في دلو) أي فيه ماء (من بئر) وسبق في رواية القاضي من بئر زمزم (ثم صب) بفتح الصاد وبضم أي كب الدلو يعني ماءه (فيها) في تلك البئر (ففاح) أي سطع وانتشر (منها ريح المسك) أي مثل ريحه تشبيها بليغا وانما شبه به لانه أعلى أنواع الرائحة وان كان رائحة ماء مجه أتم أصناف الفائحة لان مصدرها الخاتمة والفاتحة رواه أحمد عن وائل بن حجر وفي شرح التلمساني فمج (وقال

من المرض والجنون قيل هذا كله كان ينبغي ذكره في فصل ابراء المرضى وذوي العاهات وأكثر فصوله متداخلة ولكل وجهة لمن تدبر وعرف مقاصد المصنف (و) في حديث لم يخرجوه انه صلى الله تعالى عليه وسلم (أتاه رجل به أدرة) بضم الهمزة وسكون الدال وبالراء المهملتين وهاء وهو انتفاخ في الخصيتين معروف (فامره ان ينضحها) أي يرش على أدرته (بماء من عين مج فيها) أي كان صلى الله عليه وسلم تفل وريقه فيها (ففعل) أي رش من مائها على ادرته (فبرأ) أي شفاه الله وزال ورمه على السرعة ببركة الله وبركته صلى الله تعالى عليه وسلم في الماء الذي خالطه فيه وضمير فيها للعين أي عين الماء لانها مؤنثة وفي بعض النسخ فيه بالتذكير فالضمير للماء أو للعين لتأويلها به والامر فيه سهل ويجوز في الادرة فتح الهمزة مع سكون الدال وفتحها وقد قيل انها انفتاق فيها أو في أحد جانبيها وقد يكون بلحم يزيد فيها أو ريح كما يعرفه الاطباء وينضحها يجوز في ضادها الفتح والكسر وفي بعض الحواشي ان الرجل اسمه المهلب بن قبالة بفتح القاف والباء الموحدة الخفيفة ولام وروى هلب بن قنافة وهلب بضم الهاء وسكون اللام بزنة قفل وقنافة بضم القاف ونون مفتوحة مخففة وفاء قال ابن عبد البر هو الصواب ان لم يكونا قصتين وقال الطبري هو المهلب بن يزيد بن عدي بن قنافة ابن عدي بن عبد شمس بن عوف الطائي وفد على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وبه قرع فمسح برأسه ونبت شعره فسمي المهلب لذلك (و) في حديث روى (عن طاوس) ابن كيسان اليماني أبو عبد الرحمن اليماني المشهور وهو من ابناء الفرس واسمه ذكوان فلقب بطاوس لانه طاوس القراء روى عن ابن عباس وأبي هريرة وغيرهما وكان رأسا في العلم والعمل توفي في سنة ست أو خمس ومائة وأخرج له الستة وهو ممن اتفق على زهده وعلمه حج أربعين حجة وصلى الصبح بوضوء العتمة أربعين سنة الى غير ذلك من مناقبه وهو من أجل التابعين دفن بمكة رضي الله تعالى عنه (لم يؤت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) بالبناء للمجهول أي لم يأته أحد (باحد به مس) سيأتي تفسيره (فصك في صدره) بصاد مهملة وكاف مشددة أي ضرب صدره بيده المباركة والصك مطلق الضرب أو أشده (الاذهب) المس عنه وبرأ منه وهذا الحديث موقوف على طاوس ولم يذكروا من رواه عنه والجملة حالية تاتي بالواو وقد وبدونهما (والمس الجنون) واللمس والمس متقاربان الا انه يكنى به عن الجنون قال الله تعالى كالذي يتخبطه الشيطان من المس لانه يقال على كل ما ينال الانسان من الاذى كقوله تعالى مستهم البأساء والضراء (و) روى أحمد عن وائل بن حجر مسندا انه صلى الله تعالى عليه وسلم (مج) أي صب من فيه (في دلو) فيه ماء أخرج (من بئر ثم صب فيها) أي في البئر الماء الذي مج فيه ريقه (ففاح منها ريح المسك) الريح هنا بمعنى الرائحة ويطلق في الاصل على نفس الهوى والمراد انه مثله في الطيب وهو أتم منه وأطيب ولكن جعل مشبها به لشهرته (و) في حديث مشهور رواه مسلم عن سلمة بن الاكوع انه صلى الله تعالى عليه وسلم (أخذ قبضة) بفتح القاف وضمها (من تراب) أي ملء كفه من التراب (يوم حنين) أي في وقعتها المشهورة في السير (ورمى بها) أي بترابها (في وجوه الكفار) فاصابتهم جميعا

أطيب من المسك هكذا رواه وصوابه فصار أطيب أو فعاد أطيب ويجوز ان يكون معناه فصار المج أطيب من المسك (وأخذ قبضة من تراب) بضم القاف وتفتح أي مقبوضة منه (يوم حنين) وفي نسخة يوم بدر وهو أصل التلمساني قال وروى حنين بحاء مهملة والكل صحيح والمعنى حين وقع من بعضهم الفرار (ومن) باقيهم القرار (ورمى بها في وجوه الكفار

وقال شاهت الوجوه) أي قبحت ماخوذة من الشوهة وهو القبح وأول من تكلم به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ذكره التلمساني (فانصرفوا يمسحون القذى) بقاف مفتوحة وذال معجمة وألف مقصورة جمع قذاة وهي ما يقع في العين وغيرها من تراب وتبنة ونحوها أي يميطونها ويزيلونها (عن أعينهم) رواه مسلم عن سلمة بن الاكوع

(وشكا اليه أبو هريرة النسيان) أي نسيان ما سمعه من الحديث والقرآن (فامره ببسط ثوبه) أي بفتحه ونشره لديه (وغرف) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (بيده فيه) أي تشبيها بمن أخذ شيأ وألقاه في ثوبه ثم أمره بضمه) أي بجمع ثوبه الى صدره (ففعل فما نسي شيأ) أي من أمره في عمره ٢ (وما روى عنه في هذا كثير) أي ما روي عنه صلى الله تعالى عليه وسلم في هذا المعنى وهو الدعاء لذهاب النسيان كثير طرقه ولا يبعد ان يكون المعنى ما روي عن أبي هريرة لاجل هذا كثير مع ان زمن صحبته يسير وهو أربع سنين (وضرب في صدر جرير بن عبد الله) أي البجلي (ودعا له) أي بالثبات ظاهرا وباطنا ولذا خص الضرب بصدره لانه محل الرهبة والجزع (وكان) أي جرير (ذكر له) أو كان صلى الله تعالى عليه وسلم ذكر له (انه لا يثبت على الخيل) أي حال جريها (فصار من فرسان العرب) بضم الفاء أي شجعانهم وفي نسخة من أفرس العرب (وأثبتهم) أي على الخيل من ركبانهم كذا في الصحيحين (ومسح رأس عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب) أي ابن أخي عمر بن الخطاب (وهو صغير) جملة حالية من عبد الرحمن لا من زيد كما توهم الدلجي (وكان دميما) بدال مهملة أي قبيحا ودميما لكونه هزيلا قصيرا والدمامة بالمهملة في الخلق بالفتح وبالمعجمة في الخلق بالضم وعلى

(وقال شاهت الوجوه) جملة دعائية بمعنى قبحت وقبحها الله وهي من الشوهة والتشويه وهو القبح قيل وأول من تكلم به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ووقع مثله في يوم بدر كما في السير وهو شيء أقدره الله تعالى عليه كما قال الله تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى فان ايصال هذا المقدار اليسير الى أعين هؤلاء الجم الغفير من صنع الملك القدير (فانصرفوا) أي ولى الكفار حال كونهم (يمسحون القذا) بفتح القاف والذال المعجمة والألف مقصورة وهو ما يقع في العين من التراب ويكون أيضا ما يقع في الماء المشروب ونحوه مما يكدره (عن أعينهم) أي يزيحونه ويزيلونه منها لتأذيهم به ومنعهم من الابصار وفتح العين وهو معروف وواحده قذاة وفي الحديث يرى أحدكم القذاة في عين أخيه ويعمى عن الجذع في عينه وهو مثل يضرب لمن يرى عيوب الناس الصغيرة ولا يرى عيوبه الكبيرة وهو مثل تمثل به النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ونظمه بعض المتأخرين فقال

واعجبا للمرء مع علمه * ان ليالي عمره سارية
ينظر في عين أخيه القذا * ولا يرى في عينه السارية

وقوله فانصرفوا يعني انهزموا لما وصل التراب الى أعينهم وقال شاهت الوجوه وفيه معجزة عظيمة له صلى الله تعالى عليه وسلم (و) في بعض النسخ انه صلى الله تعالى عليه وسلم (ضرب صدر جرير بن عبد الله) البجلي الصحابي رضي الله تعالى عنه وليس هو جرير الشاعر وخص الصدر لانه محل الرهبة والامن لانه مقر القلب (ودعا له وكان) جرير (ذكر له) صلى الله تعالى عليه وسلم (انه لا يثبت على الخيل) أي لا يقر على ظهورها لعدم فروسيته (فصار) جرير رضي الله عنه حينئذ (من أفرس العرب) أي أقواهم (وأثبتهم) على ظهورها ببركة دعائه صلى الله تعالى عليه وسلم له فالفاء فصيحة أي فدعا له فصار الى آخره (ومسح) صلى الله تعالى عليه وسلم (على رأس عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب) بن نفيل القرشي العدوي المدني الصحابي (وهو صغير) وكان أتي به الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فحنكه (وكان دميما) بدال مهملة بمعنى حقير وأما ذميم بالمعجمة فهو بمعنى مذموم وليس مرادا هنا (ودعا له بالبركة) أي بالزيادة في خلقته وسائر أموره (ففرع) بفاء وراء وعين مهملتين مفتوحات (الناس) أي جنسهم وفي نسخة الرجال بدله بمعنى زاد عليهم (طولا) أي في طول قامته (وتماما) أي بان تم سائر أعضائه وكمل الله خلقته بدعائه له صلى الله تعالى عليه وسلم والى هنا انتهى ما زيد في الاصل ونقل من خط المصنف رحمه الله تعالى (وشكى اليه) صلى الله تعالى عليه وسلم (أبو هريرة) الصحابي المشهور رضي الله تعالى عنه وتقدمت ترجمته وما يتعلق به من الصرف وعدمه وما فيه من الكلام للناس (النسيان) مصدر بكسر النون وهو ضد الحفظ والفرق بينه وبين السهو ان الثاني يتنبه صاحبه بادنى تنبيه والفرق بينه وبين الخطأ انه صدور أمر من غير قصد (فامره) صلى الله تعالى عليه وسلم (ببسط ثوبه) أي ما كان لابساله في ذلك الوقت أي بان يضعه على الارض ويفرشه (وغرف بيده فيه) أي فعل فعلا شبيها بمن يغرف من شيء ما يضعه في آخر وضمير فيه للثوب الذي أمره صلى الله تعالى عليه وسلم ببسطه للامر الذي أراده له (ثم أمره) بعد ما غرف فيه (بضمه) أي ضم ثوبه على جسده (ففعل) أي ضمه عليه حتى كأنه صار بدنه ما غرفه له (فما نسي شيأ بعد) بالبناء على الضم لما تقرر في محله في علم

٢ قوله وما روي هذه الرواية لم توجد باصل الصلب الذي بايدينا فليتحرر اهـ مصححه

هذا ينشد كضرائر الحسناء قلن لوجهها * حسدا وبغضا انه لدميم (فدعا له بالبركة فقرع) بفاء وراء مفتوحتين

فهملة أي طال وعلا وغلب (الرجال) وفي نسخة الناس (طولا وتماما) رواه الزبير بن بكار عن ابراهيم ابن محمد بن عبد العزيز الزبيري عن أبيه

(فصل)

(ومن ذلك) أي من قبيل هذا النوع المكنون (ما اطلع عليه) بضم همز وسكون مهملة وفي نسخة بتشديدها مضمومة أي ما ألهم اليه (من الغيوب) أي الامور المغيبة في الحال (وما يكون) أي سيكون في الاستقبال (والاحاديث في هذا الباب) أي في هذا النوع من أنواع الكتاب (بحر لايدرك قعره ولا ينزف غمره) بصيغة المفعول فيهما ويجوز فتح الياء وكسر الزاي والغمر الماء الكثير في البحر الكبير أي لايحاط غايته ولا تفنى نهايته (وهذه الجملة) أي الآتية وفي نسخة وهذه المعجزة (من جملة معجزاته المعلومة على القطع) أي على الوجه القطعي والطريق اليقيني (الواصل الينا خبرها على التواتر) أي لدينا (لكثرة رواتها) أي مع اختلاف مبانيها الدالة (واتفاق معانيها الدالة على الاطلاع على الغيب) أي على اطلاعه صلى الله تعالى عليه وسلم على بعض المغيبات عنا

العربية أي لم ينس أبو هريرة شيأ مما كان يسمعه منه صلى الله تعالى عليه وسلم ومن غيره لما ناله من البركة قال أبو هريرة رضي الله تعالى عنه فما كان أحد أحفظ مني لحديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الا ابن عمر رضي الله تعالى عنهما لتقدم اسلامه عليه ولانه كان يكتب وهذا الحديث رواه البخاري وفيه بدل الثوب الرداء ولا مخالفة بينهما لان المراد بالثوب الملبوس مطلقا كما تقرر وان خص في العرف بالمخيط منه وما فعله صلى الله تعالى عليه وسلم من الغرف ونحوه يجعل المعاني المعقولة بمنزلة الامور المحسوسة فجعل الحفظ كشئ عنده اغترف منه حتى ملأ رداءه وضمه اليه حتى يختلط به ويسري من ظاهره لباطنه وهو صلى الله عليه وسلم كما فوض اليه التصرف في عالم الشهادة فوض اليه التصرف في غيره أيضا وهو سر من الاسرار دقيق لا يوقف عليه الا بالكشف

(فصل ومن ذلك) أي من خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم وكراماته الباهرة (ما اطلع عليه) هو اما مبني للمجهول من الافعال أي أطلعه الله تعالى عليه أو من الافعال (٢) مبني للفاعل بتشديد الطاء (من الغيوب) بغين معجمة جمع غيب المصدر على خلاف القياس من غاب بمعنى استتر عن العين يقال غاب عني كذا ويستعمل في كل غائب عن الحاسة وما يغيب عن الانسان بمعنى الغائب والغيب بالنسبة للناس لا لله فانه لا يعزب عنه مثقال ذرة وقوله عالم الغيب والشهادة أي ما يغيب عنكم وما تشاهدونه وقوله يؤمنون بالغيب أي بما لا يقع تحت الحواس ولا تقتضيه بداهة العقول وانما يعلم باخبار الرسل عليهم الصلاة والسلام (وما يكون) في المستقبل وهو معطوف على الغيوب عطف الخاص على العام لان الغيب اما باعتبار انه موجود لم يطلع عليه غير الله أو ما سيوجد فهو قبل وجوده والعلم به من المغيبات (والاحاديث) الواردة (في هذا الباب) أي في هذا النوع من كراماته صلى الله عليه وسلم في اخباره عن الغيب الذي أطلعه الله عليه فانه لا يظهر على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول (بحر) تشبيه بليغ أي في كثرتها كالبحر (لا يدرك قعره) بالبناء للمجهول والادراك الوصول وقعره قراره وأرضه أي لا يصل أحد الى نهايته (ولا ينزف) بمعجمة وفاء مبني للمفعول أو للفاعل بزنة يضرب والنزف والنزح بمعنى أي لا يفنى ويفنى (غمره) بفتح الغين المعجمة وسكون الميم قبل راء مهملة وهو الماء الكثير جدا (وهذه المعجزة) في اطلاعه صلى الله تعالى عليه وسلم على الغيب (من جملة معجزاته) اشارة الى كثرتها فهي البحر حدث عنه ولا حرج (المعلومة) للناس (على) طريق (القطع) بتحققها بحيث لا يمكن انكارها أو التردد فيها لاحد من العقلاء وقوله المعلومة على القطع صفة للمعجزات والقطع بنوعها ومجموعها وكذا تواترها تواترا معنويا حاصلا من مجموعها بقطع النظر عن كل فرد فرد منها مما لا شبهة فيه كتواتر جود حاتم وهذا غير التواتر المصطلح عليه فانه جار في بعضها كالقرآن والى هذا اشار بقوله (الواصل الينا خبرها) جاريا (على) نهج (التواتر) المشهور (لكثرة رواتها) أي رواة مجموعها (واتفاق معانيها على الاطلاع على الغيب) أي الامور المغيبة وهذا لا ينافي الآيات الدالة على انه لا يعلم الغيب الا الله وقوله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير فان المنفي علمه من غير واسطة واما اطلاعه عليه باعلام الله له فامر متحقق بقوله تعالى فلا يظهر على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول قال ابن عطاء الله في لطائف المنن اطلاع العبد على غيب من غيوب الله بنور منه بدليل اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله تعالى لا يستغرب وهو معنى قوله كنت بصره الذي يبصر به فمن كان الحق بصره فاطلاعه على غيبه غير مستغرب وقال بعض العارفين قوله الا من ارتضى من رسول لا ينافي قول المرسي في تفسيرها الا رسول أو صديق أو ولي ولا زيادة فيه على النص فان السلطان

اذا

(٢) قوله من الافعال لعل صوابه من الافتعال لمصححه

اذاقال لايدخل على اليوم الا الوزير لاينافي دخول اتباع الوزير معه فكذلك الولي اذا أطلعه الله على غيبه لم يره بنور نفسه وانما رآه بنور متبوعه ولم يكلفنا الله الايمان بالغيب الا وقد فتح لنا باب غيبه والى هذا أشار الغزالي في أماليه على الاحياء ثم قال ويحتمل أن يكون المراد بالرسول في الآية ملك الوحي الذي بواسطته تنكشف الغيوب فيرسله للاعلام بمشافهة أو القاء في روع أو ضرب مثل في يقظة أو منام ليطلع من أراد وفائدة الاخبار الامتنان على من رزقه الله ذلك واعلامه بانه لم يصل اليه بحوله وقوته فلا يظهر على غيبه أحدا من عباده الا على يدي رسول من ملائكته أرسله لمن فرغ قلبه لانصباب أنهار العلوم الغيبية في أوديته حتى يصل لاسرار الغيب المكنونة في خزائن الالوهية انتهى فاعرفه فانه من المهمات واليه أشار القاضي في تفسيره وبقي ثمة أسرار لاتسعها الحروف ثم انه بين ما أجمل بحديث رواه أبو داود عن حذيفة وعدل عما رواه الشيخان رحمهم الله تعالى الشيخان لما في طريقه التي رواه منها من الزيادة فقال (حدثنا الامام أبو بكر محمد بن الوليد الفهري) المعروف (اجازة) منه بروايته عنه (وقرأته على غيره) اشارة الى انه رواه من طرق متعددة قوية والقراءة والاجازة طريقان اختلف في أيهما أقوى وقيل انهما متساويان وهو الظاهر (قال أبو بكر حدثنا أبو على التستري) على بن أحمد بن على الامام المشهور أحد رواة سنن أبي داود وتستر كجندب بلد معروفة وسينه مهملة واعجامها لحن قال (حدثنا أبو عمر الهاشمي) وهو القاسم بن جعفر بن عبد الواحد قال (حدثنا اللؤلؤي) وهو أبو على محمد بن أحمد بن عمر السابق ترجمته قال (حدثنا أبو داود) صاحب السنن المشهور كما تقدم قال (حدثنا عثمان بن أبي شيبة) بن محمد بن ابراهيم أبو الحسن الكوفي الحافظ توفي سنة تسع وثلاثين ومائتين وأخرج له أصحاب السنن وغيرهم وترجمته في الميزان قال (حدثنا جرير) ابن عبد الحميد الضبي صاحب المصنفات المشهورة الثقة توفي سنة ثمان وثمانين ومائة وأخرج له الستة وترجمته في الميزان وغيره (عن الاعمش) هو سليمان بن مهران كما تقدم في ترجمته (عن أبي وائل) سفيان بن سلمة الاسدي المخضرم توفي سنة اثنين وثمانين وهو من العلماء العاملين ثقة أخرج له الستة (عن حذيفة) بن اليمان الصحابي المشهور صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي أخبره بالفتن وما سيكون وروى عنه أحاديث كثيرة وكان عمر رضي الله تعالى عنه اذا لم يشهد حذيفة جنازة لا يشهدها هو لاطلاعه على المنافقين باعلام منه صلى الله عليه وسلم له بذلك توفي سنة ست وثلاثين بعد قتل عثمان وروى عنه لاتقوم الساعة حتى يسود كل قبيلة منافقوها وحديثه الطويل في الفتن مشهور واليه أشار بقوله (قال قام فينا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) الضمير للصحابة والمراد به انه خطبهم يوما فعبر بالقيام عن الخطبة لان الخطيب يخطب قائما أي قام ونحن عنده فالظرفية مجازية (مقاما) بفتح الميم اسم مكان أو مصدر ميمي فهو مفعول مطلق (فما ترك) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في مقامه هذا (شيأ) مما (يكون) أي يوجد ويحدث بعده مما يهم من أحوال المسلمين ومن يتولى أمورهم بعده وما يكون بعده من الفتن والحروب فيكون تامة والجملة صفة شيأ (في مقامه ذلك) أي في خطبته التي خطبها وهو من وضع الظاهر موضع المضمر بكمال العناية به (الى قيام الساعة) أي من أول زمنه الى آخره فقدره لدلالة المقام عليه (الا حدثه) أي الا حدثنا به وذكر لنا انه سيوجد وفي نسخة حدث به والفعل في تأويل الاسم كقولهم أنشدك الله لا فعلت والاستثناء متصل لدخول المحدث به في الشئ وقيل انه منقطع بمعنى لكن (حفظه من حفظه) الضمير للحديث المفهوم من السياق (ونسيه من نسيه) أي حفظه بعض

(حدثنا الامام أبو بكر محمد بن الوليد الفهري) بكسر الفاء المعروف بالطرطوشي (اجازة وقراءة) وفي نسخة وقراءته (على غيره) أي رواية (قال أبو بكر) احترازا عن غيره (حدثنا أبو على التستري) بضم التاء الاولى وفتح الثانية بينهما سين مهملة لا معجمة كما في لسان العامة وهو أحد رواة سنن أبو داود (حدثنا أبو عمر الهاشمي حدثنا اللؤلؤي) بهمزتين وقد تبدل الاولى راوي سنن أبي داود (حدثنا أبو داود) وهو حافظ العصر صاحب السنن وانما أسند المصنف هنا من حديث أبي داود عن حذيفة ورواه عنه مع رواية الشيخين لما في روايته له من طريق آخر من الزيادة كما سيأتي (حدثنا عثمان بن أبي شيبة) روى عنه الشيخان وغيرهما (حدثنا جرير) بفتح الجيم فكسر الراء روى عنه أحمد واسحق وابن معين وجماعة وله مصنفات (عن الاعمش) وهو سليمان بن مهران (عن أبي وائل) هو شقيق بن سلمة الاسدي الكوفي مخضرم أدرك الجاهلية والاسلام لكن لم ير النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وكان من العلماء العاملين (عن حذيفة) أي ابن اليمان (قال قام فينا) أي خطيبا أو واعظا أو معناه خطبنا (مقاما) بفتح الميم في مكان أو قياما (فما ترك) وفي نسخة ما ترك (شيأ) أي مهما (يكون) أي يحدث من العدم (في مقامه ذلك) ظرف لما ترك (الى قيام الساعة الا حدثه) وفي نسخة حدث به أي حدث بوجوده (حفظه) ما ذكره (من حفظه) أي جميعه (ونسيه من نسيه) أي بعضه أو كله

(قد علمه) متعلق بيكون أى عرف هـذا الخبر (أصحابى هؤلاء) أى من الصحابة الحاضرين أو الموجودين قال الدلجى لم أر هـذه الزيادة من مختصات رواية أبى داود لان لفظه قد علمه أصحابه صلى الله تعالى عليه وسـلم (وانه) أى الشأن (ليكون منه) أى ليحدث ويقع ممـا أخـبرنا به (الشئ) أى الذى قد نسيته فأراه موجودا فى الاعيان (فاعرفه) أى انه ممـا أخبرنا به (واذكره) أى أتذكره بعـد ما نسيته (كما يذكر الرجل وجه الرجل اذا غاب عنه) أى كما اذا غاب وجه الرجل عن الرجل فينساه (ثم اذا رآه عرفه) أى بعد نسـيانه اياه قال الدلجى الى هنا رواية الشيخين وزاد أبو داود بسند آخر من طريق قبيصة بن ذؤيب عن أبيه عن حذيفة

السامعين له ونسيه بعضهم (قد علمه أصحابى هؤلاء) الحاضرون عنده أو المراد أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهذه الزيادة فى رواية أبى داود ولم يذكرها البخارى (وانه) الضمير للشان (ليكون منه الشئ) أى يوجد شئ مما حدثنا به فى ذلك المقام فى الخارج قد نسيته لطول العهد بحديثه فاراه بعينى بعد ما وجد (فاعرفه فاذكره) أى أتذكره بعد ما نسيته فاتذكر ما أخبرنا به رسول صلى الله تعالى عليه وسـلم ثم شبه تذكره ايضاحا له (كما يذكر الرجل وجه الرجل اذا غاب عنه ثم اذا رآه عرفه) فيه تقديم وتأخـير أى كما ان الرجل اذا غاب عنه رجـل كان يعرف وجهه وسيماه وهو فى مخيلتـه الا انه لم يذكره فاذا رآه تذكره وعرفـه فليس اذا متعلقا بتـذكر بـل بنسى المعـلوم من الكلام وهو من تشبيه المعـقول بالمحسوس تشبيها تمثيليا (ثم قال) حذيفة فيما رواه أبو داود وزاده على ما رواه الشيخان (ما أدرى أنسى أصحابى) هذا الحديث (أم تناسوه) أى أظهر وانسيانه خوف الفتن لا لقلة الاهتمام به كما قيـل بل لانه من الاسرار التى لا ينبغى ان يحدث بها كل أحد (والله) قسم أكد به ما بعده (ما ترك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسـلم من قائد) بالقاف والدال المهملة ومن زائدة والمراد به المتغلبة الذين معهم جند تتبعهم كما تتبع الجمـل والفرس من يقوده ويمشى خلفـه (فتنـة) فيأتى للحاربة وايقاع الضرر بالمسلمين كالحجاج وغـيره من أصحاب البـدع من زمنـه (الى ان تنقضى الدنيا) أى الى ان تتم وتنتهـى مـدتها ويخرب العالم وتبدو مقدمات الساعة بخروج الدجال ويأجوج ومأجوج (يبلغ من معه) أى يصـل من معه من اتباعه والضمير للقائد (ثلثمائة) رجل (فصاعدا الا قد سماه لنا) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (باسمه واسم أبيه وقبيلته) بحيث لم يبق شبهة فيه وهذا الحديث روى من طريق آخر مفصلا على كلام فيـه ذكره ابن الجوزى وغـيره (وقال أبو ذر) الصحابى المشهور فى حـديث رواه أحمـد والطبرانى وغـيرهما بسـند صحيح (لقد تركنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسـلم) أى ذهب عنا وانتقل الى الآخرة من بين أظهرنا ولم يدع شيأ الا بينـه لنا بحيث لا يخفى علينا شئ من بعـده وكان قد خطب قبـل موته خطبا أطال فيها مرة من الصـباح الى الظهر ومرة من الظهر الى قبيل الغروب لم يدع شيأ الا بينه لاصحابه (وما يحرك طائر جناحيه فى السماء) أى فى الجو وهو كناية عن بيان كل شئ (الا ذكر لنا منه علما) وفى نسخة الا ذكرنا منه علما أى تذكرنا من طيرانه علما يتعلق به فكيف بغيره مما يهمنا فى الارض وهذا تمثيل لبيان كل شئ تفصيلا تارة واجمالا أخرى (وقد خرج أهـل الصحيح) أى رووا باسانيدهم ما صح عندهم كالشيخين وأصحاب السنن والمسانيد (والائمة) الحفاظ الثقات كاحمد والشافعى وأبو حنيفة ومالك (ما أعلم به أصحابه صلى الله تعالى عليه وسلم مما وعدهم به) بيان لما (من الظهور على أعدائه) لغلبتهم وقلة شوكتهـم (وفتح مكة) الذى أخبر به قبـل وقوعه فحققه الله تعـالى

وان كان صنيعـه هنا يقتضي اتصاله به (ثم قال) أى حـذيفة كما فى أكثر النسخ (ما أدرى أنسى أصـحابى) أى حقيقة (أم تناسوه) أى تـكلفوا نسـيانه لقلة اهتمامهم به لقيامهـم بما هو أهم منه ولما أراد الله من اختصـاص كل منهم ببعض ما استفادوا عنه (والله ما ترك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسـلم من قائد فتنة) أى أمير لها يقـودها الى المحاربة ويجـرها الى المخاصمة بالطرق الباطلة أو محدث بدعة كعلماء المبتدعة من الخوارج والروافض والمعـتزلة يحدث من زمانه صلى الله تعالى عليه وسلم (الى ان تنقضى الدنيا يبلغ من معه) أى مع قائد الفتنة (ثلثمائة فصاعدا) أى فاكثر والجملة صفة قائد (الا قد سماه) أى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ذلك القائد (لنا) أى لاجلنا (باسمه واسم أبيه وقبيلته) أى التى تؤوبه (وقال أبو ذر) أى على ما رواه أحمد والطبرانى بسند صحيح وأبو على وابن منيع عن أبى الدرداء رضى الله تعالى عنه انه قال (لقد تركنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسـلم) أى مات عنا (وما يحرك طائر جناحيه فى السماء الا ذكرنا) بتشديد الكاف أى أفهمنا (منه) من ذلك الطائر أو تحريكه (علما) أى حكما اجماليا أو تفصيليا (وقد خرج أهل الصحيح) أى من التزم صحة ما رواه كالشيخين وابن حبان وابن خزيمة والحاكم فى كتبهم المعروفة (والائمة) كمالك وأحمد وبقية أصحاب الكتب الستة وغيرهم ممن لم يلتزموا فى كتبهم الصحة (ما أعلم به) مفعول خرج أى ما أخبر به (أصحابه صلى الله تعالى عليه وسلم مما وعدهم به من الظهور) أى الغلبة (على أعدائه) وفى نسخة على أعدائهم (وفتح مكة) تخصيص بعد تعميم وهذا مما رواه الشيخان وغيرهما

(و)

(وبيت المقدس) كما رواه البخاري عن عوف بن مالك (واليمن والشام والعراق) كما في الصحيحين عن سفيان ابن أبي زهير (وظهور الامن حتى تظعن) بسكون المعجمة وفتح المهملة أي ترحل (المرأة من الحيرة) بمهملة مكسورة مدينة بقرب الكوفة وأخرى عند نيسابور (الى مكة لا تخاف الا الله) على ما رواه البخاري عن عدي ابن أبي حاتم (وان المدينة) أي السكينة (ستغزى) بالغين والزاي على بناء المفعول وهو من الغزاوي ستحارب وتقاتل وفي رواية بمهملتين قال الحافظ المزي الرواية في الحديث بالعين المهملة والراء يعني من العرى أي تصير عراء والمعنى ستخرب بليس فيها أحد فقد رواه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه بلفظ يتركون المدينة على خير ما كانت لا يغشاها الا العوافي وهذا لم يقع بعد كما اختاره النووي وغيره وانما يقع قرب الساعة وقال التلمساني وقع هذا في زمن يزيد بن معاوية ندب عسكرا من الشام الى المدينة فنهبها والوقعة معروفة بالحرة وهي أرض بظاهر المدينة ذات حجارات سود وقتل فيها كثير من أبناء المهاجرين والانصار وكانت في ذي الحجة سنة ثلاث وستين وعقيبها هلك يزيد (وتفتح خيبر على يدي علي في غد يومه) كما رواه

الشيخان عن سهل بن سعد بلفظ لأعطين الراية غدا الرجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه فدعا عليا وكان أرمد فبصق في عينيه فبرأ وفتح الله على يديه (وما يفتح الله على أمته من الدنيا ويؤتون من زهرتها) أي يعطون من بهجتها من كثرة المال وسعة الجاه كما رواه الشيخان من طرق (وقسمتهم) أي ومن تقسيمهم فيما بينهم (كنوز كسرى) بكسر الكاف ويفتح أي ملك فارس (وقيصر) أي وكنوزه وهو ملك الروم كما في الصحيحين من طرق عن أبي هريرة وغيره

(و) فتح (بيت المقدس) كما رواه البخاري وغيره وبيت المقدس تقدم الكلام فيه وقد أخبر صلى الله تعالى عليه وسلم تميما الداري بفتحه لما أسلم وأقطعه أرضا بها ثم فتح في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه فاعطى تميما أقطاعه في سنة ست عشرة من الهجرة (و) فتح (الشام و) فتح (اليمن و) فتح (العراق) يعني ما يشمل العراقين عراق العرب والعجم وكلها مجرورة بالعطف على مكة كما مر والشام واليمن والعراق بلاد معروفة وكان اخباره صلى الله عليه وسلم بذلك بمكة قبل الهجرة في حديث رواه ابن دحية كما في كتاب مرج البحرين في أخبار المشرقين والمغربين وأصل معنى العراق شاطئ البحر وقيل انه معرب (وظهور الامن) في الممالك الاسلامية وهو مجرور أي أعلم أصحابه بظهور الامن (حتى تظعن المرأة) بظاء معجمة وعين مهملة ونون أي تسافر وحدها من الظعن بفتح العين وسكونها وهو السفر قال الله تعالى يوم ظعنكم وذكر المرأة للمبالغة في الامن لانها مع ضعفها وشدة خوفها اذا أمنت علم أمن غيرها بالطريق الاولى (من الحيرة الى مكة) بكسر الحاء المهملة وسكون المثناة التحتية وفتح الراء المهملة والهاء مدينة بقرب الكوفة واسم بلدة أخرى بقرب نيسابور (لا تخاف) المرأة (الا الله) كناية عن انها لا تخاف أحدا من الناس من قطاع الطريق واللصوص وغيرهم (وان المدينة) يعني طيبة وهو علم بالغلبة عليها وأصل معناها كل قصر يجتمع فيه الناس (ستغزى) روي بغين وزاي معجمتين من الغزو وهو القتال وهو اشارة الى وقعة الحرة الآتي ذكرها فانها وقعة عظيمة قتل بها المسلمون حتى تركت الصلاة في الحرم وروي بعين وراء مهملتين ومثناة فوقية مفتوحة وهي مضمومة في الرواية الاولى أي تخرب وتخلو فتصير عراء ليس فيها أحد والعراء الفضاء الخالي من الناس قال الله تعالى فنبذناه بالعراء وهو سقيم وهذا لم يقع بعد وانما يكون قرب الساعة وقيل انه وقع وهو مقتضى السياق فهو اشارة الى قصة الحرة أيضا فان الناس ارتحلوا فيها منها وتركت الصلاة والاذان حتى سمع الاذان من مرقده صلى الله عليه وسلم ثم أمنهم يزيد حتى عادوا لها (و) أعلمهم صلى الله عليه وسلم (بفتح خيبر على يد) علي كرم الله تعالى وجهه (في غد يومه) أي أخبرهم فيه بفتحها كما رواه الشيخان عن سهل بن سعد لما كانت وقعة خيبر وتعسر فتحها قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله تعالى على يديه فدعا عليا وكان أرمد فبصق في عينيه فبرأ وفتحها الله على يديه على ما فصل في السير وقد تقدم الكلام على شيء منه (و) أعلم صلى الله تعالى عليه وسلم أصحابه (بما يفتح الله تعالى على أمته) أي بما ييسره الله تعالى لامته من فتح البلدان وما يوسعه لهم (من الدنيا) بكثرة المال والعزة (ويؤتون) بالبناء للمجهول أي يؤتيهم الله تعالى (من زهرتها) أي زهرة الحياة الدنيا وهي زينتها وطيب نضارتها ونعيمها وهذا رواه الشيخان من طرق صحيحة (وقسمتهم كنوز كسرى وقيصر) الكنوز جمع كنز معرب كنج وهو المال المدفون ويطلق على كل نفيس مدخر والمراد هنا خزائنهما وما لهما وكسرى بكسر الكاف وفتحها وهو علم الملك من ملوك الفرس ثم صار علم جنس لكل من ملكهم أو نكرة وقيصر علم ملك من ملوك الروم ثم أطلق على كل ملك لهم كذلك ومعناه المشقوق لان أمه ماتت حين أرادت وضعه فشق بطنها وأخرج

(ومايحدث بينهم) أى بين أمته (من الفتن) بكسر ففتح جمع فتنة وفى نسخة الفتون بالضم مصدر فتن بمعنى الافتتان (والاختلاف والاهواء) على مارواه الشيخان من طرق ولعل المراد بالاختلاف ظهور التنافس فى الملك واختلاف أمر الامراء وبالاهواء ظهور المعتزلة والغلاة من أهل البدعة ١٥٤ (وسلوك سبيل من قبلهم) أى وسلوكهم على نهج من تقدمهم من الامم فقد رواه الشيخان عن أبى سعيد بلفظ لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لودخلوا جحر ضب لتبعتموهم فسئل اليهود والنصارى قال فمن (وافتراقهم) أى اختلافهم (على ثلاث وسبعين فرقة) أى طائفة كما رواه أحمد وأبو دواد والترمذى والحاكم عن أبى هريرة قيل وأصولهم ثمانية معتزلة عشرون فرقة شيعة اثنتان وعشرون فرقة وخوارج على سبع فرق ومرجئة على خمس فرق ونجاريه ثلاثة فرق وجبريه محضة فرقة واحدة ومشبهة فرقة واحدة وطرقهم مختلفة (الناجية منها) أى من تلك الفرق (واحدة) أى فرقة واحدة كما فى نسخة صحيحة وهم الذين قال فيهم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم هم الذين على ما أنا عليه وأصحابى وهم أهل السنة والجماعة من الفقهاء كالائمة الاربعة والمحدثين والمتكلمين من الاشاعرة والماتريدية لخلو مذاهبهم من البدعة (وانه) أى الشان وفى نسخة وانها أى القصة وفى نسخة صحيحة وانهم وحسنه (سيكون لهم) أى لامته (انماط) بفتح الهمزة جمع نمط وهو ضرب فراش ويغشى عليه الهودج أيضا وهذا فى الصحيحين عن جابر وفى الترمذى عن على (ويغدو) أى يصبح أو يمر (أحدهم فى حلة ويروح) أى يمسى أو يرجع (فى أخرى)

منهاجيا وهو اشارة لحديث رواه الشيخان عن أبى هريرة وغيره من طرق وفيه اذا هلك كسرى فلا كسرى بعده واذا هلك قيصر فلا قيصر بعده والذى نفس محمد بيده لتنفقن كنوزهما فى سبيل الله وقد حقق الله تعالى ما أخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم وصدق الله وعده وكان ذلك على يد خلفائه رضى الله تعالى عنهم (ومايحدث بينهم) أى أعلمهم صلى الله تعالى عليه وسلم بما يحدث بين أمته (من الفتون) بوزن دخول مصدر بمعنى الافتتان كما فى أكثر النسخ جمع فتنة كما قال البرهان والفتنة أصلها الاختبار ثم قيلت لكل ما يقع بين الناس من النزاع والحروب وقيل صوابه الفتن جمع فتنة كما فى بعض النسخ لان الفتون الميل للزنا ونحوه من الفجور وليس بشئ فانه ورد بمعنى الفتنة أيضا وهو بطريق المجاز أى مطلق الميل (والاختلاف) فى الكلمة والآراء وهو سبب الفتن ولذا قيل انه لو قدمه كان أحسن (والاهواء) بالمد جمع هوى وهو ما تهواه النفس وتميل له واذا أطلق خص بالامور الباطلة (وسلوك سبيل من قبلهم) من الامم اشارة لما رواه الشيخان لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لودخلوا جحر ضب لتبعتموهم قيل يارسول الله اليهود والنصارى قال فمن والسنن بفتحتين الطريق وهو تمثيل لما أحدثوه من الضلال والبدع والتحريف كما صرح به فى الحديث (وافتراقهم) أى افتراق هذه الامة (على ثلاث وسبعين فرقة) أى ينقسمون الى هذه الاقسام وعداه بعلى لما وقع عليه الانقسام من النهج المخصوص كما يقال الدار مبنية على طبقات ثلاث وعلى بنائية كما قاله الدوانى فى حواشى الشمسية فى قوله رتبته على مقدمة الى آخره فقال الترتيب لا يتعدى بعلى فاما ان يكون بتضمين معنى الاشتمال واما ان يريد بدخول على هذا الاسلوب الخاص وحينئذ فاما ان يقال اذا تعدى بعلى انه تضمن معنى البناء فانه يتعدى بعلى الى أسلوبه فيقال بنى الدار على طبقتين أو يقال تعدى بها بناء على ان معنى الترتيب جعل الاجزاء مترتبة وهو مقصور على انحاء فيتعدى بعلى الى النحو المعين انتهى وهذا الحديث رواه أحمد وأبو داود والترمذى والحاكم كما فى مناهل الصفاء للجلال السيوطى (الناجية منها واحدة) أى الفرقة الناجية من هذه الفرق فرقة واحدة وهم أهل السنة والجماعة المتمسكون بكتاب الله وسنة رسوله كما بينه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذا الحديث فانه قال فيه ليأتين على أمتى ما اتى على بنى اسرائيل حذو النعل بالنعل والقذوة بالقذوة وان بنى اسرائيل افترقت على ستين أو سبعين ملة فستفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة كلها فى النار الا ملة واحدة أو فرقة واحدة قالوا يارسول الله من هم أى الناجون منهم قال من كان على ما أنا عليه وأصحابى فمعنى الناجية انهم على الحق فهم ناجون من غضب الله وعذابه وفى قوله ستفترق اشارة الى أنه ليس فى زمانه صلى الله تعالى عليه وسلم اختلاف وانه انما يحدث ذلك بعده بل بعد الخلفاء الراشدين وفى قوله ملة اشارة الى أن الخلاف المذكور فى الدين والاعتقاد فلا ينافيه ما وقع بينهم فى أمور جزئية وقد بينت هذه الفرق وفصلت فى كتاب الملل والنحل وفى علم أصول الدين وهذا من جملة ما أطلعه الله عليه من المغيبات (و) فى حديث رواه الشيخان عن جابر رضى الله تعالى عنه و(انهم سيكون لهم انماط) جمع نمط كسبب وأسباب وهو البساط يعنى ان أمته صلى الله تعالى عليه وسلم يتوسعون فى الدنيا حتى يتخذوا الفرش النفيسة لبسط الله لهم الرزق بعدما كانوا فيه من الفقر وضيق المعيشة (و) قوله (يغدو أحدهم فى حلة ويروح فى أخرى) وما بعده من حديث رواه الترمذى عن على

ويوضع بين يديه صحفة) أي اناء كالقصعة المبسوطة (وترفع) أي من بين يديه (أخرى) أي صحفة أخرى (ويسترون بيوتهم كما تستر الكعبة) وفيه ايماء الى ان الدنيا تبسط عليهم بالسعة (ثم قال) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مخاطبا لاصحابه الكرام (آخر الحديث) أي في آخر الكلام (وأنتم اليوم خير منهم يومئذ) قالوا والعاطفة رد لقولهم نحن يومئذ خير من اليوم ظنا منهم انهم يصرفون الدنيا في طرق العقبى فالمعنى ليس الامر كما تظنون بل وأنتم اليوم خير لان ما قل وكفى خير مما كثر وألهى وفيه تنبيه على ان الفقير الصابر أفضل من الغني الشاكر (وانهم اذا مشوا المطيطاء) بضم الميم وفتح الطائين بينهما ياء ساكنة والكلمة ممدودة وتقصر وهي مشية فيها مد اليدين والتبختر والخيلاء ومنه قوله تعالى ثم ذهب الى أهله يتمطى وفي نسخة المطيطيا بزيادة ياء بعد طاء مكسورة أو مفتوحة (وخدمتهم بنات فارس والروم) أي بسبيهم لهن (رد الله بأسهم) أي شدة عداوتهم بكثرة محارباتهم (بينهم) أي لطغيانهم بكثرة المال وسعة الجاه والاقبال (وسلط) أي الله (شرارهم على خيارهم) لان الغالب غلبة أهل الشر في الشوكة والدولة الدنيوية والحديث رواه الترمذي عن ابن عمر كما قاله الدلجي واما ما ذكره الحلبي من ان الحديث رواه الذهبي في ميزانه من ترجمة محمد بن خليل الحنفي الكرماني ولفظه وروى عن ابن المبارك عن ابن سوقة عن عبد الله ابن دينار عن ابن عمر عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فذكر الحديث ثم قال لا يصح فلا يعارض ما تقدم فان عدم صحته يحمل على روايته مع انه لا يلزم من عدم الصحة نفي الثبوت بطريق الحسن وهو كاف في الحجة هذا وقد ثبت انهم بعد ان فتحوا بلاد فارس والروم وغنموا أموالهم وسبوا ذراريهم واستخدموهم سلط الله على عثمان شرارا فقتلوه وعلى علي جماعة حتى قتله أشقاهم وهلم جرا الى ان قتل زياد بامر يزيد وشرار أعوانهم الحسين وأصحابه خيار زمانهم وقد سلط بنو أمية سبعين سنة على بني هاشم ففعلوا ما فعلوا

وحسنه والغدو بغين معجمة ودال مهملة سير أول النهار ويقابله الرواح والحلة هي الثوب النفيس ولا تطلق الا على ثوبين احدهما فوق الآخر كما ان الانهم توسعوا فيه فاطلقوه على ما قلناه والمراد تعدد لباسهم ونفاسته بعد ما كانوا عليه من التقشف كما ان قوله (ويوضع بين يديه) أي بين يدي احدهم (صحفة) بزنة قصعة وهي اناء الطعام (وترفع أخرى) أي صحفة أخرى اشارة الى تلون أطعمتهم وتعددها ونفاستها (ويستر بيوتهم) بالبناء للمجهول أي يسترون حيطان بيوتهم وابوابها وفي نسخة ويسترون بيوتهم (كما تستر الكعبة) وهذا كما تفعله الامراء والعظماء الذين اتسعت دنياهم حتى كسوا الحجارة والجدران وهذا لم يكن في العصر الاول وهو اسراف وقد ورد النهي عنه (ثم قال) صلى الله عليه وسلم مخاطبا لاصحابه (في آخر الحديث) الذي رواه الترمذي وغيره (وأنتم اليوم) المراد به مطلق الزمان الحاضر (خير منكم يومئذ) أي أحسن منكم حالا من حالكم الآتي الذي يبسط لكم فيه الرزق ويوسع عليكم فضلهم على أنفسهم باعتبارين لان الرزق الكفاف خير من غنى يشغل عن عبادة الله ويتعب القلب والبدن كما يشاهده من ابتلي به (و) مما أعلم به صلى الله عليه وسلم أصحابه (انهم اذا مشوا المطيطاء) كما ورد في حديث رواه الترمذي عن ابن عمر الا أن الذهبي قال في ميزانه انه لم يصح والمطيطاء بضم الميم وفتح الطاء المهملة ومثناة تحتية ساكنة وألف ممدودة كما في الصحاح ويقصر أيضا كما في النهاية وهو مبني على التصغير كالكميت وهي مشية فيها مد اليدين فهو منصوب على المصدرية والمراد به التبختر وهو كالتريا والمريطا ويجوز فتح ميمه وكسر طائه وهو من مط بمعنى مد وامن مطا يمطو كما بين في كتب اللغة (وخدمتهم بنات فارس والروم) أي اتخذوا الجواري والخدم منهم وخصهم لان الرقيق كان منهم في الاكثر لانهم كفرة يحل سبيهم لاهل الاسلام كثيرا أو لانهم مع تكبرهم وتعاظمهم يصيرون خدمة أرقاء لاهل الاسلام ففيه اشارة لعزتهم وعلوهم على غيرهم وفارس علم للجيل المعروف ممنوع من الصرف ويطلق على بلادهم أيضا وهو معرب بارس بالباء المعجمة ولا يدخل عليه الالف واللام والروم جيل معروف أيضا سموا باسم أبيهم (رد الله بأسهم بينهم) جواب اذا والبأس معناه الخوف الشديد لامطلقه والمراد به العداوة ووقوع القتال بينهم لان الله كان أعطى نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم النصرة بايقاع الرعب في قلوب اعدائه الكفرة وبقي من ذلك أثر فيمن اقتدى به من الخلفاء فلما اشتغلوا بزخرف الدنيا نزع الخوف من قلوب الاعداء وصار بعضهم يعادي بعضا ويقاتله لما بينهم من التحاسد والتباغض وطلب كل منهم ما في يد الآخر لما ظهرت الملوك المتغلبة فصار الامر لمن غلب (وسلط شرارهم على خيارهم) الشرار جمع شر بمعنى شرير وخيار جمع خير بمعنى أخير او مخفف خير وتسليطهم بقهرهم والعلو عليهم بالباطل وهو كالتفسير لما قبله وكان ابتداء ذلك بعد فتح فارس والروم وسبي ذريتهم واستخدامهم وتنافسهم في الدنيا وذلك من الدولة الاموية الى الآن

(وقتالهم الترك) كما في الصحيحين بلفظ لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوما نعالهم الشعر وحتى تقاتلوا الترك صغار الاعين حمر الوجوه ذلف الانوف كأن وجوههم المجان المطرقة والظاهر ان المراد بهم التتار ولعل القضية متأخرة أو وقعت وليس لنا بها معرفة (والخزر) أي وقتالهم الخزر بضم معجمة وسكون زاي فراء طائفة من الترك جمع أخزر والخزر بفتحتين ضيق العين وصغرها وكذا ضبط الاصل أيضا في كثير من النسخ واقتصر عليه الشمني وفي حديث حذيفة كما في بهم خنس الانوف خزر العيون فالعطف تفسيري (والروم) وهم طائفة معروفة وقد سبق في الصحيح قتالهم مع قيصر فلا وجه لقول الدلجي لا أدري من روى حديث الطائفتين (وذهاب كسرى) أي ذهاب ملكه بذهابه (وفارس) أي وذهاب قومه أي من أرض العراق وغيره (حتى لا كسرى ولا فارس بعده وذهاب قيصر) أي ملك الروم من الشام ونحوه (حتى لا قيصر بعده) رواه الشيخان بدون فارس وذكر الحارث عن ابن محيريز مرفوعا فارس نطحة أو نطحتان ثم لا فارس بعد هذا ابدا وقد وقع ما أخبر به من زوال ملكهما من أقاليمهما فلم يبق من كسرى وقومه طارفة عين بدعوته صلى الله تعالى عليه وسلم ان يمزق كل ممزق وقيصر أعني به هرقل قد انهزم من الشام في خلافة عمر رضي الله تعالى عنه الى أقصى بلاده فافتتح المسلمون بلادهما فلله الحمد والمنة وأخذ السهيلي من هذا أن لا ولاية للروم على الشام الى يوم القيامة انتهى وأراد بالروم كفارهم من الفرنج والنصارى ثم و كسر قيل التقدير ولا مثل كسرى ولا مثل قيصر لانه علم ولا تدخل عليه لا الا اذا كان أول بالنكرة (وذكر) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (ان الروم ذات قرون) أي كلما هلك قرن خلفه الى آخر قرن الدهر قال الفارسي معناه ان هلك منهم رئيس خلفه آخر وليسوا كالفرس لانهم مزقوا وقد ورد في هذا المعنى حديث وكأنه تفسير لهذا قال عليه السلام فارس نطحة أو نطحتان ثم لا فارس بعده هذا ابدا والروم ذات قرون كلما هلك قرن خلف مكانه قرن أهل صخر وبحر هيهات آخر الدهر انتهى

(و) أخبرهم صلى الله تعالى عليه وسلم (قتالهم الترك) كما ورد في حديث رواه الشيخان لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا الترك صغار الاعين حمر الوجوه ذلف الانوف كأن وجوههم المجان المطرقة وقد ورد هذا الحديث من طرق بالفاظ مختلفة والترك بضم التاء جيل معروف من الناس يقال لهم بنو قنطوراء وهي أمة لابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام واختلف في نسبهم اختلافا كثيرا والمشهور انهم من أولاد يافث ابن نوح عليه الصلاة والسلام وقيل انهم الديلم وقيل المراد بهم هنا يأجوج ومأجوج وعلى كل حال فهم قوم من الكفرة دارهم بعيدة من ديار الاسلام ومنهم التتار ولهم وقائع مشهورة كوقعة جنكيز وهلاكه المفصلة في التواريخ (والخزر) بضم الخاء وسكون الزاي المعجمتين وراء مهملة وهم جيل من الناس كفرة قيل انهم من الترك وقيل من العجم وقيل من التتار لانهم جمع أخزر وهو الضيق العين وقيل المراد بهم الاكراد ووقائعهم كلها مشهورة فقد وقع ذلك كما أخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم وروى الخزر بفتحتين أيضا وفي بعض نسخ الشفاء بخاء مضمومة وواو وزاي معجمة ساكنة وفيه نظر والخزر ضيق العين كما علمت أو النظر بمؤخرها (والروم) أي مما وقع من أخباره صلى الله عليه وسلم أصحابه أخباره بما سيكون من قتال الروم وهم قوم معروفون من ولد روم بن عيص بن اسحق سموا باسم أبيهم ثم قيل روم ورومي كزنج وزنجي وقد ملكوا الشام واختلط بهم قوم من العرب من غسان وأصل مساكنهم جهة الشمال (وذهاب كسرى) بفتح الكاف وكسرها كما مر أي ذهاب ملكه وقومه بعد ظهور دولته وتغلبه (وفارس) من أرض العراق وغيرها وقد تقدم بيانه (حتى لا كسرى ولا فارس) أي حتى لا يبقى له ذكر ولا ملك الى يوم القيامة ولا انما تدخل على نكرة فاما ان نقول انه نكر كما في هذا الحديث لا قيصر فهو كقولهم لكل فرعون موسى أي لكل جبار مبطل محق يغلب عليه ويمحو أثره وفيه مقدر أي لا مثل كسرى ومثل وغير لا يتعرفان بالاضافة (بعده) أي لا يكون بعده من جنسه (وذهاب قيصر) ملك الروم بذهاب ملكه وقومه (حتى لا قيصر بعده) وهذا مما رواه الشيخان أيضا بدون فارس الا انه وقع في رواية من غير طريقهما (وذكر) صلى الله تعالى عليه وسلم فيما أخبر به من المغيبات التي كانت كما قال (ان الروم) أي جنسهم المعروف (ذات قرون) وفي نسخة ذات القرون بالتعريف جمع قرن وهم الجماعة في عصر واحد أي كلما مضى قرن خلفه قرن وقوم يملك ملكهم منهم وقيل القرن السيد أي كل ما هلك ملك ملك بعده غيره كما بينته رواية كلما هلك قرن خلفه مكانه قرن وقيل المراد بهم قرون شعورهم التي كانوا يطولونها ويعرفون بها للاشارة الى طول همهم (الى آخر الدهر) أي يمتد ملكهم بديارهم بخلاف فارس فان الله مزقهم ومزق ملكهم بدعوته صلى الله عليه وسلم عليهم لما مزقوا كتابه حين بعثه لهم كما هو مذكور في السير وقد تقدم أيضا وهو مشاهد الى الآن ليس لغيرهم ملك كملكهم وذلك انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما ارسل الكتب للملوك في عهده كتب لكسرى فلما اقرأ كسرى كتابه مزقه فقال صلى الله عليه وسلم مزق الله ملكهم فكان كما قيل

(وبذهاب الامثل فالامثل) أي الافضل فالافضل (من الناس) أي من الصحابة والتابعين واتباعهم ومن بعدهم والفاء مؤذنة بترتيب التفاضل فاثبتت الامثلية للاول ثم للثاني وهكذا حتى تبقى حثالة لايباليهم الله بالة (وتقارب الزمان) كما في حديث الترمذي لاتقوم الساعة حتى يتقارب الزمان فيكون السنة كالشهر والشهر كالجمعة والجمعة كاليوم واليوم كالساعة أي العرفية والساعة كالضرمة بالنار والمراد به آخر الزمان واقتراب الساعة لان الشيء اذا قل وقصر تقارب أطرافه والظاهر انه أريد به زمن عيسى عليه السلام فانه لكثرة الخيرات تستقصر الاوقات للاستلذاذ بالمسرات أو زمن الدجال فانه لكثرة اهتمام الناس بما يدهمهم من همومهم لايدرون كيف تنقضي أيامهم أو أريد به تسارع الازمنة فيتقارب زمانهم في المنحة أو المحنة أو أريد به قلة البركة في أعمالهم مع كثرة الحركة في أحوالهم (وقبض العلم) أي بقبض العلماء لحديث ان الله لايقبض العلم انتزاعا ينزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى اذا لم يبق عالما اتخذ الناس رؤساء جهالا فسئلوا فافتوا بغير علم فضلوا وأضلوا كما رواه أحمد والشيخان والترمذي وابن ماجه عن أبي هريرة (وظهور الفتن والهرج) بفتح الهاء فسكون الراء فجيم قيل لغة حبشية ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة يتقارب الزمان ويقبض العلم وتظهر الفتن ويلقى الشح ويكثر الهرج قالوا وما الهرج قال القتل القتل

وكسر كسرى بتمزيق الكتاب فقد * أذاقه الله تمزيقا بتمزيق

واما قيصر فلما أتاه كتابه صلى الله تعالى عليه وسلم مع دحية قبله وأجله فدعا له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بان يثبت ملكه وقد ذكر وان مكتوبه صلى الله تعالى عليه وسلم الى الآن عند ملوكهم يجلونه وهو محفوظ عندهم في صندوق من ذهب وأوصى بعضهم بعضا بحفظه فان ملكهم لايزال قائما مادام هذا الكتاب عندهم حتى انهم أخرجوه لابن الصائغ الحنفي لما أرسله السلطان قلاوون الى ملك النصارى بالمغرب لامر مهم وقالوا له هذا كتاب نبيكم لجدنا نحفظه ونتبرك به وكان عند ملك طليطلة وهو الى الآن عندهم ولكن الله يهدي من يشاء (و) أعلم صلى الله عليه وسلم أصحابه (بذهاب الامثل فالامثل من الناس) الامثل هنا بمعنى الاشرف لانه أكثر مماثلة ومشابهة لاهل الحق والصدر الاول والفاء لترتيب التفاضل لاثباته للاول ثم للثاني وهكذا الى ان يبقى حثالة لاعبرة بهم وفي الصحاح فلان أمثل بني فلان أي أدناهم للخير وهؤلاء اماثل القوم أي خيارهم أي أعلمهم صلى الله عليه وسلم بموت الاقرب الى الخير قبل غيره وفي البخاري يذهب الصالحون الاول فالاول وتبقى حثالة كحثالة الشعير أو التمر لايباليهم الله بالة أي لايرفع لهم قدرا ولايقيم لهم وزنا والحثالة بالحاء المهملة والثاء المثلثة من كل شيء رديه (وتقارب الزمان) في حديث رواه الترمذي عن أنس رضي الله تعالى عنه لاتقوم الساعة حتى يتقارب الزمان فتكون السنة كالشهر والشهر كالجمعة والجمعة كاليوم واليوم كالساعة والساعة كالضرمة بالنار بضاد مفتوحة معجمة وراء مهملة مفتوحة وهو حشيش يحترق بسرعة والتقارب تفاعل من القرب والمراد قصره وقلته لان القصير يقرب بعضه من بعض ويقال للقصير متقارب ومقارب وهذا يكون اذا قربت الساعة في آخر الزمان كما ورد التصريح به في بعض الروايات واختلفوا في معناه فقيل المراد انهم يوسع عليهم من الدنيا فيستلذون معيشتهم ويكونون مسرورين ومازال الناس يصفون الايام الهنية بالقصر وللشعراء فيها مبالغة ومعان لطيفة يعرفها من له المام بالادب كقول أبي تمام

أعوام وصل كان ينسي طيبها * ذكر النوى فكأنها أيام * ثم انبرت أيام هجر اعقبت
نحوي أسى فكأنها أعوام * ثم انقضت تلك السنون وأهلها * فكأنها وكأنهم أحلام

وهذا المذكور هو الذي ارتضاه الخطابي واعترض عليه الكرماني بانه لايناسب قوله بعده (وقبض العلم) وقال ابن حجر انما احتاج الخطابي لتأويله بما ذكر لانه لم يشاهد النقص في زمنه والذي تضمنه الحديث نجده في زماننا هذا فانا نجد من سرعة الايام مالم نجده في العصر الذي قبله وان لم يكن هناك عيش مستلذ كما قيل

كفى حزنا أن لاحياة هنية * ولا عمل يرضى به الله صالح

فالحق ان المراد نزع البركة من كل شيء حتى من الزمان وذلك من علامات قرب الساعة وهذا هو الذي ارتضاه النووي رحمه الله تعالى وقيل المراد بتقاربه وقصره قصر الاعمار فان كل قرن أهله أقصر أعمارا من أعمار القرن الذي قبله وقال البيضاوي في شرح المصابيح المراد تسارع انقضاء الدول وانقراضها وهنا وجه آخر قريب من الاول وهو انه لكثرة الظلم والاحزان والاشتغال بامور الدنيا وكثرة الحرص على تحصيلها يغفلون عن أوقاتهم ولايشعرون بها * كما قلت

ان الزمان مقصر ذهبت به * بركاته اذ زادت الآلام
ماذاك الا انه قد فر من * خوف وقد جارت به الحكام

وهو مناسب لذكر الفتن بعده في قوله (وظهور الفتن والهرج) وهي جمع فتنة وهي معروفة وهذا قد شاهدناه وقبض العلم بمعنى أخذه ونزعه من الناس وذلك بموت العلماء حتى لايبقى الا الناس جهلة اذا

(وقال) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كما فى حديث الشيخين عن أم المؤمنين زينب (ويل) أى هلاك عظيم (للعرب من شر قد اقترب) ولعل المراد به فتنة عثمان فى محنة المحاصرة وفتنة على مع معاوية وفتنة الحسين مع يزيد وهلم جرا من المزيد ويفعل الله ما يشاء ويحكم ما يريد (وانه) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (زويت له الارض) أى جمعت وضمت (فارى) بصيغة المفعول فى نسخة فرأى (مشارقها ومغاربها) ولفظ مسلم عن ثوبان ان الله زوى لى الارض فرأيت مشارقها ومغاربها أى جمعها لى وطواها بتقريب بعيدها الى قريبها حتى اطلعت على ما فيها جميعها (وسيبلغ ملك أمتى ما زوى لى منها) وهذه الجملة من تتمة حديث مسلم عن ثوبان ولفظه وسيبلغ ملك أمتى ما زوى لى منها والمعنى زويت لى جملة الارض مرة واحدة وستفتحها امتى جزأ فجزأ حتى تملك جميع اجزائها (ولذلك) أى ولاجل تقييده لها بمشارقها ومغاربها (كان امتدت) بتشديد الدال أى انبثت أمته وانتشرت ملته وفى نسخة وكذلك كأن بكاف التشبيه والمعنى وكذا وقع ثم استأنف للبيان امتدت (فى المشارق والمغارب ما بين أرض الهند) بدل أو بيان للمشارق والمغارب (أقصى المشرق) بيان لارض الهند أو بدل منه (الى بحر طنجة) بفتح طاء وسكون نون وفتح جيم بلدة عظيمة بساحل بحر المغرب (حيث لا عمارة) بكسر أوله (وراءه) أى فيما وراء ذلك المكان (وذلك) أى ما ملكته أمته (مالم يملكه أمة من الامم ولم يمتد فى الجنوب) بفتح الجيم أى فى الجهة الغربية اذا توجهت للقبلة وهو ريح يخالف الشمال مهبه من مطلع سهيل أى الى مطلع الثريا

ولا

استفتوا افتوا بغير علم وبهذا فسره صلى الله تعالى عليه وسلم لما سئل عنه وموتهم بالكلية انما يكون اذا قربت الساعة فلا ينافى هذا قوله فى الحديث الصحيح الآتى لا تزال طائفة من امتى ظاهرين على الحق حتى يأتيهم أمر الله تعالى عز وجل فانه قبل ذلك والهرج بالهاء وسكون الراء المهملة وجيم بمعنى القتل وأصل معناه لغة الكثرة وقد ورد تفسيره فى الحديث بالقتل وورد بمعنى اختلاط الناس بعضهم ببعض وقيل انه لغة حبشية فهو معرب صار عربيا فصيحا ومنه قولهم هم فى هرج ومرج (وقال) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه الشيخان عن زينب أم المؤمنين رضى الله تعالى عنها (ويل للعرب من شر قد اقترب) أى قرب ودنا زمنه وويل كلمة تفجع وتعجب فتعجب مما ينالهم من المشقة والهلاك بفتن تقع بين المسلمين كقطع الليل المظلم يصير المتمسك فيها بدينه كالقابض على الجمر يشير بذلك الى أمر عثمان وعلى رضى الله تعالى عنهما وويل مبتدأ وان كان نكرة لما فيه من الدعاء مثل سلام عليكم وهى ترد للتحزن والتحسر والكلام عليها مفصل فى العربية واللغة والمراد بالشر ما مر لقوله اقترب وقيل انه اشارة لفتح سد يأجوج ومأجوج لان الحديث أوله قالت زينب رضى الله تعالى عنها استيقظ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من النوم محمرا وجهه صلى الله تعالى عليه وسلم وهو يقول لا اله الا الله ويل للعرب الى آخره فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج أى السد وعقد تسعين يعنى بجعل سبابته مضمومة لاصل ابهامه صلى الله عليه وسلم يشير للفرجة اليسيرة بينهما بحسابهم المشهور ومثله كثير فى الحديث لتعارفه بينهم والحديث والكلام عليه مبسوط فى شروحه (و) أعلم صلى الله تعالى عليه وسلم أصحابه أيضا (انه زويت له الارض) بالبناء للمجهول أى جمعت وضم بعضها لبعض حتى يطلع على جميعها (فأرى مشارقها ومغاربها) أى جميع الارض وجوانبها كما يضم البساط الكبير حتى يصير فى محل واحد يحيط به الناظر اليه سريعا وأرى بضم الهمزة مبنى للمجهول أى أراه الله جميع ذلك ومشارقها مفعول ثان والمشارق والمغارب كناية عن الجميع كما فى قوله رب المشارق والمغارب والجمع باعتبار تعدد المطالع كما ذكره المفسرون وقيل انه لم يذكر الجنوب والشمال لان معظم امتداد ملك هذه الامة فى جهتى المشرق والمغرب وهكذا هو فى الواقع كما أخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم وفى قوله (وسيبلغ) أى يصل (ملك أمته) أى سلطانهم وحكمهم اشارة اليه (ما زوى له) صلى الله تعالى عليه وسلم (منها) أى الارض أو المشارق والمغارب وهو من تتمة الحديث ومن تفصيلية بيانية أو تبعيضية لما مر (ولذلك كان) أى وقع ما ذكر من الامتداد (امتدت) مملكتهم واتسعت أو أمته بمعنى انتشرت فى نواحيها (فى المشارق والمغارب ما بين أرض الهند) بيان للمشارق والمغارب أو بدل (أقصى المشرق) بيان لارض الهند أو بدل أيضا (الى بحر طنجة) بفتح الطاء المهملة ونون ساكنة وجيم بلدة مشهورة بساحل بحر المغرب (حيث لا عمارة وراءه) أى انتهت الى مكان من ذلك البحر لا عمارة بكسر العين أى ليس بعده بلاد ولا جزائر معمورة وطنجة لفظ بربرى وهى مدينة عظيمة فتحت فى الاسلام ثم استولى عليها النصارى فى سنة سبعين وثمانمائة بعد قتال عظيم فلما رأى المسلمون ان لا معين لهم ولا مغيث سلموها لهم فانا لله وانا اليه راجعون ولم تزل النصارى ظاهرين ثمة حتى تملكوا أكثر البلاد فعاد الاسلام غريبا كما بدأ ومن أراد تفصيل ذلك فلينظر تاريخ الاندلس (وذلك) الذى امتد لهذه الامة (مالم يملكه أحد من الامم) السالفة (ولم تمتد) الممالك الاسلامية (فى) جهة (الجنوب

(ولافى الشمال) بكسر أوله وهو الجهة الشرقية اذا توجهت للقبلة (مثل ذلك) أى مثل امتداد جهتى المشرق والمغرب ولعل فى اتيانهما بلفظ الجمع ايماء الى ماهنالك وكذلك الى ظهور كثرة العلماء منهما بالنسبة الى غيرهما وان علماء المشرق أكثر وأظهر من علماء المغرب فتدبر (وقوله) أى كما رواه مسلم عن سعد بن أبى وقاص مرفوعا (لايزال أهل الغرب ظاهرين على الحق) أى على طريق الحق ومنهج الصدق وسبيل الطاعة من الجهاد وتعليم العلوم للعباد (حتى تقوم الساعة) أى الى قرب

ولافى) جهة (الشمال مثل ذلك) أى مثل امتدادها فى المشرق والمغرب فما قيل فى تفسيره انه بلغ ملكها أقصى الجهات الاربع مهاب الريح قبولا ودبورا وجنوبا وشمالا لم يتنبه لما قلناه (وقوله) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه مسلم عن سعد بن أبى وقاص رضى الله تعالى عنه (لايزال أهل الغرب) سيأتى تفسيره مفصلا فى كلامه (ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة) غاية لاستمرار ظهورهم بتأييد الله تعالى لهم واعلائه لكلمة الدين بجهادهم وقوله ظاهرين أصل معنى الظهور العلو على الظهر ويطلق على ما يلزمه وهو الشهرة والعلو وقد يراد به العلو المعنوى وهو الغلبة والقهر وقد اختلفوا فى المشرق والمغرب أيهما أفضل فذهب الى كل منهما طائفة وهو خلاف لاطائل تحته قال ابن العماد فى كتابه كشف الاسرار استدل من قال بفضل المغرب بهذا الحديث وأجيب بان الثابت لاتزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق حتى يأتى أمر الله وهم بالشام فان ثبت هذا اللفظ فالمراد الشام لانه غربى المدينة وقوله على الحق خبر بعد خبر لانه ليس المعنى على الظهور على الحق بل انهم ظاهرون وانهم على الحق وهو ضد الباطل أو هو متعلق بظاهرين بتضمين معنى محافظين مداومين على اقامة الحق وشعائر الدين (ذهب ابن المدينى) فى تفسير هذا الحديث وهو على بن عبد الله بن جعفر بن جريج أبو الحسن امام أهل الحديث وأعلمهم به فى عصره وقال النسائى كأن الله تعالى لم يخلقه الا لهذا الشأن وقال البخارى رحمه الله تعالى ما استصغرت نفسى الا بين يدى على بن المدينى الى آخره وكان من أحسن الناس كلاما على حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم توفى لليلتين بقيتا من ذى القعدة سنة أربع وثلاثين ومائتين وله ثلاث وسبعون سنة وروى عنه البخارى رحمه الله تعالى وغيره من أصحاب السنن وهو منسوب لمدينة الرسول على خلاف القياس والقياس مدنى كما بينه النحاة والمشهور ان يقال مدينى فى النسبة لمدينة المنصور فرقا بينه وبين المنسوب للمدينة المنورة ولكنه اشتهر بذلك وله ترجمة فى الميزان وقال ابن الاثير النسبة الى المدينة مدنى والاكثر مدنى والمدينى نسبة الى مدائن سبعة غيرها كما فصله وقال الجوهرى المدينى نسبة لمدينة الرسول والمدنى نسبة لمدينة المنصور وبين كلاميهما تناف وقال ابن الصلاح فى الكلام على المسلسل بالاولية المدينى نسبة لحى مدينة أصبهان وهو من المدينة الا انه سكن البصرة وفى القاموس النسبة لمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم مدنى ولمدينة المنصور وأصبهان وغيرهما مدينى وقال الكرمانى قال الحافظ القدسى قال البخارى المدينى الذى أقام بمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يفارقها والمدنى الذى تحول عنها وكان منها انتهى (الى انهم العرب) مطلقا ووجه تسميتهم بأهل الغرب بقوله (لانهم المخصوصون بالسقى بالغرب) بفتح الغين المعجمة وسكون الراء المهملة والموحدة (وهى الدلو) العظيمة المعروفة تذكر وتؤنث سماعا وقيل المراد بالغرب فى الحديث الحدة والشوكة وتقدم تفسيره بالشام أيضا ومنه غرب الشام لحدته والغرب معان كثيرة فى كتب اللغة (وغيره) أى غير ابن المدينى من علماء الحديث (يذهب الى انهم) فى الحديث (أهل المغرب) بميم فى أوله (وقد ورد المغرب كذا) أى بهذا اللفظ فى بعض الروايات وهو مؤيد للتفسير

القيامة (ذهب ابن المدينى) هو الامام أبو الحسن على بن عبد الله المدينى الحافظ يروى عن أبيه وحماد بن زيد وخلق وعنه البخارى وأبو داود والبغوى وأبو يعلى قال شيخه عبد الرحمن بن مهدى على بن المدينى أعلم الناس بحديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وخاصة بحديث ابن عيينة تلوموننى على حب على بن المدينى والله لاتعلم منه أكثر مما يتعلم منى وكذا قال يحيى القطان فيه وقال البخارى ما استصغرت نفسى الا بين يدى على قال النسائى كان الله خلقه لهذا الشأن توفى بسامرا هذا والمدينى نسبة الى المدينة المشرفة قاله ابن الاثير وقال ان أصل المدينى منها ثم انتقل الى البصرة وقال ان الاكثر فيمن ينسب الى المدينة مدنى ثم قال وأما المدينى فنسبة الى أماكن وساق سبعة وأما الجوهرى فقال المدنى نسبة الى مدينة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وأما المدينى فنسبة الى المدينة التى بناها المنصور وهذا وهو بفتح الميم وكسر الدال وسكون الياء لابصيغة التصغير كما توهمه بعض معاصرينا من العلماء (الى انهم) أى أهل الغرب (العرب لانهم المختصون بالسقى بالغرب) بغين معجمة فسكون راء (وهى الدلو) أى العظيمة وفى نسخة (وهو الدلو وغيره) أى غير ابن المدينى (يذهب الى انهم أهل المغرب وقد ورد المغرب) أى بدل الغرب فارتفعت الشبهة فى مبناه (كذا

في الحديث بمعناه) لكن فيه انه لا يعلم من رواه نعم يروى عن مالك عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لم يكون بالمغرب مدينة يقال لها فاس أقوم أهل المغرب قبلة وأكثرهم صلاة وهم على الحق مستمسكون لا يضرهم من خالفهم يدفع الله عنهم ما يكرهون الى يوم القيامة (وفي حديث آخر من رواية أبي امامة) كما رواه أحمد والطبراني عنه مرفوعا (لا تزال طائفة من أمتي) أي أمة الاجابة (ظاهرين على الحق) أي مستعلين عليه غير مخفيين لديه (قاهرين لعدوهم) أي غالبين عليهم من قهره غلبة واللام للتقوية (حتى يأتيهم أمر الله) أي بفنائهم أو خفائهم (وهم كذلك) أي لابثون على هنالك (قيل يا رسول الله وأين هم قال ببيت المقدس) بفتح الميم وكسر الدال وضبطه بضم الميم وفتح الدال المشددة ولعل مثل هذا الحديث حمل ابن المديني على تأويل ما تقدم وقال غيره المراد بأهل الغرب أهل الشام لانه غرب الحجاز بدلالة رواية وهم بالشام لكن لا منع من الجمع بان يوجد في كل منهما جمع يقومون بأمر الحق من اظهار العلم وافشاء شعار الدين والاجتهاد في باب الجهاد مع

الكفار والملحدين ويؤيده ما رواه مسلم عن جابر بن سمرة مرفوعا ان يبرح هذا الدين قائما يقاتل عليه عصابة من المسلمين حتى تقوم الساعة (وأخبر) أي النبي عليه الصلاة والسلام (بملك بني أمية) فيما رواه الترمذي والحاكم عن الحسن بن علي ورواه البيهقي عن سعيد بن المسيب مرسلا وفي سنده علي بن زيد ابن جدعان وهو ضعيف وعن أبي هريرة وفي سنده الزنجي وهو غير معروف ذاتا وحالا والمراد بني أمية بنو مروان بن الحكم ابن أبي العاص ابن أبي أمية بن عبد شمس بن عبد مناف وأول خلفائهم وأفضلهم عثمان بن عفان ثم معاوية ابن أبي سفيان وهو أول الملوك بقي تسع عشرة سنة وثلاثة أشهر ثم ابنه يزيد ثلاث سنين وأشهر ثم معاوية بن يزيد ومات بعد أربعين يوما ثم مروان بن الحكم ومات بعد سبعة أشهر ثم عبد الملك بن مروان ومات في شوال سنة ست وثمانين ثم بويع ابنه الوليد وكان مدته تسع سنين ثم بويع أخوه سليمان بن عبد الملك وكانت ولايته سنتين ثم بويع عمر بن عبد العزيز بن مروان وولايته سنتان ثم بويع هشام بن عبد الملك بن مروان ومات سنة خمس وعشرين ومائة ثم بويع الوليد ابن يزيد بن عبد الملك فقتل سنة ست وعشرين ومائة ثم بويع يزيد بن الوليد بن يزيد بن عبد الملك المسمى بالناقص وكانت ولايته خمسة أشهر ثم بويع ابراهيم بن الوليد بن عبد الملك فخلع نفسه ومدته سبعون يوما ثم بويع مروان بن محمد بن مروان بن الحكم سنة سبع وعشرين ومائة وقيل سنة اثنتين وثلاثين ومائة وهو آخرهم ومجموعهم أربعة عشر ماعدا عثمان رضي الله تعالى عنه (وولاية معاوية) أي ابن أبي سفيان وهو منهم لكن خص لانه متميز عنهم باشياء منها قوله

الثاني ولا يعينه لاحتمال انه روى (في الحديث بمعناه) فهو رواية بالمعنى ولولا هذا لم يفسره بغيره (وفي حديث آخر) من هذا القبيل رواه الطبراني وعبد الله بن أحمد بن حنبل (من رواية أبي امامة) عنه صلى الله عليه وسلم انه قال (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق قاهرين لعدوهم) من الكفرة بالجهاد في سبيل الله (حتى يأتيهم أمر الله) يعني الساعة واشراطها وهو غاية لظهورهم على ظاهرها أو المراد انهم لا يعدم ظهورهم كقوله عليه الصلاة والسلام ان الله لا يمل حتى تملوا كما حققه الكرماني وغيره (وهم كذلك) أي باقون على حالهم والجملة حالية (قيل يا رسول الله وأين هم) من البلاد ومقرهم (قال ببيت المقدس) بالاضافة وفيه لغات فقدس كرجع اسم مكان أو مصدر ميمي من القدس وهو الطهر أي المكان الذي يطهر فيه العابد من الذنوب أو يطهر فيه للعبادة من الاصنام وجاء فيه ضم الميم وفتح القاف والدال المشددة اسم مفعول من التقديس أي التطهير وجاء بكسر الدال المشددة اسم فاعل لانه يقدس العابد فيه من الآثام ويقال البيت المقدس بالتوصيف والاشهر الاضافة والظاهر ان الطائفة المذكورة الامراء والحكام وولاة الامور لانهم المعروفون بالقهر والغلبة وقيل انه يشملهم ويشمل غيرهم من الفقهاء والمحدثين وكل من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وقال البخاري هم أهل العلم ونقل عنه أيضا انهم أهل الحديث وكل محتمل والتعميم أولى كما لا يخفى وفي شرح مسلم للقرطبي بعد ما ذكر رواية أهل المغرب من طرق متعددة وصححها انه يدل على ابطال التأويلات فيه والمراد بالمغرب جهة المغرب من المدينة الى أقصى بلاد المغرب فيدخل فيه الشام وبيت المقدس فلا منافاة بين الروايات وفي رسالة للطرسوسي أرسلها لاهل المغرب وذكر فيها هذا الحديث وقال فيها هل أراد كم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بهذا الا لما أنتم عليه من التمسك بالسنة وطهارتكم من البدع واقتفاء أثر السلف وفيه دليل على صحة الاجماع (وأخبر) صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث رواه الترمذي والحاكم عن الحسن بن علي رضي الله تعالى عنهما (بملك بني أمية) وهذا من جملة ما أخبر به صلى الله عليه وسلم من المغيبات وهم بنو مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي وقد رواه البيهقي مرسلا من طريق آخر في سنده ضعف (وولاية معاوية) بن أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس ولقد

أجاد المصنف رحمه الله تعالى اذ عبر فى بنى أمية بالملك ولم يدخل فيهم معاوية وعبر فى معاوية رضى الله عنه بالولاية الشاملة للملك والخلافة كما سنبينه عن قريب والفرق بين الملك والخلافة والولاية ان الملك هو السلطنة بطريق التغليب والخلافة ما كان ببيعة أهل الحق لمن هو قرشى جامع لشروط الخلافة المذكورة فى الاصول والولاية أعم منهما فتشملهما وتشمل الامارة ونيابة الخلفاء وغيرهم كما فى الحديث الآتى مع الكلام عليه الخلافة بعدى ثلاثون عاما ثم تصير ملكا عضوضا ومعاوية كما تقدم كان أولا أميرا ثم صار ملكا وهو أول ملوك الاسلام ثم لما بايعه الحسن رضى الله تعالى عنه برضاه صار خليفة فلذا كان ذكر الولاية فيه اشارة لهذا وليس عثمان رضى الله تعالى عنه من بنى أمية لانه خليفة بحق ومعاوية وان كان منهم نسبا لان أباسفيان كما علمت ابن حرب بن أمية فلم يدخله المصنف فيهم لما ذكرناه وقيل انه أول ملوك بنى أمية ولكل وجهة وقد ورد فى الحديث انه صلى الله عليه وسلم رأى مناما بنى أمية على منبره الشريف فساءه ذلك فانزل الله عليه تسلية له صلى الله تعالى عليه وسلم سورة الكوثر وسورة القدر لان ملك بنى أمية كان ألف شهر لاتزيد ولا تنقص فاعطى الله أمته فى كل سنة ليلة تعدل ملكهم وتزيد بما لايحصى من العجائب الواقعة فى تلك الليلة مما لايعلم مقدار ثوابه الا الله تعالى يعرف ذلك من ألهمه الله تعالى الفهم الثاقب وخصه بالمواهب وفيه من الاسرار الخفية مالايخفى على ذى بصيرة (ووصاه) أى وصى عليه الصلاة والسلام معاوية اذا تملك بالعدل والرفق لما قال له اذا ملكت فانصح قال معاوية رضى الله تعالى عنه فمازلت أطمع فى الخلافة منذ سمعتها من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قيل فى قوله اذا ملكت اشارة الى انه رضى الله عنه لم يكن خليفة وانما كان ملكا وروى البيهقى عن معاوية انه قال ماحملنى على الخلافة الا قوله صلى الله عليه وسلم يامعاوية ان ملكت فاحسن وهو ضعيف الا ان له شواهد منها ماروى انه تبع بالاداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له يامعاوية ان وليت أمرا فاتق الله واعدل وروى مايقرب منه من طرق متعددة وهذا من جملة ما أخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم من المغيبات (و) منه أيضا قوله و(اتخاذ بنى أمية مال الله دولا) كما ورد فى حديث رواه الترمذى والحاكم والبيهقى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه اذا بلغ بنو أبى العاص أربعين أو ثلاثين اتخذوا دين الله دغلا وعباد الله خولا ومال الله دولا ودول بضم الدال المهملة وفتح الواو ولام جمع دولة بالضم والفتح وهو مايتداول أى يأخذه واحد بعد واحد والمراد انهم استأثروا به ومنعوا حقوقه فاسرفوا وبذروا وضيعوا بيت مال المسلمين وهم أول من فعل ذلك فى الاسلام وأول ملوكهم بعد معاوية بن يزيد مروان بن الحكم ثم ولى ابنه عبد الملك وتمت دولتهم بالرابع عشر مروان بن محمد كما فصله المؤرخون (و) منه أيضا (خروج ولد العباس) بعد انقراض الدولة الاموية أى ولد العباس بن عبد المطلب كما ورد فى حديث رواه أحمد والبيهقى بسند فيه ضعف وهو مما أخبر به الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم والولد يطلق على الواحد والجمع والمراد هنا الثانى (بالرايات السود) اشارة الى مافى هذا الحديث تظهر الرايات السود لبنى العباس حتى ينزلوا بالشام ويقتل الله على أيديهم كل جبار وعدو لهم وفى رواية تخرج الرايات السود من خراسان لايردها شئ حتى تنصب بايلياء أى بيت المقدس وفى سنده ضعف وكان صلى الله تعالى عليه وسلم أخبر العباس ان الخلافة تكون فى ولده فكانوا يتوقعون ذلك وقد روى تبشيره صلى الله عليه وسلم بذلك له ولام الفضل زوجته من طرق أفردها السخاوى بتأليف ليس يسع تفصيله هذا المقام وكان شعار بنى العباس السواد فى لباسهم وراياتهم وسببه انه صلى الله تعالى عليه وسلم أخبرهم بذلك

(ووصاه) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فيما رواه البيهقى عنه بلفظ ماحملنى على الخلافة الا قول النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يامعاوية ان ملكت وفى رواية اذا وليت فاحسن وضعفه البيهقى ثم قال غيره ان له شواهد منها حديث سعد بن العاص ان معاوية أخذ الاداوة فتبع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال له يامعاوية ان وليت أمرا فاتق الله واعدل ومنها حديث راشد بن سعد سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول انك ان اتبعت عورات الناس أفسدتهم أو كدت ان تفسدهم يقول أبو الدرداء كلمة سمعها معاوية منه صلى الله تعالى عليه وسلم فنفعه الله بها (واتخاذ بنى أمية مال الله بينهم دولا) بضم ففتح جمع دولة بضم فسكون وقد يفتح أوله أى متداولة متناوبة فيها من غير استحقاق لها والحديث رواه الترمذى والحاكم عن الحسن بن على ورواه البيهقى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه بلفظ بنو أبى العاص أربعين رجلا تخذوا دين الله دغلا وعباد الله خولا ومال الله دولا وعن أبى سعيد الخدرى اذا بلغوا ثلاثين الحديث (وخروج ولد العباس) أى ابن عبد المطلب وفى نسخة وخروج بنى العباس أى ظهورهم فى غلبة أمورهم (بالرايات السود) أى الاعلام الملونة بالسواد تفاؤلا بغلبتهم على الع اد

(وملكهم) بضم الميم أي تملكهم (أضعاف ماملكوا) أي ملك غيرهم من ملوك البلاد فقد رواه أحمد والبيهقي بأسانيد ضعيفة أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال تظهر الرايات السود لبني العباس حتى ينزلوا الشام ويقتل الله على أيديهم كل جبار وعدو لهم في اسناده عبد القدوس وهو ضعيف وفي روايات تخرج الرايات السود من خرسان لا يردها شيء حتى تنصب بايليا وهي بيت المقدس في اسناده رشد بن سعيد وهو ضعيف وأما أولاده الخلفاء وأحفادهم الامراء فأولهم أبو العباس السفاح بويع سنة اثنتين وثلاثين ومائة ثم أبو جعفر المنصور ثم المهدي بن المنصور ثم الهادي ثم موسى بن الهادي ثم الرشيد أبو جعفر هارون بن المهدي ومات بطوس ثم الامين محمد ابن الرشيد وقتل ثم المأمون بن الرشيد ثم المعتصم بالله وهو محمد بن هارون ثم الواثق واسمه هارون أبو جعفر ثم المتوكل أبو الفضل جعفر بن محمد المعتصم ثم المنتصر أبو جعفر محمد بن المتوكل ثم المستعين بالله أحمد بن محمد بن المعتصم وخلع نفسه ثم المعتز بالله بن المتوكل على الله ثم المهدي بالله أبو عبد الله ١٦٢ بن الواثق ثم المعتمد أبو العباس ابن المتوكل ثم المعتضد أحمد بن أحمد الواثق ابن المتوكل ثم المكتفي علي بن المعتضد ثم المقتدر جعفر بن المعتضد ثم القاهر محمد ابن المعتضد وخلع نفسه عام اثنين وعشرين وثلاثمائة وقد ارتكب أمورا قبيحة لم يسمع بمثلها في الاسلام قال بعضهم صليت في جامع المنصور ببغداد فاذا أنا بانسان عليه جبة عتابية قد ذهب وجهها وبقيت بطانتها وبعض قطن فيها وهو يقول أيها الناس تصدقوا علي فاني كنت بالامس أميرا وصرت اليوم فقيرا فسألت عنه فقيل لي انه القاهر بالله وكانت له حربة يأخذها بيده فلا يضعها حتى يقتل انسانا ثم الراضي محمد بن جعفر ثم المتقي بعد أخيه وهو أبو اسحق ابراهيم بن المقتدر بالله ثم الفضل وهو المطيع للدين المقتدر بالله وخلع نفسه ثم الطايع عبد الكريم ابن الفضل بن المطيع القادر بالله ثم ولده القادر القائم بامر الله ثم ابنه المقتدي بامر الله ثم ابنه المستظهر بالله ثم ابنه المسترشد بالله ثم ابنه المستكفي بالله وكان خلفاء بني العباس ثلاثين وكلهم ببغداد الى ان استولى عليهم الزمان سنة ست وخمسين وستمائة ولله الامر من قبل ومن بعد (وخروج المهدي) بفتح الميم وتشديد التحتية قال الحلبي واسمه محمد بن عبد الله من ولد فاطمة من ولد الحسن كما في الاحاديث انتهى وأصل أحاديثه في أبي داود في سننه وقيل من أولاد الحسين وقيل من ذريتهما وليس المراد به أحد الائمة الاثنى عشرية كما اعتقد الشيعة وانه مخفي في المكان وسيظهر في آخر الزمان ولا أحد المشايخ الذي انتهت اليه الطائفة المهدوية القائلة بانه جاء ومضى وان من لا يعتقد ذلك فهو ضال وقد أفرد شيخ مشايخنا جلال الدين السيوطي رسالة مفردة في معرفة

وقيل سببه ان مروان الحمار آخر بني أمية لما بلغت دعوة أبي مسلم الى محمد بن علي الامام ومات محمد فعهد الى ابنه ابراهيم فاتى به مروان وسجنه فلما أحس بالقتل أوصى اتباعه بالثبات على أمرهم واستخلاف أخيه السفاح فلما قتل لبسوا السواد اظهارا لحزنهم وحثا للاخذ بثاره فاستمر ذلك فيهم فلا منافاة بين الروايتين ولم يزل ذلك الى عهد المأمون بن الرشيد في سنة احدى ومائتين قام بترك السواد ولبس الخضرة لمحبته للعلويين حتى خلع أخاه المؤتمن وجعل العهد لعلي الرضي فمات ولم يتم أمره فكلمه العباسيون في اعادة شعار السواد وترك الخضرة ففعل وهذا أول لبس العلويين الخضرة وليس مبدؤه كما توهمه المتأخرون في سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة برسم الملك الاشرف بمصر وفي ذلك يقول ابن جابر الاندلسي

جعلوا لابناء الرسول علامة * ان العلامة شأن من لم يشهر
نور النبوة في كريم وجوههم * يغني الشريف عن الطراز الاخضر

وقال ابن حبيب

عمائم الاشراف قد تميزت * بخضرة رقت وراقت منظرا
وهذه اشارة ان لهم * في جنة الخلد لباسا أخضرا

وقال ابن المزين

أطراف تيجان أتت من سندس * خضر كاعلام على الاشراف
والاشرف السلطان خصهم بها * شرفا لتعرفهم من الاطراف

ولكن الاول لما لم يستمر وترك حتى نسي توهموا ان ابتداءه كان كذلك وكان سبب حدوث شعارهم ان يهوديا دخل بعمامة فعظم ودخل بعض الاشراف فلم يلتفت اليه لعدم العلم به فامر بذلك وقال السبكي انه مستحب واستنبطه من قوله تعالى ذلك أدنى ان يعرفن فلا يؤذين وهو كلام حسن (وملكهم) أي تملك بني العباس الخلفاء (أضعاف ماملكوا) أي أضعاف تملك بني أمية وأضعاف خلفائهم فان أولهم السفاح بويع في ربيع الآخر سنة اثنين وثلاثين ومائة واستمر ملكهم الى سنة ست وخمسمائة وكانوا نحو ثلاثين ببغداد انقضت تلك السنون وأهلها ولله الامر من قبل ومن بعد (وخروج المهدي) في آخر الزمان كما ورد في حديث رواه أصحاب السنن وغيرهم

من

المهدي فعليك بها و ينبغي ان لا يتوهم ان المهدي هذا من بني العباس ولذا ذكر الدلجي أحاديث مما يوهم انه هو ثم دفعه بان المراد غيره فقال رواه أحمد والبيهقي باسانيد ليست بقوية عنه صلى الله تعالى عليه وسلم تقتتل عند كنزكم هذا ثلاثة كلهم ولد خليفة لا يصير الى واحد منهم ثم تقبل الرايات السود من خرسان فيقتلونكم مقتلة لم تروا مثلها ثم يجئ خليفة الله المهدي فاذا كان كذلك فاتوه ولو حبوا على الثلج فانه خليفة الله وفي اسناده مجهول وفيه أبو أسماء وهو ضعيف وفي رواية أخرى يخرج رجل من أهل بيتي عند انقطاع من الزمان وظهور الفتن يقال له السفاح يكون عطاؤه حثيا في سنده عطية العوفي وهو ضعيف قال التلمساني وعلامة وقته خسوف القمر أول ليلة من رمضان أو ثالثه أو السابع والعشرين وهي علامة لم تكن منذ خلق الله السموات والارض

(وماينال أهل بيته) أي ومايصيبهم من المحن كقضية الحسنين وبقية أئمة أهل البيت (وتقتيلهم وتشريدهم) أي تطريدهم كما أخبر به فيما رواه الحاكم من حديث أبي سعيد ان أهل بيتي سيلقون بعدي من أمتي قتلا وتشريدا وضعفه الذهبي (وقتل علي) كما رواه أحمد عن عمار بن ياسر والطبراني عن علي وصهيب وجابر بن سمرة (وان اشقاها) أي اشقى الطائفة أو الثلاثة حيث تيسر له ما قصده فان من العصمة ان لا تقتدر بخلاف من قصد قتل معاوية وابن العاص فكان أشقاهم بل أشقى الآخرين لما روي انه عليه الصلاة والسلام قال يا علي اتدري من اشقى الاولين قال الله ورسوله أعلم قال عاقر الناقة قال أتدري من أشقى الآخرين قال الله ورسوله أعلم قال قاتلك ولما جرح هذا الشقي عليا أدخل عليه فقال أطيبوا طعامه وألينوا فراشه فان أعش فانا ولي دمي عفوا وقصاصا وان مت فالحقوه بي أخاصمه عند رب العالمين فلما مات علي أخرج من السجن وقطع عبد الله بن جعفر يديه ورجليه وكحل عينيه بمسمار محمي وجعل يقرأ اقرأ باسم ربك الذي خلق الى آخر السورة وان عينيه لتسيلان ثم أمر به فقطع لسانه ثم جعلوه في قوصرة واحرقوه بالنار (الذي يخضب) بكسر الضاد أي يصبغ (هذه من هذه أي لحيته من رأسه) يعني بدمها قال الاسنوي في المهمات تبع النووي في تهذيبه ان الاشقى هو عبد الرحمن بن ملجم بميم مضمومة فلام ساكنة فجيم مفتوحة أو مكسورة (وانه) أي عليا (قسيم النار) أي والجنة كما قيل * (علي حبه * قسيم النار والجنة) * فهو من الاكتفاء ويشير اليه قوله (يدخل أولياءه الجنة

من طرق كثيرة الا انه قيل ان أسانيده لا تخلو من ضعف وفيه اختلاف كثير افرد بالتأليف فقيل انه عباسي وقيل انه علوي وانه يملك سبع سنين وكنيته أبو القاسم واسمه محمد بن عبد الله وفي زمنه ينبسط الامن والعدل وقيل المراد به عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام وذكره النبي صلى الله تعالى عليه وسلم باسمه وصفته كما فصلوه وأحواله مبسوطة في تذكرة القرطبي وهو ممن يملك الارض كلها وقد ملكها قبله مسلمان سليمان عليه الصلاة والسلام وذو القرنين وكافران نمرود وبخت نصر (وماينال أهل بيته وتقتيلهم وتشريدهم) يقال نال كذا اذا وصل اليه فيجوز ان يكون فاعله مستترا يعود لما وأهل منصوب ويجوز رفعه بتقدير أي ماينا له أهل بيته وما قيل انه لا يجوز رفعه لا وجه له أي مما أخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم من المغيبات كما في حديث رواه الحاكم ان أهل بيتي سيلقون بعدي من أمتي قتلا وتشريدا وضعفه الذهبي والتشريد الطرد والتفريق من شرد البعير اذا ند وشردت فلانا من البلاد وشردت به قال الله تعالى فشرد بهم من خلفهم (وقتل علي) بن أبي طالب كرم الله وجهه أي مما أخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم قتل علي كما رواه أحمد والطبراني في حديث فيه (وان أشقاها) أي أشقى الخلائق أو الدنيا أو الطائفة الخوارج أو اشقى هذه الامة (الذي يخضب هذه) أشار به الى لحيته (من هذه) اشارة لرأسه أي يضربه على رأسه ضربة يسيل بها دمه حتى يبل لحيته والخضاب صبغ معروف فشبه دمه بالخضاب لتغييره لونها كما يغير الخضاب ففيه استعارة وهو عبد الرحمن بن ملجم بضم الميم وسكون اللام وفتح الجيم على زنة اسم المفعول كما قاله النووي في تهذيبه وغيره (أي لحيته من رأسه) أي من دمها وهو تفسير لما قبله وقصة الخوارج والتحكيم وقتل علي مشهورة لا حاجة لنا بها وكذا قصة قتل أهل بيته واخباره بقتل سبطه بكربلا (وانه) يعني عليا كرم الله وجهه ورضي الله تعالى عنه (قسيم النار) ظاهر كلامه ان هذا مما أخبر به النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الا انهم قالوا لم يروه أحد من المحدثين الا ان ابن الاثير قال في النهاية الا ان عليا رضي الله تعالى عنه قال أنا قسيم النار يعني أراد ان الناس فريقان فريق معي فهم على هدى وفريق علي فهم على ضلال فنصف معي في الجنة ونصف علي في النار انتهى قلت ابن الاثير ثقة وما ذكره علي لا يقال من قبل الرأي فهو في حكم المرفوع اذ لا مجال فيه للاجتهاد ومعناه أنا ومن معي قسيم لاهل النار أي مقابل لهم لانه من أهل الجنة وقيل القسيم القاسم كالجليس والسمير وقيل أراد بهم الخوارج ومن قاتله كما في النهاية (يدخل أولياؤه الجنة) أي من والاه ونصره وكان من حزبه ويدخل بفتح المثناة التحتية وضم الخاء المعجمة ويجوز ضم أوله وكسر ثالثه فيرفع أولياؤه

وأعداءه النار) والمعنى ان الناس فريقان فريق معه وهم مهتدون وفريق عليه فهم ضالون اعداء له فيكون سببا لدخولهما الجنة والنار و يلائمه ما ضبط فى نسخة يدخل بصيغة المعلوم من باب الافعال لكن الحديث لا يعرف من رواه الا انه قد جاء ما يقوى معناه (فكان) أى على (فيمن) وفى نسخة ممن (عاداه الخوارج) وهم المحكمية خرجوا عليه عند التحكيم وكانوا اثنى عشر ألفا أصحاب صلاة وصيام قال فيهم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يحقر أحدكم صلاته فى جنب صلاتهم وصومه فى جنب صومهم لا تجاوز قراءتهم حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية على ماجاء فى طرق (والناصبة) بالموحدة الذين يتدينون ببغض على رضى الله تعالى عنه وقد نصبوا له الحرب وقد روى مسلم تكون أمتى فرقتين فيخرج من بينهما مارقة يلى قتلها أولاهم بالحق وهم الذين قتلهم على بالنهروان وكانوا أربعة آلاف ولم يقتل من المسلمين سوى تسعة (وطائفة ممن ينسب) بالياء والتاء وروى ينتسب (اليه) أى الى حب على كرم الله وجهه (من الروافض كفروه) لتركه فى زعمهم الكاذب الخلافة لغيره وهى حقه فكأنه رضى بالباطل وسكت عن الحق مع قدرته عليه (وقال) أى النبى عليه الصلاة والسلام (يقتل عثمان وهو يقرأ فى المصحف) بضم الميم ويكسر ويفتح ورواه الترمذى عن ابن عمر ولفظه ذكر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فتنة فقال يقتل هذا مظلوما لعثمان وحسنه (وان الله) بفتح الهمزة وكسرها (عسى ان يلبسه) قوله
بضم أوله (قميصا) أى خلعة الخلافة والتلبس بها (وانهم) أى أهل الفتنة (يريدون خلعه) أى عزله عنها فامتنع من انخلاعها لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم كما رواه الترمذى وحسنه عن عائشة رضى الله تعالى عنها ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال يا عثمان انه لعل الله ان يقمصك قميصا فان أرادوك على خلعه فلا تخلعه لهم فقتلوه ظلما وعدوانا فاهدر الله بدمه سبعين ألفا قتلوا بصفين وغيرها (وانه) أى الشان (سيقطر دمه) بضم الطاء وفى نسخة بصيغة المجهول أي ستقع قطرات دمه (على قوله تعالى

أو ينصب أو تدخل بفوقية وذلك باذن من الله تعالى تكريما له على الثانى لان كبار الامة لهم شفاعة ثمة كما ورد فى الحديث (و) يدخل (اعداؤه النار) لبغضهم له وعدم اتباعهم الحق وفى الغيلانيات انه ينادى يوم القيامة أين أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فيؤتى بالخلفاء رضى الله تعالى عنهم فيقول الله لهم ادخلوا من شئتم الجنة ودعوا من شئتم أوما هو بمعناه (فكان ممن عاداه) أى أظهر العداوة له (الخوارج) وهم الذين خرجوا عليه عند التحكيم فكانوا اثنى عشر ألفا أصحاب صلاة وصيام وقد أخبر عنهم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وذكرهم بصفاتهم وكان لعلى رضى الله تعالى عنه معهم وقائع مدونة فى التواريخ وهم من الفرقة الضالة ولهم اعتقادات فاسدة واعمال كاسدة والواحد منهم خارج وخارجى (والناصبة) أى الفرقة أو الطائفة الناصبة ويقال لهم النواصب وهم قوم تدينوا ببغض على كرم الله وجهه ورضى الله عنه قال ابن السيد من نصبت الشرك والحبالة فاستعير ذلك لكل من يكيد ويوقع المكروه واشتق منه هذا الاسم انتهى وفى الكشاف النصب بغض على وعداوته وهو بالصاد المهملة وهم من الخوارج أيضا (وطائفة ممن ينسب) بالياء التحتية و بالمثناة الفوقية وروى ينتسب افتعال من النسبة (اليه) أى الى على لانهم كانوا يعتقدون انه الخليفة بحق وان الامامة حقه وتلك الطائفة (من الروافض) من الرفض وهو الترك سموا بذلك لتركهم السنة والجماعة (كفروه) أى نسبوه الى الكفر لتركه الخلافة وهى حقه وهو زعم فاسد وحماقة وهم المنكرون التحكيم وقولهم لا حكم الا الله وهى كلمة حق أريد بها باطل وقد كفروا غيره من الصحابة أيضا وفى قوله السابق ممن عاداه اشارة الى ان من عاداه ليس منحصرا فيمن ذكر فان كثيرا من بنى أمية والعباسيين أظهروا عداوته وسبه (وقال) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كما رواه الشيخان (يقتل عثمان بن عفان وهو يقرؤ) القرآن (فى) داره فى (المصحف) وروى الترمذى عن ابن عمر رضى الله تعالى عنه انه صلى الله تعالى عليه وسلم ذكر فتنة فقال يقتل فيها هذا مظلوما يعنى عثمان رضى الله تعالى عنه وحسنه وهو من جملة ما أخبر به من المغيبات فكان كما قال والمصحف بضم الميم وكسرها محل الصحف لجمعه ما كان فيها كما يأتى (وان الله عسى ان يلبسه قميصا) أتى بعسى هنا تأدبا لعدم جزمه واستعارها للاستقبال اللازم للترجى أى سيلبسه واستعار القميص للخلافة استعارة مرشحة بقوله (وانهم يريدون خلعه) وظاهره ان الضمير للقميص ويجوز عوده لعثمان وخلعه بمعنى عزله فانهم اجتمعوا لخلعه فلم يرض لانه صلى الله تعالى عليه وسلم نهاه عنه بقوله فلا تخلعه فقتلوه فاهدر الله تعالى بدمه سبعين ألفا قتلوا بصفين وغيرها كما رواه الترمذى عن عائشة رضى الله تعالى عنها وهو حديث حسن وعن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما انه أى عثمان أصبح يحدث الناس فقال رأيت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال يا عثمان افطر عندنا فاصبح صائما وقتل فى يومه (وانه سيقطر دمه على

قوله فسيكفيكهم الله) وهو السميع العليم أى باخذ ثارك ممن يقتلك وهذا رواه الطبرى فى كتابه الرياض النضرة و رواه الحاكم عن ابن عباس وقال الذهبى انه موضوع وتبعه السيوطى والظاهر منه ان دمه وقع على هذه الآية وقيل المراد انه اريق دمه وهو يقرؤها وهو بعيد وفيه اخبار بمغيبات منها وقوع هذه الفتنة وان عثمان سيقتل شهيدا وان القرآن سيجمع فى مصحف فانه لم يكن فى زمنه صلى الله تعالى عليه وسلم مصحف واختلفوا فيمن قتله فقيل رومان ابن سرحان وقيل الاسود التجيبى وهذه أول فتنة ومصيبة وقعت فى الاسلام

ومن لم يقاس الدهر لم يعرف الاسى * وفى غير الايام ماوعد الدهر

(و) مما أخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم (ان الفتن لا تظهر مادام عمر حيا) روى البيهقى هذا الحديث عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما والشيخان عن حذيفة ولقى يوما عمر رضى الله تعالى عنه أباذر فاخذ بيده وعصرها فقال دع يدى يا قفل الفتنة فقال له ماهذا يا أباذر قال جئت يوما ونحن عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فكرهت ان تتخطى الناس فجلست فى ادبارهم فقال لا تصيبكم فتنة مادام هذا فيكم وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه يوما أيكم يحفظ ماقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الفتنة التى تموج كموج البحر فقال حذيفة ليس عليك منها يا أمير المؤمنين ان بينك و بينها بابا مغلقا قال أيفتح أم يكسر قال يكسر قال اذن لا يغلق أبدا فقيل له أ كان عمر يعلمه قال نعم كما ان دون الغد الليلة * أقول فى هذا سر من كنايات البلاغة عجيب فان قوله فيه تموج اشارة الى انها ليست فتنة المال والاولاد وقوله يكسر يشير الى انه يقتل فيتجرأ الناس على الخلفاء والباب اذا انكسر لا يقفل وقوله دون الغد الليلة كناية عن انه كان يقينا عنده وانما سأل ايعلم هل علمه غيره أم لا وخطب خالد بن الوليد يوما فقال ان أمير المؤمنين قد بعثنى الى الشام وهو بهم فالقى بوانيه بثنية وعسلا أراد ان يؤثر به غيرى فقال له رجل اصبر أيها الامير فان الفتن قد ظهرت فقال اما وابن الخطاب حى فلا انما ذاك بعده اذا كان الناس بذى بلى أو بذى بليان فينظر الرجل هل يجد مكانا لم ينزل به ما نزل بمكانه من الشر فلا يجده نعوذ بالله ان تدركنى واياكم أولئك الايام وبوانيه جمع بانية أى خيره وسعته والبثنية حنطة منسوبة لبثنية ناحية بدمشق وقيل هى الزبدة أى كأنها عسل وزبد لما يجىء من أموالها وذى بلى وذى بليان يريد به طوائف بلا امام وكل من بعد حتى لا يدرى موضعه فهو بذى بلى من بلى فى الارض اذا ذهب أراد ان أمور الناس تضيع بعد عمر رضى الله تعالى عنه (و) أخبر صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه البيهقى من طرق وهو مما أخبر به من المغيبات (بمحاربة الزبير لعلى وهو ظالم له) وكان صلى الله تعالى عليه وسلم رآهما يوما وكل منهما يضحك فقال لعلى أتحبه فقال كيف لا أحبه وهو ابن عمتى صفية وعلى دينى فقال للزبير أتحبه فقال كيف لا أحبه وهو ابن خالتى وعلى دينى فقال اما انك ستقاتله وأنت له ظالم فلما كان يوم الجمل قاتله فبرز له على رضى الله تعالى عنه وقال ناشدتك الله أسمعت من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قوله انك ستقاتلنى وأنت لى ظالم قال نعم ولكن أنسيته وانصرف عنه فلما كان بوادى السباع خرج عليه ابن جرموز وهو نائم فقتله وأتى برأسه كما فصله المؤرخون (و) مما أخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم من المغيبات (نباح كلاب الحوأب على بعض أزواجه) يعنى عائشة رضى الله تعالى عنها وهو بحاء مهملة وواو ساكنة وهمزة مفتوحة وموحدة اسم ماء أو موضع وقرية فيه الماء فى طريق الذاهب من المدينة الى البصرة قال ابن عبد ربه فى العقد وبعضهم يقول فيه الحوأب بضم الحاء وتشديد الواو والمشهور الاول قال الشاعر من الخوارج

فسيكفيكهم الله) كما رواه الحاكم عن ابن عباس قال الذهبى انه موضوع لكن نقل المحب الطبرى فى الرياض ان أكثرهم يروى ان قطرة من دمه أو قطرات سقطت على قوله تعالى فسيكفيكهم الله فى المصحف ونقل عن حذيفة قال أول الفتن قتل عثمان وآخرها خروج الدجال والذى نفسى بيده لا يموت أحد وفى قلبه مثقال حبة من حب قتلة عثمان الا تبع الدجال ان أدركه وان لم يدركه آمن به فى قبره أخرجه السقلى الحافظ (وان الفتن لا تظهر مادام عمر حيا) كما رواه البيهقى فهو سد باب الفتنة كما أخبر به حذيفة (ومحاربة الزبير لعلى) كما رواه البيهقى فى دلائل النبوة من طرق انه صلى الله تعالى عليه وسلم أخبر بمحاربة الزبير لعلى وهو ظالم له وذكره به على يوم الجمل فقال بلى والله لقد نسيته منذ سمعته منه صلى الله تعالى عليه وسلم ثم ذكرته الآن والله لا أقاتلك فرجع يشق الصفوف راكبا فعرض له ابنه عبد الله فقال ذكرنى على حديثا سمعته من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول لتقاتلنه وأنت ظالم له فقال له ابنه انما جئت لتصلح بين الناس لا لمقاتلة فقال قد حلفت ان لا أقاتله قال اعتق غلامك وقف حتى تصلح بينهم ففعل فلما اختلف الامر ذهب (و بنباح كلاب الحوأب على بعض أزواجه) أى وأخبر صلى الله تعالى عليه وسلم بنباحها وهو بضم نون وتكسر فموحدة أى صياحها والحوأب بمهملة ثم همزة مفتوحتين موضع بين البصرة ومكة نزلته عائشة لما توجهت للصلح بين على ومعاوية

فلم تقدر اتفاقا فكانت وقعة الجمل (وانه يقتل حولها) أي حول بعض الازواج وهي عائشة رضي الله تعالى عنها (قتلى كثير) أي جمع كثير من المقتولين قيل قتل يومئذ نحو من ثلاثين ألفا وفي نسخة كثيرة نظرا الى الجماعة (وتنجو بعدما كادت) أي الى الهلاك كما رواه البزار بسند صحيح عن ابن عباس (فنبحت) ١٦٦ بفتح الباء وكسرها أي كلاب ذلك الموضع (على عائشة عند خروجها) أي توجهها من مكة (الى البصرة) كما رواه أحمد وكذا البيهقي بلفظ لما أتت الحوأب سمعت نباح الكلاب فقالت ما أظنني الا راجعة اني سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال لنا أيتكن تنبح عليها كلاب الحوأب ترجع لعل الله ان يصلح بك بين الناس (وان عمارا) وهو ابن ياسر (تقتله الفئة الباغية) رواه الشيخان ولفظ مسلم قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لعمار تقتلك الفئة الباغية وزاد وقاتله في النار (فقتله) أي عمارا (أصحاب معاوية) أي بصفين ودفنه علي رضي الله تعالى عنه في ثيابه وقد نيف على سبعين سنة فكانوا هم البغاة على علي بدلالة هذا الحديث ونحوه وقد ورد اذا اختلف الناس كان ابن سمية مع الحق وقد كان مع علي رضي الله تعالى عنهما وأما تأويل معاوية أو ابن العاص بان الباغي علي وهو قتله حيث حمله على ما أدى الى قتله فجوابه ما نقل عن علي كرم الله وجهه انه يلزم منه ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قاتل حمزة (لعبد

عمه والحاصل انه لا يعدل عن حقيقة العبارة الى مجاز الاشارة الا بدليل ظاهر من عقل أو نقل يصرفه عن ظاهره نعم غاية العذر عنهم انهم اجتهدوا وأخطؤوا وأن المراد بالباغية الخارجة المتجاوزة لا الطالبة كما ظنه بعض الطائفة (وقال) أي النبي عليه الصلاة والسلام

وأنا البرىء من الزبير وطلحة * ومن التي نبحت كلاب الحوأب

وفي معجم البلدان أصل معناه الوادي الواسع وانما كان المراد عائشة رضي الله تعالى عنها لانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يوما جالسا وعنده نساؤه يتحدثن معه فقال أيتكن تنبحها كلاب الحوأب سائرة الى الشرق في كتيبة فكانت عائشة في وقعة الجمل ولما مرت بذلك المكان نبحتها كلابه فسألت عن اسم ذلك المكان فقيل لها الحوأب فهمت بالرجوع فحلفوا لها انه ليس بالحوأب والحوأب أيضا اسم مخلاف بالطائف قتلت فيه سلمى المراد به عتيقة عائشة وقيل أيضا انها المرادة بالحديث أيضا لانها كانت مع نسائه صلى الله تعالى عليه وسلم لما حدثهن به كما في المعجم والصحيح خلافه لما يأتي في بقية الحديث والنباح بضم النون وكسرها صوت الكلاب والتيس وقيل انه أي الحوأب سمي باسم حوأب بنت كلب لنزولها به كما قاله ابن ماكولا واختلف في وزنه فقيل فوعل وقيل فعال وفيه الاخبار بالمغيبات وهو حديث صحيح رواه البزار عن ابن عباس وهو من تتمة حديث الزبير رضي الله تعالى عنه لان عائشة ذهبت معه لتصلح بينه وبين علي فاتفق ما اتفق في وقعة الجمل (و) أخبر صلى الله تعالى عليه وسلم في هذا الحديث (انه يقتل حولها) ممن كان معها (قتلى كثيرة) قيل كانوا نحو ثلاثين ألفا (وتنجو) أي تسلم هي (بعدما كادت) أي قاربت عدم النجاة (فنبحت) كلاب الحوأب (على عائشة عند خروجها الى البصرة) وهذا الحديث صحيح كما مر روي من طرق عديدة فعن ابن عباس انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لنسائه ليت شعري أيتكن صاحبة الجمل الازب تنبحها كلاب الحوأب والازب كثير شعر الوجه وفك ادغامه وعدمه لمشاكلة الحوأب فكان ما أخبر به لانه لما قتل عثمان رضي الله عنه وكانت هي وامهات المؤمنين حاجات في ذلك العام فبايع الناس عليا وانحاز اليه قتلة عثمان من غير رضى منه لكنه خشي الفتنة لكثرتهم وتغلبهم واشتد غيظ الناس فخطبتهم عائشة رضي الله تعالى عنها وحثتهم على الطلب بدمه ودفع الخوارج عن البلد الحرام فاجابها الناس وقالوا لها حيثما سرت فنحن معك فسارت في هودجها على جمل يقال له عسكر وودعتها أمهات المؤمنين يبكين فسمي ذلك العام عام النحيب فلما وصلت الى الحوأب وأناخوا جملها نبحتها الكلاب فقالت ردوني وأخبرت بما قاله رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال لها الزبير يا أم المؤمنين أصلحي بين الناس فسارت لذلك وكان ما كان (و) مما أخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم من المغيبات (ان عمارا) بن ياسر الصحابي المشهور (تقتله الفئة الباغية) من البغي وهو الخروج بغير حق على الامام ولفظ مسلم قال النبي صلى الله عليه وسلم لعمار تقتلك الفئة الباغية وروي وقاتله في النار (فقتله أصحاب معاوية) وكان هو مع علي بصفين وهو صريح في ان الخليفة بحق هو علي رضي الله عنه وان معاوية مخطئ في اجتهاده كما في حديث اذا اختلف الناس كان ابن سمية مع الحق وابن سمية هو عمار رضي الله عنه كان مع علي وهذا هو الذي ندين الله به وهو ان عليا كرم الله وجهه على الحق ومجتهد مصيب في عدم تسليم قتلة عثمان ومعاوية رضي الله عنه مجتهد مخطئ فدع القيل والقال فماذا بعد الحق الا الضلال وقد تأول معاوية حديث عمار لما لم يجد محالا لانكاره فقال انما قتله من أخرجه ولذا قال علي كرم الله وجهه لما بلغه قوله فرسول الله صلى الله عليه وسلم قتل حمزة رضي الله عنه لما أخرجه لاحد كما نقله ابن دحية رحمه الله تعالى وقتل عمار بصفين وهو ابن سبعين سنة قتله ابن العمادية واحتز رأسه ابن جزء ودفنه علي رضي الله تعالى عنه (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث تقدم

(لعبدالله بن الزبير ويل للناس منك) أي مشقة وهلاك في الآخرة بقتلهم ظلما

(لعبدالله بن الزبير) لما شرب دما من فضلاته صلى الله عليه وسلم (ويل للناس منك وويل لك من الناس) وويل هنا للتحسر والتأسف وتكون للدعاء بالهلاك وكان صلى الله عليه وسلم احتجم وأعطاه دمه وقال له ارقه في محل لا يرى فلما رجع قال له صلى الله عليه وسلم لعلك شربته فقال نعم فقال له ذلك واستدل به على طهارة فضلاته صلى الله تعالى عليه وسلم كما مر وكان الناس يرون ان ما عنده من القوة والجرأة مكتسبة من ذلك الدم والمراد من الناس الجنس وويله من الناس لان من كان على الحق جريا على المقاتلة عليه تكثر أعداؤه وحساده وينال من الناس أذى ووقع له ذلك رضي الله تعالى عنه حتى قتل هو وابنه ظلما وعدوانا كما أخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم فلم يرق ذلك الدم حتى أراق دمه (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم في أخباره عن المغيبات في حديث صحيح رواه الشيخان (في) حق (قزمان) بقاف مضمومة وزاي معجمة ساكنة وميم وهو مولى لبعض الانصار وكان شجاعا لكنه منافق وكان قاتل قتالا شديدا أعجب الصحابة رضي الله تعالى عنهم كما أشار اليه بقوله (وقد أبلى مع المسلمين) وأبلى بفتح الهمزة وموحدة ساكنة ولام وألف مقصورة فعل ماض من أبلى بمعنى اختبر ويقال أبلى بلاء حسنا في الحرب اذا صبر في قتاله وأجاد والجملة حالية أي أبان شجاعته واقدامه الا ان ذلك لم يكن خالصا لله وقد أطلع الله رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم على حاله (فقال فيه انه من أهل النار) فعجب الناس من ذلك فاظهره الله لهم (فقتل نفسه) لما كسرت الجراحة فيه وأثخنته واختلفت الرواية في أي موطن قال صلى الله تعالى عليه وسلم هذا الحديث بعد الاتفاق على صحته لرواية الشيخين له عن أبي هريرة فقيل انه كان ذلك بأحد وقيل بحنين وقيل بخيبر وان حنين الواقع في صحيح مسلم محرف من خيبر لقرب رسمها بها خطأ وقيل ان القصة تعددت فانه صلى الله تعالى عليه وسلم في بعض غزواته رأى رجلا فقال انه من أهل النار فلما قاتلوا قاتل معهم أشد القتال حتى أثخن بجراحات كثيرة فقال صلى الله تعالى عليه وسلم انه من أهل النار فكاد بعض الناس يرتاب فلما اشتد عليه ألم جراحاته قتل نفسه فقيل انه جعل سيفه بين ثدييه وتحامل عليه حتى مات وقيل أخرج من كنانته سهما فنحر به نفسه وقيل قطع عروق يده فأخبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك تصديقا لمقالته فقال ان الله لينصر الدين بالرجل الفاجر وأمر مناديا ينادي في الناس انه لا يدخل الجنة الا مؤمن أي مؤمن كامل أو قد علم منه انه منافق أو انه ارتد قبيل موته والمنادي قيل انه عمر رضي الله تعالى عنه وقيل بلال وقيل عبد الرحمن بن عوف وجمع بين الروايات بتعدد القصة أو بانه وقع كل ذلك من تحامله وغيره وتعدد من نادى وفيه اشارة الى انه لا ينبغي النظر لظاهر العمل والاتكال عليه (و) روى الطبراني والبيهقي من طرق بعضها متصل وبعضها مرسل وبعضها منقطع أنه صلى الله تعالى عليه وسلم (قال في) حق (جماعة) من الصحابة كانوا عنده (فيهم أبو هريرة وحذيفة وسمرة بن جندب آخركم موتا في النار) آخركم مبتدأ خبره محذوف تقديره يموت موتا في النار فموتا مفعول مطلق والجار والمجرور متعلق بالخبر أو بالمصدر أو آخركم فاعل يموت وأما كونه مبتدأ وموتا تمييز والظرف خبره وان احتمل فليس بمراد ولذا قيل ان فيه ايهاما وتورية لان المراد انه يحترق في الدنيا حريقا يموت به لا انه يدخل نار جهنم لان ابن عساكر روى عن ابن سيرين ان سمرة أصابه كزاز وهو مرض يصيب صاحبه برد لا يدفئوا منه فكان يملؤ له قدر عظيم ماء يسخن ويجلس عليه ليدفأ من بخاره فسقط فيه فاحترق وقيل انه مات في حريق قيل ويحتمل انه على ظاهره بان يدخل النار في الآخرة ثم يخرج لامر صدر منه والذي صححه السيوطي وغيره الاول واليه يشير المصنف بقوله (فكان بعضهم) ان بعض من قيل في حقه ذلك مما تقدم (يسأل عن البعض) من رفقائه الذين قال صلى الله

(وويل لك من الناس) أي في الدنيا فلقد حاصره الحجاج بمكة ورمى البيت بالمنجنيق فهدم ركنه الشامي (وقال) أي النبي عليه الصلاة والسلام على ما رواه الشيخان (في قزمان) أي في حقه وهو بضم القاف وسكون الزاي ذكره الحلبي رجل من المنافقين قاتل قتالا شديدا (وقد أبلى مع المسلمين) بفتح الهمزة واللام جملة حالية أبانت شجاعته ومحاربته لغير الله بدليل قوله عليه الصلاة والسلام (انه من أهل النار) فقتل نفسه أي في خيبر كما ذكره البخاري وصوبه المصنف وأقره النووي ومسلم في حنين والخطيب تبعا لاصحاب السير في أحد وأقره النووي ولعل الاشخاص متعددة فكل ذكره في قضيته (وقال) أي النبي عليه الصلاة والسلام (في جماعة فيهم) أي في حق جماعة من جملتهم (أبو هريرة وسمرة بن جندب وحذيفة آخركم موتا في النار) أي يكون موته في نار الدنيا لا انه يدخل في نار العقبى كما توهم الدلجي على ما سيأتي فعامله موتا وهو ايهام أو تورية وابهام (فكان بعضهم) أي تلك الجماعة (يسأل عن بعض) أي عن حياته ومماته كما رواه البيهقي عن ابن حكيم الضبي اذا لقيت أبا هريرة سألني عن سمرة فاذا أخبرته بحياته وصحته فرح وقال كنا

عشرة في بيت فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم آخركم موتا في النار فمات منا ثمانية ولم يبق غيري وغيره وفي رواية للبيهقي عنه وكان اذا أراد أحد ان يغيظ أباهريرة قال مات سمرة فيصعق و يغشى عليه ثم مات أبو هريرة رضي الله تعالى عنه قبل سمرة (فكان سمرة آخرهم موتا هرم وخرف) بكسر الراء فيهما أي أصابه خلل في بدنه وخبل في عقله (فاصطلى بالنار) أي استدفأبها (فاحترق فيها) وفي تاريخ ابن عساكر عن ابن سيرين ان سمرة أصابه كزاز هو داء من البرودة أو برد شديد لا يكاد يدفأ منه فأمر بقدر عظيمة فملئت ماء وأوقد تحتها واتخذ فوقها مجلسا فكان يصل اليه بخارها فيدفأ فلم يلبث ان سقط به فاحترق و يوافقه مارواه البيهقي عن بعض أهل العلم انه مات في الحريق تصديقا لقول رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقد أغرب الدلجي حيث استدل به بانه يدخل النار في الآخرة ثم يخرج منها ثم قال و يحتمل انه يورد النار بقتل زياد وابن زياد بحضرته خلقا كثيرا ثم ينجي منها بايمانه بشهادة حديث البيهقي عن ابن سيرين كان سمرة عظيم الامانة صدوق الحديث يحب الاسلام وأهله قال عبد الله ابن صبيح لابن سيرين بهذا و بصحبته رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم نرجو له بعد تحقيق قول رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيه الخير انتهى ولا يخفى ان هذا الحديث ما يقتضي دخوله في النار ثم نجاته منها بل الظاهر نجاته منها ابتداء وان احتراقه في الدنيا يكون سبب خلاصه عنها في العقبى على تقدير وقوع ذنب يستحقها والا فهو موجب زيادة درجة عالية في الجنة وغرفها ثم حضوره مجلس زياد وابن زياد حين قتلهما خلقا كثيرا لا يدل على استحقاق عذاب ولا استيجاب عتاب اذلم يعرف انه كان راضيا بفعلهما و بما كان مكرها في حضوره عندهما هذا وللبيهقي انه استجمر فغفل عنه أهله حتى أخذته النار ولا يخفى امكان الجمع بين هذا وما تقدم والله تعالى أعلم وأما حديث البيهقي عن أوس ابن خالد كنت اذا قدمت على أبي محذورة سألني عن سمرة واذا قدمت على سمرة سألني عن أبي محذورة فسألت أبا محذورة عن سؤالهما اياي فقال كنت أنا وسمرة وأبو هريرة في بيت النبي عليه الصلاة والسلام فجاء النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال آخركم موتا في النار فمات أبو هريرة رضي الله تعالى عنه ثم أبو محذورة ثم سمرة فلا يخلو من الاشكال لما سبق من معارضته في المقال والله تعالى أعلم بالحال (وقال) أي النبي عليه الصلاة والسلام كما رواه ابن اسحق عن عاصم بن عمر بن قتادة أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال (في حنظلة) أي ابن أبي عامر الانصاري (الغسيل) أي مغسول الملائكة (سلوا زوجته عنه) أي عن حاله قبل موته (فاني رأيت الملائكة تغسله) أي بعد قتله شهيدا بأحد مع ان الشهيد لا يغسل (فسألوها فقالت انه خرج جنبا) حين غسلت أحد شقي رأسه وسمع الهيعة وكان قد ابتنى بها تلك الليلة (وأعجله الحال عن الغسل) أي عن تمامه لمبادرته الى القتال ومسارعته للامتثال

تعالى عليه وسلم فيهم مامر قال ابن حكيم الضبي كنت اذا لقيت أبا هريرة سألني عن سمرة فاذا أخبرته بصحته فرح فسألته عن ذلك وقال كنا عشرة في بيت فقال صلى الله تعالى عليه وسلم آخركم موتا في النار فمات منا ثمانية ولم يبق غيري وغيره وكان اذا قيل له مات سمرة يغشى عليه حتى مات قبله (فكان سمرة آخرهم موتا هرم) بزنة علم أي كبر سنه وضعف بدنه وأصابه هزال الشيخوخة (وخرف) بخاء معجمة مفتوحة وراء مهملة مكسورة أي فسد عقله وتغير من الكبر (فاصطلى) أصله اصتلى فابدلت التاء طاء لمجاورة الصاد أي تدفى (بالنار) أي بنار أوقدت له (فاحترق فيها) لغفلة أهله عنه وضعفه عن الحركة فعلم صحة ما أخبر به الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم قبل وقوعه ولم يكشف لهم الغطاء عن مراده ليجدوا في أعمالهم و يدوموا على الخوف والمراقبة أولانه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يؤذن له في ذلك وهو من الحكم الخفية قيل ان ما ذكر لم ير منقولا عن غير المصنف ولم يذكر أحد ان سمرة حرق بل لم ينقل ان أحدا من الصحابة حرق الا بشر بن ارطاة أو ابن أبي ارطاة على القول بانه صحابي وقد نعى بشرا سفينة مولاه صلى الله تعالى عليه وسلم كما قاله البرهان (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث رواه ابن اسحق عن عاصم بن عمر بن قتادة انه قال (في حنظلة) ابن أبي عامر الانصاري الصحابي المشهور (الغسيل) فعيل بمعنى مفعول من الغسل سمى بذلك لان الملائكة غسلته لما استشهد باحد وكان جنبا فقتله أبو سفيان بن حرب وقيل قتله شداد بن أوس الليثي وهو حنظلة ابن أبي عامر الراهب الذي لقبه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالفاسق فرأى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الملائكة تغسله مع انه شهيد فقال (سلوا زوجة) يعني امرأته و زوجته فانه يقال للمرأة زوج كالرجل في الفصيح وقد يقال زوجة للفرق (عنه) أي عن حاله فانه صلى الله تعالى عليه وسلم علم ان تغسيله لجنابته وهي لا يطلع عليها غيرها كما أشار اليه بقوله (فاني رأيت الملائكة تغسله) والشهيد لا يغسل وكان ذلك باحد (فسالوها فقالت) انه (خرج) من بيته لاحد (جنبا) من جماع امرأته (أعجله الحال) أي محبة الجهاد واللحوق برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (عن الغسل) بضم فسكون أي عن ان يغتسل من جنابته

(قال أبو سعيد) أي الخدري (ووجدنا رأسه يقطر ماء وقال) أي النبي عليه الصلاة والسلام (الخلافة في قريش) رواه أحمد والترمذي ولعل المراد به ان الخلافة على استحقاقها في طائفة من قريش وهم الخلفاء الاربعة فيكون اخبارا عن الغيب المطابق للواقع بعده وأما اذا أريد به الحكم بان الخلافة منحصرة فيهم وان شرط صحة الخلافة ان يكون الخليفة واحدا منهم كما ذكره الدلجي فلا يلائم سياقه في هذا الباب كما لا يخفى على أولي الالباب ويؤيده ما قدمناه قوله صلى الله تعالى عليه وسلم كما رواه البخاري عن معاوية (ولن يزال هذا الامر) أي أمر الخلافة (في قريش ما أقاموا الدين) يعني فاذا لم يقيموا أمر الدين على ما ينبغي انتقل الامر عنهم الى غيرهم فكان كما أخبرهم زاد البخاري في رواية ولا يعاديهم أحد الا كبه الله على وجهه أي في الدنيا وفي العقبى قال النووي انعقد الاجماع في زمن الصحابة ومن بعدهم على ان الخلافة مختصة بقريش لا تجوز لغيرهم ولا عبرة بمن خالف فيه من أهل البدعة (وقال) أي النبي عليه الصلاة والسلام (يكون) أي سيوجد (في ثقيف) بفتح فكسر هو أبو قبيلة

من هوازن (كذاب ومبير) بضم فكسر أي مهلك من أبار أهلك مأخوذ من البوار وهو الهلاك ومنه قوله تعالى وكنتم قوما بورا أي هلكى (فرأوهما الحجاج والمختار) أي فرأى السلف ان أحدهما الحجاج وهو بفتح الحاء كليب بن يوسف والآخر المختار ابن أبي عبيد وان الثاني هو الكذاب والاول هو المبير فهما لف ونشر مشوش ففي حديث أسماء بنت أبي بكر من طريق مسلم وغيره انها قالت مشافهة للحجاج حدثنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان في ثقيف كذابا ومبيرا فأما الكذاب فقد رأيناه وأما المبير فلا

أخالك الا اياه وقال الترمذي في جامعه ويقال الكذاب المختار والمبير الحجاج ثم ذكر بسنده الى هشام بن حسان قال احصوا ما قتل الحجاج صبرا فبلغ مائة وعشرين ألفا انتهى وأما المختار فهو الكذاب حيث زعم ان جبريل أتاه بوحي الكذاب فقد رواه البيهقي عن رفاعة بن شداد قال دخلت على المختار يوما فقال دخلت وقد قام جبريل من هذا الكرسي فاهويت الى السيف فذكرت حديثا حدثنيه عمرو بن الحمق الخزاعي ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال اذا أمن الرجل رجلا على دمه ثم قتله رفع له لواء الغدر يوم القيامة فكففت عنه قال النووي في شرح مسلم واتفق العلماء على ان المراد بالكذاب المختار ابن أبي عبيد وبالمبير الحجاج بن يوسف انتهى وكان المختار واليا على الكوفة ولقبه كيسان واليه ينسب الكيسانية كان خارجيا ثم صار زبيريا ثم صار شيعيا وكان يدعو الى محمد بن الحنفية ومحمد يتبرأ منه وكان أرسل ابن الاشتر بعسكر الى ابن زياد لقتال الحسين فقتله وقتل كل من كان في قتل الحسين ممن قدر عليه وكان غرضه في ذلك صرف وجوه الناس اليه والتوسل به الى تحصيل الامارة لديه فكان يظهر الخير ويضمر الشر ولما ولي مصعب بن الزبير البصرة من جهة عبد الله بن الزبير قاتل المختار وقتله

جنابته لخوفه ان يبطئ عن حضوره معه صلى الله تعالى عليه وسلم فيه فوته ذلك الوقت وفي رواية قالت كان جنبا فغسلت احدى شقي رأسه فلما سمع صوتا خرج فقتل وكان ابتنى بزوجته في تلك الليلة وهي جميلة بنت أبي بن سلول المنافق (قال أبو سعيد) بن مالك بن سنان الخدري وقد تقدم ذكره مرارا (ووجدنا رأسه) أي رأس حنظلة لما قتل (يقطر ماء) من أثر تغسيل الملائكة له وهذا من ظهور ما في عالم الغيب وهذا ما وقع في بعض النسخ ملحقا بالام والشهيد في المعركة لا يغسل لكنه لو كان جنبا هل يلزم تغسيله أم لا اختلاف فيه فقيل يجب لانه بسبب آخر وهو ظاهر الحديث والكلام عليه مفصل في كتب الفقه (وقال) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث رواه أحمد والترمذي وهو مما نحن فيه اذ فيه مع الحكم اخبار ببعض المغيبات (الخلافة في قريش) ولو كان هذا لمجرد الحكم لم يكن مما نحن فيه لانه صلى الله تعالى عليه وسلم حكم باستحقاقهم لها وقع أو لم يقع وقد وقع كما أخبر مدة طويلة الى انقضاء دولة بني العباس (و) في حديث آخر رواه البخاري (لن يزال هذا الامر) يعني الخلافة (في قريش ما أقاموا الدين) بيان لغايته أي ما حموا شوكة الاسلام وأقاموا شعائر الدين الظاهرة فاذا غيروا غيرهم الله تعالى ونزع الملك منهم وقد وقع كما قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وفيه روايات متغايرة تحتاج لكلام طويل طويناه خوف السآمة والملل وفي رواية حتى يمضي فيهم اثنى عشر خليفة وما ظرفية مصدرية أي مدة امامتهم والاجماع منعقد على ان الخلافة مختصة بقريش (وقال) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث رواه مسلم والبيهقي (يكون) أي يوجد بعده صلى الله تعالى عليه وسلم (في ثقيف) قبيلة معروفة (كذاب ومبير) أي مهلك يكثر القتل بغير حق من البوار فهو الهلاك قال تعالى وكنتم قوما بورا أي هالكين (فرأوهما) من الرأي أي رأى العلماء ان المراد في الحديث بهما (الحجاج) بن يوسف الثقفي وهذا مما أخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم من المغيبات ففي حديث أسماء رضي الله تعالى عنها من طريق مسلم انها قالت للحجاج ان في ثقيف كذابا ومبيرا أما الكذاب فقد رأيناه وأما المبير فلا أخالك الا اياه وقال النووي رحمه الله أجمع العلماء على ان المبير هو الحجاج وقال هشام بن حسان انه قتل مائة وعشرين ألفا (و) الكذاب هو (المختار) بن أبي عبيد الثقفي بن مسعود بن عمرو بن عمير ففي

عبارته لف ونشر مشوش وأبوه أسلم في حياة النبي عليه السلام ولم يره فلم يعد من الصحابة والمختار هذا كان يزعم ان جبريل عليه الصلاة والسلام يأتيه وكان يظهر مدح ابن الزبير ومحمد ابن الحنفية واستحوذ على الكوفة وأظهر التشيع واجتمع عليه ناس كثيرون وطلب الاخذ بثار الحسين فقتل كثيرا من قتلته وعظم أمره وكان يتكهن ويزعم انه يوحى اليه وله كرسي يضاهي به تابوت بني اسرائيل فهو ضال مضل واستمر على ذلك مدة حتى قتله مصعب بن الزبير وأمر الحجاج أشهر من ان يذكر (وان مسيلمة يعقره الله تعالى) أي مما أخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم من المغيبات ما ورد في الحديث الصحيح الذي رواه الشيخان عن ابن عباس رضي الله عنهما من ظهور مسيلمة الكذاب وان الله يقتله ومسيلمة بصيغة التصغير فلامه مكسورة والعامة تفتحها وهو خطأ قبيح كما وهو رجل من بني حنيفة كنيته أبو ثمامة ادعى النبوة وزعم انه يأتيه الوحي بقرآن فكان له هذيانات سخيفة تقدم بعض منها ولما قدم وفد بني حنيفة المدينة على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو معهم لم يقابله وقال لو جعل الامر لي بعده اتبعته فبلغ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما قاله فقال لو سألني هذه الشظية ما أعطيتها له فرجع معهم وتخرق بشعبذة فافتتنوا به وزعم ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أشركه معه في أمره وكتب اليه من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله اما بعد فاني قد أشركت في الامر معك فان لنا نصف الارض ولقريش نصفها ولكنهم يعتدون فكتب اليه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب أما بعد فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين فاخفى الكتاب وكتب كتابا من عنده أظهره لاصحابه زعم انه صدقه فيما قاله فكذبه من بني حنيفة ثمامة بن مالك رضي الله تعالى عنه ونهى الناس عنه وقال يخاطبه وكان مؤمنا رضي الله عنه

مسيلمة ارجع ولا تمحك * فانك في الامر لم تشرك
كذبت على الله في وحيه * هواك هوى الاحمق الانوك
فما في السماء لك مصعد * ومالك في الارض في مبرك

وكان يلقب نفسه برحمن اليمامة ولما توفي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم جمع جموعا سفها فجهز له أبو بكر رضي الله تعالى عنه جيشا أميرهم خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه فقتل مسيلمة كافرا لعنه الله تعالى قتله وحشي قاتل حمزة رضي الله تعالى عنه وشاركه فيه ناس والعقر أصله يستعمل في الحيوان كعقر الناقة ونحوها ففيه اشارة الى انه بهيمة من البهائم مات ميتة جاهلية فلم يذك ولم يزك (و) مما أخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم من المغيبات ما رواه الشيخان عن عائشة رضي الله تعالى عنها (ان فاطمة) الزهراء بنته صلى الله تعالى عليه وسلم ورضي الله عنها (أول أهله لحوقا) وروى لحاقا (به) أي أول من يموت بعده صلى الله عليه وسلم من أهل البيت فماتت بعد ستة أشهر وقيل ثمانية أشهر وقيل مائة يوم وهي أصغر بناته صلى الله تعالى عليه وسلم وأحبهم اليه وهي أول من غطي نعشه من النساء في الاسلام وأول الحديث انه صلى الله تعالى عليه وسلم سارها في مرض موته فبكت ثم دعاها وسارها بشئ فضحكت فسئلت عن ذلك بعد موته صلى الله تعالى عليه وسلم فقالت سارني أولا بانه يموت في مرضه هذا فبكيت ثم سارني باني أول أهله يتبعه فضحكت ولما توفيت دفنها علي كرم الله وجهه ليلا واختلف في محل دفنها فقيل في قبة ولدها الحسن قرب محرابها وروى أحمد بن حنبل في المناقب انها اغتسلت ولبست ثيابها وكفنا وقالت اني مقبوضة فلا يغسلني ولا يكفنني أحد فامتثل أمرها وفيه كلام للفقهاء وانه هل يكفي غسلها في الحياة عن غسل الميت أم لا لانه يعارضه ما روي من أنها أمرت فاطمة بنت عميس ان تغسلها وقيل انه من خصائصها وفي اللآلي للسيوطي عن أم سلمة قالت مرضت فاطمة فقالت يا أمتاه اسكبي لي غسلا فسكبته فاغتسلت ثم قالت هاتي

(وان) وفي نسخة صحيحة وبان (مسيلمة) بضم الميم وفتح السين ثم كسر اللام (يعقره الله) بكسر القاف أي يهلكه أو يقتله أو يهلكه قتلا فقتله وحشي بن حرب في قتال أهل الردة زمن أبي بكر رواه الشيخان بلفظ ولئن توليت ليعقرنك الله (وان فاطمة) أي بنته الزهراء (أول أهله) أي أهل بيته كما في نسخة (لحوقا به) أي موتا ووصولا اليه ففي الصحيح عن الزهري عن عروة عن عائشة مكثت فاطمة بعد وفاته صلى الله تعالى عليه وسلم ستة أشهر

(وانذر بالردة) أي وحذر صلى الله تعالى عليه وسلم أصحابه وخوفهم وعرفهم بانها ستكون كما في حديث الشيخين لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض وفي حديث مسلم لا تقوم الساعة حتى يلحق قبائل من أمتي بالمشركين وحتى تعبد قبائل من أمتي الاوثان فوقعت الردة في خلافة أبي بكر ارتد عامة العرب الا أهل مكة

والمدينة والبحرين وكفى الله أمرهم بالصديق صاحب مقام التحقيق (وان) وفي نسخة وبان (الخلافة) أي الحقيقية الحقيقة (بعده ثلاثون سنة ثم تكون) أي تصير الخلافة (ملكا) أي سلطنة بالغلبة فقد روى أحمد والترمذي وأبو يعلى وابن حبان عن سفينة بلفظ الخلافة بعدي في أمتي ثلاثون سنة ثم ملك بعد ذلك (فكانت) أي الخلافة (كذلك) أي ثلاثين سنة (بمدة الحسن ابن علي) أي بمضي مدة خلافته وهي ستة أشهر تقريبا وفيه دلالة على ان معاوية لم يحصل له ولاية الخلافة ولو بعد فراغ الحسن له بالامارة ويشير اليه ما رواه البخاري في تاريخه والحاكم في مستدركه عن أبي هريرة بلفظ الخلافة بالمدينة والملك بالشام ثم اعلم ان خلافة أبي بكر كانت سنتين وثلاثة أشهر وعشرين يوما وخلافة عمر عشر سنين وستة أشهر وأربعة أيام وخلافة عثمان احدى عشرة سنة وأحد عشر شهرا وثمانية عشر يوما وخلافة علي أربع سنين وعشرة أشهر أو تسعة وبتمامها خلافة الحسن (وقال) أي النبي عليه الصلاة والسلام (ان هذا الامر) أي أمر ملة هذه الامة (بدأ) بهمزة أي ابتدأ أو بالف أي ظهر (نبوة ورحمة) أي نبوة مقرونة بالرحمة العامة (ثم يكون) أي الامر (رحمة وخلافة) أي رحمة في ضمن الخلافة

ثيابي الجدد فدفنا ولتها فلبستها فقالت قدمي الفراش فقدمته فاضطجعت مستقبلة ثم قالت اني اليوم مقبوضة فلا يكشفني أحد فقبضت مكانها وأتى علي فاخبرته فدفنها بغسلها وقال ابن الجوزي انه موضوع ورد بانه رواه الطبراني الا انه يعارضه ما روي بخلافه كما مر ولعله من خصوصياتها وانه صلى الله تعالى عليه وسلم أخبرها به (وانذر بالردة) أي أعلم صلى الله عليه وسلم أصحابه بمن يرتد بعده وما يكون من قتالهم وقد وقع ذلك في خلافة أبي بكر رضي الله تعالى عنه والانذار اخبار بامر مكروه مخوف ضد التبشير وهو مما رواه الشيخان أيضا عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما وكان ذلك بعد ابتداء خلافة الصديق بسبعة أشهر وستة أيام فانه بعد انتقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ارتد كثير من الناس الا أهل الحرمين والبحرين فكفى الله أمرهم بابي بكر رضي الله تعالى عنهم بعد ان قاسى منه أمورا شديدة (و) مما أخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم من المغيبات في حديث رواه أصحاب الكتب الستة مسندا وفيه (ان الخلافة) أي خلافة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بحق وخلافة النبوة انما تكون لمن تمسك بالسنة من قريش وهي (بعده ثلاثون سنة ثم تكون) أي تتحول الخلافة وتصير (ملكا) عضوضا أي سلطنة بالقهر والتطلب من غير وجود شروطها (فكانت) الخلافة الحقيقية (كذلك) أي كما أخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم وتمت المدة التي ذكرها (بمدة الحسن بن علي) بن أبي طالب كما رواه سفينة مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فكانت خلافة الصديق رضي الله تعالى عنه سنتين وأربعة أشهر وخلافة عمر رضي الله تعالى عنه عشر سنين ونصفا وخلافة عثمان رضي الله تعالى عنه اثني عشر سنة الا اياما وخلافة علي رضي الله تعالى عنه أربع سنين وتسعة أشهر واياما وفي المغرب خلافة أبي بكر سنتان وثلاثة أشهر وتسع ليال وعمر عشر سنين وستة أشهر وخمس ليال وعثمان اثني عشر سنة الا اثني عشر ليلة وعلي خمس سنين الا ثلاثة أشهر فتتم المدة بمدة الحسن لما بويع في عشر رمضان الاخير سنة أربعين من هجرته ثم سلمها لمعاوية في نصف جمادى الاولى سنة احدى وأربعين فمدته كانت سبعة أشهر ونصفا واياما فبها تتم الثلاثون كما ذكره المصنف رحمه الله تعالى والملك بضم الميم والعضوض بفتح العين المهملة صيغة مبالغة وروي ثم يكون ملك عضوض بضم العين جمع عض بكسرها وهو الشرير الخبيث والملك السلطان والخليفة أمير المؤمنين ويقال خليفة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لانه خلفه في القيام بامر المسلمين ولا يقال خليفة الله لغير داود صلى الله تعالى عليه وسلم (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث رواه البزار عن أبي عبيدة رضي الله تعالى عنه والبيهقي عن معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه (ان هذا الامر) أراد به دين الاسلام وأمر الشريعة المحمدية (بدأ) بهمزة في آخره أي ابتدأ في أول أمره أو بالف مقصورة بمعنى ظهر وبرز من كون العدم الى الخارج والظاهر الاول هنا (نبوة ورحمة) بالنصب على الحالية أو بنزع الخافض أي بدأ بنبوته صلى الله تعالى عليه وسلم ورحمته للعالمين بانقاذهم من الضلال والكفر وأمور الجاهلية وهذا في حياته صلى الله تعالى عليه وسلم (ثم تكون) بعده (رحمة وخلافة) في زمن الخلفاء الراشدين وأخر الرحمة أولا لانها نشأت من النبوة وقدمها هنا لسبقها على الخلافة فان رحمته صلى الله

(ثم يكون) أى الامر (ملكا) قال التلمسانى وفى أصل المؤلف ثم ملكا (عضوضا) بفتح العين أى سلطنة خالية عن الرحمة والشفقة على الرعية فكأنهم يعضون بالنواجذ فيه عضا حرصا على الملك ويعض بعضهم بعضا حثا على الهلاك وفيه ايماء الى ماقال عارف بهذا الباب الدنيا جيفة وطالبها الكلاب وفى النهاية ثم يكون ملك عضوض أى يصيب الرعية عسف وظلم فكأنهم يعضون فيه عضا باسنانهم أى يتحملون فيه محنة شديدة فى شأنهم وفى رواية وسترون بعدى ملكا عضوضا وفى أخرى ثم يكون ملوك عضوض قيل وهو جمع عض بالكسر أى شرير خبيث (ثم يكون) أى الامر (عتوا) بضمتين فتشديد أى تكبرا (وجبروتا) بفتحتين فعلوت من الجبر بمعنى القهر مبالغة أى تجبرا وقهرا (وفسادا فى الامة) أى فى أمر دينهم ودنياهم هذا ولفظ البيهقى ان الله بدأ هذا الامر نبوة ورحمة وكائنا خلافة ورحمة وكائنا ملكا عضوضا وكائنا عتوا وجبرية وفسادا فى الامة يستحلون الفروج والخمور والحرير وينصرون على ذلك ويرزقون أبدا حتى يلقوا الله تعالى وقد ابتدأ هذا الفساد من بدء امارة يزيد وولاية زياد وهلم جرا فى الزيادة الى يومنا هذا فيما بين سلاطين البلاد والله رؤف بالعباد (وأخبر) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (بشأن أويس) أى ابن عامر (القرنى) بفتحتين أى منسوب الى بطن من مراد قبيلة باليمن وغلط الجوهرى فى نسبته الى قرن المنازل روى أنه كان به بياض فدعا الله فاذهبه الا قدر دينار أو درهم وله أم كان بها بارا ولو أقسم على الله لابره وقال من لقيه فليستغفر وعن عمر مرفوعا يأتى عليكم أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن من مراد ثم قرن كان به برص فبرئ منه الا موضع درهم له والدة هو بها بر لو أقسم على الله لابره فان استطعت ان يستغفر لك فافعل قاله الارزنجانى فى شرح المشارق الامداد جمع مدد والمراد هنا القافلة قال وكان عمر اذا أتى عليه أمداد اليمن يسألهم أفيكم أويس بن عامر فلما كانت السنة التى توفى فيها عمر قام على أبى قبيس فنادى باعلى صوته يا أهل الحجيج من اليمن أفيكم أويس فقام شيخ طويل اللحية فقال انا لاندرى من أويس ولكن ابن أخى يقال له أويس وهو أخمل ذكرا وأهون أمرا من ان نرفعه اليك وانه ليرعى ابلا حقيرا بين أظهرنا فقال له عمر أين ابن أخيك قال بازاء عرفات فركب عمر وعلى سراعا الى عرفات فاذا هو قائم يصلى والابل حوله ترعى فسلما عليه وقالا من الرجل قال عبد الله قالا قد علمنا ان أهل السموات والارض كلهم عبيد الله فما اسمك الذى سمتك به أمك قال يا هذان ماتريدان قالا وصف لنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم أويسا القرنى وأخبرنا ان تحت منكبه الايسر لمعة بيضاء فاوضحها لنا فان كانت بك فانت هو فاوضح منكبه فاذا اللمعة فابتدرا يقبلانه وقالا نشهد انك أويس القرنى فاستغفر لنا غفر الله لك قال ما أخص باستغفارى نفسى ولا أحدا من ولد آدم ولكنه

تعالى عليه وسلم كانت قبلهم واستمرت (ثم يكون) بعد الخلافة (ملكا عضوضا) بفتح العين وضمها كما تقدم فى رواية ملك عضوض وهو استعارة تصريحية أو مكنية بتشبيه ظلمهم وتعديهم على الرعية بعض حيوان مفترس بعض من رآه (ثم يكون) بالتحتية والضمير للامر (عتوا وجبرية) العتو بضم العين الخروج عن طاعة الله تعالى يقال عتا يعتو عتوا وعتا والجبرية بفتح الجيم والموحدة وتسكن أيضا من الجبر وهو الاكراه والقهر قال الراغب الاجبار فى الاصل حمل الغير على ان يجبر الامر لكن تعورف فى الاكراه المجرد فقيل أجبرته على كذا وسمى الذين يدعون ان الله يكره العباد على المعاصى فى تعارف المتكلمين مجبرة وفى قول المتقدمين جبرية وجبرية انتهى وقال غيره الجبرية بفتح الباء أى قهرا وتكبرا ولفظ الحديث الذى رواه البيهقى ان الله بدأ بهذا الامر نبوة ورحمة وكائنا خلافة ورحمة وكائنا ملكا عضوضا وكائنا عتوا وجبرية وفسادا فى الامة يستحلون الفروج والخمور والحرير وينصرون على ذلك ويرزقون أبدا حتى يلقوا الله وهما منصوبان خبر كان وروى بالرفع فكان تامة وروى جبروتا بمثناة فوقية والعتو بمثناة أيضا وماقيل انه بمثلثة ومعناه الفساد وقوله تعالى ولا تعثوا فى الارض مفسدين فالحال مؤكدة وقوله فى الحديث عتوا وجبروتا (وفسادا فى الامة) يلزمه عطف الشئ على نفسه وفى الكشاف معناه أشد الفساد فقيل لهم لا تتمادوا فى الفساد فى حال فساد كما انتهى وكونه أشد الفساد يحتاج الى النقل وفى الصحاح مايخالفه لانه فسره بمطلق الفساد ويلزمه ان يكون النهى عن التمادى فى حال الفساد انتهى ملخصه فيه بحث وأمثاله تركناه لانه لاطائل فيه من غير طائل وانا أقول لا يخلو مافى كلامه من الخبط فان العتو هنا بالمثناة فقط والمثلثة تحريف واعتراضه على العلامة من قصور نظره فان مثله لايطلب منه النقل ومراده ان العثوان كان بمعنى الفساد فالمراد بقوله مفسدين مستمرين على الفساد لان الاصل التأسيس وقد قرره فى سورة البقرة فى أمر المؤمنين بالايمان ومثله كثير (و) مما أخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم عن المغيبات ما أشار اليه بقوله و (أخبر) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه مسلم (بشأن أويس) ابن عامر المرادى نسبة لمراد قبيلة مشهورة (القرنى) بفتحتين نسبة لقرن بن ردمان

فى المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات ياهـذان قد أشهر الله لكما حالى وعرفكما أمرى فمن أنتما قال على أماهـذا فعمر أمير المؤمنين واما أنا فعلى بن أبى طالب فاستوى اويس قائما وترحب بهما فقال له عمر مكانك يرحمك الله حتى أدخل مكة فآتيك بنفقة من عطائى وفضل كسوة من كسوتى فقال يا أمير المؤمنين ما أصنع بالنفقة والكسوة أما ترى على ازارا و رداء من صوف متى أخرقهما وقد أخذت من رعايتى أربعة دراهم متى آكلها يا أمير المؤمنين ان بينك وبينه عقبة كؤودا لا يجاوزها الاكل ضامر مخفف به فاخف يرحمك الله فلما سمع عمر ذلك ضرب بدرته الارض ثم نادى بأعلى صوته ألا ليت عمر لم تلده أمه ألا من يأخذها بما فيها ولها ثم قال يا أمير المؤمنين خذ أنت ههنا حتى آخذ عنها فولى عمر ناحية مكة وساق أويس ابله فوافى القوم وخلا عن الرعاية وأقبل على العبادة حتى لقى الله تعالى وروى الحاكم فى مستدركه عن على كرم الله وجهه مرفوعا خير التابعين أويس ولا ينافيه قول أحمد وغيره ان خيرهم سعيد بن المسيب لان مرادهم فى العلوم الشرعية لا فى أكبرية الدرجة العلية قال الحلبى وقد قتل مع على بصفين فى وقعتها وقال ابن حبان واختلفوا فى محل موته فمنهم من يزعم انه مات على جبل أبى قبيس بمكة ومنهم من يزعم انه مات بدمشق ويحكون فى موته قصصا تشبه المعجزات التى رويت عنه وقد كان بعض أصحابنا ينكر كونه فى الدنيا ثم ساق بسنده الى شعبة قال سألت عمرو بن مرة وأبا اسحق عن اويس القرنى فلم يعرفاه أقول ولعلهما لم يعرفاه لعدم كونه من رواة الحديث اذلم يرشيأ وكان غلب عليه حب الخمول والعزلة والخلوة وكره الصحبة والخلطة وقد علم كل اناس مشربهم وعرف كل طائفة مذهبهم

ردمان بن ناجية بن مراد وغلط الجوهرى فى نسبته لقرن المنازل كما غلط فى فتح راء قرن المنازل كما فى القاموس وتبعه بعض الشراح هنا وقال ابن حجر فى فتح البارى بالغ النووى فى حكاية الاتفاق على تخطئته فى تحريك قرن المنازل وحكى المصنف رحمه الله تعالى عن تعليق القابسى ان من قال بالاسكان أراد الجبل ومن قال بالتحريك أراد البلد وقال الكرمانى أويس القرنى منسوب الى قبيلة بنى قرن ولا منافاة بينه وبين ما قدمناه وفى طبقات الاولياء للشعرانى انه خير التابعين مطلقا بشهادة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم له وكان أدرك زمن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يره لاشتغاله ببرامه وعن عمر رضى الله تعالى عنه انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يأتيكم أويس بن عامر مع امداد من أهل اليمن من مراد من قرن كان به برص فبرأ منه الا موضع درهم منه لانه دعا الله تعالى ان يزيله الا لمعة أذكر بها نعمك على فمن أدركه منكم فاستطاع ان يستغفر له فليفعل ووصفه صلى الله عليه وسلم بانه أشهل ذو صهومة بعيد ما بين المنكبين شديد الادمة ضارب بذقنه الى صدره رام ببصره الى موضع سجوده يبكى على نفسه ذو طمرين لا يؤبه به مجهول فى أهل الارض معروف فى السماء لو أقسم على الله لابره تحت منكبه الايسر لمعة بيضاء الا وانه اذا كان يوم القيامة قيل للناس ادخلوا الجنة وقيل لاويس قف واشفع فيشفعه الله فى ربيعة ومضر يا عمر ويا على اذا أنتما لقيتماه فاطلبا منه ان يستغفر لكما فكثا عشر سنين يطلبانه فلم يلقياه فلما كانت السنة التى توفى فيها عمر قام على أبى قبيس فنادى يا أهل اليمن هل فيكم أويس فقام شيخ وقال لا ندرى ما أويس ولكن ابن أخ لى أخمل ذكرا وأهون من ان نرفعه اليك وهو فى ابلنا يرعاها فعمى عليه عمر رضى الله تعالى عنه كأنه لا يريده ثم قال أين هو فقال بأراك عرفات فركب عمر وعلى رضى الله تعالى عنهما اليه فاذا هو قائم يصلى فسلما عليه وقالا من الرجل فقال راعى ابل أجير فقالا لسنا نسألك عن ذلك ما اسمك فقال عبد الله فقالا كلنا عبيد الله ما اسمك الذى سمتك به أمك قال فما تريدان منى فاخبراه بما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم لهما وعرفاه بانفسهما فقام وسلم عليهما وقال لهما جزاكما الله عن أمة محمد خيرا واستغفر لهما كما أمرهما رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك فقال له عمر رضى الله تعالى عنه مكانك يرحمك الله حتى آتيك بنفقة من عطائى وكسوة من ثيابى فقال لا ميعاد لى ولا ترانى بعد اليوم وما أصنع بالنفقة والكسوة ثم أقبل على العبادة وتوفى بصفين على ما قيل عام سبع وثلاثين شهيدا مع أصحاب على رضى الله تعالى عنهم وقال ابن سلمة غزونا اذربيجان فى زمن عمر رضى الله تعالى عنه ومعنا أويس فلما رجع مرض ومات فدفناه وجعلنا على القبر علامة فلما رجعنا لم نجد له أثرا والاول أصح لقول أبى هريرة ان اجتماعه بعمر فى السنة التى توفى فيها فكيف يكون غزا فى أيامه وقيل دفن بدمشق والله أعلم انتهى وهذا هو المراد بشانه الذى أشار اليه المصنف رحمه الله تعالى وبما علمت ان أويسا لم يدفن باليمن كما توهمه بعض الناس وانه أفضل التابعين وانه لقى عليا وعمر وأدرك زمنه صلى الله عليه وسلم لما ورد فى الحديث الصحيح ان خير التابعين رجل يقال له أويس القرنى وقال أحمد بن حنبل أفضل التابعين سعيد بن المسيب قال العراقى لعل أحمد لم يقف على هذا الحديث أو لم يصح عنده وفيه انه ذكره فى مسنده ولم يضعفه وانما وجهه انه رواه ان من خير التابعين بمن التبعيضية وقال النووى أفضلية أويس بشدة زهده وخشيته لله وأفضلية

(وبامراء) أي وبان امراء (يؤخرون الصلاة عن وقتها) فقد روى مسلم من طرق عن أبي ذر ولفظه كيف أنت اذا كنت عليك امراء يؤخرون الصلاة عن وقتها قلت فما تأمرني ١٧٤ قال صل الصلاة لوقتها فان أدركتها معهم فصل فانه الك نافلة زاد في رواية أخرى والا كنت قد أحرزت صلاتك قال النووي أي عن وقتها المختار لا عن جميع وقتها وروى يميتون الصلاة وهو بمعنى يؤخرون قال وقد وقع هذا في زمن بني أمية (وسيكون في أمتي) وفي أصل الدلجي في أمته (ثلاثون كذابا فيهم أربع نسوة) رواه أحمد والطبراني والبزار منهم مسيلمة الحنيفي والاسود العنسي بالنون والمختار ابن أبي عبيد الثقفي وسجاح بفتح السين فجيم زعمت انها نبية في زمن مسيلمة (وفي حديث آخر ثلاثون دجالا) وفي نسخة رجلا (كذابا أحدهم) وفي نسخة وهي الاولى آخرهم (الدجال الكذاب) أي الاعور الذي يقتله عيسى ابن مريم كما رواه الشيخان عن أبي هريرة ولفظهما ان بين يديه الساعة ثلاثين رجلا كذابا (كلهم يكذب) وفي نسخة يكذبون (على الله ورسوله) قال الحلبي وفي الصحيح قريب من ثلاثين وقد جاء تعيين عددهم في حديث آخر انهم سبعة وعشرون دجالا فيهم أربع نسوة والدجل

عليه

تمويه الشيء وتغطيته والمموه الدجال وهو الكذاب أيضا لانه يدجل الحق بالباطل (وقال) أي النبي عليه الصلاة والسلام (يوشك) أي يقرب (ان يكثر فيكم العجم) أي ضد العرب لا الفرس فقط (يأكلون فيئكم) بفتح الفاء وسكون الياء مهموزا أي أموالكم

سعيد بكثرة علمه وحفظه الحديث فلا منافاة بينهما وقيل أفضلهم الحسن البصري وقيل حفصة بنت سيرين ولا شك ان الافضلية على الاطلاق لاويس وبالعلم النافع لسعيد وفيه نظر (و) مما أخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم ما رواه مسلم من طرق عن أبي ذر رضي الله عنه (بامراء يؤخرون الصلاة عن وقتها) لفظ الحديث كيف أنت اذا كنت وعليك امراء يؤخرون الصلاة عن وقتها * قلت فما تأمرني قال صل الصلاة لوقتها فان أدركتها معهم فصل فانها لك نافلة وفي رواية والا كنت قد أحرزت صلاتك قال النووي المراد في الحديث تأخيرها عن وقتها الاختياري لا عن وقتها مطلقا بشهادة أمره صلى الله تعالى عليه وسلم باعادتها معهم بعد ادائها منفردا اذ لا اعادة بعد خروج وقت الصلاة ولا جماعة في الصلاة المقضية والقول بان المراد تأخيرها عن جميع وقتها دعوى بلا بينة وتلك بشهود لم تكن تقبل الرشا والمراد الامراء لغة فيشمل الملوك وخصهم لان الامامة كانت وظيفة لهم فكل سلطان أو حاكم بلدة يؤم الناس في المكتوبات أو يستخلف من يصلي بهم وقد وقع هذا في زمن بني أمية لانهم أول من غير رسم الخلافة وقد وقع هذا التأخير في زمن الحجاج وأنكر عليه ذلك (و) مما أخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم من المغيبات ما رواه أحمد والطبراني والبزار رحمهم الله تعالى انه قال (سيكون في أمتي) وفي بعض النسخ في امته (ثلاثون كذابا فيهم أربع نسوة) ادخال النسوة فيهم بطريق التغليب والذي في صحيح مسلم انهم قريب من ثلاثين وورد في حديث آخر انهم سبعة وعشرون دجالا فيهم أربع نسوة والذي ذكره المصنف رواية اخرى وتسميتهم امة بناء على ظاهر حالهم أو المراد بالامة أمة الدعوة والمراد بالكذب فيهم كذب مخصوص وهو ادعاء النبوة وقد وقع هذا بعده صلى الله تعالى عليه وسلم من الرجال لمسيلمة والاسود العنسي بالنون ومن النساء لسجاح التي ظهرت باليمن وقصتها مشهورة وتفسيره بما ذكر ورد مصرحا به في الحديث كحديث في امتي دجالون كذابون وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي ولو استقصى عدتهم بلغت ما ذكر والدجال الكذاب الذي يخلط ويلبس يقال دجل أمره اذا خلطه وموهه ولبس فيه حتى يخفى ومنه الدجال المشهور وجمعه دجالون ودجاجلة (وفي حديث آخر) رواه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه (ثلاثون دجالا كذابا) عطف بيان على ما قبله (آخرهم الدجال الكذاب) الاعور الذي يظهر في آخر الزمان ويقتله عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام فالتعريف فيه للعهد وتقدم انه من الدجل وهو الكذب والتمويه وفي تذكرة القرطبي فيه أقوال أخر أحدها انه ابن صياد يدعي الالوهية ويظهر أمورا خارقة للعادة ولا يدخل مكة والمدينة والقدس معه جنة ونار وجبال من خبز (كلهم يكذب على الله ورسوله) كذبه على الله قوله انه أوحى اليه وعلى رسوله قوله انه بشرني وأخبر بنبوتي كقول مسيلمة المتقدم انه أشركني في أمره ويحتمل ان يكون الرسول من رسل الملائكة كقولهم ان جبريل نزل علي وأوحى الي كذا (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث رواه البزار والطبراني بسند صحيح من حديث طويل فيه (يوشك) بضم أوله مضارع أوشك بمعنى قرب ودنا وأسرع يقال وشك وأوشك (ان يكثر فيكم العجم) هم خلاف العرب مطلقا لان ألسنتهم عجم أي غير ظاهرة لهم وقد يخص باهل فارس والاول أقرب هنا والمراد انه يكثر فيهم حكمهم وامارتهم عليهم كما في كثير من الدول كالنوبة والاكراد والاتراك الذين كانت فيهم السلطنة والدولة ولذا قال (يأكلون فيأكم) جمع فيء وهو الغنيمة من الكفار بغير قتال ويطلق على مطلق الغنيمة والاكل فيه مجاز عن الاستيلاء

(و يضربون رقابكم) أي يريقون دماءكم أو يبالغون في ايذائكم وقد وقع في دولة الترك من بعدهم رواه البزار والطبراني بسند صحيح (ولاتقوم الساعة حتى يسوق الناس بعصاه) أي يسترعيهم مسخرين له كراعي غنم يسوقها بعصاه وهو كناية عن طاعة الناس له واستيلائه عليهم ولم يرد نفس العصا الا ان في ذكرها دليلا على خشونته وعسفه بهم في اطاعته (رجل) قال القرطبي في تذكرته لعله الجهجاه (من قحطان) وهو أبو اليمن رواه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ولفظهما لاتقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه (وقال) أي النبي عليه الصلاة والسلام فيما رواه الشيخان (خيركم قرني) ولفظهما خير أمتي وفي رواية خير الناس قرني وهم الصحابة (ثم الذين يلونهم) وهم التابعون (ثم الذين يلونهم) وهم الاتباع وثم تفيد التنزل في الرتبة الى ان يرتفع الاشتراك في الخيرية فيستقيم قوله (ثم ياتي بعد ذلك قوم) وفي تغيير العبارة ايماء الى ما أشرنا اليه وفي رواية لهما ثم ان بعدكم قوما (يشهدون ولا يستشهدون) بصيغة المجهول أي يبادرون بتادية الشهادة قبل ان يطلب منهم اداؤها فانها لاتقبل وأما حديث خير الشهود من ياتي بالشهادة قبل ان يسألها فمعناه ان يظهر عند غير القاضي ان عنده الشهادة حيث جهل أو شك صاحب الشهادة انها عنده أم لا أو هل يظهر الشهادة أم يخفيها وقيل يشهدون بالزور قال الحلبي وقيل معناه يحلفون ولا يستحلفون كما قال في رواية أخرى يسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه كذبا شهادته واليمين تسمى شهادة ومنه قوله تعالى فشهادة أحدهم (ويخونون ولا يؤتمنون) بفتح الميم (وينذرون) بضم المعجمة وتكسر (ولا يوفون) أي بنذرهم وفي رواية ولا يفون من وفى يفي

عليه وأخذه قهرا ومنع المستحقين منه بغير وجه واضافة الافياء اليهم باعتبار انها حقهم ويحتمل ان يراد بافيائهم مالهم الذي بايديهم سماه فيأ لانه مما أفاء الله لهم بغير مشقة عليهم (ويضربون رقابكم) أي يقتلونهم بغير حق فالخطاب خطاب مشافهة لجنس المؤمنين من العرب فيشمل جميع من بعد عصر النبوة كما في غيره من خطابات الشارع وانما جعله قريبا منهم لان كل آت قريب والدنيا ساعة وقد فسره الشارح الجديد بما لا وجه له فتركه خير من ذكره (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث رواه الشيخان (لاتقوم الساعة حتى يسوق الناس بعصاه) أي يملك الناس ويسخرهم كما يريد من غير مانع ولا كد وتعب وفيه استعارة تمثيلية لتشبيهه براع لغنم يسوقها بعصاه يهش بها عليها وفيه اشارة الى ضعف الناس وجهلهم فكأنهم غنم سائمة همها ان ترعى والعصا فيه كما في قولهم فلان تحت عصا فلان أي منقاد لامره وحكمه وهم عبيد العصا (رجل من قحطان) أي من عرب اليمن وقحطان أبو اليمن وهذا الرجل يسمى الجهجاه كما ورد في الحديث وقحطان اسمه يقظ أو يقظان وكان تجبر ومنع أرزاق الناس فسمي قحطان لقحط الرزق بسببه (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث رواه الشيخان أيضا (خيركم) المراد أمته ولفظ الصحيحين خير أمتي وهو المراد (قرني) أي عصري وزماني الذي أنا فيه والمراد أهله لقوله (ثم الذين يلونهم) أي يأتون بعدهم بلا فصل وهم الصحابة والتابعون لهم باحسان (ثم الذين يلونهم) وهم تبع التابعين والقرن أهل زمان اجتمعوا واقترنوا فيه في أعمارهم وجميع أحوالهم وفي تفصيله كلام تقدم والخيرية ان كانت بالنسبة لما بعده وهو الظاهر فلا كلام فيه وان كان على اطلاقه لا يلزم منه تفضيل أصحابه على الانبياء عليهم الصلاة والسلام لان المراد تفضيل الجملة والمجموع على المجموع لا تفضيل كل فرد على كل فرد وثم لبيان التراخي في الرتب كالافضل والافضل ولا شبهة في فضل العصر وجملة أهله من غير تفصيل فلا ينافيه حديث أمتي كالمطر لا يدرى الخير في أوله أم في آخره فان هذا من واد وذاك من واد آخر وهذا اشارة الى انه قد يجيء في الامة من ينفع الناس نفعا عظيما لم يتيسر لغيره ممن سبقه وهذا بالنظر لافراد مخصوصة وذاك بالنظر لمجموع العصر وشتان ما بينهما ولذا عبر بالقرن فلا يتوهم وأهم نظر لعمر بن عبد العزيز وما صدر منه ولعثمان وما كان في عهده تفضيل لعصره فيضل ويضل (ثم يأتي بعد ذلك قوم) وروي ثم ان بعدكم قوما (يشهدون ولا يستشهدون) أي يؤدون الشهادة قبل ان تطلب منهم ومثله لا يقبل وهذا لا ينافي ما ورد في الحديث ان خير الشهود من يأتي بالشهادة قبل ان يسئلها فان هذا حمل على من كان عنده علم بأمر وشهادة فيه وصاحبه لا يدري انها عنده [illegible] بما عنده ليستشهده عند حاجته ولكل مقام مقال (ويخونون ولا يؤتمنون) هو عطف مؤكد لما قبله لان الخائن لا يؤتمن أو المراد ظهور خيانتهم حتى لا يأمنهم أحد بعد ذلك بخلاف من خان مرة فانه قد يؤتمن أو المراد انهم يخونون فيما لم يؤتمنوا عليه كمن سرق أو غصب ونحوه (وينذرون) بضم الذال المعجمة وكسرها (ولا يوفون) بما نذروه من غير عذر

ومانع لهم ويقال وفى وأوفى بمعنى (ويظهر فيهم السمن) أى عظم البدن بكثرة لحمه وهذه علامة على كثرة أكلهم وشربهم وترفههم وعدم خوفهم من الله وعدم تفكرهم فى عواقب الامور وروى يأتى فى آخر الزمان قوم يتسمنون وفى التوراة ان الله يبغض الحبر السمين وفى الغالب ان من سمن وكثرت رطوبة بدنه كان بليدا مغفلا غير مكترث بدينه ودنياه فجعل هذا كناية عما ذكر لانه من لوازمه غالبا فلا ينافيه ما يشاهد من كون بعض العلماء والصلحاء سمين الجثة خلقة أنشأه الله عليها القوة نطفة أبويه وقيل المذموم منه ما يكتسب دون الخلقى لانه ورد فى الحديث ويل للتسمنات يوم القيامة أى اللواتى يستعملن السمنة وهى دواء يتسمن به وروى تخلف قوم يحبون السمانة بفتح السين المهملة وهى السمن (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه البخارى عن أنس رضى الله تعالى عنه (لا يأتى زمان الا والذى بعده شر منه) المستثنى جملة حالية يجوز فى مثلها الواو وتركها والحديث هكذا قال الزبير بن عدى أتينا أنسا رضى الله عنه فشكونا له الحجاج فقال اصبروا فانه لا يأتى زمان الا والذى بعده شر منه حتى تلقون ربكم سمعته من نبيكم عليه الصلاة والسلام وروى أشر على الاصل كأخير والمستعمل منهما خير وشر وسمعا على الاصل نادرا وفى معنى هذا الحديث ما اشتهر من أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال كل عام ترذلون الا انهم قالوا انه لم يرد بهذا اللفظ وان كان معناه ثابتا فى أحاديث كثيرة فهو رواية بالمعنى وقال الحسن البصرى لما ذكر يحيى ابن عبد العزيز بعد الحجاج لا بد للناس من تنفس يعنى ان الله ينفس عن عباده ويكشف عنهم البلاء أحيانا (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه الشيخان (هلاك أمتى على يدى أغيلمة من قريش) أغيلمة تصغير أغلمة وهو جمع قلة يجوز فيه التصغير على لفظه وهو فى حكم المفرد وفى القاموس جمع غلام غلمة وأغلمة وغلمان والغلام الشاب قد طر شاربه وهو المراد فما فى النهاية من انه تصغير غلمة على القياس ولم يرد فى جمعه أغلمة ومثله أصيبية تصغير صبية كلام لا وجه له فان رد جمع القلة لجمع قلة آخر فى التصغير مما لا يعقل ولا يسمع ولو لم يرد غير هذا دلنا على انه سمع فيه أغلمة فلا حاجة للتعسف فى تأويله والمراد بهلاكهم ضياع أمورهم وهلاك بعضهم (وقال أبو هريرة راويه) أى راوى هذا الحديث (لو شئت سميتهم لكم بنو فلان وبنو فلان) أى لو أردت ان أسميهم لكم سميتهم كيزيد فانه أباح المدينة ثلاثة أيام وقتل من خيار أهلها ناسا فيهم ثلاثة من الصحابة وأزيلت بكارة ألف عذراء وكبنى مروان بن الحكم وغيرهم من بنى أمية ولم

(ويظهر فيهم السمن) بكسر ففتح وفى حديث يكون فى آخر الزمان قوم يتسمنون وفى رواية ويل للتسمنات يوم القيامة وفى رواية ويخلف قوم يحبون السمانة وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم لمالك بن الصيف أليس فى التوراة ان الله يبغض الحبر السمين قال نعم قال له فانت الحبر السمين فقال ما أنزل الله على بشر من شئ (وقال) أى النبى عليه الصلاة والسلام (لا يأتى زمان الا والذى بعده شر منه) رواه البخارى ولفظه قال الزبير أتينا أنسا فشكونا اليه الحجاج فقال اصبروا فانه لا يأتى زمان الا والذى بعده شر منه حتى تلقوا ربكم سمعته من نبيكم وفى رواية أشر منه وهو لغة كأخير فى خير قال بعض الحفاظ الا والذى بعده شر منه فيما يتعلق بالدين قال الحلبى والذى فهم الحسن غير ذلك حيث سئل الحسن فقيل له ما بال زمن عمر بن عبد العزيز بعد زمن الحجاج فقال لا بد للناس من تنفيس يعنى ان الله تعالى ينفس عباده وقتاما ويكشف البلاء عنهم حينا ما قلت وهو ما ينافى ما سبق من التنزل فى أمر الدين كما هو مشاهد فى نظر أرباب اليقين فانه كلما يبعد عن النور تبقى الظلمة فى الظهور فالبعد عن الحضرة يفيد هذا الترتيب فى الحالة ويشير اليه صدر الحديث خير القرون قرنى ثم وثم فى الجملة بل جاء فى حديث رواه أحمد والبخارى والنسائى عن أنس مرفوعا لا يأتى عليكم عام ولا يوم الا والذى بعده شر منه حتى تلقوا ربكم (وقال) أى النبى عليه الصلاة والسلام كما فى الصحيحين (هلاك أمتى على يدى أغيلمة) تصغير تحقير لاغلمة جمع غلام يعنى صبيان (من قريش) وفى رواية أعوذ بالله من امارة الصبيان وقال ان أطعتموهم أذلتكم وان عصيتموهم أهلكتكم اذهم صغار الاسنان (وقال أبو هريرة راويه) أى راوى هذا الحديث (لو شئت لسميتهم لكم) أى لبينتهم وقلت لكم انهم (بنو فلان وبنو فلان) لكنى ما أشاء تسميتهم صريحا خوف الفساد والفتنة الان فى العبارة اشارة بالكناية والمراد يزيد بن معاوية فانه بعث الى المدينة السكينة مسلم بن عقبة فاباحها ثلاثة أيام فقتل من خيار أهلها كثيرا فيهم ثلاثة من الصحابة وأزيلت بكارة ألف عذراء وبعده بنو مروان بن الحكم بن العاص فلقد صدر عنهم ما أوجب أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم تبرأ منهم كما رواه الشيخان انه قال ان آل أبى فلان ليسوا لى باولياء ولكن لهم رحم سابلها ببلالها فالمكنى هو الحكم بن العاص وبنوه فانهم آله فكنى عنهم بعض رواة هذا الحديث حذرا منهم اذ كانوا ولاة الامر وأصحاب الشر هذا وقد قال القرطبى هم والله تعالى أعلم يزيد بن معاوية وعبد الله بن زياد ومن جرى مجراهم من احداث ملوك بنى أمية

يسمهم

(وأخبر) أي النبي عليه الصلاة والسلام (بظهور القدرية) كما رواه الترمذي وأبو داود والحاكم أنه قال القدرية مجوس هذه الامة اشارة الى مدح أمته وذمهم جعلهم مجوسا حيث شابه مذهبهم مشربهم فالمجوس أثبتوا الهين زعموا ان الخير من فعل النور وسموه يزدان والشر من فعل الظلمة وسموه أهرمن وقد قال الله تعالى وجعل الظلمات والنور أي خلقهما وأما القدرية فزعموا الهين خالق الخير وهو الله وخالق الشر وهو الانسان وقد قال تعالى الله خالق كل شئ وهو ما ينافي ان ينسب اليه الفعل خلقا وايجادا واليهم عملا وا كتسابا (والرافضة) بالالف بمعنى الرفضة أي وأخبر بظهور الطائفة الرافضة أي التاركة لحب جل الصحابة وقد رواه البيهقي من طرق كلها ضعيفة الا انها يتقوى بعضها ببعض ويعضدها ما رواه البزار بلفظ يكون في أمتي قوم في آخر الزمان يسمون الرافضة يرفضون الاسلام أي بالكلية لانهم يستحلون سب الصحابة ويكفرون أهل السنة والجماعة أو المعنى يتركون كمال الاسلام وجماله ان لم يصدر منهم ما ينافي أحكام الايمان وفي رواية يلفظونه أي يرمونه فاقتلوهم فانهم مشركون أي مشابهون لهم حيث لم يعملوا بالكتاب والسنة (وسب آخر هذه الامة أولها) أي وأخبر بظهور هذا الامر من الرافضة وقد رواه أبو القاسم البغوي عن عائشة مرفوعا بلفظ لا تذهب هذه الامة حتى يلعن آخرها أولها وللترمذي من حديث طويل عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ولعن هذه الامة أولها فارتقبوا عند ذلك ريحا حمراء وزلزلة وخسفا ومسخا وقذفا وآيات تتتابع كنظام قطع سلكه والتتايع بالياء التحتية هو الوقوع في الشر كما انه بالموحدة يستعمل في الخير هذا وقد ظهر لعن السلف على لسان الروافض والخوارج جميعا ولعل مذمة الرافضة في بعض الاحاديث وردت بالمعنى اللغوي الشامل لكل من الطائفتين وان كان العرف خصها باعتبار الغلبة (وقلة الانصار) أي وأخبر صلى الله تعالى عليه وسلم بقلتهم والاظهر ان المراد بهم طائفة معروفة من الصحابة وقد يتوسع ويراد بهم ذريتهم أيضا ولا يبعد ان يراد بهم أنصار الدين ومعاونيهم حتى يشمل المهاجرين وغيرهم وقد رواه البخاري عن ابن عباس خرج علينا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في مرضه الذي مات فيه فجلس على المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال أما بعد فان الناس يكثرون ويقل الانصار أي بعدي

يسمهم خوف الفتنة (وأخبر) صلى الله تعالى عليه وسلم عن بعض المغيبات في حديث رواه الترمذي وأبو داود والحاكم (بظهور القدرية) في قوله صلى الله عليه وسلم القدرية مجوس هذه الامة وهم لما قالوا بأن الامور كلها ليست بقضاء الله وقدره وان الانسان خالق لافعاله وانها بقدرته سموا قدرية لاثباتهم للعبد قدرة لا لانكار قدرة الله على أفعاله وشبههم بالمجوس لانهم أثبتوا خالقين خالق الخير وهو النور الذي سموه يزدان وخالق الشر الظلمة سموها أهرمن وهؤلاء لما نسبوا أفعال العباد لهم قالوا بتعدد الخالق على ما تقرر في الاصول وأما معنى القضاء والقدر فعند السلف القضاء ارادة الله الازلية المتعلقة بجميع الاشياء خيرها وشرها والقدر ايجاده اياها على ما قضاه أولا وعند الفلاسفة القضاء علمه بما عليه الوجود حتى يكون على أحسن نظام ويسمونه العناية والقدر خروجها على وفقه وهؤلاء القدرية هم المعتزلة وأما القدرية الذين أنكروا القدر وان الامر أنف أي مستأنف لا يعلمه الله الا بعد وجوده فليس المراد بالحديث هم لانهم انقرضوا ولم يبق منهم أحد (والرافضة) الذين أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بظهورهم كما ورد في حديث رواه البيهقي من طرق الا انها كلها ضعيفة فقال يكون في أمتي قوم في آخر الزمان يسمون الرافضة يرفضون الاسلام وروى يلفظونه فاقتلوهم فانهم مشركون انتهى وفيه بيان لوجه التسمية فان الرفض معناه لغة الترك وقيل هم قوم تركوا حب الشيخين من الشيعة وهم اثنان وعشرون فرقة وقد وقع ما أخبر به الصادق الامين لما ظهر الفاطميون ومن بالعجم الآن منهم (وسب آخر هذه الامة أولها) أي أخبر صلى الله عليه وسلم بان من تأخر من أمته سيظهر سب أولها وهذا من المغيبات ورد في حديث رواه البغوي عن عائشة رضي الله عنها مرفوعا فقال لا تذهب الامة حتى يلعن آخرها أولها وقد وقع هذا كثيرا من الرافضة فاظهروا سب الشيخين وسب عائشة ومعاوية وغيرهم من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم ووقع من بني أمية سب علي كرم الله تعالى وجهه على المنابر وادخل بعضهم في هذا من سب بعض الاولياء وعلماء السلف وذكرهم بالسوء وافترى عليهم ما لم يقولوه كما شاهدناه من بعض السفهاء يسبون العارف بالله سيدي محيي الدين بن عربي وسيدي عمر بن الفارض ونحوهما من أولياء الله تعالى حتى صنف بعضهم تصانيف في الرد عليهم ومقامهم أعلى من ذلك والاشتغال بمثل هذا تضييع للزمان وتسويد لوجوه الاوراق ويخشى على المتصدي لذلك من سوء الخاتمة نفعنا الله تعالى ببركاتهم وحشرنا في زمرتهم (و) أخبر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (بقلة الانصار) بعد عصر النبوة وهم الاوس والخزرج وسموا أنصارا لانهم نصروا الرسول

(حتى يكونوا كالملح فى الطعام) كناية عن غاية قلتهم فيما بين أهل الاسلام وتمام الكلام فمن ولى منكم شيأ يضر فيه قوما وينفع آخرين فليقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم (فلم يزل أمرهم يتبدد) أى يتفرق (حتى لم يبق لهم جماعة وانهم) أى وأخبر انهم (سيلقون بعده أثرة) بفتحتين وبكسر فسكون وحكى بضم فسكون أى ايثار الناس أنفسهم عليهم فيما هم أولى به من العطايا ومناصب القضايا فى الصحيحين بلفظ انكم سترون بعدى أثرة فاصبروا حتى تلقونى على الحوض قال اليعمرى كانت هذه الاثرة زمن معاوية (وأخبر بشأن الخوارج) أى على على بالنهروان وكانوا أربعة آلاف فقتلهم على قتلا ذريعا ولم يقتل ممن معه الاتسعة (وصفتهم) أى وبيان حالهم وأفعالهم حيث قال فرقة يحسنون القول ويسيئون الفعل أو العمل يدعون الى كتاب الله وليسوا منه فى شئ يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ثم لا يرجعون اليه حتى يرتد الى فوقه هم شر الخلق والخليقة طوبى لمن قتلهم (والمخدج) بضم الميم وسكون المعجمة وفتح الدال المخففة وبالجيم أى الناقص وكان ناقص اليد واسمه نافع وفى نسخة مشددة أى بناقص الخلق (الذى فيهم) أى بان احدى ثدييه مثل ثدى المرأة

صلى الله تعالى عليه وسلم وآووه وهو جمع ناصر أو نصير غلب على هذه القبيلة ولذا نسب اليهم أنصارى ولم يرد لواحده وهذا اشارة لما رواه الشيخان عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه قال خرج علينا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى مرضه الذى مات فيه فجلس على المنبر وحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال أما بعد فان الناس يكثرون وتقل الانصار (حتى يكونوا كالملح فى الطعام) فمن ولى منكم شيا يضر قوما فيه وينفع فيه آخرين فليقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم أى ان أهل الاسلام لا يزالون يدخلون فيه أفواجا أفواجا وهؤلاء يقلون ويفنى نسلهم فان خيار الاكثر قليل فى كل جيل ولم تزل قلتهم الى ان صاروا بالنسبة لغيرهم كالملح فى الطعام ووجه التشبيه انهم مع قلتهم فيهم صلاح واصلاح وانهم يذوبون بينهم كالملح فانه يذوب فيما وضع فيه وقد كان كما قال فان الآن فى المدينة لم يبق منهم الا أقل من القليل كما أشار اليه بقوله (فلم يزل أمرهم يتبدد) المراد بامرهم ما به بقاؤهم وانتظام حالهم من أملاكهم وأموالهم ويتبدد بمعنى يتفرق ويتشتت حتى يفنى ويضمحل ويقلون (حتى لم يبق لهم جماعة) أى لم يبق من نسلهم قوم مجتمعون بالمدينة كما كانوا عليه أولا وهكذا السادات العظام اذا مات واحد منهم لم يقم بعده من يخلفه (و) أشار لسبب ذلك بقوله و (انهم سيلقون بعده) أى يلقى الانصار بعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (أثره) بفتح الهمزة والمثلثة والراء المهملة قيل ويجوز كسر الهمزة وسكون المثلثة وهما بمعنى وهو الاستبداد وقيل الثانى شدة الاستبداد أى يلقون بعده صلى الله تعالى عليه وسلم من يؤثر عليهم غيرهم ويقدمه عليهم فى العطاء من الديوان ويقل نصيبهم من الفىء فتضيق معيشتهم وفى نفسهم شرف وحمية فيتشتتوا ويتبدد أمرهم قال ابن سيد الناس كان ابتداء هذا فى زمن معاوية رضى الله عنه ويجوز فى أثره ان يكون جمع آثر ككاتب وكتبة أى آثر لنفسه وقومه عليهم وبعده فاصبروا حتى تلقونى على الحوض والحديث طويل فى الصحيحين وهذا كله من الاخبار عن المغيبات (و) منه أخباره صلى الله عليه وسلم (بشأن الخوارج) الذين خرجوا على أمير المؤمنين على كرم الله تعالى وجهه رضى الله عنه بالنهروان وهم نحو أربعة آلاف فقاتلهم حتى قتلهم واستشهد بحربهم بعض أصحابه وقيل كانوا أكثر من ذلك بكثير وحديثهم رواه الشيخان (وصفتهم) بالجر عطفا على شان وهم فرق من أهل الضلال كالمحكمة الذين أنكروا تحكيم الحكمين والازارقة المنسوبين الى نافع بن الازرق وغيرهم مما لا حاجة لتفصيل أحوالهم وقد قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فيهم انهم أهل صلاة وصيام يحقر أحدكم صلاته فى جنب صلاته وصيامه فى جنب صيامهم الا أنهم مرقوا من الدين كما يمرق السهم من الرمية وقد كفروا مرتكب الكبيرة وأكثر الصحابة ومواطنهم الجزيرة وعمان والموصل وحضرموت وبعض نواحى المغرب (و) أخبر صلى الله تعالى عليه وسلم (بالمخدج الذى فيهم) وهو بضم الميم وسكون الخاء المعجمة وفتح الدال المهملة ويروى بفتح الخاء وتشديد الدال والمعنى واحد وروى الميم المخدوج وهو الناقص خلقه ومنه الخداج وهو اشارة لما فى حديث الصحيحين من انه صلى الله عليه وسلم قسم فى بعض الايام قسمة فقال له رجل من تميم وهو ذو الخويصرة أعدل يا رسول الله فقال ويحك ومن يعدل اذا لم أعدل خبت وخسرت فقال عمر رضى الله عنه ائذن لى اضرب عنقه فقال له دعه ان له أصحابا يحقر أحدكم صلاته الى آخره وآيتهم رجل أسود احدى عضديه مثل ثدى المرأة أو مثل البضعة تدردر ولما كانت وقعتهم وقتال على لهم خطب الناس وذكر الحديث وقال اطلبوا اذا الثديه فطلبوه فوجدوه تحت القتلى فجاؤا به فقال شقوا قميصه فشقوه فلما رأى احدى ثدييه مثل ثدى المرأة عليه شعرات سجد شكر الله تعالى اذ صدق نبيه

خطب

صلى الله تعالى عليه وسلم وعلم انه على الحق وهم على الباطل (وان سيماهم) بكسر السين المهملة وهي العلامة (التحليق) أي يحلقون شعور رؤسهم ولم يكن في الصدر الاول حلق الرؤس الا في النسك وهذه الاحاديث ظاهرة في تكفيرهم كما قاله الخطابي وفيه اختلاف وقيل المراد جلوسهم حلقا حلقا وليس بشيء وقيل المراد به العلو والارتفاع من قولهم حلق الطائر اذا طار وعلا وبما ذكرناه علم ان حلق جميع الرأس ليس بممنوع وليس فيما ذكر دليل على حرمته ولا كراهته على انه استدل لجوازه بحديث صحيح على شرط الشيخين انه صلى الله عليه وسلم رأى صبيا حلق بعض رأسه فقال احلقوه كله أو اتركوه كله قال النووي رحمه الله في شرح مسلم وهو صريح في اباحته وقال قال الفقهاء انه جائز على كل حال فان شق عليه تعهده بالتسريح والدهن استحب حلقه وان لم يشق استحب تركه (ويرى رعاء الشاء) يرى بالتحتية مبني للمجهول ورعاء بكسر الراء المهملة والمد جمع راع كرعاة ورعيان والشاء بالمد جمع شاة وهي معروفة (رؤس الناس) ورؤس جمع رأس وهو مجاز مشهور بمعنى الرئيس وروي ترى بالتاء الفوقية والخطاب لغير معين نحو ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم ويجوز رفعه ونصبه والعراة الحفاة العراة جمع عار من اللباس والحفاة جمع حاف وهو من ليس في رجله نعل وهذا الحديث في الصحيحين بمعناه وبعض ألفاظه فالمصنف رحمه الله تعالى رواه من طريق آخر ورواه بالمعنى (يتبارون في البنيان) أي يتناظر بعضهم بعضا في بنائه فيريد كل منهم ان يزيد على غيره يقال باراه اذا عارضه فتباري وانبرى وهذا وما قبله كناية عن توسع من لا قدرة له في الدنيا عليها وعلوه على غيره حتى يصير رئيسا بعد فقره وذله وكثرة مفاخرة بعضهم لبعض في البناء العالي كالقصور المشيدة والمساجد المزخرفة وفي مسلم ان ترى الحفاة العراة رعاء الشاء الصم البكم ملوك الارض وروي يتطاولون في البناء يعني ان من أشراط الساعة ان أهل البادية ونحوهم ممن لا لباس له ولا نعل يتوطنون البلاد ويبنون القصور ويترأسون وجهلة الناس وأراذلهم يصيرحا كما واليا عظيم الشان ولقد ظهر ما أخبر به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من هذا المغيبات وهو الآن عيان رأي العين وكنى بكونهم رعاء الى انهم مجهولون الانساب جهلة وانهم مشغولون عن عبادة الله وروي يتمارون بالميم بمعنى يتنازعون والمعنى واحد (وان تلد الامة) أي الجارية المملوكة التي اتخذت سرية (ربتها) بتاء التأنيث ورب وربت بمعنى سيد وسيدة والرب لغة له معان السيد والمالك والمربي والمدبر والقيم والمنعم ويطلق على الله وعلى غيره مضافا وغير مضاف نكرة ومعرفة بحسب القرائن والمقامات والمراد هنا السيد ذكرا كان أو أنثى وأنثه باعتبار النسمة وهو من حديث صحيح مشهور رواه الشيخان وغيرهما وهو من المغيبات واشراط الساعة التي أخبر بها صلى الله تعالى عليه وسلم أصحابه وفي معناه اختلاف كثير فقيل معناه ان الاماء تلدن الملوك فتكون أمه أمة من جملة رعيته وقيل هو عبارة عن فساد أحوال الناس في آخر الزمان وكثرة بيع أمهات الاولاد حتى يشتري الرجل أمه وهو لا يدري انه ابنها فلا يختص بام الولد والامة قد تلد حرا من غير سيدها لوطئها بشبهة قوية أو رقيقا بنكاح أو زنا ويعتق ويتداول الايدي أمه حتى يشتريها ابنها وقيل معناه كثرة العقوق حتى يستطيل الولد على أمه استطالة السيد والذي عد من الاشراط على الاول كثرة التسري فلا ينافي تسري النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بمارية وغيره وفي الشروح كلام مبسوط في هذا الحديث وفيه من دلائل النبوة الاعلام بكثرة التسري والسبي بعد ظهور الاسلام واستيلاء المؤمنين على الكفرة وتملك ديارهم والانذار بان غايته الانحطاط لايذانه بقيام الساعة وكل شيء بلغ الحد انتهى (و) مما أخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم من المغيبات ما رواه الشيخان وهو (ان قريشا والاحزاب لا يغزونه أبدا) الاحزاب جمع حزب وهو الطائفة الكثيرة المجتمعة للتعصب والقتال وتعريفه هنا للعهد اذ المراد احزاب مخصوصون

(وان سيماهم التحليق) أي علامتهم المبالغة في حلق شعورهم وقيل جلوسهم حلقا حلقا (وروى) بصيغة المجهول وقال الدلجي بصيغة الخطاب العام (رعاء الغنم) وفي أصل الدلجي رعاء الشاء وهو نائب الفاعل أو المفعول الاول والثاني قوله (رؤس الناس) أي رؤساءهم (والعراة الحفاة) وفي نسخة والحفاة العراة (يتبارون) بفتح الراء أي يتفاخرون (في البنيان) أي في اطالة بيوتهم وتحسينها وتزيينها فقد روى الشيخان معناه ببعض مبناه فلمسلم وان ترى الحفاة العراة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان وللبخاري واذا تطاول رعاء الابل البهم في البنيان وله أيضا واذا كانت الحفاة العراة رؤس الناس فذلك من أشراطها ولهما وان ترى الحفاة العراة الصم البكم ملوك الارض وفيه اشارة الى ان أرباب الجهالة والقلة والذلة يغلبون على أهل العلم والغنى والعزة (وان تلد الامة ربتها) أي سيدتها فان ولد الامة من سيدها كسيدها لانه سبب لعتقها فهي بنتها فبالاولى ابنها قال الحلبي وفي رواية ربها وفي رواية بعلها أي تلد مثل سيدها ومالكها ومتصرفها أراد به كثرة السبي والسراري في أوقات السعة أو في أزمنة الفتنة أو كناية عن كثرة العقوق وقلة تأدية الحقوق (وان قريشا) أي وأخبر بان كفار قريش بالخصوص (والاحزاب) أي وسائر طوائف الكفار (لا يغزونه أبدا) ولعله بعد غزوة الخندق فعن سليمان بن صرد انه عليه الصلاة والسلام قال حين أجلي الاحزاب

عنه الآن تغزوهم ولا يغزونا نحن نسير اليهم (وانه) أي النبي عليه الصلاة والسلام (هو يغزوهم) أي يبدؤهم بالمحاربة كما وقع له ولاصحابه بفتح مكة واما قوله صلى الله تعالى عليه وسلم يوم فتحها لاتغزى قريش بعده أي لايكفرون فيغزون وقوله في رواية أخرى لاتغزى هذه بعد اليوم الى يوم القيامة أي لاتعود مكة دار كفر يغزى عليه واما ماقيل من ان المعنى لايغزوها كفار أبدا فان المسلمين قدغزوها مرات فيرده قصة القرامطة وكذا حديث يخرب الكعبة ذوالسويقتين من الحبشة يقلعها حجرا حجرا (وأخبر بالموتان) بضم الميم وتفتح أي بالوباء (الذي يكون ١٨٠ بعد فتح بيت المقدس) كما رواه البخاري عن عوف بن مالك قال أتيت النبي صلى الله

في الغزوة المشهورة (وانه هو الذي يغزوهم) بعد اخباره بذلك في الاحزاب وهي غزوة الخندق و بعد أحدوا الخندق لم تغزه قريش وهو صلى الله تعالى عليه وسلم غزاهم حين فتح مكة وأتى بالجملة مؤكدة بالاسمية وان وضمير الفصل لتحقيق وقوعه ونصره ولذا قال صلى الله تعالى عليه وسلم يوم فتحها لاتغزى قريش بعد هذا الى يوم القيامة أي لاتعود مكة دار كفر ولا تغزوها الكفار فلا ينافي ماوقع لبعض المسلمين كالحجاج وكذا حديث ذي السويقتين قال الواقدي انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال هذا لسبع بقين من ذي القعدة (و) مما رواه الشيخان أيضا انه صلى الله عليه وسلم (أخبر بالموتان) بضم الميم بزنة بطلان و بفتحها وسكون الواو وهو مصدر بمعنى الموت الكثير وفتح الميم والواو لايصح هنا لانه اسم يقابل الحيوان وفي القاموس الموتان بالتحريك خلاف الحيوان أوأرض لم تحي بعد و بالضم موت يقع في الماشية وتفتح انتهى يعني ان فعلان بفتحتين في المصادر يختص بما يدل على الحركة كالجولان والدوران وهو من محاسن اللغة العربية اذ جعل اللفظ على وفق معناه فلذا امتنع تحريكه هنا (الذي يكون بعد فتح بيت المقدس) وكان ذلك في خلافة عمر رضي الله تعالى عنه بعمواس بفتحتين وهي قرية من قرى بيت المقدس نزل بها عسكره وهو أول طاعون وقع في الاسلام مات فيه سبعون ألفا في ثلاثة أيام وكان ذلك سنة ست عشرة من الهجرة وعمواس هذه هي القرية التي بين الرملة و بيت المقدس مات فيها أبو عبيدة بن الجراح والحديث أوله عن عوف بن مالك رضي الله تعالى عنه قال أتيت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في غزوة تبوك وهو في قبة من ادم فقال أعدد ستا بين يدي الساعة موتي ثم فتح بيت المقدس ثم موتان يأخذ فيكم كقعاص الغنم بقاف وعين وصاد مهملتين داء تموت به الغنم من وقتها ثم استفاضة المال وعدها الى آخرها وفتنة وهدنة بينكم وبين بني الاصفر والموتان ان خص بالماشية كما مر فهو هنا مجاز مرسل لمطلق الموت أو استعارة ولا ينافيه التصريح باداة التشبيه لانه من وجه آخر وهو شدة السرعة والمنافي له ذكر التشبيه في ذلك المجاز بعينه وقد أشار لما قلناه الشريف في حواشي الكشاف في قوله كان اذني قلبه خطلاوان وهو من الفوائد النفيسة (وماوعد من سكنى البصرة) بتثليث الباء ومعناها ارض غليظة أوذات حجارة والفتح أشهر وأفصح وهي بلدة اسلامية ويقال لها بصيرة بالتصغير أيضا بناها عتبة بن غزوان في خلافة عمر سنة سبع عشرة وسكنت سنة ثمان ومن شرفها انه لم يعبد بها صنم وينسب اليها بصري بكسر وفتح ولا يجوز الضم وهذا الحديث رواه أبو داود عن أنس انه قال له صلى الله تعالى عليه وسلم يا أنس ان الناس يمصرون امصارا وان مصرا منها يقال لها البصرة فان أنت مررت بها أودخلتها فاياك وسباخها وكلاءها وسوقها وباب أمرائها وعليك بضواحيها فانه يكون بها خسف وقذف ورجف ومسخ وضواحيها نواحيها ومنه قريش الضواحي للنازلين ببطحائها وظواهرها وكلاؤها بتشديد اللام مرسى سفنها وفي هذا من أعلام النبوة والاخبار

تعالى عليه وسلم في غزوة تبوك وهو في قبة من ادم فقال اعدد ستا بين يدي الساعة موتي ثم فتح بيت المقدس ثم موتانا يأخذ فيكم كقعاص الغنم القعاص بضم القاف داء يأخذ الغنم لا يلبثها ان تموت ثم استفاضة المال حتى يعطى الرجل مائة دينار فيظل ساخطا ثم فتنة لا يبقى من العرب حي الا دخلته ثم هدنة تكون بينكم و بين بني الاصفر فيغدرون فيأتونكم تحت ثمانين غاية أي راية تحت كل غاية اثنى عشر الفا انتهى وكان هذا الموتان في خلافة عمر بعمواس من قرى بيت المقدس وبها كان عسكره وهو أول طاعون وقع في الاسلام مات به سبعون ألفا في ثلاثة أيام و بنو الاصفر هم الروم لان جدهم المنسوبون اليه كان أصفر وهو روم بن عيص ابن اسحق بن ابراهيم عليهما السلام (وماوعد من سكنى البصرة) بفتح الموحدة وحكي ضمها الا انه لايجوز في النسبة اتفاقا بالغيب فقد روى أبو داود عن أنس انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال له يا أنس ان الناس يمصرون امصارا وان مصرا منها يقال لها البصرة فان أنت مررت بها أودخلتها فاياك وسباخها وكلاءها بتشديد اللام أي ساحلها وسوقها وباب أمرائها وعليك بضواحيها أي نواحيها الظاهرة بها فانه يكون بها خسف وقذف ورجف وقوم يبيتون و يصبحون قردة وخنازير واول هذه الامور وردت معنوية أوترد بعد ذلك صورية هذا وقد بنى البصرة عتبة بن غزوان في خلافة عمر سنة سبع عشرة وسكنها الناس سنة ثماني عشرة لم يعبد الصنم قط على ارضها

(وانهم يغزون فى البحر كالملوك على الاسرة) كما فى الصحيحين بلفظ كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يدخل على أم حرام بنت ملحان من خالات النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من الرضاع وكانت تحت عبادة ابن الصامت فدخل عليها يوما

بالغيب مالايخفى ويجوز كسر صادها ولهم بلدة بالغرب تسمى البصرة أيضا والمراد الاولى وسكنى مصدر كعقبى بمعنى الاقامة بها ونزولها (و) من اخباره صلى الله تعالى عليه وسلم عن الغيب أيضا فى حديث رواه الشيخان (انهم) أى أمته صلى الله تعالى عليه وسلم (يغزون فى البحر) بعده صلى الله تعالى عليه وسلم فانه لم يكن ذلك فى حياته والمراد بالبحر البحر الملح لانه اذا أطلق ينصرف اليه ولم يعهد فى غيره الانادرا (كالملوك على الاسرة) وهو تشبيه بليغ والاسرة جمع سرير وهو مقعد يعد للملوك مرتفع يجلسون عليه ترفعا وتعظما ومؤخر المراكب المعدة للغزو والذى يقعد عليه رئيسهم تعمل على هيئة سرير الملك بعينه كما يعرفه من شاهده فهو من الاعلام العجيبة لانه لم تكن ذلك بديار العرب ولم يره أحد منهم فتوصيفه صلى الله تعالى عليه وسلم له كمن عرفه وجلس عليه مما تحار فيه العقول والحديث عن أنس ابن مالك رضى الله تعالى عنه عن خالته أم حرام بنت ملحان وكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم نام عندها يوما لانه محرم لها ثم استيقظ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو يتبسم فقالت لم ما أضحكك يارسول الله قال اناس من امتى عرضوا على يركبون البحر الاخضر كالملوك على الاسرة قالت ادع الله تعالى ان يجعلنى منهم فدعا لها ثم نام فرأى ذلك فقال لها ماقال أولا ودعا لها وقال لها أنت من الاولين فخرجت مع زوجها عبادة بن الصامت مع المسلمين الغزاة فى البحر مع معاوية رضى الله تعالى عنه فلما انصرفوا اقرب لها دابة تركبها فوقعت وماتت شهيدة ثمة واختلف فى زمنه فقيل فى زمن معاوية كما مر وقيل فى زمن عثمان رضى الله تعالى عنه وجمع بينهما بانه فى زمن عثمان رضى الله تعالى عنه أمر معاوية رضى الله تعالى عنه بغزو البحر فغزاه بامر عثمان رضى الله عنه ثم لما ولى الخلافة غزاه بنفسه وفى الحديث معجزات اخباره صلى الله تعالى عليه وسلم عن غزو أمته فى البحر وغلبتهم وظهور شوكة الملوك فيهم وان أم حرام من أولهم وفيه دليل على جواز ركوب البحر للرجال والنساء خلافا لمالك فى كراهته للنساء فى رواية عنه وان الغزو فيه مشروع مطلوب وورد فى الحديث ان غزو البحر يزيد أجره على البر بعشر درجات لما فيه من المشاق وهذه الغزوة أول غزوة فيه وهى فتح قبرس وكان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه لم يأذن فى ذلك أولا ثم لما ذكر له هذا الحديث أمر به وجهز الاسطول كما هو مفصل فى محله وليس المراد بالبحر فى الحديث بحر الشام وتعريفه للعهد بل مطلقه كما لايخفى وأم حرام رضى الله تعالى عنها مدفونة بقبرس وقبرها معروف بها يزار وفى نسخ ثبج البحر بمثلثة وموحدة وجيم وهو وسطه ومعظمه (و) أخبر صلى الله تعالى عليه وسلم (ان الدين لو كان منوطا) أى معلقا (بالثريا لناله) أى وصل اليه (رجال من أبناء فارس) أى ناس منهم ومناط الثريا كناية عن غاية البعد وهى كواكب مجتمعة اختلف فى عدتها كما مر وهى من المنازل المشهورة وهى أى الثريا مشهورة بالعلو فى السماء ويضرب بها المثل ولفظها مصغر من الثروة كما تقدم والدين بمعنى الايمان أو الشرع ومايتعلق به وهو كناية عن ان هؤلاء يصلون منه لما لم يصل اليه غيرهم قط وهذا من حديث رواه الشيخان وهو من اعلام النبوة أيضا لما ظهر فيهم من الاولياء والعلماء وماظهر منهم من التصانيف التى لاتعد ولم يات الدهر بمثلها وما كان فيهم من خدمة كتاب الله وحديث رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم فلا تجد فنا الا وقد حازوا قصب السبق فيه وانظر الى البخارى هل له مثيل وليست هذه شعوبية كما يتوهمه من يتعصب تعصب الجاهلية وانما هو تحقيق لما أخبر به سيد البرية صلى الله تعالى عليه وسلم وفارس جبل معروف ويقال لهم الفرس أيضا وهم من أولاد سام بن نوح على الاشهر وفارس اسم جدهم سموا

فاطعمته ثم جلست تفلى رأسه فنام ثم استيقظ يضحك فقالت مم تضحك قال ناس من أمتى عرضوا على غزاة فى سبيل الله يركبون ثبج أى وسطه ومعظمه وقيل ظهره هذا البحر ملوك على الاسرة أو كالملوك على الاسرة فقالت ادع الله تعالى ان يجعلنى منهم فدعا لها ثم نام ثم استيقظ يضحك فقالت مم تضحك فقال كالاول فقالت ادع الله تعالى ان يجعلنى منهم فقال أنت من الاولين فركبت البحر فى زمن معاوية فصرعت عن دابتها بعد خروجها منه فهلكت والاسرة جمع سرير وهو بساط الملك (وان) أى وأخبر بان (الايمان لو كان منوطا) أى معلقا (بالثريا لناله رجال من أبناء فارس) وهم المشهورون الآن باسم العجم ولفظ الشيخين عن أبى هريرة كنا عند النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اذ نزلت سورة الجمعة فلما نزلت وآخرين منهم لما يلحقوا بهم قالوا من هم يارسول الله فوضع يده على سلمان الفارسى ثم قال لو كان الايمان عند الثريا لناله رجال من هؤلاء وجمع اسم الاشارة مع ان المشار اليه واحد لارادة الجنس ولو هنا لمجرد الفرض والتقدير مبالغة لحدة فطنتهم وقوة فطرتهم وأراد بآخرين التابعين اللاحقين بالصحابة السابقين وأعلاهم فى هذا المقام الافخم هو الامام الاعظم والله تعالى أعلم

به ويطلق على بلادهم أيضا والحديث مروي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال كنا جلوسا عنده صلى الله تعالى عليه وسلم فانزل الله تعالى عليه سورة الجمعة وقوله فيها وآخرين منهم لما يلحقوا بهم فقلت من هم يا رسول الله وفينا سلمان الفارسي رضي الله تعالى عنه فوضع صلى الله تعالى عليه وسلم يده عليه ثم قال لو كان الايمان عند الثريا لناله رجال أو رجل من هؤلاء وفي رواية لو كان العلم وروى أيضا ان ذلك كان عند نزول قوله تعالى وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ولا مانع من تعدد سبب النزول كما حققه المفسرون والاشارة بهؤلاء مع ان المشار اليه واحد وهو سلمان رضي الله تعالى عنه لان المراد به الجنس أو هو بتقدير من جنس هؤلاء (و) من ذلك ما رواه مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه انه (هاجت) أي هبت (ريح) بشدة (والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم في غزواته) أي في غزوة من غزواته وهي غزوة تبوك وهو محل من أرض الشام كما قيل وفيه نظر (فقال انها لموت منافق) أي رجل من المنافقين وهو رفاعة بن زيد بن التابوت أحد بني قينقاع وكان من عظماء اليهود كهف المنافقين فلذا سماه منافقا وقال ابن الجوزي انه عم قتادة بن النعمان رضي الله تعالى عنه وذكر عنه قتادة بن النعمان رضي الله تعالى عنه انه رأى منه ما يدل على صحة اسلامه وقال الذهبي في التجريد ان له صحبة فتسميته منافقا على حقيقته وظاهره وروى انها لموت عظيم من عظماء الكفار وهو أيضا محمول على ظاهره أو هو باعتبار ما في قلبه من الكفر المضمر وصحح البرهان ان هذه الغزوة غزوة بني المصطلق وكان ذلك في رجوعه منها سنة ست أو أربع أو خمس قبل الخندق على اختلاف فيها وهذه علامة لما ذكر لانها تدل على غضب الله تعالى كما في ريح عاد التي أهلكتهم كما تهلك ريح السموم من هبت عليه لانه استدل بها كما يستدل بالنجوم وحوادث الجو عند الحكماء والمنجمين ولا حاجة الى ان يقال انها علامة لما صنعه الله تعالى وقدره واطلع من أراد عليه والممنوع ادعاؤها واسناده لها وجعلها مؤثرة فيه (فلما رجعوا) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ومن معه من تلك الغزوة (وجدوا ذلك) أي ما أخبر به النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من المغيبات بموت ذلك المنافق المذكور فهلك في وقت اخباره صلى الله تعالى عليه وسلم (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث رواه الطبراني عن رافع بن خديج رضي الله تعالى عنه بسند صحيح (لقوم من جلسائه) من الصحابة رضي الله تعالى عنهم وهو جمع جليس بمعنى مجالس مثل كريم وكرماء (ضرس أحدكم) أي واحد منكم أيها الحاضرون (في النار) أي اذا كان في جهنم (مثل أحد) أي كالجبل المذكور عظما وهو عبارة عن ان أحدهم يموت كافرا لما في حديث آخر ضرس الكافر مثل أحد وجسم المعذب كلما ازداد عذابه فكان أشد عليه وكونه عبارة عن ثبات عذابهم وقوة صبرهم عليه كما قيل في غاية البعد (قال أبو هريرة) رضي الله تعالى عنه الذي كان الخطاب له (فذهب القوم) الذين كانوا جلساءه أي ماتوا كلهم كما أشار اليه بقوله (يعني) أبو هريرة بقوله ذهب القوم (ماتوا) فان الذهاب حقيقته الانصراف عن مكان وقد يخص بالموت كقول قس * في الذاهبين الهالكين لنا بصائر * (وبقيت أنا ورجل) منهم ولم يعينه لكراهته والستر على من كان صحابيا بحسب الظاهر واسمه الرجال بن عنفوة والرجال براء مهملة وحاء مهملة بن ولام وقيل انه بالجيم وهو الاصح رواية وهو من أهل اليمامة (فقتل مرتدا) حال من ضمير قتل النائب عن الفاعل والضمير لرجل (يوم اليمامة) أي في حرب كان باليمامة وهي اسم أرض معروفة شرقي الحجاز ومدينتها العظمى الحجر ويسمى حجر اليمامة أيضا وقيل قتله زيد بن الخطاب في حرب مسيلمة لعنه الله وكان معه وقدم مع وفد بني حنيفة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأسلم وتعلم القرآن فلما ادعى مسيلمة الشرك مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في الوحي ارتد وشهد له بذلك (وأعلم) الصحابة رضي الله تعالى

عنهم

(وهاجت ريح) أي هبت بشدة (في غزاته) أي حين النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وغزاته في بعض غزواته وهي غزوة تبوك من الشام على ما ذكره الدلجي أو غزوة بني المصطلق كما قرره الحلبي وهو أولى بالاعتماد (فقال) أي النبي عليه الصلاة والسلام (هاجت لموت منافق فلما رجعوا الى المدينة وجدوا ذلك) أي موت المنافق على وفاق ما أخبر به هنالك وهذا المنافق هو رفاعة ابن زيد بن التابوت أحد بني قينقاع وكان من عظماء اليهود وكهفاء المنافقين كذا قاله أبو اسحق على ما ذكره الحلبي (وقال) أي النبي عليه الصلاة والسلام كما رواه الطبراني عن رافع ابن خديج (لقوم من جلسائه) وهم أبو هريرة الدوسي وفرات بن حيان العجلي والرجال ابن عنفوة اليمامي وهو المراد من قوله (ضرس أحدكم) أي واحد منكم لا كل واحد منكم (في النار أعظم من أحد) أي هيئة وصورة في هذا تلويح بان يموت أحدهم كافرا الحديث ضرس الكافر في النار مثل أحد رواه مسلم وغيره (قال أبو هريرة فذهب القوم يعني) أي يريد بقوله ذهبوا (ماتوا فبقيت أنا ورجل فقتل) ان ذلك الرجل (مرتدا يوم اليمامة) ناحية شرقي الحجاز معروفة (وأعلم) أي أخبر صلى الله تعالى عليه وسلم كما رواه أبو داود والنسائي عن زيد بن خالد الجهني

(بالذي غل) أي خان فأخذ من الغنيمة قبل القسمة (خرزا من خرز يهود) بفتح الخاء المعجمة والراء فزاي وهي الجواهر وما ينتظم من نحوها والمراد بها هنا فصوص من الحجارة (فوجدت) أي تلك الخرز (في رحله) أي بعد موته فعن زيد بن خالد الجهني قال توفي رجل يوم خيبر فذكروا لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال ان صاحبكم قد غل في سبيل الله قال ففتحنا متاعه فوجدنا خرزات من خرزات يهود ما تساوي درهمين (وبالذي) أي وأعلم صلى الله تعالى عليه وسلم كما رواه الشيخان (عن أبي هريرة) بالذي (غل الشملة وحيث هي) أي وبالمكان الذي هي فيه وهي كساء يشتمل به الرجل ولفظهما أهدى رجل لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم غلاما اسمه مدعم فبينما هو يحط رحلا لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم جاءه سهم عائر أي لا يدرى راميه فقتله فقالوا هنيئا له الجنة فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كلا والذي نفسي بيده ان الشملة التي أخذها يوم خيبر من الغنائم قبل القسمة لتشتعل عليه نارا ذكره الدلجي وقال الحلبي الذي غل الشملة هذا كركرة قال النووي يقال بكسر الكافين وبفتحهما جعله في المبهمات وكذا هو في سنن ابن ماجه في الجهاد (وناقته) ضبط بالرفع في النسخ ولعل التقدير وكذا ناقته أي قضيتها أو وحيث هي وناقته كما في أصل التلمساني والظاهر جرها أي وأعلم صلى الله تعالى عليه وسلم كما رواه البيهقي بناقته ومكانها (حين ضلت) أي ضاعت وفقدت (وكيف تعلقت بالشجرة بخطامها) أي برسنها أو زمامها وذلك أنه صلى الله تعالى عليه وسلم حين قفل من غزوة بني المصطلق أخذتهم ريح كادت ان تدفن الراكب وهي التي أخبر انها هاجت لموت منافق وضلت ناقته عليه الصلاة والسلام في تلك الليلة فقال رجل من المنافقين كيف يزعم انه يعلم الغيب ولا يعلم مكان ناقته ألا يخبره الذي يأتيه بالوحي فأتاه جبريل عليه السلام وأخبره بقول المنافق وبمكان الناقة وأخبر صلى الله تعالى عليه وسلم أصحابه بها وقال ما أزعم اني أعلم الغيب ولكن الله أخبرني بقول المنافق وبمكان ناقتي وهي في الشعب وقد تعلق زمامها بشجرة فخرجوا يسعون قبل الشعب فوجدوها حيث قال وكما وصف فجاؤا بها وآمن ذلك المنافق

عنهم: يب عنهم وهو ماض مبني للفاعل بوزن أكرم وفاعله ضمير النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا الحديث رواه أبو داود والنسائي عن زيد بن خالد الجهني (بالذي غل) بغين معجمة ولام مشددة من الغلول وهو السرقة خفية كأن الايدي غلت أو من الغلل وهو الماء الجاري تحت النبات وكثر استعماله في السرقة من الغنائم (خرزا) بخاء معجمة وراء مهملة وزاي معجمة واحده خرزة وهي حجارة تنظم ويزين بها وكل جوهر (من خرز يهود) ممنوع من الصرف لانه علم لهذه الطائفة سموا باسم جدهم يهودا بن يعقوب أخو يوسف والمراد به يهود خيبر لانه توفي بها فذكر ذلك له صلى الله عليه وسلم فقال صلوا على صاحبكم فتغيرت وجوه الناس لذلك فقال ان صاحبكم قد غل في سبيل الله ففتشنا متاعه ومامعه (فوجدت) تلك الخرز التي غلها (في رحله) أي في منزله ومامعه بعد موته وهي لا تساوي درهمين وأصل الرحل ما يوضع على البعير ويتجوز به هنا عن محله النازل فيه بما معه وهذا الرجل لا يعرف اسمه (و) اعلم أيضا بما هو من الغيب (بالذي غل) أي سرق كما مر (الشملة) وهي المرة من الشمول وكساء صغير يشتمل به الانسان وهذا بعض حديث رواه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال أهدى رجل لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم غلاما اسمه مدعم فبينما هو يحط رحل رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءه سهم عائر فقتله فقلنا هنيئا له الجنة فقال صلى الله تعالى عليه وسلم كلا والذي نفسي بيده ان الشملة التي أخذها يوم خيبر من الغنائم قبل القسمة لتشتعل عليه نارا ففيه اخبار عن الغيب باعتبار اخباره بسرقته وبكونه معذبا وعائر بعين وراء مهملتين اصابه من غير قصد من عار الفرس اذا انفلت وقيل انه اشارة لحديث المصابيح وهو ان رجلا فقل عليه صلى الله تعالى عليه وسلم يقال له كركرة بفتحتين أو كسرتين فمات فقال صلى الله تعالى عليه وسلم هو في النار فذهبوا ينظرون فوجدوا عنده عباءة غلها واقتصر السيوطي رحمه الله تعالى على الاول وانه الذي عناه المصنف وهو الظاهر والنووي في المبهمات على الثاني والبرهان تبعه والذي أوجب عدول الجلال عنه لفظ الشملة وفيه تعظيم الغلول في الغنائم لتعلق حق المسلمين كلهم به واذا عرف يرد للامام أو يتصدق به وقيل انه يحرق وقيل انه مبني على التعزير بأخذ المال وهو منسوخ واذا كان هذا من الكبائر فما حال ولاة الامور اليوم فانا لله وانا اليه راجعون (وحديث ناقته) أي مما أعلم به صلى الله تعالى عليه وسلم من المغيبات حديث ناقته الذي رواه البيهقي عن عروة مرسلا (حين ضلت) ناقته وغابت عنه حتى لم يروها (وكيف تعلقت) ناقته (بالشجرة بخطامها) بكسر الخاء المعجمة وهو زمامها ومقودها وكان صلى الله تعالى عليه وسلم طلبها لما ضلت فقال رجل من المنافقين كيف يزعم محمد انه يعلم الغيب ولا يعلم مكان ناقته ألا يخبره الذي يأتيه بالوحي فأتاه جبريل وأخبره بقول المنافق وبمكان ناقته فقال صلى الله

يسير كالسيل وأقسم بالله لوسار اليكم وحده لنصره الله عليكم فانه منجز له ماوعده وقيل كتب ان محمدا قد نفر فاما اليكم واما الى غيركم فعليكم الحذر ذكرهما السهيلي ولامنع من الجمع فتدبر ومن فضائل حاطب على مافي نظم الدر أنه عليه الصلاة والسلام حين بعثه الى المقوقس قال له ان كان صاحبك نبيا فلم لم يدع على قومه حين أخرجوه من بلده فقال له حاطب منعه الذي منع عيسى من الدعاء على من رام صلبه فاسكته بذلك وأخجله هنالك (وبقصة عمير) وفي نسخة بقضية عمير وهو بالتصغير ابن وهب بن خلف (مع صفوان) أي ابن أمية ابن خلف (حين ساره) بتشديد الراء أي خافت صفوان بقتله صلى الله تعالى عليه وسلم (وشارطه) أي جعل له جعلا (على قتل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي فخاب سعيهما وضاع كيدهما (فلما جاء عمير للنبي) وفي نسخة الى النبي (صلى الله تعالى عليه وسلم قاصدا لقتله وأطلعه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على الامر) أي الذي جاء بصدده (والسر) أي المخفي عن غيره (أسلم) أي عمير وكذا أسلم صفوان بعد حنين ذكره الحلبي والحديث رواه ابن اسحق والبيهقي والطبراني

تعالى عليه وسلم ما أزعم اني أعلم الغيب ما أعلمه ولكن الله تعالى أخبرني بقول المنافق وبمكان ناقتي وهي في الشعب قد تعلق زمامها بشجرة كذا فخرجوا يسعون قبل الشعب فوجدوها حيث قال وكما وصف فجاؤا بها وآمن ذلك المنافق وهو زيد اللصيب أو ابن اللصيب بفتح اللام وكسر الصاد المهملة وكان أولا من اليهود وماذكرناه من عبارة المتن هو الصحيح كما ذكره السيوطي في مناهل الصفا في تخريج أحاديث الشفا ووقع في بعض النسخ وحيث هي ناقته حين ضلت وفي أخرى ومن ضلت ناقته حيث هي حين ضلت وكيف الى آخره فقال بعضهم هو مجرور عطف على الذي أومبني على الكسر كما جوزه النحاة وحيث خرجت عن الظرفية معمول لاعلم وناقته مبتدأ وهي مبتدأ ثان خبره محذوف أي موجودة والجملة في محل جر باضافة حيث وأنت في غنى عن مثله (و) من المغيبات التي أعلم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أصحابه بها مارواه الشيخان عن علي كرم الله وجهه حين أعلم (بشأن كتاب حاطب) بن أبي بلتعة الصحابي البدري المشهور الذي أرسله (الى أهل مكة) لما تجهز النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لفتح مكة ولم يعلم أحدا بتوجهه ومقصده فكتب حاطب كتابا اليهم فيه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قد توجه اليكم بجيش كالليل يسير كالسيل وأقسم بالله لوسار اليكم وحده نصره الله عليكم فانه منجز له ماوعده فعليكم الحذر فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لعلي و بعض الصحابة اذهبوا الى روضة خاخ ففيها جارية معها مكتوب فأتوني به وكان صلى الله تعالى عليه وسلم أخفى مسيره فأتوا المحل فوجدوا الجارية فانكرت ففتشوها فلم يجدوا معها شيأ فهموا بالرجوع ثم بدا لعلي رضي الله تعالى عنه أن خبره صلى الله تعالى عليه وسلم صدق فهدد الجارية فأخرجت الكتاب من عقصتها فلما أتوا به قال عمر رضي الله تعالى عنه دعني أضرب عنقه فقال صلى الله تعالى عليه وسلم لا فان الله اطلع على أهل بدر وقال اصنعوا ماشئتم فاعتذر له حاطب بان له ثمة أهلا ومالا وخشي ضياعه فأراد ان يضع فيهم يدا يقتضي حفظه فقبل عذره كما تقدم والقصة مفصلة في شروح السير والبخاري والكتاب كان مع امرأة تسمى أم سارة (و) مما أخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم من المغيبات مارواه ابن اسحق والبيهقي والطبراني حين أعلم (بقصة عمير) بالتصغير ابن وهب بن خلف (مع صفوان) بن أمية بن خلف (حين ساره) أي أخبر عمير صفوان سرا في خفية لم يسمعه أحد وذلك السر انه يقتل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اذ يأتيه بغتة بحيث لم يشعر به أحد وكان شجاعا فاتكا (وشارطه على قتل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي اشترط عليه مايعطيه ان فعل ذلك (فلما جاء عمير الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قاصدا لقتله وأطلعه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على الامر والسر) الذي كان بينهما لم يطلع عليه غيرهما وهما بمكة (أسلم) عمير وحسن اسلامه لما شاهده من المعجزات الباهرة وحاصل ذلك ان عمير بن وهب جلس مع صفوان بن أمية وهو ابن عمه في الحجر بعد بدر فذكروا أصحاب القليب ومصابهم فقال صفوان والله ليس في العيش بعدهم خير فقال عمير صدقت والله لولا دين علي ليس عندي قضاؤه وعيال أخشى ضياعهم لكنت آتي محمدا حتى أقتله فان لي فيهم علة ابني أسير عنده فاغتنمها صفوان فقال علي دينك أقضيه وعيالك مع عيالي أواسيهم مابقوا فقال اكتم عني شأني ثم شحذ سيفه أي سنه وسمه وانطلق حتى أتى المدينة وأناخ بباب المسجد متوشحا بسيفه فرآه عمر رضي الله عنه فقال هذا الكلب عدو الله ماجاء الا لشر وأخبر به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال له أدخله علي فاقبل عمر رضي الله

تعالى

تعالى عنه حتى أخذ بحمالة سيفه لببه بها ثم أدخله فلما رآه صلى الله تعالى عليه وسلم قال أرسله يا عمر ادن مني يا عمير فدنا فقال ما جاء بك قال جئت لهذا الاسير فاحسنوا اليه قال فما بال السيف في عنقك قال قبحه الله ما أغنى شيأ قال أصدقني ما الذي جئت له قال ما جئت الا لذلك قال بل قعدت أنت وصفوان بالحجر وذكرأصحاب القليب وقلت لولا دين علي وعيالي خرجت الى محمد حتى أقتله فتحمل دينك وعيالك وجئت لتقتلني فقال أشهد انك رسول الله وقد كنا نكذبك وهذا أمر لم يحضره الا أنا وصفوان فوالله اني لاعلم انه ما أتاك به الا الله فالحمد لله الذي هداني للاسلام وتشهد فقال صلى الله تعالى عليه وسلم فقهوا أخاكم دينه فاقرؤه القرآن واطلقوا أسيره وأما صفوان فهرب خائفا يوم الفتح ثم جاء مستأمنا فاسلم وحسن اسلامه وكان عمير أبغض الناس لعمر فلما أسلم كان أحب الناس اليه وهو من سادات قريش وفصحائها فتممت سيادته بالاسلام وله أحاديث في السنن (وأخبر) أيضا صلى الله تعالى عليه وسلم فيما رواه أحمد عن ابن عباس والحاكم والبيهقي عن عائشة بسند صحيح (بالمال الذي تركه عمه العباس) بمكة (عند أم الفضل) لبابة بنت الحارث بن حرب الهلالية زوجته كنيت باسم ابنها الفضل كما كني العباس أبو الفضل وهي من أشراف الصحابة رضي الله تعالى عنها يقال انها أول امرأة أسلمت بعد خديجة وكان كتم ماله عندها وأخفاه حتى عن أولاده كما أشار اليه بقوله (بعد ان كتمه) فلما أسر ببدر لما خرج مع كفار قريش وطلب منه الفداء فقال لا مال لي فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم ما صنع المال الذي وضعته عند أم الفضل (فقال ما علمه غيري وغيرها فاسلم) وقيل له لم تسلم قبل الفداء ليبقى لك مالك الذي افتديت به فقال لم أكن لاحرم المؤمنين ما طعموا فيه من مالي وقد قيل انه أسلم قبله ولكن كان يخفي اسلامه لما فيه من نفع المسلمين من وجوه لا تعد وفي بعض النسخ أم الفضيل بالتصغير وهو خطأ من الناسخ وأصل الحديث انه كانت قريش بعثت بفداء اسرائهم فقال العباس يا رسول الله اني كنت مسلما فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الله أعلم باسلامك فان يكن كما تقول فالله يجزيك فاما ظاهر أمرك فقد كان علينا فافد نفسك وابني أخيك نوفل بن الحارث وعقيل بن أبي طالب وحليفك عتبة وأخي بني الحارث قال ما عندي ما يفي بالفداء قال فما فعلت بالمال الذي دفنته عند أم الفضل وقلت ان أصبت في سفري فالمال لولدي فقال والله يا رسول الله هذا شئ ما علمه غيري وغيرها فاحسب لي ما أصبتم أي فانه جاء ان العباس خرج لبدر ومعه عشرون أوقية من الذهب ليطعم بها المشركين فاخذت منه في الحرب فكلم النبي صلى الله عليه وسلم ان يحسب العشرين أوقية من فدائه فابى وقال أما شئ خرجت تستعين به علينا فلا نتركه لك فقال ذلك أعطاه الله لنا ففداهم فانزل الله يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الاسرى الآية ومقتضى قول المصنف فاسلم انه ما أسلم الا حينئذ والذي قالوه انه أسلم قبل فتح خيبر وكان يكتم اسلامه وقال ابن عبد البر قيل ان اسلامه كان قبل بدر وكان المسلمون بمكة يتقوون وكان العباس يكتب لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أحوال المشركين وأحب أن يقدم عليه المدينة فكتب اليه مقامك بمكة خير ولذا قال صلى الله تعالى عليه وسلم يوم بدر من لقي منكم العباس فلا يقتله فانه انما خرج مكرها (و) مما أخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم فيما رواه البيهقي عن عروة وسعيد بن المسيب مرسلا انه (أعلم انه سيقتل) بنفسه (أبي بن خلف) كما تقدم فجرحه بعنقه في أحد فمات بمحل يسمى سرفا وكان قبل ذلك اذا لقيه بمكة يقول عندي فرس أعلفها كل يوم لأقتلك عليها فيقول له صلى الله تعالى عليه وسلم بل أنا أقتلك ان شاء الله فلما كان يوم أحد أقبل يقول أين محمد لا نجوت ان نجا فاعترض دونه جماعة من المسلمين فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خلوا سبيله ونظر فرجة من درعه على ترقوته فطعنه طعنة لم يخرج منها دم ووقع عن فرسه ورجع اليهم فقالوا له

(وأخبر بالمال الذي تركه عمه العباس عند أم الفضل) أي زوجته وهي لبابة بنت الحارث أول امرأة أسلمت بعد خديجة وقيل بل هي فاطمة بنت الخطاب وفي نسخة أم الفضيل بالتصغير وهو غلط محض بل لم يعلم في الصحابيات من يقال لها أم الفضيل بالتصغير وكان ذلك (بعد ان كتمه) أي العباس ذلك الخبر عن الغير (فقال) أي العباس (ما علمه غيري وغيرها) أي وما هذا الا باعلام الله سبحانه اياك (فاسلم) أي فصار سبب اسلامه بعد ان فدى نفسه فقيل له لم تسلم قبل الفداء ليبقى لك ما افتديت به فقال لم أكن لاحرم المؤمنين مما طعموا من مالي أقول ولعله أخر اسلامه بعد ان تحقق حاله لئلا يظن به انه انما أسلم لئلا يدفع ماله والحديث رواه أحمد عن ابن عباس والحاكم وصححه والبيهقي عن الزهري وغيره مرسلا (واعلم انه) وفي نسخة بانه أي النبي عليه السلام (سيقتل) أي بيده (أبي ابن خلف) كما رواه البيهقي عن عروة وسعيد ابن المسيب مرسلا وسبق انه عليه السلام جرحه باحد في عنقه فمات بسرف

(وفي عتبة) وفي نسخة عتيبة وهي الصواب كما تقدم (ابن أبي لهب) أي وأعلم صلى الله تعالى عليه وسلم في شأنه (انه يأكله كلب من كلاب الله) وفي نسخة يأكله كلب الله وأبعد الدلجي في تقديره هنا حيث قال وقال في عتبة لعدم دلالة عليه وللزوم كسر همزة انه مع ان الرواية بالفتح (وعن مصارع أهل بدر) أي وأعلم كما في مسلم عن مواضع هلاك كفار قريش ممن قتل بها بقوله هذا مصرع فلان وهذا مصرع فلان (فكان كما قال) أي كما أخبر في الحال (وقال) أي النبي عليه الصلاة والسلام كما روى الشيخان وغيرهما من طرق (في الحسن) أي ابن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهما (ان ابني هذا سيد) أي كريم حليم (وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين) وفي رواية ولعل الله ان يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين أي جماعتين كثيرتين من أشياعه واتباع معاوية وقد بلغت كل فئة أربعين ألفا قال الحسن البصري فلما ولي ما أهريق بسببه محجمة دم وقال هشيم لما أسلم الامر لمعاوية قال له معاوية قم فتكلم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فان أكيس الكيس التقى وان أعجز العجز الفجور الا وان هذا الامر الذي اختلفت فيه أنا ومعاوية حق لامرئ كان أحق به مني أو حق لي تركته لمعاوية ارادة اصلاح المسلمين وحقن دمائهم وان أدري لعله فتنة لكم ومتاع الى حين ثم استغفر ونزل وفي رواية خطب معاوية ثم قال قم يا حسن فكلم الناس فتشهد ثم قال أيها الناس ان الله هدا كم بأولنا وحقن دماءكم بآخرنا وان لهذا الامر مدة والدنيا دول وان الله قال لنبيه عليه الصلاة والسلام قل ان أدري أقريب أم بعيد ما توعدون انه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون وان أدري لعله فتنة لكم ومتاع الى حين في شرح السنة قد خرج مصداق هذا الحديث في الحسن بترك الامر حين صارت الخلافة اليه وكان أحق بها وأهلها فسلمها الى معاوية وترك الملك والدنيا ورعا ورغبة فيما عند الله واشفاقا على الامة من الفتنة لا من القلة والذلة ان كان معه يومئذ أربعون ألفا قد بايعوه على الموت فاصلح الله به بين الفرقتين أهل الشام فرقة معاوية وأهل العراق فرقة الحسن

كان

ما بك من بأس فقال لو بصق علي محمد لقتلني فقتل قاتله الله في مرجعه من أحد (و) مما اعلم به صلى الله عليه وسلم انه قال (في عتبة ابن أبي لهب انه يأكله كلب من كلاب الله) فأكله الاسد وهو ذاهب الى الشام والاسد يسمى كلبا وهو يشبهه صورة ولما أضافه لله أفادته الاضافة تعظيما كما قاله الثعالبي في المضاف والمنسوب وقد تقدم ان أبا لهب كان له أولاد معتب وعتبة وعتيبة بالتصغير وان المصغر هو عقير الاسد والمكبر أسلم وكان من كبار الصحابة فالصواب ان يقول المصنف رحمه الله تعالى عتيبة بالتصغير الا ان من علماء الحديث من قال مثل ما قاله المصنف رحمه الله تعالى فلا اعتراض غير مسلم كما مر ثم ان المصنف رحمه الله تعالى ذكر هذا في فصل اجابة دعائه فتكون هذه الجملة دعائية انشائية وكلامه هنا يقتضي انها خبرية أخبر بها عن أمر مغيب فبين كلاميه تدافع والجواب عنه ان كلا منهما محتمل فذكره ثمة باعتبار وهنا باعتبار ويؤيده انه لما خاف من الاسد قال له رفقاؤه لم اشتد عليك قال ان محمدا قال لي كذا وهو لا يقول الا صدقا والصدق من خواص الخبر وقد يقال ان الدعاء عند من تحقق اجابته خبر معنى (و) أخبر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (عن مصارع أهل بدر) أي محال قتلهم ووقوعهم على الارض يعني من قتل بها من كفار قريش وصناديدهم فقال قبل وقعتها هذا مصرع فلان وهذا مصرع فلان مشيرا الى محال قتلاهم بها قبل وقوعه وسماهم أهلها لبقاء جثثهم فيها كما يقال أهل الدار لمن بها (فكان) ما أخبر به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن مصارعهم (كما قال) لم يتجاوز أحد منهم موضعه الذي عينه له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وفيه من الاخبار بالغيب ما لا يخفى وأصل هذا الحديث كما في صحيح مسلم وغيره انه صلى الله تعالى عليه وسلم قام ببدر قبل قتالهم وقال هذا مصرع فلان ووضع يده على الارض ثم قال هذا مصرع فلان ووضع يده عليها وعدهم واحدا واحدا مشيرا لمصارعهم فلم يتجاوز أحدهم موضعه فصرعوا كذلك ثم جروا بأرجلهم وطرحوا في القليب ثم جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى وقف عليهم وقال يا فلان ابن فلان يناديهم باسمائهم واحدا بعد واحد هل وجدتم ما وعد ربكم حقا فقال الصحابة لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أتكلم أجسادا لا أرواح لها فقال والذي نفسي بيده ما أنتم باسمع منهم لكلامي ولكنهم لا يستطيعون ان يردوا (وقال) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث صحيح رواه الشيخان وغيرهما (في الحسن) بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه (ان ابني هذا) سماه ابنا له مجازا لانه يطلق على الولد وعلى ولد الولد اطلاقا مشهورا حتى صار حقيقة عرفية فيه (سيد) أي شريف رئيس مسود في قومه لشرف نسبه وذاته وفضله على غيره من جهات وللسيد اطلاقات ويطلق على الله تعالى وعلى غيره كما تقدم تفصيله (وسيصلح الله به) أي بسببه سيقع الصلح والاصلاح (بين فئتين عظيمتين) من المسلمين والفئة الجماعة من فاء بمعنى رجع والمراد بهما من كان معه ومن

كان مع معاوية رضى الله تعالى عنهما وفى صحيح البخارى عن الحسن عن أبى بكرة قال رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على المنبر والحسن الى جنبه وهو يلتفت الى الناس مرة واليه مرة ويقول ان بنى هذا سيد ولعل الله ان يصلح به بين فئتين من المسلمين وهو حديث صحيح مروى من طرق وفى رواية فئتين عظيمتين قال ابن عبد البر رحمه الله تعالى فى الاستيعاب لما قتل على كرم الله وجهه ورضى الله عنه بايع الحسن أكثر من أربعين ألفا على الموت وكانوا أطوع وأحب له من أبيه فبقى نحو سبعة أشهر خليفة بالعراق وخراسان وماوراء النهر ثم سار رضى الله عنه الى معاوية وسار معاوية اليه فلما تراءا الجمعان بناحية الانبار علم الحسن انه سيقع قتال يذهب فيه كثير من المسلمين فارسل الى معاوية يخبره انه يفوض الامر له بشرط ان لا يطلب أحدا من أهل المدينة والحجاز والعراق بشئ كان فى أيام أبيه فاجابه معاوية رضى الله تعالى عنه لذلك وقد طار فرحا الا انه قال عشرة أنفس لا أؤمنهم منهم قيس بن سعد فراجعه الحسن وقال لا أبايعك وأنت تطلب أحدا منهم لا قيس ولا غيره فارسل له معاوية رضى الله عنه رقا أبيض وقال اكتب فيه ماشئت وأنا التزمه فاصطلحا على ذلك وعلى ان الامر له بعد معاوية فالتزمه كله معاوية وساء ذلك أكثر الناس حتى كانوا يقولون للحسن يا ذل المسلمين وعار المؤمنين ولما سلم الامر له قال أخطب الناس فحمد الله تعالى واثنى عليه ثم قال أما بعد فان أكيس الكيس التقى وان أعجز العجز الفجور الا وان هذا الامر الذى اختلفت فيه أنا ومعاوية حق لامر كان أحق به منى أو حق لى تركته لمعاوية ارادة اصلاح المسلمين وحقن دمائهم وان أدرى لعله فتنة لكم ومتاع الى حين ثم استغفر الله ونزل (و) مما أخبر به صلى الله عليه وسلم ما رواه الشيخان من قوله (لسعد) ابن أبى وقاص رضى الله تعالى عنه مالك بن وهيب بن عبد مناف أحد العشرة وأصحاب الشورى ولتبادره اذا أطلق لم يقيده بما يخرج سعد بن معاذ رضى الله تعالى عنه وغيره من سعود الصحابة فلا اعتراض عليه كما قيل ولسعد معطوف على قوله فى الحسن أى قال لسعد (لعلك تخلف) وفى نسخة ان تخلف بالمصدرية فى خبرها حملا لها على عسى لانها اختها فى الترجى كما قال * لعلك يوما ان تلم ملمة * وكان سعد رضى الله تعالى عنه مرض بمكة وكان يكره ان يموت بالارض التى هاجر منها فاتاه صلى الله تعالى عليه وسلم يعوده فقال يارسول الله أوصى بمالى كله فقال لا الى ان قال الثلث والثلث كثير الى آخر الحديث وهو مشهور ولم يكن له الا ابنة وقد طال عمره فخشى ان يموت ثمة وذلك فى حجة الوداع وقوله تخلف بضم المثناة الفوقية وتشديد اللام أى تبقى بعد هذا الزمان فكان كما قال فانه عاش بعد ذلك نحو خمسين سنة وقوله (حتى ينتفع بك أقوام ويستضر بك آخرون) قال النووى فى هذا الحديث من المعجزات تحقق ما أخبر به فانه عاش بعد ذلك زمانا كما تقدم ونفع الله به المسلمين لما كان على يديه من الفتوح وهدى الله به ناسا أسلموا على يديه وغنموا معه وضر الله به ناسا من الكفار جاهدهم وقتل منهم وسبى وليس المراد بضرره ضرر المسلمين لان ابنه عمر كان أميرا على الجيش الذين قتلوا الحسين لانه لم يرض بذلك ولا تزر وازرة وزر أخرى وقال ابن حبيب المراد به انه تولى العراق وأتى بقوم ارتدوا وسجعوا اسجع مسيلمة لعنه الله تعالى فاستتابهم فتاب بعضهم وانتفع به وأبى بعضهم فقتلهم فتضرروا به وهذا تأويله عند بعضهم وقيل الرواية انما هى يضر بك آخرون والمصنف اراد باستفعل فعل وجعل المصنف الترجى أخبارا لانه بمعناه وهو المراد لكن عبر به تأدبا منه وقد صرحوا بان الترجى فى حق الله والرسول والاولياء تحقيق معنى كما قاله ابن الملقن (وأخبر) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث صحيح رواه البخارى عن أنس (بقتل أهل مؤتة) بضم الميم وسكون الواو والهمزة فان فيها لغتين كما فى القاموس وهى اسم موضع بالشام كان فيه غزوة مشهورة واضافة أهل للعهد ولا يجوز ان تكون للاستغراق كما قيل لانه انما أخبر بقتل ناس منهم قبل مجىء الخبر له صلى الله عليه وسلم بيوم والذى أتى بالخبر يعلى بن

(ولسعد) أى وقال كما رواه الشيخان لسعد ابن أبى وقاص فى مرضه بمكة وقد قال له سعد اخلف عن أصحابى (لعلك تخلف) بفتح اللام المشددة أى يؤخر موتك (حتى ينتفع بك أقوام) أى من الابرار (ويستضر) وفى نسخة بصيغة المجهول أى ويتضرر (بك آخرون) أى أقوام من الفجار زيد فى رواية اللهم امض لاصحابى هجرتهم ولا تردهم على أعقابهم لكن البائس سعد بن خولة يرثى له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان مات بمكة وذلك لكراهتهم الموت بارض هاجروا منها حذرا من ردهم على اعقابهم بموته فيها (وأخبر) أى فيما رواه الشيخان عن أنس (بقتل أهل مؤتة) بضم ميم فهمزة ساكنة ويبدل

(يوم قتلوا) أى أمراء غزوها فقال أخذ الراية زيد بن حارثة فاصيب ثم جعفر ابن أبى طالب فاصيب ثم عبد الله بن رواحة فاصيب ثم خالد بن الوليد من غير امرة ففتح الله على يديه (وبينهم) أى والحال ان بينه عليه الصلاة والسلام وبين أهل مؤتة وأمرائهم الكرام (مسيرة شهر اوازيد) أى بل أكثر ويؤيده ما فى نسخة بالواو فاو بمعنى الواو أو بمعنى بل ولعل الدلجى حمل أو على الشك من الراوى فقال بل أقل من شهر لانها من ارض البلقاء آخر حوران الشام الى جهة مدينة الاسلام (وبموت النجاشى) بفتح النون ويكسر وتخفيف آخره ويشدد لقب لكل من ملك الحبشة واسم هذا اصحمة وكان ممن آمن وأخبر عليه الصلاة والسلام بموته كما رواه الشيخان عن أبى هريرة (يوم مات) أى سنة تسع من الهجرة وهو بارضه وصلى عليه صلاة الغائب عن أصحابه وقد احضرت جنازته لديه (وأخبر فيروز) بكسر الفاء وتفتح وسكون الياء وبضم الراء غير منصرف للعجمة والعلمية أى وأخبره صلى الله تعالى عليه وسلم كما رواه البيهقى (حين ورد عليه) وفى نسخة اذ ورد عليه أى حين وفد على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (رسولا من كسرى) أى ملك فارس وهو وزيره (بموت كسرى ذلك اليوم) أى فى يوم ورود فيروز او فى يوم موت كسرى (فلما حقق فيروز القصة) أى ما قصه عليه من موته فى وقته (اسلم) ففاز فيروز فوزا عظيما

منه وكان صلى الله عليه وسلم نعاهم لاصحابه فقال أخذ الراية زيد فاصيب ثم أخذها جعفر فاصيب ثم أخذها ابن رواحة فاصيب وعيناه تذرفان حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله يعنى خالد بن الوليد ففتح الله تعالى عليهم فلما أتاه يعلى قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان شئت أخبرنى وان شئت أخبرتك فقال أخبرنى فاخبره ووصفهم له فقال والذى بعثك بالحق ما تركت من حديثهم حرفا واحدا وقوله (يوم قتلوا) متعلق باخبر (و) بينه صلى الله عليه وسلم و(بينهم) أى المقتولين بمؤتة (مسيرة شهر اوازيد) ذكره تحقيقا لانه اخبار بالغيب لبعده بحيث لا يمكن مجىء الخبر له صلى الله تعالى عليه وسلم فى يومه ولذا ورد فى هذا الحديث انه صلى الله عليه وسلم قال ان الله رفع لى الارض حتى رأيت معركتهم وما قيل ان المدينة ليس بينها وبين مؤتة هذا المقدار بل بينهما نحو عشرة مراحل كما يعرفه من سلك طريقها لكنه لم يعرفه لبعد بلاده يقتضى انه قاله من نفسه من غير تثبت فيه وليس كذلك فانه يختلف باختلاف الاحوال كالسير ماشيا او كسير الجمال فى القافلة باحمالها بخلاف الفرسان ويختلف أيضا بطول الايام وقصرها والامر فيه سهل (وبموت النجاشى) أى أخبر صلى الله تعالى عليه وسلم بموته كما رواه الشيخان عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه (يوم مات) متعلق باخبر وذلك سنة سبع من الهجرة وصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الغائب وبه استدل الشافعى على جوازها وهو ملك الحبشة واسمه اصحمة كما تقدم وهو الذى أرسل اليه مكتوبه خلافا لابن القيم فى الهدى النبوى اذ قال ان الذى كاتبه غيره فان كل من ملك الحبشة يقال له نجاشى بفتح النون وكسرها وتخفيف الياء وتشديدها (وهو بارضه) جملة حالية والضمير للنجاشى أى والحال ان النجاشى مات بارض الحبشة فهو اخبار عن الغيب ويحتمل ان يعود للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم أى والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقت موت النجاشى كان بارضه أى المدينة فلا يحتمل انه رآه عادة وان أمكن ان يرفع له حتى رآه كما قاله من لم يقل بالصلاة على الغائب كما قيل انه من خصائصه أيضا (وأخبر) أيضا صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث آخر رواه البيهقى (فيروز) علم عجمى ممنوع من الصرف وهو وزير كسرى ملك فارس ومعناه الفوز والظفر وفاؤه مفتوحة وقد تكسر وفيروز ديلمى والديلم جيل من العجم (اذ ورد) أى جاء فيروز وقدم (عليه) أى على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (رسولا من كسرى بموت كسرى ذلك اليوم) بنصبه على الظرفية أى يوم ورد عليه أو يوم مات كسرى (فلما تحقق فيروز القصة) التى قصها عليه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأخبره بموت كسرى الذى هو رسوله (أسلم) فآمن برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وفاز فوزا عظيما وقصته رويت من طرق وحاصلها انه صلى الله تعالى عليه وسلم كتب لكسرى مكتوبا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى كسرى عظيم فارس سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله وادعوك بداعية الله عز وجل فانى رسول الله الى الناس كافة لانذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين فاسلم تسلم الى آخره فلما اقرأ كتابه مزقه فمزق الله ملكه وكتب الى باذان عامله على اليمن ان ابعث اليه رجلين جلدين يأتيانه فبعث قهرمانه بانونة ومعه آخر من الفرس ومعهما مكتوب يأمره فيه بالانصراف معهما فلما أتياه قال ائتيانى غدا فلما أتياه قال لهما ان الله سلط على كسرى ابنه شهرويه فقتله فى وقت كذا فاخبر باذان بما قاله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال لننظرن ما قال فان تحقق فهو نبى مرسل فلم يلبث ان قدم عليه مكتوب شهرويه بما وقع فاسلم وأسلم معه أبناء فارس باليمن وحسن اسلامهم ووزير كسرى هذا اسمه ابرويز وهذا ما ذكره

المؤرخون

(وأخبر أباذر) كما رواه أحمد (بتطريده) أي باخراجه من المدينة الى الربذة (كما كان) أي كما وقع في زمان عثمان بن عفان وفي أصل الدلجي فكان كما كان أي فكان اخباره بتطريده كما كان ثم لا ينافيه ما في دلائل النبوة للبيهقي من ان امرأته أم ذر قالت والله ما سيره عثمان الى الربذة ولكن قال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا بلغ البناء سلعا فاخرج فلما بلغه وجاز خرج أبو ذر الى الشام وذكر رجوعه ثم خروجه الى الربذة وموته بها اذ يمكن حمل كلامها على ان تسييره عثمان لم يكن قهرا عليه اذ كان أمكنه ان يمتنع منه الا انه وافق حكمه أمره صلى الله تعالى عليه وسلم بخروجه اختيارا فاختار خروجه من غير ان يكون هناك اكراه واجبار والا فالامر باخراجه محقق بلا شبهة لقوله (ووجده في المسجد) أي مسجد المدينة (نائما فقال) أي النبي عليه الصلاة والسلام (له) أي لابي ذر (كيف بك اذا أخرجت منه) أي من هذا المسجد وما حواليه (قال أسكن المسجد الحرام) أي وما حواه من الحرم (قال فاذا أخرجت منه الحديث) أي بطوله قيل كان أخرجه عثمان الى الشام لانه كان اذا مر به عثمان يقرأ قوله تعالى يوم يحمى عليها في نار جهنم ثم رضي عليه فرده الى المدينة ثم أخرجه الى الربذة قرية خربة فسكنها الى ان مات (ويعيشه وحده وموته وحده) أي وأخبر ان أباذر يعيش وحيدا ويموت فريدا فكان كما أخبره عليه الصلاة والسلام على ما رواه أحمد وابن راهويه وابن أبي اسامة والبيهقي واللفظ له قالت أم ذر لما حضرت أباذر الوفاة بكيت فقال وما يبكيك فقلت ومالي لا أبكي وأنت تموت بفلاة من الارض وليس عندي ما يسع كفنا لي ولا لك قال فابشري ولا تبكي فاني سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول لنفر أنا فيهم ليموتن رجل منكم بفلاة من الارض يشهده عصابة من المسلمين وليس من أولئك النفر أحد الا وقد مات في قرية وجماعة

المؤرخون وأصحاب السير واما ما ذكره المصنف رحمه الله تعالى فلم يشتهر ولم يقل أحد ان من الصحابة من اسمه فيروز لكن السيوطي نقله عن دلائل النبوة للبيهقي فقيل انه ليس فيها ذلك وفي الاستيعاب ان فيروز الديلمي وفد على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وانه الذي قتل الاسود العنسي وكذلك ذكر قضية فيروز على الوجه الذي ذكره المصنف رحمه الله تعالى الماوردي في اعلام النبوة وأطال فيها (وأخبر) صلى الله تعالى عليه وسلم (أباذر) الغفاري كما رواه أحمد في مسنده (بتطريده) أي بنفيه من المدينة وقد ذكر الحريري في الدرة الفرق بين طرده وأطرده وطرده المشدد وانه انما يقال في النفي الا مشددا كقول أبي سفيان * وأنت الذي طردتني كل مطرد * وطرده وأطرده بمعنى نحاه وكثير من أهل اللغة لم يقولوه (كما كان) أي وقع ما أخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم بعينه (ووجده) أي وجد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أباذر (في المسجد) أي مسجده بالمدينة (نائما فقال له) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (كيف بك اذا أخرجت منه) أي من هذا المسجد وكيف استفهام عن الحال والظاهر انه ليس على حقيقته هنا فانه صلى الله عليه وسلم علم ما سيجري عليه وانما مراده اخباره بحاله وما يكون له لقوله تعالى وما تلك بيمينك يا موسى والمعنى كيف ظني أو علمي بك في هذه الحالة (قال اسكن المسجد الحرام) يعني مكة المشرفة (قال فاذا أخرجت منه الحديث) أي اقرأ الحديث أو اذكر الحديث الذي رواه أحمد ومعناه انه كان يخدم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وينام في المسجد وليس له ماوى غيره فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فرآه نائما فقال له أراك نائما فقال أين أنام وهل لي بيت غيره فقال له صلى الله عليه وسلم كيف بك اذا أخرجوك منه قال ألحق بالمسجد الحرام فقال له كيف بك اذا أخرجوك منه قال ألحق بالشام أرض الهجرة والمحشر وأرض الانبياء فاكون رجلا من أهلها قال فاذا أخرجوك من الشام قال أرجع اليه فيكون منزلي قال فكيف بك اذا أخرجوك منه الثانية قال آخذ سيفي وأقاتل حتى أموت فوكزه صلى الله تعالى عليه وسلم بيده وقال خير لك منه ان تنقاد حيث قادوك حتى تلقاني وأنت على ذلك واما تطريده رضي الله تعالى عنه فرواه بعض الشيعة على وجه منكر أسندوا فيه لعثمان رضي الله عنه ما لا أصل له والصحيح ما رواه قتادة من انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لابي ذر اذا رأيت المدينة بلغ بناؤها سلع فاخرج منها وأشار الى جهة الشام فلما زاد بناؤها ذهب الى الشام ثم انه رضي الله عنه أنكر على معاوية بعض أموره فشكاه لعثمان فكتب اليه أقبل الينا فنحن أرعى لحقك فقدم عليه ثم استأذنه في الخروج الى الربذة فاذن له فاقام بها الى ان مات والذي قيل ان عثمان أمر بازعاجه بعنف فلما وصل اليه قال له ما حملك على ما صدر منك قال أشهد ان رسول الله قال اذا بلغ بنو العاص ثلاثين رجلا جعلوا مال الله دولا وعباد الله خولا ودين الله دغلا ثم يريح الله العباد منهم فقال له اخرج من هذه البلدة فخرج منها قال أكثرهم لا أصل له (ويعيشه وحده) أي أخبره رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بانه يعيش بعد خروجه من المدينة ثانيا وحده معتزلا عن الناس وفي نسخة عيشة بالتاء (وموته وحده) فكان كما قال لان البيهقي روى ان أم أبي ذر لما حضرته

فأنا ذلك الرجل فابصري الطريق فبينما أنا وهو كذلك اذ أنا برجال على رحالهم كأنهم الرخم فالحقت بثوبي فاسرعوا حتى دخلوا عليه فقال لهم كما قال أنتم تسمعون انه لو كان عندي ثوب يسعني كفنا لي أولامرأتي لكفنت فيه اني أنشدكم الله ثم أنشدكم الله ان لا يكفنني رجل منكم كان أميرا أوعريفا أوبريدا أونقيبا وليس منهم أحد الا قارف ما قال الا فتى من الانصار قال أنا أكفنك يا عم في ردائي هذا وثوبين في عيبتي من غزل أمي قال فكفني فكفنه وقاموا فدفنوه وعن ابن مسعود قال لما خرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى غزوة تبوك تخلف أبو ذر يتلوم بعيره فقالوا يا رسول الله تخلف أبو ذر فقال دعوه ان يك فيه خير فسيلحقه الله بكم قال فلما أبطأ عليه بعيره أخذ متاعه فحمله على ظهره ثم خرج ماشيا يتتبع أثر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في شدة الحر وحده فلما رآه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم دمعت عيناه وقال يرحم الله أبا ذر يمشي وحده ويموت وحده ويبعث وحده فكان كذلك لما مات رضي الله تعالى عنه بالربذة لم يكن معه الا امرأته وغلامه فلما غسلاه وكفناه وضعاه على قارعة الطريق ينتظران من يعين على دفنه اذ أقبل عبد الله بن مسعود في رهط من أهل العراق فلما رآهم الغلام قام اليهم وقال هذا أبو ذر صاحب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاعينونا على ١٩٠ دفنه فنزل ابن مسعود وجعل يبكي رافعا صوته ويقول صدق رسول الله في قوله

(وأخبر ان أسرع أزواجه به لحوقا) أي وصولا عليه بعد موته (أطولهن يدا فكانت زينب) أي بنت جحش (أسرعهن لحوقا به لطول يدها بالصدقة) رواه مسلم ولفظه عن أم المؤمنين عائشة قالت قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أسرعكن لحوقا بي أطولكن يدا فكن يتطاولن أيتهن أطول يدا فكانت زينب أطولنا يدا لانها كانت تعمل بيدها وتتصدق ورواه الشعبي مرسلا فقال قلن لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أيتنا أسرع لحوقا بك قال أطولكن يدا في الصدقة وللبخاري عن عائشة اجتمع زوجاته صلى الله تعالى عليه وسلم فقلن له أيتنا أسرع لحوقا بك قال أطولكن يدا فاخذنا قصبة نذرعها وكانت سودة بنت زمعة أطولنا ذراعا فتوفي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فكانت أسرعنا لحوقا به فعرفنا ان طول يدها في الصدقة وكانت تحب الصدقة قال الدلجي وهو مخالف لحديث مسلم والشعبي مع منافاة ما أفاده قولها ان طول يدها كان بالصدقة من انه طول معنى لما أفاده قولها كانت أطولنا ذراعا من انه طول حسا انتهى ولا منافاة لظنها أولا ان المراد بالطول هو الحسي فتبين لها بعدها ان المقصود هو الطول المعنوي كما هو المعتبر عند أرباب النظر مع ما في العبارة من حسن الاشارة الى ان التلويح أبلغ من التصريح وان في التعمية حسن التورية عند الفصيح ثم يمكن الجمع بين ما ورد في الصحيحين ان تكون احداها أسرع حقيقا والاخرى اضافيا ولعل الاسرع منهما هي الاكثر منهما مبادرة الى الصدقة وهذا مما ألهمني الله من التحقيق والله ولي التوفيق ثم رأيت الحلبي قال زينب هذه هي بنت جحش توفيت سنة عشرين أواحدى وعشرين لا زينب بنت خزيمة التي تدعى أم المساكين لانها توفيت في آخر ربيع الاول على رأس تسعة وثلاثين شهرا من الهجرة

الوفاة بكت فقال لها ما يبكيك فقالت مالي لا أبكي وأنت تموت بفلاة وليس عندنا كفن فقال لا تبكي فان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال لنفر كنت فيهم ليموتن أحدكم بفلاة يشهده عصابة من المسلمين وأنا ذلك الرجل فابصري الطريق فخرجت فاذا برجال على رحالهم فاخبرتهم بذلك فدخلوا عليه فقال أنشدكم الله ان يكفنني منكم من لم يكن نقيبا ولا أميرا فقال غلام منهم أنا أكفنك يا عم في ردائي وثوبين في عيبتي (٢) من غزل أمي قال فكفني فلما مات كفنوه وصلوا عليه ودفنوه (وأخبر) صلى الله عليه وسلم فيما رواه مسلم (ان أسرع أزواجه به لحوقا) أي أول من يموت من أمهات المؤمنين بعده (أطولهن يدا) لم يقل طولاهن بالتأنيث لان اسم التفضيل المضاف يجوز فيه المطابقة وعدمها وهذا يحتمل ان يكون من الطول بالضم ضد القصر ومن الطول بالفتح وهو الجود والانعام ولاحتمال المعنيين قيل ان أزواجه صلى الله تعالى عليه وسلم بعده كن يقسن اذرعتهن لينظرن للاطول منها فلما ماتت زينب رضي الله تعالى عنها علمن ان المراد الثاني فان كان من الاول كان استعارة ويدا ترشيح للاستعارة مع ما فيه من التورية لان اليد بمعنى النعمة (فكانت) أي أطولهن يدا وأسرعهن لحوقا به صلى الله تعالى عليه وسلم فاسمها ضمير عائد على ما ذكره وقوله (زينب) بالنصب خبرها وهي زينب بنت جحش أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها (لطول يدها بالصدقة) بيان للمراد كما تقدم وتوفيت رضي الله تعالى عنها سنة عشرين أواحدى وعشرين وليس المراد بذلك زينب بنت خزيمة التي كانت تدعى أم المساكين والحديث عن عائشة من طرق قالت قلن أيتنا أسرع لحوقا بك قال أطولكن يدا فاخذن يتذارعن وفي رواية أخذن قصبة يذرعن بها أي يقسن أذرعتهن

لظنهن

٢ قوله عيبتي هي شئ يوضع فيه الثوب مثل الخرج وغيره اه مصححه

(وأخبر بقتل الحسين) أي ابن علي رضي الله تعالى عنهما (بالطف) بفتح الطاء وتشديد الفاء مكان بناحية الكوفة على شط نهر الفرات واشتهر الآن بكربلاء كأنه مركب من الكرب والبلاء وحذفت الباء الاولى تخفيفا والا كتفاء بحسب الايماء واستشهد وهو ابن خمس وخمسين سنة ووجد به ثلاث وثلاثون طعنة وثلاث وثلاثون ضربة وكان جميع من حضر معه من أهل بيته وشيعته سبعة وثمانين منهم علي بن الحسين الاكبر وكان يرتجز ويقول أنا علي بن الحسين بن علي * نحن وبيت الله أولى بالنبي * تالله لايحكم فيها ابن الدعي * وقتل من ولد أخيه عبد الله بن الحسن والقاسم بن الحسن ومن أخواته العباس بن علي وعبيد الله ابن علي وجعفر بن علي وعثمان بن علي ومحمد بن علي وهو أصغرهم ومن ولد جعفر بن أبي طالب ومحمد بن عبد الله بن جعفر وعون بن عبد الله ابن جعفر ومن ولد عقيل ابن أبي طالب عبد الله ابن عقيل وعبد الرحمن ابن عقيل وجعفر بن عقيل وقتل معه من الانصار أربعة والباقي من سائر العرب ودفنوا بعد قتلهم بيوم وذكر أبو الربيع ابن سبع في مناقب الحسين عن يعقوب ابن سفيان قال كنت في ضيعتي فصلينا العتمة ثم جلسنا في البيت ونحن جماعة فذكروا الحسين بن علي فقال رجل ما من أحد أعان على قتل الحسين الا أصابه عذاب قبل أن يموت وكان في البيت شيخ كبير فقال أنا ممن شهدها وما أصابني أمر أكرهه الى ساعتي هذه فطفئ السراج فقام لاصلاحه ففارت النار فأخذته فجعل يبادر بنفسه الى الفرات ينغمس فيه فأخذته النار حتى مات قلت بل جمع له بين الاحراق والاغراق (وأخرج بيده تربة) أي قبضة من التراب (وقال فيها مضجعه) بفتح الميم والجيم ويكسر أي مقتله أو مدفنه رواه البيهقي من طرق ولفظ حديثه عن عائشة ان جبريل كان عند النبي صلى الله عليه وسلم فدخل حسين فقال جبريل من هذا فقال ابني فقال ستقتله أمتك وان شئت أخبرتك بالارض التي يقتل فيها فأشار بيده الى الطف من العراق فأخذ تربة حمراء فأراه اياها (وقال) أي النبي عليه السلام كما رواه ابن عدي والبيهقي (في زيد بن صوحان) بضم أوله المهملة من اختلف في صحبته

لظنهن ان المراد الحقيقة فلما توفيت زينب علمن المراد لانها كانت أكثرهن صدقة وكانت تعمل بيدها وتتصدق ومافي البخاري عن عائشة رضي الله تعالى عنها انه اجتمع زوجاته صلى الله تعالى عليه وسلم عنده فقلن له أيتنا أسرع لحوقا بك قال أطولكن يدا فكانت سودة بنت زمعة فتوفي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فكانت أسرعنا لحوقا به فعرفنا ان طول يدها الصدقة وكانت تحب الصدقة مشكل لمخالفته لما رواه مسلم من انها زينب وهو الذي صححوه وفيه اضطراب أيضا لان أوله يقتضي ان المراد الطول الحقيقي ومابعده يدل على خلافه ولذا قال الكرماني ان فيه تلفيقا وحذفا ولم يلتفت لايهامه خلاف المراد اعتمادا على شهرة القصة وهو غاية مايقال فيه قيل وهو مجاز مرسل بعلاقة مجاورة الصدقة لليد أو شبهت الصدقة باليد فهو استعارة مصرحة والطول ترشيح والقرينة ان عظم الابدان لايقتضي حوز هذه الفضيلة فلا يرد انه ان لم يكن فيه قرينة لم يصح المجاز وان كان كيف يفهمن خلاف المراد حين تذارعن وهن من أهل اللسان * أقول التحقيق انه استعارة تمثيلية بان يشبه كثرة الاحسان والتصدق وايصال البر ومن أوصله بشخص له طول في يديه يصل به لما يصل اليه غيره اذا مدهما أو هو مجاز مرسل باستعمال طول اليد في لازمه وهو ايصال الانعام أو اليد استعارة مصرحة والطول ترشيح ويحتمل انه كناية (وأخبر) صلى الله تعالى عليه وسلم فيما رواه البيهقي من طرق (بقتل الحسين) ابن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهما (بالطف) بفتح الطاء المشددة المهملة وتشديد الفاء وهو مكان بناحية الكوفة (وأخرج) صلى الله تعالى عليه وسلم (بيده تربة) أي مقدار ملئ كف من تراب أراه لبعض أصحابه وأهل بيته (وقال) اذ اخرجها (فيها) أي في أرض هذا التراب منها وفيها يموت ويقتل (مضجعه) أي مصرعه اذ يقتل وجيمه مفتوحة وتكسر والاول أقيس وأفصح وفي التعبير به ايماء الى انه رضي الله تعالى عنه حي شهيد لان أصله محل يضطجع فيه النائم وأصل الحديث عن عائشة رضي الله تعالى عنها ان جبريل كان عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فدخل عليه الحسين فقال جبريل من هذا قال ابني فقال ستقتله أمتك فان شئت أخبرتك بالارض التي يقتل فيها وأشار جبريل بيده الى الطف من أرض العراق وأخذ تربة حمراء فأراه اياها ولا ينافي ذلك ماجاء انه يقتل بكربلا لان كربلا اسم الموضع والطف ناحية تشتمل عليه وكان قتله في عاشوراء وقتل معه جماعة من أهل البيت وقيل ان هذه التربة كانت عندهم وانها في يوم قتله يظهر عليه دم واختلف فيمن باشر قتله قاتله الله وأخزاه وجعل سجين مأواه ولابن العربي هنا مقالة أظنه برئ منها (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث رواه ابن عدي والبيهقي مسندا (في زيد بن صوحان) بضم الصاد المهملة وواو ساكنة وحاء مهملة وألف ونون وهو زيد بن صوحان بن حجر بن الحارث العبدي أخو صعصعة وله وفادة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل انه تابعي وقال الذهبي ومن خطه نقلت كان زيد بن صوحان مواخيا

(يسبقه عضو منه الى الجنة فقطعت يده فى الجهاد) ولفظ البيهقى عن على قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من سره ان ينظر الى رجل يسبقه بعض أعضائه الى الجنة فلينظر الى زيد بن صوحان وفى اسناده هذيل بن بلال ضعفه البيهقى وفى الحديث ايماء الى جواز تعلق الروح بالاجزاء من غير تمام الاعضاء كما حققه العلماء (وقال) أى النبى عليه الصلاة والسلام والتحية والثناء (فى الذين كانوا معه) أى كما سبق ذكرهم من الشيخين وعثمان وغيرهم رضى الله تعالى عنهم (على حراء) أى وقد تحرك بهم كما فى الانباء والمعنى قال فى حقهم وعلو شأنهم مخاطبا للجبل (اثبت) أى مع الثابتين من الاعلام (فانما عليك نبى وصديق وشهيد) وفى نسخة بأو فى الموضعين فهى للتنويع ولفظ مسلم أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان على حراء هو وأبو بكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير فتحرك فقال اهدأ فما عليك الا نبى أو صديق أو شهيد زاد بعضهم سعدا مكان على (فقتل على وعمر وعثمان) كذا فى النسخ ولعل تقديم على لثبوت شهادته بصريح الخبر وفى أصل الدلجى فقتل عمر وعثمان وعلى (وطلحة والزبير وطعن سعد) أى وجرح وحصلت له الشهادة بسبب الجراحة وبشهادة مثل الحديث وقال التلمسانى أى أصابه طاعون وهو شهادة لكل مسلم انتهى لا كما قال الدلجى ولم تنله الشهادة كما لا يخفى على الافادة

لسلمان حتى يكثر يا سلمان لحبه له وكان زاهدا عابدا ذكر له مناقب كثيرة وعده من الصحابة وصوحان معناه اليابس يقال صوح النبت اذا صار هشيما (يسبقه عضو) من أعضائه (الى الجنة) أى يدخل الجنة قبله لانه قطع فى سبيل الله قبل موته ومعنى السبق اما تقدمه حقيقة ولا مانع من أن يحفظها الله فى الجنة فاذا استشهد وصلها ببقية أعضائه فى الجنة وأمور الآخرة لا تقاس على أمور الدنيا ويجوز ان يراد ان يده تقطع فى سبيل الله أولا ثم يستشهد بعد ذلك فكنى عنه بما ذكره ولفظ الحديث من سره ان ينظر الى رجل يسبقه بعض أعضائه الى الجنة فلينظر الى زيد بن صوحان وفى سنده هذيل بن بلال وهو ضعيف (فقطعت يده) الشمال كما رواه الذهبى (فى الجهاد) لم يعينه للخلاف فيه فقيل انه كان يوم نهاوند وقيل فى قتال المشركين وقد روى أنه صلى الله تعالى عليه وسلم شهد لثلاثة من التابعين بالجنة أويس القرنى وزيد بن صوحان وجندب الخير وقتل مع على رضى الله تعالى عنه فى وقعة الجمل وعلى هذا فاخباره عن المغيب أقوى وأبلغ فى اطلاعه على أمره قبل خلقه (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه مسلم وغيره (فى الذين كانوا معه) أى حاضرين معه وهم (على حراء) اسم جبل معروف بقرب مكة بنحو ثلاثة أميال يمد ويقصر ويذكر ويؤنث فيجوز صرفه وعدم صرفه كما تقدم فتحرك وهم عليه فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم (اثبت) أى لا تتحرك وترجف وتتزلزل ولفظه كما فى صحيح مسلم أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان على حراء هو وأبو بكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير فتحركت بهم فقال اهدأ فما عليك الا نبى أو صديق أو شهيد وزاد بعضهم سعدا وأورده بعضهم مكان على والمصنف رواه (انما عليك نبى وصديق وشهيد) والمعنى واحد والنبى معناه المراد به ظاهر وكذا الشهيد وتفصيله وقد وقع الترتيب فى الحديث على وفق ما فى القرآن والصديق فعيل صيغة مبالغة من الصدق ضد الكذب ولهم فى تفسيره أقوال فقال ابن المظفر انه من صدق بأمر الله تعالى وبرسله بحيث لا يخالجه شك فى شئ وقال الكلبى رحمه الله تعالى الصديقون أفاضل الصحابة واختاره البغوى وقيل من صدق بالانبياء حين عاينهم واختار الرازى انهم أول من صدق الرسل ويؤيده قوله صلى الله تعالى عليه وسلم ما عرضت الاسلام على أحد الا وله كبوة الا أبو بكر فله رضى الله تعالى عنه مزية بانه صار قدوة لغيره ولذا أجمعوا على تسليم هذا اللقب له ومرتبة الصديقية تلى مرتبة النبوة وقد أفرد ذلك بالتأليف الكمال ابن الزملكانى (فقتل على وعمر وعثمان) فقتل عليا كرم الله تعالى وجهه عبد الرحمن بن ملجم من الخوارج وقصته مشهورة وقتل عمر رضى الله تعالى عنه أبو لؤلؤة غلام المغيرة ابن شعبة وكان عمر رضى الله تعالى عنه لا يأذن لمحتلم من المشركين ان يدخل المدينة فاستأذنه المغيرة فى غلامه هذا لانه كان نجارا وله صنائع ينتفع بها الناس فأذن له فى دخوله فضرب عليه سيده فى كل شهر مائة درهم فشكى ذلك لعمر فسأله عن صنعته فأخبره فقال ما خراجك بكثير فغاظه ذلك وأضمر قتله فضربه بخنجره وهو يصلى فاستشهد وعثمان استشهد يوم الدار فى قصته المشهورة (وطلحة والزبير) أما طلحة بن عبد الله فقتل يوم الجمل وهو محارب لعلى وقيل كما انه ذكره ووعظه فاعتزل حربه ثم أصابه سهم فمات منه وأما الزبير رضى الله تعالى عنه فرجع عن قتال على بعد تذكيره له بما مر فقتله أبو جرموز نائما بوادى السباع كما تقدم (وطعن) بالبناء للمجهول (سعد) ابن أبى وقاص سنة خمس أو أربع وخمسين وهو آخر من مات من العشرة المبشرة بالجنة وقيل مات سنة ست وقيل سبع وخمسين وقيل سنة ثمان وقيل سنة اثنان وثمانون وطعن بمعنى أصيب بالطاعون وهو من أقسام الشهادة أيضا وان لم يكن

مثل غيره من كل وجه ولذا أخره المصنف وقول بعضهم انه لم تنله الشهادة غير مناسب هنا الا ان يدخله في الصديقين (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث رواه البيهقي (لسراقة) بضم السين وفتح الراء المهملتين مخففة وقاف وهو سراقة بن مالك بن جعشم بن مالك بن عمرو أبو سفيان الكناني المدلجي سكن مكة وهو الذي خرج في طلب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فساخت به فرسه في القصة المشهورة و يأتي في كلام المصنف رحمه الله تعالى الاشارة لبعضها ثم أسلم وتوفي سنة أربع وعشرين وقيل مات بعد عثمان وفي الصحابة من اسمه سراقة غيره وفي هذا الاخبار عن الغيب وخص سراقة لانه اعرابي من البادية وليس مثله ممن يلبسه المترفهون من ملوك العجم آية عظيمة من آيات النبوة وعز الدين (كيف بك) كيف جواب عما أبهم من الاحوال وهو استخبار يتضمن التعجب من حاله التي هو عليها الان كل أحد لا ينفك عن حال من الاحوال اذا طرأ عليه ما لم يعهد مثله ونال ما لم ينله أمثاله فكنى بما ذكر وفيه من البلاغة ما لا يخفى (اذا لبست) أي وضعت في يديك وساعديك ومثله يسمى لبسا وان كان المعروف اطلاقه على ما يعم البدن من الثياب والحلل (سواري) مثنى سوار بضم السين وكسرها ويقال أسوار بضم الهمزة وكسرها أيضا وهذا مما كان يتزين به العجم والملوك وان كان الآن مختصا بالنساء عند العرب وبعد الاسلام حتى يعاب على غيرهن (كسرى) تقدم انه كل من ملك العجم ويخص ببعضهم وهو كسرى الذي أدرك عهد الاسلام كما تقدم وان كافه مكسورة وتفتح وهو معرب خسرو ومعناه واسع الملك (فلما أتي بهما) أي بسواري كسرى (لعمر) ضمن أتي بصيغة المجهول معنى أوصل فعدي باللام وفي نسخة عمر بدونها (ألبسهما اياه) أي سراقة تحقيقا لما أخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم ويجوز ألبسه اياهما وقيل وهو الاولى (وقال) عمر رضي الله تعالى عنه (الحمد لله) حمد الله على تصديق كلمة النبوة واعزاز دينه وزوال شوكة أعدائه وما فتح الله على يديه (الذي سلبهما) من يدي (كسرى وألبسهما سراقة) وهو بدوي اعرابي متقشف هو من آحاد أمته صلى الله تعالى عليه وسلم وأصل الحديث كما في دلائل النبوة عن الحسن ان عمر رضي الله عنه لما أتي بسواري كسرى بن هرمز وضعتا بين يديه وفي القوم سراقة وضعهما في يديه فبلغا منكبيه فقال الحمد لله الذي جعل سواري كسرى بن هرمز في يدي سراقة بن مالك ثم قال له قل الله أكبر الله أكبر وحمد الله لما من به من نعمة الفتح واعزاز الدين وكبر تعظيما لمالك الملك الذي يؤتي ملكه من يشاء وينزعه ممن يشاء فتبارك الذي بيده الملك الذي قصم من نازعه رداء كبريائه فلا سلطان الا سلطانه ولا عز لغير من أعزه وليس في هذا استعمال للذهب ولبس الرجال له وهو من المحرمات لانه لا يفعله الا تحقيقا وتصديقا لقول رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم من غير ان يقرهما ومثله لا يعد استعمالا فلا حاجة لما قيل ان فيه مصلحة ومفسدة ارتكبت المفسدة فيه لاجل المصلحة وهي تحقيق المعجزة فانه لا محصل له (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم في جملة اخباره عن المغيبات في حديث رواه أبو نعيم في الدلائل والخطيب في تاريخه (تبنى) بالبناء للمجهول والباني أبو جعفر الدوانيقي ثاني خلفاء بني العباس (مدينة) هي البلدة العظيمة من التمدن وهو التعيش والسكنى الكثيرة وتكون أكبر من البلدة والقرية (بين دجلة) بدال مهملة مفتوحة أو مكسورة من دجله اذا غطاه ومنه الدجال لخفاء أمره بتخليطه في أموره وهو علم لنهر مشهور بالعراق ولا يجوز دخول الالف واللام عليه لانه علم مرتجل (ودجيل) مصغر علم نهر بالاهواز حفره أردشير بن بابك أول ملوك بني ساسان بالمدائن عليه قرى كثيرة ومخرجه من أصبهان وقيل انه خليج متشعب من دجلة (وقطربل) بضم القاف وسكون الطاء المهملة وضم الراء المهملة وضم الباء الموحدة المشددة وقد تخفف

(وقال) أي النبي عليه الصلاة والسلام كما رواه البيهقي (لسراقة) بضم السين وهو ابن مالك بن جعشم بضم شين (كيف بك) أي كيف حالك (اذا لبست سواري كسرى) تثنية السوار بكسر السين وتضم وجمعه أسورة وجمع الجمع أساور وهو ما يلبس في اليد وفيه تنبيه على هلاكه وزوال ماله وملكه مع كمال شوكته وقوته منتقلا الى أصحابه صلى الله تعالى عليه وسلم وأئمة أمته (فلما أتي عمر بهما) أي جيء بسواريه (ألبسهما اياه) أي سراقة اظهارا لتحقق ما صدر عنه صلى الله تعالى عليه وسلم اخبارا (وقال) أي عمر (الحمد لله الذي سلبهما كسرى) أي ملك العجم (وألبسهما سراقة) أي واحدا من بدو العرب ولعل في تقديم المفعول الثاني ايماء الى الاهتمام بذكرهما وما يعقبه من شكرهما فاندفع اعتراض الدلجي ولو قال ألبسه اياهما لكان أولى (وقال) أي النبي عليه الصلاة والسلام كما رواه أبو نعيم في الدلائل عن جرير ابن عبد الله والخطيب في تاريخه (تبنى) أي ستبنى (مدينة بين دجلة) بكسر الدال وتفتح نهر مشهور بالعراق (ودجيل) بالتصغير بالاهواز عليه مدن كثيرة مخرجه من أصفهان (وقطربل) بضم القاف وسكون مهملة فضم راء وموحدة فلام مشددة ممنوعا من الصرف موضع بالعراق

(والصراة) بمهملة مفتوحة نهر بالعراق وفي بعض الاصول بالهاء بدل الصاد ذكره الشمني قال الحلبي والهراة كذا في الاصل وهو بفتح الهاء بلد معروف وفي القاموس الهراة بلد بخراسان وقرية بفارس والنسبة هروي محركة (تجبى اليها) بضم التاء وسكون الجيم وفتح الموحدة أي تجمع وتجلب الى تلك المدينة (خزائن الارض) لانها صارت دار الملك (يخسف بها) أي يستحق ان يخسف بها لكثرة ظلم أهلها ولان بناءها أسس على شفا جرف هار (يعني) أي يريد النبي صلى الله عليه وسلم (بها) أي بتلك المدينة (بغداد) مر بيان لغاتها وقد بناها أبو جعفر الدوانيقي ثاني خلفاء بني العباس لكن قال أحمد بن حنبل لم يحدث به أي بحديث بغداد ثقة ومداره على عمار بن سيف وهو مغفل وقال الذهبي في ميزانه حديثه منكر (وقال) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (سيكون في هذه الامة رجل يقال له الوليد هو شر لهذه الامة من فرعون لقومه) رواه أحمد والبيهقي عن سعيد بن المسيب مرسلا وحسنه قال وولد لاخي أم سلمة من أمها غلام فسموه الوليد فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا تسموا بأسماء فراعنتكم فسموه عبد الله فانه سيكون في هذه الامة رجل يقال له الوليد بن عبد الملك ثم رأينا انه ابن أخيه الوليد بن يزيد ابن عبد الملك لفتنة الناس اذ خرجوا عليه لامور اقترفها فقتلوه فانفتحت به الفتن على الامة كذا ذكره الدلجي وقال الحديث في مسند أحمد من حديث سعيد ابن المسيب عن عمر رضي الله تعالى عنه وسعيد اختلف في سماعه من عن عمر وقد ذهب أحمد الى أنه سمع منه وقد ذكر هذا الحديث ابن الجوزي في موضوعاته من طريق أحمد ثم نقل عن ابن حبان انه خبر باطل الى آخر كلامه (وقال) أي كما في الصحيحين (لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان دعواهما واحدة) وهي الاسلام أو الخلافة فوقع كما أخبر في حرب صفين فان صفوان بن عمرو قال كان أهل الشام ستين ألفا فقتل منهم عشرون ألفا وأهل العراق مائة وعشرون ألفا فقتل منهم أربعون ألفا (وقال) أي النبي عليه الصلاة والسلام

وتشديد اللام وهو موضع بالعراق تنسب اليه الخمر (والصراة) بفتح الصاد المشددة والراء المخففة المهملتين ثم ألف وهاء وهو نهر بالعراق أيضا مشهور وهو الاصح المعروف وفي بعض النسخ والهراة بهاء بدل الصاد وهي بلدة بالعجم وقد ضرب عليه وصحح الصراة وهو المعتمد (تجبى اليها) أي يجمع مال غيرها من البلاد الى تلك المدينة وهو عبارة عن انها دار الخلافة العظمى وكرسي الممالك يقال جبى الخراج والمال اذا جمعه للسلطان بامره (خزائن الارض) أي ما كان مخزونا في غيرها من البلاد بيد أهاليها (يخسف بها) أي يخسف الله أرضها ودورها باهلها وقد وقع ما أخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم من بنائها في الدولة العباسية وجباية الاموال اليها وبقي أمر الخسف وسيظهر كما أخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم وقد ذكره الذهبي في ميزانه في ترجمة عمار بن سيف الضبي الكوفي راوي هذا الحديث وقال انه منكر جدا والله أعلم بامره (يعني بغداد) اسم المدينة المشهورة وتسمى دار السلام وهو اسم أعجمي عرب وفيه لغات تقدم الكلام عليها (وقال) صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الامام أحمد والبيهقي عن سعيد ابن المسيب مرسلا وحسنه قال ولد لاخي أم سلمة من أمها غلام سموه الوليد فقال صلى الله تعالى عليه وسلم لا تسموا بأسماء فراعنتكم فسموه عبد الله فانه (سيكون في هذه الامة رجل يقال له الوليد هو شر لامتي من فرعون لقومه) قال الاوزاعي كانوا يرون انه الوليد بن عبد الملك ثم رأوا انه ابن أخيه الوليد بن يزيد بن عبد الملك الجبار الذي كان مفتاح أبواب الفتن على هذه الامة وكان ماجنا سفيها مدمنا للخمر نسب اليه ما يقتضي الكفر قيل ويجوز ان يراد كلاهما لخبثهما وعتوهما والان الثاني أشقاهما وفي هذا معنى حسن وهو ان فرعون مصر الكافر كان اسمه الوليد كما أشار اليه في الحديث وقال ابن الجوزي ان هذا الحديث موضوع فكأنه ثبت عند المصنف رحمه الله تعالى فان موضوعات ابن الجوزي مدخولة تكلم في كثير منها وصحح في الشرح الجديد ان المراد انما هو الثاني المعروف بالفاسق بويع بالخلافة بعد هشام بن عبد الملك لست خلون من ربيع الآخر سنة خمس وعشرين ومائة وأظهر من فسقه وولعه بالملاهي وتهاونه بالدين أمورا شنيعة لا حاجة لنا بها ولذا جعله صلى الله تعالى عليه وسلم شرا من فرعون موسى مع الاتفاق على كفره لانه كان في زمان الكفر وهذا كان والاسلام غض طري (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث رواه الشيخان (لا تقوم الساعة) أي لا يأتي زمانها ويقرب أوانها (حتى تقتتل فئتان) أي طائفتان وجيشان من هذه الامة المسلمة (دعواهما) في اعتقادهما ودينهما (واحدة) وهي الاسلام والدين الحق وقد وقع هذا في صفين في وقعة علي ومعاوية رضي الله تعالى عنهما ثم سرى ذلك لكثير بعد ذلك فكم وقع بين المسلمين من الحروب والوقائع التي لا تحصى الى الان الوقعة الاولى أول مادهم أهل الاسلام من الامور المنكرة التي كانت ثلمة في الدين (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث رواه البيهقي والحاكم

(لعمر) أي ابن الخطاب كما رواه البيهقي وشيخه الحاكم عن الحسن بن محمد مرسلا (في سهيل بن عمرو) أي في شأنه وقد قال له عمر يا رسول الله دعني انزل ثنيته فلا يقوم خطيبا في قومه فقال دعها (عسى ان يقوم مقاما يسرك يا عمر فكان) أي الامر (كذلك) أي مثل ما أخبر عنه هنالك (فانه قام بمكة) أي عند الكعبة (مقام أبي بكر) أي في مرتبته وثبات حالته في المدينة (يوم بلغهم موت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) بتخفيف اللام أي وصلهم خبر موته صلى الله تعالى عليه وسلم (وخطب بنحو خطبته) أي بمثل خطبة الصديق في المدينة يومئذ (وثبتهم) بتشديد الموحدة أي حملهم على الثبات في الدين ١٩٥ (وقوى بصائرهم) بتشديد الواو أي

عن الحسن بن محمد مرسلا (لعمر) بن الخطاب رضي الله تعالى عنه (في سهيل بن عمرو) ابن عبد شمس ابن عبد ود أبو يزيد العامري القرشي أحد خطباء قريش أسلم يوم الفتح واستشهد باليرموك وقيل توفي بالشام سنة ثمان عشرة وقال الواقدي توفي في سنة تسع عشرة في طاعون عمواس وكان يقوم خطيبا يحرض المشركين على قتال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فلما أسر يوم بدر قال عمر يا رسول الله انه رجل مفوه فدعني أنتزع ثنيتيه السفليين فلا يقوم خطيبا عليك بعد اليوم لانه كان أعلم السفلى أي مشقوقها فاذا انتزعت ثنيتاه السفليتان يندلع لسانه فلا يطيق الكلام وهذا من عمر رضي الله تعالى عنه أمر بديع فقال صلى الله عليه وسلم لعمر دعه (عسى ان يقوم مقاما) أي يقوم خطيبا في مقام ينفع بخطبته ويأتي بما يمحو مقاماته الاول وقدم ان عسى من الله ومن رسول الله صلى الله عليه وسلم تحقيق (يسرك يا عمر فكان كذلك) أي وقع ما قاله صلى الله تعالى عليه وسلم وتحقق ما أخبر به من المغيبات فسره وسر المسلمين مقامه لما (قام بمكة مقام أبي بكر) الصديق رضي الله تعالى عنه أي مثل مقامه بالمدينة وخطب بخطبة مثل خطبته (يوم بلغهم) أي بلغ المسلمين بمكة (موت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وخطبهم) في مقامه بمكة (بنحو خطبته) أي بخطبة مثل خطبة أبي بكر بالمدينة لفظا ومعنى ثم بين المماثلة بقوله (وثبتهم) أي ثبت المسلمين على دينهم (وقوى بصائرهم) باعلامهم ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بشر وكل نفس ذائقة الموت فقال من كان محمدا الهه فان محمدا قدمات والله حي لا يموت وأبو بكر رضي الله تعالى عنه قال من كان يعبد محمدا فان محمدا قدمات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت فتواردا على معنى واحد في مقام غفل فيه كثير من كبار الصحابة دهشة من هذه المصيبة العظيمة (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم كما رواه ابن اسحق والبيهقي (لخالد) ابن الوليد (حين وجهه) أي أرسله صلى الله تعالى عليه وسلم متوجها (لاكيدر) بضم الهمزة وكاف مفتوحة ومثناة تحتية ساكنة ودال مكسورة وراء مهملتين مصغرا كدر ويقال له اكيدر دومة بضم الدال المهملة وقد تفتح ويقال لها دومة الجندل ويقال دوماء بالمد وهي ايلياء وهو موضع بين مكة وبرك الغماة أو بين الحجاز والشام سميت بدومان ابن اسمعيل لانه كان ينزلها (انك تجده) أي تصادف اكيدر (يصيد البقر) أي بقر الوحش لانها التي تصاد وكان صلى الله تعالى عليه وسلم بعثه في أربعمائة وعشرين فارسا الى اكيدر بن عبد الملك بن عبد الحق بن اعياء بن الحارث بن معاوية الكندي كما قاله الخطيب والماوردي وفي مختصر الشافعي انه من كندة أو غسان وكان نصرانيا قد ملك دومة وأهلها فأتاه خالد رضي الله تعالى عنه في ليلة مقمرة فوجده يصطاد الوحش هو وأخوه حسان فشدوا عليه فاستأسرا كيدر وقاتل أخوه حتى قتل فقدم به على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فصالحه على الجزية وحقن دمه وخلى سبيله فمات

وصار سببا التقوية كشف بصائرهم في اليقين فقال من كان محمد الهه فان محمدا قدمات والله حي لا يموت وكانت خطبة أبي بكر من كان يعبد محمدا فان محمدا قدمات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت الان أبا بكر رضي الله تعالى عنه زاد عليه باتيان الآيات البينة الدالة على موته صلى الله تعالى عليه وسلم لزيادة كماله في الرتبة قال البيهقي ثم الحق في أيام عمر بالشام مرابطا في سبيل الله حتى مات بها في طاعون عمواس (وقال الخالد) أي ابن الوليد (حين وجهه) بتشديد الجيم أي ارسله (لاكيدر) بالتصغير ملك كندة اختلف في اسلامه وصحبته (انك تجده يصيد البقر) أي بقر الوحش قال الخطيب كان نصرانيا ثم أسلم وقيل بل مات نصرانيا و جمع بينهما بانه أسلم ثم ارتد قال ابن منده وأبو نعيم الاصبهاني في كتابيهما معرفة الصحابة ان اكيدر هذا أسلم وأهدى للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم حلة سيراء فوهبها لعمر قال ابن الاثير اما الهدية والمصالحة فصحيحان واما الاسلام فغلطا فيه فانه لم يسلم بلا خلاف بين أهل السير وكان اكيدر نصرانيا فلما صالحه عليه الصلاة والسلام عاد الى حصنه وبقي فيه ثم ان خالدا حاصره زمن أبي بكر فقتله مشركا نصرانيا لنقض العهد قال وذكر البلاذري ان اكيدر لما قدم على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعاد الى دومة بضم الدال ويقال دومة الجندل موضع بين مكة وبرك الغماد والحجاز والشام فلما توفي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ارتد اكيدر ومنع ما قبله فلما سار خالد من العراق الى الشام قتله

(فوجدت هذه الامور كلها فى حياته وبعد موته) أى وقعت هذه الاخبار المذكورة جميعها الان منها ما وقع فى حياته ومنها ما وقع أو سيقع بعد مماته (كما قاله عليه الصلاة والسلام) أى على نهج ما أخبر به عنه فى ذلك المقام من المعنى المرام (الى) أى منضمة أو منتهية الى (ما أخبر به جلساءه من أسرارهم) أى خفيات أفعالهم (وبواطنهم) أى مكونات أحوالهم كقوله لرجل وصف له بالعبادة هل حدثت نفسك انه ليس فى القوم خير منك قال نعم وفى رواية ومواطنهم أى ومشاهدهم وفى أصل التلمسانى ومواصلتهم أى مواصلة الناس من أهل الاسلام ونقل ما يصنعون الى اخوانهم الكفرة (واطلع عليه) أى والى ما انكشف عليه (من اسرار المنافقين) أى فيما بينهم (وكفرهم) أى من جهة تواطئهم كما ظهر منهم فى غزوة تبوك وهم سائرون بين يديه انظروا الى هذا الرجل يريد ان يفتتح قصور الشام وحصونها هيهات هيهات فاعلمهم به فقالوا الا ما كنا فى شئ من أمرك بل كنا فى شئ مما يخوض فيه الركب ليقصر بعضنا على بعض السفر فوبخهم الله وكذبهم بقوله تعالى قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن (وقولهم فيه) أى ومن تكلمهم فى حقه عليه الصلاة والسلام (وفى المؤمنين) أى من أصحابه الكرام كما وقع لرئيس المنافقين عبد الله ابن أبى حين قال لاصحابه وقد استقبله نفر من أصحاب النبى عليه الصلاة والسلام انظروا كيف أرد هؤلاء السفهاء عنكم فاخذ بيد أبى بكر فقال مرحبا بسيد بنى تيم وشيخ الاسلام وثانى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى الغار الباذل نفسه وماله لرسول الله ثم أخذ بيد عمر فقال مرحبا بسيد بنى عدى الفاروق فى دين الله ثم أخذ بيد على فقال مرحبا بابن عم رسول الله وختنه ثم افترقوا فقال لاصحابه كيف رأيتمونى فعلت فاثنوا عليه فنزلت فيهم واذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء الا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزؤن الآيات (حتى ان) مخففة (كان بعضهم) أى المنافقين (ليقول لصاحبه) أى رفيقه اذا طعن فى الاسلام وأهله (اسكت) أى من نحو هذا الكلام (فوالله لو لم يكن عنده من يخبره) أى شئ من الاشياء (لاخبرته حجارة البطحاء) أى صغار الحصى كما وقع يوم فتح مكة حين دخل النبى عليه الصلاة والسلام فى البيت وأمر بلالا ان يؤذن فقال عتاب ابن أسيد لقد اكرم الله أسيدا انه لم يسمع هذا فقال الحارث بن هشام اما والله لو اعلم انه حق لاتبعته وفى رواية أما وجد محمد غير هذا الغراب الاسود مؤذنا فقال أبو سفيان لا اقول شيأ لو تكلمت لاخبرته عنى هذه الحصباء فلما خرج قال لهم لقد علمت الذى قلتم وأخبرهم فقال عتاب والحارث نشهد انك رسول الله ما اطلع على هذا أحد كان معنا فنقول أخبرك

نصرانيا وقال البلادرى انه عاد الى دومة فلما توفى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم نقض العهد فحاصره خالد وقتله مشركا نصرانيا وقيل انه أسلم وأهدى للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم حلة سيراء فوهبها لعمر وعده ابن منده وأبو نعيم فى الصحابة وقال ابن الاثير ان الهدية صحيحة واما اسلامه فغلط باتفاق أهل السير وقيل انه أسلم ثم ارتد بعده صلى الله عليه وسلم وعلى هذا لا يعد فى الصحابة أيضا (فوجدت) بالبناء للمجهول (هذه الامور) المذكورة فى هذا الفصل (كلها فى حياته) بعد ما أخبر بها (و) وجد بعضها (بعد موته كما قاله صلى الله تعالى عليه وسلم) أى مطابقة لخبره ومماثلة له منتهية أو مضمومة (الى ما أخبر به جلساءه) من الصحابة (من أسرارهم) أى ما أسروه وأخفوه (وبواطنهم) أى أمورهم المخفية وقلوبهم وهو بيان لما أخبر به (وأطلع عليه) عطف على ما أخبر به (من أسرار المنافقين) أى ما اسروه فى أنفسهم ولم يخبروا به احدا منهم ولا من غيرهم أو ما كانوا يقولونه سرا بينهم بحيث لا يقف عليه المؤمنون (وكفرهم) المضمر فى قلوبهم مع اظهارهم الايمان (وقولهم فيه) أى فى حق النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (وفى المؤمنين) وهو معطوف على أسرار المنافقين عطف تفسير كقول رأسهم ابن أبى لهم وقد استقبله الصحابة انظروا كيف أرد هؤلاء السفهاء عنكم فاخذ بيد أبى بكر فقال له مرحبا بسيد تيم وشيخ الاسلام وثانى اثنين فى الغار وباذل نفسه وماله لرسول الله ثم أخذ بيد عمر فقال له مرحبا بسيد بنى عدى الفاروق فى دين الله ثم أخذ بيد على فقال مرحبا بابن عم رسول الله وختنه سيد بنى هاشم ما خلا رسول الله افترقوا فقال لاصحابه كيف رأيتمونى فعلت فاثنوا عليه (حتى ان) بكسر الهمزة وسكون النون المخففة من الثقيلة واسمها ضمير شان مقدر (كان بعضهم) أى بعض المنافقين (يقول) وفى نسخة ليقول (لصاحبه) أى من هو معه منهم اذا أراد ان يتكلم بشئ فى حقه صلى الله تعالى عليه وسلم سرا معه (أسكت) ولا تنطق بشئ من أمره ثم بين وجه أمره بالسكوت مقسما عليه ليحقق ما قاله فقال (فوالله لو لم يكن عنده من يخبره) بما يقوله فى شأنه من ملك أو جن يبلغه ما يقال فيه (لاخبرته حجارة البطحاء) وهى ارض مستوية يسيل فيها الماء والمراد بحجارتها ما فيها من الحصباء يعنى ان الحجارة تعلمه بما غاب عنه وهذا اشارة أيضا لما وقع له صلى الله تعالى عليه وسلم لما فتح مكة

وامر

(واعلامه) أى ومن اخباره عليه الصلاة والسلام كما فى الصحيحين عن عائشة (بصفة السحر الذى سحره به لبيد بن الاعصم) أى من

يهود (وكونه) أى ومن كون سحره (فى مشط) بضم الميم وسكون المعجمة وتثلث وبضمهما ما يمشط به (ومشاقة)

وأمر بلالا رضى الله تعالى عنه بان يعلو ظهر الكعبة ويؤذن عليها وأبو سفيان بن حرب وعتاب بن أسيد والحارث بن هشام جلوس بفناء الكعبة فقال عتاب لقد أكرم الله أسيدا اذلم ير هذا اليوم وقال الحارث اما وجد محمد مؤذنا غير هذا الغراب الاسود فقال أبو سفيان لا أقول شيأ ولو تكلمت لاخبرته هذه الحصباء فخرج عليهم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقال علمت الذى قلتم وذكر مقالتهم فقال الحارث وعتاب نشهد انك رسول الله ما اطلع على هذا أحد كان معنا فنقول أخبرك به (واعلامه) بالجر معطوف على ما أخبر به وهو اشارة الى ما فى الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها وهو مصدر مضاف لفاعله ومفعوله محذوف أى اعلامه الناس (بصفة السحر الذى سحره به لبيد بن الاعصم) وهو يهودى من بنى زريق وقصة سحره مشهورة فى السير والتفسير (وكونه) أى السحر المذكور الذى وضعه (فى مشط) بضم الميم وكسرها وسكون الشين المعجمة وطاء مهملة اسم آلة معروفة يسرح بها الشعر ويقال لها ممشط أيضا (ومشاطة) بضم الميم وهى ما يسقط من الشعر اذا سرح وفى نسخة مشاقة بقاف بدل الطاء وهما بمعنى أو الاول من الشعر والثانى من الكتان (فى جف) بضم الجيم وتشديد الفاء وهو وعاء الطلع الذى يكون عليه كالغشا وفى نسخة جب بباء موحدة بمعنى داخل وجوف ومنه جب البئر وهو مضاف لقوله (طلع نخلة ذكر) والطلع ما يخرج من النخل فى ظرف منطبق عليه معروف والنخل منه ذكر وأنثى تحمل بثمرها المعروف (وانه) بفتح الهمزة والضمير للسحر المذكور (ألقى فى بئر ذروان) أى وضع فى هذه البئر وهى بئر بالمدينة لبنى زريق وهى بذال معجمة مفتوحة وراء مهملة ساكنة وواو بزنة فعلان (فكان) ما أخبر به صلى الله عليه وسلم (كما قال) عليه السلام (ووجد السحر (على تلك الصفة) التى وصفها فهو من اخباره بالغيب بوحى من الله تعالى كما فصلوه وعن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله تعالى عنها ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لما سحر قال أتانى رجلان فقعد أحدهما عند رأسى والآخر عند رجلى فقال أحدهما لصاحبه ما وجع الرجل قال مطبوب أى مسحور قال من طبه قال لبيد بن الاعصم قال فى أى شئ قال فى مشط ومشاطة وجف طلع ذكر قال وأين هو قال فى بئر ذروان فجاءها صلى الله تعالى عليه وسلم فى ناس من أصحابه فاستخرجه فلما رجع قال يا عائشة كان ماءها نقاع الحناء وكان رؤس نخلها رؤس الشياطين فقالت هلا أخرجته يا رسول الله قال قد عافانى الله تعالى فكرهت ان أثير على الناس منه شرا فامر بها فدفنت قال أبو عبيدة هو عند المحدثين هكذا بئر ذروان وقال ابن قتيبة عن الاصمعى هو خطأ وصوابه أروان بالهمزة انتهى وفى القاموس بئر ذروان بالمدينة وهى ذو اروان بسكون الراء وقيل بتحريكه انتهى وفى مسلم بئر ذى أروان قال النووى وهو صحيح والاول أجود وأصح ويحتمل ان الاول مخفف منه (واعلامه) صلى الله تعالى عليه وسلم (قريشا) كما رواه البيهقى عن الزهرى فى الدلائل (بأكل الارضة) بفتحات دودة تأكل الورق وتكون فيه اذا انطبق زمانا بحيث لا يمر به الهوى وهى معروفة وعلى أنواع ومنها ما يأكل الخشب فمن فسرها هنا بدويبة تأكل الخشب قال الله تعالى ما دلهم على موته الا دابة الارض تأكل منسأته والارض بالسكون مصدر أرض اذا كان به ارضة أضيفت لها لم يطبق الفصل وليست هى الدابة المسماة سرقة كما قيل وكذا من قال انها سوس الخشب (ما فى صحيفتهم) الاضافة للعهد أى الصحيفة المشهورة وسيأتى بيانها (التى تظاهروا بها) أى تعصبوا وتعاونوا باتفاقهم على عهود كتبوها فى تلك الصحيفة كما سيأتى (على بنى هاشم) وهم فخذ من قريش (وقطعوا بها رحمهم) أى قصدوا بما كتب فى الصحيفة قطع رحمهم أى قرابتهم أى ابطلوا حقوق القرابة بينهم وبين بنى عمهم

وفى نسخة صحيحة ومشاطة وكلاهما بضم أولهما بمعنى وهو ما يسقط من الشعر عند امتشاطه (فى جف طلع نخلة) بضم الجيم وتشديد الفاء أى وعائه فى غشائه الذى يكون فوقه وروى جب بالموحدة وهما بمعنى وهو داخلها وقوله (ذكر) بفتحتين صفة طلع أو نخلة على ان التاء للوحدة كالنملة وليس بفعل ماض معلوم أو مجهول كما يتوهم من أقوال الدلجى (وانه) أى السحر فيما ذكر (ألقى فى بئر ذروان) بفتح الذال المعجمة وسكون الراء وهى بالمدينة بستان لبنى زريق ويقال له بئر ذى أروان كذا فى مسلم وكلاهما صحيح وما فى مسلم أصح وادعى ابن قتيبة انه الصحيح ذكره النووى واما بالواو قبل الراء فوضع بين قديد والجحفة (فكان) أى فوقع الامر (كما قال) أى من خبر السحر (ووجد على تلك الصفة) أى الهيئة من كونه فى مشط ومشاطة (واعلامه) أى ومن

اخباره (قريشا) كما رواه البيهقى عن الزهرى (بأكل الارضة) بفتح الهمزة والراء دويبة تأكل الخشب (ما فى صحيفتهم التى تظاهروا) أى تعاونوا وتناصروا (بها على بنى هاشم وقطعوا بها رحمهم) أى قرابتهم ممن بينهم وبينهم نسب [illegible]

من بنى هاشم وأصل الرحم مقر الولد ثم شاع فى القرابة حتى صار حقيقة فيها (وانها) أى الارضة وهو معطوف على أكل الأرضة أى واعلامه صلى الله تعالى عليه وسلم بانها (أبقت فيها) أى الصحيفة (كل اسم لله تعالى) دون غيره مما عاهدهم عليه فمحته لانه باطل وابقت اسم الله تعالى تبركا وتأدبا وهذا على احدى الروايتين والاخرى ستأتى وتوجيهها (فوجدوها كما قال) صلى الله تعالى عليه وسلم وأخبر به عن الغيب فهو من معجزاته وماذكره المصنف رحمه الله تعالى من انها أبقت اسم الله تأدبا ومحت غيره للاشارة الى انه أمر باطل على احدى الروايتين كما علمت وفى رواية أخرى انها لحست اسم الله تعالى وابقت غيره من عهودهم الفاسدة للاشارة الى ان الله تعالى برىء منهم وانه لا يليق ذكر اسمه بين ذكر عهودهم ولكل وجهة والروايتان ذكرهما ابن سيد الناس فى سيرته فاذا صحت الروايتان أشكل ذلك لان القصة واحدة والصحيفة واحدة وقول البرهان فى التوفيق بينهما ان لم نقل ان رواية انها لحست اسم الله أقوى والمعول انما هو عليها انه كتب نسختان علقت احداهما فى الكعبة والاخرى كانت عندهم بعيد اذ لم يقع ذلك فى رواية أصلا وقد قيل ان كاتبها شلت يده وهو منصور بن عكرمة وقيل بغيض بن عامر بن هشام وحاصل قصتها انهم لما اشتد عليهم أمره صلى الله عليه وسلم واشتد على المسلمين قهرهم أرادوا قتله فلم يرض به أبو طالب وبنو هاشم فقالوا اما ان تسلموه لنا أو تعتزلوا عنا جميعا فى الشعب بحيث لا تقابلوننا ولا تجتمعون معنا فرضوا بذلك وكتبوا بالعهد صحيفة علقوها فى الكعبة فكان كلما جاء أهل البادية بما يباع منعوهم عنهم فمكثوا ثلاث سنين كذلك حتى ضاق عليهم الحال وندم بعض قريش وأراد نقض العهد فبينما هم كذلك اذ قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لابى طالب يا عم ان الله أبطل عهدهم وأكلته الارضة فخرج اليهم فظنوه انه أتاهم ليسلم لهم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فاخبرهم بالقصة كانوا بالصحيفة فوجدوها كما قال فاذنوا لهم بالخروج من الشعب على ما فصل فى السير وكان ذلك مما أطلعه الله تعالى عليه من غيبه وهذا يقتضى صحة ما قاله المصنف رحمه الله تعالى وان الرواية الاخرى غير ثابتة عنده وعلى كل حال فلم نجد ما يشفى الصدور (ووصفه لكفار قريش) بعد الاسراء كما تقدم تفصيله (بيت المقدس) مفعول وصف وقوله (حين كذبوه فى خبر الاسراء) أى فى اخباره بانه أسرى به لبيت المقدس (ونعته اياه) أى بيت المقدس (نعت من عرفه) بالنصب مفعول نعته والنعت والوصف متقاربان والمصنف رحمه الله تعالى غاير بينهما تفننا وقيل النعت يقال فى غير الله تعالى ولا يقال نعت الله كما ذكره بعض النحاة ولم يذكر له وجها (واعلامهم) بالجر أى اعلام الكفار (بعيرهم) بكسر العين أى قافلتهم من عار بمعنى سار واما بالفتح فهو الحمار وليس بمراد هنا (التى مر عليها فى طريقه) لما رجع من الاسراء (وانذارهم بوقت وصولها) لهم والانذار هنا بمعنى الاعلام مجازا وأصله التخويف والاخبار بما فيه خوف ضد التبشير كما تقدم ومن فسره بالتخويف هنا لم يصب يعنى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم انها تقدم وقت كذا يقدمها جمل أورق كما مر (فكان ذلك كله) أى وجد ووقع (كما قال) صلى الله تعالى عليه وسلم من غير زيادة ولا نقص فيما أخبر به وقد قدمنا تفصيله ثمة فلا حاجة لاعادته (الى ما أخبر به من الحوادث) أى ما تقدم ينتهى أو ينضم لغيره مما أخبر به مما سيحدثه الله بعده من الامور (التى تكون) فى المستقبل (ولم تأت بعد)

(وانها) أى وبان الارضة (أبقيت فيها كل اسم لله) وقد روى ابن أبى الدنيا فى سيرته مرسلا انها لم تترك فيها اسم الله الا لحسته وبقى فيها ما كان من شرك أو ظلم أو قطيعة رحم وقد ذكر الروايتين أبو الفتح اليعمرى فى سيرته ولعل القضية متعددة أو وقع وهم لبعض فى قلب الرواية والمذكور فى الاصل هو الانسب بالدراية فان لله الاسماء الحسنى باقية على صفحات الدهر بالنعت الاسنى ثم رأيت الحلبى اختار ان كونها لحست اسم الله أقوى وان كان فيه ابن لهيعة وهو مرسل والآخر ذكره ابن هشام انتهى ولا يخفى ان التعارض اذا وقع فيجمع مهما أمكن والا فيرجح والا فيحمل على التعدد اذا تصور بان يقال علقت واحدة فى الكعبة وأخرى عندهم والله تعالى أعلم (فوجدوها) أى الصحيفة (كما قال) أى من أكل بعض ما فيها وابقاء باقيها (ووصفه) عطف على اعلامه أى ونعته عليه الصلاة والسلام (لكفار قريش بيت المقدس حين كذبوه فى خبر الاسراء) أى فى صبيحة ليلة أسرى به من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى منتهيا الى السماء (ونعته اياه) أى بيت المقدس لهم على ما مر (نعت من عرفه) أى كنعت من عرفه حق معرفته (واعلامهم) أى واعلامه اياهم (بعيرهم) بكسر العين أى بقافلة ابلهم (التى مر عليها فى طريقه) أى حين رجع من مسيره الى مقام تحقيقه (وانذارهم) أى مبنى
اعلامهم (بوقت وصولها) وان جملا أورق يقدمها فى يوم كذا قبل ان تغيب الشمس فى مغربها (فكان) أى فوقع ذلك (كله كما قال) أى كما أخبره صلى الله تعالى عليه وسلم (الى ما) أى مع ما (أخبر به من الحوادث التى تكون) أى ستوجد ويأتى أمرها (ولم تأت بعد) بضم الدال أى ولم تقع عقب زمن اخباره بل ستأتى بعد ازمان متباعدة عن آثاره

(منها) أي من الحوادث التي تكون (ماظهرت مقدماتها) بكسر الدال المشددة وتفتح وفي نسخة مقدماته (كقوله) أي فيما رواه أبو داود (عمران بيت المقدس) بضم العين أي كثرة عمارته باستعلاء الكفار على امارته (خراب يثرب) أي سبب خراب المدينة المشرفة وضعف جماعته (وخراب يثرب خروج الملحمة) أي علامة ظهور الحرب والفتنة (وخروج الملحمة فتح القسطنطينية) بضم القاف والطاء الاولى وتفتح وبكسر الطاء الثانية بعدها ياء ساكنة فنون وتأنيث كذا في النسخ المصححة وفي رواية السجزي بزيادة مشددة وهي دار ملك الروم ثم كل سابقة مما ذكر علامة مستعقبة للاحقة وفي حاشية الحجازي وقسطنطينية ويروى بلام التعريف وفيها ست لغات فتح الطاء الاولى وضمها مع تخفيف الياء الاخيرة ومع تشديدها ومع حذفها وحذف النون والقاف مضمومة بكل حال ثم اختلفوا اهل افتتحت أم لا فقيل كان ذلك في زمن عمر أو عثمان وقيل لا بل انما ستفتح مع قيام الدجال والله تعالى أعلم بالحال (ومن اشراط الساعة) أي والى ما أخبر به من علاماتها المتقدمة كما في الصحيحين ان من أشراط الساعة ان يرفع العلم ويكثر الجهل والزنا وشرب الخمر وتقل الرجال وتكثر النساء حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد (وآيات حلولها) أي علاماته المؤذنة بوقوعها وحصولها لحديث مسلم لن تقوم الساعة حتى تروا قبلها عشر آيات فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى ابن مريم ويأجوج ومأجوج وثلاثة خسوفات خسفا بالمشرق وخسفا بالمغرب وخسفا بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس الى محشرهم

مبني على الضم أي لم يقع عقب اخباره بل بعده بازمان متباعدة بعضها ظهرت مقدماتها وبعضها لم تظهر فاذا جاء الابان تجئ فان خبره صلى الله تعالى عليه وسلم لا يتخلف (و) الى ذلك أشار بقوله (منها ماظهرت مقدماته) بكسر الدال أي علاماته المتقدمة عليه (كقوله) صلى الله عليه وسلم في حديث رواه أبو داود في سننه (عمران بيت المقدس) بضم العين مصدر كالغفران بمعنى كونه معمورا بتمام بنائه وكثرة سكانه وذلك باستيلاء الكفرة عليه وتعميره وتقدم معنى كونه مقدسا بما فيه وهو مبتدأ خبره (خراب يثرب) بالمثلثة ومنع الصرف وهو اسم المدينة الشريفة وجعله عينه مبالغة كقولهم عتابة السيف وليس المراد به التشبيه فالحمل في قوله عمران بيت المقدس خراب يثرب ومابعده على طريق المجاز في النسبة الاسنادية بجعل ما يقرب من الشئ ويلاصقه له كأنه هو بعينه فلا يقال انه غيره فكيف أخبر به عنه (وخراب يثرب) الذي يعمر عنده بيت المقدس (خروج الملحمة) أي ظهورها والملحمة بميم مفتوحة ولام ساكنة وحاء مهملة وهي موضع المعركة والقتال ويكون بمعنى الحرب نفسه كما في النهاية الاثيرية وفي الصحاح انها الوقعة العظيمة في الفتنة من التحم بمعنى اشتبك ودخل بعضه في بعض كالسدا واللحمة أو من اللحم لكثرة لحوم القتلى فيها ومنه الملحمة اسم كتاب يذكر فيه أحكام النجوم وآثار الجو من السحاب ونحوه والمراد به الفتن العظيمة والهرج الذي يكون في آخر الزمان (وخروج الملحمة فتح القسطنطينية) وفي نسخة قسطنطينية بغير ألف ولام وبعد النون الثانية ياء تشدد وتخفف وهي مدينة عظيمة هي قاعدة ديار الكفر وكرسيها وهي منسوبة لقسطنطين اسم أول ملك بناها وهو أول من أظهر دين النصرانية ودونه وهي مدينة عظيمة الشكل منها جانبان في البحر وجانب في البر ولها سبعة أسوار وسمك سورها الكبير احدى وعشرون ذراعا وفيه مائة باب وبابها الكبير يسمى باب الذهب وهو باب مموه بالذهب وفيها منارة من نحاس قد قلبت قطعة واحدة وليس لها باب وفيها منارة قريبة من مارستانها قد ألبست كلها بالنحاس وعليها قبر قسطنطين وهو راكب على فرس وقوائمه محكمة بالرصاص ماد ايده اليمين فانها مطلقة في الهوى لانه سائر والملك على ظهره ويده موقوفة في الجو وقد فتح كفه يشير نحو بلاد الشام ويده اليسرى فيها كرة مكتوب عليها ملكت الدنيا حتى بقيت وكفى مثل هذه الكرة وخرجت منها كما ترى وفيها لغات ضم القاف وفتح الطاء الاولى وضمها مع تخفيف الياء الاخيرة أو تشديدها وحذفها فهي ست ووقعت في الحديث بالالف واللام واستعملها الناس بحذفها كقول أبي تمام

حتى التوى من نفع قسطلها على * حيطان قسطنطينة الاعصار

وهي المسماة برومية وقد اختلف هل فتحت هذه أم لا فقيل فتحت في زمن الخلفاء والاصح انها انما تفتح في آخر الزمان قبل خروج المهدي وهو الذي صححه المقدسي في كتاب الدرر في أخبار المهدي المنتظر والذي أوقعهم في اللبس اشتراك الاسم فانه سمي بها مدن متعددة والمذكور في هذا الحديث كله يكون اذا اقترب نزول عيسى عليه الصلاة والسلام وكذا ما معه من الاشراط واليه أشار بقوله (ومن اشراط الساعة وآيات حلولها) معطوف على قوله من الحوادث والاشراط جمع شرط بفتحتين وهي العلامة والمقدمة وهي والآية بمعنى وقيل هي ما ينكره الناس من صغار أمورها وعلامات

(وذكر النشر والحشر) أي ومن ذكره صلى الله تعالى عليه وسلم اياهما في أشراط الساعة فالمراد بهما ما يقع قبل القيامة من التفرقة والجمع كما حكى النووي عن العلماء من ان آخر اشراطها في الدنيا قبل النفخة الاولى نفخة الصعق أي الموت بدليل ذكره مع آيات حلولها ولقوله عليه الصلاة والسلام ويحشر بقيتهم النار تبيت معهم وتقيل معهم كما في حديث مسلم يحشر الناس أي أحياء الى الشام على ثلاث طرائق راغبين راهبين واثنان على بعير وثلاثة على بعير وأربعة على بعير وعشرة على بعير ويحشر بقيتهم النار تقيل معهم حيث قالوا وتبيت معهم حيث باتوا وتصبح معهم حيث أصبحوا وتمسي معهم حيث أمسوا وأما ما بعد بعثهم من القبور فعلى خلاف هذه الصفة من ركوب الابل والتعاقب عليها بل هو على ما ورد من كونهم حفاة عراة غرلا كما بدأكم تعودون هذا ووقع في أصل الدلجي والنشر بعد الحشر وفسره بالبعث وهو اعادة ما أفناه ولا يخفى انه لا يناسب المقام مع انه لغة غير مطابق للمرام فالصواب ما قدمناه في الاصل من النسخ المصححة المشيرة الى ان الحشر بعد النشر في علامات الساعة بخلاف يوم القيامة فان الحشر قبل النشر لانه يجمع الخلق أولا ثم يفرق بينهم كما أخبر عنه سبحانه وتعالى بقوله فريق في الجنة وفريق في السعير (وأخبار الابرار) جمع بر أو بار أي وذكر أخبارهم بما يسرهم مجملا وتفصيلا لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم اخبارا عن الله سبحانه وتعالى أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (والفجار) جمع فاجر من فاسق وكافر وأخبارهم أي بما يسوءهم كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم فيه ان التجار يوم القيامة يبعثون فجارا الا من اتقى الله وصدق (والجنة والنار) أي ومن ذكرهما (وعرصات القيامة) أي وذكر مواقفها من الميزان والحوض والصراط وغيرها وكان الانسب تأخير الجنة والنار عن عرصات القيامة هذا وان أردت تفصيل ذلك في الجملة فعليك بكتاب شيخ مشايخنا جلال الدين السيوطي المسمى بالبدور السافرة في أحوال الآخرة (وبحسب هذا الفصل) بسكون السين والباء زائدة كما في قولهم بحسبك درهم أي حسبك والمعنى كفى هذا الفصل من كماله في الفضل (أن يكون ديوانا مفردا) أي دفترا منفردا (يشتمل على أجزاء وحده) أي متوحدا غير منضم الى غيره (وفيما أشرنا اليه من نكت الاحاديث التي ذكرناها كفاية) أي غنية لمن له دراية (وأكثرها في الصحيح) أي رواية (وعند الائمة) أي من كتب أصحاب السنة (والله ولي التوفيق) أي بالهداية في البداية والنهاية

القيامة التي تكون في آخر الزمان كالدجال ودابة الارض وغيره مما هو مشهور وغني عن البيان وهذا كله مما أخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم من المغيبات وقد فصله القرطبي في تذكرته (وذكر النشر والحشر) الذي هو آخر الاشراط وآخر الدنيا اذا نفخ في الصور والنشر للميت ان يحيى فيقوم من قبره من نشر الثوب اذا بسطه قال الشاعر

طوتك خطوب دهرك بعد نشر * كذاك خطوبه طيا ونشرا

والحشر سوق الناس الى المحشر للحساب (واخبار الابرار) بالجر أي مما أخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم من المغيبات ما ورد في الحديث من أخباره عن صلحاء أمته وفجارهم أو اخبارهم بما يسرهم وتقر به أعينهم واخبار غيرهم بما يسوءهم وينكيهم فأخبار بفتح الهمزة جمع خبر أو بكسرها مصدر أخبر والابرار جمع بر أو بار كرب وأرباب وصاحب وأصحاب وهو التقي الصالح (والفجار) جمع فاجر وهو الفاسق المجاهر بالمعاصي والمعنى أنه صلى الله تعالى عليه وسلم أعلم أمته بما سيكون فيهم وهو كثير في الاحاديث (والجنة والنار) أي ذكر أحوالهما وأهلهما وما سيكون فيهما (وعرصات القيامة) بفتحات جمع عرصة بسكونها وهي كل موضع واسع لا بناء فيه أي مما أخبر به صلى الله عليه وسلم من المغيبات ما ورد في الحديث من بيان مواقف القيامة وعرصاتها ووصفها بصفاتها (وبحسب هذا الفصل) الباء زائدة كما في قولهم بحسبك درهم وهو بسكون السين المهملة مبتدأ خبره (أن يكون ديوانا) أي كتابا مدونا مستقلا وقد تقدم لفظ الديوان ومعناه وهذا الفصل اشارة الى الفصل المعقود لاخباره صلى الله تعالى عليه وسلم بالمغيبات وهذا عبارة عن المبالغة في كثرته كما ذكره في أوله وانه لو ألف فيه تاليف مستقل دون غيره من معجزاته لم يكن أمرا غريبا (مفردا) عن غيره من المعجزات (يشتمل) ذلك الديوان المفرد له (على أجزاء) بتمييز أنواعه وافراد كل نوع بباب (وحده) منفردا من بينهما ثم اعتذر لعدم افراده بالتأليف بقوله (وفيما أشرنا اليه) أي ما ذكره في هذا الفصل منه وهو خبر مقدم (نكت من نكت الاحاديث التي ذكرناها) أي لطائف ودقائق نفيسة وقد تقدم بيان النكت مفصلا وقوله (كفاية) مبتدأ مؤخر ولو حذف قوله نكت كان أحسن لانه اذا كان مبتدأ كان قوله كفاية مبتدأ آخر أو بدلا أو صفة بتأويله بكافية وكله تكلف أي المقدار الذي اقتصر عليه المصنف كاف عن افراده بالتأليف (وأكثرها) أي النكت المذكورة في هذا الفصل منقول (في الصحيح) من كتب الحديث المعتمدة (و) موجود (عند الائمة) من علماء الاثر ومشايخ المصنف وفي تعبيره بالاكثر اشارة الى ان

فيه ماهو ضعيف أولم يثبت كما بيناه لك في أثناء شرحه

(فصل في عصمة الله له صلى الله تعالى عليه وسلم من الناس) أصل معنى العصمة الامساك والشد قال الراغب الاعتصام التمسك بالشئ واستعصم استمسك كأنه طلب مايعتصم به من ركوب الفاحشة وعصمة الله الانبياء حفظه اياهم بما خصهم من صفاء الجوهر ثم بما أولاهم من الفضائل الجسمية والنفسية ثم بالنصرة وتثبيت أقدامهم ثم بانزال السكينة عليهم وبحفظ قلوبهم وبالتوفيق انتهى يعني ان حقيقتها التمسك ثم صار حقيقة في المنع عن ارتكاب المعاصي وفي الحفظ عن نيل المضرة من أعدائهم والمراد هنا المعنى الاخير كما أشار اليه بقوله (وكفايته من آذاه) أي كفاية الله اياه بحفظه ممن قصد أذيته والمراد بالناس مايشمل الانس والجن فانه ورد بهذا المعنى كما ذكروه في تفسير المعوذتين أو خصهم لانهم الذين عادوه صلى الله تعالى عليه وسلم وقصدوا أذيته وقوله من أذاه من ذكر العام بعد الخاص ليشملهم صريحا واستشهاده له بقوله (قال الله تعالى والله يعصمك من الناس) يقتضي انه لم يقصد الاخير بحسب الظاهر وهذه الآية وسورتها مدنية على الاشهر وقال العلامة الخيضري في الخصائص برده ماروى عن ابن عباس وغيره انه قال كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا خرج بعث معه أبو طالب من يحرسه حتى نزلت هذه الآية فقال له ياعم ان الله عصمني من الجن والانس فلا حاجة لي بمن تبعثه معي وهذا يدل على انها مكية وفي مسلم عن عائشة رضي الله عنها أرق رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة أي عند مقدمه المدينة فقال ليت رجلا صالحا من أصحابي يحرسني الليلة فسمعت صوت السلاح فقال من هذا قال سعد بن أبي وقاص جئت لاحرسك فنام حتى سمعنا غطيطه وروى الترمذي عن عائشة كما يأتي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت الآية الى آخره أي فهذا يدل على انها مدنية فيحتاج للجمع وكونها انزلت مرتين بمعنيين فالناس على الاول أهل مكة وعلى الثاني أعم خلاف الظاهر ثم قال أكثر المفسرين ان هذا الذي كان يخشاه فعصم منه القتل لا الاعم فلا يرد عليه انه اذا عصم لم لبس الدرع وشج وكسرت رباعيته وكان يحرس مع انه قيل انه كان تشريعا للامة ليأخذوا بالحزم وكسر الرباعية والشج قيل انه كان لحكمة وهي كما ان يشارك المؤمنين في المصيبة تسلية لهم عما نالهم من فقد أحبابهم وليشتد غيظهم على الكفار فيشتد بطشهم بهم انتهى وأما العصمة عن الذنوب فسيأتي في محله والى ماقدمناه أشار في الكشاف ومن لم يفهم كلامه اعترض عليه بما لا محصل له وقد تقدم انه صلى الله تعالى عليه وسلم سم بخيبر وقال انه سبب موته لقوله أكلة خيبر قطعت أبهري وقالوا حكمته ان ينال أجر الشهادة ورتبتها مع مرتبته العلية فيرد هذا على ماقالوه وأجيب بان الله كفاه قتله بالسم حين أكله فلم يؤثر فيه فلما قضى أجله أثر فيه بقيته لعلو مقامه وليس لاحد صنع فيه والقول بان الشج وغيره كان قبل نزول الآية ينافيه ثبوت أنها نزلت بمكة ولا مانع من ضمان الله عصمته بوحي غير متلو بمكة وضمانه بالمتلو بالمدينة انتهى ولايخفى مافي كلامه كما يعلم مما مر وقصة السم غير واردة على العصمة من القتل لان المفهوم منه حفظه عن ان يقتله عدوله مجاهرة بالبطش فيه بسلاح ونحوه خصوصا ولم يظهر له أثر حال أكله ولا بعده مما يطلع عليه أعداؤه وانما كان بالسراية بعد زمان طويل ومثله لايعد قتلا (وقال الله تعالى واصبر لحكم ربك فانك باعيننا) أمر بالصبر على اعباء الرسالة ومشقة تبليغ ما أمر بتبليغه ثم سلاه بان لايخاف من أحد فانه محفوظ بعين العناية من الله فاستعار العين للحفظ وجمعها جمع قلة لانه محفوظ من جهاته الست ومن ظاهره وباطنه وهذا أظهر مما في الكشاف ومما قيل انه للمبالغة والتأكيد قال الراغب يقال فلان بعيني أي أحفظه وأراعيه كقولهم هو مني بمرأى ومسمع وقوله واصنع الفلك باعيننا أي بحيث نرى ونحفظ وفيه كلام مفصل ليس هذا محله (وقال أليس الله بكاف عبده) فيه اثبات لكفاية الله له على أبلغ وجه لانه استفهام

(فصل) (في عصمة الله تعالى له) أي في وقايته وحمايته (من الناس وكفايته من آذاه) أي وكفاية الله اياه شر من آذاه ممن عاداه ويروى وكفايته من آذاه (قال الله تعالى والله يعصمك من الناس) أي يمنعك منهم ويكفيك عنهم (وقال الله تعالى واصبر لحكم ربك فانك باعيننا) أي بمرأى منا ومرعى في حفظنا وجمع العين مناسبة لضميرها أو مبالغة في تعبيرها (وقال أليس الله بكاف عبده) وفي انكار النفي مبالغة في اثبات الكفاية

(قيل بكاف محمدا أعداءه المشركين) فالمراد بعبده الفرد الاكمل أو المعهود الافضل ويؤيده ان المشركين كانوا يقولون له انا نخاف ان يعتريك الهتنا بسوء لعيبك اياها وقد روى انه صلى الله تعالى عليه وسلم بعث خالد بن الوليد الى العزى ليكسرها فقال له سادنها انى أحذركها يا خالد ان لها شدة لا يقوم

لها شئ فعمد اليها خالد فهشم أنفها فنزل أليس الله بكاف عبده ويخوفونك بالذين من دونه أى مما لا يقدر على نفع وضر فى نفسه (وقيل) أى فى معنى الآية (غير هذا) أى القول بقصر الكفاية على محمد بل كافيه ولا كافى غيره فتكون الاضافة للجنس ويؤيده قراءة حمزة والكسائى أليس الله بكاف عباده بصيغة الجمع (وقال انا كفيناك المستهزئين وقال واذ يمكر بك الذين كفروا الآية) وقد سبق معناهما وما يتعلق بمبناهما وقد قال الله تعالى أيضا فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم أى بالاقوال والاحوال (أخبرنا القاضى الشهيد أبو على الصدفى) بفتحتين وهو ابن سكرة (بقراءتى عليه والفقيه الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله المغافرى) بفتح الميم وتضم وكسر الفاء هو الاشبيلى وهو المعروف بابن العربى سمع نصر بن ابراهيم المقدسى وطبقته وروى عنه جماعة توفى بفاس سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة وهو على دابته بباب فاس وقد كان سقى سما فمات شهيدا مظلوما (قالا) أى كلاهما (ثنا أبو الحسين) بالتصغير وهو الصواب (الصيرفى) وهو المبارك بن عبد الجبار (ثنا أبو يعلى البغدادى) وهو المعروف بابن زوج الحرة (ثنا أبو على السنجى) بكسر السين والجيم بينهما نون ساكنة

انكارى وهى نفى معنى ونفى النفى اثبات يعنى ان عبادى يحفظون عبيدهم فكيف لا أحفظ عبدى ولما كان العبد غير معين هنا أشار بقوله نقلا عن السلف انه (قيل) ان معناه (بكاف محمدا) المراد بعبده لان الاضافة عهدية (اعداءه المشركين) وبهذا يكون دالا على المقصود ومطابقا لما قدمه وما قيل من انها نزلت لما قالوا له صلى الله تعالى عليه وسلم أما تخاف ان تخبلك آلهتنا لكونك تعيبها ليس مطابقا لهذا المقام وقوله أعداءه المشركين يأباه (وقيل) فى تفسير هذه الآية (غير هذا) كالقول بان المراد انه تعالى تكفل بارزاق جميع عباده ويؤيده انه قرئ بكاف عباده بصيغة الجمع (و) مما يدل على عصمة الله له قوله تعالى (انا كفيناك المستهزئين) الهزؤ السخرية والتهكم على سبيل التحقير والمراد بهم نفر من قريش كانوا يؤذونه صلى الله تعالى عليه وسلم ويهزؤن به فاهلكهم الله لما اشتدت أذيتهم ودعا عليهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كما بينه المفسرون والمحدثون فى تفسير هذه الآية وهذا نوع من حفظ الله تعالى له بتعجيل اهلاك عدوه وقد تقدم الكلام على هذه الآية وبيان هؤلاء المستهزئين وذكر هلاكهم والمقصود من ذكر هذه الآيات الاستدلال على ما عقد له الفصل بما يدل عليه ويذكر بعض افراده المثبت لمراده (وقال واذ يمكر بك الذين كفروا الآية) وقد تقدمت هذه الآية وبيان معناها وانما أتى بها المصنف هنا استشهادا على عصمة الله له كما هو دأبه والمكر الحيلة والخداع ولا يوصف به الله الا مجازا على طريق المشاكلة وهى اشارة الى ما كان منهم بدار الندوة وهو مشهور غير محتاج للبيان * واعلم ان الشيخ الاكبر قال فى بعض رسائله ان الله كما عصم نبينا فى حياته عصم رؤياه فى المنام بعد وفاته من دعاية الشيطان التخيل وتمثله فى صورته فطيفه كذاته معصوم من ان تؤذيه الاحلام وعبارته كل من يرى فى المنام فتمثله فى خيال الرائى الملك أو النفس أو الشيطان الا الانبياء عليهم الصلاة والسلام فان الشيطان لا يتمثل بهم عصمة لهم كما كانوا فى حياتهم معصومين فى البواطن من القائه فانسحبت عليهم حياة وموتا فى المحل الذين كانوا معصومين فيه والرؤية والنوم من عالم الباطن انتهى ثم شرع فى ذكر الحديث الذى رواه الترمذى عن عائشة رضى الله عنها فقال (أخبرنا القاضى الشهيد أبو على الصدفى) الاندلسى المعروف بابن سكرة ووصف بالشهيد لانه استشهد فى وقعة بالاندلس وقد تقدم الكلام عليه وترجمته والصدفى بفتحتين نسبة لصدف قرية بقرب قيروان (بقراءتى عليه) لا بالاجازة (والفقيه الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله المغافرى) هو القاضى أبو بكر بن العربى ويقال ابن عربى أيضا معرفا ومنكرا وبعضهم يخصه بالتعريف ويقول ابن عربى بدون أل هو الشيخ محيى الدين الصوفى نفعنا الله به وهذا المذكور هو محمد بن عبد الله صاحب التصانيف الجليلة وأبوه من كبار أصحاب ابن حزم الظاهرى وابنه ممن أخذ عن الغزالى وغيره ورحل لملاقاة الكبار والاخذ عنهم وتوفى بفاس فى ربيع الآخر سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة ونسبته لمغافر بغين معجمة وفاء وراء مهملة وميمه مفتوحة وحكى فى اسم الحى الضم وأنكره ابن السكيت حى من همدان وبلدة ولا ينصرف واليه تنسب الثياب المغافرية (قالا حدثنا أبو الحسين الصيرفى) المبارك ابن عبد الجبار والحسين بالتصغير وما فى بعض النسخ الحسن مكبرا خطأ من الناسخ وقد تقدمت ترجمته قال (حدثنا أبو يعلى) بفتح المثناة التحتية واللام وألف (البغدادى) نسبة للمدينة المعروفة قال (حدثنا أبو على السنجى) نسبة لسنج بسين مهملة مكسورة

مكسورة ونون وجيم وهى قرية بمرو قال (حدثنا أبو العباس المروزى) وهو محمد بن أحمد بن محبوب راوى الترمذى وقد تقدم قال (حدثنا أبو عيسى الحافظ) ابن سعد الترمذى صاحب السنن امام الحديث المشهور وشهرته تغنى عن ذكره قال (حدثنا عبد بن حميد) بلا اضافة العبد وقد تقدم قال (حدثنا مسلم بن ابراهيم) الازدى الفراهيدى أبو عمرو الامام الحافظ الذى أخرج له الستة توفى سنة مائتين واثنين وعشرين قال (حدثنا الحارث بن عبيد) أبو قدامة الايادى البصرى له ترجمة فى الميزان (عن سعيد الجريرى) بضم الجيم وفتح الراء كالمصغر نسبة لجرير الضبى كما فى الكاشف للذهبى عباد وترجمته فى الميزان (عن عبد الله بن شقيق) التابعى العقيلى من كبار التابعين توفى سنة مائة أو ثمان ومائة (عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يحرس) بصيغة المجهول أى يحرسه الصحابة رضى الله تعالى عنهم فى وقت الحاجة لذلك كالليل ووقت القيلولة اذا كان خارج بيته (حتى نزلت هذه الآية والله يعصمك من الناس) ونزولها بالمدينة لان سورة المائدة من آخر ما نزل وتقدم قول آخر بانها مكية لكن الصحيح خلافه وفى بعض الحواشى عن ابن عرفة انهم اختلفوا فى صحة الدعاء بالعصمة لغير النبى صلى الله تعالى عليه وسلم والآية تدل على صحته فان العصمة مقولة بالتشكيك وقد كان صلى الله تعالى عليه وسلم معصوما قبل نزولها والمراد بالناس الكفار فهو عام مخصوص ولا مانع من ابقائه على عمومه لان من المسلمين من يتصور اذيته له من غير قصد انتهى قلت قال شيخ والدى الشهاب ابن حجر فى شرح الارشاد اختلف فى سؤال العصمة فقيل لا يجوز لقول مالك والشافعى فى الرسالة نسالك العصمة وكذا قول الشاذلى نسألك العصمة فى الحركات والسكنات وفى الحديث اذا دخل أحدكم المسجد فليسلم على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وليقل اللهم اعصمنى من الشيطان وقيل يمتنع والحق انه ان سأل التوقى عن جميع المعاصى والرذائل فى جميع الاحوال امتنع لانه طلب مقام النبوة فان قصد التحصن عن أفعال السوء فلا باس به انتهى وهذا كله كلام غير مهذب لان العصمة لها معنيان احدهما الحفظ من أذية الناس والثانى حفظه فى نفسه عن ارتكاب المعاصى وكل منهما يكون مقيدا ومطلقا فان قيد فهو جائز فيهما كاللهم اعصمنى من الكذب أو الزنا أو اللهم احفظنى من أسر الكفار واعصمنى من كيد الشيطان والفجار ومطلق فيهما ولا مانع منه أيضا اذ لا مانع ان يقول اللهم اعصمنى من جميع الذنوب أو من جميع الناس فانه أمر مطلوب وقوله انه طلب مقام النبوة كلام واه والذى اختصت به الانبياء عليهم الصلاة والسلام وقوعه لهم لا طلبه فقد خلط هؤلاء العصمتين ولم يقفوا على الفرق بين المقامين فاعرفه (فاخرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم رأسه من القبة) بالضم وتشديد الموحدة وهى كل مرتفع من البناء أو الخيمة والخباء من وقب اذا علا وليس معناه ما هو مستدير على شكل كرى كما تفهمه العامة فانه عرف طار والمراد به هنا خباء كان فيه صلى الله تعالى عليه وسلم فى بعض اسفاره وقيل انه بيت صغير مستدير من الخيام و بيوت العرب ومن يحرسه من الصحابة ناس كثيرون عدهم التجانى فى شرحه ولا يترتب عليه فائدة هنا فلذا تركناه (فقال لهم أيها الناس انصرفوا) من حولى واتركوا حراستى (فقد عصمنى) وحفظنى (ربى عز وجل) فلا حاجة لى ان يحرسنى الناس (و روى) بصيغة المجهول (انه صلى الله عليه وسلم كان اذا نزل منزلا) أى أقام به زمانا (اختار له أصحابه شجرة يقيل

(ثنا أبو العباس المروزى ثنا أبو عيسى الحافظ) أى الترمذى كما فى نسخة وهو صاحب الجامع (ثنا عبد بن حميد) بالتصغير وتقدم ان هذا من غير اضافة (ثنا مسلم بن ابراهيم) أى الازدى سمع ابن المبارك وغيره روى عنه البخارى وأبو داود والدارمى (ثنا الحارث ابن عبيد) هو أبو قدامة الايادى البصرى روى عن ثابت الجونى أخرج له مسلم واستشهد به البخارى (عن سعيد الجريرى) بضم الجيم وفتح الراء روى عن أبى الطفيل ويزيد بن الشخير وعنه شعبة ويزيد بن هارون (عن عبد الله بن شقيق) هو العقيلى البصرى يروى عن عمر وأبى ذر والكبار وعنه قتادة وأيوب قال أحمد ثقة تحمل عن على رضى الله تعالى عنه (عن عائشة) قال الحلبى أخرجه الترمذى فى التفسير عن الحارث بن عبيد عن سعيد الجريرى عن عبد الله بن شقيق قال ولم يذكروا عائشة (قالت كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يحرس) بصيغة المجهول أى يحفظ من الاعداء (حتى نزلت هذه الآية والله يعصمك من الناس) أى يحرسك من قتلهم اياك (فاخرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم رأسه من القبة) هى بيت صغير من الخيام مستدير من بيوت العرب (فقال لهم أيها الناس انصرفوا) الى رحالكم وكونوا على حالكم (فقد عصمنى ربى عز وجل) أى فقد تكفل بعصمتى ومحافظتى من كيد اعدائى من غير واسطة لى (وروى ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كان اذا نزل منزلا اختار له أصحابه شجرة يقيل) بفتح الياء وكسر القاف أى يستريح

(تحتها) من القيلولة وهي نوم نصف النهار ومنه قوله تعالى أو هم قائلون ومنه شعر الهاتف بمكة في حديث الهجرة الى المدينة

جزى الله رب الناس خير جزائه * رفيقين قالا خيمتي أم معبد

أي نزلا فيها عند القائلة وهي وقت الاستراحة من الظهيرة (فأتاه اعرابي) أي بدوي (فاخترط سيفه) أي سله من غمده ومرجع الضمير اما هو عليه السلام واما الاعرابي (ثم قال من يمنعك مني فقال الله) أي الله يمنعني منك (فارعدت) وفي نسخة صحيحة فرعدت بالبناء للمفعول فيهما وفي نسخة فارتعدت ويروى فذعرت بذال معجمة من الذعر وهو الفزع لكن لا يلائم اسناده الى قوله (يد الاعرابي) أي أصابته رعدة وحركة مضطربة من الخوف (وسقط سيفه) وفي أصل الدلجي وسقط السيف من يده (وضرب برأسه الشجرة حتى سال دماغه) أي دما ونحوه (فنزلت الآية) أي آية والله يعصمك من الناس وما رواه من الزيادة فغير معروف عند ارباب الدراية (وقد رويت هذه القصة) أي مثلها (في الصحيح) أي للبخاري وغيره (وان غورث بن الحارث) فوعل آخره مثلثة ويهمل أوله ويعجم مكبرا ومصغرا كما في الرواية الأخرى وتقدم انه أسلم وصحب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وروي انه دعثور وفعلول كبهلول وعينه مهملة ذكره التلمساني

تحتها) من قال يقيل قيلولة اذا نزل في وقت القائلة وهي الظهيرة وما قرب منها للاستراحة سواء نام أم لا وان كثر فيها النوم (فأتاه اعرابي) هذه فاء فصيحة أي فاختار واله في بعض اسفاره شجرة لقيلولته فنزل تحتها وليس معه من يحرسه فأتاه الى آخره والاعرابي رجل من أهل البادية تقدم بيانه (فاخترط سيفه) أي سله وأخرجه من قرابه ليضربه به وضمير سيفه اما للاعرابي فعناه سل سيفا كان معه أو للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم فانه كان سيفه معلقا بالشجرة فلما هجم عليه الاعرابي أخذه وسله وهو صريح ما يأتي في لفظ رواية الصحيحين وأصل معنى الاختراط ازالة ما على القضيب من ورق أو قشر فشبه ازالة غمده بذلك أو هو من اخترطه اذا أخرجه من خريطته بجعل الغمد كالخريطة (ثم قال) الاعرابي بعد اختراطه له صلى الله تعالى عليه وسلم (من يمنعك مني) الاستفهام انكاري بمعنى النفي أي لا يمنعك مني أحد لاني دخلت على حين غفلة وليس معك أحد وعطف بثم والظاهر الفاء اذ لا مهلة هنا فاما ان يكون تربص لينظر ما يصنع أو كان أتاه من خلفه أو استعمل ثم بمعنى الفاء وهو كثير (فقال الله) أي يمنعني الله أو الله منعني وحماني (فارتعدت يد الاعرابي) وقع في بعض النسخ بالهمزة المضمومة مبني للمجهول أي أصابته رعدة بكسر الراء وفتحها وهي اهتزاز اليد واضطرابها من غير قصد لشدة الخوف وقال التلمساني انه الصواب يعني لا رعدت الثلاثي وهو خطأ منه فان الذي صححه البرهان انه رعدت ثلاثي مبني للمفعول وتبعه الشمني وغيره وقالوا انه من الافعال التي لم يسمع فيها الا المجهول نحو جن وهو الموافق للرواية واللغة (وسقط سيفه) من يده لشدة ارتعاده من خوفه (وضرب) ذلك الاعرابي (برأسه الشجرة) لما اعتراه من ذهاب عقله فلم يزل ينطحها (حتى) تكسر عظم رأسه و(سال دماغه) لما كسر قحفه الذي كان فيه الدماغ (فنزلت الآية) المذكورة والله يعصمك من الناس الى آخره وسيلان دماغه لانه كالدهن فلما انكسر رأسه سال منها وليس فيه كما توهم حذف لتذهب النفس كل مذهب ممكن أي سال دما أو نحوه وهذا الحديث بهذا اللفظ قالوا لم يوجد في الكتب المعتبرة عند أهل الاثر ولم يذكروه في أسباب النزول واليه اشارة بقوله (وقد رويت هذه القصة) يعني قصة الاعرابي (في الصحيح) أي في الحديث الصحيح أو في صحيح البخاري (وان غورث بن الحارث) وفي نسخة غويرث بالتصغير وغورث بغين معجمة مضمومة وواو ساكنة وراء مهملة مفتوحة في المكبر ومثلثة (صاحب هذه القصة وان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عفا عنه) وهذا يخالف ما قبله في تلك الرواية من انه ضرب برأسه الشجرة الى آخره اذ صريحها انه هلك بذلك السبب فينافي العفو عنه (فرجع الى قومه وقال جئتكم من عند خير الناس) لما رآه من حلمه وعفوه عنه مع قدرته عليه وهذا الحديث رواه البخاري ومسلم رحمه الله تعالى عن جابر رضي الله تعالى عنه قال غزونا قبل نجد مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلما قفلنا ادركتنا قائلة في واد كثير العضاه فنزل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وتفرق الناس يستظلون بالشجر ورسول الله صلى الله عليه وسلم تحت شجرة تعلق بها سيفه وغنا نومة فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعونا وعنده اعرابي فقال ان هذا اخترط سيفي وانا نائم فاستيقظت وهو في يده مصلتا فقال من يمنعك مني فقلت الله تعالى عز وجل ثلاثا ولم يعاقبه وروي انه شام السيف أي أغمده وفي سيرة ابن سيد الناس ان غورث رجل من محارب قال لقومه ألا أقتل لكم محمدا اقتلك به فاقبل اليه وسيفه في حجره فقال يا محمد اعطني سيفك انظر اليه فاعطاه له فاستله وجعل يهزه ويهم به فمنعه الله تعالى فقال يا محمد أما تخافني وفي يدي السيف قال لا يمنعني الله تعالى منك فرد السيف فانزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذكروا

نعمة

(صاحب هذه القصة وان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عفا عنه فرجع الى قومه وقال جئتكم من عند خير الناس

وقد حكيت) وفى نسخة وهى الاولى وقد حكى (مثل هذه الحكاية انها) وفى نسخة وانها (جرت له يوم بدر وقد انفرد من أصحابه) جملة حالية (لقضاء حاجته فتبعه رجل من المنافقين وذكر) بصيغة المجهول والمعلوم (مثله) أى مثل قوله من يمنعك أومثل

نعمة الله عليكم اذ هم قوم الآية وروى ان السيف سقط من يده فاخذه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال له من يمنعك منى فقال له كن خيرآخذ واسلم فرجع الى قومه وقال جئتكم من عند خير الناس (وقد حكى مثل هذه الحكاية) وفى كثير من النسخ حكيت مثل هذه الحكاية بتاء التأنيث لان المضاف يكتسب التأنيث من المضاف اليه كقوله * كما شرقت صدر القناة من الدم * وهو كثير وجعله صفة مؤنث مقدار اى حكاية مثل هذه الى آخره كما قيل تكلف لا حاجة اليه وفى بعض النسخ وقد حكيت هذه الحكاية وهى ظاهرة بحسب اللفظ والاولى أظهر بحسب المعنى (وانها جرت له) صلى الله عليه وسلم أى وقعت (يوم بدر) أى فى وقعة بدر يقال جرالنا كذا اى وقع وهو مجاز من الجرى فاستعير لما ذكر ثم صار حقيقة عرفية فيه وقوله (وقد انفرد من أصحابه) جملة حالية من ضميره له أى منفردا عنهم (لقضاء حاجته) كناية عن البراز مشهورة (فتبعه رجل من المنافقين وذكر مثله) بالنصب مفعول ذكر ومماثلته له فى سل سيفه وقوله من يمنعك ونحوه مما ذكر قبله وهذا الرجل لا يعرف كما قاله البرهان والحديث لم يخرج أيضا (وقد روى) رواه ابن اسحق فى سيرته عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما (انه وقع له) صلى الله عليه وسلم (مثلها) أى مثل هذه الحكاية والواقعة (فى غزوة غطفان) بغين معجمة وطاء مهملة مفتوحتين وهى قبيلة مشهورة غزاها النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى سرية نحو أربع مائة وخمسين فارسا فى ربيع الاول بعد خمسة أشهر من الهجرة (بذى أمر) بهمزة وميم مفتوحتين وراء مهملة وهو اسم مكان ويسمى غزوة غطفان وغزوة انمار وغزوة ذى أمر وانمار اسم ذلك المكان أيضا (مع رجل) متعلق بوقع (اسمه دعثور) بضم الدال وسكون العين المهملتين ومثلثة وواو ساكنة وراء مهملة وهو علم بزنة بهلول منقول من اسم الحوض الصغير (ابن الحارث) وهو رجل من بنى محارب وتقدم انه غورث بن الحارث وقال ابن سيد الناس فى غزوة ذات الرقاع ان الخبرين والرجلين واحد وكان جمع بنى ثعلبة ومحارب للاغارة على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلما سمع بذلك خرج لحربه واستخلف على المدينة عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه فهربوا فى رؤس الجبال وكان قبل ذلك يدعى انه يهجم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غرته ويقتله فكان منه مثل هذه القصة (و) روى (ان الرجل أسلم فلما رجع الى قومه الذين أغروه به) أى حرضوه على الفتك برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فعصمه الله تعالى منه (وكان) ذلك الرجل (سيدهم وأشجعهم) جملة معترضة بين لما وجوابها بيان لسبب اغرائهم له واقدامه على ذلك (قالوا له) جواب لما (أينما كنت تقول) انكار عليه لما هرب وقد كان يقول انى أقتل محمدا (وقد أمكنك) فاعله ضمير مستتر يرجع لما او أمكنه الامر اذا لم يمنعه مانع فصار ممكنا له ويجوز ان يكون للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم لعلمه من السياق أى تمكنت منه لمصادفته له وحده ومعه سيف مسلول فى يده (فقال انى نظرت الى رجل أبيض طويل) حال بينى وبينه و(دفع فى صدرى فوقعت لظهرى) أى وقعت على ظهرى لشدة دفعه وقوته (وسقط السيف) الذى كان بيدى (من يدى فعرفت انه) أى الرجل الذى دفعنى (ملك) لانه لم يكن ثمة أحد حين هجمت عليه ولان قوة دفعه ومهابته ليست مما عهدته (وأسلمت) لما شاهدته مما يدل على نبوته قال ابن اسحق أصابه صلى الله عليه وسلم فى بعض أسفاره مطر فنزع ثوبه ونشره على شجرة ليجف واضطجع تحته فقالوا الدعثور انفرد محمد فعليك به فاقبل بسيفه حتى قام على رأسه وقال من يمنعك اليوم منى فقال الله فتمثل له جبريل

ماحكى من انه اخترط سيفه الخ فرده الله خاسئا (وقد روى) أى كما فى سيرة ابن اسحق الكبرى موصولا عن جابر بن عبد الله (انه وقع له) أى للنبى عليه الصلاة والسلام (مثلها فى غزوة غطفان) بفتحتين قبيلة (بذى أمر) بفتحتين موضع معروف من ديارهم ويقال لها غزوة نجد أيضا وولى المدينة حينئذ عبد الله بن أم مكتوم استعمله رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عليها حين خرج اليها محاربا لهم (مع رجل اسمه دعثور) بالضم (ابن الحارث) أى الغطفانى والظاهر ان الخبرين واحد ويؤيده قول الذهبى فى تجريده الاشبه انه غورث بن الحارث وقال الحجازى ويروى غويرث (وان الرجل) أى المشار اليه (أسلم فلما رجع الى قومه الذين أغروه) من الاغراء أى ألزموه وحثوه على فعله هذا وفى نسخة أغووه أى أضلوه (وكان) أى الرجل (سيدهم) أى رئيسهم (وأشجعهم) جملة معترضة (قالوا له أين ما كنت تقول) أى من دعوى القدرة واظهار الشجاعة (وقد أمكنك) أى والحال انك قد تمكنت من الفتك فيه (فقال انى نظرت الى رجل أبيض طويل دفع فى صدرى فوقعت لظهرى) وفى نسخة الى ظهرى (وسقط السيف) أى من يدى (فعرفت انه ملك وأسلمت

قيل وفيه نزلت يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذهم قوم ان يبسطوا اليكم أيديهم) أى قصدوا ان يعدوها فتكا واهلاكا (فكف أيديهم عنكم) أى فنعها الله ان تمد اليكم (الآية) تمامها واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون وفى رواية ان المشركين رأوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأصحابه بعسفان قد صلوا الظهر جميعا فندموا ان لا كانوا أكبوا عليه وهموا ان يوقعوا بهم فعلا اذا قاموا الى صلاة العصر فنزلت صلاة الخوف وقيل أتى صلى الله تعالى عليه وسلم بنى قريظة ومعه الخلفاء الاربعة يستقرضهم دية مؤمنين قتلهما عمرو بن أميـة خطأ ظنهما كافرين فقالوا نعم يا أبا القاسم اجلس نطعمك ونقرضـك فجلس فى صفة فهموا بقتـله فعمد عمرو بن جحاش الى رحى عظيمة ليطرحها عليه فامسك الله يده فاخبره جبريل فخرجوا من عندهـم سالمـين (وفى رواية الخطابى) ان غورث بن الحـارث وفى نسـخة غويرث مصغرا واختاره الحلبى وتبعه الحجازى وروى الخطابى ان غورث أو غـويرث بن الحارث المحاربى على الشك أهو بالعين المهملة أو المعجمة ولم يشـك فى التصغير والمشهور ماذكره الحافظ المزى ان غورث بالمعجمة غـير مصـغر كما أورده المصنف فيما تقـدم والله سبحانه وتعالى أعلم (المحاربى) بضم الميم وكسر الراء والموحـدة (أراد أن يفتك) بكسر التاء الفوقية وتضم وحكى الفتح أيضا أى يأخذ على غرة وغفلة باطشا (بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم) أى بقتله فجأة (فلم يشعر) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم به (الا وهو قائم على رأسه منتضيا) بالضاد المعجمة والتحتية أى سالا (سـيفه فقال اللهم اكفنيه بما شئت فانكب من وجهه) أى انقلب أو سقط ومن ابتدائية أو بمعنى على وفى أصل الدلجى فاكب لوجهه أى عليه (من زلخة) بضم زاى وتشـديد لام مفتوحة فخاء معجمة وقيل مشددة (زلخها) بضم أوله وكسر ثانيه مخففة أى من أجل زلخة (بين كتفيه وندر) أى خرج وسقط (سيفه من يده والزلخة وجع الظهر) أى بحيث لا يتحرك من شدته ويروى بتخفيف اللام من الزلخ وهو الزلق (وقيل فى قصته) أى قصة غورث

عليه السلام ودفع فى صدره فوقع سيفه فاخذه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال له من يمنعك منى فقال لا أحد وأنا أشهد أن لا اله الا الله وانك رسول الله ورجع لقومه ودعاهم للاسلام (قيل وفيه) أى فى هذا الرجـل وقصته (نزلت) هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذهم الآية) وفى سبب نزولها أقوال أخر فقيل نزلت بعسفان لما شرعت صلاة الخوف وقيل فى بنى قريظة وقيل فى بنى النضـير كما سـيأتى (وفى رواية الخطابى) هو حمـد أو أحمد بن محمد بن ابراهيم الامام الجليـل فى العلوم الشرعية ينسب لجده الخطاب وقيل لزيد بن الخطاب أخى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وتآليفه جليلة مشهورة ككتاب الآثار وشرح السنن وغيره (ان غورث بن الحارث المحاربى) منسوب لمحارب القبيلة المشهورة وفى نسخة غويرث بالتصغير كما تقدم وقد مر ان ابن سيد الناس قال فى غزوة ذات الرقاع فى دعثور بن الحارث ان المذكور فى غزوة ذى أمر من الخـبر يشبه هذا الخبر فالظاهر ان الخـبرين واحد وقال الذهبى فى التجريد دعثور بن الحارث الغطفانى الاشبه انه غورث وقال البرهان انه ضبب عليه فهو عنـده غلط وفى هامش نسـخته من الشـفاء عوض دعثور غويرث وعليهـا علامة نسـخة وصحت أيضا انتهى وهو كلام مضطرب يحتاج للتحرير (أراد ان يفتك بالنبى صـلى الله تعالى عليـه وسلم) يفتك مثلث التاء من الفتك وهو الهجوم من حيث لا يشعر به على أمر عظيم فيه مخاطرة ويطلق ويراد به القتل مطلقا وقيـل الفتك القتـل مجـاهرة (فلم يشـعر به) أى لم يعلمه ويحس به فى حال من الاحوال (الا وهو قائم على رأسه) المراد بقيامه على رأسه وقوفه خلفه متصلا به (منتضيا) بضاد معجمة ومثناة تحتية أى مجردا وسالا (سيفه) ليضربه به فلما رآه (قال) صلى الله تعالى عليه وسلم (اللهم اكفنيه بما شئت) الضمير لغورث وبما شئت ما موصولة عائدها مقدر أى بالامر والسبب الذى شئته واردته والمراد تفويض أمر كفايته الى الله وتسليم أمره له كما ورد اللهم اكفنا السوء بما شئت وكيف شئت وهو أقرب الى الاجابة من تعيين ما يدفعه عنه (ف) عقب قوله من غـير مهملة (انكب لوجهه) اللام بمعنى على أى سقط على وجهـه يقـال كبه فاكب وانكب اذا وقع وثلاثيـه متعد ومزيده لازم على خـلاف القياس واللام بمعنى على كما فى قوله * فخر صريعا لليدين وللفم * وقوله (من زلخـة) متعلق بانكب والزلخة بضم الزاى المعجمة وفتح اللام المشددة وخاء معجمة وتاء كغيرة وروى بعضـهم تخفيف لام زلخـة (زلخها) بضم الزاى وتشـديد اللام المكسورة وخاء مفتوحة معجمة وهاء ضمير للزلخة وقرأ بعضهم بالجيم وهو غلط كما قاله الخطابى وهو ماض مجهول متعد لمفعولين من باب اعطا وفاعله الله والمراد أوجـدها الله حين سل السيف وقوله (بين كتفيه) لا ينافى تفسير الزلخة المذكور فان ما بين كتفيه من أعلى الظهر فهو تأسيس واشارة لعلة سقوط سيفه فانه اذا امتد للكفين ضعفت اليد عن حمله (وندر سيفه من يده) أى من داخل قبضة كفه واصابعـه وندر بنون ودال مهملة مفتوحتين وراء مهملة أى سقط يقال ندر اذا خرج وسقط من جوف أو من بين أشياء (والزلخة وجع) يأخذ فى (الظهر) فيمنع الانسان من الحركة من الزلخ وهو الزلل ويقال لزحلوفة تلعب بها الصبيان (وقيل) أى قال غير الخطابى (فى قصته)

(غيرهذا) أي ماذكر من نوع آخر وهو ماروى انه أتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو عليه السلام متقلد بسيفه قال ابن هشام وكان محلى بفضة فقال يا محمد أرني سيفك فأعطاه اياه فجعل الرجل يهز السيف وينظر مرة الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ومرة الى السيف فقال من يمنعك مني يا محمد قال الله فتهدده أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فشام السيف ومضى فأنزل الله هذه الآية (وذكر) بصيغة المجهول أي وذكر بعضهم وفي أصل الدلجي ذكر بصيغة الفاعل أي ذكر الخطابي (ان فيه) أي في غورث (نزلت يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذهم قوم الآية) أي كما سبقت (وقيل كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يخاف قريشا) أي من ان يقتلوه أو يخذلوه (فلما نزلت هذه الآية) أي ونحوها من قوله تعالى والله يعصمك من الناس وما اخترنا من الجمع بينهما أولى مما قال الدلجي أي هذه الآية أو والله يعصمك (استلقى) جواب لما أي رقد على قفاه أو كناية عن استراح من أذى من آذاه (ثم قال من شاء فليخذلني) أو من شاء فلينصرني فان ربي لا يخذلني فالامر للتهديد نحو قوله تعالى فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر أو المعنى فليخذلني أي فليقتلني فانه لا يقدر على ذلك فالامر للتعجيز (وذكر عبد بن حميد قال كانت حمالة الحطب) وهي العوراء أخت أبي سفيان ابن حرب زوجة أبي لهب عم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل بنت هشام أخت أبي جهل (تضع العضاه) بكسر العين وفي آخر الكلمة هاء وقفا ووصلا وهي أشجار عظام ذات شوك ولعل التقدير ترمي شوكها وقد تصحف على الحلبي حيث ضبط بفتح الغين والضاد المعجمتين وهو مخالف لما في الاصول المعتمدة والحواشي المعتبرة (وهي جمرة) جملة حالية ولعل المراد تشبيه الشوك بالجمرة حال حدتها فان الجمرة هي النار المتوقدة ثم اعلم ان بعضهم ذكر في معناه انه شجر لجمره حرارة شديدة وقد قال أهل التفسير انها كانت تضع الشوك ولذا سميت حمالة الحطب على أحد الاقوال ولعلها كانت تضع الشوك مرة والجمر أخرى أو كانت تجمع بينهما والله تعالى أعلم (على طريق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي وكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يمشي عليها (فكأنما يطأها كثيبا أهيل) بفتح فسكون فتحتية فلام وروي بميم وهما بمعنى أي رملا سائلا حيث لم يتضرر بها

أي قصة غورث (غيرهذا) المذكور من ارادته الفتك فانه روى انه جمع ناسا للاغارة على المسلمين فلما خرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لهم هربوا في رؤس الجبال كما مر (وان) الامر والشأن فضميره مقدر (فيه) أي في غورث (نزلت) آية (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذهم قوم الآية وقيل كان صلى الله تعالى عليه وسلم يخاف قريشا فلما نزلت هذه) وهي يا أيها الذين آمنوا الى آخره أو قوله يعصمك من الناس (استلقى) أي نام صلى الله تعالى عليه وسلم واضعا ظهره على الارض لامنه أعداءه واطمئنان قلبه (ثم قال من شاء فليخذلني) بخاء وذال مضمومة معجمتين والخذلان ترك النصرة واللام للامر وظاهره غير مراد فانه انشاء بمعنى الخبر أي اني غني عن المعين والحرس لان الله حماني وضمن لي ان لا يضرني أحد يصل الي ولذا استلقى على ظهره وأظهر هيئة الامن والتبري من حوله وقوته اعتمادا على وعد الله وحكاه بقيل لانه يقتضي ان هذا الآية مكية لان خوفه من قريش انما كان بمكة وسورة المائدة كلها مدنية على الصحيح وتكرر النزول بعيد كما تقدم (وذكر عبد بن حميد) الحافظ المشهور وقد تقدم بيانه وهذا رواه ابن جرير في تفسيره مرسلا (قال كانت حمالة الحطب) وهي أم جميل بنت حرب بن أمية أخت أبي سفيان بن حرب زوجة أبي لهب وسميت حمالة لانها كانت (تضع الغضاة) بغين وضاد معجمتين واحدة الغضا وهو شجر له شوك اذا أوقد كان شديد الاحتراق فلذا قالوا نار الغضا للنار القوية وقوله (وهي جمر) يحتمل أن يكون تفسير للغضاة لانه يطلق على ناره كما يطلق على محله قال

فسقى الغضا والساكنيه وان هم * شبوه بين جوانحي وضلوعي

وأن يكون حالا من الغضاة وجمر بمعنى متوقدة أي تضعه حالة كونه جمرا (على طريق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) وممره من بيته للحرم وغيره تقصد بذلك أن يمشي عليه فيؤذيه ويؤثر في قدمه وقد قيل في تسميتها حمالة الحطب وجوه أخر مذكورة في التفاسير منها انه على ظاهره ومنها انه عبارة عن النميمة وحمل الاوزار (فكان) صلى الله تعالى عليه وسلم وفي نسخة فكأنما بزيادة ما (يطؤها) أي يضع قدمه على تلك الغضاة وهو حاف أو بنعل يؤثر مثلها فيه فيجدها (كثيبا) بالمثلثة ومثناة تحتية وحدة وهو ما اجتمع من الرمل (أهيل) مبني للمجهول يقال أهال الرمل اذا أساله ولم يجمعه كالربوة والمشي عليه حينئذ أسهل وألين أي يجده صلى الله تعالى عليه وسلم سهلا لا يؤذيه كما كانت نار الخليل عليه الصلاة والسلام قال ابن نقيل

يمشين هيل النقا لانت جوانبه * ينهال حينا وينهال الثرى حينا

(وذكر ابن اسحق عنها) أي عن حمالة الحطب ورواه أبو يعلى والبيهقي وابن أبي حاتم عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله تعالى عنهما (انها) أي حمالة الحطب (لما بلغها نزول تبت يدا أبي لهب) وزيد في نسخة وتب (وذكرها) أي وبلغ ذكرها اياها (بما ذكرها الله مع زوجها من الذم) أي بقوله وامرأته حمالة الحطب في جيدها حبل من مسد (أتت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو جالس في المسجد ومعه أبو بكر

وفي يدها فهر) بكسر الفاء وسكون الهاء بعدها راء حجر ملء الكف (فلما وقفت عليهما) أي قريبا من مكانهما (لم تر) جواب لما أي ما رأت (الا أبا بكر وأخذ الله ببصرها) أي صرفه وحجبه (عن نبيه عليه الصلاة والسلام فقالت يا أبا بكر أين صاحبك فقد بلغني انه يهجوني) أي يذمني (والله لو وجدته) أي حاضرا أو لو صادفته (لضربت بهذا الفهر فاه) أي فمه فرجعت خائبة خاسئة (وعن الحكم ابن أبي العاص) والد مروان ابن الحكم عم عثمان بن عفان أسلم يوم الفتح وقد روى أبو نعيم في الدلائل والطبراني بسند جيد عنه (قال تواعدنا) أي اجتمعنا وتمالأنا معشرا من الكفار (على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي على قتل النبي المختار واستمر هذا الاصرار (حتى اذا رأيناه) أي في موضع (سمعنا صوتا خلفنا) أي صوتا عظيما من ورائنا (ماظننا انه بقي بتهامة) أي بأرضها والمراد بها هنا مكة (أحد) أي حيا هكذا في والمراد الاصول بقي ووقع في أصل الدلجي لم يبق فتكلف بل تعسف حيث قال الظن وان ألم به حرف النفي فليس بمنفي بل المنفي ظنناه هو البقاء أي ظننا انه لم يبق بتهامة أحد هذا وتهامة أولها من ذات عرق الى البحر (فوقعنا) أي سقطنا (مغشيا علينا) أي من فزع ما سمعنا وهول ماظننا (فما أفقنا) أي ما انتبهنا (حتى قضى صلاته) أي فرغ عليه الصلاة والسلام منها (ورجع الى أهله) أي مضى كما في نسخة (ثم تواعدنا ليلة أخرى فجئنا) أي قاصدين له (حتى اذا رأيناه) أي خاليا في مكان (جاءت الصفا والمروة) أي حضرتا وتصورت شيء بصورتهما

(وذكر ابن اسحق) امام أهل السير وهو محمد بن اسحق بن يسار الامام الثقة الصدوق وان طعن فيه بعضهم وترجمته مفصلة في الميزان وغيره (انها لما بلغها نزول) سورة (تبت يدا أبي لهب وذكرها) مصدر مرفوع معطوف على نزول (بما ذكرها الله) به (مع زوجها من الذم) بيان لما وهو ما في السورة (أتت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو جالس في المسجد ومعه أبو بكر رضي الله تعالى عنه وفي يدها فهر) بكسر الفاء وسكون الهاء وراء مهملة وهو حجر ملؤ الكف أو هو الحجر مطلقا وهو في قوله يهود خرجوا من فهرهم بيت دراستهم كلمة معربة أصلها بهر بالباء وقوله (من حجارة) بيان لفهر (فلما وقفت عليهما) أي على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأبي بكر (لم تر الا أبا بكر وأخذ الله ببصرها) أي قبض وحبس نظرها (عن نبيه صلى الله عليه وسلم) أي عن رؤيته وهو جالس عندها فأخفاه الله تعالى عصمة له صلى الله تعالى عليه وسلم عن أذيتها وهذا يقتضي أن عصمته صلى الله تعالى عليه وسلم كانت ثابتة قبل الهجرة كما تقدم (فقالت يا أبا بكر أين صاحبك فقد بلغني انه يهجوني) أي يذمني على ان الهجو لا يختص بالشعر حقيقة أو مجازا أو هو منها التوهمها انه شاعر كما ادعاه غيرها تريد به ما نزل في حقها في سورة تبت (والله لو وجدته لضربت به بهذا الفهر فاه) خصته لانه محل النطق بذمها فرجعت خاسئة وهذا رواه البيهقي وغيره عن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنهما كما رواه ابن اسحق (و) روى أبو نعيم في الدلائل والطبراني بسند جيد (عن الحكم بن أبي العاص) والد مروان وهو ممن أسلم عام الفتح وتوفي في خلافة عثمان وفي الصحابة من وافقه في اسمه واسم أبيه ولكن المشهور هو هذا فلذا لم يميزه المصنف (تواعدنا على النبي صلى الله عليه وسلم) أي تواعد هو وبعض الكفرة على قتله صلى الله تعالى عليه وسلم والفتك به في بعض الليالي وخرجنا في الميعاد فوقفنا نرقبه (حتى اذا رأيناه) أي لما قرب منا وأبصرناه بحيث تمكنا منه (سمعنا صوتا) أي صيحة عظيمة (خلفنا) أي من خلفنا (ماظننا انه لم يبق بتهامة أحد) ما يحتمل أن تكون زائدة ان كان التقدير انه لم يبق أحد بتهامة الا وقد هلك بتلك الصيحة وأن تكون نافية اذا أريد ان جميع أهل تهامة صاحوا علينا صيحة واحدة وقد تحققوا نا يقتلونا فالمعنى انا تيقنا وجودهم خلفنا والمعنيان متقاربان والمآل واحد ولهم هنا كلام لم يفصح بالمراد وتهامة بكسر التاء معناها أرض منخفضة ويقابلها نجد من التهم وهو الانخفاض أو شدة الحر والريح أو لتغير هوائها يقال تهم الدهر اذا تغير وهي أرض معينة وراء مكة من المغرب من ذات عرق الى البحر والمدينة لا تهامية ولا نجدية (فوقعنا مغشيا علينا) من هول تلك الصعقة والغشي كالاغماء ذهاب العقل مع سقوط القوى (فما أفقنا) من ذلك الغشي (حتى قضى صلاته) أي فرغ منها وأتمها (ومضى الى أهله) أي رجع صلى الله تعالى عليه وسلم من صلاته بالمسجد الحرام الى منزله ليلا ولم نظفر منه بشيء أردناه (ثم تواعدنا) على ما قصدناه وان نعود لذلك (ليلة أخرى فجئنا حتى اذا رأيناه) بقرب منا وهو مار للمسجد ليصلي به كما في المرة الاولى (جاءت الصفا والمروة) هما ربوتان مرتفعتان في محل سعي الحجاج معروفتان

(فخالتا بيننا و بينه وعن عمر تواعدت أنا وأبو جهم ابن حذيفة) بالرفع هو عبدالله بن حذيفة بن غانم العدوى أسلم عام الفتح وصحب
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وكان مقدما في قريش معظما وكانت فيه وفي بنيه شدة وقد أدرك بنيان الكعبة حين بناها ابن
الزبير فعمل فيها ثم قال قد عملت في الكعبة مرتين مرة في الجاهلية بقوة غلام يافع وفي الاسلام بقوة شيخ

والمراد بمجيئهما تحركهما من مكانهما حتى كانا بينهم و بينه صلى الله تعالى عليه وسلم كما بينه بقوله (فخالت) أي الصفا والمروة (بيننا و بينه) فمنعنا من الوصول اليه لعصمة الله تعالى له والصفا كالمروة مؤنثة باعتبار البقعة والربوة وأفرد ضميرهما وكان الظاهر فخالتا و يليه بحالت كل واحدة منهما وفي هذا معجزة له صلى الله تعالى عليه وسلم ظاهرة (وعن عمر) بن الخطاب رضي الله تعالى عنه (تواعدت أنا) أكد ضميره ليعطف عليه قوله (وأبو جهم بن حذيفة) واسمه عامر أو عبيد بن حذيفة بن غانم بن عامر العدوى أسلم عام الفتح وصحبه صلى الله تعالى عليه وسلم وكان معظما في قريش توفي في أيام معاوية رضي الله تعالى عنه وترجمته معروفة وهو صاحب الانبجانية (ليلة) منصوب على الظرفية منون (قتل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) منصوب على انه مفعول له أو بنزع الخافض أي على قتله أو لقتله أو بقدر رأي وأضمر نا قتله ونحوه (فجئنا منزله) ليلا خفية (فسمعنا اليه) وفي نسخة له وفي نسخة فتسمعنا أي أطلنا السماع لا تكلفناه كما قيل وعداه بالحرف لتضمنه معنى أصغينا القراءته حتى نسمعها وهو يقرؤ في صلاة الليل (فافتتح) ابتدأ قراءته (وقرأ الحاقة ما الحاقة) حتى انتهى (الى) قوله (فهل ترى لهم من باقية) يعني قوله تعالى كذبت ثمود وعاد بالقارعة فأما ثمود فاهلكوا بالطاغية وأما عاد فاهلكوا بريح صرصر عاتية سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية فهل ترى لهم من باقية والمراد بالحاقة ما حق وقوعه بهم من الداهية أو الساعة التي وقعت فيها من حق بمعنى وجب وثبت وقوله وما أدراك ما الحاقة تهويل وتعظيم لها والطاغية الداهية المتجاوزة الحد وهي الصيحة أو الرجفة وعاتية شديدة العتو والطغيان والحسوم أيام نحسة من صبيحة يوم الاربعاء الى أربعاء آخر وقوله فهل ترى لهم من باقية استفهام بمعنى النفي أي ما ترى لهم بقية أو بقاء على انه مصدر بزنة فاعلة وهو قليل في كلامهم أو نفسا باقية (فضرب أبو جهم على عضد عمر رضي الله تعالى عنه وقال) لعمر رضي الله تعالى عنه (أنج) أي قم لتنج من وقوع الهلاك بك خوفا من ان يحل بهما ما حل بثمود وعاد لانهما كانا مكذبين له كما كذب أولئك رسلهم (وفرا هاربين) أي قاما من محلهما مسرعين جادين في الهرب لخوفهما مما ذكر وهو كقوله تعالى فتبسم ضاحكا فهاربين حال مؤكدة وعلى الاول هو تجريد نحوى (فكان) أي ما ذكر من هذه القضية (من مقدمات اسلام عمر رضي الله تعالى عنه) لتأثيرها في قلبه فاسلم بعدها بمدة يسيرة وهذا الحديث لم يوجد بهذا اللفظ الا انه في مسند أحمد مما يقرب منه وهو ان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال خرجت ليلة لاتعرض رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قبل ان أسلم فوجدته قد سبقني الى المسجد فقمت خلفه فاستفتح الحاقة فجلست أعجب من تأليف القرآن وقلت والله ما هو بشاعر كما قالت قريش فقرأ انه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون فقلت هو كاهن فقرأ ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون تنزيل من رب العالمين الى آخره فوقع الاسلام في قلبي كل موقع وليس فيه انه صحب أبا جهم وفي التعبير بمن التبعيضة اشارة الى ان له مقدمات أخر الى ان أسلم لما سمع سورة طه في بيت أخته في قصته المشهورة (ومنه) أي مما يشهد لان الله تعالى عصمه صلى الله تعالى عليه وسلم من أعدائه (العبرة المشهورة) بكسر العين المهملة وسكون الموحدة وهو الامر العجيب الذي يعتبر به و يتعظ من الاعتبار والعبرة هي الحالة التي يتوصل بها من

فان وهو صاحب الانبجانيه (ليلة) أي من الليالي حال غفلة (قتل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) بالنصب على نزع الخافض وهو على كما في نسخة صحيحة (فجئنا منزله) أي لنتفحص حاله (فسمعنا له) أي صوتا وفي نسخة فتسمعناله أي اصوته (فافتتح) أي ابتدأ القراءة (وقرأ الحاقة) أي الساعة الواجب وقوعها الثابت مجيئها وتحقق الامور فيها وتعريف حقيتها (ما الحاقة) خبر المبتدأ أي أي شيء هي فوضع المظهر موضع المضمر تفخيما لشأنها وتعظيما لهولها (الى فهل ترى لهم من باقية) أي ما ترى لهم من بقية أو بقاء أو نفس باقية وما بينهما معلوم من القرآن وتفسيره مما لا يحتاج الى البيان (فضرب أبو جهم على عضد عمر وقال) عمر (انج) أمر من نجا ينجو (وفرا) وفي نسخة ففرا

أي ذهبا كلاهما (هاربين) أي شاردين وفيه مبالغة لا تخفى (فكانت) أي القضية وقال الدلجي أي المواعدة أو قراءة الحاقة (من مقدمات اسلام عمر) أي مقتضياته وكذا من اسلام أبي جهم على ما تقدم (ومنه) أي ومن قبيل أخذ بصر الاعداء محافظة لسيد الاحباء (العبرة المشهورة) بكسر العين وهي ما يعتبر من القضية العامة

(والكفاية التامة عند ما أخافته قريش) أى خوفوا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (واجتمعت) وفى نسخة واجمعت أى عزمت (على قتله و بيتوه) بتشديد التحتية أى دبروه ليلة ليقتلوه غيلة على غرة وغفلة (فخرج عليهم من بيته) كما رواه ابن اسحق والبيهقى عنه عليه السلام (فقام على رؤسهم وقد ضرب الله على أبصارهم) أى حجبها عن رؤيته (وذرا التراب) بذال معجمة فراء مشددة أى نثره وفرقه (على رؤسهم) قال الحلبى وكانوا امائة وفى نسخة بتخفيف الراء فهمزة وهو تصحيف وتحريف (وخلص منهم) أى نجا وتخلص من غير ان يصيبه شئ وفى رواية انه خرج من ظهر البيت طاطأت له جارية اسمها مارية اسمها خادمته عليه الصلاة والسلام حتى تسور الجدار الذى للبيت من ظهره (وحمايته) أى ومنعه حفظه بحجبه (عن رؤيتهم) أى له ولابى بكر (فى الغار) متعلق باحد المصدرين وقال الدلجى حال والتقدير وهما فى الغار وهو تكلف بل تعسف (بما هيأ الله) أى قدره (له من الآيات) أى من خوارق العادات (ومن العنكبوت) عطف بيان لبعض ما قبله (الذى نسج عليه) أى على باب الغار وهو غار ثور جبل بمنة مكة (حتى قال أمية بن خلف) وهو ممن مات كافرا (حين قالوا) أى أصحابه (ندخل الغار) بصيغة الاخبار على تقدير الاستفهام وروى أدخل فعل أمر أى رجاء ان يكون فيه مخفيا (ما أربكم فيه) بفتح الهمزة والراء وهو مقول أمية أى أى شئ حاجتكم الداعية لدخولكم فى الغار (وعليه من نسج العنكبوت ما أرى) بضم الهمزة وفتحها أى شئ أظن (انه قبل ان يوجد محمد) أى كائن أو موجود على باب الغار وفى نسخة انه الامن قبل ان يولد محمد وفى نسخة ما رابكم بدل ما أربكم أى أى شئ أوقعكم فى الريبة وشبه المظنة انه فى الغار والحال انه الخ

وجوده

معرفة الشاهد الى الغائب من العبور ومنه العبارة وأشار بقوله المشهورة الى انها ثابتة مشهورة بين المحدثين غير محتاجة الى النقل من كتاب معين (والكفاية التامة) أى كون الله تعالى عصمه وصانه صيانة تامة ليست ككفاية غيره كما قال الله تعالى عزوجل يا أيها النبي حسبك الله (عند ما أخافته قريش) تفعل من الخوف وهو توقع المكروه يقال خوفه وأخافه اذا فعل أو قال ما يدل على انهم بايقاع المكروه به وفسره بقوله (واجتمعت على قتله) أى اتفقوا على ذلك الا قليل منهم لقلتهم لم يعدوا (و بيتوه) أى قصدوا قتله وايقاعه ليلا فى خفية قال الراغب التبييت قصد العدو ليلا و يقال لكل فعل دبر بالليل بيت قال الله تعالى اذ يبيتون ما لا يرضى من القول وعلى هذا حديث لا صيام لمن لم يبيت الصيام من الليل وبات موضوعة لما يفعل بالليل كظل لما يفعل بالنهار انتهى و يقال هذا أمر بيت بليل أى دبر فعله ليلا ليوقع غيلة على غيره (فخرج عليهم صلى الله تعالى عليه وسلم من بيته) وهم لا يشعرون كما رواه ابن اسحق والبيهقى (فقام على رؤسهم) أى وقف عندهم وهم نيام (وقد ضرب الله على أبصارهم) أى لم يحسوا به و يروه لاستغراقهم بالنوم وحجب عيونهم عنه وقد كانوا أحاطوا ببيته ليقتلوه عليه الصلاة والسلام (وذر) بذال معجمة وراء مهملة مشددة أى نثر (التراب على رؤسهم) اهانة لهم (وخلص منهم) أى نجا مما دبروه وهموا به وأصل ذلك كما قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان قريشا حين أسلم الانصار رضى الله عنهم خافوا ان يتفاقم أمره عليه الصلاة والسلام عليهم فاجتمع كبارهم فى دار الندوة واتفقوا على قتله و بيتوه فخرج عليهم وفعل ما ذكر وذهب الى الغار مهاجرا الى الله كما فصل فى السير وذكر فيها هؤلاء اجتمعوا و بيتوا باسمائهم وانهم نحو مائة وانه صلى الله تعالى عليه وسلم خرج من ظهر البيت وطأطأت له جارية اسمها مارية خادمته حتى تسور الجدار الذى من ظهر البيت (وحمايته) أى حماية الله له صلى الله عليه وسلم منهم وحفظه بعصمته من أعدائه ومنعهم (عن رؤيتهم) اياه وأبا بكر وهما (فى الغار) أى غار ثور وثور اسم جبل بمنة مكة والغار كالمغار نقرة فى الجبل كالبيت وسمى بثور بن عبد مناف لنزوله به و يقال له ثور اطحل وهو اسم جبل آخر خلف أحد (بما هيأ الله) أى بما أعده و يسره له والجار متعلق بحمايته والباء للسببية العادية (من الآيات) بيان لما أى المعجزات والعلامات الدالة على نبوته وصدقه وعصمته (ومن العنكبوت الذى نسج عليه) نسج سنين فى طرفة عين والعنكبوت دويبة معروفة تذكر وتؤنث ونسجها خيوط دقيقة تمدها فى الهواء لصيد الذباب وانما يكون ذلك فى مكان خال لا يمر به شئ (حتى قال أمية بن خلف) أحد صناديد قريش وقد تقدم انه مات كافرا بسرف وهو اسم موضع معروف (حين قالوا) أى كفرة قريش لما قصدوا أثره صلى الله عليه وسلم وانتهوا الى فم ذلك الغار (ندخل الغار) لتفتيشه لاحتمال انه مختف به (ما أربكم) بفتح الهمزة والراء المهملة والموحدة و يجوز كسر الهمزة وتسكين الراء وهو الحاجة المطلوبة وما استفهامية أو نافية أى ليس لكم مطلوب وهو محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ولا حاجة (فيه) أى فى الغار (وعليه) أى على فم الغار ومدخله وروى ما أرابكم من الريبة أى ما أوقعكم فى الشك فيما لا شك فيه (من نسج العنكبوت ما أرى) بضم الهمزة وفتحها أى أظن واعتقد (انه) قديم (قبل ان يولد محمد) أى قبل

وجوده وولادته لان مثله لا يكون الا فى مدة طويلة وفيه معجزة له صلى الله تعالى عليه وسلم كما قيل

القى فى لظى فان احرقتنى * فتيقن ان لست بالياقوت
جمع النسج كل من حاك لكن * ليس داود فيه كالعنكبوت

وقال الابوصيرى رحمه الله تعالى

وقاية الله أغنت عن مضاعفة * من الدروع وعن عال من الاطم

(ووقفت حمامتان) ذكر وانثى على عش فيه بيض لهما ومثله لا يكون الا فى محل خال من الناس ووقفت بالفاء وروى بالعين المهملة من وقوع الطائر وهو نزوله بمحل (على فم الغار) أى مدخله (فقال قريش لو كان فيه) أى فى الغار (أحد لما كان هناك الحمام) لما عرفته آنفا وفى نسخة هنالك باللام وهو اسم اشارة للمكان وقصة الحمام كما رواه البزار مسندا وغيره ان الله أمر العنكبوت فنسجت على فم الغار وارسل حمامتين وحشيتين فوقعتا على وجهه فصد به المشركين عنه وحمام مكة من فراخهما وفى المواهب ان الحمامتين باضتا فى أسفل فم الغار ونسج العنكبوت عليه فقالوا لو دخلاه تكسر البيض وزال النسج وروى أيضا كما تقدم انه نبت فى فمه شجرة صغيرة تسمى شجر الراء وهى شجرة مقدار القامة لها زهر وشئ كالقطن يحشى به الوسائد كما أمرها الله بان تنبت لتسترهما لما أقبل فتيان قريش باسلحتهم حتى أتوا الغار فلما رأوا اماله من الامور المذكورة رجعوا وقال أبو بكر لو نظر أحدهم الى قدمه رآنا فقال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما ظنك باثنين الله ثالثهما وقد قص القافة أثرها فانتهى للغار فلما رآهم أبو بكر اشتد حزنه على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال ان قتلت أنا فانما أنا رجل واحد وان قتلت أنت هلكت الامة فقال له لا تحزن ان الله معنا فانظر قوله لا تحزن دون لا تخف فان فيه اشارة الى انه لم يخف على نفسه وانما حزن على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأمته لانه أحب اليه من نفسه ومن كل شئ واسع أبو بكر فى هذه الليلة غير مرة فمزق ثوبه وجعله فى الشقوق التى فى الغار وسد بعضها بقدمه اتقاء لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأقام فيه ثلاثة أيام ثم خرج منه فلقيه سراقة ولذلك ذكر المصنف قصته عقب ذلك بقوله (وقصته) صلى الله عليه وسلم أى ومما يدل على عصمة الله له وحمايته سيرته الواقعة له (مع سراقة بن مالك بن جعشم) بضم الجيم والشين وروى فتح شينه أيضا وفى بعض النسخ شجعم بتقديم الشين كما فى المقتفى وفيه نظر وقصته فى الصحيحين وهى مشهورة فانهم كما ذكره المصنف جعلوا لكل من دل عليه صلى الله تعالى عليه وسلم جعلا عظيما وهو ان لكل من قتله أو أتى به ديته فلما خرج من الغار رآه سراقة وكان ينزل بقديد بين مكة والمدينة وهو من جملة من توجه اليه لطلبه فركب فرسه ليدركه فلما دنا منه صلى الله عليه وسلم ساخت قوائم فرسه الى ابطها فى الارض لدعائه عليه كما يأتى بقوله اللهم اكفنا سراقة ثم ان الله هداه للاسلام فاسلم فى مرجع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من حنين فهو صحابى مدلجى حجازى كنانى وهو الذى أخبره رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بلبس سوارى كسرى لما رأى ذراعيه دقيقتين أشعرين فى حديثه المشهور المتقدم وقوله (حين الهجرة) أى فى وقت هجرته من مكة الى المدينة وذكر ابن سعد ان سراقة عارضهم يوم الثلاثاء بقديد والهجرة ترك الوطن من الهجر وهو بكسر الهاء وفتحها وقد تضم (وقد جعلت قريش) جملة حالية وجعلت من الجعل وهو ما يعطى فى مقابلة عمل ما (فيه) أى فى شان رسول الله والاخبار به (وفى أبى بكر) لانه كان رضى الله عنه معه كما علمت (الجعائل) جمع جعيلة وهى كالجعالة معنى والجعالة مثلثة الجيم ويقال جعال ككتاب وجعل بزنة قمل ومعناه تقدم وتثلث الجعالة كما قال السهيلى كانت مائة ناقة أى جزاء كما قاله الماوردى فى الاعلام (وانذر به) بالبناء للمجهول أى أعلم

(ووقفت) بالفاء وروى بالعين أى سقطت (حمامتان على فم الغار) وهو نقب فى الكهف (فقالت قريش) أى كلهم أو بعضهم (لو كان فيه أحد لما كانت هناك الحمام) أى لكمال نفرته عن الانام (وقصته) أى ومن ذلك قصته عليه السلام كما رواه الشيخان عن البراء (مع سراقة بن مالك بن جعشم) بضم جيم وشين معجمة (حين الهجرة) بكسر الهاء وقال التلمسانى بفتح وبكسر (وقد جعلت قريش فيه) أى فى حق النبى (وفى أبى بكر) أى فى أخذهما (الجعائل) جمع جعيلة أو جعالة بالفتح وهى الاجرة على شئ فعلا أو قولا والجعل بالضم الاسم وبالفتح المصدر فتدبر وقد عين السهيلى ذلك فقال بذلت قريش مائة ناقة لمن يرد عليهم محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم (فانذر به) على بناء المفعول أى فاعلم سراقة بتوجهه صلى الله تعالى عليه وسلم مهاجرا الى المدينة

(فركب فرسه واتبعه) بتشديد الفوقية أى تبعه رجاء ان يلحقه (حتى اذا قرب) بضم الراء أى دنا منه (دعا عليه النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم) أى لما رأى عليه من آثار الشر وتوهم الضر (فساخت) بالخاء المعجمة أى غاصت وغابت فى الارض
وانخسفت (قوائم فرسه
فخر عنها) أى فسقط
أو فنزل عنها (واستقسم
بالازلام) جمع زلم بفتحتين
أو بضم ففتح وهى سهام
لا ريش بها ولا نصل كان
يكتب على أحدها أفعل
وعلى الآخر لا تفعل
وغيرهما غفل وكان
محلها داخل الكعبة
عند السدنة كما فى تفسير
قوله تعالى وان تستقسموا
بالازلام وكان بعضهم
يضعها فى متاعه وجعبته
فاذا عرض له مهم أخرج
منها سهما فان خرج له
أفعل فعل أو لا تفعل
انفعل وان خرج المغفل
اعاد العمل وقيل كان
المكتوب على الواحد
أمرنى ربى وعلى الثانى
نهانى ربى والثالث غفل
لا شئ عليه وقيل ان
الازلام حصى بيض كانوا
يضربون بها الذلك والاول
اعرف وأصل معنى
استقسم ضرب بها الاخراج
ماقسم الله له من أمره ونهيه
طلب معرفة تمييزه بكونه
ان خرج له ما يحب فعله
أو خرج له ما يكره كف
عنه وهذا كله بناء على
زعمه (فخرج له ما يكره)
أى من الفال وعلى كل قال مع هذا ما التفت عن تلك الحال (ثم ركب فرسه ودنا أو
حتى سمع قراءة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهو) أى النبى (لا يلتفت) أى اليه أو مطلقا (وأبو بكر يلتفت) أى الى سراقة أو الى
جوانبه أو الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم

سراقة بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم يقال أنذرته بكذا بنون ومعجمة وراء أى أعلمته ويكون الانذار بمعنى التخويف أيضا وكيفية الاعلام مشهورة فى السير أيضا وحاصلها ان رجلا أتى سراقة وقال له انى رأيت اسودة بالساحل أظنهم محمدا وأصحابه فقال بعد ما عرف انهم هم ليسوا هؤلاء ثم أخرج بعد ذلك فرسه وذهب خلفهم فكان ما ذكره المصنف رحمه الله تعالى بقوله (فركب فرسه واتبعه حتى اذا قرب منه دعا عليه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فساخت قوائم فرسه) أى غاصت فى الارض ودخلت فيها حتى كادت تبتلعها وتنخسف من تحتها يقال ساخ يسوخ ويسيخ بسين مهملة وخاء معجمة فى آخره بمعنى غاص ودخل وبمعنى الخسف فيقال ساخ الفرس وساخت الارض وهما بمعنى واحد يختلف باختلاف المسند اليه وهذا مما اتفقت عليه كلمة أهل اللغة وفى القاموس ساخت قوائمه ثاخت والشئ رسب والارض بهم سيوخا انتهى وثاخت فى تفسيره بثاء مثلثة بمعنى غاصت كما ذكره فى فصله وقد تحرف على الشارح الجديد فتوهم انه ناخت بنون بمعنى بركت فقال لا ينبغى هذا والذى ينبغى ان يفسره بغاصت وهو غلط فاحش منه وقوائم الفرس رجلاها ويداها (فخر عنها) أى سقط من فوق ورمى نفسه عنها خوفا من ان تخسف به الارض فيهلك لدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه لما لحقه كما مر وضمير عنها للفرس لانها تذكر وتؤنث ويقع على الذكر والانثى وقد قيل انها كانت انثى تسمى العود وقد نقل بعض أهل السير ان الصديق رضى الله تعالى عنه له قصيدة قص فيها هذه القصة منها

حتى اذا قلت قد انجدن عارضها * من مدلج قابس فى منصب وارى
يردى به مشرف الاقطار معتزم * كالسيد ذى اللبدة المستأسد الضارى
فقال كروا فقلنا ان كرتنا * من دونها لك نصر الخالق البارى
ان تخسف الارض بالاحوى وفارسه * فانظر الى أربع فى الارض غوار
فهيل لما رأى ارساخ مهرته * قد سخن فى الارض لم يحفر بحفار
فقال هل لكم ان تطلقوا فرسى * وتأخذوا موثقى فى نصح أسرارى

(واستقسم بالازلام) جمع زلم بفتحتين وبضم وفتح بزنة عمر وهى قداح أى سهام لا ريش لها ولا نصل كانوا فى الجاهلية يكتبون على بعضها افعل وعلى بعضها لا افعل ويضعونها فى متاعهم اذا سافروا فاذا عرض لهم مهم أخرجوا منها زلما يتفاءلون به فيفعلون أو يتركون وهو معنى الاستقسام أى طلب ما قسم وقدر له وقيل كان يكتب على بعضها أمرنى ربى وعلى بعضها نهانى ربى وبعضها غفل أى خال من الكتابة فاذا خرج غير الغفل عملوا به وان خرج الغفل أعادوا حتى يخرج غيره ويسمون ذلك استقساما ولهم ازلام أخر أى سهام كانت فى الكعبة مكتوب عليها النوازل وهى التى استقسم بها عبد المطلب على ذبح ولده وكذا كان عند كهانهم ولهم مثلها اقداح الميسر السبعة التى كانوا يقامرون بها وقيل الازلام حصى صغار يتفأل بها والصحيح الاول (فخرج له) أى لسراقة (ما يكره) أى ما لم يرده لانه أتى ليرده صلى الله تعالى عليه وسلم وأبا بكر ويأخذ من قريش الجعل المتقدم فخرج له لا تفعل فلم ينته (ثم ركب) فرسه ثانيا بعد ما سقط عنها وساخت قوائمها (ودنا) أى قرب من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وسلم وهو سائر يقرؤ (حتى اذا سمع قراءة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهو لا يلتفت) اه لعدم مبالاته ولاعتماده على ربه (و) كان (أبو بكر يلتفت) وراءه لخوفه على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

(وقال للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم أتينا) بصيغة المجهول أي لحقنا من طلبنا أو لحقونا أو أتانا البلاء وجاءنا العناء (فقال لا تحزن ان الله معنا) أي ناصرنا ومعيننا أو معية خاصة من قرب الرب الينا وفيه ايماء الى ما ورد من ان الله يتجلى للناس عامة ولابي بكر خاصة (فساخت) أي قوائم فرسه (ثانية) أي مرة أخرى (الى ركبتيها وخرج عنها فزجرها) صاح عليها ونهرها (فنهضت) أي فقامت وثبتت (ولقوائمها مثل الدخان) بتخفيف الخاء وتشدد أي من آثار الغبار المرتفع (فناداهم) أي النبي والصديق وعامر ابن فهيرة مولى أبي بكر (بالامان) أي بطلبه (فكتب له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم امانا) أي أمر بكتابته لقوله (كتبه ابن فهيرة) بضم الفاء وفتح الهاء وسكون الياء كان اسود وهو ممن عذب في الله قتل ببئر معونة والتمس ليدفن فلم يوجد فرأوا ان الملائكة دفنته وهو قديم الاسلام أسلم قبل ان يدخل عليه السلام دار الارقم ابن أبي الارقم ثم ما تقدم هو في الصحيح قال التلمساني اشتراه أبو بكر من الطفيل بن عبد الله بعد ما أسلم فاعتقه وكان يرعى الغنم في جبل ثور ثم يروح بها على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأبي بكر في الغار وكان رفيقهما الى المدينة حين هاجرا وشهد بدرا وأحدا وقتله عامر بن الطفيل يوم بئر معونة يروى عنه انه قال حين طعنت ابن فهيرة رأيت نورا خرج من الطعنة (وقيل أبو بكر) أي ونقل في السيرة انه كتبه أبو بكر وجمع بان عامرا كتبه أولا فلم يرض سراقة الا بكتابة أبي بكر لسيادته المعروفة في قريش وان عامرا مولاه قال الحلبي وكتابه عليه الصلاة والسلام نيف وأربعون نفرا ومنهم الخلفاء الاربعة وأكثرهم ملازمة لكتابته عليه السلام زيد بن ثابت ثم معاوية ابن أبي سفيان بعد الفتح ذكر ذلك غير واحد من الحفاظ انتهى وقيل معاوية لم يكتب الوحي وانما كتب غيره والله تعالى أعلم (وأخبرهم) أي سراقة (بالاخبار) أي أخبار الاعداء من كفار قريش وما جعلوه من

أو ليرى ما يصدر من سراقة وخوفه لشدة حبه وان كان قال له في الغار لا تحزن ان الله معنا لانه قد يتوهم انه مخصوص بذلك الوقت فتدبر (فقال) أبو بكر (له) صلى الله تعالى عليه وسلم (أتينا) بالبناء للمجهول أي أتانا العدو وأدركنا من يطلبنا منهم (فقال) له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (لا تحزن) وتخف من أتانا (ان الله معنا) أي مصاحبنا ثابتا بتأييده ونصره وحفظه وعصمته لنا من جميع الاعداء فلا تخف ممن لحقنا منهم ولذا لم يلتفت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لتمكنه وشدة ثقته وحزن أبي بكر رضي الله تعالى عنه لخوفه وشفقته على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كما تقرر وليس بمعصية لنهي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عنه لانه أمر طبيعي ولا نسيانا لقوله له في الغار فان المحب ظنين وضنين بمحبوبه لاسيما هذا الرسول العظيم وليس هنا ما يحتاج لجر ذيل البيان فانه تطويل بغير طائل (فساخت) قوائم فرس سراقة مرة (ثانية) بعد المرة الاولى (الى ركبتيها) تثنية ركبة هي ما بين ما بين يديها ورجليها (وخرج عنها) أي وقع وسقط عن فرسه لما ساخت وانكبت على وجهها (وزجرها) أي صاح عليها (فنهضت) أي قامت وخلصت قوائمها من الارض (ولقوائمها مثل الدخان) أي غبار مرتفع في الجو كأنه دخان كما ورد التصريح به في السير قال ابن سيد الناس ولقوائمها عثان مثل الدخان والعثان بضم العين المهملة ومثلثة هو الغبار هنا ويكون بمعنى الدخان والدخان بضم الدال وتخفيف الخاء وقد تشدد ويقال دخ ودخن والكل بمعنى وفي رواية ولقوائمها دخان وهو استعارة للغبار (فناداهم) أي نادى سراقة رسول الله وأبا بكر الصديق وعامر بن فهيرة رفيقهما (بالامان) أي رفع صوته به قائلا لهم الامان الامان كما يفعله الناس والمراد تأمينهم منه وانهم لا يلحقهم منه ضرر وخوف باخباره الاعداء وطلب منهم والمراد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان يعطوه امانا فلا يلحقه ضرر لخوفه منه ومن دعائه عليه وقد ورد التصريح بالامانين في سيرة ابن اسحق والى الثاني أشار بقوله (فكتب له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم امانا) أي أمر بكتابته له فالاسناد مجازي لقوله (كتبه) أي كتاب الامان وهو رقعة من ادم وفي رواية ابن اسحق فكتب لي كتابا في عظم أو رقعة أو خرقة ثم ألقاه الي فاخذته ثم جعلته في كنانتي ثم رجعت (ابن فهيرة) مصغر فهرة وهو عامر بن فهيرة مولى أبي بكر رضي الله تعالى عنه وهو من مولدي الازد مملوك للطفيل فاشتراه أبو بكر رضي الله تعالى عنه منه وأعتقه وأسلم وكان يرعى غنما لابي بكر رضي الله تعالى عنه ويجيء لهما كل ليلة في الغار باللبن يتغذيانه ثم هاجر معهما وشهد بدرا وأحدا وقتل ببئر معونة فلم يوجد جسده مع القتلى فيقال ان الملائكة دفنته وقيل رفعته الى السماء (وقيل) كتبه (أبو بكر رضي الله تعالى عنه) وجمع بينهما بان ابن فهيرة كتبه أولا فلم يرض سراقة بكتابته وطلب كتابة أبي بكر رضي الله تعالى عنه لشرفه وشهرته فكتبه له وللنبي صلى الله تعالى عليه وسلم كتب تزيد على الاربعين مذكورة في المفصلات وأفردهم ابن أبي الحديد بتأليف مستقل (وأخبرهم) أي أخبر سراقة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأبا بكر رضي الله تعالى عنه وابن فهيرة (بالاخبار) أي باخبار قريش وما جرى منهم بعد خروجهم من مكة وجعلهم الجعائل لمن أتى بهم أو قتلهم ديتهم كما مر

الجعائل فيهما (وأمره النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان لا يترك أحدا) أي ممن يلقاه من ورائه (يلحق بهم) بل يدفعه عن اتصاله اليهم ويلحق بالرفع وهو حال وفي نسخة بالنصب ووجهه اسقاطان وابقاء عملها وهو قليل ومعناه هنا بعيد جدا (فانصرف)

(وأمره النبي صلى الله عليه وسلم) أي أمر سراقة (ان لا يترك أحدا) من قريش أي لا يدع أحدا ويمكنهم باخبارهم حتى (يلحق بهم) أي يسير خلفهم ويصل اليهم بان يقول لم أرهم ونحوهم ولو كذبا اذ قد يجوز عند الضرورة والحاجة وقد يجب وفي حديث أنس رضي الله تعالى عنه فقال يا نبي الله مرني بما شئت قال تقعد مكانك لا تتركن أحدا يلحق بنا قال فكان أول النهار جاهدا على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكان آخر النهار مسلحة له (فانصرف) أي رجع سراقة عنهم حال كونه (يقول للناس) جملة حالية مضارعية لا تقترن بواو في الفصيح أي قائلا للناس والمراد بالناس ان كان من لقيهم ممن ذهب لطلبهم فقوله (كفيتم ماههنا) معناه ارجعوا كفيتم الطلب فاني لم أجدهم وما موصولة ويحتمل ان تكون نافية أي ما ههنا أحد وان كان المراد النبي ورفيقه فالمعنى عصمتم وسلمتم مما ههنا من الخوف والى كلا الوجهين ذهب الشراح وفي الشرح الجديد خلط هنا غني عن الرد وذكر ابن سعد رضي الله تعالى عنه انه لما رجع قال لقريش قد عرفتم بصري بالطريق وبالاثر وقد استبرأت لكم فلم أر شيأ فرجعوا (وقيل بل قال لهما) أي للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأبي بكر رضي الله تعالى عنه ولم يذكر ابن فهيرة لانه انما خاف دعاءهما لاعتقاده فيهما (أراكما دعوتما علي) فلذا كادت الارض تبتلعني (فادعوا لي) بالسلامة فدعوا له (فنجا) أي ذهب آمنا مما خافه (ووقع في نفسه) أي خطر بباله ووقر في قلبه واعتقد لما شاهده (ظهور النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي ظهوره على أعدائه وغلبتهم وظهور نبوته وعلو شانه وكان ذلك من مقدمات اسلامه قال ابن اسحق وقال أبو جهل لما بلغه ما لقي سراقة فلامه في تركهم فانشده

بني مدلج اني لاخشى سفيهكم * سراقة يستغني بنصر محمد
عليكم به ان لا يفرق جمعكم * فيصبح شتى بعد عز وسودد

فاجابه سراقة بقوله
أباحكم واللات لو كنت شاهدا * لامر جوادي اذ تسيخ قوائمه
عجبت ولم تشكك بان محمدا * نبي وبرهان فمن ذا يكاتمه
عليك بكف الناس عنه فانني * أرى أمره يوما ستبدو معالمه

كذا في سيرة مغلطاي رحمه الله تعالى (وفي خبر آخر) يتعلق بما نحن فيه الا انه قيل انه لا يعرف من رواه (ان راعيا) من رعاة الغنم في البرية (عرف خبرهما) أي خبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بوقوفه على مكانهما في الغار (فخرج) الراعي من محله (يشتد) أي يسرع في مشيه قال الراغب اشتد اذا أسرع يجوز ان يكون من قولهم اشتدت الريح انتهى وانما أسرع لاجل ان (يعلم قريشا) بخبرهما ومكانهما (فلما ورد الى مكة) أي جاءها من محله الذي رعى فيه الغنم وأصل الورود المجيء للماء فاستعير للغريب القادم لحاجة ثم عم لكل جاء وشاع فيه حتى صار حقيقة فيه (ضرب) بالبناء للمجهول أي ضرب الله (على قلبه) أي منع من الادراك وذهل عما جاء له كقوله تعالى وضربنا على آذانهم وهو مستعار من ضرب الخيمة في الارض ليضرب أوتادها وأصله ايقاع شيء على شيء كما قاله الراغب فليس كناية عن الذهول والغفلة كما قيل (فما يدري) ويعرف (ما يصنع) ويقول (وأنسي) مجهول أيضا (ما خرج له) أي ما جاء له من مكانه الذي خرج منه (حتى رجع الى موضعه) الذي جاء منه وهذه معجزة ظاهرة وعصمة قوية (و) في دلائل أبي نعيم عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه صلى الله تعالى عليه وسلم (جاءه فيما ذكر ابن اسحق) في سيرته (وغيره أبو جهل) عمرو بن هشام فرعون هذه الامة لعنه الله تعالى وهو فاعل جاء وقوله (بصخرة) متعلق به أي حجر كبير (وهو)

أي سراقة (يقول للناس) أي المقبلين لطلبهم (كفيتم) بصيغة المجهول (ما ههنا) أي ما يتصور وجوده في جهتها أو المعنى ليس أحد ممن تطلبونه ههنا وأغرب التلمساني في قوله أمنتم من خوفكم وعصمتم مما ههنا (وقيل بل قال لهما) أي سراقة (أراكما دعوتما علي) أي بالمضرة (فادعوا لي) أي بالمنفعة (فنجا) أي بعدما دعوا له (ووقع في نفسه ظهور النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي فكان من مقدمات اسلامه (وفي خبر آخر) غير معروف عند أهل الاثر (ان راعيا عرف خبرهما) أي من انهما توجها الى صوب المدينة ونحوها (فخرج) أي من مكانه (يشتد) أي يعدو عدوا سريعا (يعلم) أي حال كونه يريدان يعلم وفي نسخة ليعلم (قريشا) أي باحوالهما (فلما ورد مكة ضرب) بصيغة المفعول أي ضرب بعض حجبه (على قلبه) وحبس على خاطره (فما يدري ما يصنع) أي من كمال الذهول والغفلة والدهشة والوحشة (وانسي ما خرج له) أي لاجله

أي

وفي نسخة اليه أي الى حصوله (حتى رجع الى موضعه وجاءه فيما ذكر ابن اسحق) في المغازي (وغيره) كابي نعيم في الدلائل عن ابن عباس انه أتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (أبو جهل بصخرة وهو) أي والحال انه عليه الصلاة والسلام

(ساجدوقريش ينظرون) أى اليه كما فى نسخة (ليطرحها عليه) وحلف لئن رآه ليدمغنه (فلزقت) بكسر الزاى أى اصقت كما فى رواية (بيده ويبست) بكسر الموحدة أى جفت (يداه الى عنقه) أى مغلولتين اليه وممنوعتين من الحركة لديه فى طرحها عليه (وأقبل يرجع) أى وشرع راجعا (القهقرى) بفتح القافين مقصورا هو ٢١٥ الرجوع الى الوراء فقوله (الى خلفه) تأكيد لما قبله أو تجريد لمعناه من أصله (ثم سأله) أى أبو جهل (ان يدعوله ففعل) أى دعا له ولم يؤاخذه كرما وشفقة وحلما ولما كان بينهما قرابة ورحما بما يقتضى لطفا ورحما (فانطلقت يداه) أى عقب ما دعا الله تعالى (وكان) أى أبو جهل (قد تواعد مع قريش بذلك) أى بطرح صخرة عليه (وحلف) أى عندهم (لئن رآه) أى ساجدا كما فى نسخة (ليدمغنه) أى ليصيبن دماغه وليهلكنه (فسألوه عن شأنه) أى عن رجوعه بعد ظهور طغيانه (فذكر انه عرض لى) وفى نسخة له أى ظهر (دونه) أى بين يديه أو حواليه (فحل) أى من الابل أو نحوه (ما رأيت مثله) أى عظمة وهيبة (قط) أى أبدا (هم) وفى نسخة فهم (بى) أى قصدنى (ان يأكلنى فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ذاك جبريل) أى تمثل له بصورة الفحل (لودنا) أى قرب منى (لأخذه) أى أخذ عزيز مقتدر (وذكر السمرقندى ان رجلا من بنى المغيرة) وهو أبو جهل ابن هشام بن المغيرة أو أحد أقاربه (أتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ليقتله فطمس الله على بصره) أى محا قوة نظره (فلم يره) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كما فى نسخة (وسمع قوله فرجع الى أصحابه) أى وهو أعمى (فلم يرهم حتى نادوه) أى فعرف مكانهم ثم رآهم أو استمر على عماه

أى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى المسجد (ساجد وقريش ينظرون) له ما يصنع وكان ذهب (ليطرحها) أى ليرمى الصخرة (عليه) وفى نسخة هنا وقد كان حلف ان رآه ساجدا ليدمغنه أى ليضربه بها ضربة تكسر رأسه وتقلع دماغه وتسمى هذه الدامغة أحد الشجاج التى ذكرها الفقهاء فى الجنايات (فلزقت) الصخرة بيده ولم يقع عليه صلى الله تعالى عليه وسلم ولزق بلام وزاى معجمة لغة فى لصق بالصاد بمعنى التصق (ويبست يداه الى عنقه) أى تشنجت بحيث لا يمكنه تحريكها (وأقبل) أى انصرف من مقصده نحو قريش حال كونه (يرجع) أى راجعا (القهقرى) ومعناه (الى خلفه) موليا عن وجهته وفى العين القهقرى الرجوع على الدبر وهو قريب منه وهو مفعول مطلق مؤكد للرجوع (ثم سأله) أى سأل أبو جهل لعنه الله تعالى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (ان يدعوله ففعل) أى دعا له صلى الله تعالى عليه وسلم لكرمه وحلمه (فانطلقت يداه) أى عادتا لما كانتا عليه ولم يلتصقا ببركة دعائه صلى الله تعالى عليه وسلم (وكان) أبو جهل (تواعد مع قريش بذلك) أى بطرح الصخرة عليه صلى الله تعالى عليه وسلم اذا رآه يصلى (وحلف لئن رآه ساجدا ليدمغنه) أى ليضربنه بصخرة يكسر رأسه ويخرج دماغه وهى أحد الشجاج يقال دمغه اذا أصاب دماغه فقتله وهذا مقدم فى بعض النسخ كما مر ويدمغنه بفتح الياء وجوز بعضهم ضمها والظاهر الاول (فسألوه) أى سأل قريش أبا جهل (عن شأنه) أى أمره وما منعه عما قصده (فذكر) لهم (انه) أى الشأن أو أبو جهل (عرض لى) أى له كما فى نسخة ففيه التفات وقيل غلب معنى التكلم لان ذكر بمعنى قال (دونه) ظرف أى حال بينى وبينه (فحل) أى جمل عظيم هائج وهو مخصوص بالبعير الذكر (ما رأيت مثله) فى عظمته وشدته (قط) أى فى جميع الزمان الماضى وهى ظرف لتوكيد نفى الماضى بفتح القاف وتشديد الطاء المهملة وكسرها وسكونها مخففة (هم بى) أى عزم على الحملة على والهجوم وقوله (ان يأكلنى) بدل اشتمال من ضمير المتكلم أى هم بأكلى (فقال النبى صلى الله عليه وسلم) لما سمع مقالته لهم (ذاك جبريل) تمثل له بصورة فحل (لودنا) أى قرب أبو جهل من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالصخرة التى أراد طرحها (لأخذه) وأكله وأهلكه أخذ عزيز مقتدر وتفصيله كما فى دلائل البيهقى والسير ان أبا جهل قال يا معشر قريش ان هذا الرجل قد أبى الا ما ترون من عيب ديننا وشتم آبائنا وآلهتنا وتسفيه أحلامنا وانى أعاهد الله لاجلسن غدا عند الحجر بحجر ما أطيق حمله فاذا سجد رضخت به رأسه فامنعونى أو ليصنع بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم فقالوا والله لا نسلمك لاحد فامض لما تريد فلما أصبح جلس ينتظره صلى الله تعالى عليه وسلم وجلسوا فى أنديتهم ينتظرون ما هو فاعل فلما جاء صلى الله تعالى عليه وسلم وصلى فعل ما ذكره المصنف رحمه الله تعالى وله وقائع مثل هذه حماه الله منها وعصمه (وذكر السمرقندى) امام الحنفية المشهور وقد تقدمت ترجمته (ان رجلا من بنى المغيرة) بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم جد أبى جهل وهذا الرجل قال البرهان لا أعرفه وقال غيره انه الوليد بن المغيرة وقيل انه أبو جهل (أتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ليقتله فطمس الله على بصره) أى غطاه وغشاه حتى لم يره لا انه أعماه وأذهبه بالكلية كما يدل عليه قوله (فلم ير النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وسمع فرجع الى أصحابه فلم يرهم حتى نادوه)

(وذكر) أي السمرقندي (ان في هاتين القصتين) أي قصة أبي جهل والتي بعدها وروي القضيتين (نزلت انا جعلنا في أعناقهم اغلالا الآيتين) وفي نسخة الى قوله مقمحون والاقماح رفع الرأس وغض البصر وقد روى أبو نعيم في الدلائل عن ابن عباس بلفظ ان ناسا من قريش قاموا اليأخذوه فاذا أيديهم مجموعة الى أعناقهم واذا هم عمي لا يبصرون فقالوا ننشدك الله والرحم فدعا حتى ذهب ذلك عنهم فنزلت يس

الى قوله لا يؤمنون (ومن ذلك ما ذكره ابن اسحق) أي وغيره كما في نسخة صحيحة كالكلبي في تفسيره (في قصته اذ خرج الى بني قريظة) وقال الحجازي وغيره الذي ذكره ابن اسحق وغيره من أهل السير ان ذلك كان من بني النضير وهو سبب غزوهم لا من بني قريظة فان سببهم غزوة الخندق ثم قريظة والنضير اخوان هما ابنا الخزرج من ذرية هرون أخي موسى عليه السلام بالتصغير قال الحلبي والصواب أن يقول بني النضير كما في سيرة ابن سيد الناس (في أصحابه) وفي نسخة في نفر من أصحابه أي مع جماعة منهم الخلفاء الاربعة فيهم (فجلس الى جدار بعض آطامهم) بمد الهمزة أي أبنيتهم المرتفعة كالحصون فتخافتوا بينهم انكم لن تجدوه على مثل هذه الحالة من يعلو على مثل هذا الجدار ويرسل عليه ما يقتله فقال سلام بن

باسمه فعرف مكانهم وأتاهم ثم رآهم بعد ذلك بشهادة حتى ويحتمل انه عمي وذهب بصره (وذكر) السمرقندي (ان في هاتين القصتين) أي قصة أبي جهل وقصة هذا الرجل (نزلت انا جعلنا في أعناقهم اغلالا الآيتين) يعني فهي الى الاذقان فهم مقمحون وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون قال البغوي في تفسير هذه الآية نزلت في أبي جهل ورفيقه المخزومي حين حلف ان رآه صلى الله تعالى عليه وسلم ليرضخن رأسه وذكر ما ذكره المصنف رحمه الله تعالى غير قوله أنه حال بينه وبينه فحل وقال المخزومي أنا أقتله بهذا الحجر فأتاه وهو يصلي فأعماه الله الى آخر ما ذكر المصنف رحمه الله تعالى وفي تفسير القرطبي انها نزلت في أبي جهل وصاحبيه المخزوميين ثم ذكر قصة أبي جهل وان صاحبه الثاني هو الوليد بن المغيرة وانه الذي أعمى الله بصره ولم ير أصحابه حتى نادوه فقال الثالث والله لاشدخن رأسه وانه رجع وقال بعد ما خر مغشيا عليه وسئل عن أمره فقال حال بيني وبينه فحل لو دنوت منه أكلني وانه لم ير مثله فنزلت هذه الآية فقيل انه معارض لما ذكره المصنف رحمه الله تعالى فانه يقتضي ان الذي حال بينه وبينه الفحل الرجل الثاني لا أبو جهل وأما كونه من بني المغيرة أو مخزوميا فلا منافاة فيه لان كلا نسبه الى أحد جديه كما مر وأجيب بان قصة أبي جهل تكررت فعلها مرة وحده ورأى الفحل ومرة مع غيره أو اقتصر في هذه الرواية على بعض القصة وفيه نظر والآية على هذا من الاستعارة التمثيلية فشبه يبس يديه وعدم قدرته على تحريكهما والرمي بمن غلت يده لعنقه وشبه حالهم وما حال بينهم وبينه بمن بينه وبين مقصده سد مانع عن الوصول وما قيل من ان الآية تعزير لتصميم أهل مكة على كفرهم وابطال الله كيدهم فشبهت حالهم بهذه الحال لا منافاة بينه وبين ما قبله لصدق هذا على ما قبله ومن هذا علم ما في كلام البيضاوي من سؤال يجاب كما بيناه في حواشيه (ومن ذلك) أي حفظ الله وعصمته (ما ذكره ابن اسحق) امام أهل السير في سيرته (وغيره) كالكلبي في تفسيره (في قصته) صلى الله تعالى عليه وسلم (اذ خرج الى بني قريظة) بالظاء المعجمة وصيغة التصغير كجهينة قبيلة من يهود خيبر معروفة (في أصحابه) أي في جماعة منهم أبو بكر وغيره (فجلس) مستندا (الى جدار بعض آطامهم) بالمد والطاء المهملة جمع أطم بضمتين وهو الحصن هنا ويكون بمعنى البيت المربع والقصر (فانبعث) مطاوع بعثه فانبعث أي توجه وقام وأصل معنى البعث الاثارة وقيل معناه هنا أسرع واندفع (عمرو بن جحاش) بفتح الجيم والحاء المهملة المشددة وآخره شين معجمة وهو من بني قريظة قتل كافرا (أحدهم) أي بني قريظة (ليطرح) من فوق الجدار (عليه) صلى الله عليه وسلم (رحى) يقتله بها لانه صلى الله تعالى عليه وسلم لما جلس تحت الحائط تخافتوا بينهم وقالوا ان تجدوه على مثل هذه الحالة أبدا فمن يعلو الجدار ويرسل عليه حجرا يقتله فقال سلام بن مشكم لا تفعلوا فوالله ليخبرن بما هممتم به ويكون هذا سببا لنقض العهد بيننا وبينه فأخبره جبريل عليه الصلاة والسلام بذلك (فقام النبي صلى الله عليه وسلم وانصرف الى المدينة) وكان هذا سببا لغزوهم ونقض عهدهم

مشكم لا تفعلوا فوالله ليخبرن بما هممتم به وانه ينقض ما بيننا وبينه من العهد وأما نقض بني (وأعلمهم) قريظة فسببه غزوة الخندق لانهم ظاهروا قريشا على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ونقضوا العهد وسيأتي من عند السمرقندي انه خرج الى بني النضير فذكر القصة فهذه هي الصواب (فانبعث) أي فقام وأسرع أشقاهم (عمرو بن جحاش) بفتح الجيم وتشديد الحاء أو بكسر وتخفيف والشين معجمة قتل كافرا (أحدهم) وفي نسخة منهم أي أحدهم (ليطرح عليه رحى) بالقصر ويمد (فقام النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي بعد اخبار جبريل بذلك كما سيأتي (فانصرف الى المدينة) أي وتبعه أصحابه

(وأعلمهم بقصتهم) أى أخبر بنى قريظة فى نبذ عهدهم وأصحابه بعد انصرافه أو قبله وقد اعترض على المصنف رحمه الله تعالى بان هذه القصة ليست مع بنى قريظة كما فى السير وسيأتى أيضا فى هذا الكتاب وانما هو مع بنى النضير وهو سبب غزوة بنى النضير وأما سبب غزوة بنى قريظة فهو وقعة الخندق وتظاهرهم مع قريش ونقضهم العهد وهو الصواب قال ابن سيد الناس خرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى بنى النضير ليستعين بهم فى دية القتيلين اللذين قتلهما عمرو بن أمية الضمرى لحلف بينهم وبين بنى عامر فلما أتاهم قالوا نعينك يا أبا القاسم على ما جئت ثم خلا بعضهم الى بعض وهموا به كما مر وقال ابن الملقن انه روى ان بنى النضير لما توامروا وألقوا عليه حجرا فاخذه جبريل ولم يصل اليه صلى الله تعالى عليه وسلم ويأتى ما فيه (وقد قيل ان قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم فى هذه القصة نزلت) وجعل الهم حينئذ بالمؤمنين وان بسط اليد اليهم مع انه بالنبى صلى الله عليه وسلم وحده لان ما يصيبه يصيبهم وموته موت لهم ولذا قيل انها نزلت فى الكفرة لما كانوا غالبين على المؤمنين يوصلون اليهم الضرر والاذية وقيل نزلت فى الاعرابى الذى اخترط سيفه اذ وجده صلى الله عليه وسلم وحده كما مر وقوله وقد قيل يحتمل ان يكون اشارة الى ان هذه القصة فى بنى قريظة وان خالف الصحيح المنقول الواقع ووقع فى بعض التفاسير فتأمله فان غفلته عما ذكر بعيدة مع قوله عقبه (وحكى السمرقندى انه) صلى الله تعالى عليه وسلم كما رواه ابن سيد الناس وغيره من أصحاب السير وقد تقدم انه الصحيح وان فى كلام المصنف رحمه الله تعالى اشارة اليه (خرج) من المدينة (الى بنى النضير) بنون مفتوحة وضاد معجمة مكسورة وهم قوم من يهود خيبر (يستعين) بهم (فى عقل الكلابيين) مثنى كلابى رجل منسوب لبنى كلاب وهى قبيلة من قريش والعقل مصدر عقل البعير يعقله اذا ربطه بالعقال المانع له من الحركة وأصل معنى العقل المنع ومنه العقل المعروف لمنعه عما لا يليق كما أشار اليه القائل

قدعقلنا والعقل أى وثاق ✽ وصبرنا والصبر مر المذاق

وسميت به دية المقتول لانها كانت عند العرب ابلا يسوقها القاتل ونحوه فيعقلها بفناء أهل القتيل ليأخذوها واستعانته صلى الله تعالى عليه وسلم المراد بها طلبه ان يعينوه فى الدية لما سيأتى (اللذين قتلهما عمرو بن أمية) وفى نسخة الكلابى بالافراد وقتل مفردا أيضا وعمرو بن أمية هو الضمرى بضاد معجمة مفتوحة وميم ساكنة وراء مهملة نسبة لبنى ضمرة وهم قومه وهو عمرو بن أمية بن خويلد بن عبد الله بن اياس الصحابى الذى كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يبعثه فى أموره وهو الذى ذهب للنجاشى بكتابه فاجابه وأسلم وزوجه أم حبيبة أسلم بعد أحد وشهد بئر معونة ومات بالمدينة فى خلافة معاوية رضى الله تعالى عنه وهو الذى قتل الكلابى فهو مرفوع فاعل قتل والتثنية هى الموافقة لما فى السير من انه صلى الله تعالى عليه وسلم بعث المنذر بن عمرو الساعدى أحد نقباء ليلة العقبة فى ثلاثين راكبا من المهاجرين والانصار الى بنى عامر بن صعصعة فلقوا عامر بن الطفيل ببئر معونة فاقتتلوا فقتل المنذر وأصحابه ونجا عمرو الضمرى وحده أو وصاحب له على اختلاف فى الرواية ورجعا فلقيا رجلين من بنى سليم وكان بينهم وبين النبى صلى الله تعالى عليه وسلم موادعة فانتسبا لهما الى بنى عامر فقتلاهما وكان عمرو لا يعرف ذلك العهد ولو عرفه لم يفعله ولذا لزمته الدية لانه خطأ فقدم قومهما على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يطلبون ديتهما فخرج لبنى النضير هو وأبو بكر وعمر وعلى رضى الله عنهم يستعينهم فى العقل لانهم كانوا عاهدوه على ترك القتال والاعانة فى الديات فلما دخل عليهم وطلب ذلك منهم أجابوه وقالوا له اجلس حتى نأتى لك بما سألت فجلس بجنب جدار من بيوتهم كما أشار الى

(وأعلمهم) أى بعد انصرافه أو قبله (بقصتهم) أى بمائلهم على قتله (وقد قيل ان هذه الآية) وفى نسخة ان قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم الآية) أى بتمامها (فى هذه القصة) أى قصة بنى النضير (نزلت وحكى السمرقندى انه) أى النبى عليه الصلاة والسلام (خرج الى بنى النضير يستعين فى عقل الكلابيين) أى فى دية الاثنين من قبيلة بنى كلاب بكسر أوله (اللذين قتل) أى قتلهما كما فى رواية (عمرو بن أمية) أى الضمرى وفى نسخة الكلابى الذى قتله عمرو ابن أمية فالمراد به الجنس اذ صرح أبو الفتح اليعمرى فى السيرة انهما من بنى عامر وقتلهما عمرو على ظن انهما كافران بعد قتل أصحابه ببئر معونة ورجوعه الى المدينة عتيقا لعامر بن الطفيل العامرى وذلك للجوار الذى كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عقده اذ كان بين بنى النضير وبنى عامر عقد وحلف على يده صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يعلم به عمرو بن أمية

(فقال) أي له كما في نسخة صحيحة (حيي) بالتصغير (ابن أخطب) بالخاء المعجمة وهو والد صفية أم المؤمنين (اجلس يا أبا القاسم حتى نطعمك) أي نضيفك مع أصحابك (ونعطيك ما سألتنا) أي من الاستعانة في الدية (فجلس النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مع أبي بكر وعمر وتوامر) بالواو والهمزة وهو أفصح أي تشاور (حيي معهم) أي مع يهود (على قتله فاعلمه جبريل بذلك فقام) أي وحده (كأنه يريد حاجته) أي قضاء

حاجته واستمر على مشيته (حتى دخل المدينة) فلما استلبث النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أصحابه قاموا في طلبه ثم سار اليهم وحاصرهم ست ليال فتحصنوا بحصونهم فقطع نخيلهم وحرقها تنكيلا لهم ثم قال لهم اخرجوا ولكم ما حملت الابل فنزلوا على ذلك وحملوا على ستمائة بعير فلحقوا بخيبر وهذه القصة بعينها هي الاولى وكان هذه عند القاضي قضية أخرى والله تعالى أعلم بما هو أولى وأحرى هذا وحيي والد صفية أم المؤمنين يهودي قتل على كفره مع بني قريظة صبرا (وذكر أهل التفسير الحديث) السابق المروي (عن أبي هريرة) وفي نسخة ومعنى الحديث عن أبي هريرة وفي أصل الدلجي وعن أبي هريرة والحديث في صحيح مسلم وسنن النسائي (ان أبا جهل وعد قريشا) أي وحلف عندهم وعهد (لئن رأى محمدا يصلي ليطأن رقبته) وفي نسخة على رقبته أي ليضعن رجله فوق رقبته صلى الله تعالى عليه وسلم واللام جواب قسم محذوف أي والله لام موطئة للقسم كما توهم الدلجي (فلما صلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي تلبس بالصلاة (اعلموه) أي أخبروا أبا جهل (فاقبل) أي على قصد أذيته من وضع الرجل على رقبته (فلما قرب منه ولى) أي ادبر (هاربا) أي فارا (ناكصا على عقبيه) (متقيا) أي راجعا الى خلفه مخالفا لمقصده

ذلك بقوله (فقال له) أي لرسول الله صلى الله عليه وسلم رجل منهم اسمه (حيي) بضم الحاء المهملة ومثناتين تحتيتين الاولى مفتوحة مخففة والثانية مشددة (ابن أخطب) بزنة أفعل بخاء معجمة وطاء مهملة وموحدة وجوز في حاء حيي الكسر وهو من يهود بني النضير ومن رؤسائهم والد صفية أم المؤمنين (اجلس يا أبا القاسم حتى نطعمك ونعطيك ما سألتنا) من الدية وهو عطف تفسير على نطعمك لان الطعم بالضم في الاصل المأكول فتجوز به عما ذكر كما يقال اقطعه الارض طعمة له أي عطية (فجلس النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مع أبي بكر وعمر) وزاد أبو نعيم الزبير وطلحة وسعد بن معاذ وأسيد بن حضير وسعد بن عبادة وفي سيرة ابن اسحق في نفر من أصحابه فيهم أبو بكر وعمر وعلي ولا منافاة بين الروايات (وتوامر) بفتح التاء الفوقية والواو ويقال بالهمز تفاعل من الامر أي نظر كل أمر الآخر والمراد به هنا المشاورة يقال وامره وآمره وقيل الواو لغة العامة (حيي معهم) أي مع بني النضير أي تشاوروا واتفقوا (على قتله) صلى الله تعالى عليه وسلم بالقاء الحجر عليه (فاعلم جبريل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك) الذي أرادوه قبل وقوعه (فقام) من تحت الجدار بسرعة (كأنه يريد حاجة) أي أراهم صلى الله تعالى عليه وسلم انه يريد حاجة له وفي نسخة حاجته بالاضافة فيحتمل قضاء الحاجة المعهودة للانسان فانه يكنى بها عنها كثيرا (حتى دخل المدينة) ثم سار اليهم وحاصرهم ست ليال وهم داخل حصنهم فقطع نخيلهم وحرقها تنكيلا لهم كما قال حسان

وهان على سراة بني لؤي * حريق بالبويرة مستطير

فقال صلى الله تعالى عليه وسلم لهم اخرجوا ولكم ما حملت الابل فنزلوا على ذلك وحملوا اما لهم من الامتعة على ستمائة بعير ولحقوا بخيبر وأخذ منهم صلى الله تعالى عليه وسلم الاموال ومن الحلقة خمسين درعا وخمسين بيضة وثلاثمائة وأربعين سيفا فكان ذلك مرصدا لنوائبه ولم يسهم منها لاحد غير أبي دجانة وسهل بن حنيف لفقرهما ثم قسمها بين المهاجرين رفعا لمؤنتهم عن الانصار اذ كانوا قاسموهم الاموال والديار لما هاجروا الى المدينة ثم انه قيل ان ما ذكره المصنف رحمه الله تعالى يقتضي ان اليهود هموا بالقاء الحجر عليه ولم يلقوه وذكر ابن الملقن كما انهم ألقوه عليه صلى الله تعالى عليه وسلم فاخذه جبريل عليه الصلاة والسلام ومنعه عن الوصول اليه والمشهور الاول (وذكر أهل التفسير معنى الحديث عن أبي هريرة) كما رواه مسلم والنسائي أي رووه بهذا المعنى وفي بعض النسخ وروى أهل التفسير الحديث عن أبي هريرة وهما أحسن مما في بعض النسخ وذكر أهل التفسير ومعنى الحديث بالواو العاطفة فانه محتاج للتقدير أي وذكره أهل الحديث وعلى هذا فقوله عن أبي هريرة خبر عن معنى وهو مبتدأ والجملة معترضة بين ذكر ومفعوله وهو (ان أبا جهل وعد قريشا لئن رأى محمدا) جواب قسم مقدر لما مر من انه حلف لهم على ما وعدهم به وقوله (يصلي) جملة حالية (ليطأن رقبته) أي يدوس على عنقه الشريف برجله حماه الله (فلما صلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) بالمسجد الحرام (اعلموه) أي اعلمه قريش به (فاقبل) متوجها اليه ليدوسه اهانة منه لمن أعزه الله (فلما قرب منه ولى) ورجع عن مقصده حال كونه (ناكصا على عقبيه) أي متأخرا راجعا الخلف والعقب مؤخر القدم

(متقيا بيديه) أي متحفظا بهما الشيء ظهر عليه متوجها اليه (فسئل) أي عن سبب رجوعه واتقائه (فقال لما دنوت منه) أي قربت
(أشرفت) أي اطلعت (على خندق) أي واد أو حفير (مملوء نارا كدت) أي قاربت (أهوى) بكسر الواو أي أسقط (فيه
وأبصرت هولا عظيما) أي أمرا شديدا يهول ويفزع (وخفق أجنحة) أي وأبصرت ضرب اجنحة وتحريكها (قد ملأت) أي الاجنحة لكثرتها (الارض) أي جميعها (فقال عليه السلام تلك) أي أصحاب تلك الاجنحة (الملائكة) أي لا الطيور (لودنا) أي أبو جهل مني حينئذ (لاختطفته) أي أخذته الملائكة سرعة (عضوا عضوا) أي بان وقع كل عضو وجزء منه في يد ملك أو جمع منهم (ثم أنزل على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كلا) أي حقا (ان الانسان ليطغى ان رآه) أي لاجل ان علم نفسه (استغنى) عن ربه (الى آخر السورة وروى) بصيغة المجهول وفي نسخة وروى والحديث لابي نعيم في الدلائل (ان شيبة) وفي نسخة ان رجلا يعرف بشيبة (ابن عثمان الحجبي) بفتح الحاء والجيم منسوب الى الحجبة جمع الحاجب بمعنى البواب فانه كان من سدنة الكعبة المشرفة
وفي نسخة الحجبي بالجيم المضمومة وفتح الميم مخففا وهي غلط كما صرح به الحلبي (ادركه) أي لحق النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (يوم حنين) وهو واد بقرب ذي المجاز أو ماء بقرب الطائف من الحجاز (وكان حمزة قد قتل أباه وعمه) جملة معترضة مشيرة الى الباعث على القضية من أخذ الثار كما في عادة الجاهلية

(متقيا بيديه) أي مادا يديه لكن يدفع أمرا يتقيه وفي بعض النسخ وولى هاربا ناكصا على عقبيه فهي حال متداخلة أو مترادفة ونكص على عقبيه يستعمل فيمن ولى عن خير او عن شر يخاف عاقبته كما هنا الا انه قيل ان الثاني نادر وذهب الجوهري وصاحب النهاية الا انه يختص بالاول وفي القاموس نكص عن الامر نكأ كأ عنه واحجم وعلى عقبه رجع عما كان عليه من خير فهو خاص بالرجوع عن الخير ووهم الجوهري في اطلاقه أو هو في الشر نادر انتهى وفي نفود السهم فيما في الجوهري من الوهم كون النكوص مخصوصا بما ذكر غير ثابت في اللغة وقوله فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه لا دليل فيه لانه وان كان رجوع الشيطان عن معاونة الكفار ببدر ليس رجوعا عن خير يحتمل الاستعارة التهكمية وقدم الكلام عليه أيضا في اعجاز القرآن فتأمله (فسئل) أي سأل قريش أبا جهل (عن ذلك) أي عن رجوعه كذلك وما سببه (فقال) مجيبا لهم (لما دنوت منه أشرفت) أي اطلعت قريبا مني (على خندق) حفير (مملوء نارا كدت أهوى) أي أقع وأسقط (فيه وأبصرت هولا عظيما) أي أمرا مخوفا عظيما لم أر مثله مما ذكر ومن غيره كالفحل الذي أراد اهلاكه (وخفق اجنحة) أي اجنحة يضرب بعضها بعضا لها أصوات هائلة (قد ملأت الارض) الذي كان فيها وهي اجنحة الملائكة التي أرسلت لحمايته ونصره صلى الله تعالى عليه وسلم كما اشار اليه بقوله (فقال عليه الصلاة والسلام تلك الملائكة لودنا) أي قرب منه لايقاع ما قصده (لاختطفته) الملائكة (عضوا عضوا) أي مزقته وفرقت اعضاءه وهو منصوب على الحال بتأويل ممزقا مفرقا كقرأت النحو بابا بابا كما فصله النحاة (ثم أنزل الله) وحيه (على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) في شان ذلك فقال (كلا ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى الى آخر السورة) يعني ان الى ربك الرجعى أرأيت الذي ينهى عبدا اذا صلى الى آخره ويناسب ما ذكر قوله كلا لئن لم ينته لنسفعا بالناصية وقوله * سندع الزبانية كلا لا تطعه واسجد واقترب فالمراد بالانسان أبو جهل وطغيانه تجاوز حده قيل هذه القصة في صحيح مسلم فالذي ينبغي نقلها منه دون التفاسير وهو أمر سهل لا ينبغي الاعتراض بمثله وتفصيل معنى الآية في التفاسير فلا حاجة لذكره (وروى) الراوي له أبو نعيم في الدلائل (ان شيبة بن عثمان الحجبي) بفتح الحاء المهملة والجيم وموحدة وياء نسبة لحجبة جمع حاجب ككتبة جمع كاتب وفي النسبة الى الجمع برد الى مفرده والقياس حاجبي لكنه لما غلب على حجبة الكعبة جاز النسبة اليه كانصاري أو لانه على زنة المفرد ومثله ينسب اليه على قول والحاجب من يتولى الحجابة وهو البواب ومن بيده المفتاح من الحجب وهو المنع وشيبة علم منقول من الشيب المعروف وهو شيبة بن عثمان ابن أبي طلحة بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصي الصحابي المشهور خادم الكعبة ومن بيده مفتاحها وهو بيد أولاده الى الآن أسلم يوم الفتح وقيل يوم حنين ومات سنة تسع وخمسين وأخرج له البخاري وأحمد في مسنده وأبو داود وترجمته معروفة وما في بعض النسخ الجحمي بجيم غلط من الناسخ (ادركه) صلى الله تعالى عليه وسلم أي لحق به ووصل اليه (يوم حنين) في غزوتها وهو واد قريب من الطائف معروف (وكان) قبل ذلك (حمزة) عم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وسيد الشهداء (قد قتل أباه) عثمان بن أبي طلحة (وعمه) طلحة بن أبي طلحة المشهور وكان قتله لهما باحد وكان طلحة ليث الكتيبة وحامل لواء الكفرة فلما قتل حمل اللواء أخوه عثمان فقتل الا انه قيل ان المروي في السير ان الذي قتل طلحة علي بن أبي طالب فلما أخذ اللواء أخوه عثمان حمل عليه حمزة فقتله وقال الذهبي في تجريده ان الذي قتل أبا شيبة علي أيضا وهو مخالف

(فقال) أي عثمان (اليوم أدرك ثأري) بمثلثة وهمزة ويجوز تخفيفها أي دم حميمي من أبي وعمي بانتقامي فيه (من محمد) أي بان اقتله بدل حمزة فانه ابن أخيه وهذا يرد قول من قال انه أسلم يوم الفتح ولعله أظهر اسلامه ولم يحقق مرامه ان التلمساني ضبط الثار بالتاء المثناة الفوقية وهو تصحيف وتحريف (فلما اختلط الناس) أي اشتغلوا فيما بينهم من الحرب (أتاه) أي عثمان (من خلفه ورفع سيفه ليصبه عليه) أي فيقتله (قال

فلما دنوت منه ارتفع الى) أي لدى (شواظ) بضم أوله ويكسر أي لهب (من نار أسرع من البرق فوليت هاربا) أي حذرا منه (وأحس بي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فدعاني) أي فجئته (فوضع يده على صدري وهو أبغض الخلق الي) جملة حالية (فارفعها) أي يده (عني الا وهو أحبهم الي وقال لي ادن) أي أقرب الى العدو (فقاتل فتقدمت امامه أضرب) أي الناس (بسيفي وأقيه بنفسي) أي واحفظه بدفع الناس عنه ووقايته منهم بتقدية نفسي (ولو لقيت أبي) أي والدي فرضا (تلك الساعة لاوقعت به) أي بأبي وقتلته (دونه) أي دون النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مجاوزا عنه أو مدافعا عنه واعلم ان السيرة لابي الفتح اليعمري عن ابن سعد ان طلحة ابن أبي طلحة وهو كبش الكتيبة صاحب اللواء قتله علي ثم حمل اللواء عثمان ابن أبي طلحة فحمل عليه حمزة فقطع يده وكتفه حتى انتهى الى مؤتزره وبدا سحره أي رئته وفي التجريد والتهذيب للذهبي في عن ترجمة شيبة ابن أبي طلحة ان عليا قتل أباه يوم أحد ذكره الحلبي ففي نسبة قتلهما الى حمزة نوع مسامحة (وعن فضالة بن عمرو) بفتح الفاء أي ابن الملوح الليثي وفي نسخة عمير بالتصغير وض عمرو بالواو وهو الموافق لما ذكره الذهبي في الصحابة على ما حرره الحلبي والحديث رواه ابن اسحق وابن سيد الناس

لما قاله المصنف رحمه الله تعالى كما قاله البرهان الحلبي وفي سيرة ابن سيد الناس ان عليا ضرب أباه فازال منعته فحمل عليه حمزة فقطع يده وكتفه وقده حتى بدا سحره أي رئته فكل من علي وحمزة له دخل في قتله الا ان عليا لما ازال منعته وقوته نسب القتل له حتى استحق سلبه فلا منافاة بين كلام المصنف رحمه الله تعالى وكلام غيره (فقال) أي شيبة لما ادركه (اليوم) المراد الوقت الحاضر (ادرك ثاري) بمثلثة وراء مهملة بينهما ألف وتهمز وهي الاصل وهو طلب الدم وأخذ حق من قتله (من محمد) لانه سبب قتله فاراد ان ينتقم منه ويشفي غيظه وحزازة نفسه لتمكنه منه (فلما اختلط الناس) في القتال وازدحموا ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيهم (أتاه من خلفه) بحيث لا يراه (ورفع سيفه) بيده (ليصبه عليه) أي ليضربه ويقتله ويأخذ ثاره ويشفي غليله ممن كان سببا لقتل أبيه وعمه وأصل الصب اراقة الماء واستعير للضرب بالآلة كالسيف قال الله تعالى فصب عليهم ربك سوط عذاب ويرشحه ان السيف يشبه بالماء لرونقه وفرنده (قال) شيبة (فلما دنوت منه) أي لما قصدت ذلك (ارتفع الي) أي علا وصعد الي من جانبه (شواظ) أي لهب (من نار) والشواظ اللهب مطلقا أو لهب لادخان له أو لا يخالطه غيره أو يخالطه شيء آخر وهو بضم الشين المعجمة وكسرها وقوله من نار بيان مؤكد لان اللهب لا يكون الا من النار (أسرع) في ارتفاعه (من البرق فوليت هاربا) خوفا من ان يحرقني (وأحس بي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي علم رجوعي عنه (فدعاني) فجئته (فوضع يده على صدري وهو أبغض الخلق الي) لانه أسلم خوفا من القتل ولم يخلص ايمانه وفي قلبه حقد على رسول الله صلى الله عليه وسلم من قتل أبيه وعمه (فما رفعها) أي يده عن صدري (الا وهو أحب الخلق الي) فبدل الله بغضه بحبه وازال عن صدره وقلبه الحقد وأثر الكفر فلما علم ذلك منه الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم أحبه (وقال لي ادن) من العدو أو مني (وقاتل) في سبيل الله خالص السريرة مخلصا ببركة مس يده صلى الله تعالى عليه وسلم له (فتقدمت امامه) بين يديه (أضرب بسيفي) كل من لقيته من الكفار (وأقيه بنفسي) أي اجعلها وقاية له صلى الله تعالى عليه وسلم مانعة عنه (ولو لقيت تلك الساعة) التي قاتلت فيها (أبي لاوقعت به) سيفي وقتلته وفي بعض النسخ (دونه) وانما خص للمبالغة في عموم قتله لمن لقي حتى أعز الناس وللاشارة الى ان سبب بغضه وهو قتل أبيه قد زال بالكلية حتى يجوز عنده ان يقتله بنفسه فضلا عن قتل قاتله والحديث مفصل في سيرة ابن سيد الناس بسند صحيح مروي عن شيبة وكان صالحا ذا فضل حدث باسلامه وانه انما سار بحنين ليغتال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لكراهته له وان ذلك لم يزد في قلبه وتصميم عزمه على قتله فلما اختلط الناس نزل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن بغلته فدنوت منه وذكر ماهم به وان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مسح صدره وقال اللهم أعذه من الشيطان فاذهب الله ما بقلبه حتى صار أحب اليه من نفسه وأهله وأبيه فلما رجع ودخل خباءه فدخلت عليه كغيري حبا لرؤية وجهه فقال لي ياشيب الذي أراد الله بك خير مما أردت بنفسك وحدثني بكل ما اضمرته في نفسي مما لم أذكره فقلت اني أشهد أن لا اله الا الله وانك رسول الله ثم قلت استغفر لي فقال غفر الله لك (وعن فضالة بن عمرو)

(أردت قتل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عام الفتح وهو يطوف بالبيت فلما دنوت منه قال أفضالة) وفي رواية زاد رسول الله (قلت نعم قال ما كنت) وفي رواية ماذا (تحدث به نفسك قلت لا شئ) وفي رواية زاد كنت أذكر الله تعالى (فضحك واستغفر لي) أي قال غفر الله لك ما خطر ببالك أو أراد به استحقاق الغفران بتوفيق الايمان وفي رواية فضحك النبي ثم قال أستغفر الله (ووضع يده على صدري فسكن قلبي) أي واطمان بمعرفة ربي (فوالله ما رفعها) أي يده عن صدري (حتى ما خلق الله شيأ أحب الى منه ومن مشهور ذلك) أي مما ذكر من عصمة الله سبحانه وتعالى له على ما رواه ابن اسحق والبيهقي بلا سند وأبو نعيم في الدلائل مسندا الى عروة (خبر عامر بن الطفيل) أي ابن مالك العامري سيد بني عامر في الجاهلية كذا قال الذهبي في تجريد الصحابة وقال روى عنه أبو ذبابة ذكره المستغفري واجمع أهل النقل على ان عامرا مات كافرا وقد أخذته غدة وكان يقول غدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية قال الحلبي ولا شك فيما قاله الذهبي في قصته لما في صحيح البخاري بنحو من اللفظ الذي ذكره (وأربد) بفتح فسكون ففتح (ابن قيس) هو لبيد ابن ربيعة لامه ولبيد صحابي وكان أربد شاعرا أيضا بعث الله عليه صاعقة فاحرقته كافرا بالله سبحانه وتعالى وفيه نزل قوله تعالى فيرسل الصواعق الآية (وفدا على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي متفقين على قتله (وكان عامر قال له) أي لاربد (أنا أشغل عنك وجه محمد) أي بالكلام معه (فاضربه أنت) أي من خلفه (فلم يره فعل شيأ) أي مما قاله (فلما كلمه في ذلك) أي بالمعاتبة عن تقصيره هنالك (قال له والله ما هممت) أي ما عزمت (ان أضربه الا وجدتك بيني وبينه)

عن ابن اسحق وابن سيد الناس وفضالة بضم الفاء وفتحها وتخفيف الضاد المعجمة واللام وأبوه عمرو ويقال عمير بالتصغير ابن الملوح الليثي والتصغير أصح والملوح بكسر الواو المشددة وفتحها واقتصر على الثاني في القاموس (قال أردت قتل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عام الفتح) أي فتح مكة (وهو يطوف بالبيت فلما دنوت منه قال أفضالة) الهمزة للنداء وفي نسخة فضالة بدون همزة وحرف النداء مقدر فيه قيل ويمكن ان تكون الهمزة للاستفهام وفضالة خبر مبتدأ محذوف تقديره أنت فضالة فقال نعم تصديقا له والاستفهام حقيقي وكونه للتعجب مما يختلج في صدره أو اجابة لندائه أو اعلام له بانه فضالة كما قيل تكلف لا يخفى (قلت نعم قال ما كنت تحدث به نفسك) حديث النفس عبارة عما يخطر بالقلب (قلت لا شئ) أي لم يخطر بقلبي شئ مما ظننته (فضحك فاستغفر لي) أي دعا لي بان يغفر الله لي ما خطر بقلبي (ووضع يده على صدري) ليذهب الله ما فيه من الضلال وما عزم عليه من الاوهام (فسكن قلبي) أي اطمأن وذهب ما فيه من الوسواس وتكذيب الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وثلج صدره ببرد اليقين قال فضالة (فوالله ما رفعها) أي رفع يده عن صدره (حتى ما خلق الله شيأ أحب الى منه) وحديثه كما في سيرة ابن اسحق وابن سيد الناس انه أراد قتل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو يطوف عام الفتح وذكر ما ذكره المصنف رحمه الله تعالى ثم قال فرجعت الى أهلي ومررت بامرأة كنت أتحدث اليها فقالت هلم الى الحديث فقلت لا وانبعثت أقول

قالت هلم الى الحديث فقلت لا * يأبى عليك الله والاسلام
أو ما رأيت محمدا وقبيله * بالفتح يوم تكسر الاصنام
ورأيت دين الله أضحى بيننا * والشرك يغشى وجهه الاظلام

وفضالة الليثي هذا هو ابن وهب بن بجرة بن يحيى بن مالك وليس هو الزهراني فانه تابعي غيره ومن ظنه هذا فقد أخطأ (ومن مشهور ذلك) أي عصمة الله لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم ما رواه ابن اسحق والبيهقي بلا سند وأبو نعيم في الدلائل مسندا الى عروة (خبر عامر بن الطفيل) العامري وهو عامر بن الطفيل بن عامر بن مالك سيد بني عامر في الجاهلية مات كافرا بالاتفاق (وأربد بن قيس) بفتح الهمزة وسكون الراء المهملة وفتح الموحدة ودال مهملة وهو أخو لبيد بن ربيعة الصحابي لامه وكان شاعرا مفلقا ومات على الكفر أيضا (حين وفدا على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) وذلك انه لما فرغ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من تبوك وأسلمت ثقيف ودخل الناس في الاسلام أفواجا قدمت عليه وفود الناس أفواجا وفد عليه أربعة من رؤسائهم عامر بن الطفيل وأربد بن قيس وغيرهما (وكان عامر قال له) أي لاربد (أنا أشغل عنك وجه محمد) أي ألهيه حتى تبطش به (فاضربه أنت) وخصه بسره لما بينهما من الصداقة فامتثل أمره وهم بذلك فانتظره ليفعل ما أمره به (فلم يره) أي لم ير عامر أربد (فعل شيأ) مما اتفقا عليه من البطش به وعامر يكلمه صلى الله تعالى عليه وسلم ويلهيه (فلما كلمه) أي كلم عامر أربد (في ذلك) أي في الامر الذي اتفقا عليه بان قال له مالك لم تفعل ما اتفقنا عليه من البطش برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاعتذر اليه (قال له والله ما هممت ان أضربه) أي أضرب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بالسيف (الا وجدتك بيني وبينه) أي أرى جسدك حائلا بيني وبين النبي صلى الله تعالى

أفاضر بك) الهمزة الاولى استفهام انكاري والثانية للمتكلم وهو أربد والمخاطب هو عامر قال البرقي في غريب الموطأ وفد عامر وأربد على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فدعوه وان يجعل الامر بعده الى عامر ويدخلان في دينه فأبى عليه الصلاة والسلام فقال له أكون على أهل الوبر وأنت على أهل المدر فأبى عليه الصلاة والسلام فخرجا من عنده (ومن عصمته تعالى له) وفي نسخة ومن عصمته له تعالى وهو خطأ فاحش (ان كثيرا من اليهود) أي من أحبارهم ورهبانهم (والكهنة) أي ممن يزعم انه يخبر عن الكوائن المستقبلة (انذروا به) أي الكهنة اعلموا الناس بقرب نوره وخوفوهم بظهوره فان الانذار اعلام بتخويف (وعينوه لقريش) أي وبينوه لهم خصوصا من جهة نسبه وحسبه وعلامة ولادته وامارة سيادته وسعادته (وأخبروهم بسطوته بهم) أي بغلبته عليهم وشوكته لديهم (وحضوهم) أي حثوهم وحرضوهم (على قتله) أي قبل ظهوره ونصره (فعصمه الله تعالى) أي من كيد كل عدو ومكره (حتى بلغ) بتخفيف اللام أي وجد وتم (فيه أمره) وفي نسخة حتى بلغ عنه أمره بتشديد اللام ونصب أمره (ومن ذلك نصره بالرعب) بسكون العين ويضم أي بالخوف في قلب أعدائه (مسيرة شهر) أي من كل جانب له (كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم) أي كما رواه الشيخان

عليه وسلم بحيث لو ضرب ضرب صاحبه (أفاضر بك) انكار له أي كيف أضربك وكان عامر شاعرا ورئيسا مطاعا في قومه فقالوا له لما جاءت العرب أفواجا للاسلام ان الناس قد أسلموا فاسلم فقال اني آليت لا انتهي حتى تتبع العرب عقبي أفأتبع عقب فتى من قريش ثم قدم هو وأربد على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقال له ما قصه المصنف رحمه الله تعالى فخرجوا راجعين لبلادهم وفي الدلائل انه قال للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم خالني يا محمد فقال لا حتى تؤمن بالله وحده وقال ذلك مرارا وهو يجيبه بذلك فقال والله لاملأنها عليك خيلا ورجلا توعدا منه بان يغزو المدينة فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اللهم اكفني عامرا فلما رجع أصابه طاعون في عنقه فمات في بيت امرأة من سلول فكان يقول غدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية يعني أخس موته في أخس قبيلة فمات كافرا وواروا جثته التراب ورجع أصحابه لقومهم فقالوا لاربد ماوراءك يا أربد فقال لا شيء لقد دعانا لعبادة شيء ولقد وددت انه عندي الآن فارميه بالنبل حتى أقتله ثم خرج بعد مقالته هذه بيوم أو يومين ومعه جمل له فاصابتهما صاعقة أحرقتهما فهلك كافرا كما روي وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان عامرا قدم على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو في المسجد مع أصحابه وكان من أجمل الناس الا انه كان أعور فجعل الناس ينظرون لجماله وأخبروا به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال ان يرد الله تعالى به خيرا يهده فقام وقال يا محمد مالي ان أسلمت فقال لك ما للمسلمين وعليك ما عليهم فقال أتجعل لي الامر من بعدك قال ذلك ليس الي انما هو لله يجعله حيث شاء قال أتجعلني على الوبر وأنت على المدر أي حكم البادية وحكم المدن قال لا قال فما تجعل لي قال اجعل لك أعنة الخيل الغازية في سبيل الله قال أوليس لي أعنة الخيل اليوم فقم معي أكلمك فقام صلى الله تعالى عليه وسلم معه وكان عامر وصى أربد اذا خلا به ان يدور من خلفه ويضربه بسيفه وروي ان الغدة كانت في ركبته ورويت القصة على وجوه أخر هذه محصلها كما في السير وكتب التفسير غير ان البغوي والقرطبي في التفسير ذكرا ان أربد دار خلفه صلى الله تعالى عليه وسلم واخترط سيفه فقال اللهم اكفنيهما بما شئت فوقعت عليه صاعقة فاهلكته وهو يقتضي انه مات قبل عامر وفي هذين التفسيرين ان أربد بن ربيعة والمصنف رحمه الله تعالى قال انه ابن قيس ولا منافاة بينهما كما توهم لان ربيعة جده الاعلى وفي أربد نزل قوله تعالى ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء واجمعوا على ان عامرا مات كافرا كما في التجريد للذهبي عامر بن الطفيل بن مالك العامري سيد بني عامر في الجاهلية روى عنه أبو امامة كما ذكره المستغفري ونقله البرهان الحلبي وفيه نظر (ومن عصمته) أي حفظه الله تعالى له (ان كثيرا من اليهود والكهنة) جمع كاهن وهو الذي يخبر عن المغيبات وما يقع في المستقبل بما يتلقاه أو يعرفه بفراسته ويسمى الثاني عرافا (انذروا به) أي أخبروا واعلموا والانذار اعلام المخوف قبل وقوعه (وعينوه لقريش) أي بينوا ذاته الشريفة لهم (وأخبروهم بسطوته بهم) أي انه يغزوهم ويقتلهم (وحضوهم على قتله) أي حثوهم وحرضوهم على ذلك حتى يسلموا منه (فعصمه الله عز وجل) بان حفظه ومنعه من كيدهم مع انه صلى الله عليه وسلم كان بين أظهرهم بمفرده (حتى بلغ) الله تعالى بلطفه وحفظه له (فيه أمره) بان نصره وأظهر دينه على جميع الاديان ان الله تعالى بالغ أمره وبلغ بفتح اللام المخففة من البلوغ قال الراغب هو الانتهاء الى أقصى الامد والمنتهى مكانا أو زمانا أو أمرا من الامور المقدرة انتهى (ومن ذلك) أي عصمة الله له صلى الله عليه وسلم وصيانته ما رواه الشيخان وهو (نصره بالرعب) أي بالقاء الخوف منه في قلوب أعدائه ومن لم يتبعه (مسيرة شهر) أي في مكان بعيد عنه أقل ما يقطع مسافته في شهر أي في ثلاثين يوما (كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم)

أى انه ثابت بهذا اللفظ فى الحديث الصحيح كما تقدم وهو فى الصحيحين وفى مسند أحمد عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أنه قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بعثت بجوامع الكلم ونصرت بالرعب قيل وهو مخصوص به صلى الله تعالى عليه وسلم ولو كان وحده وتقييده بالشهر لانه لم يكن بينه وبين أعدائه أكثر منه وتخصيصه به باعتبار من قبله فان ابن حجر رحمه الله تعالى قال ان ذلك لامته من بعده أيضا ويؤيده ان فى مسند أحمد الرعب يسعى بين يدى أمتى شهرا والرعب كناية عما يلزمه من الظفر

(فصل) مما أكرمه الله تعالى به صلى الله تعالى عليه وسلم (ومن معجزاته) أى أموره الخارقة للعادة التى عجز غيره عنها وعن معارضتها والاتيان بمثلها وتاء المعجزة للمبالغة كهاء علامة أو للتأنيث لان المراد الآية والعلامة أو الخصلة المعجزة (الباهرة) أى البالغة أو الظاهرة على غيرها من بهر القمر بضوئه الكواكب حتى أخفاها وهو تشبيه بليغ أو استعارة مصرحة (ماجمعه الله له من العلوم والمعارف) جمع معرفة لا معروف كما قيل لانه على تقديره غير مناسب والعلم والمعرفة بمعنى وقد يفرق بينهما بتخصيص الثانى بالامور الجزئية أو بما يسبقه جهل على كلام فيه تقدم تفصيله ومن بيانية ويجوز أن تكون تبعيضية والاول أظهر (وخصه به) أى جعله مخصوصا به دون من قبله وكذا خص أمته بما لم يكن لغيرهم من الامم من العلم وكثرة التأليف والتصنيف الذى لم يكن لامة من الامم مع قصر أعمارهم وضعف أبدانهم والباء تدخل على المقصور والمقصور عليه وفى أيهما الاصل كلام مفصل فى حواشى المطول لا حاجة لنا به هنا (من الاطلاع) أى الوقوف والعلم وهو بيان لما (على جميع مصالح الدنيا والدين) متعلق بالاطلاع ومصالح الدنيا ما يصلح به أمر المعاش ومصالح الدين معرفة أحكامه المصلحة لهم فى الدارين ولا ينافى هذا أى اطلاعه على مصالحهم ما قصة بدر فى اختياره صلى الله تعالى عليه وسلم الغداء وكان الاولى به ما رآه عمر رضى الله تعالى عنه من قتلهم حتى عوتب صلى الله تعالى عليه وسلم على ذلك وكذا منعه صلى الله عليه وسلم الناس من تأبير النخل فلم يثمر فى ذلك العام فقال أنتم أعلم بأمور دنياكم منى أما لانه كما قيل كان له حالات وأطوار منها ما يغلب عليه عدم الالتفات للاسباب الظاهرة لقصر نظره على تفويض الامر لله والتوجه للعلم بالله وقطع نظره عن الحوادث الكونية وعلم عمر رضى الله تعالى عنه مقتبس منه ومن نور مشكاته كما قيل

كالبحر يمطره السحاب وماله * من عليه لانه من مائه

وما قيل من أنه صلى الله عليه وسلم بنى أمره فى ذلك على الظن دون الجزم والانبياء قد يظنون فى أمور الدنيا المجردة عن الآخرة ما الامر على خلافه ليس بشئ وقيل انه انما كان ليعلم الله نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم بالمشاهدة وتبين الامر حتى يكون شرعا متبعا ولو بقى الامر كما كان فقد يقال انه كما وجد بقى والحكم بالدليل أقوى عنه بالسكون وفيه نظر وقال السنوسى أراد صلى الله تعالى عليه وسلم ان يحملهم على خرق العوائد فى ذلك اعتمادا على التوكل فلم يمتثلوا ولم يصبروا ولو صبروا كان خيرا لهم بان يمتثلوا ويصبروا سنين فأكثر فلو فعلوه كفوا ذلك لانه أعلم منهم بذلك وغيره قيل وهو فى غاية الحسن لمن تأمله وسيأتى تتمته ان شاء الله تعالى (ومعرفته) صلى الله عليه وسلم (بأمور شرائعه) التى شرعها الله تعالى له ولعباده على لسانه جمع شريعة وهى فى الاصل طريق مسلوكة ومورده ما يباح نقلت لوضع الهى موصل لسعادة الدارين والمناسبة بينهما ظاهرة (وقوانين دينه) جمع قانون وهى لفظة معربة من الرومية معناه الاصل المقيس عليه ثم نقل لقضية كلية يستخرج منها أحكام جزئياتها بجعلها كبرى لصغرى سهلة الحصول تنتج المطلوب كما تقرر فى محله والدين والملة بمعنى وان تغايرا مفهوما والمراد بمصالح الدنيا والدين منافع ذلك وحكمه وفوائده وهو غير ضبطه لامور الشريعة وقوانينها فما قيل من انه اذا حصل له العلم بجميع

(فصل) (ومن معجزاته الباهرة) أى آياته الظاهرة (ماجمعه الله له من المعارف) أى الجزئية (والعلوم) أى الكلية والمدركات الظنية واليقينية أو الاسرار الباطنية والانوار الظاهرية (وخصه) أى وماخصه به (من الاطلاع على جميع مصالح الدنيا والدين) أى ما يتم به اصلاح الامور الدنيوية والاخروية واستشكل بانه صلى الله تعالى عليه وسلم وجد الانصار يلقحون النخل فقال لو تركتموه فتركوه فلم يخرج شيا أو أخرج شيصا فقال أنتم أعلم بأمر دنياكم وأجيب بانه انما كان ظنا منه لا وحيا وقال الشيخ سيدى محمد السنوسى أراد أنه يحملهم على خرق العوائد فى ذلك الى باب التوكل وما هنالك فلم يمتثلوا فقال أنتم أعرف بدنياكم ولو امتثلوا وتحملوا فى سنة أو سنتين لكفوا أمر هذه المحنة انتهى وهو فى غاية من اللطافة (ومعرفته) بالرفع عطفا على ما والاقرب جره بالعطف على الاطلاع (بأمور شرائعه) أى أحكامه المتعلقة بالعبادات والمعاملات (وقوانين دينه) أى من القواعد الكلية المندرجة تحتها الفروع الجزئية

(وسياسة عباده) أي الجامعة بين صلاح معاش الخلق ومعادهم (ومصالح أمته) أي المتعلقة بأمر زادهم في حق عبادهم وزهادهم (وما) أي ومعرفته بما (كان في الامم قبله) أي من أحوالهم وما جرى لهم من نجاة وهلاك في مآلهم (وقصص الانبياء والرسل) أي من دعاة الخلق الى دين الحق (والجبابرة) أي من الكفرة والفجرة المتكبرة (والقرون الماضية) أي في الازمنة الخالية (من لدن آدم) بضم الدال وسكون النون و بسكون الدال وكسر النون ويروى من زمن أي من ابتداء زمن آدم (الى زمنه) أي زمن الخاتم سيد العالم صلى الله عليه وسلم (وحفظ شرائعهم وكتبهم) أي مما قذفه الله في قلبه فروى قلبه عن ربه (ووعى سيرهم) بسكون العين أي واحاطة أنواع سيرتهم وأصناف طريقتهم مع اتحاد جنس ملتهم (وسرد أنبائهم) أي وذكر أخبارهم متتابعا (وأيام الله فيهم) أي وقائعه الكائنة فيهم من الهلاك والنجاة (وصفات أعيانهم) أي أفاضلهم كذا قاله التلمساني والاظهر ان المراد بهم جماعة معينة من المؤمنين كذي القرنين والخضر ولقمان ومن الكافرين كفرعون وقارون وهامان (واختلاف آرائهم) جمع رأي بمعنى أهوائهم كعبادة قوم ابراهيم الاوثان وقوم موسى العجل وقول النصارى بالاقانيم الثلاثة من العلم والحياة وروح القدس وتعبيرهم عنها بالاب والام والابن (والمعرفة بمددهم) بضم الميم جمع مدة أي أيام مكثهم في الدنيا جملة (وأعمارهم) أي على اختلافها قلة وكثرة (وحكم حكمائهم) بكسر الحاء وفتح الكاف أي والمعرفة بما صدر من أنواع الحكمة عن أصناف حكمائهم (ومحاجة كل أمة) أي مجادلتهم ومغالبتهم (من الكفرة) أي بما يناسبهم في الدعوة كابطال الاصنام بان ليس لها منفعة ولا قدرة لها على مضرة وكمحاجته نصارى نجران في دعواهم ان عيسى ابن الله فدعاهم الى المباهلة فابوا و بذلوا له الجزية

مصالح الدنيا والدين فقد خص مما يخص به بشر قبله فيكون الثاني غير الاول فما وقع قوله ومعرفته الى آخره لان جملة الدين مبنية على جلب المصالح ودرء المفاسد خبط لا فائدة فيه كما يعلم مما قررناه (وسياسة عباده) أي القيام بضبط العامة من عباد الله فالضمير لله والسياسة لفظ عربي من ساسه يسوسه اذا دبر أمره ومن قال انه معرب من سه سا أي ثلاثة قوانين فقد أخطأ ولها معنى آخر عند الفقهاء وربما تجعل مقابلة للشرع ولا يصح ذلك هنا وفي القاموس انها مصدر سست الرعية سياسة اذا أمرتها ونهيتها (ومصالح أمته) المراد أمة الاجابة وأمة الدعوة والظاهر ان المراد غير ما تقدم كالسؤال عن أمورهم وقضاء ديونهم والاحسان الى فقرائهم وغير ذلك من لطفه بهم (و) معرفة (ما كان في الامم قبله) مما وقع لهم وجرى بينهم (من الاختلاف) أي مخالفة بعضهم لبعض وما جرى لهم من النعم والنقم التي لا يعلمها الا القليل من أهل الكتاب وعلمائهم وهو صلى الله تعالى عليه وسلم أمي نشأ في أمة أمية ولم يرتحل للبلاد النائية ولم يعاشر بقايا الامم الخالية مما بينه أحسن بيان وقرره أحسن تقرير (وقصص الانبياء والرسل) من عطف العام على الخاص والفرق بينهما مشهور وقصص بكسر القاف جمع قصة أو بفتحها مصدر قصه يقصه قصصا اذا حكاه (والجبابرة) جمع جبار وهو المتكبر قال الراغب الجبار في صفة الانسان الذي يجبر نقصه بادعاء منزلة من التعالي لا يستحقها ولا يقال الا على طريق الذم كقوله تعالى وخاب كل جبار عنيد ويقال للقاهر لغيره جبار كقوله تعالى وما أنت عليهم بجبار انتهى وقد تقدم ما فيه الكفاية (والقرون الماضية) قبله من الامم وقد تقدم معنى القرن ومقدار زمانه وأصله الزمان ثم أطلق على أهله قيل يجوز ان يراد الامم التي هلكت ولم يبق منها أحد لانه يطلق على ذلك وان يراد الزمن نفسه (من لدن آدم الى زمنه) لدن ظرف زمان مبني ومعرب في لغة قيس وهو قريب من معنى عند وبينهما فرق ذكره النحاة أي أحاط علمه بذلك وأخبر به أمته (وحفظ شرائعهم وكتبهم) ولم يقرأ ولم يكتب (ووعى سيرهم) الوعي الحفظ والجمع والسير جمع سيرة بالكسر وهي حالة الانسان غريزية أو مكتسبة يقال سيرة حسنة وسيرة قبيحة قال الله تعالى سنعيدها سيرتها الاولى أي الى حالتها الاولى أي حفظه وجمعه في ذهنه لاحوالهم وما كانوا عليه (وسرد أنبائهم) أي سوق أخبارهم للناس سوقا حسنا منتظما كسرد حلقات الدرع ونسجها (وأيام الله فيهم) أي وقائعهم التي قدرها الله لهم والايام تطلق على الوقائع والحروب كأيام العرب وهو معنى مشهور وصار حقيقة عرفية وقيل المراد نعمه ولا وجه له (وصفات أعيانهم) أي كبارهم ورؤسائهم وقيل المراد ذواتهم كما وقع في الاسراء من ذكر الانبياء عليهم الصلاة والسلام وصفات ذواتهم (واختلاف آرائهم) جمع رأي أي عقائدهم ونحوها (والمعرفة بمددهم) جمع مدة وهي مقدار من الزمن أي كم كانت مدة كل أمة ومدة ملكهم وملوكهم وأنبيائهم (وأعمارهم) جمع عمر بضم العين وفتحها وهي مدة الحياة (وحكم) جمع حكمة وهو قول الصواب المتضمن للنصيحة أي موعظة (حكمائهم) جمع حكيم وهو العالم بالحكمة الناصح لغيره المعلم للحكمة في عصره كحكماء الفرس والعرب وغيرهم (ومحاجة كل أمة من الكفرة) أي ذكر حجته و برهانه

وما

(ومعارضته كل فرقة من الكتابين) أي من أهل الكتابين وهما التوراة والانجيل (بما في كتبهم) كمارضة يهود في دعواهم ان من زنى منهم محصنا عقوبته التحميم والتجبية أي يسود وجوههما ويحملان على دابة مخالف بين وجوههما يجعل ظهر أحدهما الظهر الآخر فقال صلى الله تعالى عليه وسلم أنشدكم الله ما تجدون في التوراة على من زنى قال حبرهم اذ نشدتنا فعليه الرجم فامر صلى الله تعالى عليه وسلم بهما فرجما عند باب مسجده في بني غنم بن مالك بن النجار (واعلامهم باسرارها) أي واعلامه أهل الكتاب باسرار كتبهم (ومخبئات علومهم) أي مخفيات أخبارهم وفي نسخة علومها (وأخبارهم) أي واعلامه اياهم (بما كتموه من ذلك) كنعته صلى الله تعالى عليه وسلم في التوراة والانجيل (وغيروه) أي بذكر اضداده وبتصحيفه أو تحريفه لمبناه أو معناه

وماحاج به غيره وقيل المراد محاجته نفسه لغيره كمحاجته لنصارى نجران ومباهلته لهم والظاهر ما قدمناه (ومعارضته) أي مخالفته وردة (كل فرقة) وطائفة (من الكتابيين) أي أهل الكتاب والمراد به التوراة والانجيل لان الزبور والصحف لم تتضمن الاحكام ولم تشتهر وهو جمع كتابي بياء النسبة (بما في كتبهم) متعلق بمعارضة وجمعها الاشتمالها على ما في غيرهما ولان الجمع باعتبار المعنى كثير (واعلامهم باسرارها) أي دقائق معناها التي لم يطلعوا عليها (ومخبآت علومها وأخبارهم) بكسر الهمزة مصدر مضاف للفاعل ويجوز فتحها أي ماخفي عليهم منها (بما كتموه) أي أخفوه كصفته صلى الله تعالى عليه وسلم وقصة رجم الزاني المشهورة (من ذلك) الاعلام وما معه (وغيروه) بتحريف لفظه وتأويله بغير معناه (الى الاحتواء) أي الاشتمال والحفظ والتضمن متعلق بجمع السابق أول الفصل لتضمنه معنى ضم أو الى بمعنى مع (على لغات العرب) جميعها من غير قوده (وغريب الفاظ فرقها) جمع فرقة وهي الطائفة المتفرقة (والاحاطة بضروب فصاحتها) تركيبا وافرادا فكان صلى الله تعالى عليه وسلم يخاطب كل قوم بلغتهم كما تقدم (وأمثالها) جمع مثل وهو كلام شبه مضربه بمورده (وحكمها) أي جوامع كلمها في النصائح فان العرب معروفة بذلك وحكماء العرب وحكمهم مشهورة (ومعاني أشعارها) فانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يعرفها وان لم ينشدها موزونة ويتكلم بها (والتخصيص) أي تخصيص الله اياه بنطقه (بجوامع كلام العرب) أي الالفاظ الحسنة البليغة الجامعة للمعاني الكثيرة في ألفاظ قليلة وقد يراد به القرآن وليس بمراد ومفرده جامعة (الى المعرفة بضرب الامثال الصحيحة) الامثال المتقدمة أمثال صادرة ممن قبله وهذه أمثال ابتدعها صلى الله تعالى عليه وسلم والامثال النبوية مشهورة مدونة والى كالتي تقدمت والجار والمجرور هنا وما بعده متعلق بمقدر أو بدل مما قبله أو متعلق به بعد تقييده والى فيها بمعنى اللام لان العامل الواحد لا يتعدى بحرفين بمعنى واحد فا كثر الا على هذه الوجوه كما قرروه في قوله تعالى كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا وتقدم تفسير المثل وان ضربه من ضرب الخاتم اذا طبعه وصاغه وانها صادرة كثيرا من الانبياء عليهم الصلاة والسلام لتقرير المعاني في النفوس وايضاحها بجعل المعقول كالمحسوس كما حققه في الكشاف (والحكم البينة) أي الظاهرة في نفسها المظهرة لامور بديعة ومعان لطيفة (لتقريب التفهيم للغامض) أي المعنى الخفي الدقيق وهو في الاصل المكان المنخفض فاستعير لما ذكر وتقريبه ايضاحه والجار الاول متعلق بضرب الامثال والثاني بالتفهيم وقوله (والتبيين للمشكل) أي اظهاره ما التبس وان كان غير غامض وأصل معنى الاشكال

(الى الاحتواء) أي مع احتوائه واشتمال علومه في بنائه (على لغات العرب) أي مع كثرتها واختلاف مادتها وبنيتها وهيئتها في تأديتها من متداولاتها (وغريب ألفاظ فرقها) بكسر الفاء وفتح الراء أي غرائب معاني طوائف العرب في شواذها ونوادرها (والاحاطة بضروب فصاحتها) أي بانواع فصاحتها في مفرداتها ومركباتها حيث خاطب كل فرقة بلغاتها كما مر في مخاطبته لاقيال حضرموت في محاوراتها (والحفظ لايامها) أي وقائع العرب في الحرب في أوقاتها (وأمثالها) أي كلماتها التي يضربون المثل بها كقولهم ضيعت اللبن في الصيف ونحوها ومنه قوله عليه الصلاة والسلام حمي الوطيس أي اشتد حمي تنور الحرب (وحكمها) أي والحكميات الواردة في لسانها مع اللطافة في شان بيانها وسلطان برهانها (ومعاني أشعارها) كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد

ألا كل شئ ما خلا الله باطل ❊ وكل نعيم لا محالة زائل

وكانشاده نحو قوله

ستبدي لك الايام ما كنت جاهلا ❊ ويأتيك بالأخبار من لم تزود

وأمثالها (والتخصيص بجوامع كلمها) أي مما مبانيها يسيرة ومعانيها كثيرة وقد جمعت أربعين حديثا مما اشتمل كل على كلمتين فقط (الى المعرفة) أي منضمة الى المعرفة (بضرب الامثال الصحيحة) أي من الكلمات البديعة المشيرة الى المرادات الصريحة (والحكم البينة لتقريب التفهيم للغامض) أي الخفي بالنسبة الى الجاهل (والتبيين للمشكل) لكونه صلى الله تعالى عليه وسلم مبينا المنزل

(الى) أى مع (تمهيد قواعد الشرع) أى مما شرع لنا من طريق الأصل والفرع (الذى لا تناقض فيه) أى فيما أرسل الينا وفى نسخة فيها أى فى قواعده لدينا (ولا تخاذل) أى ولا تعارض (فيما أنزل علينا) أى لا كثيرا ولا يسيرا كما قال الله

تعالى ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا (مع اشتمال شريعته) أى المتضمنة لمكارم الافعال (على محاسن الاخلاق) أى فى طريقته (ومحامد الآداب) أى الموروثة لجامع الاحوال فى حقيقته (وكل شئ مستحسن مفصل) بالصاد أى مبين ومعين وفى نسخة بالمعجمة أى مفضل على غيره كما يشير الى هذا المرام قوله عليه الصلاة والسلام بعثت لاتمم مكارم الاخلاق (لم ينكر منه) أى من شرعه ولو هو (ملحد) أى جائر لكنه (ذو عقل سليم) أى أو طبع قويم (شيأ) أى أصلا (الا من جهة الخذلان) وهو عدم توفيق العرفان فينكره من غير البرهان بل على جهة العدوان وطريق الطغيان (بل كل جاحد له) أى منكر لما ذكر (وكافر من الجاهلية اذا سمع ما يدعو اليه صوبه) أى فيما ظهر لديه (واستحسنه دون طلب اقامة برهان عليه) أى كما سبق من كلام المغيرة وأبى جهل وأبى طالب (ثم ما أحل لهم من الطيبات) أى مما حرم على غيرهم منها كلحم كل ذى ظفر وشحم البقر (وحرم عليهم من الخبائث) كالميتة والدم ولحم الخنزير مما أحل لغيرهم كالخمر (وصان) أى وما حفظ (به أنفسهم) أى دمائهم

من

كونه غير متميز عن اشكاله وأشباهه وهو متعلق وراجع للحكم البينة (الى تمهيد) أى بسطه بتوطئته له وبيان مقدمات (قواعد الشرع) أى أساسه وقضاياه وأصوله الكلية المحمدى الذى جاء بوحى من الله (الذى لا تناقض فيه) أى لا تخالف بين قضاياه وأحكامه لاحكامه ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا (ولا تخاذل) بخاء وذال معجمتين ولام تفاعل من الخذلان وهو ترك نصرة من يستحق نصرته وهو استعارة تمثيلية لان الشرع يعضد بعضه بعضا ويؤيده واحكامه متناسبة متعاضدة كما ان القرآن يفسر بعضه بعضا ومن فسره بان قواعد الشرع مشتملة على انه لا يخذل أخاه اذا ظلم لاقتضاء قواعد الشرع استواء الرفيع والوضيع والمالك والمملوك والعالم والجاهل فى جريان أحكامه عليه من غير فرق بين صغير وكبير لم يأت بشئ يعتد به (مع اشتمال شريعته) وتضمنها واحتوائها (على محاسن الاخلاق) أى على بيانها للناس وحث الناس على التحلى بها وقد ورد فى الحديث بعثت لاتمم مكارم الاخلاق وقد تقدم معنى الخلق وان منه مكتسبا وطبيعيا وان الخلق يقبل التغيير ولذا ورد فى الشرع النهى عن الاخلاق الرديئة والامر بضدها ولولا ذلك لم يفد (ومحامد الآداب) جمع محمدة وهو ما يحمد فعله والآداب بالمد جمع أدب بفتحتين وهو معاملة الخلق بلطف ومداراتهم كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم أدبنى ربى فاحسن تأديبى وهو من اضافة الصفة للموصوف أى الآداب المحمودة وفسر الادب فى القاموس بالظرف وحسن التناول والفعل الجميل (وكل شئ مستحسن) عند أرباب الطباع السليمة وهو مجرور معطوف على محاسن الاخلاق (مفصل بزنة) اسم المفعول بالضاد المعجمة والصاد المهملة كما قاله أو مفضل على غيره أو فصله للناس تفصيلا (لم ينكر منه ملحد) أى عادل عن الحق زنديق ومعناه لغة الميل فخص بالميل عن الحق قال الراغب الالحاد ضربان الحاد الى الشرك بالله والحاد الى الشرك بالاسباب فالاول ينافى الايمان ويبطله والثانى يوهن عراه ولا يبطله انتهى (ذو عقل سليم) مستقيم مدرك ادراكا سالما عما يضعفه ويمنعه عن العدول عن الحق (شيأ) مفعول ينكر (الا من جهة الخذلان) تقدم ان الخذلان لغة عدم النصر والمراد به عدم التوفيق والتوفيق خلق قدرة الطاعة فى العبد عندنا وفسره المعتزلة بلطف الله تعالى بعبده والخذلان المقابل له عدم لطفه به كما فصل فى علم الكلام يعنى لا ينكره الا من خذله الله ولم يوفقه للعلم به ومشاهدة أحواله ثم ترقى عما ذكره فاضرب اضرابا انتقاليا أو ابطاليا لانكاره باثبات ضده فقال (بل كل جاحد) أى منكر (له) أى لما ذكر مما قدمه (وكافر) مجاهر (من الجاهلية) أى أهلها (به اذا سمع ما يدعو) صلى الله تعالى عليه وسلم الخلق (اليه) من الحق المبين (صوبه) أى اعتقد أنه صواب واعترف به لان انكاره مكابرة تأباها العقول السليمة والطباع المستقيمة (واستحسنه) أى عرف حسنه واعترف به (دون طلب اقامة برهان) وحجة (عليه) أى على ما أتى به لظهور حقيقته كنار على علم كعبد الله ابن أبى سلول وغيره مما ذكر فى كتب الحديث والسير (ثم ما أحل لهم من الطيبات) أى اشتمال شريعته على ما جعلته حلالا للناس مما حرمه غيره كبنى اسرائيل الذين حرموا كل ذى ظفر من البقر والغنم لحومها الا ما حملت ظهورهما أو الحوايا (وحرم عليهم من الخبائث) كالميتة والدم ولحم الخنزير والزنا وغير ذلك من المحرمات وعطف بثم لما بينهما من تفاوت الرتبة وقيل لان الاول تفصيل وهذا اجمال وبينهما تفاوت وبون ظاهر وفسر الشافعى الطيبات بما ليس بمستقذر والخبائث بضده والعبرة فى ذلك بالطباع السليمة (و) اشتمال شريعته على ما (صان به أنفسهم)

من الهلاك كتحريم قتل النفس بغير حق وقصاص القاتل (واعراضهم) بفتح الهمزة جمع عرض
بكسر العين وسكون الراء وهو في العرف كل ما يخل تركه بالانسان وهو المراد واختلف في معناه الحقيقي
لغة فقيل هو ما يمدح به المرء أو يذم سواء وصف به دون اسلافه أم لا وفي الحديث كل المسلم على المسلم
حرام دمه وعرضه وفي حديث أهل الجنة لا يبولون ولا يتغوطون وانما هو عرق من اعراضهم ففسر
بكل موضع يعرق من الجسد وقال الاصمعي يقال هو طيب العرض أي الريح وفسر بعضهم العرض
بالنفس فعلى هذا هو عطف تفسير (وأموالهم) فمن آمن به صلى الله تعالى عليه وسلم واتبع شرعه صان
دمه وعرضه وماله (من المعاقبات) بيان لما صان كالحد والتعزير والحبس (والحدود) كحد الزنا
والسرقة والقذف وشرب الخمر (عاجلا) أي في الدنيا وهو حال مقيد للمعاقبات والحدود (والتخويف
بالنار آجلا) في الآخرة لانه مستقبل من الاجل وهو الوقت المحدود وفي بعض النسخ بدل التخويف
التحريق تفعيل من الحرق بالنار أي نار جهنم واختلفوا فيمن حد وعوقب في الدنيا هل يسقط عنه
عذاب الآخرة أم لا فقيل يسقط مطلقا وقيل بشرط التوبة أيضا والى هذا ذهب المعتزلة وقيل لا يسقط
وانما شرع زجرا ليرتدع الناس عنه والاصح الاول لما ورد في الحديث من أصاب من ذلك شيأ فعوقب
فهو كفارة له ومن أصاب من ذلك شيأ ثم ستره الله فهو الى الله ان شاء عفى عنه وان شاء عاقبه وما ورد في
الحديث من انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لا أدري الحدود كفارة لاهلها أم لا فقيل الاول أصح وقيل
انه صلى الله تعالى عليه وسلم قاله قبل العلم به فهو منسوخ وقوله (مما لا يعلم) بالبناء للمجهول أي لا يعلمه
غيره من الناس وهو بيان لجميع ما تقدم من أول الفصل الى هنا (ولا يقوم به جملة) أي بحفظه وتيقنه
كما هو حقه وبه فسر القيوم بل (ولا بعضه) فضلا عن كله (الا من مارس الدرس) أي لازم دراسة
الكتب واجتهد فيها (والعكوف على الكتب) السالفة قال الراغب العكوف الاقبال على الشئ
وملازمته على سبيل التعظيم ومنه الاعتكاف انتهى وهذا ما يدل انه منحة الهية خصه الله تعالى بها فما
قيل انه لا حاجة اليه وهم من قائله فقوله لا حاجة اليه فاعرفه فانه في غاية الظهور (ومناقثة بعض هذا)
الظاهر انه بميم ونون وقاف ومثلثة وهو بمعنى الاستخراج كما في القاموس معطوف على الدروس والمعنى
ظاهر وما في بعض النسخ من انه بالفاء مفاعلة من النفث وهو تفل الريق من الساحر والراقي ويطلق
على لازمه وهو السحر والسحر قد شاع في الدقة وكانه المراد أي والدقيق في بعض هذه الامور وقوله
مما لا يعلم الى هنا ساقط من أكثر النسخ ولم يتعرض له الشراح (الى الاحتواء) أي مع اشتمالها
أو مضموما الى الاشتمال (على ضروب العلم) أي انواعه جمع ضرب بفتح الضاد وكسرها ويكون بمعنى
المثل أيضا (وفنون المعارف) أي أقسام المعرفة المتعلقة باحوال الدنيا وأهلها كما ان ضروب العلم المراد
بها ما يتعلق بالشرائع والآخرة فهو من عطف المتغايرين لا من غيره على انه تفنن والفرق بين العلم
والمعرفة مشهور (كالطب) أي معرفة ما يتعلق ببدن الانسان من حيث الصحة والسقم وكان صلى
الله تعالى عليه وسلم اعرف الناس به كما في طب النبوي وهو من العلوم القديمة المدونة وله معان في اللغة
وهو مثلث الطاء مشدد الباء (والعبارة) بكسر العين المهملة أي تعبير رؤيا المنام وفعله عبر بتخفيف
الباء والناس يشددونها وقد انكره بعض أهل اللغة الا انه سمع في بيت أنشده المبرد رحمه الله تعالى في
الكامل وهو قوله رأيت رؤيا ثم عبرتها * وكنت للاحلام عبارا
كما في الكشاف ووقع في بعض النسخ العبارة مضبوطا بفتح العين ولم أقف عليه (والفرائض) جمع فريضة
وهو النصيب من الميراث والفرائض صار علما للعلم بذلك وهو قسم من علم الفقه أفرد بالتأليف فصار
علما مستقلا ولذا نسب اليه فقيل فرائضي (والحساب) هو علم يتعلق بالعدد ولابتناء الفرائض عليه في

(واعراضهم) بفتح
الهمزة جمع عرض
(وأموالهم من المعاقبات
والحدود) أي المرتبة
على أسبابها كالقصاص
وحد القذف والسرقة
(عاجلا) أي في الدنيا
(والتخفيف) وفي أصل
الدلجي والتحريق (بالنار
عاجلا) أي في العقبى
(مما لا يعلم ولا يقوم به)
أي بعمل كله (ولا بعضه
الا من مارس الدرس)
أي من درس الكتب
الالهية (والعكوف على
الكتب) أي القيام
والاطلاع على كتب
العلماء الربانية (ومثافنة
بعض هذا) بالمثلثة
والفاء والنون أي متابعة
بعض ما ذكر (الى الاحتواء)
أي مع اشتمال شريعته
(على ضروب العلم
وفنون المعارف كالطب)
بكسر الطاء وتثلث
(والعبارة) بكسر العين
أي التعبير للرؤيا
(والفرائض) أي المتعلقة
بالارث (والحساب) أي
كمية الاعداد

(والنسب) بفتحتين أى معرفة الانساب (وغير ذلك من العلوم) أى أنواعها الآتى بعضها (مما اتخذ أهل هذه المعارف كلامه صلى الله تعالى عليه وسلم فيها) قال الدلجى أى فى شريعته والظاهر فى هذه المعارف (قدوة) بضم القاف وكسرها وتفتح أى مقتدى (وأصولا) أى قواعد كلية (فى علمهم) أى فى أساس علومهم (كقوله عليه الصلاة والسلام) على ما رواه ابن ماجه عن أنس (الرؤيا لاول عابر) أى معبر ذى رأى ثاقب عالم بالعبارة على وجه الاشارة اذا أصاب وكان يحسن تعبيرها فاذا اعتبر شروطها وعبرها وقعت وكان ابن سيرين يقول انى اعتبرت الحديث والمعنى انه يعبرها به كما يعبرها بالقرآن فيعبر الغراب مثلا برجل فاسق والمرأة بالضلع أخذا من تسميته صلى الله تعالى عليه وسلم له فاسقا وتسميتها ضلعا (وهى) أى الرؤيا (على رجل طائر) كما رواه أبو داود والترمذى وصححه أى قدر جار وقضاء ماض وحكم نافذ من خير أو شر أو نفع أو ضر وقال ابن قتيبة أراد انها غير مستقرة يقال للشئ اذا لم يستقر هو على رجل طائر وعلى قرن ظبي وقال ابن الاثير هو من قولهم اقتسموا دارا فطار سهم فلان ناحية كذا يعنى ان الرؤيا هى التى يعبرها المعبر الاول فكأنها سقطت ووقعت حيث عبرت كما يسقط الذى يكون على رجل الطائر بادنى حركة انتهى فقيل والحاصل ان هذا تمثيل وتصوير لجعلها على قدر قدره الله تعالى لصاحبها بشئ متعلق برجل طائر يسقط بادنى حركة فاذا عبرها أول عابر فكانها كانت على رجله فسقطت وكل حركة جرت لك من شئ فهو طائر ومنه قوله تعالى وكل انسان ألزمناه طائره فى عنقه أى حركاته فى عبادته ومعاملاته فى ذمته غير منفكة عنه

الاكثر قرنه به (والنسب) أى معرفته بانساب العرب وغيرهم وهو من علم التاريخ وكان أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه أعلم الناس به بعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (وغير ذلك من العلم) وانواعه (مما اتخذ أهل هذه المعارف) لو قال أهله كان أظهر وأشمل وأخصر (كلامه صلى الله عليه وسلم فيها) أى فى هذه العلوم والمعارف وقيل الضمير للشريعة أى فى شريعته وهو خلاف الظاهر (قدوة وأصولا) أى ادلة مثبتة لما أو قواعد وضوابط يرجعون اليها فى الحوادث الجزئية اذا وقعت لهم (فى علمهم) أى علومهم التى دونوها فى هذه الفنون (كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم) فى حديث رواه ابن ماجة عن أنس رضى الله تعالى عنه (الرؤيا) أى ما يرى فى المنام من الاحلام مصدر يختص بذلك ويقال فى غيره رؤية بالتاء ورأيا (لاول عابر) متعلق بمقدر أى مصادفة وموافقة لاول تفسير يفسر به والعابر هو الذى يبين الرؤيا ويفسرها وأول الحديث اعتبروها باسمائها وكنوها بكنوها والرؤيا لاول عابر أى فسروها بما يناسب ألفاظها كما اذا قيل سالم فاول بالسلامة وهو نوع من التعبير والتكنية ليس من الكنية المشهورة بل المراد به التمثيل كما فى النهاية وهى عند أهل السنة أمر يلقيه الله تعالى فى قلب عبده كالالهام وورد ان ملكا يلقيه وهو ملك الرؤيا وعند الحكماء ان الروح فى النوم تفارق البدن وتتصل بالملأ الاعلى فيلقى اليها ما يفيضه على ذهن النائم فمنه ما يقع بعينه ومنه ما يأول بغيره ومنها أضغاث أحلام ودعابة الشيطان لا تاويل له ومن هذا القبيل ما هو من غلبة الاخلاط كالصفراء اذا غلبت يرى النائم نارا والبلغم يرى ماء والسوداء يرى شيأ أسود وليس كل رؤيا كذلك كما يوهمه كلام الاطباء وانكار هذا القسم لا وجه له أيضا والكلام على الرؤيا وحقيقتها وأقسامها مبسوط فى محله قيل المراد بالعابر هنا العالم باحوال الرؤيا لا كل عابر وظاهر كلام أهل هذا الفن يخالفه لانه عندهم كالفال والالهام فلا يختص بمن ذكر وقد قيل ان رجلا رأى انه شرب البحر فقصه على ابن سيرين رحمه الله تعالى فقال له هل ذكرته لاحد قال نعم قال ما قال لك قال قال أراه ينشق بطنك فلم يعبرها له وقال قضى الامر (و) قوله (وهى على رجل طائر) رواه أبو داود والترمذى عن أبى ذر رضى الله عنه وصححه يؤيده بل بعينه وأول الحديث رؤيا المؤمن جزء من ستة واربعين جزأ من النبوة وهى على رجل طائر ما لم تعبر فاذا عبرت وقعت فلا يحدث بها الا حبيبا أو لبيبا ورجل بكسر الراء وسكون الجيم ولام وهو تمثيل لكونها كالفال على قدر جار من خير أو شر قدر لصاحبها فكأنها بصدد وقرب من ان تقع بادنى حركة فهو بمعنى قوله لاول عابر وفيه من لطف البلاغة وسرها ما لا يخفى فان الطائر يكون للفال ومنه التطير وليس المراد به ظاهره كما توهم وقد وقع فى بعض الكتب الرؤيا على جناح طائر اذا قص وقع ولا أدرى هل هى رواية بالمعنى تطرقا أو رواية وفيه تورية فى القص لانه يكون من قص الجناح اذا قطع ريشه ومن قصص الرؤيا أى ذكرها للعابر فوقع محتمل لمعنيين أيضا من الوقوع والسقوط وقد نظمه بعض المتأخرين فقال

رؤيا اذا قصصتها * وافت كبدر قد طلع * على جناح الطائر * فهو اذا قص وقع

وهذا الحديث روى من طرق اختلف العدد فيها فروى سبعين واربعة وعشرين وستة واربعين جزأ والاخير من رواية البخارى وجعلها جزأ من النبوة لان رؤياهم وحى صادق

(وقوله) أى كما رواه الشيخان وغيرهما اهـ ذا وقد قيل الرؤيا امثال يضربها ملك الرؤيا والله يعلم بها من يشاء روى ان امرأة أتت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقالت رأيت كان جائزة بيتى قد انكسر فقال عليه الصلاة والسلام يرد الله غائبك فرجع زوجها ثم غاب فرأت مثل ذلك فاتت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فلم تجده ووجدت أبا بكر رضى الله تعالى عنه فاخبرته فقال يموت زوجك فذكرت ذلك للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال هل قصصتها على أحد قالت نعم قال هو كما قيل لك (الرؤيا ثلاث) أى ثلاثة أنواع (رؤيا حق) بالاضافة أى ثابت موافق وصدق مطابق كرؤية الانبياء والاصفياء فانها تخرج على وجهها أو على نحو ما أول بها (ورؤيا يحدث بها الرجل نفسه) فيراها فى منامه فهى أضغاث أحلام وخيالات منام (ورؤيا تحزن) بالجر وفى نسخة بالرفع (من الشيطان) بان يرى فى منامه ما يكون سببا لحزنه كما فى حديث مسلم جاء رجل الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال رأيت فى المنام كان رأسى قطع فضحك النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقال اذا ألم الشيطان باحدكم فى منامه فلا يحدث به الناس وفى رواية اذا رأى فى منامه ما يحبه فليحمد الله واذا رأى ما يكره فليتعوذ من شرها ولا يحدث بها أحدا فانها لا تضره (وقوله) أى فيما رواه الشيخان عن أبى هريرة مرفوعا (اذا تقارب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب) وفى رواية اذا اقترب والمراد اقتراب الساعة ويؤيده حديث فى آخر الزمان لا تكاد رؤيا المؤمن تكذب وقيل المراد قصر الايام والليالى على الحقيقة وقيل تقارب الليل والنهار من الاعتدال لقول العابرين ان أصدق الازمان لوقوع العبارة وقت انفتاق الانوار والازهار ووقت ادراك الثمار حين يستوى الليل والنهار وفى بعض الاخبار أصدق الرؤيا بالاسحار رواه أحمد والترمذى وابن حبان والبيهقى عن أبى سعيد هذا وكان الانسب للمصنف ان يرتب كل ما يتعلق بعلم من العلوم المذكورة

فقيل حقيقة العدد وقدره غير مقصود والمقصود التكثير وقيل وجهه انه صلى الله تعالى عليه وسلم أوحى اليه احدى وعشرين سنة ستة منها منام والباقى وحى يقظة على أنواع بينوها وجاءت امرأة للنبي صلى الله عليه وسلم فقالت رأيت ان جذع السقف من بيتى وقع وعندى ولد أعور فقال يقدم زوجك وتلدين ولدا برا ثم رأتها بعد ذلك فقصتها على أبى بكر رضى الله تعالى عنه فقال يموت زوجك وتلدين فاجرا لانها فى زمن الرؤيا كان زوجها غائبا وهو عمود البيت فسقوطه مجيئه قال

فاسقط علينا كسقوط الندا * بالميل لاناه ولا آمر

وأول العور بالبر لغض بصره عن المحرمات وفى وقت كلامها لابى بكر رضى الله تعالى عنه كان زوجها مقيما وسقوطه موته والاعور يتشاءم به فالمنام واحد اختلف تأويله بحسب الحال وامثاله كثيرة (وقوله) صلى الله عليه وسلم (الرؤيا ثلاث) أنواع (رؤيا حق) بالاضافة والتوصيف والظاهر الثانى وهو المناسب لما بعده وعلى الاول الاضافة بيانية أى رؤيا هى حق فالمعنى واحد (ورؤيا يحدث بها المرء نفسه) المراد انها خواطر تخطر بالبال لامور مفاضة من عالم المثال والملك يشبه من يحاور غيره فى خلوة لما يورده عليها من الامانى والاوهام وهو فى معنى التجريد المذكور فى علم البديع فهو بديع وليس المراد من نفسه ذاته وهما معنيان متغايران يعنى انه رأى فى منامه ما كان فى فكره قبله وهو من أضغاث الاحلام (ورؤيا تحزين من الشيطان) بأن يلقى له ما يكره ويخاف بوسوسته وورد فى الحديث انه ينبغى للانسان ان يتحول من شقه الذى نام عليه ويستعيذ بالله تعالى من شره ويتفل عن يساره أو يصلى ركعتين ان انتبه ولا يحدث به أحدا قال السيوطى رحمه الله فى مناهل الصفا فى تخريج أحاديث الشفا هذا الحديث رواه الشيخان وغيرهما عن بضعة عشر من الصحابة الا انه قيل ان الذى فى مسلم عن ابن سيرين عن أبى هريرة اذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب وأصدقكم رؤيا أصدقكم حديثا ورؤيا المسلم جزء من خمسة وأربعين جزأ من النبوة والرؤيا ثلاث رؤيا صالحة بشرى من الله ورؤيا تحزين من الشيطان ورؤيا يحدث بها المرء نفسه فان رأى أحدكم ما يكره فليقم فليصل ولا يحدث بها الناس قال وأحب القيد وأكره الغل والقيد ثبات فى الدين فلا أدرى أهو فى الحديث أم قاله ابن سيرين انتهى ما فى مسلم وقد اختلفوا فى ما ذكر من كون الرؤيا ثلاثا الى آخره فقيل هو مدرج فى الحديث من كلام ابن سيرين وقيل هو موقوف على أبى هريرة وقيل فيه انه مرفوع ويؤيده ان ابن حنبل رفعه مسندا والحافظ السيوطى اعتمده وكذا المصنف رحمه الله تعالى فلا يرد عليه ان ابن الملقن قال فى شرح البخارى ان الصحيح انه ليس من كلامه صلى الله تعالى عليه وسلم واختلف فى قائله والصحيح انه ابن سيرين وقول ابن حجر فى فتح البارى انها ليست منحصرة فى الثلاث فان منها رابعا وهو تهويل الشيطان وخامسا وهو ما يهم به المرء فى يقظته وسادسا وهو تلاعب الشيطان وسابعا وهو ما يعتاده الانسان وبينه وبين حديث النفس عموم وخصوص ليس بشئ لانه راجع لما ذكر أو ما فى معناه وقد بسطنا الكلام على الرؤيا فى تعليقة مستقلة يضيق عنها نطاق المقام فانظرها ان شئت (وقوله) صلى الله عليه وسلم فى حديث رواه الشيخان عن أبى هريرة مسندا (اذا تقارب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب)

لتقارب تفاعل من القرب ضد البعد واختلف في المراد به هنا فقيل المراد به زمان الربيع وقرب الليل والنهار من التساوي وهو زمان تدرك فيه الثمار وتنفتح الازهار ويرق النسيم فتعدل الطباع البشرية فيه فيقوى قواها على تلقي ما يفاض عليها ولذا قال أهل التعبير أصدق زمان لوقوع الرؤيا زمان الربيع وقيل المراد به آخر الزمان اذا اقتربت الساعة كما في زمان المهدي وتقاربه وقصره اما حقيقة لما في الحديث في أيامه السنة كشهر والشهر كجمعة والجمعة كيوم واليوم كساعة وقيل انه لكثرة اشتغال الناس بالدنيا السعتها عليهم أو لغير ذلك وذهب كل الترجيح أحد الوجهين لورود ما يؤيده وقوله لم تكد الى آخره نفي للكذب بابلغ وجه برهاني لان ما لا يقرب من الوقوع أبلغ مما لا يقع فليس نفيها اثباتا ولا اثباتها نفيا كما توهم والقربة وأجيب عنه كما فصله النحاة وشهرته تغني عن ذكره وخص المؤمن لان نفسه أقوى وعقله أتم من غيره وقيل انه لبعد العهد بالوحي عوضوا المبشرات (وقوله) صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث رواه الدارقطني وضعفه فلا وجه لما قيل من انه لا صحة له (أصل كل داء) أي مرض وتغيير مزاج (البردة) بموحدة وراء ودال مهملتين مفتوحات وهي والتخمة الاكثار من الطعام حتى لا تقدر المعدة على هضمه سميت بها البرد المعدة حتى تضعف عن طبخه وتصفية أخلاطه والمراد بكونه أصلا لذلك انه منشؤه ومبدؤه في الغالب

فان الداء أكثر ما تراه * يكون من الطعام أو الشراب

(وما روى) عنه صلى الله تعالى عليه وسلم والراوي له الطبراني في الاوسط كما يأتي بيانه والمصنف لم يثبته (في حديث أبي هريرة من قوله) صلى الله عليه وسلم (المعدة) بوزن كلمة وبكسر الميم وسكون العين ودال مهملة مقر الطعام كالكرش للحيوان والحوصلة للطائر (حوض البدن) تشبيه بليغ والحوض مجمع الماء فشبهها به وشبه البدن بما يستقي منه وقيل شبهها بعروق الشجر والبدن بفروعها وهو مكدر لما في الحوض من الصفاء والتشبيه ثم رشح ذلك بقوله (والعروق اليها واردة) جمع عرق وهو مجرى الدم والورود الاتيان للماء مفرد أو جمع وارد فشبه ايصال خلاصة الغذاء الى الاعضاء بالاخذ من الحوض المورود والعروق تنقسم الى شريانات واردة كما ذكره أهل التشريح (فان كان هذا حديثا) خبر كان وقوله (لا نصححه) أي لا نحكم بصحته خبر ما الموصولة قبل وروي حديث بالرفع بدلا من هذا والنصب أولى (لضعفه وكونه موضوعا) بالجر ترق من ضعفه ويجوز رفعه على انه مبتدأ خبره (تكلم عليه) الامام أبو الحسن (الدارقطني) نسبة لدار القطن محلة ببغداد ولا يرد على المصنف رحمه الله تعالى انه كيف ذكر الموضوع وهو كذب عليه صلى الله تعالى عليه وسلم وهو ممتنع لان ذلك في ذكره مع بيانه وقد اختلف فيه فقيل انه مرفوع قال الطبراني في الاوسط عن الزهري عن أبي هريرة مرفوعا المعدة حوض البدن والعروق اليها واردة فاذا صحت المعدة صدرت العروق بالصحة واذا فسدت المعدة صدرت العروق بالسقم ولم يروه عن الزهري الا زيد بن أبي أنيسة تفرد به الرهاوي وقوله تكلم الى آخره أي بحث في سنده وكونه مرفوعا وقال في كتاب العلل اختلف فيه عن الزهري فرواه أبو قرة الراوي عنه وقال عن عائشة ولم يقل عن أبي هريرة وكلا الروايتين عن أبي هريرة لم يصح ولا يعرف من كلام النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وانما هو من كلام عبد الملك بن سعيد بن أبجر وقيل انه من كلام الحارث بن كلدة وعن ابن منبه ما يقرب منه وذكر ابن أبي الدنيا انه أجمعت الاطباء على ان رأس الطب الحمية والحكماء على ان رأس الحكمة الصمت وعن عائشة رضي الله تعالى عنها انها قالت الازمة داء والمعدة دواء وعودوا كل بدن ما اعتاده (وقوله) صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث رواه الترمذي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما (خير ما تداويتم به السعوط) بفتح السين وضم العين وواو وطاء مهملات وكذا كل ما يداوى به فانه على فعول بالفتح وهو ما يجعل في الانف ويستنشق به لفتح السدد

على وفق ما قدمه من المعارف المسطورة لكنه رحمه الله شوش النشر وقدم الرؤيا على الطب ثم قال (وقوله) كما رواه الدارقطني في العلل عن أنس وضعفه وابن السني وأبو نعيم في الطب عن علي وعن أبي سعيد وعن الزهري مرسلا (أصل كل داء البردة) بفتحتين وقد تسكن الراء أي التخمة وثقل الطعام على المعدة وسميت بردة لانها تبرد المعدة فلا يستمرئ الطعام في العادة وعلاجه أولا بالقيء وثانيا بالاسهال (وما روى عنه) أي عن النبي عليه الصلاة والسلام (في حديث أبي هريرة) كما رواه الطبراني في الاوسط (من قوله المعدة) بفتح فكسر وقيل بكسر فسكون (حوض البدن) لجمعها الطعام كجمع الحوض الماء (والعروق اليها واردة) أي تتصاعد اليها بمنافع الطعام نفعا لابد ان الانام (وان) وصلية (كان هذا) أي الحديث (حديثا) وفي نسخة وان كان هذا الحديث (لا يصححه) أي لا نحكم بصحته بل ولا بثبوته (لضعفه) أي لضعف سنده عند بعضهم (وكونه موضوعا) أي عند غيرهم (تكلم عليه الدارقطني) أي مضعفا له والله سبحانه وتعالى أعلم (وقوله) كما رواه الترمذي عن ابن عباس (خير ما تداويتم به السعوط) بفتح فضم ما يجعل في الانف من الدواء

الدماغية

(واللدود) مايسقاه المريض في أحد شقي فمه (والحجامة) بكسر أوله (والمشي) بفتح فكسر فشدة المسهل ويقال بفتح ميم فسكون شين فتخفيف وسمي به لحمله صاحبه على كثرة المشي الى الخلاء (وخير الحجامة) أي وقوله عليه الصلاة والسلام كما رواه الحاكم

عن ابن عباس وصححه خير الحجامة (يوم سبع عشرة) أي من كل شهر (وتسع عشرة) بسكون الشين وتكسر (واحدى وعشرين) زاد أبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا كان شفاء من كل داء هذا والتأنيث باعتبار مضاف مقدر أي يوم ليلة سبع عشرة مراعاة للاسبق منهما فان ليلة الشهر منه وقيل سبق الليل في الوجود أيضا وفي قوله تعالى نسلخ منه النهار ايماء الى ذلك وانه أصل هنالك وأبعد الدلجي في قوله بحذفه المميز كما في حديث من صام رمضان فاتبعه ستا من شوال فكأنما صام الدهر كله فان لفظ اليوم مميز مستغنى عن مميز آخر وأما قوله تعالى ذرعها سبعون ذراعا فلمجرد التأكيد (وفي العود) أي وفي قوله كما رواه البخاري عن أم قيس في العود (الهندي) قيل هو القسط البحري وقيل عود التبخر قاله ابن الاثير (سبعة أشفية) قيل المراد بها الكثير (منها ذات الجنب) كما في حديث وخص بالذكر لانه أصعب داء قلما يحصل فيه شفاء (وقوله) أي كما رواه أحمد والترمذي وابن ماجه والحاكم عن المقدام بن معدي كرب (ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه الى قوله فان كان لابد) أي بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه فان كان لامحالة (فثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس) والنفس بفتحتين بمعنى التنفس وفي أصول المذكور لطعامه وشرابه ولنفسه بالاضافة

الدماغية ومنع النزلات (واللدود) بفتح اللام وضم الدال المهملة وواو ودال مهملة وهو ما يجعل في أحد شقي الفم ويتغرغر به لدفع ورم به يعتري الصبيان غالبا وهما في الاصل اسمان لمرضين في الرأس وأعلى الحلق ويسمى الثاني نزلة الحلق وهو ورم فيه معروف وكان النساء يعالجنه برفعه بالاصبع فنهاهم صلى الله تعالى عليه وسلم عنه وأمرهم بما ذكر وهو العود الهندي يحك في الماء ثم يفعل به ذلك فيحلله بحرارته وهو مأخوذ من اللديد وهو جانب الوادي كما قاله الاصمعي وهذا من معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم فانه مرض خفي لا يعرفه أكثر الاطباء قديما فضلا عن زماننا وفي الهدي النبوي لابن القيم من هذا النوع ما فيه شفاء للصدور (والحجامة) وهي مص الدم بآلة معروفة في الرأس وبين الكتفين وهي في مؤخر الدماغ تورث النسيان وهي دواء للشقيقة في الرأس مع انه مرض مزمن وورد فيها أحاديث منها أنه صلى الله تعالى عليه وسلم ما مر ليلة الاسراء بملأ من الملائكة الا قالوا له مر أمتك بالحجامة (والمشي) بفتح الميم وكسر الشين المعجمة وتشديد المثناة التحتية وهو المسهل يقال شربت مشيا ومشوا وسمي به لان صاحبه يكثر المشي للخلاء وفي الحديث لو كان شيء فيه شفاء من الموت لكان في السنا ولبعض الشراح هنا كلام مختل تركه خير منه (وخير الحجامة) أي أنفعها بعد نصف الشهر (يوم سبع عشرة وتسع عشرة واحدى وعشرين) في الوتر دون الشفع وهذا الحديث رواه الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما وصححه وأبو داود عن أبي هريرة مرفوعا وشينه مفتوحة وساكنة وغلب فيه المؤنث على المذكر أو ذكر لحذف المميز ونهى عن الحجامة في يوم الاربعاء والسبت والاحد وروي عن ابن حنبل انه كره الحجامة في هذه الايام وانما كانت الحجامة في النصف الاخير والربع الثالث من الشهر أنفع لان الاخلاط تهيج في أوله وتسكن بعده لهبوط القمر فلا ستفراغ فيه أقل فلا يضعف ويقولون انه ينبغي أن يكون في الساعة الثانية أو الثالثة ولا يكون عقب حمام ولا جوع ولا شبع ولا في الصوم (وفي العود الهندي سبعة أشفية ٢) والمراد بالعود الهندي العود المعروف وقيل القسط الابيض وهو مبين في باب المفردات من الطب والاشفية جمع شفاء على خلاف القياس والقسط بضم القاف ويقال كسط بالكاف والسبعة انه ينفع من ذات الجنب وحصر البول وضعف شهوة الطعام والجماع والسم ويدر الطمث وينفع أمراض الكبد والربع والسبعة علمت بالوحي وما عداها بالتجربة (وقوله) صلى الله تعالى عليه وسلم كما تقدم الكلام فيه (ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطن) شبه البطن بالوعاء الذي فيه الطعام وفي بعض النسخ من بطنه والشرية في البطن محققة لانه يضر ويورث الكسل المانع من العبادة وفي المفضل عليه تقديرية (فان كان لابد) أي ان لزم وأصل معنى البد المفارقة يقال لابد من كذا ولا محالة أي لا مفارقة ولا تحول فاريد به لازمه (فثلث) من البطن (للطعام وثلث للشراب وثلث) يكون خاليا (للنفس) أي لدخوله وخروجه وهذا ايماء الى انه لا ينبغي ملؤه بتمامه وأن يكون ما فيه أقل من ملء ثلثيه وهذا بعض حديث رواه ابن ماجه والترمذي وابن خزيمة مرفوعا وحسنوه وهو ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطن حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فان كان لامحالة فثلث الى آخره وجعله من طبه لانه بين مبدأ الصحة والمرض ومقدار ما يكفي البدن وربما يتوهم بعضهم انه يضعفه وقد قال بعض أهل الكتاب ليس في كتابكم

٢ قوله منها ذات الجنب موجود بأصل الهامش فقط فليحرر اهـ

(وقوله) أى فى علم النسب كما رواه أحمد والترمذى (وقد سئل عن سبا) بكسر الهمزة وبفتحها وبابدالها ألفا كما قرئ بها فى قوله تعالى لقد كان لسبأ فى مسكنهم آية (أرجل هو أم امرأة أم أرض فقال رجل) أى هو أبو قبيلة سميت به مدينة بلقيس باليمن ومن ثم قيل اسم مدينة (ولد عشرة) أى ولده عشرة أولاد وهو بمكة (تيامن منهم ستة) أى أخذوا نحو اليمن فتولدوا ونزلوا فيه وأكثر قبائله منهم وهم كندة والاشعرون والازد ومذحج وانمار وحمير الذين منهم خثعم وبجيلة وفى الحديث الايمان يمان والحكمة يمانية لان الايمان بدأ من مكة لانها من تهامة وتهامة من اليمن (وتشأم أربعة) أى أخذوا نحو الشام وهو من العريش الى الفرات وهم عاملة ولخم وجذام وغسان (الحديث بطوله) أى مما يدل على طول باعه فى هذا الفن (وكذلك جوابه فى نسب قضاعة) بضم القاف (وغير ذلك) أى من سائر النسب (مما اضطربت العرب) بصيغة الفاعل أو المفعول ورجحه التلمسانى أى اضطربت واختلفت والتجأت أو التجئت (على شغلها بالنسب) أى مع كمال اشتغالهم بعلم النسب (الى سؤاله) أى سؤالهم اياه (عما اختلفوا فيه من ذلك) ومن ذلك ما رواه أحمد وأبو يعلى والبزار والطبرانى عن عمرو بن مرة الجهنى قال صلى الله تعالى عليه وسلم من كان هنا من معد فليقم فقمت فقال أقعد فقلت ممن نحن قال أنتم من قضاعة بن مالك بن حمير (وقوله) أى كما رواه البزار وقال العسقلانى انه منكر (حمير) بكسر فسكون ففتح ممنوعا قبيلة معروفة من اليمن (رأس العرب) أى أساسها وأصلها (ونابها) أى عمدة أهل كلامها الشرفهم فانهم ولد معد بن عدنان من ولد اسمعيل بن خليل الرحمن

الطب فقال له بعضهم قوله تعالى كلوا واشربوا ولا تسرفوا فقال انها جمعت طب جالينوس ثم ذكر ما يتعلق بعلمه صلى الله تعالى عليه وسلم بالانساب ولم يراع فى اللف والنشر ترتيبا فانه ليس بلازم وقد يستحسن تركه اعتمادا على فهم السامع فقال (وقوله) عليه الصلاة والسلام فى حديث رواه الترمذى عن فروة وأحمد عن ابن عباس مسندا (وقد سئل عن سبأ) بهمزة فى آخره يجوز ابدالها ألفا وعلى همزه يصرف ولا يصرف فيجوز تنوينه وعدمه وهذا مما اختلفوا فيه وفى مسماه (أهو رجل أم امرأة أم) هو اسم (أرض) كان يسكنها او ينزل بها (فقال) هو اسم (رجل) سمى باسمه أرض وهى مدينة بلقيس باليمن فلا خلاف بين القولين فصرفه ظاهر ومنعه لانه أريد به قبيلته فان أريد به الارض فباعتبار البقعة (ولد عشرة) من الاولاد الذكور ولذا قال عشرة (تيامن منهم ستة) أى سكن اليمن فتوالد منه أكثرهم ونسبوا اليه وهم مذحج وحمير وكندة والازد والاشعريون كما ذكره علماء النسب وأهل التاريخ واليمن اقليم معروف منه تهامة ومنها المدينة (وتشأم أربعة) أى سكنوا الشام بالهمزة وقد تمد وتبدل ألفا وهو من الفرات الى العريش وهم لخم وجذام وعاملة وغسان كما قاله الواحدى فى تفسيره وتحت هؤلاء قبائل وبطون وافخاذ ليس هذا محل تفصيلها (الحديث بطوله) بالنصب أى أذكر هذا الحديث وفيه اشارة الى انه اقتصر على بعض منه يكفى فيما أراده وترك الباقى لطوله والغنى عنه واختلف فى وجه تسمية الشأم شاما فقيل لانها فى جانب اليسار ويقال له شامى كسرى وقيل سميت باسم سام بن نوح وعربت بالاعجام وقيل انه بمعنى الشأمة لشامات حمر وسود فيها (وكذلك) أى مثل ما تقدم من علمه صلى الله تعالى عليه وسلم بالانساب (جوابه) صلى الله تعالى عليه وسلم لمن سأله وهو عمرو بن مرة (فى نسب قضاعة) فى حديث رواه أحمد وأبو يعلى والطبرانى عن عمرو بن مرة الجهنى أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال من كان هنا من معد فليقم فقمت فقال أقعد فقلت ممن نحن قال أنتم من قضاعة بن مالك بن حمير وقضاعة بضم القاف وضاد معجمة وعين مهملة أبو حى من اليمن لقب به لانفصاله عن الناس لان القضاعة ما ينفصل عن أصل الحائط وقيل من قضع بمعنى قهر لقهره بشجاعته من عاداه وقيل القضاعة من أسماء الفهد أو كلب الماء (وغير ذلك) المذكور (مما اضطرت) بالبناء للمفعول وهو لغة القرآن الفصحى أو الفاعل افتعال من الضرورة والاحتياج قال الله تعالى *أمن يجيب المضطر اذا دعاه (العرب على) أى مع (شغلها) بضم الشين المعجمة ويجوز فتحها والاول هنا أولى أى اشتغالها وتقيدها (بالنسب) أى بمعرفته وحفظه لاعتنائهم بضبط أنسابهم ومع ذلك اضطروا فالتجأوا (الى سؤاله) صلى الله تعالى عليه وسلم (عما اختلفوا فيه) لخفائه عليهم (من ذلك) أى معرفة ذلك أى مشكل أنسابهم ومعرفة ما أشكل عليهم مما جل أمرهم ضبطه وهو صلى الله تعالى عليه وسلم لا يعتنى به ولا يشتغل بحفظه وذلك يدل على قوة معرفته بالانساب وفى نسخة مصححة ومن ذلك بالواو فهو خبر مقدم (و) قوله (قوله) مبتدأ وه أى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه البزار (حمير) وهم قوم من العرب بوزن درهم بن سنان بن يشخب (رأس العرب) أى منزلتهم من الشرف فى العرب بمنزلة الرأس من الجسد (ونابها) وهو سن كبير خلف الرباعية أى هم عمدتهم ومن أشدهم وهم

من ولد معد بن عدنان ومن ذرية اسمعيل (ومذحج) بفتح الميم وسكون الذال المعجمة وكسر الحاء المهملة وجيم وهما حيان من العرب مالك وطى سميا باسم أكمة ولدتهما أمهما عندها وميمه زائدة فوزنه مفعل وقال الجوهرى أصلية فوزنه فعلل ووهم فيه عما فصل فى كتاب سيبويه وشروحه وليس هذا محله (هامتها) أى رأسها (وغلصمتها) بفتح الغين المعجمة وسكون اللام وفتح الصاد المهملة وميم وهاء وهى لحمة بين الرأس والعنق أو رأس الحلقوم وفيه اشارة الى اشتراكهما فى الشرف وتخصيص كل بفضيلة مع التفنن فى التعبير فان الرأس والهامة متقاربان والناب والغلصمة يحتاج لكل منهما فى اساغة الطعام الذى هو مادة الحياة وقيل انه تفضيل لمذحج لان الحاجة للغلصمة أشد ولك ان تقول انه اشارة الى ان فى حمير مع الشرف شدة وقهر وفى مذحج لين ونفع وعلى كل حال فما وصفوا به دال على المدح والشرف على طريق التشبيه البليغ أو المجاز المرسل بتسمية الكل باسم الجزء وقول أبى بكر رضى الله تعالى عنه فى حديثه المشهور أمن هامها أم من لهازمها أى أشرافها أو أوساطها يدل على تفضيل حمير (والازد) بهمزة مفتوحة وزاى معجمة ساكنة ودال مهملة وهو الازد بن الغوث وهو بالسين أفصح كما فى القاموس أبو حى باليمن منه الانصار ويقال للازد شنوءة وعمان وسراة وازد بن الفتح محدث (كاهلها) بوزن فاعل وهو مايلى العنق من أعلى الظهر كما قاله الخليل وعليه الكل والحمل وقيل مابين كتفيه أو موضع العنق فى الصلب (وجمجمتها) بضم الجيمين وميمين الاولى ساكنة والثانية مفتوحة وهى عظام الرأس وتطلق على الرأس نفسها وجماجم العرب بطون منها والجمجمة أيضا اسم قدح ونقل معروف وفيه اشارة الى ان غيرهم وان كان أشرف كالمهاجرين والخلفاء فهم لهم الفضل بمعاونتهم وحمل كدهم لان الانصار منهم (وهمدان) بسكون الميم ودال مهملة قبيلة باليمن وبفتح الميم اسم بلدة (غاربها) هو من البعير كالكاهل من الانسان والكتف (وذروتها) بكسر الذال المعجمة وضمها وسكون الراء المهملة أى أعلاها وسنامها ففيه من المعرفة بانساب العرب ومنازلها فى الشرف والاحاطة باحوالها مالا يهتدى له سواه صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل أراد بالذروة أعلى السنام وان مخائل الضعف والنكارة لائحة على هذا الحديث لتكرر ذكر الرأس بالفاظ مختلفة ولذا جزم ابن حجر بانه منكر قلت أما انكاره من جهة الرواية فسلم وأما من جهة تكراره المذكور فتفنن بديع ونوع من الفصاحة فلا وجه للاستدلال به وهو عليه (وقوله) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه الشيخان عن أبى بكرة فى خطبة حجة الوداع ولفظ قوله فى جميع ماوقع هنا بالجر رواية عن المصنف وان جاز رفع بعضها (ان الزمان قد استدار) أى عاد لما كان عليه كالدائرة التى ترجع انتهاؤها الى ابتدائها (كهيئته يوم خلق الله السموات والارض) وتتمة الحديث السنة اثنى عشر شهرا منها أربعة حرم ثلاث متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب منفرد بين جمادى وشعبان انتهى وقيده بذلك دفعا للنسئ وتغيير الشهور الذى كانت الجاهلية تفعله فانهم كانوا أهل حروب وغارات فربما أتاهم بعض الاشهر الحرم وهم يحاربون فيشق عليهم الترك فيجعلونه وينقلونه من شهر الى آخر ويستمر نقله من شهر لآخر سنة بعد سنة حتى يعود لموضعه الاول فينتقل بذلك شهر الحج وكانوا يحجون فى كل شهر عامين فوافق حجة أبى بكر العام الثانى من حجة ذى القعدة فلما حج صلى الله تعالى عليه وسلم حجة الوداع وافق حجة شهر ذى الحجة المشروع فوقف كما هو الآن فخطب وأعلمهم ان حجه فى هذا الشهر ليس اتفاقيا موافقته لدور الشهور فى الجاهلية وانما هو أمر شرعه الله وقدره فى الازل وأمر به نسخا لما كانوا يفعلونه وأمرهم صلى الله تعالى عليه وسلم بالمحافظة عليه وان لا يبدل ويدور دور الجاهلية الاولى فقوله استدار بمعنى رجع لما فى علم الله وقضائه قديما وهو معنى قوله يوم خلق الله الخ فنسى النسىء

(ومذحج) بالذال المعجمة والحاء المهملة والجيم كمجلس على ما فى القاموس وقيل بفتح وهو قبيلة فعبارة الدلجى بالدال المهملة (هامتها) بتخفيف الميم وهو وسط الرأس أى أشرفها أو رأسها (وغلصمتها) بفتح الغين المعجمة ثم لام ساكنة رأس الحلقوم وهو الموضع الناتئ فى الحلق وهو اشارة الى تمكنهم فى الشرف وعلوهم واصالتهم وعظمهم (والازد) بالزاى الساكنة قبيلة من اليمن (كاهلها) بكسر الهاء مقدم الظهر مابين كتفيه وهو محل الحمل أى عمدتها (وجمجمتها) بجيمين مضمومتين عظم الرأس المشتمل على الدماغ أى سادتها وقيل جماجم العرب هى القبائل التى تجمع البطون فكاهل مضر تميم (وهمدان) بفتح فسكون فدال مهملة قبيلة معروفة (غاربها) بكسر الراء ما بين السنام والعنق (وذروتها) بكسر الذال وضمها وبفتح وسكون الراء أى أعلاها والحاصل انه صلى الله تعالى عليه وسلم بين مالهذه القبائل من الفضائل وهذا من علم الانساب (وقوله) أى فى علم الحساب كما رواه الشيخان عن أبى بكرة (ان الزمان قد استدار)

أى رجعت أشهره الى ما كانت من حرمة وغيرها وبطل نسىء الجاهلية من تأخيرهم حرمة شهر الى آخر وكانت حجة الوداع التى ذكر فى خطبتها هذا الحديث فى السنة التى استدار فيها (كهيئته) أى ترتيبه وصفته (يوم خلق الله السموات والارض

ونسخ وكانوا اذا أرادوا ذلك يقوم رجل من بني كنانة لانهم أهل غارات على جمل بالموسم وينادي بأعلى صوته ان آلهتكم قد أحلت لكم المحرم فأحلوها واستدارته بموافقة حجه للمشروع ولذا لم يحج صلى الله تعالى عليه وسلم قبله وأرسل أبا بكر رضي الله تعالى عنه بالعهد ليظهر الحرم قبل حجه ونقل ابن حجر ان حجة الوداع كانت والشمس في الحمل وقد تساوى الليل والنهار واعتدل بشرف شمس النبوة وقال الصدر القونوي في شرح الاربعين حديثا له ان في هذا الحديث أسرارا الهية لايطلع عليها الابعض الكمل ثم قال ان النوع الانساني أوجد بالامر الالهي في أول دور السنبلة ومدته سبعة آلاف سنة بعث نبينا صلى الله عليه وسلم في الالف الاخير منها الجامع بين أحكام السنبلة والميزان المختص بالآخرة والبروج تتمازج بالقرب فامتزج في زمان بعثته الدنيا بالآخرة البرزخية كالصبح بالنسبة للنهار فظهور النور تدريجا حتى تطلع الشمس وكذلك ظهور أحكام الآخرة من حين المبعث الى طلوع الشمس من مغربها ومنه ظهر سر ختمية النبوة والولاية انتهى ملخصا ومن لم يفهم الحديث ذكر ما لامساس له به ولا ينبغي ذكره وذكر هذا الحديث هنا اثباتا لعلمه عليه الصلاة والسلام بالحساب فان الزمان وحركاته الدورية مبنية عليه (وقوله) صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث رواه الشيخان عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما (في الحوض) أي في شأن حوضه الذي يكون يوم القيامة يشرب منه العطاش وقد تقدم الكلام فيه رزقنا الله وروده وسقانا منه شربة لانظمأ بعدها (زواياه سواء) جمع زاوية وهو ما يحصل من تلاقي خطين من داخله وسواء بمعنى متساوية وهذا يقتضي انه مربع متساوي الاضلاع مستقيمها فانه لاتتساوى زواياه الا اذا استقامت اضلاعه وهذا أمر مبني على المساحة ودقائق الهندسة وذكر ابن أبي الاصبع انه نوع من البديع غريب سماه الاستقصاء وان منه قوله تعالى الى ظل ذي ثلاث شعب فقال انه ايماء الى انه ليس بظل لان المثلث لاظل له وهذا كله كلام يحتاج للتحرير لكن لكل مقام مقال وهذا لاينافي ماورد فيه من ان مسافته مابين ايلة وصنعاء ومسافة شهر وغير ذلك كما لا لانه أعلم باحواله شيأ بعد شئ كما قيل بل لان المراد من كل زيادة سعته فهو كما في المثل كالاجانبي مرسى اليه طريق (وقوله) صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث رواه أبو داود وابن ماجه عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما (في حديث الذكر) وهو انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال خصلتان لايحصيهما رجل مسلم الادخل الجنة وهما يسير ومن يعمل بهما قليل يسبح الله عز وجل دبر كل صلاة عشرا ويحمده عشرا ويكبر عشرا قال فرأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يعقدها بيده فذلك خمسون فهي مائة باللسان وألف وخمسمائة في الميزان فاذا أوى الى فراشه سبح وحمد وكبر مائة فتلك مائة باللسان وألف في الميزان فأيكم يعمل في اليوم ألفين وخمسمائة سيئة الى آخر الحديث (وان الحسنة بعشر أمثالها فتلك مائة وخمسون على اللسان) أي اذا جرت على اللسان وذكرت في دبر كل صلاة من الصلوات الخمس فانها ثلاثون مضروبة في خمسمائة (وألف وخمسمائة في الميزان) التي توزن به الاعمال والوزن اما لصحفها أو لها نفسها بجعل الاعراض اجساما وعند المعتزلة انه تمثيل لمضاعفة أجرها فان الحسنة بعشر أمثالها كما ورد به النص وهو أقل مراتبها وقد يزيد على ذلك وهذا استدلال من المصنف رحمه الله تعالى على معرفته صلى الله تعالى عليه وسلم بالحساب وهو بالنسبة لمقامه وحدة ذهنه أمر سهل وقوله يعقدها اشارة الى انه لم يكن له صلى الله تعالى عليه وسلم مسبحة يسبح بها ولذا قال بعضهم انها بدعة وقال السيوطي في رسالة سماها المنحة في السبحة انها سنة وان لم يباشرها بنفسه لانه صلى الله تعالى عليه وسلم رأى عند بعض الصحابيات نوى تعد به الذكر فاقرها عليه (وقوله) صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث رواه

وقوله) أي في معرفة المساحة كما رواه الشيخان عن ابن عمرو (في الحوض) أي الكوثر (زواياه سواء) أي مربع تربيعا مستويا لايزيد طوله على عرضه (وقوله) أي في معرفة جمع العدد كما رواه أبو داود (في حديث الذكر) أي الاذكار حيث قال تسبيح عشرا وتحميد عشرا وتكبير عشرا وتلك ثلاثون (وان الحسنة بعشر أمثالها فتلك) أي الكلمات المذكورة دبر الصلوات المزبورة مجموعها (مائة وخمسون على اللسان وألف وخمسمائة في الميزان وقوله) أي فيما رواه الطبراني بسند ضعيف عن أبي رافع

(وهو بموضع) أى فى موضع ليس به حمام وفى أصل التلمسانى ومر بدل وهو وعلى كل فالجملة حال (نعم موضع الحمام هذا) وهذا من علم الهندسة ومعرفة المساحة فكان أولى بعد ذكر الحوض لما بينهما من المناسبة (وقوله) كما رواه الترمذى عن أبى هريرة وصححه (ما بين المشرق والمغرب قبلة) أى لاهل المدينة ونحوهم ممن هو فى جنوبه أو شماله قال التلمسانى هذا فى طيبة ولكل مدينة بين مشرقها ومغربها الان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم جعل جميع ما يقع بين المشرق والمغرب قبلة ومساحة الكعبة لاتفى بما بينهما وانما تفى جهتها فهو حجة العامة فى عدم اشتراط اصابة عين الكعبة للنائى عنها وهذا من جملة علوم الهندسة المتعلقة بمعرفة القبلة وظاهره ان القبلة هى الجهة لاعين الكعبة والافلا وجه للخصوصية فهو حجة للحنفية على الشافعية (وقوله)

الطبرانى عن أبى رافع بسند قالوا ان فيه ضعفا (وهو فى موضع) جملة حالية وفى نسخة ومر بموضع (نعم موضع الحمام هذا) بفتح الحاء المهملة وتشديد الميم بيت يعد للغسل يذكر ويؤنث ولم يكن فى عصره صلى الله تعالى عليه وسلم بالمدينة حمام ولم يدخله وهذا تمثيل لما لم يذكره فان فيه الاخبار بحال البناء ومهاب الهوى ونعم للمدح والمخصوص به هذا وقيل موضع الحمام كقوله تعالى *نعم دار المتقين (وقوله) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه الترمذى عن أبى هريرة وصححه (ما بين المشرق والمغرب قبلة) القبلة تطلق على المسجد كما فى قوله تعالى واجعلوا بيوتكم قبلة فى احد التفاسير وعلى الكعبة وعلى جهتها وسمتها وهو المراد هنا لانه المراد عند الاطلاق وهو اما بيان لقبلة أهل المدينة لانهم المخاطبون أو على من هى فى جنوبه أو شماله والتبست عليه وقال ابن عمر اذا جعلت المغرب عن يمينك والمشرق عن يسارك فما بينهما قبلة واما كون الواجب استقبال عين الكعبة أو جهتها فبحث طويل مفصل فى التفسير وكتب الفقه لا يسعه هذا المقام والشاهد فى الحديث انه يدل على علمه صلى الله تعالى عليه وسلم بعلم الميقات فان معرفة سمت القبلة باب منه تضمنه هذا الحديث (وقوله) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث ذكره ابن الاثير فى النهاية ولم يخرجه السيوطى لانه لم يقف عليه (لعيينة) بن حصن الفزارى ويكنى أبا مالك وأسلم يوم الفتح وكان من المؤلفة وكان من جفاة الاعراب وهو الذى قال فيه صلى الله تعالى عليه وسلم انه الاحمق المطاع لانه كان سيد قومه وعيينة علم منقول من تصغير العين (أو لاقرع بن حابس) بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع التميمى واسمه فراس ولقب بالاقرع لقرع فى رأسه وهو من المؤلفة أيضا وكان شجاعا فارسا شريفا فى قومه فى الجاهلية والاسلام أسلم وقدم على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى وفد بنى تميم وهو الذى نزل فيه ان الذين ينادونك من وراء الحجرات وقصته مذكورة فى السير والشك فى المقول له من الراوى وقال ابن الاثير انه صلى الله تعالى عليه وسلم عرض عليه الخيل وعنده عيينة فقال انا أعلم بالخيل منك فقال صلى الله تعالى عليه وسلم (انا افرس بالخيل منك) أى أبصر وأعرف ومصدره الفراسة بفتح الفاء والفراسة بالكسر من التفرس وهو معنى آخر وهو رد عليه باسلوب حكيم ولم يقل له لست كذلك لما يعلمه من انه اعرابى جافى (وقوله) صلى الله عليه وسلم فى حديث رواه الترمذى عن زيد بن ثابت (الكاتبه) وكان له كتبة عديدة كما مر والمقول له منهم قيل انه معاوية رضى الله تعالى عنه وقد عد البرهان فى حاشيته هنا كتاب النبى صلى الله عليه وسلم فبلغ عددهم ثلاثة وار بعين وعدهم شيخه الحافظ العراقى وقال ان شيخه الجمال الانصارى أفردهم بتأليف قلت وقد وقفت انا أيضا على تأليف لابن أبى الحديد فيهم وكأنه لم يقف عليه ولم يفصلهم هنا لان له مقاما آخر وكان المداوم

أى فى معرفة الفرس (لعيينة) بالتصغير وهو ابن حصين الفزارى من المؤلفة قلوبهم شهد حنينا والطائف قال الذهبى وكان أحمق مطاعا دخل على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وأساء الادب فصبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على جفوته واعرابيته وقد ارتد ثم أسر فمن عليه الصديق ثم لم يزل مظهر الاسلام وكان يتبعه عشرة آلاف قفاه انتهى وقال غيره أسلم يوم الفتح وقيل قبله وقال الواقدى انه عمى فى خلافة عثمان (أو للاقرع) أى ابن حابس التيمى وفد بعد الفتح وشهد مع خالد بن الوليد حرب أهل العراق وكان على مقدمته واستعمله عبد الله بن عامر على جيش سيره الى خراسان فاصيب هو والجيش بجوزجان وكان من المؤلفة (انا أفرس) ماخوذ من الفراسة أى انا أعرف (بالخيل منك) وفى نهاية غريب الحديث انه صلى الله تعالى عليه وسلم عرض الخيل وعنده عيينة فقال له انا أعلم بالخيل منك فقال له وانا أفرس منك (وقوله) أى كما رواه الترمذى عن زيد بن ثابت (الكاتبه) أى لاحد من كتابه أو لكاتبه الاخص به وهو زيد وقيل معاوية وفى أبى داود عن ابن عباس قال السجل كان كاتبا للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقد سبق فى كلام الحلبى ان كتابه بلغوا ثلاثا وأربعين الاان ابن أبى سرح ارتد ثم رجع ومات ساجد الله واما ابن خطل فقتل يوم الفتح وهو متعلق باستار الكعبة لقوله عليه الصلاة والسلام من قتل ابن خطل فهو فى الجنة واختلف فى قاتله

(ضع القلم) أى اذا فرغت (على اذنك) أى فوقها (فانه) أى وضعه هذا (اذكر) أى أكثر تذكرا قال الحلبى لانه يقتضى التؤده وعدم العجلة (للمل) بضم الميم الاول وكسر الثانى وتشديد اللام أى للملى كما فى نسخة من أملات وأمليت وبهما ورد القرآن وليملل الذى عليه الحق فهى تملى عليه (هذا) أى ماذكر مما جمعه صلى الله تعالى عليه وسلم من المعارف والعلوم (مع انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان لا يكتب) والاظهر ان الاشارة الى ماسبق من تعليم بعض كتابه ما يتعلق بعلم الخط وآدابه وأما عدم كتابته فلحديث انا أمة لا نكتب ولا نحسب ذكره الدلجى وفيه ان نفى الشئ عن الجنس لا يوجب انتفاءه عن جميع أفراده بدليل انه كان فيهم من يكتب فالاولى هو الاستدلال بقوله تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون (ولكنه) أى مع كونه أميا (أوتى علم كل شئ) أى لدنيا (حتى قد وردت آثار) أى أخبار (بمعرفته حروف الخط وحسن تصويرها) أى من تطويلها وتدويرها (كقوله لاتمد) وفى نسخة لاتمدوا أى لا تطولوا (بسم الله الرحمن الرحيم) أى سينه من غير تبيين سنه مخافة ان يظن باء ممدودة فيقرأ بالباء والميم من غير سين بينهما لما روى الدارمى عن زيد ابن أنس اذا كتبت فبين السين فى بسم الله الرحمن الرحيم (رواه ابن شعبان) وهو ابن اسحق المصرى المالكى له ترجمة فى الميزان قال فيها وهاه ابن حزم ولا أدرى لماذا انتهى ومات سنة خمس وخمسين وثلاثمائة (من طريق ابن عباس وقوله) أى كما فى مسند الفردوس (فى الحديث الآخر الذى يروى عن معاوية انه كان يكتب بين يديه عليه الصلاة والسلام فقال له ألق الدواة) بفتح الهمزة وكسر اللام أمر من ألق الدواة اذا جعل لها ليقة وأصلح لها مدادها وهو بمعنى مجرده لاق على ما فى القاموس فقول الجوهرى والاق لغة أى قليلة لا ردية (وحرف القلم) بتشديد الراء المكسورة أمر من التحريف أى اجعل طرف شقه الايمن أزيد من الطرف الآخر قليلا لانه أسرع فى الكتابة وأبدع فى اللطافة

السنات

على الكتابة له صلى الله تعالى عليه وسلم زيد ومعاوية رضى الله تعالى عنهما (ضع القلم على اذنك) لم يعينها والمراد اليمين (فانه) أى وضعه كذلك (اذكر) أى أكثر ذكرا بكسر الذال وضمها وهو ضد النسيان (للمل) اسم فاعل أصله الممل وجوز فيه ان يكون اسم مفعول أيضا أى ما يذكر ويملى وأمل وأملى بمعنى وهو القاء ما يكتب على الكاتب وبهما ورد القرآن قال الله تعالى فليملل الذى عليه الحق وقال الله تعالى فهى تملى عليه والاصل أمللت فقلب تخفيفا كما قاله الراغب وأما قوله تعالى وأملى لهم ان كيدى متين فمعناه أمهلهم (هذا) أى خذ هذا أو اذكره وقيل ها اسم فعل بمعنى خذ من غير تقدير والرسم يخالفه وهى كلمة مستعملة فى الانتقال والتخلص من كلام لآخر أو ما يتممه وهى كذلك فى القرآن وكلام العرب أى معرفته صلى الله تعالى عليه وسلم بالكتابة وأحوالها (مع انه صلى الله تعالى عليه وسلم) أمى من أمة أمية لا يكتب ولا يحسب فهو من معجزاته لانه كان لا يكتب كما تقدم بيانه وانه قيل انه كان ذلك فى أول أمره وانه كتب بعد ذلك فى الحديبية كما ذكره بعضهم وقد ردوه وشنعوا عليه كما فصله ابن حجر فى تخريج احاديث الرافعى وقد تقدم بيانه فى غير ما موضع (ولكنه) صلى الله تعالى عليه وسلم (أوتى) بالبناء للمجهول للعلم بان المؤتى له هو الله تعالى (علم كل شئ حتى قد وردت آثار) جمع أثر وهو ما يؤثر ويروى مطلقا وقد يخص بما يقابل الحديث المرفوع من كلام بعض الصحابة أو التابعين رضى الله تعالى عنهم (بمعرفته حروف الخط) أى كيفية رسمها (وحسن تصويرها) أى صورتها المستحسنة عند أهلها ومن مارسها (كقوله) صلى الله تعالى عليه وسلم لكاتبه (لاتمد بسم الله الرحمن الرحيم) أى لا تجعل السين مدة طويلة من غير بيان لسناتها فانه يلبس صورتها وفى نسخة لاتمدوا (رواه ابن شعبان من طريق ابن عباس) رضى الله تعالى عنهما وابن شعبان هو محمد بن القاسم بن شعبان بن اسحق المصرى المالكى توفى سنة خمس وخمسين ومائة وضعفه ابن حزم وله ترجمة فى الميزان وقال السيوطى حديث ابن عباس رضى الله تعالى عنه لاتمد بسم الله الرحمن الرحيم لم أجده وللديلمى من حديث أنس رضى الله تعالى عنه اذا كتب أحدكم بسم الله الرحمن الرحيم فليمد الرحمن وله من حديث زيد بن ثابت رضى الله تعالى عنه اذا كتبت فبين السين فى بسم الله الرحمن الرحيم (وقوله) صلى الله عليه وسلم (فى الحديث الآخر الذى يروى) بالبناء للمجهول ونائب فاعله قوله (عن معاوية) بن أبى سفيان رضى الله تعالى عنه أحد كتبته صلى الله تعالى عليه وسلم كما تقدم وفى نسخة الذى يروى معاوية أى يرويه عنه صلى الله عليه وسلم فيروى مبنى للفاعل على هذا (انه كان يكتب بين يديه) أى عنده وفى مجلسه (فقال له ألق الدواة) ألق أمر بفتح الهمزة وكسر اللام والقاف لالتقاء الساكنين يقال لاق الدواة يليقها ليقة وليقا والاقها ولاق يتعدى ولا يتعدى أى أصلح مدادها من قولهم لاق به اذا ألصقه ومنه يليق بك كذا ولا يليق اى يناسب واشتهر استعمال ذلك فيما يجعل فى الدواة من حرير أو لبد أو نحوه لانه يصلحها لمنعه كثرة أخذ المداد فى القلم الذى قد يفسد الخط (وحرف القلم) أى اجعل قطه محرفا فانه أعون على تصوير

(وأقم الباء) أى طولها (وفرق السين) أى اسنانها (ولا تعور الميم) أى لا تطمسها بل بين وسطها وهو بتشديد الواو وبعد العين المهملة راء اما فى أصل الدلجى بالقاف بعد كونه عينا فاصلاح فى نسخة قرئت على المصنف وعليها خطه فخطأ فاحش وتصحيف وتحريف لما فى القاموس قار الشئ قطعه من وسطه خرقا مستديرا كقوره (وحسن الله) أى جميع حروفه (ومد الرحمن) أى أكثر حروفه من الحاء والميم والنون أو آخرها وهو الاولى (وجود الرحيم) أى حروفه لا سيما الميم وقد روى الديلمى عن أنس اذا كتب أحدكم بسم الله الرحمن الرحيم فليمد الرحمن أى مد الميم دله الرحمن مدا وقيل خص الرحمن بالمد لعموم الرحمة الشاملة للدنيا والآخرة وخص الرحيم بالتجويد لانه يخص أصحاب التوحيد (وهذا) أى ماذكر مما شهد لان مما أوتيه من المعارف معرفة حروف الخط (وان لم تصح الرواية) أى من أحد رواة الحديث وأصحاب الدراية (انه عليه الصلاة والسلام كتب) أى بيده (فلا يبعدان يرزق علم هذا ويمنع الكتابة والقراءة) أى لحكمة تقتضى هنالك كما قدمنا ذلك قال الدلجى ولا يبعد أيضا وان كان يحرم عليه التوصل اليهما معرفة ان يقعا منه فى وقت معجزة له وكرامة بشهادة ما فى صحيح البخارى فاخذ النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الكتاب فكتب هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله وفيه فى عمرة القضاء انه قال لعلى أمح رسول الله قال لا والله لا أمحوك أبدا فاخذ الكتاب وليس يحسن يكتب فكتب هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله انتهى ولا يخفى ان لفظ كتب وقع مجاز الاشك فيه على ما قال له الحلبى وقال أبو الوليد الباجى حقيقة وهو فى هذا القول شاذ منفرد عن الجماعة والمسئلة شهيرة وملخصها ان اللفظة صحيحة مبنى وهى مجاز معنى لانها ليست بصحيحة أصلا كما توهم عبارة المصنف هذا ووقع فى سيرة أبى الفتح اليعمرى ما لفظه وقد روى البخارى ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كتب ذلك بيده قال الحلبى قوله بيده لم أرها فى صحيح البخارى والله سبحانه وتعالى أعلم ثم اعلم ان المراد بالقراءة القراءة بالنظر لا مطلق القراءة فالمعنى منع الكتابة والقراءة من الكتابة وقد أبعد التلمسانى فى جعل القراءة معطوفة على العلم أى رزق العلم والقراءة ومنع الكتابة انتهى وبعده لا يخفى فى اعراب المبنى واغراب المعنى (واما علمه صلى الله تعالى عليه وسلم بلغات العرب وحفظه معانى أشعارها) أى خصوصا

السنات ويكون تحريفه من جهة اليمين (وأقم الباء) أى اجعلها مستقيمة أو طولها قليلا لانها عوض عن ألف اسم (وفرق السين) أى اجعل اسنانها منفصلا بعضها من بعض (ولا تعور الميم) أى لا تجعل دائرتها مطموسة كالعين العوراء وهو بضم المثناة الفوقية وفتح العين المهملة وكسر الواو المشددة وراء مهملة (وحسن الله) أى كتابته وصورة لفظه تعظيما لمسماه (ومد الرحمن) لم يبينوا معنى المد فيه فهو بمعنى مد ما بين الميم والنون هكذا الرحمن عوضا عن الالف الساقطة خطا أو المراد رسم ألفا بعده ويبعده مخالفة رسم المصحف العثمانى (وجود الرحيم) أى حسن كتابته والتجويد مطلق التحسين ويختص فى العرف بتحسين الخط وفى عرف القراء تحسين التلفظ بالحروف ورعاية مخارجها وصفاتها وهذا الحديث رواه الديلمى فى مسند الفردوس (وهذا) أى معرفته صلى الله عليه وسلم بالخط وهو مبتدأ خبره قوله الآتى فلا يبعد والفاء زائدة أو هو خبر مقدر أى محقق ونحوه والفاء فى جواب الشرط (وان لم تصح الرواية انه عليه الصلاة والسلام كتب) بيده الشريفة اشارة الى ما قاله الباجى من انه روى انه صلى الله تعالى عليه وسلم كتب بيده فى الحديبية كما تقدم وانه لا يضر فى كونه أميا لانه كان فى بدء أمره لامر انقضى بانقضاء سببه فهو معجزة أخرى له صلى الله تعالى عليه وسلم (فلا يبعد) عقلا (ان يرزق علم هذا) أى علم الخط من غير تعليم (ويمنع الكتابة والقراءة) من المصحف قيل ولا يبعد ان يقع منه الكتابة والقراءة فى وقت معجزة أخرى له بشهادة ما فى البخارى رحمه الله تعالى انه صلى الله تعالى عليه وسلم أخذ الكتاب فكتب هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله فى عمرة القضاء وانه قال لعلى بن أبى طالب كرم الله وجهه ورضى الله تعالى عنه أمح رسول الله لما أباها بعض المشركين فقال والله لا أمحوها أبدا فاخذ الكتاب وليس يحسن يكتب فكتب هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله أقول قد علمت ان هذه مقالة صدرت عن الباجى أنكرها عليه أهل عصره ونسبوه للزندقة وعقد مجالس له فحاجه علماء عصره وقالوا انه مخالف لنص الحديث والقرآن وكونه عد من معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم فاجاب بانه صرح به فى حديث البخارى رحمه الله تعالى والتجوز خلاف الاصل وفى القرآن ما يشير اليه لان قوله تعالى ما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك يقتضى كتابته من بعده وهو معجزة لا تنافى كون أميته معجزة فى أول أمره وقد ذكره ابن حجر وغيره من شراح البخارى (واما علمه صلى الله عليه وسلم بلغات العرب) جميعها قبائل وبطونا وكل أحد لا يعرف ولا ينطق الا بلغته حتى لو حاول التكلم بغيرها لم يطق (وحفظ معانى أشعارها) وان كان لا يقول الشعر ولا ينشده وان أنشده

(فام مشهور وقد نبهنا على بعضه) أى بعض ما ورد عنه فى لغات العرب لا فى اشعارها (أول الكتاب) وفى نسخة فى أول الكتاب أى على ماسبق من غرائب مبانيها وبيان معانيها ومنها قوله عليه الصلاة والسلام وقد أنشده كعب بن زهير فى لاميته قوله

قنوان فى حرتيها للبصير بها * عتق مبين وفى الخدين تسهيل

فقال لاصحابه ما الحرتان فقالوا العينان فقال صلى الله تعالى عليه وسلم الاذنان وما قاله صلى الله تعالى عليه وسلم هو المعروف عند العرب الاول فى الحرتين ومنها ما أنشده كعب بن مالك فى قصيدته العينية وفيها قوله

مجالدنا عن جزمنا كل فخمة * مدربة فيها القوانس تلمع

فقال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أيصلح ان يقول مجالدنا عن ديننا فقال كعب نعم فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فهو أحسن فقال كعب مجالدنا عن ديننا على ما قاله نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم

(وكذلك حفظ كثيرا من لغات الامم) أى مما عدا العرب (كقوله فى الحديث سنه سنه)

نادرا غير وزنه فى أكثر أحواله الا انه كان ترد عليه شعراء العرب الملقون بمدائح يمدحونه بها وتنشد بين يديه فيصغى لها ويعلم منها ما لم يعلمه غيره من فصحائهم ألا ترى كعبا لما أنشده قصيدته وقال فيها

قنوان فى حرتيها للبصير بها * عتق مبين وفى الخدين تسهيل

قال الصحابة رضى الله تعالى عنهم الحريان العينان فقال لهم صلى الله تعالى عليه وسلم لا بل الاذنان وهو كذلك عند العرب ألا ترى قول علقمة

لها حرتان تعرف العتق فيهما * كسامعتى مذعورة وسط ربرب

وقد نقل بعضهم نظائر لهذه القصة والثمرة تدل على الشجرة وفى ذكره الشعر بعد الكتابة مناسبة تامة اذ كل منهما عرفه صلى الله عليه وسلم أتم معرفة ولم يتلبس به وهو من مقاصده الحسنة وفيه دليل على ان ذكر الشعر والبحث عنه أمر مسنون كغيره من العلوم وقد قالوا ان معرفته من فروض الكفاية حتى شعر المولدين كما ذكره السيوطى فى شرح منظومة المعانى والبيان واختلفوا بعد الاتفاق على امتناع الخط حتى قال بعض الشافعية بحرمته اهـ ل كان يحسنهما أولا فقيل بكل من القولين كما فى الروضة والحفظ يتعلق بالمعانى والالفاظ فلا وجه للاعتراض عليه بانه لو قال فهم معانى أشعارها كان أظهر (فام مشهور وقد نبهنا على بعضه فى أول الكتاب) فى فصل فصاحته كما تقدم (وكذلك) أى مثل معرفته للغات العرب (حفظه لكثير من لغات الامم) غير العرب وهذا ترق فى معرفته لذلك ودليل على انه معجزة وموهبة ربانية (كقوله فى الحديث) الذى رواه البخارى عن أم خالد سنه سنه قاله صلى الله تعالى عليه وسلم لام خالد بن سعيد بن العاص أمها أميمة بنت خلف تزوجها الزبير وهى صحابية ولدت بالحبشة وتربت بها وهى صغيرة ولذا لاطفها النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بها وخاطبها بما تعرفه من لغتهم وان كانت عربية من صميم العرب وقاله لها لانه أتى بثياب فيها خميصة صغيرة سوداء فيها اعلام صفر وخضر فدعاها والبسها اياها وقال لها ذلك كما فى أصله البخارى وفيها لغات سنة سنة كما ذكر وسنا سنا بالقصر وسناه سناه مع تخفيف النون وتشديدها وأنكر بعضهم تخفيفها وروى كسر سين سنا فقول الكرمانى انها عربية وأصلها حسنة فخففت بحذف الحاء كقوله كفا بالسيف شا أى شاهدا تأباه هذه الروايات وان الحذف من الاسماء فى غير ترخيم النداء مع شذوذه لم يعهد من الاول (وهى) أى سنه بمعنى (حسنة) أنثها باعتبار الخميصة ولمناسبة سنه لفظا (بالحبشية) أى بلغة الحبشة وهم جيل معروفون (وقوله) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه الشيخان وغيرهما

بفتح السين وتخفيف النون وتشدد فهاء ساكنة فيهما وفى رواية سناه سناه وفى أخرى سنا سنا بفتح مهملتها وكسرها رواية القابسى وشد نونها وخففها أبو ذر وغيره قال ابن قرقول كلها بفتح السين وتشديد النون الاعند أبى ذر فانه خفف النون والا القابسى فانه كسر السين وقال ابن الاثير فى النهاية قيل سنا بالحبشية حسن وهى لغة وتخفف نونها وتشدد وفى رواية سنه وفى أخرى سناه بالتشديد والتخفيف فيهما وقال الهروى فى الحديث انه صلى الله تعالى عليه وسلم أخذ الخميصة بيده ثم ألبسها أم خالد وقال لها أبلى واخلقى ثلاث مرات ثم نظر الى علم فيها أخضر وأصفر فجعل يقول يا أم خالد سنا سنا بالحبشية حسن

من

وهى لغة انتهى وأم خالد هذه هى ابنة خالد بن سعيد التى ولدت بارض الحبشة وهى امرأة الزبير بن العوام وهى التى كساها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهى صغيرة وأبوها أول من كتب بسم الله الرحمن الرحيم ومات باجنادين شهيدا استعمله رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على صنعاء اليمن فلما توفى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أراد أبو بكر رضى الله تعالى عنه ان يستعمله قال له لا أعمل لاحد بعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (وهى) أى معنى هذه الكلمة (حسنة بالحبشية) أى باللغة المنسوبة الى الحبشة ولا يبعد ان تكون عربية وحذف الحاء للايماء الى قصد الرمزية وقال عكرمة السنا الحسن ولا يبعد ان يطلق السنا بمعنى النور ويراد ابن الحسن والظهور (وقوله) أى كما رواه الشيخان وغيرهما من طرق

(ويكثر الهرج) بهاء مفتوحة فراء ساكنة فجيم (وهو القتل بها) أى بالحبشة وقد سئل عنه صلى الله تعالى عليه وسلم فقال القتل ونص عليه كثير من أئمة اللغة فهو من توافق اللغتين وأما قول ابن قرقول الهرج باسكان الراء فسره فى الحديث بالقتل بلغة الحبش فقوله بلغة الحبش من بعض الرواة والا فهى كما عرفت عربية صحيحة (وقوله فى حديث أبى هريرة اشكنب درد) بفتح الهمزة وسكون الشين وتفتح والكاف ساكنة فنون وفتح الباء وتكسر وتضم وتسكن فدالين مهملتين مفتوحتين بينهما راء ساكنة وفى نسخة الاولى منهما معجمة وفى أخرى دردم بميم فى آخره (أى وجع البطن بالفارسية) فان اشكنب هو البطن ودرد معناه الوجع ولعل أصلها أشكم بدردم بكسر الهمزة وفتح الكاف بعده ميم وباتصال الباء بدردم بالمهملتين وميم المتكلم فيكون فيه نوع تقريب أو لفظ غريب هذا والحديث رواه ابن ماجه وفى سنده داود بن علية والكلام فيه معروف قال الذهبى فى ميزانه روى جماعة عن داود بن علية عن مجاهد عن أبى هريرة أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال يا أباهريرة اشكنب درد قلت لا الحديث أخرجه أحمد فى مسنده والاصح ما رواه المحاربى عن ليث عن مجاهد مرسلا فقوله لا يدل على استفهام مقدر أو ملفوظ ان تكن الشين مفتوحة فانه لغة ويدل أيضا على بطلان نسخة زيادة الميم لكنه فيه اشكال وهو انه لا يظهر وجه خطاب أبى هريرة بهذه الكلمة اللهم الا ان يحمل على المزاح والمطايبة فى المخاطبة ثم رأيت التلمسانى ذكر الحديث ولفظه قال أبو هريرة دخلت على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو مضطجع على بطنه فقلت له ما هذا يا رسول الله فقال اشكنب دردم ثم فسره صلى الله تعالى عليه وسلم وتمام الحديث وعليك بالصلاة فانها شفاء من كل سقم ونقل الانطاكى من اكمال ابن ماكولا عن أبى الدرداء قال رآنى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأنا نائم مضطجع على بطنى فضربنى برجله فذكر الحديث قال وهو مخالف لما تقدم قلت ولا منع من الجمع والله تعالى أعلم هذا وحديث العنب دودو يعنى ثنتين ثنتين والتمر يك يعنى واحدة مشهور على ألسنة العامة ولا أصل له عند الخاصة

من طرق فى حديث الفتن المقدم (ويكثر الهرج) بفتح الهاء وسكون الراء المهملة وجيم (وهو القتل بها) أى بلغة الحبشة فعربه صلى الله تعالى عليه وسلم وقال ابن قرقول فى المطالع فسر فى الحديث بالقتل بلغة الحبشة وهو وهم من بعض الرواة والا فهى عربية صحيحة وأصل معناه اختلاط الناس بعضهم ببعض ومنه لن يزال الهرج الى يوم القيامة والعبارة فى الهرج كهجر الى انتهى وهو رد لما قاله المصنف رحمه الله تعالى ولمن توهم ان تفسيره مروى فى الحديث ومنه يعلم انه ورد بمعنى الفتنة وما قيل من انه المهرجان اسم يوم لانه يوم قتل يحيى بن زكريا لا وجه له لانه يقتضى انه فارسى ولم يقله أحد وقيل انه من توافق اللغتين وهو أقرب الى الصواب ان صحت الرواية فيه ومنه المثل هم فى هرج ومرج والمرج بمعناه وتسكينه للازدواج وقد تظرف القائل

أتى زمن الربيع فهاج قوم * الى الصهباء فى هرج ومرج

(وقوله) صلى الله تعالى عليه وسلم (فى حديث أبى هريرة) الذى رواه ابن ماجه عنه (اشكنب درد) وفى بعض الروايات اشكنب دردم بزيادة ميم ساكنة واشكنب بهمزة مفتوحة وشين معجمة ساكنة وكاف عربية مفتوحة ونون ساكنة وباء موحدة ساكنة وفسره المصنف رحمه الله تعالى بما يأتى وفى الفارسية بهمزة مكسورة وقد تفتح ويزاد فيها هاء فيقال شكنبة بكسر الشين فعربت وغير لفظها ومعناها فان معناها الكرش عند العجم ودرد بدالين مهملتين مفتوحتين بينهما راء مهملة ساكنة والميم عندهم ضمير المتكلم وسيأتى ما فيه وقد علمت ان الصحيح اهمال الدالين واسقاط الميم كما رواه ابن ماجه وضبطت به الرواية عنه فانه قزوينى أعلم بلغته وثقة فى الرواية فما قيل ان دال درد الاولى معجمة وهم من راويه كرواية الميم لانه لا يناسب قوله (أى وجع البطن) فانه لو صح ذلك قال أى وجع بطن وفسره غيره بوجع بطنك وهو أنسب بترك الميم الا ان يقال ترك معناه التعريب والذى رواه ابن ماجه شكم بشين مكسورة وكاف مفتوحة وهو أصح لان شكم بالفارسية معناه البطن وفى سننه قال أبو هريرة هجر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فهجرت وصليت ثم جلست فالتفت الى وقال شكم درد فقلت نعم يا رسول الله فقال قم فصل فان فى الصلاة شفاء كذا صححه الشارح الجديد نقلا عن شيخنا ابن عبد الحق السنباطى وغيره وهو الحق المعتمد فاعرفه فان شيخنا هذا خاتمة الحفاظ بمصر واليه انتهى علم القراآت وله تآليف مشهورة رحمه الله تعالى وروى اشكنب بكسر الهمزة وان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قاله لابى الدرداء والمشهور الاول كما قاله التلمسانى ولم يذكر وجه تكلمه صلى الله تعالى عليه وسلم معه بالفارسية وهو ليس بعجمى فلعله أراد ستره ولذا ورد أنه قال ثم فسر لى وذكر البرهان بعضا مما تقدم وقال انه فى بعض النسخ اشقنب بالقاف وهو غريب ولم يسنده لرواية فاعتمد على ما قدمناه وقوله (بالفارسية) أى باللغة الفارسية نسبة لفارس ابن كومرت وكومرت ابن سام أو يافث

(الى غيرذلك) أى مع غيرما ذكر من المعارف السنية والعوارف البهية (ممالا يعلم بعض هذا ولا يقوم به) أى بكله (ولا ببعضه) أى عادة (الا من مارس الدرس) أى دوام المدارسة ولازم المدرسة (والعكوف على الكتب) أى المواظبة على مطالعة الكتب المطولة (ومثافنة أهلها) بالمثلثة والفاء والنون أى مجالسة أهل العلوم وفى نسخة بالقاف والموحدة بمعنى المباحثة (عمره) بالنصب أى فى جميع أيام عمره من غير ضياع دهره (وهو) أى والحال أنه عليه الصلاة والسلام (رجل) معروف وموصوف (كما قال تعالى) فى حقه عند قوله فآمنوا بالله ورسوله النبى الامى (أمى) أى منسوب الى أمه يعنى كما ولد بعينه (لم يكتب) أى بيده (ولم يقرأ) ٢٤٠

أى بنظره أو مطلقا قبل بعثه (ولا عرف) أى هو صلى الله تعالى عليه وسلم (بصحبة من هذه صفته) أى بصاحبة أهل الدراسة والقراءة والكتابة (ولا نشأ) أى ولا انتشأ ولا تربى (بين قوم لهم علم) أى دراية (ولا قراءة) أى رواية (بشئ من هذه الامور) أى التى يمكن بمدارستها الاتصاف بممارستها (ولا عرف هو قبل) أى قبل بعثته ودعوى نبوته (بشئ منها) أى من أمور القراءة والدراسة والكتابة ويروى ولا عرف هو قبل شيأ (قال الله تعالى وما كنت تتلو من قبله) أى قبل نزول القرآن (من كتاب) أى من الكتب الالهية وغيرها (ولا تخطه بيمينك) أى ولا تكتبه من قبل أيضا وقوله بيمينك أى بيدك للتأكيد كما فى قولهم رأيت بعينى وسمعت باذنى الآية تمامها اذا الارتاب

أى المبطلون أى لو كنت قارئا كاتبا لشك أهل الباطل المتعلق بغير الطائل اذ لا كل كاتب وقارئ قادر ان يأتى بهذا الكتاب الذى عجز عن الاتيان باقصر سورة منه جميع أرباب الالباب والحاصل ان صدور هذا النور وظهور هذه الامور على يد الامى أظهر معجزة وأبهر كرامة وأبعد شبهة مما لو ظهر على يد القارئ الكاتب لاسيما وقد كان يحصل الارتياب لاهل الكتاب لكونه النبى الامى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل هذا والجمهور على أنه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يكتب وقيل كتب مرة واحدة وهو قول الباجى وصوبه بعضهم فانه لا يقدح فى المعجزة كونه كتب مرة واحدة بل يكون معجزة ثانية قال القرطبى فى مختصره قوله فى البخارى

وقيل انه ولد لصلبه وقيل انه آدم عندهم ويقال لهم الفرس ومما تكلم به صلى الله تعالى عليه وسلم بالفارسية لفظ سور فى حديث جابر وهو الدعوة للطعام وبالعربية العرس (الى غير ذلك) أى مضموما ساذكر من معرفته باللغات أو من معارفه التى لا تحصر (مما لا يعلم بعض هذا) وفى نسخة بعضه فضلا عن كله (ولا يقوم به) أى يوفى حقه كله (ولا ببعضه) فضلا عن كله (الا من مارس الدرس) أى عالجه واجتهد فى حفظه ودراسته وتلقيه من أهله وفى نسخة الدروس (والعكوف على الكتب) أى ملازمة مطالعتها ومذاكرتها والنظر فيها من الاعتكاف وهو ملازمة المكان فاستعاره لما ذكر وفيما تقدم دليل على جواز التكلم بغير العربية ولو بلا ضرورة خلافا لمن ذهب لكراهته وروى فيه أحاديث واهية كمن تكلم بالفارسية نقصت مروءته وانه يورث النفاق وانه لسان أهل النار ويدل لعدم الكراهة أحاديث كحديث الفارسية الدرية لسان أهل الجنة فى الجنة (ومثافنة أهلها) مفاعلة من ثفن بمثلثة وفاء ونون أى جالسهم ولازمهم وهو أبلغ منه لانه من ثفن البعير اذا برك والثفنات ما غلظ لطول مسه للارض كالركب وصدر الدابة من ذوات الاربع يعنى جلس بين يديهم للتعلم كالبعير البارك على الارض وهذه هيئة المتعلم فى أدبه وقال التلمسانى هى المثفنة من ثافنته أعنته وروى مثاقبة بمثلثة وقاف وموحدة كما تقدم انتهى وفى بعض النسخ منافثة بنون وفاء ومثلثة أى مباحثة ونظر فى الدقائق التى كنفثات السحر وفيه نظر وفى بعض الشروح ما لا معنى له هنا (عمره) منصوب على الظرفية متعلق بجميع ما قبله أى فعل ذلك مدة عمره كلها ولم يتركه طرفة عين (وهو صلى الله تعالى عليه وسلم رجل كما قال الله تعالى أمى) منسوب الى الام كأنه كما خرج من بطن أمه لم يتعلم وهو مبرأ من كل عيب أو الى أمة العرب لانهم معروفون بذلك كما وقال الشاعر عمى خالى وأبى أمى فقوله (لم يكتب ولم يقرأ) صفة كاشفة مفسرة وانما ذكر قوله كما قال الله تعالى تأدبا يعنى لم أصفه صلى الله تعالى عليه وسلم بهذا الا اتباعا لما وصفه الله به بقوله ان أوحينا الى رجل منهم وهو قيد لما بعده وما قبله فلا يقال انه ترك أدب فان مثله لا يقال له يا رجل كما لا ينادى باسمه فلله در المصنف ما أبعد مرماه (ولا عرف بصحبة من هذه) أى الكتابة والقراءة (صفته) حتى يقال انه تعلم منه فهذه الصفة فى حقه معجزة وفى حق غيره نقص كما قال

* كفاك بالعلم فى الامى معجزة * (ولا نشأ) أى لم يكن من أول نشأته وبدء أمره الى بعثته (بين قوم لهم علم) أى معرفة بشئ من العلوم لانهم من الجاهلية (ولا قراءة لشئ من هذه الامور) أى الكتب وغيرها لانهم لم يكونوا أهل كتاب (ولا عرف هو) صلى الله تعالى عليه وسلم (قبل) مبنى على الضم أى قبل بعثته وظهور معرفته بما ذكر (بشئ منها) أى بما ذكر من المعارف اللدنية ثم استدل على ذلك بقوله (قال الله) وفى نسخة عز وجل (وما كنت تتلو من قبله) أى القرآن وما علمك الله (من كتاب ولا تخطه بيمينك)

فاخذ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الكتاب فكتب ظاهر قوى انه صلى الله تعالى عليه وسلم كتب بيده وقد أنكره قوم تمسكا بقوله تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك الآية ولا نكرة فيه فان الخط المنفى عنه الخط المكتسب من التعلم وهذا خط خارق للعادة أجراه الله تعالى على أنامل نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم مع بقائه انه لا يحسن الكتابة المكتسبة وهذا زيادة فى صحة نبوته انتهى ولا يخفى ان فى قوله وما كنت تتلو من قبله أى من قبل نزول القرآن وحصول النبوة والرسالة اشارة الى انه كان ممنوعا من القراءة والكتابة وهو لا ينافى ان يعطيهما الله تعالى له بعد تحقق رسالته زيادة فى الكرامة (انما كانت غاية معارف العرب النسب) أى علم النسب لكل قبيلة الى حدها من أبيها او جدها (واخبار أوائلها) أى وقائع سلفها من هزلها وجدها وتنعمها او كدها (والشعر) أوزانها وقوافيها (والبيان) أى النثر فى الخطب وأمثالها أو ما يتعلق بما فيها حتى كاد ان يكون بيانهم فى شعرهم ونثرهم سحرا وشاع وذاع فيما بينهم ذكرا وفكرا او بلغوا غاية البلاغة ووصلوا نهاية الفصاحة نظما ونثرا (وانما حصل ذلك لهم بعد التفرغ لعلم ذلك) أى عمرا (والاشتغال بطلبه ومباحثة أهله عنه) أى عصرا (وهذا الفن) أى النوع من العلم بجميع افنانه وأغصانه فى جميع أحيانه وأزمانه (نقطة من بحر علمه) أى ونكتة من نهر فهمه وشكاة من شطر كلمه (صلى الله تعالى عليه وسلم ولا سبيل الى جحد الملحد) أى انكار المائل عن الحق والمعاند (بشئ مما ذكرناه) أى فى المطالب والمقاصد (ولا وجد الكفرة حيلة) أى مكيدة يتشبثون بها فى عقيدة (فى دفع ما قصصناه) وفى نسخة ما نصصناه أى حكيناه و بيناه (الا قولهم أساطير الاولين) أى هو يعنى القرآن أقاصيص السابقين كما حكى الله عنهم بقوله وقالوا أساطير الاولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة واصيلا وقد تولى الله سبحانه وتعالى جوابهم بقوله وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون (وانما يعلمه بشر) أى من الاعجام أو الاروام (فرد الله قولهم) أى مقولهم هذا الا كما قال الدلجى هو أساطير الاولين وانما يعلمه بشر (بقوله لسان الذى يلحدون) وفى قراءة بفتح الياء والحاء أى يميلون (اليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين ثم ماقالوه مكابرة العيان) بكسر أى المعاينة والمشاهدة (فان الذى نسبوا تعليمه اليه اما سلمان) أى الفارسى كما فى نسخة صحيحة وسماه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم سلمان الخير

أى بيدك اليمنى التى يكتب بها وهو تأكيد وتصوير و بين الله تعالى علة ذلك بقوله اذا لارتاب المبطلون أى شكوا وقالوا تعلمه ممن قرأه و كتبه ثم بين حال قومه فى عدم ما ذكر بقوله (انما كانت غاية معارف العرب) أى ما انتهى اليه علمهم (النسب) أى معرفة انساب قبائلهم الى أجدادهم (وأخبار أوائلها) أى ما وقع لآبائهم وأسلافهم من الحروب والوقائع (والشعر) أى حفظ شعر من قبلهم من القصائد والقطعات والابيات (والبيان) ليس المراد به علم البيان المعروف لانه أمر حدث كانوا فى غنى عنه بالسليقة ولا ثمرة علم البلاغة كله كما توهم أيضا وانما المراد به المنطق الفصيح المعرب عما فى الضمائر وعنى به الخطب والرسائل ونحوها من الكلام المنثور الذى كانوا يذكرونه فى محافلهم لمقابلته للشعر وهو المعنى بقوله صلى الله عليه وسلم ان من البيان لسحرا (وانما حصل ذلك لهم) أى معرفة النسب وما بعده (بعد التفرغ لعلم ذلك) أى مع ذلك لم يكن علمهم بما ذكر الا بمزاولة واكتساب وصرف زمان لكسبه حتى عرف به بعضهم دون بعض فكان يقال فلان نسابة وفلان رواية ونحوه (والاشتغال بطلبه ومباحثة أهله عنه) بالسؤال عنه والحفظ له ولم يعهد منه اعتناء بذلك فى أول أمره (وهذا الفن) أى النوع الذى كانت العرب تعرفه وتعتنى به (نقطة من بحر علمه صلى الله تعالى عليه وسلم) أى أقل قليل بالنسبة لما ظهر من علمه لهم ونقطة استعارة و بحر علمه استعارة أو كلجين الماء (ولا سبيل الى جحد الملحد) أى لا يمكن الكفرة المائلين عن الطريق المستقيم انكاره وهو اشارة لتفسير قوله تعالى اذا لارتاب المبطلون (لشئ مما ذكرناه) من معارفه متعلق بجحد واللام زائدة للتقوية (ولا وجد الكفرة حيله) يبدونها تلبيسا (فى دفع ما قصصناه) مما تقدم تفصيله (الا قولهم أساطير الاولين) استثناء متصل لانه مما احتالوا به على بعض ضعفاء العقول أو منقطع لانه لا حيلة فيه وهو جمع اسطورة كاحدوثة أو جمع اسطار جمع سطر او أسطير أو أسطور أى هى أحاديث مما سطره من قبله وأكاذيب (و) قالوا (انما يعلمه بشر) أى هو مما تلقاه من غيره وتعلمه (فرد الله قولهم) المذكور وأبطله (بقوله لسان الذين يلحدون اليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين) أى لسان من ادعوا انه تعلم منه لسان عجمى فكيف يمكن تعليمه أو التعلم منه ومعنى يلحدون يميلون عن الحق بمقالتهم هذه (ثم ما قالوه) من انه يعلمه رجل أعجمى وفى نسخة قالوه بهاء الضمير (مكابرة العيان) بكسر العين ولا تفتح فيه كما مر والمكابرة الانكار من غير دليل وأصل معناه هجوم السارق نهارا أى معاندة فى المحسوس لا تفيد (فان الذى نسبوا تعليمه) له صلى الله تعالى عليه وسلم بزعمهم الباطل (اليه) متعلق بنسبوا أى أسندوه له (أما سلمان) الفارسى الصحابى المشهور

(أو العبد الرومي) وهو غلام حويطب بن عبد العزى أسلم وكان ذا كتب (وسلمان انما عرفه بعد الهجرة ونزول كثير من القرآن وظهور مالا ينعد من الآيات) أى القرآنية أو المعجزات البرهانية والعلامات الفرقانية فلا يتصور انه كان يعلمه سلمان (وأما الرومى فكان أسلم وكان يقرأ على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم واختلف فى اسمه) أى كما سيأتى من انه يعيش أو بلعام أو جبر ويسار (وقيل بل كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يجلس عنده) أى اليه ويقبل عليه لما كان يلمح قابلية الهداية لديه (عند المروة وكلاهما أعجمى اللسان) أى وضعيف البيان (وهم الفصحاء اللد) بضم اللام وتشديد الدال جمع الألد وهو شديد الخصومة (والخطباء اللسن) بضم فسكون جمع السن وقيل جمع لسن بفتح فكسر وهو المنطلق اللسان فى ميدان النطق والبيان (قد عجزوا) بفتح الجيم وتكسر (عن معارضة ما أتى به) أى أظهره (والاتيان بمثله) بل عن الاتيان باقصر سورة من نحوه (بل عن فهم وصفه) وفى نسخة رصفه بالراء والظاهر انه تصحيف وقيل معناها الاتقان (وصورة تاليفه) أى تركيبه (ونظمه) أى سلكه فهم اذا عجزوا عن هذا كله (فكيف باعجمى الكن) أفعل للمبالغة من اللكنة وهى بالضم العجمة فى اللسان والعى فى النطق والبيان وأبعد الدلجى فى تعبيره أى أبكم

رضى الله تعالى عنه لانه كان عنده صلى الله تعالى عليه وسلم (أو العبد الرومى) وهو يعيش غلام حويطب بن عبد العزى الرومى وكان ممن قرأ الكتب ثم أسلم وسيأتى تفصيل قصته (و) قصة (سلمان انما) أسلم و (عرفه) بالمدينة (بعد الهجرة) وعلومه صلى الله عليه وسلم ومعارفه هذه كانت ظاهرة قبل ذلك فكيف انه كان يعلمه (و) بعد (نزول الكثير من القرآن) حتى هذه الآية (و) بعد (ظهور) وفى نسخة نزول (مالا ينعد) لكثرته (من الآيات) القرآنية أو العلامة الدالة على نبوته من المعارف المذكورة الدالة على ابطال زعمهم (وأما) العبد (الرومى فكان أسلم) قبل الهجرة (و) لكنه (كان يقرؤ على النبى صلى الله عليه وسلم) ويتعلم منه فكيف يقال انه يعلمه (واختلف) بالبناء للمجهول أى اختلف المحدثون (فى اسمه) كما سيأتى فى كلامه فقيل انه بلعام أو يعيش أو جبر أو يسار اما بلعام فبموحدة مكسورة وقول البرهان انها مفتوحة لا أصل له ولام ساكنة وعين مهملة وألف وميم ويعيش يأتى انه بفتح التحتية وعين مهملة مكسورة وتحتية ساكنة وشين معجمة ذكره الذهبى فى الصحابة وقال انه غلام المغيرة وهو الذى نزل فيه قوله تعالى انما يعلمه بشر وجبر يأتى أيضا انه بجيم مفتوحة وموحدة ساكنة وراء مهملة قال البرهان لم أقف عليه فى الصحابة وكذا يسار بفتح التحتية المثناة وسيأتى تتمة لهذا فى محله (وقيل بل كان النبى صلى الله عليه وسلم يجلس عنده) اضراب عن اسلامه وقراءته عليه الى انه كان عبدا روميا يحترف بصقل السيوف (عند المروة) مع الناس فكيف قالوا انه تعلم منه وهو لم يخل معه ولم يعرف وقيل المخالفة بينه وبين الاول فى أيهما كان يجلس عند الآخر فالاضراب انتقالى أو ابطالى (وكلاهما) أى سلمان والغلام الرومى (أعجمى اللسان) أى لسان كل منهما فيه عجمة (وهم) أى الطاعنون فيه بما ذكر واسنادا التعلم له (الفصحاء اللد) جمع ألد وهو الشديد الخصومة ويجمع على لداد أيضا من اللدد وهو العناد وفى الحديث أبغض الرجال الى الله تعالى الالد الخصم (و) هم (الخطباء) جمع خطيب وهو من يقوم على رؤس القوم بكلام بليغ ملزم مفحم ولا يشترط فيه ان يكون سجعا وقد كان للعرب ولكل قوم منهم خطباء معروفون بالبلاغة وارتجال الكلام الجزل (اللسن) بضم اللام وسكون السين جمع لسن كحذر وهو الفصيح اللسان الطلق البيان وقيل جمع السن فلا اسهاب فيه كما قيل (قد عجزوا) بفتح الجيم وكسرها (عن معارضة ما أتى به) أى مقابلته بكلام يحكيه (والاتيان بمثله) عطف تفسير مع تحديه وطلبه منهم وتقريعهم (بل) عجزوا كلهم (عن فهم وصفه) ومعرفة كنه بلاغته ووجه اعجازه ونظمه فتارة قالوا هو شعر وتارة قالوا انه سحر وكهانة والحسن يكذبهم والفصاحة تنادى على فصاحتهم (وصورة تأليفه) أى عجزوا عن فهم صورة تأليفه ونظمه المعجز فانه لا يشبه كلام البشر والتأليف أخص من التركيب لانه تركيب مع الفة ومناسبة وفى أكثر النسخ رصفه بالراء المهملة جمع رصف بفتحتين وهو فى الاصل وضع بعض الحجارة على بعض فاستعير لترتيب الكلام المتين المحكم وفى بعض النسخ (ونظمه) وهو ما قبله معطوف على وصفه ويجوز عطفه على معارضة والاول أقرب والنظم مستعار من نظم الدر لتناسق الكلمات التى هى كالجواهر وما بعد بل ترق فى العجز ومغايرته لما قبله ظاهرة لا تحتاج لتوجيه الا عند عدم الفهم (فكيف) هى للاستفهام عن الحال والوصف المبهم ويراد بها التعجب نحو قوله تعالى كيف تكفرون بالله وقوله (باعجمى) متعلق بمقدر أى كيف الظن باعجمى وهذا تركيب سائغ فى كلامهم تقول كيف بك اذا جاء الشتاء (الكن) من اللكنة وهى عدم افصاح اللسان وبيان النطق (نعم) بفتحتين وقد تكسر عينه ويقال نعام أيضا فى لغة وهى كلمة تقع فى جواب الكلام الموجب وقد تقع فى ابتداء الكلام كما هنا فكأنها جواب سؤال مقدر وفى غير

جواب

(وقد كان سلمان أو بلعام الرومى) بالموحدة المفتوحة وسكون اللام ويقال بلعم (أو يعيش) بفتح التحتية الاولى وكسر العين قال الذهبي فى تجريده يعيش غلام ابن المغيرة قال عكرمة هو الذى نزل فيه يقولون انما يعلمه بشر وقال فى الحلبي يعيش رأيتهم قد ذكروه فى الصحابة (أو جبر) بفتح جيم وسكون موحدة هو غلام للفاكه بن المغيرة أسلم وقد روى ان مولاه كان يضربه ويقول له انت تعلم محمدا فيقول له لا والله بل هو يعلمنى ويهدينى قال الحلبي ما رأيت له ذكرا فى الصحابة وكذا فى قوله (أو يسار) بفتح التحتية (على اختلافهم فى اسمه) أى اختلاف العلماء فى تعيينه أو اختلاف السفهاء فى نسبته من كمال تحيرهم فى تبيينه (بين أظهرهم) أى كانوا كلهم فيما بينهم عارفين باخبارهم (يكلمونهم) وفى نسخة يكلمونه (مدى أعمارهم) بفتح الميم والدال المقصور أى مدتها (فهل حكى عن واحد منهم) كسلمان والرومى (شئ) أى صدور شئ ما (من مثل ما كان يجئ به محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) أى من الآيات الباهرة والمعجزات القاهرة (وهل عرف واحد منهم) أى وهم عندهم (بمعرفة شئ من ذلك) أى مما جاء به عليه الصلاة والسلام (وما منع) أى وعلى الفرض والتقدير أى شئ منع (العدو) أى اعداءه من المنكرين وروى المغرور (حينئذ على كثرة عدده) بفتح العين أى اعدادهم (ودؤب طلبه) بضم دال وهمزة فسكون واو فموحدة أى جده وتعبه فى كده (وقوة جسده ان يجلس الى هذا) أى من سلمان أو غيره واخطأ الدلجى بقوله أى ماجاء به عليه السلام (فيأخذ عنه) وفى نسخة عليه (أيضا) أى على زعمه (ما يعارض به) أى ما جاء به عليه السلام (ويتعلم منه ما يحتج به على شغبه) بسكون الغين المعجمة وتفتح على لسان العامة أى على تهييج شره وخصامه كذا فى أصل الدلجى وهو ظاهر جدا وفى النسخ على شيعته فعلى للعلة أى لاجل مشايعيه ومتابعيه (كفعل النضر بن الحارث) تقدم بانه قتل كافرا

جواب كما يقال لمن طرق الباب نعم نعم وعليه حمل قول جحدر

نعم وأرى الهلال كما تراه * كما سيأتى وقال بعضهم انها زائدة فى مثله وفيه كلام لم يحضرنى الآن (وقد كان سلمان) الفارسى رضى الله عنه (أو بلعام) وهو بفتح الباء الموحدة على ما تقدم واشتهر كسرها ويقال بلعم أيضا وهو اسم الغلام (الرومى أو يعيش) بفتح المثناة التحتية وعين مهملة مكسورة وياء تحتية ساكنة وشين معجمة علم منقول من المضارع (أو جبر) بفتح الجيم وسكون الباء الموحدة وراء مهملة وهو عبد للفاكه بن المغيرة وقيل لعباد الحضرمى قيل ان سيده كان يضربه ويقول له أنت تعلم محمدا فيقول لا والله بل هو يعلمنى ويهدينى (أو يسار) بفتح المثناة التحتية وهذا المذكور مبنى (على اختلافهم فى اسمه) كما تقدم (بين أظهرهم) خبر كان أى مقيما بينهم يعرفونه ويقال ظهرانيهم بالف ونون مفتوحة كانه لاستناده اليهم ظهر وراءه وظهر قدامه ثم كثر فشاع فى الاقامة بين قوم يخالطهم يكلمونهم مدى أعمارهم أى فى جميع مدة أعمارهم يخاطبهم ويكلمهم ويكلمونه فكيف لا يعرفون حاله وهو استدلال على كذبهم وأصل معنى المدى الغاية ويطلق على جميع المدة الطويلة كما فى النهاية وذكر الماوردى ان غلامين نصرانيين من عين النمر أحدهما يسار والآخر جبر كانوا يسندون لهما ماذكر وقيل غير ذلك (فهل حكى عن واحد منهم) أى من الكفرة (شئ من مثل ما كان يجئ به محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) فيه حذف تقديره نقله عن هذين فان كان ضمير منهم لسلمان رضى الله تعالى عنه والغلام فهو تعبير عن المثنى بضمير الجمع تجوزا وفى نسخة من مثل ما كان يجئ به صلى الله تعالى عليه وسلم (وهل عرف واحد منهم بمعرفة شئ من ذلك) الذى جاء به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من الآيات الباهرة وهو كالذى قبله (وما منع العدو حينئذ) أى حين حضورهم معه (على كثرة عدده) بفتح العين أى أى مانع لهم مع كثرتهم وحرصهم على تكذيبه (ودؤب طلبه) بدال مهملة وهمزة وواو وموحدة مصدر بوزن القعود من الدأب وهو الجد والتعب يقال أدأبه اذا أتعبه ثم صار بمعنى العادة المسببة عن ذلك وصار حقيقة فيه (وقوة حسده) بحاء مهملة وهو مما يبعثهم على الطلب ويحثهم (ان يجلس الى هذا) الذى زعموا انه يعلمه (فيأخذ عنه) أى يتلقن بتعلمه منه (أيضا) أى كما تعلم منه النبى صلى الله عليه وسلم على زعمهم الفاسد (ما يعارض به) ما جاء به (ويتعلم منه ما يحتج به) أى يجعله حجة ودليلا (على شغبه) أى لجاجة فى خصومته وعناده وتهييج الشر بفتنته يقال شغب به وعليه وهو بفتح الغين المعجمة هنا لوقوعه قافية لقوله طلبه وهو لغة فيه كما فى القاموس وغيره وتسكن أيضا وهى اللغة المشهورة فيه ومن أنكر الفتح وقال انه لغة عامية كالحريرى لم يصب مع ان الكوفيين يجوزون تحريك كل ما عينه حرف حلق كالشعر على انه لو صح ما قاله قلنا انه ازدواج ومشاكلة وحرفه بعض بشيعته (كفعل النضر بن الحارث) وهو من كفار قريش وكان ذهب الى الحيرة ليتعلم منهم أخبار ملوك الفرس رستم واضرابه فكان اذا قرأ النبى صلى الله تعالى عليه وسلم القرآن وقص عليهم قصص الامم وحذرهم ساوقع جلس النضر بن قريش وقص عليهم قصص ملوك الفرس وقال قد أتيتكم باحسن مما جاء به محمد وهو الذى نزل فيه ومن قال سانزل مثل ما أنزل الله الآية ثم انه

(بما كان يخرق) من المخرقة بالخاء المعجمة وهى كلمة مولدة كما ذكره الجوهرى ان يزخرف (به من أخبار كتبه) أى مما لا يجدى نفعا له ولغيره (ولا غاب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عن قومه) أى غيبة يمكن فيها من تعلمه (ولا كثرت اختلافاته) تردداته (الى بلاد أهل الكتاب) وفى نسخة الكتب أى كالمدينة ونحوها من بلاد قومه (فيقال) بالنصب (انه

لم يزل كذلك مصرا على عداوته صلى الله عليه وسلم حتى أظفره الله عليه فقتله كما ذكر فى السير (بما كان يخرق به) متعلق بفعل ويخرق بمعنى يكذب والمخرقة لفظة مولدة ومعناها افتعال الكذب يتلهى به أخذوها من المخراق وهى خرقة يلعب بها من يرقص وهذه لفظة عربية ميمها زائدة تصرف فيها المولدون وتوهموا اصالة ميمها كما فى قولهم تمسكن ويخرق بضم التحتية وفتح الميم وخاء معجمة وراء مهملة وقاف (من أخبار كتبه) التى كان يأتى بها ويقصها عليهم (ولا غاب النبى صلى الله عليه وسلم عن قومه) ولا خرج من بلده الى بلاد بعيدة أقام بها أقامة يحتمل انه لقى بها من تعلم منه وهذا معطوف على قوله ولا عرف الخ ولا يضره طول الفصل وما اعترض بين المعطوفين (ولا كثرت اختلافاته) أى رواحه ومجيئه مرارا عديدة يقال فلان يختلف الى بلاد كذا أى يسافر ويذهب اليها الا انها مخالفة لمقره المعروف (الى بلاد أهل الكتاب) وهم اليهود والنصارى والتعبير بالكثرة هنا اشارة الى ما يأتى انه صلى الله تعالى عليه وسلم وقع له ذلك مرة أو مرتين الا انه فيهما لم يفارق رفقاءه من قومه ولم يقم عند غيرهم حين سافر الى الشام كما يأتى (فيقال انه استمد منهم) أى طلب المدد والاعانة من أهل الكتاب بتعليمه لشئ مما كان يتلوه على قريش (بل لم يزل) مقيما عندهم (بين أظهرهم) فى وسطهم مختلطا معهم وتقدم انه يقال بين أظهرهم وظهرانيهم (يرعى) ضبطه بعضهم بضم المثناة التحتية أى يلاحظ ويحفظ فهو بمرأى منهم ومسمع لا يخفى أمره عليهم وبعضهم فتحه وجعله من رعاية الغنم والمواشى وهو المناسب لقوله (فى صغره) أى وهو طفل (وشبابه) أى بعد ما بلغ وصار شابا وكان من ذهب الى الاول أنف من جعله صلى الله تعالى عليه وسلم راعيا ولكنه وقع ذلك له ولغيره من الانبياء عليه الصلاة والسلام ولم يكن معيبا عندهم وهو أقوى فى اثبات مدعاه لان من يرعى يكون فى الغالب معتزلا عن الناس بعيدا عن التعلم (على عادة ابنائهم ثم لم يخرج عن بلادهم) بعد ما شب وبلغ أو بعد ما وجد وعرف حاله (الا فى سفرة) واحدة (أو سفرتين) الى بلاد الشام مرة مع أبى طالب ورده من الطريق باشارة بحيراء الراهب كما مر ومرة فى تجارة لام المؤمنين خديجة رضى الله عنها مع غلامها ميسرة فلم ينفرد عن أهل بلدته أبدا سفرا واقامة ولم يتردد المصنف رحمه الله تعالى فى السفرتين حتى يرد عليه قول البرهان ان السفرتين محققتين كما فى السير فكان ينبغى ان يقول الا فى سفرتين جزما لان السفرة الاولى لما رده فيها عمه أبو طالب من الطريق كانت كالعدم فانه يقال لمن رجع انه لم يسافر فلا وجه للاعتراض عليه ومثله لا يخفى واما ذهابه صلى الله تعالى عليه وسلم مع مرضعته حليمة لبنى سعد فلا يعد مثله سفرا لا سيما والمراد سفر خاص لديار أهل الكتاب وسفر يمكنه التعلم فيه وكذا ذهابه صلى الله تعالى عليه وسلم الى الطائف الى بنى عبد ياليل فانه لقربه لا يعد سفرا واهلها جهلة أهل شرك لا علم عندهم يعلمونه له وقوله (لم يطل فيها) أى فى جنس السفرة (مكثه) أى اقامته وهو بفتح الميم وضمها (مدة يحتمل فيها) أى فى المدة (تعليم القليل) وتعلمه من علم وغيره (فكيف الكثير) الذى كانوا يعرفونه منه وهو استفهام انكارى بنفيه بطريق برهانى ثم اكده وأثبت مدعاه بقوله (بل كان فى سفره فى صحبة قومه) لم يفارقهم ولم يخالط غيرهم طرفة عين (ورفاقة) بفتح أوله مصدر كالسماحة بمعنى المرافقة وهى الاجتماع فى السير والسفر من الرفق لان كلا منهما رفق بصاحبه (عشيرته) أى قومه وقبيلته من العشرة وهى الاختلاط قال فى القاموس

استمدمنهم) أى استفاد عنهم (بل لم يزل) أى من أول عمره الى آخر امره (بين أظهرهم) أى بينهم (يرعى) أى الغنم (فى صغره وشبابه) وقال الدلجى يرعى من المراعاة وهى الملاحظة والمحافظة وهو بعيد جدا (على عادة انبيائهم) أى انبياء سلفهم وفى أصل الدلجى ابنائهم باصلاح انبيائهم وكذا فى نسخة صحيحة وهو ظاهر جدا (ثم لم يخرج عن) وفى نسخة من (بلادهم الا فى سفرة) أى واحدة (أو سفرتين) أى مرة مع عمه أبى طالب فرده من الطريق باشارة بحيرا وأخرى فى تجارته لزوجته خديجة ومعه غلامها ميسرة والترديد باو نظرا الى ان الخرجة الاولى هل تسمى سفرة أولا فاندفع قول الحلبى وهاتان السفرتان ذكرهما جماعة وكان ينبغى ان يقول الا فى سفرتين على انه قد يقال المعنى بل سفرتين (لم يطل فيها) ويروى فيهما (مكثه) بضم الميم وتفتح أى اقامته ولبثه (مدة لا يحتمل) بصيغة المعلوم أو المجهول (فيها تعليم القليل) أى اليسير (فكيف الكثير) أى فكيف يحتمل فيها تعليم الكثير والاستفهام للانكار (بل كان فى سفره فى صحبة قومه ورفاقة عشيرته) بفتح الراء

عشيرة

عشيرة الرجل بنو أبيه الادنون أو قبيلته (لم يغب عنهم) ويفارقهم مفارقة تحتمل ملاقاة أهل الكتاب وتعلمه منهم (ولا خالف حاله) التى نشأ عليها وعرف بها مدة مقامه بضم الميم مصدر بمعنى الاقامة (بمكة) الى ان هاجر صلى الله تعالى عليه وسلم الى المدينة وفاعل خالف ضمير يعود له صلى الله تعالى عليه وسلم وحاله مفعوله وقوله (من تعليم) بيان لما قدر فى قوة المذكور لعلمه مما قبله أى ماخالفه لامر آخر من تعليم الى آخره وليست من زائدة فى الفاعل ومحله رفع كما قيل (واختلاف) أى مجىء وذهاب وأصله مجىء القوم بعضهم خلف بعض فاستعمل المقيد فى المطلق ومنه اختلاف الليل والنهار (الى حبر) بكسر الحاء وفتحها وهو العالم من علماء اليهود (أو منجم) أى عالم بالنجوم وأحكامها (أو قس) بفتح القاف كما فى القاموس وغيره واشتهر ضمه وذكره ابن السيد فى المثلثات رئيس علماء النصارى (أو كاهن) وهو من العرب من يخبر عن المغيبات بواسطة جن ونحوه فاستوفى اقسام من يمكن التعلم منه من أنواع الناس ثم ترقى فى ابطال ماقالوه فقال (بل لو كان هذا) أى لو فرض خلاف ماذكر من حاله صلى الله تعالى عليه وسلم بان فرضنا اسفارا كثيرة له ومكثا مع أهل الكتاب واختلافا للقسيسين والاحبار (بعد) مبنى على الضم والتقدير بعد ثبوت خلافه لا بعد مكثه بين أظهرهم برعى فى صغره وشبابه كما قيل فانه غير مناسب لمن تأمل كلامه (كان لكان مجىء ما أتى به) صلى الله تعالى عليه وسلم (فى معجز القرآن) الذى لا يشبه شيأ من كلام البشر (قاطعا لكل عذر) اعتذروا به عن مخالفتهم له عنادا وبغيا منهم وجعله عذرا ايماء الى انهم معترفون بجرمهم بدلالة الحال (ومدحضا) أى مزيلا ومبطلا من الادحاض وهو الازلاق ففيه استعارة مكنية لتشبيههم بمن زلت قدمه لمشيه فى أوحال الشرك (لكل حجة) تشبثوا بها وهى أوهى من بيت العنكبوت وفى نسخة لكل شبهة (ومجليا) بضم الميم وفتح الجيم وكسر اللام المشددة ويجوز تخفيفها وتسكين الجيم وقال البرهان انه بضم الميم وسكون الخاء المعجمة والظاهر ماقدمناه أى موضحا وكاشفا ومزيلا ومبعدا (لكل أمر) غيهب تخيلوه وتلبيس احتالوا به

(فصل ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم) التى خصه الله بها عن غيره من الرسل عليهم الصلاة والسلام وسائر الخلق (وكراماته) التى أكرمه الله تعالى وشرفه بها (وباهر آياته) أى ظاهر آيات نبوته ومعجزاته والجار والمجرور خبر مقدم للحصر والاعتناء (و) قوله (انباؤه) بفتح الهمزة جمع نبأ وهو الخبر أى أخباره الصحيحة الواقعة له صلى الله عليه وسلم (مع الملائكة والجن وامداد الله له بالملائكة) بكسر الهمزة مصدر أمده امدادا من المد قال الراغب أمددت الجيش بمدد والانسان بطعام وأكثر ماجاء الامداد فى المحبوب والمد فى المكروه نحو وأمددناهم بفاكهة ونمد له من العذاب مدا انتهى أى ارسال الله الملائكة عليهم الصلاة والسلام مددا له صلى الله تعالى عليه وسلم واعانة كما سيأتى (وطاعة الجن له) بانقيادهم واسلامهم لا بامدادهم ولذا خالف فى العبارة بينهم وبين الملائكة (ورؤية كثير من أصحابه لهم) أى للملائكة والجن كما سيأتى ولا وجه لتخصيصه بالجن ثم ابتدأ بما يثبت ماقاله من القرآن فقال (قال الله تعالى وان تظاهرا) أى تتعاونا (عليه) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بما يسوءه

(لم يغب عنهم ولا خالف حاله) بالنصب أو الرفع والمعنى وما اختلف حاله (مدة مقامه بمكة من تعليم) أى من معلم علمه من بيان لحاله لا مزيدة كما قاله الدلجى وفى نسخة ومن تعلم وهو الاظهر (واختلاف الى حبر) بفتح الحاء وتكسر أى عالم يهودى وأغرب الدلجى بقوله بكسر المهملة أفصح من فتحها نعم كذلك فى معنى المداد الا انه ليس ههنا المراد (وقس) بفتح القاف وبكسر وضمه خطأ فسين مشددة أى عالم نصرانى وكذا القسيس (أو منجم) أى متعلق بعلم النجوم (أو كاهن) أى ممن يزعم انه يخبر عن كائن

(بل لو كان بعد) بضم الدال أى بعد مكثه وتصور تعلمه (هذا كله) اسم كان وفى أصل الدلجى بل لو كان هذا كله بعده وظاهر جدا وفى نسخة صحيحة بل لو كان هذا بعد كله (لكان مجىء ما أتى به فى) وفى نسخة من (معجز القرآن) بل من معجزاته (قاطعا لكل عذر ومدحضا) أى مزيلا ودافعا (لكل حجة) أى داحضة وفى نسخة صحيحة لكل شبهة (ومجليا) بضم ميم وسكون جيم وتخفيف لام فتحتية مخففة وفى نسخة بفتح الميم وكسر اللام المشددة لا كما قال الحلبى باسكان الخاء والمعنى كاشفا وموضحا (لكل أمر) أى مما يلوح عليه مخايل ريبته

(فصل)

(ومن خصائصه عليه الصلاة والسلام) أى خصوصياته فى حالاته (وكراماته وباهر آياته) أى غالب معجزاته (انباؤه) بفتح الهمزة أى اخباره الواقعة له (مع الملائكة والجن وامداد الله) أى اعانته (له بالملائكة) أى المقربين كما فى وقعة بدر وحنين (وطاعة الجن له) كجن نصيبين (ورؤية كثير من أصحابه لهم) أى للملائكة والجن وهذا اجمالى يتبين لك بعد تفاصيل أحواله (قال تعالى وان تظاهرا) بتشديد الظاء وتخفيفها والخطاب لعائشة وحفصة أى وان تتعاونا (عليه) أى على النبى بما يسوؤه لديه من الافراط فى الغيرة لكثرة ميلهما اليه

(فان الله هو مولاه) أى ناصره (وجبريل) بكسر الجيم وفتحها (الآية) أى وصالح المؤمنين كابى بكر وعمر والملائكة أى بقيتهم بعد ذلك أى بعد نصره سبحانه وتعالى ظهير أى مظاهرون له (وقال تعالى اذ يوحى ربك الى الملائكة انى معكم فثبتوا الذين آمنوا) أى بانى معكم معينا لهم (وقال اذ تستغيثون ربكم) أى بمناجاتكم ومناداتكم يا غياث المستغيثين أغثنا أعنا على أعدائنا وعن عمر ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم رأى الكفار ألفا وأصحابه ثلاثمائة أى فى بدر فرفع يديه مستقبلا يقول اللهم انجز لى ما وعدتنى اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد فى الارض فما زال يهتف بربه حتى سقط رداؤه فقال أبو بكر يا نبى الله حسبك مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك (فاستجاب لكم) أى ربكم (انى ممدكم) أى بانى معاونكم (الآيتين) أى بالف من الملائكة مردفين بكسر الدال أى متتابعين وبفتحها أى يردف بعضهم ببعض وكان الظاهر ان يقول الآية ولعله أراد الاشارة بالآيتين من السورتين أى الانفال وآل عمران وهى قوله تعالى اذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين بلى ان تصبروا وتتقوا ٢٤٦ ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين فيكون الايماء الى القصتين من بدر واحد حيث وقع الوعد فى الثانى مقيدا بشرط الصبر ولما فقد فقد المدد والنصر ولا يبعد ان يراد لآيتين قوله اذ يوحى وقوله اذ تستغيثون بل هو الاظهر فتدبر (وقال واذ صرفنا) أى أملنا ووجهنا (اليك نفرا من الجن) أى جن نصيبين (يستمعون القرآن الآية) أى فلما حضروه قالوا انصتوا فلما قضى ولوا الى قومهم منذرين الآيات هذا وقد ورد انه لما حرست السماء نهضوا فوافوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بوادى النخلة منصرفه يقرأ فى صلاة الصبح فاستمعوا اقراءته وأخرج واما حديث ابن مسعود انه حضر معه ليلة الجن فثابت أيضا كما بينته فى محله وسيأتى أيضا تقرير بعضه (حدثنا سفيان بن العاصى) كذا بالياء والاظهر انه بلا ياء فانه معتل العين لا اللام كما قدمنا (الفقيه) سبق ذكره (بسماعى عليه) أى فى حضورى لديه (حدثنا أبو الليث السمرقندى) أى من أئمة الحنفية (ثنا عبد الغافر الفارسى) بكسر الراء ويسكن (حدثنا أبو أحمد الجلودى) بضم الجيم وتفتح (ثنا ابن سفيان) وهو ابراهيم بن محمد بن سفيان راوى صحيح مسلم عنه (ثنا مسلم) أى القشيرى النيسابورى صاحب الصحيح (ثنا عبيد الله) مصغرا (ابن معاذ) بضم الميم قال أبو داود كان يحفظ عشرة آلاف حديث روى عنه مسلم وغيره (ثنا أبى) أبوه معاذ بن معاذ التميمى العنبرى الحافظ قاضى البصرة قال أحمد اليه المنتهى فى التثبت بالبصرة (ثنا شعبة) امام جليل فى الحديث (عن سليمان الشيبانى) أخرج له الائمة الستة

(فان الله هو مولاه) أى ناصره ومعينه (وجبريل وصالح المؤمنين) أبو بكر وعمر معطوف على محل اسم ان فيكونون ناصريه (الآية) أى والملائكة بعد ذلك ظهير وضمير تظاهرا لحفصة وعائشة أمى المؤمنين والآية وسبب نزولها وتفسيرها مبسوط فى محله وقد تقدم فى أول الكتاب بعض منه (وقال الله تعالى اذ يوحى ربك الى الملائكة انى معكم) بنصرى وتأييدى (فثبتوا الذين آمنوا) بالقتال معهم وتقوية قلوبهم بوعدهم بالنصر وظهورهم على أعدائهم وهذا كان ببدر وقد كثر أعداؤه المشركون وعددهم وقلة المسلمين وضعفهم وهو تعالى يؤيد من يشاء بنصره (وقال) فى وقعة بدر (اذ تستغيثون ربكم) تطلبون غوثه واعانته (فاستجاب لكم) أجاب دعاءكم وانجز وعده لكم (انى ممدكم الآيتين) أى اقرأهما الى آخرهما أى انى ممدكم بالف من الملائكة مردفين أى متتابعين (وقال الله تعالى واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن الآية) أى أملناهم وأوصلناهم اليك والنفر ما دون العشرة وهؤلاء جن نصيبين وهذا كان ببطن نخلة فى منصرفه صلى الله تعالى عليه وسلم من الطائف وقد ذكر هؤلاء النفر وعدتهم واسماءهم فى مفصلات التفسير واجتماع الجن به صلى الله تعالى عليه وسلم وقع مرتين بل أكثر وهو شاهد على انه صلى الله تعالى عليه وسلم مرسل للجن ولا شبهة فيه ولا خلاف عند من يعتد به (حدثنا سفيان بن العاصى الفقيه بسماعى عليه) تقدم بيانه وبيان السماع ورتبته قال (حدثنا أبو الليث السمرقندى) تقدمت ترجمته قال (حدثنا عبد الغافر الفارسى) تقدم أيضا قال (حدثنا أبو أحمد الجلودى) تقدم ضبطه وترجمته قال (حدثنا ابن سفيان) هو ابراهيم بن محمد بن سفيان راوى صحيح مسلم عنه وترجمته معروفة قال (حدثنا مسلم) القشيرى النيسابورى صاحب الصحيح المشهور قال (حدثنا عبيد الله بن معاذ) أبو عمرو العنبرى الحافظ الفصيح الثقة توفى سنة مائتين وسبع وثلاثين وأخرج له أصحاب السنن قال (حدثنا أبى) معاذ بن معاذ التميمى الحافظ قاضى البصرة واليه انتهى علم الحديث توفى سنة مائة وستة وتسعين وأخرجه أصحاب السنن أيضا قال (حدثنا شعبة) تقدمت ترجمته أيضا قال (حدثنا سليمان الشيبانى) ابن أخى سليمان فيروز أو خاقان الشيبانى بالمعجمة مولاهم الكوفى الحافظ الثقة توفى سنة ثمان وثلاثين أو احدى أو اثنين وأربعين وقول الواقدى وابن كثير سنة تسع وعشرين غلط

(سمع زر بن حبيش) بالتصغير وزر بكسر الزاي وتشديد الراء هو أبو مريم الاسدي عاش مائة وعشرين سنة وكان من أكابر القراء المشهورين من أصحاب ابن مسعود وسمع عمر وعليا وعنه عاصم ابن أبي النجود وخلق (عن عبد الله) أي ابن مسعود (قال) أي الله سبحانه وتعالى (لقد رأى من آيات ربه الكبرى قال) أي ابن مسعود (رأى) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (جبريل في صورته) أي أصل خلقته (له ستمائة جناح) يدل على كمال عظمته كما يشير الى مزيته قوله تعالى جاعل الملائكة رسلا أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق ما يشاء ان الله على كل شيء قدير وهذا الموقوف أخرجه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي قال التلمساني قيل رآه في صورته مرتين خاصة وما عداهما لم يره هو وغيره من الملائكة الا في صورة الآدميين ليأنس بهم ومن تمام الحديث له ستمائة جناح مثل الزبرجد الاخضر فغشي عليه (والخبر) أي الحديث والاثر (في محادثته) أي مكالمته عليه الصلاة والسلام (مع جبريل واسرافيل وغيرهم) بصيغة الجمع لتعظيمهما) أي لان أقل الجمع اثنان وفي نسخة وغيرهما (من الملائكة) كعزرائيل وملك الجبال ومالك خازن النار (وما شاهده من كثرتهم) كحديث أطت السماء وحق لها ان تئط ما فيها موضع قدم الا وفيه ملك اما راكع أو ساجد (وعظم صور بعضهم) كعزرائيل واسرافيل وسائر حملة العرش (ليلة الاسراء مشهور) أي رواه الائمة كخبر يا محمد هذا ملك الجبال يسلم عليك قال التلمساني وروى ابن عباس مرفوعا انه رأى ليلة المعراج في مملكة الله تعالى رجالا على أفراس بلق شاكي السلاح طول كل واحد مسيرة ألف سنة وكذلك طول كل فرس يذهبون متتابعين لا يرى أولهم ولا آخرهم قال فقلت يا جبريل من هؤلاء قال ألم تسمع قوله تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو ثم قال أنا أهبط وأصعد وأراهم هكذا يمرون لا أدري من أين يجيئون ولا أين يذهبون ذكره النسفي في زهر الرياض قاله الانطاكي

وأخرج له الائمة الستة (سمع زر) بكسر الزاي المعجمة وتشديد الراء المهملة (بن حبيش) بالتصغير بحاء مهملة وموحدة وتحتية ساكنة وشين معجمة وهو أبو مريم الاسدي أدرك وسمع عليا وعمر رضي الله تعالى عنهما وعاش مائة وعشرين سنة وتوفي سنة اثنين وثمانين وأخرج له الستة (عن عبد الله) بن مسعود الصحابي المشهور وهذا التفسير الآتي أخرجه مسلم والترمذي والنسائي موقوفا والذي ذكره المصنف رواية السنن وقال الترمذي انه حسن صحيح ولفظه (قال) أي الله سبحانه وتعالى (لقد رأى من آيات ربه الكبرى قال) ابن مسعود رضي الله تعالى عنه في تفسيره وهو موقوف له حكم الرفع (رأى جبريل في صورته) الاصلية التي خلق عليها (له ستمائة جناح) اللام جواب قسم مقدر أي رأى الآية الكبرى من آيات ربه والكبرى اسم تفضيل مؤنث أكبر ومن تبعيضية وفيه ايماء الى انه رأى ربه وهو قول الاكثر فقد رآه بعين بصره وهو مذهب ابن عباس وارتضاه الاشعري والنووي وما نقل عن عائشة رضي الله تعالى عنها من انكاره فقيل ان الذي قالته كما في مسلم عن مسروق انه قال كنت متكئا عند عائشة فقالت يا أبا عائشة ثلاث من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم على الله الفرية قلت ما هن قالت من زعم ان محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية قال وكنت متكئا فجلست وقلت يا أم المؤمنين أنظريني ولا تعجلي ألم يقل الله عز وجل ولقد رآه بالافق المبين ولقد رآه نزلة أخرى فقالت أنا أول من سأل عن ذلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال انما هو جبريل لم أره على صورته غيرها تين المرتين رأيته منهبطا من السماء سادا أعظم خلقه ما بين السماء والارض الحديث فليس فيه نفي رؤيته لربه وانه صلى الله تعالى عليه وسلم ذكر لها ذلك وقد تقدم جميع ذلك مع ما فيه وقد ذكر هنا انه رأى جبريل وله ستمائة جناح سدت ما بين السماء والارض والعدد لا مفهوم له فلا ينافي أن تكون أجنحته تزيد على ذلك فان الملائكة أجسام مجردة قابلة للتشكل (والخبر) أي الحديث الصحيح المسند (في محادثته) صلى الله تعالى عليه وسلم (مع جبريل واسرافيل وغيرهم من الملائكة) أعاد ضمير الجمع على المثنى تعظيما لهما تنزيلا لهما منزلة الجماعة أو لتنزيل ذلك منزلة تعدد الصور الذي يشير اليه ما قبله وبينه بقوله بعده (وما شاهده من كثرتهم وعظم صور بعضهم ليلة الاسراء مشهور) وفي نسخة وصورة بعضهم وفي نسخة وعظم صورهن وحديث الاسراء ورؤيته صلى الله تعالى عليه وسلم الملائكة والانبياء مشهور وتقدم طرف منه ورؤيته للملائكة كملك الجبال وملك المطر واسرافيل صحيح مشهور أيضا ومن أراد تفصيله فلينظر كتاب السيوطي المسمى بالحبائك في أخبار الملائك فانه كتاب جليل في بابه وفيه عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لما عيره المشركون بالفاقة أي الفقر وقالوا ما قصه الله من قوله تعالى ما لهذا الرسول يأكل الطعام الآية حزن لذلك فنزل عليه جبريل وقال له رب العزة يقرؤك السلام ويقول لك وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام الى آخره فبينما جبريل والنبي صلى الله تعالى عليه

(وقد رآهم) أي الملائكة وفي أصل الدلجي رآه أي جبريل (بحضرته) أي بحضوره عليه السلام وهي بفتح فسكون وقال التلمساني ان الحاء مثلثة ويقال أيضا بسكون الضاد وفتحها (جماعة من أصحابه) أي الكرام (في مواطن مختلفة) أي متفاوتة الايام (فرأى أصحابه) أي بعضهم (جبريل عليه السلام في صورة رجل يسئله عن الاسلام) وفي نسخة زيادة والايمان والحديث رواه الشيخان وغيرهما من طرق متعددة والمعنى في صور رجل غير معروف كما في أصل الحديث المذكور فقول الدلجي كدحية ليس في محله وان تبجح بتوشيخ شرحه (ورأى ابن عباس واسامة) أي ابن زيد كما في نسخة وهو ابن حارثة (وغيرهما عنده) أي بحضرته (جبريل في صورة دحية) بكسر الدال وتفتح وهو ابن خليفة الكلبي المشهور بالحسن الصوري وقد أسلم قديما وشهد المشاهد كلها بعد بدر وأرسله عليه السلام بكتاب معه الى عظيم بصرى ليدفعه الى هرقل وأما رؤية ابن عباس له فرواها الترمذي ولفظه ابن عباس رأى جبريل مرتين وأما رؤية اسامة له فرواها الشيخان عنه وفيهما ان أم سلمة رأته وأما غيرهما كعائشة فروى رؤيتها البيهقي وقال التلمساني وحارثة بن النعمان رأى جبريل مرتين وأقرأه جبريل عليه السلام وجرير بن عبد الله البجلي مسحه ملك وحنظلة بن أبي عامر غسلته الملائكة وحسان بن ثابت أيده الله بجبريل لمنافحته عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وسعد بن معاذ نزل لجنازته سبعون ألف ملك ما نزلوا من قبل قط

وسلم يتحدثان اذ ذاب حتى صار مثل البردة وهي العدسة فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم مالك يا جبريل فقال فتح باب من أبواب السماء لم يفتح قبل ثم عاد لحاله وقال ابشر يا محمد هذا رضوان خازن الجنة فاقبل رضوان وسلم وقال يا محمد رب العزة يقرؤك السلام ومعه سفط من نور يتلألأ و يقول لك هذه مفاتيح خزائن الارض فنظر لجبريل كالمستشير فضرب جبريل بيده الارض وقال تواضع لله عز وجل فقال يا رضوان لا حاجة لي في الدنيا قال أصبت أصاب الله بك ويرون ان هذه الآية أنزلها رضوان تبارك الذي ان شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجري من تحتها الانهار ويجعل لك قصورا أقول ومن هذا علم انه لم ينزل بالقرآن الا جبريل غير هذه الآية والسر فيما ذكر ان نزول رضوان وهو ملك الجنان وتخييره دون بت باعطائها علم منه ان جبريل ان الله أراد له صلى الله تعالى عليه وسلم ما هو أرقى من ذلك في الجنة وانه لم يرض بحوز الدنيا الفانية أن تكون له ولو أراد خلافه أتاه ملائكة الارض ومن له التصرف فيها كاسرافيل والا فجبريل عليه الصلاة والسلام لا يقول شيأ برأيه ولا يفعل الا ما يؤمر به فافهم (وقد رآهم) أي الملائكة (بحضرته) أي في مجلسه صلى الله عليه وسلم والحضرة مثلث الحاء مصدر حضر يحضر اذا جاء وقدم وتجوز فيه تجوزا مشهورا عن مكان الحضور ونفسه ويستعمل للتعظيم في صاحب المجلس فيقال الحضرة العالية تأمر بكذا كالمقام كما يكتبه أصحاب الترسل (جماعة من أصحابه في مواطن) جمع موطن وهو محل الوطن وهو هنا المطلق المكان مجازا مرسلا (مختلفة) أي متعددة وأصل معناه المتغايرة فاستعمل في لازم معناه وقد تقدم بعض من الكلام على رؤية بعض الصحابة للملائكة عنده صلى الله تعالى عليه وسلم وفي بعض النسخ (فرأى أصحابه جبريل عليه السلام في صورة رجل يسأله عن الاسلام والايمان) والاحسان وعن الساعة وهو اشارة الى الحديث الذي في أول البخاري والكلام عليه وعلى الفرق بينه وبين الاسلام مفصل في شروحه (ورأى ابن عباس واسامة) بن زيد (وغيرهما) من الصحابة كعائشة رضي الله تعالى عنها وأم سلمة وعمرو وحارثة (عنده) صلى الله تعالى عليه وسلم (جبريل في صورة دحية) بن خليفة الكلبي الصحابي الجليل المشهور توفي في خلافة معاوية رضي الله عنهما وكان من أجمل الناس وأجلهم ولذا كان جبريل عليه الصلاة والسلام يأتي للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم على صورته رضي الله تعالى عنه ودحية بفتح الدال وكسرها ومعناه الرئيس بلغة اليمن وتمثل الملك مع عظم خلقته الاصلية بصورة صغيرة ليس بافناء بعض أجزائه ولا بازالتها ثم اعادتها كما قيل بل لانهم أنوار لطيفة قابلة للتشكل والتضام والانتشار كما يشاهد في اللهب في هبوب الرياح وقول امام الحرمين انه كالقطن المنفوش تمثيل وتقريب للعقول أيضا فلا ينقلب حقيقة اذا تمثل رجلا تأنيسا لمن يخاطبه ولا بعد في ان يخص الله بعض الانفس القدسية الملكية بقوة تقدر بها على التصرف في بدنه كما يريد كما قيل ان الابدال سموا ابدالا لانهم كانوا يرى لهم في بعض الامكنة شبحا يقوم مقامهم لقدرة أرواحهم القدسية على التصور بصورتهم وهو المسمى بعالم المثال وفيه كلام في كتب الاصول والحكمة وبعض أهل الشرع ينكره وتبعهم شارح المقاصد وقوله في صورة دحية بتقدير مضاف أي في مثل صورة دحية وما قيل من انه تمثيل لتمكنه منها واستقراره فيها استقرار المظروف في ظرفه تكلف لا حاجة اليه لان مثله للشمول والاحاطة بعد ظرفا حقيقة في العرف ورؤية ابن عباس رضي الله تعالى

عنهما

(ورأى سعد) أي ابن أبي وقاص كما في الصحيحين (على يمينه ويساره جبريل وميكائيل) لف ونشر مرتب على ما هو الظاهر المتبادر (في صورة رجلين عليهما ثياب بيض) بالوصف وتجوز الاضافة قال الحلبي في مسلم يعني جبريل وميكائيل ولم يسميا في البخاري فكونهما جبريل وميكائيل لم يقله سعد وانما الراوي عنه قاله عنه أو من دونه ذكر ذلك والله تعالى أعلم قلت ولفظ مسلم رأيت عن يمين رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعن شماله يوم أحد رجلين عليهما ثياب بيض ما رأيتهما قبل ولا بعد يعني جبريل وميكائيل (ومثله) أي ومثل ما روى سعد (عن غير واحد) أي صدر عن كثير من الصحابة (وسمع بعضهم زجر الملائكة) بفتح الزاي وسكون الجيم أي حثهم وحملهم على السرعة (خيلها يوم بدر) أي كما رواه عن عمر (وبعضهم رأى تطاير الرؤس من الكفار) أي في بدر (ولا يرون الضارب) كما رواه البيهقي عن سهل ابن حنيف وأبي واقد الليثي وقال أبو داود المازني على ما في رواية ابن اسحق اني لاتبع رجلا من المشركين يوم بدر لاضربه اذ وقع رأسه قبل ان يصل اليه سيفي فعرفت انه قتله غيري (ورأى أبو سفيان بن الحارث) بن عبد المطلب وهو ابن عم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (يومئذ) أي يوم بدر (رجالا بيضا) بكسر الباء جمع أبيض ولم يضم الباء محافظة على الياء (على خيل بلق) بضم فسكون جمع أبلق والبلق محركة سواد وبياض كالبلقة بالضم (بين

السماء والارض) وفي نسخة لا يقوم لها شيء أي لا يطيق ولا يقاوم لتلك الرجال شيء أي مما خلق الله تعالى فان ملكا واحدا كاف في اهلاك أهل الدنيا جميعا فقد أهلك جبريل مدائن قوم لوط بريشة من جناحه وثمود بصيحة من صياحه هذا وقد روى البيهقي عن سهيل بن عمرو انه هو الذي رآهم لكن لا منع من الجمع بعد تحقق السمع (وقد كانت الملائكة تصافح عمران بن حصين) كما رواه ابن سعد عن قتادة وفي مسلم انها كانت تسلم عليه

عنه ماله مرتين رواها الترمذي ورؤيته اسامة له رواها الشيخان عنه نقول الشارح الجديد لم أقف عليها من قصور النظر (ورأى سعد) بن أبي وقاص في حديث رواه الشيخان (على يمينه ويساره جبريل وميكائيل) لف ونشر مرتب (في صورة رجلين عليهما ثياب) تسميتهما وقع في الحديث عن غير واحد وهذا كان بغزوة أحد وقد قاتلا معه صلى الله تعالى عليه وسلم قال النووي في شرح مسلم هذا مما أكرمه الله به وفيه رد لمن قال ان الملائكة لم تقاتل معه بغير بدر وقد صح انهم قاتلوا معه بحنين وهذا هو الصواب وقال القرطبي في تفسيره لم تقاتل الا ببدر ووعد الله المؤمنين باحد ان صبروا واتقوا ان يمدهم بالملائكة فلم يصبروا ولم يمدهم وكان للنبي صلى الله عليه وسلم ملكان يقاتلان عنه دائما وفي الحديث دليل على ان رؤية الملائكة لا تختص بالانبياء عليهم الصلاة والسلام فيراهم الصحابة رضي الله تعالى عنهم والاولياء (ومثله عن غير واحد) أي روى مثل ما في هذا الحديث عن ناس كثيرين من طرق متعددة (وسمع بعضهم) أي بعض الصحابة وغيرهم من الحاضرين (زجر الملائكة) زجرها حسها (خيلها) على الجري بصوت (يوم بدر) أي وقعتها حين القتال وهذا رواه أبو نعيم والبيهقي عن ابن عباس ان رجلا من غفار قال قدمت أنا وابن عم لي ونحن مشركان وصعدنا على جبل مشرف على بدر ننظر الوقعة وننظر على من تكون الدبرة فبينا نحن كذلك اذ دنت سحابة فيها حمحمة خيل فسمعت قائلا يقول أقدم حيزوم فمات ابن عمي من خوفه وكدت أهلك وحيزوم منادى اسم فرس الملك المهموز وروى حيزون بالنون والصحيح الاول (وبعضهم رأى تطاير الرؤس) أي سرعة وقوعها بالخفة كطائر طار عن مقره وهذا رواه البيهقي عن سهل بن حنيف وأبي واقد الليثي (من الكفار) في يوم بدر (ولا يرون الضارب) لانه ملك خفي عنهم وبعضهم رآه وعرفه وقد روى كلاهما في أحاديث ذكروها ويجوز ان يقال ان التطاير استعارة شبهت بطائر وحمام طار من برج بدنه بنفسه كأنه ليس جزءا منه بدليل قوله ولا يرون الضارب ولا الضرب قال أبو داود المازني اني لاتبع رجلا من المشركين يوم بدر لاضربه فوقع رأسه قبل ان يصل اليه سيفي وكانوا يعرفون قتل الملائكة بان بهم سمة نار ونحوه (ورأى أبو سفيان بن الحارث) بن عبد المطلب قبل اسلامه (يومئذ) أي يوم بدر (رجالا بيضا) وجوههم وأبدانهم (على خيل بلق) أي فيها بياض ولون آخر (بين السماء والارض ما يقوم لها شيء) أي لا يمكن ان يقاوم شدتها وقتالها شيء غيرهم قيل أو كثر لما رآه من مهابة بطشها وسرعته وقيل ان الرائي لذلك سهيل بن عمرو كما رواه البيهقي وهو مخالف لما رواه المصنف رحمه الله تعالى هنا وهو هكذا في تخريج السيوطي لاحاديث هذا الكتاب وفي الشرح الجديد انه رواه ابن اسحق في سيرته ونقله في حديث طويل في مهلك أبي لهب والعهدة فيه عليه (وقد كانت الملائكة تصافح عمران بن حصين) باكفها والذي رواه مسلم انها كانت تسلم عليه ولا منافاة بينهما فان المتلاقيين يستحب لهما السلام والمصافحة تحية واكراما لان السلام أمان والمصافحة تسليم بدء له

فهو أمان لفظا ومعنى وحسا وعمران بن حصين هذا هو الصحابي الخزاعي رضي الله تعالى عنه وحصين علم منقول من مصغر حصن وهو كما قالوا أفضل من نزل البصرة وتوفي في خلافة معاوية رضي الله تعالى عنه سنة اثنين وخمسين ومصافحة الملائكة له مشهورة في الكتب المعتمدة وأما السلام ففي صحيح مسلم مسندا الى مطرف ان عمران رضي الله تعالى عنه قال اذ كانت الملائكة تسلم علي حتى اكتويت فتركت الملائكة السلام علي ثم تركت الكي فعادوا وقال له اكتمه مادمت حيا قال النووي رحمه الله تعالى كان به بواسير فاكتوى لها لقطع دمها وكان عظيم الصبر والتوكل وفي العلاج ترك التوكل فلذا قطعت الملائكة السلام عليه والا فالكي ليس محرما وان قيل بكراهته اذا أمكن العلاج بغيره كما ورد في المثل آخر الدواء الكي وروى انه كان يسمع في داره السلام عليه من غير ان يرى أهل الدار المسلم كما ذكره الترمذي وهذا وان كان خارجا عما عقد له الفصل من رؤية النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الملائكة ورؤية الصحابة رضي الله تعالى عنهم لهم عنده فهو يعلم منه المقصود بالطريق الاولى أو هو استطراد (وأرى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) في حديث رواه البيهقي مرسلا عن عمار بن ياسر رضي الله تعالى عنهما ورأى بصرية تعدت بالهمزة لمفعولين أولهما (لحمزة) بن عبد المطلب عمه صلى الله تعالى عليه وسلم وفي نسخة لحمزة رضي الله تعالى عنه باللام فهي زائدة كما في ردف لكم وثانيهما (جبريل عليه السلام في الكعبة) أي في داخلها او عندها فخر (مغشيا عليه) خوفا من مهابته لانه رآه على صورته ففي دلائل البيهقي رحمه الله تعالى وطبقات ابن سعد عن عمار بن ياسر ان حمزة رضي الله تعالى عنه قال يارسول الله أرني جبريل عليه السلام على صورته قال انك لا تستطيع ان تراه قال بلى فأرنيه فقال له أقعد فقعد فنزل جبريل على خشبة كانت في الكعبة فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم ارفع طرفك فانظر فرفع طرفه فرأى قدمه مثل الزبرجد الاخضر فخر مغشيا عليه * واعلم ان رأى اذا تعدى بالهمزة لمفعولين كان من باب أعطى قال ابن مالك لا تدخل اللام عليهما لانه يلزم تعدي فعل بحرفين بمعنى وان تعدى أحدهما لزم الترجيح بلا مرجح ان لم يتقدما أو أحدهما فتعديه هنا باللام لا وجه له وقال ابن هشام انه شاذ واللام زائدة كقول ليلى الاخيلية

أحجاج لا يعطي العصاة مناهم * ولا الله يعطي للعصاة مناها

فان كان هذا ورد كذا فهو من الشاذ المسموع ولا اعتراض عليه * واعلم ان الحافظ السخاوي قال في كتابه عمدة الناس في مناقب العباس رضي الله تعالى عنه ان العباس بعث ابنه عبد الله الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقام وراءه وعنده رجل فالتفت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فرآه فقال له متى جئت فقال منذ ساعة قال هل رأيت رجلا قال نعم قال ذاك جبريل ولم يره خلق الاعمى الا ان يكون نبيا لكن أسأل الله تعالى ان يجعل ذلك في آخر عمرك وله طرق من الاسانيد انه معارض برؤية جماعة من الصحابة لجبريل لم يعموا ولكن هذا ضعيف وتلك صحيحة فلا يتكلف الجمع بينهما وقد عمي ابن عباس في آخر عمره فقال

ان يأخذ الله من عيني نورهما * ففي لساني وقلبي منهما نور

عقل صحيح ورأي غير ذي زلل * وفي فمي صارم كالسيف مشهور

وقال له بعض الامويين مالكم يا بني هاشم تصابون في أبصاركم فقال وأنتم يا بني أمية تصابون في بصائركم انتهى * أقول ماذكره من حديث عمى الرائي لجبريل اذا ورد من طرق صار قويا وليس من قبيل الاحكام فيجعل معارضه ناسخا فلا بد من التوفيق فيحمل على ما رآه وحده في بيت ونحوه من مكان منحصر كالبيت من غير علم للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم برؤيته فلا يرد رؤية عائشة وغيرها وذلك لانه نور شديد

(وأرى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لحمزة جبريل في الكعبة فخر) أي سقط حمزة (مغشيا عليه) أي من عظمته وهيبته وحديثه هذا رواه البيهقي عن مسلم بن يسار مرسلا

قد يورث ضعف البصر المؤدي للعمى اذا احدق فيه الناظر وباطنا اثره في نوره الذي لم يتفرق وهو من الاسرار الالهية فتأمله * ثم ان المصنف رحمه الله تعالى قدم الملائكة لشرفهم ثم ذكر أمر الجن فقال (ورأى ابن مسعود) في حديث رواه البيهقي (الجن ليلة الجن) أي في ليلة رأى فيها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الجن وقد أمر بانذارهم ودعوتهم للاسلام فدعاهم (وسمع كلامهم) قال البرهان في المقتفى الذي في صحيح مسلم من حديث ابن مسعود انه لم يكن مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة الجن وقال ابن سيد الناس في سيرته ان حديث ابن مسعود في كونه حاضرا في ليلة الجن روي من طرق وفيه انه توضأ بنبيذ التمر وذكر الشراح هنا كلاما لا محصل له والحق ما قاله أبو البقاء الشبلي الحنفي في كتابه آكام المرجان في أحكام الجان من انه روي فيه احاديث متعددة منها ما رواه أبو داود عن ابن مسعود ان علقمة قال له هل صحب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة الجن أحد قال ما صحبه منا أحد ولكن فقدناه ليلة فالتمسناه في الاودية والشعاب فقلنا اغتيل فبتنا بشر ليلة فلما أصبحنا جاء من قبل حراء وقال أتاني داعي الجن فذهبت معه وقرأت عليهم القرآن وانطلق بنا وأرانا آثارنيرانهم وذكر انهم سألوه الزاد فقال لكم العظم والبعر ونهى عن الاستنجاء بهما رواه أحمد وهذه الليلة غير الليلة التي حضرها ابن مسعود وهي في دلائل البيهقي مسندة قال ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال لاصحابه بمكة من أحب منكم ان يحضر الليلة الجن فليفعل فلم يحضر أحد غيري فانطلقنا حتى اذا كنا بأعلى مكة خط لي برجله خطا أمرني بالجلوس فيه وانطلق حتى قام وافتتح القرآن فغشيته أسودة كثيرة حالت بيني وبينه حتى ما أسمع صوته الى الفجر وسمعتهم يقولون له من يشهد لك انك رسول الله وبقربه شجرة فقال أرأيتم ان شهدت هذه الشجرة تؤمنون قالوا نعم فدعاها والله فشهدت له فآمنوا به وجمع البيهقي بين الروايتين فقال قوله ما صحبه منا أحد أراد به حال ذهابه لقراءة القرآن الا ان قوله انه أعلم أصحابه بخروجه ينافي فقدهم له حتى قالوا انه استطير او اغتيل وفيه تصريح بانه من فقده والتمسه وفي هذا الحديث انه خرج معه وخط له خطا جلس فيه فلا يصح ما قاله البيهقي وهذا كله منشأه ظنهم انها ليلة واحدة ولا شك انها تعددت فمنها ما كان بمكة كما تقدم ومنها ما كان بالمدينة كما في دلائل النبوة لابي نعيم مسندا لابن مسعود وانه قيل له أكنت مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة وفد الجن قال أجل أخذ كل رجل رجلا من أهل الصفة يعشيه ولم يأخذني أحد فمر بي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال ما أخذك أحد يعشيك قلت لا قال انطلق معي لعلي أجد لك ما يعشيك فانطلقت معه لحجرة أم سلمة فتركني ودخل ثم خرجت جارية فقالت لي لم يجد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لك عشاء فرجعت الى المسجد والتففت بثوبي فخرجت الجارية وقالت أجب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاتيته أرجو العشاء فخرج وبيده عسيب نخل فعرض به على صدري وقال انطلق معي حيث انطلقت فقلت ماشاء الله وكررتها ثلاث مرات فانطلقنا حتى أتينا بقيع الفرقد فخط بعصاه خطا وقال أجلس فيه حتى آتيك ولا تبرح فانطلق وانا أراه خلال النخل فثارت مثل عجاجة سوداء فخفت عليه وقلت الحي أو استغيث الناس لظن هوازن مكرت به ثم ذكرت قوله صلى الله تعالى عليه وسلم لا تبرح فسمعته يقول اجلسوا وهو يقرعهم بعصاه فجلسوا حتى كاد ينشق عمود الصبح فذهبوا وأتى فذكرت له ما في نفسي فقال هم وفد نصيبين الى آخره فهذه الليلة كانت بالمدينة حضرها ابن مسعود وما سئل عنه أولا كان بمكة وقد وفدوا عليه صلى الله عليه وسلم مرة أخرى حضرها ابن الزبير رواها الطبراني ومرارا أخر ذكرها في باب مستقل بطولها ثم قال وهذه الاحاديث تدل على ان وفادة الجن كانت ست مرات الاولى فقد فيها وقيل

(ورأى ابن مسعود الجن) كما رواه البيهقي عنه (ليلة الجن) أي ليلة أمر النبي عليه الصلاة والسلام ان ينذرهم (وسمع) أي ابن مسعود (كلامهم)

وشبههم) أى فى الخلق والنطق (برجال الزط) بضم الزاى وتشديد الطاء قوم من السودان أو الهنود طوال قال الحلبي وفى حديث مسلم عنه انه لم يكن مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة الجن لكن ذكر ابن سيد الناس فى سيرته ما لفظه ان الحديث المشهور عن عبد الله بن مسعود من طرق متظاهرة يشهد بعضها البعض ويشيد بعضها بعضا قال ولم تنفرد طريق ابن زيد الابما فيها من التوضئ بنبيذ التمر انتهى وقد جاء الحديث الذى ذكره من غير طريق ابن زيد وهو فى ابن ماجه من حديث ابن عباس وفيه الوضوء بنبيذ التمر لكن فى السند عبد الله بن لهيعة والعمل على تضعيف حديثه وهو مرسل صحابى وفى العمل على قبوله خلافا لبعض الناس أى من الشافعي واتباعه هذا وقد ورد من طرق عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم خطب ذات ليلة ثم قال ليقم من لم يكن فى قلبه مثقال ذرة من كبر فقام عبد الله بن مسعود فحمله رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مع نفسه فقال ابن مسعود خرجنا من مكة فخط رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حولى خطا وقال لا تخرج عن هذا الخط فانك

ان خرجت عنه لم تلقنى الى يوم القيامة ثم ذهب يدعو الجن الى الايمان ويقرأ القرآن حتى طلع الفجر ثم رجع بعد طلوع الفجر وقال لى هل معك ماء أتوضأ به قلت لا الا نبيذ التمر فى اداوة فقال تمرة طيبة وماء طهور وأخذه وتوضأ به وصلى الفجر وقد روى أبو داود والترمذى وابن ماجه والدارقطنى عن ابن مسعود نحوه وكذا الطحاوى وغيره وقد أثبت البخارى كون ابن مسعود مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم باثنى عشر وجها فلا يلتفت الى قول الدلجى واما حديث ابن مسعود انه حضر معه ليلة الجن فضعيف ففى صحيح مسلم انه لم يكن معه فانا نقول رواية البخارى أصح وارجح والقاعدة ان الاثبات مقدم عن النفى عند الاثبات مع ان ليلة الجن كانت ست مرات أو المراد بنفى كونه معه انه لم يحضر مجلس المحاورات والله أعلم بالحالات (وذكر ابن سعد) وهو مصنف الطبقات الكبرى والصغرى ومصنف التاريخ ويعرف بكاتب الواقدى سمع ابن عيينة وابن معين وحدث عنه ابن أبى الدنيا وغيره مات سنة ثلاثين ومائتين (ان مصعب بن عمير لما قتل يوم أحد) أى وكان صاحب الراية (أخذ الراية ملك على صورته فكان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يقول له) أى ظنا منه انه هو (تقدم) الى جهد العدو (يا مصعب فقال له الملك) أى مرة فى جوابه (لست بمصعب فعلم) بصيغة الفاعل أو المفعول أى فعرف (انه ملك) لكن روى ابن أبى شيبة فى مصنفه انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال يوم أحد أقدم مصعب فقال له عبد الرحمن بن عوف يارسول الله ألم يقتل مصعب قال بلى لكن قام مكانه وتسمى باسمه انتهى وفيه احتمال انه عرفه من أول الوهلة وانه لم يعرفه حتى عرفه ثم كان يقول له مصعب من قبيل تجاهل العارف أو تنزيل المجهول منزلة المعلوم أو تسمية له باسمه أو على تقدير مضاف نحو نائبه والله تعالى أعلم

اغتيل والتمس بمكة والثانية كانت بالحجون والثالثة كانت باعلى مكة بالجبال والرابعة كانت ببقيع الفرقد والخامسة كانت خارج المدينة حضرها ابن الزبير والسادسة كانت فى بعض اسفاره حضرها بلال انتهى ملخصه (وشبههم) أى ابن مسعود لا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لقول قتادة ان ابن مسعود لما قدم الكوفة رأى شيوخا سودا أقرعوه فقال أخرجوهم ما أشبههم بالنفر الذين صرفوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعنى الجن وفيه دليل على انه رآهم (برجال الزط) متعلق بقوله شبههم والزط بالزاى المعجمة وتشديد الطاء المهملة قوم من السودان طوال وفى القاموس انهم جيل بالهند معرب جت بفتح الجيم والقياس يقتضى فتح معربه والواحد زطى (وذكر ابن سعد) وهو محمد بن سعد كاتب الواقدى وقد تقدم وهو بصرى (ان مصعب بن عمير) القرشى العبدرى الصحابى البدرى وهو ممن أسلم قديما وكان يحمل راية رسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه (لما قتل يوم أحد) أى فى وقعته قتله ابن قميئة لعنه الله ظانا انه رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى صحيح البخارى عن خباب ان مصعبا لما قتل لم يكن له الا نمرة كنا اذا غطينا رأسه بها بدت رجلاه واذا غطى رجلاه بدت رأسه فجعلوا على رجليه شيأ من الاذخر (أخذ الراية ملك على صورته) أى تشكل بشكله وبرز على صورته حتى لا تقع راية المسلمين فان وقوع راية العسكر فيه ضعف لهم ولتمام تلك الصورة فيه جعل كأنه عليها راكب لتمكنها فيه (فكان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يقول له تقدم يا مصعب) لنحو الاعداء فى القتال فان الراية يتبعها المقاتلون لانه صلى الله تعالى عليه وسلم لشدة توجهه للقتال لم يشعر بقتل مصعب ولم يتأمل حامل الراية (فقال له الملك لست بمصعب) كما ظننته (فعلم انه ملك) وفيه لطف وتبشير بسهولة الامر وظهور النصر وان مع العسر يسرا وهذا بناء على انه لم يعلمه كما رواه ابن سعد فى طبقاته وعلى ما رواه ابن أبى شيبة فى مصنفه من انه صلى الله عليه وسلم قال يوم أحد أقدم مصعب فقال له عبد الرحمن بن عوف لما سمع مقاله

يارسول

(وقد ذكر غير واحد من المصنفين) كالبيهقي وابن ماكولا في اكماله (عن عمر بن الخطاب انه قال بينا نحن جلوس) يروى أنا جالس (مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اذ أقبل شيخ بيده عصا فسلم على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فرد عليه) أي السلام

يا رسول الله ألم يقتل مصعب يعني فكيف تناديه قال بلى ولكن ملك قام مقامه وتسمى باسمه فهو الذي ناديته يكون علم صلى الله تعالى عليه وسلم انه ملك وانما تسمى باسمه لئلا يعلم الناس قتل حامل الراية فيحصل فيهم اضطراب وتشمت الاعداء بهم ويتمنون انهزامهم فعلم صلى الله تعالى عليه وسلم قتل مصعب وعلى الاول لم يشعر بقتله وكونه علمه ونسي أو ظن ان الله أحياه كما قيل بعيد فلا يقال كيف ناداه باسمه بعد ما علم انه ملك مع ان هذا السؤال غير وارد رأسا بعد علمه انه تسمى باسمه لما م وكان مصعب رضي الله تعالى عنه حامل راية المهاجرين باحد ولواء الخزرج حامله الحباب بن المنذر وقيل سعد بن عبادة وراية الاوس بيد أسيد بن حضير وما روى من ان حامل رايته باحد علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه لا ينافيه لان الراية كانت أولا بيد مصعب فلما استشهد أخذها الملك فلما انجلى الامر وعلم ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لم يقتل كما شنع به ابن قميئة وصرخ ابليس اللعين ان محمدا قد قتل أخذ علي الراية بعد ما أمسكها الملك لحظة لئلا تسقط ويخذل المسلمون وتقر أعين الكفار وقول الملك لست بمصعب يعني لست مصعبا المعروف لكم فلا يقال كيف قال ذلك بعد ما تسمى مصعبا (وقد ذكر غير واحد من المصنفين) كالبيهقي وابن ماكولا (عن عمر بن الخطاب) رضي الله تعالى عنه (انه قال بينا نحن جلوس مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اذ أقبل شيخ بيده عصا) كونه بيده عصا تحقيق لشيخوخته فان العصا سلاح المشايخ ولله در الباخرزي في قوله

حمل العصا للمبتلى * بالشيب عنوان البلا

وصف المسافر انه * ألقى العصا كي ينزلا

فعلى القياس سبيل من * حمل العصا ان يرحلا

وهو تلميح لقوله فالقت عصاها واستقرت بها النوى * كما قر عينا بالاياب المسافر

(فسلم على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فرد عليه) النبي صلى الله تعالى عليه وسلم سلامه بان قال له وعليك السلام وجواب السلام يقال له رد حقيقة وهو في الاصل مجاز لتشبيهه بمن أعطى شيأ فاعاده لصاحبه ثم صار حقيقة فيما ذكر (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم لمن سلم عليه بعد رده جوابه (نغمة الجن) وفي نسخة نغمة جني أي هذه أو نغمتك نغمة الجن وصوتهم فهو خبر مبتدأ مقدر وقال الثعالبي في فقه اللغة حسن الكلام وحسن الصوت والنغمة بالفتح جمعها نغم بفتح النون وكسرها وهو شاذ ومع شذوذه فله نظائر كهضبة وهضب وخيمة وخيم وبضعة وبضع (من أنت) من الجن وما اسمك وشهرتك وفيه اشارة الى انه صلى الله تعالى عليه وسلم يعرفهم لانهم وفدوا عليه مرارا كما تقدم (قال أنا هامة بن الهيم) بهاء مكسورة فمثناة تحتية فميم (بن لاقس بن ابليس) في ضبط هذه الاسماء اختلاف فقيل هامة بوزن قامة وقيل لام بالف ولام دون هاء والصحيح الاول والهيم بوزن الفيل كما مر وقيل انه مهموز بوزن كيف ووعل وفي الشرح انه مضبوط بخط الحافظ بتشديد الياء بوزن قيم ولا يعتمد عليه والكلام على ابليس مشهور وهو أبو الجن كما ان آدم عليه السلام أبو البشر ويسمى عزازيل وقيل الحارث ويكنى بابي مرة ولاقس بزنة فاعل وفي بعض النسخ لاقيس بزيادة ياء وهو الاشهر الاصح حتى قيل ان الياء سقطت سهوا من الكاتب (فذكر) للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم (انه لقي نوحا عليه الصلاة والسلام ومن بعده) من الرسل والانبياء (في حديث طويل وان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم علمه سورا من القرآن) بما يأتي والحديث عن عمر رضي الله تعالى عنه قال بينا نحن مع رسول الله صلى الله

(وقال نغمة الجن) بفتح النون أي هذه حركته وصوته وفي نسخة نغمة جني (من أنت) أي منهم (قال أنا هامة) بتخفيف الميم وفي بعض الروايات الهام (ابن الهيم) بكسر فسكون تحتية وفي نسخة صحيحة بفتح هاء وكسر تحتية مشددة أو مخففة (ابن لاقس) بكسر القاف أو لاقيس بزيادة تحتية (ابن ابليس) كان اسمه عزازيل قال التلمساني وهو أبو الجن كما ان آدم أبو البشر وقد ذكره البغوي في تفسيره عن مجاهد قال من ذريته ابليس لاقيس بالياء (فذكر انه لقي نوحا ومن بعده) أي من الانبياء وغيرهم (في حديث طويل) قال بعضهم انه موضوع كما ذكره الحلبي (وان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم علمه سورا من القرآن) قال الحلبي وفي الميزان في حديثه المذكور انه عليه السلام علمه المرسلات وعم يتساءلون واذا الشمس كورت والمعوذتين وقل هو الله أحد الحديث بطوله ذكر

الانطاكي وغيره انه قال بينا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يمشي في بعض جبال مكة أو عرفات اذ أقبل شيخ أعرج بيده عصا يتوكأ عليها فقال السلام عليك يا محمد فقال صلى الله تعالى عليه وسلم مشية الجن ونغمتهم قال نعم من أي الجن أنت قال أنا هامة بن الهيم بن

لاتيس [illegible] النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كم أتى عليك قال أنا كنت يوم قتل قابيل هابيل غلاما أطوف في الآكام وأفسد أطايب الطعام وآمر بقطيعة الأرحام فقال صلى الله تعالى عليه وسلم بئس صفة الشاب المؤمل والشيخ المرجو قال مهلا يا محمد دعني عنك من اللوم إنما جئتك تائبا وكانت توبتي في زمن نوح عليه الصلاة والسلام وعلى يديه ولقد كنت معه في السفينة وعاتبته في دعائه على قومه حتى بكى وأبكاني وقال والله أصبحت من النادمين وأعوذ بالله أن أكون من الجاهلين ولقد كنت مع هود حين دعا على قومه فأهلكهم الله بالريح

العقيم فعاتبته في دعائه على قومه حتى بكى وأبكاني وقال والله أصبحت من النادمين وأعوذ بالله أن أكون من الجاهلين ولقد كنت مع صالح في مسجده حين دعا على قومه فأخذتهم الصيحة فعاتبته في دعائه على قومه حتى بكى وأبكاني وقال والله أصبحت من النادمين وأعوذ بالله أن أكون من الجاهلين ولقد كنت مع ابراهيم يوم قذف في النار وأسعى بين منجنيقه وإطفاء نيرانهم حتى جعلها الله عليه بردا وسلاما وان موسى بن عمران أوصاني ان بقيت الى ان يبعث عيسى ابن مريم أن أقرئه منه السلام فلقيت عيسى فأقرأته السلام وقال لي عيسى ابن مريم ان بقيت الى ان تلقى محمدا فاقرأه مني السلام فجئت أقرأ عليك السلام فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم على عيسى السلام مادامت السموات والأرض وعليك يا هام فإنك قد أديت الأمانة فما حاجتك قال ان موسى علمني التوراة وعيسى علمني الانجيل وأحب ان تعلمني شيا من القرآن فاقرأه في صلاتي فعلمه عشر سور من القرآن فلم ير بعد انتهى لكن قال ابن نصر هذا الحديث موضوع وقاله ابن الجوزي أيضا وقال العقيلي لا أصل له والله تعالى أعلم (وذكر الواقدي) وكذا روى النسائي والبيهقي عن أبي الطفيل (قتل خالد) ابن الوليد (عند هدمه العزى) تانيث الاعز سمرة كانت لغطفان يعبدونها وكانوا بنوا عليها بيتا (للسوداء التي خرجت له) أي لخالد من الشجرة بعد قطعها (ناشرة) أي مفرقة (شعرها عريانة) أي واضعة يدها على رأسها داعية بالويل

تعالى عليه وسلم على جبل من جبال تهامة إذ أقبل شيخ في يده عصا فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم وله نغمة الجن وهمهمتهم فقال له من أنت قال هامة بن الهيم بن لاقس بن ابليس قال ليس بينك وبين ابليس الا أبوان قال نعم قال فكم لك من العمر قال أفنيت الدنيا عمرها وكنت مع نوح في مسجده مع من آمن به من قومه فلم أزل أعاتبه على دعوته عليهم حتى بكى وأبكاني فقال لا جرم اني على ذلك من النادمين وأعوذ بالله أن أكون من الجاهلين وقلت له يا نوح اني ممن شارك في دم الشهيد هابيل فهل تجد لي من توبة قال يا هام هم بالخير وافعله قبل الحسرة والندامة اني قرأت فيما أنزل الله على انه ليس من عبد تاب الى الله بالغا ذنبه ما بلغ الا تاب الله عليه فقم وتوضأ واسجد لله سجدتين ففعلت من ساعتي ما أمرني به فناداني ارفع رأسك فقد نزلت توبتك من السماء فخررت ساجدا لله وكنت مع هود في مسجده مع من آمن به من قومه فلم أزل أعاتبه على دعوته على قومه حتى بكى وأبكاني وكنت مع يوسف بالمكان المكين وكنت ألقى الياس بالأودية واني ألقاه الآن واني لقيت موسى بن عمران فعلمني من التوراة وقال ان لقيت عيسى بن مريم فاقرأه مني السلام وان عيسى قال ان لقيت محمدا فاقرأه مني السلام فبكى صلى الله تعالى عليه وسلم وقال على عيسى السلام مادامت الدنيا وعليك يا هامة لأدائك الأمانة فقال يا رسول الله افعل بي ما فعله موسى بن عمران فانه علمني من التوراة فعلمه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سورة المرسلات وعم يتساءلون عن النبأ العظيم واذا الشمس كورت وقل هو الله أحد والمعوذتين وقال له ارفع الينا حاجتك يا هام ولا تدع زيارتنا فقبض رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولم ينعه لنا فلست أدري أحي هو أم ميت انتهى * واعلم انهم اختلفوا في هذا الحديث فقال ابن الجوزي انه حديث موضوع لا أصل له وذكر له طرقا ذكر من في رواتها من الكذابين ومن لم تقبل روايته وخالفه فيه غيره وقال ان تعدد طرقه تدل على صحته وابن الجوزي له مجازفة في موضوعاته أكثرها مردودة وقد روى هذا الحديث من يعتمد عليه كالبيهقي كما علمت وابن عساكر وغيرهما (وذكر الواقدي) محمد بن عمر بن واقد المديني صاحب التآليف الكثيرة الغريبة وقد وثقه كثير وطعن فيه آخرون توفي ببغداد سنة سبع ومائتين وعمره ثمان وسبعون كما تقدم وهذا حديث صحيح رواه البيهقي والنسائي وغيرهما وهو مذكور في أكثر التفاسير (قتل خالد) بن الوليد وهو مصدر مضاف لفاعله ومفعوله السوداء (عند هدمه العزى) وفي نسخة قطعه وهي أظهر لأن العزى كانت شجرة أو ثلاثة أشجار في مكان واحد بنوا عليها بناء وكانوا يعبدونها ويسمع منها أصوات فذكر الهدم باعتبار ما حولها فهو بتقدير مضاف هو مفعول هدم كقطع أي قطعها أو هدم بنائها وكانت لغطفان وهي سمرة (للسوداء) مفعول قتل كما مر في نسخة السوداء واللام للتقوية وهو شيطان في صورة امرأة سوداء (التي خرجت له) أي لخالد رضي الله تعالى عنه لما باشر قطعها (ناشرة شعرها عريانة) واضعة يدها

(فجزلها) بجيم وزاي مخففة وتشدد للمبالغة أي قطعها نصفين (بسيفه) وهو يقول يا عزى كفرانك لا غفرانك انى رأيت الله قد أهانك وروى فجدلها بتشديد الدال أي فصرعها وفي رواية فخزلها بالخاء المعجمة والزاي المخففة أي فقطعها (وأعلم) أي خالد (النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال) أي له كما في نسخة (تلك العزى) زيد في رواية لن تعبد أبدا وفي رواية تلك شيطانة (وقال عليه الصلاة والسلام) كما في الصحيحين عن أبي هريرة (ان شيطانا) من شطن اذا بعد لبعده عن الخير أو من شاط اذا هلك لهلاكه في الشر (تفلت) بتشديد اللام أي تخلص بغتة (البارحة) أي في الليلة الماضية (ليقطع على صلاتي) والمعنى تعرض لي بغتة ليغلبني في اداء صلاتي غفلة (فامكنني الله منه) أي أقدرني الله عليه (فاخذته فاردت ان أربطه) بكسر الموحدة وتضم (الى سارية من سوارى المسجد) أي منضما الى اسطوانة من اسطوانات مسجد المدينة (حتى تنظروا اليه كلكم فذكرت دعوة أخي سليمان رب اغفر لي) أي ما صدر عني في أمر ديني وهو بدل من دعوة أخي (وهب لي) أي من الدنيا (ملكا لا ينبغي لاحد من بعدى) أي لا يتسهل لغيري في حياتي أو بعد مماتي مبالغة في زيادة خارقة للعادة

يدها على رأسها صائحة بالويل ناشرة وما بعده منصوب على الحالية وشعر بسكون العين وفتحها (فجزلها) بجيم وزاي معجمة مفتوحتين والزاي مشددة للمبالغة ومخففة أي جعلها جزلين أي قطعتين وروى جدلها بدال مهملة مشددة وروى عن خطه بخاء وذال معجمتين بمعنى قطعها ومعانيها متقاربة وأشهرها أولها والضمير للسوداء أي قطعها قطعا (بسيفه) وهو يقول يا عزى كفرانك لا غفرانك انى رأيت الله قد أهانك والعزى تأنيث الاعز (وأعلم) خالد بما فعله (النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال تلك العزى) ان كانت الاشارة لما وقع به الفعل من الشجرة فظاهر وان كانت الاشارة للسوداء فتسميتها عزى وهي اسم للشجر والبناء باعتبار انها هي التي عبدوها حقيقة وسمعوا منها ما كانت تخبرهم به من الغيبات ونحوها كما يقال الحج الشجرة العج باطلاق الشئ على المقصود منه فهو مجاز وكانت بنخلة تعبدها قريش وكنانة وهي من أجل أصنامهم وقصة هدمها مفصلة في السير وكان خروج خالد لها في ثلاثين فارسا والجن قادرة على التشكل بصور مختلفة كالملائكة الا ان هذه اذا قتل ما تصور منها هلك لما قتلها خالد قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم تلك العزى لن تعبد أبدا وقتل سادتها أي خادمها المتوكل بها وهو دبية بضم الدال المهملة وفتح الباء الموحدة وتشديد المثناة التحتية ابن حرمي من بني مرة (وقال صلى الله تعالى عليه وسلم) في حديث صحيح رواه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه (ان شيطانا) هو المتمرد من الجن من شطن اذا بعد أو من شاط اذا احترق فنونه زائدة أو أصلية (تفلت) بتشديد اللام نفذ أي وثب بسرعة بغتة وأصله التخلص بغتة يقال انفلتت الدابة اذ تخلصت من مربطها (البارحة) هي الليلة الماضية قبل وقتك التي تكلمت فيه يعني في ليلة يومه وقد ترد بمعنى اليوم الذي قبل يومك وفيه كلام في شرحنا لدرة الغواص (ليقطع على) بتشديد الياء متعلق بيقطع بمعنى يبطل (صلاتي) التي كنت أصليها ويجوز ان ينازعه هو وتفلت (فامكنني الله منه) أي قدرني عليه وعلى أخذه وحبسه (فاخذته) أي أمسكته وعقته عن مضيه وهروبه مني (فاردت ان أربطه) بكسر الباء وضمها أي أوثقه بوثاق يضمه (الى سارية) أي عمود أو اسطوانة من عمد المسجد (من سوارى) جمع سارية (المسجد) المدني (حتى تنظروا اليه كلكم) لاجل ان تروه مربوطا (فذكرت دعوة أخي سليمان) بن داود نبي الله عليهما الصلاة والسلام وهي قوله في دعائه (رب اغفر لي) كل ما صدر مني من تقصير بالنسبة لمقام النبوة وان كان معصوما (وهب لي ملكا) أي سلطانا عظيما (لا ينبغي لاحد من بعدى) أي لا يتيسر لاحد غيري وهو أحد معاني الانبغاء مطاوع بغى بمعنى طلب وليس هذا حرصا منه عليه الصلاة والسلام على الملك وسعة الدنيا وانما طلب عظمة ينفرد بها لتكون خارقة للعادة دالة على نبوته مقدرة له على تنفيذ أوامر ربه واظهار دينه وفي تقديم الدعاء بالمغفرة على حصول الملك ايماء الى ان السلطنة لا تخلو من أمور تحتاج لعفو الله تعالى أو وحيا من الله لطلبه أمرا لا يليق بغيره ولتركه مقام العبودية الذي ارتضاه نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وقال الزمخشري ان سليمان عليه الصلاة والسلام نشأ في بيت ملك ونبوة فأراد أن يكون ما ورثه زائدا على غيره خارقا للعادة ليتم به أمره ويعلم انه باستحقاق للفيض الالهي لا بمجرد ميراث كاولاد الملوك ولا يتوهم انه طلب قصر نعم الله عليه والمؤمن يحب لاخيه ما يحب لنفسه فكيف بالنبي صلى الله عليه وسلم لان خصائص الانبياء وطلبها أمر آخر وقد علم ان هذا الشيطان مارد من المردة ويأتي الكلام في تعيينه ألقى على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم شعلة نار وهو يصلي ليقطع صلاته فأخذه هو بنفسه لا ملك منعه عنه كما قيل ولبعضهم هنا ابحاث زوائد لا طائل تحتها وقوله رب اغفر لي بدل مفسر لقوله دعوة أخي وتسخير الجن داخل في

هذه الدعوة لقوله بعدها فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب والشياطين الخ ولما استجاب الله دعوته ترك صلى الله تعالى عليه وسلم ذلك تأدبا منه وتواضعا وتوقيرا لسليمان صلى الله تعالى عليه وسلم قال ابن عرفة رحمه الله تعالى وما نقل عن الحجاج من انه قال في حق نبي الله سليمان انه كان حسودا من فسقه وجهله بل من كفره وعدم علمه بمقامات الانبياء عليهم الصلاة والسلام فان للانسان ان يطلب من الملك شيأ يخصه به اذا علم انه لا يعطيه الا لواحد من مملكته فيجوز أن يكون هو ذلك الواحد وقوله (فرده الله) أي رد الله ذلك الشيطان باقداري عليه وتمكني منه (خاسئا) أي خائبا حقيرا مطرودا من كلامه صلى الله تعالى عليه وسلم كما هو واضح وقول البخاري قال روح فرده الله خاسئا بيان لانه وقع من روايته لانه روى فرددته وهي صريحة في ذلك وهذا الحديث روي من طرق وفيها زيادة اختلاف ففي بعضها عرض لي في صورة هر وأخذته فخنقته حتى وجدت برد لسانه على يدي وروي انه سمع صلى الله عليه وسلم يقول في صلاته أعوذ بالله منك وألعنك بلعنة الله ثلاثا وبسط يده كأنه يتناول شيأ فسألوه عن ذلك فقال ان عدو الله ابليس لعنه الله جاء بشهاب من نار ليجعله في وجهي وقوله في الرواية المارة أخذته وخنقته يعلم منه ان قول المصنف رحمه الله تعالى في شرح مسلم انه يحتمل انه لم يقدر عليه لا وجه له فانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان قادرا على ذلك فانه أوتي مثل كل معجزة لغيره كما أتي وفي بعض طرق هذا الحديث تصريح بان الشيطان هو ابليس وقيل يحتمل انه غيره وان الواقعة تعددت قال ابن عبد البر الجن على مراتب جني وعامر وهو الذي يخالط الناس وأرواح وهم الذين يتعرضون للصبيان واجتماعها قيل وقرين الانبياء والعباد يقال له الابيض كما في تفسير القرطبي (وهذا) أي ما كان له صلى الله تعالى عليه وسلم مع الملائكة والجن (باب واسع) اشارة الى ان ما ذكره قليل من كثير وغيض من فيض وفي آكام المرجان ربطه الى السارية من التصرف الملكي الذي تركه لسليمان وتصرفه صلى الله تعالى عليه وسلم نبوي بالدعوة للاسلام والامر والنهي فانه كان عبدا رسولا وهو أفضل من الملك النبي ثم ان خنقه وفعله به ما فعله في صلاته احتج به على جواز مثله في الصلاة كدفع المار وقتل الاسودين والمسابقة في صلاة الخوف انتهى وفيه تأمل

(فصل ومن دلائل نبوته) * صلى الله تعالى عليه وسلم والدليل ما يعلم منه شئ آخر ويكون قطعيا وظنيا قال استاذي الشيخ أحمد بن قاسم في الآيات البينات هي جمع دليل على خلاف القياس ويحتمل أن يكون جمع دلالة بمعنى دليل فان امام الحرمين قال ان الدليل يسمى دلالة وجمع فعالة على فعائل قياسي والظاهر ان تسمية الدليل دلالة مجاز انتهى وقال الراغب الدلالة ما يتوصل به الى معرفة الشئ وتسمية الدال والدليل دلالة كتسمية الشئ بمصدره انتهى وفيه دليل لما قاله امام الحرمين وانه سمع فلا وجه للتوقف فيه ولا لقول بعض شراح المنهاج الاصولي في قوله دلائل الفقه صوابه أدلة وقال ابن مالك في شرح الكافية لم يات فعائل جمع اسم جنس على فعيل فيما أعلم لكنه بمقتضى القياس جائز في علم المؤنث كسعيد علم امرأة جمع على سعائد وذكر النحاة انه في غاية القلة ورد منه لفظان لا يقاس عليهما هما وصايد جمع وصيد وهو الباب وسلايل جمع سليل وهو الولد وزاد الجوهري تبايع جمع تبيع وافايل جمع أفيل وهو الصغير من الابل وقول بعضهم انه قيده بالعلمية فقد يقال انه لا يمتنع سماعا ولا قياسا خبط لا معنى له (وعلامات رسالته) العلامة الامارة وأكثر ما يستعمل في الظنيات وفيما يكون قبل الوقوع والفرق بين النبوة والرسالة مشهور وقد يكونان بمعنى وأضاف الدلائل للنبوة والعلامات للرسالة تفننا وقيل لان النبوة أصل والرسالة وصف زائد انتهى والظاهر ما قلناه انه غاير بينهما تفننا والمراد بالدلائل الدلائل القطعية وقدمها لشرفها واضافها للنبوة لسبقها على الرسالة وكل

(فرده الله خاسئا) أي خائبا وهذا صريح في ان هذا الشيطان أحد الجن الموثقة بالقيود لدلالة تفلت عليه ولا اشارة التنكير اليه فلا وجه لقول الحلبي هذا الشيطان يحتمل أن يكون ابليس وانه جاء ليلقي في وجهه عليه السلام شهابا من نار فاخذه ويحتمل أن يكون غيره والذي ظهر لي انهما قصة واحدة انتهى كلامه وقال القاضي يفهم منه ان مثل هذا مما خص به سليمان عليه السلام دون غيره من الانبياء واستجيبت دعوته في ذلك ولذلك امتنع نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم من أخذه اما تواضعا أو تأدبا أو تسليما لدعوة سليمان عليه السلام قلت والتسليم أولى وأسلم وأما ما نقل عن الحجاج انه قال لقد كان حسودا فصريح في كفره وقال ابن عطيه وهذا من فسقه وقال ابن عرفة كان بعضهم يقول هذا من جهله والله سبحانه وتعالى أعلم بحاله وماله (وهذا باب واسع) أي لا يمكن استقصاؤه ولا يتصور استيعابه

(فصل)

(ومن دلائل نبوته) أي دلالات بعثته من أول حالته (وعلامات رسالته) وبخط القاضي وعلامة رسالته

(ما ترادفت به الاخبار) أى تتابعت وتواترت الآثار (عن الرهبان والاحبار) أى من زهاد النصارى وعبادهم وعلماء اليهود وقوادهم كخبر الراهب بحيرا وكان فى زمنه أعلم النصارى وقد سافر به عمه أبو طالب فى أشياخ من قريش الى الشام فوافوا بصرى من ديار الشام فنزل من صومعته وكان قبل ذلك لا ينزل لمن نزل به الحديث وقد تقدم وكخبر حبر بنى عبد الاشهل من اليهود اذ أتى نادى قومه فذكر البعث والحساب والميزان والجنة والنار وذلك قبل مبعثه عليه السلام فقالوا ويحك هذا كائن وان الناس يبعثون بعد موتهم الى دار فيه جنة ونار ويجزون باعمالهم قال نعم ولوددت ان حظى من تلك النار ان توقدوا أعظم تنور ثم تقذفونى فيه وتطبقوه على وانى أنجو به من النار غدا فقيل له ما علامة ذلك قال نبى يبعثه الله من هذه البلاد وأشار بيده الى مكة قالوا متى فرمى بطرفه الى أصغر القوم فقال ان يعش هذا يدركه فلما بعث آمنا به وصدقناه وكفر هو به فقلنا له ألست الذى قلت ما قلت وأخبرتنا فقال ليس به (وعلماء أهل الكتب) أى من غيرهم وفى نسخة الكتاب على قصد الجنس وفى أصل الدلجى وعلماء أهل الزمان فهو من باب عطف العام على الخاص (من صفته وصفة أمته) كخبر عبد الله بن سلام قال فى التوراة صفة محمد عليه الصلاة والسلام وعيسى ابن مريم يدفن معه وخبر كعب الاحبار قال نجد فى التوراة محمد رسول الله عبدى المختار الى ان قال مولده بمكة وهجرته بطيبة وملكه بالشام وأمته الحمادون يحمدون الله تعالى فى السراء والضراء الحديث وقد سبق (واسمه) أى محمد فى التوراة وأحمد فى الانجيل وقال وهب ابن منبه فى الزبور يا داود سيأتى من بعدك نبى يسمى احمد ومحمدا صادقا سيدا لا أغضب عليه أبدا ولا يعصينى أبدا وقد غفرت له قبل أن يعصينى ما تقدم من ذنبه وما تأخر وامته مرحومة وأعطيتهم من النوافل مثل ما أعطيت الانبياء وافترضت عليهم الفرائض التى افترضت على الانبياء والرسل حتى يأتوا يوم القيامة نورهم مثل نور الانبياء (وعلاماته) أى كما فى الانجيل صاحب المدرعة والعمامة والنعلين والهراوة ونحو ذلك (وذكر الخاتم لذى بين كتفيه) كما هو فى كتب أهل الكتاب وقد بينت فى شرح الشمائل هذا الباب (وما وجد فى ذلك من أشعار الموحدين) وفى أصل الدلجى وما وجد من ذلك فى أشعار الموحدين أى القائلين بالوحدة لالهية (المتقدمين) أى فى زمن الجاهلية (من شعر تبع) بضم التاء وتشديد الموحدة أحد ملوك اليمن وشعره هذا بعد منصرفه من المدينة وكان قد نازل أهلها الاوس والخزرج واليهود فكانوا يقاتلونه نهارا ويضيفونه ليلا واستمر ثلاث ليال فاستحيى فارسل ليصالحهم فخرج اليه من الاوس أحيحة بن الجلاح من يهود بنيامين القرظى فقال له أحيحة أيها الملك نحن قومك وقال بنيامين أيها الملك هذه بلدة لا تقدر ان تدخلها قال ولم قال لانها منزل نبى يبعثه الله من قريش فانشده شعرا منه

ألقى الى نصيحة كى أزدجر * عن قرية محجورة بمحمد

قال التلمسانى وهو أبو كريب الذى كسا البيت ولم يسبقه اليه أحد ومن شعره المتواتر عنه

ما دل على النبوة دل على الرسالة للزوم تصديقه بعد نبوته فى قوله تعالى انى رسول الله اليكم وكذا الرسالة مستلزمة للنبوة ومبنية عليها فعلاماتها (ما ترادفت به الاخبار) أى تتابعت فجاء بعضها يتبع بعضا من غير انفصال كأن بعضها ركب خلف الآخر ففيه استعارة مكنية وتخييلية والاخبار جمع خبر (عن الرهبان) وهم عباد النصارى وعلماؤهم كبحيراء فى قصته المشهورة جمع راهب من الرهبة وهى الخوف لاظهارهم خشية الله والخوف منه مقابل للراغب لتركهم الرغبة فى الدنيا كما قيل

يهودى غلاما من نصارى خاف * فاعجب له من راغب فى راهب

(والاحبار) جمع حبر بالفتح والكسر كما مر وهو العالم من أهل الكتاب واشتهر فى علماء اليهود وقوله (وعلماء أهل الكتب) من عطف العام على الخاص وأهل الكتاب غلب على اليهود والنصارى فالمراد بالكتاب التوراة والانجيل وغيرهما من الكتب السماوية وفى نسخة الكتب جمعا وهما بمعنى (من صفته) صلى الله عليه وسلم (وصفة أمته واسمه وعلاماته) فى التوراة عن كعب محمد رسول الله عبدى المختار الى آخره وأمته الحمادون وفى الزبور عن وهب بن منبه سيأتى من بعدك نبى يسمى أحمد ومحمدا أمته مرحومة أعطيتهم مثل ما أعطيت الانبياء الى غير ذلك مما نقله الثقاة كقوله فى علامته فى الانجيل صاحب المدرعة والعمامة والهراوة الجعد الرأس الصلت الجبين الى آخر ما ذكره من حليته فيه (وذكر الخاتم) بالفتح والكسر يعنى خاتم النبوة (الذى بين كتفيه) وقد تقدم الكلام عليه وانه مثل زر الحجلة أو بيضة الحمام وانه ختم به بعد شق صدره وفيه شعرات وخيلان عند نغض كتفه اليسرى وهو مذكور فى كتب الله تعالى القديمة (وما وجد) بالبناء للمجهول (فى ذلك) أى مما يدل على نبوته ورسالته (من أشعار الموحدين المتقدمين) من العرب المتألهين قبل بعثته صلى الله تعالى عليه وسلم العالمين بما فى الكتب السماوية القديمة (من شعر تبع) بيان لما وجد وتبع بضم التاء وتشديد الباء الموحدة اسم لملك اليمن وجمعه تبابعة سمى به

لكثرة أتباعه المنقادين له وأصل معناه الظل ولا يسمى تبعا الا اذا ملك حمير وحضرموت واشتهر منهم اثنان تبع الاكبر وهو الاول والثانى أبا كرب وتبع الثانى هو الذى أراد تخريب المدينة واستئصال اليهود لما شكى له الانصار منهم لانهم من اليمن نزلوا عندهم فقال له رجل معمر الملك أجل من ان يطير به فرق أو يستخفه غضب وأمره أعظم من ان يضيق حلمه أو يحرم صفحه وهذه البلدة مهاجر بلدة نبى يبعث بدين ابراهيم عليه الصلاة والسلام قال السهيلى رحمه الله تعالى وهذا الرجل من اليهود وهو أحد الحبرين اللذين كلما الملك سحيت ومنبه أو بنيامين ويأتى ان شامول كامه أيضا فآمن به عليه الصلاة والسلام وكسى الكعبة وهو أول من كساها والشعر المذكور قوله

شهدت على أحمد انه * نبى من الله بارئ النسم
فلو مد عمرى الى عمره * لكنت وزيرا له وابن عم
وجاهدت بالسيف أعدائه * وفرجت عن صدره كل غم
له أمة سميت فى الزبور * وأمته هى خير الامم
(وقوله) ويأتى بعدهم رجل عظيم * نبى لا يرخص فى الحرام
يسمى أحمدا باليت انى * أعمر بعد مبعثه بعام

(والاوس بن حارثة) بن ثعلبة العنقاء بن عمرو بن مزيقيا بن ماء السماء بن حارثة الغطريف بن امرء القيس البطريق بن ثعلبة البهلول بن مازن بن الازد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان والاوس فى اللغة الذئب أو العطية سمى به وله تنسب الانصار وكان أوس من عدة ناس فى الفترة هداهم الله تعالى للتوحيد ولم يعبدوا الاصنام وكانوا يعاشرون أهل الكتاب فيخبرونهم بما فى كتبهم من ذكر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فيذكرونه فى خطبهم وأشعارهم ولاوس شعر فيه لم يذكره أحد هنا فى الشراح وهو سيد جواد طائى كان صديقا لحاتم الطائى والاوس بالالف واللام للمح ولذا قال السهيلى انه منقول من اسم العطية لا من اسم الذئب لانه علم جنس كاسامة لا تدخل عليه الالف واللام قبل النقل فبعده أولى وقال التلمسانى انه روى هنا بدون الالف واللام وهو مخالف لما قاله الامام السهيلى (وكعب بن لؤى) هذا هو الصواب وفى بعض النسخ لوى بن كعب وهو غلط من الناسخ ولؤى بهمز ولا يهمز وهو تصغير لاى بمعنى البطؤ وهو أول من جمع يوم الجمعة وسماها جمعة وكانت تسمى عروبة فى الجاهلية فكان يخطب فيه الناس ويبشر بالنبى صلى الله عليه وسلم فيما نقل من كلامه نظما ونثرا انه قال فى خطبة له أما بعد فاسمعوا وتعلموا * وافهموا واعلموا * ليل ساج * ونهار ضاح * والارض مهاد * والسماء بناء والجبال أوتاد * والنجوم أعلام * الى قوله الدار أمامكم * والظن غير ما تقولون * حرمكم زينوه وعظموه * فسيأتى له نبأ عظيم * وسيخرج منه نبى كريم * وينشد

نهار وليل كل يوم بحادث * سواء علينا ليلها ونهارها
منونان بالاحداث حين تناوبا * وبالنعم الضافى علينا ستورها
على غفلة يأتى النبى محمد * فيخبر أخبارا صدوقا خبيرها

الى آخر ما رواه ابن الجوزى مسندا فى كتاب الوفاء (وسفيان بن مجاشع) التميمى الدارمى المجاشعى جد الفرزدق والاقرع بن حابس وكان احتمل عن قومه ديات فخرج لحى من تميم فاذاهم مجتمعون عند كاهنة فأتاهم وجلس عندهم فسمع الكاهنة تقول * العزيز من والاه * والذليل من خالاه * والموفور من والاه * والموتور من عالاه * فقال سفيان من تذكرين الله أبوك فقالت * صاحب هدى وعلم * وبطش وحلم * وحرب وسلم * ورأس رؤس

قوله
شهدت على أحمد انه
رسول من الله بارئ النسم
فلو مد عمرى الى عمره
لكنت وزيرا له وابن عم
وأبيات كتبها وأودعها
الى أهله فكانوا يتوارثونها
كابرا عن كابر الى ان
هاجر رسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم
فأدوها اليه ويقال كان
الكتاب والابيات عند
أبى أيوب الانصارى
رضى الله تعالى عنه
(والاوس بن حارثة)
والحارثة بحاء مهملة ابن
لام الطائى وهو ممن يوحد
الله تعالى من أهل الفترة
(وكعب بن لؤى) بضم
لام ففتح همزة وتبدل
وتشديد تحتية وهو سابع
أجداده عليه الصلاة
والسلام وأما ما فى نسخة
لؤى بن كعب فخطأ
(وسفيان بن مجاشع) أى
وأشعارهم فيه صلى الله
تعالى عليه وسلم لكنها
غير مشهورة

(وقس بن ساعدة) بضم القاف وتشديد السين أسقف نجران وكان من حكماء العرب ومن شعره
الحمد لله الذي
لم يخلق الخلق عبث
لم يخلنا منه سدى
من بعد عيسى واكترث
أرسل فينا أحمدا
خير نبي قد بعث
صلى عليه الله ما
حج له ركب وحث
وقد رآه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بعكاظ وغيره ومن ثم عده ابن شاهين وغيره في الصحابة

* ورابض شموس * وماجن بؤس * وماهذ عوس * وناعس ومنعوس * فقال سفيان لله أبوك من هو قالت * نبي مؤيد قد أتى حين يوجد * ودنا أوان يولد * يبعث الى الاحمر والاسود * بكتاب لا يفند * اسمه محمد * قال سفيان لله أبوك أعربي هو أم أعجمي فقالت * أما والسماء ذات العنان * والشجر ذات الافنان * انه لمن معد بن عدنان * فامسك عن سؤالها ثم ان سفيان ولد له ولد فسماه محمدا رجاء ان يكون هو النبي المذكور وهو أحد من سمي باسمه صلى الله تعالى عليه وسلم قبل مبعثه كما تقدم وهذا ماذكره المصنف رحمه الله تعالى من تبشيره به وله شعر فيه الا ان الشراح قالوا لم نقف عليه وماذكر يكفي في المقصود (وقس بن ساعدة) الايادي قس بضم القاف وتشديد السين والقس العالم والايادي بكسر الهمزة نسبة لايادحي من معد وكان من الحكماء الزهاد كعمه وخاله منقطعا للعبادة في برية وآمن بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم قبل مبعثه ورآه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مرتين بسوق عكاظ ولذا عده ابن شاهين وغيره في الصحابة رضي الله عنهم وعمر حتى قيل انه عاش ستمائة أو سبعمائة سنة وادرك الحواريين فكان على دين عيسى عليه الصلاة والسلام قيل وكانت السباع تدور عنده ولا تؤذيه وربما ضربها بعصاه وهو خطيب مغلق يضرب به المثل وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه قدم الجارود على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكان سيد قومه قال يا رسول الله والذي بعثك بالحق لقد وجدت صفتك في الانجيل وبشر بك ابن البتول وانا أشهد أن لا اله الا الله وانك رسول الله فآمن هو وكل سيد من قومه وسر بذلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال له يا جارود هل في وفد عبد القيس من يعرف قسا قال كلنا نعرفه وكنت أقفو أثره كأني انظر اليه يقسم بالرب الذي هو له * ليبلغن الكتاب أجله * ويقول * هاج للقلب من جواه اذكار * وليال خلالهن نهار * في أبيات أخر فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم فلست انساه بسوق عكاظ يذكر كلاما ما أحفظه فقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه كنت حاضرا وانا أحفظه سمعته يقول في خطبته يا أيها الناس اسمعوا وعوا واذا وعيتم فانتفعوا * انه من عاش مات * ومن مات فات * وكل ما هو آت آت * مطر ونبات * وارزاق وأقوات * وآباء وأمهات * وأحياء وأموات * وجمع واشتات * وآيات بعد آيات * ان في السماء لخبرا * وان في الارض لعبرا * ليل داج * وسماء ذات ابراج * وارض ذات رتاج * وبحار ذات أمواج * مالي أرى الناس يذهبون فلا يرجعون * أرضوا بالمقام فاقاموا . أم تركوا هنالك فناموا * أقسم قس قسما حاتما * لا حانثا فيه ولا آثما * ان لله دينا هو أحسن من دينكم الذي أنتم عليه * ونبيا قد حان حينه * واظلكم أوانه * فطوبى لمن آمن به فهداه * وويل لمن خالفه وعصاه * تبا لارباب الغفلة * من الامم الخالية والقرون الماضية * يا معشر أياد * أين الآباء والاجداد * وأين المريض والعواد * وأين الفراعنة الشداد * وأين من شيد وزخرف ونجد * وغره المال والولد * أين من بغى وطغى * وجمع فاوعى * وقال أنا ربكم الاعلى * ألم يكونوا أكثر منكم أموالا * واطول منكم آجالا * وأبعد منكم آمالا * طحنهم الثرى بكلاكله * ومزقهم بتطاوله * فتلك عظامهم بالية * وبيوتهم خاوية * عمرتها الذئاب العاوية * كلا بل هو الله أحد * الواحد المعبود ليس بوالد ولا مولود * وانشأ يقول في الذاهبين الاولين من القرون لنا بصائر * لما رأيت مواردا للموت ليس لها مصادر * ورأيت قومي نحوها تمضي الاصاغر والاكابر * لا يرجع الماضي الي ولا من الباقين غابر * أيقنت اني لا محالة حيث صار القوم صائر * انتهى وروى له أشعار كثيرة فيها ذكره صلى الله تعالى عليه وسلم كقوله الحمد لله الذي لم يخلق الخلق عبث * ولم يخلنا سدى من بعد عيسى واكترث * ارسل فينا أحمد اخير نبي قد بعث * صلى الله عليه ما حج له ركب وحث * الى آخر ماذكروه الا ان ابن الجوزي قال حديث قس المذكور موضوع وذكر اسانيده وبين من فيها من الكذابين ورده السخاوي وقال

(وماذكر) عطف على ما وجد أى وما نقل (عن سيف بن ذى يزن) بفتح الياء والزاى مصر وفاويه نعم وهو من ملوك حمير ومن كان شريفا من أهل اليمن يقال له ذو يزن وقد ذكره الذهبى فى الصحابة وقال ما لفظه سيف بن ذى يزن أهدى الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حلة وهو مشهور انتهى وقال الدلجى خبره انه قال لجده عبد المطلب بن هاشم وقد وفد عليه ومن معه من قومه ليهنئه بنصرته على الحبشة انى مفض اليك من سر علمى ما لو غيرك لم أبح به اذ قد رأيتك معدنه فاكتمه حتى يأذن الله فيه أنى أجد فى علمنا الذى ادخرناه لانفسنا وحجبناه عن غيرنا خبرا عظيما فيه شرف الحياة وفضيلة الوفاة للناس عامة ولرهطك كافة ولك خاصة قال فما هو قال اذا ولد بتهامة غلام بين كتفيه شامة كانت له الامامة ولكم به الزعامة الى يوم القيامة فقال أيها الملك لقد أتيت بخبر ما آب به وافد ثم قال أيها الملك ابن لى ما ازداد به سرورا قال سيف هذا حينه الذى يولد فيه أو قد ولد اسمه محمد يموت أبوه وأمه ويكفله جده ٢٦٠
وعمه وقد ولدناه مرارا والله باعثه جهارا وجاعل له منا انصارا يعز بهم أولياءه ويذل بهم اعداءه ويضرب بهم الناس عن العرض ويفتح بهم كرائم أهل الارض يعبد الرحمن ويدحض الشيطان ويخمد النيران ويكسر الاوثان قوله فصل وحكمه عدل يأمر بالمعروف ويفعله وينهى عن المنكر ويبطله فقال أيها الملك قد اوضحت بعض الايضاح قال سيف والله انك لجده فهل أحسست بشئ مما ذكرت لك قال نعم انه كان لى ابن كنت به معجبا وعليه شفيقا وانى زوجته كريمة من كرائم قومى آمنة بنت وهب فجاء بغلام سميته محمدا مات أبوه وأمه وكفلته انا وعمه قال له سيف فاحتفظ به

واحذر عليه اليهود فانهم له أعداء ولن يجعل الله تعالى لهم عليه سبيلا واطو ما ذكرت لك عمن معك فلست آمن عليك ان يحسدوك أو ابناؤهم ولولا انى أعلم انى أموت قبل مبعثه لجعلت يثرب دار ملكى فانها مهاجره وأهلها انصاره وبها قبره ولولا خوفى عليه لاعلنت على حداثة سنه أمره ولاوطأت على انوف العرب كعبه وقد صرفت ذلك اليك من غير تقصير منى معك واذا حال الحول فائتنى بخبره وما يكون من أمره * فمات سيف قبل الحول وقد ذكره الذهبى فى الصحابة مع ايمانه به فى حياته ولم يره فالحق انه مخضرم والله تعالى أعلم (وغيرهم) أى كالراهب الذى قال لسلمان الفارسى اذ قال له بمن توصينى أكون عنده بعدك أعبد الله أى بنى والله ما أعلم أحدا على ما كنا عليه أوصيك ان تكون عنده ولكن قد أظلك زمان نبى يبعث من الحرم مهاجره بين حرتين فى ارض سبخة ذات نخل فيه علامات لا تخفى بين كتفيه خاتم النبوة يأكل الهدية دون الصدقة فان استطعت ان تخلص اليه فافعل

انه مجازف فى الوضع ولا يلزم من كون السند فيه كذاب ان يكون المتن كذبا اذا تعددت طرقه وقد رواه ابن سيد الناس بسند ليس فيه كذاب ورواه غيره أيضا فالصحيح انه ليس بموضوع (وما ذكر عن سيف ابن ذى يزن وغيرهم) ابن ذى يزن من ملوك حمير وتنسب اليه الرماح فيقال رمح يزنى وازنى ويزانى وفيه وفى اشتقاقه كلام طويل للصاغانى وقال البرهان انه مصروف والذى فى القاموس انه ممنوع من الصرف لوزن الفعل وأصله يزان ورده الصاغانى فى الذيل والصلة منع صرفه وأطال فيه وقال مادة زان غير معروفة ولا تضاف ذو هنا الا الى أسماء الاجناس وفى شرح الدريدية لابن النحاس ان فيه قولين أحدهما انه من وزن حذفت الواو لوقوعها بين فتحة وكسرة ثم أبدلت الكسرة فتحة تخفيفا فلا ينصرف على هذا الثانى انه ماض أصله يزن قلبت الواو همزة كما فى أحد ثم أبدلت ياء وسمى به فهو منصرف انتهى وهذا لا يرد عليه ما أورده الصاغانى وقوله لا تضاف ذو الا لاسماء الاجناس ممنوع فانه يضاف للاعلام كما هنا وهى لغة أهل اليمن فيضيفونه لاعلام ملوكهم وعظمائهم وهو من اضافة المسمى للاسم ويقال لملوك اليمن الاذواء وقصة سيف مشهورة فى التواريخ والسير وكان ظهر على اليمن وظفر بالحبشة فنفاهم بعد مولد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بسنتين فاتته وفود العرب تهنيه وتمدحه فاتاه وفد قريش وفيهم عبد المطلب وأمية بن عبد شمس وخويلد بن أسد وغيرهم من وجوه قريش واستأذنوا عليه فاذن لهم وهو معطر بالمسك والعنبر وحوله ابناء الملوك فقال لعبد المطلب ان كنت ممن يتكلم بين الملوك فتكلم فقال * أيها الملك ان الله قد أحلك محلا رفيعا * شامخا منيعا * وانبتك منبتا طابت أرومته وعذبت جرثومته * وثبت أصله * وبسق فرعه فى أطيب موطن * واكرم معدن * وأنت أبيت اللعن أيها الملك رأس العرب وربيعها التى تخصب به * ورأسهم الذى له ينقاد * وعمودها الذى عليه العماد * ومعقلها الذى اليه يلجؤ العباد * وسلفك لنا خير سلف * وأنت لنا خير خلف ولن يخمل ذكر من أنت خلفه * ولن يهلك من أنت سلفه * ونحن أيها الملك أهل حرم الله وبيته أشخصنا * اليك الذى أبهجنا بك لكشف الكرب الذى قدحنا * فنحن وفد التهنية * لا وفد الرزية * فقال له سيف وأيهم أنت أيها المتوكل قال انا عبد المطلب بن هاشم قال ابن أختنا قال نعم فادناه وأقبل عليه وعلى القوم وقال * مرحبا وأهلا * وناقة ورحلا * ومستناخا سهلا * وملكا ربحلا * يعطى عطاء جزلا

قد

(وماعرف) بتشديد الراء على بناء الفاعل لا المفعول كما زعم الدلجي أي وما أعلم (به من أمره) أي بعضه (زيد بن عمرو بن نفيل)
بالتصغير قال الحلبي زيد هذا والد سعيد أحد العشرة وهو ابن عم عمر بن الخطاب كان زيد

يتعبد في الغار قبل النبوة

على دين ابراهيم عليه الصلاة والسلام ويتطلب أحكامه الكرام ويوحد الله ويعيب على قريش ذبائحهم على الانصاب ولا يأكل مما ذبح على النصب وكان اذا دخل الكعبة قال لبيك حقا تعبدا ورقا عذت بما عاذ به ابراهيم حاذكره في الاحاديث وتوفي قبل النبوة فرثاه ورقة بن نوفل بابيات معناها انه خاص نفسه من جهنم بتوحيده واجتنابه عن عبادة الاوثان وفي صحيح البخاري في كتاب المناقب ذكره وبعض مناقبه قال الدلجي ذكر زيد عن راهب الجزيرة اذ قال له وقد سأله عن دين ابراهيم عليه السلام ان كل من رأيت يعني من الاحبار والرهبان في ضلال انك تسأل عن دين هو دين الله ودين ملائكته وقد خرج في أرضك نبي أو هو خارج يدعوا اليه ارجع اليه فصدقه فلقيه واتباعه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قبل ان يبعث ببلدح فقال له أي عم مالي أرى قومك قد أنفوك قال أما والله ان ذلك لغير نائرة مني اليهم ولكني أراهم على ضلالة فخرجت أبتغي هذا الدين ثم أخبره بما عرف به راهب الجزيرة من أمره صلى الله تعالى عليه وسلم ثم قال فرجعت فلم أختبر شيأ بعد فقدم صلى الله تعالى عليه وسلم له سفرة فيها لحم فقال أنا لا آكل مما لم يذكر

قد سمعت مقالتكم * وعرفت قرابتكم وقبلت وسيلتكم * وأنتم أهل الليل والنهار * لكم الكرامة ما أقمتم والحباء اذا ظعنتم * انهضوا الى دار الضيافة والوفود * وأمر لهم الانزال فاقاموا شهرا لا يصلون اليه ولا يأذن لهم في الانصراف ثم ارسل الى عبد المطلب وقال له بعدما قرب مجلسه يا عبد المطلب اني مفض اليك بسر لو يكون غيرك لم أبح به ولكن وجدتك معدنه فليكن عندك مطويا حتى يأذن الله فيه فان الله بالغ أمره * اني أجد في الكتاب المكنون * والسر المخزون * الذي اخترناه لانفسنا دون غيرنا * خبرا عظيما * وخطرا جسيما * فيه شرف الحياة * وفضيلة الوفاة * للناس كافة * ولرهطك عامة * ولك خاصة * فقال عبد المطلب فتلك أيها الملك من سر وبر * فما هو فداك أهل الوبر والمدر * زمرا بعد زمر * فقال له اذا ولد بتهامة * غلام به علامة * بين كتفيه شامة * كانت له الامامة * ولكم به الزعامة * الى يوم القيامة * فقال له عبد المطلب أبيت اللعن لولا هيبة الملك واجلاله سألته عما ازداد به سرورا فقال * هذا حين زمانه الذي يولد فيه أو قد ولد * واسمه محمد * يموت أبوه وأمه * ويكفله جده وعمه * قد ولدناه مرارا * والله باعثه جهارا * وجاعل له منا انصارا * يعز بهم أولياءه * ويذل بهم أعداءه * ويضرب بهم الناس عن عرض * ويستبيح بهم كرائم الارض * يعبد الرحمن * ويدحر الشيطان * ويخمد النيران * ويكسر الاوثان * قوله فصل * وحكمه عدل * يأمر بالمعروف ويفعله * وينهى عن المنكر ويبطله * فقال عبد المطلب أيها الملك عز جارك * وسعد جدك * وعلا كعبك * ونما أمرك وطال عمرك * هل للملك ان يسرني بافصاح * فقد أوضح لي بعض ايضاح * فقال والبيت ذي الحجب * والعلامات على النقب * انك لجده بلا كذب * فخر عبد المطلب ساجدا فقال له ارفع رأسك فقد ثلج صدرك * وعلا أمرك * فهل أحسست شيأ مما ذكرت فقال نعم أيها الملك انه كان لي ابن كنت به معجبا فزوجته كريمة من كرائم قومي آمنة بنت وهب بن عبد مناف فجاءت بغلام سميته محمدا ومات أبوه وأمه وكفلته أنا وعمه بين كتفيه شامة وفيه كلما ذكرت من علاماته فقال الذي ذكرت كما ذكرت فاحتفظ به واحذر عليه اليهود فانهم له أعداء وان يجعل الله لهم عليه سبيلا واطو ما ذكرت لك دون هذا الرهط الذين معك فاني لست آمن ان تدخلهم النفاسة فيبغون لك الغوائل وينصبون لك الحبائل وهم فاعلون أو أبناؤهم ولولا أعلم ان الموت مجتاحي قبل بعثه سرت بخيلي ورجلي حتى آتي يثرب وأصيرها دار ملكي فاني أجد في الكتاب الناطق والعلم السابق ان يثرب استحكام أمره وموضع قبره وأهل نصره ولولا اني أقيه الآفات وأحذر عليه العاهات لاوطأت العرب كعبه وأعليت على حداثة سنه ذكره ثم أمر لكل رجل منهم بمائة من الابل وعشرة أعبد وعشرة اماء وعشرة أرطال فضة وخمسة ذهبا وكرش مملوء عنبرا وأمر لعبد المطلب باضعافه وقال له اذا كان رأس الحول فائتني بخبره وما يكون من أمره فهلك قبل رأس الحول فكان عبد المطلب يقول لا يغبطني أحد من قريش بجزيل الملك فانه الى نفاد ولكن الغبطة بما يبقى لي شرفه وذكره في العقبى فاذا سئل عنه قال سيظهر بعد حين وفيه شعر له وعن ابن عباس انه قال لعبد المطلب أشهدان في احدى يديك ملكا وفي الاخرى نبوة فكانت النبوة والخلافة العباسية كما في كتب السير والتواريخ وبما ذكرناه من انه مات قبل الحول يعلم انه ليس بصحابي ولا تابعي فذكر الذهبي له في الصحابة لا وجه له والعجب من بعض الشراح حيث نقل ماذكرناه وقال انه تابعي فالحق انه ليس كذلك ولا مخضرم أيضا كما قيل ولعل الذي ذكره الذهبي اشارة الى ان مثله لا يقال بالرأي أيضا (وماعرف به من أمره) وكونه نبيا مرسلا وعرف بتشديد الراء مبني للفاعل لا للمفعول وان صح بناء على انه عرفه به أهل الكتاب والفاعل أوثانه (زيد بن عمرو بن نفيل) قال الذهبي هو زيد بن عمرو بن نفيل

اسم الله عليه ثم مات قبل ان يبعث فقال صلى الله تعالى عليه وسلم انه يبعث يوم القيامة أمة وحده كما رواه النسائى هذا وعد ابن منده له وغيره ممن رآه عليه السلام واجتمع به قبل البعثة من الصحابة الكرام توسع فى الكلام اذ لم يجتمع به صلى الله تعالى عليه وسلم بعدها مؤمنا (وورقة بن نوفل) أى وما عرف به من أمره ورقة بن نوفل بن أسد عن رهبان كثيرين وقد أخبرته خديجة بنت خويلد بن أسد بما أخبرها به غلامها ميسرة من قول الراهب وانه رأى ملكين يظلانه فقال ان كان هذا حقا فمحمد نبى هذه الامة وقد عرفت ان لها نبيا ينتظر وهذا زمانه ثم انه كان يستبطئ الامر حتى قال شعرا

أتبكر ام أنت العشية رائح * وفى الصدر من أضمارك الحزن قادح
لفرقة قوم لا أحب فراقهم * كانك عنهم بعد يومين نازح
فاخبار صدق خبرت عن محمد * يخبرها عنه اذا غاب ناصح
فذاك الذى وجهت يا خير حرة * بغور وبالنجدين حيث الصحاصح ٢٦٢
الى السوق بصرى والركاب التى غدت * وهن من الاحمال قعص دوانح
يخبرنا عن كل خير بعلمه * وللحق أبواب لهن مفاتح
بان ابن عبد الله أحمد مرسل * الى كل من ضمت عليه الاباطح
وظنى به ان سوف يبعث صادقا * كما بعث العبدان هود وصالح
وموسى وابراهيم حتى يرى له * بهاء ومنشور من الذكر واضح
وتتبعها حيا لؤى جماعة * شبابهم والاشيبون الجحاجح
فان أبق حتى يدرك الناس دهره * فانى به مستبشر الود فارح
والا فانى يا خديجة فاعلمى * عن أرضك فى الارض العريضة سائح

وهذه شواهد صدق بايمانه مع ماذكر بعضهم بانه صحابى بل هو أول الصحابة من انه اجتمع به بعد الرسالة جئت اذ صح انه صلى الله تعالى عليه وسلم أتاه بعد مجى جبريل اليه واخباره له عن ربه بانه رسول هذه الامة بعد انزال اقرأ باسم ربك الذى خلق عليه وبعد قول ورقة له ابشر فانا أشهد أنك الذى بشر به ابن مريم وانك على ناموس عيسى وانك نبى مرسل وقد ورد انه صلى الله تعالى عليه وسلم رآه فى الجنة وعليه ثياب خضر وفى مستدرك الحاكم انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لا تسبوا ورقة فانى رأيته فى الجنة وعليه جبة أو جبتان واما ما نقله الذهبى عن ابن منده انه قال الاظهر انه مات بعد النبوة وقبل الرسالة فواه جدا ويرده ما فى صحيح البخارى عنه صريحا (وعثكلان) بفتح العين والكاف وتضمان واقتصر عليه بعضهم (الحميرى) بكسر الحاء وفتح الياء نسبة الى حمير أى قبيلة من اليمن ومنهم كانت الملوك فى الدهر الاول أى وما عرف به من أمره من الرهبان لكنى لم أر من ذكره فى معرض البيان

ابن عبد العزى بن رباح العدوى الذى قال فيه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انه يبعث أمة وحده لانه كان يطلب دين ابراهيم ويكره الشرك وأهله ويوحد الله ويقول لقريش ما قومكم على شئ قد أخطاؤا دين ابراهيم باوثن لا تضر ولا تنفع بعد وكان يخالفهم ولا يأكل ذبائحهم فاجتمع بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم قبل نبوته وتوفى قبل مبعثه وقال شامت اليهودية والنصرانية فكرهتهما وكنت بالشام فاتيت راهبا فقصصت عليه فقال أراك تريد دين ابراهيم يا أخا أهل مكة انك لتطلب دينا لا يوجد اليوم وهو دين أبيك ابراهيم فالحق لبلدك فان الله يبعث لك من ياتى بدين ابراهيم الحنفية وهو أكرم الخلق على الله تعالى انتهى المراد منه ومن خطه نقلت وروى غيره أيضا انه لقى راهبا بالجزيرة فساله عن دين ابراهيم فقال له ان كل من رأيته من الاحبار والرهبان فى ضلال وانك لتسال عن دين الله وقد خرج فى أرضك أو هو خارج نبى يدعو اليه فارجع اليه وصدقه فلقيه قبل بعثته ببلد حيد فقال يا عم مالى أرى قومك قد أبغضوك فقال اما والله ان ذلك لغير ثائرة منى اليهم ولكنى أراهم على ضلالة فخرجت أبتغى هذا الدين ثم أخبره بما عرفه به الراهب من أمره صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا ما أشار اليه المصنف وعده من الصحابة توسعا لانه لم يجتمع به صلى الله تعالى عليه وسلم بعد النبوة ونفيل تصغير نفل وهو العطية نقل للعلمية وقيل ان اليهودة تلوه بلخم (وورقة بن نوفل) أحد النفر الذين كانوا فى الفترة على الدين الحق من قريش وهو ورقة بن أسد بن عبد العزى بن قصى وهو معطوف على زيد أى وما عرف به ورقة من أمره صلى الله تعالى عليه وسلم وأخبر به خديجة أم المؤمنين رضى الله تعالى عنها كما ذكره البخارى وآمن به بعد رسالته ولذا قيل انه أول الصحابة وكان شيخا كبيرا يقرأ الكتب ويعرف العبرانية وقال للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم لما أخبره بامره ابشر فانك الذى بشر به ابن مريم ورآه صلى الله عليه وسلم فى الجنة عليه ثياب خضر وقال لا تسبوا ورقة كما تقدم وله اشعار مدح بها النبى صلى الله عليه وسلم (وعثكلان الحميرى) بفتح العين المهملة وسكون المثلثة وكاف ولام وألف ونون والحميرى نسبة لحمير قبيلة باليمن سميت باسم حمير بن سبأ أى ما عرف به من أمره صلى الله عليه وسلم عمن لقيه من الرهبان وقال الشراح لم نقف على قصة عثكلان وفى الخصائص ان ابن عساكر أخرج من طريق عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد الحارث عن أبيه عن جده قال سافرت الى اليمن قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم فنزلت على عثكلان بن عواكن الحميرى وكان شيخا كبيرا انزل عليه اذا

جئت اليمن فنزلت عليه مرة فسألني عن مكة والكعبة وزمزم وقال هل ظهر منكم أحد خالف دينكم فقلت لا ثم قدمت عليه بعد بعثه صلى الله تعالى عليه وسلم وقد ضعف وثقل سمعه فنزلت عليه واجتمع عليه ولده وولد ولده وأخبروه بمكاني فشد على عينيه عصابة واستند وقعد وقال لي انتسب يا أخا قريش فقلت أنا عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة قال حسبك يا أخا زهرة ألا أبشرك ببشارة هي خير لك من التجارة قلت بلى قال انبئك بالمعجمة وأبشرك بالمرعبة ان الله قد بعث في الشهر الاول من قومك نبيا ارتضاه صفيا وأنزل عليه كتابا وجعل له ثوابا ينهى عن الاصنام ويدعو الى الاسلام يأمر بالحق ويفعله وينهى عن الباطل ويبطله فقلت ممن هو قال لا من الازد ولا ثمالة ولا من السرف ولا تبالة هو من بني هاشم وأنتم أخواله يا عبد الرحمن أحق الوقعة وعجل الرجعة ثم امض ووازره واحمل اليه هذه الابيات

أشهد بالله ذي المعالي * وفالق الليل والصباح
انك في السر من قريش * يا ابن المفدى من الذباح
أرسلت تدعو الى يقين * ترشد للحق والفلاح
أشهد بالله رب موسى * انك أرسلت بالبطاح
فكن شفيعي الى مليك * يدعو البرايا الى الفلاح

قال عبد الرحمن فحفظت الابيات وانصرفت فلما قدمت مكة لقيت أبا بكر رضي الله تعالى عنه وأخبرته الخبر فقال هذا محمد قد بعثه الله فأته فلما أتيت بيت خديجة رآني صلى الله تعالى عليه وسلم فضحك وقال لي أرى وجها خليقا ان أرجو له خيرا فما وراءك قلت وديعة فقال أرسلك مرسل برسالة هاتها فأخبرته وأسلمت فقال أخا حمير مؤمن مصدق بي وما شاهدني أولئك من اخواني حقا انتهى (وعلماء يهود) وفي نسخة علماء اليهود بالالف واللام وكلاهما صحيح كما بينه سيبويه في باب العلم فانه يكون علما لهذه القبيلة فيمنع من الصرف ولا تدخله الالف واللام قال الشاعر

أولئك أولى من يهود بمدحة * اذا أنت يوما قلتها لم تؤنب

واذا قلت اليهود فانه بمعنى اليهوديين ولكن حذفوا ياء النسبة انتهى وفصله شراحه أي ما عرف به من أمر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم علماؤهم مما قرأوه في كتبهم ورووه عن أسلافهم كابن صوريا وابن أخطب وأبي ياسر ووهب بن يهود وغيرهم ممن لا يحصى ومنهم من أسلم ومنهم من عاند حسدا فمات على كفره ثم ذكر بعضا منهم وعطفه عطف الخاص على العام فقال (وشامول عالمهم) بشين معجمة وميم ولام بينهما ألف بوزن فاعول وهو من علماء اليهود وكان مع تبع وصاحبه وفي كتاب الوفاء لما قدم تبع المدينة لنصرة الاوس والخزرج على اليهود قال اني مخرب هذه البلدة حتى يقوم بها يهودية ويرجع الامر لدين العرب فقال له شامول اليهودي وهو يومئذ أعلم اليهود أيها الملك ان هذه البلدة مهاجر نبي من بني اسمعيل مولده مكة واسمه أحمد وهذه دار هجرته وان منزلك الذي أنت به سيكون فيه من القتلى من أصحابه وأعدائه أمر عظيم فقال تبع ومن يقاتله وهو نبي قال له قومه قال وأين قبره قال بهذه البلدة قال واذا قوتل لمن تكن النصرة قال تكون له مرة وعليه أخرى ثم تكون العاقبة له فيظهر حتى لا ينازعه أحد ثم ساله عن صفته فأخبره بها كما مر في حديث الحلية الشريفة وقوله (صاحب تبع) أي الذي كان معه ورهبان آخرين لما قدم المدينة فقالوا له لما قص عليهم شامول القصة المارة انا لن نبرح ههنا لعلنا ندركه أو أبناؤنا فأعطى كل واحد منهم مالا وجارية فمكثوا فيها وقوله (من صفته وخبره) صلى الله تعالى عليه وسلم كما عرفته آنفا بيان لما عرف به (وما ألفي من ذلك) أي من صفته وخبره

(وعلماء اليهود) وفي نسخة وعلماء يهود أي من كتبهم أو من أخبارهم عن أحبارهم كقول عالم منهم كان بمكة يتجر في نادي من قريش هل ولد فيكم الليلة مولود قالوا لا نعلم قال الله أكبر أما اذا أخطأكم خبره فانظروا واحفظوا ما أقول لكم ولد في هذه الليلة نبي هذه الامة الاخيرة بين كتفيه علامة فيها شعرات متواترات كأنهن عرف فرس فتفرقوا متعجبين من قوله فسأل كل أهله فقالوا قد ولد الليلة لعبد الله بن عبد المطلب غلام سموه محمدا فأخبروا اليهودي فقال اذهبوا وانظروه فدخلوا به على أمه فرأى العلامة فخر مغشيا عليه ثم أفاق فقالوا ويلك ما دهاك فقال ذهبت والله النبوة من بني اسرائيل أفرحتم به معشر قريش ليسطون بكم سطوة يطير خبرها في المشرق والمغرب (وشامول) بشين معجمة ثم ميم وفي آخره لام لا كاف كما في أصل الدلجي (عالمهم صاحب تبع) وهو الذي مر بالمدينة ومعه رهبان فقالوا له ان هذه مهاجر نبي آخر الزمان وانا لن نبرح منها لعلنا ندركه أو أبناؤنا فأعطى كل واحد منهم مالا وجارية فمكثوا فيها وتوالدوا بها فيقال الانصار من ذريتهم (من صفته وخبره) بيان لما عرف به زيد ومن ذكر من بعده (وما ألفي) بضم همزة فكسر فاء وأما القاف كما في نسخة فهو تصحيف والمعنى ما وجد (من ذلك) أي مما دل على ما ذكر من صفته وخبره.

(فى التوراة والانجيل مما قد جمعه العلماء) أى علماء هذه الامة (وبينوه) ففى التوراة ان الله تعالى قال لابراهيم عليه السلام ان هاجر تلد ويكون من ولدها من يده فوق الجميع ويد الجميع مبسوطة اليه بالخشوع وقال لموسى عليه السلام انى مقيم لهم نبيا من بنى اخوتهم مثلك واجرى قولى فى فيه يقول لهم ما آمرهم والرجل الذى لا يقبل قول النبى الذى يتكلم باسمى فانا انتقم منه وفى الانجيل قال عيسى عليه السلام انى أطلب الى ربى فارقليطا يكون معكم الى الابد وفيه على لسانه فارقليط روح القدس الذى يرسله ربى باسمى أى النبوة هو الذى يعلمكم ويحكم جميع الاشياء ويذكركم ماقلته وانى قد أخبرتكم بهذا قبل أن يكون حتى اذا كان تؤمنوا به وفارقليط معناه كاشف الخفيات وفيه أقول لكم الآن حقا انطلاقى عنكم خير لكم فان لم أنطلق عنكم الى ربكم لم يأتكم الفارقليط وان انطلقت أرسلته اليكم فاذا جاء يفيد العالم ويؤنبهم ويوبخهم ويوقفهم على الخطيئة والبراذن روح اليقين يرشدكم ويعلمكم ويدبر لجميع الخلق لانه ليس يتكلم بدعة من تلقاء نفسه (ونقله عنهما) أى عن التوراة والانجيل وفى أصل

(فى التوراة والانجيل) والفى بهمزة مضمومة ولام ساكنة وفاء مكسورة ومثناة تحتية مبنى للمجهول بمعنى وجد ونصوص التوراة والانجيل كثيرة وسيأتى طرف منها واعلم ان التبابعة أربعة وقد اختلفوا فى أيهم آمن به صلى الله تعالى عليه وسلم هل هو الاكبر أو غيره كما قاله السهيلى وليس هذا محل تفصيله وتقدم بيانه اجمالا وقوله (مما قد جمعه العلماء) فى تآليفهم بيان لما الفى فيهما من صفته صلى الله تعالى عليه وسلم وخبره (وبينوه) أى أظهروه ووضحوه للناس (ونقله عنهما ثقاة من أسلم منهم) أى من أهل الكتاب (مثل) عالمهم وحبرهم عبد الله (ابن سلام) بتخفيف اللام وهو من اليهود وتقدم الكلام عليه وعلى اسلامه (وبنى سعية) بنى جمع ابن وسعية بسين مفتوحة وعين مهملتين ساكنة ومثناة تحتية وقيل صوابه النون بدل المثناة التحتية بل قيل النون أكثر وأشهر وهم ثعلبة وأسيد بالتصغير والتكبير وفتح الهمزة وزيد وقيل انهم سبعة لكن الذى فى سيرة ابن سيد الناس عن ابن اسحق ان ثعلبة بن سعية وأسيد بن سعية وأسد بن عبيد وهم نفر من هذيل بنو عم قريظة والنضير أسلموا فى الليلة التى نزلت فيها قريظة على حكم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال البرهان وهذا هو الذى أعرفه وانهما اثنان لا جماعة فيحتمل ان القاضى رأى معهم أسد بن عبيد فظنه أخاهم ويحتمل انه وقف على انهم ثلاثة انتهى وسبب اسلامهم انه قدم عليهم رجل من أهل الشام يقال له ابن الهيبان أقام عندهم وكان عالما يتبركون به ويستسقون فيسقون فلما حضرته الوفاة قال يا معشر يهود انما أقدمنى هذه البلدة خروج نبى قد أظل زمانه وهذه البلدة مهاجره وقد كنت أرجو ان أدركه فاتبعه فلما بعث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهاجر وحاصر بنى قريظة قال لهم بنو سعية وهم أحداث والله انه هو الذى عهد اليكم فيه ابن الهيبان فقالوا ليس به قالوا بل هو هو بصفته فنزلوا وأسلموا وأحرزوا أهلهم وأموالهم ودماءهم كما فى الاكتفاء ودلائل البيهقى (وابن يامين) بن عمير بن عمرو بن كعب بن جحاش من بنى النضير وقيل انه بنيامين ويقال بليامين باللام وهو أحد الحبرين اللذين قدما من اليمن مع تبع واسم الآخر سخيت كاروكانه تصغير سخت كما قاله التلمسانى وقال الشارح الجديد

الدلجى عنهم فان صح نسخة فالضمير الى العلماء لكنه لايلائم قوله (ثقاة من أسلم) وفى نسخة ثقاة من أسلم بالاضافة (منهم) أى من علماء اليهود والنصارى (مثل ابن سلام) هو الحبر عبد الله بن سلام من علماء اليهود وأخباره شهيرة كثيرة (وابنى سعية) بفتح فسكون فتحتية أو فنون والمعروف انهما اثنان فما فى بعض النسخ وبنى سعية من غير ألف لعله سهو او محمول على ان أقل الجمع اثنان وان قول الحلبى فيحتمل ان القاضى رأى معهما أسد ابن عبيد فظنه أخاهما

لم

فهو من الظن السوء به نعم قوله ويحتمل انه وقف على انهم ثلاثة ظن حسن وتوجيه مستحسن هذا وفى دلائل النبوة للبيهقى وسيرة ابن سيد الناس عن ابن اسحق قال أسيد وثعلبة ابنى سعية وأسيد ابن عبيد نفر من هذيل ليسوا من بنى قريظة ولا النضير يعنى نسبهم فوق ذلك وهم بنو عم القوم أسلموا تلك الليلة التى نزلت فيها قريظة على حكم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لو اقدم علينا قبل البعثة بسنتين حبر من يهود الشام يقال له ابن الهيبان فاقام عندنا فكنا نستسقى به فحضرته الوفاة فجئناه فقال يا معشر يهود ماترونه أخرجنى من الرخاء الى أرض البؤس قالوا أنت اعلم قال انما خرجت أتوقع مبعث نبى قد أظل زمانه ومهاجره هذه البلاد فاتبعوه فلا يسبقكم اليه أحد فانه يبعث بسفك دماء من خالفه وسبى ذراريهم ثم مات فلما افتتحت خيبر قال أولئك النفر الثلاثة وكانوا اشبابا احداثا يا معشر يهود والله انه للذى كان يذكر لكم ابن الهيبان قالوا ماهو به قالوا بلى ثم نزلوا فاسلموا وخلوا أموالهم وأولادهم وأهليهم فى الحصن فردها عليهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (وبنيامين) سمى أخى يوسف عليه السلام

لم أطلع عليه (ومخيريق) بضم الميم وفتح الخاء المعجمة والياء الساكنة وكسر الراء المهملة والياء الساكنة وقاف بصيغة المصغر وهو كما مر كان عالما حبرا من أحبار اليهود كثير المال والخيل وكان يعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم بصفته الا انه غلبه الف دينه فلما كان يوم أحد يوم السبت قال يا معشر يهود انكم لتعلمون ان نصر محمد لحق عليكم فقالوا اليوم يوم السبت فقال انكم لا سبت لكم ثم أخذ سلاحه وخرج حتى أتى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأصحابه باحد وعهد الى قومه ان قتلت هذا اليوم فاموالي لمحمد يصنع بها ما أراه ثم قاتل حتى قتل فجعل ماله صدقة بالمدينة وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يقول مخيريق خير يهود ويهود كما مر اسم هذه القبيلة ولا شك انه منها ومن خيرها فلا يقال كيف أضافه لهم بعد اسلامه والامر فيه سهل (وكعب) بن ماتع وهو كعب الاحبار كما تقدم التابعي المشهور أدرك زمنه صلى الله تعالى عليه وسلم وأسلم في خلافة أبي بكر رضي الله تعالى عنه وقيل في خلافة عمر رضي الله تعالى عنه وتوفي في خلافة عثمان رضي الله تعالى عنه سنة ثنتين وثلاثين ودفن بحمص على ما روروي عنه آثار كثيرة في صفاته صلى الله تعالى عليه وسلم في التوراة كما في الوفاء وكتاب الشرف لابي سعيد وفي خير البشر لابن ظفر وسأله عمر رضي الله تعالى عنه عن صفته صلى الله تعالى عليه وسلم في التوراة فقال ان فيها ان سيد الناس والصفوة من ولد آدم وخاتم النبيين يخرج من جبال فاران ومنبت القرظ من لوادي المقدس فيظهر التوحيد والحق ثم ينتقل الى طيبة فتكون حروبه وأيامه بها ثم يقبض ويدفن بها الى غير ذلك مما لا يحصى كثرة (وأشباههم) من علمائهم الذين كانوا يعرفون أمره صلى الله تعالى عليه وسلم وأخباره من كتبهم (ممن أسلم) وآمن برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ورآه كمخيريق أو لم يره ككعب (من علماء يهود وبحيرا) عطفه على علماء اليهود لانه ليس منهم فانه كان نصرانيا وبحيرا بفتح الموحدة وكسر الحاء المهملة ومثناة تحتية وراء مهملة وألف مقصورة على المشهور الا ان البرهان قال ان راءه ممدودة بخط العلامة بن المرحل فلعله وقف على لغة فيه وقصته صحيحة مشهورة في السير وهو راهب كان منقطعا للعبادة بصومعة له عند محل يقال له بصرى في طريق الشام وكانت قافلة قريش تمر عليه فلا يلتفت لاحد منها فلما ذهب أبو طالب للشام ومعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو صغير ابن تسع سنين أو اثنتي عشرة سنة نزل لهم وقال يا معشر قريش اني صنعت لكم طعاما فاذهبوا معه وتركوه في رحالهم لصغر سنه فقال لهم هل بقي أحد قالوا لا الا ولد صغير فدعاه حتى أتى فسألوه عن سبب هذا ولم يكن دأبه فقال اني رأيت غمامة تظله ولما نزل عند الشجرة مالت لجانبه وان مثله لا يكون الا النبي وانا لنجده في كتابنا وهذه صفته ونظر لخاتم النبوة فيه فقال لابي طالب احترس عليه من اليهود واقسم عليه ان يرده فقيل انه رده وقيل أسرع في سفره وعاد به والقصة مفصلة في السير وبحيرا هذا من أول من آمن به وعد من الصحابة ان قلنا ان من اجتمع به مؤمنا مطلقا يعد من الصحابة (ونسطور الحبشة) احترز به عن نسطور الشام وغيره ونسطور معرب ويقرأ بالسين والصاد كما في بعض الشروح ونسطور الشام قصته مذكورة في السير وهي قريبة من قصة بحيرا وفي بعض النسخ نسطور بدون اضافة للحبشة وقد قال الشراح ان نسطور الحبشة غير معروف ولعله من علماء أهل الكتاب الذين كانوا عند النجاشي (وصاحب بصرى) بضم الباء كحبلى بلدة بالشام وهي بين المدينة والشام وقيل انها حوران وهذا هو المعروف وفي نسخة راهب بصرى وصاحبها ملكها الذي أرسل اليه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم دحية بكتابه وهو الحارث ابن أبي شمر الغساني كما قاله ابن حجر وقال انه مات عام الفتح ولم يذكر قصته واسلامه وما أخبر

(ومخيريق) بالتصغير وخاء معجمة قال السهيلي انه أسلم وأوصى للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال المصنف أوصى بسبعة حوائط قال الحلبي قاتل يوم أحد حتى قتل وقال الواقدي كان حبرا عالما فآمن بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو من بني النضير انتهى وقد صرح غير واحد من الحفاظ بانه أسلم (وكعب) أي كعب الاحبار (وأشباههم ممن أسلم من علماء اليهود) أي ولو بعد موته عليه الصلاة والسلام مثل كعب فانه تابعي مخضرم ولم ير النبي عليه الصلاة والسلام وانما أسلم في زمن عمر رضي الله تعالى عنه (وبحيرا) بفتح باء وكسر حاء فراء ممدودا ومقصورا ممن شهد له بالرسالة قبل دعوى النبوة فهو من الصحابة ان لم يشترط الاجتماع بعد البعثة (ونسطور) بفتح النون وسكون السين وفي نسخة نصطور وفي نسخة بنون في آخره بدل الراء (الحبشة) قيده بهم احترازا من نسطور الشام وهو الذي جرى له ما جرى مع النبي صلى الله عليه وسلم في متجره لخديجة في رحلته الثانية الى الشام (وضغاطر ٢) بفتح أوله وكسر الطاء وهو الاسقف الرومي أسلم على يد دحية الكلبي وقت الرسالة فقتلوه فهو تابعي مخضرم وذكره الذهبي في تجريد الصحابة (وصاحب بصرى) بضم موحدة وسكون مهملة مقصورا والمراد به عظيم بصرى كما في البخاري

٢ قوله وضغاطر موجودة بالصفحة الثانية لوجود تاخير وتقديم بالاصل اه فلتحرر

به عن أمره صلى الله تعالى عليه وسلم (وأسقف الشام) وفى نسخة أساقفة الشام ويعنى بهم صاحب ايليا وهرقل وابن الناطور وغيرهم وأسقف بضم الهمزة وسكون السين المهملة وضم القاف وتشديد الفاء ولا نظيرله الا أسرب وحكى ابن سيدة ثالثا وهو الاسلف للصالح وقال العينى فى شرح البخارى ولا يرد عليه الاترج لانه جمع والكلام فى المفرد وفيه نظر لايخفى وقال عبد الغافر الفارسى فى كتاب منبع الرغائب والغرائب فى الحديث فى كتابه صلى الله تعالى عليه وسلم لاهل نجران لايمنع أسقف من سقيفاه وجمعه أساقفة والسقيفى مصدر والحليفى ومعناه لايمنع أسقف من تسقفه ولا راهب من ترهبه والمسقف الطويل مع انحناء وكذا الاسقف ويقال هو بين السقف وفى خطبة الحجاج المعروفة ايا كم وهؤلاء السقفاء قال القتيبى أكثرت السؤال عنه فلم يعرفه أحد وقال بعض أهل اللغة انما هو الشفعاء أى الذين يشفعون عند السلطان فى المريب انتهى فى القاموس وقول الحجاج ايا كم وهذه السقفاء تصحيف صوابه الشفعاء كانوا يجتمعون عند السلطان فيشفعون فى المريب انتهى وليس كما قال فان الزمخشرى أثبته فى الفائق والاسقف عالم النصارى ورئيسهم (وضغاطر) بضاد وغين معجمتين مفتوحتين بعدهما ألف وطاء وراء مهملتان ويقال ضغاطن بنون وبفاطر بموحدة تحتية مفتوحة وفاء وهو أسقف من كبار الروم أسلم على يد دحية رضى الله تعالى عنه لما أرسله رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى هرقل وغير لباسه وأظهر اسلامه فقتلوه كما ذكره الذهبى وكان ذلك فى سنة ست من الهجرة وهو الذى أبهمه البخارى فى أوله فى قصة قيصر حيث قال كتب هرقل الى صاحب له برومية كان نظيره فى العلم قال دحية لما خرج عظماء الروم من عند هرقل أدخلنى عليه وأرسل الى أسقف كان صاحب أمرهم فساله عن أمر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال له هذا الذى كنا ننتظره وبشرنا به عيسى عليه الصلاة والسلام أما أنا فصدقه ومتبعه فقال قيصر له ان فعلت ذهب ملكى فقال لى الاسقف خذ هذا الكتاب واذهب به الى صاحبك واقرأ عليه السلام وأخبره انى أشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وأنى قد آمنت به وصدقته وروى ابن اسحق ان هرقل أرسل دحية الى ضغاطر الرومى وقال انه فى الروم أنفذ قولا منى فاظهر اسلامه وألقى ثيابه ولبس ثيابا بيضا وخرج ودعا الروم الى الاسلام وشهد شهادة الحق فقتلوه فلما رجع دحية الى هرقل قال له أما قلت لك انا نخافهم على أنفسنا فضغاطر كان عندهم أعظم منى وحينئذ فضغاطر تابعى مخضرم وقيل انه المراد باسقف الشام السابق لكونه ساكنا بها وهو عندهم رئيس دينهم وعالمهم المتعبد المتخشع وهو فوق القسيس ودون المطران وكان عالما بصفة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى كتبهم وقيل انه غيره ودحية رضى الله تعالى عنه وفد على هرقل مرتين (والجارود) ابن عمرو بن العلاء أو ابن العلاء ويكنى أباغياث أو أباعتاب واسمه بشر وكان سيد عبد القيس على دين النصرانية وقد وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة تسع فعرض عليه الاسلام ورغبه فيه فاسلم هو وأصحابه وحسن اسلامه وكان متصلبا فى دينه وأدرك الردة ولما ارتد قومه دعاهم الى الحق وقال أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله وكفر من لم يشهد وله أشعار رويت فى السير كقوله

شهدت بان الله حق وسامحت * بنات فؤادى بالشهادة والنهض
فابلغ رسول الله عنى رسالة * بانى حنيف حيث كنت من الارض

وسكن بالبصرة وقيل بفارس وقيل بنهاوند سنة احدى وعشرين وسمى الجارود لانه غار على بكر بن وائل فجردهم قال العبدى

ودسناهم بالخيل من كل جانب * كما جرد الجارود بكر بن وائل

(وأسقف الشام) بضم همزة وقاف وتشديد فاء ولعله نسطوره المحترز عنه فيما تقدم (والجارود) أى ابن العلاء وفد فى قومه على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال والله لقد جئت بالحق ونطقت بالصدق والذى بعثك بالحق نبيا لقد وجدت وصفك فى الانجيل وبشر بك ابن البتول فطول التحية لك والشكر لمن أكرمك لاأثر بعد عين ولا شك بعد يقين مد يدك فانا أشهد أن لا اله الا الله وانك محمد رسول الله ثم آمن قومه

وقيل لانه فر بابله وبها داء الى اخواله بنى شيبان ففشا الداء فى ابلهم حتى أهلكها فهو فاعول من الجرد بالجيم وهو الاستئصال (وسلمان) الفارسى وقصة اسلامه وملاقاته للرهبان وتبشيرهم له ببعث النبى صلى الله عليه وسلم مشهورة تقدم بعض منها (وتميم) الدارى ينسب للدار وهم بطن باليمن من لخم هم ولد هانئ بن حبيب بن نمارة بن لخم بن عبد الحارث بن مرة بن ادد منهم تميم بن أوس بن خارجة بن سواد ويقال سود بن جذيمة بن دراع بن عدى بن الدار ويكنى بابى رقية وأسلم تميم سنة تسع وسكن المدينة ثم انتقل الى الشام بعد قتل عثمان وكان من أهل الكتاب عالما بكتبهم فقرأ فيها بعثة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والتبشير به فقدم على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وآمن به واقطعه اراضى بالقدس وقصته مشهورة أفردها ابن حجر وكذا السيوطى بالتأليف (والنجاشى) بفتح النون وكسرها وتشديد الياء وتخفيفها واسمه أصحمة وقيل غير ذلك كسلم بالتصغير وهو ملك الحبشة توفى فى السنة التاسعة من الهجرة فى شهر رجب وصلى عليه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم صلاة الغائب وهاجر اليه المسلمون الهجرة الاولى وكان من قصة اسلامه المشهورة انه قال للقسيسين أشهد انه رسول الله وانه الذى بشر به عيسى ولولا ما أنا فيه من الملك أتيته وكنت أحمل نعليه وكان من أعلم أهل عصره بالانجيل يقرؤ صفة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ويبكى حتى يبل لحيته وقد تقدم الكلام فى ترجمته (ونصارى الحبشة) هم قوم منهم عرفوا صفته صلى الله تعالى عليه وسلم فى الانجيل وأخبروا بها (واساقفة نجران) وفى نسخة اساقف بدون هاء جمع أسقف وقد تقدم الكلام عليه قريبا أى علماؤهم ورؤساهم ونجران بفتح النون وسكون الجيم وراء مهملة وألف ونون وهو موضع باليمن سمى بنجران ابن زيدان بن سبا بينه وبين مكة سبع مراحل وليس من الحجاز وبه يسمى أهله وهم نصارى وفدوا على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أى ستون راكبا من أشرافهم وكان لهم علم بالكتاب وأشرفهم أبو حارثة كان ملوك النصارى يجلونه لعلمه بالنصرانية فملكوه وتولوه وبنوا له كنائس واخدموه فقدم على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومعه أخوه كوز بضم الكاف وآخره زاى معجمة على بغلة له فعثرت فقال له كوز تعس الابعد فقال له لم يا أخى قال لم تؤمن بهذا النبى وانه الذى كنا ننتظره فقال بلى والله فقال له ما يمنعك قال ما أصنع هؤلاء القوم شرفونا وتولونا وقد أبوا الا خلافه فلو فعلت نزعوا منا كل ما ترى فاضمرها فى نفسه حتى أسلم وكان يحدث به فلما دخلوا المسجد الشريف وقت العصر وعليهم الحبرات فى جمال لم ير مثله فحانت صلاتهم فقاموا فى مسجد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يصلون الى الشرق فقال دعوهم ثم أتوه صلى الله تعالى عليه وسلم فكلمه منهم أبو حارثة والعاقب والأيهم ودينهم النصرانية والتثليث فقال لهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أسلموا قالوا أسلمنا قال كذبتم يمنعكم الاسلام دعاؤكم لله ولدا وعبادة الصليب وأكل الخنزير فانزل الله تعالى فيهم أول سورة آل عمران فلما أراد صلى الله تعالى عليه وسلم ملاعنتهم تشاوروا وقالوا انه ما لاعن نبى قوما الا استؤصلوا ثم نزلوا على أمره فاسلم بعضهم وقبل بعضهم الجزية وارسل معهم أبا عبيدة بن الجراح رضى الله عنه يقضى بينهم والقصة مفصلة فى كتب التفسير والسير (وغيرهم ممن أسلم من علماء النصارى وقد اعترف بذلك) أى ببعثته صلى الله عليه وسلم وانه بشر به فى الكتب القديمة (هرقل) ملك الروم وقصته مذكورة فى أول البخارى وهرقل بكسر الهاء وفتح الراء وسكون القاف كخمر وحكى اسكان الراء وكسر القاف وكان يعرف أمره صلى الله تعالى عليه وسلم فى الكتب الالهية ولكن أحب الملك فحكم بشقائه ما لك الملك وفى الاستيعاب انه آمن به صلى الله تعالى عليه وسلم وفيه نظر لانه قاتل المسلمين بموتة ووعدهم ان يأتيهم فى العام القابل فالاصح الاول وقد مات على النصرانية وكان عالما بالكتاب وباحوال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كما أخبر به دحية (وصاحب رومة) بضم الراء وسكون الواو وميم مخففة مفتوحة

(وسلمان) أى الفارسى (والنجاشى) وهو أصحمة (ونصارى الحبشة وأساقفة نجران) بفتح الهمزة وكسر القاف وتخفيف الفاء جمع أسقف أى علمائهم ورؤسائهم ونجران بفتح نون وسكون جيم موضع باليمن فتح سنة عشر كذا فى القاموس وقال الذهبى فى تجريد الصحابة ما لفظه أسقف نجران قال أبو موسى لا أدرى أسلم أم لا ولم يذكره غيره نقله الحلبى (وغيرهم ممن أسلم من علماء النصارى وقد اعترف بذلك) أى بصحة نبوته وعموم رسالته (هرقل) بكسر الهاء وفتح الراء وسكون القاف وفى نسخة بسكون الراء وفتح القاف وفى أخرى بفتح الهاء والقاف (وصاحب رومة) كذا فى أكثر النسخ وقال الحلبى صوابه رومية بتخفيف الياء كما فى الصحيح وهى مدينة رياسة الروم وأعلمهم

(عالما النصارى ورئيساهم) كما فى البخارى ثم هرقل كتب الى صاحب له برومية وكان نظيره فى العلم وسار هرقل الى حمص فلم يرم حمص حتى جاءه كتاب من صاحبه يوافقه على خروج النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وانه نبى ويروى النصرانية ورئيساها (ومقوقس) بضم الميم وكسر القاف الثانية (صاحب مصر) أى ملك القبط قال الذهبى فى تجريد الصحابة المقوقس صاحب الاسكندرية أهدى لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولا مدخل له فى الصحابة ذكره ابن منده وأبو نعيم ومازال نصرانيا ومنه أخذت

مصر واسمه جريج انتهى وسماه الدارقطنى جريج ابن سينا انتهى وأثبته أبو عمرو فى الصحابة ثم أمر بان يضرب عليه وقال يغلب على الظن انه لم يسلم وكانت شبهته فى اثباته فى الصحابة رواية رواها ابن اسحق عن الزهرى عن عبيد الله ابن عبد الله بن عتبة قال أخبرنى المقوقس انه أهدى لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قدحا من قوارير وكان يشرب فيه قال الحلبى فائدة لهم شخص آخر معدود فى الصحابة يقال له المقوقس فى معجم ابن قانع قال الذهبى لعله الاول (والشيخ صاحبه) وهذا لا يعرف اسمه (وابن صوريا) بضم الصاد وكسر الراء ممدودا ومقصورا قال الحلبى اسمه عبد الله ذكر السهيلى عن النقاش انه أسلم وقال الدلجى أسلم ثم ارتد الى دينه والله تعالى أعلم (وابن أخطب) هو

حيى أبو صفية أم المؤمنين (وأخوه) هو أبو ياسر بن أخطب قتلا كافرين صبرا مع أسرى بنى قريظة (وكعب بن أسعد) صاحب عقد بنى قريظة وعهدهم موادعا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم نقض العهد فقاتلهم النبى عليه السلام فغلبهم فقتل مقاتلتهم وسبى ذريتهم فقتلوا صبرا ومعهم كعب بن أسد وكانوا ستمائة أو سبعمائة أو ثمانمائة أو تسعمائة (والزبير) بفتح الزاى وكسر الباء (ابن

(باطيا

يليها هاء فى أكثر النسخ وفى بعضها رومية بياء مخففة عند أهل اللغة كانطاكية وغيرها وعدوا التشديد لحنا الا انه ليس بنسبة عربية وبعضهم يشددها واختلف فيه فقيل هو ابن الناطور بطاء مهملة وهو لفظ عجمى معناه حارس الكروم والعامة تقوله ناطر بدون واو وتجعله بمعنى الحارس مطلقا وأعجمه بعضهم وقيل هو ضغاطر الذى تقدم واعترض بانه أسلم فلا يناسبه قوله بعده انه ممن حمله الشقاء على البقاء على كفره الا ان يخص ذلك باليهود وهو بعيد وفى القاموس رومة بلدة عند طبرية فيها ربانيهم وعلماؤهم وقيل غير ذلك ولا وجه لما قيل ان الصواب صاحبه برومة كما ورد فى الحديث ولا دليل لما ذكره على ما زعمه (عالما النصارى) مثنى عالم (ورئيساهم) مثنى رئيس وهو سيد القوم وحاكمهم وهذا صريح فيما قلناه من انه كان صاحب رومية أى حاكمها (ومقوقس صاحب مصر) أى ملكها ومقوقس بزنة اسم فاعل فوعل علم رومى قيل معناه عندهم مطول البناء وهو الذى أهدى الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قدحا من قوارير وجاريته مارية ومنه اتخذت مصر ولم يسلم وغلط من عده من الصحابة كيف وهو لم يلاق النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ومازال نصرانيا على الاصح واسمه جريج بن مينا كما قاله الدارقطنى ولهم مقوقس آخر عد فى الصحابة قاله الذهبى ولعله الاول وهو ملك القبط وصاحب الاسكندرية وارسل له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كتابا يدعوه فيه الى الاسلام فاجابه بما هو معلوم فى كتب الحديث والسير وقد يدخلون عليه الالف واللام (والشيخ صاحبه) أى صاحب المقوقس قال البرهان وغيره وهذا الشيخ لا نعرفه الان المسعودى ذكره وذكر له قصة فى كتاب العجائب أحال عليها فى مروج الذهب فان وقفنا عليها الحقناها بما هنا (وابن صوريا) بضم الصاد المهملة وواو ساكنة يليها راء مهملة مكسورة ومثناة تحتية وألف مقصورة وقيل انها ممالة وهو عبد الله بن صوريا الاعور اليهودى ولم يكن فى زمانه أعلم منه بالتوراة وقال النقاش انه أسلم وقيل أسلم ثم ارتد ولم يذكر ابن اسحق اسلامه وعده فى الاصابة من الصحابة وفى معالم التنزيل انه الذى نزل فيه قوله تعالى من كان عدوا لجبريل وكلام المصنف رحمه الله مبنى على عدم اسلامه (وابن اخطب) بزنة أفعل من الخطبة وهو حيى أبو أم المؤمنين صفية رضى الله تعالى عنها (واخوه) أبو ياسر اليهوديان اللذان قتلا كافرين صبرا فى اسراء بنى قريظة وكانا يعلمان أمر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وما فى التوراة من ذكره بصفته ومع ذلك كانا أشد الناس عداوة له كما ذكرت ذلك صفية لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بعد ما أسلمت وقالت لما قدم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى المدينة غدا اليه أبى وعمى ثم جا آ بالعشى فسمعت عمى يقول لابى أهو هو قال نعم الحديث (وكعب بن أسد) من بنى قريظة وهو صاحب عقدهم وقال لهم لما حاصرهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يا معشر يهود انكم ترون ما نزل بكم من الامر فتعالوا نتابعه ونصدقه فوالله لقد تبين لكم انه نبى مرسل وانه الذى تجدونه فى كتابكم فتأمنوا على نسائكم وأموالكم وأهلكم فقالوا لا نفارق حكم التوراة ولا نستبدل به غيره الى آخر القصة وما فيها من نقضهم العهد وقتلهم ويقال ان اسم كعب كتد بفتحتين وكاف ومثناة فوقية ودال مهملة (والزبير بن

باطيا) بكسر الطاء قال الدلجي في نسخة باطا بلا تحتية وقال الحلبي وغيره ذا المؤلف باطا بلا مد ولا همزة وهو أي الزبير والد عبد الرحمن بن الزبير الذي تزوج امرأة رفاعة القرظي الحديث كما في البخاري وقال ابن منده وأبو نعيم هو عبد الرحمن بن الزبير بن زيد ابن أمية الاوسي (وغيرهم) أي ممن اعترف بثبوت نبوته وحقية رسالته هؤلاء وغيرهم (من علماء اليهود ممن حمله الحسد) وهو ارادة زوال نعمة الغير (والنفاسة) بفتح النون من نفست عليه الشيء نفاسة اذا لم تره يستاهله انفة (على البقاء) أي بقائه على الكفر في الدنيا (والشقاء) أي تعبه بالعذاب في العقبى وفي نسخة الشقاوة وفي أصل الدلجي وبعض النسخ على البقاء على الشقاء أي المداومة على الشقاوة (والاخبار في هذا) أي فيما ذكر من دلالات نبوته وعلامات رسالته (كثيرة لاتنحصر) أي بحيث لاتحصى ولا تستقصى (وقد قرع) بفتح القاف وتشديد الراء أي ضرب عليه السلام بشدة وأبلغ بحدة (اسماع يهود) وفي نسخة اليهود (والنصارى بما ذكر) أي أخبر النبي عليه الصلاة والسلام (انه في كتبهم من صفته وصفة أصحابه) كقوله تعالى ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل الآية وفي الانجيل أيضا جد في أمري واسمع واطع يا ابن الطاهرة البتول اني خلقتك من غير فحل الى آخر ما تقدم وفي التوراة أيضا قال موسى رب اني أجد في التوراة أمة خير أمة أخرجت للناس يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله فاجعلهم أمتي قال تلك أمة محمد قال اني أجد فيها أمة هم الآخرون السابقون يوم القيامة فاجعلهم أمتي قال تلك أمة محمد قال أجد أمة أناجيلهم في صدورهم يقرؤنها وكان من قبلهم يقرؤن في كتبهم نظرا ولا يحفظونها فاجعلهم أمتي قال تلك أمة محمد الحديث وفي الزبور يا داود يأتي بعدك نبي يسمى أحمد ومحمدا صادقا سيدا أمته مرحومة افترضت عليهم ان يتطهروا لكل صلاة كما افترضت على الانبياء وأمرتهم بالغسل من الجنابة كما أمرت الانبياء وأمرتهم بالحج والجهاد يا داود اني فضلت محمدا وأمته على الامم كلها أعطيتهم ستا لم أعطها غيرهم لا أؤاخذهم بالخطأ والنسيان وكل ذنب فعلوه عمدا اذا استغفروني منه غفرته لهم وما قدموه لآخرتهم طيبة به أنفسهم عجلته لهم اضعافا مضاعفة ولهم في المذخور عندي اضعاف مضاعفة وأعطيتهم على المصائب اذا صبروا وقالوا انا لله وانا اليه راجعون الصلاة والهدى والرحمة الى جنات النعيم فان دعوني استجبت لهم فاما ان يروه عاجلا وأصرف عنهم سوأ أو ادخره لهم في الآخرة

باطيا) الزبير هنا بفتح الزاي المعجمة وهو من يهود بني قريظة أيضا قتل كافرا في وقعة بني قريظة وهو جد عبد الرحمن بن الزبير بضم الزاي وقيل انه بفتحها كاسم جده قيل والصحيح انه بالضم كما في تاريخ البخاري وقال ابن مرزوق الزبير بفتح الزاي في اليهود وفي غيرهم بالضم والزبير هذا قتله ثابت بن قيس بن شماس يوم بني قريظة وكان من أعلم اليهود وروى عنه ابنه انه كان يقول اني وجدت سفرا كان أبي يختمه فيه ذكر أحمد نبي يخرج بارض القرظ صفته كذا وكذا فتحدث به الزبير بعد أبيه والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم لم يبعث فما هو الا ان سمع بان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم خرج بمكة فعمد الى السفر فمحاه وكتم شأنه صلى الله تعالى عليه وسلم وصفته وقال ليس به وباطيا بموحدة وألف تليها طاء مهملة ومثناة تحتية وألف مقصورة وفي بعض النسخ باطا بدون ياء وكتب عليها صح وقال التلمساني انها رواية فيه (وغيرهم من علماء اليهود) الذين عرفوا نبوته صلى الله عليه وسلم وذكروه بصفته نقلا عن كتبهم واحبارهم ولم يذكر في مفصلات السير (ممن حمله الحسد) له صلى الله تعالى عليه وسلم كابن سلول والحسد للعرب اذ كان هذا الرسول منهم دون بني اسرائيل (والنفاسة) بفتح النون بمعنى المنافسة وفسرت بالحسد وهي مغايرة له لانها المنازعة في الانفسية بان يدعي انه أنفس وأحق بما هو فيه وانه لا يستاهله ولا يستحقه وحمله بمعنى بعثه ودعاه لما ذكر حتى كأنه حمله حتى أوصله اليه ثم صار حقيقة عرفية فيما ذكر (على البقاء على الشقاء) أي اصراره على كفره أو ارتداده عنادا والشقاء ضد السعادة وبين الشقاء والبقاء تجنيس (والاخبار) الواردة (في هذا) الباب (كثيرة لاتنحصر) اشارة الى ان ما ذكره قليل بالنسبة لما تركه منها اذ هي لا يمكن حصرها أي الاحاطة بها (وقد قرع) بالبناء للفاعل والتخفيف والتشديد والقرع الضرب والصدم بما يسمع له صوت فاذا شدد كان مبالغة فيه ويكون بمعنى التوبيخ والتعيير فاذا خفف فهو استعارة للمبالغة في الجهر حتى كأنه يضرب اسماعهم فاذا شدد فالمراد به توبيخهم بما ذكر (اسماع اليهود والنصارى) خصهم لانهم أهل الكتاب وقدم اليهود لانهم أشد عداوة له صلى الله تعالى عليه وسلم وأكثر انكارا وعنادا وفي بعض النسخ يهود والنصارى فعرف النصارى بال دون يهود لانه علم كما مر وقيل لان اليهود أشد عداوة للمؤمنين وفيه نظر (بما ذكر انه في كتبهم) متعلق بقرع وفاعله النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (من صفته صلى الله تعالى عليه وسلم وصفة أصحابه) وفي نسخة وصفة أمته وكلاهما صحيح متقارب المعنى فانه وقع في الكتب الالهية ذكرهما خصوصا وعموما في التوراة انهم خير أمة هم الآخرون السابقون يوم القيامة أناجيلهم في

(واحتج) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (عليهم) حيث أنكروا نعته ونعت أمته (بما انطوت) أى اشتملت (عليه من ذلك) أى النوع (صحفهم) أى كتبهم (وذمهم) أى النبى عليه السلام (بتحريف ذلك) أى بتغيير مبناه أو تغيير معناه (وكتمانه) أى بعدم تبيانه (وليهم ألسنتهم) أى فتلها وصرفها (ببيان أمره) أى وتبيان ذكره (ودعوتهم) بالتاء وفى نسخة ودعواهم (المباهلة) بالنصب على نزع الخافض والمعنى وقرع اسماع نصارى نجران بما أمره به من دعواهم الى المباهلة أى الملاعنة الكاملة (على الكاذب) أى فى المعاملة فابوا حذرا من العقوبة وبذلوا له الجزية كما مرت القصة (فامنهم) أى من اليهود والنصارى (الامن فر) أى هرب وفى نسخة صحيحة نفر أى أعرض (عن معارضته وابداء) بكسر الهمزتين والمد وفى نسخة وأبدى بصيغة الماضى أى أظهر (ما ألزمهم من كتبهم اظهاره) كآية الرجم وغيره (ولو وجدوا) أى فى كتبهم (خلاف قوله لكان اظهاره) أى المسارعة اليه فى مقام الجدال (أهون عليهم من بذل النفوس والاموال وتخريب الديار ونبذ القتال) أى طرح المقاتلة بين الرجال (وقد قال لهم) أى لليهود حين قالوا عند مقرع سمعهم قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وقوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر الآية لسنا أول من حرمت عليه وانما كانت محرمة على ابراهيم ومن بعده حتى انتهى الامر الينا فرد الله عليهم بقوله تعالى (قل فاتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين) فبهتوا ولن يقدروا ان ياتوا فثبت انها لم تحرم الا عليهم بظلمهم وبغيهم وهو أمر له بمحاجتهم ومدافعتهم بما فى كتابهم تبكيتا وتوبيخا لهم (الى ما أنذر به) أى مع ما أعلم بظهوره ووجود نوره (الكهان) أو بما خوفوه من حلول الباس والنقم بمن خالفه وما أسلم عليها

صدورهم يؤمنون بالكتاب الاول والآخر ويقاتلون أهل الضلالة الى غير ذلك مما استوفاه ابن ظفر فى كتابه خير البشر بخير البشر (واحتج) صلى الله تعالى عليه وسلم أى أقام الحجة (عليهم بما انطوت عليه صحفهم) أى بما حوته واشتملت عليه وفيه اشارة الى اخفاء ما فيها وكتمه لان الصحيفة اذا طويت لم ينظر لما فيها وصحف بضمتين وتسكن تخفيفا جمع صحيفة وهى الكتاب والاكثر جمعه على صحائف لان فعيلة لا تجمع على فعل الا نادرا (من ذلك) أى صفته صلى الله تعالى عليه وسلم وصفة أمته (وذمهم بتحريف ذلك) المذكور فى كتبهم بتغيير بعض ألفاظه وتفسيره بغير المراد منه كقوله تعالى من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه الآية فبدلوا صفته صلى الله تعالى عليه وسلم حتى أضلوا جهالهم وقالوا ليس هو الموعود به فى كتابنا (وكتمانه) أى اخفاء صفته صلى الله تعالى عليه وسلم وصفة أمته كما قال الله تعالى ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون (وليهم ألسنتهم ببيان أمره) أى صرفه لغيره حسدا أو بغيا بان يتركوا بيانه ويعدلوا عنه لغيره وأصل اللى فتل الحبل ونحوه فاستعير لصرفها عن الصدق الى الكذب قال الراغب لوى لسانه بكذا كناية عن الكذب قال الله تعالى يلوون ألسنتهم بالكتاب انتهى (ودعوتهم الى المباهلة على الكاذب) أى قرع اسماعهم بدعوتهم اليها وطلبها منهم كما وقع له صلى الله تعالى عليه وسلم مع نصارى نجران اذ دعاهم للمباهلة فابوا وبذلوا الجزية كما مر والمباهلة الملاعنة من البهل وهى اللعنة بان يقول كل منهما لعنة الله على الظالم والكاذب منا وقد جرب ان المباهل لا تمضى عليه سنة وقيل معناها التضرع والاجتهاد فى الدعاء ويتعدى بعلى (فما) أحد (منهم) أى اليهود والنصارى (الامن نفر) أى أعرض وهرب (عن معارضته) فيما قرع به اسماعهم وذمهم به فترك المعارضة لعدم قدرته عليها (وأبدى) فاعله ضمير من وافرده نظر اللفظه وجمعه فى قوله (ما ألزمهم) نظر المعنى من وفاعل الزم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله (من كتبهم) بيان لما أى مما الزمهم به من نصوص كتبهم كقصة الرجم المشهورة (اظهاره) مفعول الزم أى الزمهم اظهاره اذا كتموه (ولو وجدوا خلاف قوله) فى كتبهم (لكان اظهاره) اسم كان وقوله (أهون عليهم) أى أسهل خبر كان (من بذل النفوس) بموحدة وذال معجمة أى اعطائها له بالقتل (والاموال) التى غنمها وأخذها منهم قهرا (وتخريب الديار) كما وقع ليهود خيبر وبنى النضير (ونبذ القتال) أى تركه وهو أشفى لغليلهم يقال نبذ النواة اذا طرحها (وقد قال لهم) جملة حالية أى لليهود لما قرع اسماعهم بقوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وقوله تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر فقالوا لسنا باول من حرمت عليه فقد حرمه على ابراهيم ومن بعده حتى انتهى الامر الينا فقال لهم (قل فاتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين) ليظهر انها لم تحرم الا عليكم لظلمكم وبغيكم فامر بمحاجتهم بما فيها توبيخا لهم فلما قال لهم ذلك بهتوا ولم ياتوا بنت شفة لانقطاع حجتهم وظهور كذبهم كما فى قصة الرجم وكانوا ادعوا ان لحوم الابل حرمت على يعقوب وبنيه فى التوراة فنحن نحرمها فقال لهم صلى الله عليه وسلم انها لم تحرم عليه وانما امتنع يعقوب من أكلها لانه كان به عرق النساء وهى تضره (الى ما أنذر به الكهان) جمع كاهن وهو الذى كان يخبر بالامور قبل وقوعها ويدعى الاطلاع

عليها والانذار الاعلام بما فيه موعظة وتخويف والى غاية لما تقدم أى انتهى ما ترادف من الاخبار الى انذارهم به بقرب زمانه أو الى بمعنى مع وكانت الكهان تتلقى ذلك من الشياطين (مثل شافع بن كليب) شافع بشين معجمة كاسم الفاعل من الشفاعة وكليب مصغر كلب وهو كاهن من كهان العرب أخبر بمبعثه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وبمهاجرته الى المدينة كما تقدم بيانه وقال الحافظ ومن تبعه لا أعرفه (وشق وسطيح) وهما كاهنان من كهان العرب وشق بكسر الشين المعجمة هو شق بن صعب بن يشكر وجده الاعلى ربيعة بن انمار وكان بيد واحدة ورجل واحدة وعين واحدة وكانت العرب تأتيه فيخبرهم بما سيأتى وسطيح بفتح السين وكسر الطاء المهملتين ومثناة تحتية ساكنة وحاء مهملة وهو ابن ربيعة بن مسعود بن مازن بن غسان قيل ان جسده كان لا عظم فيه غير جمجمة رأسه فكان يدرج كالثوب فاذا غضب انتفخ وقيل انه عاش ثلثمائة سنة وقصتهما وذكرهما النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لما أرسل كسرى عبد المسيح يسألهما عن رؤيا هاالتى مذكورة فى السير مشهورة ولهما قصص كثيرة فى التواريخ وأدرك زمانه صلى الله تعالى عليه وسلم (وسواد بن قارب) بلفظ السواد ضد البياض وقارب بزنة اسم فاعل من القرب وهو سواد الدوسى الصحابى وكان كاهنا من كهان العرب له رئى من الجن يأتيه ويخبره بالمغيبات فبينما هو ذات ليلة اذ أتاه فضربه برجله وقال له قم يا سواد بن قارب فاسمع مقالتى ان كنت تعقل قد بعث رسول من لؤى بن غالب يدعو الى الله تعالى عز وجل والى عبادته ثم أتاه ليالى يقول له مثل مقالته فركب ناقته وأتى المدينة واجتمع مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وآمن به وأخبره بخبر رؤيته وما قاله من الاشعار فسر بذلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وتفصيله فى السير (وخنافر) بضم الخاء المعجمة ونون وألف بعدها فاء مكسورة وراء مهملة وهو كاهن من حمير له رئى من الجن أخبره ببعثة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فأسلم على يد معاذ رضى الله تعالى عنه كما يأتى ولم ير النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فهو تابعى وهو ابن التوأم الحميرى وله جنية تسمى شصار او شاصر وكان عاتيا ذا مال وسعة فأسلم وحسن اسلامه وفى آل القالى عن الكلبى قال كان خنافر ابن التوأم الحميرى كاهنا وقد أتى بسطة فى الجسم وسعة المال وكان عاتيا فلما وفدت وفود اليمن على النبى صلى الله عليه وسلم وظهر الاسلام أغار على ابل لمراد فلحق باهله وبها الشجر فخالف بها جودان وهو سيد منيع ونزل عنده بواد مخصب وكان له رئى فى الجاهلية لا يكاد يغيب عنه فلما فشى الاسلام فقده مدة حتى ساءه ذلك فبينما هو بذلك الوادى هوى عليه هوى العقاب وناداه خنافر فقال شصار قال أقول قال اسمع فقال ع تغنم لكل مدة نهاية وكل ذى أمد الى غاية قلت أجل قال كل ذى دولة الى أجل ثم يتاح له حول انتسخت النحل ورجعت الى حقائقها الملل انك تجير موصول والنصح لك مبذول انى لست بأرض الشام نفرا من آل العرام حكاما على الحكام يزبرون ذا رونق من الكلام ليس بالشعر المؤلف ولا السجع المتكلف فاصغيت فزجرت فعاودت فطلعت فقلت بم تهيمون والى م تقرؤن قالوا خطابا كبارا جاء من عند الملك الجبار فاسمع يا شصار أصدق الاخبار واسلك أوضح الآثار تنج من أوار النار قلت وما هذا الكلام قال فرقان بين الكفر والايمان رسول من مضر من أهل المدر انبعث فظهر فجاء بقول قد بهر وأوضح نهجا قد دثر ومواعظ لمن اعتبر ومعاذ لمن ازدجر ألف بالآى الكبر قلت ومن هذا المبعوث من مضر قال أحمد خير البشر فان آمنت أعطيت البشر وان خالفت أصليت سقر فآمنت يا خنافر وأقبلت اليك أبادر فجانب كل نجس كافر وشايع كل مؤمن طاهر والا فهو الفراق عن لا تلاق قلت من أين أبغى هذا الدين قال من ذات الاخرين والنفر الميامين أهل

(وشق) بكسر أوله وتشديد ثانيه من كهانهم لم يكن له سوى عين واحدة ويد واحدة ورجل واحدة فكأنه شق انسان (وسطيح) بفتح فكسر كاهن بنى ذويب من غسان بفتح معجمة وتشديد مهملة لم يكن فى بدنه عظم سوى رأسه بل جسده ملقى لا جوارح له لا يقدر على جلوس اذا غضب انتفخ فجلس وزعم الكلبى انه عاش ثلثمائة سنة وانه خرج مع الازد أيام سيل العرم ومات فى أيام شيرويه بن هرمز والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم بمكة وهو الذى أول رؤيا الموبذان ان ابلا صعابا تقود خيلا عرابا قطعت دجلة وانتشرت فى بلادها بما حاصله ان ملكه يزول بظهور النبى عليه الصلاة والسلام وقد فتح بلاده فى زمن عمر رضى الله تعالى عنه على يد الصحابة الكرام (وسواد ابن قارب) بكسر الراء أزدى كان كاهنهم فى الجاهلية أخبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم

ان رئيه أخبره ان الله يبعث نبيا فانهض اليه على ما سيأتى مفصلا (وخنافر) بضم الخاء المعجمة وكسر الفاء كاهن بنى حمير أسلم على يد معاذ ولم ير النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فهو تابعى مخضرم

الماء والطين قلت أوضح قال الحق بيثرب ذات النخل والحرة ذات النعل فهناك أهل الطول والفضل والمواساة والبذل ثم أماس عني فنمت مذعورا لداعي الصباح * فلما فرق لي النور امتطيت راحلتي وأذنت عبدي واحتملت بأهلي حتى وردت الجوف فرددت الابل على أربابها بحولها واسقائها * وأقبلت أريد صنعاء فأصبت بها معاذ بن جبل أمير رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فبايعته على الاسلام وعلمني سورا من القرآن فمن الله تعالى علي بالهدى بعد الضلالة والعلم بعد الجهالة ثم ذكر له شعرا وشرح ما في الخبر من اللغة فان أردته فارجع اليه وفيما ذكرنا كفاية (وافعى نجران) هو ملك من ملوك نجران كان كاهنا وهو الافعى بن الافعى الجرهمي فعن عاصم بن عمر بن قتادة قال قدم شيخ من صدا على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومعه أربعون رجلا يحفون به فقال يا رسول الله خرفت ودردرت وشمطت ثم رجع ذلك فاسود شعري وثاب عقلي ونبتت اسناني وهؤلاء ولدي لصلبي وخلفهم من نسلهم أضعافهم وقد سمعت أفعى نجران يذكر في غابر الزمان انه سيبعث نبي من صفته ان له خاتما يسطع نوره بين كتفيه يبعث بمكة ويهاجر الى طيبة فبالذي فضلك بالرسالة وايضاح الدلالة الا كشفت لي عن خاتم نبوتك فتبسم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال حفظت على طول العهد وان فيك لمعتبرا ثم كشف له عن خاتم النبوة فاكب عليه يقبله وافعى نجران هذا هو الذي حكم بين أولاد نزار لما تشاحوا في ميراث أبيهم وهم مضر وربيعة وانمار واياد وقال يا مضر أنت أبو النبي التهامي فانا نجد في الآثار انه من ولد نزار بن معد بن عدنان واني لارى للنبوة بين عينيك نورا وأجلسه على سرير ملكه وجلس تحته وهذا ما أشار اليه المصنف رحمه الله تعالى والشراح كلهم لم يقفوا عليه (وجذل ابن جذل الكندي) قال الحافظ الحلبي لا أعرفه وتبعه غيره من الشراح وهو كاهن من كهان العرب أخبر ببعثه صلى الله تعالى عليه وسلم قديما ولم نر تفصيل قصته الا ان التلمساني قال جذل بكسر الجيم وسكون الذال المعجمة ولام وقيل انه بجيم ودال مهملة مفتوحتين من كندة وهي قبيلة معروفة لما ولدته أمه التمست ذكره فلم تجده من شدة البرد فظنته جارية فطرحته وزوجها في سكرات الموت فاشتغلت بموته ثم ذكرت بعد ثلاث وبشرت فيها بولد ذكر تسميه باسم أبيه فقامت وهي تظن انه مات فوجدت كلبة ترضعه فحملته وسمته باسم أبيه (وابن خلصة الدوسي) بخاء معجمة ولام وصاد مهملة مفتوحات هو كاهن من كهان العرب بشر بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يذكروا له ترجمة ودوس بفتح الدال المهملة قبيلة معروفة وقال في الخصائص الكبرى نقلا عن الهواتف عن مرادس بن قيس الدوسي قال ذكرت الكهانة عند النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقلت يا رسول الله كانت عندنا جارية يقال لها خلصة فلم نعلم عليها الا خيرا فجاءتنا فقالت يا معشر دوس هل علمتم لي الا خيرا قلنا وما ذاك قالت اني لفي غنمي اذ غشيتني ظلمة فوجدت كحس الرجل مع المرأة فحبلت فلما دنت الولادة وضعت غلاما أعضف له أذنان كأذني الكلب فمكث فينا وكان لا يقول شيئا فلما كان مبعثك صار يكذب فقلنا له ما هذا قال ما أدري كذبني الذي كان يصدقني اسجنوني في بيتي ثلاثا ثم ائتوني ففعلنا وفتحنا عنه فاذا هو كأنه جمرة نار فقال يا معشر دوس حرست السماء وخرج خير الانبياء فقلنا من أين قال بمكة وأنا ميت فادفنوني برأس جبل فاني سأضطرم نارا فاذا رأيتم ذلك فاقذفوني بثلاثة أحجار قولوا مع كل حجر باسمك اللهم فاني أهدى وأطفى ففعلنا ذلك وأقمنا حتى قدم علينا الحاج فأخبرنا بمبعثك يا رسول الله انتهى ومنه تعلم ان الشراح لعدم وقوفهم على قصتها ظنوها كاهنا ذكرا وانما هي كاهنة فاعرفه فان خلصة امرأة والكاهن ابنها (وسعدى بنت كريز) بضم الكاف العربية وبالراء المهملة وآخره زاي معجمة وفي النسخ هنا اختلاف والصحيح ما ذكرناه وهي خالة عثمان بن عفان أخت أمه كانت

(وافعى نجران) بفتح همزة وسكون فاء فعين مهملة مقصورا كاهنهم في الجاهلية وهذا هو الظاهر المتبادر من السياق واللحاق وقال الحلبي ما أدري ما أراد القاضي أخيه أم شخص اسمه أفعى (وجذل بن جذل) بكسر الجيم وسكون الذال المعجمة فيهما (الكندي) بكسر الكاف قبيلة وهو كاهنهم فيها (وابن خلصة) بفتح الخاء المعجمة واللام (الدوسي) بفتح الدال (وسعدى) بضم السين وفتح الدال مقصورا (بنت كريز) بالتصغير وفي آخره زاي وفي نسخة صحيحة سعد ابن بنت كريز وفي أصل الدلجي سعد بن كرز

(وفاطمة بنت النعمان) ويروى نعمان وهو بضم النون الاولى ولم نعرف لهم ترجمة (ومن لا ينعد كثرة) أى ممن أخبر بظهوره وسطوع نوره (الى) أى مع (ما ظهر على ألسنة الاصنام من نبوته) أى من بيان حصول نبوته (وحلول وقت رسالته) كقول بأجر صنم مازن الطائى وهو مازن السادن وقد عتر له عتيرة * يا مازن انهض واقبل * تسمع كلاما تجهل * هذا نبى مرسل * جاء بحق منزل * آمن به كى تعدل * عن حر نار تشعل * وقودها بالجندل * فقلت هذا والله لعجب * ثم عترت له بعد أيام أخرى فقال * يا مازن استمع تسر * ظهر خير بطن شر * وهو نبى من مضر * بدين الله الكبر * فدع نحيتا من حجر * تسلم من حر سقر * فقلت هذا والله لعجب وخير يراد وقدم علينا رجل من الحجاز فقلنا ما وراءك فقال ظهر رجل من تهامة يقول أجيبوا داعى الله اسمه أحمد فقلت هذا والله نبأ ما سمعت منه فكسرته ورحلت اليه صلى الله تعالى عليه وسلم فشرح لى الاسلام فاسلمت وكقول صنم عمرو بن جبلة * يا عصام يا عصام جاء الاسلام * وذهب الاصنام * وقول صنم طارق من بنى هند بن حرام * يا طارق يا طارق * بعث النبى الصادق (وسمع) بصيغة المجهول أى وما سمع (من هواتف الجن) كذا فى أصل الدلجى وفى النسخ الجان وهو غير ظاهر ٢٧٣ فانه أبو الجن ولعله لغة والهاتف هو الصائح بالشئ الداعى اليه كسماع ذباب بن الحارث هاتفا منهم * يا ذباب يا ذباب * اسمع العجب العجاب * بعث محمد بالكتاب * يدعو بمكة فلا يجاب * وكسماع ابن مرة الغطفانى جاء حق فسطع ودمر باطل فانقمع * وكسماع خالد ابن بطيح * جاء الحق القائم * والخير الدائم * وكسماع سواد بن قارب من رئيه وهو نائم ليلا * قم فافهم واعقل ان كنت تعقل * قد بعث نبى من لؤى بن غالب ثم قال شعر

عجبت للجن وأجناسها * وشدها العيس بأحلاسها

تهوى الى مكة تبغى الهدى * ما مؤمنو الجن كأرجاسها

فانهض الى الصفوة من هاشم * واسم بعينيك الى رأسها

ثم نبهنى وأفزعنى وقال يا سواد ان الله بعث نبيا فانهض اليه تهتد وترشد ثم نبهنى فى الليلة الثانية وقال

عجبت للجن وطلابها * وشدها العيس بأقتابها * تهوى الى مكة تبغى الهدى

ليس قداماها كأذنابها * فانهض الى الصفوة من هاشم * واسم بعينيك الى نابها

ثم نبهنى فى الثالثة وقال

عجبت للجن وأخبارها * وشدها العيس بأكوارها

تهوى الى مكة تبغى الهدى * ليس ذوو الشر كأخيارها فانهض الى الصفوة من هاشم * ما مؤمنوا الجن ككفارها

فوقع فى قلبى حب الاسلام فأتيته عليه الصلاة والسلام بالمدينة فلما رآنى قال مرحبا بك يا سواد قد علمنا ما جاء بك فقلت له قد قلت شعرا فاسمعه منى ثم انى أنشدت

أتانى رئيى ليلة بعد هجعة * ولم يك فيما قد تلوت بكاذب * ثلاث ليال قوله كل ليلة

أتاك نبى من لؤى بن غالب * فشمرت عن ساقى الازار ووسطت * بى الذعلب الوجناء عقد السباسب

فى الجاهلية لها علم وكهانة فاخبرت عثمان ببعثة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وتزوجه بابنته رقية فصدقها وكان ذلك سبب اسلامه فلما أسلم كانت تنشد

هدى الله عثمانا بقولى الى التى * بها رشده والله يهدى الى الحق

وفى بعض النسخ سعدى بنت كريز (وفاطمة بنت النعمان) قال التلمسانى هى فاطمة بنت النعمان البخارية كان لها تابع من الجن وكان اذا جاء اقتحم عليها فلما بعث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أتاها وقعد على حائط الدار فقالت له لم لا تدخل فقال قد بعث نبى يحرم الزنا فكان ذلك أول ما سمع بذكر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بالمدينة وكانت فى الجاهلية عالمة كاهنة ونعمان بضم النون هو نعمان ابن قراد وقيل هو على بن نعمان بن قراد وروى عن ابن عمر وغيره فهو تابعى ونعمان اسم موضع واسم الدم أيضا (ومن لا يعد كثرة) وفى نسخة ينعد مطاوع يعد أى لا يعد لكثرته لا لعدم اعتباره مضمومها أو منتهيا (الى ما ظهر على ألسنة الاصنام) الظاهر انه استعارة تمثيلية شبه ما فى ظهور صوت شخص تكلم بكلام وقيل هذا لا يصح لانه على مذهب الجبائى الذى يشترط الآلة المخصوصة للنطق ونحن لا نشترط الا الحياة فالصواب كلام الاصنام أو نطق الاصنام الا ان يراد باللسان الكلام وليس بشئ لما علمت من انه استعارة وهو تغيير فى وجوه الحسان وقد ذكر ابن اسحق وغيره كثيرا مما سمعه المشركون من أجواف أصنامهم يقول ان أمرهم بطل بظهور الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ويأمرهم باتباعه وان الباطل بطل وقد جاء الحق (من نبوته) صلى الله تعالى عليه وسلم (وحلول وقت رسالته) ومن بيانية لما كصنم كان لمازن الطائى قرب له يوما قربانا فسمعه يقول مازن اقبل الى اقبل * تسمع ما لا تجهل * هذا نبى مرسل * جاء بحق منزل * آمن به كى تعدل * عن حر نار تشعل * الى آخر ما فى السير من انه سمعه منه مرارا فكسره ورحل الى النبى صلى الله عليه وسلم وأسلم ونظائره كثيرة وكانت الشياطين هى التى تسمعهم الكلام من غير ان يروهم (وسمع) مبنى للمفعول معطوف على ظهر (من هواتف الجن) وفى نسخة الجان وهما بمعنى وقد فرق بينهما بان الجان أبو الجن والجن الجنس كله

فاشهد أن الله لا رب غيره * وانك مأمون على كل غائب * وانك أدنى المرسلين شفاعة
الى الله يا ابن الاكرمين الاطايب * فمرنا بما يأتيك يا خير من مشى * وان كان فيما جاء شيب الذوائب
فكن لي شفيعا يوم لا ذو شفاعة * سواك بمغن عن سواد بن قارب قال فضحك النبي صلى الله تعالى عليه وسلم

والهواتف جمع هاتف من الهتف وهو الصوت العالي مطلقا ثم خص بصوت يسمع ممن لا يرى شخصه من صرخ ولذا خص بالجن عند العرب وكانت عند مبعث النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كثر ذلك وللخرائطي كتاب الهواتف جمع فيه ذلك فكانت تلك الهواتف تخبر ببعض أحواله صلى الله تعالى عليه وسلم وهذه آية عظيمة من آياته وظهور بيناته كسماع ذباب بن الحارث هاتفا يقول يا ذباب يا ذباب * اسمع العجاب * بعث محمد بالكتاب * يدعو فلا يجاب * وسماع ابن قرة الغطفاني هاتفا يقول جاء حق فسطع * ودمر باطل فانقمع * وسماع قريش هاتفا يخبر بغزواته صلى الله تعالى عليه وسلم على أم معبد الى غير ذلك فكل الكون ألسنة تنطق تخبر به وتدل على علو منزلته ولكن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء والصوفية يسمعون الواردات الالهية هاتفا كما مر (ومن ذبائح النصب) أي ما سمع منها اذ قربت للذبح والذبائح جمع ذبيحة وهي ما يذبح من بقر ونحوه والنصب بضمتين جمع نصب بفتح فسكون وهو ما ينصب من الحجارة والاصنام للعبادة وهو مثل ما سمع عمر رضي الله تعالى عنه من عجل قربه رجل ليذبحه قربانا له ثم فقال يا آل ذريح * أمر نجيح * رجل فصيح * يقول لا اله الا الله الى آخر ما رووه (وأجواف الصور) أي ما سمع من الاصنام التي كانوا يصورونها فهو جمع صورة بمعنى جثة مصورة وهي التمثال والاجواف جمع جوف وهو داخل كل شيء (وما وجد من اسم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مكتوبا في الحجارة والقبور) أي وعلى القبور (بالخط القديم) المتقادم عهد كتابته (والشهادة له بالرسالة) بذكر اسمه وانه نبي مرسل من الله تعالى (ما أكثره مشهور) بين الناس وما الثانية بدل من الاولى أو خبر والاولى مبتدأ أو هما موصولتان وقد نقله ثقات المؤرخين في قصص لا تحصى ومكتوب روي مرفوعا خبر مبتدأ محذوف ومنصوبا بمفعول ثان لوجد والخبر مقدر أي ثابت وقد تقدم انه وجد بخط عبراني على بعض الحجارة محمد تقي مصلح أمين وان في تفسير قوله تعالى وكان تحته كنز لهما عن ابن عباس انه لوح من ذهب مكتوب فيه عجبا لمن أيقن بالنار كيف ينصب وعجبا لمن أيقن بالنار كيف يضحك وعجبا لمن يرى الدنيا وتقلبها كيف يطمئن اليها أنا الله لا اله الا أنا محمد عبدي ورسولي وتقدم شرح ذلك كله بما فيه الكفاية (واسلام من أسلم بسبب ذلك) أي بسبب ما رآه من الكتابة القديمة والمراد انها بغير اللسان العربي وهو مما يدل على صدق ما كتب فاعرفه (معلوم مذكور) في السير والتواريخ

* (فصل ومن ذلك) * أي مما يدل على نبوته صلى الله عليه وسلم ورسالته (ما ظهر من الآيات) أي العلامات أو الادلة (عند مولده) أي ولادته صلى الله عليه وسلم فهو مصدر ميمي (وما حكته أمه) آمنة بنت وهب وهي أشهر من ان تذكر (ومن حضره) ولادته (من العجائب) قيل لو أخر هذا الفصل وكان ينبغي تقديمه لانه أول أحواله المتقدم المعجزات بحسب الشرف ويأباه انه ذكر فيه ما يتعلق بوفاته صلى الله عليه وسلم وهي متأخرة فهو ناظر لذلك أولانه لا يختص بزمان وهو كالاجمال لما قدمه والفذلكة تؤخر والعجائب وما معها اشارة الى ما رواه أبو نعيم عن ابن عباس من ان أمه صلى الله تعالى عليه وسلم لما حملت به أتاها آت في منامها بعد ستة أشهر وقال لها يا آمنة انك حملت بخير العالمين فاذا ولدتيه فسميه محمدا واكتمي شانك فلما أخذني ما يأخذ النساء لم يعلم بي أحد واني لوحيدة في منزلي في طرفه فسمعت وجبة عظيمة وأمرا عظيما هالني فرأيت كأن جناح طائر أبيض قد مسح على فؤادي فذهب عني الرعب وكل ما أجد ثم التفت فاذا أنو رغالب ونسوة طوال حولي فقلت من أين علمن بي وفي رواية انهن قلن نحن آسية امرأة فرعون ومريم ابنة عمران وهؤلاء من الحور العين فبينا أنا كذلك واذا أنا بديباج

أبيض

حتى بدت نواجذه وقال أفلحت يا سواد (ومن ذبائح النصب) جمع نصب بمعنى منصوب للعبادة أي وما سمع منها كسماع عمر رضي الله تعالى عنه من عجل رأى رجلا يذبحه لنصب يقول يا آل ذريح أمر نجيح رجل نصيح يقول لا اله الا الله (وأجواف الصور) أي وما سمع من أجوافها كما مر عن مازن السادن وغيره (وما وجد من اسم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والشهادة له بالرسالة مكتوبا في الحجارة والقبور) مفعول ثان لوجد أو حال من ضميره (بالخط القديم ما) أي الذي أ كثره مشهور) أي كما هو في كتب السير وغيرها مسطور (واسلام من أسلم بسبب ذلك معلوم مذكور) أي في كتب العلماء الاخيار بنقل الثقة في الاخبار

* (فصل) *

(ومن ذلك) أي مما يدل على نبوته ورسالته (ما ظهر من الآيات) أي خوارق العادات (عند مولده) أي قرب ولادته صلى الله تعالى عليه وسلم (وماحكته أمه) أي آمنة بنت وهب انها أتيت فقيل لها قد حملت بسيد هذه الامة فاذا خرج فقولي أعيذه بالواحد من شر كل حاسد (ومن حضره) أي وما حكاه من حضر مولده (من العجائب) أي مما سيأتي قريبا

أبيض بين السماء والارض وقائل يقول خذاه عن أعين الناس ورجال في الهواء بأيديهم أباريق من فضة وقطعة من الطير مناقيرها من زمرد وأجنحتها من الياقوت فكشف الله عن بصري فرأيت مشارق الارض ومغاربها فرأيت علما بالمشرق وعلما بالمغرب فوضعته صلى الله تعالى عليه وسلم وكانت قريش مجدبة فاخصبت الى غير ذلك مما ذكره وقال ابن الجوزي في تلقيح الكفر اتفقوا على انه ولد يوم الاثنين في شهر ربيع الاول عام الفيل واختلفوا فيما مضى منه على أربعة أقوال فقيل لثنتين خلتا منه وقيل لثمان وقيل لعشر وقيل لاثنتي عشرة خلت منه ومات أبوه وهو ابن خمس وعشرين سنة ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حمل وقيل ابن سبعة أشهر وقيل ابن ثمانية وعشرين شهرا والاول أصح (وكونه رافعا رأسه عندما وضعته) أي رفعه نحو السماء كما ذكره البيهقي (شاخصا ببصره الى السماء) قال الراغب شخص من بلده ذهب وشخص سمعه وبصره وأشخصه صاحبه وقوله شاخصة أبصارهم أي اجفانهم لا تطرف انتهى وقوله الى السماء تنازعه رافعا وشاخصا وهذا اشارة لى تعلقه صلى الله تعالى عليه وسلم بالملأ الاعلى وتوجهه لذلك من أول أمره كما قال الابوصيري

رافعا رأسه وفي ذلك الرفـ * ـع الى كل سودد ايماء

رافعا طرفه الى السماء ومرمى * عين من شانه العلو العلاء

وروى انه خرج معه نور اضاء له المشرق والمغرب وروى انه ولد وأصابعه مقبوضة مشيرا بالسبابة كالمسبح (ومارأته) أمه كما رواه أحمد والبيهقي (من النور الذي خرج معه عند ولادته) وحديث النور الذي خرج معه اضاء له جميع الارض رواه جماعة وصححه ابن حبان والحاكم وعن اسحق بن عبد الله ان أمه صلى الله تعالى عليه وسلم قالت لما ولدته خرج من فرجي نور اضاء له قصور الشام وتقدم في كلام المصنف عن أمه انها قالت فولدته نظيفا ما به قذر وقال أبو شامة كان أمر هذا النور اشتهر ذكره في قريش واليه أشار العباس كما مر بقوله وأنت لما ولدت أشرقت الار * رض وضاءت بنورك الافق الى آخره وقال حسان رضي الله تعالى عنه

نور اضاء على البرية كلها * من يهد للنور المبارك يهتدي

قال ابن رجب رحمه الله تعالى وهو اشارة الى نور هدايته الذي محى ظلمة الشرك كما قال الله تعالى قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين وقوله واضاء له قصور الشام خصه لانه مشرق أنوار النبوة وهي دار ملكه (ومارأته اذذاك) أي وقت ولادته (أم عثمان بن أبي العاص) أبو عبد الله بن بشير الثقفي وأمه اسمها فاطمة بنت عبد الله وعثمان هذا من اكابر الصحابة واولي فتوحات وتولى قضاء البصرة وروى عنها ابنها انها شهدت مولده صلى الله تعالى عليه وسلم ورأت مارأته (من تدلي النجوم) التدلي الدنو والقرب كما قاله الراغب وهو في الاصل استعارة من الدلو صار حقيقة عرفية في القرب (وظهور النور) الذي خرج معه كما مر ويحتمل انه نور النجوم لقربها (عند ولادته حتى ما تنظر) أي أم عثمان المذكورة بتاء المضارعة ويجوز ان يقرأ بالنون للحاضرين أو الموجودين والاول أولى رواية ودراية (الا النور) أي لا ترى شيأ غير النور وهو مبالغة في قوته وانتشاره في جميع النواحي والظاهر ان تدلي النجوم على ظاهره قال الابوصيري رحمه الله تعالى وتدلت زهر النجوم اليه * فاضاءت بضوئها الارجاء
وقيل معنى تدليها سقوطها ولا ينبغي من مثله (وقول الشفاء أم عبد الرحمن بن عوف) الشفاء بشين معجمة مفتوحة وفاء مشددة ومد كما عزاه الدلجي والمعول عليه ماقاله البرهان الحلبي انه بكسر الشين والقصر وهي كما قال الذهبي بنت عوف بن عبد الزهرية من المهاجرين والدة عبد الرحمن وبنت عم أبيه عوف بن الحارث وقال السهيلي ان اسمها مد أيضا وفي الاستيعاب انها أخت عبد الرحمن بن عوف وحكاه

(وكونه) بالرفع أي وجوده (رافعا رأسه) أي للدعاء (عندما وضعته شاخصا ببصره الى السماء) كما رواه البيهقي عن الزهري مرسلا (ومارأته) أي أمه (من النور الذي خرج معه عند ولادته) حتى رؤيت منه قصور بصرى كما رواه أحمد والبيهقي عن العرباض وأبي أمامة (ومارأته اذذاك) أي وقت ولادته (أم عثمان ابن أبي العاص) أي الثقفي (من تدلي النجوم) أي نزولها ودنوها منه تبركا بحضرته (وظهور النور) أي الذي سطع منه باشعته (عند ولادته حتى ما تنظر) أي أم عثمان (الا النور) وفي رواية الا النور كما رواه البيهقي والطبراني عن ابنها عنها (وقول الشفاء) بكسر أوله ممدودا ومقصورا والاول هو المفهوم من القاموس حيث قال الشفاء الدواء وسموا شفاء وقد صرح بالمد أيضا في أسماء الاسانيد وقال الحلبي الشفاء بكسر الشين المعجمة وبالفاء مقصور فيما أعلمه انتهى والتحقيق ان الشفاء مصدر في الاصل ثم نقلته العرب علما للمؤنث واما قول الدلجي بمعجمة مفتوحة وفاء مشددة فالظاهر انه تصحيف وتحريف (أم عبد الرحمن ابن عوف) قال الذهبي وهي بنت عوف بن عبد الزهرية من المهاجرات

(المساقط عليه الصلاة والسلام على يدى) بالتثنية وفى نسخة بالافراد على ارادة الجنس (واستهل) بتشديد اللام أى رفع صوته بان عطس وقال الحمد لله بدليل قولها (سمعت قائلا يقول رحمك الله) وقال الحلبى أى صاح وقال الدلجى عطس لاصاح من غير ان يذكر الحمد لله فالجمع أولى كما لا يخفى والمناسب لعلو شانه وظهور برهانه أن لا يكون أول كلامه عبثا فى مرامه بل يكون ذكرا ملائما لمقامه على طبق ما ورد عن آدم عليه السلام من انه عطس عند وصول روحه الى بعض اعضائه الكرام (واضاء لى ما بين المشرق والمغرب) أى مما يتنور بنوره من معمورة العالم ٢٧٦ وتحقيق هذا المبحث قد تقدم ويشير اليه قولها (حتى نظرت الى قصور الروم)

أى بارض الشام رواه أبو نعيم فى الدلائل عن ابنها عبد الرحمن بن عوف عنها (وما تعرفت به حليمة) أى السعدية (وزوجها) المسمى بالحارث وذكر ابن اسحق بسنده انه أسلم (ظئراه) بكسر أوله وسكون همزة تثنية الظئر وهى المرضعة وقد يطلق على أبى الرضاعة أيضا كما هنا وقد يقال انه للتغليب (من بركته ودرور لبنها) أى نزوله بكثرة (له) أى لاجله صلى الله عليه وسلم ولولدها رضيعه بعد ان لم يكن لها لبن يغنيه (ولبن شارفها) بكسر الراء أى درور لبن ناقتها المسنة (وخصب غنمها) بكسر الخاء المعجمة روى ابن اسحق وابن حبان والطبرانى وأبو يعلى والحاكم والبيهقى بسند جيد عن عبد الله بن جعفر عنها انها قالت أخذته وتركته المراضع ليتمه فجئت به

رحلى فاقبل عليه ثدياى فشرب حتى روى وشرب أخوه حتى روى وقام زوجى الى شارفنا فوجدها حافلا فحلب ما شرب وشربت حتى روينا وبتنا بخير ليلة وقال والله انى لاراك قد أخذت نسمة مباركة ألم تر ما بتنا به الليلة من الخير والبركة قالت وكأن أتانى قمراء قد أذمت بالركب فلما رجعنا الى بلادنا سبقت حتى ما يتعلق بها حمار فتقول صواحبى هذه أتانك التى خرجت عليها معنا فاقول والله انها لهى فقلن والله ان لها شانا فقدمنا أرض بنى سعد وما أعلم أرضا أجدب منها وان غنمى لتسرح ثم تروح شباعا لبنا فنحلبها وما حولنا أرض تبض لها شاة بقطرة لبن وان اغنامهم لتسرح ثم تروح جياعا فيقولون لرعيانهم اسرحوا مع غنم ابن أبى ذؤيب فيسرحون فتروح جياعا ما فيها قطرة لبن وتروح غنمى شباعا لبنا فنحلبها فلم يزل الله يرينا البركة ونتعرفها حتى بلغ سنتيه

عن

عن الزبير قال وقد قيل انها أمه (المساقط) صلى الله تعالى عليه وسلم (على يدى) أى وضعته أمه فنزل على يديها (واستهل) أى عطس لا صاح وان كان يقال استهل الصبى اذا صاح بدليل قولها (سمعت قائلا) أى ملكا (يقول) له صلى الله تعالى عليه وسلم (رحمك الله) أو رحمك ربك أو يرحمك ربك تشميتا له بناء على ان رحمك بفتح الكاف وقال التلمسانى انه روى بكسرها والظاهر الاول وهو لم يفسره فالخطاب لامه أوله صلى الله تعالى عليه وسلم باعتبار النسمة وتفسير استهل بعطس ذكره الدلجى ويشهد له قول الابوصيرى شمتته الاملاك اذ وضعته * وشفتنا بقولها الشفاء

اذ القول المذكور لا يقال الا عند العطاس أى الذى هو التشميت بالشين المعجمة والمهملة فلذا حمل الاستهلال على العطاس مع تصريحهم بانه لم يجئ فى شئ من الاحاديث انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما ولد عطس وفى الجامع الصغير استهلال الصبى العطاس فاستهلال المولود له معنيان مجرد رفع الصوت والعطاس فلذا حمل هنا على العطاس بقرينة الجواب الذى لا يقال الا عند العطاس وهذا الحديث رواه أبو نعيم فى الدلائل عن عبد الرحمن بن عوف رضى الله تعالى عنه (واضاء لى ما بين المشرق والمغرب حتى نظرت الى قصور الروم) ولا منافاة بين هذه الرواية وبين رواية قصور بصرى والروم لانها كانت اذ ذاك بيد الروم وتتمة الحديث ثم اضجعته فلم انشب ان غشيتنى ظلمة ورعب وقشعريرة ثم غيبت عنى فسمعت قائلا يقول أين ذهب به قال الى المشرق فلم يزل ذلك على بالى منى حتى انبعث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فكنت أول الناس اسلاما وفى الخوارق أمور غريبة من تنكيس أسرة الملوك وذهاب الحيوانات من المغرب للمشرق للتبشير به صلى الله تعالى عليه وسلم وروى كما تقدم فى كلامه انه ولد مختونا مسرورا أى مقطوع السرة كما تقدم الجزم به فى كلام المصنف رحمه الله تعالى بل قال الحاكم فى مستدركه انه تواترت به الاخبار وقال الذهبى لا أعلم صحته فضلا عن تواتره وأجاب بعضهم بانه أراد بالتواتر الاشتهار فقد جاءت أحاديث كثيرة من ذلك قال الحافظ بن كثير فن الحفاظ من صححها ومنهم من ضعفها ومنهم من رآها من الحسان وتقدم ان هذا الجواب بعيد وقيل انه ختن يوم سابعه وتقدم ما عليه من الكلام (وما تعرفت به حليمة) بنت أبى ذؤيب السعدية مرضعته صلى الله تعالى عليه وسلم وخبرها مشهور (وزوجها) الحارث بن عبد العزى (ظئراه) عطف بيان أو بدل من حليمة وزوجها وهو تثنية ظئر وهو المرضعة فى الاصل وتطلق على الاب من الرضاعة كما هنا والظئر مشترك معنوى لانه من ظأر اذا عطف فلا اشكال فى تثنيته فانه ليس نحو عينين مع انه مسموع أيضا (من بركته) صلى الله تعالى عليه وسلم لما أخذته من أمه (ودرور لبنها له) أى زيادة خروجه له صلى الله تعالى عليه وسلم ولاخيه من الرضاعة بعد قلته (ولبن شارفها) أى ودر ورلبن شارفها والشارف الناقة المسنة والغالب ان لبنها لا يدر (وخصب غنمها) بكسر الخاء أى رعيها فى مكان مخصب فى سنة مجدبة أو هو مجاز

(وسرعة شبابه) أى وما تعرف ظئراه من سرعة شبابه بالنسبة الى جنابه (وحسن نشاته) أى نمائه وبهائه فى كبر جثته قبل تكامل هيئته قالت والله ما بلغ سنتيه حتى صار غلاما جفرا فقدمنا به على أمه ونحن أضن شئ به لما رأينا فيه من البركة بسببه ثم قلنا لها دعينا نرجع به حذرا عليه من وباء مكة فما زلنا بها حتى قالت نعم (وما جرى من العجائب) وهى ما عظم وقوعه وخفى سببه (ليلة مولده صلى الله تعالى عليه وسلم) كما رواه البيهقى وابن أبى الدنيا وابن السكن عن مخزوم ابن شاهين (من ارتجاج ايوان كسرى) أى اضطرابه جدا وتحركه شديدا مع أحكام بنائه من غير خلل نشابه والايوان بالكسر الصفة العظيمة وأصله أووان فاعل كديوان وسبق ان كسرى بكسر أوله ويفتح معرب خسرو ولقب ملوك الفرس كقيصر لقب ملوك الروم وتبع لملوك اليمن والنجاشى لملوك الحبشة (وسقوط شرفاته) بضم الشين المعجمة والراء وتفتح وحكى سكونها جمع شرفة بضم فسكون وهو جمع قلة وضعت موضع كثرة لانهن أربع عشرة ولعل الحكمة فى عدولها عن الكثرة الى القلة تحقير لها لخراب ما آلها هذا وقد ملك منهم ملوك بعددها عشرة فى أربع سنين وأربعة الى خلافة عثمان وفتح المسلمين (وغيض بحيرة طبرية) بفتحتين مدينة معروفة فى الشام بناحية الاردن ذات حصن بينها وبين بيت المقدس نحو مرحلتين وهى من الارض المقدسة والبحيرة مصغرة مع انها عظيمة وغيضها نقصها هذا والمعروف ان الغائضة هى بحيرة ساوة من قرى بلاد فارس قال الحلبى اللهم الا ان يريد عند خروج ياجوج وماجوج فان أوائلهم يشرب ماءها ويجىء آخرهم فيقول لقد كان بها ماء انتهى وبعده عن السياق من

عن سمنها وكثرة لبنها وكل ذلك ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم لكونه عندها وأصل معنى الخصب بكسر الخاء المعجمة المكان الكثير العشب وأول من أرضعته صلى الله تعالى عليه وسلم ثويبة جارية أبى لهب ثم حليمة رضى الله تعالى عنها وقد تقدم ان حليمة وفدت على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فاكرمها وبسط لها رداءه لتجلس عليه وقال ابن عبد البر انها أسلمت وأنكره الدمياطى وصنف فيه مغلطاى جزأ وله صلى الله تعالى عليه وسلم اخوة من الرضاعة مفصلة فى السير كما فصل فيها أحوال مرضعته وذهابها به صلى الله تعالى عليه وسلم الى أرض قومها (وسرعة شبابه وحسن نشأته) أى سرعة نمو خلقه وقامته ونشأته ابتداء أمره فى صغره من نشأ ينشأ فهو ناشئ ان حليمة قالت والله ما بلغ سنتيه حتى صار غلاما جفرا (وما جرى) أى وقع وحدث (من العجائب) فى (ليلة مولده) أى فى ليلة ولادته مما رواه البيهقى وغيره وفى نسخة بميلاده وهما بمعنى وهذا يدل على انه ولد ليلا وهو الذى رواه ابن السكن رحمه الله تعالى فى حديث نقلوه والذى فى مسلم وصححوه انه ولد نهارا بعد الفجر وقبل طلوع الشمس وجمع بينهما بان تلك الحصة قد تعد ليلا لقربها منه وبعضهم يرى ان اليوم من طلوع الشمس والحاصل انه لا ينافى ما تقرر من ولادته نهارا الحديث المتقدم عن أم عثمان بن أبى العاص على تقدير صحته من دلالته على انه ولد ليلا فان زمان النبوة صالح للخوارق ويجوز ان يسقط النجوم نهارا أى فضلا عن ان تكاد تسقط سيما ان قلنا ولد عند الفجر لان ذلك ملحق بالليل كما تقرر (من ارتجاج) أى تحرك واضطراب (ايوان كسرى) وهو قصره من الاول بيان لما أى ثانية للعجائب وقيل بيان لما أيضا وفيه نظر وكسرى تقدم انه بكسر الكاف وفتحها معرب خسرو وكسرى هذا هو أنوشروان ابن قباد وهو غير كسرى الذى كتب له رسول الله صلى الله عليه وسلم فمزق كتابه فهو ابرويز بن هرمز بن انوشروان وهذا الحديث رواه البيهقى وابن أبى الدنيا وابن السكن والايوان الصفة العظيمة والبناء العالى العظيم وأصله أووان بتشديد الواو فابدلت الاولى ياء وفسر بعضهم الايوان ببيت الملك العظيم المعد للجلوس مع وزرائه لفصل الامور (وسقوط شرفاته) جمع شرفة بضمتين كما فى تثقيف اللسان ويجوز سكونها وفتحها كما قاله البرهان جمع شرفة بضمتين أو بضم فسكون بوزن غرفة وفسرت باعاليه وانما هى ما يبنى على أعلى الحائط منفصلا بعضه من بعض على هيئة معروفة وله شرفات كثيرة فسقط منها أربعة عشر بعدد من ملك من أولاده بعد ظهور الاسلام وانقضت مدتهم فى زمان قليل واطلاق شرفات على ما ذكر لاستواء القلة والكثرة فيه لاضافته أو لانه لا جمع له سواه أو لانه يجوز استعمال كل من الجمعين فى معنى الآخر (وغيض بحيرة طبرية) غيض بفتح الغين المعجمة وسكون الياء التحتية وضاد معجمة مصدر غاض يغيض اذا قل أو ذهب يقال غاض الماء وغاضه الله وأغاضه فيتعدى ولا يتعدى وبحيرة تصغير بحرة وهى البركة الكبيرة التى كثر ماؤها ويطلق على الارض الواسعة والمراد الاول وطبرية بلدة بالشام معروفة من الارض المقدسة بينها وبين المقدس مرحلتين وبحيرتها عظيمة الان البرهان قال المعروف بالغيض بحيرة ساوة اللهم الا ان يريد عند خروج ياجوج وماجوج فان أولهم يشربها ويجىء آخرهم فيقول كان ههنا ماء انتهى أقول ما قاله غير صحيح هنا لان الكلام فيما حصل عند ولادته صلى الله تعالى عليه وسلم من الآيات والعجب مما تابعه على هذا مع ظهوره وساوة بلدة أخرى بينها وبين الرى اثنان وعشرون فرسخا والجواب الحق ان المراد بحيرة طبرية وطولها ستة أميال وكذا

السباق واللحاق لا يخفى وفي نسخة صحيحة بدل طبربة ساوة والله تعالى أعلم (وخمود نار فارس) أي انطفائها وقت غيض بحيرتها فكأنها طفئت بمائها (وكان لها ألف عام لم تخمد) بفتح التاء وضم الميم وتفتح فانه ورد من باب نصر ينصر وباب علم يعلم (وانه) أي النبي عليه الصلاة والسلام كما رواه ابن سعد وغيره عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه (كان اذا أكل مع عمه أبي طالب وآله) أي وأهل بيته (وهو صغير) جملة حالية معترضة (شبعوا) بكسر الباء (ورووا) بضم الواو (واذا) وفي نسخة فاذا (غاب) أي عنهم (فأكلوا في غيبته لم يشبعوا) بفتح الباء وزيد في نسخة ولم يرووا بفتح الواو ولعل النسخة الاولى مبنية على الاكتفاء أو على تغليب شبع الطعام على ري الماء (وكان سائر ولد أبي طالب) بفتحتين وبضم فسكون أي بقية أولاده أو جميعهم (يصبحون) أي يدخلون في الصباح (شعثا) بضم أوله جمع أشعث أي مغبرة شعورهم

مغبرة وجوههم متغيرة ألوانهم بقرينة المقابلة بقوله (و يصبح صلى الله تعالى عليه وسلم صقيلا) أي صافي اللون (دهينا) أي مدهون الشعر بريق الوجه (كحيلا) أي كانه مكحول العينين هذا وأولاده عقيل وطالب و جعفر وعلي وأم هانئ وجمانة وأم طالب فاسلموا كلهم الا طالبا مات كافرا و يقال ان الجن اختطفته ثم اعلم انه قال الحلبي استعمل القاضي رحمه الله سائر بمعنى جميع والشيخ أبو عمرو بن الصلاح أنكر كون سائر بمعنى جميع وقال ان ذلك مردود عند أهل اللغة معدود في غلط العامة واشباههم من الخاصة قال الزهري في في تهذيبه أهل اللغة اتفقوا على ان سائر بمعنى الباقي وقال الحريري في درة الغواص في أوهام الخواص ومن أوهامهم الفاضحة واغلاطهم الواضحة انهم يستعملون سائر بمعنى الجميع وهو في كلام العرب بمعنى الباقي واستدل بقصة غيلان لما أسلم على عشر نسوة وقال له صلى الله تعالى عليه وسلم امسك اربعا وفارق سائرهن انتهى وقال ابن الصلاح ولا التفات الى قول صاحب الصحاح سائر الناس جميعهم فانه ممن لا يقبل ما ينفرد به وقد حكم عليه بالغلط وهذا من وجهين أحدهما تفسيره ذلك بالجميع وثانيهما انه ذكره في سير وحقه ان يذكر في سار وقال النووي وهي لغة صحيحة ذكرها غير الجوهري ولم ينفرد بها وافقه عليها الجواليقي في أول شرح أدب الكاتب الى آخر كلام النووي في تهذيبه انتهى كلام الحلبي وتبعه الدلجي في تفسيره السائر بالجميع وقال صاحب القاموس السائر الباقي لا الجميع كما توهم جماعات أو قد يستعمل له فقد ضاف اعرابي قوما فامروا الجارية بتطييبه فقال بطني عطري وسائري ذري انتهى ولا يخفى انه يحتمل كلام الاعرابي ان يكون السائر بمعنى الباقي بل هو المتبادر على ما هو الظاهر والتحقيق ان السائر بمعنى الباقي حقيقة وبمعنى الجميع مجازا

عرضها وقد روى الحديث البيهقي وابن أبي الدنيا وابن السكن كما نقله السيوطي وغيره فالمعترض لم يقف على هذه الرواية فلعل ماءها نقص نقصا لا ينقص مثله في زمان طويل أو غار ماؤها ثم عاد بعد ذلك لما فيها من العيون النابعة التي تمدها الامطار وقد علمت ان بحيرة تصغير بحرة لا بحر والتاء زائدة كما قيل وهي ممنوعة من الصرف للعلمية والتانيث وليست التاء مزيدة فيها بعد العلمية كذي الثدية لتأويلها بالبقعة وهي تكلف لا داعي له (وخمود نار فارس) بمنع الصرف لانه علم أعجمي وفارس اقليم معروف هو وأهله فكان ما غاض من الماء فاض على النار فاطفاها والخمود الانطفاء وكان هذا ليلة مولده صلى الله تعالى عليه وسلم كما تقرر (وكان لها) أي لتلك النار (ألف عام لم تخمد) لشدة اشتعالها وكثرة امدادها دائما وكانوا يعبدونها كما قال ابن هانئ

سجدت الى النيران أعصرها ومذ * شعرت به سجدت له نيرانها

وقال آخر

وذاك دليل للنجاة من اللظا * به لانطفاء النار من كل موقد

وقوله لم تخمد بضم الميم وفتحها لانه ورد من باب نصر وعلم وكان كسرى واتباعه يعبدونها ويرمون فيها المسك والعنبر ونحوه ولهم بها فتنة عظيمة اذ لم تزل في تاجج وان لم تمد وقصة النار ورؤيا كسرى وقصتها على سطيح مذكورة في السير مشهورة (وانه) صلى الله عليه وسلم (كان) وهو طفل صغير كما رواه ابن سعد وغيره عن ابن عباس (اذا أكل مع عمه أبي طالب وآله) أي أهل بيته وكان صلى الله تعالى عليه وسلم عنده في حضانته بعد عبد المطلب (وهو صغير) جملة حالية (شبعوا) من الطعام (ورووا) اذا شربوا اللبنا ونحوه لا ماء ولذا جعله ما كولا لانه غذاء ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم مما لا يشبع منه مثلهم لقلته (واذا غاب) أي عنهم فلم يكن معهم (فأكلوا) وحدهم (في غيبته) عنهم (لم يشبعوا) وباتوا جياعا (وكان سائر ولد أبي طالب) أي جميعهم أو بقيتهم بعده صلى الله عليه وسلم منهم تغليبا وأنكر بعضهم ورود سائر بمعنى جميع ورددناه في شرح الدرة (يصبحون) اذا قاموا من نومهم (شعثا) جمع أشعث وهو المغبر المتغير لونه كما هو عادة الاطفال اذا قاموا من نومهم في مضاجعهم (و يصبح صلى الله عليه وسلم) أي يدخل في وقت الصباح اذا قام من نومه (صقيلا) أي رائق اللون غير متغير البشرة فهو استعارة من المرآة الصقيلة (دهينا) أي كان وجهه دهن بغالية ونحوها مما كانوا يدهنون به حتى تبرق وجوههم (كحيلا) أي

وانه ماخوذ من السؤر مهموزا وهو البقية الملائمة لمعنى الباقي بخلاف السور معتلا وهو سور البلد المناسب لمعنى الجميع وبهذا يرتفع الخلاف لمن ينظر بعين الانصاف ويظهر فساد ما في كلام ابن الصلاح من المناقضة ونوع من المعارضة (قالت أم أيمن) وهي بركة بنت محصن (حاضنته) أي مربيته ومرضعته أيضا على ما قيل وهي مولاة له صلى الله تعالى عليه وسلم حبشية أعتقها أبو النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأسلمت قديما وابنها أيمن بن عبيد الحبشي ثم تزوجها زيد ابن حارثة زارها أبو بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما واختلف في زمن وفاتها (ما رأيته صلى الله تعالى عليه وسلم اشتكى) أي بلسانه (جوعا ولا عطشا صغيرا) أي حال كونه صغيرا (ولا كبيرا) اذا كان ربه يطعمه ويسقيه بمعنى يخلق قوتهما فيه وحديثها رواه ابن سعد وأبو نعيم في الدلائل (ومن ذلك حراسة السماء) بكسر الحاء أي حفظها من بلوغ الجن اليها (بالشهب) أي بالنجوم رجوما لئلا يكون لهم هجوما (وقطع رصد الشياطين) أي ترصدهم وانتظارهم ظهور شيء اليهم من نزول خبر عليهم (ومنعهم استراق السمع) أي بالكلية فانهم كانوا لا يسمعون الا القول الحق من ملائكة السماء فيلقونه الى أوليائهم فيكذبون معه ما شاؤا من أنبائهم فمنعوا منه بظهور نوره صلى الله تعالى عليه وسلم فلما بعث اشتد الامر بهم وكثر الحرس عليهم كما قال تعالى حكاية عنهم وانا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا الآيات (وما نشأ) بالهمز أي ومن ذلك ما تربى (عليه) وجبل اليه (من بغض الاصنام) كما في حديث البيهقي عن زيد بن حارثة قال كان صنم يتمسح به المشركون اذا طافوا بالبيت فطفت به قبل البعثة فلما مررت بالصنم

مكحل العين وكل ذلك من غير صنع لاحد وهي منصوبة بيصبح ان كانت ناقصة أو أحوال وكان أولاد أبي طالب سبعة اذ ذاك عقيل وجعفر وطالب وعلي كرم الله وجهه وأم هانئ وأم طالب وجمامة وكلهم أسلموا الا طالبا فانه مات كافرا وهذا مجاز أو حقيقة وفسر المدهون بخلاف الاشعث والمصقول بالمسوى الشعر والكحيل بالذي لا رمص بعينيه ولا قذى وكان أبو طالب يحبه صلى الله تعالى عليه وسلم حبا شديدا ويؤثره على أولاده فاذا أتي بطعام يقول لا تأكلوا حتى يأتي ابني وروي في بعض النسخ (قالت أم أيمن) هي بركة بنت محصن بن ثعلبة بن عمرو بن حفص بن مالك بن سلمة بن عمرو بن النعمان مولاة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (حاضنته) أي التي كانت تربيه طفلا سميت حاضنة لانها تجعل الولد في حضنها وقيل انها أرضعته وهي حبشية وابنها أيمن بن عبيد الحبشي وتزوجها زيد بن حارثة وكانت وصيفة لعبد الله أبيه صلى الله عليه وسلم وروي عنها في الصحيحين وأدركت خلافة عثمان رضي الله تعالى عنه كما نقله الذهبي عن الواقدي وفي مسلم عن الزهري انها توفيت بعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بخمسة أو ستة أشهر وهو الذي صححه النووي رحمه الله تعالى وخطأ الواقدي فيما قاله وانما حضنته لموت أمه آمنة (ما رأيته صلى الله عليه وسلم يشكو جوعا ولا عطشا صغيرا ولا كبيرا) لان الله تكفل به فكان يبيت عند ربه يطعمه ويسقيه كما قال تعالى ألم يجدك يتيما فآوى وحاضنة اسم فاعل مؤنث من الحضن وليس فعلا من المفاعلة وانه عدل عن حضنه لحاضنته للاشعار بالفاعلية من جانبه تبركا به كما توهم وهو خطأ فاحش على عادته (ومن ذلك) أي دلائل رسالته المشاهدة عند ولادته (حراسة السماء بالشهب) وهي شعل النار المرئية في نجوم السماء جمع شهاب (وقطع رصد الشياطين) أي ترصدهم وترقبهم لسماع ما تقوله الملائكة فتحفظه وتلقيه للكهنة وهو مصدر ويكون بمعنى راصد وجمعه فلذا أطلق على الواحد وغيره والشياطين مردة الجن (ومنعهم) أي منع الله لهم (استراق السمع) وهو ان يختفي أحد ليسمع كلام من لم يرد سماعه فكأنه يسرق الكلام الذي سمعه واعلم ان رمي الشياطين بالشهب لم يحدث في زمنه صلى الله تعالى عليه وسلم فانه كان قبل ذلك أيضا ولكنه لما ولد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في زمان كان كثير الكهنة وكانت الجن تخبرهم ببعض المغيبات فيلقونها للناس منعهم الله من ذلك بالكلية حتى لا يلتبس الوحي بغيره فكثر الرجم بالشهب من جميع النواحي فبطلت الكهانة ومنع الجن من الاطلاع على الغيبيات ولذا لما رأت قريش كثرة القذف بالنجوم قالوا اقتربت الساعة وخراب الدنيا فقال لهم عتبة بن ربيعة أنظروا الى العيوق ان كان رمي به فقد آن قيام الساعة والا فلا والى هذا يشير قوله تعالى وانا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا الآية وقد روي ان ابليس كان يخترق السموات فلما ولد عيسى عليه الصلاة والسلام حجب عن ثلاث سموات فلما ولد محمد صلى الله عليه وسلم حجب عن جميعها ومنع غيره من القرب منها والشهاب الذي يرمى به قيل انه لا يخطيه ولكنه يحرقه ولا يقتله وقال الحسن انه يقتله فقد علمت ان رمي الشهب لم يحدث في زمنه صلى الله تعالى عليه وسلم كما توهمه بعضهم وانما كثر واشتد فيه وكانوا في الجاهلية اذا رأوا شهابا سقط قالوا يموت أو يولد عظيم كما ورد في الحديث (و) من دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم (ما نشأ عليه) أي خلقه الله عليه من ابتداء نشأته وطفوليته (من بغض الاصنام)

ثم سمعت به فقيل لي لا تمسه ثم طفنا فقلت في نفسي لامسنه حتى أنظر ما يقول فمسحته فقال ألم تنه قال زيد فو الذي أكرمه بالذي أكرمه ما التمس صنما قط (والعفة) أي وما نشأ من النفرة (عن أمور الجاهلية) أي معايبها (وما خصه الله به من ذلك) أي من الاعمال الرضية والاحوال الزكية (وحماه) أي وحفظه قبل بعثته من الصفات الرديئة والسمات الدنيئة (حتى في ستره) بفتح السين أي تستره من التعري وهو كشف

العورة (في الخبر المشهور عند بناء الكعبة كما رواه) الشيخان عن جابر والبيهقي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما (اذ) أي حين (أخذ ازاره) أي بامر عمه العباس (ليجعله على عاتقه) وهو ما بين المنكب والعنق (ليحمل عليه الحجارة) أي ولم تظهر عليه الامارة (وتعرى) أي وانكشفت عورته (فسقط الى الارض) أي مائلا اليها وطمحت عيناه الى السماء (حتى رد) أي بنفسه (ازاره عليه فقال له عمه ما لك) وفي نسخة ما لك أي ما حالك (قال اني نهيت عن التعري) وفي رواية وكنت وابن أخي نحمل الحجارة على رقابنا وأزرنا تحتها فاذا غشينا الناس اتزرنا فبينما انا أمشي ومحمد امامي خر لوجهه وهو ينظر الى السماء فقلت ما شأنك فاخذ ازاره وقال اني نهيت ان أمشي عريانا قال فكنت اكتمها الناس مخافة ان يقولوا مجنون (ومن ذلك اظلال الله تعالى له بالغمام في سفره) أي على ما مر في حديث بحيرا الراهب كما رواه الترمذي والبيهقي (وفي رواية

معه

أي لابن سعد عن نفيسة بنت منبه (ان خديجة رضي الله تعالى عنها ونساءها رأينه لما) بتشديد الميم أي حين (قدم وملكان يظلانه فذكرت) أي خديجة (ذلك) أي خبر الاظلال (لميسرة) أي غلامها قال الحلبي لا أعلم له ذكرا في الصحابة وكان توفي قبل النبوة والا فلو أدركها لأسلم انتهى وفيه بحث لا يخفى والله تعالى أعلم

وكراهة قربها ومسها كما روى البيهقي ان زيد بن حارثة مر بصنم فتمسح به فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم لا تمسه ونهاه عن القرب منه كما نهى ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام آزر عنها (والعفة عن أمور الجاهلية) التي كانوا يرتكبونها لخلقه الله تعالى مستغفلا عنها السلامة طبعه كاللهو واللعب وغيره والعفة حالة للنفس تمنع من غلبة الشهوة والتعفف عن تعاطيها كما قاله الراغب (وما خصه الله به من ذلك) فجعل فيه اخلاقا مرضية واعمالا زكية ونفسا قدسية فصانه (وحماه) قبل بعثته من الصفات الردية (حتى في ستره) بفتح السين المهملة وسكون المثناة الفوقية مصدرا أي ستر بدنه حتى لا يرى أحد منه صلى الله تعالى عليه وسلم ما لا ينبغي رؤيته كالعورة فكان لا يتعرى عند أحد وكانت الجاهلية تفعله حتى كانوا يطوفون عراة أحيانا وفي نسخة حتى ستره مجرور والحتى وهو غاية لما قبله من الحماية وما قيل ان كان المراد كشف العورة فهو قبيح عقلا وما دونها ليس بقبيح عقلا وشرعا الا ان يقال انه من خصوصياته الدالة على نبوته أمر لا طائل تحته (في الخبر المشهور) الذي رواه الشيخان عن جابر والبيهقي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما (عند بناء الكعبة) أي لما بنتها قريش ونقلهم الحجارة لبنائها وكان صلى الله تعالى عليه وسلم ينقل الحجارة معهم (اذ أخذ ازاره) أي ملحفته التي كان مؤتزرا بها (ليجعله على عاتقه) أي أخذ الازار ليجعله على كتفه الذي يضع عليه الحجارة حتى لا تؤذيه (ليحمل عليه) أي على عاتقه أو ازاره (الحجارة وتعرى) أي انكشف أسفله لنزع الازار عنه (فسقط الى الارض) مغشيا عليه وعينه شاخصة للسماء (حتى رد ازاره عليه) وستر عورته (فقال له عمه) وهو العباس كما صرح به (ما بالك) أي ما شأنك وحالك الذي عرض لك حتى سقطت (قال اني نهيت) بالبناء للمجهول (عن التعري) وكشف العورة كغيري وكانت قريش بنت الكعبة لسيل أتى من فوق الردم ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ابن خمس وثلاثين سنة قال العباس فكانوا ينفردون رجلين رجلين ينقلون الحجارة فكان العباس مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فكانوا يجعلون ازارهم على عواتقهم فاذا دنوا من الناس لبسوها فبينما هو كذلك صرع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يستغيث رافعا بصره الى السماء فقال له ما بالك يا ابن أخي فقال نهيت ان أمشي عريانا فكتمها حتى بعثه الله تعالى مخافة ان يقال انه مجنون وفي رواية ان ملكا ما هيبا ناداه اشدد ازارك وروي انه الكمه لكمة شديدة قيل وهو أول ما نودي به (ومن ذلك) أي مما دل على نبوته في أول أمره ما رواه الترمذي والبيهقي رحمهما الله تعالى (اظلال الله تعالى له بالغمام في سفره) أي كون غمامة تسير معه صلى الله تعالى عليه وسلم أني سار تقيه حر الشمس دون غيره من الركب كما رآه بحيرا لما سافر للشام مع عمه ورآه ميسرة غلام خديجة لما سافر معه للشام وخص السفر لانه محل التأثر من الشمس (وفي رواية لابن سعد (ان خديجة) أم المؤمنين (ونساءها) أي النساء التي كن معها عند الرؤية فالاضافة لادنى ملابسة (رأينه لما قدم) المكة من سفره للشام في تجارتها (وملكان يظلانه) أي يمدان أجنحتهما عليه ليكون ظلا له ووقاية من الشمس (فذكرت) خديجة (ذلك) أي ما رأته (لميسرة) غلامها الذي بعثته

(فأخبرها انه رأى ذلك منذ خرج معه فى سفره) أى من أول أمره الى آخره (وقد روى ان حليمة رأت غمامة تظله وهو عندها) كما رواه
الواقدى وابن سعد وابن عساكر فى تاريخه عن ابن عباس (وروى ذلك) أى تظليل الغمامة له (عن أخيه من الرضاعة) وفى
رواية عن أخته بالفوقية وهى أصح كما فى سيرة أبى الفتح اليعمرى من ان حليمة بعد رجوعها من مكة كانت لاتدعه ان يذهب مكانا بعيدا فغفلت عنه يوما فى الظهيرة فخرجت تطلبه حتى وجدته مع أخته فقالت فى هذا الحر فقالت أخته يا أمه ما وجد أخى حرا رأيت غمامة تظل عليه اذا وقف وقفت واذا سار سارت الحديث قال الحلبى فهذا صريح ان يكون ما فى الاصل غلط تصحف على الكاتب اللهم الا ان يروى ان أخاه من الرضاعة رأى ذلك أيضا والله تعالى أعلم (ومن ذلك نزل فى بعض أسفاره قبل مبعثه تحت شجرة يابسة فاعشب ما حولها) أى كثر عشبه وهو الكلأ مادام رطبا والمعنى انه نبت فيه عشب كثير (وأينعت) بتقديم التحتية على النون (هى) أى الشجرة والمعنى أدرك ثمارها ونضجت ومنه قوله تعالى كلوا من ثمره اذا أثمر وينعه أى نضجه

(فاشرقت) بالقاف أى أضاءت بحسن صفاتها كاشراق الشمس بضيائها ويروى بالفاء أى علت وارتفعت (وتدلت) بتشديد اللام وفى أصل الدلجى بلامين أى استرسلت ونزلت (عليه أغصانها بمحضر من رآه) قال الدلجى لم أدر من رواه (وميل فىء الشجرة) اى ظلها (اليه فى الخبر الآخر) أى المتقدم عن بحيرا الراهب

معه صلى الله تعالى عليه وسلم فى سفره وميسرة بفتح السين وضمها (فاخبرها) ميسرة (انه رأى ذلك) أى كونه مظللا من السماء بالملكين فلا ينافى ان خديجة رأت تظليل الملائكة وميسرة رأى تظليل الغمام أو ان الغمام كانت تسوقه ملائكة فجعلت مظللة له كحامل الظلة يسمى مظللا (منذ خرج معه فى سفره) الى الشام أى من أوله الى آخره وهذا الحديث رواه الواقدى عن نفيسة بنت منبه وهى احدى النساء اللاتى كن مع خديجة فى علية لها ينظرون الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حين قدم قال البرهان لم يذكر ميسرة فى الصحابة فكأنه مات قبل نبوته صلى الله تعالى عليه وسلم وفى رؤية خديجة الملائكة كرامة لها رضى الله تعالى عنها (وقد روى) بالبناء للمجهول والذى رواه الواقدى وابن سعد وابن عساكر فى تاريخه عن ابن عباس (ان حليمة) بنت أبى ذؤيب السعدية التى أرضعته صلى الله تعالى عليه وسلم (رأت غمامة تظله) وتقيه من حر الشمس (وهو) مقيم (عندها) لما أخذته صلى الله تعالى عليه وسلم لحيها لترضعه (وروى ذلك) أى تظليل الغمامة له (عن أخيه من الرضاعة) يعنى انه رآه فى صغره ورواه بعد كبره لانه كان معه والظاهر ان مراده انه هو الذى ذكره لامه وانها لم تشاهده لان عبارة الواقدى عن ابن عباس ان حليمة خرجت تطلبه صلى الله تعالى عليه وسلم فوجدته مع أخيه من الرضاعة وهو ولدها فقالت أفى حر الشمس بمكث شفقة عليه صلى الله تعالى عليه وسلم منها فقال أخوه يا أماه ما وجد أخى حرا رأيت غمامة تظلله اذا وقف وقفت واذا سار سارت معه وهذا يدل على انه ليس أمرا اتفاقيا وهل كان هذا دائما أو أحيانا لم ينقل فيه شئ وما فى المواهب نقلا عن الزركشى فى شرح البردة عن بعض العارفين انه صلى الله عليه وسلم كان مزاجه معتدل الحرارة والبرودة فلا يحس بالحر ولا بالبرد فكأنه صلى الله تعالى عليه وسلم فى ظل غمامة من اعتداله قيل عليه انه ساقط لانه يقتضى ان تظليل الغمامة لم يكن حقيقيا محسوسا وانما هو على طريق التمثيل قلت ان أراد ذلك فهو وارد عليه ويحتمل ان يريد انه لم يدم ذلك ولم يكن بعد بلوغه سن الاعتدال بعد النبوة لتمام اعتداله المغنى عنه أو انه كان غنيا عنه وانما هذا تكريم من الله له لم يرد عليه شئ فاعرفه فانه لا يخفى مثله على مثله وقد علمت ان الذى فى نسخ الشفاء كما قاله البرهان عن أخيه مذكر بياء تحتية والذى فى سيرة ابن سيد الناس أخته بالمثناة الفوقية فهذا تصحيف أو رواية رواها أيضا (ومن ذلك) أى مما يدل على نبوته صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا لم يذكروا من رواه من المحدثين (انه نزل) أى قعد فى محل نزل به (فى بعض أسفاره قبل مبعثه) مصدر ميمى بمعنى بعثته ونبوته (تحت شجرة يابسة) أى ليست مخضرة وليس لها ورق (فاعشوشب ما حولها) من الارض أى ظهر به عشب لم يكن قبله واخضرت من ساعتها وافعوعل للمبالغة أى كثر عشبه ونباته والعشب الكلأ مادام رطبا وقدمه لما فيه من المبالغة (وأينعت هى) أى الشجرة وأبرز الضمير لئلا يتوهم أنه عائد على ما حولها باعتبار انه أرض وهى مؤنثة سماعية ومعنى أينعت ظهر خضرة ورقها وزهرها أو ثمرها يقال ينعت الثمرة ينعا وينعا وأينعت ايناعا اذا نضجت وقال تعالى كلوا من ثمره اذا أثمر وينعه وقرئ وينعه وهو جمع يانع وهو المدرك قاله الراغب (فاشرقت) أى تمت وعلت أغصانها (وتدلت عليه) صلى الله تعالى عليه وسلم قضبانها لتقيه وتظله (أغصانها) جمع غصن وهى أعلاها وفروعها (بمحضر من رآه) أى ان من كان عنده شاهد حدوث ذلك وعلم منه ما يدل على كرامته اسرعته (و) من ذلك (ميل فىء الشجرة اليه) الفىء هو الظل مطلقا أو بعد الظهيرة لانه من فاء اذا رجع والكلام عليه مفصل فى كتب اللغة وميل الفىء اما وحده أو مع ميل الشجرة نفسها (فى الخبر الآخر) الذى روى

عنه صلى الله تعالى عليه وسلم في سفره الى الشام وقصته مع بحيراء الراهب كما تقدم (حتى اظلته) علة أو غاية مقصودة من ميلها وكان رفقاؤه صلى الله تعالى عليه وسلم سبقوه فجلسوا في الفيء فلما جلس في الجانب الآخر مالت الشجرة عليه بفيئها فظللته فرآه الراهب في قصته التي تقدمت وكان مع عمه أبي طالب وهو ابن عشر سنين (و) من دلائل نبوته صلى الله تعالى عليه وسلم (ماذكر) بالبناء للمجهول والذي ذكره ابن سبع (من انه) بيان لما الموصولة (لاظل لشخصه) أي لجسده الشريف اللطيف اذا كان (في شمس ولا قمر) مما ترى فيه الظلال لحجب الاجسام ضوء النيرين ونحوهما وعلل ذلك ابن سبع بقوله (لانه) صلى الله تعالى عليه وسلم (كان نورا) والانوار شفافة لطيفة لاتحجب غيرها من الانوار فلا ظل لها كما هو مشاهد في الانوار الحقيقية وهذا رواه صاحب الوفاء عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال لم يكن لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ظل ولم يقم مع شمس الا غلب ضوءه ضوءها ولا مع سراج الا غلب ضوءه ضوءه وقد تقدم هذا والكلام عليه ورباعية لنا فيه وهي

ما جر لظل أحمد اذيال * في الارض كرامة كما قد قالوا
هذا عجب وكم به من عجب * والناس بظله جميعا قالوا

وقالوا هذا من القيلولة وقد نطق القرآن بانه النور المبين وكونه بشرا لاينافيه كما توهم فان فهمت فهو نور على نور فان النور هو بنفسه المظهر لغيره وتفصيله في مشكاة الانوار للغزالي (و) من دلائل نبوته صلى الله تعالى عليه وسلم (ان الذباب كان لايقع على) ماظهر (من جسده ولا) يقع على (ثيابه) هذا مما قاله ابن سبع أيضا الا انهم قالوا لايعلم من روى هذا والذباب واحده ذبابة قيل انه سمي به لانه كلما أذب آب أي كلما طرد رجع وهذا مما أكرمه الله تعالى به لانه طهره من جميع الاقذار وهو مع استقذاره قد يجيء من مستقذر وقيل وقد نقل مثله عن ولي الله العارف به الشيخ عبد القادر الكيلاني ولا بعد فيه لان معجزات الانبياء قد تكون كرامة لاولياء أمته وفي رباعية لي

من أكرم مرسل عظيم حلا * لم تدن ذبابة اذا ما حلا
هذا عجب ولم يذق ذو نظر * في الموجودات من حلاه أحلا

وتظرف بعض علماء العجم فقال محمد رسول الله ليس فيه حرف منقوط لان الموجود ان النقط تشبه الذباب فصين اسمه ونعته عنه كما قلت في مدحه صلى الله عليه وسلم

لقد ذب الذباب فليس يعلو * رسول الله محمود ا محمد
ونقط الحرف يحكيه بشكل * لذاك الخط عنه قد تجرد

(ومن ذلك) أي من دلائل نبوته صلى الله تعالى عليه وسلم في أول أمره ومنتهاه كما رواه الشيخان (تحبيب) الله تعالى بجعله طبيعة له (الخلوة) أي الوحدة والانفراد عن الناس للعبادة (اليه حتى أوحي اليه) أي انه كان يفعل ذلك قبل بعثته حتى نزل الوحي عليه تكريما له صلى الله تعالى عليه وسلم وفي البخاري ثم حبب اليه الخلاء أي العزلة عن الناس اذ بها فراغ القلب والاعانة على التفكر والانقطاع عن مألوفات النفس فكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه وهو التعبد في الليالي ذوات العدد قبل النبوة فاذا نزل منه طاف بالبيت وذهب لاهله وخص حراء كما قاله ابن أبي جمرة لانه كان يتبرك به وينظر منه البيت فيستقبله وقال حبب بصيغة المجهول اشارة الى انه ليس تقليدا لغيره وانما هو جبلي بالهام الله تعالى له وهو من الارهاصات حتى جاءه الوحي وهو فيه (ثم اعلامه) صلى الله تعالى عليه وسلم أي اعلام الله تعالى له (ب) قرب (موته ودنو أجله) أي آخر عمره الذي أجل له وقدر وهذا مما رواه الشيخان وفهمه صلى الله تعالى عليه وسلم من قوله تعالى فسبح بحمد ربك وفي الصحيحين انه مر على قتلى أحد بعد ثمان سنين كالمودع للاحياء والاموات ثم طلع المنبر فقال اني بين يديكم فرط وأنا عليكم شهيد وان موعدكم الحوض الى آخره وقوله في خطبته له ان عبدا خيره الله بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا ما شاء وبين

(حتى أظلته وماذكر) أي ومن ذلك ماذكره الحكيم الترمذي في نوادر الاصول عن عبد الرحمن بن قيس وهو مطعون عن عبد الملك بن عبد الله بن الوليد وهو مجهول عن ذكوان (من انه كان لاظل لشخصه في شمس ولا قمر لانه كان نورا) أي بنفسه والنور لاظل له لعدم جرمه وهذا معنى ما في النوادر ولفظها لم يكن له ظل في شمس ولا قمر ونقله الحلبي عن ابن سبع أيضا (وان الذباب) أي ومن ذلك ماذكر من ان الذباب (كان لايقع على جسده ولا ثيابه) قال الدلجي لا اعلم من رواه انتهى وقال الحلبي نقل أيضا بعض مشايخي فيما قرأته عليه بالقاهرة عن ابن سبع انه لم يقع على ثيابه ذباب قط قلت فعلى جسده بالاولى كما لايخفى (ومن ذلك تحبيب الخلوة اليه حتى أوحي اليه) أي بنزول القرآن عليه كما في الصحيحين ولفظ البخاري ثم حبب اليه الخلاء أي العزلة عن الملا (ثم اعلامه بموته ودنو أجله) كما رواه الشيخان وغيرهم

(وان قبره بالمدينة) وفى نسخة فى المدينة (وفى بيته) كما رواه أبو نعيم فى الدلائل عن معقل بن يسار ولفظه المدينة مهاجرى ومضجعى من الارض وروى البيهقى عن أبى بكر رضى الله تعالى عنه ان قبره يكون فى بيته (وان بين بيته ومنبره) وفى نسخة صحيحة وبين منبره (روضة من رياض الجنة) كما سيأتى ما فيه من الاحاديث الواردة (وتخيير الله له عند موته) أى بين الدنيا والآخرة كما رواه البيهقى فى الدلائل عن عائشة بلفظ كنا نتحدث ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لا يموت حتى يخير بين الدنيا والآخرة فسمعته فى مرضه الذى مات فيه يقول مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا فظننا انه كان يخير وفى رواية قالت لما نزلت به ورأسه على فخذى غشى عليه ثم أفاق فاشخص بصره الى سقف البيت وقال اللهم الرفيق الاعلى وهى آخر كلمة تكلم بها وفى رواية ان جبريل قال له ان ربك يقرؤك السلام ورحمة الله ويقول ان شئت ٢٨٣ شفيتك وكفيتك وان شئت توفيتك وغفرت لك قال ذلك الى ربى يصنع بى ما يشاء (وما اشتمل) أى ومن ذلك ما احتوى (عليه حديث الوفاة) كما رواه الشافعى فى سننه والعدنى فى مسنده والبيهقى فى دلائله (من كراماته وتشريفه) أى بخدمة الملائكة له وعموم رسالته اليهم وارسال جبريل اليه يقول ان الله يقرؤك السلام ورحمة الله وفى رواية قال يا محمد ان الله أرسلنى اليك اكراما وتفضيلا وخاصة لك ليسئلك عما هو أعلم به منك يقول لك كيف تجدك قال أجدنى مغموما مكروبا (وصلاة الملائكة) أى ومن ذلك صلاة الملائكة (على جسده) أى بعد خروج روحه الشريفة (ما رويناه) بصيغة الفاعل ويحتمل المفعول (فى بعضها) أى فى بعض الروايات والاسانيد من انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال وان الملائكة يدخلون قبلكم من حيث يرونكم ولا ترونهم فيصلون على صلاة الجنازة بتحريم وتكبير وتسليم ثم صلى عليه أصحابه كذلك كما رواه يحيى بن يحيى فى الموطأ بلاغا قال أخبرنا مالك انه بلغه ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم توفى يوم الاثنين ودفن يوم الثلاثاء وصلى عليه الناس أفذاذا لا يؤمهم أحد ورواه الشافعى فى الام بلفظ فقد صلى الناس على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فرادى لا يؤمهم أحد وذلك لعظم أمر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وتنافسهم فى ان لا ينوى الامامة فى الصلاة عليه واحد من الائمة صلوا عليه مرة بعد مرة أقول الاظهر انهم صلوا عليه فى محله ولا كان يسع ذلك المحل اماما لقومه كله فصلوا فرادى لادراك فضله وتكرار الصلاة عليه من خصوصيات حكمه هذا ومن زعم ان المراد بالصلاة هنا الدعاء فقد عدل عن الحقيقة من غير قرينة صارفة

ماعنده فاختار ماعنده فبكى أبو بكر رضى الله تعالى عنه وقال فديناك بآبائنا وأمهاتنا فقال عمر انظروا لهذا الشيخ يقول رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله تعالى خيره بين زهرة الدنيا وماعنده فاختار ماعنده فكان الصديق أعلمهم بكلامه صلى الله عليه وسلم وأسر بذلك لفاطمة كما تقدم فى الحديث الى غير ذلك مما لا يحصى (و) اعلامه صلى الله عليه وسلم (ان قبره بالمدينة) كما رواه أبو نعيم عن معقل بن يسار بلفظ المدينة مهاجرى ومضجعى من الارض (و) ان قبره (فى بيته) فقبره صلى الله عليه وسلم فى مسكنه وكذا كان لكثير من الانبياء عليهم السلام اشارة الى انهم أحياء عند ربهم يرزقون (فان بين بيته ومنبره روضة من رياض الجنة) كما سيأتى يعنى انها تنقل وتجعل روضة فى الجنة أو ان العمل فيها موجب لصاحبه روضة من رياض الجنة وقال ابن أبى جمرة الاظهر ارادة المعنيين والجمع بينهما معا اذ لا مانع منه ومن لم يعرف هذا قال لابد من تاويله باعتبار القرب من أقرب الخلق الى الله ومن قرب منه كالجالس فى رياض الجنة لتنزل الرحمات * وتلذذ بالمشاهدات * كما قال اللهم اجعل قبر فلان روضة من رياض الجنة (وتخيير الله له عند موته) أى لما قرب موته خيره الله بين البقاء فى الدنيا والرحيل للآخرة كما سمعته آنفا ورواه البيهقى فى دلائله وعن عائشة رضى الله تعالى عنها كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى صحته يقول لم يقبض نبى قط حتى يرى مقعده فى الجنة ويخير فلما اشتكى صلى الله تعالى عليه وسلم غشى عليه فلما أفاق شخص بصره لسقف البيت وقال اللهم الرفيق الاعلى فقالت لا يختارنا وعرفت انه خير وفهمت ما فهم أبوها رضى الله تعالى عنهما وهو حديث صحيح رواه أحمد فى مسنده وغيره وقد صرح به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال أوتيت مفاتيح خزائن الارض وخيرت بين الخلد فيها ثم الجنة واخترت الى آخر مما يطول ذكره (وما اشتمل عليه حديث الوفاة) أى وفاته صلى الله تعالى عليه وسلم وهو حديث طويل رواه الشافعى والبيهقى فى سننه (من كراماته) التى اكرمه الله تعالى بها عند موته كسماع بكاء الملائكة وسماع صوت من السماء ينادى وامحمداه الحديث وقول جبريل له صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله يقرؤك السلام ويقول لك وهو أعلم كيف تجدك الى غير ذلك (وتشريفه) عام وغيره (وصلاة الملائكة على جسده) وفى نسخة عليه وكان اقحام الجسد هنا لان الصلاة معناها الدعاء وروحه صلى الله تعالى عليه وسلم غير محتاجة لذلك أو لنكتة أخرى قيل هى ان الصلاة على جسده وروحه مستمرة دائما لقوله تعالى ان الله وملائكته يصلون الآية (على ما رويناه فى بعضها) أى فى بعض

طرق حديث الوفاة وهو ماروى عن ابن عباس رضى الله عنه انه لما جهز صلى الله تعالى عليه وسلم يوم الثلاثاء وضع على سريره فى بيته فصلت عليه الملائكة فوجاء وجاءتم الناس فوجاء وجاءتم نساؤه ثم النساء ثم الصبيان ولم يؤمهم أحد وكان صلى الله تعالى عليه وسلم أوصى بذلك وذلك لعظم أمره ولئلا يتنافسون فى الامامة والخلافة لان الخليفة يستحقها ومن زعم ان المراد بالصلاة مجرد الدعاء دون صلاة الجنازة لم يات بشئ وكونه لم يؤمهم أحد ذكره الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه فى الام وغيره وصححوه وحكمته ماذكر ولم يدع له صلى الله تعالى عليه وسلم بدعاء الجنازة المشهور كما ذكره السهيلى بل قالوا انا نشهد انك بلغت الامانة ونصحت الامة الى آخر ماذكره والحديث بطوله مذكور فى كثير من كتب الحديث تركناه لطوله (واستئذان ملك الموت عليه) أى طلبه الاذن منه فى قبض روحه الشريف ان أراد أو تركه حيا (ولم يستأذن على غيره) نبيا أو غيره (قبله) روى ان جبريل قال له صلى الله تعالى عليه وسلم ان ملك الموت بالباب يستأذن عليك ولم يستأذن على أحد قبلك ولا بعدك فقال ائذن له فقال السلام عليك يا محمد ان ربى أمرنى ان أطيعك فيما أمرتنى به أن أقبض نفسك قبضتها وان أتركها تركتها فقال اقبض ياملك الموت كما أمرت فقال جبريل السلام عليك يارسول الله هذا آخر موطئ من الارض (ونداؤهم) أى نداء الملائكة لهم (الذى سمعوه) ولم يروا من ينادى (ان لا) أى بان لا الى آخره فان مصدرية ولا نافية (تنزعوا القميص عنه) أى قميصه الذى عليه لما أرادوا نزعه (عند غسله) بضم الغين ويجوز فتحها اشارة لما فى حديث أبى داود والبيهقى الصحيح عن عائشة رضى الله تعالى عنها انهم لما أرادوا غسله صلى الله تعالى عليه وسلم قالوا لاندرى أنجرده من ثيابه كما نجرد موتانا أم نغسله وعليه ثيابه واختلفوا فغشيهم النوم فاذا قائل من ناحية البيت لا يرونه أغسلوه فى ثيابه فغسلوه وعليه قميصه يصبون الماء فوق القميص ويدلكونه بالقميص وهو من جملة حديث الوفاة وهذا تكريم له باجرائه على عادته فانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان لا يتجرد عند أحد واشارة الى ان تغسيله ليس للاحتياج اليه وانما هو لاجراء السنة وكفن فى ثلاثة أثواب يمنية سحولية (وماروى من تعزية الخضر عليه الصلاة والسلام) كما رواه البيهقى فى دلائله يشير الى ماروى عن على كرم الله تعالى وجهه ورضى عنه انه قال لما توفى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سمعوا صوتا ولم يروا شخصا وهو يقول السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته كل نفس ذائقة الموت وانما توفون أجوركم يوم القيامة وان فى الله عز وجل لعزاء من كل مصيبة وخلفا من كل هالك ودركا من كل فائت فبالله فثقوا واياه فارجوا واعلموا ان المصاب من حرم الثواب والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته فكانوا يرون انه الخضر عليه السلام كما رواه البيهقى وابن أبى حاتم وقال فى مرآة الزمان ان المعزى هو جبريل لا الخضر ورواه العراقى فى تخريج أحاديث الاحياء بلفظ ان فى الله خلفا من كل أحد ودركا لكل رغبة ونجاة من كل مخافة فالله فارجوا وبه فثقوا وسمعوا آخر بعده يقول ان فى الله عزاء من كل مصيبة وعوضا من كل رغبة فالله فاطيعوا وبامره فاعملوا فقال أبو بكر رضى الله عنه هذا الخضر واليسع ولم أجد فى رواية ذكر اليسع وانما ذكر الخضر فى التعزية فقد أنكر النووى وجوده فى كتب الحديث وانما ذكره الاصحاب قلت بل رواه الحاكم فى المستدرك من حديث أنس ولم يصححه ولا يصح ورواه ابن أبى الدنيا فى كتاب العزاء قال لما قبض رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اجتمع أصحابه حوله يبكون فدخل عليهم رجل طويل شعر المنكبين فى ازار ورداء فتخطى الصحابة حتى أخذ بعضادتى الباب وبكى ثم قال ان فى الله عزاء من كل مصيبة وعوضا من كل من مات وخلفا من كل هالك فالى الله فانيبوا ولصرف الله البلاء فانظروا فان المصاب من حرم الثواب فقال أبو بكر لعل هذا الخضر أخو نبينا جاء يعزينا رواه الطبرانى فى الاوسط واسناده ضعيف جدا وابن أبى الدنيا عن على بسند رواه أيضا وذكره الشافعى فى الام من غير ذكر

(واستئذان ملك الموت عليه) أى ومن طلب اذن ملك الموت فى الدخول عليه لقبض روحه (ولم يستأذن على غيره قبله) أى من الانبياء والاصفياء فضلا عما بعده من العلماء والاولياء وروى ان جبريل قال ان ملك الموت بالباب يستأذن عليك ولم يستأذن على أحد قبلك ولا بعدك فقال ائذن له فقال السلام عليك يا محمد ان الله أمرنى ان أطيعك فيما أمرتنى به أن أقبض نفسك قبضتها وان أتركها تركتها (ونداؤهم الذى سمعوه ان لا تنزعوا) بكسر الزاى غيبا وخطابا أى لا تخلعوا (القميص عنه) أى عن بدنه (عند غسله) بضم الغين أو فتحه وذلك حين قالوا ماندرى أنجرده من ثيابه أم نغسله بها فالقى عليهم النوم فما منهم رجل الا وذقنه فى صدره ثم سمعوا قائلا لا يدرى من هو غسلوه وعليه ثيابه فغسلوه وعليه قميص يصبون الماء فوقه ورواه أبو داود والبيهقى وصححه واستشهد له بما رواه عن شيخه أبى عبد الله الحاكم من طريق بريدة قال أخذوا فى غسله فاذا هم بمناد من داخل لا تخرجوا عنه قميصه (وماروى من تعزية الخضر

والملائكة أهل بيته عند موته) اذ سمعوا قائلا لا يرون شخصه يقول السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته ان في الله خلفا من كل هالك وعزاء من كل مصيبة ودركا من كل فائت فبالله ثقوا واياه فارجوا فان المصاب من حرم الثواب رواه البيهقي في دلائل النبوة نقله الدلجي وقال الحلبي حديث تعزية الخضر رواه الشافعي من حديث جعفر بن محمد عن أبيه عن جده على بن الحسين رضى الله تعالى عنه قال لما مرض النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الحديث وفي آخره قال على أتدرون من هذا هذا الخضر وهذا مرسل وقد رواه الشافعي أيضا في الام باسناد ضعيف الا انه لم يقل الخضر بل سمعوا قائلا يقول وانما ذكره أصحاب الشافعي قاله النووى وفي شرح المهذب وقال بعض مشايخى أخرجه الحاكم في المستدرك من رواية أنس وفيه فقال أبو بكر وعلى هذا الخضر لكن في اسناده عباد بن عبد الصمد وهو ضعيف وقد أخرجه الشافعي أيضا في غير الام وفيه فقال أتدرون من هذا هذا الخضر رواه الطحاوى عن المزنى عنه في السنن المشهورة (الى ما ظهر على أصحابه من كراماته) أى الظاهرة (وبركاته) أى الوافرة (في حياته وموته) أى بعد مماته (كاستسقاء عمر بعمه) أى العباس كما

الخضر انتهى وانما قال الحاكم وغيره انه غير صحيح لحديث انه لا يبقى على وجه الارض ممن هو عليها أحد على رأس مائة سنة من تلك الليلة وأراد به انخرام كل أحد فيشمل الخضر وغيره يعنى به انكار وجوده وسئل عنه ابن حجر رحمه الله تعالى فقال سنده ضعيف ولو قدر ثبوته لم يخالف الحديث المذكور لانه يخص من عمومه ان صح ما ينقل عن بعض الصالحين من اجتماعه بالخضر الا انا لم نجد خبرا صحيحا يقتضى انه صاحب موسى عليه الصلاة والسلام والعلم عند الله والحاصل انهم قد اختلفوا في وجوده فالصوفية يثبتون وجوده وان منهم من رآه والمحدثون ينكرونه وبعضهم توقف فيه كابن حجر ومنهم من شدد النكير على من أثبت حياته كصاحب مرآة الزمان حتى صنف في ابطاله كتابا مستقلا سماه عجالة المنتظر في شرح حال الخضر ولكنا لا ننكر ما قاله المشايخ واختلفوا فيه هل هو نبى أو ملك أو عبد صالح من أولياء الله تعالى أطال الله تعالى عمره وجعل مرجع الاولياء والاقطاب اليه بما مر من انه لم ير شخصه يقتضى انه ملك وقوله (والملائكة) بالجر عطف على الخضر يشير لما قلناه (أهل بيته) مفعول التعزية وهى الارشاد للصبر والتسلية عند المصيبة واعلم انه ليس الخلاف في وجود الخضر صاحب موسى عليه الصلاة والسلام انما هو في كونه عاش الى زمن النبوة والى الآن (الى ما ظهر على أصحابه) صلى الله تعالى عليه وسلم والى هذه متعلقة بمقدر أى مضمومًا ما ذكر من أول الفصل الى هنا أو منتهيا وهو كما يقوله المصنفون رحمه الله تعالى الى آخره اشارة الى انه ترك أمورا كثيرة من جنس ما ذكر والمراد بظهورها عليهم ان شرف صحبته صلى الله عليه وسلم أثر فيهم حتى ظهرت منهم أمور تشابه ما ظهر منه ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم (من كراماته وبركته) أى من مثل ذلك (في حياته وموته) أى وبعد موته (كاستسقاء عمر) بن الخطاب رضى الله عنه (بعمه) العباس رضى الله عنه ابن عبد المطلب أى تقديمه في دعاء الاستسقاء كما رواه البخارى وتعبير عمه صلى الله تعالى عليه وسلم بالعباس وان كان اذ أعمام غيره لانه لم يعش بعده صلى الله تعالى عليه وسلم منهم غير العباس وقد صرح به في الحديث وأعمامه أبو طالب والزبير وعبد الكعبة وحمزة والقدم وحجل واسمه المغيرة والعوام وضرار والحارث وهو أكبرهم وقثم مات صغيرا وأبو لهب واسمه عبد العزى والغيداق واسمه مصعب أو نوفل فهم ثلاثة عشر ولم يسلم منهم غير حمزة والعباس وجعل بعضهم الغيداق وحجل واحدا فعدهم اثنى عشر وأسقط بعضهم العوام وعبد الكعبة فعدهم أحد عشر وبعضهم عدهم سبعة وبعضهم عشرة لاسقاط بعضهم وحاصل ما أشار اليه انه كان في زمن عمر رضى الله تعالى عنه اذا وقع قحط استسقى بالعباس رضى الله تعالى عنه فوقع قحط شديد في خلافته عام الرمادة سنة سبع عشرة فقال كعب يا أمير المؤمنين ان بنى اسرائيل كانوا اذا حصل لهم مثل هذا استسقوا بعصبة الانبياء فقال عمر هذا عم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم صنو أبيه وسيد بنى هاشم ثم صعد المنبر ومعه العباس وقال اللهم انا نتقرب اليك بعم نبيك ونستشفع به آمنا بك مستغفرين مستشفعين ثم أقبل على الناس وقال استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا الى قوله أنهارا ثم قام العباس رضى الله تعالى عنه وعيناه تنضحان فقال اللهم ان عندك سحابا وعندك ماء فانشر السحاب ثم أنزل الماء منه علينا فاشدد به الاصل وصل به الفرع وادر به الضرع اللهم انك لم تنزل بلاء الا بذنب ولم تكشفه الا بتوبة وقد توجه القوم بى اليك فاسقنا اللهم الغيث وشفعنا في أنفسنا وأهلينا وفيمن لا ينطق من بهائمنا وانعامنا اللهم اسقنا سقيا وادعا نافعا طبقا سحا عاما اللهم انا لا نرجو الا اياك ولا ندعو غيرك ولا نرغب الا اليك اللهم اليك نشكو جوع كل جائع وعرى كل عار وخوف كل خائف وضعف كل ضعيف اللهم أنت الراعى لا تهمل الضالة ولا تدع الكسير بدار مضيعة فقد ضرع الصغير ورق الكبير وارتفعت الشكوى وأنت تعلم السر

وصالحي أولادهم رضي الله تعالى عنهم أجمعين

(فصل)

(قال القاضي أبو الفضل رحمه الله قد أتينا) أي أوردنا (في هذا الباب) أي الرابع من أبواب الكتاب (على نكت) بضم ففتح أي لطائف وشرائف (من معجزاته واضحة) صفة نكت وقال الدلجي حال مما قبله (وجمل من علامات نبوته مقنعة) نعت جمل وهو بضم ميم وسكون قاف وكسر نون وفتح عين وقال الدلجي حال من جمل أي تغني من عرف حقيقتها (في واحد) خبر مقدم (منها) أي من النكت والجمل (الكفاية والغنية) بضم فسكون أي الاكتفاء والاغتناء في باب الاعتناء (وتركنا الكثير) أي من الانباء (سوى ماذكرنا) أي من النكت والجمل (واقتصرنا من الاحاديث الطوال) بكسر الطاء أي الطويلة لاذيال (على عين الغرض) أي نفس المراد (وفص المقصد) أي زبدة المقصود والفص للخاتم بفتح الفاء ويثلث

وأخفى اللهم وأغثهم بغياثك قبل ان يقنطوا فيهلكوا فانه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون فلم يستتم دعاءه حتى نشأت سحابة فقال الناس ترون ترون ثم تلاءمت ومشت وانتشرت ثم درت وأرخت عزاليها كأفواه القرب فسارحوا حتى علقوا الحداو قلصوا المآزر وطفق الناس يتمسحون بالعباس ويقولون هنيئا لك يا ساقي الحرمين وفي ذلك يقول حسان رضي الله تعالى عنه

سال الامام وقد تتابع جدبنا * سقى الغمام بغرة العباس

أحيي الاله به البلاد فاصبحت * مخضرة الارجاء بعد الياس

في أبيات أخر (وتبرك غيرواحد) أي كثيرمن الناس (بذريته صلى الله تعالى عليه وسلم) من السادة الاشراف نفعنا الله تعالى بهم ولهم في ذلك حكايات كثيرة ليس هذا محلها وقد أفرده السيد السمهودي شكر الله تعالى سعيه بتأليف مستقل نافع

(فصل) فيه فذلكة هذا الباب (قال القاضي أبو الفضل قد أتينا) أي ذكرنا وجمعنا (في هذا الباب) الرابع المذكور فيه معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم ودلائل نبوته وأصل الاتيان المجيء بسهولة وقد يكون بمعنى المرور فيتعدى بعلى ولذا قال (على نكت من معجزاته واضحة) الا انه تجوز به عما ذكر من الجمع والاداء بتعديته الاصلية لانه من لوازم من يريد أخذ شيء وجمعه ان يأتي اليه حتى يصل اليه ويقال أتى على كذا اذا استوفاه واستوعبه والنكت جمع نكتة وهي الامر الدقيق الذي يحصل بفكر يقارنه من نكت الارض بقضيب ونحوه كما مر والنكت بمثناة فوقية ومن نطق بها بالمثلثة فقد أخطأ ولا وجه لما ذكره البرهان هنا (وجمل) جمع جملة وهي الامر (المجمل من علامات نبوته صلى الله تعالى عليه وسلم مقنعة) أي كافية عن غيرها مستعار من القناعة وفي نسخة مغنية بالغين المعجمة والنون أي يستغنى بها عن غيرها وهو مجرور صفة جملة ويجوز نصبه على الحالية (في واحد منها الكفاية) عن غيره كالقرآن أي في الاقتصار عليه وضمير منها للنكت والجمل (والغنية) بالضم والسكون في ثانيه أي لاستغناء عن غيره لانه يدل عليه دلالة قوية (وتركنا الكثير) منها (سوى ماذكرنا) اشارة الى ان ماذكره قليل بالنسبة لما تركه (واقتصرنا من الاحاديث الطوال) بكسر الطاء جمع طويل (على عين الغرض) عين الشيء المختار منه وهو المراد منه لا الحقيقة وان كان أحد معانيها والغرض ما يقصد منه وفائدته وأصل معناه الهدف كما مر فنقل لما ذكر (وفص المقصد) أي الامر المقصود والفص مثلث الفاء بمعنى الاصل يقال أتى بالامر من فصه أي من أصله قال الشاعر

ورب امرء تزدريه العيون * ويأتيك بالامر من فصه

وفص الخاتم مايزين به من الجواهر ويقال نقل الحديث بفصه اذا استوفاه وتظرف ابن نباته رحمه الله تعالى في قوله

حملت خاتم فيه فصا أزرقا * من كثرة اللثم الذي لم أحصه

لولاه ما علم الرقيب فياله * من خاتم نقل الحديث بفصه

وقول الحموي العامة تقول الفص بالكسر ظاهره انه غير صحيح وقد نقل الثقات كابن السيد وغيره تثليثه كما علم والمقصد بكسر الصاد وهو القياس وفتحها بعضهم والمراد به المقصود كما مر فهو مصدر ميمي تجوز فيه (و) اقتصرنا (من كثير الاحاديث وغريبها) هو بمعناه اللغوي أي ما يعد مستغربا غير معهود وغيره مشهور او المراد به ما اصطلح عليه المحدثون وهو كما قال ابن الصلاح ما انفرد به بعض الرواة سواء انفرد بجمعه أو بزيادة فيه كزيادة ثلاث في حديث حبب الي من دنيا كم ثلاث النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة التي تفرد بها ابن فورك وتبعه غيره كما مر وهو لا ينافي الصحة اذا كان راويه ثقة وقد يكون ضعيفا واضافة كثير من اضافة الصفة للموصوف أي الاحاديث الكثيرة (على ما صح)

والصاد مشددة والمقصد بفتح الصاد وتكسر قال الحلبي بكسر الصاد وجد بخط النووي نقله

(ومن كثير الاحاديث) أي واقتصرنا وقد أبعد الحلبي في تقديره وأتينا (وغريبها) أي مما انفرد رواتها (على ما صح) أي سنده

(واشتهر) أى نقله عند أهله (الايسيرا) أى شيأ قليلا (من غريبه مما ذكره مشاهير الائمة) أى من نقاد الامة وحفاظ السنة بحيث انه خرج عن حيز الغرابة (وحذفنا الاسناد فى جمهورها) أى أكثرها (طلبا للاختصار) أى حذرا من الاكثار الممل للنظار (وبحسب هذا الباب) بسكون السين وزيادة الباء أى ويكفى هذا الباب الرابع الموضوع فى المعجزات (لوتقصى) بتاء وقاف مضمومتين فصاد مشددة مكسورة أى لو استقصى وضبطه الدلجى بالفاء أى لوتتبع (أن يكون ديوانا) أى دفترا أومصنفا على حدة (جامعا) أى محيطا وحاويا (يشتمل على مجلدات عدة) بكسر فتشديد أى كثيرة وقال الدلجى وحسب مبتدأ خبره أن يكون ديوانا وجواب لو محذوف أى لامكن (ومعجزات نبينا) صلى الله تعالى عليه وسلم (أظهر) أى أكثر وأبهر (من سائر معجزات الرسل) الاظهر من معجزات سائر الرسل (بوجهين) أى نظرا الى الكمية والكيفية كما يشير اليه قوله (أحدهما كثرتها) أى مع شهرتها اذ الكثرة لاتستلزم الشهرة (وانه لم يؤت نبى معجزة الاوعند نبينا مثلها) أى شبيهها ونظيرها (أوماهو أبلغ منها) أى دلالة كانشقاق القمر والاسراء ونحوهما وأما معجزة القرآن المجيد كما مثل به الدلجى فهذا ليس محلها (وقد نبه الناس على ذلك) أى على هذا المعنى على وجه الاستقصاء منها أنه تعالى خلق آدم بيده فقد شرح صدر نبينا بنفسه وانه رفع ادريس مكانا عليا فقد رفعه فى المعراج دنو الدنيا وغير ذلك مما يطول بيانها وقد سبق بعضها وسيأتى شئ منها (فان أردت

نقله وروايته (واشتهر) بين المحدثين (الايسيرا) أى قليلا نورده وان لم يصح ويشتهر واليسير ماتيسر وسهل وشاع استعماله بمعنى القليل لسهولته (من غريبه) أى غريب الحديث وانما اقتصر على المشهور والصحيح الشامل للحسن لان المعجزات الخارقة للعادة لاتخفى غالبا ثم اعتذر عن ايراده فى كتابه بقوله (مماذكره مشاهير الائمة) لانهم يعتمد على نقلهم لشهرة علمهم وفضلهم وان لم يرو لغيرهم (وحذفنا) أى تركنا وعبر بالحذف وهو الترك بعد الذكر اما التنزيل ذكر غيره منزلة ذكره أولجعله لكونه مهما وحقه ان يذكر بمنزلة المذكور والحذف أخص من الترك (الاسناد) أراد به السند تسمحا شائعا وهم رواة الحديث أوهو بمعناه الحقيقى (فى جمهورها) أى معظم الاحاديث وأكثرها وقد يورد الحديث مسندا (طلبا للاختصار) وعدم التطويل وهو مفعول لاجله (وبحسب هذا الباب) المذكور فيه المعجزات وحسب بفتح فسكون بمعنى كافى أو كفايته وهو مبتدأ مجرور بالباء الزائدة وخبره أن يكون الآتى أى يكفيه فى شرفه والعلم بكثرتها ورد فيه عن ذكره واستقصائه وهو المعنى تعليل ثان لاختصاره الا ان العبارة لاتخلو من الحزازة (لوتقصى) مبنى للمجهول بقاف وصاد مهملة أى استوفى وبلغ أقصاه ونهايته وضبطه بعضهم بفاء بدل القاف وهو غير مناسب هنا لان التقصى التخلص وهو غير مراد وتفسيره بتتبع وخلص من مظانه تكلف لايخفى (أن يكون ديوانا) أى كتابا مستقلا مدونا (جامعا) لما فى غيره وتقدم الكلام على الديوان وانه معرب بكسر الدال وفتحها (يشتمل على مجلدات عدة) أى كتب من شانها ان تجلد متعددة وعدة بكسر العين بمعنى معدودة (ومعجزات نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم أظهر من سائر معجزات الرسل) عليهم الصلاة والسلام أى من بقيتها أو جميعها (بوجهين أحدهما كثرتها) وشهرتها الا ان الكثرة تستلزم الشهرة * (تنبيه) * قال التلمسانى مجلدات جمع مجلدة وهى الكتب الكثيرة وهى عبارة فقهية مولدة ولا وجه له لان المجلد ما عليه جلد كما فى القاموس وفى رسالة المجلد لابى العلاء المعرى المجلد لايزال فيما غبر من الزمان نقيض مجلد العرب من شام ويمان قال الراجز

هل أنت كاسل المعتمل * مجلد يكشف عن مخض الابل

انتهى فقد أثبت ذلك وناهيك به من امام فى اللغة فان أراد تخصيصها بالكتب الضخمة وانها لم ترد فى كلام العرب فهو مجاز لايتوقف على السماع والتجلد يكون بمعنى التصبر وتظرف بعض المتأخرين فى قوله

ملكت كتابا أخلق الدهر جلده * وما أحد فى دهره بمخلد
اذا عاينت كتبى القديمة جلده * يقولون لاتهلك أسى وتجلد

(وانه لم يؤت نبى معجزة الاوعند نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم مثلها) أى من نوعها مساوية لها أو مقاربة فى الاعجاز (أوماهو أبلغ منها) أبلغ ليس من البلاغة كما توهمه من قال كالقرآن العظيم فانه أبلغ معجزة أوتيت فان معناها هنا أعظم وأقوى وليس مقيدا بالقرآن لان بلوغ الشئ وصوله لغايته ومنتهاه أوهو من المبالغة على خلاف القياس وكثيرا ما يقولونه بهذا المعنى والمعجزة هنا فى سياق النفى فتعم وتقييد الكثرة والخارق للعادة اذا عظم من شانه الشهرة والظهور فلا يرد عليه انه كان ينبغى أن يقول أظهر وانه لايلزم مما ذكره الظهور الذى ادعاه (وقد نبه الناس على ذلك) أى نبه علماء الحديث والآثار وفصلوه فى كتبهم كابن المنير فى كتاب المقتفى (فان أردته) أى أردت معرفته والوقوف على

فتأمل فصول هذا الباب) أي من معجزات نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم (ومعجزات من تقدم من الانبياء) أي وقابل بين واحدة مع ما يناسبها من الانبياء (تقف على ذلك) أي المعنى (ان شاء الله تعالى وأما كونها) أي معجزاته (كثيرة فهذا القرآن) أي ظاهر كثرته (وكله معجز) أي والحال ان جميعه باعتبار كله وجزئه معجز (وأقل ما يقع الاعجاز فيه عند بعض أئمة المحققين) بل عند أكثر المدققين حيث قالوا اعجازه بالفصاحة والبلاغة (سورة انا أعطيناك الكوثر) أي أقصر سورة نحوها (أو آية قدرها) لقوله تعالى فأتوا بسورة من مثله وفي حكم السورة قدرها لا أقلها (وذهب بعضهم) أي ممن قال بالصرفة (الى ان كل آية منه) أي من القرآن (كيف كانت) أي وجدت طويلة أو قصيرة (معجزة) خبر ان (وزاد آخرون) أي على ماذكر (ان كل جملة منتظمة منه) أي من القرآن وفي أصل الدلجي منتظمة منه (معجزة وان كانت من كلمة أو كلمتين) ويؤيده ظاهر قوله تعالى فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين ولعل الاعجاز أولا كان بعشر سور ثم بسورة ثم بحديث كما هو أسلوب التدريج على وجه الترقي (والحق) أي الثابت عند الجمهور (ماذكرناه أولا لقوله تعالى فأتوا بسورة مثله) وفي نسخة من مثله (فهو) أي اتيان نحو سورة (أقل ما تحداهم) أي طلب معارضتهم (به مع ما ينصر هذا) أي يؤيده ويقويه (من نظر) أي نظر اعتبار وتفكر واستبصار (وتحقيق) أي مشتمل على تدقيق (يطول بسطه) أي والقصد وسطه (واذا كان هذا) أي أكثر ما تحداهم به أقل (ففي القرآن من الكلمات) أي الاسمية والفعلية والحرفية (نحو من سبعة وسبعين ألف كلمة ونيف) بتشديد التحتية وتخفيفها أي بعض زيادة وجمع بينه وبين نحو مبالغة في الملاحظة لقصد المحافظة (على عدد بعضهم) أي ممن عد كلماته

ما ينبؤه (فتأمل فصول هذا الباب) أي أعد النظر فيه فتأمل وتدبر معانيه (ومعجزات من تقدم من الانبياء) عليهم الصلاة والسلام (تقف) مجزوم في جواب الامر (على ذلك ان شاء الله تعالى) والوقوف في الاصل القيام تجوز وابه عن المعرفة وهو مجاز مشهور ثم ان بعض الشراح ذكر هنا أمورا شرفه الله بها الغير من الانبياء لا مساس لها بالمعجزات تركناها ولم نطول بذكرها (وأما كونها كثيرة فهذا القرآن كله معجز) وفي بعض النسخ وكله معجز بالواو فالتقدير فهذا القرآن موجود معروف وجميع أجزائه معجزة فناهيك به كثرة ثم شرع في بيان المقدار الذي يقع به الاعجاز فقال (وأقل ما يقع الاعجاز فيه عند بعض أئمة المحققين سورة انا أعطيناك الكوثر) وهي أقصر سورة في القرآن (أو آية بقدرها) أي مساوية لها في الحروف والكلمات وسورة مرفوع خبر أقل وفي نسخة بسورة بباء الجر (وذهب بعضهم الى ان كل آية منه كيف كانت) طويلة بمقدار سورة أم لا (معجزة وزاد بعضهم) وفي نسخة آخرون أي ترقى عن هذا المقدار الى (ان كل جملة منتظمة منه) أي مفيدة تامة (معجزة وان كانت من كلمة أو كلمتين) فان قلت كيف تكون جملة منتظمة وهي كلمة قلت يكون فيها مقدر كمدهامتان ونحوها فتأمل وليس هذا مبنيا على ان اعجازه بالصرفة كما قيل (والحق ماذكرناه أولا) من ان المعجز أقصر سورة أو مقدارها (لقوله تعالى فأتوا بسورة) أي سورة كانت (من مثله) في الاعجاز والضمير للقرآن أو للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم كما في الكشاف وفيه كلام مشهور ودخل مقدار السورة فيه بدلالة النص فلا يتوهم انه ليس فيه التعرض للدليل على مدعاه (فهو) أي ماذكر (أقل ما تحداهم) الله أو الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم (به) أي طلب منهم معارضته (مع ما ينصر هذا) القول المذكور أولا أي يقويه ويؤيده (من نظر) أي فكر وتدبر (وتحقيق يطول بسطه) ببيان الحق بالادلة والبراهين القائمة لمن تدبره ونظر ما فيه من مراعاة كل مقام وما احتوى عليه من الجزالة واللطافة التي تحير العقول فقد تحداهم أولا بجملته فقال فأتوا بكتاب من عند الله ثم تحداهم بعشر سور فقال فأتوا بعشر سور مثله ثم تحداهم بسورة فسجل عجزهم بعد ارخاء عنان التكليف والحاصل ان الكلام اللفظي الذي وقع التحدي به لا النفسي فانه لا يتصور فيه ذلك على الصحيح اختلفوا في مقدار معجزه فذهب بعض المعتزلة الى انه بجميع القرآن ورد بالآيتين المذكورتين وقال القاضي يتعلق بسورة طويلة أو قصيرة لظاهر الآية وقال في موضع بها أو بمقدارها قالوا ولم يقم دليل على العجز عن أقل من هذا القدر وقيل لا يحصل العجز الا بآيات كثيرة وقيل قليله وكثيره معجز لقوله فليأتوا بحديث مثله (فاذا كان هذا) أي ثبت ان ما تحداهم به هذا المقدار الاقل (ففي القرآن من الكلمات نحو من سبعة وسبعين ألف كلمة ونيف) أي وزيادة على هذا المقدار من ناف بمعنى زاد وياؤه تخفف وتشدد وكلما زاد على عقد حتى يبلغ ما بعده فهو نيف (على عدد بعضهم) أي هذا مقداره عند بعض دون غيره فانه كما قال الداني رحمه الله سبعة وتسعون بالتاء الفوقية ألفا وأربعمائة وتسع وثمانون كلمة وحروفه ثلثمائة ألف وثلاثة وعشرون ألفا وقيل ثلثمائة ألف واحد وعشرون ألفا أو خمسمائة وثلاثة وثلاثون حرفا

(وعدد كلمات انا أعطيناك الكوثر) أي الى آخرها (عشر كلمات فيجزأ القرآن) بتشديد الزاي فهمز مبنيا للمفعول وفي نسخة فيتجزأ بالهمزة وفي أخرى بالالف وفي أصل الدلجي فتجزى القرآن بصيغة المصدر المضاف (على نسبة عدد انا أعطيناك الكوثر) أي كلماتها العشر (أزيد) بالنصب وعلى أصل الدلجي وبعض النسخ بالرفع أي أكثر (من سبعة آلاف جزء) أي حصة (كل واحد منها معجز في نفسه) أي مع قطع النظر عما قبله وما بعده وما فيه من أخبار الله تعالى عن نبأ ما قبله وما بعده (ثم

حرفا وقيل انه الصواب لا ما ذكره المصنف رحمه الله تعالى وهذا مع تصريحه بالنقل واتيانه بلفظه غير وارد عند من أنصف ولهم في عدده اختلاف قيل لان الكلمة والحرف لهما اطلاقات وقول السخاوي لا فائدة في عدد حروفه لانه لا يقبل زيادة ولا نقصا لا وجه له غير الكسل (وعدد كلمات انا أعطيناك الكوثر عشر كلمات فيجزئ القرآن) بصيغة المصدر وفي نسخة فيتجزئ بالمضارع المجهول وآخره مهموز ويجوز ابداله ألفا أي بان تعد عشر آيات عشرة أجزاء (على نسبة انا أعطيناك الكوثر) أي على مقدارها وانما زاد نسبة ليشمل آية واحدة بمقدارها كما مر فالنسبة مجاز عن المقدار ومعناها الحقيقي لغة واصطلاحا مشهور (أزيد) بالرفع خبر تجزئ المصدر وبالنصب ان كان فعلا أي تجزيه أزيد أو يكون أزيد (من سبعة آلاف جزء كل واحد منها معجز في نفسه) أي بقطع النظر عن غيره ففيه أزيد من سبع ألف معجزة وهذا مبني على ما تقدم من العدد (ثم اعجازه) أي القرآن (كما تقدم) من ذكر الاختلاف في مقداره (بوجهين) الاول (طريق بلاغته) أي ما فيه من مراعاة الوجوه التي بها يطابق اللفظ مقتضى الحال (و) الثاني (طريق نظمه) أي أسلوبه وكونه على نسق لا يشبه غيره من الكلام نظما وسجعا ونثرا وتناسب كلماته وجمله وايتاء كل كلمة منه ما تستحقه وتنزيلها في محل لا يليق بها غيره كما يعرفه من ذاق طعم البلاغة فقارئه لا يمله وان كرره كما لا يخفى على من تأمله حق التأمل ونظر فيه بنور الايمان (فصار في كل جزء من هذا العدد) المذكور آنفا (معجزتان) من جهة بلاغته ومن جهة نظمه (فتضاعف العدد) أي عدد معجزاته وهو ماض من التفاعل أو مضارع من المفاعلة (من هذا الوجه) أي من هاتين الجهتين البلاغة والنظم فان قلنا كلماته معجزة صار فيه من المعجزات ما لا يعد ولا يحصى قال ابن عطية رحمه الله تعالى الصحيح الذي عليه الحذاق ان اعجازه بنظمه وصحة معانيه وتوالي فصاحة ألفاظه لانه عز وجل أحاط بكل شئ علما وبكل كلام فاتى في كلامه بما لا يحيط به علم غيره وقدرته وبهذا بطل القول بالصرفة (ثم فيه وجوه اعجاز أخر) غير ما ذكر من الطريقين (من الاخبار بعلوم الغيب) بيان لوجوه أي الامور الغيبية بما وقع أو سيقع (فقد يكون في السورة الواحدة من هذه التجزئة) أي الاجزاء المذكورة المضاعفة من جهتي الاعجاز (الخبر) أي الاخبار (عن أشياء من الغيب) أي الامور المغيبة عن علمنا (كل خبر منها بنفسه معجز) أي باعتبار أخباره عن الغيب وقطع النظر عن غيره من وجوه الاعجاز (فتضاعف) بصيغة الماضي والمضارع كما مر (العدد) المذكور أي العدد المضاعف لقوله (كرة أخرى) أي بعد مضاعفته السابقة وكرة بمعنى مرة واصل الكر الرجوع بعد الفر فهو ضد الفرار قال امرء القيس مكر مفر مقبل مدبر معا (ثم وجوه الاعجاز الاخر التي ذكرناها) وهي ذكر المغيبات (توجب التضعيف) والزيادة الى ما لا يكاد يحصى كثرة (هذا في حق القرآن) دون غيره من المعجزات التي تزيد على معجزات سائر الانبياء (فلا يكاد يأخذ العد معجزاته) وفي نسخة العدد وهما بمعنى والمراد بالاخذ الاحاطة مجازا بليغا كقوله لا تأخذه سنة ولا نوم أي لا يغلبه ذلك أي لا يحيط بها العدد لكثرتها وهو مبالغة ولذا قال لا يكاد ولم يقل لا يعد (ولا يحوي الحصر) أي الاحاطة (براهينه) أي براهين اعجازه

اعجازه كما تقدم) أي في محله (بوجهين) أي من طرق الاعجاز (طريق بلاغته) أي باشتماله على لطائف الاعجاز (وطريق نظمه) أي بسلوكه بين الاطناب والايجاز (فصار في كل جزء من هذا العدد) أي من السبعة آلاف (معجزتان) أي باعتبار الطريقين (فتضاعف العدد من هذا الوجه) أي الذي له جهتان فيصير أربعة عشر ألفا (ثم فيه) أي في القرآن من حيث مجموعه (وجوه اعجاز أخر) بضم ففتح (من الاخبار بعلوم الغيب) أي مما تقدم أو تأخر (فقد يكون في السورة الواحدة) أي حقيقة أو حكما (من هذه التجزئة الخبر عن أشياء من الغيب) كقصة موسى وهارون وفرعون وهامان وقارون (كل خبر منها بنفسه) أي بانفراده (معجز) أي مستقل في بابه (فتضاعف العدد) أي فتزايد المبلغ المضاعف (كرة أخرى) أي في الجملة لا في نحو كل سورة فلا يصير ثمانية وعشرين ألفا على ما جزم به الدلجي (ثم وجوه الاعجاز الاخر التي ذكرناها) قال الدلجي وهي الغيبة وفيه انها مما سبق ذكره (توجب التضعيف) الى ما لا يكاد يحصى ولا يستقصى (هذا) أي التضعيف الوافر (في حق القرآن) هو الظاهر (فلا يكاد يأخذ العد) أي العدد كما في نسخة (معجزاته) أي لكثرتها (ولا يحوي) أي ولا يكاد يشتمل (الحصر براهينه) لعظمتها

(ثم الاحاديث الواردة) أي الصريحة (والاخبار الصادرة) أي الصحيحة (عنه عليه الصلاة والسلام في هذه الابواب) أي المذكورة فيها من المعجزات وخوارق العادات والاخبار عن المغيبات (وعن مادل على أمره) أي ظهور أمره وحكمه (مما أشرنا الى جمله) بضم ففتح أي الى جمل من مفصله (يبلغ ٢٩٠ نحوا من هذا) أي التضعيف (الوجه الثاني) أي من وجهي كون معجزاته أظهر من معجزات غيره (وضوح معجزاته صلى الله عليه وسلم) أي ظهورها وانتشارها واشتهارها (فان معجزات الرسل كانت) أي واردة على أيديهم (بقدر همم أهل زمانهم) أي حالا ومقدارا في شانهم (وبحسب هذا الفن) بفتح السين (الذي قد سما فيه قرنه) أي علا وارتفع أهل عصره شهرة بمعرفة ذلك الفن في دهره كما بينه بقوله (فلما كان زمن موسى عليه السلام غاية علم أهله السحر بعث اليهم بمعجزة تشبه مايدعون قدرتهم عليه) أي وما يزعمون مهارتهم لديه ويوجهون همتهم اليه (فجاءهم منها) أي على يد موسى (ماخرق عادتهم) أي من انقلاب العصا حية تسعى واليد السمراء بيضاء من غير سوء (ولم يكن) أي ذلك المعجز (في قدرتهم) أي في نطاق قواهم وقدرهم (وأبطل سحرهم) وما أظهره من التخييل عند مكرهم (وكذلك زمن عيسى عليه السلام أغنى) أفعل تفضيل من الغاية أنهى

لان كل جزء فيه معجزة قاطعة البرهان واضحة البيان ولما فرغ من وجوه الاعجاز العقلية أردفها بالنقلية فقال (ثم الاحاديث) النبوية (الواردة) في الروايات الصحيحة (والاخبار الصادرة عنه) عليه الصلاة والسلام (في هذه الابواب) أي أبواب اعجاز القرآن والتحدي به وأبواب معجزاته عليه الصلاة والسلام كما يؤيده قوله (وعن مادل على أمره) أي نبوته وعلوشانه (مما أشرنا) فيما سبق من هذا الكتاب (الى جملة) منه وفي نسخة الى جمل (يبلغ نحوا) أي قريبا (من هذا) المقدار الكثير (الوجه الثاني) من وجهي ظهور معجزاته وشهرتها وانها أظهر من معجزات سائر الرسل قبله (وضوح معجزاته) أي شهرتها بحيث لا تجهل وهذا عين ظهورها أو مستلزم له والمراد به شدة ايضاحها بحيث لا تخفى على أحد غير أعمى الفكر والنظر وانها لا ارتياب فيها عاقل مع بقائها على ممر الدهور وازدياد شهرتها في كل عصر كالشمس في رابعة النهار وهذا مما يدل على أظهريتها دلالة ظاهرة لاعينها فسقط ماقيل ان المدعى ان معجزاته أظهر من غيرها والوضوح عين الظهور فهو مصادرة للاستدلال على الشئ بنفسه وحاصله الظهور بالكثرة فيرجع الى الوجه الذي قبله الا ان يقال المراد بقاؤها على وجه الدهر الى يوم القيامة فيكون المراد الزيادة في الوضوح بهذا الاعتبار وان كان فيه الاخبار بمعجزات الرسل وفيه خلط وخبط لا يخفى وقد أشار الى ماذكرناه المصنف بتفسيره بقوله (فان معجزات الرسل كانت بقدر همم أهل زمانهم) أي هممهم فيما يهتمون به ويعتنون (وبحسب) بفتح الحاء والسين المهملتين وقيل انه بسكون السين وهو بمعنى المقدار (الفن) أي النوع (الذي سما) أي اشتهر وعلا مقداره بينهم لاعتنائهم به (فيه قرنه) بفتح القاف وسكون الراء أي عصره والمراد به أهله مجازا أو بتقدير مضاف والقرن الزمن المقترن فيه أعمارهم وأحوالهم واختلف في مقداره هل هو مائة سنة أو ثمانون أو أقل كما تقدم ثم فصل هذا بقوله (فلما كان زمان موسى) كليم الله عليه الصلاة والسلام أي زمن بعثته ونبوته (غاية علم أهله) أي أهمه وأعظمه عندهم (السحر) وهو معروف تقدم الكلام عليه (بعث اليهم بمعجزة تشبه مايدعون قدرتهم عليه) وليست منه للفرق بين السحر والمعجزة (فجاءهم) على يد موسى عليه الصلاة والسلام (منها ماخرق عادتهم) أي خالف ما يعتادونه ويسهل عليهم فعله وأصل الخرق أبانة جسم من آخر فنقل لما ذكر كخرق الاجماع أي مخالفته وهو استعارة صار حقيقة عرفية وذلك كقلب العصا حية واليد البيضاء من غير سوء (ولم يكن) ماجاء به (في قدرتهم) أي لا يقدرون عليه فيدخل في جملة مقدراتهم (وقد أبطل سحرهم) بما عارضهم به وهي جملة حالية يشير الى ماقصه الله في كتابه العزيز وفي نسخة وأبطل بدون قد فهو معطوف على جاءهم (وكذلك) أي كزمن موسى عليه الصلاة والسلام (زمن عيسى) ابن مريم صلى الله تعالى عليه وسلم (أغنى ما كان الطب) أي أعظم ما كان في عصره وعهد رسالته علمه والطب في اللغة معناه العادة والسحر وفي العرف علم يعرف به أحوال الانسان من حيث الصحة والسقم وأغنى افعل تفضيل بغين معجمة ونون من الغنا وهو الفائدة وقيل انه بعين مهملة ومثناة تحتية أي أكثر مشقة وتعبا وقيل انه بغين معجمة ومثناة تحتية من الغاية وهو النهاية وهو بعيد ولم نره في كلامهم لتفسيره بانهى والطب مثلث الطاء مشدد الباء (واوفر ما كان أهله) أي أهل الطب وعلماؤه أي أكثر ما كان في زمنهم (فجاءهم) على يد عيسى عليه الصلاة والسلام (أمر لا يقدرون عليه) بواسطة

(ما كان) أي علم أهله (الطب) بكسر الطاء ويثلث وهو علاج الامراض الظاهرة وفي نسخة أعني بالعين المهملة علمهم بمعنى أعجز وفي أخرى بالغين المعجمة والنون أي أوفى وفي أخرى بالمهملة والنون أي أقصد وكلها صحيحة على ما لا يخفى (وأوفر ما كان أهله) أي أكثر ما كان أهله [illegible] تتبعه (فجاءهم) أي على يد عيسى (أمر لا يقدرون عليه

وأتاهم مالم يحتسبوه) أى شيالم يظنوا وجوده لديه وأمره مفوضا اليه (من احياء الميت) وروى الموتى وفى نسخة الميتة (وابراء الأكمه)
أى الذى ولد ممسوح العين ذكره الدلجى قال الحلبى الاكمه هو الذى يولد اعمى ويقال الاعشى وقال البخارى فى الصحيح ان
الاكمه من يبصر بالنهار ولا يبصر بالليل انتهى وهو تفسير للاعشى على مالا يخفى ٢٩١ (والابرص) من فى بدنه بياض من المرض
المعروف (دون معالجة
ولاطب) أى بمداواة بل
كان يأتيه من اطاق الاتيان
لديه ومن لم يطق ذهب
اليه عليه الصلاة والسلام
فربما اجتمع عنده الالوف
من المرضى وذوى
العاهات فيداويهم
والآيات (وهكذا سائر
معجزات الانبياء عليهم
الصلاة والسلام) أى كانت
بقدر علم أهل زمانهم
من الانام (ثم ان الله تعالى
بعث محمدا صلى الله تعالى
عليه وسلم وجلة معارف
العرب وعلومها) أى
من الجزئيات والكليات
(أربعة) أى من أنواع
المدركات وأصناف
الملكات (البلاغة) أى
المقرونة بالفصاحة
(والشعر) أى النظم
المقابل للنثر (والخبر)
بفتحتين أى الاخبار
بانساب العرب وأيامها
من وقائعها ومعرفة
تاريخها وتفصيل ماجرى
فيها من ضروب خروجها
وفنون رجوعها
(والكهانة) بكسر
الكاف وتفتح وهى
مزاولة الخبر عن الكائنات
واظهارها وادعاء معرفة أسرارها (فانزل) بصيغة المجهول أى فانزل الله تعالى كما فى نسخة وفى أخرى زيادة عليه (القرآن الخارق
لهذه الاربعة فصول) أى المتقدمة وهى البلاغة والشعر والخبر والكهانة (من الفصاحة) أى من أجل فصاحة القرآن (والايجاز)
أى وايجاز الفرقان (والبلاغة الخارجة عن نمط كلامهم) بفتح النون والميم أى نوعه ونهجه (ومن النظم الغريب والاسلوب العجيب

علمهم بالطب فانهم لا يقدرون على ازالة الامراض المزمنة والخلقية وقدرتهم فى الاكثر على حفظ الصحة وكم من مرض أعيى الطبيب المداويا (وأتاهم مالم يحتسبوه) أى مالم يخطر ببالهم وقدرة حسابهم ومالم يترقبوه وجعل أمره مافاعلا ولم يقل أتاهم بأمر وبما وهو الظاهر اشارة الى انه من عند الله من غير تصنع وحيلة وفى نسخة يحسبوه أى يظنوه ويقدروه قيل ويجوز فيه ضم الياء اليه ينكرونه وهو بعيد لفظا لامعنى (من احياء الميت) بتخفيف الياء وتشديدها (وابراء الاكمه) أى الذى ولد اعمى مطموس العين أى فتح عينه حتى يبصر (والابرص) وهو الذى فيه بياض يخالف لونه والخفيف منه يسمى بهقا (من دون معالجة) المعالجة المزاولة وعند الاطباء مداواة الامراض بعد تشخيصها (وطب) المراد به هنا المعنى المصدرى أى اعطاء الدواء وانما كان مداواة عيسى عليه الصلاة والسلام بالدعاء والتوجه الى الله تعالى وكان يجتمع عنده من المرضى العدد الكثير ومن لم يقدر على المجىء اليه يذهب بنفسه اليه وكان اطباء عصره لا يقدرون على ماذكر فلذا كان معجزة له صلى الله تعالى عليه وسلم * (تنبيه) * قال البخارى فى تفسير الاكمه الذى يبصر بالنهار ولا يبصر بالليل انتهى وقال السهيلى انه قول فيه فلا يرد الاعتراض بانه معنى الاعشى وانما الاكمه من ولد اعمى (وهكذا) أى مثل ماذكر (سائر معجزات الانبياء) فى انها كانت بقدار علم أهل زمانهم وما يتمون به من الاحوال والعلوم (ثم ان الله تعالى بعث محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم وجلة معارف العرب) جمع معرفة بمعنى المعروف عندهم لاجمع معروف ضد المنكر المجهول كما قيل (وعلومها) أى ما يعلمونه من الجزئيات والكليات (أربعة) أنواع (البلاغة) أى الملكة والجبلة التى يعرفون بها تأدية الكلام حقه فى كل مقام من مقاماته نظما ونثرا وهم فرسان ميدانها (والشعر) الكلام الموزون المقفى (والخبر) عمن سلف وما لهم من الوقائع والايام والانساب والمنازل (والكهانة) بفتح الكاف مصدر وبكسرها صناعته وحرفته وهى معانات علم المغيبات بتلقيها عن الجن كما مر (فانزل عليه القرآن) أى أنزل الله عليه صلى الله تعالى عليه وسلم ما يناسب قرنه وأهل عصره أعنى القرآن أى كلامه الموحى اليه (الخارق) أى المخالف (لهذه الاربعة فصول) أى الانواع المذكورة وهى البلاغة وما معها فهى جمع فصل وهو النوع المستقل المنفصل المتميز عن غيره (من الفصاحة) وهى خلوص الكلام عن الغرابة وغيرها مما يشينه من فصح بمعنى خلص ويشمل البلاغة والفرق بينهما اصطلاح طارئ فى علم المعانى ومعناهما عندهم غنى عن البيان لشهرته (والايجاز) أى اختصار الكلام اختصارا غير مخل ويقابله الاطناب والمساواة ولم يذكرهما لعلمهما بالمقابلة ولانهما الاكثر ونكات الايجاز أكثر وأعظم فهو أهم عندهم (والبلاغة) وقيدها بقوله (الخارجة لهذه عن نمط كلامهم) أى كلام العرب لدخولها فى الفصاحة كما مر والنمط بمعنى الجنس والطريقة أى لا يعرفون مثل بلاغته لخروجها عن جنس بلاغتهم وما يعهدونه فى مخاطباتهم ومحاوراتهم والنمط الجماعة من الناس أمرهم واحد فاستعير لما ذكر أى نوعه وطريقته (ومن النظم) أى تأليف الكلمات وتركيبها متناسبة كنظم الجواهر وعقدها وليس المراد الكلام المنظوم شعرا (الغريب) أى الذى لم يعهده البلغاء فى كلامهم (والاسلوب) أى الطريق (العجيب) أى الذى

يتعجب منه سامعه أو يعجبه ويستحسنه (الذى لم يهتدوا) أى لم يصلوا ويقدروا (فى المنظوم) أى المؤلف من كلامهم (الى طريقه) فضلا عن الاهتداء اليه نفسه حتى يعارضوه وينسجوا على منواله الذى هو ينسج وحده (ولا علموا فى أساليب الكلام) مطلقا أو المنثور من خطبهم واسجاعهم (والاوزان) الشعرية الموزونة على بحوره (منهجه) أى طريقه (ومن الاخبار) بكسر الهمزة ويجوز فتحها جمع خبر (عن الكوائن) أى عما سيكون فى المستقبل من المغيبات جمع كائنة هو معطوف على قوله من النظم واعاد من لانه نوع آخر من الاعجاز ولطول الفصل بينهما كقوله فان لم تفعلوا ولن تفعلوا (والحوادث) أى ما يحدث فى المستقبل أيضا (والاسرار) أى ما أسروه فى أنفسهم كقوله تعالى فى قصة ازواجه صلى الله تعالى عليه وسلم وأظهره الله عليه (والمخبآت) أى ما أخفوه عنه فاطلعه الله عليه (والضمائر) أى ما أضمروه فى أنفسهم كقصة مسجد الضرار ثم فسر ذلك بقوله (فتوجد) تلك الامور المخبر عنها وما أسروا واخفى عنه (على ما كانت عليه) ذاتا وصفة مطابقة لما قاله (ويعترف) ويقر (المخبر) بفتح الباء اسم مفعول أى من أخبره الرسول بما أطلعه الله عليه (عنها بصحة ذلك) الخبر الذى أخبره به (وصدقه) بمطابقته للواقع (وان كان) المخبر بالفتح (أعدى العدو) أى أقوى اعدائه وأشدهم عداوة له صلى الله تعالى عليه وسلم فاعدى أفعل تفضيل من العداوة مسموع على خلاف القياس والعدو بمعنى الاعداء لانه يطلق على الواحد وغيره كقوله تعالى من قوم عدو لكم أى مع شدة عداوته لا يمكنه انكاره هربا من وصمة التكذيب لظهور صدقه (فابطل) القرآن أو النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (الكهانة) بفتح الكاف مصدر وبكسرها صناعته وحرفته كما مر والرواية هنا الكسر لانه الانسب (التى تصدق مرة وتكذب عشرا) صفة الكهانة أى التى كذبها أكثر من صدقها كما ورد فى الحديث انه تعالى كان اذا قضى أمرا فى السماء سبحت حملة العرش ثم أهل كل سماء حتى ينتهى الى سماء الدنيا فيستخبر أهل كل سماء من فوقهم حتى ينتهى الخبر الى أهل هذه السماء فتخطفه منهم الجن و يزيدون فيه من عندهم ما يزيدون من أكاذيبهم وبما فسرناه ظهر سقوط ما قيل صوابه مائة بدل قوله عشرا لانه ورد فى الحديث تكذب مائة أو اكثر من مائة (ثم اجتثها) بجيم ومثناة فوقية ومثلثة والضمير للكهانة أى قطعها بعد ابطالها وعطف بثم لانه أبلغ مما قبله أو بعد رتبة وأصل معناه نزع الشجر ونحوه بعروقه وأصوله كقوله اجتثت من فوق الارض مالها من قرار ففيه استعارة مرشحة بقوله (من أصلها) وان كان المراد به ازالتها بالكلية (برمى الشهب) بضم الهاء وسكونها جمع شهاب أى رمى الشياطين بشهب تمنعهم من استراق السمع لما تلقى الكهنة والمراد زيادة الرمى وكثرته فانه كان قبل كما مر وفى نسخة رجم بدل رمى (ورصد النجوم) رصد بسكون الصاد المهملة مصدر رصده يرصده اذا ترقبه وأعده لما يمنعه ويجوز فتحها ويكون واحدا أو جمع الراصد كخدم فهو من اضافة الصفة لموصوفها أى النجوم المرصدة أى المعدة لمنعهم من السمع وذلك لان الشهب نجوم أو شعل نار تنفصل منها وارتضاه كثيرون فرصدها لانها معدة لما يمنعهم (وجاء) فى القرآن (من الاخبار عن القرون) والامم (السالفة) أى الماضية قديما (وانباء) جمع نبأ وهو الخبر (الانبياء والامم البائدة) أى الهالكة الفانية فى الزمن السابق يقال باد يبيد اذا هلك وفى الحديث الجنة لا تبيد أبدا أى لا تهلك ولا تموت أهلها (والحوادث) أى الامور الواقعة من خير وشر فى الازمان السالفة (الماضية) قبل ذلك (ما يعجز من تفرغ لهذا العلم) أى العلم بالاخبار والتواريخ

(منهجه) أى طريقته السهلة الممتنعة (ومن الاخبار) بكسر الهمزة (عن الكوائن والحوادث) أى الكائنات والحدثات من الاعيان والاكوان (والاسرار) أى فى البواطن (والمخبئات) أى فى الظواهر والضمائر (فتوجد على ما كانت) أى ذاتا أو صفة (ويعترف المخبر) بفتح الباء أى من أخبر (عنها بصحة ذلك وصدقه وان كان) أى ولو كان ذلك المعترف المخبر (أعدى العدو) أى بكونه من أهل الكفر والنكر (فابطل) أى القرآن أو النبى أو الله سبحانه وتعالى (الكهانة التى تصدق مرة وتكذب عشرا ثم اجتثها) بتشديد المثلثة أى اقتلعها (من أصلها برجم الشهب ورصد النجوم) بفتح الصاد أى جعلها معدة لحفظ السماء من استراق الشياطين السمع من الانباء حيث ترميهم بشهب منفصلة من نارها لانفسها لثبوتها فى مقارها كقبس أخذ من نار وهى ثابتة لم تنقص مما لها من مقدار (وجاء) أى فى القرآن (من الاخبار) بفتح الهمزة (عن القرون السالفة) أى السابقة الامم (وانباء الانبياء والامم البائدة) أى الهالكة ومنه حديث الحور العين نحن الخالدات فلا نبيد أبدا (والحوادث الماضية) أى الواقعات المتقدمة من المنفعة والمضرة (ما) أى شئ أو الذى (يعجز من تفرغ لهذا العلم) أى فى صرف جميع عمره

(عن بعضه) أى عن معرفة بعض أمره (على الوجوه التى بسطناها) أى أوضحناها (وبينا المعجز فيها) أى مع ماوشحناها ورشحناها (ثم بقيت هذه المعجزة) المتعلقة بالفصاحة والبلاغة والاخبار عن الكوائن الحادثة الجامعة (لهذه الوجوه) أى المذكورة المسطورة المضمومة (الى الفصول الاخر) أى المتقدمة (التى ذكرناها فى معجزات القرآن) أى فيه امضى من البيان (ثابتة الى يوم القيامة) أى حال كونها مستمرة دائمة (بينة الحجة) أى ظاهرة الدلالة فى الاعجاز مع غاية الايجاز (لكل أمة تأتى) أى بعد جماعة تنقضى (لاتخفى وجوه ذلك) أى المعجز المتقدم (على من نظر فيه وتامل وجوه اعجازه الى) أى منضما الى (ما أخبر به من الغيوب) بضم الغين وكسرها أى المغيبات (على هذا) وفى نسخة على هذه (السبيل) فان السبيل يذكر ويؤنث ومنه قوله تعالى وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر (فلايمر عصر ولا زمن) أى ولا ينقضى قرن ودهر (الا ويظهر فيه صدقه) أى زيادة صدقه أو موجب تصديقه بظهور مخبره بضم الميم وفتح الموحدة (على ما أخبر) أى على طبقه ووفقه وأغرب الدلجى بقوله على ما أخبر من وجوه الفصاحة والايجاز والبلاغة (فيتجدد الايمان ويتظاهر البرهان) فيستمر الايقان ويقوى العرفان (وليس الخبر كالعيان) بكسر أوله اذ غاية افادة الخبر غالبا ظنية ونهاية افادة المعاينة يقينية (وللمشاهدة زيادة فى اليقين) أى المستفاد مثلا من المتواتر استدلالا

الامم (عن بعضه) أى عن معرفة بعض منه فضلا عن جميعه وما فاعل جاء ومن فاعل تعجز (على الوجوه التى بسطناها) أى جاء مبينا على وجوه تقدمت مفصلة (وبينا المعجز فيها) أى أوضحنا المعجزات فيها بما أغنى عن اعادته (ثم بقيت هذه المعجزة) أى القرآن وفى نسخة المعجزات اعتبار وجوه اعجازه (الجامعة لهذه الوجوه) أى وجوه الاعجاز المذكورة آنفا (المضمومة الى الفصول الاخر) يعنى الاربعة المتقدمة (التى ذكرناها فى معجزات القرآن ثابتة الى يوم القيامة) لاتبدل ولا تغير ولاتذهب أبقاها الله (بينة الحجة) أى ظاهرة الدلالة على رسالته صلى الله تعالى عليه وسلم (لكل أمة تأتى) بعد نزول القرآن جيلا بعد جيل وعصرا بعد عصر (لايخفى وجوه ذلك) الاعجاز الذى ذكر أولا (على من نظر فيه) أى من نظر فى القرآن بتلاوته أو سماعه (وتامل وجوه اعجازه) أى أطال النظر فيها وكرره وهو من الامل تفعل تجوز به عما ذكر لترقب الامل وامتداده (الى ما أخبر به من الغيوب) أى مع ما أخبر به من المغيبات (على هذا السبيل) والطريق المذكور (فلايمر عصر وزمن) أى يجيء كالمار على أهله وليس المراد به ينقضى لقوله (الا ويظهر فيه صدقه) أى صدق القرآن أو النبى صلى الله عليه وسلم (بظهور مخبره) بفتح الباء أى ما أخبر به أو خبره (على ما أخبر) أى كائنا متحققا على وفق خبره أو باقيا على حاله فى وجوه اعجازه السابقة أى أخبر به فهو مبنى للفاعل (فيتجدد الايمان) بكل ما ظهر أمر جديد مصدق له بوقوع مافيه (ويتظاهر البرهان) أى يقوى الدليل ويزيد قوة وأصل التظاهر المعاونة والمساعدة كأنه يستند لظهوره (وليس الخبر كالعيان) وهو بكسر العين المعاينة والمشاهدة ولا تفتح فيه العين وهو مثل وورد فى الحديث الصحيح ليس الخبر كالمعاينة لان الخبر يحتمل الصدق والكذب بقطع النظر عن قائله فاذا شوهد معناه بان المراد واطمان الفؤاد ولذا قال ابراهيم عليه الصلاة والسلام ولكن ليطمئن قلبى كما قيل

ولكن للعيان لطيف معنى * له سال المعاينة الكليم

(وللمشاهدة) بحس البصر (زيادة فى اليقين) الذى كان البرهان القاطع (والنفس أشد طمأنينة) الطمأنينة والاطمئنان السكون بعد الانزعاج (الى عين اليقين) أى الى ما يتيقن بالمعاينة والمشاهدة (منها) أى من طمأنينتها (الى علم اليقين) أى العلم المتيقن بالبرهان القاطع فالنفس مفضل ومفضل عليه باعتبار حالتين (وان كان كل) من عين اليقين وعلم اليقين (عندها) أى عند النفس وفى علمها فان عند يكون بمعنى العلم كما فسر عند الله تعالى بعلمه تارة وحكمه أخرى (حقا) أى متحققا ثابتا بلا ريبة لكن الاول أقوى وفيه اشارة الى الفرق بين عين اليقين وعلم اليقين وحق اليقين وفيه كلام فصلناه فى غير هذا المحل والاول ضرورى وغيره نظرى (وسائر معجزات الرسل) قدم وفصلناه فى شرح الدرة ان لفظ سائر ورد بمعنى الباقى من السؤر المهموز وبمعنى الجميع من السير المعتل وان من أنكر الثانى كالحريرى وغيره لم يصب (انقرضت بانقراضهم) أى انقطعت وذهبت معهم بسبب ذهابهم (وعدمت) بعد وجودها وعدم مبنى للمجهول لانه يقال عدمه كعلمه

(والنفس أشد طمانينة) أى سكونا (الى عين اليقين) أى الذى تفيده المعاينة (منها) أى من الطمانينة (الى علم اليقين) أى المستفاد بالتواتر استدلالا (وان كان كل) أى من علم اليقين وعين اليقين (عندها) أى عند النفس (حقا) أى ثابتا وصدقا لكن عين اليقين أسكن لها على ازدياد طمانينتها وأعون لها على عدم ترددها ووسوستها ومن ثم لما قيل للخليل أولم تؤمن أى بعلم الوحى المقدر والاستدلال بالخبر المكرر قال بلى أى ربى ولكن ليطمئن قلبى بمصاحبة علم العيان لعلم البرهان ومن ههنا قيل علمان خير من علم واحد (وسائر معجزات الرسل انقرضت بانقراضهم) بل اندرس بعضها حال حياتهم كما أشار اليه بقوله (وعدمت) بصيغة المجهول أى

وانعدمت (بعدم ذواتها) أى بعدم وجودها وتحقق صفاتها وفى أصل الدلجى بعدم ذواتهم أى وجودا فى الدنيا والافقد ثبت ان الانبياء فى البرزخ أحياء فالجملة تاكيد لما قبلها وعلى الاول تاسيس وهو أولى فى محلها (ومعجزة نبينا) صلى الله تعالى عليه وسلم (لاتبيد) أى لاتفنى أبدا (ولاتنقطع) أى ولاتنقضى سرمدا (وآياته) أى علاماته الدالة على صدقه (تتجدد) أى يوما فيوما (ولاتضمحل) بتشديد اللام أى ولاتزول أصلا (ولهذا) أى المعنى الاعلى (أشار عليه الصلاة والسلام بقوله) أى الذى هو غاية المرام فى هذا المقام المندرج (فيماحدثنا القاضى الشهيدأبوعلى) أى الحافظ ابن سكرة (حدثنا القاضى أبو الوليد) وهو الباجى (حدثنا أبوذر) أى الهروى (ثنا أبو محمد) أى ابن حمويه السرخسى (وأبو اسحق) أى المستملى (وأبو الهيثم) أى الكشميهنى (قالوا) أى كلهم (حدثنا الفربرى) بكسر الفاء وتفتح (ثنا البخارى) أى صاحب الجامع (ثنا عبد العزيز ابن عبدالله) أى العامرى الاويسى الفقيه عن مالك ونافع مولى ابن عمر (ثنا الليث) أى ابن سعد (عن سعيد عن أبيه) أى أبى سعيد المقبرى روى ان عمر جعله على حفر القبور فسمى به توفى سنة مائة (عن أبى هريرة عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) والحديث كما ترى رواه البخارى وقد أخرجه مسلم والنسائى أيضا (قال مامن الانبياء نبى) هو أعم من رسول (الا أعطى من الآيات مامثله آمن عليه البشر) أى ليس نبى منهم الا أعطاه الله من المعجزات شيأ الجأ من شاهده الى الايمان به فخص كل نبى بما أثبت دعواه من خوارق العادة التى أعطاه مولاه فى زمانه وبعد انقراضه اختفى شانه ولم يبق سلطانه ولم يلمع برهانه كقلب العصا لموسى حية تسعى (وانما كان الذى أوتيت) أى بخصوص ما أنعم على (وحيا أوحاه الله الى) اى معجزا فى أعلا طبقات البلاغة وأقصى غايات الفصاحة كريم الفائدة عميم العائدة على السابقين واللاحقين من هذه الامة قرنا بعد قرن على مرور الازمنة ولذا رتب عليه قوله (فارجو) أى بسبب بقائه وظهور ضيائه (انى أكثرهم) وفى أصل الدلجى ان أكون أكثرهم (تابعا يوم القيامة

اذا

يعنى اعدمه وعدم بزنة كرم (بعدم) بفتحتين أو بضم فسكون (ذواتها) أى الرسل وفى نسخة ذواتهم جمع ذات بمعنى نفس وفى ثبوتها فى اللغة كلام تقدم ويأتى والمعروف انه بمعنى صاحبة مؤنث ذو المشهور فى العربية أى تلك المعجزات تعدم فتنقرض وان علم ثبوتها لكونها أمرا غير مؤبد وهو معنى عدم ذوات الانبياء ذهابها من الدنيا وعن الحس وان كانت باقية فى البرزخ أحياء لايموتون كما فى حديث الاسراء والاجتماع بالانبياء (ومعجزة نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم) يعنى القرآن (لاتبيد) أى لاتفنى وتعدم (ولاتنقطع) أى تذهب بالكلية (وآياته) أى معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم التى تضمنها القرآن (تتجدد ولاتضمحل) بالضاد المعجمة والميم والحاء المهملة واللام المشددة أى لاتنحل وتفنى كاضمحل السحاب اذا انقشع (ولهذا) المذكور من بقاء معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم (أشار صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله) فى حديث صحيح رواه البخارى رحمه الله تعالى والاشارة هنا بمعنى التصريح أو عبر به لانه غير صريح فيما ذكر لان الوحى الآتى أعم من القرآن فيحتمل ان المراد به أحكام شريعته الباقية الى يوم القيامة والظاهر ان المشار اليه مامر من القرآن فيه معجزات لاتحصى وليس بصريح الحديث كما ستبينه (فيما حدثنا به القاضى الشهيد أبو على) بن سكرة وقدمنا ترجمته قال (حدثنا القاضى أبو الوليد) تقدم أيضا قال (حدثنا أبو ذر) الهروى وقد تقدم قال (حدثنا أبو محمد) بن حمويه السرخسى وقد تقدم (وأبو اسحق) المستملى كما تقدم (وأبو الهيثم) الكشميهنى كما تقدم (وقالوا حدثنا الفربرى) راوى صحيح البخارى وقد تقدم ضبط نسبته قال (حدثنا البخارى) صاحب الصحيح المشهور قال (حدثنا عبد العزيز بن عبدالله) العامرى الاوسى الفقيه الحافظ الثقة وترجمته فى الميزان قال (حدثنا الليث) تقدمت ترجمته (عن سعيد) المعروف بالمقبرى (عن أبيه) كيسان أبو سعيد المقبرى نسبة للمقبرة لانه كان يتولى حفرها وهو مولى بنى ليث روى عنه أصحاب الكتب الستة وتوفى سنة مائة فى خلافة الوليد وهو ثقة (عن أبى هريرة) رضى الله تعالى عنه وهو عبد الرحمن بن صخر وفى اسمه اختلاف كثير لشهرته بكنيته كما مر (عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) فى حديث صحيح رواه البخارى ومسلم والنسائى وماذكره المصنف رحمه الله تعالى لفظ البخارى (قال مامن الانبياء) تقديره مامن نبى من الانبياء (الا أعطى) بالبناء للمجهول أى الا أعطاه الله تعالى (من الآيات) أى المعجزات الظاهرة (ما مثله) ما موصولة أو موصوفة (آمن) بالمد ماض أى صدق (عليه البشر) على تعليلية كما فى قوله تعالى على ماهداكم أو تقديره مستقرا عليه البشر يعنى أهل عصره (وانما كان الذى أوتيت) من الآيات والمعجزات (وحيا أوحاه الله تعالى عز وجل الى) يعنى القرآن المعجز المتحدى به ثم رتب عليه قوله (فارجو) من الله تعالى بما أكرمنى به من المعجزة الشاملة على معجزات لاتتناهى الباقية الى يوم القيامة التى ليست كمعجزة غيرى تنقرض بانقراضهم فيؤمن بها فى كل امة مالايحصى فلذا رجوت (ان أكون) دونهم (أكثرهم تابعا) أى أمة (يوم القيامة)

اذا حشرت الامم مع أنبيائهم (هـذا معنى) هذا (الحديث عند بعضهم ممن) فسره وبين المراد منه ففيه اشارة الى كثرة ما فيـه من المعجزات وانه باق على وجه الدهر الى يوم القيامة لا يقبل نسخا ولا تبـديلا ولا يندرس كغيره من الـكتب والمعجزات ومثـله المتقدم المراد به نفسه كما في قولهم مثلك لا يبخل وعليـه للتعليل كما مر وعبر بها لما فيها من الدلالة على الاستعلاء بالقهر والغلبة الملزم لهم بالايمان به وقال انما مع كثرة ماله من المعجزات اشارة الى انه أعظم معجزاته والعرب قد تحصر الشئ في فرد كامل منه مدعاة ان ما عداه لا يعد معه لكفايته عن غيره وقد حقق الله تعـالى رجاءه صلى الله تعالى عليه وسلم (وهو الظاهر) من معنى الحديث (والصحيح ان شاء الله) وقد تقدم الكلام على هذا الحديث مستوفى ثم أشار الى ان فيه وجوها أخر بقوله (وذهب غـير واحد) أي كثير (من العلماء) أي علماء الحديث (في تأويل هذا الحديث) أي تفسيره وبيان ما يؤول اليه وعبر بالتاويل اشارة الى انه خلاف الظاهر بعد ما صرح به (وظهور معجزة نبينا صلى الله تعالى عليه وسـلم) أي في بيان وجـه ظهورها (الى معنى آخر) غـير ما ارتضاه (من ظهورها) أي بيان ظهورها (بكونها) أي هذه المعجزة الباهرة (وحيا) أي كلاما موحى اليه من الله فقوله (وكلاما) عطف تفسير لان الوحي يحتمل المعـنى المصدري ثم بين وجه الظهور على هذا فقال (لا يمكن) لاحد ممن ينكره (التخييل فيه) تفعل من الخيال بالخاء المعجمة وفي نسخة التخييل بالتفعيل منـه والاول أنسب بقوله (ولا التحيل عليه) بالحاء المهـملة لانه كلام بليغ دال على معناه وما قصـد به دلالته لا يمكن الواقف عليه ان يقول انه تخييل وتمويه لا أصـل له ولا ان يعمل حيلة في الاتيان بمثله كما فعل سحرة موسى عليه الصلاة والسلام بحبالهم اذ جعلوها تتحرك كعصاه (والتشبيه) به (فان غيرها) أي غير المعجزة القرآنيـة (من معجزات الرسل) كلها (قد رام) أي قصـد وطلب (المعاندون) أي المنكرون (لهـا) عنادا (باشياء) متعلق برام (طمعوا) أي توهموا فجعل كالمتوهم لقربه منه معنى (في التخييل) والتمويه (بها) باظهار ما لا حقيقة له (على الضعفاء) المراد بهـم العامة الذين ضـعف عقلهم عن الفرق بين السحر والمعجزة لعدم تمييزهم (كالقاء السحرة) عند فرعون جمع ساحر (حبالهم وعصيهم) جمع حبل وعصا لابطال معجزة عصا موسى بالاتيان بمثلها فلما ابتلعت عصى موسى ما ألقوه وأبطلته علموا انها معجزة فآمنوا به واختاروا القتل على اتباع فرعون ولم يغن كيده شيأ (وشبه هذا) المذكور في قصة موسى (مما يخيله) بالمعجمة أي يلبس به ويموه (الساحر أو يتحيل فيه) بالحاء المهملة أي يأتي به حيلة منه غير واقعة ثم أشار الى ان معجزة نبينا صلى الله تعـالى عليه وسلم لا تقبل ما ذكر بقوله (والقرآن كلام) من جنس الكلام البالغ غاية البلاغة ومثله (ليس للحيلة) ممن لا يقدر عليه (ولا للسحر في التخييل فيه) بان يعمل بقوة السحر ما يؤثر في شخص لا بلاغة له حتى يتكلم بكلام بليغ خطبـة أو شعرا (عمل) أي تاثـير كما عرفته آنفا فان ساحرا لو أتى عاميا لا قدرة له على كلام حسن ثم سـحره بجميع أنواع سحره لا يمكنه ان يقوم في نادمنشدا أو خطيبا فانه أمر جبلي لا يمكن ايجاده لغير خالق القوى والقدر فتجد الجلف الاعرابي يتكلم بكلام عند أعقل الناس وأظرفهم لا يمكنه ان يأتي بشئ منه وبهذا علم ان الكلام لا يكون بحيلة ولا سحر فما بالك بكلام أفحم جميع الفصحاء وأخرس ألسنة البلغاء وهو المراد بقوله (فـكان) القرآن من حيث كونه كلاما (من هذا الوجه) أي من الجهة المذكورة بقطع النظر عن غيرها من جهات الاعجاز (عندهم) أي عند المفسرين لهذا الحديث بما ذكر ثانيا (أظهر من غيره

هذا معنى الحديث) أي المذكور (عند بعضهم وهو) أي هذا المعنى المسطور هو (الظاهر) أي المتبادر (والصحيح) أي الصريح (ان شاء الله تعالى) أي فلا يعدل عما قدمناه (وذهب غير واحد) أي كثيرون (من العلماء في تاويل هذا الحديث

وظهور معجزة نبينا) أي وتأويل غلبـة معجزة نبينا (عليـه الصـلاة والسلام الى معنى آخر) أي غـير ما أفاده منطوقا (مـن ظهـورها بكونها) أي من قـوة معجـزة نبينـا بسبب كونها (وحيا) أي خفيا (وكلاما) أي جليـا (لا يمكن التخييل فيـه ولا التحيل عليه) بالحاء المهملة من الحيـلة (ولا التشبيه) أي من حيث انه لا يتصور فيه التمويه (فان غـيرها) أي غـير معجـزة نبيـنا (مـن معجزات الرسل قـد رام المعـاندون لهـا) أي قصدوا الابطالها (باشياء طمعوا في التخييل بها) أي بتلك الاشـياء (على الضعفاء) أي ليتوصلوا بذلك الى ابطال معجزات الانبياء (كالقاء السحرة حبالهم وعصيهم) أي في معارضة معجزة موسى بالقاء العصا (وشـبه هذا) بالرفع أي وشبيه هذا الذي فعـله سحرة فرعون (بما يخيـله الساحر) أي جنسه على الضعيف في دينـه وأمر

يقينه (أو يتخيل فيه) أي يطلب (الحيلة في) دفعه انه صـدق أو في اثباته انه حق (والقرآن كلام) أي لله تعالى كما في أصل الدلجى كلام الله تعالى والاظهر انه أريد به هنا انه مطلق كلام أي اعجاز القرآن واقع في كلام (ليس للحيلة ولا للسحر ولا للتخييل فيه) أي في الكلام (عمل) أي مما يوجب التمويه (فكان) أي القرآن (من هذا الوجه عندهم) أي عند أرباب هذا المعنى (أظهر من غيره

من المعجزات كما لا يتم لشاعر ولا خطيب أن يكون شاعرا أو خطيبا بضرب من الحيل (والتمويه) أي مما يكدر أمر المعجزة وينافيه (والتاويل الاول) أي الذي هو المعول (أخلص) أي أطهر وأنص (وأرضى) عند النفوس الخاص (وفي هذا التاويل الثاني ما يغمض) أي بصيغة المفعول مخففا وقال الحلبي مشددا أي يغطى (الجفن) بفتح الجيم وسكون الفاء أي غطاء العين (عليه) ويروى عنه (ويغضى) بصيغة المجهول من الاغضاء بمعنى الاغماض وفي أصل الدلجي بالفاء وهو تصحيف وتحريف كما لا يخفى والتحقيق انه لا منع من الجمع وان بناء الثاني على التدقيق والله ولي التوفيق وعلى كل تقدير ظهر الوجهان في ثبوت المعجزة للقرآن (ووجه ثالث) أي وهنا وجه آخر وفي نسخة صحيحة وجه بدون عاطفة والمعنى وجه ثالث في كون القرآن معجزا خارقا للعادة (على مذهب من قال بالصرفة) بفتح الصاد وقيل بكسرها وهو مذهب بعض المعتزلة والشيعة حيث قالوا صرف الله هممهم عن الاتيان باقصر سورة منه مع تمكنهم عنه (وان المعارضة) أي بمثله في الجملة (كانت في مقدور البشر فصرفوا عنها) أي بسلب دواعيهم لا بسلب قدرتهم كما ذكره الدلجي فانه مذهب آخر كما سيأتي (أو على أحد مذهبي أهل السنة من الاتيان بمثله من جنس مقدورهم) أي من جنس كلامهم الذي لهم القدرة عليه (ولكن لم يكن ذلك) أي الاتيان بمثله بعد من تمكنهم منه (قبل ولا يكون بعد) أي قبل التحدي ولا بعده كما ذكره الدلجي والاظهر ان المراد بقوله قبل الزمان السابق وبقوله ولا يكون بعد الزمان اللاحق الى يوم القيامة ويؤيده قوله (لان الله لم يقدرهم) أي على الاتيان بمثله قبله (ولا يقدرهم عليه) أي بعده (وبين المذهبين فرق بين) بتشديد التحتية المذكورة أي ظاهر لتمكنهم على المذهب الاول منه الا انهم صرفوا عنه ولعدم تمكنهم منه على الثاني مع كونه من جنس مقدورهم

من المعجزات) لعدم قبول التخييل والتمويه (كما لا يتم) أي يحصل ويتيسر وعبر بالتمام لانه يتحقق به الامر ولذا قيل الاعمال بخواتيمها أي بأواخرها (لشاعر) يتكلم بالمنظوم (ولا خطيب) يتكلم بالمنثور (أن يكون شاعرا أو خطيبا بضرب) أي بشيء ونوع (من الحيل) جمع حيلة (والتمويه) أي التخييل والتلبيس وهو ماخوذ من قولهم موه النحاس بذهب أو فضة لتوهم من رآه انه ذهب أو فضة وهو في الاصل من الماء يذاب فيصير كالماء ثم يطلى به وتقول العامة لمذابه ماء الذهب وماء الفضة وصيغة فعل يكون للتشبيه كثيرا فانكار أهل المعاني لقوله أنف مسرج بمعنى كالسراج في البريق واللمعان لا وجه له كما مر (والتاويل) أي التفسير (الاول) الذي قال انه الظاهر الصحيح (اخلص) أفعل تفضيل من خلص بخاء معجمة ولام وصاد مهملة أي أصفا من الكدر أي الاشكال قال في المغرب الخلوص الصفا ويستعار للوصول انتهى وهو بمعنى أجود أو من الخلاص بمعنى النجاة والسلامة (وأرضى) أفعل تفضيل من الرضى أي أكثر رضى وقبولا عند العقول السليمة (وفي هذا التاويل الثاني) الذي ذهب اليه غيره من علماء الحديث (ما يغمض) بالبناء للمجهول وتشديد الميم قبل ضاد معجمة من تغميض الجفن وهو غطاء العين ومعنى يغمض (عليه الجفن) انه يغض عنه البصر والنظر فلا يلتفت اليه ويعتنى به أو هو كالقذاء في العين الذي يمنع انفتاح الاجفان وهو كناية عن انه غير سالم من الاعتراض (ويغضى) بغين وضاد معجمتين وألف مبنى للمجهول لاجل قافية السجع من أغضى الجفن اذا طبقه أو بمعنى سكت وهو قريب مما قبله قيل جعله مرجوحا لما فيه من ايهام ان معجزات الانبياء عليهم الصلاة والسلام يمكن معارضتها ولو بطريق التخييل والحيلة وفيه وجوه أخر (ووجه ثالث) في اعجاز القرآن وانه أعظم معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم (على مذهب من قال بالصرفة) على ان اعجازه بصرف الله قدرتهم وتمكنهم من معارضة مع انهم بحسب الجبلة قادرون على الاتيان بمثله لولا ما ذكر واليه ذهب النظام وكثير من المعتزلة والشريف المرتضى من الشيعة (وان المعارضة) له والاتيان بمثله (كانت في قدرة البشر فصرفوا عنها) اما بسلب قدرتهم ودواعيهم أو بسلب علمهم بتاليف كلام مثله وتمكنهم منه (أو على أحد مذهبي أهل السنة من ان الاتيان بمثله من جنس مقدورهم) على الاتيان بكلام من جنسه أي مما هو في قدرتهم متمكنون منه (ولكن لم يكن ذلك قبل) بالبناء على الضم أي قبل ظهوره (ولا يكون بعد) بالضم وقيل المراد قبل التحدي وبعده (لان الله تعالى لم يقدرهم) بسكون القاف وفتحها وتشديد الدال وتخفيفها أي لم يجعل فيهم القدرة على الاتيان بمثله قبله لانهم لم يسمعوا كلاما مثله (ولا يقدرهم عليه) بعده ولما كان هذا المذهب قريبا مما قبله أشار الى الفرق بينهما بقوله (وبين المذهبين) أي مذهب الصرفة والمذهب المذكور بعده (فرق بين) بالتشديد واضح ظاهر لتمكنهم على الاول من الاتيان بمثله لكن صرفوا عنه ولعدم تمكنهم منه على الثاني مع انه من جنس مقدورهم ومثله في الجملة وليس هذا نوع من الصرفة وذهب اليه بعض أهل السنة كما توهم وهو

(وعليهما) أى وعلى المذهبين (جميعا) أى جميعهما (فترك العرب) وفى نسخة بغير الفاء أى ترك معارضتهم الاتيان (بما فى مقدورهم) أى فى الجملة (أو ماهو من جنس مقدورهم) أى فى الصورة (ورضاهم بالبلاء) أى العناء فى أبدانهم (والجلاء) أى عن أوطانهم وهو بفتح الجيم الخروج من البلد (والسباء) بكسر السين ممدودا أى والسبى كما فى نسخة أى أسر اطفالهم ونسائهم وأعيانهم (والاذلال) أى لانفسهم فى بعض الاحوال (وتغيير الحال) أى بمخالفتهم من الخير الى الشر (وسلب النفوس) أى فى حال القتال (والاموال) أى بذلها فى فك رقابهم من الاغلال (والتقريع) أى قهرا (والتوبيخ) ٢٩٧ أى زجرا (والتعجيز) أى بالاذلال

(والتهديد) أى بعظام النكال (والوعيد) أى بوخاتم الوبال (أبين آية) خبر لقوله ترك والمعنى أظهر علامة وأبهر دلالة (للعجز عن الاتيان بمثله والنكول عن معارضته) أى والاعراض والامتناع عن معارضة نحوه (وانهم) بكسر الهمزة ويجوز فتحها (منعوا عن شئ هو من جنس مقدورهم) وفى نسخة مقدرتهم بضم الدال وتفتح أى قدرتهم (والى هذا) أى المذهب الثانى (ذهب الامام أبو المعالى) أى عبد الملك ابن أبى محمد (الجوينى) بالتصغير النيسابورى وهو الملقب بامام الحرمين الشافعية وله اليد الباسطة فى الطول من علمى الكلام والاصول توفى سنة ثمان وسبعين وأربعمائة (وغيره) أى من علماء

(٣٨ شفا ث)

أهل السنة والجماعة (قال) أى أبو المعالى (وهذا عندنا أبلغ من خرق العادة بالافعال البديعة فى أنفسنا كقلب العصا حية ونحوها) كاخراج اليد البيضاء واحياء الموتى وغيرهما (فانه قد يسبق الى بال الناظر) أى قلب المتامل (بدارا) بكسر الباء أى مبادرة ومسارعة من أول وهلة قبل التامل فى حقيقة أمره وخفية سره (ان ذلك) أى ما ذكر من قلب العصا حية ونحوها (من اختصاص صاحب ذلك بمزيد معرفة فى ذلك الفن وفضل علم) أى فى ذلك النوع كما توهم فرعون حيث قال انه لكبيركم الذى علمكم السحر (الى ان يرد ذلك) أى السابق الى بال الناظر مما ذكر من وهم الخاطر (صحيح النظر) أى فيتحقق الفهم و يضمحل الوهم و يتبين للقلب الحق ان قلب العصا حية ونحوها مما لا يدخل تحت طوق البشر اذ هو فعل فاعل القوى والقدر

عجيب من قائله فتدبر (وعليهما جميعا) أى على هذين القولين (فترك العرب) الفصحاء على المذهب الاول (الاتيان بما فى مقدورهم) أى قدرتهم على الاتيان بما هو من مثله أو مثل بعضه كاقصر سورة منه (أو) تركهم على الثانى (ما هو من جنس مقدورهم) أى من جنس كلامهم البليغ الذى يقدرون عليه (ورضاهم) أى اختيارهم (بالبلاء) أى بما ابتلوا به لعنادهم (والجلاء) بفتح الجيم واللام والمد بوزن البلاء وهو اخراجهم من ديارهم وأوطانهم (والسباء) بكسر السين المهملة والموحدة والمد وهو سبى أولادهم وأهلهم واسترقاقهم (والاذلال) لانفسهم وأهليهم (وتغيير الحال) التى كانوا عليها من العزة والشهامة (وسلب النفوس) بالقتل والفتك فيهم (والاموال) باخذ الغنائم منهم (والتقريع) باللوم والزجر والتغيير (والتوبيخ) بذمهم وتقبيح ما هم عليه من الجهل (والتعجيز) باظهار عجزهم بالتحدى (والتهديد) لهم بانذارهم بعذاب الدنيا والآخرة (والوعيد) بما يقع بهم ان لم يؤمنوا (أبين آية) أى أظهر علامة وهو خبر قوله فترك العرب (للعجز عن الاتيان بمثله) أى بمثل القرآن فى فصاحته واعجازه (والنكول) وهو النكوص أى الرجوع والاعراض (عن معارضته) أى الاتيان بمثله (وانهم منعوا عن شئ هو من جنس مقدورهم) أى كلامهم الذى يقدرون عليه لا من نوعه المشابه له من جميع الوجوه (والى هذا) المذهب وهو انهم قادرون على شئ من جنسه عاجزون عن مثله لا بالصرفة وهذا هو الفرق بين القولين (ذهب) أى اختاره مذهبا (الامام أبو المعالى الجوينى) منسوب الى جوين بزنة المصغر اسم بلدة وهو امام أهل السنة عربا وعجما فرد الائمة عبد الملك بن عبد الله بن يوسف النيسابورى الشافعى امام الحرمين علم أئمة الشافعية هو ووالده ولد فى ثامن عشر المحرم سنة تسع عشرة وأربعمائة وتوفى سنة ثمان وسبعين وأربعمائة فى الخامس والعشرين من ربيع الآخر (وغيره) من أهل السنة (قال) أبو المعالى (وهذا) الاعجاز (عندنا أبلغ) أى أقوى وأكثر مبالغة (فى خرق العادة بالافعال البديعة) أى المبتدعة الغريبة (فى أنفسها) أى فى حد ذاتها وهو متعلق بالبديعة وفى نسخة فى أنفسنا وهو متعلق بابلغ (كقلب العصا حية) لموسى عليه الصلاة والسلام وكانت من شجر اللوز وفيها معجزات كانت تثمر له وتضئ وينتفع بها الى غير ذلك مما فصلوه (ونحوها) كاليد البيضاء وابراء الابرص والاكمه واحياء الموتى (فانه) أى الامر والشان أو كونه أبلغ (قد يسبق الى بال الناظر) فيها وفكره وخاطره (بدارا) أى مبادرا بسرعة فى أول نظره (ان ذلك) الامر البديع الخارق للعادة نشأ (من اختصاص صاحب ذلك) الامر الذى ظهر على يديه (بمزيد معرفة) أى بزيادة معرفة امتاز بها عمن لم يقدر عليها (فى ذلك الفن) أى النوع الذى كان يعتنى به أهل زمانه (وفضل علم) به وأحواله (الى ان يرد ذلك) الخاطر الذى سبق لفهمه (صحيح النظر) بالتأمل والتدبر فيه حتى يعلم اعجازه ثم بين أبلغيته

(وأما التحدى للخلائق) أى طلب المعارضة منهم باعتبار السابق اللاحق (المئين) وفى نسخة مئين جمع مائة وفى نسخة فى المئين (من السنين بكلام ومن جنس كلامهم ليأتوا بمثله) أى على وفق مرامهم (فلم يأتوا) أى الخلائق بتمامهم كما أخبر الله سبحانه وتعالى عنهم بقوله قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا (فلم يبق بعد توفر الدواعى على المعارضة ثم عدمها) أى بترك المناقضة (الا ان منع الله الخلق عنها) أى عن المعارضة لاحد الوجوه الثلاثة فى بيان المعجزة (بمثابة ما لو قال نبى) أى وقد طلب منه آية وعلامة دالة على صدق دعواه للنبوة (آيتى ان يمنع الله القيام عن الناس مع قدرتهم) وفى نسخة مع مقدرتهم (عليه وارتفاع الزمانة عنهم) أى عن بعضهم للاستواء فى حال عجزهم ولا يبعد ان تكون الواو بمعنى أو التنويعية (فلو كان ذلك) أى الذى قال ذلك النبى (وعجزهم الله عن القيام) أى فى ذلك المقام (لكان ذلك من أبهر آية وأظهر دلالة) أى فى اقامة البرهان وابانة التحقيق (والله التوفيق) ونظيره قوله تعالى لزكريا آيتك ان لا تكلم الناس ثلاث ليال سويا (وقد غاب عن بعض العلماء) أى خفى عليه (وجه ظهور آيته) أى معجزته التى هى القرآن (على سائر آيات الانبياء) أى فى باقى الازمان ولم يدر انها ببقائها معلومة لكل واحد فى كل أوان متلوة بكل مكان (حتى احتاج للعذر عن ذلك) أى الذى زعمه من عدم ظهورها هنالك (بدقة افهام العرب وذكاء ألبابها) أى شدة فطانة فهومهم وحدة علومهم معناها (ووفور عقولهم) أى وكثرة تعلقهم وتاملهم (وانهم أدركوا المعجزة فيه) أى فى القرآن (بفطنتهم) أى ما ألجاهم الى الاعتراف بكونه من معجزتهم (وجاءهم من ذلك) أى مما أدركوا فيه هنالك (بحسب ادراكهم) بفتح السين أى بمقتضى ادراكاتهم لغاية فصاحته ونهاية بلاغته (وغيرهم) مبتدأ أى وغير العرب (من القبط) أى قوم فرعون (وبنى اسرائيل) أى موسى (وغيرهم) أى ممن بعدهم ما عدا العرب (لم يكونوا بهذه السبيل) أى بهذه الطريقة من دقة الفهم وذكاء الفطنة

وقوته بقوله (وأما التحدى) أى طلب معارضة الكلام أو تقدم انه مشتق من الحدا التقابل الحداة فى حداتهم للابل (للخلائق) جمع خليقة بمعنى خلق (مئين) بكسر الميم جمع مائة (من السنين) فى عصر النبوة وبعده الى غير النهاية (بكلام من جنس كلامهم) المقدور لهم (ليأتوا بمثله) علة للتحدى (فلم يأتوا) أى لم يقدروا على مثله وهم فحول البلاغة وقد وبخوا وعيروا على رؤس الاشهاد (ولم يبق بعد توفر الدواعى) أى كثرة ما يدعوهم لمعارضته ويحثهم عليها من الحمية الجاهلية (على المعارضة ثم عدمها) أى المعارضة مع كثرة دواعيها (الا ان منع الله الخلق عنها) بالصرفة أو بعدم القدرة على نوعه دون جنسه فيصدق على المذهبين وفى نسخة الا منع الله الخ (بمثابة) أى هذا المنع بمنزلة واصل المثابة المكان الذى يرجع الناس اليه أو يكتسبون فيه الثواب ثم شاع فيما ذكر كما أشار اليه الراغب وقيل أصله مبلغ جموم البئر والحجارة حولها ثم نقل لما ذكر وقد اصطلح الفقهاء على استعماله للتشبيه كما قيل فالمراد انه نحو (ما لو قال نبى آيتى ومعجزتى ان يمنع الله القيام عن الناس مع مقدرتهم عليه وارتفاع الزمانة عنهم) بان لا يكونوا مقعدين وهو بيان لقدرتهم على القيام والمقدرة بضم الدال وفتحها كما تقدم (فلو كان ذلك) أى عدم قيامهم (وعجزهم) بتشديد الجيم أى جعلهم الله عاجزين عنه (لكان ذلك من أبهر آية) أى أقوى معجزة (وأظهر دلالة) على نبوته (والله التوفيق) فيه اشارة الى ان فيه توفيقا بين القولين لاتفاقهم من وجه واختلافهم من آخر (وقد غاب عن بعض العلماء) أى خفى عليهم لان من شان الغائب ان يخفى فاريد به لازمه (وجه ظهور آيته صلى الله تعالى عليه وسلم) ولتضمينه معنى العلو قال (على سائر آيات الانبياء) الذين سلفوا قبله (حتى احتاج للعذر عن ذلك) أى عن كون معجزته أظهر من معجزات غيره مع ان أحياء الموتى ونحوه من آيات الانبياء قد يتوهم انه أقوى وأظهر (بدقة أفهام العرب) أصل معنى الدقة كون الشئ دقيقا ثم أستعير للوقوف على ما خفى من الامور (وذكاء ألبابها) جمع لب وهو العقل الخالص والذكاء قوة للذهن تقتضى سرعة الانتقال (ووفور عقولها) الوفور من الوفرة وهى الكثرة والزيادة والعقول جمع عقل وهو القوة المدركة يعنى ان هذا من شان هذا الجنس ولا يضره تفاوتهم بحسب الاشخاص فيما ذكر كما توهم مع انه لا يرد على المصنف رحمه الله تعالى لانه حكاه عن غيره (وانهم) لما خصوا به من الذكاء والفطنة (ادركوا المعجزة فيه) أى فى القرآن لما علموه من خواص تراكيبه وجزالة معانيه وحسن نظمه واتساقه (بفطنتهم) أى قوة ذكائهم (وجاءهم من ذلك) أى حصل فى نفوسهم من معرفة اعجازه وظهوره على غيره (بحسب ادراكهم) بفتح السين أى حصل منه على مقدار ادراكهم وقوته (وغيرهم) من الامم (من القبط) القبط بكسر القاف جيل من الناس كانوا قوم فرعون بمصر (وبنى اسرائيل) أى أولاد يعقوب بن ابراهيم واسرائيل لقب يعقوب (وغيرهم لم يكونوا بهذه السبيل) أصل

(بل كانوا من الغباوة) بفتح الغين المعجمة وهي عدم الفطنة وكمال الجهالة (وقلة الفطنة) أي في بعض القضية (بحيث جوز عليهم)
أي على عقولهم (فرعون انه ربهم) كما قال الله تعالى حكاية عنه أنا ربكم الاعلى وقد قال عز وعلا فاستخف قومه فاطاعوه وأضل فرعون
قومه وما هدى (وجوز عليهم السامري) وكان من عظماء بني اسرائيل واسمه موسى بن ظفر (ذلك) أي كون ظهور ربهم (في العجل
فعبدوه بعد ايمانهم) أي بموجبات ايقانهم (وعبدوا) أي طائفة من بني اسرائيل (المسيح) أي عيسى ابن مريم (مع اجماعهم على
صلبه وما قتلوه) أي اليهود (وما صلبوه ولكن شبه لهم) أي كما أخبر الله عنهم والمعنى صلبوا من ألقي عليه الشبه بعد قتله
كما قال تعالى وما قتلوه يقينا بل رفعه الله اليه (فجاءتهم) أي اليهود (من الآيات الظاهرات البينة) أي الواضحة (للابصار) أي المنفتحة (بقدر غلاظ أفهامهم) أي وغلاظ أوهامهم (ما) فاعل جاء وفي نسخة مما (لا يشكون فيه ومع هذا) أي المجيء بالامور الظاهرة والاحوال الواضحة (قالوا) وفي نسخة فقالوا أي خطابا لنبيهم كما حكى الله عنهم بقوله تعالى واذ قلتم يا موسى (لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة) أي معاينة ظاهرة (ولم يصبروا على المن والسلوى) أي على أكلهما وجعلوا الترنجبين من الحلوى والسماني من طير الشوى طعاما واحدا وقالوا لن نصبر على طعام واحد (واستبدلوا الذي هو أدنى) أي أقرب الى الدناءة وأدون في المقدار والمرتبة
كالبقل والقثاء والفوم والعدس (بالذي هو خير) أي في المرتبة واللذة وعدم الحاجة الى الكد والمشقة وأقرب الى الحيلة (والعرب
على جاهليتها) أي على حالتها التي كانت عليها قبل ظهور النبوة من الجهل بامور الشريعة وأحوال الديانة (أكثرها يعترف بالصانع)
بل جميعها كما هو ظاهر قوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله ولذا جاء النبي صلى الله عليه وسلم بكلمة التوحيد
وهو ان يقولوا لا اله الا الله لا بان يقولوا الله موجود لان هذا مما اجمع عليه أهل الملل والنحل ولا يلزم من قول بعضهم حيث قالوا وما
يهلكنا الا الدهر ان الدهر خالقهم اذ لم يقل به أحد منهم بل أرادوا به ان طول الزمان ودورة الدوران يقتضي ان يحيي بعضنا ويموت
بعضنا فنسبوا بعض الافعال الى الدهر كما قد يتفوهون به أهل العصر وقد قال الله تعالى أنا الدهر أي خالقه أو المتصرف فيه

معناه الطريق وهو هنا كناية عن عدم ذكائهم وفهمهم كالعرب ونفي سبيل الشيء أبلغ من نفيه (بل
كانوا من الغباوة وقلة الفطنة) الغباوة عدم الفهم والبلادة وعطف قلة الفطنة عليه عطف تفسير ورجل
غبي جاهل قال ليس الغبي بسيد في قومه * لكن سيد قومه المتغابي (بحيث جوز عليهم فرعون انه
ربهم) حيث رفع مكان وهو خبر كان أي بلغت غباوتهم ان فرعون قال لهم انا ربكم الاعلى فسلموا له
ذلك وهذا بالنسبة للقبط (وجوز عليهم السامري) وهو رجل من بني اسرائيل يسمى موسى بن ظفر
وهو منسوب لرجل اسمه سامر (ذلك في العجل) أي انه ربهم فعبدوه والعجل الصغير من البقر (بعد
ايمانهم) بالله تعالى فاضلهم السامري وكان من أهل كرمان من قوم تسمى السامرة يعبدون البقر وكان
منافقا يظهر الاسلام فلما مضى موسى عليه الصلاة والسلام صاغ لهم عجلا من الحلي وزينه بالجواهر
وقذف فيه ترابا من أثر فرس ركبه جبريل عليه الصلاة والسلام فكان يتحرك فقال لهم هذا الهكم
واله موسى وان موسى اخطأ الطريق اليه فجاء كي يكلمكم كما كلمه فاتبعوه لسخافة عقولهم كما فصله
المفسرون وغيرهم (وعبدوا) أي بنو اسرائيل (المسيح) عيسى ابن مريم (مع اجماعهم على صلبه)
واذا كان ربا كيف يصلب مع انه اعتقاد باطل (وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم) أي ألقي شبهه على
رجل اسرائيلي فظن اليهود انه عيسى عليه السلام فصلبوه وهذا جهل عظيم منهم (فجاءهم من الآيات
الظاهرة البينة للابصار) أي لعدم دقة أفهامهم كانت آياتهم في غاية الظهور وتدرك بالبصر (بقدر غلاظ
أفهامهم ما لا يشكون فيه) فاعل جاء وعدم شكهم لظهور ما جاءهم (ومع هذا) الظهور (فقالوا لموسى
لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة) أي معاينة بابصارنا شكهم فيما أتاهم به وتفصيله في التفاسير غني عن
البيان (ولم يصبروا) أي بنو اسرائيل (على المن) وهو طل كالعسل ينزل على الاشجار فيجمع ويؤكل
(والسلوى) وهو طائر كالسماني واحده سلواه وكانوا لما خرجوا من التيه قالوا لموسى عليه الصلاة
والسلام أخرجتنا من العمران للقفر فادع الله ان يرزقنا فرزقهم المن ثم سألوه ان يطعمهم من اللحوم
فأتاهم بالسلوى فكانوا يأخذونها بايديهم ثم قالوا لن نصبر على طعام واحد (واستبدلوا الذي هو أدنى)
أي طلبوا بدلا لادنى مما عندهم وهو الفوم والعدس والبصل (بالذي هو خير) وهو المن والسلوى
والباء داخلة على المتروك وفيها تفصيل أفردناه بتأليف (والعرب على جاهليتها) أي على حالها التي
كانت عليه قبل الاسلام من الجهل وانها أمة أمية والجاهلية مصدر بمعنى الجهل وعلى بمعنى مع وقيل
انها مستعارة لتمكنهم في الجهل كقوله على هدى من ربهم (أكثرها يعترف بالصانع) أي بوجوده
تعالى وليست معطلة كبعض الامم واطلاق الصانع على الله تعالى صحيح ثبت في السنة كما ذكره
السيوطي رحمه الله تعالى وليس مما أحدثوه وفي قوله أكثرها اشارة الى ان معهم فرقة دهرية قالوا

(وانما كانت) أى العرب (تتقرب بالاصنام الى الله تعالى زلفى) أى تقربا كما قال الله تعالى حكاية عنهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وقالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله (ومنهم من آمن بالله وحده) أى وسفه من عبد غيره (من قبل الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم) أى من قبل ارساله (بدليل عقله وصفاء لبه) أى آمن بتوحيد ربه كزيد بن عمرو بن نفيل وقس بن ساعدة وكذا ورقة بن نوفل الا انه أدرك البعثة وآمن به وتشرف بالصحبة (ولما جاءهم) أى العرب (الرسول بكتاب الله) وهو القرآن الكريم والفرقان القديم (فهموا حكمته) أى لحدة فطنتهم وشدة معرفتهم (وتبينوا بفضل ادراكهم) أى بزيادة قابليتهم وأهليتهم (لاول وهلة معجزته فآمنوا به) أى بعضهم أولا وجلهم آخرا (وازدادوا كل يوم ايمانا) أى واكتسبوا يوما فيوما احسانا وايقانا (ورفضوا الدنيا) أى تركوها (كلها) أى مالها وجمالها (فى صحبته) أى وبيمن همته وبركة متابعته (وهجروا ديارهم وأموالهم) أى وفارقوهما باختيارهم (وقتلوا آباءهم وأبناءهم) أى وسائر أقاربهم وأحباءهم (فى نصرته) أى فى نصرة دينه وقوة يقينه (وأتى) أى وأورد ذلك البعض من ٣٠٠ العلماء (فى معنى هذا) أى المبنى من عبارات البلغاء واعتبارات الفصحاء واشارات العقلاء (بما يلوح له رونق) أى بما يلمع له ضياء ويلمح له صفاء (ويعجب منه) بصيغة المفعول أى ويبرق من أثره وظهور أمره (زبرج) بكسر الزاى والراء بينهما موحدة ساكنة وفى آخره جيم أى زينة من ذهب أو جوهر أو وشى (لو احتيج اليه) أى الى كلامه (وحقق) أى أمعن فى مرامه (لكنا) يروى فقد (قدمنا من بيان معجزات نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وظهورها) أى ووضوح أمرها (ما يغنى عن ركوب بطون هذه المسالك وظهورها) مثل معقولات المعانى بمحسوسات المبانى وقصد الاستغناء عن هذا الاستعلاء * (القسم

ونحن نقول لا منع من الجمع فان الآيات والمعجزات لكل منها ظهر وبطن ولكل حد مطلع (ورضى الله تعالى عنهم اجمعين وبالله استعين) أى فى كل وقت وحين (وهو حسبنا) أى كافينا ووافينا وشافينا (ونعم الوكيل) أى اعتمادا واستنادا معاشا ومعادا باطنا وظاهرا وأولا وآخرا * والصلاة والسلام على خاتم الانبياء وعلى آله وصحبه نجوم الاقتداء والاهتداء وعلى أتباعهم من العلماء والاولياء والحمد لله الذى هدانا لهذا واغنانا عما سواه وما كنا لنهتدى لولا ان هدانا الله * اللهم أختم لنا بالخيرات أعمالنا وبالمبرات آجالنا وبالمسرات أحوالنا واغفر لنا وللمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الاحياء منهم والاموات انك قريب مجيب الدعوات آمين يا رب العالمين ويا ارحم الراحمين وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين * وقد تم نصف الكتاب بعون الملك الوهاب ويليه القسم الثانى الذى ليس له ثانى فى هذا الباب عند ارباب الالباب والله الموفق للصواب واليه المرجع والمآب حرره مصنفه الجانى فى أوائل جمادى الثانى من شهور عام عشرة بعد الالف السابع من عالم المبانى رحمه الله تعالى رحمة واسعة بمنه آمين

ما يهلكنا الا الدهر وفرقة عبدوا الملائكة وفرقة عبدت الكواكب (وانما كانت) عبدة الاصنام منهم (تتقرب بالاصنام الى الله تعالى زلفى) ولا تدعى انها خالقة رازقة وزلفى مقصور بمعنى الحظوة من ازدلف بمعنى دنى وهو مصدر كالزلفة مؤكد لتتقرب من غير لفظه (ومنهم من آمن بالله وحده من قبل بعثة (الرسول) صلى الله تعالى عليه وسلم فى الجاهلية كابن نفيل وقس بن ساعدة وامية بن أبى الصلت (بدليل عقله وصفاء لبه) الذى هداه الى معرفة الله تعالى وتوحيده للنظر فى مصنوعاته

وفى كل شئ له آية * تدل على انه الواحد

(ولما جاءهم الرسول) صلى الله تعالى عليه وسلم أى بعثه الله تعالى ايهديهم الى الله تعالى (بكتاب الله تعالى) المنزل عليه (فهموا حكمته) أى ما فيه من الحكم والعلوم النافعة (وتبينوا الفضل ادراكهم) وزيادة عقلهم (لاول وهلة) أى فى أول نظرة بالبديهة منهم يقال لقيته أول وهلة بسكون الهاء وفتحها أى أول شئ ولام لاول توقيتية أى عند أول وهلة (معجزته) يعنى القرآن (فآمنوا) به (وازدادوا كل يوم ايمانا) وتصديقا بنبوته ومعجزته والايمان بمعنى التصديق يقبل الزيادة قوة وضعفا عند المحققين وان لم نقل ان الاعمال داخلة فيه كما تقرر فى علم الكلام (ورفضوا) أى تركوا (الدنيا كلها فى صحبته) أى لاختيار صحبته على كل شئ (وهجروا ديارهم وأموالهم) طلبا لرضاء الله تعالى ورضاه صلى الله تعالى عليه وسلم (وقتلوا آباءهم وابنائهم) المعاندين له لاجل نصرته واعزاز دينه (فى نصرته) فى هنا تعليلية (وأتى) هذا القائل الذى غاب عنه ما تقدم (فى معنى هذا) وزعم ان ظهور آياته لما قاله (بما يلوح له رونق) أى يظهر له لفظ حسن (ويعجب منه زبرج) بكسر الزاى المعجمة وسكون الباء الموحدة وكسر الراء المهملة وجيم وهى الزينة والوشى الذى هو كالطلاء وفيه اشارة الى عدم قبوله لضعفه ولذا قال (لو احتيج اليه وحقق) أى بينت حقيقته (لكنا قدمنا من بيان معجزات نبينا) صلى الله عليه وسلم (وظهورها) من غير حاجة لما ذكره من ذكاء العرب وفهمهم (ما يغنى عن ركوب بطون هذه المسالك) أى ادعاء مثل هذه الامور الخفية (وظهورها) أى ما يظهر منها قبل تدقيق النظر والتدبر (وبالله استعين) والحمد لله وحده وصلى الله تعالى على من لا نبى بعده وعلى آله وصحبه وسلم كثيرا دائما

بسم الله الرحمن الرحيم ذى الجلال والاكرام الذى يجب ان يبدأ بذكره المرام ويختم بشكره الكلام * (القسم الثانى فيما يجب على الانام من حقوقه عليه الصلاة والسلام) * أى القسم الثانى من كتاب الشفا فى حقوق المصطفى فى بيان ما يجب على المكلفين من حقوق خاتم النبيين وسيد المرسلين (قال القاضى أبو الفضل رحمه الله تعالى) يعنى المصنف (وهذا) أى القسم الثانى (قسم) أى عظيم (لخصنا فيه الكلام) أى اقتصرنا واختصرنا (فى أربعة أبواب على ما ذكرناه) أى وفق ما قررناه وحررناه (فى أول الكتاب ومجموعها) أى مجموع أبواب هذا القسم الاربعة (فى وجوب تصديقه عليه الصلاة والسلام) أى الايمان به

(القسم الثانى فيما يجب على الانام من حقوقه عليه الصلاة والسلام)

الوجوب الشرعى ما يلزم شرعا وهو ظاهر والانام الخلق والناس والحقوق جمع حق وهو ما يستحقه عليه الصلاة والسلام (وهذا قسم) من الاقسام الاربعة التى ذكرها المصنف رحمه الله تعالى (لخصنا الكلام فيه) أى اختصرناه من غيره من الكتب وبيناه وسهلناه (فى أربعة أبواب على ما ذكرناه فى أول الكتاب) فى اجمال ما اشتمل عليه وفهرسته (ومجموعها) أى محصلها واجمالها من قولهم جمل الحساب والضمير للابواب الاربعة (فى وجوب تصديقه) عليه الصلاة والسلام فى كل ما جاء به عن ربه ويدخل فيه الايمان بانه رسول والايمان بسائر الرسل والكتب المنزلة وقدمه لانه الاصل فلا حاجة لما قيل من انه خصه لانه المقصود من تصنيف الكتاب ولانه أشرفهم وخاتمهم (واتباعه) صلى الله تعالى عليه وسلم أى الاقتداء به فيما ليس من خواصه وهو مجرور معطوف على تصديقه أى ان يجب اتباعه فى وجوب الواجب وسنية المسنون واباحة المباح وتحريم المحرم وقيل ينبغى تقييده بالواجب لا المسنون (وطاعته) بامتثال أوامره واجتناب نواهيه والطاعة كما قال الراغب الانقياد ويضادها الكره قال الله تعالى ائتيا طوعا أو كرها وأكثر ما يقال لما امر انتهى فلذا عطفها على الاتباع فانه قد يكون كرها فمن قال فى الفرق ان المطيع مسلوب الاختيار مع المطاع وفى الصحاح فلان مطيع لك أى منقاد لم يصب فى مدعاه واستدلاله (ومحبته) بان يكون صلى الله تعالى عليه وسلم أحب اليه من نفسه وأهله وماله والمحبة الميل النفسانى وهى معروفة (ومناصحته) وهى لغة الخلوص وشرعا ارادة الخير للمنصوح وسيأتى وعبر بالمناصحة دون نصحه لانها أبلغ ولان الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم نصح الامة وبالغ فى نصحهم (وتوقيره) أى تعظيمه والتأدب معه بما هو لائق به صلى الله تعالى عليه وسلم (وبره) صلى الله تعالى عليه وسلم ببذل ما فى وسعه له من المال وغيره من أمور الدنيا فما قيل من انه تكرار ينبغى تركه لانه للطاعة لا وجه له (وحكم الصلاة عليه والتسليم) من الوجوب ومحله (وزيارة قبره) أى وحكم زيارة قبره الشريف (عليه الصلاة والسلام) وعبر بالحكم فيهما لان وجوب ما قبلهما مستمر دونهما وتعبيره به لانه فى بيته صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا حكمة دفنه فيه دون المقابر

(الباب الاول)

تقدم وجه تقديمه (فى فرض الايمان به) صلى الله تعالى عليه وسلم عبر فيما سبق بوجوب تصديقه وهنا بفرض الايمان تفننا واشارة الى ان الفرض والواجب بمعنى عنده هنا وان المراد بالتصديق الايمان لا معناه اللغوى والحنفية تقدم انهم فرقوا بين الفرض والواجب بان الفرض ما ثبت بدليل قطعى بخلاف الواجب فان الفرض لغة القطع وخالفهم فيه غيرهم كما بين فى الاصول (ووجوب طاعته) أتى بوجوب هنا لما ذكرناه وللاشارة الى انه فيما سبق معطوف على تصديقه لا على وجوب فلا وجه لما قيل انه لا حاجة اليه وانه ينبغى تقديمه (واتباع سنته) أى طريقته التى سنها صلى الله تعالى عليه وسلم

فيما جاء به عن ربه (واتباعه فى سنته) أى فى وجوب متابعته فى شريعته وطريقته حقيقته (وطاعته) أى وفى وجوب امتثال أوامره واجتناب زواجره كما بينه فى فصول الباب الاول (ومحبته) أى وفى وجوب محبته وجعل محبته تابعة لمحبته كما ورد لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به لان محبته سبب لمتابعته ومتابعته علامة لمحبة الله تعالى ابتداء ومحبة الله تعالى اياه انتهاء كما قال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله كما بينه فى فصول الباب الثانى (ومناصحته) أى وفى وجوب قبول نصحه له فى أمره ونهيه ونصحه لرسوله ودينه كما ورد الدين النصيحة لله ولرسوله ولكتابه ولائمة المسلمين وعامتهم وقد أوضحنا معنى هذا الحديث فى شرح الاربعين والمناصحة مفاعلة للمبالغة قصد هنا منها المبالغة فى النصح وهو الخلوص لغة والنصيحة فى الشريعة كلمة يعبر بها عن جملة هى ارادة الخير للمنصوح له (وتوقيره) أى وفى وجوب تعظيمه لقوله تعالى وتعزروه وتوقروه كما بينه فى فصول الباب الثالث (وبره) أى وفى وجوب الاحسان باهل وده والقيام بحكمه وأمره (وحكم الصلاة عليه والتسليم) أى وفى وجوب حكمهما من وجوب وغيره (وزيارة قبره) أى وفى بيان زيارة قبره وما يتعلق به كما حسنه فى الباب الرابع وهذا الاجمالى سيرد عليك القدر التفصيلى فى ضمن الابواب وفصولها بالوجه التكميلى

(الباب الاول)

(فى فرض الايمان به ووجوب طاعته واتباع سنته صلى الله تعالى عليه وسلم وشرف وكرم) أى فى بيان فرضية تصديقه فى المعتقدات وفى وجوب طاعته فى الواجبات

واستحباب متابعته في المستحبات أو التقدير في وجوب اتباع شريعته التي تعم جميع الحالات وفي المغايرة بين الفرض والوجوه ايماء بان الاول ركن الدين ومهماته والاخيران من مكملاته ومتمماته ولا يلزم من عدمهما فقد الاول بخلاف العكس فتامل (اذ تقرر بما قدمناه) أي في ضمن ما تحرر (ثبوت نبوته) أي بظهور معجزاته (وصحة رسالته) أي بوضوح آياته (وجب الايمان به) لانه فرع ثبوتهما كتوقف المشروط على الشرط (وتصديقه فيما أتى به) أي من عند ربه تعالى من جهة الوحي الجلي أو من طريق الوحي الخفي والمعنى وجب تصديقه بجميع ما في الكتاب والسنة وان كان وجوب تصديقه من جهة السنة ثابتا بالكتاب أيضا لقوله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ولقوله تعالى وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا أي من مخالفتهم ما فيه ما أمر به ونهيا عنه وبما قررنا ظهرت المغايرة في العطف واما كونه عطف تفسير كما ذكره الدلجي رحمه الله تعالى عند من يقول الايمان

هو التصديق فقط فلا وجه له لان المحققين على ان الايمان هو التصديق والاقرار شرط لاجراء أحكام الاسلام والاعمال شرط الكمال بخلاف المعتزلة والخوارج حيث ادخلوا الاعمال في اجزاء الايمان وعلى كل تقدير ففرق بين الايمان برسالته عليه الصلاة والسلام وتصديق ما جاء به من الاحكام حتى لا يحرم الحلال ولا يحلل الحرام (قال الله تعالى فآمنوا بالله ورسوله) وهو الفرد الاكمل والنبي الافضل (والنور الذي أنزلنا) أي القرآن المشبه بالنور

الفرقان بين الحق والباطل والبرهان المزيل لظلمات الشكوك والظنون والاوهام الحاصلة للجاهل والغافل الاعتراف وسمي نورا لانه باعجازه ظاهر بنفسه مظهر ما فيه لغيره (وقال انا أرسلناك شاهدا) أي بتصديق من بعثت اليهم وخلاصهم وهدايتهم وبتكذيبهم وضلالتهم (ومبشرا) أي بالجنة ونعيمها للمؤمنين (ونذيرا) أي بالنار (وأليمها للكافرين لتؤمنوا) قرئ بالخطاب والغيبة في السبعة أي لتصدقوا (بالله ورسوله) قال الدلجي رحمه الله تعالى الخطاب له ولامته أي على سبيل التغليب أولهم تنزيلا لخطابه منزلة خطابهم انتهى والاظهر ان الضمير للامة على قراءة الخطاب والغيبة كما يدل عليه سياق الكلام والله أعلم بحقيقة المرام (وقال تعالى فآمنوا بالله) أي بذاته وصفاته (ورسوله) أي الثابت رسالته بمعجزاته (النبي) أي الجامع بين نعتي الرسالة والنبوة التي هي عبارة عن ولايته باخذها الفيض السبحاني و بقيد النوع الانساني (الامي) أي المنسوب الى أم القرى وهي مكة المكرمة كما قال تعالى لتنذر أم القرى ومن حولها أو المنسوب الى أمة العرب التي غالبهم لم يقرأ ولم يكتب كما ورد انا امة أمية لا نكتب ولا نحسب الحديث أو المنسوب الى الام يعني على الوصف الذي خرج به من بطن أمه ما كتب شيأ من القراءة والكتابة ونحوهما وفيه ايماء الى انه على أصل الفطرة كما قال تعالى فطرة الله التي فطر الناس عليها وكما ورد كل مولود يولد على الفطرة (الآية) أي الى آخرها وهو قوله تعالى (الذي يؤمن بالله وكلماته) أي بما أنزل عليه وعلى غيره من الرسل أو باسمائه وصفاته (واتبعوه) في مأموراته ومنهياته (لعلكم تهتدون) تفوزون بما تسعدون ببركاته (فالايمان بالنبي محمد صلى الله تعالى عليه وسلم واجب) أي امتثالا للامر به (متعين) أي لا يمكن التخلص

وشرعها فهو بالمعنى اللغوي فيدخل فيه السنن الاصطلاحية وغيرها وهو مقابل لقوله أولا اتباعه ولم يعد في لانه غير مغاير لما قبله لان اتباع سنته طاعة له فلا يقال انه ينبغي ذلك (اذا تقرر) وثبت (بما قدمناه) في هذا الكتاب (ثبوت نبوته) بالوحي اليه (وصحة رسالته) لجميع الخلق وآخرها لانها أخص وعبر بالصحة تفننا ولان من الكفرة من ادعى عدم صحتها كاليهود المنكرين للنسخ وبعض من غيرهم ادعى عدم عموم رسالته (وجب الايمان به وتصديقه في) جميع (ما أتى به) وأخبرنا به ومنه الايمان بالله ورسله وكتبه وغيرها لم نقل ان الايمان بالله واجب عقلا مقدما على ما عداه لئلا يلزم الدور كما ارتضاه بعض الماتريدية وخالف فيه بعض الاشعرية كما حقق في كتب الكلام وقيل الايمان بالله تعالى مقدم على الايمان بالرسل والايمان بالرسل متوقف على ثبوت الرسالة كما قاله ثم من آمن به وجب عليه طاعته بامتثال ما جاء به من الشرائع انتهى وفيه نظر (قال تعالى فآمنوا بالله ورسوله) محمد صلى الله عليه وسلم (والنور الذي أنزلنا) يعني ما أوحي به اليه صلى الله عليه وسلم من الشريعة وهذا هو المناسب لما قبله وقيل المراد به القرآن اذ هو باعجازه ظاهر بنفسه مظهر لغيره ببديع بيانه فاطلاق النور عليه استعارة كما ذكر أو لانه يهتدى به والامر للوجوب والاستدلال بالآية ظاهر (وقال تعالى انا أرسلناك شاهدا) على من صدق وكذب ليثاب أو يعاقب (ومبشرا) لمن آمن بسعادة الدارين وحذف المبشر به تفخيما لتذهب نفس السامع كل مذهب كما في قوله تعالى (ونذيرا) أي منذرا ومخوفا لمن عصاك (لتؤمنوا بالله ورسوله) الخطاب في انا أرسلناك له صلى الله عليه وسلم ولام لتؤمنوا لام كي وقيل تحتمل ان تكون لام أمر وهو بعيد وقرئ ليؤمنوا بالغيبة وهي ظاهرة لان خطابه صلى الله تعالى عليه وسلم خطاب لامته وفيه كلام بيناه في حاشية القاضي والاستدلال بالآية على التعليل لان الانذار يقتضي وجوب اتباعه على انه في غنية عنه بما قبله وبعده من قوله (وقال تعالى فآمنوا بالله ورسوله النبي الامي الآية) أي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون وقد تكرر الامر به في القرآن في آيات كثيرة (فالايمان بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم واجب) لامر الله به مرارا (متعين) أي فرض عين لا فرض كفاية فيجب

عن حكمه (لا يتم) أي لأنه لا يتم لأحد (الإيمان) أي الشرعي (الابه) أي الا بالإيمان به أو الا بسببه (ولا يصح الاسلام) أي استسلام الاحكام (الامعه) أي الامع الايمان به أو مع موافقة انقياده في حكم به وفي نسخة إيمان وإسلام بتنكيرهما ثم هذا بناء على تغايرهما حقيقة واتحادهما شريعة (قال تعالى ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا أعتدنا للكافرين سعيرا) قيل وضع الظاهر موضع الضمير ايذانا بان من لم يجمع بين الايمانين فهو كافر وعندي ان الاظهر في المعنى ان يقال وأعتدنا للكافرين منهم ومن غيرهم فيكون المعنى الاعم هو الاتم أو المعنى أعتدنا لمن مات على كفره لتكون الآية جامعة بين النذارة والبشارة وهذا الملحظ أولى لانه يشتمل الكل كما لا يخفى (حدثنا أبو محمد الخشني) بضم الخاء وفتح الشين المعجمتين نسبة الى قبيلة خشينة وقد تقدم وفي نسخة زيد الفقيه وقوله (بقراءتي عليه) أي لا بمجرد سماعي لديه (ثنا) أي قال حدثنا (الامام أبو علي

الطبري) بفتح مهملة وموحدة (ثنا) أي حدثنا (عبد الغافر الفارسي) بكسر الراء ويسكن وفي نسخة القاري وهو تصحيف وقد تقدم أيضا (ثنا) أي حدثنا (ابن عمرويه) بفتح مهملة وسكون ميم وفتح راء وواو وسكون تحتية فكسرها وضبط أيضا بضم راء وسكون واو وفتح تحتية وفوقية مفتوحتين وهو الجلودي وقد تقدم (ثنا) أي حدثنا (ابن سفيان) وهو ابراهيم ابن محمد بن سفيان راوي صحيح مسلم عنه (ثنا) أي حدثنا (أبو الحسين) رحمه الله تعالى عليه هذا هو مسلم صاحب الصحيح (ثنا) أي حدثنا (أمية) بالتصغير (ابن بسطام) بكسر الموحدة وفتحها ويصرف وقد يمنع (ثنا) أي حدثنا (يزيد بن زريع) بضم الزاي مصغرا أخرج له الائمة الستة (ثنا) أي حدثنا (روح) بفتح الراء أخرج له (الائمة) الستة ماعدا الترمذي رحمه الله (عن العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب) أحد علماء المدينة روى عنه شعبة ومالك وأخرج له مسلم والاربعة (عن أبيه) هو عبد الرحمن يعقوب الجهني أخرج له مسلم والاربعة (عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال أمرت) أي أمرني الله تعالى اذ لا آمر له سواه (ان أقاتل الناس) أي بمقاتلة الكفار وهو عام خص منه من أقر بالجزية (حتى يشهدوا أن) أي انه (لا اله الا الله) استثناء من الكثرة المفهومة من اله اذ مفهومه كل في الذهن يتوهم منه الكثرة في الخارج مع انه ليس هنالك الا واحد واجب الوجود الموصوف بنعوت الكرم والجود وفي رواية حتى يقولوا لا اله الا الله (ويؤمنوا بي وبما جئت به) أي بما أمرني ربي أو ألهمني في قلبي (فاذا فعلوا ذلك) أي آمنوا بهما والتزموا أحكامهما أو اذا فعلوا ما أقاتلهم لأجله

الاعتراف به باللسان ان قدر والتصديق بالجنان فلابد منهما شرعا (اذ لا يتم) ولا يصح (ايمان) لاحد بالله (الابه) أي الا بالايمان برسوله عليه الصلاة والسلام وبكل ما جاء به (ولا يصح اسلام الامعه) أي مع الايمان بالله والايمان بالرسول بعينه وليس هذا مبنيا على تغاير الايمان والاسلام على قول بل هو تأكيد لما قبله لتغايرهما بحسب المفهوم وان اتحدا بحسب الماصدق فانه لا يكون مؤمن الا وهو مسلم ولا مسلم الا وهو مؤمن لقوله تعالى فاخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين (قال الله تعالى ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا أعتدنا للكافرين سعيرا) وفي الآية نص على ان الايمان المعتد به انما يكون بالجمع بين الايمان بالله وبرسوله فينتفي بانتفاء أحدهما التفريع قوله فانا أعتدنا الخ عليه (حدثنا أبو محمد الخشني بقراءتي عليه) وهو حديث صحيح رواه مسلم والبخاري والخشني بضم الخاء والشين المعجمتين ونون وياء نسبة تقدمت ترجمته قال (حدثنا الامام أبو علي الطبري) تقدمت ترجمته قال (حدثنا عبد الغافر الفارسي) تقدمت ترجمته قال (حدثنا ابن عمرويه) الجلودي وقد تقدم وان عمرويه بفتح العين وسكون الميم وفتح الراء وضمها وان مثله صيغة تصغير عند أهل البصرة مولدة قال (حدثنا ابن سفيان) ابراهيم بن محمد بن سفيان راوي مسلم قال (حدثنا أبو الحسين) هو الامام مسلم القشيري صاحب الصحيح المشهور قال (حدثنا أمية بن بسطام) بكسر الباء الموحدة وفتحها وفيه الصرف وعدمه توفي سنة احدى وثلاثين ومائة وهو امام جليل أخرج له الشيخان والنسائي قال (حدثنا يزيد بن زريع) بزنة مصغر الزرع الامام الحافظ أبو معاوية البصري كما تقدم قال (حدثنا روح) بفتح الراء المهملة وواو ساكنة وحاء مهملة وهو ابن القاسم التميمي البصري الامام الثقة مات سنة نيف وخمسين ومائة (عن العلاء) بفتح العين المهملة والمد (ابن عبد الرحمن بن يعقوب) عالم المدينة وهو أبو شبل مولى الحرقة أخرج له مسلم وأصحاب السنن (عن أبيه) عبد الرحمن (عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال أمرت) بيناء المجهول أي أمرني الله اذ لا آمر له صلى الله تعالى عليه وسلم سواه (ان أقاتل الناس) أي بان أقاتلهم ومحله بعد حذف الجار نصب أو جر وهو عام للناس كلهم خص منه من ضربت عليه الجزية (حتى يشهدوا أن لا اله الا الله) غاية لقتالهم ينتهي به ويتخصص بالغاية (ويؤمنوا بي) أي بكوني نبيا رسولا (و) يؤمنوا (بما جئت به) من الله وأوحاه اليه من شريعته التي أمر بتبليغها وتكليفهم بها (فاذا فعلوا ذلك) المذكور

(عصموا مني دماءهم) أي منعوها فلا يجوز سفك دمائهم وأخذ أموالهم بسبب من الاسباب (الا بحقها) أي الا بحق يتعلق بها كقتل نفس بعدوان وزنى بعد احصان وكفر بعد ايمان كما ورد ويلحق بها ترك صلاة وزكاة بتأويل باطل فيهما (وحسابهم على الله) أي فيما يسرونه من كفر ومعصية فالحكم بالايمان لظواهرهم والله متول لسرائرهم والحديث هذا قد أخرجه القاضي كما ترى من عند مسلم وهو في الايمان ورواه البخاري رحمه الله تعالى أيضا وفي رواية أخرجها الستة عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال السيوطي وهو متواتر ولفظه أمرت ان أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله واني رسول الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم الا بحقها وحسابهم على الله وفي رواية عن أنس رضي الله تعالى عنه قيل وما حقها قال زنى بعد احصان أو كفر بعد اسلام أو قتل نفس فيقتل بها (قال القاضي أبو الفضل رحمه الله تعالى) يعني المصنف (والايمان به) أي بالنبي عليه الصلاة والسلام (هو تصديق نبوته) أي انبائه عن الحق (ورسالة الله تعالى له) أي الى الخلق والاضافة فيهما بمعنى الباء أو في أي تصديقه بهما أو فيهما وهذا باعتبار ذاته وصفاته (وتصديقه فيما جاء به) أي من معتقداته (وما قاله) أي وفي جميع مقولاته من مأموراته ومنهياته (ومطابقة تصديق القلب بذلك) أي بما ذكر (شهادة اللسان) بالنصب وقيل بالرفع أي اقراره (بانه رسول الله) أي الى جميع افراد الانس والجن أو الى الخلق كافة (فاذا اجتمع) أي في العبد (التصديق به بالقلب) وهو حقيقة الايمان (والنطق) أي معه (بالشهادة بذلك) ما

أي بما ذكر (باللسان) أي وبالاقرار الذي هو شطر أو شرط على خلاف بين الاعيان (تم) أي كمل (الايمان به) أي بالجنان (والتصديق له) أي باللسان (كما ورد في هذا الحديث) أي حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه (نفسه) أي بعينه الا انه (من رواية ابن عمر) رضي الله تعالى عنهما أي لا من أبي هريرة رضي الله تعالى عنه (أمرت ان) أي بان (أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله) الحديث أخرجه الشيخان وقد سبق ان هذا اللفظ جاء من طريق أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أيضا وقد رواه أصحاب الستة عنه الا انه بلفظ اني رسول الله (وقد زاده) أي النبي عليه الصلاة والسلام (وضوحا)

من الشهادة والتصديق لما جاء به والتزام أحكام شريعته (عصموا) أي صانوا وحفظوا (مني دماءهم) بعدم المقاتلة لهم (وأموالهم) فلا تؤخذ بالغنائم ولا بسبب من الاسباب (الا بحقها) أي ان تستحق اباحة دمائهم بقتل نفس ظلما ونحوه أو يستحق أموالهم بمنع زكاة أو ثبوت حق عليهم (وحسابهم على الله) أي أمرهم بعد ما ذكر موكول الى الله تعالى اذا حاسبهم على ما أسروه في أنفسهم وما لم نقف عليه من الكفر والمعاصي فيثبت من يشاء ويعاقب من يشاء والمنافق لا يقتل الا اذا ظهر منه ما يقتضي كفره ومثله لزنديق واختلفوا في قبول توبته فقيل يقبل مطلقا وقيل قبل الاخذ وقيل لا يقبل مطلقا وتوبته ان خلصت نفعته في الآخرة وقيل ان تاب مرة قبلت وان تكررت لا وقيل لا تقبل ان دعى لزندقته وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم ويؤمنوا بي اشارة الى ان أهل الكتاب لا يمنع قتالهم بمجرد الشهادة بان لا اله الا الله ودخل قتال البغاة ومانعي الزكاة وتاركي الصلاة في قوله الا بحقها وفي الحديث دليل على ان الايمان يكفي فيه الاقرار بما ذكر فيه وانه لا يشترط فيه معرفة الادلة الاصولية كما قاله النووي رحمه الله تعالى وليس مبنيا على قبول ايمان المقلد كما توهم (قال القاضي أبو الفضل) عياض المؤلف رضي الله تعالى عنه (والايمان به صلى الله تعالى عليه وسلم هو تصديق نبوته) أي التصديق بها (ورسالة الله له) أي ارساله والاضافة اختصاصية لا بمعنى الباء كما توهم وان كان المعنى عليها (وتصديقه في جميع ما جاء به) عن الله بالوحي بانواعه (وما قاله) أي في جميع أقواله لانه صلى الله تعالى عليه وسلم معصوم لا يصدر عنه ما يخالف الواقع لا سيما ما أمر به بتبليغه (ومطابقه) أي موافقة (تصديق القلب) أي اعتقاده والجزم به وأصل المطابقة وضع شيء على شيء هو طبقة وقوله (بذلك) أي بالتصديق بالنبوة والرسالة وما جاء به (شهادة اللسان) بنطقه واعترافه (بانه رسول الله فاذا اجتمع التصديق به صلى الله تعالى عليه وسلم بالقلب والنطق بالشهادة بذلك) المذكور من رسالته وما جاء به (باللسان ثم الايمان) الحقيقي المنجي في الدنيا والآخرة (والتصديق له) أي كيفيته ولفظه (كما ورد في هذا الحديث) الذي رواه المصنف رحمه الله تعالى عن أبي هريرة (نفسه) بالجر تأكيد للحديث (من رواية عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما أمرت ان أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله) وهذه رواية مسلم عن ابن عمرو فيها ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فاذا فعلوا الى آخره وقوله ثم الايمان أي تحقق وصح وليس مراده انه اذا وجد أحدهما كتصديق القلب كان ايمانا ناقصا كما ستفصله والنطق بالشهادة مع انه لا بد من اختلاف فيه هل هو شطر أو شرط والاعمال ليست داخلة فيه عند المحققين وفيه كلام مفصل في كتب الاصول وشروح الصحيحين يضيق المقام عنه (وقد زاده وضوحا) أي زاد صلى الله تعالى عليه وسلم

ماذكر بيانا (فى حديث جبريل) عليه الصلاة والسلام الذى رواه الشيخان كما تقدم (اذ قال) له جبريل لما جاءه صلى الله تعالى عليه وسلم فى صورة انسان (أخبرنى عن الاسلام) أى حقيقته ومعناه شرعا وهو فى اللغة الانقياد والطاعة كما علم وقيل السؤال عن شرائطه وشروطه (فقال) صلى الله تعالى عليه وسلم (أن تشهد أن لا اله الا الله) ان مخففة من الثقيلة وتشهد بمعنى تعلم بان يقول أشهد الى آخره وقد اختلف هل يشترط فيه لفظ الشهادة أو يكفى مايؤدى معناه والصحيح عندنا الثانى معاشر الحنفية ولو بغير لفظ العربية لمن لا يقدر عليه (وان محمدا رسول الله) أرسله لجميع خلقه (وذكر اركان الاسلام) يعنى قوله ويقيم الصلاة بالنصب عطف على تشهد وجوز بعضهم رفعه استئنافا نظرا الى انه يكفى فى اجراء أحكام الاسلام الشهادتان وكذا مابعده وجوابه انه بيان لا كمله واقامة الصلاة أداؤها وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلا قال صدقت فعجبنا له كيف يسأله ويصدقه (ثم سأله) صلى الله تعالى عليه وسلم (عن الايمان) أى عما يجب التصديق به شرعا (فقال) مجيبا له (ان تؤمن بالله) أى تصدق بوجوده وانه واحد فى ذاته وصفاته وأفعاله ولا شريك له فى ذلك وليس هذا تعريفا للشئ بنفسه لانه يكون متعديا بنفسه ومعناه ان يأمن التكذيب ومتعديا بالباء لتضمنه معنى الاعتراف وقد يتعدى باللام لتضمنه معنى القبول والاذعان والمعروف هو الاول وما وقع فى التعريف هو الثانى بل لان الاول معلوم والمسؤل عنه بيان متعلقاته التى يجب الايمان بها اجمالا وعلم من الحديث تغاير مفهوم الاسلام والايمان فان الاسلام كما مر لغة الاستسلام والانقياد وهو جزء من مفهوم الايمان الذى هو التصديق بالقلب واللسان وقيل انهما مترادفان والاظهر انهما متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر وقيل بينهما عموم وخصوص مطلق وان الاسلام يتناول التصديق وأصله الطاعات كما فصل فى علم الكلام (وملائكته) جمع ملك من الالوكة وهى الرسالة وأصله مالك ثم قلب وجمع وخفف مفرده وتاؤه لتأنيث الجمع أو المبالغة وتقدم الكلام على ذلك فى الخطبة وانهم أجساد نورانية سالمة من الكدورات الجسمانية قابلة للتشكل والايمان بهم ان تؤمن بانهم عباد الله معصومون لا يفعلون غير مايؤمرون لا يعلم عدتهم الا الله (وكتبه) التى هى كلامه تعالى المنزل على رسله الازلى فيصدق بحقيقتها وحقيقة ماتضمنته (ورسله) جمع رسول وهو من أوحى اليه بشرع وكتاب وأمره بتبليغه عباده (الحديث) بالنصب أى اذكره أو اقرأه واعرف ذلك الى آخره وهو واليوم الآخر والقدر خيره وشره واقتصر المصنف رحمه الله تعالى على المقصود منه (فقد قرر) أى بين النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى هذا الحديث (ان الايمان به) أى بالله أو بما ذكر فى الحديث (محتاج الى العقد) أى الاعتقاد الجازم (بالجنان) بفتح الجيم وهو القلب سمى به لاستتاره أو استتار مافيه من جنه اذا ستره (والاسلام به) أى بالله أو بما ذكر (مضطر) أى محتاج اليه ضرورة لانه لا يظهر الانقياد بدونه ولذا غاير بينهما (الى النطق باللسان) ليعلم مافى قلبه (وهذه الحالة) أى اعتقاد الجنان والنطق باللسان (هى المحمودة) عند الله والناس (التامة) بناء على انه اسم لفعل القلب واللسان كما ذهب اليه بعض الاشعرية ووصفها بالتام

فى حديث جبريل) عليه السلام أى سؤاله عنه (اذ قال) أى حين قال جبريل عليه السلام (أخبرنى عن الاسلام فقال) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كما فى نسخة وفى نسخة قال (ان تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله) وهو الاقرار فعده من الاسلام وهو الانقياد الظاهرى دال على ان الايمان هو التصديق القلبى والانقياد الباطنى (وذكر اركان الاسلام) أى بقية أركانه اذ الجملة خمسة كما ورد بنى الاسلام على خمس حيث قال ان تشهد بالله وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلا (ثم سأله) أى سأله جبريل (عن الايمان فقال ان تؤمن بالله) أى ان تصدق بحقيقة ذاته وحقيقة صفاته (وملائكته) أى بانهم عباد مكرمون مطيعون معصومون لا يوصفون بذكورة ولا أنوثة (وكتبه) أى بانها منزلة من عنده (ورسله) أى بانهم مبعوثون من الله تعالى الى خلقه صادقين فيما جاؤا به (الحديث) تمامه واليوم الآخر أى وبه ومافيه كالبعث والحساب والثواب والعقاب حق وصدق وتؤمن بالقدر خيره وشره أى حلوه ومره والحديث بطوله مذكور فى الاربعين وقد شرحناه فى المبين المعين وهو حديث رواه الستة وغيرهم (فقد قرر) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (ان الايمان) أى بالله سبحانه وتعالى وبما يجب الايمان به من غيره (محتاج) وفى نسخة يحتاج (الى العقد بالجنان) بفتح الجيم أى الاعتقاد الجازم بالقلب (والاسلام) أى وان الاسلام (به) لانقياد الظاهرى اليه وهو الاقرار به (مضطر الى النطق باللسان) أى ليتم بالبيان فان اللسان ترجمان الجنان (وهذه الحال) وفى نسخة الحالة (المحمودة التامة) وفى نسخة هى المحمودة التامة أى عند الخاصة والعامة فانه حينئذ نور على نور وسرور على سرور وجمع بين الظاهر والباطن فيصدق عليه انه مؤمن مسلم اذ لا خلاف بين أهل السنة انه حينئذ مؤمن وان اختلفوا فى كون الاقرار شطرا للايمان أو شرطا لاجراء أحكام الاسلام فاندفع قول الدلجى رحمه الله تعالى هذا ذهاب منه الى ان الايمان اسم لفعل

القلب واللسان وعليه بعض الاشعرية وغيرهم وأما قوله ووصفها بكونها تامة مؤذن بان العقد بالجنان كاف وان لم ينطق باللسان فهو مع كونه مناقضا لما سبق له من البيان مدفوع بالفرق الظاهر بين التمام والكمال كما لا يخفى على أرباب الحال لان تمام الشئ يتوقف على حصول جميع أجزائه بخلاف كماله فانه يتوقف على وجود ضيائه وبهائه وهو ههنا بان يكتسب جميع الاوامر ويجتنب جميع الزواجر من الصغائر والكبائر والمعتزلة والخوارج جعلوا الاركان من أجزاء الايمان والله المستعان هذا وبدل على ماقررنا ويشهد لما حررنا قوله (وأما الحالة المذمومة) أى عند جميع الامة المسلمة (فالشهادة باللسان دون تصديق القلب) أى من غير اعتقاد الجنان (وهذا) أى الاعتقاد المشتمل على الشقاق (هو النفاق) أى الحقيقى وهو ابطال الكفر واظهار الايمان وهذا كافر اذا علم حاله بالاتفاق (قال الله تعالى) حال لازمة أى متعاليا عما لا يليق بذاته وصفاته (اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله) أى توهيما منهم شهادة واطئة فيها قلوبهم ألسنتهم لازعامنهم كما قاله الدلجى رحمه الله لانهم ميزعمون ذلك حيث يعلمون حقيقة ماهنالك (والله يعلم انك لرسوله) أى كما اظهروه ولو كان مخالفا لما أبطنوه والجملة احتراز من نفى رسالته المتوهم من قوله تعالى (والله يشهد ان المنافقون لكاذبون) ولذا فسره المصنف بقوله (أى كاذبون فى قولهم) أى فى دعواهم (ذلك) أى كونك رسول الله صادرا (عن اعتقادهم وتصديقهم وهم لا يعتقدونه) أى والحال انهم لا يعتقدون قولهم انك لرسول الله (فلما لم يصدق) أى لم يوافق (ذلك) أى قولهم (باظهار وظواهرهم (ضميرهم) أى قلوبهم وبواطنهم وفى نسخة ضمائرهم وهو يحتمل الرفع والنصب (لم ينفعهم ان يقولوا) أى مجرد أقوالهم (بالسنتهم ماليس فى قلوبهم) أى لاعتقادهم ان قولهم ذلك كذب وخبر على خلاف ماعليه حال المخبر عنه (نخرجوا عن اسم الايمان) أى عن ان يسموا بما اشتق منه فلم يكونوا مؤمنين فى الدنيا (ولم يكن لهم فى الآخرة حكمه) أى حكم الايمان فلا يحشرون مع المؤمنين (اذلم يكن معهم) أى ايمان كما فى نسخة (ولحقوا بالكافرين) وفى نسخة بالكفار (فى الدرك الاسفل من النار) بفتح الراء وسكونها أى الطبقة السفلى من دركاتها كما ان المخلصين من المؤمنين فى أعلى أماكن الجنة وارفع دركاتها (وبقى عليهم حكم الاسلام) أى بحسب ظواهر الاحكام فيعاملون كالمسلمين لهم مالهم وعليهم

اشارة الى ان عقد الجنان كاف وان لم ينطق به والنطق شرط لاجراء أحكام الاسلام عليه فى الدنيا كالصلاة عليه ودفنه فى مقابرنا فمن آمن بقلبه ولم يعلم به أحد نفعه ايمانه الا على وجه الاباء (وأما الحالة المذمومة) اضرها فى الآخرة (فالشهادة باللسان) أى الاقرار والتلفظ بالشهادة به (دون تصديق القلب) بالاعتقاد الجازم (وهذا هو النفاق) الذى يسمى صاحبه منافقا وهو من يظهر الايمان ويخفى الكفر وهو لغة اظهار خلاف مايضمر من نافقاء اليربوع وهو ما يخفيه من أبواب جحره ليخرج منه اذا أحس بصائده كما قال ويستخرج اليربوع من نافقائه قال الله تعالى اذا جاءك المنافقون) الخطاب له صلى الله تعالى عليه وسلم (قالوا نشهد انك لرسول الله) فاقروا بشهادة مواطئة لقلوبهم بزعمهم فرد عليهم علام الغيوب بقوله (والله يعلم انك لرسوله) وهو توطئة لقوله (والله يشهد ان المنافقين لكاذبون أى كاذبون فى قولهم ذلك) أى قولهم انك لرسول الله عن اعتقاد وتصميم لان سياقه مؤكدا بهذه التاكيدات يقتضى انه ناشئ (عن اعتقادهم) الجازم (وتصديقهم) القلبى أو اللسانى (وهم لا يعتقدونه) جملة حالية أى والحال انهم ليسوا معتقدين لذلك كما أخبر الله تعالى به (فلما لم يصدق ذلك) القول (ضمائرهم) أى ما أضمروه فى قلوبهم أو قلوبهم لان الضمير يطلق عليه (لم ينفعهم ان يقولوا) أى قولهم لم ينفدهم فى الآخرة لانهم فى الدرك الاسفل من النار (بالسنتهم ماليس فى قلوبهم) لاعتقادهم خلافه فهو كذب غير مطابق للواقع وليس هذا مبنيا على ان الكذب ماخالف الاعتقاد كما حققه أهل المعانى وهذه الآية نزلت فى ابن أبى بن سلول رأس المنافقين وأصحابه وقصته مشهورة فى كتب الحديث فلا نطول بها (نخرجوا عن اسم الايمان) أى عن ان يسموا بما اشتق منه فيقال لهم مؤمنين فى الدنيا عند من عرفهم (ولم يكن لهم فى الآخرة حكمه) وهو دخول الجنة فهم فى الدرك الاسفل من النار مع الكفار كما يأتى وقوله فى الآخرة اشارة الى انهم يجرى عليهم فى الدنيا حكمه نظرا لظاهر حالهم كما بينه بقوله (اذلم يكن معهم ايمان) فى الآخرة لانكشاف حالهم وافتضاحهم فيها وقال معهم ولم يقل اذلم يكونوا مؤمنين ايماء الى ان ايمانهم لم يكن فى قلوبهم فكأنه كان رفيقا لهم لتلفظهم به فاذا ماتوا فارقهم وبطل حكمه (ولحقوا بالكافرين فى الدرك الاسفل من النار) الدرك بفتح الراء وسكونها ما ينزل به لاسفل ضد الدرج يعنى انهم فى قعر جهنم وآخر طبقة منها وهى سبع طبقات جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم الجحيم ثم الهاوية ويطلق اسم كل طبقة منها على الجميع أيضا بالاشتراك اللفظى والمعنوى (وبقى) جار (عليهم حكم الاسلام) فى الدنيا فيعاملون معاملة المسلمين فيما لهم وعليهم

(باظهار شهادة للسان) أى بسبب اظهارها منهم وهذا (فى أحكام الدنيا المتعلقة بالائمة) أى أئمة الدين من العلماء العاملين (وحكام المسلمين) أى من القضاة والسلاطين (الذين أحكامهم على الظواهر) أى جارية وسارية (بما أظهروه من علامة الاسلام) أى من الاذعان والانقياد وقبول الاحكام وهذا كله بحسب الظواهر (اذلم يجعل للبشر سبيل الى السرائر ولا امروا) ى الأئمة والحكام (بالبحث عنها) أى عن السرائر (بل نهى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عن التحكم عليها وذم ذلك) أى التحكم هنالك (وقال) أى فيما رواه البخارى لاسامة بن زيد لما قتل من اضطره فاسلم أقتلته بعد ان أسلم فقال معتذرا انما أسلم مكرها فقال (هلا شققت عن قلبه) أى لم ما كشفت عن ضميره وهذا أمر تعجيز اذلا اطلاع على قلب أحد الا لربه وقيل هلا اذا دخل على المضارع يفيد الامر كقولك هلا تضرب زيدا واذا دخل على الماضى يفيد التوبيخ كقولك هلا ضربت زيدا والحديث فى صحيح مسلم عن أسامة ابن زيد قال بعثنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى سرية فصبحنا الحرقات من جهينة فادركت رجلا فقال لا اله الا الله فطعنته فوقع فى نفسى من ذلك فذكرته للنبى عليه الصلاة والسلام فقال أقال لا اله الا الله وقتلته قلت يا رسول الله انما قالها خوفا من السلاح فقال هلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا الحديث والمعنى أقالها عن قلبه أم لم يقل عن قلبه وأبعد الانطاكى حيث قال الفاعل فى قوله أقالها هو القلب

(باظهار شهادة اللسان) أى بسببه لانا نحكم بالظاهر والله يتولى السرائر والمراد نحكم الاسلام كل ما كان داخلا (فى أحكام الدنيا) أى ما يحكم به لهم وعليهم من أحكام الشرع (المتعلقة بالائمة) أى السلاطين والخلفاء لا العلماء لانهم ليسوا مأمورين باجرائها (وحكام المسلمين) كالقضاة وغيرهم من النواب وهذا حكم من لم يظهر لنا حاله منهم فان من ظهر حاله يكون كافرا فلا وجه لارادة تقضاهنا كما توهم لذا لم يصل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على ابن أبى بن سلول وان كان صلى عليهم وانما لم يقتله لمصلحة أشار اليها فى الحديث الآتى بقوله لئلا يتحدث الناس بان محمدا يقتل أصحابه فكان هذا من خصائصه فى ابتداء الاسلام ثم انتهى بانتهاء سببه ولذا رفع عمر رضى الله تعالى عنه حكم المؤلفة قلوبهم وهذا من عطف العام على الخاص ثم زادهم بيانا بقوله (الذين أحكامهم) جارية ومبنية (على الظواهر) من أحوال الناس كلهم (بما أظهروه من علامة الاسلام) أى ان أحكام الدنيا جارية عليهم بسبب اظهار الاسلام بانقيادهم له والتزامهم أحكامه ظاهرا وان لم يعتقدوها بقلوبهم وفى نسخة علامات وزادها اشارة الى انهم ليسوا مسلمين حقيقة وانما عليهم علامته (اذلم يجعل) ببناء المجهول أى لم يجعل الله (للبشر) أى الناس كلهم (سبيل) أى طريق (الى السرائر) جمع سريرة وهى ما فى القلب مما لم يطلع عليه فلم يكلفهم بمعرفته واجراء حكمه (ولا أمروا) الضمير للبشر باعتبار المعنى (بالبحث) أى التفحص والتفتيش (عنها) أى عن السرائر ثم ترقى فقال (بل نهى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عن التحكم عليها) أى الحكم على السرائر وعبر بالتحكم لما فيه من التكلف أو لانه ليس بحكم كما قال تحلم الرجل لمن لا حلم له (فقال) صلى الله تعالى عليه وسلم لاسامة بن زيد فى حديث صحيح رواه البخارى لمن اضطر بعض الكفار فاسلم فقتله أسامة لاعتقاده ان اسلامه بلسانه خوفا من القتل فقال له أقتلته بعد ان أسلم (هلا شققت عن قلبه) وهلا أداة تحضيض اذا دخلت على المستقبل أفادت الامر واذا دخلت على الماضى أفادت الانكار والتوبيخ وشق متعد بنفسه وعداه بعن لتضمينه معنى التفتيش أى شققت قلبه لتفتش عما فيه من الاعتقاد وتعلم أقال ما قاله خوفا أم لا وهو كناية عن استحالة الوقوف عليه لانه بشقه لا يدرى ما فيه والذم فيه ظاهر لما فيه من التوبيخ على ما لا يليق به وكان عليه ان يختبره حتى يعلم هل هو مخلص أم لا لكن لما رآه لم يسلم حتى رفع السيف لقتله فظنه ايمان يأس لا يفيده كحال الغرغرة فهو متأول لا متعمد للخطأ فى قتله والحديث كما فى الصحيحين عنه بعثنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى الحرقة من جهينة فهزمناهم ولحقت انا ورجل من الانصار رجلا منهم فلما غشيناه قال لا اله الا الله فكف عنه الانصارى وطعنته برمحى حتى قتلته فلما قدمنا بلغ ذلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال لى يا أسامة أقتلته بعد ما قال لا اله الا الله قلت يا رسول الله انما كان متعوذا فقال أقتلته بعد ما قال لا اله الا الله ولم يزل يكررها وقال هلا شققت عن قلبه فكيف تصنع بلا اله الا الله اذا جاءت يوم القيامة فقلت استغفر لى يا رسول الله فقال كيف تصنع بلا اله الا الله الى آخره فلم يقبل عذره وفيه تنبيه وموعظة وزجر والرجل المقتول اسمه مرداس الفزارى أو الفدكى وبما ذكرناه علم ان أسامة رضى الله تعالى عنه متأول فى قتله ولم يسمع منه كلمة الشهادة بتمامها حتى يحكم باسلامه وانما لامه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لعجلته وعدم تثبته وانما كان يجب عليه ان يختبره فلا يقتله وهو مسلم شرعا كما لا يخفى فقول الداودى انه يلزمه الدية لقتله لمسلم خطأ وانما سكت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن ذكرها لعلمه لعلم السامع بذلك أو لانه كان قتل قبل نزول آية

(والفرق) وفي نسخة وللفرق (بين القول) أي اللسان (والعقد) أي بالجنان (ماجعل) بصيغة المفعول أو الفاعل وما مصدرية أي جعله أو موصولة أي الذي جعله النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (في حديث جبريل) عليه السلام أي المتقدم (الشهادة) بالرفع أو النصب أي الاقرار (من الاسلام) أي من اركانه حيث قال مجيبا له عن سؤاله عنه ان تشهد (والتصديق من الايمان) أي وجعله فيه منه بقوله مجيبا له عن سؤاله عنه ان تؤمن (وبقيت حالتان أخريان بين هذين) أي الحالين وهما الحالة المحمودة لخاص المؤمنين والحالة المذمومة للمنافقين فيحتاج الى بيانهما (احداهما ان يصدق) أي المكلف (بقلبه ثم يخترم) بالخاء المعجمة على صيغة المجهول أي يقتطع ويموت (قبل اتساع وقت الشهادة) أي قبل ان ياتي بها (بلسانه) أي لضيق زمانه (فاختلف فيه) أي في انه مؤمن أم لا (فشرط بعضهم من تمام الايمان القول والشهادة به) فعلى هذا لا يكون مؤمنا لعدم تمكنه من الاتيان بها وهذا قول ضعيف سواء قيل ان الاقرار شرط لاجراء الاحكام لا لحقيقة الاسلام أو شطر لان قائله قائل بانه ركن قابل لسقوطه في بعض الانام كالاخرس وحال ضيق المقام (ورآه بعضهم) أي المصدق المذكور قبل تمكنه من الاقرار المسطور (مؤمنا) أي مصدقا ومسلما (مستوجبا للجنة) أي لعذره بعدم تمكنه من الاتيان به وأيضا ولو لم يعتبر ايمانه للزم أن يكون في النار مخلدا وهو غير واقع كما أشار اليه المصنف حيث قال (لقوله عليه الصلاة والسلام) أي فيما رواه الشيخان (يخرج) بصيغة المفعول أو الفاعل (من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الايمان) وفيه تلويح الى انه وان صغر قدره فقد عظم عند الله تعالى أمره ولا يضيع أجره وقد قال تعالى ان الله لا يظلم مثقال ذرة وهي كل جزء من أجزاء الهباء في الهواء والمراد بها غاية القلة التي قد يعبر عنها بالعدم أي لا يظلم أصلا (فلم يذكر) أي النبي عليه الصلاة والسلام (سوى مافي القلب) أي لان غيره غير نافع عند الرب في العقبى لانقضاء أحكام ظاهر الاسلام في الدنيا (وهذا) أي المؤمن بالجنان العاجز عن اقرار اللسان (مؤمن بقلبه) أي فينفعه ايمانه عند ربه (غير عاص) أي حيث أطاعه وآمن به (ولا مفرط

(بترك

الدية والكفارة وقول القرطبي انه لا يلزم من السكوت عدم الوقوع وقول غيره انه يحتمل انه لم يجب عليه شئ لانه مأذون في أصل القتل فهو كالطبيب والخاتن أو لم يكن له وارث مسلم ولا ولي وأسامة رضي الله تعالى عنه أقر بذلك لا حاجة اليه ※ أقول اذا لم يكن له وارث ديته لبيت المال ولا يصح عفو الامام عنه عندنا وان رجح السبكي في فتاويه جوازه لمصلحة ولا دليل في الحديث لما عرفته ولانه يستحق من بيت المال فتنفيله الدية لا يكون عفوا (والفرق بين القول) أي مجرد التلفظ بالشهادة بلسانه (والعقد) أي التصديق بقلبه واعتقاد جنانه (ماجعل) ما مصدرية أي جعله (في حديث جبريل) الذي تقدم في سؤاله عن الاسلام والايمان (الشهادة) أي التلفظ بها ركنا (من الاسلام) لما قال في جوابه ان تشهد الى آخره (و) جعله (التصديق من الايمان) أي الاعتقاد بالقلب وهذا بناء على تغاير الاسلام والايمان وفيه اشارة الى تفسير تؤمن في قوله ان تؤمن بالله تعالى عز وجل الى آخره (وبقيت حالتان أخريان بين هذين) أي الاقرار بلسانه والتصديق بجنانه أي الجمع بينهما (احداهما أن يصدق) المكلف (بقلبه ثم يخترم) بخاء معجمة وتاء مثناة فوقية وراء مهملة مبني للمجهول يقال اخترمته المنية والموت اذا أتاه بغتة بسرعة وأصل معنى الخرم القطع وتفريق المتصل فقيل له ذلك لقطعه الحياة كما أشار اليه بقوله (قبل اتساع وقت الشهادة باللسان) أي التلفظ والنطق بها لضيق الزمن فهذه حالة بين الحالتين السابقتين وهما الاقرار اللساني والتصديق بقلبه الموافق له وهو مؤمن بالاتفاق والثانية الاقرار باللسان وقلبه غير مصدق وهو منافق بالاتفاق وحكمه مامر وهذه حالة بينهما (فاختلف فيه) أي فيمن هذه حاله أمؤمن هو أم لا (فشرط بعضهم) أي قال انه (من تمام الايمان القول والشهادة به) باللسان فلا يكون هذا مؤمنا عنده لعدم تمام ايمانه وفقد شرطه عنده وعند بعضهم ان الشهادة جزء من الايمان وركن لا شرط فعرفه بانه اقرار باللسان وتصديق بالجنان وهو المشهور عند الاشاعرة فلا ايمان الا بهما الا عند العجز عن النطق (ورآه) ماض من الرأي (بعضهم مؤمنا) فقال من اعتقد بقلبه واخترم قبل تمكنه من النطق مؤمن كالعاجز فيكون مؤمنا حقيقة (مستوجبا) أي مستحقا (للجنة) ودخولها لعذره بعدم تمكنه و(لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم) في حديث رواه الشيخان (يخرج) روي بالبناء للفاعل والمفعول (من النار من كان في قلبه) باعتقاده (مثقال ذرة من الايمان) أي وزنها ومقدارها في الثقل والذرة بالمعجمة صغار النمل والهباء وهو كناية عن غاية القلة وان كان عند الله عظيما وهو بعض من حديث في الصحيحين ولم يقل يدخل الجنة ابتداء لان المراد به العصاة المعذبون بسبب آخر أو بترك الشهادة فيكون عاصيا بذلك والظاهر الاول ولذا بينه وبين الاستدلال به بقوله (فلم يذكر) في الحديث شيأ (سوى مافي القلب) من ايمان بمقدار ذرة (وهذا) المصدق بقلبه دون لسانه لعدم تمكنه من النطق (مؤمن بقلبه) فينفعه ايمانه عند الله تعالى لانه (غير عاص) أي تارك لما يلزمه (ولا مفرط) بتشديد الراء المهملة أي مقصر عمدا

بترك غيره) أي بترك غير أمره من اقراره لعدم ادراك وقته وفقد استقراره (وهذا) أي الرأي من هذا البعض (وهو الصحيح في هذا الوجه) أي لما بيناه من الوجه الذي عيناه (الثانية) أي الحالة الثانية (ان يصدق بقلبه) أي ويكتفي بعلم ربه (ويطول مهله) بفتح الميم وسكون الهاء وتحرك أي زمانه (وعلم ما يلزمه من الشهادة) أي النطق بها (فلم ينطق بها جملة) أي مطلقا (ولا استشهد في عمره) أي ولا تشهد في عمره مرات كثيرة كما كان اللائق به ان يكررها ويتلذذ بذكرها ويقوم بشكرها (ولا مرة واحدة) أي بل ولا كرة (فهذا) أي المؤمن المذكور بالوصف المسطور (اختلف فيه أيضا) أي كما (اختلف

فيما قبله فقيل هو مؤمن) أي لانه أتى بما يكفي من مقصود الايمان (لانه مصدق) أي بقلبه وهو من أحسن الاحوال (والشهادة من جملة الاعمال) أي أركان الاسلام الموجبة للكمال (وهو) في نسخة فهو (عاص بتركها) أي بترك الشهادة كما وترك الصلاة والزكاة (غير مخلد) أي في النار كما في نسخة والمعنى ان دخلها لا يخلد فيها كما هو شان المؤمن العاصي حيث يكون تحت المشيئة الا ان هذا القول لا يصح عند من يقول الاقرار شطر وكذا عند من يقول انه شرط حيث لا يوجد المشروط بدون الشرط حال امكان وجوده فبطل قول الدلجي وهذا كافر عند المحققين هو الحق ولا يعصي عند من يقول الايمان هو التصديق فقط انتهى ولا يخفى انه مخالف للاجماع لان تارك الشهادة مع القدرة عاص عند الكل من غير نزاع وانما الخلاف في انه مؤمن أو ليس بمؤمن والله سبحانه وتعالى أعلم (وقيل ليس بمؤمن حتى يقارن عقده) أي اعتقاده وتصديقه بالجنان (شهادة) أي اقرارا بالله وبرسوله وفي نسخة شهادة اللسان وهي بالنصب وقيل بالرفع وكلاهما جائز لان من قارن الشيء فقد قارنه ذلك الشيء وانما قيل ينافي ايمانه (اذ الشهادة انشاء عقد والتزام ايمان) أي قبول احكام اسلام (وهي) الشهادة (مرتبطة مع العقد) أي جزم القلب (ولا يتم التصديق مع المهلة) بضم فسكون أي مع الامهال زمانا يسعه القيام بشرطه أو شطره (الابها) أي بالشهادة سواء قلنا انها شرط أو شطر كما بينا (وهذا) أي القول الثاني (هو الصحيح) أي في انه ليس بمؤمن لعدم قرانه عقد جنانه باقرار لسانه مع تمكنه من بيانه في مهلة زمانه واما قول الدلجي ان هذا انما

(بترك غيره) وهو التلفظ بالشهادة (وهذا) الرأي الذي رآه بعضهم (هو الصحيح في هذا الوجه) أي الحالة المعذور فيها بعدم تمكنه وهذا وان صححه المتكلمون الا انه قيل ان ما استدل به المصنف لا يثبت ما ادعاه لان هذا في عصاة أمته الذين ثبت ايمانهم ويدل عليه ما في الصحيح عن أنس انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال يخرج من النار من قال لا اله الا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير ثم ان ذكر الوزن في الايمان وهو من المعاني لانه كما قال الكرماني شبه بالجسم فاضيف اليه ما هو من لوازمه وهو الوزن فهو استعارة بالكناية (الثانية) أي الحالة الثانية من هاتين الحالتين (ان يصدق بقلبه) ويعتقد اعتقادا جازما (ويطول) بضم التحتية وفتح الطاء المهملة وتشديد الواو المكسورة (مهله) بميم وهاء مفتوحتين مفعول يطول ويجوز تسكين هائه مع فتح ميمه وضمها وهي التؤدة والتأني فاريد به لازمه وهو طول الزمان والمراد زمان سكوته وعدم نطقه بالشهادة (وعلم ما يلزمه من الشهادة) والنطق بها وهذه جملة حالية بتقدير قد أي سكت زمانا طويلا مع علمه بلزوم النطق والاعتراف بما صدق به قلبه (فلم ينطق بها) أي بالشهادة (جملة) منصوب على الحالية والمراد به مجموعها بان لم يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والقدر خيره وشره تفصيلا أو اجمالا بان لا يفصل الملائكة والكتب ونحوها (ولا استشهد في عمره) ومدة حياته أي أتى بالشهادة وفي نسخة شهد (ولا مرة) أي مرة واحدة (فهذا اختلف فيه أيضا) كما اختلف في الذي قبله وهو في الاصل مصدر آض اذا رجع وشاع في التشبيه وفي نصبه كلام مشهور (فقيل هو مؤمن لانه مصدق) وحقيقة الايمان هو التصديق القلبي وقد اتصف به فيكفيه (والشهادة من جملة الاعمال) الزائدة على حقيقة الايمان وان كانت لازمة شرعا (فهو عاص بتركها) كمرتكب الكبائر غير كافر فهو (غير مخلد) في النار عند أهل السنة القائلين بان أصحاب الكبائر غير مخلدين (وقيل ليس بمؤمن) لان الشهادة شرط فيه أو شطر (حتى يقارن عقده) أي اعتقاد قلبه وجزمه (شهادة اللسان) أي التلفظ بها مطابقة لما في قلبه (اذ الشهادة انشاء عقد) عند الاصوليين لانها عندهم انشاء يتضمن الاخبار بالمشهود به لا اخبار وعزى الشاني انه خبر لابي حنيفة وأنكره السروجي وقال لا نعرفه وانما هو انشاء عندنا أيضا ونظر فيه بانهم عرفوها بانها أخبار بحق للغير على آخر وقد يقال انه بحسب ظاهره لانه خبر لفظا أريد به الانشاء كقوله والمطلقات يتربصن بانفسهن ومن لم يفهم مراده قال انشاؤه بمعنى ابتداؤه (والتزام ايمان) أي التزام لاحكامه (وهي) أي الشهادة (مرتبطة) أي ملازمة متصلة (مع العقد) الجناني لا تفارقه فلا يكتفى باحدهما (ولا يتم التصديق) ويكتفى به (مع المهلة) أي تأخير النطق زمانا طويلا من غير مانع (الابها) أي بالشهادة والنطق بها (وهذا) القول (هو الصحيح) من انه ليس بمؤمن لعدم مقارنة الاعتقاد للاقرار مع التمكن

يقول به من يجعل الاعمال جزأ منه فخطاظاهر اذاجمع أهل السنة على ان الاعمال ليست جزأ من حقيقة الايمان خلافا للخوارج والمعتزلة واما نسبة هذا القول الى الشافعي رحمه الله تعالى والمحدثين فمحمول على انها جزء من كمال الايمان وانما الخلاف لفظي في مراتب الايقان فبطل قول الدلجي ان الايمان قول وعمل واعتقاد كما هو مذهب الفقهاء والمحدثين أو قول واعتقاد كما هو مذهب أبي حنيفة رحمه الله تعالى واشياعه انتهى ولا يخفى ان هذا غفلة منه عن تحقيق الاشعري واتباعه ثم هذا الخلاف فيما اذا لم يؤمر باداء الشهادة واذا أمر بها وامتنع ويابى عنها كان طالب فهو كافر بالاجماع (وهذا) أي ما ذكرنا في بحث الايمان وفي نسخة وهذه أي هذه المسائل أو الاقوال هي الوسائل التي كتب فيها الرسائل لينتفع بها كل طالب وسائل (نبذ) بنون مفتوحة وسكون موحدة فذال معجمة أي شئ قليل يسير على ما في القاموس وهو مطابق لما في النسخ المعتبرة وموافق لما في الشروح المعتمدة واما ما ذكره الدلجي من قوله بنون موحدة مفتوحتين وفي نسخة بضم النون وسكون الباء جمع النبذة فليس في النسخ وهو مخالف لما في كتب اللغة بل في القاموس ان النبذة بفتح النون وتضم الناحية ولا ريب ان هذا المعنى لا يناسب مقام المرام فهو خالف الرواية والدراية نعم في نسخة نبذ بضم ففتح جمع نبذة أي قطعة يسيرة والمعنى ان ما ذكر من الايمان وما يتعلق به صحة وعدما في هذا المكان شئ يسير يترتب عليه أمر كثير (يفضي) من الافضاء أي يوصل ويؤدي (الى متسع من الكلام في الاسلام والايمان وأبوابهما) أي مما يتعلق بهما من الاحكام (وفي الزيادة أي فيهما والنقصان) وفيه ان لا خلاف في زيادة مراتب الاسلام والمتعلقة بالاعمال ونقصانها وانما الخلاف في زيادة نفس الايمان ونقصانه ويتفرع عليهما قوله (وهل التجزي ممتنع على مجرد التصديق) أي كما عليه أهل التحقيق (لا يصح) أي التجزي وهو قبول الزيادة والنقصان أصلا (فيه) أي في ايمان (جملة) أي اجمالا بل يحتاج الى بيانه تفصيلا كما أوضحه بقوله (وانما يرجع) أي التجزي (الى ما زاد عليه) أي على نفس الايمان (من عمل) أي واحسان قول (وقد يعرض فيه) بكسر الراء ويضم أي يحصل التجزي في التصديق (لاختلاف صفاته وتباين حالاته) أي وتغاير مقاماته وتفاوت درجاته (من قوة يقين) أي علمي (وتصميم اعتقاد) أي من دليل قوي (ووضوح معرفة) أي بانضمام مشاهدة (ودوام حالة) أي من غير فتور فيها ولا قصور عنها

منه ومن يقول انه التصديق فقط يقول انه مؤمن وان لم يقر بلسانه وان لم تجر عليه أحكام الايمان في الدنيا فهو ينفعه في الآخرة والاصح انه لا بد منه في الاعتداد به في الدنيا والآخرة وهو شرط أو شطر ثم انهم اتفقوا على انه يلزم المصدق ان يعتقد انه متى طولب أتى به فان طولب به فلم يقر فهو كفر عناد (وهذا نبذ) بفتح النون وسكون الموحدة وذال معجمة وهو الشئ اليسير وأصله الرمي والطرح فكأنه لقلته مما يطرح وفي نسخة هذه نبذ بضم النون وفتح الموحدة جمع نبذة بزنة غرفة وقيل انه بضم فسكون والمعروف ما قدمناه (تفضي الى متسع من الكلام) تفضي بضم المثناة الفوقية وسكون الفاء وكسر الضاد المعجمة قبل ياء ساكنة مضارع أفضى بمعنى أوصل وأصل معناه الايصال الى الفضاء والمتسع بزنة اسم المفعول وهو مصدر ميمي أو اسم يعني انها تحتاج الى بسط وانتشار لكثرة مباحثه مما للعلماء فيه من القيل والقال (في الاسلام والايمان) أي فيما يتعلق بهما (وأبوابهما) المعقودة لتفصيلهما (وفي الزيادة فيهما والنقصان) فيهما والكلام في انهما يقبلان زيادة ونقصا وفيه اختلاف مشهور (وهذا التجزي) بالزيادة والنقص فيهما (ممتنع على مجرد التصديق) فهو في نفسه من غير نظر لما ينضم اليه من الاقوال والاعمال لا يقبلهما فانه كما مر قيل انهما مجرد التصديق وهو لا يزيد ولا ينقص وقيل انه قول واعتقاد وقيل قول وعمل واعتقاد فعلى هذا يقبل التجزي وقوله (لا يصح فيه) أي في التصديق تجزي بزيادة ونقص (جملة أي مجموعه أو الاجمالي منه لا يقبل التجزي (وانما يرجع) تجزيه والزيادة فيه (الى ما زاد عليه) أي ما زاد على التصديق (من عمل) ونحوه فانه قد يزيد وقد ينقص بل قد لا يكون كمن أسلم ثم مات فجأة فلم يأت بشئ من الاعمال الصالحة (وقد يعرض فيه) أي قد يطرأ على التصديق نفسه زيادة أو نقص وتجز فانه من الكيفيات النفسانية وهي تتفاوت قوة وضعفا فان العلم بطلوع الشمس وان الواحد نصف الاثنين ليس كالعلم بحدوث العالم ولا شك في ان ايمان أبي بكر رضي الله تعالى عنه ليس كايمان غيره وقال الشمني في الصحاح عرض له كذا يعرض أي ظهر وعرضت العود على الاناء تعرضه وتعرضه هذه وحدها بالضم وعرضت له القول بالكسر الى آخره (لاختلاف صفاته) قوة وضعفا (وتباين) أي بعد وافتراق (حالاته) بعضها عن بعض (من قوة يقين) بيان للصفات والحالات (وتصميم اعتقاد) أي الجزم به بحيث لا يقبل الشك لمشاهدة وقوة أدلة (ووضوح معرفة) أي ظهورها كمن شاهده صلى الله تعالى عليه وسلم وعاين معجزاته (ودوام حاله)

(وحضور قلب) أي بالغيبة عن غير الرب وهو حال الاطمئنان ومقام الاحسان الذي بينه عليه الصلاة والسلام بقوله الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه ولاشك ان مقام الاحسان وأحكام الاركان من أحكام الايمان وكمال الاتقان لان الايمان يقبل الزيادة والنقصان على هذا الوجه كما حققناه في شرح الاربعين ودققناه في شرح الفقه الاكبر بتوفيق المعين (وفي بسط هذا) أي المبحث الشريف (خروج عن غرض التأليف) لان المقصود منه اداء حقوق صاحب الاصطفاء بمتابعته على وجه الاستيفاء (وفيما ذكرنا غنية) أي استغناء عن تطويله (فيما قصدنا) أي أردنا (ان شاء الله تعالى) أي ان كان على وفق ارادته سبحانه * (فصل) * (وأما وجوب طاعته) أي اطاعة النبي عليه الصلاة والسلام في حكومته واتباع شريعته (فاذا وجب الايمان به وتصديقه فيما جاء به)

مجملا (وجبت طاعته) أي مطلقا وهو جواب الشرط (لان ذلك) أي وجوب طاعته (مما أتى به) أي من جملة ما جاء به من الدين بالضرورة (قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله) ذكر الله تحسين وتزيين وتوطئة وتنبيه على ان طاعته في طاعة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم بشهادة افراد الضمير في قوله ولا تولوا عنه أي عن رسوله وبدليل قوله تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله أو يقال افراد الضمير ايماء الى ان طاعتين متلازمتان أو الضمير الى كل واحد منهما والاظهر ان المعنى أطيعوا الله تعالى فيما أنزل من كتابه والرسول فيما أوحى اليه من خطابه في مقام ايجابه (وقال قل أطيعوا الله والرسول) ولم يقل وأطيعوا الرسول لما سبق من تلازم الطاعتين وتداوم الحالتين واما حيث قال أطيعوا الله وأطيعوا الرسول كما في نسخة صحيحة فللاشارة الى استقلاله بالطاعة فيما ثبت عنه بالسنة وضبط الشريعة (وقال وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون) أي باطاعتهما ومتابعة شريعتهما (وقال وان تطيعوه) أي نبي الخلق (تهتدوا) أي الى الحق (وقال من يطع الرسول فقد أطاع الله) لانه المبلغ والآمر في الحقيقة هو الله وقد نزلت الآية في المنافقين حين قال النبي عليه الصلاة والسلام من أحبني فقد أحب الله ومن أطاعني فقد أطاع الله فقالوا لقد قارف الشرك وهو ينهى عنه ما يريد الا أن نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى (وقال وما آتاكم الرسول فخذوه) أي أعطاكم من أمره وامتثاله فتمسكوا به (وما نهاكم عنه) أي عن اتيانه (فانتهوا) أي عنه لوجوب طاعته وامتثال متابعته

أي استمرار التصديق وامتداده فانه زيادة فيه (وحضور قلب) أي حضور التصديق به حتى لا يغفل عنه قلبه المطمئن (وفي بسط هذا) أي بسط الكلام فيما ذكر وذكر تفاصيله وتحقيق أدلته مع مالها وعليها (خروج عن غرض التأليف) أي المقصود منه وهو بيان علو مقامه صلى الله تعالى عليه وسلم وما يجب له وهذا يكفي فيه الاجمال وقطع النظر عن الاستدلال (وفيما ذكرناه غنية) بضم الغين المعجمة ونون ساكنة وياء مثناة تحتية مفتوحة أي كفاية مغنية عن غيره (فيما قصدناه) في هذا الكتاب (ان شاء الله تعالى) وهذا الذي ذكره المصنف مذهب المحققين الاظهر المختار ان التصديق يزيد وينقص بكثرة النظر ووضوح الادلة ولا شك في ان ايمان الصديقين أقوى من ايمان غيرهم

* (فصل وأما وجوب طاعته صلى الله تعالى عليه وسلم) * بامتثال أوامره واجتناب نواهيه (فاذا وجب الايمان به وتصديقه فيما جاء به) من الله وقد علم هذا مما تقدم في أول الباب (وجبت طاعته) لان من صدقه وأخبر بما يلزمه اتباع أمره ونهيه فلو خالفه من غير انكار منه كان عاصيا بترك ما يجب عليه (لان ذلك) أي وجوب طاعته (مما أتى به) عن الله بوحيه كما يدل عليه ما (قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله) قدم طاعة الله تمهيدا لوجوب طاعة رسوله واشارة الى ان طاعته تعالى بطاعة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم وهما شيء واحد ولذا أفرد الضمير في قوله ولا تولوا عنه وهو قياس منطقي تقديره وجوب طاعته مما أتى به من عند الله وكل ما أتى به من عند الله يجب الايمان به فيجب طاعته وشرك بينهما في صيغة الامر كما ذكرناه (وقال الله تعالى قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول) قال القاضي أمره الله ان يبلغ المؤمنين ما خاطبهم به مبالغة في تبكيتهم يعني ان هذه الآية نزلت في بشر المنافق لما دعى خصماله يهوديا الى كعب بن الاشرف ودعاه خصمه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الآتي بيانه ولا ينافي هذا ان الكلام في وجوب طاعته على المؤمنين لان العبرة بعموم اللفظ دون خصوص السبب (وقال تعالى وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون) الترجي بلعل وعسى على لسان العباد للاشارة الى عزة المطلوب وان العبد دائما بين الرجاء والخوف (وقال تعالى وان تطيعوه تهتدوا) فجعل هدايتهم متوقفة على طاعته والهداية للحق والايمان وغيره أمر لازم لهم (وقال من يطع الرسول فقد أطاع الله) فجعل طاعته هي طاعة الله لانه لا يأمر الا بأمره ولا ينهى الا بنهيه ولذا أردفه بقوله (وقال تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) هذا محمول على العموم في جميع أوامره ونواهيه لانه لا يأمر الا بصلاح ولا ينهى الا عن فساد وان كانت الآية نزلت في الفيء والغنائم كما يدل عليه قوله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه اذ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب كما تقرر فلا يتوهم انها غير

(وقال ومن يطع الله والرسول فاولئك الآية) أى فالذين أطاعوهما يكونون (مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين) المبالغين فى التصديق والصدق والتحقيق من العلماء والاولياء (والشهداء والصالحين) أى القائمين بحقوق الله وحقوق خلقه الجامعين بين تعظيم أمره والشفقة على عباده ومن بيانية حال منه أو من ضميره (وحسن أولئك رفيقا) أى لانهم فى أعلى عليين (ذلك الفضل من الله) أى لايجب عليه سبحانه وتعالى شئ (وكفى بالله عليما) أى بالمطيعين والعاصين (وقال وما أرسلنا من رسول الاليطاع باذن الله) أى بامره وتيسيره (فجعل) أى الله (طاعة رسوله طاعته) أى طاعة نفسه بقوله من يطع الرسول فقد اطاع الله (وقرن طاعته بطاعته) أى فى كثير من آياته (ووعد على ذلك) أى ماذكر من الطاعة والاطاعة (بجزيل الثواب) بقوله تعالى فاولئك مع الذين أنعم الله عليهم الآية (وأوعد على مخالفته بسوء العقاب) بقوله فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم (وأوجب امتثال أمره واجتناب نهيه) بقوله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا (قال المفسرون والائمة) أى المجتهدون (طاعة الرسول فى التزام سنته) أى طريقته ومواظبة متابعته (والتسليم) أى الاذعان والانقياد (لماجاء به) أى من شريعته (وقالوا) أى المفسرون (ماأرسل الله من رسول الافرض طاعته على من أرسله اليهم) ونهاهم عن معصيته لقوله تعالى وما أرسلنا من رسول الاليطاع باذن الله أى الاليطيعه من بعث اليهم بسبب اذنه لهم فى طاعته أو بتوفيقه لمتابعته فمن لم يطعه فى شريعته ولم يرض برسالته فهو كافر فى ملته (وقالوا

مناسبة لماهو بصدده (وقال ومن يطع الله والرسول فاولئك) المطيعون (مع الذين أنعم الله عليهم الآية) من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وسيأتى ان هذه الآية نزلت فى ابن عبد ربه الانصارى حين قال للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم اذامت كنت فى عليين فلا نراك وذكر شدة حزنه لذلك فنزلت فلما مات رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم دعى الله ان يعمى بصره حتى لايرى غيره فعمى مكانه وهو الذى رأى واقعة الاذان وقيل نزلت فى ثوبان مولاه صلى الله تعالى عليه وسلم وكان شديد الحب لرسول الله لايصبر عن رؤيته فحزن حتى تغير لونه فساله رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن ذلك فقال مابى ضر غير انى لاأصبر عنك فذكرت الآخرة وانى لاأراك ثمة لرفعة مقامك وهبوط منزلتى والمراد بالمعية سهولة الاجتماع والتزاور بينهم فى الجنة وان تفاوتت مراتبهم ومنازلهم فيها (وقال الله تعالى وما أرسلنا من رسول الاليطاع باذن الله) الاذن مجاز عن ارادة التسهيل والتوفيق أو هو نفس التسهيل والتوفيق أى الاليطيعه من بعث اليه ويرضى بحكمه فمن لم يرض به لم يرض برسالته فهو تارك لما يجب عليه كافر وقيل اذنه بمعنى أمره وقال القاضى كأنه أى الله احتج بذلك على ان الذى لم يرض بحكمه وان أظهر الاسلام كافر مستوجب القتل انتهى وقيل فى توجيهه ان لم يرض بحكمه لم يرض بحكم الله تعالى ومن لم يرض بحكم الله فهو كافر ولذا لما تخاصم المنافق واليهودى وطلب اليهودى حكم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكان محقا بعلم حكم رسول الله له فابى المنافق وطلب ان يتحاكما عند كعب بن الاشرف وأبى اليهودى وأتى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فحكم له فلم يقبل المنافق فاتيا أبا بكر رضى الله تعالى عنه فحكم بما حكم به رسول الله فلم يرض فاتيا عمر وذكر له اليهودى ماوقع فقال رويدكما ودخل بيته وخرج بسيفه وضرب به المنافق فقتله وبلغ ذلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلم ينكره (فجعل طاعة رسوله طاعته) فهما شئ واحد لانه لايامر الابامره ولاينهى الابنهيه بنص قوله تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله (وقرن طاعته بطاعته) فى القرآن كما فى قوله تعالى أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وفيه من تعظيمه ووجوب طاعته مالايخفى (ووعد على ذلك بجزيل الثواب واوعد على مخالفته بسوء العقاب) الجزيل بمعنى العظيم أو الكثير وعبر فى جانب الثواب بالوعد وفى جانب العقاب بالايعاد المزيد لما اشتهر من الفرق بينهما فى أصل الاستعمال كما قال الشاعر

وانى وان أوعدته أو وعدته * لمخلف ايعادى ومنجز موعدى

وقد يستعمل كل منهما فى مكان الآخر لنكتة وقد تقدم الكلام على ذلك مبسوطا فى خطبة الكتاب وسوء العقاب بمعنى العقاب السيئ وهو ظاهر (واوجب) الله تعالى (امتثال أمره) بالاتيان بما أمر به (واجتناب نهيه) بتركه مانهاه عنه فقال وما آتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا كما تقدم بيانه (وقال المفسرون) فى تفاسيرهم (والائمة) أى أئمة الدين من الفقهاء والمحدثين (طاعة الرسول) التى أمرنا الله تعالى عز وجل بها فى القرآن متحققة ومتبينة (فى التزام سنته) أى المداومة على سلوك طريقته فالسنة بمعناها اللغوى فيعمل ماعمله ويترك ماتركه (والتسليم) أى الانقياد والمتابعة له (لماجاء به) من شرعه الموحى اليه الذى أخبرنا به وتصديقه فيما أخبر به من غير تحكيم العقل (وقالوا) أيضا (ما أرسل الله من رسول) من زائدة فى النفى لتاكيد العموم (الافرض طاعته) أى جعلها فرضا متحتما يثاب فاعله ويعاقب تاركه (على من أرسله اليه) لتبليغ شرعه والضمير لمن باعتبار لفظه (وقالوا) أى

من يطع الرسول في سنته) الاولى سننه بصيغة الجمع ليلائم قوله (يطع الله في فرائضه) جواب الشرط والمعنى من يطع الرسول فيما أمر به ونهى عنه مما لم يرد به القرآن الكريم يطع الله في فرائضه الثابتة في الفرقان العظيم لان أمره ونهيه من أمره ونهيه لقوله تعالى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى ولقوله عليه الصلاة والسلام لا ألفين أحدكم على أريكته يأتيه الامر مما أمرت أو نهيت فيقول لا أدري ما وجدنا في كتاب الله عملنا به فهذا نهي مؤكد منه صلى الله تعالى عليه وسلم لمن لم يعمل بسنته اذ العمل بها كالعمل بكتاب الله وشريعته (سئل سهل بن عبد الله) أي التستري (عن شرائع

الاسلام) أي جميعها (فقال وما آتاكم الرسول فخذوه) أي تمسكوا به في أمره ونهيه (وقال السمرقندي) أي الفقيه أبو الليث رحمه الله تعالى (يقال أطيعوا الله في فرائضه والرسول في سنته) أي شريعته الشاملة لفريضته وسنته المستفادة من أحاديثه الواردة وفي طريقته (وقيل أطيعوا الله تعالى فيما حرم عليكم) والاول أبلغ لان الفرض يشمل فعل الواجب المحتم وترك الفعل المحرم (والرسول فيما بلغكم) أي أوصلكم من أمره ونهيه ولو لم يسنده الى ربه (ويقال أطيعوا الله بالشهادة له بالربوبية) أي بوصف الوحدة ونعت العبودية له وحده (والنبي بالشهادة له بالنبوة) أي المقترنة بالرسالة وفي نسخة بالرسالة والاولى أشمل والثانية أكمل وكان الجمع بينهما أفضل اظهارا للنعمة بهما عليه وتعظيما للمنة لديه والمعنى ان هذه الاطاعة أقل ما يطلق عليه اسم الطاعة (حدثنا أبو محمد بن عتاب) بفتح فتشديد فوقية (بقراءتي عليه) أي لا بسماعي لديه (ثنا) أي قال حدثنا (حاتم بن محمد) أي ابن الطرابلسي (ثنا) أي حدثنا (أبو الحسن علي بن محمد بن خلف) بفتحتين وهو القابسي (ثنا) أي حدثنا (محمد بن أحمد) وهو أبو زيد المروزي (ثنا) أي حدثنا (محمد بن يوسف) أي الفربري (ثنا) أي حدثنا (البخاري) وهو صاحب الصحيح (ثنا) أي حدثنا (عبدان) بفتح فسكون موحدة وهو بوزن التثنية غير مصروف وهو العتكي المروزي يقال تصدق بالف ألف (أنا) أي أخبرنا (عبد الله) أي ابن وهب فيما يغلب على الظن لان مسلما روى هذا عن اثنين عنه به

المفسرون والائمة (من يطع الرسول في سنته) بنون مشددة وتاء مثناة فوقية أي في طريقته وشريعته من أمر ونهي وسنة وفرض وليس المراد بها ما يقابل الفرض كما يوهمه قوله (يطع الله في فرائضه) جمع فريضة بمعنى الفرض وفي بعض النسخ سننه بنونين جمع سنة ويحتمل ان تفسر السنة والسنن بمعنى ما يقابل الفرض لان من اتبع الرسول فيما سنه من غير ايجاب عليه كان متبعا له في فرائض الله الطريق الاولى والمراد ان طاعة الله وما جاء به عن طاعة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم لا ينفصل أحدهما عن الآخر وفي الام للشافعي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ألفين أحدكم متكئا على أريكته يأتيه ما أمرت أو نهيت فيقول لا أدري ما وجدنا في كتاب الله عملنا به وسيأتي بيان ألفاظه عند ذكر المصنف رحمه الله له قريبا مرتين لامر اقتضاه فهذا بيان لان العمل بسنة رسول الله عمل بكتاب الله وهو معنى ما قالوه هنا (وسئل سهل بن عبد الله) التستري الامام الزاهد المشهور (عن شرائع الاسلام) أي ما المقصود منها والمراد (فقال) سهل في الجواب (وما آتاكم الرسول فخذوه) أي تمسكوا به (وقال) الامام أبو الليث الفقيه المشهور (السمرقندي يقال) في طاعة الله ورسوله ان معناه (أطيعوا الله في فرائضه) أي فيما افترضه عليكم في كتابه الكريم (والرسول في سنته) أي ما سنه وشرعه لنا (وقيل) في معنى أطيعوا الله وأطيعوا الرسول (أطيعوا الله فيما حرم عليكم) باجتناب جميع محرماته وكان الظاهر ان يقال فيما أوجبه وحرمه وغيره كما عمم اتباع الرسول بقوله (والرسول) أي وأطيعوا الرسول (فيما بلغكم) عن الله من أوامره ونواهيه مخلصا في ذلك فانه مأمور بتبليغه * وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى (ويقال) في معناه (أطيعوا الله بالشهادة) أي الاقرار والاعتراف (له بالربوبية) أي انه رب خالق مالك لجميع الموجودات متفرد بالملك والربوبية (والنبي) بالنصب أي وأطيعوا النبي عليه السلام (بالشهادة له بالنبوة) المراد بالنبي هنا محمد صلى الله عليه وسلم فال للعهد وهو الفرد الكامل المتبادر عند الاطلاق فيدل حينئذ على رسالته وانه رسول وان قلنا النبي أعم من الرسول بناء على المشهور فلا حاجة لما قيل ان المراد النبوة المقترنة بالرسالة وانه كان ينبغي له الجمع بينهما اظهارا للنعمة بهما عليه وتعظيما للمنة لديه والعدول عن الظاهر ان قلنا ان النبوة أفضل ظاهر لرعاية السجع كما قيل (حدثنا أبو محمد بن عتاب بقراءتي عليه) وهو حديث رواه الشيخان ومحمد بن عتاب تقدمت ترجمته قال (حدثنا حاتم بن محمد) المعروف بابن الطرابلسي كما تقدم قال (حدثنا أبو الحسن علي بن محمد بن خلف) الحافظ القابسي كما تقدم قال (حدثنا محمد بن أحمد) وهو أبو زيد المروزي كما تقدم قال (حدثنا محمد بن يوسف) الفربري راوي صحيح البخاري كما تقدم قال (حدثنا البخاري) قال (حدثنا عبدان) يعني عبد الله بن عثمان بن جبلة بفتح الجيم والموحدة ابن أبي رواد الحافظ المروزي الفقيه الثقة توفي سنة احدى وعشرين ومائتين قال (أخبرنا عبد الله) بن

(أنا) أي أخبرنا (يونس) أي ابن يزيد الايلي أحد الاثبات روى عن القاسم وعكرمة والزهري وعنه ابن المبارك وابن وهب أخرج له أصحاب الكتب الستة (عن الزهري) تابعي جليل (قال أخبرنا أبو سلمة بن عبد الرحمن) أحد الفقهاء السبعة على قول الاكثر (انه سمع أبا هريرة رضي الله تعالى عنه يقول ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال من أطاعني) أي فيما جئت به عن الله تعالى (فقد أطاع الله) لقوله تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله (ومن عصاني فقد عصى الله) وهو اللازم لجعل طاعته طاعته والحاصل ان الاول معلوم الكتاب والثاني مفهوم الخطاب (ومن أطاع أميري فقد أطاعني) أي بطريق القياس لان طاعته من طاعته لكن بشرط ان يأمر بطاعته لا بمعصيته كما يستفاد من اطاعته فقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق والحديث الاول رواه الشيخان وان أسنده المصنف من طريق البخاري (وطاعة الرسول من طاعة الله اذ الله أمر بطاعته فطاعته امتثال لما أمر الله وطاعة له) أي للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم باتباعه فيما أمر ونهى ومن جملة ذلك تأمير أميره هنالك (قد حكى الله تعالى عن الكفار في دركات جهنم) أي طبقاتها السفلية بحسب مقامات أهلها في المعاصي الجلية والخفية حيث قال (يوم تقلب وجوههم في النار) أي تصرف من جهة الى جهة استيعابا لجميع أعضائهم واستيفاء لسائر أجزائهم كقطعة لحم تدور في قدر غلت فترمى بها الغليان من ناحية الى أخرى والمراد من الوجوه ذواتهم أو أريد بها أشرف أعضائهم وألطف أجزائهم لاسيما وسائر البدن تابع لها في اقبالها وادبارها (يقولون ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا) باثبات الالف رسما واختلفت القراءة وقفا ووصلا (فتمنوا طاعته) أي حين شاهدوا التعب (حيث لا ينفعهم التمني وقال) وفي نسخة وقد قال (عليه الصلاة والسلام) أي فيما رواه الشيخان (اذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه واذا أمرتكم بشيء) وفي نسخة بأمر أي مأمور به ايجابا أو ندبا

(فاتوا

المبارك المروزي قال (حدثنا يونس) بن يزيد الايلي الامام الثقة توفي سنة تسع وخمسين ومائة وأخرج له أصحاب الكتب الستة (عن الزهري) محمد بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب الزهري الامام المشهور كما تقدم مرارا (قال أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن) أحد فقهاء المدينة السبعة على قول الاكثر واسمه عبد الله أو اسمعيل (انه سمع أبا هريرة يقول ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله) لانه لا يأمر الا بما أمر الله به ولا ينهى الا عما نهى الله تعالى عنه فمن امتثل أمره واجتنب نهيه امتثل أمر الله ونهيه أو ان الله عز وجل أمر بطاعة رسوله وأمره ونهيه فمن امتثل أمره ونهيه أطاع الله في أمره ونهيه بطاعته كما تقدم (ومن أطاع أميري) أي من جعله هو أو خلفاؤه حاكما على أمته (فقد أطاعني) لان طاعته طاعة من أمره لانه مبلغ عنه (ومن عصى أميري فقد عصاني) قيل ان قريشا وسائر العرب كانوا لا يعرفون الامارة وانما كانوا يطيعون رؤساء قبائلهم فلما ظهر الاسلام وولي عليهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الامراء أنكروا ذلك ولم يطيعوا الامراء فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك اعلاما لهم بانهم يلزمهم اطاعة امرائه وتوقيرهم والاقتداء بهم في أقوالهم وأفعالهم ورواه مسلم الامير بالالف واللام (وطاعة الرسول) أي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (من طاعة الله) المرسل له (اذ الله أمر بطاعته) أي لان الله أمر جميع الناس باتباعه فيما جاء به من الله (فطاعته) أي الرسول ورسوله (امتثال لما أمر الله به) في قوله أطيعوا الرسول (وطاعة له) أي لله لانه أمرهم اجمالا بطاعته فطاعته طاعة لربه لانا نطيعه لامرنا بطاعته في أوامره ونواهيه وهو انما يأمرنا بما أمر الله تعالى بتبليغه وما ينطق عن الهوى ويدخله ما كان باجتهاده لانه أمر بالاجتهاد على الاصح وهذا بسط لما قدمه وايضاح له ولا تكرار فيه كما قيل (و) قد (حكى الله عن الكفار) ما سيقولونه أي ذكر في القرآن اخبارا عنهم بما سيكون وهذه العبارة مأثورة عن السلف من غير انكار لها الا ان العارف بالله ابن عباد المغربي قال انه ليس بصواب لان كلام الله صفة قديمة فلا يقال حكى الله في كلامه عن كذا لان الحكاية متأخرة عن المحكي وانما يقال أخبر الله ونحوه انتهى وهذا لا وجه له لانه تعالى قال نحن نقص عليك والقصص والحكاية بمعنى وما احتج به لا حجة له فيه فانه وارد على الاخبار بعينه من غير فرق (في دركات جهنم) أي محلهم الاسفل فيها (يوم تقلب وجوههم في النار) أي تصرف من جهة الى أخرى لاضطرابهم فهي كقطع لحم تغلي في قدر يفور أو تقلبها تغيرها عن حالها وهيآتها أو تبدل ألوانها وخص الوجه لانه أشرف الاعضاء وأظهرها أو المراد به الجملة (يقولون ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا) اذ سلم مما نحن فيه لندمهم حيث لا ينفعهم الندم (فتمنوا طاعته) صلى الله تعالى عليه وسلم (حيث لا ينفعهم التمني) أي في زمان أو مكان لا ينفعهم تمنيهم فيه والتمني طلب ما لا يمكن حصوله (وقال صلى الله تعالى عليه وسلم) في حديث رواه الشيخان (اذا نهيتكم عن شيء) محرم أو مكروه (فاجتنبوه) أي اتركوه كأنه طرح في جانب منكم (واذا أمرتكم بأمر) أي بمأمور به ايجابا أو ندبا

(فأتوا منه ما استطعتم) أي قدرتم عليه من غير ترك للواجب بغير عذر واول هذا الحديث دعوني ما تركتكم انما اهلك من قبلكم بسؤالهم واختلافهم على انبيائهم فاذا نهيتكم عن شئ فاجتنبوه الى آخره وسببه انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال في خطبة ان الله قد فرض عليكم الحج فحجوا فقال رجل اكل عام يارسول الله فسكت حتى قالها ثلاثا فقال لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم ثم قال دعوني الحديث وزاد الدارقطني فنزلت يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم وروى ذلك عن ابن عباس في التفسير وشئ عام خص منه ما اكره عليه المكلف وفيه خلاف هل الاكراه على المعصية يبيحها أو هي باقية على حرمتها ولا يأثم مرتكبها وهو مبني على الخلاف في ان المكره مكلف أم لا ومعنى ائتوا منه ما استطعتم افعلوا على قدر استطاعتكم قال النووي وهذا الحديث من جوامع الكلم وقواعد الاسلام يدخل فيه كثير من الاحكام كمن عجز عن ركن من اركان الصلاة أو شرط من شروطها يأتي بمقدوره ولا يسقط عنه مقدوره ولذا قال الفقهاء الميسور لا يسقط بالمعسور وفي الحديث اشارة الى اعتناء الشارع بالمنهيات لاطلاقه الاجتناب ولو مع مشقة الترك وتقييد المأمورات بالاستطاعة والطاقة كما قاله أحمد بن حنبل * فان قلت الاستطاعة معتبرة في النهي فلا يكلف الله نفسا الا وسعها * قلت قال ابن حجر الاستطاعة لا تدل على المدعى وهو الاعتناء بل هو جهة الكف وكل أحد قادر عليه لولا داعية الشهوة فكل أحد قادر على الترك بخلاف الفعل فان العجز عنه محسوس فلذا قيد الامر بالاستطاعة دون النهي وقال الماوردي الكف عن المعاصي ترك وهو سهل وعمل الطاعة فعل وهو شاق فلذا لم يبح ارتكاب المعاصي مع العذر وابيح ترك العمل للعذر وقال بعضهم في قوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم انه يتناول امتثال المأمور واجتناب المنهي وقيد الامر بالاستطاعة لكثرته فان العجز في النهي محصور في الاضطرار لقوله الا ما اضطررتم اليه وقيل ان قوله اتقوا الله ما استطعتم منسوخ بقوله اتقوا الله حق تقاته والصحيح انه غير منسوخ والمراد بحق تقاته امتثال أمره واجتناب نهيه مع القدرة دون العجز عنه (وفي حديث أبي هريرة) رضي الله تعالى عنه الذي رواه الحاكم (كل أمتي) يعني أمة الاجابة (يدخلون الجنة) الضمير لكل باعتبار معناه ويجوز افراده باعتبار لفظه ولفظ الحاكم كلكم يدخل الجنة والخطاب خطاب مشافهة للامة أيضا وقيل انه لم يره بهذا اللفظ والسيوطي في تخريجه سكت عنه لنكتة (الامن أبى) أي امتنع ثم فسره بقوله (قالوا يارسول الله ومن يابى) فهموا منه انه أبى دخول الجنة ولا يأباها أحد لانه روى كما في النهاية وشرد (قال) صلى الله تعالى عليه وسلم مجيبا لهم (من أطاعني) وانقاد ممتثلا لامري ومجتنبا لنهيي (دخل الجنة) وفاز بنعيمها المقيم (ومن عصاني) وخالفني (فقد أبى) أي امتنع من دخول الجنة لانه بسبب تركه للطاعة باختياره كانه دعي الى الجنة فامتنع واعلم انه ان أريد بالعصاة المذنبون من المؤمنين فهو تمثيل ولا ينافي العفو عنهم ولا اخراجهم من النار وان أريد الكفار فهو استعارة أيضا والمراد خلودهم في النار قال التلمساني بعد قوله الامن أبى أي امتنع قولا وفعلا ولم يقبل شيأ فالامة أمة الدعوة أي كلهم الامن أبى وهم الكفار يدخلون الجنة ويحتمل ان يريد بالامة أمة الاجابة فابى هو العاصي من أمته فاستثناهم تغليظا عليهم وزجرا لهم عن المعاصي وزاد في الجواب فقد أبى توضيحا لبيان الصنفين والتقدير من أطاعني وتمسك بالكتاب والسنة دخل الجنة ومن أتبع هواه ضل عن سواء السبيل ودخل النار انتهى (وفي الحديث الآخر) عرفه اشارة الى انه معلوم مشهور لانه رواه البخاري في كتابه ولذا وصفه بقوله (الصحيح عنه عليه الصلاة والسلام مثلي ومثل ما بعثني الله به) ضرب للناس مثلا فيما جاءهم به مما يورث الفوز بخير الدارين وانتظام أمر المعاش والمعاد والمثل بفتحتين كالمثل والمثيل في الاصل بمعنى النظير كشبه وشبه وشبيه نقل الى قول شبه مضربه بمورده وأكثر ما يكون بامر عجيب غريب ثم نقل لكل حالة وقصة أو صفة والذي في البخاري مثل ما بعثني الله وليس فيه به فقال ابن حجر

(فاتوا منه ما استطعتم) أي من غير ترك لواجب (وفي حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عليه الصلاة والسلام كل أمتي) أي جميعهم (يدخلون الجنة الامن أبى) أي امتنع عن دخول الجنة والظاهر انه استثناء منقطع والمراد بالامة أمة الاجابة ودخول الجنة أعم من أن يكون أولا أو آخرا ولا يبعد أن يكون الاستثناء متصلا على ان المراد بالامة أمة دعوة وان المعصية مختصة بالكفر (قالوا من أبى) وفي نسخة قالوا يارسول الله ومن يابى أي عن دخول الجنة مع ان فيها حصول النعمة ووصول المنة (قال من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى) أي بتركه الطاعة التي هي سبب لدخولها وموجب لوصولها والحديث رواه الحاكم بلفظ كلكم يدخل الجنة الامن أبى الحديث كذا ذكره الدلجي وفي الجامع الصغير برواية البخاري عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ولفظه كل أمتي يدخلون الجنة الامن أبى من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى (وفي الحديث الآخر الصحيح) أي الذي رواه البخاري في صحيحه (منه عليه الصلاة والسلام مثلي ومثل ما بعثني الله تعالى به) أي مما يورث الفوز بنصر الدنيا وذخر العقبى والمعنى حالتنا العجيبة الشان وصفتنا الغريبة البرهان

(كمثل رجل أتى قوما) أى جاءهم يحذرهم من عدوهم وراءهم (فقال ياقوم انى رأيت الجيش) أى عسكر العدو (بعينى) بصيغة التثنية للمبالغة فى التاكيد ودفع توهم المجاز فى الخبر الا كيد (وانى انا النذير العريان) أى المخوف الذى ليس له غرض فى التحذير بل هو عار عن تلبيس وتدليس فى وصف النذر وقيل هذا مثل ضربه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم مبالغة فى صدق النذارة لانه اذا كان عريانا كان أبين وقيل بل كان يتجرد عن ثيابه و يلوح بها فى مقام خطابه ليجتمعوا اليه ويحققوا مالديه وقيل هو الذى سلب العدو ماعليه من الثوب فاتى قومه عريانا يخبرهم فصدقوه لما عليه من آثار الصدق (فالنجاء) بفتح النون قبل الجيم ممدودا وقد يقصر وهو منصوب على الاغراء أى الزموا النجاء وهو الاسراع الى المنجى والملجا فى حال البلاء لتسلموا من الاعداء وقيل انه منصوب على المصدر أى انجوا النجاء بمعنى أطلبوا النجاة وهو فى غالب النسخ مرة واحدة وفى بعضها النجاء النجاء مرتين للتاكيد أو احدهما اشارة الى أمر الدنيا والآخرة ايماء الى أمر العقبى (فاطاعه طائفة من قومه فادلجوا) بتخفيف الدال وقطع الهمزة وفى بعض النسخ بتشديدها ووصل الهمزة فقيل هما لغتان تستعملان فى سير الليل كله وقال أكثرهم ادلج سار آخر الليل وادلج سار الليل كله وقيل ان ساروا من آخر الليل فادلجوا بالتشديد وان ساروا من أول الليل فادلجوا بالتخفيف والقول الاكثر هو الاوسط المعتبر لكن المراد فى الحديث هو المعنى الاعم فتدبر (فانطلقوا على مهلهم) بسكون الهاء وبفتح أى فذهبوا على مهلتهم بوصف تؤدتهم من غير عجلتهم (فنجوا) أى فتخلصوا من عدوهم ونهبتهم وفى حديث على اذا سرتم الى العدو فهلا مهلا واذا وقعت العين على العين فمهلا مهلا قال الازهرى الساكن الرفق والمتحرك التقدم أى اذا سرتم فتأنوا واذا لقيتم فاحملوا أى وتعنوا (وكذبت طائفة منهم فاصبحوا مكانهم) أى دخلوا فى الصبح فى محلهم

(فصبحهم

انه مقدر وما موصولة وقيل عليه شرط حذف العائد المجرور جر الموصول بمثله لفظا ومعنى وان لم يتحدا متعلقا فما مصدرية لا عائد لها أقول ماذكره النحاة انما هو لجوازه قياسا مطردا الا لعدم صحته فيما سمع منه واقتضاه المقام وذكر المصنف رحمه الله تعالى له ان كان لرواية وقعت له فظاهر أو لبيان انه مقدر فيه فهو رواية بالمعنى يدل على ماقاله ابن حجر والمعنى عليه وفيما ذكره تكلف لايخفى (كمثل رجل أتى قوما) ليحذرهم و ينذرهم بعدوهم الذى قرب مجيئه لهلاكهم (فقال ياقوم انى رأيت الجيش) هم جمع كثيرون سائرون للمحاربة والقتال (بعينى) هو مفرد مكسور النون مضاف لياء المتكلم الخفيفة أو بفتحها وياء مشددة مفتوحة مثنى وهو للتاكيد الرؤية وتحقيق انها رؤية حقيقية بصرية ضرورية حسية (وانى انا النذير) المنذر المعلم بما يحذر قبل وقوعه (العريان) أى المجرد من ثيابه المكشوف جميع بدنه وهو مثل تمثله به صلى الله تعالى عليه وسلم والمراد به المبالغة فى انذاره ووضوح ما انذر به وعدم احتمال خلافه وأصله ان الرجل كان اذا رأى العدو وقرب جدا وليس بينه وبينهم حجاب يمنعهم عن رؤيته وخشى ان يسبق خبره وقف على مكان عال ونزع عنه ثوبه ورفعه يلوح به أى بادروا الى الحذر والفرار فقد جاءكم من العدو مالا تطيقونه وأصله كان فى رجل معين من خثعم قطع رجل يده و يد امرأته فاتى قومه يحذرهم بفعل ذلك وقيل انما هى امرأة وقيل هو عوف بن عامر اليشكرى وامرأة من كنانة وقيل امرأة من بنى عامر وقيل ابرهة الحبشى وقيل انه رجل سلبه العدو فاتى قومه عريانا لما انفلت منهم فتحققوا صدقه وعلى كل حال فهو استعارة ومن اللطائف ماقاله الامام السهيلى فى قوله تعالى يا أيها المدثر قم فانذر ان تعبيره بالمدثر والمزمل فيه ملاطفة له صلى الله تعالى عليه وسلم كانه يقول له انا أرسلتك نذيرا والنذير يكون عريانا الا ملفوفا بثيابه وهى نكتة سرية (فالنجاء) بالنصب على المصدر بعامل محذوف لضيق المقام ومعناه الخلاص والفرار أى انجوا النجاء بسرعة من غير لبث فناب عن عامله وعرف وهو ممدود أو مقصور بنية الوقف ورواه البخارى النجاء النجاء بالتكرير بمدهما وقصرهما وبمد الاول وقصر الثانى وهو منصوب على الاغراء أى أطلبوا النجاء الهرب و يجوز رفعه أى النجاء خير لكم (فاطاعه طائفة) أى جماعة وفرقة (من قومه) لما أتاهم وقال لهم ماقاله (فادلجوا) أى ساروا من أول الليل أو ساروا الليل كله هربا من عدوهم وهو بتخفيف الدال وتشديدها وقيل المخفف سير أول الليل والمشدد سير آخره والاسم الدلجة بالضم والفتح (وانطلقوا) أى ساروا طالبين النجاة من عدوهم (على مهلهم) أى متمهلين بتؤدة وتأن بعد ذلك أو فى سيرهم هذا لسعة وقتهم ومهل بفتح الميم مع فتح الهاء وسكونها و بضم الميم وسكون الهاء كما مر وفى مسلم مهلتهم بزيادة تاء والكل بمعنى واحد (فنجوا) بفتح النون مع الجيم أى سلموا من عدوهم (وكذبت طائفة منهم) النذير فى انذارهم بالعدو (فاصبحوا) أى مكثوا (مكانهم) أى فى مكانهم الذى كانوا فيه حتى دخلوا فى الصباح

(فصبحهم الجيش) أى أتاهم فى وقت الصباح (وأهلكهم واجتاحهم) بجيم ومثناة فوقية وألف وحاء مهملة أى أهلكهم جميعا واستأصلهم فلم يبق لهم باقية من الذرارى والأموال والجائحة الآفة التى تصيب الثمار فتستأصلها أى تفنيها من أصلها وكل مصيبة عظيمة فهى جائحة (فذلك) المذكور والمثل المضروب لكم (مثل من أطاعنى) فشبهوا بمن صدق النذير فنجا (واتبع ماجئت به) فصدقه وعمل بما أمره به مما أوحاه الله اليه فسلم ونجا وفاز بالسعادة الابدية واجتنب مانهاه عنه (ومثل من عصانى وكذب ماجئت به من الحق) فهم كمن كذب النذير ومكث مكانه حتى هلك ومن معه وفى شرح المشكاة للطيبى انه صلى الله تعالى عليه وسلم شبه نفسه وانذاره العذاب القريب بالرجل الذى أنذر قومه بالجيش المصبح وشبه من أطاعه من أمته ومن عصاه بمن كذب الرجل ومن صدقه وقيل عليه انما هو تشبيه تمثيلى شبه فيه المجموع وهيئته بالمجموع وهيئته لاتشبيه الاجزاء بالاجزاء فان الاول أبلغ وأحسن * أقول اعادة مثل فى الحديث تقتضى ماقاله الطيبى والمآل واحد وأبلغية ماذكره فى هذا المقام غير مسلمة بسلامة الامير وقيل انه تشبيه بليغ استعير فيه المثل الحال والقصة والصفة الغريبة العجيبة وهو وجه وجيه تحقيقه فى شروح الكشاف (فى الحديث الآخر) الذى رواه الشيخان (فى مثله) أى تمثيل حاله وصفته صلى الله تعالى عليه وسلم مع أمته فى دعوته لهم (كمثل) بفتحتين أى كصفة وقصة (من بنى دارا) عظيمة أنشأها وفرشها بفرش نفيسة (وجعل فيها مادبة) بميم مفتوحة وهمزة ساكنة ودال مهملة مثلثة والاشهر الضم ثم الفتح وباء موحدة وهاء وهى الاطعمة الكثيرة النفيسة المعدة لاكرام الضيوف والاحباب وفى القاموس انها طعام صنع لدعوة أو عرس والمشهور الاول فهى عامة لكل دعوة وفى فقه اللغة القرا بكسر القاف والقصر وفتحها والمد طعام الضيف الغريب وهو للزائر تحفة وللاملاك شنوخة وللعرس وليمة وللولادة خرس ولحلاق شعر المولود عقيقة وهو فى الاصل اسم لنفس الشعر من عقه قطعه وللختان عذيرة وللعلل قبل الغداء سلفة ولمستعجل الغداء عجالة وللكرامة منزلة من النزل انتهى والمأدبة من الادبة بالضم وهى الطعام (وبعث داعيا) يدعو لمنزله وأكل طعامه (فمن أجاب الداعى) أى امتثل دعوته وذهب معه (دخل الدار) التى بناها (وأكل من) طعام (المأدبة) التى أكرم بها (ومن لم يجب الداعى) لدعوته (لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة) التى حرم منها ثم فصل التشبيه وبينه وسكت عن بيان من بنى وهو الله الذى خلق الجنة وهيأ أسباب دخولها لظهوره مما بعده وهو قوله (فالدار الجنة) التى أعدها الله لمن اختاره من عباده ومادبتها مافيها من النعيم وما تشتهيه الانفس (والداعى لها (محمد) صلى الله تعالى عليه وسلم مما بلغهم عن الله وأمرهم به مما يدخلهم جنته ويوصلهم للسعادة والنعيم المخلد (فمن أطاع محمدا فقد أطاع الله) تقدم بيانه (ومن عصى محمدا فقد عصى الله) لان مخالفه مخالف لامر الله كما مر (ومحمد فرق بين الناس) فرق بفتح الفاء وسكون الراء المهملة وتنوينه مصدر بمعنى فارق بين المؤمنين والكافرين

(فصبحهم الجيش) بتشديد الموحدة أى نزلوا عليهم وقت صباحهم قبل رواحهم (فاهلكهم) أى الجيش (واجتاحهم) أى استأصلهم ولم يبق واحد منهم (فذلك) أى المثل المذكور مثل من أطاعنى أى انقاد لى فى الطاعة على وجه الصدق (واتبع ماجئت به) أى من الامر الحق فيه ايماء الى انه لاينبغى لاحد ان يكتفى بظاهر الطاعة عن اتباع ماجاء به من العبادة (ومثل من عصانى) أى بالوجه المطلق (وكذب ماجئت به من الحق) فيه اشارة الى ان مطلق العصيان غير ٣١٧ مستأصل للانسان بل للعصيان مع التكذيب هو الموجب لاستئصال البنيان لكونه كمال العدوان (وفى الحديث الآخر) أى الذى رواه الشيخان (فى مثله) بفتحتين أى فى تمثيله صلى الله تعالى عليه وسلم (كمثل من بنى دارا) وأصل هذا المثل منسوب الى الملائكة حيث قالوا فى حقه عليه الصلاة والسلام اما فى حال اليقظة واما فى حال المنام مثله كمثل رجل بنى دارا (وجعل فيها مادبة) بضم الدال المهملة وقد تفتح أى أطعمة ملونة موضوعة للدعوة (وبعث داعيا) أى الى الناس ليحضروها ويأكلوا منها (فمن أجاب الداعى) أى بقبول الدعوة (دخل الدار) أى دار النعمة (وأكل من المادبة) أى على قدر الطاقة فى الطاعة (ومن لم يجب الداعى لم يدخل الدار) أى دار القربة (ولم يأكل من المادبة) أى لان نصيبه الفرقة والحرقة (فالدار الجنة) اعدت للمتقين الذين أجابوا دعوة سيد المرسلين (والداعى) أى الى الله تعالى ودار نعمته (محمد) صلى الله تعالى عليه وسلم (فمن أطاع محمدا) صلى الله تعالى عليه وسلم (فقد أطاع الله) لانه الداعى اليه بامره (ومن عصى محمدا) صلى الله تعالى عليه وسلم (فقد عصى الله تعالى) أى بخروجه عن حكمه (ومحمد فرق) بفتح فسكون أى فارق (بين الناس) أى من المؤمنين والكافرين بتصديقه وتكذيبه فهو مصدر وصف به للمبالغة كرجل عدل وفى نسخة بفتح الراء مشددة ومخففة القاف أى فصل بينهم باعزاز المطيعين واذلال العاصين

*(فصل) * (واما وجوب اتباعه) أى متابعته (وامتثال سنته) أى طريقته (والاقتداء بهديه) أى سمته وحالته وسيرته (فقد قال الله تعالى قل ان كنتم تحبون الله) أى تدعون محبته وتريدون مودته (فاتبعوني) أى فيما يظهر مني من شريعته

وطريقته وحقيقته (يحببكم الله) جواب الامر وهو جواب الشرط أى يرض عنكم ويكشف حجب قلوبكم (ويغفر لكم ذنوبكم) أى جميع عيوبكم (وقال تعالى فآمنوا بالله ورسوله النبي الامى) وفي وصفه به تلويح الى ان كمال علمه من معجزاته (الذى يؤمن بالله وكلماته) أى بكتبه وآياته (واتبعوه) أى في أوامره وزواجره (لعلكم تهتدون) ببركات ظواهره وسرائره (وقال تعالى فلا وربك) زيدت لا لتاكيد معنى القسم كما قاله الدلجي تبعا لغيره لكن يأباه الجمع بين الفاء والواو فالاظهر ان تقديره فليس الامر كما يظنون من انهم يصلون الى الله تعالى من غير ان يتبعوا رسوله وربك (لا يؤمنون) أى بي ولا بك (حتى يحكموك) أى يجعلوك حكما (فيما شجر بينهم) أى اختلفوا في أمرهم ويرضوا بحكمك في حقهم (ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا) أى ضيقا (مما قضيت) أى حكمت به أو من حكمك (ويسلموا تسليما) مصدر مؤكد لفعله بمنزلة تكريره (أى ينقادوا لحكمك) يعني انقيادا كاملا يكون لجميع أحكامك شاملا ولظواهرهم وبواطنهم كافلا بحذف

باطاعته وعصيانه وروى فرق بصيغة الماضى مشدد الراء المهملة أى فرق بين مؤمنهم وكافرهم أو بين من دعى للجنة وبين من لم يدع لها وهذا أنسب بالسياق والمعنى واحد وأول هذا الحديث انه صلى الله تعالى عليه وسلم نام وكان اذا نام نفخ فجاءه ملائكة وهو نائم فقال بعضهم لبعض ان العين نائمة والقلب يقظان فقالوا امثله كمثل رجل الى آخره وفيه فقالوا أولوها له يفقهها فقالوا الدار الجنة الى آخره فالممثل الملائكة وكذا المبين له وهذه رواية غير رواية المصنف رحمه الله تعالى وفي رواية ان القائل جبريل وميكائيل ولا يخفى ان ظاهر الحديث انه تشبيه مركب فقول الكرمانى انه ليس المقصود تشبيه المفردات بل هو تشبيه تمثيل مما لا وجه له

*(فصل واما وجوب اتباعه صلى الله تعالى عليه وسلم وامتثال سنته) * السنة هنا بمعناها اللغوى وهى والطريقة والسيرة بمعنى وهى أقواله وأفعاله وتقريراته وليس المراد بها ما يقابل الفرض حتى يتوهم منافاتها للوجوب لانه معطوف على اتباعه (والاقتداء بهديه) هدى بزنة ضرب بمعنى سنته وطريقته أيضا وفي نسخة والاهتداء بهديه (فقد قال الله تعالى) هو جواب اما أى فقد ثبت ذلك بنص القرآن كقوله عز وجل (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني) أى اقتدوا بسنتي واهتدوا بهديي (يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم الآية) فسروا محبة الله ورسوله باتباعهما ومحبة الله بانعامه وفضله وهذا تفسير له بلازمه المتجوز فان المحبة الحقيقية ميل النفس لما يستلذه وهو غير متصور هنا ولذا قال الغزالى ان العصيان يضاد أصل المحبة وقال البيضاوى يحببكم الله يرضى عنكم ويكشف الحجب عن قلوبكم بالتجاوز عما فرط منكم ويقربكم من جناب عزه ويبوئكم في جوار قدسه عبر عن ذلك بالمحبة على طريق الاستعارة أو المقابلة أى المشاكلة ولبعض الشراح من المتاخرين هنا كلام لا طائل تحته غير التطويل (وقال) تعالى (فآمنوا بالله ورسوله النبي الامى) والايمان به وتصديقه يقتضى اتباعه وطاعته (الذى يؤمن بالله وكلماته) التى نزل بها الوحى عليه وما أوحى الى من قبله من الرسل من الكتب والشرائع وعبر عما ذكر بالكلمات اشارة الى انها بالنسبة لعلمه المحيط بكل شئ ولكلامه الذى يغنى مداد البحار في دواة الامكان كالكلمات القليلة وجمع بين النبوة والرسالة لان المقام مقام مدح واطناب ولانه يجب الايمان بكل من الوصفين وان كان ذكر الاخص يكفى هنا عنى الرسول وعبر بالظاهر ولم يقل بى لبلاغة الالتفات ولتجرى عليه الصفات الداعية للايمان به واتباعه وعبر بالرجاء في قوله (واتبعوه لعلكم تهتدون) أى راجين الاهتداء باتباعه تحريضا لهم على اتباعه وايماء الى ان من آمن به ولم يقتد بما شرعه لهم لا ينجو من الضلال والرجاء بالنسبة للمخاطبين أو هو مجاز عن التعليل كما ذهب اليه بعض النحاة (وقال الله تعالى فلا وربك لا يؤمنون) لا مزيدة للتاكيد أو نفى لما تقدمها أى ليس الامر كما يزعمون من انهم آمنوا بما أنزل اليك وقيل لا الثانية زائدة والقسم معترض بين حرفى النفى (حتى يحكموك) أى يرجعون لحكمك ويرضون به وهو غاية لصحة ايمانهم (فيما شجر بينهم) أى فيما وقع بينهم من المشاجرة وهى المخاصمة وأصل معناه الاختلاط ومنه الشجر لتداخل أغصانه واختلاطها (الى قوله تسليما) يعنى قوله تعالى ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما والحرج ضيق الصدر أو الشك وهذه الآية نزلت في بعض الانصار لما اختصم مع الزبير في ما سقى به أرضه وسياتى تفصيله (أى ينقادون لحكمك) تفسير لقوله ويسلموا تسليما وأكده ليفيد الانقياد ظاهرا وباطنا وفي نسخة ينقادوا وقيل وهو الظاهر لانه منصوب

(يقال) أي في اللغة (سلم) بتشديد اللام (واستسلم وأسلم اذا انقاد) أي مطلقا (وقال تعالى لقد كان لكم في رسول الله اسوة بضم الهمزة وكسرها أي خصلة (حسنة) من حقها ان يؤتى ويقتدى بها (لمن كان يرجو الله) أي ثوابه أو لقاءه (واليوم الآخر) أي نعيم الآخرة أو لمن كان يخاف عقابه أو حجابه واليوم الآخر أي حسابه وعذابه (وقال محمد بن علي الترمذي) أي الحكيم وهو ليس صاحب الجامع (الاسوة في الرسول) أي معناها في حقه (الاقتداء به) أي في أمر شريعته (والاتباع لسنته) أي طريقته (وترك مخالفته في قول أو فعل) وكذا في جميع ما علم من حالته (وقال غير واحد) أي كثير من المفسرين (بمعناه) أي بمعنى قول الحكيم وان اختلف عنهم مبناه (وقيل هو) أي قوله تعالى لقد كان لكم الآية (عتاب) أي ملامة من الله (للمتخلفين عنه) أي في غزواته وخصوص حالاته وعلو درجاته ورفعة مقاماته (وقال سهل) أي ابن عبد الله كما في نسخة وهو التستري من أكابر الصوفية (في قوله تعالى) أي في تفسيره (صراط الذين أنعمت عليهم قال بمتابعة السنة) وفي نسخة سنته أي أنعمت عليهم بسبب اتباع طريقته (فأمرهم الله تعالى بذلك) أي باتباع شريعته (ووعدهم الاهتداء باتباعه) أي بمتابعته حيث قال واتبعوه لعلكم تهتدون (لان الله تعالى أرسله بالهدى) أي بالهداية الموصلة الى المولى (ودين الحق) أي الملة الثابتة بمخالفة الهوى

بحذف النون لاسيما ان قيل ان أي عاطفة وليس بلازم لانه مفسر للجملة بتمامها الا للمضارع وحده (يقال سلم) بالتشديد (واستسلم) أي طلب السلامة بانقياده (وأسلم اذا انقاد) هذا هو المصرح به في كتب اللغة كما ذكره الراغب وغيره فما قيل ان المذكور في القاموس ان التسليم الرضاء والاستسلام الانقياد فلو فسر التسليم في الآية بالرضى الاخص كان أحسن ليس بشئ (وقال الله تعالى لقد كان لكم في رسول الله اسوة) بالكسر والضم أي قدوة يقال أسيته تعالى اسوة وواسيته لغة قليلة وقيل هي الصواب فهي الخصلة التي يراد الاتصاف بها (حسنة) أي خصلة حسنة من حقها ان يؤتسى بها أي يقتدى ويجوز ان يراد بالاسوة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم نفسه لانه قدوة يحسن التأسي به في أقواله وأفعاله وحسنة هنا على الاول صفة مؤكدة ويجوز ان يكون احترازا عما هو من خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم فتكون صفة مقيدة (لمن كان يرجو الله واليوم الآخر) أي يرجو ثوابه ولقاءه ونعيم الآخرة أو أيامه الآخر خصوصا مع قوله لمن كان وفي الكشاف ان لمن بدل من لكم وقبل والاكثر على ان ضمير المخاطب لا يبدل منه فهو صلة أو صفة لحسنة قرنت كثرته بالرجاء لايذانها بملازمة الطاعة اذا المؤتسي من شانه ذلك (قال محمد بن علي الترمذي) هو المعروف بالحكيم الترمذي الصوفي صاحب نوادر الاصول وليس هو صاحب السنن وقد تقدمت ترجمته (الاسوة في الرسول) تعريفه للعهد الخارجي فالمراد به محمد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أو هو للعهد الذهني أو الاستغراق فهو أعم أي في حق رسول من الرسل أو لكل رسول (الاقتداء به) في أقواله وأفعاله كما في قوله تعالى فبهداهم اقتده (والاتباع لسنته) أي لطريقته وشريعته (وترك مخالفته في قول) قاله أمرا أو نهيا أو ارشادا (أو فعل) فعله ليقتدى به فيه لانه ليس من خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم (وقال غير واحد) تقدم ان معناه ناس كثيرون (من المفسرين بمعناه) أي قالوا ولا يعني ما قاله الترمذي (وقيل) معنى الآية المذكورة (هو عتاب) من الله تعالى أي توبيخ ولوم (للمتخلفين عنه) صلى الله تعالى عليه وسلم ممن لم يخرج معه لمحاربة أعدائه لانهم كان عليهم ان يقتدوا به في جهاد أعداء الدين ومقاساة أهوال الحروب وكان ذلك في غزوة الاحزاب أو تبوك حبا للبقاء والراحة وكان عليهم المبادرة لطاعته صلى الله تعالى عليه وسلم وبذل أنفسهم له لانه سبب سعادتهم وحياتهم الابدية وفيه دليل على ماذكر على التفاسير ومعنى الظرفية ان قلنا الاسوة أفعاله وأقواله المتبعة ظرفية الموصوف للصفة لانها قائمة به كقيام المظروف بظرفه فان قلنا الاسوة نفسه صلى الله تعالى عليه وسلم فهو تجريد جعل كأنه فيه مقتدى به منتزع كقوله لهم فيها دار الخلد وليست هذه الظرفية كقولهم الدار في نفسها تساوي كذا وفي البيضة عشرون منا من حديد كما قيل وقد أشرنا الى ان الاقتداء انما يجب فيما ليس من خصائصه كالامور الجبلية فيه فانها لا يمكن ان تكون لغيره (وقال سهل) بن عبد الله التستري وقد قدمنا ترجمته (في قوله تعالى صراط الذين أنعمت عليهم) بين ما أنعم به على من سلك الطريق المستقيم (قال) سهل في تفسيره انه أنعم عليهم (بمتابعة السنة) أي اتباع طريقه الذي هو الصراط المستقيم الذي يجب اتباعه (فأمرهم الله تعالى بذلك) أي باتباعه (ووعدهم) الجزاء عليه أعني (الاهتداء باتباعه) أي حصول الهداية التي طلبوها بقولهم اهدنا الصراط المستقيم فقال واتبعوه لعلكم تهتدون وفيه ايماء الى ان الترجي من الله تعالى وعد لمن لا يخلف الميعاد (لان الله تعالى أرسله بالهدى) أي بما فيه هدايتهم (ودين الحق)

(ليزكيهم) أي يطهرهم من الشرك والمعاصي (ويعلمهم الكتاب) أي القرآن الجامع لمكارم الاخلاق (والحكمة) أي السنة أو الاحكام المحكمة والمعارف الصادرة عن أهل الحكمة ممن جمع بين ايقان العلم واتقان العمل (ويهديهم الى صراط مستقيم) هو الدين القويم بالطاعة في الدنيا وطريق الجنة في العقبى (ووعده) أي على اتباعه (محبته تعالى في الآية الأخرى) وهي قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم وهذا معنى قوله (مغفرته) أي ووعدهم غفران ذنوبهم (اذا اتبعوه) أي في الايمان به وامتثال أمره ونهيه (وآثروه) بالف ممدودة أي قدموه على أنفسهم وآثروه (على اهوائهم) واختاروا اهداه على آرائهم وأحبوه أزيد من آبائهم وأبنائهم (وما تحنح) بفتح النون وتضم أي وعلى ما تميل (اليه نفوسهم) أي من محبة الجاه والمال والجمال المتعلقة بالامور الدنيوية الشاغلة عن المراتب الدينية والمناقب الاخروية (وان صحة ايمانهم) أي وأخبر في قوله تعالى فلا وربك لا يؤمنون الآية ان صحته (بانقيادهم له) أي لامره (ورضاهم بحكمه) أي فيما شجر بينهم (وترك الاعتراض عليه) أي فيما حكم لهم أو عليهم (وروى) كما في تفسير ابن المنذر (عن الحسن) أي البصري (ان أقواما) أي جمعا كثيرا (قالوا يارسول الله انا نحب الله) أي ونطلب رضاه (فانزل الله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني الآية وروى) قال الدلجي لا أدري من رواه (ان الآية) أي هذه الآية (نزلت في كعب بن الاشرف) وهو يهودي قتل غيلة كافرا بالله تعالى (وغيره) أي من اليهود (وانهم قالوا نحن أبناء الله) النصارى زعما منهم انهم أشياع عزير (واحباؤه) يعنون به كما قال المصنف (ونحن أشد حبا لله) أي مقربون قرب الاولاد من آبائهم بل هم مبعدون عنه بعد اعدى الاعداء من أعدائهم اذ لو كانوا أبناءه وأحباءه لم ياتوا قبيحا من عيوبهم ولما عذبوا بذنوبهم مسخا في الدنيا ومسا بالنار دائما في العقبى لا أياما معدودات كما زعموا وتمنوا من جهة النفس والهوى وقد أجاب عنه سبحانه وتعالى بقوله قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء بالايمان ويعذب من يشاء الكفران والله على كل شيء قدير من الاحسان والخذلان (وهذا الاينا في قوله تعالى

أي الدين الحق أو دين الله (ليزكيهم) أي يطهرهم من الشرك والمعاصي (ويعلمهم الكتاب) أي القرآن (والحكمة) أي العلوم النافعة المحكمة والشريعة التي صيرتهم حكماء متقنون للعلم والعمل (ويهديهم الى صراط مستقيم) بالاسلام وطاعة الله ورسوله الموصل لهم للنعيم المقيم (ووعدهم محبته تعالى) أي محبة الله لهم فالمصدر مضاف لفاعله (في الآية الاخرى) يعني قوله تعالى ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله (ومغفرته) بقوله ويغفر لكم ذنوبكم (اذا اتبعوه) لان جواب الامر في معنى جواب الشرط (وآثروه) بالمد أي قدموه واختاروه من الاثرة (على اهوائهم) جمع هوى بالقصر وهو ما تميل اليه النفس وتدعو اليه وهو واذا اطلق يراد به ماليس بمحمود من الشهوات (وما تجنح) بجيم ونون وحاء مهملة ويجوز في نونه الفتح والضم والكسر بمعنى تميل وأصله الميل على أحد شقيه ماخوذ من الجناح (اليه نفوسهم) وضع الظاهر فيه موضع الضمير اذ المعنى يجنحون اليه ويقدمون اتباعه ومحبته على محبة أنفسهم وأموالهم وأولادهم والناس أجمعين كما ورد في الحديث (و) أخبرهم بـ (ان صحة ايمانهم في انقيادهم له) في جميع ما أمرهم به ونهاهم عنه (ورضاهم بحكمه) فيما تخاصموا فيه يعني قوله تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما (وترك الاعتراض عليه) فيما حكم به ومخالفته ومعارضته وعدم رضاه كما تقدم في قصة الانصاري مع الزبير (وروى عن الحسن) البصري رحمه الله تعالى والراوي له ابن المنذر في تفسيره ويحتمل انه الحسن بن علي رضي الله تعالى عنهما (ان قوما قالوا يارسول الله انا نحب الله) أي تميل اليه أنفسنا ونخصه بالعبادة والرغبة لما رغبنا فيه (فانزل الله) مبينا لهم محبتهم والمراد منها بقوله (قل ان كنتم تحبون الله الآية) أي فاتبعوني يحببكم الله يعني ان محبته انما تتحقق بطاعة الله وطاعته بطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن أحب الله أحبه الله كما قيل ما جزى من يحب الا يحب (وروى) في سبب نزول هذه الآية (ان الآية نزلت في كعب بن الاشرف) وهو رجل من عظماء اليهود من بني النضير وأمه من طي وقتل كافرا بعد بدر بستة أشهر كما تقدم وقصته مشهورة مفصلة في السير (وغيره) من اليهود أتباعه (وانهم) أي ابن الاشرف وأتباعه (قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه ونحن أشد حبا لله) وهذا ما حكاه الله تعالى عنهم في قوله تعالى وقالت اليهود والنصارى الى آخره وكانوا أتوه صلى الله تعالى عليه وسلم فانذرهم وخوفهم عذاب الله فقالوا ما تخوفنا يا محمد نحن أبناء الله الى آخره فقال لهم معاذ بن جبل وسعد بن عبادة وعقبة بن وهب يا معشر اليهود اتقوا الله فانكم تعلمون انه رسول الله وكنتم تصفونه قبل مبعثه فقالوا ما قلنا هذا وما أنزل الله بعد موسى كتابا ولا بعث رسولا ومعنى قول

النصارى نحن أبناء الله انهم أشياع عيسى صلى الله عليه وسلم لذى زعم وانه ابن الله ومعنى قالت اليهود ذلك انهم أشياع عزير الذى زعموا انه ابن الله وقيل تقدير رسل الله (فانزل الله تعالى الآية) جوابا لهم بقوله تعالى قل ولم يعد بكم الآية (وقال الزجاج) فى تفسير هذه الآية (معناه ان كنتم تحبون الله أى اقصدوا طاعته) اذ لا يصح تفسير المحبة فيها بما تعارفه الناس وفى نسخة ان تقصدوا هذا تفسير لمحبة العبد (فافعلوا ما أمركم) الله تعالى (به) الفاء فصيحة أى اتبعونى وافعلوا (اذ محبة العبد لله والرسول) أى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاللام عوض عن المضاف (طاعته لهما) باتباع أمرهما ونهيهما (ورضاه بما أمرا) بان يطيعه ظاهرا وباطنا اذ لو لم يطعه باطنا كان منافقا (ومحبة الله لهم) أى لعباده ففسر محبة الله بعد تفسير محبة عباده لذكرهما فى الآية (عفوه عنهم) بغفرة ذنوبهم وقدمه على قوله (وانعامه) أى الله (عليهم) أى على عباده (برحمته) اهتماما به والرحمة فى حق الله بمعنى الانعام وارادته فى حقه تعالى لان معناها الحقيقى لا يصح فى حقه تعالى فالمراد بها هنا الصفة بعباده ورأفته بهم (ويقال) فى تفسير محبة الله ومحبة عباده له ان معنى (الحب من الله عصمة) أى حفظ الله لعبده من مخالفة أمره ونهيه والعصمة بمعنى مطلق الحفظ لا تختص بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم فيكون لغيره ويجوز الدعاء بها لكل أحد كما تقدم والذى يختص به صلى الله تعالى عليه وسلم دون غيره وان يخلق الله فيه جبلة تمنعه عن كل ما لا يرضاه الله وان لا يقدر أحد على قتله ونحوه واليه أشار بقوله (وتوفيق) أى خلق الله فيه قدرة على طاعة الله ومراقبته فى السر والعلانية حتى يمتنع من المقبحات ومبدؤه ميل نفسانى يتعالى الله عنه (و) المحبة (من العباد) معناها (طاعة) وانقياد لله ورسوله (كما قال القائل) أى معنى ما ذكره هو معنى قول هذا الشاعر وهو كما فى زهر الآداب للحصرى محمود بن الحسن الوراق وقيل انه لمنصور الفقيه وهو بليغ مفلق كان فى أول الدولة العباسية وكان كثيرا ما يأخذ حكم المتقدمين من الفلاسفه وغيرهم فينظمها فى شعره كقوله

اذا كان شكرى نعمة الله نعمة * على له فى مثلها يجب الشكر
فكيف بلوغ الشكر الا بفضله * وان طالت الايام واتصل العمر
اذا مس بالسراء عم سرورها * وان مس بالضراء أعقبها لاجر
فما منهما الا له فيه نعمة * يضيق بها الاوهام والبر والبحر
تعصى الاله وأنت تظهر حبه * هذا لعمرى فى القياس بديع
لو كان حبك صادقا لاطعته * ان المحب لمن يحب مطيع

وفى معناه قول منصور الفقيه أيضا

غلط فاحش وجهل مبين * وعمى لا يحول لا بل جنون
طمع العبد فى كرامة مولاه * واصراره على ما يهين

ومعنى الشعر انك تدعى محبة الله وأنت عاص له ولو كنت صادقا لم تعص لان المحب لا يخالف حبيبه والعمر بفتح العين الحياة كالعمر بضمها الا انهم فى القسم التزموا فتحها الا شذوذا وهو مبتدأ خبره محذوف تقديره قسمى والقياس لغة تقدير الشئ بذراع ونحوه وفى الاصطلاح الحاق شئ بشئ لمناسبة بينهما ويطلق بمعنى الدليل المعروف والمراد قياسه بغيره وبديع بمعنى غريب عجيب يعنى ان المعاصى لا تضر المحب لان المتحابين لا يؤاخذ أحدهما الآخر وهو أمر عجيب ومقتضى القياس ان المحب لا يعصى أمر حبيبه ويجوز ان يراد القياس المنطقى كما قيل وهو تكلف

ماذكر من الآية أو معنى ان كنتم تحبون الله (ان تقصدوا طاعته) أى تريدوها وتحبوا القيام بحقها (فافعلوا ما أمركم به) أى رسولنا وهذا تفسير بالمعنى لقوله تعالى فاتبعونى أى اتبعوا أمرى ونهيى (اذ محبة العبد لله والرسول طاعته لهما ورضاه بما أمرا) أى ونهيا (ومحبة الله لهم) أى لعباده (عفوه عنهم) أى برأفته (وانعامه عليهم برحمته) حتى يدخلهم فى جنته (ويقال الحب من الله) أى للعبد (عصمة) أى حفظ له عن المعصية (وتوفيق) أى للعباد (ومن العباد) أى والحب من العباد لله (طاعة) له فى أمره ونهيه ومتابعة رسوله (كما قال القائل) قيل القائل رابعة العدوية وفى الاحياء ان قائله عبد الله ابن المبارك (تعصى الاله وأنت تزعم حبه * هذا) أى الجمع بين اختيار المعصية واظهار المحبة (لعمرى) بفتح العين اعتراض بين المبتدأ والخبر وما فى حيزه من جار ومجرور وخبر اقسم به والتقدير والله لبقائى أو لعمرى مما اقسم به ان هذا الامر (فى القياس) وفى نسخة فى الفعال وهو موافق لتفسيره أى

فانزل الله الآية) أى آية قل ان كنتم تحبون الله حيث لا مانع من تعدد الجواب فى مقام الخطاب والعتاب (وقال الزجاج معناه) أى معنى

الليث واحياء الغزالى (بديع) أى عجيب وغريب بعيد عن القياس أو من فعال الناس لانه (لو كان حبك صادقا لاطعته) كما هو القياس لكنك لم تطعه فلم يكن حبك له صادقا بدليل قوله (ان المحب لمن يحب مطيع) وفى رواية يطيع

(و يقال محبة العبد لله) أى غاية ميله اليه سبحانه وتعالى (تعظيم له) أى فى شانه (وهيبة منه) أى فى سلطانه (ومحبة الله له) أى للعبد (رحمته له) أى بانعامه فيكون من الصفات الافعالية (وارادته الجميل له) أى باكرامه فيكون من النعوت الذاتية والجميل منصوب على انه مفعول المصدر الذى هو ارادته (فتكون) أى وقد تكون المحبة (بمعنى مدحه وثنائه عليه) أى على العبد عند ملائكته وعلى ألسنة رسله أو على ألسنة الخلق فانها اقلام الحق (قال القشيرى) وهو الامام أبو القاسم صاحب الرسالة والتفسير (فاذا كان) أى الحب (بمعنى الرحمة والارادة والمدح كان من صفات الذات) والاظهر ماقدمناه (وسيأتى بعد) أى بعد ذلك (فى ذكر محبة العبد غير هذا) اى غير ماذكر هنا (بحول الله تعالى) أى بتصرفه وقوته وهو متعلق بسيأتى (حدثنا أبو اسحق ابراهيم بن جعفر الفقيه قال ثنا) أى حدثنا (أبو الاصبغ) بفتح الهمزة والموحدة وفى آخره غين معجمة (عيسى بن سهل وثنا) أى وحدثنا وفى نسخة وأخبرنا (أبو الحسن يونس بن مغيث) اسم فاعل من الاغاثة (الفقيه) أى الكامل فى الفقه (بقراءتى عليه) أى هذا الحديث (قالا) أى عيسى ويونس كلاهما (ثنا) أى حدثنا (محمد ابن حاتم) بكسر الفوقية (قال ثنا) أى حدثنا (أبو جعفر الجهنى) بضم ففتح نسبة الى قبيلة جهينة بالتصغير (ثنا) أى حدثنا (أبو بكر الآجرى) بهمزة ممدودة وضم جيم وتشديد راء وهو الامام الحافظ القدوة (ثنا) أى حدثنا (ابراهيم بن موسى الجوزى) بفتح الجيم وسكون الواو وكسر الزاى منسوب الى الجوز (ثنا) أى حدثنا (داود بن رشيد) بالتصغير خوارزمى روى عنه مسلم وأبو داود وابن ماجه والبغوى والسراج وخلق أخرج عنه الستة ماعدا الترمذى ووثقه غير واحد (ثنا) أى حدثنا (الوليد بن مسلم) هو الحافظ أبو العباس عالم أهل الشام روى عنه أحمد واسحق قال ابن المدينى مارأيت فى الشاميين مثله أخرج له الجماعة وهو مدلس (عن ثور بن يزيد) هو الحافظ الحمصى روى عن خالد بن معدان وعن عطاء وعنه القطان وأبو عاصم وكان ثبتا قدريا أخرجوه من حمص واحرقوا داره أخرج له البخارى والاربعة

(و يقال محبة العبد لله تعظيمه له وهيبته منه) أى خوفه اذا تأمل عظمته (ومحبة الله له) أى لعبده (رحمته له) أى احسانه واكرامه لان معناه الحقيقى لايليق به فاريد به غايته (وارادته) الفعل (الجميل له وتكون) بالمثناة الفوقية وفيه ضمير المحبة وقيل انه بالتحتية والضمير للجميل والاول أولى (بمعنى مدحه والثناء عليه) أى على العبد (قال القشيرى) الامام الزاهد أبو القاسم صاحب الرسالة وقد تقدمت ترجمته (فاذا كان) أى المحبة وذكره لتاويله أو لان تأنيث المصدر غير معتبر لتأويله بان والفعل او الضمير للجميل (بمعنى الرحمة والارادة) عطف تفسير لان الرحمة تفسر بالانعام فيكون من صفات الافعال (والمدح) فى كلامه الازلى كالثناء على المؤمنين فى القرآن (كان من صفات الذات) أما الارادة فظاهر وأما المدح فلانه يرجع لصفة الكلام والكلام على صفات الذات والافعال مفروغ منه فى علم الكلام (وسيأتى بعد) مبنى على الضم لقطعه عن الاضافة أى بعد هذا (فى ذكر محبة العبد غير هذا) فاعل سيأتى أى غير ماذكر هنا (بحول الله تعالى) أى باعانته وقوته لان الحول له معان منها هذا ثم ذكر حديثا مسندا رواه الآجرى شاهدا لوجوب اتباعه صلى الله تعالى عليه وسلم فقال (حدثنا أبو اسحق ابراهيم بن جعفر الفقيه) بن أحمد شيخ المصنف رحمه الله تعالى قال (حدثنا أبو الاصبغ عيسى بن سهل) أصبغ بصاد مهملة وموحدة وغين معجمة (ح وحدثنا) تقدم ان ح بحاء مهملة يذكرها المحدثون اذا أرادوا التحول من رواية لرواية أخرى كما بينه ابن الصلاح (أبو الحسن يونس بن مغيث) بميم مضمومة وغين معجمة وياء تحتية ساكنة ومثلثة (الفقيه بقراءتى عليه) قال (حدثنا حاتم بن محمد) تقدم بيانه قال (حدثنا أبو حفص الجهنى) نسبة لجهينة مصغرا قبيلة مشهورة قال (حدثنا أبو بكر الآجرى) بفتح الهمزة الممدودة وضم الجيم وتشديد الراء المهملة نسبة للآجر وهو الطوب المعروف وهو الامام الحافظ محمد بن الحسين وقد تقدم بيانه قال (حدثنا ابراهيم بن موسى الجوزى) بفتح الجيم وسكون الواو وزاى معجمة مكسورة وياء نسبة وهو أبو اسحق الجوزى نسبة لجوزة قرية من قرى بغداد وعلى هذا اقتصر الحافظ الحلبى وقال التلمسانى انه كذا فى أصل المصنف رحمه الله تعالى ورواه العزفى خوزى بخاء مضمومة وواو ساكنة وزاى معجمة نسبة لخوز جيل من الناس أو قرية مشهورة قال (حدثنا داود بن رشيد) بالتصغير علم منقول وهو أبو الفضل الخوارزمى الحافظ الثقة روى عنه أصحاب السنن وتوفى فى شعبان سنة تسع وثلاثين ومائتين (قال حدثنا الوليد بن مسلم) الحافظ أبو العباس عالم الشام صاحب التآليف الجليلة روى له أصحاب الكتب الستة الا انه نسب الى التدليس وفى سنة خمس وتسعين ومائة وله ترجمة فى الميزان (عن ثور بن يزيد) الحافظ الحمصى ثقة لكنه نسب الى القدرية حتى أخرج من حمص وتوفى سنة ثلاث وخمسين ومائة

(عن خالد بن معدان) هو الكلاعي عن معاوية وثوبان وغيرهما يقال كان يسبح في اليوم أربعين ألف تسبيحة وقيل غير ذلك أخرج له الجماعة (عن عبد الرحمن بن عمر السلمي) بضم ففتح هو الصواب كما في سنن أبي داود وجامع الترمذي وسنن ابن ماجه وفي بعض النسخ الاسلمي (وحجر) بضم مهملة وسكون جيم (الكلاعي) بفتح الكاف (عن العرباض) بكسر العين المهملة وفي آخره ضاد معجمة (ابن سارية) أي ابن نجيح السلمي من البكائين من أهل الصفة ٣٢٣ أخرج له أصحاب السنن الاربعة (في حديثه) أي في حديث رواه العرباض (في موعظة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين) أي الخلفاء الاربعة ومن سار سيرتهم كعمر بن عبد العزيز والراشد اسم فاعل من الرشد وهو خلاف الغي والمهدي من هداه الله تعالى الى الحق (عضوا) بفتح فتشديد (عليها بالنواجذ) بالذال المعجمة أي تمسكوا بها كما يتمسك العاض بجميع اضراسه (واياكم ومحدثات الامور) تحذير منها ومن الرضى بها جمع محدثة وهي ما لم يكن معروفا من كتاب ولا سنة ولا اجماع أمة (فان كل محدثة بدعة وكل بدعة) بالنصب وفي نسخة بالرفع (ضلالة) وخص منها البدعة الحسنة بحديث من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها ومنه قول عمر رضي الله تعالى عنه في التراويح نعمت البدعة هذه والحديث في الاربعين للنووي وقد أوضحنا في شرحه المبين المعين بيان مبناه وعيان معناه وقد أخرجه أبو داود في السنة عن أحمد بن حنبل عن الوليد بن مسلم بالسند الذي ساقه القاضي والترمذي في العلم وقال حسن صحيح وابن ماجه في السنة والمصنف عدل عن السنن الثلاث وأخرجه من خارجها طلبا للعلو في الاسناد فان بينه وبين شيخ شيخ أبي داود في هذا الحديث وهو الوليد بن مسلم ستة أشخاص ولا يتفق له ذلك في رواية أبي داود

ومائة (عن خالد بن معدان) الكلاعي الزاهد الفقيه الجليل أخرج له أصحاب الكتب الستة توفي سنة أربع وثمانين ومائة وقيل انه كان يسبح في كل يوم أربعين ألف تسبيحة (عن عبد الرحمن بن عمرو الاسلمي) كذا في النسخ وصوابه كما قال البرهان الحلبي السلمي بضم السين المهملة وفتح اللام وهو ابن عبسة وهو حافظ ثقة توفي سنة عشرة ومائة (وحجر الكلاعي) حجر بضم الحاء المهملة وسكون الجيم وراء مهملة والكلاعي بفتح الكاف ولام وألف وعين مهملة نسبة الى كلاع بزنة سحاب بلدة بالاندلس وذو الكلاع من ملوك اليمن المسلمين بالاذواء وهذه النسبة لاحدهما توفي سنة خمس وسبعين وروى له أصحاب السنن (عن) أبي نجيح (العرباض) بعين مهملة مكسورة وراء مهملة ساكنة وباء موحدة وضاد معجمة وأصله الطويل وتقدم الكلام عليه (ابن سارية) بسين مهملة وياء آخر الحروف صاحب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من أهل الصفة سكن حمص (في حديثه في موعظة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال) أي في حديث وعظ فيه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من كان في مجلسه من الصحابة وذلك ان عبد الرحمن بن عمرو السلمي وحجر بن حجر قالا أتينا العرباض بن سارية وهو ممن نزل فيه قوله تعالى ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه وقلنا أتيناك زائرين وعائدين ومقتبسين فقال صلى بنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الصبح ذات يوم ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب فقال قائل يا رسول الله كأن هذه موعظة مودع فماذا تعهد الينا فقال أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وان عبدا حبشيا فانه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرا (فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الامور فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة) رواه علي عن الوليد كذا قال الذهبي في تاريخه ومن خطه نقلت واعلم ان الموعظة هي التذكير بما يحث على الطاعة وعليكم اسم فعل يتعدى بنفسه ان كان بمعنى الزم كقوله عليكم أنفسكم وبالباء ان كان بمعنى تمسك كما هنا والسنة الطريقة مما هم عليه والخلفاء جمع خليفة وراشدين جمع راشد ضد الغاوي والمراد بهم الخلفاء الاربعة ومن كان على طريقتهم كعمر بن عبد العزيز وأئمة الاسلام المجتهدين في اعلاء كلمة الله وقوله عضوا الى آخره فعل أمر والنواجذ بالذال المعجمة جمع ناجذ أقصى الاضراس وهي أربعة أو الانياب أو التي تليها والمراد الاجتهاد في التمسك بها فهو استعارة تمثيلية لما ذكر لا كناية ويجوز ان تكون استعارة تصريحية تبعية وقيل المراد بالنواجذ جميع الاسنان هنا وقال البرهان عن المنذري انه يجوز اهمال داله وفيه نظر لمخالفته لكتب اللغة واياكم تحذير أي احذروا المحدثات والرضا بها وهي جمع محدثة اسم مفعول وهو ما حدث مما خالف الكتاب والسنة والاجماع المسلمين والبدعة بمعناها وهي ما لم يعهد في عصره صلى الله عليه وسلم وهي كما قاله العز بن عبد السلام تنقسم الى واجبة ومحرمة ومندوبة ومباحة فالمندوبة كتدوين الكتب وعلم النحو واللغة والاشتغال بذلك واحداث الربط ٢ والمدارس ومن المكروه تزويق المصاحف والمساجد وتكبير

٢ قوله الربط بضمتين جمع رباط بالكسر ككتب وكتاب والمراد هنا اسم للمحل الذي يسكن فيه كالتكية والعمارة وغيرها على ما في كتب اللغة مصححه

العمائم وتوسيع الملابس ومن الواجب وفرض الكفاية تعلم علم العربية الذي يتوقف عليه فهم كلام الله وكلام رسوله ولا ينافي هذا قوله كل بدعة ضلالة لان البدعة لها معنيان كل ماحدث بعد العصر الاول وهو المقسم للاقسام المذكورة ولذا قال صلى الله عليه وسلم من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها واليه الاشارة بقوله سنة الخلفاء وقد خصها الشارع بما ومذموم لعدم دخوله تحت القواعد الشرعية وهذا هو المراد بالبدعة عند الاطلاق وهو الذي جعل ضلالة وفي عوارف المعارف واحياء الغزالي البدعة المذمومة مازاحم السنة المأثورة أو كان يفضي الى تغييرها وفي كتاب المدخل لابن الحاج بيان لها شاف كاف (و زاد) على مارواه العرباض (في حديث جابر) بن عبد الله رضي الله عنهما الذي رواه مسلم (بمعناه) أي ملتبسا بمعنى حديث العرباض موافقا له وليس المراد انه رواية بالمعنى كما قيل (و كل ضلالة) أي ضلال بارتكاب البدع المذمومة (في النار) أي معذب بها أو مستحق للعذاب وقيل انه متضمن لشكل منطقي منتج لما ذكر أي كل محدث بدعة وكل بدعة ضلالة معذب مرتكبها أو كل محدث ضلالة مستوجب للعذاب الاليم (وفي حديث أبي رافع) الصحيح الذي رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه وأبو رافع هو الصحابي مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكان قبطيا واختلف في اسمه فقيل ابراهيم وقيل أسلم وقيل ثابت وقيل هرمز ولهم أبو رافع غير راوي هذا الحديث معدود في الصحابة أيضا روى (عنه عليه الصلاة والسلام لا ألفين) نفي بمعنى النهي أي لا أجدن وألفى بمعنى وجد قال الله تعالى وألفيا سيدها لدى الباب وروى لا ألفين كما تقدم عن الام للشافعي والصحيح رواية الاول وان صح هذا أيضا كانه لتحققه وجده وهو بضم الهمزة وسكون اللام وكسر الفاء وفتح المثناة التحتية وتشديد النون أي لا يفعل (أحدكم) معاشر الامة أو الصحابة فلا يكون هذا من سببه وهو نهي في الحقيقة عن التكبر والبطر (متكئا) أي مائلا مستندا معتمدا وهو بالهمزة والياء أيضا وقد تقدم ان العامة لا تعرف المتكي الا من مال في قعوده معتمدا على أحد شقيه وتاؤه مبدلة من واو من اوكاء (على اريكته) هي سرير مزين يتخذ في قبة أو بيت وليس مطلق السرير اريكة وقيل هو سرير في حجلة وقيل كل ما اتكئ عليه من سرير أو فراش أو منصة أو مخدة مما يفعله المترفهون وجمعه ارائك وقال الراغب سمي به لاتخاذه من الاراك أو لانه محل الاقامة من أرك بالمكان اروكا اذا أقام به وأصله الاقامة لرعي الاراك ثم يتجوز به عن كل اقامة (يأتيه الامر من أمري) أي شيء مما أمرت به فقوله (مما أمرت به) تفسير لقوله من أمري بدل منه ومن بيانية فيهما وقيل الثانية بمعنى الباء كقوله ينظرون من طرف خفي أي به متعلقة بامري والامر الاول بمعنى الشأن شامل للنهي وغيره والثاني مقابل النهي لقوله (أو نهيت عنه فيقول لا أدري) هذا الامر الذي نقلتموه لنا ولا أتبع وأعرف غير القرآن (ما وجدنا في كتاب الله تعالى اتبعناه) دون غيره مما روي في الاحاديث ولم يعرف ان ما في الحديث عن الله تعالى أيضا وان الوحي وحيان متلو وغير متلو وان السنة لا تخالف الكتاب وقد قال الله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا فهو تحذير عن ترك امتثال أمره واجتناب نهيه والعمل بهما وسنة رسوله ككتابه يجب اتباعه سواء تواترت أم لا وفي الحديث الصحيح الذي رواه الترمذي الا اني أوتيت القرآن ومثله معه الا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول عليكم بالقرآن فما وجدتم فيه من حلال فاحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه وان

زاد في حديث جابر) على مارواه مسلم (بمعناه) أي زيادة أفادت عدم روايته بلفظه ومبناه (و كل ضلالة في النار) أي و كل محدثة فيها باسقاط المكرر (وفي حديث أبي رافع) كما رواه الشافعي في كتابه الام عن سفيان بن عيينة عن سالم أبي النضر عن عبيد الله بن أبي رافع عن أبي رافع مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم و كذا رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه عنه عليه الصلاة والسلام (لا ألفين) بضم الهمزة وكسر الفاء ونون مشددة أي لا أجدن (أحدكم متكئا على اريكته) أي جالسا على سريره أو فراشه متمكنا على مقعده أو مائلا في قعوده معتمدا على أحد شقيه كما هو شان الجهلة من المتكبرين الراضين بالقعود مع المتخلفين كما قيل شعر

دع المكارم لا ترحل لبغيتها
واقعد فانك أنت الطاعم الكاسي

(يأتيه الامر من أمري) أي يبلغه أمر من أموري أو من ماموري بدليل قوله (مما أمرت به) على ان من فيه بيانية وبدلالة رواية الاهل عني رجل يبلغه الحديث عني وهو متكئ على اريكته فيقول بيننا وبينكم كتاب الله تعالى (أو نهيت عنه فيقول لا أدري) أي غير القرآن ولا أتبع سوى الفرقان (ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه) أي وما وجدنا في غيره أو مخالفا فيه تركناه والحديث جاء محذرا من ترك امتثال أوامره واجتناب زواجره لانه عليه الصلاة والسلام جاء مبينا لما في القرآن من الاحكام ولقوله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وقوله وأطيعوا الله والرسول وقوله ومن يطع الرسول فقد أطاع الله وقوله قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني وامثال ذلك مما يدل على انه لا يسوغ لمسلم ان يخالفه في أمر أو نهي هنالك ما

(وفي حديث عائشة رضي الله تعالى عنها) كما رواه الشيخان (صنع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم شيأ ترخص فيه) أي اختار الرخصة على العزيمة في عمل ذلك الشيء عملا بقوله عليه الصلاة والسلام ان الله يحب ان يؤتى برخصه كما يحب ان يؤتى بعزائمه والظاهر ان ما ترخص فيه هو الافطار في السفر أو القصر وهو الاظهر لقوله عليه الصلاة والسلام صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته ومن هنا قال أبو حنيفة ان القصر واجب واتمامه اساءة (فتنزه عنه) أي تبعد عن ذلك الشيء أو عن الترخص فيه (قوم) أي جماعة من الرجال ما بلغوا مبلغ الكمال (فبلغ ذلك النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فحمد الله) أي شكره (واثنى عليه) أي فيما أفاض اليه (ثم قال ما بال قوم) أي ما حالهم وشأنهم (يتنزهون عن الشيء أصنعه) جملة وصفية أو حالية (فوالله اني لاعلمهم بالله واشدهم له خشية) اذ بقدر المعرفة بالله وصفاته تكون الخشية من عقوباته وحجاب حالاته ومقاماته كما يشير اليه قوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء (وروي عنه عليه الصلاة والسلام) من حديث أبي الشيخ وأبي نعيم والديلمي (انه قال القرآن صعب) أي باعتبار مبناه (مستصعب) بكسر العين وتفتح أي باعتبار معناه (على من كرهه) أي ولم يتلذذ بمقتضاه ومفهومه انه سهل متيسر على من أحبه وارتضاه كما يشير اليه قوله تعالى ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر فهو كالنيل ماء للمحبوبين ودماء للمحجوبين وشفاء للمؤمنين وشقاء للعاصين (وهو) أي القرآن (الحكم) بفتحتين الحاكم العدل والفاتح الفصل والجد الذي ليس فيه الهزل أو ذو الحكمة من كمال الفضل (فمن استمسك بحديثي) أي تعلق به من كمال رضاه (وفهمه) أي القرآن من جهة معناه (وحفظه) من جهة مبناه أي ضبط حكمه وراعاه (جاء) أي ورد (يوم القيامة مع القرآن) أي بعلمه وعمله بهما

ما حرم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كما حرم الله تعالى الحديث ومعلوم ان هذه شبهة فاسدة مبطلة لكثير من الشرع كشبهة الخوارج (وفي حديث عائشة رضي الله تعالى عنها) المروي في الصحيحين وما ذكره المصنف رحمه الله تعالى لفظ البخاري (صنع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم شيأ) يأتي بيانه (ترخص فيه) أي ارتكب فيه الرخصة وترك العزيمة والرخصة الامر المتغير من صعوبة الى سهو كقصر المسافر صلاته وافطاره وهذه الرخصة انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يصبح جنبا فبلغ ذلك بعضهم فقال لسنا كرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فسمعه صلى الله تعالى عليه وسلم فغضب فقال لارجو ان أكون أخشاكم لله واتقاكم وقيل هو ان بعض الصحابة سأل ازواجه صلى الله تعالى عليه وسلم عن عبادته ليلا فلما أخبرها استقلها وقال انه غفر له ما تقدم وما تأخر فأنا أصلي الليل كله وقيل ان بعضهم قال اعتزل النساء ولا أتزوج وقال البرهان نقلا عن شيخه ابن الملقن انه افطاره صلى الله تعالى عليه وسلم عام الفتح والكل صحيح هنا (فتنزه) أي تباعد (عنه قوم) عن العمل بما رخص فيه (فبلغه ذلك) أي نقل له صلى الله تعالى عليه وسلم تنزه هؤلاء فخطبهم موعظة على عادته (فحمد الله) واثنى عليه (ثم قال ما بال قوم) أي ما شأنهم وحالهم وهو استفهام انكاري (يتنزهون عن الشيء) حال كوني (اصنعه) فتركهم له لانهم يظنون ان خوفهم من الله تعالى أشد من خوفي له لان الله تعالى غفر لي ما تقدم وما تأخر ولم يكلفني ما كلفهم (فوالله) تأكيدا وتقريرا لقوله (اني لاعلمهم بالله وأشدهم له خشية) أي خوفا وقدم أعلميته لان الخشية بمقدار العلم كما قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء فانكر عليهم ذلك لظنهم ان حالهم ليس كحاله وان ارتكاب مثلهم الرخص يفضي الى عدم الخوف والتهاون بالعبادة وليس كذلك بل لان الله يحب ان تؤتى رخصه كما يحب ان تؤتى عزائمه فانها صدقة تصدق الله بها عليهم فلا يليق عدم قبولها وقيل انه ليس محلا للانكار لكنه نزلهم منزلة المنكرين الملاح عليهم من علامات الانكار وليس بشيء (وروي عنه صلى الله تعالى عليه وسلم) كما رواه الديلمي وأبو نعيم وأبو الشيخ مسندا (انه قال القرآن صعب) بسكون العين ضد السهل (مستصعب) بكسر العين اسم فاعل من استصعب الامر بمعنى صعب وبفتحها من استصعبت الامر بمعنى وجدته صعبا أو صيرته صعبا أي هو في نفسه عسر على من أراد حفظه وفهمه والعمل به وقد صيره الله تعالى أيضا صعبا (على من كرهه) أي من لم يرد حفظه وتدبر آياته واما من أحبه وتلذذ بتلاوته وداوم على مدارسته وتأمله فيسهله الله تعالى عليه (وهو) أي القرآن (الحكم) بفتحتين أي الذي يحكم على الناس بما تضمنه من الاحكام والحكم من الامثال والموعظة وجعله حكما أي حاكما بنفسه مبالغة (فمن استمسك بحديثي) المروي عني (وفهمه وحفظه) بتدبر معانيه وضبط الفاظه (جاء) يوم القيامة محشورا (مع القرآن) أي ذا تمسك به وعمل بما فيه وفيه استعارة بتشبيه العامل به بالمتمسك بشيء محكم وثيق لا ينقطع فانه حبل الله المتين والعروة الوثقى كما ورد التعبير به عنه في الاحاديث وفيه اشارة الى ان الحديث لا يفارق القرآن

(ومن تهاون بالقرآن وحديثي) بان لم يعمل بهما ولو حفظهما وفهمهما (فقد خسر الدنيا والآخرة) أي وتلك الخسارة الظاهرة (أمرت أمتي) بصيغة المجهول للتأنيث وفي نسخة بصيغة الفاعل المتكلم والاول هو الظاهر أي أمرهم الله (ان يأخذوا بقولي) أي اعتقادا لقوله تعالى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى (ويطيعوا أمري) أي اعتمادا لقوله تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله (ويتبعوا سنتي) أي استنادا لقوله تعالى واتبعوه لعلكم تهتدون (فمن رضي بقولي) أي بحديثي (فقد رضي بالقرآن) وفي الكلام قلب للمبالغة أي فمن رضي بالقرآن فقد رضي بقولي ومن لم يرض بقولي فلم يرض بالقرآن قال الله تعالى وما آتاكم الرسول

فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وقال عليه الصلاة والسلام من اقتدى بي فهو مني أي متصل بي ومعي أو من اشياعي وأتباعي وقد رواه عبد الرزاق في مصنفه من مراسيل الحسن لا انه بلفظ من استن بسنتي أي اتبعها وعمل بها فهو مني (ومن رغب عن سنتي) يقال رغب في في الشيء اذا أراده ورغب عنه اذا لم يرده والمعنى ومن مال عنها كراهة لها (فليس مني) كما في الصحيحين (وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال ان أحسن الحديث كتاب الله تعالى) هذا مقتبس من قوله تعالى الله نزل أحسن الحديث كتابا (وخير الهدى) بالنصب ويجوز رفعه (هدى محمد) وهو بفتح الهاء وسكون الدال فيهما بمعنى السمت والطريقة وضبط في بعض النسخ بضم الهاء وفتح الدال على انه ضد الضلالة لقوله تعالى قل ان هدى الله هو الهدى والمعنى به سيرته السنية وطريقته الرضية وهيئته السوية (وشر الامور) بالوجهين (محدثاتها) جمع محدثة بالفتح وهي البدعة التي تخالف الكتاب والسنة واجماع الامة قال الدلجي لا أدرى من روى هذا الحديث ولعله أنكره من حيث اسناده الى أبي هريرة والا فقد ورد من حديث جابر كما رواه أحمد ومسلم والنسائي وابن ماجه ولفظه أما بعد فان أصدق الحديث كتاب الله تعالى وان أفضل الهدى هدي محمد وشر الامور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة

وانهما كشيء واحد لان السنة تبين القرآن ومجيئه معه او بمجيئه مع أهله أو مع نوره أو أعماله التي عمل بها منه أو هو على ظاهره بان يجيء تاليه فيشفع فيه ويقال له اقرأ وارق كما ورد في الحديث والمراد بالقرآن ألفاظه لا الكلام النفسي الذي هو صفة ذاتية (ومن تهاون بالقرآن) أي أعرض عنه ولم يوجه اليه فكره لاهانته أو عده هينا (وحديثي) بعدم حفظه والعمل به (فقد خسر الدنيا) لانه يحيى جاهلا مهانا فقيرا (والآخرة) لفوات السعادة والفوز بنعيمها كما قال الله تعالى ومن أعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى الآية (أمرت) بالبناء للمجهول أي أمر الله تعالى (أمتي ان يأخذوا بقولي) أي يتمسكوا بحديثي ويعملوا به كما سيأتي (ويطيعوا أمري) لقوله وأطيعوا الرسول (ويتبعوا سنتي) أي يقتدوا بي ويسلكوا طريقي وشريعتي السمحة كما قال الله تعالى واتبعوه لعلكم تهتدون فالعمل بسنته عمل بالقرآن لانهما توأمان وفيه رد على من قال لا أعمل الا بالقرآن ونهي عن ترك السنة وخبر الآحاد كما تقدم (فمن رضي بقولي) فاتبعه وعمل به (فقد رضي بالقرآن) لانه موافق له وغير مخالف له فهما كالشيء الواحد (قال الله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) عنه فارضوا بما رضيه واكرهوا ما كرهه فان سنته مبينة موضحة للقرآن فمن خالفه فقد ضل ولذا قالوا من أراد تفسير القرآن فليتأمله فان بعضه يفسر بعضا فان لم يجد فيه فعليه السنة فان لم يجد ما أراده فيها فعليه باقوال الصحابة فانها في حكم المرفوع لانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يقرئهم القرآن ويبين لهم معانيه كما رواه ابن تيمية (وقال صلى الله تعالى عليه وسلم) فيما رواه عبد الرزاق عن الحسن مرسلا بلفظ من استن بسنتي أي تبعها وعمل بها والمصنف رحمه الله تعالى رواه بلفظ (من اقتدى بي) في سنتي وشريعتي (فهو مني) أي من اتباعي واشياعي الذين يحشرون معي ويتصلون بي حتى كأنهم بعض مني لا ينفصل عني ومن هذه تسمى من الاتصالية كقوله عليه السلام لعلي أنت مني بمنزلة هارون من موسى (ومن رغب عن سنتي) أي تركها وأعرض عنها يقال رغب عنه اذا كرهه وضده رغب فيه وسنته طريقته وأحاديثه المروية عنه الشاملة لاقواله وأفعاله وتقريراته وهما متقاربان معنى (فليس مني) هذا تبرؤ منه كقوله * لست من قيس ولا قيس مني * وعجزه هذا مذكور في الصحيحين أيضا ومعناه ليس بقربا مني أي فهو كافر وليس هو على ملتي لاهانته الحديث (وعن أبي هريرة) رضي الله عنه ولم يخرجه السيوطي بهذا اللفظ (عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان أحسن الحديث كتاب الله) كما قال الله تعالى الله نزل أحسن الحديث الآية (وخير الهدى) بالنصب ويجوز رفعه (هدى محمد) بفتح الهاء وسكون الدال المهملة وتحتية وهو مصدر بمعنى السيرة والطريقة من قولهم تهادى في مشيته قيل روايته هنا كما قاله القاضي في الاكمال الهدى بضم الهاء وفتح الدال مقصور أو الهداية بمعنى الدلالة والتأييد بالعصمة وهذه هي التي تضاف الى الله (وشر الامور محدثاتها) بفتح الدال

وكل ضلالة في النار الحديث وروى البيهقي في الدلائل وابن عساكر عن عقبة بن عامر الجهني وأبو نصر السجزي في الابانة عن أبي الدرداء مرفوعا وابن أبي شيبة عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه موقوفا بلفظ اما بعد فان أصدق الحديث كتاب الله تعالى وأوثق العرى كلمة التقوى وخير الملل ملة ابراهيم عليه السلام وخير السنن سنة محمد وأشرف الحديث ذكر الله تعالى وأحسن القصص هذا القرآن وخير الامور عوازمها وشر الامور محدثاتها وأحسن الهدى هدى الانبياء وأشرف الموت قتل الشهداء وأعمى العمى الضلالة بعد الهدى وخير العلم ما نفع وخير الهدى ما اتبع وشر العمى عمى القلب واليد العليا خير من اليد السفلى وما قل وكفى خير مما كثر وألهى وشر المعذرة حين يحضر الموت وشر الندامة يوم القيامة ومن الناس من لا يأتي الصلاة الا دبرا ومنهم من لا يذكر الله الا هجرا وأعظم الخطايا اللسان الكذوب وخير الغنى غنى النفس وخير الزاد التقوى ورأس الحكمة مخافة الله تعالى وخير ما وقر في القلب اليقين والارتياب من الكفر والنياحة من عمل الجاهلية والغلول من جثاء جهنم والكنز كي من النار والشعر من مزامير ابليس والخمر جماع الاثم والنساء حبالة الشيطان والشباب شعبة من الجنون وشر المكاسب ٣٢٧ كسب الربا وشر المأكل مال اليتيم والسعيد من وعظ بغيره والشقي من شقي في بطن أمه وانما يصير أحدكم الى موضع أربعة أذرع والامر بآخره وملاك العمل خواتمه وشر الرؤيا رؤيا الكذب وكل ما هو آت قريب وسباب المؤمن فسوق وقتال المؤمن كفر وأكل لحمه من معصية الله تعالى وحرمة ماله كحرمة دمه ومن يتأل على الله يكذبه ومن يغفر يغفر الله له ومن يعف يعف الله عنه ومن يكظم الغيظ يأجره الله ومن يصبر على الرزية يعوضه الله ومن يتبع السمعة يسمع الله به ومن يصبر يضعف الله له ومن يعص الله يعذبه الله اللهم اغفر لي ولامتي اللهم اغفر لي ولامتي أستغفر الله لي ولكم كذا في الجامع الصغير وانما ذكرته لما فيه من النفع الكثير للصغير والكبير (وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه) وفي نسخة العاصي والاولى هي الاولى لما حققناه فيما سبق من أصل المبنى (قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم العلم) أي أصوله (ثلاثة) أي اقسام (وما سوى ذلك) يعني كل علم سوى هذه الثلاثة وما يتعلق بها مما يتوقف عليه (فهو فضل) أي زائد لا يفتقر الى علمه وان لم يسع المرء جهله (آية محكمة) أي أحكم بيانها فلم يحتج الى زيادة بيان في شانها (وسنة قائمة) أي أحاديث ثابتة مستمرة العمل بها دائمة (وفريضة عادلة) أي في القسمة أو عادلة ومساوية في العمل بها الكتاب والسنة وهي الثابتة باجماع الامة أو قياس الائمة رواه أبو داود وابن ماجه (وعن الحسن ابن أبي الحسن رحمهما الله تعالى) أي البصري كما رواه عبد الرزاق عن معمر عن زيد عن الحسن مرسلا والدارمي عن أبي مسعود موصولا (قال عليه الصلاة والسلام عمل قليل في سنة) أي مصاحبا لها (خير من عمل كثير في بدعة) أي من أصلها الان ذلك وان قل كثر نفعه بل هو نفع كله وذا أكثر ضررا ونفعه قليل وان كثر عمله ففي بمعنى مع كما في قوله تعالى ادخلوا في أمم أي معهم والحاصل ان الاقتصاد في السنة أفضل من الاجتهاد في البدعة ولو كان مستحسنة

تقدم تفسيره (وعن عبد الله بن عمرو بن العاص) في حديث رواه أبو داود وابن ماجة (قال قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم العلم ثلاثة) أقسام حصره فيها ان قلنا العدد يفيد الحصر لعدم الاعتداد بغيرها (فما سوى ذلك) وفي نسخة وما سوى ذلك (فضل) أي زائد لا حاجة اليه ولا يفتقر اليه وتفسيره بالبقية غير سديد هنا والاظهر ما قيل ان المراد كل علم غير هذه الثلاثة وما يتعلق بها وما يتوقف عليه فهو زائد لا ضرورة داعية لمعرفته ومعنى الفضل في اللغة الزيادة كما علم (آية) من كتاب الله (محكمة) غير متشابهة لقوله تعالى منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات أو غير منسوخة لان المحكم يفسر بهذا أيضا أو المراد ما يشملهما الاحكام بيانها حتى لا يحتاج لزيادة وأحكام نظمها فلا خلل فيها ويطلق المحكم على جميع القرآن أيضا كما قال الله تعالى أحكمت آياته ويجوز ارادته أيضا (أو سنة قائمة) أي دائمة مستمرة يعني لم تنسخ لدوام العمل بها (أو فريضة عادلة) أي لا جور فيها وفسرت هنا بالاحكام المستنبطة من القرآن والحديث تسمية لها باعظم اقسامها أو لانها استنبطت بالاجتهاد المفروض على هذه الامة وسميت عادلة لمساواتها بالنص أو المراد بها فريضة الموارث وقسمتها وهو المشهور ويطلق على ما يقابل العائلة وليس بمراد هنا وفيه اشارة الى ان العلم اللازم العلوم الشرعية وهي التفسير والحديث والفقه (وعن الحسن ابن أبي الحسن) هو الحسن بن يسار البصري وقد تقدم وهو حديث رواه عبد الرزاق عن معمر مرسلا والدارمي متصلا عن ابن مسعود (عنه) صلى الله تعالى عليه وسلم وفي نسخة قال (عليه الصلاة والسلام عمل قليل في سنة) في هنا بمعنى مع كقوله تعالى ادخلوا في أمم أي موافق للسنة ومصاحب لها وان قل (خير من عمل كثير في بدعة) وان كثر لزيادة نفعه وكثرة ثوابه والتعبير بفي اشارة الى انه يراعي السنة في جميعه عددا وهيئة حتى يحيط السنة به وقيل انه لمصاحبته السنة وتمكنه فيها اشبه بالظرف والمظروف وهذا كمن تهجد منفردا ركعتين ولم يصل الصلوات التي ابتدعها بعض الصوفية بجماعة كالرغائب ووجهه ظاهر وخير اسم تفضيل يقتضي الخيرية في البدعة بحسب

(وقال صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله تعالى يدخل العبد الجنة) أي أعلى مراتبها (بالسنة) أي بسبب القيام بها (تمسك بها) أي أخذها وعمل بمقتضاه افغاز بمقام القدس ومرام الانس وفى نسخة يتمسك بها فالاولى استئناف والثانية حال والحديث غير معروف المبنى لكنه صحيح المعنى (وعن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه عنه صلى الله تعالى عليه وسلم) كما رواه الطبراني فى الاوسط (قال المتمسك بسنتي عند فساد أمتي) أي حين يكون فتن القاعد فيها خير من القائم والقائم فيها خير من الماشي والماشي فيها خير من الساعي فان قلت من يتمسك بالسنة اذا فسدت الامة أجيب بان المراد أكثر الامة ولا يبعد ان يراد بفسادهم سوء اعتقادهم بترك العمل بالاحاديث واعتمادهم على مجرد ما يفهمونه بعقولهم الكاسدة وآرائهم الفاسدة كما هو طريق أهل البدعة بخلاف مذهب أهل السنة والجماعة حيث جمعوا بين الكتاب والسنة على ما ورد (له أجر مائة شهيد) أي حيث جاهد فى طريق سديد (وقال عليه الصلاة والسلام) كما رواه الترمذي (ان بني اسرائيل افترقوا) أي تفرقوا (على اثنتين وسبعين ملة) أي مذهبا ومشربا وفى نسخة فرقة أي جماعة (وان أمتي) أي أهل الدعوة والاجابة (تفترق) وفى رواية ستفترق (على ثلاث وسبعين) أي بزيادة ملة (كلها) أي جميع الملل السابقة والنحل اللاحقة (فى النار) أي فى طريقها فكأنهم فيها (الا واحدة) أي الا أهل ملة واحدة أو الا جماعة (قالوا) أي بعض الصحابة (ومن هم يا رسول الله قال الذي) أي الجمع والفوج الذي أو أهل الطريق الذي (أنا عليه اليوم وأصحابي) أي من متابعة الكتاب والسنة ومجانبة الامور المحدثة والبدعة (وعن أنس رضى الله تعالى عنه قال صلى الله تعالى عليه وسلم من أحيى سنتي) أي أشاعها بعملها أو أذاعها بنقلها اتباعها

ظاهره وليست مرادة وانما عبر بها هنا بناء على اعتقاد فاعلها القربة فيما فعله وقيل المراد الابتداع بالاعمال التي لها أصل فى العبادة كوصال الصوم وما أشبهه (وقال صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله يدخل العبد الجنة بالسنة) الواحدة وان قلت (تمسك بها) أي امتثلها وعمل بها مخلصا (وعن أبي هريرة) فى حديث رواه الطبراني فى الاوسط (المتمسك بسنتي) أي العامل بها والسالك طريقتي (عند فساد أمتي) أي تغير أحوالها وترك أمور الدين واتباع البدع وذلك فى آخر الزمان (له أجر مائة شهيد) فيه اشارة الى ان المراد بالتمسك بها العمل بها وأمر غيره بالعمل أيضا فيأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وهو الجهاد الاكبر وأيضا هو يجاهد نفسه حتى يترك ما ألفه الناس ومثله مما رغب الناس عنه فيؤذيه أشد الاذاء فلذا أعطى ثواب الشهداء وجعل له أجر مائة للتكثير أو للاشارة الى ان أكثر ما يقاومه عشرة والحسنة بعشر أمثالها وقيل ان الشهيد يرقى منزلته بترك الدنيا وبذل نفسه فى نصرة الدين وثناء غيره عليه ودعائه له ومن وفقه الله تعالى مع فساد عصره وأهله فقد اختار دار البقاء على دار الفناء وارتكب المشاق بمخالفة الناس والتقوى بين الفجار كالمعصية بين الابرار كما ان الجود بين اللئام بعزة البخل بين الكرام كما قيل

رأيت عبيد الله أكرم من مشى * وأكرم من فضل بن يحيي بن خالد
أولئك جادوا والزمان مساعد * وقد جاد ذا والدهر غير مساعد

(وقال صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه الترمذي (ان بني اسرائيل افترقوا) أي صاروا فرقا واسرائيل لقب يعقوب بن ابراهيم الخليل عليهما الصلاة والسلام واليه انتسب كل من كان قبيلة وهم قوم مشهورون (على اثنتين وسبعين ملة) أي مذهبا أو دينا لان الملة والدين بمعنى وان افترقا مفهوما واستعمالا وقد تقدم تفصيله (وان أمتي تفترق على ثلاث وسبعين) فرقة مختلفة الاعتقاد والمذاهب وروى فرقة مكان ملة وفى الحديث روايات مختلفة (كلها فى النار الا واحدة قالوا ومن هم يا رسول الله) هكذا روى وقولوا عاطفة على مقدر أي هذا عددهم ومن هم أو هي زائدة (قال هم الذين على الذي أنا عليه وأصحابي) وفيه معجزة له صلى الله تعالى عليه وسلم لاخباره بالغيب فان ذلك لم يكن فى عصره ولا عصر الخلفاء الراشدين من بعده وقد وقع ذلك كما قال وهذا باعتبار أصول الفرق فان شعبها كثيرة وقد ألف فى بيانها تآليف أجلها كتاب الملل والنحل للشهرستاني وقد عدوها فكانت كما ذكر صلى الله تعالى عليه وسلم وهم أهل السنة والشيعة والخوارج والمعتزلة ونحوهم من الفرق واصنافها مما يطول ذكره والمراد بكونهم فى النار انهم مستحقون للعذاب دون الخلود الا ان يكون فى اعتقادهم ما يقتضي الكفر كبعض غلاة الرافضة والفرقة الناجية أهل السنة والجماعة لاتباعهم القرآن والحديث فى الاعتقاد من غير اعتقاد ارتكاب تأويلات بعيدة وزعم الطوسي وابن مطهر انهم الامامية ورده الجلال الدواني فى شرح العقائد كما بيناه فى حواشيها ومطابقة الجواب للسؤال ظاهرة من غير احتياج لتأويل كما توهم (وعن أنس) رضى الله تعالى عنه (قال صلى الله تعالى عليه وسلم) فى حديث رواه الاصفهاني فى ترغيبه وغيره (من أحيى سنتي) أي أظهرها بالعمل بها والحث على

(فقد أحياني) أي رفع ذكري وأظهر أمري (ومن أحياني كان معي) أي مشاركا لي في علو قدري وفي نسخة كان معي في الجنة أي كان مصاحبا لي في النعمة رواه الاصبهاني في ترغيبه واللالكائي في السنة (وعن عمرو بن عوف المزني) كما رواه الترمذي وحسنه ابن ماجه (ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال لبلال بن الحارث من أحيى سنة) أي من سنتي (قد أميتت بعدي) بترك ذكرها أو العمل بها (فان له من الاجر مثل من) أي مثل أجر من (عمل بها من غير ان ينقص) أي ذلك الاجر الذي يكون له (من أجورهم) أي من أجور من عمل بها تبعا له (شيأ) مفعول ينقص وقد اعتبر في ضميرهم معنى من دون لفظها (ومن ابتدع بدعة ضلالة) بالاضافة أو بالوصف أي بدعة سيئة كالبناء على القبور وتجصيصها الا بدعة مستحسنة كالمنارة وترصيصها (لا ترضى الله ورسوله) من الارضاء صفة كاشفة والمعنى لا تكون موافقة للكتاب والسنة ولا ماخوذة من القياس أو اجماع الامة (كان عليه) أي من الاثم (مثل آثام من عمل بها لا ينقص ذلك من أوزار الناس شيا) أي من آثام من عمل بها تبعا له (فصل وأما ما ورد عن السلف) أي الصالحين من الصحابة والتابعين (والأئمة) أي العلماء العاملين المجتهدين في أمر الدين (من اتباع سنته) وفي نسخة في اتباع سنته فالجار متعلق بورد وعلى الاول بيانية (والاقتداء بهديه) أي طريقته (وسيرته) أي هيئته فالاول بيان الكمية والثاني بيان الكيفية أوهما ايماء الى قاله وحاله وهذا الامر التقريري أولى من القول بالعطف التفسيري حدثنا (الشيخ

اتباعها جعل ذلك بمنزلة الاحياء ففيه استعارة تبعية أو مكنية وتخييلية وهو كالحديث الذي رواه أبو هريرة لان المراد اظهارها بعد تركها (فقد أحياني) أي أظهر ذكري ورفع أمري فجعله بمنزلة احيائه كما قيل

وتحسبه قد عاش آخر دهره * الى الحشر ان أبقى الجميل من الذكر

(ومن أحياني) ببقاء ذكري وشرعي (كان) أي تحقق ان جزاءه ان يكون (معي في الجنة) والمراد دخوله فيها وعلو مرتبته لا مساواته فيها وحذف ظرف المعية من الزمان والمكان تفخيما له لتذهب نفسه كل مذهب (وعن عمرو بن عوف) بن زيد بن مليحة (المزني) الصحابي وهو قديم الاسلام شهد المشاهد وتوفي في زمن معاوية وهو منسوب لمزينة قبيلة مشهورة (ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال لبلال بن الحارث) بن عاصم بن سعيد بن قرة بن مازن أبو عبد الرحمن المزني الصحابي وفد على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مع وفد مزينة وسكن وراء المدينة وتوفي سنة ستين وسنه ثمانون سنة (من أحيي سنة من سنتي قد أميتت بعدي) أي تركت وترك العمل بها فشبه الترك بالموت لاشتراكهما في العدم وسنته طريقته وشريعته فهي تشمل السنن وغيرها فلا وجه لما قيل الظاهر سنتي بصيغة الرواية بالافراد والاماتة ضد الاحياء وتختص بالحيوان حقيقة (كان له من الاجر) أي الثواب (مثل من عمل بها) فيه مضاف مقدر أي أجر من عمل بها (من غير ان ينقص ذلك) أي الاجر الذي له (من أجورهم شيأ) دفعا لتوهم انه يعطى من ثوابهم فينقص أجرهم (ومن ابتدع بدعة ضلالة) وفسرها بقوله (لا ترضى الله ورسوله) لانها بدعة غير مرضية (كان عليه مثل آثام) بالمد جمع اثم وهو الوزر (من عمل بها لا ينقص ذلك من أوزار الناس شيأ) وهذا رواه الترمذي وابن ماجة وحسنه وفي من الموصولة من العموم ما لا يخفى وكذا قوله شيا وقوله بدعة ضلالة بالاضافة والتوصيف ولا ينافي هذا قوله تعالى ولا تزر وازرة وزر أخرى لان هذا وزره وكسبه لانه بعلمه سنها لهم وأرشدهم لفعلها وحسنها لهم فكان في قوة الامر لهم كما ذكره شراح الحديث وقيل المراد ان عليهم اثما بالغا في المقدار مثل آثام العاملين بها من جهة انه كان طريقا لهم في العمل بها ولذا غاير بين المقامين لفظا فقال عليه من الاجر مثل الخ ولم يقل عليه من الاثم انتهى ولا حاجة لما طوله وتحقيقه انه كان سببا في الخير والثاني سببا لضده والسبب منزل منزلة الفاعل فله ماله وعليه ما عليه أي مثله وفي الحديث الدال على الخير كفاعله كمن حفر بئرا فوقع فيها غيره فانه يضمن في بعض الصور وهو لا ينافي الآية اما لان المراد بها ان وزر غيره لا ينتقل له أو لانه مخصوص بغير السبب بالاحاديث المذكورة وأخذ من الخبر المذكور ان الداعي الى الاثم كفاعله وقد صرح به في بعض الروايات قال شيخ والدي الشهاب بن حجر في شرح المشكاة لكن لو تاب الداعي الى الاثم وبقي العمل به فهل ينقطع اثم دلالته بتوبته لان التوبة تجب ما قبلها أولا لان شرطها رد الظلامة والاقلاع وما دام العمل بدلالته موجودا فالفعل منسوب اليه فكأنه لم يرد ولم يقلع كل محتمل ولم أر في ذلك نقلا والذي ينقدح الآن الثاني انتهى وفيه نظر ظاهر

(فصل وأما ما ورد عن السلف) الصالحين يعني الصحابة والتابعين في أول القرون وأما اشارة الى أنه قسيم لما قبله مما في القرآن والحديث ولذا قال ورد (والأئمة) يعني من بعدهم من العلماء والمجتهدين (من اتباع سنته) أي من طريقته وهو بيان لما وفي نسخة في اتباع متعلق بورد بمعنى جاء (والاقتداء بهديه وسيرته) عطف تفسير لما قبله وهديه وسيرته بمعنى وهو الهيئة والطريقة أيضا (حدثنا الشيخ) أصل معناه الكبير سنا ثم شاع عرفا بمعنى من كان قدوة مفيدا لطلبة العلم لانه في الغالب يكون مسنا وهذا مما

أبو عمران موسى بن عبد الرحمن ابن أبي تليد) بفتح فوقية وكسر لام التحتية (الفقيه) أي الكامل في الفقه (سماعا عليه) أي لا قراءة لديه ولا بواسطة اليه (قال ثنا) أي حدثنا (أبو عمر الحافظ) أي ابن عبد البر (ثنا) أي حدثنا (سعيد بن نصر ثنا) أي حدثنا (قاسم بن أصبغ) بفتح همزة وموحدة وغين معجمة منونة كذا في نسخة مضبوطة والظاهر انه غير منصرف كاحمد وأسلم والله تعالى أعلم (ووهب بن مسرة) بفتح ميم وسين مهملة وتشديد راء (قالا) أي كلاهما (ثنا) أي حدثنا (محمد بن وضاح) بتشديد الضاد المعجمة (ثنا) أي حدثنا (يحيى بن يحيى) الليثي ٣٣٠ راوي الموطا وفي نسخة اقتصر على يحيى الاول لشهرته فتامل (ثنا) أي حدثنا (مالك) وهو الامام صاحب المذهب (عن ابن أبي شهاب) أي الزهري (عن رجل من آل خالد بن أسيد) بفتح فكسر وفي نسخة بالتصغير وخالد أخو عتاب أسلم عام الفتح وكان من المؤلفة قلوبهم وأما الرجل فغير معروف (انه سال عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنه فقال يا أبا عبد الرحمن) يكتب بلا ألف ويقرأ بها على الصحيح (انا نجد صلاة الخوف وصلاة الحضر في القرآن) أي في قوله تعالى واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلاة الآية الى قوله ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا (ولا نجد صلاة السفر) أي بوصف القصر في القرآن صريحا والا فصلاة الخوف متضمنة للقصر في الآية على ما ورد في السنة فقال ابن عمر يا ابن أخي) أي في الاسلام جريا على عادة العرب في خطاب الاقوام وايماء الى الشفقة على الانام عمر
(ان الله بعث الينا محمدا عليه الصلاة والسلام ولا نعلم شيئا) أي من حقيقة الاحكام (وانما نفعل كما رأيناه يفعل) أي فنتبعه ونقتدي به في جميع أموره وقد رأيناه يقصر في السفر فقصرنا معه بل وقد أمرنا بالقصر وأوجب علينا هذا الامر بقوله هذه صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته والامر للوجوب ولذا قال أبو حنيفة بان الاتمام اساءة ومكروه كراهة تحريمية والحاصل انه صلى الله تعالى عليه وسلم مبين للشريعة بالكتاب والسنة فمن ترك شيئا منهما فقد وقع في الضلالة والبدعة والحديث رواه مالك والنسائي وابن ماجه (وقال

استعمل قديما وأول من أطلق عليه شيخ الاسلام الصديق رضي الله عنه كما قاله السخاوي رحمه الله تعالى (أبو عمران موسى بن عبد الرحمن) الرعيني علامة عصره بالمغرب وقد تقدمت ترجمته (ابن أبي تليد) بفتح المثناة الفوقية منقول من تليد بمعنى قديم (الفقيه سماعا عليه) وهذا الحديث من أحاديث الموطا ورواه النسائي وابن ماجه قال (حدثنا أبو عمر الحافظ) هو ابن عبد البر وتقدم بيانه قال حدثنا سعيد بن نصر تقدمت ترجمته قال (حدثنا قاسم بن أصبغ) بالغين المعجمة كما تقدم (ووهب بن ميسرة) كذا في بعض النسخ بتحتية بعد الميم وقال التلمساني انه مسرة مفعلة من السرور ووهب يحرك ويسكن وهو وهب بن مسرة بن مفرج بن بكر التميمي مات بقرطبة منتصف شعبان سنة اثنين وأربعين وثلاثمائة انتهى (قالا) بالتثنية وهو الصحيح وروى قال أي كل واحد منهما أو اكتفاء باحدهما (حدثنا محمد بن وضاح) تقدم أيضا قال (حدثنا يحيى بن يحيى) الليثي راوي الموطأ قال (حدثنا مالك) امام دار الهجرة الغني عن البيان (عن ابن شهاب) محمد بن مسلم الزهري وقد تقدم بيانه (عن رجل من آل خالد) أي أهله وقومه وهو غير مسمى فقال الحلبي لا أعرفه وقال التلمساني هو أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد بفتح الهمزة وكسر السين أو بضمها وفتح السين والاول أصح وهكذا رواه مالك ولم يدخل بينه وبين ابن شهاب أحد ورواه الليث بن سعد فسمى الرجل وادخل بين ابن شهاب وأمية عبد الله بن أبي بكر وأمية هذا يروي عن ابن عمر توفي في سنة سبع وثمانين انتهى وقال القرطبي في تفسيره انه يعلى بن أمية بن عبد الله الى آخره وهو خالد هو (ابن أسيد) بفتح الهمزة وكسر السين على ما مر وياء ودال مهملة وهو ابن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس أخو عتاب (انه سال عبد الله بن عمر فقال يا أبا عبد الرحمن انا نجد صلاة الخوف وصلاة الحضر) بفتحتين أي الصلاة من غير قصر مذكورة (في القرآن ولا نجد صلاة السفر) المقصورة في القرآن (فقال ابن عمر) في جوابه (يا ابن أخي) هذا جار على عادة العرب في الشفقة بالصغير وقولهم له يا ابني ويا ابن أخي كما يقال للكبير يا أبي ويا عمي (ان الله بعث الينا محمدا) أي نبأه وأرسله صلى الله تعالى عليه وسلم (و) نحن (لا نعلم شيأ) من أمور الدين (فانما نفعل كما رأيناه يفعل) وروى ما رأيناه بدون كاف وما موصولة أو مصدرية أي نقتدي به في ما جاء به وهذا هو المقصود وههنا أما صلاة الخوف فقد ذكرت في القرآن وهي سنة خلافا لمن قال انها مخصوصة به صلى الله تعالى عليه وسلم وأما قصر الصلاة سفرا فقد ذكرت في القرآن في قوله لا جناح عليكم ان تقصروا من الصلاة لكنها مقيدة بقوله ان خفتم الآية ولذا سألوا عنها الآن اطلاقها مبين بالسنة فقد سئل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن قصرها فقال تلك صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته وقد يذكر الله شيأ مقيدا بشرط ويبينه على لسان نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم من غير شرط وقد ورد فيها أحاديث أخر (وقال

عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى) أى ابن مروان بن الحكم الاموى القرشى وأمه ليلى بنت عاصم بن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وهو تابعى جليل وامام جميل وسادس الخلفاء على ما قيل روى عن عبد الله بن جعفر وأنس وابن المسيب وجماعة وعنه ابناه والزهرى وعدة أخرج له أصحاب الكتب الستة مات بدير سمعان من أرض حمص سنة احدى ومائة وله من العمر أربعون ومدة ولايته سنتان وخمسة أشهر وأيام ومناقبه ظاهرة ومراتبه متواترة وهذا الحديث رواه عنه اللالكائى فى السنة انه قال (سن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أى شرع طريقة مرضية (وولاة الامر) أى وسن الخلفاء الراشدون (بعده سننا) أى موافقة لقواعد الكتاب والسنة كجمع عمر رضى الله تعالى عنه الناس على أبى بن كعب فى صلاة التراويح وأمر عثمان رضى الله تعالى عنه بكتابة المصاحف ثم بعثها الى الآفاق (الاخذ بها) أى العمل بسنته وسنة من بعده (تصديق لكتاب الله) أى حيث قال وما آتاكم الرسول فخذوه (واستعمال لطاعة الله) أى فى طاعة رسوله لقوله سبحانه وتعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله وقد قال عليه الصلاة والسلام عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى والمراد الخلفاء الاربعة رضى الله تعالى عنهم وان عم كل من سار بسيرتهم من الأئمة (وقوة على دين الله) أى واستعمال سنته وسنة من أتى على طريقته تقوية على كمال ملته وجمال شريعته (ليس لاحد تغييرها) أى بزيادة ونقصان فيها (ولا تبديلها) أى بغيرها ظنا انه أحسن منها (ولا النظر) أى ولا يجوز لاحد النظر (فى رأى من خالفها) أى بلا دليل شرعى من اجماع أو قياس بل بمجرد رأيه واتباع عقله وقد تسفه الدلجى هنا من قلة فهمه وكثرة جهله وسوء ظنه بالامام الاعظم والهمام الافخم الاقدم حيث قال وكفاك هذا حاكما بالغا قول من قال بنفوذ شهادة الزور ظاهرا وباطنا وقوله لو أقام رجل شاهدى زور ان فلانة امرأته فشهدا بذلك جاز له ان يطأها مع علمه بانها ليست زوجته وهذا لم يرد به كتاب ولا سنة انتهى ولا يخفى ان الخلق عيال أبى حنيفة فى الفقه كما صرح به الشافعى فهل يتصور لامام المجتهدين ان يتكلم برأيه المجرد فى أمر الدين أو يتوهم أن يكون جاهلا بالكتاب والسنة وهو امام الأئمة ومقتدى أكثر الامة فهذا ظن فاسد ووهم كاسد ولكنه خلف لسلفه كما بينته فى تشييع الحنفية لتشنيع الشافعية مع ان المسئلة المذكورة هى الرواية المشهورة عن على كرم الله وجهه حيث قال شاهداك زوجاك فبهذا علم ان هذا القائل لم يصل الى مقام الاجتهاد والتاييد بل هو واقع فى حضيض التقليد بل حمله عليه التعصب الجاهلى والتكسب الغافلى حيث تكلم بهذا القيل ولم يعرف ان المجتهد أسير الدليل كما قال الشافعى بجوز نكاح الرجل و وطئه بنته الحاصلة من الزنا ناظرا الى ما قام عنده من الدليل مع عدم التفات الى قبح صورى فى هذا القيل والله سبحانه وتعالى يهدى سواء السبيل (من اقتدى بها) أى بسنته وسنتهم (مهتدى) أى ما دام مقتديا بها وفى نسخة فهو مهتد (ومن استنصر بها) أى استعان بها واستوثق بسببها واستدل على مطلوبه بدلولها (منصور) أى فهو منصور كما فى نسخة (ومن خالفها) أى فلم يتمسك بها وعمل بغيرها (واتبع غير سبيل المؤمنين) أى المجتمعين عليها (ولاه الله ما تولى) أى جعله واليا لما تولاه من الضلال وخلى بينه و بين ما اختاره من الوبال (وأصلاه جهنم) أى ادخله فيها واحرقه بها (وساءت) أى قبحت جهنم (مصيرا) أى مرجعا له ولمن تبعه والحديث مقتبس من قوله تعالى ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى و يتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى و نصله جهنم وساءت مصيرا (وقال الحسن ابن أبى الحسن) أى البصرى رحمه الله تعالى

عمر بن عبد العزيز) الخليفة العادل الزاهد المشهور رضى الله تعالى عنه (سن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أى أتى بافعال واقوال وطريقة شرعها هو (وولاة الامر بعده) بضم الواو جمع وال وهو من يتولى أمور الناس والمراد بهم هنا الخلفاء الراشدون (سننا) جمع سنة (الاخذ بها) أى العمل بها واتباعها (تصديق بكتاب الله) بالباء واللام لانه أمر بالعمل بها واتباع سبيل المؤمنين (واستعمال لطاعة الله) لان طاعتهم طاعة له فى الحقيقة لانهم لا يقولون شيأ من عند أنفسهم وانما يقولون ما روى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم أو ما استنبطوه من الكتاب والسنة (وقوة على دين الله ليس لاحد تغييرها) أى تغيير تلك السنن بوجه من الوجوه (ولا تبديلها) بيدل لها ما يغايرها وهو أخص من التغيير لشمول الزيادة والنقص ويجوز ان يكونا بمعنى (ولا النظر فى رأى من خالفها) أى لا يلتفت اليه ولا يعتبر ما خالفها أصلا وليس المراد بالنظر حقيقته حتى يقال يجوز ان ينظر فيه ليرده (من اقتدى بها) أى عمل بتلك السنن فهو (مهتد) لانهم على هدى من الله (ومن انتصر بها فهو منصور) على من خالفه (ومن خالفها واتبع غير سبيل المؤمنين) غير ما هم عليه من اعتقاد أو عمل (ولاه الله ما تولى) أى جعله واليا لما تولى من الضلال وخلى بينه و بين ما اختاره من الضلالة (وأصلاه جهنم) أى أدخله فيها (وساءت مصيرا) جهنم وفى ذلك دليل على حرمة مخالفة الاجماع (وقال الحسن ابن أبى الحسن) هو

(عمل قليل في سنة خير من عمل كثير في بدعة) وقد سبق هذا الحديث مرفوعا فلعله جاء عنه موقوفا أيضا فلذا ذكره هنا مكررا ليكون لتأكيد الامر مقررا والمعنى ان الاقتصاد في السنة خير من الاجتهاد في البدعة (وقال ابن شهاب) أي الزهري كما أخرجه عنه اللالكائي في السنة بلغنا (عن رجال من أهل العلم) أي من الصحابة والتابعين (قالوا الاعتصام بالسنة نجاة) أي الاستمساك بها سبب خلاص من ورطة الهلاك ووصمة الانهماك (وكتب عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه) كما في سنن سعيد بن منصور عنه رضي الله تعالى عنه (الى عماله) أي بالامصار (بتعلم السنة) أي الاحاديث أو السنن وفي نسخة بتعليم السنة أي للناس (والفرائض) أي

الحسن البصري كما تقدم (عمل قليل في سنة خير من عمل كثير في بدعة) تقدم هذا وقد بينا معناه وقيل لا تكرار فيه لانه ذكره أولا خبرا وذكره هنا أثرا وفيه نظر (وقال ابن شهاب) الزهري (بلغنا عن رجال من أهل العلم) انهم (قالوا الاعتصام بالسنة) أي التمسك بها (نجاة) مما يخافه المرء في الدنيا والآخرة وفي القاموس اعتصم بالله امتنع بلطفه من المعصية أو من تلبس بالسنة حفظ من ان يقع في معاصي الله وفيه حث على حفظها والعمل بها (وكتب عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه الى عماله) ونوابه وأمرهم (بتعليم السنة) أي ماروي عنه صلى الله تعالى عليه وسلم من اقواله وافعاله في أسفاره واقامته (والفرائض) أي قسمة المواريث لانها نصف العلم وفقدها من أشراط الساعة (واللحن) بفتح اللام وسكون الحاء المهملة وفسره بقوله (أي اللغة) والمراد بها لغة العرب ومايتعلق بها من الاعراب وعلمي البلاغة وقال الزهري معناه تعلموا لغة العرب في القرآن واعرفوا معانيه واللحن بسكون الحاء كما علمت وقد تفتح له معان منها التعريض وفحوى الكلام كقوله تعالى ولتعرفنهم في لحن القول والخطأ في الاعراب وقال الزمخشري معنى اللحن في كلام عمر رضي الله تعالى عنه وقوله تعلموا اللحن الغريب واللحن علم الغريب الواقع في القرآن والحديث ومن لم يعرفه لم يعرف أكثر كلام الله وسنة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا رواه سعيد بن منصور في سننه فاللحن من الاضداد ومن معانيه الفطنة وقال ابن الاعرابي ان اللحن بالسكون الفطنة والخطأ وقال غيره من أهل اللغة الفطنة بالفتح والخطأ بالسكون (وقال) عمر رضي الله تعالى عنه في أثر آخر رواه عنه الدارمي (ان ناسا يجادلونكم يعني بالقرآن) أي يخاصمونكم وينازعونكم في بعض الاحكام التي قلتم بها فيقول القرآن فيه ما يخالفكم نظرا لظاهره مما بينته أو خصصته أو نسخته السنة (فخذوهم) أنتم حجوهم واغلبوهم (بالسنن) الواردة عنه صلى الله تعالى عليه وسلم (فان أصحاب السنن) أي علماء الحديث ونقاده (أعلم بكتاب الله) أي بمعاني القرآن ممن يتمسك بظاهر القرآن لمعرفتهم بناسخه ومنسوخه ومخصصه ومأوله فان تفسير القرآن انما يعلم من السنة (وفي خبره) أي خبر عمر الذي رواه عنه مسلم (حين صلى) عمر رضي الله تعالى عنه (بذي الحليفة) بضم الحاء المهملة ولام وفاء بصيغة المصغر اسم مكان على ستة أو سبعة أو اربعة أميال من المدينة من جهة الشام وهو ميقات أهل المدينة والشام الذي يحرمون منه (ركعتين) اختلف فيهما والاصح انهما سنة لمن أراد ان يحرم بنسك مؤكدة عند أكثر الفقهاء في تركهما فوات فضيلة من فضائل الاحرام ولم يخالف فيه الا الحسن البصري فانه استحب كونه أي الاحرام بعد صلاة فرض لانه روى انهما كانت صلاة الصبح والصحيح غيره ولو كان كذلك لم يسأل عنها ولم يحتج لقوله (فقال أصنع كما رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يصنع) فاقتدي بآثاره وكل ماصنعه (وعن علي) بن أبي طالب كرم الله وجهه في أثر رواه عنه البخاري

تفصيلها وتمييزها عما عداها أو اريد بها علم الفرائض وقسمة المواريث (واللحن أي اللغة) تفسير من أحد رواة الحديث أو من المصنف والمراد باللغة أصولها المفردة الشاملة لعلم الصرف وفروعها المركبة الكافلة لعلم النحو المتعلق بالمباني وكذا علم البيان والمعاني (وقال) أي عمر رضي الله تعالى عنه أيضا على ما رواه الدارمي (ان اناسا يجادلونكم يعني بالقرآن) بتفسير في الاصل أي بظواهر الآيات القرآنية ومجملات الدلالات الفرقانيه (فخذوهم بالسنن) وفي نسخة بالسنة أي فغالبوهم بالاحاديث النبوية لانها مبينة للاحكام الدنيوية والاخروية وهذا معنى قوله (فان أصحاب السنن أعلم بكتاب الله تعالى) أي من غيرهم لانهم جامعون بينهما بخلاف من اقتصر على معرفة أحدهما فالمراد بأصحاب السنن العلماء بالحديث المبين للكتاب واما قول الدلجي كالبخاري ومسلم وأبي داود والنسائي فخارج عن صوب الصواب (وفي خبره) أي خبر عمر الذي رواه مسلم عنه (حين صلى) أي عمر رضي الله تعالى عنه (بذي الحليفة) بالتصغير وهو مكان معروف قرب المدينة ميقات أهلها ومن مر بها من غيرها (ركعتين) أي سنة الاحرام ولي في ذلك المقام (فقال أصنع) أي أفعل أنا (كما رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يصنع) أي في حجته محافظة على سلوك محجته واتباع سنته وطريقته وحجته والظاهر انه أراد القرآن كما يدل عليه قوله (وعن علي رضي الله تعالى عنه) كما رواه الشيخان

(حين قرن) بين الحج والعمرة وقيل أي تمتع اذ القران قد يطلق على التمتع من حيث ان القارن متمتع أيضا بسقوط احدى السفرتين وحصول ثواب الهدي بالجمع بين العبادتين كما انه قد يطلق التمتع على القران بالمعنى اللغوي الشامل للمعنى الشرعي ولعل قوله تعالى فمن تمتع بالعمرة من هذا القبيل (فقال له عثمان رضي الله تعالى عنه) وهو الصواب بخلاف ما في نسخة فقال له (ترى) من الرأي لا من الرؤية أي تعلم (اني انهى الناس عنه) أي عن القران أو التمتع (وتفعله) أي أنت مخالفا لامري (قال) أي علي لعثمان (لم أكن أدع) أي وادعا وتاركا وروي لا أدع (سنة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لقول أحد من الناس) وفيه دليل صريح ونقل صحيح انه عليه الصلاة والسلام كان قارنا في حجة الاسلام ويدل عليه سكوت عثمان على وجه الالزام وكانه كان يظن ان أفضل أنواع الحج هو الافراد والتمتع مبنيا على ان أشهر الحج تكون مخصوصة بالحج وان العمرة تقع في غيرها قبلها أو بعدها كما كان عليه أهل الجاهلية قبل حجه عليه الصلاة والسلام من ان العمرة في أشهر الحج من أفجر الفجور ٣٣٣ ولدفع هذا الامر أمر صلى الله تعالى عليه وسلم بعض الصحابة بفسخ الحج للعمرة ولعله ما بلغ عثمان هذا المعنى أو كان له تأويل في هذا المبنى وقد قيل وانما نهى عثمان عن المتعة لتكون أشهر الحج للحج لا غير ولتكون العمرة في غيرها حتى يزار البيت في أشهر الحج وبعدها وقيل انما نهى عنها لمنفعة أهل مكة ليكون لهم موسمان في كل عام والله أعلم وحمل فعله صلى الله تعالى عليه وسلم على أحدهما لا على الجمع بينهما كما عليه المحققون الذين جمعوا بين الرواية والدراية هذا وقال الحلبي في النسخة التي وقفت عليها فقال له عمر وفي الهامش عثمان عوض عمر وعليه صح وفي صحيح البخاري وسنن النسائي كلاهما في الحج من حديث مروان بن الحكم قال شهدت عثمان وعليا رضي الله تعالى عنهما وعثمان ينهى عن المتعة وان يجمع بينهما فلما رأى علي نهيه أهل بهما وقال لبيك بعمرة وحجة وقال ما كنت لادع سنة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بقول أحد وأخرج الشيخان والنسائي كلهم في الحج من حديث سعيد بن المسيب قال اجتمع علي وعثمان بعسفان وكان عثمان ينهى عن المتعة أو العمرة فقال علي ما تريد الى أمر فعله رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم تنهى عنه دعنا منك فقال اني لا استطيع ان أدعك فلما رأى علي ذلك أهل بهما جميعا وأخرج مسلم من حديث عبد الله بن شقيق كان عثمان ينهى عن المتعة وكان علي يامر بها فقال عثمان لعلي كلمة فقال علي لقد علمت انا قد تمتعنا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال رجل ولكنا كنا خائفين انتهى ولا يظهر وجه الخوف فانه عليه الصلاة والسلام حج بيت الله الحرام بعد فتح مكة وغلبة أهل الاسلام ثم المراد بالتمتع التمتع اللغوي وهو القران فلا مخالفة بين الاحاديث المروية عن علي كرم الله تعالى وجهه والله أعلم

والنسائي (حين قرن) بين الحج والعمرة في حجة حجها (فقال له) أي لعلي (عثمان) بن عفان وهو خليفة اذ ذاك وفي نسخة فقال له عمر والصحيح روايه ان القائل له عثمان رضي الله تعالى عنه كما في الصحيحين وغيرهما فهذا وهم من الناسخ (تراني) وفي نسخة ترى اني أي تعلم أو تشاهدني وانا (انهى الناس عنه) أي عن القرآن (وتفعله) أنت فانكر عليه عدم اتباعه له (قال) علي لعثمان رضي الله تعالى عنهما (لم أكن ادع) واترك (سنة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لاحد من الناس) أي لاجل أحد من الناس خالف فعله فعل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاقتدي بغيره مع علمي بما صنعه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والحديث عن مروان بن الحكم قال شهدت عثمان وعليا رضي الله تعالى عنهما وعثمان ينهى عن المتعة وان يجمع بينهما وعلي رضي الله تعالى عنه أهل بهما وقال لبيك بعمرة وحجة فلما كلمه عثمان في ذلك قال له ما ذكره المصنف رحمه الله تعالى والمتعة تستعمل بمعنيين أحدهما ان يحرم بالعمرة ثم يحرم بالحج كالمكي فالعطف من عطف المتغايرين وان يجمع بين الحج والعمرة معا باحرام واحد والعطف على هذا تفسيري وهذا هو المراد كما هو صريح الحديث واحتمال ارادة الاول كما قيل يأباه الحديث وسمي متعة لما فيه من ترك السفر والاحرام مرتين وكل منهما جائز وانما نهى عن ذلك لترك الافضل عنده وعلي رضي الله تعالى عنه انما خالفه لاعتقاده خلافه للآفاقي أو لئلا يتوهم أحد انه ممتنع وكل منهما مجتهد مأجور وهذا مبني على مسئلة أصولية وهي انه اذا وقع الاختلاف في عهد الصحابة في حكم شرعي هل يصح الاجماع بعدهم على أحد قولي الصحابة فذهب أحمد وأكثر الاشاعرة والشافعية ان حكم الخلاف لا يرتفع وذهب الغزالي وبعض الشافعية وأكثر الحنفية الى ارتفاع الخلاف كبيع أم الولد فان الصحابة اختلفوا فيه ثم أجمع الفقهاء على منعه وفيه بحث وهذا الخلاف بين علي وعثمان مبني على الاختلاف في حج رسول الله صلى الله عليه وسلم أو على ما روي من ان عثمان رضي الله تعالى عنه لما كلم عليا كرم الله وجهه في ذلك قال له علي قد علمت انا تمتعنا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال أجل ولكنا كنا خائفين يعني ان فعله ذلك لعارض لانه الافضل وروي ان عثمان رجع لما قاله علي وقال ما كنت لادع عليا لكنه مما تفرد به مسلم وكان الكلام بينهما بعسفان

(وعنه) أي عن علي وهو غير معروف عنه (اني) وفي نسخة صحيحة الا اني أي انتبهوا فاني (لست بنبي) أي لا يوحى الي بوحي جلي (ولا يوحى الي) أي بوحي خفي أعمل به (ولكني أعمل بكتاب الله تعالى وبسنة نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم) وفي نسخة وسنة نبيه (مااستطعت) أي قدر ماقدرت بحسب الطاقة البشرية (وكان ابن مسعود يقول) كما رواه الدارمي والطبراني واللالكائي في السنة عنه وعن أبي الدرداء (القصد في السنة) أي التوسط في العمل بها بين الكثرة والقلة (خير من الاجتهاد في البدعة) أي أحسن من المبالغة في بذله الوسع والطاقة والكثرة من الطاعة في حال الاخذ بالبدعة ولو كانت مستحسنة واما تقييد الدلجي بالضلالة فنشأ من بعض الجهالة لانها قوبلت بالسنة الثابتة ولاشك انها خير من البدعة الحسنة ولا معنى لمقابلتها ببدعة الضلالة اذ لا خير فيها في جميع الحالة لا محالة (وقال ابن عمر) رضي الله تعالى عنهما كما رواه عبد بن حميد في مسنده بسند صحيح (صلاة السفر ركعتان) أي لا زيادة عليهما كما ثبت عنه عليه الصلاة والسلام قولا وفعلا في الليالي والايام (من خالف السنة) أي لم يقبلها (كفر) أي قارب الكفر أو كفر بالنعمة فان القصر رخصة وهي منة ولذا سمي صدقة وقيل من خالفها عنادا أو مستحلا فقد كفر وخرج عن دائرة الاسلام بامتناع قبول أحكامه عليه الصلاة والسلام وهذا اذا كانت السنة متواترة معلومة من الدين بالضرورة وتركها من غير تأويل لها (وقال أبي بن كعب) كما رواه الاصفهاني في ترغيبه واللالكائي في سننه (عليكم بالسبيل) أي الزموا طريق الطاعة (والسنة) أي ومتابعة الشريعة (انه ماعلى الارض من عبد) أي من عبيده سبحانه وتعالى (على السبيل) أي سبيل الله تعالى (والسنة) أي سنة رسول الله والمعنى يكون ثابتا على طريق الكتاب والسنة (ذكر الله في نفسه) أي في باطنه والمعنى بحضور قلبه سواء كان الذكر بلسانه أو بمجرد ذكر جنانه ولاشك ان الجمع أولى لظهور برهانه فلا معنى لقول الدلجي أي بدون تلفظ لوضوح بطلانه (ففاضت عيناه) أي سالت دموعهما من أثر بكائه (من خشية الله) أي من خوف عقابه أو حجابه (فيعذبه) بالنصب أي الا لم يعذبه (الله أبدا) أي لا في دنياه ولا في آخرته حيث طلب مرضاته مولاه وفي نسخة فيعذبه بالرفع

عليهم

وهو اسم موضع معروف (وعنه) أي عما روي عن علي رضي الله تعالى عنه ولم يذكروا من رواه عنه (الا اني لست بنبي ولا يوحى الي) بالبناء للمجهول (ولكني أعمل بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما استطعت) أي ما لم أضطر الى خلافهما فان الضرورات تبيح المحظورات وفي نسخة وسنة نبيه (وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقول) في أثر رواه الدارمي والطبراني عن أبي الدرداء (القصد) أصل معنى القصد التوجه الى جهة ويطلق على استقامة الطريق ثم شاع في الاعتدال بين الافراط والتفريط كما قاله الراغب وهذا هو المراد (في السنة) أي في سلوك طريقة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (خير من الاجتهاد) أي الاكثار منه وبذل الجهد والطاقة في العمل الملتبس بغيرها وهو معنى قوله (في البدعة) وتقدم تفسيرها وانها تنقسم لواجب وسنة ومحرم ومكروه كما قاله ابن عبد السلام (وقال ابن عمر) رضي الله تعالى عنهما فيما رواه عبد بن حميد في مسنده بسند صحيح (صلاة السفر) أي المقصورة فيه وجوبا أو استحبابا (ركعتان من خالف السنة) أي طريقة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في قصر الصلاة سفرا (كفر) أي صار كافرا ان قصد مخالفة فعله صلى الله تعالى عليه وسلم عنادا أو أنكر جواز فعله والا فهو بمجرد الاتمام مبتدع عند أبي حنيفة رحمه الله تعالى وبعض الفقهاء وقيل الكفر بمعنى كفران النعمة التي أنعم الله تعالى بها عليه من احسانه عليه بتسهيل أمره (وقال أبي بن كعب) رضي الله تعالى عنه فيما رواه الاصبهاني في ترغيبه وغيره وأبي هو المنذر النجاري الانصاري الصحابي توفي سنة تسع عشرة على الاصح وقيل سنة اثنين وثلاثين في خلافة عثمان (عليكم) هو هنا اسم فعل بمعنى التزموا أو تمسكوا (بالسبيل) أي طريق الله وصراطه المستقيم وهو العمل الخالص تقربا الى الله تعالى (والسنة) أي طريقة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهديه وقدم السبيل اهتماما بالاخلاص ان لم يقل ان العطف تفسيري وهو جائز (فانه) تعليل للحث على التمسك بالسنة والضمير للشان (ما على الارض) الظاهر ان المراد بمن عليها كل موجود من الاحياء العقلاء من هذه الامة من عصره الى يوم القيامة وقيل المراد به من كان موجودا في عصره من الصحابة وخصهم لان قرنه خير القرون وثوابهم أكثر من ثواب غيرهم والظاهر ما قدمناه لما مر من ان العامل بسنتي عند فساد أمتي له أجر مائة شهيد (من عبد) من زائدة للاستغراق (على السبيل والسنة) متمسك بها والسبيل كالطريق يذكر ويؤنث وجعله لتمكنه كانه راكب مستعل عليها فهو تمثيل (ذكر الله في نفسه) صفة مخصصة لعبد (ففاضت عيناه) أي فاض ماء عينيه ببكائه (من خشية الله تعالى) وخوفه وفي نسخة من خشية ربه (فيعذبه الله تعالى أبدا) أي الا لم يعذبه الله أبدا ولا يدخله النار وان كان مذنبا ولا يعذبه في قبره أيضا ويعذبه بالنصب في جواب النفي المحض كقوله لا يقضى

(وماعلى الارض من عبد على السبيل) أى الطريقة المرضية (والسنة) أى الهيئة السنية (ذكر الله فى نفسه) أى من غير ان يتعلق به الرياء والسمعة (فاقشعر جلده) أى انقبض واجتمع (من خشية الله) أى من عظمة مولاه (الا كان مثله) بفتحتين أى صفته العجيبة وحالته الغريبة (كمثل شجرة قد يبس ورقها) أى أوراقها وذهب رونقها ورواجها (فهى كذلك) أى فبينما هى فى أوقات كونها كذلك (اذ أصابتها ريح شديدة) أى من جوانبها (فتحات) بتشديد الفوقية الثانية أى فتناثر (عنها ورقها) كرر بدلا أو تاكيدا لبعد المسافة بينهما باعتراض المثل (الاحط عنه خطاياه) بصيغة المجهول أى وضع عنه ذنوبه ومحى عنه عيوبه (كما تحات عن الشجرة ورقها) أى تساقط (فان اقتصادا) أى توسطا (فى سبيل) أى فى طريق خير (وسنة) أى طريقة حسنة من كتاب وسنة (خير من اجتهاد) أى مبالغة فى الطاعة وسع الطاقة (فى خلاف سبيل وسنة) أى فى مخالفتهما (وموافقة بدعة) أى ولو حسنة لا بدعة ضلالة كما قاله الدلجى هنا أيضا وهذا عطف تفسير ولم يوجد فى بعض النسخ (وانظروا) أى وتاملوا حرصا منكم (ان يكون عملكم ان) كان (اجتهادا أو اقتصادا) أى مبالغة فى الجد أو توسطا فى الجهد (ان يكون) بدل من ان يكون الاول أو تاكيد له لبعد المسافة بينهما باعتراض الشرط والمعنى ان يوجد (على منهاج الانبياء عليهم السلام) أى شريعتهم وروى مناهج الانبياء أى شرائعهم (وسنتهم) أى طريقتهم لتصلوا الى مقام حقيقتهم (وكتب بعض عمال عمر بن عبد العزيز) أى نوابه

عليهم فيموتوا (وماعلى الارض من عبد على السبيل والسنة) أى متق سلك طريقة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومصدقا به فى أقواله وأفعاله (ذكر الله فى نفسه) أى أحضره فى قلبه وذهب لملاحظة ربه وجلاله وعظمته والظاهر ان هذا مجرد التصور من غير لفظ لمقابلته للذكر قبله والذكر المذكور والمراد به المقارن للشكر لانه لا يفيض ماء عينيه الا التصوره واحضاره فى قلبه وقيل ان هذا يحتمل التصور والمجرد والمقارن للذكر اللسانى ولا يخفى ما فيه (فاقشعر جلده) اقشعر بالتشديد أى أخذته قشعريرة وهى الرعدة كما فى القاموس (من خشية الله) أى من شدة خوفه قال الراغب الخشية خوف يشوبه تعظيم وأكثر ما يكون عن علم بما يخشى منه ولذا خص العلماء بها فى قوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء انتهى (الا كان مثله) بفتحتين أى صفته وحاله العجيبة (كمثل) بفتحتين أى كهذه الصفة (شجرة) ذات أغصان وورق (قد يبس ورقها) صفة شجرة وانما وصفها بهذا توطئة للتحات الآتى لانه لا يكون كذلك الا الورق اليابس وهو اشارة الى انه له خطايا كثيرة قديمة (فهى كذلك) أى فهى دائمة قائمة على هذه الحالة من قدم أوراقها ويبسها وأصلها فبينما هى كذلك (اذ أصابتها ريح شديدة) والريح مؤنثة (فتحات عنها ورقها) أى سقط وفى القاموس حته فركه وقشره فانحت وتحات والورق سقطت كانحت انتهى وفتحات بفتحات وتاء مشددة آخره مطاوع حته (الاحط الله خطاياه) المراد بالحط هنا المغفرة وعبر بها على طريق الاستعارة وعبر به لمناسبة المشبه وخطاياه جمع خطيئة وهى الذنب وهذا بدل من الا الاولى وما معها وكرر الا مع البدل تأكيدا لبعد المسافة باعتراض المثل وقيل انه استئناف جواب المقدر كأنه قيل ماذا يترتب على اقشعراره من الخشية مع مراعاة النفى فقيل الاحط عنه خطاياه (كما تحات) أصله تتحات مضارع بمعنى تسقط (عن الشجرة ورقها فان اقتصادا) أى اعتدالا وتوسطا من غير تفريط كما تقدم وهو افتعال من القصد وهو تعليل لما تضمنه ما قبله من مغفرة الذنوب الكثيرة بمجرد ذكر الله أو تذكره مع الخشوع والخشية وهو قليل ظاهرا وان كان عظيما فى نفسه (فى سبيل الله وسنة) عبر فى لمناسبة السبيل ولان ذلك الاتباع والاقتداء محيط بعلمه احاطة الظرف بالمظروف (خير من اجتهاد) أى زيادة وبذل جهده وطاقته (فى خلاف سبيل الله وسنة) أى بدعة مخالفة لسنة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وتقدم تفسيره (وانظروا) المراد بالنظر هنا التدبر والتأمل وهذا تتميم لما قبله وتاكيده (ان يكون عملكم ان كان اقتصادا أو اجتهادا) أى تدبروا فى جميع أعمالكم قليلة كانت أو كثيرة سواء بالغتم فيها أو لم تبالغوا (ان تكون) أعمالكم كلها وهو مع ما بعده بدل مما قبله أو تأكيد له واعاده للفصل بينهما كما تقدم وان بفتح الهمزة هى المصدرية لا شرطية مكسورة (على منهاج الانبياء) أى على طريقتهم والمنهاج والمنهج بمعنى الطريق الواضح (وسنتهم) أى طريقتهم وشريعتهم وعبر بالانبياء والمراد منهاج نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم اشارة الى ان منهاجه جار على منهاجهم غير مخالف له كما قال الله فبهداهم اقتده وجريه باعتبار التوحيد والعقائد الحقة والاعمال الصالحة والاخلاص لا لانا مأمورون باتباعهم فيما لم يرد فيه نص كما توهم وان كان صلى الله عليه وسلم نفسه كذلك (وكتب بعض عمال عمر بن عبد العزيز) رضى الله تعالى عنه وعمال بضم العين وتشديد الميم جمع عامل وهو الامير المولى من جانب الخليفة

(الى عمر) أي اليه حال كونه (يخبره بحال بلده) أي بما عليه أهله من فساده (وكثرة لصوصه) أي سراقه ونهابه (هل نأخذهم) بالنون وفي نسخة صحيحة بالياء التحتية (بالظنة) بكسر الظاء المعجمة المشالة وتشديد النون أي التهمة والمعنى هل نؤاخذهم ونعاقبهم بمجرد العلامات الدالة على أخذ السرقة عملا بالسياسة (أو) وفي نسخة أم (نحملهم على البينة) أي عند انكارهم (وماجرت عليه) فيه (السنة) وفي نسخة صحيحة وماجرت به السنة أي من ان البينة على المدعي واليمين على من أنكر (فكتب اليه عمر خذهم بالبينة وماجرت عليه السنة) أي وبما يترتب عليهما من غرم وقتل وقطع ونحوها (فان لم يصلحهم الله تعالى) أي بذلك (فلا أصلحهم الله) تعالى أي أيضا بخلاف ماهنالك ولا يبعد ان تكون الجملة الثانية دعائية والاول أظهر والمعنى ان الله تعالى حكيم في صنعه وعليم في حكمه فلا تجوز الزيادة والنقصان في حده وقد روي ان بعض الملوك كان يقتل اللصوص بالسياسة ومع هذا تكثر السرقة فذكر ذلك لبعض العلماء هنالك فقال له اعمل بالسنة تندفع بها الكثرة فسمع كلام ذلك الامام وعمل بالشريعة في تلك الاحكام فقلت السرقة فسأله عن الحكمة فقال لما كثرت مشاهدة قطع الايدي اعتبر أهل الفساد وقل اللصوص في العباد (وعن عطاء) أي ابن رباح أو عطاء الخراساني (في قوله) أي في تفسير قوله تعالى (فان تنازعتم) أي اختلفتم أنتم وأولوا الامر منكم (في شئ) أي من أمور الدين (فردوه) أي ارجعوا فيه (الى الله والرسول أي الى كتاب الله وسنة رسول الله) أي الى حكمهما فيكم وهذا يشمل حياته ومماته أي عليه الصلاة والسلام (وقال الشافعي رحمه الله تعالى) وهو الامام المجتهد روى عن مالك وروى عنه أحمد وأخرج له أصحاب السنن الاربعة وذكره البخاري في موضعين من صحاحه في الركاز والعرية ويقال انه غيره ومال الى كل قول بعض وولد سنة خمسين ومائة يوم مات أبو حنيفة رحمه الله تعالى ومات سنة أربع ومائتين (ليس في سنة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الا اتباعها) أي اقتداؤها علما وعملا قال تعالى لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة وهذا قريب في المعنى مما يحكى عنه اذا صح الحديث فهو مذهبي (وقال عمر رضي الله عنه) فيما رواه الشيخان (ونظر الى الحجر الاسود) جملة معترضة حالية (انك) والله كما في نسخة حجر (لا تنفع ولا تضر) أي

لعمله في الاموال والمصالح (الى عمر بحال بلده) أي يخبره بحال بلده الذي ولاه عليها وهي حمص كما قالوه (وكثرة لصوصه) عطف تفسير لحال جمع لص بتثليث اللام وهو السارق وقاطع الطريق وغيرهما من الذين يأخذون أموال الناس بالباطل وهذا رواه اللالكائي في السنة كما قاله السيوطي رحمه الله تعالى (هل يأخذهم) أي يحبسهم ويعاقبهم (بالظنة) بكسر الظاء المعجمة المشالة وتشديد النون أي بمجرد الظن بانهم لصوص (أو يحملهم) أي يطلب منهم ويكلفهم (على البينة) كما في قوله تعالى مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها أي تكلفوا احمالها كما قاله الراغب وضمير يأخذهم للصوص وضمير يحملهم للمدعين عليهم المعلومين من السياق وعداه بعلى باعتبار معناه الاصلي كما تقدم (وماجرت عليه السنة) أي ما اقتضته الشريعة من لزوم الثبوت بالبينة ونحوه مما يترتب عليه الحكم دون السياسة المحضة وان كان ذلك يجوز للحاكم في بعض الاحيان (فكتب اليه) أي الى عامله (عمر) بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه (خذهم) أي أحكم عليهم (بالبينة وماجرت عليه السنة) أي وردت واستقرت عليه (فان لم يصلحهم الحق) أي حكم الشريعة دون السياسة والعنف (فلا أصلحهم الله تعالى) أي ينتقم منهم اذلم يوافقهم لعمل الخير وهذا من شدة تقواه وانقياده للشريعة واحكامها قيل فكان من ثبت عليه سرقة نصاب قطع يده فما دار الحول وفيها سارق (وعن عطاء في) تفسير (قوله) تبارك وتعالى (فان تنازعتم) أي اختلفتم أيها الناس (في شئ) من أمور الدين (فردوه) أي ارجعوا فيه (الى الله و) الى (الرسول) أي الى ماقالاه (أي الى كتاب الله وشريعة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) وهذا يؤيد ماقاله عمر رضي الله تعالى عنه ولذا ساقه عقبه وهذا لا ينافي ماذكره الفقهاء من حبس المتهم وضربه حتى يقر وانه قد يعمل باقراره كما ذهب اليه مالك وغيره فانه استحسان منهم اذا قويت التهمة واقتضته الحال كما فصله الفقهاء وماقاله عمر رضي الله تعالى عنه شئ آخر وعطاء هو عطاء ابن أبي رباح المفسر كان من كبار التابعين وتوفي سنة خمس عشرة ومائة (وقال الشافعي) الامام المشهور وامام الائمة وسلطان الامة (ليس في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم) أي لم يثبت في حديث في شريعته (الا اتباعها) أي اتباع السنة والعمل بها وكان يقول اذا صح الحديث فهو مذهبي واذا خالف قولي الحديث فاضربوا به عرض الحائط وهكذا تبعه أئمتنا الشافعية رضي الله تعالى عنهم (وقال عمر) ابن الخطاب رضي الله تعالى عنه كما رواه عنه الشيخان (و) قد (نظر الى الحجر الاسود) في طوافه والجملة حالية بتقدير قد أو معترضة مؤذنة بان قوله ذلك حال مشاهدته له (انك حجر لا تنفع ولا تضر)

فى حد ذاتك وهو لا ينافى ما ورد من انه يشهد لمن استلمه يوم القيامة (ولولا انى رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقبلك ماقبلتك ثم قبله) وهذا يدل منه رضى الله تعالى عنه على كمال المتابعة للسنة وخبر لولا واجب الحذف عند النحاة لان طول الكلام سد مسد الخبر مع الجواب لكن المسئلة مفصلة فان خبر لولا منقسم الى أقسام ثلاثة قسم واجب الحذف وهو مادل على كون مطلق كقولك لولا زيد لهلك عمرو وقسم واجب الاثبات وهو مادل على كون مقيد اذ لو حذف لما فهم المعنى كقوله عليه الصلاة والسلام لعائشة رضى الله تعالى عنها لولا قومك حديثو عهد بجاهلية لنقضت الكعبة و بنيتها على قواعد ابراهيم فلو حذف حديثو عهد لكان المعنى لولا قومك على كل حال من أحوالهم لنقضت الكعبة ومن جملة أحوالهم بعد عهدهم بالكفر فيما يستقبل فكل مالم يفهم عند الحذف يتعين الاتيان به ومنه قول الشافعى

ولولا الشعر بالعلماء يزرى * ٣٣٧ لكنت اليوم أشعر من لبيد

وكذا قول الخنساء ترثى أخاها صخرا

ولولا كثرة الباكين حولى
على اخوانهم لقتلت نفسى

ومنه قول عمر هذا والتقدير لولا رؤيتى تقبيل النبى عليه الصلاة والسلام مستصحبة لما قبلتك وقسم ان شئت أثبته وان شئت حذفته كقولك لولا أخو زيد ينصره لغلب فمن راعى الكون المطلق حذف ومن راعى الكون المقيد أثبت (وروئى) وفى نسخة رئى بكسر الراء وسكون الياء فهمزة على بناء المجهول من ريأ مقلوب رأى (عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما) كما رواه أحمد والبزار بسند

(٤٣ شفا ث)

صحيح (يدير ناقته فى مكان) أى يطيفها حوله حتى عاد الى موضع أوله (فسئل عنه) أى عن سبب فعله وان ارادته لاى شئ (فقال لا أدرى) أى وجهه وحكمته (ألا انى رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فعله) أى مرة وفى نسخة يفعله (ففعلته) أى اقتداء به صلى الله تعالى عليه وسلم فى فعله وهذا يشير الى ان أكابر الصحابة كانوا يتبعونه فى الامور العادية أيضا (وقال أبو عثمان الحيرى) بمهملة مكسورة فمثناة تحتية بنيسابور كان يسكنها وهو شيخ الصوفية بها ذكره الذهبى فى المشتبه وفى نسخة الجنيدى بالتصغير وهو تصحيف وتحريف على ماقاله أبو القاسم القشيرى فى رسالته من نسبة هذا القول اليه والثناء عليه بقوله ومنهم أبو عثمان سعيد بن اسمعيل الحيرى المقيم بنيسابور وكان قد صحب شاه الكرمانى ويحيى بن معاذ الرازى ثم ورد بنيسابور مع شاه الكرمانى على أبى جعفر الحداد وأقام عنده وزوجه أبو جعفر بنته مات سنة ثمان وتسعين ومائتين

أى لا تقدر على ضر ونفع بالذات وان كان الله جعله سببا لاجابة الدعاء عنده وسنذينه (ولولا انى رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقبلك ماقبلتك) أى فى طوافه وانما استحب تقبيله لانه نزل من الجنة وكان أبيض كاللبن فسودته خطايا بنى آدم كما رووه (ثم قبله) عمر بعد ما ذكر وروى الحاكم ان عليا رضى الله تعالى عنه كان خلف عمر فلما سمع قوله هذا قال له بل يضر وينفع فان الله لما أخذ الميثاق على بنى آدم فى عالم الذر كتب ذلك فى رق وألقمه الحجر الاسود وسيأتى يوم القيامة وله لسان يشهد به لمن استلمه بالتوحيد ووفائه العهد وروى ان ذلك ذكر له صلى الله تعالى عليه وسلم فاقره وقد قالوا ان عمر رضى الله تعالى عنه كان عالما بذلك ولكنه قال مقاله هذا واسمعه للناس لقرب عهدهم بالجاهلية وعبادة الاحجار فخشى ان يضلوا و يعتقدوا نفعها قياسا عليه وقد ورد ان الحجر الاسود يمين الله فى أرضه أى وضعه فى الارض ليقبل كما يقبل اليد اليمنى دون اليسرى تكريما لها أو ان تقبيله يفيض الانعام والرضى كتقبيل يد العظماء فهو استعارة والاضافة للتشريف كبيت الله وفيه رد على من قال ان الحجر الاسود له خاصة فى ذاته كخاصة المغناطيس لجذب الحديد وفى الحديث من الاحكام انه يكره تقبيل مالم يرد الشرع بتقبيله كما يفعله بعض العوام من تقبيل قبور الاولياء والاماكن المباركة وقول الشافعى رضى الله تعالى عنه كل مكان قبل من البيت حسن لم يرد به استحبابه وانما أراد اباحته لان المباح حسن عند بعض الاصوليين (ورئى) مبنى للمجهول براء مهملة مضمومة وهمزة مكسورة وياء مفتوحة وقال ابن مرزوق انه بوزن قيل ففيه مافيه من اللغات وآخره همزة بالقلب المكانى وتبعه بعضهم فان ساعدته رواية فبها ونعمت والا فهو تكلف لا حاجة اليه (عبد الله بن عمر) الصحابى المشهور رواه عنه أحمد بن حنبل والبزار بسند صحيح (يدير ناقته فى مكان) وهو راكبها أى بلغت وجهها أو يطيفها حوله حتى عادت لموضعها الاول (فسئل) عن فعله ذلك لاى شئ هو (فقال لا أدرى) وجه مافعلته وحكمته (الا انى رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يفعله) أى يدير ناقته فى هذا المكان (ففعلته) اقتداء به صلى الله تعالى عليه وسلم وفيه انه يستحب الاقتداء بافعاله صلى الله تعالى عليه وسلم تبركا وتيمنا الا انه قيل اذا صدر عنه أمر محتمل انه اتفاقى بمقتضى الجبلة البشرية لا بنية التعبد هل يستحب فعله أم لا فذهب الاكثرون الى انه لا يستحب الا انه لا بأس به وهو الظاهر وأما غيره فيكره الاقتداء به فى مثله كما يفعله بعض الصوفية فى اتباع آثار مشايخهم ومن هذا القبيل لبس الخرقة ونحوه فاعرفه (وقال أبو عثمان الحيرى) شيخ الصوفية بنيسابور وهو بكسر الحاء والراء

(من أمر السنة) بتشديد الميم أى من جعل السنة أميرا وحاكما (على نفسه قولا وفعلا) أى واعتقادا (نطق بالحكمة) لانه تبع من لا ينطق عن الهوى واختار سبيل الهدى (ومن أمر الهوى على نفسه) بان تبع رأيه وهواه فى فعله وقوله وأمور دنياه أخراه (نطق بالبدعة) أى بالامور الخارجة عن طريق السنة والمائلة عن السبيل المرضى لمولاه (وقال سهل التسترى أصول مذهبنا) أى معاشر

الصوفية لا جماعة المتصوفة بشهادة الاضافة (أربعة الاقتداء بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم) فى الاخلاق أى الاحوال الباطنة (والافعال) أى الاعمال الظاهرة (والاكل من الحلال) أى الطيب الخارج عن الشبهة (واخلاص النية فى جميع الاعمال) أى تخليصها من شوائب الرياء والسمعة اذ قد يصير العادات بها عبادات والكل ماخوذ من مكارم افعاله ومحاسن أقواله صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى آله وزيد فى نسخة وقد كان على خلق عظيم (وروى عن عائشة رضى الله تعالى عنها انها قالت كان خلقه القرآن) أى يأتمر باوامره وينتهى بزواجره (وجاء فى تفسير قوله تعالى والعمل الصالح يرفعه انه) اى العمل الصالح الذى يرفعه الله تعالى أو يرفع الكلام الطيب الى الله تعالى (هو الاقتداء به) أى برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كما فى نسخة أى فى جميع أقواله وأفعاله وأحواله وقد فسر الكلام الطيب بقوله (لا اله الا الله) وقيل هو ذكر من تسبيح وتهليل وقراءة قرآن وغير ذلك والهاء فى قوله يرفعه راجع الى الكلام الطيب وعليه أكثر المفسرين فن قال حسنا وعمل غير صالح رد الله عليه قوله ومن قال حسنا وعمل صالحا رفعه العمل كما جاء فى الحديث لا يقبل الله قولا الا بعمل ولا عملا الا بنية ولا نية الا باصابة

فى

المهملتين وبينهما مثناة تحتية ساكنة وفى آخره ياء نسبة مشددة نسبة للحيرة اسم محلة بها كان يسكنها وهو أبو عثمان سعيد بن اسمعيل توفى سنة ثمان وتسعين ومائتين وهو من كبار الزهاد والمشايخ الصوفية وهو صاحب أبى حفص النيسابورى كما قاله ابن ماكولا والذهبى وذكره القشيرى فى رسالته ونقل ما ذكره المصنف رحمه الله تعالى وقال انه صاحب شاه الكرمانى ويحيى بن معاذ الرازى ثم ورد نيسابور مع شاه الكرمانى على أبى حفص الحداد فتخرج عليه وزوجه ابنته وقد صحف الناس هنا نسبته فقيل انه الحنيذى بحاء مهملة مضمومة ونون مفتوحة بعدها ياء ساكنة وذال معجمة مكسورة وياء نسبة كذا فى أصل أبى العباس العزفى وهو مخالف لما فى أصل المصنف بخطه وهو الصحيح وفى بعض النسخ الجنيدى بجيم مضمومة ودال مهملة وفى بعضها الحميدى مصغر الحاء ودال مهملتين والكل تحريف وتصحيف والصحيح ما نقلناه أولا واذا جاء نهر الله بطل نهر معقل وأقربها الجنيدى فانه كان على طريقته فى الزهد ولم يكن فى عصره أعرف منه بطريق المشايخ ومن كلامه رضى الله تعالى عنه الصحبة مع الله عز وجل بحسن الادب ودوام الهيبة والمراقبة والصحبة مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم باتباع سنته وظاهر فعله والصحبة مع أولياء الله بالاحترام والخدمة والصحبة مع الاهل بحسن الخلق والصحبة مع الاخوان بدوام البشر والصحبة مع العوام بالدعاء والرحمة لهم (من أمر السنة على نفسه) وهو بفتح الهمزة وتشديد الميم وراء مهملة خفيفة أى جعل سنة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وطريقته (قولا وفعلا) أى فى أقواله وأفعاله فهو منصوب على الظرفية أو تمييز محول عن المفعول أى جعلها أميرا عليه وحاكما وهو عبارة عن عدم مخالفتها وقيل انه بفتح الهمزة والميم المخففة وتشديد الراء المهملة أى أجراها وشاها عليه وهو بعيد (نطق بالحكمة) أى القول الصواب النافع له فى الدنيا والآخرة وكل كلام وافق الحق فهو حكمة (ومن أمر الهوى) أمر كالذى قبله ففيه استعارة والهوى ما تهواه نفسه الامارة وتشتهيه (نطق بالبدعة) أى بما يخالف الحق مما زينه له الشيطان من الضلالة (وقال سهل التسترى) وهو سهل بن يونس بن عيسى بن عبد الله بن رفيع شيخ الصوفية الزهاد تقدمت ترجمته والكلام على بلدته تستر وهى مشهورة (أصول مذهبنا) أى التصوف أى قواعده التى تدور عليها (ثلاثة) أولها وأعظمها (الاقتداء بالنبى صلى الله عليه وسلم) واتباعه (فى الاخلاق والافعال و) الثانى (أكل الحلال و) الثالث (اخلاص النية فى الاعمال) وهذه الاصول وان كانت أصول الصوفية فهى أصول للشريعة أيضا وقد ورد فى الحديث بمعناه وهو ظاهر (وجاء) أى ورد عن السلف فى التفاسير المأثورة (فى تفسير قوله) تعالى اليه يصعد الكلم الطيب (والعمل الصالح يرفعه انه) بفتح الهمزة فاعل جاء (الاقتداء بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم) فانه العمل لا يكون صالحا مقبولا الا اذا وافق الكتاب والسنة وموافقتهما عين الاقتداء به قولا وعملا وضمير انه للعمل الصالح وضمير يرفعه المرفوع والمنصوب الاول للكلام الطيب وهو التوحيد والثانى للعمل والرفع بمعنى القبول ويجوز العكس أى يرفع التوحيد الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم فانه لا يقبل بدونه وعلى الثانى المراد بالكلام الطيب الاذكار وما هو قريب منها وهى انما تقبل اذا وافقت السنة والكلام عليه مفصل

(وحكى عن أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى) هو امام المذهب أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال الشيبانى الزاهد الربانى روى عن البخارى وغيره وعنه ابناه وجمع وفى نسخة ان أحمد بن حنبل (قال كنت يوما مع جماعة تجردوا) أى عن ثيابهم (ودخلوا الماء) أى بلا سترة والظاهر ان الجملة حالية والمعنى انهم تجردوا عن ثيابهم بعد ان دخلوا وسط الماء على ان الواو لمطلق الجمع (فاستعملت الحديث) أى اطلاق الحديث الذى رواه مثله الترمذى أيضا (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل الحمام) بصيغة النهى وقيل بالنفى واريد النهى بل هو أبلغ (الا بمئزر) بكسر ميم وسكون همزة ويبدل وفتح زاى الا بازار تستر عورته (ولم أتجرد) أى انا من ثيابى احتياطا فى ذلك المقام (فرأيت) أى فى المنام (تلك الليلة) أى القابلة من يوم تجردهم (قائلا يقول لى يا أحمد ابشر) أى بكل خير وفى نسخة ابشر يا أحمد (فان الله قد) غفر لك باستعمالك السنة وجعلك اماما أى يقتدى بك (قلت من أنت قال جبريل) عليه الصلاة والسلام

(فصل)

(ومخالفة أمره) وكذا مناقضة نهيه بعد الانقياد لحكمه (وتبديل سنته) أى بتغييرها مبنى أو بتفسيرها معنى على خلاف مراده وطريقته (ضلال) أى فى الاعتقاد (وبدعة) أى فى الاجتهاد لا تصلح للاعتماد (ومتوعد) بفتح العين المشددة أى موعود (من الله تعالى عليه) أى ماذكر من المخالفة والمبادلة (بالخذلان) أى بترك النصرة له وعدم التوفيق للطاعة وخلق المعصية فيه فى الدنيا (والعذاب) أى وبالعقوبة فى العقبى (قال الله تعالى فليحذر الذين يخالفون عن أمره) أى معرضين عنه أو مانعين عن مقتضى حكمه (ان تصيبهم فتنة) أى كراهة ان يلحقهم محنة وبلية فى الدنيا (أو يصيبهم عذاب أليم) أى مؤلم فى العقبى والآية دالة على ان الامر للوجوب الاكيد حيث رتب على تركه الوعيد الشديد (وقال تعالى ومن يشاقق الرسول) أى يخالفه لان كلا من المتخالفين يكون فى شق غير شق الآخر (من بعد ما تبين له الهدى) أى ظهر له الحق ببيان المولى

فى كتب التفسير (وحكى) بالبناء للمجهول أى نقل لنا (ان) الامام (أحمد بن حنبل) رحمه الله تعالى وحنبل اسم جده فانه أحمد بن محمد بن حنبل كما أشار اليه المصنف رحمه الله تعالى فيما يأتى ابن هلال الشيبانى المروزى ثم البغدادى لانه تربى بها ودفن فيها ثانى عشر ربيع الاول سنة احدى واربعين ومائتين وهو امام السنة صاحب المذهب الزاهد العابد وله مناقب افردت بالتأليف (قال كنت يوما مع جماعة تجردوا) من ثيابهم عريانا (ودخلوا الماء) للاغتسال (فاستعملت الحديث) أى عملت به فالسين للتأكيد وقيل المعنى طلبت ذلك من نفسى وقلت لا توافق هؤلاء وهذا الحديث رواه مسلم والترمذى وهو (من كان يؤمن بالله) أى يصدق ويعترف بالله (واليوم الآخر) أى يوم البعث والحشر وهو يوم القيامة والايمان بهما عبارة عن الايمان بجميع ما جاء به الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فكنى بالطرفين عن الجميع فهو من باب الاكتفاء (فلا يدخل الحمام) المراد به كل مكان فيه ما يغتسل به ثم غلب فى العرف على محل مخصوص (الا بمئزر) المئزر بكسر الميم وهمزة ساكنة وتبدل ياء بمعنى الازار وهو ما يستر به نصف المرء الاسفل (ولم أتجرد) انا أى لم اخلع ثيابى وأتعرى منها وهو عطف تفسير لاستعملت الحديث (فرأيت) فى المنام (تلك الليلة) أى فى تلك الليلة التى تلى يوم تجردهم (قائلا لى) أى شخصا يقول لى (يا أحمد أبشر) أى مبشرا من الله بما يسرك (فان الله قد غفر لك) أى عفا عنك وانعم عليك بقبول ما صدر منك (باستعمال السنة) اى بسبب اقتدائك بالرسول صلى الله تعالى عليه وسلم والعمل بحديثه (وجعلك اماما) يؤتم بك ويقتدى بك لكونك مجتهدا صاحب مذهب (قلت) لمن رأيته فى المنام (من انت) استفهاما يريد به تعيينه عنده (قال جبريل) أى انا جبريل رسول الله الى عباده

(فصل ومخالفة أمره) أى بترك ما أمر الامة به (وتبديل سنته) أى تغييرها بوجه من وجوه التغيير ولو بتاويله على خلاف مراده (ضلال) أى عدول عن الطريق المستقيم وهى طريق الرسول صلى الله عليه وسلم وشريعته (وبدعة) أى أمر أحدثه فى الدين واذا اطلقت البدعة انصرفت الى غير الحسنة وهى المرادة هنا (متوعد عليها) أى ورد الوعيد لفاعلها فى أحاديث كثيرة تقدم بعضها وفى آيات قرآنية (من الله بالخذلان) متعلق بقوله متوعد والخذلان ضد التوفيق وهو ان يخلق الله فيه داعية المعاصى فى الدنيا (والعذاب) الاليم فى الآخرة (قال الله تعالى فليحذر الذين يخالفون عن أمره ان تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم) ضمن يخالفون معنى يعرضون فلذا عداه بعن وهو متعد بنفسه وضمير أمره للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم لانه المقصود بالذكر فى الآية وهو الذى بنى المصنف رحمه الله تعالى عليه كلامه هنا وفيه وجه آخر انه لله لانه الآمر الحقيقى والفتنة ما فى الدنيا من المصائب لا المحنة الدنيوية والعذاب الاليم فى الآخرة (وقال الله تعالى ومن يشاقق الرسول) أى يعاديه ويخاصمه فيكون فى شق وهو فى شق آخر (من بعد ما تبين له الهدى) أى ظهر له الحق وثبت معانيه بمعجزاته صلى الله تعالى عليه

(ويتبع غير سبيل المؤمنين) أي غير ماهم عليه من اعتقاد علم أو اعتماد عمل (نوله ماتولى) أي نجعله واليا لما تولاه من ضلال وبدعة (ونصله جهنم) أي ندخله فيها ونحرقه بها (وساءت) أي جهنم (مصيرا) أي مرجعا لهم والآية مؤذنة بحرمة مخالفة الاجماع (حدثنا أبو محمد عبد الله بن أبي جعفر وعبد الرحمن بن عتاب) بتشديد الفوقية وفي نسخة أبو محمد بلفظ التثنية فان كلاهما مكنى بابي محمد (بقراءتي عليهما) قيل هو فوق السماع لانه ادل على القابلية الظاهرة في الطباع (قالا) أي كلاهما (ثنا) أي حدثنا (أبو القاسم حاتم ابن محمد ثنا) أي حدثنا (أبو الحسن القابسي) بالقاف وكسر الموحدة (ثنا) أي حدثنا (الحسين) وفي نسخة صحيحة الحسن (ابن مسرور الدباغ) أي صانع الدبغ أو بائعه (ثنا) أي حدثنا (أحمد بن أبي سليمان ثنا) أي حدثنا (ابن سحنون) بفتح سين وضم

وسلم وهدايته الله تعالى له لمن هداه برسوله صلى الله عليه وسلم (ويتبع غير سبيل المؤمنين) أي يسلك طريقا غير طريقهم في الاعتقاد والعمل (نوله ماتولى) أي نجعله متوليا لما تولاه من الضلالة والبدع (الآية) أي اقرأها يعني قوله تعالى ونصله جهنم وساءت مصيرا وهذا وعيد شديد لمن لم يقتد به صلى الله تعالى عليه وسلم واستدل بهذه الآية على حجية الاجماع كما بين في كتب الاصول ثم ذكر حديثا رواه مسلم والامام مالك مسندا شاهدا لما ذكره فقال (حدثنا أبو محمد عبد الله بن أبي جعفر) هو عبد الله بن محمد بن عبد الله الحسني وقد تقدمت ترجمته (وعبد الله بن عتاب) تقدم أيضا (بقراءتي عليهما) بيان لطريق روايته ويسمى عرضا (قالا حدثنا أبو القاسم حاتم بن محمد) تقدم أيضا قال (حدثنا أبو الحسن القابسي) تقدم قريبا قال (حدثنا أبو الحسن بن مسرور الدباغ) بسين مهملة منقول من اسم المفعول وهو علي بن محمد بن مسرور توفي في منتصف رمضان سنة تسع وخمسين وثلاثمائة قال (حدثنا أحمد بن أبي سليمان) هو تلميذ سحنون وهو مولى لربيعة ويكنى أبا جعفر توفي سنة احدى وتسعين ومائتين وقد ناهز السبعين قال (حدثنا سحنون) عبد السلام (بن سعيد) وستأتي ترجمته مفصلة قال (حدثنا ابن القاسم) تقدمت ترجمته قال (حدثنا مالك) الامام المشهور (عن العلاء بن عبد الرحمن) تقدم أيضا (عن أبيه عن أبي هريرة ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم خرج الى المقبرة) مثلثة الباء والكسر لغة قليلة فيها (وذكر الحديث في صفة أمته صلى الله تعالى عليه وسلم) يعني قوله لكم سيما ليست لاحد من الامم تردون على غرا محجلين من آثار الوضوء (وفيه) أي في الحديث المذكور (فليذادن رجال عن حوضي) اللام في جواب قسم مقدر ويذادن مبني للمجهول بذال معجمة وألف بعدها دال مهملة ونون توكيد مشددة والذود هنا بمعنى الطرد والمنع وهذه رواية ابن القاسم ورواية غيره فلا يذادن ولا نافية أو ناهية أي لا يفعل أحدكم فعلا يطرد بسببه عن حوضي على معنى التحذير والاشفاق ورجحت الرواية التي اختارها المصنف رحمه الله تعالى (كما يذاد البعير الضال) أي كما يطرد البعير اذا ضل من صاحبه وأتى ليدخل في ابل أخرى ليستقي فيطرد من بينها لئلا ينتقص شربها (فاناديهم) اذا طردوا (ألا هلم ألا هلم ألا هلم) كرره ثلاثا تأكيدا على العادة في نداء من ضل وهذا بيان لحرصه صلى الله عليه وسلم على ردهم لشفقته عليهم ورحمته لهم وهلم بفتح الهاء وضم اللام وقد تفتح وهي اسم فعل بمعنى أقبل وأحضر ويتعدى بنفسها وبالى واللام وميمها مشددة مفتوحة يستوي فيها المذكر وغيره وهي بسيطة في الاصل أو مركبة من ها لم أو من هل أم وهذه لغة أهل الحجاز وهي الفصحى لانها لغة القرآن ولغة غيرهم هلم

نون (ابن سعيد) وهو عبد السلام (ثنا) أي حدثنا (ابن القاسم ثنا) أي حدثنا (مالك) وهو امام دار الهجرة رحمه الله تعالى (عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه) كذا رواه مسلم وأبو داود عنه والنسائي عنه واختار المصنف طريق مالك فان بينه وبين مالك سبعة أشخاص وبينه وبين مسلم ثمانية (ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خرج الى المقبرة) بتثليث الباء والفتح أفصح والظاهر ان المراد به مقبرة البقيع في المدينة (وذكر الحديث) أي بطوله (في صفة أمته) أي نعتهم وفضلهم حيث قال لكم سيما ليست لاحد من الامم تردون على غرا محجلين من أثر الوضوء الحديث (وفيه) وفي جملته (فليذادن) بفتح اللام القسمة وضم الياء وذال معجمة فالف ودال مهملة فنون مشددة من الذود وهو الطرد والبعد أي فليصدن وليمنعن (رجال عن حوضي كما يذاد البعير الضال) أي عن مزاحمة بعير الرجال في الشرب من حوض ماء الزلال (فاناديهم) أي ظنا انهم من أصحابي وأهل ناديهم (فاقول ألا) أي تنبهوا (هلم) أي تعالوا واقبلوا وهو بلغة قريش يستوي فيه الواحد والجمع بخلاف بني تميم فانهم يقولون هلم هلما هلموا هلمي والاول أفصح وبه ورد التنزيل قال هلم شهداءكم والقائلين لاخوانهم هلم الينا وقال الخليل أصله لم من قولهم لم الله شعثه أي جمعه كانه أراد لم نفسك الينا أي اقرب والهاء للتنبيه وحذف ألفها لكثرة الاستعمال وجعلا اسما واحدا في الامر بالاقبال

وهلما

(فيقال) أي فيقول المانعون والدافعون وهم الملائكة الجامعون (انهم قد بدلوا بعدك) أي دينهم كثيرا بدليل قوله (فأقول فسحقا فسحقا فسحقا) أي ثلاث مرات وهو بسكون الحاء وضمها بمعنى بعدا وانتصب بتقدير ألزمهم الله سحقا أو أسحقهم الله سحقا أي فأبعدهم الله بعدا أو فطردهم الله طردا أو بدليل حديث انهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم قال النووي اختلف العلماء في المراد بهم على أقوال أحدها ان المراد بهم المنافقون فيجوز ان يحشروا بالغرة والتحجيل فيناديهم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم للسيما التي عليهم فيقال ان هؤلاء بدلوا بعدك أي لم يموتوا على ما ظهر من اسلامهم وثانيها ان المراد بهم من كان في زمنه عليه الصلاة والسلام من أهل الاسلام ثم ارتدوا بعده فيناديهم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وان لم يكن عليهم سيما الوضوء لما كان يعرفه في حياته من اسلامهم فيقال ارتدوا بعدك والثالث ان المراد أصحاب المعاصي والكبائر الذين ماتوا على التوحيد وأصحاب البدع فلا يقطع لهؤلاء بالنار بل يجوز ان يذادوا عقوبة لهم ثم يرحمهم الله سبحانه وتعالى ثم اعلم ان في بعض النسخ فلا يذادن بزيادة ألف بعد اللام فتصير لا نافية وأكثر الرواة عن مالك في الموطأ على الاول ورواه يحيى ومطرف وابن نافع على الثاني ورده ابن وضاح بناء على الرواية الاولى وكلاهما صحيح المبنى بل النافية أفصح في المعنى أي فلا تفعلوا فعلا يوجب ذلك هنالك ومنه حديث فلا ألفين أحدكم على رقبته بعير أي لا تفعلوا ما يوجب ذلك فما في بعض حواشي الشفاء من ان قوله فلا يذادن لا معنى له (وروى أنس رضي الله تعالى عنه ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال) أي في حديث طويل مما رواه الشيخان عنه آخره (فمن رغب) وفي نسخة صحيحة من رغب (عن سنتي) أي أعرض عنها ومامال اليها (فليس مني) أي بمتصل بي أو ليس من اتباعي وأشياعي (وقال) أي النبي عليه الصلاة والسلام كما في الصحيحين (من أحدث في أمرنا) ولمسلم من عمل عملا ليس عليه أمرنا وفي رواية من أدخل في ديننا وهو كذلك في نسخة وفي أخرى في أمرنا هذا على ما في رواية صحيحة أي هذا الامر الواضح الكامل الذي لا يحتاج الى زيادة احداث (ما ليس منه) أي شيئا لم يكن له من الكتاب والسنة عاضد ظاهرا وخفي ملفوظ أو مستنبط وفي نسخة ما ليس فيه (فهو) أي ذلك المحدث أو ذلك الشيء المحدث (رد) أي مردود غير مقبول وهذا الحديث أصل في الاعتصام بالكتاب والسنة ورد الاهواء والبدعة (وروى ابن أبي رافع) كما أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجه واسمه عبيد الله (عن أبيه) أي أبي رافع مولى النبي عليه الصلاة والسلام

وهلما وهلموا وهلمن فهي عندهم فعل لان اسم الفعل لا يتصل به الضمائر والمطرودون من المنافقين والمرتدين لكونهم أظهروا الاسلام وتوضؤوا وصلوا فيكونون غرا محجلين ولذا دعاهم وناداهم ولم تكن هذه السيما الا للمؤمنين لم يدعوا فان كان المراد أهل البدع من المؤمنين وأصحاب الكبائر فالامر ظاهر وقال النووي اختلف في المراد به على أقوال أحدها ان المراد بهم المنافقون ويجوز ان يحشروا غرا محجلين فينادون بسيماهم فيقال انهم بدلوا بعدك ولم يموتوا على الاسلام الثاني ان المراد من كان في زمنه صلى الله تعالى عليه وسلم ثم ارتد فيناديهم وان لم يكن لهم سيما لانه يعرفهم والثالث ان المراد أصحاب الكبائر والمعاصي الموحدين وأصحاب البدع فينادون عقوبة لهم (فيقال) بالبناء للمجهول أي يقول الله تعالى أو الملائكة أو من عرفهم من الصحابة (انهم قد بدلوا بعدك) أي غيروا واستنوا وارتكبوا ما لم تعهده منهم وفي نسخة انهم قد تبدلوا بعدك (فأقول سحقا سحقا سحقا) وفي نسخة فسحقا باعادة الفاء للتأكيد وهو بضم السين والحاء وتسكن تخفيفا قال تعالى فسحقا أي جعلهم الله في مكان سحيق أي بعيد وأصله من سحقه اذا فتته والسحق الثوب البالي وهو على تقدير اسحقوا وابعدوا بعدا شديدا ويحتمل انه دعاء عليهم تقديره ألزمهم الله سحقا فنصبه على المصدرية أو هو مفعول به واذا كان دعاء فعامله محذوف وجوبا كجدعا وعقرا وقيل هل هو مصدر لفعل ثلاثي وهو سحقه أو لغيره أي أسحقه على حذف الزوائد وقياسه اسحاقا ولا يحتاج لذلك وان اختاره أبو علي * أقول بل له داع لان سحقه بمعنى فتته كسحق المسك ونحوه واما من البعد فالمستعمل اسحقه يقال أبعده الله أو سحقه كما قاله الراغب (وروى أنس) ابن مالك في حديث رواه الشيخان (انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال من رغب عن سنتي) أي تركها لان رغب اذا تعدى بعن يكون بمعنى الترك ضد رغب فيه وسنته طريقته وشريعته (فليس مني) أي ليس من اتباعي وأشياعي ومن اتصالية كما تقدم بيانه وهذا تبرئ منه ورد له فهو في معنى الحديث الذي قبله (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث رواه الشيخان (من أدخل في أمرنا) أي أحدث بدعة في الدين وروي من أحدث وهما بمعنى (هذا) عبر باسم الاشارة اشارة الى انه لظهوره بمنزلة المحسوس المشاهد (ما ليس منه) أي أمر مخالف للكتاب والسنة (فهو رد) أي مردود وعبر بالمصدر للمبالغة كرجل عدل وهذا من حديث طويل من قواعد الدين وقال الطوفي انه نصف الدين (وروى ابن أبي رافع عن أبيه) وهذا الحديث رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه كما

(عن النبي) وفي نسخة ان النبي (صلى الله تعالى عليه وسلم قال لا ألفين أحدكم متكئا على أريكته) نهى لنفسه عليه الصلاة والسلام ان يراهم في ذلك المقام مريدا به نهيهم عن ان يكونوا عليها فانهم اذا كانوا عليها وجدهم كذلك لديها (يأتيه) حال ثانية أو جملة استئنافية بيانية أي يجيئه (الامر من أمري) أي حكمي (مما أمرت به أو نهيت عنه) أي مما هو غير ظاهر في الكتاب فيقول (لا أدري) أي غير القرآن (ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه زاد) أي الراوي أبو داود والترمذي والحاكم (في حديث المقدام) بكسر الميم الاولى وهو ابن معدى كرب روى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم (الا) للتنبيه (وان ما حرم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مثل ما حرم الله تعالى) أي فيجب اجتناب ما حرمه لانه ما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى فالكتاب وحي جلي والسنة وحي خفي (وقال عليه السلام) كما رواه أبو داود في مراسيله والدارمي والفريابي وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن يحيى بن جعدة (وجيء بكتاب) جملة حالية معترضة مؤذنة بانه سبب للمقالة أي وقد جيء بمكتوب من التوراة (في كتف) أي من الشاة والجائي به عمر أو ابنته حفصة أو عائشة رضي الله تعالى عنهم أو غيرهم ولا مانع من الجمع كما يشير اليه قوله (كفى بقوم حمقا) بضم فسكون أي حماقة وجهالة (أو قال ضلالا) أي ضلالة وغواية والشك من الراوي والباء زائدة في فاعل كفى ونصب ما بعده على التمييز المحول عن الفاعل والمعنى كفى الحمق أو الضلال قوما (ان يرغبوا) أي يميلوا أو يعرضوا (عما جاء به نبيهم الى غير نبيهم) أي ملتفتين ومقبلين الى ما جاء به غير نبيه يعني ولو كان نبيا الى غيرهم كما يدل عليه قوله عليه السلام في رواية ولو كان موسى حيا لما وسعه الا اتباعي (أو كتاب) أي أو الى كتاب (غير كتابهم) أي النازل اليهم ولو كان في كتب الله تعالى الى غيرهم هذا ولفظ ما رووه جاء ناس من المسلمين بكتب قد كتبوا فيها بعض ما سمعوه من اليهود فقال صلى الله تعالى عليه وسلم كفى بقوم حمقا أو ضلالة ان يرغبوا عما جاء به نبيهم اليهم الى ما جاء به غيره الى غيرهم (فنزلت أولم يكفهم انا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم) أي دائما ما بقيت الدنيا

تقدم قريبا (عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال لا ألفين أحدكم) بالبناء للمجهول نهى لنفسه والمراد به نهي غيره عن ان يجده ويراه على هذه الحالة (متكئا على أريكته) أي مترفها جالسا على سريره وتقدم بيان الاريكة (يأتيه الامر) جملة حالية تقريرا لبطره وسوء أدبه (من أمري مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول لا أدري) ما أتيت به لا أدري غير كتاب الله (ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه) وقد تقدم قريبا الكلام عليه (زاد المقدام) في هذا الحديث كما رواه الحاكم عنه وهو المقدام بكسر الميم ابن معدى كرب الكندي المكنى بابي صالح ممن وفد على النبي صلى الله عليه وسلم من كندة وتوفي بالشام سنة سبع وثمانين وهو ابن احدى وسبعين سنة (ألا) بفتح الهمزة كلمة استفتاح (وان ما حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما حرم الله) لانه مبلغ عنه فيجب اجتناب ما حرمه وفيه رد على القائل لا يتبع الا كتاب الله وفيه اشارة الى انه معصوم في أقواله وأفعاله (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الدارمي وابن المنذر وابن جرير وأبو داود مرسلا (وجيء) مجهول جاء والجملة حالية بتقدير قد أو معترضة (بكتاب) أي مكتوب (في كتف) أي في عظم كتف لانهم في الصدر الاول كانوا يكتبون فيها وفي الجلود لعزة الورق اذ ذاك والجائي به عمر رضي الله تعالى عنه أو ابنته حفصة أو عائشة كما قيل وقيل انه شيء كان كتبه بعض المسلمين عن اليهود فلما رآه صلى الله تعالى عليه وسلم ألقاه (قال كفى بقوم) متعلق بكفى أو الباء زائدة في المفعول (حمقا أو قال ضلالا) شك من الراوي ونصبهما على التمييز والحمق الغباوة وعدم الفهم والضلال ضد الهداية وجعله كذلك لنظرهم في أمور منسوخة محرفة وتركهم السنة ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم معهم بين أظهرهم كما بينه بقوله (ان يرغبوا) هو فاعل كفى أي رغبتهم (عما جاءهم به نبيهم) معرضين عنه مشتغلين بما لا يعنيهم (الى) ما جاء به (غير نبيهم) أي ناظرين اليه راغبين فيه وهم لا يعلمون بصحته (أو) ناظرين الى (كتاب غير كتابهم) الذي أنزله الله تعالى على رسولهم فلا ينبغي لهم الا الاقتداء به والسماع منه اعتناء لما له وهو بين وفيه اشارة الى انه كان أمرا منقولا عن اليهود كما نقله في زاد المسير (فنزلت) آية (أولم يكفهم انا أنزلنا عليك الكتاب) أي القرآن الذي ما فرطنا فيه من شيء فهو لوم على ما فعلوه وهو عطف على ما قبله والهمزة مقدمة من تأخير أو على مقدر معلوم من الحال أي قالوا ذلك ونقلوه ولم يكتفوا الى آخره وهذا سبب نزول الآية كما نقله في أسباب النزول وقيل سبب نزولها ان المشركين طلبوا من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان يأتيهم بآية من آيات الانبياء عليهم الصلاة والسلام كعصى موسى عليه الصلاة والسلام وناقة صالح عليه السلام فقال لهم الله تعالى لهم أولم يكفهم معجزة القرآن التي هي أعظم المعجزات وهي باقية مستمرة ولذا قال (يتلى عليهم الآية) وعبر بالمضارع والضمير لليهود أو المسلمين أو المشركين وقيل ان كلا منهما سبب لنزولها ولا مانع من تعدد السبب ولا حاجة لتعدد النزول كما قيل وفيه دليل على النهي عن قراءة

الكتب

(وقال عليه الصلاة والسلام) فيما رواه مسلم عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه (هلك المتنطعون) ماخوذ من النطع وهو الغار الاعلى من الفم ثم استعير لكل تعمق قولا وفعلا أي المتعمقون في كلامهم الغالون في أقوالهم وأفعالهم المتكلمون بأقصى حلوقهم البالغون في خوضهم (وقال أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه) كما رواه أبو داود وغيره (لست تاركا شيأ كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يعمل به) أي في حال (الا عملت به) أي اقتفاء بسنته الحميدة واقتداء بسيرته المجيدة (اني أخشى) أي أخاف خوفا عظيما (ان تركت شيأ من أمره) أي الذي كان عليه في دينه (ان أزيغ) أي أميل عن الحق والهدى وأقبل على موافقة النفس وموافقة الهوى

(الباب الثاني)

(في لزوم محبته عليه الصلاة والسلام) أي في ذكر ما يؤذن بوجوب لزوم محبته لكل مكلف من أمته في لوازم ملته (قال الله تعالى قل ان كان آباؤكم وابناؤكم) أي أصولكم وفروعكم (واخوانكم) أي أمثالكم وأقرانكم (وأزواجكم) أي أشباهكم من نسائكم ورجالكم (وعشيرتكم) وفي قراءة وعشيراتكم بصيغة الجمع أي جميع أقاربكم أو كل من تعاشرونه وتصاحبونه ماخوذ من العشرة (وأموال اقترفتموها) أي اكتسبتموها (من النقود والاجناس الآية) وهي (وتجارة تخشون كسادها) أي تخافون قلة رواجها ونقصان نفاقها أو نفادها (ومساكن) من البيوت والبساتين (ترضونها) يعجبكم سكونها أحب اليكم) حبا اختياريا (من الله ورسوله وجهاد في سبيله) أي من حب الله ورسوله ومجاهدة في طاعته وعبادته (فتربصوا) أمر تهديد أي فانتظروا (حتى يأتي الله بامره) أي بمحنة عاجلة أو لقمة آجلة (والله لا يهدي القوم الفاسقين) أي لا يرشد الخارجين عن محبة الله ومرضاته الى موافقات نفوسهم وهوى متابعتها (فكفى بهذا) أي التهديد والوعيد الشديد (حضا) أي تحريضا وحثا (وتنبيها) أي تنبيها (ودلالة) أي واضحة (وحجة) أي لائحة (على الزام محبته) أي اثبات مودته عليه الصلاة والسلام وفي نسخة على التزام محبته أي قبولها (ووجوب فرضها) أي ثبوت حتمها (وعظم خطرها) بكسر العين وفتح الظاء المعجمة أو بضم فسكون والخطر بفتح الخاء المعجمة والطاء المهملة أي القدر أي عظمة شأنها ورفعة قدرها

الكتب المنسوخة الا اصلاحة ممن يعرف النسخ والتحريف (وقال صلى الله تعالى عليه وسلم) في حديث رواه مسلم عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه (هلك المتنطعون) أي وقع في أمر يهلكه يؤدي الى غضب الله تعالى وعقابه من تنطع أي بالغ وغالى في الامور وتشدق بكلام لا حاجة اليه من النطع وهو الفك الاعلى من الفم استعير لكل متعمق في قول أو فعل غيرهم وأصله من يفتح فمه في تكلمه وقال الخطابي المتنطع المتعمق المتكلف للبحث عن مذاهب أهل الكلام الخائض فيما لم يبلغه عقله ومناسبته لما نحن فيه ان من تنطع خرج عن ظاهر السنة وعدل عن ظاهر سنة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وبه صرح أول الحديث وهو تعلموا الفرائض قبل ان يقبض واياكم والتنطع والتعمق والبدع وهلك جاء من باب ضرب ومنع وعلم (وقال أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه) وهذا رواه عنه أبو داود والبخاري وغيرهما (لست تاركا شيأ كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يعمل به) من سنته في أقواله وأفعاله وأحكامه وهديه (الا عملته) اقتداء به صلى الله تعالى عليه وسلم واتباعا لآثاره الحميدة (اني أخشى) أي أخاف (ان تركت شيأ من أمره) أي شانه وحاله الذي كان عليه عليه الصلاة والسلام (ان أزيغ) بزاي وغين معجمتين أي أميل عن الحق والسنة وأصل معنى الزيغ الميل عن الاستقامة قال الله تعالى فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم أي لما فارقوا الاستقامة عاملهم الله بذلك والله أعلم

(الباب الثاني)

من القسم الثاني من الكتاب (في) ذكر ما يدل على (لزوم محبته) أي وجوبها عن كل مكلف من أمته وفي نسخة فصل والصحيح الاول ووجوبها عقلا وشرعا لقوله (قال الله تعالى * قل ان كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم وأزواجكم) أي زوجاتكم جمع زوج وهو يطلق على الذكر والانثى وزوجة لغة أيضا فرقا بين المذكر والمؤنث (وعشيرتكم) وهم أقرباء النسب (وأموال اقترفتموها) أي اكتسبتموها وملكتموها (الآية) أي اقرأ ما بعد ما ذكر وهو وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره وسبب نزولها أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أمر بالهجرة تخلف بعضهم عنه فنزلت وتفسير الآية معلوم من التفاسير لا حاجة لذكره هنا (فكفى بهذا) المذكور في الآية (حضا) أي حثا وتحريضا وترغيبا قال الراغب الحض التحريك كالحث الا ان الحث يكون بسير وسوق والحض لا يكون بذلك وأصله الحث على الحضيض وهو قرار الارض انتهى (وتنبيها) أي ايقاظا لهم من نومة الغفلة عن محبته صلى الله تعالى عليه وسلم حتى لا يغيب عنهم طرفة عين (ودلالة) لهم على ما يجب في محبته (وحجة) أي اثباتا الدليل وجوب محبته عليهم والآخران بالنسبة لمن لا يعرف ذلك وما قبله لغيره (على التزام محبته) أي لزومها عقلا (ووجوب فرضها) عليهم شرعا (وعظم خطرها) أي قدرها وفائدتها وأصله ما يعطى عند الرهان

(واستحقاقه) أي النبي عليه الصلاة والسلام (لها) أي للمحبة الكاملة (عليه الصلاة والسلام) أي الكامل التمام (أذقرع) بفتح قاف وتشديد راء أي لانه وبخ (الله تعالى) أي ارتفع شانه وسطع برهانه (من كان ماله) أي من تجارة ومساكن وغيرها (وأهله) أي ماله من الاقارب ونحوها (وولده) أي واولاده خصوصا (أحب اليه) أي الى نفسه (من الله ورسوله) أو من رضاهما او اتباع أمرهما (وأوعدهم) أي خوفهم (بقوله فتربصوا حتى يأتي الله بامره) أي بالذي أراد بكم من سوء في الدنيا أو العقبى أو فيهما جميعا (ثم فسقهم) بتشديد السين أي نسبهم الى الفسق (بتمام الآية) أي بما تتم الآية به في الدلالة وهو آخرها حيث قال والله لا يهدي القوم الفاسقين (وأعلمهم) أي بطريق الكناية (انهم ممن ضل) أي بخذلانه سبحانه وتعالى (ولم يهده الله تعالى) أي الى برهانه وتحقيق ايمانه (حدثنا أبو علي الغساني) بفتح الغين المعجمة وتشديد المهملة (الحافظ) أي الجياني (فيما أجازنيه) أي من غير سماع منه ولا قراءة عليه (وهو) أي هذا المروي (مما قرأته على غير واحد) أي على كثير من المحدثين غيره ولعله خصه بالرواية عنه لعلو سنده أو صحة نسبه (قال) أي الغساني (ثنا) أي حدثنا (سراج بن عبد الله القاضي ثنا) أي قال حدثنا (أبو محمد الاصيلي) بفتح فكسر (ثنا) أي حدثنا (المروزي) بفتح الميم والواو (ثنا) أي حدثنا (أبو عبد الله محمد ابن يوسف) أي الفربري (ثنا) أي حدثنا (محمد ابن اسمعيل) أي البخاري) صاحب الصحيح (ثنا) أي حدثنا (يعقوب بن ابراهيم) أي الدورقي البغدادي روى عنه أصحاب الكتب الستة وله مسند توفي سنة اثنتين وخمسين ومائتين (ثنا) أي حدثنا (ابن علية) بالتصغير هو الامام أبو بشر اسمعيل بن ابراهيم بن القاسم المشهور بابن علية وهي أمه روى عنه أحمد واسحق وابن معين وجماعة امام حجة أخرج له الستة (عن عبد العزيز ابن صهيب) بالتصغير هو البناني الاعمى التابعي أخرج له الجماعة وقال أحمد ثقة (عن أنس رضي الله تعالى عنه) وكرواة مسلم والنسائي (أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال لا يؤمن أحدكم) الخطاب يشمل الموجودين ومن بعدهم من المولودين وفي رواية مسلم عبد وفي رواية غيرهما أحد أي لا يكمل ايمان أحد بدلالة رواية ابن حبان لا يبلغ عبد حقيقة الايمان والمعنى لا يعتد بايمانه (حتى أكون أحب) أي أشد حبا (اليه من ولده ووالده) أي خصوصا

(واستحقاقه) صلى الله تعالى عليه وسلم (لها) أي للمحبة المذكورة كما قيل

تملك بعض حبك كل قلبي * فان ترد الزيادة هات قلبا

اللهم املأ قلبي بنور ايمانك ومحبتك ومحبة نبيك محمد صلى الله تعالى عليه وسلم حتى لا يكون فيه محلا لغير كما (اذقرع) بفتح القاف والراء المهملة المشددة والعين المهملة أي وبخ قيل وفي أصل المصنف رحمه الله تعالى تقرع والصواب الاول (تعالى من كان ماله وأهله وولده أحب اليه من الله ورسوله) صلى الله تعالى عليه وسلم ثم بين تقريعه بقوله (وأوعدهم بقوله فتربصوا) أي انتظروا أمره وفيه من التوبيخ ما لا يخفى (وفسقهم) أي وصفهم ونسبهم للفسق (بتمام الآية) أي بما ذكر في آخرها حيث قال الله تعالى (والله لا يهدي القوم الفاسقين) فجعلهم فاسقين بتخلفهم عن الهجرة وسلب عنهم الهداية بوصف يشعر بعليتها وهو معنى قوله (وأعلمهم انهم ممن أضل ولم يهده الله) تبارك وتعالى (حدثنا أبو علي الغساني) الجياني الحافظ وتقدمت ترجمته (فيما أجازنيه) يعني انه رواه عنه بالاجازة ولم يقرأه عليه مع انه معاصر له (وهو) أي هذا الحديث الذي رواه البخاري وغيره (مما قرأته على غير واحد) من المشايخ غيره فله في روايته طرق كثيرة أقوى من هذه وانما اختارها العلو سنده وجلالته (قال) الغساني (حدثنا سراج بن عبد الله القاضي) تقدم بيانه قال (حدثنا أبو محمد الاصيلي ٢) تقدم أيضا قال (حدثنا أبو عبد الله محمد بن يوسف) هو الفربري راوي البخاري وقد تقدمت ترجمته قال (حدثنا محمد ابن اسمعيل) هو امام أهل السنة صاحب صحيح البخاري قال (حدثنا يعقوب بن ابراهيم) ابن كثير البغدادي الدورقي صاحب المسند وامام الحديث توفي سنة اثنين وخمسين ومائتين ونسب الى دورق اسم بلدة أو الى صنعة الدوارق وهي نوع من القلانس قال (حدثنا ابن علية) بالتصغير الامام الثقة الحافظ اسمعيل بن ابراهيم بن مقسم المشهور بابن علية أخرج له أصحاب السنن الستة وتوفي سنة ثلاث وتسعين ومائة وله ترجمة في كتاب الميزان وعلية أمه (عن عبد العزيز بن صهيب) علم منقول من المصغر وهو البناني الاعمى الامام الثقة الحافظ أخرج له الستة وتوفي سنة خمس وثلاثين ومائة وترجمته مشهورة (عن أنس) بن مالك الصحابي المشهور (أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال لا يؤمن أحدكم) هو من خطاب المشافهة فيعم الموجودين وغيرهم وقيل خص بالخطاب الموجودين والحكم عام بشهادة انه روي بغير خطاب في مسلم لا يؤمن عبد وفي رواية غيره أحد أي لا يؤمن ايمانا كاملا كما في رواية ابن حبان لا يبلغ عبد حقيقة الايمان (حتى أكون) بالنصب وهو غاية لما قبله (أحب اليه من ولده ووالده

والناس

(٢) قوله سقط المروزي بأصل الصالب ولعل الصواب ثبوته

(والناس أجمعين) أي وسائر الخلق عموما حبا اختياريا بإيجاب إكرامه عليه الصلاة والسلام وإجلاله في مقام الاحترام واعلم ان المراد بالحب هنا ليس الحب الطبيعي التابع لهوى النفس فان محبة الانسان لنفسه من حيث الطبع أشد من محبة غيره وكذا محبة ولده ووالده أشد من محبة غيرهما وهذا الحب ليس بداخل تحت اختيار الشخص بل خارج عن حد الاستطاعة فلا مؤاخذة به لقوله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها بل المراد الحب العقلي الاختياري الذي هو ايثار ما يقتضي العقل رجحانه وان كان على خلاف الطبع الا ترى ان المريض يكره الدواء المر بطبعه ومع ذلك يميل اليه باختياره ويهوى تناوله بمقتضى عقله لما علم أو ظن ان صلاحه فيه وكذلك المؤمن اذا علم ان الرسول عليه الصلاة والسلام لا يأمر ولا ينهى الا بما فيه صلاح دينه ودنياه وآخرته وعقباه وتيقن انه عليه الصلاة والسلام أشفق الناس عليه وألطفهم اليه وحينئذ يرجح جانب أمره بمقتضى عقله على أمر غيره وهذا أول درجات الايمان واما كماله فهو ان يصير طبعه تابعا لعقله في حبه عليه الصلاة والسلام قيل ومحبته نصر سنته والذب عن شريعته والاقتداء بسيرته

(وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه نحوه) مبتدأ مقدم الخبر والمعنى انه روى عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه بمعناه وان اختلف مبناه (وعن أنس رضي الله تعالى عنه عنه عليه الصلاة والسلام) كما في الصحيحين (ثلاث) أي خصال ثلاث (من كن فيه) أي من وجدن واجتمعن في حقه (وجد) أي أدرك بنفسه (حلاوة الايمان) أي في قلبه والتذ به كما يجد حلاوة العسل من تناوله غير ان الالتذاذ الاول عقلي روحاني والثاني حسي نفساني والجملة خبر أو صفة لثلاث (ان يكون الله تعالى ورسوله) بدل من ثلاث على الاول وخبره على الثاني أو خبر مبتدأ محذوف وهو هي أو هن ان يكون الله تعالى ورسوله عنده (أحب اليه مما سواهما) ولم يقل ممن سواهما العموم ما والمعنى من كل شيء مما عداهما وفي تثنية ضميرهما هنا مع انكاره عليه الصلاة والسلام على خطيب ثناهما بقوله ومن يعصهما فقد غوى بقوله بئس الخطيب انت قل ومن يعص الله ورسوله اشارة الى ان المعتبر في المحبتين هو مجموعهما لا كل واحدة بانفرادها ودلالة على ان كل واحد من العصيانين مستقل بلزوم الغواية له بشهادة العطف فانه في تقدير التكرير وقيل ان الجامع هنا يجوز له ما يجوز لغيره وقيل انما أنكره عليه لوقوفه على يعصهما ورد بقوله قل ومن يعص الله ورسوله ويمكن دفعه بان المراد بالامر والابتداء به حين وقف عليه (وان يحب المرء) أي الشخص أعم من الرجل والمرأة واغرب الانطاكي حيث توهم ان المرء مختص بالرجل وأتى بما لا يناسب المقام في تحصيل المرام (لا يحبه) أي لشيء (الا الله تعالى) أي لا لأمر آخر أي في مبتغاه وفيه ايماء الى ان محبة رسول الله أيضا انما هو لمحبة الله تعالى ورضاه

والناس أجمعين) ايثارا له صلى الله تعالى عليه وسلم واكرامه واجلالا واحب بمعنى أكثر محبوبية على خلاف القياس كأشغل من ذات النحيين ولم يذكر نفسه لدخولها في الناس وقوله اليه لا يقتضي خروجها لمغايرتها له من جهة كونه محبا وهي محبوبة والام وسائر الاهل داخل في الناس أيضا ولا حاجة لادخالها في الوالد كما قيل وسيأتي بمعنى محبتهم له صلى الله تعالى عليه وسلم (وعن أبي هريرة) رضي الله تعالى عنه (نحوه) أي روى عنه حديث بمعنى الحديث المذكور (و) روى (عن أنس) خادم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث رواه الشيخان (عنه عليه الصلاة والسلام ثلاث) أي ثلاث خصال أو خصال ثلاث فالوصف المقدر سوغ الابتداء بالنكرة كقولهم ضعيف عاذ بقرملة أي رجل ضعيف (من كن) أي الخصال (فيه وجد حلاوة الايمان) خبر المبتدأ أو صفته وكن بمعنى وجدن فكان تامة وحلاوة الايمان لذته ففيه استعارة أو هو مجاز مرسل الخصلة الاولى (ان يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما) جمع الله وغيره في ضمير وقد نهى صلى الله تعالى عليه وسلم عنه كما تقدم حيث قال للخطيب الذي قال ومن يعصهما فقد غوى بئس خطيب القوم انت قل ومن يعص الله ورسوله لايهامه التسوية بين الله وغيره ولذا قيل انه مكروه واجيب عنه بان الخطبة مقام اطناب لا ايجاز أو انه يجوز لله ورسوله ذلك دون غيرهما فهو من خصائصه واليه مال ابن عبد السلام وقيل انها واقعة حال لا تخصص لاحتمال انه كان بالمجلس من يتوهم التسوية أو ان هذا كان في ابتداء الاسلام ووجود المشركين بين ظهرهم لا سيما اذا قصد المبالغة في تعظيم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وان لا يفصل بين محبته ومحبة الله بفاصل لفظي وملاحظة انه لا يمكن التسوية بين العبد وسيده وفيه كلام فصلناه في غير هذا المحل (و) الثانية (ان يحب المرء) بالنصب مفعول يحب وفاعله ضمير من (لا يحبه الا الله) أي يخلص في محبته من غير ملاحظة انتفاع ما وعلامته ان لا يزيد بالبر ولا ينقص بالجفاء كما قاله ابن معاذ

و ان يكره ان يعود فى الكفر) اثبات ايمانه وكمال ايقانه (كما يكره ان يقذف فى النار) بصيغة المجهول أى يرمى فى النار فى هذه الدار وذلك لان المرء لا يكمل ايمانه ولا يتحقق ايقانه حتى يعتقد انه تعالى هو المنعم على الاطلاق فى تقسيم الارزاق والاخلاق لا مانع لما سواه ولا مانع ما عداه وان النبى عليه الصلاة والسلام واسطة بيننا وبينه فى ايصال المرام ساعى بهدايته له فى المرتبة والمقام لاصلاح شأنه ورفعة مكانه وذلك مشعر بوجوب تصحيح ٣٤٦ محبتهما وترجيح مودتهما (وعن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه) كما رواه البخارى (انه قال للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم لانت) أى والله لانت (أحب الى من كل شئ الا من نفسى) أى روحى (التى بين جنبى) صفة كاشفة أى التى فى بدنى وبها قوام أمرى ونظام قدرى ولذة حياتى الموجبة لكراهة مماتى وهذا جرى منه بناء على صدق مقامه وحسن مرامه حيث ظن ان المراد بمحبته عليه الصلاة السلام هو الحب الطبيعى فى هذا المقام (فقال له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لن يؤمن أحدكم) أى ايمانا كاملا (حتى أكون أحب اليه من نفسه) أى حبا اختياريا يوجب اختيار محبة رسول الله و رضاه على محبة المخلوقين مما سواه لقوله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها وقوله تعالى وما جعل عليكم فى الدين من حرج فلما تفطن لهذا المعنى من هذا المبنى (قال عمر والذى أنزل عليك الكتاب لانت أحب الى من نفسى التى بين جنبى فقال له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه الآن يا عمر) أى فى هذا الزمان قد استقمت ايمانا وتكملت ايقانا ولا يبعد ان يكون الاستفهام مقدرا ابطالهذا الامر الذى وجب ان يكون من أول الوهلة مقررا (قال سهل) أى ابن عبد الله التسترى رحمه الله تعالى (من لم ير ولاية الرسول) أى أمره وحكمه (عليه) أى جاريا على نفسه (فى جميع الاحوال) وفى نسخة صحيحة فى جميع أحواله أى من أفعاله وأقواله

(و) الثالثة (ان يكره ان يعود فى الكفر كما يكره ان يقذف فى النار) لتمكن الايمان من قلبه ومحبته له واطمئنان قلبه وفى رواية بعد اذ انقذه الله تعالى منه والانقاذ الاخراج وهذا ظاهر فى حق من تلبس بالكفر كالعود فانه بمعنى الرجوع امامن ولد مسلما واستمر على اسلامه فيعلم بالمقايسة عليه وبالطريق الاولى وقيل الانقاذ بمعنى العصمة منه والعود بمعنى الصيرورة وعدى العود بفى وهو يتعدى بالى لتضمنه معنى الاستقرار كما فى قوله تعالى وما يكون لنا ان نعود فيها (وعن عمر) بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فى حديث رواه البخارى عن عبد الله بن هشام (انه قال للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم لانت أحب الى) خبر انت واللام فى جواب قسم مقدر (من كل شئ) فى الدنيا وغيرها (الا نفسى التى بين جنبى) بتشديد الياء كياء الى (فقال له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لن يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من نفسه) ايثارا له صلى الله تعالى عليه وسلم على نفسه وغيره (فقال عمر) مجيبا له صلى الله تعالى عليه وسلم (والذى) أى الله الذى (أنزل عليك الكتاب) وأوحى اليك القرآن (لانت أحب الى من نفسى التى بين جنبى فقال له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الآن) نطقت بالحق أو ظهر اتصافك بكمال الايمان فهو متعلق بمقدر وهو مبنى على الفتح وال فيه لازمة كما اتفق عليه النحاة وهو الزمان الحاضر (يا عمر) صرح باسمه اشارة الى انه وصل لرتبة علية تخصه بالنسبة لبعض من عداه أى لا يكفيك المرتبة الاولى ولا يليق بعلوهمتك الاقتصار عليها وانما اقتصر على الاولى احترازا عن المبالغة لان محبة المرء لنفسه وترجيحها أمر طبيعى لا يسلم منه الا من ملك نفسه وجاهدها وقال ابن حجر جوابه أولا كان بحسب ما طبع عليه ثم تامل فعرف بالاستدلال انه صلى الله تعالى عليه وسلم أحب اليه منها لانه الذى نجاه من الهلاك فى الدنيا والآخرة فاخبره بذلك ثانيا ولذا قال له الآن تحققت ونطقت وقيل معناه لن يؤمن أحدكم ايمانا يعتد به حتى يقتضى عقله ترجيح رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على ما سواه وفيه سوء أدب ثم قال والحديث يومى الى ان محبة الرسول صلى الله عليه وسلم أمر غير اعتقاد أعظميته كما زعمه المصنف رحمه الله ورده القرطبى ولا وجه له فان عمر لا يشك انه صلى الله تعالى عليه وسلم أعظم من نفسه ومن كل شئ ولا يلزم من اعتقاد الاعظمية المحبة كما لا يخفى والمراد بالحب هنا العقلى الاختيارى الذى يقتضى العقل ايثاره وان خالف كمحبة المريض الدواء لا الطبيعى الذى لا يدخل تحت اختياره فان الله لا يؤاخذه به لانه لا يدخل تحت استطاعته والمراد بالنفس هنا الذات ولوازمها من الحياة ونحوها وقيل المراد الروح وان فرقوا بينهما واراد بالتى بين جنبيه السر القائم به الحياة واضافة اليهما لجرى العادة بسبب الحياة بسبب ما بينهما وهو القلب وما يتعلق به من سائر الاعضاء الرئيسة وليس هذا موضع الكلام على الروح انتهى وابرز عمر رضى الله تعالى عنه القسم بعد ما قدره تحقيقا لخلوص طويته فى مقالته ولذا قال له صلى الله تعالى عليه وسلم الآن لما علمه منه (وقال سهل) ابن عبد الله التسترى (من لم ير) أى يعلم ويتحقق يقينا (ولاية الرسول عليه فى جميع أحواله) الولاية بكسر الواو وفتحها بمعنى نفوذ حكمه وسلطانه حتى كانه مملوك له وقال الراغب الولاية بالفتح النصرة وبالكسر تولى الامر وقيل الولاية والولاية واحدة وهى مصدر نحو الدلالة والدلالة وحقيقتها تولى الامر انتهى والمراد

(ويرى نفسه في ملكه) بكسر الميم أي في تصرف نفسه وتدبير أمره وأما ما في بعض النسخ من زيادة عليه الصلاة والسلام بعد قوله ملكه فلا يصح نعم لو وجد يرى مجزوما لكان له وجه (لا يذوق حلاوة سنته) أي طراوة سيرته (لان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال لا يؤمن أحدكم) أي ايمانا كاملا (حتى أكون أحب اليه من نفسه الحديث) أي الى آخره فهو مجرور أو منصوب بتقدير أعني ونحوه أو مرفوع أي تمام الحديث سبق وهو قوله وماله وولده والناس أجمعين *(فصل)* (في ثواب محبته صلى الله تعالى عليه وسلم) أي بما يرجوه محبته في الدنيا ويامله في دار العقبى (حدثنا أبو محمد بن عتاب) بتشديد الفوقيه (بقراءتي عليه ثنا) أي حدثنا (أبو القاسم حاتم) بكسر التاء (ابن محمد ثنا) أي حدثنا (أبو الحسن علي بن خلف) بفتحتين وهو الحافظ القابسي (ثنا) أي حدثنا (أبو زيد المروزي) تقدم (ثنا) أي حدثنا (محمد بن يوسف) أي الفربري (ثنا) أي حدثنا (محمد بن اسمعيل) أي الامام البخاري (ثنا) أي حدثنا (عبدان) هو عبد الله ابن عثمان (ثنا) أي حدثنا (أبي) أي أبوه عثمان بن جبلة بن أبي داود العتكي المروزي أخرج له الشيخان (ثنا) أي حدثنا (شعبة) وهو امام (جليل عن عمرو بن مرة) أحد الاعلام وكان من الائمة العاملين الكرام روى عن ابن أبي أوفى وابن المسيب وجماعة وعنه سفيان وغيره قال ابن أبي حاتم ثقة يرائي الارجاء أخرج له الستة (عن سالم ابن أبي الجعد) تابعي جليل (عن أنس رضي الله تعالى عنه) لا يخفى ان هذه الطريق التي أخرجها القاضي عن البخاري هي في الادب من جملة الصحيح وأخرجه من طريق أخرى في الاحكام أيضا وأخرجه مسلم في الادب وليس لسالم بن أبي الجعد في الكتب الستة عن أنس رضي الله تعالى عنه غير هذا الحديث (ان رجلا) قيل هو عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه وقيل أبو موسى وأبو ذر وقيل غيرهم والله تعالى أعلم (أتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال متى الساعة) أي القيامة أو ساعة القيامة وحالة الندامة والملامة (يا رسول الله) كأنه أظهر الشوق اليها

انه لا يخالفه في أمر من أموره (ويرى نفسه في ملكه) بكسر الميم أي يملكه حتى كأنه عنده صلى الله تعالى عليه وسلم (لا يذوق حلاوة سنته) استعارة تصريحية أو مكنية وتخييلية والمراد انه اذا سلم ولاية رسوله بطيب قلب شرح الله تعالى صدره لاتباعه والاقتداء به فاستلذ بالاعمال الصالحة فقام ذلك له مقام الغذاء الحلو اللذيذ وهذا مأخوذ من قوله فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما كما تقدم بيانه (لان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال لا يؤمن أحدكم) أي لا يكمل ايمانه (حتى أكون أحب اليه من نفسه الحديث) منصوب بأعني ونحوه وتقدم تمام الحديث ووجه مناسبة كلام سهل لما نحن فيه ولما عال به انه يدل على ان من جعل نفسه تابعة للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم في أقواله وأفعاله تلذذ بالاقتداء به ولا يستلذ بذلك الا اذا أحبه فان المحب لا يخالف محبوبه فيترك مراده لمراده وبهذا دل على الاحبية وطابقت العلة معلولها كما لا يخفى وقد تقدم قوله * ان المحب لمن يحب مطيع * مع الكلام عليه

(فصل في ثواب محبته) صلى الله تعالى عليه وسلم بما يرجوه من بركتها في الدنيا ومن سعادته بها في الآخرة كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم المرء مع من أحب والثواب الجزاء ثم أسند حديثا في ذلك رواه البخاري فقال (حدثنا أبو محمد بن عتاب بقراءتي عليه) تقدم بيانه وان القراءة والاجازة سواء عند المصنف رحمه الله تعالى وعند غيره القراءة أقوى وهو الظاهر قال (حدثنا أبو القاسم حاتم بن محمد) تقدم أيضا والكلام على التكني بابي القاسم مشهور وسيأتي منه ما فيه الكفاية قال (حدثنا أبو الحسن محمد بن خلف) القابسي كما تقدم قال (حدثنا أبو زيد المروزي) تقدم أيضا قال (حدثنا محمد بن يوسف) الفربري وقد تقدم قال (حدثنا محمد بن اسمعيل) البخاري وقد تقدم قال (حدثنا عبدان) عبد الله بن عثمان وقد تقدم قال (حدثنا أبي) أبو عثمان بن جبلة ابن أبي رواد العتكي الثقة أخرج له أصحاب السنن قال (حدثنا شعبة) تقدمت ترجمته (عن عمرو بن مرة) الجملي بفتحتين نسبة الى جمل أبو يحيى أحد الاعلام العاملين أخرج له أصحاب الكتب الستة وتوفي سنة ستة عشر ومائة (عن سالم بن أبي الجعد) الاشجعي الكوفي توفي سنة خمس وخمسين ومائة وأخرج له الستة واسمه رافع (عن أنس ان رجلا أتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) قيل ان الرجل اعرابي لا يعرف وقيل هو الاعرابي الذي بال في المسجد وقال ابن بشكوال انه أبو موسى الاشعري رضي الله تعالى عنه أو أبو ذر رضي الله تعالى عنه واحتج بحديثين لا حجة له فيهما وقيل انه اعرابي اسمه ذو الخويصرة وقيل ان السائل عمير بن قتادة وفي معلم الذهبي انه عمر بن الخطاب وابان قيل ولذلك أورد البخاري هذا الحديث في مناقب عمر رضي الله تعالى عنه قلت التعبير برجل من غير تعيين يأبى كونه عمر او غيره من مشاهير الصحابة الا أن يكون الراوي نسيه والظاهر انه اعرابي (فقال متى الساعة يا رسول الله) سأله عن تعيين زمان وقوعها والساعة جزء من أربعة وعشرين جزأ من اليوم والليلة ثم أطلق لغة على كل زمان قليل فيقول جلست

والذوق لديها (قال ما أعددت لها) أي ما أعددت لما يصيبك من أهوالها وشدائد أحوالها (قال ما أعددت لها من كثير صلاة ولا صوم ولا صدقة) من فيها زائدة للمبالغة والمراد بها العبادات النافلة (ولكني أحب الله ورسوله) أي أطيعهما فيما أوجب رضاهما من الفرائض وهذا زبدة معنى قول صاحب البردة * ولم أصل سوى فرض ولم أصم * أي سوى فرض (قال أنت مع من أحببت) وفيه ايماء الى ان دعوى المحبة مع مجرد الاطاعة الواجبة كافية وللمعية في الجملة دلالة صحيحة وافية وأما دعوى المحبة مع ارتكاب المعصية فمذمومة وأصحابها على هذا الادعاء مذمومة ثم لما كثرت المتابعة زادت المحبة وكملت المعية حتى وصلت الى هذه المرتبة العينية والحالة الجمعية (وعن صفوان بن قدامة رضي الله تعالى عنه) بضم القاف قال الذهبي روى عنه ابنه عبد الرحمن وله صحبة وقيل هو تابعي ولابيه صفوان صحبة (قال هاجرت الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي وهو في المدينة السكينة (فاتيته فقلت يا رسول الله ناولني يدك أبايعك) بالجزم على جواب الامر ويجوز رفعه على الاستئناف (فناولني يده) فبايعته (فقلت يا رسول الله اني أحبك قال المرء مع من أحب) أجاب بحكم عام شامل تام وفيه اشارة الى ان المعية على قدر المحبة الموجبة للطاعة والحديث رواه الترمذي والنسائي عن صفوان بن قدامة (وروى هذا اللفظ) أي في هذا الحديث (عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عبد الله بن مسعود وأبو موسى وأنس) رضي الله تعالى عنهم (وعن أبي ذر رضي الله تعالى عنه بمعناه) أي بدون هذا اللفظ ومبناه وفي الجامع الصغير المرء مع من أحب رواه أحمد والشيخان وأبو داود والترمذي والنسائي عن أنس رضي الله تعالى عنه وفي الصحيحين عن ابن مسعود وفي رواية الترمذي المرء مع من أحب وله ما اكتسب وفي هذه الزيادة اشارة الى ان قرب المعية على قدر كسب الجمعية كما يشير اليه قوله تعالى ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين كما يومي اليه البيان بالانبياء وغيرهم فالناقص في الصلاح مع محبة أكمل الصالحين يحشر معهم كما

عندك ساعة أي قليلة ثم شاع في يوم القيامة وصار حقيقة فيه اما لانه قليل بالنسبة لما بعده من الخلود أو بالنسبة لما يقع فيه من الامور العظيمة وهو مجاز صار حقيقة في عرف الشرع واللغة وقيل سميت بها لقربها كأنها التحقق وقوعها تقع بعد ساعة أو لانها تأتي بغتة أو لان البعث من القبور يكون في أسرع من لحة ولا يخفى ما فيه (قال) صلى الله تعالى عليه وسلم (ما أعددت لها) أي ما هيأت وأحضرت لها من الاعمال الصالحة التي تنفعك فيها اذا قامت وهذا قريب من الاسلوب الحكيم لانه ترك جوابه وسأله عما هو عدة له فيها اشارة الى انها لا يعين زمان وقوعها لانه مما لا يعلمه الا الله (قال ما) هي نافية (أعددت لها من كثير) بالمثلثة وفي بعض النسخ الموحدة التحتية وهو صحيح أيضا (صلاة ولا صيام ولا صدقة) من اضافة الصفة للموصوف أي لم أعدلها ما ينفعني فيها (ولكني أحب الله ورسوله) استدراك على ما ذكره من تفريطه وتركه ما ينفعه أي ليس عندي ما ينفعني ثمة الا الايمان بالله ورسوله ومحبتهما (قال أنت مع من أحببت) وفيه جواب له على أتم الوجوه وتبشير له ولمن أحب الله ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم ولذا قال في تتمة الحديث ان من حضر من الصحابة قالوا يا رسول الله ونحن كذلك قال نعم قالوا ففرحنا بذلك فرحا شديدا وليس المراد بكونه معه انه مساوله في منزلته وعلو مرتبته كما توهم وانما المراد انه يدخل الجنة في زمرة المؤمنين وان كانت مراتبهم متفاوتة وقد نظم معنى الحديث الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى كما تقدم فقال

وقائل هل عمل صالح * اعددته ينفع عند الكرب

فقلت حسبي خدمة المصطفى * وحبه فالمرء مع من أحب

ومن شعر الصبا قولي

وحق المصطفى لي فيه حب * اذا ارض الرجاء يكون طيبا

ولا أرضى سوى الفردوس مأوى * اذا كان الفتى مع من أحبا

وتقدم أيضا (وعن صفوان بن قدامة) الصحابي التميمي المرادي كما قاله الذهبي وله ولابنه صحبة واسمه عبد الرحمن قال (هاجرت الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي سافر ليلتقي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (فاتيته فقلت يا رسول الله ناولني يدك) أي أمددها الي كما كان عادته في المبايعة (أبايعك) مجزوم في جواب الامر والمبايعة الاقرار بما جاء به واتباعه صلى الله تعالى عليه وسلم مفاعلة من البيع نقلت لما ذكر (فناولني يده فقلت يا رسول الله اني أحبك قال المرء مع من أحب) تقدم تفسيره وكان قدم المدينة مع ابنين له كما ذكر الترمذي والنسائي (روى هذا اللفظ) يعني قوله صلى الله تعالى عليه وسلم المرء مع من أحب (عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) مخاطبا له من ذكر محبته له (عبد الله بن مسعود وأبو موسى) الاشعري (وأنس) رضي الله تعالى عنهم (وعن أبي ذر بمعناه) وهذا سبب ما تقدم من اختلافهم في تعيين الرجل الذي وردهما في الحديث السابق

قيل شعر أحب الصالحين ولست منهم * لعلى أن أنال بهم شفاعة وأكره من بضاعة المعاصى * ولو كنا سواء فى البضاعة

وعلى هذا القياس فى الصديقين والشهداء واما العلماء فهم ورثة الانبياء (وعن على كرم الله وجهه) كما رواه الترمذى (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أخذ بيد حسن وحسين رضى الله تعالى عنهما) الظاهر ان أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله (فقال من أحبنى) أى لله تعالى (وأحب هذين وأباهما وأمهما) أى لاجلى أو لذواتهم المشتملة على حسن صفاتهم (كان معى) أى مقربا عندى (فى درجتى) أى فى جوارى فى الجنة أو فى درجة أهل بيتى لما سبق من ان المرء مع من أحب (يوم القيامة) وكذا فيما بعده حال دخول الجنة (وروى) أى رواه الطبرانى وابن مردويه عن عائشة وابن عباس رضى الله تعالى عنهما (ان رجلا) قال البغوى فى تفسيره ان الآية الآتية نزلت فى ثوبان مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعن النقاش انها نزلت فى عبد الله بن زيد بن عبد ربه (أتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال يا رسول الله لانت أحب الى من أهلى ومالى وانى لاذكرك فما أصبر) أى عنك رؤية (حتى أجىء) أى أحضر لديك (فانظر اليك) أى لتقر عينى ويسكن قلبى (وانى ذكرت موتى وموتك) أى لانه لا بد من وقوعهما معا أو متعاقبا (فعرفت انك اذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين) أى المرسلين (وان دخلتها) أى بالفرض والتقدير (لا أراك) أى لان أحدا لا يكون مع الانبياء سواك فاكون محروما عن رؤية طلعتك هنالك فتصير جنة النعيم فى نظرى حينئذ كنار الجحيم (فانزل الله تعالى) أى تسلية للعشاق عن حصول الفراق (ومن يطع الله والرسول) أى يحبهما ويتبع أمرهما (فاولئك) أى المحبون لاحبائى والمشتاقون لاوليائى (مع الذين أنعم الله عليهم) أى بنعمة المعية والقربة فى المرتبة الجمعية (من النبيين) أعم من المرسلين (والصديقين) أى المبالغين فى الصدق والتصديق والكاملين فى مقام اليقين والتحقيق (والشهداء) أى بسيف المجاهدة وسلاح المحاربة فى طريق العبادة (والصالحين) أى القائمين بحقوق الله وحقوق خلقه (وحسن أولئك رفيقا) أى ما أحسنهم رفيقا وفقنا الله الى كمال متابعتهم وجمال محبتهم توفيقا (فدعا به) أى نادى الرجل الذى شكاه (فقرأها عليه) وشفاه مما كان خائفا انه على شفاه

السابق ونسبه بعضهم الى الغلط فيه (وعن على) ابن أبى طالب فى حديث رواه عنه الترمذى (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أخذ بيد حسن وحسين) ابنى على رضى الله تعالى عنهم أى أمسكها (فقال) وفى نسخة وقال (من أحبنى وأحب هذين) اشارة الى السبطين الحسن والحسين (وأباهما) عليا رضى الله تعالى عنه (وأمهما) فاطمة الزهراء أى مال اليهم ميلا اختياريا لله ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم (كان معى فى درجتى) أى رتبتى ومنزلتى قال الراغب الدرجة تعتبر بالصعود دون الامتداد كدرجة السطح والسلم ويعبر بها عن المنزلة الرفيعة قال الله تعالى وللرجال عليهن درجة انتهى (يوم القيامة) ان أريد بيوم القيامة فى الحشر فالمعية على ظاهرها والمعنى انهم معه صلى الله عليه وسلم فى صعيد واحد لقربهم منه ويقدمهم على غيرهم من أمته وسائر الامم وان أريد به الآخرة الشاملة للجنة فالمعية والدرجة عبارة عن زيادة القرب لا المعية الحقيقية كما مر (وروى) رواه الطبرانى وابن مردويه عن عائشة وابن عباس رضى الله تعالى عنهم (ان رجلا أتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) قال البغوى فى تفسيره انه ثوبان مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل هو صاحب الاذان أى قيل هو عبد الله ابن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه الانصارى الحارثى (فقال لانت) اللام جواب قسم مقدر (أحب الى من أهلى ومالى وانى لاذكرك) أى أتذكرك فى ذهنى وأتصورك أو أذكر اسمك وصفاتك فهو من الذكر بالكسر أو الضم (فما أصبر عنك) أى عن رؤيتك لشدة محبتى لك (حتى أنظر اليك) فيطمئن قلبى وتقر عينى برؤيتك (وانى ذكرت موتى وموتك) أى انا سنموت وننقل من هذه الدار لدار أخرى (فعرفت) وتحققت (انك اذا دخلت الجنة) بعد الموت (رفعت) الى الدرجات العلى (مع النبيين) صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين (وان دخلتها) أنا بضم التاء وعبر فى جانب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم باذا لتحقق دخوله صلى الله تعالى عليه وسلم الجنة ورفعته فيها وفى جانبه بان لعدم جزمه فى نفسه بذلك (لا أراك) بعد الدخول لانك فى مقام أعلى لا يصل اليه غيرك (فانزل الله تعالى ومن يطع الله والرسول) صلى الله تعالى عليه وسلم فى امتثال أمره ونهيه ويلزمه محبته له أيضا ولم يذكر لتحققها لذكر الرجل لها وعلمه صلى الله تعالى عليه وسلم بخلوصه فيها (فاولئك مع الذين أنعم الله عليهم) بنعيم الجنة وعالى مراتبها نفيه تبشير له بمرافقة أكرم خلق الله وأقربهم وأرفعهم منزلة (من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين) بيان للمنعم عليهم بما أخفى لهم من قرة الاعين (وحسن أولئك) تعجب أى ما أحسنهم (رفيقا) تمييز ولم يجمع لوقوعه على الواحد وغيره أو لارادة كل واحد منهم (فدعاه صلى الله عليه وسلم) أى طلب حضور ذلك الرجل (فقرأها) أى هذه الآية (عليه) جوابا له وتبشيرا وفى

(وفي حديث آخر) لايعرف مخرجه (كان رجل عند النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ينظر اليه) أي الى وجهه صلى الله تعالى عليه وسلم (لا يطرق) بكسر الراء وفي نسخة ما يطرف أي لا يغض بصره لديه (فقال مابالك) أي شأنك وحالك (قال) وفي نسخة فقال (بابي أنت وأمي) أي أفديك بهما (أتمتع من

النظر) ويروى بالنظر (اليك) أي في الدنيا (فاذا كان يوم القيامة رفعك الله

تفسير القرطبي انه لما فقدها صلى الله عليه وسلم عليه دعا الله ان يعميه حتى لا يرى أحدا غيره في الدنيا فعمي مكانه وقسمهم كما قال البيضاوي أربعة أقسام باعتبار منازلهم في العلم والعمل وهم الانبياء الفائزون بكمال العلم والعمل المتجاوزون حد الكمال الى درجة التكميل ثم صديقون صعدت نفوسهم تارة الى مراقي النظر في الحجج والآيات وأخرى الى معارج القدس بالرياضة والتصفية حتى اطلعوا على مالم يطلع عليه غيرهم ثم شهداء بذلوا أنفسهم في اعلاء كلمة الله واظهار الحق ثم صالحون صرفوا أعمارهم في طاعته وأموالهم في مرضاته والمراد بالمعية ما تقدم (وفي حديث آخر) لم يعزلنا قائله (كان رجل) قيل هو ثوبان أو من تقدم ذكره قريبا (عند النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي ملازما لمجلسه (ينظر اليه) أي يديم النظر الى وجهه الكريم (لا يطرف) بفتح الياء وسكون الطاء وكسر الراء المهملتين وفاء أي لا يطبق أحد جفنيه على الآخر ويغض بصره أو يصرفه عنه من طرفة العين من طرف يطرف كضرب يضرب وما طرف البصر أي تحرك وظاهر قول بعضهم أي لا يغض بصره مطرقا راميا ببصره الى الارض انه من الاطراق بضم أوله وقاف وهو صحيح أيضا لكني لا أعرف هل هو رواية أو تحرف عليه أو تسامح في تفسيره (فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم مابالك) أي ما شأنك حتى تحد النظر وتديمه كالمبهوت (قال) أفديك (بابي أنت وأمي) جريا على عادتهم فيمن يحبونه ويجلونه (أتمتع بالنظر اليك) أي أتلذذ بادامة نظري في وجهك مادام تمكنها في الدنيا الا انتفع به وأتزود منه (فاذا كان يوم القيامة) وبعدها (رفعك الله) الى المنازل العالية في جواره (بتفضيلك) أي بسبب تفضيل الله لك على سائر مخلوقاته (فانزل الله الآية) المذكورة يعني قوله ومن يطع الله والرسول الى آخره (وفي حديث أنس) رضي الله تعالى عنه الذي رواه الاصفهاني في ترغيبه وسيأتي اخراج المصنف رحمه الله تعالى له بقوله بطوله في فصل علامة محبته (من أحبني كان معي في الجنة) أي قريبا متمكنا من رؤيتي وزيارتي وليس المراد المعية الحقيقية كما تقدم

(فصل فيما روي عن السلف) من العلماء والصلحاء (والائمة) وفي نسخة بعكسه الائمة والسلف وهو من عطف الخاص على العام وقد يفسران بما يقتضي المغايرة فقد فسر بعضهم السلف بالصحابة والتابعين والائمة باتباع التابعين ومن بعدهم (من محبتهم للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وشوقهم له) والمحبة الميل الروحاني طبيعيا كان أو مكتسبا اختياريا والمحبة تكون في الحضور والغيبة والشوق انجذاب النفس في الغيبة فهو أخص من المحبة وقال القيصري رحمه الله تعالى في شرح قول ابن الفارض قدس سره

وما بين شوق واشتياق فنيت في * تول بحظر أو تجل بحضرة

الشوق انجذاب باطن المحب الى محبوبه حال الفراق والاشتياق انجذابه حال الوصال لنيل زيادة أو دوامها انتهى والفرق المذكور امامن الفحوى أو هو اصطلاح للقوم (حدثنا القاضي الشهيد) ابن سكرة وقد تقدم قال (حدثنا العذري) نسبة لبني عذرة وقد تقدم قال (حدثنا الرازي) تقدم وهو نسبة الى الري على خلاف القياس قال (حدثنا الجلودي) تقدم بيانه وبيان نسبته قال (حدثنا ابن سفيان) هو ابراهيم بن محمد بن سفيان كما تقدم قال (حدثنا مسلم) امام السنة وصاحب الصحيح كما تقدم قال (حدثنا قتيبة) بن سعيد واختلف في اسمه فقيل يحيى وقيل علي وقيل سيار

تعالى) في أعلى الدرجة (بتفضيلك) أي بسبب تفضيله سبحانه وتعالى اياك على من سواك فحينئذ بالضرورة لا أراك (فانزل الله الآية) أي الماضية تسلية لما سيأتي من الاحوال الآتية (وفي حديث أنس رضي الله تعالى عنه) كما رواه الاصفهاني في ترغيبه (انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال من أحبني كان معي في الجنة) أي وان تفاوتت الدرجة على تفاوت مراتب المحبة المقتضية لحسن الطاعة على وفق المتابعة

(فصل فيما روي عن السلف) أي الصحابة والتابعين (والائمة) أي من الخلف في أمر الدين من المجتهدين (من محبتهم للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وشوقهم له) أي اشتياقهم الى رؤيته ووصولهم الى قرب درجته (حدثنا) وفي نسخة قال حدثنا (القاضي الشهيد) هو ابن سكرة (ثنا) أي حدثنا (العذري) بضم العين وسكون الذال المعجمة (حدثنا الرازي ثنا) أي قال حدثنا (الجلودي) بضم الجيم (ثنا) أي حدثنا (ابن سفيان) وهو ابراهيم بن محمد بن سفيان راوي صحيح مسلم عنه (ثنا) أي حدثنا (مسلم) أي صاحب الصحيح (ثنا) أي حدثنا (قتيبة) بالتصغير لقبه وهو ابن سعيد واختلف في اسمه

(ثنا) أي حدثنا (يعقوب بن عبد الرحمن) هذا هو القاري بتشديد الياء المدني نزيل الاسكندرية (عن سهيل) بالتصغير وفي نسخه سهل (عن أبيه) أبوه هو أبو صالح السمان واسمه ذكوان (عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال من أشد أمتي) وفي نسخة من أشد الناس (لي حبا ناس) أي

جماعة وهو مبتدأ خبره الجار والمجرور المتقدم ونعته (يكونون بعدي) أي يولدون بعد حياتي ويوجدون بعد وفاتي (يود أحدهم) أي يتمنى (لو رآني) أي ان يبصرني (بأهله وماله) أي بدلهما (وتقدم مثله عن أبي ذر) وفي نسخة وقد تقدم حديث عمر رضي الله تعالى عنه أي في هذا المعنى (وقوله) أي في آخر المبنى (للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم لأنت أحب الي من نفسي) أي روحي (وما تقدم من الصحابة في مثله) أي في مثل هذا ورد كثيرا (وعن عمرو بن العاص رضي الله عنه) وفي نسخة العاصي بالياء والاول هو الصواب كما ذكرنا تحقيقه فيما سبق من شرح الكتاب (ما كان أحد) أي من الخلق (أحب الي من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعن عبدة بنت خالد بن معدان) المعروف عبدة بنت خالد بن صفوان روت عن أبيها ذكرها ابن حبان في ثقاته فالسهو امام من الكتاب

والله أعلم بالصواب (قالت ما كان خالد يأوي الى فراش) أي مرقد له (الا وهو يذكر من شوقه الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي الى رؤيته (والى أصحابه من المهاجرين والانصار) أي الذين سبقوه (يسميهم) أي يذكرهم بأسمائهم واحدا بعد واحد

قال (حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن) القاري نزيل الاسكندرية الثقة أخرج له الستة وتوفي سنة احدى وثمانين ومائة (عن سهيل) تقدم بيانه (عن أبيه) هو صالح السمان المعروف بذكوان (عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه) في حديث صحيح رواه مسلم (أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال من أشد أمتي لي حبا) منصوب على التمييز ولم يقل أحب مع انه أخصر لان هذا أبلغ وان وافق السماع والقياس لدلالته صريحا على المراد وكونه بالصيغة والمادة كقوله تعالى أشد قسوة دون أقسى وأتى بمن التبعيضية لانهم مثل من كان في عصره وهو أحب اليه من نفسه وأهله ومن لم يفهم هذا مع ظهوره قال الحب يتفاوت شدة وضعفا ويبقى مفهوم قوله لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من نفسه ولا شيء فوقه الا ان يقال انهم من جملة من بلغ هذا المبلغ في محبته انتهى والتفضيل تختلف جهاته فالشدة محبة من لم يره الداخلة في الايمان تفضل غيرها بهذا الاعتبار ولذا قال (ناس يكونون بعدي) فبين أشديته بهذا وبقوله (يود أحدكم) أي يحب ويرغب في انه (لو رآني) ببصره وشاهدني ولو للتمني (بأهله وماله) الباء هنا للبدلية والمقابلة كبعته بكذا أي يتمنى لو بذل أهله وماله لاجل رؤيته وفي لو في مثله أقوال فقيل انها شرطية محذوفة الجواب ومفعول يود مقدر أي يتمني رؤيتي ويودها يبذل كل ما يعز عليه والتقدير ولو رآني بمقابلة كل شيء له فعل وقيل انها مصدرية وهي مع ما بعدها مفعول يود وقيل انها حرف تمن كما بينه النحاة (ومثله) أي بمعناه وقريب منه لفظا (عن أبي ذر) الغفاري الصحابي المشهور (وقد تقدم حديث عمر وقوله للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم لانت أحب الي من نفسي) وتقدم تفصيله في الفصل الذي قبل هذا (وما تقدم عن الصحابة) كثوبان وصفوان وغيرهما (في مثله) من كونه أحب اليهم من أنفسهم (وعن عمرو بن العاص) بحذف الياء واثباتها وقفا كما مر (ما كان أحد أحب الي من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) وهذا من حديث صحيح طويل رواه مسلم فيه انه بكى عند موته وقال بعد ما ذكر مبايعته لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وطلب منه ان يدعو له بمغفرة ما صدر منه وانه كان أبغض الناس له واحرصهم على قتله وبعد ما بايعه وأسلم قال ما كان أحد أحب الي من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أجل في عيني منه وما كنت أطيق ان أملأ عيني منه اجلالا له حتى لو قيل لي صفه ما استطعت ان أصفه الى آخره وسيأتي الكلام عليه عند ذكر المصنف رحمه الله تعالى له بسنده في فصل تعظيم الصحابة له صلى الله تعالى عليه وسلم (وعن عبدة بنت خالد بن معدان) بفتح الميم وسكون العين وفتح الدال المهملتين وألف ونون تقدم الكلام واما بنته عبدة فبفتح العين المهملة وسكون الموحدة ودال مهملة قال البرهان الحلبي لا أعرفها وفي الصحابة عبدة بنت صفوان ذكرها الحاكم (قالت ما كان خالد) يعني أباها (يأوي الى فراش) أي اذا أراد النوم ليلا وخص هذا الوقت لان المرء فيه يتذكر من يهواه غالبا كما قال الشاعر

نهاري نهار الناس حتى اذا أتى * لي الليل هزتني اليك المضاجع

(الا وهو يذكر من شوقه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم) استثناء من أعم الاحوال أي لم يكن له غير هذه الحال (والى أصحابه) الضمير لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أو لخالد (من المهاجرين والانصار) وخالد هذا هو الكلاعي الحمصي لقي سبعين رجلا من الصحابة (يسميهم) أي يعدهم بأسمائهم

(ويقول هم) أي جميعهم ويروى منهم (أصلي) أي في أصول الدين (وفصلي) أي وفرعي في فرع المجتهدين أو معناهما حسبي ونسبي
وقيل الاصل الوالد والفصل المولود والمعنى ان كبارهم وصغارهم بمنزلة آبائي وأولادي واما مانقله الحلبي عن الجوهري ان الكسائي
قال قولهم لا أصل له ولا فصل الاصل الحسب والفصل اللسان فلا يظهر وجهه كما لا يخفى على أهل البيان (واليهم يحن

(ويقول هم أصلي وفصلي) يعني اني افتخر بهم وانتسب اليهم دون آبائي وقبيلتي كذا قيل من غير نقل وهو اتباع وفي المجمل ماله أصل وفصل أي حسب ولسان وكذا في الصحاح وعن ثعلب قولهم لا أصل له ولا فصل الاصل الوالد والفصل الولد هذا ما ذكره أهل اللغة والظاهر ان المراد انهم عمدتي وبهم أفصل وأحكم فليحرر (واليهم) لا الى غيرهم (يحن قلبي) أي يشتاق بتذكر عهودهم من الحنين (طال شوقي اليهم) لبعد عهدي بهم وطول مفارقتي بموتهم (فعجل) يا (رب قبضي اليك) اي عجل موتي حتى ألقاهم ولا يزل يردد ذلك (حتى يغلبه النوم) أي حتى ينام ويستغرق في نومه فيترك قوله هذا وتمني الموت وان كان مكروها فانه يجوز اذا خاف فتنة في دينه فلعل خالدا كان كذلك وسيأتي لهذا مزيد بيان في الفصل الآتي عن الحكيم الترمذي (وعن أبي بكر) الصديق رضي الله تعالى عنه وفي نسخة وروى (انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم) لما أسلم أبو قحافة والده كما رواه ابن عساكر في تاريخه عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما (والذي بعثك بالحق) أي بالدين الحق وهو قسم (لاسلام أبي طالب) جواب القسم يعني عمه صلى الله تعالى عليه وسلم (كان) أي اسلامه (أقر لعيني) أي أسر وأحب عندي وهو قرة عيني من القر وهو البرد لان دمع السرور بارد ودمع الحزن حار أو من القرار والثبات فان العين اذا رأت ما يسرها سكنت ولم تلتفت لغيره (من اسلامه يعني أباه أبا قحافة) رضي الله تعالى عنه وأبو قحافة هو أبو الصديق وهو عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم أسلم يوم الفتح وحسن اسلامه وبقي بعد وفاة ابنه حتى توفي في سنة أربع عشرة وليس في الصحابة من اسمه أبو قحافة غيره وغير أبي قحافة المزني كما ذكره الذهبي وسقط من بعض النسخ هنا لفظ أباه (و) بيان (ذلك) المذكور من كون اسلام أبي طالب أقر لعينه من اسلام أبيه (ان اسلام أبي طالب كان أقر لعينك) أي أحب اليك من كثير من الامور فانه كان يحبه حبا شديدا وكان بمنزلة والده اذ كان في كفالته وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يتمنى ان يهديه الله للاسلام فمات كافرا وهذا الحديث رواه أحمد وابن اسحق وأبو حاتم وليس قول المصنف رحمه الله تعالى وروي كما في بعض النسخ تمريضا له كما توهم حتى يعترض عليه بانه صحيح تعددت طرقه وكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يوم الفتح دخل المسجد فأتاه أبو بكر رضي الله تعالى عنه بأبيه يقوده وكان قد عمي فقال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هلا تركت الشيخ في بيته حتى أكون أنا آتيه فقال أبو بكر يا رسول الله هو أحق ان يمشي اليك فأجلسه صلى الله تعالى عليه وسلم بين يديه ثم مسح صدره وقال له أسلم فأسلم ورأسه كالثغامة بياضا فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم غيروا هذا يعني اخضبوه ولما سر باسلامه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال أبو بكر والذي بعثك بالحق الى آخره وفيه من محبته لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما لا يخفى حيث قدم ما يسره على ما يسره تقديما له على نفسه واعلم ان أبا طالب كانت محبته لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومعرفته بانه رسول الله وتصديقه في قلبه محققة لكن الله لم يهده للاسلام وفيه حكمة عظيمة وهو انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان في جواره وحمايته ظاهرا حتى ما كان أحد يجترئ عليه فلو أسلم لم يقبلوا جواره اذ لا جوار للمسلمين عندهم فختم الله على لسانه لذلك ولذا لما مات لزمت الهجرة لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأهل بيته وهذا مما تفطن له بعض العلماء كابن القيم في الهدي النبوي وصاحب الامتاع (ونحوه) أي في معنى ما رواه البيهقي والبزار عن ابن عمر (عن عمر)

قلبي) بكسر الحاء أي يميل (طال شوقي اليهم فعجل ربي قبضي) أي قبض روحي (اليك) أي الى رحمتك (حتى) أي يكرر الجملة الاخيرة أو الجمل كلها حتى (يغلبه النوم) فوت الاقران موجب الاحزان (وعن أبا بكر رضي الله تعالى عنه) وفي نسخة وروى عن أبي بكر كما رواه ابن عساكر في تاريخه عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما عنه (انه قال للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم والذي بعثك بالحق) أي أي ارسلك الى الخلق (لاسلام أبي طالب كان أقر لعيني) أي أشد سرورا عندي (من اسلامه يعني أباه) عثمان بن عامر رضي الله تعالى عنه (أبا قحافة) بضم القاف عاش بعد ابنه وخصه من تركة أبي بكر رضي الله تعالى عنه السدس فرده في أولاده وتوفي في سنة أربع عشرة (وذلك) أي قال وسبب ذلك (ان اسلام أبي طالب كان أقر لعينك) يعني والله غالب على امره

ولعله قال ذلك حين نزل قوله تعالى انك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين أو حين أسلم أبو عام الفتح وهناه النبي عليه الصلاة والسلام (ونحوه عن عمر رضي الله تعالى عنه) أي نظير حديث أبي بكر ما رواه البيهقي والبزار عن ابن عمر عن عمر رضي الله تعالى عنهما

ابن

(انه قال) أى قال نحو حديث الصديق (للعباس) أى تسلية وترغيبا له فى الاسلام ان قاله قبل اسلامه أو تهنئة له وترحيبا به ان كان بعده (ان تسلم) بفتح الهمزة على ان ان مصدرية أى اسلامك (أحب الى) أى بالحب الشرعى (من اسلام الخطاب) أى لو وجد فرضا (لان ذلك) أى اسلامك (أحب الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أى بحسب الطبيعى ورجح الدلجى كون ان بكسر الهمزة شرطية وهو بعيد رواية ودراية (وعن ابن اسحق) أى امام المغازى وكذا عن البيهقى عن اسمعيل بن محمد بن سعد بن أبى وقاص مرسلا (ان امرأة من الانصار) أى من بنى دينار كما فى رواية ابن اسحق (قتل أبوها وأخوها وزوجها) أى فى سبيل الله تعالى (يوم أحد) أى زمن وقعته (مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أى فى قتال كفار قريش وكسر المسلمين وانهزام بعض المؤمنين واستشهاد طائفة من الموقنين واشاعة قتل سيد المرسلين على لسان المشركين والمنافقين (فقالت مافعل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) بصيغة الفاعل ويجوز كونه للمفعول أى ماجرى له وكيف حاله (قالوا خيرا) أى فعل خيرا وفى نسخة بخير أى هو بخير فى بدنه وسالم من عدوه (هو) وفى نسخة وهو (بحمد الله كما تحبين) أى من الصحة والعافية (قالت) أى لبعض أصحابه (أرنيه حتى أنظر اليه) أى ليطمئن قلبى لديه وفى نسخة صحيحة أرونيه بصيغة الجمع فاروه (فلما رأته قالت كل مصيبة) أى من قتل أب وأخ وزوج وغيرهم (بعدك) أى بعد سلامتك أو غير مصيبتك (جلل) بفتح الجيم واللام الاولى أى هين وجاء فى رواية ابن اسحق مفسرا تريد صغيرة أى هينة حقيرة لاشاقة كبيرة (وسئل على بن أبى طالب كرم الله وجهه) لايدرى مخرجه (كيف كان حبكم) أى معشر الصحابة أو جماعة أهل البيت (لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال) أى على رضى الله تعالى عنه (كان) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (والله) قسم معترض (أحب الينا من أموالنا وأولادنا وآبائنا وأمهاتنا ومن الماء البارد على الظما) بفتحتين مقصورا ويجوز مده وهو شدة العطش وفى اعادة الجار اشعار بانه أشد نفعا لانه روح الروح وايماء الى انه

ابن الخطاب رضى الله تعالى عنه (انه قال للعباس) عم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (ان تسلم) بكسر همزة ان الشرطية ان كان قال له قبل اسلامه وبفتحها على انها مصدرية ان كان بعده والصحيح الثانى لما يأتى (أحب الى من اسلام الخطاب) يعنى أباه (لان ذلك) أى اسلام العباس (أحب الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) فقدم مايحبه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على ماتحبه نفسه وكان قوله ذلك له فى فتح مكة لما أشرف النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على مكة وركب العباس بغلته صلى الله تعالى عليه وسلم وأركب أباسفيان بن حرب خلفه وهو كافر وركضها فرآه عمر فقال أبو سفيان عدو الله الحمد لله الذى أمكننى منك فاشتد جريه حتى دخل به على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعمر خلفه فقال دعنى أضرب عنقه فقال العباس انى أجرته يارسول الله فلما أكثر عمر فى شانه قال مهلا ياابن الخطاب لو كان من رجال بنى عدى ماقلت مثل هذا فقال مهلا ياعباس لاسلامك يوم اسلامك أحب الى من اسلام الخطاب لو أسلم الى آخره (وعن ابن اسحق) صاحب السيرة وقد تقدمت ترجمته وهذا رواه أيضا البيهقى عن اسمعيل بن محمد بن سعد بن أبى وقاص مرسلا (ان امرأة من الانصار) هى من بنى دينار ولم يسمها (قتل أبوها وأخوها وزوجها) شهداء (يوم أحد) اسم جبل كانت عنده الغزوة المشهورة (مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقالت مافعل رسول الله صلى الله عليه وسلم) ليس المراد السؤال عن فعله حقيقة وانما المراد السؤال عن سلامته وحياته وعبرت بذلك تادبا لان الفعل يستلزم الحياة فاريد بها لازمه (قالوا خيرا) أى فعل خيرا والمراد انه بخير ولذا قالوا بعده (هو بحمد الله كما تحبين) أى سالم منصور مظفر (قالت) لمن سألته (أرنيه) أى دلنى عليه (حتى أراه) وأتلذذ بمشاهدته وفى نسخة أرونيه (فلما رأته) بعد مادلها عليه (قالت كل مصيبة) تصيب المال والاهل (بعدك) أى بعد سلامتك ورؤيتك (جلل) بفتح الجيم واللام ثم لام أخرى بمعنى هين لا أبالى به ولا أحزن عليه ويكون جلل بمعنى عظيم أيضا لانه من الاضداد والمراد الاول وشاهد الاول قول امرئ القيس

يقتل بنى أسيد ربهم * ألا كل شئ خلاه جلل

والثانى قوله

فلئن عفوت لاعفون جللا * ولئن سطوت لاوهنن عظمى

وهو دليل على قوة ايمانها وتقديمها محبة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على محبة غيره من الاهل (وسئل على بن أبى طالب) كرم الله وجهه ولم يذكروا من رواه عنه (كيف كان حبكم لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أى مامقداره فى شدته (قال كان والله أحب الينا من أموالنا وأولادنا وآبائنا وأمهاتنا) بضم الهمزة وكسرها مع فتح الميم وكسرها جمع أمهة بمعنى أم لغة فيه الا انه يختص ببنى آدم قال * أمهتى خندف والياس أبى * ويقال فى البهائم أمات (و) أحب (من الماء البارد على الظمأ) بمعنى شدة العطش ويمد ويقصر والافصح قصره وأعاد الجار

أحب اليهم من أرواحهم (وعن زيد بن أسلم رحمه الله) أي الفقيه العمري تابعي جليل روى عن ابن عمر وجابر وعنه مالك وغيره أخرج له أصحاب الكتب الستة والحديث رواه عنه ابن المبارك في الزهد (خرج عمر رضي الله تعالى عنه ليلة يحرس الناس) أي يحفظهم بمراعاته ويتخبر عن أحوالهم على عادته في أيام خلافته (فرأى مصباحا) أي سراجا (في بيت) أي فقصده (واذا عجوز تنفش) أي تندف (صوفا) وهو بضم الفاء والشين المعجمة من النفش وهو تفريق الشيء باصابعك حتى ينتشر كالتنفيش (وتقول) أي وهي تنشد رجزا (على محمد صلاة الابرار) جمع بر او بار والمراد بالصلاة هنا تعظيمهم له في الدنيا باعلاء ذكره واظهار أمره وفي الآخرة بتضعيف أجره ورفعة قدره (صلى عليه الطيبون الاخيار) جمع خير بالتشديد والتخفيف (قد كنت) أي أنت (قواما) أي كثير القيام للعبادة وفي رواية صواما وجعله الدلجي أصلا أي كثير الصيام للرياضة (بكا) بضم الموحدة مقصورا منونا لغة في الممدود أي ذو بكاء أو أريد به المبالغة كرجل عدل يعني لكثرة بكائه كأنه عين البكاء وهذا المعنى أنسب لمقابلة ما قبله وقد أغرب الدلجي بقوله قصر لضرورة الوزن وأصله بفتحها ممدودا مشددا الكاف مبالغة في كثرة البكاء ولا يخفى وجه غرابته في المبنى وقيل البكاء

برفع الصوت ممدود والدمع بلا صوت مقصور وأما ما وقع في بعض النسخ المقر ومة بكاء بتشديد الكاف وبالمد والتنوين فهو مستقيم معنى ولكنه سقيم وزنا ومبنى وكذا ما في نسخة من ضبطه بالتشديد منونا بدون مد وهو الذي ذهب اليه الدلجي وقال الانطاكي وفي بعضها بكاء بالتخفيف فان المشدد قد يخفف للوزن انتهى والصواب ما قدمناه كما لا يخفى (بالاسحار) ايماء الى قوله تعالى والمستغفرين بالاسحار واشارة الى وصية لقمان لابنه يا بني لا يكن الديك اكيس منك ينادي بالاسحار وأنت نائم أي غافل عن البكاء ومن والاستغفار (ياليت شعري) أي أتمنى علمي وشعوري بغيتي وحضوري (والمنايا أطوار) أي تارات جملة حالية بين المعمولين اعتراضية أفادت بها ان ما يحول بين المرء ومتمناه حالات شتى مختلفة بحسب تفاوتها في أطوار الموت وأسرار الفوت فان المنايا جمع منية وهي من منى الله عليك أي قدر ومن ثم سمي منية لانه مقدر بوقت معين وقد ورد أن منشدا أنشد للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم شعر لا تأمنن وان أمسيت في حرم * حتى تلاقي ما يمني لك الماني فالخير والشر مقرونان في قرن * بكل ذلك يأتيك الجديدان فقال صلى الله تعالى عليه وسلم لو أدرك قائل هذا الاسلام لاسلم والمعنى حتى تلاقي ما قدر لك المقدر وهو الله سبحانه وتعالى وهي تريد والله أعلم لان المنية تارة تأخذ الكرام وأخرى تبيد اللئام والمعنى ليت علمي حاضر أعلم به (هل تجمعني) بفتح الميم وضم العين وتخفيف النون وفي نسخة بفتح العين وتشديد ما بعدها (وحبيبي) بفتح الياء لغة لا كما قال الانطاكي ضرورة (الدار) يعني أم يحولن بيني وبينه المزار

لانه نوع آخر مما يحب ولشدة منفعته وخص الظما لانه حال محبة الماء وشدة الرغبة فيه (وعن زيد بن أسلم) الفقيه العمري توفي سنة ست وثلاثين ومائة أخرج له أصحاب الكتب الستة وله ترجمة في الميزان قال (خرج عمر) بن الخطاب رضي الله تعالى عنه من بيته لازقة المدينة (ليلة يحرس الناس) على عادته في خلافته اذا كان يدور في الازقة ويعس ليعرف حال الناس (فرأى مصباحا) موقدا (في بيت) فقصده ليرى ما في البيت الذي هو فيه (فرأى عجوزا) أي امرأة مسنة ويقال عجوزة أيضا ولم أر من الشراح هنا من ترجمها بشئ (تنفش صوفا) بضم الفاء وشين معجمة ونفش الصوف والقطن لاصلاحه معلوم (و) هي (تقول) أي تنشد شعرا من بحر السريع (على محمد صلاة الابرار) معنى الصلاة مشهور وعلى متعلق بصلاة أو بمقدر ويجوز تقديم الظرف على المصدر لتوسعهم فيه والابرار جمع بر وبار وهو كل مطيع لربه متق أي ادعو له بكل ما تدعو به الابرار (صلى عليه الطيبون الاخيار) المراد بالطيبين المتقون الذين طابت ظواهرهم وسرائرهم والاخيار جمع خير مخفف أو جمع خير بمعنى أخير وأتقى (قد كنت قواما بكا بالاسحار) قواما أي متهجدا لان القيام يختص بصلاة الليل أي كثير القيام للعبادة وبكا بضم الباء والقصر مصدر بمعنى اسم الفاعل أطلق عليه للمبالغة وهو يمد ويقصر والاسحار جمع سحر وهو آخر الليل والباء بمعنى في هذا هو الصواب رواية ودراية وما قيل من ان بكا بتشديد الكاف والكلام سجع لا نظم لانكسار الوزن وكذا ما قيل من ان بكاء ممدود مضاف للاسحار بدون باء والاضافة على معنى في تكلف وتعسف (ياليت شعري والمنايا اطوار) شعري بمعنى علمي وهو اسم ليت وخبره محذوف اي حاصل وقوله (هل تجمعني وحبيبي الدار) قائم مقام معمول شعري علق عنه والمنايا جمع منية وهي الموت من منى بمعنى تصير وتقدر واطوار جمع طور وهو الحال أي أمور شتى مختلفة ومراده بالحبيب كما قاله المصنف رحمه الله النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والظاهر ان مرادها بالدار الآخرة أي هل أراه صلى الله تعالى عليه وسلم بعد الموت فانه مقرر وله أسباب مختلفة كما قيل

(تعنی) أی المرأة بقولها حبیبی (النبی صلی الله تعالی علیه وسلم) و بقولها الدار الجنة دار القرار (فجلس عمر رضی الله تعالی عنه یبکی) أی للاشتیاق أو للفراق أو الافتراق (وفی الحكایة طول) أی لیس هذا مقام ایرادها (وروی) أی فی عمل الیوم واللیلة لابن السنی (ان عبدالله بن عمر رضی الله تعالی عنهما خدرت رجله) بفتح معجمة وكسر مهملة أی فترت عن الحركة وضعفت باجتماع عصبها من جهة كسل وفتور أصابها كانها رجل ناعش ولم یذهب ما بها (فقیل له اذكر أحب الناس الیك یزل عنك) بضم الزای أی یزول عنك هذا الانقباض بسبب ما یترتب علی ذكر المحبوب من الانبساط (فصاح) أی فنادی باعلی صوته (یا محمداه) بسكون الهاء للندبة وكأنه رضی الله تعالی عنه قصد به اظهار المحبة فی ضمن الاستغاثة (فانتشرت) أی رجله فی الفور (ولما احتضر بلال رضی الله عنه) بصیغة المفعول أی حضرته الوفاة وقاربه الممات (نادت امرأته) وهی صحابیة علی ما ذكره الذهبی فی آخر النساء من التجرید ما لفظه زوجة بلال أتاها رسول الله صلی الله تعالی علیه وسلم فسأل عن بلال اثم بلال (واحزناه) بضم حاء فسكون زای و یجوز فتحهما وتصحف علی الدلجی وضبط بفتح الحاء والراء وبالموحدة بدل النون قال وهو فی الاصل النهب والسلب فكأنها الفجعها وحزنها بموته (قد نهبت وسلبت فقال) أی بلال (واطرباه) أی فرحاه وهو یؤید ما قدمناه معنی وان كان انسب لما قاله الدلجی مبنی وفی نسخة بل واطرباه بصریح الاضراب للابطال ثم رجز مناسبا للحال واستدلالا لذلك المقال (الْقی غدا) و یروی نلقی (الاحبه) بالهاء وقفا (محمدا وصحبه) وفی نسخة صحیحة وحزبه

ومن لم یمت بالسیف مات بغیره * تعددت الاسباب والداء واحد

وقیل المعنی هل تجمعنا الدار و یحول بینی و بینه الموت فالمراد بالدار الدنیا ولیس بمناسب هنا وهذه القصة حكاها ابن المبارك فی كتاب الزهد وفیها فما زال عمر رضی الله تعالی عنه یبكی وطرق علیها الباب فقالت من هذا فقال عمر بن الخطاب فقالت مالی ولعمر فی هذه الساعة فقال افتحی یرحمك الله فلا بأس علیك ففتحت له فدخل علیها وقال ردی الكلمات التی قلتیها آنفا فردتها فقال ادخلینی معكما وقولی وعمر فاغفر له یا غفار (تعنی) تقصد بقولها حبیبی (النبی صلی الله تعالی علیه وسلم) وفیه مناسبة لما نحن فیه (فجلس عمر یبكی وفی الحكایة) التی نقلها ابن المبارك (طول) اقتصرنا منها علی المراد منها (وروی ان ابن عمر) رضی الله عنهما رواه ابن السنی فی عمل الیوم واللیلة (خدرت رجله) بفتح الخاء المعجمة وكسر الدال وفتح الراء المهملتین أی أصابها خدر وهو أمر یعتری الرجل لما یصیب العصب فیمنع عن تحریكها بسهولة و یزول سریعا لانه لو امتد كان فالجا أو من مقدماته (فقیل له اذكر أحب الناس الیك یزل عنك) لان الناس جربوا فی الخدران من أصابه اذا ذكر محبوبه زال بسهولة لانه بمسرته تنتعش الحرارة الغریزیة فتدفع الخدر (فصاح یا محمداه) یعنیه صلی الله تعالی علیه وسلم لانه أحب الناس الیه والی كل مؤمن كامل و یا محمداه مفعول صاح لتضمنه معنی القول أو القول مقدر بعده كما هو مشهور فی أمثاله عند النحاة ومن قال انه لم یعطف علی جملة صاح لكمال الاتصال بینهما فهو كاو حفص عمر عطف بیان لم یصب المحز (فانتشرت) رجله أی امتدت لزوال خدرها وهذا یقتضی صحة ما جربوه وقد روی انه وقع مثله لابن عباس رضی الله تعالی عنهما ذكره النووی فی أذكاره وروی أیضا عن غیرهما وفیه یقول أبو العتاهیة

وتخدر فی باب [illegible] رجله * فان لم یقل یا عتب لم یذهب الخدر

وهذا مما تعاهده أهل المدینة وقوله یا محمداه بالف وهاء للندبة فی النداء لمن یتوجع أو یتفجع كما قرره النحاة (ولما احتضر بلال) رضی الله عنه بالبناء للمجهول أی حضرته الملائكة لتقبض روحه (نادته امرأته) أی صاحت باعلی صوتها (واحرباه) بفتح الحاء والراء المهملتین و باء موحدة وهو فی الاصل النهب والسلب من حربته اذا سلبت ماله وما یعیش به قیل فكأنها لتفجعها لموته نهبت وسلبت وفی القاموس قیل ان أصله ان حرب بن أمیة لما مات قیل فی نعیه واحرباه ثم نقل ذلك یعنی عم فی كل نعی وحرب كغارة وواحرف ندبة والمندوب اما میت ینعی أو أمر یتفجع منه نحو یا حسرتا وقیل انه روی حزناه بفتح الحاء المهملة والزای المعجمة أو بضم أوله وسكون ثانیه وروی أیضا حوباه بفتح الحاء وواو ساكنة تلیها باء موحدة من الحوب وهو الاثم والمراد اثمها الشدة جزعها وقلقها فی المصیبة فهی تتفجع علی نفسها أو هو من الحوبة بمعنی رقة القلب وهو تكلف والروایة الاولی كما تقدم (فقال) بلال رضی الله تعالی عنه رد المقالته (واطرباه) الطرب خفة تعتری المرء لحزن أو سرور فهو مشترك بینهما والمراد هنا الثانی ووا هنا للنداء والالف والهاء مزیدة فی آخره كانه یستغیث بطربه و یدعوه فی سكرات الموت لما تیقنه من الثواب وملاقاة الاحباب لعلمه بان الارواح تتلاقی فی البرزخ كما أشار الیه بقوله (غدا ألقی الاحبة محمدا وحزبه) فحمدا وحزبه بیان لمراده بالاحبة والحزب الجماعة المتحزبین أی المجتمعین والمراد بهم الصحابة رضی الله تعالی عنهم والمراد بقوله غدا الزمان المستقبل بعد الموت وروی كما یأتی

وقد روي عن عمار أيضا أنه قال بصفين الآن ألقى الأحبة محمدا وحزبه (وروي أن امرأة) وفي نسخة وروي عن امرأة وفي حاشية الحلبي أن امرأة هاشم وقال ولا أعرفها (قالت لعائشة رضي الله تعالى عنها اكشفي لي) أي بيني لي وأريني (قبر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فكشفته لها) أي بكشف الستارة عنه لأجلها (فبكت حتى ماتت) أي حزنا على فراقه أو شوقا إلى لقائه (ولما أخرج أهل مكة) أي كفارهم كما رواه البيهقي عن عروة (زيد بن الدثنة) بدال مهملة مفتوحة فمثلثة مكسورة وتسكن فنون مفتوحة مخففة فهاء تأنيث بياضي خزرجي بدري أحدي (من الحرم) متعلق بأخرج (ليقتلوه) أي صبرا وكان قد أسر مع حبيب يوم الرجيع فباعوه بما بمكة (قال له) أي لزيد (أبو سفيان بن حرب) أي ابن أمية وهو أبو معاوية أسلم عام الفتح وهذا الكلام قبل الإسلام أنشدك الله تعالى بضم الشين أي أسألك الله

وأذكرك به أو أقسم عليك به وفي نسخة صحيحة أنشدك بالله (يا زيد أتحب أن محمدا الآن عندنا مكانك) أي يكون في مكانك ومهانتك (يضرب عنقه) بصيغة المجهول والعنق بضمتين وبضم فسكون وكصرد الجيد ويؤنث (وأنك) وفي نسخة وأنت (في أهلك) أي والحال أنك تكون فيما بين أهلك وطول أملك (فقال زيد والله ما أحب أن محمدا الآن في مكانه الذي هو فيه) أي مع كمال أمنه وعزته (تصيبه شوكة) أي فضلا عن أن يصيبه محنة فوقها (وأني) وفي نسخة وأنا (جالس في أهلي) ولعله ذكره لمقابلة كلام أبي سفيان لأنه حال مقيدة في هذا الشأن بل الأنسب للمبالغة أن يقول وأنا في هذه الحال فكيف إذا كنت فيما بين أهلي ومالي من المثال منها

نلقى الأحبة محمدا وصحبه وهذا بيت من مجزو بحر الوافر وفيه زحف يعلمه من له خبرة بعلم العروض (ذكر القشيري) رحمه الله تعالى (ومثله) روي (عن حذيفة بن اليمان رضي الله تعالى عنهما وروي أن امرأة قالت لعائشة) رضي الله تعالى عنها (اكشفي لي عن قبر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) قالته لها لأنه كان في بيتها وكان مستورا عن الناس تكريما له صلى الله تعالى عليه وسلم (فكشفته لها) برفع الستارة عنه (فبكت حتى ماتت) لشدة محبتها للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا لم يخرجوه (و) روى البيهقي رحمه الله تعالى عن عروة أنه (لما أخرج أهل مكة زيد بن الدثنة) بفتح الدال المهملة وكسر المثلثة وتسكن ونون وهاء تأنيث اسم والده من قولهم دثن الطائر إذا طار حول وكره ولم يسقط عليه أو من دثن إذا اتخذ عشا وهو زيد بن الدثنة ابن معاوية بن عبيد بن معاوية بن عامر بن بياضة الخزرجي الصحابي وكان أسر يوم الرجيع (من الحرم ليقتلوه) فقتل صبرا وإنما أخرجوه منه لأنهم كانوا لا يقتلون فيه تعظيما له وكان قتله في السنة الثالثة من الهجرة (قال له) قبل قتله (أبو سفيان بن حرب) والد معاوية وكان ذلك قبل إسلامه وقيل إن الذي قيل له ذلك الآتي حبيب بن عدي حين رفع على خشبة فقال لا والله فضحكوا منه كما نقله ابن سيد الناس في سيرته عن ابن عقبة وما ذكره المصنف رحمه الله تعالى رواية ابن إسحق (أنشدك الله تعالى) قسم وأنشدك بفتح الهمزة وضمها يقال نشدته وأنشدته إذا سألته وفي القاموس نشد فلانا عرفه وبالله استحلفه وقال له نشدتك الله أي سألتك بالله ونشدك الله بالفتح أنشدك الله وقد ناشده مناشدة ونشادا حلفه والله منصوب بنزع الخافض أي أسألك بالله وفي النهاية أنه متعد لمفعولين وقال الوقشي الصواب نشدتك فليحرر (يا زيد أتحب أن محمدا الآن عندنا مكانك تضرب عنقه) فيقتل حماه الله تعالى من ذلك (وأنك) بفتح الهمزة سالما مقيما (في أهلك فقال زيد رضي الله تعالى عنه والله ما أحب) وأرضى (أن محمدا في مكانه الذي هو فيه مقيم تصيبه شوكة) أي أقل شيء من الأذى فضلا عما قلتم (وأنا جالس في أهلي) سالم من الأذى وهو متأذ (فقال أبو سفيان ما رأيت أحدا من الناس) ما نافية لا تعجبية كما توهم وإن كان مراده بهذا الكلام التعجب من شدة محبة أصحاب محمد له (يحب أحدا كحب أصحاب محمد محمدا) مفعول حب المصدر وهذه القصة مفصلة في السير لا نطيل بذكرها هنا (وعن ابن عباس) رضي الله تعالى عنهما فيما رواه ابن جرير والبزار (كانت المرأة إذا أتت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) مهاجرة إلى المدينة (أحلفها بالله) وفي نسخة حلفها بالتشديد وهما بمعنى أي كلفها القسم بالله أنها (ما خرجت) من أرضها وبلدها لشيء (من بغض زوج) لها ناشزة منه (ولا رغبة بأرض) أي في أرض (عن أرض) خرجت

والمعنى أن ما أصابني في طريقه من المحنة لم ينقص لي شيئا في حقه من المحبة (فقال أبو سفيان ما رأيت من الناس أحدا) أي من الأتباع (يحب أحدا) أي من المتبوعين (كحب أصحاب محمد محمدا) أي احتراما مؤكدا واحتشاما مؤبدا قال الحلبي ما ذكره القاضي قاله ابن إسحق ونقل أبو الفتح اليعمري في سيرته الكبيرة ذلك عن ابن إسحق وذكر عن ابن عقبة أن الذي قيل له أتحب أن محمدا مكانك هو حبيب ابن عدي حين رفع على الخشبة فقال لا والله فضحكوا منه انتهى ولا منع من الجمع كما لا يخفى (وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما) فيما رواه ابن جرير والبزار عنه (قال كانت المرأة إذا أتت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي مهاجرة إليه في المدينة السكينة (حلفها بالله ما خرجت) أي هي من أرضها إليه (من بغض زوج) أي من أجل كراهة زوج لها (ولا رغبة) بالنصب عطفا على محل الجار والمجرور والمراد بها العلة وبالجر عطفا على المجرور أي ولا من أجل الميل (بأرض) أي في بلدة (عن أرض) أي

منها (و) انها (ماخرجت) من أرضها بشئ (الا حبا لله و رسوله) فهى هجرة خالصة لله وفيه وجوب محبة الله و رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو الذى قصده المصنف رحمه الله تعالى هنا وكان ذلك لما وقعت الهدنة بين رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والمشركين وشرطوا عليه صلى الله تعالى عليه وسلم ان يرد عليهم كل من أتاه من أهل مكة ولو كان مسلما فرد أبا جندل رضى الله تعالى عنه ولم يرد النساء اما لعدم دخولهن فى العهد أو لان الله نسخه صونا للفروج ولضعفهن فكان صلى الله تعالى عليه وسلم لا يرد من ظهر اسلامها وأمره الله بامتحانهن باستحلافهن بما ذكر فاذا حلفن أعطى مهرهن ونفقتهن وهو المراد بقوله تعالى فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار الآية وبما ذكرنا سقط ما قيل فى نظم هذا فى هذا الفصل نوع نظر (ووقف ابن عمر) رضى الله تعالى عنهما كما رواه ابن سعد (على) عبد الله (ابن الزبير بعد قتله) رضى الله تعالى عنهما حين قتله الحجاج وصلبه على جذع وقد حاصره ثم قتله سنة ثلاث وسبعين يوم الثلاثاء سابع عشر جمادى الاولى أو الآخرة كما فصل فى التواريخ (فاستغفر له) أى دعا له ابن عمر بالمغفرة (وقال) ابن عمر مخاطبا له بعد موته (كنت والله فيما علمت) أى فيما ثبت وتحقق فى علمى بك (صواما) أى مبالغة فى الصوم وكثرته (قواما) أى كثير القيام والتهجد كما مر وقيل انه كان رضى الله تعالى عنه قسم لياليه ثلاثة أقسام ليلة يصلى قائما الى الصباح وليلة راكعا الى الصباح وليلة ساجدا الى الصباح (تحب الله و رسوله) أى مخلصا فى محبتهما مؤثرا لهما على كل شئ حتى على نفسه وأهله اما عبادته رضى الله تعالى عنه وتوجهه الى الله فيها فنقل عنه أمور عجيبة فكان اذا توجه انتصب كأنه جذع لا يحس بشئ ولا يتحرك حتى يقع عليه الطير ورمى بحجر من المنجنيق وهو يصلى فى أيام محاصرته فلم يقطع صلاته وقد جذبه مغناطيس المحبة فدفن قريبا منه صلى الله تعالى عليه وسلم فانهم لما أنزلوه عن جذعه الذى صلب عليه غسلته أمه أسماء بنت أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنهما بعد ان قطعت مفاصله وحنطته وكفنته وصلت عليه وحملته الى المدينه ودفنته فى دار صفية أم المؤمنين رضى الله تعالى عنها وهذه الدار زيدت فى المسجد النبوى على صاحبه أفضل الصلاة وأشرف السلام

(فصل فى علامة محبته عليه الصلاة والسلام) أى فى ذكر صفات تدل على ان من اتصف بها محب له صلى الله عليه وسلم (اعلم) أمر لكل من توجه اليه الخطاب من غير تعيين سد مسد مفعوليه قوله (ان من أحب شيأ آثره) أى اختاره وقدمه على غيره وهو بفتح الهمزة والمد كقوله (وآثر موافقته) فى أقواله وأفعاله (والا) أى وان لم يؤثره ويؤثر موافقته وأصله وان لا بان الشرطية ولا النافية (لم يكن صادقا) فى دعوى المحبة كما قال (فى حبه وكان مدعيا) أى كاذبا فى دعواه لان المدعى هو الزاعم للباطل عند الاطلاق ولذا يقال مسيلمة مدعى النبوة لكن لا يقال مثله فى حق النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كما قال

وكل يدعى وصلا لليلى * وليلى لا تقر له بذاكا

وقال

ولما ادعيت الحب قال كذبتنى * فمالى أرى الاعضاء منك كواسيا

فما الحب حتى يلصق القلب بالحشا * وتذهل حتى لا تجيب المناديا

(فالصادق فى حب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من يظهر عليه علامات ذلك) الحب الذى ادعاه بحيث لا يخفى (وأولها) أى أول تلك العلامات (الاقتداء به) صلى الله تعالى عليه وسلم باتباع أقواله وأفعاله وآثاره (واستعمال سنته) أى العمل بها (واتباع أقواله وأفعاله) فلا يخالفها (وامتثال أوامره واجتناب نواهيه) بان يفعل ما أمر به ويترك ما نهى عنه بقدر استطاعته قال ابن هشام فى تذكرته ومن

انصرافا عن بلدة لقلة رغبة فيها (وماخرجت) أى عن أرضها (الا حبا لله ورسوله) (ووقف ابن عمر رضى الله تعالى عنهما) فيما رواه ابن سعد (على ابن الزبير) أى عند جذعه الذى صلبه عليه الحجاج بالمعلاة (بعد قتله) أى عند البيت (فاستغفر) أى ابن عمر رضى الله عنهما (له) أى لابن الزبير (وقال كنت والله) وفى نسخة والله كنت (فيما علمت) وفى نسخة ماعلمت أى مدة علمى بك (صواما قواما) أى كثير الصيام والقيام (تحب الله ورسوله) صلى الله تعالى عليه وسلم (فصل فى علامة محبته عليه الصلاة والسلام) وفى أصل الدلجى فى علامة حبه على انه مصدر مضاف الى معموله أى أى يذكر فيه ما يؤذن بحب غيره له (اعلم انه) وفى نسخة ان (من أحب شيأ آثره) بالمد أى اختاره على نفسه (وآثر موافقته) على مخالفته (والا) أى وان لم يؤثرها (لم يكن صادقا فى حبه) أى فى مودته (وكان مدعيا) أى فى محبته وكان كما قيل *(شعر)*

وكل يدعى وصلا بليلى
وليلى لا تقر لهم بذاك

(فالصادق فى حب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من تظهر علامة ذلك عليه) أى دلالة الحب لديه (أولها) أى أول علاماته وأسبق دلالاته (الاقتداء به) أى فى ملته (واستعمال سنته) أى طريقته (واتباع أقواله وأفعاله) أى فى جميع أحواله (وامتثال أوامره) أى وجوبا وندبا (واجتناب نواهيه) أى حرمة وكراهة

(والتأدب بآدابه) أي في جميع أبوابه من مكارم شمائله ومحاسن فضائله (في عسره ويسره) أي في وقت ضره وشكره على صعوبة أمره وسهولته ومحنته ونعمته وجوعه وشبعه وبلائه ورخائه وقبضه وبسطه ومحوه وصحوه وفنائه وبقائه (ومنشطه ومكرهه) بفتح أولهما وثالثهما مصدران بمعنى النشاط والكراهة أو اسما زمان أي في حال سعته وضيقه أو حال رضاه وغضبه أو وقت فرحه وحزنه أو زمن انشراح صدره أو انقباض

أمره (وشاهد هذا) أي دليل ماذكر كله (قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله) أي تريدون طاعته أو تدعون محبته (فاتبعوني) أي في طريقته (يحببكم الله) يثبكم عليه ويقربكم اليه وتمامه قوله تعالى ويغفر لكم ذنوبكم أي يتجاوز عما فرط من عيوبكم (وايثار ماشرعه) أي وشاهده أيضا تقديم ما أظهره واختيار مابينه من وجوب ومندوب ومحظور ومكروه ومباح ونحوه (وحض عليه) أي وايثار ماحث وحرض على فعله أو تركه (على هوى نفسه) أي على ماتميل اليه نفس المحب (وموافقة شهوته قال الله تعالى) أي في مدح الانصار من جهة الايثار الذي هو في الجملة من شيم الابرار وسمة الاحرار (والذين تبوأوا الدار والايمان) أي اتخذوا المدينة منزلا والايمان منزلة ومحلا والمعنى لزموهما ولم يفارقوهما (من قبلهم) أي من قبل نزول المهاجرين عليهم (يحبون من هاجر اليهم) ولا يثقل أحد من قريش به ولا غيرهم عليهم (ولا يجدون في صدورهم) كذا في النسخ المصححة وفق الآية ووقع في أصل الدلجي في أنفسهم فقال صوابه في صدورهم (حاجة) أي حزازة (مما أوتوا) أي لم يخطر ببالهم ما تطمح به نفوسهم الى ما أعطى المهاجرون وغيرهم من فيء وغيره (ويؤثرون) أي يقدمون المهاجرين وغيرهم (على أنفسهم) في محبة الله ورسوله (ولو كان بهم خصاصة) أي مجاعة وشدة حاجة حتى ان من كان عنده داران أو بستانان ترك أحسنهما للمهاجرين ومن كان عنده امرأتان نزل عن احدى زوجتيه التي كانت

خطه نقلت قال الاصوليون الامر بمعنى القول المخصوص يجمع على أوامر وبمعنى الفعل الشأن على أمور ولا نعلم من وافقهم الا الجوهري وفي التهذيب خلافه ولم يذكر النحاة ان فعلا يجمع على فواعل وفي شرح البرهان قول الجوهري غير معروف وصحح بوجوه الاول انه جمع آمر لانه اسم أو صفة لما لا يعقل وهو مجاز لان الآمر الشخص لا القول ولم يقولوا انه مجاز وصرحوا بانه جمع أمر فكيف يخرج عليه كلامهم الثاني انه جمع آمرة وهي الصفة وفيه مامر وقال ابن سيدة آمرة مصدر كالعافية وعليه جرت هذه الصيغة ورد بانه لا يتأتى لان معناها ايجاد الطلب لا الصيغة الثالث انه جمع الجمع جمع على أفعل وجمع أفعل على أفاعل ورد بان أوامر فواعل لا أفاعل والابدال فيه مطرد وقال الاصفهاني في شرح المحصول هذا التوجيه لا يتم في النواهي وكونه جمع ناهية مجاز وتكلف وكونه لمشاكلة الاوامر يرده استعماله مفردا انتهى (والتأدب بآدابه) الادب حسن تناول الامور والتلطف فيها والمراد التخلق باخلاقه صلى الله تعالى عليه وسلم في الكرم وحسن الشيم والادب غلب في العرف على هذا المعنى (في عسره ويسره) بضمتين فيهما أو بسكون السين تخفيفا في الشدة والرخاء والضمير للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم أو لصاحب الحالة المصدرية (ومنشطه) أي في نشاطه وخفته (ومكرهه) أي كراهته لامر يتحمله من غيره وميمهما مفتوحة (وشاهد هذا) المذكور كله أي مايشهد له ويدل عليه حتى كأنه شهد به وأثبته (قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) جعل محبة الله لازمة لاتباع رسوله صلى الله عليه وسلم ومن أحب الله أحب رسوله فكأنه قال ان كنتم تحبوني فاتبعوني وبهذا ظهر مطابقة هذه الآية لما عقد له الفصل (وايثار ماشرعه) من أحكامه الواجبة وغيرها (وحض عليه) أي حث الناس على فعله وحرضهم عليه (على هوى نفسه) أي ماتهواه وتميل اليه (وموافقة شهوته) أي ماتشتهيه نفسه وتميل اليه طبعه لان الاشتهاء ميل طبيعي غير مقدور ولذا يعاقب المكلف بارادة المعاصي عند بعضهم ولا يعاقب باشتهائها والشهوة مغايرة للارادة لان الشهوة توقان النفس الى الامور المستلذة والارادة قد تتعلق بنفسها بخلاف الشهوة فانها لا تتعلق بنفسها بل بالذات فان تعلقت بنفسها كانت مجازا عن المجازاة كما في قوله أشتهي ان اشتهي (قال الله تعالى والذين تبوؤا الدار) أي سكنوها واستقروا بها وهم الانصار والمراد بالدار المدينة (والايمان) أي وأخلصوا الايمان وعطفه على الدار على حد قوله

* وزججن الحواجب والعيونا * أو جعل الايمان لملازمتهم له كالمنزل المستقر فيه ساكنه وتحقيقه في الكشاف وشروحه (من قبلهم يحبون من هاجر اليهم) من المؤمنين (ولا يجدون في صدورهم) أي في قلوبهم وأنفسهم وماوقع في بعض النسخ في أنفسهم سهو من الكاتب (حاجة مما أوتوا) أي لا يخطر ببالهم وتطمح أنفسهم الى ما أعطى المهاجرون من فيء وغيره حسدا وطمعا (ويؤثرون على أنفسهم) أي يقدمون المهاجرين على أنفسهم تكرما منهم (ولو كان بهم) أي فيهم (خصاصة) احتياج وفاقة لما آثروهم

أكرمهم الديه وزوجها باحدهم بين يديه هـذا وسبب نزول الآية انه عليه الصلاة والسلام قسم أموال بنى النضير بين المهاجرين ولم يعط الانصار منها شيأ الاثلاثة محاويج أبادجانة سماك بن خرشة وسهل بن حنيف والحارث بن الصمة وقال لبقية الانصار ان شئتم شركتكم فى هذا الفىء معهم وقسمتم لهم من دياركم وأموالكم وان شئتم كانت لكم دياركم وأموالكم ولاتاخذوا منه شيأ فقالوا بل نقسم لهم من ديارنا وأموالنا ونؤثرهم بالفىء علينا ولا نشاركهم فيه أصلا (واسخاط العباد) أى وشاهده أيضا اسخاط العباد (فى رضى الله تعالى) أى فى تحصيل رضاه فمن ارضاه تعالى بسخط عباده رضى عنه وارضى عنه العباد ومن ارضاهم بسخطه سخط عليه واسخطهم كما ورد به حديث هذا بمبناه أو معناه (حدثنا القاضى ابو على الحافظ) وهو ابن سكرة (ثنا) أى حدثنا (أبو الحسين الصيرفى وأبو الفضل بن خيرون) بخاء معجمة مفتوحة وتحتية ساكنة وراء مضمومة وهو غير منصرف فى النسخ المصححة (قالا) أى كلاهما (ثنا) أى حدثنا (أبو يعلى البغدادى) ويقال له ابن زوج الحرة (ثنا) أى حدثنا (أبو على السنجى) بكسر السين وسكون النون والجيم (ثنا) أى حدثنا (محمد ابن محبوب) ويروى أحمد ابن محبوب (ثنا) أى حدثنا (أبو عيسى) أى الترمذى الامام (ثنا) أى حدثنا (مسلم بن حاتم) أى الانصارى امام جامع البصرة وثقه الترمذى وغيره (ثنا) أى حدثنا (محمد بن عبد الله الانصارى) قاضى البصرة يروى عن حميد وابن عوف وطبقتهما وعنه البخارى وأحمد وابن معين وخلائق أخرج له الائمة الستة (عن أبيه) أى عبد الله بن المثنى بن عبد الله بن أنس بن مالك الانصارى يروى عن عمومته والحسن وجماعة وعنه طائفة قال أبو حاتم صالح ووثقه غيره وقال النسائى ليس بالقوى وقال أبو داود لا اخرج حديثه لكن أخرج له البخارى والترمذى وابن ماجه (عن على بن زيد) أى ابن جدعان التيمى البصرى الضرير تابعى أحد الحفاظ وليس بالثبت وقال منصور بن زادان لما مات الحسن قلنا لابن جدعان اجلس مجلسه أخرج له مسلم متابعة (عن سعيد بن المسيب) تقدم ذكره (قال قال أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه قال لى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يا بنى) بكسر الياء المشددة وفتحها لغتان وقراءتان متواترتان وهو تصغير شفقة (ان قدرت ان تصبح وتمسى) أى تدخل فى الصباح والمساء أو يمر عليك النهار والليل

به وسبب نزول هذه الآية انه صلى الله تعالى عليه وسلم قسم بين الصحابة غنائم بنى النضير ولم يعط الانصار منها الاثلاثة من فقرائهم وقال لهم ان شئتم اشركتكم معهم وقسمتم لهم من دياركم وأموالكم وان شئتم كان لكم أموالكم وديار كم ولا تاخذوا منه شيأ فقالوا بل نؤثرهم بالفىء ونقسم لهم من ديارنا وأموالنا فلله درهم ما اكرمهم واعونهم على البر والتقوى وهذا كله محبة لله ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم وكان المهاجرون قبل ذلك نزلوا دور الانصار فلما افتح الله عليهم فعل ذلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (واسخاط العباد) أى اغضابهم عليهم بمخالفتهم (فى رضى الله) أى فيما يرضيه وهذا وما قبله معطوف على الاقتداء وهذا كما قال الحريرى

وابغ رضى الله فاعى الورى * من اغضب المولى وارضى العبيد

(حدثنا القاضى أبو على الحافظ) هو ابن سكرة وقد تقدمت ترجمته قال (حدثنا أبو الحسن الصيرفى) تقدم أيضا وفى نسخة الحسين وهو سهو (وأبو الفضل بن خيرون) تقدم أيضا (قالا حدثنا أبو يعلى البغدادى) الذى يقال له زوج الحرة كما تقدم قال (حدثنا أبو على السنجى) تقدم أيضا قال (حدثنا محمد ابن محبوب) تقدم أيضا قال (حدثنا أبو عيسى) هو الامام الترمذى صاحب السنن وهو محمد بن عيسى ابن سورة كما تقدم قال (حدثنا مسلم بن حاتم) الانصارى امام جامع البصرة قال (حدثنا محمد بن عبد الله الانصارى) هو محمد بن عبد الله بن المثنى الانصارى قاضى البصرة الامام الثقة توفى فى رجب سنة خمسة عشر ومائتين وله ترجمة فى الميزان (عن أبيه) هو عبد الله بن المثنى البصرى وقد وثقوه وله ترجمة فى الميزان (عن على بن زيد) بن عبد الله بن أبى مليكة زهير بن عبد الله بن جدعان بن عمر بن كعب الضرير أحد الحفاظ وان قيل فيه لين وليس يثبت وأخرج له الاربعة وله ترجمة فى الميزان توفى سنة احدى وثلاثين أو تسعة وعشرين ومائة (عن سعيد بن المسيب) تقدم أيضا (قال قال أنس بن مالك) الصحابى المشهور (قال لى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يا بنى) مصغر بتشديد الياء ويجوز كسرها وفتحها والتصغير للشفقة والمحبة وكان خادمه صلى الله عليه وسلم وفيه دلالة على انه صلى الله تعالى عليه وسلم أبو المؤمنين كما ان زوجاته رضى الله عنهن امهاتهم وبناته اخواتهم وقد وقع اطلاق هذا كله فى الاحاديث الصحيحة وقرئ وازواجه امهاتهم وهو اب لهم وقوله تعالى ما كان محمد أبا احد من رجالكم المنفى فيه أبوة النسب حقيقة خلافا لمن لم يجوز اطلاقه عليه صلى الله عليه وسلم عملا بظاهر الآية والصحيح خلافه كما تقدم بيانه فى أول فصل واما حسن عشرته الخ (ان قدرت ان تمسى وتصبح) أى ان أمكنك ذلك

(ليس فى قلبك غش) أى حقد وحسد (لاحد) أى من المسلمين جملة حالية معترضة (فافعل) أى كن ثابتا على هـذا العمل فان من غشنا فليس منا على ماورد (ثم قال لى يابنى وذلك) أى هـذا المقام (من سنتى) أى من طريقتى (ومن أحيى سنتى) أى بالعـمل بها أو بانتشارها فى تعليمها وتعلمها اوبروى ومن أحب سنتى (فقد أحبنى) أى بالغ فى حبى (ومن أحبنى) أى بالمبالغة (كان معى فى الجنة) أى فى درجة أرباب المحبة وأصحاب القربة (فمن اتصف بهذه الصفة) الظاهر بهذه الصفات التى هى علامات المحبة أو المراد بهذه الصـفة احياء السنة وامثالهـا من أنواع الموافقة والمتابعة الصادقة (فهو كامل المحبة لله تعالى) أى اصالة (ولرسوله) أى تبعا (ومن خالفـها) أى هذه الصفات (فى بعض هذه الامور) أى المذكورة (فهـوناقـص المحبـة ولايخـرج) أى ولكن لايخرج مع هـذا (عن اسمها) أى عن اسم المحبة فيجوز اطلاق المحب عليه فى الجـملة (ودليـله) أى ودليل عدم خروج ناقص المحبة عن أصل المحبـة (قوله عليـه الصـلاة والسلام) أى كما فى حديث البخارى عن عمر رضى الله تعالى عنه (للـذى حده فى الخمر) أى لاجله وفى حقه وهو عبـدالله الملقب بالحمـار كذا وقع فى صحيـح البخار وهـو صاحب مزاح كان يهدى للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم ويضحكه (فلعنه بعضـهم) وفى صحيـح البخارى فقـال بعـض القـوم اخزاك الله قال بعض الحفاظ القائل به هو عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه رواه البيهقى وفى روايه له فقال رجل من القوم اللهم العنه (وقال) أى ذلك البعض تعليلا لطعنه ولعنه وفيه (ما أكثر ما يأتى به فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لا تلعنه فانه يحب الله ورسوله) وفى كلام الدمياطى فى حواشيه على البخارى ان هذا وهم منه فان صاحب القصة نعيمان تصغير نعمان بن عمرو بن رفاعة بن الحارث بن سواد بن غنم بن مالك بن النجار شـهد العقبة مع السبعين وبدرا واحدا والخندق وسائر المشاهد وأتى به فى شرب الخمر الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فجلده أربعا أو خمسا فقال رجل من القوم اللهم العنه ما اكثر ما يشرب وا كثر ما يجلد فقال عليه الصلاة والسلام لا تلعنه فانه يحب الله ورسوله وكان صاحب مزاح

ولم يمنعك منه مانع أى على ان الخ لان حـذف الجار هنا مطرد والمراد بالاصـباح والامساء جميـع زمانه لاخصوصهما اذ لا وجه للتخصيص وهما فعلان تامان وقوله (ليس فى قلبك غش لاحد) جمـلة حالية بدون تقدير قد لجودفعلها أو هى خبر وهما ناقصان والغش بكسر الغـين المعجمة ضـد النصح والمراد به هنا مجازا غل وحقد وهو المراد اذا اضيف للقلب ولو كان على ظاهره فهو بتقدير مضاف أى نية غش والاول احسن واقرب (فافعل) أى فكن مداوما على ذلك (ثم قال) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (لى يابنى وذلك) اى نزع الغش من القلب (من سنتى) أى طريقتى واخـلاقى (ومن أحيى سنتى) أى أظهرها واتبعها (فقد أحبنى) أى علم حبه لى وهذه روايه والذى فى الترمذى فقد أحيانى وهو الظاهر (ومن أحبنى كان معى فى الجنة) لان المرء مع من أحب كما تقدم والمحب الصادق لايخالف من أحبـه بل يقدم مراده على مراده لانه أحب اليه من نفسه (فمن اتصف بهذه الصـفة) أى باحياء السـنة واتباعها وقيل المراد بالصفة ان لايكون فى قلبه غش لاحد (فهو كامل المحبـة لله ورسوله ومن خالفها) أى خالف السنة (فى بعض هذه الامور) كترك بعض ما أمر به أو أتى بعض ما نهى عنـه أحيانا (فهو ناقص المحبـة) لا كاملها (ولا يخرج) بارتـكاب البعض (عن اسـمها) أى عن الاتصاف بها وتسـميته محبا فى الجـملة ولا ينـافى هـذا قوله المتقدم

لو كان حبك صادقا لاطعته * ان المحب لمـن يحب مطيـع

لان ذلك فى المحبة الـكاملة التى هى محبة الخواص على نهج قوله لا يزنى الزانى وهو مؤمن ولذا عقبه بقوله (ودليله) أى دليل ان بعض المخالفة لايخرجه عن اتصافه بالمحبة (قوله صلى الله عليه وسلم) فى حـديث رواه البخارى عن عمر رضى الله تعالى عنه (للذى حده فى الخمر) أى أقام عليه الحد لشربه الخمـر واللام كهى فى قوله تعـالى وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليـه أى قوله فى حقـه وشانه وهى فى الحقيقة لام تعليل والصحابى الذى حد فى الخمر فى هذا الحديث قيل هو عبدالله الملقب بحـمار باسم الحيوان بحاء مهملة وقيل بل هو بخاء معجمة مكسورة وانه الصواب وقيل ابن نعيمان أو نعيمان نفسه ابن عمرو بن رفاعة البـدرى وهو الذى حد فى الخمر مرارا وهو صاحب الدعابة الذى كان صلى الله تعـالى عليـه وسـلم يضحك منه توفى فى زمن معاويه وصحح هذا وقصة حمـار أخرى كانت بخيبر وقيـل انه هو نفسه وقال الحافظ الدمياطى ان كون هذا الرجل حمارا وهم وانمـا هو نعيمان وحمـار هذا معدود فى الصحابة ولم يذكروا نسبه (فلعنه بعضهم) أى قال اللهـم العنه وروى انه قال له اخزاك الله تعـالى والقائل له عمر بن الخطاب كما رواه البيهقى (وقال ما اكثر ما يؤتى به) تعجب من كثرة ما توابه صـلى الله تعالى عليه وسـلم وهو سكران (فقال رسول الله صـلى الله تعـالى عليـه وسـلم لا تلعنـه فانه يحب الله ورسوله) وفيه دليل على ان المسـلم وان ارتـكب الـكبائر لايجوز لعنـه ومن كان كذلك لايجوز لعنـه

انتهى وقال الواقدي بقي نعيمان حتى توفي أيام معاوية وكان كثير المزاح يضحك النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من مزاحه انتهى ومما يحكى عن نعيمان هذا انه كان لا يدخل في المدينة طرفة أو تحفة الا اشترى وجاء بها اليه صلى الله تعالى عليه وسلم و يقول أهديته لك فاذا جاء صاحبه يطالبه بثمنه جاء به الى النبي عليه الصلاة والسلام وقال يا رسول الله اعطه ثمن متاعه فيقول النبي عليه الصلاة والسلام أولم تهده فيقول يا رسول الله لم يكن والله عندي ثمنه وأحببت ان تأكله فيضحك رسول الله صلى الله تعالى

وفيه ان محبة الله ورسوله من أعظم المنجيات وفيه رد على المعتزلة في ان مرتكب الكبيرة مخلد في النار (ومن علامات محبة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كثرة ذكره) صلى الله تعالى عليه وسلم وذكره بالصلاة عليه ومنه علم فضيلة الحديث وأهله لذكرهم له صلى الله تعالى عليه وسلم كثيرا (ومن أحب شيأ أكثر من ذكره) وهذا مثل مشهور وهو أمر طبيعي عادي (ومنها) أي علامات محبته صلى الله تعالى عليه وسلم (كثرة شوقه الى لقائه) اما في حياته فظاهر واما بعد موته صلى الله عليه وسلم فبان يشتاق لقاءه في الآخرة و يشاهد ذاته الكريمة اللهم ارزقنا ذلك (فكل حبيب) أي محب (يحب لقاء حبيبه) أي محبوبه فان فعيل يأتي بمعنى اسم الفاعل والمفعول وان اشتهر هذا في الثاني وذكره معادلا لقوله قبله من أحب شيأ الى آخره وكل منهما علة لما قبله وهو من حسن التعليل البديعي والشئ بالشئ يذكر ما أحسن قول عروة بن حزام في قصيدة له

وانى لاهوى الحشر اذ قيل انني * وعفراء يوم الحشر تلتقيان

ومنه أخذ ابن رواحة قوله

ان كان يحلو لديك ظلمي * فزد من الهجر في عذابي
عسى يطيل الوقوف بيني * و بينك الله في الحساب

وقلت أنا في رباعية

كم قال لحبه الكثير الآفات * واطول وقوفنا بيوم العرصات
هيهات لئن بدا محياه له * يغفر و يهب له جميع الزلات

(وفي حديث الاشعريين) يعني أبا موسى الاشعري وأصحابه المنسوبين الى أشعر أبو قبيلة باليمن وكانوا قدموا على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم سنة سبع من الهجرة وكان صلى الله تعالى عليه وسلم قال لاصحابه يقدم عليكم قوم أرق قلوبا منكم فقدم الاشعريون وكانوا (عند قدومهم المدينة) منصوب بنزع الخافض لانه يقال قدم فلان على فلان وقدم الى بلد كذا (انهم كانوا يرتجزون) أي ينشدون شعرا وكلاما موزونا وهو (غدا نلقى الاحبه * محمدا وصحبه) لكنهم قالوا انما يقال ارتجز اذا أنشد شعرا من بحر الرجز وتمامه مستفعل ست مرات ومجزوه أربعا وهذا ليس منه وانما هو من الوافر والهزج وقيل انما سماه رجزا لمشابهته له لتقارب أجزائه وقلة حروفه ولعل العرف كانت تطلق على ما يقوله الركبان من الاوزان القصيرة رجزا وما ذكروه من تخصيصه بهذا الوزن اصطلاح حدث بعد الخليل رحمه الله تعالى والذي يظهر ان هذا كله تكلف لا حاجة اليه فانه هنا بمعناه اللغوي وهو يصيحون و يصوتون فانه أصل معناه ومنه المرتجز اسم فرس لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لحسن صهيله وصوته وكون المصنف يخفى عليه مثله سوء ظن به وفي نسخة وحزبه بدل صحبه كما تقدم (وتقدم قول بلال مثله) يعني ان بلالا ذكر مثله لفظا ومعنى وان اختلف مرادهما فان مراد هذا القائل لقاء النبي وأصحابه في الحياة الدنيا وبلال رضي الله تعالى عنه أراد لقاءهم في الآخرة ثم انه يحتمل انه توارد معهم في هذا الكلام

عليه وسلم ويأمر لصاحبه بثمنه وفي هذا الحديث بشارة عظيمة واشارة جسيمة لعصاة المؤمنين وحجة واضحة وبينة لائحة لاهل السنة والجماعة على الخوارج والمعتزلة حيث قالوا بكفر من فعل كبيرة أو هي مخرجة له من الايمان ولا تدخله في الكفر فيثبتون لصاحبها منزلة بين المنزلتين و يقولون بتخليده في النار (ومن علامات محبة النبي) أي محبته للنبي (صلى الله تعالى عليه وسلم كثرة ذكره له) أي في الحالات والاوقات (فمن أحب شيأ أكثر من ذكره) أي وصرف اليه غالب فكره وقوله من أحب شيأ أكثر من ذكره حديث رواه الديلمي في مسند الفردوس عن عائشة رضي الله تعالى عنها (ومنها) أي من علامات محبته عليه الصلاة والسلام (كثرة شوقه الى لقائه) أي الى مشاهدة طلعة ذاته في دار بقائه (فكل حبيب) أي محب (يحب لقاء حبيبه) أي محبوبه والجملة كالعلة لما قبلها (وفي حديث الاشعريين) أي أبي موسى وأصحابه (عند قدومهم المدينة) أي من اليمن أو الحبشة (انهم كانوا يرتجزون) أي يقولون هذا الرجز قبل حصول الصحبة ووصول القربة (غدا نلقى الاحبة) جمع حبيب فعيل بمعنى مفعول (محمدا وصحبه) ويروى وحزبه والمراد بالرجز هنا الشعر الذي يشبه الرجز اذ ليس هذا من بحر الرجز المعروف فانه بفتحتين ضرب من الشعر وزنه مستفعلن ست مرات سمي لتقارب أجزائه وقلة حروفه وزعم الخليل انه ليس بشعر وانما هو انصاف من أبيات واثلاث (وتقدم قول بلال) أي انشاده هذا الرجز عنده موته شوقا الى لقائه

(ومثله قال عمار قبل قتله) وفى نسخة وكما قال عمار أى ابن ياسر أبو اليقظان العبسى من السابقين المعذبين فى الله البدريين وكان معذبا بالنار فى أيدى المشركين وكان عليه الصلاة والسلام يمر به فيمر يده عليه ويقول يانار كونى بردا وسلاما على عمار كما كنت على ابراهيم روى عنه على وابن عباس وغيرهما قتل بصفين مع على عن ثلاث وتسعين من عمره وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم له تقتلك الفئة الباغية وقتله أبو الغادية واسمه يسار بن سبع سكن الشام ونزل واسط وعداده فى الشاميين أدرك النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهو غلام وسمع منه قوله لا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض وكان محبا لعثمان رضى الله تعالى عنه وكان اذا استأذن على معاوية يقول قاتل عمار بالباب أخرج له أحمد فى المسند (وماذكرناه) أى وتقدم أيضا ماذكرناه (من قصة خالد بن معدان) وفى نسخة فى قصة خالد بن معدان (ومن علاماته) أى ومن دلالة شوق المحب الى لقاء محبوبه (مع كثرة ذكره تعظيمه له) أى لذاته أو لامره (وتوقيره) أى له كما فى نسخة (عندذكره) أى تنويها لرفعة محله (واظهار الخضوع) وفى نسخة واظهاره الخضوع وفى نسخة الخشوع بدل الخضوع والمعنى بهما التواضع والتذلل ظاهرا وباطنا (والانكسار) أى بوصف الافتقار وفى نسخة الانكماش أى الانقباض والاجتماع (مع سماع اسمه) أى حين سماع اسمه أووصفه (قال اسحق) وفى نسخة أبو اسحق (التجيبى) بضم التاء الفوقية وتفتح وقيل هو الاصح وبكسر الجيم نسبة الى تجيب بطن من كندة منهم كنانة بن بشر التجيبى قاتل عثمان رضى الله تعالى عنه وتجوب قبيلة من حمير منهم ابن ملجم قاتل على كرم الله تعالى وجهه

الا

وانه تمثل به (ومثله) أى المذكور وان لم يساوه (ماقاله عمار) بن ياسر الصحابى (حين قتل) أى قتله أهل الشام الذين كانوا مع معاوية أى لما قتل بصفين مع على رضى الله تعالى عنه سنة ست وثلاثين فيما رواه ابن سلمة قال كأنى أنظر الى عمار يوم صفين وقد استسقى فاتته امرأة بشربة من لبن فشربها ثم قال اليوم ألقى الاحبة أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عهد الى ان آخر شربة أشربها من الدنيا شربة لبن ثم قاتل حتى قتل وقد قال صلى الله عليه وسلم تقتل عمارا الفئة الباغية كما تقدم ومنه علم ان عليا كرم الله وجهه كان على الحق (و) مثله أيضا (ماذكرناه من قصة خالد بن معدان) التى تقدمت من انه كان اذا أوى الى فراشه لا يزال يذكر شوقه الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وأصحابه حتى يغلب عليه النوم وليس هذا من تمنى الموت المنهى عنه فان من أحب الله ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم وتمنى الموت لاجل لقائه والاستراحة من الدنيا وغمها الدس من هذا كما قال فى الفتوحات ومن هذا ماتقدم أنه صلى الله تعالى عليه وسلم لما خير بين البقاء فى الدنيا والانتقال للآخرة قال اللهم الرفيق الاعلى * واعلم ان تحقيق هذا المقام ماقاله الحكيم الترمذى فى فروقه ان تمنى الموت على ثلاثة أقسام * الاول تمنى عبد اقترب الى ربه فى منازل القرب لما تظهر من ادناس الشهوة وكدورة الاخلاق فكلما اقترب ازداد شوقا فتمنى الموت * والثانى عبد رأى نعمة الله عليه فى دينه شاملة لكل خير فخاف زوالها لما رأى من نفس خادعة وعدو لا يألوه خبالا فتمنى الموت رجاء ان يحرز ذلك لنفسه فى لحده فهذان محمودان ورداعن الصحابة كسلمان رضى الله تعالى عنه اذ قال أحب الموت اشتياقا وقال ابن مسعود رضى الله تعالى عنه أحب الموت لانى لا أدرى ما ينزل بى فاخاف على دينى والاول قول صديق والثانى قول صادق والحظ لصاحبه فيهما * والثالث عبد تربى فى رفاهية عيش وثقل نعمة ثم انقلب الزمان عليه وعضته النوائب فقل صبره وتمنى الموت وهذا مذموم ولذا جاء فى الحديث لا يتمنى أحدكم الموت لضر نزل به واما تمنى مريم رضى الله تعالى عنها الموت وقولها ياليتنى مت قبل هذا الخ فلخير مضى ولذا لم تقل الآن فهو لامر دينى رجاء أن لا يزول لما رأت فتناتموج وذلك لما أتهموا زكرياوهموا بقتله فجاءها النداء والبشرى فصدقت بكلمات ربها وسميت صديقة انتهى اذا علمت هذا فقول السخاوى كغيره تمنى الموت منهى عنه ولذا جاء فى الحديث الصحيح فان كان ولا بد فاعلا فليقل اللهم أحينى ماكانت الحياة خيرالى وتوفنى اذا كان الوفاة خيرالى انتهى باطلاقه ليس كما ينبغى والتحقيق ماعرفت (ومن علاماته) أى علامة حب الله ورسوله فالضمير راجع للمحبة لتأويلها بالحب وليس راجعا للقاء المحب حبيبه وان كان أقرب وغير محتاج للتأويل كما قيل (مع كثرة ذكره) له صلى الله تعالى عليه وسلم (تعظيمه له وتوقيره) حق توقيره (عندذكره) له (واظهار الخشوع) أى الخضوع (والانكسار) أى التذلل والتواضع (مع سماع اسمه) أى اذا ذكر غيره لاسمه صلى الله تعالى عليه وسلم (وقال اسحق التجيبى) هو امام المحدثين أبو ابراهيم اسحق بن ابراهيم التجيبى توفى لثمان بقين من ذى القعدة سنة اثنين وخمسين وثلثمائة وهو منسوب لقبيلة من كندة تسمى تجيب واختلف فى تائه هل هى أصلية أم زائدة وضمها المحدثون وكثير من الادباء وفتحها غيرهم قال فى القاموس تجيب بالضم وتفتح بطن من كندة منهم كنانة بن بشر التجيبى وتجوب بالواو قبيلة من حمير بن ملجم التجوبى قاتل على رضى الله تعالى عنه وغلط الجوهرى وحرف بيت الوليد بن عقبة

(كان أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بعده) أى بعد وفاته (لا يذكرونه) أى فى حال من الاحوال (الا خشعوا) أى خضعوا وتذللوا (واقشعرت جلودهم) أى انقبضت لحسرتهم عليه (وبكوا) أى لفراقه شوقا اليه (كذلك) أى ومثل أصحابه فى ذلك (كثير من التابعين) منهم وفى نسخة كان منهم (من يفعل ذلك) أى يخشع ويقشعر ويبكى (محبة له وشوقا اليه ومنهم) أى من التابعين أو من الصحابة والاتباع أجمعين (من يفعله) أى ماذكر من الخشوع والاقشعرار والبكاء (تهيبا) أى مهابة (وتوقيرا) أى اجلالا وعظمة والحاصل ان بعضهم كانت المحبة غالبة عليهم وبعضهم كانت المخافة ظاهرة لديهم وهما مقامان شريفان لطائفتين من الصوفية السنية لكن مقام الرجاء والمحبة أفضل من مقام الخوف والهيبة بالنسبة الى المنتهين وعكسه بالاضافة الى المبتدئين ويسمى الاولون بالطيارين والآخرون بالسيارين ثم هذه الاوصاف المحمودة كلها مقتبسة من قوله تعالى فى مدح المؤمنين الموقنين حيث قال تعالى أفمن شرح الله صدره للاسلام الى ان قال تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله الآية فذكر الله وذكر رسوله متلازمان فى حصول كل واحد ووصوله (ومنها) أى ومن علامات محبة الانسان للنبى عليه الصلاة والسلام (محبته لمن أحب النبى) بالرفع أى أحبه النبى (صلى الله تعالى عليه وسلم) ويجوز ان ينصب كما فى نسخة وهو المعنى الاعم الاتم لكن الاول هو المناسب لسياق الكلام والله تعالى أعلم ولذا عطف عليه بقوله (ومن) أى ولمن (هو بنسبه) أى بسبب نسبه ونسبته وفى نسخة نسبه أى منسوب به (من آل بيته) أهل بيته وفى أصل الحجازى بنون وشين معجمة وموحدة (وصحابته من المهاجرين والانصار وعداوة من عاداهم) أى تجاوز الحد الشرعى فى حقهم من الكفار

ألا ان خير الناس بعد ثلاثة * قتيل التجيبى الذى جاء من مصر

انتهى يعنى انه أنشده التجيبى وانما هو التجوبى كما فى كامل المبرد واعلم ان بعضهم زعم ان تاءه أصلية لانه فى العين ذكره فى فصل التاء وتبعه صاحب القاموس وهى زائدة كما قاله ابن السيد وجوز فى تائه الوجهين أى الفتح والضم وقال النووى فى شرح مسلم ان التاء زائدة لانه من حاب يجوب (كان أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم بعده) أى بعد وفاته (لا يذكرونه الا خشعوا) أى أظهروا الخشوع والتذلل (واقشعرت جلودهم) أى عرض لها اقشعريرة (وبكوا) حزنا لفراقه وشوقا للقائه صلى الله تعالى عليه وسلم (وكذلك) أى ومثل الصحابة فيما ذكر (كثير من التابعين) لهم باحسان يفعلون كفعلهم (منهم من يفعل ذلك) أى من المذكورين كلهم الصحابة والتابعين أو من التابعين من يبكى ويخشع ويقشعر جلده (محبة له وشوقا اليه) تمييزا ومفعول له أى من محبته وشوقه أو لاجلهما (ومنهم من يفعله تهيبا وتوقيرا) أى لمهابته صلى الله تعالى عليه وسلم فى أنفسهم واجلاله وتكريمه (ومنها) أى من علامات محبته صلى الله تعالى عليه وسلم (محبته) أى محبة الانسان (لمن أحب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) بالرفع والعائد محذوف أى أحبه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (و) محبة (من هو بسببه) الباء للملابسة أى تلبس بسبب من أسبابه وكان بينه وبينه علامة بقرابة أو صهارة وقال فى النهاية السبب الزواج وأصله الحبل الذى يتوصل به لسقى الماء فاستعير لكل ما يتوصل به قال الله تعالى وتقطعت بهم الاسباب أى الوصل والمودات * (نكتة) * انما خص ابن الاثير السبب هنا بالزواج وان كان عاما لان الزواج لمناسبة الماء المخصص فى المستعار لانه يطلق على المنى كما فى الحديث انما الماء من الماء وفى قوله تقطعت فى الآية لطف خفى وقوله (من أهل بيته) الى آخره بيان لمن أحبه ومن هو بسببه ويجوز ان يكون بيانا لمن هو بسببه بناء على عمومه وفى نسخة من آل بيته وفيهم خلاف والمشهور عند الشافعى انهم المؤمنون من بنى هاشم وبنى المطلب ابنى عبد مناف لابنى عبد شمس وبنى نوفل ابنى عبد مناف لانه صلى الله تعالى عليه وسلم أشرك الاولين فى خمس الخمس الذى هو سهم ذوى القربى دون هؤلاء وقال انهم والفونا فى الجاهلية والاسلام (وصحابته) بفتح الصاد جمع أو اسم جمع صحابى وهو فى الاصل مصدر وهو كل مسلم لقى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بعد بعثته ومات على ذلك فان تخللت ردة ولم تدم لم يضر وهم لا يحصون كثرة وقد روى انه صلى الله تعالى عليه وسلم قبض عن مائة وأربعة وعشرين ألفا والله تعالى أعلم (والمهاجرين) هو من هاجر وترك وطنه لله ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم فيدخل فيه مهاجروا المدينة والحبشة وقدمهم لانهم أفضل (والانصار) جمع ناصر أو نصير غلب على الاوس والخزرج وكذا نسب اليه وقيل أنصارى وهو تخصيص بعد تعميم لانهم أفضل من غيرهم وفى نسخة من المهاجرين والانصار والظاهر انه عبارة عن جميع الصحابة ليشمل من مات قبل الهجرة كخديجة رضى الله تعالى عنها وقيل انهم فى حكم المهاجرين لانهم السابقون باحسان قبل غيرهم فتأمله (وعداوة من عاداهم) أى من علامات المحبة لهم عداوة من عاداهم ظلما وبغيا كالخوارج فلا يدخل

(وبغض من أبغضهم) أي كرههم وقلاهم من الفجار (وسبهم) أي وبغض من شتمهم من كلاب أهل النار (فمن أحب شيأ) أي أحدا (أحب من يحب) وفي نسخة من يحبه أي ذلك المحبوب ويبغض من يبغضه (وقد قال عليه الصلاة والسلام) كما في البخاري وغيره (في الحسن والحسين) أي في حقهما وشأنهما (اللهم اني أحبهما فاحبهما) أي زدلهما الهدى والتوفيق في الدنيا وحسن المثوبة ورفعة الدرجة في العقبى (وقال) أي في رواية (من أحبهما فقد أحبني) أي فكأنه أحبني (ومن أحبني) حقيقة (فقد أحب الله تعالى ومن أبغضهما فقد أبغضني) أي فكأنه أبغضني (ومن أبغضني) حقيقة (فقد أبغض الله تعالى) أي ومن أبغض الله فقد كفر بالله (وفي رواية) أي أخرى (الحسن) أي قال في حق الحسن وحده (اللهم اني أحبه فاحب من يحبه وقال) أي في رواية الترمذي (الله الله) بالنصب فيهما أي اتقوه واحذروه (في أصحابي) ولا تذكروهم بسوء فانهم أحبابي (لا تتخذوهم غرضا) بمعجمتين أي هدفا ترمونهم بما لا يليق من الكلام كما يرمى الهدف بالسهام وفي نسخة عرضا بالعين المهملة والظاهر انه تصحيف (بعدي) أي في غيبتي أيام حياتي أو بعد مماتي (فمن أحبهم فبحبي) أي فبسبب حبه اياي أو حبي اياهم (أحبهم ومن أبغضهم فببغضي) أي فبسبب بغضه اياي (أبغضهم) ومن هنا قول بعض المالكية من سبهم قتل (ومن آذاهم) أي بما يسوءهم (فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله تعالى) أي خالفه وكره الله فعله (ومن آذى الله يوشك) أي يقرب ويسرع (ان يأخذه) أي الله تعالى كما في نسخة ولعل الحديث مقتبس من قوله تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا (وقال) أي كما رواه البخاري وغيره (في فاطمة) أي في شأنها (انها بضعة) بفتح الموحدة وتكسر أي جزء وقطعة (مني) أي من لحمي ودمي (يغضبني ما أغضبها) وفي نسخة ما يغضبها وقد ورد هذا الحديث حين خطب علي رضي الله تعالى عنه جويرية ابنة عدو الله أبي جهل على فاطمة رضي الله تعالى عنها قال مسور بن مخرمة سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول وهو على المنبر ان بني هشام بن المغيرة استأذنوني ان ينكحوا ابنتهم علي ابن أبي طالب فلا آذن ثم لا آذن ثم لا آذن الا ان يريد ابن أبي طالب ان يطلق ابنتي وينكح ابنتهم فانما هي بضعة مني فمن أبغضها أبغضني فهذا من خصوصياتها

فيه ما وقع بين الصحابة ظاهرا (وبغض من أبغضهم) أي كرههم وقلاهم (وسبهم) وأظهر شتمهم كالروافض قاتلهم الله فان من أحب شيأ أحب من يحبه وكره من يكرهه كما قيل وقد تقدم

اذا صافى صديقك من تعادي * فقد عاداك وانفصل الكلام

(وقد قال عليه الصلاة والسلام في الحسن والحسين) أي في حقهما وشأنهما كما رواه البخاري (اللهم) أي يا الله ناداه بيانا لتحقق حبه وعلم الله به وتوطئة لما طلب منه (اني أحبهما فاحبهما) أي أعطهما كل خير دنيوي وأخروي كما سيأتي في بيان محبة الله وهذا بلفظه وقع في رواية الترمذي في حديث قال انه حسن صحيح والذي في الصحيحين ذكر فيه اسامة والحسن وفيه روايات مختلفة وليس هذا محل تفصيلها واليه أشار المصنف رحمه الله تعالى بقوله (وفي رواية في الحسن) وحده وليس المراد التخصيص (اللهم اني أحبه فاحب من يحبه وقال) صلى الله عليه وسلم في رواية أخرى (من أحبهما) أي الحسن والحسين فقد أحبني ومن أحبني فقد أحب الله لعلمه بالطريق الاولى (ومن أبغضهما فقد أبغضني ومن أبغضني فقد أبغض الله وقال) صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الترمذي وغيره (الله الله) بنصبهما بمقدر كاتقوا الله واحذروه واخشوه وفي تكريره تخفيف وتحذير على وجه المبالغة (في أصحابي) أي في شأنهم وحقهم فاحذروا تنقيصهم ونسبتهم لما لا يليق بهم والطعن فيهم ثم بين ذلك بقوله (لا تتخذوهم غرضا بعدي) بغين معجمة وراء مهملة مفتوحتين وضاد معجمة وهو الهدف الذي يرمى بالسهام فهو استعارة أو تشبيه بليغ على القول في مثله كما بين في المعاني أي لا تقصدوا ذكرهم بسوء ولا تبحثوا عما وقع منهم ولذا منع السلف منه (فمن أحبهم فبحبي أحبهم) أي بسبب حبي لهم ويلزم من المحبة لهم ان لا يذكروا بسوء (ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم) ولذا ذهب بعض المالكية كما سيأتي الى قتل من سبهم لانه كسبه صلى الله تعالى عليه وسلم (ومن آذاهم) بذكر ما يسوءهم (فقد آذاني) لانه يسوءه ذلك (ومن آذاني فقد آذى الله) أي عصاه وفعل ما لا يرضاه وهو المراد باذية الله (ومن آذى الله يوشك ان يأخذه) أي يهلكه سريعا ولا يمهله فيأخذه أخذ عزيز مقتدر وفي النهاية يوشك ان يكون كذا أي يقرب ويسرع (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم (في فاطمة) رضي الله تعالى عنها أي في حقها وشأنها في حديث رواه البخاري وغيره (انها بضعة) بفتح الباء وكسرها أي قطعة وجزء (مني) لان الولد حاصل من أبيه وقطعة من كبده (يغضبني ما أغضبها) أي يسوءني ويؤذيني كل ما آذاها لان ألم الجزء يتألم به الكل فهو كالدليل لما قبله وسبب الحديث ان عليا كرم الله وجهه خطب بنتا لابي جهل فسمعت بذلك فاطمة رضي الله تعالى عنها

فاتت

(وقال) أى فى رواية (لعائشة رضى الله تعالى عنها فى أسامة بن زيد) أى فى حقه (أحبيه فانى أحبه) وقد ورد انه أراد عليه الصلاة والسلام ان ينحى مخاط أسامة فقالت عائشة رضى الله تعالى عنها دعنى حتى انا الذى أفعل قال يا عائشة أحبيه فانى أحبه (وقال) كما فى الصحيحين (آية الايمان حب الانصار وآية النفاق بغضهم) أى علامة كمال ايمان من آمن أو علامة نفس ايمانه حبهم ويؤيده ظاهر الحديث وحديث لا يحبهم الا مؤمن ولا يبغضهم الا منافق ولعل وجه تخصيصهم انهم كانوا مختلطين فيما بين المنافقين والمخلصين أو للاشعار بان حكم المهاجرين أولى بذلك كما يشير اليه قوله عليه الصلاة والسلام لولا الهجرة لكنت امرأ من الانصار ايماء الى جلالة رتبة الهجرة وانه عليه الصلاة والسلام نبى مهاجر من المهاجرين وقد جاء بطريق العموم حب العرب ايمان وبغضهم نفاق كما رواه الحاكم فى مستدركه عن أنس رضى الله تعالى عنه (وفى حديث ابن عمر رضى الله تعالى ٣٦٥ عنهما) أى كما تقدم (من أحب العرب فبحبى أحبهم ومن ابغضهم فببغضى ابغضهم) ظاهر مبناه أخبار ولا يبعد ان يكون معناه انشاء أى من أحبهم فينبغى ان يكون بسبب حبى لهم أحبهم حيث يكونون صالحين وكذا البغض اذا كانوا طالحين لما ورد عنه عليه الصلاة والسلام من أحب لله وأبغض لله فقد استكمل ايمانه وفى رواية حب قريش ايمان وبغضهم كفر وحب الانصار من الايمان وبغضهم كفر فمن أحب العرب أى جنسهم والمراد مؤمنوهم أو متقوهم فقد احبنى ومن ابغض العرب فقد ابغضنى رواه الطبرانى فى الاوسط عن أنس رضى الله تعالى عنه وروى ابن عساكر عن جابر مرفوعا حب أبى بكر وعمر من الايمان وبغضهما كفر وحب الانصار من الايمان وبغضهم كفر وحب العرب من الايمان وبغضهم كفر ومن سب أصحابى فعليه لعنة الله ومن حفظنى فيهم فانا احفظه يوم القيامة والاحاديث كثيرة فى هذا الباب وبالجملة فيجب على كل احد أن يحب أهل بيت النبوة وجميع الصحابة من العرب والعجم لاسيما جنسه عليه الصلاة والسلام ولا يكون من الخوارج فى بغض أهل البيت فانه لا ينفعه حينئذ حب الصحابة ولا من الروافض فى بغض الصحابة فانه لا ينفعه حينئذ حب أهل البيت ولا يكون من جملة الجهلاء العوام حيث يكرهون العرب بالطبع الملام ويذمونهم على الاطلاق بسوء الكلام فانه يخشى عليهم من سوء الختام (فبالحقيقة من أحب شيأ أحب كل شئ يحبه) أى يحب ذلك الشئ وهذا اظهر (وهذه) أى الطريقة الموافقة للحقيقة (سيرة السلف) أى سمة الصحابة والتابعين فى حبهم ما أحبه عليه الصلاة والسلام فى جميع الحالات

فاتت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقالت يزعم قومك انك لا تغضب لبناتك وهذا على ناكح بنت أبى جهل فقام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فتشهد وقال أما بعد فان فاطمة بضعة منى وانى أكره ان يسوءها والله لا تجتمع بنت رسول الله وبنت عدو الله عند رجل واحد فترك على ذلك والحديث وتفسيره مفصل فى كتب الحديث (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه الترمذى عن عائشة وحسنه (لعائشة فى أسامة بن زيد) فى حقه وشأنه (أحبيه فانى أحبه) وقد قال صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد أحب الناس الى فاستوصوا به خيرا ولذا أمر عائشة ان تستوصى به خيرا بعده وهذا مما أخبر به صلى الله عليه وسلم من المغيبات (وقال) صلى الله عليه وسلم فيما رواه الشيخان (آية الايمان) أى علامة تحققه وصدقه وكماله (حب الانصار) لمحبة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لهم ومحبتهم له ولانهم نصروا الدين وساعدوا المؤمنين من الصحابة وواسوهم بما هو معلوم (وآية النفاق) المنافى لتحقق الايمان (بغضهم) وصحف بعضهم الحديث فقال انه بالهمزة المكسورة والنون المشددة وضمير الشان وهو سهو ظاهر (وفى حديث ابن عمر) كما أخرجه البيهقى فى دلائله (من أحب العرب) والمراد بهم هؤلاء الجيل المعروفون مطلقا (فبحبى) أى بسبب حبى (أحبهم ومن أبغضهم) من حيث ذواتهم لا لسبب آخر يكون لبغض منهم (فببغضى أبغضهم) وفى حديث رواه الترمذى عن سلمان انه صلى الله عليه وسلم قال له لا تبغضنى فتفارق دينك قال كيف ابغضك وبك هدانا الله قال تبغض العرب فتبغضنى وفى شعب الايمان للحليمى (٢) ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان الله عز وجل خلق الخلق فاختار منهم بنى آدم واختار من بنى آدم العرب واختار من العرب مضر واختار من مضر قريشا واختار من قريش بنى هاشم فانا خيار من خيار فمن أحب العرب فبحبى أحبهم ومن ابغض العرب فببغضى ابغضهم ولذا قيل اطلاق اللسان بالوقيعة فيهم كالشعوبية اذية الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وقد قال الله تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والآخرة وقد فصل ذلك الحافظ العراقى فى تأليف له مستقل سماه أنفع القرب فى بيان فضل العرب (قال المؤلف رحمه الله تعالى فبالحقيقة) أى بسبب النظر للحقيقة ونفس الامر المحقق عند العقول السليمة (من احب شيأ) من الاشياء (أحب كل شئ يحبه) محبوبه (وهذه سيرة السلف) أى دأبهم وطريقتهم فى محبتهم كل ما كان يحبه رسول الله صلى

(٢) قوله للحليمى هكذا وقع فى أكثر النسخ والصواب للبيهقى اه مصححه

(حتى في المباحات وشهوات النفس) أي فيحبون ما اشتهاه و يتكلمون بمقتضاه و يكلفون أنفسهم بموافقة ما يهواه مبالغة في طاعة مولاه (وقد قال أنس رضي الله تعالى عنه حين رأى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يتتبع الدباء) بالمد و يقصر أي يطلبه (من حوالي القصعة) بفتح اللام والقاف أي

من اطرافها لكمال محبته له (فما زلت) أي ما دمت وعشت (أحب الدباء من يومئذ) بفتح الميم و كسرها أي من حين رأيته يتتبعه و يأكل حباله لحبه عليه الصلاة والسلام اياه وروى عن أنس رضي الله تعالى عنه انه ما صنع لي طعام ويوجد الدباء الا وقد جعل فيه وقد روى في مجلس أبي يوسف انه عليه الصلاة والسلام كان يحب الدباء فقال رجل أنا ما أحب الدباء فسل له السيف وقال جدد الاسلام والا قتلتك نظرا الى ظاهر معارضته له عليه الصلاة والسلام (فهذا الحسن ابن علي وعبد الله بن عباس وابن جعفر رضي الله تعالى عنهم) أي ابن أبي طالب (أتوا سلمى) أي خادمته صلى الله تعالى عليه وسلم ومولاة له أو مولاة عمته صفية زوجة أبي رافع قابلة ابنه ابراهيم ودابة ابنته فاطمة وغاسلتها مع اسماء بنت عميس قال الحلبي في الصحابيات وسلمى غير هذه خمس عشرة امرأة وانما يدل على انها المراد هنا ما أخرجه الترمذي في الشمائل بسنده عنها

انهم اتوها (وسألوها ان تصنع لهم طعاما مما كان يعجب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي في

يشتهيه و يستحسن اكله فقالت يا بني لا تشتهيه اليوم قال بلى اصنعيه لنا فقامت وأخذت شيأ من الشعير فطحنته ثم جعلته في قدر وصبت عليه شيأ من زيت ودقت الفلفل و التوابل فقربته فقالت هذا مما كان يعجب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم و يستحسن أكله

الله تعالى عليه وسلم (حتى المباحات) أي كانوا يحبون ما أحبه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من الامور المباحة (وشهوات النفس) أي فيتبعونه صلى الله تعالى عليه وسلم فيما يتعلق بشهوة النفس والطبيعة البشرية كمحبة الطيب و بعض الاطعمة والزوجات وغير ذلك واستشهد لذلك بقوله (وقد قال أنس رضي الله تعالى عنه أنه رأى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يتتبع الدباء) بضم الدال المهملة وتشديد الموحدة والمد والهمزة في آخره للالحاق والواحدة دباءة وهي نوع من الماكول معروف عند الناس بالقرع ومعنى تتبعها انه يأخذ قطع القرع من أي محل وجدت فيه فان قلت أكل انسان مما يليه مستحب واكله من غيره مكروه لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم كل مما يليك لمن رآه يجيل يده في الطعام الا في الفواكه فانه لا يكره فيها ذلك لعدم الاستكراه واليه الاشارة بقوله تعالى وفاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون قلت قالوا انه اذا كان الاكل مما يتبرك به لا يكره في حقه ذلك لاسيما النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل هو مخصوص باللون الواحد وهذا كان معه قديد وقيل انه صنع له صلى الله تعالى عليه وسلم وحده فله ان يفعل فيه ما يريد لعلمه برضاء صاحبه وقيل هو مخصوص بمن لم يؤاكله اتباعه وخدمه واعلم ان القرع معروف واما الدباء بالمد كما مر وجوز بعضهم قصره وأنكره القرطبي فقيل هو والقرع بمعنى واحد وقيل هو المستدير منه وقيل هو اليابس منه وقال ابن حجر انه سهو من النووي وهو اليقطين وهمزته زائدة ولذا ذكره في باب دبب وخطأ صاحب القاموس الجوهري في ذكره في المعتل في مادة دب فقال هو وهم وليست همزته منقلبة عن واو ولا ياء * أقول اخطأ من خطأه ومن تبعه هنا لان الزمخشري ذكره في المعتل أيضا ووجه الهمزة للالحاق كما ذكروه في حكم الاصلية كما حرروه في باب الالحاق (من حوالي القصعة) بفتح القاف اناء معروف وحوالي مثنى حوال بمعنى حول وجانب والتثنية لمجرد التعدد والتكرار كارجع البصر كرتين وهو بفتح الحاء واللام ويجوز كسر لامه وياء تثنيته ساكنة وفيه لغات مذكورة في كتب اللغة (فما زلت) هذا مقول أنس فتاؤه مضمومة (أحب الدباء) أي أحب أكلها تبركا بها (من يومئذ) أي من يوم اذ رآه يتتبعها و يحبها لحب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لها وهذا من علامات صدق محبته وهو شاهد لاتباعهم له في المباحات وما تشتهيه الانفس وهذا الحديث أخرجه الشيخان وكان الذي دعا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لذلك خياطا صنع لرسول الله صلى الله عليه وسلم طعاما من الدباء ودعاه له فذهب معه أنس وقال ابن حجر انه لم يقف على اسم هذا الخياط (وهذا الحسن بن علي) بن أبي طالب وكان الظاهر ان يقول وأتى الحسن وابن عباس الى آخره فعدل عنه لانه لشهرته كالمشاهد (وابن عباس وابن جعفر أتوا سلمى) بفتح السين وهي زوجة أبي رافع ومولاة صفية عمته صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل مولاته صلى الله تعالى عليه وسلم ودابة فاطمة الزهراء وهي التي غسلتها لما ماتت وقابلة ابراهيم ابن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهي صحابية مشهورة وفي الصحابة سلمى غيرها خمس عشرة امرأة (وسألوها ان تصنع لهم طعاما) أي تطبخه وتحضره لهم (مما كان يعجب صلى الله تعالى عليه وسلم) وانما سألوها ذلك لانها كانت تخدمه صلى الله تعالى عليه وسلم وتعرف ماكوله ومشروبه والعجب عندهم حالة تعرض للانسان عند الجهل بسبب الشيء وهذه الحالة تكون كثيرا مع الاستحسان فيلزمها الميل والمحبة فاريد به لازمه وهو المحبة وفيه دليل على محبة ما يحبه صلى الله تعالى عليه وسلم وهو المراد وهذا رواه الترمذي

(وكان ابن عمر رضى الله تعالى عنهما) على ما فى الصحيحين وأما ما وقع فى أصل الدلجى من ابن عباس بدل ابن عمر فليس فى محله (يلبس) بفتح الموحدة (النعال السبتيه) بكسر السين نسبة الى السبت وهو جلد البقر المدبوغ بالقرظ وهو ورق السمر وقيل صمغه يتخذ منه النعال سميت بذلك لان شعرها قد سبت عنها أى أزيل وقيل منسوبة الى موضع يقال له سوق السبت بالكسر (ويصبغ) بتثليث الموحدة وضمها أشهر (بالصفرة) أى بالحناء (اذ رأى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يفعل ذلك) أى مثل ماذكر من لبس النعال السبتية وصبغ اللحية بالصفرة لكمال المتابعة فى هيئة الموافقة من الكمية والكيفية (ومنها) أى من علامات محبته عليه الصلاة والسلام (بغض من أبغض الله ورسوله) بالنصب فى النسخ المصححة أى من أبغضهما ووقع فى أصل الدلجى بالرفع فقال أى من أبغضاه والاول أيضا قد نص عليه الحلبى وهو الاظهر فتدبر لان بغض الله تعالى للعبد ارادة عقابه وايقاع الهوان به وهذا غير معلوم لنا بخلاف من ظهر منه بغضهما كابى لهب وأبى جهل ونحوهما واسم الله للتزين وللاشعار بان من أبغض رسوله فقد أبغضه والافلا يوجد فى العالم من أبغض الله تعالى فكل يدعى محبته الأن أكثرهم أخطأوا طريق ما يقتضى مودته ولذا اكتفى بضميره عليه الصلاة والسلام فى قوله (ومعاداة من عاداه) أى من اتخذه عليه الصلاة والسلام عدوا (ومجانبة من خالف سنته) أى طريقته أى عمل بغيرها (وابتدع فى دينه) أى أظهر البدع فى سبيله (واستثقاله) أى عد المؤمن المحب ثقيلا (كل أمر) أى من قول أو فعل أو حال ويروى واستثقال كل أمر (يخالف شريعته قال الله تعالى) أى اعلاما بما ذكر من كمال محبته (لاتجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر) أى يكملون فى الايمان بحسب الباطن والظاهر (يوادون من حاد الله ورسوله) أى يحابون ويصادقون من خالفهما والمعنى انه لا ينبغى ان يكون هذا الامر بل حقه ان يمتنع مبالغة فى النهى عنه بمجانبة أعدائهما (ولو كانوا آباءهم) أى أصولهم (وأبناءهم) أى فروعهم (أو اخوانهم) أى اقرانهم (أو عشيرتهم) أى أقاربهم وأهل صحبتهم وهو تعميم بعد تخصيص

فى الشمائل وابن جعفر هذا هو عبد الله بن جعفر بن أبى طالب الطيار ذو الجناحين الصحابى ابن الصحابى وتتمة الحديث مما كان يعجب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ويحسن أكله فقالت انا لا نشتهيه اليوم فقال وابل اصنعيه لنا فقامت وطبخت شيأ من شعير وجعلته فى قدر وصبت عليه شيأ من زيت وفلفل وتوابل وقربته اليهم (وكان ابن عمر) عبد الله الصحابى ابن الصحابى رضى الله تعالى عنهما فى حديث رواه الشيخان (يلبس النعال) جمع نعل وهو كل ما وقيت به الرجل وهى مؤنثة (السبتية) بكسر السين المهملة وسكون الموحدة وتاء مثناة فوقية وياء نسبة الى السبت وهو جلد دبغ وأزيل شعره من سبته اذا قطعه لازالة شعره وكانوا فى الجاهلية لا يلبس النعال المدبوغة منهم الا أهل السعة والجاه وهى منسوبة لمحل يسمى سوق السبت كما قاله ابن قرقول وقيل انه يجوز فتح أوله أيضا ويقال انها نعال سود (ويصبغ بالصفرة) وهو كل ما يصفر الشعر وغيره كالحناء والكتم ويصبغ مثلث الموحدة وفيه تسمح لانه لا يصبغ بنفس الصفرة وانما هو يصبغ أصفر والمراد انه يصبغ ثيابه بشئ أصفر كالزعفران ونقل عن مالك جواز لبسه وما ورد من النهى عنه ليس نهيا تحريميا وانما نهى عنه المحرم فى الحج وعممه بعضهم ويدل على الجواز ما روى عن ابن جعفر انه قال رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعليه ثوبان مصبوغان بالزعفران كما رواه الحاكم والطبرانى وغيرهما وكذا أحاديث كثيرة صحيحة تدل على جوازه أيضا وقوله (اذ رأى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يفعل نحو ذلك) تعليل لفعله ومحبته لما أحبه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وذلك اشارة الى الصبغ أوله ولبس النعال وهو أنسب باشارة البعيد وهذا استشهاد للاقتداء به صلى الله تعالى عليه وسلم فى المباحات بالنسبة اليه وان اختلفت فى الاقتداء به فى مثله هل هو مباح فى حق المقتدى به أم لا كذهابه فى العيد من طريق وعوده من أخرى ورجحوا الندب لمن نوى الاقتداء به صلى الله تعالى عليه وسلم وهو الظاهر (ومنها) أى من علامات محبته صلى الله عليه وسلم (بغض من أبغض الله ورسوله) بغض الرسول صلى الله عليه وسلم ظاهر من مثل أبى جهل وبغض الله تعالى اما ببغض رسوله أو بكفره أو بانكاره كالمعطلة والدهرية (ومعاداة من عاداه) أى من يتخذ الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم عدوا ولم يقل من عاداهما لان معاداة الله تعالى انما هى بمعاداة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم لان عداوته تعالى حقيقة لا تتصور (ومجانبة من خالف سنته) أى اجتناب من لم يتبع طريقته والبعد عنه (وابتدع فى دينه) أى أظهر البدع وخالف الشريعة وهو عطف تفسيرى لما قبله (واستثقال كل من يخالف شريعته) أى عده ثقيلا منفورا عنه غير مقبول وأصل الثقل فى الاجسام ضد الخفة وفى نسخة كل أمر ثم ذكر ما بينه من الكتاب العزيز فقال (قال الله تعالى لاتجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر) أى لا يكون كذا حتى تجدهم فانه لا ينبغى ان يكون وهو مبالغة فى النهى (يوادون) أى يكون بينهم وبينهم مودة (من حاد الله ورسوله) أى

(وهؤلاء) أي المؤمنون بالله واليوم الآخر حقا (أصحابه) أي عدلا وصدقا (قد قتلوا أحباءهم) أي أحبابهم وأصحابهم (وقاتلوا آباءهم وأبناءهم في مرضاته) أي في سبيل رضاء الله ورسوله روى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان الآية عنى بها جماعة من الصحابة فقوله ولو كانوا آباءهم يريد أبا عبيدة قتل أباه يوم أحد أو أبناءهم يريد أبا بكر رضي الله تعالى عنه دعا ابنه للبراز يوم بدر فأمره رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان يقعد أو اخوانهم يريد مصعب بن عمير لانه قتل أخاه يوم أحد او عشيرتهم يريد عليا ونحوه ممن قتلوا عشائرهم كذا في مبهمات القرآن لشيخ مشايخنا الجلال السيوطي وقد قتل عمر خاله العاص بن هشام يوم بدر على ما نقله الدلجي (وقال له) أي للنبي عليه الصلاة والسلام (عبد الله بن عبد الله بن أبي) وكان أبوه علم النفاق ورأس الكفر ورئيس الشقاق وهو من أكابر أهل الوفاق (لو شئت) لو أردت وأمرت بقتله (لاتيتك برأسه يعني) أي يريد بضميره (أباه) أي عبد الله والحديث رواه البخاري وقال ذلك لما هموا بابيه حين بلغ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل وعنى بالاعز نفسه وبالاذل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاتى ابنه عبد الله الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال يا رسول الله بلغني انك تريد قتل عبد الله بن أبي لما بلغك عنه فان كنت فاعلا فرني به وأنا أحمل اليك رأسه فوالله لقد علمت الخزرج ما كان بها رجل أبر بوالديه مني واني أخشى ان تأمر به غيري فيقتله فلا تدعني نفسي ان أنظر الى قاتل عبد الله بن أبي يمشي في الناس فاقتله فاقتل مؤمنا بكافر فادخل النار فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بل نرفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا استشهد عبد الله يوم اليمامة في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه سنة اثنتي عشرة روى عنه أبو هريرة وعائشة رضي الله تعالى عنهما وغيرهما (ومنها) أي من علامات محبته عليه الصلاة والسلام (ان يحب القرآن الذي أتى به عليه الصلاة والسلام وهدى به) أي بسببه الانام (واهتدى) أي في نفسه باخلاق الكرام (وتخلق به) أي اتخذه خلقا في جميع الاحكام (حتى قالت عائشة رضي الله تعالى عنها) أي في تفسير قوله تعالى وانك لعلى خلق عظيم (كان خلقه القرآن) أي كان ممتثلا باوامره ومنتهيا عن زواجره ومتمسكا بآدابه وما اشتمل عليه من مكارم أخلاقه نحو قوله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وأمثاله (وحبه للقرآن) أي علامة حبه له (تلاوته) أي دوام قراءته (والعمل به) والانسب ما في نسخة من تأخيره عن قوله (وتفهمه) أي طلب فهمه في مواعظه وقصصه ووعده ووعيده وبيان أحوال أنبيائه وأوليائه وعاقبة أعدائه

يخالفونه ويعارضونه (وهؤلاء أصحابه رضي الله تعالى عنهم) أي مما علم من حال أصحابه حتى كانهم يشاهدون متلبسين به (قد قتلوا أحباءهم) أي أصدقاءهم قبل الاسلام وقد وقع هذا الكثير من الصحابة وروى قلوا أي أبغضوهم وأبعدوهم قال الله تعالى ما ودعك ربك وما قلى (وقاتلوا آباءهم وأبناءهم) الذين بقوا على الكفر (في مرضاته) في تعليلية والمرضاة مصدر ميمي بمعنى الرضاء كابي عبيدة بن الجراح قتل أباه ببدر وعمر رضي الله تعالى عنه قتل خاله العاص ومصعب بن عمير رضي الله تعالى عنه قتل أخاه ونحوه مما هو مذكور في السير (وقال له) صلى الله تعالى عليه وسلم (عبد الله) رضي الله تعالى عنه (ابن عبد الله بن أبي) ابن سلول رأس المنافقين وابنه عبد الله هذا كان من الصحابة المخلصين في محبة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (لو شئت) خطاب لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (لاتيتك برأسه يعني أباه) عبد الله ابن سلول أي قتلته وأتيت برأسه لك وكان ابن سلول رئيس أهل يثرب قبل الهجرة فلما هاجر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وظهر الاسلام بطلت رياسته فكان لحرصه على الدنيا يكره الاسلام ويظهر النفاق وهو الذي نزل في حقه سورة المنافقين وأما ابنه عبد الله فكان من خيار الصحابة الصادقين كما علم غير مرة فلما ظهر من أبيه ما ظهر قال يا رسول الله أسالك بالله الا ما أذنت لي في قتل أبي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم بل ترفق به وتحسن اليه وهذا ما رواه البخاري (ومنها) أي من علامات محبته صلى الله تعالى عليه وسلم (ان يحب القرآن الذي أتى به) للناس من عند ربه (عز وجل وهدى به) الخلق كلهم لسعادة الدارين (واهتدى) هو أي وصل الى الله به (وتخلق به) أي اتخذه خلقا له يعمل بكل ما فيه (حتى قالت عائشة) رضي الله تعالى عنها وقد سئلت عن خلقه صلى الله تعالى عليه وسلم (كان) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (خلقه القرآن) أي كان دأبه التمسك به والتادب بآدابه والعمل بما فيه من مكارم الاخلاق فجعلت القرآن نفس خلقه مبالغة في شدة تمسكه به وانه صار سجية له وطبيعة كأنه طبع عليها فتخلق بمعنى أظهر الخلق كتجمل بمعنى أظهر الجمال كما في كامل المبرد رحمه الله تعالى وقد يكون التخلق للتكلف كما في قوله

يا أيها المتحلي غير شيمته * ان التخلق يأتي دونه الخلق

وليس بمراد هنا (وحبه للقرآن تلاوته) أي كثرة تلاوته له على الوجه المرضي فيها عند أهل الاداء وليس المراد مطلق القراءة (والعمل به) أي بما فيه من الاحكام والمواعظ (وتفهمه) أي التقيد بفهم

معانيه

(ويحب) أي وأن يحب (سنته) أي أحاديثه (ويقف عند حدودها) أي أوامرها ونواهيها (قال سهل بن عبد الله) التستري (علامة حب الله حب القرآن وعلامة حب القرآن حب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وعلامة حب النبي عليه الصلاة والسلام حب السنة) أي أحاديثه وأخباره وأحواله وسيره وآثاره (وعلامة حب السنة) أي بعد علمها وفهمها (حب الآخرة) إذ أقل العلم معرفة أن الدنيا فانية والآخرة باقية ونتيجته أن يعرض عن الدنيا ويقبل على العقبى وهذا معنى قوله (وعلامة حب الآخرة بغض الدنيا) لأنهما لا يجتمعان لقوله عليه الصلاة والسلام من أحب آخرته أضر بدنياه ومن أحب دنياه أضر بآخرته فآثروا ما يبقى على ما يفنى وقد شبهتا بالضرتين وبالكفتين (وعلامة بغض الدنيا أن لا يدخر منها) أي لا يأخذ ولا يمسك منها (إلا زادا) أي قدر ما يتزود به (وبلغة) بضم فسكون أي مقدار ما يبلغه (إلى الآخرة) فإن تحصيل الزيادة على قدر الضرورة وبال وحسرة فإن حلالها حساب وحرامها عقاب والاشتغال بها حجاب وفي أصل الحجازي زاد وبلغة بالرفع فيقرأ لا يدخر مجهولا (وقال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه لا يسئل أحد عن نفسه) أي عن طيب حالها وخبث مالها (إلا القرآن) فإنه ميزان الإنسان للعدل والإحسان (فإن كان يحب القرآن) أي تلاوته ومتابعته (فهو يحب الله ورسوله) أي ومن يحبهما فهما يحبانه أيضا والمعنى أنه لا ينبغي لأحد أن يرضى بما في نفسه من

الدعوى فإنه كما قيل ما أيسر الدعوة وما أعسر المعنى (ومن علامات حبه) أي أصل حب المؤمن المحب (للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم شفقته) أي خوفه ومرحمته (على أمته ونصحه لهم) أي قيامه بنصيحتهم في أمرهم ونهيهم وموعظتهم (وسعيه في مصالحهم) أي الدينية والدنيوية الضرورية (ورفع المضار عنهم) أي بعد وقوعها ووصولها وفي نسخة ودفع المضار عنهم أي عند خوف حصولها (كما كان عليه الصلاة والسلام بالمؤمنين رؤفا رحيما) والرأفة شدة الرحمة ولعلها كانت مختصة بكمل المؤمنين وعموم الرحمة لعامة المؤمنين مع أنه كان رحمة للعالمين وفيه إشارة إلى حسن المتابعة وكمال الموافقة وإيماء إلى قوله عليه الصلاة والسلام تخلقوا بأخلاق الله تعالى والمعنى أن التخلق يكون بقدر التعلق في باب التحقق (ومن علامة تمام محبته) أي وكمال متابعته

معانيه وجعل هذا عين الحب لتسببه عنه (و) من العلامات لمحبته صلى الله تعالى عليه وسلم أيضا أن (يحب سنته) أي طريقه وهديه بالاقتداء به قولا وفعلا ويجوز أن يريد بسنته أحاديثه المروية عنه بقرينة جعلها قرينة للقرآن وكثيرا ما تطلق عليه (ويقف عند حدودها) أي لا يتعداها ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون وحدود الله محارمه وأحكامه من الحد وهو المنع والفصل ومنه حدود الدار واستعير الحد لما ذكر فالوقوف فيه ترشيح مليح (قال سهل بن عبد الله) التستري وقد تقدم (علامة حب الله) أي أمارته ودليله (حب القرآن) وقد تقدم بيانه (وعلامة حب القرآن حب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) فإن من أحب الله تعالى أحب حبيبه وكلامه (وعلامة حب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حب السنة) فإن من أحبه لا يخالفه ولا يعصيه (وعلامة حب السنة حب الآخرة) لأن من أحبه واتبعه أحب لقائه ورغب في الآخرة كما مر (وعلامة حب الآخرة بغض الدنيا) والزهد فيها لأنهما ضرتان لا يجتمعان في قلب مؤمن وبغضهما لا يقتضي التبذير والإسراف كما توهم وإنما هو كما قيل اللهم اجعلها في أيدينا ولا تجعلها في قلوبنا (وعلامة بغض الدنيا أن لا يدخر) ويقتني (منها إلا زادا) أي مقدارا يتزود به ويتقوت ولا يختزن منها ما لا حاجة له به كما قيل

يكفيك مما تبتغيه القوت * ما أكثر القوت لمن يموت

(وبلغة) بضم فسكون أي ما يبلغه به (إلى الدار (الآخرة) كالمسافر يحمل من الزاد ما يبلغه لقصده ومنزله فإنما الدنيا دار سفر لا دار مقر

وإنا لفي الدنيا كركب سفينة * نظن وقوفا والزمان بنا يسري

(وعن ابن مسعود) في حديث رواه البيهقي في الأدب وابن الضريس في فضائل القرآن وفي نسخة وقال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه (لا يسأل أحد) من غيره (عن نفسه) أي عن أحوال نفسه في محبته لله ورسوله (إلا القرآن فإن كان يحب القرآن فهو يحب الله ورسوله) فإذا أراد أن يعرف حاله ينظر في ذلك فيستدل به حتى كأنه سأله وأجابه ببيان حاله فإذا استلذ بتلاوته وسماعه علم حاله وكيف يشبع المحب من كلام محبوبه وهي غاية مطلوبه كما قيل

إن كنت تزعم حبي * فلم هجرت كتابي
أما تأملت ما فيه * من لذيذ خطابي

(ومن علامات محبته للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم شفقته على أمته) بأن يحبهم ويتلطف بهم ويرق قلبه عليهم (ونصحه لهم) ببيان ما يصلحهم من أمورهم (وسعيه في مصالحهم) بشفاعته ومعاونته وقضاء حوائجهم (ورفع المضار عنهم) بدفع المظالم وإزالة مضايقتهم (كما كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالمؤمنين) منا ومن غيرنا لا بغيرهم (رؤفا) شفوقا (رحيما) منعما متفضلا عليهم كما وصفه الله تعالى به في كتابه العزيز فعلينا الاقتداء به والتخلق بأخلاقه (ومن تمام محبته) أي كمالها وأقصى مراتبها التي لا تتم

(زهد مدعيها) أي قلة رغبة مدعي محبته عليه الصلاة والسلام (في الدنيا) أي التي هي دار الاكدار ومقام الآلام (وايثاره) أي اختياره (الفقر) أي قلة المال على كثرته (واتصافه) أي بالفقر حال ضرورته ويكون غني القلب في صورته وهذا انما يكون باعراضه عنها وتركه الالتفات اليها وعدم الاقبال عليها وسئل الزهري عن الزهد فقال هو ان لا يغلب الحلال شكره ولا الحرام صبره (وقد قال عليه الصلاة والسلام لابي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه ان الفقر الى من يحبني منكم) أي حبا بالغا (أسرع من السيل) أي الواقع عند نزوله (من أعلى الوادي أو الجبل) شك من الراوي (الى أسفله) فان الله سبحانه وتعالى ربى أكثر الاصفياء والاولياء بوصف الفقر المؤدي الى المسكنة والفناء بخلاف الغنى فانه غالبا يؤدي الى العجب والغرور والجفاء ويشهد لذلك انه عليه الصلاة والسلام لما عرض عليه ملك الجبال بقوله ان شئت ٣٧٠ جعل الله لك الاخشبين ذهبا أبى وفي حديث آخر ان ربه عرض عليه أن يجعل له بطحاء مكة ذهبا فقال لا يارب ولكني أشبع يوما وأجوع يوما فاذا جعت تضرعت اليك واذا شبعت حمدتك وشكرتك وكانه عليه الصلاة والسلام اختار أن يكون تربيته تارة بوصف الجمال وتارة بنعت الجلال كما هو حال أرباب الكمال (وفي حديث عبد الله بن مغفل) بتشديد الفاء المفتوحة مزني من أصحاب الشجرة روى عنه الحسن البصري وغيره وتوفي بالبصرة سنة ستين قال الحسن رحمه الله تعالى ما نزل البصرة أشرف منه (قال رجل للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم يارسول الله اني أحبك فقال انظر ما تقوله) أي تأمل في قولك وتفكر في أمرك فانك ادعيت دعوى فلابد من تحقيق ما لها من المعنى ليكون مبنيا على اساس التقوى (قال اني والله) وفي ما نسخة والله اني (لاحبك ثلاث مرات) أي ذكرها مكررا بالقسم مؤكدا مقررا (قال ان كنت تحبني) أي حبا كاملا أو ان كنت صادقا في دعوى محبتي اللازم منها كمال متابعتي (فاعد) بفتح همزة وكسر عين وتشديد دال مفتوحة ويجوز كسرها أي فهيئ (للفقر تجفافا) بكسر الفوقية وسكون الجيم أي اتخذ له عدة ووقاية تقتضي رعايه وتستوجب عنايه وتستجلب هدايه وأصل التجفاف لبسه للفرس تمنعه السلاح وتقيه الاذى من الجراح وقد يلبسه الانسان ويروى جلبابا وهو الازار قال القتيبي معناه أن يرفض الدنيا ويزهد فيها ويصبر على الفقر والتقلل منها وكنى بالتجفاف أو الجلباب عن الصبر لانه يستر الفقر كما يستر البدن وقال ابن الاعرابي أي لفقر الآخرة يعني يعمل عملا لا يكون في الآخرة فقيرا مفلسا حقيرا وعن علي كرم الله تعالى وجهه من أحبنا أهل البيت فليعد للفقر جلبابا أو قال تجفافا

الابها (زهد مدعيها) أي المحبة (في الدنيا) وامورها وزخرفها (وايثاره الفقر) أي اختياره وتقديمه على الغنا وسعة الدنيا (واتصافه به) أي جعله شعارا وصفة له تواضعا وزهدا (وقد قال عليه الصلاة والسلام لابي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه) تقدمت ترجمته (ان الفقر الى من يحبني منكم) معاشر المسلمين أو الصحابة (أسرع) أي يصل اليكم بسرعة أقوى (من) سرعة (السيل) اذا انحدر ونزل (من أعلى الوادي) وهو الموضع الذي يسيل فيه الماء من ودى بمعنى سال ويسمى لفرجة بين جبلين واديا ويستعار للطريقة والمذهب كما قال الله تعالى ألم تر انهم في كل واد يهيمون (أو من الجبل الى اسفله) والماء النازل من علو اسفل في غاية السرعة فضرب به مثلا لسرعة افتقارهم والى متعلق باسم التفضيل وضمير اسفله لاحد الامرين من الوادي أو الجبل وأفرد لانه بعد شيئين عطف باو وهذا بعض من الحديث الذي بعده وقد رواه الترمذي وحسنه (وفي حديث عبد الله بن مغفل) بضم الميم وفتح الغين المعجمة وتشديد الفاء المفتوحة ولام وهو صحابي مزني من أصحاب الشجرة أخرج له الستة وغيرهم وتوفي سنة ستين (قال رجل) من الصحابة ولم يسموه (للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم يارسول الله اني أحبك فقال انظر ما تقول) أي تفكر فيه وتامل فان محبتي أمر عظيم من اختارها صادقا مخلصا ينبغي ان لا يحب أمرا من أمور الدنيا وهو أمر صعب (قال والله اني أحبك) اكده بالقسم لما رأى في قوله صلى الله تعالى عليه وسلم له المشعر بالتردد فيه وزاد ان كرره (ثلاث مرات) ليزيل الشبهة (قال) له صلى الله تعالى عليه وسلم (ان كنت تحبني) حبا خالصا صادقا لا تؤثر عليه شيأ (فاعد) أي احضر وهيئ (للفقر تجفافا) بكسر المثناة الفوقية وسكون الجيم وفائين بينهما الف وتاؤه مزيدة من جف اذا يبس وهي شئ يوضع على الخيل ليقيها في الحرب الاذى كالدرع للانسان وقد يلبسه الناس وجمعه تجافيف أي أعدله عدة تقيك من اذى الفقر فان النفوس لا تتحمله يعني الصبر عليه ورياضة النفس في تحمله فشبه الفقر بجواد محسن بما يقيه لايصاله الى السعادة أو شبه صاحبه بجواد والفقر بالمحاربة لمجاهدة النفس به وفيه ايماء الى ان من أحبه صلى الله تعالى عليه وسلم يبتلى بالفقر وكانه فقر اختياري بزهده في الدنيا وقد اختلف في الفقر والغنى وفي الفقير الصابر والغني الشاكر أيهما أفضل وظاهر هذا الحديث والكلام عليه مفصل في كتب المشايخ وغيرها وقدمنا منه

(ثم ذكر) أي النبي عليه الصلاة والسلام قاله الدلجي والصواب أي ذكر عبد الله بن مغفل (نحو حديث أبي سعيد بمعناه) الذي تقدم قبله وهو قوله عليه الصلاة والسلام ان الفقر الى من يحبني الى آخره غير ان في حديث عبد الله بن مغفل للفقر أسرع الى من يحبني من السيل الى منتهاه

مافيه الكفاية وروى جلبابا بدل تجفافا (ثم ذكر) أي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بعد هذا الكلام الذي قاله للرجل المذكور (نحو حديث أبي سعيد) الخدري أي مايشبهه (بمعناه) يعني قوله في الحديث الذي سبق للفقر أسرع الى مايحبني من السيل الى مقره ومنتهاه تشبيه له بالسيل واشارة الى تلاحق النوائب به سريعا حتى لايخلص منها فليستعد لها

(فصل في معنى المحبة للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وحقيقتها) أي المعنى الذي وضعه لها واضع اللغة وعين لفظه (اختلف الناس) المراد بهم علماء السلف والخلف وسبب اختلافهم أن المحبة التي تعارفها الناس كما سنبينه بحسب الظاهر لاتليق بالله ورسوله (في تفسير محبة الله ومحبة النبي) أي في بيان المراد بهما (وكثرت عباراتهم في ذلك) التفسير (وليست ترجع بالحقيقة) أي ليس مالها ان نظر الى نفس الامر المحقق في الواقع (الى اختلاف مقال) أي اختلافا لفظيا والمعنى واحد (ولكنها اختلاف أحوال) أي سبب اختلافهم اختلاف حال المحب وحال المحبة قوة وضعفا فكل نظر الى حال من أحوالها وفسرها بتفسير يناسبه فليس اختلافا حقيقيا ولا لفظيا فانما هو باعتبار المحبوب والمحب وحالاتهما حتى أنكر بعضهم امكان محبة الله تعالى حقيقة كما في الاحياء وقال لامعنى لها الا المواظبة على طاعته وقال القشيري هي حالة للقلب تلطف عن العبارة تحمل على التعظيم وايثار رضاه واشتقاقها قيل من حبب الاسنان و بياضها الصفاء مورده وقيل من الحباب الذي يعلو الماء اذا انصب وتحرك لفورانها في القلب وقيل من أحب البعير اذا برك لثبات القلب عليها وهو اشتقاق بعيد وحقيقتها ميل النفس ميلا كليا لما يدعوه لمحبوبه من رائق جمال أو فائق كمال أو فائض احسان وافضال (فقال سفيان) يحتمل سفيان بن عيينة وسفيان الثوري قيل والظاهر انه الثوري لطول باعه في علوم القوم وعلو رتبته في العلم الظاهر أيضا فانه كان مجتهدا وصاحب مذهب مستقل في غيره (المحبة) يعني محبة الله تعالى بدليل الآية استدل بها (اتباع الرسول) صلى الله تعالى عليه وسلم في أقواله وأفعاله وكل ماجاء به عن الله لان من أحب الله لايعصيه فيما أمره به وانما يعلم أوامره ونواهيه منه فهو تفسير لها بلازمها ولما كان في هذا خفاء قال (كأنه) أي سفيان (التفت) أي نظر في تفسيره هذا (الى قوله تعالى) واستنبط منه (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) فانه أقام اتباعه مقام محبته اذا لم يذكر محبتهم وذكر محبته وهي لاتكون الا لمن أحبه والآية نزلت في اليهود لما قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه فارشدهم الى مايحقق مدعاهم فان حقيقة المحبة ميل النفس الى شيء أدرك منه كمالا يحمله على مايقربه اليه والكمال الحقيقي ليس الا لله وكل كمال في غيره فهو منه فحبه يقتضي طاعته والرغبة فيما يقربه اليه وليس ذلك الا بطاعته وطاعته لاتقبل الا باتباعه صلى الله تعالى عليه وسلم (وقال بعضهم) في معنى (محبة الرسول) صلى الله تعالى عليه وسلم انها (اعتقاد) لزوم (نصرته) بالمجاهدة لينصره ويعلي كلمته (والذب) بالمعجمة أي المنع والطرد (عن سنته) أي طريقته وشريعته برد مايخالفها ودفع الشبهة الموردة عليها وتصحيح أحاديثه وتفسيرها وبيانها (والانقياد لها) بان لايخالفها و يعمل بها (وهيبة مخالفته) أي الخوف من مخالفته مع تعظيمه واجلاله وفي نسخة مخالفتها أي السنة

*اختلاف الناس في تفسير محبة الله تعالى ومحبة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي محبة العبد لهما (وكثرت عباراتهم في ذلك) أي وتعددت اشاراتهم هنالك (وليست ترجع) أي مقالاتهم (بالحقيقة) أي في الحقيقة كما في نسخة (الى اختلاف مقال) أي لاتفاق مافيها في مآل (ولكنها اختلاف أحوال) كما قال قائل شعر

عباراتنا شتى وحسنك واحد
وكل الى ذاك الجمال يشير

(فقال سفيان) أي الثوري أو ابن عيينة (المحبة اتباع الرسول عليه الصلاة والسلام) أي علامة محبة العبد لله تعالى أو نتيجة محبة الله تعالى للعبد حسن المتابعة ومداومة الموافقة لصاحب الرسالة وهذا معنى قوله (كأنه) أي الشان أو سفيان (التفت) أي في كلامه مشيرا (الى قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني الآية) أي يحببكم الله (وقال بعضهم محبة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم اعتقاد نصرته) أي اعتقاد وجوب نصرة دينه وملته (والذب عن سنته) أي ودفعه عن اماتة سيرته (والانقياد لها) أي لشريعته وفي نسخة له أي لذاته وحقيقته (وهيبة مخالفته) أي خوف مخالفة طريقته بملاحظة عظمته وهذا الكلام أيضا ايماء الى علامة المحبة أو نتيجة المودة

(وقال بعضهم المحبة دوام الذكر للمحبوب) وروى ذكر المحبوب أى لما ورد من ان من أحب شيأ أكثر من ذكره حيث لا يذهل المحبوب عن فكره فى تمام أمره ودوام دهره (وقال بعضهم المحبة الشوق الى المحبوب) وهذا أقرب فى بيان المطلوب (وقال بعضهم المحبة مواطاة القلب) أى موافقته (لمراد الرب يحب ما يحب) أى يحب المحب ما يحب المحبوب فالجملة استئنافية وفى نسخة صحيحة ما أحب وفى أخرى بحب بالجار والمجرور على ان الباء لبيان المواطاة وكذا قوله (ويكره ما يكره) وفى نسخة ما كره بصيغة الماضى وفى الكشاف محبة العباد لله مجاز عن ارادة نفوسهم اختصاصه بالعبادة دون غيره ورغبتهم فيها ومحبة الله عباده ان يرضى عنهم ويحمد فعلهم (وقال آخر المحبة ميل القلب الى موافق له) أى لقلب المحب من الامور الحسية النفسية الدنية أو الاحوال المعنوية الدينية وهذا قريب من المحبة الحقيقية (وأكثر العبارات المتقدمة اشارة الى ثمرات المحبة) أى نتائجها (دون حقيقتها وحقيقة المحبة) أى من حيث هى (هو الميل) أى ميل الجنان (الى ما يوافق الانسان) أى بموجب الطبع أو بمقتضى الشرع (ويكون موافقته له) أى ويحصل موافقة القلب للانسان وميله له (اما لاستلذاذه) أى لتلذذ الانسان (بادراكه) أى بادراك ما يميل اليه مما يوافقه باحدى مشاعره الحسية سواء كانت على وفق الشهوات النفسية أو على طبق اللذات الانسية (كحب الصور) ويروى الصورة (الجميلة) أى من (بادراكه) المبصرات أعم من ان تكون من الحيوانات أو النباتات أو الجمادات حيث وقعت بالاشكال الموزونة (والاصوات الحسنة) أى من المسموعات الواردة على لسان الانسان أو الطير أو سائر الحيوانات (والاطعمة) أى من الماكولات (والاشربة) أى من المذوقات (اللذيذة) قيد لهما (واشباهها) أى كحب الرائحة الطيبة من المشمومات والنعومة واللينة من الملموسات (مما كل طبع سليم) أى لا قلب سقيم (مائل اليها) أى ومقبل عليها (لموافقتها له) أى بمقتضى طبيعته مع قطع النظر عن موافقة شريعته (أو لاستلذاذه

وفى النسخة الاولى الضمير للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم (وقال بعضهم) فى تفسير مطلق (المحبة) ويحتمل انه بيان لمحبة الله تعالى (دوام الذكر للمحبوب) لان من أحب شيأ أكثر من ذكره كما مر (وقال آخر ايثار المحبوب) أى اختياره وتقديمه على ما سواه بان يكون أحب اليه من نفسه وأهله وماله كما تقدم (وقال بعضهم المحبة) معناها (الشوق الى المحبوب) بان يكون نفسه وقلبه دائما تدعوه الى قربه وتحثه على لقائه وقد تقدم الفرق بين الشوق والاشتياق وانه من الاصطلاحات الصوفية لا من المعانى اللغوية (وقال بعضهم المحبة مواطأة القلب) بضم الميم وطاء مهملة تليها همزة ومعناها الموافقة وأصله ان يطأ الرجل برجله موطأ صاحبه قال الله تعالى ليواطؤا عدة ما حرم الله أى موافقة القلب (لمراد الرب) بان لا يريد الا ما أراده فيترك ما يريد الله ثم بينه بقوله (فيحب) مضارع أحب (ما أحب ويكره ما كره) وفى نسخة ما يكره والاولى أولى (وقال آخر المحبة ميل القلب الى قبول قوله) أى المحبوب والمراد كل ما يقوله وهذا كله من كلام أهل الطريقة وله أمثال كثيرة كقول ذى النون قل لمن أظهر حب الله احذر ان تذل لغير الله بمقت (وقال آخر المحبة ميل القلب الى موافق له) أى موافق لما يرضاه ويريده محبوبه وهى أقوال متقاربة (وأكثر العبارات المتقدمة) من أول الفصل الى هنا (اشارة الى ثمرات المحبة) انما قال اشارة لانهم لم يصرحوا بانها من ثمراتها وأصل الثمرة نتاج الشجرة ثم قيل لكل نفع يصدر عن شئ ثمرة كثمرة العلم العمل فهو استعارة تصريحية أو تخييلية ومكنية أو مجاز مرسل (دون حقيقتها) أى لا حقيقتها ودون تردلمعان هذا منها وانما قال أكثر لان منها ما هو سبب كاتباعه أو لانه احتراز عن الاخير لانه حقيقة لغوية وفيه نظر ثم بين حقيقتها بقوله (وحقيقة المحبة) الموضوعة لها مطلقا (الميل) معناه حقيقة العدول عن الوسط الى أحد الجانبين ثم تجوز به عن ارادته والرغبة فيه (الى ما يوافق الانسان) أى طبيعته قيل هذا بعينه هو المعنى الاخير وفيه ان معنى قوله موافق له ثمة موافق لمحبوبه وهنا لنفسه فبينهما فرق نعم هو قريب منه وبين الموافقة بقوله (وتكون موافقته له) أى لنفس المحب (اما لاستلذاذه) أى عده لذيذا تشتهيه نفسه وتستحسنه (بادراكه) منه أمرا محققا محبوبا كالطعم الحلو والمشروب العذب (كحب الصور الجميلة والاصوات الحسنة والاطعمة والاشربة اللذيذة وأشباهها) كالروائح الطيبة والملابس الفاخرة وهو اشارة الى المحسوس بالحواس الظاهرة مما كل طبع سليم من غلظ الطبع وفساد الحواس كالمريض يجد الحلو مر الفساد ذوقه فهذا لا يرد نقضا (مائل اليه لموافقته له) طبعا وفى نسخة موافقتها أى المذكورات (أو لاستلذاذه) أى وجود لذته واللذة من الكيفيات النفسية وضدها الالم وتصور ذلك بديهى لانه من الوجدانيات وهى ادراك الملائم من حيث هو ملائم والالم ضده والمراد بالملائم للشئ اللائق به كالتكيف بالحلاوة للذائق ونحوه من المحسوسات وكتعقل الاشياء على ما هى عليه بالقوة العاقلة وقيد بالحيثية لان الشئ قد يكون ملائما من وجه دون آخر والمراد بادراكه ادراكه بعد الوصول لا بمجرد تخيله كما تقرر فى كتب الحكمة فاللذة تكون حسية وعقلية واليه أشار بقوله أولا بادراكه الى آخره وهو القسم الاول والثانى بينه بقوله

(بادراكه بحاسة عقله وقلبه معانى باطنة شريفة) أى مبنية على مبانى لطيفة (كحب الصالحين) أى من الانبياء والاولياء (والعلماء) وكذا الشهداء (وأهل المعروف) أى من الاصفياء (والمأثور عنهم السير الجميلة) أى الاحوال الجليلة (والافعال الحسنة) أى والاقوال المستحسنة وهذا تعميم بعد تخصيص ليشمل الملوك والامراء والفقراء والاغنياء (فان طبع الانسان) أى الكامل فى هذا الشان (مائل الى الشغف) بالغين المعجمة وقيل بالمهملة وقرئ بهما قوله تعالى قد شغفها حبا يقال شغفه الحب أى بلغ شغافه وهو غلاف قلبه وهى جلدة رقيقة على القلب كالحجاب دونه والمعنى مائل الى الحب الذى يحرق شغاف القلب وحجابه حتى يبلغ الفؤاد الذى هو سويداء القلب ومحل المراد (بامثال هؤلاء) أى الموصوفين بمراتب الثناء (حتى يبلغ) أى الشغف (بقوم) أى من اتباع عالم أو شيخ أو كريم (التعصب لقوم) أى كانوا على ضدهم هو بالنصب على انه مفعول يبلغ وكذا قوله (والتشيع) أى كمال التتبع ومنه حديث القدرية شيعة الدجال وفى نسخة صحيحة حتى يبلغ التعصب بقوم لقوم والتشيع (من أمة) أى طائفة (فى أخرى) أى فى جماعة وفى نسخة فى آخرين (ما يؤدى) أى ماذكر من التعصب والتشيع (الى الجلاء) بالفتح والمد أى الخروج (عن الاوطان وهتك الحرم) بضم ففتح أى قطع ستارة حرمة الذرية والنسوان (واخترام النفوس) بالخاء المعجمة أى استئصالها باقتطاع الارواح من الاشباح (أو يكون حبه اياه) أى ميل الانسان الى موافقة هواه (لموافقته له من جهة احسانه له) وفى نسخة اليه (انعامه عليه فقد جبلت النفوس) أى خلقت مجبولة ومطبوعة (على حب من أحسن اليها) وفى نسخة من أحسن اليه وفى أخرى له فقد وردجبلت القلوب على حب من أحسن اليها وبغض من أساء اليها رواه ابن عدى وأبو نعيم فى الحلية والبيهقى عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه وصححه وورد فى الدعاء اللهم لاتجعل لفاجر على يدا يحبه قلبى

(بادراكه) بعد الوصول اليه لا قبله (بحاسة عقله وقلبه) فيه تسمح على رأى الحكماء لان المدرك عندهم القوى الناطقة فى الدماغ لا العقل المدرك للكليات لكن لما كان أهل الشرع لم يثبتوها تسمح فيها (معانى باطنة) غير مدركة بالحواس الظاهرة (شريفة) أى نفيسة القدر دقيقة عالية القدر كانها فى شرف أى مكان عال وحاسة العقل قوته المدركة فالاضافة لامية أو المراد حاسية هى العقل فالاضافة بيانية (كحب الصالحين والعلماء وأهل المعروف) المراد بالمعروف كما يعرف بالشرع والعقل حسنة كالجود كما قاله الراغب والصغانى (و) حب (المأثور) أى المنقول (عنهم السير) المراد بها الاحوال والصفات (الجميلة) الحسنة المحمودة شرعا وعقلا (والافعال الحسنة) كالكرم والعلم والزهد كالحسن البصرى (فان طبع الانسان مائل الى الشغف) أى المحبة الزائدة وهو بشين وغين معجمتين وفاء من شغفه الحب اذا وصل الى شغاف قلبه أى غلافه أو نياطه أو داخله وحبته وهذا أنسب بالمراد وروى بعين مهملة فقيل هما بمعنى وقيل الثانى بمعنى الاحراق يقال شعفه الحب اذا أحرقه وامرضه ومع ذلك يجد له لذة فان عذابه عذب لذيذ ويأتى بهذا مزيد بيان وقوله (بامثال هؤلاء) أى بهؤلاء وأمثالهم أنفسهم كمثلك لا يبخل وهو كناية عما تقرر فى كتب المعانى والاشارة للصالحين ومن بعدهم (حتى يبلغ) الشغف بهؤلاء وفرط حبهم (التعصب) تفعل من العصبة وهى الجماعة المتعاضدة المتعاونة والمعنى اظهار الحمية والمبالغة فى الصيانة حتى تفارقوا من خالفهم فى محبتهم للحمية والغضب لمن أحبه (والتشيع) تفعل من الشيعة فهو هنا بمعنى التعصب أيضا وضمنه معنى الانفصال لقوله (من أمة) أى فارقوا أمة خالفوهم وصاروا (فى آخرين) أى فى قوم آخرين وفى نسخة أخرى أى أمة أخرى والشيعة من المشايعة وهى المتابعة والشيعة الفرقة من الناس غلب على من والى عليا رضى الله تعالى عنه كما مر ويأتى (ما يؤدى) أى يوصل يقال اداه الى كذا أى أوصله وهو بهمزة ودال مشددة وهو مفعول يبلغ أى يصل والتعصب فاعله فان نصب على انه مفعوله وفاعله ضمير الشغف فهو بدل منه والثانى أقرب (الى الجلاء) بفتح الجيم واللام والمد الخروج (عن الاوطان) أى المساكن والبلاد والاهل (وهتك الحرم) بضم الحاء وفتح الراء المهملتين جمع حرمة والهتك بمثناة فوقية وكاف كشف الستر بازالته وتقطيعه والحرم جمع حرمة بضمتين وضم فسكون وفتح كهمزة وهو كل ما يصان ويمنع ولذا قيل للنساء حرم أى افتضاح نسائهم وذهاب عرضهم وكل ما يلزمهم صيانته (واخترام) بخاء معجمة ومثناة وراء مهملة (النفوس) أى الذوات أو الارواح أى اهلاكهم بسرعة يقال اخترمته المنية كانها قطعت عمره وكل ما استاصل شيا اخترمه وفى نسخة القلوب والاول أحسن فترى المرء يحب هؤلاء وان لم يرهم فحبهم يحمله على ماذكر ثم ذكر سببا ثالثا للمحبة فقال (أو يكون حبه اياه) وميل نفسه وطبعه اليه (لموافقته له) أى لملاءمته وموافقة طبعه (من جهة احسانه اليه) أى انعامه وبذله وجوده وفى نسخة له أى لاجل ذلك فقوله (وانعامه عليه) عطف تفسير (فقد جبلت النفوس) بالبناء للمفعول أى جعلت مطبوعة ومخلوقة (على حب من أحسن اليها) كما جبلت على بغض من أساء اليها وقيل ان هذا من ألفاظ النبوة

(فاذا تقرر لك هذا) أى ثبت عندك هذا الكلام (نظرت) أى رأيت (هذه الاسباب) أى أسباب المحبة من الجمال الصورى والكمال المعنوى والاحسان الوفى (كلها) أى جميعها موجودة ثابتة (فى حقه عليه الصلاة والسلام فعلمت انه عليه الصلاة والسلام جامع لهذه المعانى الثلاثة الموجبة للمحبة) أى ٣٧٤ على وجه التمام (اما جمال الصورة والظاهر وكمال الاخلاق والباطن فقد قررنا منهما) أى

من الشمائل الدالة عليهما والفضائل المشيرة اليهما (قبل) أى قبل هذا الباب فيما سبق من الكتاب (مالا يحتاج الى زيادة) أى وكثرة اطناب (واما احسانه) أى الدنيوى الصورى (وانعامه) أى الدينى والاخروى (على أمته) أى اتباع ملته (فكذلك قدم) ويروى مضى (منه) أى بعضه (فى أوصاف الله تعالى) أى فيما أعطاه الله تعالى (له) وأثنى عليه من الصفات الجميلة والنعوت الجليلة (من رأفته بهم ورحمته لهم وهدايته اياهم وشفقته) أى وخوفه (عليهم واستنقاذهم) أى استخلاصهم (به من النار وانه بالمؤمنين رؤف رحيم) أى بحسب مراتب ايمانهم ومناقب اذعانهم (ورحمة للعالمين) أى بجميع أعيانهم (ومبشرا) بالنصب على الحكاية أو التقدير كان مبشر المؤمنين المطيعين بالجنة (ونذيرا) أى مخوفا للعاصين بالعقوبة (وداعيا الى الله) أى الى محل قربه (باذنه) أى بتيسيره وتوفيقه (ويتلو عليهم آياته) أى آيات القرآن المشتملة على معجزاته (ويزكيهم) أى يطهرهم بنصائح بيناته (ويعلمهم الكتاب) أى أحكامه الخفية (والحكمة) أى السنة الجلية (ويهديهم الى صراط مستقيم) أى طريق قويم ودين قديم (فاى احسان أجل قدرا وأعظم خطرا) أى أمرا

فغاير

ولم أره بعينه حديثا الا انه ورد بمعناه ففى الحديث انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال اللهم لا تجعل لفاجر على يدا فيحبه قلبى فاشار الى ان حب المحسن اضطرارى وفى الاحياء ان المحبة قد تكون لغيره ذا من الالف الروحانية من غير سبب ظاهر وقال فيه أيضا فى ائتلاف القلوب أمر غامض لا يطلع عليه فقد يحب المرء من غير حسن واحسان وسبب ظاهر بل لمناسبة روحانية وشبه الشئ منجذب اليه وفى الحديث الارواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف وقول المنجمين انه دائر على الطالع ومقابله لا أصل له وورد فى حديث رواه فى الفردوس لو ان مؤمنا دخل مجلسا فيه مائة منافق ومؤمن واحد لجاء حتى جلس اليه ولو ان منافقا دخل مجلسا فيه مائة مؤمن ومنافق واحد لجاء حتى جلس اليه فما ذكره هو الاغلب المعروف (فاذا تقرر) أى ثبت وتحقق (لك هذا) المذكور من أسباب المحبة (نظرت لهذه الاسباب كلها) أى عرفتها بنظر سديد وكلها تأكيد للاسباب أو مبتدأ خبره (فى حقه) أى موجودة فى حقه وشانه مقررة محققة (فعلمت انه عليه الصلاة والسلام جامع لهذه المعانى الثلاثة الموجبة للمحبة) بمقتضى العقل والشرع والطبع السليم ثم بين ذلك بقوله (اما جمال الصورة) وهو السبب الاول وهو حب الصورة الحسنة والصورة الهيئة والمراد ما يظهر للناظر كالوجه (والظاهر) عطف تفسير للصورة (وكمال الاخلاق) أى كونها فى غاية الكمال فيه صلى الله عليه وسلم وهذا ليس من الحسن الظاهرى بل حسن باطنى كالصورة لان حسن الصورة يدل على حسن السيرة فقوله (والباطن) عطف تفسير له (فقد قررنا) أى بينا فى هذا الكتاب سابقا (منها قبل) مبنى على الضم (فيما مر أول الكتاب مالا يحتاج الى زيادة) فيه هنا (واما احسانه) صلى الله عليه وسلم وهذا هو السبب الثانى (وانعامه على أمته) يعنى أمة الاجابة (فكذلك) أى مثل ما قبله فى عدم احتياجه للبيان هنا لانه (قدم منه) اشارة الى ان ما ذكر بعض منه لا يمكن استيفاؤه وعلى تفنن مادحيه ووصفه * يفنى الزمان وفيه مالم يوصف (فى أوصاف الله تعالى له) صلى الله تعالى عليه وسلم جمع وصف بمعنى صفة أو توصيف ثم بينه بقوله (من رأفته بهم) أى شفقته ولطفه بهم كما مر (ورحمته لهم) أى انعامه صلى الله تعالى عليه وسلم عليهم وكرمه وهدايته (اياهم) أى من احسانه انه هداهم الى سعادة الدارين وأى احسان أعظم من هذا (وشفقته) أى حنوه (عليهم) ومرحمته لهم (واستنقاذهم) أى تخليص الله هذه الامة (به) أى بسببه صلى الله تعالى عليه وسلم اذ بعثه اليهم (من النار) وعذاب جهنم اذ هداهم لطريق النجاة منها (وانه بالمؤمنين رؤف رحيم) كما فى قوله تعالى بالمؤمنين رؤف رحيم كما مر مع تفسيره (و) انه (رحمة للعالمين) فهو مرفوع وضبط فى بعض النسخ منصوبا أى كونه رحمة ويؤيد ذلك قوله (ومبشرا) بكل خير (ونذيرا) مخوفا لهم ليرتدعوا عما يضرهم (وداعيا الى الله) ودينه الحق (باذنه) فى الدعوة أو بارادته كما مر (وسراجا منيرا) منقذا لهم من ظلمة الجهالة والضلال (ويتلو عليهم آياته) المرشدة لهم فيقرأ عليهم ما يوحى اليه من دلائل التوحيد والنبوة (ويزكيهم) يطهرهم من الشرك والمعاصى (ويعلمهم الكتاب) أى القرآن العظيم (والحكمة) وما يكملهم من المعارف والاحكام (ويهديهم الى صراط مستقيم) يدلهم على الطريق الموصل الى الله تعالى بلطفه وهذا مما وصفه الله به فى كتابه العزيز (فاى احسان) أى للتعظيم والتفخيم كما يقال عندى رجل أى رجل أى كامل الرجولية (أجل قدرا) وارفع رتبة (وأعظم خطرا) بفتح الخاء المعجمة والطاء المهملة أى قدرا أو شرفا

(من احسانه) عليه الصلاة والسلام (الى جميع المؤمنين) أى خصوصا (وأى افضال) أى اكرام واقبال (أعم منفعة وأكثر فائدة) أى أتم نتيجة (من انعامه على كافة المسلمين) أى جميع المنقادين ولو من أهل الذمة والمنافقين (اذ كان) أى النبى عليه الصلاة والسلام (ذريعتهم) أى وسيلة أهل الاسلام (الى الهداية) أى هدايتهم الى سبل السلام ودلالتهم الى مقام الكرام (ومنقذهم من العماية) بفتح العين أى ومخلصهم من الغواية ومنجيهم من الضلالة الى الهداية (وداعيهم الى الفلاح) أى الفوز والنجاح (والكرامة) أى يحملهم على الصلاح (ووسيلتهم الى ربهم) أى الى تقربهم اليه (وشفيعهم) أى لديه (والمتكلم عنهم) أى فى الزام الحجة بما يليق عليه (والشاهد لهم) أى مزكيهم بالخير (الموجب) أى الطالب وفى نسخة المحب (لهم البقاء الدائم) أى الى الابد (والنعيم السرمد) أى المستمر الذى لا نهاية له ولا غاية (فقد استبان) أى ظهر (لك انه عليه الصلاة والسلام مستوجب) أى مستحق (للمحبة الحقيقية) أى والمودة العرفية (شرعا وطبعا بما قدمناه) ويروى لما (من صحيح الآثار) أى وصريح الاخبار المنقولة عن المشايخ الاخيار والعلماء الاحبار (وعادة) أى رسوما عادية (وجبلة) أى خلقة طبيعية (بما ذكرناه) أى من ان جميع ما يصل الينا من نعم الدارين فهو من فيض انعامه به علينا (آنفا) أى زمانا قريبا وهو بمد الهمزة وقصرها وقد قرئ بهما فى السبعة (لافاضة الاحسان) أى على جميع افراد الانسان (وعمومه الاجمال) أى المعاملة بالجميل فى جميع الاوقات والاحوال (فاذا كان الانسان) أى بطبعه (يحب من منحه) أى أعطاه عطية من ابن أو غيره من هدية

فغاير بينهما تفننا (من احسانه) أى احسان هذا النبى الكريم على أمته فكيف لا يحسن (الى جميع المؤمنين) خصهم لانهم هم المنتفعون به والا فاحسانه عام (وأى افضال) بمعنى احسان وتفضل (أعم منفعة وأكثر فائدة من انعامه على كافة المسلمين) أى جميعهم وقد قيل كما مر ان كافة تلزم التنكير والنصب على الحالية واستعمالها على خلاف ذلك خطأ وان وقع فى عباراتهم كما فى درة الغواص وقد أجبنا عنه فى شرح تلك الدرة وبينا انه سمع خلافه (اذ) تعليلية أى لانه صلى الله تعالى عليه وسلم (كان ذريعتهم) أى وسيلتهم وسبب موصل لهم (الى الهداية) أى ما يخلصهم وينجيهم وأصل الذريعة سترة يتخذها الصائد للفوز بالصيد والوصول اليه وهو صلى الله تعالى عليه وسلم سترة من النيران وجنة لمن طلب الجنان (ومنقذهم) مخلصهم (من العماية) بفتح العين وهى الغواية والجهالة ٢ (وداعيهم الى الفلاح) أى الفوز والظفر بسعادة الدارين (و) الى (الكرامة) أى الاكرام بنيل الخير (ووسيلتهم الى ربهم) أى موصلهم ومقربهم اليه وجاعل لهم منزلة عنده (وشفيعهم) فى الدنيا والآخرة (والمتكلم عنهم) عند الله ببيان اعذارهم وهم أحوج ما يكونون الى الكلام وقد خرست الالسن ولم يؤذن لاحد غيره صلى الله تعالى عليه وسلم ان يتكلم (والشاهد لهم) بانهم آمنوا وصدقوا يوم القيامة حين يشهدون للانبياء عليهم الصلاة والسلام انهم قد بلغوا قومهم فيزكيهم كما تقدم (والموجب لهم) أى الذى يحقق لهم (البقاء الدائم) بالخلود فى الجنة وليس المراد الوجوب الشرعى لانه لا يجب على الله شئ (والنعيم) فى الجنة (السرمد) أى الدائم الذى لا ينقطع ولولاه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يكن شئ من ذلك (فقد استبان لك) بما ذكر أى ظهر واتضح (أنه عليه الصلاة والسلام مستوجب) أى مستحق (للمحبة الحقيقية) لان أسبابها متوفرة فيه صلى الله تعالى عليه وسلم على أكمل وجه لا يتيسر لغيره (شرعا بما قدمناه من صحيح الآثار) الموجبة له مزيد شرف وحسن ترف وانه المحسن والمتفضل بكل خير وانا مأمورون بمحبته واتباعه بامر من الله له (وعادة) معطوف على قوله شرعا أى ما اعتاده الناس فى كل عصر من محبة من حاز الكمال كله (وجبلة) لان كل خير واحسان وصل الينا فهو منه صلى الله تعالى عليه وسلم والنفوس مجبولة على حب من أحسن اليها كما مر والجبلة بمعنى الطبيعة قال تعالى واتقوا الذى خلقكم والجبلة الاولين المجبولين الاولين (بما ذكرناه) متعلق باستبان (آنفا) بالمد أى قريبا وهو منصوب على الظرفية من أنف بمعنى تقدم ومنه الانف اسم الجارحة (لافاضته) أى اعطائه من بحر كرمه (الاحسان) بكل خير دنيوى وأخروى (وعموم الاجمال) أى تعميم الجميل منه لكل أحد وهذا اجمال لما قدمه بذكر السابقة ثم وضحه بقوله (فاذا كان الانسان يحب من منحه) أى أعطاه والمنحة العطية

(٢) قوله لانها تطلق فى مقابلتها كما قال تعالى وأما ثمود فهديناهم وسئل بعض الفضلاء عن وجه تخصيص ثمود بالهداية دون غيرهم فاجيب بانهم خصوا بذلك لانهم طلبوا آية يكون بها اهتداؤهم فهدوا بها فتعرضوا اليها بالاتلاف فاستحبوا بذلك العمى على الهدى المطلوب لهم واستحباب العمى لهم بالتقدير الالهى من يهدى الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا انسخه

(فى دنياه مرة أومرتين) أى ولوعلى وصف القلة (معروفا) أى ماعرف حسنه شرعا وطبعا فى الحديث أهل المعروف فى الدنيا أهل المعروف فى العقبى وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما يأتى أصحاب المعروف فى الدنيا يوم القيامة فيغفر لهم بمعروفهم وتبقى حسناتهم فيعطونها لمن زادت سيآته على حسناته فيغفرله ويدخل الجنة فيجتمع لهم الاحسان فى الدنيا والآخرة (أواستنقذه) أى استخلصه وفى نسخة أنقذه أى أنجاه وأخلصه (من هلكة) بفتحتين كان الاولى ان يقال من مهلكة (أومضرة) أى مما فيه هلاك نفس أوضرر مال أوتلف حال أونقصان جاه (مدة) أى من الزمان قليلة أو كثيرة (التأذى بها) أى بالمضرة وكذا بالهلكة (قليل) أى أيامه (منقطع) أى زائل دوامه (فمن منحه) أى أعطى الانسان (مالا يبيد) أى مالا ينفد ولا ينقص (من النعيم) أى المقيم بجنة طيبة وحالة حسنة ويروى من النعم (ووقاه) أى حفظه وحماه (من عذاب الجحيم) وكذا من الماء الحميم (أولى بالحب) أى بالمحبة من غيره وفى نسخة وهى أصل الدلجى فهو أى فهذا المانح الكامل والباعث الكافل أولى مايحب بصيغة المجهول والظاهر انه تصحيف (واذاكان يحب) بصيغة المجهول (بالطبع) أى من غير اختيار الطبيعة بل بحكم أصل الجبلة (ملك) أى من الملوك ولولم يره ولم يحصل له بره وهو نائب فاعل يحب (لحسن سيرته) أى معاملته فى رعيته (أو حاكم) أى أميرأووزير يحب (لما يؤثر) أى يروى ويخبر (عنه من قوام طريقته) بكسر القاف أى من اعتدال سيرته ونظام عدله فى حكومته (أوقاض) بمعجمة قال الدلجى أومهملة أى مشددة أى واعظ ويروى يحب مبنيا للفاعل فتنصب الثلاثة بعده (بعيد الدار) أى عن من يحبه بالطبع (لمايشاد) بصيغة المجهول من اشاد البناء اذا رفعه أى يشاع ويذاع ويروى لما فشا أى ظهر وانتشر (من علمه) أى المقرون بعمله (أوكرم شيمته) أى حسن خلقه مع رعيته (فمن جمع هذه الخصال) أى وبل زاد من هذه الاحوال (على غاية مراتب الكمال) جملة فى محل نصب على الحال أى مجموعة وليست فى بعض النسخ موجودة والمعنى فهو صلى الله تعالى عليه وسلم (أحق بالحب وأولى بالميل) أى اليه (وقد قال على رضى الله تعالى عنه فى صفته عليه الصلاة والسلام من رآه بديهة) أى فى أول وهلة (هابه) أى توقيرا وتعظيما واجلالا

(فى دنياه) أى فى حياته فى الدنيا (مرة أومرتين معروفا) أى شيأ حسنا كما مر تفسيره (أواستنقذه) ونجاه (من هلكة) بفتح الهاء واللام أمر مهلك (أومضرة) أمر يضره ويؤذيه بفتح الميم والضاد (مدة التأذى بها) أى بالمضرة (قليل منقطع) أى زائل فى زمن قليل وذكره لان المدة بمعنى الزمان أولانه فعيل ومنقطع لمشاكلته ومدة مضافة للتأذى أومنون منصوب والتأذى مبتدأ خبره قليل وعلى الاول المبتدأ مدة (فمن منحه مالا يبيد) بمثناة تحتية مفتوحة وموحدة مكسورة وتحتية ساكنة ودال مهملة أى يذهب وينفد (من النعيم) المخلد فى الجنة وهذه النسخة أولى مما وقع فى بعض النسخ من النعم جمع نعمة للسجع فى الاولى (ووقاه) بالتشديد والتخفيف أى صانه وحماه (مالا يفنى من عذاب الجحيم) أى النار من جحم بمعنى توقد وقد يخص بطبقة منها وقوله (أولى مايحب) بالبناء للمفعول وفى نسخة أولى بالحب وأولى أفعل تفضيل بمعنى أحق وهو خبر من أى أحق من كل شئ يحب من نفسه وماله وأهله (واذاكان يحب) مبنى للمجهول أيضا (بالطبع) متعلق بيحب وخص هذا بالطبع لانه ليس محبوبا شرعا والعقل والعادة لاتخالفا (ملك) بكسر اللام نائب فاعل يحب فهو مرفوع وكذا مابعده وفى نسخة نصب الجميع ويحب مبنى للفاعل (لحسن سيرته) بعدله فى رعيته (أوحاكم) غير ملك كامير (لما يؤثر) أى ينقل عنه وهو مجهول أيضا (من قوام طريقته) أى حسن سلوكه وقوام بكسر القاف وهو العماد والنظام ويجوز فتحها بمعنى الاعتدال قال تعالى وكان بين ذلك قواما أى معتدلا (أوقاض) بضاد معجمة أى حاكم الشرع اذا سمع بعدله وهو (بعيد الدار) عنه ويروى بصاد مهملة فبعيد تفسيره له (لمايشاد) مبنى للمجهول أى لاجل مايشيع ويشتهر من ذكره بين الناس وهو مستعار من شاد البناء بشين معجمة ودال مهملة اذا رفعه ومنه قصر مشيد وغلط من قال انه بذال معجمة من شاذت علت وفى نسخة لما فشا بالفاء والشين المعجمة أى ظهر وانتشر (من علمه أوكرم شيمته) أى سجيته وخلقه وهذا مناسب لاهمال قاض واذاكان يحب من فيه بعض هذه الخصال (فمن جمع هذه الخصال) كلها وحواها وكل منها فيه مستقر (على غاية مراتب الكمال) بحيث لايشبه صفاته صفات غيره كما قال الابوصيرى

انما مثلوا صفاتك للنا * س كما مثل النجوم الماء

(أحق بالحب) مماعداه (وأولى بالميل) اليه واعلم انه انما ذكر من قوله فقد استبان لك الى آخره لدفع شبهة لمن لابصيرة له وهى ان هذه الامور انما تتحقق فيه صلى الله تعالى عليه وسلم عند من رآه وشاهده منه لانها المؤثرة فى الطباع بان وصول نفعه وخيره لمن بعده معلوم لكل مؤمن بالغيب وكمالاته صلى الله تعالى عليه وسلم لتواترها وبقاء آثارها كالمحسوس المشاهد (وقد قال على رضى الله عنه) فى حديث الحلية السابق ذكره (من رآه) صلى الله تعالى عليه وسلم (بديهة) أى أبصره فى أول رؤيته (هابه) توقيرا

واجلالا لما يرى من نور نبوته (ومن خالطه) أى صاحبه صلى الله تعالى عليه وسلم وعاشره (معرفة أحبه) أى بعد ما عرف فضائله وفواضله وشاهد شمائله لابد ان يحبه (وذكرناه) فى فضل ثواب محبته (عن بعض الصحابة) وهو ثوبان كما تقدم (انه كان لا يصرف بصره عنه محبة فيه صلى الله تعالى عليه وسلم وشرف وكرم)

(فصل فى وجوب مناصحته) النصح معناه الخلوص لغة ثم قيل لارادة الخير بقلبه ولسانه وانما قاله بصيغة المفاعلة لان نصح رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أمر مقرر لكل احد فاذا نصحه أحد من أمته تحققت المناصحة من الجانبين وأخر هذا الفصل عن المحبة لانها تترتب عليها واعلم انه يأتى ان أصل معنى النصح تصفية العسل وخياطة الثوب ثم استعمل فى ضد الغش والاخلاص أى التوبة النصوح (قال تعالى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج) أى اثم يضيق اذا تخلفوا عن الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لفقرهم المانع لهم (اذا نصحوا لله ورسوله) الى آخره أى اذا اخلصوا الايمان بهما والطاعة لهما ظاهرا وباطنا ما استطاعوا واخلصوا الهما من فعل وقول يعود على المسلمين بالصلاح وفى الصحيحين عن جابر رضى الله عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة فقال ان بالمدينة ناس ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا الا كانوا معكم حبسهم المرض شركوكم فى الاجر ففى الآية دليل على وجوب النصح لله ورسوله كما اشرنا اليه (ما على المحسنين من سبيل) أى ليس عليهم جناح ولا الى معاتبتهم سبيل ووضع الظاهر موضع الضمير للدلالة على انهم منخرطون فى سلك المحسنين غير معاتبين فى ذلك (والله غفور رحيم) لهم أو للمسئ فكيف المحسن (قال أهل التفسير) فى بيان معنى الآية اجمالا (اذا نصحوا لله ورسوله) معناه (اذا كانوا مخلصين) فى أقوالهم وافعالهم (مسلمين) منقادين مطيعين حال لازمة (فى السر) أى فيما فى باطنهم مما اسروه (والعلانية) ظاهر حالهم المطابق لما فى ضمائرهم والعلن والعلانية بتخفيف الياء مصدر الجهر والاظهار فالنصح هنا بمعنى الاخلاص والصدق ثم اتبع ما استشهد به من الكتاب العزيز بحديث رواه أبو داود كما رواه مسلم فقال (حدثنا أبو الوليد) شيخ المصنف رحمه الله تعالى (بقراءتى عليه) قال (حدثنا حسين بن محمد) هو أبو على الغسانى وقد تقدمت ترجمته قال (حدثنا يوسف بن عبد الله) هو حافظ الاسلام بن عبد البر وقد تقدم قال (حدثنا أبو محمد بن عبد المؤمن) تقدم أيضا قال (حدثنا أبو بكر بن التمار) قال (حدثنا أبو داود) صاحب السنن قال (حدثنا أحمد بن يونس) أبو عبد الله أحمد بن عبد الله بن يونس اليربوعى الكوفى الحافظ الثقة المتقن المتفنن روى عنه الستة توفى سنة سبع وعشرين ومائتين قال (حدثنا زهير) بن محمد المروزى نزيل الشام الثقة توفى سنة اثنين وستين ومائة أخرج له الستة وترجمته فى الميزان قال (حدثنا سهيل ابن أبى صالح) تقدمت ترجمته (عن عطاء بن يزيد) الليثى الثقة التابعى توفى سنة سبع أو خمس ومائة وأخرج له الستة

(ومن خالطه معرفة) تمييز أى علما بكريم خصاله وعميم فعاله (أحبه) أى حبا عظيما بجماله وكماله صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى آله

(فصل) (فى وجوب مناصحته صلى الله تعالى عليه وسلم) أى قبول نصحه وخلوص النصح له (قال الله تعالى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج) أى ليس على الفقراء اثم فى ترك الغزا كمزينة وجهينة وبنى عذرة (اذا نصحوا لله ورسوله) أى اخلصوا الايمان بهما والطاعة لهما سرا وعلانية فى امرهما (ما على المحسنين من سبيل) أى طريق معاقبة ولا معاتبة لاحسانهم فى ايمانهم كما يشير اليه وضع الظاهر موضع المضمر والاظهر ان وجه العدول عن الضمير افاد المعنى الاعم والايماء الى ان هذا الحكم لمن دام على هذا الوصف واستحكم والله تعالى اعلم (والله غفور) لهم ولغيرهم (رحيم) بهم وبامثالهم (قال أهل التفسير اذا نصحوا لله ورسوله) أى معناه (اذا كانوا مخلصين) أى فى أفعالهم وأقوالهم (مسلمين فى السر والعلانية) أى منقادين فى جميع أحوالهم (حدثنا القاضى) وفى نسخة صحيحة الفقيه (أبو الوليد بقراءتى عليه ثنا) أى حدثنا (حسين بن محمد) الظاهر انه أبو على الغسانى على ما ذكره الحلبى (ثنا) أى حدثنا (يوسف بن عبد الله) وهو حافظ الغرب أبو عمر ابن عبد البر (ثنا عبد المؤمن) وفى نسخة ابن عبد المؤمن (ثنا أبو بكر التمارى) بتشديد الميم (ثنا أبو داود) أى صاحب السنن (ثنا أحمد بن يونس) وهو أبو عبد الله اليربوعى الحافظ الكوفى يروى عن الثورى وجماعة وعنه الشيخان وطائفة قال أحمد بن حنبل لرجل أخرج الى أحمد بن يونس فانه شيخ الاسلام أخرج له أصحاب الكتب الستة قال أبو حاتم كان ثقة متقنا كذا حققه الحلبى وفى نسخة أحمد بن يوسف والظاهر انه تصحيف (ثنا زهير) بالتصغير وهو ابن محمد التيمى المروزى أخرج له الائمة الستة (ثنا سهيل ابن أبى صالح عن عطاء بن يزيد) أى الليثى أخرج له أصحاب الكتب الستة

(عن تميم الداري) نسبة الى جده الدار ويقال له الديري ايضا نسبة الى دير كان يتعبد فيه قبل الاسلام أسلم سنة تسع من الهجرة وكان نصرانيا قبل ذلك وتوفي سنة أربعين ومن مناقبه الفخام انه عليه الصلاة والسلام روى عنه حديث الجساسة على المنبر كما في آخر صحيح مسلم وفيها رواية الفاضل عن المفضول والتابع عن المتبوع وقبول خبر الواحد وذكر الدارقطني انه روى عن الشيخين وروى أيضا عن محرز كما في الصحيح وعن امرأة لا استحضر الآن اسمها كما في المسند (قال) أى الدارى (قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة) أى ثلاث مرات للمبالغة وقد ساق المصنف هذا الحديث بسند أبي داود وقد أخرجه أبو داود في الادب ولفظه الدين النصيحة من غير تكرار وأخرجه مسلم في الايمان بنحوه وليس فيه تكرار ان الدين النصيحة ثلاثا بل مرة ٣٧٨ واحدة ولفظه الدين النصيحة بغير ان وأخرجه النسائي في البيعة ولفظه في الطريق الاولى ان الدين النصيحة مرة وفي نسخة انما الدين النصيحة مرة (قالوا) أى بعض الصحابة رضى الله تعالى عنهم (لمن) أى النصيحة لمن (يا رسول الله قال لله ولكتابه) كما في الاصول (ولرسوله وائمة المسلمين) ويروى ولائمة المسلمين (وعامتهم) أى جميع افراد جماعتهم (قال أئمتنا) أى من المالكية ذكره الدلجي والظاهر أى علماؤنا ومشايخنا اذ لا خلاف في هذه المسئلة وهى قوله (النصيحة لله ولرسوله وأئمة المسلمين وعامتهم واجبة) أى فرض عين على كل احد وفي شرح مسلم للنووي عن بعضهم انها فرض كفاية يسقط بقيام بعض عن الباقين انتهى ولعله محمول على تفاصيل ما يتعلق بالنصيحة لله ولكتابه ولرسوله بان يقوموا بجميع الامور الشرعية والاحكام الفرعية ومن جملتها علم التفسير والحديث والفقه والامر بالمعروف والنهى عن المنكر والجهاد في سبيله وهذا لا ينافي قول الجمهور حيث أرادوا وجوب النصيحة الاجمالية الموجبة للطاعة التفصيلية هذا وليس قوله ولكتابه من عبارة المصنف ولعله سبق قلم (قال الامام أبو سليمان البستي) بضم موحدة وسكون سين ففوقية بلد بسجستان والمراد به الخطابي (النصيحة كلمة يعبر بها عن جملة) بالتنوين بدون اضافة ذكره الدلجي ويجوز الاضافة كما في كثير من النسخ على الاول تقديره هى (ارادة الخير للمنصوح له وليس يمكن ان يعبر عنها) أى عن تلك الجملة بكلمة (واحدة) أى غيرها بصيغة (تحصرها) أى تجمع معناها وتحصرها

(عن تميم الداري) وهو تميم بن أوس بن خارجة اللخمي المكني بابي رقية وهى ابنة له لم يولد له غيرها والدارى نسبة لجده الدار بن هانئ أو لدار بن اسم مكان ويقال الديرى لدير كان يتعبد فيه وقيل انه اسم قبيلة وهو بعيد كما في المطالع وكان نصرانيا أسلم سنة تسع من الهجرة وتوفي سنة أربعين وروى عنه في السنن ومسند أحمد وقصته في الجساسة مشهورة (قال) تميم (قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة) كررها ثلاثا لزيادة الحث والتحريض ولذا عدل المصنف رحمه الله تعالى عن رواية مسلم مع ان كتابه أصح الكتب عند علماء المغرب وما قيل انها مكررة في هامش نسخة مسلم فلا وجه للعدول عنه أمر سهل وسؤال ساقط والدين ملة الاسلام والنصيحة تقدم بيانها وفي رواية انما الدين النصيحة وهما بمعنى لافادة تعريف الطرفين الحصر (قالوا) أى الصحابة الحاضرون عنده (لمن يا رسول الله قال لله ولكتابه) بالعمل بما فيه وتعظيمه وحفظه (ولرسوله) بالايمان به واتباعه وطاعته (ولائمة المسلمين) الخلفاء والسلاطين والحكام (وعامتهم) ان أريد العوام فظاهر وان أريد جميعهم فهو من عطف العام على الخاص وسيأتي بيانه (قال أئمتنا) المراد بهم علماء الاسلام أو أئمة مذهبه (النصيحة لله ولرسوله وأئمة المسلمين وعامتهم واجبة) أى فرض عين على كل مكلف ونقل النووي انها فرض كفاية فان خشي أذى فهو في سعة من الترك (قال الامام أبو سليمان البستي) بضم الموحدة وسين مهملة ومثناة فوقية وياء نسبة بلدة بسجستان وهو أبو سليمان بن محمد بن ابراهيم بن خطاب المعروف بالخطابي الامام المشهور واختلف في اسمه فقيل أحمد وقيل حمد توفي ببست في ربيع الاول سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة (النصيحة كلمة يعبر بها عن جملة) بالتنوين فقوله (ارادة الخير) بدل منه أو مرفوع أو منصوب على هذا ولا مانع من الاضافة (للمنصوح له وليس يمكن ان يعبر عنها) أى عن جملة (بكلمة واحدة تحصرها) أى تجمع جميع معانيها قيل تقديره غيرها أى غير هذه الكلمة وهى النصيحة ومادتها كالنصح والنصاحة وفي كلامه تسمح فان مجرد ارادة الخير لا يسمى نصحا فالظاهر ان يقول ارشاد المنصوح للخير وأيضا في تركيبه شئ لان اسم ليس الظاهر انه ان يعبر وجملة يمكن خبرها فيتعين تأخيرها لما فيه من اللبس بالفاعل ومراده ان هذه من أوجز الاسماء وأخصرها دلالتها على معان بمفردها ولذا قيل في كلمة لفظ الفلاح انه ليس في كلام العرب كله اجمع لخيري الدنيا والآخرة منها ثم اشار الى أصل معناها لغة بعد

ما

(ومعناها) أي النصيحة (في اللغة) أي لسان العرب (الاخلاص) فمعنى النصيحة الخالة الخالصة ماخوذة (من قولهم) أي استعمال العرب في محاوراتهم (نصحت العسل اذا خلصته) بالخطاب وهو بتشديد اللام أي ميزته بنار لطيفة (من شمعه) بفتح الميم ويسكن أي مومه ففي القاموس الشمع محركة وتسكين الميم موله وهو الذي يستصبح به أو موم العسل الواحدة بهاء (وقال أبو بكر بن اسحق الخفاف) بتشديد الفاء الاولى (النصح) بضم النون (فعل الشئ الذي به الصلاح والملاءمة) أي المناسبة والمرابطة

مابين حاصل معناها في عرف اللغة والشرع بقوله (ومعناها في اللغة) أي في عرف أهل اللغة (الاخلاص) أي لنفسه وغيره (من قولهم نصحت العسل اذا خلصته) وصفيته (من شمعه) بسكون الميم وفتحها مضاف لضمير العسل فهي فعيلة بمعنى فاعلة أو مفعولة لانها اخلصت من الغش كما خلص العسل من شمعه (وقال أبو بكر ابن أبي اسحق الخفاف) وهو امام من أئمة اللغة ترجمته مذكورة في التاريخ وفي نسخة ابن اسحق وهو أبو بكر أحمد بن عمر بن يوسف الشافعي وهو صاحب كتاب الخصال في مذهب الشافعية كما قاله الرافعي (النصح فعل الشئ الذي به الصلاح) لنفسه وغيره وأراد الفعل مايشمل القول (والملاءمة) بضم الميم ومد الهمزة من لأمت بينهم اذا وفقت وتلاءموا والتأموا بمعنى وقد تبدل همزته ياء (ماخوذة) أي مشتقة اشتقاقا وكثيرا مايعبر عنه بالاخذ ويقولون دائرة الاخذ أوسع من دائرة الاشتقاق (من النصاح) بكسر النون وتخفيف الصاد (وهو الخيط الذي يخاط به الثوب) فلتلتئم اجزاؤه فالنصيحة على هذا مأخوذة من نصح الثوب اذا خاطه ولا حاجة لنقله من الخفاف فانه في أكثر كتب اللغة (وقال أبو اسحق الزجاج) امام العربية والتفسير تلميذ المبرد وشيخ أبو على الفارسي وهو ابراهيم بن سهل الزجاج منسوب لعمل الزجاج لانه كان حرفته توفي في جمادي الآخرة من سنة احدى عشرة وثلثمائة وقد ناف على الثمانين (نحوه) أي قريب مما قاله الخطابي معنى ثم فرع على مابينه من معناه لغة وعرفا بيان اقسامه فقال (فنصيحة الله) معناها والمراد بها (صحة الاعتقاد) أي اخلاص الايمان به ولذا عداه باللام في قوله (له) وذلك بتخصيصه (بالوحدانية) أي بانه واحد أحد لاشريك له في الالوهية ولا يشاركه أحد في ذاته وصفاته وهو مصدر بمعنى الانفراد وزيد فيه الالف والنون على خلاف القياس قال الكرماني (ووصفه بما هو أهله) أي بما يستحقه ويليق به كما يقال هو أهل للحمد وهو أهله ومحله وهو مجاز مأثور مشهور (وتنزيهه عما لا يجوز عليه) في كل مايوهم نقصا (والرغبة في محابه) بفتح الميم جمع محب اسم مفعول أحب بمعنى محبوب أي يرغب في كل مايحبه ويرضاه (والبعد عن مساخطه) بفتح الميم جمع مسخط اسم مفعول أي كل مايسخط الله ويورث غضبه من المعاصي وقيل هما جمع محبوب ومسخوط والاصل محابيب ومساخيط (والاخلاص في عبادته) فيعبده امتثالا للامر من غير رياء ولا ارادة أمر آخر ولا تضره العبادة رجاء جنته وخوف ناره وان قال الرازي انه الاخلاص نعم هو مرتبة الخواص وقد فصلناه في محل آخر فالنصيحة لله حقيقة راجعة الى العبد نفسه لانه تعالى ليس له ناصح ولا يتصور في حقه فلذا احملت على هذا (والنصيحة لكتابه) معناها (الايمان به) أي بانه كلام الله المنزل على رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم فيصدق بذلك تصديقا لا ريب فيه (والعمل بما فيه) باتباع أوامره ونواهيه وتسليم متشابهه والايمان به (وتحسين تلاوته) بالتجويد والترتيل بان يخرج حروفه من مخارجها من غير تكلف وتشدق فيه ويدخل فيه تحسين الصوت به من غير تغن وزيادة مد وقد قال القراء ان تجويده واجب واختلف هل هو واجب شرعا أو صناعة فذهب الى كل من القولين قوم من الفقهاء والحق انه واجب شرعا للقادر عليه من غير مشقة لبعض العجم (والتخشع عنده) أي عند تلاوته وسماعه فينبغي له ان يظهر الخشوع وان لم يكن خاشعا

وقد تخفف الهمز ياء فيقال الملايمة وهي الموافقة بين الاشياء (ماخوذ من النصاح) بكسر النون (وهو الخيط الذي يخاط به الثوب) أي يلائم بين اجزائه ويصلح للرءان يلبسه على أعضائه (وقال أبو اسحق الزجاج نحوه) أي قريبا من معناه وفي الجملة من هذه المادة قوله تعالى توبوا الى الله توبة نصوحا أي خالصة صالحة بان تكون كاملة شاملة (فنصيحة الله تعالى) أي نصيحة العبد له سبحانه وتعالى (الاعتقاد له بالوحدانية) أي في الالوهية والربوبية (ووصفه بما هو أهله) أي من الصفات الثبوتية من الحياة والعلم والقدرة والارادة والكلام ونحوها (وتنزيهه) أي تبعيده (عما لا يجوز) أي اطلاقه (عليه) من النعوت السلبية فانه ليس بجوهر ولا عرض ولا في مكان وغيرها (والرغبة في محابه) بتشديد الموحدة أي الميل في كل مايحبه الله ويرضاه (والبعد من) وفي نسخة عن (مساخطه) أي والتبعد عن جميع مايكرهه وينهاه (والاخلاص في عبادته) أي فيما أمره الله من أمور دنياه وعقباه وماذكر فهو في الحقيقة راجع الى العبد في نصحه لنفسه لانه تعالى غني عنه وعن عمله (والنصيحة لكتابه الايمان به) أي أولا (والعمل بما فيه) ثانيا سواء كان عالما به أو جاهلا (وتحسين تلاوته) أي وتزيين قراءته (والتخشع عنده) أي اظهار الخشوع واكثار الخضوع في حضرته

(والتعظيم له) أي لكتابه بادب يقتضي اجلاله (وبوصف يوجب اكماله والتفقه فيه) أي طلب الفهم لمبانيه والعلم بمعانيه (والذب عنه) أي الدفع عما لا يليق به وينافيه (من تاويل الغالين) بالغين المعجمة من الغلو أي المجاوزين عن الحد كالمعتزلة واضرابهم (وطعن الملحدين) أي من الزنادقة وأصحابهم (والنصيحة لرسوله التصديق بنبوته) أي أولا (وبذل الطاعة له) أي الانقياد لحكمه (فيما أمر به ونهى عنه قاله) أي جميع ما يتعلق بالنصيحة أو ما خص به الرسوله وهو أقرب والى ما بعده أنسب (أبو سليمان) وهو الخطابي (وقال أبو بكر) أي الخفاف وقيل المراد به ٣٨٠ أبو بكر الآجري (موازرته) أي النصيحة لرسوله هي معاونته ومعاضدته في دينه وملته (ونصرته) أي اعانته على أعدائه وأهل محاربته (وحمايته) أي المدافعة عنه وممانعة من أراد نوعا من اساءته (حيا وميتا) أي في حال حياته ومماته (واحياء سنته بالطلب) أي بالعمل بها (والذب عنها) أي وبالدفع لمن يلحد أو يزيغ عنها (ونشرها) أي اظهارها للتمسك بها (والتخلق باخلاقه الكريمة) أي الاتصاف بمحاسن شمائله وميامن فضائله الجزيلة (وآدابه الجميلة وقال أبو ابراهيم اسحق التجيبي) بضم الفوقية وتفتح وكسر الجيم فتحتية فموحدة فياء نسبة كما مر (نصيحة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم التصديق بما جاء به) أي مجملا أو مفصلا (والاعتصام بسنته) أي باحاديثه علما وعملا (ونشرها) أي للخلق كملا (والحض) أي الحث والتحريض

وقد

(عليها) أي لمن يعمل بها جملا (والدعوة) أي دعوة الخالق (الى الله) أي دينه مجملا (والى كتابه) أولا (والى رسوله) ثانيا (واليها) أي والى السنة (والى العمل بها) آخرا (وقال أحمد بن محمد من مفروضات القلوب) أي من الواجبات المؤكدة عليها (اعتقاد النصيحة) وهي ارادة الخير (لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي لطريقته وأهل ملته (وقال أبو بكر الآجري) بمد همزة وضم جيم وتشديد راء وهو صاحب كتاب الشريعة

كبعض العوام كما قيل ان لم تكن باكيا فكن متباكي بضمير عنده للكتاب وقيل انه لتحسين التلاوة والاول أولى وأفيد وفي التخشع ما يفيد انه لا ينبغي الصياح واظهار الوجد ما لم يكن عن حال سلب اختياره (والتعظيم له) بان لا يقرأه محدثا وان لا يمد رجليه حال تلاوته ولا يجلس لها في محل قذر ولذا كرهت القراءة في الحمام وعلى الطرقات والاسواق (وتفهمه) أي تدبر معانيه والفكر فيها بدقة نظر (والتفقه فيه) أي فهم معانيه أو النظر في أحكامه الفقهية من حلاله وحرامه والاتعاظ بمواعظه ونصائحه وأمثاله (والذب عنه) بمعجمة وموحدة أي زجر من طعن فيه من الملحدين (من تاويل الغالين وطعن الملحدين) في تاويله بما لا يليق به من الغلو وهو تجاوز الحد ولتاليه ومستمعه آداب كثيرة بينها النووي في كتاب التبيان في آداب حملة القرآن فعليك به (والنصيحة لرسوله) صلى الله تعالى عليه وسلم (التصديق بنبوته) ورسالته الى الناس كافة والى غير ذلك من الملائكة والجن (وبذل الطاعة له فيما أمر به ونهى عنه) لان طاعته واجبة وهي طاعة الله كما مر (كما قاله أبو سليمان) هو الخطابي الذي تقدم بيانه (وقال أبو بكر) هو ابن أبي اسحق الخفاف الذي مر ذكره وهو الظاهر الذي ذكره الثقات وقيل هو الحافظ الآجري الآتي قريبا (وموازرته) بواو مفتوحة أو همزة من الازر وهو القوة أو من الوزر وهو الملجأ أي معاضدته ومعاونته وهو معطوف على مقدر أو على ما قبله عطف تلقين (ونصرته) أي اعانته على أعدائه أو نصرة دينه واعلاء كلمته (وحمايته) أي دفع السوء عنه (حيا) بالمجاهدة معه وخدمته (وميتا) بتقوية دينه وتاييد شريعته وهو راجع لكل ما قبله (واحياء سنته) أي هديه وطريقته وفيه استعارة تصريحية (بالطلب) لها بان يسئل عنها ويجتهد في معرفتها (والذب عنها) أي دفع الشبه عنها والتاويلات الفارغة (ونشرها) أي اظهارها واشاعتها وتعليمها من انتشر الحديث اذا شاع (والتخلق باخلاقه) أي الاتصاف بمثل صفاته المأثورة عنه وان لم يكن مساواته ان التشبه بالكرام فلاح (الكريمة) أي المكرمة الممجدة (وآدابه الجميلة) التي فيها جمال ومدح لمن اتصف بها (وقال أبو ابراهيم اسحق التجيبي) تقدم بيانه وانه بفتح التاء وضمها وانه المعروف بالوراق (نصيحة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) معناها (التصديق بما جاء به) أي الايمان بكل ما جاء به عن الله (والاعتصام بسنته) أي التمسك بها (ونشرها والحض عليها) أي حث الناس وتحريضهم على اتباعها (والدعوة الى الله) أي الى الايمان به وتوحيده (والى كتابه) القرآن بالايمان به والعمل بما فيه (والى رسوله) بالايمان به واتباعه (واليها) أي الدعوة الى سنته (والى العمل بها) كما مر (وقال أحمد بن محمد) هو الامام المشهور أحمد بن حنبل نفعنا الله ببركاته وهذا ما وعدناك به من نسبته الى أبيه محمد (من مفروضات القلوب) أي مما فرض ووجب اعتقاده وجزم القلوب به (اعتقاد) وجوب (النصيحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم) بالمعنى المتقدم (وقال أبو بكر الآجري) الحافظ

(وغيره) أى من علماء الامة (النصح له يقتضى نصحين) أى باختلاف حالاته (نصحا فى حياته ونصحا بعد مماته ففى حياته نصح أصحابه له بالنصر) أى بالمعاونة (والمحاماة) أى بالمدافعة (عنه) أى عن ذاته (ومعاداة من عاداه والسمع والطاعة له) أى بالقبول والانقياد لامره ونهيه (وبذل النفوس والاموال دونه) أى عنده حمايةً لجماله ورعايةً لاحواله (كما قال تعالى) فى حقهم (رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه) أى من الثبات معه حال بلائه ورخائه ووقت قتاله مع اعدائه (الآية) أى فمنهم من قضى نحبه أى نذره وعهده ومنهم من ينتظر أى وعده وما بدلوا تبديلا أى غيروا تحويلا وهم الانصار (وقال) أى فى حقهم أيضا (وينصرون الله) أى دينه (ورسوله الآية) أى أولئك هم الصادقون وهم المهاجرون (وامانصيحة المسلمين له بعد وفاته فالتزام التوقير والاجلال) أى ملازمة التعظيم والتكريم (وشدة المحبة له) أى بكثرة الرغبة اليه وانقياد الطاعة لديه (والمثابرة) أى المواظبة والمداومة (على تعلم سنته) وفى نسخة على تعليم سنته (والتفقه) بالرفع أو الجر أى التفهم (فى شريعته ومحبة آل بيته) أى أقاربه وعترته (وأصحابه) أى وجميع صحابته وأهل عشرته (ومجانبة من رغب عن سنته) أى مباعدة من مال عن طريقته وأعرض عن متابعة شريعته وحقيقته (وانحرف عنها) أى انصرف عن ملته بكليته وجملته (وبغضه) بالرفع أى عداوته (والتحذير منه) أى من صحبته والشفقة أى المرحمة (على أمته والبحث عن تعرف اخلاقه) أى تعلم شمائله وتفهم فضائله (وسيره وآدابه والصبر على ذلك) أى ماذكر من أقواله وأفعاله وأحواله (فعلى ماذكره) أى الآجرى (تكون النصيحة احدى ثمرات المحبة وعلامة من علاماتها كما قدمناه) أى فى تحقيق المحبة بانها نتيجة الطاعة والمتابعة (وحكى الامام أبو القاسم القشيرى) وهو الاستاذ صاحب الرسالة الصوفية

وقد تقدم بيانه (وغيره) من الائمة (النصح له) صلى الله تعالى عليه وسلم (يقتضى نصحين) أى منقسم الى قسمين (نصحا فى حياته ونصحا بعد مماته ففى حياته) أى النصح له وهو حى (نصح أصحابه) أى هو نصح أصحابه أو كنصح أصحابه (له بالنصر) له على أعدائه (والمحاماة عنه) بدفع السوء عنه ومن يريده (ومعاداة من عاداه) ببغضه وتنقيصه وعدم موالاته (والسمع) أى امتثال مايقوله وقبوله كما فى قوله سمع الله لمن حمده فانه فسر بقبله (والطاعة له) أى الانقياد التام (وبذل النفوس) أى الذوات والارواح (والاموال دونه) أى صرفها والجود بها فى حمايته صلى الله تعالى عليه وسلم وتقديمها دون مايضره (كما قال الله تعالى من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الآية) أى عاهدوا الله على بذل أرواحهم وأموالهم فى سبيل الله ونصرة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم فوفوا بعهدهم وهذه الآية كما فى الصحيحين نزلت فى أنس بن النضر وكان شق عليه انه لم يحضر بدرا وقال أول مشهد من مشاهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم غبت عنه لئن أرانى الله تعالى مشهدا بعده ليرى الله ما أصنع فلما كان من العام المقبل وقعة أحد استقبله سعد بن مالك فقال له يا أبا محمد الى أين قال واها لريح الجنة أجدها دون أحد فقاتل حتى قتل رضى الله تعالى عنه ووجد فيه بضعا وثمانين ما بين طعنة وضربة (وقال الله تعالى وينصرون الله ورسوله الآية أولئك هم الصادقون وهذه الآية نزلت فى المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم ابتغاء رضوان الله (واما نصيحة المسلمين له صلى الله عليه وسلم بعد وفاته فالتزام التوقير) أى الادب والتعظيم (والاجلال) لقدره برفع ذكره وتعظيمه (وشدة المحبة له) بكونه أحب عنده من نفسه وأهله وماله (والمثابرة) بمثلثة وموحدة وراء مهملة أى المداومة والمحافظة (على تعلم سنته) وفى نسخة تعليم وسنته طريقته وهديه أو حديثه (والتفقه فى شريعته) بفهم معانيها والعلم باحكامها (ومحبة آل بيته) وهم أقرباؤه الذين لا تحل لهم الزكاة وقد تقدم بيانهم (وأصحابه) وهم كل من اجتمع به صلى الله عليه وسلم مؤمنا ومات على ذلك (ومجانبة من رغب عن سنته) أى البعد عن كل من تركها وعدم الركون اليه (وانحرف عنها) أى مال عنها ورغب فى غيرها (وبغضه) أى اظهار عداوته (والتحذير منه) من لا يعرفه بان يعرفهم حاله وينهاهم عن استماع كلامه (والشفقة على أمته) أى اللطف بهم والاحسان اليهم لاجله صلى الله تعالى عليه وسلم لا لامر آخر (والبحث) أى التفتيش (عن تعرف أحواله) صلى الله تعالى عليه وسلم أى أحواله المعروفة وفى نسخة أخلاقه (وسيرته) قال المرزوقى معناها حالة من أحوال السير ثم أجرى مجرى الشيم والعادات انتهى (وآدابه) ليقتدى بها (والصبر على ذلك) أى حبس النفس عليها بحيث تصير طبيعة له (فعلى ماذكره) أى الخفاف أو الآجرى (تكون النصيحة احدى ثمرات المحبة) لان كل ماذكره متفرع عليها كما يعرفه من له تأمل (وعلامة من علاماتها كما قدمناه) فى فصل العلامات ولذا قدم المصنف رحمه الله تعالى أمر المحبة على النصيحة كما مر (وحكى الامام أبو القاسم القشيرى) عبد الملك بن هوازن بن عبد الملك النيسابورى صاحب الرسالة وشيخ الطريقة فريد دهره علما وعملا وعمدة أهل السنة وفقهاء الشافعية الجامع بين الشريعة والحقيقة

(ان عمرو) بفتح أوله (بن الليث أحد ملوك خراسان ومشاهير الثوار) هو بالثاء المثلثة المضمومة وتشديد الواو وفى آخره راء وهم الابطال الشجعان (المعروف بالصفار) بتشديد الفاء (رؤى) بضم الراء وكسر الهمزة على انه مجهول رأى ويروى بكسر الراء فتحتية ساكنة فهمزة مفتوحة على انه مجهول راء لغة فى رأى على ما فى القاموس (فى النوم) أى بعد موته (فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لى) أى ذنوبى (فقيل له بماذا) أى باى سبب غفر لك (فقال صعدت) بكسر عينه أى طلعت (ذروة الجبل) بكسر المعجمة وضمها ويحكى فتحها أى اعلاه (يوما) أى من الايام (فاشرفت على جنودى) أى اطلعت عليهم (فاعجبنى كثرتهم فتمنيت انى حضرت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أى فى بعض غزواته أو سراياه (فاعنته ونصرته) أى على أعداه (فشكر الله لى ذلك) أى جازانى بمثوبته وأثنى على وذكرنى عند ملائكته (وغفر لى) أى وسامحنى فيما وقع منى وصدر عنى لخلوص نيتى وصدق طويتى انتهى كلام القشيرى (واما النصح لائمة المسلمين) أى من العلماء العاملين والامراء الكاملين (فطاعتهم فى الحق) أى ثابتة على الخلق وواجبة الا انه عليه الصلاة والسلام قال لاطاعة لمخلوق فى معصية الخالق رواه أحمد والحاكم عن عمران رضى الله تعالى عنه وروى الشيخان وغيرهما عن على كرم الله وجهه ولفظه لاطاعة لاحد فى معصية الله انما الطاعة فى المعروف وقد خطب عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى اذ ولى الخلافة فقال أطيعونى ما أطعت الله فاذا عصيته فلاطاعة لى عليكم وهذا المعنى مستفاد من قوله تعالى أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم (ومعونتهم) أى ومعاونتهم قولا وفعلا فى مؤنتهم (فيه) أى فى أمر الحق وفعل العدل (وأمرهم) أى اياهم (به) أى بالحق اذا عدلوا عن العدل لكن بطريق اللطف والرفق كما هو شأن أهل الفضل وقد قال تعالى فقولا له قولا لينا وقال عز وجل ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة (وتذكيرهم اياه) أى اذا نسوه (على أحسن وجه) أى ألطف طريق (وتنبيههم على ما غفلوا عنه) بان خفى عليهم شئ من الاحكام (وكتم عنهم) بصيغة المفعول أى ستر عنهم أمر (من أمور المسلمين وترك الخروج عليهم) أى بالبغى ولو جاروا (وتضريب الناس) بالضاد المعجمة أى وترك اغراء العامة وتحريشهم

٣٨٢

وترجمته مشهورة وتقدم طرف منها توفى سنة خمس وستين وأربعمائة وعمره تسع وثمانون سنة (ان عمرو بن الليث أحد ملوك خراسان) أقليم معروف وعمرو هذا أخو يعقوب الصفار وكان يعقوب هذا كما قال المسعودى فى خلافة المعتضد بالله أحد الخلفاء العباسيين فى صغره صفارا فتغلب وصار له جيوش عظيمة فتسلطن ثم توفى سنة خمس وستين ومائتين وخلف أموالا كثيرة خلفه عليها أخوه عمرو المذكور (ومشاهير) جمع مشهور (الثوار) بضم المثلثة وتشديد الواو وألف تليها راء مهملة جمع ثائر من ثار يثور اذا هاج ووثب بقوة والمراد بهم المتغلبون على الملك فانه كان كذلك لشجاعته وكثرة جنده (المعروف بالصفار) منسوب لعمل الصفر وهو نوع من النحاس تعمل منه الاوانى وقدم وجه التسمية به (رئى) مبنى للمجهول من الرؤيا وهو مهموز أى رآه بعضهم (فى المنام) وفى نسخة فى النوم (فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لى) ذنوبى ومحى سيئاتى (فقيل بماذا) أى باى سبب هذا الذى نلته (فقال صعدت) بكسر العين فى الماضى وفتحها فى المستقبل أى ارتقيت وعلوت (ذروة) بكسر الذال المعجمة وضمها وهى أعلى كل مرتفع من (جبل) ونحوه (يوما فاشرفت على جنودى) أى رأيتهم فى مكان عال وأطلعت عليهم (فاعجبنى كثرتهم) أى حسنت عندى فسرتنى (فتمنيت أنى حضرت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أى كنت فى عصره فشهدت غزواته وحروبه بجندى (فاعنته ونصرته) على أعدائه بمقاتلتى أنا وجندى معه (فشكر الله لى ذلك) القول والتمنى كما قال ورقة

يا ليتنى فيها جذع * أحب فيها واضع

ومعنى شكر الله ثوابه وانعامه (وغفر لى) بسبب قولى هذا وقال ابن قرقول شكر الله ثناؤه عليه عند ملائكته وقيل هو مضاعفة ثوابه (واما النصح لائمة المسلمين) جمع امام وهو الخليفة والسلطان المقتدى به والمراد الحكام مطلقا هنا (ف) معناه (طاعتهم فى الحق) الموافق للشرع اذ لاطاعة لمخلوق فى معصية الله كما ورد فى الحديث ولقوله تعالى أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم (ومعونتهم فيه) أى فى الحق لا فى الباطل فالمعونة والاعانة بمعنى (وأمرهم به) أى باتباعه (وتذكيرهم اياه) بان يذكره لهم ويعظهم ويحثهم على اتباعه (على أحسن وجه) برفق وتلطيف القول وتحسينه فانه ادعى للامتثال (وتنبيههم على ما غفلوا عنه) لعدم العلم به لخفائه أو لعدم الوقوف عليه (وكتم عنهم) بان خفى عليهم فلم يبلغهم خبره (من أمور المسلمين) فيضعوه عليهم (وترك الخروج عليهم) بمخالفتهم وعصيان أمرائهم وهو معطوف على طاعتهم (وتضريب الناس) بمثناة فوقية مفتوحة وسكون الضاد المعجمة وكسر

الراء

(وافساد قلوبهم عليهم) أي على الائمة (والنصح) كان الاولى أن يقال وأما النصح (لعامة المسلمين) أي لعوامهم فهو (ارشادهم) أي دلالتهم وهدايتهم (الى مصالحهم) أي الاخروية (ومعونتهم) أي مساعدتهم ومعاضدتهم (في أمر دينهم ودنياهم بالقول والفعل) أي بما ينفعهم معاشا ومعادا (وتنبيه غافلهم) أي بتذكير ما غفل عنه (وتبصير جاهلهم) أي بتعريف ما جهله (ورفد محتاجهم) أي معاونة فقرائهم في حال بلائهم وعنائهم (وستر عوراتهم) أي باللباس أو ستر عيوبهم عن الناس (ودفع المضار عنهم وجلب المنافع) أي ايصالها (اليهم) وهو بفتح الجيم وسكون اللام مصدر وان الجلب محركة فما جلب من خيل وغيرها على ما في القاموس فقول الحلبي هنا هو بسكون اللام وفتحها ليس في محله ثم هذا كله مستفاد من قوله عز وجل وتعاونوا على البر والتقوى ومن حديثه عليه الصلاة والسلام ان الله في عون العبد مادام العبد في عون أخيه المسلم وان الخلق كلهم عيال الله وأحبهم اليه أنفعهم لعياله

(الباب الثالث)

(في تعظيم أمره ووجوب توقيره وبره) أي في تعظيم أمره بقبوله وامتثاله والتوقير التعظيم ومحله في ظاهره وباطنه وجميع أحواله والبر والاحسان أي ووجوب الاحسان الى ما يتعلق به عليه الصلاة والسلام من أهل بيته وعلماء أمته (قال الله تعالى) أي نعظم شانه وظهر سلطانه وبرهانه (يا أيها النبي انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا) أحوال مقدرة وأوصاف مقررة أي شاهدا على من أرسلناك اليهم فانت مقبول عندنا لهم وعليهم ومبشرا لمن آمن منهم بالجنة والقربة ومخوفا لمن كفر بالحرقة والفرقة (لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه الآية) أي بكمالها بالخطاب على الالتفات وفي قراءة بالغيبة أي تصدقوا وتقووا دينه وتعظموا أمره والظاهر ان الضمائر لله لقوله سبحانه وتعالى وتسبحوه ومن فرق فقد أبعد ثم اعلم ان قوله قال الله تعالى يا أيها النبي انا أرسلناك الى قوله تعالى وتوقروه هكذا وقع في أكثر الاصول وهذه الآية في سورة الفتح وليس فيها يا أيها النبي وانما هو انا أرسلناك كما هو في بعض النسخ نعم في سورة الاحزاب وقعت الآية مصدرة بقوله سبحانه وتعالى يا أيها النبي انا أرسلناك الا انه ليس فيها لتؤمنوا بالله والحاصل انه وقع تركيب بينهما بالانتقال في تصورهما (وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا) أي أمرا ومعناه لا تتقدموا ويؤيده قراءة يعقوب لا تقدموا بحذف احدى تائيه وفتح الاخرى (بين يدي الله ورسوله) أي قدامهما بمعنى قبل اذنهما وآخر الآية واتقوا الله ان الله سميع عليم

الراء المهملة ومثناة ساكنة وموحدة تحتيتين مجرور أي ترك تضريبهم وهو اغراؤهم وتحريكهم عليهم يقال ضربه اذا أغراه (وافساد قلوبهم) أي ترك افساد قلوب الناس (عليهم) بذمهم وتشهير مساويهم حتى تنفر عنهم القلوب فتؤدي الى التجري عليهم ومخالفتهم تجر الى مفاسد عظيمة (و) أما (النصح لعامة المسلمين) المراد بالعامة هنا من عدا الحكام لا العوام بالمعنى العرفي فمعناه (ارشادهم الى مصالحهم) أي دلالتهم على ما يوصلهم الى ما فيه صلاح أمورهم (ومعونتهم) أي اعانتهم (في أمر دينهم ودنياهم بالقول والفعل وتنبيه غافلهم) لما غفل عنه من مصالحه (وتبصير جاهلهم) أي تعريفه بما جهله ليكون ذا بصيرة في أموره (ورفد محتاجهم) بفتح الراء المهملة أي اعانته ويجوز كسرها فان الرفد بمعنى العطاء والصلة وكل شيء عمدته وجعلت له عونا فقد رفدته ومنه الرفادة التي كانت لقريش في الجاهلية (وستر عوراتهم) أي يستر عليهم بعض معاصيهم اذا رآها فلا يذكرها حتى يفتضح مرتكبها فاذا أرشده لتركه ذكره خفية فان النصيحة بين الملأ تقريع (ودفع المضار عنهم) أي ما يضرهم في دينهم ودنياهم (وجلب المنافع لهم) أي كل ما ينفعهم دينا ودنيا

(الباب الثالث في تعظيم أمره)

أي شأنه وقدره والامور المتعلقة به (ووجوب توقيره) أي تبجيله وترجيح ما يتعلق به (وبره) وصلته بالدعاء له والصلاة عليه وزيارة مقامه وبر أهل بيته (قال الله تعالى يا أيها النبي انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه) هكذا في أكثر النسخ وليس موافقا للتلاوة لان آية الاحزاب المصدرة بيا أيها النبي ليس فيها لتؤمنوا الى آخره والتي في الفتح انا أرسلناك دون يا أيها النبي فقيل كأنه بدأ بآية الاحزاب وثنى بآية الفتح فسقط الفاصل بينهما سهوا أو بيض له فوصله الناسخ وفي بعض النسخ انا أرسلناك فقط وشاهدا وما بعده أحوال مقدرة كجاء معه صقر صائدا به غدا والاستشهاد بالآية بناء على ما ذهب اليه الضحاك من ان الضمائر كلها له صلى الله تعالى عليه وسلم وشهادته لهم يوم القيامة بما عملوه من طاعة وغيرها وعلى هذا لو وقف على قوله وتوقروه كما أشار اليه المصنف رحمه الله تعالى وهو وقف كاف وقال القرطبي انه تام وفيه نظر فقوله تعالى (وتسبحوه) ابتداء كلام فان ضميره لله (وقال) عز وجل (يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله) تقدموا بضم أوله مضارع قدم بمعنى تقدم فتوافق القراءة الاخرى بفتحها أو هو مضارع قدمه المتعدي حذف مفعوله لتذهب النفس كل مذهب أو لتنزيله منزلة اللازم والمراد نفي التقديم رأسا وعلى كل حال فالشاهد فيها

(ويا أيها) أي وبعدها يا أيها (الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي) أي لا تجاوزوا باصواتكم حدا يبلغ صوته فضلا عن ان يعلوه بل عليكم ان تغضوها حتى يكون صوته فوق أصواتكم لتكون مزيته عليكم لائحة ومنزلته عندكم واضحة بان يخفض الصوت بين يديه ويخافت المتكلم اليه تعظيما وتكريما لديه (الآيات الثلاث) أي اقرأ الآيات الثلاث وأكملها الان البقية لها مدخل في تحقيق القضية وهي قوله سبحانه وتعالى ولا تجهروا له بالقول أي اذا كلمتموه كجهر بعضكم لبعض ان تحبط أعمالكم أي مخافة حبوطها وأنتم لا تشعرون أي بحبوطها وبطلانها ان الذين يغضون أصواتهم أي يخفضونها عند رسول الله مراعاة للادب والاجلال أو مخافة مخالفة النهي في الاقوال أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى أي جربها للتقوى ودربها المشقتها وقرنها لكلفتها والمعنى علم سرها وعلانيتها لهم مغفرة أي كثيرة لسيآتهم وأجر عظيم على طاعاتهم واعلم انه تنبغي هذه المراعاة أيضا بعد وفاته عليه الصلاة والسلام في مسجده لاسيما عند مشهده وكذا عند قراءة حديثه ومسنده وكذا عند سماع القرآن وتفسير الفرقان كما أشار

اليه سبحانه وتعالى بقوله وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون (وقال تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا) أي برفع الصوت فوق صوته أو بندائه باسمائه فلا تقولوا يا محمد يا أحمد بل قولوا يا نبي الله ويا رسول الله كما خاطبه به سبحانه وعظم شانه ذكره مجاهد وقتادة ولا منع من الجمع بين المعنيين في الآية فالمعنى نادوه باوصافه الجميدة المذكورة في كلام الرب مع خفض صوت مراعاة للادب (فاوجب الله) أي تعالى على خلقه (تعزيره وتوقيره) أي تكريمه وتبجيله (وألزم) أي اتباعه و(اكرامه وتعظيمه قال ابن (وقال عباس رضي الله تعالى عنهما تعزروه تجلوه) من الاجلال (وقال المبرد) بتشديد الراء المفتوحة وقد سبق ذكره (تعزروه تبالغوا في تعظيمه وقال الاخفش تنصرونه) الظاهر تنصروه أي دينه أو رسوله وهذه المباني متقاربة المعاني واعلم ان من يقال له الاخفش ثلاثة أصغر وهو أبو الحسن علي ابن سليمان بن الفضل المعروف بالاخفش الصغير النحوي كان عالما روى عن المبرد وثعلب وغيرهما وروى عنه الحريري وغيره وهو ثقة توفي في شعبان سنة خمس عشرة وثلثمائة فجأة ببغداد وأما الاوسط فهو أبو الحسن سعيد بن مسعدة المجاشعي بالولاء النحوي البلخي المعروف بالاخفش النحوي أحد نحاة البصرة من أئمة العربية وأخذ النحو عن سيبويه وكان أكبر منه وكان يقول ما وضع سيبويه في كتابه شيأ الا وعرضه على رحمه الله تعالى وكان يرى انه أعلم به مني وأنا اليوم أعلم به منه وهذا هو الذي زاد في العروض بحر المخبث وله تصانيف كثيرة منها الاوسط في النحو وتفسير معاني القرآن وغير ذلك توفي في سنة خمس عشرة ومائتين وكان يقال له الاخفش الصغير فلما ظهر علي بن سليمان المعروف بالاخفش المتقدم صار هذا وسطا وأما الاكبر فهو أبو

ظاهر فلا يتوهم انه لا شاهد فيها على القراءة المشهورة (و) قال (يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي) أي لا تجعلوا أصواتكم في خطابكم جهرا فوق جهره صلى الله تعالى عليه وسلم بالقول واخفضوها تأدبا وتكريما له فانه لعظم مقامه لا يليق عنده الصخب والعياط على عادة جفاة الاعراب في ترك الادب (الآيات الثلاث) وهي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ان تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون ان الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم واضافة ذي الالف واللام لمثله جائزة في الثلاث ونحوه كما تقرر لمن عنده علم بالعربية والشاهد فيها انه أمرهم اذا خاطبوه صلى الله تعالى عليه وسلم ان لا يجهروا وان يخفضوا أصواتهم تأدبا معه لما في الجهر من الاستخفاف المؤدي الى الكفر المحبط للاعمال لما فيه من الاهانة وعدم الاعتناء بمقام النبوة ثم أثنى على من غض صوته عنده بان الله تعالى بعد امتحانه وعده بان له مغفرة وأجرا عظيما لارتضائه له وفيه تعريض بشناعة الجهر وانه لا يغفر وان من ناداه صلى الله تعالى عليه وسلم وهو في حجراته مع أزواجه مسلوب العقل لعدم اذنه وأرشدهم الى الاولى بهم وهو الصبر حتى يخرج اليهم من نفسه من غير نداء له فيكون هو المفتتح بكلامهم والكلام على الآية مفصل في كتب التفاسير (وقال الله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا) بان تنادونه باسمه يا محمد ونحوه كما سيأتي فلا تقيسوه بغيره (فأوجب الله تعالى) على المؤمنين (تعزيره) بزاي معجمة وراء مهملة أي اجلاله (وتوقيره) أي التأدب معه (وألزم اكرامه وتعظيمه قال ابن عباس) معنى (تعزروه تجلوه) الاجلال افعال من الجلال وهو التناهي في عظم القدر ولذا خص بالله تعالى فقيل ذو الجلال والاكرام كما قاله الراغب (وقال المبرد) شيخ التفسير والعربية (تعزروه تبالغوا في تعظيمه) وهو موافق لما قاله ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وليس أخص منه كما توهم (وقال الاخفش) الكبير لتبادره وقيل هو الاوسط صاحب التفسير المسمى بالمعاني والاخافشة المشهورة ثلاثة ولقب له من الخفش وهو ضعف البصر وهو من يرى ليلا ولا يرى نهارا (تنصرونه) وقال الراغب التعزير نصرة مع تعظيم

الخطاب عبد الحميد بن حميد من أهل هجر من مواليهم وكان نحويا لغويا وله ألفاظ لغوية انفرد بنقلها وأخذ عن سيبويه وأبي عبيدة ومن في طبقتهما وهذا ملخص كلام ابن خلكان والاخفش هو الصغير العين مع سوء بصره وقد يكون الخفش علة وهو الذي يبصر بالليل ولا يبصر بالنهار ويبصر في الشئ في يوم غيم ولا يبصر في يوم صاح قاله الجوهري قال الحلبي والظاهر ان مراد القاضي هو الاوسط والله أعلم (وقال الطبري) بفتحتين وهو محمد بن جرير (تعينونه وقرئ) أو شاذا (تعززوه بزائين) بيائين لا بهمز وياء كما يتوهم (من العز) أي مجرد العز بمعنى الشدة والقوة كما قال تعالى فعززنا بثالث بالتخفيف والتشديد ونقل هنا الى التعزيز من باب التفعيل للمبالغة والتكثير (ونهى) أي الله سبحانه وتعالى وفي نسخة بصيغة المجهول (عن التقدم بين يديه بالقول وسوء الادب) أي بالفعل (بسبقه بالكلام) ويروى في الكلام (على قول ابن عباس وغيره رضي الله تعالى عنهم وهو اختيار ثعلب) وهو العلامة المحدث شيخ اللغة والعربية أبو العباس أحمد بن يزيد الشيباني مولاهم البغدادي المقدم في نحو الكوفيين مولده سنة مائتين (قال سهل بن عبد الله) أي التستري (لا تقولوا قبل أن يقول) أي لا تبدؤا بالكلام عنده (واذا قال فاستمعوا له وأنصتوا) اسكتوا قال الحجازي يروى بعكسه قلت فيصير عكس الآية والمعنى انه يجب السماع عند كلامه الذي هو الوحي الخفي كما يجب سماع القرآن الذي هو الوحي الجلي وفيه ايماء الى رعاية هذا الادب عند سماع الحديث المروي عنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال المصنف

(ونهوا) أي أصحابه وأحزابه (عن التقدم) أي المبادرة (والتعجل) وفي نسخة والتعجيل (بقضاء أمر) أي بحكم شئ (قبل قضائه فيه وأن يفتاتوا) افتعال من الفوت أي يسبقوه (بشئ) أي منفردين برأيهم دونه في تصرفهم (في ذلك من قتال أو غيره من أمر دينهم الا بامره ولا يسبقوه به) أي ولو في امر دنياهم والمعنى أن يكونوا تابعين له في جميع قضاياهم من أمور دنياهم وأخراهم (والى هذا) أي المعنى المذكور (يرجع قول الحسن) أي البصري (ومجاهد والضحاك والسدي والثوري) أي يوافق قول هؤلاء ذلك المقال في المآل (ثم وعظهم) أي نصحهم الله (وحذرهم) بالتشديد أي وخوفهم (مخالفة ذلك) المنهي هناك (فقال واتقوا الله) أي احذروا مخالفته واحترسوا من معاقبته (ان الله سميع) باقوالكم (عليم) باحوالكم (قال الماوردي اتقوه يعني في التقدم) أي بشئ من القول والفعل بين يديه قبل أن يعرف منه ميل اليه (وقال السلمي) وهو أبو عبد الرحمن (اتقوا الله في اهمال حقه) أي في الاوامر (وتضييع حرمته) أي في الزواجر (انه) وفي نسخة صحيحة (ان الله سميع لقولكم

(وقال الطبري) وهو محمد بن جرير كما تقدم (تعينونه) الاعانة أعم من النصرة والتعزير من العزر بفتح فسكون وهو الرد والدفع ثم نقل لما ذكر لما فيه من دفع العدو والنقائص ولذا قيل لما دون الحد تعزير لردعه ودفع عوده لجنايته وله معنى آخر وهو الوقوف على الاحكام (وقرئ) في الشواذ (تعززوه بزائين) معجمتين تفعيل (من العز) وهو التقوية والغلبة كما في قوله تعالى (فعززنا بثالث) والعزيز رفعة القدر وهذه كالمفسرة للقراءة المشهورة (ونهوا) أي نهاهم الله في الآية الثانية (عن التقدم بين يديه) أي بحضرته وعنده (بالقول) بان يسبقه بالكلام (وسوء الادب بسبقه بالكلام) في أمر ما (وهو قول ابن عباس وغيره واختيار ثعلب) في تفسير الآية وثعلب لقب امام العربية واللغة وهو أبو العباس أحمد بن يحيي بن يزيد الشيباني البغدادي توفي سنة احدى وتسعين ومائتين (وقال سهل بن عبد الله التستري) الامام الزاهد شيخ الطريقة في تفسير قوله تعالى لا تقدموا بين يدي الله ورسوله (لا تقولوا قبل أن يقول) فتستفتحون الكلام عنده وهو ترك أدب (واذا قال فاستمعوا له وأنصتوا) أي اسكتوا ثم عطف عليه عطف تفسير قوله (ونهوا عن التقدم والتعجل بقضاء أمر قبل قضائه فيه) أي في الامر (وان يفتاتوا) أي يستبدوا ويستقلوا (بشئ في ذلك) أي في قضاء أمر من الامور عنده يقال افتات بفاء وهمزة أصلية عند أبي عمرو وغيره من أهل اللغة أو هي مبدلة من حرف العلة كما قالوا في رثيت الميت رثاته فهو من الفوت عند بعضهم ويقال افتات بالف ويقال افتات الباطل اذا اختلقه (من قتال أو غيره من أمر دينهم الا بامره ولا يسبقوه به والى هذا) المذكور في تفسير الآية (يرجع قول الحسن) البصري (ومجاهد والضحاك والسدي وسفيان) (الثوري) يعني انهم فسروا الآية بما هذا حاصله وما له اشارة الى ان أكثر المفسرين ارتضوه (ثم وعظهم الله) في الآية بعد ما ذكر (وحذرهم مخالفة ذلك) أي أمره في قضائه بعد ما نهاهم عن سبقه بالقول (فقال واتقوا الله) فدل على ان مخالفه غير متق (ان الله سميع) لاقوالهم عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (عليم) بافعالهم فهو رقيب عليهم يخشى من غضبه وعقابه ففيه من الموعظة والتحذير ما لا يخفى (قال الماوردي) أبو الحسن وقد تقدم ذكره (اتقوه يعني) أي يريد الله به هنا (في التقدم) بقرينة أول الآية وان كان مطلقا (وقال السلمي) أبو عبد الرحمن كما تقدم (اتقوا الله في اهمال) أي (ترك حقه وتضييع حرمته) أي احترامه وتوقيره (انه سميع لقولكم

عليم بفعلكم ثم نهاهم عن رفع الصوت فوق صوته) تعظيما لمقامه وتكريما لمرامه (والجهر) أي ونهاهم عن الجهر (له بالقول) أي في محاوراتهم (كما يجهر بعضهم لبعض) في مخاطباتهم (ويرفع) أي بعضهم (صوته) أي لبعض في مجلسه (وقيل) أي روي (كما ينادي بعضا بعضهم باسمه) كما هو أحد القولين في قوله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا على ما تقدم والله أعلم (وقال أبو محمد مكي أي لا تسابقوا بالكلام وتغالظوا)

بضم التاء وكسر اللام أي ولا تغلظوا (له بالخطاب) أي بالقول

علیم بفعلكم) فسبقه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالقول ترك أدب من فعله لم يراع حقه ولا وقر حرمته فهو في معنى ما قبله (ثم انه تعالى نهاهم عن رفع الصوت فوق صوته) في الآيات الاخيرة وأعاد النداء اهتماما به وتنبيها على انه أمر آخر مستقل بالنهي ورفع الصوت بشدة الجهر سوء الادب وغلظة يعتادها العوام (والجهر له) صلى الله تعالى عليه وسلم عطف تفسير على رفع الصوت (بالقول كما يجهر بعضهم لبعض ويرفع صوته) المراد النهي عن ارتفاع الاصوات عنده وان لم يكن الخطاب له في النداء (وقيل كما ينادي بعضهم بعضا) فالمراد برفع الصوت النداء فنهاهم عن ان ينادونه كما ينادي بعضهم بعضا (باسمه) فعبر عن النداء برفع الصوت لانه يلزمه غالبا فهو كقوله (لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا) وبيانه ما (قال أبو محمد مكي) وهو مكي ابن أبي طالب القيسي واني المالكي نزيل قرطبة كان متبحرا في العلوم لاسيما علوم القرآن متواضعا مجاب الدعوة له تصانيف جليلة منها تفسيره المسمى بالهداية وكتب أحكام القرآن توفي سنة سبع وثلاثين وأربعمائة (أي لا تسابقوه بالكلام) هو معنى قوله لا تقدموا الى آخره (وتغالظوا له بالخطاب) أي تخاطبوه بغلظة وأصل الغلظة ضد الرقة في الاجسام ثم شاع في المعاني والخطاب توجيه الخطاب للغير والمراد به هنا الكلام المخاطب به (ولا تنادوه باسمه نداء بعضكم بعضا) أي كنداء بعضكم فهو منصوب على المصدر به وهو عطف تفسير (ولكن عظموه ووقروه ونادوه باشرف ما يحب ينادى به يانبي الله يارسول الله) بدل من أشرف وهذا معنى قوله لا تجهروا له بالقول لان كثيرا من جفاة الاعراب دأبهم فيما بينهم هذا (وهذا) أي ما قاله مكي (كقوله في الآية الاخرى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا) وجهه ان النهي عن الشئ أمر بضده أو بتضمنه وقد نهى الله تعالى عن هذه الامور التي تقتضي اهانته فكأنه أمر بتعظيمه وتوقيره (على أحد التأويلين) أي التفسيرين اللذين ذكرا في التفاسير وهو أن يكون الدعاء بمعنى النداء والتسمية أي لا تنادوه باسمه رافعين أصواتكم بان تقولوا يا محمد يا أبا القاسم كما ينادي بعضكم بعضا اذا طلب اقباله بل خاطبوه بادب فقولوا يارسول الله يانبي الله يا خير خلق الله ونحوه والثاني أن يكون المراد بالدعاء الدعاء على أحد أي لا تظنوا ان دعاءه كدعائكم يحتمل الاجابة وعدمها كدعائكم سواء كان بخير أو شر فان الله ضمن له اجابة دعائه ووعده بها من لا يخلف الميعاد وهذا غير مراد هنا كما أشار اليه المصنف رحمه الله تعالى وهو الذي قاله مكي (قال غيره) أي غير مكي معنى الآية أي لا تجهروا له بالقول الى آخره (لا تخاطبوه الا مستفهمين) وفي نسخة الامشفقين من الاشفاق وهو الخوف وعلى الاول معناه الاسائلين له متعلمين منه بالادب (ثم خوفهم الله عز وجل) من (ان تحبط أعمالهم ان هم فعلوا ذلك) أي جهروا له بالقول ولم يتادبوا عنده (وحذرهم منه) أي من فعلهم هذا بقوله ان تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون فان تحبط في محل نصب بنزع الخافض أو بحذف المضاف أي لان لا تفعلوا ما يؤدي الى احباط أعمالكم بالاستخفاف به وهو كفر فليس فيه دليل لاحباط الاعمال بالكبيرة كما قاله المعتزلة والخوارج قال في الامتاع من خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم انه لا يجوز لاحد

(ولا تنادوه باسمه) أي العلم (نداء) كمناداة (بعضكم بعضا) أي باسمه الذي سماه به أبواه (ولكن عظموه) أي باطنا (ووقروه) أي ظاهرا (ونادوه باشرف ما يحب) أي ما يعجبه (أن ينادى به) أي من وصف رسالة أو نعت نبوة بان تقولوا (يارسول الله يانبي الله) أي وأمثالهما من نحو يا حبيب الله يا خليل الله وهذا في حياته وكذا بعد وفاته في جميع مخاطباته (وهذا) أي مقول مكي (كقوله) أي كقول الله سبحانه وتعالى (في الآية الاخرى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا على أحد التأويلين) أي التفسيرين المشهورين في الآية وقد قدمناهذا التأويل عن مجاهد وقتادة في أول الباب والتأويل الآخر هو ما روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما احذروا دعاء الرسول عليكم اذا أسخطتموه فان دعاءه موجب ليس كدعاء غيره (وقال غيره) أي غير مكي (لا تخاطبوه الا مستفهمين) أي عن قول أو فعل تريدون صدوره منكم أيجوز هذا أم لا وفي رواية الامشفقين أي وجلين خائفين (ثم خوفهم الله بحبط أعمالهم) بفتح الحاء وسكون الباء أي بحبوطها وابطالها (ان هم فعلوا ذلك) أي المنهي هناك (وحذرهم منه) أي مما يتعلق به من المهالك

(قيل نزلت الآية) أي الآية التي بعد هذه الآيات وهي قوله تعالى ان الذين ينادونك من وراء الحجرات (في وفد بني تميم وقيل في غيرهم أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فنادوه) أي على عادة الاعراب فيما بينهم عند الوقوف على الابواب (يا محمد يا محمد) مرتين (أخرج الينا فذمهم الله تعالى بالجهل) أي الغالب عليهم (ووصفهم بان أكثرهم لا يعقلون) أي آداب أولى الالباب وابعد الدلجي حيث قال المراد بالآية قوله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول فانه يابى عنه قوله فذمهم الله الى آخره ومما يدل على ما اخترناه قوله (وقيل نزلت الآية الاولى) أي ما قبل هذه الآية وهو قوله تعالى لا ترفعوا اصواتكم (في محاورة) بحاء مهملة أي مكالمة ومجاوبة (كانت) أي وقعت (بين أبي بكر وعمر بين يدي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي قدامه (واختلاف) ويروى لاختلاف (جرى بينهما حتى ارتفعت اصواتهما) أي امامه فنهيا عن ذلك وغيرهما كذلك لان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب روى انه قدم ركب من بني تميم على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه أمر القعقاع بن سعيد بن زرارة وقال عمر رضي الله تعالى عنه أمر الاقرع بن حابس قال أبو بكر ما أردت الا خلافي قال عمر ما أردت خلافك فتماريا حتى ارتفعت اصواتهما فنزلت (وقيل نزلت) كما روى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما (في ثابت بن قيس بن شماس) بتشديد الميم وتخفف (خطيب النبي صلى الله عليه وسلم في مفاخرة بني تميم) فعن جابر قال جاءت بنو تميم فنادوا على الباب أخرج الينا يا محمد نحن ناس من بني تميم جئنا بشاعرنا وخطيبنا لنشاعرك ونفاخرك فخرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال ما بالشعر بعثت ولا بالفخر أمرت ولكن هاتوا فقام شاب منهم فذكر فضله وفضل قومه فقال صلى الله تعالى عليه وسلم لثابت بن قيس قم فاجبه فقام فاجابه وكان أحسن قولا

ان يناديه باسمه وما ورد في الحديث من ان اعرابيا قال له صلى الله تعالى عليه وسلم يا محمد أنا رسول لك الى آخره صدر منه قبل اسلامه أو قبل النهي أو قبل علمه به ثم انه لو ناداه أحد بكنيته فقال يا أبا القاسم هل يحرم أم لا انتهى و يأتي ما فيه وان هذا مخصوص بحياته ولا يخفى ان هذا مقيد بما فيه استخفاف فلو اقتضته حال لم يحرم كما في حال الحرب والمجادلة (قيل نزلت الآية في وفد بني تميم) قبيلة مشهورة سموا باسم جدهم والوفد جمع وافد وهو القادم على العظماء لامر ما وكان ذلك في سنة تسع وهو سنة الوفود وكان صلى الله تعالى عليه وسلم ارسل لهم سرية فهجموا عليهم واخذوا مواشيهم واسارى قدموا بها المدينة فحبسوا في دار رملة بنت الحارث فارسلوا عدة من رؤسائهم فجاؤا بابه صلى الله تعالى عليه وسلم ونادوا يا محمد أخرج الينا كما فصل في السير (وقيل) نزلت الآية (في غيرهم) أي غير بني تميم من العرب (أتوا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فنادوه) من خلف داره (يا محمد أخرج الينا فذمهم الله تعالى بالجهل) بمقام النبوة وترك الادب (ووصفهم بان أكثرهم لا يعقلون) بقوله تعالى ان الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون (وقيل نزلت الآية الاولى) أي قوله لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي (في محاورة) بميم مضمومة وحاء وراء مهملتين وهي المجادلة ومراجعة القول (بين أبي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما بين يدي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي في مجلسه وحضوره (واختلاف جرى) أي وقع (بينهما حتى ارتفعت اصواتهما) وهما كما في البخاري عن الزبير رضي الله عنه وهو ان أبا بكر رضي الله تعالى عنه قال في أمر بني تميم لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أمر عليهم القعقاع بن معبد فقال عمر رضي الله تعالى عنه بل الاقرع بن حابس فقال أبو بكر ما أردت الا خلافي فقال عمر ما أردت خلافك وتماريا حتى ارتفعت أصواتهما فنزلت الآية فما كان عمر بعدها يسمع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حتى يستفهمه والحكم عام وسببه خاص وقيل انه في أمر الزبرقان والذي ارتضاه السيوطي الاول (وقيل نزلت الآية) كما روى عن ابن عباس (في ثابت) بن قيس (بن شماس) ابن مالك بن امرء القيس الخزرجي الانصاري وكان خطيب الانصار وكان أيضا (خطيب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) ليس المراد بالخطيب خطيب الجمعة والعيدين بل ما كان من عادة العرب اذا اجتمعوا المهم يقوم واحد منهم و يذكر كلاما بليغا مقدمة للامر الذي اجتمعوا له كالمفاخرة وتفضيل بعضهم بعد ما تره فكان له صلى الله تعالى عليه وسلم خطباء عند الوفود وشعراء كحسان رضي الله عنه (في مفاخرة بني تميم) لما قدم وفدهم صلى الله تعالى عليه وسلم وشرف و كرم ودخلوا المسجد ونادوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أخرج الينا يا محمد و رفعوا أصواتهم فاذى رسول الله صلى الله عليه وسلم صياحهم فخرج اليهم فقالوا جئناك لنفاخرك فاذن لخطيبنا وشاعرنا فاذن لهم فقام خطيبهم وهو عطارد فقال الحمد لله الذي له علينا الفضل والمن وهو أهله الذي جعلنا ملوكا ووهب لنا أموالا عظاما نفعل فيها المعروف وجعلنا أعز أهل المشرق وأكثره عددا وعدة فمن مثلنا في الناس ألسنا برؤس الناس وأولى فضلهم فمن فاخرنا فليعد مثل عددنا ولو شئنا الاكثرنا الكلام ولكنا نحياء من الاكثار فيما أعطانا وانا نعرف بذلك أقول هذا الان يأتوا بمثل قولنا أو أمر أفضل من أمرنا ثم جلس فقال النبي

(وكان في اذنيه صمم) أي ثقل (فكان يرفع صوته) أي عند تكلمه وربما تاذى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم به (فلما نزلت هذه الآية) أي آية لا ترفعوا (أقام في منزله) أي بيت نفسه وحرم من مجالس أنسه عليه الصلاة والسلام (وخشي ان يكون حبط عمله ثم) أي بعد تفقده عليه الصلاة والسلام له واطلاعه على خبره وطلبه الى محضره (أتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي معتذرا (فقال يا نبي الله لقد خشيت) أي بعد نزول هذه الآية (ان أكون هلكت) أي محبوط عملي وقنوطا أملي (نهانا الله ان نجهر بالقول) أي مطلقا في الشرع (وأنا امرؤ جهير الصوت) بحسب الطبع (فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي تسلية له عما تقدم (يا ثابت ما ترضى ان تعيش حميدا وتقتل شهيدا وتدخل الجنة) أي سعيدا (فقتل يوم اليمامة) في خلافة الصديق تحقيقا للكرامة (وروى) كما أخرجه البزار من طريق طارق بن شهاب (ان أبا بكر رضي الله تعالى عنه لما نزلت هذه الآية) أي لا ترفعوا أصواتكم (قال والله لا أكلمك بعدها) وفي نسخة صحيحة بعد هذا (الا كأخي السرار) بكسر السين المهملة أي الا مشابها لصاحب النجوى والمساررة والمعنى لا اكلمك الا سرا (وان عمر رضي الله تعالى عنه) كما في البخاري (كان اذا حدثه) أي كلمه عليه الصلاة والسلام (حدثه

صلى الله تعالى عليه وسلم لثابت بن قيس بن شماس الخزرجي قم فاجبه فقام وقال الحمد لله الذي السموات والارض خلقه قضى فيهن أمره ووسع كرسيه علمه ولم يكن شيء قط الا من فضله ثم كان من قدرته ان جعلنا ملوكا واصطفى من خير خلقه رسولا أكرمه نسبا واصدقه حديثا وأفضله حسبا فانزل عليه كتابه وائتمنه على خلقه فكان خيرة الله تعالى من العالمين دعا الناس الى الايمان به فآمن برسوله المهاجرون من قومه وذوي رحمه اكرم الناس احسابا وأحسنهم وجوها وخيرهم فعالا ثم كنا أول الخلق اجابة لله تعالى حين دعانا رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم فنحن أنصار الله ووزراء رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم نقاتل الناس حتى يؤمنوا فمن آمن بالله ورسوله منع ماله ودمه ومن كفر جاهدناه وكان قتله علينا يسيرا أقول قولي هذا واستغفر الله للمؤمنين والمؤمنات والسلام عليكم ثم قام شاعرهم الزبرقان بن بدر فانشد شعرا في فخر قومه فامر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حسان فاجابه كما هو مبسوط في السير فاسلم بنو اتميم فردعليهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سبيهم ومالهم وروي انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال ما بالشعر بعثت ولا بالفخر ولكن هاتوا ما عندكم (وكان في اذنيه) أي في اذني ثابت رضي الله تعالى عنه (صمم فكان يرفع صوته) أي كان هذا دأبه كما نراه فيمن به صمم وانما المحتاج لرفع الصوت من يكلمه ليسمعه أو نسب الرفع له لانه سببه والاول هو المراد كما صرح به (فلما نزلت هذه الآية) التي نهت عن رفع الاصوات عنده (أقام في منزله) يعني لم يأت مجالس رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (وخشي ان يحبط عمله) برفع الصوت عنده صلى الله تعالى عليه وسلم (ثم أتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) ليعتذر له عن سبب تخلفه عنه بعدما سأل عنه (فقال يا نبي الله لقد خشيت ان أكون هلكت) أي تحقق هلاكي لاني ان حضرت عندك بطل عملي وان تخلفت فاتني كل خير وليس المراد بلزوم منزله انه ترك حضور صلاة الجماعة معه لمرض لحقه من شدة خوفه كما قيل اذ ليس هنا ما يدل عليه وقد بين موجب هلاكه الذي تحقق عنده حتى كأنه وقع بقوله (نهانا الله تعالى ان نجهر بالقول) عندك (وأنا امرؤ جهير الصوت فقال) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (يا ثابت أما ترضى ان تعيش حميدا) أي محمودا عند الله تعالى والناس وهذا يدل على قبول عمله وانه لا يحبط فهو الجواب حقيقة (وتقتل شهيدا) فيكون لك خير الدنيا والآخرة (وتدخل الجنة) وفيه معجزة له صلى الله عليه وسلم لاخباره بالغيب كما أشار اليه بقوله (فقتل يوم اليمامة) أي في وقعة اليمامة في خلافة أبي بكر الصديق سنة ثنتي عشرة في ربيع الاول وهي وقعة مسيلمة المشهورة واليمامة اسم مدينة من جانب اليمن على مرحلتين من الطائف واربع من مكة وكان خرج في وقعتها مع خالد بن الوليد فلما التقوا لم يثبتوا فقال ثابت وسالم مولى أبي حذيفة ما هكذا كنا نقاتل مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فحفر كل واحد منهما حفرة له وثبتا وقاتلا حتى قتلا (وروي) رواه طارق بن شهاب (ان أبا بكر الصديق رضي الله تعالى عنه (لما نزلت هذه الآية) لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (قال) أبو بكر رضي الله عنه امتثالا لقول الله تعالى وخوفا من مخالفة نهيه ولذا اكده بالقسم فقال (والله يا رسول الله لا أكلمك بعدها) أي بعد نزول هذه الآية (الا كأخي السرار) أي الا كلاما خفيا كالمسارة وهي الكلام بخفية حتى لا يسمعه من عنده والسرار بكسر السين مصدر ساره مسارة وسرارا وهي مفاعلة من السر والاخ في النسب معروف يتجوز به عن المثل والشبه كقولهم كان واخواتها ويكون بمعنى الصاحب والمراد الاول ويجوز ارادة الثاني وهذا مروي عن ابن عباس وعمر رضي الله تعالى عنهما أيضا كما ذكره المصنف رحمه الله تعالى بقوله (وان عمر كان اذا حدثه) صلى الله تعالى عليه وسلم

(حدثه كأخي السرار) أي في خفض صوته كما بينه بقوله (ما كان يسمع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) بضم الياء وكسر (بعد الآية) وفي نسخة بعد هذه الآية أي بعد نزولها (حتى يستفهمه) أي النبي صلى الله عليه وسلم من عمر عما ساره به لكمال اخفائه (فانزل الله فيهم) أي في أبي بكر وعمر وأمثالهما رضي الله تعالى عنهم (ان الذين يغضون أصواتهم) أي يخفضونها (عند رسول الله) مراعاة للادب أو محاذرة من مخالفة الرب (أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى)

أي جربها لها ومرنها عليها حتى صاروا أقوياء على احتمال مشاقها من أنواع الابتلاء وقيل اختبرها وأخلصها كما يمتحن الذهب بالنار فيخرج خالصه (وقيل نزلت ان الذين ينادونك من وراء الحجرات في غير وفد بني تميم) أي كما هو صريح فيما قدمناه (نادوه باسمه وروى عن صفوان بن عسال) بمهملتين وتشديد الثانية صحابي مشهور وقد أخرج عنه الترمذي والنسائي (انه قال بينا) بالف معوضة عن المضاف اليه أي بين أوقات كان ويروى بينما (النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في سفر اذ ناداه اعرابي) نسبة الى اعراب البادية من آثار الجهل عليهم بادية (بصوت له جهوري) بفتح الجيم والواو أي شديد عال والواو زائدة قال الجوهري جهر بالقول رفع صوته وجهر وهو رجل جهوري الصوت وجهير الصوت (أبا محمد أبا محمد) وفي نسخة صحيحة أبا محمد ثلاث مرات (فقلنا له أغضض) بضم غينه أي اخفض (من صوتك فانك) أي في ضمن غيرك (قد نهيت عن رفع الصوت) أي عند النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (قال الله تعالى) أي تعظيما له وتعليما لنا (يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا) أي لا تخاطبوه بها واختلف في سببه (قال بعض المفسرين هي لغة كانت في الانصار) بمعنى راقبنا وتأن علينا حتى نفهم كلامك الوارد الينا (نهوا عن قولها) أي هذه الكلمة تعظيما (للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم) و(تبجيلا له) أي تفخيما

(حدثه كأخي السرار) وهذه العبارة من كلامهم قديما (ما كان يسمع) بضم الياء وكسر الميم وفاعله ضمير أبي بكر أو عمر (رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بعد) نزول (هذه الآية حتى يستفهمه) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لشدة اخفائه كلامه وهو تفسير لقوله كأخي السرار (فانزل الله تعالى فيهم) أي في حق أبي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما ومن ضاهاهما كما ثبت مدحا لهم (ان الذين يغضون أصواتهم) أي يخفونها (عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم) والامتحان التجربة والمراد انه عاملهم معاملة المختبر ليظهر للناس أدبهم وتقواهم واستحقاقهم للاجر العظيم (وقيل نزلت) آية (ان الذين ينادونك) الى آخره (في غير بني تميم) من الاعراب (نادوه باسمه) لجهلهم بمقامه وعدم أدبهم (وروى) رواه الترمذي والنسائي (عن صفوان بن عسال) بفتح العين والسين المشددة المهملتين ابن الربض بن زاهد المرادي الكوفي الصحابي المشهور روى عنه الستة (بينا) بالف كافة كبينما وفي نسخة بينما (رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في سفر اذ ناداه اعرابي بصوت له جهوري) بفتح الجيم وسكون الهاء وواو مفتوحة أي صياح شديد يقال جهور وجهر اذا رفع صوته وهو جهوري الصوت وجهيره أي رفيعه وبين ظرف مكان أو زمان تجاب بجملة وقد تقرن باذ واذا الفجائية والافصح تركها كقوله

فبينما نحن نرقبه أتانا * معلق وفضه وزناد راعي

وتقع بعدها الجمل اذا كفت بما أو ألف (أبا محمد أبا محمد) مرتين وفي نسخة ثلاثا وأيا ينادى بها البعيد (فقلنا له) أي قال له الصحابة تعليما له وتاديبا (اغضض من صوتك) أي لا ترفعه (فانك قد نهيت عن رفع الصوت) أي نهاك الله تعالى عنه حذف فاعله للعلم به واعلم ان رفع الصوت يكره في بعض المواضع كمجلس العظماء اذا تكلف ذلك من غير داع وقد يستحب في بعض المواضع كالاذان وكمجالس الوعظ والخطبة ولذا روى انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان اذا خطب وذكر الساعة غضب وعلا صوته حتى يسمع بالسوق وكانت العرب تفخر بالصوت الجهير كما قيل

جهير الكلام جهير العطاس * جهير الرواء جهير النغم

فنهى الله عما اعتادوه في الجاهلية وقول لقمان لابنه اغضض من صوتك نهي عن الجهر تهاونا بالناس ثم ذكر من توقيره صلى الله تعالى عليه وسلم أمرا آخر فقال (وقال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا) كان المؤمنون يقولونه لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خاطبهم يريدون تأن في خطابك حتى نفهم كلامك فراع مقامنا فانا لسنا فهماء مثلك فانظر لحالنا فانتهز اليهود الفرصة وقالوه لانها كانت كلمة يتسابون بها كما يأتي عن الكشاف (قال بعض المفسرين هي لغة في الانصار) كانوا يقولونها في محاوراتهم اذا أرادوا التفهم (نهوا عن قولها تعظيما للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم) لايهامها ولاعتياد خطاب الاقران (وتبجيلا له) أي تفخيما له صلى الله تعالى عليه وسلم وهو أبلغ من التعظيم لان معناه

(لان معناها) أى مفهوم كلمة راعنا وهو الامر بالمراعاة من باب المفاعلة (أرعنا) بفتح العين أمر من الرعاية (نرعك) مجزوم على جواب
الامر (فهو عن قولها اذ مقتضاها

كأنهم لا يرعونه الا برعايته لهم بل حقه ان يرعى) بصيغة المجهول
أى يلاحظ ويحافظ (على كل حال) أى سواء رعاهم أم لا (وقيل بل كانت اليهود) أى حين سمعوا هذه الكلمة من الآية انتهزوا الفرصة بما عندهم من الغنيمة (تعرض بها) من التعريض بمعنى الكناية (للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم بالرعونة) وهى الحماقة والمعنى تلوح بهذه الكلمة المستعملة فى مبناها مرادا بها غير مقتضاها من مبناها (فنهى المسلمون عن قولها) أى وأمروا ان يقولوا وانظرنا بدلها (قطعا للذريعة) أى الوسيلة الى مقاصدهم الشنيعة (ومنعا للتشبه) أى تشبه المؤمنين (بهم فى قولها) أى فى التفوه بها (لمشاركة اللفظة) أى اللفظة فى المبنى ومخالفتها فى المعنى (وقيل غير هذا) أى غير ماذكر من التفسيرين فى معنى الآية محله الكتب المطولة

(فصل)

(فى عادة الصحابة فى تعظيمه عليه الصلاة والسلام وتوقيره واجلاله) الاولى تاخير عليه الصلاة والسلام الى هذا المقام

(حدثنا القاضي أبو على الصدفى) بفتحتين وهو ابن سكرة

قال له بجل أى حسبك (لان معناها أرعنا نرعك) من المراعاة أى احفظنا نحفظك (فنهوا عن قولها) أى هذه الكلمة (اذ مقتضاها) على تفسيرها السابق (انهم لا يرعونه) ويراعون مقامه (الا برعايته لهم) لان المعنى أرعنا نرعك (بل حقه) اللائق به (ان يرعى على كل حال) راعاهم أم لا بخلاف انظرنا فان معناها انظر الينا وفهمنا وبين لنا وهيئ كل أدب فلذا أمر الله تعالى بان يقال له انظرنا دون راعنا (وقيل كانت اليهود تعرض بها له صلى الله تعالى عليه وسلم بالرعونة) وهى الخفة والحماقة وجعلها تعريضا لانها تحتمل الرعاية احتمالا ظاهرا وقول البرهان انها انما تأتى على قراءة شاذة راعنا بالتنوين والنصب ليس بشئ لانه لو كان كذلك كان تصريحا لا تعريضا ولذا روى ان اليهود قالوا كنا نسب محمدا سرا فصار ذلك علنا فكانوا يقولون يا محمد راعنا ويضحكون ففطن لهم سعد بن معاذ رضى الله عنه فقال لليهود عليكم لعنة الله والله لاضربن عنق من سمعته يقولها (فنهى المسلمون) مبنى للمفعول أى نهاهم الله عز وجل (عن قولها قطعا للذريعة) الذريعة فى اللغة الوسيلة والسبب وقال بعض شراح المدونة ان أصل معناها لغة جمل يترك هملا فى فلاة يصاد فيها الظباء والحمر الوحشية فتأنس بها الصيد وتدور معه فاذا ذهبوا للصيد لم يهرب الجمل منهم لالفه بالناس فاذا وقف وقف الصيد معه فيأخذون منه بسهولة ثم سمى به كل ما كان سببا للهلاك فانه سبب لهلاك الصيد الذى معه كما ان هذه سبب لهلاك من قالها فلذلك جعلت ذريعة وهى فعيلة بذال معجمة وراء وعين مهملتين * واعلم ان الشراح رحمهم الله تعالى لم يتعرضوا هنا لبيان المراد بهذه العبارة هنا وهى اشارة الى قاعدة مشهورة فى مذهب الامام مالك وهى وجوب سد الذريعة أى يجب دفع كل ما يؤدى الى فساد فى أمر مشروع وقد ظن كثيران هذه المسئلة مخصوصة بمذهب مالك وانه واجب عنده مطلقا وليس كذلك كما قاله العلامة القرافى حيث قال ليس كل ذريعة فساد يجب سدها مطلقا فان الذرائع ثلاثة أقسام فمنها ما أجمع الناس على وجوب سده كسب الاصنام عند من يسب الله اذا سبت وحفر الآبار فى طريق المسلمين والقاء السم فى طعامهم ومنها ما أجمعوا على عدمه كالمنع من غرس الكروم لئلا يتخذ منها خمر ومنها ما اختلف فيه كبيوع الآجال ومنها ما يكون خلاف الاولى وقد تكون ذريعة الفساد ذريعة لمصلحة أيضا فيقدم الارجح منهما كدفع المال للكفار لافتداء الاسير والحاصل كما نقله بعضهم من علمائهم المتأخرين ان سد الذريعة فى الاصل من باب الورع والاحتياط لا من الواجب اذ المفعول بها ليس فسادا فى حد ذاته والفساد معها مظنون وقد اشتهر نسبة هذه المسئلة للمالكية حتى ظن كثير انها من خواصهم وليس كذلك كما علم مما بينه القرافى (ومنعا للتشبه بهم) أى ان يتشبه المؤمنون باليهود (فى قولها) أى فى التكلم بهذه الكلمة (لمشاركة اللفظ) واتحاده وان كان قصد المسلمين غير ما قصده اليهود وقال الواحدى فى الوسيط النهى عن التكلم بهذه الكلمة مخصوص بذلك الوقت لاجماع الامة على جواز المخاطبة بهذه اللفظة الآن ونقله الاصبهانى فى تفسيره ويبقى الكلام فى استحباب الترك (وقيل) فى تفسير هذه الآية (غير هذا) المذكور فى تفسيره ففى الكشاف كان المسلمون يقولون له صلى الله عليه وسلم اذا خفى عليهم شئ من كلامه راعنا أى تأن حتى نفهم كلامك ونحفظه وكان لليهود كلمة سريانية أوعبرانية يتسابون بها وهى راعنا فلما سمعوا قول المسلمين راعنا بمعنى انظر الينا انتهزوا الفرصة وقالوها يريدون سبه صلى الله عليه وسلم بها فنهى المسلمون عن قولها لما فيها من الايهام وأمروا ان يقولوا انظرنا من النظرة أى امهلنا

(فصل فى عادة الصحابة فى تعظيمه عليه الصلاة والسلام وتوقيره واجلاله) أى فى نقل أخبارهم فيما كانوا يعتادونه من المعاملة معه بالادب وغاية الاجلال فمنه ما رواه المصنف رحمه الله تعالى هنا من حديث طويل رواه مسلم وأشار اليه بقوله (حدثنا القاضى أبو على الصدفى) هو ابن سكرة وقد تقدم ان الصدفى

(وأبو بحر) بفتح موحدة وسكون مهملة (الاسدي) بفتحتين نسبة الى قبيلة (بسماعي عليهما في آخرين) أي مع جماعة أخر من المشايخ أو من التلامذة ويؤيد الاول قوله (قالوا) بصيغة الجمع ويريد الثاني ما في نسخة قالا بصيغة التثنية (ثنا) أي حدثنا (أحمد بن عمر ثنا أحمد بن الحسن) وفي بعض النسخ بصيغة التصغير والصواب هو الاول (ثنا محمد بن عيسى) أي الجلودي (ثنا ابراهيم بن سفيان ثنا مسلم) صاحب الصحيح (ثنا محمد بن المثنى) اسم مفعول من التثنية (وأبو معن) بفتح فسكون (الرقاشي) بفتح الراء وتخفيف القاف ثم شين معجمة بصري ثقة (واسحق ابن منصور) هذا هو الكوسج الحافظ (قالوا) أي ثلاثتهم (ثنا الضحاك بن مخلد)

نسبة لصدف قرية بالمغرب (وأبو بحر الاسدي) نسبة لقبيلته (بسماعي عليهما في آخرين) مبتدأ وخبر اشارة الى انهما من مشايخه وطريق روايته هذا الحديث عنهما (قالوا) أي شيخاه لاهما والآخرون لانه لم يرو عنهم وعبر بضمير الجمع تعظيما أو لان الواحد وما فوقه جمع (حدثنا أحمد بن عمر) قال (حدثنا أحمد ابن الحسن) أبو العباس بن بندار الرازي المعروف بالرواية وفي بعض النسخ الحسين والصحيح الاول قال (حدثنا محمد بن عيسى) هو الجلودي كما تقدم وقال (حدثنا ابراهيم بن سفيان) قدمنا ترجمته قال (حدثنا مسلم) صاحب الصحيح وقد تقدمت ترجمته وقال (حدثنا محمد بن مثنى) تقدم تفصيل ترجمته (وأبو معن الرقاشي) وهو زيد بن يزيد البصري الثقة (واسحق بن منصور) الحافظ الثقة المعروف بالكوسج أخرج له الستة وتوفي سنة احدى وخمسين ومائتين (قولوا حدثنا الضحاك بن مخلد) أبو عاصم الشيباني البصري الثقة توفي في ذي الحجة سنة ثلاث عشر ومائتين وترجمته في الميزان قال (حدثنا حياة بن شريح) تقدم أيضا وفي نسخة أنبأنا قال (حدثنا يزيد بن أبي حبيب) الازدي محدث مصر وكان حبشيا من العلماء الحكماء الاتقياء توفي في سنة ثمان وعشرين ومائة وأخرج له الستة (عن ابن شماس) بضم الشين المعجمة وفتحها وميم مخففة وألف وسين مهملة واسمه عبد الرحمن (المهري) بميم مفتوحة وهاء ساكنة وراء مهملة وياء نسبة وهو حافظ ثقة توفي في خلافة يزيد بن عبد الملك وما وقع في بعض النسخ من انه الفهري بالفاء بدل الميم تحريف (قال حضرنا عمرو بن العاص) يرسم بياء وقد تحذف كما مر (فذكر حديثا طويلا فيه عن عمرو وقال وما كان أحد أحب الي من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولا) أحد (أجل في عيني منه) تثنية عين ويجوز افراده والمعنى واحد (وما كنت أطيق) أي أقدر (أن أملأ عيني منه) أي أطيل النظر اليه وملأ العين تحقيق النظر وتطويله وهو مجاز مشهور وقوله ولكن ملأ عين حبيبها بمعنى آخر بمعنى ما يعجبه ويحسن منظره (اجلالا له) أي لاجلاله ومهابته (ولو شئت أن أصفه) بحليته (ما أطقت) وقدرت لعدم احاطة علمي به (لاني لم أكن أملأ عيني منه) لو هنا لتحقيق الجواب على كل حال كقوله نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه أي لا أقدر أن أصفه على تقدير اني شئت فكيف اذا لم أشأ فلا يقال ان لو لامتناع الشرط والجواب فيقتضي انه يطيق وصفه والمراد خلافه وحديث مسلم في الايمان حضرنا عمرا في سياقة الموت يبكي طويلا وحول وجهه الى الجدار فقال ابنه عبد الله يا أبتاه أما بشرك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بكذا وكذا فأقبل بوجهه وقال ان أفضل ما بعد شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله اني كنت على أطباق ثلاث الى آخره فذكر حاله في جاهليته وبغضه لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم ذكر اسلامه وشدة حبه له بعد ذلك ثم ذكر ما آل اليه أمره في الولاية وخوفه من آثامها رضي الله تعالى عنه (وروى الترمذي عن أنس) رضي الله تعالى عنه (أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان يخرج) من بيته (على أصحابه من المهاجرين والانصار) رضي الله تعالى عنهم وعداه

بسكون خاء معجمة بين فتحتين أبو عاصم الشيباني النبيل البصري روى عنه انه قال ما دلست قط ولا اغتبت أحدا منذ عقلت تحريم الغيبة روى عنه البخاري وغيره أخرج له الائمة الستة (أنا) أي أنبأنا وفي نسخة أخبرنا (حياة) بفتح فسكون (ابن شريح) بالتصغير (قال حدثني زيد بن أبي حبيب) عالم أهل مصر وكان حبشيا من العلماء الحكماء الاتقياء (عن ابن شماسة) بضم الشين المعجمة وفتحها فميم مخففة وبعد الالف سين مهملة واسمه عبد الرحمن (المهري) بفتح ميم وسكون هاء فراء توفي أول خلافة يزيد بن عبد الملك (قال حضرنا عمرو بن العاص فذكر) وفي نسخة فذكر لنا أي ابن شماسة (حديثا طويلا فيه عن عمر وقال) وفيه أيضا فحول وجهه الى الجدار فجعل يقول (وما كان أحد أحب الي من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولا أجل) أي أعظم (في عيني منه) وفي نسخة بصيغة التثنية وما كنت أطيق) بضم الهمزة أي أقدر (أن أملأ عيني منه اجلالا له) أي واكمالا له (ولو سئلت) وفي نسخة ولو شئت (أن أصفه) أي أذكر نعت ظاهر خلقه (ما أطقت) أي ما قدرت لعدم احاطتي بأوصافه خبرا (لاني لم أكن أملأ عيني منه) أي نظرا (وروى الترمذي) أي صاحب السنن لا الحكيم الترمذي وكذا الحاكم (عن أنس رضي الله تعالى عنه كان) أي النبي عليه الصلاة والسلام (يخرج على أصحابه من المهاجرين والانصار

وهم جلوس) حال (فيهم أبو بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما) أي من جملتهم أو فيما بينهم أبو بكر والجملة حال أيضا (فلا يرفع أحد منهم اليه بصره) أي نظره اجلالا لمحضره (الا أبا بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما فانهما كانا ينظران) أي يطلعان (اليه وينظر اليهما ويتبسمان اليه ويتبسم اليهما) أي لكمال فضلهما على غيرهما قال الحلبي أخرجه الترمذي في مناقب أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه وقال غريب لا نعرفه الا من حديث الحاكم وقد تكلم بعضهم فيه انتهى (روى اسامة بن شريك) بفتح فكسر ثعلبي كوفي صحابي وقد روى عنه أصحاب السنن الاربعة وصححه الترمذي (قال أتيت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأصحابه حوله) الجملة حال وفي نسخة حوله جلوس أي جالسون والمعنى انهم محيطون به متحلقون لديه متادبون بين يديه (كأنما على رؤسهم الطير) بالرفع أي بحيث لو فرض أن يكون طير على رؤسهم لا يتحرك لسكونهم حال جلوسهم (وفي حديث صفته) بكسر ففتح أي نعته ووصفه عليه الصلاة والسلام وتصحف على بعضهم بصفية أم المؤمنين وليس لها هذا الحديث (اذا تكلم أطرق جلساؤه) أي أرخوا رؤسهم (كأنما على رؤسهم الطير) أخرجه الترمذي في الشمائل من حديث هند بن أبي هالة رواه عن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه (وقال عروة بن مسعود رضي الله تعالى عنه) أي الثقفي على ما رواه البخاري عن مسور بن مخرمة ومروان بن الحكم ابن أبي العاص انه (حين وجهته قريش) أي أرسلته (عام القضية) أي قضية صلح الحديبية (الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي في طلب الصلح سنة ست من الهجرة النبوية تسمى بها لانه كتب فيها هذا ما قاضى عليه الصلاة والسلام أي صالح وأما ما ذكره الانطاكي من ان القضية كانت في السنة السابعة بعد الحديبية فهو وهم لانها تسمى عام القضاء وقد تسمى عام القضية الا انها ليست هذه القضية (ورأى) أي عروة (من تعظيم أصحابه له ما رأى) أي مما لا يكاد يستقصى (وانه) بالفتح عطفا على ما رأى وبالكسر على الجملة الحالية

صلى

يعلي وهو يتعدى بالى ومعناه خروج خاص لمن لم ينظره (وهم جلوس) في المسجد (فيهم أبو بكر وعمر) رضي الله تعالى عنهما (فلا يرفع أحد منهم اليه بصره) بل يطرقون لهابته (الا أبو بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما) ويجوز الا أبا بكر وعمر نصبا (فانهما كانا ينظران اليه وينظر اليهما ويتبسمان اليه ويتبسم اليهما) لما بينهما من الالفة وقدم الصحبة والصهارة ولتمكن مقامهما عنده صلى الله تعالى عليه وسلم (وروى اسامة بن شريك) الصحابي الثعلبي من ثعلبة بن يربوع وهو الاصح وقيل من ثعلبة بن يشكر وقد أخرج له أصحاب السنن وأحمد في مسنده (قال) أي اسامة (أتيت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأصحابه حوله) أي محيطون به في مجلسه (كأنما على رؤسهم الطير) هذا مثل تضرب به العرب لشدة الرزانة والسكون لان الطير لا تنزل الا على ساكن وقد تقدم في مقصورتي النبوية

كأنما الطير على رؤسهم * من كل غصن في ربا المجد غما

وهذا الحديث رواه الاربعة وصححه الترمذي (وفي حديث صفته) بالتاء المثناة الفوقية يعني حديث الحلية المشهور وصحفه بعضهم بصفية بالياء التحتية اسم امرأة ولا يعرف هذا وانما المعروف روايته عن هند بن أبي هالة كما تقدم (اذا تكلم) صلى الله تعالى عليه وسلم (أطرق جلساؤه كأنما على رؤسهم الطير) أي طأطؤا رؤسهم تأدبا وذكر هذا مع ما تقدم اشارة لتعدد طرقه ولما بينهما من المغايرة بذكر وجه الشبه والعموم في الجلساء لما فيه من ان كل من حضر مجلسه صلى الله تعالى عليه وسلم ولو من أعدائه يهابه لانه أمر ذاتي له (وقال عروة بن مسعود) رضي الله تعالى عنه ابن معتب الثقفي (حين وجهته قريش الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) سنة سبع بالحديبية لما صدوه عن دخول مكة معتمرا (عام القضية) أراد بها قصة الحديبية وقيل أراد السنة التي قضى فيها العمرة فالقضية بمعنى القضاء والمراد عام جرى فيه القضاء والقضية اذ القضاء وقع بعد الحديبية وعروة انما جاء بالحديبية فهو محتاج للتأويل ولذا قيل ان القضية وقعت عام الحديبية سنة ست وعام القضاء كان سنة سبع بعد فتح خيبر فلعل المصنف أراد القضية اللغوية التي جرت في الحديبية من الصلح والصد عن البيت وبيعة الشجرة ولم يرد القضية التي أرادها أهل السير انتهى وهذا بناء على ان عمرته صلى الله عليه وسلم بالحديبية لم تتم ففسدت لما صدوه عن البيت وقد اختلف الفقهاء في مثله فقيل يجب الهدي ولا قضاء وقيل يجب القضاء بلا هدي وقيل لا يلزمه هدي ولا قضاء وقيل يلزمه الهدي والقضاء وقصة القضية مفصلة في السير وعروة هذا أسلم لما انصرف النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من الطائف وأدركه قبل وصوله الى المدينة وكان حين أرسلوه مشركا (ورأى) عروة (من تعظيم أصحابه له صلى الله تعالى عليه وسلم ما رأى) هذا فيه من المبالغة ما في قوله تعالى فغشيهم من اليم ما غشيهم أي رأى من اكرامهم له صلى الله تعالى عليه وسلم وتعظيمهم له شيأ عظيما لا يمكن التعبير عنه لفواته الحصر ولذا أبهمه وان ذكر بعضا منه بقوله (وانه)

(الا يتوضأ) أي لا يستعمل الوضوء (الا ابتدروا وضوءه) بفتح الواو وقد يضم أي سارعوا الى بقية ما توضأ به من الماء أو الى ما تقاطر منه من الاعضاء (وكادوا يقتتلون عليه) أي لفرط حرصهم على التبرك بما لديه أو بما أصابه من يديه ولم يصب منه شيئا يكون من نصيبه أخذ من بلل يد صاحبه (ولا يبصق) بضم الصاد (بصاقا) أي ولا يرمي بزاقا من الفم (ولا يتنخم نخامة) بضم النون ما يخرج من أقصى الحلق ومن مخرج الخاء المعجمة (الا تلقوها) أي أخذوها من الهواء (باكفهم) أي من غاية الهوى ونهاية الهدى (فدلكوا بها وجوههم وأجسادهم) أي فبالغوا في مسح أعضائهم بها (ولا تسقط منه شعرة) بسكون العين وتفتح (الا ابتدروها) أي بادروا الى أخذها وحفظها سواء كانت من رأسه أو بقية مساسه (واذا أمرهم بأمر) أي من أمر ونهي (ابتدروا أمره) أي امتثاله (واذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده) أي ان طلب جوابا منهم والا سكتوا وسمعوا كلامه وفهموا مرامه (وما يحدون) بضم أوله وكسر ثانيه وتشديد داله أي ما يشخصون (اليه نظرا تعظيما له) أي وهيبة وتكريما له (فلما رجع) أي عروة (الى قريش قال يا معشر قريش اني جئت كسرى) بكسر الكاف ويفتح وفتح الراء وقد يقال هو لقب ملك فارس أي حضرته (في ملكه) أي تحت سلطنته وتحت هيبته وعظمته (وقيصر) أي وجئت قيصر وهو لقب ملك الروم (في ملكه) أي في معظم ملكه (والنجاشي) بفتح النون وبكسر وبتشديد الياء ويخفف وهو لقب ملك الحبشة (في ملكه) أي في دياره وداره (واني والله ما رأيت ملكا) أي من الملوك المذكورة معظما ومكرما (في قوم) أي فيما بين جنده (قط) أي أبدا (مثل محمد في أصحابه وفي رواية) أي أخرى كما في نسخة (ان) بكسر همز وسكون نون أي ما (رأيت) أي ما أبصرت أو ما علمت (ملكا) أي من الملوك (قد تعظمه أصحابه ما يعظم) أي مثل ما يعظم (محمدا أصحابه وقد رأيت) أي أبصرت أصحابه وعلمت أحبابه وأحزابه (قوما لا يسلمونه) بضم الياء وسكون السين وكسر اللام أي لا يخذلونه (أبدا) من أسلمته الى الشيء ثم خص بالالقاء في المهلكة بدليل حديث اني وهبت لخالتي غلاما وقلت لها لا تسلميه حجاما ولا صائغا ولا قصابا أي لا تعطيه لمن يعلمه احدى هذه الصنائع فكراهة القصاب والحجام لما يباشرانه من النجاسة مع تعذر الاحتراز ولما فيه من لوازم القساوة وقلة المرحمة وأما الصائغ فلما يدخل صنعته من الغش والربا وخلف الوعد والايمان الكاذبة

صلى الله تعالى عليه وسلم (لا يتوضأ الا ابتدروا) أي أسرعوا وأخذوا (وضوءه) بفتح الواو أي بقية الماء الذي توضأ به وما تساقط منه قبل وصوله الى الارض (وكادوا) أي قربوا لازدحامهم ودفع بعضهم بعضا من (أن يقتتلوا عليه) أي على وضوئه وأخذه لحرصهم على التبرك بما مسه صلى الله تعالى عليه وسلم بيده (ولا يبصق بصاقا) أي رمى شيئا من ريقه الشريف (ولا تنخم نخامة) بضم النون لان فعالة وضعها الكل قليل انفصل من شيء كالبراية والتنخم اخراجه من الفم والفرق بين البصاق والنخامة ان الاول ما يخرج من الفم والثاني ما يخرج من أقصى الحلق (الا تلقوها) أي النخامة (باكفهم) واكتفى بضميرها عن ضمير البصاق وكان الظاهر تلقوهما أو جعلهما أشياء واحدا لاتحادهما جنسا (فدلكوا بها وجوههم وأجسادهم) تبركا بهما (ولا تسقط منه شعرة) بفتح العين وسكونها في حلاقة رأس ونحوه (الا ابتدروها) وسارعوا الاخذها (واذا أمرهم بامر ابتدروا أمره) بالامتثال والامر مصدر أو بمعنى المأمور وكان حقه ان يقول ابتدروه فصرح به تفخيما لشأنه وتنويها لقدره (واذا تكلم) صلى الله تعالى عليه وسلم (خفضوا أصواتهم عنده) لتبيين ما يقول لهم (ولا يحدون اليه النظر) أي لا ينظرون اليه صلى الله تعالى عليه وسلم نظرا حديدا أي قويا أولا يبلغ نظرهم اليه حده ومنتهاه بل ينظرون اليه من طرف خفي مطرقين رؤسهم تأدبا لجلالته في قلوبهم (تعظيما له) صلى الله تعالى عليه وسلم علة للنفي لا للمنفي أي يتركون كمال نظرهم لتعظيمه صلى الله تعالى عليه وسلم (فلما رجع) عروة (الى قريش قال) لهم (يا معشر قريش) المعشر والمعشرة بمعنى (اني جئت كسرى) بفتح الكاف وكسرها ملك فارس كما تقدم (في ملكه) في زمن سلطنته (وقيصر) ملك الروم (في ملكه و) جئت (النجاشي) ملك الحبشة (في ملكه) فرأيتهم وشاهدت عظمتهم والنجاشي بفتح النون وكسرها وياؤه مشددة ومخففة كما مر (واني والله ما رأيت ملكا في قوم قط مثل محمد في أصحابه) أي لا يعظمون ملكهم كما يعظمه صلى الله تعالى عليه وسلم أصحابه (وفي رواية) لحديث عروة (ان) بكسر وتخفيف نافية بمعنى ما (رأيت ملكا قط يعظمه أصحابه) كمثل (ما يعظم محمدا أصحابه) ففيه مضاف مقدر وما مصدرية أو موصولة أي كالتعظيم الذي يعظمه أصحابه فالعائد مقدر (وقد رأيت قوما) يعني بهم الصحابة رضي الله عنهم (لا يسلمونه) بضم أوله وسكون ثانيه المهمل وكسر لامه مضارع أسلمه يقال أسلمه لعدوه اذا أمكنه منه وخلى بينهم وبينه ويقال أسلمه اذا ألقاه في هلكة فهو عام أريد به خاص (أبدا) ظرف لاستغراق الزمان المستقبل كما ان قط لاستغراق الماضي يعني ان ما شاهدته من أحوالهم في تعظيمه صلى الله تعالى عليه وسلم وانقيادهم له يدل على انهم لا يقصرون في نصره ويبذلون أنفسهم دونه واياكم ان تطمعوا في خلافه

(وعن أنس رضى الله تعالى عنه كما رواه مسلم لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم والحلاق يحلقه) أى يحلق شعر رأسه اما بعد عمرة أو بعد الحج اذ لم يحلق فى غيرهما (وأطاف به أصحابه) أى داروا حوله ليأخذوا من شعره ويتبركوا بآثاره (فما يريدون) أى من كمال اتفاقهم (ان تقع شعرة) أى من شعراته (الا فى يد رجل) أى من طلاب بركاته واختلف فى اسم من حلق رأس رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والصحيح المشهور انه معمر بن عبد العزيز العدوى كما ذكره النووى فى شرح مسلم وفى صحيح البخارى زعموا انه معمر وعن ابن عبد البر ان خراشا حلقه يوم الحديبية انتهى وأما فى عمرة الجعرانة فقيل حلقه أبو هند والله أعلم (ومن هذا) أى ومن جملة تعظيم أصحابه وتكريم أحبابه (لما أذنت قريش) أى مراعاة (لعثمان رضى الله عنه) أى حين قدومه مكة (فى الطواف بالبيت) أى بعد منعه منه (حين وجهه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اليهم فى القضية) أى فى قضية صلح الحديبية (أبى) أى امتنع عثمان أن يطوف به (وقال ما كنت لأفعل) أى الطواف وحدى (حتى يطوف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) لكمال أدبه وجمال طلبه وكان ذلك حين انتهى اليها النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قاصدا مكة ليعتمر فصده المشركين فدخل عثمان الى مكة للصلح وتقدم بقية القضية فى الفصل التاسع من أول الكتاب (وفى حديث طلحة رضى الله تعالى عنه) أى ابن عبيد الله أحد العشرة المبشرة وسيأتى بعض منقبته قريبا وقد روى عنه الترمذى وحسنه (أن أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قالوا لأعرابى جاهل سله) يعنون النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (عمن قضى نحبه) أى فى قوله تعالى من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه أى وفى بنذره ومنهم من ينتظر أمر قضائه وقدره فى تحقيق أمره روى أن رجالا من الصحابة منهم عثمان بن عفان وسعيد بن زيد وحمزة ومصعب بن عمير وغيرهم رضى الله تعالى عنهم نذروا أنهم اذا القوا حربا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثبتوا وقاتلوا حتى يستشهدوا وقد ثبت طلحة يوم أحد وبذل جهده فى القتال حتى شلت يده اذ وقى بها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وذكر انه أصيب فى جسده بضعا وثمانين من بين طعن وضرب

وهذا بعض من حديث طويل رواه البخارى (وعن أنس) فى حديث رواه مسلم قال فيه (لقد رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والحلاق) بتشديد اللام وهو الذى يحلق شعر رأسه فقوله (يحلقه) بتقدير مضاف (وقد أطاف به أصحابه) أى جلسوا حلقة حوله صلى الله تعالى عليه وسلم وطاف بمعنى دار وأطاف بمعنى استدار من غير حركة (فما يريدون ان تقع شعرة) من شعر رأسه (الا فى يد رجل) منهم حرصا على التبرك بآثاره صلى الله تعالى عليه وسلم والذى حلق رأسه وقلم أظفاره معمر بن عبد الله العدوى فى حجة الوداع وقال ابن الاثير فى الانساب انه خراش بن أمية الكلبى وكان ذلك يوم الحديبية كما قاله ابن عبد البر والذى حلقه بالجعرانة أبو هند وكان صلى الله تعالى عليه وسلم لا يحلق رأسه الا فى حج أو عمرة (ومن هذا) أى تعظيم الصحابة له صلى الله تعالى عليه وسلم (لما أذنت قريش لعثمان) ابن عفان رضى الله تعالى عنه حين أرسله صلى الله تعالى عليه وسلم الى أهل مكة وهو بالحديبية وقد صدوهم عن البيت وارسله لاعلامهم بانهم لم يأتوا لقتالهم فلا وجه لصدهم عن دخول الحرم فلم يرضوا بذلك ولكنهم أذنوا لعثمان رضى الله تعالى عنه (فى الطواف بالبيت) بعد منعهم منه له كغيره حين وجهه أى أرسله رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لجهتهم (فى القضية) أى قضية صدهم المسلمين عن البيت وهم بالحديبية كما مر (أبى) الطواف وهو جواب لما (وقال ما كنت لأفعل) الطواف وحدى ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قد منع منه ولم يرسلنى لذلك فلا أطوف (حتى يطوف به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) ففيه من تعظيمه والوقوف عند أمره ما لا يخفى وهذه القصة مفصلة فى السير وحاصل ذلك انهم لما صدوهم عن دخول مكة وأرسلوا عروة لاعلامهم بذلك أرسل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عثمان لعظماء قريش ليخبرهم بمجيئه صلى الله تعالى عليه وسلم معتمرا لا مقاتلا فلما دخل مكة أجاره أبان بن العاص حتى بلغ رسالته فلما بلغهم قالوا له يا عثمان ان شئت وطف فقال ما كنت لأفعل فاحتبس وبلغ المسلمين انه قتل فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا نبرح حتى نناجز القوم الحرب وبايع أصحابه بيعة الرضوان تحت الشجرة كما رواه الترمذى عن طلحة رضى الله تعالى عنه وقال انه حسن غريب وقوله ما كنت لأفعل أبلغ من لا أطوف (وفى حديث طلحة) الذى رواه الترمذى وحسنه (أن أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قالوا لأعرابى جاهل سله) أى سل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (عمن قضى نحبه) فى قوله تعالى (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه) والنحب النذر والعهد استعير هنا للموت لانه للزومه كأنه نذر فى ذمته يجب قضاؤه والزام نفسه ان يجاهد فى سبيل الله وقتال أعدائه والثبات فى مواقفه حتى كأنه نذر عليه والمراد هنا الثانى فمن اقتصر على الاول فقد قصر أى

(وكانوا يهابونه ويوقرونه) أى يعظمونه ولهذا ما كانوا بانفسهم يسالونه وكان عليه الصلاة والسلام يتحمل من الاعراب ما لا يتحمل من الاصحاب (فساله) أى الاعرابى (فاعرض عنه) أى عن جوابه ولم يلتفت الى ما يتعلق ببابه (اذ اطلع طلحة رضى الله تعالى عنه) أى الراوى (فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هذا ممن قضى نحبه) فكانه ألزم نفسه أن يصدق الله تعالى فى قتل أعدائه فى الحرب وقد وفى بعهده يوم أحد وقيل المراد بالنحب هو الموت فكانه التزم أن يقاتل حتى يموت ففى الحديث ايماء الى انه سيموت شهيدا وفى الحلية انه عليه الصلاة والسلام تلا على المنبر فمنهم من قضى نحبه فساله رجل منهم فاقبل على طلحة ابن عبيد الله وقال هذا منهم وفى تفسير ابن أبى حاتم ان عمارا منهم وهذا يحتمل التاويل ابن المتقدمين وفى تفسير يحيى بن سلام المغربى هم حمزة وأصحابه والظاهر ان المراد بهم شهداء أحد ولا يبعد أن يقال المراد بهم الشهداء والثابتون لا مقابلة الاعداء واختار ابن الملقن المعنى الاول حيث قال والذى يظهر لى انهم المقتولون معه صلى الله تعالى عليه وسلم انتهى وما قلناه هو الاتم الاعم والله تعالى أعلم وقد قتل طلحة رضى الله تعالى عنه فى وقعة الجمل سنة ست وثلاثين ودفن بالبصرة قال الحلبى وفى الصحابة أربعة عشر غيره ممن يقال له طلحة (وفى حديث قيلة) بقاف مفتوحة فتحتية ساكنة بنت مخرمة العنبرية على ما رواه أبو داود فى الادب والترمذى فى الشمائل (فلما رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم جالسا القرفصاء) بضم القاف والفاء أى جلسة المحتبى بيديه (أرعدت) أى اضطربت (من الفرق) بفتحتين أى الخوف والفزع وذلك هيبة له وتعظيما (وفى حديث المغيرة) الذى رآه الحاكم فى علوم الحديث والبيهقى فى المدخل (كان أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقرعون) أى يضربون (بابه بالاظافر) وفى نسخة بالاظافر أى ضربا خفيفا ودقا لطيفا تعظيما وتكريما وتشريفا وفى حديث عمر رضى الله تعالى عنه انه أخذ قدح سويق فشربه حتى قرع القدح جبينه أى ضربه والمعنى شربه جميعه

منهم من قاتل حتى مات شهيدا كحمزة رضى الله تعالى عنه (وكانوا) أى أصحابه (يهابونه ويوقرونه) فلا يكثرون سؤاله صلى الله تعالى عليه وسلم اجلالا له (فساله) الاعرابى (فاعرض عنه) ولم يجبه (اذ اطلع طلحة) أى كان اعراضه فى وقت طلوعه أى مجيئه لمجلسه صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل اذ هنا فجائية كقوله * فبينما العسر اذ دارت مياسير * أى فاجاهم طلوعه عليهم بغتة (فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هذا ممن قضى نحبه) وهو طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن كعب بن سعد التيمى أحد العشرة وفى الصحابة طلحة تيمى غيره وهو الذى نزل فيه قوله تعالى وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله الآية وروى أبو نعيم انه صلى الله تعالى عليه وسلم تلا هذه الآية على المنبر فساله رجل من هؤلاء فاقبل طلحة بن عبيد الله فقال هذا منهم وكذا فى سنن ابن ماجة وفى تفسير ابن أبى حاتم ان عمارا منهم وفى تفسير يحيى بن سلام هم حمزة وأصحابه قال ابن التين كان ممن مات ذلك اليوم عبد الله بن جحش ومنهم من ينتظر منهم طلحة ابن عبيد الله انتهى قال ابن الملقن فاجتمع منهم انس بن النضر وطلحة بن عبيد الله وعمار وحمزة وأصحابه الذين قتلوا معه باحد انتهى وطلحة هذا هو الملقب بطلحة الخير والفياض وانما قال صلى الله تعالى عليه وسلم فى حقه ذلك لانه كان قد غاب عن بدر فقال لئن حضرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهدا آخر ليرين الله ما أصنع فلما كان يوم أحد ابلى فيه بلاء حسنا ووقى رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ بنفسه واتقى النبل عنه بيده حتى شلت أصابعه وحمل رسول الله صلى الله عليه وسلم على ظهره حتى استعلى الصخرة فلذا شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بما شهد وهو أحد العشرة فالنحب هنا بمعنى العهد لانه مشترك بينه وبين النذر والموت وفى الآية كلام طويل فى التفاسير وأمالى ابن الحاجب ليس هذا محله (وفى حديث قيلة) الذى رواه أبو داود والترمذى وقيلة بفتح القاف وسكون المثناة التحتية ولام وهاء بنت مخرمة العنبرية الصحابية وقيل انها تميمية كما تقدم وحديثها فى الشمائل وفيه قالت (فلما رأيته صلى الله تعالى عليه وسلم جالسا القرفصاء) وهو نوع من الجلوس محتبيا بيديه قال فى القاموس القرفصى مثلث القاف والفاء مقصورا والقرفصاء بضم القاف والراء أن يجلس على اليتيه ويلصق فخذيه ببطنه ويحتبى بيديه ويضعهما على ساقيه أو يجلس على ركبتيه متكئا ببطنه بفخذيه انتهى (أرعدت) أى حصل لى رعدة واضطراب (من الفرق) بفتحتين أى شدة الخوف (وذلك) أى ما كان لى من الرعدة والخوف (هيبة له وتعظيما) لجلالته وعظمه فى عين رائيه (وفى حديث المغيرة) ابن شعبة الذى رواه الحاكم والبيهقى (كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أتوه لامر وهو فى منزله يقرعون) القرع ضرب خفيف ومس له صوت (بابه بالاظافير) جمع ظفر على غير القياس أو جمع أظفور أو أظفار بمعنى ظفر فاظافير جمع الجمع فالاول أولى لان جمع المفرد أقيس من جمع الجمع وهذا أى ذكر الباب والقرع يقتضى ان حجرته صلى الله تعالى عليه وسلم كان لها باب من

(وقال البراءبن عازب رضى الله تعالى عنه كماروى أبو يعلى لقد كنت أريدأن أسال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن الامر فاؤخر) وفى نسخة فاؤخره أى فاؤخرسؤاله (سنتين) بصيغة التثنية وفى نسخة سنين بصيغة الجمع (من هيبته) أى من كمال هيبته وجلال عظمته صلى الله تعالى عليه وسلم

(فصل) (واعلم ان حرمة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بعدموته وتوقيره وتعظيمه) بنصبهما أى بعد وفاته (لازم) أى على كل مسلم (كما كان) أى ما ذكر واجبا (حال حياته) أى لانه الآن حى يرزق فى علو درجاته ورفعة حالاته (وذلك) أى التعظيم والاكرام (عند ذكره عليه الصلاة والسلام وذكر حديثه) أى كلامه (وسنته) أى وذكر طريقته (وسماع اسمه) وكذا نعته (وسيرته) أى فى جميع هيئاته من حركاته وسكناته (ومعاملة آله) أى أهل بيته (وعترته) بكسر أوله أى ذريته وقرابته (وتعظيم أهل بيته) أى من أزواجه وخدمه ومواليه (وصحابته) أى أهل صحبته (قال أبو ابراهيم) زيد فى نسخة اسحق (التجيبى) بضم التاء وتفتح وبكسر الجيم (واجب على كل مؤمن متى ذكره) أى بنفسه (أوذكر عنده) أى على لسان غيره (أن يخضع) أى ظاهرا (أو ليخشع) أى باطنا (ويتوقر) أى يتكاف الوقار والرزانة فى هيئته (ويسكن من حركته ويأخذ) أى يشرع ويسرع (فى هيبته واجلاله) أى فى مقام تعظيمه واكرامه (بما كان يأخذ به نفسه) أى يطلب منها (لوكان) أى فرضا (بين يديه) أى أمام عينيه (ويتادب) بالنصب أو الرفع (بما أدبنا الله به) أى من وجوب تعظيمه وتكريمه وخفض الصوت ونحوه

من

خشب ونحوه وقدورد انه كان عليه ستراوسجف وجمع بانه كان من جلد يقرع فلا يحرر فان مثله لا يقال بالرأى واعلم ان مثله هذا هل يسمى حديثا أولا وعلى تقدير تسميته حديثا هل هو مرفوع أم لا اختلفوا فيه كما قال الحافظ العراقى فى ألفيته

لكن حديث كان باب المصطفى * يقرع بالاظفار مما وقفا
حكم الدى الحاكم والخطيب * والرفع عند الشيخ ذو تصويب

والمراد بالشيخ ابن الصلاح رحمه الله تعالى (وقال البراء بن عازب) بن حارث الخزرجى الانصارى توفى فى أيام مصعب بن الزبير فى حديث رواه أبو يعلى وصححه (لقد كنت) اللام جواب قسم مقدر أى والله (أريد أن أسال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن الامر) من الامور التى تهمنى أو تخطر ببالى مما أحتاج لبيانه (فاؤخر) بهمزتين وقد تبدل الثانية واوا والافصح الاول (سنتين) مثنى سنة وفى نسخة سنين بصيغة الجمع (من هيبته) صلى الله تعالى عليه وسلم أى من مهابته فى قلبى وعظمته فى نفسى

(فصل واعلم) أمر من العلم معطوف على ماقبله والخطاب عام لكل من يصلح له وسد مسد مفعوليه قوله (ان حرمته صلى الله تعالى عليه وسلم) بضم فسكون وبضمتين وكهمزة وهى المهابة أى احترامه والتادب معه (بعدموته وتوقيره وتعظيمه لازم) على كل أحد (كما كان) لازما فى (حال حياته) لبقاء نبوته ورسالته (وذلك) أى ماذكر من احترامه وتعظيمه لازم (عند ذكره وذكر حديثه وسنته وسماع اسمه وسيرته ومعاملة آله) تقدم بيان المراد بهم (وعترته) بكسر العين وسكون المثناة وكونها مثلثة خطا من العامة وهم نسله ورهطه وعشيرته الادنون ومعاملتهم بمعنى مخالطتهم فى أمور دينية أو دنيوية (وتعظيم أهل بيته) أى زوجاته وخدمه وأتباعه وليس المراد به آله وعترته حتى يكون اطنابا (وصحابته) رضى الله تعالى عنهم (قال أبو ابراهيم التجيبى) بضم التاء وفتحها كما تقدم (واجب على كل مؤمن) خصه لان الكافر لا يجب عليه ذلك وقيل انه يجب عليه أيضا بناء على انه مخاطب بفروع الشريعة والوجوب عليه بمعنى مطالبته به فى الآخرة وعقابه عليه (متى ذكره صلى الله عليه وسلم أوذكر عنده) وسمعه (ان يخضع) أى يبدى التذلل والاستكانة وخفض الجناح وخضع يكون لازما وهو المعروف ومتعديا يقال خضع الحديث أى لينه (ويخشع) الخضوع والخشوع متقاربان كما قاله الراغب وقيل الخشوع أعم لانه يوصف به القلب والجماد كترى الارض خاشعة ولا يخفى انه مجاز لا يدل على مدعاه (ويتوقر) أى يظهر الوقار والرزانة (ويسكن من حركته ويأخذ) أى يشرع (فى هيبته) أى اظهار مهابته صلى الله تعالى عليه وسلم عنده (واجلاله) بتعظيمه حق تعظيمه (بما كان يأخذ به نفسه) أى يكلفها ويلزمها (لوكان بين يديه صلى الله عليه وسلم) حاضرا فى مجلسه فيفرض ذلك ويلاحظه ويتمثله فكأنه عنده (ويتادب بما أدبنا الله به) مثل قوله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم الى آخره ولا ترفعوا أصواتكم وغيره كما تقدم آنفا وفيه اشارة الى ان هذا ثابت بالقرآن أيضا لدخوله فى عموم ما تقدم واطلاقه وان لم يرد تصريح فيه بخصوصه فى النصوص القرآنية ومن لم يتنبه لهذا قال كان على المصنف رحمه الله تعالى ان يقدم دليلا قرآنيا على الحديثى يدل على ان وجوب حرمته ميتا كحرمته حيا كما هو دأبه وان يذكر انه حكم عام فيه صلى الله تعالى عليه وسلم وفى سائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام لما ورد فى حقهم

(قال القاضي أبو الفضل) يعني المصنف (وهذه) أي الطريقة المرضية (كانت سيرة سلفنا الصالح) يرمى الصالحين أي المتقدمين من الصحابة والتابعين (وأئمتنا الماضين) أي العلماء العاملين (حدثنا القاضي أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الاشعري وأبو القاسم أحمد بن بقي) بفتح موحدة وكسر قاف وتشديد تحتية (الحاكم وغير واحد) أي وكثيرون (فيما اجازونيه هذا لغة في اجازوه لي قالوا) أي كلهم (أخبرنا أبو العباس أحمد بن عمر بن دلهاث) بكسر داله وسكون لامه ومثلثة في آخره (قال ثنا) أي حدثنا (أبو الحسن علي بن فهر) بكسر فاء فسكون هاء ثم راء (ثنا أبو بكر محمد بن أحمد بن الفرج) بفتح الفاء والراء فجيم (ثنا أبو الحسن عبد الله بن المنتاب) بضم ميم فسكون نون ففوقية (قال ثنا يعقوب ابن اسحق بن أبي اسرائيل ثنا ابن حميد) بالتصغير (قال ناظر) أي جادل وباحث (أبو جعفر) هذا هو المنصور عبد الله بن محمد بن علي ابن عبد الله بن عباس ثاني خلفاء بني العباس (أمير المؤمنين) اطلاق هذا عليه غير معروف بين المصنفين (مالكا) أي الامام (في مسجد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي ورفع صوته في كلامه معه (فقال له) أي مالك كما في أصل صحيح (يا أمير المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد) أي خصوصا لانه بقرب قبره عليه الصلاة والسلام (فان الله تعالى) وفي نسخة عز وجل (ادب قوما) أي معظمين (فقال لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي الآية) أي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ان تحبط اعمالكم وأنتم لا تشعرون (ومدح قوما) أي مكرمين (فقال ان الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله الآية) أي أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم (وذم قوما) أي من الأعراب (فقال ان الذين ينادونك من وراء الحجرات الآية) أي أكثرهم لا يعقلون (وان حرمته ميتا) بالتشديد والتخفيف (كحرمته حيا

من المدح والتعظيم وقوله تعالى فبهداهم اقتده وقوله تعالى ورفعنا لك ذكرك واقتران اسمه باسمه الواجب التعظيم يقتضي تعظيمه ولقوله صلى الله تعالى عليه وسلم الآتي رغم انف من ذكرت عنده فلم يصل علي ولا يخفى ما فيه (قال القاضي) أبو الفضل عياض المؤلف (رحمه الله تعالى وهذه) الامور المذكورة من توقيره صلى الله عليه وسلم حيا وميتا واتباعه باتباع ما ذكر لقوله (كانت سيرة سلفنا الصالح) أي دأب وطريقة من تقدم من الصالحين والعلماء العاملين رضي الله تعالى عنهم اجمعين ثم بين هذه السيرة بقوله (حدثنا أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الاشعري) هو ابن سعيد القرطبي وقد تقدم (وأبو القاسم بن بقي) بفتح الموحدة وتشديد القاف المكسورة وياء مثناة تحتية (الحاكم) وهو أحمد بن محمد بن أحمد بن مخلد بن يزيد بن بقي (وغير واحد فيما اجازونيه) أي رويته عنهم بطريق الاجازة المعروفة بين المحدثين كما بينه ابن الصلاح وغيره (قالوا) أي قال هؤلاء كلهم (أنبأنا أبو العباس أحمد بن عمر بن دلهاث) بكسر الدال المهملة وسكون اللام وهاء وألف يليها ثاء مثلثة بزنة جلباب علم مصروف منقول من اسم الاسد كدلهث ودلاهث قال (حدثنا أبو الحسن علي بن فهر) بالكسر كاسم القبيلة قال (حدثنا أبو بكر محمد بن أحمد بن الفرج) قال (حدثنا أبو الحسن عبد الله بن المنتاب) بضم الميم وسكون النون وتاء مثناة فوقية وألف وباء موحدة وهو عبد الله بن المنتاب بن الفضل بن أيوب قاضي المدينة قال (حدثنا يعقوب ابن اسحق بن أبي اسرائيل) قال (حدثنا ابن حميد) بالتصغير ابن حميد بن ثعلبة احد رواة مالك (قال ناظر) ماض من المناظرة وهي المباحثة في امر من الامور وهي مفاعلة من النظر بمعنى الفكر لان كلا منهما ينظر في كلام من يجادله وفيه كلام في شرح آداب البحث ليس هذا محله (أبو جعفر أمير المؤمنين) ثاني خلفاء بني العباس اخو السفاح المعروف بالمنصور وترجمته مفصلة في التواريخ (مالكا) امام المدينة وعالمها المشهور رحمه الله (في مسجد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) فرفع صوته في مناظرته (فقال مالك يا أمير المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد) النبوي المحترم واول من سمي بامير المؤمنين على العموم عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه سماه به المغيرة بن شعبة وقيل لبيد بن ربيعة وعدي بن حاتم حين وفدا عليه من العراق وقيل انه رضي الله تعالى عنه قال للناس أنتم المؤمنون وانا أميركم فسمي بذلك وكان قبل ذلك يقال له يا خليفة خليفة رسول الله فعدلوا عن ذلك لطوله واحترز بالعموم عن عبد الله بن جحش فانه سمي به على الخصوص في ولايته على سرية اثني عشر رجلا وقيل ثمانية واول من سمي بامير المسلمين يوسف بن (٢) تاشف بن المثم (فان الله أدب قوما فقال لا ترفعوا أصواتكم الخ وتقدم تفسيرها (ومدح قوما فقال الذين يغضون اصواتهم) الى آخره وتقدم بيانها أيضا (وذم قوما فقال ان الذين ينادونك) الى آخره كما تقدم (وان حرمته صلى الله تعالى عليه وسلم ميتا كحرمته حيا)

٢ قوله ابن تاشف وفي نسخة ابن تاشفين والتي بايدينا ابن سفيان المكثم فلتحرر اهـ مصححه

فاستكان لها أبو جعفر) أي خضع وخشع لمقالة مالك رحمه الله تعالى وفيه تنبيه نبيه على انه يجب التادب بين يدي العالم لما روي من ان الشيخ في قومه كالنبي في أمته (وقال) أي أبو جعفر لمالك رحمه الله تعالى (يا أبا عبد الله) بحذف الالف كتابة واثباته قراءة (استقبل القبلة) استفهام استرشاد والتقدير ءاستقبلها (وادعوا) أي الله سبحانه وتعالى بعد الزيارة (أم أستقبل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال) أي مالك (ولم تصرف وجهك عنه) أي عن رسولك (فهو) وفي نسخة صحيحة وهو أي والحال انه (وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السلام) أي وسائر الانام (الى الله يوم القيامة) أي كما يشير اليه قوله عليه الصلاة والسلام آدم ومن دونه تحت لوائي يوم القيامة (بل استقبله واستشفع به) أي اطلب شفاعته وسل وسيلته في قضاء مراداتك واداء حاجاتك (فيشفعك الله) بتشديد الفاء أي يقبل الله به شفاعتك لامرك ولغيرك وفي نسخة فيشفعه أي فيقبل شفاعته في حقه ويعفو عن ذنبك بوسيلة نبيك (قال الله تعالى) أي مصداقا لذلك فيما قرره مالك (ولوانهم اذظلموا انفسهم) بالمعصية (جاؤك) أي للمعذرة والتوبة (الآية) يعني فاستغفروا الله أي بلسانهم وجنانهم واستغفر لهم الرسول فيه التفات عدل اليه تفخيما لشانه صلى الله تعالى عليه وسلم لوجدوا الله أي لعلموه توابا رحيما أي منعوتا بهذين الوصفين حين تاب عليهم ورحمهم بعد المؤاخذة على ماصدر منهم اليه

أي ما يجب ان يراعى في حقه في حياته يراعى بعد مماته (فاستكان لها أبو جعفر) استكان افتعل من المسكنة بمعنى خضع وذل اشبعت حركته كما في القاموس وفيه كلام في التصريف وضمير لها راجع لمقالة الامام مالك المعلومة من المقام ولم يذكروا ما ناظره فيه لانه لا يترتب عليه فائدة هنا (وقال) أبو جعفر للامام مالك (يا أبا عبد الله) كناه تعظيما له بسؤاله بقوله (استقبل القبلة) أصله استقبل بهمزتين همزة الاستفهام وهمزة المضارع للتكلم فحذفت الاولى للتخفيف ووجود القرينة وقد ورد حذفها كثيرا كقوله

فوالله ما أدري وان كنت داريا * بسبع رمين الجمر ام بثمان

وهو من خصائص الهمزة (وادعوا) اذا أردت زيارته صلى الله تعالى عليه وسلم (أم استقبل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي اجعل وجهي مقابلا لجهته وحينئذ يكون مستدبرا القبلة فلذا اشكل عليه لان استقبال القبلة في الدعاء مشروع فاذا عارضه هذا فايهما يقدم (فقال) له مالك رحمه الله تعالى (ولم تصرف وجهك عنه) أي عن مقابلته ومواجهته حال الدعاء (وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه الصلاة والسلام الى الله يوم القيامة) المراد بالوسيلة وهي السبب ما يتوصل به الى اجابة الدعاء وكنى بذلك عن جميع الناس أي هو الشفيع المشفع المتوسل به الى الله يوم القيامة اشارة الى حديث الشفاعة العظمى وقد تقدم والى ما ورد من ان الداعي اذا قال اللهم اني استشفع اليك بنبيك يا نبي الرحمة اشفع لي عند ربك استجيب له (بل استقبله) صلى الله تعالى عليه وسلم بوجهك في دعائك بما تريد (واستشفع به) الى الله تعالى في الاجابة فانه شفيع لا يرد من توسل به اليه (فيشفعه الله) فيك ويقبل دعاءك وفي نسخة فيشفعك الله وهي مشكلة اذا المراد الاول واولت هذه بان اصلها فيشفعه فيك فحذف المفعول والجار ووصل به الضمير وقيل المعنى يقبل شفاعتك والمصدر مضاف للفعول ولا يخفى ما فيه وفي هذا رد على ما قاله ابن تيمية من استقبال القبر الشريف في الدعاء عند الزيارة أمر منكر لم يقل به احد ولم يرو الا في حكاية مفتراة على الامام مالك يعني هذه القصة التي أوردها المصنف رحمه الله هنا ولله دره حيث أوردها بسند صحيح وذكر انه تلقاها عن عدة من ثقات مشايخه فقوله انها كذب محض ومجازفة من ترهاته وقوله لم ينقل ولم يرو باطل فان مذهب مالك وأحمد والشافعي رضي الله تعالى عنهم استحباب استقبال القبر الشريف في السلام والدعاء وهو مسطر في كتبهم وصرح به النووي في اذكاره وايضاحه وقال السبكي صرح أصحابنا بانه يستحب ان ياتي القبر ويستقبله ويستدبر القبلة بعيدا من رأس القبر نحو أربع اذرع فيسلم عليه صلى الله تعالى عليه وسلم ثم يتأخر ويسلم على أبي بكر رضي الله تعالى عنه ثم يتاخر ويسلم على عمر رضي الله تعالى عنه ثم يرجع لموقفه الاول مستقبلا للقبر ويدعو بما أراد وقد نقل عن أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه انه يستقبله صلى الله تعالى عليه وسلم في الزيارة ثم يستقبل القبلة بعده ويدعو وكما ذكره السروجي من أئمتنا وقيل في قوله وسيلة أبيك آدم ان آدم عليه الصلاة والسلام لما أكل من الشجرة ثم ندم قال يا رب أسئلك بحق محمد الا غفرت لي فقال له الله كيف عرفت محمدا فقال لاني رأيت على قوائم العرش لا اله الا الله محمد رسول الله فعرفت انك لم تضف لنفسك الا أحب الخلق اليك فقال صدقت يا آدم انه لاحب الخلق الي ولولاه ما خلقتك وهو حديث صحيح رواه الحاكم (قال الله تعالى ولوانهم اذظلموا أنفسهم جاؤك الآية) استدل بهذه الآية على ما ادعاه من التوسل به صلى الله تعالى عليه وسلم وقبول التوسل به كما ينادي عليه لوجدوا الله توابا رحيما التعليق قبول استغفارهم على استغفاره صلى الله تعالى عليه وسلم لهم واستؤنس به لاستحباب استقباله أيضا دون استقبال القبلة لانه صلى الله تعالى عليه وسلم حي في قبره يسمع دعاء زائره ومن جاء عظيم الرجاء شفاعته له لا شك في انه يتوجه

(وقال مالك رحمه الله وقد سئل عن أبي أيوب السختياني) أي عن مقامه ومرتبته وهو بسين مفتوحة وتضم وبسكون معجمة فتحتية مكسورة نسبة لبيع السختيان وهو الجلد المدبوغ معرب وهو عنزي وقيل جهني مولاهم يروي عن ابن سيرين وجماعة وعنه شعبة وطائفة قال ابن علية كنا نقول عنه ألفي حديث وقال شعبة ما رأيت مثله كان سيد الفقهاء وحدث عن أم خالد بنت خالد واسمها آمنة وحديثه عنها في البخاري وقال في أثره ولم أسمع أحدا يقول قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أي من غير ذكر واسطة سوى أم خالد والجملة حالية معترضة بين القول ومقوله (ما حدثتكم) أي ما رويت لكم حديثا (عن أحد) من اتباع التابعين (الا وأيوب أفضل منه وقال) أي مالك رحمه الله للدلالة على ذلك (وحج) أي أبو أيوب (حجتين) أي مرتين (فكنت أرمقه) بضم ميم أي انظر اليه وأتأمل لديه (ولا أسمع منه) أي كلاما يكون عليه أولا أسمع منه حديثا يحدثني به (غير انه كان اذا ذكر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بكى) الظاهر يبكي (حتى أرحمه) أي من شدة بكائه وكثرة عنائه شوقا اليه صلى الله تعالى عليه وسلم (فلما رأيت منه ما رأيت) أي من حسن فعاله ما يقتضي بعض بعض كماله واجلاله للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم (كتبت عنه) أي الحديث ورويت عنه العلم (وقال مصعب بن عبد الله) أي ابن مصعب ابن ثابت الزبيري يروي عن مالك وغيره وعنه وعنه الشيخان وغيرهما (كان مالك اذا ذكر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) وفي نسخة بصيغة المفعول وهو يشمل ما ذكره وذكره غيره عنده ويؤيده ان في نسخة فاذا ذكر عنده النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (يتغير لونه وينحني) أي يميل ظهره (حتى يصعب) بضم العين أي يشتد (ذلك على جلسائه) أي من أجل مشاهدة شدة عنائه (فقيل له يوما في ذلك) أي في تهوين الامر على نفسه هنالك (فقال لو رأيتم ما رأيت) أي لو عرفتم ما عرفت من جلال مقامه وجمال مرامه (لما أنكرتم على ما ترون) أي ما تبصرون من اضطراب حالي وتغير مقالي (ولا يبعد ان يكون المعنى) لو أبصرتم ما أبصرت من مشاهدة جماله ومطالعة جلاله في مقام مكاشفة كماله (لقد كنت أرى محمد بن المنكدر) أي التيمي المدني الحافظ يروي عن أبيه وعائشة وأبي هريرة وهو مرسل قاله ابن معين وأبو زرعة وعن أبي قتادة قال العلائي والظاهر ان ذلك مرسل وعن أبي أيوب وجابر وعنه شعبة ومالك والسفيانان امام مسن له بكاء وتوفي سنة ثلاثين ومائة (وكان سيد القراء) جملة معترضة (لا نكاد نسأله عن حديث أبدا) أي قط (الا يبكي) من لوعة الاحتراق بلذعة الافتراق (حتى نرحمه) من كثرة بكائه وشدة عنائه

اليه بقلبه وقالبه كما قاله ابن المقري رحمه الله تعالى

تخاطبه لما تناجيه مقبلا * على غيره فيها الا لى ضرورة
ولو ردمن ناجاك للغير طرفه * تميزت من غيظ عليه وغيرة

فتدبر (وقال مالك وقد سئل عن أيوب السختياني) وهو الامام أبو بكر البصري التابعي سيد الفقهاء والمحدثين روى عنه مالك والثوري وغيره والسختياني بكسر السين نسبة لعمل السختيان وهو الجلد المدبوغ وهو معرب وتاؤه تفتح وتكسر أخرج له الستة وتوفي سنة احدى وثلاثين ومائة وقيل غير ذلك (ما حدثتكم) أي رويت لكم (عن أحد) من مشايخه (الا وأيوب أفضل منه قال) مالك (وحج حجتين) وكنت حاجا اذ ذاك (فكنت أرمقه) أي أنظر اليه يقال رمقه اذا نظر اليه (ولا أسمع منه) شيأ يتكلم به لطول صمته كذا قيل والظاهر انه أراد لا أسمع منه الحديث فاروبه عنه لما سيأتي من قوله كتبت عنه (غير انه كان اذا ذكر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) عنده (بكى حتى أرحمه) أي يرق قلبي عليه رحمة له لما أراه منه (فلما رأيت منه ما رأيت واجلاله للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم) واتباع سنته في جميع أحواله المقتضية لمحبة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وخشوعه لذكره علمت شدة ديانته وانه ثقة ظاهر العدالة فسمعت منه و(كتبت عنه) الحديث وروايته عنه وهذا يدل على كمال ورعه في الرواية وانه لا يروي عن كل أحد حتى يختبره وبكاؤه اما لتحسره على انه لم يره صلى الله تعالى عليه وسلم واشتياقه له أو لخوفه من تقصيره في اتباعه أو لاجلاله وتذكر مهابته حتى كأنه يراه وهذا أقرب للسياق (وقال مصعب) بصيغة المفعول علم منقول من الفعل الشديد (ابن عبد الله) بن مصعب ابن ثابت الزبيري الحافظ أحد رواة الامام مالك (كان مالك) بن أنس رضي الله تعالى عنه ورحمه (اذا ذكر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) عنده (يتغير لونه) بان يصفر كما يعتري من اشتد خوفه من شيء (وينحني) أي يتضاءل لشدة خشوعه حتى يصير كالمنحني (حتى يصعب ذلك على جلسائه) وتلامذته لخوفهم عليه (فقيل له في ذلك) أي سئل عنه وما سببه (فقال لو رأيتم ما رأيت) من السلف من خشوعهم واجلالهم لذكره صلى الله تعالى عليه وسلم (لما أنكرتم على ما ترون) مما شاهدتموه من حالتي (لقد رأيت محمد بن المنكدر) بن عبد الله التيمي المدني الحافظ توفي في سنة خمس ومائتين أخرج له الستة (وكان سيد القراء) أي كان في عصره رئيس العلماء العارفين بالقرآن وتفسيره ووجوه قراءاته وأحكامه (لا نكاد نسأله عن حديث أبدا الا يبكي حتى نرحمه) شفقة عليه لما نراه من اضطرابه لشدة

(ولقد كنت أرى جعفر بن محمد) أى الصادق كما فى نسخة وهو بالنصب لقب جعفر ولقب أبيه الباقر وهو ابن زين العابدين بن على بن الحسين بن على رضى الله تعالى عنهم (وكان كثير الدعابة) بضم الدال المهملة أى المزاح (والتبسم) يعنى لكمال خلقه وجمال خلقه والجملة معترضة (فاذا ذكر عنده النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اصفر) بتشديد الراء أى تغير لونه وتحول كونه (وما رأيته يحدث عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الا على طهارة ولقد اختلفت) أى ترددت (اليه زمانا) أى كثيرا (فما كنت أراه) أى أشاهده (الا على ثلاث خصال) أى احدى حالات ثلاث (اما مصليا واما صامتا) أى ساكتا متفكرا (واما يقرأ القرآن) كان الاولى ان يقول واما قارئا للقرآن (ولا يتكلم الا فيما يعنيه) بفتح الياء وكسر النون أى ينفعه فى دينه عملا بقوله تعالى والذين هم عن اللغو معرضون وامتثالا لقوله عليه الصلاة والسلام من حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه (وكان) أى الامام جعفر الصادق (من العلماء والعباد) أى ممن جمع بين العلم والعمل وترك الهوى وطول الامل (الذين يخشون الله) أى يخافون عقوبته ويهابون عظمته (عز) أى شأنه وسلطانه (وجل) أى برهانه سبحانه وتعالى (ولقد كان عبد الرحمن ابن القاسم) أى ابن محمد ابن أبى بكر الصديق التيمى ولد زمن عائشة رضى الله تعالى عنها وسمع أباه وابن المسيب وعنه شعبة ومالك وابن عيينة ثقة ورع مكثر امام قال ابن عيينة كان أفضل زمانه وكذلك أبوه وقد توفى بالمدينة سنة ست وعشرين ومائة أى (يذكر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فينظر الى لونه) بصيغة المفعول (كأنه نزف) بضم النون وكسر الزاى أى سال (منه الدم) ولم يبق منه شئ وهو كناية عن اصفرار وجهه وضعف بدنه (وقد جف لسانه) بفتح الجيم وتشديد الفاء أى يبس (فى فمه) أى فلم يطق على تمام كلامه من كمال اكرامه واحترامه (هيبة لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أى اعظاما لمقامه (ولقد كنت آتى) أى أجئ (عامر ابن عبد الله بن الزبير) أى ابن العوام العابد الكبير القدر سمع أباه وجماعة وعنه مالك وطائفة قال ابن عيينة اشترى نفسه من الله تعالى بست مرات توفى بعد عشرين ومائة (فاذا ذكر عنده النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بكى) أى كثيرا (حتى لا يبقى فى عينيه دموع)

مهابته لذكره صلى الله تعالى عليه وسلم أو لشدة شوقه الى لقائه وتأسفه على عدم رؤيته صلى الله تعالى عليه وسلم وكاد هنا زائدة لتأكيد الكلام وقد ورد فى كلامهم كثيرا كما فى القاموس وهو أحد الوجوه فى قوله تعالى لم يكد يراها أى لم يرها والمراد وأبدا المطلق الاستغراق ويكون لاستغراق الازمنة المستقبلة فهى هنا لحكاية الحال الماضية وتنزيلها منزلة ما حضر واستمر كالمضارع فى قوله هنا الا يبكى قال الامام مالك رحمه الله تعالى (ولقد كنت أرى جعفر بن محمد) اللام فى جواب قسم مقدر ووقع فى بعض النسخ هنا تلقيب جعفر بأنه (الصادق) ومحمد هو الباقر بن زين العابدين بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهم (وكان كثير الدعابة) بضم الدال والعين المهملتين والف وباء موحدة وهى المزاح (والتبسم) وهو أقل الضحك والجملة معترضة ومع كثرة مزاحه وانشراح صدره (فاذا ذكر عنده النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اصفر) لونه وتغير وجهه لمهابته واجلاله لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (وما رأيته يحدث عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الا) وهو (على طهارة) أى بوضوء لنقل الحديث فيعلم منه نفى الحدث الاكبر بالطريق الاولى وذلك لتعظيم الحديث (ولقد اختلفت اليه زمانا) كثيرا أى ذهبت اليه مرارا كثيرة يقال اختلف اليه اذا جاء وذهب وأتى وقتا بعد وقت فى أوقات مختلفة فنزل اختلاف الاوقات منزلة اختلاف الذوات وضمير اليه لجعفر المذكور (وما كنت أراه الا) مستمرا (على ثلاث خصال اما مصليا واما صامتا) لا يتكلم (واما يقرؤ القرآن) فيناجى ربه (ولا يتكلم فيما لا يعنيه) بفتح أوله أى يهمه ويجديه نفعا صونا لسانه عن اللغو (وكان من العلماء) بالعلوم الشرعية (و) من (العباد الذين يخشون الله) وهذا حاله فى منزله وخلوته والدعابة والتبسم اذا كان فى ملأ من الناس تلطفا بهم وحسن خلق فلا منافاة بينهما كما توهم قال مالك رحمه الله تعالى (ولقد كان عبد الرحمن بن القاسم) بن محمد بن أبو بكر الصديق أحد فقهاء المدينة توفى رحمه الله تعالى سنة احدى وثلاثين ومائة وأبوه أحد الفقهاء السبعة (يذكر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فينظر الى لونه كأنه نزف منه الدم) نزف مبنى للمجهول ومعناه سال وفيه تسمح أو تقدير اذ اللون لا ينزف والمراد انه سال دمه فاصفر صفرة مفرطة لان حمرة البشرة بما تحتها من الدم وتوهم بعضهم ان معناه انه احمر خجلا واعترض بأن المناسب لقوله (ولقد جف لسانه فى فمه) الاصفرار لا الاحمرار ثم قال ولعله يحصل له حالة خجل ثم حالة خوف وهو من عدم التأمل وجفاف اللسان بذهاب ريقه لخوفه (هيبة لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) مفعول له لما قبله وقيل لقد ليتحد فاعلاهما ولا حاجة اليه وان جاز (ولقد كنت آتى عامر بن عبد الله بن الزبير) بن العوام العابد الجليل القدر أخرج له الستة وتوفى بعد عشرين ومائة وترجمته معروفة (فاذا ذكر عنده النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بكى حتى لا يبقى فى عينيه دموع)

ولقد رأيت الزهري) وهو محمد بن شهاب (وكان من أهنأ الناس) بفتح همزة وسكون هاء فنون فهمزة أي ألطفهم في العشرة (وأقربهم) أي في المودة (فاذا ذكر عنده النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فكأنه ما عرفك ولا عرفته) أي لتغير حاله واختلاف مقاله في مقام جلاله (ولقد كنت آتي صفوان بن سليم) بالتصغير وهو الامام القدوة المدني ممن يستشفى بذكره يروي عن ابن عمر وعبد الله ابن جعفر وابن المسيب وعنه مالك وغيره (وكان من المتعبدين المجتهدين) يقال انه لم يضع جنبه على الارض أربعين سنة (فاذا ذكر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بكى) فان البكاء هو الشفاء من العناء والشقاء والمعنى استمر على البكاء (حتى تقوم الناس عنه ويتركوه) أي حذرا من رؤيته على تلك الحالة المحزنة (ويروى عن قتادة رضي الله تعالى عنه انه كان اذا سمع الحديث) أي حديثه عليه الصلاة والسلام (أخذه العويل) بفتح المهملة وكسر الواو أي صوت الصدر بالبكاء (والزويل) بفتح الزاي وكسر الواو أي القلق به والعناء وأصل الزويل عدم الاستقرار يقال زال عن مكانه يزول زوالا وزويلا (ولما كثر على مالك الناس) أي اجتمعوا عليه بكثرة بعدما كانوا بوصف قلة (قيل له لو جعلت مستمليا) أي مبلغا للناس (يسمعهم) من الاسماع أي ليسمع القوم كلهم لكثرتهم وبعد بعضهم وجواب لو مقدر أي لكان حسنا أو معناه التمني أي تمنينا جعلك أحد مستمليا (فقال قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي) أي توقيرا له وتكريما وتعزيزا له وتعظيما (وحرمته حيا وميتا سواء) لان فناءه في الحقيقة بقاء فانه حي يرزق بدار اللقاء (وكان ابن سيرين) من اجلاء التابعين (ربما يضحك) أي يتبسم (فاذا ذكر عنده حديث النبي صلى الله تعالى عليه وسلم خشع) أي خاف وخضع وتواضع كذا في نسخة هنا والظاهر انه مكرر لما سيأتي في الفصل الذي يليه (وكان عبد الرحمن بن مهدي) وهو أحد الاعلام في الحديث روى عنه أحمد قال ابن المديني أعلم الناس بالحديث هو عبد الرحمن بن مهدي وقال الزهري ما رأيت في يده كتابا يعني كان حافظا (اذا قرأ حديثه صلى الله تعالى عليه وسلم أمرهم) أي الناس أو

أي لبكائه بكاء شديد الملام (ولقد كنت آتي صفوان بن سليم) مصغر وهو مولى حميد بن عبد الرحمن الزهري القرشي مات سنة اثنين وثلاثين ومائة وكان أكثر أهل المدينة عبادة وزهدا وفضلا وبها توفي كما قال (وكان) صفوان المذكور (من المتعبدين) أي المكثرين للعبادة المداومين عليها (المجتهدين) في العبادة المجدين فيها ويحتمل ان يكون وصل لرتبة الاجتهاد في أحكام الدين لزيادة فضله واحاطته بالسنة وهو جملة معترضة (فاذا ذكر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عنده بكى فلا يزال يبكي حتى يقوم الناس عنه ويتركوه) لاتصال بكائه وطوله (ولقد رأيت الزهري) الامام محمد بن مسلم بن عبيد الله ابن عبد الله بن شهاب التابعي الامام الجليل المشهور توفي في رمضان سنة أربع وعشرين ومائة وهو ابن اثنين وسبعين كما تقدم (وكان من أهنأ الناس) أي أسهلهم وأحسنهم خلقا وألينهم عريكة مستعار من هنؤ الطعام اذا ساغ وسهل (وأقربهم) الى الناس لحسن تردده لهم ومع ذلك (فاذا ذكر عنده النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فكأنه ما عرفك ولا عرفته) لدهشته وحيرته واعراضه عمن عنده وذهوله عن معرفته لاشتغال قلبه وحواسه بالفكر لاجلاله وتعظيمه وقد ذكر مالك رحمه الله تعالى هؤلاء بيانا لانه اقتدى بهم واهتدى بهديهم وان حاله لم يصل لحالهم فلا يتعجب منه (وروي عن قتادة) تقدم بيانه (أي كان اذا سمع الحديث) يقرؤ عنده (أخذه) أي عرض له واستولى عليه حتى كأنه أخذه (العويل) بعين مهملة هو صياح مع البكاء (والزويل) بفتح الزاي المعجمة وكسر الواو وياء ولام وهو القلق والانزعاج لشدة الخوف يقال زال زويلة في الدعاء أي ذهب ذعرة وهو مأخوذ من الزوال لتغير حاله عما كان عليه (ولما كثر على) الامام (مالك الناس) أي اجتمع عنده لسماع الحديث ناس لا يحصون كثرة وأتوه من كل فج (قيل له لو جعلت مستمليا) أي أحدا يجلس قريبا منك ويملي عليه الحديث فيأخذه عنك فيبلغهم و(يسمعهم) ما يعيده لهم لكثرتهم وبعد بعضهم عنك ممن في آخر الحلقة ولو للتمني للمناسبة بينهما في عدم الوقوع ولما لزم بما قالوه رفع صوت المبلغ كما هو المعتاد لم يرتض ما قالوه من وضع مستمل في الحلقة والاستملاء طلب الاملاء وهو القاء الكلام على الغير (فقال) مالك مجيبا ارشادا لهم وتأدبا مستدلا بقوله تعالى (قال الله يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم الى آخره) فقاس منع رفع الصوت في مجلس قراءة الحديث على منعه في مجلسه حال حياته وبينه بقوله (وحرمته) أي احترامه وتوقيره (حيا وميتا سواء) فكما لزم الاول لزم الثاني ثم نقل ما يوافق ما قاله مالك بقوله (وكان ابن سيرين ربما يضحك فاذا ذكر عنده حديث النبي صلى الله تعالى عليه وسلم خشع وكان عبد الرحمن بن مهدي) بن حسان أبو سعيد الحافظ الثقة البصري المعروف باللؤلؤي أحد أعلام الحديث وقال ابن المديني أعلم الناس بالحديث ابن المهدي توفي سنة ثمان وتسعين ومائة وأخرج له أصحاب الكتب الستة (اذا قرأ حديث النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أمرهم) أي أمر من حضر في

أصحابه (بالسكوت أي رعاية لحرمته وعناية لفهم مقولته) وقال أي عبد الرحمن مقتبسا من القرآن (لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي) يعني وكذا فوق صوت راوي حديثه (ويتأول انه يجب له) أي لاجله (عند قراءة حديثه) أي روايته بعد مماته (ما يجب له عند سماع قوله) أي كلام نفسه في حال حياته *(فصل)* (في سيرة السلف) أي طريقتهم (في تعظيم رواية حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وسنته) ولعله أراد بالحديث قوله و بالسنة فعله (حدثنا الحسين بن محمد الحافظ) أي ابن سكرة (ثنا أبو

مجالسه (بالسكوت) والانصات لاستماعه (وقال) مخاطبا لمن عنده (لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ويتأول) الآية التي تلاها بجعل الصوت شاملا لحكايته وانه عام لهما ودال على (انه يجب له) صلى الله تعالى عليه وسلم (من الانصات عند قراءة حديثه ما يجب له عند سماع قوله) حقيقة في حياته لما فيه من التوقير وحرمته وحسن الادب كما قيل

حديثه أو حديث عنه يطربني * هذا اذا غاب أو هذا اذا حضرا

فان قلت ما نقله عن مالك من انه لم يرض بمستمل في مجلسه ينافي ما نقل عنه انه كان له مستمل يبلغ الناس عنه قلت حاله الاول كان قبل كثرة الناس جدا بحيث يسمعون كلامه بغير واسطة ثم كثر الناس عليه بعد ذلك فرأى ان المستملي لا بد منه فاتخذه للضرورة وقد قال المحدثون انه لا يضع مستمليا اذا سمعوه لان أعلى مرتبة السماع ما كان من لفظه فان لم يتيسر ذلك اتخذ مستمليا واحدا فاكثر واستدلوا لذلك بانه صلى الله تعالى عليه وسلم خطب الناس بمنى على بغلته الشهباء وعلي رضي الله تعالى عنه يبلغ الناس فعلم ما تقرر انهم ان كثروا بحيث لا يكفي مستمل واحد زادوا بقدر الحاجة ويكون المستملي على مكان واحد مرتفع من كرسي ونحوه أو قائما ان أمكنه

(فصل في سيرة السلف) وعادتهم (في تعظيم رواية حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وسنته) عطف تفسير لشموله الاقواله وأفعاله وجميع ما يتعلق به وفي نسخة سننه بصيغة الجمع وفي أخرى وسنتهم وهذا تتمة للفصل الذي قبله كما أدرجه في ترجمته لكنه فصله لاختصاصه بالحديث وأتى له بشاهد رواه مسندا فقال (حدثنا الحسين بن محمد الحافظ) المعروف بابن سكرة كما تقدم قال (حدثنا أبو الفضل بن خيرون) تقدمت ترجمته وانه يجوز فيه الصرف وعدمه قال (حدثنا أبو بكر البرقاني) وهو أحمد بن محمد بن أحمد بن غالب الخارزمي الشافعي شيخ بغداد وأحد الاعلام بها صاحب التصانيف الجليلة بها وتخريج الصحيحين روى عنه كثير كالصوري والبيهقي والخطيب وأبي اسحق الشيرازي وابن خيرون وتوفي ببغداد في أول رجب سنة خمس وعشرين وأربعمائة وترجمته معروفة والبرقاني بباء موحدة وراء مهملة وقاف (وغيره) قال (حدثنا أبو الحسن الدارقطني) شيخ الاسلام الحافظ تقدم وانه منسوب لدارقطن محلة ببغداد وراؤه مفتوحة وبعضهم يسكنها كما قاله ابن مرزوق والاولى الاول قال (حدثنا علي بن مبشر) ابن اسمعيل الكابي الثقة وشينه معجمة مشددة مكسورة بوزن اسم الفاعل قال (حدثنا أحمد بن سنان القطان) أبو جعفر الحافظ الواسطي الثقة امام أهل زمانه توفي في سنة ثمان وخمسين ومئتين وأخرج له أصحاب السنن قال (حدثنا يزيد بن هارون) أبو خالد السلمي الواسطي العابد الزاهد أحد الاعلام قال ابن المديني ما رأيت أحفظ منه وعمي في آخر عمره وتوفي في سنة ست ومائتين وأخرج له الستة قال (حدثنا المسعودي) عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة بن عبد الله بن مسعود ولذا عرف بالمسعودي وهو كوفي روى عنه خلق كثير وهو ثقة كثير الحديث توفي سنة ستين ومائة وترجمته في الميزان (عن مسلم البطين) بفتح الموحدة وكسر الطاء المهملة وهو مسلم

الفضل بن خيرون) بفتح أوله المعجم فسكون تحتية فضم راء يمنع وقد يصرف (ثنا أبو بكر البرقاني) بفتح الموحدة هو الحافظ الامام أحد الاعلام أحمد بن محمد ابن غالب الخوارزمي الشافعي شيخ بغداد صنف التصانيف وخرج على الصحيحين روى عنه البيهقي والخطيب وأبو اسحق الشيرازي قال الخطيب كتبنا عنه توفي ببغداد سنة خمس وعشرين وأربعمائة (وغيره) أي من المشايخ (حدثنا أبو الحسن الدارقطني) بفتح الراء ويسكن وهو الحافظ الامام شيخ الاسلام المنسوب الى دارقطن محلة ببغداد (ثنا علي بن مبشر) بفتح ميم وسكون موحدة وكسر معجمة (ثنا أحمد ابن سنان) بكسر أوله وتنوين آخره (القطان) بفتح القاف وتشديد

الطاء هو الحافظ أبو جعفر الواسطي روى عنه الشيخان وغيرهما قال ابن أبي حاتم هو امام أهل زمانه (ثنا يزيد بن هارون) ابن وهو أبو خالد الواسطي السلمي أحد الاعلام قال أحمد حافظ متقن وقال ابن المديني ما رأيت أحفظ منه وقال العجلي ثبت متعبد حسن الصلاة جدا يصلي الضحى ست عشرة ركعة وقد عمي (ثنا المسعودي) أي عبد الرحمن بن عتبة الكوفي أحد الاعلام روى عنه ابن المبارك ووكيع ثقة كثير الحديث توفي في سنة ستين ومئة (عن مسلم البطين) بفتح الموحدة وكسر المهملة أبو عبد الله مسلم بن عمران الكوفي يروي عن ابن وائل وعلي بن الحسين وأبي عبد الرحمن السلمي والاعمش وابن عون ووثقه أحمد وغيره

(عن عمرو بن ميمون) هو الازدي تروي عن عمرو ومعاذ وطائفة وكان كثير الحج والعبادة (قال) أي عمرو بن ميمون كما في رواية الدارمي (اختلفت الى ابن مسعود رضي الله تعالى عنه) أي ترددت الى خدمته (سنة فما سمعته يقول قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي بصريح اسمه وكانه كان يكتفي بضمير اسمه (الا انه حدث يوما) أي وقتا من زمانه (ثم جرى على لسانه قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم علاه كرب) بفتح وسكون أي غلبه غم ياخذ بالنفس (حتى رأيت العرق يتحدر) بتشديد الدال وفي نسخة ينحدر بالنون أي يسيل نازلا (عن جبهته) أي من جهة كثرته (ثم قال) أي ابن مسعود رضي الله تعالى عنه حديثه الذي رويته لكم عنه عليه الصلاة والسلام (هكذا) أي بهذا اللفظ (ان شاء الله تعالى) أي لكمال احتياطه (أو فوق ذا) أي بقليل (أو مادون ذا) أي ببعض شئ (أو ماهو قريب من ذا) أي مما أقوله في نقل هذا وهذا كله تفاديا من الدخول في قوله عليه الصلاة والسلام من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار وكان أبو الدرداء أيضا اذا حدث قال مثله وكان أنس رضي الله تعالى عنه اذا حدث قال أو كما قال (وفي رواية فتربد وجهه) بتشديد الموحدة أي فتغير لون وجه ابن مسعود وزيد في نسخة الى غبرة وهي سواد مشوب ببياض فان الربدة لون الى الغبرة قال الهروي يقال تربد لونه أي تلون وصار كلون الرماد (وفي رواية وقد) وفي نسخة فقد (تغرغرت عيناه) أي امتلأت عينا ابن مسعود دمعا يتردد فيهما من الغرغرة وهي في الاصل ان يجعل المشروب في الفم ويردد الى الحلق من غير ان يبلع ومنه حديث ان الله تعالى يقبل توبة العبد مالم يغرغر أي مالم تبلغ روحه حلقومه تشبيها لها بالشئ الذي يتغرغر به المريض (وانتفخت أوداجه) جمع ودج وهو ماحاط بالعنق من عروق الحلق التي يقطعها الذابح (وقال ابراهيم بن عبد الله بن قريم) مصغر قرم بالقاف أي مقدام في المعركة وعن علي انا أبو الحسن القرم المقدام في الرأي وهو في الاصل فحل الابل والمعنى أنا فيهم بمنزلته (الانصاري قاضي المدينة) أخرج له الترمذي فقط (مر مالك بن أنس) وهو امام دار الهجرة (على أبي حازم) بكسر الزاي وحاؤه مهملة وهو سلمة بن دينار الاعرج احد الاعلام يروي عن سهل بن سعد وابن المسيب وعنه مالك وأبو ضمرة قال ابن خزيمة ثقة لم يكن في زمانه مثله (وهو يحدث) أي والحال ان أبا حازم يحدث عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (فجازه) أي جاز الموضع أو الشيخ وهو بمعنى جاز به وجاوزه والمعنى لم يجلس اليه ليأخذ الحديث عنه (وقال) اعتذار المن أورد عليه السؤال بلسان القال أو ببيان الحال (اني لم أجد موضعا اجلس فيه) أي متادبا (فكرهت ان آخذ) أي اسمع واتحمل (حديث رسول الله

ابن عمران أبو عبد الله الكوفي وثقه أحمد وأخرج له الستة (عن عمرو بن ميمون) العابد التابعي الازدي أدرك زمنه صلى الله عليه وسلم ولم يلقه وهو ثقة حج مائة حجة وتوفي سنة اربع وسبعين ومائة (قال اختلفت الى ابن مسعود) أي ترددت عليه (سنة) تمييز (فما سمعته) اذا حدث (يقول قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) صونا لذكره وهيبة له واحتياطا في النقل عنه (الا انه حدث يوما) بحديث نقله (فجرى على لسانه قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم علاه كرب) أي ظهر عليه حزن وغم يؤدي لضيق نفس (فرأيت العرق يتحدر) أي ينزل سائلا منه مفصلا (عن جبهته ثم قال) ابن مسعود (هكذا) قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كما رويته لكم مساوي له لفظا ومعنى (ان شاء الله) اشارة الى انه لم يصدر عن جزم منه وهذا بناء منه على عدم جواز الرواية بالمعنى وفيه خلاف مشهور وتفصيله في كتاب ابن الصلاح وهو احتراز عن الكذب عليه وان يقول مالم يقله (أو فوق ذا) أي يزيد عليه يسيرا (أو مادون ذا) أي ينقص عنه (أو ماهو قريب من ذا) بمخالفته بامر قليل جدا وهو احتياط منه رضي الله عنه (وفي رواية فتربد وجهه) بباء موحدة بعد راء ثم دال مهملتين أي تغير لونه لكموده عن شدة الكرب (وفي رواية وقد تغرغرت عيناه) أي امتلأتا بدمع متردد كالماء في فم من يتغرغر به فهو مجاز كما في حديث تقبل توبة العبد مالم يغرغر أي تبلغ روحه حلقومه كماء الغرغرة (وانتفخت أوداجه) جمع ودج بفتحتين وهو عرق غليظ في العنق والودجان يقطعهما الذابح وانتفاخهما كبرهما بغليان الدم لانتشار الحرارة الغريزية لخوف ونحوه (وقال ابراهيم بن عبد الله بن قريم) بضم القاف وفتح الراء المهملة ومثناة تحتية وميم مصغر قرم (الانصاري قاضي المدينة) ذكره في التهذيب والميزان وأخرج له الترمذي في علل جامعه ولم يترجموه وروى عن مالك كما قال (مر مالك بن أنس على أبي حازم) بحاء مهملة وزاي معجمة وهو سلمة بن دينار الاعرج أحد الاعلام الذي روى عنه مالك وغيره ثقة لم يكن في زمانه مثله توفي سنة أربعين ومائة وأخرج له الستة (وهو يحدث) أي يروي الحديث لمن عنده (فجازه) أي تجاوز مجلسه ولم يقف (وقال) حين سئل عن سبب ذلك (اني لم أجد موضعا أجلس فيه) لكثرة الناس (فكرهت ان آخذ) أي اسمع لاروي (حديث رسول الله

صلى الله تعالى عليه وسلم وانا قائم) قال الدلجي والعجب منه رحمه الله تعالى انه كان مع مبالغته في تعظيم حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قدم عليه عمل أهل المدينة وإن خالفه ويقول هذا لم يصحبه عمل فجعل العمل بحديثه صلى الله تعالى عليه وسلم مشروطا بعمل غيره مع قوله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ولم يوافقه احد من علماء الامصار على ذلك قال الشافعي كنت اظن انه لم يخالف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الا في ستة عشر حديثا فوجدته يعمل بالفرع ويترك الاصل فمكثت سنة استخير الله تعالى في مخالفته ولما خالفه سعى به المالكية الى السلطان فامره بان يخرج من مصر فقال له أجلني ثلاثة أيام فاجله فليلة الثالث مات السلطان فمكث الشافعي وألف كتبه الجديدة بها الى ان توفي بها تاسع عشرين من جمادي الآخرة سنة اربع ومائتين رحمه الله تعالى انتهى ولا يخفى ان المجتهد أسير الدليل واصول الفقهاء مختلفة في التعليل فذهب مالك ان عمل أهل المدينة بناء على انهم أخذوا عن آبائهم من المهاجرين والانصار التابعين لسيد الابرار مقدم على حديث بظاهره يخالفهم فكانه جعل عملهم بمنزلة اجماعهم وهذا يشبه اختلاف أصول علمائنا الحنفية وهو ان الراوي اذا عمل بخلاف روايته دل على ان حديثه منسوخ أو توهم في نقله ورجع عنه بفعله ونظير هذا عمل أهل مكة في الطواف بارسال اليد حيث يكون بمنزلة الاجماع المانع من ان يكون وضع اليد فيه مستحبا بل يحكم فيه بانه مكروه لكونه بدعة واما قول الشافعي في حقه مع قلة ادبه فمحمول على ظنه به انه كان يخالف ظاهر احاديث النبوة وهكذا شان كل مجتهد بالنسبة الى غيره من الائمة مع ان الفضل للمتقدم بالاشبهة وقوله فوجدته يعمل بالفرع دون

الاصل هو الفعل الذي لا يليق ان يصدر مثله من ارباب الفضل (وقال مالك جاء رجل الى ابن المسيب) بتشديد الياء المفتوحة وقد تكسر (فساله) أي الرجل (عن حديث وهو) أي والحال ان ابن المسيب (مضطجع) أي واضع جنبه على الارض (فجلس وحدثه) ولعله كان مريضا فتكلف في جلوسه (فقال الرجل وددت) بكسر الدال الاولى أي أحببت وتمنيت (انك ان تتعن) بالعين المهملة وتشديد النون أي لم تتعب ولم تتكلف العناء لنفسك بجلوسك (فقال اني كرهت ان احدثك عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأنا مضطجع) جملة حالية (وروى) بصيغة المجهول أي نقل (عن محمد بن سيرين) بمنع صرفه للعلمية وزيادة الياء والنون على مذهب الفارسي وهو احد الاعلام يروي عن أبي هريرة وعمران بن حصين ولم يسمع منه قاله الدارقطني وروايته عنه في الصحيح وقد تعقب الدارقطني النووي في شرح مسلم فقال بل هو معدود فيمن سمع منه انتهى وكان ثقة حجة كثير العلم ورعا بعيد الصيت قيل كان يصوم يوما ويفطر يوما وله سبعة أوراد في الليل وترجمته طويلة (انه قد يكون يضحك) أي مع اصحابه (فاذا ذكر عنده حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خشع) أي ظاهرا وباطنا (وقال أبو مصعب) هو أحمد بن أبي بكر بن القاسم بن الحارث ابن زرارة بن مصعب بن عبد الرحمن بن عوف أبو مصعب الزهري العوفي قاضي المدينة وعالمها سمع مالكا وطائفة وعنه جماعة وهو ثقة حجة ولا عبرة بقول أبي خيثمة لابنه أحمد لا تكتب عن أبي مصعب واكتب عمن شئت (كان مالك بن أنس رضي الله تعالى عنه لا يحدث بحديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الا وهو على وضوء) أي طهارة (اجلالا له) أي لحديثه عليه الصلاة والسلام (وحكى مالك ذلك) أي مثل ذلك (عن جعفر بن محمد) وهو الصادق وقد تقدم (وقال مصعب بن عبد الله) أي ابن مصعب بن ثابت الزبيري (كان مالك بن أنس رضي الله تعالى عنه اذا حدث عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي اذا اراد تحديثه عنه

صلى الله تعالى عليه وسلم وانا قائم) صونا لحديثه عن الابتذال والامتهان واستماعه في محل يخل بتعظيمه وهكذا كان دأبه ولذا رفع الله قدره وشيد ذكره وهذا لا ينافي ما نقل عنه من انه كان لا يعمل بالحديث ما لم يوافق عمل أهل المدينة فانه لشدة احتياطه في احاديث الاحكام فلا وجه لايراده هاهنا وقيل التعظيم شئ آخر لا مساس له هنا (وقال مالك جاء رجل الى ابن المسيب فساله عن حديث وهو مضطجع) أي واضع جنبه على الارض والجملة حالية (فجلس وحدثه فقال له الرجل وددت) أي كان أحب الي (انك لم تتعن) أي لم تتعب وتترك راحتك (فقال اني كرهت ان احدثك عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وانا مضطجع) تعظيما للحديث وتادبا معه (وروي عن محمد بن سيرين انه قد يكون يضحك فاذا ذكر عنده) في حال ضحكه (حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خشع) أي اظهر الخشوع والاستكانة تادبا ومهابة (وقال أبو مصعب كان مالك لا يحدث بحديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الا وهو على وضوء) أي متوضأ متطهرا (اجلالا له) أي للحديث (وحكى مالك ذلك) أي الحديث على وضوء (عن جعفر ابن محمد) الباقر بن زين العابدين بن الحسين ابن علي بن أبي طالب وقد تقدم قريبا (وقال مصعب بن عبد الله) وهو الزبيري كما تقدم (كان مالك بن أنس اذا حدث عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي اذا أراد ان يحدث عنه

(وتوضا

(توضا وتهيا) أي بالمشط ونحوه (ولبس ثيابه) أي غير ثياب البذلة (ثم يحدث قال مصعب فسئل) أي مالك (عن ذلك) أي عن سبب ماذكرهنالك (فقال انه حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي المقام محل حديثه عليه الصلاة والسلام فيجب التوقير على الانام (قال مطرف) بتشديد الراء المكسورة وهو ابن عبد الله مطرف بن سليمان بن يسار أبو مصعب اليساري المدني مولى ميمونة الهلالية وهو ابن أخت الامام مالك بن انس يروي عن خاله ونافع القاري وعنه البخاري وأبو زرعة (كان اذا أتى الناس مالكا) أي وقفوا على بابه (خرجت اليهم الجارية) أي الخادمة أو لا باذنه لهم لمن هو فيما له بما يليق بشأنه من دخول أو خروج ونحوه (فتقول) أي الجارية (لهم يقول لكم الشيخ تريدون) أي أتريدون (الحديث) أي نقل الاحاديث النبوية (أو المسائل) أي رواية الفروع الفقهية والاستفهام للاستعلام لا للتقرير كما وهم الدلجي على

ما لا يخفى عند ذوي الافهام (فان قالوا المسائل) أي نريدها (خرج اليهم) أي على هيئته من غير تغير في حالته (وان قالوا الحديث) أي نطلبه (دخل مغتسله) أي موضع اغتساله (فاغتسل) أي غسلا كاملا أو توضأ وضوأ كاملا أو معناه فتطهر (وتطيب) الواو للمعية فلا ينافي كونه قبل قوله (ولبس ثيابا جددا) بضمتين جمع جديد حقيقة أو حكما فيشمل النظيف المغسول (ولبس ساجه) بالاضافة الى ضميره أي طيلسانه وقيل الاخضر ههنا خاصة وفي القاموس هو الطيلسان الاخضر أو الاسود (وتعمم) أي لبس عمامته (ووضع على رأسه رداءه وتلقى) بصيغة المجهول أي توضع (له منصة) بكسر ميم ويفتح وبفتح نون وتشديد صاد مهملة سرير العروس وقيل مثل المخدة العالية وقيل المراد بها الكرسي (فيخرج فيجلس عليها وعليه الخشوع) أي آثاره من الخضوع (ولا يزال) قيل أي الشان والظاهر ان الضمير لمالك (يبخر) بتشديد الخاء المعجمة المفتوحة وروي يتبخر (بالعود) ويعاد بالعود (حتى يفرغ من حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال غيره) أي غير مطرف (ولم يكن) أي مالك رحمه الله (يجلس على تلك المنصة الا اذا حدث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) بخلاف سائر العلوم من التفسير والفقه ونحوهما (قال ابن أبي أويس) وهو اسمعيل بن عبد الله بن أويس الاصبحي ابن أخت مالك بن أنس يروي عن خاله مالك وأبيه وجماعة وعنه الشيخان وعلي البغوي وطائفة قال أبو حاتم محله الصدق وضعفه النسائي

(توضا وتهيا ولبس ثيابه) للحديث باصلاح هيئته في ثيابه وجلوسه (ثم يحدث) تعظيما لذلك (قال مصعب فسئل عن ذلك) أي عن الداعي له (فقال انه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم) وفي نسخة لانه وهو من بليغ المدح كما اذا قيل للشيء عظمت فلانا فيقول انه فلان ولا تزيد أي حقيق بذلك وشهرة استحقاقه تغني عن بيان وجهه فلا حاجة لتقديره وهو جدير بالتعظيم كما قيل (وقال مطرف) بزنة الفاعل بطاء وراء مشددة مهملتين وفاء وهو مطرف بن عبد الله بن مطرف بن سليمان بن يسار مولى ميمونة وهو ابن أخت الامام مالك توفي سنة عشرين ومائتين وترجمته في الميزان (كان اذا أتى الناس مالكا) لطلب العلم وهو داخل منزله وطلبوا خروجه لاقرائهم (خرجت اليهم الجارية) أي أرسل لهم جارية له فيه (فتقول لهم) لما تعلم من العادة (يقول لكم الشيخ) تعني مالكا (تريدون الحديث) بتقدير اداة الاستفهام أي أتريدون قراءة الحديث وسماعه (أو المسائل) تعريفه للعهد أي مسائل الفقه (فان قالوا) نريد (المسائل) أي قراءتها (خرج اليهم) بسرعة من غير تهيؤ (وان قالوا) نريد (الحديث) أي قراءته (دخل مغتسله) أي موضعه المعد للغسل والطهارة في بيته (واغتسل وتطيب) وتضمخ بما تطيب رائحته (ولبس ثيابا جددا) بضم أوله وثانيه جمع جديد كسرير وسرر (ولبس ساجه) هو الطيلسان مطلقا أو الاخضر أو الاسود منه وهو شيء كالبرنس (وتعمم) أي وضع عمامته المعدة للتجمل على رأسه (ووضع على رأسه رداءه) على عادة أشراف العرب (وتلقى له منصة) في محله المعد له لاقرائه وهو بكسر الميم وفتحها شيء عال كالكرسي والسرير من نصصته اذا رفعته (فيخرج) من بيته للناس (ويجلس عليها وعليه الخشوع) أي السكينة والوقار (ولا يزال يبخر) بالبناء للمفعول ويجوز بناؤه للفاعل بمعنى يأمره (بالعود) الهندي المعروف فيوقد عنده ليعطر مجلسه به (حتى يفرغ من) قراءة (حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اجلالا له وتكريما وتطييبا فانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يحب الرائحة الطيبة فجعل مجلس حديثه كمجلسه حيا كما تقدم (قال غيره) أي غير مطرف (ولم يكن يجلس على تلك المنصة الا اذا حدث عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) فعلم انه انما فعله رعاية للحديث لا لنفسه (قال ابن أويس) هو اسمعيل بن عبد الله بن أويس بن أبي عامر وقيل اسمعيل بن عبد العزيز بن عبد الله توفي سنة ست أو سبع وعشرين ومائتين في رجب وهو ابن عم الامام مالك وابن أخته وزوج بنته روى عنه وعن غيره ولازم مالكا احدى وعشرين سنة وأخرج له في الصحيحين والسنن وضعفه النسائي لانه كان مغفلا كما قاله أبو حاتم وترجمته في الميزان

(فقيل لمالك في ذلك) أي فسئل عن سبب ما فعله هنالك (فقال أحب ان أعظم حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولا أحدث) بالنصب ويرفع (به) أي بحديثه عليه الصلاة والسلام (الا على طهارة) أي كاملة (متمكنا) أي على حالة فاضلة لا متكئا ومعتمدا على شقه ما ثلة (قال) أي ابن أبي أويس (وكان) أي خاله مالك (يكره أن يحدث) بكسر الدال المشددة أي يتكلم بالحديث النبوي (في الطريق) أي سائرا (وهو قائم أو مستعجل) خوفا من الخطأ أو الخلل ومن ثمة قيل (شعر)

قد يدرك المتأني بعض حاجته * وقد يكون مع المستعجل الزلل

(وقال) أي مالك في تعليل ذلك (أحب ان أفهم) بالتشديد أي الطالب (حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) بالوجه الاتم (قال ضرار بن مرة) بضم ميم وتشديد راء أي أبو سنان الشيباني الكوفي يروي عن سعيد بن جبير وعنه شعبة ونحوه وكان من العباد والثقاة (كانوا) أي السلف (يكرهون أن يحدثوا) أي الحديث كما في نسخة (على غير وضوء) أي طهارة (ونحوه عن قتادة رضي الله تعالى عنه) أي وكان قتادة لا يحدث الا على طهارة ولا يقرؤه الا على وضوء (وكان الاعمش) أي سليمان بن مهران (اذا حدث) أي أراد أن يحدث (وهو على غير وضوء تيمم قال عبد الله بن المبارك كنت عند مالك) أي يوما (وهو يحدثنا فلذغته عقرب ست عشرة مرة) كذا في النسخ المصححة ووقع في أصل الدلجي ستة عشر مرة فقال صوابه ست عشرة مرة ذالتاء انما تلحق في مثل هذا التركيب ثاني جزأيه (وهو) أي مالك (يتغير لونه) أي من شدة الالم (ويصفر) أي وينحل الى صفرة من أثر السم (ولا يقطع حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي محافظة على اكماله ومراعاة لاجلاله (فلما فرغ من المجلس) أي مجلس التحديث (وتفرق عنه الناس) أي العامة (قلت له يا أبا عبد الله لقد رأيت منك اليوم عجبا قال نعم لدغتني عقرب ست عشرة مرة وأنا صابر في جميع ذلك وانما صبرت) أي هنالك (اجلالا لحديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال ابن مهدي مشيت يوما مع مالك الى العقيق) قال الجوهري كل مسيل شقه ماء السيل فهو عقيق وقال الحلبي العقيق واد عليه مال من أموال أهل المدينة وهو على ثلاثة أميال وقيل ميلين وقيل سبعة قال ابن وضاح وهما عقيقان أحدهما عقيق المدينة عق عن حرتها أي قطع وهو العقيق الاصغر وفيه بئر رومة والعقيق الآخر أكبر من هذا وفيه بئر على مقربة منه

(فقيل لمالك في ذلك) أي سئل عن سبب ما كان يفعله من لباسه واغتساله وبخوره وجميع ما تقدم عنه (فقال أحب ان أعظم حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) بما فعلته (ولا أحدث به) أي بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم (الا على طهارة) كاملة (متمكنا) أي جالسا في مكانه على هيئة مستقرة غير مستوفز لما فيه من عدم المبالاة بما حدث عنه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (قال وكان) مالك رحمه الله تعالى (يكره أن يحدث) أي ينقل الحديث وهو مار (في الطريق أو وهو قائم) على رجليه (أو مستعجل) أي على عجلة فيتأنى فان الخير كله في ترك العجلة ولذا قيل العجلة من الشيطان وقد يكون مع المستعجل الزلل فيخطئ فيما نقله (وقال) مالك (أحب ان أفهم حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) فلذا تأنى في نقله ليكون أعون على فهمه (وقال ضرار بن مرة) أبو سنان الشيباني الكوفي العابد الثقة أخرج له أصحاب السنن (كانوا) أي السلف ومن لقيهم من التابعين (يكرهون أن يحدثوا) أي ينقلوا (الحديث) النبوي (على غير وضوء) وطهارة (ونحوه) روي (عن قتادة) بن النعمان وقد تقدمت ترجمته وفي نسخة هنا (وكان الاعمش) سليمان بن مهران (اذا أحب أن يحدث وهو على غير وضوء) ولم يتمكن منه (تيمم وكان قتادة لا يحدث الا على طهارة) ويأتي الكلام على ذلك آخر الفصل (وقال عبد الله بن المبارك) تقدمت ترجمته (كنت عند مالك) بن أنس (وهو يحدثنا) أي ينقل لنا الحديث (فلدغته عقرب) أي في حال قراءته والعقرب من ذوات السموم المعروفة وسمها في رأس ذنبها فاذا ضربت به أحدا انتشر فيه سمها فيقتله ولدغها ضربها بعقد ذنبها وقد اشتهر على الالسنة ان اللذغ بذال وغين معجمتين وقد قال الشراح هنا ان الصحيح ان داله مهملة وغينه معجمة وانه يقال لدغته العقرب ولسعته الحية ويقال عقرب وعقربة ونقل بعض العلماء ان الذال والغين المعجمتين لا يجتمعان في كلمة عربية اما لذع النار فهو باعجام الاولى واهمال الثانية معناه الاحراق وقوله (ست عشر مرة) كذا في النسخ وصوابه ست عشرة بلحوق التاء في جزئه الثاني كذا قيل وفيه نظر (وهو يتغير لونه ويصفر) عطف تفسير (ولا يقطع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم) احتراما له واجلالا (فلما فرغ من المجلس) أي أتم نقل الحديث (وتفرق عنه الناس) المستمعون له (قلت له يا أبا عبد الله لقد رأيت منك اليوم عجبا) أي أمرا يتعجب منه لصبرك وعدم تحريكك (قال نعم) ما قلته صحيح (انما صبرت اجلالا لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم) اذ لم يتحرك وينزعج وهو يحدث (وقال ابن مهدي مشيت يوما مع مالك الى العقيق) وهو اسم لمواضع كثيرة بالحجاز والمراد به هنا

موضع

وهو من بلاد مزينة وهو الذي أقطعه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بلال بن الحارث ثم أقطعه عمر الناس فعلى هذا تحمل المسافتان لا على الخلاف والعقيق الذي جاء فيه انك بواد مبارك هو الذي ببطن وادي ذي الحليفة وهو الاقرب منها والعقيق ميقات أهل العراق موضع قريب من ذات عرق قبلها بمرحلة أو مرحلتين والظاهر انه ليس أراد وانما المراد واحد من التي بالمدينة ولعله الاول وفي بلاد العرب مواضع كثيرة تسمى العقيق والله ولي التوفيق (فسألته عن حديث فانتهرني) أي زجرني (وقال لي كنت في عيني أجل) أي أعظم من ان تسأل (عن حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ونحن نمشي) جملة حالية (وساله) أي مالكا (جرير ابن عبد الحميد القاضي) أي الضبي روى عنه أحمد واسحق وابن معين وله مصنفات (وهو قائم) حال من مالك أو من جرير (فامر) أي مالك (بحبسه فقيل له انه قاض فقال) أي مالك (القاضي أحق من أدب) بصيغة المجهول أي هو أولى ليتأدبه غيره أو ليتعلم الادب قال الدلجي ودب كذا بالواو والاصل الهمزة يعني فابدلت الهمزة واوا كما في وكدوا أكدا انتهى لكن لا أصل له هنا فان الودب سوء الحال لا غير على ما في القاموس زيادة على الصحاح (وذكر) بصيغة المفعول أي وحكي (ان هشام بن الغازي) وفي نسخة الغاز بلا ياء قال الحلبي هذا هشام بن الغاز بن ربيعة الجوشي يروي عن مكحول وعطاء وقد توفي سنة ست وخمسين ومائة فهو معاصر لمالك وقد توفي قبل مالك والله تعالى أعلم بذلك وقال بعض الفضلاء لا نعلم لهشام ابن الغازي رواية عن مالك رحمه الله تعالى وانما الحكاية عن هشام بن عمار الدمشقي ونقل ذلك عن الحافظ الرشيد العطار انتهى فاخطأ الدلجي في جزمه بقوله وصوابه هشام بن عمار خطيب جامع دمشق ثم قوله وأما ابن الغاز فتابعي لم يرو عن مالك لموته قبل مالك غير صحيح لما ثبت قبل ذلك انه كان معاصر المالك وهو لا ينافي موته قبل مالك ثم لا يبعد انه سمع مالكا ولم يرو عنه ولعل هذه القضية سبب ذلك والحاصل انه أو غيره (سال مالكا عن حديث وهو واقف) أي قائم كما سبق (فضربه عشرين سوطا ثم أشفق عليه) أي حن عليه لما وقع له من الاهانة لديه (فحدثه عشرين حديثا) أي استمالة لخاطره اليه وأما قول الدلجي أي خاف عليه لضربه اياه بلا ذنب يوجب ذلك فغير مستقيم لانه يلزم من ذلك اسناد الذنب الى مالك مع ان للاستاذ تاديب الطالب بما يرى هنالك (قال) وفي نسخة فقال (هشام وددت) بكسر الدال أي تمنيت وأحببت

موضع قريب من المدينة على نحو ميلين منها يتنزه فيه أهل المدينة (فسألته) وأنا ماش معه في الطريق (عن حديث) من أحاديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (فانتهرني) أي زجرني والنهر الزجر كما قال الله تعالى وأما السائل فلا تنهر (وقال) بعد الزجر باسكت ونحوه موبخا لي (كنت في عيني) كناية عن اعتقاده فيه الناشئ عن رؤيته (أجل من ان تسألني) فيه توسع معروف كما كثر من ان يحصى أي أعظم من السائلين (عن حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ونحن نمشي) جملة حالية (وساله) يعني الامام مالك رحمه الله تعالى (جرير بن عبد الحميد القاضي) الضبي الثقة المحدث صاحب المصنفات الجليلة روى عنه البخاري وغيره من أصحاب الكتب الستة وكان رحلة توفي سنة ثمان وثمانين ومائة (عن حديث وهو قائم) الضمير لجرير ويجوز أن يكون لمالك رحمه الله تعالى (فامر) مالك (بحبسه) قيل مالك لم يكن حاكما حتى يحبسه بامره وأجيب بان الولاة كانوا يمتثلون أمره فالمعنى أرسله للحاكم ليحبسه فحبسه وفي تاريخ الذهبي ان مالكا كان يجلس في المسجد يحدث ويقضي فان كان أذن له في القضاء في بعض الامور فهو على ظاهره (فقيل له انه قاض) لا يليق حبسه (فقال القاضي أحق من أدب) بالهمزة المضمومة لا بواو وان رسم بها في بعض النسخ يعني ان العلماء والاشراف أولى برعاية الادب فاذا تركوه كانوا أحق بذلك من العوام (وذكر ان هشام بن الغازي) بغين وزاي معجمتين بزنة فاعل من الغز وقالوا وهذا ليس بصواب فان هشام بن الغازي بن ربيعة تابعي مات قبل مالك ولم يرو عنه والحكاية المذكورة انما وقعت لمالك مع هشام بن عمار خطيب دمشق كما رواها مسندة البرهان الحلبي وقيل انها تصحفت على الناسخ وصوابها القارئ بالقاف والراء المهملة وقيل ما في الاصل صواب وهو هشام بن الغازي بن ربيعة الشامي وفيه ان الحافظ الحلبي أسند رواية هذه القصة عن هشام بن عمار كما علمت (سال مالكا عن حديث وهو) أي هشام أو مالك (واقف فضربه عشرين سوطا) وهذا دليل على انه كان ماذونا له في اجراء الاحكام على تلامذته أو كان يعلم برضاهم بحكمه فهو محكم فيهم (ثم أشفق عليه) أي حصل عنده رقة قلب وشفقة لضربه لا لانه ضربه بغير ذنب كما قيل وهذا بناء على انه يجوز ان يزاد التعزير على عشرة أسواط في غير الحدود كما هو مذهب أبي حنيفة والحديث الوارد في النهي عنه فيه كلام للمحدثين ليس هذا محل تفصيله ولعله وجه اشفاقه عليه (فحدثه) أي أفاد مالك هشاما ما وروى له (عشرين حديثا) تطييبا لخاطره (فقال هشام) بعد ذلك لاصحابه (وددت) أي أحببت يقال وددت كذا اذا رغبت

(لو زادني سياطا) أي كثيرة (و يزيدني حديثا) أي بدل كل سوط (قال عبد الله بن صالح) الظاهر انه أبو صالح الجهني كاتب الليث روى عنه ابن معين و البخاري قال الفضل بن الشعراني ما رأيته الا يحدث أو يسبح (كان مالك والليث لا يكتبان الحديث الا وهما طاهران) صفة لهما والاصل امتناع توسط الواو بين الصفة والموصوف كما في قوله تعالى وما أهلكنا من قرية الا لها منذرون الا انها لما شابهت الحال توسطهما لتأكيد لصوقها بالموصوف كما في قوله عز و جل وما أهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم (وكان قتادة يستحب) بصيغة الفاعل أي يستحسن (ان لا يقرأ) أي هو أو أحد ولا يبعد ان يضبط بصيغة المفعول (أحاديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الا على وضوء ولا يحدث الا على طهارة) تأكيد لما قبله وضبط في نسخة بصيغة المجهول فتحصل المغايرة بان يحمل الاول على فعله والثاني على غيره وأما قول الدلجي أي يغسل بقرينة ما قبله فلا يدفع الاشكال بل يقوي الاعضال والله تعالى أعلم بالحال والاظهر أن يراد بالطهارة المعنى الاعم الشامل للتيمم و يؤيده قوله (وكان الاعمش اذا أراد أن يحدث وهو على غير وضوء) جملة حالية اعتراضية بين الشرط وجزائه (تيمم) أي اعتناء بتعظيم حديثه صلى الله تعالى عليه وسلم *(فصل ومن توقيره صلى الله تعالى عليه وسلم)* أي تعظيمه وتكريمه (وبره) أي ومن طاعته في أمره وزجره (بر آله) أي احسان أهل بيته وعشيرته ولا وجه لتخصيص الدلجي هنا بني هاشم و بني المطلب دون بني عبد شمس و بني نوفل وان خص الاولان بالخمس (وذريته) أي نسله وعترته الشاملة لبناته وللحسنين وأولادهما من الائمة وغيرهم (وأمهات المؤمنين أزواجه) أي زوجاته الطاهرات وهن عائشة الصديقة بنت الصديق وخديجة بنت خويلد وحفصة بنت الفاروق وأم حبيبة بنت أبي سفيان أخت معاوية وسودة بنت زمعة وأم سلمة بنت أبي أمية وميمونة بنت الحارث و زينب بنت جحش وجويرية بنت ضرار وصفية بنت حيي كذا ذكره الدلجي وكان الاولى أن يقدم خديجة الكبرى أم فاطمة الزهراء رضي الله تعالى عنهما (كما حض عليه) بتشديد الضاد المعجمة أي حث وحرض على برهم (عليه الصلاة والسلام) أي في أحاديث كثيرة

فيه وأحببته (لو زادني سياطا) أي ضربا بها (و يزيدني حديثا) بعدد زيادة ضربه ولو مصدرية أو شرطية جوابها مقدر (وقال عبد الله بن صالح) الجهني ويقال له الحربي العجلي وله ترجمة في الميزان مطولة توفي سنة ثلاث وعشرين ومائتين وعمره ست وثمانون سنة وأخرج له أصحاب السنن (كان مالك والليث) ابن سعد بن عبد الرحمن الفهري المصري الفقيه البارع الذي قيل فيه انه كان أفقه من مالك الا ان أصحابه أضاعوه وهو من تبع التابعين توفي سنة خمس وسبعين ومائة وحيث قال مالك أخبرني من أرضى به من أهل العلم فهو الليث (لا يكتبان العلم الا وهما طاهران) أي على طهارة تامة وجملة هما طاهران حالية يجوز اقترانها بالواو وتركها الا صفة واو ها للالصاق كما قيل وتحقيقه في كتب العربية والظاهر ان المراد بالعلم مطلقه لا الحديث (وكان قتادة يستحب ان لا يقرأ أحاديث النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الا على وضوء) أي متوضأ تعظيما لحديثه صلى الله تعالى عليه وسلم (ولا يحدث) بتشديد الدال أي ينقل الحديث ويجوز بناؤه للمفعول ان يسمع من غيره حديثا (الا على طهارة) قيل المراد انه يغتسل بقرينة ما قبله (وكان الاعمش) سليمان بن مهران كما تقدم (اذا أراد ان يحدث وهو على غير وضوء) جملة معترضة أو حالية (تيمم) ان لم يحضر عنده الماء بسهولة لشدة اعتنائه بتعظيم الحديث وللمحدث أدب آخر ذكرها المحدثون كافتتاح أول مجالسه وختمه بالحمد لله والصلاة والسلام على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وان لا يقوم من مجلسه لاحد من الناس

(فصل ومن توقيره صلى الله تعالى عليه وسلم) أي تعظيمه وتبجيله (وبره) أي صلته ورعاية جنابه وللبر معان أخر غير مرادة هنا والجار والمجرور خبر مقدم لقوله (بر آله) تقدم ان في آله خلاف فقيل انهم ذوو القربى ومن تحرم عليهم الصدقة وهم المؤمنون من بني هاشم و بني المطلب دون غيرهم كما بينه الفقهاء وان أصله أول وقيل أهل و برهم الاحسان اليهم ومعاونتهم ومودتهم ورعايتهم (وذريته) الذرية النسل من الاولاد وأولادهم وهو بضم الذال وكسرها وفي اشتقاقه خلاف فقيل من الذر وهو صغار النمل اعتبارا باول أحوالهم وقيل من ذرأ بالهمزة بمعنى خلق والتزم ابدالها ياء بعد النقل (وأمهات المؤمنين) فسره بقوله (أزواجه) صلى الله تعالى عليه وسلم ورضي عنهن جمع زوج لاطلاقه على الذكر والانثى أو زوجة على لغة فيه واطلاقه عليهن لحرمة نكاحهن بعده واختلف في وجهه هل هو لتكريمه صلى الله تعالى عليه وسلم أو انه حي ولذا وجبت النفقة عليهن لحرمة نكاحهن بعده وهل هن أمهات للمؤمنات أيضا فقيل لا والا حرم نكاحهن عليه وقيل نعم لوجوب اكرامهن لهن وهو تشبيه بليغ لا يراعى فيه جميع وجوه الشبه وأسماء أزواجه صلى الله تعالى عليه وسلم مشهورة في السير قدمناها أيضا (كما حض) أي حث وحرض بطلبه من كل أحد (عليه) أي على بر من ذكر (عليه الصلاة والسلام)

(وسلكه) أى مسلكه (السلف الصالح رضى الله تعالى عنهم) أى بالقول والفعل كما وجب عليهم قال ابن القفاعى السلف الصالح هم الصدر الاول من التابعين (قال الله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس) استئناف تعليل لامرهن بالامر الاهم ونهيهن عن ان يقترفن المآثم صونا لاعراضهن عن ان تتدنس بالرجس واستعير الرجس للمعصية تنفيرا لهن عنها وترغيبا فيما أمرهن بخلافها واعله سبحانه وتعالى خاطبهن بخطاب الذكور لانهن فى مقام الكمال كانهن فى حال الرجال كما قال تعالى فى حق مريم وكانت من القانتين وورد كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام رواه أحمد والشيخان والترمذى وابن ماجه عن أبى موسى والاظهر ان فيه تغليبا ليشمل بقية آله وأهل بيته ولذا قال (أهل البيت) نصب على النداء أو المدح (ويطهركم) عن الاخلاق الدنية والاحوال الرديئة (تطهيرا) أى بليغا كثيرا والرجس على ما قال الزهرى اسم لكل مستقذر من عمل وأراد باهل البيت نساء النبى صلى الله عليه وسلم لانهن فى بيته وروى ذلك عن ابن عباس وعن أبى سعيد الخدرى وجماعة من التابعين انهم على وفاطمة والحسن والحسين أقول ولا منع من الجمع ٤٠٩ وأما تخصيص الشيعة أهل البيت بفاطمة وعلى وابنيهما لما ورد انه عليه الصلاة والسلام خرج غداة يوم وعليه مرط مرحل من شعر أسود فجاء الحسن فادخله فيه ثم الحسين فادخله ثم فاطمة فادخلها ثم على فادخله ثم قال انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا واحتجاجهم على عصمتهم وكون اجماعهم حجة فمردود بان تخصيصهم بكونهم انهم أهل البيت يكذبه ما قبل الآية وما بعدها والحديث انما هو مؤذن بانهم من أهله لان غيرهم ليس باهله (وقال تعالى وأزواجه أمهاتهم) تشبيه لهن بالامهات فى وجوب تعظيمهن واحترامهن وتحريم نكاحهن بدليل قوله تعالى ولا ان تنكحوا أزواجه من بعده أبدا ولم يتعد الى بناتهن فانهن فى غير ذلك كالاجنبيات ولذا قالت عائشة رضى الله تعالى عنها لسنا أمهات النساء أرادت انهن انما كن أمهات الرجال لانهن محرمات عليهم كتحريم أمهاتهم عليهم وهذا الحكم غير متحقق فى حق النساء لانهن لو كن أمهاتهن لما جوز زواج بناتهن (أخبرنا الشيخ أبو محمد بن أحمد العدل) مبالغة العادل (من كتابه) متعلق باخبرنا (وكتبت من أصله) أى المروى عن مشايخه (ثنا) أى حدثنا (أبو الحسن المقرئ) بالهمزة فى آخره وقد يخفف أى معلم قراءة القرآن (الفرغانى) منسوب الى فرغانة بفتح الفاء وسكون الراء فغين معجمة ناحية من المشرق (حدثتنى أم القاسم بنت الشيخ أبى بكر الخفاف) بفتح الخاء المعجمة وتشديد الفاء الاولى (قالت حدثنى أبى ثنا) أى قال ثنا (حاتم) بكسر الفوقية (هو ابن عقيل) بالتصغير (حدثنا يحيى هو ابن اسمعيل حدثنا يحيى هو الحمانى) بكسر المهملة وتشديد الميم ثم نون فياء نسبة (حدثنا وكيع) أى ابن الجراح أحد الاعلام يروى عن الاعمش وغيره وعنه أحمد ونحوه وقال أحمد ما رأيت أوعى للعلم منه كان أحفظ من ابن مهدى وقال حماد بن زيد لو شئت لقلت انه أرجح من سفيان وقال أحمد لما ولى حفص بن غياث القضاء هجره وكيع

بما روى عنه من الاحاديث وسياتى بعضها (وسلكه السلف الصالح) من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من العلماء العاملين والتقدير سلك طريقه أو شبه بره بطريق مسلوك فهو استعارة مكنية تخييلية ثم أيده بدليل من القرآن فقال (قال تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس) أصل معناه القذر الحسى ثم استعير للاثم والذنب وهو المراد (أهل البيت) نصب على النداء أو المدح والاختصاص ويطهركم تطهيرا ترشيح الاستعارة الرجس للذنب واستشهاده بهذه الآية على ان أهل بيته ذريته وأزواجه كما اختاره ابن عطية فى تفسيره وهو أحد الاقوال فيه وقيل لهم أهل الكساء الآتى بيانهم على وفاطمة وابناهما لما روى فى الحديث انه خرج عليه الصلاة والسلام غداة وعليه مرط مرجل فادخلهم فيه ثم تلى الآية وقيل المراد زوجاته وتذكير الضمير يأباه ووجه الاستشهاد ان من طهره الله من الآثام أحبه الله ورسوله ومن أحباه لزمنا محبته وبره وصلته (وقال تعالى وأزواجه أمهاتهم) ان كانت شاهد التسمية أمهات فهو ظاهر وان كان للزوم برهن وتكريمهن فلان حق الوالدة على الولد ولزوم برها أمر معلوم مركوز فى الطباع لان وجه الشبه وجوب احترامهن وبرهن والحصر يقتضى ان اكرامهن أحق فى الامهات الحقيقية ثم أسند المصنف رحمه الله تعالى حديثا صحيحا شاهدا لما قدمه رواه من طريق له عن مشايخه مع انه فى غيره من السنن كمسلم والنسائى بسند أعلى مما هنا واعتذر له بانه تنويع لما فيه من الفائدة الزائدة ولانه أسلم من التدليس فقال (أخبرنا الشيخ أبو محمد) عبد الله (بن أحمد) التميمى (العدل من كتابه وكتبت من أصله) اشارة الى ضبطه فيما رواه عنه والمراد باصله نسخته التى قرأ منها قال (حدثنا أبو الحسن المقرى الفرغانى) بفاء وغين معجمتين نسبة لفرغانة اسم بلدة قال (حدثتنى أم القاسم بنت الشيخ أبى بكر الخفاف قال حدثنى أبى قال حدثنا حاتم هو ابن عقيل قال حدثنا يحيى هو ابن اسمعيل قال حدثنا يحيى هو الحمانى قال حدثنا وكيع) هو وكيع بن الجراح بن فليح بن عدى

(عن أبيه) أي الجراح بن مليح بن عدي الرواسي وثقه أبو داود ولينه بعضهم (عن سعيد بن مسروق) أي الثوري يروي عن أبي وائل والشعبي وعنه ابناه سفيان ومبارك وأبو عوانة ثقة أخرج له الأئمة الستة (عن يزيد بن حيان) بفتح حاء مهملة فتحتية مشددة تيمي ثقة أخرج له مسلم وأبو داود والنسائي (عن زيد بن أرقم قال قال صلى الله تعالى عليه وسلم أنشدكم الله) بفتح الهمزة وبضم الشين (أهل بيتي) بالنصب على نزع الخافض وفي نسخة طبق رواية أخرى في أهل بيتي أي أسئلكم الله في حق أهل بيتي بالاحسان اليهم والشفقة عليهم أو أقسم عليكم بالله أن تراعوني في أهل بيتي (ثلاثا) أي قالها ثلاث مرات مبالغة في الحث على احترامهم (قلنا لزيد) وهو ابن أرقم راوي الحديث لأن صاحب البيت أدرى بما فيه (من أهل بيته) أي من المراد بهم في هذا الحديث (قال آل علي وآل جعفر وآل عقيل) وهم أولاد أبي طالب (وآل عباس) وفي نسخة وآل العباس والمراد هم وآلهم ممن يرجع اليهم في النسب مآلهم وقد يفخم الآل كما في قوله تعالى آل موسى وآل هرون تفخيما لشأنهما ثم اعلم ان هذا الحديث في مسلم أخرجه في الفضائل وأخرجه النسائي في المناقب ولو أخرجه القاضي من مسلم لوقع له أعلى من الطريق الذي ساقه وكذا لو أخرجه من النسائي الا انه أراد التنوع في الروايات لأن من شأن الحفاظ ان الحديث اذا كان في الكتب الستة أو أحدها يخرجونه من غيرها لكن في الغالب انما يصنعون هذا طلبا للعلو أو الزيادة فيه أو تصريح مدلس بالسماع أو الاخبار أو التحديث أو لكون الطريق أسلم أو لغير ذلك مما هو معروف عند أربابه والله أعلم

(وقال عليه الصلاة والسلام) أي فيما رواه الترمذي عن زيد بن أرقم وجابر وحسنه (اني تارك فيكم ما) أي شيأ عظيما فما موصوفة صفتها (ان أخذتم به) أو موصولة والشرطية صلتها أي ان تمسكتم به وعملتم به ويروى ما ان تمسكتم به (لن تضلوا) أي عن الحق بعده أبدا (كتاب الله وعترتي أهل بيتي) تفصيل بعد الاجمال وقع بدلا أو بيانا (فانظروا) أي فتأملوا وتفكروا (كيف تخلفوني) بتخفيف النون وتشدد أي كيف تعقبوني (فيهما) أي في حقهما ووقع في أصل الدلجي كتاب الله وعترتي بين الشرط والجزاء وهو مخالف للاصول المعتمدة ثم المراد بعترته أخص قرابته وقيل المراد علماء أمته فالتمسك بالقرآن التعلق بامره ونهيه واعتقاد جميع ما فيه وحقيقته والتمسك بعترته محبتهم ومتابعة سيرتهم

الروابيلي أحد الاعلام المشهورين توفي سنة سبع وتسعين ومائة أخرج له الأئمة الستة (عن أبيه) الجراح (عن سعيد بن مسروق) الثوري الثقة توفي سنة ست وعشرين ومائة وأخرج له الستة (عن يزيد بن حيان) بفتح الحاء المهملة ومثناة تحتية وهو التيمي الثقة (عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنشدكم الله) أي أسألكم بالله وأقسم عليكم به يقال أنشدك الله وبالله أي أذكرك به ثم استعمل في القسم وصار حقيقة فيه وليس السؤال بمراد هنا بل المراد حقيقته وتقدم فيه كلام (وأهل بيتي) معطوف على الله أي وأذكركم أهل بيتي فلا تنسوا حقوقهم ورعايتهم فان رعايتهم رعاية لي وقيل انه منصوب بنزع الخافض أي في أهل بيتي كما روي في هذا الحديث ولا وجه له فانه تعسف من غير داع له ومثله قول المزي ومن تبعه هنا العله في أهل بيتي (ثلاثا) كرره للاهتمام به والتشديد في رعايتهم (قلنا لزيد) بن أرقم راوي الحديث لما ذكره وما في بعض النسخ ليزيد من غلط الكاتب (من أهل بيته) أي ما المراد بهم في هذا الحديث (قال آل علي) بن أبي طالب وهم أولاده وأهل بيته من أقاربه الادنون (وآل جعفر وآل عقيل وآل العباس) وهم من تحرم عليهم الصدقة من أقاربه كما تقدم وهذا كما رواه مسلم في فضائل آل البيت في خطبة خطبها صلى الله تعالى عليه وسلم وهو راجع من حجة الوداع في آخر عمره وقال فيها أما بعد أيها الناس انما أنا بشر مثلكم يوشك ان يأتيني رسول ربي فاجيبه واني تارك فيكم الثقلين كتاب الله فيه الهدى والنور فتمسكوا به وأهل بيتي وفيه ما ذكره المصنف رحمه الله تعالى من تفسيره لاهل بيته بما ذكروه والذي فهم عنه صلى الله تعالى عليه وسلم هنا لانه علم بالوحي ما يكون بعده في أمر الخلافة والفتن فلذا خصهم وحرض على رعايتهم كما اقتضاه المقام وما قيل من ان جوابه هنا خاص باقاربه وهو أحد الاقوال ويعارضه الآية الدالة على دخول أزواجه صلى الله تعالى عليه وسلم وأهل بيته كما تقدم لا وجه له لما عرفته من وجه تخصيصه هنا (وقال صلى الله عليه وسلم) في حديث رواه الترمذي عن زيد بن أرقم وجابر وحسنه (اني تارك فيكم) اشارة الى قرب أجله صلى الله تعالى عليه وسلم وانه وصية لامته (ما ان أخذتم به) أي تمسكتم وعلمتم به واتبعتموه وما موصوفة وان شرطية والجملة صفة أو موصولة وصلته (لن تضلوا) بمخالفة الشريعة والطريق المستقيم (كتاب الله) بدل مفسر له (وعترتي) بمثناة فوقية ومعناه (أهل بيتي) السابق بيانهم ووجه تخصيصهم هنا وروي لم تضلوا وما قيل ان قوله أخذتم به هنا يدل على ارادة المجتهدين منهم فلا يبعد دخول الصحابة المتصفين بهذه الصفة كما دلت الآية على دخول أزواجه صلى الله تعالى عليه وسلم غير مناسب لسياق الحديث والمراد منه هنا (فانظروا كيف تخلفوني فيهما) أي بعد وفاتي انظروا في عملكم بكتاب الله واتباعكم لاهل بيتي ورعايتهم

وبرهم

(وقال عليه الصلاة والسلام) لا يعرف راويه (معرفة آل محمد براءة من النار) أي من ألم حرها وسقم بردها (وحب آل محمد جواز على الصراط) بفتح الجيم صك المسافر برخصة المرور والعبور أي سبب سهولة مجاوزته الصراط (والولاية) بفتح الواو أي النصرة والاعانة والمحبة (لآل محمد امان من العذاب) وبكسرها لغة أيضا كما قرئ بهما في السبعة قوله تعالى ما لكم من ولايتهم من شئ فقد قرأها حمزة بالكسر فقول الدلجي واما بكسرها فمن الولاية بمعنى الملك ليس في محله مع ان الولاية قد تأتي بمعنى تولي الامر وضد

وبرهم بعدي فان ما يسرهم يسرني وما يسوؤهم يسوؤني (وقال عليه الصلاة والسلام) في حديث لم يخرجوه (معرفة آل محمد براءة من النار) أي معرفة مقدارهم وحرمتهم ورعاية ما يجب من حقوقهم فان محبتهم لاجله صلى الله تعالى عليه وسلم تدل على خلوص محبته له وذلك مرتبة مستوجبة لذلك تفضلا من الله وكرامة لرسوله صلى الله تعالى عليه وسلم (وحب آل محمد جواز على الصراط) أي مرور عليه بسرعة جوازا موصلا للجنان فان المرء مع من أحب ومن فسر الجواز بالجائزة بمعنى العطية فقد تعسف تعسفا غريبا (والولاية) بفتح الواو ويجوز كسرها لانها ترد بمعناها وان اشتهرت في الملك والحكومة أي الموالاة بالنصرة والمودة (لآل محمد امان من العذاب وقال بعض العلماء معرفتهم) أي معرفة الآل المذكورة (هي معرفة مكانهم منه صلى الله تعالى عليه وسلم) والمراد بالمكان المنزلة المعنوية وهي قرب نسبهم ومراتبهم منه صلى الله تعالى عليه وسلم ولذا علق به قوله منه (واذا عرفهم بذلك) أي بسبب علو مراتبهم لقربهم منه (عرف وجوب حقهم وحرمتهم) أي احترامهم واكرامهم (بسببه) صلى الله تعالى عليه وسلم لا لغرض آخر وقد دعا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لمن أحبهم لحبه صلى الله تعالى عليه وسلم ومن اراد تفصيل هذا فلينظر كتاب السيد السمهودي الذي صنفه في فضائل آل البيت فانه جمع فاوعى جزاه الله خيرا (وعن عمر بن أبي سلمة) في حديث رواه الترمذي وابن أبي سلمة هو الصحابي المخزومي ربيبه صلى الله عليه وسلم وابن أخيه من الرضاع وترجمته مشهورة (لما نزلت) آية (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت الآية) وقد قدمنا تفسيرها فكفينا مؤنته هنا (وذلك) أي نزولها كان (في بيت أم سلمة) أم المؤمنين رضي الله عنها (دعا) جواب لما أي طلب صلى الله عليه وسلم ونادى (فاطمة) الزهراء رضي الله عنها (وحسنا وحسينا) سبطاه وريحانتاه رضي الله تعالى عنهما (فجللهم) أي غشاهم وغطاهم ومنه الجل للفرس (بكساء) وهو مرط من شعر كما ورد في رواية أخرى (وعلي) كرم الله وجهه (خلف ظهره) صلى الله تعالى عليه وسلم داخل الكساء أيضا وانما جعله خلف ظهره ليفرق بينه وبين زوجته وقت الدعاء (ثم قال اللهم هؤلاء أهل بيتي) ليس المراد الحصر أو هو مراد لارادته أقرب الناس اليه نسبا (فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا) أي جنبهم الآثام والمعاصي وما يشينهم ولذا سموا أهل الكساء وادخالهم في الكساء اشارة الى قربهم منه صلى الله عليه وسلم وان الله سترهم كسترهم الكساء وانه صانهم واحرزهم تفاؤلا بذلك كما حول صلى الله تعالى عليه وسلم رداءه في الاستسقاء اشارة الى تبدل الحال وتغيرها عما هي فيه وذلك سبب الدعاء وانما علمهم بما ذكر بعد ما ذكر الله تعالى انه اراد ذلك لهم وارادته تعالى لا تتخلف عن مراده اما تأكيدا أو تنويها بقدرهم ليعلم الناس به أو المراد دوام ذلك وثباته وزيادته (وعن سعد بن أبي وقاص) في حديث رواه مسلم في صحيحه (لما نزلت آية المباهلة) تقدم ان المباهلة مفاعلة من البهلة وهي اللعنة أي الملاعنة وهي ان يقول كل من المتخاصمين في المجادلة لعنة الله على الظالم منا والآية هي قوله تعالى فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم الى آخرها وذلك لما وفد عليه صلى الله تعالى عليه وسلم نصارى نجران

التبري وبمعنى المحبة ومنه ما ورد اللهم وال من والاهم (وقال بعض العلماء معرفتهم هي معرفة مكانهم) أي مكانتهم وقرب شأنهم (من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي نسبا وحسبا (فاذا) وفي نسخة واذا (عرفهم بذلك) أي بما ذكر قربة ورتبة (عرف وجوب حقهم) في التكريم (وحرمتهم) في التعظيم (بسببه) أي بسبب نسبة النبي الكريم عليه التحية والتسليم (وعن عمر بن أبي سلمة) كما رواه الترمذي وهو ربيبه عليه الصلاة والسلام وابن أخيه من الرضاعة ارضعتهما ثويبة مولاة عمه أبي لهب ولدا الحبشة (لما نزلت) أي هذه الآية (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت الآية وذلك) أي نزولها كان (في بيت أم سلمة) أي زوجته عليه الصلاة والسلام

الراوي وهي آخر امهات المؤمنين موتا توفيت في امارة يزيد والجملة معترضة (دعا فاطمة وحسنا وحسينا فجللهم بكساء) جواب لما أي غطاهم به قدام وجهه (وعلي خلف ظهره ثم قال اللهم هؤلاء أهل بيتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا وعن سعد بن أبي وقاص) كما رواه مسلم (لما نزلت آية المباهلة) أي الملاعنة مفاعلة من البهلة وهي اللعنة فاذا اختلف قوم في شئ اجتمعوا فقالوا لعنة الله على الظالم منا والمراد من آية المباهلة قوله تعالى فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل أي نتضرع الى الله فنجعل لعنة الله على الكاذبين

(دعا) جواب لما أى طلب (النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عليا وحسنا وحسينا وفاطمة وقال اللهم هؤلاء أهلى) أى الاقربون (فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا وقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) أى كامر (فى على) أى فى حقه (من كنت مولاه) أى وليه وناصره (فعلى مولاه) أى يدفع عنه ما يكره قال الشافعى رحمه الله تعالى يعنى به ولاء الاسلام قال الله تعالى ذلك بان الله مولى الذين آمنوا وان الكافرين لا مولى لهم والاظهر الاستدلال بقوله تعالى انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون لما روى انها نزلت فى على كرم الله تعالى وجهه وانما أتى بصيغة الجمع لتعظيمه أو المراد به هو وامثاله مع ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب هذا وذهب اكثرهم الى ان الحديث بمعنى البر والصلة ومراعاة الذمة ومنهم من ضعفه

وقال أبو العباس ومعناه من أحبنى وتولانى فليتوله وقال الحافظ أبو موسى أى من كنت أتولاه فعلى يتولاه قيل وكان سببه ان أسامة بن زيد قال لعلى لست مولى انما مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه الصلاة والسلام الحديث (وقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) على ما روى أحمد عن أبى أيوب الانصارى انه عليه الصلاة والسلام قال فى على من كنت مولاه فعلى مولاه (اللهم وال من والاه) أى أحب من أحبه وراعاه (وعاد من عاداه) أى ابغض من أبغضه وما ارضاه قال فى الكشاف الموالاة خلاف المعاداة مفاعلة من الولى وهو القرب كما ان المعاداة مفاعلة من العدو وهو البعد (وقال) كما رواه مسلم انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال (فيه لا يحبك الا مؤمن) أى كامل الايمان (ولا يبغضك الا منافق) أى ناقص الايقان وقد روى عدى بن ثابت عن زر بن جيش عن على رضى الله تعالى عنه قال عهد الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انه لا يحبك الا مؤمن ولا يبغضك الا منافق وورد فى بعض احاديث النظر الى وجه على عبادة (وقال للعباس رضى الله تعالى عنه) كما روى ابن ماجه والترمذى وصححه (والذى نفسى بيده لا يدخل قلب رجل الايمان) أى على وجه الاحسان (حتى يحبكم الله ورسوله) والخطاب لاهل بيت النبوة (ومن آذى عمى) أى العباس (فقد آذانى) أى فكأنه آذانى (وانما عم الرجل صنو ابيه) بكسر الصاد وقد تضم أى مثله فى ان أصلهما واحد فهو كالعلة لكون حكمهما فى الايذاء سواء وأصله النخلتان تخرجان من اصل واحد ومنه قوله تعالى ونخيل صنوان وغير صنوان فالاخ صنو لاخيه الشقيق

ودعاهم للاسلام فلم يسلموا وادعوا حقية دينهم وانه لم ينسخ وقصتهم مفصلة فى كتب التفسير والسير (دعا النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) جواب لما أى احضر عنده (عليا وحسنا وحسينا وفاطمة رضى الله عنهم) لانهم كانوا فى المباهلة يحضرون أولادهم وأهلهم ويدعون بوقوع العقاب على الكاذب وأهله جميعا ولذا قال (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم (اللهم هؤلاء أهلى) واقربائى فامتنعوا من المباهلة لعلمهم بانه صلى الله عليه وسلم نبى وانه ما باهل نبى قوما الا وأهلكهم الله تعالى ورضوا بالجزية وقال صلى الله عليه وسلم لو باهلوا لمسخوا قردة وخنازير واشتعل عليهم الوادى نارا وحكم المباهلة باق الى الآن وقد فعله العز بن عبد السلام فلم يمض الحول حتى هلك من باهله (وقال صلى الله عليه وسلم) فى حديث تقدم (فى على) بن أبى طالب أى فى حقه وشانه وسبب قوله هذا ان أسامة قال لعلى لست مولاى انما مولاى رسول الله صلى الله عليه وسلم كان هذا فى سفره وهو عند غدير هم وقد خطب الناس فقال (من كنت مولاه) أى لى عليه ولاء وحكم والمولى له معان منها السيد وهو المراد والمعتق والمنعم والمعاهد والمعسر الى غير ذلك من المعانى وقال الشافعى رحمه الله تعالى المراد ولاء الاسلام وقوله (فعلى مولاه) أى سيده وناصره واستدل به على الولاء بعض الفقهاء وغيرهم يقول المراد بره وصلته وهو الموافق لسياق المصنف رحمه الله واستدل به بعض الشيعة على تقدم على كرم الله تعالى وجهه على غيره فى الخلافة ولا دليل لهم فيه لما عرفته من معانى المولى وانما المراد من أحبنى يحبه لقوله (اللهم وال من والاه وعاد من عاداه) أى من كرهه غضب الله عليه وانتقم منه فالمعاداة من الله مجاز او مشاكلة (وقال فيه) أى فى حق على كرم الله وجهه كما فى مسلم (لا يحبك الا مؤمن ولا يبغضك الا منافق) لان من أحب أصحابه واقرباءه لمحبته فهو مؤمن ومن كان بخلاف ذلك ففى قلبه كفر مضمر وان اظهر اسلامه كالخوارج والمقصود ذمه وتهديده والمبالغة فى النهى عنه ولكون ظاهره الاسلام وارتكب ما لا يليق باهل الاسلام سماه منافقا مجازا ومثله فى الخطابيات كثير (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم (للعباس) بن عبد المطلب عمه فى حديث صحيح رواه الترمذى وابن ماجة (والذى نفسى) أى روحى وما به حياتى (بيده) أى فى قبضة تصرفه لانه المحيى والمميت وهو قول للتاكيد والتحقيق (لا يدخل قلب رجل الايمان) أى لا يؤمن ويصير مؤمنا كاملا ففى الدخول استعارة ظاهرة (حتى يحبكم) يعنى آله صلى الله تعالى عليه وسلم وأقرباءه فجعل من رآه وعرفه كمن عرفهم كلهم (لله ورسوله) أى محبة خالصة من الاعراض الدنيوية والرياء فانما هى لمحبة الله ورسوله ورضاهما (ومن آذى عمى) بشئ يؤذيه (فقد آذانى) الا من يؤذى آل بيتى يؤذينى (وانما عم الرجل صنو أبيه) الصنو بكسر الصاد المهملة وضمها وهو هنا بمعنى

المثل

(وقال للعباس) كما روى البيهقي عن أبي أسيد الساعدي (أغد) بضم همزة وصل وضم الدال أمر من غدا يغدو أى ائتني غدوة وهى أول النهار (مع ولدك) بفتحتين و بضم فسكون أى أولادك من ذكور وأناث لشمول الولد لهما (فجمعهم) أى غدوة عليه (وجللهم) بالجيم وتشديد اللام الاولى أى غطاهم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (بملاءته) بضم أوله وتخفيف اللام والمد أى ريطته أو كسائه (وقال اللهم هذا عمى وصنو أبى وهؤلاء) أى أولاده (أهل بيتى فاسترهم من النار) أى فى دار القرار (كسترى اياهم) فى هذه الدار (فامنت) بتشديد الميم أى قالت آمين (اسكفة الباب) بضم الهمزة والكاف وتشديد الفاء أى عتبته (وحوائط البيت) أى جدرانه المحيطة به من جميع جهاته (آمين آمين) أى مكررا وهو مقول على وجه التاكيد أو من طريق التجريد وهو بالمد أشهر من قصره ولا يجوز تشديد ميمه على الصحيح وهو اسم مبنى على الفتح معناه استجب وفى الحديث آمين خاتم رب العالمين أى طابعه على العباد فكأنه خاتم الكتاب يصونه من الفساد (وكان) أى النبى عليه الصلاة والسلام كما فى البخارى عن اسامة وغيره (ياخذ بيد اسامة ابن زيد) أى ابن حارثة مولاه (والحسن) أى وبيد الحسن بن على رضي الله تعالى عنهما (ويقول اللهم انى أحبهما فاحبهما وقال أبو بكر رضى الله تعالى عنه ارقبوا محمدا) بضم القاف أى راعوه واحترموه (فى أهل بيته وقال) أى الصديق (أيضا) كما فى الصحيحين (والذى نفسى بيده لقرابة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أحب الى ان أصل) أى صلتهم

المثل أى فى المعنى أبوه والرجل تغار لابيه و يؤذيه ما يؤذ يه وأصل معناه نخلتان فاكثر يخرج من أصل واحد فاستعير للاخ ولماذكر أى كأنه أبى يجب على بره وكذا على غيرى وروى العباس صنوى أى مثلى فى النسب وسبب قوله صلى الله عليه وسلم هذا ان العباس دخل عليه مغضبا فقال له ما أغضبك قال يارسول الله مالنا ولقريش اذا تلاقوا فيما بينهم تلاقوا بوجوه مسفرة واذا لقونا لقونا بغير ذلك فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى احمر وجهه ثم قال ماذكره المصنف رحمه الله تعالى (وقال صلى الله عليه وسلم للعباس) أيضا فى حديث رواه البيهقى (اغد على ياعم) أى ائتنى يقال غدا عليه اذا أتى وأصل معناه المجىء فى وقت الغداة فاستعمل فى مطلق المجىء (مع ولدك) أى مع أولادك وكان له رضى الله تعالى عنه اذا ركب عدة أولاد عشرة ذكور الفضل وعبد الله وقثم وعبيد الله ومعبد وعبد الرحمن وغيرهم من الذكور والاناث وأشهرهم عبد الله وهو الحبر وترجمان القرآن وأبو الخلفاء (فجمعهم) أى فجمع العباس رضى الله تعالى عنه أولاده عند رسول الله صلى الله عليه وسلم أو المراد ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ضمهم اليه وقال ابن الجوزى فى الوفاء وان الذى جمعهم من أولاده سبعة (وجللهم) أى غطاهم وسترهم وألبسهم (بملاءته) بضم الميم ولام وهمزة ممدودة وهو رداء أو ملحفة وقد يخص بما يكون من ثوبين (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم بعد ما ضمهم كما فعل مع على وأهله فيما تقدم (وهذا عمى وصنو ابى وهؤلاء أهل بيتى) أى من أقربائى (فاسترهم من النار كسترى اياهم) اشارة الى وجه ادخاله فى ملاءته كما تقدم (فامنت) بتشديد الميم أى قالت بعد قوله صلى الله تعالى عليه وسلم ودعائه هذا (أسكفة الباب) بضم الهمزة وسكون السين المهملة وضم الكاف وتشديد الفاء بزنة طرطبة و يقال أسكوفة فابدل أحد حرفى التضعيف واوا وتخفيف فاؤه أيضا وفسر بالعتبة التى فى أسفل الباب وتطلق على ما يقابلها من اعلاه أيضا (وحوائطه) جمع حائط وهو معروف (آمين آمين) بالمد و يقصر و يشدد وهو اسم فعل معناه استجب وفيه كلام ليس هذا محله وهو مفعول آمنت لانه تضمن معنى قالت أو مقدر قبله وفيه معجزة له صلى الله تعالى عليه وسلم بنطق الجماد له كرامة لاهل البيت (وكان) صلى الله تعالى عليه وسلم كما فى حديث رواه البخارى (يأخذ بيد اسامة بن زيد والحسن) أى يمسكهما بيده وسقط لفظ بيد من بعض النسخ والمعنى يضمهما اليه (و يقول) داعيا لهما (اللهم انى أحبهما فاحبهما) بالادغام و يجوز فكه فيقال أحببهما والامر للدعاء ودعا بذلك لاعلامه بان من أحبه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يحبه الله وعكسه والقول بان أحبهما مشاكلة لا وجه له لان محبة الله لعبده مجاز باعتبار غايته وورد كثيرا من غير مشاكلة واسامة بن زيد هو ابن حارثة مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وحبه (وقال أبو بكر) الصديق رضى الله تعالى عنه (ارقبوا محمدا) ارقب وراقب من المراقبة وهى ادامة النظر فى مقابلة شئ ثم أريد به لازمه وهو الحفظ فالمراد احفظوا محمدا أى حقه عليكم (فى أهل بيته) أى فى رعايتهم واكرامهم و برهم فان رعاية حقه تتحقق بذلك بعد موته (وقال) أبو بكر رضى الله عنه (أيضا) أى كمقالته المذكورة فيما رواه الشيخان عنه (و) الله (الذى نفسى) أى روحى وحياتى (بيده) بقبضة تصرفه (لقرابة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) وهى مصدر صارت اسم جمع لقريب النسب (أحب الى ان أصل) أى صلتهم بدل اشتمال من قرابة

(من قرابتي) أي من صلة أقاربي لقرب مكانتهم عنده مع مراعاة قوله تعالى قل لا أسئلكم عليه أجرا الا المودة في القربى (وقال صلى الله تعالى عليه وسلم) كما روى الترمذي وحسنه وابن ماجه عن يعلى بن مرة (أحب الله من أحب حسنا) وفي رواية حسينا وفي نسخة وحسينا والجملة دعائية ولا يبعد ان تكون خبرية (وقال) كما تقدم مرارا (من أحبني وأحب هذين وأشار الى حسن وحسين وأباهما) أي وأحب أباهما عليا المرتضى (وأمهما) فاطمة الزهراء (كان معي) أي مشاركا لي (في درجتي) أي جواري (يوم القيامة) لان من أحب قوما حشر معهم (وقال صلى الله تعالى عليه وسلم من أهان قريشا أهانه الله) رواه الترمذي وحسنه عن سهل ابن أبي وقاص بلفظ من يرد هوان قريش أهانه الله لانهم أفضل بني آدم اجمالا وهم ولد النضر ابن كنانة من بني اسمعيل ابن ابراهيم خليل الرحمن (وقال) كما روى البزار عن علي وابن أبي شيبة عن سهل ابن أبي خيثمة (قدموا قريشا) أي في الخلافة ونحوها (ولا تقدموها) بحذف احدى التاءين (وقال عليه الصلاة والسلام) كما في البخاري (لام سلمة لا تؤذيني في عائشة) أي لفضلها نسبا وحسبا وروى ان الناس كانوا يتحرون بهداياهم يوم عائشة يبتغون بذلك مرضاة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وان نساء النبي عليه الصلاة والسلام كن حزبين فحزب فيه عائشة وحفصة رضى وصفية وسودة والحزب الآخر أم سلمة وسائر نسائه عليه الصلاة والسلام فكلم حزب أم سلمة ان كلمي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول للناس من أراد أن يهدي الى النبي عليه الصلاة والسلام فليهده حيث كان فكلمته فقال لا تؤذيني في عائشة فان الوحي لم ياتني واني في ثوب امرأة الا عائشة وتمام الحديث في المصابيح (وعن عقبة بن الحارث) كما في البخاري (رأيت أبا بكر) أي الصديق

(من قرابتي) فيه مضاف مقدر أي من صلة قرابتي قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم هذا لما أرسلت اليه فاطمة الزهراء رضى الله عنها تطلب ميراثها من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من فدك وغيرها وقال له الامام علي كرم الله وجهه و رضى الله تعالى عنه قرابة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم صلتهم لازمة فقال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انا لا نورث لدس لآل محمد ان يزيدوا على المأكل لا أغير شيأ كان في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث رواه ابن ماجة والترمذي وحسنه (أحب الله من أحب حسنا) دعاء أو خبر فحب حسن حسن و بغضه قبيح وروى حسينا (وقال) صلى الله عليه وسلم في حديث تقدم (من أحبني وأحب هذين وأشار الى حسن وحسين وأباهما) عليا رضى الله عنهم وهو معطوف على هذين (وأمهما) فاطمة الزهراء رضى الله عنها (كان معي في درجتي) بدل من معي أي في منزلتي ورتبتي في الجنة (يوم القيامة) ان كان على ظاهره وانه معه في المحشر فهو كناية عن سلامته من هوله فان أريد به الآخرة مطلقا فالمراد قربه منه لانه لا يساويه صلى الله تعالى عليه وسلم في درجته أحد كقوله المرء مع من أحب (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث رواه الترمذي وحسنه (من أهان قريشا أهانه الله) لانهم أكرم الناس في الجاهلية فكانوا سادة العرب لهم الرياسة والرفادة وفي الاسلام لان الامامة تحق لهم وقريش مصغر تصغير تعظيم لقب النضر بن كنانة ونسله من التقرش وهو التجارة والاكتساب أو التجمع لاجتماعهم في الحرم وهو من توافق اللغات وقيل سموا باسم دابة عظيمة في البحر لا تطاق كما قيل

وقريش هي التي تسكن البحـ * ـر بها سميت قريش قريشا

(وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث رواه البزار عن علي وابن أبي شيبة عن سهل (قدموا قريشا) في كل أمر من الامور لا سيما في الامارة والخلافة واقتدوا بآثارهم (ولا تقدموها) نهي عن تأخيرهم والتقدم عليهم مؤكد للامر قبله وهو بفتح المثناة والدال المهملة المشددة وأصله تتقدموا بتاءين حذفت احداهما تخفيفا (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم (لام سلمة) في حديث رواه البخاري (لا تؤذيني في عائشة) رضى الله تعالى عنها وسببه انه قيل لام سلمة أم المؤمنين رضى الله تعالى عنها ان الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة فقولي له صلى الله تعالى عليه وسلم يأمر الناس بان يهدوا له حيث كان أو حيث يرى فذكرت ذلك له صلى الله تعالى عليه وسلم مرتين وهو يعرض عنها فلما كان في الثالثة قال لها يا أم سلمة لا تؤذيني في عائشة فانه ما نزل علي الوحي وانا في لحاف امرأة منكن غيرها فبين صلى الله تعالى عليه وسلم لها محبته لها وتقدمها عنده وان الناس لذلك خصوا يومها بالهدايا واستدل بهذا على تفضيل عائشة رضى الله تعالى عنها على سائر أمهات المؤمنين حتى خديجة وقال السبكي الذي ندين الله به ان فاطمة أفضل ثم خديجة ثم عائشة والحديث مخصوص بمن كان موجودا حال الخطاب بقوله منكن وقال ابن تيمية الرأي في هذا التوقف لتقابل أحاديث التفضيل وتكافؤها واختصاص نزول الوحي بلحافها وجه بانها كانت تبالغ في التنظف والتعطر والعبادة مع شدة حبها وشوقها الرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وحفظها الاوامره ونواهيه حتى غلبت صفاته صفاتها فصارت معه كشئ واحد رضى الله عنها (وعن عقبة بن الحارث) في حديث رواه البخاري عنه (رأيت أبا بكر) الصديق

رضى الله عنه (و) قد (جعل الحسن على عنقه) أى حمله على عاتقه المجاور لعنقه ففيه تجوز (وهو يقول) الجملتان حاليتان أى حاملا وقائلا الشعر امن مجزو الكامل لا رجز وقيل انه منه وهو مجزوم (بابى شبيه بالنبى) أى أفدى بابى من اشتد شبهه برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو كناية عن شدة المحبة وتقدم الرتبة عنده (ليس شبيها بعلى) أى ليس شبيها بابيه رضى الله تعالى عنه شبها تاما وانما تمام شبهه بجده صلى الله عليه وسلم والباء متعلقة بافدى فليست قسمية وقيل انها قسمية وقد ورد النهى عنه بحديث لا تحلفوا بآبائكم وأجيب بانه قبل النهى عنه وهو بعيد والظاهر ان النهى عن القسم الحقيقى لا عما ورد للتعظيم والاستعطاف وهذا كله فى غير الله ورسوله فان لهما ان يقسما بما أرادا ويقال بابى وأبى بى وبابأ الرجل اذا قال بابى (وعلى يضحك) من فعل أبى بكر رضى الله تعالى عنهما وقوله هذا تعجبا منه وسرورا وفرحا بذلك وتعجبا من ان الظاهر ان كل أحد يشابه أباه * ومن يشابه أبه فما ظلم * ولكنه جذبه عرقه لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولذا سماه صلى الله تعالى عليه وسلم ابناله وجعل نسبه منه وهى خاصية لحكم ربانية وقد روى ان فاطمة رضى الله تعالى عنها كانت ترقص الحسن وهو طفل وتقول بابى شبيه بالنبى الخ فيحتمل التوارد وان أبا بكر تمثل به بعد ما سمعه ووقع فى البخارى ليس شبيه بعلى بالرفع فقال ابن مالك ليس حرف عطف كما ذهب اليه الكوفيون وغيرهم يقول هو اسمها والخبر محذوف أى ليس الشبيه غيره وقد يؤول بغير ذلك وهذا لا ينافى ما فى الشمائل لم أر قبله ولا بعده مثله لان المنفى المماثلة من جميع الوجوه والمثبت من بعضها وقيل المثل أخص من الشبيه ولا ينتفى الاعم بانتفاء الاخص والذين شبهوا برسول الله صلى الله عليه وسلم نحو العشرة الحسن والحسين وقيل الحسن كان أعلاه أشبه برسول الله صلى الله عليه وسلم والحسين أسفله وجعفر بن أبى طالب وقثم بن عباس والسائب بن يزيد أحد أجداد الشافعى وأبو سفيان بن الحارث وكابس بن ربيعة الآتى فى كلام المصنف مع ضبطه وعبد الله بن عامر بن كريز بضم الكاف ومسلم بن معتب وعبد الرحمن بن عبد الله بن محمد بن عقيل بن أبى طالب وابنه القاسم رضى الله تعالى عنهم ونظم بعضهم ابن سيد الناس رحمه الله تعالى فقال

بخمسة شبه المختار من مضر * ياحسن ما خولوا من شبهه الحسن
بجعفر وابن عم المصطفى قثم * وسائب وأبى سفيان والحسن

وقال أبو محمد الآمدى وزاد اثنين وقيل انه للعراقى رحمه الله تعالى

وسبعة شبهوا بالمصطفى فسما * لهم بذلك قدر قدزكى ونما
سبطا النبى أبو سفيان سائبهم * وجعفر وابنه ذو الجود مع قثما

وقال ابن حجر رحمه الله تعالى وزاد ثامنا

قد أشبه المصطفى الهادى ثمانية * من صحبه فعلا فى الناس قدرهم
سبطاه وابن كريز وابن حارثهم * وجعفر وابنه مع سائب قثم

وزاد عليه ابن سيدى الحسن فقال

قد أشبه المصطفى المختار من مضر * جماعة عدهم يربو على العشرة
سبطاه وابن كريز وابن حارثهم * وجعفر وابنه هم سادة خيرة
وسائب مسلم وكابس قثم * وسبط نجد عقيل وابنه البررة

وقد زيد على هذا كثير بلغوا العشرين فى بعضها كلام وطعن ونظموها نظما متكلفا ولذا لم أتعرض له فتابعهم ابن الشحنة فى نظم له خمسة عشر فزاد ابن عقيل الثانى وزيد بن عبد الله ابن الحارث الملقب ميه وقدمات فى حياته صلى الله تعالى عليه وسلم وزيد عثمان بن عفان لانه صلى الله تعالى

(رضى الله تعالى عنه وجعل الحسن على عنقه) جملة حالية (وهو) أى أبو بكر (يقول بابى) أى أفديه بابى (شبيه بالنبى) أى هو شبيه به فى كثير من الوجوه (ليس شبيها بعلى) أى فى بعض الوجوه (وعلى يضحك) أى فرحا بفعل الصديق وقوله الدال على انه الصديق فى مقام التحقيق وممن كان شبيها به عليه الصلاة والسلام من آله جعفر بن أبى طالب وقثم بن العباس والسائب ابن يزيد بن عبد يزيد ابن هاشم بن المطلب جد الشافعى وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ومن غير آله كثيرون منهم شخص من أهل البصرة يقال له كابس من ربيعة بن مالك السامى بالسين المهملة قبله معاوية بين عينيه وأقطعه قطيعة وكان أنس اذا رآه بكى وسيأتى قريبا ذكر كابس فى أصل الكتاب وقال الذهبى فى التهذيب فى ترجمة عبد الله بن جعفر ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أتاهم بعد ما أخبرهم بقتل جعفر فقال لا تبكوا بعد اليوم وذلك بعد ثالثه ثم قال ائتونى بنى أخى فجئ بنا كأننا أفراخ فقال ادعوا الى الحلاق فامره فحلق رؤسنا ثم قال اما محمد فشبه عمنا أبى طالب وأما عبد الله فشبه خلقى وخلقى ثم أخذ بيدى فاشالها ثم قال اللهم اخلف جعفرا فى أهله وبارك لعبد الله فى صفقته فجاءت أمنا فذكرت يتمنا فقال العيلة تخافين عليهم وأنا وليهم فى الدنيا والآخرة هذا والحسن بن على كان يشبهه

بنصفه الاعلى والحسين بنصفه الاسفل ولعل هذا هو السر فى ان أكثر الذرية من الحسين رضى الله تعالى عنه (وروى عن عبد الله بن الحسن) أى ابن حسن كما فى نسخة وهو ابن على بن طالب يروى عن أبيه وأمه فاطمة بنت الحسن وعنه مالك وابن علية أخرج له أصحاب السنن الاربعة مات سنة خمس وأربعين ومائة (قال أتيت عمر بن عبد العزيز) أى ابن مروان بن الحكم (فى حاجة فقال لى اذا كان لك حاجة فارسل لى) أى أحدا (واكتب) أى لى كتابا واذكر حاجتك ويروى أو اكتب الى (فانى أستحيى من الله ان يراك) وفى نسخة ان أراك (على بابى وعن شعبى) فيما رواه الحاكم وصححه البيهقى وغيره (قال صلى زيد بن ثابت) أى الانصارى (على جنازة أمه ثم قربت له بغلته) بصيغة المجهول (ليركبها فجاء ابن عباس فاخذ بركابه فقال زيد) تكريما له وتعظيما (خل عنه) أى دع الركاب وتباعد منه (يا ابن عم رسول الله فقال) أى ابن عباس رضى الله تعالى عنهما (هكذا نفعل) وفى نسخة هكذا أمرنا ان نفعل (بالعلماء) أى اكراما واحتراما (فقبل زيد يد ابن عباس وقال هكذا أمرنا) بصيغة المفعول أى أمرنا الله ورسوله (ان نفعل باهل بيت نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم ورأى ابن عمر محمد ابن أسامة) أى ابن زيد ابن حارثة مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (فقال ليت هذا عبدى) بفتح أوله وسكون الموحدة من العبودية بمعنى المملوكية وهى كما فى المطالع رواية البيهقى ورواية الكافة بكسر أوله وسكون للاوزاع
النون والاول أوجه انتهى وقال المزى بالنون هو المشهور وقال الحجازى وهو الصحيح فى الشفاء قيل وكذا فى البخارى الذى سمع على العراقى بالقلم (فقيل له) أى لابن عمر رضى الله تعالى عنهما (هو محمد بن اسامة فطأطأ ابن عمر رأسه) أى أطرقه (ونقر بيده الارض) أى حياء عما صدر عنه (وقال) أى ابن عمر فى حقه (لو رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم لاحبه) أى كحبه أباه اسامة (وقال الاوزاعى)

عليه وسلم قال انه أشبه الناس بابيه ابراهيم الخليل عليه السلام والنبى صلى الله عليه وسلم كان يشبه الخليل أيضا وشبيه الشبيه شبيه وعد ابن سعد منهم على بن مجاد بن رفاعة ولو ذكر كل من قيل انه يشبهه صلى الله عليه وسلم لبلغ عددا كثيرا فانه ذكر منهم عبد الله بن محمد بن عقيل وابراهيم وعبد الله بن الحسن بن الحسين بن على ويحيى بن القاسم بن جعفر العلوى ومنهم كما قيل المهدى الذى يخرج آخر الزمان والظاهر منهم انهم تسمحوا فى وجه الشبه فى الخلق والخلق فان الشبه التام لم يتيسر لاحد كيف وقد أعطى صلى الله عليه وسلم الحسن كله وأعطى يوسف عليه الصلاة والسلام شطره فهو كما قيل

انما مثلوا صفاتك للنا * س كما مثل النجوم الماء

(و) روى (عن عبد الله بن حسن بن حسين) بن على بن أبى طالب رضى الله عنه وهو من ثقاة آل البيت وفضلائهم وله ترجمة وأخرج له أصحاب السنن (قال أتيت عمر بن عبد العزيز فى حاجة فقال لى اذا كان لك حاجة فارسل الى أو اكتب لى) كتابا تعلمنى فيه بحاجتك (فانى أستحيى من الله تعالى ان يراك) واقفا (على بابى) كما هو المعتاد لمن أتى باب عظيم ان يقف حتى يؤذن له وهذا تعظيم منه لآل البيت لمحبة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وآله (وعن الشعبى) عامر بن شرحبيل كما تقدم وهذا رواه الحاكم والبيهقى وصححه (قال صلى زيد بن ثابت) بن قيس بن شماس الانصارى الصحابى المشهور رضى الله عنه وقال البرهان زيد بن ثابت الكاتب (على جنازة أمه) أى أم زيد والجنازة بفتح الجيم وكسرها الميت أو التابوت وأمه هى النوار بنت مالك بن معاوية بن عدى بن عامر الانصارية (ثم قربت له بغلته ليركبها) فلما ركبها (جاء ابن عباس رضى الله عنهما فاخذ بركابه) أى أمسكه ليركب أو مشى معه ماسكا ركابه (فقال زيد) لابن عباس (خل عنه) أى دع الركاب وتباعد عنه (يا ابن عم رسول الله) يعنى انه لا يليق مثله بآل البيت لتعظيمهم وتكريمهم اللازم لكل أحد (فقال) ابن عباس رضى الله تعالى عنهما مجيبا له (هكذا نفعل بالعلماء) أى بمثل هذا التعظيم نعظم به علماءنا (فقبل زيد يد ابن عباس) تعظيما له وجزاء لاكرامه (فقال هكذا أمرنا ان نفعل بآل بيت نبينا) صلى الله تعالى عليه وسلم وقول الصحابى أمرنا كما بين فى مصطلح الحديث له حكم الرفع على كلام فيه ليس هذا محله والشاهد فيه تعظيم آل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومحبتهم (ورأى) عبد الله (ابن عمر) بن الخطاب رضى الله تعالى عنهما أحد العبادلة المشهور (محمد بن أسامة بن زيد) بن حارثة مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا الحديث فى صحيح البخارى (فقال ليت هذا عندى) بكسر العين وسكون النون أو بفتحها والباء الموحدة الساكنة وروى بالوجهين والذى رجحوه الاول وهكذا ضبطه الحافظ العراقى ويعنى ذلك ليعلمه ويؤدبه ولم يكن عرفه حين رآه (فقيل له هو محمد بن أسامة فطأطأ ابن عمر رأسه) أى خفضها وأطرق حياء لما عرفه (ونقر بيده الارض) وهو يتفكر فيما قاله ندما عليه (وقال لو رآه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لاحبه) كما كان يحب أباه أسامة وانما فعل ذلك وقال ذلك تعظيما لموالى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (وقال الاوزاعى) الامام العابد الزاهد الحافظ صاحب المذهب الذى كان عليه أهل المغرب قبل اتباع مذهب الامام مالك سكن الشام حتى مات وهو منسوب

كما حكى ابن عساكر فى تاريخ دمشق (دخلت بنت أسامة بن زيد صاحب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أى ومولاه واسمها فاطمة (على عمر بن عبد العزيز) أى حين كان أمير المدينة نيابة عن ابن عمه الوليد بن عبد الملك بن مروان أو فى أيام خلافته (ومعها مولى لها يمسك بيدها) أى يقودها لكبرها وضعف بصرها (فقام لها عمر) أى ابن عبد العزيز (ومشى اليها) أى خطوات (حتى جعل يديها) وفى نسخة يدها (بين يديه ويداه فى ثيابه) أى تادبا معها (ومشى بها حتى أجلسها على مجلسه) بفتح اللام وهو موضع التكرمة وهو الذى نهى الشارع عن الجلوس فيه بغير اذن بصاحبه وبكسرها المحل الذى يجلس فيه كما يقال مسجد بالكسر للبيت الطاهر الذى يسجد فيه وبالفتح لموضع الجبهة فى السجود (وجلس بين يديها) أى متوجها اليها (وماترك لها حاجة الاقضاها) لكونها بنت حبه ومولاته صلى الله تعالى عليه وسلم (ولما فرض عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه) أى فى ديوان الارزاق على مارواه الترمذى وحسنه (لابنه عبد الله فى ثلاثة آلاف) أى من الدراهم (ولاسامة فى ثلاثة آلاف وخمسمائة) أى زيادة على مافرض لابنه مع ان كليهما صحابى ابن صحابى وجلالة عمر وفضيلة ابنه غير مخفية على أحد وكان التقسيم حينئذ بحسب المراتب فى المناقب على عدد الرؤس كما فى زمن الصديق رضى الله تعالى عنه (قال عبد الله لابيه لم فضلته) أى أسامة على بما فضلته

(فوالله ماسبقنى) أى أسامة (الى مشهد) أى من المشاهد (فقال) أى عمر (له) أى لابنه انما فضلته (لان زيدا كان أحب الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من أبيك) قاله تواضعا والا فهو كان أحب اليه من زيد لما فى الصحيحين عن عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنه قلت يا رسول الله اى الناس أحب اليك قال عائشة قلت من الرجال قال أبوها قلت ثم من قال عمر ولعل زيدا كان أحب الموالى اليه وفاطمة أحب بناته وعليا أحب أقاربه فلا تعارض (وأسامة أحب اليه منك) أى من حيثية كونه ابن مولاه (فآثرت) أى اخترت بالتقديم والتخصيص (حب رسول الله صلى الله تعالى عليه

للاوزاع بطن من حمير أو همدان أو قريه وقد تقدم (دخلت بنت أسامة بن زيد) مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واسمها فاطمة وكانت تسكن المزة بالشام كما ذكره ابن عبد البر (صاحب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) بالجر صفة أسامة أو زيد فان كلا منهما صحابى مشهور (على عمر بن عبد العزيز) وهو خليفة وقيل انها دخلت عليه وهو أمير بالمدينة قبل خلافته فى خلافة الوليد بن عبد الملك ابن مروان والصحيح الاول لان هذه القصة ذكرها ابن عساكر فى تاريخه وان أسامة توفى بقربة له بوادى القرى وخلف بنته فاطمة بالمزة فلم تزل بها الى أن ولى عمر بن عبد العزيز (فاتته ومعها مولى لها) أى عبد (يمسك بيدها) لكبرها وضعف بصرها (ف) لما رآها عمر (قام لها ومشى اليها) تكريما وتعظيما لها لكونها من نسل موالى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (حتى جعل يدها بين يديه) بان أمسكها بدلا عن مولاها وتولى خدمتها (ويداه فى ثيابه) أى مغشاة بكمه حتى لايمس بدنه بدن أجنبية لتقواه (ومشى بها حتى أجلسها على مجلسه) أى على فراشه الذى كان جالسا عليه (وجلس بين يديها) كما يفعله الصغير مع الكبير تادبا منه واكراما وتعظيما (وماترك لها حاجة) ذكرتها له (الاقضاها) ونجزها وكان قال لها ماحاجتك يافاطمة قالت تحملنى الى أخى فجهزها وحملها اليه فانظر رحمك الله تعالى الى الخلفاء الراشدين لم تمنعهم الخلافة عن قضاء الحوائج للناس والتواضع لهم (ولما فرض عمر) بن الخطاب رضى الله عنه فى ديوانه الذى رتب فيه الوظائف للناس وهذا مما رواه الترمذى وحسنه فلما عين من بيت المال لهم فرض (لابنه عبد الله) وظيفة (فى ثلاثة آلاف) أى فى الطبقة التى واحدهم ثلاثة آلاف فى السنة (و) فرض (لاسامة بن زيد فى ثلاثة آلاف وخمسمائة) فجعل وظيفته من بيت المال فى رتبة أعلى من ابنه عبد الله (قال) جواب لما (عبد الله) ابنه (لابيه) عمر رضى الله تعالى عنهما (لم فضلته) على بزيادة عطائه (فوالله ماسبقنى الى مشهد) أى محل شهده الناس من الجهاد وخدمة الدين التى ترتب الوظائف بقدرها وبالتقدم فيها (فقال) عمر (له) أى لابنه مجيباله (لان زيدا) أباه (كان أحب الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من أبيك) يعنى نفسه (وأسامة أحب اليه منك) فتقديمه انما هو لمحبة رسول الله لا لسبقه لك وهى أمر يقتضى التقديم وزيادة التكريم وهذا قيل انه تواضع منه لخدمته لموالى رسول الله صلى الله عليه وسلم والا فهو أحب الى رسول الله لحديث عمرو بن العاص قلت يارسول الله أى الناس أحب اليك قال عائشة قلت من الرجال قال أبوها قلت ثم من قال عمر ولك أن تقول الاحبية تختلف فاسامة رضى الله تعالى عنه أحبيته لكونه من خدمته المقربون له فلا ينافى كون عمر أحب اليه من غير ذلك الوجه فآثر القرب منه على غيره ثم ان ماذكره من الفرض المذكور يخالفه مافى الاستيعاب انه فرض لاسامة خمسة آلاف ولابنه ثلاثة آلاف لكنه لاينافى المقصود من القصة وهذا كله من الغنائم كما فصلوه (فآثرت) أى أجزت وقدمت (حب رسول الله صلى الله تعالى عليه

وسلم على حبي) بكسر الحاء فيهما بمعنى المحبوب ويجوز أن تكون مضمومة مصدر حب قال الحلبي الحديث في البخاري في الهجرة عن نافع مولى ابن عمر ان عمر كان فرض للمهاجرين الاولين أربعة آلاف وفرض لابن عمر ثلاثة آلاف وخمسمائة فقيل له هو من المهاجرين فلم نقصته من أربعة آلاف قال انما هاجر به أبواه يقول ليس هو كمن هاجر بنفسه ولعل ما نقله القاضي كان أولا وما في الصحيح كان آخرا انتهى ولا يخفى انه لا مانع من الجمع في وقت واحد أيضا ثم قال وقوله هاجر به أبواه فيه نظر لان أمه زينب بنت مظعون ماتت بمكة ولم تهاجر وأجيب بان المراد

بالابوين هنا الاب وزوجة الاب (وبلغ معاوية) أي ابن أبي سفيان كما روى ابن عساكر (ان كابس ابن ربيعة) قد سبق ذكره (يشبه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي في الصورة فوجه معاوية (فلما دخل عليه من باب الدار قام عن سريره وتلقاه) أي بالاقبال بين يديه والمثول لديه (وقبل بين عينيه) أي ما بينهما (وأقطعه المرغب) بميم مكسورة وقد تفتح فراء ساكنة فعجمة فوحدة موضع أي جعله له اقطاعا ينفرد به انتفاعا (لشبهه) بفتحتين أي لمشابهته (صورة رسول الله) بالاضافة (صلى الله تعالى عليه وسلم وروى ان مالكا رحمه الله تعالى) وهو ابن أنس صاحب المذهب (لما ضربه جعفر بن سليمان) أي ابن علي بن عبد الله بن عباس فهو ابن عم أبي جعفر المنصور بقوله بعضهم له انه لا يرى الايمان لبيعتكم شيئا لان يمين المكره لا تلزم فغضب

وسلم على حبي) بضم الحاء فيهما أي محبته أو بكسرها بمعنى محبوبه على محبوبي (وبلغ معاوية) ابن أبي سفيان رضي الله تعالى عنهما فيما رواه ابن عساكر (ان كابس بن ربيعة) بن مالك ابن لؤي السامي البصري بسين مهملة من بني سامة بن لوي وكابس بكاف وباء موحدة بعد ألف وسين مهملة وما قيل من انه بمثناة تحتية وانه صحح في نسخة العز في تلميذ المصنف تصحيف من ناقله وقول القرطبي ان المحفوظ فيه عابس الصحيح خلافه (يشبه برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) بنوع من الشبه وأين الثرى والثريا (فلما دخل عليه من باب الدار) الفاء دالة على مقدر أي وجه له من أحضره فلما دخل باب داره (قام عن سريره) فمشى له (وتلقاه وقبل بين عينيه) تذكرا بما لمشابهته لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أنس بن مالك اذا رآه بكى لتذكره رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (وأقطعه المرغاب) اسم أرض بمرو الشاهجان أو قرية بهراة كانت ذات غلة كثيرة يرغب فيها وهو بكسر الميم وغين معجمة وألف وباء موحدة قبلها راء مهملة والاقطاع أن يفوض اليه أرضا بتمليك ونحوه ويسوغه لمن هو أهل له وفي شرح أحكام عبد الحق انه اسم نهر بالبصرة وما في القاموس مما يقتضي ان ميمه مفتوحة مخالف لما نقله أهل اللغة كأبي عبيد في معجمه والظاهر انه لا وجه له وعبارته المرغاب ع ونهر بمرو الشاهجان وبلدة بهراة وبالكسر سيف مالك بن حمار انتهى وقوله (لشبهه صورة رسول الله صلى الله عليه وسلم) متعلق بما قبله جميعه أي كل ما فعله معاوية رضي الله تعالى عنه من تعظيمه لمشابهته له والصورة ظاهر الوجه وهيئة الانسان وصفته وصورة مضاف لما بعده مفعول أو منصوب بمنون تمييز للنسبة (وروى ان مالكا) هو ابن أنس الامام المعروف (لما ضربه جعفر بن سليمان) بن علي بن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وجعفر هذا كان واليا على المدينة من قبل عمه المنصور (ونال منه ما نال) من تجريده من ثيابه واهانته وسبه وكان سببه انه بلغه انه يقول ان الايمان في بيعة الخلفاء ليست لازمة لان الناس يكرهون فيها فغضب لذلك ودعاه فحصل منه ما لا خير فيه (وحمل) لمنزله (مغشيا عليه) من الضرب وانه مدت يده حتى خلعت من كتفه (دخل عليه الناس) جواب لما (فافاق) من غشيته (فقال أشهدكم اني جعلت ضاربي) أي الآمر بضربي ومن باشره (في حل) بكسر الحاء يقال هو في حل من كذا اذا برأت ذمته من عهدته (فسئل بعد ذلك) عن وجه ما قاله واسقاط حقه (فقال اني خفت ان أموت) بما فعله بي (فالقى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) في الدار الآخرة (فاستحيي منه) لما يلحقني من الخجل منه خوفا (ان يدخل بعض آله) من اقربائه (النار بسببي) جزاء له على ما فعله لان حق العبد لا يسقط الا برضاه واذا لم يرض يعذبه الله عدلا منه فلذا قال حذرا من ذلك ولذا جزم بذلك واحتمال ارضاء الله وغيره أمر مخالف للظاهر فلا وجه للاعتراض على جزمه بذلك كما قيل ولله در الامام النووي في قوله

مانال مني أو علقت بذمته * ابرأته لله شاكر منته * والله ما طالبت عبدا بعده
ولئن طلبت رجوت واسع رحمته * أأرى معوق مؤمن يوم الجزي * أو ان أسوء محمدا في أمته

جعفر ودعاه وجرده (ونال منه ما نال) أي من ضرب وغيره فانه مدت يده حتى انخلع كتفه أو أزيلت منه (وقيل (وحمل) الى بيته (مغشيا) أي عليه كما في نسخة (دخل عليه الناس) جواب لما (فافاق) أي من غشيته (فقال) وفي نسخة وقال أي لمن في حضرته (أشهدكم اني جعلت ضاربي) أي الآمر بضربي ويروى صاحبي (في حل) أي في براءة من ضربه اياي (فسئل) أي مالك (بعد ذلك) أي بعد جعله في حل عن سببه هنالك ويروى فقيل له في ذلك (فقال خفت أن أموت فالقى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فاستحيي منه أن يدخل بعض آله) أي من أن يدخل بعض أقاربه من بني عمه (النار بسببي

وقيل ان المنصور أقاده من جعفر) أي طلب ان يقتص له منه ويقيده ففيه تجوز والمعنى اراد ان يؤدبه لقلة ادبه مع مالك (فقال له)
أي مالك (اعوذ بالله) أي من ذلك (والله ما ارتفع منها) أي من اسواطه (سوط عن جسمي الا وقد جعلته في حل لقرابته من رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم) فلم يزل مالك في علو ورفعة بعد ذلك (وقال أبو بكر بن عياش) بتحتية مشددة وشين معجمة هو ابن سالم
الاسدي الحناط بالحاء المهملة والنون المشددة المقرئ احد الاعلام اختلف في اسمه على احد عشر قولا وصحح أبو زرعة ان اسمه
شعبة ووافقه الشاطبي وصحح ابن الصلاح والمزي ان اسمه كنيته يروي عن حبيب ابن أبي ثابت وعاصم وابي اسحق وعنه أحمد وعلي
واسحق وابن معين والعطاردي قال أحمد صدوق ثقة ربما غلط وقال أبو حاتم هو وشريك في الحفظ سواء وفي الميزان اثنان غيره يقال
لكل منهما أبو بكر بن عياش قال الانطاكي مات في جمادى الاولى سنة ثلاث وتسعين ومائتين وله ست وتسعون سنة اخرج له البخاري
والاربعة (لو اتاني أبو بكر وعمر وعلي لبدأت بحاجة علي قبلهما) أي قبل الشيخين

(لقرابته) أي القريبة ويروى لقرباه (من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) وهذا الوجه وجيه في الاقدمية من هذه الحيثية واما قوله (ولأن أخر) بفتح همزة وكسر خاء معجمة وتشديد راء أي لأن اسقط (من السماء الى الارض) أي من المقام الاعلى الى المكان الا (احب الي من ان اقدمه عليهما) أي في الافضلية فدفع توهم التفضيل في القضية ثم فيه انه يجب على التابع ان يقدم من قدمه المتبوع ولذا اذن عمر رضي الله تعالى عنه بالدخول لبلال وسلمان قبل العباس وأبي سفيان رضي الله تعالى عنهم حين اجتمعوا على باب عمر فقال أبو سفيان للعباس

أتريدان يقدم علينا الموالي فقال العباس الذنب منا حيث تأخرنا فيما كان يجب التقدم علينا وهذا الذي اختاره ابن عباس رأي له
والافالجمهور على ان الافضل يستحق التقديم في كل شيء فتامل (وقيل لابن عباس رضي الله تعالى عنهما) كما رواه أبو داود والترمذي
وحسنه (ماتت فلانة لبعض ازواج النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي وسميت باسمها الا ان الراوي نسيها (فسجد) أي لعظم
المصيبة وفقد الاعزة ولا يبعد ان يكون المراد بسجد صلى ركعتين لقوله تعالى واستعينوا بالصبر والصلاة (فقيل له) أي لابن عباس
(أتسجد في هذه الساعة) بهمزة الاستفهام التعجبية بناء على مخالفة العادة العرفية (فقال) أي ابن عباس أليس قال رسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم اذا رأيتم آية) أي علامة خارقة للعادة من نحو كسوف وخسوف وشدة ريح وكثرة ظلمة (فاسجدوا) أي فصلوا
(وأي آية أعظم) أي خطرا وافخم قدرا (من ذهاب ازواج النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي واحدة بعد واحدة حيث انهن من
أخص أصحابه وأقرب احزابه (وكان أبو بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما) أي مع جلالتهما (يزوران أم أيمن) واسمها بركة

(وقيل ان المنصور) الخليفة العباسي المشهور (أقاده من جعفر) أي امر ان يقتص لمالك من جعفر
فيضرب كما ضرب به وسياتي كلام في قصاص الضرب (فقال اعوذ بالله) والتجئ اليه في الاعانة على عدم
ما اريد وهو عبارة في العرف عن عدم الرضاء (والله ما ارتفع سوط عن جسمي) في حال الضرب (الا وقد
جعلته في حل) وابرأت ذمته منه (لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم) تكريما له لتعظيمه
ومحبته (وقال أبو بكر بن عياش) بفتح العين المهملة وتشديد المثناة التحتية وآخره شين معجمة ابن
سالم الازدي المقرئ احد الاعلام اختلف في اسمه فقيل شعبة وقيل اسمه كنيته وشهرته تغني عن ذكره
توفي سنة تسع وثلاثين ومائة في جمادى الاولى وعمره ستة وتسعون سنة (لو اتاني أبو بكر وعمر وعلي)
في حاجة اقدر عليها (لبدأت بحاجة علي قبلهما) وقدمته عليهما وهما ماهما ايثارا عليهما (لقرابته)
وفي نسخة لقرباه (من رسول الله صلى الله عليه وسلم) لشدة قربه وصهارته فتقدمه ذاتي وعرضي
وقربهما منه لا يمنعه (ولأن أخر من السماء الى الارض) هذا تمثيل لصعوبته حتى ان مخالفته عنده أشد
عنده من انه يرفع الى السماء ويرمى به منها الى الارض فتنقطع وتتكسر جميع اعضائه وخر بمعنى سقط
(أحب الي من ان اقدمه عليهما) يعني لولا قرابته منه صلى الله عليه وسلم ما قدمته عليهما مع علمي
بافضليتهما عليه وانما قدمه لما فيه من صلة رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم
* ولاجل عين ألف عين تكرم * ففي الكلام تقدم كما أشرنا اليه (وقيل لابن عباس) كما رواه أبو داود
والترمذي وحسنه (ماتت فلانة) كناية عن امرأة معينة كما بينه بقوله (لبعض ازواج النبي صلى الله عليه
وسلم) ولم يعينوها وقيل هي ميمونة وقيل هي زينب (فسجد فقيل له أتسجد في هذه الساعة) أي في
مثل هذه الساعة التي أخبرت فيها بهذه المصيبة والسجود يكون لشكر ونحوه (فقال أليس قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اذا رأيتم آية فاسجدوا) أي امرا عظيما فيه عبرة كالكسوف والخسوف وجزم
بعضهم بانها ميمونة خالة ابن عباس وهي آخر زوجاته صلى الله عليه وسلم موتا وفي انقراضهن يخشى
رفع الرحمة من الارض وغضب الله على أهلها وفي السجود والصلاة تذلل برفع غضب الرب ولذا
استحب بعضهم الصلاة للخسوف والزلزلة (وأي آية أعظم من ذهاب ازواج النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم) وغلق بابه فانه أمر عظيم يورث حزنا واسفا (وكان أبو بكر وعمر يزوران أم أيمن

(مولاة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) وتقدم ترجمتها (ويقولان كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يزورها) أي فيتعين علينا زيارتها تبركا بها وتاسيا بزيارته اياها والحديث رواه مسلم (ولما وردت) كما روى ابن سعد عن عمر وبن سعد بن أبي وقاص مرسلا قال لما وردت (حليمة السعدية) أي أمه من الرضاعة (على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي زائرة مسترفدة وفي سيرة الدمياطي ان الواردة عليه انما هي ابنتها الشيماء أخته من الرضاعة (بسط لها رداءه وقضى) أي نفذ (حاجتها) رعاية لحرمة الرضاعة وفي الحديث حسن العهد من الايمان (فلما توفى) أي رسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم قدمت) وفي نسخة صحيحة وفدت أي أمه أو أخته من الرضاعة (على أبي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما فصنعا بها مثل ذلك) أي مثل صنيعه عنه عليه الصلاة والسلام في الاكرام ومزيد الانعام مراعاة لحرمتها وتاسيا برعايتها ثم اعلم ان العلامة أبا محمد عبد المؤمن بن خلف الدمياطي أنكر اسلام حليمة وقال ان هذه القصة للشيماء ابنتها لكن رد عليه مغلطاي في مؤلف له سماه التحفة الجسيمة في اسلام حليمة فيمكن الجمع بينهما في القضية والله تعالى أعلم بالحقيقة الحقية

(فصل) (ومن توقيره) أي تعظيمه (وبره) أي ومن احسانه (عليه الصلاة والسلام توقير أصحابه وبرهم ومعرفة حقهم) أي حقوقهم من فتح البلاد ودفع أهل الفساد وايصال انواع العلوم الى اصناف العباد (والاقتداء بهم) أي في افعالهم واقوالهم لقوله عليه الصلاة والسلام أصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم

في

مولاة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ويقولان كان النبي صلى الله عليه وسلم يزورها) فاقتديا به واحباما أحب واسمها بركة بنت حفص بن ثعلبة بن عمر بن حفص بن مالك بن سليمان بن عمر بن النعمان كانت وصيفة لعبد الله بن عبد المطلب تزوجها زيد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فولدت له اسامة وهاجرت الهجرتين وكانت آلت اليه من أبيه وقيل كانت لامه وكان صلى الله عليه وسلم يحبها ويحب زوجها وابنها ويقول هي أمي بعد أمي فلذا كان يزورها ويصلها وكانت تحبه وتحضنه وآمنت به صلى الله عليه وسلم قبل بعثته لان أمه ذهبت به لاخواله بني النجار بالمدينة واقامت شهرا عندهم فكان اليهود يختلفون وينظرونه فسمعتهم أم ايمن يقولون هذا نبي هذه الامة فرق ذلك في قلبها فهي أول من آمن به صلى الله عليه وسلم ثم رجعت به فماتت أمه بالابواء وقبرها هنالك فحضنته أم ايمن (ولما وردت حليمة السعدية) من بني سعد وهي أمه من الرضاعة وهذا الحديث رواه ابن سعد رحمه الله (على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) بعد هجرته (بسط لها رداءه) لتجلس عليه اكراما لها ولحق أمومة الرضاع (وقضى حاجتها) التي سألته قضاءها (فلما توفى) صلى الله تعالى عليه وسلم (وفدت) أي جاءت وافدة وقادمة من محل بعيد (على أبي بكر وعمر) في خلافتهما لحاجة لها (فصنعا بها مثل ذلك) أي بسطا رداءهما واكراماها وقضيا حاجتها تاسيا به صلى الله تعالى عليه وسلم ومحبة لمن أحب واعترض عليه البرهان وقال ان التي قدمت عليه بنت حليمة المسماة بالشيماء وهي التي اسلمت لا حليمة كما ذكره الدمياطي وتبعه غيره لكن رد عليه ذلك مغلطاي في مؤلف له سماه التحفة الجسمية في اسلام حليمة والحاصل كما تقدم انهم اختلفوا في اسلامها وانها صحابية وانكره بعضهم وقال انه غلط من بنتها الشيماء فانها اسلمت وقال ابن عبد البر في الاستيعاب انها اتته صلى الله عليه وسلم يوم حنين فبسط لها رداءه وانه روى عنها حديث ورد بانه لم يصح والتي أتته بنتها الشيماء بنت الحارث كما مر واسمها حذافة واما هي فاتته صلى الله عليه وسلم زمن خديجة فاعطاها أربعين شاة وجملا وانصرفت الى أهلها ولم يذكر اسلامها الا ابن عبد البر أثبته وعدها في الصحابة وقال هي أتته بحنين وروى عنها عبد الله بن جعفر وذكر في الوفاء انها أسلمت هي وزوجها وبنتها وكفى بهذا مستندا للمصنف فالمخطئ له مخطئ والشاهد فيما ذكره لما نحن فيه ان أبا بكر اكرمها وعظمها اقتداء به صلى الله عليه وسلم ومحبة لمن أحبه وهي في حكم آل بيته لانها أمه من الرضاعة وهي في حكم القرابة وهذا مع ظهوره لم يفهمه من قال معترضا على المصنف رحمه الله تعالى ان هذه القصة لا مدخل لها في هذا الفصل لانه معقود لتوقير آله وأصحابه تكريما له وتعظيما وهذا انما هو من قبيل تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم نفسه لغيره وهذه غفلة منه عجيبة

(فصل ومن توقيره صلى الله تعالى عليه وسلم وبره) توقيره بتعظيمه وبره مضاف الى المفعول بمعنى الاحسان والمراد به رعاية جانبه وصلته (توقير أصحابه وبرهم) أي تعظيمهم والاحسان اليهم بموالاتهم ونصرتهم وكل ما يليق بهم قولا وفعلا فان من اكرم عظيما اكرم اتباعه والاصحاب جمع صاحب وتعريفه كما تقدم من رآه صلى الله تعالى عليه وسلم مؤمنا به ومات على ذلك وتفصيله في كتب الحديث والاصوليين (ومعرفة حقهم) أي ما يلزم لهم من تكريمهم وحسن معاملتهم وتنزيل كل منهم في منزلته اللائقة به وليس المراد به مجرد المعرفة حتى يقال ينبغي ان يقول القيام بها لان ثمرة العلم العمل ولذا عطف عليه قوله (والاقتداء بهم) أي اتباع أقوالهم وافعالهم فانهم على هدى اضاءت

(وحسن الثناء عليهم) أي اجمالا كما قال تعالى رضي الله عنهم ورضوا عنه وكذا في مقام التفصيل كمالا وتبجيلا له عليه الصلاة والسلام واجلالا (والاستغفار لهم) لقوله تعالى والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان الآية (والامساك عما شجر) أي اختلف (بينهم) وما وقع لهم من التشاجر والاختلاف الصادر عنهم باجتهاد فلمصيبهم اجران ولمخطئهم أجر واحد كما ورد وكما قال الشاطبي رحمه الله تعالى

وسلم لاحدى الحسنيين اصابة * والاخرى اجتهاد رام صوبا فامحلا

وفي الحديث اذا ذكر أصحابي فامسكوا وفي حديث آخر اياكم وما شجر بين أصحابي (ومعاداة من عاداهم) أي من الرافضة والناصبة لان الصحابة لاشك أنهم أولياء الله وقد ورد من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب (والاضطراب) أي الاعراض (عن اخبار المؤرخين) بفتح الهمزة وكسرها أي عن أقوال أصحاب التواريخ فان غالبهم غير صحيح بل كذب صريح (وجهلة الرواة) أي ممن نقلوا الحكايات عن غير الثقات (كالرافضة) أي الطائفة التي رفضوا محبة الصحابة (وضلال الشيعة) أي ممن زعم مشايعة علي ومتابعته وهو بريء منهم ومتبعد عنهم وأصل الشيعة الفرقة المتفقة على ملة من الطريقة ومنه قوله تعالى ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء الآية وتطلق على الفرقة الذين يفضلون عليا كرم الله تعالى وجهه ويزعمون أنهم من شيعته أي من اتباع سيرته (والمبتدعين) أي في الدين كبعض المعتزلة (القادحة في أحدهم) أي الطاعنة في أحد من الصحابة وهم براء واتقياء فيجب ان يسكت عنهم (وان يلتمس لهم) بصيغة المفعول وكذا (فيما نقل عنهم) أي في حقهم (من مثل ذلك) أي من موجب طعنهم (فيما كان بينهم من الفتن) أي المؤدية الى المحن أي يطلب (أحسن التاويلات) اذ كلهم عدول بشهادة الله تعالى لهم حيث قال وكذلك جعلناكم أمة وسطا أي عدولا (ويخرج لهم) بتشديد الراء المفتوحة أي يحمل لافعالهم (أصوب المخارج) أي المحامل (اذهم أهل لذلك) أي احقاء به هنالك (ولا يذكر أحد منهم بسوء) لان الله قد أثنى عليهم في مواطن كثيرة من كتابه ووصى النبي عليه الصلاة والسلام أمته في تعظيم أصحابه بنحو قوله لا تسبوا أصحابي مع تعميم قوله عليه الصلاة والسلام لا تذكروا موتاكم الا بخير ولانه من الفواحش المحرمة باجماع أهل السنة على خلاف انه يعزر فاعله أو يقتل (ولا يغمص) بصاد مهملة على صيغة المجهول أي لا يعاب (عليه) أي على أحدهم (أمر) أي يطعن به فيه لحديث الله الله في أصحابي أي اتقوه فيهم فلا تنقصوهم ولا تحقروهم بل عظموهم ووقروهم وفي الحديث لما قتل ابن آدم أخاه غمص الله الخلق أي صغرهم وحقرهم فنقصهم وطعن فيهم طولا وعرضا وقوة وقوتا وفي نسخة يغمض بضاد معجمة

في مشكاة الانوار النبوية فهم خير الناس ومجموعهم أفضل من مجموع من بعدهم وأما كون كل فرد منهم أفضل من كل فرد من غيرهم فصرحوا بانه لا يلزم فقد يكون بعض التابعين أفضل من بعض الصحابة واستدل لحديث أمتي كالمطر لا يدري الخير في أوله أم آخره والمشاحة فيه بانه باعتبار النفع لا الفضيلة غير مسلمة وبالجملة فكلهم عدول مطلقا صغيرهم وكبيرهم (وحسن الثناء عليهم) اذا ذكروا مدحوا (والاستغفار لهم) أي الدعاء لهم بالمغفرة والرحمة نحو رحمهم الله ورضي عنهم (والامساك) أي السكوت يقال امسك عن ذكره اذا سكت وهو مجاز صار حقيقة فيه (عما) أي عن كل أمر (شجر بينهم) أي وقع فيه خلاف ونزاع ماخوذ من الشجر المختلف المتداخل اغصانه بعضها في بعض وفي الحديث اياكم وما شجر بين أصحابي (ومعاداة من عاداهم) كالخوارج والرافضة (والاضراب) أي الترك والاعراض (عن اخبار المؤرخين) التي نقلوها عنهم فانها تورث تنقيص بعضهم عما نقلوه (وجهلة الرواة) الذين رووا قصصا باطلة تؤدي لسوء ظن بهم (وضلال الشيعة) بضم الضاد المعجمة وتشديد اللام جمع ضال والشيعة كل فرقة تابعة لاحد ثم خصت بفرقة مخصوصة شايعوا عليا وبالغوا فيه وقالوا ان الامامة حقه وحق بنيه دون غيرهم وهو من اضافة الصفة لموصوفها أي الشيعة والصفة كاشفة معرفة لا مقيدة حتى يتوهم ان من الشيعة فرقة غير ضالة وهي مقيدة للمعطوف والمعطوف عليه أعني قوله (والمبتدعين) فان البدعة على أقسام كما تقدم والمراد ابتداع العقائد الفاسدة كالخوارج وبعض المعتزلة وقوله (القادحة) صفة اخبار والقدح الذم والتنقيص بذكر ما يؤدي اليه (في أحد منهم) أي من الصحابة (وان يلتمس لهم) أي يطلب لهم وأصله ادراك ظاهر البشرة كالمس فعبر به عن مطلق الطلب (فيما نقل عنهم من مثل ذلك) الامر المنقول عنهم في الاخبار المروية (فيما كان بينهم من الفتن) كما وقع بين علي ومعاوية رضي الله تعالى عنهما (أحسن التاويلات والمحامل) لانها أمور وقعت باجتهاد منهم لا لاغراض نفسانية ومطامع دنيوية كما يظنه الجهلة (ويخرج) بضم أوله مجهول كقوله يلتمس المتقدم أيضا (أصوب المخارج) بان يحمله على أمر محمود يؤوله بما يخرجه عن عده من المعائب الى الحاقه بالمحاسن (اذهم أهل ذلك) أي مستحقون بان يحمل ما صدر منهم على أمور حسنة محمودة (ولا يذكر) مبني للمجهول (أحد منهم بسوء) أي بامر قبيح (ولا يغمص عليه أمر) بضم الياء التحتية وسكون الغين المعجمة وميم مفتوحة وصاد مهملة مبني للمجهول أي لا يعاب ولا ينقص في أمر من أموره يقال

والظاهر انه تصحيف وقيل في معناه أي يصغر أو يحتقر واغمض نام وفي الامر والبيع استجاز مالا يستجاز أو حط من ثمنه (بل يذكر حسناتهم وفضائلهم وحميد سيرهم ويسكت عما وراء ذلك) أي عن غيره مما لا يليق بهم هنالك (كما قال عليه الصلاة والسلام) فيما رواه الطبراني وابن اسامة عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه (اذا ذكر أصحابي فامسكوا) أي عن الطعن فيهم وذكرهم بما لا ينبغي في حقهم قال الله تعالى (محمد رسول الله) هو خبر مبتدأ محذوف هو هو والجملة من مبتدأ وخبر (والذين معه) أي من الصحابة مبتدأ خبره (أشداء على الكفار رحماء بينهم) أي بالنسبة الى الابرار وسائر المؤمنين ولو من الفجار لقوله تعالى أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين (الى آخر السورة) يعني (تراهم ركعا سجدا) أي راكعين ساجدين في غالب أوقاتهم (يبتغون فضلا من الله ورضوانا) في سائر حالاتهم وهو بكسر الراء وضمها (سيماهم) أي علامة أنوارهم لائحة (في وجوههم من أثر السجود) أي من تأثير طاعاتهم واسرارهم (ذلك) أي الذي وصفوا به (مثلهم) أي صفتهم العجيبة وحالاتهم الغريبة المذكورة (في التوراة ومثلهم في الانجيل) مبتدأ خبره (كزرع) تمثيل مستأنف (أخرج شطأه) بسكون الطاء وفتحها أي فراخه من اشطأ الزرع اذا أفرخ (فآزره) من الموازرة أي المعاونة وأصل معناه من جهة مبناه شد ازره وقواه (فاستغلظ) أي صار غليظا أي بعدما كان دقيقا رقيقا (فاستوى على سوقه) بالواو والهمز جمع ساق بالوجهين أي استقام على قصبه قيل في الانجيل سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر (يعجب الزراع) بكثرته وقوته واستحكام حالته حتى أعجب الناس من الابرار (ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم) من بيانية عند أهل السنة (مغفرة وأجرا عظيما) هذا وقيل قوله تعالى (والذين معه) كناية عن الصديق (أشداء على الكفار) عبارة عن الفاروق (ورحماء بينهم) اشارة الى عثمان (تراهم ركعا سجدا) ايماء الى علي (يبتغون فضلا من الله ورضوانا) تعميم بعد تخصيص واستدل به على تكفير الروافض والخوارج الفجار حيث قال تعالى ليغيظ بهم الكفار (وقال) أي عز وجل (والسابقون) أي في مناقب الايمان ومراتب الاحسان (الاولون من المهاجرين) وهم من أسلم قبل الهجرة أو من صلى الى القبلتين أو من شهد بدرا (والانصار) أهل بيعة العقبة الاولى وكانوا سبعة والعقبة الثانية وكانوا سبعين ومن آمن حين أقدم عليهم أبو زرارة مصعب بن عمير (الآية) أي والذين اتبعوهم باحسان أي اللاحقون بهم الى يوم القيامة رضي الله تعالى عنهم بقبول طاعاتهم المرضية ورضوا عنهم بما منحهم به من النعم الدينية والدنيوية وأعد لهم جنات تجري به تحتها وفي قراءة المكي من تحتها الانهار خالدين فيها أي مقدرين الخلود وفي تعظيمها ذلك الفوز العظيم (وقال) أي عز وعلا وفي نسخة وقال تعالى (لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك) أي في الحديبية (تحت الشجرة) وتسمى بيعة الرضوان وقد تقدمت القضية (وقال) أي الله سبحانه وتعالى (رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه) من قتالهم أعداء الله وثباتهم مع رسول الله وهم عثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد وحمزة بن عبد المطلب ومصعب بن عمير ونحوهم (الآية) أي فمنهم من قضى نحبه أي نذره حتى قتل شهيدا كحمزة ومصعب وأنس ابن النضر ومنهم من ينتظر أن يقضي نحبه أي نذره ليفوز بالشهادة كعثمان وطلحة وسعيد وما بدلوا عهدهم تبديلا ولقد ثبت معه

غمصه اذا احتقره وتهاون به وجوز فيه أيضا اعجام ضاده من أغمض الجفن اذا أطبق بعضه على بعض ثم استعير للتغافل والتساهل قال الله تعالى الا أن تغمضوا فيه فالمعنى لا يحتقر والاول أولى رواية ودراية (بل يذكر حسناتهم) المروية من عباداتهم وزهدهم (وفضائلهم) الكثيرة من علمهم وكرمهم وحلمهم (وحميد سيرهم) من انصافهم وعدلهم واصابة رأيهم وعلو هممهم (ويسكت) مبني للمجهول (عما وراء ذلك) أي عن غيره مما لا يليق بشرف مقامهم (كما قال صلى الله عليه وسلم) في حديث رواه الطبراني وابن اسامة عن ابن مسعود (اذا ذكر أصحابي) بذكر أحوالهم (فامسكوا) عن الطعن فيهم وذكرهم بما يوهم نقصا فيهم (قال الله تعالى محمد رسول الله والذين معه أشداء الى آخره) فتضمن خاتمة سورة الفتح الثناء عليهم كلهم وان الله تعالى وعدهم بمغفرته وأجر عظيم منه وانهم من ابتداء امرهم الى آخره نفع وخير كزرع تكامل شيأ فشيأ حتى تمت سنابله وعم نفعه والآية وما فيها من التفاسير قد كفيناه مؤنته هنا والذي يراد منها هنا ان من مدحه الله وبالغ في مدحه في كتبه المنزلة على رسله لا يحتاج لمدح فكيف يقدح فيه قادح لكني أقول ٭ أعمى البصائر بالتكحل يذهب (وقال) ان الله تعالى عز وجل في حقهم أيضا (والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار الآية) وفي هذه الآية مدح عظيم أيضا لهم ووعد عظيم بما لهم في العقبى وهم على طبقات ثلاث الاولى السابقون الاولون الذين صلوا للقبلتين وشهدوا بدرا والذين أسلموا قبل الهجرة الثانية السابقون الاولون للبيعة وهم الانصار أصحاب العقبة الاولى والثانية والثالثة الذين اتبعوا هؤلاء باحسان وهم اللاحقون بالسابقين من أهل القبلتين وشمل هؤلاء كلهم الثناء والوعد وقد قسموا اقساما أخر ليس هذا محل تفصيله (وقال الله تعالى لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة) وهذه قصة الحديبية وما وقع فيها مما تغني شهرته عن ذكره (وقال الله تعالى من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الآية) هذه الآية قدمنا انها نزلت في ناس من الصحابة

طلحة يوم أحد حتى أصيبت يده فقال عليه السلام أوجب طلحة (حدثنا القاضي أبو علي) أي ابن سكرة (ثنا) أي حدثنا (أبو الحسين) أي المبارك ابن عبد الجبار الصيرفي (وأبو الفضل) أي ابن خيرون (قالا) أي كلاهما (ثنا أبو يعلى) أي البغدادي أحمد بن عبد الواحد المعروف بابن زوج الحرة (ثنا أبو علي السنجي) بكسر أوله (ثنا محمد بن محبوب) المشهور بالمحبوبي (ثنا الترمذي) وهو الحافظ أبو عيسى صاحب السنن (ثنا الحسن) وفي نسخة صحيحة الحسين بالتصغير (ابن الصباح) بتشديد الموحدة وهو البزار براء في آخره (ثنا سفيان بن عيينة) وهو الامام الجليل (عن زائدة) أي ابن قدامة أبو الصلت الثقفي الكوفي ثقة حجة صاحب سنة توفي غازيا بالروم سنة ستين ومائة أخرج له أئمة الستة (عن عبد الملك) رأى عليا وسمع جريرا والمغيرة والنعمان بن بشير وعنه ٤٢٣ شعبة والسفيانان أخرج له الائمة الستة (ابن عمير) بالتصغير (عن ربعي) بكسر راء فسكون موحدة وكسر مهملة فتشديد تحتية (ابن خراش) بكسر مهملة وتخفيف راء وفي آخره معجمة هو أبو مريم العبسي سمع عمر وابن مسعود وعنه منصور وأبو مالك الاشجعي حجة قانت لله لم يكذب قط وحلف انه لا يضحك حتى يعلم أين مصيره فما ضحك الا بعد موته توفي سنة أربع ومائة أخرج له الائمة الستة (عن حذيفة) هو ابن اليماني أبو عبد الله العبسي وفي الصحابة جماعة يقال لكل منهم حذيفة ومنهم من له رواية فلهذا ميزت هذا بابيه واليماني اثبات الياء فيه أصح من تركها وهو صحابي أيضا رضي الله تعالى عنهما ثم اعلم ان هذا الحديث قد أخرجه المصنف من عند الترمذي كما رأيت وقد أخرجه الترمذي في المناقب به ورواه أيضا من طريق أخرى وأخرجه ابن ماجه في السنة من طريقين وقد أخرجه ابن حبان والحاكم من حديث حذيفة ورواه الحاكم من حديث ابن مسعود رضي الله تعالى عنه وصحح اسناده (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر) هذا أمر بطاعتهما متضمن لثنائه عليهما ومؤذن بحسن سيرتهما وصدق سريرتهما ومشير الى انهما يكونان خليفتيه من بعده (وقال) أي النبي عليه الصلاة والسلام كما روى عبد بن حميد عن ابن عمر (أصحابي كالنجوم) بجامع الاهتداء اذ بها يقتدى في غياهب الظلمة الشنيعة وبهم يهتدى الى محاسن مراتب أنوار الشريعة (بايهم اقتديتم اهتديتم) ولعل الحديث مقتبس من قوله سبحانه وتعالى فاسالوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون ويقويه قوله عليه الصلاة والسلام

الصحابة منهم أنس بن النضر عم أنس بن مالك كان لم يشهد بدرا فكبر عليه ذلك فقال أول مشهد لرسول الله غبت عنه والله لئن أراني الله مشهدا بعده ليرين الله ما أصنع فلما كانت وقعة أحد من العام القابل قاتل فيها حتى قتل ومنهم حمزة وسعد بن معاذ وطلحة بن عبد الله (حدثنا القاضي أبو علي) هو ابن سكرة كما تقدم قال (حدثنا أبو الحسين) تقدم أيضا (وأبو الفضل بن خيرون قالا حدثنا أبو يعلى) أحمد بن عبد الواحد البغدادي وقد تقدم (قال حدثنا أبو علي السنجي) قال (حدثنا محمد بن محبوب) المعروف بالمحبوبي كما تقدم قال (حدثنا الترمذي) الحافظ أبو عيسى صاحب السنن قال (حدثنا الحسن بن الصباح) هو البزار براء مهملة في آخره كما تقدم وهو الحسن بن محمد بن الصباح أبو علي الزعفراني قال (حدثنا سفيان بن عيينة) كما تقدم أيضا (عن زائدة) بن قدامة أبو الصلت الثقفي الكوفي الحافظ الثقة الحجة توفي غازيا بالروم سنة ستين أو احدى وستين ومائة وأخرج له الستة (عن عبد الملك بن عمير) الكوفي التابعي روى عنه الستة توفي سنة ست وثلاثين ومائة (عن ربعي) بكسر الراء المهملة وسكون الموحدة (ابن حراش) بكسر الحاء وفتح الراء المهملتين وآخره شين معجمة وما عداه خراش بخاء معجمة وهو أبو مريم العبسي (عن حذيفة) ابن اليماني باثبات الياء وهو الافصح وتحذف وهو الصحابي المشهور (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) في حديث رواه الترمذي وابن ماجه (اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر) أراد بهم الخلفاء الراشدين مطلقا وخص منهم أبو بكر وعمر لزيادة فضلهما وتقدمهما على غيرهما وبهذا الحديث أخرجه الحاكم وابن حبان أيضا وفي طرقه اختلاف بزيادة ونحوها وأوله قال حذيفة كنا جلوسا عنده صلى الله تعالى عليه وسلم فقال اني لا أدري ما بقائي فيكم فاقتدوا باللذين من بعدي وأشار الى أبي بكر وعمر وأخرجه القصار بلفظ اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر فانهما حبل الله تعالى الممدود من تمسك بهما فقد تمسك بعروة الله الوثقى لا انفصام لها والمراد الاقتداء بهما اذا قاما مقامه في الخلافة وهو دليل على خلافتهما وعلى ان قول الصحابي حجة مقدمة على القياس ومنهم من خصه بابي بكر وعمر واستدل بهذا الحديث كما فصل في كتب الاصول (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث آخر رواه الدارقطني وابن عبد البر في العلم من طرق أسانيدها كلها ضعيفة حتى قال ابن حزم انه موضوع وقال الحافظ العراقي كان ينبغي للمصنف رحمه الله ان لا يورده بصيغة الجزم وما قيل من انه ليس بوارد لان المصنف رحمه الله ساقه في فضل الصحابة وقد اتفقوا على جواز العمل بالحديث الضعيف في فضائل الاعمال فضلا عن فضائل الرجال لا وجه له لان قوله (أصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم) فيه العمل بما فعلوه وقالوه من الاحكام وليس هذا من قبيل الفضائل

العلماء ورثة الانبياء ثم اعلم ان قوله وقال أصحابي حديث آخر وقد أخرجه الدارقطني في الفضائل وابن عبد البر من طريقه من حديث جابر وقال هذا اسناد لا تقوم به حجة ورواه عبد بن حميد في مسنده عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال البزار منكر لا يصح ورواه ابن عدي في الكامل باسناده عن نافع عن ابن عمر بلفظ فايهم أخذتم بقوله بدل اقتديتم واسناده ضعيف ورواه البيهقي في المدخل من حديث عمر ومن حديث ابن عباس بنحوه ومن وجه آخر مرسلا وقال متنه مشهور وأسانيده ضعيفة قال الحلبي وكان ينبغي للقاضي ان لا يذكره بصيغة جزم لما عرف عند أهل الصناعة وقد سبق له مثله مرارا أقول يحتمل انه ثبت باسناد عنده أو حمل كثرة الطرق على ترقيه من الضعيف الى الحسن بناء على حسن ظنه مع ان الحديث الضعيف يعمل به في فضائل الاعمال

والله أعلم بحقيقة الاحوال (وعن أنس رضي الله تعالى عنه) في رواية البزار وأبي يعلى (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مثل أصحابي) زاد البغوي في المصابيح وشرح السنة في أمتي (كمثل الملح في الطعام) بجامع الصلاح اذ بهم صلاح الدنيا وفلاح العقبى (لا يصلح الطعام الا به) أي بالملح بحسب الحاجة الى القدر المصلح له قال الحسن قد ذهب ملحنا فكيف نصلح (وقال) عليه السلام (الله الله) بنصبهما أي اتقوه أو راعوه (في أصحابي) أي خاصة (لا تتخذوهم غرضا) أي هدفا للطعن (بعدي) أي بعد موتي أو بعد غيبتي لاني أقوم لهم بنصرتي في حياتي وحضرتي (فمن أحبهم فبحبي) أي اياهم أو فبحبهم لي (أحبهم) أو يؤيده قوله (ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم)

التي يجوز العمل فيها بالضعيف فلو قال انه يعني الحديث الذي قبله وهو حديث صحيح يعمل به ولذا ساقه بعده كالمتابعة له ولذا جزم به كان أقوى وأحسن مما قاله وقال ابن الرومي رحمه الله تعالى

قوم اذا دجت الخطوب فانما * أراهم في الحادثات نجوم

منها مصابيح الدجى ومعالم * فيها الهدى والاخريات رجوم

وليس هذا مع ما قبله حديثا واحدا كما نبه عليه المصنف بقوله وقال فوجه التشبيه ما ذكر مع العلو والشرف (وعن أنس) بن مالك فيما رواه البزار وأبو يعلى (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل أصحابي) زاد في المصابيح في أمتي (كمثل الملح في الطعام) أي فيما يطبخ ويؤكل مما يعتاد اصلاحه بالملح ووجه الشبه الاصلاح وان ضر كثير الملح وأصلح قليله ولدفع توهم ضرر كثرتهم قال (لا يصلح الطعام) بالبناء للفاعل ويجوز بناؤه للمفعول أيضا (الا به) أي بوضعه فيه وهذا الحديث رواه ابن أبي حاتم وغيره من طرق مختلفة وقال الحسن البصري وقد ذهب ملحنا فكيف نصلح واصلاحهم بارشادهم وهدايتهم وحثهم على الطاعات وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر وخلافتهم وبيان الشريعة وأمور الدين فعلينا باتباعهم واقتفاء آثارهم ومن اشراط الساعة فساد العلماء كما قيل

بالملح يصلح ما يرجى تغيره * فكيف بالملح ان حلت به الغير

قيل فيه دقيقة وهي الاشارة الى الاعتدال وانهم أمة وسط ولا يخفى بعده ولو قيل انه اشارة الى قلتهم وسرعة انقراضهم كان أظهر فتأمل (وقال) صلى الله عليه وسلم في حديث تقدم (الله الله في أصحابي) أي اتقوا الله فيهم وكرره للحث والتأكيد وهو منصوب على التحذير بعامل يجب حذفه لقيام التكرير مقامه ولولاه حسن اظهاره كما قاله ابن مالك وفي البسيط يجوز اظهاره وقال الجزولي انه يجوز مع قبحه (لا تتخذوهم غرضا بعدي) الظرف متعلق بالفعل لا صفة غرضا والغرض الهدف الذي يرمى به السهام والمعنى لا تذموهم وتطعنوا فيهم باسناد أمور قبيحة لهم (فمن أحبهم) وصان اعراضهم (فبحبي أحبهم) أي فانما يحبهم لاجل محبتي لهم فحبهم عين محبتي وبرهم بري (ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله) أذية الله عبارة عن فعل ما لا يرضاه اذ معناها الحقيقي لا يتصور في حقه فهو مشاكلة (ومن آذى الله يوشك) بكسر الشين وقد تفتح بمعنى يقرب ويسرع (أن يأخذه) أي يهلكه ويستأصله بعذابه ويوشك يجوز رفعه وجزمه لان من شرطية أو موصولة ورواه في المصابيح فيوشك بالفاء والرفع بتقدير مبتدأ أو هو مستأنف دليل على الجواب (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث رواه مسلم وغيره (لا تسبوا أصحابي فلو

وهذا بحسب الاعتقاد والاحوال وأما باعتبار الاقوال والافعال فكما بينه بقوله (ومن آذاهم) أي باللسان أو الاركان (فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله) أي فكأنه آذاه (ومن آذى الله يوشك) بكسر الشين وتفتح أي يقرب (أن يأخذه) أي أخذا شديدا ويؤاخذه بعذاب أكيد ولعل الحديث مقتبس من مجموع قوله تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا (وقال) أي النبي عليه الصلاة والسلام كما رواه مسلم وغيره (لا تسبوا أصحابي) قال النووي هو من أكبر الفواحش وسيأتي عن المصنف انه عده من الكبائر ويعزر

عند الجمهور ويقتل عند بعض المالكية وكذا عند بعض الحنفية ففي بعض كتبهم ان سب الشيخين كفر (فلو انفق أحدكم) أي كل يوم كما رواه عبد بن حميد في مسنده عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه مرفوعا لو انفق احدكم كل يوم (مثل احد) أي مالا قدره أو انفاقا مثله (ذهبا) تمييز (ما بلغ) أي جميعه (مد أحدهم) وفي نسخة صحيحة مد أصحابي وهو بضم ميم وتشديد دال وخص بالذكر لانه أقل ما كانوا يتصدقون به وأصله كان الرجل يمد كفيه فيملأهما طعاما أي قدر مد طعام أحدهم مما انفقوا في محلهم (ولا نصيفه) لما قارنه من صدق نية وصفاء طوية مع شدة الحاجة وكمال القلة وقد ورد سبق درهم مائة الف درهم والنصيف بفتح فكسر بمعنى النصف بتثليث النون كما يقال عشر وعشير وقال الارزنجاني في شرح المشارق النصيف مكيال معروف وهو دون المد والضمير في نصيفه راجع الى أحدهم لا الى المد والمعنى ان أحدكم لا يدرك بانفاق مثل أحد ذهبا من الفضيلة ما ادرك أحدهم بانفاق مد من الطعام أو نصيف منه ولعل الحديث مقتبس من قوله تعالى لا يستوى منكم من قبل الفتح وقاتل أولئك اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى (وقال) أي فيما رواه الديلمي عن عويم ابن ساعدة وأبو نعيم في الحلية عن جابر رضي الله تعالى عنه (من سب أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين) تاكيد لمن ذكر أو للناس فقط أي كلهم أي الطرد والبعد عن الحق والسب والذم من الخلق (لا يقبل الله منه) أي ممن سبهم (صرفا) بفتح الصاد المهملة وسكون الراء أي توبة أو نافلة (ولا عدلا) بفتح العين وسكون الدال أي فدية أو فريضة وقال الماوردي الجمهور على ان الصرف الفريضة والعدل النافلة وعكسه الحسن وقال الاصمعي ان الصرف التوبة والعدل الفدية ومعنى القبول تكفير الذنوب بهما قال النووي معنى الفدية هنا لا يجد في القيامة فداء يفتدي به بخلاف غيره من المذنبين الذين يتفضل الله تعالى على من يشاء منهم بان يفديه من النار بيهودي أو نصراني كما ثبت في الصحيح وفي الحديث ان العبد اذا لعن شيئا صعدت اللعنة الى السماء فتغلق أبوابها دونها ثم تهبط الى الارض فتغلق أبوابها دونها ثم تاخذ يمينا وشمالا فاذا لم تجد لها مساغا رجعت الى الذي لعن ان كان أهلا لها والا رجعت الى قائلها (وقال) كما رواه الطبراني عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه (اذا ذكر أصحابي فامسكوا) أي عن الطعن فيهم

فلو انفق أحدكم مثل أحد ذهبا) وفي بعض الروايات من طريق أبي بكر بن عياش زيادة كل يوم وأحد اسم جبل معروف أي لو بذل في سبيل الله مقدار وزنه ذهبا (ما بلغ) أي ما وصل وساوى ثوابه (مد أحدهم ولا نصيفه) الذي يتصدق به من تمر أو شعير أو قمح ونحوه ففيه من المبالغة ما لا يخفى والمد بضم الميم ربع صاع وهو أقل ما يتصدق به عادة وهو رطل وثلث عراقي عند الشافعي ورطلان عند أبي حنيفة رحمه الله تعالى وروى مد بفتح الميم أي مداه وغايته كمدا البصر ومداه والنصيف بفتح النون وكسر الصاد المهملة بوزن رغيف وفيه اربع لغات نصف بكسر النون وضمها وفتحها ونصيفه بزيادة تحتية لغة في النصف كثمين بمعنى ثمن وقيل النصيف مكيال دون المد أي أعلى صدقتكم وانفاقكم لله لا يبلغ أجره وموقعه عند الله أقل صدقتهم لسبقهم في الخير وخلوص نيتهم بدون رياء منهم وقد انفقوا رضي الله تعالى عنهم وهم في فاقة وقلة ومن بعدهم انفق والدنيا واسعة دارة عليهم مع شدة الحاجة لما انفقوه في أول ظهور الاسلام وقتال اعداء الدين مع بذلهم مع مالهم أهلهم وارواحهم في سبيل الله كما قيل

رأيت عبيد الله اكرم من مشى * واكرم من فضل بن يحيى بن خالد
أولئك جادوا والزمان مساعد * وقد جاد ذا والدهر غير مساعد

ولمهيار

جدت وقارا والزمان هازل * وجاد عفوا والزمان جامد

والخطاب للموجودين من غير الصحابة ولمن يوجد بعدهم كما قيل أو المراد بأصحابه هنا السابقون الاولون منهم كما قال الله لا يستوى منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل أولئك اعظم درجة الآية فالاصحاب جماعة مخصوصون منهم واختلف في حكم من سبهم هل هو كبيرة يعزر فاعله أو كفر فيقتل وسياتي تفصيله آخر الكتاب (وقال) صلى الله عليه وسلم فيما رواه الديلمي وأبو نعيم في الحلية عن جابر (من سب أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين) اللعنة بمعنى الابعاد والطرد والمراد بعده من رحمة الله وبهذا تمسك من قال بكفره وقتله ومثله كثير في احاديث التهديد والتخويف حتى لا يتجرأ عليه احد من الناس (لا يقبل الله منه) أي ممن سبهم (صرفا ولا عدلا) في تفسيرهما اقوال فقيل الصرف التوبة وقيل التصرف في الامور وقيل التطوع وقيل الوزن وقيل الغنيمة وقيل المثل وقيل ما تصرف فيه وقيل الزيادة والعدل قيل الفرض وقيل الفدية وقيل المكيل وقيل المثل وقيل الفضل قال النووي ومعنى الفدية انه لا يجد في يوم القيامة من يفتدي به فان بعض المؤمنين قد يفديه الله ببعض الكفار كما ورد في الحديث (وقال صلى الله عليه وسلم اذا ذكر أصحابي فامسكوا) أي اذا ذكروا بسوء وغيبة فاتركوا ذلك

(وقال) كما رواه الديلمي (في حديث جابر رضي الله تعالى عنه ان الله اختار أصحابي على جميع العالمين سوى النبيين والمرسلين واختار لي
منهم أربعة أبا بكر وعمر وعثمان وعليا فجعلهم خير أصحابي) وخير غيرهم بطريق الاولى وكذا من الامم الاولى (وفي آخر

ولا تخوضوا مع الخائضين فيهم وقد تقدم هذا وبيانه (وقال في حديث جابر) رضي الله عنه الذي رواه البزار والديلمي عنه صلى الله تعالى عليه وسلم (ان الله اختار أصحابي على جميع العالمين) أي فضلهم على الناس كلهم وجعلهم خيرة خلقه عدولا اتقياء كلهم (سوى الانبياء والمرسلين) فانهم أفضل منهم (واختار لي منهم) أي من الصحابة فضلهم على غيرهم من الصحابة (أربعة أبا بكر وعمر وعثمان وعليا) وقد روى الترمذي انه صلى الله عليه وسلم رأى أبا بكر وعمر فقال هذان السمع والبصر ثم فسر اختيارهم له بقوله (فجعلهم خير أصحابي) وافضلهم (وفي أصحابي كلهم خير) أي فضل وتقوى فكلهم علماء عدول كما في حديث خير القرون قرني ثم وثم وهذا سبب ماحكاه امام الحرمين رحمه الله تعالى من الاجماع على عدالتهم كلهم صغيرهم وكبيرهم فلا يجوز الانتقاد عليهم بما صدر عن بعضهم مما ادى اليه اجتهاده لما أوجب القطع بانهم خير الناس بعد النبيين والمرسلين ولما الفوه من الهجرة وترك الأهل والاوطان وبذل النفوس والاموال في نصرة الدين وقتل الآباء والابناء والمناصحة في الدين وقوة الايمان واليقين وغير ذلك من المنح الالهية (وقال صلى الله تعالى عليه وسلم) في حديث رواه الطبراني في أوسط بسند حسن (من أحب عمر فقد احبني ومن ابغض عمر فقد ابغضني) خصه بذلك لما كان فيه من الشدة على أمور الدين التي قد تورث حزازة في بعض النفوس القاصرة ولا يلزم منه تفضيله على أبي بكر رضي الله عنه وقد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بغضه نفاقا لان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحبه وقدمه وارتضاه فعدم ارتضائه يفضي الى عدم ارتضاء رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كما قيل * عن المرء لا تسل وسل عن قرينه * نكتة من خصائص أبي بكر وعمر انهما جليساه وضجيعاه في حياته ومماته وقد ورد في حديث ان كل احد يدفن بتربته التي خلق منها وهو يدل على انهما خلقا من طينة واحدة وليس بعد هذه المنقبة شرف أعظم منها (وقال مالك بن أنس) شيخ السنة وامام دار الهجرة (وغيره) من الائمة اشارة الى انه لم ينفرد بهذا الاستنباط فانه سبق له ابن عباس كما نقله ابن تيمية في كتاب رد الروافض (من ابغض الصحابة وسبهم فليس له في فيء المسلمين حق) الفيء ما اخذ من غنيمة الكفار وهو مرصد للمسلمين فعدم نصيبه منه عقوبة له على مافعله وفيه اشارة الى انه يخرج بذلك عن الاسلام ولذا حكم بعض المالكية بقتله ان لم يتب والفيء ههنا شامل للغنيمة فان كلا منهما يطلق على الآخر وان فرق بينهما الفقهاء وأهل اللغة وقد قال مشايخنا في هذا ونحوه انه كالمسكين والفقير اذا افترقا اجتمعا واذا اجتمعا افترقا وهو معنى بديع سمعته من شيخنا النور الزيادي (ونزع) بنون وزاي معجمة وعين مهملة مبني للفاعل ويجوز جعله مبنيا للمجهول أيضا فعلى الاول فاعله ضمير من ذكر أو ضمير مالك وغيره وعلى الثاني نائب فاعله قوله (بآية) سورة (الحشر) وقيل ضمير من ابغضهم وفيه نظر وفسر نزع بمعنى استدل واستخرج من الآية وسيأتي في آخر الكتاب قال مالك من انتقص احدا من أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فليس له في هذا الفيء حق قد قسم الله الفيء في ثلاثة أصناف فقال للفقراء المهاجرين الآية الى آخره فمن انتقصهم فلا حق له في الاسلام وعطف سبهم على أبغض عطف تفسيري لان البغض أمر قلبي لا يطلع عليه وهذا اقوى اماراته فلا يرد عليه ان تعليق الحكم بهما يقتضي انه لا يكفي احدهما فيه وهو محل نظر كما قيل ومن فسر نزع بيعد عن الايمان بشهادة حديث الله الله في أصحابي الى آخره لم يصب وأصل معنى النزع القلع والخروج فيجوز به عما فليس من النزوع عن الاوطان والتقرب كما توهمه هذا القائل والآية المذكورة قوله تعالى ما أفاء الله على

أصحابي كلهم خير) لحديث خيركم قرني فهم خيرة الله من خلقه بفتح الياء وسكونها أي اختاره الله (وقال) كما روى الطبراني في الاوسط عن أبي سعيد الخدري بسند حسن (من أحب عمر فقد أحبني ومن ابغض عمر فقد ابغضني) لما أوتيه من كرم الشيم وعلو الهمم (قال) وفي نسخة وقال (مالك ابن أنس رضي الله تعالى عنه وغيره) أي من العلماء (من ابغض الصحابة) أي بجنانه (وسبهم) أي بلسانه والواو بمعنى أي (فليس له في فيء المسلمين حق) أي فيما ينال من أهل الشرك بعد ما تضع الحرب أوزارها وحكمه ان يكون لكافة المسلمين فاراد مالك رحمه الله بنفي حق من ابغض الصحابة وسبهم من الفيء انه يخرج بذلك عن جماعة المسلمين (ونزع) بنون مفتوحة فزاي فمهملة بصيغة الفاعل وقيل بصيغة المفعول أي بعد عن الفيء فلا حق له فيه فهو تأكيد لما قبله فتكون الباء في قوله (بآية الحشر) سببية والاظهر انه بصيغة الفاعل وان ضميره الى مالك وغيره يقال نزع بآية من القرآن اذا تلاها محتجا بها أي واستدل كل منهم على قوله ذلك بآية الحشر وهي قوله تعالى

(والذين جاؤا) عطف على المهاجرين فى قوله للفقراء والمهاجرين أى وللفقراء الذين جاؤا (من بعدهم) حين قوى شان الملة أوهم تابعوهم باحسان الى يوم القيامة (يقولون ربنا أغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان) أى آمنوا قبلنا (ولا تجعل فى قلوبنا غلا) أى حقدا وغشا (للذين آمنوا) أى من السابقين واللاحقين (ربنا انك رؤف رحيم) بالمحسنين روى عن مالك رحمه الله انه قال من تنقص أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أو كان فى قلبه عليهم غل فليس له حق فى فىء المسلمين ثم قرأ قوله تعالى وما أفاء الله على رسوله من أهل القرى حتى بلغ قوله رؤف رحيم أراد ان الله تعالى قد بين من له الحق فى الفىء فى هذه الآية ورتبهم على ثلاث منازل الفقراء المهاجرين والذين تبوؤا الدار يعنى المدينة وهم الانصار والذين جاؤا من بعدهم يعنى التابعين الذين يجيئون بعد المهاجرين والانصار الى يوم القيامة يقولون ربنا اغفر لنا الى قوله تعالى ولا تجعل فى قلوبنا غلا أى بغضا للذين آمنوا قال فمن لم يكن من التابعين بهذه الصفة كان خارجا من أقسام المؤمنين (وقال) أى مالك بن أنس رضى الله تعالى عنه (من غاظه أصحاب محمد فهو كافر قال الله تعالى ليغيظ بهم الكفار) وعن مالك أيضا انه قال حين تلا قوله تعالى ليغيظ بهم الكفار من أصبح وفى قلبه غيظ على أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقد اصابته هذه الآية (وقال عبد الله بن المبارك خصلتان) أى صفتان كريمتان (من كانتا فيه نجا) من محن الدنيا والآخرة (الصدق) أى مع الحق والخلق (وحب أصحاب محمد صلى الله تعالى عليه وسلم قال أيوب) وفى نسخة أبو أيوب وهى غير صحيحة (السختيانى) بفتح أوله وضمه وسكون المعجمة وكسر التحتية سبق ذكره (من أحب أبا بكر) أى محبة كاملة (فقد أقام الدين) أى بقدم تقدم اليقين (ومن أحب عمر فقد أوضح السبيل) أى بين سبيل الله وهو الاسلام وعينه

رسوله الى قوله (والذين جاؤا من بعدهم) يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤف رحيم * ووجه الاستدلال بالآية انه جعل ما أفاء الله على رسوله حقا للفقراء المهاجرين والفقراء الذين تبوؤا الدار والفقراء الذين جاؤا من بعدهم مهاجرين بعدما قوى الاسلام والتابعين لهم باحسان ممن آمن بعد المهاجرين والانصار الى آخر الزمان وجملة يقولون الى آخره حال أى القائلين ربنا اغفر لنا ولاخواننا وهى حال مقيدة فجعل شرط استحقاقهم قولهم ذلك ومن لم يسبهم لم يقل ذلك لاقتضائه محبتهم والشفقة عليهم وانهم لا غل ولا بغض لهم فيهم حيث قالوا ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا وسيذكره المصنف رحمه الله تعالى فى آخر الكتاب ثم انه بين ان هذا يقتضى كفرهم والكفار لا حق لهم فى الفىء فلذا قال (وقال) مالك بن أنس (من غاظ) بظاء مشالة قيل وبالضاد المعجمة أيضا وهو لغة فيه لا ابدال واختلف فى الغيظ والغضب هل هما بمعنى أو الغيظ أشد الغضب أو الكمين فى النفس أو الغضب للقادر والغيظ للعاجز أى من اغتاظ واحتد اذا ذكر (أصحاب محمد) عنده (فهو كافر) لان من أبغضهم فقد أبغضه صلى الله تعالى عليه وسلم وبغضه كفر وهذا رواه الخطيب البغدادى عن عروة الزبيرى قال كنا عند مالك بن أنس فذكر عنده رجل انتقص الصحابة فتلا قوله تعالى محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار الى آخره وقال من أصبح فى قلبه غيظ على أصحاب محمد فقد أصابته هذه الآية لانها صدرت بلام التعليل وهى اما علة لما قبلها من تشبيههم بالذرع فى النمو والاستحكام ثم ذكر انه انما شبههم بذلك ليغيظهم (قال تعالى ليغيظ بهم الكفار) فالمؤمن لا يكون عنده غيظ منهم أو علة لقوله بعده وعد الله الذين آمنوا منهم فانما وعدهم ليغيظ الكفار بوعده لهم والحاصل انه لا يغيظ باصحابه مؤمنا من غيرهم فخرج غيظ بعضهم على بعض لما أداه اليه اجتهاده (وقال عبد الله بن المبارك خصلتان من كانتا فيه نجا) من كل أمر يشينه وينقصه عند الله الصدق بان يتحرى فى الصدق فى جميع اقواله حتى يكون عند الله صديقا (وحب أصحاب محمد) صلى الله تعالى عليه وسلم كبيرهم وصغيرهم حتى يقدمهم على نفسه وأهله وليس هذا من كلام ابن المبارك بل هو حديث رواه ابن مسعود عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال ان الصدق يهدى الى البر وان البر يهدى الى الجنة وان الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا وان الكذب يهدى الى الفجور وان الفجور يهدى الى النار وان الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا وقد روى من طريق آخر بمعناه وترتب النجاة على ما ذكر سر من أسرار الله يطلع عليه من شاء من خلص عباده ومنهم ابن المبارك وناهيك به (وقال أيوب السختيانى) التابعى المشهور (من أحب أبا بكر فقد أقام الدين) لان الدين استقام به فى صحبته لرسول الله فى أول الاسلام وفى أول الهجرة وفى قيامه مقامه بعد وفاته وقد تزلزل الناس وارتد بعضهم وغاض النفاق وانفرج الخلاف بين القول والعمل وقد نزل بهم ما لو نزل بالجبال هاضها فحمل اعباء الخلافة حتى قر الدين وفاء من فاء ومن أحب أحدا كان معه وتخلق باخلاقه (ومن أحب عمر فقد أوضح السبيل) أى بين طريق الحق لمن أراد سلوك الطريق المستقيم لانه بعده صلى الله تعالى عليه وسلم أظهر الدين وأنم به على الاقطار وقضى لاهله الاوطار ففتح الفتوح حتى بلغ صيت الاسلام أقصى

(ومن أحب عثمان فقد استغنى بنور الله) أي عن الاستضاءة بما سواه (ومن أحب عليا فقد أخذ) وفي نسخة فقد استمسك (بالعروة الوثقى ومن أحسن الثناء على أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم) أي كلهم (فقد برئ من النفاق) أي فهو مؤمن كامل صادق في الوفاق (ومن انتقص) وفي نسخة ومن أبغض ٤٢٨ (أحدا منهم فهو مبتدع) أي صاحب بدعة (مخالف للسنة والسلف الصالح) أي من أكابر الامة (وأخاف أن لا يصعد) بفتح أوله وبضمه أي لا يطلع (له عمل الى السماء) يعني لا تقبل منه طاعة (حتى يحبهم جميعا ويكون قلبه) أي لهم كما في نسخة (سليما) أي من الغل والحقد (وفي حديث خالد بن سعيد) أي ابن العاص ابن أمية بن عبد شمس كنيته أبو سعيد وخالد هو ابن عمر بن سعيد فسعيد جده قالت بنته أم خالد واسمها أمية كان أبي خامسا في الاسلام وقيل كان رابعا أو ثالثا قيل وأسلم قبل أبي بكر أو قبل علي رضي الله تعالى عنه والله أعلم (ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال) قال الحلبي وهو صحابي مشهور لكن لا استحضر له شيا في الكتب الستة ولا في مسند أحمد ولا في مسند بقي بن مخلد وان كان هذا من غيرهم فان كان تابعيا كان هذا الحديث مرسلا والا فمعضلا انتهى ووجدت بخط شيخ مشايخنا الحافظ السخاوي على هامش حاشية الحلبي ما صورته وجدت بخط الحافظ ايبك على بعض نسخ الشفاء ما صورته كذا فيه خالد بن سعيد وانما هو خالد بن عمرو بن سعيد بن العاص القرشي والحديث ليس من روايته عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ولا عن الصحابة وانما رواه خالد عن سهل بن يوسف بن سهل بن مالك بن أخي كعب بن مالك عن أبيه عن جده سهل قال لما قدم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من حجة الوداع المدينة صعد المنبر فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال (أيها الناس اني راض عن أبي بكر فاعرفوا له ذلك

الارض كما في حديث الشيخين هنا بينا انا نائم رأيتني على قليب عليها دلو فنزعت فيها ما شاء الله ثم أخذها ابن أبي قحافة فنزع بها ذنوبا أو ذنوبين وفي نزعه ضعف والله يغفر له ثم استحالت غربا أي دلوا كبيرا فأخذها ابن الخطاب فلم أر عبقريا من الناس ينزع نزع عمر وفي رواية فلم أر عبقريا من الناس يفري فريه حتى ضرب الناس بعطن وهو تمثيل لطول مدة خلافته وكثرة فتوحاته في الاسلام (ومن أحب عثمان فقد استضاء بنور الله) الذي أظهره الله فيه ولذا لقب بذي النورين لما فيه من الكرم والحلم والزهد والورع والصبر على ما ابتلاه الله به حتى لقي الله وهو عنه راض وكان أشد الناس حياء (ومن أحب عليا فقد أخذ بالعروة الوثقى) أي تمسك بها لكونه عالما بعلم الحقيقة وقائما بالذب عن حوزة الدين لا يلحقه في الله لومة لائم وهو باب مدينة العلم فمن أحبه فهو متمسك بالعروة الوثقى أي بالحق والرأي القويم الذي هو عروة لا تنفصم وهو استعارة مصرحة من عروة الكلام وهو ماله أصل ثابت واطراف لا تنقص اذا سقطت الاوراق (ومن أحسن الثناء) بمدح ناشئ عن محبة خالصة فان الظاهر عنوان الباطن (على أصحاب محمد) تعميم بعد التخصيص (فقد برئ) أي سلم وخلص (من النفاق) المراد به معناه العرفي وهو مخالفة الظاهر للباطن مطلقا وأصله اخفاء الكفر واظهار الاسلام ويجوز ان يراد هذا والمراد بالثناء ثناء من غير غلو كغلو الشيعة (ومن انتقص) أي ابغض (أحدا منهم) بذمه وذكر ما يشينه (فهو مبتدع) لمخالفته السنة واتيانه ما نهى الله تعالى منه ورسوله وفي نسخة أبغض ثم فسر المبتدع بقوله (مخالف للسنة) أي لهديه وطريقته صلى الله تعالى عليه وسلم في جميع اقواله وافعاله (والسلف الصالح) من الصحابة والتابعين (وأخاف) أي أظن أو أعلم (ان لا يصعد له عمل) من اعماله الصالحة أي لا يقبله الله تعالى منه ولا يثيبه عليه ورفع الاعمال يعبر به عما ذكر وليس الخوف بمعناه الحقيقي وهو ضد الامن لعدم مناسبته هنا قال الراغب الخوف توقع في مكروه عن امارة مظنونة أو معلومة وفسر قوله تعالى ان خفتم شقاق بينهما بعرفتم انتهى (الى السماء) لعدم تمسكه بالكتاب والسنة (حتى يحبهم جميعا ويكون قلبه سليما) من بغضهم مقتديا بالسلف الصالح (وفي حديث خالد بن سعيد) بن العاص بن أمية بن عبد شمس الصحابي وهو ثالث أو رابع أو خامس من أسلم وسبق غيره ويقال أسلم قبل الصديق ويقال أسلم قبل علي وليس في الصحابة من اسمه خالد بن سعيد غيره ولم يرو عنه حديث في الكتب الستة ولا في مسند أحمد ولا في مسند بقي بن مخلد وهذا الحديث رواه الطبراني وابن منده وما ذكره المصنف رحمه الله تعالى نقله البرهان الحلبي وقال غيره انه خالد بن عمر بن سعيد فسعيد جده وذكره ابن عبد البر في الاستيعاب وذكر سبب اسلامه في واقعة رآها وخالد بن سعيد ان كان غير المذكور لانه لم تشتهر عنه الرواية فالحديث مرسل والا فمعضل والظاهر هو المقدم وأول هذا الحديث انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما قدم من حجة الوداع المدينة صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس الخ (ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال أيها الناس اني راض عن أبي بكر فاعرفوا له ذلك) أي رضاي عنه في صحبته له وانه لم يأل جهدا في خدمته ولم يفارقه في حياته ومماته ولم يرمنه الا ما يسره وفي تقديمه وافراده بالذكر وعدم تشريكه له مع غيره ما يدل على خلافته له وفضله على سائر الصحابة وهو صريح فيه الا عند من ختم الله على سمعه وقلبه وسيأتي الكلام

أيها الناس اني راض عن عمر وعن علي وعن عثمان) وفي نسخة وعن عثمان وعن علي (وطلحة) وفي نسخة عن طلحة أي ابن عبيد الله (والزبير) أي ابن العوام (وسعد) أي ابن أبي وقاص (وسعيد) أي ابن أبي زيد بن عمر بن نفيل (وعبد الرحمن بن عوف) أي الزهري (فاعرفوا ذلك لهم) ولم يذكر أبا عبيدة مع انه عاشرهم ولعله سقط من الراوي (أيها الناس ان الله غفر لاهل بدر والحديبية) بالتخفيف وتشدد وهي قرية سميت ببئر هناك عند مسجد الشجرة بينها وبين مكة مرحلة وقد جاء في الحديث وهي بئر وقال أبو حنيفة ومالك وهي من الحرم وخالفهما الشافعي رحمه الله تعالى وقال ابن القصار والواحدي بعضها من الحل وفي صحيح البخاري والحديبية خارج الحرم أي باعتبار بعضها فلا ينافي ما تقدم والله تعالى أعلم (احفظوني) أي راعوني (في أصحابي وأصهاري) أي خصوصا وهم آباء زوجاته أبو بكر وعمر وأبو سفيان رضي الله عنهم (واختاني) أي أزواج بناته عثمان وعلي وأبو العاص ابن ربيعة (لايطالبنكم أحد منهم بمظلمة) بكسر اللام من الظلم وهو الجور وبالفتح اسم ما ياخذه الظالم وقيل كل منهما يطلق على الآخر والكسر أكثر وعليه الاكثر (فانها) أي مظلمتهم (مظلمة لاتوهب في القيامة غدا) والحديث رواه الطبراني في معجمه الكبير من رواية علي بن محمد بن يوسف بن مسمع ثنا سهل بن يوسف بن سهل بن أخي كعب عن أبيه عن جده فذكره (وقال رجل للمعافى) بفتح الفاء (ابن عمران) وهو أبو مسعود الازدي الموصلي أحد الاعلام يروي عنه بشر الحافي وغيره وقال شيخه الثوري رحمه الله هو ياقوتة العلماء أخرج له البخاري وغيره (ابن عمر بن عبد العزيز) أي مقامه في العدل والفضل (من معاوية فغضب) أي من قوله لما لاح له من اضمار أفضلية ابن عبد العزيز على معاوية (وقال لايقاس على أصحاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أحد) أي لانهم خير من بعدهم لما سبق من حديث الديلمي والبزار ان الله اختار أصحابي على جميع العالمين سوى النبيين والمرسلين وحديث الشيخين خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم

ان من أنكر خلافة أبي بكر يبدع ولا يكفر ومن سب أحدا من الصحابة ولم يستحل يفسق والا كفر (أيها الناس اني راض عن عمر وعن عثمان وعن علي وعن طلحة والزبير) بن العوام رضي الله عنهم (وسعد) بن أبي وقاص (وسعيد) بن زيد بن عمرو بن نفيل (وعبد الرحمن بن عوف) الزهري (فاعرفوا لهم ذلك) أي كوني راض عنهم والمراد بمعرفتهم رعاية حقوقهم وتوقيرهم ومحبتهم والواو لاتدل على الترتيب وان كان أهل السنة على تقديم أبي بكر ثم عمر بالاتفاق واختلفوا في عثمان وعلي أيهما أفضل والمشهور تقديم عثمان ومنهم من قدم عليا ومنهم من توقف في أيهما الافضل وان هذه المسئلة غير قطعية عندهم لكن الذي عليه اعتقاد السلف الصالح واعتقادنا ماذكر وبقية الصحابة لم ينصوا على شئ فيهم ولم يذكر عاشرهم وهو أبو عبيدة بن الجراح لدخوله في الصحابة وشهرته (أيها الناس ان الله قد غفر لاهل بدر) كلهم جميع ماصدر منهم لحضورهم أول مشهد أعز الله به الاسلام والمسلمين وبدر اسم موضع معروف سميت باسم رجل حفر بئرها كما تقدم (و) أهل (الحديبية) بتشديد الياء وتخفيفها وهي اسم مكان قريب من مكة من الحرم أو خارجه أو بعضه منه أقوال وفيه الشجرة التي كان تحتها بيعة الرضوان وقصتها معروفة في السير وقد تقدم ذكرها (أيها الناس احفظوني) أي احفظوا حقي وقدري برعاية مايجب منه كما تقدم تفصيله (في أصحابي) أي وحفظ حقي يتم ويتحقق بحفظ أصحابي ومحبتهم وتوقيرهم وان من أبغضهم يبغضني ولم يحفظني ثم خص بعد التعميم احتياطا وحماية بقوله (وأصهاري واختاني) الاصهار جمع صهر بكسر فسكون قال الجوهري هم أهل المرأة عن الخليل قال ومن العرب من يجعل الصهر من الاحماء والاختان جميعا والختن بفتحتين واحد الاختان كل من كان من قبل المرأة كالاب والاخ وعند العامة ختن الرجل زوج ابنته وكل شئ من قبل الزوج فهو حمو وفيه لغات مشهورة فالمراد بهما هنا من بينه صلى الله عليه وسلم وبينه علاقة سببية بتزوجه أو التزوج منه (لايطالبنكم) معاشر الناس أجمعين (أحد منهم) أي من المذكورين من أصحابي واتباعي أي لايكون لاحد منهم عليكم حق يستحق ان يطالبكم به ويدعيه عليكم وهو معنى قوله (بمظلمة) بكسر اللام وفتحها وهي مايؤخذ ظلما أو جورا فيطالب به ويشكي ممن أخذه والكسر فيها أكثر وأشهر (فانها مظلمة) أي حق للعبد أخذ منه ظلما (لاتوهب في القيامة غدا) أي لايهبها الله لانها حق العبد مالم يرض صاحبها الا تبرك وقوله غدا اشارة الى قرب اليوم الذي يؤاخذ فيه العباد ترهيبا لهم وتخويفا (وقال رجل للمعافى) بفتح الفاء والقصر (ابن عمران) أبو مسعود الازدي الموصلي أحد الاعلام المحدثين كان يقال له ياقوتة العلماء توفي سنة خمس وثمانين ومائة وأخرج له البخاري وغيره والقائل له لايعرف (ابن عمر بن عبد العزيز) الخليفة العابد الزاهد العادل (من معاوية) بن أبي سفيان رضي الله عنه أي أيهما أفضل وخصهما بالسؤال لانهما أمويان فاين تذهب أنت في الفرق بينهما (فغضب) على السائل لما لاح عليه من تفضيله لابن عبد العزيز نظر الظاهر الحال (وقال لايقاس) أي لايستوى فضلا عن التفضيل (باصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أحد) وفي نسخة على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وقاس

ثم عد بعض مناقبه التي تقتضي علو مراتبه حتى بالنسبة الى بعض أصحابه فقال (معاوية صاحبه وصهره) أي أخو أم حبيبة من أمهات المؤمنين (وكاتبه) أي لمكاتيبه وغيرها (وأمينه على وحي الله عز وجل) أي حيث كان يكتب الوحي على خلاف فيه ولعل السائل سأله عن عمله وزهده وعدله لكن المسؤل عدل عن جوابه لقوله عليه الصلاة والسلام اذا ذكر أصحابي فامسكوا وللايماء الى ان كل ما وقع منه يكون مكفرا ببركة صحبته ونتيجة خدمته ولذا لما سئل بعض العلماء مثل هذا السؤال قال في الحال الغبار أنف فرس معاوية مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم خير من ألف عمر بن عبد العزيز ويؤيده قوله تعالى لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل ومعاوية وان أسلم عام الفتح لكن له سبق ظاهر على من أسلم بعده سواء كان من الصحابة أو التابعين والحاصل انه لا أحد من علماء هذه الامة ومشايخ هذه الملة يبلغ مرتبة الصحابة ومنقبة الخدمة فان رؤيته عليه الصلاة والسلام كانت أكسيرا تؤثر تأثيرا كثيرا لمن رآه وآمن به صغيرا أو كبيرا (وأتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي جيء (بجنازة رجل) بفتح الجيم وكسرها (فلم يصل عليه وقال) أي جوابا للسؤال عن الاشكال وهو امتناعه عن تلك الحال مع انها من جملة الكمال (كان يبغض عثمان) أي بغير وجه شرعي (فانا أبغضه) رواه الترمذي عن جابر وضعفه وفسره (وقال عليه الصلاة والسلام) كما في الصحيحين عن أنس رضي الله تعالى عنه (في الانصار) أي في حقهم (اعفوا عن مسيئهم) أي عثراتهم (واقبلوا من محسنهم) أي كمالاتهم وللبخاري أوصي الخليفة من بعدي بالمهاجرين والانصار ان يقبل من محسنهم ويتجاوز

يتعدى بالباء وعلى وقد يعدى بالى لما فيه من معنى الجمع والضم قال المتنبي

بمن تضرب الامثال أم من أقيسه ۞ اليك وأهل الدهر دونك والدهر

ثم أشار لفضل معاوية على غيره لقوله (معاوية صاحبه صلى الله تعالى عليه وسلم وصهره) لانه أخو زوجته أم حبيبة بنت أبي سفيان أم المؤمنين (وكاتبه) لما ثبت انه من أحد كتابه صلى الله عليه وسلم (وأمينه على وحيه) لانه بعد ان استكتبه كان يكتب ما ينزل عليه من الوحي ولو لم يستأمنه ما استكتبه الوحي وكفاك بهذه منقبة لم يصل اليها عمر بن عبد العزيز واضرابه وابن المعافى رجل منصف ماصح عنه برد ما قيل ان معاوية لم يكتب له شيا من الوحي وانما كان يكتب له كتبه الى الاطراف ولم يذكر فضل معاوية بقرب نسبه من رسول الله صلى الله عليه وسلم لان عمر بن عبد العزيز شاركه في ذلك وروي ان عمر سمع مثله فقال الغبار بغزوة غزاها معاوية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم خير من عمر وآل عمر وفي الطاعن في معاوية ما قيل

ومن يكن يطعن في معاوية ۞ فذاك كلب من كلاب الهاوية

(و) روى الترمذي عن جابر وضعفه انه صلى الله عليه وسلم (أتي) بالبناء للمفعول النبي عليه السلام (بجنازة رجل) بفتح الجيم وكسرها الميت ونعشه أو فوق لفوق وتحت لتحت وقد يعكس (فلم يصل عليه وقال كان) هذا الميت (يبغض عثمان فانا أبغضه) فلذا لم يصل عليه لان صلاته على الميت دعاء له وشفاعة له فحرم من ذلك والعياذ بالله تعالى وفي نسخة بدل ما ذكر (فابغضه الله) فهو خبر أو دعاء عليه وليس في الحديث نهي عن الصلاة حتى يقتضي كفره كما توهم لجواز ان لا يصلي هو ويصلي غيره كما في المديون والبغض لا يقتضي الكفر (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث رواه الشيخان (في الانصار) أي في حقهم والوصية بهم وقيل في شانهم وفضلهم (اعفوا عن مسيئهم) أي عمن وقع منه اساءة ما (واقبلوا من محسنهم) كل ما أحسنوه فحذف مفعوله تعميما وفي البخاري أوصي الخليفة من بعدي بالمهاجرين والانصار ان يقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم أي ما فرط منه من زلة والانصار اسم حدث لهم في الاسلام وهم الاوس والخزرج والتجاوز عن مسيئهم في غير الحدود وحقوق الناس وهو ما ذكر بعض من حديث رواه الشيخان في البخاري عن أنس بن مالك ان أبا بكر والعباس رضي الله عنهما مرا بمجلس من مجالس الانصار وهم يبكون مرضه صلى الله تعالى عليه وسلم فقالا ما يبكيكم قالوا ذكرنا مجلسه صلى الله تعالى عليه وسلم منا قد خلا عنه عليه السلام فدخلا عليه صلى الله عليه وسلم وأخبراه بذلك فخرج وقد عصب على رأسه حاشية برد فصعد المنبر ولم يصعده بعد ذلك فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أوصيكم بالانصار فانهم كرشي وعيبتي وقد قضوا الذي عليهم وبقي الذي لهم فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم وهذا تمثيل لان الكرش تجمع الغذاء الذي به حياة الحيوان ونماؤه ويقال لفلان كرش منشورة أي عيال كثيرة والعيبة بفتح العين المهملة ما يحرز فيه المتاع يريد صلى الله عليه وسلم بذلك انهم موضع سره وامانته قال ابن دريد وهو من موجز الكلام الذي لم يسبق اليه وقيل الكرش بمنزلة المعدة والعيبة مستودع الثياب والاول أمر باطن والثاني ظاهر فضرب به مثالا لاختصاصهم بأموره الباطنة والظاهرة وهو تشبيه بليغ أو استعارة وأراد عليه السلام بما عليهم نصرته وقضاء ما تابعوه عليه وما لهم الجزاء في الدنيا والآخرة وقد علمت ان معنى وتجاوزوا عن مسيئهم أي في غير الحدود وحقوق الآدميين وهذا أيضا محمل الخبر الصحيح أقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم ومن ثم ورد في رواية الا في الحدود

عن مسيئهم (وقال) أى النبى عليه الصلاة والسلام كما روى أبو نعيم والديلمى عن عياض الانصارى وابن منيع عن أنس رضى الله تعالى عنه (احفظونى) بفتح الفاء أى احفظوا وصيتى (فى أصحابى) أى عموما (واصهارى) أى خصوصا ولعله تغليب يشتمل اختانه أيضا قال النووى فى شرح مسلم عن أهل اللغة الاختان جمع ختن اقارب زوج الرجل والاحماء اقارب زوج المرأة والاصهار يعم الجميع (فانه) أى الشان (من حفظنى فيهم) أى راقبنى فى حقهم (حفظه الله تعالى فى الدنيا والآخرة) أى من

وفسره الشافعى بانهم الذين لا يعرفون بالشر ويقرب منه قول غيره هم أصحاب الصغائر دون الكبائر وقيل من اذا أذنب تاب (وقال) صلى الله عليه وسلم فى حديث رواه أبو نعيم والديلمى عن عياض الانصارى وابن منيع عن أنس (احفظونى فى أصحابى واصهارى) تقدم بيانه (فانه) أى الشان (من حفظنى فيهم) برعاية حقوقهم واكرامهم (حفظه الله فى الدنيا والآخرة) حفظه فى الدنيا مما يسوءه وتوفيقه لترك المعاصى وفى الآخرة من العذاب والعقاب (ومن لم يحفظنى فيهم) بترك ما مر (تخلى الله عنه) أى أعرض عنه وتركه فى غيه استدراجا له (ومن تخلى الله عنه يوشك) يسرع ويقرب (ان يأخذه) أخذ عزيز مقتدر بان يهلكه ويستأصله مستعار من الاخذ المعروف وقوله تخلى الله الخ اخبار عما يقع به وكونه انشاء للدعاء عليه يأباه السياق فما قيل انه أقرب ليس بشئ وهذه الزيادة ذكره المصنف رحمه الله تعالى وان تقدم (وعنه صلى الله تعالى عليه وسلم) فى حديث رواه سعيد بن منصور عن عطاء مرسلا (من حفظنى فى أصحابى) برعاية حق فيهم (كنت له حافظا يوم القيامة) أى مانعا من هول الحشر وما يسوءه فيه (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم كما رواه الطبرانى بسند ضعيف (من حفظنى فى أصحابى ورد على الحوض) أى وصل اليه وشرب منه حتى لا يظمأ بعده (ومن لم يحفظنى فى أصحابى) بتضييع حقوقهم وعدم محبتهم ورعاية ذريتهم (لم يرد على الحوض ولم يرنى الا من بعيد) فلا يقرب منه صلى الله تعالى عليه وسلم لان من أبغض الصحابة مقته الله فاستحق الطرد عن الحوض وعدم شفاعته صلى الله تعالى عليه وسلم وتفوت بركته وعنايته فى مثل ذلك اليوم الشديد الهول (قال مالك) امام دار الهجرة ونجم السنة رحمه الله (هذا النبى) صلى الله عليه وسلم عبر باسم الاشارة القريب لانه لحضوره فى قلبه وذهنه قدر نفسه كأنه بين يديه عبر أى منه صلى الله عليه وسلم (مؤدب الخلق الذى هدانا الله به) لخيرى الدنيا والآخرة والضمير للناس كلهم (وجعله رحمة) عامة (للعالمين) وجميع المخلوقين (يخرج فى جوف الليل) أى فى شبهه بالجوف وهو داخل البدن وعبر بالمضارع لحكاية الحال الماضية (الى البقيع) اسم موضع بظاهر المدينة وأصله اسم كل مكان متسع فيه شجر ويقال له بقيع الغرقد بغين معجمة وهو اسم لنوع من شجر العضاه كان به ثم زال وصار مقبرة لاهل المدينة المنورة وانما كان يخرج اليه ليناجى ربه متخليا عن أهله (فيدعو لهم) أى يدعو لمن بتلك المقبرة منهم (ويستغفر لهم) أى يدعو لامواتهم وأحيائهم بالمغفرة (كالمودع لهم) كأنه يودع من تلك الجبانة لعلمه صلى الله عليه وسلم بقرب أجله ومفارقة زيارتهم (وبذلك أمره الله) أى أمره بان يدعو لامته أولا مواتهم ويستغفر لهم وفيه دليل على شدة محبته لهم فيجب علينا اتباعه فى ذلك (وأمر) بالبناء للمجهول (النبى) صلى الله عليه وسلم أى الله أمره (بحبهم) لله (وموالاتهم) أى معاونتهم ونصرتهم كما أمروا بذلك (ومعاداة من عاداهم) من الكفرة والمنافقين وهو اشارة لما رواه مسلم عن عائشة انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يخرج فى ليلتها آخر الليل الى البقيع ويقول السلام عليكم دار قوم مؤمنين وانا ان شاء الله بكم لاحقون اللهم اغفر لاهل بقيع الغرقد وكان ذلك لما خرجت عائشة وراءه مستخفية منه فاحس صلى الله عليه وسلم بذلك وسألته عما صنع

الهوان والعقوبة (ومن لم يحفظنى فيهم تخلى الله عنه) أى تبرأ منه وأعرض عنه (ومن تخلى الله عنه يوشك) بكسر الشين وتفتح أى يقرب ويسرع (ان يأخذه) أى يؤاخذه بما يستحقه من الوعيد ان أخذه أليم شديد (وعنه عليه الصلاة والسلام) فيما روى سعيد بن منصور عن عطاء بن أبى رباح مرسلا (من حفظنى فى أصحابى كنت له حافظا يوم القيامة) أى من سوء العقوبة (وقال) كما رواه الطبرانى بسند ضعيف (من حفظنى فى أصحابى ورد على الحوض) أى وسقيته منه مع أصحابى رعاية لحقوق صحبتهم وخدمتهم ومحبتهم (ومن لم يحفظنى فى أصحابى) أى من جهة حقوقهم (لم يرد على الحوض) أى من قريب (ولم يرنى الا من بعيد) وهذا أشد وعيد (قال مالك رحمه الله هذا النبى مؤدب الخلق الذى هدانا الله به) أى أرشدنا به الى أمر الدين وعلم اليقين (وجعله رحمة للعالمين يخرج فى جوف الليل الى البقيع) بالموحدة فى أوله أى مقبرة أهل المدينة (فيدعو لهم) أى بالرحمة (ويستغفر لهم) أى عما فرط لهم من الزلة (كالمودع لهم) كما فى حديث مسلم عن عائشة رضى الله تعالى عنها والمعنى انه عليه الصلاة والسلام كان يبالغ فى الدعاء والاستغفار لهم كالمودع عند الوداع لا يترك شيأ مما يهم المودع الا ذكره وأوصى به (ولذلك أمر الله وأمر النبى) صلى الله تعالى عليه وسلم (بحبهم) أى بمحبة الصحابة (وموالاتهم) أى موالاة من والاهم من أهل السنة والجماعة (ومعاداة من عاداهم) أى من الخوارج والروافض وسائر أهل البدعة

(وروى عن كعب رضى الله تعالى عنه) أى كعب الاحبار كما ذكره الحلبى (ليس أحد من أصحاب محمد صلى الله تعالى عليه وسلم الا وله شفاعة يوم القيامة) أى لمن بينه وبينه زيادة المودة وقال الدلجى وحديث كعب بن سعد ليس مؤمن من آل محمد الا له شفاعة (وطلب) أى كعب (من المغيرة بن نوفل) أى ابن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم (أن يشفع له يوم القيامة) له رواية وكان

فقال ان جبريل أتانى ونادانى ولم يدخل عليك ولم أوقظك خشية ان تستوحشى فقال ان ربك يأمرك أن تأتى أهل البقيع فتستغفر لهم فقلت كيف أقول فقال تقول السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ويرحم الله عز وجل المستقدمين منا والمستأخرين وانا بكم ان شاء الله لاحقون وهو ما أشار اليه مالك رحمه الله وقيل انه اشارة الى قوله تعالى فاعف عنهم واستغفر لهم فاذا أمر بذلك فنحن أحق به والظاهر ما قدمناه (وقال كعب) الاحبار رضى الله عنه التابعى المشهور وهذا رواه عنه ابن سعد بلفظ ليس مؤمن بدل قوله (ليس أحد من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم الا وله شفاعة) فى غيره من المؤمنين (يوم القيامة) وهذا اما روى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم فهو مرسل أو هو مما قرأه فى الكتب القديمة لانه كان عالما بها وفيه تكريم لهم وما يقتضى محبتهم رجاء شفاعتهم فيمن أحبهم (وطلب) أى كعب الاحبار وهذا دليل على صحة اعتقاده لما قاله وانه كان محبا لهم مترجيا الشفاعتهم رضى الله عنهم (من المغيرة بن نوفل) بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم القرشى الصحابى ولد على عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بمكة قبل الهجرة وكان من أنصار على رضى الله عنه وقيل انه لم يدرك من حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم الاست سنين وكان قاضيا فى خلافة عثمان رضى الله تعالى عنه وعد من الصحابة وطلب كعب منه (ان يشفع له يوم القيامة) يدل عليه ونوفل والده هو ابن عم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والحارث جده لم يدرك الاسلام وهذا ما ذكره البرهان ومن تبعه وقال التلمسانى نوفل والده هو ابن معاوية بن عروة الدولى من كنانة سمع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ومات فى زمن يزيد بن معاوية وقد بلغ المائة كما قاله الواقدى وقال البرهان الحلبى الحارث هو ابن عبد المطلب قال ابن عبد الغنى المقدسى انه لم يدرك الاسلام وأسلم من أولاده أربعة نوفل وربيعة وأبو سفيان وعبد الله ونوفل أسن اخوته واسن من أسلم من بنى هاشم ولم يذكر المغيرة فيهم ومنهم من جعل المغيرة اسم أبى سفيان والصحيح خلافه وانه غيره ولم يتعقب أبا الفتح اليعمرى حين ذكره وقال الذهبى فى التجريد أبو سفيان اسمه المغيرة قاله ابن المنذر ولم يتعقبه (وقال سهل بن عبد الله التسترى) تقدم ضبطه (لم يؤمن بالرسول) صلى الله عليه وسلم ايمانا كاملا (من لم يوقر أصحابه) بتعظيمهم ومحبتهم (ولم يعز) من أعزه اذا نصره وقواه وجعله عزيزا موقرا اميجلا معظما (أوامره) جمع أمر وقد تقدم الكلام عليه قبل وهذا يقتضى ان سب الصحابة وتنقيصهم كفر وقيل انه كبيرة قال الزركشى وينبغى ان يقيد الخلاف بغير من فعل ذلك بهم لكونهم صحابة لا لامر آخر وهو مقتضى مذهبنا أيضا وفى منظوم ابن وهبان رحمه الله تعالى أخاف على من قال أبغض عالما من الكفر اذ لا مقتضى الكفر يظهر وسيأتى تفصيله آخر الكتاب ان شاء الله تعالى

(فصل ومن اعظامه واكباره صلى الله عليه وسلم) اعظامه واكباره بمعنى تعظيمه وتكبيره واجلاله وفى القاموس أعظمه فخمه وكبره واستعظمه رآه عظيما أى من تفخيمه وتعظيمه اللذين هما واجبان على المؤمن (اعظام جميع أسبابه) قيل هو بالمعنى العرفى وهو كل ما ينسب اليه من فراشه ولباسه مما لا روح له أوله روح كعبده ودوابه وقال الراغب السبب الحبل الذى يصعد به النخل قال الله تعالى فليرتقوا فى الاسباب ويسمى كل ما يتوصل به سببا ويسمى العمامة والخمار والثوب الطويل

من أنصار على ابن أبى طالب رضى الله تعالى عنه وله جماعة اخوة والده نوفل اسر يوم بدر ففداه عمه العباس رضى الله تعالى عنه وهو ابن عم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وأما جده الحارث بن عبد المطلب فهو أكبر ولد عبد المطلب وبه كان يكنى قال الحافظ عبد الغنى المقدسى لم يدرك الاسلام وأسلم من أولاده أربعة نوفل وربيعة وأبو سفيان وعبد الله وكان نوفل أسن اخوته وأسن من أسلم من بنى هاشم ولم يذكر المغيرة فيهم وقد ذكره الحافظ أبو عمر بن عبد البر فى استيعابه فيكون خامسا غير انه يقال ومنهم من يجعل المغيرة اسم أبى سفيان والصحيح الاول يعنى انه غيره انتهى ولم يتعقب هذا الحافظ أبو الفتح اليعمرى حين ذكره وأما الذهبى فقد ذكره فى كنى التجريد أباسفيان فقال اسمه المغيرة قاله ابراهيم بن المنذر انتهى ولم يتعقبه وقال فى المغيرة بن الحارث ابن عبد المطلب قال ابن عبد البر هذا أخو أبى سفيان فوهم بل هو أبو سفيان انتهى والله تعالى أعلم (قال سهل بن عبد الله التسترى لم يؤمن بالرسول) أى حق ايمانه (من لم يوقر أصحابه ولم يعز أوامره) أى ولم يترك زواجره

*(فصل * ومن اعظامه) أى تعظيم قدره فوق قدر غيره (واكباره) أى اعظام أمره زيادة على اعظام أمر غيره (اعظام جميع أسبابه) أى أسباب وصلته ومودته وفى حديث كل سبب ونسب ينقطع الا سببى ونسبى والمراد جميع ما ينسب اليه ويعرف به صلى الله عليه وسلم

سببا

سببا تشبيها بالحبل فى الطول انتهى (واكرام مشاهده) جمع مشهد وهو محل الشهود أى الحضور من المشاهدة وهى الادراك بالبصيرة والبصر ومشاهدة الحج مواضع المناسك (وأمكنته) جمع مكان عطف تفسير (من مكة والمدينة) بيان للامكنة فالمراد به مساكنه ومحل اقامته لا مطلق المكان (ومعاهده) أى المحال التى عهد الفه صلى الله عليه وسلم لها كالاساطين التى كان يصلى عندها ومحل صلاته فى المساجد والاماكن المباركة ومنازله (وما لمسه) بيده أو بغيره من اعضائه كالحجر الاسود والركن اليمانى واللمس والمس متقاربان (أو عرف به) كالاماكن التى جاهد فيها والغار الذى دخله صلى الله تعالى عليه وسلم وقدمر ان ابن عمر كان يتحرى الصلاة والنزول والمرور حيث حل صلى الله تعالى عليه وسلم ونزل وما روى عن مالك فما يخالف ذلك فهو جرى على عادته فى سد الذرائع وكذا ما جاء عن عمر انه رأى الناس فى الرجوع من الحج ابتدروا مسجدا فقال ماهذا قالوا مسجد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال هكذا هلك أهل الكتاب قبلكم اتخذوا آثار الانبياء بيعا من عرضت له منكم الصلاة فليصل ومن لم تعرض له فليمض وكلام المصنف رحمه الله تعالى هنا غير موفق لما مر عن مالك لا يقال يمكن حمل كلامه على اكرام ذلك بغير نحو الصلاة ليوافق مامر عن امامه لانا نقول يمكن لكنه بعيد من ظاهر عبارته ويؤيد ظاهرها ان محققهم الشيخ خليل لما قال يسن زيارة البقيع ومسجد قباء قيد ذلك بمن كثرت اقامته بالمدينة قال والا فالمقام عنده صلى الله عليه وسلم احسن ليغتنم ثم نقل عن العارف ابن أبى جمرة انه من حين دخل المسجد ما جلس الا للصلاة حتى رحل الركب ولم يخرج لبقيع ولا لغيره ولما خطر له ذلك قال هذا باب الله تعالى مفتوح للسائلين والمتضرعين وليس ثم من يقصد مثله (وروى عن صفية بنت نجدة) فى الحواشى التلمسانية ان هذه المرأة زوجة أبى محذورة الآتى ذكره وقد روى عنها أيوب بن ثابت وروت هى عن زوجها أبى محذورة واختلف فى ضبط اسم أبيها نجدة فقيل انه بنون مفتوحة وجيم ساكنة ودال مهملة وهاء وقيل نجداه بدال مهملة تليها ألف وهاء وقيل نجراة براء مهملة بدل الدال المهملة وقيل الصواب بحرة بموحدة مفتوحة وحاء وراء مهملتين وهاء (قالت كان لابى محذورة) بحاء مهملة وذال معجمة وبعدها راء مهملة وهاء بزنة اسم مفعول وهو محذورة بن معير بميم مكسورة وعين مهملة ساكنة ومثناة تحتية مفتوحة وراء مهملة وقيل معين بنون بدل الراء ابن لوذان بفتح اللام وضمها وواو وذال معجمة القرشى مؤذن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بمكة ولم يزل الاذان فيه وفى عقبه واختلف فى اسمه اختلافا كثيرا فقيل سمرة وقيل أويس وقيل سلمان وقيل سلمة وهو جمحى صحابى توفى سنة تسع وخمسين أو سبعين وأخرج له مسلم وأحمد وأصحاب السنن (قصة) بضم القاف وتشديد الصاد المهملة وهى خصلة من شعر الرأس (فى مقدم رأسه) مما يلى وجهه من الناصية سميت بها لانها مما يقص وقال ابن دريد كل خصلة من الشعر قصة وقال الجوهرى هو شعر الناصية وسبب توقيرها ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مسحها بيده وابقاها تبركا بلامسه وهو محل الشاهد وكان لما قدم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مكة واذن له بها وهو مع فتية من قريش سمعوا الاذان فاستهزؤا به وجعل أبو محذورة يحاكى الاذان استهزاء فسمعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فامر باحضاره فلما مثل بين يديه ظن انه مقتول فمسح رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ناصيته وصدره بيده قال فامتلأ قلبى يقينا وايمانا وعلمت انه رسول الله فاسلم وعلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم الاذان وأمره ان يؤذن لاهل مكة وهو ابن ستة عشر سنة فكان مؤذنهم حتى مات (اذا قعد وارسلها) أى حل عقصها وسدل شعرها (أصابت الارض) أى أوصلت اليها طولها (فقيل له) أى قال الناس لابى محذورة (الاتحلقها) بكسر اللام مضارع حلق الشعر بفتحها والا للعرض أو الاستفتاح

مهبط الوحى ودار الارقم ابن أبى الارقم وغار حراء وثور ومولده (و) من (المدينة) كمسجده وبيوته ومواطنه (ومعاهده) أى واكرام معاهده التى يتعاهدها كقباء اذ قد ورد انه كان يزورها كل سبت راكبا أو ماشيا (وما لمسه) أى مسه (عليه الصلاة والسلام أو عرف به) بصيغة المجهول أى مما يمكن اكرامه الآن واعظامه فى هذا الزمان (وروى عن صفية بنت نجدة) بفتح نون وسكون جيم فدال مهملة (قالت كان لابى محذورة) وهو مؤذنه عليه الصلاة والسلام بمكة ولم يزل مقيما بها يؤذن حتى مات سنة تسع وخمسين قال الواقدى وتوارث الاذان بعده بمكة ولده وولد ولده الى اليوم فى المسجد الحرام وقيل كان مؤذنه بقباء أيضا وهو قرشى جمحى روى عنه ابن أبى مليكة وغيره أخرج له مسلم والاربعة وأحمد فى المسند (قصة) بضم القاف وتشديد الصاد المهملة ما أقبل على الجبهة من شعر الرأس (فى مقدم رأسه) سمى بذلك لانه يقص وقال ابن دريد كل خصلة من الشعر قصة وقال الجوهرى شعر الناصية (اذا قعد وارسلها) أى لم يعقدها (اصابت الارض) أى وصلت اليها (من طولها فقيل له) أى لابى محذورة (الاتحلقها) أى الاتقصرها بحلق أو بقص

فقال لم اكن بالذى احلقها) آثر التكلم رعاية للمعنى على الغيبة باعتبار المبنى مع انها هى القياس بدلالة اعادة الضمير الى الذى ولفظه لفظ الغائب ايثارا لتغليب التكلم عليه الان الذى وان كان بلفظه هو الغائب الا انه فى المعنى عبارة عن المتكلم (وقد مسها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بيده

و روى ابن عمر رضى الله تعالى عنهما) ماض مجهول من الرؤية بابصر حال كونه (واضعا يده على مقعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أى موضع قعوده (من المنبر ثم وضعها على وجهه) و يمسح بها تبركا بموضع لمسه (وكانت فى قلنسوة خالد بن الوليد) بفتحتين فسكون فضم أى فى قبعته أو كوفيته (شعرات) بفتحتين (من شعره) بفتح العين و يسكن ويروى من شعراته (عليه الصلاة والسلام فسقطت قلنسوته فى بعض حروبه فشد عليها شدة) بفتح الشين أى ربطة طالت فيها المدة (انكر) وفى نسخة حتى انكر (عليه أصحاب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) أى بعضهم (لكثرة من قتل فيها) أى فى مدة تلك الشدة وهى يحتمل ان يكون مفعولا به لانكر أو مفعولا له (فقال) أى خالد معتذرا (لم افعلها بسبب القلنسوة) أى ذاتها كما توهمتم لانكم سببها ما عرفتم (بل) أى فعلته (لما تضمنته من شعره صلى الله تعالى عليه وسلم مقدما لئلا اسلب) بصيغة المجهول أى لئلا انزع (بركتها) بالنصب على انه مفعول ثان (وتقع) ولئلا تقع (فى ايدى المشركين) أى الانجاس الذين لم يعرفوا قدرها (ولهذا) أى ولتعظيم مشاهده وآثار معاهده (كان مالك رحمه الله تعالى لا يركب بالمدينة دابة وكان يقول) أى فى وجهه أو فى جواب سائله

(فقال لم اكن بالذى احلقها وقد مسها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده) الشريفة فابقاها تبركا بما مسه بيده و بهذا زالت الكراهة وان قيل بها فى غيره (و) فى حديث رواه أبو يعلى قال (كانت فى قلنسوة خالد بن الوليد) بن المغيرة الصحابى المخزومى المشهور والقلنسوة ما يوضع على الرأس تحت العمامة وتسمى شاشية وقبعا ويقال قلنسية وهو بفتح القاف وضمها وضم السين وكسرها ففيه لغات (شعرات من شعره) صلى الله تعالى عليه وسلم جعلها فى داخله تبركا بها (فسقطت قلنسوته) عن رأسه (فى بعض حروبه) قيل هو فى غزوة اليمامة فى خلافة أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه (فشد عليها شدة) أى كرة قوية أى رجع لاخذها وهو يعدو عدوا شديدا سريعا يقال شد اذا جرى جريا قويا أى كارا عليها لياخذها خوفا من ضياعها (انكر عليه أصحاب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) رجوعه لاجل عمامته لظنهم انه حرص عليها لذاتها (لكثرة من قتل فيها) أى فى شدته هذه ممن رجع معه لجانب العدو بسببه وكثرة منصوب مفعول انكروا وهو مفعول لاجله (فقال لم افعلها) أى هذه الشدة والكرة (بسبب) أخذ هذه (القلنسوة) كما ظننتم (بل) فعلتها (لما تضمنته) أى لما فى ضمنها وداخلها (من شعره) صلى الله تعالى عليه وسلم بفتح العين وسكونها (لئلا تسلب) بالبناء للمجهول ونائب فاعله (بركتها) وتسلب بمعنى تذهب بركتها منى وذلك أمر عظيم يخاطر بالارواح لاجله وفى نسخة اسلب ويحتمل انه من السلب بفتحتين أى ياخذها العدو ويدل عليه قوله (وتقع فى ايدى المشركين) الذين لا يليق ان تكون عندهم آثار رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (ورئى) مبنى للمجهول بهمزة قبل الياء آخره (ابن عمر واضعا يده على مقعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أى موضع قعوده (من المنبر ثم وضعها على وجهه) أى مسحه بها تبركا بمس ما مس جسده وثيابه وهذا رواه ابن سعد ويأتى الكلام على ذلك عند اعادة المصنف رحمه الله تعالى وهذا يدل على جواز التبرك بالانبياء والصالحين وآثارهم وما يتعلق بهم ما لم يؤد الى فتنة أو فساد عقيدة وعلى هذا يحمل ما روى عن عمر رضى الله عنه من انه قطع الشجرة التى وقعت تحتها البيعة لئلا يفتتن بها الناس لقرب عهدهم بالجاهلية فلا منافاة بينهما ولا عبرة بمن أنكر مثله من جهلة عصرنا (وفى معناه انشدوا) أى تمثلوا

أمر على الديار ديار ليلى * اقبل ذا الجدار وذا الجدارا

وما حب الديار شغفن قلبى * ولكن حب من سكن الديارا

قيل الشغف باطن القلب وقيل شغاف القلب غلافه وهو جلدة عليه وقيل هو وسط القلب والمعنى فى هذه الاقوال متقارب أى ما وصل حب الديار الى شغاف قلبى فغلب عليه قال النابغة

وقد حال هم دون ذلك داخل * دخول الشغاف تبتغيه الاصابع

وروى الشعف بالعين المهملة ومعناه الاحراق وعلى الاول العمل قال الجوهرى وشغفه الحب احرق قلبه وقال أبو زيد امرضه وقد شغف بكذا فهو مشغوف وروى عن الشعبى انه قال الشغف بالغين المعجمة حب وبالمهملة جنون وقيل الاول حجاب القلب والثانى سويداء القلب ويقال ان الشغاف الجلدة اللاصقة بالكبد التى لا ترى وهى الجلدة البيضاء وهذا المنشد وقع

(استحيي من الله ان اطا) أي من ان أدوس (تربة) أي جلة تراب (فيها) أي دفن في اجزاء تلك التربة (رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بحافر دابة) متعلق باطا اذ لو أمكن للانسان ان لا يطأها برجليه وكان يقدر على ان يمشي فيها بعينيه لكان لائقا التعظيم ما لديه صلى الله تعالى عليه وسلم (و روى عنه) أي عن مالك رحمه الله تعالى (انه وهب للشافعي كراعا) بضم أوله أي خيلا (كثيرا كان عنده فقال له الشافعي رحمه الله تعالى امسك منها دابة) أي واحدة تركبها عند الحاجة (فاجابه بمثل هذا الجواب وقد حكى أبو عبد الرحمن السلمي) بضم ففتح وهو الامام الجليل (عن أحمد بن فضلويه بضم اللام وهو نظير نفطويه وعمرويه ونظائرهما في التلفظ بالوجهين على ما تقدم الزاهد وكان) أي أحد (من الغزاة الرماة) بضم أوله جمع الغازي والرامي يعني ممن يحسنهما والجملة معترضة (انه قال ما مسست) بكسر الاولى وتفتح أي ما لمست (القوس) أي قوسي أو قوس غيري (بيدي الا على طهارة منذ بلغني ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أخذ القوس) أي تناول قوسه أو قوس غيره (بيده وقد أفتى مالك رحمه الله تعالى فيمن قال تربة) ويروى ان تربة (المدينة رديئة) بالهمز وقد تشدد وهي فعيلة من الرداءة أي خبيثة غير طيبة (يضرب) بصيغة المجهول وفي نسخة بضرب بالباء السببية والصيغة المصدرية المضافة الى (ثلاثين درة) بكسر الدال وتشديد الراء آلة التعزير ونصبها على التمييز (وأمر بحبسه) أي تغليظا لامره (وكان له) أي والحال انه كان لهذا المعذر (قدر) أي جاه وعظمة أم عنده ومنزلة عند غيره (وقال) أي مالك رحمه الله تعالى زيادة على ما هنالك (ما أحوجه) ما تعجبية

مقدما في بعض النسخ (ولهذا) أي للتبرك بآثاره صلى الله عليه وسلم (كان) الامام (مالك لا يركب بالمدينة دابة) فرسا ونحوها مما يركب رجاء لان يمس جسده ترابا مشى عليه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لما ذكره بقوله (وكان يقول) اذا سئل عن ذلك (استحيي من الله تعالى) أي أخشى وأهاب (ان اطأ تربة فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم بحافر دابة) أي أرضا ذات تراب ونسب الوطء له مع انه للدابة لانه منسوب له والحافر للفرس ونحوها كالخف للبعير والقدم للانسان ثم بين ان عدم ركوبه لم يكن لكونه ليس له دواب بل لتعظيمه صلى الله تعالى عليه وسلم فقال (وروى عنه) أي عن الامام مالك (انه وهب) للامام (الشافعي) لما كان عنده بالمدينة وضمن وهب معنى أهدى فعداه باللام وهو متعد لاثنين بنفسه (كراعا) بوزن غراب وهو جمع من الخيل وله معان أخر فيطلق على الخيل والسلاح وما استدق من الساق واسم موضع (كثيرا كان عنده) أي في ملكه وحيازته وهو يدل على كرمه واجلاله للامام الشافعي (فقال له الشافعي) لما وهبه جميع دوابه (امسك منها دابة) أي ابقها عندك لتركبها (فاجابه بمثل هذا الجواب) الذي أجاب به من تقدم بانه يستحيي من الركوب بالمدينة (وقد حكى أبو عبد الرحمن السلمي) بضم السين وفتح اللام الامام الجليل شيخ الامام القشيري صاحب الرسالة (عن أحمد بن فضلويه) بفتح الفاء وسكون الضاد المعجمة وفتح اللام والواو وسكون الياء و يجوز ضم اللام وهو طريقة المحدثين يقولونه كراهة من لفظة ويه فانه كلمة تدل على مكروه كالويل وقال المعري انه كلمة تصغير عند عوام البصرة ثم وصفه بقوله (الزاهد وكان من الرماة الغزاة) كان مكثر المجاهدة في سبيل الله مجيدا الرمي السهام ملازما المجاهدة بها (انه قال ما مسست القوس بيدي) ولمسته بها حال الرمي وغيره (الا على طهارة) أي متوضئا (منذ بلغني أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أخذ القوس بيده) أي أمسكها وهو كناية عن الرمي بها وقد ثبت أنه صلى الله عليه وسلم حث على الرمي وأمر به فهو سنة ففي صحيح مسلم عن عقبة بن عامر سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو على المنبر يقول وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل الا ان القوة الرمي وكررها ثلاثا وقال صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة صانعه والرامي به ومنبله أي من يناوله النبل ليرمي به وصح أنه صلى الله تعالى عليه وسلم رمى بالسهام في غزوة أحد وكان له قسي ست مذكورة في السير ثم انه قيل ان تخصيصه الطهارة بمس القوس دون السيف وغيره مما مسه وتعظيمه أزيد من غيره من آلات الحرب لما فيه من دفعه عنه دون مشقة كما في غيره ولذا كانت العرب تسميها أي السهام رسل المنايا وما قيل انه يحتمل انه كان يفعل ذلك في كل نوع من الآلات لا يساعده لفظه (وقد أفتى مالك فيمن قال ان تربة المدينة) أي أرضها (رديئة) لمن يحل فيها غير طيبة ذات وباء متعفنة الهوى وردية مهموز وغير مهموز ماخوذة من الردى (يضرب ثلاثين درة) بكسر الدال وتشديد الراء المهملتين وهي آلة من جلد غليظ يضرب بها معروفة وفي الكلام مقدر أي وقال انه يضرب أو يضرب بدل من أفتى (وأمر بحبسه) تعزيرا له (وكان) الذي حبسه (له قدر) عظيم وشرف بين الناس وذكر هذا لان التعزير يختلف حاله بحال من عذر ففيه اشارة الى انه أذنب ذنبا عظيما اذ لو كان أمرا سهلا صدر من شريف لعذره باللسان والزجر والى هذا أشار بقوله (وقال) الامام مالك (ما أحوجه) تعجب من استحقاقه العقاب أشد مما فعله وفيه تجوز لانه

(الى ضرب عنقه) أى فى جريمة ذلك (تربة دفن بها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يزعم انها غير طيبة) أى مع انه عليه الصلاة والسلام سمى المدينة طابة وطيبة (وفى الصحيح) أى عند الشيخين عن على وأنس رضى الله تعالى عنهما (انه قال عليه الصلاة والسلام فى المدينة) أى فى شانها (من أحدث فيها حدثا) أى أمرا مبتدعا منكرا لا يعرف فى السنة وقيل هو عام فى الآثام (أو آوى) بالمد ويقصر أى ضم اليه أو اليها (محدثا) بكسر الدال اسم فاعل أى جانيا بان اجاره ونصره على خصمه وحال بينه وبين ان يقتص منه أو بفتحها فيكون نفس الامر المبتدع وايواؤه الرضا به والصبر عليه وافشاؤه فمن رضى ببدعة وأقر عليها محدثها ولم ينكرها مع القدرة على انكارها فقد آواها وقواها (فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفا) أى نافلة (ولا عدلا) أى فريضة (وحكى ان جهجاها) بفتح أوله وفى نسخة جهجاه بلا تنوين (الغفارى) بكسر أوله قال الحلبى وهذا هو ابن مسعود وقال أبو عمر هو ابن سعد بن حرام وقال الطبرى المحدثون يزيدون فيه الهاء والصواب جهجا بدون هاء انتهى قال الذهبى جهجاه بن قيس وقيل ابن سعد الغفارى مدنى روى عنه عطاء وسليمان ابنا يسار وشهد بيعة الرضوان وكان فى غزوة المريسيع أجير العمر الى ان ذكر عن ابن عبد البر انه هو الذى تناول العصا من يد عثمان رضى الله تعالى عنه فذكر القصة ثم قال وتوفى بعد عثمان كسرها بسنة وسيأتى قريبا انه مات قبل الحول أى من كسر العصا وقد تقدم الكلام على حديث كسر العصا فيما مضى (أخذ قضيب النبى) أى عصاه (صلى الله تعالى عليه وسلم من يد عثمان رضى الله تعالى عنه وتناوله ليكسره على ركبته) أى معتمدا عليها (فصاح به الناس) أى لمنعه عنه (فاخذته الآكلة) بمد وكسر كاف مرض معروف (فى ركبته فقطعها) أى فقطع ركبته خوفا من سرايتها الى بقيته (ومات قبل الحول) أى الحول الذى وقع كسره فيه

جعل استحقاقه بمقتضى ما صدر عنه كأنه له حاجة اليه لان العاقل لا يفعل ما لا يحتاج اليه ففيه تهكم به يومئ الى عدم شعوره بمصالحه (الى ضرب عنقه) أى الى القتل (تربة) وأرض (دفن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم يزعم انها غير طيبة) أى ردية متغيرة الهواء ذات وباء وهى وان كانت ذات حمى قبل الهجرة فقد دعا لها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بنقل حماها وعفونة هواها الى الجحفة فصارت معتدلة طيبة كما هو مشاهد فيها وعبر بيزعم للاشارة الى انه قول باطل وان كان الزعم يجيئ بمعنى القول ولذا قالوا زعم مطية الكذب وهذا مبالغة عن زجره تفاديا عن تنقيص ما هو من أفضل الاماكن عند الله وان أمكن حمله على محمل آخر من ان بعض أماكنها سباخ ولكونها كانت ذات وباء لما قدم الصحابة لها وأخذتهم الحمى قال صلى الله عليه وسلم اللهم حبب الينا المدينة كحبنا مكة أو أشد اللهم بارك لنا فيها وصححها لنا وانقل حماها الى الجحفة فطابت وطابت تربتها حتى صار ترابها شفاء من الجذام كما ورد فى الآثار قال الابوصيرى

لاطيب يعدل تربا ضم أعظمه * طوبى لمنتشق منه وملتثم

(وفى الصحيح) أى الحديث الصحيح الذى رواه الشيخان عن أنس (أنه) صلى الله تعالى عليه وسلم (قال فى المدينة) أى فى حقها وشانها (من أحدث فيها حدثا) أى من فعل فيها أمرا قبيحا ابتدعه فيها كالظلم وأصل الحدث كل ما حدث وتجدد ثم خصه العرف بما ذكر من البدع المنكرة شرعا كما فى النهاية ومن موصولة أو شرطية (أو آوى) بالمد ويجوز قصره (محدثا) بكسر الدال اسم فاعل من أحدث أى أدخله وضمه لاهلها يقال آوى اليه كذا اذا انضم اليه أى أدخلها جانيا فاجاره ونصره على خصمه وفتح داله كما قيل على انه بمعنى الامر المبتدع وايواؤه الرضى به تكلف لا حاجة اليه (فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا) وقد تقدم تفسيره وانه تغليظ فى الزجر أو مأول كما قدمناه وفيه من تعظيم المدينة لكونها مكانه ما لا يخفى ولها حرمة الحرم كما فصلوه وسيأتى (وحكى) بالبناء للمفعول والذى حكاه ابن عبد البر رحمه الله كما تقدم (ان جهجاه الغفارى) بن سعد بن حرام قال الطبرى كذا رواه المحدثون والصواب جهجا بلا هاء وقال الذهبى هو جهجاه بن قيس وقيل ابن سعد وهو مدنى صحابى شهد بيعة الرضوان وبعض الغزوات وتوفى بعد عثمان بسنة وقد تقدم وسيأتى انه مات قبل الحول (أخذ قضيب النبى صلى الله عليه وسلم من يد عثمان رضى الله تعالى عنه وتناوله) منه (ليكسره على ركبته) كما هو معتاد فى كسر ما يحتاج كسره لقوة والقضيب عصا قصيرة كان يمسكها صلى الله تعالى عليه وسلم فى يده وكذا فعله الصحابة بعده رضى الله تعالى عنهم (فصاح به الناس) تحذيرا له وزجرا لمرتدع عما أراده (فاخذته الآكلة) أى اصابته وبدت به (فى ركبته) لوضعه القضيب ليكسره عليها (فقطعها) لان العضو المتآكل ان لم يقطع سرت أكلته للبدن وأهلكته (ومات قبل الحول) الذى بعده أو قبل تمام الحول الذى فعله فيه وروى انه مات عقبه كما تقدم قال فى القاموس الآكلة بضم الهمزة وسكون الكاف وورد

(وقال عليه الصلاة والسلام) كما رواه مالك وأبو داود والنسائي وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه (من حلف على منبري) أي فوقه أو عنده أو حوله (كاذبا) أي يمينا فاجرة (فليتبوأ مقعده من النار) تهديد شديد ووعيد أكيد (وحدثت) بضم الحاء وتشديد الدال أي حكى لي (ان أبا الفضل الجوهري لما ورد المدينة) أي السكينة (زائرا) أي مريدا للزيارة (وقرب من بيوتها) بضم الباء وكسرها (ترجل) بتشديد الجيم أي نزل عن دابته (ومشى باكيا منشدا) حالان متداخلان والانشاد قراءة شعر نفسه أو غيره والبيتان لابي الطيب أحمد بن الحسين المتنبي وسيأتي ترجمة المتنبي ان شاء الله سبحانه وتعالى (ولما رأينا رسم من لم يدع لنا) رسم الدار أثرها (فؤادا) أي قلبا (لعرفان الرسوم ولا لبا) أي عقلا (نزلنا عن الاكوار نمشي كرامة) الكور بالضم رحل الناقة باكافة كالسرج بآلته للفرس وكرامة نصب على العلة (لمن بان) أي ظهر رسمه (عنه) بالاشباع (ان نلم) من الالمام أي ننزل (به ركبا) من اسماء الجمع كرهط أو جمع راكب كصحب وصاحب فهو تمييز أو حال من ضمير نلم أي راكبين

كسرها أيضا قال بعض الفقهاء٢ وما اشتهر من مد همزته خطأ وفيه نظر فقد روى الثعالبي في ثمار القلوب شعرا فيه ذكر الآكلة ولم ينكره وهو ما قيل في هجاء الاصمعي

ومن أنت هل أنت الا امرؤ * اذا صح نسلك من باهله
وللباهلي على خبزه * كتاب لآكله الآكله

والآكلة كالاكال مرض يفسد الاعضاء كالجذام معروف وليس في كلام القاضي هنا وفيما تقدم ما يقتضي انه كسر القضيب وروى الطبري في الرياض النضرة انه كسرها ورواية انها عصا ليست مخالفة لما ذكر لان القضيب يسمى عصا وكان هذا في الفتنة لما حصب الناس عثمان وهو على المنبر فلما نزل أخذ الجهجاه منه العصا التي كانت بيده وكان ممن قدم عليه في قصته المشهورة وقد تقدم الكلام عليها في فضل الكرامات وانقلاب الاعيان له (وقال) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث رواه مالك وأبو داود والنسائي وابن ماجه عن أبي هريرة (من حلف على منبري) المراد بكونه على المنبر انه عنده ويجوز ابقاؤه على ظاهره بان يصعد عليه ويحلف وقد نص عليه الشافعية وانه يجوز أن يؤمر بصعوده ولكن الاصح الاول وهذا بناء على اليمين تغلظ بالمكان والزمان فيذهب بالحالف للمسجد وكان في حياته صلى الله تعالى عليه وسلم يحلف عند المنبر لان ما بينه وبين القبر الشريف أفضل بقعة بالمدينة بعد مرقده الشريف وما ضمه جسده العظيم المنيف (كاذبا فليتبوأ مقعده من النار) يتبوأ يعني يتخذه مباءة أي مقرا ومسكنا يقال بوأه اذا أسكنه وهو دعاء أو أمر أريد به الخبر وجعل استحقاقه العذاب بمنزلة حضوره وحضور محله فأمر بان يجعله مقرا له على طريق التمثيل وهو من بليغ الكلام وبديعه الذي يعرفه من ذاق حلاوة البلاغة والفصاحة (وحدثت) بالبناء للمجهول (ان أبا الفضل الجوهري) ليس هو عبد الله بن الحسن المصري الواعظ بجامع مصر في حدود السبعين وأربعمائة وكان من العلماء الصالحين يتبرك به ويقتدي به في السلوك وانما هو كما في تاريخ الاندلس عبد الله بن الحكيم الرندي الاندلسي ذو الوزارتين له فضل وحسب وفضل باهر وأدب عالم بالقراآت والحديث والعربية وله شعر رائق ونثر فائق وارتحل للمشرق فاخذ بها عن ابن عساكر وأكثر الرواية عنه وله رياسة في عصره صار بها كالمثل السائر الى ان ردت منه الايام ما وهبت فانقضت أيامه وذهبت فقتل لما خلع سلطانه فنهبت أمواله وكتبه ومات شهيدا رحمه الله تعالى (لما ورد المدينة زائرا وقرب من بيوتها ترجل) أي نزل عن دابته التي كان راكبها تأدبا (ومشى باكيا) خضوعا وخشية وعليه شوق أو مسرة فان من المسرة قد يحصل البكاء (منشدا) انشاد الشعر قراءته والمراد انه تمثل به لان الشعر من قصيدة المتنبي أولها

فديناك من ربع وان زدتنا كربا * لانك كنت الشرق للشمس والغربا
(ولما رأينا رسم من لم يدع لنا * فؤادا لعرفان الرسوم ولا لبا)
ومنها (نزلنا عن الاكوار نمشي كرامة * لمن بان عنه أن نلم به ركبا)

وغيره قليلا لانه في ديوانه وكيف عرفنا رسم الى آخره والقصيدة في مدح سيف الدولة ولقد أجاد في تمثله به ونقله لمحل لائق به وقد ضمنه المصنف رحمه الله تعالى أيضا في قصيدة نبوية له فقال بعده

وتهنا باكناف الخيام تواجدا * نقبلها طورا ونرشفها حبا
ونبدي سرورا والفؤاد بحبها * تقطع والاكباد أورى بها الهبا
أقدم رجلا بعد رجل مهابة * واسحب خدي في مواطنها سحبا
واسكب دمعي في مناهل حبها * وارسل حبا في أماكنها النجبا
وأدعوا دعاء اليائس الواله الذي * براه الهوى حتى بدا شخصه سحبا

٢ كذا في عامة النسخ لكن الظاهر أهل اللغة اه

والرسم آثار الديار الدارسة والمراد آثاره صلى الله عليه وسلم في معاهده ومساكنه والفؤاد القلب أو داخله والعرفان والمعرفة بمعنى واللب العقل الخالص من الشوائب سمي به لانه خالص ما في الانسان في قواه كاللباب من الشيء وأما تفسيره بمطلق العقل أخذا من القاموس ففيه نظر والاكوار جمع كور بضم الكاف وهو للابل بمنزلة السرج وبان هنا بمعنى بعد أي لا يليق به الركوب لمن قرب من مقامه تادبا ولم نأتيه لزيارته والالمام الاتيان قليلا ويكون بمعنى القرب ومن فسر بان بمعنى ظهر لم يصب والركب اسم جمع لراكب ويختص بالابل وقديم وقد شرح البيت هنا بعضهم بما استحيي من ايراده (وحكي عن بعض المريدين) والمريد صاحب الارادة لغة والمراد به ما اصطلح عليه مشايخ الصوفية من هو طالب الحق على يد المرشد الكامل بجعل ارادة ما عدا الحق عبثا (انه لما أشرف على مدينة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم) أي قرب منها بحيث يراها واصل الاشراف النظر من مكان عال أريد به لازمه (انشا) أي شرع والانشاء يكون بهذا المعنى وبمعنى الايجاد ابتداء (يقول متمثلا) التمثل انشاد شعر الغير في مقام يناسبه وهو من قصيدة لابي نواس ابن هانئ في مدح محمد الامين الخليفة ابن هارون الرشيد العباسي من قصيدة قصد المتمثل به لمدح النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لموافقة اسمه اسمه وهذا نوع من البلاغة قريب من التضمين وهو أن يورد شعر الغيره في مقام يكون أحق به من صاحبه ولم يتعرض له أصحاب البديع الاان الامام محمد التوزري أورده في كتابه الغرة اللائحة وأورد منه ماذكر المصنف رحمه الله تعالى هنا بقوله

رفع الحجاب لنا فلاح لناظر * قمر تقطع دونه الاوهام
واذا المطي بنا بلغن محمدا * فظهورهن على الرحال حرام
قربننا من خير من وطئ الثرى * فلها علينا حرمة وذمام

وأول هذه القصيدة المذكورة

يادار ما فعلت بك الايام * لم يبق فيك بشاشة تسام

والمراد برفع الحجاب في كلام أبي نواس ستائر أبواب الملوك والعظام وهو هنا بمعنى انقضاء المسافة والقرب من المدينة والقمر الممدوح فيها وتقطع ماض أو مضارع حذف احدى تائيه تخفيفا والاوهام جمع وهم وتقطعها اضمحلالها بالبين وناظر اسم فاعل من نظر أو ناظر العين وانسانها والمطي جمع مطية ناقة تمتطى أي تركب ولاح بمعنى بدا أو ظهر ودونه بمعنى قريبا منه ويجوز في تقطع بناؤه للمجهول أيضا وقوله فظهورهن الى آخره جمع ظهر وهو معروف والرحال بحاء المهملة جمع رحل وهو للابل كالسرج للخيل أو بجيم جمع رجل ذكر من بني آدم والمعنى تتقارب أي اذا أوصلتهم لمقاصدهم كان لها حرمة تقتضي رعايتها وراحتها فلا يركبها أحد بعد ذلك رجل ولا يوضع على ظهرها رحل بل تترك سارحة منعمة في مرعاها ومعناها ظاهر ثم بين علة هذه الرعاية بقوله قربننا وهي جملة مستأنفة استئنافا بيانا والحرمة الحق الذي يلزمه احترامه والذمام مفرد بمعنى ما يلزم احترامه أو جمع ذمة وهي العهد وما يجب الوفاء به والمعنى ظاهر لا حاجة للتطويل بشرحه ومن وطئ الثرى وهو التراب كناية عن الناس كلهم وما قاله أبو نواس من تحريم ركوبها كناية بديعة لانه يشير الى ان من وصل له لا يرحل بعدها لعدم حاجته لسواه ولانه لا يقدر على مفارقة من هو غاية ما يتمناه وقد كان ذلك وكما قال عبد الله بن رواحة في قصيدة له

اذا أديتني وحملت رحلي * مسيرة أربع بعد الحساء
فشأنك فانعمي وخلاك ذم * ولا أرجع الى أهلي ورائي

وفيه رد على الشماخ في قوله اذا بلغتني وحملت رحلي * عرابة فاشرقي بدم الوتين

أنشا) ويروى انشد جعل (يقول متمثلا) أي شاهدا أو واقفا فان حقيقة المثول هو الانتصاب على القدمين وقد يراد به القيام في الامر والنهوض فيه بالهمة ولعله المراد هنا (رفع الحجاب لنا) بصيغة المجهول أي كشف الذي كان بيننا وبين من قصدنا جناب حضرته وباب عزته (فلاح لناظر) أي لمع ولمع (قمر تقطع) بصيغة المضارع مجهولا أو بحذف احدى التائين أو بصيغة الماضي معلوما أي تضمحل (دونه) أي عنده (الأوهام) وتنقطع لديه الافهام بسطوع نوره بكمال ظهوره (واذا المطي بنا بلغن محمدا) جمع مطية وهي التي يركب مطاها أي ظهرها ويقال يمطى بها في السير أي يمد ومنه قوله تعالى يتمطى (فظهورهن على الرحال) بالمهملة جمع رحل البعير وفي نسخة بالجيم (حرام) مكافاة لهن على ايصالهن كما قال (قربننا من خير من وطئ الثرى) أي التراب أو الارض (فلها علينا حرمة وذمام) بكسر أوله أي عهد وأمان والابيات لابي نواس الحكمي يمدح بها الامين أي أمين الدولة كذا بخط السخاوي وقد ذكر السهيلي في روضه في غزوة مؤتة كقول أبي نواس

وقال المبرد بعدما أنشد قول ابن رواحة المذكور لقد أحسن كل الاحسان حيث قال لا أحتاج الى ان أرحل لغيره وقد عاب الرواة قول الشماخ المذكور ولذا قال صلى الله تعالى عليه وسلم للانصارية التي أتته على ناقة لها وقالت اني نذرت ان نجوت عليها ان أنحرها بئس ما جزيتها وقال في الموازنة ان الشماخ رأى ناقته شقها السير وهزلت ودبرت كما قال

اليك بعثت راحلتي لتشكي * كلوما بعد محفدها السمين

فقال اذا بلغتني عرابة فلا أبالي ان تهلكي وليس دعاء عليها وانما أراد انه بلغ المنى وليس هذا مضاد القول أبي نواس وانما يضاده قول الانصارية وللشعراء والادباء هنا كلام كثير لا يسعه هذا المقام وقلت أنا في معناه

اذا بلغتنا النوق حين تلفتت * قريرة عين في أعز المسارح
وحق لها تحذى الخدود وتفتدى * بانفسنا من قادحات الطوائح
فياليتها تمشي لاكرام مثلها * جميع نياق الارض ناقة صالح

(وحكي عن بعض المشايخ) يعني به كبار الصالحين والعلماء (انه حج ماشيا) تواضعا وقصد الزيادة في الثواب وقد قال الفقهاء انه أفضل لمن قدر عليه من داره فان لم يقدر فمن الميقات فان لم يقدر فمن دون الميقات فان لم يقدر فعند الدخول ونحوه وذكر مجاهد ان ابراهيم واسمعيل عليهما الصلاة والسلام حجا ماشيين وحج الحسين رضي الله عنه ماشيا ونجائبه تقاد معه (فقيل له في ذلك) أي سئل لم فعله (فقال العبد الآبق) أي الفار من سيده اذا رجع اليه (لاياتي الى بيت مولاه) أي سيده (راكبا) وفي نسخة ياتي بدون لا وتقديرها أياتي بتقدير الاستفهام الانكاري وأراد بالآبق المذنب المقصر في خدمة مولاه مجازا أي أنا مذنب مقصر حقيق بالخضوع والتذلل (لو قدرت ان أمشي على رأسي ما مشيت على قدمي) مشى قدم مضاف لياء المتكلم والمشي على الرأس عبارة عن غاية الجد والاجتهاد والتذلل كما قيل * سعيا على الرأس لا مشيا على القدم * (قال القاضي) يعني المصنف عياض رحمه الله تعالى في بيان ايضاح انه ينبغي للزائر المشي واظهار الخضوع والذلة (وجدير) أي خليق وحقيق وهو خبر مقدم (لمواطن) أي أماكن ومساكن جمع موطن وهو محل التوطن والاقامة وأراد بها مكة والمدينة (عمرت) أي صارت معمورة (بالوحي والتنزيل) من عطف الخاص على العام والباء للسببية أو هي للتعدية بجعل الوحي بمنزلة ساكن عمرها (وترددبها) التردد بمعنى المجيء والذهاب من قولهم فلان يتردد الينا وليس من التردد بمعنى الشك (جبريل وميكائيل) اما تردد جبريل عليه الصلاة والسلام فظاهر واما ميكائيل عليه الصلاة والسلام فكان ينزل عليه أحيانا (وعرجت) أي صعدت من عنده (منها) أي من المواطن (الملائكة والروح) هو جبريل عليه السلام عطف عليهم عطف الخاص على العام وقيل ملائكة كالحفظة على الملائكة لا تراهم الملائكة كما انا لا نراهم واما ان المراد به أرواح الناس فمما لا يليق ذكره هنا (وضجت عرصاتها بالتقديس والتسبيح) هما لغة التطهير والتنزيه والمراد بهما هنا توحيد الله تعالى وذكره كقوله سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والضجيج والضجاج الصياح ورفع الاصوات المختلفة وأصله صياح العاجز المغلوب والعرصات بفتحتين جمع عرصة وهي الارض والساحة المتسعة من غير بناء والمراد هنا الارض مطلقا واسناد الضجيج للعرصات تجوز للمبالغة في كثرة الذكر والدعاء والتلاوة (واشتملت تربتها) أي تضمنت وحوت أرضها (على جسد سيد البشر) وهو صلى الله تعالى عليه وسلم أشرف المخلوقات فالمكان الذي حواه أفضل الامكنة فيلزم تعظيمه والسعي اليه ماشيا بالذلة والادب ثم ذكر بعد فضيلتها الذاتية ما نشأ منها وعرض منها فقال (وانتشر) أي شاع وتفرق واشتهر

(وحكي عن بعض المشايخ انه حج ماشيا فقيل له في ذلك) حذرا عليه من النصب هنالك (فقال) أي في الجواب (العبد الآبق) أي الهارب الشارد من سيده (ياتي) أي أياتي (الى بيت مولاه راكبا) وفي نسخة الى باب مولاه وفي أخرى لاياتي (لو قدرت ان أمشي على رأسي) بل على عيني (ما مشيت على قدمي) وهذا علامة الحب الصادق والادب الفائق وفي نسخة بتشديد الياء مشي (قال القاضي أبو الفضل رحمه الله تعالى) يعني المصنف (وجدير) خبر مقدم أي حقيق ولائق وخليق (لمواطن) أي بمكة والمدينة (عمرت) بصيغة المجهول مخففا ومشددا (بالوحي) أي بوحي النبوة (والتنزيل) أي وتنزيل القرآن (وترددفيها) وفي نسخة بها أي في الاتيان اليها (جبرائيل) أي دائما (وميكائيل عليهما السلام) أي أحيانا (وعرجت) أي صعدت (منها الملائكة) أي المقربون (والروح) أي وأرواح الانبياء والمرسلين أو الروح الامين (وضجت) بتشديد الجيم أي صوتت (عرصاتها) أي اماكنها وجهاتها والمعنى ارتفعت الاصوات في عرصاتها وهي جمع عرصة وهي كل بقعة بين الديار واسعة وليس بها بناء (بالتقديس) أي التطهير عن التشبيه (والتسبيح) أي التنزيه (واشتملت تربتها على جسد سيد البشر وانتشر

عنها) أى عن تلك الاماكن (من دين الله) أى الماخوذ من كتابه (وسنة رسوله ماانتشر مدارس آيات) جمع مدراس مفعال من الدرس وهو مكانه وفى الحديث تدارسوا القرآن أى تعاهدوه بتلاوته وهذا خبر مبتدأ محذوف أى وهذه مدارس آيات (بينات) أى واضحات أو مبينات (ومساجد وصلوات) أى دعوات أو عبادات (ومشاهد الفضائل) أى من مكارم الشمائل (والخيرات) أى الطاعات والمبرات (ومعاهد البراهين) أى الدلالات الواضحات (من الآيات) أى الخارقة للعادات (والمعجزات) أى على وفق الكرامات (ومناسك الدين) أى مذابحهم ومعابدهم (ومشاعر المسلمين) أى معالمهم ومعارفهم (ومواقف سيد المرسلين) أى أماكن وقوفه ومواطن حضوره ومنابع نوره (ومتبوأ خاتم النبيين) بفتح الواو وكسر تاء خاتم وفتحها ويروى مثواه بسكون المثلثة أى منزله وماواه من مكة (حيث انفجرت النبوة) أى ظهرت ظهور الماء النازل من السماء (وأين) أى من مكة وعينها (فاض عبابها) بضم أوله معظم السيل وارتفاعه وكثرة تموجه كذا فى القاموس أى سال عذبها الغمر بها (ومواطن مهبط الرسالة) بكسر الموحدة أى أماكن انزالها أو نزولها من مكة حين ايصالها أو وصولها وفى نسخة ومواطن طويت فيها الرسالة (وأول أرض مس جلد المصطفى ترابها) بالرفع كذا فى بعض الاصول والاظهر نصبه والمراد به بعد الموت وفيه تلميح الى قول الشاعر

بلادبها نيطت على تمائمى * وأول أرض مس جلدى ترابها

(وتنسم) ان تعظم) بتشديد الظاء المفتوحة (عرصاتها) بفتحتين جمع عرصة بفتح فسكون وهى فى الاصل كل مكان واسع لا بناء فيه والتقدير تعظيم اما كنها وهو المبتدأ المقدم خبره وانما قدم عليه لمزيد تشويق السامع اليه ومن ثمه طول الكلام فى المسند ليحسن كل الحسن فى المرام اذ بازدياد طوله يزداد حسنه وطوله كما ان بازدياده عليه يزاد الشوق اليه ومنه قول الشاعر

ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها * شمس الضحى وأبو اسحق والقمر

فى الارض منتقلا (عنها) أى عن تلك المواطن وفى نسخة منها (من دين الله وسنة رسوله ماانتشر) أى أمر عظيم كثير لا يعلمه الا الله ولذا عبر بما المبهمة كقوله الحاقة ما الحاقة (مدارس آيات) عطف بيان أو بدل من مواطن أى محال يدرس فيها القرآن جمع مدرس من درس اذا قرأ أو تلى وقيل جمع مدراس ومفعال غريب فى اسم المكان كالمرصاد ولا حاجة لارتكابه (ومساجد) جمع مسجد بالكسر موضع السجود وهو وضع الجبهة على الارض خضوعا وعبادة وليس المراد به الموضع المعد للعبادة وان صحت ارادته (وصلوات) جمع صلاة وهى العبادة المعروفة وأصل معناها الدعاء ويجوز ارادته هنا وفى نسخة مساجد صلوات بالاضافة على تقدير لام الاختصاص ومن قال معناه مساجد لاجل الصلوات لم يصب (ومشاهد الفضائل والخيرات) المشاهد جمع مشهد وهو محل يشهده الناس ويجتمعون فيه والفضائل جمع فضيلة كالعلم وتعليم الآداب وغيرها من الكمالات والخيرات هى خير الدنيا والآخرة (ومعاهد البراهين والمعجزات) أى عهد فيها ظهور معجزاته صلى الله عليه وسلم وبراهين نبوته الدالة على صدقه وهو عطف تفسير وقيل البراهين أعم من المعجزات (ومناسك الدين) جمع منسك وهو محل العبادة والنسك (ومشاعر المسلمين) أى محال معالمهم التى يجب القيام بها من الواجبات وغيرها (ومواقف سيد المرسلين) أى المحال التى قام فيها صلى الله عليه وسلم لاعلاء كلمة الله واظهار دينه كمحاربيه ومحال صلاته (ومتبوأ خاتم النبيين) بفتح الباء وكسرها أى مساكنه ومحال اقامته (حيث انفجرت النبوة) أى ظهرت وفاض على جميع الخلق منافعها وأشرق فى القلوب أنوارها ففيه استعارة مكنية وتخييلية اما بتشبيه النبوة بالفجر والصبح الصادق فى ظهوره الماحى لظلمة الكفر أو بمنبع الماء المروى للناس بعد ظما الجهل فقوله (وأين فاض عبابها) بضم العين وهو الماء الكثير كالسيل والماء الكثير المتدفق الفائض وحيث يكون ظرف زمان ومكان وفيه لغات مشهورة وأين اسم يستفهم به عن المكان فجرد عن الاستفهام لمجرد المكان وقيل انها باقية على أصلها أى هى جواب من سال وقال أين فاض عباب النبوة فيقال فى هذه الاماكن (ومواطن مهبط الرسالة) مهبط مصدر ميمى بمعنى الهبوط أى محال نزول الوحى برسالته وأمره بتبليغ الخلق ما أرسل به لهم والمراد مكة لان مراده مدح الحرمين كما فسرنا به المواطن أولا ولذا قال (وأول أرض مس جلد المصطفى ترابها) هو يكنى به عن مولد كل أحد لانه لو فرض انه سقط على أرضها كان كذلك كما قال

بلادبها نيطت على تمائمى * وأول أرض مس جلدى ترابها

ومنه أخذ المصنف رحمه الله كلامه ولمح به (ان تعظم عرصاتها) جمع عرصة وهى كما تقدم أرض لا بناء فيها فالمراد بها هنا مطلق الارض أو معناها الحقيقى فهو ساحة المدينة ومكة وفناء أرضها فيعلم منه غيرها بالطريق الاولى وهذا هو المبتدأ الذى قدم خبره وطول ليتشوق سامعه اليه وينتظره

(وتشم) بالبناء للمفعول أي تستنشق وفي نسخة وتشم (نفحاتها) جمع نفحة من نفح الطيب اذا فاح وفي الحديث ان لربكم في أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها وفي رواية تعرضوا النفحات رحمة الله تعالى (وتقبل) بتشديد الموحدة المفتوحة (ربوعها) بضمتين جمع ربع بفتح فسكون موحدة وهو المنزل ودار الاقامة وفي حديث مكة وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم حين قال اسامة بن زيد أين تنزل غدا يارسول الله وهل ترك لنا عقيل من رباع جمع ربع أيضا (وجدرانها) بضم الجيم وبالفوقية في آخرها الا بالنون وان كان هو أيضا جمع جدار وهو مايحاط به عليها المراعاة السجع (يادار خير المسلمين) ويروى زين المرسلين (ومن به) قال الحلبي الذي ظهر لي ان هذا الشعر من قول المصنف انتهى وناداها من لوعة الاختراق ولذعة الافتراق عن تلك البقعة المنيعة وسكان تلك الرقعة الرفيعة وقال يادار خير المرسلين لحديث البخاري انا سيد المرسلين والآخرين ثم قال ومن به أي ٤٤١ بسبب وجوده وكرمه وجوده

(وتنسم نفحاتها) تفعل من النسيم مبني للمجهول والمراد مافي النسيم من نفحاتها الطيبة والنفحة في الاصل دفعة من الريح يجوز بها عن الطيب الذي ترتاح له النفس من نفح الطيب اذا فاح وفي الحديث (ان لربكم في دهركم نفحات فتعرضوا لها) فشبه مافيها من بركاته وطيب نسيم روائحه استعارة تبعية أو مكنية وتخييلية (وتقبيل) أي تلثم وتباس بالشفاه (ربوعها) جمع ربع وهو المنزل في الربيع ويطلق على المنزل مطلقا وهو المراد هنا (وجدرانها) بضم الجيم وسكون الدال وبالراء المهملتين والف ونون جمع جدار وهو أصل الحائط ويطلق عليه أيضا ويجوز أن يكون بتاء التأنيث جمع الجمع ثم لما تزايد شوقه لمعاهده صلى الله تعالى عليه وسلم قال مخاطبا بها بتنزيلها منزلة العقلاء في شعر له مروى عنه وهو قوله أعني المؤلف

(يادار خير المرسلين ومن به * هدى الانام وخص بالآيات)

أراد بداره محل قره فيشمل مكة والمدينة وفي نسخة المسلمين والاولى أولى وهدى مبني للمجهول أي هدى الله تعالى به والانام الخلق مطلقا أو كل ذي روح كما مر وقوله خص بالآيات المراد بها القرآن أو جميع المعجزات لان الله تعالى خصه منها بما لم يكن لغيره أو التعريف فيه للعهد

(عندي لاجلك لوعة وصبابة * وتشوق متوقد الجمرات)

اللوعة شدة الحب وحرقته والصبابة رقة الشوق من صبا اليه اذا مال والتشوق زيادة الشوق وشبه مافي القلب منه بجمرات متوقدة ومتوقد بكسر القاف من اضافة الصفة للموصوف وضبط بفتحها أيضا كما في المقتفى

(وعلى عهد ان ملأت محاجري * من تلكم الجدران والعرصات)

وعلى عهد أي توثق التزمته وهو يمين كما يقال على عهد الله تعالى والمحاجر جمع محجر وهو جوانب العين وملؤها انجاز عن النظر اليها وابصارها والجدرات جمع مؤنث لجدر جمع جدار كما تقدم والعرصات تقدم تفسيرها (لاعفرن مصون شيبي بينها * من كثرة التقبيل والرشفات)

التعفير تمريغه في التراب ويقال له عفار وأراد بشيبه لحيته المبيضة وبينها أي بين ترابها وأرضها وجعله مصونا لانه محفوظ عما يلوثه ويشينه والتقبيل اللثم والرشفات جمع رشفة وهي مص الريق ونحوه

(هدى الانام) أي هداية الخلق (وخص) أي هو (بالآيات) أي المنزلة والمعجزات المكملة (عندي لاجلك لوعة) أي شدة محبة وكثرة مودة موجبة لزيادة حرقة في حالة فرقة (وصبابة وتشوق وتوقد الجمرات) الصبابة بفتح أولها أي رقة الشوق ودقة الذوق وعن النخعي كان يعجبهم أن يكون للغلام صبوة لانه اذا تاب فربما كان ارعواؤه باعثا له على شدة اجتهاده وكثرة ندمه على مافرط من عمله في سبق قدمه وأبعد له عن أن يعجب بحاله أو يتكل على كماله ولان المجاز قنطرة الحقيقة والرياء قنطرة الاخلاص (وعلى عهد) أي وعد وعقد (ان ملأت محاجري)

 بفتح الميم مادار بالعين أي نواظري (من تلكم الجدرات) بضمتين (والعرصات) بفتحتين (لاعفرن) بتشديد الفاء المكسورة أي لالوثن وأغبرن (مصون شيبي) أي شيبي المصون ووجهي المكنون بتقليبي لهما (بينها) أي بين المذكورات من الجدرات والعرصات (من كثرة التقبيل) أي تقبيل تلك الاماكن الشريفة (والرشفات) بفتحتين فقاف كذا في الاصول ولعل معناها رمي سائر الاعضاء على تلك الاجزاء المنيفة من الرشق وهو الرمي بالنبل ففيه تجريد وتشبيه وفي أصل الدلجي بالفاء وكذا في بعض النسخ المصححة فقال جمع رشفة وهي المص المحب ريق محبوبه انتهى ولا يخفى انه مع عدم وجوده في كتب اللغة غير موافق لكلام الشاعر ومطلوبه نعم لو صحت الرواية بالفاء لتعين أن يقال المراد بها رشفات المشتاق ريقه لكمال حرارة شوقه ومرارة ذوقه في ذلك المكان الموصوف بحسنه وبريقه ففي القاموس رشفه مصه ورشف الماء قليلا قليلا أسكن للعطش

(لولا العوادي) جمع عادية وهي شغل يصرفك عن الشيء تريده والله تعالى أعلم بما يعتري الانسان من العوارض التي تكون عوائق (والاعادي) جمع عدو (زرتها) أي تلك المنازل بسير المراحل (أبدا) أي دائما (ولو) أي وان كانت زيارتي (سحبا) من قولك سحبت الشيء فانسحب أي جررته فانجر أي سيرا أو مشيا (على الوجنات) بفتحتين جمع وجنة بفتح فسكون ويكسر أولها أو بضم وهي أعلى الخد (لكن سأهدي) تكلم من الاهداء (من حفيل تحيتي) أي تحيتي الحافلة الكثيرة الكاملة (لقطين تلك الدار والحجرات) أي لمقيمها وخادمها من قطن بالمكان

اذا لزمه وفي حديث الافاضة نحن قطين الله تعالى أي سكان حرمه بحذف المضاف ومنه قول زياد ابن حارثة فاني قطين البيت عند المشاعر والحجرات بضمتين جمع حجرة بضم فسكون وهي بيت صغير من الدار منفرد عنها من الحجر وهو المنع أو من الحجر لكونها مبنية منه (أزكى) بعجمة أي أهدى من كثير التحية والثناء ما هو أضوع (من المسك المفتق) بمثناة فوقية مشددة أي المشقق ويقال فتق المسك اذا خلط به ما يزكي رائحته وقيل معناه المستخرج الرائحة (نفحة) تمييز للنسبة في أزكى أزيل عن أصله للتفصيل بعد الاجمال ليكون أوقع في نفس أرباب الاحوال (تغشاه) أي تحل بركاته وتغطيه (بالآصال) جمع أصيل من بعد العصر الى المغرب كذا قاله الدلجي تبعا للحلبي والاولى أن يقال من بعد الزوال (والبكرات) بضمتين جمع بكرة بضم فسكون أي أول النهار والمراد بهما الدوام في الايام والليالي تابعة لها كما لا يخفى على الانام وفي القاموس الاصيل العشي والعشاء أول الظلام أو من المغرب الى العتمة أو من زوال الشمس الى طلوع الفجر والعشي والعشية آخر النهار (وتخصه بزواكي الصلوات) بفتح الياء أي بظواهرها وكذا في قوله (ونوامي التسليم والبركات) أي بظواهرها ويروى بفضائل الصلوات ولطائف التسليم ولو روي بشرائف الصلوات ولطائف التسليم لكان ألطف

وقدم هنا بالتقبيل أيضا وتفسيره بصريق المحبوب غير مناسب هنا واللام جواب القسم الذي تضمنه قوله على عهد

(لولا العوادي والاعادي زرتها * أبدا ولو سحبا على الوجنات)

العوادي جمع عادية وهي الامور التي تمنع عن زيارتها والعوائق أو الظلمة بمعنى غائرة ظالمة والاعادي جمع عدو وهو جمع أعداء جمع الجمع والوجنات جمع وجنة وهي أعلى الخد وهو ما ارتفع منه وغلظ وسحبا منصوب بمقدر أي أسحب وجهي على الارض بذلة وخضوع وضمير زرتها للدار وأبدا ظرف مستغرق لما يستقبل من الزمان والمعنى لولا عوائق الدهر لم أفارقها ولم أتخلف عنها

(لكن سأهدي من حفيل تحيتي * لقطين تلك الدار والحجرات)

استدراك على ما أفاده ما قبله أي ان منعت عن زيارتها والاقامة بها والتضمخ بتربها تبركا فاني أهدي لمن سكن بها يعني به رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه الذين دفنوا بها والاهداء الارسال والحفيل بحاء مهملة مكسورة وفاء وياء تحتية ساكنة ولام بمعنى كثير نفيس يحتفل به والتحية من الحياة بمعنى السلام والقطين بقاف مفتوحة وطاء مهملة مكسورة ومثناة تحتية ساكنة ونون بمعنى المقيم ويطلق على الاتباع والخدم والحجرات جمع حجرة وهي بيت صغير من تلك الدار يفرز ويحجر اشارة الى حجراته التي كان بها أزواجه أمهات المؤمنين رضي الله عنهن أجمعين وكان سيدي الشيخ أحمد بن الرفاعي كل عام يرسل مع الحجاج السلام على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فلما زاره وقف تجاه مرقده وأنشد

في حالة البعد روحي كنت أرسلها * تقبل الارض عني فهي نائبتي

وهذه نوبة الاشباح قد حضرت * فامدد يديك لكي تحظى بها شفتي

فقيل ان اليد الشريفة بدت له فقبلها فهنيئا له ثم هنيئا

(أزكى من المسك المفتق نفحة * تغشاه بالآصال والبكرات)

أزكى بمعنى أكثر طيبا ورائحة طيبة والمفتق بزنة مكرم بالتشديد من فتق المسك والطيب اذا خلط بغيره مما يزيد طيبه كماء الورد ونفحة تقدم تفسيره وهو منصوب تمييز وروي بالرفع واضافته للهاء أي رائحته نائب فاعل المفتق وتغشاه تعرض له أو تغطيه وتجلله من الغشا والآصال جمع أصيل أو جمع أصل جمعه فهو جمع الجمع وهو ما قرب من الغروب والبكرات جمع بكرة وهي أول النهار وخصهما لطيب النسيم ولطافة الهواء فيهما

(وتخصه بزواكي الصلوات * ونوامي التسليم والبركات)

وتخصه بتاء التأنيث فاعله ضمير التحية أو بنون المتكلم مع الغير والزواكي جمع زاكية وهي الزائدة بمعنى النوامي جمع نامية وحركت ياءهما بالكسر للضرورة والصلاة والتسليم عليه صلى الله تعالى عليه وسلم معناهما ظاهر ويأتي قريبا ولقد أجاد في الختم بهما والبركات جمع بركة ولا وجه لما قيل

انه

انه فاسد الوزن وصوابه ان يقول وتخصه از كى صلاة دائما بنوامى التسليم والبركات مع انه وقع فيما هرب منه روى ان المصنف رحمه الله تعالى لم يحج ولم يزره صلى الله تعالى عليه وسلم فقال هذه الابيات الثمانية متحسرا على مافاته كما وقع للعارف بالله تعالى أبى العباس بن العريف نفعنا الله به فقال متأسفا على فوات ذلك

سار الركاب وسوء الحظ اقعدنى * ولم اجد لبلوغ القصد مفتاحا
ياسائرين الى المختار من اضم * سرتم جسوما وسرنا نحن ارواحا
انا اقناع لى عجز ومسكنة * ومن أقام على عجز كمن راحا

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم والحمد لله رب العالمين .

(الباب الرابع)

من القسم الثانى (فى حكم الصلاة عليه والتسليم) والصلاة أصل معناها الدعاء والعبادة المخصوصة لما فيهما من تحريك الصلوين والمراد بها ان يقال صلى الله تعالى عليه وسلم والتسليم مصدر سلم تسليما ككلمه تكليما اذا انقاد له وسلم أمره اليه (وفرض ذلك) أى وجوبها على أمته فى أى مقام (وفضيلته) أى فضيلة ماذكر من الصلاة والتسليم وليس الضمير للتسليم فقط والمراد بفضيلته ماهو أعم من الوجوب فيشمل الندب والاستحباب وقال أبو ذر رضى الله عنه ابتداء مشروعية الصلاة عليه صلى الله تعالى عليه وسلم كان فى السنة الخامسة من الهجرة وقيل كان الابتداء بمكة لانه ورد فى حديث الاسراء وماقاله أبو ذر رضى الله عنه هو ابتداء اظهاره للناس وهذا مما خص به صلى الله تعالى عليه وسلم دون الانبياء عليهم السلام كلهم فانه لم يشرع ذلك لاممهم وان كانت الصلاة والسلام عليهم مشروعة (قال تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبى الآية) صدر بهذه الآية لاثبات مدعاه لان الامر محتمل الايجاب والندب واعلم ان معنى الصلاة لغة الدعاء ويطلق شرعا على العبادة المخصوصة واختلف هل هى منقولة من المعنى اللغوى لمعنى آخر وضعه الشارع له لمناسبته لمعناه الاصلى لاشتمالها على الدعاء ولما فيها من تحريك الصلوين وهما طرفا العجز أوهى مجاز لاشتمالها على الدعاء والظاهر الاول وقال ابن القيم وبعض المتأخرين انها باقية على معناها اللغوى ولانقل فيها ولاتجوز لان المصلى فى جميع صلاته فى دعاء وعبادة غايته ان الشارع خصها بفرد من افراد الحقيقة كالدابة لذوات الاربع وردبانه كلام من لم يعرف معنى النقل وأهل الشرع اذا استعملوها لايلاحظون معناها اللغوى ولاينظرون اليه وهو كلام غير مهذب فان المجاز اذا اشتهر يتناسى فيه المعنى الاصلى ويصير كالعلم بالغلبة وهو المراد بقولهم انه حقيقة عرفية شرعية فالمآل واحد والخلاف لفظى وهذه الآية مدنية أخبر الله عباده فيها بشرف منزلته صلى الله تعالى عليه وسلم عنده وان الله وملائكته يثنون عليه فى الملأ الاعلى ثم امر أهل العالم السفلى بان يفعلوا كفعلهم وفى الكشاف لما نزلت هذه الآية قال جبريل ماخصك الله بشرف الأشر كنا فيه فنزل هو الذى يصلى عليكم وملائكته قال الحافظ السخاوى لم اقف على أصله الى الآن وقال شيخ مشايخنا ابن حجر الهيتمى هو موافق لما أخرجه أبو نعيم فى الدلائل فى ترجمة سفيان بن عيينة انه سئل عن قوله اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم فقال أكرم الله أمة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فصلى عليهم كما صلى على الانبياء فقال هو الذى يصلى عليكم وملائكته وقال لنبيه وصل عليهم ان صلواتك سكن لهم أى سكينة فصلى عليهم كما صلى على ابراهيم واسحق ويعقوب والاسباط وهؤلاء الانبياء مخصوصون منهم وعم هذه الامة بالصلاة وادخلهم فيما ادخل فيه نبيهم صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يدخل فى شئ الادخل فيه أمته ثم تلى ان الله وملائكته الآية وقال هو الذى يصلى عليكم الخ واشار الى مزيد خصوصية على أمته باسناد الصلاة عليهم اليه والى ملائكته وصلاة الملائكة على الامة لاتكون الابتبعيته وجمهور القراء على نصب الملائكة عطفا على اسم ان

(الباب الرابع) أى من القسم الثانى (فى حكم الصلاة عليه والتسليم) أى عليه أو لديه واختير التسليم على السلام مع ان كليهما مصدر سلم لافادة زيادة التوكيد ولتحقق مطابقة لفظ التنزيل صلوا عليه وسلموا تسليما (وفرض ذلك) أى فرضيته (وفضيلته) وفى نسخة وفضله أى وفضل ذلك والمعنى فى بيان الحكم فى كميتها وكيفيتها واختلاف العلماء فى حقيقتها (قال الله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبى) أى يعظمونه بالثناء عليه (الآية) تمامها ياأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما أى ادعوا له وقولوا اللهم صل وسلم عليه والواو تفيد الجمعية لاالمعية كما عليه الاصولية وارباب العربية فلادلالة فى الآية على كراهية افراد الصلاة عن السلام وعكسه كما ذهب اليه النووى واتباعه من الشافعية وقد أوضحت المسألة فى رسالة مستقلة

ويصلون خبر عنهما وقيل خبر ملائكته وخبر الجلالة محذوف لدلالة يصلون عليه ورجح بتغاير الصلاتين ورجح الاول أبو حيان والجملة اسمية خبرها مضارع لافادة الاستمرار التجددي فالملائكة استمرت صلاتهم عليه وهذه منقبة لم توجد لغيره اعظم من سجود الملائكة لآدم الذي وقع وانقطع وقال على النبي دون محمد أو الرسول تنويها بقدره صلى الله عليه وسلم والنبوة أشرف من الرسالة لانها اتصال بالله واشتغال به والرسالة اشتغال بالناس ثم انه اكد السلام وخصه بالمؤمنين قيل لان الصلاة مؤكدة معنى بصدورها من الله وملائكته فكيف لا تصلي عليه أمته أولانها مؤكدة بان والجملة اسمية والسلام سواء كان بمعنى الانقياد أو بمعنى السلامة من الايذاء لا يليق اسناده الى الله والملائكة ولذا استحق التأكيد لصدوره خلافه من جنسهم ولا يرد عليه قوله تعالى سلام على ابراهيم وقوله والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم كما أورده السخاوي لانه تحية واكرام وبقي هنا كلام بيناه في رسالة مستقلة ثم شرع في بيان معنى الصلاة فقال (قال ابن عباس معناه) أي معنى الصلاة وذكره لتأويله بالدعاء أو لان تأنيث المصادر غير معتبر وهذا رواه ابن جرير وابن أبي حاتم (ان الله وملائكته يباركون على النبي صلى الله عليه وسلم) أي يدعون له بزيادة بركة لائقة بمقامه وشرف قدره وسيأتي فيه كلام وأصل معنى البركة النمو وزيادة الخير اللازم (وقيل) في معناه انه بمعنى (ان الله يترحم على النبي صلى الله عليه وسلم) أي يدعو له بالرحمة وفي القاموس رحمت عليه وترحمت والاولى الفصحى وهو رد على من قال ترحمت عليه لحن كما نقله الصاغاني ورد بانه ورد في الحديث وتأتي الاشارة اليه أيضا (وملائكته يدعون له) ولم يبين الدعاء لتفسيره بقوله (قال المبرد وأصل) معنى (الصلاة الترحم) أي الانعام أو الدعاء لرحمة ومعنى الدعاء من الله ارادته أو التبشير به لان معناه الحقيقي لا يتصور في حق الله تعالى فاريد به لازمه وغايته ولذا فسره بقوله (فهي من الله رحمة) أي انعامه أو ارادته (ومن الملائكة رقة) أي شفقة عليه ومحبة (واستدعاء للرحمة من الله) له أي طلبها والدعاء بها (وقد ورد في الحديث) الذي رواه الشيخان عن أبي هريرة (صفة صلاة الملائكة على من جلس ينتظر الصلاة) في المسجد (اللهم اغفر له اللهم ارحمه فهذا دعاء) لهم بالمغفرة والرحمة وقد صرح بهذا في حق الملائكة يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا وفي قوله تعالى والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الارض وقد بينا وجه الدعاء بخصوص الاستغفار فيما يأتي في فصل المواطن ولفظ الحديث في مسلم لا يزال العبد في صلاة ما كان في مصلاه ينتظر الصلاة والملائكة يقول اللهم اغفر له اللهم ارحمه حتى ينصرف أو يحدث (وقال) الامام (أبو بكر القشيري الصلاة من الله تعالى لمن دون النبي) اي لمن منزلته دون منزلته من الامة (رحمة) أي طلب ان يرحمه الله وأما النبي فمرحوم باعلاء أنواع الرحمة فهو غير محتاج لان يدعى له بها وفي فتاوى الصوفية لو قال اللهم ارحم محمدا كما رحمت أو ترحمت على ابراهيم قال الصفار انه مكروه في حق الانبياء والرسل وحكي عن محمد انه كان يكره هو يقول فيه ظن نوع تقصير بهم فانه لا يستحق الرحمة الا من أتى بما يلام عليه وقد أمرنا بتعظيم الانبياء وتوقيرهم فاذا ذكر النبي لا يقال رحمه الله بل صلى الله عليه وسلم بل لا يقال للصحابة رحمه الله بل رضي الله عنهم وكذا قال خواهر زاده وصاحب المحيط والظهيرية وانا اقول اللهم ارحم محمدا وآل محمد جائز متوارث وكان الشيخ الزاهد الرستغفني يقول معنى ارحم محمدا الرحم أمة محمد والترحم لامته لاجله كما يقال لمن يراد عقابه وله أب حاضر يتوجع لابنه ارحم هذا الشيخ الكبير وهو لم يجن ولم يؤاخذ كما في جامع المضمرات وقال الزيلعي الصحيح انه لا يكره لانه صلى الله عليه وسلم من أشوق الناس الى رحمة ربه انتهى (وللنبي صلى الله عليه وسلم تشريف وزيادة مكرمة) بميم في أوله وراء مضمومة وفي

نسخة

(قال ابن عباس معناه ان الله وملائكته يباركون على النبي) أي ان الله يبارك له في أمره ويزيد في قدره وتدعو الملائكة له بان يرفع ذكره ويظهر امره ففيه اشارة الى ان في قوله يصلون مجاز ارسلا لاجمعا بين الحقيقة والمجاز والاستعمال المشترك في معنييه كما هو مبين في الاصول لاهل الوصول (وقيل ان الله يترحم على النبي) أي يبالغ في انزال الرحمة عليه فكأنه يطلب من نفسه الرأفة اليه (والملائكة يدعون له) أي ويتواضعون لديه (قال المبرد وأصل الصلاة والترحم وهي) وفي نسخة فهي (من الله رحمة) أي انزالها وايصالها (ومن الملائكة رقة) أي موجبة للرحمة (واستدعاء للرحمة من الله تعالى) أي على نبي الامة وكاشف الغمة (وقد ورد) ويروى وقد روي (في الحديث صفة صلاة الملائكة على من جلس) أي في مسجد ونحوه (ينتظر الصلاة) أي الآتية أو اذانها واقامتها اللهم اغفر له (اللهم ارحمه فهذا دعاء) لكنه يليق بالامة ولا يبعد ان يكون دعاؤهم للنبي بان يقولوا اللهم عظم شانه وعم برهانه واكثر أمته وأظهر ملته وارفع درجته (وقال بكر) وفي نسخة أبو بكر (القشيري الصلاة من الله تعالى لمن دون النبي) أي لغيره (رحمة) أي عامة (وللنبي صلى الله تعالى عليه وسلم تشريف) وهو رحمة خاصة (وزيادة تكرمة

وقال أبو العالية صلاة الله ثناؤه عليه عند الملائكة) أى المقربين (وصلاة الملائكة الدعاء) أى بزيادة الاكرام والانعام للنبى عليه الصلاة والسلام (وقال القاضى أبو الفضل رحمه الله تعالى) يعنى المصنف (وقد فرق) بتشديد الراء وتخفيفها وهو أولى أى فصل (النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث تعليم الصلاة عليه بين لفظ الصلاة ولفظ البركة) أى فى الحديث الذى رواه الشيخان وغيرهما من أصحاب السنن اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد (فدل انهما) أى الصلاة والبركة (بمعنيين) أى متغايرين لان المراد بالصلاة الثناء وبالبركة كثرة الخير والنماء (وأما التسليم الذى أمر الله تعالى به عباده) أى بقوله وسلموا تسليما وهو يحتمل أن يكون بمعنى الانقياد كما قال تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ويحتمل ان يراد به التسليم الذى بمعنى التحية فان السلام تحية أهل الاسلام أو خصوص الدعاء بالسلامة من الآفة للنبى عليه الصلاة والسلام (فقال القاضى أبو بكر بن بكير) بضم موحدة فكاف مفتوحة فتحتية ساكنة (نزلت هذه الآية على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فأمر الله تعالى أصحابه ان يسلموا عليه) وكذا أمرهم النبى ان يسلموا عليه (فى الصلاة بان يقولوا السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته وكذلك من بعدهم) أى من التابعين وغيرهم (أمروا) أى تبعا لهم (ان يسلموا على النبى صلى الله عليه وسلم عند حضورهم قبره) أى خصوصا (وعند ذكره) أى عموما (وفى معنى السلام عليه ثلاثة وجوه أحدها السلامة لك) أى حاصلة لك أو السلامة الكاملة من الآفات الشاملة خاصة لك (ومعك) أى مصحوبة معك لا تنفك عنك فى جميع أحوالك (ويكون السلام مصدرا) أى كالسلامة (كاللذاذ واللذاذة) فانهما مصدران من لذ يلذ الا انهما من الثلاثى المجرد والاولان من المزيد

نسخة تكرمة بتاء بدل الميم وراء مكسورة وهما مصدران وظاهره ان معنى الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم غير الرحمة وانما هى فى حقه بمعنى التشريف والتعظيم اللائق به وقد علمت ما فيه وانه ورد الدعاء له بالرحمة ولكن استحبوا الدعاء له بلفظ الصلاة تأدبا وفرقا بينه وبين غيره (وقال أبو العالية صلاة الله عليه) صلى الله تعالى عليه وسلم (ثناؤه عليه) بمدحه وبيان منزلته عنده (عند الملائكة) أى بحيث يطلعون على ذلك (وصلاة الملائكة الدعاء له) كما مر (قال القاضى أبو الفضل) عياض مصنف هذا الكتاب (وقد فرق النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث تعليم الصلاة عليه بين لفظ الصلاة ولفظ البركة فدل) تفريقه بينهما بعطف أحدهما على الآخر على (انهما بمعنيين) متغايرين وحديث تعليمهم الصلاة سيأتى بيانه وبيان طرقه ومراده ان بعضهم فسر الصلاة بالبركة وهذا الحديث يدل على خلافه وكونه عطف تفسير خلاف الظاهر والفرق بينهما ان الصلاة كما تقدم معناه الرحمة والبركة كما قال الراغب أصلها من البرك وهو صدر البعير ومنه برك البعير اذا ألقى بركه واعتبر فيها معنى اللزوم ولذا سمى مجلس الماء بركة فالبركة ثبوت الخير الالهى فى الشئ والمبارك ما فيه ذلك الشئ ولما كان الخير الالهى يصدر من حيث لا يحس وعلى وجه لا يحصر قيل لكل ما يشاهد منه زيادة غير محسوسة مباركة وفيه بركة وكل ما ذكر فيه مبارك تنبيه على اختصاصه تعالى بالخيرات المذكورة معه فمعنى صل وبارك على محمد ارحمه وأدم خيراتك التى لا تحصى عليه ثم ان اطلاق الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى غيره فهى على أنبيائه ثناء وتعظيم وعلى غيرهم رحمة من رحمته التى وسعت كل شئ وقال الغزالى لفظ الصلاة مشترك فى الاعتناء بالمصلى عليه ثم لما فسر الصلاة وذكر الاقوال فيها ذكر تفسير السلام الذى هو قرينها فقال (وأما التسليم الذى أمر الله تعالى به عباده) فى قوله وسلموا تسليما (فقال القاضى أبو بكر بن بكير) بالتصغير وهو أبو بكر محمد بن أحمد بن عبد الله بن بكير التميمى المالكى البغدادى الفقيه الثقة صاحب التآليف الجليلة التى منها أحكام القرآن وهو عراقى من أقران ابن الجهم وقيل اسمه أحمد بن محمد بن بكير وقيل محمد بن بكير لا غير فبكير أبوه أو جده (نزلت هذه الآية) يعنى قوله ان الله وملائكته يصلون الخ (على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فأمر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أصحابه ان يسلموا عليه) امتثالا لامر الله لهم (وكذلك من بعدهم أمروا ان يسلموا على النبى صلى الله عليه وسلم عند حضورهم قبره وعند ذكره) فى سائر مجالسهم كما سيأتى بيانه وهذا مبنى على ان الامر العام النازل عليه صلى الله عليه وسلم هل يختص بالموجودين أو يعمهم ومن بعدهم وهو خطاب المشافهة والكلام عليه مبسوط فى كتب الاصول وعلى الاول اذا قام دليل أو قياس جلى على شموله لمن بعدهم يعمل به وما نحن فيه من هذا القبيل (وفى معنى السلام عليه) صلى الله عليه وسلم (ثلاثة أوجه) وفى نسخة ثلاثة وجوه باستعمال جمع القلة للكثرة وهو جائز شائع فى كلامهم (أحدها) انه بمعنى (السلامة) من النقائص والآفات ثابتة (لك ومعك) أى مصاحبة وملازمة لك (ويكون) على هذا التفسير (السلام مصدرا) بمعنى السلامة (كاللذاذ واللذاذة) بمعنى التلذذ باللذة فمعناهما واحد بتاء ودونها ومثله كثير كالملام والملامة والمقال

(والثانى) أى من الوجوه (أى السلام) أى اسمه (على حفظك) أى محافظتك من موجبات قصورك (ورعايتك) أى مراعاة جميع أمورك (متول له) أى متصرف لما ذكر من حفظك ورعايتك أو متول عونه ونصره له (وكفيل به) أى ضمين بقيامه ومتكفل بنظام مرامه (ويكون لها) أى فى الوجه الوجه الثانى (السلام اسم الله) أى مصدر وصف به مبالغة ومعناه ذو السلامة من كل نقص وآفة (الثالث ان السلام بمعنى المسالمة له) أى المصالحة والموافقة (والانقياد) أى بالاذعان وترك المخالفة (كما قال تعالى فلا) أى فليس الامر كما زعموا (وربك) وقيل التقدير فوربك بشهادة فوربك للنسق ثلاثهم زيدت فيه لا للتأكيد القسم لا لتظاهر لا فى (لا يؤمنون) جواب القسم لان استواء النفى والاثبات فى زيادتها للتأكيد كما فى فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون يأبى ذلك (حتى

يحكموك) أى يجعلوك حاكما (فيما شجر بينهم) أى فيما وقع لهم من التنازع والاختلاف (ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا) أى ضيقا شرعا لا طبعا أو شكا (مما قضيت) أى حكمت به (ويسلموا) أى وينقادوا لما حكمت به (تسليما) مصدر مؤكد لفعله بمنزلة تكريره أى وينقادوا انقيادا ظاهرا وباطنا لا ريبة فيه

(فصل) (اعلم ان الصلاة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فرض) أى واجب مقطوع به (فى الجملة) وفى نسخة على الجملة أى اجمالا (غير محدد) وفى نسخة غير محدود أى غير مؤقت ومقدر (بوقت) أى بزمان معين (لامر الله بالصلاة عليه) والاصل فى الامر الوجوب كما عليه الجمهور. (وحمل الائمة)

والمقالة ولما فى السلام من الثناء عدى بعلى لا لانه بمعنى القضاء والمعنى قضى الله عليك السلام كما قيل لان القضاء كالدعاء لا يتعدى بعلى للنفع ولا لتضمنه معنى الولاية والاستيلاء لانه وجه آخر ذكره بقوله (الثانى أى السلام مداوم على حفظك ورعايتك) أى اكرامك وعنايته بك ومراقبتك (ومتول له) أى قائم به بحيث لا يكل أمرك لغيره (وكفيل به) أى متكفل ملتزم له (ويكون هنا) أى فى هذا الوجه (السلام اسم الله تعالى) ومعناه ذو السلامة وليس فى أسماء الله مصدر غيره (الثالث) من الاوجه (ان السلام بمعنى المسالمة له والانقياد) عطف تفسير فالمسالمة التسليم وعدم المخالفة كما قال الله تعالى (فلا وربك) قسم جوابه (لا يؤمنون) أى لا يظهر ايمانهم ولا يكمل (حتى يحكموك) أى يفوضون الحكم اليك (فيما شجر بينهم) أى وقع بينهم من المنازعات والدعاوى (ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا) أى ضيقا لعدم رضاهم (مما قضيت) حكمت به عليهم (ويسلموا تسليما) أى يذعنون وينقادون لامرك منشرحة صدورهم لقبوله قال الراغب السلام والسلامة التعرى من الآفات الظاهرة والباطنة والسلام من أسمائه لسلامته وتنزهه عما لا يليق به انتهى وقال الخطاب صيغته خبر معناها الدعاء والطلب ومثله يحتاج للنية الا اذا شاع فيه عرفا فانه لا يحتاج حينئذ للنية انتهى ومعناه من الله فى صلى الله عليه وسلم على محمد ونحوه فانه لا يتصور فى حقه الطلب من غيره اذ هو والمطلوب منه انه يريد من نفسه له الخير والسلامة والعزة حتى ينقاد الناس كلهم له فبين الطالب والمطلوب تغاير اعتبارى ومثله يكفى فى هذا المقام وقد أفرد السلام بتأليف نفيس السيد السمهودى وقفت عليه وفيه أمور يضيق المقام عنها وفى الشرح الجديد هنا كلام غير محرر رأينا ترك التعرض له أولى وفى الاذكار للنووى انه يكره افراد الصلاة عن السلام فى حقه صلى الله تعالى عليه وسلم ويأتى فيه كلام وهذه الآية الاخيرة نزلت فى حق من خاصم الزبير فى سقاية الماء وسيأتى الكلام عليه ان شاء الله تعالى

*(فصل اعلم ان الصلاة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فرض فى الجملة) أى اجمالا من غير تعيين زمان أو محل (غير محدد) بحاء ودال مشددة مهملتين أى غير معين وأصله ماله حدود فاستعمل فى لازم معناه (بوقت) من الاوقات المعلومة واستدل على مطلق الوجوب بقوله (لامر الله) وأصل الامر الوجوب (بالصلاة عليه) بقوله صلوا عليه وسلموا تسليما (وحمل الائمة) من السلف (والعلماء) من أهل التفسير (له على الوجوب) اى على انه أمر ايجاب لا ندب أى فسروه بان المراد منه ذلك يقال حملت كلامه على كذا اذا فسرته به (وأجمعوا عليه) أى على انه للوجوب من غير تعيين محل أو زمان والآية تدل على ذلك عند الجمهور ولانه الاصل فى الامر وحقيقته عند الاكثر وتقريره فى كتب الاصول ومستند الاجماع هذه الآية وما عضده من الاحاديث لا الآية فقط حتى يقال انه ينافيه ما حكاه عقبه من قوله (وحكى أبو جعفر الطبرى) هو الامام محمد بن جرير وقد تقدم بيانه (ان يحمل الآية) أى المراد منها وما فيها من الامر (عنده) أى عند

يحتمل ان يكون مصدرا أو ماضيا كما فى نسختين صحيحتين والمراد أئمة المجتهدين (والعلماء) أى من المفسرين والمحدثين (له) أى لامر الله (على الوجوب) بمعنى الفرض (وأجمعوا عليه) أى على الوجوب والمراد باجماعهم اتفاق أكثرهم لقوله (وحكى أبو جعفر) أى محمد بن جرير الشافعى (الطبرى ان محمل الآية) بفتح الميم الاولى وكسر الثانية أى الآية محمولة باعتبار أمرها (عنده

(على الندب وادعى فيه الاجماع) أى على الندب (ولعله أى الاجماع المذكور فيمازاد على مرة) أى لئلا يخالف الاجماع المذكور (والواجب منـه) مبتدأ وهو اسم فاعل مشتق فلامه اسم موصول صلته (الذى يسقط به الجرح) بفتح الجيم وسكون الراء أى الطعن والقدح (ومأثم ترك الفرض) أى و يسقط به الاثم المترتب على تركه (مرة) خبر المبتدأ المقدم لانها أقل ماتوجد فيها الماهية المطلوبة فيحمل عليها (كالشهادة له بالنبوة) أى المقرونة بالرسالة لوجوبها مرة اجماعا (وما عداذلك) أى وأما مازاد على مرة فيها (فمندوب) أى مستحب ومطلوب (مرغب فيه) أى مرغوب (من سنن الاسلام وشعار أهله) أى علامتهم فى أحكام الاحكام (قال القاضى أبو الحسن بن القصار) من المالكية (المشهور عن أصحابنا) أى علمائنا (ان ذلك) أى ماذكر من ان الصلاة (واجب فى الجملة) أى فرض غير مؤقت بوقت معين (على الانسان وفرض عليه) أى على كل فرد من افراد الانسان من المؤمنين (ان يأتى به) أى بهذا الفرض وفى نسخة بها أى بالصلاة (مرة من دهره) اذبه يخرج من عهدة أمره (مع القدرة على ذلك) أى على الاتيان بها اذهى شرط له ولهذا تسقط عن الابكم (وقال القاضى أبو بكر بن بكير) بضم موحدة وفتح كاف أحد المالكية (افترض الله على خلقه) أى من المؤمنين (أن يصلوا على نبيه) أى تعظيما وتكريما (ويسلموا تسليما ولم يجعل ذلك) أى الافتراض (لوقت معلوم) أى فى وقت معين وزمان مبين (فالواجب) أى مروءة أواحتياطا أوالمراد به الوجوب الذى دون الفرض (ان يكثر المرء منها) أى من الصلاة (ولا يغفل) بضم الفاء أى لايذهل

أبى جعفر (على الندب) وفيه تقدير أى تبعا لغيره والافلامعنى لحكايته ماعنده ويدل على المقدر قوله (وادعى فيه) أى فى ان الامر فيها للندب (الاجماع) وفى قوله ادعى اشارة الى ان ماقاله ممنوع عنده لثبوت خلافه عنده ثم وفق بينه وبين ماذكره قبله فقال (ولعله) أى ماادعاه (فيمازاد على مرة) واحدة فى العمر فانه لاخلاف فى عدم وجوبه على كل أحد (والواجب منـه) مبتدأ خبره مرة الآتى (الذى يسقط به الحرج) أى التضييق على الناس لو وجب دائما أو كماذكروا الاثم فان الحرج ورد بهذين المعنيين كما صرحوا به (ومأثم ترك الفرض) أى يسقط به الاثم عمن تركه اذا كان فرضا والمأثم بالمثلثة مصدر ميمى بمعنى الاثم مضاف لترك المضاف للفرض بمعنى الواجب (مرة) مرفوع على الخبرية (كالشهادة له بالنبوة) والرسالة فانها واجبة فى العمر مرة فاذا سقط الوجوب بمرة يتحقق فى ضمنها ماهية المأمور به فالصلاة بالطريق الاولى وهو أحد المذاهب والصلاة كما يأتى بيانه (وماعداذلك) أى المرة الواحدة فى الصلاة والشهادة (فمندوب من مرغب فيه) بكثرة ثوابه وفوائده (من سنن الاسلام وشعائر أهله) أى دأبهم الذى هو علامة لهم وهو لغة بمعنى العلامة وله معان أخر وهو جواب عما اعترض به على ابن جرير مما خالف الاجماع الذى حكاه المصنف رحمه الله وليس مذهب مالك كما نقله بعض الشراح وما نقله المصنف صرح به ابن عبد البر من غير عزوله لمذهب وهو ظاهر (وقال القاضى أبو الحسن بن القصار) بقاف وصاد مشددة وراء مهملتين وهو على بن عمر بن أحمد الفقيه الثقة له كتاب فى الخلاف كثير الفوائد لم يصنف فى بابه أحسن منه وفى بعض النسخ الصفار بصاد مهملة بعدها فاء مشددة وألف وراء قال التلمسانى والاول هو المعتمد وهو عن أئمة المالكية منسوب لصنعة قصار الثياب وهى تبييضها والثانى لبيع الصفر وهو النحاس (المشهور عن أصحابنا) يعنى المالكية (ان ذلك) أى الصلاة على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (واجب فى الجملة) أى اجمالا ومطلقا من غير تعيين وقت له (على الانسان وفرض عليه) اشارة الى ان الواجب والفرض عنده بمعنى كالشافعية خلافا للحنفية (ان يأتى به مرة من دهره) أى فى مدة عمره لخروجه بذلك عن عهدته (مع القدرة على ذلك) أى شرط فى وجوبه مرة فى عمره ان يقدر على التكلم به فلو عجز عنه لمانع منعه من التلفظ به سقط عنده كسائر الواجبات كمن اخترمته المنية وقوله لاينافى ماتقدم من الاجماع لانه لامفهوم له وقصده انه مع الاجماع مما اشتهر بين الائمة أيضا أوهو اشارة لما نقله عن الطبرى وان كان عنده لاينافى الاجماع لكونه واهيا أومؤولا كما تقدم ولم يتعرضوا لحكم السلام عنده وما نقله عن الحطاب من متأخرى المالكية عن الرصاع ان الذى يظهر ان السلام عليه صلى الله تعالى عليه وسلم واجب مرة مثل الصلاة عليه والزائد مستحب لقول ابن عباس رضى الله عنهما فريضة من الله علينا أن نصلى على نبينا ونسلم تسليما وما نقل عن مشايخ المغاربة من التوقف فى وجوبه لا أصل له والحق ان حكمه حكم الصلاة انتهى (وقال القاضى أبو بكر بن بكير) وتقدمت ترجمته (افترض الله تعالى عز وجل) افترض وفرض بمعنى وفيه زيادة تأكيد لزيادة بنيته (على خلقه) جميعا (أن يصلوا على نبيه ويسلموا تسليما) كما مر نقله عن ابن عباس من فرض الصلاة والسلام وينبغى ذكره مع مصدره المؤكد امتثالا للمأمور (ولم يجعل ذلك) الافتراض (لوقت معلوم) واللام فيه للتوقيت والظرفية كما يقال كتبته لستة عشر مثلا (فالواجب) على الخلق (أن يكثر المرء) أى الرجل والمراد به الانسان ولو امرأة تغليبا (منها) أى من الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم (ولا يغفل)

(عنها) والمعنى انه تعالى لم يوقت ذلك ليشمل سائر الاوقات هنالك كما قيل فى الذكر انه سبحانه وتعالى قال اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا فجعل لكل عبادة وقتا معينا الاذكره عز وجل فانه لم يجعل له زمانا مبينا سواء يكون ذكرا لسانيا أو جنانيا وكذلك الصلاة عليه غير مؤقتة حيث قرن ذكره بذكره البتة (قال القاضى أبو محمد بن نصر الصلاة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم واجبة فى الجملة) هذا قول مجمل وفى بيان تفصيله (قال القاضى أبو عبد الله محمد بن سعيد ذهب مالك وأصحابه وغيرهم من أهل العلم) أى من الامة المجتهدين (الى) وفى نسخة بدونها (ان الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم فرض بالجملة بعقد الايمان) أى بقيد الايمان المذكور فى القرآن فلا تجب على أهل الكفر والكفران (لا تتعين فى الصلاة) بمعنى انها لا تجب فيها ولا انها لا تصح الا بها كما قال الشافعى (وان) أى وذهبوا الى ان (من صلى عليه مرة واحدة من عمره سقط الفرض عنه وقال أصحاب الشافعى) أى تبعا له (الفرض منها) أى من الصلاة (الذى أمر الله) أى فى قديم كلامه (به) أى باتيانه (ورسوله) أى وأمر به رسوله (عليه السلام) أى فى حديثه (هو فى الصلاة) أى منحصر فيها وهو عقب تشهدها قبل سلام تحللها واستدلوا بحديث أبو مسعود البدرى فى صحيحى ابن حبان والحاكم أما السلام عليك يا رسول الله فقد عرفناه أى علمناه من تشهد الصلاة وهو

(عنها) أى يتركها ويشتغل عنها بغيرها وفى كلامه شئ لانه بصدد بيان وجوبها مرة وكونه يكثر منها ولا يغفل عنها مناف لما اقتضائه مرات كثيرة فان أراد انه ان فعلها فى وقت ما يكررها مرارا فى ذلك الوقت فايجاب مثله غير ظاهر مما نقله قبله فان كان قولا آخر فسياقه لا يساعده وأما الاعتراض عليه بانه أمر مطلق لا تعرض فيه لعدم تعين وتناهيه لا معنى له وفى بعض الشروح انه قول ثالث انه يجب الاكثار منها مطلقا من غير تعيين مقدار ووقت وهو كلام حسن (وقال القاضى أبو محمد بن نصر المالكى) وهو القاضى عبد الوهاب بن نصر بن أحمد بن حسين وقيل ابن الحسن بن أحمد بن هارون بن مالك أدركه الشيرازى وسمع منه فى النظر وكان فقيها شاعرا أديبا له شعر كثير وكتب كثيرة فى كل فن وارتحل فى آخر عمره لمصر فحصلت له ثروة وتوفى فى سنة احدى وعشرين وأربعمائة (الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم واجبة فى الجملة) أى من غير تعيين مقدار ولا زمان ولا غيره (قال القاضى أبو عبد الله محمد بن سعيد) قيل هو محمد بن سعيد بن بشر بن شرحبيل الفقيه كتب فى حداثته للقاضى مصعب بن عمران ثم رحل الى المشرق فلقى مالكا رضى الله تعالى عنه فقرأ عليه ثم انصرف للاندلس والتزم ضيعة بباجة الى ان توفى سنة ثمان وتسعين ومائة كما قاله القاضى فى المدارك (ذهب مالك وأصحابه وغيرهم وأهل العلم الى ان الصلاة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فرض بالجملة) أى اجمالا من غير تعيين مقدار ووقت (بعقد الايمان) أصل معنى العقد ربط اطراف الشئ كعقد الحبل وعقد الايمان والايمان بفتح الهمزة وكسرها بمعنى تصميمها واعتقادها يقينا فقوله بعقد الايمان وهو بكسر الهمزة والباء سببية أو بمعنى بعد أى هى أول ما يفرض بعد الايمان بالله ورسوله (لا يتعين فى الصلاة) أى ليس وجوبا مخصوصا ومؤقتا بها (وان من صلى عليه مرة واحدة من عمره) ومدة حياته الى موته (سقط الفرض عنه) لخروجه عن عهدته قيل حاصل ما ذكره المصنف رحمه الله تعالى عنه غير ما نقله عن الطبرى ولم يرتضه قولان الاول انها فرض فى الجملة تسقط بمرة الثانى انه يجب الاكثار منها من غير تعيين وقد تقدم ما فيه والفرق بين القول بانها تجب فى الجملة مطلقا انما زاد على المرة فى القول الاول يقع نفلا وعلى الثانى يقع الكل فرضا ويثاب عليه ثواب الفرض قيل وهو التحقيق ونظيره ما قاله الشافعى رحمه الله فى مسح الرأس انه يجب مسحها مطلقا فلو مسح شعرة حصل الفرض ولو مسح الجميع وقع فرضا وبقى أقوال غير ما ذكره المصنف منها انها تجب فى كل مجلس مرة فى جلسته وهل هى فرض كفاية على أهل المجلس فلو صلى واحد كفى على الجميع أو فرض عين ومنها انها تجب كلما ذكر أو سمع ونقلا عن الطحاوى وبعض الحنفية والشافعية للحديث الآتى رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل على وقيل انه مبنى على ان الامر يفيد التكرار وهو ضعيف وقيل عليه انه يلزمه شغل المرء عن غيرها من العبادة وانه يقتضى وجوب ذلك على المصلى وقارئ القرآن والمتشهد ويلزمه التسلسل وفيه مشقة على الناس ولم ينقل مثله عن أحد من الصحابة والتابعين ولو كان كذلك وجب الثناء على الله كلما ذكر بالطريق الاولى ولم يقله أحد وأجيب بانه منقول عن الائمة الاجلة وانه مخصوص بما لم يكن فى الصلاة ونحوها ولحرج فيه غير مسلم وانا نلتزم وجوب الثناء على الله أيضا أو نقول بالفرق بينهما بانه تعالى غنى مطلق وعظمته غير متوقفة على ذكرها وان هذا حق العبد وذاك حق الله وهو مبنى على المسامحة دون المشاحة والقول بانه حق الله أيضا الامر به ناشئ من عدم فهم المراد بحق الله (وقال أصحاب الشافعى الفرض منها الذى أمر الله به) فى الآية المذكورة أولا (و) أمر به (رسوله عليه الصلاة والسلام) كما سيأتى بيانه (هو فى الصلاة) أى هو عقب التشهد قبل التحلل وسيأتى تفصيله وذكر الاحاديث التى استدل بها الشافعى وأصحابه كما

(السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته) فكيف نصلي عليك اذا نحن صلينا عليك في صلاتنا قال قولوا اللهم صل على محمد الى آخره زاد ابن ماجه وغيره والسلام على كما قد علمتم وفيه انه لا دلالة على فرضيتها على وجه خصوصيتها وبحديث ابن مسعود فيما رواه ابن أبي شيبة وسعيد بن منصور والحاكم بسند صحيح يتشهد الرجل في الصلاة ثم يصلي على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ثم يدعوا لنفسه بعد وفيه ان هذا اخبار عن أقوال تقال في الصلاة ولا دلالة على وجوب الصلاة بشهادة كون الدعاء مستحبا اجماعا وبحديث ابن عمر فيما رواه العميري بسند جيد لا تكون صلاة الا بقراءة وتشهد وصلاة على في الصلاة اللهم صل على محمد وآل محمد الخ وفيه انه يحتمل ان المراد لا تكون صلاة كاملة ومع وجود الاحتمال يمتنع الاستدلال وقال الشافعي قد ورد انه صلى الله تعالى عليه وسلم علمهم تشهد الصلاة وورد انه علمهم كيف يصلون عليه فيها فلم يجز أن نقول بوجوب التشهد فيها دون وجوب الصلاة عليه انتهى ولا يخفى انه يجوز أن يقع الامران ويكون أحدهما للوجوب والآخر للندب على ان لفظ الحديث الصلاة المشتملة عليه وعلى آله والشافعي لم يقل بوجوب الجمع بينهما مع انه عليه الصلاة والسلام أمرهم بالدعاء فيها أيضا وهو مندوب أيضا قال الدلجي وزعم القرافي في ذخيرته انه يستدل على وجوب الصلاة عليه عليه السلام فيه بالاجماع ولم يصب في زعمه اذ لا اجماع على وجوبها فيه أقوال ولعله أراد ان الاجماع على وجوب الصلاة في الجملة وتعين الوقت فيه بالسنة وهذا معنى صرح به في الام وقول القرافي في الذخيرة انه استدل بالاجماع مردود بانه صرح بخلافه ولا اجماع على وجوبها (وقالوا) أى أصحاب الشافعي (واما في غيرها) أى غير الصلاة وهو خارجها (فلا خلاف) في (انها غير واجبة) المراد انه لا خلاف عند الشافعي وأصحابه والا فقد تقدم القول بوجوبها وتقدير الا مرة واحدة كما مر لا يجدي نفعا الا ان نفي الخلاف بناء على المشهورة عندهم وفي الشرح الجديد ما نقله المصنف عن الشافعية غير صحيح فان المفتى به عندهم ان الصلاة واجبة في الخطبة الاولى والثانية للجمعة لانه لم ينقل عن الخلفاء الراشدين تركها فيهما ووافقه أحمد وهما اماما السنة وقال الشافعي أيضا بوجوبها في صلاة الجنازة بعد التكبيرة الثانية كما سيأتي ووافقه أحمد واتباعه أيضا ورووا فيه أحاديث صححوها (وأما في الصلاة) أى حكمها فيها (فحكى الامامان أبو جعفر) يعني محمد بن جرير وقد تقدمت ترجمته (الطبري والطحاوي) أحمد بن محمد بن سلامة كما تقدم بيانه وهما ممن قال بعدم وجوبها في الصلاة (وغيرهما) من الائمة (اجماع) جميع (المتقدمين والمتأخرين من علماء الامة على ان الصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في التشهد) الاول والاخير منها (غير واجبة وشذ الشافعي) أى أتى بقول شاذ انفرد به عن جميع أئمة الدين ولم يقل به أحد قبله ولم يوافقه عليه أحد (في ذلك) أى بقوله بوجوبها في تشهد الصلاة الأخير (فقال من لم يصل على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من بعد التشهد الاخير قبل السلام فصلاته فاسدة) لانها ركن من أركان الصلاة فتفسد بتركها في التشهد الاخير فقط

قوله (وقالوا) أى أصحاب الشافعي رحمهم الله تعالى (واما في غيرها) أى غير الصلاة (فلا خلاف في أنها غير واجبة) أى فيتعين كونها في الصلاة واجبة اذ لا بد من وجوبها مرة كما مر فقول الدلجي الا مرة واحدة كما مر غير مستقيم فتدبر (واما في الصلاة فحكى الامامان أبو جعفر) وفي نسخة أبو جعفر بلفظ التثنية فانه كنية لهما (الطبري) وهو محمد ابن جرير من أكابر الشافعية (والطحاوي) وهو محمد بن أحمد بن سلام من أكابر الحنفية (اجماع المتقدمين) أى من الصحابة والتابعين (والمتأخرين) أى من علماء الامة المجتهدين (على ان الصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في التشهد غير واجبة) وعارضهما الدلجي بنقل النووي في شرح المذهب ومسلم وابن كثير وابن قيم الجوزية وكثيرين نقلوا وجوبها عليه فيه عن أئمة من الصحابة كعمر وابنه عبد الله وابن مسعود وأبي مسعود البدري وجابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهم ومن التابعين محمد بن كعب القرظي والشعبي والباقر ومقاتل رحمهم الله تعالى ومن غيرهم أحمد بن حنبل كما قال أبو زرعة الدمشقي الآخر عملا حتى ان بعضهم أوجب أن يقال فيه صلى الله تعالى عليه وسلم قال وقد ألزم من قال من الحنفية بوجوبها فيه لتقدم ذكره فيه وفيه أن لهم أن يلتزموه لذكره لا لصحتها والظاهر ان الصحابة المذكورين وغيرهم لم ينصوا بوجوبها اذ هذا اصطلاح حادث وانما كانوا يقولون بوقوعها من غير أن يتعرضوا لكونه واجبا أو مندوبا اللهم الا ان صرحوا بعدم صحة الصلاة بدونها أو بصحتها من غير وجودها فحينئذ يعرف الاجماع بثبوتها أو نفيها ولهذا قال ابن حجر العسقلاني لم أر من الصحابة أحد صرح بعدم الوجوب الا ما نقل عن النخعي وبهذا الاعتبار قال المصنف (وشذ الشافعي) أى انفرد هو ومن تبعه (في ذلك) أى القول بوجوبها وعدم صحة الصلاة بدونها (فقال) أى الشافعي (من لم يصل على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من بعد التشهد الاخير) وفي نسخة الآخر وهو وأشهد أن محمدا رسول الله (قبل السلام) أى سلام التحليل (فصلاته فاسدة) أى لانها ركن عنده تفسد بتركه

(وان صلى عليه) صلى الله تعالى عليه وسلم (قبل ذلك) أى قبل التشهد الاخير وقوله فيه أشهد ان محمدا رسول الله (لم تجزه) صلاته أى لم تصح ولم يسقط عنه الفرض فتجب عليه اعادة صلاته (ولا سلف له فى هذا القول) بوجوبها فى التشهد الاخير أى لم يقل به أحد من السلف (ولا سنة يتبعها) أى لم يثبت فى السنة والاحاديث النبويه ما يكون دليلا على ما قاله الامام الشافعى (وقد بالغ فى انكار هذه المسئلة عليه لمخالفته فيها من تقدمه) من الائمة والسلف (جماعة وشنعوا عليه الخلاف فيها) مفعول شنعوا بمعنى قبحوا أى عدوا ما قاله أمرا قبيحا وقولا مبتدعا منه (منهم) محمد بن جرير (الطبرى و) الامام (القشيرى) قيل المراد به أبو ناصر بن صاحب الرسالة أو أبو بكر بن العلاء القشيرى المالكى واما الامام القشيرى صاحب الرسالة فهو شافعى لم ينكر عليه شيئا مما ذكر (وغير واحد) أى ناس كثيرون من الفقهاء والعلماء (وقال أبو بكر بن المنذر) بصيغة اسم الفاعل وهو الامام الاوحد أبو بكر محمد بن ابراهيم النيسابورى الثقة الحجة امام عصره وشيخ الحرم توفى بمكة سنة تسع أو عشرة وثلاثمائة (يستحب ان لا يصلى أحد صلاة) ما فرضا كانت أو نفلا أو جنازة (الا صلى فيها على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) بعد التشهد وبعد التكبيرة الثانية (فان ترك ذلك تارك) أى واحد كان فى أى صلاة كانت (فصلاته مجزئة) أى صحيحة وان كان الافضل عدم الترك (فى مذهب مالك وأهل المدينة) أى علمائها وهو من عطف العام على الخاص (وسفيان الثورى) صرح به لانه مجتهد صاحب مذهب (وأهل الكوفة) أى علمائها (من أصحاب الرأى) المراد بالرأى القياس فى عرف الفقهاء والمالكية والشافعية يريدون بهذه العبارة اتباع أبى حنيفة ويقابلهم أهل الحديث لاقتصارهم فى العمل عليه (وغيرهم) من العلماء (وهو قول جل اهل العلم) الجل بضم الجيم المعظم والاكثر من كل شئ (وحكى عن مالك وسفيان) الثورى (انها فى التشهد الاخير مستحبة) لا واجبة وخص الاخير لانه محل الخلاف (وان تاركها فى التشهد) الاخير (مسىء) غير محسن لارتكابه أمرا مكروها قصده (وشذ الشافعى) أى انفرد بهذه المقالة المخالفة عن غيره من الائمة (فاوجب على تاركها فى الصلاة الاعادة) لتركه ركنا به يتم سواء تركها عمدا أو سهوا (وأوجب اسحق) بن ابراهيم بن مخلد وهو الامام الجليل أبو يعقوب بن راهويه

(وان صلى عليه قبل ذلك) أى قبل أشهد أن محمدا رسول الله على ما قاله الدلجى أو قبل ذلك التشهد بان يقول بعد التشهد الاول (لم تجزه) كان حقه أن يقول لم تجزئه كما فى نسخة صحيحة لانه مهموز من أجزأه يجزئه اذا كفاه (ولا سلف) أى لا سابقة قدم (له) أى للشافعى والمعنى ان أحدا من السلف ما وافقه (فى هذا القول) أى من الصحابة والتابعين وسائر المجتهدين (ولا سنة يتبعها) بتشديد التاء وتخفيفها أى من الاحاديث الدالة على وجوبها فيه ومن أعجب العجائب قول الدلجى وان تعجب فعجب قوله بعدم وجوبها عليه فيه منكرا على رأس المجتهدين الشافعى الى آخر ما ذكره فان الشافعى لم يكن رأس المجتهدين أصلا بل رأسهم وأساسهم أبو حنيفة ومالك وامثالهما قطعا فيما يتعلق بالاجتهاد فصلا فصلا فلهما على غيرهما فى الفقه والحديث فضل واما قوله من أن موضوع هذا الكتاب يقتضى وجوب الصلاة عليه عليه السلام فامر خارج عن تحقيق المرام ثم قوله ان هذا من ورطة العصبية فالمصنف منزه عن حمية الجاهلية ثم أغرب فى قوله لم أقل ذلك غمصا لمن شذ عما هدى امام الامة اليه من طيب القول بل امتثالا لقول عمر اذا رأيتم من يخرق أعراض الناس لا تقربوا عليه قالوا نخاف لسانه فقال ذلك أحرى أن لا تكونوا شهداء (وقد بالغ فى انكار هذه المسئلة عليه) أى على الشافعى (لمخالفته فيها من تقدمه) أى من السلف ممن لم يقل بوجوبها عليه (جماعة) أى من علماء الخلف (وشنعوا) بتشديد النون أى طعنوا (عليه الخلاف فيها) أى فى هذه المسئلة (منهم الطبرى) وهو محمد بن جرير من الشافعية (والقشيرى) أى صاحب الرسالة منهم أبو بكر بن العلاء المالكى (وغير واحد) أى وكثيرون من غيرهم (وقال أبو بكر بن المنذر) هو الامام الاوحد محمد بن ابراهيم بن المنذر النيسابورى شيخ الحرم توفى بمكة سنة تسع أو عشر وثلثمائة عالم (يستحب أن لا يصلى أحد صلاة) أى فرضا أو نافلة (الا صلى فيها على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أى عقب التشهد الذى بعده التحليل (فان ترك ذلك) أى الاستحباب (فصلاته مجزئة) أى كافية له (فى مذهب مالك وأهل المدينة) أى من علمائها السبعة (وسفيان الثورى وأهل الكوفة من أصحاب الرأى) أى أهل الرأى الثاقب الذى هو من أعلى المناقب وقد سماهم أئمة الحديث به لاخذهم فيما أشكل من الحديث أو فيما لم يرد به حديث بارائهم (وهو قول جل أهل العلم) بضم الجيم وتشديد اللام وفى نسخة جمل بضم جيم وفتح ميم وتخفيف لام أى أكثرهم وجمهورهم (وحكى عن مالك وسفيان) أى الثورى (انها فى التشهد الاخير مستحبة وان تاركها فى التشهد) أى الاخير (مسىء) أى ملام بترك السنة (وشذ الشافعى فاوجب على تاركها) أى عمدا أو سهوا (فى الصلاة) فرضا أو نفلا (الاعادة) لانها عنده ركن من أركانها الثلاثة عشر التى لا تتم الصلاة الا بها ولا تجبر بسجود السهو (وأوجب اسحق) أى ابن ابراهيم بن راهويه المروزى عالم خراسان روى عنه الجماعة خلا ابن ماجه ثقة حجة توفى سنة ثمان وثلاثين ومائتين

(الاعادة مع تعمد تركها دون النسيان) ووافقه الخرقي من الحنابلة (وحكى أبو محمد ابن أبي زيد عن محمد بن المواز) بفتح الميم وتشديد الواو (ان الصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فريضة) أي في مذهب المالكية وهذا يحتمل أن يريد مرة أو كلما ذكر أو في تشهد الصلاة (قال أبو محمد) هو ابن أبي زيد (يريد) يعني ابن المواز (ليست) أي الصلاة عليه (من فرائض الصلاة) أي من اركانها (وقاله) أي وكذا قاله (محمد بن عبد الحكم وغيره) ومحمد بن عبد الحكم هذا هو الفقيه أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الحكم المصري صاحب الشافعي يروي عن ابن وهب وطائفة وعنه النسائي وابن خزيمة والاصم وآخرون قال ابن خزيمة ما رأيت في الفقهاء أعرف بأقاويل الصحابة والتابعين منه مات سنة ثمان وستين ومائتين (وحكى ابن القصار) بفتح القاف وتشديد الصاد (وعبد الوهاب ان ابن المواز يراها أي يرى الصلاة (فريضة في الصلاة كقول الشافعي) وصححه ابن الحاجب في مختصره وابن العربي في سراج المريدين وقال عبد السلام المالكي وهو ظاهر كلام ابن المواز (وحكى أبو يعلى العبدي) بفتح مهملة وسكون موحدة (المالكي عن المذهب) أي مذهب مالك (فيها ثلاثة أقوال الوجوب) أي كما قال الشافعي واشياعه (والسنة) أي المؤكدة كما قال أبو حنيفة واتباعه (والندب) أي كما ذهب اليه مالك وبعضهم ولا فرق عند أكثر الشافعية بين السنة والندب وأما عند غيرهم فتغايرهما بان السنة ما واظب عليه صلى الله تعالى عليه وسلم والندب ما لم يواظب عليه وبه قال بعض الشافعية كالقاضي حسين (وقد خالف الخطابي من أصحاب الشافعي وغير) بالرفع أي وغيره الخطابي منهم الحافظ العراقي وأبو امامة ابن النقاش (الشافعي في هذه المسئلة) أي حيث لم يروا له حجة واضحة من الادلة (قال الخطابي وليست) أي الصلاة عليه (بواجبة في الصلاة وهو) اى عدم وجوبها (قول جماعة الفقهاء) أي من السلف والخلف (الا الشافعي) أي بالاصالة انما وافقه من وافقه من الخلف على سبيل التبعية (ولا أعلم له فيها) أي في المسئلة (قدرة) بضم القاف وكسرها ويحكى فتحها أي مقتدى من السلف (والدليل على انها ليست من فروض الصلاة) وفي نسخة من فرائض الصلاة (عمل السلف الصالح) أي اقتداه قبل (الشافعي) أي وجوده وظهوره (واجماعهم عليه) أي على ان ترك الصلاة عليه غير مفسد للصلاة (وقد شنع الناس) أي من المتأخرين (عليه) أي على الشافعي (هذه المسئلة) أي فيها (جدا) أي بطريق المبالغة أو مبالغين له في التخطئة (وهذا تشهد ابن مسعود) الذي هو أصح ألفاظ التشهد حيث رواه أصحاب الكتب الستة ولهذا اختاره بعض العلماء والمشايخ من الشافعية أيضا وقد ذكر ابن الملقن التشهدات الواردة عنه صلى الله تعالى عليه وسلم في تخريج أحاديث الرافعي

عالم خراسان ومحدثها توفي وسنه سبع وتسعون سنة في شعبان سنة ثمان وثلاثين ومائتين (الاعادة مع تعمد تركها دون النسيان وحكى) الشيخ (أبو محمد بن أبي زيد) هو صاحب الرسالة المشهورة وهو من أئمة المالكية (عن محمد بن المواز) بفتح الميم والواو المشددة وآخره زاي معجمة وهو الامام محمد بن ابراهيم ومن أجل الائمة في مذهب مالك وعليه المعول فيه وهو اسكندراني تفقه بابن الماجشون وابن عبد الحكم الآتي واعتمد على أصبغ وتوفي ببعض حصون الشام اختفى به وقد هرب في فتنة ووفاته سنة احدى وثمانين ومائتين (ان الصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فريضة) ولم يبين لوجوبها وقتا ولا غيره (قال أبو محمد) هو ابن أبي زيد المار ذكره قريبا في تفسير كلام ابن المواز (يريد ليست من فرائض الصلاة) بل انها فرض في الجملة كما تقدم وسياتي ما يخالفه (وقاله محمد بن عبد الحكم وغيره) هو أبو عبد الله محمد بن عبد الحكم المصري صاحب الامام الشافعي لم يكن في عصره أجل منه ولا أعرف بأقوال الصحابة والتابعين ولد سنة اثنين وثمانين ومائة وتوفي لليلة خلت من ذي القعدة سنة ثمان أو تسع وستين ومائتين وأخرج له النسائي (وحكى ابن القصار وعبد الوهاب) من أئمة المالكية (ان محمد بن المواز يراها فريضة في الصلاة كقول الشافعي) وقد نقل الاسنوي أيضا ان للشافعي قولا آخر غير ما اشتهر عنه انها سنة في الصلاة لا ركنا واجبا وقال ابن عبد السلام المالكي هو ظاهر كلام ابن المواز وصححه ابن الحاجب في مختصره الفرعي وابن العربي في سراج المريدين (وقد حكى أبو يعلى العبدي المالكي عن المذهب) أي مذهب الامام مالك رحمه الله (فيها) أي في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم (ثلاثة أقوال في الصلاة) الاول (الوجوب و) الثاني (السنة و) الثالث (الندب) جريا على اصطلاحهم في التفرد بين السنة والندب (وقد خالف) الامام (الخطابي من أصحاب الشافعي وغيره الشافعي في هذه المسألة قال الخطابي وليست بواجبة في الصلاة وهو قول جماعة الفقهاء الا الشافعي) فانه ذهب لوجوبها فيها (ولا أعلم له فيها قدرة) أي ما يقتدى به من الائمة والسلف وسيأتي رده هذا (والدليل على انها ليست من فروض الصلاة) كما قاله الشافعي (عمل السلف الصالح قبل الامام الشافعي) من الصحابة والتابعين وهذا الاوجه له كما سيأتي بيانه (واجماعهم عليه) سيأتي أيضا انه لا اجماع فيه (وقد شنع الناس عليه في هذه المسئلة جدا) أي قبحوه وأنكروه أي تشنيعا كثيرا اجتهدوا وجدوا فيه جدا ثم بين وجه الانكار بقوله (وهذا تشهد ابن مسعود) جعله لشهرته كمحسوس حاضر عنده يشير اليه

فبلغت ثلاثة عشر تشهدا ثم أجمعوا على جواز جميع ألفاظ التشهد الواردة وانما الخلاف في الاختيار فاختار أبو حنيفة تشهد ابن مسعود لكونه أصح سندا واختار الشافعي تشهد ابن عباس واختار مالك تشهد عمر الذي قرأه فوق منبر النبي صلى الله عليه وسلم وأما قوله (الذي اختاره الشافعي) فغير مشهور عنه بل الثابت عنه في كتب أصحابه ان الذي اختاره تشهد ابن عباس لزيادة المباركات فيه الموافقة لقوله تعالى تحية من عند الله مباركة طيبة (وهو) أي تشهد ابن مسعود (الذي علمه له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ليس فيه الصلاة عليه وكذلك) مثل تشهد ابن مسعود (كل من روى التشهد عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كأبي هريرة وابن عباس وجابر وابن عمر وأبي سعيد الخدري وأبي موسى الاشعري وعبد الله بن الزبير) أي وغيرهم لما سبق (لم يذكروا فيه صلاة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي ولو كانت الصلاة فرضا كالتشهد لما تركوا ذكرها وفيه بحث لا يخفى اذ كل واحد منهما فرض على حدة ولا يلزم من ذكر أحدهما ذكر الآخر لا سيما وقد اختلف مقام التعليم مع انه يمكن تأخير وجوب الصلاة بعد تقديم فرض التشهد (وقد قال ابن عباس) كما في مسلم (وجابر) كما رواه الحاكم والنسائي (كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يعلمنا التشهد كما يعلمنا السورة من القرآن) أي ولهذا خص بالوجوب بخلاف الصلاة عليه فانه ماورد فيها مثل هذا الاهتمام (ونحوه) أي ونحو ماذكر عنهما روى (عن أبي سعيد) أي الخدري (وقال ابن عمر رضي الله تعالى عنهما) كما رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (كان أبو بكر يعلمنا التشهد على المنبر) أي وهو فوقه (كما يعلمون) أي الفقهاء وفي نسخة بصيغة الخطاب أي كما تعلمون أنتم (الصبيان في الكتاب) بضم فتشديد أي في المكتب وموضع تعليم الكتاب (وعلمه) أي التشهد (أيضا على المنبر عمر بن الخطاب رضي الله عنه) أي ولم يروعن أحد منهم ذكر الصلاة عليه في هذا الباب (وفي الحديث لا صلاة لمن لم يصل علي) رواه ابن ماجه والحاكم في مستدركه قال وليس على شرطهما اذ لم يخرجاه والطبراني والدارقطني قال وليس عندهم بقوي والعمري والبيهقي بلفظ لا صلاة لمن لا وضوء له ولا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه ولا صلاة لمن لم يصل على نبيه ولا صلاة لمن لم يحب الانصار (قال ابن القصار معناه كاملة

(الذي اختاره الشافعي) رحمه الله تعالى أي رجحه على غيره فان التشهد له طرق مختلفة (وهو الذي علمه له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ليس فيه الصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) وما قاله مردود أيضا فانه انما اختار تشهد ابن عباس الذي فيه زيادة لفظ المباركات لموافقته لقوله تعالى تحية من عند الله تعالى مباركة طيبة ولتأخره عن تعليم ابن مسعود كما قاله البيهقي رحمه الله تعالى (وكذلك) أي مثله في عدم ذكر الصلاة عليه فيه (كل من روى التشهد عن النبي صلى الله عليه وسلم) من الصحابة الذين علمهم التشهد (كأبي هريرة وابن عباس وجابر وابن عمر وأبي سعيد الخدري وأبي موسى الاشعري وعبد الله بن الزبير) كلهم (لم يذكروا فيه) أي في تشهدهم الذي تعلموه (صلاة على النبي صلى الله عليه وسلم) هذا أعظم ما تمسك به المصنف في رده لما ذكر لما يلزم من عدم ذكرهم انه لم يأمرهم به وهو مردود أيضا لان تعليمهم ذلك كان في ابتداء الهجرة قبل نزول الآية والامر بها في قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه الآية فلذا لم يأمرهم صلى الله عليه وسلم بما لم يؤمر به فلما نزلت أمرهم وهذا مصرح به في الحديث وسيأتي نقله مفصلا بطرقه (وقد قال ابن عباس وجابر) في حديث رواه مسلم (كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يعلمنا التشهد كما يعلمنا السورة من القرآن) فيقرؤه عليهم ويأمرهم بتلقنه بالفاظه وحفظه فكيف يترك ما هو مذكور فيه وقد عرفت جوابه (ونحوه) أي مثل ماذكر (عن أبي سعيد) الخدري كما رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (وقال ابن عمر كان أبو بكر يعلمنا التشهد على المنبر) وهو يخطب عليه في خلافته (كما تعلمون الصبيان في الكتاب) بضم الكاف وتشديد المثناة الفوقية وهو اسم للمحل الذي فيه الصبيان منقول من جمع كاتب فهو تسمية للمحل باسم الحال فيه وقد ورد بهذا المعنى في كلامهم كما ذكره الزمخشري في الاساس وغيره ولا عبرة بمن أنكره أو قال انه مولد والصواب المكتب (وعلمه) أي التشهد (أيضا على المنبر عمر بن الخطاب) كما علمه عليه أبو بكر في خلافته يعني بذلك شهرته بحيث لا يخفى على أحد ولا يترك ولا دليل له فيه لان ما علم على المنبر لم ينقل ولم يذكر بدون ذكر الصلاة حتى يتم له ما ادعاه ثم أشار الى الجواب عن بعض ما استدل به الشافعية فقال (وفي الحديث) الذي رواه ابن ماجة والحاكم في مستدركه والطبراني والدارقطني والبيهقي وفي بعض ألفاظه اختلاف ما (لا صلاة لمن لم يصل علي) بالتشديد وروي لمن لم يصل على نبيه وهو بظاهره دليل للشافعي على ان الصلاة لا تصح بدونها (قال ابن القصار معناه) المراد منه (كاملة) الاجر وهو صرف للنفي عن المتبادر منه من نفي الصحة الى نفي الكمال فتصح وان لم تكمل وهذا مبني على قاعدة أصولية وهي ان النفي اذا دخل على شئ ليس بمنفي هل يقدر الصحة أو الكمال فقال الشافعي الارجح تقدير الصحة لانه أقرب الى نفي ذات الشئ وقال غيره يقدر الكمال وقد بينه البيضاوي

أولمن لم يصل على مرة في عمره) وانما أوله بحديث البيهقي الدال على ان المراد به نفي الكمال اذ الاجماع منعقد على صحة صلاة من لا يحب الانصار والاتفاق على صحة من لم يذكر اسم الله على وضوئه خلافا لاحمد فاندفع قول الدلجي بانه تحكم وترجيح بلا مرجح وصرف للنفي عن المتبادر منه وضعا عن الحقيقة المجزئة الى ناقص لاغناء له ثم هذا كله لو ثبتت صحته (وضعف أهل الحديث كلهم رواية هذا الحديث) أي بجميع طرقه ويعمل بالحديث الضعيف ولا يستدل به قال السخاوي في القول البديع وعن سهل بن سعد رضي الله تعالى عنهما عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال لا وضوء لمن لم يصل على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم رواه ابن ماجه وابن أبي عاصم وسنده ضعيف وفي بعض طرقه من الزيادة لا صلاة لمن لا وضوء له ولا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه ومعناه لا وضوء كامل الفضيلة والتسمية عندنا من الفضائل ولا اعلم من قال بوجوبها الا ما جاء عن أحد في احدى الروايتين عنه وبه قال اسحق بن

في شرح المصابيح في حديث انما الاعمال بالنيات (أولمن لم يصل على مرة في عمره) وهو تحكم وترجيح بلا مرجح وسيأتي تفصيله ثم بين ما فيه بحسب الرواية بقوله (وضعف أهل الحديث كلهم رواية هذا الحديث) لانه كما قاله الامام الخيضري في كتاب اللواء المعلم من حديث عبد المهيمن بن عباس عن أبيه عن جده وعبد المهيمن ليس بحجة وروى من طريق أخرى لم يثبت انتهى (وفي حديث أبي جعفر) محمد الباقر بن زين العابدين (عن ابن مسعود عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من صلى صلاة لم يصل علي فيها وعلى أهل بيتي لم تقبل منه) وهذا يفيد ان الصلاة على الآل في التشهد الاخير واجبة كالصلاة عليه صلى الله تعالى عليه وسلم فيه وفيها قولان للشافعي والصحيح في المذهب انها غير واجبة وأما في التشهد الاول فمن قال انها واجبة في الاخير قال باستحبابها ويما ينسب للشافعي رضي الله عنه في ذلك

يا أهل بيت رسول الله حبكم * فرض من الله في القرآن انزله

كفاكم من عظيم القدر انكم * من لم يصل عليكم لا صلاة له

فيحتمل لا صلاة له صحيحة فيكون موافقا لقوله بوجوب الصلاة على الآل ويحتمل لا صلاة له كاملة فيوافق أظهر قوليه (قال الدارقطني الصواب انه من قول أبي جعفر بن محمد) الباقر بن زين العابدين (ابن علي بن الحسين) بن علي بن أبي طالب (لو صليت صلاة لم أصل فيها على النبي صلى الله عليه وسلم ولا على أهل بيته لرأيت انها لا تتم) وهذا يوافق ما قاله الامام الشافعي ففيه تأييد له دون ما قاله المصنف * واعلم ان الامام الخيضري صنف في هذه المسئلة كتابا اسماه زهر الرياض في رد ما شنعه القاضي عياض طالعته بتمامه وقد قال فيه ما قصدت به تنقيص مقداره فانه طراز هذه العصابة وتلخيصه ان الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه قال في الام فرض الله تعالى عز وجل الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الله وملائكته الآية فلم يكن فرض الصلاة عليه في موضع أولى منه في الصلاة ووجدنا الدلالة بما وصفت عنه صلى الله تعالى عليه وسلم ثم ساق باسناده الى أبي هريرة انهم قالوا يا رسول الله كيف نصلي عليك يعني في الصلاة قال تقولون اللهم صل على محمد الى آخره وساق بسنده أيضا الى كعب ابن عجرة عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه كان يقول في الصلاة اللهم صل على محمد الى آخره فلما روى انه كان يعلمهم التشهد في الصلاة وانه علمهم كيف يصلون عليه فيها لم يجز ان يقول التشهد واجب

راهويه وأهل الظاهر فيتعين حمل الحديث على ما تقدم وهو مثل قوله لا صلاة لجار المسجد الا في المسجد وما أشبه ذلك (وفي حديث أبي جعفر) الصادق محمد الباقر ابن زين العابدين علي بن الحسين رضي الله تعالى عنهم (عن ابن مسعود عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من صلى صلاة) أي فرضا أو نافلة (لم يصل فيها علي وعلى أهل بيتي لم تقبل منه) أي قبولا كاملا وفي نسخة وقد روى موقوفا من قبل ابن مسعود رضي الله تعالى عنه (قال الدارقطني الصواب انه من قول أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين رضي الله تعالى عنه) أي ابن علي ابن أبي طالب قال الحلبي وعلى كونه مرفوعا أيضا يكون منقطعا الان أبا جعفر لم يدرك ابن مسعود وابن أبو جعفر من ابن مسعود فانه على ما قيل ولد سنة عشر ومائة وابن مسعود توفي سنة اثنتين وثلاثين (لو صليت صلاة لم أصل فيها على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ولا على أهل بيته لرأيت) من الرأي أو معناه لظننت (انها لا تتم) أي لا تكمل وليس معناه انها لا تصح فبطل قول الدلجي قد حكم القاضي ولم يشعر على نفسه بان للشافعي فيما قاله سلفا هو أبو جعفر وقد انقلب عليه قوله الشاهد له به

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد * وينكر الفم طعم الماء من سقم

على ان الصلاة على أهل البيت ليست من فروض الصلاة اجماعا وعليه الشافعي وغيره فلو سلم ان مراد جعفر الصادق عدم صحة الصلاة بدونها فيكون ممن انفرد بها على انه لم يسنده الى نفسه بل يرويه غايته ان حديثه مسند متصل أو منقطع وقد حكم بانه حديث ضعيف لا يصح الاستدلال به وزيد في بعض النسخ (وراويه) أي ناقل هذا الحديث عن أبي جعفر (جابر الجعفي) بفتح الجيم وسكون العين (وهو ضعيف)

والصلاة غير واجبة والخبر فيهما عنه صلى الله تعالى عليه وسلم فعلى كل مسلم وجبت عليه الفرائض ان يتعلم التشهد والصلاة عليه فمن صلى ولم يتشهد ولم يصل عليه صلى الله عليه وسلم فعليه اعادتها انتهى ثم ذكر ماقاله المصنف رحمه الله وقال هذا قول لا ينبغي الاعتماد عليه ولا الاستناد اليه ولقد عجبت منه كيف اقدم على هذه المقالة الشنيعة وتجاسر على الاتيان بهذه العبارة الوضيعة وهى قوية غير صحيحة ينادي مدعيها على نفسه بفضيحة واى فضيحة وسترى حججا بالغة وسننا متنوعة وغمار براهين لا مقطوعة ولا ممنوعة فمن الادلة على وجوبها فى التشهد الاخير الآية المذكورة لاتفاقهم على ان الامر المطلق يقتضى الوجوب مالم يقم الدليل على خلافه والله قد أمر عباده بالصلاة والتسليم عليه صلى الله عليه وسلم وثبت ان الصحابة رضى الله تعالى عنهم سألوه عن كيفية هذه الصلاة المأمور بها فقال قولوا اللهم صل على محمد الى آخره والسلام الذى علموه هو السلام فى الصلاة والتشهد فخرج الامرين والتعليمين والمحلين واحد ويوضحه انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما علمهم التشهد علمهم التسليم فيه فقالوا كيف الصلاة عليك المأمور بها فقال اللهم صل الى آخره وهما فى الصلاة فى ظاهر الحال ويؤيده انه لو كان خارج الصلاة كان كل من دخل عليه صلى الله تعالى عليه وسلم يقول له السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته كما علموه وكذا كل من واجهه بالصلاة عليه بهذه الالفاظ بتمامها والمنقول انهم كانوا يقولون فى تحية الصلاة السلام عليك يارسول الله أونبى الله صلى الله تعالى عليك وسلم ونحوه فما تعلموه زائد على التحية فى الصلاة فخرج هذا مخرج البيان لما فى القرآن وظهر وجه دلالة الآية عليه وأورد عليه ان قول الصحابة قد عرفنا السلام عليك فكيف الصلاة يحتمل انه يراد به السلام فى الخروج من الصلاة كما قاله ابن عبد البر والدليل اذا طرقه الاحتمال بطل به الاستدلال وان غاية ماذكرتم دلالة اقتران الصلاة بالسلام على الوجوب فى الصلاة ودلالة الاقتران ضعيفة وهذا انما يتم اذا سلم وجوب السلام وهو غير مسلم وأجيب بان الاول فاسد يرده لفظ الحديث وقولهم هذا السلام عليك لا السلام فقط حتى يكون المراد السلام من الصلاة والسائل لم يستدل باقترانه وانما استدل بالامر بها فى الآية وبهذا سقط مابعده والدليل الثانى من السنة مافى البخارى مسندا قال عبد الرحمن ابن أبى ليلى لقينى كعب بن عجرة فقال ألا أهدى لك هدية ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم خرج علينا فقلنا يارسول الله قد علمتنا كيف نسلم عليك فكيف نصلى عليك فقال قولوا اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم انك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم انك حميد مجيد وأخرجه مسلم وغيره من طرق ساقها وأصحاب السنن * فان قلت قد علمنا من الاحاديث صفة الصلاة لكنها مطلقة لم تقيد بالصلاة * قلت علم هذا من اطباق العلماء والمحدثين من غير نكير على ان المراد بها فى الصلاة ولذا وردت مذكورة فى التشهد فى كتبهم دون باب الادعية ولا نكتفى بهذا بل نقول ورد التصريح بذلك فى الحديث أيضا فيما رواه أحمد فى مسنده من طريقين عن ابن اسحق قال حدث فى الصلاة على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا المرء المسلم صلى عليه فى صلاته وساقه الى آخره والعجب من المصنف رحمه الله تعالى انه قال فى شرح مسلم فى سؤالهم عن الصلاة يحتمل انه فى غير الصلاة وفى الصلاة والاظهر الثانى لقوله والسلام كما علمتم انتهى فسبحان الله كيف ينكر بعد هذا على الشافعى وهذا من زيادة الثقة فهى مقبولة وقد رواها الشافعى فى مسنده فدعاه ذلك الى حمل الآية عليها * فان قلت بعد تخصيصه بالصلاة ليس فى الحديث مايدل على الوجوب * قلت الوجوب معلوم من قوله صلى الله تعالى عليه وسلم صلوا كما رأيتمونى أصلى ولا يلزمه وجوب مافى صلاته من السنن لقيام دليل من خارج على عدم وجوبها ثم ذكر أحاديث أخر عنه صلى الله تعالى عليه وسلم صريحة فيما ذكروا ها بمعنى ماتقدم أى ماسبق ومن الادلة

الآتية ما في مسند أحمد الآتي في كلام المصنف رحمه الله تعالى أيضا انه صلى الله تعالى عليه وسلم سمع رجلا يدعو في صلاته فلم يحمد الله تعالى في صلاته ولم يصل عليه فقال صلى الله عليه وسلم عجل هذا ثم دعاه فقال له أو لغيره اذا صلى احدكم فليبدأ بتحميده والثناء عليه ثم يصلي على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ثم يدعو بما شاء وهو حديث صحيح أخرجه الترمذي والحاكم وابن حبان وقال انه على شرط الشيخين فان قلت ان هذا يدل على عدم الوجوب لانه لم يأمره باعادة الصلاة وقد يقال أيضا ان هذا الدعاء كان خارج الصلاة لان الترمذي روى هذا الحديث في جامعه عن فضالة بن عبيد بينا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قاعدا اذ دخل عليه رجل فصلى وقال اللهم اغفر لي وارحمني فقال له عجلت أيها المصلي اذا صليت فقعدت فاحمد الله تعالى بما هو أهله وصل علي ثم ادع وفي رواية بما تحب قلت انه كان غير عالم بوجوبها فلم يأمره بالاعادة ويحتمل انه اعادها أو انها نفل لا تجب اعادتها وما ذكر من الحديث رواية غير ثقات فهو ضعيف لا يصلح لمعارضة الحديث الآخر مع قوته وروانه على شرط الشيخين وقد ورد التصريح بانه يتشهد ويصلي على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بعده في الصلاة ثم أورد على قول المصنف انه أي الشافعي لا سلف له فيما قاله انه قال به جماعة من الصحابة والتابعين منهم عبد الله بن مسعود روى حديث التشهد وروى عنه انه كان يراها واجبة في الصلاة وأبو مسعود البدري روى عنه مرفوعا وموقوفا ومنهم ابنه عبد الله بن عمر وأبو جعفر محمد بن علي بن الحسين والشعبي كما نقله البيهقي ومقاتل بن حبان ومحمد بن كعب القرظي كما نقله الماوردي واسحق بن راهويه كما نقله المصنف واحمد بن حنبل في رواية عنه ومن العجائب ان المصنف انكر على الشافعي ما ذكر وقال في شرح مسلم ما نصه حكى بعض البغداديين عن مذهب مالك في المسئلة ثلاثة اقوال الوجوب والسنة والفضيلة وحمل بعضهم كلام ابن المواز على الوجوب في الصلاة كمذهب الشافعي وكلامه محتمل للوجوب على الجملة ونقله أيضا في كتابه هذا وعبارة ابن القصار في كتابه عيون الادلة وهو من اجل كتبهم بعد ما نقل ما سيأتي من ادلة المخالفين في فرضيتها في الصلاة وجه ما نقل عن ابن المواز ما استدل به القائلون بالوجوب فتكون الجلسة الاخيرة للتسليم عليه وان الصلاة لما تضمنت ذكر الله وتمجيده كما في فاتحة الكتاب وجب ان يذكر فيها الصلاة والسلام على الرسول صلى الله عليه وسلم حتى لا تخلو الصلاة عن ذكره مع الله كما في الاذان والاقامة فذكر وجهه يدل على انه مال اليه وقال ابن العربي في احكام القرآن ان الصحيح ما قاله ابن المواز فتعينت كيفية ووقتا كما بيناه في مسائل الخلاف انتهى وهو امام مشهور من ائمتهم وكذا ذكره ابن الحاجب في منهاجه وشارحه ابن عبد السلام فظهر منه انه قول راجح في مذهبهم وانه ذهب اليه كثير من السلف فنسبته الى الشذوذ خطأ ظاهر مع ما يناقضه من كلامه هنا واذا نقل هذا عن الصحابي ولم يصرح غيره بخلافه يصير اجماعا سكوتيا وحكمه مفصل في الاصول وعمل الناس على الصلاة عليه بعد التشهد وتعليمها للاصبيان فكيف يدعى خلافه وأما ادلة المخالفين للشافعي كأبي حنيفة واتباعه ومالك في احد قوليه واليه ذهب بعض الشافعية كابن المنذر والخطابي والقشيري والطبري كما نقله المصنف رحمه الله تعالى ولهم ادلة وحديث التشهد المروي عن نحو اربعة وعشرين من الصحابة وليس في رواية منه ذكر الصلاة ثم سردها ورواتها وفصلها تفصيلا لم يسبق اليه ثم قال الجواب عنه من وجوه منها انه لم يقل انه جميع الواجب في الجلسة الاخيرة فايجاب الصلاة فيها بدليل آخر لا ينافيه ومنها انكم قلتم بوجوب السلام ولم يأمرهم به في هذا التشهد فيلزمكم عدم وجوبه وقد أوجبتموه فما كان جوابكم فهو جوابنا لثبوته بدليل آخر وأيضا التشهد ثبت بتعليمه وكذا الصلاة فاي فرق بينهما وقد بينا انه مخصوص بالصلاة كالسلام ومنها ان احاديث التشهد لو كانت نافية للوجوب كان الوجوب مقدما عليها لان النافي مستصحب

للاصل من عدم الوجوب والموجب ناقل وهو مقدم على المستصحب لزيادة علمه فكيف اذا لم يعارضه رأسا وورد أيضا بان التشهد فرض حين فرضت الصلاة وفرضت الصلاة عليه صلى الله تعالى عليه وسلم حين نزلت آية الاحزاب بعد تخييره ازواجه فالتشهد كان تعليمه قبل فرضها فلا يضر عدم ذكره في تلك الرواية فلذا قالوا له صلى الله عليه وسلم قد عرفنا السلام فكيف نصلي عليك فان قلت فما تقول في الصحيح المروي الذي فيه انه صلى الله عليه وسلم أخذ بيد ابن مسعود وعلمه التشهد الى قوله أشهد أن محمدا عبده ورسوله ثم قال فاذا قلت هذا فقد قضيت صلاتك ان شئت ان تقوم فقم وان شئت ان تقعد فاقعد فانه يدل على الصلاة عليه فيها ليست بواجبة ولا سنة كما قاله ابن عبد البر في التمهيد قلت هذا مطعون فيه وقد قال الدارقطني في العلل انه من زيادة زهير مدرجة في الحديث ووصله بكلام النبي صلى الله عليه وسلم وليس منه وتتبع طرق الحديث شاهدة لما قالوه وأيضا انه يحتمل أيضا انه قبل ايجاب الصلاة عليه وأيضا هو ورد نفيا لما كانوا يقولون السلام على الله فقال لهم لا تقولوا هذا فان الله هو السلام ولكن قولوا كذا مع سائر ما علمهم وجوبه ولذا لم يتعرض لذكر السلام مع وجوبه مع ان المستدل بهذا أصحاب أبي حنيفة القائلين بان التشهد ليس بواجب وانما الواجب الجلوس بمقداره فلو تم هذا كان دليلا عليهم لا لهم لتعليقه تمام الصلاة على التشهد وهم لا يقولون به فيطلب المعارضة به ولا يصح ان يقال المراد تمام الاستحباب لانه موقوف عليها عندهم انتهى زبدة ما ذكره الامام الخيضري مما يهمنا هنا وقد بالغ الشافعية في الرد على المصنف رحمه الله تعالى وتخطئته فيما قاله كما سمعته حتى قال بعضهم هذا المشنع انما هو يشنع على نفسه لا على الشافعي اذ لم يخالف كتابا ولا سنة ولا اجماعا ولا مصلحة راجحة بل تمسك بادلة واضحة تامة وعد ذلك من محاسن مذهبه ولم ينفرد بذلك قال بعض المحققين ولو سلم تفرده بذلك لكان حبذا التفرد انتهى وقال شيخنا ابن قاسم قلت وأي محذور في تفرد ابن ادريس وأي حاجة له أي موافقة غيره له انتهى ولكن اذا أمعنت النظر علمت انه ناقل لما قاله الطحاوي ومن تبعه وما على الناقل الا تصحيح نقله وما على الرسول الا البلاغ ففيما قالوه أيضا تحامل عليه لكن الجزاء من جنس العمل وهذا من لباب الالباب الذي لا تجده في غير هذا الكتاب وههنا بحث ذكره الاسنوي في التمهيد وهو ان الامر بعد سؤال التعليم كالامر بعد الاستئذان أو بعد التحريم يفيد الاباحة عند الشافعية والوجوب عند أبي حنيفة فلا يستقيم استدلالهم على وجوب الصلاة عليه بقوله قولوا اللهم صل الى آخره بعد قولهم كيف نصلي عليك الا ان يقول استفيد الوجوب من امر خارجي فيكون الامر للوجوب لانه بيان لكيفية بيان واجب انتهى وفيه نظر

(فصل في المواطن) أي في الاماكن فهو من قبيل المستقر لان معناه مكان التوطن والاقامة (التي يستحب) ويسن (فيها الصلاة والسلام على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ويرغب) بالبناء للمفعول وتشديد المعجمة من الترغيب ويجوز تخفيفها وهو عطف تفسير والرغبة بمعرفة ما فيه من الفوائد والثواب (من ذلك) المستحب المرغب فيه (في تشهد الصلاة) وهو الثناء على الله في الجلسة فيها وسمي تشهدا باسم جزئه وهو قوله تعالى فيها أشهد أن لا اله الا الله الخ واطلقه ليشمل الاول والاخير فانه مستحب في الاول واجب في الاخير كما تقدم تفصيله (كما قدمناه) في الفصل الذي قبله (وذلك) أي موطنه ومحله المعلوم مما قبله (بعد التشهد) أي قوله أشهد أن محمدا رسول الله (وقبل الدعاء) المأثور في كتب الفقه أو بما شاء (حدثنا القاضي أبو علي) هو ابن سكرة شيخه كما تقدم (بقراءتي عليه) لا بغيره من طرق الاجازة قال (حدثنا الامام أبو القاسم البلخي) نسبة لبلخ مدينة معروفة قال (حدثنا الفارسي) تقدمت ترجمته (عن أبي القاسم الخزاعي عن أبي الهيثم بن كليب عن أبي عيسى الحافظ) هو الترمذي

(فصل)(في المواطن التي يستحب فيها الصلاة والسلام) وفي نسخة التسليم (على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ويرغب) بصيغة المجهول من الترغيب وهو ضد الترهيب وفي نسخة ويترغب (من ذلك) أي مما ذكر من المواضع وكان الاظهر ان يقول منها (في تشهد الصلاة كما قدمناه) أي من الادلة واقوال الائمة (وذلك) أي محلها (بعد التشهد) أي الاخيرة على ما عندنا (وقبل الدعاء) أي قبل الدعاء لحديث ثم ليتخير من الدعاء ما شاء (حدثنا أبو علي القاضي) أي ابن سكرة (رحمه الله تعالى بقراءتي عليه قال ثنا) أي حدثنا (الامام أبو القاسم البلخي ثنا الفارسي) بكسر الراء (عن أبي القاسم الخزاعي) بضم أوله (عن الهيثم) بفتح الهاء وسكون التحتية وفتح المثلثة وهو ابن كليب وفي نسخة صحيحة عن أبي سعيد الهيثم بن كليب وعلى ابن سعيد ضبة وكنية الهيثم أبو سعيد فلعله اراد بالضبة ان الكنية ليست في الاصل والله أعلم (عن أبي عيسى الحافظ) أي الترمذي صاحب الجامع

(ثنا محمود بن غيلان) مروزی حافظ يروی عن ابن عيينة وغيره وعنه أصحاب الكتب الستة سوى أبي داود (ثنا عبد الله بن يزيد) وفي نسخة زيد والصواب الاول وهو ابن عبد الرحمن (المقرئ) اسم فاعل من الاقراء وهو تعليم القراءة بتجويد الاداء وهو القصير مولى آل عمر بن الخطاب أصله من ناحية البصرى نزل مكة روى عن أبي حنيفة وموسى بن علي بن رباح بالموحدة وحرملة وحيوة بن شريح وغيرهم وعنه البخارى وأحمد وابن راهويه وابن المديني وخلق كثير وثقه النسائي وغيره توفي سنة ثلاث عشرة ومائتين (ثنا حيوة) وفي نسخة عن حيوة (ابن شريح) وحيوة بفتح حاء وسكون ياء وشريح بالتصغير (حدثني) وفي نسخة حدثنا (أبو هانئ) بكسر نون فهمز (الخولاني) بفتح الخاء (ان عمرو بن مالك) وفي نسخة عمر والصواب بالواو (الجنبي) بفتح الجيم وسكون فوحدة فياء نسبة الى جنب بطن من مذحج البصرى وثقه ابن معين توفي سنة اثنتين وثلاثمائة أخرج له ٤٥٧ أصحاب السنن الاربعة (أخبره انه سمع فضالة) بفتح الفاء (ابن عبيد) وفي نسخة ابن عبيد الله والصواب الاول وهو انصارى أوسى شهد أحدا والحديبية وولى قضاء دمشق لمعاوية (يقول سمع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم رجلا يدعو في صلاته) أي في آخرها (فلم يصل على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي قبل الدعاء بها (فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عجل هذا) بكسر الجيم مخففة أي استعجل في دعائه لنفسه قبل ثنائه على ربه الذي هو وسيلة لقبوله وفي نسخة عجل بتشديد الجيم المفتوحة أي عجل أمر الدعاء على الصلاة (ثم دعاه) أي طلبه (فقال له ولغيره) أي فخاطبه خطابا عاما غير مختص به (اذا صلى أحدكم) أي وقعد في التشهد الاخير (فليبدأ بتحميد الله والثناء عليه) أي بقوله التحيات لله الخ (ثم ليصل على النبي) صلى الله تعالى عليه وسلم أي كما مر (ثم ليدع بعد) أي بعد الصلاة عليه (بما شاء) أي بما احتاج اليه أي بما لا يسأل من الناس والحديث أخرجه الترمذى في الدعوات وقال صحيح وأخرجه أبو داود ونحوه في الصلاة وكذا النسائي (وروى من غير هذا السند بتمجيد الله) أي بتعظيمه وهو بتقديم الميم على الجيم بدل بتحميده بتقديم الحاء على الميم ومعناهما متقاربان (وهو) أي اللفظ الثاني أو سنده (أصح) أي مما قبله عند المصنف وفيه بحث اذ روى الاول أبو داود والنسائي وابن حبان والحاكم ثم دلالة في الحديث على وجوب الصلاة كما توهمه الدلجي لان هذا أمر شفقة ونصيحة في مراعاة السنة بدليل امره بالدعاء المجمع على انه للاستحباب بل فيه دليل على عدم الوجوب حيث انه لم يأمره باعادة الصلاة

صاحب الشمائل والسنن وقد تقدم قال (حدثنا محمود بن غيلان) أبو احمد الحافظ المروزى أخرج له أصحاب السنن وتوفي سنة تسع وعشرين ومائتين قال (حدثنا عبد الله بن يزيد المقرى) وفي نسخة زيد بدون ياء والصواب الاول وهو المعروف بالقصير البصرى نزيل مكة ومولى آل عمر بن الخطاب وهو حافظ ثقة روى عن أبي حنيفة وغيره وتوفي سنة ثلاث عشرة ومائتين (عن حيوة بن شريح) تقدم بيانه وحيوة على خلاف القياس في الاعلام وقياسه حية قال (حدثني أبو هانئ الخولاني) اسمه حميد بن هانئ وهانئ بهمزة في آخره يجوز ابدالها ياء وقال البرهان انه احمد بن هلال وهو ثقة توفي سنة اثنين واربعين ومائتين (ان عمر بن مالك الجنبي) وفي نسخة عمر وبواو وهي الصواب وهو أبو علي الجنبي بفتح الجيم ثم نون ساكنة وباء موحدة نسبة لجنب بطن من مذحج وهو مصرى ثقة وذكره في الميزان توفي سنة اثنين أو ثلاث ومائة (أخبره انه سمع فضالة) بضم الفاء وفتح الضاد المعجمة ولام وهاء تأنيث (ابن عبيد) بالتصغير بن فاقد بن قيس الانصارى الاوسى أبو محمد الصحابى ولى قضاء دمشق وتوفي سنة ثلاث وخمسين ومائة وأخرج له أحمد وغيره (يقول سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلا يدعو في صلاته) بعد التشهد في الجلسة الاخيرة (فلم يصل على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) بعد تشهده (فقال صلى الله عليه وسلم عجل هذا) بفتح العين وكسر الجيم أي اسرع بدعاءه وأتى به في غير محله قبل ان يصلي عليه صلى الله تعالى عليه وسلم لان الدعاء معلق حتى يصلي عليه كما يأتي فان من سأل حاجة لا بد له ان يقدم وسيلة توصل لقضاء حاجة (ثم دعاه) أي طلب ذلك الرجل وقربه اليه (فقال له أو لغيره) أو وجه خطابه لغيره وهو يسمع وهو المراد بالاعلام وفي نسخة ولغيره بالواو (اذا صلى أحدكم فليبدأ) بالهمز أي يقدم على دعاءه ليقبل (بتحميد الله والثناء عليه) عطف تفسير لبيان ان المراد ما يفيد المدح والثناء لا خصوص الحمد والمراد قوله التحيات الخ وفي كيفيته روايات مختلفة بلغت نحو ثلاثة عشر كما فصل في محله (ثم ليصل على ثم ليدع) بلام مكسورة أو ساكنة للامر (بعد بما شاء) من الخير والدعاء بالمأثور افضل (وروى من غير هذا السند) الذى رواه المصنف عن الترمذى ورواه أبو داود (بتمجيد الله) بميم وجيم ودال مهملة ومعناه التعظيم ومعناهما متقارب والرواية الثانية لابن ماجة بسند آخر (وهو اصح) رواية لقوة سنده لا من حيث المعنى وان قيل انه امدح وفيه نظر وانما يتم استدلال المصنف رحمه الله به ان كان في الصلاة وقد استدل به الشافعي على وجوبها فيها كما مر وقد نوزع فيه فانه ورد من طريق آخر تقدمت

وعن عمر بن الخطاب قال الدعاء والصلاة) أي المكتوبة والنافلة (معلق) أي كل منهما (بين السماء والارض لا يصعد) بفتح أوله وضمه أي لا يطلع ولا يرفع (الى الله) أي محل قبوله أو مكان عرشه (منه) أي مما ذكر من الدعاء والصلاة (شئ) أي منهما (حتى يصلى) أي الداعي وفي نسخة بصيغة المجهول في صلاته (على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي قبل دعائه رواه الترمذي الا انه في الحصن الحصين بلفظ حتى يصل على نبيك وفيه تنبيه نبيه على ان منشأ الحكم المذكور هو وصف النبوة ونعت الوسيلة (وعن على كرم الله تعالى وجهه عن النبي صلى الله تعالى

عليه وسلم بمعناه) رواه أبو الشيخ في الثواب عنه (وقال) أي على في رواية زيادة (وعلى آل محمد) ولفظ البيهقي في شعب الايمان الدعاء محجوب حتى يصلى على محمد وأهل بيته وفي رواية وآل محمد وهذا معنى قوله (وروى ان الدعاء محجوب) أي ممنوع عن كمال حصوله وجمال وصوله (حتى يصلى الداعي على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) وفي الاقتصار عليه مرة وضم آله اخرى اشعار بان ذكر أهل بيته انما هو لبيان الأحرى ثم أعلم ان حديث على رواه الطبراني في الاوسط موقوفا وروى الحسن بن عرفة عن على مرفوعا وسنده ضعيف والصحيح وقفه لكن قال المحققون من علماء الحديث ان مثل هذا لا يقال من قبل الرأى فهو مرفوع حكما (وعن ابن مسعود) كما روى عبد الرزاق والطبراني بسند صحيح عنه (اذا اراد احدكم ان يسأل الله شيا) أي في الصلاة وغيرها (فليبدأ بحمده) وفي نسخة بحمده (والثناء عليه بما هو أهله ثم يصلى) أي هو بضم (على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) ويمكن ان يكون يصلى مجزوما بقاء الياء على لغة نحو قوله تعالى انه من يتقي ويصبر على رواية قنبل عن ابن كثير وهو الملائم لما قبله ومابعده من قوله (ثم ليسأل) أي مطلوبه (فانه اجدر) أي أحق وأليق حينئذ (ان ينجح) بضم الياء وكسر الجيم أو بفتحهما من نجح ينجح وانجح اذا اصاب طلبته وتيسرت حاجته ونجحت وانجحت وانجحه الله وفي الحديث دليل على استجاب الصلاة حيث علل بقوله فانه اجدر ان ينجح فتأمل فتدبر

قريبا بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعدا اذا دخل عليه رجل فصلى وقال اللهم اغفرلي وارحمني فقال صلى الله تعالى عليه وسلم له عجلت أيها المصلي اذا صليت فقعدت فاحمد الله بما هو أهله وصل على ثم ادع وظاهر قوله فقعدت انه كان بعد الصلاة فلا يدل على مدعاه * اقول قد اجاب الخيضري عنه باجوبة حاصله انه ليس نصا فيما ذكر لان المراد بالقعود الجلسة الاخيرة في التشهد وقد ورد التصريح به في رواية أخرى فاندفع الايراد (وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه) كما رواه الترمذي (قال الدعاء والصلاة) عطف تفسير والمراد به العبادة المخصوصة الا انه قيل ان هذا اللفظ أي الصلاة ليس مذكورا في الترمذي وهو المشهور (معلق) كل منهما أي موقوف قبوله فهو استعارة أو حقيقية لان الملائكة لا تصعد به (بين السماء والارض لا يصعد الى الله منه شئ) لعدم رضاه برفعه اليه (حتى يصلى عليه صلى الله تعالى عليه وسلم) لان اعمال المؤمنين تكتب وترفع الى السماء اذا قبلت وقبولها متوقف على الصلاة عليه لانه هو الذي هدانا وارشدنا الى الله وهو وسيلتنا اليه وقد فسر قوله تعالى لا تفتح لهم أبواب السماء بهذا والرفع والصعود من صفات الاجسام فالمراد رفع صحفها وقيل انها تجسم ولا مانع منه (وعن على ابن أبي طالب) رواه عن البيهقي وابن عساكر وغيره (عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بمعناه) أي بمعنى حديث عمر الا انه زاد فيه عن عائشة عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (وقال وعلى آل محمد) فلا بد من الصلاة على الآل مع الصلاة عليه وهذا هو الاكمل ووجوبها تقدم الكلام عليه (وروى) رواه عبد الرزاق والطبراني بسند صحيح (عن ابن مسعود ان الدعاء محجوب) عن السماء فلا تفتح له ويلزمه انه لا يقبل ويجوز ان يكون تمثيلا واستعارة لعدم القبول (حتى يصلى الداعي على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) وليس في هذا دليل على وجوبه في الصلاة اذا القبول ليس من شرائط الصحة ومن اعاده فقد تبرع بما لا يملكه ولا يقبل ولو عد المصنف هذا موطنا مستقلا كان أولى كما فعله غيره لكنه ادرجه في التشهد لانه محل الدعاء أيضا (وعن ابن مسعود) في حديث صحيح مسند (اذا اراد احدكم أن يسأل الله شيأ فليبدأ بحمده والثناء عليه) كما أرشدنا لذلك في سورة الفاتحة قال ابن برجان في تفسيره اذا قيل لك ان أحدا أحيى ميتا بقراءة الفاتحة فلا تنكره وليقرأها ملاحظا الثناء عليه وحمده لانه المنعم بجميع النعم الدنيوية والأخروية جليلها ودقيقها كما اشار اليه بقوله بسم الله الرحمن الرحيم الخ ثم يلاحظ عظمته وجلاله المشير اليه بقوله مالك يوم الدين ثم يخضع غاية الخضوع كما يشير اليه قوله اياك نعبد ثم يفوض أموره اليه لقوله اياك نستعين ثم يسأله حاجته لقوله اهدنا الخ ولذلك سميت سورة تعليم الدعاء (بما هو أهله) أي بما يستحقه ويليق به (ثم يصلى على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) ليستشفع باقرب مخلوقاته وأحبهم اليه فانه الوسيلة العظمى (فانه) أي دعاءه بهذه الكيفية (اجدر) أي أحق وأليق (ان ينجح)

(وعن جابر) في رواية البزار وأبي يعلى والبيهقي في شعب الايمان (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا تجعلوني) أي مؤخرا مع كوني مقدما (كقدح الراكب) أي حيث يعلقه من ورائه ويلتفت اليه عند حاجته قال الهروي معناه لا تؤخروني في الذكر كتأخير الراكب تعليق قدحه في آخر رحله بعد فراغه من التعبية ويجعله خلفه قال حسان * كما نيط خلف الراكب القدح الفرد * انتهى ونحوه لابن الاثير وقد أخذه منه أو التقدير لا تجعلوني مثل ماء قدح الراكب في الالتفات اليه عند الحاجة وتركه عند حال السعة قيل وما قدحه يا رسول الله قال (فان الراكب يملأ قدحه ثم يضعه) أي في رحله (ويرفع متاعه) أي على مركوبه أو يضع القدح حيث وقع ويرفع متاعه حيث ارتفع (فان احتاج الى شراب) أي شربه (شربه أو الوضوء) أي أو احتاج اليه (توضأ والا) أي وان لم يحتج الى شربه ولا الى وضوئه (هراقه) أي صبه وفي نسخة اهراقه بسكون الهاء وقيل بفتحها والهاء في هراق بدل من همزة اراق يقال الماء يريقه وهراقه يهريقه هراقة ويقال فيه أهرقت الماء اهريقه اهراقا فتجمع بين البدل والمبدل قال الحجازي ولا تفتح الهاء مع الهمزة (ولكن اجعلوني في أول الدعاء وأوسطه وآخره) أي اذكروني بالصلاة على في هذه المواطن خصوصا فانكم لن تستغنوا عني عموما (وقال ابن عطاء للدعاء أركان) أي يقوم بها كالاخلاص (وأجنحة) أي يطير بها ويصعد بسببها ولا بد من وجودها كأكل الحلال (وأسباب) أي أحوال للاجابة كحالة السجود والقراءة (وأوقات) أي أزمنة خاصة لها كالسحر وساعة الجمعة وقد بيناها كلها في شرح الحصن الحصين (فان وافق) أي الدعاء (أركانه) بان قارنها (قوي) أي باسناده اليها (وان وافق أجنحته طار في السماء) أي صعد اليها (وان وافق مواقيته) أي أزمنته وأمكنته (فاز) أي نجح اجابته وقضيت حاجته واستجيب قوله (وان وافق أسبابه أنجح) أي ظفر بطلبته (فاركانه حضور القلب) أي لمشاهدة الرب (والرقة) أي الليونة من أثر الرحمة (والاستكانة) أي الخضوع والتضرع والمذلة (والخشوع) أي الانكسار والافتقار والخشية

بضم أوله مبني للفاعل من أنجح اذا فاز وبلغ مقصوده ومطلوبه وهذا الحديث رواه عبد الرزاق والطبراني وابن أبي الدنيا بسند صحيح فيقدم صلاته على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ويختم بها ويوسطها في دعائه كما قال الخيضري ويدل له ما يأتي فكلما أكثر من صلاته عليه صلى الله عليه وسلم تحقق الاجابة

(وعن جابر) بن عبد الله فيما رواه البزار وأبو يعلى والبيهقي في شعب الايمان (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا تجعلوني كقدح الراكب) قيل وما قدحه يا رسول الله قال (فان الراكب) أي من يريد ركوب راحلته لسفر ونحوه (يملأ قدحه) وهو اناء صغير من خشب يشرب به ونحوه (ثم يضعه) عنده (ويرفع متاعه) الذي يريد حمله على راحلته (فان احتاج الى شراب) أي شرب ماء (شربه) أي شرب ماء قدحه الذي وضعه فيه (أو الوضوء) من ماء قدحه (توضأ) بالهمزة ويجوز ابدالها الفا (والا) أي وان لم يكن محتاجا لشرب أو وضوء (هراقه) بتقدير مضاف أي هراق ماءه أي صبه على الارض لاستغنائه عنه وأصل هراقه أراقه فابدلت همزته هاء وقد يجمع بينهما فيقال اهراقه وتفصيله في كتب العربية قال ابن الاثير وغيره معناه لا تؤخروني اذا صليتم على في الذكر وتجعلوا ذكري تبعا لغيره بل اعتنوا به فقدموه واذكروه في وسطه واختموا به كما أشار اليه بقوله (ولكن اجعلوني) أي اجعلوا ذكري في الصلاة على (في أول الدعاء وأوسطه وآخره) ففيه تشبيه تمثيلي بليغ لتأخر ذكره عن دعائه كما ان من يريد الركوب لراحلته يبدأ بمتاعه فيحمله ويجمع ماله وقدحه موضوع على الارض ثم ينظر لقدحه فيأخذ ما فيه أو يريقه وهذا كقول حسان رضي الله عنه في هجائه

فانت هجين نيط في آل هاشم * كما نيط خلف الراكب القدح الفرد

والراكب يجعل القدح خلفه وفي هذا الحديث زيادة على ما قبله بجعله أولا ووسطا وآخرا (وقال ابن عطاء) أبو العباس أحمد بن محمد بن سهل الآدمي وهو من أجل مشايخ الصوفية توفي سنة تسع وثلاثمائة (للدعاء أركان) أي أمور مهمة لا بد منها شبهت باركان البناء ومنه أركان الصلاة عند الفقهاء (وأجنحة) جناح الطير كاليد للانسان يحصل بها ما يريد وفيه استعارة تخييلية ومكنية شبه ما هو مقدمة لقبوله ورفعه الى السماء بالاجنحة للطائر (وأسباب) أي وسائل للوصول للمطلوب والفوز به (وأوقات) مخصوصة يكون فيها أسرع اجابة كأوقات الصلاة (فان وافق أركانه) أي قارنها وكانت تامة (قوي) أي كمل وتم كما يتقوى البناء والبدن باركانه (وان وافق أجنحته) بان كان له أجنحة كاملة (طار في السماء) أي صعد اليها وقبل كما (وان وافق مواقيته) جمع ميقات بمعنى الوقت أي ان وقع في أوقاته (فاز) أي بالاجابة وحصلها (وان وافق أسبابه أنجح) أي تم وكمل نجاحه وسعادته ثم بين ذلك فقال (فاركانه حضور القلب) أي توجهه توجها تاما بجميع فكره وحواسه (والرقة) أي رقة القلب وفسرها بقوله (والاستكانة) أي الخضوع والانقياد (والخشوع) بالذلة والخوف وعدم رفع الصوت والبصر

(وتعلق القلب بالله) أي بنفي ماسواه (وقطعه) أي الداعي (للاسباب) وفي نسخة عن الاسباب أي اعتمادا على رب الارباب (وأجنحته الصدق) بان لايجرى على لسانه الكذب ونحوه ويكون صادقا في قوله وفعله وبارا في عهده ووعده (ومواقيته الاسحار) أي ونحوها من مواقيت الاذكار وخصت بالاسحار لانها وقت الخلو عن الاغيار والخلوص عن الاكدار (وأسباب الصلاة) أي أنواعها بجعلها في أول الدعاء وأوسطه وآخره (على محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وفي الحديث الدعاء بين الصلاتين على لا يرد) أي بلا اجابة بل يستجاب البتة وقد قال الشيخ أبو سليمان الداراني اذا سألت الله حاجة فابدأ بالصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ثم ادع بما شئت ثم اختم بالصلاة عليه صلى الله تعالى عليه وسلم فانه سبحانه بكرمه تقبل الصلاتين وهو أكرم من ان يدع ما بينهما (وفي حديث آخر كل دعاء محجوب دون السماء فاذا جاءت الصلاة على صعد الدعاء) وهو مضمون حديث الترمذي عن عمر (وفي دعاء ابن عباس الذي رواه عنه حنش) بفتح مهملة ونون فشين معجمة وهو ابن عبد الله شيباني صنعاني دمشقي نزل أفريقية يروى عن علي وغيره وثقه أبو زرعة وغيره توفي سنة مائة (فقال في آخره واستجب دعائي ثم تبدأ بالصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أن تصلي) أي بان تصلي وفي نسخة فتقول اللهم اني أسألك أن تصلي (على محمد عبدك ونبيك ورسولك أفضل ما صليت على أحد من خلقك أجمعين) تاكيدا لما قبله (آمين) بالمد ويقصر قال الحلبي هذا الحديث الذي أشار اليه القاضي ليس هو في الكتب الستة والذي لحنش عن ابن عباس حديث يا غلام اني أعلمك كلمات احفظ الله يحفظك الحديث أخرجه الترمذي في الزهد وحديث آخر عن ابن ماجه انه عليه السلام قال لابن مسعود ومعك ماء قال لا نبيذ في سطيحة الحديث أخرجه ابن ماجه في الطهارة وليس له عن ابن عباس شيء في بقية الكتب ولا فيها الا هذين لحنش هذا ترجمة في الميزان وصحح عليه انتهى والحاصل ان الحديث ليس له أصل صحيح لكن الضعيف يذكر في الفضائل والمصنف امام جليل في حسن الشمائل ومن حفظ حجة على من لم يحفظ والمثبت مقدم والله أعلم

(وتعلق القلب بالله) بقطع النظر عما سواه (وقطعه الاسباب) بان لا يرجو غيره كما في الدعاء المأثور اللهم اقذف في قلبي رجاءك واقطع رجائي عما سواك (وأجنحته الصدق) بان يوقن بانه لا معطي ولا مانع غيره وفي الحديث الصدق يهدي الى البر فالصدق معناه خلوص النية والطوية (ومواقيته الاسحار) أي أواخر الليل لانها محل الاجابة وتجلي الرحمن وقرب عباده منه وهو أقوى في التوجه وفيه تهب نفحات الرحمة ونسمات الخير كما قال الله تعالى (وبالاسحار هم يستغفرون) وقال تعالى (ان قرآن الفجر كان مشهودا) (وأسبابه) المسرعة لحصول المراد (الصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم) كما تقدم وقال أسبابه والمراد أسباب اجابته ففي ذلك اشارة الى انه بدون الاجابة كالعدم وفيه اشارة الى الحديث ينزل ربنا كل ليلة الى سماء الدنيا في الثلث الاخير فيقول من يدعوني فاستجب له ومن يسألني فاعطه ومن يستغفرني فاغفر له كما في الصحيحين وقد اختلفوا هل الدعاء أفضل لما فيه من التذلل والافتقار أو السكوت لما فيه من التسليم والرضا فذهب الى كل طائفة وقيل انه يختلف باختلاف الاحوال وهو الارجح عند البعض وفيه كلام ليس هذا محله (وفي الحديث) لم يذكروا من رواه (الدعاء) الواقع (بين الصلاتين على) بان يصلي عليه صلى الله عليه وسلم قبله وبعده (لا يرد) أي فيستجاب ذلك الدعاء فان الصلاة عليه مقبولة ومن كرم الله اذا قبل الطرفين لا يترك ما بينهما وسئل السنوسي رحمه الله عن القطع بقبول الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم فاجاب بانه منصوص عن السلف واستشكله بانه لو قطع بها المؤمن المصلي عليه لقطع له بحسن الخاتمة اذا دعي بها مع الصلاة وبين الصلاتين عليه وهي مجهولة لكل أحد وأجاب بان معنى القطع بقبولها انه اذا قضى الله له بخاتمة الايمان ووجدت حسنة الصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فهي مقبولة بلا ريب فيها بفضل الله بخلاف سائر الحسنات فانه لا وثوق بقبولها ويحتمل انها اذا صدرت على سبيل المحبة من صاحبها يقطع بانتفاعه بها في الآخرة توجه ما ولو بتخفيف العذاب وفيه نظر (وفي حديث كل دعاء محجوب دون السماء) كما في حديث الترمذي عن عمر (فاذا جاءت الصلاة على) أي ذكرت معه (صعد الدعاء) الى السماء أي قبل واستجيب وقد أخرج الديلمي انه صلى الله عليه وسلم قال الدعاء محجوب حتى يصلي على محمد وأهل بيته (وفي دعاء ابن عباس الذي رواه عنه حنش) بفتح الحاء المهملة والنون وشين معجمة وهو ابن عبد الله بن عمرو بن حنظلة بن مهد أبو راشد التابعي الصنعاني أحد الداخلين الى الاندلس في صدر الاسلام وله رواية عن علي وابن عباس وغيرهما الا ان هذا الحديث لم يروه عنه في الكتب وروى له غيره توفي بافريقية سنة مائة وقيل ان قبره بسرقسطه (فقال في آخره) أي آخر الدعاء (واستجب دعائي ثم تبدأ بالصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) قبل ما تدعو به وتقول أسألك (أن تصلي على محمد عبدك ورسولك) صلاة من (أفضل ما صليت على أحد من خلقك أجمعين آمين) أي استجب وهو اسم فعل له * فان قلت هل يحسن أن يقال صلى

على سيدنا محمد قلت نعم ويجوز اتباع المأثور فيه ولكن اختلف في أيهما الافضل رعاية الادب أو امتثال الامر فذهب الى كل من القولين بعض وقيل امتثال الامر عين الادب وهو الظاهر ولنا عودة الى بسط الكلام فيه واطلاق السيد عليه صلى الله عليه وسلم جائز وكذا على الله وفيه خلاف ليس هذا محله (ومن مواطن الصلاة عليه) واماكنها (عند ذكره وسماع اسمه أو كتابته) وتقدم القول بان ذلك واجب كلما ذكر أو سمع ذكره أعم من أن يكون في الصلاة أو عند قراءة القرآن كما ذكره الخيضري في كتاب اللواء المعلم ورواه عن السلف قوله أو كتابته أي وعند كتابة اسمه وهل يكتفى بكتابة الصلاة عليه أو الافضل ان يتلفظ به تردد فيه بعضهم والافضل أن يكتبه ويتلفظ به ليحصل له الثواب الآتي في حديث من صلى على في كتاب اه على ما يأتي فيه وقال بعض الحفاظ كنت أكتب الحديث فلا أكتب الصلاة فقط فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقال لي اما تتم الصلاة في كتابك فما كتبت بعد ذلك الا صليت عليه وسلمت (أو عند الاذان) أي بعده وهو مستحب للمؤذن وسامعه لما رواه مسلم أنه عليه السلام قال اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا على فانه من صلى على صلاة صلى الله عليه بها عشرا الحديث وهل يقتصر على الصلاة ويذكر معها السلام لما ذكر ومن كراهة الاقتصار عليها مطلقا للآية السالفة كما صرح به النووي وقال غيره يقتصر عليها الظاهر حديث مسلم قال الخيضري وتستحب الصلاة عليه أيضا بعد الاقامة لما رواه الطبراني في كتاب الدعاء عن أبي الدرداء انه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استمع المؤذن يقيم يقول اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا سؤله يوم القيامة يسمعها من حوله ويحب أن يقولوا مثله وهذا مما سكتوا عنه انتهى وفيه ان الذي فيه انما هو استحباب الدعاء عنده الا الصلاة عليه صلى الله تعالى عليه وسلم (وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم) في حديث رواه مسلم عن أبي هريرة (رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل على) فيدخل فيه ما في هذا الموطن كله لان الذكر يشمل ذكره وذكر غيره والكتابة ذكر معنى وهذا دعاء عليه بان يذله الله لعدم اعزاز رسوله صلى الله عليه وسلم اذا ذكر عنده فلم يصل عليه ورغم يرغم كسأل يسأل رغما وارغمه الله أذله وهو من الرغام بمعنى التراب فجعل عبارة عما ذكر ولذا ذكر الانف الذي من أنف رفعه ويقال رفع أنفه اذا تكبر وهذا الحديث رواه الترمذي عن أبي هريرة ولفظه أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل على ورغم أنف رجل دخل عليه رمضان ثم انسلخ قبل ان يغفر له ورغم أنف رجل أدرك عنده أبواه الكبر فلم يدخلاه الجنة ورواه الحاكم أيضا وقال هو صحيح الاسناد وسيأتي الكلام عليه عند ذكر المصنف رحمه الله تعالى برمته (وكره ابن حبيب) وهو عبد الملك ابن حبيب بن سليمان بن هرون السلمي من ولد العباس بن مرداس الصحابي وقيل عبد الملك بن سليمان وهو فقيه نحوي طبيب مفسر محدث الا انه لم يكن له نقد ونظر تام في الحديث توفي سنة ثمان أو تسع وثمانين ومائتين (ذكر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عند الذبح) وهو مذهب مالك وقال غيره يستحب وانما كره لئلا يكون مما أهل به لغير الله والى هذا ذهب الحنفية كما في المحيط وخالفهم الشافعي فقال في الام وتسن التسمية على الذبيحة عند الذبح باسم الله ولا أكره ان يقول وصلى الله على رسول الله بل أحبه وقال المزني انها لا تستحب ولا تكره فهي مباحة وقال الاوزاعي تختص ذلك بما اذا كان قربة كالاضحية وقال الرافعي لا يجوز أن يقول باسم محمد ولا باسم الله واسم محمد وذهب بعضهم الى ان ما ذبح باسم غير الله لا يحل أكله وكذا ما ذبح للكعبة أو عند قدوم سلطان وقيل ان قصد التبرك جاز ونقل عن ابن حنبل فيه خلاف وكذا قيل انه لا يستحب عند العطاس كما يأتي وقيل انما يكره اذا لم يقصد بعد الحمد الصلاة على من سنه وقال الحطاب الذي تحصل من كلام المالكية ان في الصلاة على النبي عند الذبح والعطاس قولين ويكره عند الجماع والحاجة انتهى (وكره سحنون) الفقيه المشهور المالكي واسمه عبد السلام بن عبد السلام بن سعد بن حبيب بن حسان التنوخي وهو بمرتبة من الكمال فضلا

(ومن مواطن الصلاة عليه عند ذكره أو سماع اسمه أو كتابته) وفي نسخة أو كتابه (أو عند الاذان) أي الاعلام الشامل للاقامة (وقد قال عليه السلام) كما في رواية مسلم عن أبي هريرة (رغم) بكسر الغين ويفتح أي لصق بالتراب وذل (أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي) وفي حديث بعثت مرغمة للمشركين وفي هذا دعاء عليه أي لحقه هوان ومذلة مجازاة بترك تعظيمي بالصلاة على حين سمع اسمي (وكره ابن حبيب) وهو عبد الملك القرطبي أحد الائمة ومصنف الواضحة (ذكر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عند الذبح) ولعل وجه الكراهة توهم اشتراك اسمه باسم الله سبحانه بان يقول بسم الله وصلى الله تعالى عليه وسلم واما ان قال بسم الله والنبي ونحوه فلا شك انه حرام ولا يحل أكل تلك الذبيحة وربما يكفر قائله والحاصل ان أصحاب أبي حنيفة كرهوا الصلاة في هذا الموطن كما ذكره صاحب المحيط وعلله بان قال لان فيها ايهام الاهلال لغير الله تعالى (وكره سحنون) بفتح فسكون فضم وهو منصرف وهو أبو سعيد عبد السلام

(الصلاة عليه عند التعجب وقال) أى فى تعليله (لا يصلى عليه الا على طريق الاحتساب وطلب الثواب) عطف تفسير لما قبله ويؤيده ما قال بعض أئمتنا من ذكر الله عند فتح سلعته أو نشر سلعته وارادة ترويجها واجتماع الناس عليها بكفر وفى تحفة الملوك ومنحة السلوك للعينى ويحرم التسبيح والتكبير والصلاة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عند عمل محرم أو عرض سلعة أو فتح متاع انتهى فاذكره الانطاكى من قوله كذلك كره أصحابنا الحنفية للسوقى أن يصلى عليه عليه السلام عند فتح بضاعته وعرضها على المشترى لانه يقصد بذلك تحسين ٤٦٢ بضاعته وترغيب المشترى فى تجارته لا الاحتساب وطلب الثواب ينبغى أن يحمل على الكراهة التحريمية واذا قصد المثوبة وغيرها فتكون الكراهة تنزيهية والله أعلم (قال) وفى نسخة وقال (أصبغ) بفتح فسكون فوحدة مفتوحة فغين معجمة وهو غير مصروف وهو ابن فرج ابن سعيد بن نافع أبو عبد الله الاموى مولى عمر ابن عبد العزيز المصرى الفقيه روى عن ابن وهب والدراوردى وطائفة وعنه البخارى وجماعة قال ابن معين كان أعلم خلق الله برأى مالك صدوق عالم ورع (عن ابن القاسم) وهو أبو عبد الله المصرى الفقيه صاحب مالك وثقه غير واحد ورع زاهد أخرج له البخارى والنسائى وردعنه قال خرجت الى مالك اثنى عشرة مرة أنفقت كل مرة ألف دينار (موطنان لا يذكر فيهما) بصيغة المفعول (الا الله الذبيحة والعطاس) بضم أوله وهو العطسة (فلا تقل) بصيغة الخطاب وفى نسخة بصيغة الغيبة مجهولا (فيهما) أى فى الذبيحة والعطاس (بعد ذكر الله محمد رسول الله) أى لاختصاص ذكر الله تعالى بهما ويؤيده ما رواه أبو محمد الخلال بسنده عن معاذ بن جبل رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال موطنان لا حظ لى فيهما عند العطاس والذبح وأخرج الديلمى فى مسند الفردوس له من طريق الحاكم عن أنس وهو عند البيهقى فى السنن الكبرى عن الحاكم من غير ذكر الصحابى عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال لا تذكرونى فى ثلاثة مواطن عند العطاس وعند الذبيحة وعند التعجب (ولو قال بعد ذكر الله صلى الله تعالى) وفى نسخة وصلى الله تعالى (على محمد لم يكن تسميته) وفى نسخة تسمية (له مع الله) لانها جملة منفصلة عما قبلها وفيه

وزهدا وسماحة ولد فى رمضان سنة ستين أو احدى وستين ومائة وتوفى لتسع خلون من رجب سنة أربعين ومائتين وعمره ثمانون سنة كما فى الميزان وسينه مضمومة ويجوز منع صرفه وفتح سينه أيضا كما سيأتى (الصلاة عليه) صلى الله عليه وسلم (عند التعجب) لرؤية أمر عجيب وهو مذهب مالك واليه ذهب الشافعية كما فى الاذكار للنووى وقال الحليمى من الشافعية لا يكره كسبحان الله لان التسبيح تنزيه لموجد العجائب والصلاة عليه لانه أعظم المخلوقات وأعجبها والشئ بالشئ يذكر وقال قاضيخان لو رأى شيأ جيدا فقال اللهم صل على محمد لان قصد الاعلام بجودته كره والناس يستعملونه نظما ونثرا قال عرفلة

أقبل يهتز فى غلالته * من ليس يشفى لعاشق عمله فقال كل امرئ تأمله * ألف صلاة على رسول الله

وقلت فى مطلع قصيدة ظبى على الصب حين سلم * صلى على المصطفى وسلم

(وقال) سحنون (لا يصلى عليه) صلى الله تعالى عليه وسلم (الا على طريق الاحتساب) أى من غير سبب بل خالصا لوجه الله وحسبة (وطلب الثواب) لا للتعجب وغيره كما أمرنا الله به تعظيما له وأما عند الضحك ورؤية مستقذر فقالوا يخشى عليه الكفر وقال العينى لا يؤمر بها عند الغضب خوفا من ان يحمله الغضب على الكفر ونقله النووى فى اذكاره عن بعض الشافعية وأقره عليه (وقال أصبغ) هو أبو عبد الله بن أصبغ بن فرج بن سعيد بن نافع الاموى مولى عمر بن عبد العزيز المصرى الفقيه الجليل المحدث روى عنه البخارى وغيره وتوفى سنة خمس وعشرين ومائتين فى قول (عن ابن القاسم) عبد الرحمن بن القاسم بن خالد بن جنادة المصرى امام الفقه صاحب الامام مالك وهو ثقة حجة توفى سنة احدى وتسعين ومائة وارتحل الى الامام مالك اثنى عشر مرة أنفق فى كل مرة ألف دينار (موطنان لا يذكر فيهما الا اسم الله الذبيحة والعطاس فلا تقل فيهما محمد رسول الله) أى لا تقول فيهما باسم الله وباسم محمد رسول الله لئلا يكون الاهلال فى الذبيحة لغير الله والعطاس يدل على قوة الدماغ الدافعة لاذى البخار فهو نعمة من الله خفية لا يقدر عليها غير الله فيذكر اسمه شكرا له على نعمه دون غيره قال أصبغ (ولو قال بعد ذكر الله) فيهما وصلى الله على محمد (ولم يكن) ذلك (تسمية له مع الله) ولكنه صلاة عليه بنية التقرب الى الله بالصلاة عليه فلا يكره وعن أبى سعيد الخدرى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال من عطس فقال الحمد لله على كل حال وصلى الله على محمد وعلى أهل بيته أخرج الله عز وجل من منخره الايسر طائرا يقول اللهم اغفر لقائلها أخرجه الديلمى فى الفردوس بسند لا بأس به وعطس رجل عند ابن عمر فحمد الله فقال له لقد بخلت هلا حيث حمدت الله صليت على نبيه ولذا رجح البيهقى استحباب الصلاة عليه عند العطاس واليه ذهب جماعة وقال الآخرون لا يستحب ولكل موطن ذكر يخصه واستدلوا بحديث لا تذكرونى فى ثلاث مواطن عند العطاس والذبيحة والتعجب وروى بعد تسمية الطعام بدل التعجب أخرجه الديلمى فى مسنده

(وقال له) أي وذكره أيضا (أشهب) وهو ابن عبد العزيز بن داود أبو عمر القيسي المصري الفقيه يروي عن الليث ومالك وطائفة وعنه سحنون وجماعة توفي بعد الشافعي بثمانية عشر يوما وله أربع وستون سنة أخرج له أبو داود والنسائي قال ابن يونس هو أحد فقهاء مصر وذوي رأيها وقال ابن عبد البر كان فقيها حسن الرأي والنظر فضله ابن عبد الحكم على ابن القاسم في الرأي (قال) أي أشهب (ولا ينبغي ان تجعل الصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فيه) أي فيما ذكر أو في كل منهما (استنانا) وفي نسخة استئنافا أي سنة واستحسانا خلافا للشافعي حيث قال لا أكره مع التسمية على الذبيحة ان يقول صلى الله تعالى عليه وسلم على محمد بل أحب ذلك (وروى النسائي) وكذا أبو داود وابن ماجه وابن حبان والحاكم وصححه (عن أوس ابن أوس) ثقفي صحابي سكن دمشق أخرج له أصحاب السنن الاربعة وأحمد في المسند قال الحلبي وفي الصحابة من اسمه أوس خمسة وأربعون (عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الامر بالاكثار من الصلاة عليه يوم الجمعة) ولفظه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من أفضل أيامكم يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه قبض وفيه الصعقة فاكثروا فيه من الصلاة علي فان صلاتكم معروضة علي قالوا كيف تعرض صلاتنا عليك وقد ارمت أي بليت قال ان الله عزوجل حرم على الارض ان تأكل أجساد الانبياء ورواه أيضا أحمد وابن أبي عاصم والبيهقي والطبراني وابن خزيمة وصححه النووي في الاذكار وجاء في هذا الباب أحاديث كثيرة وفي بعضها تعين عدد الصلاة بثمانين وفي بعضها بمائة وفي بعضها بالالف وكذا ورد أحاديث في الصلاة عليه ليلة الجمعة (ومن مواطن الصلاة عليه والسلام) أي الجمع بينهما (دخول المسجد) أي بعد تحققه وحصوله أو قصد دخوله ووصوله (قال أبو اسحق ابن شعبان) أي المصري المالكي (وينبغي لمن دخل المسجد ان يصلي على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى آله ويترحم عليه وعلى آله ويبارك عليه وعلى آله ويسلم) أي عليه وعلى آله كما في نسخة (تسليما ويقول اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك

وفيه من اتهم بالوضع وقال الخيضري يستحب لمن تعجب ان يصلي على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ذكره شيخنا وقال أخذته من نص الشافعي رحمه الله تعالى في قوله أحب ان تكثر الصلاة عليه في كل الحالات فدخل ذلك في عمومه وفيه نظر (وقاله أشهب) أي كما قال أصبغ وأشهب هو أبو عمر لقب بمسكين بن عبد العزيز بن داود بن ابراهيم العبسي ولد سنة أربعين ومائة وقيل سنة ست وخمسين وتوفي سنة ثلاث أو أربع ومائتين بعد الشافعي بثمانية عشر يوما وسنه أربع وستون وأخرج له أصحاب السنن وهو أحد فقهاء مصر المالكية حتى فضل على ابن القاسم (قال) اشهب (ولا ينبغي ان يجعل الصلاة فيه) أي فيما ذكر من الذبيحة والعطاس (استنانا) أي سنة وطريقة لانه تشريع فيما لم ينقل وقيل الاستنان هنا بمعنى الفرح والنشاط واللعب وقيل معنى استن جرى في غير طريق وهو خلاف الظاهر والذي عليه الشراح الاول والكلام على ذكر الله والتسمية عند الذبح وانه سنة أو واجب مفصل في الفروع (وروى النسائي) وأبو داود وابن ماجة وابن حبان والحاكم وصححه (عن أوس بن أوس) الثقفي الصحابي ويقال أوس بن أبي اويس كما في الاستيعاب (عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الامر بالاكثار من الصلاة عليه يوم الجمعة) وليلتها لانه أفضل الاوقات ولما ورد ان الصلاة عليه تعرض عليه فيه والحديث المذكور طرف من حديث أفضل أيامكم يوم الجمعة فيه خلق الله آدم وفيه قبض وفيه النفخة وفيه الصعقة واكثروا من الصلاة فيه علي فان صلاتكم معروضة علي قالوا يا رسول الله وكيف تعرض عليك صلاتنا وقد ارمت يعني بليت فقال ان الله حرم على الارض ان تأكل أجساد الانبياء وفيه أحاديث أخر بمعناه وهذا أحد مواطن الصلاة عليه (ومن مواطن) استحباب (الصلاة عليه) صلى الله تعالى عليه وسلم (دخول المسجد) أي عند ارادة دخوله والخروج منه كما سيصرح به لورود الامر به في الحديث (وقال أبو اسحق بن شعبان) هو محمد قاسم المصري وقد تقدم بيانه (وينبغي لمن دخل المسجد ان يصلي على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى آله) تبعا له كما مر (وان يترحم عليه وعلى آله) أي فيقول اللهم ارحم محمدا وآل محمد وقد تقدم الكلام في الدعاء له بالرحمة وما فيه (ويبارك عليه وعلى آله) أي يقول اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد أي زد البركة وأدمها لهم كما تقدم شرحه (ويسلم تسليما) أي يقول صل عليه وسلم تسليما فيأتي بالسلام مؤكدا كما ورد الامر به في الآية الكريمة وتقدم ان النووي كره افراد الصلاة عن السلام (ويقول) بعد الصلاة والسلام وفي الاذكار تقول أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وبسلطانه القديم من الشيطان الرجيم اللهم صل على محمد وعلى آل محمد (اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك) وروى النسائي وابن ماجة اذا دخل أحدكم المسجد فليصل على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ثم ليقل اللهم افتح لي أبواب رحمتك فاذا خرج صلى وقال اللهم اني أسئلك من فضلك وروى أجرني من الشيطان وما في معناه وفيما ذكره النووي زيادة وسيأتي للمصنف ذكرها في آداب

وإذا خرج) من المسجد (فعل مثل ذلك) أي من الصلاة والدعاء ويروى يقول مثل ذلك (واجعل موضع رحمتك وفضلك) وهذا مأخوذ من حديث أحمد وأبي يعلى والترمذي وحسنه عن فاطمة رضي الله تعالى عنها كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا دخل المسجد قال صلى الله تعالى عليه وسلم ثم قال اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك واذا خرج قال صلى الله على محمد وسلم ثم قال اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب فضلك وأصله في حديث مسلم وليس فيه ولا في غيره وترحم وبارك ثم لا يخفى مناسبة طلب الرحمة في دخول المسجد للطاعة وملاءمة طلب الفضل وهو الرزق عند خروجه على وجه الاباحة كما يشير اليه قوله سبحانه فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله (وقال عمرو بن دينار) هو أبو محمد مولى قيس مكي امام يروي عن ابن عباس وابن عمر وجابر وعنه شعبة وسفيانان وحمادان وهو عالم حجة أخرج له الائمة الستة (في قوله) أي الله سبحانه وتعالى (فاذا دخلتم بيوتا) بضم الباء وكسرها (فسلموا على أنفسكم) أي على أهليكم تحية من عند الله مباركة طيبة (قال) أي ابن دينار وهو من كبار التابعين المكيين وفقهائهم (ان) وفي نسخة فان (لم يكن في البيت أحد فقل السلام على النبي ورحمة الله وبركاته) أي لان روحه عليه السلام حاضرة في بيوت أهل الاسلام (السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين) أي من الانبياء والمرسلين والملائكة المقربين (السلام على أهل البيت) لعله أراد بهم مؤمني الجن (ورحمة الله وبركاته) وظاهر القرآن عموم البيوت لان لاسيما وسابقه بيوتكم وبيوت آبائكم الآية ويؤيده حديث أنس متى لقيت أحدا من أمتي فسلم عليه يطل عمرك واذا دخلت بيتك فسلم عليهم يكثر خير بيتك وصل صلاة الضحى فانها صلاة الابرار الاوابين (قال ابن عباس) أي في رواية ابن أبي حاتم (المراد بالبيوت هنا المساجد) ولعله أراد انها تشمل المساجد فانها أفضل البيوت كما يشير اليه قوله سبحانه في بيوت اذن الله ان ترفع الآية فالتنوين للتنكير أو أراد ان التنوين للتعظيم فيختص بالمساجد لانها أعلى المشاهد (وقال النخعي) وهو ابراهيم بن يزيد العالم الجليل

المسجد النبوي قيل وينبغي ذكر السلام أيضا وسيأتي ما يصرح به وذلك لان المساجد محل العبادة والثواب والرحمة والمراد بابواب الرحمة أنواعها وفتحها تيسيرها واعطاؤها وعبر بالفتح وابوابها لمناسبته للدخول ففيه من اللطف ما لا يخفى وكذا في قوله (واذا خرج) من المسجد (فعل مثل ذلك) أي يقول ما قاله بعينه (وجعل موضع رحمتك فضلك) لان من خرج من المسجد يخرج بكسبه ومصالحه ملتمسا لفضل الله كما قال الله تعالى فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله وسيأتي بسط الكلام على ذلك والحديث في مسلم الا قوله وترحم وبارك (وقال عمرو بن دينار) هو أبو محمد مولى قيس الامام المكي التابعي توفي سنة ست وعشرين ومائة وله ترجمة في الميزان (في قوله تعالى فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم الآية) فهذا أحد المواطن التي تستحب فيها الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم عند دخول المرء منزله وفي هذه الآية أقوال للمفسرين فقيل البيوت المساكن وقيل المساجد كما يأتي وفي قوله على أنفسكم وجهان أيضا فقيل هو على ظاهره وقيل المراد به من فيها بجعله كنفسه لاتحاد جنسه وأهله وقال تحية من عند الله مباركة طيبة ومعنى كونها من عنده انه أمر بها وكونها مباركة لحصول البركة وسعة الرزق بها وطيبها التذلك وأطيب الانفس بها * (فائدة) * قال الامام الخيضري في اللواء المعلم روى أبو موسى المديني عن سهل بن سعد قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فشكا اليه الفقر وضيق العيش أو المعاش فقال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا دخلت منزلك فسلم ان كان فيه أحد او لم يكن ثم سلم علي ثم اقرأ قل هو الله أحد مرة واحدة ففعل الرجل فادر الله عليه الرزق حتى أفاض عليه خيراته (قال) أي ابن دينار (ان لم يكن في البيت أحد) يسلم عليه (فقل السلام على النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين) من الملائكة وغيرهم (السلام على أهل البيت ورحمة الله وبركاته) كلام المصنف هنا في استحباب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم لمن دخل المسجد وهذا التفسير لا يوافقه لانه لم يذكر فيه صلاة وهو مبني على ان المراد بالبيوت المنازل فاما ان يقال ذكره استطرادا أو تتميما لكلام المفسرين فيها أو يقال انه اذا شرع التسليم على أهل كل بيت فبيت الله وأهله أولى ولكن حمل التحية على هذا على الصلاة عليه صلى الله تعالى عليه وسلم مع انه خلاف الظاهر لم يقله المفسرون فان التحية عندهم على هذا بمعنى السلام على من بالمنزل لما رواه الترمذي من انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال اذا دخلت على أهلك فسلم تكن بركة عليك وعلى أهل بيتك كذا قيل وهو تكلف لا داعي له (قال ابن عباس) رضي الله عنهما فيما رواه عنه ابن أبي حاتم (المراد بالبيوت هنا) أي في هذه الآية (المساجد) لانه ورد اطلاقها عليها حقيقة فاذا دخلها سن له الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم كما تقدم تفصيله (وقال النخعي) بفتح المعجمة نسبة لقبيلة وهو ابراهيم بن يزيد بن الاسود بن عمرو بن ربيعة فقيه الكوفة المشهور توفي سنة خمس أو ست وتسعين لا الاسود بن يزيد الكوفي كما قيل

(اذا لم يكن في المسجد أحد فقل السلام على رسول الله واذا لم يكن في البيت أحد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين) ولا منع من الجمع فيهما (وعن علقمة) أي ابن قيس الفقيه النبيه (اذا دخلت المسجد) أي أنا (أقول السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته صلى الله وملائكته على محمد) أي أجمع بين الصلاة والسلام عليه (ونحوه عن كعب) أي كعب الاحبار (اذا دخل المسجد واذا خرج) أي في الوقتين (ولم يذكر الصلاة) أي كعب بخلاف علقمة (واحتج ابن شعبان لما ذكره) أي فيما مر من انه ينبغي لمن دخل المسجد أن يصلي الخ ويروى لما ذكر (بحديث فاطمة بنت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان يفعله اذا دخل المسجد) لكن سبق انه لم تذكر فيه ترحما ولا مباركة وحديثها أخرجه الترمذي في الصلاة وفيه ارسال فاطمة بنت الحسين ولم يذكر فاطمة بنت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأخرجه ابن ماجه في الصلاة أيضا (ومثله) أي ومثل حديثها أو مثل حديث علقمة (عن أبي بكر بن عمرو بن حزم) أي الانصاري قاضي المدينة وأميرها يروي عن السائب بن يزيد وغيره وعنه الاوزاعي ونحو أخرج له الائمة الستة (وذكر) وفي نسخة فذكر (السلام والرحمة وقد ذكرناهذا الحديث) أي حديثها (آخر القسم) أي الثاني وفي نسخة في آخر هذا القسم (والاختلاف في لفظه) أي من روايته عنها (ومن مواطن الصلاة عليه أيضا الصلاة على الجنائز وذكر) أي وروى (عن أبي امامة انها من السنة) قال الحلبي أبو امامة هذا الظاهر انه سعد بن سهل ابن حنيف بن واهب بن الحكم بن ثعلبة أبو امامة الانصاري ولد في زمان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وسماه عليه السلام وكناه وبرك عليه وحديثه مرسل وروى عن عمر وعنه الزهري ويحيى بن سعد وخلق فان قيل لم قلت ان أبا امامة هذا الظاهر انه سعد فالجواب أن حديثه المشار اليه هو في مستدرك الحاكم رواه من طريق يونس عن الزهري أخبرني أبو امامة بن سهل انه أخبره رجال من الصحابة في الصلاة على الجنائز أنه يكبر الامام ثم يصلي على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ويخلص الصلاة في التكبيرات الثلاث ثم يسلم تسليما خفيفا حتى ينصرف والسنة أن يفعل من وراءه مثل ما فعل امامه قال الزهري حدثني بذلك أبو امامة وابن المسيب يسمع فلم ينكر فذكرت الذي قال لمحمد بن سويد فقال وأنا سمعت الضحاك بن قيس يحدث عن حبيب بن مسلمة في صلاة صلاها على الميت مثل الذي حدثنا به أبو إمامة على شرطهما سكت عليه الذهبي ولم يتعقبه وله حديث في سنن النسائي السنة في الصلاة على الجنازة ان يقرأ في التكبيرة الاولى

لان الاول هو المتبادر لشهرته (اذا لم يكن في المسجد أحد) ودخله يا رجل (فقل السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم) تحية من عند الله مباركة عليه (واذا لم يكن في البيت أحد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين) وهذا يقتضي استحباب السلام عليه ولم يذكر معه الصلاة عليه وهكذا ورد في الحديث كما تقدم وقد عدوا من مواطن الصلاة عليه دخول المنزل والمسجد كما علم (وعن علقمة) بن قيس أبو شبل الفقيه كما تقدم (اذا دخلت) أنا (المسجد أقول السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته صلى الله وملائكته على محمد) كما تقدم من انه يسن لداخل المسجد والخارج منه ان يصلي صلى الله عليه وسلم وفي هذا زيادة السلام عليه على الصلاة وتقديمه عليها (ونحوه) مروي (عن كعب) الاحبار وقد تقدم بيانه (اذا دخل) المسجد (واذا خرج) منه (ولم يذكر الصلاة) على النبي صلى الله عليه وسلم وهي مستحبة أيضا (واحتج ابن شعبان لما ذكره) فيما تقدم من استحباب أن يصلي عليه صلى الله عليه وسلم وعلى آله ويترحم عليهم ويبارك ويسلم تسليما (بحديث فاطمة) الذي تقدم الا انه ليس فيه ترحم وتبرك (بنت النبي صلى الله عليه وسلم انه صلى الله عليه وسلم كان يفعله اذا دخل المسجد ومثله) أي مثل حديث فاطمة وبمعناه روي (عن أبي بكر بن عمرو بن حزم) هو محمد بن عمرو بن حزم قاضي المدينة وأميرها ولد قبل وفاة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بسنتين فسماه صلى الله تعالى عليه وسلم محمدا وقيل انه ولد بنجران وأبوه عامل عليها من قبله صلى الله تعالى عليه وسلم في سنة عشر من الهجرة فسماه أبو سليمان وكتب بذلك الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فأمره أن يسميه محمدا ويكنيه بعبد الملك ففعل وتوفي سنة عشرين ومائة وأخرج له الستة (وذكر) أي ابن حزم (السلام والرحمة) أي الدعاء بهما (وقد ذكرنا هذا الحديث) يعني حديث فاطمة الزهراء (في آخر القسم) الثاني من هذا الكتاب (و) ذكرنا (الاختلاف في) بعض (ألفاظه) لتعدد طرقه وتغاير بعض ألفاظه (ومن مواطنها أيضا) أي الصلاة عليه صلى الله تعالى عليه وسلم التي تستحب فيها (الصلاة على الجنائز) وهي عند الشافعي من أركانها بعد التكبير الثانية ويقرأ بعد الاولى سورة الفاتحة ثم يدعو للميت بعد الثالثة كما بينه الفقهاء وتجزي الفاتحة بعد غير الاولى (وعن أبي امامة) هو أسعد بن سهل بن حنيف بن واهب بن العليم بن ثعلبة الانصاري ولد في زمنه صلى الله تعالى عليه وسلم فكناه وبرك عليه ولم يسمع منه وحديثه مرسل وتوفي سنة مائة وأخرج له الستة (انها من السنة) فتستحب في صلاة الجنازة عنده وليست من أركانها

بأم القرآن مخافتة ثم يكبر ثلاثا والتسليم عند الاخيرة ثم اعلم أن التكبيرات عندنا أركان وأما الثناء بعد الاولى والصلاة بعد الثانية والدعاء بعد الثالثة فسنن ولو قرأ الفاتحة بنية الثناء جاز وذكر الدبجى ان الصلاة على النبي عند الشافعى من أركانها ومحلها كما جزم به فى المنهاج الكبيرة الثانية لحديث النسائى ومحمد بن نصر المروزى عن أبى امامة بن سهل الصحابى لا أبى امامة الباهلى قال السنة فى الصلاة على الجنائز أن يكبر ثم يقرأ بأم القرآن ثم يصلى على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ثم يخلص الدعاء للميت ولا يقرأ الا فى التكبيرة الاولى ثم يسلم حديث صحيح صححه الحاكم وحكمه الرفع اليه صلى الله تعالى عليه وسلم (ومن مواطن الصلاة التى مضى عليها عمل الامة ولم تنكرها) أى على عاملها (الصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فى الرسائل) أى المكاتيب والوسائل (ويكتب بعد البسملة) أو الحمدلة لا قبلهما (ولم يكن هذا) أى ابتداء الرسائل بها (فى الصدر الاول) أى فى زمنه عليه السلام مطلقا أو فى زمن أصحابه شائعا فلا ينافى ماذكره الدلجى من انه أول من فعله من الخلفاء أبو بكر بشهادة ما فى سيره الكلاعى أن بنى سليم لما ارتدوا كتب الى عامله عليهم طريقة بن حاجر بسم الله الرحمن الرحيم من أبى بكر خليفة رسول الله الى طريقة بن حاجر سلام عليك فانى أحمد اليك الله الذى لا اله الا هو وأسئله أن يصلى على محمد صلى الله تعالى عليه وسلم أما بعد الخ وفى أذكار النووى عن حماد بن سلمة أن مكاتبة المسلمين كانت من فلان الى فلان أما بعد سلام عليك الخ وأصله كتابه عليه السلام الى هرقل عظيم الروم ثم أحدث هذه الزنادقة هذه المكاتبات المبدوءة بالطليقة أى أطال الله بقاءك (وأحدث) بصيغة المجهول أى وابتدع ابتداء الرسائل بها (عند ولاية بنى هاشم) أى بنى عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم وأولهم السفاح (فمضى به عمل الناس فى اقطار الارض) أى نواحيها (ومنهم من يختم به) أى بما ذكر من الصلاة عليه عليه السلام (أيضا) مع الابتداء به أو بدونه (الكتب) أى المكاتب (وقال

وذهب الشافعى فى أحد قوليه انها واجبة واستدل بقول أبى امامة لان مراده بالسنة طريقته صلى الله تعالى عليه وسلم فيشمل الواجب وغيره وقول الصحابى ونحوه من السنة كذا فى حكم المرفوع واختلفوا فى الصلاة على الآل هنا أيضا فقيل واجبة وقيل سنة وروى المزنى انه يحمد الله ثم يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ويدعو للمؤمنين والمؤمنات وقيل ان التحميد لا يعرف هنا ويصلى عليه صلى الله تعالى عليه وسلم عند ادخال الميت قبره أيضا فيقول بسم الله وعلى ملة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كما رواه الترمذى وأبو داود وهذا الحديث رواه الشافعى فى الام الا ان فى سنده ضعفا كما قاله الخيضرى ورواه الحاكم والبيهقى وغيرهما وهذا وجه عند أبى حنيفة وأحمد ومالك (ومن مواطنها) مواطن الصلاة التى يستحب فيها (الصلاة) عليه صلى الله تعالى عليه وسلم (التى عليها عمل الامة ولم تنكرها) الامة (الصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى آله) تبعا له (فى الرسائل) جمع رسالة كعصائب وعصابة بمعنى المفعول وهو المكتوب الذى يرسل مطلقا ولا وجه لتخصيصه بما يكتب بين الاخوان كما قيل (وما يكتب بعد البسملة) أى كتابة بسم الله الرحمن الرحيم وهو من باب النحت كالحوقلة والسبحلة وليس بمولد كما قيل لسماعه من العرب كما رواه الثقة وكتابة البسملة سنة فى الكتب المقررة فى القرآن والسنة لقوله تعالى (انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم) وتقدم على غيرها وذكر سليمان انما هو عنوان للكتاب لا فاتحة له كما ذكره المفسرون (ولم يكن هذا) أى ابتداء الكتب بالصلاة على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (فى الصدر الاول) أى فى ابتداء الاسلام وزمن الخلفاء الراشدين فالصدر مستعار للابتداء والاول صفة موضحة ومفسرة له (وأحدث عند ولاية بنى هاشم) يعنى بنى العباس واختلف فى أول من كتبه فقيل السفاح عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس وقيل هرون الرشيد وأورد عليه ان الكلاعى قال فى كتاب الاكتفاء عن الواقدى بسنده ان أبا بكر الصديق رضى الله تعالى عنه كتب فى ردة بنى سليم الى طريقة بن حاجر عامله ما صورته بسم الله الرحمن الرحيم من أبى بكر خليفة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى طريقة بن حاجر سلام عليك فانى أحمد الله الذى لا اله الا هو وأسأله ان يصلى على محمد صلى الله تعالى عليه وسلم أما بعد الى آخره فهذا يدل على ان أول من فعله الصديق الا انه ترك ذلك فى زمن بنى أمية وفى الاذكار مثله وهو يدل على انه سنة قديمة وهذا غفلة عن مورده عن قوله بعد البسملة فانهم أحدثوا أن يكتب بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله تعالى وسلم فتصديره بذلك على جميع ما بعده وليس فيما ذكره ذلك فتفطن له ثم اختلفوا فى الصلاة هل تعطف أولا على قولين فمن عطف فظاهر ومن قطعه رآه انشاء وفى عطفه على الخبر كلام طويل فى كتب النحو والمعانى (فمضى عليه عمل الناس فى أقطار الارض) أى استمر فصار سنة أو بدعة حسنة مستحبة (ومنهم من يختم به أيضا الكتب) أى كما بدأ به فيجعل فى الاول والآخر لتشمل بركته جميع ما كتبه

(وقال عليه السلام من صلى علي في كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له مادام اسمي في ذلك الكتاب) رواه الطبراني في الاوسط بسند حسن والخطيب في شرف أصحاب الحديث وأبو الشيخ في الثواب وغيرهم (ومن مواطن السلام) أي بانفراده (على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم تشهد الصلاة) أي في أثنائه (قال) كذا في نسخة أي المصنف

(حدثنا أبو القاسم خلف بن ابراهيم المقرى الخطيب رحمه الله تعالى وغيره) أي من مشايخه المعروفة عنده ولا يضره قول الحلبي لا أعرفه (قال) أي أبو القاسم (حدثتني كريمة) وفي نسخة صحيحة قالوا حدثتنا (بنت محمد) وفي نسخة بنت أحمد وقد تقدمت (قالت ثنا) أي حدثنا (أبو الهيثم) أي الكشميهني (ثنا محمد بن يوسف) أي الفربري (ثنا محمد بن اسماعيل) أي الامام البخاري (ثنا أبو نعيم) بالتصغير هو الفضل بن دكين الحافظ يروى عن الاعمش وطائفة وعنه البخاري وجماعة (ثنا الاعمش) وهو سليمان ابن مهران (عن شقيق بن سلمة) أي الاسدي مخضرم سمع عمر ومعاذا وقال أدركت سبع سنين من سني الجاهلية وكان من العلماء العاملين أخرج له الائمة الستة (عن عبد الله بن مسعود) وقد رواه أصحاب الكتب الستة وعنه (وعن النبي صلى الله عليه وسلم) عتمد الدلجي على أصله السقيم قال ظاهره على انه موقوف عليه وهو في حكم المرفوع (قال اذا صلى أحدكم) أي فرضا أو نفلا فليقل) أي في كل قعدة من صلاته وجوبا (التحيات لله والصلوات والطيبات) أي العبادات القولية والفعلية والمالية كلها لله تعالى السلام عليك أيها النبي

(وقال عليه الصلاة والسلام من صلى علي في كتاب لم تزل الملائكة تستغفر الله له مادام اسمي) مكتوبا (في ذلك الكتاب) أي المكتوب مطلقا وليس المراد به المصنفات كما يتوهم حتى يقال ان تدوين الكتب حدث بعد العصر الاول هو من المغيبات التي أخبر بها صلى الله عليه وسلم وقال الشيخ زروق في معنى ذلك يحتمل ان المراد كتب الصلاة وهو أظهر أو قرأ الصلاة المكتوبة وهو أوسع وأرجى انتهى وقال بعضهم انه يشترط في حصول الثواب المذكور ان يتلفظ بالصلاة في حال الكتابة وهو خلاف ظاهر الحديث وكلام العلماء وقال السخاوي في كتابه القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع هذا الحديث رواه الطبراني في الاوسط والخطيب في شرف أصحاب الحديث وأبو الشيخ والمستغفري وصاحب الترغيب بسند ضعيف واورده ابن الجوزي في الموضوعات وقال ابن كثير انه لم يصح وروى من كتب في كتابه صلى الله تعالى على محمد لم تزل الملائكة تستغفر له مادام في كتابه انتهى والمراد باستغفار الملائكة دعاؤهم لبني آدم مطلقا حيث ورد حتى للانبياء عليهم الصلاة والسلام بالاستغفار وقال الله تعالى يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا وكان وجهه انهم لما علموا ما ركب في طبيعة النوع الانساني من الشهوات والمشاغل التي هي من لوازم البشرية يقتضي الاشتغال بغير الله وهم لا يفترون عن التسبيح ولا يفعلون الا ما يؤمرون واشفقوا عليه ورامو ان الله لا يؤاخذه بشئ من تبعاته فاعرفه فاني لم أر من نبه عليه وذكروا في ذلك آثارا عن السلف الصالحين ومنامات منها ان الشافعي روئي في المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لي ولم يحاسبني وأكرمني لصلاة صليتها عليه صلى الله عليه وسلم في أول الرسالة وهي اللهم صل على محمد كلما ذكره الذاكرون وصل على محمد كلما غفل عن ذكره الغافلون وصل عليه في الاولين والآخرين أفضل وأكثر وأزكى ما صلى عليه أحد من خلقه وقد روى هذا من طرق بالفاظ مختلفة (ومن مواطن السلام عليه صلى الله عليه وسلم) أي الاماكن التي يستحب فيها السلام عليه (تشهد الصلاة) الذي يذكر في آخرها وأطلقه ليشمل الاول والثاني كما مر وأورد في ذلك حديثا رواه البخاري وهو (حدثنا أبو القاسم خلف بن ابراهيم المقرى الخطيب وغيره قال حدثتني كريمة بنت محمد) وتقدمت ترجمتها (قالت حدثنا أبو الهيثم) تقدم أيضا قال (حدثنا محمد بن يوسف) هو الفربري كما تقدم قال (حدثنا محمد بن اسمعيل) هو الامام البخاري كما تقدم قال (حدثنا أبو نعيم) الفضل بن دكين عمرو بن حماد الحافظ توفي في سلخ شعبان سنة تسع عشرة ومائتين أخرج له الستة وترجمته في الميزان قال (حدثنا الاعمش) سليمان بن مهران وقد تقدم (عن شقيق بن سلمة) الاسدي المخضرم توفي سنة احدى وثمانين كما تقدم (عن عبد الله بن مسعود قال) أي ابن مسعود فهو موقوف له حكم المرفوع وفي نسخة (عن النبي) صلى الله تعالى عليه وسلم فهو مرفوع (قال اذا صلى أحدكم) صلاة ما فرضا أو نفلا (فليقل التحيات) الى آخره والتحية تفعلة من الحياة ومعناها الاحياء والابقاء والملك والبقاء وكل منها صحيح هنا أي كل تحية يحيى بها الملوك والعظماء ثابتة (لله) لا تليق بغيره (والصلوات) أي انواع الدعاء الذي يراد به الثناء وقيل الصلاة المعتادة يعني العبادة (والطيبات) أي جميع كلمات الثناء الطيب لله لا لغيره (السلام عليك أيها النبي) حكاية لما علمه لهم حال حياته ثم استمروا على ذلك تعبدا وعن ابن مسعود كنا نقوله وهو بين أظهرنا فلما قبض قلنا السلام على النبي

ورحمة الله وبركاته) قال الدلجي وانما قال عليك دون على النبي تبعا للفظه عليه السلام وقت علمهم وعدوله اليه ليخاطبوه اذا كان حيا فلما توفي ذهب بعضهم الى الغيبة بشهادة حديث البخاري عن ابن مسعود كنا نقول السلام عليك وهو بين ظهرانينا ولما قبض قلنا السلام على النبي قلت ان ثبت عنه انه أراد بهذا في الصلاة فهذا مذهبه المختص به اذا جمع الاربعة على ان المصلي يقول أيها النبي وان هذا من خصوصياته عليه السلام اذ لو خاطب مصل أحدا غيره ويقول السلام عليك بطلت صلاته (السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فانكم اذا قلتموها) أي جملة السلام علينا الى آخرها (أصابت) أي السلامة أو كلمة السلام (كل عبد صالح في السماء) من الملائكة (والارض) من الانبياء والاولياء والصالح من يقول باداء حقوق الله وحقوق عباده (هذا) أي وقت اداء الصلاة أو تشهد الصلاة (أحد مواطن التسليم عليه وسنته أول التشهد) أي بعد الثناء على الله سبحانه وقيل ان يقول أشهد

(وقد روى مالك) أي في الموطأ (عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما انه كان يقول ذلك) أي السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين (اذا فرغ من تشهده واراد أن يسلم) أي ايخرج من صلاته (واستحب مالك في المبسوط) وفي نسخة في المبسوطة (انه يسلم بمثل ذلك) أي استحب فيها ان يقال ما رواه ابن عمر (قبل السلام) أي من صلاته قال الدلجي وليس هذا من مشهور مذهبه (قال محمد بن سلمة أراد) أي مالك (ماجاء عن عائشة وابن عمر رضي الله عنهما انهما كانا يقولان عند سلامهما السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين

علينا

(ورحمة الله وبركاته) أي كل نعمة وخير كثير لازم ثابت له في كل زمان (السلام علينا) معاشر الامة (وعلى عباد الله الصالحين) من جميع الامم السالفة وملائكة السماء والارض ومن الجن المؤمنين كما قال (فانكم اذا قلتموها) أي قلتم هذه الكلمات وهي السلام علينا الخ (أصابت) أي نالت رحمتها وبركتها (كل عبد) لله (صالح في السماء والارض) لعموم الجمع المحلى بالالف واللام ومن هنا علم ان المصلي محسن لنفسه ولجميع خلق الله وان تارك الصلاة ظالم لنفسه ولجميع خلق الله قيل الفصل المعقود لمواطن الصلاة عليه وهو وان لم يقل بوجوبها لا ينكر كونها سنة وأجيب بانه لما ذكر الصلاة شرع في مواطن السلام عليه وقد يقال انه طوى ذكر الصلاة لعلمها مما تقدم (هذا) أي التشهد في الصلاة (أحد مواطن التسليم عليه) اشارة الى ان له مواطن أخر (وسنته) أي استحبابه وفي نسخة سنيته بياء النسبة وهي أولى (أول التشهد) أي قبل ان يقول أشهد أن لا اله الا الله وبعد التحيات لله وفي التشهد وفي كيفيته روايات مفصلة في كتب الفقه (وقد روى مالك عن ابن عمر انه كان يقول ذلك) أي السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين (اذا فرغ من تشهده وأراد أن يسلم) سلام التحليل أي الخروج من الصلاة (واستحب مالك في المبسوط) اسم كتاب له وفي نسخة المبسوطة (أن يسلم بمثل ذلك) المذكور من السلام على النبي الى آخره (قبل السلام) من صلاته وهو فيما قيل خلاف المشهور من مذهبه (قال محمد بن مسلمة) بفتح الميمين وهو محمد بن مسلمة بن هشام ابن الوليد بن المغيرة توفي سنة ست عشرة ومائتين (أراد ماجاء) مرويا (عن عائشة وابن عمر انهما كانا يقولان عند سلامهما) أي قبل سلام الخروج (السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين) ثم يقول (السلام عليكم) وهو خاتمة الصلاة (واستحب أهل العلم ان ينوي الانسان) المصلي اماما او مقتديا أو منفردا (حين سلامه) أي قوله السلام في صلاته (كل عبد صالح في السماء والارض من الملائكة) ونوع (بني آدم) ومؤمني (الجن) وقيل الامام ينوي السلام على من اقتدى به وهم ينوون الرد عليه وغيره ينوي به من على يمينه ويساره وهم الرد وغيرهم ينوي من حضر أو غاب (قال مالك في المجموعة) قيل أراد بها المدونة (وأحب للمأموم اذا سلم امامه أن يقول) قبل أن يسلم هو (السلام على النبي ورحمة الله وبركاته السلام

السلام عليكم) أي ورحمة الله (واستحب العلماء ان ينوي الانسان) أي المصلي اماما أو مأموما أو منفردا (حين سلامه) أي من صلاته عن يمينه وفي نسخة عند سلامه (كل عبد) وفي نسخة على كل عبد (صالح في السماء والارض من الملائكة وبني آدم والجن) أي ممن حضره فان أصحاب أبي حنيفة على ان الامام ينوي بطرفيه من ثم من الملك والبشر وكذا المقتدي الا انه ينوي امامه أيضا في تسليمة واحدة اذا كان في أحد طرفيه وفيهما اذا كان محاذيا والمنفرد ينوي الملك فقط وذكر الدلجي ان أصحاب الشافعي على ان الامام ينوي بسلامه المقتدين به وهم ينوون بسلامهم الرد عليه وغيره ينوي به من عن يمينه ويساره وهو الرد (وقال مالك رحمه الله في المجموعة وأحب للمأموم اذا سلم امامه أن يقول السلام على النبي ورحمة الله وبركاته السلام

علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام عليكم) قال الدلجي وهذا غريب ليس من مشهور مذهبه ثم اعلم ان مواطن الصلاة عليه تزيد على أربعين موضعا ولعله سبحانه وتعالى ان وفقني على جمعها اجعلها في رسالة مستقلة مع ما ورد فيها من الادلة

(فصل) (في كيفية الصلاة عليه والتسليم) أي بالفاظ وردت عنه عليه الصلاة والسلام وثبتت عند العلماء الاعلام (قال) كذا في نسخة أي المصنف (حدثنا أبو اسحق ابراهيم بن جعفر الفقيه بقراءتي عليه ثنا القاضي أبو الاصبغ) بفتح الهمزة والموحدة فغين معجمة عيسى بن سهل (ثنا أبو عبد الله بن عتاب) بتشديد الفوقية (حدثنا أبو بكر بن واقد) بالقاف المكسورة (وغيره) أي من المشايخ (حدثنا أبو عيسى) المفهوم من كلام الدلجي انه الامام الترمذي وهو الظاهر عند اطلاقه وقال الحلبي هو يحيى بن عبد الله بن يحيى بن يحيى بن كثير (ووافقه الانطاكي ويؤيده قوله ثنا عبيد الله) قال الحلبي هذا عم أبي عيسى الذي قبله وهو عبيد الله ابن يحيى الليثي (ثنا يحيى) هذا هو يحيى ابن يحيى الليثي أحد رواة الموطأ عن مالك (ثنا مالك) وهو الامام (عن عبد الله بن أبي بكر ابن حزم) وفي نسخة أبي بكر ابن عمرو بن حزم روى عنه السفيانان (عن أبيه عن عمرو بن سليم) بالتصغير (الزرقي) بضم الزاي وفتح الراء مخففة فقاف فياء نسبية أنصاري يروي عن أبي قتادة وأبي هريرة رضي الله تعالى عنهما وعنه الزهري وطائفة (انه قال أخبرني أبو حميد) بالتصغير (الساعدي) منسوب الى بني ساعدة من الانصار خزرجي مدني له صحبة بقي الى حدود ستين (انهم) أي بعض الصحابة رضي الله تعالى عنهم (قالوا يا رسول الله كيف نصلي عليك) وهو مطلق يشمل حال الصلاة وغيرها (قال قولوا) ربما يستدل به على فرضية الصلاة عليه في الصلاة لان الاصل في الامر الوجوب والاجماع على عدم وجوبها في غير الصلاة ولعل الجمهور حملوه على الاستحباب مطلقا الا انها في الصلاة آكد والله أعلم (اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته كما صليت على آل ابراهيم) قيل الآل مقحمة وقيل المراد آل ابراهيم معه والتشبيه من باب الحاق ما لم يشتهر بما اشتهر لا من الحاق الناقص بالكامل فانه صلى الله تعالى عليه وسلم أكمل الخلق فالصلاة المطلوبة له من الحق محمولة على الافضل فالمعنى صل عليه صلاة مشهورة كشهرة صلاة الملائكة على ابراهيم لقوله تعالى رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت انه حميد مجيد وقد ورد في بعض طرق الحديث زيادة انك حميد مجيد

علينا وعلى عباد الله الصالحين) ثم يقول (السلام عليكم) واعلم ان عقد الفصل الذي قبل هذا الوجوب الصلاة عليه وعقبه بفصل عقده للمواطن التي يستحب فيها الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم وقد أفرد له الخيضري كتابا مستقلا اسماه اللواء المعلم في المواطن التي يستحب فيها الصلاة عليه صلى الله تعالى عليه وسلم ولما أتم المصنف رحمه الله تعالى ما قصده شرع في بيان كيفيتها فقال

(فصل في كيفية) أي في بيان ألفاظ (الصلاة عليه) وهو لفظ مولد نسب لكيف اسم الاستفهام لانها من شانها ان يسأل بها عن مثله (والتسليم) عليه أي كيف يذكر السلام عليه والمراد بيان الهيئة الفاصلة اذ أصلها معلوم وبدأ بحديث رواه في الموطأ وهو قوله (حدثنا أبو اسحق ابراهيم بن جعفر الفقيه) وقد تقدم وقوله (بقراءتي عليه) هو أحد طرق الرواية قال (حدثنا القاضي أبو الاصبغ) عيسى ابن سهل صاحب كتاب الاعلام في نوازل الاحكام قال (حدثنا أبو عبد الله بن عتاب) تقدم بيانه قال (حدثنا أبو بكر بن واقد وغيره) بالقاف وهو معروف قال (حدثنا أبو عيسى) هو عم يحيى بن كثير الذي تقدم بيانه قال (حدثنا عبيد الله حدثنا يحيى بن يحيى) الليثي أحد رواة الموطأ عن مالك كما تقدم قال (حدثنا مالك) الامام المشهور (عن عبد الله ابن أبي بكر بن عمرو بن حزم عن أبيه) تقدم ترجمته (عن عمرو ابن سليم الزرقي) سليم بضم السين وفتح اللام والزرقي بضم الزاي المعجمة وفتح الراء المهملة قبل القاف وهو الانصاري وترجمته في الميزان (قال أخبرني أبو حميد الساعدي) اسمه عبد الرحمن بن عمرو بن سعد وقيل المنذر بن سعد وهو خزرجي مدني له صحبة أخرج له الستة وأحمد في مسنده وتوفي في حدود الستين (انهم) أي الصحابة (قالوا يا رسول الله كيف نصلي عليك) سألوه عنه بعد ورود الامر به في الآية ان الله وملائكته الى آخره فقال صلى الله عليه وسلم (قولوا اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته) أزواجه أمهات المؤمنين معلومة والذرية النسل والولد بضم الذال وكسرها فعيلة من ذرأ بمعنى خلق ترك الهمزة في الاستعمال تخفيفا وقيل انه نسبة الى الذر لصغرهم والذرية الولد وولده ويشمل أولاد البنات كما ذكروه مفصلا في كتب الفقه وسؤالهم بكيف المراد به السؤال عن العبارة التي يعبر بها أو بأي كيفية تؤدى وقيل عن معناها ولا يخفى ما فيه فانهم لما سمعوا السلام عليه في التشهد وامروا بالصلاة سئلوه عما يقولونه فعلمهم ذلك وفيه من التعظيم ما لا يخفى فانه أمرهم ان يطلبوا من الله ان يصلي هو عليه فكانهم قالوا لا نقدر على اداء الصلاة حق الاداء فافعل انت ما يليق به (كما صليت على آل ابراهيم) أي أزواجه وذريته والتشبيه انما وقع بهم لشهرتهم وتقررهم وفي الرواية الآتية المسلسلة اللهم صل على محمد وعلى

(وبارك) وفى رواية اللهم بارك (على محمد) أى أثبت وأدم ما منحته اليه وأنعمته عليه (وأزواجه وذريته كما باركت على آل ابراهيم انك حميد) أى محمود بذاتك وصفاتك سواء حمدت أو لم تحمد على لسان مخلوقاتك أو حامد بكلماتك على ما أظهرت من آلائك فى مصنوعاتك فهو الحامد والمحمود سبحانه وتعالى لا تحصى ثناء عليه هو كما أثنى على نفسه وأسنده اليه بنحو قوله فلله الحمد رب السموات ورب الارض رب العالمين وله الكبرياء فى السموات والارض وهو العزيز الحكيم (مجيد) أى كريم كثير الاحسان عظيم كبير الامتنان والحديث قد أخرجه القاضى من موطأ يحيى بن يحيى كما ترى وقد أخرجه البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى وابن ماجه كلهم عن مالك به فان قيل لم عدل عن اخراجه من الكتب المذكورة فالجواب انه يقع له من الموطأ أعلى لان بينه وبين مالك فيه ستة أشخاص من غير اجازة فى الطريق (وفى رواية مالك) أى فى الموطأ (عن أبى مسعود الانصارى رضى الله تعالى عنه) أى البدرى لنزوله بدرا وقيل لحضوره اياه وأبو مسعود هذا هو عقبة بن عمرو وقد تقدم (قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آله) أى آل محمد (كما صليت على آل ابراهيم) وهو صلى الله تعالى عليه وسلم أيضا من أشرف آله فتكون الصلاة مضاعفة عليه فى حاله واذا دخل فى الآل يرتفع ما سبق فى التشبيه من الاشكال والله أعلم بالحال واعلم انه استشكل هذا الحديث بناء على القاعدة الاغلبية من ان المشبه يكون أفضل من المشبه به فقيل ان ذلك كان قبل ان يعلم انه أفضل من ابراهيم عليهما السلام وقيل صدر عنه صلى الله تعالى عليه وسلم تواضعا عند ربه أو هضما لنفسه أو تأدبا مع جده وقيل سأل صلاة يتخذه بها خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا وهذا لا يتم الا بما قيل من انه أراد المشابهة فى أصل الصلاة لا قدرها كما فى قوله تعالى كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم وقيل التشبيه وقع فى الصلاة على الآل والكلام تم عند قوله صل على محمد وقوله وعلى آل محمد كلام مستأنف والمعنى وصل على آل محمد كما صليت ويحكى هذا عن الشافعى لكن تكلفه لا يخفى وقيل هو على ظاهره والمراد اجعل لمحمد وآله صلاة كصلاة ابراهيم وآله فالمسؤل مقابلة الجملة بالجملة لان المختار من القول فى الآل انهم جميع الاتباع فيدخل فى آل ابراهيم خلائق لا يحصون من الانبياء كذا ذكره الانطاكى ولا يحتاج الى تفسير الآل بالاتباع لان الانبياء عليهم السلام بعد ابراهيم كلهم من ذريته فانبياء بنى اسرائيل من نسل اسحق ونبينا من نسل اسمعيل فهو صلى الله تعالى عليه وسلم من جملة آله فآله باعتبار هذا المعنى وما له أعظم والله أعلم (وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل ابراهيم فى العالمين انك حميد) أى فى جميع الاحوال (مجيد) أى كثير البر والنوال (والسلام كما قد علمتم) بكسر لام مخففة مع فتح أوله أو مشددة مع ضم أوله أى كما عرفتم فى التشهد

فسكت

آل محمد كما صليت على ابراهيم الخ وآله فيهم أنبياء ورسل فشبه المجموع بالمجموع أو الآل بالآل فلا يرد عليه ان المشبه دون المشبه به فكيف شبه صلاة نبينا بصلاة ابراهيم وهو أفضل منه فى السؤال المشهور وقد أجيب عنه باجوبة هذا محصلها وللجلال الدوانى رسالة فيه مشهورة شهرتها تغنى عن ذكرها ويأتى الكلام عليه أيضا قريبا * فان قلت الذى فى الآية الامر بالصلاة عليه فقط من غير تشبيه بابراهيم وآله * قلت لما كان معنى الصلاة الرحمة وهو صلى الله عليه وسلم مرحوم ومنعم عليه فى الدارين باعظم النعم ضم ذلك للصلاة عليه اشارة الى ان المقصود من رحمته رحمة أهل ملته كما يقال لمن يراد عقوبة ولده ارحم هذا الشيخ كما أشار اليه بقوله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا (وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على آل ابراهيم) أى أدم وكثر الخيرات النازلة عليهم كما أدمت ذلك لابراهيم وآله (فى العالمين انك حميد مجيد) أى رحمة وبركة منتشرة فى جميع الخلق وحميد فعيل من الحمد وهو الثناء الجميل ومجيد فعيل من المجد وهو الشرف والكرم وفعيل فيهما بمعنى فاعل أو مفعول أى أنت فاعل الجميل وواهبه أو أنت المحمود المعظم فكل حمد واكرام لرسلك واتباعهم عائد اليك فانه لاجلك وامتثال أمرك وهو تذييل فى موقع جليل ومما ذكرناه علمت معنى قوله على آل ابراهيم دون ابراهيم فتفطن لهذه الدقائق (وفى رواية مالك) فى الموطأ (عن أبى مسعود الانصارى) الصحابى البدرى (قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آله كما صليت على آل ابراهيم وبارك على محمد كما باركت على آل ابراهيم فى العالمين انك حميد مجيد) ذكره اشارة الى ان له طرقا كثيرة وانه انما قدم رواية الموطأ لعلو سنده فيها فلا وجه لما قيل انه لا فائدة فى ذكره وهو بعينه ما قبله (والسلام) أى كيفيته ولفظه (كما قد علمتم) فى التشهد كما ذكره المصنف رحمه الله تعالى سابقا وسيأتى أيضا شرحه فى كلامه وعلمتم بفتح العين وكسر اللام المخففة مبنى للفاعل أو بضمها وتشديد اللام مبنى للمجهول من العلم أو التعليم وكلاهما صحيح رواية ودراية كما قاله النووى وقيل الاول أصح ولفظ الموطأ عن أبى مسعود قال أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مجلس سعد بن عبادة فقال له بشير بن سعد أمرنا الله ان نصلى عليك يا رسول الله فكيف نصلى عليك

(وفي رواية كعب بن عجرة) بضم مهملة وسكون جيم وهو من أصحاب الشجرة روى عنه الشعبي وابن سيرين وغيرهما مات سنة احدى وخمسين والحديث رواه الائمة الستة عنه مرفوعا (اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على ابراهيم) وفي نسخة على آل ابراهيم (وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على ابراهيم انك حميد مجيد) أي مبالغ في المجد والشرف والكرم وعن علي كرم الله وجهه اما نحن بنو هاشم فانجاد امجاد أي اشراف كرام (وعن عقبة بن عمرو) أي كما رواه مسلم وغيره عنه مرفوعا (في حديثه اللهم صل على محمد النبي الامي) أي الذي على أصل خلقته لم يتعلم قراءة ولا كتابة بعد ولادته فيكون ظهور كمال علمه من خوارق عاداته

فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تمنينا انه لم يسأله ثم قال قولوا اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على ابراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم في العالمين انك حميد مجيد والسلام كما قد علمتم (وفي رواية كعب بن عجرة) في الترمذي بضم العين وسكون الجيم وراء مهملة وهو أبو محمد أو أبو عبد الله أو أبو اسحق من بني سالم بن عوف أو من غيرهم صحابي شهد بيعة الرضوان وتوفي سنة اثنتين أو احدى وخمسين وأخرج له الستة وغيرهم قال قلنا يا رسول الله هذا السلام عليك قد علمناه وكيف الصلاة عليك قال قولوا (اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على ابراهيم انك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم انك حميد مجيد) قال الترمذي حديث كعب بن عجرة حديث حسن صحيح وهذا الحديث أيضا رواه الشيخان عن عبد الرحمن ابن أبي ليلى عن كعب بن عجرة قال قلت يا رسول الله قد علمنا كيف نسلم عليك فكيف نصلي عليك فقال قولوا اللهم صل الخ وهو متفق عليه الا ان لفظ البخاري على ابراهيم وعلى آل ابراهيم في الموضعين وسقط منه آل في الموضعين ورواية المصنف رحمه الله تعالى تخالفه (وعن عقبة بن عمرو) عبد الله الانصاري الصحابي توفي بالمدينة سنة احدى وأربعين في أيام علي أو معاوية رضي الله عنهما وكان علي كرم الله وجهه استخلفه على الكوفة لما خرج لصفين (في حديثه) الذي رواه (اللهم صل على محمد النبي الامي وعلى آل محمد) هم المؤمنون من أزواجه وذريته ومن يحرم عليه الصدقة من أقربائه على الراجح وفسر بجميع أمته أيضا كما يأتي في كلام المصنف وهذا الحديث أخرجه أحمد وابن حبان والدارقطني والبيهقي ومسلم بدون لفظ النبي الامي (وفي رواية ابن سعيد الخدري) وهو سعد بن مالك بن سنان كما تقدم (اللهم صل على محمد عبدك ورسولك) أخرجه الحاكم بسند في بعض رجاله كلام (وذكر معناه) أي معنى الحديث السابق من قوله كما صليت الى آخره ورواه البخاري أيضا ثم أورده من طريق آخر مسلسل فيه زيادة والمسلسل ما وقع معه أمر من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من قول أو فعل ونحوه ووقع مثله قصدا من جميع رواته تبركا بحكاته في حال صدوره كالعد في اليد هنا وهو قوله (حدثنا القاضي أبو عبد الله التيمي) تقدم بيانه (سماعا عليه) بقراءة غيره عليه (وأبو علي الحسن بن طريف النحوي) طريف بفتح الطاء وكسر الراء المهملتين ومثناة تحتية ساكنة وفاء أحد شيوخ المصنف رحمه الله تعالى ولم يذكره في كتابه الا في هذا الموضع توفي تاسع ذي الحجة سنة احدى وعشرين وخمسمائة وفيها توفي ابن رشد (بقراءتي عليه قالا حدثنا أبو عبد الله بن سعدون الفقيه) يعرف به كما تقدم في ذكر الشوق اليه قال (حدثنا أبو بكر المطوعي) بضم الميم وفتح الطاء المهملة وكسر الواو المشددة وعين مهملة تليها ياء نسبة غلب على المجاهد تطوعا بلا أجرة وهو محمد بن علي الغازي النيسابوري قال (حدثنا أبو عبد الله الحاكم) محمد بن

(وعلى آل محمد) قال الشافعي رحمه الله هم من حرمت عليهم الزكاة قال الدلجي ويؤيده قول الحسن بن علي انا آل محمد لا نأكل أو لا يحل لنا الصدقة والاظهر ان المراد جميع أقاربه وأهل بيته وقيل أزواجه وذريته أو جميع أمته ورجحه النووي في شرح المهذب وقيده القاضي حسين بالاتقياء منهم في حديث البخاري وربما يقال أمة الاجابة كلهم اتقياء فان أقل التقوى ترك الشرك وقد ورد كل تقي آلي نعم على قدر مراتب التقوى تحصل المشاركة في المقام الاعلى (وفي رواية أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه اللهم صل على محمد عبدك) أي الاكمل (ورسولك) أي الافضل فالاضافة للتعظيم والتكريم أو للعهد المخرج توهم التعميم وفيه ايماء الى الاعتراف بالعبودية والتحدث بنعمة رسالة الربوبية (وذكر معناه) أي معنى الحديث ومبناه ويروى وذكر بمعناه (وحدثنا القاضي أبو عبد الله التميمي سماعا عليه وأبو علي الحسن بن طريف) بفتح مهملة (النحوي) أي المنسوب الى النحو لمهارته في علمه وشهرته في فنه (بقراءتي عليه قالا) أي كلاهما (ثنا) أي حدثنا (أبو عبد الله بن سعدون) بفتح سين وضم دال مهملتين ممنوع وقيل مصروف (الفقيه) أي العالم بالفقه (ثنا أبو بكر المطوعي بفتح الواو مشددة) قال ثنا أبو عبد الله الحاكم أي النيسابوري شيخ أهل الحديث في عصره وصاحب التصانيف في دهره ولد سنة احدى وعشرين وثلثمائة في الربيع الاول وطلب من صغره الحديث باعتناء أبيه وخاله فسمع سنة ثلاثين وثلثمائة ورحل الى العراق وهو ابن عشرين وحج ثم جال في خراسان وما

وراء النهر وسمع من ألفي شيخ تقريبا وفي مستدركه أحاديث ضعيفة وموضوعة أيضا لا يخفى بطلانها على من له معرفة بها وقد وثق جماعة قد ضعفهم هو في مواضع أخر وذكر انه تبين جرحهم بالدليل توفي في صفر سنة خمس وأربعمائة (عن أبي بكر ابن أبي دارم) بكسر الراء (الحافظ) أي الشيعي التميمي محدث الكوفة سمع ابراهيم بن عبد الله بن القصار وأحمد بن موسى الحمار وغيرهما روى عنه الحاكم وتكلم فيه وأبو بكر بن مردويه وآخرو كان موصوفا بالحفظ لكن كان يترفض واتهم بالكذب توفي في سنة اثنتين وخمسين وثلثمائة (عن علي بن أحمد العجلي) بكسر مهملة وسكون جيم (عن حرب) بالموحدة وفي نسخة حارث بالمثلثة (ابن الحسن) وهو الطحان قال الازدي ليس حديثه بذاك قاله في الميزان قال الحلبي لكن ذكره ابن حبان في ثقاته (عن يحيى بن المساور) بضم الميم وكسر الواو قال الذهبي فيه عن جعفر الصادق قال الازدي كذاب عن (عن عمرو بن خالد) هو أبو خالد القرشي مولى بني هاشم كوفي نزل واسط يروى عن حبيب بن ثابت وزيد بن علي وأبي جعفر الباقر وجماعة وعنه حجاج بن أرطاة واسرائيل واسمعيل ابن أبي عياش وخلق كذاب له ترجمة قبيحة في الميزان (عن زيد بن علي ابن الحسين) أي ابن علي ابن أبي طالب وهو أبو الحسين العلوي المدني أخو محمد الباقر وعبد الله وعمر وعلي وحسين روى عن أبيه وأبان بن عثمان وعروة بن الزبير وغيرهم وعنه الزهري وزكريا ابن أبي زائدة وشعبة وعمرو بن خالد وخلق ذكره ابن حبان في الثقات وقال رأى جماعة من الصحابة استشهد سنة اثنتين وعشرين ومائة (عن أبيه علي)

عبد الله بن حمدويه بن نعيم الضبي النيسابوري الامام الحافظ شيخ الحديث في عصره عرف بابن البيع صاحب التصانيف الجليلة ولد في ربيع الاول سنة احدى وعشرين وثلثمائة وتوفي في صفر سنة خمس وأربعمائة وله ترجمة في الميزان وفي مستدركه أحاديث ضعيفة وموضوعة انتقدت عليه (عن أبي بكر ابن أبي دارم الحافظ) المسند السديبي الحاكم أحمد بن محمد بن السري بن يحيى بن السري التميمي الكوفي محدث الكوفة روى عنه الحاكم وغيره وهو متهم بالكذب توفي في المحرم سنة اثنتين أو ست وخمسين وثلثمائة وله ترجمة في الميزان (عن علي بن أحمد العجلي) هو ممن روى عنه أبو بكر المذكور ولم يعرف (عن حرب بن الحسن) وفي نسخة ابن الحسين وهو الطحان قال في الميزان ليس حديثه بذاك وذكره ابن حبان في الثقات (عن يحيى بن المساور) بميم مضمومة وسين وراء مهملتين قيل انه كذاب (عن عمرو بن خالد) أبو خالد القرشي مولى بني هاشم الكوفي روى عنه خلق الا أنه كذاب له قبائح مذكورة في الميزان (عن زيد بن علي بن الحسين) بن علي بن أبي طالب وهو أبو الحسين العلوي المدني أخو محمد الباقر النسيب الامام الثقة رأى جماعة من الصحابة واستشهد رضي الله عنه سنة اثنتين وعشرين ومائة (عن أبيه) علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب قال الزهري ما رأيت قريشا أفضل منه توفي سنة أربع وتسعين وهو امام ثقة جليل أخرج له الستة (عن أبيه الحسين عن أبيه علي بن أبي طالب قال) علي رضي الله تعالى عنه (عدهن في يدي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) صفة لمقدر أي كلمات تذكر في التشهد أو صلوات ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم وكان في حال ذكرها يعدها في يدي باشكالها يشير الى انه حديث مسلسل بالعد في اليد الى جبرائيل تنبيها على حفظها وان لا يترك واحدة منها (وقال عدهن في يدي جبريل وقال هكذا) أي بهذا العدد (نزلت من عند رب العزة) سبحانه وتعالى والعزة كما قال الراغب حال يقتضي الامتناع من القهر والغلبة من الارض العزاز وهي الصلبة فرب العزة اما بمعنى من له العزة وهو مالكها كما قال الله تعالى ولله العزة ولرسوله أو من يعطيها من يشاء كما قال الله تعالى تعز من تشاء وتذل من تشاء وله موقع هنا لاعزازه واكرامه لرسوله (اللهم صل على محمد وعلى آل محمد) أي افض عليه وعلى آله رحمتك وانعامك (كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم) جعله مشبها به لشهرته لا لانه أفضل وأعلى كما مر (انك حميد مجيد) أي محمود ممجد أو المستحق للثناء والشرف من أثنيت عليه وشرفته (اللهم بارك على محمد) أي انزل البركة عليه ولذا عداه بعلى (وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد اللهم وترحم على محمد وعلى آل محمد كما ترحمت على

أبوه علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب زين العابدين يروى عن أبيه وعائشة وأبي هريرة وجمع وعنه بنوه محمد ابراهيم وزيد وعمرو والزهري وأبو الزناد وخلق قال الزهري ما رأيت قرشيا أفضل منه ثقة مامون (عن أبيه الحسين عن أبيه علي ابن أبي طالب قال) أي علي (عدهن) أي الكلمات الآتية فالضمير مبهم مفسر بما بعده (في يدي) وفي نسخة بصيغة التثنية (رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) مرفوع على انه فاعل عد (وقال) أي النبي عليه الصلاة والسلام (عدهن في يدي جبريل وقال هكذا) أي الكلمات المعدودة (نزلت) بتسكين تاء التأنيث وفي نسخة نزلت بهن (من عند رب العزة اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم) وفي نسخة ربنا أي يا ربنا (انك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد) وهذا المقدار تقدم انه صحيح رواه أصحاب الكتب الستة عنه صلى الله تعالى عليه وسلم (اللهم وترحم) بتشديد الحاء على صيغة الدعاء أي أظهر الرحمة الوافية والرأفة الكافية (على محمد وعلى آل محمد كما ترحمت على

ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد) وفيه انه يدل على جواز الدعاء للانبياء بالرحمة والترحم عليهم كما تقدم (اللهم وتحنن على محمد وعلى آل محمد كما تحننت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد) تحنن تفعل من الحنين صار بمعنى الرحمة والشفقة والحنان المنان من أسماء الله بمعنى الرؤف المنعم (اللهم وسلم على محمد وعلى آل محمد كما سلمت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد) قال السيوطي في الجامع الكبير قال الحاكم هكذا بلغناه هذا الحديث واسناده ضعيف وأخرجه الديلمي وابن منده والترمذي وقال العراقي ضعيف جدا وعمرو بن خالد كذاب وضاع وكذا ابن مساور وحرب بن الحسن أورده الازدي في الضعفاء وقال حديثه ليس بذلك وقال ابن حجر في أماليه اعتقادي انه موضوع وفي سنده ثلاثة ضعفاء وبعضهم ممن نسب الى الوضع والكذب قلت وجدت له متابعات تجبر وان لم يخل من الضعف ووجدت له طريقا آخر عن أنس في مسنده انتهى قلت ذكر البرهان انه رواه مسندا أيضا فتعدد هذه الطرق يقتضي انه غير موضوع غاية ما يقال فيه انه ضعيف فاعرفه وقد علمت ان الحديث مسلسل وتقدم ان المسلسل ما توارد رواته على حالة واحدة أو صفة في اسناده أو صيغ أدائه ومن قوله وترحم يرد قول ابن العربي ان زيادة الترحم في الصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بدعة وقال الصيدلاني انه مع انه لم يرد غير صحيح لانه لا يقال رحمت عليه بل رحمته وفي الترحم معنى التكلف فلا يصح اطلاقه على الله ويأتي رده وفي الاذكار زيادة ارحم محمدا بدعة لا أصل لها وقال ابن أبي زيد المالكي وبعض المالكية يستحب زيادة ارحم محمدا في التشهد ويأتي نقله عنه في كلام المصنف مع رده وفي شرح مسلم الاختيار تركه ان لم يأت في خبر صحيح وقال السخاوي من زاده رآه من فضائل الاعمال ويكفي فيه الحديث الضعيف وقال أبو جعفر والسرخسي من الحنفية باستحبابه لتوارث العمل به ورحمة الله لا يستغني أحد عنها وذهب كثير الى انه لا يدعى للانبياء عليهم الصلاة والسلام بالرحمة وفي شرح البخاري لابن حجر انه غير مسلم لوروده في أحاديث كثيرة ففي التشهد السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته وسبقه اليه صاحب القاموس واستدل عليه بقول الاعرابي له صلى الله تعالى عليه وسلم اللهم ارحمني وارحم محمدا وتقريره له وفي حديث ابن عباس أسألك رحمة من عندك وفي الحديث عنه أستغفرك لذنبي وأسألك رحمتك وياحي ياقيوم برحمتك أستغيث وفي الذخيرة من كتب الحنفية كراهته وجزم الغزالي بعدم جوازه مفردا لايهامه النقص وانه كغيره يدعى له بالرحمة أقول هذا كلام مضطرب وتحريره ان يقال دعاؤه لنفسه بالرحمة لا منع منه أصلا وأما دعاء غيره له فيما لم يؤثر فعلى الافراد مكروه وبالتبع للصلاة ونحوها الاكراهة فيه وهذا هو الحق عندي ثم ان الصاغاني نقل في العباب ان قول الناس ترحمت عليه لحن والصواب رحمت ترحيما وفي الحديث ما يرده وخص ابراهيم عليه السلام بالتشبيه قال البغوي عن مقاتل لانه أفضل الانبياء بعد نبينا ومكافأة له على دعائه لامة محمد بقوله رب اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين أو لمشاركته على دعائه لامة محمد في التأذين للحج والايمان أو أمر بذلك اجابة لدعائه بقوله اجعل لي لسان صدق في الآخرين ولانه أمر بالاقتداء وأما التشبيه له والمشبه دون المشبه به فقد أجيب عنه بانه قاله قبل أن يعلم انه أفضل منه أو لسبق زمانه واشتهاره لا لعلو رتبته وقيل المشبه آل محمد وفيه تحقيقات في رسالة الجلال الدواني وفي الدر المنضود للشيخ مشايخنا ابن حجر ان التشبيه للمجموع بالمجموع فان الانبياء من آل ابراهيم كثيرون فاذا قوبلت تلك الذوات الكثيرة من ابراهيم وآله بالصفات الكثيرة التي لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم امكن انتفاء التفاضل ويقرب منه قول ابن عساكر وابن عبد السلام ما حاصله ان الصلاة على النبي وآله شبهت بالصلاة على ابراهيم وآله فيحصل لنبينا وآله من آثار الرضوان ما يقارب الحاصلة لابراهيم وآله الذين هم معظم الانبياء ثم تقسم الجملة فلا يحصل لآله

ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد اللهم وتحنن) أي أظهر الحنان وهو على ما في القاموس كسحاب والرحمة الرزق والبركة والوقار والهيبة ورقة القلب والحنان كشداد من أسمائه سبحانه وتعالى ومعناه الذي يقبل على من أعرض عنه فلا يبعد أن يقال المعنى على قصد التجريد في المبنى اللهم وأقبل (على محمد وعلى آل محمد كما تحننت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد اللهم وسلم على محمد وعلى آل محمد كما سلمت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد) قال الحلبي هذا الحديث مسلسل وقد رويته عن غير واحد مسلسلا وقال الدلجي ما أورده المصنف هنا عن أبي عبد الله الحاكم فقد قال النميري اسناده ذاهب وفيه عمرو بن خالد الواسطي وهو متروك لوضعه على أهل البيت وفيه حرب بن الحسين الطائي ويحيى بن المساور وهما مجهولان قلت غايته ان الحديث ضعيف وقد أجمع العلماء على انه يعمل به في فضائل الاعمال

(وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه) أي برواية أبي داود عنه (عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من سره) أي أعجبه (أن يكتال) بفتح الياء وروي بضمها أن يأخذ الاجر الاعلى (بالمكيال الاوفى اذا صلى علينا أهل البيت) بالنصب على المدح أو بتقدير يعني وفي نسخة بالجر على انه بدل من الضمير في علينا (فليقل) أي في صلاته أو في جميع حالاته (اللهم صل على محمد النبي) أي الموصوف بالرسالة (وأزواجه أمهات المؤمنين) ايماء الى قوله تعالى وأزواجه أمهاتهم (وذريته) أي أولاده وحفدته (وأهل بيته) أي أقاربه وهو تعميم بعد تخصيص مشيرا الى قوله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت (كما صليت على ابراهيم) أي بقولك رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت انه حميد مجيد ولهذا اختم بقوله (انك حميد مجيد وفي رواية زيد بن خارجة الانصاري) وهو الخزرجي الحارثي المتكلم بعد الموت على الصحيح وقيل هو أبوه وذلك وهم لانه قتل يوم أحد وهذا تكلم في زمن عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه قال ابن منده شهد بدرا والحديث رواه الديلمي في مسند الفروس عنه (سألت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كيف نصلي عليك فقال صلوا) أي الصلاة بشرائطها وأركانها وسننها (واجتهدوا في الدعاء) أي بعد التحريمة وفي الركوع والسجود وفي آخر الصلاة (ثم قولوا) أي وقولوا وعبر بثم للترقي أو للتراخي في الاخبار ولا يبعد ان يراد بالاجتهاد في الدعاء المبالغة في الثناء بالتحيات الواردة عن سيد الانبياء ثم قولوا بعد السلام المندرج في ضمن التحيات قبل السلام الصارف عن الصلاة (اللهم بارك) أي أكثر الصلاة والرحمة (على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم انك حميد مجيد) لم

وفي الحديث دليل على انه يجوز الاكتفاء بهذا اللفظ الوارد وان كان ما سبق أفضل وأكمل فتأمل (وعن سلامة الكندي) بكسر الكاف ذكره ابن حبان في الثقاة (كان علي رضي الله تعالى عنه يعلمنا) وفي رواية يعلم الناس (الصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي لداخل الصلاة وخارجها وهو موقوف وقد صح سنده قال الدلجي لكن أعل وان صحح سنده بان روايته عنه مرسلة افلم يدركه انتهى وهو مردود بما ذكره ابن حبان انه روى عن علي وروى عنه نوح بن قيس الطاحي انتهى ومثل هذا لا يقال في الارسال ثم رأيت قال الشيخ ابن كثير في تفسيره روينا من طريق سعيد بن منصور وزيد بن الحباب ويزيد بن هرون ثلاثتهم عن نوح بن قيس حدثنا سلامة الكندي ان عليا كان يعلم الناس

منها ما حصل لآل ابراهيم اذ غير الانبياء لا يساويهم شيء تو[؟] رما بقي من آثار الرضوان الشاملة لمحمد وآله على محمد صلى الله عليه وسلم وهذا يشعر بانه أفضل من ابراهيم انتهى واعترض بانه جاء في رواية مقابلة الاسم بالاسم فقط ولفظها اللهم صل على محمد كما صليت على ابراهيم انتهى (وعن أبي هريرة) في حديث رواه أبو داود وغيره (عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من سره ان يكتال بالمكيال الاوفى اذا صلى علينا أهل البيت) أي من أحب ان يأتي بأحسن صلاة وأعظمها أو من أراد ان ينال أجرا لا يساويه فيه غيره فالاكتيال عبارة عن ذلك استعارة تبعية مصرحة أو شبه الاجر بما يشترى من الحبوب والتمر وشبهه ذكره أو مثله له باكتياله له لاستيفائه على طريقة المكنية والتخييلية والاجر لظهور ارادته في قوة المذكور ووجه الشبه انه به البقاء والمكيال بكسر الميم آلة الكيل والاوفى أفعل التفضيل من الوفاء و استيفاء الشيء وحيازته والمراد الترغيب في الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم وعلى أهل بيته بهذه العبارة المخصوصة (فليقل) اذا صلى عليهم (اللهم صل على محمد النبي وأزواجه أمهات المؤمنين وذريته وأهل بيته كما صليت على ابراهيم انك حميد مجيد) ففضل هذه الصلاة لما فيها من شمول آل بيته كلهم وتعظيمه بوصفه بالنبوة التي هي أقرب منزلة اليه وتعظيم ازواجه بمحبته وذكر الصلاة على أبيه ابراهيم والايمان به وبغيره من الانبياء وهذا الحديث صحيح اخرجه أبو داود والطبراني وغيرهما كما علمت (وفي رواية زيد بن خارجة الانصاري) الصحابي المعروف توفي في خلافة عثمان وله قصة في تكلمه بعد موته وهذا أخرجه الديلمي في مسند الفردوس وأبو نعيم والنسائي والطحاوي والبغوي (سألت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كيف نصلي عليك) هذه الجملة معمولة لسألت لتضمنه القول أو لقول مقدر (فقال صلوا علي واجتهدوا في الدعاء) المراد به الصلاة وعبر به تفننا أو المراد الدعاء لانفسهم بما يريدون واجتهدوا بمعنى بالغوا في ذلك بالاتيان بجهدكم وطاقتكم (ثم قولوا) بعد الصلاة عليه وعلى آله وأزواجه وذريته (اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم انك حميد مجيد) تقدم ما يغني عن اعادته (وعن سلامة الكندي) هو سلامة بن قيصر الحضرمي التابعي ذكره ابن حبان في الثقات وانه يروي عن علي كرم الله وجهه (كان علي يعلمنا الصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) وفي رواية يعلم الناس ويقول قولوا وفي الدر المنضود ان ذلك جاء عن علي بسند ضعيف وله طرق أخر رجالها رجال الصحيح الا انها مرسلة لان راويها

(اللهم داحي المدحوات) بتشديد الواو وفي رواية المدحيات بتشديد التحتية فيهما اسما مفعول من دحا يدحو و يدحى أي يا باسط المدحوات كالارض اذ خلقها ربوة ثم دحاها أي بسطها ومدها مد الاديم قال تعالى والارض بعد ذلك دحاها والى الارض كيف سطحت وفي الآيتين رد على أهل الهيئة القائلة بغير هذه الكيفية من الكرة المخالفة للادلة النقلية بمجرد التوهمات العقلية (وبارئ المسموكات) من برأ الشئ أي خلقه بريئا من التفاوت قال تعالى ماترى في خلق الرحمن من تفاوت وفي قراءة من تفوت أي نقصان وزيادة وقصور في مادة أي خالق المرفوعات من سمكه اذا رفعه كالسموات فانها مرتفعة عن السفليات مسيرة خمسمائة عام كما ثبت في الروايات و روي يا سامك المسموكات أي رافعها وما أحسن المناسبة بين الفقرتين فان معنى الاولى واضعها وخافضها كما قال تعالى والارض وضعها للانام وفي العبارة ترق في الكلام وفيه ايماء الى انه سبحانه وتعالى يرفع قوما و يضع آخرين كما تقتضيه اسماؤه الجمالية وصفاته الجلالية (اجعل شرائف صلواتك) أي خيارها وارفعها قدرا وأتمها نورا قيل للاعمش لم لم تستكثر من الرواية عن الشعبي فقال كان يحقرني كنت آتي مع ابراهيم النخعي فيرحب به و يقول لي اقعد ثمه أيها العبد ثم يقول

لا يرفع العبد فوق سنته * مادام فينا بارضنا اشرف ولعله كان يعمل بما روى نزل الناس على قدر منازلهم

فلا يكون تحقيرا له (ونوامي بركاتك) أي الاضافة فيها وفيما قبلها من قبيل اضافة الصفة الى الموصوف أي بركاتك النامية الزاكية الدائمة في الزيادة الكافية (الوافية ورأفة تحيتك) أي اجعل رأفة تنشأ من تحيتك والرأفة أشد الرحمة وفي نسخة تحننك بتاء فوقية فمهملة فنونين أي رحمتك ومنه قوله تعالى وحنانا من لدنا أي واجعل أشد تعطفك وترحمك (على محمد عبدك و رسولك) أي الجامع الوظيفة العبودية والقيام بحق الربوبية (الفاتح لما أغلق) بصيغة المجهول أي المبين لمشكلات الامور قال الله تعالى لتبين للناس مانزل اليهم فهو فاتح لما عسر من أبواب كنوز المبرات واسباب رموز المسرات اذ قد فتح باقامة الحجة واشاعة المحجة أبواب الهداية واسباب الرعاية المانعة عن الوقوع في الغواية وفي الحديث أوتيت مفاتيح خزائن السموات والارض وكأنه أراد ما سهله الله تعالى له ولامته من فتح البلاد واخراج كنوزها للعباد وفي حديث آخر أوتيت مفاتيح الكلام أي ما منحه الله تعالى من البلاغة والبراعة والفصاحة والنصاحة بالوصول الى حقائق المباني ودقائق المعاني مما أغلق على غيره من الخلق أجمعين (والخاتم) بكسر التاء وفتحها (لما سبق) أي من النبيين والمرسلين وفيه تلويح الى قوله تعالى ولكن رسول الله وخاتم النبيين ولا يبعد أن يراد بالفاتح الاسناد المجازي مشيرا الى انه الذي افتتح به الموجودات وابتدئ به الكائنات كما قال أول ماخلق روحي أو نوري أولانه كالعلة الغائية في ظهور المراتب الاسمائية كما ورد لولاك لما خلقت الافلاك وكما قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وهو الاكمل في مقام العبادة وحالة العبودية

لم يدرك عليا (اللهم داحي المدحوات) و روي المدحيات ودحى بمعنى بسط قال الله تعالى والارض بعد ذلك دحاها أي مدها و بسطها لانها خلقت أولا ربوة ثم بسطت ومهدت والمدحوات الاراضي السبع وفيه اطلاق الداحي على الله تعالى واستدل به من قال الاسماء ليست توقيفية وانه يكفي و رود مادتها كدحى (وبارئ) بالهمز اسم فاعل من برأ بمعنى خلق على غير مثال أي ميز وأبرز و (المسموكات) بمعنى المرفوعات والمراد بها السموات و روي سامك المسموكات وسمك بمعنى رفع وارتفع متعد ولازم (اجعل شرائف صلواتك) أي أفضل صلواتك واعلاها جمع شريفة بمعنى عالية رفيعة المقدار من الشرف وأصله ماعلا من الارض على غيره (ونوامي بركاتك) الى ما زاد غير النهاية من خيراتك أي بركاتك النامية فهي من اضافة الصفة لموصوفها (و رأفة تحننك) أي لطفك و رحمتك وعنايتك نازلة متوالية (على محمد عبدك) قدمه لشرف العبودية على غيرها بدلالتها على القرب (و رسولك) الذي ارسلته لجميع خلقك (الفاتح لما أغلق) بضم الهمزة و كسر اللام مبني لما لم يسم فاعله من أغلق الباب والقفل ونحوه اذا قفله وهو ضد الفتح هذا حقيقته و يستعار لما صعب واشكل وابهم فالمعنى انه فتح ماكان غير مفتوح من الشرائع لارساله بعد الفترة الجاهلية أو انه فتح الله به على عباده أنواع الخيرات وأبواب السعادات الدنيوية والاخروية أو بين لامته ما أوحي اليه بتفسيره وتيسيره وايضاحه وفك قيد اشكاله بايضاح براهينه وحججه وتفسير ذا به أول الناس خلقا وآخرهم بعثا كما فسر به جعلته لك فاتحا وخاتما كما قيل بعيد هنا كما لا يخفى وفيه استعارة وتلميح لقوله عليه السلام أوتيت مفاتيح الكلام لما أوضحه ببراعته وبلاغته ويجوز أن يراد به ما فتح الله به عليه وعلى أمته من تيسير الفتوحات وتسخير الممالك كما في قوله أوتيت مفاتيح خزائن السموات والارض (والخاتم لما سبق) من النبوة

(والمعان الحق) بالجر على الاضافة وبالنصب على المفعولية بنزع الخافض أى المظهر لامر الحق (بالحق) أى بطريق الصدق وليس المراد به ما معنى واحد حتى يصح للدلجى ان يقول وضعه موضع ضميره قصد الزيادة تمكنه وتلويحا بانه صلى الله عليه وسلم لا يعلن الا به نعم يمكن ان يراد بالحق اسمه تعالى فالمعنى انه مظهر للحق بمعاونة الحق ايماء الى مقام الجمع من ملاحظة فنائه وبقائه (والدامغ لجيشات الاباطيل) جمع جيشة وهى المرة من جاش اذا فار وارتفع والاباطيل جمع باطل على غير قياس وفى نسخة الاباطل بلا ياء وأصل الدمغ اصابة الدماغ وهو مقتل والمراد به هنا الدفع ومنه قوله تعالى بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق اى القامع لظهورها والدافع لشرورها (كما حل)

بضم الحاء وتشديد الميم المكسورة وهو خبر مبتدأ محذوف أى هذه الحال من وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم بما ذكر من الكمال مثل حال وصفه بما حمله من اعباء الرسالة واثقال النبوة (فاضطلع) بالضاد المعجمة افتعال من الضلاعة وهى القوة ومنها الاضلاع أى فقوى على ما حمله ونهض (بامرك) أى باذنك وتيسيرك واعانتك اياه عليه وتوفيقك له أو فقام بامورك الذى كلفته حمله (لطاعتك) أى لاجلها أو ممتثلا لها وفى نسخة صحيحة بطاعتك فالباء للسببية فتشارك اللام فى معناها (مستوفزا) بكسر الفاء بعدها زاى أى منتصبا ناهضا أو قائما مستعجلا (فى مرضاتك) اى اطلب ما فيه رضاك أو فى تحصيل مرضاتك وزاد الدلجى فى أصله بغير نكل فى قدم بضم نون وسكون كاف وكسر قاف وسكون داله من نكل به اذا جعله عبرة لغيره ومنه قوله تعالى فجعلناها نكالا والمعنى بغير جبن فى اقدام ولا وهن فى عزم أى ولا ضعف فى أمر حزم وحكم حتم وجزم وفى الحديث انه عليه الصلاة والسلام قال لابى بكر متى توتر قال أول الليل وقال لعمر متى توتر قال آخر الليل فقال لابى بكر أخذت بالحزم ولعمر أخذت بالعزم ولا خير فى عزم بلا حزم وأما قول المصنف (واعيا لوحيك) فهو من وعى يعى وعيا اذا حفظ وفهم ومنه قوله تعالى اذن واعية ويقال للاناء الوعاء لحفظه ما فيه من نحو الماء أى مراعيا لما أوحيته اليه وفاهما لما بينته لديه صلى الله تعالى عليه وسلم

والرسالة فانه لا نبى ولا رسول يرسل بعده ولا فى عهده وعيسى اذا نزل كان على شريعته ومن أمته والخضر والياس ان قيل بنبوتهما بعد بعثته من أمته أيضا ولا حاجة لتفسير ما سبق بالانبياء والرسل وجعل ما بمعنى من (والمعان) اسم فاعل بمعنى المظهر من الاعلان وهو الجهر (الحق) بالنصب مفعول المعلن والجر باضافته له وليس منصوبا بنزع الخافض أى (بالحق) أى بالامر الحق لا بالقهر والغلبة والمراد بالحق الدين والشرع ففيه اقامة الظاهر مقام الضمير أو الحق الثانى المراد به الله عز وجل فانه من اسمائه أى بمعونة الله وتأييده (والدامغ) أى الدافع والمزيل ومنه حجة دامغة وهو مستعار من دمغه اذا كسر دماغه كما قاله الراغب قال الله تعالى بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه (لجيشات الاباطيل) جمع جيشة وهى المرة من جاش يجيش اذا فار وارتفع والاباطيل جمع باطل وهو مقابل الحق على خلاف القياس أو جمع مفرد مقدر أى الدافع لما ظهر من الباطل وشاع ففيه استعارة وتمثيل لما ظهر من الكفر والفساد بامر علا وألقى عليه صخرة رضته وألصقته تراب المذلة وتفسير الجيشات بالاجناد لا ينبغى وقيل الاباطيل جمع ابطولة أو ابطيلة أو ابطالة ولم يسمع (كما حمل) بضم الحاء المهملة وكسر الميم المشددة مبنى للمجهول (فاضطلع) بضاد معجمة وطاء مهملة بمعنى قوى على حمله ونهض به لشدة تحمله عليه وقيامه باعبائه وهو افتعال من الضلاعة وهى القوة وأصلها قوة الاضلاع والكاف للتشبيه وجوز أن يكون للتعليل وان تكون بمعنى على والاول أولى واظهر فهو متعلق بما قبله أو خبر مبتدأ مقدر أى هذه الحالة المذكورة ثابتة له كما ثبت له تحمله اثقال الرسالة واعباءها فقام بها أتم قيام أو صلى وسلم عليه لقيامه بذلك أو فعل به هذا جزاء له على ذلك (بامرك) أى قام بها بسبب أمرك امتثالا له لا لغرض آخر والمراد بامره تيسيره واعانته وقوله (بطاعتك) بدل مما قبله أو متعلق به لامره باطاعتك فامتثله وأدى ما كلفته به وفى نسخة لطاعتك باللام (مستوفزا) حال من الضمير فى حمل أو اضطلع والاستيفاز الوثوب والانتصاب من قعود والمراد به التقيد وعدم الاهمال أى مسرعا مستعجلا فى الاتيان بما أمرته به جادا غير متوان ومنه قولهم القيته على أوفاز أى على عجلة جمع وفز ومن العجيب ما قيل انه اسم مكان بزنة المفعول يشير به الى المستوى الذى سمع فيه صريف الاقلام وتأخر عنه جبريل وفيه خبط لا يخفى على عادته (فى مرضاتك) مصدر ميمى بمعنى الرضى وفى ظرفية ويجوز كونها بمعنى لام التعليل كما فى حديث دخلت امرأة النار فى هرة وفى بعض النسخ (بغير نكل فى قدم ولا وهن فى عزم) أى لا جبن يطرء عليه فى اقدامه ولا ضعف فى عزيمته ويروى واهيا بالمثناة التحتية (واعيا) أى حافظا ضابطا (لوحيك) الذى أوحيته اليه لم يشغله عنه ما حمله من الاعباء وما لقيه من المشاق فى تبليغه الرسالة ومنه اذن واعية وأصل

الوعى

(حافظا العهدك) أي الذي عاهدك عليه من الايمان بالوهيتك والاقرار بوحدانيتك والاخلاص في عبوديتك والقيام بحق رسالتك وفي هذا تلويح الى قوله عليه الصلاة والسلام وانا على عهدك ووعدك ما استطعت أي مقيم عليه ما ومتمسك بهما مدة استطاعتي وحالتي وحالة طاقتي لعجزي عن بلوغ كنه ما أوجبته على من اطاعتي في عبادتي وطاعتي أو عن دفع ما قضيته على في سابق قضائك أي ان كنت قضيت على ان انقض العهد وقتاما فاني أتنصل منه متعذرا اليك (ماضيا) أي جاريا ومستمرا أو مقدما (على نفاذ أمرك) بالذال المعجمة أي على امضائه ترغيبا اليك وترهيبا مما لديك (حتى أورى قبسا) من أوريت الزند اذا قدحته فاخرجت ناره والقبس بفتحتين ما اقتبس أي أخذ من النار فهو شعلة منها ومنه قوله تعالى بشهاب قبس واستعير النار هنا للنور

الوعي جعل الشيء في وعاء قال * والشر خبث ما أوعيت من زاد * وحفظه شامل للعمل به (حافظا لعهدك) أي متمسك ومداوم على ما عهدته عليه من الايمان بك والاخلاص في طاعتك وامتثال أمرك ونهيك كما قال صلى الله عليه وسلم وانا على عهدك ووعدك ما استطعت (ماضيا) أي مجتهدا مستمرا على امضاء ما عهدته وأنزلته مداوما (على نفاذ أمرك) بذال معجمة من أنفذ كذا اذا أمضاه وبلغ أقصاه (حتى أورى قبسا لقابس) الايراء قدح الزناد لخروج النار شررا تو قدمنه والقبس ما يتناول من الشعلة قال الله تعالى (أو آتيكم بشهاب قبس) والاقتباس طلبه ثم استعير ذلك لاظهار الحق وما يهتدى به الناس وفي المثل ما كل قادح زنده يورى أي لم يزل صلى الله عليه وسلم مجاهدا قائما على الحق حتى أظهره أبلج نيرا فاهتدى بنوره من كان في ظلمات الجهالة وقوله لقابس أي لقابل وطالب نور الحق والهداية التي هي من (آلاء الله) بالمد جمع الى وفيه لغات بكسر الهمزة وبفتحها وبالتنوين فيهما والخامسة الى بكسر فسكون فتنوين ومعناها النعم الالهية والسعادة الابدية في الدارين بواسطته صلى الله عليه وسلم (تصل باهله أسبابه) الجملة صفة قبس أي ذلك القبس سبب موصل لمن طلبه من أهله الذين أهلهم الله تعالى له ووفقهم لقبوله ونور بصائرهم بانواره والسبب تقدم ان معناه الحبل ثم صار بمعنى كل واسطة موصلة (به) أي بذلك القبس الذي أوراه فرآه من رآه وقيل الضمير له صلى الله عليه وسلم (هديت) بالبناء للفاعل والمفعول (القلوب) الضالة عن طريق الحق في ظلمة الجهل (بعد خوضات الفتن والاثم) جمع خوضة بعجمتين وهي المرة من الخوض وهو الدخول في الماء ويستعار للشروع والدخول في كل أمر يذم والاسم الذنب والفتن جمع فتنة وهي ما يفتتن به المرء ويطلق على الكفر وبه فسر قوله تعالى (والفتنة أشد من القتل) وهو المراد هنا بعد كفرهم وارتكابهم الآثام (وانهج موضحات الاعلام) وقع في النسخ هنا اختلاف فسقط من أكثرها لفظ انهج فوضحات بفتح الضاد اسم مفعول لهديت بنزع الخافض أي الى موضحات الاعلام وهو حال من القلوب والاعلام جمع علم بمعنى علامة وقيل انه جمع علامة ولا وجه له ويجوز رفعه على انه خبر مبتدأ مقدر وهو ضمير القلوب أي هي ظاهرة أدلة هدايتها وجوز فيه كسر الضاد جمع موضحة اسم فاعل من الايضاح وهو الكشف والبيان أي صارت القلوب بما رزقت من الهداية منشورات الاعلام أو ناشرة لها فالعلم بمعنى اللواء استعارة لما ذكر ومن أثبت انهج ماض فهو بالنون من النهج بمعنى أوضح وبين وسهل وقوم كما ذكره ابن القوطية كما في بعض الشروح وفي بعضها ابهج بالباء الموحدة من البهجة أي انار واشرق وهذا ساقط من خط المصنف كما

والجملة غاية لما قبلها أي لم يزل مجاهدا في ابلاغ ما أمر به مرغبا في موافقته مرهبا من مخالفته حتى أظهر دينا بينا كالقبس نورانيا (لقابس) أي لطالب النور الموجب للحضور والسرور (آلاء الله) بالرفع مبتدأ أي نعمه (تصل باهله أسبابه) بالنصب أي وسائله التي قدرها وذرائعه التي قررها في اللوح المحفوظ حررها وفي أصل الدلجي لقابس آلاء الله بالاضافة أي لمبتغي سوابغ نعمه ومواهب كرمه تصل باهله أي باهل القبس يعني بالمبتغين له أسبابه بالرفع أي وسائله الموصلة اليه من العناية وتوفيق الهداية من البداية الى النهاية مما به الفوز أبدا معاشا ومعادا

(به) أي به عليه الصلاة والسلام (هدية القلوب) بصيغة المفعول وفي نسخة بصيغة الفاعل أي قلوب أهل السلام من بين الانام فانقادت مذعنة لقبول الاحكام (بعد خوضات الفتن والآثام) أي بعد دخول القلوب في ميدان فتن الايام وشروعها في مهاوي المعاصي والآثام (وانهج) أي عين وبين (موضحات الاعلام) وسقط في أصل الدلجي لفظ وانهج فقال موضحات متعلق بهديت والاصل الى موضحات بحذف الجار وأوصل الفعل أولى وعلى تقدير صحة تركه وانهج لا يبعد أن يقال المعنى حال كون تلك القلوب مبينات أعلام الغيوب وقال الانطاكي هو بفتح الضاد على بناء المفعول أي فاصبحت القلوب بما رزقت من الهداية به عليه الصلاة والسلام منشورات الاعلام انتهى ولا يخفى ان ما قدمنا أولى وأنسب بقوله

(ونائرات الاحكام) من نار لازما بمعنى ظهر أي واضحاتها وبيناتها وقول الحلبي نائرات بالنون أوله ومثناة تحتية بعد الالف محمول على ماقبل الاعلال والافيقرأ بالهمزة فلا اشكال (ومنيرات الاسلام) من أنار متعديا أي ومظهرات أحكامه ورافعات أعلامه (فهو) بضم الهاء واسكانها لغتان مشهورتان وقراءتان متواترتان والضمير راجع اليه صلى الله تعالى عليه وسلم (أمينك المأمون) أي حافظ دينك وعهدك الذي ائتمنته عليه وفوضت أمر بيانه اليه (وخازن علمك المخزون) أي وسائر مااستودعته من اسرار الربوبية التي تعجز عن ادراكها عامة أرباب العبودية كما قيل صدور الاحرار قبور الاسرار (وشهيدك) أي الشاهد عندك للانبياء والاصفياء وعلى أممهم الاشقياء (يوم الدين) أي يوم الجزاء وفصل القضاء قال تعالى فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا فقيل المراد بالاشارة الى هؤلاء أمته من العلماء والاولياء وهم شهداء على أمم سائر الانبياء ويدل عليه قوله تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا ولامنع من الجمع بين الشهادة للاصل والفرع (وبعيثك) أي مبعوثك الذي بعثته أي أرسلته (نعمة) أي للمؤمنين أي هداية ودلالة للكافرين (ورسولك بالحق) أي الى الخلق (رحمة) أي للعالمين لمن آمن في الدنيا والاخرى ولمن كفر في الدنيا لا في العقبى (اللهم افسح له) أي وسع لاجله المقام الاعلى (في عدنك) أي في جنة عدنك ودار كرامتك فعدن علم لمعنى العدن وهو الاقامة من عدن بالمكان اذا أقام به ولم يبرح منه سمي بها جنته العلاقة الظرفية قيل عدن اسم جنة من جملة الجنان فهو في الجنان كآدم في نوع الانسان والصحيح انه اسم لجملة الجنان فكلها جنات عدن قال تعالى جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب وقال جنات عدن يدخلونها وقال ومساكن طيبة في جنات عدن وجنان عدن التي وعدتهم والاشتقاق أيضا يدل على انه أعم والله أعلم ويروى في عدنك ولعله بكسر العين وتخفيف الدال بمعنى عدلك أي في موضعه ومحله (واجزه) بهمزة وصل فسكون جيم فزاي مكسورة ومنه قوله تعالى وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا وهذا هو الاصل المطابق للرواية الموافق للدراية وكانه تصحف عن الدلجي حيث لم يذكر هذا

قاله التلمساني * فان قلت على النسخة المشهورة الساقط منها لفظ انهج فالمعنى ظاهر لان مآله الى انه هديت به القلوب للادلة الدالة على ماهداهم الله له من أحكام الشريعة الظاهرة ولما يظهر الاسلام ويؤيده من نصرة الاسلام باليد واللسان واما على النسخة الاخرى التي فيها ابهج بمعناه ففيه تحصيل الحاصل لان مآلها اظهار الظاهر والمظهر * قلت على هذه الرواية انه ظاهر في نفسه لمن له بصيرة ونفس قدسية واظهاره بالنسبة لغيرهم واظهاره اشاعته وانتشاره الى أن يصل الى أقصى الارض فتدين له الجبابرة والملوك (ونائرات الاحكام) جمع نائرة اسم فاعل من النور والضياء من نار لازم بمعنى ظهر واتضح والاحكام أحكام الشريعة من الحلال والحرام وغيرهما وفي القاموس نار نورا وأنار واستنار ونور وتنور وانتهى (ومنيرات الاسلام) من أنار المتعدي والاسلام بمعنى الدين أو الاستسلام والانقياد لامر الله تعالى (فهو) صلى الله تعالى عليه وسلم (أمينك) على وحيك واسرار ملكك وملكوتك التي أطلعته عليها (المأمون) الذي ارتضيته لحفظ اسرارك أو خلقته حفيظا عليها كما أشار اليه بقوله (وخازن علمك المخزون) في خزائن ملكوتك وكنوز عرشك حتى أنزلته له وأممته عليه دون غيره وامرته بايصاله لمن يليق له الاطلاع عليه (وشهيدك) فعيل بمعنى فاعل صيغ للمبالغة فارتضاه للشهادة على الانبياء وأممهم أي تصديقهم على تبليغهم لهم كما قال الله تعالى فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا كما تقدم (يوم الدين) أي القيامة والجزاء بما يعلمه الله (وبعيثك) فعيل بمعنى مفعول أي مبعوثك ورسولك الذي بعثته وأرسلته لتبليغ أوامرك ونواهيك (نعمة) مفعول لاجله أي بعثته ليكون نعمة ورحمة للعالمين (ورسولك) الذي أرسلته للناس كافة خاتما للنبوة والرسالة (بالحق) متعلق برسول أي أرسلته بالدين الحق الثابت في نفس الامر (رحمة) عامة لجميع خلقك وهو منصوب بمفعول له أيضا فهو رحمة في الدنيا والآخرة لمن آمن به وفي الدنيا لمن كفر بحقن دمه وصيانة ماله وقد يحصل لبعضهم رحمة في الآخرة بتخفيف عذابه أيضا وقد يفرق بين النعمة والرحمة هنا بان يقال النعمة ماحصل به من الخير والبركة ليمنه والرحمة هدايتهم بسببه التي كانت سببا لخلوصهم من الكفر والضلال لئلا يكون تكرارا (وافسح له في عدنك) الفسحة التوسعة وعدن بسكون الدال اسم للجنة ومعناها دار للاقامة والخلود من عدن بمعنى أقام وهو اسم للجنة مطلقا ولها أسماء أخر ويكون اسما لجنة مخصوصة أيضا عرفها لهم والمراد بالدعاء له بالفسحة طلب بهجة مقامه وزيادة حسنه وشرفه ومنظره لان سعة المنزل أمر مستحسن ولذا قالوا احسن المنازل ماسافر فيه النظر والافسحة الجنة معلومة قيل روى عدلك باللام أي معدلتك وجزائك له بما يليق به (واجزه

مضاعفات

الوجه الوجيه وقال يجوز ان يكون بهمزة قطع وجيم مكسورة وزاي من أجازه اذا أعطاه انتهى ولا يوجد في القاموس هذا المعنى ثم قال ويجوز ان يكون بوصل وجيم مضمومة وراء أي اعطه أجره وفيه انه لا يتعدى الى مفعولين ويجوز في مضارعه الكسر والضم ويجوز قطع همزة ممدودا مع كسر جيمه يقال آجره يأجره ويأجره جزاء كآجره فيرجع الى المعنى الاول فتأمل ثم رأيت الحلبي قال في النسخة المذكورة بفتح الهمزة ثم جيم ساكنة ثم بالزاي المكسورة والصواب بوصل الهمزة انتهى وبه تبين خطأ الانطاكي حيث قال هو بهمزة مفتوحة مقطوعة وقوله (مضاعفات الخير) أي أنواع الخير المضاعفة اضعافا كثيرة (من فضلك) اذ لا يجب عليك شئ من عندك (مهنئات) بكسر النون المشددة وفي نسخة بفتحها وهو حال من مضاعفات من هنأني الطعام يهنأني اذا ساغ بلا تنقيص وكل ما أتاك بلا تعب كذا ذكره الدلجي وهو توهم انه من الثلاثي المجرد وليس كذلك بل هو من باب التفعل (غير مكدرات) بكسر الدال المشددة وفتحها صفة لمهنئات أي غير منقصات (من فوز ثوابك) بالزاي أي من أجل الظفر بأجرك (المحلول) أي الذي يحل فيه وفسر بالمنزول وتصحف الفوز على الدلجي فقال من فارت القدر اذا غلت فاستعير للسرعة أي من سريع فضلك الذي لا بطؤ فيه (وجزيل عطائك) أي كثيره (المعلول) مأخوذ من العلل بفتحتين وهو الشرب ثانيا بعد النهل بفتحتين وهو الشرب أولا وقد وهم الدلجي حيث قال في الاول بفتحات ثلاث وفي الثاني بثلاث فتحات والمعنى عطاؤك المضاعف تعل به عبادك مرة بعد أخرى.

مضاعفات الخير من فضلك) المعنى اعطه من انعامك وفضلك ما تضاعفه له من الخيرات الاخر وبه مما لا عين رأت ولا أذن سمعت وهو ظاهر الا انه اختلف في ضبطه بعد الاتفاق على انه بهمزة وجيم وزاي معجمة فقيل انه بهمزة وصل وجيم ساكنة من الجزاء فانه ثلاثي وقيل انه بهمزة قطع مفتوحة وجيم مكسورة وزاي ساكنة من الجائزة وهي العطية وقال السخاوي في القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع انه بفتح الهمزة وجيم ساكنة وزاي مكسورة من الجزاء كما ضبط في بعض نسخ الشفاء والصواب كما وجد في بعض الاصول المعتمد بها وصل الهمزة لان فعله ثلاثي كما قال الله تعالى وجزاهم بما صبروا انتهى أقول ان صحت الرواية بما ذكره أولا فتوجيهه انه من الاجزاء بمعنى الكفاية أبدلت همزته الاخيرة ثم عومل معاملة المعتل كادم والمعنى اكفه عن سؤالك لما كلفته به من القيام بأعباء رسالتك والضعف المثل فازاد وليس بمحصور كما حققه أهل اللغة وقوله من فضلك اشارة الى ان الثواب تفضل من الله تعالى لانه لا يجب عليه شئ خلافا للمعتزلة كما بينه المتكلمون (مهنئات له) صلى الله تعالى عليه وسلم جمع مهنأة بتشديد النون والهمزة اسم مفعول من الهنئ وهو السائغ وكل ما أتى من غير تنغيص وتعب وهو حال من مضاعفات (غير مكدرات) أي منغصات وهو حال أيضا أو صفة لمهنئات مؤكدة (من فوز) بفاء وزاي معجمة عند الاكثر وهو الظفر بنيل البغية وقيل انه براء مهملة بمعنى سريع عاجل كما قيل اهنؤ البر عاجله مستعار من فارت القدر اذا غلت (ثوابك) الثواب العطاء في مقابلة عمل (المحلول) بحاء مهملة اسم مفعول من حل المكان وبه وفيه اذا نزل أي الكائن في الجنة أو الذي أوصلته له فصار صفة حالة فيه وقيل معناه المستوجب بفتح الجيم أي الذي استوجبه واستحقه من حل اذا وجب وهو بعيد متكلف وفي رواية المضنون بدل المحلول أي الذي يضن به لنفاسته (وجزيل) أي كثير عظيم (عطائك) أي احسانك وانعامك (المعلول) أي المضاعف من العلل وهو الشرب مرة بعد أخرى ويقابله النهل وهو الشرب مرة قال كعب * كأنه منهل بالراح معلول * فشبه عطاءه بمنهل عذب يرده العطاش كما تريد مرارا فهو استعارة والمراد انه كثير لا ينقطع (اللهم اعل) بقطع الهمزة (على بناء الناس) بموحدة ونون وروى بدل الناس البانين جمع بان (بناءه) بموحدة ونون أي اجعله عاليا رفيعا أي اجعل مقامه في الجنة فوق كل مقام أو اجعل مقداره أرفع من كل مقدار

فشبه وافر عطائه بمنهل عذب يرده العطاش ومنه قول كعب بن زهير رضي الله عنه * كأنه منهل بالراح معلول (اللهم اعل) بفتح الهمزة وكسر اللام أمر من الاعلاء وفي نسخة عل بفتح العين وتشديد اللام المكسورة أمر من التعلية أي ارفع (على بناء الناس) وفي رواية على بناء البانين جمع بان اسم فاعل من بنى يبني بناء بالكسر (بناءه) والمعنى ارفع على عمل العاملين عمله أو على منازلهم في الجنة منزله أو أعل بناء دينه على بناء أديان سائر الناس فيكون ايماء الى قوله تعالى ليظهره على الدين كله أي ليعليه ويغلبه وفي نسخة بالمثلثة المفتوحة في الموضعين بدل الموحدة المكسورة وقال الدلجي أو أطل على ذواتهم ذاته حتى لا يطوله أحد بشهادة قول سليمان عليه السلام من هدم بناء ربه تبارك وتعالى فهو ملعون يعني من قتل انسانا ظالما من حيث ان أصل البناء ضم شئ الى شئ وهو اجزاء خلقها الله مضموما بعضها الى بعض مركبة فشبه بالبناء لذلك انتهى ولا يخفى ان هذا الدعاء انما يناسب في حياته صلى الله تعالى عليه وسلم فانه كان لا يكتنفه طويل الا طاله مع انه كان ربعة الى طول أقرب في سائر أحواله المناسب الحال التوسط في اعتداله اللهم الا ان

أوذاته أشرف من جميع الذوات لان الذوات بثناء الله كما ورد في الحديث وصحح في بعض النسخ ثناء الناس وثناه بمثلثة أي اجعل مدحه والثناء عليه فوق ما يثني به الناس عليه فانهم لا يقدرون على ادائه حق الاداء (وأكرم مثواه لديك) أي اجعل مقامه عندك كريما أي حسنا مرضيا من ثوى بالمكان اذا أقام به (ونزله) بضم النون وسكون الزاي المعجمة ويجوز ضمها وهو القرى المعد للضيف اذا نزل والمراد به ثوابه وأجره وحسن استعارته هنا ذكره بعد المثوى وهو المنزل فانه كرم على كرم (وأتم له نوره) أي اجعل النور الذي أودعته فيه تاما كاملا فيكون في سائر جهاته وحواسه وقلبه كما ورد في دعائه عليه الصلاة والسلام اللهم اجعل في قلبي نورا وفي سمعي نورا وفي بصري نورا وفي سائر جهاتي نورا (واجزه) فيه ما تقدم من الضبط قريبا (من انبعاثك) افتعال من البعث بموحدة ومثلثة أي بعثك له بالنبوة والرسالة فقوله (له) متعلق به وليست اللام تعليلية متعلقة باجزه كما قيل أي كافئه على ما قام به من أمور الرسالة (مقبول الشهادة) أي شهادته في المحشر للانبياء عليهم الصلاة والسلام وعلى الامم (ومرضي المقالة) أي ما يقوله ثمة من الشهادة والشفاعة فلا يسخط ولا يرد له قول (ذا منطق عدل) مصدر ميمي بمعنى النطق وعدل بمعنى معتدل مستقيم وهو حال أيضا والمراد به ما يقول بعد الشفاعة من حمده تعالى بمحامد لا تضاهى (وخطة فصل) بتقدير مضاف أي وذا خطة وهي بضم الخاء المعجمة وتشديد الطاء المهملة وهي الامر والشان والفصل الجزل الفاصل بين الحق والباطل يوم القيامة (وبرهان عظيم) أي دليل نبوته ورسالته القوي القاطع من معجزاته الباهرة وقد ذكر هذا صاحب القاموس في كتابه المسمى بالصلات والبشر في الصلاة على خير البشر مع ما فيه من الزيادات واختلاف الروايات وحسبك من القلادة ما أحاط بالجيد وزاد أبو بكر بن أبي شيبة في رواية فيها مجهول اللهم اجعلنا سامعين مطيعين وأولياء مخلصين ورفقاء مصاحبين اللهم ابلغه منا السلام واردد عليه منا السلام (وعنه) أي عن علي كرم الله وجهه (أيضا في) كيفية (الصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) لكن قال الحافظ السخاوي انه لم يقف على أصله انه صلى الله عليه وسلم قال (ان الله وملائكته يصلون على النبي الآية) أي وتلا الآية الآمرة بذلك الى آخرها لتقع صلاته بعدها امتثالا

يقال المراد باطالة ذاته بقاء جسده الشريف بعد مماته على ما كان عليه مدة حياته فان الله حرم على الارض ان تأكل أجساد الانبياء عليهم السلام ويلائمه قوله (وأكرم مثواه لديك) أي منزله ومأواه عندك (ونزله) بضمتين ويسكن الزاي أي أجره وثوابه وجزاءه وهو في الاصل الطعام المهيأ للضيف (وأتم) بتشديد الميم المفتوحة وفي نسخة واتمم (له نوره) أي الذي سألك ان تجعله في قلبه وبصره وسمعه وعن يمينه وعن شماله ليتجلى بانوار المعارف ويتجلى باسرار العوارف وفي الحديث تلميح الى قوله تعالى ربنا اتمم لنا نورنا (وأجره) بفتح الهمزة وسكون الجيم فراء أي جزاء الذي يوجب سروره قال الحلبي الاجر معروف وهو منصوب معطوف على ما قبله من قوله نوره والمفهوم من قول الدلجي واجره الجزاء الاوفى انه تصحف عليه الراء بالزاي وانه جعله أمرا معطوفا على أكرم أواتم وكأنه تبع الحجازي في قوله ويروى واجزه بهمزة وصل من الجزاء (من انبعاثك) مصدر من باب الانفعال من البعث أي من بعثك اياه وفي نسخة من الافتعال والجار متعلق باكرم وهو انسب أو باتم وهو أقرب والمعنى لاجل اقامتك اياه من قبره (له مقبول الشهادة) أي تزكية لامته اذا شهدوا للانبياء انهم قد بلغوا أممهم الرسالة بعدما جحدوا تبليغهم أي اياهم يوم القيامة ونصبه على الحال من ضمير له أو على المفعولية وكذا قوله (مرضي المقالة) أي مقبول الشفاعة (ذا منطق عدل) فمصدر سمي به فوضع موضع عادل مبالغة في جعل منطقه عدلا أي ذا منطق مستقيم وذا كلام قويم ووهم الدلجي حيث قال مبالغة في جعل نفسه عدلا فانه لو أريد به هذا المعنى لنصب عدل في المبنى كما لا يخفى (وخطة فصل) أي وذا خطة فصل والخطة بضم المعجمة وتشديد المهملة الامر والحال والقصة والفصل القطع أو الفرق أو بمعنى الفاصل أي ذا حالة رشد وهداية واستقامة والمعنى اذا ألم به خطب عظيم وأمر مشكل جسيم فصله برأي قويم وفي حديث الحديبية لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمات الله تعالى الا أعطيتهم اياها (وبرهان عظيم) أي وذا دليل واضح وبيان قاطع عظيم في ميدان البيان بحيث يصير الشيء الغائب كالامر العيان (وعنه) أي وعن علي كرم الله وجهه (أيضا في الصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي في جملة ألفاظها الواردة عنه كرم الله وجهه (ان الله وملائكته يصلون على النبي) أي فنحن أولى بذلك (الآية) يعني يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما يعني لا سيما وقد أمرنا بذلك تصريحا بعدما أشير اليه تلويحا فيجب علينا اداء اجابته والقيام بحق اطاعته بان نقول

(لبيك) أي أقنامة بعد أخرى بخدمتك ودمنا بحضرتك (اللهم) أي يا الله أمنا برحمتك واقصدنا بمنتك ونعمتك (ربي) أي ياربي (وسعديك) أي نساعد عبادتك مساعدة بعد مساعدة في طاعتك (صلوات الله البر) بفتح الموحدة وتشديد الراء وهو أبلغ من البار ولذا لم يرد في أسمائه ومعناه كثير البر بعباده المؤمنين من أولى البر وفي الحديث تمسحوا بالارض فانها بكم برة أي عليكم مشفقة كالوالدة البرة بولدها البار يعني ان منها خلقكم وفيها معاشكم ومنها بعد الموت معادكم وقد قيل البزار بأهله وقال تعالى ألم نجعل الارض كفاتا أحياء وأمواتا وأما البحر فانه يغرق أهله ولا يفرق حزنه وسهله وقد ورد البحر من جهنم رواه الحاكم والبيهقي عن يعلى بن أمية (الرحيم) أي كثير الرحمة بالمؤمنين وكبير العناية بالمحسنين (والملائكة المقربين) أي وصلواتهم (والنبيين) وهم اعم من المرسلين (والصديقين) أي العلماء العاملين (والشهداء والصالحين) أي القائمين بحقوق الله تعالى وبحقوق الخلق أجمعين (وما سبح لك من شئ) أي وصلوات جميع الاشياء فهذا تعميم بعد تخصيص كقوله سبحانه وتعالى وان من شئ الا يسبح بحمده فما موصولة معطوفة على ما قبلها ومن بيانية لها وفي نسخة بدون العاطفة فما مصدرية ومن زائدة أي صلواتهم دائمة مستمرة مدة تسبيح شئ لك أي مادام يسبحك شئ (يارب العالمين) أي مربيهم ومدبر أمورهم (على محمد بن عبد الله خاتم النبيين) بكسر التاء وفتحها (وسيد المرسلين) لكونهم تحت لوائه يوم الدين (وامام المتقين) أي من أرباب اليقين

(ورسول رب العالمين) أي الى كافة الخلق أجمعين (الشاهد) أي للانبياء (البشير) للاولياء (الداعي اليك باذنك) أي بأمرك وتيسيرك (السراج المنير) أي من أبصر بنوره ذو العماية واستبصر بظهوره ذو الغواية (وعليه السلام) أي مما يغشي غيره من الملام وسوء المقام ومن دعائه عليه الصلاة والسلام اذا دخل رمضان اللهم سلمني من رمضان وسلمه لي وسلمني منه أي لا يغشاني فيه ما يحول بيني وبين صومه وسلمه لي أي حذرا من ان يغم على الهلال أوله وآخره فيلتبس على صوما وفطرا وسلمني منه أي بعصمتي فيه (وعن عبد الله بن مسعود) كما رواه ابن ماجه والبيهقي في شعب الايمان (اللهم اجعل صلواتك) أي أجناسها (وبركاتك) أي أنواعها (ورحمتك) أي الخاصة

لامر الله في قوله عقبها (لبيك اللهم ربي وسعديك) أي اجابة بعد اجابة واسعادا بعد اسعاد في طاعتك وامتثال أوامرك والتثنية فيهما لمجرد التكرار وعاملهما محذوف وجوبا كما فصل في كتب النحو (صلوات الله البر الرحيم) أي المنعم المتفضل بانواع البر والرحمة ومعنى البر العطوف اللطيف بعباده وهو من أسمائه تعالى ولم يسمع بار لان البر أبلغ منه وصلوات (والملائكة المقربين) كجبريل واسرافيل وخصهم لشرفهم (والنبيين والصديقين) المبالغين في الصدق والاخلاص من أشراف المؤمنين الصالحين (والشهداء والصالحين) لكل خير القائمين من غير تقصير بحقوق الله وحقوق عباده والشهداء جمع شهيد فعيل بمعنى فاعل أو مفعول وهو من قتل مجاهدا في سبيل الله لاعلاء كلمته تعالى ومن الحق بهم كالمبطون والغريق ونحوهما سمي به لان الله وملائكته يشهدون له بالجنة أولانه حي فكانه شاهد حاضر اولان ملائكة الرحمة تشهده أو لقيامه بشهادة الحق أو لشهوده ما أعد له من الكرامة حين قتل (ما سبح لك من شئ) ما مصدرية ومن زائدة وهو للتأبيد أي صلوات هؤلاء دائمة مستمرة مدة تسبيح الاشياء لك وان من شئ الا يسبح بحمده وهذا على ما وقع بدون واو وفي قوله تعالى ما سبح الى آخره وفي نسخة وما سبح فما موصولة معطوفة على الاسم ومن بيانية أي وصلوات الله وصلوات كل شئ سبحك (يارب العالمين) أي جميع المخلوقات فهو شامل للعقلاء وغيرهم تغليبا كما حقق في كتب التفسير (على محمد بن عبد الله) متعلق بمقدر خبر الصلوات الله (خاتم النبيين) أي آخرهم بعثة (وسيد المرسلين) أي أفضلهم وأشرفهم وأضاف خاتم للنبيين متابعة لما في القرآن وسيد المرسلين تفننا واطلاق السيد عليه ثابت بالاحاديث كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم أنا سيد ولد آدم ولا فخر وأما قوله لا تسموني سيدا فأول بلا تصفوني بسيادة كسيادتكم أو هو تواضع منه وورد اطلاقه على الله أيضا بمعنى المالك كما فصلناه في غير هذا المحل (وامام المتقين) الذين يقتدون به في العلم والعمل (ورسول رب العالمين) الى الخلق أجمعين (الشاهد) على الانبياء بانهم بلغوا اممهم وعلى اممهم بما بلغوهم يوم القيامة كما قال تعالى وجئنا بك على هؤلاء شهيدا كما تقدم تحقيقه (البشير) للمؤمنين بسعادة الدارين (الداعي اليك) أي الذي دعا الخلق الى طاعة الله تعالى وتوحيده (باذنك) أي بامرك له بدعوتهم أو بتيسيرك وتسهيلك (السراج المنير) شبهه بذلك لازالته ظلمة الكفر وتنويره لقلوب المؤمنين بنور هدايته وتوضيحه لطرق الحق والحقيقة ولان ذاته صلى الله عليه وسلم نور ولذا ورد انه لم يكن له ظل كما مر (وعليه السلام) أي السلامة من كل وصمة ونقص (وعن ابن مسعود) كما رواه ابن ماجه والبيهقي في كيفية أخرى للصلاة عليه (اللهم اجعل صلواتك وبركاتك ورحمتك) المراد بجعلها انزالها ولذا عداه

(على سيد المرسلين وامام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك امام الخير) أى الكثير على الامة (ورسول الرحمة) أى على الكافة (اللهم ابعثه مقاما) نصبه على الظرفية أى مقاما عظيما وهو المقام المحمود الذى يحمده الاولون والآخرون بالشفاعة الكبرى والصغرى لقوله عليه الصلاة والسلام هو المقام الذى أشفع فيه لامتى ولا يبعد ان يراد بأمته جماعته المحتاجة الى شفاعته وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما مقاما يحمدك فيه الاولون والآخرون وتشرف فيه على جميع الخلائق تسأل فتعطى وتشفع فتشفع ليس أحد الا تحت لوائك وعن حذيفة يجمع الناس فى صعيد واحد فلا تتكلم نفس فأول مدعو محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فيقول لبيك وسعديك والشر ليس اليك والمهدى من هديت وعبدك بين يديك وبك واليك لا ملجأ ولا منجى منك الا اليك تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت فهذا معنى قوله تعالى عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا (يغبطه) بكسر الموحدة أى يتمنى مثل مقامه (فيه الاولون والآخرون) وفى الحديث هل يضر الغبط قال لا الا كما يضر العضاة الخبط أى يخبط ورقها دون قطعها والمقصود ان الغابط كالخابط ينتفع بالمغبوط والمخبوط من غير ان يحصل هنالك ضرر لاحدهما (اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم) أى من الانبياء من ذريته (انك حميد مجيد) وقد سبق تحقيق مبناه وتدقيق معناه (وكان الحسن البصرى رحمه الله يقول من أراد أن يشرب بالكأس الاوفى) أى بالحظ الاعلى (من حوض المصطفى) أى من بحر شرعه المرتضى فى الدنيا ومن نهر كوثره فى العقبى (فليقل) أى دائما أو كثيرا بالقلب الاصفى (اللهم صل على محمد وعلى آله) أى من يؤل اليه أمره ويعظم لديه قدره وهو يحتمل التعميم والتخصيص ويروى وعلى آل محمد (وأصحابه) أى من أدرك جمال صحبته وتشرف برؤية طلعته (وأولاده) أى الشاملة لبناته واحفاده (وأزواجه) أى زوجاته وسرياته (وذريته) ولو كان بواسطة كثيرة فى نسبته (وأهل بيته) أى المتناول لمواليه وخدمه (واصهاره) أى من بينه وبينه مصاهرة كالشيخين والختنين (وانصاره) أى من المهاجرين والانصار (واشياعه) أى اتباعه من أهل القرى والامصار

بعلى فقال (على سيد المرسلين وامام المتقين وخاتم النبيين محمد) بالجر بدل مما قبله (عبدك ورسولك) قدم وصفه بالعبودية لشرفها بالاختصاص وتقدمها (امام الخير) أى امام الاخيار أو المقتدى به فى كل خير (ورسول الرحمة) أى الذى أرسل رحمة للعالمين وقد ورد فى حديث مسلم أنا نبى الرحمة (اللهم ابعثه مقاما محمودا) يحمده فيه جميع الانبياء وسائر الخلق وهو مقام الشفاعة العظمى وقد ورد تفسيره بهذا ومقاما منصوب على الظرفية بابعثه بمعنى أقمه وفسر بعضهم البعث بالاحياء والتنكير للتعظيم (يغبطه فيه الاولون والآخرون) أى يتمنون نيل مثله من غير زوال له وهذا هو الفرق بين الغبطة والحسد ولذا قيل ان الغبطة حسد غير مذموم وقد يراد بالغبطة لازمها وهى المحبة والسرور بما رأوه فقط وهو اللائق بمقام الرسل والكمل فان منهم من تمنى مقام غيره الذى خصه الله تعالى به كأنه يقول هلا ساويته فى مقامه وفيه اعتراض خفى ولذا لما قيل له صلى الله تعالى عليه وسلم هل يضر الغبط قال لا الا كما يضر العضاة الخبط فأشار الى انه فيه ضرر ليس كضرر يعنى الزوال فان الخبط يقطع الورق دون الاغصان والساق فاعرفه فانه دقيق (اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم انك حميد مجيد) تقدم بيانه (وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وآل ابراهيم انك حميد مجيد وكان الحسن البصرى رحمه الله يقول من أراد ان يشرب بالكأس الاوفى) أراد به اناء فيه ما يرويه ويزيد من الوفاء وهو الكثرة وفى القاموس وفى واوفى غيى وكثر فهو وفى ووافى وهو المراد ورده الزبيدى فى لحن العوام بانهم يقولون درهم واف اذا كان يزيد فى وزنه وقال أبو بكر الوافى الذى لا زيادة فيه ولا نقص وهو الذى وفى بزنته انتهى (من حوض المصطفى) الذى يسقى منه العطاش يوم القيامة وهل هو الكوثر أو غيره فيه ما فيه (فليقل اللهم صل على محمد وعلى آله وأصحابه وأولاده وأزواجه وذريته) بضم المعجمة وقد تكسر كما مر نسل الانسان من ذكر وأنثى وقد يخص بالنساء والاطفال ومنه ذرارى المشركين من الذرء وهو الخلق ولكثرتها أسقط الهمزة وقيل من ذر فرق أو من الذر لانهم خلقوا أولا مثل الذر وهو النمل الصغير وعليهما فلا أصل له فى الهمز ويدخل فيهم أولاد البنات اتفاقا على ما قاله ابن الحاجب لكن رد بان مذهب أبى حنيفة انهم لا يدخلون وهو رواية عن أحمد نعم أجمعوا على دخول أولاد بنات فاطمة فى ذريته صلى الله تعالى عليه وسلم خصوصية لهم لشرف هذا الاصل العظيم والمجد الكريم وبين الازواج والآل عموم وخصوص من وجه وبين الذرية والآل عموم وخصوص مطلق (وأهل بيته واصهاره وانصاره وأشياعه) أى اتباعه جمع شيعة وشيعة الرجل اتباعه والفرقة على حدة ويقع على الواحد المذكر وغيره وغلب بعد ذلك على طائفة ادعت

(ومحبيه) أي من العلماء الاخيار والصلحاء الابرار (وأمته) أي الداخل فيهم المؤمنون المذنبون (وعلينا معهم أجمعين يا أرحم الراحمين وعن طاوس عن ابن عباس) في رواية عبد بن حميد وعبد الرزاق بسند جيد واسمعيل القاضي في فضل الصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عن ابن عباس (انه كان يقول اللهم تقبل شفاعة محمد الكبرى) أي العظمى وهي التي يفصل القضاء بين أهل الموقف بما يستحقون من الجزاء (وارفع درجته العليا) أي مرتبته العالية ومنزلته الغالية (وآته سؤله) أي اعطه مسؤاه (في الآخرة والاولى) أي الدنيا وسميت أولى لتقدمها على الاخرى (وعن وهيب) بالتصغير وفي نسخة وهب (ابن الورد) وهو عبد الوهاب المكي الزاهد روى عن حميد بن قيس وجماعة وعنه عبد الرزاق وطائفة ثقة حجة (انه قال يقول في دعائه اللهم اعط محمدا أفضل ماسألك لنفسه) أي من الخيرات (واعط محمدا أفضل ماسألك له أحد من خلقك) أي من المقامات (واعط محمدا أفضل ما أنت مسؤل له الى يوم القيامة) أي من الكرامات (وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه) أي في رواية ابن ماجه والبيهقي والديلمي والدارقطني وتمام في فوائده انه كان يقول اذا صليتم على النبي عليه الصلاة والسلام فاحسنوا الصلاة عليه) أي في المبنى والمعنى (فانكم لاتدرون) أي ما يترتب عليه من المآل (لعل ذلك) أي اذا قبل (يعرض عليه) أي يبلغ اليه

تفضيل على كرم الله وجهه على غيره كما سيأتي بيانهم في محله (ومحبيه) المراد بهم من بلغت محبته منه محلا لا يصل اليه غيره بحيث يكون أحب اليه من نفسه وأهله وماله (وأمته) من عطف العام على الخاص ليشمل جميع الامة (وعلينا) يعني المتكلم ومن يختص به (معهم أجمعين يا أرحم الراحمين) ولتعميمه في هذا الدعاء وتفصيله تفصيلا تاما كان جزاء من صلى عليه صلى الله عليه وسلم ودعا له بهذا الدعاء من جنس عمله بان يكون مشر به أوفى (وعن طاوس) هو الامام أبي عبد الرحمن بن كيسان كما تقدم (عن ابن عباس انه كان يقول) اذا صلى عليه صلى الله عليه وسلم (اللهم تقبل شفاعة محمد الكبرى) يوم القيامة اذا قيل له صلى الله عليه وسلم اشفع تشفع وقال الكبرى لان له صلى الله عليه وسلم شفاعات ثمة بلغها النووي خمسا وقد تقدم ذكرها والمراد بها شفاعته لفصل القضاء لا لاخراج عصاة المؤمنين من النار كما قيل * فان قلت شفاعته مقبولة فما فائدة الدعاء له بهذا * قلت هذا أمرنا به تعبدا لنيل الثواب وان كان أمرا محققا كما في قوله (وارفع درجته العليا) ومرتبته في جنات النعيم والمراد بهذا كله تعظيمه (وآته) أي اعطه وأنعم عليه (سؤاله) فعل بمعنى مفعول كخبز بمعنى مخبوز أي مسؤله ومطلوبه وما يحبه ويبتغيه (في الآخرة والاولى) أي الدنيا سميت أولى لتقدمها على الآخرة ومطلوبه في الآخرة درجات قربه ونجاة أمته وفي الدعاء اعلاء كلمة الله ونصره ونصر أمته وسعة ملكهم وان لا يسلط عليهم أعداءهم ولا يستأصلهم ولا يهلكهم بسنة عامة ونحوه مما ورد في الحديث (كما آتيت ابراهيم وموسى) فان قلت الفصل معقود لبيان كيفية الصلاة وليس في هذا ذكرها *قلت المراد بالصلاة الدعاء له وهو دعاء فيه تعظيم وثناء عليه بما يليق به (وعن وهيب) بالتصغير (ابن الورد) ويقال ابن أبي الورد المخزومي المكي الزاهد الثقة مولاهم واسمه عبد الوهاب ووهيب لقبه وكنيته أبو عثمان روى عن عطاء مرسلا وغيره وروى عنه كثير وأخرج له مسلم وأصحاب السنن وله أحاديث ومواعظ توفي سنة ثلاث وخمسين ومائة وفي بعض النسخ وهب مكبرا والمعروف الاول (انه كان يقول في دعائه) له صلى الله تعالى عليه وسلم (اللهم اعط محمدا أفضل ماسألك لنفسه) أي أجب دعاءه بما أحبه لنفسه (وأعط محمدا أفضل ماسألك له) أي لاجله (أحد من خلقك) واستجب دعاءهم له (واعط محمدا أفضل ما أنت مسؤل له الى يوم القيامة) تعميم بعد تعميم (وعن ابن مسعود) رواه عن ابن ماجه والبيهقي والديلمي والدارقطني وتمام في فوائده (انه كان يقول اذا صليتم على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فاحسنوا الصلاة عليه) أي اقصدوا أحسنها وقولوه (فانكم لاتدرون) انها تبلغه أم لا (لعل ذلك) الدعاء والصلاة (يعرض عليه) وتبلغه صلاتكم عليه فينبغي ان يتحرى الاحسن حتى يسره صلى الله عليه وسلم ما يبلغه منه قيل لعل هنا للجزم فانه ورد انها تعرض عليه صلى الله عليه وسلم وسيأتي وسئل ابن حجر هل الافضل والاحسن في الصلاة عليه ان يقول صلى الله على محمد أو على سيدنا محمد بصفة السيادة فاجاب بان اتباع الآثار الواردة أرجح لا يقال لعله تركه تواضعا منه كما لم يكن يقول عند ذكر اسمه صلى الله تعالى عليه وسلم وهو مندوب لغيره لانا نقول لو كان كذلك جاء عن الصحابة والتابعين ولم يروعنهم الا في حديث ضعيف في الشفاء عن ابن مسعود وذكر الشافعية انه لو حلف أحد أن يصلي على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أفضل صلاة فبر بان يقول اللهم صل على محمد كلما ذكره الذاكرون وسهى عن ذكره الغافلون وقال النووي رحمه الله أفضله ما في التشهد والحاصل انه لم يرد ذكر سيدنا عن أحد من الصحابة ولو كان مندوبا ما خفي عليهم والخير كله في الاتباع انتهى وهذا يقرب من مسئلة أصولية وهي ان سلوك الادب أحسن أو الاتباع والامتثال ورجح الثاني وقيل انه

(وقولوا) أی مثلا (اللهم اجعل صلواتك) أی انواع دعواتك العامة (ورحمتك وبركاتك) أی الخاصة (على سيد المرسلين وامام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك امام الخير) أی لنفسه (وقائد الخير) أی لغيره (ورسول الرحمة) أی لجميع الامة فانه كاشف الغمة (اللهم ابعثه مقاما محمودا يغبطه فيه الاولون والآخرون اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم انك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما بارکت على ابراهيم) زيد فی نسخة فی العالمين (انك حميد مجيد) وقد سبق ان هذه الجملة الاخيرة من أصح أنواع الصلوات مما ورد فيه الروايات (وما يؤثر) أی ما يروى (من تطويل الصلاة) وفی نسخة فی تطويل الصلاة (وتكثير الثناء على أهل البيت) قال الحجازی ويروى عن أهل البيت وهو الملائم لقوله (وغيرهم) أی من اصحابه وأزواجه وأتباعه واشياعه (كثير) أی يطول ذكره ويحتاج الى مؤلف مستقل حصره (وقوله) أی وقول ابن مسعود رضی الله تعالى عنه موقوفا أو مرفوعا (والسلام كما قد علمتم) أی بالوجهين المتقدمين (هو ما علمهم فی التشهد من قوله السلام عليك أيها النبی ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وفی تشهد على رضی الله تعالى عنه) هذا غير معروف سنده (السلام على نبی الله السلام على أنبياء الله ورسله) تعميم بعد تخصيص (السلام على رسول الله السلام على محمد بن عبد الله السلام علينا وعلى المؤمنين والمؤمنات من غاب منهم) السلام أی بالموت (وغيره ومن شهد) أی حضر عنده (اللهم اغفر لمحمد) وسيأتی الكلام على غفرانه عليه الصلاة والسلام (وتقبل شفاعته واغفر لاهل بيته) أی من أزواجه وذريته (واغفر لی ولوالدی وما ولدا وارحمهما) سيأتی تحقيقه (السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين

هو الادب كما مر ٢ وقوله (وقولوا اللهم اجعل صلواتك ورحمتك) الى قوله (انك حميد مجيد) تقدم بيانه بما يغنی عن اعادته الا انه قيل انه بيان للحسن الذی ذكره ابن مسعود وارشاد لما أمر به من الاحسان فی الصلاة عليه وانه الاحسن وقيل انه يحتمله ويحتمل ان يكون تمثيلا للحسن منه وان كان فوقه ما هو أحسن منه وانه هو الظاهر وفيه نظر (وما يؤثر) بالبناء للمجهول أی ينقل عنه صلى الله تعالى عليه وسلم وعن الصحابة والتابعين وما اسم موصول مبتدأ خبره كثير الآتی (من تطويل الصلاة وتكثير الثناء على أهل البيت وغيرهم) من الصحابة وتفضيلهم كما مر (كثير) فی الآثار المروية عن السلف حتى أفردت بتآليف من أحسنها القول البديع للسخاوی المتقدم ذكره (وقوله) فی الحديث المتقدم فی التشهد (والسلام كما علمتم) يعنی فی تشهد الصلاة فی قوله السلام عليك أيها النبی الخ وهو اشارة الى تفسير ما سبق فی رواية مالك عن ابن مسعود لما سألوه كيف نصلی عليك آخره الى هنا وهو اشارة الى ما علمهم من التشهد وقوله علمتم بالبناء للمجهول وبتشديد اللام أو بالبناء للفاعل وتخفيف اللام كما تقدم والمعنى ظاهر وهما متلازمان لانهم اذا علموا الكن ما بعده يقتضی الاول أعنی قوله (هو ما علمهم فی التشهد من قوله) صلى الله تعالى عليه وسلم (السلام عليك أيها النبی ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين) تقدم تفسيره (وفی تشهد على) رضی الله عنه وتقدم ان التشهد روی عن الصحابة من طرق كثيرة اسندوها وهذا المر من رواه عن على (السلام على نبی الله السلام على انبياء الله ورسله) قدمه لبيان شرفه وتفضيله عليهم (السلام على رسول الله) صلى الله عليه وسلم قيل أخر وصفه بالرسالة اشارة الى تاخر رسالته بحسب الزمان لانه مسك الختام (السلام على محمد بن عبد الله) كرر السلام عليه باسمه ونسبه تأكيدا (السلام علينا وعلى المؤمنين والمؤمنات من غاب منهم ومن شهد) أی حضر (اللهم اغفر لمحمد) سيأتی بيان الدعاء له صلى الله عليه وسلم بالمغفرة (وتقبل شفاعته واغفر لاهل بيته واغفر لی ولوالدی) بالتشديد مضاف لياء المتكلم (وما ولدا) زاده ليشمل اقرباءه المسلمين وحواشی نسبه الا ان فيه اشكالا لان عليا هو الذی قاله فكيف يدعو لوالديه وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف وهی أول هاشمية ولدت هاشميا أسلمت وتوفيت بالمدينة وكفنها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فی قميصه واضطجع فی قبرها وقال جزاك الله من أم خيرا الانها ربته صلى الله عليه وسلم وأحسنت صنيعها معه كما ذكره الطبری فی الرياض النضرة وانما اضطجع صلى الله عليه وسلم فی قبرها ليخفف عنها ضغطة القبر كما صرح به فی الحديث وأبو طالب مات كافرا وادعاء بعض الشيعة انه أسلم لا أصل له وقد نهی عن الاستغفار للمشركين كما فی الآية الكريمة انتهى وأجيب عنه باجوبة فقيل انه تغليب لامه ولا وجه له وقيل المراد بابويه آدم وحوى ولا يخفى بعده وقيل المراد تعليم من يدعو من المؤمنين ان يقوله وهو أقربها وما قيل انه سهو من الناسخ زاد فيه ألفا وانما هو ولدی يعنی الحسن والحسين وأولادهما ليس بشیء وكذا ان كان من كلامه صلى الله عليه وسلم أو هو بناء على اسلام أبويه على ما ارتضاه السهيلی وسيأتی بيانه (وارحمهما) فيه ما تقدم (السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين

---

٢ وقيل لعل هنا الجزم فانه وردانها تعرض عليه وسيأتی نسخه

(السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته) وفيه اشكال حيث دعا بالمغفرة لوالديه وما ولدا والرحمة لهما مع ثبوت موت أبيه وبعض اخوته كافرين قال الدلجي ولعل الناسخ زاد الالف سهوا وانما الدعاء بهما لوالديه الحسنين ومن ولداه انتهى والاظهر انه قال ذلك لتعليم غيره لا للدعاء لنفسه وفيه اشكال آخر وهو ومابينه المصنف بقوله (جاء في هذا الحديث عن علي الدعاء للنبي بالغفران وفي حديث الصلاة) بالاضافة أي الذي سنده (أيضا) ويروى في حديث الصلاة عليه والضمير له عليه الصلاة والسلام ويروى عنه أي عن علي قبل ذلك وهو المذكور في أوائل هذا الفصل (قبل) أي من طريق الحافظ أبي عبد الله الحاكم فقبل مبني على الضم وقوله (الدعاء له) أي للنبي عليه الصلاة والسلام (بالرحمة) خبر أي الدعاء له بالرحمة في حديث الصلاة على النبي المروي عن علي (ولم يأت في غيره من الاحاديث المرفوعة المعروفة) فهل يجوز الدعاء له بهما أولا والظاهر انه يجوز اما الرحمة فظاهر فانها أحد معاني الصلاة وقد قال تعالى رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت مرادا به ابراهيم عليه السلام وآله واما المغفرة فحيث وقع له عليه الصلاة والسلام طلب المغفرة لنفسه سبعين مرة وفي رواية مائة مرة امتثالا لقوله تعالى واستغفر لذنبك جاز لغيره غايته ان ذنبه المترتب عليه الغفران مأول بالغفلة عن المولى وارتكاب خلاف الاولى أو الاشتغال بالامور المباحة أو رؤية التقصير في مقام الطاعة وامثال ذلك مما يليق بشأنه وعلو مكانه فحسنات الابرار سيئات المقربين مع انه قد غفر له ما تقدم من ذنبه فهو من باب التأكيد في القضية أو من قبيل التلذذ بذكر العطية نحو والدعاء بقوله ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا فمعنى اغفر له وارحمه أي أدم له المغفرة الشاملة والرحمة الكاملة (وقد ذهب أبو عمرو بن عبد البر) وهو من أكابر علماء المالكية (وغيره الى انه لا يدعى للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم بالرحمة وانما يدعى له بالصلاة والبركة التي تختص به) وفي كون البركة تختص به نظر ظاهر (ويدعى لغيره بالرحمة والمغفرة) ويروى بالغفران نعم هذا هو الاولى ولكن لا لاجل النهي يحتاج الى دليل مثبت للدعوى وقد أغرب الدلجي حيث قال لافتقارهم اليها دونه ووجه غرابته ان كل أحد محتاج الى غفران الله تعالى ورحمته وكم ورد من دعائه عليه الصلاة والسلام بقوله اللهم اغفر لي وارحمني وانما الكلام في دعاء غيره له بهما لانه كان في مقام التواضع والادب كما يقتضي استغناء الرب ثم رأيت في شمائل الترمذي ان واحدا من الصحابة قال له عليه الصلاة والسلام غفر الله لك فقال ولك وهذا تقرير منه عليه الصلاة والسلام على جواز مثل هذا الكلام (وقد ذكر أبو محمد ابن أبي زيد) أي المالكي في رسالته مزيادة الترحم (في الصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي بقوله (اللهم ارحم محمدا وآل محمد كما ترحمت) بتشديد الحاء وفي نسخة تراحمت (على ابراهيم وآل ابراهيم

(السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته) تقدم بيانها (جاء في هذا الحديث عن علي الدعاء للنبي صلى الله عليه وسلم بالغفران) وهي المغفرة وهي كما قال الراغب الباس الشيء ما يصونه فهي من الله صون عبده عن مس العذاب والدعاء بها له صلى الله تعالى عليه وسلم من أمته لا ينبغي لايهامه القصور من المدعو له كالدعاء له بالرحمة واما قول الله له ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ودعاؤه لنفسه بالمغفرة فلا يقاس عليه (وفي حديث الصلاة عليه) صلى الله عليه وسلم (عنه أيضا) أي عن علي مثله (قبل) بالبناء على الضم أي قبل هذا تقدم من طريق الحاكم (الدعاء له) صلى الله تعالى عليه وسلم (بالرحمة) وانما يدعى له بالصلاة والبركة اقتصارا على ما ورد في حقه وان كان معناها الرحمة لكنها رحمة خاصة مشعرة بنوع تعظيم (ولم يأت في غيره) أي في غير هذا الحديث (من الاحاديث المرفوعة المعروفة) المنسوبة اليه صلى الله عليه وسلم وهو بيان لغيره (وقد ذهب أبو عمرو بن عبد البر) الامام الجليل القدر كما تقدم (وغيره) من علماء المالكية والحديث (الى انه لا يدعى للنبي صلى الله عليه وسلم بالرحمة) فهو مكروه عندهم لايهامه التقصير (وانما يدعى له بالصلاة) أي بهذا اللفظ المأمور به في القرآن (والبركة التي تختص به) يعني التي بمعنى الدوام والثبوت على التشريف والتكريم بكثرة الخيرات الالهية وفيض المواهب اللدنية (ويدعى لغيره) من المؤمنين (بالرحمة والمغفرة) لانه غير معصوم ولا يخاف من تقصير فهو محتاج لمغفرة الله ورحمته أشد لا كالرسول المعصوم الذي غفر الله له ما تقدم وما تأخر والمراد غيره صلى الله عليه وسلم من أمته لا الانبياء فان من الادب ان لا يدعى لهم بذلك أيضا وكذلك الصحابة ينبغي ان يقال فيهم رضي الله تعالى عنهم ولا يرد على هذا ان الصلاة معناها الرحمة فانه لا يلزم من كون لفظ بمعنى لفظ انه يستعمل في محله مع انه غير مسلم فان الصلاة فيها معنى التعظيم ولو كانت مطلق الرحمة لزم استعمالها في حق غيره وليس كذلك (وقد ذكر) الامام (أبو محمد بن أبي زيد) في مذهب مالك صاحب الرسالة المشهورة كما تقدم (في الصلاة على النبي) صلى الله عليه وسلم في تشهد الصلاة (اللهم ارحم محمدا وآل محمد كما ترحمت على ابراهيم وآل ابراهيم) ورده المصنف بقوله

ولم يأت هذا) أي الدعاء له عليه الصلاة والسلام بالمغفرة والرحمة ويروى ولم تأت هذه الرواية (في حديث صحيح) قال الدلجي اذ ما ورد بزيادتهما كله ضعيف وفيه انه يعمل بالضعيف في فضائل الاعمال وانما يحتاج الى الحديث الصحيح أو الحسن في الاحكام من الاقوال واما قول النووي في شرح مسلم المختار ان الرحمة لاتذكر فسلم لانه خلاف الاولى واما ما جزم به في الاذكار بأن ذكرها بدعة ففيه بحث لانه قد ورد في بعض الطرق ولو كان ضعيفا فلا يعد بدعة لاسيما وهي لاتنافي سنة وعلى تقدير التسليم فليكن بدعة حسنة ويقويه ماذكره المصنف بقوله (وحجته) أي دليل ابن أبي زيد الذي أخذ به استحباب طلب الرحمة (قوله) أي قول النبي عليه الصلاة والسلام حال تعليم أمته (في السلام السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته) ومما يؤيده قوله تعالى رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت وينصره ان رحمته عامة للخواص والعوام ولا يستغني أحد عن هذا الانعام العام ثم اعلم ان الرافعي ذكر في شرح الكبير عن الصيدلاني انه قال ومن الناس من يزيد وارحم محمدا كما رحمت على آل ابراهيم وربما يقولون ترحمت وهذا لم يرد في الخبر وانه غير فصيح فانه لايقال رحمت عليه وانما يقال رحمته واما الترحم ففيه معنى التكلف فلا يحسن اطلاقه في حق الله سبحانه وتعالى انتهى ولا يخفى ان نفي الصيدلاني ورود الخبر بلفظ ارحم محمدا وآل محمد كما ترحمت على ابراهيم غلط نشأ من جهله بطريق الحديث فمن حفظ حجة على من لم يحفظ فهذه الرواية في

مستدرك الحاكم من رواية ابن مسعود باسناد صححه وقال في موضع آخر بل قد ورد به خبر صحيح قال الحلبي وقد راجعت تلخيص المستدرك للذهبي فرأيت لفظه بعد انها مسنده الى ابن مسعود رضي الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا تشهد أحدكم في الصلاة فليقل اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وبارك على محمد وعلى آل محمد وارحم محمدا وآل محمد كما صليت وباركت وترحمت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد انتهى وقد جاء في جملة حديث وارحم محمدا وآل محمد كما صليت وباركت وترحمت على ابراهيم وعلى آل براءة ابراهيم انك حميد مجيد وكذا جاء في رواية علي وابن عباس وجابر وجاء أيضا في حديث مسلسل وترحم محمدا الى آخره وقد ذكر القاضي مثل هذا فيما تقدم ومما يؤيد جواز الرحمة ما في النسائي الصغير باسناده عن عكرمة قال ظاهر رجل امرأته واصابها قبل ان يكفر فذكر ذلك للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال له عليه الصلاة والسلام ما حملك على ذلك فقال رحمك الله يارسول الله رأيت خلخالها وساقها الحديث وقد جاء مرسلا ومسندا ففي تقريره عليه الصلاة والسلام دليل على جوازه ورد على من عده بدعة أو حكم عليه بالكراهة واما قوله ان الترحم فيه معنى التكلف فممنوع بل يراد به المبالغة في انزال الرحمة فاندفع به قول الغزالي انه لايجوز ترحم وقول الرافعي انه لايحسن ولعلهما مابلغهما الرواية فبنيا الحكم على ظاهر الرواية والعجب من النووي انه قال واما ماقاله بعض أصحابنا وابن أبي زيد المالكي من استحباب زيادة وارحم محمدا وآل محمد فهذه بدعة لا أصل لها وكأنه غفل عما ورد وذهل عن قول الشافعي في الرسالة وكان خيرته المصطفى لوحيه المنتخب لرسالته المفضل على جميع خلقه بفتح رحمته وختم نبوته الى ان قال محمد عبده ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم ورحم وكرم انتهى فقد قال رحم في حقه فهذا رد على مقلده هذا وقد قال شمس الائمة السرخسي واصحابنا الحنفية لابأس بقول وارحم محمدا لان الاثر ورد به ولا عتب على من اتبع الاثر ولان أحدا لايستغني عن رحمة الله تعالى

(ولم يأت هذا في حديث صحيح وحجته) في جواز الدعاء له صلى الله عليه وسلم بالرحمة الذي منعه غيره (قوله) صلى الله تعالى عليه وسلم فيما روى عنه (في السلام) المروي في التشهد (السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته) واطلاق الرحمة عليه هنا يدل على جواز الدعاء له صلى الله عليه وسلم بالرحمة اذلا فرق بينهما وقال الرافعي في الشرح الكبير من الناس من زاد وارحم محمدا كما رحمت على ابراهيم وربما يقولون وترحمت على ابراهيم بالتاء ولم يرد في خبر صحيح وانه لايقال ترحمت عليه وانما يقال رحمته وفي الترحم تكلف لايحسن اطلاقه على الله وقال الاسنوي فيه أقوال وقد أسقطها النووي من الروضة وقول الرافعي انه لايقال رحمت عليه غير مستقيم فان الصغاني قال يقال ترحمت عليه وقال الغزالي لايجوز ترحم بالتاء وهو مراد الرافعي بقوله انه لايحسن وقال النووي انه بدعة وتابع ابن العربي في انكاره وتخطئة ابن أبي زيد في الاذكار ماقاله بعض أصحابنا وابن أبي زيد من استحباب زيادة وارحم محمدا وآل محمد بدعة لا أصل لها وقد جهل ابن العربي في شرح الترمذي قائله لانه ليس في التشهد الذي علمه رسول الله الصحابة فالزيادة استدراك عليه وقال بعضهم انكاره غلط لان الحاكم رواه في مستدركه باسانيد صحيحة عن ابن مسعود وكذا رواه الذهبي وقد قاله الشافعي في رسالته وهو ورد لما قاله مقلدوه كما قاله البرهان الحلبي في حواشيه * أقول محصل ماقالوه باسرهم انهم اختلفوا في جواز الدعاء له صلى الله عليه وسلم بالرحمة والمغفرة وفي وروده في الحديث والذي صححه أكثر الفقهاء والحفاظ ثبوته وجوازه ومنشؤ الخلاف ان الرحمة والمغفرة تقتضي قصورا وذنبا حماه الله تعالى منه واعطاه

(فصل) (في فضيلة الصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والتسليم عليه والدعاء له) أي وفي فضيلتهما (حدثنا أحمد بن محمد الشيخ الصالح من كتابه ثنا) أي حدثنا (القاضي يونس بن مغيث) بضم فكسر (ثنا أبو بكر بن معاوية) أي ابن الاحمر الاندلسي وقد روى النسائي الكبير بعضه سماعا وبعضه اجازة (ثنا النسائي) أي صاحب الجامع (انا) بالموحدة أو النون أي

براءة منه اذ قال له صلى الله عليه وسلم ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وسوى بينهما ايماء الى ان المتقدم كالمتأخر في عدم الوقوع ولذا قيل المراد بذنبه ذنب أمته كما تقدم فينبغي ان يقال بجوازه مقرونا بغير مغفرة منفرد تعبدا وطلبا للثواب والمغفور له ليس ذنبا كذنوبنا بل أمور تقتضيها الجبلة البشرية و تأباه العادة الملكية من الاشغال الدنيوية وان كانت مباحة أو لازمة لمقامه صلى الله عليه وسلم ولذا قال انه ليغان على قلبي فاستغفر الله في اليوم والليلة مائة مرة وسيأتي تحقيقه ان شاء الله تعالى

(فصل في فضيلة الصلاة عليه) صلى الله تعالى عليه وسلم أي ثوابها وفوائدها لمن قالها (والتسليم عليه) أي قوله السلام عليك أيها النبي ونحوه (والدعاء له) المأثور نحو اللهم آته الوسيلة والفضيلة والدرجة العالية الرفيعة والمراد تعظيمه صلى الله عليه وسلم واظهار محبته بطلب بغيته فليس من تحصيل الحاصل ولا الاحتياج له صلى الله تعالى عليه وسلم وقدم حديثا مسندا بروايته تبركا به رواه النسائي ومسلم عن ابن عمر (حدثنا أحمد بن محمد الشيخ الصالح من كتابه) قال من روى عنه المصنف رحمه الله تعالى من مشايخه واسمه أحمد بن محمد عدة ناس منهم أحمد بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن عثمان بن غلبون الخولاني وأحمد بن محمد بن عبد العزيز اللخمي وهو ابن الرضى أبو جعفر وأحمد بن محمد ابن عبد الله الشارقي والمراد الاول لانه أشهر مشايخه وكان عليه ان يذكر ما يعينه فكأنه اعتمد على شهرته قال (حدثنا القاضي يونس بن مغيث) تقدمت ترجمته قال (حدثنا أبو بكر بن معاوية) بن الاحمر الاندلسي وهو محمد بن معاوية بن عبد الرحمن بن معاوية بن اسحق بن عبد الله بن هشام بن عبد الملك بن مروان أبو بكر القرطبي الامام الثقة الجليل رحل الى المشرق سنة خمس وتسعين ومائتين وسمع من النسائي وغيره ودخل الهند تاجرا وتوفي سنة ثمان وخمسين وثلثمائة قال (حدثنا النسائي) امام الحديث صاحب السنن المشهور واسمه أحمد بن شعيب كما تقدم بيانه قال (حدثنا) وفي نسخة أخبرنا من هنا الخ (سويد بن نصر) أبو الفضل المروزي المعروف بالشاه الامام الثقة روى عن ابن المبارك وغيره وأخرج له أصحاب السنن وتوفي سنة أربعين ومائتين قال (أخبرنا عبد الله عن حياة بن شريح) هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح التميمي مولاهم المروزي شيخ خراسان وأبوه تركي تاجر وأمه خوارزمية ولد سنة ثمان وعشرين ومائة وتوفي سنة احدى وثمانين ومائة وقبره بهيت يزار وأخرج له الستة كما تقدم وحياة بن شريح تقدمت ترجمته ومائيه (قال أخبرني كعب بن علقمة) بن كعب بن عدي التنوخي المصري التابعي الثقة توفي سنة ثلاثين ومائة وأخرج له أصحاب السنن وفي بعض النسخ كعب عن علقمة وهو سهو وقد تقدم هذا الحديث (انه سمع عبد الرحمن بن جبير مولى نافع) الامام الجليل الثقة أخرج له أصحاب السنن وتوفي سنة سبع وتسعين (انه سمع عبد الله بن عمر) الصحابي المشهور رضي الله تعالى عنهما (يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا سمعتم المؤذن) وهو يؤذن للصلاة أو غيرها مما شرع (فقولوا مثل ما يقول) من تكبير وتشهد وصلاة وحيعلة تصديقا وهو سنة معروفة وقيل انه واجب وتقدم بسط الكلام فيه (وصلوا على) وفي مسلم ثم صلوا على والمعنى واحد وقد علمت ان هذا أحد المواطن التي يستحب فيها الصلاة عليه كما تقدم وانه يقرن فيه الصلاة

أخبرنا أو انبأنا (سويد) بالتصغير (ابن نصر) بالمهملة وهو المروزي يروي عن ابن المبارك وابن عيينة وعنه الترمذي والنسائي ثقة (انا) أي اخبرنا أو انبأنا (عبد الله) أي ابن المبارك ابن واضح الحنظلي التميمي مولاهم المروزي أبو عبد الرحمن شيخ خراسان يروي عن سليمان التيمي وعاصم الاحول والربيع بن انس وعن ابن مهدي وابن معين وأبوه تركي مولى تاجر وأمه خوارزمية وقبره بهيت يزار ويتبرك به أخرج له الائمة الستة (عن حياة) بفتح فسكون (ابن شريح) بالتصغير (قال أخبرني كعب بن علقمة) أي التنوخي المصري تابعي يروي عن سعيد بن المسيب وطائفة وعنه الليث وجماعة ذكره ابن حبان في الثقاة وأخرج له مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي (انه سمع عبد الرحمن ابن جبير) بالتصغير مولى نافع قرشي مصري مؤذن ثقة فقيه مقرئ توفي سنة سبع وتسعين أخرج له مسلم وغيره (انه سمع عبد الله بن عمرو) بالواو وفي نسخة بدونه والحديث رواه مسلم وأبو داود والترمذي أيضا عنه (يقول سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول اذا سمعتم المؤذن) أي أذانه (فقولوا مثل ما يقول) أي جوابا له واختلف في الحيعلتين والاصح انه يقول فيهما لا حول ولا قوة الا بالله وقيل يجمع بينهما (وصلوا على) أي بعد اجابة المؤذن

(فانه) أي الشان (من صلى على مرة) أي واحدة كما في نسخة (صلى الله عليه عشرا) أي لوعده سبحانه وتعالى من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وهذا أقل مراتب أضعاف أعمالها وهو لا ينافي ما ورد في مسند أحمد بسند حسن موقوفا على عبد الله بن عمرو وهو مرفوع اذ لا مجال للاجتهاد فيه من صلى على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مرة صلى الله تعالى عليه بها سبعين مرة نعم لا يبعد ان هذا المضاعفة تكون بخصوص يوم الجمعة اذ ورد ان الاعمال كلها فيه بسبعين ضعفا وهو يؤيد ما ورد انه اذا وافق يوم عرفة يوم الجمعة كان حجه بسبعين حجة (ثم سلوا) أي الله تعالى كما في نسخة (لي الوسيلة) وهي المرتبة الجليلة (فانها منزلة) أي درجة جليلة (في الجنة لا تنبغي) أي لا تليق أو لا تحصل (الا لعبد) أي عظيم (من عباد الله) أي الصالحين (وأرجو ان اكون أنا هو) أي ذلك العبد فقوله هو خبر كان ووضع موضع اياه وانا تأكيد لاسمها أو مبتدأ خبره هو والجملة خبرها ويجوز ان يكون موضع اسم اشارة أي ان كون انا ذلك العبد كما اشرنا اليه (فمن سأل لي الوسيلة) أي وهي نهاية مراتب الفضيلة (حلت عليه الشفاعة) ويروى شفاعتي أي غشيته ونزلت به وفي نسخة حلت له الشفاعة أي ثبتت وفي رواية وجبت له شفاعتي أي حقت (وروى أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه) كما في شعب الايمان (ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال من صلى على صلاة) أي واحدة (صلى الله عليه عشر صلوات) أي قياما بشكر عبده (وحط) أي وضع (عنه عشر خطيئات ورفع له عشر درجات وفي رواية) أي لابي يعلى

بالسلام فانه الافضل وارتكاب خلافه مكروه ولا يحتج لتعليمهم كيفية الصلاة السابقة لان السلام سبقها في التشهد فلا افراد فيه وقد جاء ذكر الصلاة مقرونا بالسلام في مواطن منها عقب ما يقال عند ركوب الدابة كما رواه الدارقطني في الدعاء مرفوعا وكذا في غيره وانما حذف في بعض المواضع اختصارا وكذا يستحب الصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في الاقامة كما ذكره الخيضري فيما تقدم (فانه من صلى على مرة واحدة صلى الله عليه عشرا) فان الحسنة بعشرة أمثالها وكون الله عز وجل يصلي عليه فيه من الرحمة له واعلاء قدره ما لا يخفى وقال يقول بالمضارع اشارة الى أنه يقوله من غير تأخر لما بعد الاذان وظاهره انه يتابعه في الحيعلتين وهو قول فيه وفي قول معتمد أنه يقول عندهما لا حول ولا قوة الا بالله أي لا قدرة للعبد على طاعته التي دعي اليها الا بتوفيقه وكان ابن جبير يقول سمعنا وأطعنا ويسن أنه لا يرفع المجيب صوته في الاجابة لان التشبيه ليس من كل الوجوه (ثم سلوا الله لي الوسيلة) بان يقول اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه المقام المحمود الذي وعدته فان من قال ذلك حلت له شفاعتي يوم القيامة والوسيلة لغة ما يتقرب به الى كل كبير وفسرت في الحديث بقوله (فانها منزلة في الجنة) من أعلى منازلها وقد يرد هذا لمعناها اللغوي فانها تقرب به الى الله (لا تنبغي لاحد من عباد الله الا لعبد) أي لا تليق بكل أحد فانها أعلى المنازل فلا تليق الا باقرب البشر وقد فسرت الوسيلة أيضا بالشفاعة العظمى كما مر وجمع بينهما بان صاحب تلك المنزلة هو صاحب الشفاعة العظمى أيضا (وأرجو أن أكون أنا هو) عبر بالرجاء وان كان الله تعالى أعطاه ذلك لوعده من لا يخلف الميعاد تواضعا منه صلى الله عليه وسلم وتفويضا لامره فيما يستقبل الى الله وتعليما لامته وارشادا لهم لان يكونوا بين الخوف والرجاء دائما لاسيما في أمور الآخرة وانا تأكيد لاسم كان المستتر وهو خبرها وضع موضع اياه استعير ضمير الرفع لضمير النصب وتقدم ان ذلك خلاف الظاهر وقيل اسمها ضمير مستتر وانا هو مبتدأ وخبر والجملة خبر أكون وما قيل من ان هو وضع موضع اسم الاشارة أي ان أكون ذلك العبد كما في قول رؤبة

فيها خطوط من سواد وبلق * كأنه في الجلد توليع البهق

لا وجه له فان مثله انما ذكروه في وضع الضمير المفرد موضع غيره لا في وضع المرفوع موضع غيره كما ذكره النحاة (فمن سأل لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة) أي استحقت ووجبت له بفضل الله تعالى عز وجل من حل بمعنى نزل وفي البخاري حلت له وهما بمعنى والشفاعة هنا مطلقة فان كان مذنبا خلصته شفاعته صلى الله تعالى عليه وسلم من العذاب والا شفع له باعلاء درجته أو بادخاله الجنة من غير حساب وفي شرح مسلم للمصنف ان هذا مختص بمن قال مخلصا قاصدا بذلك تعظيمه صلى الله تعالى عليه وسلم لا لمجرد الثواب وقال ابن حجر انه تحكم غير مرضي ولو أخرج الغافل كان أشبه وتقدم الكلام على ذلك كله وفيه الحث على الدعاء في أوقات الصلاة لانه محل الاجابة كما قالوه (وروى انس بن مالك) كما في شعب الايمان للبيهقي (ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال من صلى على صلاة) واحدة في وقت ما (صلى الله عليه عشر صلوات) أي رحمه الله رحمة مضاعفة معظمة لا تشابه غيرها لان اضافته الى الله اضافة تعظيم وتشريف وان كان كل من جاء بحسنة له عشر أمثالها (وحط عنه عشر خطيئات) ان كان ارتكب خطيئة (ورفع له عشر درجات) باعلاء مقاماته في جنة النعيم وعلو منزلته بقربه من الله (وفي رواية) أخرى

رواها

(وكتبت له عشر حسنات) أي ثوابها (وعن انس رضي الله تعالى عنه) كما رواه ابن أبي شيبة في مسنده (عنه عليه الصلاة والسلام ان جبريل ناداني) أي خاطبني (فقال من صلى عليك صلاة صلى الله تعالى عليه عشرا) أي عشر مرات (ورفعه عشر درجات

رواها أبو يعلى (وكتب له عشر حسنات) فان الصلاة عليه حسنة وكل حسنة بعشر امثالها والزيادة هنا باسناد ذلك الى الله وانه فعل ذلك بنفسه ولم يوكله للملائكة الكتبة فيدل على انها أعظم من سائر الحسنات وصلاة الله كما علمت رحمة رحمة خاصة به فهي على حقيقتها من غير مشاكلة كما قيل (وعن أنس) بن مالك أنه روى (عنه صلى الله تعالى عليه وسلم) في حديث رواه ابن أبي شيبة في مسنده أنه قال (ان جبريل) عليه الصلاة والسلام (ناداني) أي قال لي ويحتمل انه رآه في الأفق فناداه بصوت عال قال فيه له من صلى الى آخره ويؤيد الاول قوله في بعض النسخ (فقال من صلى عليك صلاة) باخلاص يقصد بها تعظيمك كما (صلى الله تعالى عليه عشرا ورفعه عشر درجات) فوق مقامه الذي يستحقه وصلاة الله على من صلى عليه ثابتة في أحاديث كثيرة مسندة صحيحة وفي بعض الروايات زيادة على العشر والاقل لا ينفي الاكثر (وفي رواية عبد الرحمن بن عوف) التي رواها الحاكم والبيهقي وصححها (عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال لقيت جبريل فقال لي أبشرك) أي أخبرك بما يسرك سرورا عظيما يظهر في وجهك وبشرتك وهو أصل معناه (ان الله) أي بان الله (يقول من سلم عليك) أي قال السلام عليك أيها النبي داعيا لك بالسلامة من كل نقص وسوء وملقيا اليك عنان تسليمه (سلمت عليه) أي سلمته من كل سوء وحفته عنايتي وعبر بهذا مشاكلة (ومن صلى عليك صليت عليه) ليس في هذه الرواية عدد ولا غيره فهو محمولة على ما مر والحديث صحيح روي من طرق وسببه ان عبد الرحمن بن عوف كان يلازم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ويخدمه ليلا ونهارا فاتبعه ليلة وقد خرج من منزله فدخل حائطا وسجد سجودا طويلا حتى ظن انه قبض روحه فبكى فقال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مالك فاخبره بما خطر بباله فقال له جاءني جبريل وأخبرني بان الله يقول لي من سلم عليك سلمت عليه ومن صلى عليك صليت عليه فسجدت شكرا له وهو حديث صحيح المتن والسند وقال الحاكم لا اعلم في سجدة الشكر اصح منه والاحاديث في فضل الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم كثيرة لا تحصى (ونحوه) أي مثل هذا الحديث لفظا ومعنى (من رواية أبي هريرة ومالك بن أوس بن الحدثان) بفتح الحاء والدال المهملتين ومثلثة والالف ونون علم منقول من المصدر ومالك هذا هوازني مخضرم أدرك الجاهلية والاسلام وأخرج له الستة واختلف فيه هل هو صحابي رأى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وروى عنه احاديث مرفوعة أو تابعي روايته مرسلة والاصح عند الذهبي وغيره انه تابعي وتوفي سنة اثنين وتسعين وهو ما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه انه صلى الله تعالى عليه وسلم خرج يتبرز ولم يجد من يتبعه ففزع عمر واتبعه بطهرة فوجده ساجدا في شربة فتنحى عنه حتى رفع رأسه فقال له احسنت يا عمر لتنحيتك عنه تأدبا ثم قال لي ان جبريل أتاني فقال من صلى عليك واحدة صلى الله عليه عشرا ورفعه عشر درجات أخرجه البخاري في الادب وغيره (وعبيد الله بن أبي طلحة) الانصاري وعبيد الله بالتصغير وفي نسخة عبد الله مكبرا قال البرهان وهو الاصح بل الصواب وهو عبد الله بن أبي طلحة زيد بن سهل الانصاري أخو انس لامه وولده اسحق واخوته وهو صحابي له رواية توفي في زمن الوليد وحنكه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وسماه وحديثه رواه أحمد والحاكم وابن حبان والنسائي قال خرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ذات يوم والبشر يرى في وجهه فقال لما سئل عن سبب بشره جاءني جبريل فقال لي أما يرضيك يا محمد ان لا يصلي عليك أحد من أمتك

ومن رواية عبد الرحمن ابن عوف) كما رواها الحاكم وصححها والبيهقي في شعبه (عنه عليه الصلاة والسلام لقيت جبريل فقال لي اني أبشرك) أي أخبرك بما يسرك (ان الله تعالى) بكسر ان وفتحها (يقول من سلم عليك سلمت عليه) أي عشرا أو أكثر (ومن صلى عليك صليت عليه) وفي الحديث ايماء الى جواز انفراد كل منهما عن الآخر فتدبر (ونحوه) أي نحو مروي ابن عوف (من رواية أبي هريرة ومالك بن أوس) بفتح فسكون (ابن الحدثان) بفتحهما أدرك زمن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ورأى أبا بكر وسمع عمر وعثمان وبقية العشرة رضي الله تعالى عنهم وعنه الزهري وابن المنكدر وقال أنس بن عياض عن سلمة بن وردان عنه انه سمع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يقول من ترك الكذب بني له في ربض الجنة وأحمد بن صالح صحح هذا الحديث

والاصح عند الذهبي انه عنده تابعي وحديثه مرسل (وعبيد الله ابن أبي طلحة) أي زيد بن سهل الانصاري وفي بعض النسخ عبيد الله مصغرا والصواب الاول ولد في حياته عليه الصلاة والسلام وهو أخو انس لامه حنكه عليه السلام وسماه توفي زمن الوليد فهو تابعي له رواية روى عن أبيه ثقة أخرج له مسلم والنسائي وله عشرة بنين كلهم قرأوا القرآن

(وعن زيد بن الحباب) بضم المهملة وبالموحدتين (سمعت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يقول من قال اللهم صل على محمد وانزله المنزل) وفي رواية المقعد (المقرب عندك يوم القيامة وجبت له شفاعتي) وهذا الحديث سقط منه رجال فان زيد بن الحباب ليس من الصحابة ولا من التابعين ولا من اتباعهم وانما ٤٩٠ روى عن مالك بن انس والضحاك بن عثمان ومالك بن مغول وعبد الله بن لهيعة

وعنه أحمد بن حنبل نعم هذا الحديث محفوظ من رواية رويفع بن ثابت الانصاري مرفوعا وقد رواه زيد بن الحباب هذا عن ابن لهيعة بفتح اللام وكسر الهاء عن بكر بن سوادة عن زياد ابن نعيم عن وفاء بن شريح الحضرمي قيل ولعل المصنف أورده في أصله عن زيد بن الحباب عن رويفع ابن ثابت على جهة الارسال وسقط ذكر رويفع من بعض نسخ الكتاب والله تعالى أعلم بالصواب (وعن ابن مسعود) أي مرفوعا (أولى الناس بي) أي أقرب الناس مني وأحقهم بشفاعتي (يوم القيامة أكثرهم علي صلاة) رواه الترمذي وابن حبان (وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عنه عليه الصلاة والسلام قال من صلى علي في كتاب) أي بان كتب فيه الصلاة (لم تزل الملائكة تستغفر له مابقي اسمي) يروى ما دام اسمي (في ذلك الكتاب) رواه الطبراني

واحدة الا صليت عليه عشرا ولا يسلم عليك أحد من أمتك الا سلمت عليه عشرا وأخرجه ابن الجوزي في الوفاء بزيادة ولا يكون لصلاته منتهى دون العرش ولا تمر بملك الا قال صلوا على قائلها كما صلى على النبي صلى الله عليه وسلم (وعن زيد بن الحباب) بضم الحاء المهملة وموحدتين بينهما ألف (قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول) الظاهر من السياق أنه صحابي سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم كما في سائر النسخ وهو كما قالوه وهم أو بيض له أو سقط من الكاتب فان ابن الحباب ليس بصحابي ولا تابعي وأين هو وأين رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأصحابه وان صحت روايته وقيل انه لم يكن به بأس ورحل في طلب الحديث الى الاندلس مع فقره وله ترجمة في الميزان وكان المصنف رحمه الله تعالى لما أراد كتابة الحديث سقط أول سنده ولذا قال يحيى بن علي القرشي المحدث انه وهم ظاهر فانه ليس بتابعي ولا من اتباعه وانما روى عن مالك وامثاله وليس له نظير في اسمه واسم أبيه من الصحابة وهذا الحديث رواه ابن الحباب عن ابن لهيعة عن بكر بن سوادة عن زياد بن نعيم عن ابن شريح الحضرمي عن رويفع بن ثابت الصحابي عنه صلى الله تعالى عليه وسلم فهو معضل لا مرسل كما قيل وابن الحباب توفي سنة ثلاث ومائتين وقيل انما حذف سنده لضعفه وهو اعتذار أعظم من الذنب فانه ليس بمعضل أيضا لان المعضل اذا قيل سمعت يكون كذبا فالصواب انه وهم وجواب الشمني عنه بان المصنف رحمه الله تعالى أسقط ما عدا زيدا لانه لاغرض له في ذكر رواته لا وجه له وانما يصح لو لم يقل سمعت وزيد هذا هو أبو الحسين الحافظ الخراساني والذي يخطر بالبال ان قوله سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ليس من قول زيد وانما هو قول أبي هريرة وهو المقصود بالرواية وما بعده تابع له وبيان لكثرة طرقه وهذا غاية ما يمكن في توجيهه لحسن الظن به وليس ببعيد الا ان نظر لزيادة قوله وعن (من قال) في صلاته على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (اللهم صل على محمد وأنزله) أي أعطه (المنزل المقرب) بصيغة المفعول ويجوز كسر رائه (يوم القيامة) هو على ظاهره أو المراد في الآخرة والقرب منه رفعة معنوية المراد منه تعظيم الثواب وفيض المواهب الربانية لا قرب مكاني لان الله تعالى منزه عنه (وجبت له شفاعتي) أي تعينت وتحققت بلا تردد لان الله تعالى لا يجب عليه شيء عندنا (وروى ابن مسعود) في حديث صحيح رواه الترمذي وابن حبان وفي نسخة وعن ابن مسعود (أولى الناس يوم القيامة) أي أحقهم بشفاعتي وعنايتي أو أقربهم مني منزلة (أكثرهم صلاة علي) فان ذلك يدل على محبته والمرء مع من أحب (وعن أبي هريرة عنه) صلى الله تعالى عليه وسلم من (صلى علي في كتاب) كتبه من تأليف ورسالة وغيره كما مر بيانه (لم تزل الملائكة تستغفر له) أي تدعو له بالمغفرة (ما بقي اسمي) أي مدة بقائه مكتوبا (في ذلك الكتاب) والمراد التأبيد كقوله تعالى ما دامت السموات والارض قال الطبراني في الاوسط ورواه أبو الشيخ في الثواب والمستغفري وقال العراقي في تخريج أحاديث الاحياء روي بسند فيه ضعف ومثله يعمل به في فضائل الاعمال وقال خاتمة العلماء المالكية الحطاب في معنى ذلك يحتمل ان المراد انه كتب الصلاة عليه في كتابه ويحتمل انه قرأ الصلاة عليه المكتوبة وهو أوسع وأرجى والاول أظهر وأقوى انتهى وتقدم نقله عن شيخ زروق * قلت الاول هو المراد لان المعنى انه سن بذلك سنة حسنة لما كتبه وكان سببا لقراءته فله أجره وأجر من قرأه أجرا غير مقطوع ولا ممنون (وعن عامر بن

ربيعة

في الاوسط وأبو الشيخ في الثواب بسند ضعيف لكنه يعتبر في هذا الباب وربما يقال يكتب له الثواب ما نقل أيضا من ذلك الكتاب والله أعلم بالصواب (وعن عامر بن

ربيعة سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول من صلى على صلاة) أي واحدة وأكثر (صلت عليه الملائكة ما صلى على) أي مدة صلاته على (فليقال) أمر من التقليل أو من الاقلال (من ذلك) أي من قول الصلاة أي عبد كما في نسخة (أوليكثر) أمر من التكثير أو الاكثار والمراد به الاخبار واختيار ما هو المختار رواه أحمد وابن ماجه والطبراني في الاوسط بسند حسن (وعن أبي بن كعب) على ما رواه الترمذي وحسنه (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذهب ربع الليل) بضمهما وبسكن الثاني وفي رواية المصابيح اذا ذهب ثلثا الليل (قام) أي من نومه أو فراشه (فقال يا أيها الناس) كأنه ينادي أهل بيته أو خواص أمته (اذكروا الله) أي في حال الانتباه واتركوا ما عداه (جاءت الراجفة) أي النفخة الأولى التي ترجف الارض بأهلها والمعنى قرب مجيئها أو يموت كل احد عندها (تتبعها الرادفة) أي تعقبها النفخة الثانية ويبعث الخلق كلهم بعدها وثبت ان ما بين النفختين أربعون سنة يقول الله سبحانه وتعالى لمن الملك اليوم ويجيب بذاته عز شانه لله الواحد القهار أو يقول الخلق بلسان الحال في جواب ذلك السؤال لله الواحد القهار واليوم كذلك في نظر ارباب الاسرار وأصحاب الانوار لا ملك الا الله الواحد القهار رب السموات والارض وما بينهما العزيز الغفار وقيل الراجفة القيامة والرادفة البعث (جاء الموت بما فيه) أي من سكراته ومنكراته أو بما فيما بعده ولا منع من الجمع من البعث والحساب والميزان والكتاب وما يترتب عليهما من الثواب والعقاب ويحتاج كل احد الى شفاعته عليه الصلاة والسلام في ذلك الباب

ربيعة سمعت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يقول من صلى على صلاة صلت عليه الملائكة ما صلى على فليقلل من ذلك عبد أو ليكثر) العطف للتخيير والفاء فصيحة أي اذا عرفت بقاء هذا ودوامه ونفعه لك فان شئت اكثرت من كتابته كما استفيد من الاول أو التلفظ به كما استفيد من هذا الترجيح كثيرا دائما وان لم تشأ فاقتصر على قليل منه نافع لك وهذا في الحقيقة حث له على الاكثار في الحقيقة فان العاقل لا يترك الخير الكثير ما امكنه ولذا قيل التخيير بعد الاعلام بما هو خير اكثر تحذيرا من التفريط في تحصيله قريب من التهديد وفيه من البلاغة ما لا يخفى (وعن أبي بن كعب) في حديث رواه الترمذي وحسنه (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذهب ربع الليل) أي الاول وكان فعل ماض لكنها تستعمل عرفا للدوام نحو كان الله غفورا رحيما كما ذكره ابن جني في الخصائص (قام) من نومه وانتبه بعد استراحته (فقال) لمن عنده من زوجاته وأهل بيته (يا أيها الناس اذكروا الله) بتمجيده وتحميده باسمائه الحسنى ثم ذكرهم ووعظهم وقيامه ليتهجد وخص هذا الوقت بما ذكر لانه وقت غفلة بمقتضى الطبيعة البشرية (جاءت الراجفة تتبعها الرادفة) والراجفة من الرجفة وهي الحركة بشدة والرعدة معها صوت واضطراب ولذا قيل للبحر رجاف وقد تظرف ابن نباتة المصري في قوله في وصف من حدثت له رعشة في كفه

ما كان من رجاف كفك منكر * فالبحر من اسمائه الرجاف

والمراد بالراجفة ما يكون بين يدي الساعة من الفتن والهرج والمرج والزلازل والرادفة من ردف بمعنى تبع والمراد الساعة أو الصيحة أو النفخة أو زلزلة أخرى والمراد اخبارهم بقرب الساعة واشراطها (جاء الموت بما فيه) من سكراته وأهواله وهو اقرب لكل احد من حبل الوريد والمراد حثهم على طاعة الله وايقاظهم من نوم الغفلة (فقال ابن أبي بن كعب) لما سمع ما قاله صلى الله عليه وسلم (يا رسول الله انا اكثر الصلاة عليك) واشغل بها أوقاتي بعد اداء الفرض ونحوها (فكم اجعل لك من صلاتي) أي ما مقدار الوقت الذي اصلي عليك فيه (قال ما شئت) أي أي قدر تريده ويتيسر لك (قال الربع) أي اصرف ربع أوقاتي لها (قال ما شئت وان زدت) على الربع (فهو خير لك) نافع في الدنيا والآخرة (قال الثلث) أي اصرف لها ثلث وقتي (قال ما شئت) أي يكفي هذا (وان زدت فهو خير) واحسن لك (قال النصف قال ما شئت وان زدت فهو خير لك قال الثلثين قال ما شئت وان زدت فهو خير قال يا رسول الله

(فقال) الظاهر وقال انه لا يظهر وجه الرابطة بالفاء (أبي بن كعب) وهو اقرأ الصحابة (يا رسول الله اني اكثر الصلاة عليك) أي لكثرة محبتي اليك رجاء حصول الشفاعة لي لديك ويروى اني اكثر من الصلاة عليك (فكم اجعل لك من صلاتي) أي من زمان دعائي لنفسي أو من أوقات عبادتي النافلة (قال ما شئت) أي قدر ما اردت من تقربك بي (قال) أي أبي (الربع) بالنصب أي اجعل لك من صلاتي ربع أوقاتي (قال) أي النبي عليه الصلاة والسلام (ما شئت) أي اخترت قليلا أو كثيرا (وان زدت) أي على الربع (فهو خير) أي لك كما في نسخة صحيحة (قال الثلث) بضمتين وبسكن الثاني وهو بالنصب كما مر (قال ما شئت وان زدت فهو خير) قال الحجازي وذكر بعد الربع النصف الى آخره وفي غالب نسخ الشفاء ذكر الربع ثم الثلث ثم النصف الى آخره وهذا الحديث في الترمذي ولم يذكر فيه الثلث (قال النصف قال ما شئت وان زدت فهو خير قال الثلثين قال ما شئت وان زدت فهو خير قال يا رسول الله

فاجعل صلاتی) أی أوقات دعائی (كلها لك) أی لذكرك وبما يتعلق به من الصلاة عليك (قال اذا) بالتنوين أی حينئذ (تكفى) بصيغة المفعول المخاطب وفی رواية همك أی ما يهمك من امر دينك ودنياك وهو بالنصب على انه مفعول ثان لتكفى وفی نسخة يكفى بصيغة المجهول الغائب وهمك بالرفع على نيابة الفاعل وبلائمه قوله (ويغفر ذنبك) بصيغة المجهول منصوبا وذنبك مرفوعا والحاصل انه عليه الصلاة والسلام لم يران يعين له حدا مقدارا من الليالی والايام لئلا يغلق عليه باب المزيد فی مقام المراد أولانه به يحصل كفاية المهمات الدينية والدنيوية والاخروية على وجه النظام ونظيره قوله عليه السلام عن الله من شغله ذكری عن مسئلتی أعطيته أفضل ما أعطى السائلين وكان الحديث السابق مستند الطائفة السنية الاويسية حيث يداومون على الصلاة المصطفوية (وعن أبی طلحة) وهو زيد بن سهل وحديثه هذا رواه النسائی وابن حبان والبيهقی فی شعب الايمان بسند صحيح انه قال (دخلت على النبی صلى الله تعالى عليه وسلم فرأيت من بشره) بكسر الموحدة أی بشاشة بشرته (وطلاقته) أی بساطته ولطافته (مالم اره قط) أی ابدا قبل ذلك (فسألته) أی عن سبب ماهنالك (فقال وما يمنعنی) أی عن هذا السرور (وقد خرج جبريل عليه السلام) أی ظهر (آنفا) بالمد والقصر وقد قرئ بهما فی السبعة أی هذه الساعة فكأنها قدام الانف من كمال قربها (فاتانی بشارة من ربی) حين

اجعل صلاتی كلها لك قال اذن تكفى) أی تغنيك عما عداها لان فيها خير الدنيا والآخرة وزيادة الرزق ببركتها (ويغفر ذنبك) لانها مكفرة لسائر الذنوب * اقول الصلاة فی هذا الحديث بمعنى الدعاء كما ذكره فی كتاب الصلاة والبشر ومعناه انه فی مواطن الدعاء كعقب الصلاة ونحوها اذا اراد ان يدعو لنفسه وله صلى الله تعالى عليه وسلم هل يزيد فی دعائه لنفسه على الصلاة عليه أو يسوی بينهما أو يزيد فی الصلاة عليه أو يجعل دعاءه كله ويترك دعاءه لنفسه فانه اذا فعل ذلك كفاه عن الدعاء لنفسه فان الله يصلی عليه اضعاف صلاته فينال كل خير من الله تعالى من غير طلب وهذا أولى وأحب الى الله ورسوله اذا عرفت هذا فما قيل هنا من ان هذا الحديث يقتضی ان الصلاة عليه صلى الله تعالى عليه وسلم أفضل من سائر العبادات لان الشارع اذا خص وقتا بعبادة تكون فيه أفضل من غيرها كاذكار الركوع والسجود فانها أفضل من غيرها وان كان غيرها فی نفسه أفضل فالصلاة عليه لمن يريد الدعاء أفضل من قول لا اله الا الله وان ورد فی الحديث أفضل ما قلته انا والنبيون من قبلی لا اله الا الله وقد سئل شيخ الاسلام السراج البلقينی عن قراءة القرآن وذكر الله والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم أيها أفضل فاجاب بان كلا منها أفضل فی محله فالصلاة على النبی صلى الله عليه وسلم فی وقت الدعاء وهی فی الصلاة واجبة فهی أفضل من غيرها فاذا جعل الانسان دعاءه كله صلاة على النبی صلى الله عليه وسلم فانه يكفى عما اهمه وهی أفضل من الاستغفار وغيره من الدعاء وهذا له وجه ولا حاجة بنا اليه فان الحديث كما علمت انما يدل على ان صلاته على رسول الله صلى الله عليه وسلم تغنی عن دعائه لنفسه ولا يقتضی انها أفضل من سائر العبادات ولا من قراءة القرآن وغيرها كما لا يخفى وقد اطال هذا القائل من غير طائل وبعد عن المرام بمراحل ولبعض الشراح هنا كلام لا مساس له بهذا المقام وهذا الحديث فی المعنى كالحديث القدسی من شغله ذكری عن مسئلتی أعطيته أفضل ما أعطى السائلين (وعن أبی طلحة) زيد بن سهل الصحابی وفی الصحابة أبو طلحة آخر وهو الذی نزل فيه قوله تعالى ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة كما قاله الخطيب وقال البرهان لا اعرف فی الصحابة من اسمه أبو طلحة غير ابن سهل هذا وحديثه هذا أخرجه النسائی (دخلت على النبی صلى الله تعالى عليه وسلم فرأيت) فی وجهه (من) آثار (بشره) أی مسرته وانشراحه (وطلاقته) الطلاقة مصدر بمعنى البشاشة قال الراغب يقال هو طلق الوجه وطليق الوجه اذا لم يكن كالحا انتهى وهو فی الاصل من الاطلاق من الوثاق فاستعير للبشاشة والسرور (مالم أره قط) فيه لان دأبه الخشوع والسكون (فسألته) عن سبب ذلك (فقال ومايمنعنی) من المسرة وانشراح الصدر (وقد خرج جبريل) من عندی (آنفا) أی قريبا من مجيئك (فاتانی بشارة من ربی) الظاهر ان فيه قلبا أی أتانی ببشارة ثم خرج ومثله فی كلامهم والحديث صحيح أخرجه أحمد وأصحاب السنن (أن الله) بفتح الهمزة بدل مما قبله وبكسرها والجملة مفسرة للبشارة وهی الخبر السار (بعثنی) أی أرسلنی (اليك ابشرك انه ليس احد من أمتك يصلی عليك الاصلى الله عليه وملائكته بها) أی بصلاته التی صلاها (عشرا) وقد تقدم هذا وتفسيره (عن جابر بن عبد الله) فی حديث رواه البخاری (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من قال

أن) بفتح الهمزة أی هی ان أو بان (الله بعثنی اليك ابشرك انه) بالكسر والفتح (ليس احد من أمتك) أی أمة الاجابة (يصلی عليك الاصلى الله عليه وملائكته بها) أی بدلها أو بسببها (عشرا) فهذا الذی يوجب بشرا ويفيد بشری ويقتضی نشرا (وعن جابر بن عبد الله) على مارواه البخاری (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من قال

حين يسمع النداء) أى الاذان أو الاقامة أو الاعلام باحدهما (اللهم رب هذه الدعوة) أى الدعاء الى العبادة (التامة) أى الكاملة الشاملة (والصلاة القائمة) أى الدائمة الفاضلة لا يغيرها ملة ولا ينسخها شريعة (آت محمدا الوسيلة) أى الزريعة المنيعة وفى نسخة والدرجة الرفيعة وفى نسخة بزيادة الفضيلة وقد ورد ان الوسيلة منزلة فى الجنة فالفضيلة أعم من الوسيلة (وابعثه مقاما محمودا) وفى نسخة المقام المحمود وقد ورد هو المقام الذى أشفع فيه لامتى أى خصوصا بعد ان أشفع للخلق عموما (الذى وعدته) أى اه فى الآخرة الذى بدل من مقاما محمودا وقوله وعدته أى فى القرآن قال الله تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا (حلت له الشفاعة) أى الخاصة (يوم القيامة وعن سعد بن أبى وقاص) كما رواه مسلم (من قال) يروى انه قال من قال (حين يسمع المؤذن) أى صوته (يتشهد وأنا أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له) مقول (وأن محمدا عبده ورسوله رضيت بالله ربا وبمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم رسولا وبالاسلام دينا) نصبه وما قبله من الاسمين على التمييز (غفر له) أى ذنبه (وروى ابن وهب) أى بسند منقطع (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال من سلم على عشرا فكأنما أعتق رقبة) أى فى الاجر والمثوبة (وفى بعض الآثار ليردن) من الورود بمعنى ليأتين (على اقوام ما أعرفهم) يروى لا أعرفهم الا بكثرة صلاتهم على) رواه الاصبهانى فى ترغيبه عن انس (وفى آخر) أى وفى اثر آخر (ان) بكسر الهمزة وفتحها (انجاكم) أى اسبقكم نجاة (يوم القيامة من أهوالها ومواطنها) أى موافقها (أكثركم على صلاة) وعن أبى بكر) أى الصديق كما فى نسخة (الصلاة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أمحق للذنوب) أى أطفأ (من الماء البادر للنار) والسلام عليه أفضل من عتق الرقاب) رواه الاصبهانى فى ترغيبه بلفظ الصلاة عليه أفضل من عتق الرقاب وحبه عليه الصلاة والسلام افضل من مهج الانفس أو من ضرب السيف فى سبيل الله وفى الجامع الصغير الصلاة على نور على الصراط فمن صلى على يوم الجمعة ثمانين مرة غفرت له ذنوب ثمانين عاما على ما رواه الطبرانى والدارقطنى فى الافراد عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه

حين يسمع النداء) أى الاذان فتعريفه للعهد (اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة) أى الدائمة أو التى تقوم لها الناس فهو كعيشة راضية (آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذى وعدته حلت له شفاعتى) اى تحققت (يوم القيامة) وظاهره انه يقول وهو يسمع الاذان من غير اجابة وبه استدل الطحاوى على انه لا يتعين الاجابة أو المراد انه يقول حين يسمع النداء بتمامه فيكون بعد الاجابة والرواية بتنكير مقاما حكاية لما فى القرآن وهو منصوب مفعول آت والذى بدل أو عطف بيان أو هو منصوب على الظرفية والذى مفعول وروى المقام المحمود بالتعريف كما قاله النووى ولا وجه لانكاره وقد تقدم بيانه (وعن سعد بن أبى وقاص) فى حديث صحيح رواه مسلم (من قال حين يسمع المؤذن) أى أذانه (وأنا أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله رضيت بالله ربا وبمحمد رسولا وبالاسلام دينا غفر له) أى جميع ذنوبه وذكره استطرادا لمناسبته لما قبله لانه ليس فيه شئ مما نحن فيه من فضيلة الصلاة عليه وما قيل انه يعلم منه التزاما لان مجرد الرضاء به اذا كان سببا للمغفرة فكيف اذا قرن به الصلاة والسلام عليه بعيد جدا لانه ليس فى الكلام ما يدل عليه بوجه من الوجوه (وروى ابن وهب) هو الامام أبو محمد عبد الله الفهرى كما تقدم (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال من سلم على عشرا) أى قال السلام عليك يا رسول الله عشر مرات (فكأنما أعتق رقبة) أى عبدا عبر بالجزء عن الكل أى كان ثوابها مثل ثواب ذلك (وفى بعض الآثار) جمع اثر بمعنى الخبر الذى يؤثر أى ينقل والمراد به هنا الحديث (ليردن على أقوام) أى يأتون على الحوض (لا أعرفهم الا بكثرة صلاتهم على) وفى نسخة ما يدل لا يعنى انه صلى الله عليه وسلم يرى فى وجوههم نورا وعلامة من آثار الصلاة عليه (وفى) حديث (آخر ان أنجاكم) أى أسرعكم نجاة وخلاصة (يوم القيامة من أهوالها) أى شدائدها وخوفها (ومواطنها) الضمير للاول أو للقيامة التى تخوفونها (أكثركم على صلاة) يعنى ان بركتها تسهل عليه شدائدها وهذا الحديث رواه الاصفهانى فى ترغيبه عن أنس رضى الله عنه وفيه أيضا (وعن أبى بكر الصديق الصلاة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم امحق للذنوب) أى أشد ابطالا واذهابا من محق الشئ اذا أبطله (من الماء البارد للنار) فانه اذا صب عليها أطفأها وأذهب ضررها ففيه تشبيه الصلاة بذلك (والسلام عليه) صلى الله تعالى عليه وسلم (أفضل من عتق الرقاب) انما خص السلام بجعل ثوابه كثواب عتق الرقاب لان السلام فيه تسليم له من سائر النقائص ومن أعتق رقبة أعتق الله بكل عضو منها عضوا منه من النار فسلم مما يخشاه فى الآخرة فلذا جعل السلام عليه وأجره كالاعتاق وأجره وشبهه به دون الصلاة وهذه نكتة لطيفة لا تنافى ما مر لان وجه الشبه قد يكون أقوى فى المشبه وفى الدر المنضود بعد كلام الصديق هنا وحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل من مهج الانفس أو قال من ضرب بالسيف فى سبيل الله وله حكم المرفوع اذ مثله لا يقال من قبل الرأى وأخرجه التيمى وعنه أبو القاسم

(فصل) (في ذم من لم يصل على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وإثمه) أي وإثم من لم يصل عليه وفي معناه من لم يسلم عليه لانه ثبت في الآية الشريفة وجوبهما في الجملة الا انه ليس فيها ما يدل على لزوم الاتيان بهما على وجه المعية (حدثنا القاضي الشهيد أبو علي) أي ابن سكرة (رحمه الله ثنا) أي حدثنا ٤٩٤ (أبو الفضل ابن خيرون) بالمنع والصرف وهو البغدادي (وأبو الحسين الصيرفي) وفي نسخة أبو الحسين والصواب بالتصغير (قالا) أي كلاهما (ثنا أبو يعلى) أي ابن زوج الحرة (ثنا السنجي) بكسر السين ثنا محمد بن محبوب (ثنا أبو عيسى) أي الامام الترمذي صاحب الجامع (ثنا أحمد بن ابراهيم الدورقي) أي البغدادي والدورقي نسبة الى نوع من القلانس ووهم من اعترض على المزي بانه منسوب لبلد فقد صرح أبو أحمد الحاكم في الكنى في ترجمة يعقوب بما قاله المزي وله تصانيف قال أبو حاتم صدوق اخرج له مسلم وغيره (ثنا ربعي) بكسر الراء وسكون الموحدة (ابن ابراهيم) أي ابن مقسم الاسدي روى عنه أحمد والزعفراني (عن عبد الرحمن بن اسحق) أي ابن عبد الله ابن الحارث بن كنانة القرشي العامري مولاهم المدني يروي عن المقبري والزهري وعنه يزيد بن زريع وابن علية قال أبو داود قد روى ثقة وضعفه بعضهم وقال البخاري ليس ممن يعتمد على حفظه (عن سعيد بن أبي سعد) أي المقبري (عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه) وكذا رواه مسلم عنه (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم رغم) بكسر الغين وفتحها (أنف رجل) أي ذل والصق بالتراب (ذكرت عنده) بصيغة المفعول (فلم يصل علي) أي اعراضا أو تهاونا لا كسلا أو نسيانا ورغم انف رجل (دخل رمضان) أي عليه (ثم انسلخ) أي خرج عنه (قبل ان يغفر له) أي بان لم يفعل فيه ما يستحق به غفران ذنوبه

ابن عساكر ومن طريقه اليمن بن عساكر بلفظ الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل من عتق الرقاب أو قال من ضرب بالسيف في سبيل الله وسنده ضعيف قيل وانما كان السلام عليه أفضل من عتق الرقاب لان ثواب العتق انما علم من جهته ولان العتق يقابله العتق من النار لما في الحديث الصحيح من اعتق رقبة اعتق الله بكل عضو منها عضوا منه حتى الفرج بالفرج والسلام عليه يقابله سلام الله على المصلي عشرا وسلام الله عز وجل أفضل من مائة ألف ألف ألف جنة فناهيك به من منعة انتهى وفي بعض الشروح هنا كلام تركه خير منه

(فصل في ذم من لم يصل على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وإثمه) لتركه الواجب عليه وذمه بترك الافضل في حقه ففيه اشارة الى انه قد يجب وقد يندب كما مر ولهذا أخر هذا الفصل عما قبله وصدره بحديث مسند رواه الترمذي كما هو دأبه في كتابه هذا فقال (حدثنا القاضي الشهيد أبو علي رحمه الله) هو ابن سكرة وقد تقدم مرارا قال (حدثنا أبو الفضل بن خيرون) هو أحمد بن الحسن بن خيرون البغدادي الحافظ الناقد وقد تقدم أيضا (وأبو الحسن الصيرفي) كذا في النسخ والصواب أبو الحسين بالتصغير وقد تقدمت ترجمته أيضا (قالا حدثنا أبو يعلى) هو أحمد بن عبد الواحد المعروف بزوج الحرة كما تقدم قال (حدثنا السنجي) تقدم بيانه وبيان نسبته وضبطها قال (حدثنا محمد بن محبوب) تقدمت ترجمته قال (حدثنا أبو عيسى) محمد بن عيسى بن سورة الامام الترمذي المشهور وقد تقدم بيانه قال (حدثنا أحمد بن ابراهيم الدورقي) هو أحمد بن ابراهيم البغدادي الحافظ والدورقي بفتح الدال والراء المهملتين بينهما واو يليها قاف وياء نسبة منسوب لبلد وهو في الاصل اسم اناء للماء كالجرة ولنوع من القلانس شبهت بالاواني لطولها وهو وهم من غلط المزي في قوله انه اسم بلد فانه سبقه اليه الحاكم في كتاب الكنى والمعترض اعتمد على كتاب الرشاطي وقد رده البرهان الحلبي في المقتفى والدورقي كان امام الحديث في عصره أخرج له الستة وغيرهم وتوفي سنة ست وأربعين ومائتين قال (حدثنا ربعي بن ابراهيم) هو ربعي بن مقسم الاسدي الثقة الحافظ توفي سنة سبع وتسعين ومائة (عن عبد الرحمن بن اسحق) بن عبد الله بن الحارث بن كنانة القرشي العامري المدني ويقال له عباد بن اسحق وثقه وضعفه بعضهم وله ترجمة في الميزان (عن سعيد بن أبي سعيد) هو المقبري وقد تقدم (عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم رغم أنف رجل) أي أذله الله وأخزاه وحقيقته ألصق الله وجهه بالرغام وهو التراب فكني به عما ذكر وأضيف للانف لتقدمه (ذكرت عنده فلم يصل علي) لان الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم تعظيم له وثواب لقائله وعزة له باعزاز نبيه فمن تركه مع سهولته عليه كان مستحقا للاهانة وهذا الحديث أخرجه الترمذي وحسنه والحاكم وصححه (ورغم أنف رجل دخل رمضان) أي جاء زمانه والتعبير فيه بالدخول حقيقة عرفا أي في عرف اللغة (ثم انسلخ) أي تم ومضى وأصل السلخ نزع جلد الحيوان فاستعير لكل اخراج يقال سلخت درعه أي نزعته ومنه سلخ الشهر لآخره قال تعالى (وآية لهم الليل نسلخ منه النهار) ومما قلته

ادهم الليل حين كان حرونا * سلخت بذي الاهلة سلخا

(قبل ان يغفر له) أي ولم يغفر له وفي التعبير بالقبلية اشارة الى انه لكونه محل المغفرة

كانت

(ورغم أنف رجل أدرك) أي بلغ (عنده أبواه الكبر) بالنصب على المفعول من أدرك والفاعل أبواه وإنما خص حال الكبر لأنه أحوج حال الإنسان إلى الخدمة والإحسان (فلم يدخلاه الجنة) بضم الياء وكسر الخاء أي بأن لم يبرهما حتى يكونا سببا لدخوله الجنة والمعنى أن برهما عند كبرهما وضعفهما بالخدمة والنفقة سبب لدخول الجنة (قال عبد الرحمن) أي راوي أبي هريرة رضي الله تعالى عنه (وأظنه) أي أبا هريرة (قال أو أحدهما) أي بطريق الشك أو على سبيل التنويع ويؤيده قوله تعالى أما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما وأبعد الدلجي في جعل ضمير أظنه راجعا إليه صلى الله

تعالى عليه وسلم (وفي حديث آخر) كما رواه الطبراني عن ابن عباس وأنس وعبد الله ابن الحارث بن جزء وكعب ابن عجرة ومالك بن الحويرث رواه البزار عن جابر بن سمرة وأبي هريرة وعمار بن ياسر (أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم صعد المنبر) بكسر العين أي طلع عليه (فقال) أي عقب صعوده (آمين) بالمد ويجوز قصره قيل معناه اللهم استجب وفي الحديث آمين خاتم رب العالمين (ثم صعد درجة فقال آمين ثم صعد درجة فقال آمين فسأله معاذ عن ذلك) أي عن قوله آمين وسبب تكراره هنالك (فقال إن جبرائيل أتاني فقال يا محمد من سميت) بضم السين وتشديد الميم المكسورة على لفظ الخطاب أي ذكرت (بين يديه) أي عنده والمعنى من ذكر اسمك له وهو حاضر بسمعه (فلم يصل عليك) أي عقيب ذكر اسمك (فمات) أي تاركا الصلاة عليك غير تائب مما وقع له من التقصير بالنسبة إليك (فدخل النار) أي بسبب ترك صلاته لاستهانة أو عدم مبالاة أو لغيره من خطيئاته مع حرمان شفاعته في شدة حالته (فأبعده الله تعالى) أي عن ساحة رحمته وميدان مغفرته والجملة خبرية مبنى وإنشائية معنى ولذا قال جبريل للنبي عليه الصلاة والسلام (قل آمين فقلت آمين) وهذا في الدرجة الأولى من المنبر وإنما قدم هذه الحالة على البقية لأنها كالمقدمة في القضية (وقال) أي جبرائيل في الدرجة الثانية (فيمن أدرك رمضان فلم يقبل منه) أي صيامه وقيامه

كانت كالموجودة فذهب قبلها (ورغم أنف رجل أدرك عنده أبواه الكبر) أي أدرك الشيخوخة وعمرا وهو معهما إلا أنه لم يبرهما ويعاملهما بما يرضيهما (فلم يدخلاه الجنة) لأنه لو فعل ذلك أثابه الله وأدخله الجنة فإن الجنة تحت أقدام الوالدين كما ورد في الحديث (قال عبد الرحمن) بن إسحق الذي تقدم قريبا (وأظنه) أي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال (أو أحدهما) أي أحد أبويه ويجوز عود الضمير لأبي هريرة ففيه شك من الراوي وسيأتي تتمة الكلام على هذا الحديث والجامع بين هذين أن في صوم رمضان رضى ربه وخالقه وفي رضى الوالدين برهما وهو سبب لوجوده وفي الصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم رضى من هو سبب لبقائه في النعيم المخلد والصوم رضى للرب بأمر ليس عليه فيه كلفة كالصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وبر الوالدين فقد أحرم نفسه من فائدة عظيمة بترك أمر لا مشقة فيه ورواه مسلم بثم بدل الفاء لاستبعاده ممن له عقل والفاء نظرا لكون ذلك واتعاقبه لأن الفاء بمعنى ثم كما توهم وقيد بر الوالدين بحال الكبر لأنها حالة العجز ورحمتهما والإسناد في قوله يدخلاه إسناد مجازي للسبب (وفي حديث آخر) رواه الحاكم وصححه عن كعب بن عجرة بطريق أطول من هذا (أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم صعد المنبر) صعد بكسر العين في الماضي وفتحها في المستقبل كما قاله البرهان الحلبي والمنبر بكسر الميم اسم آلة من نبره بمعنى ارتفع لارتفاع الخطيب عليه (فقال آمين) إذ صعد درجة وآمين اسم فعل بمعنى استجب كما مر وقوله آمين يقتضي أنه سمع داعيا يدعوه ولم يكن معه أحد فلذا سألوه عن سبب قوله هذا كما سيأتي (ثم صعد) درجة أخرى من درجات المنبر (فقال آمين ثم صعد) درجة (فقال آمين فسأله معاذ) راوي الحديث (عن ذلك) أي عن قوله آمين ثلاثا وسببه (فقال) مجيبا لسائل عن سؤاله (إن جبريل أتاني) لما صعدت المنبر وروي أنه أتاه قبله (فقال يا محمد) وروي أنه قال له لبيك وسعديك (من سميت) بالبناء للمجهول وتاء الخطاب المفتوحة نائب الفاعل أي ذكر اسمك (بين يديه) أي عنده وهو حاضر يسمع (فلم يصل عليك فمات) تاركا الصلاة عليك والتعقيب عرفي كتزوج فولد له (فدخل النار) عقوبة له على تركه الصلاة وقد قدمنا أنه يقتضي وجوبها كلما سمع اسمه والجواب عنه (فأبعده الله) عن رحمته ونعيم جنته وقال له جبريل (قل آمين) طلب منه التأمين على دعائه ليستجاب وفيه تعظيم له لا يخفى (فقلت آمين) امتثالا لأمره الذي بلغه عن ربه قال ابن حجر في الزواجر ولهذا الوعيد بتكرر الدعاء عليه بالبعد والسحق وعده أبخل الناس عد تارك الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم عند ذكره من الكبائر بناء على وجوبها كلما سمع ذكره كما ذهب إليه طائفة من الحنفية وغيرهم ويمكن حمله على من ترك الصلاة عليه لاشتغاله بلهو ولعب أو على وجه يشعر بالاستخفاف بحقه صلى الله عليه وسلم فيكون الترك حينئذ كبيرة مفسقة فلا منافاة بين هذا وبين القول بعدم الوجوب بالكلية وهذا أمر مهم لم ير من نبه عليه انتهى (وقال فيمن أدرك رمضان) وصومه (فلم يقبل منه) مبني

(فمات مثل ذلك) بالرفع ويجوز نصبه بدله والاظهر فهذا برأى فدخل النار فابعده الله قل آمين فقلت آمين وهذا في حق من حقوق الله سبحانه (ومن أدرك) وفي نسخة وقال أي جبريل من أدرك (أبويه أو أحدهما فلم يبرهما) بفتح الياء والباء والراء المشددة أي لم يقم بواجبهما (فمات مثل ذلك) وفي نسخة مثله وهذا مما يتعلق بحقوق العباد (وعن علي ابن أبي طالب رضي الله تعالى عنه) كما رواه الترمذي وصححه والبيهقي في شعب الايمان والنسائي من حديث ابنه الحسين عن أبيه (عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال البخيل) أي كل البخيل كما في رواية (الذي) أي هو الذي (ذكرت عنده فلم يصل علي) أي حيث بخل على بزيادة الفضيلة وعلى نفسه بزيادة المثوبة الجزيلة (وعن جعفر بن محمد) كما رواه البيهقي في شعب الايمان عنه (عن أبيه) أي مرسلا فان جعفرا هذا هو الصادق وأبوه هو الباقر وهو تابعي فالحديث مرسل ورواه الطبراني في الكبير عن محمد جد الحسين موصولا (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من ذكرت عنده فلم يصل علي أخطئ طريق الجنة) بضم الهمزة وكسر الطاء وجوز الدلجي كونه مبنيا للفاعل أيضا وكأنه قصد به النسبة المجازية (وعن علي بن أبي طالب أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان البخيل كل البخيل) أي كامل البخل حيث بخل بما لم ينقص من ماله ويزيد من جماله وكماله في حاله ومآله (من ذكرت عنده فلم يصل علي) وقد تقدم هذا الحديث والظاهر ان هذا من زيادة الكتاب والله أعلم بالصواب وفي الجامع الصغير بلفظ البخيل من ذكرت عنده فلم يصل علي رواه أحمد والترمذي والنسائي وابن حبان والحاكم عن الحسين مرفوعا (وعن أبي هريرة) كما رواه أبو داود والترمذي وحسنه والحاكم وصححه عنه (قال أبو القاسم صلى الله تعالى عليه وسلم أيما قوم جلسوا مجلسا) أي مكان جلوس أو جلوسا وفي نسخة صحيحة مجلسهم (ثم تفرقوا) أي قاموا ويروى ثم تفرقوا عنه (قبل ان يذكروا الله) قيامهم

للمجهول أي لم يقبله الله منه بان أبطله وأحبط عمله (فمات مثل ذلك) أي فدخل النار فابعده الله قل آمين فقلت آمين (ومن أدرك أبويه أو أحدهما فلم يبرهما) أي لم يقم بواجب حقوقهما وما يستحقانه يقال بره بفتح عين الماضي يبره بضمها لانه مضاعف متعد والمطرد فيه ذلك الا افعالا قليلة جاء فيها الضم والكسر كما قاله ابن القوطية وغيره كما فصل في كتب التصريف (فمات مثله) بالنصب أي وذكر مثله أي فدخل النار فابعده الله الخ وعدم قبول رمضان اما لانه لم يأت به على وفق أمر الله به بان أخل به أو اما لانه لم يخلص نيته فيه وهذا حديث صحيح روى من طرق كثيرة باسانيد متعددة (وعن علي) ابن أبي طالب كرم الله وجهه من حديث صحيح رواه الترمذي وصححه والبيهقي والنسائي رحمهم الله (عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال البخيل) كل البخيل (الذي) اذا (ذكرت عنده فلم يصل علي) وتعريف الطرفين يدل على الحصر أي لا بخيل الا هذا والبخل الامساك عن بذل ما ينبغي شرعا أو مروة والشرع يقتضي ذلك لانه أمر به وكذا المروة لانها تقتضي الثناء على ما أنعم وأحسن وأي منعم مثله صلى الله عليه وسلم فانه واسطة لكل أحد في جميع النعم التي وصل اليها والبخل بكلمة تنفع في الدنيا والآخرة بخل لا يضاهيه بخل وفي الحديث روايات مختلفة فروى البخيل كل البخيل ومؤكدا كما يأتي وفيه مبالغة لا تخفى وهو هنا استعارة تبعية بتشبيه ترك الصلاة بترك الانفاق أو مكنية وتخييلية بتشبيه الصلاة بالمال الذي ينبغي انفاقه (وعن جعفر) الصادق (بن محمد) الباقر (عن أبيه) محمد الباقر وهو تابعي فالحديث مرسل كما في شعب الايمان للبيهقي ورواه الطبراني في الكبير متصلا عن الحسين بن علي جده رضي الله عنهم (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من ذكرت عنده فلم يصل علي اخطئ به طريق الجنة) رضي الله عنهم اخطئ بضم الهمزة وكسر الطاء في أكثر النسخ مبني لما لم يسم فاعله وجوز بناؤه للفاعل أيضا أي دخل النار لانه أخطأ عن طريق الجنة فكانت طريقه الى النار لانه قد أضله الله عن طريقها وهذا رواه جماعة من طرق متعددة وفي بعضها اخطئ (وعن علي بن أبي طالب قال ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان البخيل كل البخيل من ذكرت عنده فلم يصل علي) وكل هنا صفة البخيل للمبالغة كأنه جمع افراده كلها وتجب حينئذ اضافته لظاهر مماثل لموصوفه لفظا ومعنى كما هنا وكقوله

وان الذي حانت بفلج دماؤهم ❊ هم القوم كل القوم يا أم خالد

وقد يضاف لمماثله معنى فقط وهذا الحديث أخرج من طرق متعددة أخرجه النسائي والبيهقي والبخاري في تاريخه (وعن أبي هريرة) رواه أبو داود والترمذي وحسنه والحاكم وصححه (قال أبو القاسم صلى الله تعالى عليه وسلم أيما قوم) أي هنا للعموم وما مزيدة أي كل قوم (جلسوا مجلسا) أي في مجلس ما (ثم تفرقوا) أي قاموا من مجلسهم (قبل ان يذكروا الله) أي من غير ذكر له تعالى في مجلسهم أو عند

قيامهم منه (و) قبل ان (يصلوا على كانت عليهم من الله ترة) وترة بكسر التاء المثناة وفتح الراء المهملة وهاء تأنيث عوض من الفاء المحذوفة كعدة وزنة وهي مرفوعة اسم كان وعليهم خبر مقدم وجوز نصبها على الخبرية واسم كان ضمير مستتر راجع الى الجلسة المفهومة مما قبله والترة لها معان الظلم والذنب والنقص والتبعة وقد فسرت بالحسرة وهو اقربها لانه ورد كذلك في رواية كما سيأتي وقوله (ان شاء عذبهم وان شاء غفر لهم) يقتضي انه بمعنى الذنب والخطيئة فهو كالتفسير لما قبله والمعاني كلها متقاربة وما قيل من انها بمعنى الحجة القائمة عليهم فهم في مشيئة الله ان شاء عذبهم بترك الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم وان شاء غفر لهم لانه الغفور الرحيم وقد علم ان الترة هي في الاصل النقص قال تعالى ولن يتركم أعمالكم ومعناها هنا التبعة كما في شرح السنة وفي غريب المدونة ان بعض الفقهاء حرفه وقرأه بالثاء المثلثة من الثأر بالهمزة أي طلب الدم من القاتل وأين هو منه لفظا ومعنى اذا علمت هذا فيسن لمن أراد القيام من مجلس ان يقول لا اله الا الله وصلى الله عليه وسلم على رسوله ليكون مكفرا لما في ذلك المجلس (وعن أبي هريرة) رضي الله عنه في حديث رواه البيهقي في الشعب (من نسي الصلاة على نسي) بضم أوله وتشديد ثانيه مبني للمجهول وفي نسخة نسي مخفف مبني للفاعل (طريق الجنة) ففيه جعل الصلاة كأنها دليل يرشده لطريق الجنة أو مذكر يذكره بها ففيه استعارة أو النسيان بمعنى الترك مجازا من ذكر المقيد وارادة المطلق كقول الله تعالى نسوا الله فنسيهم وقوله وكذا اليوم تنسى (وعن قتادة عنه صلى الله تعالى عليه وسلم) في حديث رواه عبد الرزاق عن معمر والحديث مرسل يستدل به في الفضائل دون الاحكام كما علم مما مر (من الجفاء) الجفاء ترك الصلة والبر ويكون بمعنى غلظة الطبع ومنه قيل للاعراب أهل الجفاء والجفاء يمد ويقصر وهو ضد الصلة (ان أذكر عند الرجل) وفي نسخة رجل وفي أخرى أحد (فلا يصلي على) المراد بالرجل الجنس كالاثيم في قوله ولقد أمر على اللئيم يسبني (وعن جابر) رضي الله عنه في حديث رواه البيهقي (عنه صلى الله تعالى عليه وسلم ما جلس قوم مجلسا ثم تفرقوا منه على غير صلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الا تفرقوا على) رائحة تفوح منهم (أنتن) افعل من النتن وهي الرائحة الخبيثة التي يكرهها كل طبع وتكون كاللحوم المتغيرة بعد الموت وفعلها نتن بالكسر والضم عند ابن قوطية فافعل من الثلاثي على القياس أو من أنتن على مذهب سيبويه فما قيل ان صوابه أشد نتنا الا وجه له مع انه يكفي لصحته وروده في كلام أفصح الناس صلى الله عليه وسلم (من ريح الجيفة) الريح اما على ظاهره أو بمعنى الرائحة والجيفة في الاصل رمة الحيوان اذا انتفخت وتغيرت لانهم أتوا بامر مذموم فشبه المعقول بالمحسوس وقيل انه لما صدر عنهم من الكلام المذموم شرعا من غير مكفر له وهو تقييد من غير دليل وقيل انه ريحهم في الملأ الاعلى أو يوم القيامة يشمه أهل الموقف وهو بعيد لا يلائمه السياق فالظاهر أنه على التشبيه أو المراد انه كذلك في الدنيا وقد نقل عن بعض المشايخ انه كان يشم من أهل الغيبة رائحة خبيثة وهذا الحديث رواه الطيالسي والبيهقي والنسائي والضياء في المختارة بسند صحيح الا أنه فيه ذكر الله مع الصلاة كما مر والمشبه به اما فرد من افراد الجيفة أو شئ غيرها أشد نتنا منها (وعن أبي سعيد) الخدري في حديث رواه البيهقي وسعيد بن منصور وغيرهما من طرق صحيحة (عن النبي صلى الله تعالى

ويصلوا) أي وقبل ان يصلوا (على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كانت) أي وقعت (عليهم من الله ترة) بمثناة فوقية مكسورة وراء مخففة مفتوحة أي منقصة أو تبعة وهاء ترة عوض عن واوه المتروكة كعدة ومقة ومنه قوله تعالى ولن يتركم أعمالكم وروي ترة بالنصب أي كانت الجلسة أو التفرقة عليهم مضرة (ان شاء) أي الله (عذبهم) أي بتركهم كفارة المجالس لما صدر عنهم ويكون عدلا (وان شاء غفر لهم) أي مع تقصيرهم ويكون فضلا (وعن أبي هريرة) على ما رواه البيهقي في الشعب عنه مرفوعا (من نسي الصلاة على) أي تركها ترك المنسي (نسي طريق الجنة) أي تركها واخطأها وضبطه الدلجي بضم أوله وتشديد ثانيه وتبعه الانطاكي (وعن قتادة) أي من رواية عبد الرزاق عن معمر عنه (عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من الجفاء) بفتح الجيم والمد ضد الوفاء وقد يراد به الاذى (ان اذكر عند الرجل) لم يرد به رجلا معينا فهو كالنكرة في المعنى وان كان معرفة في المبنى ونظيره قوله تعالى فاكله الذئب (فلا يصلي على) لغلظ طبعه وعدم مراعاة شرعه (وعن جابر) كما رواه البيهقي (عنه عليه الصلاة والسلام ما جلس قوم مجلسا ثم تفرقوا) أي منه (على غير صلاة) حال وفي نسخة من غير صلاة صفة مصدر محذوف أي تفرقا صادرا عن غير صلاة (على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي في حال من الاحوال (الا تفرقوا عن أنتن) أي الا حال كونهم متفرقين عن حال انتن ويروى على انتن (من ريح الجيف) بما صدر عنهم من ردىء الكلام ومذمومه في مقام المرام (وعن أبي سعيد) كما رواه البيهقي في الشعب وسعيد بن منصور (عن النبي صلى الله تعالى

عليه وسلم قال لايجلس قوم مجلسا) أي في مجلس يتحدثون فيه و(لايصلون فيه على النبي صلى الله عليه وسلم) في اثنائه أو في آخره (الا كان) ذلك المجلس (حسرة عليهم) أي ندامة وتأسفا على مافاتهم فيه (وان دخلوا الجنة لما يرون من الثواب) لمن صلى عليه والقوم جماعة الرجال خاصة لقوله * أقوم آل حصن أم نساء * ويطلق على مايشملهم تغليبا وقيل انه عام لكل جماعة وهو المناسب هنا وقد تقدم معنى الحسرة وهي في الاصل بمعنى الانقطاع من حسرة الناقة اذا انقطعت عن السير لكلال ويجوز في كان ان تكون تامة وناقصة وجعله نفس الحسرة مبالغة كقوله تعالى وانه لحسرة على الكافرين أو اسناده مجازي (وحكى أبو عيسى الترمذي) امام الحديث وصاحب الجامع والشمائل وقد قدمنا ترجمته وشهرته تغني عن ذكره (عن بعض أهل العلم) انه (قال اذا صلى الرجل على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مرة في المجلس اجزأ) بالهمزة (عنه ما كان في ذلك المجلس) أي كفت المرة عن تكريرها بقدر ماذكر اسمه في ذلك المجلس فهو سنة كفاية أو فرض كفاية بناء على الخلاف السابق وفي بعض الحواشي اختلفت الرواية فيه فعن صاحب المجتبى من الحنفية انه يتكرر الوجوب بتكرر ذكره وقيل لايتكرر كما لو تكررت آيات سجدة في مجلس فانه يكفي فيها سجدة واحدة وقيل المراد بما كان في ذلك المجلس اللغط ونحوه مما يحتاج للكفارة ويؤيده ماورد في الحديث من صلى علي مرة واحدة محا الله عنه بها ذنوب ثمانين سنة فيعلم منه ماذكر بالطريق الاولى وكذا ورد عنه صلى الله تعالى عليه وسلم ان من قال اذا قام من مجلسه سبحانك اللهم وبحمدك أشهد ان لا اله الا أنت أستغفرك وأتوب اليك غفر الله له ما كان في مجلسه ذلك فاذا ضم الى ذلك الصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وسلم حاز فضلا عظيما وكفر عنه ماصدر منه ومن أهل مجلسه * واعلم انه قال في الخزانة انه صلى الله تعالى عليه وسلم لايجب عليه ان يصلي على نفسه انتهى قيل فاذا كان لايجب عليه ذلك فهل كانت صلاته صلى الله عليه وسلم على نفسه في صلاته بطريق الاستحباب أو لم يكن يصلي على نفسه فيها قيل لم يصرح به أحد وفي فتاوى السبكي الحلبيات الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم واجبة بالاجماع وكونها ركنا من الصلاة مذهب الشافعي والظاهر ان النبي صلى الله عليه وسلم شارك لامته في هذا الحكم من كونها واجبة عليه في صلاته وركنا فيها فان نقل اجماع انه لم يكن يجب على الامم المتقدمة ان يصلوا على أنبيائهم فينبغي ان تعد من الخصائص وأما غيره الانبياء فاقل من ان يتوهم مشاركتهم في الوجوب حتى يقتضي خصوصية وما نقله الجرجاني من انها لاتجب على غيره استقلالا بالاجماع ان أريد في غير هذه الملة ان صح ثبتت الخصوصية وان أريد انه لا يجب علينا في ملتنا ان نصلي على غيره استقلالا فيفهم انه يجب بغير استقلال ولا نعرفه انتهى

* (فصل في تخصيصه عليه الصلاة والسلام بتبليغ صلاة من صلى عليه أو سلم من الانام) كسحاب مطلق أو كل ذي روح أو الجن أو الانس خاصة ويقال آنام بالمد كساباط وأنيم كاسير وبدا بحديث رواه أحمد وأبو داود والبيهقي بسند حسن وهو قوله (حدثنا القاضي أبو عبد الله التميمي) قال (حدثنا الحسين بن محمد) أبو علي الغساني وقد تقدما قال (حدثنا أبو عمر الحافظ) هو ابن عبد البر كما تقدم قال (حدثنا ابن عبد المؤمن) قال (حدثنا ابن داسة) تقدم ترجمته قال (حدثنا أبو داود) امام الحديث وصاحب السنن كما تقدم قال حدثنا ابن عوف) محمد بن عوف الطائي الحمصي راوي سنن أبي داود عنه

الجنة فتزدادوا حسرة ليس في محله (لما يرون) أي فيها (من الثواب) أي الاجر العظيم بالصلاة على النبي الكريم (وحكى أبو عيسى الترمذي) أي صاحب السنن (عن بعض أهل العلم قال اذا صلى الرجل) أي الرجل بل أي شخص (على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مرة في المجلس) أي في مجلس (اجزأ) بالهمزة واجزى لغة فيه أي كفى (عنه ما كان في ذلك المجلس) أي مادام فيه دفعا للحرج وهذا هو قول الطحاوي من أصحابنا وهو المعتمد المعتقد والله أعلم وعن صاحب المجتبى من أئمتنا يتكرر الوجوب بتكرره وان كثر وفي الجامع الصغير كرر آية السجدة في المجلس الواحد يكفيه سجدة واحدة وكذا في الصلاة ولا تسن السجدة لكل مرة وفي الصلاة تسن لكل مرة

*(فصل) * في تخصيصه أي تخصيص الله اياه (عليه الصلاة والسلام بتبليغ صلاة من صلى عليه) أو سلم عليه (من الانام) أي الخلائق من طوائف الاسلام (ثنا) أي حدثنا كما في نسخة (القاضي أبو عبد الله التميمي ثنا الحسين بن محمد) هو أبو علي الغساني (ثنا أبو عمر الحافظ) أي ابن عبد البر حافظ المغرب (ثنا ابن عبد المؤمن ثنا ابن داسة) بالمهملتين (ثنا أبو داود) أي صاحب السنن (ثنا ابن عوف) أي الطائي الحافظ الحمصي شيخ أبو داود والنسائي وغيرهما توفي

(ثنا المقرى) هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن يزيد القصير مولى عمر بن الخطاب أصله من ناحية البصرة نزل مكة وروى عن أبي حنيفة وغيره وعنه البخارى وأحمد وابن راهويه وابن المدينى أخرج له الأئمة الستة (ثنا حيوة) بفتح مهملة فسكون تحتية (عن أبي صخرة) بفتح مهملة وسكون معجمة (حميد) بالتصغير (ابن زياد) وصخر هذا هو الخراط رأى سهل بن سعد وروى عن أبي صالح السمان وأبي سلمة وخلق وعنه ابن وهب وجماعة قال أحمد ليس به بأس (عن يزيد بن عبد الله بن قسيط) بضم قاف وفتح سين مهملة وسكون تحتية ليثى يروى عن ابن المسيب وعنه مالك والليث وثقه النسائى أخرج له الأئمة الستة (عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال مامن احد يسلم على الارد الله على روحى حتى ارد عليه) أى على من سلم على (السلام) مفعول اردوا لحديث رواه أبو داود وأحمد والبيهقى وسنده حسن وظاهره الاطلاق الشامل لكل مكان وزمان ومن خص الرد بوقت الزيارة فعليه البيان والمعنى ان الله سبحانه يرد روحه الشريف على استغراقه المنيف ليرد على مسلمه جبرا لخاطره الضعيف والافن المعتقد المعتمد انه صلى الله تعالى عليه وسلم حى فى قبره كسائر الانبياء فى قبورهم وهم احياء عند ربهم وان لارواحهم تعلقا بالعالم العلوى والسفلى كما كانوا فى الحال الدنيوى فهم بحسب القلب عرشيون وباعتبار القالب فرشيون والله سبحانه أعلم باحوال ارباب الكمال هذا وقال الانطاكى يمكن ان يقال رد الروح كناية عن اعلام الله تعالى اياه بان فلانا صلى عليك أو عن علمه عليه السلام باحوال المسلم من بين الانام

توفى سنة اثنين وسبعين ومائتين قال (حدثنا المقرى) أبو عبد الرحمن بن عبد الله بن يزيد القصير المقرى مولى عمر رضى الله تعالى عنه وهو ثقة وأخرج له الستة وتوفى سنة ثلاث عشر ومائتين كما تقدم قال (حدثنا حيوة) بن شريح كما تقدم قريبا (عن أبي صخر حميد بن زياد) الخراط قال احمد لا باس به وله ترجمة فى الميزان (عن يزيد بن عبد الله بن قسيط) بالتصغير الليثى التابعى الثقة توفى سنة اثنين وعشرين ومائة وأخرج له الستة وترجمته فى الميزان (عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال مامن أحد يسلم على الارد الله على روحى حتى ارد عليه السلام) أى أجيبه وكلام المصنف فى تمام الصلاة له وهذا فى تبليغ السلام ولذا قيل انه مخصوص بوقت الزيارة وان نوزع فيه كما يأتى ناما ان يكون ذكره لمناسبته للصلاة أو فهم منه ان المراد بالسلام قولهم الصلاة والسلام عليك يا رسول الله وفيه دليل على انه صلى الله عليه وسلم حى حياة مستمرة لان الكون لا يخلو من مسلم يسلم عليه فى كل لحظة وقد ثبت بالاحاديث الصحيحة انه صلى الله عليه وسلم وسائر الانبياء احياء حياة حقيقية كالشهداء وان كان حال البرزخ لا يقاس على حال الدنيا وقد قال ابن العماد رحمه الله ان رد الروح يقتضى الموت وهو خلاف المقصود وقد أجيب عنه باجوبة منها ماقاله صاحب القاموس فى كتاب الصلاة والبشر ان البيهقى قال معناه ان الله تعالى رد روحه الشريفة لاجل رد سلام من يسلم عليه ثم استمرت فى جسده وقال عبد الكافى السبكى شيخه انه يحتمل انه رد معنوى بان تكون روحه مشتغلة بشهود الحضرة الالهية والملأ الاعلى عن عالم الدنيا فاذا سلم عليه أقبلت روحه لهذا العالم لرد السلام وقال السخاوى فى كتابه القول البديع رد روحه الشريفة يلزمه تعدد حياته ووفاته فى اقل من ساعة اذ الكون لا يخلو من مسلم يسلم عليه بل قد يتعدد فى آن واحد كثيرا وأجاب الفاكهانى وبعضهم بان الروح هنا بمعنى النطق مجازا فكانه قال يرد الله على نطقى والنطق من لوازم وجود الروح بالفعل أو بالقوة فعبر باحد المتلازمين عن الآخر ويؤيده ان الحياة مرتين لا غير لقوله تعالى أمتنا اثنتين واحييتنا اثنتين وقيل انه على ظاهره بلا مشقة وقيل المراد بالروح ملك وكل بابلاغ السلام وفيه نظر انتهى وفى رواية كما قاله السبكى مامن احد يسلم على عند قبرى فان ثبتت فهو مخصوص ولا يرد بالرأى * أقول هذا جملة مافى الحديث من القيل والقال وللنظر فيه مجال اما أولا فاستعارة رد الروح للنطق بعيدة غير معروفة ولا مألوفة وليس لها رونق يليق بالفصاحة النبوية ولو سلم لكان ركيكا لان قوله حتى ارد عليه السلام يأباه ولو قيل انه مجاز عن المسرة كان اقرب فانه يقال لمن سر عادت له روحه ولضده راحت روحه ولولا خوف الاطالة أوردت له شواهد وهذا يكون جوابا سادسا وجواب البيهقى خلاف الظاهر كما لا يخفى وكون المراد بالروح الملك تأباه الاضافة لضميره الا ان يقال انه ملك كان ملازما له صلى الله عليه وسلم فاختص به على انه اقرب الاجوبة وقد ورد فى بعض الاحاديث وقال أبو داود بلغنى ان ملكا موكلا بكل من صلى عليه صلى الله تعالى عليه وسلم حتى يبلغه سلامه ويأتى الكلام عليه وقد ورد أيضا اطلاق الروح على الملك فى القرآن واذا خص هذا بالزوار فان أمره وجملة رد الله على روحى حالية ولا تلزمها قد اذا وقعت بعد الا كما ذكره السهيلى وهو استثناء من اعم الاحوال وبالجملة فهذا الحديث لا يخلو من الاشكال * اقول الذى

وذكر أبو بكر بن أبي شيبة) وهو الحافظ الكبير الحجة صاحب التصانيف روى عن ابن المبارك وجماعة وروى عنه الشيخان وطائفة ووثقه الجماعة قال الذهبي أبو بكر ممن قفز القنطرة وإليه المنتهى في الثقة (عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى عند قبري سمعته) أي من غير واسطة (ومن صلى علي نائيا) أي بعيدا عني (بلغته بصيغة المجهول مشددا)

يظهر في تفسير الحديث من غير تكلف ان الانبياء والشهداء احياء وحياة الانبياء اقوى واذا لم يسلط عليهم الارض فهم كالنائمين والنائم لا يسمع ولا ينطق حتى ينتبه كما قال الله تعالى والتي لم تمت في منامها الآية فالمراد بالرد الارسال الذي في الآية وحينئذ فمعناه انه اذا سمع الصلاة والسلام بواسطة أو بدونها تيقظ ورد لا ان روحه تقبض قبض الممات ثم تنفخ وتعاد كموت الدنيا وحياتها لان روحه صلى الله عليه وسلم مجردة نورانية وهذا لمن زاره ومن بعد عنه يبلغه الملك سلامه كما ذكر بعده فلا اشكال أصلا الا لمن يتدبر وما قيل ان رده صلى الله عليه وسلم مختص بسلام زائره مردود لعموم الحديث فدعوى التخصيص تحتاج لدليل ويرده أيضا الخبر الصحيح ما من احد يمر بقبر أخيه المؤمن كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه الا عرفه ورد عليه السلام فلو اختص رده صلى الله عليه وسلم بزائره لم يكن له خصوصية به لما علمت ان غيره يشاركه في ذلك قال أبو اليمن بن عساكر واذا جاز رده صلى الله عليه وسلم على من يسلم عليه من الزائرين لقبره جاز رده على من يسلم عليه من جميع الآفاق من أمته على بعد مسافة (وذكر أبو بكر ابن أبي شيبة) هو عبد الله بن محمد العبسي الكوفي الحافظ الثقة صاحب التصانيف الجليلة أخرج له الائمة الستة وتوفي سنة خمس وثلاثين ومائتين وترجمته مفصلة في الميزان (عن أبي هريرة رضي الله عنه كما رواه البيهقي وأبو الشيخ (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى علي عند قبري سمعته ومن صلى علي نائيا) أي بعيدا عني والنأي بالهمز البعد (بلغته) بالبناء للمفعول أي بلغتني الملائكة سلامه وصلاته كما ورد مصرحا به في الحديث وفي بعضها انه ملك معين وقوله (وعن أبي مسعود) عقبة بن عمرو الانصاري وفي نسخة ابن مسعود وهو غلط (ان لله ملائكة سياحين في الارض يبلغوني عن أمتي السلام) وفي أخرى ان لله ملائكة يسيحون في الارض يبلغوني صلاة من صلى علي من أمتي وهذا يقتضي انهم جماعة كثيرة لا واحد معين والسياحين جمع سياح صيغة مبالغة من السياحة وهي الطواف في الارض والدوران فيها والذهاب الى البلاد البعيدة وكانت النصارى تفعله تعبدا فنهى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله لا سياحة في الاسلام لما فيه من ترك الجمعة والجماعة وهو مستعار من ساح الماء اذا جرى على وجه الارض أما الملائكة اذا أمروا بذلك لهذه الخدمة فهو عبادة لهم لانهم لا يفعلون الا ما يؤمرون وقوله يبلغوني الى آخره صفة الملائكة أو جملة مستأنفة استئنافا بيانيا وليس هذا الحديث موقوفا بل هو مرفوع رواه أحمد والنسائي والبيهقي والدارمي وابن حبان وأبو نعيم والخلعي بسند صحيح (ونحوه عن أبي هريرة) أي بمعناه ما رواه في الترغيب عن أبي هريرة وفي الحلية لابي نعيم واللفظ الذي في الترغيب عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان لله تعالى عز وجل سيارة من الملائكة اذا مروا بحلق الذكر قال بعضهم لبعض اقعدوا فاذا دعا القوم امنوا على دعائهم فاذا صلوا على صلوا معهم حتى يفرغوا ثم يقول بعضهم لبعض طوبى لهؤلاء فانهم مغفور لهم وفي الحلية انه تبلغ صلاتهم ويكفوا امر دنياهم وآخرتهم (وعن ابن عمر) رضي الله عنهما لم يخرجوا هذا الحديث (أكثروا من السلام على نبيكم كل جمعة) المراد به الصلاة والسلام عليه في يوم الجمعة وليلتها ويحتمل ان يريد السلام وحده (فانه) أي السلام (يؤتى به منكم في كل جمعة) لانه يوم يعرض فيه الاعمال وللصلاة فيه فضل على

أي بلغنيه الملائكة وفي رواية أبلغته والحديث أيضا رواه أبو الشيخ في الثواب والبيهقي في الشعب (وعن ابن مسعود) قال الشمني هو الصواب وقال الحلبي عن أبي مسعود وهو عقبة بن مسعود الانصاري (أن) بفتح الهمزة وكسرها (لله ملائكة سياحين) أي سيارين (في الارض يبلغوني) بتخفيف النون وتشديدها وهو من باب التفعيل أو الافعال أي يوصلوني (عن أمتي السلام) أي على فارده عليهم رواه احمد والنسائي وابن حبان والحاكم والبيهقي في الشعب (ونحوه عن أبي هريرة وعن ابن عمر) أي موقوفا ويحتمل ان يكون مرفوعا (أكثروا من السلام على نبيكم كل جمعة فانه) أي السلام (يؤتى به) أي يبلغه (منكم في كل جمعة) لا يعرف من رواه لكن ورد أكثروا من الصلاة علي في كل يوم جمعة فان صلاة أمتي تعرض علي في كل يوم جمعة فمن كان أكثرهم علي صلاة كان أقربهم مني منزلة رواه البيهقي عن أبي امامة ورواه عن أنس بلفظ أكثروا من الصلاة علي في يوم الجمعة وليلة الجمعة فمن فعل ذلك كنت له شهيدا أو شافعا يوم القيامة وروى ابن ماجه عن أبي الدرداء أكثروا من الصلاة علي يوم الجمعة فانه يوم مشهود تشهده الملائكة وان احدا لن يصلي علي الا عرضت علي صلاته حين يفرغ منها وهذا معنى قوله

(وفي رواية فان أحدا لا يصلي علي الا عرضت صلاته علي حين يفرغ منها) أي أول ما يفرغ من غير توقف بخلاف سائر الايام فانه يكون موقوفا الى مجيء يوم الجمعة وفي نسخة حتى يفرغ منها فالمعنى ان جميع صلاته وان أطال في كلماته تعرض عليه صلى الله تعالى عليه وسلم وروى البيهقي عن أبي هريرة وابن عدي عن أنس وأبو يعلى عن الحسن وخالد بن معدان مرسلا أكثروا الصلاة علي في الليلة الغراء واليوم الازهر فان صلاتكم تعرض علي (وعن الحسن) برواية الطبراني وأبي يعلى بسند حسن (عنه عليه الصلاة والسلام حيث ما كنتم فصلوا علي فان صلاتكم تبلغني) أي تصل الي بواسطة الملائكة

يوم الجمعة وروى ابن مردويه عن أبي هريرة صلوا علي فان صلاتكم علي زكاة لكم وروى ابن عدي عن ابن عمر وأبي هريرة صلوا علي صلى الله عليكم وروى أحمد والنسائي وجماعة صلوا علي واجتهدوا في الدعاء وقولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على ابراهيم وآل ابراهيم انك حميد مجيد (وعن ابن عباس) كما رواه اسحق بن راهويه في مسنده والبيهقي في شعبه موقوفا (ليس أحد من أمة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم يسلم عليه ويصلي عليه الا بلغه) بضم موحدة وتشديد لام مكسورة ويجوز فتحها مخففة (وذكر بعضهم ان العبد) أي من عباد الله (اذا صلى على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عرض عليه اسمه) أي اسم المصلي عليه بخصوصه (وعن الحسن بن علي) كما رواه ابن أبي شيبة وعنه أبو يعلى عن زين العابدين علي بن الحسين (اذا دخلت المسجد) أي أردت دخوله أو اذا حققت وصوله (فسلم على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال لا تتخذوا بيتي) أي قبري كما في رواية لانه في بيته (عيدا) والمعنى لا تجعلوا زيارة قبري عيدا أو معناه النهي عن الاجتماع لزيارته عليه السلام اجتماعهم للعيد من الايام وقد كانت اليهود والنصارى يجتمعون لزيارة قبور أنبيائهم ويشتغلون باللهو والطرب مع آبائهم وأبنائهم ونسائهم فنهى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عن ذلك تحذيرا لهم عما يقع من الفساد هنالك ويؤيده حديث لعن الله اليهود

غيره وذكر في الدر المنضود ان في رواية ليس أحد يصلي علي يوم الجمعة الا عرضت علي صلاته صححها الحاكم والبيهقي وفي سندها راو وثقه البخاري وضعفه غيره (وفي رواية) أخرى (فان أحدا لا يصلي علي) في ذلك اليوم وليلته (الا عرضت علي صلاته حين يفرغ منها) قال السخاوي رحمه الله هذا الحديث لم أقف عليه وفي الدر المنضود وفي رواية رجالها ثقات الا انها منقطعة أكثروا من الصلاة علي يوم الجمعة فانه يوم مشهود تشهده الملائكة وان أحدا لن يصلي علي الا عرضت علي صلاته حين يفرغ منها قال راويه أبو الدرداء وبعد الموت قال وبعد الموت وروى البيهقي عن أنس قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان أقربكم مني يوم القيامة أكثركم علي صلاة في الدنيا ومن صلى علي يوم الجمعة وليلة الجمعة قضى الله له مائة حاجة سبعين من حوائج الآخرة وثلاثين من حوائج الدنيا وورد في الاحاديث الحث عليه في يوم الجمعة فانه يوم مشهود والانبياء أحياء في قبورهم كما تقرر فان قلت ورد تبليغ الصلاة عليه له صلى الله عليه وسلم مطلقا في أحاديث تأتي وفي بعضها مقيدا بيوم الجمعة كما مر وبأي شيء فما وجهه قلت وجهه يجوز أن يكون عرضها وتبليغها في كل يوم من بعض الملائكة وما في يوم الجمعة من آخرين أو ذلك عرض لها فرادى وهذا جملة على وجه خاص أو لتكتب في صحف عنده كما وقع في بعض الروايات (وعن الحسن) بن علي بن أبي طالب في حديث رواه ابن أبي شيبة والطبراني وأبو يعلى بسند صحيح (عنه صلى الله تعالى عليه وسلم حيثما كنتم فصلوا علي فان صلاتكم تبلغني) أي تبلغها له الملائكة كما تقدم وحيث اذا اتصلت بما فهي شرطية وهي ظرف مكان وتأتي للزمان كما في قوله

حيثما تستقم يقدر لك الله * نجاحا في غابر الازمان

(وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما) في حديث موقوف رواه البيهقي وابن راهويه (ليس أحد من أمة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم يسلم أو يصلي عليه الا بلغه) بضم الباء وكسر اللام المشددة مبني للمفعول أي بلغته الملائكة سلامه وصلاته وهذا يحتمل تعيين المصلي وعدمه فلذا أردفه بقوله (وذكر بعضهم ان العبد اذا صلى) أو سلم (على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عرض عليه) صلى الله تعالى عليه وسلم صلاته وسلامه و(اسمه) واسم أبيه وعشيرته فيثبت عنده في صحيفة كما ورد في حديث مرفوع وقيل المراد ببعضهم النميري عن حماد ويأتي قريبا ما يؤيد صحة ما قاله (وعن الحسن بن علي اذا دخلت) بتاء الخطاب لغير معين (المسجد) تعريفه للجنس فان كل من دخل مسجدا أي مسجد كان يستحب له ان يصلي على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كما ذكر الخيضري في كتابه اللواء المعلم وقيل تعريفه للعهد والمراد به مسجد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والظاهر الموافق للرواية الاول والذي حمله على هذا قوله (فسلم على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تتخذوا بيتي عيدا) فان بيته عند مسجده ولذا قيل المراد ببيته قبره فانه في بيته دفن ويأتي

والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ويحتمل أن يراد به الحث على كثرة زيارته اذ هي أفضل القربات وأكد المستحبات بل قريبة من درجة الواجبات فالمعنى اكثروا من زيارتي ولا تجعلوها كالعيد تزورونني في السنة مرتين أو في العمر كرتين بدليل أحاديث كثيرة وردت بالحث عليها أو بوجوب الشفاعة لمن أتى اليها وقيل يحتمل أن يكون نهيه عليه الصلاة والسلام لدفع المشقة عن الامة بناء على كمال الرحمة ويؤيده قوله الآتي وصلوا على حيث كنتم أو لكراهة أن يتجاوزوا في تعظيم قبره زيادة على قدره بنحو السجدة غيره (ولا تتخذوا بيوتكم قبورا) أي كالقبور لا يصلى فيها والمعنى اجعلوا من صلاتكم في بيوتكم لما روى أحمد عن زيد بن خالد لا تتخذوا بيوتكم قبورا صلوا فيها ويؤيده قول الخطابي لا تجعلوها وطنا للنوم فقط لا تصلون فيها فان النوم أخو الموت والميت لا يصلي أو لا تجعلوها قبورا لموتاكم تدفنونهم فيها قال الخطابي وليس بشيء فقد دفن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في بيته ودفع بان هذا من خصوصيات الانبياء بدليل قوله عليه الصلاة والسلام ما قبض الله نبيا الا في الموضع الذي يجب ان يدفن فيه كما رواه الترمذي عن أبي بكر (وصلوا على حيث كنتم) أي قريبا أو بعيدا (فان صلاتكم تبلغني حيث كنتم) رواه الطبراني وأبو يعلى بسند حسن (وفي حديث أوس) هو أوس بن أوس الثقفي صحابي وفي الصحابة خمسة وأربعون نفرا يسمون أوسا انه (اكثروا على من الصلاة يوم الجمعة فان صلاتكم معروضة على) أي من غير واسطة أو من غير انتظار رابطة رواه أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه (وعن سليمان بن سحيم) بضم السين وفتح حاء مهملتين فتحتية ساكنة مدني يروي عن ابن المسيب وجماعة وعنه ابن عيينة وطائفة أخرج له مسلم وغيره (رأيت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في النوم فقلت يا رسول الله هؤلاء الذين يأتونك) أي للزيارة (فيسلمون عليك أتفقه سلامهم) أي أتعرف كلامهم وتدري مرامهم (قال نعم وارد عليهم) أي سلامهم وأقضي مرامهم

في رواية أخرى ولا تجعلوا قبري عيدا مع الكلام عليهما والعيد الموسم الذي يجتمع فيه وياؤه منقلبة عن الواو لانه سمي به لعوده في كل عام وجمع على أعياد وقياسه الجمع على أعواد للفرق بينه وبين جمع عود ونهيه صلى الله عليه وسلم عما كان يفعله اليهود والنصارى عند قبور أنبيائهم من الزينة واللهو والطرب وقيل النهي عن تعظيمها لما فيه من الفتنة بها حتى لا يتخذ وثنا يعبد وقيل المراد لا يتخذوها كالعيد تزور ونها في العام مرة بل اكثروا من زيارتها (ولا تتخذوا بيوتكم قبورا) أي لا تتركوا الصلاة والعبادة فيها فتكونوا فيها كأنكم أموات وكذا قيل

فيا نائم الليل هنيئته * فقبل الممات سكنت القبورا

وقيل المراد لا تدفنوا في البيوت بل في الجبانة ولا يرد عليه أنه صلى الله تعالى عليه وسلم دفن في بيته لانه اتبع فيه سنة الانبياء عليهم الصلاة والسلام قبله كما ورد ما قبض نبي الا دفن حيث يقبض فهو مخصوص بهم (وصلوا على حيث كنتم) أي في أي مكان فلا يحتاج للاتيان لمسجده ولا لقبره الشريف حتى يسلم عليه وهذا دليل على ان المسجد في أول الحديث ليس المراد به مسجده صلى الله تعالى عليه وسلم (فان صلاتكم تبلغني حيث كنتم) أعاد حيث كنتم لئلا يتوهم ان الصلاة انما تبلغه ممن كان عنده في مسجده الشريف أو عند قبره الشريف وليس تأكيدا لما قبله لافادته تعميما آخر لا يعلم مما قبله وهذا الحديث أخرجه الطبراني وأبو يعلى (وفي حديث أوس) ابن أوس الصحابي الثقفي (أكثروا من الصلاة على يوم الجمعة) خصها لما فيها من الفضل فهي يوم تشهده الملائكة وتعرض عليه صلاة من صلى عليه وللصلاة عليه فيه فضل على غيرها لما فيه من الصلة ولانه يوم يزار فيه وهذا الحديث رواه أبو داود والنسائي وأحمد في مسنده والبيهقي وغيرهم وصححوه وقيل انما خص يوم الجمعة لانه كما ورد في الحديث أفضل الايام الجمعة وفيه خلق آدم عليه السلام وقبضت روحه وفيه النفخة والصعقة قيل وحد أقل الكثرة من الصلاة ثلثمائة وبضع عشرة كما في قوت القلوب وقال السخاوي لم أقف له على مستند فلعله تلقاه عن أحد من الصالحين عرفه بتجارب أو غيره أو رآه أقل ما تحصل به الكثرة (فان صلاتكم معروضة على) تقدم بيانه قريبا (وعن سليمان بن سحيم) بالتصغير وسين وحاء مهملتين وهو مولى آل العباس وقيل آل الحسين وهو من علماء الحجاز المشهورين وحيث أطلق في النقل فهو المراد ولهم سليمان بن سحيم آخر لكنه لم يشتهر النقل عنه وهو الثقة توفي في خلافة المنصور وهذا رواه عنه ابن أبي الدنيا والبيهقي في حياة الانبياء (رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام) ومن رآه في المنام فقد رآه حقا فان الشيطان لا يتمثل في صورته (فقلت يا رسول الله هؤلاء الذين يأتونك فيسلمون عليك) اذا زاروا مقامك بعد الانتقال (أتفقه سلامهم) أي أتسمعه وتفهمه (قال نعم وارد عليهم) وفقه يفقه ورد من باب نصر وفرح ومعناه فهم وعن ابراهيم بن شيبان تقدمت الى القبر الشريف فسلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعته من داخل القبر يقول وعليك السلام ووقع للسيد نور الدين بن العفيف الايجي

انه سمع جواب سلامه من داخل القبر الشريف وعليك السلام يا ولدي وفي مسند الدارمي ان الاذان والاقامة تركا أيام الحرة وان ابن المسيب لم يبرح مقيما في المسجد فكان لا يعرف وقت الصلاة الا بهمهمة يسمعها من قبره صلى الله تعالى عليه وسلم وقوله وارد عطف على قول السائل اتفقه ويسمى هذا عطف التلقين وقد فصل في شروح الكشاف في قوله تعالى قال ومن كفر فامتعه قليلا ويكون في الجمل والمفردات كما تقدم ونعم وقع في الجواب عما سئل عنه وهو ظاهر *(تنبيه)* اذا رأى أحد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في منامه وأمره بامر هل يلزمه العمل بما قاله فيه تفصيل فان وافق الشرع لزمه في نفسه العمل به ولا يلزمه أمر غيره به وما عداه لا يلزمه العمل به لان الرؤيا لا يضبطها النائم ويحتمل التأويل وهذا هو الصحيح وفيه كلام ليس هذا محله (وعن ابن شهاب) هو الزهري كما تقدم وهذا رواه عنه النميري (بلغنا عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال) وفي نسخة بلغنا ان رسول الله قال (أكثروا من الصلاة على في الليلة الزهراء واليوم الازهر) يعني ليلة الجمعة ويومها ويعني بالازهر الابيض المستنير ولذا كان الازهر لا يطلق في وضع اللغة على اللون الابيض وأشاع بعد ذلك مطلقه ونورهما البركتهما وما في ذلك اليوم من العبادة التي خص بها وما فيه من ساعة الاجابة وغير ذلك مما ذكر في فضائله وهو عيد المؤمنين وتنزل فيه الملائكة كثيرا (فانهما) أي يوم الجمعة وليلتها (يؤديان عنكم) بضم المثناة التحتية وفتح الهمزة والدال المهملة المشددة أي يوصلان صلاتكم على ويبلغانها الي والاسناد الى الزمان اسناد مجازي أي يؤدي الملائكة فيهما ذلك وكونهما يخلق لهما نطق بذلك الاداء خلاف الظاهر وان جاز الا ان التصريح بعده بحمل الملك لذلك يأباه وبما تقرر في هذه الاحاديث علم انه صلى الله عليه وسلم تبلغه الصلاة والسلام عليه اذا صدر من بعد ويسمعهما اذا كانا عند قبره الشريف بلا واسطة سواء ليلة الجمعة وغيرها وأفتى النووي فيمن حلف بالطلاق الثلاث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع الصلاة عليه هل يحنث بانه لا يحكم عليه بالحنث للشك في ذلك والورع ان يلتزم الحنث (وان الارض لا تأكل أجساد الانبياء) لانهم عليهم الصلاة والسلام أحياء في قبورهم لا تبلى أجسادهم وهذا جواب عن سؤال مقدر كأنه قيل كيف يكون ذلك لمن مات وأكلته الارض كما ورد مصرحا به في حديث آخر وان بكسر الهمزة والجملة حالية أو بفتحها بتقدير وبلغنا ان الارض الى آخره وقيل انه بيان لخاصية أخرى والاول أولى ولا ينافي ما تقرر من حياتهم ما في صحيح ابن حبان في قصة عجوز بني اسرائيل انها دلت موسى عليه السلام على الصندوق الذي فيه عظام يوسف فاستخرجه وحمله معهم عند قصدهم الذهاب من مصر الى الارض المقدسة اما لانها أرادت بالعظام كل البدن أو لان الجسد لما لم تشاهد فيه روح عبر عنه بالعظم الذي من شأنه عدم البلى أو ان ذلك باعتبار ظنها ان ابدان الانبياء كابدان غيرهم في البلى (ومامن مسلم) من مزيدة للتعميم أي كل مسلم (يصلي على) وهو بعيد (الا حملها) أي صلاته وسلامه (ملك حتى يؤديها) أي يوصلها (الي ويسميه حتى انه) بكسر الهمزة (ليقول ان فلانا يقول لك كذا وكذا) فيذكر ما قاله بعينه بعد تعيينه باسمه واسم أبيه ومكانه وشهرته وأخرج جمع انه صلى الله عليه وسلم قال ان لله ملكا أعطاه اسماع الخلائق فهو قائم على قبري اذا مت فليس أحد يصلي على صلاة الا قال يا محمد صلى عليك فلان فيصلي الرب تعالى على ذلك الرجل بكل واحدة عشرا وفي رواية فهو قائم على قبري حتى تقوم الساعة ليس أحد من أمتي يصلي على صلاته الا قال يا أحمد فلان ابن فلان باسمه واسم أبيه يصلي عليك كذا وكذا وضمن لي الرب ان من صلى على صلاة صلى الله عليه وسلم عشرا وان زاد زاده الله وتقدم انه كان من عادة السلف أيضا ان يرسلوا السلام له صلى الله تعالى عليه وسلم مع الزوار أيضا كل عام كما قيل

رواه ابن أبي الدنيا والبيهقي في حياة الانبياء وفي شعب الايمان (وعن ابن شهاب) أي الزهري كما رواه النميري مرسلا (بلغنا ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال أكثروا من الصلاة على في الليلة الزهراء) أي البيضاء النوراء (واليوم الازهر) أي الانور ويروى في الليلة الغراء واليوم الاغر يعني ليلة الجمعة ويوم الجمعة (فانهما) أي اليوم والليلة (يؤديان) أي ذلك (عنكم وان الارض لا تأكل أجساد الانبياء ومامن مسلم يصلي على) أي صلاة (الا حملها ملك) أي تحملها عنه (حتى يؤديها) أي يوصلها (الي ويسميه) أي لدي (حتى انه) أي الملك (ليقول ان فلانا يقول كذا وكذا) كناية عن ألفاظ الصلاة والسلام اجمالا وتفصيلا وتكثيرا وتقليلا فناهيك به تعظيما وتبجيلا

(فصل) (فى الاختلاف فى الصلاة على غير النبى وسائر الانبياء عليهم السلام قال القاضى) و زيد فى نسخة أبو الفضل يعنى المصنف (وفقه الله) وفى نسخة رحمة الله تعالى فالاولى من كلامه والاخرى من كلام غيره (عامة أهل العلم متفقون على جواز الصلاة على غير النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) أى من سائر الانبياء وأقول بل هى مستحبة لما روى البيهقى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه والخطيب عن أنس مرفوعا صلوا على أنبياء الله ورسله فان الله بعثهم كما بعثنى فيستحقون الصلاة كما أستحقها الان المراد بها تعظيم من يصلى عليه ويؤيده الحديث الصحيح كما صليت على ابراهيم وهو فى المدعى كالصريح (و روى عن ابن عباس)

كما فى شعب الايمان للبيهقى وسنن سعيد بن أبى منصور (انه لا تجوز الصلاة على غير النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) ولعله رضى الله تعالى عنه أخذ من قوله تعالى فى حق الانبياء عليهم السلام سلام على نوح سلام على ابراهيم سلام على موسى وهرون وسلام على المرسلين ومن مفهوم قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما حيث يستفاد منه ان الجمع بينهما من خصوصيته عليه السلام عما بين الانام (وروى عنه) أى عن ابن عباس كما فى فضل الصلاة عليه عليه السلام لاسمعيل القاضى (لا تنبغى الصلاة على أحد الا النبيين) ولعله رجع عن قوله الاول أو مراده به الجمع على ما ذكرنا فتأمل فانه يمكن الجمع به على ما هو المعول (وقال سفيان) أى الثورى أو ابن عيينة (يكره ان يصلى) ما أى على أحد اصالة (الا على نبى و وجدت بخط بعض شيوخى) وفى حاشية الحلبى قوله وقد وجدت معلقا عن أبى عمران الفاسى بالفاء والسين المهملة نسبة الى بلد بالمغرب قال ابن ماكولا أبو عمران الفاسى فقيه أهل القيروان فى وقته (مذهب مالك انه لا يجوز) أى لا ينبغى (ان يصلى على أحد من الانبياء سوى محمد وهذا) أى النقل (غير معروف من مذهبه) لكن يمكن ان يكون مراده الجمع بين الصلاة والسلام فانه حينئذ يكون وفق مشربه (وقد قال مالك) أى الامام (فى المبسوطة) وفى نسخة صحيحة فى المبسوط (ليحيى بن اسحق أكره الصلاة على غير الانبياء وما ينبغى لنا ان نتعدى) أى بالجمع بين الصلاة والسلام

ألا أيها الغادى الى يثرب مهلا * لتحمل شوقا ما أطيق له حملا
تحمل رعاك الله منى تحية * وبلغ سلامى روح من طيبة حلا

(فصل فى الاختلاف) الواقع بين العلماء (فى الصلاة على غير النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) أى فى جواز الصلاة على غيره من المؤمنين غير الانبياء كالصحابة ونحوهم (وسائر الانبياء) أى بقيتهم غيره كابراهيم وموسى ونحوهما وسائر بمعنى باقى كما تقدم والخلاف فى جواز الصلاة على من ذكر استقلالا لا بطريق التبعية له كالصلاة على آله وأزواجه (قال القاضى) عياض المؤلف وفقه الله (عامة أهل العلم) أى جميعهم (متفقون على جواز الصلاة على غير النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) من الانبياء والملائكة والمؤمنين ودعواه الاتفاق مطلقا ليست بمسلمة وقد قال النووى فى الاذكار أجمعوا على طلب الصلاة على نبينا صلى الله عليه وسلم وكذلك أجمع من يعتد به على استحبابها على سائر الانبياء والملائكة استقلالا واما على غيرهم ابتداء فالجمهور على انه لا يصلى عليهم واختلف فى هذا المنع فقال بعض أصحابنا انه حرام والاكثر على انه مكروه كراهة تنزيه وذهب كثير الى انه خلاف الاولى وليس مكروها والصحيح الذى عليه الاكثر كراهة تنزيها لانه شعار أهل البدع انتهى ملخصا فدعواه الاتفاق مخالفة للمنقول وقال الجوينى ان السلام مثل الصلاة فلا يقال على عليه السلام اللهم الا ان يقال مراده بغير النبى بقية الانبياء الا انه تخصيص من غير دليل (و روى عن ابن عباس انه لا تجوز الصلاة على غير النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) رواه البيهقى فى الشعب وسعيد بن منصور فى سننه والطبرانى وابن أبى شيبة وعبد الرزاق ومراده بغيره بقية أمته لقوله فيه ولكن يدعى للمسلمين والمسلمات بالاستغفار ولقوله (وروى عنه) أى عن ابن عباس رواه القاضى اسمعيل فى أحكام القرآن (لا تنبغى الصلاة) من أحد (على أحد الا النبيين) وهذا مفسر لما قبله (وقال سفيان) الثورى (يكره ان يصلى الا على نبى) وهو موافق لكلام ابن عباس ولما فى الكراهة من معنى النفى عم وصح وقوع الاستثناء المفرغ بعده وهذه احدى الروايتين عن سفيان رواها عنه عبد الرزاق والبيهقى والاخرى تفرد بها البيهقى يكره ان يصلى على غير النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (وو جدت بخط بعض شيوخى مذهب مالك انه لا يجوز ان يصلى على أحد من الانبياء سوى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) فعلى هذا لا يصلى على غيره من الانبياء استقلالا وهو احدى الروايتين عن الثورى كما تقدم (وهذا غير معروف من مذهبه) أى مذهب الامام مالك وأيد كونه غير معروف من مذهبه بقوله (وقد قال) الامام (مالك فى المبسوط) اسم كتاب كالمدونة (ليحيى بن اسحق) الذى روى المبسوط عن مالك وهو يحيى بن اسحق بن عبد الله بن اسحق بن المهلب ابن جعفر ويكنى أبا بكر وله بيت شريف بقرطبة (أكره الصلاة على غير الانبياء وما ينبغى لنا ان نتعدى

(ماأمرنابه) أي من الجمع بين الصلاة والسلام مختصابه في قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما (قال يحيى بن يحيى) أي الليثي عالم الاندلس راوي (الموطأ لست آخذ بقوله) أي بقول مالك انه لا يجوز أن يصلى على أحد من الانبياء سوى محمد (ولا بأس الصلاة على الانبياء كلهم) أي بالاصالة (وعلى غيرهم) أي تبعا و يحتمل انه أراد به استقلالا الا انا ننزهه عن مخالفة العلماء اجلالا (واحتج) أي يحيى لما قاله وفي نسخة صحيحة واحتجوا أي هو ومن تبعه (بحديث ابن عمر) أي الآتي في انه

ماأمرنابه) فلا نتجاوزه لغيره لانه أمر تعبدي لا يعقل معناه بالرأي و يقتصر فيه على ماروي عنهم (وقال يحيى ابن يحيى) الليثي عالم الاندلس وراوي الموطأ عن مالك رحمه الله تعالى (لست آخذ بقوله) أي لا أتمسك بقول مالك ماينبغي لنا ان نتعدى ماأمرنابه من الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم قط يعني قوله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي الآية ومن عزا لمالك عدم الجواز جعل قوله ماينبغي على عدم الجواز فعزاه له وهي تستعمل لهذا المعنى وورد لغيره أيضا (ولا بأس بالصلاة على الانبياء كلهم وعلى غيرهم) من الملائكة والمؤمنين (واحتج) يحيى بن يحيى لما قاله (بحديث ابن عمر) الآتي انه كان يصلي على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى أبي بكر وعمر تبعا (وبما جاء في حديث تعليم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الصحابة الصلاة عليه) كما مر (وفيه) أي في حديث تعليمه أيضا (وعلى أزواجه وعلى آله) فهذا ونحوه يدل على ان الصلاة على غير الانبياء جائزة الا ان هذا بطريق التبعية والخلاف في الصلاة على غيرهم استقلالا كما مر وحينئذ فما ذكر لا ينافي ماقاله مالك ولا يتجه ماقاله يحيى بن يحيى رحمه الله وفي بعض النسخ زيادة وهي (وقد وجدت معلقا) أي مكتوبا في بعض الكتب وقيل التعليق هنا ما اصطلح عليه المحدثون من ذكر حديث طوى سنده أو بعضه وقوله وجدت من الوجادة وهي في اصطلاح المحدثين ان يجد حديثا بخط من يعرفه سواء عاصره أم لا فيرويه (عن أبي عمران الفاسي) هو موسى ابن عيسى الغفجومي بفتح الغين المعجمة وسكون المثلثة وجيم وواو وميم نسبة لقبيلة من البربر والفاسي نسبة لفاس بلدة بالمغرب وقوله في القاموس انه بهمزة لا اصل له وأبو عمران فقيه المغرب توفي سنة ثلاثين وأربعمائة في ثالث شهر رمضان (روي عن ابن عباس كراهة الصلاة على غير النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) نبيا أو غيره (قال) أبو عمران (وبه نقول) أي نعتقده ونعمل به (ولم تكن) الصلاة على غير نبينا استقلالا (تستعمل فيما مضى) من عصر الصحابة فمن بعدهم وهو غير مسلم كما تقدم (وقد روى عبد الرزاق) وهو امام الحديث أبو بكر بن همام بن نافع الحميري وله تصانيف جليلة وروى عنه أحمد وغيره وتوفي سنة احدى عشر ومائتين (عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم صلوا على أنبياء الله ورسله فان الله بعثهم كما بعثني) تعليل للصلاة عليهم بانهم ساووه صلى الله عليه وسلم في أصل البعثة وينبغي ان يصلى عليهم كما صلى عليه وهذا الحديث رواه الطبراني والقاضي اسمعيل والتميمي في الترغيب وغيرهم بسند صحيح (قالوا والاسانيد عن ابن عباس) الواردة في منع الصلاة على غيره صلى الله تعالى عليه وسلم (لينة) أي ليست بقوية فلا تعارض ماروي عنه وعن غيره من طرق متعددة باسانيد صحيحة قوية وهذا اصطلاح المحدثين يقال فلان لين الحديث وسند لين اذا كان لا يصلح للاحتجاج به واللين غير الضعيف لكنه يقرب منه وقيل ان رجاله رجال الصحيح فليس بلين فتأمله ثم رده بوجه آخر مقبول فقال (والصلاة) معناها التي وضعت له (في لسان العرب) أي في لغتهم واللسان اسم للجارحة التي هي آلة النطق تجوز بها عما ذكر كما قال الله تعالى وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه (بمعنى الترحم والدعاء) بالرحمة (وذلك) أي الدعاء بالرحمة (على الاطلاق) أي يجوز مطلقا

كان يصلي على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى أبي بكر وعمر (وبما جاء في حديث تعليم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي اصحابه فيما مر (الصلاة عليه وفيه) أي وفي حديث تعليمه عليه السلام (وعلى آله وأزواجه) وفيه انه لا خلاف في جواز الصلاة على غير الانبياء تبعا وزيد في بعض النسخ هنا (وقد وجدت معلقا عن أبي عمران الفاسي) بالفاء والسين وفي نسخة القابسي بالقاف وبموحدة بعد الالف فسين مهملة (روي عن ابن عباس كراهة الصلاة على غير النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال وبه أقول) وفي نسخة وبه نقول (ولم يكن يستعمل فيما مضى وقد روى عبد الرزاق عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم صلوا على أنبياء الله ورسله فان الله)

وفي نسخة فان الله (بعثهم كما بعثني قالوا) أي يحيى واتباعه أو جمهور العلماء وهو الظاهر من قوله (والاسانيد) أي الواردة (عن ابن عباس) من نحو قوله لا تجوز الصلاة على غير النبي عليه السلام (لينة) أي ضعيفة لا يصلح شيء منها للاحتجاج به على عدم جواز الصلاة على غيره صلى الله تعالى عليه وسلم (والصلاة في لسان العرب بمعنى الترحم والدعاء) أي ونحوهما من الاستغفار وحسن الثناء (وذلك) أي جوازه (على الاطلاق) أي بالاتفاق

(حتى يمنع منه حديث صحيح أو اجماع) أي صريح وقد قال الله تعالى هو الذي يصلي عليكم وملائكته الآية بتمامها ليخرجكم من الظلمات الى النور وفي المعالم للبغوي فالصلاة من الله الرحمة ومن الملائكة استغفار للمؤمنين وقال أنس لما نزلت ان الله وملائكته يصلون على النبي قال أبو بكر رضي الله تعالى عنه ما خصك الله يا رسول الله بشرف الا وقد أشركنا فيه فأنزل الله تعالى هذه الآية (وقال) أي الله تعالى لنبيه عليه السلام (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم) أي من رذيلة البخل (وتزكيهم) أي وتنمي مالهم (بها) أي بسببها (وصل عليهم) أي التفت اليهم وترحم عليهم واقبل عذرهم لديهم (الآية) وهي ان صلاتك

سكن لهم أي تسكن اليها نفوسهم وتطمئن بها قلوبهم وفيه ايماء الى خصوصيته بهذا الدعاء (وقال) أي الله سبحانه (أولئك عليهم صلوات من ربهم) أي تحيات ومدحات (ورحمة) أي أنواع رحمات وظاهره ان الصلاة عامة للمؤمنين ولا يبعد ان يكون من باب التوزيع والتقسيم وان تكون الصلوات خاصة للانبياء والرحمة عامة للاصفياء (وقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) كما رواه الشيخان عن عبد الله بن أبي أوفى (اللهم صل على آل أبي أوفى) ومن تتمة الحديث قوله (وكان اذا أتاه قوم بصدقتهم قال اللهم صل على آل فلان) كناية عما ينسبون اليه وقد رواه أبو داود والنسائي عن قيس بن سعد بن عبادة انه عليه السلام قال اللهم اجعل صلواتك ورحمتك على آل سعد بن عبادة وهو مراد معهم كآبي أوفى (وفي حديث الصلاة) أي في التشهد (اللهم صل على محمد وأزواجه) وفي نسخة وعلى أزواجه (وذريته وفي آخر) أي حديث آخر (وعلى آل محمد قيل) أي المراد بهم (اتباعه) أي الى يوم القيامة (وقيل أمته) أي أمة الاجابة وهو قريب مما قبله وربما يقال هو أعم والاول أخص (وقيل آل بيته) أي أقاربه وأزواجه وذريته (قيل الاتباع والرهط والعشيرة) أي جميعهم ويروى الاتباع وهم الرهط وقيل رهط الرجل قبيلته وعشيرته قومه

على نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى غيره وليس قوله وذلك اشارة الى قول يحيى لا بأس بها على الانبياء وغيرهم كما قيل (حتى يمنع منه حديث صحيح أو اجماع) لان الاصل ان كل لفظ وضع لمعنى يجوز اطلاقه على ما وجد فيه ذلك المعنى الا ان هذا غير مسلم لانه لم يوضع لمطلق الدعاء بالرحمة بل هو مقيد بنوع من التعظيم يليق بمقام النبوة ثم انه أورد دليلا أقوى من هذا فقال (وقد قال الله تعالى هو الذي يصلي عليكم وملائكته) ففي هذه الآية دليل على انه تجوز الصلاة على كل مؤمن فضلا عن الانبياء لان سبب نزولها كما مر انه لما نزل عليه ان الله وملائكته يصلون على النبي قال الصحابة هذا لك يا رسول الله خاصة وليس لنا فيه شيء فنزل الله هذه الآية وتقدم ان صلاة الله رحمته وصلاة الملائكة الدعاء والاستغفار لسائر المؤمنين (وقال الله تعالى خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها) الآية وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم فأمره بالدعاء لهم بلفظ الصلاة لمن أدى الصدقة فكان صلى الله عليه وسلم يقول اللهم صل على آل أبي أوفى كما يأتي وفي دعائه بذلك دليل على جوازه مطلقا وتطهيرهم بمغفرة ذنوبهم وسكنهم باطمئنان قلوبهم (وقال الله تعالى أولئك) الاشارة لمن صبر عند المصيبة من المؤمنين (عليهم صلوات من ربهم ورحمة) وعطف الرحمة عطف تفسير وان قلنا انها أعم لانه يجوز التفسير بالاعم ان المقصود فلا يرد عليه ان العطف يقتضي المغايرة لان الصلاة رحمة مشتملة على تعظيم وتكريم (وقال صلى الله تعالى عليه وسلم) في حديث رواه الشيخان (اللهم صل على آل أبي أوفى) وهذا الحديث روي عن عبد الله بن أبي أوفى وتتمته (وكان اذا أتاه قوم بصدقتهم قال اللهم صل على آل فلان) فأتاه بصدقته فقال اللهم صل على آل أبي أوفى والصدقة المراد بها هنا الزكاة وان كانت عامة ومعنى صل عليهم ارحمهم وطهرهم وزك أموالهم التي بذلوا زكاتها وآله أهله واتباعه وقيل المراد نفسه وذاته كما في قوله لقد أوتي مزمارا من مزامير آل داود أي من مزامير داود عليه الصلاة والسلام نظير ما ذكره المصنف في تفسير آله صلى الله عليه وسلم كما يأتي وأبو أوفى هو علقمة بن خالد بن الحارث الاسلمي الصحابي وهو آخر من مات من الصحابة بالكوفة سنة سبع وثمانين وابنه صحابي أيضا شهد مع أبيه بيعة الرضوان وهذا الحديث من أقوى ما استدل به على جواز الصلاة على غير الانبياء استقلالا (وفي حديث الصلاة) عليه صلى الله تعالى عليه وسلم في التشهد وقد تقدم بيانه وبيان سنده وطرقه مفصلا (اللهم صل على محمد وعلى أزواجه وذريته) وهم نسله وأولاده كما تقدم (وفي حديث آخر) روي في صلاة التشهد (وعلى آل محمد) وفسر الاول بقوله (قيل) آله (اتباعه) جمع تابع أو تبيع وهو من يقفو أثره ويلحقه وخص عرفا بمن يخصه من الاهل والخدم (وقيل) آله (وأمته) والمراد أمة الاجابة وهم كل من آمن به وأمة الدعوة أعم منهم (وقيل) هم (الاتباع والرهط والعشيرة) والرهط القبيلة مطلقا وهو في الاصل

(وقيل آل الرجل ولده) أى أولاده وأحفاده (وقيل قومه) أى المؤمنون من قريش أو بنى هاشم (وقيل أهله الذين حرمت عليهم الصدقة) عن زيد بن أرقم آل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من حرم الصدقة عليه وهم آل على وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس (وفى رواية أنس) كما رواه الطبرانى فى الاوسط وابن مردويه (سئل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من آل محمد فقال كل تقى) الظاهر ان كل تقى منهم والمعنى من ليس بتقى ليس بآلى ولا يبعد أن يكون المعنى كل من يكون تقيا يكون آلا وعلى التقديرين يؤيده قوله تعالى ان أولياؤه الا المتقون (ويجئ على مذهب الحسن) الظاهر انه الحسن البصرى (ان المراد بآل محمد محمد نفسه) أى فى بعض التراكيب (فانه) أى النبى عليه السلام أو الحسن (كان يقول فى صلاته على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) أى على ما رواه النميرى (اللهم اجعل صلواتك وبركاتك على آل محمد) زيد فى نسخة يريد نفسه الشريفة الا انه لا يلائم قوله (لانه) أى قائله (كان لا يخل بالفرض) أى فى الجملة وهو الصلاة على محمد (ويأتى بالنفل) وهو الصلاة على آله (لان الفرض الذى أمره الله به) أى فى قوله سبحانه يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه (هو الصلاة على محمد نفسه) أى ذاته دون غيره بشهادة روايته الاخرى من طرق متعددة على محمد بدون آله (وهذا) أى كون الآل مقحما (مثل قوله عليه السلام) فيما رواه الشيخان (لقد أوتى) أى أبو موسى الاشعرى (مزمارا) أى صوتا حسنا (من مزامير آل داود يريد) أى النبى عليه الصلاة والسلام (من مزامير داود) لانه لا يعرف أحد من آله انه كان له مزمار ونظير هذا من التنزيل قوله مما ترك آل موسى وآل هرون

ما دون العشيرة ثم عم والعشيرة بنو أبيه الادنون وقبيلته (وقيل آل الرجل ولده) أى نسله مطلقا (وقيل قومه وقيل أهله الذين حرمت عليهم الصدقة) لانها أوساخ الناس فلا تليق بهم وقد طهرهم الله تعالى وهم بنو هاشم والمطلب الذين لهم سهم من خمس الخمس بكذبهم (وفى رواية أنس سئل النبى صلى الله عليه وسلم من آل محمد فقال كل تقى) وهذا حديث صحيح روى من طرق رواه الطبرانى والديلمى وشيبان وغيرهم وهذا معنى مجازى كقوله صلى الله عليه وسلم لسلمان منا آل البيت لان الله طهر أهل البيت ووعدهم بمغفرة ذنوبهم فاطلق على كل تقى أكرمه الله تعالى وغفر سيئاته وهذا معروف فى لسانهم كما قيل * رب أخ لى لم تلده أمى * (ويجئ على مذهب الحسن) البصرى رضى الله عنه والضمير المستتر فى يجئ للآل (ان المراد بآل محمد) الوارد فى الصلاة عليه (محمد نفسه) أى فعنده ان الآل معناه الذات والنفس فيقال آل فلان بمعنى ذاته وغيره من النحاة واللغويين يجعله فى مثله زائدا مقحما والزيادة فى الاسماء خلاف ما عهد من كلامهم وان أمكن حمل كلامه عليه الا ان ابن حبيب نقل عن محمد بن سلام ان الحسن قال ذلك * (فائدة) * روى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال تكون أرض يقال لها البصرة أقوم الارضين قبلة قارئها أقرأ الناس وعابدها أعبد الناس ومتصدقها أعظم الناس صدقة وتجارها أعظم الناس تجارة منها قرية يقال لها الابلة أربعة فراسخ يستشهد عند مسجدها تسعون ألف شهيد من أفضل الشهداء قلت وعلماؤها أقوالهم فى العربية مقدمة على غيرهم لمدحه صلى الله تعالى عليه وسلم لها (فانه كان يقول فى صلاته على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) فى التشهد (اللهم اجعل صلاتك وبركاتك على آل محمد يريد نفسه لانه كان لا يخل) بضم الياء وكسر الخاء المعجمة وتشديد اللام أى لا يترك والخلل يأتى بمعنى الترك والنقص (بالفرض) يعنى به الصلاة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (ويأتى بالنفل) يعنى به الصلاة على آل النبى صلى الله عليه وسلم واعترض عليه بما تقدم من ان الصلاة عليه فى التشهد ليست بفرض الا عند الشافعى وعند المصنف انه شذ فيه ولم يوافقه غيره فيه كما مر (لان الفرض الذى أمر الله به) فى آية صلوا عليه وسلموا تسليما (هو الصلاة على محمد نفسه) لا على آله كما ذهب اليه الشافعى فموافقة الحسن له تنافى الشذوذ الذى ذكره وشنع به عليه والجواب عنه ان مراده بالفرض ما لا بد منه لمن أراد الصلاة فانه يلزمه أن يذكره ولا يتركه مقتصرا على غيره أو يقول انه مذهب الحسن وموافقه واحد لا تنافى الشذوذ عنده (وهذا) أى ذكر الآل وارادة الذات منه (مثل قوله صلى الله عليه وسلم) فى حق أبى موسى الاشعرى لما سمعه يتلو القرآن بصوت حسن كما رواه الشيخان عنه (لقد أوتى) أى والله لقد أتى الله أبا موسى (مزمارا من مزامير آل داود يريد) رسول الله صلى الله عليه وسلم (من مزامير داود) نبى الله صلى الله عليه وسلم فآله بمعنى نفسه كما فى صلاة الحسن وقد تقدم بيانه والمزامير جمع مزمار بكسر الميم وهو اسم آلة ويقال مزمور أيضا والزمر النفخ فى المزمار والصوت الحسن بغير آلة لان أصل معنى الزمر الحسن كما قال الشاعر

زنان حنان بينهما * رجل أحسن عناؤه زمر

أى حسن كما قاله ابن الانبارى فزاميره بمعنى ترغماته لانه كان له الآلة المعروفة والمنقول انها له نفسه لا لآلة وكان لحسن صوته اذا قرأ بتلاحينه الزبور وأدعيته تقف له الطيور والدواب حتى قيل ان الماء

(وفى حديث أبى حميد الساعدى فى الصلاة) أى فى ألفاظها (اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته وفى حديث ابن عمر انه كان يصلى على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) أى عند قبره (وعلى أبى بكر وعمر ذكره مالك فى الموطأ من رواية يحيى بن يحيى الاندلسى) بفتح همز ودال بضم لام وقيل بضم الثلاثة وقيد به احترازا عن يحيى بن يحيى النيسابورى وزيد فى نسخة والصحيح من رواية غيره ويدعو لابى بكر وعمر (وروى ابن وهب) وهو المصرى العلم (عن أنس ابن مالك كنا ندعو لاصحابنا بالغيب فنقول اللهم اجعل منك على فلان صلوات قوم ابرار الذين يقومون بالليل) أى للتهجد والاستغفار (ويصومون بالنهار قال القاضى) يعنى المصنف وفى نسخة قال الفقيه القاضى (والذى ذهب اليه المحققون وأميل اليه ماقاله مالك) أى امام المذهب (وسفيان) أى الثورى أو ابن عيينة رحمهما الله وروى أى وما روى (عن ابن عباس واختاره غير واحد) أى كثيرون (من الفقهاء والمتكلمين انه لا يصلى على غير الانبياء) وهم أعم من الرسل (عند ذكرهم) أى انفرادا وانما تجوز اتباعا (بل هو) أى الصلاة وذكر باعتبار خبره وهو قوله (شئ يختص) يروى يخص (به الانبياء) أى عرفا وعادة وفيه رد على الرافضة (توقيرا لهم وتعزيزا) أى تعظيما وتبجيلا (كما يختص الله تعالى عند ذكره بالتنزيه والتقديس والتعظيم ولا يشاركه فيه) أى فيما ذكر (غيره) فيقال قال تعالى عز وجل وان كان الانبياء أعزة واجلاء وعن العيوب براء (كذا يجب تخصيص النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وسائر الانبياء بالصلاة والتسليم ولا يشارك) بالبناء للمفعول أو الفاعل وفى نسخة ولا يشاركهم (فيه) أى فى كل واحد منهما (سواهم كما أمر الله) أى المؤمنين (بقوله

الجارى يقف له وهو مبالغة فى نهاية حسنه وأول هذا الحديث انه صلى الله تعالى عليه وسلم مر هو وعائشة رضى الله تعالى عنها على بنت أبى موسى وهو يقرأ القرآن ليلة فوقفا يستمعان له وكان من أحسن الناس صوتا فلما أصبح أخبره صلى الله تعالى عليه وسلم بانصاته له وقال له لقد أوتيت مزمارا من مزامير آل داود فقال لو علمت بذلك لحبرته تحبيرا أى لزدت فى تحسين صوتى لاستماعك لى (وفى حديث أبى حميد) بالتصغير (الساعدى) وهو أبو عبد الرحمن بن عمرو بن سعد الخزرجى كما تقدم الذى رواه (فى الصلاة) عليه صلى الله عليه وسلم فى التشهد (اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته) وهو يدل على جواز الصلاة على غير الانبياء لكن تبعا لهم (وفى حديث ابن عمر رضى الله عنهما انه) أى ابن عمر (كان يصلى على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى أبى بكر وعمر ذكره مالك فى الموطأ من رواية يحيى بن يحيى الاندلسى) عن مالك وانما قيده بالاندلسى لان الموطأ رواه عن مالك اثنان كل منهما يسمى يحيى بن يحيى أحدهما يحيى بن يحيى بن كثير الاندلسى الليثى مات سنة أربع وثلاثين ومائتين والآخر أبو زكريا يحيى بن يحيى بن بكر بن عبد الرحمن التميمى النيسابورى توفى سنة ست وعشرين ومائتين وله رواية فى الصحيحين كما قاله السيوطى فى مناقب مالك وتقدم ضبط الاندلسى بفتح الهمزة والدال وضمهما (والصحيح من رواية غيره ويدعو لابى بكر وعمر) رضى الله عنهما (وروى ابن وهب عن أنس ابن مالك كنا ندعو لاصحابنا بالغيب) حال أى فى حال غيبتهم عنا وعدم حضورهم معنا (فنقول) فى دعائنا لهم (اللهم اجعل منك على فلان صلوات قوم ابرار الذين يقومون بالليل) للتهجد والعبادة (ويصومون بالنهار) ففى هذا دليل على جواز الصلاة على غير الانبياء استقلالا وقوله الذين بدل من قوم مفسر له (قال القاضى أبو الفضل رحمه الله تعالى والذى ذهب اليه المحققون وأميل اليه) أى أرجحه واعتقد صحته والميل فى الاجسام معروف وشاع فى المحبة والمصنف رحمه الله تعالى تجوز به عما قلناه (ماقاله مالك) بن أنس امام أهل الحديث (وسفيان) الثورى رحمهما الله تعالى (وروى عن ابن عباس واختاره غير واحد) أى كثير (من الفقهاء والمتكلمين) أى أهل علم الكلام لان منهم من ذكرها فى السمعيات كمسائل الامامة (أنه) بفتح الهمزة بدل من ما (لا يصلى على غير الانبياء) بانفراده ولا (عند ذكرهم) أى ذكر الانبياء والصلاة عليهم فلا يصلى على غيرهم تبعا والصحيح جوازه تبعا وعود ضمير ذكر لغير واحد يأباه قوله (بل هو) أى المذكور وهو الصلاة وذكر رعاية للخبر (شئ يختص به الانبياء عليهم الصلاة والسلام) لا يشاركهم فيه غيرهم مطلقا وقيل لا يشاركهم فى الانفراد به وفيه نظر (توقيرا لهم وتعزيزا) أى تعظيما وتبجيلا يجعله شعارا لهم (كما يختص الله تعالى عند ذكره بالتنزيه) أراد به قوله سبحانه وتعالى فان معناه أنزهه والانبياء عليهم الصلاة والسلام منزهون عن النقائص ولكن لا يجوز ان يقال فى حقهم ذلك (والتقديس) باطلاق قدس وقدوس ونحوه وهو بمعنى التطهير (والتعظيم المخصوص) به نحو جل جلاله وعز وجل فتعريفه للعهد وليس المراد به هذه المادة لعدم صحته (ولا يشاركه) أى لا يشارك الله (فيه) أى فيما ذكر التنزيه وما بعده (غيره) من نبى وغيره (كذلك يجب تخصيص النبى صلى الله عليه وسلم وسائر الانبياء بالصلاة والتسليم) أى بهما معا (ولا يشارك) مبنى للفاعل أو المفعول هنا (فيه) أى فى ذكر الصلاة والتسليم (سواهم) من غير الانبياء وفى نسخة ولا يشاركهم (كما أمر الله بقوله

صلوا

صلوا عليه وسلموا تسليما) ويذكر من سواهم من الأئمة المجتهدين من الصحابة والتابعين (وغيرهم) من العلماء الصالحين (بالغفران والرضى) وفيه ان الرضى مختص عرفا بالصحابة وان كانوا يدخلون في المغفرة تحت عموم الدعاء (كما قال الله تعالى يقولون) أي الذين جاؤا من بعدهم (ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان) أي ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤف رحيم (وقال تعالى والذين اتبعوهم) وفي نسخة والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم (باحسان) أي بايمان وايقان وطاعة واتقان الى يوم القيامة (رضي الله تعالى عنهم ورضوا عنه وأيضا فهو) أي ذكر الصلاة والسلام على غير الانبياء (امر) ويروى فهذا أمر (لم يكن معروفا في الصدر الاول) أي من السلف والخلف (كما قال أبو عمران) أي الفاسي (وانما احدثته الرافضة) أي التاركة محبة اكثر الصحابة (والمتشيعة) أي المظهرة انهم السابقون والمتابعون (في بعض الائمة) أي من أهل بيت النبوة (فشاركوهم) أي أئمتهم كعلي والحسنين وغيرهم (عند الذكر لهم بالصلاة) وكذا بالسلام فيقولون مثلا علي عليه الصلاة والسلام (وساووهم) أي أئمتهم (بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم في ذلك) أي مقام المرام وهذا لا يليق بالكرام وذكر الانطاكي ان الرافضة فرقة من شيعة الكوفة وسموا بذلك لان زيد بن علي بن حسين بن علي بن أبي طالب خرج على هشام بن عبد الملك فطعن عسكره في أبي بكر وعمر فمنعهم عن ذلك فرفضوه ولم يبق معه الا مائتا فارس فقال لهم رفضتموني أي تركتموني فلقبوا بذلك ثم لزم هذا اللقب كل من غلا في مذهبه واستجاز الطعن في الصحابة والمتشيعة هم الذين ينسبون الى الشيعة وتقدم انهم فرقة يفضلون عليا ويزعمون انهم من شيعته أي اتباعه

صلوا عليه وسلموا تسليما) وقوله المذكور بيان لما ذكر لا دليل لما ذكره لانه ليس فيه جواز الصلاة على غيره ولا منعها عن عداهم لان التخصيص بالذكر لا يفيده ثم بين كيفية الدعاء لغيرهم فقال (ويذكر من سواهم) أي من سوى الانبياء والرسل في الدعاء لهم (من الائمة) أي أئمة الدين أو الخلفاء (وغيرهم) من سائر العلماء والمؤمنين (بالغفران والرضى) فيقال غفر الله تعالى لهم ورضي عنهم (كما قال الله تعالى ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان وقال الله تعالى) والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار (والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم) فيدعى بذلك المذكور من المغفرة والرحمة والترضي لسائر المؤمنين والصحابة وقيل في الاستدلال بما ذكر نظر فان قوله رضي الله عنهم ليس دعاء لهم بل اخبار بان الله رضي عنهم وأعد لهم جنات النعيم ولا يلزمه جواز الدعاء به كما ان اخبار الله بالصلاة على المؤمنين بمعنى رحمتهم لا يدل على جواز الصلاة عليهم وهو مردود بان من رضي الله عنه يدعى له بزيادة رضوانه ولا مانع منه وقياسه على الصلاة قياس مع الفارق وأما ما قيل من انه لا يدعى للصحابة الا برضي الله تعالى عنهم فهو أمر حسن للادب وليس بلازم فلو قال للصحابي رحمه الله تعالى أو غفر له كان حسنا الا اذا أوهم وقوع ذنب ونحوه ومن لا يعلم صحة نبوته كمريم ولقمان والخضر لا يصلى عليهم وقال النووي لا بأس به والارجح ان يقال رضي الله تعالى عنهم وقول امام الحرمين في الارشاد مريم ليست نبية بالاجماع مردود بذهاب بعضهم لنبوتها ورجحه ابن السيد (وأيضا فهو) أي الصلاة عليهم (أمر لم يكن معروفا في الصدر الاول) أي عصر الصحابة ومن قرب منهم والفاء في فهو جواب شرط مقدر أي فان اردت دليلا أوضح مما ذكر فهو والى آخره وفيه بحث سيأتي في آخر هذا الفصل (كما قال أبو عمران) موسى ابن عيسى الفاسي فقيه القيروان كما تقدم قريبا (وانما أحدثته الرافضة والمتشيعة) هما طائفتان من أهل البدع والاهواء المخالفين لاهل السنة والرافضة قيل انهم فرقة من الشيعة وكلاهما من اتفق على تفضيل علي كرم الله وجهه وان الخلافة حقه وسموا رافضة من الرفض وهو الترك لانهم رفضوا زيد بن علي بن الحسين لما طلبوا منه ان يتبرأ من الشيخين وان يقول امامتهما باطلة فابى وقال ان الخلافة فوضت لابي بكر لمصلحة رأوها من تسكين ثائرة الفتنة وتطييب قلوب العامة فتركوه حتى قتل وصلب وليست الشيعة قوما اظهروا ابغض على كما توهم وأصل معنى الشيعة الجماعة مطلقا ثم خص بهؤلاء والذي احدثه هؤلاء انما هو الصلاة على علي وحده فترك ذلك لكونه شعارهم وطردوه في سائر الصحابة حسما لمادة المخالفة فسقط ما قيل ان الكلام في الصلاة على غير الانبياء مطلقا والشيعة انما يصلون على علي فقط فلا مناسبة لما هو بصدده والرافضة اسم جمع لرافضي والمتشيعة اسم جمع لمتشيع من تشيع اذا عد نفسه من الشيعة وفي نسخة الشيعة بدل المتشيعة (في بعض الائمة) المراد علي وأولاده وفي نسخة في بعض أئمتهم (فشاركوهم عند الذكر لهم بالصلاة عليهم) بانفرادهم وان لم يكونوا تبعا له صلى الله عليه وسلم (وساووهم بالنبي صلى الله عليه وسلم في ذلك) أي في قولهم في الدعاء لكل واحد منهم صلى الله عليه وسلم لاعتقادهم عصمتهم وان الامامة العظمى لهم كالنبي صلى الله عليه وسلم فصلوا عليهم

استقلالا كما صلوا عليه (وأيضا) مما يدل على عدم الصلاة على غير الانبياء (فان التشبه باهل البدع) المراد بهم أصحاب المذاهب الباطلة (منهي عنه) شرعا (فتجب مخالفتهم فيما التزموه من ذلك) أي الصلاة على غيره صلى الله تعالى عليه وسلم فيه ان ذلك غير واجب عند من لم يمنعه فتأمله ثم أجاب عما ورد عليه بقوله (وذكر الصلاة على الآل والازواج مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بحكم التبع) والكلام في ذكر الصلاة فلا يرد هذا نقضا عليه (والاضافة اليه) صلى الله تعالى عليه وسلم أي انما ذكر الصلاة عليهم بعد ذكر الصلاة عليه فتعظيمهم بذلك انما هو لكونهم من اتباعه صلى الله عليه وسلم فتعظيمهم تعظيم له في الحقيقة (لا على التخصيص) لهم بذلك (قالوا) أي جمهور العلماء الذاهبين لمنع الصلاة على غيره بانفراده مجيبين عما استدل به من خالفهم (وصلاة النبي صلى الله عليه وسلم على من صلى عليه) بانفراده كقوله اللهم صل على آل أبي أوفى كما تقدم (مجراها مجرى الدعاء) بضم الميم وفتحها فيهما والمجرى المشي السريع والمجرى محل الجري أو الاجراء وجريه في مجراه جعله مثله ومن نوعه أي المقصود بها الدعاء بالرحمة لهم (والمواجهة) لهم بالدعاء لهم بان يرحمهم تعطفا عليهم وجبرا لقلوبهم فهي كالسلام يقال تحية لكل احد تواجهه ولا يقال فلان عليه السلام دون مواجهة لانه في المواجهة يقصد به مجرد معناه الحقيقي وفي ذكره في الغيبة زيادة توقير لا يليق لكل احد كما قال (وليس فيها) أي في المواجهة (معنى التعظيم والتوقير) الذي في الغيبة فانه من خصائص مقام النبوة وهذا مما دل عليه الاستعمال وعرف التخاطب ويدرك بالذوق ومن لم يذق لم يعرف (وقالوا) تاييدا لما ذكر من الفرق بين المواجهة وغيرها تمسكا بقوله (وقد قال الله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا) بالدعاء وقوله بينكم خصه بالمواجهة فلا تنادوه باسمه كما ينادي بعضكم بعضا فلا يقال يا محمد بل يا رسول الله ونحوه فاذا كان له صلى الله تعالى عليه وسلم شأن يخصه فيما يطلق عليه مواجهة ليس لغيره فكذا الدعاء له بغير مواجهة ينبغي ان يكون بغاية التعظيم والتوقير اللائق به دون غيره فسقط ما قيل من انه ليس في هذه الآية مناسبة لمقصوده وما هو بصدده (فكذلك) أي مثل ما يجب له في الدعاء مواجهة (يجب ان يكون الدعاء له) في غير حال المواجهة (مخالفا لدعاء الناس بعضهم لبعض) فلذا خص بالصلاة عليه التي قصد بها التوقير وغاية التعظيم (وهذا) أي اختصاصه بالصلاة استقلالا وفي نسخة هو (اختيار الامام أبي المظفر الاسفرائني من شيوخنا) أي من كبار علماء أهل السنة بقرينة مقابلة الرافضة واسفرائن بلدة بخراسان معروفة وأبو المظفر كنية طاهر بن احمد وهو الملقب بشاه كما تقدم (وبه قال) الامام (أبو عمر بن عبد البر) رحمه الله وتقدمت ترجمته واعلم ان التصلية والتسليم على نبينا صلى الله عليه وسلم مطلوبة أمرنا بالتعبد بها فهي واجبة له على اختلاف محل الوجوب كما تقدم والصلاة على غيره من الانبياء عليهم الصلاة والسلام أيضا استقلالا مستحبة وما نقل عن مالك انها منهي عنها مخالف للقول الصحيح وقال القرطبي انه مجمع عليه والصلاة على غير الانبياء تبعا لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم مستحبة أيضا كما في التشهد فلا عبرة بمن خالف فيه أيضا فلم يبق محل الخلاف غير الصلاة على غير الانبياء بانفرادهم فالصحيح انه مكروه وان كراهته كراهة تنزيه لا تحريم لانه اختص به صلى الله تعالى عليه وسلم كما اختص عز وجل بالله تعالى فلا يقال محمد عز وجل وان كان عزيزا جليلا هذا هو الصحيح فلا يعتد بخلافه وقد قيل ان السلام مثل الصلاة مخصوص بالانبياء أيضا فلا يقال في غيرهم عليه السلام كما صرح به الفقهاء فهو مكروه تنزيها

* (فصل في حكم زيارة قبره صلى الله عليه وسلم) *

أي ذكر ما يتعلق به من سننه وآدابه وما يلزم من اتاه والزيارة مصدر زاره يزوره زيارة ومزارا فالمزار مصدر واسم مكان أيضا والزيارة تختص بمجيء بعض الاحياء لبعض مودة ومحبة هذا أصل معناها لغة واستعمالها في القبور للاموات لاعطائهم حكم الاحياء

(وأيضا فان التشبه باهل البدع منهي عنه فيجب مخالفتهم فيما التزموه من ذلك) أي وجعلوه شعارا لهم هنالك (وذكر الصلاة على الآل والازواج مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بحكم التبع) أي له صلى الله تعالى عليه وسلم (والاضافة اليه) أي فهو جائز (لا على التخصيص) أي بحكم الاستقلال (قالوا) أي العلماء المحققون (وصلاة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم على من صلى عليه) أي من آل أبي أوفى ونحوه (مجراها مجرى الدعاء) أي مجرى تلك الصلاة محمول على مجرى الدعاء والرحمة (والمواجهة) أي بحسن المقابلة حال المعاشرة (ليس فيها معنى التعظيم والتوقير) أي الذي اختص بارباب الكمال (قالوا) أي العلماء وقد قال تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا) أي في المناداة باسمه وفي رفع الصوت عنده (فكذلك يجب أن يكون الدعاء له مخالفا لدعاء الناس بعضهم لبعض) أي ليتميز به عن غيره (وهذا اختيار الامام أبي المظفر الاسفرائني) بكسر الهمزة وتفتح وفتح الفاء وكسر (من شيوخنا) أي الفقهاء المالكية (وبه قال أبو عمر بن عبد البر) رحمه حافظ المغرب في البحر والبر

(فصل) في حكم زيارة قبره عليه السلام

وصار

وصار حقيقة عرفية فيه لشيوعه فيها (وفضيلة من زاره) بالجر عطفا على الحكم أو على ما أضيف اليه والضمير له صلى الله تعالى عليه وسلم أولقبره وفضيلته ما يستحقه من الثناء والثواب (وسلم عليه وكيف يسلم) من زاره صلى الله تعالى عليه وسلم أى ما يقوله ويفعله عند الزيارة (ويدعوله) أى وكيف يدعوله صلى الله عليه وسلم عند زيارته بما يليق بمقامه (وزيارة قبره سنة) مأثورة مستحبة (مجمع عليها) أى على كونها سنة ولا عبرة بمن خالف فيها كابن تيمية كما سيأتى بيانه (وفضيلة مرغب فيها) بصيغة المفعول مشددة الغين المعجمة أى رغب السلف فيها وحثوا عليها وزيارة القبور اما ليتذكر بها الموت ويتعظ وهذا يجرى فى جميعها أولدعاء لاهلها المسلمين كما زار صلى الله تعالى عليه وسلم البقيع وهذا مستحب أوللتبرك بمن فيها من الانبياء والصالحين فينتفع بزيارتهم فذهب بعض المالكية الى انه مخصوص بالانبياء وانه فى غيرهم بدعة واما فى الانبياء فهى مشروعة وتوقف فيه السبكى وقد يقصد بالزيارة برهم واكرامهم كزيارة قبر الوالدين ومن عليه حق لاكرامه فان الميت يكرم كالحى وقد يقصد بالزيارة تأنيس الميت ورحمته وهو مستحب أيضا لما روى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم ان الميت آنس ما يكون اذا زاره من كان يحبه فى دار الدنيا وزيارته صلى الله عليه وسلم جامعة لهذه المعانى كلها فلهذا كانت سنة وان كان غنيا عن الدعاء وما عدا ذلك بدعة كتقبيل القبور وغيره مما يفعله العوام (روى عن ابن عمر) رواه ابن خزيمة والبزار والطبرانى والذهبى وحسنه وله طرق وشواهد تعضده والطعن فى رواته مردود كما بينه السبكى واطال فيه وقول البيهقى انه منكر يجاب عنه بان معناه انه تفرد به رواته والفرد قد يطلق عليه ذلك كما قاله أحمد فى حديث دعاء الاستخارة مع انه فى الصحيحين وقول الذهبى طرقه كلها لينة يقوى بعضها بعضا لا ينافيه لان غايته انه بتسليم ذلك حسن أو هو يطلق عليه الصحة كما بين فى محله وفى نسخة هنا (حدثنا القاضى أبو على) تقدمت ترجمته قال (حدثنا أبو الفضل بن خيرون) تقدم أيضا قال (حدثنا الحسن) بن جعفر قال (حدثنا أبو الحسن على بن عمر الدارقطنى) المشهور كنار على علم قال (حدثنا القاضى المحاملى) قال (حدثنا محمد بن عبد الرزاق) قال (حدثنا موسى بن هلال عن عبد الله) بن عمر عن نافع (عن ابن عمر) رضى الله تعالى عنهما فذكره (انه قال قال النبى صلى الله عليه وسلم من زار قبرى وجبت له شفاعتى) أى سؤالى الله له ان يتجاوز عنه مكافأة ومعنى وجبت تحققت وثبتت فهى ثابتة له بالوعد الصادق لابد منها وليس المراد به الوجوب الشرعى وروى حلت له شفاعتى والمراد انه يخصه بشفاعة ليست لغيره واضافته لنفسه للتنويه به والتعظيم قال شيخ والدى الشيخ شهاب الدين أحمد بن حجر الهيتمى وأفاد قوله له مع عموم شفاعته له ولغيره انه يخص بشفاعة تناسب عظيم عمله اما بزيادة النعيم واما بتخفيف الاهوال عنه فى ذلك اليوم واما بكونه من الذين يحشرون بلا حساب واما برفع درجات فى الجنة واما بزيادة شهود الحق والنظر اليه واما بغير ذلك مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر هذا كله ان أريد انه يخص بشفاعة لا تحصل لغيره ويحتمل ان يراد انه يفرد بشفاعة مما يحصل لغيره والافراد للتشريف والتنويه بسبب الزيارة وان يراد انه ببركتها يجب دخوله فيمن تناله الشفاعة فهو بشرى بموته مسلما فيجرى على عمومه ولا يضمن فيه شرط الوفاة على الاسلام والا لم يكن لذكر الزيارة معنى لان الاسلام وحده كاف فى نيل مثل هذه الشفاعة بخلافه على الاولين وافادت اضافة الشفاعة له صلى الله عليه وسلم انها شفاعة عظيمة جليلة اذهى تعظم بعظم الشافع ولا اعظم منه صلى الله تعالى عليه وسلم ولا أعظم من شفاعته ثم أشار الى ان هذا الثواب العظيم وهو الفوز بتلك الشفاعة العظيمة منه صلى الله تعالى عليه وسلم لا تحصل الالمن أخلص وجهته فيها بان لا يقصد بها أو معها أمرا آخر ينافيها بقوله (وعن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من زار قبرى فى المدينة محتسبا) أى ناويا بزيارته وجه الله تعالى من غير غرض مخلصا فى نيته وقصدا كرامه

وفضيلة من زاره وسلم عليه وكيف يسلم ويدعو وزيارة قبره عليه السلام سنة من سنن المسلمين مجمع) ويروى مجتمع (عليها) أى مجتمع على كونها سنة وممن ادعى الاجماع النووى وابن الهمام بل قيل انها واجبة (وفضيلة مرغب فيها روى عن ابن عمر) فيما رواه ابن خزيمة والبزار والطبرانى وله طرق وشواهد حسنه الذهبى لاجلها (قال قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من زار قبرى وجبت له شفاعتى) أى حقت وثبتت وفى رواية حلت رواه الدارقطنى وغيره وصححه جماعة من ائمة الحديث (وعن أنس ابن مالك قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من زارنى فى المدينة محتسبا) أى ناويا ذلك الجناب وطالبا للثواب ليس له غرض آخر فى هذا الباب فعن عمر رضى الله تعالى عنه أيها الناس احتسبوا أعمالكم فان من احتسب عمله كتب له أجر عمله وأجر حسبته

(كان فى جوارى) بكسر الجيم أى مجاورى وفى نسخة بضم الجيم أى فى ذمتى وعهدى وجيرتى (وكنت له شفيعا يوم القيامة) قال الدجى لا أعرف من رواه قلت قد رواه العقيلى وغيره بلفظ من زارنى متعمدا كان فى جوارى يوم القيامة ورواه البيهقى ولفظه من زارنى محتسبا الى المدينة كان فى جوارى يوم القيامة وروى أبو عوانة من زارنى بالمدينة محتسبا كنت له شهيدا وشفيعا يوم القيامة (وفى حديث آخر) أى مما رواه البيهقى وسعيد بن منصور فى سننهما والدارقطنى والطبرانى وأبو يعلى وابن عساكر عن ابن عمر رضى الله عنهما (من زارنى بعد موتى) وفى رواية بعد وفاتى (فكأنما زارنى فى حياتى) والاحاديث فى هذا الباب كثيرة والروايات فيها شهيرة منها ما رواه على مرفوعا من زار قبرى بعد موتى فكأنما زارنى فى حياتى ومن لم يزر قبرى فقد جفانى وقد استدل به على وجوب الزيارة بعد الاستطاعة وعن أنس بسند ضعيف بلفظ ما من أحد من أمتى له سعة ثم لم يزرنى الا وليس له عذر وعن ابن عدى بسند يحتج به من حج البيت ولم يزرنى فقد جفانى ٥١٢ (وكره مالك رحمه الله) قال ابن تيمية وتبعه طائفة فى ذلك (ان يقال زرنا قبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقد اختلف فى معنى ذلك) أى الداعى كراهية مالك (فقيل كراهية الاسم) وفى نسخة كراهية للاسم وفى أخرى كراهة الاسم أى اسم الزيارة (لما ورد) أى فى رواية أحمد والترمذى وابن حبان عن أبى هريرة رضى الله عنه (من قوله عليه السلام لعن الله زوارات القبور) بفتح الزاى وتشديد الواو أى المبالغات فى زيارة القبور وفيه انه عليه السلام انما لعنهن لانهن مامورات بالقرار فى بيوتهن فلا يصلح زيارتها لهن نعم قد يؤخذ منه انه لا يسن فى حقهن زيارته عليه السلام كما قال به بعض الاعلام لكن الاصح انه لا يكره لهن ذلك اذا أمن شرائط فيما هنالك (وهذا) أى الاستدلال (يرده قوله) أى فيما رواه مسلم (كنت نهيتكم) وفى نسخة من الكتاب نهيتم (عن زيارة القبور فزوروها) وفى نسخة بزيادة ولا تقولوا هجرا بضم الهاء وسكون الجيم أى كلاما يوجب اثما وفيه بحث اذ يحتمل ان يكون خطاب الرجال بعد خطاب النساء فيكون الحكم الثانى فى حقهم ناسخا لا فى حقهن ويؤيده التعليل فى حقهن بانهن قليلات الصبر كثيرات الجزع والفزع لا يملكن أنفسهن من الصياح والنياح واما التعليل فى حقهم فلان أمواتهم فى صدر الاسلام كانوا كفرة فمنعوا عن زيارة قبورهم فلما كثر أموات المسلمين أجازهم زيارتهم لما فيها من العبرة لاهل الحياة ومنفعة الدعوة للاموات فهذا حديث اجتمع فيه الناسخ والمنسوخ (وقوله) أى ويرده أيضا قوله فيما رواه عن ابن عمر وغيره مرفوعا

لا ينوى غيره والاحتساب افتعال من الحساب معناه الاعتداد والاسم منه الحسبة وعن عمر رضى الله عنه أيها الناس احتسبوا أعمالكم فان من احتسب عمله كتب له أجر عمله وأجر حسبته فالمراد ان يقصد بالزيارة اكرامه صلى الله عليه وسلم وتفويض أجره فيه الى الله تعالى (كان فى جوارى) أى له منزلة رفيعة فى الآخرة أو المراد انه يكون فى امانه وعهده فلا يناله مكروه أصلا والجوار مصدر بكسر الجيم وضمها والكسر أفصح (وكنت له شفيعا يوم القيامة) المراد به شفاعة خاصة غير الشفاعة العامة فان له شفاعات كما تقدم وفى قوله فى المدينة اعلام بانه صلى الله عليه وسلم يموت بالمدينة ويدفن بها فهو من اخباره صلى الله عليه وسلم بالمغيبات وان كان لا تدرى نفس باى أرض تموت (وفى حديث آخر) رواه البيهقى والدارقطنى والطبرانى وسعيد بن منصور عن ابن عمر (من زارنى بعد موتى فكأنما زارنى فى حياتى) لانه صلى الله عليه وسلم حى فى قبره يدرى بمن يزوره ويرد سلامه كما تقدم وروى هذا بلفظه من طرق كثيرة (وكره مالك ان يقال زرنا قبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) هكذا روى عنه (وقد اختلف فى معنى ذلك) وما اراده مالك رحمه الله لانه خلاف المعروف بين الناس (فقيل كراهة الاسم) أى اسم الزيارة واطلاقها (لما ورد من قوله صلى الله تعالى عليه وسلم لعن الله زوارات القبور) فلعنهن من حيث انهن زوارات يقتضى ذم الزيارة وهذا رواه أحمد والترمذى وابن حبان عن أبى هريرة (وهذا يرده قوله صلى الله تعالى عليه وسلم (نهيتم) بالبناء للمجهول والرواية كنت نهيتكم (عن زيارة القبور فزوروها ولا تقولوا هجرا) فهذا ناسخ له لانه أمر بعد نهى وهذا الدليل وجوابه أوهن من بيت العنكبوت لان الاول فى حق النساء المكثرين للزيارة وهذا المطلق زيارة الرجال ودخول النساء تغليبا لا يسلمه المعترض ولكن عهدته على قائله لا على المصنف رحمه الله فانه ناقل غير مرتض لما نقله وقيل ان الحديث الاول خاص بزوارات القبور المتخذات عليها مساجد وسرجا كما ورد مصرحا به فى حديث رواه أبو داود والترمذى وحسنه فليس بمنسوخ والحديثان مرويان فى السنن من طرق صحيحة ولما كان هذا فى غير ما نحن فيه من اطلاق الزيارة على قبره صلى الله عليه وسلم أورد ما يدل عليه أيضا فقال (وقوله) صلى الله عليه
وسلم

(من زار قبري) أي وجبت له شفاعتي أو حلت له شفاعتي (فقد أطلق اسم الزيارة) أي فلم تكن الكراهة لاسم الزيارة (وقيل) أي في توجيه كلام مالك (لان ذلك لما قيل) أي لقول بعضهم (ان الزائر أفضل من المزور وهذا) أي الاستدلال (أيضا ليس بشئ) أي معتد به وفي نسخة ليس بين أي بظاهر ولم يلتفت اليه (اذ ليس كل زائر بهذه الصفة) بل الغالب عكسه في العرف والعادة (وليس هذا) أي هذا القول (عموما) أي عاما في كل زائر (وقد ورد في حديث أهل الجنة زيارتهم لربهم ولم يمنع هـذا اللفظ) أي اطلاق لفظ الزيارة (في حقه تعالى) ففي حق نبيه عليه السلام بالاولى فلا يصح الاستدلال بها المبني على هذا المعنى وزيد في بعض النسخ هنا (وقال أبو عمران) أي الفاسي وفي كثير من النسخ أبو عمر وهو ابن عبد البر (انما كره مالك ان يقال طواف الزيارة وزرنا قبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لاستعمال الناس ذلك بعضهم لبعض) أي فيما بينهم (فكره تسوية النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مع الناس) أي عمومهم (بهذا اللفظ واحب ان يخص بان يقال سلمنا على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) وفيه ان السلام أيضا يستعمل عاما فلا يكون التعليل تاما (قال وأيضا فان الزيارة مباحة بين الناس وواجب شد الرحال) وفي نسخة شد المطي (الى قبره عليه السلام يريد بالوجوب هنا وجوب ندب وترغيب وتأكيد لا وجوب فرض) أي موجب تهديد وفيه ان لفظ الزيارة قصية لغوية كالحج والعمرة والصلاة والزكاة وأمثالها والوجوب والندب والنافلة من الاحكام الشرعية (والاولى عندي ان منعه) أي منع هذا القول هنالك (وكراهة مالك له) أي لذلك لاضافته الى قبر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (وانه) بكسر الهمزة وفتحها (لو قال زرنا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لم يكرهه) أي مالك ومن تبعه وانما ذلك (لقوله عليه الصلاة والسلام اللهم لا تجعل قبري وثنا) أي كالوثن وهو الصنم (يعبد بعدي) أي بعد موتي (اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) أي يسجدون لها كما يسجدون للاوثان كما فعله بعض النصارى

وسلم في الحديث الذي تقدم روايته عن ابن عمر (من زار قبري فقد أطلق اسم الزيارة) فدل على ان الكراهة التي رويت عن مالك ليست لهذا كما توهم (وقيل) وجه كراهته (لان ذلك لما قيل ان الزائر أفضل من المزور) هو من يزار ولا يقال فيه مزار بضم الميم وقول العامة الزائر في قبضة المزار خطأ قبيح (وهذا أيضا) كالذي قبله (ليس بشئ) يعتد به بل عكسه أقرب الى الصواب منه (اذ ليس كل زائر بهذه الصفة) وهي الافضلية فقد يكون مساويا له وأدنى منه (وليس عموما) في كل زائر (وقد ورد في حديث أهل الجنة زيارتهم لربهم) في الجنة وهم عبيده لا مناسبة بينهم وبينه في العظمة فكيف يتوهم هذا (ولم يمنع) اطلاق (هذا اللفظ في حقه تعالى) ولو كان كذلك لم يجز وحديث الزيارة روي على وجوه منها ما رواه أبو نعيم عن علي كرم الله وجهه اذا سكن أهل الجنة الجنة أتاهم ملك يقول ان الله تعالى يأمركم ان تزوروه فيجتمعون ثم توضع لهم مائدة الحديث وقال أبو عمران رحمه الله انما كره مالك ان يقال طواف الزيارة وزرنا قبر النبي صلى الله عليه وسلم لاستعمال الناس ذلك بينهم بعضهم لبعض فكره تسوية النبي صلى الله عليه وسلم مع الناس بهذا اللفظ وارخص بان يقال سلمنا على النبي صلى الله عليه وسلم وأيضا فان الزيارة مباحة بين الناس وواجب شد المطي الى قبره صلى الله عليه وسلم يريد بالوجوب هنا وجوب ندب وترغيب وتأكيد (والذي عندي) في وجه الكراهة عنده وفي نسخة والاولى عندي أي في اعتقادي وحكمي في توجيه الكراهة عنده (ان منعه) من اطلاق الزيارة على قبره (و) وجه (كراهة مالك له) أي لقولهم زرنا قبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (للاضافة) أي نسبة الزيارة (الى قبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) بايقاعها عليه فليست الاضافة هنا نحوية بل عرفية ودلالية بذكر القبر وجعله مزورا (وانه لو قال) كل قائل (زرنا النبي) صلى الله تعالى عليه وسلم بدون ذكر القبر (لم يكرهه) أي على ما يأتي قيل وهو مناف لما قدمه من حديث ابن عمر من زار قبري وجبت له شفاعتي الا ان يقال انه ضعيف وان الصحيح حديث أنس من زارني بدون ذكر القبر الا انه غير مسلم لان عبد الحق رواه في الاحكام ولم يتعقبه وتقدم الكلام أيضا فيه (لقوله صلى الله عليه وسلم اللهم لا تجعل قبري وثنا) أي كالوثن وهو الصنم من الحجارة (يعبد بعدي) أي بعد وضعي فيه وقيل الفرق بين الوثن والصنم الاول ما كان نحتا من حجارة وغيرها والثاني ما كان صورة مجسمة وقيل هما بمعنى فيطلقان عليهما وهو المشهور (اشتد غضب الله تعالى على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) أي يسجدون لها كما يسجدون للاوثان قال الشراح هنا كالنصارى وهو مشكل كما تقدم لان نبي النصارى عيسى صلى الله عليه وسلم ولا قبر له فانه رفع الى السماء اللهم الا ان يقال انه تغليب أي قبور كبارهم ممن يعتقدونه ويعظمونه الا انه بعيد جدا ولا حاجة لتفسير الحديث هنا بهذا نعم وقع في حديث آخر لعن

(لحمى) أي صان مالك (اضافة هذا اللفظ) أي لفظ الزيارة (الى القبر والتشبه بفعل أولئك) أي العامة (قطعا للذريعة) أي الوسيلة (وحسما) أي قطعا (للباب) أي لفتح هذا الباب (والله أعلم) أي بالصواب وفيه انه قد ورد بروايات متعددة التصريح بهذه اللفظة فلا يلتفت الى هذه العلة منها ما رواه أبو داود الطيالسي من زار قبري كنت له شفيعا أو شهيدا ومنها حديث علي مرفوعا من زار قبري بعد موتي فكأنما زارني في

حياتي ومن لم يزر قبري فقد جفاني وجاء عنه موقوفا من زار قبر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان في جواره عليه السلام على أنا اذا قلنا زرناه فالمعنى زرنا قبره لانه لا يتصور زيارة ذاته حقيقة ولهذا المعنى ورد من زارني بعد مماتي فكأنما زارني في حياتي بلفظ التشبيه مع ان المعتقد انه وسائر الانبياء في قبورهم من الأحياء فانهم أولى بذلك من الشهداء بل قولنا زرنا قبره أولى من زرناه عند التحقيق والله ولي التوفيق هذا وما وقع للشعبي والنخعي مما يقتضي كراهة زيارة القبور شاذ لا يعول عليه لمخالفته اجماع غيرهما وقد فرط ابن تيمية من الحنابلة حيث حرم السفر لزيارة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كما افرط غيره حيث قال كون الزيارة قربة معلومة من الدين بالضرورة وجاحده محكوم عليه بالكفر ولعل الثاني أقرب الصواب لان تحريم ما أجمع العلماء فيه بالاستحباب يكون كفرا لانه فوق تحريم المباح المتفق عليه في هذا الباب نعم يمكن حمل كلام من حرم أو كره على صورة خاصة من الزيارة من الاجتماع في وقت خاص على هيئة منكرة أو صفة مكروهة من اجتماع الرجال والنساء في وقت واحد لما فيه من اتخاذ قبره عيدا الموجب لما ورد فيه وعيدا

(قال

الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد وهذا يشكل عليه ما ذكرناه ويحتاج الى الجواب عما قلناه والمصنف لم يورده هنا فلا حاجة الى الكلام عليه واعلم ان هذا الحديث هو الذي دعا ابن تيمية ومن تبعه كابن القيم الى مقالته الشنيعة التي كفروه بها وصنف فيها السبكي مصنفا مستقلا وهي منعه من زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم وشد الرحال اليه وهو كما قيل

لمهبط الوحي حقا ترحل النجب * وعند ذاك المرجى ينتهي الطلب

فتوهم انه حمى جانب التوحيد بخرافات لا ينبغي ذكرها فانها لا تصدر عن عاقل فضلا عن فاضل سامحه الله تعالى عز وجل واما قوله صلى الله عليه وسلم الآتي لا تتخذوا قبري عيدا فقيل كره الاجتماع عنده في يوم معين على هيئة مخصوصة وقيل المراد لا تزوروه في العام مرة فقط بل أكثروا الزيارة له كما مر واما احتماله للنهي عنها فهو بفرض انه المراد محمول على حالة مخصوصة أي لا تتخذوه كالعيد في العكوف عليه واظهار الزينة عنده وغيره مما يجتمع له في الاعياد بل لا يؤتى الا للزيارة والسلام والدعاء ثم ينصرف (لحمى) أي صان مالك رحمه الله (اضافة هذا اللفظ) أي لفظ الزيارة اضافة معنوية (الى القبر) يعني قبره الشريف صلى الله تعالى عليه وسلم (والتشبه بفعل أولئك) الكفرة الذين اتخذوا قبور الانبياء مواطن للسجود (قطعا للذريعة وحسما) أي قطعا وسدا (للباب) أي باب الذريعة وهذا مبني على سد الذرائع التي هي من قواعد مذهب مالك وقد قدمنا تحقيقه (والله تعالى أعلم) بمراد مالك فيما قاله وهذا كما قيل مما يتعجب منه فانه لا تشبيه فيه بوجه من الوجوه أصلا بفعل أولئك فالظاهر انه لم يصح عنه وانما المروي عنه كما وقع هنا في بعض النسخ (وهو كما قال أبو عمران) موسى بن عيسى الفاسي فقيه القيروان وقد تقدمت ترجمته (انما كره ان يقال طواف الزيارة) الذي يكون بعد رمي الجمار فقال انما يقال له طواف الافاضة وطواف الصدر لانه لا معنى للزيارة هنا عنده وان خالفه في اطلاقه غيره فالتبس عليهم كراهة اطلاق الزيارة في كلام مالك وفي نسخة بدل هذه النسخة قبل قوله والذي عندي الى آخره وقال أبو عمران انما كره مالك الى آخر ما تقدم *(تنبيه)* ما ادعى المصنف رحمه الله تعالى انه الاولى لا وجه له رواية ودراية فقد ورد اطلاق الزيارة لقبره في أحاديث كثيرة منها ما رواه ابن عمر انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال من حج فزار قبري بعد موتي كان كمن زارني في حياتي وصحبني الا ان قوله وصحبني تفرد به بعض رواته كما قاله ابن عساكر وقال ابن حجر انها زيادة منكرة ورد بان له متابعات وليس التشبيه من كل الوجوه فلا ينافي خبر لو انفق أحدكم مثل أحد ذهبا الحديث وروى أيضا في معناه أحاديث كثيرة قال السبكي كأنهم لم تبلغ مالكا رحمه الله مع انه روي عنه أيضا كراهة ان يقال زرنا النبي لانه أعظم من ان يزار ولانه اشتهر في الموتى وهو صلى الله عليه وسلم حي في قبره وقيل كرهه لان الذهاب ليس لصلته ونفعه وانما هو رغبة في الثواب قال السبكي وهو الاقرب في توجيه كلام مالك وان كان المختار الصحيح انه لا يكره شيء من ذلك وقيل كرهه لان الزيارة من شاء فعلها ومن شاء تركها وهي كالواجب عنده واختار ابن رشد انه انما كره لفظ القبر لانه صلى الله عليه وسلم حي

(قال اسحق بن ابراهيم الفقيه وممالم يزل) أى من قديم الايام (من شأن من حج) أى من تريده من قصد (بيت الله الحرام المرور بالمدينة) أى مدينة الاسلام لزيارته عليه الصلاة والسلام أى اماقبل الحج واما بعده (والقصد) أى أيضا (الى الصلاة فى مسجد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) لما ورد فيه من مزيد المضاعفة فى تلك المحال الكرام اذ قدورد ان الصلاة فيه بمائة ألف (والتبرك برؤية روضته) أى خصوصا (ومنبره وقبره ومجلسه) أى محل جلوسه فى المسجد ومكان صلاته عند الاسطوانات وغيرها (وملامس يديه ومواطئ قدميه) أى فى نحو المنبر (والعمود الذى كان يستند اليه) وفى نسخة يسند وفى الصحاح سندت الى الشئ واستندت اليه بمعنى (وينزل جبرائيل بالوحى فيه) أى فى حال استناده (عليه وبمن عمره) أى والتبرك بمن عمر مسجده مبنى ومعنى وقيل أى زاره (وقصده) أى بمن قصده (من الصحابة وأئمة المسلمين) أى من التابعين واتباعهم من المجتهدين والعلماء والصالحين (والاعتبار) بالرفع (بذلك) أى بما ذكره (كله) أى جميعه والحاصل انه لامنع من الجمع بين النيات فى تحصيل الطاعات لكن ينبغى أن يكون الغرض الاصلى بعد حج فرض الاسلام زيارته عليه الصلاة والسلام ويتبعها حضور مشاهدة الكرام (وقال ابن أبى فديك) بالتصغير وثقه جماعة واحتج به أصحاب الكتب الستة (سمعت بعض من أدركت يقول بلغنا) أى فى الحديث (انه) أى الشأن (من وقف عند قبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فتلا هذه الآية) وهى قوله تعالى (ان الله وملائكته يصلون على النبى) الظاهر انه يقرأ ما بعدها أيضا وهو يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما (ثم قال صلى الله تعالى عليك) الاولى أن يزيد وسلم (يا محمد) الاولى أن يقول يا نبى الله ونحوه (من يقولها سبعين مرة ناداه ملك صلى الله تعالى عليك يا فلان) أى باسمه (ولم تسقط له) وفى نسخة لك (حاجة) بل ترفع والمعنى قضيت كل حاجة له دنيوية أو أخروية والحديث رواه البيهقى من طريق ابن أبى الدنيا

(قال اسحق بن ابراهيم الفقيه وممالم يزل من شأن من حج) أى انه استمر من عادة السلف اذا حجوا أن يأتوا (المزور) قيل انه بكسر الميم وسكون الزاى المعجمة وفتح الواو مصدر ميمى بمعنى الزيارة وقوله (بالمدينة) متعلق به وهو تكلف لايخفى ولا رواية تدعو اليه والظاهر كما فى بعض النسخ انه بضم الميم وراءين مهملتين مصدر مر أى من حج يمر بالمدينة ويقصدها ويدل عليه قوله (والقصد الى الصلاة فى مسجد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اقتداء به صلى الله عليه وسلم فانه كان اذا قدم من سفر دخل المسجد وصلى فيه (والتبرك برؤية روضته) وهى ما بين قبره الشريف (ومنبره) سميت روضة لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم فيها انها روضة من رياض الجنة (وقبره) وكيفية التبرك به ستأتى (ومجلسه) أى موضع جلوسه فى الروضة المأثور (وملامس يديه) أى المحال التى لمسها بيده الشريفة فى سجوده فيها (ومواطئ قدميه والعمود الذى استند اليه) باسناد ظهره الشريف اليه فى جلوسه (ومنزل جبريل بالوحى فيه عليه) وكان مراده انه يقصد التبرك بمسجده الشريف لانه كان محلا لما ذكر وان لم يكن ذلك متعينا الآن فان نقل تعين شئ من ذلك عمل به ذلك رزقنا الله تعالى عز وجل الفوز بالوصول الى السعادة العظمى بمشاهدة تلك المآثر والمشاهد بجاه محمد صلى الله تعالى عليه وسلم (وبمن عمره) بتخفيف الميم أى سكنه واما بتشديد الميم فمن التعمير وهو بلوغ العمر بضم الميم أى مدة الحياة كما اعتمده أهل اللغة (وقصده من الصحابة وأئمة المسلمين والاعتبار بذلك كله) أى الاعتناء به تعظيما وتكريما أو التفكر فيهم وفى مآثرهم (وقال ابن أبى فديك) محمد بن اسمعيل بن مسلم بن أبى فديك بضم الفاء ودال مهملة وياء تصغير وكاف الامام الثقة روى عنه الستة وأحمد وتوفى سنة مائتين وله ترجمة فى الميزان وحديثه هذا رواه البيهقى (سمعت بعض من أدركت) يقال أدركت فلانا اذا أدركت زمانه ورآه والمراد من أدركه من العلماء والصلحاء (يقول انه من وقف عند قبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) متوجها له (وقال) تاليا (هذه الآية ان الله وملائكته الخ ثم قال) بعد تلاوتها (صلى الله عليك يا محمد سبعين مرة ناداه ملك صلى الله عليك يا فلان ولم تسقط له حاجة) وفى رواية ولم تسقط لك اليوم حاجة أى لا ترد ولا تخيب شبه عدم قبولها بسقوط شئ وتضييع منه وخص السبعين لانها محل الاجابة كما قال الله تعالى ان تستغفر لهم سبعين مرة وقد قيل على هذا انه ينافى ما قالوه كما مر من انه لا يجوز نداؤه باسمه يا أحمد يا محمد فى حياته وبعد مماته لقوله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا بل يقال يا رسول الله ونحوه تعظيما وكذا لا ينادى بكنيته كأبى القاسم وقد تقدم فان كان هذا مأثورا عنه فيغتفر اتباعا للمأثور ولتقديم تعظيمه هنا بقوله صلى الله عليك فليتأمل هذا وفى الدر المنظم بعد ذكره اخراج البيهقى لما ذكر عن ابن أبى فديك ما نصه ولا دليل فيه لجواز ندائه صلى الله تعالى عليه وسلم باسمه فقد صرح أئمتنا بحرمة ذلك وظاهره انه لا فرق بين أن يتقدمه له تعظيم له وان لا وهو ظاهر

خلافالمن بحث تخصيصه بالثانى وذلك لما فى النداء بالاسم وان تقدمه تعظيم كما هو جلى من ترك التعظيم اذ مثله يقع من بعضنا لبعض وما تقدمه لا نظر اليه لانقضائه قال أئمتنا وانما ينادى بنحو يا نبى الله يا رسول الله فقول الزين المراغى رحمه الله تعالى الاولى لمن عمل بالاثر ان يقول يا رسول الله وهم بل الصواب ان ذلك واجب لا أولى انتهى (وعن يزيد ابن أبى سعيد المهرى) بفتح الميم نسبة الى مهرة قبيلة وهو محدث مشهور أخرج له مسلم رحمه الله تعالى وغيره قال (قدمت على عمر بن عبد العزيز) أى أتاه قاصدا له واجتمع به (فلما ودعته) أى لما أردت الانصراف من عنده (قال لى اليك حاجة) أسئلك قضاءها وهى انك (اذا أتيت المدينة سترى قبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اذا زرته فاذا رأيته (فاقرأه منى السلام) أى بلغه سلامى وانى مسلم عليه يقال قرأ عليه واقرأه السلام اذا بلغه سلاما من غائب عليه وقيل لا يقال اقرأه الا اذا كان مكتوبا والمشهور انهما بمعنى وهو الذى يناسب الحديث الذى نحن فيه (وقال غيره) أى غير يزيد المذكور والقائل هو حاتم بن وردان كما ذكره البيهقى فى شعب الايمان (وكان) أى عمر بن عبد العزيز الخليفة المشهور والجليل المقدار (يبرد) بضم أوله من ابرد بمعنى أرسل (اليه) صلى الله تعالى عليه وسلم (البريد من الشام) لانها كانت مقر الخلفاء أى يرسل رسولا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليبلغه سلامه ويقرأه السلام لا لقصد غير ذلك البتة وكان ذلك فى صدر زمن التابعين ولم ينكر ذلك أحد منهم فالبريد كما علمت هو الرسول الذى يكون مستعجلا لتبليغ أمر الخلفاء ونحوهم وهو فى الاصل فارسى معرب من بريدة دم أى مقطوع الذنب لانهم كانوا يضعون فى المنازل بغالا تركبها الرسل لتبليغ الاخبار بعجلة ويجعلون قطع أذنابها علامة لها ثم أطلق على الرسول وصار حقيقة فيه مطلقا وقيل سمى الرسول بريدا لانه يقطع البريد وهو اثنى عشر ميلا وصاحب البريد رجل يعد لتبليغ الاخبار وأحوال البلاد والولاة وأصحاب البريد قوم معدون لذلك عندهم براذين سيارة فاذا وقع أمر عظيم وجههم صاحب البريد للاخبار به وكان من دأب السلف انهم يرسلون السلام الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكان ابن عمر يفعله ويرسل له عليه الصلاة والسلام السلام ولابى بكر وعمر رضى الله عنهما ورسول الله صلى الله عليه وسلم وان كان يبلغه سلام من سلم عليه وان كان بعيدا عنه لكن فى هذا فضيلة خطابه عنده ورده عليه السلام بنفسه كما مر الا انه قيل انه لا يجب عليه تبليغه بخلاف من قال سلم لى على فلان فانه يجب عليه أداء أمانته له أى ان لم يصرح له بعدم القبول كما هو ظاهر ويجب على المسلم عليه الرد بلسانه فورا كما لو كان المسلم حاضرا وفرق بينهما بان القصد بالسلام ابتداء وردا من الاحياء التواصل وعدم التقاطع الذى يغلب وقوعه بين الاحياء وحينئذ فارسال السلام للغائب القصد به مواصلته وعدم مقاطعته واذا كان هذا هو القصد به كان تركه مع تحمله تسببا أو وسيلة الى المقاطعة المحرمة أى من شأنه ذلك وللوسائل حكم المقاصد وأما ارسال السلام له صلى الله تعالى عليه وسلم فالقصد به الاستمداد منه وعود البركة على المسلم فتركه ليس فيه الا عدم اكتساب فضيلة للغير فالتبليغ سنة لا واجب ولا يقال تفويت الفضائل على الغير حرام لانا نقول فرق واضح بين عدم اكتساب الفضيلة للغير وتفويت الفضيلة الحاصلة على الغير *(فائدة)* قال صاحب القاموس فى رسالة الصلاة له أن السلام عليه صلى الله تعالى عليه وسلم عند قبره الشريف أفضل من الصلاة عليه أى للاخبار الكثيرة ومنها ما من أحد يسلم على عند قبرى الخ وفيه نظر ثم رأيت فى الدر المنظم بعد ذكره له ويعارضه ما تقدم انه تعالى يصلى هو وملائكته على المصلى بدل الصلاة الواحدة عشرا أو مائة على ما مر وصلاة الله أفضل من رده صلى الله تعالى عليه وسلم على انه مر انه صلى الله عليه وسلم يرد الصلاة عليه كالسلام فالاولى

(وعن يزيد ابن أبى سعيد المهرى) بفتح ميم وسكون هاء فراء فياء نسبة (قدمت على عمر بن عبد العزيز فلما ودعته قال لى اليك حاجة) أى وهى انك (اذا أتيت المدينة سترى قبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) أى حقيقة أو مجازا وهو محله وحوله (فاقرأه منى السلام) يجوز قطع همزة وكسر رائه ويجوز وصل أوله وفتح عينه والحديث رواه ابن أبى الدنيا من طريق البيهقى فى الشعب عنه (قال غيره) أى غير المهرى وهو حاتم ابن وردان كما رواه البيهقى فى الشعب الايمان (وكان) أى عمر بن عبد العزيز (يبرد) بضم ياء وسكون موحدة وكسر راء أى يوجه ويسير (اليه البريد من الشام) أى الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم القاصد من الشام ليقرأه منه السلام

أن

(قال بعضهم رأيت أنس بن مالك أتى قبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فوقف) أي بين يديه (فرفع يديه حتى ظننت انه افتتح الصلاة فسلم على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ثم انصرف) لا يعرف استحباب رفع اليدين في ذلك المقام عن أحد من الاعلام ولعله

أن يوجه أفضلية السلام بانه شعار اللقاء والتحية وحينئذ تختص أفضليته بحالة اللقاء عند كل زيارة أما اذا سلم سلام اللقاء فالصلاة بعده أولى من استمرار السلام وان كان باقيا في مقام الزيارة ويدل لذلك صنيع العلماء فانهم لما ذكروا ان الزائر يبدأ بالسلام ذكروا انه يختم بالصلاة عليه (قال بعضهم رأيت أنس بن مالك) الصحابي خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم (أتى قبر النبي) صلى الله تعالى عليه وسلم لزيارته (فوقف) عند القبر الشريف (فرفع يديه) للدعاء فانه مستحب لمن زاره صلى الله تعالى عليه وسلم ان يدعو ويستشفع به ويتضرع (حتى ظننت انه افتتح الصلاة) لانه يسن رفع اليدين لافتتاح الصلاة ولعله كان مستقبل القبلة للظن المذكور (فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم) بعد رفع يديه ودعائه (ثم انصرف) من عنده (قال مالك في رواية ابن وهب) عنه وهو عبد الله بن وهب عالم مصر كما تقدم وهو ممن روى عن الامام مالك (اذا سلم) الزائر لقبره الشريف (على النبي صلى الله عليه وسلم ودعا) بما يريد الدعاء به (يقف) عنده (ووجهه الى القبر الشريف لا الى القبلة) كما يستحب للداعي في غير هذا الموطن لان استدباره خلاف الادب (ويدنو) أي يقرب من القبر في حال الدعاء (ويسلم) عليه صلى الله تعالى عليه وسلم (ولا يمس القبر بيده) فيكره الصاق الظهر أو البطن بجدار القبر المكرم ويلحق بجداره جدار الساتر عليه المستور بالحرير الآن لما في ذلك من مخالفة الادب معه صلى الله تعالى عليه وسلم ومن ثم تعين على كل أحد ان لا يعظمه صلى الله عليه وسلم الا بما أذن الله فيه لامته صلى الله عليه وسلم في جنسه مما يليق بالبشر فان مجاوزة ذلك تفضي الى الكفر والعياذ بالله بل مجاوزة الوارد من حيث هو ربما تؤدي الى محذور فليقتصر على الوارد ما أمكن واستقبال وجهه صلى الله عليه وسلم واستدبار القبلة مذهب الشافعي والجمهور ونقل عن أبي حنيفة وقال ابن الهمام ما نقل عن أبي حنيفة انه يستقبل القبلة مردود بما روى عن ابن عمر ان من السنة ان يستقبل القبر المكرم ويجعل ظهره للقبلة وهو الصحيح من مذهب أبي حنيفة وقول الكرماني ان مذهبه بخلافه ليس بشئ لانه صلى الله عليه وسلم حي في ضريحه يعلم بزائره ومن يأتيه في حياته انما يتوجه اليه ويستحب القيام في حال الزيارة كما نبه عليه المصنف بقوله يقف وهو أفضل من الجلوس عند القبر الشريف عند الجمهور ومن خير بينهما أراد الجواز دون المساواة فان جلس فالافضل أن يجثو على ركبتيه ولا يفترش ولا يتربع لانه الاليق بالادب (وقال) مالك (في المبسوط) اسم كتاب له كما تقدم (لا أرى) أي لا أستحسنه وأعده رأيا (ان يقف عند قبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يدعو) أي في حال كونه داعيا لما أراد (ولكن يسلم) عليه (ويمضي) أي ينصرف من عنده من غير وقوف وظاهره ان مذهب مالك عدم استحباب الوقوف مطلقا ونقل الشافعية عنه ان استحباب عدم الوقوف عنده لاهل المدينة المقيمين بها لا للغرباء الزوار فانهم يستحب لهم الوقوف للدعاء له صلى الله عليه وسلم ولابي بكر وعمر ففرق بين المدني وغيره فلا يجعل المدني قبره الشريف كالمسجد يأتيه في أكثر أيامه للعبادة والقربة بناء على قاعدته في سد الذرائع وسيأتي أيضا بيان ذلك في كلام المصنف عن المبسوط والصحيح عند غيره انه لا فرق بين المدني وغيره في استحباب الاكثار من زيارته والوقوف عنده للدعاء وسيأتي ما يعلم منه ان في المسئلة ثلاثة مذاهب (وقال ابن أبي مليكة) هو عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة بالتصغير وهو من اعلام التابعين وأبوه أبو مليكة صحابي جليل وابنه توفي سنة سبع عشرة ومائة وأخرج له أصحاب الكتب الستة (من أحب ان يكون) وفي نسخة يقوم (وجاه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي في مواجهته ومقابلته ووجاه مثلث الواو بمعنى

دعا الله سبحانه وتشفع به عليه السلام (وقال مالك في رواية ابن وهب) أي عنه (اذا سلم) أي هو أو أحد (على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ودعا يقف ووجهه الى القبر لا الى القبلة) وذهب بعض أرباب المناسك ان الزائر يسلم أولا وهو متوجه الى القبر ثم ليدع الله وهو مستقبل القبلة فوق رأسه عليه الصلاة والسلام (ويدنو) أي ويقرب الى القبر قربا يناسب الادب (ويسلم ولا يمس القبر) وكذا جدار قبته وشبكة حجرته عليه السلام (بيده) ولا بفمه لعدم وروده عن الصحابة الكرام ولانه أقرب الى مقام الادب ولان ذلك من عادة النصارى على ما نقله الغزالي (وقال) أي مالك (في المبسوط لا أرى) أي لا أجوز (ان يقف) أي أحد (عند قبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يدعو ولكن يسلم ويمضي) هذا بظاهره يناقض ما سبق عنه اللهم الا أن يقال هذا بيان الاكمل فتأمل (قال ابن أبي مليكة) بالتصغير تابعي تيمي مؤذن ابن الزبير وقاضيه قال بعثني ابن الزبير على قضاء الطائف فكنت أسأل ابن عباس وأما أبو مليكة فصحابي (من أحب ان يقف وجاه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) بكسر الواو ويضم أي في مواجهته ومقابلته

(فليجعل القنديل) بكسر القاف معروف وأما بفتحة فهو عظيم الرأس (الذى فى القبلة) أى فى جهتها (عند القبر على رأسه) أى محاذيا برأسه (وقال نافع) هو مولى ابن عمر من أئمة التابعين وأعلامهم (كان ابن عمر يسلم على القبر) أى على من فيه (رأيته) أى ابن عمر يفعل ذلك (مائة مرة وأكثر) وفى نسخة أو أكثر بمعنى بل أكثر (يجئ الى القبر فيقول السلام على النبى) صلى الله تعالى عليه وسلم (السلام على أبى بكر السلام على أبى) وفى نسخة السلام على أبى حفص وهو كنية عمر وهذا أقرب الى الادب (ثم ينصرف) أى ولم تزد على ذلك رواه البيهقى وغيره (وروى) وفى نسخة ورئى أى أبصر (ابن عمر واضعا يده على مقعد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) أى موضع قعوده (من المنبر ثم وضعها) أى يده (على وجهه) رواه ابن سعد عن عبد الرحمن بن عبد القارى انه رآه واضعا يده على مقعد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (وعن ابن قسيط) بفتح قاف فكسر مهملة أو بالتصغير وهو الاصح (والعتبى) بضم عين فسكون فوقية فوحدة (كان أصحاب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اذا خلا المسجد) أى من عامة الناس (جسوا) بفتح الجيم وتشديد السين المهملة أى حسوا ومسوا (رمانة المنبر) أى العقدة المشابهة للرمانة (التى تلى القبر) يعنى التى كان يأخذها عليه السلام بيمينه (بميامنهم) متعلق بجسوا أى تمسحوا بأيمانهم طلبا لليمن والبركة فى زيادة الايمان وايقان الاحسان (ثم استقبلوا القبلة يدعون) أى الله سبحانه بهذه الوسيلة المشتملة على الفضيلة رواه ابن سعد (وفى الموطا من رواية يحيى بن يحيى الليثى) هو عالم الاندلس (انه) أى ابن عمر (كان يقف على قبر النبى صلى الله عليه وسلم) أى عند قبره كما فى نسخة (فيصلى على النبى صلى الله عليه وسلم وعلى أبى بكر وعمر) أى وهو فى مكان يجمع بينهم فى السلام من غير تغيير المقام فى القيام (وعند ابن القاسم) وهو فقيه مصر (والقعنبى) وهو أحد الاعلام روى عنه البخارى ومسلم وغيرهما (ويدعو لابى بكر وعمر) أى بدل لفظة وعلى أبا بكر وعمر (قال مالك فى رواية ابن وهب) وهو عالم مصر (يقول المسلم) بتشديد اللام المكسورة أى الزائر (السلام) ويروى سلام (عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته قال) أى مالك (فى المبسوط ويسلم على أبى بكر وعمر) باى لفظ كان (قال القاضى أبو الوليد

تجاه وهو مثلث التاء أيضا كما فى مثلثات صاحب القاموس ومعناه ان يقابل وجهه وتاء تجاه مبدلة من الواو كتخمة (فيجعل القنديل الذى فى القبلة عند القبر) الشريف (على رأسه) أى محاذيا لها والقنديل بكسر القاف مصباح من زجاج يعلق وهو معروف وبفتح القاف معناه العظيم الرأس ووزنه فعليل وقيل فنعيل ونونه زائدة وهو ارشاد لكيفية الزيارة وان يكون بينه وبين القبر فاصل فقيل انه يبعد عنه بمقدار أربعة أذرع وقيل ثلاثة وهذا مبنى على ان البعد أولى وأليق بالادب كما كان فى حياته صلى الله عليه وسلم وعليه الاكثر وذهب بعض المالكية الى ان القرب أولى وقيل يعامله معاملته فى حياته فيختلف ذلك باختلاف الناس وهذا باعتبار ما كان فى العصر الاول وأما اليوم فعليه مقصورة تمنع من دنو الزائر فيقف عند الشباك (وقال نافع) هو ابن هرمز مولى ابن عمر اشتراه من سبى خراسان وهو تابعى جليل توفى بالمدينة سنة سبع عشرة وهو غير نافع بن عبد الرحمن المدنى المقرى وهذا رواه البيهقى وغيره (وكان ابن عمر) الصحابى المشهور (يسلم على القبر) الشريف (رأيته مائة مرة وأكثر يأتى الى القبر) بدل من قوله يسلم مفسر له (فيقول السلام على النبى السلام على أبى بكر السلام على أبى) وفى نسخة أبى حفص عمر بن الخطاب رضى الله عنه (ثم ينصرف ٢) قيل وفيه اشارة الى انه لا ينبغى أن يطيل الكلام عند السلام ويختصر وقيل يطيل ما شاء فى الثناء والدعاء والتوسل وقيل يختلف باختلاف الناس والاحوال ويأتى للزيارة من قبل رأسه الشريف صلى الله عليه وسلم ثم يتأخر لابى بكر وعمر رضى الله عنهما فيبدأ بالاشرف فالاشرف تعظيما لهما كما يليق وقيل يأتى من قبل رجل عمر لانه من الادب ويتأخر قليلا قليلا وفى كيفية وضع القبور الثلاثة اختلاف مذكور فى تاريخ المدينة الكبير للسيد السمهودى مفصل ليس هذا محله (وفى الموطأ من رواية يحيى بن يحيى الليثى) تقدم أن يحيى بن يحيى راوى الموطأ عن مالك اثنان (انه كان يقف على قبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) على هنا بمعنى عند وهذا اشارة الى اختيار القرب منه صلى الله عليه وسلم كما مر (فيصلى على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى أبى بكر وعمر) تبعا له أو يصلى بمعنى يدعو (وعند ابن القاسم) عبد الرحمن فقيه مصر كما تقدم (والقعنبى) بفتح القاف وسكون العين المهملة وفتح النون بعدها باء موحدة وياء نسبة وهو عبد الله بن سلمة بن قعنب الحارثى أبو عبد الرحمن أحد الاعلام روى عنه البخارى وأبو داود وغيرهما وهو ثقة حجة توفى سنة عشرين أو احدى وعشرين ومائتين أخرج له الشيخان وغيرهما كما علم فى روايتهما عن مالك بلفظ (ويدعو لابى بكر وعمر) لا بلفظ يصلى كما مر (قال مالك فى رواية ابن وهب) عنه يقول المسلم أو الزائر (السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته) و(قال) مالك (فى المبسوط ويسلم على أبى بكر وعمر) بعد السلام عليه و(قال القاضى أبو الوليد الباجى)

---

٢ وقد وقع فى نسخ المتن وشرحى على القارى هنا عبارة وهى قوله (ورئى ابن عمر الى قوله وفى الموطأ) فليراجع الى المتن مصحح

الباجي) بالموحدة والجيم وهو أحد الاعلام (وعندى انه يدعو للنبي بلفظ الصلاة) أي بان يقول الصلاة عليك يا نبي الله أو الصلاة على رسول الله ولا شك ان الجمع بينها وبين السلام أفضل وأكمل كما دل عليه قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما (ولابي بكر وعمر) يعني ويدعو لهما أيضا (كما في حديث ابن عمر من الخلاف) أي المتقدم حيث جاء في رواية أخرى عنه انه كان يقول السلام على النبي صلى الله عليه وسلم السلام على أبي بكر السلام على أبي وفي رواية أخرى عنه انه كان يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى أبي بكر وعمر وقد تقدم ان الصلاة على غير الانبياء تكره استقلالا فكيف يصح قول الباجي عندى انه يدعو للنبي بلفظ الصلاة ولابي بكر وعمر وغايته ان حديث ابن عمر في الرواية الثانية ان ذكر الصلاة عليهما وقع تبعا أو تغليبا والحاصل ان الافضل هو الجمع بين الصلاة والسلام للنبي الاكمل واما صاحباه فتخصهما بلفظ السلام فتأمل فانه القول المعول (وقال ابن حبيب) أحد الائمة ومصنف الواضحة (ويقول) أي الزائر (اذا دخل مسجد الرسول) أي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقد كره بعض العلماء اطلاق الرسول من غير الاضافة الى الله سبحانه لتوهم معناه اللغوي (بسم الله وسلام) أي تمامه (على رسول الله عليه السلام) وفي نسخة عليه الصلاة والسلام (السلام علينا) أي وعلى عباد الله الصالحين (من ربنا) أي من جانبه ومن لطفه وكرمه (صلى الله وملائكته) الاولى زيادة وسلم (على محمد اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك وجنتك) أي بتوفيق اكتساب طاعتك واجتناب معصيتك (واحفظني من الشيطان الرجيم) أي من وساوسه وهواجسه (ثم اقصد) فيه التفات أي ثم توجه (الى الروضة) أي الشريفة (وهي ما بين القبر والمنبر فاركع فيها) أي صل (ركعتين) أي قياما بحق الربوبية كما اقتضته العبودية (قبل وقوفك بالقبر) أي للزيارة المصطفوية وأداء التحية النبوية (تحمد الله تعالى) أي حال كونك تثني على الله سبحانه (فيهما) أي في الركعتين وفي نسخة فيها أي في الصلاة أو في الروضة (وتسأله) أي الله فيهما أو بعد الفراغ منهما (تمام ما خرجت اليه) أي من المقاصد (والعون عليه) أي في جميع المراصد (وان كانت ركعتاك) وهما تحية المسجد (في غير الروضة أجزأتاك) أي كفتاك عن السنة (وفي روضة) وكذا في المواضع الفاضلة في المسجد (أفضل) أي لورود الاحاديث في فضلها (وقد قال عليه الصلاة والسلام ما بين بيتي) المختص بعائشة المعبر عنه في رواية ما بين قبري (ومنبري روضة من رياض الجنة) أي اما حقيقة بان ينتقل اليها حال وصولها واما وسيلة بان تكون العبادة فيها سببا لدخولها وباعثة لوصولها فقد قال القتيبي معناه ان الصلاة والذكر في هذا الموضع يورثان الجنة فكأنه قطعة منها أول ولا منع من الجمع والله أعلم (ومنبري على ترعة) بضم فوقية فسكون راء فعين مهملة أي عتبة أو روضة مرتفعة

الباجي) تقدمت ترجمته (وعندي) أي الراجح عندي (انه يدعو للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم بلفظ الصلاة) لما فيها من التعظيم كما تقدم (و) يدعو (لابي بكر وعمر كما جاء في حديث ابن عمر) الذي تقدم وقوله فيه السلام على أبي بكر السلام على عمر فيدعو لهما بالسلامة من كل مكروه ولا يصلي عليهما لما مر (من الخلاف) أي مخالفة الدعاء لهما الدعاء لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وفي المناسك هنا تفصيل طويل بل فيما يقوله الناس ليس هذا محله (وقال ابن حبيب) عبد الملك بن حبيب القرطبي الامام الجليل الثقة مصنف كتاب الواضحة ولا يلتفت لمن نسبه للكذب وترجمته في الميزان (ويقول) الزائر (اذا دخل مسجد رسول الله) صلى الله تعالى عليه وسلم (بسم الله وسلام على رسول الله) صلى الله عليه وسلم (السلام علينا من ربنا وصلى الله وملائكته على محمد اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك وجنتك) أي يسر لي ما يوصلني اليهما فان دخوله من باب المسجد الموصل للجنة روضة شوقه الى الجنان وقوى رجاءه فناسب دعاءه بما ذكر ولما سلك الطريق الموصلة اعتصم بالله من قطاع طريقها بقوله (واحفظني من الشيطان الرجيم ثم اقصد) بعد الدعاء (الى الروضة وهي ما بين القبر والمنبر واركع فيها ركعتين) تحية المسجد شكرا لهذه النعمة (قبل وقوفك بالقبر) أي عنده (تحمد الله تعالى فيها) أي في تلك الصلاة (وتسأله تمام ما خرجت اليه) من زيارتك وسفرك (والعون عليه) أي المساعدة بتيسيره له (وان كانت ركعتاك في غير الروضة) من المسجد النبوي (اجزأتاك) بالهمزة أي كفتاك في اداء السنة (وفي الروضة أفضل) أي أكثر ثوابا اقتداء به صلى الله تعالى عليه وسلم (وقد قال عليه السلام ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة) وباقي الكلام عليه وما بين القبر والمنبر نحو خمسين ذراعا ومعنى كونه روضة من رياض الجنة انه يؤدي الى دخولها فكأنه منها فاطلق السبب واراد المسبب أو هو تشبيه بليغ وقيل انه على حقيقته وانه ينقل الى الجنة وفي حديث آخر يأتي وان أوهم كلامه هنا أنه من تتمة الاول (ومنبري على ترعة

(من ترع الجنة) رواه أحمد بتمامه عن جابر والبزار عن أبي بكر والدارقطني عن عمر بلفظ قبري بدل بيتي ورواه بدون الجملة الاخيرة البيهقي عن أبي هريرة والطبراني في الاوسط عن ابن عمر ورواه فقط أحمد وأبو عوانة عن سهل بن سعد والترعة في الاصل الروضة على مكان مرتفع خاصة فان كانت في مطمئن فهي روضة وورد ارتعوا في رياض الجنة يعني مجالس الذكر

من ترع الجنة) ترعة وترع بمثناة كغرفة وغرف قيل هي الروضة تكون في مكان مرتفع مطمئن وقيل الباب والروضة محل الاشجار مطلقا أو في مكان مطمئن تجمع اشجارا ورياحين والترعة تكون أيضا محل الماء وبمعنى الدرجة كما ذكره أهل اللغة والكل محتمل هنا والكلام في هذا كما تقدم في قوله روضة من رياض الجنة في احتمال التشبيه والاستعارة ويأتي بيان الحديث في كلام المصنف (ثم تقف بالقبر) أي عنده (متواضعا متوقرا) أي بتواضع ووقار أي سكون تأدبا بهيبة واجلال وغض طرف وقال الكرماني الحنفي في مناسكه انه يضع يمينه على شماله كما يقف في الصلاة وقال غيره الاولى الارسال لئلا يتشبه بالمصلي فانه منهي عنه (فتصلي) بالخطاب لكل زائر (عليه صلى الله عليه وسلم وتثني) عليه بثناء يليق به (بما يحضرك) أي يخطر ببالك من غير تكلف لامور تستعدها بسبحة ونحوها ويقبح الانحناء وتقبيل الارض ومايظنه جهلة العوام من ان فيه زيادة تعظيم ليس بشئ (وتسلم على أبي بكر وعمر وتدعولهما) بما يناسب مقامهما كما مر (واكثر من الصلاة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم بالليل والنهار) والمراد بمسجده هنا والمراد بقوله صلاة في مسجدي هذا تعدل ألف صلاة في غيره كما يأتي هو ماكان مسجدا في زمنه صلى الله تعالى عليه وسلم لاما زيد فيه كما قاله النووي وغيره والاشارة بقوله هذا تعينه واعتراض ابن تيمية عليه بماورد في الحديث لو زيد في مسجدي الى ذي الحليفة كان مسجدي رد بانه لايقتضي مساواته من كل وجه ولاشك في ان الاول أفضل من غيره وفي حديث الزيادة معجزة واخبار بالغيب ولاينبغي للزائر جعل القبر خلف ظهره ولا بجانبه كما قاله ابن عبد السلام (ولاتدع) بالخطاب والجزم أي تترك (ان تاتي مسجد قباء) بضم القاف ويمد ويقصر ويذكر ويؤنث فيجوز صرفه ومنع صرفه وهو اسم موضع قريب من المدينة بنى فيه عمرو بن عوف الانصاري مسجدا أتاه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وصلى فيه وهو المراد بقوله تعالى لمسجد أسس على التقوى على الراجح كما يأتي وكان صلى الله عليه وسلم يزوره راكبا وماشيا في كل سبت وحكمة تخصيصه ان في اتيانه زيارة أهله والموتى يعلمون بزوارهم يوما قبل الجمعة ويوما بعده وأعطى أهل أحد يوم الخميس لانهم أفضل فبقي السبت لاهل قبا وقال صلى الله عليه وسلم صلاة ركعتين فيه كعمرة ويقال له مسجد الفتح وكان عمر رضي الله عنه يأتيه في كل اثنين وخميس وقال رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأصحابه ينقلون حجارته على بطونهم فلوكان في طرف الارض لضربنا اليها اكباد الابل وقال صلاة ركعتين فيه أحب الي من ان آتي بيت المقدس مرتين وكذا يستحب اتيان غيره من المساجد المأثورة صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها كمسجد القبلتين (وقبور الشهداء) المعهودين وهم شهداء أحد رضي الله عنهم فانه صلى الله عليه وسلم كان يزورهم وينبغي أن لاتدع زيارتهم وان تبدأ منهم بحمزة سيد الشهداء في الدنيا والآخرة (وقال مالك في كتاب محمد ويسلم عليه صلى الله عليه وسلم اذا دخل وخرج) أي اذا دخل مسجد المدينة وخرج منه أي بالفعل لاعند ارادة ذلك (وفيما بين ذلك) أي في أيام اقامته بالمدينة يدخل المسجد ويسلم عليه صلى الله عليه وسلم كما دخل وخرج (قال محمد واذا خرج) من المدينة من أتاها زائرا (جعل آخر عهده) بالمدينة

وفي رواية اذا مررتم برياض الجنة فارتعوا وفسر الرياض بالمساجد والرتع بقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر ونحو ذلك (ثم تقف) خبر معناه أمر أي قف أيها الزائر (بالقبر) أي قريبا منه ومقبلا عليه (متواضعا) أي متذللا في نفسه (متوقرا) أي معظما لمن في حضرته (فتصلي عليه وتثني بما يحضرك) أي لديه (وتسلم على أبي بكر وعمر وتدعو لهما) أي بالغفران والرضوان (واكثر من الصلاة) أي الطاعة والعبادة أو الصلاة على صاحب السعادة والسيادة (في مسجد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بالليل والنهار) أي في ساعاتهما ولاتدع ان تاتي مسجد قبا) أي ولاتترك اتيان ذلك المسجد وزيارة ذلك المشهد فانه كان صلى الله تعالى عليه وسلم يأتيها كل يوم سبت راكبا وماشيا وقبا يمد

ويقصر ويؤنث ويذكر ويصرف ويمنع والاشهر الاكثر مده وتذكيره وصرفه (وقبور الشهداء) أي شهداء أحد وغيرهم أي ولاتترك اتيان زيارتهم واستدعاء شفاعتهم (وقال مالك رحمه الله في كتاب محمد) يعني واحدا من أصحابه ولعله محمد بن الحسن من أصحاب أبي حنيفة فانه روى عنه الموطأ (ويسلم على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اذا دخل) أي سلام القدوم والزيارة (وخرج) أي واذا أراد أن يخرج سلام الموادعة (يعني) أي يريد بذلك وهو (في المدينة) أولا وآخرا (وفيما بين ذلك) أي احيانا (قال محمد واذا خرج) أي اراد الزائر ان يخرج من المدينة (جعل آخر عهده

الوقوف

الوقوف بالقبر) أى للزيارة قياسا على طواف الوداع (وكذلك من خرج) ولو من أهل المدينة (مسافرا) أى حال كونه مريد السفر وهذا كله بطريق الاستحباب واستحسان الآداب الموجب لمزيد الثواب (و روى ابن وهب عن فاطمة) أى البتول الزهراء (بنت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال اذا دخلت المسجد) قال الدلجى بفتح تاء الخطاب ولا

(الوقوف بالقبر) أى عنده للوداع (وكذلك) كل (من خرج مسافرا) من المدينة يجعل آخر عهده زيارته صلى الله عليه وسلم والسلام عليه (و روى ابن وهب عن فاطمة) الزهراء (بنت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال اذا دخلت المسجد) يعنى مسجده صلى الله تعالى عليه وسلم او الاعم منه (فصلى على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقولى اللهم اغفر لى ذنوبى وافتح لى أبواب رحمتك) وفيه مناسبة تامة لان العبادة مكفرة للسيئات وللدخول بفتح الباب وهو باب موصل لاعظم رحمة (واذا خرجت) من المسجد النبوى أو الاعم منه (فصلى على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقولى اللهم اغفر لى ذنوبى) ببركة العمل الصالح (وافتح لى ابواب فضلك) وذكر الفضل هنا أنسب لان الخارج من المسجد يخرج لكسب مصالحه والفضل الرزق وفتح الباب كناية عن تسهيل أموره وتيسير مسالكه وأسباب معاشه وقد علم بذلك حكمة ذكر الرحمة فى الدخول والفضل فى الخروج وحاصلها ان المساجد محال رحمة الحق تعالى لعباده رحمة مخصوصة تناسب قصده وعبادته فطلب تلك الرحمة الخاصة عند دخولها واما الخروج منها فهو الى محال الاسباب والاكتساب التى بها تحصل الارزاق والغناء عن الناس وهذا مظهر الفضائل التى تفضل بها على عباده فسئل عند التوجه ليفاض عليه منه ما يتوفر به خشوعه وانقطاعه الى الله تعالى قالوا ويصلى ركعتين نفلا مطلقا وقيل انه ماسنة الوداع واختلف هل يقدم الوداع على الصلاة أو يؤخرها ليكون آخر عهده ملاقاته صلى الله تعالى عليه وسلم ويحسن ان يقول لا تجعل هذا آخر العهد بحرم رسولك صلى الله تعالى عليه وسلم ويسره لى العود اليه وارزقنى العفو والعافية فى الدنيا والآخرة ويتأسف على مفارقته واعلم ان هذا الحديث رواه أصحاب السنن على انه سنة لدخول كل مسجد وليس مخصوصا بالمسجد النبوى كما ذكره الخيضرى فى اللواء المعلم الا انه يكفى انه يدخل فيه دخولا أوليا وزاد بعضهم فى المسجد النبوى رب وفقنى وسددنى واصلح لى وأعنى على ما يرضيك عنى ومن على بحسن الادب فى هذه الحضرة الشريفة (وفى رواية اخرى) من طريق آخر وحديث فاطمة رواه احمد وابو يعلى والترمذى وحسنه (فليسلم مكان فليصل فيه ويقول اذا خرج اللهم انى أسألك من فضلك وفى) روايه (أخرى اللهم احفظنى من الشيطان الرجيم) وهذه الامور كلها محل ذكرها مناسك الحج وفصلت ثمه (وعن محمد بن سيرين) التابعى المشهور (كان الناس يقولون اذا دخلوا المسجد) النبوى (صلى الله وملائكته على محمد السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته بسم الله دخلنا وبسم الله خرجنا) أى ندخل ونخرج وعبر بالماضى مشاكلة واشارة الى ان المساجد انما هى للعبادة وليست محل مكث واقامة لغير المعتكف (وعلى الله توكلنا) أى فوضنا له أمورنا كلها الترك من دخل المسجد أمور دنياه فان توجهه فيه انما هو لله (وكانوا يقولون اذا خرجوا مثل ذلك) وهذا ليس خاصا بمسجد المدينة بل هو مستحب فى كل مسجد كما تقدم واستحب الصلاة عليه عند دخولها والخروج منها لانه هو الذى بين لنا العبادة فيها وهدانا الطريق الخير فكان حقا علينا ان نذكره ثمة والدعاء له والمراد بالناس هنا الصحابة ففعلهم يدل على انه سنة مأثورة فلا يتوهم انه كيف يكون دليلا على انه سنة ولذا أردفه بما يوضحه من قوله (و) روى (عن فاطمة ايضا) أى كما

أعلم من رواه قلت بل الصواب ان المراد به عموم الخطاب وقد سبق روايته مع مخرجها فى الكتاب (فصل على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) فى نسخة ضبط دخلت بكسر التاء وفصلى بياء المخاطبة (وقل) وفى نسخة وقولى فيه وفيما بعده (اللهم اغفر لى ذنوبى وافتح لى أبواب رحمتك واذا خرجت فصل على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقل اللهم اغفر لى ذنوبى وافتح لى أبواب فضلك وفى روايه أخرى) أى لابى داود عن أبى حميد وأسيد (فليسلم مكان فليصل فيه) أى فى هذا المروى (ويقول اذا خرج اللهم انى أسئلك من فضلك وفى أخرى اللهم احفظنى) أى احرسنى وأعذنى واعصمنى (من الشيطان الرجيم) أى المطرود المبعود (وعن محمد بن سيرين) احد أعلام التابعين (كان الناس) أى

 الصحابة (يقولون اذا دخلوا المسجد) أى المسجد النبوى أو جنس المسجد الالهى (صلى الله وملائكته على محمد) جملة خبرية مبنى انشائية معنى (السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته باسم الله دخلنا) أى لا باسم غيره (وباسم الله خرجنا) والمعنى دخلنا مستعينين باسمه وخرجنا مستمسكين باسمه ففى الحالين باسمه تعلقنا (وعلى الله توكلنا) أى وفى جميع أحوالنا عليه اعتمدنا وجميع أمورنا اليه فوضنا (وكانوا يقولون اذا خرجوا) أى حين خروجهم من هنالك (مثل ذلك وعن فاطمة رضى الله تعالى عنها أيضا)

أي كما تقدم عنها (كان النبي اذا دخل المسجد قال صلى الله على محمد وسلم) وفي نسخة صلى الله تعالى عليه وسلم أخرجه أحمد والبيهقي في الدعوات (ثم ذكر) أي ابن سيرين (مثل حديث فاطمة قبل هذا وفي رواية حمد الله وسمى وصلى على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وذكر مثله) وهذا نقل بالمعنى وقد ثبت باختلاف المبنى فلا عبرة بقول الدجي لا أدرى من رواها (وفي رواية) أي للترمذي وابن ماجة (بسم الله والسلام) وفي نسخة والصلاة (على رسول الله وعن غيرها) أي وروى عن غير فاطمة من الصحابة من طرق متعددة فلا يضر قول الدجي لم أقف عليه لان من حفظ حجة على غيره وكذا الالتفات الى قول الحلبي لا أعرفه بعينه لانه يكفي ان المصنف رواه وهو حافظ ثقة حجة (كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا دخل المسجد) أي حقيقة أو اذا أراد دخوله (قال اللهم افتح لي أبواب رحمتك) أي الدنيوية والاخروية ٥٢٢ (ويسر لي أبواب رزقك) أي الحسية والمعنوية (وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه اذا دخل أحدكم المسجد فليصل على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وليقل اللهم افتح لي آه) أي أبواب رحمتك رواه ابن ماجه والنسائي في عمل اليوم والليلة وابن حبان وابن خزيمة (وقال مالك في المبسوط وليس يلزم من دخل المسجد وخرج منه من أهل المدينة) أي كلما دخل به وخرج منه (الوقوف بالقبر) أي للزيارة (وانما ذلك) أي لازم (للغرباء) أي من الزائرين دون المقيمين وهذا كما قاله العلماء من ان الصلاة النافلة في مكة أفضل لاهل الاقامة والطواف أفضل للغرباء النازلة (وقال) أي مالك رحمه الله تعالى (فيه) أي في المبسوط (أيضا لا بأس لمن قدم) بكسر الدال أي نزل (من سفر) أي من أهل المدينة وغيرهم (أو خرج الى سفر ان يقف على قبر النبي (ولا صلى الله تعالى عليه وسلم فيصلي عليه ويدعوله) أي بالسلام (ولابي بكر وعمر فقيل له) أي لمالك (فان ناسا من أهل المدينة لا يقدمون) بفتح الدال أي لا يجيئون (من سفر ولا يريدونه) أي ولا يقصدون السفر غالبا (و) هم مع ذلك (يفعلون ذلك) أي الوقوف على القبر للزيارة في اليوم مرة أو أكثر وربما وقفوا) أي تاخروا (في الجمعة) بضم الجيم والميم ويسكن أي في الاسبوع (أو في الايام) أي ولو أكثر من الجمعة (المرة) أي تارة (أو أكثر) أي أخرى (عند القبر فيسلمون ويدعون ساعة فقال مالك رحمه الله لم يبلغني هذا عن أحد من أهل الفقه) أي من المتقدمين (ببلدنا) يعني المدينة (وتركه واسع) أي جائز يعني ولو فعله فسائغ شائع لانه كما قال ابن مسعود ما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن والقياس بوقف الرفاة على حال الحياة صحيح ولا شك ان الصحابة كانوا يكثرون السلام عليه في حال حياته ويتكررون بتكرار ملاقاته ويتبركون باخذ الفيض من أنوار بركاته فاي مانع من التردد على بابه والتوسل الى جنابه على

روى عنها ما قبل هذا (كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا دخل المسجد قال صلى الله على محمد وسلم ثم ذكر مثل حديث فاطمة قبل هذا وفي رواية حمد الله) الذي وفقه للعبادة (وسمى) الله تيمنا وتبركا ليتم ما شرع (فيه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم) المسلم (وذكر مثله) أي ما هو بمعناه (وفي رواية يقول اذا دخل المسجد (بسم الله والسلام على رسول الله) فهذا صريح في ان ما فعله الناس فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه فهم مقتدون به (و) روى (عن غيرها) أي غير فاطمة رضي الله عنها (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل المسجد قال اللهم افتح لي أبواب رحمتك) وانعامك بنعم الدنيا والآخرة (ويسر لي أبواب رزقك) أي سهلها ويسر أسبابها والتعبير بالتيسير اشارة الى انه مما مضى وفرغ منه (وعن أبي هريرة رضي الله عنه اذا دخل أحدكم المسجد فليصل على النبي صلى الله عليه وسلم وليقل اللهم افتح لي) يعني ما تقدم بتمامه وحاصله ان هذه الاحاديث تدل على ان من دخل المسجد أو خرج منه أو مر به أي مسجد كان يستحب له ان يسمى الله ويصلي ويسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويدعو بخير من خيري الدنيا والآخرة والمأثور أفضل وهذا مما اتفقوا عليه ووردت فيه أحاديث صحيحة مسندة في باب الدعوات (وقال مالك في المبسوط وليس يلزم من دخل المسجد) النبوي (وخرج منه من أهل المدينة) المقيمين بها (الوقوف بالقبر) أي عنده للزيارة (وانما) يلزم (ذلك) أي الوقوف لازم (للغرباء) الذين جاؤا المدينة للزيارة وليس اللزوم هنا بمعنى الوجوب الشرعي بل التأكيد في حقه (وقال) مالك (فيه) أي في كتاب المبسوط (أيضا) كما نقل عنه أولا (لا بأس لمن قدم من سفر أو خرج الى سفر) من أهل المدينة (ان يقف على قبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي يقوم عنده زائرا (فيصلي عليه) صلى الله عليه وسلم (ويدعو له ولابي بكر وعمر) بعد الصلاة على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (فقيل له ان ناسا من أهل المدينة لا يقدمون من سفر ولا يريدونه) أي الخروج للسفر فهم مقيمون (يفعلون ذلك) أي الوقوف عند القبر والصلاة عليه والدعاء لصاحبيه (في اليوم) الواحد (مرة أو أكثر وربما وقفوا في الجمعة أو الايام المرة والمرتين أو أكثر عند القبر فيسلمون) عليه صلى الله عليه وسلم (ويدعون) لابي بكر وعمر (ساعة فقال) مالك لما ذكر له ذلك (لم يبلغني هذا) أي وقوف المدني من غير سفر عند القبر (عن أحد من أهل الفقه ببلدنا) يعني المدينة لان عمل أهلها حجة عنده (وتركه) أي ترك هذا الفعل (واسع) أي أكثر وأولى

انه قد ثبت من صلى عليه نائيا بلغه ومن صلى عليه عند قبره سمعه نعم ان كانت الكثرة توجب الملالة فلا شك أن يقال في حقها الكراهة كما يشير اليه حديث زر غبا تزدد حبا وأما عند كثرة الشوق ومزية الذوق فلا سبيل الى المنع من تلك الحضرة ولو على سبيل المداومة كما يدل عليه حديث أبي بن كعب في تكثير الصلاة والسلام عليه والحاصل ان تكثيرها مستحب بالاجماع فايقاعها أولى في أفضل البقاع ولعل السلف الصالح كان عندهم أمور أهم من ذلك فكانت تشغلهم عن كثرة الوقوف هنالك وكذا نقول ان طالب العلم بتحصيله وتدريسه وتصنيفه اذا كان خالصا في طريقه أفضل من كثرة الطواف والزيارة بل أكمل من حج النافلة وقصد العمرة فاندفع ما قررناه وارتفع ما حررناه بما يفهم من ظاهر قوله (ولا يصلح آخر هذه الامة الا ما أصلح أولها ولم يبلغني عن أول هذه الامة وصدرها انهم كانوا يفعلون ذلك) وقد قدمنا عذرهم انهم كانوا يشتغلون بامور كانت أهم هنالك (ويكره) أي الوقوف للزيارة من أهل المدينة (الا لمن جاء من سفر أو أراده) أي السفر (قال ابن القاسم ورأيت أهل المدينة اذا خرجوا منها أو دخلوها أتوا القبر فسلموا) لاشك ان الزيارة في تينك الحالتين أكثر استحبابا وأظهر آدابا لكن لا يلزم منه انهم لم يكونوا فيما بين ذلك من الواقفين هنالك وقد سبق عن نافع أن ابن عمر كان يسلم على القبر رأيته مائة مرة أو أكثر ولا شك انه كان من أهل المدينة فتدبر (قال) أي ابن القاسم (وذلك رأيي) أي المختار المطابق لظاهر قول مالك (قال الباجي) وهو بالموحدة والجيم (ففرق) أي مالك وفي نسخة بفتح فيكون أي فصل وفارق (بين أهل المدينة والغرباء لان الغرباء قصدوا لذلك) أي في رحلتهم (وأهل المدينة مقيمون بها لم يقصدوها من أجل القبر والتسليم) أي على صاحبه وفيه انه لا يلزمهم ترك ذلك وأي مانع لما هنالك فهل ترى أحدا قال ان الغرباء لهم الطواف حول الكعبة لانهم قصدوها في سفرهم دون أهل مكة حيث لم يقصدوها في اقامتهم (وقال عليه الصلاة والسلام) كما روى مالك في الموطأ عن عطاء بن يسار مرسلا وعبد الرزاق عن معمر عن زيد بن أسلم (اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد) أي صنما يعبد من دون الله تعالى وانما قاله خوفا على أمته وأهل ملته أن يفعلوا مثل جهلة أهل الكتاب بالنسبة الى قبور أنبيائهم ومشاهد أصفيائهم ولذا قال عليه الصلاة والسلام (اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجدا) أي مسجودا بها أو مشهودا فيها حيث عبدوها (وقال) أي النبي عليه الصلاة والسلام (لا تجعلوا قبري عيدا) رواه ابن أبي شيبة موصولا عن علي وسعيد بن منصور في سننه مرسلا من طريقين وتقدم تحقيق بيانه وتدقيق برهانه

(ولا يصلح آخر هذه الامة) المحمدية وآخرها من بعد الصحابة والعصر الاول (الا ما أصلح أولها) أي لا يصلح لآخرهم الا ما صلح لاولهم ولا يستحب لهم الا ما استحبوه أولا (ولم يبلغني) أي لم أسمع بنقل صحيح (عن أول هذه الامة وصدرها) من الصحابة ومن ألحق بهم (انهم كانوا يفعلون ذلك) أي الوقوف للزيارة من غير الغرباء بلا ارادة سفر (ويكره) ذلك (الا لمن جاء من سفر أو أراده) من أهل المدينة (قال ابن القاسم) من أتباع الامام مالك (ورأيت أهل المدينة اذا خرجوا منها) للسفر (أو دخلوها) قادمين من السفر (أتوا القبر فسلموا) عليه صلى الله تعالى عليه وسلم (قال) ابن القاسم (وذلك رأيي) أي قول لمالك وفي نسخة رأيي بالاضافة أي انه يقوله (قال الباجي) بباء موحدة نسبة لباجة اسم بلدة بالمغرب وهو أبو الوليد الحافظ من أئمة المالكية وقد تقدم (ففرق) مالك أو ابن القاسم رواية عنه (بين أهل المدينة والغرباء) فاستحب للغرباء الزيارة في الدخول للمسجد في كل حين ولم يستحبه للمدني الا اذا خرج لسفر أو قدم منه (لان الغرباء قصدوا) المدينة (لذلك) أي لاجل الزيارة فينبغي له فعل ذلك في كل حين (وأهل المدينة مقيمون بها لم يقصدوها) من أوطانهم (من أجل) زيارة (القبر والتسليم) عليه صلى الله عليه وسلم قال السبكي في كتابه شفاء السقام بعد نقل ما هذا مذهب مالك ان الزيارة قربة لكنه كره الاكثار منها للمقيم بالمدينة على قاعدته في سد الذرائع وغيره من أهل المذاهب قالوا باستحباب الاكثار منها مطلقا واتفقوا عليه وهو الحق الذي لا شبهة فيه والذريعة ليست بممنوعة من كل مقام كما تقدم عن القرافي (وقال صلى الله تعالى عليه وسلم) في حديث رواه عبد الرزاق ومالك في الموطأ عن عطاء بن يسار (اللهم لا تجعل قبري وثنا) أي كالوثن وهو الصنم الذي (يعبد) أي يتخذ معبودا وتقدم فيه زيادة بعدي (اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) أي يسجدون لها كما يسجدون لله (وقال صلى الله تعالى عليه وسلم) في حديث رواه ابن أبي شيبة وغيره بسند متصل (لا تجعلوا قبري عيدا) أي كالعيد باجتماع الناس عنده وقد تقدم تأويل الحديث وانه لا حجة فيه لما قاله ابن تيمية وغيره فان اجماع الامة على خلافه يقتضي تفسيره بغير ما فهمه فانه نزغة شيطانية وقوله وقال الخ يحتمل انه من كلام الباجي أو من كلام مالك وابن القاسم تأييدا لما قاله وهو الظاهر واحتمال انه من

(ومن كتاب أحمد بن سعيد الهندي فيمن وقف بالقبر لا يلصق به) لانه ناشئ عن قلة الادب مع رسول الرب (ولا يمسه) أى لعدم وروده بل ورد النهي عن مسه ولمسه (ولا يقف عنده طويلا) أى وقوفا طويلا أو زمانا طويلا لاخوفا من الرياء والسمعة أو من الملالة والسآمة (وفى العتبية) بضم العين المهملة وسكون الفوقية وكسر موحدة وتشديد تحتية منسوبة الى فقيه الاندلس محمد ابن أحمد بن عبد العزيز العتبي القرطبي مصنفها وهو من موالى عتبة ابن أبى سفيان أخذ عن يحيى ابن يحيى الليثي وطبقته (يبدأ بالركوع) أى بصلاة التحية للمسجد (قبل السلام) أى على سيد الانام حين دخوله (فى مسجد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أى قياسا على حال حياته فانه قد ورد أن واحدا من الصحابة دخل المسجد فجاء وسلم على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال له ارجع وصل ركعتين ثم سلم على وفيه ايماء الى تقديم حرمة الربوبية على تعظيم الخدمة النبوية (وأحب مواضع التنفل منه مصلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حيث العمود المخلق) بضم ميم وفتح خاء معجمة ولام مشددة مفتوحة أى المبخر المطلي بالخلوق بفتح أوله وهو نوع من الطيب المعبق (وأما فى الفريضة فالتقدم الى الصفوف) أى أفضل للمأمومين وأما الامام فلا شك ان مقامه الافضل مصلاه الاكمل (والتنفل فيه) أى فى مصلاه بل فى جميع مسجده أفضل (للغرباء) دون أهل المدينة لحديث ورد بذلك (أحب الى) وكذا الى غيره (من التنفل فى البيت) ولعل وجهه ان لا مضاعفة فى الصلاة فى غير المسجد من مواضع المدينة بخلاف ذلك فى مكة فان الحرم كله تضاعف فيه الحسنة بمائة ألف فالنوافل فى البيوت أفضل لهم ولو كانوا من الغرباء

كلام المصنف رحمه الله تعالى غير مناسب لما عقد له هذا الفصل (و) نقل (من كتاب أحمد بن سعيد الهندي) عالم الاندلس توفى سنة تسع وتسعين وثلثمائة وعمره سبع وسبعون سنة وترجمته مبسوطة فى التواريخ وفى نسخة سعد الهندي والصحيح الاولى (فيمن وقف بالقبر) الشريف أى قال فى حقه وبيان حاله انه ينبغى له ان (لا يلصق به) صدره (ولا يمسه) بشئ من جسده فلا يقبله فيكره مسه وتقبيله والصاق صدره لانه ترك أدب وكذا كل ضريح يكره فيه ذلك وهذا أمر غير مجمع عليه ولذا قال أحمد والطبرى لا بأس بتقبيله والتزامه وروى ان أبا أيوب الانصارى كان يلتزم القبر الشريف قيل وهذا لغير من لم يغلبه الشوق والمحبة وهو كلام حسن (ولا يقف عنده طويلا) بل بمقدار الصلاة والدعاء تأدبا منه فهذا مستحب عنده (وفى العتبية) بضم العين المهملة وسكون المثناة وكسر الموحدة وياء نسبة اسم كتاب يعرف بالعتبية وبالمستخرجة من الاسمعة أى مما سمع من مالك من مسائل المدونة وصاحبها يسمى العتبي نسبة لعتبة بن أبى سفيان وهو فقيه الاندلس محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن عتبة بن أبى سفيان القرطبي وتوفى منتصف ربيع سنة خمس أو أربع وخمسين ومائتين وأخذ عن يحيى بن يحيى الليثي وطبقته ويقال انه من موالى عتبة وله رحلة الى المشرق وفى تاريخ الاندلس محمد العتبي هو أحمد بن محمد بن عتبة الاموى من أهل قرطبة قيل هو مولى لآل عتبة ابن أبى سفيان وهو الاصح وسمع من سحنون وأصبغ وغيرهما وجمع كتابا سماه المستخرجة أكثر فيه من الشواذ والمسائل الغريبة فاذا سمع غريبة قال ادخلوها فى المستخرجة وقال ابن وضاح فى المستخرجة خطأ كثير (يبدأ بالركوع) المراد به الصلاة أى تحية المسجد اذا دخله تسمية باسم الجزء كالركعة (قبل السلام) على قبره عليه الصلاة والسلام وزيارته وهو أحد القولين كما تقدم (فى مسجد النبي) صلى الله عليه وسلم وقيل يسلم أولا ثم يصلى ويتحرى بصلاته محلا كان يصلى فيه صلى الله تعالى عليه وسلم وله علامة ذكروها وتبعهم المصنف وهو على يسار محراب الشافعية (و) شمل ذلك عموم قوله و(أحب) أفعل تفضيل من المحبة (مواضع التنفل فيه) أى أفضلها للصلاة النافلة وتحية المسجد والزيارة (مصلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أى محل صلاته المأثور وبين محله بقوله (حيث العمود المخلق) بضم الميم وفتح الخاء المعجمة وتشديد اللام وقاف وهو ما عليه الخلوق بالفتح وهو نوع من الطيب أصفر فيه زعفران والعمود هو السارية والاسطوانة وسمى مخلقا لانه كان يطيب بالخلوق تعظيما وهذا هو المعروف وقيل انه محلق بحاء مهملة أى له حلقة من حديد ونحوه قيل وهو محل جذعه الذى كان صلى الله عليه وسلم يخطب عنده قبل عمل المنبر وهذه الاماكن الشريفة وأسماؤها وفضائلها من أراد الوقوف عليها فليطالع تاريخ المدينة الكبير للسيد السمهودى (و) فضيلة هذا المحل والصلاة عنده انما هو للمتنفل الزائر (وأما فى) صلاة (الفريضة فالتقدم الى الصفوف) أى التقدم فى الصف الاول أفضل من غيره مطلقا (والتنفل) أى صلاة النافلة (فيه) أى فى المسجد النبوى (للغرباء) الذين قدموا للزيارة وليسوا من أهل المدينة المقيمين بها (أحب الى) أى أفضل عندى (من التنفل فى البيوت) أى مساكنهم ومحل نزولهم وهذا مستثنى مما قاله الفقهاء وأطلقوه ان الافضل فى الفرض الصلاة فى المساجد والنافلة الافضل فيها ان يصلى فى المنازل ووجه المخالفة ان الصلاة

في

(فصـل)* (فيما يلزم من دخل مسجد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من الادب) وفي نسخة من الآداب (سوى ما قدمنا) أي من أنواع الاستحباب (وفضله) أي فضل مسجده (وفضل الصلاة فيه) أي وما يتعلق به (وفي مسجد مكة) طرداللباب وما يتعلق به من بعض الابواب (وذكر قبره ومنبره) أي وشرف ما بينهما وقدره (وفضل سكنى المدينة ومكة) أي سكانهما ومجاوري مكانهما وقدم المدينة بناء على معتقد مالك ومن وافقه على ذلك (قال الله تعالى لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق ان تقوم فيه) واختلف المفسرون في المراد به (روى ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم سئل أي مسجد هو قال مسجدي هذا) رواه مسلم والترمذي وصححه النسائي عن أبي سعيد وأحمد عن أبي بن كعب وسهل بن سعد وفي رواية لمسلم هو مسجدكم هذا مسجد المدينة فكان الاولى للمصنف ان يقول فقد ورد أو ثبت اذ روي بصيغة المجهول موضوعة للتمريض غالبا (وهو قول سعيد بن المسيب) بفتح الياء وكسرها وهو من أكابر التابعين فكان الاولى ان يؤخره عن قوله (وزيد بن ثابت وابن عمر) ثم يقول بعده (ومالك بن أنس) واما ماذكره الحلبي من ان اللائق تقديم ابن عمر على زيد بن ثابت فغير زيد بن ثابت لان زيدا من أكابر الصحابة وممن أخذ عنه ابن عباس وغيره وهو أجل كتبة الوحي وقد ورد في حقه أفرضكم زيد أي أعلمكم بالفرائض وهو امام في علم القراءة والكتابة وغيرهما وابن عمر من صغار الصحابة والطبقة الثانية منهم رضي الله تعالى عنهم (وعن ابن عباس انه مسجد قباء) أي لانه أسسه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وصلى فيه أيام اقامته بها من يوم الاثنين الى يوم الجمعة وهو أوفق للقصة في سبب نزول الآية فقد روي ان بني عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قباء سألوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان يأتيهم فأتاهم فصلى فيه فحسدتهم اخوانهم بنو غنم بن عوف فبنوا مسجدا فقالوا قد بنينا مسجدا الذي الحاجة والعلة فصل فيه حتى نتخذه مصلى فقال أنا على جناح سفر واذا قدمنا ان شاء الله تعالى صلينا فيه فلما رجع كرروا عليه فنزلت ويؤيده انه روى البخاري في تاريخه وجماعة عن محمد بن عبد الله بن سلام انه قال لما أتى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم المسجد الذي أسس على التقوى مسجد قباء قال ان الله تعالى قد أثنى عليكم في الطهور خيرا أفلا تخبروني فقالوا يا رسول الله انا نجده مكتوبا علينا في التوراة الاستنجاء بالماء ونحن نفعله اليوم كذا ذكره شيخ مشايخنا الحافظ السيوطي في الدر المنثور في التفسير المأثور ويقويه ما رواه الترمذي وأبو داود ان هذه الآية نزلت في أهل قباء فيه رجال يحبون ان يتطهروا وكذا ما رواه ابن ماجه ان هذه الآية لما نزلت فيه رجال قال عليه الصلاة والسلام وقفا على باب مسجد قباء يا معشر الانصار ان الله تعالى قد أثنى عليكم في الطهور فما طهوركم الحديث وعندي ان الجمع ممكن بان يراد به جنس المسجد الذي أسس على التقوى وان ما ذكره من الطهور لاهل قباء لا ينافي الحمل على أهل مسجده من الانصار والله أعلم بحقائق الاخبار ودقائق الاسرار

في مسجد المدينة أفضل من ألف صلاة في غيره على ما يأتي وهذا مبني على ان المضاعفة تختص بمسجد المدينة وذهب بعضهم الى ان الصلاة في المدينة مطلقا مضاعفة لا فرق بين فرضها ونفلها ومسجدها وغيره فعلى هذا نافلتها كغيرها الا ان الغريب يستحب له الاكثار من المكث في مسجدها والزيارة والتبرك بمواطن عبادته فله شان يخصه وهو الظاهر

(فصل فيما يلزم من دخل مسجد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من الادب) اللازم لمن حضر محله في حياته (سوى ما قدمناه) في الفصل الذي قبل هذا (وفضله) أي المسجد النبوي (وفضل الصلاة فيه) أي زيادة ثوابها على ثواب غيرها (وفي مسجد مكة) وفضله وفضل الصلاة فيه (وذكر قبره ومنبره وفضل سكنى المدينة ومكة) والمجاورة فيهما لم يتكلم في الشفاء على المجاورة الا ان الشارح أشار الى ذلك فيما يأتي (قال الله تعالى لمسجد أسس على التقوى من أول يوم) وضع اساسه فيه (أحق ان تقوم فيه) للصلاة من غيره وقد اختلف فيه كما سيأتي (روى) عنه صلى الله عليه وسلم في حديث رواه مسلم وغيره (ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم سئل) عن المراد به في هذه الآية (أي مسجد هو قال مسجدي هذا) يعني الذي هو داخل المدينة وهو معروف (وهو) أي كونه المراد في الآية (قول ابن المسيب وزيد ابن ثابت وابن عمر ومالك بن أنس وغيرهم) من كبار الصحابة قيل كان ينبغي له تقديم ابن عمر ثم زيد ثم ابن المسيب ثم مالك هكذا لكنه قدم بالاسن والترتيب في الذكر ليس بلازم (وعن ابن عباس انه مسجد قباء) الذي تقدم بيانه وهو المراد في الآية عنده لانه صلى الله تعالى عليه وسلم أسسه وصلى فيه أيام اقامته من الاثنين الى الاثنين وكلاهما أسس على التقوى الا ان تأسيس مسجد قباء كان في ابتداء دخوله صلى الله عليه وسلم دار الهجرة ثم انتقل منه وأسس الآخر فالاولية ظاهرة فيه الا ان تجعل شاملة للحقيقية والنسبية والمراد بالتقوى الاخلاص في رضى الله لا كمسجد الضرار وما ذكره ابن عباس هو الذي ارتضاه المفسرون وهو الظاهر والاول أيضا مروي عن كبار الصحابة مسندا له صلى الله عليه

(حدثنا هشام) وفي نسخة هاشم (بن أحمد الفقيه بقراءتي عليه قال حدثنا الحسين) بالتصغير والاصح كما في نسخة الحسن (ابن محمد الحافظ) أي حافظ عصره ومحدث دهره وهو الغساني (ثنا) أي قال حدثنا (أبو عمر النمري) بفتح النون وكسر الميم وهو ابن عبد البر حافظ الغرب (ثنا أبو محمد بن عبد المؤمن ثنا أبو بكر بن داسة ثنا أبو داود) أي صاحب السنن (ثنا مسدد) بفتح الدال الاولى مشددة (ثنا سفيان) أي ابن عيينة (عن الزهري) وهو الامام ابن شهاب (عن سعيد بن المسيب) من قيل فيه انه أفضل التابعين (عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ٥٢٦ صلى الله تعالى عليه وسلم لا تشد الرحال) جمع راحلة وهي الصالحة لان ترحل أو يشد الرحل عليها والرحل للبعير كالسرج للفرس والمعنيان يحتملان هنا وفي النهاية الراحلة من الرحيل البعير القوي على الاسفار والاحمال للذكر والانثى والهاء للمبالغة ومنه قوله عليه الصلاة والسلام الناس كابل مائة لا تجد فيها راحلة والمعنى لا ينبغي ان تركب دابة لزيارة مسجد من المسجد (الا الى ثلاثة مساجد) لفضلها على غيرها في كونها مشاهد (مسجد الحرام) بالجر بدل من الثلاثة وفي نسخة المسجد الحرام والمراد به المسجد الذي في بلد الله الحرام المحترم عند سائر الانام وهو أفضلها كما يشير اليه تقديمه في هذا الحديث ومزيد المضاعفة فيها كما في أخبار كثيرة وآثار شهيرة (ومسجدي هذا) يعني مسجد المدينة احترازا من نحو مسجد قباء فلا يدل على حصر فضل مسجده على ما كان مشار اليه في مشهده (والمسجد الاقصى) على وهو الابعد من المساجد بالنسبة الى العرب وهو الذي ببيت المقدس وهو مسجد كبير وقد دخله عليه الصلاة والسلام وصلى فيه في ليلة الاسراء وقد أخرجه البخاري ومسلم والنسائي وأبو داود وفيه تنبيه نبيه على انه ينبغي للعاقل ان لا يشتغل الا بما فيه صلاح دنيوي وفلاح أخروي ولما كان ما عدا المساجد الثلاثة متساوي المرتبة في الشرف والفضيلة وكان التنقل والارتحال لاجله عبثا من غير المنفعة نهى الشارع عنه لان لا تشد خبر وقع نفيا وأراد به نهيا (وقد تقدمت الآثار في الصلاة والسلام) ويروى التسليم (على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عند دخول المسجد) أي مطلق المساجد فبالاولى مراعاتها في أفضل المساجد

وسلم وقد رواه مسلم وأصحاب السنن ولذا قيل كان ينبغي للمصنف ان يقول صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا روي بصيغة المجهول التي تغلب استعمالها في الضعيف فكأنه ايماء الى ان الاقوى ما قاله ابن عباس وهو مشكل وغاية ما يقال فيه ان الاولية اضافية باعتبار ما بني بعد الهجرة ومسجد مكة فيشمل مسجد قباء ومسجد المدينة والمراد اخراج مسجد الضرار ولا ينافيه ما بعده لانه أثنى على أهل أحد المسجدين بزيادة الطهارة وانما فسره صلى الله عليه وسلم بمسجده لاجل قوله أحق ان تقوم فيه لانه انما كان أكثر قيامه به فلو فسر بمسجد قباء لكان صلى الله تعالى عليه وسلم تاركا للاحق ففسره بما يدل على دخوله مع مسجد قباء في الحكم ونص على ما خرج عن منطوقه لانه هو المحتاج للبيان فاعرفه فانه دقيق جدا (حدثنا هشام بن أحمد الفقيه) هو أحد شيوخ المصنف رحمه الله لقوله (بقراءتي عليه) قال (حدثنا الحسين بن محمد الحافظ) هو الغساني وقد تقدم قال (حدثنا أبو عمر) هو ابن عبد البر كما تقدم (النمري) تقدم بيانه أيضا قال (حدثنا أبو محمد بن عبد المؤمن) تقدم بيانه قال (حدثنا أبو بكر بن داسة) تقدم أيضا قال (حدثنا أبو داود) صاحب السنن تقدم أيضا قال (حدثنا مسدد) تقدم قال (حدثنا سفيان) هو ابن عيينة وقد تقدم (عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة) تراجمهم تقدمت كلها (عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) انه قال (لا تشد الرحال) لا نافية وتشد مضارع مجهول وهو خبر أريد به النهي وهو أبلغ في النهي لانه جعل كأنه أمر لا يقع في الخارج أخبر عنه لتحققه والرحال بالحاء المهملة جمع رحل وهو للجمال كالسروج للخيل كما مر لا جمع راحلة كما توهم وهو البعير ونحوه والمقصود منه المنع أو نفي شدها كناية عن منع السفر أي لا ينبغي السفر وقطع المسافة (الا الى ثلاثة مساجد) جمع مسجد وهو المكان المعد للعبادة وأصله موضع السجود (مسجد الحرام) بالحركات الثلاث وفي نسخة المسجد الحرام وهو مسجد مكة ويطلق على مكة نفسها وكلاهما جائز هنا والاول من اضافة الموصوف للصفة أي المسجد الذي جعله محترما وهو مشهور غني عن البيان (ومسجدي هذا) أي مسجد المدينة المعروف (والمسجد الاقصى) بالاضافة كالاول وفي نسخة والمسجد الاقصى أي الابعد لانه أبعد من مكة بالنسبة للمدينة وفيه كلام مشهور وليس هذا محله واختلف في هذا النهي هل هو على ظاهره للتحريم كما ذهب اليه بعضهم والصحيح انه مأول أي لا تشد الرحال لنذر العبادة الا فيها ولذا قالوا لو نذر الصلاة في غيرها لم تلزمه فلا يكره له شد الرحل لبعض الاماكن المتبرك بها أو لزيارة من فيها من الصالحين أو طلب العلم بل قد يكون هذا واجبا عليه (وقد تقدمت الآثار) والاحاديث (في الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم عند دخول المسجد) النبوي في الفصل الذي قبل هذا كما سمعته آنفا والآثار كل مأثور أي مروي فيشمل الحديث وغيره ويطلق

(وعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنهما) انه صواب ترك الياء فى آخره كما بيناه أولا (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كان اذادخل المسجد) أى جنسه (قال أعوذبالله العظيم وبوجهه الكريم) أى ذاته (وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم) رواه أبو داود (وقال مالك) أى فيمارواه البخارى والنسائى (سمع عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه صوتا) أى عظيما (فى المسجد) أى مسجد المدينة (فدعا بصاحبه) أى طلب صاحب الصوت (فقال ممن أنت) يروى من أنت (قال رجل من ثقيف) أى من أهل الطائف (قال لو كنت من هاتين القريتين) أى مكة والمدينة أى لفعلت نكالا أولعذبتك أولعذرتك وفى نسخة صحيحة لادبتك (ان مسجدنا) أى أهل المدينة خصوصا (لايرفع فيه الصوت) أى لما ورد من قوله تعالى لاترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى وهو حى حاضر بعد مماته كما كان فى حال حياته فيكون موجبا لمراعاته وقدقال بعض علمائنا ان رفع الصوت فى المساجد ولو بالذكر حرام لما يشوش على أهلها العبادة ويشغل خاطرهم عما تتعلق به الارادة قال الدلجى وقداتفق العلماء عليه بشهادة الحصر فى حديث انما بنيت المساجد للذكر والعبادة هذا وفى صحيح البخارى بسنده الى السائب بن يزيد هو الكندى له صحبة كنت قائما فى المسجد فحصبنى رجل فنظرت فاذا عمر بن الخطاب فقال اذهب فأتنى بهذين فجئته بهما فقال ممن أنتما أومن اين أنتما قالا من أهل الطائف قال لو كنتما من أهل البلد لاوجعتكما ترفعان أصواتكما فى مسجد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولعله سامحهما لكونهما قريبى العهد من الايمان والاسلام وآدابهما أولكونهما من الغرباء فاوجب مراعاة حالهما (وقال محمد بن مسلمة لاينبغى لاحدان يعتمد) وفى نسخة صحيحة ان يتعمد أى يقصد

على مايقابله والفرق بين الحديث والخبر والاثر مشهور فى مصطلح الحديث ككتاب ابن الصلاح وغيره (وعن عبدالله بن عمرو بن العاص) فى حديث رواه أبو داود باسناد جيد حسن كما فى الاذكار للنووى (ان النبى) صلى الله تعالى عليه وسلم (كان اذادخل المسجد) أى مسجده بالمدينة وتقدم ان هذا مستحب فى دخول كل مسجد (قال أعوذبالله العظيم) أى ألتجئ فى أمورى كلها وفى التوفيق للعبادة واخلاصها الى عظيم لايخيب من التجأ اليه (وبوجهه الكريم) الوجه معروف فاذا أضيف الى الله تعالى فالمراد به ذاته المكرمة المبجلة (وسلطانه القديم) سلطانه بمعنى قهره وغلبته والقديم صفة سلطان وذلك ثابت له فى الازل والقدم (من الشيطان الرجيم) المطرود عن رحمة الله وقربه واستعاذته منه لئلا يصده عما نواه من العبادة ويشغله بوسوسته وتتمة الحديث فاذا قال ذلك قال الشيطان حفظ منى سائر اليوم (وقال مالك) بن أنس رضى الله تعالى عنه فى حديث رواه البخارى والنسائى فيه (سمع عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه صوتا) عاليا كالصياح (فى المسجد) أى مسجد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (فدعا بصاحبه) أى أمر بمجيئه اليه فجئ له به وسقط هذا من بعض النسخ فالفاء فى قوله (فقال ممن أنت) فصيحة أى من أى قبيلة وطائفة من الناس (قال من ثقيف) قبيلة من العرب مشهورة من هوازن (قال) عمر رضى الله عنه له (لو كنت من) أهل (هاتين القريتين) يعنى مكة والمدينة (لادبتك) كما فى نسخة وفى أخرى له لعلوتك بالدرة بكسر الدال وتشديد الراء المهملتين وهى سوط عريض يضرب به وعلوتك بمعنى ضربتك وهو تعبير فصيح مشهور لانه يضرب به على رأسه وأعالى بدنه يقال علاه بالدرة وجلله وقنعه بالسيف وهذا ساقط من بعض النسخ فالجواب مقدر كقوله تعالى ولوان قرآنا سيرت به الجبال ونحوه وانما قال له هذا لان من كان من أهل الحرمين وهما مهبط الوحى ومقر الدين لايعذر فى الجهل بالشرع وآدابه ثم بين له وجه ما قاله بقوله (ان مسجدنا) يعنى مسجد المدينة أو الاعم منه (لايرفع فيه الصوت) فعلى الاول يعلم غيره بالقياس وعلى الثانى هو داخل نصا وهو الظاهر لانه ورد من طريق آخر ومساجدنا وذهب كثير من الفقهاء الى ان رفع الصوت فى المساجد مطلقا مكروه ولحديث جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم ورفع اصواتكم وخصوماتكم لانها متخذة للعبادة ولذا يكره النوم فيها لغير ضرورة الا انه قيل ان مرتكب المكروه لايعذر وكلام عمر رضى الله عنه يدل على انه لو كان من أهل القريتين عذره لانه لايعذر بجهله وأجيب بانه علم منه عدم اكتراثه بحضرته صلى الله تعالى عليه وسلم وهو حرام يؤدى الى الكفر والعياذ بالله * قلت ليس كما قاله بل لانه يمتنع رفع الصوت عنده صلى الله تعالى عليه وسلم لقوله تعالى لاترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى أى عنده صلى الله عليه وسلم وهو فى حياته كما تقدم الان قوله ان مسجدنا يأباه فان قيل المراد بمسجدنا مسجده صلى الله تعالى عليه وسلم بخصوصه فالاضافة عهدية لم يرد عليه شئ فاعرفه ويستثنى من هذا رفع الصوت بالاذان والاقامة وكذا التلبية كما صرحوا به على مايأتى (قال محمد بن مسلمة) بميمين مفتوحتين كما تقدم (لاينبغى لاحد ان يعتمد

(المسجد) أي فيه (برفع الصوت ولا بشئ من الاذى) أي من دخوله فيه أو رميه من بصاق ونحوه (وان ينزهه عما يكره) أي من بيعه وشرائه وحلاقة رأسه وقص ظفره وقتل قملة ونحوها فان المساجد لم تبن لذلك وانما بنيت لذكر الله ولما يناسب هنالك (قال القاضي) يعني المصنف (حكى ذلك كله القاضي اسمعيل في مبسوطه) وهو الامام شيخ الاسلام اسمعيل بن اسحق بن اسمعيل بن حماد بن زيد الازدي مولاهم البصري ثم البغدادي المالكي الحافظ صاحب التصانيف ولد سنة تسع وتسعين ومائة وقرأ على قالون وتفقه وأخذ علم الحديث وقاله عن ابن المديني روى عنه جماعة وتفقه عليه طائفة قال الخطيب كان عالما متقنا فقيها شرح مذهب مالك واحتج له وصنف المسند وصنف في علوم القرآن وله كتاب احكام القرآن لم يسبق الى مثله وكتاب معاني القرآن وكتاب القراآت واستوطن بغداد وولي قضاءها الى ان توفي وقال غيره صنف موطأ وصنف كتابا كبيرا نحو مائة جزء في الرد على محمد بن الحسن لم يتمه توفي اسمعيل فجأة في ذي الحجة سنة اثنتين وثمانين ومائتين وروى النسائي في الكنى عن ابراهيم بن موسى عن اسمعيل القاضي عن ابن المديني والحاصل انه ذكر فيه (في باب فضل مسجد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والعلماء متفقون على ان حكم سائر المساجد هذا الحكم) أقول لكن لا شبهة في تفاوت مراتب المساجد في هذا الحكم وغيره من المقاصد (قال القاضي اسمعيل وقال محمد بن مسلمة ويكره في مسجد الرسول عليه الصلاة والسلام الجهر) أي رفع الصوت (على المصلين فيما يخلط) بتشديد اللام المكسورة أي يلبس ويشبه (عليهم صلاتهم) أي من جهة قراآتهم وعدد ركعاتهم (وليس مما يخص به المساجد رفع الصوت) أي بالكلام فرفع الصوت مرفوع على انه اسم ليس وما يخص محله النصب على الخبر والمساجد مرفوع على انه نائب الفاعل (قد كره) بصيغة المفعول أي كره جماعة (رفع الصوت بالتلبية) أي مع كونها ذكرا وسنة (في مساجد الجماعات الا المسجد الحرام ومسجد مني) أقول هذا الاستثناء انما هو على مقتضى مذهبه ومختار مشربه والا فالصحيح من مذهبنا انه يكره رفع الصوت مطلقا في جميع المساجد لانه لا فرق في العلة المانعة منه في كل المساجد وفي نسخة ومسجدنا قال الانطاكي كذا وقع في النسخ التي وقفت عليها والظاهر انه تصحيف اذ لا معنى لاضافة المسجد الى القائل هنا ولعل الصواب ومسجد مني فقد قال السروجي في شرح الهداية وقال مالك لا يرفع المحرم صوته بالتلبية في مساجد الجماعات لانها لم تبن لها الا في المسجد الحرام ومسجد مني قال وخالف الجماعة وقد لبي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في مسجد ذي الحليفة دبر صلاته ورووا تلبيته صلى الله تعالى عليه وسلم ولو لم يرفع بها صوته لما حفظوها منه هذا لفظه بحروفه انتهى كلام الانطاكي وفيه ان تلبيته في مسجد ذي الحليفة ليس كسائر المساجد اذ هو ليس من مساجد الجماعات بل مسجد موضوع للاحرام وما يتعلق به من الصلاة والتلبية والحاصل ان مذهب الحنفية يستحب التلبية في المسجد الحرام وفي سائر المساجد التي في بقاع الحرم لانها موضع النسك ولا يستحب اظهارها في مساجد الامصار والحل لما روي

يعني

المسجد) أي يقصده وفي نسخة يتعمد (برفع الصوت) فيه فيقال عمده واعتمده اذا قصده فان فعله لا عن عمد لجهل أو غيره جاز له ذلك (ولا بشئ من الاذى) هو كل مستقذر لان الطبع يتأذى به (وان ينزه) بالبناء للمجهول أي يبعد منه فيبعد هو (عما يكره) مجهول أيضا والمكروه المراد به أيضا المستقذرات ولا ينبغي تحمل الكراهة والحرمة وخلاف الاولى وقد صرح الفقهاء بمنع جعل النجاسة والمستقذرات في المساجد حتى النخامة والروائح الخبيثة كرائحة البصل والثوم الى غير ذلك مما فصل في أحكام المساجد وقد افرده بالتأليف الامام الزركشي فلا حاجة لذكره هنا لانا لسنا بصدده (قال القاضي) عياض هو المصنف رحمه الله تعالى (حكى ذلك) المذكور (كله القاضي اسمعيل) بن اسحق بن اسمعيل الازدي البصري العلامة الرحلة في سائر الفنون والادب وكان ممن له معرفة بكتاب سيبويه حتى عد من أقران المبرد حتى قيل لولا اشتغاله بالقضاء اندرس ذكر المبرد ومات سنة اثنين وثمانين ومائتين ببغداد فجأة (في مبسوطه) اسم كتاب له كما تقدم (في باب فضل مسجد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والعلماء كلهم متفقون على ان حكم سائر المساجد هذا الحكم) لان المقصود منها واحد وشرفها كلها لكونها محلا لعبادة الله تعالى فاذا تساوت في ذلك كان حكمها واحدا (قال القاضي اسمعيل) ابن اسحق المتقدم (قال محمد ابن مسلمة) المتقدم (يكره في مسجد الرسول عليه الصلاة والسلام الجهر على المصلين فيما يخلط عليهم صلاتهم) أي يشوش عليهم والخلط مزج شئ بشئ من المائعات ونحوها بحيث لا يتميز احدهما عن الآخر كالدقيق والشعير بالبر فالمراد ان اصواتهم لشدة الجهر تلهيهم عن قراءتهم وصلاتهم فاستعير لذلك الخلط (وليس) أي كراهة رفع الصوت (مما يخص به المساجد) فتثبت كراهة (رفع الصوت) رفع اسم ليس خبره الجار والمجرور قبله (فيكره رفع الصوت بالتلبية) أي قول الحاج لبيك اللهم لبيك (في مساجد الجماعات) التي تجمع فيها صلاة الجمعة ونحوها (الا المسجد الحرام) يعني مسجد مكة (ومسجدنا)

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه سمع رجلا يلبي فقال ان هذا لمجنون انما التلبية اذا برزت كذا في الكافي وفي أحكام المساجد للشافعية تستحب التلبية في المسجد الحرام وفي مسجد منى وابراهيم بعرفات وفي استحبابه في سائر المساجد قولان الجديد الاصح انه يستحب والقديم لا لئلا يشوش انتهى وقد علم بما ذكرنا ان الخلاف في رفع الصوت المشوش وأما امر الاضافة فسهل اذا كان القائل مثلا في مسجد نمرة أو مسجد الخيف والله تعالى اعلم (وقال أبو هريرة رضي الله تعالى عنه) أي فيما رواه الشيخان (عنه عليه الصلاة والسلام صلاة في مسجدي هذا) أي مسجد المدينة وقال النووي المضاعفة فيه

مختصة بما كان في زمنه عليه الصلاة والسلام وتحت نظر أصحابه الكرام (خير من ألف صلاة فيما سواه الى المسجد الحرام قال القاضي) يعني المصنف (اختلف الناس) أي العلماء فانهم هم الناس (في معنى هذا الاستثناء) يعني الا المسجد الحرام هل يفيد الزيادة أو النقصان أو الاستواء (على اختلافهم) قال الدلجي أي مع اختلافهم والاظهر ان على على بابها أو المعنى اختلافا مبنيا على اختلافهم (في المفاضلة بين مكة والمدينة) أي كون أيهما أفضل في حق المجاورة (فذهب مالك رحمه الله تعالى في رواية أشهب) أي ابن عبد العزيز (عنه) أي عن مالك (وقال ابن نافع صاحبه) أي صاحب أشهب أو صاحب مالك (وجماعة أصحابه) كذا بالاضافة وفي نسخة وجماعة من أصحابه أي من أصحاب مالك عنه (الى ان معنى الحديث) أي مراده ومقتضاه بحسب مبناه ومفهوم معناه (ان الصلاة في مسجد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أفضل من الصلاة في سائر المساجد بألف صلاة الا المسجد الحرام فان الصلاة في مسجد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أفضل من الصلاة فيه بدون الالف) يعني فالاستثناء لبيان النقص في الجملة وسيأتي ما يرد هذه المقولة (واحتجوا بما روى) أي في مسند الحميدي (عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه صلاة في المسجد الحرام خير من مائة صلاة فيما سواه) وفيه انه يدل على ان صلاة في المسجد الحرام خير من مائة صلاة في مسجد المدينة لانه داخل فيما سواه من غير ذكر استثناء في مبناه فلا يتم قوله تبعا لهم

يعني مسجد المدينة لان محمد بن مسلمة كان من سكانها فرفع الصوت في التلبية مأمور به لحديث أفضل الحج العج والثج والعج رفع الصوت والثج اراقة الدماء ورفع الصوت مستحب لغير المرأة والخنثى وهذا مذهب مالك وخالفه فيه غيره فجعله مستحبا في جميع المساجد وانما كرهه مالك في المساجد لانها محل الخشوع (وقال أبو هريرة) في حديث رواه الشيخان (عنه عليه الصلاة والسلام) انه قال (صلاة في مسجدي هذا خير) أي أفضل واكثر ثوابا (من ألف صلاة فيما سواه) من جميع المساجد (الا المسجد الحرام) يعني مسجد مكة المشرفة وسمي حراما لحرمة القتال فيه وكذا الصيد وقطع اشجاره وتتمة الحديث وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة صلاة في مسجدي هذا (قال القاضي) أبو الفضل مصنف هذا الكتاب وهو عياض رحمه الله (اختلف) بالبناء للمجهول أي اختلف العلماء والفقهاء (في معنى هذا الاستثناء) يعني المراد بقوله الا المسجد الحرام واختلافهم فيه مبني (على اختلافهم في المفاضلة) أي القول بأيهما أفضل من الآخر (بين مكة والمدينة فذهب) الامام (مالك في رواية أشهب) بن عبد العزيز أبو عمرو القيسي المصري تلميذ مالك في مروياته (عنه) أي عن مالك (وقال عبد الله (ابن نافع وصاحبه) أي صاحب امام مالك الذي روى عنه (وجماعة أصحابه) أي أصحاب مالك (الى ان معنى الحديث) المذكور والاستثناء فيه لانه ان لم يكن خيرا من ألف صلاة فيما سواه احتمل ان تكون الصلاة في المسجد الحرام أكثر ثوابا من الصلاة في المسجد النبوي وان الصلاة فيه تفضل صلاة المسجد الحرام باقل من ألف وان الصلاة في المسجد النبوي لا تفضله بل تساويه والكل محتمل وهذه رواية أشهب عنه ورواية ابن وهب وابن مطرف وابن حبيب من أصحاب مالك عنه موافقة للجمهور في تفضيل مكة على المدينة والاولون على ان معناه (ان الصلاة في مسجد الرسول) صلى الله تعالى عليه وسلم (أفضل من الصلاة في سائر المساجد) أي باقيها (بألف صلاة الا المسجد الحرام فان الصلاة في مسجد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أفضل من الصلاة فيه) أي في المسجد الحرام (بدون ألف) أي أقل منه وهو تأويل بعيد وممن استبعده من المالكية ابن عبد البر رحمه الله وناهيك به لما ثبت في مسند أحمد عن عبد الله بن الزبير انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد الا المسجد الحرام وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة في مسجدي هذا وسيذكره المصنف رحمه الله تعالى قريبا وهو حديث حسن كما ذكره البيهقي كيف لا وقد مدحه الله تعالى وأمر بالحج اليه وفي الحديث أيضا انه صلى الله عليه وسلم وقف على راحلته بمكة وهو يقول والله انك لخير أرض الله واحب ارض الله الى الله ولولا اني أخرجت منك ما خرجت كما رواه الترمذي والنسائي وقال انه حديث حسن (واحتجوا) لما ذهبوا اليه من تفضيل المدينة (بما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه صلاة في المسجد الحرام خير من مائة صلاة فيما سواه) أي غير المسجد الحرام لما علم مما

(فيأتي فضيلة مسجد الرسول عليه بتسعمائة وعلى غيره بالف) وسيأتي ما يناقضه ويعارضه بما هو أصح في هذا الباب مما روى عن عمر ابن الخطاب والله أعلم بالصواب (وهذا مبني على تفضيل المدينة على مكة) أقول بل تفضيل المدينة على مكة مبني على هذا انسحب تفضيل المكانين بموجب تشريف المسجدين والا فلا شك ان مكة لكونها من الحرام المحترم اجماعا أفضل من نفس المدينة ماعدا التربة السكينة فانها افضل من الكعبة بل من العرش على ما قاله جماعة على انه لا فضيلة في العبادة بالمدينة خارج مسجدها لعدم تعلق المضاعفة في الحسنة بها بخلاف مكة وما حولها من الحرم المحترم والله تعالى أعلم والحاصل انه ان ثبت أفضلية مسجد المدينة يدل على أفضلية المجاورة بها الان المقصود من السكون فيها اتيان العبادة بها على ما قدمناه (وهو قول عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه) وفيه ان رواية الحديث السابق ليس لها دلالة على مذهبه اللاحق (ومالك وأكثر المدنيين) أي علماء أهل المدينة وفقهائهم من التابعين (وذهب أهل مكة والكوفة) ومنهم أبو حنيفة وأصحابه وأحمد بن حنبل وسفيان الثوري وحماد وعلقمة وأصحاب الشافعي وغيرهم (الى تفضيل مكة) لحديث النسائي وابن ماجه والترمذي حسنه وصححه عن عبد الله بن الحمراء قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحزورة فقال والله انك لخير ارض الله الى الله تعالى ولولا اني أخرجت منك ما خرجت ٥٣٠ (وهو قول عطاء) وهو من اكابر التابعين (وابن وهب وابن حبيب من أصحاب مالك وحكاه الساجي) بالسين المهملة والجيم محدث البصرة وعنه أخذ الاشعري مقالة أهل الحديث وله كتاب جليل في علل الحديث ذكره الشيخ أبو اسحق في طبقاته فقال أخذ عن الربيع والمزني وصنف كتاب اختلاف الفقهاء وكتاب علل الحديث وتوفي بالبصرة سنة سبع وثلثمائة ذكره في الميزان وقال أحد الاثبات ما علمت فيه جرحا أصلا وقال أبو الحسن بن القطان مختلف فيه في الحديث وثقه قوم وضعفه آخرون (عن الشافعي) أي نصا في هذا الباب (وحملوا الاستثناء في الحديث المتقدم) أي عن أبي هريرة برواية الشيخين (على ظاهره) أي للزيادة (وان الصلاة في المسجد الحرام أفضل) أي منها في مسجده عليه الصلاة والسلام (واحتجوا) أي لتفضيل مكة على المدينة (بحديث عبد الله بن الزبير عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثل حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه) أي صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام (وفيه) أي وزيد في حديث ابن الزبير (وصلاة في المسجد الحرام أفضل من الصلاة في مسجدي هذا بمائة صلاة) فهذا منطوق وقع صريحا لا يعارضه مفهوم ولو كان صحيحا والحديث هذا انما ثبت في مسند أحمد بن محمد بن حنبل وغيره من حديث عبد الله بن الزبير ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد الا المسجد الحرام وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة صلاة في مسجدي هذا وقال النووي في شرح مسلم هذا حديث حسن رواه أحمد بن حنبل في مسنده والبيهقي وغيرهما باسناد حسن انتهى وقد رواه ابن حبان في صحيحه هذا وقال الدلجي في قوله بمائة صلاة أسقط منه المضاف الى صلاة أي بمائة ألف صلاة اذ قد ورد كذلك عند أحمد وابن ماجه عن جابر باسنادين صحيحين بلفظ صلاة في مسجدي أفضل من ألف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام وصلاة في المسجد الحرام أفضل من ألف صلاة فيما سواه فحديث ابن الزبير هذا روى أبو هريرة صدره وعمر آخره

تقدم (فتأتي فضيلة مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم عليه) أي على المسجد الحرام (بتسعمائة وعلى غيره بالف) أي غيره من المساجد ورد بان هذه الرواية شاذة والمحفوظ ما رواه سليمان بن عتيق عن ابن الزبير عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه بلفظ صلاة في المسجد الحرام أفضل من ألف صلاة فيما سواه الا مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم فان فضله عليه بمائة صلاة وقد روي من طرق (وهذا) أي ما ذكره من ان الصلاة في مسجد الرسول أفضل من الصلاة في مسجد مكة بدون الالف (مبني على تفضيل المدينة على مكة على ما قدمناه) قريبا (وهو) أي تفضيلها عليها (قول عمر بن الخطاب ومالك) في احدى الروايتين عنه (واكثر المدنيين) أي علمائها لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم ما بين قبري ومنبري الخ ونحوه (وذهب أهل مكة و) علماء (الكوفة الى تفضيل مكه) على المدينة (وهو قول ابن وهب وعطاء وابن حبيب من أصحاب مالك) وفي رواية عنه (وحكاه الساجي) بسين مهملة وجيم نسبة الى ساج بلدة وهو أبو يحيى زكريا بن يحيى الضبي البصري (عن الشافعي) رضي الله عنه لانه من أئمة الشافعية توفي بالبصرة سنة سبع وثلاثمائة وله كتاب جليل في علل الحديث وكتاب في اختلاف الفقهاء وهو حجة وان ضعفه بعضهم وله ترجمة في الميزان (وحملوا) أي المفضلون لمكة (الاستثناء في الحديث المتقدم على ظاهره) من استثنائه واخراجه مما فضل عليه مسجد المدينة فلا يكون مفضلا عليه بل دونه لما عرفته فلا يرد انه يحتمل المساواة وهو على هذا مستثنى مما سواه لقربه (وان الصلاة في المسجد الحرام افضل واحتجوا) لما قالوه (بحديث عبد الله بن الزبير عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) الذي أخرجه أحمد وابن حبان (بمثل حديث أبي هريرة وفيه) أي في حديث ابن الزبير (وصلاة في المسجد الحرام افضل من الصلاة في مسجدي هذا بمائة صلاة

وروى قتادة مثله) أى مثل حديث ابن الزبير فى أفضلية مكة (فيأتى فضل الصلاة فى المسجد الحرام على هذا) الذى رواه ابن الزبير وقتادة (على الصلاة فى سائر المساجد مائة ألف) وفيما قاله شئ لأنه كما قيل أسقط منه مضاف الى صلاة أى مائة ألف صلاة وهو كذا فى رواية أحمد وابن ماجه باسنادين صحيحين فلا يخفى مافيه وحديث ابن الزبير هذا روى صدره أبو هريرة وعجزه عمر رفعا عرفه (ولا خلاف) بين العلماء والمحدثين فى (ان موضع قبره) أى الموضع الذى قبر فيه صلى الله عليه وسلم وضم جسده الشريف (أفضل من) سائر (بقاع الارض) كلها بل هى أفضل من السموات والعرش والكعبة كما نقله السبكى رحمه الله تعالى لشرفه صلى الله عليه وسلم وعلو قدره وقال القرافى فى القواعد للتفضيل أسباب فقد يكون للذات كتفضيل العلم وقد يكون بكثرة العبادة له أولما وقع فيه وقد يكون بالمجاورة كتفضيل جلد المصحف وقد يكون بالحلول كتفضيل قبره صلى الله تعالى عليه وسلم على البقاع فلا وجه لانكار ما فى الشفاء ان الافضل انما هو بكثرة الثواب على الاعمال لاعمل على القبر فانه ممنوع ويلزمه ان لا يكون جلد المصحف بل المصحف مفضل وبطلانه معلوم من الدين بالضرورة انتهى ووافقه السبكى رحمه الله فقال الاجماع على ان قبره صلى الله عليه وسلم أفضل البقاع وهو مستثنى من تفضيل مكة على المدينة كما قيل

جزم الجميع بان خير الارض ما * قد حاط ذات المصطفى وحواها
ونعم لقد صدقوا بساكنها علت * كالنفس حين زكت زكى مأواها

وقال ابن عبد السلام التفضيل يكون لامور غير العمل فقبره صلى الله تعالى عليه وسلم أفضل الامكنة لتجلى الله له بما ينزل عليه من الرحمة والرضوان والملائكة لا حاجة الى ماقيل انه صلى الله عليه وسلم حى فى قبره له أعمال فيه مضاعفة وان كان صحيحا ولو سلمنا ان المكان لا أفضل له فى ذاته فالفضل كونه لاجل ماحل فيه وقول السروجى من الحنفية لم نجد من تعرض لهذا فى مذهبنا الدس يتوقف فيه بل لعدم وقوفه عليه ويكفى لفضله مااشتهر من ان كل احد يدفن فى التربة التى خلق منها * قلت وفى هذا أفضل الضجيعين وفخر كفى بشرفها حتى قال فى عوارف المعارف روى عن ابن عباس ان أصل طينته صلى الله تعالى عليه وسلم من سرة الارض وهو موضع الكعبة بمكة فاول ما أجاب ذريته صلى الله تعالى عليه وسلم ومنها دحيت الارض فهو أصل التكوين والكائنات تبع له ولما تموج الطوفان أتى بطينته لمحل دفنه صلى الله تعالى عليه وسلم ففى الحقيقة لم يدفن الا فى أصل الكعبة الذى خلق منها صلى الله عليه وسلم انتهى وهو غريب لا يعلم مثله الا بالنقل وهو قول ثقة ويؤيده ماجاء فى بعض الآثار ان سليمان عليه الصلاة والسلام زار محل قبر نبينا واخبر انه سيقبر فيه وترك ثم أربعمائة من احبار بنى اسرائيل ينتظرون بعثته وهجرته اليهم فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين وههنا بحث وهو ان البقعة التى ضمت الجسد العظيم اذا كان أفضل من سائر البقاع يلزم ان يكون المدينة أفضل من مكة بلا نزاع لان المدينة هى تلك البقعة مع زيادة وزيادة الخير خير فكيف يتصور الخلاف بينهم على هذا بل نقول المدينة بعد هجرته صلى الله عليه وسلم اليها واقامته بها تفضل مكة حينئذ لان شرف المكان بالمكين فلابد من تحرير الخلاف حتى يقام عليه الدليل وفى كلام شيخنا ابن قاسم مايقتضى ماتقدر ان أفضل البقعة التى ضمت أعضاءه صلى الله تعالى عليه وسلم ثابت قبل دفنه فيها وقبل موته بل وقبل هجرته نعم قد يقال تفضيلها على الكعبة والعرش والكرسى انما ثبت بعد دفنه فيها لشرفها به لا قبله لانها حينئذ ليس فيها الا انها جزء من الكعبة مجرد فلا يزيد على بقية اجزائها الا ان يقال اعداده لدفنه صلى الله تعالى عليه وسلم فيها اقتضى مزيتها على بقية الاجزاء قبل دفنه فيها أيضا وهل البقعة المذكورة أفضل من منزله عليه الصلاة والسلام فى الجنة أو منزله فيها أفضل

(وروى قتادة مثله) وفى نسخة روى عن قتادة أى مثل حديث ابن الزبير (فيأتى فضل الصلاة فى المسجد الحرام على هذا) أى القول المحتج المجتمع له بحديث ابن الزبير (على الصلاة فى سائر المساجد) أى ولو مسجد المدينة (بمائة ألف) قال الحجازى يروى بمائة وألف اقول الظاهر انه تصحيف فى المبنى وتحريف المعنى ثم اعلم ان العلماء صرحوا بان هذه المضاعفة فيما يرجع الى الثواب فثواب صلاة فيه يزيد على ثواب مائة ألف فيما سواه ولا يتعدى ذلك الى الاجزاء عن الفوائت حتى لو كان عليه صلاتان فصلى فى مسجد المدينة أو المسجد الحرام أو المسجد الاقصى صلاة لم تجزئه عنهما وهذا مما لا خلاف فيه بين العلماء خلافا لما يغتر به بعض الجهلاء (ولا خلاف) أى بين علماء الامصار (ان موضع قبره صلى الله تعالى عليه وسلم أفضل بقاع الارض) أى بشرف قدره وكرمه عند ربه

(قال القاضي أبو الوليد الباجي) بالموحدة والجيم (الذي يقتضيه الحديث) أي الوارد في فضل المسجدين (مخالفة حكم مسجد مكة لسائر المساجد) ومن جملتها مسجده عليه الصلاة والسلام بدليل حمل الاستثناء في حديث أبي هريرة على ظاهره وحديث عمر رضي الله عنه صلاة في المسجد الحرام خير من مائة صلاة فيما سواه (ولا يعلم منه) أي من الحديث المذكور (حكمها) أي حكم مكة (مع المدينة) في أيهما أفضل من الاخرى الا انه يدل على ان المجاورة بمكة والمداومة في مسجدها بالجماعة أفضل من المجاورة بالمدينة لما يترتب عليها من مزيد المضاعفة الا ان حديث حسنات الحرم بمائة ألف ان ثبت صريح في ان نفس مكة أفضل من نفس المدينة ما عدا البقعة السكينة ومما يدل عليه أيضا ما تقدم من حديث ابن الحمراء فانه حديث صحيح ودلالته على المدعى صريح (وذهب الطحاوي) أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة العالم المشهور في مذهب الحنفي (الى ان هذا التفضيل) أي في المسجدين (انما هو في صلاة الفرض) أي لان النافلة في البيوت أفضل (وذهب مطرف) بضم ميم وكسر راء مشددة وهو اليساري المدني مولى ميمونة يروى عن خاله مالك ونافع القاري وعنه البخاري وأبو ذرعة (من أصحابنا) أي المالكية (الى ان ذلك) أي التفضيل الوارد في الصلاة فيهما (في النافلة أيضا) أي منضمة الى الفريضة أخذا بظاهر عموم الحديث وكذا قاله أيضا أصحاب الشافعي على ما نقله الحلبي (قال) أي الطحاوي أو مطرف في تفضيل الصلاة والصوم فيهما (وجمعة خير من جمعة) أو في غيرهما بما سبق في فضلهما كصيام (ورمضان خير من رمضان) أي كذلك (وقد ذكر عبد الرزاق في تفضيل رمضان بالمدينة وغيرها) أي من البلاد والظاهر على غيرها (حديثا نحوه) أي نحو ما ذكر قبله رواه الطبراني عن بلال بن الحارث رمضان بالمدينة خير من رمضان وجمعة بها خير من جمعة بحذف المفضل عليه للعموم كذا ذكره الدلجي وفي الجامع الصغير رمضان بالمدينة خير من ألف رمضان فيما سواها من البلدان وجمعة بالمدينة خير من ألف جمعة فيما سواها من البلدان رواه الطبراني والضياء عن بلال بن الحارث المزني وورد رمضان بمكة أفضل من ألف رمضان بغير مكة رواه البزار عن ابن عمر

كما سبق الى الفهم وقد يقال هذه أفضل ما دام فيها فاذا صار في الجنة صار منزله أفضل وقد يقال يجوز ان يكون هذه منقولة من منزله في الجنة أو ينقل اليها فلها حكمة فليتأمل * واعلم ان العز بن عبد السلام لما قال ان الامكنة والازمنة متساوية بان لا تفاضل بينهما ظن بعضهم ان القبر الشريف لا يتصور تفضيله لذاته فان التفضيل للمكان انما هو بحسب فضل الاعمال الواقعة فيه ورد بان التفضيل له أسباب غير ذلك كما مر وفضل الاعمال في المدينة على أعمال مكة غير مسلم كما مر ولو سلم ففيها أعمال كثيرة ليست بغيرها كالحج والعمرة والمناسك فهي تزيد بذلك فلذا قال مالك في المدينة أيضا ما ليس في غيرها مجاورة رسول الله صلى الله عليه وسلم وظهور الاسلام ونحوه والخلاف لفظي فتدبر (قال القاضي أبو الوليد الباجي) بموحدة وقد تقدمت ترجمته (الذي يقتضيه الحديث) المتقدم الذي في فضل مسجديهما (مخالفة حكم مسجد مكة لسائر المساجد) حتى مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم لانه ذكر فيه التفاضل بين الصلاة في المسجدين (ولا يعلم منه) أي من الحديث الذي استدلوا به (حكمها) أي حكم مكة في التفاضل (مع المدينة) أي بالقياس اليها بالتفاضل فايتهما أفضل وهو الذي ذكر الخلاف فيه بين مالك وغيره (وذهب الطحاوي) هو الامام أبو جعفر أحمد بن محمد الحنفي كما تقدم (الى ان هذا التفضيل) بالضاد المعجمة أي تضعيف أجر الصلاة باحد المسجدين مسجد مكة أو المدينة وضبطه بعضهم بالصاد المهملة وقال انه المسموع عن المصنف في الاصول والظاهر الاول (انما هو في صلاة الفرض) وانه الذي يضاعف ثوابه وعممه بعضهم في الفرض والنفل وهو المختار واليه أشار بقوله (وذهب مطرف) بضم الميم وفتح الطاء وكسر الراء المشددة المهملتين وفاء وهو أبو مصعب مطرف النيسابوري المدني ابن أخت الامام مالك روى عنه البخاري وهو ممن جاز القنطرة حتى روى عنه مالك وان كان من اتباعه في الفقه توفي سنة عشرين ومائتين وعمره ثلاث وثمانون سنة (من أصحابنا) أي من المالكية وقيده به احترازا عن مطرف بن عبد الله بن الشخير البصري الزاهد توفي سنة خمس وتسعين كما في الحلية لابي نعيم (الى ان ذلك) أي مضاعفة ثواب الصلاة (في النافلة أيضا) أي كالفرض لظاهر عموم الحديث وهو المختار عند الشافعي اذ لا داعي للتخصيص بل شامل لسائر العبادة بدلالة النص كما أشار اليه بقوله (قال) أي مطرف وقيل الضمير للطحاوي (وجمعة خير من جمعة) أي ثواب جمعة فيه يزيد على جمعة في غيره ويحتمل انه جمع جمعة مضاف لضمير المسجد والاول أولى لقوله (ورمضان) فيه (خير من رمضان) في غيره وهو منون مصروف لتنكيره (وقد ذكر عبد الرزاق) بن همام المحدث الحافظ كما تقدم (تفضيل رمضان بالمدينة وغيرها) من البلاد (حديثا نحوه) أي مثل الحديث المذكور في فضل الصلاة وهو ما رواه الطبراني وغيره عن بلال انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال صيام شهر رمضان في المدينة

(وقال عليه الصلاة والسلام ما بين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة) رواه أحمد والشيخان والنسائى عن عبد الله بن زيد المازنى والترمذى عن أبى هريرة (ومثله) أى مثل هذا اللفظ (عن أبى هريرة وأبى سعيد) أى فى الموطأ (وزادا) وفى نسخة صحيحة زاد أى أبو سعيد الخدرى (ومنبرى على حوضى) أى حقيقة أو مجازا كما سيأتى (وفى حديث آخر) وقد سبق مخرجه (منبرى على ترعة من ترع الجنة) بضم الفوقية وسكون الراء وقد تقدم معناها (قال الطبرى) الظاهر انه محمد بن جرير (فيه) أى فى الحديث الاول (معنيان أحدهما أن المراد بالبيت بيت سكناه) أى مع عائشة فى مبيته ومثواه (على الظاهر) أى المتبادر من المعنى اللغوى للبيت (مع انه روى ما بينه) أى هذا المعنى وهو قوله (بين حجرتى ومنبرى والثانى) أى ثانيهما (ان البيت هنا القبر) أى باعتبار مآله (وهو قول زيد ابن أسلم فى هذا الحديث كما روى) أى فى بعض الروايات (بين قبرى ومنبرى قال الطبرى) أى جمعا بين الروايات (واذا كان قبره فى بيته) أى فى آخر أمره (واتفقت معانى الروايات ولم يكن بينها خلاف) فى مبانى الاعتبارات (لان قبره عليه الصلاة والسلام فى حجرته وهو) أى حجرته (وذكره لتذكير خبره هو بيته وقوله) أى فى الحديث الآخر (ومنبرى على حوضى قيل يحتمل انه) منبره أى موضعه (بعينه الذى كان موضعه فى الدنيا وهو أظهر) أى من غيره من الاقوال وذلك بان تنقل تلك البقعة بعينها الى أرض الآخرة فيقع من بقع أرض الحوض فيها (والثانى أن يكون له هنالك منبر) أى عند الكوثر (والثالث ان قصد منبره والحضور) عنده لملازمة الاعمال الصالحة يورد الحوض ويوجب الشرب منه قاله الباجى وقوله روضة (من رياض الجنة يحتمل معنيين أحدهما انه) أى أيضا (موجب لذلك) أى لما سبق هنالك كما بينه بقوله (وان الدعاء والصلاة فيه) أى فيما بين بيته ومنبره (يستحق ذلك من الثواب كما قيل الجنة تحت ظلال السيوف) كان حقه أن يقول كما روى فانه حديث رواه الحاكم فى مستدركه عن أبى موسى وفى معناه الجنة تحت أقدام الامهات رواه القضاعى والخطيب فى الجامع عن أنس رضى الله تعالى عنه

كصيام ألف شهر فيما سواها ثم رجع الى بيان فضائل المدينة فقال (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه الشيخان (ما بين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة) تقدم الكلام عليه وان الروضة أرض فى مكان مطمئن ذات أشجار ومياه (ومثله) فى معناه ولفظه (عن أبى هريرة وأبو سعيد) الخدرى (وزاد) فيه أبو سعيد كما فى الموطأ (ومنبرى على حوضى) قيل انه تمثيل لان الذكر والعبادة عنده والايقاظ يورث الرى من العطش فى هول القيامة (وفى حديث آخر) تقدم (منبرى على ترعة من ترع الجنة) تقدم بيانه وهو تمثيل أيضا وتقدم تفسير الترعة (قال الطبرى) محمد بن جرير لا الكيا كما قيل (فيه معنيان) أى وجهان واحتمالان (أحدهما ان المراد بالبيت بيت سكناه) الذى كان يسكنه وهذا مبنى (على الظاهر) المتبادر من لفظه (مع انه ورد) فى بعض الروايات (ما بينه) ويعين المراد منه وهو (ما بين حجرتى ومنبرى) لان الحجرة بضم الحاء محل السكنى على وجه الارض وقد فسرت بالغرفة فلم يبق الاحتمال ارادة القبر لانه لا يطلق عليه حجرة (والثانى ان البيت هنا) أى فى الحديث المذكور المراد به (القبر) فانه يطلق عليه بيت مجاز الان معناه ما يبيت فيه الحى وقربه هنا انه صلى الله عليه وسلم حى فى قبره (وهو قول زيد بن أسلم) الفقيه العمرى كما تقدم (فى هذا الحديث) وفسره به (كما روى ما بين قبرى ومنبرى) فهذا يؤيده ووفق بين القولين بما (قال الطبرى واذا كان قبره فى بيته اتفقت معانى الروايات ولم يكن بينها خلاف) بحسب المعنى (لان قبره فى حجرته وهو بيته) واخباره صلى الله عليه وسلم به قبل موته اخبار باحدى المغيبات الخمس فهو من معجزاته صلى الله عليه وسلم (وقوله) فى هذا الحديث (ومنبرى على حوضى) فى تفسيره أقوال منها ما (قيل) انه (يحتمل انه منبره) المعروف (بعينه الذى كان فى الدنيا وهو الاظهر) لتبادره من غير داع لتأويله فينقل ويجعل ثمة كما ان الجذع الذى كان يخطب عنده يغرس فى الجنة كما روى يأتى (و) القول (الثانى ان يكون له هنالك) أى فى المحشر عند الحوض (منبر) آخر يوضع له عند الحوض تكريما له صلى الله عليه وسلم فيقوم عليه لدعوة الخلق لحوضه تكريما له ولامته (و) القول (الثالث) انه ليس على حقيقته بل من باب ذكر السبب وارادة المسبب فالمراد (ان قصد منبره والحضور عنده) فى الدنيا (لملازمة الاعمال الصالحة) متعلق بقصد أو حضور أو هو علة مقدمة لقوله (يورد الحوض ويوجب الشرب منه) لاعماله الصالحة فى الدنيا (قاله الباجى) تقدم بيانه (وقوله) فى الحديث (روضة من رياض الجنة يحتمل معنيين) وتفسيرين (أحدهما انه موجب لذلك) أى مقتض له اقتضاء محققا فكأنه موجب له أى لدخول روضة من رياض الجنة لمن دخله فى الدنيا (وان الدعاء والصلاة فيه) أى فيما بين المنبر والقبر (يستحق) صاحبها (ذلك من الثواب) بيان لذلك أو تعليل له فقيه تجوز (كما قيل) فى حديث صحيح فى الترغيب فى الجهاد والشهادة (الجنة تحت ظلال السيوف) كناية عن دنو المجاهدين من الجنة حتى كأنه اذا رفع سيفه للضرب به أو

(والثانى ان تلك البقعة قد ينقلها الله فتكون فى الجنة بعينها قاله الداودى) قيل هو الذى شرح البخارى (وروى ابن عمر) أى كما رواه مسلم (وجماعة من الصحابة أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال فى المدينة) أى فى فضلها (لا يصبر على لأوائها) بفتح اللام وسكون الهمزة والمد أى ضيق المدينة وعنائها (وشدتها) أى وشدة بلائها (أحد الا كنت له شهيدا) مبالغة شاهد أى أشهد له بما أعلم من صبره عليها (أوشفيعا) مبالغة شافع أى وأشفع له (يوم القيامة) وأوههنا ليست للشك لانه رواه جابر وسعد ابن أبى وقاص وابن عمر وأبو سعيد وأبو هريرة وأسماء بنت عميس وصفية بنت أبى عبيدة وهى تابعية على الصحيح فحديثها مرسل عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بهذا اللفظ و يبعد اتفاقهم على الشك وكذا يستحيل اتفاق رواتهم على الشك فاوهنا بمعنى الواوأو للتقسيم كما صرح به النووى فيكون شهيدا لبعض شفيعا لباقيهم أو شهيدا لمطيعهم شفيعا لمذنبهم أوشهيدا لمن مات فى حياته شفيعا لمن عاش بعد وفاته وهذه خصوصية زائدة على شهادته فى القيامة على جميع الامم أوعلى أصفياء هذه الامة وزائدة على شفاعته الكبرى للخلق أجمعين والصغرى للمذنبين وقد ورد شفاعتى لاهل الكبائر من أمتى وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم فى قتلى أحد أنا شهيد على هؤلاء أى شهادة خاصة توجب مزيد الرفعة والعلاء والحاصل انه عليه الصلاة والسلام له شهادات متكاثرة وشفاعات متظاهرة فى مواقف الآخرة (وقال) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم رواه

علاه سيف لمن يضربه وظهر ظله فالجنة تحت ذلك الظل أو ظلال السيوف كناية عن القتال بها فجعله سببا الدخول من أظلته الجنة وهذا مراد القاضى هنا (والثانى) من معانيه المحتملة (ان تلك البقعة) من بقاع المسجد التى بين القبر والمنبر (قد ينقلها الله) من الدنيا الى الآخرة (فتكون فى الجنة بعينها) فهو على حقيقته (قاله الداودى) هو أحمد بن نصر شارح البخارى وهو أبو جعفر الاسدى اليشكرى التلمسانى توفى بتلمسان سنة أربعين وأربعمائة وتلمسان بكسر التاء واللام ويقال تلمسين ويجوز تسكين لامها وفى نسخة الماوردى وقال ابن حجر ان معنى قوله روضة الى آخره انه كروضة من رياض الجنة فى نزول الرحمة وحصول السعادة لمن يلازم حق ذكرها لاسيما فى عهده صلى الله عليه وسلم فهو تشبيه بليغ ومعناه ان العبادة فيه تؤدى الى الجنة أوهو على ظاهره بان ينقل من الدنيا للآخرة قال ابن حجر والوجوه الثلاثة على ترتيبها فى القوة فالوجه الاخير أضعفها وقال بعضهم انه قواها لان الاصل الحقيقة ولا يخفى ما فيه ثم قال ابن حجر الهيتمى والاظهر الجمع بين المعنيين يعنى انها تنقل الى الجنة وتؤديه الى رياضها ويؤيده ويقويه ان الصلاة فيه بالف صلاة فى غيره وان الجذع الذى كان صلى الله عليه وسلم يخطب عنده يغرس فى الجنة فهذا يقتضى ان البقعة تنقل اليها أيضا ولا يخفى ما بين أول كلامه وآخره من التدافع وقوله الجنة تحت ظلال السيوف حديث صحيح كما مر رواه الشيخان عن عبد الله بن أبى أوفى وأوله انه صلى الله تعالى عليه وسلم فى بعض غزواته انتظر حتى مالت الشمس ثم قام فى الناس خطيبا فقال يا أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو وسلوا الله العافية فاذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا ان الجنة تحت ظلال السيوف اللهم منزل الكتاب ومجرى السحاب وهازم الاحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم وفى النهاية انه كناية عن الضراب والجهاد والدنو منه والظل والفىء بمعنى وقد يقال الظل لما قبل الزوال والفىء لما بعده كما فصله أهل اللغة وقلت فى قطعة

قلت له لما دنا طرفه * بناظر أهدى الينا الحتوف

أوجنة من تحت أهدابه * أم جنة تحت ظلال السيوف

(وروى ابن عمر) فى حديث رواه مسلم (وجماعة من الصحابة أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال فى) حق (المدينة) والساكنين بها انه (لا يصبر على لأوائها) بفتح اللام وسكون الهمزة وواو بعدها مد (وشدتها) عطف تفسير لان اللأواء هى الشدة والمشقة والضيق وجاءت بمعنى القحط ورجح الاخير ليكون تأسيسا (أحد) فاعل يصبر (الا كنت) عبر بالماضى لتحققه أى أكون (له شهيدا أوشفيعا يوم القيامة) قال المصنف رحمه الله تعالى والنووى أوهنا ليست للشك من الراوى لانه رواه نحو عشرة من الصحابة كذا ولا يظهر اتفاقهم على الشك فهو صلى الله تعالى عليه وسلم قاله هكذا فاو للتقسيم أى شهيدا لبعض وشفيعا لبعض أوشهيدا للطيعين أو لمن مات فى حياته وشفيعا للعاصين أو لمن مات بعده وشهادته بانهم ماتوا على خير وشفاعته لهم بتضعيف ثوابهم أو تخفيف حسابهم وغير ذلك وينبغى ان تكون هذه خصوصية زائدة لعموم شفاعته صلى الله عليه وسلم وشهادته كما قال الله تعالى (وجئنا بك على هؤلاء شهيدا) وأو بمعنى الواو فيه وقال بعضهم انها للشك وعليه فرواية شهيدا ظاهرة ورواية شفيعا انها شفاعة خاصة لهم بعلو درجاتهم وجعلهم فى جواره دنيا وآخرة وفى الحديث دليل لمن استحب الجوار بالحرمين ومن كرهه لامر خاص بمن لا يراعى حقوقهما المضاعفة الاعمال ثمة (وقال) صلى الله عليه وسلم فى حديث

(فيمن تحمل) أي رفع حمله وأمتعته ونقلها (من المدينة) وتحول عنها الى غيرها (المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون) رواه الشيخان عن سفيان ابن أبي زهير والمعنى لو علموا خيريتها لما فارقوها أو لو كانوا من أهل العلم لعلموا خيريتها واصبروا على بليتها (وقال) أي النبي عليه الصلاة والسلام كما رواه الشيخان عن جابر (انما المدينة كالكير) بكسر الكاف وهو كير الحداد وهو المبني من الطين أو هو الزق الذي ينفخ به النار والمبني الكور وقاله ابن الاثير (تنفي) أي المدينة (خبثها) بفتحتين أو بضم فسكون وهو منصوب على المفعولية (وينصع) بنون ساكنة فصاد مفتوحة فعين مهملة أي ويخلص وقيل يبقى ويذر (طيبها) بفتح طاء مهملة وتحتية مشددة مكسورة أو بكسر فسكون وهو مرفوع على انه فاعل ولو روي تنصع بالتأنيث وطيبها بالنصب لكان وجها وجيها قيل هذا القول صدر عنه عليه الصلاة والسلام على وجه التمثيل لأهل المدينة وما يصيب ساكنها من الجهد والبلاء والقحط والغلاء كمثل الكير بتمييزه الخبيث من الطيب فيذهب الوسخ ويبقى نحو الذهب أزكى ما كان واخلص وقد روي في سبب ورود الحديث ان اعرابيا بايع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فاصاب الاعرابي حمى بالمدينة فاتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقال يا محمد أقلني بيعتي فابى ثم جاء فقال اقلني بيعتي فابى فخرج الاعرابي فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الحديث وعن عمر بن عبد العزيز لما خرج من المدينة التفت اليها وبكى ثم قال نخشى ان نكون ممن نفته المدينة (وقال) أي في حديث آخر رواه مسلم عن جابر (لا يخرج أحد من المدينة رغبة عنها) أي للزهد فيها والاعراض عنها وعدم الميل اليها (الا أبدلها الله تعالى خيرا منه) أي راغبا في سكناها صابرا على بلواها

رواه الشيخان (فيمن تحمل عن المدينة) أي رحل عنها وفارقها مختارا السكنى غيرها عليها ومعنى تحمل رفع حمله وامتعته معها فكني به عما ذكر وفي نسخة يحتمل وهما بمعنى (والمدينة خير لهم) من غيرها من البلاد (لو كانوا يعلمون) فيه ايجاز أي لو كانوا يعلمون فضلها لما اختاروا غيرها من البلاد ويحتمل ان لا يقدر شيء والمعنى لو كانوا من ذوي العلم والادراك وهو أبلغ في أداء المراد ولو شرطية أو للتمني أي ليتهم علموا ذلك وهو حديث طويل معناه انه سيفتح بلاد اليمن والشام ويأتي منها قوم يسوقون ابلهم ودوابهم ثم يترحلون عن المدينة وهي خير لهم والحديث في البخاري وشرحه وفيه معجزة له باخباره صلى الله عليه وسلم بالمغيبات لانها فتحت في عهد الخلفاء واختاروا سكناها (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث رواه الشيخان عن جابر (انما المدينة كالكير) بكسر الكاف وسكون المثناة التحتية وراء مهملة وهو آلة للحداد معروفة ينفخ بها النار لايقادها على الحديد والكور البناء من طين ونحوه يوضع عليه وقيل هما بمعنى والياء منقلبة عن الواو وهما من الكور وهو الزيادة وقيل الكير حانوت الحداد وفي النهاية الكير الطين الذي يبنيه الحداد لاجل النار وقيل هو الزق والحصر فيه اضافي وفي الصحاح خلافه ووجه الشبه انها (تنفي خبثها) بفتحتين وآخره مثلثة نصب على المفعولية أي تخرج ما خبث منها ولا تقبله كما ينفي الكير خبث الحديد لان ما فيه من الصدأ أو الاجزاء التي ليست خالصة منه تطير عنه مع الشرر وتبقى خالصة فكذلك المدينة لا يخرج عنها ويختار غيرها من غير ضرورة الا من خبثت طويته فهو لا يترك فيها من في قلبه غل وعدم صدق فتميزه عن غيره كما يميز الحداد بكيره جيد الحديد من رديه (وينصع طيبها) بكسر الطاء وسكون المثناة التحتية وموحدة وروي طيب بزنة سيد وهو مرفوع فاعل وينصع بفتح الياء وسكون النون وفتح الصاد المهملة وبعدها عين مهملة أي يخلص ويبقى خالصا فيها ما طاب كما يبقى من الحديد جيده ويذهب رديه من النصوع وهو صفاء البياض ومنه أبيض ناصع وأكثر الرواة على تشديد يائه وان ينصع بمثناة تحتية ورفع طيبها على الفاعلية حتى قيل ان التشديد متفق عليه وروي تنصع بمثناة فوقية ونصب طيبها وفاعله ضمير المدينة وضبط القزاز طيبها بكسر أوله واستشكله فان النصوع لا يعرف والمعروف فيه يضوع بضاد معجمة وواو مشددة واغرب في الفائق فقال انه بموحدة وضاد معجمة من أبضع التاجر اعطى البضاعة أي تعطى طيبها من يسكنها وتبعه في النهاية وقال الصاغاني انه خالف فيه جميع الرواة وكأنه تصحيف وروي ينضخ بضاد وخاء معجمتين ففيه روايات مختلفة أصحها بصاد وعين مهملتين بعد النون وقال المصنف رحمه الله تعالى في شرح مسلم الاظهر ان هذا يختص بزمنه صلى الله تعالى عليه وسلم والهجرة واجبة لانه لا يصبر على الهجرة والاقامة بها الا من ثبت على ايمانه لا المنافقون وجهلة الاعراب كما وقع للاعرابي الذي أصابه الوعك وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أقلني فقال هذا الحديث في حقه وقال النووي ليس هذا أظهر لما في صحيح مسلم لا تقوم الساعة حتى تنفي المدينة شرارها يعني في زمن الدجال والمدينة ترجف ثلاث رجفات فيخرج منها كل كافر ومنافق ويحتمل ان يكون هذا في أزمنة متفرقة انتهى * قلت ان أراد

(وروى عنه عليه الصلاة والسلام) كما في سنن البيهقي والدارقطني عن عائشة بسند ضعيف (من مات في أحد الحرمين حاجا أو معتمرا) أي قاصدا لاحدهما وهو أعم من قول الدلجي حال كونه محرما بهما (بعثه الله تعالى يوم القيامة لا حساب عليه ولا عذاب وفي طريق آخر) للبيهقي في الشعب عن عمر والطبراني عن جابر وسلمان (بعث من الآمنين يوم القيامة) وفي الجامع الكبير من مات في أحد الحرمين استوجب شفاعتي وكان يوم القيامة من الآمنين رواه الطبراني والبيهقي وضعفه عن سلمان (وعن ابن عمر) أي مرفوعا رواه الترمذي وصححه وابن ماجه وابن حبان (من استطاع ان يموت بالمدينة فليمت بها) تحريض على لزومها واقامته بها ليتأتى له ان يموت فيها اطلاقا للمسبب على سببه كما في قوله تعالى ولا تموتن الا وأنتم مسلمون (فاني أشفع لمن يموت بها) أي قبل ان أشفع لمن مات في غيرها قال التلمساني وروى فانها أشفع وقد أجمعوا ان الموت بالمدينة أفضل مما عداها وقد ورد عن عمر رضي الله تعالى عنه اللهم ارزقني شهادة في سبيلك وموتا في بلد رسولك وقد استجاب الله تعالى دعاءه وجمع له بين ما تمناه (وقال الله تعالى ان أول بيت وضع للناس) أي جعله الله تعالى معبدا لهم وقبلة يعبدونه فيها ويستقبلون ويتوجهون في عباداتهم اليها (للذي ببكة) وهي لغة في مكة من بكه اذا دقه لانها تدق أعناق الجبابرة أولان الناس يزاحم بعضهم بعضا في الطواف وقد روى انه عليه الصلاة والسلام سئل عن أول بيت وضع للناس فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس فقيل كم بينهما فقال أربعون سنة

(الى قوله آمنا) عامه (مباركا) أي كثير النفع خصوصا لمن حجه أو اعتمره وطاف حوله وشاهد حاله (وهدى للعالمين) أي مرشد لهم لانه قبلتهم ومتعبدهم (فيه آيات بينات) أي علامات واضحات على قدرته سبحانه وتعالى وعزته وعظم شانه (مقام ابراهيم) أي منها مكان قيامه وأثر قدم من أقدامه في حجر صلد قام عليه لرفع الحجارة في البناء أو حين اذن بالنداء (ومن دخله) أي البيت أو حرمه (كان آمنا) من التعرض في الدنيا ومن العذاب في العقبى وأما ما توهمه بعض العوام من ارجاع الضمير الى المقام فلا يصح في المرام لانه لا يتصور الدخول في حقيقة المقام والمعنى حوله من حوادث الايام

المصنف انه المراد بهذا الحديث بقرينة سببه وقصة الاعرابي لا يرد عليه ما قاله النووي (وروى عنه) وفي نسخة وقال صلى الله عليه وسلم كما في مسلم روايته عن جابر (لا يخرج أحد من المدينة رغبة عنها) من غير داع له ولا ضرورة (الا أبدلها الله خيرا منه) يقال رغب عنه اذا كرهه فالمنهي عنه ذلك فلا ينافي ان بعض الصحابة ارتحل عنها كبلال ومعاذ وأبي موسى الاشعري أو هو مخصوص بزمنه اذا كانت الهجرة لها واجبة (وروى عنه) صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال في حديث رواه البيهقي والدارقطني عن عائشة رضي الله عنها باسناد ضعيف (من مات في أحد الحرمين) حرم مكة والمدينة (حاجا أو معتمرا) أي قاصدا الاحرام بحج أو عمرة وهو حال من الفاعل (بعثه الله يوم القيامة لا حساب عليه ولا عذاب) وانما فسرناه بقاصد الذلك لان الاحرام من المدينة لا يتصور الا لمن أحرم من دويرة أهله أو لقرب ميقاتها والاحرام من الميقات أفضل عند بعضهم وقيل انه بتقدير أو زائرا واكتفى بها لاحد الحرمين بعلم ما لغيره وهو متجه أيضا وقوله لا حساب عليه ولا عذاب حال مقدرة أو مأولة بمبشر ونحوه (وفي طريق آخر) في هذا الحديث للبيهقي والطبراني (بعث) أي أحيي بعد موته (من الآمنين يوم القيامة) أي آمنا من مناقشة الحساب والعذاب (وعن ابن عمر) رضي الله تعالى عنهما في حديث رواه ابن ماجة وابن حبان والترمذي وصححه (من استطاع ان يموت بالمدينة) أي يقيم بها حتى يموت لان الموت ليس بقدرته واختياره (فليمت بها) أي فليقم بها حتى يأتيه الموت كما سمعته آنفا والامر للاستحباب (فاني أشفع لمن يموت بها) شفاعة خاصة كما مر لانه في جواره وحمايته وهو صلى الله تعالى عليه وسلم أوصى بالجار وروى فانها تشفع على الاسناد المجازي فان قيل قد جاء ما يعارض هذا وهو ما رواه النسائي عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال مات رجل بالمدينة ممن ولد بها فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال يا ليته مات بغير مولده قالوا لم ذاك يا رسول الله قال ان الرجل اذا مات بغير مولده يقاس له من مولده الى منقطع أثره في الجنة وذكره ابن طاهر في الصفوة وبوب عليه ايثارهم الغربة على الوطن فالجواب ان صح ذلك فلا معارضة بل الحديث خاص بمن لم يولد في المدينة وقد أحسن المصنف بختم ما يتعلق بالمدينة مع ذكر الحرمين لذكره بعده ما يتعلق بمكة كما أشار اليه في الترجمة وقوله (قال تعالى ان أول بيت وضع للناس الى قوله آمنا) شروع في بيان فضل مكة ووضعه للناس جعله معبدا وقبلة لهم وبكة ومكة بمعنى عند جماعة والباء تعاقب الميم كثيرا وقيل بكة موضع الكعبة ومكة اسم البلد وقال آخرون مكة الحرم كله وبكة المسجد خاصة حكاه الماوردي عن الزهري وزيد بن أسلم وبكة من بكه اذا دقه وهي تدق

أعناق

(قال بعض المفسرين آمنا من النار) ويدل عليه حديث يبعث الله من هذا الحرم سبعين ألفا وجوههم كالقمر ليلة البدر يدخلون الجنة بغير حساب يشفع كل واحد منهم في سبعين ألفا وجوههم كالقمر ليلة البدر وحديث الحجون والبقيع مقبرتا مكة والمدينة يؤخذ باطرافهما وينثران في الجنة وقيل مبناه خبر ومعناه أمر أي أمنوه ولا تتعرضوا له وهذا توجيه قوله (وقيل كان) وفي نسخة بل كان (يامن من الطلب) أي طلب النار (من أحدث حدثا) أي جنا جناية

من قتل نفس أو قطع جارحة (خارجا عن الحرم ولجأ) بالهمزة أي التجأ وعاذ وأما قول التلمساني وروى أولجأ بالتنويع فلا يصح مقام التفريع (اليه في الجاهلية) وكذا في الاحكام الاسلامية على مقتضى قواعد علمائنا الحنفية فانه لا يتعرض اليه مادام في الحرم المحترم الا انه لا يؤوى ولا يطعم ولا يسقى حتى يضطر الى الخروج فاذا خرج منه اقتص منه ولعل عادة الجاهلية كانت على الاطلاق وأما في الاسلام فمن أحدث حدثا في الحرم ولو دخل الكعبة يخرج منها او يقتص منه بالاتفاق (وهذا) أي قوله تعالى ومن دخله كان آمنا (مثل قوله تعالى واذ جعلنا البيت) أي الكعبة وما حولها من أرض الحرم (مثابة للناس) أي مرجعا لهم أو مكانا مثوبة لهم (وآمنا على قول بعضهم) أي العلماء الحنفية على ماقدمناعنهم أو معناه يامن من حجه أو اعتمره أو دخله من عذاب الآخرة أو موضع أمن لا يتعرض لاهله كقوله سبحانه وتعالى أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم (وحكى ان قوما أتوا سعدون) بفتح السين وسكون العين وضم الدال والقياس صرف سعدون وحمدون ولكنهما وقعا غير مصروفين في كتب الحديث من الاصول المعتمدة (الخولاني) بفتح الخاء المعجمة وسكون الواو فنون قبل ياء النسبة (بالمنستر) بضم ميم وفتح نون ويكسر وسكون سين مهملة وفوقية مكسورة وتحتية ساكنة فراء مكان بالقيروان

أعناق الجبابرة اذا قصدوها بسوء أو هو اشارة الى ازدحام الناس اذا طافوا وسئل صلى الله تعالى عليه وسلم عن أول بيت وضع للناس فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس فقيل كم بينهما فقال أربعون سنة وهو حديث صحيح لكنه مشكل لان وضع المسجد في زمن ابراهيم عليه الصلاة والسلام ووضع بيت المقدس في زمن داود وسليمان عليهم السلام وبينهما زمان أطول من تلك الاربعين باضعاف مضاعفة وأجيب بان داود عليه الصلاة والسلام لم يضعه وانما عمره كما بيناه في حواشي البيضاوي وتفسير الآية ظاهر تكلفت به التفاسير وبركته كثرة الخير فيه ومضاعفة ثواب العمل فيه (قال بعض المفسرين) في هذه الآية معنى قوله ومن دخله كان (آمنا) أمنه (من النار) وعذابها في الآخرة اذا دخله مؤمنا به وورد انه يدخل الجنة بغير حساب (وقيل) المراد بالامن أمنه في الدنيا وفي بعض النسخ بل اضراب عن التفسير الاول (كان يامن من الطلب من أحدث حدثا) أي فعل أمرا يستحق به العقوبة كالقتل (ولجأ) بالهمزة بوزن ضرب بمعنى التجأ واعتصم من عدوه (اليه) أي المسجد الحرام بدخوله فيه هاربا (في الجاهلية) هو زمن الفترة بين عيسى ونبينا صلى الله تعالى عليهما وسلم سمي بها لكثرة الجهل فيه فكان الرجل اذا جنى جناية ودخله لا يمسكه أحد حتى يخرج وقال أبو حنيفة من لزمه القتل ودخل الحرم لا يتعرض له ولكنه لا يؤوى ولا يطعم ولا يسقى ولا يعامل حتى يضطر للخروج منه وغيره يقول ان الحدود تقام ويؤخذ من دخله فارا واليه أشار المصنف بقوله كان اشارة الى تغير هذا الحكم بعد مجيء الاسلام (وهذا) أي قوله من دخله كان آمنا (مثل قوله تعالى واذ جعلنا البيت) أي الكعبة وحرمها (مثابة للناس) أي ملجأ ومرجعا من ثاب يثوب اذا رجع ومثابة اسم مكان منه ومعناه ملجأ لكل مطلوب بجرم ولا يليق تفسيره هنا بمرجع الزيارة لانه يأباه سياق المصنف لقوله (وأمنا في قول بعضهم) اشارة الى ان في الآية أقوالا أخر منها انه محل الثواب (وحكى ان قوما أتوا سعدون الخولاني) بخاء معجمة نسبة لخولان قبيلة من اليمن مشهورة واسمه أفكل بن أحمد بن مالك وهو من أهل القيروان وعظماء علمائها وسعدون لقب له بصورة الجمع ومثله يجوز فيه الصرف وعدمه للعلمية وشبه العجمة وقول بعض الشراح انه منصرف ولا وجه لما وقع في بعض كتب الحديث من ضبطه غير منصرف غفلة منه (بالمنستر) الباء بمعنى في والمنستر بميم ونون وسين مهملة ومثناة فوقية وراء مهملة وهذا لفظ رومي معناه عندهم خانقاه للرهبان على الطريق لينزل فيه ابناء السبيل والذي سمعناه منهم فتح الميم وألف مع سكون السين وكسر التاء الفوقية وياء تحتية وقد يخفف بحذف الالف والياء وهذا مما اشتبه فيه عندهم فقوله في القاموس منستر بضم الميم وفتح النون موضع بافريقية معبد الزهاد والمنقطعين وبلد آخر بافريقية أهله من قريش بينه وبين القيروان ستة مراحل وموضع بشرقي الاندلس انتهى مخالف لما صح سماعا فان ظنه عربيا فهو خطأ وان قال عرب وغير كان عليه أن ينبه عليه وقال التلمساني انه بضم الميم والنون ويجوز كسر نونه والعامة تفتحها وعليه اقتصر الشمني وهي

(فاعلموه ان كتامة) بضم الكاف ففوقية قبيلة من البربر (فقتلوا رجلا واضرموا) بالضاد المعجمة أي أشعلوا وأوقدوا (عليه النار طول الليل فلم تعمل) أي لم تؤثر (فيه) أي شيأ كما في نسخة (وبقي) أي الرجل (أبيض اللون) أي زيادة على ما كان عليه أو تبدل سواده بياضا وهو الاظهر وفي نسخة أبيض البدن (فقال) أي سعدون (لعله) أي المقتول (حج ثلاث حجج) أي مقبولة وهي بكسر الحاء وفتح الجيم الاولى جمع حجة بفتح الحاء أو كسرها (قالوا نعم) أي حج ثلاث حجج (قال حدثت أن من حج حجة) أي واحدة (أدى فرضه) أي ان قام بشرائطه وأركانه (ومن حج ثانية داين ربه) أي أقرضه قرضا حسنا وفي أصل الدلجي دان ربه أي أطاعه وعبده والظاهر انه تصحيف لما في نسخة من زيادة فينادي غدا ملك من عند الله من كان له عند الله دين فليقم (ومن حج ثالثة حرم الله تعالى شعره وبشره) أي ظاهر جلده من باهر جسده (على النار) أي في الدنيا والآخرة (ولما نظر رسول الله) صلى الله تعالى عليه وسلم (الى الكعبة) أي يوم الفتح أو وقت هجرته الى المدينة أو في حجة الوداع (قال مرحبا بك) يحتمل التأنيث والتذكير أي سهلا وفضلا (من بيت ما أعظمك وأعظم حرمتك) أي قدرا رواه الطبراني في الاوسط عن جابر (وفي الحديث عنه عليه الصلاة والسلام ما من أحد يدعو الله تعالى عند الركن الاسود) هو حيث فيه الحجر الاسود (الا

وفي الترمذي عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال نزل الحجر الاسود من الجنة وهو أشد بياضا من اللبن فسودته خطايا بني آدم قال الترمذي حسن صحيح وقال المحب الطبري وقد اعترض بعض الملاحدة فقال كيف يسود الحجر خطايا أهل الشرك والكفران ولا يبيضه توحيد أهل المعرفة والايمان وأجيب بان بقاءه أسود انما كان للاعتبار ليعلم ان الخطايا اذا أثرت في الحجر فتأثيرها في القلوب أعظم وأكثر وللحجر الاسود آيات بينات منها انه يطفو على الماء ومنها انه لا يسخن بالنار ومنها حفظ الله تعالى له من الضياع منذ أهبط الى الارض مع ما وقع من الامور المقتضية لذهابه كالطوفان ومنها انه يقال هلك تحته ثلثمائة بعير والله تعالى أعلم

بلدة بساحل البحر أو حصن رباط بافريقية له سور بناه هرثمة بن أعين حين بعثه الرشيد لافريقية سنة تسع وسبعين ومائة وهو الذي بنى سور طرابلس الغرب (فاعلموه ان كتامة) بضم الكاف وفتح المثناة الفوقية وألف وميم مخففة اسم لقبيلة من البربر وأصلهم فيما قيل من حمير (فقتلوا رجلا واضرموا عليه النار) أي أوقدوها وقودا شديدا (طول الليل) منصوب على الظرفية والطول بضم الطاء المهملة مصدر طال وطول الليل بمعنى الليل كله والناس يستعملونه بهذا المعنى تسمحا وتجوزا ووجهه ان الطول أبعد الامتداد بما شغله شغل غيره بالطريق الاولى وقد سمع في كلامهم كقول الوزير المهلبي

قال لي من أحب والبين قد جد * وفي مهجتي لهيب الحريق
ما الذي في الطريق تصنع بعدي * قلت أبكي عليك طول الطريق

ثم استعمل فيما لا طول له ولا عرض كقوله تعالى فذو دعاء عريض (فلم تعمل فيه) هو مجاز بمعنى لم تؤثر فيه (وبقي أبيض اللون) لم يتغير لونه ولو حرق أسود لونه وفي نسخة أبيض البدن (فقال لعله) أي الرجل المقتول والفاء فصيحة أي وسئل عن وجهه فقال الخ ولعل هنا مجاز عن الظن اذ لا وجه للترجي هنا (حج ثلاث حجج) بكسر الحاء بمعنى حجة وهي المرة من الحج (قالوا نعم) أي الامر كذلك (قال حدثت) بالبناء للمجهول أي روى لي من سمعت منه الحديث عنه صلى الله تعالى عليه وسلم (ان من حج حجة) أي مرة (أدى فرضه) لانه فرض على كل أحد أن يحج في عمره مرة لقوله تعالى ولله على الناس حج البيت الآية (ومن حج ثانية) بعد أداء الفرض (داين ربه) أي أقرضه كقوله تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا والدين والقرض دفع شيء الى غيره ليرد مثله أو بدله قال الراغب قال أبو عبيدة يقال دنته اذا أقرضته فهو دائن وذاك مدين ومديون وهو لما لم يكن هذا الحج فرضا عليه كأنه أعطاه الله قرضا يرد عليه ثوابه الذي هو كبدل القرض فهو استعارة ومن فسر دان هنا بمعنى أطاع وعبد لم يصب وفي نسخة داين مفاعلة منه وهما بمعنى وتمام الحديث فينادي غدا ملك من عند الله من كان له عند الله دين فليقم (ومن حج ثلاث حجج حرم الله شعره وبشره) أي ظاهر جلده وبدنه (على النار) أي لم يعذبه ولم يدخله نار جهنم وفيه كناية بليغة وقوله فينادي الخ سقط من بعض النسخ والمراد بقوله غدا يوم القيامة وأصل معناه اليوم الذي قبل يومك فعبر به ايماء لقربه وهذا الحديث لا يعرف من رواه (ولما نظر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى الكعبة) لما هاجر أو في حجة الوداع أو يوم الفتح كما رواه الطبراني في الاوسط عن جابر رضي الله تعالى عنه (قال مرحبا بك) بفتح الكاف وكسرها أصله دعاء للقادم بالرحب والسعة أريد به هنا اظهار محبته لها والقرب منها (من بيت) بيان للمدعو له (ما أعظمك) عند الله وعند الخلق (وأعظم حرمتك) أي احترامك وشرفك وهو تعجب أريد به المبالغة في عظمته وتعظيمه (وفي الحديث عنه صلى الله تعالى عليه وسلم ما من أحد يدعو الله تعالى عند الركن الاسود) المراد به الركن الذي فيه الحجر الاسود وهو معروف

(الا استجاب الله تعالى له وكذلك عند الميزاب) لا يعرف مخرجه الا انا قد روينا في رسالة الحسن البصري الى أهل مكة ان الدعاء يستجاب في حرمها وعند البيت والركن الاسود والملتزم وتحت الميزاب وهو الذي يقال له ميزاب الرحمة قال الحسن البصري وسمعت ان عثمان بن عفان أقبل ذات يوم فقال لاصحابه ألا تسألوني من أين جئت قالوا من أين جئت يا أمير المؤمنين قال مازلت قائما على باب الجنة وكان رضي الله تعالى عنه تحت الميزاب يدعو الله تعالى وذكر الازرقي في تاريخه عن عطاء قال من قام تحت ميزاب الكعبة فدعا استجيب له وخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه (وعنه عليه الصلاة والسلام من صلى خلف المقام ركعتين غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وحشر يوم القيامة من الآمنين) رواه الديلمي وابن النجار ولفظهما من طاف بالبيت سبعا وصلى خلف المقام ركعتين وشرب من ماء زمزم غفر الله ذنوبه كلها بالغة ما بلغت لكن قال السخاوي لا يصح وقد ولع به العامة كثيرا لاسيما بمكة حيث كتب على بعض جدرها الملاصق لزمزم وتعلقوا في ثبوته بمنام وشبهه مما لا يثبت الاحاديث النبوية بمثله وقد ذكره المنوفي في مختصره وقال فيه انه باطل لا اصل له والله أعلم ثم على تقدير صحته فهو محمول على تكفير الصغائر لقوله تعالى ان الحسنات يذهبن السيئات (قال الفقيه القاضي أبو الفضل) يعني المصنف (قرأت على القاضي الحافظ أبي علي رحمه الله) هو ابن سكرة (حدثك) وفي نسخة حدثنا (أبو العباس العزري) بضم العين وسكون الذال المعجمة (قال ثنا) أي حدثنا (أبو أسامة محمد ابن أحمد بن محمد الهروي) بفتح الهاء والراء منسوب الى هراة بكسر أولها مدينة عظيمة بخراسان (ثنا الحسن بن رشيق) بفتح الراء وكسر الشين المعجمة هو العسكري مصري مشهور عالي السند لين الحفظ وثقه جماعة وانكر عليه الدارقطني انه كان يصلح في أصله ويغيره (سمعت أبا الحسن وفي نسخة أبا الحسين محمد ابن الحسن بن راشد) أي الانصاري يروي عن وراق الحميدي (سمعت أبا بكر محمد بن ادريس سمعت الحميدي) بالتصغير وهو القرشي المكي الفقيه الامام أحد الاعلام وهو من أصحاب الشافعي مات بمكة سنة تسع عشرة ومائتين وهو أول رجل أخرج له البخاري في صحيحه (قال سمعت سفيان بن عيينة قال سمعت عمرو بن دينار قال سمعت ابن عباس يقول سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول ما دعا أحد بشئ في هذا الملتزم) بضم الميم وفتح الزاي وهو ما بين الحجر الاسود وباب الكعبة قال الازرقي ذرعه أربعة أذرع سمي بذلك لان الناس يلتزمونه في الدعاء ويقال له المدعى والمتعوذ بفتح الواو

(الا استجاب الله له) دعاءه أي قبله وأعطاه ما دعا به أو خيرا منه والحجر الاسود لما نزل من الجنة كان أشد بياضا من اللبن فسودته خطايا بني آدم وأبقى سواده ليكون عبرة والكلام عليه مبسوط في تاريخ مكة (وكذلك) يستجاب الدعاء (عند الميزاب) والملتزم والصفا والمروة وغيرها من المواطن التي جاء في الحديث الصحيح استجابة الدعاء عندها والميزاب هو المسمى الآن ميزاب الرحمة وهو مسيل ماء السطح وهو معروف من جانب الحجر وفي كتاب العلل لابن فارس الميزاب مهموز وأصحابنا يقولون ليس فيه همز لانه من وزب يزب انتهى ووزب بمعنى سال ويقال انه فارسي معرب معناه بل الماء واطال التلمساني هنا بذكر مساحة البيت والحرم وغيره مما ليس هذا محله (وعنه) أي روى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم والراوي هو الحسن البصري في رسالته الى أهل مكة (من صلى خلف المقام) أي مقام ابراهيم الخليل المعروف الذي قام عليه لما بنى الكعبة (ركعتين) نافلة (غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وحشر يوم القيامة من الآمنين) من العذاب وهول الحشر والمغفور الصغائر والكبائر وقيل الصغائر فقط والمقام معروف في موضعه الذي كان فيه قديما وتفصيله في تاريخ مكة (قرأت على القاضي الحافظ أبو علي) هو ابن سكرة وقد تقدم (قلت حدثك أبو العباس العذري) قد تقدمت ترجمته وهذا طريق من طرق الرواية يقولها التلميذ لشيخه ويصدقه عليه (قال حدثنا أبو أسامة محمد ابن أحمد الهروي) قال (حدثنا الحسن بن رشيق) عبد الغني بن سعيد العسكري الحافظ العالي السند وترجمته في الميزان بطولها (سمعت أبا الحسن محمد بن الحسن بن راشد) في الميزان محمد بن الحسن بن علي ابن راشد الانصاري وفيه كلام (سمعت أبا بكر محمد بن ادريس) ذكر كنيته وقدمها لئلا يلتبس بمحمد بن ادريس الشافعي رضي الله تعالى عنه فان كنيته أبو عبد الله لا أبو بكر وهو محمد بن ادريس بن عمرو وهو من أهل مكة (سمعت الحميدي) بالتصغير وهو عبد الله بن الزبير بن عيسى بن عبد الله القرشي الاسدي المكي صاحب الشافعي ورفيقه في رحلته لمصر وهو شيخ البخاري وهو لاهل الحجاز كأحمد ابن حنبل لاهل العراق وهو نسبة لحميد بطن من أسد بن عبد العزى وقيل نسب للحميدات وهي قبيلة توفي سنة تسع عشرة أو عشرين ومائتين (قال سمعت سفيان بن عيينة) تقدم بيانه (قال سمعت عمرو ابن دينار) تقدم ترجمته (قال سمعت ابن عباس يقول سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول ما دعا أحد بشئ في هذا الملتزم) بزنة اسم المفعول من التزمه اذا أمسكه سمي به لالتصاق الناس في الدعاء

(الأستجيب له قال ابن عباس وأنا فـادعوت الله تعالى بشئ فى هذا الملتزم منذ) ويروى مذهنا ومابعده) سمعت هذا من رسول الله صـلى الله تعالى عليه وسـلم الاأستجيب لى وقال عمـرو بن دينار) أى الراوى عن ابن عباس (وانا فـادعوت الله تعالى بشئ فى هـذا الملتزم منذ سمعت هذا من ابن عباس الاأستجيب لى وقال سـفيان) أى ابن عيينـة الراوى عن عمـرو بن دينار (وأنا فـادعوت الله تعالى بشئ فى هـذا الملتزم منذ سمعت هذا من عمرو) ابن دينار (الاأستجيب لى وقال الحميدى) وهو الراوى عن ابن عيينة (وأنا فـادعوت الله بشئ فى هذا الملتزم منذ سمعت هذا من سفيان) أى ابن عيينة (الاأستجيب لى وقال محمد بن ادريس) يعنى الراوى عن الحميدى (وأنا فـادعوت الله تعالى بشئ فى هذا الملتزم منذ سمعت هذا من الحميدى الاأستجيب لى وقال أبو الحسـن) وفى نسخة أبو الحسـين (محمد ابن الحسن) وهو الراوى عن ابن ادريس (وأنا فـادعوت الله تعالى بشئ فى هذا الملتزم منذ سمعت هذا من محـمد بن ادريس الاأسـتجيب لى قال أبو اسامة وماأذكر الحسـن ابن رشيق) يعنى شيخه (قال فيه شـيأ) أى مثل ماسبق عن بقية مشايخ السلسلة وعلى هـذا فالمسلسـل هنا منقطع (وأنا فـا دعـوت الله تعالى بشئ فى هذا الملتزم منذ سمعت هـذا من الحسـن بن رشـيق الاأسـتجيب لى من أمر الدنيا) أى مماطلبتـه (وأنا أرجو ان يستجاب لى من أمر الآخرة) أى مما دعوته (قال العذرى) أى الراوى عن أبى اسامة (وأنا فادعوت الله بشئ فى هـذا الملتزم منذ سمت هذا من أبى اسامة الاأستجيب لى قال أبو على) وهو تلميذ العذرى وشيخ المصـنف (وأنا فقد دعوت الله فيه باشياء كثيرة أستجيب لى بعضها وأنا أرجو من سـعة فضـله) بكسر السـين وفتحها أى واسع كرمه (ان يستجيب لى بقيتها) والاحاديث المسلسلة قل ان تكون متصـلة وندر ان تكون صحيحة هـذا وقد ذكر شيخ مشايخنا أبو الخـير محمـد بن الجزرى فى الحصن الحصين أنا قدروينا فى استجابة الدعاء فى الملتزم حديثا مسلسلا من طريق أهل مكة كذا ذكره مجملا من غير أن يبينه مفصـلا وقد روى سعيد بن منصور والبيهقى فى سننهما من طريق أبى الزبير عن ابن عباس الملتزم بين الركن والباب لا يسـئل الله تعالى أحد فيه شـيأ الاأعطاه قال أبو الزبير وقد دعوت الله مرة هنالك فاستجاب لى (قال القاضى أبو الفضـل) لعله يعنى المصنف نفسه

(ذكرنا

عنده وهو مابين باب الكعبة والحجر الاسود وقدره عشرة اشـبار وأربعـة أذرع وتسميته بهـذا قديمة وردت فى الحديث ويسمى المدعى والمتعوذ بفتح الواو المشـددة وهو أحد المواضـع التى ورد استجابة الدعاء فيها وقد جرب كذلك (الاأستجيب له قال ابن عباس) رضى الله تعالى عنهـما (وانا فـادعوت الله بشئ فى هذا الملتزم منذ سمعت هذا) الحديث (من رسول الله صلى الله عليه وسلم الاأستجيب لى) الى آخر الحديث وهو ظاهر غير محتاج للشرح الا كلمات يسيرة فيه والفاء فى قوله فـادعوت الله الخ اما زائدة بناء على انه يجوز زيادتها فى الخبر مطلقا والمشهور زيادتها فى الخبر اذا تضمن المبتدأ معنى الشرط نحو وما بكم من نعمة فمن الله وبعضهم قيد زيادتها بكون الخبر أمرا أو نهيا كقوله * وقائلة خولان فانكح فتاتهم * واما عاطفـة على مقـدر تقديره وأنا جربت ذلك فما دعوت الخ وأما جواب شرط مقـدر أى ان سألت عما عنـدى فيـه فما الى آخره وقوله منـذ فى الجميـع روى مذ بدون نون ومنذ بضم أوله وكسره معناه أشهر من أن يذكر (وقال عمرو بن دينار) الراوى عن ابن عباس (وأنا فـادعوت الله بشئ فى هذا الملتزم منذ سمعت هذا من ابن عباس الااستجيب لى وقال سفيان) المتقـدم ذكره (وأنا فـادعوت الله بشئ فى هذا الملتزم منذ سمعت هذا من عمرو) بن دينار (الااستجيب لى وقال محمد بن ادريس) المكى بابى بكر (وانا فـادعوت الله بشئ فى هذا الملتزم منذ سمعت هذا من الحميدى الااستجيب لى وقال أبو الحسن محمد ابن الحسن وانا فما دعوت الله بشئ فى هـذا الملتزم منذ سمعت هذا من محمـد بن ادريس) المتقـدم (الااستجيب لى) وهذا الحـديث مسلسل بالسماع رواه البيهقى وسـعيد بن منصـور وغيرهما من طرق بينوها (قال أبو اسامة وماأذكر الحسن بن رشيق قال فيه شـيأ) أى لم يحفظ عنه انه قال كغيره وانا فما دعوت الله بشئ الااستجيب لى والتسلسل قد يقطع بعض منه فى أوله وآخره أووسطه فلا يضر التسلسل مع ان هذا ليس بقطع فى الواقع والاحاديث المسلسلة صحتها قليلة وتقدم ان التسلسل يقع بامور متغايرة من الاقوال والافعال والامكنة والازمنة كما فصل فى مصطلح الحديث (وانا فما دعوت الله بشئ فى هذا الملتزم منذ سمعت هذا من الحسن بن رشيق الااستجيب لى من أمر الدنيا وأنا أرجو أن يستجاب لى من أمر الآخرة قال العـذرى وانا فما دعـوت الله بشئ فى هـذا الملتزم منـذ سمعت هـذا من أبى اسامة الااسـتجيب لى قال أبو على وانا قد دعوت الله فيـه باشـياء كثـيرة اسـتجيب لى بعضـها وأرجو من سـعة فضـله أن يسـتجيب لى بقيتهـا) أى أرجو ذلك لزيادة كرمه وسـعة بفتح السـين وكسرهـا بمعـنى الوسـع (قال القـاضى أبو الفضـل) عيـاض مصـنف هـذا الـكتاب رحمـه الله تعـالى

(ذكرنا) وفي نسخة وقد ذكرنا (نبذا) بضم النون وفتح الموحدة فذال معجمة أي قدرا يسيرا (من هذه النكت) بضم ففتح جمع النكتة وهي النقطة والمراد بها الفوائد اللطيفة والعوائد المنيفة (في هذا الفصل) أي عظيم الفضل (وان لم تكن) أي النبذ او النكت (من الباب) أي باعتبار الاصل وانما ذكرناها في اثناء الوصل (لتعلقها بالفصل الذي قبله حرصا على تمام الفائدة) أي رعاية منفعته (والله الموفق للصواب برحمته) وكرمه ولطفه * (القسم الثالث) * (فيما يجب للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي يثبت له ولا بد له من وقوعه (وما يستحيل في حقه وما يمتنع) مع امكان وجوده (أو يصح من الاحوال البشرية ان يضاف اليه قال

(ذكرنا نبذا) بفتح النون وسكون الموحدة وذال معجمة أي شيئا قليلا وأصل معناه الطرح والرمي كأنه لقلته مما يطرح ويجوز ضم أوله وفتح ثانيه على انه جمع نبذة كما (من هذه النكت) جمع نكتة وتقدم بيانها (في هذا الفصل) الذي نحن فيه (وان لم يكن من الباب) أي من المعاني التي عقد لها الباب فانه معقود للصلاة على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وتعظيمه فذكر فضائل مكة وحرمها ليست منه بل من موضع كتابه (لتعلقها) أي مناسبتها (بالفصل الذي قبل) من ذكر مسجده صلى الله تعالى عليه وسلم وما يتعلق به (حرصا على تمام الفائدة) بافادة أمور مهمة يرغب فيها والشيء بالشيء يذكر (والله الموفق للصواب برحمته) أي بفضله وانعامه لا بكدنا وكسبنا

* (القسم الثالث) * من هذا الكتاب (فيما يجب للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم) المراد به الوجوب الشرعي أو العقلي لقوله (وما يستحيل في حقه) أي يعد كالمحال عقلا لانه لا يليق بجنابه العظيم أو عادة واصل معنى الاستحالة التغير من حالة الى أخرى ومنه استحال الخمر خلا (أو يجوز عليه) مما لا يخل بشريف مقامه (وما يمتنع) في حقه شرعا وعادة وعقلا (أو يصح) وصفه به واطلاقه عليه كما سيأتي (من الاحوال البشرية) أي التي تطرأ عليه باعتباراته وهو بيان لما (ان يضاف اليه) أي تنسب اليه والاضافة بمعناها اللغوي لا النحوي ثم صدر الكلام بآية دالة على ما يأتي اجمالا فقال (قال الله تعالى) في حقه صلى الله عليه وسلم (وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل الآية) فهذا بيان لما يجوز عليه ويصح من الاحوال البشرية كالموت والقتل كما ان الرسل قبله منهم من مات ومنهم من قتل والقصر فيها قصر افراد أي ليس بمخلد حتى يستبعد موته أو قتله وهذا كما وقع باحد لما نادى ابليس لعنه الله ان محمدا قد قتل فقال ناس من المنافقين ارجعوا الى دينكم فان محمدا لو كان نبيا ما قتل وقال المؤمنون ان كان محمد مات فرب محمد لا يموت فما نصنع بالحياة فقاتلوا على ما قاتل عليه وكما وقع لبعض الصحابة لما توفي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انهم ذهلوا من عظم المصيبة فخطبهم أبو بكر رضي الله تعالى عنه وتلا هذه الآية كما والقصة مشهورة وقوله أفان الى آخره انكار توبيخي لمن توهم خلافه والانقلاب على العقب كناية عن الرجوع عما كانوا عليه من الدين (وقال الله تعالى ما المسيح بن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام الآية) أي ليس المسيح الا رسول كغيره من الرسل له آيات ومعجزات مثلهم وليس باله كما زعمت النصارى وأمه صديقة أي صادقة في أقوالها وأفعالها أو مصدقة للرسل وهذا غاية أمرهما دون ما يزعمون فيه ولذا أتى باثبات صفات بشرية تنافي الالوهية من الاكل ونحوه ولذا قال الله تعالى انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون (وقال وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون في الاسواق) فهو كغيره من البشر يصح له ما صح لهم (وقال قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى الآية) فلا يزيد على البشر الا

تعالى وما محمد الا رسول) أي من جملة الرسل لا من الملائكة الذين لا يموتون الا عند النفخة الاولى (قد خلت من قبله الرسل) أي مضوا وانقرضوا أو بعضهم ماتوا وبعضهم قتلوا واستمر دينهم في أممهم وسيخلوا محمد كمن قبله (أفان مات) أي محمد (أو قتل انقلبتم على أعقابكم) وهمزة الانكار التوبيخي منصبة على الانقلاب وفي الآية الايماء الى موت الناس حتى الانبياء وتمام الآية (ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا) وانما يضر نفسه حيث يحذره (وسيجزي الله الشاكرين) أي الثابتين على دينهم والصابرين على يقينهم كانس بن النضر عم أنس بن مالك فانه لما قيل له في أحد الا ان محمدا قد قتل قال يا قوم ان كان محمد قد قتل فان ربه حي لا يموت وما تصنعون بالحياة بعده قاتلوا على ما قاتل عليه ثم قال اللهم اني أعتذر اليك مما يقولون وابرأ منه ثم شد بسيفه فقاتل حتى قتل (وقال) أي الله سبحانه (ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وامه صديقة) أي لا الوهية لهما ولا نبوة وانما هي كثيرة الصدق والتصديق بالحق (كانا يأكلان الطعام) وهو مما ينافي الربوبية ولذا قيل هو كناية عن يبولان ويتغوطان فهما محتاجان الى أكله أولا ومفتقران الى دفعه ثانيا (وقال وما أرسلنا قبلك) أي أحدا (من المرسلين الا انهم) أي ان شأنهم (ليأكلون الطعام ويمشون في الاسواق وقال قل انما أنا بشر مثلكم) أي لا أدعي اني ملك وانما أتميز عنكم باني (يوحى الي انما الهكم اله واحد

فمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم وسائر الانبياء) أي وباقيهم عليهم السلام (من البشر) أي من جنس بني آدم وهو أبو البشر وسموا بشرا لظهور جلودهم اذ البشرة ظاهر الجلد (ارسلوا الى البشر) أي من نوعهم (ولولا ذلك) أي التناسب بان كان أرسل اليهم الملائكة (لما أطاق الناس مقاومتهم) أي لما استطاعوا مقابلتهم وملابستهم لضعف البنية البشرية وقوة القدرة الملكية فقد ورد ان جبريل قلع قرى قوم لوط من أصولها على جناحه ثم قلبها أي جعل عاليها سافلها وصاح بثمود صيحة فاصبحوا في ديارهم جاثمين ورأى ابليس يكلم عيسى على عقبة بالارض المقدسة فنفخه بجناحه نفخة فالقاه على أقصى جبل بالهند (والقبول) أي ولما أطاقوا قبول الاحكام وأخذ الاسلام (عنهم) أي في تبليغهم ما ارسلوا به اليهم اذ الجنسية علة الضم قال الحجازي ويروى عليهم أقول الظاهر انه تصحيف (ومخاطبتهم) أي ولما أطاقوا حال مكالمتهم لهم ومخاطبتهم معهم (قال الله تعالى) أي في جواب جمع اقترحوا وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضي الامر ثم لا ينظرون (ولو جعلناه) أي الرسول الذي اقترحوه (ملكا لجعلناه رجلا) أي لارسلناه في صورة رجل وهذا معنى قوله (أي لما كان الا في صورة البشر الذي) أفرد نظرا الى لفظ البشر وفي نسخة الذين نظرا الى معناه (يمكنهم) يروى يمكنكم (مخاطبتهم) كما كان جبرائيل يتصور له عليه السلام في صورة دحية وغيره وفي نسخة مخالطتهم (اذ لا يطيقون) أي جنس البشر (مقاومة الملك ومخالطته ورؤيته اذا كان على صورته) أي وهو على حقيقة ذاته الا نادرا على وجه خرق العادة كما وقع لنبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم انه رأى جبريل في صورته الاصلية مرتين وتتمة جواب المقترحين (وللبسنا عليهم ما يلبسون) أي ولو جعلناه في صورة رجل لخلطنا عليهم ما يخلطون على أنفسهم فانهم اذا رأوه في صورته قالوا ما هذا الا بشر مثلكم فيكذبونه كما كذبوا محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم (وقال) أي الله تعالى لنبيه (قل) أي جوابا لقولهم أبعث الله بشرا رسولا وانكارا منهم ان يرسل الله بشرا واقرارا بان يصلح ان يكون الاله حجرا (لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين) أي ظاهرين كما يمشي بنوا آدم فيها ساكنين (لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا أي لا يمكن في سنة الله ارسال الملك الا لمن هو من جنسه) أي لتمكنه من مخالطته وتلقنه من مخاطبته (أو لمن خصه الله تعالى واصطفاه) أي بان صفى مرآة روحه (وقواه على مقاومته) أي مقابلة الملك ومواجهته (كالانبياء والرسل) فيقومون بدعوة الخلق الى طريق الحق وكان المصنف ذهب في الفرق بين النبي والرسول الى ما قاله بعضهم ان الرسول صاحب كتاب أو شريعة مجددة والنبي بخلافه (فالانبياء والرسل)

بما خصه الله من الوحي والرسالة والتوحيد فهذا تميزهم ولذا قال (فمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم وسائر الانبياء) أي باقيهم فهو من عطف المتغايرين لا من عطف العام على الخاص كما توهم وانما يكون كذلك لو فسر بجميع ما تقدم (من البشر) أي من جنسهم تميزوا عنهم بانهم (ارسلوا الى البشر) لتبليغ ما أمرهم الله به ووضع فيه الظاهر موضع الضمير (ولولا ذلك) أي كونهم من جنس البشر بان كانوا ملائكة (لما أطاق الناس مقاومتهم) أي مقابلتهم في الامور الدنيوية لقدرة الملائكة على ما لا يقدر عليه غيرهم (والقبول عنهم) أي ما بلغوهم عن الله مما ارسلوا به (ومخاطبتهم) حتى بلغوهم عن الله ثم أثبت هذا بقوله (قال الله تعالى ولو جعلناه) أي النبي صلى الله عليه وسلم المرسل اليهم (ملكا) أي قدرنا ارسال الملك للبشر من غير جنسهم كما اقترحوا (لجعلناه رجلا أي لما كان الا في صورة البشر) تفسير لجعله رجلا واشارة الى انه بحسب الصورة لان الملك يتصور باي صورة أراد ثم بين وجهه بقوله (الذين يمكنكم) بحسب الطاقة البشرية (مخالطتهم) أي معاشرتهم والاختلاط معهم وفي نسخة مخاطبتهم وفي أخرى مخالتهم أي اتخاذهم اخلاء وهي متقاربة معنى (اذ لا تطيقون مقاومة الملك ومخاطبته ورؤيته اذا كان على صورته) الاصلية التي خلق عليها ابتداء (وقال) الله تعالى (قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا) هذا جواب عن شبهة المشركين وقولهم بعد مشاهدة الآيات التي ألقمتهم الحجر فقالوا لم لم يرسل الله ملكا يبلغ أوامره ونواهيه فقال الله لرسوله صلى الله عليه وسلم قل لهم جوابا عن شبهتهم الواهية انما يرسل الله الملائكة لو كان أهل الارض ملائكة من جنسهم كما قال المصنف رحمه الله تعالى (أي لا يمكن في سنة الله) أي طريقته وعادته المستمرة (ارسال الملك الا لمن هو من جنسه) حتى يمكنه مخالطته وتلقيه عنه ولما نافى هذا الحصر ارسال الرسل من الملائكة الى الانبياء بين وجهه بقوله (أو من خصه الله) معطوف على من هو من جنسه أي خصه بنفس قدسية ملكية (واصطفاه) أي اختاره من نوع البشر لتلقي وحيه من الملك (وقواه على مقاومته) أي مقاومة الملك ومخالطته لمناسبة تامة بينه وبين الملك باستعداده حتى يكون واسطة بينه وبين الناس (كالانبياء والرسل) صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فانهم خلقهم الله بابدان بشرية وأرواح ملكية فكانوا دون غيرهم مستعدين لمقاومة الملك ومخالطته ومخاطبته ثم فصل هذا فقال (فالانبياء

والرسل وسائط بين الله تعالى) أى بواسطة ملائكته (وبين خلقه أى) المأمورين بطاعته وعبادته (يبلغونهم أوامره) أى ليمتثلوها (ونواهيه) ليجتنبوها (ووعده) أى على طاعتهم (ووعيده) أى على معصيتهم (ويعرفونهم بما لا يعلمون من أمره) أى من أمر ذاته وصفاته وأفعاله فى مصنوعاته وقضائه من ايجاد وامداد وافناء وابقاء

والرسل) صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين (وسائط بين الله وبين خلقه) وتوسطهم لامره وانهم (يبلغونهم) عن الله (أوامره ونواهيه) أى كل أمر ونهى لهم وفى كتب الاصول تبعا للصحاح ان الامر بمعنى القول المخصوص يجمع على أوامر وبمعنى الفعل والشان يجمع على أمور ولم يوافقهم عليه أحد من النحاة وأهل اللغة فان فعلا لا يجمع على فواعل ونقل ابن هشام فى تذكرته انه صحح بوجهين أحدهما انه جمع آمر اسم فاعل لما لا يعقل وسمى القول أمرا مجازا وكلامهم لا يدل عليه والثانى انه جمع آمرة مصدر كالعافية أى صيغة آمرة للامر بها وقد نقله ابن سيده وقيل انه جمع الجمع فجمع أمر على أأمر كاكلب ثم جمع على أوامر كاكالب فهو فواعل أو أفاعل وقال الاصفهانى فى شرح المحصول ان هذا التوجيه لا يتم فى النواهى وكونه جمع ناهية مجازا تكلف وكذا كونه مشاكلة للاوامر فانه استعمل مفردا انتهى وقد تقدم أيضا ذكر لهذا (ووعده ووعيده) الوعد يستعمل فى الخير والوعيد فى الشر كما فصلوه فى محله (ويعرفونهم مالم يعلموه من أمره) هو الفعل والشان وأحد الامور كما مر أى أقواله وأفعاله فيما سبق قضاؤه فى كل شئ وقيل يجوز ان يراد بالامر هنا عالم الامر بقرينة قوله (وخلقه) وعالم ما أبدعه الله تعالى من غير مادة وتولد من أصل بمجرد كن وعالم الخلق مقابله قال الله تعالى ألا له الخلق والامر وعلى الاول الخلق بمعنى الايجاد (وجلاله) أصل معناه العظمة وهو فى صفاته تعالى كما يقتضيه كلام الغزالى والقشيرى الصفات الثبوتية وكلام غيرهما يقتضى انه الصفات السلبية أو ما يعمهما وقال الغزالى فى معنى ذى الجلال والاكرام ان الجلال كماله فى ذاته والاكرام ما كان منه لغيره (وسلطانه) أى قهره وغلبته أو حجته الباهرة أو ملكه أى انهم يبينون للناس ذلك (وجبروته وملكوته) التاء فيه زائدة أى كونه جبارا قهارا ومالك الملك الذى لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه ثم فصل هذا بقوله (فظواهرهم) أى ما يظهر من حال أنبياء الله ورسله وصفاتهم (واجسادهم) أى ذواتهم الظاهرة المشاهدة (وبنيتهم) بكسر الباء أى هيئة تركيب أبدانهم التى خلقهم الله تعالى عليها لانه بناء الله تعالى وهو فى الاصل مصدر ثم أطلق على الهيكل المخصوص والبدن المحبوس (متصفة باوصاف البشر) من الخلق والتركيب ونحوه (طارئ) بهمزة فى آخره وابدالها ياء أى حادث متجدد (عليها ما يطرؤ على البشر) لان الاجسام كلها متساوية فى قبول ذلك (من الاعراض) جمع عرض والمراد به مطلق الآلام وما لا يكون قارا منها ويقابله عند الاطباء الامراض (والاسقام) جمع سقم وسقم كحزن وحزن (والموت والفناء) الموت ضد الحياة واختلف فيه هل هو عدمى أو وجودى كما بين فى محله ويطلق مجازا على النوم والجهل كما فى قوله * ذو الجهل ميت وثوبه كفنه * وأما الفناء فهو تفرق الاعضاء وتفتتها حتى تضمحل وهذا لا يكون فى الانبياء عليهم الصلاة والسلام لان الله تعالى حرم على الارض ان تأكل أجساد الانبياء كما ورد فى الحديث المتقدم ولذا قيل انه كان ينبغى للمصنف رحمه الله تعالى ان يبدل قوله السابق متصفة بقوله قابلة وقد يقال المراد بالفناء هنا كبر السن والهرم ومنه الشيخ الفانى الا ان اقترانه بالموت يبعده (ونعوت الانسانية) جمع نعت وفسره النحاة واللغويون بالوصف مطلقا فهما مترادفان ومنهم من فرق بينهما فقيل انه لا يطلق على الله تعالى ولم يبين وجهه فقيل لانه ما يصيب ويطرؤ من العوارض وهذه قضية مطلقة فلا يقتضى ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام لا يصيبهم بعض الامراض المنفرة وهى ما يفسخ بها النكاح

وغفران ذنب وتفريج كرب ورفع قوم ووضع آخرين (وخلقه) أى وما لم يعلموه من أحوال خلقه ابتداء وانتهاء (وجلاله) أى ومن بيان عظمته وهيبته وجماله من رأفته ورحمته وكماله من عنايته ورعايته (وسلطانه) أى علو شأنه وظهور برهانه (وجبروته) أى قهره وقدرته (وملكوته) أى عزته وغلبته وحاصل الكل بيان تصرفه فى ملكه ومملكته لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه (فظواهرهم) أى الانبياء (وأجسادهم وبنيتهم) أى أبدانهم المركبة من أشباحهم وأرواحهم أو الممتزجة من العناصر الاربعة بالوجه المعتبر (متصفة باوصاف البشر طارئ عليها) أى هو جار وهو من طرأ مهموز الفاء (ما يطرأ على البشر من الاعراض) أى العوارض فى الاجسام (والاسقام) كسائر الانام (والموت والفناء) أى ولعله عطف تفسير والا فالفناء لا يطرأ على مطلق الارواح وأما الاشباح فقد ورد ان الارض لا تأكل أجساد الانبياء (ونعوت الانسانية) وفى نسخة الآدمية أى من القوى الشهوية والغضبية

(وأرواحهم وبواطنهم متصفة باعلى) أى باوصاف أعلى (من أوصاف البشر متعلقة بالملأ الاعلى) بل متوجهة بالكلية الى المولى وهو الاولى (متشبهة) يروى مشتبهة (بصفات الملائكة) أى فى دوام الذكر والحضور من غير السآمة والفتور وفى القوة على الطاعة والعبادة من غير الملالة ففى البخارى انه أعطى قوة ثلاثين رجلا (سليمة من التغير) أى تغير العقل المورث لتغير النقل (والآفات) أى المنافية لارباب النبوات وأصحاب الفتوات (لا يلحقها) أى أرواحهم وأشباحهم (غالبا عجز البشرية ولا ضعف الانسانية) بفتح الضاد وضمها أى فتورها وقصورها فهم أتم افعالا وأصدق أقوالا وأكمل أحوالا الا أنهم قد يغشاهم فترة لطبيعتهم على نعت العلة لكن لا تخرجهم عن كمال القوة وعلو الهمة (اذ لو كانت بواطنهم) أى أسرارهم العلية (خالصة للبشرية) أى من دواعيها (كظواهرهم) أى لزوم مراعيها (لما أطاقوا الاخذ) أى أخذ العلم وتلقى الوحى (عن الملائكة ورؤيتهم) بالنصب أى ولا أطاقوا ملاقاتهم (ومخاطبتهم) أى مكالمتهم (ومخالتهم) بتشديد اللام أى مخالطتهم كما فى نسخة مخاللتهم بالفك وهى موادتهم ومصاحبتهم (كما لا يطيقه) أى ماذكر من الاخذ ومابعده (غيرهم) أى غير الانبياء من البشر) أى ولو كانوا من الاولياء (ولو كانت أجسامهم) أى أجسادهم كما فى نسخة (وظواهرهم) أى أبشارهم (متسمة) أى متصفة (بنعوت الملائكة وبخلاف صفات البشر لما أطاق البشر) أى من غيرهم (ومن أرسلوا) بصيغة المجهول (اليه) (ومن أممهم (مخالطتهم) وفى نسخة مخاطبتهم أى الاخذ منهم والانتفاع بامرهم ونهيهم (كما تقدم) أى مما يدل على هذا (من قول الله تعالى) أى ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وقل لو كان فى الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا (فجعلوا) بصيغة المجهول أى خلقوا متوسطين بين الارواح الملكية والاشباح البشرية جامعين بين الانوار الباطنية والاسرار الظاهرية فجبلوا (من جهة الاجسام والظواهر مع البشر) أى مشاركين

كالبرص والجذام والعمى وأما ما أصاب أيوب ويعقوب عليهما الصلاة والسلام فلم يكن من ذلك ويعقوب انما ضعف بصره وقيل ان بعضهم يطرؤ عليهم بعد استقرار النبوة فيهم وانما يمتنع عند ابتداء الدعوة والحق انها لا تطرؤ عليهم أصلا (وأرواحهم وبواطنهم) كالقلب والدماغ ومالا يدرك بالحواس الظاهرة والباطن خلاف الظاهر (متصفة باعلى من أوصاف البشر) أى باوصاف أعلى منها من الفضائل الروحانية والتبرى من العلائق الجسمانية كحب المال والتنعم بالمآكل والمشارب فأرواحهم وبواطنهم (متعلقة بالملأ الاعلى) هو كالرفيق الاعلى الملائكة العلوية وتعلقها به اتصالها قال الراغب الملأ جماعة تملأ العيون رواء والقلوب جلالة وبهاء (متشبهة بصفات الملائكة) فى القوة والتجرد من العلائق الدنيوية وترك الشهوات والانهماك ولا يفعلون الا ما يؤمرون غالبا (سليمة من التغير) أى تبدل أحوالهم الصالحة بغيرها (والآفات) وهى النقائص (لا يلحقها) أى لا تطرؤ على أرواحهم وبواطنهم (غالبا عجز البشرية) كالجبن والخوف المفرط من تحصيل المهمات وقال غالبا لانه قد يلحقهم شئ منه كما فى قوله تعالى فأوجس فى نفسه خيفة (ولا ضعف الانسانية) فانه لا يلحقهم وان كان الانسان خلق ضعيفا الا انه قد يعرض لهم شئ من ذلك بحسب الجبلة البشرية ولا يخرجهم عن كمال القوة والهمة (اذ لو كانت بواطنهم) أى أمورهم الباطنة وهو شامل لارواحهم هنا (الخالصة للبشرية كظواهرهم) وظواهر غيرهم وبواطنهم (لما أطاقوا الاخذ) أى قدروا على تلقى الوحى (عن الملائكة ورؤيتهم ومخاطبتهم) أى مكالمتهم (ومخالتهم) بضم الميم وفتح الخاء المعجمة وألف ولام مشددة مفاعلة من الخلة بالضم وهى اتخاذه خليلا وصديقا وقد تقدم معناه والفرق بينه وبين المحبة ويجوز مخاللتهم بفك الادغام كما مر والاول أفصح (كما لا يطيقه) أى ومابعده (غيرهم) أى غير الانبياء (من البشر) لضعف أرواحهم وبواطنهم (ولو كانت أجسامهم) أى الانبياء وفى نسخة أجسادهم (وظواهرهم متسمة) أى موصوفة مستعار من السمة وهى العلامة والوسم بمعنى الكى (بنعوت الملائكة) أى صفاتهم الذاتية وهيئتها الحقيقية (وبخلاف صفات البشر) مما خلقت عليه الملائكة وصورهم التى صوروا عليها عظما ونورانية (لما أطاق البشر) غير الانبياء (ومن أرسلوا) أى الانبياء (اليهم) من أممهم (مخاطبتهم) ورؤيتهم ومخالطتهم (كما تقدم من قول الله تعالى) يعنى قوله تعالى ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وهو يدل على انهم لا يطيقون رؤية الملك على خلقته الاصلية بخلاف ما لو تمثل بصورة البشر فانه يمكن البشر رؤيته كما كان يأتى بصورة دحية وتراه الصحابة وكما كان يتمثل لمريم فما قيل من ان هذا لا يتم ان لو كان رؤيتهم مخالطتهم وهم على خلقتهم والوارد فى القرآن والحديث خلافه وقد رآهم بعض الصالحين وأصحاب الرياضة خلط وخبط ناشئ من عدم الفهم (فجعلوا) أى الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين (من جهة الاجسام والظواهر مع البشر) أى موافقين لهم فى صورتها

أى فيما رواه البخارى وغيره (لو كنت متخذا من أمتى خليلا) أى حبيبا تتخلل محبته خلال قلبى (لاتخذت أبا بكر خليلا) الا ان هذه المحبة الخالصة لقلبى مختصة بمودة ربى كما يشير اليه ما روى عنه عليه الصلاة والسلام لى مع الله وقت لا يسعنى فيه ملك مقرب ولا نبى مرسل والتحقيق ان المراد بالنبى المرسل ذاته الاكمل فانه فى مقام جمع الجمع يفنى عن ذاته ومقاماته ويستغرق فى مشاهدة ذات الله تعالى وصفاته (ولكن اخوة الاسلام) أى حاصلة بيننا بنعت الدوام ووصف التمام (لكن صاحبكم) يعنى نفسه الانفس (خليل الرحمن) لتخلل حبه فى قلبه بحيث لا يسع فيه غير ربه (وكما قال) أى فيما رواه ابن سعد عن الحسن مرسلا (تنام عيناى ولا ينام قلبى وقال) أى فيما رواه الشيخان عن ابن عمر وأبى هريرة وأنس وعائشة جوابا لقولهم انك تواصل فكيف تنهانا (انى لست كهيئتكم) أى على صفتكم وماهيتكم

(ومن جهة الارواح والبواطن مع الملائكة) أى متصفين بصفاتهم والمراد بالمعية المشاكلة فى الروحانية والقوى الباطنية حتى أطاقوا رؤيتهم ومخالطتهم ومخالتهم (كما قال صلى الله عليه وسلم) فى حديث رواه البخارى وغيره يشهد لمخالته للملائكة (لو كنت متخذا من أمتى خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا) فانه أقرب الناس اليه وأصدقهم محبة له وأعظمهم مواساة له بماله ونفسه وأسبق الناس لاتباعه له فاذا لم يتخذه خليلا لم يتخذ أحدا غيره وهذا دليل على انه لم يكن مع البشر بباطنه فهو لا يعتمد على غير الله ولا يحتاج لاحد سواه ثم استدرك على ما يتوهم من نفى خلة أبى بكر من انه لا مناسبة بينه وبينه فقال (ولكن) بينى وبين أبى بكر (اخوة الاسلام) أى ان لم يكن خليلى فهو أخى فى محبة الله وفى دين الاسلام لاشتراكه معنى فى محبة الله تعالى وطاعته واتباع دينه والاخلاص فيه والاخوة بضم الهمزة مصدر أى كونه أخا لى ويقال خوة بضم الخاء وحذف الهمزة وهى لغة قليلة فيه والحاصل ان بواطنهم وقواهم الروحانية ملكية ولذا ترى مشارق الارض ومغاربها وتسمع أطيط السماء وتشم رائحة جبريل عليه الصلاة والسلام اذا أراد النزول اليهم كما شم يعقوب عليه الصلاة والسلام رائحة يوسف صلى الله تعالى عليه وسلم ولذا عرج به صلى الله تعالى عليه وسلم الى السماء ولما نفى الخلة عن أبى بكر رضى الله تعالى عنه استدرك توهم ثبوتها لغيره من الناس فقال (لكن صاحبكم خليل الرحمن) وقال صاحبكم ولم يقل ولكنى وهو أخصر وأظهر اشارة الى أن مناسبته لهم بحسب الظاهر وانه بين أظهرهم لا بحسب الحقيقة وقال خليل الرحمن دون خليل الله اشارة الى أن خلته لله برحمته وبخلقه بصفة الرحمة فليس خليله الا الله لان الخلة تخلل المحبة فى باطنه وباطنه مشغول بمحبة الله تعالى عما سواه وهذا لا ينافى ما ورد فى حديث آخر لم يكن نبى الا وقد اتخذ من أمته خليلا الا ان الله تعالى اتخذنى خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا لان النفى للخلة الحقيقية المقتضية لاعتماده عليه ظاهرا وباطنا والمثبتة الخلة بحسب الظاهر بحيث يكون وزيره ووكيله فى أمور الدنيا وأيضا خليل فعيل بمعنى فاعل ومفعول وأبو بكر رضى الله تعالى عنه خليله بمعنى الفاعل وليس مخاللا له بمعنى المفعول أو انه كان خليله أولا ثم تمحضت خلته بعد ذلك لله عند ما قربت رحلته للقاء ربه فان أول الحديث كما فى البخارى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه قال خطب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الناس فقال ان الله تعالى عز وجل خير عبده بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ذلك العبد ما عند الله فبكى أبو بكر رضى الله تعالى عنه فعجبنا لبكائه من اخبار عن عبد خير فكان أعلمنا فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان من أمن الناس على فى صحبته وماله أبو بكر ولو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن اخوة الاسلام ومودته لا يبقين فى المسجد باب الا سد الا باب أبى بكر وهو نص منه صلى الله تعالى عليه وسلم على خلافته كما يعرفه من له بصيرة (وكما قال) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيما يدل على ان باطنه ملكى وظاهره بشرى (تنام عيناى) بتغميض الاجفان والنوم ظاهر (ولا ينام قلبى) لبقاء احساسه وتعلقه بالملأ الاعلى وكذا سائر الانبياء تنام أعينهم دون قلوبهم كما ورد مصرحا به فى حديث البخارى فليس ذلك من خواصه صلى الله تعالى عليه وسلم كما توهمه القضاعى ومن تبعه هنا وهذا دليل على ان ظاهره صلى الله تعالى عليه وسلم بشرى وباطنه ملكى ولذا قالوا ان نومه عليه الصلاة والسلام لا ينقض وضوءه كما صرحوا به ولا يقاس عليه غيره من الامة كما توهم وتوضيه صلى الله تعالى عليه وسلم بعد نومه استحبابا أو تعليما لغيره أو لعروض ما يقتضيه (وقال) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه الشيخان فى النهى عن صوم الوصال فى الصوم مع فعله صلى الله تعالى عليه وسلم له (انى لست كهيئتكم) أى لست فى حالى وأمورى مثلكم فان لى خواص خصنى الله تعالى بها اكرامامنه وأصل معنى

انى أظل) بفتح الظاء المعجمة وتشديد اللام أى أصير وأداوم نهارا (يطعمنى ربى ويسقينى) محلهما النصب على الخبرية لاظل ان
كانت ناقصة أو على الحالية المتداخلة ان كانت تامة وفى رواية أبيت عند ربى يطعمنى ويسقينى اما بافاضته سبحانه عليه ما يقوم
مقام طعامه وشرابه يدفع عنه مس الجوع وألم العطش الناشئ لديه ويتقوى به على الطاعة وما يجب القيام اليه أى أو بايصال رزق
من الجنة له ليالى صيامه كما ورد انه عليه الصلاة والسلام كان يبيت يتلوى من الجوع ثم يصبح شبعان وهذا مبنى
على ان طعام الجنة لا يفطر على ما قاله ابن الملقن ان كان يظل على ظاهره الموضوع للنهار وقيل اطعام الله تعالى لا يفطر والصحيح الاول وهو ان المراد بالطعام ما يقوم مقامه من القوت لانه لو أكل حقيقة لم يكن مواصلا ويمكن الجمع بانه يتقوى فى النهار ويأكل من طعام الجنة فى الليل كما يشير اليه رواية أبيت فالوصال حاصل فى الجملة له بخلاف غيره (فبواطنهم منزهة عن الآفات) أى المخلة بنعوتهم الملكية (مطهرة عن النقائص والاعتلالات) أى الممثلة على الاجسام الحيوانية (وهذه) أى النبذة (جملة) أى قضية مجملة (لن يكتفى بمضمونها كل ذى همة) أى علية (بل الاكثر) أى من ذوى الهمم الجلية (يحتاج) ويروى محتاج (الى بسط) أى الكلام فى أحوالهم (وتفصيل) ولما يتعلق
بأفعالهم (على ما نأتى به) أى نبينه ونذكره (بعد هذا) أى البيان الاجمالى (فى البابين) أى الموضوعين للمقام التفصيلى (قال
(بعون الله تعالى) أى بمعونته وتوفيق هدايته (وهو) أى الله ربى (حسبى) كافى أمرى الجليل والقليل (ونعم الوكيل) أى هو أفضل
من توكل اليه الامور ويعتمد عليه وتطمئن اليه الصدور

(الباب الاول)

(فيما يختص بالامور الدينية والكلام فى عصمة نبينا وسائر الانبياء صلوات الله تعالى وسلامه عليهم أجمعين

الهيئة الصورة الظاهرة تجوز بها عن الكيفيات النفسانية بتنزيل المعقول منزلة المحسوس ثم بين ذلك بقوله (انى أظل) بفتحتين أى أكون (عند ربى) خص الرب اشارة الى تربيته له باعطائه ما يقويه فلذا وقع موقعه هنا ولم يقل عند الله ونحوه (يطعمنى ويسقينى) أى يهبنى قوة على ذلك حتى أكون كأنى أكلت وشربت وليس المراد انه يطعمه ويسقيه حقيقة وطعام الجنة وشرابها لا يفطر كما قيل لانه ينافى الغرض المقصود منه من اختصاصه بامر ليس لغيره مع ان قوله أظل يأباه بحسب الظاهر وان أمكنه التجوز فيه لان ظل حقيقته فعل نهارا ولو كان كذلك لم يكن صائما وكون طعام الجنة لا يفطر لم يقل به أحد وهذه القوة تدل على انه صلى الله تعالى عليه وسلم ملكى الباطن وقول ابن حبان وغيره اذا أعطاه الله تعالى قوة الصوم من غير جوع لم يكن فيه عظيم أجره ولا يناسبه وقوله انه يدل على ان ما روى من انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يجوع حتى يشد الحجر على بطنه لا يصح وانما هو الحجز بزاى معجمة وشد الحجر لا معنى له فى اذهاب الجوع غير ظاهر لان جوعه صلى الله تعالى عليه وسلم وشكواه منه وخروجه لاصحابه وسؤالهم له فاخبرهم فشكواله مما شكاه وشد الحجارة على بطونهم أمر ثابت فى أحاديث لا وجه لانكاره وشد الحجر يخفف ألم الجوع ببرده واقامة صلبه ومنع امعائه من الارتخاء ولا ينافى هذا انه يطعمه ربه لاختلاف الحالتين فان فى الصوم رياضة وانجذابا للملأ الاعلى واشتغال الروح عن البدن يمنع الجوع ألا ترى المريض يمكث أياما لا يأكل ولا يضره وقد بين وجهه الشيخ فى آخر كتاب الاشارات فهذا القوة ملكية روحانية واستبعد القرطبى ما قيل ان الله تعالى عز وجل يخلق فيه شبعا كما يخلقه فيمن أكل ومراده ما ذكرناه فلا وجه لاستبعاده (فبواطنهم) أى بواطن الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم (منزهة عن الآفات) أى ما ينقص قواهم الملكيه (مطهرة عن النقائص والاعتلالات) أى العلل المضعفة لهم (فهذه جملة) فيما يختص بالانبياء عليهم الصلاة والسلام اجمالا (لن يكتفى بمضمونها) أى ما تضمنته ودلت عليه (كل ذى همة) فى تحصيل الفضائل (بل الاكثر يحتاج الى بسط) أى تطويل (وتفصيل على ما نأتى به) صفة لبسط وتفصيل أى تفصيل على نهج ما نأتى به (بعد هذا فى البابين) المذكورين عقب هذا (بعون الله) أى اعانته على ما قصده (وهو حسبى ونعم الوكيل) الذى لا يكل من توكل عليه لغيره

(الباب الاول)

فيما يجب للانبياء عليهم الصلاة والسلام ويمتنع عليهم (فيما يختص بالامور الدينية) أى ما هو من الدين والشرائع النبويه (والكلام فى عصمة نبينا) أى وفى الكلام فى عصمته صلى الله تعالى عليه وسلم (و) فى عصمة (سائر الأنبياء) أى باقيهم (صلوات الله وسلامه عليهم) والعصمة قالوا تخصيص قدرته بالطاعة دون المعصية أو خلق مانع فيه عن المعصية لكن لا بحيث أن يلجئه ويسلب اختياره ويجبره على الطاعة بل هى لطف من الله يحمله على الطاعة ويزجره عن المعصية مع بقاء الاختيار تحقيقا للابتلاء والتكليف كما قاله الماتريدى ويأتى الكلام على ذلك مبسوطا

قال القاضي أبو الفضل رضي الله تعالى عنه) يعني المصنف وهذا من ملحقات بعض تلامذته كما أشير اليه الترضية عنه (اعلم أن الطوارئ) بالهمزة جمع الطارئ وهو ما يطرأ أو يحدث (من التغيرات) أي الموجبة للفتورات ويروى التغيرات بياءين والاولى هو الاولى كما لا يخفى (والآفات) أي الحاصلة بالعاهات (على آحاد البشر) أي عوامهم ويروى الاجساد البشر أي ابدانهم

(قال القاضي أبو الفضل) المصنف عياض رحمه الله تعالى بتمهيد مقدمة لما سيأتي (اعلم ان الطوارى) أي ما يحدث من غير ما قارن خلقته (من التغيرات) المغيرة لما خلق عليه (والآفات) جمع آفة وهي ما يفسد ما اصابه والمأوف ما اصابته وانكره أبو حاتم وقال انما هو مئيف كما هو في افعال السرقسطي (على آحاد البشر) بالمد جمع ابدلت واوه همزة ثم الفا لانه من الوحدة أي افرادهم واشخاصهم (لا يخلوان تطرأ على جسمه) أي ظاهر بدنه وجسده (أو على حواسه) جمع حاسة وهي ما يدرك به من البصر والسمع والشم واللمس والذوق فالمراد الحواس الظاهرة وفعله احس وحس لغة قليلة ومعناهما ادرك وحواس وحاسة من هذه اللغة غير الفصحى وانكره بعضهم وقال انه لم يسمع وقياسه محسة (بغير قصد واختيار) بل يخلق الله ما فيه (كالامراض والاسقام) السقم بمعنى المرض كما في الصحاح وقيل السقم مسبب عن المرض فالحمى مرض وتغير البدن وضعفه سقم ويقال سقم وسقم وسقام بمعنى (أو تطرؤ بقصد واختيار) كافعال العبد واعماله (وكله) أي كل ما يطرؤ باختيار وغيره (في الحقيقة) أي حقيقة الامر في الواقع (عمل وفعل) قال في القاموس الفعل بالكسر الانشاء وكناية عن كل عمل فهما على هذا بمعنى وقال الصاغاني بينهما فرق فالفعل احداث شئ من عمل أو غيره فهو اعم وقال النحوي الفعل ما يكون في زمان يسير من غير تكرير والعمل ما تكرر وطال زمنه وقيل الفعل يختص بمن تعقل ورد بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم في الحديث يا أبا عمير ما فعل النغير (ولكن جرى رسم المشايخ) أي استمرت عادتهم والرسم التصوير بكتابة ونحوها والفقهاء استعملوه بمعنى العادة وهو المراد هنا والمراد بالمشايخ العلماء (بتفصيله) أي تفصيل ما يطرأ (الى ثلاثة أنواع) الاول (عقد بالقلب) أي نيته نية جازمة وعزما مصمما صادقا والعقد بهذا المعنى ورد في الحديث واصل معناه الربط المحكم (و) الثاني (قول باللسان و) الثالث (عمل بالجوارح) جمع جارحة وهي العضو من اعضاء البدن من الاجتراح وهو الاكتساب (وجميع البشر تطرؤ عليهم الآفات والتغيرات بالاختيار وبغير الاختيار) أي لهم حالات مختلفة تنتقل منها من حال الى حال من نعيم وبؤس ونصر وقهر وهذا أمر عام شامل وليس المراد به العزائم واحوال القلب كما قيل (في هذه الوجوه كلها والنبي صلى الله عليه وسلم) أي جنس النبي أو كل نبي فتعريفه جنسي أو استغراقي وليس المراد نبينا مخصوصا لاستوائهم فيما ذكر (وان كان من) جنس (البشر ويجوز على جبلته) بكسر الجيم وكسر الباء الموحدة وفتح اللام المشددة بمعنى الطبيعة والخلقة التي خلق عليها بحيث لا يقبل التغير بسهولة (ما يجوز على البشر) سواه وما موصولة في محل رفع فاعل يجوز الذي تقدم (فقد قامت) أي تحققت وظهرت (البراهين) جمع برهان وهو الدليل والحجة كما تقدم (القاطعة) أي القطعية دلالتها على ما ثبت بها (وتمت كلمة الاجماع) أي انعقد اجماع من يعتد باجماعه واتفقوا عليه حتى كأن كلامهم كلمة واحدة تامة (على خروجه عنهم) أي خروج النبي عن جنس البشر غيره (وتنزيهه) أي تبريته بنفي ذلك عنه وتبعيد ساحته (عن كثير من الآفات) أي

(لا يخلوان تطرأ) أي من ان تعرض (على جسمه) أي جسم البشر (أو على حواسه) وهي السمع والبصر والشم والذوق واللمس (بغير قصد واختيار) أي من البشر بل يخلق الله تعالى لها فيه (كالامراض والاسقام) أي الاوجاع والآلام (أو بقصد واختيار) أي أو ان تطرأ بهما (وكله) أي وكل ما ذكر مما يطرأ بغير اختيار أو باختيار (في الحقيقة عمل وفعل) بل وعقد (ولكن جرى رسم المشايخ) أي دأبهم (بتفصيله الى ثلاثة أنواع) أي باعتبار مواردها (عقد) بالجر والرفع (بالقلب) أي جزم وقصد به وعزم (وقول باللسان) أي يترجم عن الجنان (وعمل بالجوارح) أي الاعضاء والاركان (وجميع البشر) أي افرادهم من خواصهم وعوامهم (تطرأ عليهم الآفات والتغيرات) بضم الياء التحتية المشددة أي الحالات المختلفة بالانتقال من حالة الى حالة كنعمة ومحنة وملك وهلك ونصر وقهر وكسر وجبر (في هذه الوجوه كلها والنبي) أي جنسه (وان كان من البشر) أي من جملتهم وعلى طبيعتهم (ويجوز على جبلته) بكسر جيم فموحدة وبلام مشددة أي خلقته (ما يجوز على جبلة البشر) أي سائرهم (فقد قامت البراهين القطعية) أي الادلة اليقينية (وتمت كلمة الاجماع) أي ثبتت (على خروجه عنهم وتنزيهه عن كثير من الآفات

*(فصل * فى حكم عقد قلب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) وهو احكامه ولزومه على الشئ وحقيقته (من وقت نبوته * اعلم منحنا الله تعالى واياك توفيقه) أى أعطانا بخلقه فينا جملة دعائية اعتراضية والخطاب عام والمعنى افهم (ان ما تعلق) أى الذى تعلق به قلب النبى (منه) أى بعضه ماهو (بطريق التوحيد) أى توحيد الذات وتفريد الصفات (والعلم بالله) أى بذاته العلية (وصفاته) الثبوتية والسلبية والفعلية والاضافية (والايمان به) أى التصديق بوجوده والتحقيق بكرمه وجوده (وبما أوحى اليه) أى من الوحى الجلى أو الخفى ليبلغه أو تعمل به (فعلى غاية المعرفة) أى بجزئياته (ووضوح العلم واليقين) أى بكلياته (والانتفاء) أى وعلى غاية التنزه (عن الجهل بشئ من ذلك) أى مما ذكر من العلم المتعلق به سبحانه (أو الشك) أى مطلق التردد (أو الريب) أى الشبهة (فيه والعصمة) أى وعلى غاية الحفظ (من كل ما يضاد) بتشديد الدال أى ينافى (المعرفة بذلك واليقين) أى بما هنالك (هذا) أى الذى ذكرناه اجمالا من نسبته اليه (ماوقع اجماع المسلمين عليه ولا يصح) وفى نسخة فلا يصح

(بسم الله الرحمن الرحيم)

*(فصل فى حكم عقد قلب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) والمراد بعقد قلبه ما انعقد عليه اعتقاده وجزم به مما ثبت عنده يقينا (من وقت نبوته) ورسالته أى اظهارها للناس بعد الوحى اليه والغاية محذوفة للعلم بها أى الى آخر عمره فعقد القلب هو الاعتقاد الجازم الذى لا يحتمل النقيض أصلا (اعلم) تقدم ان مثله يبتدأ به فيما يهتم به والخطاب عام لكل من يصلح للخطاب (منحنا الله) عز وجل أى اعطانا وأنعم علينا (واياك) الخطاب كالذى قبله وهو معطوف على المفعول الاول وقوله (توفيقه) المفعول الثانى وقوله (ان ما تعلق منه بطريق التوحيد) ضمير منه لعقد قلب النبى أى اعتقاده وعلمه اليقين الجازم الذى اتصف به بعد نبوته وما موصولة والعائد ضمير منه أى علمه الذى له تعليق بالتوحيد (والعلم بالله) أى بذاته وحقيقته (وصفاته) الذاتية الثبوتية والسلبية والاضافية وغيرها (والايمان به) أى بما ذكر من توحيده وتحقق ذاته وصفاته (وبما أوحى اليه) بالبناء للمجهول أى بكل ما أوحاه الله اليه من شرعه ليعمل به أو يبلغه لغيره (فعلى غاية المعرفة) الفاء زائدة فى خبر الموصول ودخول الباء لا يمنع منه كما بينه النحاة يعنى ان علم الانبياء المتعلق باصول الدين والعقائد وصل الى النهاية والغاية التى لا يصل اليها سواهم (ووضوح العلم واليقين) أى لتيقنهم لذلك انكشف لهم انكشافا تاما بحيث انه لا يقبل الزوال ولا ترتاب فيه أنفسهم القدسية (و) على غاية (الانتفاء عن الجهل بشئ من ذلك) فليس لهم جهل بشئ من ذلك أصلا (أو الشك أو الريب فيه) أى التردد واحتمال نقيضه لانه حق اليقين الذى لا يطرأ عليه شئ من ذلك (والعصمة) بالجر عطف على المعرفة أى على غاية العصمة وتقدم معناها (عن كل ما يضاد المعرفة بذلك) المذكور من التوحيد وما بعده بان يجهل شيئا منها (و) يضاد (اليقين) من شك أو ريب فى شئ منها (هذا) المذكور من علم الانبياء بما ذكر (ماوقع اجماع المسلمين عليه) ولم يخالف فيه أحد منهم (ولا يصح

(بالبراهين الواضحة) أي الادلة البينة (ان يكون في عقود الانبياء سواه) أي غير ما تقدم (ولا يعترض على هذا) صيغة المجهول أي وليس لاحد ان يعترض على قولنا هذا ويدفعه (بقول ابراهيم عليه الصلاة والسلام) أي حيث حكى عنه سبحانه وتعالى اذ قال ابراهيم ربي أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن أي أما آمنت فالهمزة للتقرير ومعناه حمل المخاطب على الاقرار بايجاب ما بعد النفي الموضوع له بلى (قال بلى) آمنت ولاشك في ايماني باحيائك الناشئ عن قوتك وقدرتك (ولكن) سألت ما سألت (ليطمئن قلبي اذلم يشك ابراهيم في اخبار الله تعالى له احياء الموتى) أي في الدنيا والأخرى اذ كان اثبت ايمانا وأتم ايقانا (ولكن ٣ اراد طمانينة القلب) أي بمشاهدة فعل الرب اذليس الخبر كالمعاينة على ما ورد في الاثر (وترك المنازعة) أي بسكون النفس أومنازعة أهل المخاصمة (بمشاهدة الاحياء) وفي نسخة لمشاهدة الاحياء فاللام للعلة والباء للسببية (لحصل له العلم الاول) وهو علم اليقين (بوقوعه) أي بوقوع احيائه تعالى (وأراد العلم الثاني) وهو عين اليقين (بكيفيته ومشاهدته) أي ملاحظة هيئته والحاصل انه في مقام استزادة العلم اذلا نهاية لمراتب تجليات الله وتعيناته ولذا قال لاعلم الخلق بالحق وقل ربي زدني علما وهذا الوجه الاول في دفع الاعتراض الوارد على الخليل الاكمل (الوجه الثاني ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام انما اراد اختبار منزلته) أي باعتبار مرتبته ورفعة مكانته (عند ربه وعلم اجابته) أي وارادعلم اجابة الله (دعوته) وفي نسخة اجابة دعوته وينسب الى أصل الصنف (بسؤال ذلك من ربه) أي بطلبه منه أي يريه كيفية الاحياء باعادة التركيب والروح في الموتى (ويكون) وفي نسخة فيكون (قوله تعالى أولم تؤمن أي تصدق) وفي نسخة صحيحة أي ألم تصدق (بمنزلتك مني وخلتك) بضم الخاء وتشديد اللام أي وكونك خليلا لا عندي (واصطفائك) أي بالرسالة وغيرها الذي (الوجه الثالث انه سأل زيادة يقين) أي معرفة لقبولها ضعفا (وقوة طمانينة) أي لاجل مشاهدة (وان لم يكن في الاول) أي في المقام الاول من علم اليقين (شك) أي تردد وشبهة (اذ العلوم الضرورية) أي البديهية

(بالبراهين الواضحة) التي هي في غاية الظهور (ان يكون في عقود الانبياء) أي عقائدهم التي ارتبطت عليها قلوبهم (سواه) أي غيره مما يخالفه أصلا (ولا يعترض على هذا) أي ما وقع عليه الاجماع وكشفته البراهين القاطعة حتى لايحتمل غيره بوجه من الوجوه (بقول ابراهيم الخليل) صلى الله عليه وسلم فيما حكاه الله عنه اذ (قال بلى ولكن ليطمئن قلبي) لجعل اطمئنان قلبه بمشاهدة الاحياء يقتضي ان عنده ريبة وشبهة في ذلك ورده بقوله (اذلم يشك ابراهيم) متعلق بالنفي أي انتفى الاعتراض بما ذكر (في اخبار الله باحياء الموتى) أي ما أخبر الله به من انه هو الذي يحيى الموتى ويوجدها من العدم (ولكن اراد) بما قاله مما يوهم الشك (طمانينة القلب) قال الراغب الاطمئنان السكون بعد الانزعاج واطمأن وتطامن متقاربان لفظا ومعنى انتهى فطمانينته زوال قلقه وانزعاجه من امرما (وترك المنازعة) مفاعلة من النزع وهو جذب الشيء عن مقره كنزع القوس ويعبر بها عن المخاصمة والمجادلة ومنازعة القلوب ميلها الى شيء ما والمراد هنا ترك القلق أو ترك الميل الى الشبهة في كيفية ذلك بعد تحققه عنده كما اشار اليه بقوله (بمشاهدة الاحياء) وكيفية صدوره عن القدرة (لحصل له العلم الاول بوقوعه) أي تيقن وقوعه من الله اجمالا من غير شبهة فيه (وأراد) بسؤاله ربه (العلم الثاني بكيفيته ومشاهدته) أي مشاهدة صدوره عن الله تفصيلا لايزيد علمه واطمئنانه لانه شك فيه وهو جواب عن الاعتراض الوارد على قولهم ان علم الانبياء عليهم الصلاة والسلام بالله لايعتريه شك بان الخليل عليه الصلاة والسلام من أجلهم وقد شك فاجاب بانه لم يشك ولم يجهل وانما اراد الانتقال عن علم اليقين الى عين اليقين وهذا أمر لاضير فيه (الوجه الثاني) في جواب الاعتراض على ما وقع من الخليل (ان ابراهيم صلى الله عليه وسلم انما اراد) بسؤال ربه (اختبار منزلته عند ربه) المراد بالاختبار لازمه وهو العلم أي يتحقق رتبته عند الله (وعلم اجابته دعوته بسؤال ذلك من ربه) أي يعلم انه مقبول عنده حتى لا يرد ولا يخيب فيه رجاءه وان يريه كيف احيا الموتى وفي نسخة اجابة دعوته بالاضافة وعدم تحقق رتبته عند الله ليس فيه ما يضره ولا ينقص معرفته بربه فما قيل انه يقتضي شكه في منزلته عند الله وهو غير واقع لا وجه له ولما كان قوله تعالى في جوابه أولم تؤمن يقتضي الاعتراض دفعه بقوله (ويكون) على هذا (قوله أولم تؤمن) بالاستفهام الانكاري المقتضي بحسب الظاهر نفي ايمانه فيؤول (أي لم تصدق بمنزلتك مني وخلتك) أي اتخاذك خليلا (واصطفائك) أي اختيارك على غيرك تشريفا وتكريما لك فالايمان بمعناه اللغوي وهو التصديق والمصدق به المنزلة والاصطفاء فانه لايلزم من النبوة اصطفاؤه بحيث يطلعه على اسرار قدرته ولعله كان في أول أمره (الوجه الثالث انه سأل) من ربه (زيادة يقين وقوة طمانينة) أي ان يقوى طمانينة قلبه وسكونه بحيث يقر اقرارا متمكنا غاية التمكن (وان لم يكن في) علمه (الاول) الذي كان قبل المشاهدة (شك) في شيء من أمور الرب وتوحيده وقدرته وهو دفع لما يتوهم من ان هذا الطلب يقتضي الشك منه بانه انما هو لقبول اليقين الزيادة كما بينه بقوله (اذ العلوم الضرورية)

(والنظرية) أي الفكرية (قد تتفاضل في قوتها) أي وتتناقص في ضعفها الا انه لابد من ثبوت أصولها من غير تردد في حصولها (وطريان الشك) أي حدوثه ووقوعه (على الضروريات ممتنع) أي من حيث ذاتها (ومجوز) بفتح الواو المشددة وفي نسخة ويجوز أي طريانها وجريانها (في النظريات) اذ قد يلم بها الوهم ويندفع عنها الفهم (فاراد) أي ابراهيم (الانتقال من النظر) أي السابق (أو الخبر) أي الصادق (الى المشاهدة) أي العينية للزيادة اليقينية (والترقى) أي الصعود (من علم اليقين الى عين اليقين فليس الخبر كالمعاينة) وهذا اقتباس من قوله عليه الصلاة والسلام فيما رواه أحمد وابن حبان عن ابن عباس مرفوعا ليس الخبر كالمعاينة ان الله عز وجل أخبر موسى عليه السلام بما صنع قومه في العجل فلم يلق الالواح فلما عاين ماصنعوا القاها فانكسرت ولا يبعد ان قوله ان الله عز وجل يكون مدرجا من قول ابن عباس والله سبحانه وتعالى أعلم (ولهذا قال سهل بن عبد الله) أي التستري (سأل) أي ابراهيم (كشف غطاء العيان ليزداد بنور اليقين تمكنا في حاله) أي بصيرة في كماله

التي تحصل من غير الاستدلال لظهورها (والنظرية) التي تتوقف على نظر واستدلال لكونها غير بديهية (قد تتفاضل) أي يزيد بعضها على بعض لانه تفاعل من الفضل بمعنى الزيادة كما وكيفا (في قوتها) لانها كيفيات نفسانية تقبل التفاوت في الوضوح والخفاء والعلم ينقسم الى ضروري ونظري وعلم الله حضوري لا يوصف بذلك أصلا (وطريان) بفتحات بمعنى حدوث (الشكوك) جمع شك (على الضروريات) أي العلوم الضرورية كالواحد نصف الاثنين والضدان لا يجتمعان (ممتنع) لما هو ظاهر (ومجوز) بصيغة المفعول أي يجوز العقل طريانها وعروضها (في النظريات) المكتسبة بالنظر والفكر يعني ان علم الخليل عليه الصلاة والسلام بذلك أولا كان نظريات يقينيا لا شبهة له فيه ولكن النظريات من شانها انها تحتمل الشكوك فاراد الانتقال الى رتبة أعلى منها يكون علمه بقدرة الله على الاحياء ضروريا فيها لا يحتمل خلافه أصلا ليطمئن قلبه بذلك فقط وهذا معنى ما في المواقف من ان سؤال الخليل عليه الصلاة والسلام لم يكن عن شك في قدرته تعالى بل طلبه لان في عين اليقين ما ليس في علم اليقين فان للوهم باحداث الوساوس والدغادغ سلطانا على القلب عند علم اليقين دون عين اليقين وليس في كلام المصنف رحمه الله ما يقتضي ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام وقع منه شك في علمه النظري بل ان النظري من حيث هو يجوز طريان الشك عليه وفرق بين الشك وجوازه فجوازه على علم اليقين لا يقتضي وقوعه حتى يعترض عليه بان علم ابراهيم يقيني لا يحتمل النقيض وانه يجوز ان يخلق الله فيه علما ضروريا بذلك بعد الوحي أو الكشف وكذا ما قيل من انه اذا علم منه ذلك فما وجه قوله أولم تؤمن لان المصنف أشار الى دفعه في الجواب الثاني فيعلم بالقياس عليه ان لم تعلم ذلك علما غير محتاج للمشاهدة والى هذا أشار المصنف بقوله (فاراد) ابراهيم صلى الله تعالى عليه وسلم بسؤاله (الانتقال من النظر) أي من العلم الحاصل من البرهان القطعي اليقيني الذي لا يحتمل النقيض (أو الخبر) الصادق بالوحي اليه الذي لا شك فيه (الى المشاهدة) والنظر بعينه (والترقى) أي الصعود الى الاعلى (من علم اليقين) الحاصل بالنظر أو الخبر (الى عين اليقين) الحاصل بمشاهدته عيانا وهذا يقتضي ان المحسوسات والعلوم الضرورية تسمى يقينا وايقانا وفي الكشاف وشروحه وتفسير القاضي ان العلم الذي من شانه ان يتطرق اليه الشك والشبهة اذا انتفيا عنه كان ايقانا ولذلك لا يوصف به العلم القديم ولا الضروري فلا يقال تيقنت ان الكل أعظم من الجزء وينافيه قوله في سورة التكاثر علم المشاهدة أعلى مراتب اليقين وقد بيناه في حواشي القاضي (فليس الخبر كالمعاينة) هذا من الامثال النبوية وورد في حديث مرفوع رواه أحمد في مسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس الخبر كالمعاينة ان الله أخبر موسى بما صنع قومه بالعجل فلم يلق الالواح فلما عاين ما صنعوا ألقى الالواح فانكسرت وقال الشاعر

ولكن للعيان لطيف معنى * له سأل المعاينة الكليم

(ولهذا قال سهل بن عبد الله) التستري وقد قدمنا ترجمته (سال) الخليل عليه الصلاة والسلام (كشف غطاء العيان) أي الغطاء المانع للعيان بكسر العين كما مر أي المعاينة والغطاء ما يغطيه ويستره (ليزداد بنور اليقين) أي ما ينوره ويظهره عيانا (تمكنا في حاله) من العلم والمشاهدة ليكون على بصيرة تامة في معرفة الله وفيه استعارة مكنية مرشحة لتشبيهه بامر محتجب تحت غطاء أزالته المشاهدة والكلام على علم اليقين وحق اليقين وعين اليقين والفرق بينها بحسب اللغة ظاهر وللصوفية فيها اصطلاح أورده بعضهم هذا وبنى عليها أمورا واهية ولا حاجة لنا به وههنا سؤال مشهور وهو يروى عن علي كرم الله وجهه انه قال لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا فقيل كيف تقول هذا والخليل عليه الصلاة والسلام يقول ولكن ليطمئن قلبي فطلب كشف الغطاء ليزداد يقينا وهو أجل رتبة ونقل السبكي عن الغزالي

(الوجه الرابع انه لما احتج على المشركين) أى من قومه نمرود وسائر الجنود (بان ربه يحيى ويميت) كما قال تعالى حكاية عنه اذ قال ابراهيم ربى الذى يحيى ويميت أى لاغيره بشهادة تعريف الجزئين أو بتقدير ضمير الفصل قبل الذى (طلب) جواب لما أى سأل (ذلك) أى اراءة كيفية احياء الموتى (من ربه ليصح احتجاجه) أى عليهم (عيانا) ويلجئهم الحق بيانا وهذا متوقف على صحة كون هذه الواقعة عند نمرود وجنوده وظاهر الآية انه انتقل من هذا الاستدلال وحصل له الزام لغيره فى الحال (الوجه الخامس قال بعضهم) روى قول بعضهم (هو) أى قوله رب أرنى كيف تحيى الموتى (سؤال) أى طلب من الرب وارد (على طريق الادب المراد) أى المقصود به (أقدرنى) بفتح الهمزة وكسر الدال أى قدرنى وقونى (على احياء الموتى وقوله ليطمئن قلبى) أى حينئذ يكون معناه ليسكن (عن هذه) ويروى من هذه (الامنية) وهى التمنى والتشهى (الوجه السادس انه أرى) أى أظهر ابراهيم لغيره (من نفسه الشك) أى صورة (وماشك) أى حقيقة (ولكن) أى أرى ذلك تادبا لما هنالك (ليجاوب) بفتح الواو وفى نسخة ليجاب أى ليجيبه ربه (فيزداد قربه) بالاضافة أى كمال قربه بمعرفة منزلته عند ربه وفى نسخة قربة أى عظيمة اذ المجاوبة تؤذن بالمقاربة (وقول نبينا عليه الصلاة والسلام نحن أحق بالشك من ابراهيم) ليس اعترافا منه بالشك لهما بل (نفى لان يكون ابراهيم شك وابعاد) أى زجر وطرد (للخواطر الضعيفة ان يظن هذا بابراهيم) اذ قد ورد انه لما نزل واذ قال ابراهيم رب أرنى كيف تحيى الموتى سمع قوم ذلك فقالوا اشك ابراهيم ولم يشك نبينا

رحمه الله انه قال اليقين يتصور ان يطرأ عليه الجحود لقوله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم والطمانينة لا يطرأ عليها ذلك قال ابن عبد السلام أراد على ما ازددت يقينا فى الايمان وان كان برؤيته يزداد بمعرفة تفاصيلها كمن رأى بناء عجيبا علم ان له صانعا قادرا فيطلب ان يرى كيف يبنى وعندى ان السؤال غير وارد رأسا حتى يحتاج لما قالوه فان كلامهما لم يتوارد على أمر واحد اذ مراد على كرم الله وجهه ان أمور الآخرة التى عرفها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ووقف على حقائقها بالكشف اذا شاهدها عيانا لا يزيد يقينه بها والخليل عليه الصلاة والسلام طلب فى الدنيا أن يشاهد كيفية الاحياء ونفخ الروح لا مراحمه وأين هذا من هذا حتى يحتاج للتوفيق (الوجه الرابع انه) أى ابراهيم عليه الصلاة والسلام (لما احتج على المشركين) يعنى نمرود وقومه (بان ربه يحيى ويميت) بقوله ربى الذى يحيى ويميت (طلب ذلك من ربه) أى سأل ربه الاحياء وكيفيته (ليصح احتجاجه) ويتحقق ما أنكروه (عيانا) ومشاهدة ليقطع عنادهم ويبطل شوكتهم وهو فى نفسه غير متردد فيه فقوله أولم تؤمن تعريض لهم على حد قوله * اياك أعنى فاسمعى ياجاره * ولا طريق لالزامهم الا هذا فسقط ما قيل انه لا يلزم من اقامة البرهان بشئ مشاهدته (الوجه الخامس قول بعضهم هو سؤال على طريق الادب والمراد) منه حقيقة (أقدرنى على احياء الموتى) ليكون معجزة له كما وقع لعيسى عليه الصلاة والسلام ليقحم من عارضه ويبخهم فلم يسند الاحياء اليه تادبا منه وأسنده الى الله لانه المحيى والمميت حقيقة وان أجراه على يد غيره (و) معنى (قوله ليطمئن قلبى) على هذا التقدير اطمئنانه (عن هذه الامنية) بضم الهمزة ما يتمنى ويرادو بين معجزة احيائه الموتى عيانا وقوله أولم تؤمن أى أولم تصدق بانى مجيب دعوتك ومعطيك أمنيتك أو تعريض كما تقدم وقوله أرنى الخ تجوز به عن سببه ولازمه لانه اذا أقدره على صدوره فعل منه رآه فلا يرد عليه انه لا دلالة للفظ على هذا المعنى ولا تمكن مع قوله أولم تؤمن (الوجه السادس انه رأى) أى أظهر لغيره (من نفسه) وفى نسخة رأى فى نفسه والاصح ما تقدم لاحتياج هذا التكلف (الشك) أى صورته والتكلم به (وماشك) حقيقة لقوة يقينه وكمال علمه بالله وقدرته (ولكن) فعل ذلك (ليجاوب) بالبناء للمجهول أى ليجيبه ربه تادبا منه (فيزداد قربه) من الله حال مناجاته له وتلذذه بخطابه وشرفه بقرب منزلته عنده لاعتنائه باجابته فاستبعد هذا بانه كيف يظهر ما هو منتف عنه مما يؤدى الى تنقيصه وسوء الظن باعتقاده وليس بشئ لانه يتم ما قاله لو استقر على حاله أما اذا أدى الى ما تحقق كماله وتيقنه كما هو معروف فى طريق المجادلة والجرى مع الخصم حتى يفحمه فلا (وقول نبينا صلى الله عليه وسلم نحن أحق بالشك من ابراهيم) هذا جواب عن سؤال تقديره قد نفيت الشك عن ابراهيم عليه الصلاة والسلام فى هذه الاجوبة والنبى صلى الله عليه وسلم أثبته له فى هذا الحديث وجعل نفسه أحق بذلك منه فاجاب بما أجاب به المزنى صاحب الشافعى فقال هو (نفى لان يكون ابراهيم شك وابعاد للخواطر) جمع خاطر أو خاطرة بمعنى القلب أو الشبهة لانها فى الاصل ما يعرض للانسان من الافكار والشبه ويتجوز بها عن محله وهو القلب ويصح ارادة كل منهما هنا وقوله (الضعيفة) أى التى تدفع بادنى تامل لظهور بطلانها (ان يظن هذا) أى الشك (بابراهيم) لان مقامه يجل عن مثله وحاصله أنه صلى الله عليه وسلم قصد نفى الشك عنه ببرهان قوى وقياس منطقى تقريره لو شك ابراهيم كنت أنا شاكا أيضا بل أحق أى أولى وأقرب بذلك منى لانى لا يجوز على غيرى من

(أي نحن) يعني معاشر الانبياء أو جماعة المؤمنين (موقنون بالبعث واحياء الله الموتى) أي ولم نشك في قدرته على ذلك وفي ظهور هذه الحالة هنالك (فلو شك ابراهيم) أي ولو جازله (لكنا أولى بالشك منه) وهذا القول منه صلى الله تعالى عليه وسلم (اما على طريق الادب) أي مع ابراهيم لانه بمنزلة الاب (أو أن يريد) أي بنحن (أمته الذين يجوز عليهم الشك) لفقد عصمتهم (أو على طريق التواضع) أي هضم النفس (والاشفاق) أي الخوف من تزكيتها (ان حملت) بضم الحاء وكسر الميم المخففة (قصة ابراهيم على الاختبار حاله) بالموحدة أي امتحان ٦ كماله كما في الوجه الثاني ليعلم منزلة قربه من ربه (أو) أي وان حملت قصته على

(زيادة يقينه) أي ليزداد حصول علم يقينه بوصول عين يقينه (فان قلت فما معنى قوله) أي الله سبحانه وتعالى (فان كنت في شك) أي قلق واضطراب (مما أنزلنا اليك) أي من كتاب ربك (فاسأل) قرئ بالتخفيف والنقل (الذين يقرؤن الكتاب من قبلك) فانهم محيطون علما بصحة ما أنزلنا اليك من ربك (الآيتين) يعني لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين أي فيما أنت عليه من الجزم واليقين ولذا قال عليه الصلاة والسلام لا أشك ولا أسأل ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين فيه زيادة تنبيه وتهييج له على دوام ما هو عليه من اليقين وانتفاء الشك في أمر الدين (فاحذر) أي كل الحذر (ثبت الله قلبك)

لو قال قلبي وقلبك لكان أولى (أن يخطر ببالك) بضم الطاء أي أن يمر بخيالك (ما ذكره فيه بعض المفسرين عن ابن عباس وغيره) أي من المتقدمين أو المتأخرين (من اثبات شك للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم فيما أوحى) أي الله كما في نسخة (اليه وانه من البشر) أي وان الخاطرات ليس بها عبرة (فمثل هذا) أي الخاطر المذموم (لا يجوز عليه جملة) لثبوت عصمته من مثل هذا الامر (بل قد قال ابن عباس وغيره) أي باسانيد صحيحة منها ما رواه ابن حاتم عنه (لم يشك النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يسئل) أي أحدا ممن قرأ الكتاب من قبله (ونحوه عن ابن جبير) وهو سعيد (والحسن) أي البصري (وحكى قتادة) أي فيما رواه ابن جرير (أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي حين جمع الله له الرسل ليلة أسرى به (قال ما أشك ولا أسئل) لنزاهته وبراءة ساحته

الانبياء عليهم الصلاة والسلام وما كنت بدعا من الرسل وقد علم اني لم يقع مني شك فظاهر فكذلك ابراهيم أيضا فنفاه بنفي لازمه الا أنه صلى الله عليه وسلم أفضل من ابراهيم ولا يلزم من نفي شئ عن التفاضل نفيه عن المفضول فكيف قال انه أحق منه وأشار المصنف الى جوابه بقوله (أي نحن موقنون بالبعث واحياء الله الموتى) عطف تفسير على البعث (فلو شك ابراهيم) اشارة الى انه قياس استثنائي (لكنا أولى) بيان لان أحق بمعنى أولى (بالشك منه) أي من ابراهيم ثم أشار الى دفع السؤال الوارد على قوله أحق كما قدمناه بانه (اما على طريق الادب) منه مع أبيه ابراهيم عليهما الصلاة والسلام بقوله أحق (أو ان يريد) بقوله نحن (أمته الذين يجوز عليهم الشك) لعدم عصمتهم لانه عليه السلام كثيرا ما يسند لنفسه ما هو لامته لنكتة تقتضيه أي أنتم مع انكم دون مقام ابراهيم لم تشكوا فكيف به لانه قيل ان بعضهم لما سمع قوله أرني الخ قال ان ابراهيم شك (أو) قاله (على طريق التواضع) منه وهو قريب من الجواب الاول مع الفرق الظاهر (والاشفاق) أي الخوف من أن يبتلى بما ابتلى به (ان حملت) بالبناء للمفعول ونائب الفاعل (قصة ابراهيم) عليه الصلاة والسلام في سؤاله به (على اختبار حاله) بالباء الموحدة وهو الوجه الثاني من الاجوبة السابقة كما تقدم (أو زيادة يقينه) وقيل انه قاله قبل علمه بانه أفضل من ابراهيم وقيل انما قاله لما عاين من انكار قومه البعث فتأمل ثم أورد دفع شبهة تتوهم من ظاهر بعض الآيات وتقريرها ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام لا يطرأ عليهم شك في عقائدهم وفيما أوحي اليهم فقال (فان قلت فما معنى قوله تعالى فان كنت في شك مما أنزلنا اليك) بناء على ان الخطاب له صلى الله عليه وسلم لا عام له ولغيره والشك فيه شك في انه من عند الله ومطابق لما أوحي لغيره من الانبياء (فاسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك الآيتين) يعني لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين وفي الاربعين ان هذه الشرطية غير ممكنة (فاحذر ثبت الله قلبك) جملة دعائية معترضة (أن يخطر ببالك) أي قلبك وفكرك (ما ذكره بعض المفسرين) ممن لم يدقق النظر وليس من أهل التحقيق وهو مبالغة في عدم اعتقاد مثله (عن ابن عباس أو غيره) من السلف (من اثبات شك للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم فيما أوحي اليه) بناء على ظاهر اللفظ (وانه من البشر) فيطرأ عليه صلى الله عليه وسلم ما يطرأ عليهم (فمثل هذا) أي هذا وامثاله أو مثله غير جائز فكيف به (لا يجوز) أي لا يطرأ (عليه جملة) أي لا يجوز كله ولا شئ منه (بل) اضراب ابطالي (قد قال ابن عباس) فيما صح عنه كما قاله ابن أبي حاتم في تفسيره (لم يشك النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) لان الشرطية فرضية غير ممكنة ولو قلنا الخطاب له صلى الله عليه وسلم (ولم يسأل) أحدا من أهل الكتاب (ونحوه عن ابن جبير والحسن) البصري (وحكى قتادة) كما رواه ابن جرير (أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال) لما نزلت الآية (لا اشك) وفي نسخة ما أشك (ولا أسئل) في شئ من

ذلك

عن الشك لعصمته (وعامة المفسرين على هذا واختلفوا) أى المأولون (فى معنى الآية) أى آية فان كنت فى شك (فقيل المراد) أى المفاد بها (قل يا محمد للشاك ان كنت فى شك الآية) أى فاسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك وفيه تنبيه نبيه لمن خالج قلبه شبهة أن يبادر الى دفعها ويطلب معرفتها من أهل العلم بها اذ شفاء العى السؤال كما ورد فى حديث وقد قال تعالى فاسئلوا أهل الذكر ان كنتم لاتعلمون (قالوا) أى مأولوا الآية بما ذكر (وفى السورة) أى وفى سورة الآية ٧ المذكورة (نفسها مادل) يروى مادل (على هذا التأويل قوله) أى وهو قوله تعالى وفى نسخة فى قوله أى وهو فى قوله تعالى (قل يا أيها الناس ان كنتم فى شك من دينى الآية) أى فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن اعبد الله الذى يتوفاكم وأمرت ان أكون من المؤمنين (وقيل المراد بالخطاب) أى بقوله تعالى فان كنت فى شك مما أنزلنا اليك هم (العرب وغير النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) أى ومن عداه من الامة فالمعنى فان كنت فى شك أيها المخاطب مثل قوله تعالى وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا ولا يشكل بقوله مما أنزلنا اليك فان القرآن كما أنزل الى النبى أنزل الى أمته قال تعالى قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا (كما قال) أى الله (لئن أشركت ليحبطن عملك الخطاب له والمراد غيره) كما فى قولهم اسمعى ياجارة أو هو وارد على سبيل الفرض والتقدير كما نفرض المحال فى مقام التقدير (ومثله فلا تك) وفى نسخة فى فلا تك أى ومثل التأويل السابق فى قوله فان كنت فى شك التأويل فى قوله تعالى فلا تك (فى مرية مما يعبد هؤلاء ونظيره) أى مثل فان كنت فى شك الآية (كثير) أى فى القرآن كقوله تعالى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذى جاءك من العلم مالك من الله من ولى ولا نصير ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم انك اذا لمن الظالمين الحق من ربك فلا تكونن من الممترين (قال بكر بن العلاء) من القضاة المالكية (ألا تراه) أى الله تعالى (يقول ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله الآية) أى فتكون من الخاسرين (وهو عليه الصلاة والسلام

ذلك (وعامة المفسرين) أى كلهم يقال جاؤا عامة وقاطبة أى جميعا (على هذا) أى متفقون على انه ليس المراد انه شك أو سأل (و) بعد اتفاقهم على هذا (اختلفوا فى معنى الآية) المقصود بها (فقيل المراد قل يا محمد للشاك) أى لمن يشك فى الوحى المنزل عليك (ان كنت فى شك الآية) فالخطاب ليس له صلى الله تعالى عليه وسلم فلا ترد الشبهة وبراءة ساحته قرينة قريبة وتقدير القول كثير فى كلام العرب (قالوا) أى الذاهبون لهذا التأويل (وفى سورة نفسها) عطف على مقدر أى فى القرآن مادل عليه وفى السورة الخ (مادل على هذا التأويل قوله قل يا أيها الناس ان كنتم فى شك من دينى الآية) وقوله قل بدل من ما أو خبر مبتدأ تقديره هو ويجوز نصبه أى أعنى قوله والآية تمامها فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن أعبد الله الذى يتوفاكم ووجه السؤال ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام لا يعتريهم شك فى شئ من أمور الدين والآية بحسب الظاهر دالة على خلافه فاجاب بان الخطاب لغيره وأيده بانه ورد مصرحا به فى هذه السورة والقرآن يفسر بعضه بعضا كثيرا ووصف الله بانه الذى يتوفاهم ويميتهم كما أحياهم تهديدا لهم وتنبيها لهم على انه الذى ينبغى أن يخاف منه ولا يشك فيه أحد فضلا عن سيد الانبياء عليهم الصلاة والسلام (وقيل المراد بالخطاب) فى قوله فان كنت فى شك الآية (العرب وغير النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) وافراد الضمير لتأويله بمن يسمع الخطاب فالخطاب بحسب الظاهر والمراد غيره بطريق التعريض ومثله كثير فى القرآن وكلام العرب كقوله تعالى يا أيها النبى اتق الله بدليل قوله بعده واتبع ما يوحى اليك من ربك ان الله كان بما تعملون خبيرا لو كان الخطاب له قال بما تعمل ووجه الخطاب تعظيما له وتهويلا لامر الشرك (كما قال) الله عز وجل (لئن أشركت ليحبطن عملك) الآية أى يفسد ويسقط عن الاعتبار ويبطل من حبطت الدابة اذا افرطت فى المرعى حتى ماتت وانتفخت وجعل هذه الآية مشبها بها لانها أظهر فى التعليق بالمحال لان الخطاب فيها للرسل كلهم اذ أولها لقد أوحى اليك والى الذين من قبلك أى من الرسل لئن أشركت الخ وافرد لان المراد كل واحد منهم وهم مبرؤن عن الشرك فالمراد بذلك أممهم ممن يجوز عليه الشرك واليه اشار بقوله (الخطاب له والمراد غيره) تعريضا وتهييجا لجميعهم حتى ينتهوا عما لو وقع من أحب خلق الله تعالى لم يعف عنه (ومثله) أى ماذكر من الخطاب المقصود به غيره قوله تعالى (فلا تك فى مرية) أى شك وريب (مما يعبد هؤلاء) أى لا تشك فى انه ضلال باطل مؤد الى العذاب الشديد (ونظيره) مما قصد بالخطاب الغير (كثير) فى القرآن وكلام العرب وهو باب واسع يسمونه التعريض والتلويح وله نكات ومقاصد جليلة كحمله على قبول ما يلقى اليه والاذعان واطفاء نار الغضب والحمية كما فصله أهل المعانى وقسموه اقساما مشهورة (قال بكر بن العلاء) بفتح العين وهو القاضى بكر بن العلاء من علماء المالكية الاجلاء وما قاله مؤيد لما قدمه من ان الخطاب لغيره (ألا تراه) أى الله عز وجل (يقول) فى هذه الآية (ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله الآية) فهذا شاهد صدق فى غاية الظهور (وهو) صلى الله تعالى عليه وسلم

(كان) أي هو (المكذب) بفتح الذال المعجمة المشددة وهو منصوب على أنه خبر كان (فيما يدعوا اليه) أي من التوحيد (فكيف يكون ممن كذب به) يروى يكذب يعني فدل على انه ليس المراد بالخطاب (فهذا) أي ما ذكر (كله) أي جميعه (يدل على ان المراد بالخطاب غيره) أي سواء قلنا الخطاب له أو لغيره أو لكل من يصلح للخطاب (ومثل هذه الآية) أي آية فان كنت في شك مما أنزلنا اليك في ان المراد بالخطاب فيها غيره مقصود في هذا الباب (قوله الرحمن فاسئل به خبيرا المأمور هنا) أي و بيانه ان المأمور في فاسئل به خبيرا (غير النبي صلى الله تعالى عليه وسلم 8 ليسأل النبي والنبي هو الخبير) أي به تبارك وتعالى (المسؤل) أي الذي ينبغي أن

(كان المكذب) بالتشديد وصيغة اسم المفعول من التكذيب (فهذا كله) مما ذكر في تلوين الخطاب (يدل على ان المراد بالخطاب غيره) لانه لا يصح كونه مرادا بالخطاب لظهور فساده لما عرفت مما قرره (ومثل هذه الآية) في ان المقصود بالخطاب غير من ألقى اليه (قوله) تعالى (الرحمن فاسئل به خبيرا) أتى بهذه الآية دليلا لما قاله من انه قد يؤمر الرسول بامر والمقصد أمر غيره من أمته ان يسئل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فهو مسؤل وان كان ظاهر النظم انه سائل كما بينه بقوله (المأمور ههنا) أي في قوله فاسئل به خبيرا (غير النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) من أمته (ليسئل النبي والنبي هو) المقصود بقوله (الخبير) أي العارف بحقيقة الامر فهو في الحقيقة (المسؤل) منه (لا المستخبر السائل) هو تفسير للمستخبر أي الطالب للخبر السائل عنه وهذا وما بعده من كلام بكر بن العلاء رحمه الله تعالى وهذا بناء على أحد التفاسير في هذه الآية وقيل انه صلى الله عليه وسلم أمر ان يسئل جبريل أو الله عز وجل والآية على ظاهرها وقيل انه أمر بسؤال أهل الكتاب فيصدقوه لتندفع شبهة المشركين وقيل الضمير راجع للرحمن وان المشركين انكروا اسم الرحمن فالمعنى ان انكروا اطلاق الرحمن على الله فاسئل أهل الكتاب ليخبروهم باطلاقه عليه في الكتب المنزلة على غيرك من الرسل وعلى هذا فلا شاهد فيه لما نحن بصدده والباء سببية أو تجريدية أو بمعنى عن (وقال) بكر بن العلاء في معنى قوله تعالى فان كنت في شك الآية (ان هذا الشك الذي أمر به غير النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بسؤال الذين يقرؤن الكتاب) عنه من الاحبار والرهبان (انما هو فيما قصه الله) عز وجل في كتابه الكريم (من اخبار الامم) السالفة مع أنبيائهم ونجاة المؤمنين منهم وهلاك من كفر فانهم أمة أمية لا يعرفون أحوال الامم ولم يصدقوا اما قصه الله عز وجل على رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم (لا فيما دعا) النبي صلى الله عليه وسلم (اليه) أي الى الايمان به (من التوحيد) أي الايمان بالله ووحدانيته (والشريعة) التي شرعها على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم وبلغها لهم وأمرهم باتباعها من الملة الحنيفة فان هذا أمر لا تندفع شبهة المشركين فيه بسؤال أهل الكتاب وانما تندفع بالبراهين والمعجزات الباهرة (وهذا) أي أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالسؤال والمقصود أمر غيره (قوله) عز وجل (واسئل من أرسلنا من قبلك من رسلنا الآية) أي اقرأ الآية بتمامها وهو اجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون الاستفهام انكاري لتكذيبهم ونفي ما ادعوه ببرهان تقديره ان لم نجعل آلهة غير الله تعبد في ملة من الملل لاجماع من قبلك من الانبياء على توحيد الله فهو أمر لم تبتدعه فكيف يكذب ويعادي من أتى به ولما كان ظاهر الآية مشكل لانه أمره صلى الله تعالى عليه وسلم بسؤال الرسل الذين قبله وهم غير موجودين فكيف يتمكن من سؤالهم وهو أيضا عالم بالتوحيد متيقن له كما اخبره الله تعالى به غير محتاج للسؤال عنه اشار الى تأويلها بقوله (المراد به المشركون) والمسؤل منه أهل الكتاب واخبارهم فالمعنى اسئلوا علماء أهل الكتاب

يسئل منه لانه المخبر عن الله تعالى (لا المستخبر السائل) فان هذا شان آحاد الامة أو الخبير المسؤل به غيره عليه الصلاة والسلام أي اسئل عنه تعالى عالما يخبرك بجلال ذاته وكمال صفاته فالباء صلة اسئل بمعنى فتش عنه وعدى بالباء لتضمنه معنى الاعتناء أو اسئل أحدا خبيرا به فالباء صلة خبيرا مبالغة في الفاعل بمعنى مخبر او خابر (وقيل) وفي نسخة صحيحة وقال أي بكر بن العلاء في آية فان كنت في شك (ان هذا الشك) وفي نسخة ان هذا الشاك (الذي أمر) بصيغة المجهول وفي نسخة أمر به (غير النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بسؤال الذين يقرؤن الكتاب انما هو فيما قصه) أي الله كما في نسخة وفي أخرى بالنون بدل القاف يعني فيما حكاه

العالمين

الله تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام في كتابه (من أخبار الامم) أي السابقة (لا فيما دعا اليه من التوحيد والشريعة) وفيه انه لا فرق في نفي الشك عنه صلى الله تعالى عليه وسلم في القصتين على السويتين (ومثل هذا) أي مثل ما أريد به غيره عليه الصلاة والسلام من الخطاب وسؤال الذين يقرأون الكتاب (قوله تعالى واسئل من أرسلنا من قبلك من رسلنا الآية) أي اجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون المراد به أي بالسؤال مجازا (المشركون) أي الموجودون من أممهم لاستحالة سؤاله من مضى منهم والمعنى اسئل من لقيت من أممهم أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون بالاستفهام الانكاري التكذيبي

(والخطاب مواجهة للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي مرادا به غيره (فانه القتبي) بقاف مضمومة وفوقية مفتوحة فتحتية ساكنة فموحدة فياء نسبة وفي نسخة بضم القاف وسكون الفوقية وفتحها فموحدة فالمراد بهما أبو عبدالله عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري صاحب المصنفات وقد تقدم والاظهر انه المراد والله أعلم وفي أخرى بعين مهملة ففوقية ساكنة فموحدة فالمراد فقيه الاندلس محمد بن أحمد بن عبد العزيز العقبي العتبي القرطبي مصنف العتبية ويقال لها المستخرجة

أيضا من موالي عتبة بن أبي سفيان (وقيل معناه سلنا عمن ارسلنا من قبلك فحذف الخافض) وهو عن ولم يتعرض لحذف المفعول في سلنا لوضوحه ولزومه (وتم الكلام ثم ابتدأ) أي الكلام كما في نسخة بقوله (اجعلنا من دون الرحمن الى آخر الآية) أي آلهة يعبدون كما في نسخة (على طريق الانكار أي ماجعلنا) أي آلهة فلا عبادة لها (حكاه مكي وقيل أمر النبي) بصيغة المفعول وفي نسخة بلفظ الفاعل أي امر الله تعالى النبي (صلى الله تعالى عليه وسلم ان يسأل الانبياء ليلة الاسراء عن ذلك) أي هذا الانباء فقد روي انه عليه الصلاة والسلام ليلة أسري به بعث الله آدم وولده من الانبياء والمرسلين فاذن جبريل ثم قال يا محمد صل بهم فلما فرغ قال له سل من ارسلنا من قبلك من رسلنا اجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون (فكان) أي النبي عليه الصلاة والسلام (أشد يقينا) أي في مراتب الكمال ان يحتاج الى السؤال من غيره من الرجال ولو كانوا من الكمل في الاحوال (فروي انه قال لا أسئل) أي من احد (قد اكتفيت) أي بما ايقنت وعرفت (قاله ابن زيد) أي عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وقد تقدم (وقيل أمم من ارسلنا) وفي نسخة سل أمم من ارسلنا يعني انه على تقدير مضاف (هل جاؤهم) أي الرسل (بغير التوحيد) استفهام انكاري أي ماجاؤا به بل اتفقوا على خلافه

العالمين بما أنزل على الرسل من قبلك هل في كتبهم غير التوحيد (والخطاب) في هذه الآية (مواجهة للنبي صلى الله عليه وسلم) لامره به ظاهرا والمقصود غيره من المشركين (قاله) أي هذا التأويل والتوجيه (القتبي) اختلف النسخ هنا ففي أكثرها القتبي بقاف مضمومة ومثناة فوقية مفتوحة وباء موحدة وياء نسبة مشددة وفي بعضها القتيبي بزيادة ياء مثناة تحتية بعد التاء الفوقية وهما بمعنى والمراد به امام أهل اللغة والتفسير ابن قتيبة بن سعيد بن طريف بن جميل صاحب التآليف الجليلة المشهورة وفي بعضها العتبي بضم العين المهملة وسكون التاء المثناة الفوقية والموحدة وهو عمدة مذهب مالك فقيه الاندلس محمد بن أحمد بن عبد العزيز القرطبي العتبي نسبة لعتبة بن أبي سفيان لانه من مواليه وهو صاحب كتاب العتبية المشهورة في مذهب مالك وتسمى المستخرجة كما تقدم بيانه ورجح البرهان الحلبي النسخة الاولى (وقيل معناه) المذكور في هذه الآية (سلنا) أصله اسألنا نقل حركة الهمزة للسين فحذفت همزة الوصل وهي لغة مشهورة وضمير العظمة لله وحده (عمن ارسلنا فحذف الخافض) أي عن الجارة (وتم الكلام) من غير تعلق له بما بعده بعد حذف المفعول والجار وايصال الفعل بنفسه ومثله كثير وان كان غير مقيس (ثم ابتدأ) الكلام واستأنفه فقال (اجعلنا من دون الرحمن آخر الآية) يعني آلهة يعبدون (على طريق الانكار) لعبادة غير الله بالاستفهام الانكاري الذي هو في معنى النفي فلذا قال (أي ماجعلنا) آلهة فلا عبادة لغيره وفي نسخة ماجعلناه (قاله) وفي نسخة حكاه (مكي) ابن أبي طالب الامام المفسر الزاهد صاحب التآليف الجليلة ولد بالقيروان واقام بالاندلس بعد اقامته بمكة ولذا نسب اليها كما تقدم (وقيل) في تأويل الآية وامره بسؤال الرسل وهم غير موجودين انه (أمر) صلى الله تعالى عليه وسلم وأمر مبني للمفعول أو الفاعل أي امر الله ورجح الاول (ان يسئل الانبياء) لما اجتمع بهم (ليلة الاسراء) كما مر من اجتماعه بهم في السماء (عن ذلك) أي عن جعله آلهة تعبد من دونه (فكان) صلى الله تعالى عليه وسلم بما كشف له من عين اليقين (أشد يقينا) وأكثر علما بالله وبما جعله من سائر الانبياء (من ان يحتاج الى السؤال) منهم لانه اعرفهم بالله وبما فعله وفي قوله وقيل اشارة الى ضعفه الا ان مثله لا يقال من قبل الرأي وشدة يقينه صلى الله تعالى عليه وسلم معروف فامره بذلك انما هو لاظهار أمره ورفعة قدره فلا وجه للاعتراض عليه بما ذكر (فروي انه صلى الله تعالى عليه وسلم) وروي مبني للمجهول وأوله انه صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة أسري به بعث الله له آدم وولده من الانبياء عليهم الصلاة والسلام فاذن جبريل ثم قال له يا محمد صل بهم فلما فرغ قال له عن الله سل من ارسلنا من قبلك من رسلنا اجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون ومن ثم قيل ان هذه الآية قدسية بناء على ان ذلك كان ببيت المقدس قبل العروج (قال لا اسئل) احدا منهم (قد كفيت) وفي نسخة اكتفيت بما عندي من اليقين الذي ثلج به صدري (قاله ابن زيد) هو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم كما تقدم وليس فيه مخالفة لامر الله بالسؤال لانه علم انه ليس امر ايجاب بل اظهار لعلمه وشدة يقينه (وقيل معناها (سل امم من ارسلنا) بتقدير مضاف بقرينة ان الرسل لم يكونوا موجودين لما أمر بالسؤال بل الاخبار من أممهم (هل جاؤهم) أي هل جاءهم رسلهم من عند الله (بغير التوحيد) أي

(وهو) أى هذا القيل (معنى قول مجاهد والسدى والضحاك وقتادة) وهم من اكابر التابعين وعمدة المفسرين (والمراد بهذا) أى بقوله واسئل من ارسلنا من قبلك من رسلنا (والذى قبله) أى من قوله فان كنت فى شك الى هنا (اعلامه صلى الله تعالى عليه وسلم بما بعثت) بصيغة المجهول أى ارسلت (به الرسل) أى من التوحيد اجماعا (وانه تعالى لم يأذن فى عبادة غيره لاحد) أى من الانبياء والامم (ردا على مشركى العرب وغيرهم فى قولهم انما نعبدهم) كذا وقع فى كثير من النسخ من الاصول لكن التلاوة انما هى ما نعبدهم (الا ليقربونا الى الله زلفى) وكذا فى قولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله وكذا دعوى العرب انهم على دين اسمعيل وان ابراهيم كان مشركا كما كانت اليهود والنصارى مدعين ان ابراهيم على دينهم قال تعالى ١٠ ردا عليهم ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين (وكذلك) أى ومثل ما ذكر من الآيات (والذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه) أى القرآن (منزل) قرئ بالتشديد والتخفيف (من ربك الحق) ووصف جميعهم بانهم يعلمون حقيقة مشعر بان جحودهم عن عناد فى كفرهم (فلا تكونن من الممترين) أى الشاكين (أى فى علمهم بانك رسول الله وان لم يقروا بذلك) أى بما ذكر من حقية ما لديك وحقية الكتاب المنزل عليك حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق (وليس المراد به) أى بقوله فلا تكونن من الممترين (شكه فيما ذكر من أول الآية) أى آية فان كنت فى شك اذ المراد به هنا شكهم فى كونه رسول الله وهناك الشك فيما انزل الله تعالى ولم يقع شك منه صلى الله تعالى عليه وسلم (وقد يكون) أى قوله تعالى فلا تكونن من الممترين هنا غير (أيضا على مثل ما تقدم) أى من انه عليه الصلاة والسلام امران يقول للشاك قال كنت فى شك مما أنزلنا اليك أو على انه المخاطب والمراد غيره (أى قل يا محمد لمن امترى فى ذلك) أى شك فيما هنالك هذا حق (فلا تكونن من الممترين بدليل قوله أول الآية) وفى نسخة فى أول الآية أى التى فيها والذين آتيناهم الكتاب وقوله (افغير الله ابتغى حكما) استفهام انكارى أى اطلب غيره تعالى يحكم بينى وبينكم ليظهر الحق منا والمبطل منكم لا يكون ذلك منى ابدا ولا ابتغى غيره احدا (الآية) وهى قوله تعالى وهو الذى انزل اليكم الكتاب أى القرآن مفصلا مبينا فيه الحق والباطل

اعتقاد وحدانيته وعبادته وحده والاستفهام تقريرى أى ما جاؤهم الا بهذا فهو لنفى مجيئهم بغيره (وهو) أى ما ذكر (معنى قول مجاهد والسدى والضحاك وقتادة) فى تفسير هذه الآية (والمراد بهذا) أى ما قاله مجاهد ومن ذكر بعده (والذى قبله) مما حكاه بقبل أو ما ذكره ابن زيد ومن تقدمه وقيل المراد بهذا قوله واسئل من ارسلنا من قبلك من رسلنا الآية والذى قبله قوله فان كنت فى شك الى آخره (اعلامه صلى الله تعالى عليه وسلم بما بعثت به الرسل) من التوحيد (وانه سبحانه وتعالى لم يأذن لاحد) من الرسل واممهم (فى عبادة غيره) عز وجل (ردا على مشركى العرب وغيرهم) من عبدة الاصنام وغيرهم وردا مفعول لاجله تعليلا لما قبله من مراد الله فانه لا يتصور نسبة ما ذكر له صلى الله تعالى عليه وسلم (فى قوله سبحانه وتعالى حكاية عنهم ما نعبدهم) أى الاوثان (الا ليقربونا الى الله زلفى) أى قربى من زلف بمعنى قرب فهو مؤكد لما قبله وفى نسخة فى قولهم انما نعبدهم ليقربونا وتفصيله فى التفاسير وفى الشرح الجديد ان الاجوبة المذكورة كلها بعيدة وان الداعى لهم لتاويل الآية بما ذكر قصور النظر عن تصور مقامه صلى الله تعالى عليه وسلم واتصاله بالملأ الاعلى فى كل حين واجتماعه بارواح الانبياء واطال فى ذلك بنقل كلام ساداتنا الصوفية وهو قريب مما ذكره المصنف رحمه الله فى سؤاله فى قصة الاسراء ولولا خشية الاطالة بلا طائل نقلنا كلامه هنا (وكذلك) أى مثل ما ذكر من الآيات التى نسب له صلى الله تعالى عليه وسلم الشك فيها والمراد غيره بلا شك (قوله تعالى والذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه) أى القرآن (منزل من ربك بالحق) أى ملتبسا به ونسب العلم لجميعهم لعلم احبارهم به وتمكن باقيهم من ذلك بادنى تامل (فلا تكونن من الممترين) أى لا يكن عندك شك فالمراد ظاهر انهيه عن الشك والمراد نهى غيره كقوله قل يا أيها الناس ان كنتم فى شك من دينى ووجه آخر اشار اليه بقوله (أى فى علمهم بانك رسول الله وان لم يقروا بذلك) أى بحقية ما نزل عليك وانك رسول الله حسدا منهم بعد ما تبين لهم الحق (وليس المراد به) أى بقوله فلا تكونن من الممترين (شكه صلى الله تعالى عليه وسلم فيما ذكر فى أول الآية) يعنى قوله فان كنت فى شك كما يتوهم من ظاهر الآية بل المراد ما قدمناه لك (وقد يكون أيضا) هذه الآية واردة (على مثل ما تقدم) أى على طريقته فى التاويل السابق بان يكون الخطاب له صلى الله تعالى عليه وسلم والمقصود غيره على نهج الكناية التعريضية التلويحية (أى قل يا محمد لمن امترى) وشك (فى ذلك) أى فى حقية ذلك وانك لرسول الله (فلا تكونن من الممترين) فى ان القرآن نزل عليك من الله ارسلك به وايدك بمعجزاته فليست الآية على ظاهرها (بدليل قوله تعالى فى أول الآية) التى فيها والذين آتيناهم الكتاب (افغير الله ابتغى حكما الآية) أى لا أريد حاكما

(وان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يخاطب) بكسر الطاء ويروى خاطب (بذلك غيره) أي غير نفسه (وقيل هو) أي أمره عليه الصلاة والسلام بسؤال (تقرير) أي لمشركي قريش يحملهم على الاقرار بما يعرفون من ان الله لم يجعل من دونه آلهة تعبد وتوبيخهم على عبادة الاصنام (كقوله) تعالى أي خطابا لعيسى عليه السلام والمراد بالتوبيخ غيره (ءانت قلت للناس اتخذوني وأمي) بفتح الياء وسكونها (الهين من دون الله وقد علم) أي الله سبحانه (انه) أي عيسى (لم يقل) اتخذوني الخ (وقيل معناه ما كنت في شك) أي على ان ان نافية بمعنى ما واخطأ الدلجي خطأ فاحشا في قوله ماهنا مصدرية أي مدة كونك في شك (فاسئل) أي الذين يقرؤن الكتاب لعلمهم بصحة ما أنزل اليك من ربك (تزدد) مجزوم على جواب الامر الذي هو سل أي تزدد (طمانينة) أي طمانينتك (وعلما) أي برهانا ويقينا (الى علمك ويقينك وقيل) أي في معناه (ان كنت في شك أي فيما شرفناك) من كرم النبوة التامة وشرف الرسالة العامة (وفضلناك) ويروى وعظمناك (به) أي على غيرك بدلالة ما في التوراة ان الله تعالى قال لابراهيم ان هاجر تلد ويكون من ولدها من يده فوق الجميع وأيديهم مبسوطة اليه بالخشوع (فاسالهم عن صفتك 11 في الكتب) أي السالفة (ونشر فضائلك) أي بين الامم السابقة ففي التوراة يا أيها النبي انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للاميين ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب بالاسواق ولا يجزى بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء أي ملة ابراهيم الغراء فان العرب غيروا كثيرا من الاشياء وفي الانجيل عن لسان عيسى عليه السلام أنا أطلب من ربي وربكم حتى يمنحكم فارقليط أي كاشفا للخفيات فيكون معكم الى الابد وفيه فاما فارقليط روح القدس الذي يرسله ربي باسمي أي بالنبوة هو يعلمكم ويمنحكم جميع الاشياء ويذكركم ما قلت لكم وقد أخبرتكم بهذا قبل ان يكون فاذا كان فآمنوا به (وحكي عن أبي عبيدة) وهو معمر بن المثنى من أكابر أئمة اللغة وله كتب كثيرة في الصفات والغريب وأيام العرب ووقائعها وكان الغالب عليه الشعر والغريب وأخبار العرب توفي سنة عشر ومائتين وقد قارب المائة وله تفسير حديث في الزكاة وكان أبو عبيد القاسم بن سلام يوثقه ويكثر الرواية عنه في كتبه (ان المراد) أي المفاد من الآية (ان كنت في شك) أي حاصل آنسته (من غيرك) أي من جانب غيرك (فيما أنزلنا) اليك من الحق والصواب فاسئل الذين يقرؤن الكتاب يخبروك بحقيقة هذا الباب (فان قيل فما معنى قوله حتى اذا استيأس الرسل) أي يئسوا من ايمان أممهم أو من النصر في الدنيا عليهم (وظنوا) أي الرسل (انهم قد كذبوا) بصيغة المجهول (على قراءة التخفيف) أي كما قرأ به الكوفيون لان ظاهرها ظنهم انهم قد أخلفوا ما وعدهم الله من النصر مع نزاهتهم من أن يظنوا بربهم ذلك الامر لانه سبحانه لا يخلف وعده رسله

غير الله يحكم بيني وبينكم بمميز المحق والمبطل فهذا صريح في انه صلى الله تعالى عليه وسلم مبرأ عن الشك والريب (وان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يخاطب بذلك) أي بما يدل على الشك والامتراء (غيره) من أهل الكتاب أو المشركين كما تقدم بيانه (وقيل هو) أي ما ذكر مما نسب اليه فيه ما لا يليق وقيل المراد أمره صلى الله عليه وسلم بالسؤال في الآية (تقرير) أي حمل لغيره على أن يقر بما عنده فيزجر عنه أو بالحق حتى يسجل عليه (كقوله أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله) فانه استفهام تقريري حمله على الاعتراف توبيخا لغيره ممن اسند ذلك لغيره (وقد علم الله سبحانه وتعالى انه لم يقل) ذلك (وقيل معناه) أي معنى الامر بالسؤال في الآية (ما كنت في شك) في حقية ما أنزل اليك (فاسئل) الذين يقرؤن الكتاب (تزدد) بسؤالك (طمانينة) اطمئنان قلب (وعلما الى علمك و) يقينا الى (يقينك) فانه يقبل الزيادة كما تقدم (وقيل) معناه وتاويله (ان كنت تشك فيما شرفناك وعظمناك وفضلناك به) لا في أمر التوحيد والدين (فسلهم) أي أهل الكتاب (عن صفتك في الكتب) المنزلة على من قبلك (ونشر فضائلك) أي ما انتشر فيها وشاع من فضائلك التي فضلك الله بها على غيرك من الرسل (وحكي عن أبي عبيدة) معمر بن المثنى التيمي امام أهل اللغة توفي سنة عشر أو احدى عشرة ومائتين وقد قارب المائة (ان المراد) من هذه الآية (ان كنت في شك من غيرك) من اعتقاد غيرك (فيما أنزلناه) عليك من الحق المنقذ من الضلال فاسئل الذين يقرؤن الكتاب حتى يخبروك بما عندهم فيه (فان قيل فما معنى قوله عز وجل حتى اذا استيأس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا جاءهم نصرنا على قراءة التخفيف) في كذبوا أي تخفيف الذال والبناء للمفعول استيأس استفعل من اليأس ضد الرجاء واستيأس بمعنى يئس كاستعجب بمعنى عجب الا ان فيه مبالغة في اليأس عند الزمخشري لان زيادة البناء تدل على زيادة المعنى وبهذه القراءة قرأ عاصم وحمزة والكسائي وغيرهم والمعنى انهم لشدة مخالفة أممهم لهم

(قلنا المعنى) فى ذلك (ماقالته عائشة رضى الله عنها معاذالله) أى حاشاه واستجير بالله (ان تظن ذلك) أى الظن المذكور (الرسل
بربها) كان الاولى بربهم وكأنه أراد جماعة الرسل (وانما معنى ذلك ان الرسل لما استيئسوا) أى من
النصر على مكذبيهم
وطالت مدة امهالهم
(ظنوا ان من وعدهم
النصر) أى به (من
اتباعهم) بيان لمن
(كذبوهم) بتخفيف
الذال والضمير الاول
للموعودين من اتباع
الرسل وهم المؤمنون
والضمير الثانى للرسل
أى اخلفوهم ماوعدوهم
من نصرهم على عدوهم
وتوهموا ان الله تعالى
اخلف رسلهم (وعلى
هذا) أى مقول عائشة
(أكثر المفسرين) فعلى
هذا ضمير ظنوا راجع
الى الرسل (وقيل ضمير
ظنوا عائد على الاتباع)
والامم لا على الرسل
الواو بمعنى أو فالمعنى ان
اتباعهم ظنوا اذلم يروا
لوعدهم النصر نتيجة
وأثرا ظاهرا بسبب
تراخيه عنهم انهم قد
كذبوا فيما أخبروا به
قومهم من انهم ينصرون
عليهم أو المعنى ان أممهم
المكذبين لهم ظنوا انهم
كذبوا أى كذبتهم رسلهم
فى قولهم انهم منتصرون
عليهم (وهو قول ابن
عباس والنخعى وابن
جبير) أى من التابعين
(وجماعة من العلماء) أى المتقدمين والمتأخرين (وبهذا المعنى قرأ مجاهد) أى ان
شاذة (كذبوا بالفتح) أى بفتح الكاف والذال والتخفيف والمعنى ان الامم ظنوا ان رسلهم كذبوا فى قولهم بالنصر عليهم

يئسوا منهم فظنوا ان ماوعدوا به من النصر عليهم كذب والوعد من الله الذى لايخلف الميعاد فهذا منهم يقتضى شكهم فيما جاءهم من الوحى وهم منزهون عن مثله فهذه شبهة تقتضى خلاف ماقرره أولا وحتى غاية مغياها محذوف قدروه بوجوه متقاربة منها ما أرسلنا قبلك الا رجالا تراخى النصر عنهم حتى يئسوا منه وظنوا انخلاف ماوعدهم الله به فاجاب المصنف عنه بقوله (قلنا) جوابا عن هذه الشبهة التى هى أقوى مما قبلها الا ان فى تلك نسبة الشك بحرف الشرط المقتضى لعدم وقوعه وفى هذه نسبة الظن باذا المقتضية لتحققه (المعنى فى ذلك) أى فى نسبة الظن المذكور فى الآية (ماقالته عائشة) أم المؤمنين (معاذالله) منصوب على المصدرية أى انزه الله وأبريه (ان تظن ذلك الرسل بربها) أى تظن ان الله أخلفهم ماوعدهم به (وانما معنى ذلك) أى ماذكر فى الآية (ان الرسل لما استيأسوا) ليس المراد انهم وقع منهم يأس من انجاز ماوعدهم الله به بل المراد انه طالت المدة عليهم فاستعار اليأس له أو المراد انهم يئسوا من اتباعهم بقرينة قوله (وظنوا ان من وعدهم النصر من اتباعهم) جمع تابع كأصحاب جمع صاحب (كذبوهم) بالتخفيف والتشديد أى اخلفوا ماوعدوا رسلهم به من نصرهم على عدوهم فليس يأسهم وظنهم التكذيب معناه اليأس من نصر الله والتكذيب كذب وعد الله لهم فلا يرد عليه ماذكر من الشبهة (وعلى هذا) التأويل (أكثر المفسرين) وفيما نقله المصنف عن عائشة نظر فان المروى عنها فى صحيح البخارى ان عروة بن الزبير سألها عن هذه الآية فقال لها وقد تلا الآية أهى كذبوا أم كذبوا أى بالتشديد أو بالتخفيف فقالت كذبوا بالتشديد فقال أجل لعمرى لقد استيقنوا بذلك وظنوا انهم قد كذبوا قالت معاذالله لم تكن الرسل تظن ذلك بربها فقال لها فما هذه الآية قالت هم اتباع الرسل الذين آمنوا بربهم عز وجل وصدقوهم وطال عليهم البلاء واستأخر عنهم النصر حتى استيأس الرسل ممن كذبهم من قومهم فظنت الرسل ان اتباعهم قد كذبوهم فجاءهم نصر الله عند ذلك * قلت لا منافاة بين ماذكره المصنف هنا وبين مافى صحيح البخارى اذ مراده انه على قراءة التخفيف والتشديد المعنى واحد وانكارها قراءة التشديد لانها لم تبلغها الا ان معناه لا يصح ولانها الا تأول بما ذكر وقول عائشة معاذالله ليس لانكار هذه القراءة بل لما فهمه عروة منها من ان الرسل ظنوا بربهم ماهم معصومون عنه فضمير ظنوا للرسل وكذبوا مبنى للمجهول وفاعله اتباع الرسل لا الله كما تقدم وقيل الظن هنا بمعنى الوسوسة والهاجس وان أنفسهم كذبتهم حين حدثتهم بانهم ينصرون وله تفصيل فى الكشاف وشروحه (وقيل ان الضمير فى ظنوا عائد على الاتباع والامم) أى أمم الدعوة لا أمم الاجابة المؤمنين برسلهم (لا على الانبياء والرسل) فظن بعض أممهم ممن لم يؤمن بهم ان الرسل كذبوا فيما وعدوهم من النصر على أعدائهم والاتباع وان لم يسبق لهم ذكر معلومون من فحوى الكلام لان الرسل لابد لهم من مرسل اليه مؤمنا كان أو كافرا ففى مرجع الضميرين اختلاف بين المفسرين علم مما ذكر ويجوز أن يراد أمة الاجابة مطلقا وهذا الظن يقع مثله وان كان منكرا من المؤمن مثله (وهو) أى هذا التفسير المذكور (قول ابن عباس والنخعى وابن جبير وجماعة من العلماء) أى علماء التفسير من السلف (وبهذا المعنى) أى بسبب هذا المعنى الذى جعل فيه ضمير ظنوا للامم (قرأ مجاهد) أى اختار ورجح قراءة (كذبوا بالفتح) أى للكاف والتخفيف مبنيا للفاعل أى ظنوا ان رسلهم كذبوا فيما وعدوهم به من النصرة على أعدائهم فان القراءة سنة متبعة لا تكون بالرأى وان جاز ترجيحها على غيرها كاختيارات القراء ووجهه كما قيل انه على هذه القراءة يكون ضمير ظنوا للاتباع أى ظن اتباع الرسل

ان الرسل كذبوا فيما وعدوهم به من النصرة على أعدائهم فلا ينافى هذا عصمة الرسل لان صدور مثل هذا الظن عن غيرهم جائز عقلا ويمكن على قراءة التخفيف والبناء للمجهول أيضا ان يفسر بهذا أيضا بان يجعل فاعل كذبوا المحذوف راجع الى الاتباع وقيل انه تمثيل كيقدم رجلا ويؤخر أخرى فشبه حال الرسل لما ابطأ عليهم النصر وصاروا فى غم وكرب بحال من وعد بامر يحتاج اليه ولم يعجل له فقنط وحدثته نفسه بان مواعيده عرقوبية فبينما هو كذلك جاءه الفرج واليه ذهب الزمخشرى (فلا تشغل بالك) الفاء فصيحة فى جواب شرط مقدر أى اذا عرفت ان ما فسر به الآية جاريا على مقتضى مقام النبوة فلا تجعل فكرك مشغولا بغيره مما يوهم خلافه فالبال بمعنى القلب والفكر وتشغل بفتح أوله وثالثه هو الفصيح (من شاذ التفسير) أى غريبه مما لم يشتهر فالشاذ حقيقته المنفرد فتجوز به عما ذكر وهو بيان لقوله (بسواه) أى بغيره والضمير لما ذكر وقيل لقول عائشة رضى الله تعالى عنها (مما لا يليق) أى يناسب وهو بدل من قوله بسواه (بمنصب العلماء) أى بمقامهم ومقاصدهم وهذا معناه لغة ويكون بمعنى الحسب واطلاقه على الاعمال السلطانية مولد وماء وصولة عبارة عن الشك فى مثله (فكيف بالانبياء) أى فكيف يليق بهم عليهم الصلاة والسلام وكيف تجوز بها عن الاستبعاد نحو كيف تكفرون بالله ويجوز ان يريد بالشاذ ما ذكر فى مصطلح الحديث وهو ما خالف الراوى فيه غيره من الثقات والمراد به ما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انهم أخلفوا ما وعدهم الله به لانهم بشر وتلا قوله تعالى وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا ان نصر الله قريب وقد ضعف ابن الانبارى هذه الرواية عن ابن عباس وقال الزمخشرى ان صح عنه هذا فالمراد بالظن الوسوسة وحديث النفس على ما عليه البشر لا الطرف الراجح فانه لا يليق بهم ان يظنوا ان الله يخاف وعده وتوقف فى صحة هذه الرواية عنه وتبعه البيضاوى واعترض عليه بانها ثابتة عنه فى صحيح البخارى وقال الخطابى لا شك ان ابن عباس لا يجوز على الرسل الشك فى الوحى فيحمل كلامه على انهم لشدة تأخره وابطائه توهموا ان أنفسهم غلطت فى تلقى ما ورد عليهم منه فالمراد بالكذب الغلط كقولهم كذبتك نفسك وقال القشيرى انه هاجس خطر على قلوبهم فصرفوه عنها فالمعنى انهم قربوا من الظن وقال الحكيم انهم ظنوا تخلفه لتخلف بعض شروطه لا انهم اتهموا الوحى ورجح ابن حجر ان الظان اتباعهم وحمل عليه كلام ابن عباس وهو بعيد جدا (وكذلك) أى مثل ما ذكر مما ظاهره الشك فيما جاءه من الوحى وهو ما اول أو مثل قوله استيأس الرسل الآية (ما ورد فى حديث السيرة) أى الحديث المتعلق بسيرته وطريقته صلى الله تعالى عليه وسلم فى النبوة وهو ما رواه البخارى وغيره (ومبتدأ الوحى) أى ما وقع له صلى الله تعالى عليه وسلم فى ابتدائه (من قوله) صلى الله تعالى عليه وسلم (لخديجة) أم المؤمنين رضى الله تعالى عنها لما أخبرها برؤيته جبريل عليه الصلاة والسلام وهو بحراء (لقد خشيت على نفسى) أى خفت عليها فان ظاهره انه شك فى انه وحى أتاه به الملك لان مثله صلى الله عليه وسلم لا يخشى (وليس معناه الشك فيما آتاه الله) أى أوحى الله به اليه (بعد رؤية الملك ولكن لعله خشى) وخاف (ان لا تحتمل قوته) أى لا تطيق قواه البشرية (مقاومة الملك) أى مقابلته وان لا يقوم بحقه ومكالمته (واعباء الوحى) استعارة لانه جمع عبء وهو الحمل فاستعير لمقاساة مشاقه ففيه استعارة مكنية وتخييلية (فينخلع قلبه) وفى نسخة يتخلع قلبه وأصل معنى الخلع النزع كما قال تعالى فاخلع نعليك فاستعير لشدة الخوف كأنه نزع قلبه (أو تزهق نفسه) أى تخرج روحه من فزعه

(فلا تشغل) بفتح التاء والغين وفى نسخة بضم أوله وكسر ثالثه الا انه لغة رديئة (بالك) أى قلبك (من شاذ التفسير بسواه) أى بغير ما ذكرناه من قول عائشة وابن عباس وأمثالهما ولا يتوهم ان الرسل ظنوا به سبحانه انه أخلفهم ما وعدهم من نصرهم على عدوهم (مما لا يليق بمنصب العلماء) بكسر الصاد أى مقامهم ومرتبتهم (فكيف بالانبياء) فما سبق من نسبة الظن المذموم بالاتباع اما ان يحمل على مجرد الخواطر التى لا تدخل تحت التكليف أو على ان بعضهم كفر وابذلك وارتدوا عما هنالك (وكذلك) أى مثل آية حتى اذا استيأس الرسل وارد من الاشكال (ما ورد فى حديث السيرة) اى سيرة النبى عليه الصلاة والسلام فى ابتداء النبوة (ومبدأ الوحى) أى بالرسالة (من قوله) صلى الله تعالى عليه وسلم أى على ما أخرجه البخارى وغيره (بخديجة) أى بعد ما أخبرها ما جرى له مع جبريل بحراء (لقد خشيت على نفسى ليس معناه الشك فيما آتاه الله) أى من النبوة والرسالة والهداية والمعرفة ويروى فيما آتاه من الله تعالى (بعد رؤية الملك) أى واخباره انه رسول الله (ولكن لعله خشى ان لا يحتمل قوته) لضعف قوة البشرية (مقاومة الملك) أى مصابرته فانه فى غاية القوة القوية (واعباء الوحى) بالنصب أى لا يحتمل اثقال تحمل الوحى وتبليغه وهو جمع عبء بكسر العين مهموزا (لينخلع قلبه) كذا فى نسخة مصححة فلعل اللام للعاقبة والاظهر ما فى نسخة فينخلع بالفاء منصوبا أى فيزول حينئذ قلبه عن مكانه ويحصل له جنون فى شانه (أو تزهق نفسه) أى تخرج روحه

(هذا) أى التاويل (على ماورد فى الصحيح) أى صحيح البخارى وغيره (انه قال) أى القول السابق ويروى انه قال (بعد لقائه الملك أو يكون ذلك) أى المقول (قبل لقاء الملك) ويروى قبل لقائه الملك ولعله تكرر منه ذلك (واعلام الله تعالى) أى وقبل اخباره له (بالنبوة لاول ماعرضت) بصيغة المجهول كذا فى نسخة مصححة والاظهر انه بصيغة الفاعل والمعنى فى أول ماظهرت أولاجل أول ما برزت (عليه من العجائب) أى خوارق العادة من الامور الغرائب كما بينه بالعطف التفسيرى حيث قال (وسلم عليه الحجر والشجر) الظاهر ان المراد بهما الجنس فانه روى الدولابى بسنده عن ابن عباس قال بعث الله محمدا على رأس خمس سنين من بنيان الكعبة وفى آخره فلما قضى اليه الذى أمر به انصرف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم منقلبا الى أهله لاياتى على حجر ولا شجر الاسلم عليه الحديث ويحتمل ان يراد بالحجر الافراد ففى صحيح مسلم من حديث جابر بن سمرة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لانى لاعرف حجرا بمكة كان يسلم على قبل ان أبعث الحديث وقد ورد انه الحجر الاسود على مارواه السهيلى وقيل ان الحجر المعروف بالتكلم المركوز فى جدار زقاق بيت خديجة (وبداية المنامات) أى ابتدائه المقامات العاليات فكان لايرى مناما الاجاء مثل فلق الصبح (والتباشير) أى المقدمات المؤذنة بالبشارات ومنه تباشير الصبح أى أوائله (كما روى فى بعض طرق هذا الحديث) أى حديث مبدأ الوحى (ان ذلك) أى ماذكر من التباشير كان (أولا فى المنام ثم أرى) بصيغة المجهول أى أراده الله (فى اليقظة مثل ذلك) أى الذى رآه فى المنام ويروى مثال ذلك (تأنيساله عليه السلام) من الانس بالضم ضد الوحشة تسكينا لقلبه (لئلا يفجاه الامر) بفتح الجيم والهمز أى لئلا يرد عليه أمر النبوة بغتة (مشاهدة) أى معاينة (ومشافهة) أى مخاطبة (فلايحتمله) أى قلبه (لاول حالة) بالتنوين ويروى بالاضافة أى فى أول وهلة من أحواله (بنية البشرية) بكسر الموحدة وسكون النون لضعفها عن القوة الملكية (وفى الصحيح) أى البخارى ومسلم

(وهذا) بناء (على ماورد فى) الحديث (الصحيح انه) صلى الله عليه وسلم (قاله) أى قوله خشيت على نفسى (بعد لقائه الملك) حين ظهر له وبشره بانه رسول الله (أو يكون) قال (ذلك قبل لقياه) الملك (و) قبل (اعلام الله له بالنبوة) أى انه صيره نبيا وفيما خشيه اثنى عشر وجها فقيل خشى الجنون أوانه هاجس ووسوسة أو الموت من شدة الرعب أو المرض أودوامه أو العجز عن النظر للملك أو القتل أو عدم الصبر على أذى قومه أو تكذيبهم الى غير ذلك من الاقوال وأضعفها الاولان والثالث هو الصحيح لما فى البخارى وغيره كما ياتى من انه غطه وقال له اقرأ ومن قال انه قبله يقول فى زمن الارهاص والمنامات وضعفه الكرمانى (لاول) اللام بمعنى فى كما فى قولهم كتبته لست خلون من الشهر (ماعرضت عليه) بالبناء للمجهول أى أظهر له ورآه (من العجائب) أى من الامور الخارقة للعادة المفسرة بقوله (وسلم عليه الحجر والشجر) أى قال السلام عليك يارسول الله والمراد الجنس أوهى شئ معين منهما وقد روى انه الحجر الاسود كما تقدم فى المعجزات وهو كان قبل النبوة وبعد مبعثه أيضا (وبدأته المنامات) الصالحة التى كان يراها صلى الله تعالى عليه وسلم فى أول أمره ورؤيا الانبياء قسم من الوحى (والتباشير) أى العلامات المبشرة له صلى الله تعالى عليه وسلم بالنبوة والمقدمات الدالة على النتائج قال فى الاساس من المجاز تباشير الفجر وهى أوائله كانها جمع تبشير مفرد بشر وفيه مخايل الخير وتباشيره وتباشير الثمر بواكيره قال ابن كمال وهذا يبين مافى قول الجوهرى التباشير البشرى وتباشير الصبح أوائله وكذا أوائل كل شئ ولا يكون منه فعل من الخلل * قلت يعنى انه أنكر فعله وكلام الزمخشرى يدل على خلافه والمخطئ ابن أخت خالته لان الفعل من البشارة وهى الخبر السار لامن الاولية والتقدم واعلم انه يقال فى تباشير الصبح بشائره أيضا قال أبو فراس

أقول وقدتم الحلى بحرسه * علينا ولاحت للصباح بشائره

(كما روى فى بعض طرق هذا الحديث) أى حديث مبتدأ الوحى (ان ذلك) المذكور من التباشير (كان فى المنام أولا) أى فى ابتداء البعثة (ثم أرى فى اليقظة) ضد المنام (مثل ذلك) أى مثل مارأى فى المنام أولا (تانيساله) صلى الله تعالى عليه وسلم ليحصل له الانس بالملائكة والوحى فيراه أولا مناما ثم يراه جهرة (لئلا يفجاه الامر) أى يراه بغتة وابتداء من غير تدرب فى رؤيته (مشاهدة) برؤية البصر (ومشافهة) أى يخاطبه بفمه حقيقة (فلايحتمله) أى لايقدر عليه ويطيقه (لاول حاله) بالاضافة الى الضمير أو بتاء التانيث أى فى أول أحواله لعدم تدربه وتانسه (بنية) فعلة بالكسر لهيئة البناء والمراد جسده وماجبلت عليه (البشرية) أى الانسان فانه لايطيق رؤية الملائكة ابتداء وهذا اشارة الى حديث البخارى من انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان فى أول أمره يجاور فى كل سنة شهرا فى غار حراء يتعبد فيه وكان ذلك عادة قريش فاذا انصرف صلى الله تعالى عليه وسلم منه طاف بالبيت ويرجع لبيته فكان يرى فى منامه مايرى ثم جاءه جبريل الى آخر الحديث المشهور فى أول البخارى والكلام عليه مفصل فى شروحه (وفى الصحيح) أى الحديث

(عن عائشة رضى الله تعالى عنها أول مابدئ به) بصيغة المجهول أى ابتدئ به (رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من الوحى) بيان لما وأول مبتدأ خبره (الرؤيا الصادقة) وفى رواية الصالحة من النوم وانما أخبرت بذلك باخباره عليه الصلاة والسلام أو بعض أصحابه لها بما هنالك والا فهى لم تكن ولدت قبل بدئه به فالحديث من مراسيل الصحابة وهى حجة بلا خلاف (قالت ثم حبب اليه الخلاء) بالمد أى الخلوة والعزلة لفراغ القلب بالذكر والفكر وظهور النور وسرور الحضور والغيبة عما سواه ونفى الشعور واليه أشار الشاعر حيث قال * فصادف قلبا خاليا فتمكنا * (وقالت الى أن) ورواية الشيخين حتى (جاءه الحق) أى الامر المحقق (وهو فى غار حراء) بكسر الحاء وتخفيف الراء جبل على ثلاثة أميال من مكة يمد ويقصر ويذكر باعتبار المكان فيصرف ويؤنث باعتبار البقعة فلا يصرف والغار الكهف والنقب بالجبل وكذا المغارة (وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما) فيما روى ابن سعد عنه (مكث النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) بضم الكاف وفتحها أى لبث (بمكة خمس عشرة سنة) بسكون عشرة وبالكسر لغة تميم (يسمع الصوت) أى صوت الملك (ويرى الضوء) أى نوره (سبع سنين ولا يرى شيأ) أى ظاهرا (وثمان سنين يوحى اليه) وهذا انما يتمشى على القول بانه عليه الصلاة والسلام عاش خمسا وستين سنة والصحيح أن عمره ثلاث وستون سنة وبعد البعثة بمكة ثلاث عشرة على الصحيح وبالمدينة عشرا بلا خلاف وقيل المراد بثلاث وستين ماعدا سنة الولادة والوفاة فيهما يتم خمس وستون وفى المسئلة قول آخر وهو أنه عليه الصلاة والسلام عاش ستين سنة وهو محمول على اسقاط الكسر (وقد روى ابن اسحق) أى صاحب المغازى (عن بعضهم) الظاهر ان المراد به بعض الصحابة فان المطلق ينصرف الى الاكمل (أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال وذكر جواره) بكسر الجيم ويضم أى مجاورته واقامته متعبدا (بغار حراء) وهو نقب فيه والجملة حالية معترضة بين القول ومقوله وكرر قوله (قال) للتأكيد مع وجود الفصل (فجاءنى) يعنى جبريل (وأنا نائم) أى حقيقة أو صورة أى مضطجع على هيئة النائم ولا يبعد أن يكون النوم كناية عن الغفلة أو الاستغراق فى الفكرة (فقال اقرأ فقلت ما أقرأ) أى أى شئ أقرأ فما استفهامية ويؤيده رواية وما أقرأ أو ما نافية بدلالة دخول الباء فى خبرها فى رواية البخارى ما أنا بقارئ (وذكر) أى ابن اسحق أو من روى عنه (نحو حديث عائشة رضى الله تعالى عنها فى غطه) بفتح

الصحيح والبخارى ومسلم (عن عائشة) رضى الله تعالى عنها وهو من مرسل الصحابة لانها رضى الله تعالى عنها لم تكن معه صلى الله تعالى عليه وسلم أو هى سمعته منه فهو متصل (أول مابدئ به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من الوحى الرؤيا الصادقة) فكان لا يرى رؤيا الا جاءت كفلق الصبح وهكذا رؤيا الانبياء عليهم الصلاة والسلام فانها قسم من الوحى كما مر وروى الصالحة بدل الصادقة وهما بمعنى (قالت) عائشة رضى الله تعالى عنها (ثم حبب) بالبناء للمجهول (اليه الخلاء) بفتح أوله والمد وهو المكان أو بمعنى الخلوة وهو الانفراد عن الناس لفراغ القلب وتوجه الفكر والرياضة ليفرغ قلبه عما سوى الله ليتمكن الوحى منه اذا أتاه فصادف قلبا خاليا متمكنا (وقالت الى أن جاءه الحق) أى الوحى الذى تحققه ورآه عيانا (وهو فى غار حراء) الغار هو النقب فى الجبل وحراء بكسر أوله والمد والقصر يذكر ويؤنث فيجوز صرفه وعدم صرفه وبينه وبين مكة ثلاثة أميال على يسار السائر لمنى والجملة حالية (الحديث) بالنصب أى أذكره أو اقرأه (وعن ابن عباس) رضى الله تعالى عنهما فى حديث مسند رواه ابن سعد (مكث النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بمكة خمس عشرة سنة) قال البرهان الحلبى هذا على القول المرجوح انه عاش خمسا وستين سنة والصحيح انه عاش ثلاثا وستين منها بمكة ثلاث عشرة وبالمدينة عشرة وقيل انه عاش ستين سنة وقد جمع بين الاقوال الثلاثة انتهى يعنى انه عد الكسر سنة وفيه نظر وبعث على رأس الاربعين (يسمع الصوت) أى يسمع صوت ملك يناديه ولا يراه وكان من الانبياء من يسمع الملك ولا يراه كما حكاه ابن سيد الناس عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما (ويرى الضوء) أى نور الملك من غير رؤية ذاته لان الملائكة أنوار مجردة (سبع سنين) قبل أن يظهر له الملك (ولا يرى شيأ وثمان سنين يوحى اليه) أى يأتيه الملك ظاهرا له بالوحى من الله وهذا مبنى على القول السابق لا على الثانى كما توهم (وقد روى ابن اسحق عن بعضهم) هذه رواية لم تخرج (أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال وذكر جواره) بكسر الجيم وضمها كما مر أى مجاورته واعتكافه والجوار جاء بمعنى الاقامة ومعناه الآخر معروف والجوار أعم من الاعتكاف لانه يختص بالمسجد كما قاله ابن عبد البر (بغار حراء) أى اقامته به كما تقدم بيانه (قال) تأكيد لقال الاول (فجاءنى) يعنى الملك وهو جبريل عليه الصلاة والسلام (وأنا نائم) الظاهر انه نوم حقيقى لما يأتى من قوله هببت من نومى ويحتمل أن يريد انه مضطجع على هيئة النائم (فقال اقرأ) أمر (فقلت ما أقرأ) ما استفهامية أو نافية لانه روى ما أنا بقارئ وتفصيله فى شرح البخارى (وذكر) الراوى (نحو حديث عائشة فى غطه له) بفتح الغين المعجمة وتشديد

معجمة وتشديده مهملة أي في ضم جبريل عليه الصلاة والسلام ضما شديدا وفي نسخة اياه صلى الله تعالى عليه وسلم (واقرائه له)
وفي نسخة اياه (اقرأ باسم ربك) أي صدر هذه السورة قال القاضي في الاكمال حكمة هذا الغط له عليه الصلاة والسلام دفع اشتغاله عن
الالتفات الى شيء من أمر الدنيا ١٦ ليتفرغ لما أتاه به وفعله به ذلك ثلاثا وفيه دليل على استحباب التكرار ثلاثا وقد استدل

به بعضهم على جواز تاديب المعلم ثلاثا (قال) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (فانصرف) أي جبريل عليه الصلاة والسلام (عني وهببت) بفتح الموحدة الاولى أي استيقظت (من نومي) أي استنبهت من غفلتي أو استفقت من استغراقي (كأنما صورت) أي مثلت ونقشت وشكلت سورة اقرأ (في قلبي ولم يكن) أي الشان وخبرها (أبغض الي من شاعر أو مجنون) أي من قولهم له ذلك والجملة حالية أفادت شدة بغضه نسبة قريش له صلى الله تعالى عليه وسلم بواحد منهما فكيف بهما (قلت) أي في نفسي أي كتم حالي (لا تحدث) بفتح الفوقية على انه حذف منه احدى التائين أي لا تتحدث (عني قريش بهذا أبدا) أي بقولهم له شاعر أو مجنون (ولاعمدن) بفتح اللام والهمزة وكسر الميم وبفتح وتشديد النون أي لاقصدن (الى حالق) بمهملة وكسر لام أي مكان عال (من الجبل

فلاطرحن نفسي منه فلاقتلنها) أي حذرا من أن يسموه بشاعر أو مجنون ولعل هذا بناء على انه ظن ما تبين (فقد
له من جانب الجن ولذا قال (فبينا أنا عامد لذلك) قاصد لطرح النفس ومريد له هنالك (اذ سمعت مناديا ينادي من السماء يا محمد أنت
رسول الله وأنا جبريل) أي مبلغ عن الله تعالى (فرفعت رأسي فاذا) أي ففاجأني بغتة (جبريل على) ويروى في (صورة رجل) حال
من جبريل أي ممثلا في صورة رجل أو التقدير فظهر لي على صورة رجل (وذكر الحديث) أي بتمامه واقتصرنا على محل مرامه

الطاء المهملة مصدر بمعنى شدة ضمه وخنقه وغمه ليصرفه عن الدنيا ويوقظه لما يلقيه له واستدل به على تاديب المعلم للتعلم منه (واقرائه له اقرأ باسم ربك السورة) واستدل به على ان البسملة ليست آية من كل سورة وفيه نظر وهذه أول نازل في قول (قال) النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (فانصرف) جبريل عليه الصلاة والسلام (عني) أي فارقني (وهببت) بيائين موحدتين فعل ماض مسند الى ضمير المتكلم قال هب اذا استيقظ من منامه وتحرك من هبت الريح (من نومي) أي استيقظت منه وتقدم كلام فيه (كأنما صورت) سورة اقرأ (في قلبي) أي مثلت السورة في قلبه صلى الله تعالى عليه وسلم فحفظها وفي رواية كأنما كتبت في قلبي وهو كناية عن حفظها وبقائها في قوته الحافظة بحيث لا ينساها بعده ورؤيا الانبياء وان كانت وحيا الا ان رواية ابن اسحق هذه تدل على ان من القرآن ما نزل عليه صلى الله تعالى عليه وسلم في منامه وقد قسموا النزول الى أقسام منها ما نزل عليه سفرا وحضرا وقل من تعرض الى نزوله يقظة ومناما ولم يتعرض له الشراح هنا (ولم يكن) كان ان كانت ناقصة فاسمها ضمير يرجع الى شيء المفهوم من السياق وخبرها قوله (أبغض الي) أي أشد بغضا عنده (من) ان يقال اني (شاعر أو مجنون) وقيل ان اسمها ضمير شان وأبغض خبرها وهذا بناء على انه يجوز الاخبار عن ضمير الشان بمفرد نحو ان هي الا حياتنا الدنيا وقيل اسمها أبغض وهو صفة موصوف مقدر والخبر محذوف أيضا وتقديره لم يكن شيء أبغض الي موجودا وان كان تامة فأبغض فاعلها وانما أبغض هذا لانه اذا أخبر قريشا انه جاءه ملك بوحي يتلوه عليهم منهم من يقول أنه شاعر ومنهم من يقول أنه مجنون (ثم قلت) أي قال صلى الله تعالى عليه وسلم لما أوحي اليه وخشي مما مر (لا تحدث) مضارع مرفوع بتائين فوقانيتين حذفت احداهما تخفيفا ويجوز بناؤه للمجهول وهو نهي في صورة الخبر أي لا يخبرهم أحد سمعه مني وينقله (عني قريش بهذا أبدا) وهذا اشارة الى كونه شاعرا أو مجنونا (لاعمدن) جواب قسم مقدر أي والله لاعمدن أي أقصدن مضارع من العمد بمعنى القصد بكسر الميم وفتحها وماضيه عمد بهما والمشهور فتحه كضرب يضرب (الى حالق من الجبل) بالحاء المهملة واللام المكسورة والقاف أي مكان مرتفع منه وقيل انه الجبل المرتفع من قولهم حلق الطائر اذا ارتفع في الجو (فلاطرحن نفسي منه) أي أرمين جسدي من أعلى الجبل (فلاقتلنها) برميها من الجبل حتى لا يبلغني ما يتحدثون به اني شاعر أو مجنون اذا بلغهم ما جرى لي (فبينا أنا عامد لذلك) أي وقع لي عقب اذ كنت قاصدا لالقاء نفسي من أعلى الجبل لاهلكها حتى لا أسمع ما تحدثوا به في حقي وهذا كان هاجسا خطر على قلبه صلى الله عليه وسلم لشدة حميته وغيرته على عرضه ولم يكن في ابتداء امره معصوما عن مثله فلا يتوهم أنه أمر جزم به وهو ممتنع شرعا (اذ سمعت مناديا) أي سمعت صوته ونداءه لي (ينادي من السماء) أي من جانبها يسمعه ولا يراه كما تقدم وهو يقول (يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل) أرسلني الله اليك لتبليغ وحيه وتعيينا لمن ناداه لئلا يظنه غيره (فرفعت رأسي) الى جانب السماء لاراه (فاذا) أي فاجأني بغتة رؤية (جبريل على صورة رجل) حال من جبريل أي متمثلا بصورته دون صورته الحقيقية حتى لا يهوله في ابتداء أمره (الحديث) أي اذكر الحديث الذي رواه ابن اسحق الى آخره ثم انه فسر ما ذكر بقوله

(فقد بين) أي اظهر عليه الصلاة والسلام ويروى بين لك (في هذا الحديث) أي حديث ابن اسحق (ان قوله) أي النبي عليه الصلاة والسلام (لما قال) لخديجة رضي الله تعالى عنها لقد خشيت على نفسي (وقصده لما قصد) أي من طرح نفسه من الجبل (انما كان قبل لقاء جبريل عليه السلام أي في اليقظة أو في عالم الحضرة وقبل اعلام الله تعالى له بالنبوة واظهاره) أي الله تعالى (واصطفائه) أي اجتبائه وفي نسخة واظهار اصطفائه أي اظهار شانه بالرفعة (له بالرسالة ومثله) أي شبيه حديث ابن اسحق ان ما قال لخديجة أنه خشي على نفسه انما كان قبل لقاء جبريل (حديث عمرو بن شرحبيل) بضم معجمة وفتح راء وسكون مهملة وكسر موحدة فتحتية ساكنة وهو غير منصرف أبو ميسرة الهمداني يروي عن عمر وعلي وعائشة

وكان فاضلا عابدا حجة صلى

(فقد بين) الراوي للحديث أو النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (في هذا) الحديث (ان قوله) صلى الله تعالى عليه وسلم (لما قال) بكسر اللام وتخفيف الميم أي لقوله (وقصده) مصدر معطوف على قوله وقوله (لما قصد) متعلق به وما موصولة والعائد مقدر تقديره لما قصده وما قاله خشية ان يتحدثوا بانه شاعر اذا تلى عليهم ما أوحي اليه أو مجنون اذا قيل انه يسمع صوتا أو يرى في الافق ملكا لتوهمهم ان كلامه شعر وما تراآه جني (انما كان قبل لقاء جبريل) عليه الصلاة والسلام أي قبل رؤيته على صورة رجل (وقبل اعلام الله له بالنبوة) بواسطة جبريل واخباره له (واظهاره) أي الله أو جبريل عليه الصلاة والسلام (واصطفائه) أي الله (له بالرسالة) أما بعد ذلك فلا فانه حينئذ لا يخشى أحدا ولا يتوهم شيأ يضيق به صدره (ومثله) أي مثل حديث ابن اسحق فيما ذكر (حديث عمرو بن شرحبيل) الذي رواه البيهقي وشرحبيل بضم الشين المعجمة وفتح الراء وسكون الحاء المهملتين وموحدة مكسورة ومثناة تحتية ولام وعمرو وابنه تابعي عابد جليل توفي سنة ثلاث وستين ومائة وهو أبو ميسرة الهمداني ولهم عمرو بن شرحبيل آخر خزرجي وليس بمراد هنا (انه صلى الله تعالى عليه وسلم) وهو بفتح الهمزة بدل من حديث عمرو (قال لخديجة) أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها (اني اذا خلوت وحدي سمعت نداء) بيا محمد (وقد خشيت والله ان يكون هذا) النداء (لامر) يصيبني مما لم احط به خبرا فقال له معاذ الله ما كان الله ليفعل بك ذلك فوالله انك لتؤدي الامانة وتصل الرحم وتصدق الحديث فمثلك لا يخشى أمراً شيطانيا (وفي رواية حماد بن سلمة) كما رواه الطبراني وابن منيع عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما (ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال لخديجة اني لاسمع صوتا) من جانب السماء (وارى ضوأ) أي نورا والملك النازل عليه قبل تمثله له وظهوره له عيانا (واخشى ان يكون بي جنون) يخيل لي ما ذكر وهذا كله قبل ظهور الامر له صلى الله عليه وسلم كما مر (وعلى هذا) المذكور (يتاول لو صح) رواية (قوله) صلى الله تعالى عليه وسلم (في بعض هذه الاحاديث) التي وردفيها (ان الابعد شاعر أو مجنون) فخشي ان ما سمعه شعر يلقيه الجن عليه كما كان في الجاهلية لبعض الشعراء رئي من الجن ومثل هذه الكلمة تقولها العرب اذا تحاشوا تأدبا عن اطلاق شئ على المخاطب أي الشاعر أمر متباعد عنك وان قاله غيرك فيأتون به في مكان انت كذا وهو استعمال شائع فاقيل من انه شتم معناه الخائن الذي لا خير فيه ليس بشئ (والفاظا) وردت عنه صلى الله تعالى عليه وسلم في بعض الاحاديث (يفهم منها معاني الشك في تصحيح ما رآه) أي فيما أوحي اليه ومثله صلى الله تعالى عليه وسلم لا يليق به شك وتردد في مثله فهو لا يرتاب في شئ مما

عليه شريح قال الحلبي وهذا الذي ذكره القاضي عياض هنا هو في رواية يونس عن ابن اسحق بسنده الى أبي ميسرة عمرو بن شرحبيل (انه عليه الصلاة والسلام قال لخديجة اني اذا خلوت وحدي سمعت نداء وقد خشيت والله ان يكون هذا) أي ما سمعته من نداء الملك (لامر) أي لم احط به خبرا هو هفي من أمري عسرا قالت معاذ الله ما كان الله ليفعل ذلك بك انك لتؤدي الامانة وتصل الرحم وتصدق الحديث وقاله الدلجي الحديث رواه البيهقي عن عمرو بن شرحبيل (ومن رواية حماد بن سلمة) فيما رواه الطبراني وابن منيع في مسنده موصولا عن حماد عن عمار بن أبي عمار عن

ابن عباس رضي الله تعالى عنهما (ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال لخديجة رضي الله تعالى عنها اني لاسمع صوتا) أي عظيما (وارى ضوأ) أي نورا كريما (واخشى ان يكون بي جنون) ولم يدر ان شانه فيه فنون (وعلى هذا) أي على قوله لاسمع صوتا الحديث (يتاول) بصيغة المجهول (لو صح قوله في بعض هذه الاحاديث) أي رواياتها (ان الابعد شاعر أو مجنون) مقول قوله الذي تنازعه الفعلان قبله واعمل الاول أي يتاول قوله بذلك لخديجة ان صح بحمله على انه كان قبل لقاء الملك واعلام الله تعالى له انه رسول ولم يكن معناه الشك وعبر بالابعد عن نفسه الاسعد تحاشيا من ان يقال له شاعر أو مجنون (والفاظا) أي وان في هذه الاحاديث ألفاظا ويروى والفاظها (يفهم منها معاني الشك في تصحيح ما رآه) أي من الضوء وسمعه من الصوت

(وانه) أي في قولك ذلك (كان كله في ابتداء أمره وقبل لقاء الملك له واعلام الله تعالى له انه رسوله) أي مما ينفي عنه الشك فيما آتاه الله تعالى واختصه به من المنح الالهية مالم يؤته سواه (فكيف) أي لا يكون ذلك في ابتداء أمره (وبعض هذه الالفاظ) أي التي نسب صدورها اليه صلى الله تعالى عليه وسلم (لا يصح طرقها) أي اسانيدها لكون بعض من فيها متهما أو مجهولا (واما بعد اعلام الله تعالى له) أي بانه رسوله (ولقائه الملك) أي وبعد ملاقاته وتحقق مخاطباته (فلا يصح) أي بان يصدر عنه عليه الصلاة والسلام (فيه ريب) أي شبهة ومرية (ولا يجوز عليه شك) ١٨ أي تردد (فيما ألقي اليه) من المعارف الربانية والعوارف السبحانية (وقد روى ابن اسحق عن شيوخه) أي باسانيدهم (ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان يرقى) بصيغة المجهول أي يعوذ بالعوذ التي يرقى بها من ألمت به حمى ونحوها (من العين) أي من جهة اصابة العين (قبل ان ينزل عليه) أي الوحي أو القرآن وهو بصيغة الفاعل أو المفعول مخففا أو مشددا ويؤيد الثاني (فلما نزل عليه القرآن) ومنه قوله تعالى وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم لما سمعوا الذكر (اصابه نحو ما كان يصيبه) أي قبل ذلك (فقالت له خديجة أوجه) بتشديد الجيم المكسورة أي ارسل (اليك من يرقيك) بفتح الياء وكسر القاف (قال اما الآن) أي بعد نزول القرآن (فلا) أي فلا حاجة لي به اكتفاء بربه وكتابه اذ هو هدى وشفاء لقلبه واعلم انه قد وردت احاديث كثيرة بجواز الرقى وكذا في النهي عنها وجمع بينهما بان الجائز منها ما كان بلسان عربي مما يعرف معناه كاسماء الله تعالى وصفاته وسور كلامه وآياته ومن ثمه قال عليه الصلاة والسلام اعرضوا على رقاكم قال جابر فعرضناها عليه فقال لا باس بها انما هي من مواثيق الجن فكأنه عليه الصلاة والسلام خشي ان يكون فيها مما يقال ويعتقد من الشرك في زمن الجاهلية وان المنهي عنه منها مالم يكن كذلك وان يعتقد انها نافعة بنفسها كما أشار اليه صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله ماتوكل من استرقى أي حق توكله والحاصل ان تركها مع التوكل أفضل لقوله عليه الصلاة والسلام في حديث من يدخل الجنة بغير حساب هم الذين لا يسترقون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون

ذكر (وانه كان كله في ابتداء أمره وقبل لقاء الملك له و) قبل (اعلام الله له انه رسوله) وبعده اطمان قلبه وشاهد الامر عيانا (فكيف وبعض هذه الالفاظ) الموهمة لما ذكر (لا تصح طرقها) بحسب الروايه (واما بعد اعلام الله تعالى له ولقائه الملك فلا يصح فيه ريب ولا يجوز عليه شك فيما ألقي اليه) من الوحي فان الانبياء عليهم الصلاة والسلام لا يتصور منهم ذلك (وقد روى ابن اسحق) صاحب السيرة في سيرته (عن شيوخه) ممن لقيه وأخذ عنه وله شيوخ كثيرون ((ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان يرقى) بالبناء للمجهول من الرقية المعروفة (بمكة من العين) أي صيانة له صلى الله تعالى عليه وسلم من اصابة العين والعين حق كما ورد في الحديث قال ابن القيم في كتاب الروح تاثير النفس أمر لا ينكر لا سيما عند تجردها عن العلائق البدنية وحينئذ تؤثر ما يعجز عنه البدن كمن نظر الى بحر فشقه أو الى نعمة فازالها وهذا مما شاهده الناس على اختلاف الملل والاعصار ويسمونه اصابة العين يضيفون الاثر الى العين وانما هو للنفس المتكيفة بالكيفية الردية السمية فيكون بواسطتها وقد يكون بدونها فيوصف له شئ يتوجه اليه فيؤثر فيه وان لم يره بعينه وقد أمر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان يغسل مغابن العائن بماء يصب على من اصابته عينه فيزول عنه ما يجده والمغابن بغين معجمة وباء موحدة ونون المواضع القذرة من البدن كتحت الابط وهو لامر طبيعي اقتضته الحكمة فان الارواح الخبيثة تالف هذه المواضع فتساعدها فاذا غسلت انطفت نارها كما فصله صاحب النهاية في حرف العين في حديث العين حق ولو كان شئ سابق القدر لسبقته العين واذا استغسلتم فاغسلوا وفي شرح مسلم انهم أخذوا بظاهر الحديث وانكره بعض المبتدعة وأهل الطبائع زعموا انه ينبعث من عينه قوة سمية تؤثر فيما نظره وقيل انه ينفصل عنه اجزاء لطيفة يخلقها الله ولا ترى وقيل انه ليس بانفصال شئ وقد قيل انه يجب عليه اذا استغسل ان يغسل وان من عرف بذلك يلزمه الامام بيته ويرزقه من بيت المال وتداوى صلى الله تعالى عليه وسلم برقى معروفة قبل الاصابة وبعدها ومن فسر العين هنا بما يلم به من العوارض عدل عن الظاهر بغير داع له (قبل ان ينزل عليه) بالبناء للمجهول أي قبل نزول القرآن عليه (فلما نزل عليه القرآن أصابه نحو ما كان يصيبه) من العين كما قال الله تعالى وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم ولم يبينه احد باكثر مما ذكر (فقالت له خديجة) بنت خويلد أم المؤمنين رضي الله عنها (أوجه اليك) أي أأوجه فحذفت همزة الاستفهام ومعناه ارسل لك (من يرقيك) أي يقرأ عليك رقية (قال اما الآن فلا) الآن الزمن الحاضر وهو ظرف متعلق بمقدر أي ان اردت ان ترقيني الآن فلا تفعلي ذلك أي لا حاجة لي بالرقى بعد نزول القرآن فانه شفاء من كل داء وقد ورد في احاديث كثيرة الرقى وجوازها والنهي عنها وجمع بينهما بان الجائز منها ما كان بلسان

عربي

عربي ظاهر المعنى كأسماء الله وسورة الفاتحة وورد في الحديث ان جبريل جاءه عليهما الصلاة والسلام وقد أصابته حمى فقال باسم الله أرقيك من كل شئ يؤذيك من شر كل نفس أو عين حاسد الله يشفيك بسم الله أرقيك والممنوع المنهي عنه مالم يكن بشئ مما ذكر واعتقاد تأثيرها بنفسها ولذا ورد ماتوكل من استرقى ولما كانت الرقى من باب مباشرة الاسباب وتركها توكل وتسليم لله وهو أليق بمقام النبوة تركها صلى الله تعالى عليه وسلم واه رقى مأثورة استوفيت في محلها (وحديث خديجة) رضي الله تعالى عنها الذي رواه ابن اسحق والبيهقي وأبو نعيم في الدلائل (واختبارها) بخاء معجمة ومثناة فوقية وباء موحدة وراء مهملة أي تجربة خديجة (أمر جبريل) عليه الصلاة والسلام لما أخبرها النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بمجيئه اليه فارادت ان تعرف أمره هل هو ملك أم لا (بكشف رأسها الحديث) لان الملك لا يدخل بيتا فيه عورة مكشوفة والمرأة الحرة بدنها كلها عورة وكانت قالت له صلى الله عليه وسلم اذا أتاك جبريل أخبرني به فلما أتاه وأخبرها كشفت رأسها فرجع فعلمت انه ملك لانه لو كان شيطانا دخل البيت ولما كان في اقرار النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لما فعلته خديجة ما يوهم الشك دفعه بقوله (انما ذلك) الاختبار والتردد واقع (في حق خديجة) لا صادر منه صلى الله تعالى عليه وسلم حتى يتوهم شك في نزول الملك عليه (لتحقق) خديجة (صحة نبوته) صلى الله تعالى عليه وسلم (وان الذي يأتيه ملك ويزول الشك عنها) لا عنه صلى الله تعالى عليه وسلم كما توهم (لانها فعلت ذلك) الاختبار (للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم) ولا نافية داخلة على ان المفتوحة وما وقع في بعض النسخ من لانها بالتعليل خطأ من الناسخ (وليختبر) أي يعرف (هو) صلى الله تعالى عليه وسلم (حاله بذلك) وهو معطوف على المنفي فهو منفي أي لم يفعله لازالة شكه ولا لاختباره فالاختبار بكشف رأسها وهي كانت جازمة بنبوته ولكن أرادت كشف الغطاء لتزداد يقينا فالمراد بالشك مجرد الاحتمال المرجوح لا التساوي الطرفين كما يعرفه من وقف على جلية حالها (بل) اضراب انتقالي (قد ورد في حديث عبد الله بن محمد بن يحيى بن عروة) بن الزبير المدني وقد قال ابن حبان فيه انه متروك الحديث يروي الموضوعات وله ترجمة في الميزان (عن هشام عن أبيه) هو هشام بن عروة بن الزبير أبو المنذر وقيل أبو عبد الله القرشي مولاهم توفي سنة ست وأربعين ومائة وهو امام ثقة أخرج له الستة وقال ابن القطان انه اختلط في آخر عمره ورده الذهبي كما فصله في ترجمته (عن عائشة) أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها (ان ورقة) بن نوفل بن أسد المشهور (أمر خديجة) بنت خويلد بن أسد أم المؤمنين وورقة ابن عمها كانت تأتيه وتذكر له ما كان يراه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في أول بعثته أي تعرض عليه ما كان يراه وانه يقول انه يأتيه بالوحي ملك فأمرها (ان تخبر الامر) أي أمر الملك مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (بذلك) أي بكشف رأسها اذا أتاه وهو عندها فان رجع فهو ملك والا فلا ففعلت كما مر وتخبر ثلاثي بفتح المثناة الفوقية وسكون الخاء المعجمة وضم الباء الموحدة وراء مهملة مضارع خبره اذا امتحنه وجربه وحاصله

(وحديث خديجة رضي الله تعالى عنها) أي الذي رواه ابن اسحق والبيهقي عن فاطمة بنت الحسين وأبو نعيم في الدلائل موصولا من طريق أم سلمة عن خديجة (واختبارها) أي امتحان خديجة (أمر جبريل عليه السلام) أي تحقق أمره (بكشف رأسها) أي من شعرها (الحديث) أي بطوله (انما ذلك) أي الاختبار والتردد (في حق خديجة) أي واقع وحاصل (لتحقق صحة) وفي نسخة صدق (نبوة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وان الذي يأتيه) أي بما يوحي اليه من ربه 19 ويلقيه (ملك ويزول الشك عنها) أي ويرتفع التردد لها الناشئ مما قال لها من نحو لقد خشيت على نفسي وأخشى ان يكون لي جنون (لانها) أي خديجة (فعلت ذلك) أي كشف رأسها (للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي لاجل أمره (وليختبر) أي هو كما في نسخة أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (حاله بذلك) فيكون على بصيرة من أمره هنالك (بل) لانتقال من حال الى حال أفاد ان ما فعلته خديجة من الاختبار لم يكن بأمر السيد المختار بل نشأ عن ابن عمها ورقة اذ (قد ورد في حديث عبد الله بن محمد بن يحيى ابن عروة) قال أبو حيان يروي الموضوعات عن الثقات وقال أبو حاتم الرازي متروك الحديث (عن هشام) وهو أخو عبد الله الراوي وهشام أحد الاعلام يروي عنه شعبة ومالك قال أبو حاتم ثقة امام (عن أبيه) أي عروة بن الزبير أي ابن العوام بن خويلد يروي عن أبويه وخالته وعلية وطائفة وعنه جماعة قال ابن سعد كان فقيها عالما كثير الحديث ثبتا مأمونا قال هشام صام أبي الدهر ومات وهو صائم (عن عائشة رضي الله تعالى عنها) أم المؤمنين خالته (ان ورقة) وهو ابن نوفل بن أسد (أمر خديجة) وهي بنت خويلد بن أسد (ان تختبر الامر) وفي نسخة تخبر بضم الموحدة أي تمتحن وتجرب (بذلك) أي الذي فعلته من كشف رأسها

(وفي حديث اسمعيل ابن أبي حكيم) أي فيما رواه ابن اسحق وهو قرشي مدني يروي عن سعيد بن المسيب وغيره وعنه مالك ونحوه وثقه ابن معين وغيره قال ابن سعد كان كاتبا لعمر بن عبد العزيز في خلافته توفي في سنة ثلاثين ومائة (انها) أي خديجة (قالت لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يا ابن عم) لاجتماعهما في قصي نسبا لانه عليه الصلاة والسلام محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم ابن عبد مناف بن قصي وهي خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي (هل تستطيع ان تخبرني بصاحبك) أي تعلمني بما أتاه (اذا جاءك قال نعم) أي أستطيع وأخبرك به اذا جاءني (فلما جاءه جبريل) ويروى جاء جبريل أي بعد سؤالها هذا (أخبرها) بمجيئه اليه (فقالت له) أي للنبي عليه الصلاة والسلام (اجلس الى شقي) بكسر الشين وتشديد القاف تريد

أحد جنبيها (وذكر الحديث الى آخره) وفيه فجلس اليه وكشفت رأسها فلم يدخل جبريل (وفيه فقالت ما هذا بشيطان هذا الملك يا ابن عم فاثبت) أي على ما أنت عليه (وابشر) أي بكل خير مما لديه (وآمنت به) أي حينئذ أو آمنت قبل لكن اطمأنت به فحصل لها عين اليقين بعد علم اليقين فهي أول من آمن به مطلقا أو من النساء (فهذا) أي الذي قالته (يدل انها) أي على انها كما في نسخة (مستثبتة) اسم فاعل من باب الاستفعال من الثبات أي طالبة للوثوق (لما) أي لاجل ما وفي نسخة بما أي بسبب ما (فعلته) أي من الاختبار (لنفسها) أي لايقانها (ومستظهرة به) أي مستقوية به بما فعلته (لايمانها) أي به عليه الصلاة والسلام (لا للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم) (من)

تأكيد لقوله لنفسها أو لا سقطت من أصل الدلجي فقال عدي باللام لتضمنه معنى الانقياد (وقول معمر) بفتح الميمين بينهما مهملة ساكنة ابن راشد سكن اليمن (في فترة الوحي) بفتح الفاء أي انقطاعه عنه سنتين ونصف كذا ذكره الدلجي وقال الحلبي الحديث في صحيح البخاري في التعبير وقال الدلجي فيما رواه (أحمد والبيهقي حزن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) بكسر الزاي أي صار ذا حزن بسبب فتور الوحي وتأخره عنه (فيما بلغنا عنه) أي وصل الينا من مشايخنا (حزنا) أي عظيما (غدا) أي ذهب (منه) أي من أجله أو قصد فيه (مرارا) أي مرة بعد أخرى (كي يتردى) أي يقصد السقوط ويروى كاد يتردى

انه لم يكن من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم شك في أمره انما هو تردد ما من خديجة في أول أمرها كما ذكر في الحديث الذي بعده في قوله (وفي حديث اسمعيل بن أبي حكيم) الذي رواه ابن اسحق أيضا وحكيم بفتح الحاء المهملة وكسر الكاف ومثناة تحتية وميم واسمعيل ابنه قرشي مدني ثقة كان كاتبا لعمر بن عبد العزيز في خلافته أخرج له مسلم وغيره من أصحاب السنن وتوفي في سنة ثلاثين ومائة (انها) أي خديجة (قالت لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يا ابن عم) وهو صلى الله تعالى عليه وسلم ابن عمها لاجتماع نسبهما في قصي فانه صلى الله تعالى عليه وسلم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي وهي خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي ولا حاجة لما قيل انه جار على عادة العرب في تخاطبهم بل لا وجه له (هل تستطيع ان تخبرني بصاحبك) يعني الملك الذي يأتيك وهو جبريل عليه الصلاة والسلام (اذا جاءك) الوحي جهرة وانما قالت له هل تستطيع لانها تخشى انه لا يقدر على اخبار غيره لما يغشاه من دهشة الوحي وشدته عليه (قال) صلى الله تعالى عليه وسلم (نعم) أخبرك به (فلما جاءه جبريل) وهو عندها (أخبرها) بمجيئه اليه (فقالت له اجلس الى شقي) بكسر الشين المعجمة أي بجنبي ملاصقا لي (وذكر) اسمعيل (الحديث الخ) يعني من انه جلس وجبريل قادم عليه فكشفت رأسها فلم يدخل جبريل عليه فاخبرها بذلك (وفيه فقالت ما هذا) الآتي لك (بشيطان هذا الملك يا ابن عم) لانه لو كان شيطانا دخل البيت ورأسها مكشوفة (فاثبت) له اذا جاءك واسمع منه ما أتاك به من الوحي (وابشر) أي قر عينا وكن مسرورا بما أكرمك الله به (وآمنت به) صلى الله تعالى عليه وسلم وبرسالته وهي أول من آمن به مطلقا أو من النساء رضي الله عنها (فهذا) أي ما روي عن خديجة (يدل على انها) أي خديجة (مستثبتة) أي طالبة الثبات باطمئنان القلب وزيادة اليقين (بما فعلته لنفسها) من السؤال والاختبار (ومستظهرة لايمانها) أي طالبة لظهور ما آمنت به حتى لا يبقى عندها شائبة تردد (لا للنبي صلى الله عليه وسلم) لانه لا شبهة عنده ولا تردد أصلا (و) مما يوهم وقوع ما نزهه عنه (قول معمر) بن راشد اليماني فيما رواه عنه أحمد والبيهقي (في) حديث (فترة الوحي) أي انقطاعه في ابتداء أمره مقدار سنتين ونصف والفتر والفترة سكون بعد حدة ولين بعد شدة وضعف بعد قوة قال الله تعالى على فترة من الرسل قاله الراغب والمراد ما مر (فحزن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي عرض له حزن وغم لانقطاع الوحي (فيما بلغنا) رواية عمن علمه (حزنا غدا) بغين معجمة أي ذهب ومشى (به) أي بسبب حزنه لذلك وفي نسخة منه (مرارا) متعددة (كي يتردى) أي يلقي نفسه وهو في الاصل تفعل من الردى بمعنى الهلاك لان من يفعله يهلك غالبا

(من) رؤس (شواهق الجبال) أى أعاليها وانما جمع باعتبار تكرار ما قصده (لا يقدح) لا يخل أى قول معمر (فى هذا الاصل) الذى ماقدمناه من ان ماقاله لخديجة من الخشية على نفسه لم يكن على الشك فيما منحه الله تعالى (لقول معمر عنه) أى عن النبى عليه الصلاة والسلام (فيما بلغنا) أى بطريق الاجمال (ولم يسنده) ليعلم حال الرجال من الانقطاع والاتصال (ولا ذكر رواته) ليعرف ثقاته (ولا من حدث به) أى من المخرجين (ولا ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قاله) أى فيكون الحديث مرفوعا أو قاله صحابى فيكون موقوفا (ولا يعرف مثل هذا) أى والحال لا يعرف حقيقة هذا المقال ولا حقيقة هذه الحال وهو انه كاد يلقى نفسه من الجبال (الا من جهة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) ولعله عليه الصلاة والسلام حدث عائشة رضى الله تعالى عنها خبر فترة الوحى وقال فيه فحزنت الى آخره بلفظ التكلم فروته عنه بلفظ الغيبة فحزن الى آخره فبلغ من لم نسمعه منها فقال فحزن فيما بلغنا الى آخره فلا يقدح فيما ذكر قال الحلبى ذكر أبو الفتح ابن سيد الناس فى سيرته ما لفظه

ورويناه من طريق الدولابى ثنا يونس بن عبد الاعلى ثنا عبد الله بن وهب أخبرنى يونس بن يزيد عن الزهرى عن عروة عن عائشة رضى الله تعالى عنها فذكر نحو ما تقدم وفى آخره ثم لم ينشب ورقة ان توفى وفتر الوحى فترة حتى حزن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيما بلغنا حزنا الى آخره فهذا لم يكن فيه معمر بالكلية وهذا الذى ذكره هو فى البخارى فى التعبير من قول معمر كما عزاه القاضى اليه وقد وقفت على انه ساقه أبو الفتح من غير كلام معمر والذى يظهر انه من كلام الزهرى ويحتمل أن يكون من كلام غيره والله أعلم (مع انه) أى ما بلغهم من انه حزن (قد يحمل على انه كان أول الامر كما ذكرناه) أى من انه كان قبل ان يلقاه جبريل وفيه انه يدفعه انه وقع فى زمن فترة الوحى ولا شك انه كان بعد لقائه جبريل (أو انه فعل ذلك) أى ماذكر من ارادة التردى (لما أحرجه) بالحاء المهملة أى من أجل ما ضيق عليه البال وأوقعه فى حرج ضيق الحال (من تكذيب من بلغه) أى أوصل ما أرسل به اليهم (كما قال تعالى فلعلك باخع نفسك) أى ذابحها ومهلكها غيظا والمعنى أشفق على نفسك أن تقتلها (على آثارهم) أى من بعد اختبارهم (ان لم يؤمنوا بهذا الحديث) أى القرآن الجديد الانزال (أسفا) أى من أجل الاسف وهو أشد الحزن أو متأسفا عليهم كما قال تعالى فى موضع آخر فلا تذهب نفسك عليهم حسرات بان تتلهب على فراقهم جمرات (يصحح معنى هذا التأويل حديث رواه شريك) وهو ابن عبد الله النخعى روى عنه أبو بكر ابن أبى شيبة وعلى بن حجر وثقه ابن معين وقال غيره سيئ الحفظ وقال النسائى لا باس به

(من) رؤس (شواهق الجبال) أى من أعالى جبال مكة وهذا جواب سؤال تقديره اذا كان الامر كما قلت أنه صلى الله تعالى عليه وسلم لا يعتريه شك فيما يتعلق بالعقائد والنبوة فلم حزن حتى كاد يقتل نفسه فيما رواه معمر أجاب عنه بانه (لا يقدح) أى لا يطعن فيما قلناه ولا يضره من القدح بمعنى الذم (فى هذا الاصل) أى القضية الكلية من انه فى غاية اليقين لامور الوحى والتوحيد وليس المراد به ماقاله لخديجة كما قيل ثم بين عدم القدح بوجوه الاول قوله (لقول معمر) بفتح الميمين وهو من اتباع التابعين (عنه) صلى الله تعالى عليه وسلم (فيما بلغنا ولم يسنده) أى لم يرفعه الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فلا يستدل به (ولا ذكر رواته) جمع راو وهو من رواه عنه (ولا من حدث به) عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الا أن ابن سيد الناس رواه مسندا من طريق الدولابى ولم يذكر فيه معمرا بل رواه عن الزهرى عن عروة عن عائشة فقال لم يلبث ورقة ان توفى وفتر الوحى وذكر هذا الحديث (ولا) ذكر معمر أيضا (أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قاله ولا يعرف مثل ذلك) وفى نسخة ولا يعرف مثل هذا من أحواله (الا من جهة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) لان مثله لا يقال من قبل الرأى فهو فى حكم المرفوع وان كان منقطعا والجواب الثانى ما أشار اليه بقوله (على انه) أى ماذكر من حزنه الى آخره وفى نسخة مع أنه قد يحمل على انه (كان أول الامر كما ذكرناه) أى أول أمره من قبل أن يلقاه جبريل عليه الصلاة والسلام ويعلمه بانه رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه أوحى اليه وتمكن من حمل أعباء النبوة جواب آخر أشار اليه بقوله (أو انه فعل ذلك) المذكور (لما أحرجه) بكسر اللام وتخفيف الميم وأحرجه بحاء مهملة وجيم أى أوقعه فى حرج وضيق صدر (من تكذيب من بلغه) ما أرسل به اليهم وهو بتشديد اللام ويجوز تخفيفها (كما قال تعالى فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا) وباخع بمعنى قاتل من بخع الشاة اذا ذبحها والاسف الحزن على ما فاتهم وعلى آثارهم أى بعدهم جمع أثر فحزنه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يكن لشك اعتراه وانما كان لتكذيبهم له وعدم طاعتهم له وهو حريص على أن يهديهم الله رحمة منه لما فاتهم من سعادة الدارين وهذا الشفقة عليه تسلية له صلى الله تعالى عليه وسلم (ويصحح معنى هذا التأويل) أى تأويل ما رواه معمر وجعله بمعنى الآية المذكورة (حديث رواه شريك)

(عن عبد الله بن محمد بن عقيل) بفتح وكسر وهو ابن أبي طالب يروي عن ابن عمر وجابر وغدة وعنه جماعة قال أبو حاتم وغيره لين الحديث وقال ابن خزيمة واحتج به قال الواقدي مات بالمدينة قبل خروج محمد بن عبد الله بن حسن سنة خمس وأربعين ومائة (عن جابر ابن عبد الله) كما رواه البزار وروى الطبراني نحوه عن ابن عباس (ان المشركين لما اجتمعوا بدار الندوة) بفتح النون وسكون الدال المهملة وهو مكان اجتماعهم حيث يتشاورون في مهامهم (للتشاور في شان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) وهي دار بناها قصي بن كعب وجعل بابها الى الكعبة ليجتمع فيها العرب للمشاورة وللختان وللنكاح واذا

قدمت عير نزلت فيها واذا ارتحلت رحلت منها وسميت دار الندوة من الندى بتشديد الياء وهو مجتمع القوم قال الشمني وهي الآن من الحرم والله تعالى أعلم وهي الزيادة التي تلي ناحية سويقة من المسجد وهي مستقبلة الميزاب وسيأتي قصة مشورتهم واتفاقهم على قتله عليه الصلاة والسلام (واتفق رأيهم على ان يقولوا) أي في حقه (انه ساحر) كما مر عن أبي جهل وعن الوليد بن المغيرة (اشتد ذلك عليه وتزمل في ثيابه) أي تلفف (وتدثر فيها) أي تغطى بها فوق الشعار أعني ما يلي جسده من الثياب ومنه قوله عليه الصلاة والسلام الانصار شعاري والعرب دثاري (فاتاه جبريل عليه الصلاة والسلام فقال) أي منادياله

والراوي له البزار وهو شريك بن عبد الله النخعي الامام الثقة وقد وثقه ابن معين وقال غيره لا باس به وقد قيل انه كان سيء الحفظ توفي سنة سبع وسبعين ومائة وسنه ثمانون سنة وله ترجمة في الميزان (عن عبد الله بن محمد بن عقيل) بن أبي طالب بن عبد المطلب توفي بعد الاربعين ومائة وهو لين الحديث حتى قيل انه لا يحتج بروايته (عن جابر بن عبد الله) رضي الله تعالى عنهما (أن المشركين لما اجتمعوا بدار الندوة) بفتح النون وسكون الدال المهملة والندوة بمعنى الاجتماع ومنه النادي ودار الندوة دار كانت بمكة تجتمع فيها قريش للمشاورة والحكومة بناها قصي بن كلاب فكانت ديوان رؤسائهم (للتشاور في شأن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) وكان ذلك بعد موت خديجة رضي الله تعالى عنها وأبي طالب وقد أمر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بانذارهم وأنذرهم مرارا كما هو مشهور مفصل في السير وحضور ابليس لعنه الله تعالى ورأيه في هذه القصة مشهور (واتفق رأيهم على أن يقولوا انه ساحر) كما مر عن أبي جهل والوليد بن المغيرة (اشتد ذلك) أي قولهم هذا واشتد عليه الامر بمعنى صعب وعسر (عليه صلى الله تعالى عليه وسلم (وتزمل في ثيابه) أي تلفف فيها كالنائم (وتدثر فيها) أي تغطى بها فوق لباسه الذي على بدنه ويلي جسده ومنه حديث الانصار شعاري والعرب دثاري (فاتاه جبريل) عليه الصلاة والسلام (فقال) له جبريل (يا أيها المزمل يا أيها المدثر) أصله المتزمل والمتدثر تفعل من زمله اذا لفه ودثره اذا غطاه فابدل وأدغم على قاعدة أهل الصرف قيل انه اجتمع في دار الندوة أبو لهب وأبو سفيان والوليد بن المغيرة والنضر بن الحارث وأمية بن خلف وأبي والعاصي بن وائل السهمي ومطعم بن عدي وقالوا ان العرب يستجمعون في أيام الحج ويسمعون أمر محمد وقد اختلفتم فيه فاجمعوا على رأي فيما يقال لهم فقال رجل منهم نقول انه شاعر فقال الوليد قد سمعت الشعر وكلام محمد لا يشبهه فقالوا نقول كاهن فقال الكاهن يكذب ويصدق وما كذب محمد قط فقالوا نقول انه مجنون فقال المجنون يخنق ولم يخنق ثم انصرف لبيته فقالوا صبأ الوليد فذهب أبو جهل وقال له انا نجمع لك شيأ من المال فقال مالي حاجة اليه ولم أصب وانما فكرت في أمري فرأيته يفرق بين المرء وزوجه وبين الوالد وولده وهذا شأن الساحر فنقول انه ساحر فلما سمع هذا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حزن حزنا شديدا كما ذكره المصنف رحمه الله تعالى وغيره من غير تعقب له ولا يخفى انه مخالف للرواية الصحيحة من ان اجتماعهم بدار الندوة انما كان وقت الهجرة ونزول يا أيها المزمل ويا أيها المدثر كان في ابتداء الوحي عليه كما في البخاري وهو مخالف لما هنا فان صحت هذه الرواية تكون نزلت عليه مرتين ومن العجب ان الشراح لم ينبهوا على هذا مع ظهوره ثم أجاب بجواب آخر عن هذه الشبهة فقال (أو خاف) صلى الله تعالى عليه وسلم من (ان الفترة) أي انقطاع الوحي عنه سنة

(يا أيها المزمل) أي تارة وأخرى (يا أيها المدثر) لما روي عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كنت على حراء فنوديت يا محمد انك رسول الله فنظرت عن يميني وشمالي فلم أر شيأ فنظرت فوقي فرأيت شيأ وفي رواية عائشة رضي الله تعالى عنها فاذا به على كرسي بين السماء والارض يعني جبريل فرعبت منه ورجعت الى خديجة فقلت دثروني دثروني فقال يا أيها المدثر (أو خاف) أي أو انه عليه الصلاة والسلام فعل ذلك من أجل انه خاف (ان الفترة) أي للوحي انما كانت

ونصف

(لامر) أي لاجل أمر صدر عنه (أو سبب منه فخشي أن تكون) أي فترته (عقوبة من ربه ففعل ذلك بنفسه ولم يرد بعد نهي عن ذلك) وفي نسخة شرع بالنهي عن ذلك أي عن التردي من الجبل لانه كان أول الاسلام ولم تتبين الاحكام (فيعترض به) أي عليه في هذا المقام (ونحو هذا) أي من ضيق البال وشدة الحال (فرار يونس عليه الصلاة والسلام) وفيه ست لغات ضم النون وفتحها وكسرها مع ترك الهمز وبه حيث ذهب مغاضبا لقومه متبرما من تكذيبهم تخويفا لهم أن يحل العذاب عليهم ظنا منه أن فراره بغير اذن ربه سائغ اذلم يفعله الاغضبا لربه وغيظا على مخالفي دينه ومع ذلك لاحظ (خشية تكذيب قومه له لما وعدهم به من العذاب) ورجاء أن يؤمنوا به بعد فقده فقد روي انهم لما فقدوه خافوا نزوله عليهم فاستغاثوا بربهم وقالوا ياحي حين لاحي وياحي محيي الموتى وياحي لااله الاأنت وقالوا اللهم ان ذنوبنا قد عظمت وأنت أعظم منها وأجل افعل بنا ما أنت أهله ولا تفعل بنا مانحن أهله وهذا معنى قوله سبحانه وتعالى ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لايؤمنون ولوجاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الاليم فلولا كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها الاقوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم الى حين (وقول الله في يونس فظن أن لن نقدر عليه معناه أن لن نضيق عليه) كما قال تعالى يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله وليس مراده انه سبحانه غير قادر عليه لان هذا لم يخطر ببال كافر فضلا عن مؤمن لاسيما نبيا ورسولا وروي ان ابن عباس دخل على معاوية فقال يا ابن عباس لقد ضربتني أمواج القرآن البارحة فغرقت فيها فلم أجد لنفسي خلاصا الابك ثم قرأ الآية ثم قال أو يظن نبي الله أن لايقدر الله عليه فقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما هذا من القدر أي بسكون الدال أو فتحها لا من القدرة

ونصف أو سنتين أو سنتين ونصف على اختلاف فيه كان (لامر) صدر منه (أو سبب) صدر (منه) لم يعرفه (فخشي أن يكون) انقطاع الوحي عنه (عقوبة من ربه) لغضبه عليه (ففعل ذلك) أي ألهم بان يلقي نفسه من أعالي الجبال حتى يهلك (بنفسه) أي بذاته وجسمه (ولم يرد بعد) بالبناء على الضم أي بعد ماوقع له صلى الله تعالى عليه وسلم وماهم به (شرع) يبين (بالنهي عن ذلك) أي بنهيه عما فعله وخطر على قلبه (فيعترض به) بالبناء للمجهول أي يكون سببا لان يعترض معترض به عليه ويعده شبهة في فعله ويعترض مرفوع أي فكيف يعترض ويجوز نصبه (ونحو هذا) أي مثل ماصدر عن نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم مما يتوهم فيه أمر ويحتاج للتأويل ونحو ماروي من حزنه صلى الله تعالى عليه وسلم وارادته لالقاء نفسه من الجبل (فرار يونس) بن متى نبي الله صلى الله تعالى عليه وسلم المعلوم وقد تقدم ان يونس مثلث النون بهمز ودونه ففيه ست لغات مشهورة (خشية) بالنصب أي خوفا من (تكذيب قومه له لما) بكسر اللام وتخفيف الميم (أوعدهم به من العذاب) بيان لما ويونس صلى الله تعالى عليه وسلم كما في مرآة الزمان كان بعد سليمان نبي الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقد علم انه ابن متى ومتى اسم أبيه وقيل اسم أمه وهو من ولد بنيامين بن يعقوب عليه الصلاة والسلام وكان من عباد بني اسرائيل ينزل بشاطئ دجلة فبعثه الله نبيا مرسلا لاهل نينوى من أهل الموصل فلما بلغهم الرسالة لم يجيبوه فانذر بعذاب يصيبهم بعد أربعين يوما فقالوا ان رأينا أسباب العذاب آمنا بك فلما مضى من ميقاته خمسة وثلاثون يوما غامت السماء غيما أسود يدخن فلما أيقنوا برزوا من القرية باهليهم وبهائمهم وفرقوا بين كل دابة وولدها وضجوا الى الله تعالى فقبل الله توبتهم وقد ساح يونس عليه الصلاة والسلام في الارض وروى ابن مسعود ان يونس صلى الله تعالى عليه وسلم وعد قومه العذاب وأخبرهم انه يأتيهم الى ثلاثة أيام ففرقوا بين كل والدة وولدها وجأروا الى الله فرفع عنهم العذاب بعد مشاهدة البأس وذلك لم يكن لغيرهم وانتظر يونس العذاب فلم ير شيأ وخاف الكذب على ما اتى فانطلق مغاضبا وركب سفينة فركدت وغيرها سائرة فقال مابالها قالوا لاندري فقال ان عبدا أبق من ربه لاتسير حتى تلقوه منها فقالوا أما أنت فلا نلقيك فقال اقترعوا فان وقعت عليه القرعة ألقي فخرجت القرعة عليه ثلاث مرات فالقي في البحر وابتلعه الحوت وهوى به لقراره فسمع تسبيح الحصى فنادى في الظلمات يعني ظلمة بطن الحوت والليل وجوف البحر الى آخر ماقصه الله من أمره واختلفوا في مدة مكثه في بطن الحوت فقيل عشرون وقيل أربعون وقيل سبعة وقيل ثلاثة أيام وقيل يوم (وقول الله تعالى في يونس) أي في قصته عليه السلام (فظن أن لن نقدر عليه) جواب سؤال مقدر تقديره انك قلت ان من الاصول المقررة كما تقدم ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام منزهون من أن يكون عندهم شك وشبهة في شيء مما يتعلق بالعقائد وذات الله وصفاته فكيف يظن يونس نبي الله عليه السلام ان قدرة الله لاتتعلق به وهو على كل شيء قدير أجاب عنه بقوله (معناه أن لن نضيق عليه) فانه يقال قدر وقتر وقتر بمعنى ضيق أي ظن انا لانضيق عليه وهذا مروي عن جماعة من أئمة التفسير واللغة

(قال مكي طمع في رحمة الله تعالى) أي سعة كرمه (وأن لا يضيق عليه مسالكه في خروجه) بغير اذنه مغاضبا القومه ليؤمنوا بعد فقده
(وقيل حسن ظنه بمولاه انه لا يقضي عليه بالعقوبة) لما ورد في الحديث القدسي أنا عند ظن عبدي بي لكنه غفل عن ان حسنات
الابرار سيئات المقربين (وقيل نقدر عليه ما أصابه) أي من الابتداء ببطن الحوت في الماء وهو بضم أوله فسكون ثانيه فكسر ثالثه
مخفف نقدر عليه كذا ذكره الدلجي وهو غير صحيح فالصواب انه مخفف قدر بمعنى قدر مشددا وقد ضبطه الحجازي بضم النون وفتح
القاف وتشديد الدال المكسورة (وقد قرئ) أي في الشواذ (نقدر بالتشديد) أي بتشديد الدال المكسورة

وكذا قرئ نقدر مبنيا للفاعل وللمفعول مخففا ومثقلا (وقيل نؤاخذه) أي فظن أن لن نؤاخذه بعتابه أو عقابه (بغضبه وذهابه) اذ كان عليه أن يصابرهم ولا يفارقهم الا باذن من ربه (وقال) وفي نسخة بلا واو العطف (ابن زيد) وفي نسخة أبو زيد وفي أخرى أبو يزيد والصواب الاول فقد نقل ذلك البغوي في تفسيره عن ابن زيد والظاهر انه عبد الرحمن بن زيد بن أسلم (معناه أفظن أن لن نقدر عليه على الاستفهام) أي الداخل على صدر الكلام وحذف تخفيفا لدلالة المقام على المرام والمعنى اذ ذهب مغاضبا أفظن أن لن نقدر عليه ويمكن أن يقدر اذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه والتاويل لازم على كل تقدير لما علله المصنف

(قال مكي) رحمه الله (طمع في رحمة الله تعالى وأن لا يضيق عليه مسلكه في خروجه) مما هو فيه وقيل انه لا يناسب قوله اني كنت من الظالمين وأجيب بانه باعتبار مقامه فانه أمر بالصبر فكان عليه أن يسلم أمر الله عز وجل ولا يذهب مغاضبا لقومه وللانبياء عليهم الصلاة والسلام مقامات لا تناسب مقام غيرهم فليس من القدرة لانه غير مناسب هنا وقيل انه تمثيل لحاله بحال من ظن انه لن نقدر عليه لما استعجل ولم ينتظر أمر الله عز وجل (وقيل حسن ظنه بمولاه) يعني الله عز وجل (انه لا يقضي عليه العقوبة) هذا جواب ثان فهو من التقدير قال الجوهري قدرت الشئ أقدره واقدره من التقدير وهو القضاء والحكم أي ظن ان الله لا يقضي عليه بعقوبة ويجازيه على ذهابه وعدم صبره وهذا قاله مجاهد وقتادة واختاره الفراء وثعلب (وقيل) في تأويله ان معناه (نقدر) عليه بضم أوله وتشديد ثالثه (ما أصابه) من الابتلاء بابتلاع الحوت له (وقرئ نقدر عليه بالتشديد) فهذه القراءة تدل على ان المخفف بمعنى المشدد كما قاله ثعلب رحمه الله تعالى وأنشد شاهدا عليه قوله

ولا عائد ذاك الزمان الذي مضى * تباركت ما تقدر يقع ولك الشكر

وفي الآية قراآت لا حاجة لتفصيلها هنا وهذا قريب من الجواب الذي قبله فان الفعل فيهما من التقدير والفرق بينهما انه في الاول عرف ان فعله مستحق للعقوبة ولكن رجاء العفو من كرم ربه وفي هذا لم يكن يخشى عقوبة ويظن ان الله لا يبتليه بما ابتلاه به (وقيل معناه (يؤاخذه) أي الله يجازيه (بغضبه) على قومه (وذهابه) مفارقا لهم ولم يصبر منتظر الامر الله فلن يقدر عليه بمعنى لن يؤاخذه بغضبه وذهابه فاطلق السبب على المسبب فليس فيه ظن لعدم قدرة الله عليه وليس هذا راجعا الى معنى القضاء عليه لان المؤاخذة بالقضاء والحكم السابق كما قيل (وقال ابن زيد) هو كما تقدم عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وقد تقدمت ترجمته وما في بعض النسخ أبو زيد وفي بعضها ابن دريد من تحريف الناسخ والصحيح الاول كما في المقتفى للبرهان الحلبي (معناه أفظن أن لن نقدر عليه على) تقدير حرف (الاستفهام) وقد ورد حذفه كثيرا كقوله

قالوا تحبها قلت بهرا * عدد الرمل والحصى والتراب

أي أتحبها وهو مفصل في كتب النحو والاستفهام انكاري أي أتظن عدم قدرتنا عليه أي لم يظنه ولم يخطر له ببال كما أشار اليه بقوله (ولا يليق) أي لا يناسب عقلا ولا شرعا (أن يظن) بالبناء للمجهول أي يظن أحد (بنبي) من الانبياء (أن يجهل صفة من صفات ربه) وهي هنا قدرته تعالى وتعلقها بكل شئ وفي نسخة انه جهل (وكذلك) أي مثل ما تقدم في انه مصروف عن ظاهره (قوله اذ ذهب مغاضبا الصحيح) في معناه انه أراد (مغاضبا لقومه لكفرهم) أي اقامتهم على كفرهم فراغمهم بفراقهم رغما لهم لظنه أنه سائغ شرعا حيث لم يفعله الا غضبا لله وانفة لدينه وبغضا للكفر وأهله وأن ينتظر الاذن من

بقوله (ولا يليق) أي لا يحسن (أن يظن بنبي) أي فضلا عن رسول (أن يجهل) وروى انه جهل الله
(صفة من صفات ربه) كالقدرة والعلم والارادة ولذا استدل أهل السنة بطلب موسى عليه السلام الرؤية بانها ممكنة في الجملة ليس فيها
استحالة خلافا للمعتزلة والحاصل انه لا يتصور ان نبيا يظن انه تعالى لا يقدر عليه كما قدمناه (وكذلك) أي يحتاج الى تاويل (قوله) أي
الله سبحانه وتعالى (اذ ذهب مغاضبا) حيث يتوهم انه ذهب مغاضبا لربه فالصواب تاويله بوجه من الوجوه (الصحيح مغاضبا
لقومه لكفرهم) كما مر وهو مناسب ههنا لان المغاضبة مراغمة على ما في القاموس

وهو قول ابن عباس والضحاك وغيرهما) أى من المفسرين (لا لربه) اذ مغاضبة الله معاداة له ومعاداة الله تعالى كفر لا يليق بالمؤمنين فكيف بالانبياء لاسيما المرسلين (وقيل مستحييا من قومه أن يسموه) بفتح الياء وكسر الشين وتخفيف الميم أى كراهة ان يصفوه (بالكذب) اذ قيل انه قال لهم أجلكم أربعين ليلة فقالوا ان رأينا أسباب الهلاك آمنا وظاهر هذا القيل ان مستحييا تفسير مغاضبا ولم أرهذا المبنى فى كتب اللغة بهذا المعنى فكان الاولى ان يقال استحياء ولا يبعد ان يكون حالا أخرى مقدرة لتصحيح الكلام والله تعالى أعلم بالمرام (أو يقتلوه) أى ذهب مغاضبا لهم كراهة ان يقتلوه (كما ورد فى الخبر) لم يعرف له من الاثر الا ان الانطاكى قال وهو ما روى انه كان عندهم من كذب ولم يكن له بينة قتل (وقيل مغاضبا لبعض الملوك) أى لاجله (فيما أمره) أى يونس (به من التوجه الى أمر أمره الله تعالى) أى أمر الله الملك (به على لسان نبى آخر) أى غير يونس عليهما السلام كان فى زمنه (فقال له يونس غيرى أقوى عليه منى) أى اعتذارا منه أو أراد الهجة السهلة حذرا من غلبة المشقة (فعزم عليه) أى حمله سبحانه وتعالى على الجد والصبر على مقاساة شدائد المر (فخرج لذلك) أى من أجل عزمه عليه مالا طاقة لديه (مغاضبا) له تاركا ما أمره به لصعوبته لديه ولهذا قال تعالى لنبينا صلى الله عليه وسلم واصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت (وقد روى عن ابن عباس) رضى الله تعالى عنهما (ان ارسال يونس عليه السلام ونبوته) أى المقرونة بالرسالة الى قومه بنينوى أى من الموصل (انما كان بعد ان نبذه الحوت) وقد سقط ان المصدرية بعد بعد فى أصل الدلجى فقال الحوت فاعل المصدر قبله المضاف الى معموله أى قذفه من بطنه

الله كما قاله الزمخشرى (وهو) التفسير المذكور (قول ابن عباس والضحاك وغيرهما) من السلف (لا) مغاضبا (لربه) اذ لا يليق ذلك بمقام النبوة (اذ مغاضبة الله تعالى) معناها (معاداة له) تفسير باللازم لان العداوة يقتضى عدم الرضاء (ومعاداة الله تعالى كفر لا يليق بالمؤمنين فكيف) يليق (بالانبياء عليهم الصلاة والسلام) وكيف استفهام تجوز به عن الاستبعاد لما بعده كما تقدم والمغاضبة مفاعلة أريد بها أصل الفعل أو هى على ظاهرها الا انها بمعنى العداوة وهى من الجانبين لانه عاداهم لله وعادوه لجهلهم وكفرهم فلا حاجة لصرفه عن ظاهره (وقيل) ذهابه فى صورة الغضب لانه كان (مستحييا) اسم فاعل بياءين أى حياء (من قومه أن يسموه) بدل من قومه بدل اشتمال أى يصفوه (بالكذب) لانه أوعدهم بعذاب يحل بهم لما خالفوه وعين له مدة كما تقدم وهى من السمة بمعنى العلامة كالكى وغيره فاستعير للصفة لانها تميزه كالعلامة أى كراهة أن يصفوه به ان كان أجلهم أربعين ليلة فقالوا ان رأينا مخايلة آمنا فلما رأوا ذلك آمنوا فكشف عنهم العذاب كما قصه الله تعالى بقوله الا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم العذاب وقوله (أو يقتلوه) أى وخوفا من أن يقتلوه فهو كقوله متقلدا سيفا ورمحا (كما روى فى الخبر) المذكور فى قصص الانبياء عليهم الصلاة والسلام وتقدم بعض منه وليس هذا راجعا الى القول بانه غضب من ربه كما حكاه ابن عطية فتوهمه لا وجه له وفى مرآة الزمان ان يونس عليه الصلاة والسلام لما ساح فرأى راعيا فى فلاة فسقاه لبنا وهو مستند الى صخرة فاعلمه انه يونس وأمره أن يقرأ على قومه السلام فقال يا نبى الله لا أستطيع لان من كذب منا قتل قال فان كذبوك فالشاة التى سقيتنى من لبنها وعصاك والصخرة يشهدن لك فاتاهم الراعى وأخبرهم فانكر وا فنطقت الشاة والصخرة والعصا وشهدن له فقالوا له انت خيرنا اذ رأيت نبينا وملكوه عليهم أربعين سنة (وقيل) انه ذهب (مغاضبا لبعض الملوك) فى عهده (فيما أمره به) أى بسبب أمر أمره به (من التوجه) بيان لما (الى أمر أمره الله به على لسان نبى آخر) بواسطته يبلغه له وضمير أمره للملك (فقال له) أى قال يونس عليه الصلاة والسلام للملك (غيرى أقوى عليه منى) اعتذارا له لخشيته من التقصير فيه (فعزم عليه) أى صمم أو أقسم عليه انه يفعل ما أمر به ولم يقبل عذره (فخرج لذلك) أى لما صنعه الملك معه (مغاضبا له) أى للملك لا لربه كما توهم وهذا اشارة لما فى بعض التفاسير كما حكاه الاخفش من ان يونس عليه الصلاة والسلام لما خرج مغاضبا الملك كان لقومه والنبى المذكور كما روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما شعيبا والملك اسمه حزقيل فاوحى الله الى شعيب ان قل لحزقيل أن يبعث نبيا من أنبياء بنى اسرائيل الى أهل نينوى يأمرهم بتخلية بنى اسرائيل فانى ملق على قلوب جبابرتهم وملوكهم فقال ليونس أخرج اليهم فقال يونس هل أمر الله باخراجى لهم وسمانى فقال لا فقال ههنا أنبياء أقوياء فالح عليه فخرج مغاضبا الى آخر ما قصه الله تعالى (وقد روى عن ابن عباس ان ارسال يونس) عليه الصلاة والسلام (ونبوته) أى بعثته نبيا مرسلا الى أهل نينوى من أرض الموصل (انما كان بعد ان نبذه الحوت) ونبذه

(واستدل) أى ابن عباس ويحتمل ان يكون بصيغة المجهول عطفا على روى أى وقد استدل لما روى عنه (بقوله) أى بظاهر قوله تعالى (فنبذناه بالعراء) أى قذفناه من بطن الحوت بمكان عار عن البناء والشجر ونحوهما (وهو سقيم) أى أليم من حرارة بطن الحوت (وأنبتنا عليه) من كمال رأفتنا وجمال رحمتنا (شجرة من يقطين) بفعيل من قطن بالمكان اذا اقام به قيل هى الدباء لان الذباب لا يقع عليها فجعلها الله تعالى فوقه مظلة له كالقبة ويقال ان ريح القرع من ريح يونس بقى فيه منه رائحة الى القيامة (وأرسلناه) أى الى مائة ألف أو يزيدون يعنى فى رأى العين اذا رآهم الرائى قال هم مائة ألف أو أكثر والمراد وصفهم بالكثرة واو بمعنى بل ويؤيده انه قرئ ويزيدون بالواو ووجه الاستدلال ان الاصل فى افادة الواو الترتيب كما يدل عليه قوله عليه الصلاة والسلام نبدأ بما بدأ الله تعالى به ان الصفا والمروة من شعائر الله ٢٦ ولا يعدل عن هذا المعنى الا اذا عرف دليل خارج عن المبنى وهذا لاينافى قولهم ان الواو لمطلق الجمع وانها لاتفيد الترتيب فان مرادهم انه ليس نصا فى المعنى لاحتمال ارادة غيره من هذا المبنى اذا وجد دليل على هذا المدعى هذا وقيل المراد بارسلناه ارساله الاول اليهم أو هو ارسال ثانى بعد ذلك اليهم والى غيرهم لما قيل لما آمنوا سألوه ان يرجع اليهم فابى تحاميا من رجوعه للاقامة فيهم بعد هجرته عنهم وقال ان الله تعالى بعث اليكم نبيا (ويستدل أيضا) أى لما روى عن ابن عباس من ان ارساله اليهم انما كان بعد نبذ الحوت له (بقوله) أى بالله سبحانه وتعالى خطابا لنبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم (ولا تكن) أى حال ضجرك وقلة صبرك (كصاحب الحوت) أى يونس عليه السلام (اذ نادى وذكر القصة) وهى قوله تعالى (اذ نادى) أى فى بطن الحوت (وهو مكظوم) أى مملوء غيظا (لولا أن تداركه) وفى قراءة ابن مسعود وابن عباس لولا ان تداركته (نعمة من ربه) بعود رحمته اليه وقبول توبته عليه وقرأ الحسن تداركه بتشديد الدال على ان أصله تتداركه على حكاية الحال الماضية بمعنى لولا ان كان يقال فى شانه تتداركه نعمة من ربه (لنبذ بالعراء) أى لطرح بالفضاء الخالى عن الماء والبناء (وهو مذموم) حال اعتمد عليها جواب لولا والمعنى لولا تداركه رحمته وعود نعمته لكان على حال مذمته (ثم قال فاجتباه ربه) أى قربه واصطفاه (فجعله من الصالحين) أى الكاملين فى الصلاح والديانة وهم أصحاب النبوة والرسالة (فتكون هذه القصة اذن) أى على هذا (قبل نبوته) أى وارساله اليهم (فان قيل فما معنى قوله عليه الصلاة والسلام) فيما رواه مسلم عن الاغر المزنى (انه) أى الشأن

بلفظ الماضى المعلوم وفى نسخة بعد نبذه باضافة المصدر لمفعوله أى قذفه من بطنه والمراد مطلق الالقاء وقال الراغب النبذ القاء الشئ وطرحه لقلة الاعتداد به ولذا يقال نبذه نبذ النعل الخلق وقال تعالى فنبذوه وراء ظهورهم انتهى وفيه نظر لانه لايناسب قوله تعالى فنبذناه بالعراء وهو سقيم فتأمل (واستدل) لما قاله ابن عباس رضى الله تعالى عنهما (بقوله فنبذناه بالعراء وهو سقيم) العراء بالفتح والمد المكان المتسع الخالى من البناء والشجر فهو كأنه عار وكان الحوت يسير مع السفينة رافعا رأسه ليتنفس واختلف فى مدة لبثه فى بطنه كما مر وقوله وهو سقيم أى ضعيف كالطفل حين يولد من حرارة بطن الحوت (وأنبتنا عليه شجرة من يقطين) تفعيل من قطن اذا اقام وهى شجرة تين وقيل القرع وعلى هذين فاطلاق الشجرة عليه مجاز لانها ماله ساق والمشهور الثانى لما روى انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يحبه ويقول هى شجرة أخى يونس فانبتت عليه لتظله ويأكل منها وقيل انها لايقع عليها الذباب (وأرسلناه الآية) ووجه الاستدلال انه ذكر الارسال بعد اخراجه من بطن الحوت والواو وان لم تفد الترتيب على الصحيح لكن الترتيب الذكرى يقتضيه لان غيره مخالف للظاهر وهو معنى ما نقل عن الشافعى اذ لا وجه للعدول عن الظاهر من غير قرينة وقوله او يزيدون أو بمعنى الواو أو المراد وصفهم بالكثرة أو تردد من رآهم وقد أجيب عما استدل به ابن عباس رضى الله تعالى عنهما بانه ارسال لغوى أى ارجعه الى من أرسل اليه أولا أو هو ارسال لغيرهم الى غير ذلك مما ذكره المفسرون (ويستدل أيضا) أى لقول ابن عباس كما استدل بما قبله (بقوله ولا تكن) الخطاب له صلى الله تعالى عليه وسلم (كصاحب الحوت) اذ ضجر ولم يصبر فاصبر فان الله ناصرك (وذكر القصة) يعنى قوله اذ نادى وهو مكظوم الى آخره (ثم قال فاجتباه ربه فجعله من الصالحين) وهذا بناء على ان معنى اجتباه اصطفاه واختاره لرسالته وهذا ليس بمتعين فقوله (فتكون هذه القصة قبل نبوته) وارساله لقومه غير مسلم لما تقدم وانما قال هذا ابن عباس لانه قبل النبوة اذ يجوز صدور ما ذكر عنه لانه لم يوح اليه بما يزيل الشك عنه ثم أورد سؤالا على الاصل الذى قرره من براءة الانبياء عليهم الصلاة والسلام مما يعرض لغيرهم من الشك ونحوه فقال (فان قيل فما معنى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم) فى حديث رواه مسلم عن الاغر المزنى (انه) أى الامر والشان

(ليغان

(ليغان على قلبي) أي ليغطى ويستر والجار نائب الفاعل وهو بصيغة المجهول من الغين وهو اطباق الغيم في مرأى العين وهو سحاب لطيف كناية عن حجاب ظريف لما يعرض له عليه الصلاة والسلام مما يصرفه عن دوام ملازمة ذكر الملك العلام على وجه التمام وهو الاستغراق في بحر الشهود والفناء عن مطالعة ماسوى الله تعالى في عالم الوجود لما يعرض مما يصرفه عن ذلك المقام بسبب اشتغاله بامور أمته ومصالحها من الاحكام المتعلقة بالخاص والعام أولاجل تصور قصوره في مقام العبادة على الوجه التام (فاستغفر الله كل يوم) وفي نسخة في كل يوم وفي نسخة في اليوم (مائة مرة وفي طريق) أي للبخاري عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه فاستغفر الله (في اليوم أكثر من سبعين مرة) وهي لاتنافي لرواية الاولى على ان حملهما على ارادة الكثرة هو الاولى والحاصل انه كان بعد مايشغله عن ربه في الصورة ذنبا بالنسبة الى مقامه الاعلى المعبر عنه لي مع الله وقت لايسعني فيه ملك مقرب ولانبي مرسل والمحققون على انه اراد بالنبي المرسل ذاته الاكمل في حاله الافضل المعبر عنه بالاستغراق في لجة فناء بحر التوحيد وبر التفريد وبهذا تبين لك ان حسنات الابرار سيئات المقربين وكانت رابعة العدوية في مثل هذه القضية قالت استغفارنا يحتاج الى استغفار كثير والحاصل ان هذا سحاب عين في الطريقة وحجاب عين في الحقيقة وحجب الانبياء من الاولياء والاصفياء لم تكن الانورانية لطيفة لاظلمانية كثيفة (فاحذر) أي كل الحذر لخوف عظيم الخطر (ان يقع ببالك) أي ويخطر في خيالك (ان يكون هذا الغين وسوسة أو ريبا) بالموحدة أي شكا وشبهة وفي نسخة بالنون فيكون من قبيل قوله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ماكانوا يكسبون فالمعنى فاحذر ان تتوهم ان يكون هذا الغين رينا أي حجابا شينا (وقع في قلبه عليه الصلاة والسلام) أي فينقلب عليك الملام (بل أصل الغين في هذا) أي المكني به في المقام (مايتغشى القلب ويغطيه) عما يقصده من المرام ولعل الحكمة في ذلك عدم قوة البشرية لدوام ماهنالك (قال) أي هذا المبنى اللغوي المترتب عليه المعنى الحقيقي (أبو عبيد) وهو معمر بن المثنى كذا ذكره الدلجي وقال الحلبي هو القاسم بن سلام بتشديد اللام انتهى وهو الظاهر في هذا المقام ويروى قال أبو عبيدة (وأصله من غين السماء) وفيه ايماء الى مقام العلاء (وهو اطباق الغيم عليها) فهو سحاب عارض لايمنع السماء عن مقام الاعتلاء (وقال غيره) أي غير أبي عبيد (الغين شئ يغشى القلب) بتشديد الشين وتخفيفها أي يستره ويخفيه (ولا يغطيه كل التغطية كالغيم الرقيق) وهو السحاب الابيض (الذي يعرض في الهواء) بالمد (فلايمنع ضوء الشمس) أي بالكلية (وكذلك) أي مثل ماقدمنا لك فيما حذرناك من ان تفهم بالغين نوع وسوسة في البين (لايفهم) بصيغة المجهول ليكون أعم ولا يبعد ان يكون بصيغة الخطاب والمراد به الخطاب العام (من الحديث انه يغان على قلبه مائة مرة أو أكثر من سبعين مرة في اليوم اذليس يقتضيه) أي هذا المعنى (لفظه الذي ذكرناه) أي من المبنى (وهو أكثر الروايات وانما هذا

(ليغان على قلبي) الغين بالغين المعجمة وياء ونون الستر والتغطية وهو قريب من الغيم ويكون بمعناه أي ترد على قلبي أمور تشغله ويقال غين على قلبه اذا عرض له وسوسة ونحوها ولما توهم من ظاهر الحديث انه قد يعرض له صلى الله تعالى عليه وسلم شك في بعض شؤنه ورد سؤال بانه مخالف لما قرره لان قوله (فاستغفر الله في كل يوم) وفي نسخة في اليوم (مائة مرة وفي طريق) أي في رواية له (في اليوم أكثر من سبعين مرة) يقتضي انه خواطر غير مرضية محتاجة للعفو عنها دفعه فقال اذا سمعت هذا وعرفت ماوهمه (فاحذر ان يقع ببالك) أي يخطر على قلبك وفكرك وذكر البال هنا فيه لطف صادف محزه (ان هذا الغين) الوارد في هذا الحديث (وسوسة أو ريبا) أي شكا في شئ من أموره المتعلقة بالوحي (وقع في قلبه) صلى الله تعالى عليه وسلم في شئ من أمور الدين ثم وضحه بعد بيان معناه حقيقة فقال (بل أصل الغين) أي أصل معناه وماوضع له لغة (في هذا) الكلام (مايغشى القلب ويغطيه) عطف تفسير وهو استعارة لما يشغله (قاله) الامام (أبو عبيدة) وفي نسخة أبو عبيد القاسم بن سلام كما تقدم (وأصله) أي ماوضع له أولا مأخوذ (من غين السماء وهو اطباق الغيم عليها) أي على السماء واطباقه تغطية جميع نواحيها وقريب منه ماقيل انه الغيم المطبق فيحتمل ان النون مبدلة من الميم (وقال غيره) أي غير أبي عبيدة (الغين شئ يغشى) بفتح الياء والشين المخففة أو بضمها وكسر الشين المشددة والاول اظهر (القلب) أي يعرض له أو يستره (ولا يغطيه كل التغطية) أي لايغطيه كله (كالغيم الرقيق الذي يعرض في الهواء) أي في الجو (فلايمنع ضوء الشمس) لرقته فيه (وكذلك) أي مثل ماذكر من انه لايفهم منه انه وسوسة (لايفهم من الحديث انه يغان على قلبه مائة مرة أو أكثر من سبعين مرة في اليوم) ثم بينه بقوله (اذليس يقتضيه لفظه الذي ذكرناه) أي لايدل عليه دلالة متعينة (وهو أكثر الروايات) اشارة الى ان فيه روايات أخر (وانما هذا) المذكور في الحديث

عدد للاستغفار لا للغين) وفيه ان الرواية التي ذكرها المصنف بلفظ فاستغفر الله تقتضي ذلك بل الظاهر ان هذا العدد من الاستغفار يترتب على تحقق كل ما وقع من الغين في عين الابرار نعم هذا لم يرد على ما ورد بلفظ واني لاستغفر الله فان صدر الحديث يشير الى انه قد يغان قلبه عن ربه وآخره يشعر بانه يستغفر الله تعالى كثيرا لاجله او بسبب غيره وحينئذ يحتمل ان يكون استغفاره لنفسه او لغيره من المؤمنين او للجمع بينهما وهو ظاهر قوله تعالى واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات مع ما فيه من تعليم الامة وتحثيثهم على كثرة الاستغفار والتوبة عن المعصية والغفلة والتقصير في الطاعة والعبادة للاقتداء بسيد الانبياء على ان في كثرة الاستغفار فتح باب الغناء وانكشاف مقام البقاء (فيكون المراد بهذا الغين) أي والله تعالى أعلم بحقيقته (اشارة الى غفلات قلبه) أي في مقام المجاهدة (وفترات نفسه) أي مرام المشاهدة (وسهوها) أي اشتغالها بما هو اهم عليها (عن مداومة الذكر) أي اللساني اذ لا يمنع مانع عن مواظبة الذكر الجناني ولذا كان صلى الله تعالى ٢٨ عليه وسلم اذا خرج من الخلاء قال غفرانك تداركا لما فاته من ذكر اللسان في ذلك القضاء أو اشعارا بانه قاصر عن القيام بشكر تلك النعماء كما أشار اليه بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم حينئذ الحمد لله الذي اذهب عني ما يؤذيني وابقى علي ما ينفعني (ومشاهدة الحق) أي في مقام الفناء والاستغراق المطلق (بما كان) أي بسبب كونه (صلى الله تعالى عليه وسلم دفع اليه) بصيغة المجهول أي رد اليه وحمل عليه (من مقاساة البشر) أي من مكابدة لوازم البشرية من الاكل والشرب وسائر المقتضيات الطبيعية (وسياسة الامة) أي بالاحكام الشرعية (ومعاناة الاهل) أي مقاساة أحوال العيال والاولاد والخدام والاحفاد ومكابدة الاقارب القريبة والبعيدة (ومقاومة الولي والعدو) أي وما مقابلتهما بما يصلح في معاملتهما (ومصلحة النفس) أي تربيتها وارتياضها حتى تنقاد بتحمل ما لها وتحمل ما عليها مما لا بد منه معاشا ومعادا (وكلفه) بصيغة المجهول أي وبما كلفه الله تعالى أي حمله (من اعباء اداء الرسالة) أي من اثقال تأديتها واشتغال تبليغها (وحمل الامانة) أي الخاصة والعامة المؤدية الى كمال الديانة كما أشار اليه قوله تعالى انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال أي عليها أنفسها أو على سكانها فابين أي امتنعن من قبول حملها بحسب القابلية حيث لم يخلقوا لها وما جعلها من أهلها وحملها الانسان لكمال قابليته وجمال أهليته انه كان أي في علمه سبحانه وتعالى باعتبار جنسه ظلوما جهولا ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات في الآية دلالة على ان افراد المؤمنين لا بد لهم من الاستغفار والتوبة ليستحقوا بذلك المغفرة والرحمة كما أشعر به قوله سبحانه وتعالى وكان الله غفورا رحيما للمسيئين والمحسنين (وهو) أي النبي عليه الصلاة والسلام (في كل هذا) أي ما ذكرناه من اختلاف مقامه ويروى في هذا كله

(عدد للاستغفار لا للغين) فانه واقع بعد الاستغفار المرتب على الغين بالفاء وان احتمل ان يكون كل استغفار لغين فيكون المراد العدد وأما الروايتان فلا تنافي بينهما لانه اما باعتبار الاحوال أو الاكثر من سبعين هو المائة نفسها (فيكون المراد بهذا الغين اشارة الى غفلات قلبه وفترات نفسه) أي فتورها وكسلها (وسهوها) أي زوال صورتها عن الفكر وبين ما غفل عنه في فتورها وسهوها بقوله (عن مداومة الذكر) أي ذكره صلى الله تعالى عليه وسلم بلسانه وقلبه (ومشاهدة الحق) ان اريد به الله تعالى فالمراد مشاهدته في مرايا مصنوعاته حتى كأنه يراه بعين عيانه وان اريد به ما هو حق ثابت متيقن من العلوم المحققة والامور اليقينية اللدنية فالامر واضح ولما كان هذا يوهم أمرا لا يناسب مقامه صلى الله تعالى عليه وسلم حتى قيل انه لا ينبغي ذكره فانه يقتضي تفضيل الملائكة على الانبياء عليهم الصلاة والسلام لانهم لا يفترون عن العبادة والتسبيح طرفة عين أشار الى دفعه بما يندفع به المعترض فقال (بما كان) أي بسبب ما كان (صلى الله تعالى عليه وسلم دفع اليه) بالدال المهملة المضمومة للمجهول أي فوض اليه وأعطيه قال الراغب الدفع اذا عدي بالى معناه الانالة كقوله تعالى فادفعوا اليهم أموالهم فان عدي بعن فمعناه الحماية نحو ان الله يدافع عن الذين آمنوا (من مقاساة البشر) المقاساة والمكابدة مباشرة ما فيه مشقة من أكل وغيره (وسياسة الامة) السياسة هو الحكم والتدبير لامر غيره من ساسه يسوسه اذا قام عليه لاصلاح أموره وهو لفظ عربي لا معرب كما توهم وهي حكم مخصوص بما يكون بطريق القهر والضبط (ومعاناة الاهل) أي الاعتناء بامرهم والتقيد بما فيه معاشهم (ومقاومة الولي) أي القيام بالامر الذي يتعلق بالولي وهو من يواليه ويتبعه (والعدو) من يظهر عداوته ومقاومته بالغلبة والقهر كما كان يفعله عليه السلام في غزواته وتدبير جيوشه (ومصلحة النفس) أي مصلحة نفسه في أمور معاشه (وكلفه) بالبناء للمجهول معطوف على دفع اليه (من اعباء اداء الرسالة) جمع عبء بهمزة في آخره وهو كالحمل لفظا ومعنا بكسر أوله وهو ما يكون له في تبليغها ودعوة الخلق (وحمل) بفتح أوله (الامانة) أي ما استودعه الله من أسراره واعطاء كل ذي حق حقه وليس المراد بها طاعة الله التي أوجبها عليه كما قيل (وهو) صلى الله تعالى عليه وسلم (في كل هذا) أي ما دفع اليه وكلفه بما ذكر من المقاساة

(فى طاعة ربه وعبادة خالقه) فلا يكون الاستغفار على الحقيقة من التوبة عن المعصية وانما هو من حالة أدنى الى حالة أعلى فان السير فى الله تعالى لا يبلغ أحد منتهاه (ولكن) أى الاستغفار مع هذا له سبب وهو انه (لما كان صلى الله تعالى عليه وسلم أرفع الخلق عند الله مكانة) أى رتبة (وأعلاهم درجة) أى قربة (وأتمهم به معرفة وكانت

حاله عند خلوص قلبه) أى عن ملاحظة غير ربه (وعلو همته وتفرده بربه) عن شهود غيره (واقباله بكليته) أى قلبا وقالبا (عليه) أى بتفويض جميع أموره اليه والقائه نفسه كالميت بين يديه (ومقامه هنالك أرفع حاليه) أى بالنسبة الى غير ذلك وجواب لما قوله (رأى عليه الصلاة والسلام حال فترته عنها) أى صورة (وشغله بسواها) أى ضرورة (غضا) بتشديد المعجمة الثانية أى نقصا وانحطاطا (من على حاله) أى رفيع كماله وبديع جماله (وخفضا عن رفيع مقامه) ومنيع مرامه (فاستغفر الله تعالى من ذلك) وطلب المقام الاعلى فيما هنالك (هذا) أى التأويل الذى حررناه (أولى وجوه الحديث وأشهرها) أى وأظهرها فيما قررناه وفى نسخة وأشهدها أى وأبينها وأدلها فيما ذكرناه (والى معنى ما أشرنا به) أى اليه كما فى نسخة وفى نسخة والى ما أشرنا به فيه من تأويل الحديث (مال كثير من الناس وحام حوله) أى دار فى جوانبه أهل الاستئناس (فقارب) أى أمره (ولم يرد) أحد أى حكمه وقيل لم يصله على انه من ورد (وقد قربنا غامض معناه) أى مشكل معناه مع ما يتعلق بحل مبناه (وكشفنا للمستفيد محياه) بضم الميم وتشديد الياء أى نقاب وجهه وحجاب أمره وفى نسخة مخباه بخاء معجمة وتشديد موحدة أى مخفيه وأصله الهمز كما فى قوله تعالى ألا يسجدوا لله الذى يخرج الخبء فكأنه أبدل للتخفيف مراعاة للسجع

وما بعدها (فى طاعة ربه وعبادة خالقه) دفع لما يتوهم من انه كان اللائق به صلى الله تعالى عليه وسلم أن لا يشغله شئ عن ذكر ربه ومشاهدته بانه لم يشغله به لحظوظ نفسانية ولا لامور رياسية وانما الله شغله بذلك فما انقطع عنه الا لخدمته التى أمره الله عز وجل بها كما قيل

أريد وصاله ويريد هجرى * فاترك ما أريد لما يريد

ولما ورد عليه ان هذا اذا كان طاعة وعبادة فلم استغفر منه والاستغفار انما يكون من الذنب وجهه على طريق الاستدراك بقوله (ولكن لما كان) صلى الله تعالى عليه وسلم (أرفع الخلق عند الله مكانة) أى له رتبة عند الله ومنزلة عالية على كل مخلوق والمكانة بالتاء تختص بالمحل المعنوى كالمنزلة (وأعلاهم درجة) الدرجة ما فى جانب العلو ضد الدرك ومكانة ودرجة تمييز (وأتمهم) أى أكملهم (به) أى بالله (معرفة) فهو أعرف بالله مما سواه وآخر هذا الا انه مترتب على ما قبله فى المعقول والمحسوس (وكانت حاله) الحال مؤنث أى أمره وشانه (عند خلوص قلبه) لله بحيث لا يمر به سواه (وخلو همه) أى جعل همته وعزمه وفكره خالية عن غير الله تعالى (وتفرده بربه) أى جعل أمره منفردا بالتوجه لجنابه الاعلى فيكون قلبه معه وحده فى خلوته فان ذاكر الله جليس الرحمن كما ورد عنه (واقباله بكليته عليه) أى بذاته كلها قلبا وقالبا (ومقامه هنالك) أى اقامته مع الله فى حظيرة قدس قربه وأشار بالبعد لعلو مقامه ثمه (ارفع) أى أعلى (حاليه) أى حالة اشتغاله بالظاهر وحالة كونه مع الله عالم السرائر وكل منهما رفيعة ولكن هذه أرفع (رأى صلى الله تعالى عليه وسلم) أى علم أو شاهد (حال فترته عنها) أى عن أرفع حاليه (وشغله بسواها) أى اشتغاله بغيرها (غضا عن على حاله) وهو مفعول ثان لرأى أو حال وغض الطرف ارخاؤه واطراقه ويكون بمعنى النقصان كما يقال غض صوته قاله الراغب وهو المراد هنا وكنى به عن التنزل عما ذكر (وخفضا) أى حطا وتنزيلا (من رفيع مقامه) وهذا بالنسبة للحالة الاخرى وان لم يكن كذلك فى نفسه (فاستغفر الله تعالى) أى طلب مغفرته وعفوه ومسامحته له (من ذلك) لعده بالنسبة لمقامه الآخر كالذنب كما قال البحترى

اذا محاسنى اللاتى أدل بها * كانت ذنوبى فقل لى كيف أعتذر

ولذا ورد انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان اذا قام من مجلسه قال استغفر الله الذى لا اله الا هو الحى القيوم وأتوب اليه وروى انه كان يقول رب اغفر لى وتب على انك أنت التواب الرحيم مائة مرة (وهذا التفسير (أولى وجوه الحديث) التى ذكرت فى توجيهه (وأشهرها والى معنى ما أشرنا اليه مال كثير من الناس وحام حوله) أى دار باطرافه وقرب منه كقوله صلى الله عليه وسلم من حام حول الحمى وأصله رفرفة الطائر على الماء عند ارادة النزول (وقارب) أى حاول القرب والوصول اليه (ولم يرد) أى لم يصل اليه استعارة من ورد الماء اذا أتاه ليستقى منه وفيه اشارة الى ذلك فيه شفاء العليل وثلج الصدور وان النفس لها ظمأ اليه وفيه من البلاغة ما لا يخفى (وقد قربنا غامض معناه) أى دنيناه لمن قاربه ففيه لطف لا يخفى أى خفية الذى لم يتضح وأصله المكان المنخفض فكنى به عما ذكر ثم صار حقيقة فيه (وكشفنا للمستفيد) أى طالب الفائدة العلمية من تجارته الرابحة (محياه) بالضم والفتح والتشديد بمعنى الوجه وفيه استعارة مكنية تخييلية بتشبيهه بحسان مخدرة والكشف للحديث هنا لرفع غينه واظهار محياه لعينه

(وهو) أى التاويل المذكور (مبنى على جواز الفترات) أى التكاسل فى الطاعات والتغافل عن العبادات (والغفلات) أى عما يجب عليهم من الامور فى الاوقات (والسهو) أى الغلط أو اللهو فى بعض الامور والحالات (فى غير طريق البلاغ) أى تبليغ الآيات وما يعلق بامور الرسالات (على ماسياتى) أى فى بعض المقامات (وذهب طائفة من أرباب القلوب ومشيخة المتصوفة) بفتح الميم وكسر الشين وسكونها أى مشايخهم فى الطريق المطلوب (ممن قال بتنزيه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عن هذا) أى عما ذكر من نحو الفترة والغفلة (جملة) أى جميعا بطريق الاجمال من غير تفصيل واستثناء بعض الاحوال (وأجله) بتشديد اللام أى وعده عليه الصلاة والسلام جليلا وفى مقام الكمال جميلا (أن يجوز عليه أى من أن يصدر عنه وفى نسخة بصيغة المجهول مشددة الواو أى من أن يصدر تجويز ماسبق عليه (فى حال) أى من الحالات ووقت من الاوقات (سهو) أى ذهول فى المقامات (أو فترة) أى قصور فى الطاعات وكسور فى المقامات ومال (الى معنى الحديث) أى المذكور بحسب المآل ان المراد بالغين (مايهم خاطره) من أهمه الامر اذا أزعجه وأقلقه (ويغم فكره) بفتح الياء وضم الغين المعجمة لا كما توهم الحلبى من انه بكسرها كما قبله وفى نسخة بضم أوله أى ويشغل سره (من أمر أمته) أى أهل دعوته واجابته (عليه الصلاة والسلام لاهتمامه بهم وكثرة شفقته عليهم) أى بوصف الدوام (فيستغفر لهم) أى فى ساعات من الايام فالاستغفار راجع الى عصاة أمته عليه الصلاة والسلام (قالوا) أى الطائفة المتصوفة (وقد يكون الغين ههنا) أى فى هذا الحديث (على قلبه السكينة) أى الوقار والطمانينة (التى تتغشاه) وفى نسخة تغشاه أى تتنزل عليه مما يخشع له قلبه ويسكن روعه لقوله تعالى فانزل الله سكينته عليه

(وهو) أى هذا التفسير (مبنى) أى متفرع (على جواز الفترات والغفلات والسهو) على سائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام (فى غير طريق البلاغ) أى ماأمر بتبليغه لامته من الشرائع وأما طريقه البلاغ فلا فانه لا يجوز فيه ذلك لمنافاته له (على ماسياتى) فى هذا الكتاب وفى كلامه نظر لا يخفى فانه جعل الغفلة والفترة والسهو عبارة عن اشتغاله بامر أمته وأهله ولا غفلة ولا فترة ولا سهو حقيقة فكيف بناه على غير أساسه وهذا عنده كالغفلة فيما قاله فتامله فانه غريب ومن هنا علمت سر دعاء الملائكة لبنى آدم بالمغفرة وتفسير صلاتهم بها ومعنى قوله تعالى ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شئ رحمة وعلما وسر تذييل هذه الآية بماذكر (فذهبت طائفة) أى اختار وا مذهبا ورأيا كقوله

وللناس فيما يعشقون مذاهب (من أرباب القلوب) أى أولياء الله الذين نور الله قلوبهم وطهرها حتى صاروا من أرباب الكشف (ومشيخة) بفتح الميم وسكون الشين ويجوز كسرها جمع شيخ وهو الكبير سنا ثم شاع فيمن كبر قدره فى العلم والصلاح (المتصوفة) أى أرباب التصوف وهو علم السلوك وهو لفظ أطلق على هؤلاء بعد العصر الاول لتقشفهم ولبسهم الصوف أو اصفاء قلوبهم أو لمضاهاتهم لاهل الصفة كما بيناه فى كتاب شفاء الغليل (ممن قال بتنزيه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عن هذا) أى ماذكر من الغفلة ومابعده (جملة) أى كله ومجموعه (وأجله) أى عظمه صلى الله تعالى عليه وسلم بتنزيهه عن مثله (عن أن يجوز) بالبناء للمجهول بضم أوله وتشديد واوه المفتوحة أى يراه جائزا اطلاقه (عليه فى حال) من أحواله (سهوا أو فترة) السهو الذهول عن شئ يتنبه له سريعا وقيل انه فى الشئ تركه من غير علم وعن الشئ تركه مع علم ومنه (الذين هم عن صلاتهم ساهون) والفترة السكون بكسل ونحوه كما تقدم (الى أن معنى) هذا (الحديث) والى متعلقة بذهبت (مايهم) بضم أوله وكسر هائه من أهمه اذا أقلقه وأحزنه (خاطره) بالنصب مفعوله أى قلبه وفكره وجعل ذا هم مجاز كقوله (ويغم فكره) أى يجعله ذا غم والهم والغم الحزن وقد يفرق بينهما (من أمر أمته) صلى الله تعالى عليه وسلم (لاهتمامه بهم وكثرة شفقته عليهم) وحنوه ورحمته لهم (فيستغفر لهم) أى يدعو لهم بالمغفرة لما صدر منهم أو لما سيصدر فالغين خواطره فيما يتعلق بهم واستغفاره صلى الله عليه وسلم انما هو لهم فلا اشكال فى الحديث أصلا (قالوا) أى المشايخ المنزهون له صلى الله تعالى عليه وسلم عماذكر (وقد يكون الغين ههنا) أى فى هذا الحديث (هو السكينة) أى الوقار والتانى والطمانينة فى الامور (التى تتغشاه) أى تعرض له (لقوله تعالى فانزل الله سكينته عليه) أى طمانينته وحلمه ووقاره وفى الضمير فى عليه قولان أحدهما على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم والثانى على أبى بكر قال ابن العربى قال علماؤنا وهو الاقوى لانه خاف على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فانزل الله سكينته عليه بتامين النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وسكن فسكن جاشه وذهب روعه وحصل الامن والسكينة لها معان منها الوقار والسكون والرحمة وقيل انها وردت بمعنى ذات لطيفة هوائية لها وجه كوجه الانسان أو على صورة هرة مع بنى اسرائيل اذا ظهرت انهزم عدوهم ووردت بمعنى السحابة كذا فى الشرح الجديد وقال الراغب فى قوله وأنزل السكينة فى قلوب المؤمنين قيل هى ملك يسكن قلب المؤمن فيؤمنه ومنه ان السكينة تنطق على لسان عمر وقيل هو العقل ويقال له سكينة اذا سكن عن الميل والشهوة والسكينة

زوال

و يكون استغفاره عليه الصلاة والسلام عندها) أي عند نزولها أو حال حصولها (اظهار العبودية) برؤى لعبوديته (والافتقار) الى تجليات الربوبية (وقال ابن عطاء استغفاره وفعله) أي تضرعه وخضوعه واظهار خوفه (هذا تعريف للامة) أي تعليم لهم (يحملهم) جملة استئنافية أو حالية أي يبعثهم ويحثهم (على الاستغفار) أقول وهذا المعنى لا ينافي ما سبق عن بعض الابرار (قال غيره) أي غير ابن عطاء (و يستشعرون) من الشعور أي و يدركون من تعريفه لهم الاستغفار (الحذر) من الوقوع في المعاصي على وجه الاسرار و وقع في أصل الدلجي الحصر أي الحبس لانفسهم على الطاعة وفي نسخة الحظر أي المنع لها عن المعصية والحاصل انهم حينئذ يقعون في الحذر والخوف على أنفسهم (ولا يركنون الى الامن) أي لا يميلون ولا يسكنون اليه ولا يعتمدون عليه (وقد يحتمل أن تكون هذه الاغانة) في القاموس غين على قلبه غينا تغشته السهوة ٣١ أو غطى عليه وألبس أو غشي عليه أو أحاط به الرين كأغين فيهما انتهى و بهذا علم أن الاغانة لغة في مبنى الغين والمراد بها أن هذه الغشية (حالة خشية واعظام) أي ومقام هيبة (تغشى قلبه فيستغفر به حينئذ شكرا لله وملازمة لعبوديته) أي ومحافظة على مداومة عبودية مولاه (كما قال في ملازمة العبادة) أي التي هي أخص من العبودية (أفلا أكون عبدا شكورا) حين قام عليه الصلاة والسلام في صلاة الليل حتى تورمت قدماه فقيل له أفتتكلف هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال أفلا أكون عبدا شكورا والحديث روى الترمذي والفاء للعطف على مقدر تقديره أترك الصلاة اعتمادا على الغفران فلا أكون عبدا شكورا للرحمن وقد قال في حق نوح عليه السلام انه كان عبدا شكورا وقال عز وجل وقليل من عبادي الشكور وقيل المعنى ان غفران الله تعالى اياي سبب لان أصلي شكرا له فكيف أتركه ثم تخصيص العبد بالذكر للاشعار بان العبودية تقتضي صحة النسبة وليست تتصور الا بالعبادة وهي عين الشكر فالمعنى الزم العبادة وان غفر لي لا كون عبدا شكورا وكان من سأله ظن ان سبب تحمل مشقة العبادة اما خوف معصية أو رجاء مغفرة فافاده ان لها سببا آخر أتم وأكمل وهو الشكر على التأهل لها مع اكمال المغفرة واجزال النعمة وقد روي عن علي كرم الله تعالى وجهه ان قوما عبدوا رغبة فتلك عبادة التجار وان قوما عبدوا رهبة فتلك عبادة العبيد وان قوما عبدوا شكرا فتلك عبادة الاحرار كذا نقله عنه صاحب ربيع الابرار

زوال الرعب وعليه قوله تعالى أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وما ذكر من انها شيء له رأس كرأس الهرة لم يصح (و يكون استغفاره صلى الله عليه وسلم عندها على هذا اظهارا للعبودية والافتقار) الى ربه عز وجل وهو ليس بذنب بل خضوع وخشوع (وقال ابن عطاء) تقدمت ترجمته (استغفاره وفعله هذا) أي الواقع في هذا الحديث (تعريف للامة) أي تعليم لهم (يحملهم على الاستغفار) أي طلب مغفرة ربهم (وقال غيره) أي غير ابن عطاء (و يستشعرون) أي يدركون و يعرفون من تعريف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأصله طلب الشعور فعبر به عما ذكر (الحذر) أي الاحتراز من المعاصي والخوف منه كما قال تعالى و يحذركم الله نفسه وفي نسخة الحصر أي حبس أنفسهم على طاعة الله تعالى والامتناع من الذنوب (ولا يركنون) أي لا يميلون ميلا ما (الى الامن) من الوقوع في المعاصي والذنوب منها فان من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه (وقد يحتمل أن تكون هذه الاغانة) في قوله صلى الله تعالى عليه وسلم انه ليغان على قلبي (حالة خشية واعظام) أي يخطر بباله عظمة الله تعالى والخشية منه (تغشى قلبه) أن تعرض له حالة من تصور ذلك (فيستغفر حينئذ) أي حين ما غشيته هذه الحالة (شكر الله تعالى) على نعمة جليلة اذ عرفه عظمته وخشيته وهو أعظم المعلومات فهو نعمة لا يساويها غيرها (وملازمة لعبوديته) أي مداومته عليها اذ مقتضاها عده نفسه مقصرة لا تفي باداء خدمته فلذلك يستغفره (كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم في ملازمة العبادة) كما ورد في حديث أنه صلى الله تعالى عليه وسلم أكثر من قيام الليل حتى تورمت قدماه فقال له الصحابة أتفعل هذا يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال (أفلا أكون عبدا شكورا) عطفه بالفاء على كلامهم بتقدير اذا أنعم الله تعالى علي بمغفرة ما تقدم وما تأخر ففي مقابلة هذه النعمة اللائق مني الشكر وأعظمه الانقياد بالجنان والعمل بالاركان ولا عمل له أفضل من الصلاة وقد كمل شكره بلسانه لما قال هذا فلذا قال عبدا شكورا فاعترف بعبوديته وهي من أعظم النعم عليه وأتى بصيغة المبالغة وفاء السببية وهو معطوف على كلامهم و يسمى عطف تلقين كما صرح به سيبويه وذكره في الكشاف كما مر وهذا الحديث رواه البخاري وغيره وفي رواية أفلا أحب أن أكون عبدا شكورا فان الشكر يديم النعم أو معطوف على مقدر أي أأترك التهجد فلا أكون الخ وفيه حث لغيره ودليل على ان الشكر كما يكون باللسان يكون بالابدان كما قال الله تعالى اعملوا آل داود شكرا لكن غيره اذا خشي الملال لا يأتي الا بما يستطيعه

(وعلى هذه الوجوه) أي الاخيرة كما في نسخة وهي من قوله وقالوا وقد يكون الغين الى آخره (يحمل ماروي في

بعض طرق هذا الحديث عنه عليه الصلاة والسلام انه) بكسر الهمز أي الشان (ليغان على قلبي في اليوم أكثر من سبعين مرة فاستغفر الله تعالى) ولا يخفى ان هذه الرواية تؤيد أن المراد بالعدد في الحديث السابق هو الغين المرتب عليه الاستغفار لا الاستغفار المجرد عن الغين كما قدمناه (فان قلت فما معنى قوله تعالى لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم ولو شاء الله لجمعهم) أي الخلق باجمعهم (على الهدى) بتوفيقهم للايمان وترك العصيان لكن لم تتعلق المشيئة بما هنالك فلم يجمعهم على ذلك وأما تأويل المعتزلة بان يأتيهم بآية ملجئة تجمعهم عليه لكن لم يفعل لخروجه عن الحكمة فمردود عليهم لان المشيئة لا تتعلق بالخارج عن الحكمة والحكم الالهية لا نهاية لها ولا غاية لمعرفتها بل أكثرها مجهول عندنا (فلا تكونن من الجاهلين) أي بصفات الله تعالى المقتضية لذلك فان منها الجلالية التي توجب هلاك الكفار وانتقامهم بالنار خالدين فيها أبدا ومنها الجمالية التي توجب الرحمة على المؤمنين وانعامهم بالجنة خالدين فيها أبدا (وقد قال) أي والحال انه قد قال وفي نسخة وقوله أي وما معنى قوله (لنوح عليه السلام) فلا تسألني ما ليس لك به علم (اني أعظك أن تكون من الجاهلين)

كما ورد في الحديث فلا منافاة بينه وبين قوله عليكم من الاعمال ما تستطيعون فان الله لا يمل حتى تملوا (وعلى هذه الوجوه الاخيرة) قالوا هي قوله وقد يكون الغين الى هنا وقيل من قوله وذهبت طائفة من أرباب القلوب الخ (يحمل) أي يفسر (ما ورد في بعض طرق هذا الحديث) من رواية البخاري عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه (عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه لا يغان على قلبي في اليوم أكثر من سبعين مرة فاستغفر الله) تعالى فيفسر الغين بما مر ويجعل الاستغفار له لما مر أو لامته تعليما لهم والعدد للاستغفار لا للغين لبعده لفظا ومعنى وقال الخيضري في خصائصه قال السهروردي لا تعتقدان هذا الغين نقص بل هو كمال متمم لكمال ومثله بجفن العين يسبل لدفع القذى عن العين فيمنع من الرؤية فهو نقص بحسب الظاهر وكمال في الحقيقة وهكذا بصيرة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم للاغبرة الثائرة من انفاس الاغيار الى ستر حدقة بصيرته صيانة ووقاية لها وقول ابن الجوزي هفوات الطبائع البشرية لا يخلو أحد منها والانبياء عليهم الصلاة والسلام وان عصموا من الكبائر لم يعصموا من الصغائر مبني على خلاف المختار وقال ابن بطال الانبياء عليهم الصلاة والسلام أشد الناس اجتهادا في العبادة فهم دائبون في شكره معترفون بالتقصير عما يجب له تعالى ويحتمل انه عد اشتغاله بالمباحات ذنبا كالاكل والشرب والجماع وغيره من أمور الدنيا والنظر في أمر العباد وغيره مما يشغله عن ذكر الله تعالى ومراقبته فعده ذنبا بالنسبة لعالي مقامه بمنعه من اتصاله بحضرة القدس وكونه تعليما لامته مخالف للسياق وكذا ما قيل انه لاطلاعه على ما يحدث من أمته بعده وفي الاحياء كان صلى الله تعالى عليه وسلم دائما يترقى في المقامات فاذا انتقل من مقام الى أعلى منه رآه نقصا فتاب منه واستغفر وحسنات الابرار سيئات المقربين كما قاله الجنيد وتعقب هذا بانه يدل على وقوع الاستغفار مفرقا بحسب الاحوال وظاهر الحديث يخالفه كما قال ابن حجر وفيه نظر لانه ليس في الحديث ما يدل على افتراق واجتماع انتهى وسئل العراقي عن هذا الحديث فاجاب بما مر ثم قال والظاهر ان الجملة الثانية مترتبة على الاولى وان سبب الاستغفار الغين بدليل ماروي حتى أستغفر الله فاستغفر الله ويحتمل ان الجمع بينهما من الراوي فاخبر بحصول ذلك الغين مع كثرة الاستغفار فاطلق من لم يكن كذلك والجملة حال مقدرة وقال بعض المشايخ من الصوفية الغين في اصطلاح أرباب السلوك شهود الحق دون شهود الاغيار التي هي حجاب عن شهود الحق وهو منزه عنه فالمراد به اختلاف التجليات كالتجلي الصفاتي والذاتي وقال الشاذلي أشكل علي هذا الحديث فرأيته صلى الله تعالى عليه وسلم في المنام فقال يا مبارك ذاك غين الانوار لا غين الاغيار وفي لطائف المنن لابن عطاء الله وحل الرموز للمقدسي من ظنه غين غفلة وحجاب فقد أخطأ وانما كان صلى الله تعالى عليه وسلم يستغرق في أنوار التجليات فيغيب في تلك الحضور ويسأله المغفرة أي ستر هذه الحالة لانه من الغفر بمعنى الستر لانه الخواص لو دام لهم تجلي ما يكاشفون به تلاشوا عن ظهور سلطان الحقيقة وهذا الستر لهم رحمة وللعوام عقوبة لانه حجاب يستر عين بصائرهم فانهم مستورون عنه بغيره والخواص مستورون به عما سواه وهو ستر عن دنو الذات المحرق للسوى كما قال عمر بن الفارض رحمه الله

ولولا احتجابي بالصفات لاحرقت * مظاهر ذاتي من سناء سجيتي

هذا محصل ما قاله أهل الباطن والظاهر وزبدة ما في الحديث من الظواهر والسرائر فاختر لنفسك ما يحلو ثم انتقل لشبهة أخرى ترد على الاصل الذي قرره فقال (فان قلت فما معنى قوله تعالى لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم ولو شاء الله لجمعهم) أي جعل الناس كلهم مجتمعين متفقين (على الهدى) بهدايتهم للعقائد الحقة واتباع الشريعة اللازمة فلا يضل أحد منهم على الطريق المستقيم (فلا تكونن من

الجاهلين) وحاصل الاشكال نهاهما عن كونهما من الجهال فاجاب عنه بقوله (فاعلم أنه لا يلتفت في ذلك الى قول من قال في آية نبينا عليه الصلاة والسلام) وهي الآية الاولى (فلا تكونن ممن يجهل ان الله تعالى لو شاء لجمعهم على الهدى) لانه عليه الصلاة والسلام لم يكن جاهلا بهذا المقام ولا يجوز جهل الانبياء بصفاته الكرام لكن لا يلزم من نهيه عن كونه منهم انه منهم كما قال تعالى في آيات كثيرة كقوله فلا تكونن من الممترين ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين فان المراد به التهييج والتثبيت على تحقيق ذلك المرام والتعريض بان من كان على خلاف ذلك الاعتقاد

فهو جاهل بالرشاد وضال عن طريق السداد (وفي آية نوح) وهي الآية الثانية (ولا تكونن ممن يجهل ان وعد الله حق) أي واخباره صدق (لقوله) أي لتصريح نوح نفسه (وان وعدك الحق اذ فيه) أي فيما قاله هذا القائل الجاهل مجترئا بقوله عليهما تفسيرا للآيتين (اثبات الجهل بصفة من صفات الله تعالى) أي تجويز امكان ذلك لان النهي غالبا لا يكون الا هنالك والا فقد سبق أنه لا يلزم من قوله فيهما اثبات الجهل لهما بصفة من صفات الله تعالى (وذلك) أي الجهل المذكور (لا يجوز على الانبياء) بل ولا على العلماء والاولياء (المقصود) أي من نهي الانبياء عن هذه الاشياء (وعظهم ان لا يتشبهوا في أمورهم) أي من أحوالهم وأقوالهم وأعمالهم وفي نسخة ان لا يتسموا بتشديد التاء أي لا يتصفوا (بسمات الجاهلين) بكسر السين المهملة أي بصفاتهم (كما قال) أي الله سبحانه وتعالى ايماء الى ذلك (اني أعظك وليس في آية منهما دليل على كونهما على تلك الصفة) أي صفة الجهل (التي نهاهم عن الكون عليها) أي الاتصاف بها (فكيف) أي لا يكون الامر كذلك (وآية نوح قبلها فلا تسألني) فيه قراآت أي فلا تطلبني (ماليس لك به علم) من نجاة ابنك (فحمل ما بعدها) أي ما بعد هذه الآية وهو قوله اني أعوذ بك أن أسألك ماليس لي به علم (على ما قبلها) وهو قوله فلا تسألني ماليس لك به علم (أولى) لصراحتهما بعدم علمه بموجب ترك نجاة ابنه (لان مثل هذا) أي سؤال ماليس له به علم من نجاة ابنه

الجاهلين) أول الآية فان استطعت أن تبتغي نفقا في الارض أو سلما في السماء فتأتيهم بآية وهو شفقة عليه صلى الله تعالى عليه وسلم لما رأى من حرصه على ايمان الناس فنهيه عن الجهل بقدرة الله لما شاء يوهم انه لم يحط بذلك وهو منزه عنه ودفعه بما سيأتي (و) كذلك (قوله تعالى لنوح عليه الصلاة والسلام فلا تسألني ماليس لك به علم اني أعظك أن تكون من الجاهلين) حين ناداه وقال رب ان ابني من أهلي وان وعدك الحق يعني ما وعده به من نجاة أهله لما قال الله تعالى له احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك وابنه من أهله فسأله عن سبب عدم نجاته فانكر عليه سؤاله ونسبه لما لا يليق بالانبياء عليهم الصلاة والسلام من الجهل والى دفع وجه السؤال والشبهة أشار بقوله (فاعلم) أمر لكل من يمكن توجه الخطاب اليه وسد مسد مفعوله قوله (انه لا يلتفت) بالبناء للمجهول أي لا يتوجه التفات أحد ونظره (في ذلك) أي في خطابه تعالى لهما بما ذكر (الى قول من قال) من المفسرين (في آية نبينا) أي في الآية الاولى التي نزلت في حقه (صلى الله تعالى عليه وسلم) وقوله فيها فلا تكونن من الجاهلين وان معناه (لا تكونن ممن يجهل ان الله لو شاء لجمعهم على الهدى) باسناد الجهل بمشيئة الله اليه (و) (لا تلتفت أيضا القول من قال (في آية نوح عليه الصلاة والسلام لا تكونن ممن يجهل أن وعد الله حق لقوله وان وعدك الحق) فانك لا تخلف الميعاد وعلل عدم الالتفات لهذا القول بقوله (اذ فيه) أي في هذا القول وتفسير الآيتين بما ذكر (اثبات الجهل بصفة من صفات الله تعالى) وهي قدرته وعلمه (وذلك لا يجوز على الانبياء) صلوات الله وسلامه عليهم لمعرفتهم بالله تعالى وصفاته (والمقصود) أي المعنى المراد من هاتين الآيتين (وعظهم) أي ارشادهم وتنبيههم على (أن لا يتشبهوا في أمورهم) حين الدعوة للخلق (بسمات الجاهلين) أي لا يتصفوا بصفاتهم من عدم الصبر والحرص على سرعة حصول المراد مما هو شأن الجهلة (كما قال اني أعظك) فهو دليل على انه ارشاد له صلى الله تعالى عليه وسلم أن لا يتسم بما ليس من شأنه ولا يتخلق بما يضاهي اخلاق الجهلة لانه جاهل بذلك (وليس في آية منها) أي من الآيات المذكورة (دليل على كونهم على تلك الصفة) أي صفة الجهل بصفة من صفات الله فانهم أعلم الناس بها (التي نهاهم عن الكون عليها) أي الاتصاف بذلك والنهي عن الكون أبلغ من النهي عن الاتصاف بها كما قرره ابن جني في كتاب المحتسب (فكيف) يكونون وهم أعلم الخلق على صفة نهوا عن الكون عليها والاستفهام لاستبعاد ذلك (وآية نوح) عليه الصلاة والسلام المذكور فيها قصته وهي قوله اني أعظك الخ (قبلها فلا تسألني ماليس لك به علم) فهي مؤذنة بان المراد نهيه عن التشبيه بالجهلة لنهيه عن السؤال عما لا يحتاج اليه (فحمل ما بعدها على ما قبلها أولى) من الجري على ظاهرها ونسبة ما لا يليق بهم اليهم (لان مثل هذا) السؤال عما ليس له به علم من حال ابنه

(قد يحتاج الى اذن) من ربه ليقدم عليه بامره (وقد تجوز اباحة السؤال فيه ابتداء) أى فى ابتداء الحال قبل النهى عن السؤال (فنهاه الله تعالى أن يسئلك عما طوى) أى زوى الله تعالى (عنه علمه وأكنه) بتشديد النون أى ستره وكتمه (من غيبه) أى عن ادراكه بالبصر أو البصيرة ومن بيان لما وقوله (من السبب) بيان للغيب فكأنه قال من الغيب الذى هو السبب (الموجب لهلاك ابنه) وفى نسخة لاهلاك ابنه مع انه قال تعالى وأهلك الامن سبق عليه القول لكن لما كان على وجه الاجمال حمله على هذا السؤال ليتبين له جملة الاحوال وقال الماتريدى ظن انه على دينه اذ كان يظهر له ذلك ويبطن كفره نفاقا فهنالك والا لما تأتى له أن يقول ان ابنى من أهلى وقيل انه غلب عليه الشفقة الوالدية ومقتضى الطباع البشرية والاظهر قول الماتريدى ولذا قال المصنف

(قد يحتاج الى اذن) من الله فلا يقدم عليه بدونه (وقد تجوز اباحة السؤال فيه ابتداء) منه من غير اذن فيختلف باختلاف الاحوال والمقامات (فنهاه الله عن أن يسئله عما طوى عنه) أى أخفى عنه (علمه) به فشبه الامر المخفى عنه بثوب مطوى ملفوف لا يظهر باطنه وما فى داخله (وأكنه) أى ستر كقوله قلوبنا فى أكنة أى حجاب يمنع الادراك (من غيبه) أى من الامر المغيب عنه وفى نسخة فى غيبه (من السبب الموجب لهلاك ابنه) باغراقه وعدم ادخاله فى سفينته بيان لما انطوى عنه وأكنه لانه لم يكن على دينه لانه كان يبطن الكفر ونوح عليه الصلاة والسلام لم يعلمه (ثم أكمل الله نعمه عليه) جمع نعمة وفى نسخة نعمته بالافراد (باعلامه ذلك) أى ما سأل عنه وانما جعله من كمال النعمة لانه علم مالم يعلم وبين له ما نهى عن السؤال (بقوله) عز وجل له (انه) أى ابنه (ليس من أهلك) لانقطاع الولاية بكفره وخروجه عن دينه (انه عمل غير صالح) تعليل لنفى كونه منه ومعدودا من أهله (حكاه) أى هذا التفسير حكاه عن السلف (مكى) تقدمت ترجمته (كذلك) أى مثل قصة نوح عليه الصلاة والسلام فى انها مخالفة للظاهر محتاجة للتأويل بانها تشبيه بمن امتطى مطية الجهل (أمر) فعل مبنى للمفعول (نبينا) صلى الله تعالى عليه وسلم (فى الآية الاخرى) السابقة وهى (ولو شاء الله) الخ (بالتزام الصبر) متعلق بأمر والمراد بالامر ما يلزم النهى وأمره صلى الله تعالى عليه وسلم بالصبر مذكور صريحا فى آيات أخر كقوله تعالى فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل (على اعراض قومه) عن دينه وعنه (ولا يحرج) من الحرج وهو ضيق الصدر والقلق (عند ذلك) أى عند اعراضهم عنه (فيقارب) حاله (حال الجاهل بشدة التحسر) أى التأسف والندم على عدم اطاعة قومه له (حكاه) أى ما ذكر من التفسير (أبو بكر بن فورك) تقدمت ترجمته والكلام على اسمه فى منع الصرف وعدمه (وقيل معنى الخطاب) فى قوله فلا تكونن من الجاهلين (لامة محمد) لا له صلى الله تعالى عليه وسلم فهو تعريض كما تقدم تحقيقه (أى فلا تكونوا من الجاهلين) أى ممن اتصف بصفاتهم وانخرط فى سلكهم (حكاه أبو محمد مكى) أيضا (وقال) مكى (مثله فى القرآن كثير) فيخاطب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم والمراد أمته كقوله يا أيها النبى اذا طلقتم النساء (فبهذا الفصل) الذى قرره فى حق الانبياء عليهم الصلاة والسلام من تأويل ما يوهم نسبتهم مما لا يليق بعلى مقامهم (وجب) وفى نسخة أوجب

(ثم أكمل الله نعمته عليه أى هنالك (باعلامه ذلك بقوله انه ليس من أهلك) الموعودين بالنجاة كما قدمنا الاشارة اليه باداة المستثناة أو المعنى ليس من أهلك حقيقة وان كان ابنك صورة حيث خالفك سيرة كما بينه سبحانه وتعالى بقوله (انه عمل) أى ذو عمل (غير صالح) وفى قراءة الكسائى أنه عمل غير صالح بصيغة الفعل ونصب غير والمراد بعمل غير صالح الكفر فكل من كان من ذرية الانبياء ولم يكن من الاتقياء فلم يكن من أهلهم وان كان من نسلهم ولذا ورد الى كل تقى (حكى معناه مكى و كذلك) أى ومثل أمره سبحانه وتعالى لنوح عليه السلام (أمر نبينا) صلى الله تعالى عليه وسلم (فى الآية الاخرى بالتزام الصبر) (القول فى آية ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا (على اعراض قومه) أى عن الايمان به (ولا تحرج) بالحاء المهملة وفتح الراء أى لا يضيق صدرا (عند ذلك) الاعراض (فيقارب) أى حالك (حال الجاهل بشدة التحسر) كما يشير اليه صدر الآية وهو قوله تعالى وان كان كبر عليك اعراضهم فان استطعت أن تبتغى نفقا فى الارض أو سلما فى السماء فتأتيهم بآية أى ملجئة الى الايمان بالانبياء والمعنى لا تقدر على ذلك فلا تكونن من الجاهلين بما هنالك (حكاه أبو بكر بن فورك) بضم الفاء وفتح الراء وجوز فيه الصرف وعدمه (وقيل معنى الخطاب) أى وجهه (لامة محمد) على ان الخطاب له والمراد غيره أو الخطاب لغيره ابتداء (أى فلا تكونوا من الجاهلين حكاه أبو محمد مكى وقال) أى مكى (مثله فى القرآن كثير) أى من الآيات التى فيها الخطاب له والمراد أمته أو التى لا يصلح الخطاب له حقيقة فالمراد به خطاب غيره من الامة (فبهذا الفصل) أى الذى أوجب لهم مزيد الفضل (وجب

القول) وفى نسخة فهذا الفصل أوجب القول وفى أخرى يوجب القول (بعصمة الانبياء منه) أى مما ذكر من الجهل بالله تعالى وصفاته ومن السهو واللهو والفترة والغفلة (بعد النبوة قطعا) أى جزما من غير تردد وشبهة (فان قلت فاذا قررت عصمتهم من هذا وانه لايجوز عليهم شئ من ذلك) أى والشرك من جملة ذلك بل هو أعظم ماهنالك (فـامعنى وعيد الله تعالى) وفى أكثر النسخ المصححة فـامعنى اذا وعيد الله تعالى بالتنوين بمعنى حينئذ وبجر وعيد وكان الاظهر ان يقال

فاذا امامعنى وعيد الله تعالى

(القول بعصمة الانبياء) عليهم الصلاة والسلام (منه) لشرفهم وكمال علمهم ورجحان عقولهم وتبرئة الله لهم عن النقائص (بعد النبوة قطعا) لقيام الادلة عليه والحاصل ان معنى الآية الاولى انه تعالى لما رأى اشتداد حرصه صلى الله تعالى عليه وسلم على ايمانهم وشق عليه حتى كاد يهلك نفسه لم يرض تهالكه فقال له ان كان عظم ذلك عليك فان أمكنك أن تغوص فى الارض لتطلع منها آية لهم أو تنصب سلما تصعد به الى السماء لتأتيهم بآية منها حتى يؤمنوا أى أنت لاتستطيع هذا فا فائدة هذا الحرص ولو أراد الله هدى جميع الخلق فلا تحرص على مالم يرده وقيل كانوا يقترحون عليه آيات يودلو أجيبوا لها حرصا على ايمانهم فقيل له ان استطعت ان تفعل هذا لتاتيهم بما اقترحوه فافعل ليؤمنوا وقيل ابتغاء النفق والسلم هو الآية نفسها فهذه ثلاثة أوجه الاول بيان لشدة حرصه عليه الصلاة والسلام وانه لو قدر على المحال فعله والثانى بيان لحرصه على تشديت مطلوبهم ومقترحهم والثالث حرصه على جعل الصعود والهبوط آية لهم حتى يؤمنوا به وترك القاضى الاخيرين لان عادة الله ان من أجيب لما اقترح عجل هلاكه وهو مناف لحرصه على ايمانهم ولان المتبادر من الآية النفق والسلم غير الآية مع ما فيه من النزعة الاعتزالية وقصة نوح وهلاك ابنه كنعان بعدما سال الله نجاته فقيل له انه سبق القول بهلاكه لكفره والكلام فيه مفصل فى التفاسير فلا نطيل بذكره ثم أورد سؤالا آخر على ماقرره من الشك فى شئ مما يتعلق بالعقائد والدين فقال (فان قلت فاذا قررت عصمتهم من هذا) أى حفظ الله لهم عما ذكر (وانه لايجوز عليهم شئ من ذلك) ولا يصح اعتقاده فيهم (فـامعنى اذن) وقعت فى جواب سؤال مقدر فاصلة بين المضاف والمضاف اليه ملغاة لعدم شروط عملها (وعيد الله تعالى لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم) أى تخويفه بتقدير صدور شئ من ذلك منه وتهديده (على ذلك ان فعله) ونحوه مما يقتضى جواز مثله عليه (وتحذيره منه كقوله تعالى لئن أشركت ليحبطن عملك الآية) حبوط العمل بطلانه بالكلية بحيث لايثاب عليه ولا يبقى له عمل من حبطت الدابة اذا وجدت مرعى طيبا فاكلت منه أكلا كثيرا حتى انتفخت بطنها فماتت فالاتيان بالشرط واسناد الشرك له صلى الله تعالى عليه وسلم بحسب الظاهر يدل على جواز مثله عليه وعلى غيره من الانبياء مع انهم منزهون عنه واطلاق الاحباط فى هذه الآية اما لانه مخصوص لان ذنب العظيم عظيم أو هو مقيد بموته على ذلك كما يعلم من قوله (ومن يرتدد منكم من دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت أعمالهم) والجواب علم مما تقدم واللام الاولى توطئة لقسم مقدر والثانية فى جوابه (وقوله) بالجر أى ومامعنى قوله تعالى (ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك الآية) أى فان فعلت فانك اذا من الظالمين ونهيه عن ان يدعو غير ربه أى تعبده لان الدعاء هنا بمعنى العبادة يقتضى صدوره منه صلى الله تعالى عليه وسلم وتأويله يعلم مامر (وقوله تعالى اذا لاذقناك ضعف الحياة الآية) أى وضعف الممات أى يضاعف له عذاب الدنيا والآخرة (وقوله تعالى) ولو تقول علينا بعض الاقاويل أى لو افترى علينا (لاخذنا منه باليمين) جواب لو وعطف عليه قوله ثم

(لنبينا عليه الصلاة والسلام على ذلك ان فعله وتحذيره منه) بناء على ان الوعيد والتحذير غالبا انما يكون فيمن يتصور فيه فعل ذلك لا فيمن يكون معصوما من وقوعه فيما هنالك وصورة الوعيد والتحذير وقعت كثيرة فى حق نبينا عليه الصلاة والسلام كقوله لئن أشركت ليحبطن عملك الآية أى ولتكونن من الخاسرين وقبله ولقد أوحى اليك والى الذين من قبلك أى من الانبياء والرسل فتوحيد الخطاب باعتبار كل واحد منهم واطلاق الاحباط ظاهر على مقتضى مذهبنا والشافعية يحملونه على انه خاص بهم أو على تقييده بموتهم عليه (ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك الآية) وهى قوله تعالى فان فعلت فانك اذا من الظالمين (وقوله اذا لاذقناك ضعف الحياة الآية) يعنى قوله تعالى ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيأ قليلا أى لقاربت ان تميل الى مرادهم فادركك تثبيتنا وعصمتنا فلم تقارب الركون اليهم فضلا عن ان تركن اليهم اذا أى لو قاربت الركون اليهم فرضا وتقدير الاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات أى عذاب الدنيا وعذاب الآخرة مضاعفين والاصل عذابا ضعفا فى الحياة وعذابا ضعفا فى الممات بمعنى مضاعفا فحذف الموصوف وأقيم صفته مقامه ثم أضيفت والمعنى ان المعصوم لايتصور منه الركون الى الكفر الموجب للعذاب (وقوله لاخذنا منه باليمين) وهو جواب لو فى قوله تعالى ولو تقول علينا بعض الاقاويل أى لو افترى علينا مالا يصح نسبته الينا لاخذنا منه

باليمين ثم لقطعنا منه الوتين أى لاهلكناه وعذبناه وهذا تصوير لقتله صبرا بافظع ما يفعله الملوك قهرا فيؤخذ بيمينه فيضرب عنقه فينقطع وتينه وهو عرق يقال له حبل الوريد مناط القلب فاذا قطع مات صاحبه والمعنى ان المعصوم لا يفترى على الله تعالى حتى يتفرغ عليه ما هدد به (وقوله وان تطع أكثر من فى الارض يضلوك عن سبيل الله) والمعنى ان المعصوم لا يتصور منه اطاعة أرباب الضلال حتى يضلوه عن طريق الوصال

(وقوله فان يشا الله يختم على قلبك) أى بعد قوله أم يقولون افترى على الله كذبا فالمعنى أن يشا يجعلك ممن يختم على قلبه حتى يجترئ بالكذب على ربه أو المعنى يختم على قلبك فينسيك كلام ربك وقيل المعنى يربط عليه بالصبر فلا يشق عليه مقالة أهل الكفر فلا اشكال حينئذ (وقوله وان لم تفعل) أى ما أمرت به من تبليغ جميع ما أنزل اليك (فما بلغت رسالته) قرئ بالافراد والجمع أى حق رسالته أو فكأنك ما بلغت شيا منها (وقوله اتق الله) كذا فى نسخة وقبله يا أيها النبى اتق الله كما فى أخرى أى دم على تقواه (ولا تطع الكافرين والمنافقين) أى فيما يؤدى الى وهن فى الدين ومن المعلوم ان المعصوم لا يكون الا متقيا ولا يتصور فيه ان يطيع كافرا فما معنى امره بالتقوى ونهيه عن اطاعة غير المولى (فاعلم) أيها المخاطب الاعم (وفقنا الله تعالى واياك) للطريق الاقوم (انه عليه الصلاة والسلام لا يصح) أى له (ولا يجوز عليه ان لا يبلغ) أى شيا مما أمر به (ولا ان يخالف ما أمر به بلغه ولا ان يشرك به ولا يتقول على الله تعالى) أى ولا ان يتكلف بالقول عليه (ما لا يجب) أى ما لا ينبغى ان يقال ولم يؤذن فى ذلك المقال (أو يفترى عليه) أى من تلقاء نفسه (أو يضل) بصيغة المجهول وفى نسخة بفتح الياء وكسر الضاد (أو يختم على قلبه) بالبناء للمفعول (أو يطيع الكافرين) أى أعم من المنافقين (لكن) وفى نسخة ولكن الله تعالى (يسر أمره) أى سهله بالمكاشفة والبيان (فى البلاغ) أى فى تبليغه (للمخالفين) أى من اليهود والنصارى والمشركين

لقطعنا منه الوتين والكلام على الآيتين وسبب نزولهما مبين فى التفاسير والذى يهمنا هنا ما قصده المصنف رحمه الله تعالى بايرادهما هنا (وقوله وان تطع أكثر من فى الارض يضلوك عن سبيل الله) والمراد بهم الكفرة الجهلة واطاعتهم موافقة ما هم عليه ومثله لا يجوز عليه صلى الله تعالى عليه وسلم فكيف أسند اليه فيها وقدمر جوابه (وقوله تعالى فان يشأ الله يختم على قلبك) وهذا بناء على الظاهر من ان المراد يمنعه من قبول الحق كما فى قوله ختم الله على قلوبهم لا على تفسير مجاهد بانه ان يشأ يربط على قلبك بالصبر على أذاهم حتى لا تلقى مشقة (وقوله تعالى وان لم تفعل) ما أمرت (فما بلغت رسالته) أى فكأنك لم تبلغ شيا منها لتقصيرك فهذا يقتضى جواز تقصيره ظاهرا فى تبليغ جميع ما أوحى اليه فامره بان يبلغه جميعا ولا يخشى مكروها من أحد فان الله عصمه وصانه وجعله فى حصن حمايته وكان عمر رضى الله تعالى عنه أول من أظهر ذلك وقال لا نعبد الله سرا (وقوله تعالى يا أيها النبى اتق الله) ولا تخف من أحد (ولا تطع الكافرين والمنافقين) فيما يؤدى الى تفريط فى شئ من أمر الدين روى انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما هاجر الى المدينة كان يحب اسلام اليهود وقد تبعه ناس على نفاق منهم فكان يلين جانبه لهم ويتجاوز عن قبائحهم فنزلت هذه الآية فيهم وقيل فى سبب نزولها غير ذلك كما ذكره الواحدى وغيره ثم شرع فى الجواب عما ذكره فى هذه فقال (فاعلم وفقنا الله واياك) للوقوف على معانى كلامه فانه لا يكون الا بتوفيق منه تعالى (انه عليه الصلاة والسلام لا يصح) عقلا ولا شرعا (ولا يجوز عليه) صلى الله تعالى عليه وسلم (ان لا يبلغ شيا) مما أمره الله بتبليغه كما يوهمه ظاهر قوله فان لم تفعل فما بلغت رسالته (ولا ان يخالف أمر ربه) كما يوهمه قوله فان لم تفعل (ولا ان يشرك به ولا ان يتقول على الله) أى يكذب عليه ويفترى كما مر فى قوله ولو تقول علينا الآية (ما لا يحب) بالحاء المهملة أى ما لم يرده ولم يأذن له فيه (أو يفترى عليه) أى يكذب عليه وهو بمعنى يتقوله واعاده لانه صريح فى المراد وقد يفرق بينهما بان يراد بالتقول تكلفه فيما يقوله بزيادة أو مبالغة فيه وهو مناسب لعطفه باو (أو يضل) عن الصواب والطريق المستقيم باطاعة غير الله تعالى فهو اشارة الى قوله وان تطع أكثر من فى الارض يضلوك الخ (أو يختم الله على قلبه) ويطبع عليه ما يمنعه عن قبول الحق (أو يطيع الكافرين والمنافقين فى أمر تهواه أنفسهم وهو اشارة الى قوله (ولا تطع الكافرين والمنافقين) فان الامة أجمعوا على عصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام قبل النبوة وبعدها عن الكفر غير الخوارج حيث جوزوا عليهم بعض الذنوب وهى كفر عندهم ولبعض الشيعة القائلين بجواز اظهار الكفر تقية ولا يعتد بافوالهم الواهية فلذا كان المراد بقوله لئن أشركت تهييج الرسل واقناط الكفرة على طريق الفرض أى اذا كان هؤلاء يحبط عملهم به فكيف حال غيرهم وكذا قيل فى نفى الافتراء والتقول عنهم وقس عليه ما بعده (لكن يسر الله أمره) أى حاله صلى الله عليه وسلم أو ما أمره به (بالمكاشفة) متعلق بيسر أو بامر أو بهما على التنازع (والبيان) عطف تفسير لان المراد بالمكاشفة كشفه له وتبيينه أو المراد بالاول ما يكشفه بالالهام وبالثانى ما يوحى به اليه (فى البلاغ) متعلق بامره وقيل بالمكاشفة (للمخالفين) متعلق بالبلاغ أى من خالفه فيما

بلغه لهم عن ربه ويجوز فى قوله بالمكاشفة والبيان ان يراد به المبارزة والاظهار للابلاغ من غير مبالاة باحد
فهو متعلق بامره فاذا لم يبارزهم به فكأنه لم يفعل (وأن ابلاغه) بفتح همزة أن وهو معمول لقدر أى
واعلمه ان تبليغه لما أمر به (ان لم يكن بهذه السبيل) أى على هذه الحالة والطريقة من تبليغ جميعه
واظهاره والصدع به (فكأنه ما بلغ) أصلا لانه كالعدم كمن ترك ركنا من أركان الصلاة لا يعتد بصلاته
وأنث اسم الاشارة لان السبيل تذكر وتؤنث (وطيب نفسه) طيب النفس جعلها مسرورة غير مكدرة
ولا خائفة من شئ (وقوى قلبه) أى كان قويا متحققا انه لا يصيبه مكروه ويقابله ضعفه وهو خوفه
مما يتوهمه (بقوله والله يعصمك من الناس) أى يحميك ويصونك عنهم حتى لا يقدر أحد على شئ
يضرك وهذه الآية ان كانت نزلت بعد أحد فهى على عمومها وكان قبل نزولها له صلى الله عليه وسلم حرس
يحرسونه فلما نزلت ترك ذلك وان كانت نزلت قبلها فالمراد عصمته من القتل فلا ينافى ما أصابه باحد
من جراحته وكسر ثنيته لحكمة تطيبا لقلوب المؤمنين وتكثير الثواب فمن ظن من تلاقى الحـ. وبان
لا يصاب فقد ظن عجزا (كما قال الله) عز وجل (لموسى وهارون) عليهما الصلاة والسلام حين أرسلهما
الى فرعون وقومه الجبابرة (لا تخافا انني معكما) أى حافظا وناصرا لكما على هؤلاء مع عتوهم وتجبرهم
فبلغا أوامرى واصدعا بالحق (لتشتد) أى تقوى وتزيد شدة (بصائرهم) أى موسى وهارون ومحمد
صلى الله تعالى عليه وسلم فيكونوا على بصيرة ويقين فى أمورهم (فى الابلاغ) أى تبليغ ما أرسلوا به لهم
(واظهار دين الله) من غير خوف (ويذهب عنهم) بالبناء للمجهول والنصب معطوفا على تشتد (خوف
العدو) لوعده تعالى بحفظهم ونصرهم عليهم (المضعف للنفس) صفة خوف اسم فاعل بتخفيف العين
وتشديدها أى المؤدى لضعف نفس من خاف فهو بنون وفاء وسين مهملة وروى لليقين بياءين تحتيتين
وقاف بينهما ونون والاول أولى رواية ودراية لان يقين الانبياء عليهم الصلاة والسلام بربهم قوى أبدا
وان جاز ضعف أنفسهم بمقتضى البشرية ويؤيده بل يعينه قوله فأوجس فى نفسه خيفة موسى
والخوف من المضمرات أمر طبع عليه البشر مع انهم على يقين من أن الله هو الضار النافع وهو لا ينافى
التسليم والتوكل ألا تراهم خندقوا فى الاحزاب وهاجروا من عدوهم ودخلوا الغار وهو بحسب المقامات
فلا يرد عليه ان بعض الاولياء لا يفر من الاسد (وأما قوله تعالى ولو تقول علينا بعض الاقاويل الآية)
تقدم انه ليس فيه شين له صلى الله تعالى عليه وسلم (وقوله اذا لاذقناك ضعف الحياة فمعناه ان هذا)
العذاب المضاعف فى الدنيا والآخرة (جزاء من فعل هذا) التقول والافتراء على الله (وجزاؤك لو كنت
ممن يفعله) فاذا هدد به من لا يصدر عنه فما بالك بغيره (وكذلك) أى مثل ما ذكر فى الآيتين (قوله وان
تطع أكثر من فى الارض يضلوك عن سبيل الله) الخطاب له صلى الله تعالى عليه وسلم ظاهرا (والمراد
غيره) بطريق التعريض قرعا للعصاة وايقاظا لهم وتحريكا لغفلتهم لارتفاع قدره صلى الله تعالى عليه
وسلم عن ارتكاب مثله (كما) صرح تعالى بالمراد اذ (قال) مخاطبا لهم صريحا (ان تطيعوا الذين كفروا
الآية) يعنى قوله يردوكم على اعقابكم فتنقلبوا خاسرين فان الخطاب للمنافقين اذ قالوا للمؤمنين باحد لما

(وان ابلاغه ان لم يكن بهذه السبيل) أى الطريق المرضى (فكأنه ما بلغ) والمعنى انه عليه الصلاة والسلام كان خائفا من وقوع
تقصير له فى هذا المقام ولذا عقبه (وطيب نفسه) أى اراحه من تعبه (وقوى قلبه) بتوفيق ربه وتحقيق أمره (بقوله والله يعصمك
من الناس) أى مما بين الناس من ان تقع منك معصية أو تقصير فى طاعة وهذا المعنى هو المناسب لهذا المقام كما يشير اليه السابق
واللاحق للكلام وهو قوله تعالى والله لا يهدى القوم الكافرين وهو لا ينافى ماذكر بعضهم فى معناه انه سبحانه
يعصمه من تعرض الكفار له بقتل ونحوه ففيه تنبيه نبه على انه لابد له من اكمال تبليغه وهذه التسلية له عليه الصلاة والسلام (كما قال لموسى وهرون عليهما السلام لا تخافا انني معكما) أى حافظكما وناصركما على أعدائكما وهذا كله (لتشتد بصائرهم) أى لتقوى سرائرهم (فى الابلاغ) ويروى فى البلاغ أى فى باب تبليغ الرسالة (واظهار دين الله تعالى) فى كل حالة (ويذهب) بضم الياء وكسر الهاء وفى نسخة بفتحها أى وليزيل أو يزول (عنهم خوف العدو المضعف) بتخفيف العين وتشديدها أى الموهن (للنفس) وفى نسخة صحيحة لليقين (وأما قوله تعالى ولو تقول علينا بعض الاقاويل الآية) وقد سبقت (وقوله اذا لاذقناك ضعف الحياة فمعناه ان هذا) يجوز
كسر همزه وفتحه والاشارة الى ماذكر من الاخذ والاذاقة (جزاء من فعل هذا) أى الافتراء والميل الى كلام الاعداء (وجزاؤك لو كنت)
أى فرضا (وتقديرا) مما يفعله أى يتصور له فعله (وهو لا يفعله) أى لا يجيء منه فعله وفى هذا مبالغة للزجر عما ذكر لغيره ممن يتصور
منه فعله (وكذلك) أى ومثل ما تقدم من التأويل (قوله وان تطع أكثر من فى الارض يضلوك عن سبيل الله) أى ولو كان الخطاب له
بظاهره (فالمراد غيره) مبالغة فى زجره عن مخالفة أمره (كما قال) أى الله تعالى مخاطبا للامة (يا أيها الذين آمنوا) على سبيل الحقيقة (ان
تطيعوا الذين كفروا الآية) أى يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين وقد نزلت حين قال المنافقون للمؤمنين باحد عند انهزامهم

اذا رجف بقتل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كذبا ارجعوا الى اخوانكم وادخلوا في دينهم ولو كان محمد نبيا لما قتل ثم العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب (وقوله) أي وكذلك قوله تعالى (فان يشأ الله يختم على قلبك ولئن اشركت ليحبطن عملك وما أشبهه فالمراد غيره) أي حقيقة ولو كان الخطاب له مجازا فيكون فيه تعريض لاستيقاظ الامة من نوم الغفلة (وان هذه) أي العقوبة المتفرعة (حال من اشرك) ومآل وبال من كفر ومن لم يوحد الله تعالى به وما أقر (والنبي عليه الصلاة والسلام لا يجوز عليه هذا) أي الاشراك لعصمته من ذلك اجماعا (وقوله اتق الله ولا تطع الكافرين) مبتدأ وكان المصنف قدر فيه أما أو توهم فاخبر عنه بقوله (فليس فيه انه أطاعهم) اذ لا يلزم من النهي عن الاطاعة مخالفة الطاعة (والله سبحانه ينهاه عما يشاء) حيث قال ولا تطع الكافرين (ويأمر بما يشاء) حيث قال اتق الله ٣٨ (كما قال ولا تطرد الذين يدعون ربهم الآية) أي بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين (وما كان طردهم عليه الصلاة والسلام ولا كان من الظالمين) والتحقيق في مقام العصمة انه يامره بالموافقة ولا ينهاه عن المخالفة لانه لا يتصور منه هذه الحالة فاما ان يحمل الآيتان على ما سبق من سائر الآيات أو على انه أريد به التهييج والاثبات أو الامتنان عليه بهذه العصمة والثبات في الحياة الى الممات

(فصل) (وأما عصمتهم من هذا الفن) أي من نوع المعصية مع الاجماع على عصمتهم من الكفر (قبل النبوة

أرجف بقتله صلى الله تعالى عليه وسلم ارجعوا الى اخوانكم وادخلوا في دينهم فلو كان محمد نبيا ما قتل (و) كذلك (قوله فان يشأ الله يختم على قلبك) خوطب والمراد غيره (و) كذلك قوله تعالى (لئن أشركت ليحبطن عملك) كما تقدم بيانه (وما أشبهه) مما خوطب به (فالمراد) به (غيره) تعريضا وايقاظا (وان هذه) الحال المذكورة من الاحباط ونحوه (حال من اشرك) بالله لا حاله صلى الله تعالى عليه وسلم (والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم لا يجوز عليه هذا) فلا بد من تأويله بما مر (و) أما (قوله) تعالى (اتق الله ولا تطع الكافرين) في رأيهم بما تقدم (فليس فيه انه أطاعهم) وانما نزلت لما بايعه بعض اليهود على نفاق منهم فكان صلى الله عليه وسلم يداريهم رجاء أن يحسن اسلامهم وليس في الآية انه صلى الله عليه وسلم فعل ما نهى عنه ولما استشعر سؤالا وهو أن يقال حيث كان الامر كما ذكر فلم نهى عنه اجاب عنه بقوله (والله سبحانه) يعامل نبيه صلى الله عليه وسلم بما لا يجوز أن يعامل به غيره ولا يسئل عما يفعل فله أن (ينهاه عما يشاء) وان لم يتصور صدوره منه (ويأمره بما يشاء) وان لم يتصور مخالفته له كقوله اتق الله و(كما قال تعالى) له (ولا تطرد الذين يدعون ربهم) أي يعبدونه وقوله (الآية) اشارة لقوله بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين (وما كان) صلى الله تعالى عليه وسلم (طردهم) عن مجلسه (ولا كان من الظالمين) أي ممن ظلمهم بطردهم وهم احقاء بتقريبهم واكرامهم وان لا يطيع فيهم من يبتغي خلافه ارضاءه له وكان المشركون قالوا لا نرضى مجالسة مثل هؤلاء يعنون سلمان وصهيبا وبلالا وحسان فاطردهم عنك وطلبوا ان يكتب لهم بذلك فقاموا وجلسوا ناحية فنزلت الآية فنهاه عما قالوه كما في مسلم وانما هم بذلك رجاء لاسلامهم مع ان ذلك لا يضر أصحابه لعلمه صلى الله تعالى عليه وسلم باحوالهم ورضاهم بما يرضاه كما فسره المفسرون

(فصل وأما عصمتهم) أي حفظ الله أنبيائه عليهم السلام (من هذا الفن) أي اعتقاد ما لا يليق في التوحيد والعلم بالله وصفاته وبما أوحى اليه من أمور الدين كما تقدم (قبل النبوة) أي قبل ان يبعثهم الله ويأتيهم الوحي من الله والنبوة والرسالة والفرق بينهما مشهور وليس هذا محل تفصيله (فالناس) من علماء الاصول والسلف (فيه خلاف) جرى بينهم مذكور في كتبهم (والصواب) أي القول الموافق للواقع والادلة التي على خلافه خطأ من قاله (انهم معصومون) أي محفوظون

فالناس فيه خلاف) ففي شرح العقائد للعلامة التفتازاني الانبياء معصومون من الكذب خصوصا فيما يتعلق بامر الشرائع وتبليغ الاحكام وارشاد الامة أما عمدا فبالاجماع وأما سهوا فعند الاكثرين وفي عصمتهم من سائر الذنوب تفصيل وهو انهم معصومون عن الكفر قبل الوحي وبعده بالاجماع وكذا عن تعمد الكبائر عند الجمهور خلافا للحشوية وأما سهوا فجوزه الاكثرون وأما الصغائر فتجوز عمدا عند الجمهور خلافا للجبائي واتباعه وتجوز سهوا بالاتفاق الا ما يدل على الخسة كسرقة لقمة وتطفيف حبة لكن المحققون اشترطوا أن ينبهوا عليه فينتهوا عنه هذا كله بعد الوحي وأما قبله فلا دليل على امتناع صدور الكبيرة وذهب المعتزلة الى امتناعها والحق منع ما يوجب النفرة كعهر الامهات والفجور والصغائر الدالة على الخسة اذا تقرر هذا فما نقل عن الانبياء عليهم الصلاة والسلام مما يشعر بكذب أو معصية فما كان منقولا بطريق الآحاد فمردود وما كان بطريق التواتر فمصروف عن ظاهره ان أمكن والا فمحمول على ترك الاولى أو كونه قبل البعثة وتفصيل ذلك في الكتب المبسوطة (والصواب انهم معصومون

محفوظون مصونون (قبل النبوة من الجهل بـ) معرفة ذات (الله تعالى) بوجوه ما أو بحقيقته (وصفاته) فلا يجهلون شيأ منها (و) معصومون أيضا من (التشكيك فى شئ من ذلك) وفى نسخة أو التشكيك بالعطف باو الفاصلة أى لا يقع فى نفسهم شك فى ذات الله تعالى ولا فى صفة من صفاته لان فطرتهم جبلت على التوحيد والايمان وأما قوله تعالى ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان والمراد به الايمان بما لا يعرف الا بالوحى كوجوب الصلاة ونحوه من فروع الشريعة وقوله من الجهل بيان لما قصد من العصمة فلا وجه لما قيل انه أطلق فيما منه العصمة وكان عليه أن يعينه وهذا أظهر من الشمس لا يخفى على ذى بصيرة وقد تقرر أن العصمة عند المتكلمين ان لا يخلق الله فى النبى ذنبا وعند الحكماء ملكة تمنع من الفجور حاصلة من العلم بالقبائح والمحاسن فانه الزاجر عن المعاصى والداعى للطاعة ويتأكد فى الانبياء بالوحى الالهى وقيل العصمة خاصة فى النفس أو البدن بسببها يمتنع عن صدور الذنب وياباه انه لو كان كذا ما استحق المدح والثواب لانها ليست داخلة تحت الاختيار وهم مكلفون بالاتفاق وفى التحرير لابن الهمام العصمة عدم القدرة على المعصية أو خلق مانع منها غير ملجئ وهو مناسب لقول الماتريدى العصمة لا تزيل المحنة أى الابتلاء المقتضى لبقاء الاختيار ومعناه كما فى الهداية انها لا تجبره على الطاعة ولا تعجزه عن المعصية بل هى لطف من الله تعالى يحمله على فعله ويزجره عن الشر مع بقاء الاختيار تحقيقا للابتلاء ٭ واعلم ان العلامة القرافى قال فى التقييد شرح الاربعين الرازية العصمة لغة الامتناع ومنه العصم لبعض الوحش لبعده عن مظان الاذى وامتناعه واستعصم الرجل امتنع ومنه عصمة الزوجية وحملة الشرع يطلقون العصمة على معنيين أحدهما عدم المعصية فى الجملة ومنه قولهم فى الدعاء نسئلك من العصمة تمامها والثانى عصمة الانبياء والملائكة عن الكفر دون سائر البشر مع ان الله أثنى على الخلق بدوام الايمان فلا بد من تفسير عصمة الانبياء بغير عدم الكفر ومنع الله منه حتى يصح قولنا ليس أحد منا معصوما وان كنا غير كافرين مساوين للانبياء فى ذلك فتميزهم انما هو باعلام الله تعالى لنا أنه صانهم فى قضائه وقدره عن الكفر وقدر لهم السعادة الابدية حتما مقضيا فهذا الاعلام الربانى هو عصمة الانبياء والملائكة ومجموع الامة دون كل واحد منهم انتهى (وقد تعاضدت) أى تقوت وهو ماخوذ من العضد وهو ما بين المرفق الى الكتف ولكون عمل الانسان واعتماده بذلك قيل عضدته بمعنى قويته كما أشار اليه الامام الراغب (الاخبار والآثار) هما بمعنى وقد يفرق بينهما كما تقدم أى قوى كل منهما الآخر حتى حصلت القوة التامة والمراد بها ما اشتهر من أحوالهم وصفاتهم المأثورة المعروفة عند كل أحد (عن الانبياء) كلهم والمرسلين باسرهم وليس المراد أنه نقل عنهم بل عرف منهم وفى حقهم فن قدرهنا وعن غيرهم لم يصب (بتنزيههم) أى تبرئتهم (عن هذه النقيصة) بصاد مهملة أى الصفة المنقصة لمن اتصف بها (منذ ولدوا) أى من ابتداء زمن ولادتهم الى آخر عمرهم والكلام على مذ ومنذ معروف فى كتب النحو (ونشأتهم) بالجر معطوف على تنزيههم والنشأة ابتداء خلقهم لا زمن شبابهم كما توهم (على التوحيد) وهو عدم الشرك بالله تعالى (والايمان) بالله وبكل ما يجب الايمان به (بل) للانتقال على سبيل الترقى (على اشراق أنوار المعارف) جمع معرفة والمراد معرفة الله تعالى وصفاته وكل ما يتعلق به واشراقها سطوع أنوارها منهم وشدة ظهورها فى أحوالهم وأقوالهم (ونفحات ألطاف السعادة) والنفحة الرائحة الطيبة التى تفوح والسعادة أى كونهم سعداء الدارين فشبه ما يلوح منهم من آثارها برائحة طيب يعبق منهم فيعطر الكون وفى الحديث ان لله فى أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها (كما نبهنا عليه فى الباب الثانى من القسم الاول من كتابنا هذا) فمن أراده ينظره ثمة (ولم ينقل أحد من أهل الاخبار) عن أحد غيره (ان أحدا نبئ)

قبل النبوة من الجهل بالله تعالى وصفاته) أى الثبوتية والسلبية والفعلية والاضافية (والتشكك وروى أو التشكك) والاول أولى ومعناه التردد (فى شئ من ذلك) أى من جميع جهاته المتعلقة بالامور الدينية والاخروية (وقد تعاضدت الاخبار والآثار) أى وتعاونت وتواترت الانباء (عن الانبياء بتنزيههم عن هذه النقيصة) أى منقصة الجهل فى مرتبة المعرفة (منذ ولدوا) فهم معصومون قبل البلوغ أيضا عن الكفر والاصرار على المعصية (ونشأتهم) أى وبخلقتهم وفطرتهم وتربيتهم (على التوحيد والايمان) أى فى أعلى مراتب الايقان ومناقب الاحسان (بل على اشراق أنوار المعارف) واطلاع اسرار العوارف (ونفحات ألطاف السعادة) ورشحات اشراف الزيادة (كما نبهنا عليه فى الباب الثانى من القسم الاول) أى فى فصل الخصال المكتسبة (من كتابنا هذا ولم ينقل أحد من أهل الاخبار) أى لا من الكفار ولا من الابرار (ان أحدا) من الناس (نبئ) ويروى تنبأ أى جعل نبيا فى مقام الاستئناس

(واصطفى) أى اختير عليهم (ممن عرف بكفر واشراك) عطف خاص على عام (قبل ذلك) أى قبل ظهور النبوّة واظهار الرسالة (ومستند هذا الباب) أى مرجع هذا النوع من الكلام (النقل) أى الثابت فى مقام المرام (وقد استدل بعضهم) أى على عصمة الانبياء من بعض افراد المعصية على تقدير وقوعها منهم (بان القلوب تنفر عمن) ويروى عن كل من (كانت هذه

سبيله) فيفوت غرض التبليغ تحصيله (وأنا أقول ان قريشا) وهم عمدة قبائل العرب (قد رمت نبينا عليه الصلاة والسلام بكل ما افترته) أى ذمته بجميع ما قدرت عليه من نسبته الى المشية (وعير) بتشديد التحتية أى عاب (كفار الامم أنبياءها بكل ما أمكنها) أى من المعايب (واختلقته) بالقاف أى اخترعته من جميع المثالب (مما نص الله تعالى عليه) أى صرح به من الجنون والسحر والشعر والتعلم والافتراء وطلب الجاه وامثال ذلك فى نسخة بالقاف بدل النون (ونقلته الينا الرواة) أى عن كفار الامم من الطعن فى الرسل (ولم نجد فى شئ من ذلك) أى من نص الحق ورواية الخلق (تعييرا لواحد منهم) يحتمل أن يكون الواحد معرفا وقع مضافا اليه وان يكون تعييرا مفعول لم نجد ولواحد متعلق به (برفضه) أى بترك نبى (آلهته) أى من الاصنام بعدما كان يلتزم عبادتها (وتقريعه) أى وبتوبيخه (بذمه) متعلق بتعيير الواحد منهم (بترك ما كان قد جامعهم) أى وافقهم (عليه) أى فى أول أمره ولو فى حال صغره (ولو كان) أى وجد لاحد منهم (هذا) أى الامر المخالف للدين المنافى لتوحيد ارباب اليقين (لكانوا) أى الكفار (بذلك) أى باظهار ما ذكر (مبادرين) أى مسارعين الى تعييره فى تغييره (وبتلونه) أى تغيره وانتقاله

عن

بالبناء للمجهول وهمز آخره أى صيره الله نبيا (واصطفى) أى اصطفاه الله واختاره لذلك وهو مجهول أيضا (ممن عرف بكفر واشراك) وهو من عطف الخاص على العام (قبل ذلك) أى قبل نبوّته واصطفائه (ومستند) اسم مفعول أى ما يستند اليه ويعلم به (هذا الباب) أى باب معرفة أحوال الانبياء عليهم الصلاة والسلام (النقل) عن أهل الاخبار والآثار ويؤيده العقل الدال على أنه تعالى لا يختار من خلقه لنبوّته الا من كان كذلك فليس المراد الحصر ولذا عقبه بما يدل على ان العقل موافق للنقل فقال (وقد استدل بعضهم) عليه (د) دليل عقلى وهو (ان القلوب) والعقول السليمة (تنفر) أى تكره فكأنها تفر (عمن كانت هذه) أى صفة الكفر والشرك (سبيله) أى طريقه والمراد عادته ودأبه قيل ان فيه اشارة الى ان منهم من خالف فى ذلك فجوز عدم عصمتهم عن الكفر قبل النبوّة الا انه ليس بصواب وقد نقل عن الباقلانى انه جوزه عقلا وان لم يقع ان الله بعث كافرا ولا فاسقا وفى المواقف اجتمعت الامة على عصمتهم عن الكفر قبل النبوّة وبعدها كما تقدم (وأنا أقول) ناقلا لما يؤيد ذلك (ان قريشا قد رمت نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم بكل ما افترته) عليه وأصل الرمى فى الاعيان كرمى السهم والحجر واستعير للشتم والقذف والرجم والمراد انها ذمته ونسبته لكل نقيصة مثل قولهم انه ساحر أو مجنون أو شاعر أى لم تترك شيئا من مفترياتها التى وسعتها قوتهم حتى افترته عليه (وعير) بفتح العين المهملة وتشديد الياء المثناة التحتية وراء مهملة (كفار الامم أنبياءها) وفى نسخة أنبياءهم أى نسبوهم للعار وهو الامر الذى يستقبح وينفر منه وقال الراغب عيرته ذممته من العار وقولهم تعاير بنو فلان قيل معناه تذاكروا العار وقيل تعاطوا العيارة أى فعل العير فى الانفلات والتخلية ومنه عارت الدابة انتهى فالمعنى عيروهم (بكل ما أمكنها) وفى نسخة أمكنهم أى تيسر لهم وجاز صدوره منهم (واختلقته) وكذبت عليهم بوصفهم بما ليس فيهم وأصل اختلاق الشئ اختراعه من غير سبق لمثله فيعم كل كذب (مما نص الله عليه) أى ذكره فى كتابه الكريم وفى غيره من الكتب الالهية من تكذيبهم ورميهم بانواع البهتان (أو نقلته الينا الرواة) نقلا مستفيضا بحيث لا يمكن انكاره (ولم نجد فى شئ من ذلك) أى من الكتب الالهية والاخبار المروية أو المراد ما نقلته الرواة لقوله (تعيير الواحد منهم) أى من الانبياء عليهم الصلاة والسلام أى نسبتهم لعار بذمهم ووصفهم (برفضه) أى تركه (بعد اتباعه) آلهته ان كان هذا الضمير راجعا لمن عير المعلوم من السياق فالامر واضح لا لواحد لانه من الانبياء وليس لهم آلهة اللهم الا أن يكون على طريق الفرض فحينئذ يصح تفسير ذلك بالكتب الالهية والاخبار فاعرفه (وتقريعه) أى توبيخه وتعييره (بذمه) أى ذم أحد من الانبياء (بترك ما كان) النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (قد جامعهم) أى وافقهم واجتمع معهم (عليه) أى على عبادته كما فعلوا ولو كان هذا (لكانوا) أى كفار الامم (بذلك) أى تعييره وتوبيخه برجوعه عن عبادة آلهتهم التى كان موافقا لهم على عبادتها (مبادرين) بدال وراء مهملتين أى مسارعين له لذكره مقدمين له على جميع ما افتروه (وبتلونه) بالباء الجارة ومثناة فوقية ولام مفتوحتين وواو مكسورة مشددة ونون وضمير مضاف اليه مصدر تلون تلونا اذ تغير وتنقل من حال الى حال آخر تفعل من اللون كالبياض والصفرة تجوز به عن الاحوال كما عبر به

(في معبوده) أي معبود غيره (محتجين) أي مستدلين على تقريعه وتوبيخه (ولكان توبيخهم) أي لومهم (له بنهيهم عما كان يعبد قبل) أي قبل دعوى النبوة (افظع) بالفاء والظاء المعجمة أي أشنع في النسبة (واقطع) أي امنع (في الحجة من توبيخه بنهيهم عن تركهم آلهتهم) التي يدعون من دون الله (وما كان يعبد آباؤهم من قبل ففي اطباقهم على الاعراض عنه) أي عن توبيخ أحد منهم بعبادة غير الله (دليل على انهم لم يجدوا سبيلا اليه) أي الى نقله (اذ لو كان النقل) أي عنهم (وما سكتوا عنه) فانهم كانوا يفترون عليه ما لم يكن فيه موجودا فكيف اذا وجدوا اليه سبيلا محققا مشهودا (كما لم يسكتوا عند تحويل القبلة) أي صرفها عن الكعبة الى بيت المقدس أو عن بيت المقدس الى الكعبة وروى عن تحويل القبلة (وقالوا) أي كفار مكة أو اليهود (ما ولاهم

عن الاجناس والانواع قال الراغب يقال فلان أتى بالوان من الاحاديث وتناول الوانا من الطعام (في معبوده) أي ما يعبده متعلق بتلونه المتعلق بقوله (محتجين) أي مقيمين الحجة والدليل فيقولون أنت لا تستقر على دين تارة تعبد هذا وتارة تعبد ذاك فاصرفك عن معبودك الاول ومعبود قومك (ولكان توبيخهم له) أي توبيخ كفار كل أمة لنبيهم (بنهيهم) مصدر مضاف للمفعول أي نهي النبي لامته (عما كان يعبد قبل) أي قبل نبوته (افظع) بفاء وظاء معجمة أي أشد فظاعة وهي الشناعة والقباحة (واقطع) بقاف وطاء مهملة أي اقوى وأشد قطعا (في الحجة) أي الدليل الذي استدلوا به عليه (من توبيخه) هو المفضل عليه فيهما على التنازع أو التجاذب (بنهيهم عن تركهم آلهتهم) ان قيل الظاهر عن آلهتهم وترك تركهم أو عن تركه قيل ضمير نهيهم للكفار وضمير تركهم للانبياء عليهم الصلاة والسلام (وما كان يعبد آباؤهم من قبل) أي قبل أنبيائهم (ففي اطباقهم) أي اتفاق كفار الامم واجماعهم يقال أطبق القوم على كذا اذا اتفقوا (على الاعراض عنه) أي عن التوبيخ بما ذكر وهو أقوى وأظهر في احتجاجهم على رسلهم (دليل على انهم لم يجدوا سبيلا) وطريقا موصلا (اليه) في نص أو خبر وأثر (اذ لو كان) لهم سبيل اليه (لنقل) بالبناء للمجهول أي نقل الرواة لهم ذلك ونقل لنا من بعدهم احتجاجهم به ولم ينقله أحد (و) لو نقل لهم ذلك (ما سكتوا عنه) بل بادروا اليه قبل كل شئ (كما لم يسكتوا) أي الكفار (عن) وفي نسخة عند (تحويل القبلة) عن بيت المقدس الى الكعبة فانهم وبخوا به وشنعوا حين سفههم الله فقال سيقول السفهاء الآية (وقالوا ما ولاهم) أي صرفهم (عن قبلتهم التي كانوا عليها) في أول امرهم (كما حكاه الله عنهم) في القرآن والكلام عليه مفصل مشهور في كتب التفسير والحديث (وقد استدل القاضي القشيري) هذا هو الامام عبد الرحيم بن الامام عبد الكريم بن هوازن الاستاذ أبو نصر بن الاستاذ أبي القاسم القشيري صاحب الرسالة المجمع على جلالته وعلمه وزهده وامامته تخرج على امام الحرمين توفي سنة اربع عشرة وخمسمائة بنيسابور وله عدة أولاد كما فصله البرهان الحلبي وقال انه لم يل هو ولا أحد من أولاده القضاء فقول المصنف رحمه الله تعالى له القاضي لا أصل له وما قيل انه شخص آخر غير هؤلاء احتمال واه لنقله عن شخص غير معلوم موهم لغير مراده (على تنزيههم عن هذا) أي عن الكفر والاشراك بالله قبل النبوة لا عن نقيصة الجهل بالله وصفاته والشك في شئ لعدم مناسبته لما بعده وان كان منزها عن ذلك أيضا (بقوله تعالى واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك الآية) تقدم ان الميثاق العهد وهو مأخوذ من الوثاق وهو حبل يشد به الاسير

عن قبلتهم التي كانوا عليها) أولا من الكعبة أو بيت المقدس (كما حكاه الله تعالى عنهم) بقوله سيقول السفهاء من الناس الآية (وقد استدل القاضي القشيري) لعله أبو نصر عبد الرحيم ابن الاستاذ أبي القاسم القشيري صاحب الرسالة أجمع على جلالته وامامته ارتفع على امام الحرمين وعلى أبيه واعتقل لسانه في آخر عمره وكان دائم الذكر وكان لا يتكلم الا بآي القرآن توفي سنة أربع عشرة وخمسمائة بنيسابور ولابي القاسم القشيري ولد آخر اسمه عبد الرحمن كنيته أبو منصور أحد أولاده من فاطمة بنت أستاذ أبي على الدقاق وكان مستوعب العمر بالعبادة مستغرق الاوقات بالذكر والتلاوة ومات سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة بمكة مجاورا كان له ولد آخر اسمه عبد الله أكبر أولاده وكان من أكابر الامة فقها وأصولا كان والده يحترمه ويعامله معاملة الاقران مولده سنة أربع عشرة وأربعمائة ومات سنة سبع وسبعين وأربعمائة قال الحلبي هذا الذي عرفته من أولاده ولم أر فيهم أحدا قاضيا والله سبحانه وتعالى أعلم والحاصل انه استدل (على تنزيههم) أي براءة ساحتهم (عن هذا) عن مثل ما ذكر من الشرك والكفر (بقوله تعالى واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم) أي عهدهم بتبليغ الرسالة والدعاء الى التوحيد والديانة (ومنك الآية) أي ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم فخص أولو العزم من الرسل وقدم نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم اما التعظيم رتبته واما التقديم حقيقة نبوته بتقديم روحه ونوره في عالم ظهوره الاولى في بدء أمره وآخر عصره فهو كالعلة الغائية متقدم الوجود متأخر الشهود وتتمة الآية وأخذنا منهم ميثاقا غليظا أي عظيما ولعل هذا الميثاق

استعير للعهد كما استعير له الحبل كما ورد فى الحديث بيننا و بينهم حبال وتمام الآية ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم وأخذنا منهم ميثاقا غليظا وخص هؤلاء بالذكر لشرفهم وقدم نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم لشرفه وفضله على جميع الانبياء والميثاق الذى أخذ عليهم هو تبليغ الرسالة ودعوة الخلق الى دين الاسلام وان يصدق بعضهم بعضا و يبشر به وكان هذا حين كتب وقدر كل ما هو كائن وقال مجاهد انه كان فى عالم الذر ووجه الاستدلال على أحد الوجهين انه اذا عهد اليهم قبل ظهورهم بتبليغ دينه وتوحيده فكيف يصدر عنهم ما يخالفه قبل النبوة و بعدها وهو معنى قوله عليه الصلاة والسلام كل مولود يولد على الفطرة الحديث (و بقوله تعالى واذ أخذ الله ميثاق النبيين الى قوله لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم (لتؤمنن به ولتنصرنه) فعهد اليهم أنفسهم أو الى أولادهم فهو على تقدير مضاف واكتفى بذكر أنبيائهم أو سماهم أنبياءهم كما لقولهم نحن أحق بالنبوة من محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وقد قدمنا الكلام على هذه الآية وان للسبكى فيها تأليف مستقل لخصناه فيما مر (قال) القشيرى (فطهره الله) أى برأه ونزهه عما لا يليق بعلى قدره (فى الميثاق) أى حين أخذ الميثاق عليهم فى عالم الازل (و بعيد) غاية البعد عند العقول السليمة (ان يأخذ) الله (منه) صلى الله تعالى عليه وسلم (الميثاق) والعهد الوثيق المحكم بالايمان وأمور الدين كله وكذا اخوانه من الانبياء والمرسلين (قبل خلقه) وظهوره فى عالم الارواح والذر وآدم بين الماء والطين (ثم يأخذ ميثاق النبيين) بما عهد اليهم (بالايمان به) أى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم (ونصره) على أعدائه ان أدرك زمانه فيتبعه و يكون من أمته (قبل مولده) أى زمان ولادته صلى الله تعالى عليه وسلم (بدهور) جمع دهر وهو الزمان الطويل كما قيل

ان دهرا يلف شملى بسعدى * لزمان يهم بالاحسان

(ويجوز) بتشديد الواو ويجوز تخفيفها ايضا من الجواز أو التجويز وهو منصوب معطوف على يأخذ أى وان يجوز الى آخره ويجوز رفعه بتقدير وهو يجوز (عليه الشرك أو غيره من الذنوب) والضمائر عائدة عليه صلى الله تعالى عليه وسلم فلا يجوز عليه ولا على غيره من الانبياء الشرك ولا غيره من الذنوب بعد أخذ الميثاق عليهم قبل خلقهم بالايمان واقامة شرعه القويم (هذا) أى تجويز الشرك والذنوب بعد اصطفائهم وأخذ الميثاق عليهم (ما) أى أمر وشئ (لا يجوزه) عليه وعليهم (الا) شخص (ملحد) فاسق العقيدة عادل عن طريق الحق ونهج الصواب يقال لحد اذا حفر حفرة مائلة عن الوسط كلحد القبر ثم عم لكل ميل يقال لحد وألحد وشاع فى الميل عن الحق وصار حقيقة فيه (هذا) المذكور (معنى كلامه) أى كلام القشيرى واستدلاله على ما ذكر قال (وكيف يكون ذلك) وفى نسخة وكيف ذلك وفى أخرى فكيف وهو اسم استفهام عن الكيفية والهيئة التى وقع عليها الامر تجوز به عن التعجب الانكارى فهو انكارى لتجويز ما ذكر عليه بانكار حالته التى يكون عليها لان كل امرئ لا ينفك عن حالة وصفة يكون عليها فاذا أنكرت حالته لزم انكار وجوده كناية على وجه برهانى أقوى من انكاره ابتداء كما قرره فى قوله تعالى كيف تكفرون بالله وذلك اشارة لتجويز ما ذكر (وقد أتاه جبريل) عليهما الصلاة والسلام كما تقدم عن أنس وفى رواية مسلم (وشق قلبه صغيرا) أى فى حال صغره وهو عند مرضعته حليمة كما تقدم تفصيله (واستخرج منه علقة) أى قطعة صغيرة من دم متجمد يشبه العلقة

فى عالم الارواح أو كان لهم ميثاق خاص فى ضمن عموم ميثاق أهل الاشباح (و بقوله تعالى واذ أخذ الله ميثاق النبيين الى قوله تعالى لتؤمنن به ولتنصرنه) أى لما أتيتكم بفتح اللام وقرأ حمزة بكسرها وقرأ نافع لما آتيناكم من كتاب وحكمة أى نبوة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه فقيل المراد برسول فرد من افراد هذا الجنس فالتنوين للتنكير وقيل المراد به رسولنا صلى الله تعالى عليه وسلم بخصوصه فيكون التنوين للتعظيم و يؤيده أنه عليه الصلاة والسلام قال لو كان موسى حيا ما وسعه الا اتباعى ثم هذا الميثاق يحتمل فيما قدمناه أن يكون جملة ويحتمل ان كل نبى حين اعطائه سبحانه وتعالى له النبوة أخذ منه هذه البيعة على هذه الموافقة والمتابعة (قال) أى القاضى القشيرى (فطهره الله تعالى فى الميثاق) باماطة ما لا يليق بكريم قدره واحاطة ما يناسب تعظيم أمره (و بعيد ان يأخذ) أى الله تعالى (منه الميثاق قبل خلقه ثم يأخذ ميثاق النبيين بالايمان به ونصره) أى و باعانة دينه وتقوية أمره (قبل مولده بدهور) أى بازمنة طويلة (ويجوز عليه الشرك) ويروى الشك ويجوز فى يجوز بتشديد الواو المفتوحة أو المكسورة (أى وغيره من الذنوب) أى الكبائر وكذا الاصرار على الصغائر فهذا هو المستبعد غاية البعد والواو للحال (هذا) أى امكان صدور الكفر والشرك منه (ما لا يجوزه الا ملحد هذا معنى كلامه) أى القشيرى ولعله المعزوفة اقتصر بعض مرامه (فكيف يكون ذلك) أى مجوزا (وقد أتاه جبريل) كما رواه مسلم عن أنس (وشق قلبه) أى صدره كما فى نسخة (صغيرا) أى حال صغره وهو يلعب مع الغلمان فأخذه فصرعه فشق عن قلبه (واستخرج منه علقة) أى تكون للشيطان بها علقة

المعر وفة (وقال) جبريل عليه الصلاة والسلام (هـذا) المستخرج (حظ الشيطان منك) أى نصيبه فى وسوسته لبنى آدم الذى يسره من غيرك لقبوله ما يلقيه له فباخراجه لم يبق له عليه سبيل كغيره من الانبياء عليهم الصلاة والسلام لقوله تعالى ان عبادى ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين و جعلها نفس الحظ مبالغة تقدم فيه كلام نفيس (ثم غسله) بماء زمزم والكوثر كما تقدم أى قلبه الشريف (وملأه حكمة وايمانا) تمثيل لاستقرارهما فيه أو انه تعالى جسم ذلك بقدرته وقد تقدم الكلام عليه مفصلا فى قصة الاسراء (كما تظاهرت) أى اشتهرت وقويت من قولهم ظاهره اذا أعانه (به) أى بشق صدره الشريف صلى الله تعالى عليه وسلم وقد وقع مرارا كما تقدم (أخبار المبدأ) أى الاحاديث الصحيحة الواردة فى ابتداء أمره ونبوته فهو مصدر ميمى أو اسم زمان أو مكان والاول أظهر (ولا يشبه عليك) بضم أوله وفتح ثانية الموحدة المشددة مبنى للجهول أى لا يشتبه عليك و يوقعك فى شبهة ولبس كقوله تعالى ولكن شبه لهم وهذه شبهة شرع فى دفعها لايهامها فى حق الانبياء عليهم الصلاة والسلام ما يخالف ما قدمه فى تنزيههم عن الشك فى معرفة الله وصفاته (بقول ابراهيم) أى بسبب قول الخليل عليه الصلاة والسلام لما جن عليه الليل (فى الكوكب) اذ رآه طالعا (والقمر) اذ رآه بازغا (والشمس هذا ربى) هذا أكبر الآية أى لا تقع فى شبهة مما وقع لابراهيم عليه الصلاة والسلام فى اطلاقه على هذه الكوكب ربا وهو من كبار أولى العزم وذلك اشارة الى ما روى وهو انه عليه الصلاة والسلام لما كان فى السرب قال لامه من ربى قالت أنا قال فمن ربك قالت أبوك قال فمن رب أبى قالت اسكت فقالت لابيه الغلام الذى تحدثوا بانه يغير دين أهل الارض هو ابنك وأخبرته بما قال ثم أتاه أبوه فقال له مثل ذلك فلطمه ثم قال لابويه أخرجانى من السرب فاخرجاه فنظر ابلا وغيرها سارحة فقال لابد لهذه من خالق يطعمها ويسقيها وتفكر فى خلق السموات والارض فقال ان الذى خلقنى ورزقنى هو ربى لا اله سواه ثم نظر الى كوكب طلع وهو المشترى أو الزهرة طالعة فقال هذا ربى الى آخر ما قصه الله تعالى عنه وهذا ما ذكره أهل الاخبار والى جواب هذه الشبهة أشار المصنف رحمه الله تعالى بقوله (فانه قد قيل كان هذا فى سن الطفولية) هو مصدر طفل اذا كان طفلا أى ولدا صغيرا كما تقدم لكن الذى ذكره الراغب وغيره ممن يعتمد عليه من أهل اللغة لانه يقال طفل طفولة وطفالة فاذا كانت الطفولية مصدر الا يحتاج لياء النسبة التى تصير بها الجوامد مصادر فان مثله سماعى كالخصوصية كما فصله المرزوقى وغيره من أئمة اللغة الا ان المصنف رحمه الله تعالى ثقة فلعله وقف عليه (وابتداء النظر والاستدلال) على وحدانية الله تعالى ووجوده لقوله تعالى وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه (وقبل لزوم التكليف) فى ابتداء تمييزه من غير ثبات على ما قاله بل أراد الاستدلال على وجود صانع قديم لا يجرى عليه تغير الا انه جواب ضعيف لاقتضائه صدور شك منه فى صغره ومثله لا يليق بمثله عليه الصلاة والسلام وكونه تنبيها لابويه وقومه على خطئهم فى عبادة غير الله جواب آخر فادخاله فى الكلام هنا غير مناسب لمنافاته لقوله وابتداء النظر الى آخره (وذهب معظم الحذاق) جمع حاذق وهو من له ذكاء وفهم ومعظم بمعنى أكثر (من العلماء والمفسرين) اشارة الى ضعف ما قبله وان قائله لا يعتد به (الى انه) عليه الصلاة والسلام (انما قال ذلك) أى هذا ربى الى آخره (تبكيتا) وفى نسخة مبكتا ويناسبها المعطوف الآتى (لقومه) لانهم كانوا يعبدون الكواكب والتبكيت بالمثناة الفوقية والموحدة وكاف ومثناة تحتية ساكنة وآخره مثناة فوقية وهو اللوم والتقريع يقال بكته اذا عنفه

(وقال هذا حظ الشيطان منك) أى صورة لو تركناها على تلك الحالة بلا طهارة كاملة تكون حائلة (ثم غسله) أى جبريل فى طست من ذهب بماء زمزم حتى ذهب عنه الحجاب الصورى وانكشف له النقاب النورى (وملأ حكمة) أى ايقانا واتقانا (وايمانا) أى تصديقا وبرهانا ثم لأمه وأعاده فى مكانه وجاء الغلمان يسعون الى أمه يعنى ظئره فقالوا ان محمدا قد قتل فاستقبلوه وهو منتقع اللون قال أنس فكنت أرى أثر المخيط فى صدره كذا فى المصابيح (كما تظاهرت) أى تواترت وتظافرت (به أخبار المبدأ) أى أحاديث بدء خلقته وظهور آثار نبوته الى منتهى نعته فى أسرار رسالته ولا يخفى انه عليه الصلاة والسلام شق صدره مرتين مرة فى حال صباه عند مرضعته حليمة ومرة ليلة المعراج على ما تقدم والله أعلم (ولا يشبه) بتشديد الموحدة المفتوحة أى لا يلتبس (عليه) الامر فى تصويب العصمة عن المعصية قبل النبوة (بقول ابراهيم فى الكوكب والقمر والشمس هذا ربى) فانه بظاهره ينافى ما قدمناه على اطلاقه واجمعوا على انه لم يكن فى حال كبره (فانه قد قيل كان هذا فى سن الطفولية وابتداء النظر والاستدلال) أى فى قضية الربوبية (وقيل لزوم التكليف) أى بالامور الشرعية (وذهب معظم الحذاق) جمع حاذق بالذال المعجمة المهرة المتقنين (من العلماء والمفسرين الى انه) أى ابراهيم (انما قال ذلك) أى هذا ربى (مبكتا) بتشديد الكاف المكسورة أى حال كونه موبخا (لقوله

ومستدلا عليهم) أي بيطلان دينهم وماتخيل اليهم (وقيل) كان الظاهر ان يقال فقيل بفاء التفريع لتبيين وجه التبكيت والتفريع (معناه الاستفهام) أي المقدر في الكلام (الوارد مورد الانكار) أي لتتميم المرام (والمراد أفهذا ربي) وفيه انه يكفي ان يقال أهذا ربي (وقال الزجاج قوله هذا ربي أي على قولكم) يعني في زعمكم (كما قال) أي الله سبحانه وتعالى حكاية عما يقوله يوم القيامة مخاطبا للكفرة (أين شركائي أي عندكم) وفي رأيكم (ويدل على انه) أي ابراهيم (لم يعبد شيأ من ذلك) أي مما ذكر من الكوكب والقمر والشمس (ولا أشرك بالله تعالى قط) أي أبدا (طرفة عين) أي غمضة ولمحة (قول الله تعالى عنه) أي حكاية (اذ قال لابيه وقومه ما تعبدون) انكارا عليهم (ثم قال) أي بعد جوابهم له كما قال تعالى حكاية عنهم قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين (أفرأيتم) أي أخبروني (ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الاقدمون) أي اسلافكم المتقدمون (فانهم عدو لي) أي فلا أعبد شيأ منها (الا رب العالمين) استثناء منقطع أي لكنه ودودلي فاعبده وحده لانه موصوف بنعوت الكمال الذي خلقني فهو يهدين والذي هو يطعمني ويسقين واذا مرضت فهو يشفين والذي يميتني ثم يحيين والذي أطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين (وقال) أي الله تعالى في حقه ويروى وقوله (اذ جاء ربه بقلب سليم أي من الشرك) وسائر العقائد الدينية والاخلاق الردية (وقوله) أي كما حكاه عنه سبحانه (واجنبني) أي وبعدني (وبني) أي من صلبي (أن نعبد الاصنام) وثبتنا على دين الاسلام (فان قلت فما معنى قوله) أي بعد غيبوبة القمر وأفوله (لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين قيل انه) أي معناه (ان لم يؤيدني) أي ربي (بمعونته)

واستقبله بمكروه أو غلبه بحجة وكله صحيح هنا وفي الكشاف انه قول من ينصف خصمه مع علمه انه مبطل وهو جواب آخر قريب مما ذكر (ومستدلا عليهم) لالزام الحجة لان الظهور والاحتجاب تغير يؤذن بالحدوث مناف للالوهية فاراد ارشادهم الى النظر بارخاء العنان حتى ينقادوا للحق من غير عناد (وقيل معناه) أي معنى قوله هذا ربي هذا أكبر (الاستفهام) الانكاري بتقدير الهمزة كما بينه بقوله (الوارد مورد الانكار) الذي صدر منه مصدر الانكار لا على طريق الشك ولا الاعتقاد ولا بعد فيه وان كان الاصل عدم التقرير (والمراد فهذا ربي) أي يليق بمثله ان يكون ربا معبودا (وقال الزجاج قوله هذا ربي أي على قولكم) وفي نسخة قولهم أي حكاية لقول الخصم حتى يكر عليه بالابطال كما تقدم في كلام الكشاف (كما قال) الله تعالى في آية أخرى (أين شركائي) فاضافهم الى نفسه لما ألهم تهكما منه (أي عندكم) أي كونهم شركاء على زعمهم وادعائهم كما في هذه الآية فسماهم الله شركاء باعتبار اعتقادهم الفاسد وقومه ان كانوا يعبدون الكواكب فظاهر وان كانوا يعبدون الاصنام فابطال الوهية الاجرام العلوية النيرة يقتضي ابطال غيره بالطريق الاولى وفي شرح المواقف هذا الكلام صدر عن الخليل عليه الصلاة والسلام قبل تمام النظر في معرفة الله وكم بينه وبين نبوته اذ لا يتصور نبوة الا بعد تمام ذلك النظر فلا اشكال أو يختار انه لم يعتقده فيكون كذبا صادرا قبل البعثة أو هو على سبيل الفرض ارشادا لقومه كما في برهان الخلف أي الكواكب لو كانت أربابا كما يزعمون لزم ان يكون الرب متغيرا وذلك باطل وفيه ما فيه (ويدل على انه) أي الخليل عليه الصلاة والسلام (لم يعبد شيئا من ذلك) أي من جنس الكواكب والاوثان (ولا أشرك قط) لاستغراق الازمنة (بالله) عز وجل (طرفة عين) أي في أقل الازمنة وطرفة العين مقدار تحريك جفنها من أعلى لاسفل ويكنى به عن غاية القلة وطرفة مصدر منصوب على الظرفية الزمانية ومثله كثير (قول الله) فيما حكاه (عنه اذ قال لابيه) آزر (وقومه ما تعبدون) سائلا لهم مضيفا العبادة لهم قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين الآية (ثم قال) ابراهيم عليه الصلاة والسلام لهم (أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الاقدمون فانهم عدو لي الا رب العالمين) يريد انهم أعداء لعابديهم لتضررهم بعبادتهم فوق ضرر أعدى أعدائهم وهو الشيطان فصور الامر في نفسه تعريضا لهم فانه أنفع في النصح من التعريض واشعارا بانها نصيحة بدأ فيها بنفسه ليكون ادعى الى القبول كما قاله البيضاوي وقوله الا رب العالمين استثناء منقطع والقول بان هذا لا يتم لاحتمال انه بعد النبوة لا وجه له وفي المقام كلام يضيق عنه البيان هنا فحسبك ما فيه شفاء الصدور (وقال اذ جاء ربه بقلب سليم أي من الشرك) فسلامته منه دليل على انه لم يعرض له أصلا (وقوله واجنبني وبني ان نعبد الاصنام) أي باعد بيننا وبين عبادتها فهذا يدل على انه هو وذريته لم يصدر منهم شيء من ذلك (فان قلت فما معنى قوله) أي قول ابراهيم عليه الصلاة والسلام بعد أفول القمر (لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين) فانه ربما يتوهم منه انه في شبهة ما (قيل) في الجواب (انه) أراد به الاستيقان بربه وقد استعجز نفسه وعلم انه انما يهتدي بتوفيق الله تعالى له فقال لقومه (ان لم يؤيدني) أي يقويني

(بعونته) أى توفيقه وعصمته (اكن مثلكم فى ضلالتكم وعبادتكم) أى لا اشكم فهو وانما قال ذلك المقال (على معنى الاشفاق والحذر) عن ان يقع فى الوبال بحسب المآل (والا فهو معصوم فى الازل من الضلال) والاظهر انه اظهار تلذذ بتلك الحال وتحدث بنعمة الله الملك المتعال هذا والازل هو القدم واصله لم يزل ء لما نسب اليه اختصر فقيل يزلى بالياء ثم ازلى بالهمز بدلا منه (فان قلت فما معنى قوله) أى الله سبحانه وتعالى (وقال الذين كفر والرسلهم لنخرجنكم من ارضنا ٤٥ أولتعودن فى ملتنا) أقسموا الا يكونن أحد الامرين اما اخراجهم من قريتهم أو عودهم فى ملتهم ولم يكونوا قط على طريقتهم (ثم قال) أى الله تعالى (بعد) أى بعد ذلك (عن الرسل) هذه البعدية لان الآية الآتية انما هى فى شعيب حيث قال له قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أولتعودن فى ملتنا قال أولو كنا كارهين (قدافترينا الآية) فهذا جواب عن شعيب ومن تبعه من المؤمنين ويمكن حمل العود على التغليب الا كما قال المصنف عن الرسل اللهم الا ان يتكلف ويقال التقدير قدافترينا نحن معاشر الانبياء وطائفة المؤمنين من الاولياء على الله كذبا أى فى دعوى التوحيد ان عدنا فى ملتكم بعد اذنجانا الله منها وعصمنا من الركون اليها (فلا يشكل عليك لفظة العود) بناء على توهم انه بمعنى الرجوع فى هذا المقام (وانها تقتضى) أى حينئذ (انهم) أى الانبياء (انما يعودون) ويروى انهم يعودون (الى ما كانوا) ويروى لما كانوا (فيه من ملتهم) أى فان هذا المعنى خطأ فاحش وللعود معان (فقد تاتى هذه اللفظة فى كلام العرب) أى احيانا (لغير ماليس له ابتداء) كذا فى بعض النسخ والصواب كما فى بعضها لما ليس له ابتداء كما بينه بقوله (بمعنى الصيرورة كما فى حديث الجهنميين) على ما فى الصحيحين عن أبى سعيد الخدرى (عادوا حمما) بضم الحاء المهملة وفتح الميم أى صاروا فحما سودا قد امتحشوا

(بعونته اكن مثلكم) أيها القوم (فى ضلالتكم وعبادتكم) لغير الله تعالى وانما قال هذا وهو مهتد بلا شك (على معنى الاشفاق) على قومه ترحما لهم (والحذر) أى الخوف من الله والاحتراز عما هم فيه (والا) أى وان يحمل ما ذكره على هذا لم يكن لذكره هنا فائدة (فهو معصوم فى الازل) قديما فى قضاء الله له بالسعادة وتطهير فطرته (من الضلال) وهذا السؤال وارد على ما قرره من عصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام عن الريب والشبهة وبعض الشراح هنا خاطب ليل تركناه ما كثر به سواده (فان قلت فما معنى قوله) تعالى فى سورة ابراهيم عليه الصلاة والسلام (وقال الذين كفر والرسلهم لنخرجنكم من ارضنا أولتعودن فى ملتنا) فالعود يقتضى انهم كانوا على دينهم وكفرهم وهم معصومون من ذلك قبل البعثة وبعدها كما تقدم فالآية يشكل ظاهرها عليهم (ثم قال) الله عز وجل (بعد) بالبناء على الضم أى بعد قول الذين كفر وا ماذكر وقيل بعد قوله لنخرجنكم من ارضنا الآية وسياتى ما فيه (عن الرسل) أى حاكيا عنهم وما تقدم كان محكيا عن قومهم لا عنهم والثانى أظهر فى الاشكال لان قومهم قد يظنون انهم قبل البعثة كانوا على دينهم وأما الرسل فعلى يقين من خلافه فكيف يصح منهم ان يفتر وا ويرد على التقدير الثانى ان قوله تعالى (قدافترينا على الله كذبا ان عدنا فى ملتكم بعد اذنجانا الله منها) ليس بعد هذه الآية فان الاولى فى سورة الاعراف وهذه فى سورة ابراهيم وكونها بعدها فى النزول يحتاج الى نقل وقيل انها بعدها فى الجملة لان القصة واحدة وهى قصة شعيب وليس المراد بالرسل جميعهم بل الجنس الصادق على الواحد وقد وقع جوابا للكفرة فهو أقوى فى الشبهة فانهم لا يقولون على أنفسهم مالم يتصفوا به لانهم منزهون عن الكذب ومعنى قدافترينا على الله التعجب أى ما اكذبنا على الله ومعنى نجانا الله منها عصمنا عن الميل اليها فضلا عن الدخول فيها او جواب الشرط مقدر يدل عليه ما قبله وهو ماض لفظا مستقبل معنى لدخول حرف الشرط عليه تقديرا وقد مقربة له للحال اذا عرفت هذا (فلا تشكل عليك لفظة العود) بمعنى الرجوع الى الكفر المقتضية لاتصافهم به أولا وهم معصومون منه قبل البعثة وبعدها كما قرره أولا فتشكل هى (وانها تقتضى) أى تستلزم بحسب الدلالة (انهم) أى الرسل (انما يعودون) أى يرجعون (الى ما كانوا فيه) أى داخلين فيه ومتصفين به (من ملتهم) يعنى الكفر لان الملة تطلق عليه كالدين (فقد تاتى هذه اللفظة) أى لفظة العود وردت كثيرا (فى كلام العرب) الفصحاء (لغير ماليس له) أى لما لم تثبت له (ابتداء) أى قبل حاله التى هو عليها مما ينافيها (بمعنى الصيرورة) وهى وجود الشئ بعد ان لم يكن تقول صار فلان كذا وصار غنيا بعد فقره وفى المحصول ان ما صار اليه شرع نسخ وقيل الصائر لذلك أممهم فادخلوا فيه بطريق التغليب أو هو باعتبار ظنهم وزعمهم أو على حد قولهم ضيق فم الركية بجعل المتوهم كالمتحقق وفيه كلام فى شرح المفتاح وحواشيه (كما جاء فى حديث الجهنميين) أى الحديث الذى فى حق أهل جهنم المروى فى الصحيحين عن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه (عادوا حمما) بضم أوله وفتح ثانيه بزنة صرد أى سودا كالفحم جمع

حمة وأوله اذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار يقول الله تعالى من كان في قلبه حبة خردل من ايمان فاخرجوه فيخرجون قد امتحشوا وعادوا حمما فيلقون في نهر الحياة فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل وعاد هنا بمعنى صار (ولم يكونوا) أي الجهنميون (قبل ذلك كذلك) أي حمما (ومثله) أي مثل الحديث في ان عاد بمعنى صار وحدث وان لم يكن موجودا قبل (قول الشاعر) هو أمية ابن أبي الصلت من قصيدة مدح بها سيف بن ذي يزن ملك اليمن لما ظفر بالحبشة وقد غلبوا على ملكهم فغزاهم ونفاهم عن بلاده وذلك بعد مولد النبي صلى الله عليه وسلم بسنتين فأتته وفود العرب تهنيه وفيهم قريش وعبد المطلب فانشده أمية ابن أبي الصلت

لا يطلب النار الا كابن ذي يزن * يتمم البحث للاعداء جوالا
أتى هرقلا وقد شالت نعامته * فلم يجد عنده للنصر تسئالا
ثم انتحى نحو كسرى بعد سبعة * من السنين يهين النفس والمالا
حتى أتى ببني الاحرار يقدمهم * تخالهم فوق متن الارض اجبالا

الى ان قال فيها

فاشرب هنيئا عليك التاج مرتفعا * في رأس غمدان دارا منك محلالا
قد ليط بالمسك اذ شالت نعامتهم * واسبل اليوم من برديك اسبالا
تلك المكارم لا قعبان من لبن * شيبا بماء فعادا بعد أبوالا

وعارضها بعضهم بقصيدة منها في مدح الصوفية فقال

لله تحت قباب العز طائفة * اخفاهم في ثياب الفقر اجلالا
هم السلاطين في أثواب مسكنة * استعبدوا من ملوك الارض اقيالا
غبر ملابسهم شم معاطسهم * جروا على فلك العلياء اذيالا
هذي المناقب لا ثوبان من عدن * خيطا قميصا فعادا بعد اسمالا
هذي المكارم لا قعبان من لبن * شيبا بماء فعادا بعد أبوالا

والقصيدة الاولى بتمامها في ديوانه وفي كثير من كتب الادب والتاريخ والسير باسانيد صحيحة ولها قصة مشهورة وفيها البشارة ببعثة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كما فصله وليس الشعر المذكور منها كما توهمه من لا خبرة له بالادب واساليب كلام العرب وليس كما قيل لابي الصلت ولا للاعشى ولا للنابغة ولا لعمر بن عبد العزيز وانما تمثل رضي الله تعالى عنه بهذا البيت فتوهم الحافظ الحلبي انه له وهذا مثل في الفخر بمعالي الامور وعدم التنزل لسفسافها وشيبا بمعنى خلطا ومزجا والعقب اناء معروف يقول انك في معال وقصور رفيعة متلذذا بالخمور أم الشرور وتجود بالاموال لست كعرب البادية الذين جودهم بقي ضيفانهم لبنا بماء مزج به يعود في يومه بولا مراقا وجودك بمكارم وأموال تبقى عند من انعمت عليه فشتان بينك وبين غيرك فعادا هنا بمعنى صارلانه لا يتصور انهما كانت بولا قبل ذلك واليه أشار بقوله (وما كان) ماذكر (قبل ذلك كذلك) أي بولا وهو ظاهر وانما أطلنا فيه لما في الشرح هنا

عجز بيت صدره تلك المكارم لا قعبان من لبن شيبا بماء فعادا بعد أبوالا وفي بعض النسخ المعتمدة البيت بكماله أي هذه المناقب الجميلة وهي المكارم التي يترتب عليها المراتب الجزيلة ولا قعبان ضبط بكسر النون على انه تثنية القعب وهو بفتح القاف وسكون العين المهملة فوحدة القدح الضخم ويروى الرجل وفي بعض النسخ بفتح النون على البناء وشيبا بصيغة المجهول أي خلطا فعادا أي القعبان والمراد ما فيهما من اللبن بذكر المحل وارادة الحال كقوله تعالى واسئل القرية بعد أي بعد شربهما أي صارا أبوالا واستحالا بهما (لا) (وما كانا) أي ابن القعبين (قبل) أي قبل شربهما (كذلك) أي أبوالا هنالك وأما ماذكره الانطاكي شاهدا على ان عاد بمعنى صار من قوله تعالى حتى عاد كالعرجون القديم ومن قول ابن قتادة النعمان انه دخل

من

على عمر بن عبد العزيز فقال له من انت يا فتى فقال
أنا ابن الذي سالت على الخد عينه * فردت بكف المصطفى احسن الرد فعادت كما كانت لاحسن حالها * فيا حسنها عينا ويا حسن ما ايد
وكان قد اصيبت عين قتادة يوم احد ووقعت على وجنته فردها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال عمر بن عبد العزيز بمثل
هذا فليتوسل الينا المتوسلون ولا يخفى ان العود فيهما بمعنى الرجوع فليس ذكرهما في محله

(فان قلت فما معنى قوله تعالى ووجدك ضالا فهدى فليس) أي فنقول ليس (هو من الضلال الذي هو الكفر) أي اجماعا لما سبق من الدليل نقلا وعقلا واختلف في المراد به (قيل ضالا عن النبوة) أي غافلا عنها أو غير عارف بها

(فهداك اليها) ويروى وهداك ذكره الحجازي وهو الملائم للآية (قاله الطبري) وهو محمد بن جرير (وقيل ووجدك بين أهل الضلال فعصمك من ذلك) أي الحال (وهداك الى الايمان) على وجه الكمال (والى ارشادهم اليه) بحسن المقال (ونحوه عن السدي وغير واحد وقيل ضالا عن شريعتك أي لا تعرفها) الا بالهام أو وحي (فهداك اليها) أي تارة بالوحي الجلي وأخرى بالخفي (والضلال هنا التحير) أي الناشئ عن عدم المعرفة (ولهذا كان عليه الصلاة والسلام يخلو بغار حراء) بالصرف وعدمه (على ما سبق ضبطه) في طلب ما يتوجه به الى ربه من قطع العلائق ودفع العوائق (ويتشرع به) أي يطلبه شرعا يمشي في طريقه ويعمل على وفقه ويروى يسرع من الاسراع بالسين المهملة وعند شارح قائلا انه بخط المؤلف يشرع بضم الياء وسكون الشين المعجمة وكسر الراء رباعيا من أشرع جعله شريعة (حتى هداه الله الى الاسلام) أي الى شرائعه الاعلام وتفاصيله من الاحكام (قال) وفي نسخة حكى (معناه) أي معنى الكلام الذي قدمناه (القشيري) أي الاستاذ وولده

من الخلط ثم أورد سؤالا آخر على ما قرره من عصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام فقال (فان قلت فما معنى قوله تعالى ووجدك ضالا فهدى) الخطاب له صلى الله تعالى عليه وسلم وأصله فهداك فحذف المفعول رعاية للفاصلة فانه يقتضي نسبته صلى الله تعالى عليه وسلم للضلال قبل البعثة والضلال شرعا اما بالكفر أو بارتكاب المعاصي وهو صلى الله تعالى عليه وسلم منزه عنهما وجوابه قوله (فليس هو من الضلال الذي هو الكفر) فانه صلى الله تعالى عليه وسلم معصوم من المعاصي قبل النبوة وبعده فضلا عن الكفر فاذا كان كذلك (قيل) معناه هنا (ووجدك ضالا عن النبوة فهداك اليها) لان الضلال معناه لغة العدول عن الطريق المستقيم وضده الهداية فكل عدول ضلال سواء كان عمدا أم لا فمعناه غير مهتد لما سبق لك من النبوة كقوله فعلتها اذا وأنا من الضالين كما يأتي (قاله) أي التفسير المذكور محمد بن جرير (الطبري) وقد قدمنا ترجمته (وقيل) في معناه وتأويله (ووجدك بين أهل الضلال فعصمك) عن ان تنظم في سلكهم وتعد منهم فصانك (من ذلك) أي من الضلال وموافقة أهله فيه (وهداك للايمان بالله) ومعرفته اذ جعل له فطرة تلك ثم أودع ما يرشدك له بعقلك السليم أي أرشدك له بالوحي (والى ارشادهم) أي ارشاد من لم يكن مهتديا بالحق افعال من الرشد ضد الغي وهو قريب من الهداية كما قاله الراغب وله معان أخر (اليه) أي الايمان وسلوك الطريق المستقيم بتبليغ ما أوحي اليه (ونحوه) أي قريب منه ومشابه له ونحوه نقل (عن السدي) رحمه الله وتقدمت ترجمته (و) نقل ذلك أيضا عن (غير واحد) أي عن ناس كثيرين من أهل التفسير فعلى هذا الضلال بمعناه المشهور وليس متصفا ولكنه لكونه بين أهله أطلق عليه مجازا بعلاقة المجاورة وليس من قبيل قولهم بنو فلان قتلوا قتيلا كما لا يخفى ولم يبين وجهه الشراح هنا (وقيل) معناه المراد (ضالا عن شريعتك) التي أوحيها الله سبحانه وتعالى اليك (أي لا تعرفها) قبل أن أوحي اليك فالضلال بمعنى الغفلة وقد ورد بهذا المعنى كقوله ان تضل احداهما الاخرى كما قيل له صلى الله تعالى عليه وسلم بعدما أوحي اليه فلا تكن من الغافلين ويأتي أيضا انه بمعنى النسيان واستدل له بهذه الآية ومثله قبل البلاغ ليس بنقص كذا قيل (فهداك اليها) وذلك الى ما لا تعرفه وأنت طالب له فعلمك ما لم تكن تعلم وقوله (والضلال ههنا) أي في هذه الآية على هذا القول (التحير) أي الوقوع في الحيرة حتى لا يدري أين يذهب وما يفعل

حيرة تمت فاي فتى * رام عرفا فلم يحر

لا يناسبه فانه ليس للغافل والناسي حيرة فالظاهر تفسيره بعدم المعرفة كما صرح به ومن لم يعرف شيئا وطلبه تحير فتدبر (ولهذا كان صلى الله عليه وسلم) قبل نزول الوحي عليه (يخلو) أي يختلي ويعتزل الناس (بغار حراء) بالصرف وعدمه اسم جبل بمكة كما تقدم (في طلب ما يتوجه به الى ربه) أي بسبب تصفية باطنه وأعمال فكره في وسيلة توصله الى الله (ويتشرع به) أي يتخذه شريعة وعبادة تقربه لربه وفي نسخة يشرع بلا تاء بضم أوله وبكسر ثالثه وشينه معجمة وقيل انه بسين مهملة من الاسراع في أصل المصنف رحمه الله تعالى وقيل الرواية الصحيحة في الاصول الاول وهو الاظهر ولم يزل صلى الله تعالى عليه وسلم يفعل ذلك (حتى هداه الله) ودله دلالة موصلة (الى الاسلام) الدين الحق بما جاء عن الله كما تبين في بدء الوحي (قال) أي حكى كما في نسخة (معناه) الامام (القشيري) التي تقدمت ترجمته يعني أنه صلى الله عليه وسلم كان موحدا في أول أمره طالبا لاتمام النعمة عليه بهدايته لما يرضيه ويكمله في عليه

(وقيل لاتعرف الحق) أى الاجمالا (فهداك اليه) أى مفصلا (وهذا مثل قوله تعالى وعلمك مالم تكن تعلم) أى من امور الدين وأحكام اليقين (قاله على بن عيسى) الظاهر ان هذا هو الرمانى المتكلم النحوى على ماذكره الحلبى ويروى قال على بن

بذلك (وقيل) معنى ضالا (لاتعرف الحق) أى الدين الحق لانه لايعرف الابالوحى (فهداك اليه) بما أوحاه له (وهذا) فى المعنى (مثل قوله) عز وجل (وعلمك مالم تكن تعلم) من الشرع وأحكامه أومن خفيات واسرار الله تعالى التى لم تقف عليها ومعنى مالم تكن تعلم مالم يكن فى قوتك وقدرتك علمه ولذا عدل عما لم تعلم وهو أظهر وأما كونه لغوا لان كل أحد انما يعلم مالم يعلم اذتعلم مايعلم تحصيل للحاصل وكذا قال السبكى فى عروس الافراح وغيره ان قوله علم الانسان مالم يعلم بتقدير مالم يكن يعلم فليس بشئ لانه للامتنان أو بتاويل مالم يكن من قامك علمه والوقوف عليه ومر لهذا تتمة عن بعض حواشى المطول (قاله على بن عيسى) الامام فى العربية والكلام شارح الكتاب المعروف بالرمانى وقد تقدمت ترجمته (قال ابن عباس) رضى الله تعالى عنهما فى تفسير هذه الآية (لم تكن له) أى من شأنه وصفته (ضلالة معصية) أى ليس الضال هنا بمعنى مرتكب المعاصى لعصمة الله تعالى له فالضلال مؤول ومفسر بعام (وقيل) معنى (هدى) هنا (أى بين أمرك) للناس (بالبراهين) والادلة القاطعة لعرق الشبه فيك وفيما جئت به حتى صرت لاتخفى على أحد والبرهان الدليل اليقينى ومن تفسيره الهداية علم معنى ضالا وانه وجدك خفيا وكنزا مخفيا لم يعرفه الناس ولم يطلعوا على شانه وعلو قدره فاظهره الله تعالى حتى ذاع وشاع وملأ الافكار والاسماع وتقدير مفعوله على هذا هدى الناس كلهم وهدى العقول (وقيل) معناه (ووجدك ضالا بين مكة والمدينة فهداك الى المدينة) بان جعلها دار هجرتك ومثواك فالمراد انه بعد البعثة ودعوة الناس لدينه مع ماكان عليه قومه فى القيام عليه صلى الله تعالى عليه وسلم وأذيته وهجرة بعض المسلمين للحبشة كان فى حيرة مترددا فى الاقامة بمكة والهجرة للمدينة يرجو أن يؤذن له فى الهجرة اليها حتى أذن الله تعالى له فى ذلك كما فصل فى السير (وقيل المعنى وجدك) قائما باعباء الرسالة وتبليغها وهو عالم بذلك قبل وقوعه ولكن هو تمثيل وتنويه بامره ومحبة الله تعالى له فكأنه أمر مطلوب لعظيم عثر عليه كما يقال العلم ضالة المؤمن (فهدى بك ضالا) بارشادك له فضالا مفعول لهدى قدم عليه لرعاية الفاصلة وليس صفة له حتى يتوجه السؤال وهو وجه متكلف عهدته على قائله لاناقله (وعن جعفر بن محمد) هو جعفر الصادق الذى تقدم ومحمد هو الباقر زين العابدين (قال جعفر معناه (ووجدك ضالا عن محبتى لك) أى لم يظهر لك أى انى اتخذتك حبيبا لى مقربا عندى (فى الازل) أى فى القدم قبل خلقك (أى لاتعرفها) هو معنى ضالا (فمننت عليك بمعرفتى) أى أنعمت وتفضلت لانى أحبك وهو تفسير لقوله فهدى فعلى هذا لايتوهم فيه نقص لان معناها ليس أحد أكرم على منك قال فى المجمل الازل القدم وأصله انهم قالوا للقديم لم يزل ثم نسبوا اليه باختصار فقالوا يزل ثم أبدلوا الياء همزة فهو من النحت عنده وقال غيره هو من الازل وهو الضيق لضيق القلوب عن تقديره وهى كلمة محدثة (وقرأ الحسن بن على) بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهما (ووجدك ضال) بالرفع والضلالة صفة لغيره على هذه القراءة الشاذة فلا يرد السؤال (فهدى) فهو على هذا لازم (أى اهتدى بك) لسعادة الدارين أو المعنى فهداه الله بك وجوز أيضا على القراءة المشهورة أن يكون فاعل وجد ضمير الواجد المفهوم منه وضالا حال من هذا الضمير وهو بعيد (وقال ابن عطاء) فى تفسير الآية (ووجدك ضالا أى محبا لمعرفتى) فهداك بانوار هدايته وعنايته ولما كان هذا خلاف المشهور فى اللغة بينه بقوله (والضال) ورد بمعنى (المحب كما قال) الله (تعالى انك لفى ضلالك القديم) هو من كلام اخوة يوسف عليه الصلاة والسلام لابيهم حكاه الله تعالى عنهم (أى) فارادوا انك على

عيسى (قال ابن عباس لم تكن له ضلالة معصية) بالاضافة وفى نسخة ضلالة فى معصية أى لاجلها يقع فى وبالها بل ضلالة لم يدر طريق كمالها (وقيل هدى بين أمرك بالبراهين) أى الادلة القاطعة والبينة الساطعة (وقيل وجدك ضالا بين مكة والمدينة) أى ما تدرى ما محياك ومماتك (فهداك الى المدينة) وجعلها محل حياتك ومنزل وفاتك وهدى بك أقواما كانوا عن الحق غافلين وآخرين كانوا له مذعنين وآخرين كانوا له معاندين (وقيل المعنى ووجدك) أى هاديا (فهدى بك ضالا) يعنى فقدم وآخر مراعاة للفواصل وهذا بعيد عن القواعد القوابل (وعن جعفر) أى الصادق (بن محمد) أى الباقر بن زين العابدين ابن الحسين بن على (ووجدك ضالا) أى حال بدء التجلى الاول (عن محبتى لك فى الازل أى لاتعرفها) على الوجه الاكمل (فمننت عليك بمعرفتى) لتعرف بها محبتى (وقرأ الحسن بن على ووجدك ضال) أى بالرفع على انه فاعل أى متحير فى الحال (فهدى) أى اهتدى بك (محبتك) فى المآل ونال مقام الوصال (وقال ابن عطاء ووجدك ضالا أى محبا لمعرفتى) فهداك الى طريق محبتى وسبيل مودتى (والضال المحب) أى فى بعض اللغات (كما قال) أى الله سبحانه وتعالى حكاية عن بنى يعقوب مخاطبين (لابيهم انك لفى ضلالك القديم أي

محبتك القديمة ولم يريدوا ههنا) ويروى هنا أي الضلال (في الدين اذلو قالوا ذلك في نبي الله) أي يعقوب (لكفروا) أي بيقين (ومثله) أي في مبناه ومعناه (عند هذا) أي ابن عطاء (قوله) أي الله سبحانه حكاية عنهم (انا لنراها في ضلال مبين أي محبة بينة) أي ليوسف ومودة ظاهرة من كثرة التلهف والتأسف وفسر بعضهم الضلال في هذه الآية بالخطأ حيث اختار محبة الصغير على محبة أولاده الكبار العشرة الذين هم عصبة وارباب قوة وشوكة (وقال الجنيد) هو أبو القاسم القواريري نسبة لبيع القوارير وهو الزجاج المشهور بسيد الطائفة وشيخ الطريقة أصله من نهاوند ومولده ومنشأه بالعراق كان شيخ وقته وفريد عصره وكلامه في الحقيقة معروف مدون وتفقه على أبي ثور احد أصحاب الشافعي وكان يفتي في حلقته وعمره ٤٩ عشرون سنة كذا ذكر السبكي وقال

(محبتك القديمة) ليوسف عليه الصلاة والسلام لا تنساه وهذا منقول عن قتادة وسفيان وقيل ارادوا بضلاله خطؤه وقيل جنونه من حب يوسف عليه الصلاة والسلام كما قاله الحسن (ولم يريدوا) أي لم يقصدوا أولاد يعقوب عليه الصلاة والسلام (ههنا) أي فيما حكي عنهم في هذه الآية ضلالة (في الدين) بان يعتقدوا خطؤه في دينه باعتقاد ما يخالفه أو اصراره على ما ينافيه (اذلو قالوا ذلك) معتقدين مثله (في نبي الله) الذي عصمه الله عن الخطأ في دينه علما وعملا (لكفروا) في اختراعهم على نبي الله ونسبته لما لا يليق به وتحقيره ومثله كفر في الشرع فاذا فسر الضلال بالمحبة (ومثله) أي مثل كون الضلال بمعنى المحبة في هذه الآية (انا لنراها في ضلال مبين) هو في حق زليخا وقد شغفها حب يوسف عليه الصلاة والسلام (أي) فان المناسب للامه بمعنى (محبة بينة) أي ظاهرة مكشوفة لافتضاحها (عند هذا) أي ابن عطاء الذي فسر الضلال بالمحبة فوضع اسم الاشارة موضع الضمير لتميزه اكمل تميز وفي بعض النسخ ومثله عند هذا الخ (وقال الجنيد) رحمه الله تعالى في تأويل هذه الآية وهو أبو القاسم بن محمد الزاهد العابد شيخ وقته ووحيد عصره وأصله من نهاوند ونشأ بالعراق وتفقه باخذه عن الثوري رحمه الله تعالى وسفيان وأخذ الطريقة عن السري السقطي والمحاسبي توفي سنة سبع وتسعين ومائتين وهو من فقهاء الشافعية كما في طبقات السبكي ودفن بالشونيزية عند خاله السري ببغداد (ووجدك متحيرا في بيان ما انزل اليك) من القرآن تفسير لقوله ضالا (فهداك لبيانه) باظهاره وبيان ما خفي من معانيه في حال تبليغه لامته (لقوله وانزلنا اليك الذكر الآية) المراد بالذكر القرآن لما ذكر من التذكير والموعظة لتبين للناس ما نزل اليهم مما خفي عليهم فالضلال التحير فيما شق عليه في ابتداء أمره ومثله لا ضير فيه (وقيل) معناه (ووجدك ضالا) بمعنى انك في خفاء حالك بين الناس كمن ضل فتاه وفارق قومه حتى خفي أمره عليهم فهو استعارة وعبارة عن انك (لم يعرفك أحد) من الناس ولم يعرف اتصافك (بالنبوة حتى أظهرك الله فهدى بك السعداء) أي من اسعده الله تعالى بمعرفتك واتباعك والايمان بك وفي الآية وجوه كثيرة منها انه بمعناه الحقيقي لانه صلى الله تعالى عليه وسلم وهو طفل ضل في شعاب مكة فرآه أبو جهل ورده لجده عبد المطلب كما رواه ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وعن ابن جبير انه صلى الله تعالى عليه وسلم خرج مع أبي طالب في سفر فاخذ ابليس بزمام ناقته وعدل به عن الطريق في ليلة ظلماء فجاء جبريل عليه الصلاة والسلام ونفخ ابليس نفخة رماه بها للهند ورده صلى الله تعالى عليه وسلم الى القافلة فمن الله عليه بذلك وعن كعب ان مرضعته حليمة لما اتت به لترده لعبد المطلب جلست لتصلح ثيابها فلم تره وسمعت هدة شديدة فقالت اين الصبي قالوا لم نر فصاحت

بعضهم تفقه على مذهب سفيان الثوري وصحب خاله السري السقطي والحارث بن أسد المحاسبي وأبي حمزة البغدادي توفي سنة سبع وتسعين ومائتين آخر ساعة من يوم الجمعة ببغداد ودفن بالشونيزية عند خاله السري ذكره السبكي في طبقات الشافعية ونقل عنه انه كان يقول الافضل للمحتاج ان يأخذ من صدقة التطوع وخالفه غيره وقال الاخذ من الزكاة أفضل لانها اعانة على واجب انتهى ولعله أراد التورع فان دائرة التطوع أوسع في باب التبرع وكان يقول ما أخذنا التصوف عن القيل والقال ولكن بالجوع وترك الدنيا وقطع المألوفات وكان يقول طريقتنا مضبوطة بالكتاب والسنة من لم يحفظ القرآن ولم يكتب

الحديث ولم يتفقه لا يقتدى به وقال ذات يوم ما أخرج الله الى الارض علما وجعل للخلق اليه سبيلا الا وجعل لي فيه حظا ونصيبا وكان كل يوم يفتح حانوته ويسبل سترا ويصلي فيه اربعمائة ركعة (ووجدك متحيرا في بيان ما انزل اليك فهداك لبيانه) أي لاظهاره لديك ما خفي عليك (لقوله وانزلنا اليك الذكر الآية) أي لتبين للناس ما نزل اليهم ويؤيده قوله تعالى لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم ان علينا بيانه وقوله عز وجل ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه وقل رب زدني علما (وقيل ووجدك) أي ضالا بينهم (لم يعرفك أحد بالنبوة) منهم ومنه قوله عليه الصلاة والسلام الكلمة الحكمة ضالة المؤمن (حتى أظهرك الله تعالى فهدى بك السعداء) وأبعد عنك الاشقياء

(ولا علم أحدا من المفسرين قال فيها) أي في هذه الآية (انه وجدك ضالا عن الايمان) أقول ولو فرض ان يقال يجب ان

واحمد داه فرأت ابليس لعنه الله على هيئة شيخ متكئ على عصا وقال اذهبي لهبل برده عليك ثم جاء وقبل رأس الصنم وقال له رد ابن السعدية عليها فتساقطت الاصنام وقال له اليك عنا فارتعد وقال لها لابنك رب يحميه فاطلبيه فطلبته في جماعة من قريش فيهم عبد المطلب فتضرع الى الله تعالى قائلا في ذلك

يارب رد ولدي محمدا * فاردده لي اتخذ عندي يدا * فشمل قومي كلهم تبددا

فسمعوا مناديا يقول لا تضجوا فان لمحمد ربا لا يضيعه وها هو بتهامة عند شجرة فوجدوه عليه الصلاة والسلام عندها يلعب باوراقها وقيل المعنى وجدك ضالا عن طريق المعراج فهداك له (ولا اعلم احدا من المفسرين قال فيها) أي في تفسير آية ووجدك ضالا فهدى ان معناه (ضالا عن الايمان) لانه صلى الله تعالى عليه وسلم وسائر الانبياء معصومون قبل النبوة وبعدها عن الكفر وكل ما ينفر عنه القلوب وفي الكشاف من قال انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان على أمر قومه أربعين سنة ان اراد خلوه عن الامور السمعية فنعم وان اراد انه على كفرهم ودينهم فمعاذ الله فانه صلى الله تعالى عليه وسلم وسائر الانبياء معصومون قبل النبوة وبعدها عن الكبائر والصغائر الشائنة فما بالك بالكفر والجهل بالصانع ما كان لنا ان نشرك بالله من شيء وكفى نقيصة عند الكفار ان يسبق منه كفر انتهى وما نقل عن الكلبي والسدي من ان الآية على ظاهرها ومعناها وجدك كافرا في قوم كفار مخالف للاجماع وبعيد عن الادراك ان ينسب صلى الله تعالى عليه وسلم الى اشراك ولهذا الرواية الشاذة بل الفاسدة رده الزمخشري فيما قاله والعجب ممن نقل هذه المقالة وقال لا وجه لترديدها مع حملها على الشق الثاني (وكذلك) أي مثل آية ووجدك ضالا فهدى وتأويلها قوله تعالى (في قصة موسى) صلى الله تعالى عليه وسلم في قوله تعالى عنه (قال فعلتها اذا وانا من الضالين) وقرأ ابن مسعود من الجاهلين (أي) ومعناه (من المخطئين الفاعلين شيأ بغير قصد) وتعمد لقتل النفس التي قتلتها أو الذاهبين الى ما يفضي اليه الوكز قصدا من التأديب وهذا معنى جائز قبل النبوة فلا يتوهم من هذه الآية ان فيها نقيصة لموسى عليه الصلاة والسلام لان الضلال بمعنى الخطأ وضمير فعلتها للفعلة التي فعلها وهي قتله قبطيا من اتباع فرعون بمصر قبل نبوته وبخه فرعون عليها لما دعاه وعدد نعمه عليه بقوله ألم نربك فينا وليدا الى قوله وفعلت فعلتك التي فعلت وانت من الكافرين فاجابه بقوله فعلتها اذا وانا من الضالين فوصف نفسه بالضلال وهو معصوم منه فاجاب بان الضلال بمعنى الخطأ وعدم القصد لقتله وانما اراد دفعه فوكزه فمات من وكزه ومثله لا ضير فيه لانه خطأ معفو عنه ويأتي الكلام على ذلك أيضا (قاله) أي قال هذا التفسير لهذه الآية (ابن عرفة) وهو الحسن العبدري المؤدب المحدث الثقة الذي روى عنه الترمذي وغيره وهو معمر عاش مائة وسبعا أو عشرا وتوفي سنة سبع وخمسين ومائتين وهو المراد هنا عند الحافظ الحلبي وغيره لا ابن عرفة الذي هو عبد الله بن ابراهيم بن محمد بن عرفة المعروف بنفطويه وقال التلمساني انه المراد هنا وفيه نظر (وقال الازهري) أبو منصور محمد بن أحمد امام أهل اللغة صاحب التهذيب توفي سنة سبعين وثلاثمائة (معناه) أي معنى من الضالين في الآية (من الناسين) وعروض النسيان للانبياء عليهم الصلاة والسلام جائز وهو تكذيب لفرعون في قوله وفعلت فعلتك التي فعلت وانت من الكافرين والمراد به عدم القصد اذ القتل لا يكون نسيانا اللهم الا ان يريد نسيان انه من القبط وجند فرعون وهو الظاهر لقوله (وقد قيل ذلك) أي ان الضلال بمعنى النسيان (في قوله) عز وجل في حق نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم كما تقدم (ووجدك ضالا أي ناسيا فهداك) أي فهداك وذكرك (كما قال ان تضل احداهما) أي تنسى احدى المرأتين ما شهدت به فتذكرها الأخرى ما نسيته ثم أورد آية أخرى تخالف ما قرره من عصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام عن الشرك وكل ما ينفر كالجهل فقال (فان قلت فما معنى قوله) عز وجل لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم

يؤول بتفاصيل أحكامه كما في قوله تعالى ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان (وكذلك) أي ومثل ووجدك ضالا الايهام يورث اشكالا ويدفع حالا ومآلا (في قصة موسى عليه الصلاة والسلام قوله فعلتها اذا وانا من الضالين أي من المخطئين الفاعلين شيأ بغير قصد) أي تعمد قتل (قاله ابن عرفة) وهو من كبار المفسرين المعتبرين المشهور بالعبدي المؤدب يروي عن ابن المبارك وغيره وعنه الترمذي وابن ماجه وابن أبي حاتم والصفار وثقه ابن معين مات سنة سبع وخمسين ومائتين بسامرا وعاش مائة وسبعا أو عشرا وقيل المراد به نفطويه ولا يبعد ان يكون المعنى من الذاهلين الى ما يفضي اليه الوكز ويؤيده قراءة ابن مسعود من الجاهلين (وقال الازهري) وهو الامام اللغوي أبو منصور محمد ابن أحمد ابن الازهر الهروي صاحب تهذيب اللغة وغير ذلك مات سنة سبعين وثلاثمائة (معناه من الناسين وقد قيل ذلك) أي المعنى الذي ذكره (في قوله تعالى ووجدك ضالا فهدى أي ناسيا كما قال تعالى ان تضل احداهما) بفتح همزة ان وكسرها (فان قلت فما معنى قوله تعالى

ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان فالجواب) أى على وجه الصواب

وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا (ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان) ووجه السؤال أنه نفى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم معرفته بالقرآن المنزل عليه وبالايمان والاول صحيح لان عدم معرفته بالقرآن قبل الوحى أمر مقرر والمشكل انما هو الثانى لانه يقتضى انه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يكن مؤمنا قبله وهو معصوم عن الكفر قبل النبوة وبعدها كما تقدم ولذا قيل ان المراد به الايمان بما يجب الايمان به من أحكام الشريعة لا مجرد التوحيد والتصديق والكل ينتفى بانتفاء جزئه ولا حاجة لما تكلفه بعضهم من ان الايمان المراد به ما ذهب اليه المحدثون وهو التصديق بالقلب والاقرار باللسان والعمل بالجوارح ومجموعه لم يكن معلوما له صلى الله تعالى عليه وسلم قبل الوحى (فالجواب) عما ذكر فى هذه الآية (ان السمرقندى) هو الامام أبو الليث رحمه الله تعالى وقد تقدمت ترجمته (قال معناه) أى ما ذكر فى هذه الآية (ما كنت تدرى قبل الوحى ان تقرأ القرآن) أى لا تعرف قراءته ولا دراسته (ولا كيف تدعو الخلق الى الايمان) وقيل انه بعيد غاية البعد فان قدر مثله فى النظم فلا قرينة تدل عليه وقد يقال تعريف الايمان عهدى والمراد به ايمان أمته أى لا تدرى كيف يؤمن قومك وبأى طريق يدخلون فى الايمان وملة الاسلام وهو بدعوته له وستسمع بيانه قريبا (وقال أبو بكر القاضى) تقدمت ترجمته (نحوه) أى نحو ما قاله السمرقندى بما هو قريب منه (قال) أى أبو بكر لا السمرقندى كما قيل ومقوله هو قوله (ولا الايمان) مصدر بمعنى المفعول أى ما يجب الايمان به (الذى هو الفرائض والاحكام) الشرعية التى كلف بها علما وعملا مما لا بد منه (قال) أبو بكر (فكان صلى الله تعالى عليه وسلم قبل) أى قبل نزول الوحى ومجىء الملك له (مؤمنا) أى مصدقا (بتوحيده) وانه لا اله الا هو (ثم نزلت الفرائض التى لم يكن يدريها قبل) أى قبل نزولها وقبل بعثه (فزاد بالتكليف) أى بسبب ما كلفه الله من الفرائض (ايمانا وهو) أى ما قاله السمرقندى وأبو بكر (أحسن وجوهه) أى أحسن ما وجهت به هذه الآية وأحسن تفاسيرها لانه تعالى لم يرد انه صلى الله عليه وسلم لا يدرى وانه لا يعرف الايمان لانه لو كان الامر كذلك قال ما كنت تدرى الكتاب ولا الايمان فلما أتى بما الاستفهامية كان معناه انه لم يدر حال الكتاب وحال الايمان وحال الكتاب تلاوته وحفظه وهو أمى لا يعرفه وحال الايمان لم يرد به ايمان النبى بالله وهو مجبول عليه متيقن له من ابتداء خلقه الى آخره فالمراد به ايمان غيره من امته وهو ما يعرف ايمانهم المضمر فى قلوبهم الا اذا دعاهم فاجابوه وطابق لسانهم جنانهم فهذا تفسير له بلازمه البين وهو وجه دقيق كما أشار اليه المصنف رحمه الله تعالى ومن لم يقف على مراده قال على هذا الايمان فى هذه الآية معناه التصديق والاقرار والعمل والتصديق بما جاء به محمد صلى الله تعالى عليه وسلم هو معناه الحقيقى شرعا وما عداه غير داخل فيه الا على قول واما تفسيره بدعوة الخلق ومعرفتها فلم يقله أحد فكيف يكون ما ذكره وجها ولا دلالة للفظ عليه بوجه من الوجوه والمراد ما قدمناه قيل معناه وما كنت تعرف الكتاب قبل نزوله عليك ولا الايمان بالفرائض والاعمال التفصيلية قبل مجىء الكتاب الذى هو تبيان لكل شئ وهذا وجه آخر غير ما ذكره المصنف ومنهم من نزل عليه كلام المصنف فخلط وخبط (فان قلت) اذا كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عالما بالله وصفاته (فما معنى قوله تعالى) له (وان كنت من قبله لمن الغافلين) فوصفه ان كان غفلة عن آيات الله قبل الوحى نافى ما قررته أولا ورده بقوله (فاعلم انه) أى ما ذكر من وصفه بالغفلة (ليس بمعنى) الغفلة التى فى (قوله تعالى والذين هم عن آياتنا غافلون) فان الغفلة فى هذه الآية غفلة عن العلم بالله وصفاته وأول الآية ان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون وهو صلى الله

(ان السمرقندى) وهو الامام أبو الليث (قال معناه ما كنت تدرى) قبل الوحى ان تقرأ القرآن ولا كيف تدعو الخلق الى الايمان وقال بكر (القاضى نحوه قال) أى السمرقندى أو بكر القاضى واقتصر الدلجى على الاول لزيادة البيان (ولا الايمان) يروى وأراد الايمان (الذى هو الفرائض والاحكام) وحاصله نفى تفاصيل شرائع الايمان والاسلام (قال وكان قبل) أى قبل الوحى (مؤمنا بتوحيده) أى لربه اجمالا (ثم نزلت الفرائض) أى من الصلاة والصيام والزكاة وحج بيت الله الحرام التى لم تكن تدريها أى أصلها أو تفصيلها (قبل) أى قبل الوحى (فزاد بالتكليف) أى بتكليف كل فرض (ايمانا) أى ايقانا به واحسانا لقيامه (وهذا) ويروى وهو أحسن وجوهه فان قلت فما معنى قوله تعالى (وان) مخففة أى وانه (كنت من قبله) أى قبل وحينا (لمن الغافلين) فاعلم انه ليس بمعنى قوله والذين هم عن آياتنا غافلون) فان الغفلة عن آيات الله بمعنى الاعراض عنها وعدم الالتفات اليها ونفى الايمان بما يترتب عليها من توحيد الله تعالى وتحقيق قدرته فيها وتخصيص ارادته بها كفر لا يجوز ان يكون وصف مؤمن من الاولياء فضلا عن ان يكون نعت نبى من الانبياء

(بل) المعنى (كما حكى ابو عبيد والهروى) أى عن المفسرين وتبعهما غيرهما (ان معناه لمن الغافلين عن قصة يوسف) اى بقرينة سابقها ولاحقها (اذلم تعلمها الا بوحينا) كما أشار اليه قوله سبحانه وتعالى نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا اليك هذا القرآن اى هذه السورة وان كنت من قبله لمن الغافلين عن هذه القصة فيكون اظهارك اياها لك معجزة (وكذلك) اى من المشكلات (الحديث الذى يرويه عثمان ابن أبى شيبة بسنده) أى حيث قال عن جرير عن سفيان الثورى عن عبد الله بن محمد بن عقيل (عن جابر رضى الله تعالى عنه ان النبى صلى الله ٥٢ تعالى عليه وسلم قد كان يشهد) يروى شهد (مع المشركين مشاهدهم) أى محاضرهم وهى لاتخلو عن أصنامهم فانها كانت فى الكعبة وحولها قريبا من ثلثمائة صنم وكان من حسن خلقه يعاشرهم لكونه من عشائرهم كما قيل ودارهم مادمت فى دارهم والفرق بين المداراة والمداهنة مما لايخفى (فسمع) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (ملكين خلفه احدهما يقول لصاحبه اذهب حتى تقوم) أنت أونحن (خلفه) ونتبرك بظله (فقال الآخر كيف أقوم خلفه وعهده باستلام الاصنام) أى قريب ولعل المراد به رؤيتها ومشاهدتها أو مخالطتهم ومصاحبتهم ويؤيده قوله (فلم يشهدهم بعد) أى واعتزلهم بانفراده عنهم فى غار حراء ان كان هذا قبل الوحى أو فى مسجد دار الخيزران ان كان بعده هذا كله على تقدير ان يصح نقله وفى أصل الانطاكى باستلام الاصنام وهو تناولها باليد والفم (فهذا حديث أنكره أحمد بن والحديث حنبل جدا) بكسر الجيم وتشديد الدال المهملة أى انكارا بليغا (وقال هذا موضوع) أى بحسب المراد (أوشبيه) يروى يشبه بتشديد الدال الموحدة المفتوحة (بالموضوع) أى فى ايراد الاسناد (وقال الدارقطنى يقال ان عثمان وهم) بكسر الهاء ويفتح أى غلط وأخطأ (فى اسناده) أى اسناد هذا الحديث الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال أبو بكر بن أحمد بن حنبل قال أبى أبو بكر أخو عثمان أحب الى من عثمان فقلت ان يحيى بن معين يقول ان عثمان احب الى فقال ابى لا وقال الازدى رأيت أصحابنا يذكرون أن عثمان روى

تعالى عليه وسلم معصوم عن هذه الغفلة (بل) معنى الغفلة المذكورة (ماحكى أبو عبيد الهروى) امام أهل اللغة (ان معناه لمن الغافلين عن قصة يوسف) مع أبيه واخوته عليهم الصلاة والسلام فانه صريح قوله تعالى نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا اليك هذا القرآن وان كنت من قبله لمن الغافلين (اذلم تعلمها الا بوحينا) قبل ماقصه الله تعالى عليه والغفلة عن مثله مما لايعلم الا بالنقل ولا نقص فيه وهذا أظهر من ان ذكرنا الفرق بين الغفلتين ظاهر وفى التعبير بالغفلة اشارة استعداده للعلم بما لم يعلم حتى كأنه كان عالما به ونسيه (وكذلك) أى ماذكر مما توهم مالايليق بعصمته قبل النبوة (الحديث الذى يرويه) أبو يعلى الموصلى فى مسنده (وعثمان بن أبى شيبة) وهو من المحدثين الا انه ضعيف على مايأتى لانه نسب اليه أوهام (بسنده عن جابر رضى الله تعالى عنه) كما قال أبو يعلى حدثنا ابن أبى شيبة قال حدثنا جرير بن عبد الحميد الضبى عن سفيان الثورى عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر ابن عبد الله رضى الله تعالى عنهما (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قد كان يشهد) أى يحضر (مع المشركين) بمكة فى صغره (مشاهدهم) أى محل اجتماعهم عند أصنامهم وهذا هو محل الانكار من هذا الحديث فانه لم ينقل ذلك عنه الا فى رواية ذكرها السهيلى وقال انها مرة واحدة على مافيها وكان ذلك بالحاح عليه من عمه أبى طالب ثم لم يعد لها (فسمع ملكين خلفه) كانا ممن كان به محفظانه (أحدهما) أى أحد الملكين (يقول لصاحبه اذهب حتى تقوم خلفه) تحفظه (فقال الآخر كيف أقوم خلفه) وأقرب منه (وعهده) مبتدأ خبره محذوف أى قريب والعهد بمعنى الزمان كقولهم فى عهد خلافة فلان (باستلام الاصنام) وفى الزاهر لابن الانبارى الاستلام افتعال من السلمة وهى الحجر ومعناه مس الحجر أو استفعال من اللأمة وهى السلاح أى حصن نفسه بمسه وحنف وعن الفراء استلمت الحجر واستلأمته بالهمز انتهى ولم يقف الدماميني فى حاشية البخارى على هذا فذكره بطريق البحث من عنده وفى كشف الكشاف انه ماخوذ من عين لامن مصدر وفيه صيرورة تقديرية وهو افتعال للاتخاذ والاختصاص أى اتخذ سلمة وحجرا لنفسه يعظمه بالاشارة اليه بيده ومسه ثم عم لكل تقبيل (فلم يشهدهم) أى لم يشهد المشركين فى مشاهدهم (بعد) أى بعد ماسمع من الملكين ماقالاه وهذا الحديث مشكل لما تقرر من انه لم يكن على شئ مما كان عليه المشركون من ولادته الى وفاته صلى الله تعالى عليه وسلم ورده المصنف رحمه الله تعالى بقوله (فهذا حديث أنكره أحمد بن حنبل جدا) أى انكارا شديدا ولم يقل بصحته وأصل الجد ضد الهزل استعير لما ذكر (وقال هو موضوع) وكذب لم يثبت والثابت خلافه (أوشبيه بالموضوع) على زنة فعيل بمعنى به انه يشبه الموضوع بشدة ضعفه وليس من الفضائل حتى تغتفر روايته وحرف بعضهم شبيه بشبه تفعل منه روى يشبه مضارع مجهول مشدد الباء (وقال الدارقطنى يقال ان عثمان وهم) بوزن غلط ومعناه ويقال وهم وأوهم بمعنى غلط أيضا (فى اسناده

أحاديث لا يتابع عليها قال وقد يغلط وقد اعتمده الشيخان في صحيحهما الى آخر كلامه ثم قال الا ان عثمان كان لا يحفظ القرآن فيما قيل ثم ذكر له تصانيف في القرآن (والحديث بالجملة منكر) أنكره الذهبي وغيره من العلماء (غير متفق على اسناده) اذ ليس هو في شيء من الكتب الستة فلا يلتفت اليه وان كان رواه أبو يعلى الموصلي في مسنده حدثنا عثمان ابن أبي شيبة ثنا جرير بن عبد الحميد الضبي عن سفيان الثوري عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر بن عبد الله قال كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يشهد مع المشركين مشاهدهم الحديث ورواه البيهقي أيضا وفيه الكلام الذي تقدم والله أعلم (والمعروف عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم خلافه) أي خلاف ما يتوهم من الحديث المذكور وهو كونه استلم الاصنام (عند أهل العلم) أي بالسير (من قوله) بيان لقوله خلافه (بغضت الي الاصنام) بصيغة المجهول أي بغضها الله الي من حال الصغر الى الكبر فانه يخالف ان يقع منه الاستلام للاصنام الاستلام كناية عن القرب منها وعدم التبعد عنها كما ان بعض المريدين تكلم مع سكران في طريقه حال توجهه الى بعض المشايخ المكاشفين فقال له أشم منك رائحة الخمر وما ذاك الا لقربه منه وعدم تبعده عنه وبالجملة باب التأويل واسع فهو أولى من الطعن في الحديث مع انه مشهور شائع (وقوله) أي ومن قوله (في الحديث الآخر الذي رونه أم أيمن) كما رواه ابن سعد عن ابن عباس عنها وهي حاضنة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ومولاته وأم أسامة رضي الله تعالى عنها (حين كلمه عمه) أي أبو طالب (وآله) أي وأقاربه (في حضور بعض أعيادهم) أي بان يحضرها على وفق مرادهم (وعزموا عليه فيه) أي ألحوا وبالغوا (بعد كراهته) يروى كراهيته أي الطبيعية (لذلك) أي المخرج (فخرج معهم) أي كرها (ورجع مرعوبا) أي مخوفا (فقال كلما دنوت منها) من الاصنام واحدا بعد واحد من صنم (تمثل لي شخص) يروى رجل (أبيض طويل يصيح بي وراءك) أي الزمه وقيل ارجع وراءك والمعنى تأخر وتباعد (لا تمسه) من المساس أي لا تمسكه أولا تقربه (فما شهد) أي فلم يحضر (بعد) أي بعد ذلك (لهم) أي للكفار (عيدا) أي محضر عيد

والحديث بالجملة) أي اجمالا (منكر غير متفق على اسناده) أي في روايته (فلا يلتفت اليه) أي لا يعتبر بل ينبغي تركه وعدم روايته أصلا لثبوت خلافه كما سيبينه المصنف رحمه الله تعالى وقال انه مما أنكر على عثمان وقد أنكر عليه أحاديث أخر وأهامع ان الشيخين رويا عنه بعض الاحاديث وعثمان هذا هو عثمان بن محمد ابن أبي شيبة أبو الحسن العبسي الكوفي الحافظ توفي سنة تسع وثلاثين ومائتين وقد ضعفوه الا ان ابن معين قال انه ثقة مأمون والسعيد من عدت غلطاته ثم أشار الى رده بعد ما رد سنده وبين الوهم فيه فقال (والمعروف عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم خلافه) أي ما يخالفه معنى (عند أهل العلم) بالحديث وباحواله صلى الله تعالى عليه وسلم (من قوله) صلى الله تعالى عليه وسلم (بغضت) بالتشديد والبناء للمجهول (الي الاصنام) أي جعلني الله مجبولا على عدم حبها وهو يقتضي ظاهرا انه لم يشهد مشاهدها ولم يوافق قومه في أمرها (ومن قوله في الحديث الآخر الذي رونه أم أيمن) حاضنته صلى الله تعالى عليه وسلم وهي أم أسامة واسمها بركة وهي صحابية وترجمتها مشهورة وحديثها هذا رواه ابن سعد عن ابن عباس رضي الله عنهما (حين كلمه عمه) أبو طالب (وآله في حضور بعض أعيادهم) وكان قال له صلى الله تعالى عليه وسلم يا بني لم لا تشهد مع قومك مشاهدهم عند أصنامهم يريد بذلك ان يؤلف بينه وبينهم باظهاره لموافقته لما هم عليه لما رأى اجتنابه لهم ولاصنامهم (وعزموا عليه) أي ألحوا عليه وأقسموا عليه (فيه) أي في شأن الحضور معهم يقال عزم عليه اذا أقسم وهو قسم استعطاف وطلب وضمير عزموا للاهل بيته لاخبارهم أبا طالب بانه لا يريد ذلك واليه أشار بقوله (بعد ظهور كراهته لذلك) أي لحضور مشاهدهم (فخرج) صلى الله تعالى عليه وسلم (معهم) أي مع أهل بيته وقومه الى أعيادهم ومجامعهم (ورجع) من عندهم (مرعوبا) أي ظاهرا عليه آثار الرعب والخوف وفي نسخة منقولة من الام (فقال) الفاء فصيحة أي فسأله عمه عن سبب رعبه فقال (كلما دنوت) أي قربت (منها) لامسها بيدي (من صنم) بدل من قوله منها مفسر له (تمثل) أي ظهر (لي شخص) وهو ملك موكل بحفظه صلى الله تعالى عليه وسلم ظهر له على مثال (رجل أبيض طويل يصيح بي وراءك) بالنصب على انه ظرف جعل اسم فعل أي ارجع (لا تمسه) أي لا تمس صنما منها بيدك كما يفعلون وهذا سبب رعبه صلى الله تعالى عليه وسلم لانه كان قبل بعثته وانسه بالملائكة الكرام عليهم الصلاة والسلام (فلم يشهد) أي لم يحضر صلى الله تعالى عليه وسلم (بعد) مبني على الضم أي بعد ما رأى ذلك الملك الموكل بحفظه (عيدا) لهم يجتمعون فيه عند أصنامهم وهذا مناف لقوله انه كان يشهد مشاهدهم المقتضي لوقوع ذلك منه باختيار مرارا وان كان يقتضي تكرر ما بعدها كقولهم كان حاتم

يكره الضيف وهذا الحديث تقدمت الاشارة اليه في الاسراء حين نفر البراق وهو ضعيف أيضا (وقوله في قصة بحيراء) الراهب بفتح الباء والمد والقصر وقصته معروفة حين سافر صلى الله تعالى عليه وسلم الى الشام مع عمه أبي طالب ومر بصومعة بحيراء ورأى السحاب تظله والشجرة التي نزل تحتها صلى الله تعالى عليه وسلم تميل اليه لتظله وقصته مشهورة (حين استحلف النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي اقسم عليه أو طلب منه ان يحلف (باللات والعزى) اسم صنمين معروفين (اذ لقيه بالشام) أي قريبا منها أو بأرضها أو اقليمها (في سفره مع عمه أبي طالب) لما استصحب معه صغيرا لانه كان لا يفارقه سفرا ولا حضرا (وهو صبي) صغير (ورأى بحيراء) عند قدومه عليه (فيه) صلى الله تعالى عليه وسلم (علامات النبوة) كتظليل الغمامة له وميل الشجرة لجانبه ونزوله صلى الله تعالى عليه وسلم في منزل كان الانبياء عليهم الصلاة والسلام ينزلون فيه كما فصل في قصته وارهاصاته قبل النبوة (فاختبره بذلك) وفي نسخة فاخبره أي أخبر بحيراء أبا طالب بذلك أي بعلامات النبوة التي شاهدها فيه (فقال له) أي لبحيراء (النبي) صلى الله تعالى عليه وسلم (لا تسلني) أصله كما في نسخة لا تسئلني فخفف بحذف الهمزة بعد نقل حركتها أي لا تقسم على (بهما) لما فيه من الشرك وتعظيم الاصنام (فوالله) اقسم صلى الله تعالى عليه وسلم بالله ارشادا له وبيانا لما حقه ان يقسم به وتأكيدا لقوله (ما أبغضت شيأ) بكرهته (قط بغضهما) أي كبغضي لهما (فقال له بحيراء فبالله الا ما أخبرتني عما اسئلك عنه فقال) له صلى الله عليه وسلم بشرف وكرم (سل عما بدا لك) أي عن كل شيء خطر ببالك وقد تقدم الكلام على هذا التركيب * واعلم ان قصته صلى الله تعالى عليه وسلم مع عمه أبي طالب رواها ابن سعد في طبقاته وابن سيد الناس في سيرته وحاصلها بيانا لما مر ان قريشا كانوا يجتمعون في كل سنة بمحل وراء ينبع يسمى بولاه بضم الباء أو فتحها وواو مفتوحة وألف وهاء اسم هضبة فيها أصنام لهم عيد فيه في كل سنة فقال أبو طالب وعماته له صلى الله تعالى عليه وسلم اذهب معنا العيد فأبى فقال له أبو طالب انا نراك تخالفنا في أمر آلهتنا ونحن نخاف عليك من ذلك وألحوا عليه حتى غضب أبو طالب فلم يزالوا به صلى الله تعالى عليه وسلم حتى ذهب معهم وبينما هو معهم ثمة غاب عنهم ما شاء الله ثم رجع مرعوبا فزعا فقالوا له ما ماداك فقال أخشى ان يكون بي لمم فقالوا له ما كان الله ليبتليك بالشيطان مع ما فيك من خصال الخير فما رأيت قال اني كلما دنوت من صنم منها يميل الى رجل أبيض طويل يناديني وراءك يا محمد لا تمسه ثم ما عاد صلى الله عليه وسلم الى عيدهم حتى نبئ وأما قصة بحيراء فمذكورة أيضا في السير وقد عرفت محصلها (وكذلك) أي مثل ما تقدم من نزاهته صلى الله تعالى عليه وسلم عما كان عليه أهل الجاهلية (المعروف من سيرته) عليه الصلاة والسلام وأحواله المروية عنه في السير (وتوفيق الله له) بهدايته وخلوص طويته من ابتداء خلقته الى وفاته والمعروف مبتدأ خبره قوله (انه كان قبل نبوته) بفتح همزة انه وقوله كذلك مبتدأ خبره الجملة التي بعده أو انه مبتدأ مؤخر وكذلك خبر مقدم والمعروف بدل من اسم الاشارة (يخالف المشركين في وقوفهم بمزدلفة في الحج فكان) صلى الله تعالى عليه وسلم اذا حج (يقف بعرفة) اسم مكان معروف يقف به الحاج ويسمى عرفات أيضا ويقال المعرف والتعريف قال ابن دريد في مقصورته * ثم أتى التعريف يقرو مخبتا وأصله الوقوف بعرفة وعرفة علم منقول من جمع عارف سمي به لتعارف آدم وحوى فيه وقيل ان عرفة اسم مولد ويرده حديث الحج عرفة وقيل عرفات اسم المكان وعرفة اسم يوم الاجتماع

(وقوله) أي ومن قوله (في قصة بحيرا) بفتح موحدة وكسر مهملة مقصورا وممدودا وقد رواها ابن سعد عن نفيسة بنت منبه (حين استحلف) أي بحيرا (النبي صلى الله تعالى عليه وسلم باللات والعزى اذ لقيه) أي بحيرا (بالشام) أي في قريب منا (في سفرته مع عمه أبي طالب وهو) أي النبي عليه السلام (صبي) أي غير بالغ (ورأى) بحيرا (فيه علامات النبوة فاختبره بذلك) أي فامتحنه بحيرا بذلك الاستحلاف (فقال له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لا تسئلني بهما) أي باللات والعزى (فوالله ما أبغضت شيأ قط بغضهما) أي مثل بغضهما (فقال له بحيرا فبالله) أي فاسئلك بالله ان لا أقول شيأ (الا ما اخبرتني عما أسالك عنه فقال سل عما بدا) بالالف أي ظهر (لك) الحديث (وكذلك المعروف من سيرته عليه الصلاة والسلام وتوفيق الله تعالى له) أي في تحقيق مراعاة شرائع الاحكام (انه كان قبل نبوته يخالف المشركين) أي من قبيلة قريش (في وقوفهم) أي عشية عرفة (بمزدلفة في الحج) أي معلنين بانهم من خواص الحرم المحترم فلا يخرجون بالكلية من الحرم خلافا لغيرهم حيث كانوا يقفون بعرفات وهذا مبني وفيه
قوله تعالى ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس وقوله فاذا أفضتم من عرفات (فكان يقف هو) أي النبي عليه الصلاة والسلام مخالفا لقومه (بعرفات) أي مراعاة لسابقة شرائع الاحكام

(لانه) أي موضع عرفات (كان موقف ابراهيم عليه الصلاة والسلام) بل وموقف سائر الانبياء من آدم وغيره عليهم الصلاة والسلام وقد بينت هذه المسئلة في رسالة مستقلة والله تعالى أعلم

﴿(فصل)﴾ (قال القاضي أبو الفضل رضي الله تعالى عنه) يعني المصنف (قد بان) أي ظهر (بما قدمناه عقود الانبياء) ما عقد عليه قلوبهم (في التوحيد والايمان) أي الاجمالي قبل الوحي والتفصيلي بعده (والوحي) أي الجلي والخفي (وعصمتهم في ذلك) أي عما ينافي ما ذكر (على ما بيناه) أي فيما قررناه (فاما ما عدا هذا الباب) بالنصب أو الجر أي غير باب التوحيد وما يتعلق به من التفريد (من عقود قلوبهم) أي ثبوتها ورسوخها (فجماعها) بكسر الجيم أي ما أجمع عليه أو جملتها (انها) أي قلوبهم (مملوءة علما ويقينا) أي مقرونين (على الجملة) أي من غير تفصيل في المسئلة (وانها) أي قلوبهم (قد احتوت) أي اشتملت (من المعرفة) أي في الجزئيات (والعلم) في الكليات (بامور الدين) أي جميعها (والدنيا) مما يحتاج اليه (ما لا شئ فوقه) أي شيئا لا مزيد عليه (ومن طالع الاخبار واعتنى بالحديث) أي اهتم بالآثار (وتامل ما قلناه وجده) أي مطابقا لما ذكرناه وقد قدمنا منه (في حق نبينا عليه الصلاة والسلام في الباب الرابع أول قسم) أي في أول قسم (من هذا الكتاب) أي في فصل ذكر معجزاته في أواخر القسم الاول (ما ينبه على ما وراءه) أي من فصل الخطاب (الا ان) أي لكن (أحوالهم في هذه المعارف تختلف) أي بحسب اختلاف متعلقاتها (فاما ما تعلق منها بامر الدنيا فلا يشترط

وفيه كلام ليس هذا محله (لانه) أي عرفة (كان موقف ابراهيم) الخليل عليه الصلاة والسلام فهداه الله لاتباع شريعته ومخالفة الجاهلية فيما كانوا عليه وكانت قريش تقف بمزدلفة لانها من الحرم وسائر العرب تقف بعرفات وهي خارجة عن الحرم فخالفهم صلى الله تعالى عليه وسلم في ذلك كما في صحيح البخاري وفي هذا نزل ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس الآية

﴿(فصل قال القاضي أبو الفضل)﴾ هو كنية المؤلف عياض رحمه الله تعالى (قد بان) أي ظهر واتضح (بما قدمناه) في هذا الباب (عقود الانبياء) عليهم الصلاة والسلام جمع عقد وهو الجزم والتصميم مستعار من العقد وهو جمع الاطراف (في التوحيد) أي اعتقاد وحدانيته تعالى وعدم الشرك (والايمان) أي التصديق بكل ما يجب الايمان به (والوحي) النازل عليه من الله تعالى (وعصمتهم في ذلك) أي حفظهم من اعتقاد خلاف ذلك المذكور كله (على ما بيناه) في الفصل الذي قبل هذا (فاما ما عدا هذا الباب) أي غير ما ذكر من التوحيد والايمان والوحي وعصمتهم فيه (من عقود قلوبهم) أي جزمها وهو بيان لما عدا (فجماعها) بكسر الجيم بمعنى جميع ومجتمع والمراد جملتها أو ما يجمعها أي جملة عقود قلوبهم في غيرها (انها) أي قلوبهم كلها (مملوءة علما ويقينا) نصب على التمييز والمراد بما عداها ما لابد من علمه كأحوال الآخرة والبرزخ والملائكة (على الجملة) أي هذا حاله اجمالا لا تفصيلا لانه لا يحصى لكثرته (وانها قد احتوت) أي اشتملت وجمعت وقوله (من المعرفة والعلم) بيان لما تقدم عليه بناء على جواز تقدم من البيانية على مبينها كما ذهب اليه بعض النحاة ومن منعه يقدر له مبينا يبينه ما يأتي والفرق بين المعرفة والعلم ان الاول متعلق بالجزئيات والعلم بغيرها أو مما يسبقه جهل ولذا قيل انه لا يطلق على الله معرفة الا ان ابن جماعة اعترض عليه وقال انه ورد في الحديث ما يخالفه وقد بيناه في غير هذا المحل (بامور الدين والدنيا) جزئياتها وكلياتها (ما لا شئ فوقه) أي يزيد عليه ويفضله وفوق ضد تحت ويكون في المكان والزمان والجسم والعدد ونحوه فاستعيرت لما ذكر كما قاله الراغب (ومن طالع الاخبار) أي أطلع على ما في كتبها والمطالعة تختص عرفا بالنظر في الكتب وقراءتها (واعتنى) أي اهتم واشتغل (بالحديث) النبوي رواية ودراية (وتأمل) أي فكر ودقق النظر وأصله مفعل من الاصل استعير لما ذكر (ما قلناه) فيما تقدم (وجده) محققا كما قلناه (وقد قدمنا منه) أي من الامور المتعلقة بعقد قلوب الانبياء في ما ذكر (في حق نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم في الباب الرابع) فيما أظهره الله على يديه من المعجزات وشرفه به من الخصائص والكرامات في القسم الاول (أول قسم من هذا الكتاب ما ينبه على ما وراءه) أي مع ما ذكر بعده في هذا الكتاب فعلى بمعنى مع أو محتو بما ذلك عليه (الا ان أحوالهم في هذه المعارف تختلف) استثناء منقطع كالاستدراك على ما قبله أي لكن أحوالهم مختلفة فبعضهم له مرتبة فيها أعلى مما عداه كنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فالتفاوت لا ضير فيه وقال الباقلاني يجوز عقلا عدم معرفة النبي ببعض شرائع من قبله وعدم معرفته ببعض الفروع الفقهية التي فرعها الفقهاء لكنه اذا سئل عنها لابد أن يعرفها وكذا علمه باللغات بشروط أن لا يخل بالتوحيد كما قيل وفيه نظر لا يخفى (فاما ما تعلق منها) أي من العلوم المفهومة من السياق لا بالعقود (بامور الدنيا) كأمر المعاش وأحوال الناس (فلا يشترط) بالياء التحتية مبني للمفعول ونائب فاعله العصمة في قوله

في حق الانبياء العصمة من عدم معرفة الانبياء ببعضها) كما توهمت الشيعة فانه يرده قول الهدهد لسليمان عليه الصلاة والسلام أحطت بما لم تحط به (أو اعتقادها) أي أو من عدم اعتقادهم اياها (على خلاف ماهي عليه) أي على خلاف حقيقتها كما يشير اليه قوله صلى الله تعالى عليه وسلم للانصار وهم يؤبرون النخل لا عليكم أن لا تفعلوا فتركوا تابيره فلم يلقح منه ذلك الا قليل فقال أنتم أعرف بدنياكم وكذا رجوعه الى رأي الحباب بن المنذر ببدر على ما مر (ولا وصم) بسكون الصاد المهملة أي لا عيب لهم ولا عتب (عليهم اذ هممهم) أي توجههم وعزيمتهم وفي نسخة هممهم (متعلقة بالآخرة وانبائها) أي أخبارها من أحوالها وأهوالها (وأمر الشريعة وقوانينها) أي ضوابطها الكلية المشتملة على المسائل الجزئية (وأمور الدنيا) أي باعتبار توجه الهمة اليها مبتدأ خبره (تضادها) كتضاد الضرتين والكفتين وقد ورد من أحب آخرته أضر بدنياه ومن أحب دنياه أضر بآخرته فآثروا ما يبقى على ما يفنى (بخلاف غيرهم) أي غير الانبياء واتباعهم وهم العلماء والاولياء (من أهل الدنيا) كالكفار والفجار (الذين قال الله فيهم) (يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا) أي لا باطنها من انها تعبر ولا تعمر (وهم عن الآخرة هم غافلون) أي مع انهم في أمر دنياهم غافلون (كما سنبين هذا في الباب الثاني ان شاء الله تعالى ولكنه) أي الشان (لا يقال) أي مع هذا (انهم) أي الانبياء (لا يعلمون شيئا من أمر الدنيا) أي على وجه الاطلاق (فان ذلك يؤدي الى الغفلة) أي الى نسبة الغفلة (والبله) بفتحتين أي البلاهة المنافية لكمال العقل والفطانة فقيل الابله الذي لا عقل له وقيل الابله الكثير الغفلة ويقال الابله أيضا الذي طبع على الخير فهو غافل عن الشر وعليه الحديث أكثر أهل الجنة البله (وهم المنزهون عنه) أي عن مثل ذلك فانهم الكاملون المكملون فيما هنالك (بل قد أرسلوا الى أهل

(في حق الانبياء العصمة من عدم معرفتهم ببعضها) ويجوز أن يكون مبنيا للفاعل ونصب العصمة على المفعولية والضمير فيه للعلماء وأجاد في قوله ببعضها لان عدم معرفتها بالكلية ينافي شدة فطنتهم وسلامة عقولهم والمراد ما لا تعلق له بالدين أصلا فيجوز عدم معرفتهم بذلك (أو اعتقادها على خلاف ماهي عليه) كقصة تأبير النخل وسيأتي ورجوعه صلى الله تعالى عليه وسلم لرأي الحباب بن المنذر في بدر والمراد بالاعتقاد ما يشمل الظن لا الجازم منه (ولا وصم) بفتح الواو وسكون الصاد المهملة أي لا عيب ولا نقص تقصير (عليهم) أي عائد على الانبياء عليهم الصلاة والسلام (فيه) أي في عدم معرفته وبين علته بقوله (اذ هممهم) جمع همة وهي العزيمة من هم بالامر اذا عزم عليه (متعلقة) أي مشغولة (د) امور (الآخرة وانبائها) جمع نبا وهو الخبر وعبر به لانها انما يعلم بالوحي واخبار الله لهم بها (وأمر الشريعة وقوانينها) وهو لفظ رومي معرب (وأمور الدنيا تضادها) أي تخالفها فالاشتغال بها لا يليق بعلو هممهم (بخلاف غيرهم من أهل الدنيا) أي غير الانبياء عليهم الصلاة والسلام من الناس (الذين يعلمون) بدل من أهل الدنيا تلويحا لان علمهم لا يعتد به لانهم انما يعلمون (ظاهرا من الحياة الدنيا) ففيه اشارة لبلادتهم وانهم انما يعلمون ظاهر زخارفها الذين يتمتعون به دون باطنها الذي يتعدون به للآخرة ويتزودون به لدار القرار من صالح الاعمال وتنكير ظاهرا اشارة الى انه متاع قليل (وهم عن الآخرة هم غافلون) عنها لا يخطر ببالهم تدارك ما يلزمهم منها فهم كالانعام وهم الثانية تكرير للاولى وغافلون خبرها أو مبتدأ خبره غافلون والجملة خبر الاولى وعلى كل حال فيه تأكيد لغفلتهم وهو اقتباس وأشار بالمضادة الى ان المراد بالدنيا ما محض لها كرياستها وجاهها ولذائذها بخلاف بيان أمور المعاملات فانها أمور شرعية يلزمهم بيانها فلا وجه لذكره هنا لانه سيأتي واليه أشار بقوله (كما سنبين هذا في الباب الثاني ولكنه) ضمير شان وهو استدراك عما قبله (لا) يصح ان (يقال انهم لا يعلمون شيئا من أمور الدنيا) أصلا (فان ذلك) أي عدم علمهم بشيء منه (يؤدي الى) نسبتهم الى ما لا يليق بهم من (الغفلة والبله) أي شدة البلادة وعدم الادراك (وهم المنزهون عنه) أي عما ذكر من الغفلة والبله لكمال عقولهم وتمام خلقتهم فالله نزههم وأبعد خلقهم عن مثله وأشار بتعريف الطرفين لكمالهم فيه حتى كأنهم مخصوص بهم والحاصل أن الانبياء عليهم الصلاة والسلام كلهم لا بد لهم من العلم بالعقائد والشرائع والوحي يقينا من غير شك وشبهة وأما أمور الدنيا البحتة فلا يلزم العلم بها لكنهم عليهم الصلاة والسلام لكونهم أكمل الناس فطنة وعقلا لا يكثر عدم علمهم بها وانما يكون ذلك في النادر وليس في كلامه هنا ما يقتضي ان كل نبي أكمل أهل زمانه وأعلمهم كما قيل وهو غير مسلم لقول ابن الهمام انه أكمل أهل زمانه ممن ليس بنبي وقيده في الكشاف بمن أرسل اليه وهو الحق فلا يلزم أن يكون موسى عليه الصلاة والسلام أعلم من الخضر عليه الصلاة والسلام لانه لم يرسل اليه ولا يحتاج اليه ان يقال انه موسى بن ميشا لا موسى بن عمران (بل قد أرسلوا الى أهل

الدنيا

الدنيا) أى لينبهوهم من غفلتهـم ويمنعوهم عن بلاهتهـم (وقلدوا) بصيغة المجهول أى وتقلدوا (سياستهم) أى محافظتهم عما يضرهم (وهدايتهم) أى دلالتهـم الى ماينفعهم (والنظر فى مصالح دينهم) يروى صلاح دينهم (ودنياهم) أى المرتبطة بامور أخراهم (وهـذا) أى ماذكر (لايكون) أى لايتصور (مع عـدم العلم بامور الدنيا بالـكلية) نعم قد يكون لهم عدم علم ببعضها لعدم التفاتهم اليهـا فى الامور الجزئية (وأحوال الانبياء وسيرهم) أى عند العلماء (فى هذا الباب معلومة)

وفى الـكتب مسـطورة (ومعرفتهم بذلك كلـه مشهورة واماان كان هذا العقد) أى عقد قلوبهم (ممـايتـعلق) يروى فيما يتعلق (بالدين) أى بامور ه (فلايصـح عـن النـبى الا العـلم به ولايجوز عليه جهله جملة) أى باسرها (لانه لايخلو) أى من أحد امرين (ان يكون) أى النبى عليـه الصلاة والسلام حصل عنـده ذلك) أى العـلم (عن وحى من الله فهـو مالايصح الشكّ منـه) أى من النـبى عليـه السـلام (فيـه عـلى ماقدمناه) من انه لايصح منـه الا العـلم بمـا أوحى (فـكيف الجهـل) أى فـكيف يصح الجهل منه به (بل حصـل له عـلم اليقـين أو يكون) أى أوان يكون النـبى (فعـل ذلك وفى نسخة عقد ذلك باجتهاده فيما لم ينزل عليـه فيـه شئ) بصيغة المفعول أوالفاعل (على القول) أى قول بعض العلماء (بتجويز وقوع الاجتهاد منـه) أى من النـبى (فى ذلك) أى فيما لم ينزل عليه فيه شئ وهو الحق المبنى (على قول المحققين) أى من علماء الدين وكبراء المجتهـدين (وعلى مقتضى حـديث أم سـلمة) أم المؤمنـين (انى انمـا أقضى بينـكم برأيى) أى احيانا (فيما لم ينزل على فيه شئ

الدنيا وقلدوا) بالبناء للمجهول أى ولوا وحكموا ومنـه تقليد القضاء وهو فى الاصـل من قـلادة العنق (سياستهم) أى ضبط أمورهم أمرا ونهيا بالقهر وأصلها القيام على الشئ بمـا يصلحه (وهدايتهـم) أى ارشادهم لـكل خير فى الدارين (والنظر فى مصالح دينهم ودنياهم) ببيان ماينتظم به صـلاح المعـاش والمعاد (وهذا) أى النظر والسياسـة (لايكون) ويوجد (مع عدم العلم بامور الدنيا بالـكلية) بان لا يعـلم شيأ منها أصلا لانه مانع للنظر فى أحوالهم لـكن العـلم بها ليس مقصودا لهـم بالذات (وأحوال الانبياء) صلوات الله وسلامه وتحياته عليهم أجمعين (وسيرهم) جمـع سيرة وقد تقدمت (فى هذا الباب) أى فى هذا النوع من العلم وهو العـلم بامور الدنيا (معلومة) بمـا اشتهر من أخبارهم (ومعرفتهم بذلك) المذكور (مشهورة) لاتخفى على أهل العلم (واماان كان هذا العقد) أى عقد قلوبهـم بالاعتقاد الجازم (فيـما يتعلق بالدين) وان كان له تعلق بالدنيا كالمعاملات (فلا يصح من النبى صلى الله تعالى عليـه وسـلم الا العلم به) يقينا وجزما من غير شك وشبهة فيه (ولايجوز عليه جهله جملة) أى لايجهل شيأ منه ولايخفى عليه شئ من جملته ويجوز ان يراد بالجملة الاجمال أى يعلم علما اجماليا انه يجب اعتقادنا انه صلى الله تعالى عليه وسلم لايجهل شيأ بمـا له تعلق بالدين وقيل انه قيد للنفى أى انتفى جهله به انتفاء كليا فيعلم جميـع ذلك (لانه) أى علمه بذلك (لايخلو) علمه من (ان يكون حصل عنده ذلك) العلم صادرا (عن وحى من الله) بارسال ملك ونحوه (فهو ما) أى أمر (لايصح الشك منه) صلى الله تعالى عليه وسلم (فيه) أى فى الوحى وما يتعلق بناء به (ماقدمناه) كما علمته قبل هذا واذا لم يحصـل منه ادنى شك فى شئ من ذلك (فـكيف الجهـل) أى فـكيف يصح منه جهل بشئ منه وهو انـكار لجهله بانـكار كيفيته وحاله على طريق برهانى لانه اذا وقع لابد ان يقع على كيفية مخصوصة (بل حصل له العلم اليقين) أى المتيقن واستدركه لانه لا يلزم من عدم العلم تيقن ضده (أو يكون فعل ذلك) الامر المتعلق بالدين ببيان احكامه حلا وحرمـة ونحوه (باجتهاده) وهو افتعال من الجهد وهو الطاقة والوسع وبذله فى تحصيل المطلوب وهو تحصيل الحـكم ممـا أعلمه الله تعالى واستخراجه من قواعد الدين بالتفاته اليه (فيما لم ينزل عليه فى شئ) من الوحى فى بيان حكمه فيعلم حكمه بذلك وهو فى غيره تحصيل ظن بحكم شرعى استخرجـه من نص ونحوه (فعـلى القول بتجويز وقوع الاجتهاد منه) صـلى الله تعالى عليه وسـلم (فى ذلك) أى فيما لم ينزل عليـه وحى فيـه (عـلى قول المحقـقين) الذاهبين لجواز اجتهاده وهو القول الصحيح ثم على هـذا هل يجوز وقوع الخطأ منه فيما اجتهد فيه فمنعه بعضهم وجوزه بعض مع الاتفاق على عدم اقراره صلى الله عليه وسـلم على الخطأ وهذا رجحه كثير من الاصوليين وذهب كثير منهم الى ترجيح عدم وقوع الخطأ فى اجتهاده أصـلا واليه مال المصنف رحمه الله تعالى وادلتهـم مبسوطة فى كتب الاصول فمن اراده فليأخـذ المـاء من مجاريه (وعلى مقتضى) بصيغة المفعول اى على مايقتضيه ويدل عليه لزوما (حديث أم) المؤمنين هنـد بنت ابى امية المشهورة بام (سلمة) رضى الله تعالى عنها بفتحات فيما روته عنه صـلى الله تعـالى عليه وسلم انه قال (انى انمـا أقضى بينـكم برأيى) واجتهادى (فيما لم ينزل على فيه شئ) أى فيما لم ينزل من الله فيـه

خرجه) أى خرج حديث أم سلمة (الثقاة) اى من الرواة كأبى داود (وكقصة أسرى بدر) وهى معروفة وسيأتى بيانها وقد نزل فيها ما كان النبى ان يكون له أسرى حتى يثخن فى الارض (والاذن للمتخلفين) أى من المنافقين عن غزوة تبوك حيث نزل فيها عفا الله عنك لم أذنت لهم (على رأى بعضهم) أى بان ما صدر عنه كان باجتهاد منه وقيل لا يجوز له الاجتهاد بالرأى المبنى على الظن لقدرته على علم اليقين بالوحى بانتظاره ورد بان انزل الوحى ليس فى قدرته وتحت اختياره مع انه قال تعالى لتبين للناس ما نزل اليهم (فلا يكون أيضا ما يعتقده مما يثمره اجتهاده الا حقا) أى وصدقا (وصحيحا) أى صريحا (هذا هو الحق الذى لا يلتفت) أى معه (الى خلاف من خالف فيه) أى ممن اجاز عليه الخطأ فى الاجتهاد كما فى نسخة فقال بمنع اجتهاده مطلقا أو بمنعه فى غير الاسرى والحروب وجوازه فيهما بل اجتهاده حق وصواب فيما لم ينزل عليه فيه شئ (لا على القول بتصويب المجتهدين) فيما لا قاطع فيه من مسائل الفروع (الذى هو الحق والصواب

شئ من وحيه وهو صريح فى وقوع الاجتهاد منه صلى الله تعالى عليه وسلم (خرجه الثقات) أى رواه مسندا من يوثق به كأبى داود وغيره فهو حديث صحيح دال على صحة اجتهاده صلى الله تعالى عليه وسلم وسبب هذا الحديث انه عليه الصلاة والسلام أتاه رجلان يختصمان فى مواريث واشياء قد درست فقال انى الى آخره وهو كما علمت دليل على جواز اجتهاده ووقوعه منه خلافا لمن يجوزه أو جوزه وقال لم يقع لقوله تعالى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى أو خصه بالحروب لان اجتهاده فى حكم الوحى لاستنباطه منه بالقياس فليس هوى وقوله صلى الله عليه وسلم لا ادرى فى بعض الاحيان لا ينافيه لعدم ظهور القياس له والقياس مستند الى الوجه لقوله تعالى فاعتبروا يا أولى الابصار (وكقصة أسرى بدر) جمع أسير كأسارى وهما بمعنى وقيل الاسرى من لم يوثق والاسارى الموثقون وهم سبعون رجلا والقصة كما فى صحيح مسلم انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لابى بكر والصحابة ما ترون فى هؤلاء فقال أبو بكر رضى الله عنه بنوا العم والعشيرة أرى ان تأخذ منهم فدية يكون لنا بها قوة على الكفار فعسى الله ان يهديهم الى الاسلام فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما تقول يا عمر فقال أرى ان تضرب أعناقهم فانهم أئمة الكفر وصناديده فنزل ما كان لنبى ان تكون له أسرى حتى يثخن فى الارض بعدم الفدية فجاء صلى الله تعالى عليه وسلم هو وأبو بكر يبكيان فقال لهما عمر لم تبكيان أخبرانى فان وجدت بكاء بكيت والا تباكيت فقال صلى الله عليه وسلم ابكى لما عرض من الفداء لقد عرض عذابهم ادنى من هذه الشجرة لشجرة عنده وتقدم ذلك مع ما فيه فهذا دليل على وقوع الاجتهاد منه صلى الله تعالى عليه وسلم كما علمته (و) كقصة (الاذن للمتخلفين) عنه صلى الله تعالى عليه وسلم فى غزوة تبوك فانه أذن لجماعة استأذنوه فى القعود عنها فاذن لهم باجتهاد منه ولم ينتظر الوحى فعاتبه الله على ذلك مع لطفه فى تقديم العفو عنه بقوله عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا الآية لانه كان مع من استأذنه واعتذر باعذار بعض المنافقين لم يعرف نفاقهم حتى نزلت آية التوبة عليه (على رأى بعضهم) راجع للقصتين أو للثانية فقط فانه قيل ان ذلك كان باجتهاد من أصحابه بناء على جواز ووقوع الاجتهاد منهم عنده صلى الله تعالى عليه وسلم بناء على ان العتاب لهم وخطابه لقبوله له واقرارهم مع انه خلاف الاولى أو ان الله تعالى خيره فى ذلك قبل وأذن له ولا اجتهاد فيه وانما كان عليه ان ينتظر الوحى ان يبين الاولى به وفيه مباحث وانظار دقيقة (فلا يكون أيضا ما يعتقده مما يثمره اجتهاده) أى يترتب عليه ويكون ثمرة له ومن بيانية أو تبعيضية أو تجريدية (الا حقا) موافقا للواقع (وصحيحا) فى نفسه يقطع النظر عن الواقع ومطابقته وهذا بناء على انه صلى الله تعالى عليه وسلم لا يخطئ فى اجتهاده أصلا كما ارتضاه الغزالى وبنى عليه انه يجوز القياس على ما اجتهد فيه وهو اللائق بمقام النبوة ومثله فى هذا كله سائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام وذهب ابن الحاجب وغيره الى انه يقع منه الخطأ نادرا الا انه لا يقر عليه وليس ما استدلوا به خطأ بل خلاف الاولى فان أرادوه ارتفع الخلاف فتدبر (هذا) القول من ان اجتهاده صلى الله عليه وسلم لا يكون الا حقا صحيحا (هو الحق الذى لا يلتفت) ولا يعتد (الى خلاف من خالف فيه) بان قال لا يجتهد أصلا أو يقع فى اجتهاده الخطأ أو اجتهاده مخصوص بالحروب (ممن اجاز عليه الخطأ فى الاجتهاد) ونحوه وهذا وقع فى بعض النسخ وسقط من بعضها (ان لو قام عليه دليل لا على القول بتصويب المجتهدين) بصيغة التثنية أو بصيغة الجمع أى موافقة حكم كل منهما أو منهم للصواب وقوله (الذى هو الحق والصواب) مفعول تصويب فى محل نصب أى ما اعتقده كل موافق للحق والصواب فكل مجتهد مصيب كما قيل

رمى فاصاب قلبى باجتهاد * صدقتم كل مجتهد مصيب

عندنا) أي على ما ذهب اليه الاشعري والباقلاني ومختار أبي يوسف ومحمد وابن شريح بان كل مجتهد مصيب (ولا على القول الآخر) وهو مذهب الجمهور (بان الحق في طرف واحد) بان مصيبه من المجتهدين في كل مسئلة واحد مكلف باصابته لقيام امارة عليه واشارة اليه فان أصاب فله أجران وان أخطأ فله أجر واحد ولا اثم عليه بخلاف اجتهاد النبي فان الصواب عدم خطئه في هذا الباب (لعصمة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من الخطأ في الاجتهاد في الشرعيات) وأما القول بانه قد يخطئ وينبه عليه فيما لا يلتفت اليه وأما ما سبق من عتابه في قصة أسرى بدر واذن المتخلفين عن تبوك فمحمول على انه كان خلاف الاولى (ولان القول في تخطئة المجتهدين) أي على القول بان المصيب واحد منهم لا بعينه (انما هو بعد استقرار الشرع ونظر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي تأمله وتفكره (واجتهاده انما هو فيما لم ينزل عليه فيه شئ ولم يشرع له قبل) مبني على الضم أي قبل نظره واجتهاده وفي نسخة قبل هذا (هذا) أي ما تقدم (فيما عقد عليه) أي النبي كما في نسخة (صلى الله تعالى عليه وسلم قلبه) أي عزم عليه واستقر لديه (فاما ما لم يعقد عليه قلبه من أمر النوازل الشرعية) أي مما يحتاج الى بيان الامر فيه رعاية للرعية (وقد كان لا يعلم منها أولا) أي قبل الوحي والاذن (الا ما علمه الله شيأ شيأ) أي فشيأ على وجه التدريج بحسب ما يقتضيه الحكم والحكمة من الفعل والترك (حتى استقر علم جملتها) أي اجمالا وتفصيلا ويروى علم جميعها (عنده) بعد وصوله الى مقام يوجب كمالا وتكميلا (اما بوحي من الله أو اذن له ان يشرع في ذلك) أي فيما أبداه (ويحكم بما أراه الله) كما أشار اليه قوله سبحانه وتعالى انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله أي وحيا جليا أو الهاما خفيا (وقد كان ينتظر الوحي في كثير منها) أي من النوازل ولم يبادر الى الاجتهاد فيها ولعله في الامور الكلية لا في المسائل الفرعية المعلومة من القواعد الشرعية

أو الذي مبتدأ خبره قوله (عندنا) وهو أحد قولين ورجحه المصنف والاشعرية فالضمير راجع للاشعرية (ولا على القول الآخر) الذي ذهب اليه الجمهور القائلون (بان الحق في طرف واحد) غير معين فالآخر خطأ الا انه لا اثم عليه فيه وهذا في غير النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لانه لا يخطئ أو لا يقر على الخطأ (لعصمة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي لعصمة الله تعالى له (من الخطأ في الاجتهاد في الشرعيات) قيده به لانه محل الخلاف بخلاف العقائد وأمور الآخرة كما تقدم وما لا تعلق له بالدين فان الاول لا يجوز فيه الخطأ بالاتفاق والثاني يجوز فيه بالاتفاق كما تقدم تفصيله ومحل الخلاف في اجتهاد غير الانبياء (ولان القول في تخطئة المجتهدين) أي كلام الاصوليين فيما يتعلق به (انما هو بعد استقرار الشرع) فلا يتصور بدونه اجتهاد لانه يكون قياسا على حكم شرع قبله (ونظر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم واجتهاده انما هو فيما لم ينزل عليه فيه شئ من الوحي (ولم يشرع له قبل) أي قبل اجتهاده فيه ونظره ليظهر له الصواب في محل الاجتهاد فلا يتصور خطأه لان خطأ المجتهد انما يظهر بمخالفة نص أو اجماع أو قياس جلي وقد تقرر انه لم يسبق به شرع وهذا دليل على انه لا يقع الخطأ في اجتهاده صلى الله تعالى عليه وسلم وفيه بحث لان الاجتهاد بالنظر في نظائره فان أراد انه لم ينزل شئ في عينه فسلم لكنه لا يمنع الاجتهاد وان أراد شيأ من نوعه واشباهه فممنوع فهذه مغالطة وتمويه فتأمله (هذا) المذكور فيما أوحي اليه أو عمل فيه برأيه واجتهاده فيما لم ينزل فيه شئ (فيما عقد) صلى الله تعالى عليه وسلم أي علمه علما جازما أو عزم (عليه قلبه) الشريف وأعمل فيه فكره من أمور الدين التي لا بد منها سواء كان من العقائد وأمور الوحي مما لا بد من علمه من غير شك فيه أو من الشرع المعلوم بالوحي أو الاجتهاد كما فصله وليس هذا مخصوصا بالاعتقادات كما قيل (فاما ما لم يعقد) النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (عليه قلبه) ولم يعلمه علما جازما (من أمر النوازل) جمع نازلة وهي القضية التي تحدث له ويحتاج لبيان الحكم فيها وقوله (الشرعية) أي المتعلق بها حكم شرعي من حل وحرمة ونحوه (فقد كان) صلى الله عليه وسلم (لا يعلم) شيأ (منها أولا) أي في ابتداء بعثته وقبل الوحي والاذن له في التشريع (الا ما علمه الله تعالى) بالوحي اليه (شيأ فشيأ) أي شيأ بعد شئ على سبيل التدريج بحسب الوقائع وأسبابها المقتضية لبيانه لها وهذا منصوب على الحال كعلمته النحو بابا بابا لانه مؤول بمفصل ونحوه وليس الثاني تأكيدا وتفصيله في كتب العربية (حتى استقر علم جملتها) أي علم جميعها (عنده) أي في علمه وحفظه لما نزل عليه منها (اما بوحي من الله أو اذن له) في (ان يشرع في ذلك) بفتح أوله وثالثه المخفف أو بضم أوله وكسر ثالثه المشدد أي يأخذ في بيانه أو يبين ما حكم الشرع فيه برأيه واجتهاده (ويحكم) في القضايا (بما أراه الله) أي عرفه وعلمه بوحي منه أو الهام ونظر فيما أنزل عليه كما قال الله تعالى انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله والآية دالة على اجتهاده المأذون له فيه وانه مصيب فيه (وقد كان) صلى الله عليه وسلم (ينتظر الوحي في كثير منها) أي من النوازل الواقعة ليبين الله له الحكم

فيها ويجتهد في قليل منها أحيانا (ولكنه لم يمت حتى استقر علم جميعها عنده) أي تحقق صلى الله تعالى عليه وسلم وتقرر عنده العلم بجميع الاحكام الشرعية اللازمة ولذا قال الله تعالى اليوم أكملت لكم دينكم وفي نسخة استفرغ بفاء وغين معجمة أي استوفى واستكمل وهو استعارة من استفراغ الماء وصبه كأنه أفاض ماءه على العطاش (وتقررت) وتحققت (معارفها) أي العلوم بالاحكام الشرعية وجزئياتها (لديه) أي عنده وعند أمته (على التحقيق) أي متيقنة محققة بلا تردد (ورفع الشك والريب) أي الاشتباه في شيء منها (وانتفاء الجهل) عن أمته (وبالجملة) أي اجمالا وقد يراد بهذه الكلمة على كل حال وبكل وجه (فلا يصح) ولا يجوز عقلا وشرعا (منه) صلى الله تعالى عليه وسلم ومن كل نبي (الجهل بشيء من تفاصيل الشرع) أي شرعه صلى الله عليه وسلم (الذي أمر) بالبناء للمفعول أي أمره الله تعالى (بالدعوة) أي دعوة أمته (اليه) أي الى اتباعه والعمل به لان جهله به ينافي أمره بدعوته (ولا تصح دعوته الى ما لا يعلمه) لانه طلب للمجهول وهو ممتنع عقلا وشرعا وعبث غير مفيد فكان صلى الله عليه وسلم أعلم الناس باحكام ربه وله الولاية العامة على جميع خلقه والامامة العظمى فكان يحكم بالقضاء والسياسة والافتاء ويحكم بالظاهر والباطن كالخضر عليه الصلاة والسلام كما قاله السيوطي والفرق بين أحكامه بما ذكر فصله السبكي والعراقي في قواعده وللعلامة أبي شامة فيه تأليف مستقل لا يستطيع هذا المقام تفصيله وان تكلم بعضهم فيه هنا كلاما غير مهذب فاذا أردت تحققه فانظر كلام القوم فيه (وأما ما تعلق بعقده) أي يجزم قلبه فيما أبصره الله تعالى به عليه الصلاة والسلام (من ملكوت السموات والارض) الملكوت مبالغة في الملك كالرهبوت والجبروت وقد يخص بغير المشاهد كعالم الامر كما مر والمراد علمه صلى الله عليه وسلم بحقيقة الاجرام العلوية وانها حادثة مستغن عنها وما فيها من الملائكة الموكلين بها والكواكب التي خلقت فيها زينة لها وهداية لخلقه وعلامات لحكم الهيئة وكذلك الارض التي جعلها الله مقر العباد وعلمه بما فيها علما اطلع به على حقيقتها وما أودعه فيها وليست كما تزعم الفلاسفة وأهل الطبيعة من أمور مخرومة القواعد كثيرة المفاسد (وخلق الله) أي مخلوقاته التي بثها فيهما وأبدعها وأودعها حكما تحار فيها العقلاء

وفي كل شيء له آية * تدل على انه الواحد

(وتعيين أسمائه الحسنى) الدالة على ذاته وبديع صفاته وفي قوله تعيين اشارة الى انها توقيفية فلا يطلق عليه الا ما ورد به اذن شرعي والكلام عليها مفرد بالتأليف وأجل ما صنف فيها كتاب الامام القرطبي وقيل يصح ان يطلق عليه كل اسم ثبت اتصافه بما لا يوهم نقصا وقيل يجوز ما كان على سبيل التوصيف والكلام عليه مفصل في كتب الاصول (وآياته الكبرى) ان عجائب مخلوقاته الدالة على عظمته والكبرى بمعنى العظمى مما أخبر عنه صلى الله تعالى عليه وسلم مما شاهده في نفس الاسراء كما تقدم (وأمور الآخرة) كالحشر والنشر وأحوال الموقف والصراط والميزان والنفخ في الصور (واشراط الساعة) أي علاماتها الدالة عليها جمع شرط بفتحتين وفي الاساس يقال لاوائل كل شيء اشراطه ومنه أشرط اليه رسولا اذا قدمه واشراط الساعة مشهورة والساعة مقدار من الزمان ثم خص بالقيامة وقيل الاشراط تختص بعلاماتها الصغار كما نقله الخطابي عن أبي عبيدة والمشهور شمولها للصغار والكبار كخروج المهدي والدجال (وأحوال السعداء والاشقياء) في البرزخ والدنيا والآخرة وما لهم من نعيم وعقاب (وعلم ما كان) من أحوال الامم السالفة وما كان في ابتداء خلق العالم (وما يكون) بعده من الفتن وغيرها كما في حديث حذيفة المشهور (مما لا يعلمه الا بوحي) أعلمه الله به في المغيبات (فعلى ما تقدم) أي واقع على أسلوب ما تقدم والفاء في جواب أما

أي ارتفع التردد (والريب) أي الشبهة (وانتفى الجهل) أي بان ينسب في شيء اليه (وبالجملة فلا يصح منه) أي النبي عليه الصلاة والسلام (الجهل بشيء من تفاصيل الشرع الذي أمر بالدعوة اليه اذ لا تصح دعوته الى الى ما لا يعلمه) أي الى ما لا علم به لديه صلى الله تعالى عليه وسلم (وأما ما تعلق بعقده) أي يجزم قلبه في معرفة ربه (من ملكوت السموات والارض) أي ظواهرهما وبواطنهما (وخلق الله تعالى) أي وسائر مخلوقاته العلوية والسفلية (وتعيين أسمائه الحسنى) أي المشتملة على نعوت الجمال وصفات الجلال كما يقتضيه ذات الكمال (وآياته الكبرى) أي العظمى من عجائب مخلوقاته وغرائب مصنوعاته (وأمور الآخرة) من نشر وحشر وشدائد أحوالها ومكايد أهوالها (واشراط الساعة) أي علاماتها من قطيعة الارحام وقلة الكرام وكثرة اللئام وكثرة الظلم من الانام (وأحوال السعداء) في جنة النعيم (والاشقياء) في محنة الجحيم (وعلم ما كان) في بدء الامر (من
(وما يكون مما لم يعلمه) ويروى فيما لا يعلمه (الا بوحي فعلى ما تقدم) جواب أما أي فمحمول على ما سبق

(من انه معصوم فيه لايأخذه فيما أعلم به) بصيغة المجهول (منه شك) أى تردد (ولا ريب) أى شبهة لقوله تعالى فلا تكونن من الممترين (بل هو فيه على غاية اليقين) فى طريق الدين المبين (لكنه) أى الشان أو النبى عليه الصلاة والسلام (لايشترط له العلم بجميع تفاصيل ذلك) بل ربما يقال انه لا يتصور له الاستقصاء بما هنالك (وان كان عنده من علم ذلك) أى بعضه مما حكم له فى القدر (ماليس عند جميع البشر) أى افرادا وجمعا (لقوله) أى النبى (عليه الصلاة والسلام) فيما رواه البيهقى (انى لا أعلم الا ما علمنى ربى ولقوله) فيما رواه الشيخان عنه عليه الصلاة والسلام حكاية عن ربه اعددت لعبادى الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت (ولا خطر على قلب بشر بله) ما اطلعتم عليه اقرؤا ان شئتم (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم) بصيغة المفعول وقرأ حمزة بصيغة المتكلم (من قرة أعين) أى مما تلذ به وبله اسم فعل بمعنى دع واترك (وقول موسى للخضر عليهما السلام هل اتبعك على ان تعلمن) وفى قراءة باثبات الياء (مما علمت رشدا) وقرأ أبو عمرو بفتحهما أى علما ذا رشد وفيه ان المفضول قد يتميز بشئ لم يكن عند من هو أفضل منه كما يشهد له قصة الهدهد مع سليمان عليه السلام (وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم) فيما رواه الديلمى عن أنس رضى الله تعالى عنه (اسئلك باسمائك الحسنى ما علمت منها ومالم أعلم وقوله) فيما رواه أحمد

(من انه) بيان لما تقدم (معصوم فيه) عن الخطأ والشك فى شئ منه (لايأخذه) أى لايعرض له ولا يطرأ عليه (فيما أعلم) بالبناء للمجهول أى أعلمه الله بوحيه وجوز فيه البناء للفاعل أى اعلم به أمته (منه) أى مما ذكر (شك ولا ريب) وتردد فى علمه به (بل هو فيه) أى فيما أعلم به (على غاية اليقين) والجزم به بلا تردد فقلبه صلى الله تعالى عليه وسلم مطمئن بعلمه لايقلق ويضطرب لان أصل معنى الريب الاضطراب كما حققه أهل اللغة (لكنه) استدراك لما يتوهم من كونه على غاية من اليقين لانه ربما توهم احاطة علمه بتفاصيلها فلذا قال (لايشترط له العلم بجميع تفاصيل ذلك) لانه مما يعجز عنه البشر (وان كان عنده) صلى الله تعالى عليه وسلم (من علم ذلك ماليس عند جميع البشر) سواء لما خصه الله به من اطلاعه على مالم يطلع عليه أحد غيره (لقوله) صلى الله عليه وسلم فى حديث رواه البيهقى (انى لا اعلم الا ما علمنى ربى) أى لا اعلم شيأ مما يخفى على الناس الا بتعليمه تعالى (ولقوله) صلى الله عليه وسلم فى حديث روى فى الصحيحين (ولا خطر) أى طرأ علمه (على قلب بشر) أى أحد من الناس هو حديث قدسى أوله * أعددت لعبادى الصالحين مالاعين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بله ما اطلعتم عليه اقرؤا ان شئتم (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين الآية) جزاء بما كانوا يعملون ففيه دليل على ان من أحوال السعداء مالم يطلع عليه صلى الله تعالى عليه وسلم وبله اسم فعل بمعنى دع والآية أيضا تدل على ان الله تعالى أخفى ذلك عن أنبيائه من أحوال السعداء التى تتجافى جنوبهم عن المضاجع وقرة العين سرورها لان دمعة السرور باردة أو لانها تقر وتسكن لعدم التفاتها لغير ماهى فيه (و) مما يدل على ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام قد يخفى عليهم بعض العلوم (قول موسى) كليم الله تعالى عليه الصلاة والسلام وهو من كبار الانبياء عليهم الصلاة والسلام (للخضر) فى قصته التى قصها الله تعالى فى القرآن (هل اتبعك على ان تعلمنى مما علمت رشدا) وموسى هو ابن عمران وما روى عن نوف البكالى من انه موسى بن منشا وهو نبى آخر من بنى اسرائيل ليس من أولى العزم هو قول أهل الكتاب يرون ان موسى الكليم مقامه أجل من ان يتعلم من غيره وقد نقل ما قاله نوف لابن عباس رضى الله تعالى عنهما فقال كذب عدو الله وانما هو ابن عمران واستشكل هذا بان نوفا تابعى صالح ثقة فكيف يقال انه عدو الله فقيل انه قصد زجره فى حال شدة غضبه وتهويله لما سمع ما يخالف ماصح عنده عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأما كونه استعارة كما قاله الله فليس بشئ والخضر هو صاحب موسى عليه الصلاة والسلام وهو بليا بن ملكان والكلام فيه هل هو ولى أو نبى أو ملك وهل هو حى الآن مشهور وللعلامة الخيضرى فيه كتاب سماه الروض النضر فى أحوال الخضر لم يدع فيه مقالا لغيره يحتاج اليه وخضر كحذر لقب سمى به لانه كان اذا جلس على أرض اخضرت وقصته معلومة وتفسير هذه الآية قد كفينا مؤنته ووجه استشهاد المصنف بهذه الآية والقصة غنى عن البيان (و) مما يدل على ان النبى لايجب ان يعلم تفاصيل كل شئ (قوله) صلى الله عليه وسلم فى حديث صحيح رواه الديلمى عن أنس رضى الله عنه فى بعض الادعية المأثورة عنه صلى الله عليه وسلم (اسئلك) بالله (باسمائك الحسنى) تأنيث احسن وأسماؤه عز وجل كلها حسنة لما دلت عليه من المعانى الجليلة والحسن فى العرف العام يقال لما يدرك بالبصر وأكثر ما جاء فى القرآن لما تستحسنه البصيرة كقوله تعالى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه كما قاله الراغب فى مفرداته (ما علمت منها ومالم أعلم) بدل من أسمائك وهذا الحديث يدل على ان لله أسماء لم يعلمها صلى الله عليه وسلم مما لايعلمه الا الله ولا ضير فى مثله (و) مثله (قوله) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه

(أسئلك بكل اسم هولك) أى خاصة (سميت به نفسك أو استأثرت به) أى انفردت بعلمه عن غيرك ويروى واستأثرت به (فى علم الغيب عندك) قيل أسماء الله أربعة آلاف اسم ألف استأثر بها وألف اعلمها الملائكة وألف اعلمها الانبياء وألف فى الكتب المنزلة منها تسعون فى القرآن وواحد فى صحف ابراهيم وثلثمائة فى التوراة ومثلها فى الزبور ومثلها فى الانجيل

أحمد فى مسنده فيه (أسئلك بكل اسم هولك) أى مخصوص بك مما (سميت به نفسك) أى ذاتك وفيه دليل على صحة اطلاق النفس على ذاته من غير مشاكلة خلافا لمن منعه وفيه لبعض المحققين تفصيل حسن وهو انه ان كان بمعنى الذات صح اطلاقه مطلقا نحو كتب على نفسه الرحمة وان كان بمعنى الروح ونحوه كقوله تعالى تعلم مافى نفسى ولا أعلم مافى نفسك لم يطلق الامشاكلة فتدبر (أو استأثرت به) أى انفردت بعلمه دون غيرك (فى علم الغيب عندك) أى فى جملة معلوماتك المغيبة عن غيرك والشاهد فيه كالحديث الذى قبله (وقد قال الله تعالى) مما يدل على انه لا يحيط بجميع العلوم غيره (وفوق كل ذى علم عليم) هو أعلم وأعلى رتبة فى العلم فهذا دليل على ان علم البشر متناه محصور وقال القاضى فى تفسيره المراد كل ذى علم من الخلق لان الكلام فيهم ولان العليم هو الله عز وجل الذى له العلم البالغ فلا فرق بينه وبين قولنا فوق كل العلماء عليم وهو مخصوص انتهى وهو اشارة الى دفع شبهة تقريرها ان الله ذو علم فهو داخل فى هذه الكلية فيقتضى ان فوق الله عليم يعلم مالم يعلمه بانها قضية مخصوصة بالمخلوقين فالعليم الذى فوق كل ذى علم هو الله لا غير فهو عام مخصوص (قال زيد بن أسلم وغيره) فى تفسير هذه الآية اشارة لما قلنا المراد ان رتبة العلماء لا تزال تترقى فى العلم (حتى ينتهى العلم الى الله تعالى) فهو الذى فوق كل ذى علم فوقية بالغة الى مرتبة ليس فوقها شئ أصلا فهو العليم المحيط علمه بكل شئ علما بسائر الجزئيات علما تفصيليا خلافا للفلاسفة القائلين بانه يعلم الكليات دون الجزئيات وبطلان قولهم مذكور فى كتب الكلام الا ان النصير الطوسى قال فى مقالة له فى هذا المبحث ان المخطئين لم يقفوا على مرادهم وانهم لم ينكروا ذلك وهو كلام طويل لا يحيط به نطاق البيان هنا وقد ذهب الى ماقاله النصير ابن عربى فى فتوحاته وارتضاه بعض مشايخ عصرنا ولكل وجهة وفوق كل ذى علم عليم (وهذا) أى انتهاء العلم اليه تعالى (مالا خفاء به) عند من له عقل سليم (اذ معلوماته تعالى لا يحاط بها) أى لا يقفون على جميعها ولا يحيطون بشئ من علمه وقد أحاط بكل شئ علما وهو فى الاصل استعارة من احاطة الحائطة بما فى داخله (ولا منتهى لها) عطف تفسير لعدم الاحاطة (هذا) أى ماذكر من عصمة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فيما يتعلق بعقد قلبه فيما ذكر فى هذا الفصل كما اشار اليه بقوله (حكم عقد) قلب (النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) أى اعتقاده الجازم فيما ذكر فى هذا الفصل (فى التوحيد) المراد به مايتعلق بالعقائد (والشرع) ونحوه مما أوحى اليه (والمعارف والامور الدينية) من عطف بعض افراد العالم عليه لمزيته والكلام على العلم وحقيقة علم الله الحضورى وماله وعليه مما تكفلت به الكتب الكلامية ولكل مقام مقال

(فصل واعلم أن الامة) أى أمة الاجابة (مجتمعة على عصمة النبى) أى حفظه صلى الله تعالى عليه وسلم (من الشيطان) والتعريف فى النبى للجنس أو للاستغراق ويجوز أن يكون للعهد ويعلم غيره بطريق الدلالة فانه تعالى قال ان عبادى ليس لك عليهم سلطان فاذا لم يكن له سلطان على خاص عباده علم انه ليس له تسلط على أنبيائه عليهم الصلاة والسلام بالطريق الاولى (وكفايته منه) أى حمايته (لا فى جسمه بانواع الاذى) أى أذى الشيطان مما يكون من اصابته أو اصابة جنده من الجن كالصرع والطاعون وذات الجنب فانها من الشيطان ولذا لم يرض صلى الله تعالى عليه وسلم بالدود فى مرض موته

(وقد قال تعالى وفوق كل ذى علم عليم) أى من هو أعلم منه (قال زيد بن أسلم وغيره حتى ينتهى العلم الى الله تعالى) أو فوق العلماء كلهم من هو أعلم منهم وهو الحكيم العليم (وهذا مما لا خفاء به اذ معلوماته لا يحاط بها) وقد قال تعالى ولا يحيطون به علما وقال ولا يحيطون بشئ من علمه الا بما شاء (ولا منتهى لها) أى لمعلوماته سبحانه وتعالى أزلا وأبدا فلا يتصور أن يحيط به علم البشر (هذا) أى ماذكر (حكم عقد النبى) أى جزم قلبه (فى التوحيد) أى فى توحيد ربه (والشرع) أى المكلف به من أمره ونهيه (والمعارف الالهية) أى الاسرار الربانية (والامور الدينية) أى والانوار المنبعثة عن الاحوال الدينية والافعال الاخروية

(فصل) (واعلم ان الامة مجمعة) وفى نسخة مجتمعة (على عصمة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) أى حفظه وحمايته (من الشيطان) لقوله تعالى ان عبادى ليس لك عليهم سلطان (وكفايته) أى وعلى كفاية الله له وفى نسخة وحراسته (منه) أى من ضرره الظاهرى والباطنى كما بينه بقوله (لا فى جسمه) أى ظاهر جسده (بانواع الاذى) كالجنون والاغماء

(ولا على خاطره بالوساوس) أي على وجه الالقاء وفي نسخة بالوسواس أي بجنسه الذي يوسوس في صدور سائر الناس (وقد أخبرنا القاضي الحافظ أبو علي) أي ابن سكرة (رحمه الله قال ثنا أبو الفضل بن خيرون) بالمنع والصرف (العدل) أي الثقة (ثنا أبو بكر البرقاني) بفتح الموحدة هو الحافظ الامام أحد الاعلام أحمد بن محمد بن أحمد بن غالب الخوارزمي الشافعي بغدادي (ثنا أبو الحسن الدارقطني) وهو شيخ الاسلام والدارقطن محلة ببغداد (ثنا اسمعيل الصفار) بتشديد الفاء (ثنا عباس) بالموحدة والسين المهملة (الترقفي) بفتح المثناة فوق ثم راء ساكنة ثم قاف مضمومة ثم فاء مكسورة ثم ياء النسبة ثقة متعبد أخرج له ابن ماجة (ثنا محمد بن يوسف) هذا هو الفريابي وعاش اثنتين وتسعين سنة (ثنا سفيان) أي على ما هو الظاهر (عن منصور) هو ابن المعتمر (عن سالم بن أبي الجعد) الاشجعي الكوفي يروي عن عمر وعائشة مرسلا وعن ابن عباس وابن عمر وعنه الاعمش وجماعة ثقة (عن مسروق) أي ابن الاجدع الهمداني أحد الاعلام يروي عن أبي بكر وعمر ومعاذ ومعاوية قال الشعبي وكان أعلم بالفتيا من فريش وقال أبو اسحق حج مسروق فنام الا ساجدا وقالت امرأة مسروق كان يصلي حتى تورم قدماه أخرج له الائمة الستة (عن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما منكم من أحد) من زائدة مؤكدة (الا وقد وكل) وفي نسخة الا وكل وهو بصيغة المجهول وفي نسخة الا وكل الله (به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة) وفي رواية من الملك (قالوا واياك يا رسول الله) أي أو أنت وكل بك قرينك من الجن (قال واياي) أي وقد وكل بي قريني (ولكن الله تعالى أعانني عليه

ظنهم ان به ذات الجنب فقال انها من الشيطان وقد عصمني الله منه كما يأتي ومنه علم ان الطاعون لا يصيب الانبياء عليهم الصلاة والسلام (ولا) يسلط الشيطان (على خاطره) أي فكره وقلبه صلى الله عليه وسلم (بالوساوس) جمع وسوسة وهو ما يلقيه الشيطان في نفسه قيل ومن الوسوسة ما هو غير اختياري يقدر الانسان على دفعه ولا يؤاخذ به ما لم يعمل أو يتكلم وهذا مما لم يعصم عنه أحد لانه من الاعراض البشرية الا انه صلى الله تعالى عليه وسلم معصوم عن ان يقر فيه اذا عرضت له نادرا وليس من هذا القبيل السحر فتأمله (وقد أخبرنا القاضي الحافظ أبو علي) هو ابن سكرة وقد تقدمت ترجمته قال (حدثنا أبو الفضل بن خيرون العدل) تقدم أيضا قال (حدثنا أبو بكر البرقاني وغيره) بكسر الباء الموحدة وسكون الراء المهملة وقاف وألف ونون نسبة لبرقانة قرية من نواحي خوارزم وهو الامام الحافظ أبو بكر أحمد بن محمد بن أحمد بن غالب الخوارزمي الشافعي امام بغداد كما تقدم قال (حدثنا أبو الحسن علي بن عمر (الدارقطني) نسبة لدارقطن محلة ببغداد كما تقدم قال (حدثنا اسمعيل) بن محمد بن اسمعيل الامام العابد الثقة النحوي المشهور (الصفار) نسبة لعمل الصفر وهو النحاس توفي سنة احدى وأربعين وثلاثمائة وقد جاوز التسعين بأربع سنين قال (حدثنا عباس) بمهملتين بينهما موحدة (الترقفي) بفتح المثناة الفوقية وسكون الراء وضم القاف وفاء مكسورة وياء نسبة وهو امام ثقة روى عنه ابن ماجة وغيره وهو يروي عن الفريابي وترقف قيل اسم امرأة وقيل اسم بلدة قال (حدثنا محمد بن يوسف) وهو الفريابي وقد تقدم (عن سفيان) الثوري وقد تقدم (عن منصور) هو ابن المعتمر وقد تقدم (عن السالم ابن أبي الجعد) الاشجعي الكوفي وقد تقدم أيضا (عن مسروق) بن الاجدع الهمداني العابد الزاهد التابعي توفي سنة ثلاث وستين وأخرج له الستة (عن عبد الله بن مسعود) الصحابي المشهور في حديث رواه مسلم عن سالم بن أبي الجعد عن أبيه عن ابن مسعود ورواه من طريق آخر لعلو سنده فيه وعظم رجاله (قال) ابن مسعود (قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما منكم) أي معاشر الناس (من أحد) من زائدة واحد مبتدأ خبره مقدم عليه وهو منكم وزيادة من لتأكيد العموم (الا وقد وكل) مشدد مبني للمجهول أي عين الملازمته كالحفيظ الملازم لمن يحفظه كما قال تعالى وما أنت عليهم بوكيل فاستعمل المقيد في المطلق مجازا (به قرينه) أي الذي يكون مقارناله (من الجن وقرينه من الملائكة) اما قرين الجن فانه موكل بوسوسته واغوائه واما قرينه من الملائكة فهو من الحفظة لا من الكتبة كما قيل لعدم مناسبته لما هنا (قالوا) أي قال الصحابة الحاضرون عنده صلى الله تعالى عليه وسلم (واياك يا رسول الله) اياضمير نصب معمول لمقدر وأصله أو كل بك قرين من الجن كغيرك فحذف الفعل وحرف الجر فانتصب الضمير وانفصل وانما عدل عن الظاهر تادبا واشارة الى استبعاد ان يكون كغيره في ذلك لان معنى توكيله به تسليطه عليه بوسوسته واغوائه وهو صلى الله تعالى عليه وسلم معصوم من مثله أو الضمير مستعار من ضمير الرفع وأصله وأنت كما ورد في رواية صححها البرهان عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وسيأتي (قال) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (واياي) أي وكل بي قرين من الجن كغيري ثم استدرك ببيان غيره صلى الله عليه وسلم عنهم بقوله (ولكن) بالتشديد والتخفيف (الله) بالرفع والنصب على وجهين لكن (أعانني عليه) أي على قريني من الجن فحفظني منه ومنعه من التسلط على لهدايته

للاسلام (فاسلم) بصيغة الماضي من الاسلام أي هدى الله قريني للاسلام ببركة مقارنته له صلى الله عليه وسلم أو هو مضارع مرفوع فاعله ضميره صلى الله تعالى عليه وسلم أي سلمني الله منه وقال النصير الطوسي في شرح الاشارات في الحديث ما من مولود ولد من بني آدم الا ولد معه قرينه من الشياطين فقيل وأنت يارسول الله كذلك قال وأنا كذلك الا ان الله أعانني عليه فاسلم أي فاسلم الشيطان ومنهم من أنكر هذه الرواية الصحيحة فاسلم ومعناها ان الله أعانني عليه حتى أسلم من شره فان الشيطان لا يسلم قط انتهى ومنهم من أوله فقال المراد بالشيطان القوة الغضبية واسلامها انقيادها للعقل والنفس القدسية واليه ذهب الامام الغزالي في الاحياء ويجوز كون الروايتين بمعنى على ان أسلم مضارع منصوب على نهج قوله والحق بالحجاز فاستريحا * ولك ان تقول أعانني عليه بمعنى لم يسلطه علي فالمضارع منصوب في جواب النفي وقد يخرج عليه البيت (زاد غيره) أي غير سفيان راوي هذا الحديث فيه (عن منصور) بن المعتمر الذي تقدم في جملة رواة هذا الحديث (فلا يأمرني) هذا القرين (الا بخير) فصار قرينه صلى الله عليه وسلم قرين خير (و) روى (عن عائشة) رضي الله عنها (بمعناه) (و) (روى) أي عن عائشة رضي الله تعالى عنها هو بيان لما قبله (فاسلم بضم الميم) وهمزة المتكلم مضارع مرفوع (أي) فانا (أسلم منه) وفي نسخة أي فاسلم انا منه ومن وسوسته (وصحح بعضهم هذه الرواية ورجحها) على الرواية الاولى ولم يخرجه المحدثون وقد تقدم في كلام الطوسي وهو ليس من فرسان هذا الميدان (وروى) بالبناء للمجهول والرواية في صحيح البخاري (فاسلم) بصيغة الماضي (يعني القرين) تفسير لضمير الفاعل المستتر فيه ومعنى أسلم (انه انتقل عن حال كفره) بناء على ان الشياطين منهم من يسلم وقوله (الى الاسلام) متعلق بانتقل أي تحول من حال لاخرى (فصار لا يأمر الا بخير كالملك) القرين الموكل به (وهو) أي هذا المعنى وهو انتقاله من الكفر الى الاسلام (ظاهر الحديث) المفهوم من سياقه بدليل قوله (ورواه بعضهم فاستسلم) أي انقاد وكف عن الوسوسة قال ابن الاثير رواية أسلم بفتح الميم يشهد لها ماروى كان شيطان آدم كافرا وشيطاني مسلما اوورواية حتى أسلم ورواية مسلم بضم الميم وقد علمت ان المصنف رحمه الله مرجح لرواية الفتح وان في الحديث ثلاث روايات وان أسلم جاء بمعنى استسلم وانقاد أيضا قيل انه تقدم ان الشيطان ممنوع من التسلط بالاذى على المؤمنين وفيه انا نجد منهم من حصل له مس وخطف كتميم رضي الله تعالى عنه فلعله لتقدم سبب يمنع من حفظه انتهى ولا يخفى انه في حق الانبياء محقق وفي غيرهم اغلبي والنادر لا حكم له ومر ان القرين الملازم ولذا سميت الزوجة قرينة وقدم قرين الجن لمناسبته المقام له وحديث عائشة هذا في مسلم قالت خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من عندها ذات ليلة قالت فغرت فلما جاء قال مالك يا عائشة اغرت فقالت كيف لا يغار مثلي على مثلك فقال هذا من شيطانك قلت أومعي شيطان يارسول الله قال نعم ومع كل انسان قلت ومعك يارسول الله قال نعم ولكن الله أعانني عليه حتى أسلم قال الخطابي رحمه الله تعالى الصحيح اختار عندهم أي ورجحه القاضي عياض الفتح كما مر وهو المختار لقوله ولا يأمر الا بخير واختلفوا في الفتح فقيل أسلم بمعنى استسلم كما رواه مسلم وقيل معناه صار مسلما وهو الظاهر انتهى وايده هذا بما أخرجه البيهقي وابن الجوزي في الوفاء عن نافع عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال فضلت على آدم بخصلتين كان شيطاني كافرا فاعانني الله عليه حتى أسلم وكن أزواجي عونا لي وكان شيطان آدم كافرا وكانت زوجته عونا على خطيآته وقد أشار الى ذلك الصرصري رحمه الله تعالى في نونيته بقوله

فاسلم) بفتح الميم أي انقاد وقيل آمن وفي نسخة بضمها أي أسلم من شره (زاد غيره) أي سفيان أحد رواته (عن منصور فلا) ويروى ولا (يامرني الا بخير) هذا الحديث أخرجه المصنف كما ترى من حديث مسروق عن ابن مسعود والحديث في مسلم لكن من حديث سالم بن أبي الجعد عن أبيه عن ابن مسعود وانما كثر اخراجه من هذه الطريق دون طرق مسلم لما فيها من العلو مع صحة الاسناد كذا ذكره الحلبي وقال الدلجي هذا الحديث في البخاري ولعله بسند آخر والله تعالى أعلم (وعن عائشة بمعناه) لا يعرف مخرج مبناه وروى في الباب أيضا عن ابن عباس بسند أحمد قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ليس منكم أحد الا وقد وكل به قرينه من الشياطين قالوا وأنت يارسول الله قال نعم ولكن الله أعانني عليه فاسلم (وروى فاسلم بضم الميم) أي وفتح همزة المتكلم من السلامة (أي فاسلم انا منه) أي فاخلص (وصحح بعضهم هذه الرواية ورجحها) أي من جهة الدراية وممن صححها سفيان بن عيينة فانه زعم ان الشيطان لا يسلم كما نقله الغزالي في الاحياء (وروى فاستسلم) أي بصيغة الماضي المعلوم (يعني القرين أنه انتقل من حال كفره الى الاسلام فصار لا يامر) كرواية البخاري (الا بخير كالملك وهو ظاهر في الحديث) أي بناء على الفعل الماضي مع أنه يحتمل ان يكون معناه انقاد واستسلم ويؤيده رواية المتكلم (وروي بعضهم فاستسلم)

أي اذاعن وانقاد وذكر ابن الاثير رواية فاسلم بفتح الميم ورواية فاسلم بضم الميم ورواية حتى أسلم أي انقاد كذا لفظه ثم قال ويشهد للاول يعني رواية فتح الميم الحديث الآخر كان شيطان آدم كافرا وشيطاني مسلما (قال القاضي أبو الفضل رضي الله تعالى عنه) يعني المصنف (فاذا كان هذا حكم شيطانه وقرينه المسلط) أي باعتبار جنسه (على بني آدم) وفي نسخة على كل احد من بني آدم (فكيف) أي الظن (بمن بعد) أي من شياطين الجن (عنه) أي عن النبي عليه الصلاة والسلام ويروى منه (ولم يلزم صحبته ولا اقدر) بصيغة المجهول أي مكن ولا جعل له قدرة (من الدنو منه) أي القرب من حضوره والمعنى أيقع في وهم انه عليه الصلاة والسلام

في خصلتين يفوق آدم فيهما * وهما لاهل الحق واضحتان
شيطان آدم كافر يغوي وقد * وصلت هدايته الى الشيطان
ولزوجه عون عليه وانه * بنسائه قد كان خير معان

ونقل الشيخ محمد الشامي في سيرته عن المطلع ما اسلم من الشياطين الا شيطان نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وشيطان نوح عليه الصلاة والسلام وقال بعضهم بل سائر الانبياء على هذا المنوال فتدبر (قال القاضي أبو الفضل) عياض مصنف هذا الكتاب رحمه الله تعالى (فاذا كان هذا حكم شيطانه) صلى الله تعالى عليه وسلم في احتياجه الى اعانة الله تعالى له عليه حتى يسلم منه (و) حكم (قرينه) من الجن الذي وكل به وهو عطف تفسير لما قبله ووصفه بقوله (المسلط على كل احد من بني آدم) وفي نسخة المسلط على بني آدم والمراد المسلط نوعه وجنسه لان قرينه مختص به (فكيف) الظن (بمن بعد منه) ولم يقارنه من الشياطين أيتوهم احد انه لا يسلم منه فعدم تسلطه معلوم بالطريق الاولى لانه لا يقدر على الدنو منه (و) هو (لم يلزم صحبته) لان الله لم يجعله قرينا له اذ القرين معناه الملازم للصحبة كما تقدم (ولا اقدر) بضم الهمزة والبناء للمفعول أي لم يجعل له قادرا (على الدنو) والقرب (منه) صلى الله تعالى عليه وسلم لعصمة الله له على تسلطه عليه وعلى سائر الانبياء وخاص عباده (وقد جاءت الآثار) والاحاديث المروية عنه صلى الله تعالى عليه وسلم (بتصدي) أي تعرض (الشياطين له) صلى الله تعالى عليه وسلم (في غير موطن) أي في مواضع كثيرة كالصلاة وغيرها (رغبة) مفعول له أو حال (في اطفاء نوره) ويأبى الله الا ان يتم نوره (واماتة نفسه) أي اهلاكه أو صده عما هو مشغول به من العبادة (وادخال شغل عليه) أي بالوسوسة المانعة له عن الفكر فيما فيه صلاحه وصلاح أمته فعلوا ذلك (اذ يئسوا من اغوائه) واضلاله عن طريق الحق (فانقلبوا) أي رجعوا عما تصدوا له (خاسرين) خائبين لعدم قدرتهم عليه صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى القرب منه (كتعرضه له) أي تعرض الشيطان له صلى الله تعالى عليه وسلم وهو مستغرق بالتوجه الى الله تعالى (في صلاته فاسره) أي أخذه وقهره باستيلائه عليه قهرا وبينه بقوله (ففي الصحاح) أي الاحاديث الصحيحة المروية في البخاري ومسلم وغيرهما (قال أبو هريرة) رضي الله تعالى عنه في حديث رواه (عنه) صلى الله تعالى عليه وسلم (ان الشيطان تعرض لي) وفي نسخة عرض لي أي اتاني ووقف عندي (قال عبد الرزاق) بن الهمام الامام الحافظ كما تقدم في ترجمته وهذا في زيادته على الصحيحين (في صورة هر) وهو السنور الذي يقال له قط والشياطين تتمثل باي صورة أرادت من صور الحيوان وغيره (فشد علي) أي حمل ووثب وثبة علي يقال شد يشد بكسر الشين المعجمة وضمها اذا حمل على العدو ونحوه (يقطع علي الصلاة) أي يبطل صلاتي بالخروج منها واصله

لا يسلم منه لا بل الاولى ان يسلم بدليل انه لم يكن له عليه كغيره من النبيين سلطان (وقد جاءت الآثار بتصدي الشيطان) أي بتعرضه (له في كل موطن) أي من الصلاة وغيرها وفي نسخة في غير موطن أي في مواطن كثيرة (رغبة) أي لاجل الميل والتوجه (في اطفاء نوره) ويأبى الله الا ان يتم نوره (واماتة نفسه) أي اهلاك ذاته واعدام صفاته (وادخال شغل) بضم فسكون وبضمتين وبفتح فسكون أي اشغال بال (عليه اذ يئسوا) أي جنس الشيطان (من اغوائه) أي اضلاله وافساد أمره (فانقلبوا خاسرين) أي فرجعوا خائبين خاشعين ذليلين صاغرين (كتعرضه) أي الشيطان (له في صلاته فاخذه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم

(وسره) أي استولى عليه وقهره ويروى فاسره (ففي الصحاح) أي البخاري ومسلم وغيرهما (قال أبو هريرة رضي الله تعالى عنه عنه عليه السلام) أي مرفوعا (ان الشيطان عرض لي) أي ظهر (قال عبد الرزاق) أي الصغاني زيادة على ما في الصحيحين (في صورة هر) لما أوتوه من قوة التشكل كالملائكة الا ان الملك لا يتصور الا بشكل حسن بخلاف الشيطان (فشد) بتشديد الدال أي حمل (علي يقطع علي الصلاة) حال أو استئناف وأبعد الدلجي في قوله حذفت لام العلة منه للعلم بها وهو مؤول بمصدر

(فامكننى الله منه) أى فاقدرنى من أخذه وأسره وقوانى على قهره (فذعته) بذال معجمة وقيل مهملة قال النووى وانكر الخطابى المهملة وصححها غيره وصوبه وان كانت المعجمة أوضح وأشهر انتهى وعند ابن الحذاء فى حديث ابن أبى شيبة فذغته بذال وغين معجمتين وفتح عين مهملة مخففة وتشديد فوقية أى خنقته خنقا شديدا أو دفعته دفعا عنيفا أو معكته فى التراب كالغط فى الماء وفى رواية ابن أبى الدنيا عن الشعبى مرسلا أتانى شيطانى فنازعنى ثم نازعنى فاخذت بحلقه فوالذى بعثنى بالحق ما ارسلته حتى وجدت برد لسانه على يدى ولولا دعوة أخى سليمان أصبح طريحا فى المسجد (ولقد هممت) أى قصدت (ان أوثقه) أى اربطه (الى سارية) أى اسطوانة بسارية من سوارى المسجد (حتى تصبحوا) أى تدخلوا فى الصباح أو تصيروا (تنظرون) وفى نسخة ناظرين ٦٦

(اليه فذكرت) أى فتذكرت (قول أخى) أى فى النبوة (سليمان) أى ابن داود وفى رواية دعوة أخى سليمان أى دعاءه (رب اغفر لى) قدم طلب المغفرة فانه الامر الدينى على المطلب الدنيوى المشار اليه بقوله (وهب لى ملكا الآية) أى لا ينبغى لاحد من بعدى أى لا يتسهل أو لا يصح أو لا يكون لاحد غيرى لتكون معجزة مختصة بى (فرده الله خاسأ) أى خائبا خاسرا قال المصنف فى شرح مسلم كما نقله عنه النووى انه مختص بهذا فامتنع نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم من ربطه اما لانه لم يقدر عليه لذلك واما لانه لما تذكر ذلك لم يتعاط ذلك لظنه لانه لا يقدر عليه او تواضعا وتأدبا انتهى أو ايماء لكونه معجزة مختصة به (وفى حديث أبى الدرداء) وهو عمير وقيل اسمه عامر ولقبه عويمر واختلف فى اسم أبيه على سبعة أقوال وبنته الدرداء أبو روى عنه ابنه بلال وزوجته أم الدرداء توفى بدمشق سنة احدى وثلاثين وقد أسلم عقيب بدر الا انه فرض له عمر والحقه بالبدريين لجلالته (عنه عليه الصلاة والسلام) فيما رواه مسلم (ان) بفتح الهمزة ويجوز كسرها (عدو الله ابليس جاء فى بشهاب) أى بشعلة مضيئة مقتبسة (من نار ليجعله فى وجهى) أى ليحرقه (والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى الصلاة) جملة حالية معترضة بين ما رواه أبو الدرداء من لفظه صلى الله تعالى عليه وسلم وبين ما ذكره بمعناه لبيان وقت مجىء عدو الله الى حبيب الله (وذكر) أى أبو الدرداء

ليقطع على الى آخره أو اراد ان يقطع صلاتى ويفسدها (فامكننى الله منه) أى اقدرنى عليه ومكننى من أخذه وقهره (فدعته) بفاء ودال مهملة ومعجمة وعين مهملة ومعجمة ويقال دأته بدال مهملة وهمزة أى خلته ودفعته حتى صرعته وروى فاخذت بحلقه وأصل الدعت بمهملة ومعجمة الدفع بعنف والمعك فى التراب كما فى النهاية وفى غيرها انه الغط فى الماء والخنق الشديد وانكر الخطابى المهملة وصححه غيره (ولقد هممت ان أوثقه) أى اربطه والوثاق ما يشد به قال تعالى فشدوا الوثاق وهممت بمعنى عزمت ونويت (الى سارية) وروى بسارية من سوارى المسجد والسارية العمود المنصوب ليوضع عليه سقف ونحوه وكان ذلك فى تهجده ولذا قال (حتى تصبحوا) أى تدخلون فى وقت الصباح تنظرون اليه فذكرت قول اخى سليمان) عليه الصلاة والسلام والاخوة هنا المراد بها اخوة النبوة لانها تطلق على المشابهة والمشاركة فى أمر ما (رب اغفر لى وهب لى ملكا الآية) لان الملك الذى أعطاه الله له ملك الانس والجن والدنيا كلها وليس طلب سليمان لذلك محبة للدنيا وزينتها انما هو لاجل ان يتم له اعلاء كلمة الله وتنفيذ امره وقدم الدعاء بالمغفرة عليه لانه ادعى للاجابة وللاشارة الى ان القيام باعباء الملك والنبوة شاغل عن العبودية فهو عنده صلى الله تعالى عليه وسلم كالذنب (فرده الله) أى رد ذلك الشيطان (خاسئا) أى خائبا حقير العدم ظفره بما اراده منه وقولهم للكلب اخسأ لانها تدل على الطرد مع التحقير وقال الخطابى هذا يدل على ان سليمان عليه السلام واصحابه كانوا يرون الجن على خلقتهم الاصلية فيجوز وقوعه لغيرهم فان قلت كيف يأتى الشيطان لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقد قال لو سلك عمر فجا لم يسلكه الشيطان فكيف يخاف عمر ولا يخافه صلى الله تعالى عليه وسلم حتى يتغلب عليه قلت عمر رضى الله تعالى عنه لما لم يكن معصوما محفوظا من الجن حفظه الله بالقاء الرعب منه فى قلوبهم لحدته وشدته والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم معصوم من الجن والانس فلو سلكوا فجه اخذوا واوثقوا ويكون ذلك معجزة له صلى الله تعالى عليه وسلم لا تليق بغيره كما قيل وفى شرح مسلم للنووى ان سليمان عليه الصلاة والسلام اختص بهذا عن غيره فامتناعه صلى الله تعالى عليه وسلم عن امساكه اما لانه لم يقدر عليه لذلك أو قدر وتركه تواضعا وتأدبا منه وكونه لم يقدر عليه يرده قوله امكننى الله منه (وفى حديث أبى الدرداء) رضى الله تعالى عنه (عنه صلى الله تعالى عليه وسلم) الذى رواه البيهقى عن عبد الرحمن بن حبيش وابو الدرداء هو عويمر واختلف فى اسم ابيه على أقوال فقيل عامر وقيل مالك وقيل قيس وقيل ثعلبة وهو انصارى خزرجى أسلم عقب بدر وتوفى سنة اثنين وثلاثين وأخرج له احمد والستة وله مناقب مشهورة (ان عدو الله ابليس) لعنه الله (جاء فى بشهاب) أى شعلة (من نار ليجعله فى وجهى) أى يلقيه عليه ليقطع صلاته (والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى الصلاة) جملة حالية أو معترضة من كلام أبى الدرداء (وذكر)

(تعوذه بالله ولعنه له) بلفظ أعوذ بالله منك ألعنك بلعنة الله تعالى وقوله عليه الصلاة والسلام (ثم أردت آخذه وذكر) أى أبو الدرداء (نحوه) أى نحو حديث أبى هريرة رضى الله تعالى عنه من قوله لقد هممت ان أوثقه (فقال لاصبح موثقا) بفتح المثلثة أى مقيدا (يتلاعب به ولدان أهل المدينة) أى صبيانهم وصغارهم (وكذلك) أى وكما فى حديث أبى الدرداء (فى حديثه) فيما رواه البيهقى عن عبد الرحمن بن حبيش (فى الاسراء) أى الى بيت المقدس

والسماء (وطلب عفريت له) برفع طلب مضافا وفى نسخة بجره أى طلب خبيث متمرد يعفر اقرانه أى يصرعهم ويفزعهم ويمرغهم فى التراب ويهلكهم (بشعلة نار فعلمه جبريل عليه السلام ما يتعوذ به منه وذكره) أى هذا الحديث (فى الموطأ) بهمزة أو ألف وهو كتاب للامام مالك وفى حديث البخارى ان عفريتا تفلت على البارحة ليقطع على صلاتى فامكننى الله منه فاخذته فذعته ولولا دعوة أخى سليمان لربطته بسارية من سوارى المسجد فاصبح يلعب به ولدان المدينة (ولما لم يقدر) أى عدو الله (على أذاه بمباشرته) أى اياه (تسبب بالتوسط الى عداه) بكسر العين وهو اسم جمع أى أعدائه من كفار قريش وغيرهم (كقضيته مع قريش فى الائتمار) أى التشاور (بقتل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وتصوره) أى ابليس (فى صورة الشيخ النجدى) وانما انتسب اللعين بذلك لانهم قالوا لا تدخلوا معكم أحدا من أهل تهامة فان هواهم مع محمد عليه الصلاة والسلام ومجمل القصة انه جاءهم بدار الندوة بمكة وقد بلغهم اسلام الانصارى من أهل المدينة فى العقبة فجزعوا ولدفعه اجتمعوا فدخل عليهم وقال أنا من نجد سمعت اجتماعكم ولن تعدموا منى رأيا ونصحا لكم فقال أبو البخترى ان تحبسوه فى مكان وتسدوا منافذه غير كوة تلقون اليه طعامه وشرابه منها فقال ابليس بئس الرأى يأتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه منكم فقال هشام بن عمرو أرى ان تحملوه على جمل فتخرجوه من أرضكم فلا يضركم

أبو الدرداء (تعوذه) صلى الله تعالى عليه وسلم (بالله منه) أى قوله صلى الله عليه وسلم أعوذ بالله منك (ولعنه له) وقوله (ثم أردت أخذه) مصدر مفعول لاردت وفى نسخة آخذه مضارع بتقدير ان كما فى بعض النسخ (وذكر نحوه) أى نحو قول أبى الدرداء كهممت ان أوثقه وفاعل ذكر النبى صلى الله عليه وسلم (و) كذا (قال) وفيه تقدير أى لو أوثقته (لاصبح موثقا) أى مربوطا (يتلاعب به ولدان أهل المدينة) ولدان بكسر الواو جمع وليد وهو الصبى الصغير وهذا الحديث فى مسلم وفيه مسائل فقهية منها ان الدعاء على غيره بالخطاب لا يبطل الصلاة لقوله فيه لعنك الله ان لم نقل انه مخصوص به صلى الله عليه وسلم أو قبل تحريم الكلام وان الجن ترى بخلقتها الاصلية وقوله تعالى انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم أغلبى وقد قيل انه مخصوص بالانبياء كرؤية الملك قال الشافعى من زعم انه يراهم ردت شهادته وعزر لمخالفته القرآن وكان النووى أخذ منه قوله من منع التفضيل بين الانبياء عزر لمخالفته القرآن وحمل بعضهم كلام الشافعى على زاعم رؤية صورهم التى خلقوا عليها واستشكل ما ذكر شيخنا ابن قاسم بان غاية ما فى الآية اثبات حالة مخصوصة وهى تمكنهم من رؤيتنا فى حالة لا نراهم فيها وليس فيها عموم ولا حصر وذلك لا ينافى ان لنا حالة أخرى نراهم فيها خصوصا وقد وردت الادلة برؤيتهم (وكذلك) أى مثل حديث أبى الدرداء ما روى (فى حديثه) صلى الله تعالى عليه وسلم الوارد (فى الاسراء وطلب عفريت له) صلى الله تعالى عليه وسلم وطلبه هنا بمعنى توجهه نحوه ليرميه (بشعلة من نار فعلمه جبريل) عليهما الصلاة والسلام (ما يتعوذ به منه) بان قال له قل أعوذ بالله منك فانه حرزك (وذكره) أى أمر الشيطان معه فى الاسراء أو تعليم جبريل له الامام مالك رحمه الله (فى الموطأ) وهذا كان قبل صعوده صلى الله تعالى عليه وسلم للاسراء وكونه قصد تعليم جبريل له لا معنى له والعفريت الشديد الخبث المتمرد من الجن واطلاقه على غيرهم مجاز والكلام على اشتقاقه وغيره مبسوط فى كتب اللغة وما علمه له جبريل هو قوله * أعوذ بوجه الله الكريم وكلمات الله التامات التى لا يجاوزهن بر ولا فاجر ومن شر ما ينزل من السماء وشر ما يعرج فيها وشر ما ذرأ فى الارض وشر ما يخرج منها وشر فتن الليل والنهار وشر طوارق الليل الا طارقا يطرق بخير * وقال له اذا قلتهن اطفأت ناره (ولما لم يقدر) الشيطان (على أذاه) اذ لم يصل اليه ولم يسلط عليه لعصمة الله تعالى له (بمباشرته) أى بالقرب منه جدا لانها فى الاصل ملابسة البشرة وهى ظاهر البدن (تسبب بالتوسط الى عداه) بكسر العين وضمها اسم جمع عدو أى لما لم يصل اليه ابتداء وكان متمكنا فى الوصول لاعدائه وهم الكفرة جعلهم واسطة وسببا للايصال الاذى اليه باغوائهم وتحريضهم على أذيته واغرائهم عليه (كقصته) أى الشيطان (مع قريش) بعد موت أبى طالب لما جد صلى الله تعالى عليه وسلم فى دعوتهم وانذارهم (فى الائتمار) هو افتعال من الامر ومعناه المشاورة فى المهم (بقتل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) وهو رأيهم الذى استقروا عليه (وتصوره) أى ظهور ابليس لعنه الله (فى صورة الشيخ النجدى) نسبة لنجد وهى أرض فوق تهامة وانما تصور بصورة

ما يصنع فقال بئس الرأى يفسد قوما غيركم ويقاتلكم فقال أبو جهل أرى ان تاخذوا من كل بطن غلاما وتعطوه سيفا فيضربوه ضربة واحدة فيفترق دمه فى القبائل فلا يقوى بنو هاشم على حرب قريش كلهم فاذا طلبوا عقله أى ديته عقلناه فقال صدق الفتى فتفرقوا على رأيه فاخبره جبريل عليه السلام بذلك وأمره ان لا يبيت فى مضجعه وأذن له بالهجرة الى المدينة فخرج وأخذ قبضة من تراب وجعل ينثره على رؤسهم ويقرأ وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون ومضى الى الغار من ثور هو وأبو بكر الى آخر القصة فنزل واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون

ويمكر الله والله خير الماكرين (ومرة أخرى) أي وكتصوره (فى غزوة يوم بدر فى صورة سراقة بن مالك) وهو ابن جعشم الكنانى على مارواه ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما (وهو قوله تعالى واذ زين لهم الشيطان أعمالهم الآية) يعنى وقال لاغالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم أى مجيركم من بنى كنانة فانكم لا تغلبون ولا تطاقون لكثرتكم عددا وعددا وأوهمهم ان لهم الغلبة أبدا حتى قالوا اللهم انصر احدى الفئتين وأفضل الملتين فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه أى رجع القهقرى وكانت يده فى يد الحارث بن هشام فقال له الى أين تريد تريد أن تخذلنا فرارا من غير قتال فدفع فى صدر الحارث وقال انى برىء منكم انى أرى مالا ترون انى أخاف الله وانطلق متبرئا من أفعالهم ويائسا من أحوالهم لما رأى من أمداد الله تعالى المؤمنين بالملائكة الدال على ان لهم النصرة والغلبة فانهزم الكفرة فقيل هزم الناس سراقة فقال والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغنى خبر هزيمتكم فلم يعلموا انه الشيطان حتى أسلم بعضهم (ومرة) أى وتصوره كرة أخرى (ينذر بشانه) أى يخبر بحاله صلى الله تعالى عليه وسلم ليخوف الناس منه ويحذرهم عنه (عند بيعة العقبة) أى عقبة منى السفلى ليلة بايع الانصار على انه ان آتاهم آووه ونصروه ودفعوا عنه كما يحمى الرجل عن حريمه قال الامام أبو الليث فى تفسيره وقد هاجر اليهم بعد هذا بحولين (وكل هذا) أى وجميع ماذكر

شيخ لما يعلمونه من تجربة الشيوخ وحسن رأيهم وكانت صورته صورة نجدى لانهم لما اجتمعوا بدار الندوة قالوا لا تدخلن عليكم ومعكم فى الشورى أحدا من أهل تهامة لان هواهم مع محمد ولما ورد فى الحديث انها محل الفتن ومنها يخرج قرن الشيطان وكان وقف بباب دار الندوة وهى دار قصى التى كانوا يجتمعون فيها لما يهمهم كالمرنة لو له من أنت قال شيخ من نجد رأيت اجتماعكم للشورى ولن تعدموا منى رأيا ونصحا فقال أبو البخترى أرى ان تحبسوه فى دار تسدوا منافذها غير كوة تعطوه منها طعامه وشرابه فقال الشيخ بئس الرأى يأتيكم من يقاتلكم ويخرجه منها فقال الاسود بن ربيعة أرى ان تخرجوه من أرضكم فلا يضركم ما يصنع فقال الشيخ بئس الرأى اذا أخرجتموه يفسد قوما غيركم ويقاتلكم بهم فقال أبو جهل أرى ان تاخذوا من كل بطن غلاما معه سيف فيضربونه ضربة واحدة فيتفرق دمه فى القبائل فلا تقوى بنو هاشم على حرب قريش كلهم فتعقله أى فيرضوا منا بالدية فقال الشيخ صدق الغلام فتفرقوا على رأيه فاخبره جبريل عليهما الصلاة والسلام بذلك ونزل عليه واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك الآية وأمر بالهجرة فكان ما فصل فى السير (و) تصور الشيطان (مرة أخرى فى غزوة يوم بدر) فى حديث رواه ابن أبى حاتم عن ابن عباس كما قاله السيوطى رحمه الله تعالى ولم يورد الحديث (فى صورة سراقة بن مالك) الذى قدمنا ترجمته (وهو قوله واذ زين لهم الشيطان أعمالهم الآية) كان من أمره ما رواه البيهقى رحمه الله تعالى فى دلائله ان الشيطان تمثل لكفار قريش ببدر فى صورة سراقة بن مالك بن جعشم الكنانى وكانت قريش تخاف من بنى بكر ان ياتوهم من خلفهم لانهم كانوا اقتلوا رجلا منهم فقال لهم ما أخبر الله به من القاء الشيطان لهم انهم لا يهزمون وهم يقاتلون عن دين آبائهم وكان تمثل مع جند له بصورة قوم من بنى مدلج فيهم سراقة أتوا لامدادهم فقال الشيطان لهم لا غالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم فامدهم الله بجنود من الملائكة فلما رآهم ابليس ولى عنهم فقالوا له انك جار لنا فقال انى أرى مالا ترون انى أخاف الله أى اهلاكه لى ولجندى وهو أحد الوجوه فى الآية واليه أشار المصنف رحمه الله تعالى وقيل المراد وسوسته لهم بما ذكر (و) تصور الشيطان أيضا (مرة) أخرى (ينذر) قريشا ويخوفهم (بشانه) اى بامره صلى الله تعالى عليه وسلم (عند بيعة العقبة) وهى منى السفلى التى بايعه الانصار عندها قبل الهجرة ثلاث مرات كما فصل فى السير والمراد البيعة الثالثة وكان الانصار بايعوه صلى الله عليه وسلم بها بمحل فيه الآن مسجد يسمى مسجد البيعة فلما رأى ذلك الشيطان صرخ باعلى صوته هذا محمد ومعه الصباة قد أجمعوا على حربكم فقال صلى الله تعالى عليه وسلم لما سمعه هذا أزب العقبة أى شيطانها وأصله الازب بهمزة وزاى معجمة مفتوحتين الكثير الشعر سمى به الشيطان وتفصيله فى السير أيضا (وكل هذا) المذكور من أمر الشيطان

(فقد كفاه الله أمره وعصمه) أي حفظه ومنعه (ضره) بفتح أوله وضمه (وشره) ويروى من ضره وشره (وقد قال عليه الصلاة والسلام) أي فيما رواه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ان عيسى عليه الصلاة والسلام كفي بصيغة المجهول أي في (من لمسه) أي جسه وحسه (فجاء) الفاء للتفريع فلما قصد (ليطعن) بفتح العين وبضم أي ليضرب (بيده في خاصرته) أي جنبه (حين ولد) أي حين خرج من بطن أمه (فطعن في الحجاب) أي المشيمة وهي الغشاء الذي يكون الجنين في داخله وقيل حجاب بين الشيطان وبين مريم والله أعلم والظاهر ان عيسى عليه السلام مختص بهذا الاكرام خلافا لما ذكره الدلجي من تعميم الانبياء في هذا المرام ففي حديث البخاري وغيره ما من مولود يولد الا ويمسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخا الا مريم وابنها وذلك لدعاء جدته ربها ان يعيذ أمه وذريتها من الشيطان الرجيم (وقال عليه الصلاة والسلام) فيما رواه الشيخان عن عائشة (حين لد في مرضه) بضم اللام وتشديد الدال أي سقي دواء من أحد شقي فمه بغير اذنه لغشيانه وظن انه أصابه وجع في جنبه وذلك يوم الاحد وتوفي يوم الاثنين الذي يليه مع الزوال فلما أفاق قال لا يبقى في البيت أحد الا لد قال ذلك عقوبة لهم (وقيل له خشينا ان تكون بك ذات الجنب) وهو علم لدمل كبير وقرحة تظهر في باطن الجنب الايسر وتنفجر الى داخل قلما يسلم صاحبها (فقال) اعاذه

الذي تعرض فيه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيما ذكر (فقد كفاه الله أمره) الفاء زائدة في الخبر أو هو بتقدير اما أو توهمها او على ما في بعض النسخ وقد بالواو والخبر مقدر أي وقع حفظه فيه (وعصمه ضره) بفتح الضاد أي ضرره وضمها غير مناسب هنا والضمير لكل أو للشيطان (وشره) كما كفي في سائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام اذ عصمهم منه (وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم) في حديث رواه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه (ان عيسى) نبي الله (عليه السلام كفي) بالبناء للمجهول أي كفاه الله وحفظه (من لمسه) أي من أن يلمسه أو يمسه كما يأتي بيانه والضمير للشيطان للعلم به من السياق (فجاء) الشيطان لعيسى عليه السلام حين ولادته (ليطعن) أي لينخسه ويمسه (بيده في خاصرته) بخاء معجمة وصاد مهملة هي جانبه مما فوق اضلاعه وهي الشاكلة أيضا (حين ولد فطعن في الحجاب) أي في شيء حجبه عن الوصول للمس جسده قيل هو المشيمة وقيل ما لف فيه وقيل انه أمر حجبه الله به عنه أو حجبته أمه مريم عنه والفاء سببية أي بسبب كفاية الله تعالى له وقع طعنه في الحجاب. الحديث كل بني آدم يطعنه الشيطان في جنبه باصبعه حين يولد غير عيسى عليه الصلاة والسلام ذهب ليطعنه فطعن في الحجاب وفي رواية ما من مولود يولد الا والشيطان يمسه حين يولد ويستهل صارخا من مس الشيطان الا مريم وابنها والمذكور في آية اني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم وليس هذا مخصوصا بعيسى كما قد يتوهم من ظاهره وفي شرح مسلم عموم عدم طعن ابليس ونخسه لم يقم عليه دليل غير عصمة الانبياء ولا يلزم منها ان لا يمس انما يلزمها عدم الاغواء والاذية لهم ولا يلزم من اختصاص عيسى بهذه المنقبة تفضيله على نبينا صلى الله عليه وسلم وذكر أمه معه مما يدل عليه دلالة ظاهرة فقد يخص الله بعض عباده بامر لم يكن لافضل منه نعم حديث مولده صلى الله تعالى عليه وسلم الدال على انه لم يستهل صارخا فاختصاص عيسى وأمه انما هو بالنسبة لمن تمكن الشيطان من القرب منه لا لمن امتلأت الارض بالملائكة الحافين به فتدبر ولما ساق مسلم حديث ما من مولود يولد الا نخسه الشيطان فيستهل صارخا من نخسه قال القرطبي في شرحه أي في أول وقت الولادة يسلط عليه بنخسه الا مريم وابنها عليهما الصلاة والسلام لدعوة أمها يعني قولها اني أعيذها بك وذريتها الآية وأمها امرأة عمران وهي حنة بنت فاقوذا وهو عام شامل للانبياء عليهم الصلاة والسلام والاولياء ومع ذلك عصمهم الله تعالى منه لقوله ان عبادي ليس لك عليهم سلطان ولكل قرين من الشياطين وقد خص الله تعالى نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم بان قرينه أسلم فلا يأمر الا بخير وهذه لم يؤتها غيره انتهى وقد تقدم ما في ذلك ثم قال وقول مسلم صياح المولود نزغة من الشيطان روي بنون وزاي وغين معجمتين وروي فرعة بفاء وعين مهملة وللزمخشري في تاويل الحديث تخييل يأباه الحق الصريح فان أردته فانظر الى الكشاف وشروحه (وقال صلى الله تعالى عليه وسلم حين لد) بالبناء للمجهول من اللد بفتح اللام ودالين مهملتين بينهما واو دواء مائع من ماء واجزاء حارة يوضع في أحد شقي الفم يتغرغر به ثم يشربه وأسماء الادوية بهذه الزنة كالسعوط ولما لدوه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لا يبقى أحد في البيت الا لد عقوبة لهم لما تألم (في مرضه) الذي مات فيه الاضافة فيه للعهد (وقيل له) صلى الله تعالى عليه وسلم (خشينا) أي خفنا عليك (ان يكون بك) أي وقع بك واصابك (ذات الجنب) وهو اسم لمرض يكون في باطن الجنب كالدمل يتفجر في الداخل وذو الجنب من يشتكي منه ويقال الدبيلة ولذا أنث وهو مخوف قل من يسلم منه فهو مؤنث باعتبار انه سمي دبيلة لا لانه لا يصدر الامرة واحدة كما قيل الا انه أمر تبع فيه الشراح بعضهم بعضا وهو مخالف لما قرره الاطباء فان الدبيلة مرض في الكبد وذكر بعض الاطباء انه قد يكون في المعدة وذات الجنب في الخاصرة واسمها معرب عن معناها (فقال) صلى الله عليه وسلم

لطول الفصل (انها من الشيطان ولم يكن الله ليسلطه على) وضمير انها الى لدهم او أنثه باعتبار صنعتهم لا كما قال الدلجي باعتبار صدوره مرة واحدة ثم نسبه الى الشيطان لانه كان بسبب وسوسته لهم بذلك حتى فعلوا ما لم يأذنهم هنالك (فان قيل) اذا كان الله لم يسلطه عليه (فما معنى قوله واما ينزغنك ٧٠ من الشيطان نزغ) أي نازغ وناخس منه (فاستعذ بالله الآية) أي قوله تعالى انه سميع

(انها) أي ذات الجنب (من الشيطان) أي وهي وخز يصيب الناس من الشيطان كالطاعون لانه بسبب وسوسة كما قيل وليست أيضا من طعنة المولود حين يولد (ولم يكن الله) لعصمته له (ليسلطه على) تعظيما له صلى الله تعالى عليه وسلم ومن اللطائف ما قلته مما جنا لبعض الاخوان وقد تزوج بعجوزة

يا خليلي قد اصطفيت عجوزا * هي داء من الممات اشد

قال ذات الجنب ابتليت بها * مالي لدودها وخصمي ألد

وهذا الحديث رواه في الموطا وقال السهيلي وذات الجنب تسمى الخاصرة وهي من سيئ الاسقام الذي استعاذ منه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكانت تصيبه صلى الله تعالى عليه وسلم فيظنها عرق الكلية وهو مرض آخر ومن هنا علم خطأ من قال انها لا تصيبه الامرة كما تقدم ولما أرادوا أن يلدوه صلى الله تعالى عليه وسلم اشار اليهم بالمنع منه فظنوه لكراهة المريض الدواء فلما افاق قال لم يبق أحد في البيت الالد كما مر وكونها من الشيطان ومن طعنه ورد في أحاديث أخر واليه يومي قوله (فان قيل فما معنى قوله تعالى واما ينزغنك من الشيطان نزغ الآية) فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم فان أصل معنى النزغ لغة ادخال شئ مفسد كالطعن كما ذكره الراغب فاتصال السؤال بما قبله وبما عقد له الفصل في غاية الظهور وان أطال فيه بعضهم بغير طائل يفيده وحاصله ان الله تعالى عصمه صلى الله تعالى عليه وسلم من تسلط الشيطان عليه باذيه أو وسوسة وفي الآية ما يوهم خلافه وان كانت ان الشرطية لا تقتضي الوقوع ولو سلم فالمراد أمته لجعل ما يصيبهم واسند النزغ للمصدر مجازا كقوله جد جده وأصل النزغ الطعن ثم شاع في كل مفسد كما علم (فقد قال بعض المفسرين) في تفسير هذه الآية (انها) أي هذه الآية (راجعة الى قوله) تعالى قبل (واعرض عن الجاهلين ثم قال) الله (واما ينزغنك من الشيطان نزغ أي يستخفنك غضب) أي لا تكاف السفهاء الذين خفت احلامهم اذا غضبوك بمثل افعالهم واغض عنهم لذا قيل ان هذه لآية جامعة لمكارم الاحلاق ولذا قال له جبريل لما ساله النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عنها ان الله أمرك أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك (يحملك على ترك الاعراض عنهم) لجزائهم مثل فعلهم (فاستعذ بالله) أي قل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ولا تداعه وتفعل بنزعه وهذا من مكارم الاخلاق لا من أمر يشينه فان الغضب على السفيه وجزاؤه بمثل فعله تأديباله لا تعد من الامور الشيطانية والاستعاذة عند الغضب مشروعة وعلى هذا ليست الآية منسوخة بآية القتال كما قيل (وقيل النزغ هنا) أي في هذه الآية (الفساد) من النزغ بمعنى الطعن والنخس (كما قال تعالى) حكاية عن يوسف عليه السلام (من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي) أي افسد ما بيني وبينهم بما حملهم عليه في قصته معهم فالمراد هنا افساده بوسوسته له في حال غضبه وحمله على ما لا يليق به فاذا خطر بباله يستعيذ بالله طلبا للانجاء من كيده (وقيل) معنى ينزغنك (يغرينك) من الاغراء بغين معجمة وراء مهملة وهو الحث والتحريض على أمر ما (ويحركنك) بازعاجك للانتقام ممن اغضبه (والنزغ أدنى الوسوسة) أي اقلها كحديث النفس والتفكر وأصل معنى الوسوسة الصوت الخفي ومنه قيل لصوت الحلي وسوسة كما قيل قالوا كلامك وسواس فقلت لهم * وقد يقال لصوت الحلي وسواس

عليم أي سميع لمقالك وعليم بحالك (فقد قال بعض المفسرين) أي لدفع هذا الاشكال الوارد في السؤال (انها) أي الآية (راجعة الى قوله واعرض عن الجاهلين) أي المصدر بقوله خذ العفو أي ما سهل من اخلاق الناس من غير كلفة ومشقة حذرا من النفرة عن الحضرة وأمر بالعرف أي المعروف من الفعل الجميل وهذه الآية أجمع مكارم اخلاق الانام بشهادة قول جبريل له عليه السلام وقد سأله عنها فقال لا أدري حتى اسال ربي ثم رجع فقال يا محمد ان ربك أمرك أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك (ثم قال) أي الله سبحانه وتعالى أو بعضهم في تفسير قوله (واما ينزغنك أي يستخفنك) يعني يزعجك ويحملك على الخفة ويزيل حلمك (غضب يحملك على ترك الاعراض عنهم) أي مثلا (فاستعذ بالله) ولا تطع من سواه

(وقيل النزغ هنا الفساد كما قال) أي الله تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام لابيه ومن معه تحدثا بنعمة ربه وهذا وجاء بكم من البدو (من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي وقيل ينزغنك) أي معناه (يغرينك) من الاغراء بالغين المعجمة والراء وهو الزام وفي نسخة يغوينك بالواو من الاغواء (ويحركنك) أي بالقيام في طلب ماله من المرام (والنزغ أدنى الوسوسة) أي حديث النفس والخطرة التي ليس بها عبرة

(فامره الله تعالى انه متى تحرك عليه غضب على عدوه) أى مثلا (أو رام الشيطان أى قصد من اغرائه به) أى تسليطه وفى نسخة من اغوائه أى من اضلاله (وخواطر أدنى وساوسه) أى مقدمات هواجسه (مالم يجعل) بصيغة المجهول أى لم يقدر الله تعالى (له سبيل اليه) أى بحيث يتسلط عليه (ان يستعيذ منه فيكفى أمره) بصيغة المفعول أو نصب أمره ويحتمل ان يكون مبنيا للفاعل أى فيكفى الله أمره ويدفع شره وضره (ويكون) أى استعاذته من وسوسته (سبب تمام عصمته) وظهور رسالته عند أمته مع افادة تعليمه لاهل ملته (اذلم يسلط عليه با كثر من التعرض له) أى بمجرد وسوسته (ولم يجعل له قدرة عليه) أى لعصمته (وقد قيل فى هذه الآية غير هذا) أى من الاقاويل فى باب التأويل (وكذلك) أى وكعصمته عليه الصلاة والسلام من ابليس ووسوسته (لا يصح ان يتصور له الشيطان فى صورة الملك ويلبس) بفتح الياء وكسر الباء أو بضم أوله وتشديد الموحدة أى يخلط (عليه) ويشكك فى أمره اليه (الا فى أول الرسالة ولا بعدها) أى بالاولى (والاعتماد فى ذلك) أى فى عدم صحة تصور الشيطان له فى صورة الملك (دليل المعجزة) فانما هى للتثبيت له بالعصمة والتأييد له بالحكمة وتوضيحه انه لما كانت المعجزة قائمة مقام قول الله تعالى صدق عبدى المدعى النبوة فحال ان يجد الشيطان اليه سبيلا بالغلبة (بل لا يشك النبى) أى من الانبياء (ان ماياتيه من الله الملك ورسوله) أى انه هو المرسل اليه بوحيه لديه وفى نسخة على يديه (حقيقة) أى من غير تردد فيه (اما بعلم ضرورى يخلقه الله تعالى له) أى فيعتمد عليه (أو ببرهان يظهره لديه) وفى نسخة على يديه (لتتم كلمة ربك) أى أيها المخاطب بالخطاب العام وفيه ايماء الى مافى التنزيل من قوله وتمت كلمة ربك (صدقا) فى الاخبار والاعلام (وعدلا) فى الاحكام نصبهما على التمييز او الحالية لا كما قال الدلجى على المفعولية (لا مبدل لكلماته) ولا محول لارادته

وهذا تقول له العامة وشوشة بالاعجام (فامره الله) فى هذه الآية (انه متى تحرك) أى طرأ (عليه) وعرض له (غضب على عدوه) لسوء ماصدر منه (أو رام الشيطان من اغرائه به) وايقاع به كحثه على قتله فهو بغين معجمة وراء مهملة وفى نسخة اغوائه بعين مهملة ونون ومافى بعض النسخ من اغزائه بغين وزاى معجمتين فهو تحريف من النساخ والصواب الاول (وخواطر أدنى) بمعنى أقل (وساوسه) جمع وسواس (مالم يجعل سبيل اليه) أى حماه من التلبس بمثله لعصمته منه (ان يستعيذ منه) لقبول أمره لان مجرد الوسوسة والخطور بالبال لا يضره فى عصمته صلى الله تعالى عليه وسلم وان كان أمرا ممنوعا وهذه الآية فى سورة الاعراف وهى المذكورة هنا ووقعت فى سورة فصلت مسبوقة بقوله ادفع بالتى هى أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم وهما متماثلان معنى وسياقا (فيكفى) بالبناء للمجهول أى يكفى الله رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا استعاذ به والتجأ اليه (أمره) أى أمر الشيطان بوسوسته لصرفها عنه (ويكون) ذلك (سبب تمام عصمته) لعصمته صلى الله تعالى عليه وسلم من مجرد الخواطر وهو نهاية الحفظ والعصمة (اذلم يسلط) الشيطان (عليه با كثر من التعرض له) فضلا عن التمكن منه وايصال أذيته له (ولم يجعل له قدرة عليه) فيرجع خائبا خاسرا (وقد قيل فى هذه الآية غير هذا) من التفاسير التى اقتصر منها على ماينا سب غرضه فيما عقد له هذا الفصل (وكذلك) أى مثل ماذكر من حفظ الله له عن تسلط الشيطان عليه (لا يصح ان يتصور له الشيطان فى صورة الملك) بان يتمثل بمثله ويقول له أنا ملك ارسلنى الله تعالى اليك لحفظ الله تعالى له عنه ومنعه من يأتيه بهذه الصورة وهذه شبهة أوردها منكروا النبوة بانه من أين يعلم ان الآتى له ملك بلغه الوحى عن الله تعالى لم لا يجوز ان يكون جنيا (ويلبس عليه) أمره فيلتبس الوحى بغيره (لا) يقع ذلك (فى أول الرسالة) أى أول امره بدعوة الخلق الى الله تعالى (ولا بعدها) الظاهر بعده أى بعد الاول فى أثنائه (والاعتماد) أى اعتماده صلى الله تعالى عليه وسلم فى حقية ما آتاه وعدم احتماله لغيره (فى ذلك) أى فى عدم تلبيس الشيطان عليه وتصوره بصورة الملك (دليل المعجزة) أى قوة يقينه دليل على انه معجزة له أو هو يعتمد فى انه أمر الهى على ماظهر له من المعجزة كتسليم الحجر عليه واظلال الغمام له فمعنى قوله لا يصح ان لا يجوز عقلا ذلك والقول بانه لا مدخل للعقل فيه وانه أمر علم من الشرع ومعنى لا يصح انه ممنوع من جانب الشرع كلام باطل (بل لا يشك النبى صلى الله عليه وسلم ان ماياتيه من الله الملك) هذا هو الخبر أو خبر بعد خبر (ورسوله) الذى أرسله الله اليه من رسل الملائكة (حقيقة) لا تمويها وتلبيسا عليه من غير شك فيه (اما بعلم ضرورى يخلقه الله له) بديهى غير محتاج لدليل لعدم تردده فيه (أو برهان) ودليل قطعى (يظهره لديه) مما يشاهده من معجزاته كنطق الحجر وتسليم الشجر وكل ذلك (لتتم كلمة ربك) فتبلغ الغاية احكامه واخباره ومواعيده (صدقا) فى خبره ووعيده (وعدلا) ماحكم به من أحكامه التى بلغها وهما تمييزان محولان عن الفاعل أو حالان (لا مبدل لكلماته) أى لا يمكن تغييرها ولا نسخ

(فان قيل فما معنى قوله تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي) هذا صريح في الفرق بينهما والاظهر أن الرسول من أوحى اليه
وأمر بالدعوة والنبي أعم والله تعالى أعلم (الا اذا تمنى) أى قرأ وتلا (ألقى الشيطان في أمنيته) أي تلاوته وقراءته عما

بعد ما بلغت غايته لا تقبل الزيادة عليها ولذا كانت شريعته صلى الله تعالى عليه وسلم آخر الشرائع وهذا التعليل بما ذكره من حفظه صلى الله تعالى عليه وسلم من ان يتصور له الشيطان بصورة ملك فيكون ما يلقيه أمر مخالط قابل للتبديل والتغيير ولذا اعقبه بقوله (فان قيل فما معنى قوله تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته الآية) فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم التمني هنا بمعنى التلاوة والامنية الكلام المتلو لان التمني ما يتصوره الانسان في نفسه والمتلو كذلك فحاصل السؤال المذكور انك قلت ان الشيطان لا يتسلط على الانبياء عليهم على نبينا أفضل الصلاة والسلام بوسوسته وهذه الآية تدل على ان الشيطان لعنه الله يخلط عليهم فيما يوحى اليهم عند تلاوته وهذه الآية تدل على ان بين النبي والرسول فرقا وقد اختلفوا في الفرق بينهما بعد الاتفاق على انهما من ينزل عليه الملك بالوحي والمشهور ان الرسول أخص من النبي وهو من يكون مأمورا بالتبليغ وله شرع جديد واشترط بعضهم ان يكون معه كتاب ويستعمل كل منهما بمعنى الآخر وقد مر جميع ذلك فاجاب بقوله (فاعلم ان للناس) أي العلماء لانهم هم الناس (في معنى هذه الآية أقاويل) هو جمع أقوال فهو جمع الجمع (منها) أي من جملة هذه الاقاويل (السهل والوعث) أي ما هو ظاهر سهل فهمه ومنها ما هو خفي يعسر فهمه وهو مستعار من المكان السهل والمنبسط الذي يسهل المشي فيه والوعث المكان الكثير الرمل الذي يشق المشي فيه ومنه أرض وعثاء ثم استعمل مجازا واستعارة لمعنى المشقة ومنه ما ورد في الحديث اللهم اني أعوذ بك من وعثاء السفر أي مشقته فلهذه الكلمة هنا موقع ليس للمشقة فالمعنى منها ما هو ظاهر تسلكه الافهام بسهولة ومنها ما هو صعب يشق على اقدام الافهام وهو بفتح الواو وسكون العين المهملة والمثلثة (والسمين) مستعار من السمن وهو الممتلئ من اللحم والشحم (والغث) بفتح الغين المعجمة وتشديد المثلثة ضده وهو الناقة المهزولة استعير لما فيه من فوائد جليلة ولما خلا عنها يعني ما جمع بين حسن العبارة وجزالة المعنى (وأولى ما يقال فيها) أي يقال في تفسيرها وأولى بمعنى أحق بالقبول أو بمعنى أقرب كما في قوله صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث الميراث فلاولى رجل ذكر أي أقرب من الميت وهو العصبة (ما عليه الجمهور) أي ما استقر عليه رأي الجمهور رأي الاكثر (من المفسرين ان التمني) معناه (هنا) أي في هذه الآية (التلاوة) لانه تفعل من منى قدر كما قال الشاعر

لا تأمنن وان أمسيت في حرم * حتى تلاقي ما يمني لك الماني

أي ما قدره لك المقدر والتمني امر يقدره المرء في نفسه وهو بمعنى تلا قال

تمنى كتاب الله اول ليلة * تمنى داود الزبور على رسل

(والقاء الشيطان فيها) في قوله ألقى الشيطان في أمنيته أي متلوه (شغله) مصدر بوزن ضرب مضاف لفاعله أي شغل الشيطان للتالي (بخواطر) أي أمور دنيوية تخطر على قلبه فتشغله عما تلاه (واذكار) جمع ذكر أي حديث نفس يذكره فيلهيه (من أمور الدنيا) بيان لهما (للتالي) صفة لخواطر واذكار أي كائنة وعارضة له (حتى) علة لشغله (يدخل) مضارع ادخل وفاعله ضمير الشان ومفعوله الوهم في قوله (عليه) أي على التالي (الوهم) أي الغلط أو مضارع دخل والوهم فاعله (والنسيان فيما تلاه

يشغله به عن استغراقه في بحور العوارف واشتغاله بكنوز المعارف (الآية) أي فينسخ الله ما يلقي الشيطان أي يبطله ويزيله ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم ليجعل ما يلقي الشيطان الآية (فاعلم ان للناس في معنى هذه الآية أقاويل) أي كثيرة شهيرة (منها) أي من تلك الاقاويل (السهل) أي الهين المقبول (والوعر) أي الصعب الوصول وفي نسخة صحيحة بدله (والوعث) بسكون العين ويكسر وبالمثلثة الطريق العسير ومنه ما ورد اللهم اني أعوذ بك من وعثاء السفر أي شدائد مشقته (والسمين) أي الكلام المتين القوي (والغث) بفتح الغين المعجمة وتشديد المثلثة أي المهزول الضعيف الردىء (وأولى ما يقال فيها) أي في الآية (ما عليه الجمهور من المفسرين) كما ذكره البغوي أيضا (ان التمني ههنا التلاوة) يقال تمنيته اذا قرأته وفي مرثية عثمان رضي الله تعالى عنه

تمنى كتاب الله أول ليلة * وآخره لاقى حمام المقادر

(والقاء الشيطان فيها) أي في تلاوته (شغله) بفتح أوله وضمه وفي نسخة اشغاله أي شغل الشيطان أو اياه (بخواطر) أي ردية (واذكار من أمور الدنيا) أي الدنية (للتالي) أي للقاري من النبي فضلا عن غيره (حتى يدخل عليه) من الادخال أي يوصل الشيطان أو شغله اياه (الوهم) أي السهو والخطأ (والنسيان فيما تلاه) أي فيما قرأه من جهة مبناه أو طريق معناه

(أو يدخل غيرذلك فى) وفى نسخة على (أفهام السامعين من التحريف) فى لفظ التنزيل ومبناه (وسوء التأويل) أى فى معناه (مايزيله الله تعالى و ينسخه) أى يدفعه ويرفعه (ويكشف لبسه) بفتح أوله أى ويبين خلطه و يظهر غلطه (ويحكم آياته) أى ويثبت بيناته (وسيأتى الكلام على هذه الآية بعد) أى بعد ذلك فى فصل (باشبع من هذا) أى ابسط وأوسع (ان شاء الله تعالى وقد حكى السمرقندى) أى الامام أبو الليث الحنفى (انكار قول من قال بتسلط الشيطان) ويروى بتسليط الشيطان

أو يدخل) عليه (غيرذلك) أى غير الوهم والنسيان (على أفهام السامعين) و بين مايدخل على أفهام السامعين بقوله (من التحريف) لما تلاه عليهم (وسوء التأويل) الناشئ عن تحريف ما سمعوه (مايزيله الله) مفعول القا (و ينسخه) أى يحوله من الباطل الى الحق (و يكشف لبسه) أى يزيله و يبينه و يظهره (ويحكم آياته) أى يحققها و يبينها (وسيأتى الكلام على هذه الآية) مفصلا (بعد باشبع من هذا ان شاء الله تعالى) أى باكثر منه تفصيلا وهو استعارة من الشبع ضد الجوع لان العلم غذاء الارواح وهذا التفسير هو المنقول عن السلف وهو أحسن ماقيل فيها كما قاله النحاس وهو المنقول عن ابن عباس كما سيأتى وتفسير التمنى بالتلاوة مشهورة فى اللغة والتفسير كما علم وذكر الكسائى والفراء انه يقال تمنى اذا حدث نفسه قول القرطبى وهو المعروف فى اللغة ومن قال انه لم يجده فى كتب اللغة والذى فيها أعم منه فقد قصر فانه قد صرح به الراغب فى مفرداته فليت شعرى ماهذه الكتب التى رآها وفتشها وليس هذا منافيا لما ذكره أولا من عصمة الانبياء عن الوساوس لان الذى عصم منه الانبياء الخواطر القارة واما مجرد الخواطر فلا تضرهم ولا يقروا عليها وبه صرح الثعلبى فى تفسيره (وقد حكى الامام أبو الليث الحنفى (السمرقندى) وقد تقدمت ترجمته فى تفسيره (انكار قول من قال بتسليط الشيطان على ملك سليمان وغلبته عليه) وهو جنى أخذ خاتمه الذى يتصرف فى ملكه به بامر الله تعالى فهرب سليمان عليه الصلاة والسلام الى ان رد الله تعالى عليه الخاتم وان ذلك الشيطان كان يسمى صخرا الى آخر ماذكره القصاص من الخرافات فى قصته (و) قد رده أيضا (بان مثل هذا لايصح وقد ذكرنا قصة سليمان مبينة بعد هذا و) كذا ذكرنا قول (من قال) فى هذه القصة (ان الجسد) الذى ذكره الله تعالى فى قوله وألقينا على كرسيه جسدا (هو الولد الذى ولد له) حين قال صلى الله تعالى عليه وسلم لاطوفن على نسائى هذه الليلة وتحمل كل واحدة منهن بذكر يجاهد فى سبيل الله ولم يقل انشاء الله تعالى وكان له تسعون امرأة ولم تحمل منهن غير واحدة لشق رجل وأهل القصص ذكروا فيه غير ذلك كما سيأتى ان شاء الله تعالى وماذكره السمرقندى هو المعتمد عند المفسرين (وقد حكى أبو محمد مكى) وقد قدمنا ترجمته (فى قصة أيوب) نبى الله عليه الصلاة والسلام وهو كما قال ابن اسحق أيوب بن أموص ابن رازح بن عيص بن اسحق بن ابراهيم وقيل غير ذلك وكان فى زمن يعقوب وتحته ابنته وأبوه آمن بابراهيم وأمه بنت لوط وقد فصل أحواله صاحب مرآة الزمان وذكرنا منها طرفا فى غير هذا المحل وقيل انه بعد سليمان (وقوله انى مسنى الشيطان بنصب وعذاب) أى الم ومشقة عظيمة ونصب بمعنى تعب يعنى ما أصابه فى بدنه وقرئ بضم وسكون وفيه قراآت أخر (انه) بالكسر مقول القول (لايجوز لاحد ان يتأول) أى يفسر ماذكر فى هذه الآية برأيه فيقول (ان الشيطان هو الذى امرضه وألقى الضر) بالضم وهو المرض (فى بدنه) لان الله تعالى عصم الانبياء عليهم الصلاة والسلام من اذيته وتسلطه عليهم (ولايكون) أى لايقع ولا يصح (ذلك) أى كون الشيطان امرضه (الا) استثناء منقطع أى لكن كل مايصيبهم (بفعل الله تعالى وامره) أى تقديره (ليبتليهم) أى يوقع بهم بلاء من مرض وغيره

(على ملك سليمان وغلبته عليه وان مثل هذا لايصح) تسلط الشيطان على ملك سليمان من الامور الدنيوية فبالاخرى ان لايصح له التسلط على الانبياء فيما يتعلق بالامر الدينى والأخروى (وقد ذكرنا) أى وسنذكر (قصة سليمان مبينة بعد هذا ومن قال) أى ونذكر من قال فى تأويله (ان الجسد) أى فى قوله تعالى وألقينا على كرسيه جسدا (هو الولد الذى ولد له) أى ناقصا جاءت به احدى نسائه فالقته القابلة على كرسيه وذلك حين قال لاطوفن الليلة على نسائى كما فى الحديث (وقال أبو محمد مكى فى قصة أيوب وقوله) أى وفى قوله أى الله سبحانه وتعالى حكاية عنه (انى مسنى الشيطان بنصب) بضم وسكون وقرأ يعقوب بفتحهما أى بتعب (وعذاب) زيد فى نسخة اركض برجلك هذا

(١٠ شفا ع)

مغتسل بارد وشراب (انه) أى الشان (لايجوز لاحد ان يتأول) أى الآية برأيه و يزعم (ان الشيطان هو الذى امرضه وألقى الضر فى بدنه) لعدم قدرته على ذلك ولو قدر عليه لم يدع صالحا الا نكبه هنالك (ولايكون ذلك) أى ما أصابه من المرض والضر العرض (الا بفعل الله تعالى وأمره ليبتليهم) أى ليمتحنهم كما ورد أشد الناس بلاء الانبياء

(ويثيبهم) من التثبيت أو الاثبات أي يؤيدهم بالعصمة ويقويهم بالحكمة وفي نسخة ويثيبهم من الاثابة أي ويجازيهم على بلائهم ثوابا جزيلا وثناء جميلا واسناد المس الى الشيطان مجاز مراعاة للادب في تعظيم الرب اقتداء بابراهيم حيث قال واذا مرضت فهو يشفين حيث لم يقل أمرضني مع ان أيوب عليه السلام ما حكى مجرد ضرر المرض بل شكا ما حصل له من نصب وعذاب كان الشيطان لهما من الاسباب فقد روي ان ابليس اعترض امرأته في هيئة ليست كهيئة بني آدم في العظم والجسم والجمال على مركب ليس من مراكب الناس كالخيل والبغال لها أنت صاحبة أيوب هذا الرجل المبتلى قالت نعم قال لها هل تعرفيني قالت لا قال أنا اله الارض

(ويثيبهم) أي يعطيهم ثوابا جزيلا على ما ابتلاهم وفي نسخة ويثبتهم من الاثبات بمثلثة وموحدة ومثناة أي يصبرهم حتى يكون منهم ثبات على شكره والرضاء بقضائه وهذا اشارة لما ذكر في القصص وبيان لرده وان ذكره بعض المفسرين أي في ظاهر الآية من اسناد مامسه للشيطان وهو اسناد مجازي تادبا مع ربه في عدم اضافة الشر له لان كل ما صدر عنه خير من حيث صدوره عنه والذي قالوه ان الشيطان لعنه الله حسده لما رآه من نعم الله عليه وكثرة تصدقه وكان ابليس اذ ذاك لا يحجب عن السماء فقال يارب لو سلطتني عليه لكفرك فقال اذهب فقد سلطتك على ماله وأهله وجسده وكانت زوجته رحمة بنت لوط عليه الصلاة والسلام وقيل بنت افرائيم بن يوسف فاصابه قروح عمت بدنه وأهلك ماله وولده ودوره وكان نفخ في بدنه فتقرح كله وقعد الملعون في الطريق يتطبب فقالت له زوجة أيوب ان هنا عبدا مبتلى فهل لك ان تداويه فقال نعم ان قال لي انت شفيتني فاخبرته زوجته بذلك فقال ويلك هو الشيطان ان عافاني الله لاجلدنك مائة جلدة فكان ما كان من أمر الضغث ثم أتاه جبريل عليه الصلاة والسلام وركض برجله فنبعت عين ماء اغتسل به فرد الله عليه صحته وجماله وكان مدة بلائه سبع سنين وزيادة وقد ذكر ابن العربي هذه القصة وبين ما لم يثبت فيها (قال مكي وقد قيل ان الذي أصابه من الشيطان ما وسوس به الى أهله) اراد باهله زوجته رحمة ويصح ان يراد به ظاهره فهو على هذا لم يصب بشيء في نفسه وانما أضاف ما أصاب أهله اليه مجازا وقد قدمنا ما وسوس به لاهله (فان قلت فما معنى قوله تعالى عن يوشع) نبي الله عليه الصلاة والسلام وهو يوشع بن نون بن افرائيم بن يوسف ابن يعقوب كان في زمن موسى عليه الصلاة والسلام وهو الذي أقام لبني اسرائيل أحكام التوراة بعده وقسم الشام بين بني اسرائيل وقاتل الجبارين وردت له الشمس كما مر وتفصيل أحواله معلوم من التواريخ وهو فتى موسى المذكور في القرآن (وما أنسانيه الا الشيطان) ووجه السؤال انه نبي وقد سلط عليه الشيطان حتى انساه ذكره وسيأتي جوابه وأن اذكره بدل من مفعول أنسانيه (و) مثله (قوله تعالى عن يوسف) عليه الصلاة والسلام (فانساه الشيطان ذكر ربه) كذا (قول نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم حين نام عن الصلاة) أي صلاة الصبح فنام حتى فاته وقتها فقضاها بعد طلوع الشمس (يوم الوادي) أي فيه متعلق بنام أو بالصلاة وهو واد بقرب مكة وكان صلى الله تعالى عليه وسلم لما نزل أمر بلالا ان ينبهه اذا طلع الفجر فغفل عنه فنام صلى الله تعالى عليه وسلم حتى ادركه حر الشمس كما في الموطأ وفي البخاري عن عمران بن حصين كنا في سفر مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حتى كنا في آخر الليل رقدنا رقدة لا رقدة أحلى منها عند المسافر فما أيقظنا الا حر الشمس فكبر عمر حتى استيقظ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كانوا قالوا له لو عرست بنا يارسول الله فقال اخاف ان تناموا عن الصلاة فقال بلال انا أوقظكم فاضطجعوا واسند بلال ظهره لراحلته فغلبته عيناه فنام حتى طلعت الشمس وقال ما ألقيت على نومة مثلها قط فامرهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالارتحال

وانا الذي صنعت بصاحبك ما صنعت لانه عبد اله السماء وتركني فاغضبني فانت لو سجدت لي سجدة واحدة رددت عليك المال والاولاد وعافيت زوجك فرجعت الى أيوب فاخبرته بما قال لها قال قد اتاك عدو الله ليفتنك عن دينك فعند ذلك قال مسني الضر من طمع ابليس في سجود حرمتي له ودعائه اياها الى الكفر بالله سبحانه وتعالى قال مكي وقد قيل ان الذي أصابه به الشيطان ما وسوس به الى أهله (فان قلت فما معنى قوله تعالى) أي حكاية (عن يوشع) غير منصرف للعلمية والعجمة وهو ابن نون (وما أنسانيه) بكسر الهاء وضمها لحفص (الا الشيطان) أي أن اذكره (وقوله) أي وما معنى قوله تعالى (عن يوسف عليه السلام) أي في حقه (فانساه الشيطان ذكر ربه) بان وسوس له بخواطر عما يورثه ان يكل أمره الى غيره مستعينا به عن في خلاصه من السجن وتعبيه لحديث رحم الله أخي يوسف لو لم يقل اذكرني عند ربك لما لبث في السجن سبعا بعد الخمس والاستعانة في كشف الشدائد والضراء وان حمدت في الجملة الا انها غير لائقة بالانبياء والكمل من الاولياء (وقول نبينا عليه الصلاة والسلام) أي ومعنى قوله كما في رواية مسلم عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه (حين نام عن الصلاة) أي صلاة الفجر (يوم الوادي) أي الذي أمر بلالا ان يكلأ له فيه الفجر فغلبه النوم حتى مسهم حر الشمس

عن الوادي ثم نزل وتوضأ وصلى بهم وفي مصنف عبد الرزاق عن عطاء بن يسار انه كان ببطن تبوك ونحوه في دلائل البيهقي وقيل انه كان بغزوة مؤتة فقال صلى الله تعالى عليه وسلم لما انتبه (ان هذا واديه شيطان) وفي هذا الحديث انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال ليأخذ كل رجل برأس راحلته فان هذا منزل حضرنا فيه شيطان وأخر الصلاة حتى خرجوا من ذلك الوادي كما مر اذلم يكن تركها قصدا وانما تحول عن الوادي كراهة ما أصابه فيه من الغفلة ولانه يخشى فيه من أعداء المسلمين لا لان الوقت وقت كراهة * فان قلت كيف هذا مع قوله صلى الله تعالى عليه وسلم تنام عيناي ولا ينام قلبي * قلت أجاب عنه المصنف رحمه الله تعالى فيما يأتي وتبعه النووي بان القلب لا يدرك ما تدركه الحواس الظاهرة كالعين والاذن وانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان له حالان في أحدهما وهو الاكثر ان قلبه لا ينام وفي بعض الاحيان ينام عينه وقلبه لعارض كتعب سفر ونحوه وفيه تشريع للقضاء وتأخيره ولو كان قلبه الشريف يقظان لم يعذر صلى الله تعالى عليه وسلم من تأخير الصلاة والجواب الثاني هو الاولى وهذا الحديث له أصل أيضا في مسلم عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه وله طرق أخرى وقال القرطبي أخذ بعض العلماء بظاهره فقال من انتبه من نومه عن صلاة فاتته في سفر فليتحول عن موضعه وقيل انما يستحب في ذلك الوادي بعينه كما في قصة آبار ثمود وقيل انه مخصوص به صلى الله تعالى عليه وسلم لان مثل ذلك لا يطلع عليه غيره ولا بأس بالقول باستحبابه مطلقا وهو مناف لحديث البخاري من فاتته صلاة فليصلها اذا ذكرها لا كفارة لها الا ذلك وسيأتي ما فيه عند ذكر الجواب عنه (و) ما معنى (قول موسى) نبي الله (صلى الله تعالى عليه وسلم في وكزه) وفي نسخة وكزته ومعناهما واحد والوكز الضرب والدفع بجمع الكف ووكزه المراد به وكز القبطي المذكور في القرآن (هذا) الوكز (من عمل الشيطان) وهو مقول القول وهو معصوم فكيف وقع منه ما وقع من قتل من لم يؤمر بقتله ولذا سماه ظلما واستغفر منه ووجه السؤال ظاهر وكان موسى صلى الله تعالى عليه وسلم قبل النبوة يركب مع فرعون في مواكبه الا انه لم يكن على دينه فلحقه مرة في وقت القائلة أو بين العشائين فدخل مدينة منف في وقت غفلة فوجد رجلين يقتتلان أحدهما قبطي والآخر من بني اسرائيل من قوم موسى فاراد القبطي ان يسخره بحمل متاع له فاستغاث بموسى لينصره عليه ونصرة المظلوم واجبة في سائر الملل فوكزه بيده أو بعصا ليدفعه فقتله ولم يكن هذا ظلما منه صلى الله عليه وسلم وانما جعله من عمل الشيطان استعظاما لتركه الاولى ولم يضفه الى الله تأدبا منه (فاعلم) جواب الشرط في قوله فان قلت (ان هذا الكلام) المذكور عن الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم في السؤال (قد يرد) في القرآن والحديث ما هو أعم منه أو بمعناه (في جميع هذا) المحكي عنهم (على مورد مستمر) بالاضافة لكلام أي طريق معروف في استعمال (كلام العرب) أو هو فاعل يرد أي دأبهم في كلامهم ومعتادهم فيه والاول هو الظاهر وفاعل يرد ضمير الكلام (في وصفهم كل قبيح من شخص أو فعل) بيان لكل قبيح لقبح الشخص في منظره والافعال القبيحة الصادرة من الناس فيه ولون للقبيح هو شيطان ويضيفون الافعال القبيحة له وقوله (للشيطان) متعلق بوصفهم (أو فعله) مجرور معطوف على الشيطان فاذا رأوا شخصا قبيحا قالوا هذا شيطان بالتشبيه البليغ واذا رأوا فعلا قبيحا قالوا هذا فعل شيطان (كما قال تعالى) في شجرة الزقوم التي في جهنم ﴿طلعها كأنه رؤس الشياطين﴾ ما فيها مما يشبه طلع النخل فشبه ما يطلع منها تشبيها تخييليا بذلك لما استمر عندهم من تشبيه كل قبيح بها وان لم يروها وهذا كقول امرئ القيس * ومسنونة زرق كانياب اغوال * كما بين في كتب المعاني وقيل الشياطين حيات كبيرة هائلة (وقال صلى الله عليه وسلم) في حديث رواه

(ان هذا واديه شيطان) ارتحلوا ثم قضى صلاة الصبح بعد ارتحالهم منه وهو مؤذن بجواز تاخير الفائتة بعذر فهو مخصص لعموم حديث البخاري من فاتته صلاة فليصلها اذا ذكرها لا كفارة لها الا ذلك (وقول موسى عليه السلام) أي وما معناه (في وكزته) أي القبطي وهو ضربه في صدره بجمع كفه الذي صار سبب قتله (هذا من عمل الشيطان) أي لصدوره منه قبل ان يؤذن له في ضربه أو قتله وجعله من عمل الشيطان وتسميته ظلما واستغفاره منه جار على كريم عادة الانبياء من استعظام ما تركه أولى من الاشياء (فاعلم ان هذا الكلام) أي منهم عليهم الصلاة والسلام (وقد يرد في جميع هذا) أي مما حكي عنهم (موردا مستمرا) بالنصب وفي نسخة على مورد مستمر (كلام العرب) أي مجرى دأبهم ومطرد عادتهم (في وصفهم كل قبيح من شخص أو فعل بالشيطان أو فعله) لقبح منظره وسوء فعله في طباع الناس لاعتقادهم انه شر محض لا خير فيه (كما قال تعالى) في مذمة شجرة الزقوم (طلعها) أي ثمرها (كأنه رؤس الشياطين) لتناهي قبحه وهول منظره وهو تشبيه تخييلي كتشبيه الفائق في حسن عظيم بملك كريم قال تعالى ان هذا الا ملك كريم (وقال) أي وكما قال (صلى الله تعالى عليه وسلم) على ما رواه الشيخان (فيمن يريد ان يمر بين يدي المصلي) وأول الحديث اذا صلى

أحدكم الى شيء يستره فاراد أحد ان يجتاز بين يديه فليدفعه فان أبى (فليقاتله فانما هو شيطان) أي انسي أو جني شبهه به تقبيحا لمروره بين يديه لمشابهة فعله في قبيح أمره لشغل خاطره واذهاب خشوعه وخضوعه (وأيضا) مصدر من آض اذا رجع أي ونرجع ونقول (فان قول يوشع) لموسى وما أنسانيه الا الشيطان ان أذكره (لا يلزمنا الجواب منه) وفي نسخة عليه (اذ لم يثبت له في ذلك الوقت) أي وقت كونه في خدمة موسى (نبوة مع موسى) بل يظهر فيه انه لم يكن نبيا وانه كان تابعا ملازمه (قال تعالى واذ قال موسى لفتاه والمروي انه انما نبئ بعد موت موسى وقيل قبيل موته) ويروى قبل موته أي موت موسى ثم يلزم الجواب عنه لمن قال بعصمة الانبياء قبل النبوة وبعدها اذ لا سبيل للشيطان عليهم مطلقا وقد يقال نسبه للشيطان هضما لنفسه وتأدبا مع ربه (وقول موسى) أي في حال وكز القبطي هذا من عمل الشيطان (كان قبل نبوته بدليل القرآن) فانه يدل على ان قتله كان قبل هجرته الى مدين اذ وقع سببا لها وقد روي انه لما قضى الاجل مكث بعده عند صهره شعيب عشرا أخرى ثم استأذنه في العود الى مصر واتفق له ذلك السفر وارساله كان بعد رجوعه من مدين الى فرعون وفيه انه لم يحتمل انه كان نبيا ولم يكن رسولا لقوله تعالى قبل هذه القصة ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين ودخل المدينة الآية (والمفسرون (وقصة يوسف) أي وهو في السجن (قد ذكر) ويروى قد ذكرنا (انها كانت) أي كلها كما في نسخة (قبل نبوته) أي على بعضهم والا فقد قال بعضهم انه نبي في الجب بدليل قوله تعالى وأوحينا اليه لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون ثم رسالته كانت متأخرة (وقد قال

الشيخان رحمهما الله تعالى في المار بين يدي المصلي (فليقاتله فانما هو شيطان) والحديث رواه مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه وفيه اذا صلى أحدكم الى شيء يستره فاراد أحد ان يجتاز بين يديه فليدفع في نحره فان أبى فليقاتله فانما هو شيطان والامر للندب لا للوجوب فانما يندب اذا كان بين يديه سترة وانما يفعل ذلك اذا لم يرتد بأسهل الوجوه وذكر المقاتلة مبالغة في شدة الدفع والا فالمقاتلة افعال كثيرة لا تجوز في غير صلاة الخوف وقوله هو شيطان استعارة تصريحية شبهه بالشيطان في صدور الافعال القبيحة منه وقيل انه مجاز مرسل لان الشيطان سبب لما فعله واما كونه حقيقة قول شياطين الانس والجن فليس بشيء لانه مجاز أيضا وانما كره ذلك لانه شغله عن خدمة ربه بتوجهه اليه (وأيضا) من آض اذا رجع أي يرجع الى الجواب عما مر في السؤال (فان قول يوشع) عليه الصلاة والسلام وما أنسانيه الا الشيطان ان أذكره الذي حكاه الله تعالى عنه (لا يلزمنا الجواب عنه) لعدم وروده على ما قررناه من عصمة الانبياء عن تسلط الشيطان عليهم (اذ لم يثبت له في ذلك الوقت) أي وقت صدور هذا القول عنه وهو في خدمة موسى عليه الصلاة والسلام (نبوة) أي انه كان نبيا حال كونه (مع موسى) مصاحبا له في سفره وهو خادمه ويدل على ذلك قوله تعالى وفي نسخة قال الله تعالى (واذ قال موسى لفتاه) الى آخره والفتى في الاصل معناه الشاب فاستعمل بمعنى العبد والخادم لان الغالب استخدام الشباب وتوقير الكبار وهو من الآداب الشرعية وفي الحديث انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لا يقل أحدكم عبدي وأمتي ولكن يقول فتاي وفتاتي وانما سمي يوشع فتى موسى لانه كان يلازمه فيقوم مقام العبد ويقال انه ابن أخته وهو يوشع بن نون كما في صحيح البخاري (والمروي) عن العلماء الثقات (انه انما نبئ) أي جعله الله نبيا وأوحى اليه (بعد موت موسى وقيل) انه نبئ (قبيل موته) أي موت موسى عليه الصلاة والسلام وفي بعض النسخ قبيل بالتصغير اشارة لقلة زمن نبوته في حياته وسيأتي فيه كلام أيضا وقد قيل انه نبي في حياته فكان اذا سأله عما أوحي اليه يقول محبتك كذا وكذا ولم أسألك عما أوحي اليك فلما رأى ذلك كره الحياة فسأل ربه ان يقبضه اليه وقيل الاصح انه انما نبئ بعد موسى (وقول موسى) عليه الصلاة والسلام في وكز القبطي انه من عمل الشيطان (كان قبل نبوته) فلا يرد السؤال به لان الكلام في عصمة الانبياء عن تسلط الشيطان عليهم (بدليل القرآن) فانه قص فيه القصة بما يدل على انه انما نبئ بعد ذلك كما يعرفه من عرف الآية وتفسيرها في سورة القصص فانها قبل خروجه لمدين واستئجار شعيب له ومكثه عنده فانه صرح في الآية بانه نبئ بعد ذلك وقوله في الشرح الجديد ان المراد بقول موسى ما قاله ليوشع وان ما في القرآن ذكره بانه فتاه دون ان يقول نبي الله مع مخالفته للشروح لا وجه له (وقصة يوسف) وما فيها مما عقد له الفصل الجواب عنها انه (قد ذكر) بالبناء للمجهول اي ذكر علماء التفسير وغيرهم (انها كانت قبل نبوته) أي قبل نبوة يوسف عليه الصلاة والسلام فلا يمتنع قبلها ان يخطر عليه خاطر ينسى ذكر ربه المشار اليه بقوله فانساه الشيطان ذكر ربه وهذا أحد قولين فيه وقيل انه نبي في الجب وهو على حجر مرتفع فيه بدليل قوله تعالى وأوحينا اليه لتنبئنهم بأمرهم هذا وهو قبل مجيئه لمصر وهو قول الحسن ومجاهد والضحاك وقتادة وهو ابن ثمان عشرة سنة ومن الانبياء من نبئ صغيرا قبل الاربعين فعلى هذا يجاب بانه انما كان استعان بمخلوق ومثله جائز وان لم يلق بمنصب النبوة فاضاف ما هو خلاف الاولى الى الشيطان تأدبا ولا ضير فيه وهذا بناء على ان ضمير الشأن راجع ليوسف (وقد قال) أكثر العلماء

و(المفسرون فى قوله تعالى فانساه الشيطان قولين) آخرين (أحدهما ان الذى أنساه الشيطان ذكر ربه) ليس المراد به يوسف عليه الصلاة والسلام والرب بمعنى السيد أى الملك وانما المراد (أحد صاحبى السجن) وليس المراد بصاحب السجن مالكه بل من طال حبسه فيه فالاضافة لادنى ملابسة كقوله ياسارق الليلة أهل الدار (وربه) المراد به فى الآية على هذا سيده وهو (الملك أى) الشيطان (أنساه) أنسى الشرابى المسجون (ان يذكر) بزنة يقتل وفى بعض النسخ بضم الباء وكسر القاف المشددة والاول هو الصواب لانه الموافق لقوله اذكرنى عند ربك (للملك شأن يوسف) عليه الصلاة والسلام فى السجن والورطة التى وقع فيها وكان دخل معه فتيان من عبيد الملك أحدهما شرابيه الذى يسقيه الشراب وكان الملك عمر فيهم طويلا فدسوا فى شرابه سما فلما أخبر به الملك حبسهما والفيا يوسف وهو مسجون معهما ورأى كل منهما رؤيا قصها على يوسف وبينها له ثم قال لمن رآه ناج منهما وهو الشرابى اذا خلصت اذكرنى عند ربك يعنى الملك فتسلط الشيطان عليه حتى أنساه ان يذكر للملك قصة يوسف وعلى هذا لم يتسلط الشيطان على يوسف حتى يرد السؤال والى ذلك أشار المصنف رحمه الله تعالى (وأيضا) أى مثل ماذكر فى جواب الشبهة عن قصة يوسف ويوشع (فان مثل هذا) النسيان المذكور (من قبل الشيطان) بكسر القاف وفتح الباء الموحدة بمعنى عند وجانب يقال لفلان قبل فلان كذا أى عنده قال تعالى (فمال الذين كفروا قبلك مهطعين) وفى بعض النسخ من فعل الشيطان والجار والمجرور حال من اسم الاشارة يفيد انه ناشئ منه والخبر قوله و(ليس فيه تسليط على يوسف ويوشع) أو هو خبر بعد خبر (بوسواس) متعلق بتسليط (ونزغ) بنون وزاى ساكنة وغين معجمتين وقد تقدم معناه لعصمة الله تعالى لهما عن ان يكون له سلطان عليهما وعلى غيرهما من الانبياء (وانما هو) أى ضمير الشأن (بشغل خواطرهما) بمعجمتين من الثلاثى ويجوز كونه من المزيد على لغة غير فصيحة كما تقدم أى شغل ليس بطريق الوسوسة والتسليط بل (بأمر آخر) مما يرد على الخاطر ولا يضر ولا يستمر (و) هو (تذكرهما) أى يوسف ويوشع (من أمرهما ما ينسيهما) بالتشديد للمهملة والتخفيف (ما نسيا) أى يذكران أمرا نسياه من أحوالهما السالفة كاستعانة يوسف بمخلوق وشأن الحوت الذى نسيه يوشع ونسباه للشيطان تأدبا كما مر ومثله لا محذور فيه (وأما قوله) أى قول نبينا (صلى الله تعالى عليه وسلم) فى الحديث الذى تقدم بيانه وروايته عن مسلم (ان هذا واد به شيطان) وقد تقدم بيان الوادى ومكانه (فليس فيه) أى فى هذا الحديث ما يقتضى (ذكر تسلطه) أى الشيطان (عليه ولا وسوسته له) صلى الله تعالى عليه وسلم لعصمته ونزاهته عن مثله فهو لا يقدر على ان يقرب من سرادق حمايته (بل ان كان) أى ذكر فى الحديث ما يوهم تسلطه عليه (بمقتضى ظاهره) قبل التأمل فيه (فقد بين) وكشف صلى الله تعالى عليه وسلم فيه (أمر ذلك الشيطان) فى هذه الواقعة (بقوله) صلى الله تعالى عليه وسلم فى رواية مالك والبيهقى عن زيد بن أسلم (ان الشيطان أتى بلالا) بعدما أمره رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان ينتظر طلوع الفجر ويوقظه صلى الله تعالى عليه وسلم من نومه (فلم يزل) الشيطان (يهدئه كما يهدأ الصبى) الصغير فى مهده (حتى نام) بلال فلم يستيقظ حتى أصابه صلى الله تعالى عليه وسلم حر الشمس فاستيقظ وقال ماهذا

المفسرون فى قوله أنساه الشيطان) أى ذكر ربه بعد قول يوسف له اذكرنى عند ربك (قولين) أى تأويلين (أحدهما ان الذى أنساه الشيطان ذكر ربه أحد صاحبى السجن) وهو الشرابى (وربه) أى وسيده (الملك) بكسر اللام (أى أنساه) أى الشيطان الشرابى (ان يذكر) من الذكر أو التذكير والاول أوفق بقوله اذكرنى (للملك) وفى نسخة الملك (شأن يوسف عليه السلام) أى لينجيه من السجن وما فيه من تعب المقام ونصب الملام (وأيضا فان مثل هذا) أى النسيان (من فعل الشيطان ليس فيه تسلط) أى بالاغواء (على يوسف عليه الصلاة والسلام) أى ولو كان حينئذ من الانبياء (ويوشع) أى وعليه وهو ولد ولده (بوساوس) وبروى بوسواس (ونزغ) أى خطر من هواجس (وانما هو) أى فعل الشيطان (بشغل خواطرهما) أى بسببه وفى نسخة بصيغة المضارع وفى أخرى شغل بصيغة المصدر وفى أخرى اشتغال خواطرهما (بأمور أخر وتذكيرهما من أمورهما ما ينسيهما ما نسيا وأما قوله عليه الصلاة والسلام ان هذا واد به شيطان فليس فيه ذكر تسلطه عليه ولا وسوسته له بل ان كان بمقتضى ظاهره) أى سببا لغفلته (فقد تبين أمر ذلك الشيطان بقوله) فى رواية مالك والبيهقى عن زيد بن أسلم (ان الشيطان اتى بلالا) أى حين قال له صلى الله عليه وسلم اكلأ لنا الفجر أى احفظ وقته لنا (فلم يزل يهدئه) بضم الياء وكسر الدال بالهمز من الاهداء أو التهدئة أى يسكنه عن الحركة (كما يهدأ الصبى) بصيغة المجهول بان يضرب عليه بالكف على وجه اللطف لينام من غير العنف (حتى نام) أى بلال فلم يستيقظ حتى ضربهم حر الشمس فقال ماهذا يا بلال فقال أخذ بنفسى الذى أخذ بنفسك يارسول الله

يا بلال فقال أخذ بنفسي الذي أخذ بنفسك يا رسول الله الحديث وقوله يهدئه بضم المثناة التحتية وسكون الهاء ودال مهملة مكسورة مخففة وآخره ياء ساكنة أو همزة مضمومة أو هو بفتح أوله وسكون ثانيه وفتح داله وبعده همزة أو ألف وداله مشددة الا ان رسمه بالياء في النسخ وكذا يهدي في قوله كما يهدي الى آخره قال الجوهري هدأ هدأ وهدوأ اذا سكن واهدأت الصبي اذا أسكنته وأمررت يدك عليه لينام وكذا في القاموس وقال ابن القطاع وغيره ومثله هدأه بالتشديد مهموزا ومعتلا وهدنه بنون وهدهده كله بمعنى تحريك الصبي أو مهده حين ينام والحديث في الصحيحين (فاعلم ان تسلط الشيطان في ذلك الوادي) الذي نزل به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأصحابه وغلبهم النوم حتى فاتتهم صلاة الفجر به وقد رجعوا من الغزاة (انما كان) تسلطه (على بلال) رضي الله عنه لا على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حتى يرد السؤال (الموكل) بفتح الكاف المشددة اسم مفعول أي المعتمد عليه في الحفظ عن خروج الوقت (بكلاءة الفجر) بكسر الكاف كالحراسة وزنا ومعنى فهو ممدود مهموز وقد تبدل همزته ياء كما في النهاية يقال كلأه يكلؤه اذا حرسه وضمن معنى المراقبة أي مراقبة طلوع الفجر ليوقظهم وقيل المراد كلاءة صلاة الفجر بتقدير مضاف وله وجه وجيه (هذا) أي ماذكر من ان تسلط الشيطان انما كان على بلال (ان جعلنا قوله) صلى الله تعالى عليه وسلم في هذا الحديث (ان هذا واديه شيطان تنبيها) مفعول له (على سبب النوم عن الصلاة) بناء على ان المراد ان الشيطان تسلط على من غفل عن الصلاة حتى فات وقتها بطريق من الطرق لكن ليس المسلط عليه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بل بلال وان الشيطان تحيل عليه في غلبة النوم كما تحيل الام والداية على طفلها يستغرق في نومه (واما ان جعلناه تنبيها على سبب الرحيل عن الوادي) فانه صلى الله تعالى عليه وسلم لما استيقظ من نومه أمرهم بالرحيل عن ذلك الوادي وقال انه واديه شيطان كما مر (وعلة لترك الصلاة فيه) لان الافضل في قضاء الصلاة الفائتة بعذر ان يبادر بقضائها في أول تذكرها فلما ترك ذلك وارتحل وقال ان هذا واديه شيطان دل مساق كلامه على ان كونه لم يصل به لذلك فليس فيه ما يقتضي ان للشيطان تسلطا على بلال فضلا عنه صلى الله تعالى عليه وسلم (وهو) أي ماذكره من انه علة لارتحاله وترك الصلاة (دليل) فعيل بمعنى مفعول أي مدلول (مساق) بفتح الميم مصدر بمعنى سياق (حديث زيد بن أسلم) والسياق ما يفهم من ذكر شيء مع شيء وزيد تقدم بيانه وهو هذا الحديث المذكور لكنه من طرق آخر رواه مالك في الموطا والبيهقي عن زيد بن أسلم على هذه الرواية التي يفيد سياقها ماذكر (فلا اعتراض به) أي بهذا الحديث (في هذا الباب) الذي عقد لان الشياطين لا تسلط لهم على الانبياء عليهم السلام بوسوسة ونحوها (لبيانه) أي بيان حديث زيد لما ذكر ووضوح دلالته عليه (وارتفاع أشكاله) أي زواله بالكلية حتى استغنى عن الجواب لعدم احتماله لما يخالفه

(فصل وأما أقواله صلى الله تعالى عليه وسلم) لما كان هذا الباب معقودا لعصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام في عقائدهم وأحوال قلوبهم وأقوالهم وأفعالهم قدم الكلام على الاول لانه الاهم والاساس وعقبه بالثاني وهو ما يتعلق بأقوالهم فقال (ف) قد (قامت الدلائل) أي صحت وثبتت فصارت كالعماد والسناد الذي يقوم به غيره والدلائل جمع دليل وقد قال ابن مالك في شرح كافيته انه لم يات فعائل جمعا لفعيل اسم جنس وان جاز بطريق القياس وفي الآيات البينات انه يحتمل ان يكون جمع دلالة بمعنى دليل وفعالة يجمع على فعائل قياسا مطردا وقد قال امام الحرمين ان الدليل يسمى دلالة والظاهر انه مجاز انتهى وقد تقدم التنبيه على هذا أيضا (الواضحة) الظاهرة القاطعة العقلية والنقلية من الآيات والبراهين (بصحة المعجزة) أي المعتضدة بصحة معجزاته والباء

(فاعلم ان تسلط الشيطان في ذلك الوادي الذي عرّس به) بتشديد الراء أي نزل به في الليل أو آخره هو وأصحابه حين قفلوا من غزوهم أي رجعوا (انما كان) أي في الجملة (على بلال الموكل بكلاءة الفجر) بكسر الكاف وفتح اللام ممدودة وفي نسخة بكلاءته الفجر أي حراسته ليخبرهم بطلوع الفجر ووقت صلاته (هذا) أي التاويل (ان جعلنا قوله ان هذا واديه شيطان تنبيها على سبب النوم عن الصلاة واما ان جعلناه) أي قوله ذلك (تنبيها على سبب الرحيل عن الوادي وعلة ترك الصلاة به فهو دليل مساق حديث زيد بن أسلم) كما رواه مالك والبيهقي (فلا اعتراض به في هذا الباب لبيانه) أي بيان حديثهما (وارتفاع اشكاله) على منهج الصواب

(فصل) (أما قوله عليه الصلاة والسلام فقامت) ويروى فقد قامت (الدلالة) أي جنس الدلالات (اللائحة) وفي نسخة صحيحة الدلائل الواضحة (بصحة المعجزة

على صدقه) من الآيات الساطعة والبينات القاطعة كانشقاق القمر وغيره من خوارق العادة (وأجمعت الامة فيما كان طريقه

البلاغ) أي تبليغ الشرائع والاحكام من الله الملك العلام لسائر الانام (انه معصوم فيه من الاخبار) بكسر

الهمزة أي الاعلام (عن شئ منها بخلاف ماهو به) أي من المقصود والمرام والمعنى بخلاف الواقع (لاقصدا) أي بسبب (ولا عمدا) أي لاعن سبب (ولاسهوا) أي خطأ (ولاغلطا) أي نسيا وفي نسخة لاقصدا أو عمدا ولاسهوا أوغلطا (أما تعمد الخلف) بضم أوله وهو اخلاف الوعد وهو في الآتي كالكذب في الماضي ويروى وأما تعمده الخلاف (في ذلك) أي فيما تقدم من أمر البلاغ (فمنتف) أي ممتنع عقلا ونقلا (بدليل المعجزة القائمة مقام قول الله تعالى صدق) أي عبدي كما في نسخة (فيما قال اتفاقا) بين علماء الامة (باطباق أهل الملة اجماعا) أي في الجملة (وأما وقوعه) أي الخلف (على جهة الغلط في ذلك فبهذه السبيل) أي فمنتف أيضا بدليل المعجزة المذكورة أو بهذه الطريقة المسطورة بعينها (عند الاستاذ) بالدال المهملة وقيل بالمعجمة (أبي حامد الاسفرائني) بكسر

الهمزة وفتح الفاء بلدة بخراسان بنواحي نيسابور وهو امام المتبحرين في علوم الدين كلاما وأصولا وفروعا وأبوابا وفصولا توفي بنيسابور يوم عاشوراء سنة ثماني عشرة وأربعمائة

تجري يديه كما في قوله تعالى فاسئل به خبيرا على أحد القولين وهذا أحسن (على صدقه) أي انه صادق فيما أخبر به ووجه الدلالة مقررة في الاصول والاصح انها دلالة عقلية أظهر من الشمس (وأجمعت الامة) على صدقه صلى الله تعالى عليه وسلم وصدق أخباره (فيما كان طريقه البلاغ) وهو مصدر أو اسم مصدر بمعنى التبليغ عن ربه ماأوحى اليه لانه لازم لرسالته (انه معصوم فيه) أي فيما أمر بتبليغه للخلق من ربه (من الاخبار) متعلق بمعصوم (عن شئ منها) أي مما طريقه البلاغ ملتبسا (بخلاف ماهو به) الباء بمعنى على أو للملابسة أي يخالف شيء من أخباره الواقع (لاقصدا) لخلافه حتى يكون كذبا وقوله (ولا عمدا) ان فسر بالقصد فهو عطف تفسير كما قاله الراغب وان قيل القصد ما كان لسبب والعمد ما كان بلا سبب كما قاله التلمساني فهو تأسيس وهو الاولى (ولاسهوا أوغلطا) الاول ما كان بغير قصد والثاني ماقصده خطأ لظنه واقعا وفي نسخة وغلطا بالواو واوأولى هنا (أما تعمد الخلف في ذلك) أي في الاخبار عما طريقه البلاغ (فمنتف عنه) لانه غير لائق بمقامه والخلف قيل بضم الخاء بمعنى الكذب في أخباره عن أمر مستقبل والكذب يكون عن الماضي وقيل انه بفتحها وسكون اللام بمعنى الباطل وأصل معناه القبيح الردي ومنه المثل سكت ألفا ونطق خلفا وتفسيره بالمخالفة غير متجه الان يريد مخالفة الواقع فيرجع لما قبله وقوله (بدليل المعجزة) متعلق بمنتف (القائمة مقام قول الله) تعالى لمن بعث اليهم الرسول (صدق رسولي) وندي (فيما قال) لكم وبلغكم عني بدليل معجزته التي هي برهان قاطع على صدق مدعاه (اتفاقا وباطباق أهل الملة) أي اتفاقهم على ذلك وأصل معنى الاطباق جعل الشئ مطابقة الأخرى أي موافقاله (اجماعا) منصوب بنزع الخافض أي اطباقهم ثابت بالاجماع منهم وقوله أهل الملة اشارة الى بطلان قول البراهمة والصابئة باستحالة ثبوت النبوات كما تبين في علم الكلام ثم اختلفوا بعد ذلك فذهبت المعتزلة وبعض الشيعة الى انها واجبة عقلا من جهة اللطف وذهب الاشعري وأهل السنة الى القول بجوازها عقلا ووقوعها عيانا وأدلتهم مفصلة في كتب الكلام ولما كان كل خبر محتملا للصدق والكذب من حيث هو قالوا الدليل على صدقه صلى الله عليه وسلم معجزته ولا يرد عليه قول المنكرين انها فعل والفعل من حيث هو لايدل على الاختصاص بشخص معين الا باقترانه لدعوا وللاقتران أسباب أخر كان لخرق العادة أحوالا مختلفة واذا احتملت الوجوه عقلا لم تثبت الدلالة لان القرينة والتحدي دالان على بطلان هذه الاحتمالات وسبيل تعريف الله عباده صدق الرسالة بالآيات الخارقة للعادة كسبيل تعريفهم الهيئة بالآيات الدالة عليها والتعريف يكون بالقول تارة وبالفعل أخرى فالتعريف بالقول كقول الله تعالى للملائكة اني جاعل في الارض خليفة وبالفعل كتعجيزهم عن معارضة ماعلمه من الاسماء وتعجيز الخلق عن معارضة القرآن المنزل على نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فدلالة المعجزة على صدقه دلالة عقلية وهذا معنى ماقاله المصنف كما تقرر في علم الكلام (وأما وقوعه) أي وقوع خبره على خلاف ماهو عليه فيما طريقه البلاغ (على جهة الغلط في ذلك) من غير تعمد وقصد منه بل بسهو ونحوه (فبهذه السبيل) أي طريق انتفائه كطريق انتفاء العمد فيه عنه فان الدليل الدال عليه دال على انتفائه ذا أيضا الا ان الاول متفق عليه وهذا مختلف فيه لكونهما على نهج واحد (عند الاستاذ) بضم الهمزة وسين مهملة ساكنة ومثناة فوقية وألف وذال معجمة وهي كلمة معربة معناه الرئيس في علم أو صناعة وتفصيله في كتابنا شفاء العليل فيما في كلام العرب من الدخيل (أبي اسحق الاسفرائني) وهو ابراهيم بن محمد بن ابراهيم بن مهران واسفرائن بكسر

(ومن قال بقوله) اى ممن تابعه وشايعه فى انه منتف اصدوره من جهة الاجماع (فقط) لانه حجة قاطعة (وورود الشرع) اى ومنتف أيضا من جهة ورود الكتاب والسنة وفى نسخة فى ورود الشرع (بانتفاء ذلك الغلط) لقوله تعالى وانك لتهدى الى صراط مستقيم (وعصمة النبى) أى ومنتف أيضا من جهة عصمته قطعا (لامن مقتضى المعجزة نفسها عند القاضى أبى بكر الباقلانى) بكسر القاف وتشديد اللام وقد تقدم عليه الكلام وهو الامام المالكى (ومن وافقه لاختلاف بينهم) اى بين الاستاذ والقاضى ومقلديهما (فى مقتضى دليل المعجزة لانطول بذكره) فى هذا الباب (فنخرج عن غرض الكتاب) ونورث السآمة والملالة من الاطناب (فلنعتمد على ماوقع عليه اجماع المسلمين انه لايجوز عليه) أى على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (خلف فى القول فى ابلاغ الشريعة والاعلام بما اخبر به عن ربه وما أوحاه اليه) ويروى وبما أوحاه اليه (من وحيه لاعلى وجه العمد ولاعلى غير عمد) أعاد حرف النفى سابقا ولاحقا تأكيدا لعدم جواز خلفه فيما ذكره حقا وصدقا (ولافى حال الرضاء) بكسر الراء وتضم أى المحبة وفى نسخة حال الرضى وفى أخرى حين الرضى (والسخط) بفتحتين وبضم وكسر أى الغضب والكراهة (والصحة والمرض وفى حديث عبدالله بن عمرو) أى ابن العاص بن وائل السهمى كما رواه أحمد وأبو داود والحاكم وصححه (قلت يارسول الله

اكتب

الهمزة وفتح الفاء بلدة بخراسان وهو امام جليل متبحر فى علوم الدين كلاما وفروعا وأصولا توفى بنيسابور يوم عاشوراء سنة ثمان عشرة وأربعمائة (ومن قال بقوله) واتبعه فى هذه المسئلة يعنى ان المعجزة تدل على صدقه صلى الله عليه وسلم فيما قاله وانه لايصدر عنه مايخالف الواقع لاقصدا ولاغلطا ولاسهوا بطريق من الطرق فمعجزته صلى الله تعالى عليه وسلم كما دلت على نبوته دلت على صدقه وهذا القول ارتضاه المصنف رحمه الله تعالى (ومن جهة الاجماع) الدال على انه لم يصدر عنه صلى الله تعالى عليه وسلم الكذب لاقصدا ولاسهوا وهو معطوف على قوله بهذا السبيل (فقط) أى الدال على ذلك انما هو المعجزة والاجماع لادليل عقلى غيرهما (وورد الشرع بانتفاء ذلك) أى انه ورد فى الآيات المتواترة والاحاديث الصحيحة على مايدل على ماذكر من انه صلى الله عليه وسلم على هدى وانك لتهدى الى صراط مستقيم وغيره مما يدل عليه صريحا وتلويحا (و) مما يدل على ذلك أيضا (عصمة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) وهى ملكة نفسانية تمنع من النقائص والمعاصى والكلام بما يخالف الواقع نقيصة تأباها العصمة وفى دلالة ذلك على عدم صدور السهو منه نظر (لامن مقتضى المعجزة) اسم مفعول أى ليس مما يدل عليه دلالة التزامية عقلية كدلالة أعتق عبدك عنى على بيعه لى وقوله (نفسها) اشارة الى ان للمعجزة دخلا ما فى ذلك (عند القاضى أبى بكر الباقلانى) بتشديد اللام المالكى كما تقدم (ومن وافقه) على مذهبه وهذا مرتبط بقوله ومن جهة لا بجمل لى هنا والحاصل انه صادق فيما طريقه البلاغ والدال على صدقه معجزة عند الاسفرائنى وعند الباقلانى ورود الشرع بذلك واجماع الامة على عصمته صلى الله تعالى عليه وسلم وسبب الاختلاف ونتيجته ما أشار اليه بقوله (لاختلاف) وقع (بينهم) اى بين الاسفرائنى واتباعه وبين الباقلانى ومن وافقه (فى مقتضى دليل المعجزة) أى فى دلالتها على صدقه وانها بمنزلة قول الله انه صادق أم لا (لانطول بذكره) فانه بحث طويل صعب المدرك (فنخرج عن غرض) هذا (الكتاب) الذى وضع لبيان شرف قدر المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم من غير تطويل واطناب بميل من غير تعرض للمباحث الكلامية (فلنعتمد) ماهو أصل مقصود كان فيما قصدناه (على ماوقع عليه اجماع المسلمين) من غير تعرض للادلة العقلية وما أجمعوا عليه هو (انه لايجوز) بتخفيف الواو وتشديدها (عليه) صلى الله تعالى عليه وسلم (خلف فى القول) اى مايخالف الحق الواقع (فى ابلاغ الشريعة) اى فيما صرح به دلك مما أمر بتبليغه (والاعلام بما أخبر به عن ربه تعالى وبما اوحاه اليه من وحيه) الذى نزل عليه الملك به بوجه من الوجوه وفى حال من الاحوال (لاعلى وجه العمد) بان يتعمد الاخبار بخلاف الواقع (ولاعلى غير عمد) من خطأ ونسيان كما تقدم (ولافى حالى الرضى والسخط) بفتحتين أو بضم فسكون وهى كراهة ذلك الامر المخبر به أو فى حال رضاه عمن خاطبه وسخطه عليه والرضاء يقابله كما فى حديث اللهم انى اعوذ برضاك من سخطك ويكون فى مقابلة الجبر والاكراه كما فعله برضاه اى اختياره وارادته لاقهرا ولاجبرا وعلى الوجهين يدور ان الله يرضى بالكفر لعباده أم لا كما وقع بين الماتريدية والاشعرية وفى تفسير قوله ولايرضى لعباده الكفر هل المراد جميع عباده أو خلصهم والاضافة تشريفية كما فصل فى محله (والصحة والمرض) أى لايقع ذلك منه صلى الله تعالى عليه وسلم فى صحته ولافى حال مرضه واختلاف مزاجه الذى قد يشوش الفكر مما يؤدى لمثله ثم ذكر دليلا على ماقاله من السنة فقال (وفى حديث عبدالله بن عمرو) بن العاص بن وائل السهمى الصحابى المشهور رضى الله تعالى عنهما وهذا الحديث رواه عنه الامام أحمد وأبو داود والحاكم وصححه وفيه (قلت يارسول الله

ءاكتب) باستفهام مقدر أو مقرر بابداله والمعنى ءاكتب (كل ما أسمع منك قال نعم اكتب عنى كل ما سمعت منى قلت فى الرضى والغضب قال نعم فانى لا أقول فى ذلك) أى فى الذى أقوله (الاحقا) لما عصمه ربه من الزلل والخطل فى القول والعمل (ولنرد) بفتح النون وكسر الراء من الورود أى ولنذكر (ما أشرنا) أى فيما حررنا (اليه من دليل المعجزة) ويروى فى دليل المعجزة (عليه) أى على ما قررنا (بيانا) أى برهانا (فنقول اذا قامت المعجزة على صدقه) أى النبى (وانه لا يقول الا حقا ولا يبلغ) بالتشديد والتخفيف أى ولا يخبر (عن الله تعالى الا صدقا) بحيازته رعاية الامانة وحماية الصيانة والديانة (وان المعجزة قائمة مقام قول الله له صدقت فيما تذكره عنى) وروى مقام قول الله تعالى صدق عبدى فيما يذكره (وهو يقول انى رسول الله اليكم لابلغكم) بالتشديد والتخفيف أى لاخبركم (ما أرسلت به اليكم وأبين لكم ما نزل عليكم) بالبناء للفاعل مخففا أو المفعول مثقلا لتفوزوا بكرم السيادة وعظم السعادة (وما ينطق عن الهوى ان هو) أى ما هو (الا وحى يوحى وقد جاءكم الرسول بالحق من ربكم) كما فى آية أخرى (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) أو نحو هذا من الآيات فى الكتاب (فلا يصح ان يوجد منه فى هذا الباب) أى فى باب البلاغ عن ربه (خبر بخلاف مخبره) بضم الميم وفتح الموحدة أى ما أخبر به (على أى وجه كان) من قصد أو غيره (فلو جوزنا عليه

ءاكتب كلما اسمع منك قال نعم) أى ءاكتب كلما سمعته منى (قلت فى الرضاء والغضب) أى فى حالتيك هاتين (قال نعم) أى اكتب ما تسمعه فى حال رضائى وغضبى (فانى لا اقول فى ذلك) المذكور (كله) من حالتى الرضى والغضب (الاحقا) فلا يصدر عنه صلى الله تعالى عليه وسلم ما يخالف الواقع لا عمدا ولا غيره لعصمة الله تعالى له فى اقواله وأفعاله كلها وأشار بذلك ليقظته أو لرفعة محله فى الصدق وفيه رد على من منع كتابة الحديث ونقله عن بعض الصحابة والتابعين وقال انهم كرهوه لحديث لا تكتبوا عنى شيأ غير القرآن ومن كتب عنى غيره فليمحه كما رواه البخارى ومسلم فى قصة أبى شاه عام الفتح وقد أجيب عنه بانه منسوخ أو انه مخصوص بعصره فى حياته صلى الله تعالى عليه وسلم اما بعده فصارت واجبة أو المراد النهى عن كتابة الحديث مع القرآن مختلطا به أو المراد لا تكتبوا عنى شيأ كنت قلته ثم جاء القرآن بما يخالفه وأول ما دونت كتب الحديث فى زمن عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى كما ذكره الطبرى فى مناقبه (ولنرد) بالمعجمة من الزيادة وفى نسخة ولنرد (فيما أشرنا اليه) مما مضى قريبا (من دليل المعجزة عليه) اى دلالتها على ما ذكر (بيانا) مفعول نزد وهو توضيح وتأييد لما قاله الاسفرائنى (فنقول) تفصيل لهذه الزيادة (اذا قامت المعجزة) من اقامة الدليل اى دلت (على صدقه صلى الله تعالى عليه وسلم) فى كل ما أخبر به عن الله تعالى (وانه لا يقول الا حقا) وصدقا لنزاهته عما سواه وعصمة الله تعالى له عما عداه وقوله (ولا يبلغ عن الله تعالى الا صدقا) تأكيد لما قبله (وان المعجزة قائمة مقام قول الله له صدقت) فى كل ما قلت لدلالتها على ذلك بطريق الاقتضاء والاستلزام فصارت عبارة عنه بطريق الكناية وفى نسخة صدق عبدى (فيما تذكره) وتخبر به (عنى وهو يقول انى رسول الله) الذى ارسله (اليكم لابلغكم ما أرسلت به اليكم) مما أوحاه الله الى وامرنى بتبليغه (وابين لكم ما نزل الله عليكم) وفى نسخة اليكم وتنزيله عليهم بواسطته صلى الله عليه وسلم والمراد بنزوله عليهم وصوله اليهم ونزوله على نبى بين اظهرهم والنزول فى القرآن تارة ينسب الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وحده فيقال نزل وتارة الى الامة فالمراد بالاول مشافهة ملك الوحى له وبالثانى مطلق الوصول والبلاغ أو هو من قبيل بنو فلان قتلوا قتيلا والقاتل واحد منهم ودلالة المعجزة على صدقه تقدم بيانها وظهورها على يد الكاذب ممتنع عقلا وعادة وقال الشهرستانى فى نهاية الاقدام من اصطفاه الله لرسالته واجتباه لدعوته كساه ثوب جمال فى الفاظه واخلاقه وأحواله فتعجز الخلائق عن معارضة شئ من ذلك فتصير جميع حركاته معجزة لما دونهم من الحيوانات (وما ينطق عن الهوى) اى لا يصدر عنه أمر بمجرد هوى نفسه وتشهيه (ان هو الا وحى يوحى) اليه وقد تقدم بيانه وبيان انها لا تدل على انه صلى الله عليه وسلم لا يجوز له الاجتهاد (وقد جاءكم الرسول بالحق من ربكم) فلا يصدر عنه صلى الله عليه وسلم ما يخالف الواقع (وما آتاكم الرسول فخذوه) اى تمسكوا به (وما نهاكم عنه فانتهوا) عنه ولا تقربوه لانه انما يأمركم بما أمر الله تعالى وانما ينهاكم عما نهى الله تعالى عنه فان فسرت بما أعطاكم من الفئ فخذوه وما نهاكم عنه من الفئ فلا تأخذوه فانه انما يعطى ويمنع بامر الله تعالى دل على ما ذكر أيضا بطريق الفحوى والقياس فلا يقال ان الآية لا تدل على المراد على هذا التفسير (فلا يصح ان يوجد منه) صلى الله تعالى عليه وسلم (فى هذا الباب) وهو ما طريقه البلاغ عن الله تعالى (خبر) سمع منه أو صح عنه (بخلاف مخبره) بضم اوله وسكون ثانيه وفتح ثالثه وتخفيفه اى لا يصدر عنه خبر غير مطابق للواقع (على أى وجه كان) خبره الصادر عنه (فلو جوزنا عليه)

الغلط والسهو) أى نسبتهما اليه (لما تميزنا) أى لما امتاز خبره (من غيره) أى من خبر غيره قال الحجازى سياق الكلام يدل على ان الضمير فى ذلك عائد الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (ولاختلط الحق بالباطل فالمعجزة مشتملة على تصديقه جملة واحدة من غير خصوص) بتقييد حاله (فتنزيه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) أى فيما طريقه البلاغ (عن ذلك كله) أى عن الاخبار بشئ منه بخلاف ماهو به قصدا وسهوا وغلطا (واجب برهانا) أى دليلا عقليا (واجماعا) أى اتفاقا نقليا (كما قاله أبو اسحق) أى الاسفرائنى على ماتقدم والله أعلم

(فصل) (وقد توجهت ههنا) أى فى هذا المبحث (لبعض الطاعنين) أى فى الدين (سؤالات) أى من الملحدين (منها ماروى) أى فيما أخرجه ابن جرير وابن المنذر وأبو حاتم بسند منقطع عن سعيد بن جبير (من أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قرأ والنجم) أى سورته (قال) أى وقرأ (أفرأيتم اللات) صنم كان لثقيف بالطائف أو بنخلة من قريش وهى مؤنثة من لوى لانهم كانوا يلوون على طاعتها ويعكفون على عبادتها أو يلتوون عليها ان يطوفون لديها وقيل مؤنث لفظة الجلالة (والعزى) تأنيث الاعز شجرة كانت لغطفان تعبدها بعث اليها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خالد بن الوليد فقطعها (ومنات) بالقصر ويمد صخرة كانت لهذيل وخزاعة تعبدها وتتقرب بها وتعتكف لديها (الثالثة الاخرى) صفتان للتاكيد (قال) أى جرى على لسانه أو حكى الشيطان بعد بيانه (تلك الغرانيق العلا) جمع غرنوق بضم المعجمة والنون وبكسرها وفتح النون ويقال غرنيق بضمها وفتح النون وسكون الراء والياء ويقال كقنديل وهى فى الاصل الذكور من طير الماء طويل العنق قيل هو الكركى ويقال للشاب المتلائ شبابا وحسنا وبياضا أريد بها ههنا الاصنام اذ كانوا يزعمون انها تقربهم الى الله تعالى وشفعاؤهم عند الله فشبهوها بالطير الذى يعلو فى الهواء ويرتفع الى السماء (وان شفاعتها) ويروى وان شفاعتهن (لترتجى) بصيغة المجهول أى تتوقع وتؤمل فى التجاوز عن الذنب والزلل (ويروى ترتضى) أى بدل ترتجى أى تقبل (وفى رواية ان شفاعتها لترتجى وانها لمع الغرانيق العلا) بضم العين أى العالية

صلى الله تعالى عليه وسلم (الغلط والسهو) فيما بلغه عن الله تعالى وقد حماه الله عنه (لما تميز لنا من غيره) أى ما تميز صوابه الواجب اتباعه من غيره أو خبره عن خبر غيره (ولاختلط الحق بالباطل) ولم يتميز احدهما عن الآخر (فالمعجزة) الخارقة للعادة المتحدى بها كما تقدم (مشتملة على تصديقه) أى ثبوت صدقه فيما أخبر به عن ربه (جملة واحدة) أى فى جميع ما جاء به من جميع أخباره وما يبلغه عن الله تعالى (من غير خصوص) أى تخصيص لامر دون أمر بدليل يقوم على التخصيص (فتنزيه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) وتبرئة ساحته فيما يبلغه عن ربه (عن ذلك كله) أى عن ان يقع منه اخباره بما يخالف الواقع قصدا أو غلطا أو سهوا (واجب) وقوعه واعتقاده (برهانا) أى بطريق البرهان القطعى العقلى المعلوم من المعجزة والتحدى بها كما تقدم (واجماعا) من جميع أهل الملل الاسلامية وعلماء الدين (كما قاله أبو اسحق) الاسفرائنى رحمه الله تعالى بدليل المعجزة القائمة مقام قول الله تعالى صدق رسولى فيما قاله لا كما قاله الباقلانى من انه بورود الشرع والاجماع لا بالبرهان العقلى كما عرفت تفصيله

(فصل) متمم لما قبله (وقد توجهت) أى صدرت ووقعت فى جهة من قولهم وجهه اذا أرسله فى جهة فتوجه ويكون توجه بمعنى أقبل وليس بمراد (ههنا) أى فى هذا المبحث (لبعض الطاعنين) من الطعن وهو الضرب برمح ونحوه فاستعير للدخل والاعتراض كما قال الله تعالى وطعنوا فى دينكم (سؤالات) جمع سؤال وهو طلب أمر من الامور فقد يكون لتعلم ونحوه مما يحمد وقد يكون تعنتا منهيا عنه وطلبا لامر نهى عنه كما قال الله تعالى لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم (منها ماروى من ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) كما رواه ابن جرير وابن المنذر وأبو حاتم عن سعيد بن جبير بسند فيه ماسيأتى (لما قرأ) فى صلاته (سورة والنجم وقال) أى بلغ فى قراءته الى قوله (افرأيتم اللات والعزى ومنات الثالثة الاخرى) واللات صنم كان لقريش أو لثقيف والعزى تانيث الاعز وهى سمرة كانت لغطفان تعبدها ومنات صخرة كانت خزاعة وهذيل تعبدانها والثالثة الاخرى بمعنى المتاخرة لصفة مقدارها صفتان لمنات وأمر هذه مبين فى التفاسير غنى عن البيان (قال) قائل سمع ماقاله عند تلاوته صلى الله تعالى عليه وسلم كما سنبينه (تلك) المذكورة من اللات ومابعدها (الغرانيق العلا) جمع غرنوق بضم الغين المعجمة والنون وبكسرها وفتح النون أو غرنيق بضمها وفتح النون وهو طير من طيور الماء كبير طويل العنق أبيض وأصله الشاب الناعم استعير للاصنام والعلا بتجريد لزعمهم انها ترفع للسماء (وان شفاعتها) لهم (لترتجى) أى تؤمل وتنتظر (ويروى لترتضى) أى تقبل عند الله بزعمهم الفارغ (وفى رواية ان شفاعتها لترتجى وانها لمع الغرانيق العلا) يعنون الملائكة

(وفى أخرى والغرانقة العلا) والغرانقة أيضا جمع غرنيق (تلك الشفاعة ترتجى فلما ختم) أى النبى عليه الصلاة والسلام (السورة) أى سورة النجم (سجد) أى لله امتثالا لامر ربه (وسجد معه) أى جميع من كان حاضرا (المسلمون) أى الابرار (والكفار) أى الفجار (لما سمعوه) بفتح اللام وتشديد الميم أو بكسر اللام وتخفيف الميم (أثنى على آلهتهم) أى بقوله تلك الغرانيق الى آخر (وماوقع) أى ومنها ماوقع (فى بعض الروايات ان الشيطان ألقاها) أى الكلمات السابقة فى مدح الآلهة (على لسانه) أى وجرت على لسانه من غير شعور له على بيانه والاظهر انه كان على حكاية لسانه ومنوال بيانه (وان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كان يتمنى) أى فيما خطر بباله (ان لو نزل) ويروى أنزل (عليه شئ يقارب بينه وبين قومه وفى رواية أخرى ان لا ينزل عليه شئ ينفرهم عنه) بتشديد الفاء أى يبعدهم عن قربه حتى ينفعهم برسالة ربه (وذكر) أى صاحب تلك الرواية (هذه القصة) ابتلاء للمحنة المشتملة على القصة ويروى هذه السورة (وان جبريل جاءه فعرض عليه السورة) ويروى هذه السورة أى سورة النجم (فلما بلغ الكلمتين) أى وجرى ماسبق من احدى الحالتين (قال له ما جئتك بهاتين فحزن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) خشية الفتنة فى حق الامة (فانزل الله تعالى) أى عليه (تسلية له وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الآية) فقد روى ابن جرير وسعيد بن منصور عن محمد بن كعب ومحمد بن قيس قالا جلس رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى نادى لقريش كثير أهله فتمنى ان لا يأتيه من الله تعالى ما ينفرهم عنه فانزل الله تعالى والنجم فقرأها فلما بلغ أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى ألقى الشيطان عليه عليه الصلاة والسلام تلك الغرانيق العلا وان شفاعتهن لترتجى فتكلم بها ثم مضى يقرأ حتى ختمها فسجد وسجدوا معه جميعا ورضوا بما تكلم به فلما أمسى أتاه جبريل فعرضها عليه فلما بلغ تلك الغرانيق العلا قال ما جئتك بهما قال افتريت على الله وقلت مالم يقل فما زال مغموما حتى نزل وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى فطابت نفسه وفى هذه الرواية ألفاظ ما تصح بحسب الدراية

الملائكة (وفى) رواية (أخرى والغرانقة العلا تلك الشفاعة ترتجى) ومعانيها متقاربة (فلما ختم) أى أتم صلى الله تعالى عليه وسلم قراءة هذه السورة (سجد) صلى الله تعالى عليه وسلم (وسجد معه المسلمون) ممن كان حاضرا عنده من الصحابة رضى الله تعالى عنهم (والكفار) الحاضرون عنده أيضا (لما سمعوه أثنى على آلهتهم) بقوله المتقدم تلك الغرانيق العلا وان شفاعتهم لترتجى (وماوقع فى بعض الروايات) لهذه القصة (ان الشيطان ألقاها) أى هذه الكلمات (على لسانه) فسبق لسانه بها سهوا منه ثم تنبه ونبهه جبريل عليهما الصلاة والسلام لها وكان ذلك ابتلاء من الله تعالى ليعلم من ثبت على ذلك أو تزلزل (وان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كان) لحرصه على ايمان قومه (تمنى ان لو نزل عليه شئ) مما يوحى اليه (يقارب بينه وبين قومه) أى يقربهم من الاسلام حتى تركوا عنادهم (وفى رواية أخرى) لهذه القصة أنه عليه الصلاة والسلام كان تمنى (ان لا ينزل عليه شئ ينفرهم عنه) أى عن الطعن فيهم وفى آلهتهم ولم يزل كذلك حتى نزلت عليه سورة النجم وهذه الرواية والتى قبلها بمعنى فان عدم التنفير عنه والقرب بينه وبين قومه متساويان (وذكر) صاحب هذه الرواية وناقلها (هذه القصة) أى قراءته صلى الله تعالى عليه وسلم سورة النجم وسجوده وسجود المسلمين والكفار معه (وان جبريل عليه الصلاة والسلام جاءه) صلى الله عليه وسلم بالوحى (فعرض عليه) أى قرأ عليه هذه (السورة) وفاعل عرض ضمير النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (فلما بلغ) أى وصل فى قراءته هاتين (الكلمتين) يعنى تلك الغرانيق العلا الى آخره (قال له) أى قال جبريل له صلى الله عليه وسلم (ما جئتك) من الله (به) وحى فيه (هاتين) الكلمتين يعنى تلك الغرانيق العلا وفى نسخة الآيتين (فحزن) أى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (لذلك) وفى نسخة فحزن لذلك النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أى لما قال جبريل له (فانزل الله تعالى) لما رأى حزنه صلى الله تعالى عليه وسلم (تسلية له) صلى الله تعالى عليه وسلم والتسلية اذهاب حزنه بتطييب خاطره قوله (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الآية) تقدم فى تفسير هذه الآية ما فيه كفاية وفى رواية أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم تمنى ان يوحى اليه ما يقرب قريشا منه ويستعطفهم فلما نزلت هذه السورة وقرأها الى قوله ومناة الثالثة الاخرى ألقى الشيطان عليه تلك الغرانيق العلا الى آخر فتكلم بها ثم مضى فى قراءتها حتى ختمها وسجد فسجد معه من سمعها من المسلمين والمشركين رضا بما قاله لظنهم انه رضى بآلهتهم فلما أمسى أتاه جبريل عليهما الصلاة والسلام فعرضها عليه حين بلغ قوله تلك الغرانيق العلا فقال له ما جئتك بهذا وهذا لم يقله الله فما زال صلى الله تعالى عليه وسلم مغموما حتى نزل عليه قوله تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول الآية فطابت نفسه لتسلية الله له فيها باخباره ان كل نبى ورسول وقع له مثل ذلك من القاء الشيطان فى الوحى وتلاوته فى أثنائه ثم بين له ونسخه الله فكأنه قال له لك اسوة بمن سبقك من الرسل

(وقوله) أي ومنها قوله أو أنزل عليه أيضا قوله (وان كادوا ليفتنونك) أي ان الشان قاربوا أي ليضلونك (الآية) أي عن الذي أوحينا اليك لتفتري علينا غيره واذا لاتخذوك خليلا ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيأ قليلا اذا لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لاتجد لك علينا نصيرا وردت فيما ارادته قريش منه عليه الصلاة والسلام أن يبدل الوعد وعيدا أو الوعيد وعدا بقولهم له اجعل لنا آية رحمة آية عذاب وآية عذاب آية رحمة حتى نؤمن بك وكذا ما اقترحته ثقيف عليه من ان يضيف الى الله تعالى مالم ينزل عليه بقولهم له لاندخل في أمرك حتى تعطينا ما نفتخر به على العرب لانعشر ولانحشر ولانحني في صلاتنا وكل ربا لنا فهو لنا وكل ربا بالغير فهو موضوع عنا وان تمتعنا باللات سنة ولانكسرها بايدينا عند رأس الحول بل ترسل أنت اليها من يكسرها وان تمنع من قصد وادي وج يعضد شجرة فاذا سألتك العرب لم فعلت ذلك فقل أمرني الله تعالى به ثم جاؤا بكاتب فكتب

والانبياء (و) أنزل عليه صلى الله تعالى عليه وسلم تسلية له أيضا (قوله وان كادوا ليفتنونك الآية) أي قوله عن الذي أوحينا اليك لتفتري علينا غيره واذا لاتخذوك خليلا ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيأ قليلا وان مخففة من الثقيلة أي قاربوا ان يخدعوك عما أوحيناه اليك حتى تقول مالم نقله مما أرادته قريش وحتى تركن الى بعض الكفرة لتستميل قلوبهم للاسلام فبين الله لك ذلك وثبتك على الحق وأغناك عن المداراة كما فصله المفسرون وبين في أسباب النزول اذا عرفت ما ذكر وأردت كشف غطائه عنك (فاعلم أكرمك الله) بما اعلمك وهداك لدفعه (ان لنا في الكلام على مشكل هذا الحديث) الذي أورده عليه بعض الطاعنين كما تقدم (مأخذين) أي طريقين في الاخذ على الكلام فيه نقلا وعقلا من أخذ عليه اذا منعه عما يريد فعله حتى كأنه مسكه ممن تشبث به واعتمد عليه من رواه (أحدهما في توهين أصله) أي تضعيف روايته ونقله من الوهن وهو الضعف وجعل ثبوته أصلا للسؤال والجواب المبني عليه وأصل الوهن ضعف الخلقة كقوله وهن العظم مني (والثاني) مبني (على تسليمه) وصحة روايته تنزلا وارخاء للعنان لمن أورده (أما المأخذ الاول) في الكلام على صحة روايته (فيكفيك) في تضعيف روايته (ان هذا حديث لم يخرجه) بالتشديد والتخفيف أي لم يروه بسنده (أحد من) العلماء بالحديث (أهل الصحة) ممن يعتمد على روايته وأتى باسم الاشارة مكان الضمير لتمييزه أكمل تمييز لقرب العهد به (ولا رواه ثقة) ممن يوثق بنقله (بسند سليم) أي سالم من الطعن والعلة والجرح من نقاد السلف (متصل) الى قائله ومن نقل عنه (وانما أولع به) بضم الهمزة وكسر اللام وعين مهملة يقال أولع بكذا فهو مولع بالفتح اذا لهج وأكثر من ذكره ويكون بمعنى الكذب وعبر به لايهام ذلك (وبمثله) من الاحاديث الموهمة مما لايليق بالرسل عليهم الصلاة والسلام (المفسرون) فانهم يوردون كثيرا من الاحاديث الضعيفة الموهمة لما لايليق بمقام النبوة (والمؤرخون) بالهمزة وقد تبدل واوا وأهل التاريخ نقلة الاخبار واختلف في لفظ التاريخ فقيل انه من الارخ وهو الفتى من البقر وقيل انه معرب ماه روز أي حساب الشهور والايام وأول من أرخ الكتب عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه كما فصلناه في غير هذا المحل (المولعون) أي المفسرون جمع مولع بفتح اللام وهو المكثر من الشئ (بكل غريب) من الاخبار والقصص

بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لاتعشرون ولا تحشرون فقالوا ولا تحنون وهو ينظر الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقام عمر فسل سيفه وقال أسعرتم قلب نبيا يامعشر ثقيف أسعر الله تعالى قلوبكم نارا فقالوا السنا نكلمك انما نكلم محمدا فنزلت (فاعلم أكرمك الله تعالى ان لنا في الكلام على مشكل هذا الحديث) أي الوارد في قصة سورة النجم (مأخذين) أي طريقين نمنع بهما من يتشبث بهذه الروايات أو يثق بها من الحكايات (أحدهما في توهين أصله) أي تضعيف نقله (والثاني على تسليمه) أي على تقدير وقوعه (أما المأخذ الاول) والمخلص المعول (فيكفيك) في توهينه ورد تبيينه (ان هذا حديث) أي منكر من جهة الرواية والدراية حيث (لم يخرجه من أهل الصحة) كأصحاب الكتب الستة (ولا رواه ثقة) أي عن ثقة (بسند سليم) أي سالم من الاضطراب والعلة بل ولا رواه ثقة بسند (متصل) أي مرفوعا أو موقوفا بل رواه جماعة باسانيد ضعيفة واهية مقطوعة أو موضوعة أو مرفوعة (وانما أولع) بصيغة المجهول أي تولع (به) تعلق (بمثله المفسرون) أي المعتمدون على أقاويل ضعيفة (والمؤرخون) بتشديد الراء المكسورة بعدها همزة وتبدل واوا أي أرباب التواريخ (المولعون) بضم الميم وفتح اللام أي الحريصون (بكل غريب) أي بنقل كل مروي فيه غرابة التي

التى لم تشتهر وتعرف (المتلقفون) بالمثناة الفوقية بعدها لام وقاف وفاء وفى نسخة المتلقون بحذف الفاء يقال تلقفه اذا تناوله بسرعة وتلقاه اذا أخذه من غيره والتلقى تفعل من اللقاء وهو المقابلة (من الصحف كل صحيح) لفظه ومعناه (وسقيم) لفظه ومعناه كالمحرف لفظه ومعناه كالمفسر بغير المراد والصحف جمع صحيفة والأخذ من الصحف غير مقبول عند السلف لانه قد يتحرف لفظه ويخفى معناه أو يفهم منه غير المراد والقبول التلقى من أفواه الرجال * واعلم ان ابن سيد الناس قال بلغنى عن الحافظ المنذرى انه كان يرد هذا الحديث من جهة الرواية بالكلية وان الحافظ الدمياطى خالفه فيه ولا وجه لتصحيحه الآن يكتب بسند لا يطعن فيه ولا سبيل لذلك انتهى وفى شرح مغلطاى ان الشيطان القاء فى أمنيته كما ذكره الكلبى عن باذان عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وقد قالوا انه باطل نقلا وعقلا وسيأتى ما فى سنده (و) لقد (صدق القاضى أبو بكر بن العلاء المالكى) وفى نسخ حذف أبو وتقدمت ترجمته وهو المشهور بابن العربى رحمه الله تعالى (حيث قال لقد بلى الناس) بالبناء للمجهول من الابتلاء وهو الامتحان أى صار لهم بلية ومحنة أى أصيب الناس (ببعض) بعين مهملة وضاد معجمة مقابل كل وهو ما صحح فى بعض النسخ وفى بعضها ببغض بغين معجمة ثم ضاد معجمة وفى نسخة بتقصى بماء جارة ومثناة فوقية وقاف مفتوحة فصاد مهملة مشددة مكسورة ومثناة مخففة من تقصيته اذا تأملته تأملا تاما كما قال أبو تمام * ياصاحبى تقصيا نظريكما * كأنه من اقصاه أصله تقصص تفعل من قص عليه الخبر فابدل من احد حروف التضعيف حرف علة كما قالوا تعلى فى تعطط ونظائره (أهل الاهواء) بالمد أى أصحاب الاراء الفاسدة والمذاهب الباطلة (والتفسير) أى بعض المفسرين الذين يذكرون فى تفاسيرهم قصصا لا أصل لها يبنون عليها تأويلات بعيدة وأمور غريبة (وتعلق بذلك) أى بما ذكر من كلام أهل الاهواء وبدع التفاسير لا بحديث سورة النجم بخصوصه كما قيل (الملحدون) جمع ملحد من الالحاد وهو العدول عن الاستقامة فيطلق على كل من لم تكن عقيدته حقا (مع ضعف بعض نقلته) بفتحات جمع ناقل كفاسق وفسقة يعنى به رواته أو من ذكره فى كتابه فيكون اشارة الى ابتلى به من أهل الاهواء السابقين ونحوهم من المفسرين والقصاص (واضطراب رواياته) الاضطراب فى اصطلاح المحدثين ان يقع من الراوى اختلاف فى روايته فيرويه تارة على وجه وأخرى على وجه آخر وهكذا أو يرويه راو على وجوه مختلفة بشرط ان لا يكون بعض طرقه ارجح من بعض فان العمل حينئذ بالراجح فلا يعد مضطربا عندهم ومن فسر الاضطراب بعدم عزوه الى مأمون لم يصب (وانقطاع اسناده) الاسناد يكون بمعنى المسند وهم رواة الحديث وبمعنى مصدرى وهو ذكر السند وانقطاعه وهو ان يسقط منه واحد فاكثر غير الصحابى وضده الاتصال وقوله (واختلاف كلماته) هو قريب من الاضطراب ثم بين ذلك بقوله (فقائل يقول انه) أى ما ذكر وقع (فى الصلاة) أو الضمير له صلى الله تعالى عليه وسلم والتقدير قرأها فى الصلاة (وآخر يقول) انه (قالها فى نادى قومه حين أنزلت عليه السورة) أى سورة النجم والنادى والندى مجلس يجتمع فيه القوم للمشاورة وفصل الامور المهمة ولذا سميت دار قصى دار الندوة كما مر (وآخر يقول) انه (قالها) أى الكلمات المذكورة (وقد أصابته سنة) أى وقد عرض له صلى الله تعالى عليه وسلم أوائل النوم من غير قصد منه فالسنة بكسر السين

(المتلقفون) أى المتلقون وفى نسخة الملقفون بتشديد القاف المكسورة بعدها قاف أى المرقعون المتقطون (من الصحف) من دون سماع وراية وتصحيح دراية (كل صحيح وسقيم) أى ثابت وضعيف ثم أعلم ان أبا الفتح اليعمرى قال فى سيرته الكبرى ما لفظه بلغنى عن الحافظ عبد العظيم المنذرى انه كان يرد هذا الحديث من جهة الرواية بالكلية وكان شيخنا الحافظ عبد المؤمن ابن خلف يخالفه فى ذلك انتهى وذكر الحلبى انه قال بعض شيوخى فيما قرأته عليه حين ذكر هذا الكلام انه باطل لا يصح منه شئ لا من جهة النقل ولا من جهة العقل (وصدق القاضى بكر بن العلاء المالكى حيث قال لقد بلى) بضم الموحدة وكسر اللام أى ابتلى (الناس) وامتحنوا (ببعض أهل الاهواء) أى المبتدعة وفى نسخة بتقصى أهل الاهواء أى بتقصصهم على ما ذكره الانطاكى (والتفسير) أى أهل التفسير بالآراء المخترعة (وتعلق بذلك) أى بحديث سورة النجم (الملحدون) أى المائلون عن الحق (مع ضعف نقلته) أى رواته (واضطراب رواياته) أى من جهة اختلاف عباراته وفى نسخة روايته (وانقطاع اسناده) الموجب لعدم اعتماده وفى نسخة اسانيده (واختلاف كلماته) المقتضية لتفاوت دلالاته ويروى كلمته (فقائل) أى منهم (يقول انه) أى النبى عليه الصلاة والسلام قرأها (فى الصلاة وآخر يقول قالها) أى المقالة حين قرأها (فى نادى قومه) أى مجلسهم ومتحدثهم (حين نزلت عليه السورة) أى سورة النجم (وآخر يقول قالها وقد اصابته سنة) بكسر سين وتخفيف نون أى نعاس

(وآخر يقول بل حدث نفسه) أي خطر في باله تلك المقالة (فسها) أي فجرى على لسانه ماحصل له به الملالة (وآخر يقول ان الشيطان قالها على لسانه) أي حاكيا صوته في تقرير بيانه وهذا أقرب الاقوال بالنسبة الى نزاهة شانه لكن يشكل قوله (وان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لما عرضها على جبريل قال ماهكذا اقرأتك وآخر يقول بل أعلمهم الشيطان) أي وسوس لهم (ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قرأها فلما بلغ النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ذلك) أي اعلام الشيطان واغواءه (قال والله ماهكذا انزلت) بصيغة المجهول مشددا أو المعلوم مخففا (الى غير ذلك) أي مع غير ماذكر من الحكايات الناشئة عن اضطراب الروايات (من اختلاف الرواة) أي الذين يقال في حقهم انهم غير الثقاة والحاصل ان الاضطراب وقع من جميع الجهات (ومن حكيت هذه الحكاية عنه من المفسرين) أي المعتبرين كابن جرير وابي حاتم وابن المنذر (والتابعين) أي المعتمدين كالزهري وقتادة وأمثالهما (لم يسندها احد منهم) أي اسنادا متصلا يصلح اعتمادا (ولا رفعها الى صاحب) أي للرواية (وأكثر الطرق) أي الاسانيد (عنهم فيها ضعيفة واهية) أي منكرة جدا ولو كانت متصلة (والمرفوع فيه) أي قليل ويروى فيها وفي رواية منه (حديث شعبة) وهو امام جليل (عن أبي بشر) بكسر موحدة وسكون شين معجمة تابعي صدوق ثقة اخرج له أصحاب الكتب الستة (عن سعيد بن جبير) من اجلاء التابعين (عن ابن عباس قال) كذا وفي نسخة (فيما احسب) أي اظن (الشك في الحديث) جملة معترضة من كلام المصنف يعني شك الراوي بقوله فيما أحسب في نفس الحديث لا في كونه مرويا عن ابن عباس والحاصل ان سعيد بن جبير وان كان معتمد الكن تردد فقال (ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان بمكة) في هذه القضية أو بغيرها والسورة مكية بلا خلاف فيها (وذكر القصة) وكان حق المصنف ان يذكر القصة كما ثبت في الرواية وقد بينها الدلجي بقوله أي قصة نزول سورة النجم وهو في نادي قومه تمنيه ان لا ينزل عليه ما يفرق قومه عنه أو تنزل عليه ما يطيب نفوسهم به عسى ان يؤمنوا فنزلت عليه سورة النجم فقرأها فلما بلغ افرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى قال تلك الغرانيق العلا ففرح المشركون ثم ختمها وسجد من حضر المسلمون والكفار

أول النوم وهو النعاس وقيل السنة ثقل في الرأس والنعاس في العين والنوم في القلب فهو غشية ثقيلة تقع على القلب تمنع الادراك (وآخر يقول بل حدث) بتشديد الدال (نفسه) في سنة فخطرت بباله وحديث النفس مايجري على فكره من غير تلفظ به حتى كانه يحادثها (فسها) أي حصل له سهو حتى تكلم في اثناء قراءته سورة النجم (وآخر يقول ان الشيطان قالها) يعني الكلمات المذكورة (على لسانه صلى الله عليه وسلم) أي تكلم بها الشيطان وهو لا يرى فظنها وحيا ألقي اليه وسمعها من كان عنده فتوهم انه صلى الله عليه وسلم نطق بها عن قصد وانها من القرآن حقيقة (وان النبي صلى الله عليه وسلم لما عرضها) وقرأها (على جبريل) عليه السلام (قال) له (ماهكذا اقرأتك) فحزن لذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم كما مر (وآخر يقول) ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يقرأها (بل أعلمهم الشيطان ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأها) أي قرأ الكلمات المذكورة في اثناء تلاوة سورة النجم وعرضها على جبريل (فلما بلغ النبي) صلى الله عليه وسلم (ذلك) أي وصل لقراءة هذه الكلمات التي أعلمهم الشيطان بها (قال) جبريل عليه الصلاة والسلام (والله ماهكذا انزلت) هذه السورة (الى غير ذلك) من الاقوال المؤذنة بان الشيطان له دخل في ذلك مع انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وهذا كله صدر (من اختلاف الرواة ومن حكيت هذه الحكاية عنه) كابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم (من المفسرين والتابعين) كالزهري وأبي بكر بن عبد الرحمن بن هشام وسعيد بن جبير (لم يسندها أحد منهم) أي لم يذكر لها سندا مرضيا أحد ممن حكيت عنه (ولا رفعها الى صاحب) أي الى صحابي من أصحاب الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم قالها وقيل المعنى لم يعزها الصاحب لما قد قالها (وأكثر الطرق) التي رويت منها (عنهم فيها) أي في هذه القصة (واهية) ساقطة (ضعيفة) غير مرضية لا يعول عليها (والمرفوع فيه) أي مارفع فيه ذكر من روى هذا القصة وفي نسخة منه (حديث شعبة) بن الحجاج الذي رواه (عن أبي بشر) بكسر الباء الموحدة وسكون الشين المعجمة وهو جعفر ابن أبي وحشية اياس التابعي الثقة توفي سنة خمس وعشرين ومائة وأخرج له أصحاب الكتب الستة وله ترجمة في الميزان (عن سعيد بن جبير عن ابن عباس) رضي الله عنهما (قال فيما أحسب) أي أظن ومثله يستعمل للشك فيما قارنه ثم بين المصنف رحمه الله تعالى ماوقع فيه من الشك من الراوي بقوله فيما أحسب فقال (الشك المذكور (في الحديث) أي في متنه وأصله لا في سنده والحديث هو حديث شعبة المذكور (ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان بمكة) وان المفتوحة ومابعدها بدل من الحديث (وذكر) شعبة (القصة) المذكورة في هذا الحديث بتمامها وانه صلى الله تعالى عليه وسلم يتمنى ان ينزل عليه ما يطيب نفوس قومه عسى ان يؤمنوا فنزل عليه سورة النجم فقرأها حتى بلغ افرأيتم اللات الآية

(قال أبو بكر البزار) بتشديد الزاي وراء في آخره حافظ مشهور (هذا الحديث لا نعلمه روي) أي لا نعرف انه روي (عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم باسناد متصل يجوز ذكره) أي ويعتمد عليه في الجملة (الا هذا) أي الاسناد الى ابن عباس (ولم يسنده) أي الحديث (عن شعبة الا أمية بن خالد) ثقة توفي سنة احدى ومائتين أخرج له مسلم (وغيره) أي غير أمية ممن رواه (يرسله عن سعيد ابن جبير) أي يحذف رجاله من أصحابه كابن عباس (وانما يعرف) أي اتصال سنده (عن الكلبي) وهو محمد بن السائب المفسر الاخباري النسابة والاكثرون على انه غير ثقة خصوصا اذا روى (عن أبي صالح عن ابن عباس) أي موقوفا عليه وأبو صالح هذا يروي عن مولاته أم هانئ وعن علي وعنه السدي والثوري وعدة وأخرج له أصحاب السنن الاربعة قال أبو حاتم وغيره لا يحتج به وقد تقدم انه لم يسمع من ابن عباس (فقد بين لك أبو بكر) أي البزار (رحمه الله تعالى) جملة دعائية (انه لا يعرف من طريق يجوز ذكره سوى هذا) أي سوى طريق شعبة لقوة اسناده اذ كل رجاله ثقات (وفيه) أي في حديث شعبة (من الضعف ما نبه عليه) أي البزار وغيره من اختلاف عباراته واضطراب رواياته وانقطاع اسناده وارساله واختلاف مواطن حالاته (مع وقوع الشك منه) أي مع ما وقع له فيه من الشك (كما ذكرناه) من انه (الذي لا يوثق به) الذي صفة للشك والضمير في به يعود اليه أي مع وقوع الشك الذي لا يوثق به (ولا حقيقة) لصحة الحديث (معه وأما حديث الكلبي فمما لا يجوز الرواية عنه) أي الكلبي مطلقا (ولا ذكره) أي لهذا الحديث أصلا (بقوة ضعفه وكذبه) أي وكثرة كذبه ولذا ضعفه الجمهور كما أشار اليه البزار رحمه الله تعالى

ثم قال تلك الغرانيق العلا الى آخر السورة وسجد فسجد معه المسلمون والمشركون وفرح الكفار (قال أبو بكر البزار) بتقديم الزاي المعجمة على الراء المهملة نسبة لعمل بزر الكتان بائعة البغداديين وهو الحافظ المشهور كما تقدم (هذا الحديث لا نعلمه يروى عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم باسناد متصل) الى أحد من الصحابة الذين حضروا وعندهم أو اليه صلى الله تعالى عليه وسلم (يجوز ذكره) لصحة نقله والاعتماد عليه (الا هذا) الحديث المسند الى ابن عباس (ولم يسنده) أي لم ينقله مسندا (عن شعبة الا أمية بن خالد) وهو ثقة أخرج له مسلم وغيره وتوفي سنة احدى وثمانين وترجمته في الميزان (وغيره) أي غير أمية بن خالد ممن روى هذا الحديث (يرسله) أي يرويه مرسلا والمرسل ما سقط من سنده الصحابي فهو يرويه (عن سعيد بن جبير) عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من غير ذكر ابن عباس وظاهر كلام المصنف رحمه الله تعالى ان السند بتمامه مذكور غير الصحابي فان أراد انه لم يعزه لغير ابن جبير واسقط رجاله كلهم فهو معضل والمحدثون يعبرون عنه بانه أرسل أو يرسل بصيغة الفعل ويفرقون بينه وبين المرسل بالاسم وتفصيله في كتاب ابن الصلاح وغيره (وانما يعرف) هذا الحديث وروايته (عن الكلبي) نسبة الكلب قبيلة معروفة وهو أبو النصر المفسر النسابة الاخباري الراوي المشهور وسيأتي كلام المصنف رحمه الله تعالى فيه والكلبي يرويه (عن أبي صالح) وهو باذان بنون أو باذام بميم وهو يروي عن مولاته أم هانئ وعلي كرم الله وجهه وروى عنه السدي وغيره أخرج له أصحاب السنن الاربعة وقال أبو حاتم انه لا يحتج به (عن ابن عباس) وهو لم يسمع منه فالحديث منقطع (فقد بين لك) أيها الواقف على هذا الحديث (أبو بكر) البزار المذكور (انه) أي هذا الحديث (لا يعرف) روايته (من طريق يجوز ذكره) أي يصح ويعتمد عليه (سوى هذا) الطريق الذي رواه شعبة منه بسند يعتمد عليه في الجملة (وفيه) أي حديث شعبة أيضا (من الضعف ما نبه عليه) البزار وغيره من انه لا يعرف من طريق غيره مع اختلاف كلماته واضطراب رواياته وانقطاع سنده أو ارساله والاختلاف في مواطن قراءته وكيفيته أكان في الصلاة أو في نادي قومه أو في سنته أو حدث به نفسه فسها وذكره أو قاله الشيطان على لسانه أو أعلمهم به وانكار جبريل له عند عرضه عليه كما مر (مع وقوع الشك فيه) الذي أشار اليه بقوله المار فيما أحسب (كما ذكرناه) فيما تقدم (الذي لا يوثق به) صفة الشك كقوله (ولا حقيقة معه) أي تحقق وتيقن مع ما فيه من تشكيكه في أصله كما أشار اليه البزار (واما حديث الكلبي) أي روايته لهذا الحديث وغيره (فمما لا يجوز) شرعا ولا يصح نقلا (الرواية عنه ولا ذكره) هذا بحسب الظاهر غير منتظم اذ الظاهر ان يقول اما حديثه فمما لا يجوز ذكره أو والكلبي لا تجوز الرواية عنه واما ان يقول هو لف ونشر تقديري وأصله واما الكلبي وحديثه كقولهم راكب الناقة طليحان أي الناقة وراكبها أو هو من قبيل قوله والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن على قول الفراء وأطلق ما فيه على من يعقل وكذا قوله (لقوة ضعفه وكذبه) أي كثرة كذبه وفي قوله لقوة ضعفه طباق بديع جدا (كما أشار اليه البزار) فانه وغيره من المحدثين قالوا انه كذاب وضاع لا يوثق به وان كان اماما في اللغة والتفسير وقد قال الجرجاني وابن معين وغيرهما انه يضع الاحاديث وكذاب لا يحتج به وروى عن أبي صالح عن ابن عباس وابن صالح لم ير وعن ابن عباس وقال ابن حبان انه في الدين غير مبين وكذبه

أظهر من ان يذكر ولم يسمع من أبى صالح أيضا (والذى) صح وثبت (منه) أى من هذا الحديث (فى الصحيح) أى فى الحديث الصحيح أو فى صحيح البخارى على ما يأتى (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قرأ) سورة (والنجم وهو بمكة) قبل الهجرة (فسجد وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والانس) قال الكرمانى هى أول سورة نزلت فيها سجدة وانما سجد المشركون لانهم معارضة للمسلمون أو وقع ذلك منهم بلا قصد او خافوا من مخالفتهم فى ذلك المجلس وقال ابن حجر فيه نظر لمخالفته لما قاله ابن مسعود من انهم أخذوا حصى ووضعوا على جباههم ولان خوف المشركين لا يظهر له وجه بل الظاهر العكس ثم قال الكرمانى أيضا ما قيل من ان سبب ذلك القاء الشيطان فى اثناء قراءته صلى الله تعالى عليه وسلم وذكرآلهتهم لا يتجه عقلا ونقلا واما سجود الجن المروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فكانه استند فيه الى سماع منه صلى الله تعالى عليه وسلم لانه لم يحضر القصة لصغر سنه ومثله لا يطلع عليه وكشف ذلك له بعيد والصحيح ان الشيطان التى ما ألقاه فى اسماع المشركين فتوهموا انه صلى الله عليه وسلم قاله مدحا لالهتهم وارتضاها فسجدوا معه وهو لا ينافى عصمة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولا يخفى ان هذا الحديث اخرجه الشيخان ففى البخارى مسندا انه صلى الله عليه وسلم قرأ سورة النجم بمكة فسجد وسجد من معه غير شيخ أخذ حصى وترابا وضعه على جبهته فقتل كافرا وفيه عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه صلى الله تعالى عليه وسلم سجد وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والانس والشيخ الذى وضع الحصى على جبهته امية بن خلف وفى سيرة ابن اسحق انه الوليد بن المغيرة وفيه نظر لانه مات حتف انفه وقيل انه سعيد بن العاص وقال أبو حيان النحوى انه ابو لهب ولم يسنده وفى مصنف ابن ابى شيبة الا رجلين من قريش وقيل انه المطلب بن المطلب ابن أبى وداعة ولم يكن أسلم وما قاله الطبرانى من ان أهل مكة لما اظهر النبى صلى الله عليه وسلم دينه أسلموا وكانوا يسجدون معه وبعضهم لا يسجد من الزحام فلما سمع ذلك رؤساء قريش كالوليد وأبى جهل وغيرهما قالوا لهم أتتركون دين آبائكم فارتدوا غريب (هذا) اى الامر هذا أو هذا هو ما قاله فهو خبر مبتدا مقدر او مبتدا خبره ما بعده او هو منصوب بتقدير خذ هذا فاعلمه ونحوه واما كون ها اسم فعل بمعنى خذ وذا مفعوله وان جاز فيأباه رسمه متصلا بدون ألف (توهينه) اى بيان وجه ضعفه (من جهة (طريق النقل) ومنه الواهنة وهى ضربان عرق ينألم منه فيرقى وقد قال الحافظ بن حجر قول أبى بكر بن العربى ان طرق هذا الحديث كلها باطلة وقول عياض فى الشفاء انه لم يخرج أحد من أهل الصحة وليس له سند متصل مع ضعف نقلته واضطراب رواياته وان من نقله من المفسرين وغيرهم لم يسنده أحد منهم ولا يرفعه لصاحب لا وجه له فان له طرقا متعددة كثيرة متتابعة المخارج وكل ذلك يدل على ان له أصلا وقد ذكرنا له ثلاث أسانيد منها ما هو على شرط الصحيح وهى وان كانت مراسيل يحتج بها من يحتج بالمرسل كمالك ومن لا يحتج به لاعتضاد بعضها ببعض فتبين بهذا ان مبالغة المصنف رحمه الله تعالى فى رد نقله غير مرضيه (فاما) توهينه (من جهة المعنى فقد قامت الحجة) أى الدليل الواضح على ضعفه (واجتمعت الامة على عصمته صلى الله تعالى عليه وسلم ونزاهته) عما لا يليق بجنابه (عن مثل هذه الرذيلة) أى الخصلة القبيحة الدنيئة من الرذالة وهى الدناءة والقول على الله بما لم يقله ولا شئ أعظم من الافتراء لاسيما على الله عز وجل ونحوه ثم بين ما فيه من القبائح فقال (اما من تمنيه) بكسر الهمزة وتشديد الميم ما نقل كما (ان ينزل) بالتخفيف والتشديد فى الزاى المعجمة (مثل هذا) المذكور (من مدح آلهة غير الله) بقول تلك الغرانيق العلا الى آخره (وهو كفر) لان الرضا بالكفر كفر (أو ان يتسور) أى يتسلط (عليه الشيطان) وأصل التسور التسلق والصعود من حائط السور فكنى

والذى منه) أى من حديث سورة النجم (فى الصحيح) من رواية الشيخين (عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قرأ والنجم) أى من غير زيادة (وهو بمكة) أى قبل الهجرة (فسجد معه المسلمون والمشركون) ولم يبين ما سبب سجدة المشركين (والجن والانس) أى الحاضرون (هذا) أى الذى ذكرناه (توهينه) أى تضعيفه (من طريق النقل فاما من جهة المعنى) أى الذى يدركه العقل (فقد قامت الحجة) أى القاطعة (واجمعت الامة على عصمته صلى الله تعالى عليه وسلم ونزاهته) أى براءة ساحته (عن مثل هذه الرذيلة) اى الخصلة الدنيئة ويروى النقيصة اى المنقصة (قبل النبوة) ولو قبل البلوغ فكيف يتصور وقوعها بعد تمام النبوة ونظام الرسالة لاسيما وقت التلاوة ودرجها فى القراءة والحاصل ان له عليه الصلاة والسلام عصمة ثابتة (اما من تمنيه ان ينزل عليه سورة مثل هذا من مدح آلهة غير الله تعالى وهو) اى مثل هذا التمنى (كفر) فلا يصح نسبته اليه صلى الله تعالى عليه وسلم اللهم الا ان يكون وقعت خطرة لديه (وان يتسور) أى أو من ان يتسلط (عليه الشيطان) من تسور تصعد السور وهو الحائط المرتفع ومعناه هنا التسلط مجازا

به

(ويشبه) بتشديد الموحدة أي يلبس (عليه القرآن) ويخلط عليه الفرقان (حتى يجعل فيه ماليس منه) أي ولا يصح ان يكون منه (ويعتقد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان من القرآن ماليس منه) أي حقيقة (حتى ينبهه عليه جبريل عليهما السلام) مع ان ذلك من الواضحات عند كل مؤمن موحد انه ليس من الآيات البينات (وذلك) أي ماذكر من التمني والتسور والاعتقاد (كله ممتنع في حقه عليه الصلاة والسلام أو يقول) أي أو من ان يتقوه (ذلك النبي من قبل نفسه عمدا) أي حال كونه ذا عمد (وذلك) أي تعمده (كفر اوسهوا) أي حال كونه ساهيا (وهو معصوم من هذا كله) أي مما يكون كفرا سواء حال عمده أو سهوه بخلاف سهوه في غير الكفر أو المعصية فانه يجوز جريانه عليه (وقد قررنا) أي مرارا (بالبراهين) أي الادلة الواضحة (والاجماع) أي اتفاق جميع الامة (عصمته عليه الصلاة والسلام من جريان الكفر على قلبه) أي باعتقاد جنانه (أو لسانه) أي جريانه بموجب عصيانه (لا عمدا ولا سهوا) تاكيد لما أفاده ماقبله من نفي جريان الكفر عليه مطلقا (أو ان يتشبه) أي أو من ان يتلبس (عليه ما يلقيه الملك) أي يوحيه اليه من ربه (بما يلقي الشيطان) ويوسوس اليه من نكره ويروى بما يلقيه الشيطان (أو يكون) أي أو من ان يكون (للشيطان عليه سبيل) أي بالتسلط وقد قال تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين (اوان يتقول اى) او من ان يفترى (على الله تعالى) وهو لا يتقول على الله (لا عمدا ولا سهوا مالم ينزل عليه) بصيغة المجهول او المعروف وقد قال تعالى ولو تقول علينا بعض الاقاويل) اى افترى علينا مالم يوح اليه بالفرض والتقدير (الآية) اى لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين وقد سبق ما يتعلق بمعناه وقيل في تحقيق مبناه ان من صلة اى لاخذناه والاولى ان يقال فيه تضمين والتقدير لانتقمنا منه باليمين اي بالقوة القاهرة والقدرة الباهرة (وقال) اى الله سبحانه وتعالى (ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيأ قليلا) أي قاربت تميل ادنى ميل (اذا) اى حينئذ (لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات) أي عذابا مضاعفا في الدنيا وبعد الوفاة (الآية) اى ثم لا تجد لك علينا نصيرا اى معينا يكون دافعا عنا العقوبة

به عن الترفع وارد به هنا التسلط كما علم (ويشبه عليه القرآن) اي يلبسه ويخلط فيه ماليس منه (حتى يجعل فيه ماليس منه) وهي الكلمات المذكورة (ويعتقد النبي صلى الله عليه وسلم ان من القرآن ما) أي شئ (ليس منه) ويستمر على اعتقاده (حتى ينبهه) أي يوقظه من غفلته عما اشتبه عليه (جبريل عليه الصلاة والسلام) بقوله له ليس هذا من الوحي الذي أتيت به لك (وذلك كله ممتنع في حقه عليه الصلاة والسلام) لنزاهته عن مثله وحفظ الله له (أو يقول ذلك النبي) صلى الله عليه وسلم (من قبل) بكسر القاف وفتح الباء أي من عند (نفسه عمدا) من غير القاء الشيطان عليه وهو لا ينطق عن الهوى (وذلك) أي ما يقول من عنده (كفر) لانه افتراء عليه وتبديل لكلام الله تعالى بالزيادة فيه (او سهوا) حفظه الله تعالى منه (وهو معصوم عن هذا كله) بالاجماع كما تقدم (وقد قررنا) فيما تقدم (بالبرهان) والدليل القاطع (والاجماع) من أمة الاجابة (عصمته عليه الصلاة والسلام من جريان الكفر) أي طريانه ووقوعه منه (على قلبه) باعتقاده (أو لسانه) بالنطق به (لا عمدا ولا سهوا) فضلا عن استقراره فان الجريان عبارة عن صدوره منه من غير ثبات كأنه ماء جار فهو استعارة لما ذكر (أو ان يتشبه) أي يختلط ويلتبس (عليه ما يلقيه الملك) من وحي الله تعالى اليه (بما يلقيه الشيطان) على لسانه محاكيا نطقه به (أو يكون للشيطان عليه سبيل) أي طريق يصل اليه منه مما حماه الله عنه (أو ان يتقول على الله) اي يفتري عليه عمدا مالم يوجبه اليه ويقول انه أوحي الي (لا عمدا ولا سهوا) تاكيد لما أفاده ماقبله من نفي التقول على الله (مالم ينزل عليه) مفعول مطلق لقوله يتقول لانه لا ينصب المفردات الا اذا اريد بها لفظها وليس بمعنى الظن لعدم ذكر مفعوليه (وقد قال تعالى ولو تقول علينا بعض الاقاويل الآية) تقول تكلف من نفسه قولا لم يقله كتشجع اذا أظهر الشجاعة وهو جبان فكنى به عن الافتراء والكذب والاقاويل جمع أقوال فهو جمع الجمع أو جمع أقوولة افعولة وهو يستعمل للحقير كالاضاحيك الاول وهو الذي صرح به سيبويه رحمه الله تعالى فمن اختار الثاني فقد رجح المرجوح وتمامها (لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين) اي لامسكناه واهلكناه كما نفعل بمن افترى علينا والوتين عرق في العنق اذا قطع مات صاحبه وهو الوريد وقطعه عبارة عن الذبح وفيه دليل على ان الكذب على الله كفر وانه لا يقول على الله مالم يقله (وقال تعالى) لقد كدت تركن اليهم شيأ قليلا (اذا لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات الآية) اى لو قربت من الميل الى الكفرة وضعف صفة لمقدر أي لاوصلنا لك عذابا مضاعفا في مماتك يعني به عذاب القبر وفي حياتك بعد البعث في الآخرة والآية دليل على عدم تمنيه السابق وانه صلى الله تعالى عليه وسلم معصوم من مقاربة شئ من ذلك

(ووجه ثان) لتوهين هذه القضية (وهم استحالة هذه القصة نظرا) أى من جهة دلالة العقل لعصمته من مدح الآلهة واثبات شفاعتها (وعرفا) أى من جهة استبعاد العادة ان يصدر عن الانبياء مدح الشرك مع ذمهم له وحثهم على التوحيد على وجه التاكيد (وذلك) أى بيانه (ان هذا الكلام) أى المنقول فى هذا المقام (لو كان) أى بالفرض والتقدير (صحيحا كما روى) أى كما نقلوه صريحا (لكان بعيد الالتئام) بل عديم النظام (لكونه متناقض الاقسام) أى متباين المرام (ممتزج المدح بالذم) فى الشرك بان ذم الكفر فى آيات بينات ومدح فى هذه الآيات المخترعات مع انه خلاف اجماع الانبياء والمرسلين فى جميع الحالات (متخاذل التاليف) بالخاء والذال المعجمتين متفاعل من الخذلان وهو ترك النصرة أى متخالفة فى ارتباط المرام (والنظم) أى ونظم الكلام وقد قال تعالى أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا فمعناه انه من عند الله ولم يجدوا فيه اختلافا كثيرا ولا يسيرا (ولما) بفتح لام وتخفيف ميم (كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ولا من بحضرته من المسلمين) أى من أكابر الصحابة (وصناديد المشركين) أى رؤسائهم فى مكة من قريش وغيرهم (ممن لا يخفى عليه ذلك وهذا) أى ومثله (مما لا يخفى على أدنى متامل) أى من أفراد الموحدين (فكيف ممن) وفى نسخة صحيحة بمن (رجح بفتح الجيم المخففة أى غلب حلمه) أى تانيه وتثبته فى أمر الدين أو عقله (واتسع فى باب البيان) أى بيان المرام (ومعرفة فصيح الكلام علمه) بقوة فطرة وقدرة فطنة

والآية نزلت فى ثقيف لما قالوا له صلى الله تعالى عليه وسلم لا نتبعك حتى تخصنا بخصال نفخر بها على العرب لا نعشر ولا نحشر ولا ننحنى فى صلاتنا وتضع عنا الزناة تمتعنا باللات سنة وتحرم وادينا كمكة وتقول للعرب ان الله تعالى أمرنى بهذا فانزل الله عليه هذه الآية (ووجه ثان) فى توهين ما ذكر من انه صلى الله تعالى عليه وسلم ذكر قوله تلك الغرانيق الى آخره فى أثناء قراءة هذه السورة (وهو) أى الوجه الثانى (استحالة هذه القصة) أى عدها من المحال عقلا أو مما لا يستقيم لان أصل معناه لغة ما لا يستقيم مما اعوج ومن لم يعرف اللغة يعترض على المتنبى قوله ❊ كأنك مستقيم فى محال ❊ كما مر والمراد بالقصة صدور ما ذكر منه بتسليط الشيطان عليه (نظرا) أى من جهة النظر والفكر الصادر عن عقل مستقيم فى عصمة رسل الله عليهم الصلاة والسلام فيما طريقها البلاغ (و) استحالتها (عرفا) أى من جهة ما عرف من أحواله وأحوال غيره من الانبياء أى أمر امتعارفا ومن فسر العرف بتاليف كلامه وتناسب ألفاظه فقد ارتكب شططا وكان نظر لقوله عقبه (وذلك ان هذا الكلام) الذى تلاه عليه الصلاة والسلام مع ما ألقى فيه من قوله تلك الغرانيق العلا الى آخره (لو كان كما روى لكان) ما روى (بعيد الالتئام) بهمزة بعد المثناة الفوقية وقد تبدل ياء تحتية والمراد به ان مناسبته لما وقع فيه من كلام الله الذى هو فى أعلى طبقات البلاغة فى غاية البعد هو مع كونه وقع فى كلام رب العزة (متناقض الاقسام) متنافر النظم لما فيه من التضاد من حيث انه يصير (ممتزج المدح) لآلهتهم بجعلها عليه مرجوة الشفاعة (بالذم) لها الذى دل عليه سياقه فى قوله (ان هى الا اسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان) وانها ليس لها عند الله شان ولا منزلة وهذا يناقض علو منزلتها ورجاء شفاعتها ويصير الكلام القرآنى بذكرها فى أثنائه (متخاذل التاليف) أى متنافر النظم غير متلائم فكان بعضه يخذل بعضا ويكر عليه هدما ونقضا (والنظم) معناه فى الاصل ادخال الدرر ونحوها فى سلك متناسب الوضع والمقدار فاستعير لتاليف الكلمات متناسبة المعانى متناسقة الدلالة ثم صار حقيقة فيه وغلب استعماله فى التراكيب القرآنية حتى انصرف اليه عند الاطلاق (ولما) بكسر اللام وتخفيف الميم وقيل انه بفتح اللام وما موصولة (كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ولا من بحضرته) معطوف على النبى (من المسلمين) بيان لمن الموصولة والحضرة مصدر بمعنى الحضور مثلث الحاء ويطلق على كبير يحضر عنده الناس فيقال الحضرة العالية وهو اصطلاح أصحاب الترسل ويصح ارادة كل منهما هنا والاول أولى (وصناديد المشركين) جمع صنديد وهو كصندد بزنة زبرج السيد الشجاع والحليم والجواد والشريف والمراد خواص رؤسائهم وكبرائهم (ممن يخفى عليه ذلك) لكونهم بلغاء أصحاب سليقة مستقيمة والسنة فصيحة بليغة (وهذا) المذكور أمر (لا يخفى على أدنى متامل) يتامل ألفاظ القرآن التى هى فى أعلى طبقات البلاغة وما أدرج فيه مما بينه وبينه بون بعيد (فكيف بمن رجح حلمه) بضم الحاء المهملة وسكون اللام بمعنى لبه وعقله ورجحانه زيادته وقوته وكيف يستعار لاستبعاد خفائه على مثله كقوله كيف تكفرون بالله كما تقرر فى كتب العربية ل حلم يحلم حلما وحلما (واتسع) أى عظم وكثر (فى باب البيان) أى فى نوع المنطق الفصيح المعرب عما فى الضمير (و) فى (معرفة فصيح الكلام علمه) لقوة فهمه وذكائه واستقامة سليقته مع

فطرة

(وجه ثالث) فى توهين هذه القصة (انه) أى الشان (قد علم من عادة المنافقين ومعاندى المشركين) وفى نسخة معاندة وفى أخرى ومعاداة المشركين (وضعفة القلوب والجهلة من المسلمين نفورهم) بالرفع نائب فاعل علم أى تنفر المذكورين (لاول وهلة) أى فى أول ساعة فى دعوى النبوة (وتخليط العدو) أى وعلم انقلابهم عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (لادنى فتنة) أى لادنى ما يؤدى الى فساد ومحنة (وتعييرهم) أى وعلم تعييبهم المسلمين بتاركة المشركين (والشماتة بهم) أى وعلم شماتة الكافرين بالمؤمنين (الفينة بعد الفينة) بالفاء والنون المفتوحتين بينهما تحتية ساكنة أى الحين بعد الحين والساعة بعد الساعة ويقال بال وبدونها وضبط الحلبى الشمات بضم الشين المعجمة وتشديد الميم وهو جمع شامت جمع تكسير ٩١ وأما الشمات بكسر الشين وتخفيف الميم الخ ثبون بلا واحد قال فى القاموس وهو من الشماتة التى هى الفرح ببلية العدو وفى نسخة الشمات بفتح الشين وتخفيف الميم وهو جنس الشماتة (وارتداد من فى قلبه مرض) أى وعرف هذا أيضا (ممن أظهر الاسلام لادنى شبهة) علة للردة (ولم يحك أحد فى هذه القصة سببا) أى للطعن والمذمة مع العلل المتقدمة (سوى هذه الرواية الضعيفة الاصل) المخالفة للنقل والعقل (ولو كان ذلك) أى صحيحا فيما ذكر هنالك (لوجدت قريش) أى كفارهم (بها) أى بهذه القصة (على المسلمين الصولة) أى الاستطالة والغلبة (ولاقامت بها اليهود عليهم الحجة) أى فى ان هذه غير الطريقة المحجة كيف وقال تعالى ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين ان أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبى والذين آمنوا والله ولى المؤمنين (كما فعلوا) أى انكروا كفار قريش (مكابرة) أى معاندة (فى قصة الاسراء حتى كانت فى ذلك) أى فى اظهار ما ذكر فيها (لبعض الضعفاء ردة) أى سبب ارتداد وفتنة مع انه لم يكن فيه ما يوجب كفرا وانما كان يتوهم منه أن يكون كذبا لوقوعه عجبا وهو مقتضى خوارق العادات مطلقا (وكذلك ما روى) يروى ما ورد (فى قصة القضية) أى فى أمر قضية الحديبية وذلك انه عليه الصلاة والسلام رأى رؤيا عام الحديبية انه دخل مكة هو وأصحابه فصده المشركون فرجع الى المدينة فكان رجوعه بعدما أخبر انه يدخلها فتنة لبعضهم قال تعالى وما جعلنا الرؤيا التى اريناك الا فتنة للناس أى امتحانا شانهم واختبارا فى

فطرة وقادة وبصيرة نقادة (ووجه ثالث) لبيان توهينه وضعفه (انه) الضمير ضمير شان (قد علم) ببناء المجهول (من عادة المنافقين) الذين لم يظهروا كفرهم (ومعاند المشركين) أى المشركين المعاندين فهو من اضافة الصفة للموصوف (وضعفة القلوب) بفتحات جمع ضعيف أى الذين قلوبهم ضعيفة عن ادراك الحق لانهم بله لا اذعان لهم (و) المراد بهم الكفار غير المعاندين ممن اشرك اتباعا لغيره أو المراد بهم (الجهلة من المسلمين) فهو عطف تفسير عليه (نفورهم) نائب فاعل علم (لاول وهلة) أى عند أول شئ يقع فى آذانهم واذهانهم يقال لقيته لاول وهلة بوزن ضربة ويجوز فتح هائه أى أول شئ كما فى القاموس أى قبل التفكر والتامل فيما قرع سمعه حتى يهتدى لانه ليس منه قا منتظما مع ما وقع فى اثنائه من نظم القرآن (وتخليط العدو) من الكفرة والمنافقين (على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) بادخالهم فى كلامه ما لم يقله (لاقل فتنة) يفتتن بها المسلمون لادخالهم الشبهة عليهم فى دينهم (وتعييرهم) بعين مهملة وتحتيتين أى الحاق ما هو عار عليهم باتباع (المسلمين) الهوى ومدح آلهة غير الله (والشمات بهم) بضم الشين المعجمة وتشديد الميم جمع شامت كفجار وكفار من الشماتة وهى فرح العدو بما يصيب عدوه من نوائب الدهر وفى النسخة والشماتة بهم (الفينة بعد الفينة) بفتح الفاء وسكون المثناة التحتية ونون تليها هاء التأنيث أى حينا بعد حين مما امتحنهم الله من المصائب تعظيما لاجرهم بما امتحنهم به من ذلك قال فى القاموس الفينة الساعة والحين وقد تحذف اللام فيقال لقيته فينة يعنى انه استعمل علما وغير علم كشعوب للمنية (وارتداد من فى قلبه مرض) أى من ضعف ايمانه أو من نافق وسمع ما ذكر يرجع عن الاسلام الى الكفر (ممن أظهر الاسلام) بلسانه ولم يذق حلاوته فيرتد (لادنى شبهة) ترد عليه لضعف ايمانه وايقانه (ولم يحك أحد) أى لم ينقل أحد من المحدثين أو أحد ممن عاداه صلى الله تعالى عليه وسلم (فى هذه القصة) أى قصة تلك الغرانيق (شيئا سوى هذه الرواية الضعيفة الاصل) رواية ودراية لركاكتها وتناقضها كما تقدم (فلو كان) أى وقع وصح (ذلك) الذى ذكره بعضهم (لوجدت قريش) أى كفارهم (بها) أى بسبب هذه القصة (على المسلمين الصولة) أى الاستطالة والقهر وتسلقوا بذلك على ترويج أمرهم وما هم عليه (ولاقامت بها اليهود عليهم الحجة) أى على المسلمين بانه مدح آلهتهم واعترف بانها وسيلة الى الله (كما فعلوا) أى كفار قريش (مكابرة) وعنادا (فى قصة الاسراء) حين قصها عليهم كما تقدم (حتى كانت فى ذلك لبعض الضعفاء) أى من ضعف ايمانه لقرب عهده (ردة) ورجوع من الاسلام لانكاره واستبعاده لها (وكذلك) أى مثل ما ذكر ومثل قصة الاسراء (ما ورد فى قصة القضية) بقاف وضاد معجمة وياء مشددة وهى مصدر

ضعف ايمانهم حيث قال بعض المنافقين والله ما رأينا المسجد الحرام وقوة ايمان الصحابة برهانهم حيث قال الصديق ما أخبرنا انا ندخلها هذه السنة وانا سندخلها ان شاء الله من غير شك وشبهة (وفتنة أعظم من هذه البلية لو وجدت) أى لو صحت هذه القضية (ولا تشغيب) بالشين والغين المعجمتين (هذه الحادثة لو امكنت) أى وقوعها فى الجملة (فما روى عن معاند فيها كلمة ولا عن مسلم) وروى عن متكلم وهو أولى (بسببها بنت شفة) أى لفظة تخرج من الشفة (فدل على بطلها) بضم أوله مصدر أى على بطلان هذه الرواية (واجتثاث أصلها) أى استئصال نقلها المخالفة الدراية (ولا شك فى ادخال بعض شياطين الانس والجن هذا الحديث على بعض مغفلى المحدثين) بفتح الياء المشددة أى الغافلين عن الدراية فى الرواية (ليلبس به على ضعفاء المسلمين) أى ما يوجب الفتنة وقد قال تعالى وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الانس والجن يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون وروى مسلم عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال سيكون فى آخر الزمان ناس يحدثونكم بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم فاياكم واياهم وعنه عليه الصلاة والسلام يكون فى آخر الزمان دجالون كذابون يأتونكم من الاحاديث ما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم فاياكم واياهم لا يضلونكم ولا يفتنونكم

بمعنى القضاء أو التقاضى أو اسم للواقعة التى وقع فيها القضاء بينهم بما وقع فى صلح الحديبية لما رأى عليه السلام انه دخل هو وأصحابه مكة فسار اليها ثم رجع الى المدينة فى الواقعة التى قصها الله تعالى فى قوله وما جعلنا الرؤيا التى أريناك الا فتنة للناس كما تقدم وهذه القضية مذكورة فى الصحيحين وقد وقع بسببها فتنة للمسلمين لما صدوهم عن دخول مكة وصالحهم صلى الله تعالى عليه وسلم على ان يرجع ويأتى من العام القابل وكتب لهم بذلك كتابا شرط فيه شروطا فيها اشطط على المسلمين حتى قال عمر رضى الله تعالى عنه يا رسول الله ألست رسول الله حقا قال بلى قال ألست على الحق وهم على الباطل قال بلى قال فلم نعط الدنية فى ديننا وانما قاله رضى الله تعالى عنه ليقف على الحكمة فى ذلك لا الشك فيه كما توهمه بعضهم والكلام عليه مفصل فى السير وشروح البخارى (ولا فتنة أعظم من هذه البلية) التى وقعت بسبب ما ذكر (لو وجدت) أى لو وقعت وصحت لما ترتب على ذلك من صولة الكفرة وشماتتهم وغيره مما مر آنفا (ولا تشغيب) بشين وغين معجمتين ومثناة تحتية وباء موحدة من الشغب وهو تهييج الشر والفتنة (للمعادى حينئذ أشد من هذه الحادثة) المعلومة مما مر (لو أمكنت) وقوعا *فان قلت لم قال فى الفتنة لو وجدت وفى الحادثة لو امكنت ومجرد الامكان لا يقتضى شرا وفتنة قلت الاول ظاهر لترتب الفتنة على وجود ما ذكر واما الثانى فعبر بالامكان مبالغة لان نفيه ابلغ من نفى الوجود لعدم وقوعه محالا لما علم من الكلام فى عصمته من عدم تسلط الشيطان عليه (فما روى عن معاند) من الكفرة (فيها كلمة) تليق ان يلقى اليها السمع (ولا عن مسلم بسببها بنت شفة) بنت هى الكلمة شبه اخراجها من الشفة باخراج المولود من بطن أمه ففيه استعارة مصرحة أو مكنية (فدل) ما ذكر من انه لم ترو ولم يتكلم بها أحد (على بطلها) بضم الموحدة وسكون الطاء المهملة ولام مصدر بمعنى البطلان كما فى القاموس (واجتثاث أصلها) بجيم ومثناة فوقية ومثلثتين بينهما ألف مصدر بمعنى قلعها من أصلها كما تقلع الشجرة بنزع عروقها (ولا شك فى ادخال بعض شياطين الانس أو الجن) اشارة الى ما قدمناه (هذا الحديث) يعنى ما قيل فى اثناء تلاوة هذه السورة أو الحديث الذى روى فيه ذلك (على بعض مغفلى المحدثين) الذين لا خبرة لهم بالرواية (ليلبس) أى يوقع فى لبس واشتباه (على ضعفاء المسلمين) الذين لم يقفوا على ما يناسب مقام النبوة وقدرها وقد قال القرافى فى شرح الاربعين للامام الرازى ان الجواب السديد فيه على تسليم صحته مع ان الله تعالى قد عصمه ان الله أمره بترتيل القرآن وكان يفعل ذلك فتمكن من ترصده من الشياطين فى حال سكوته بين الآيات من دس ما اختلقه من هذه الكلمات محاكيا صوته صلى الله عليه وسلم وقد سجد من دنا من الكفار معه وظنوها من كلامه عليه السلام وأشاعوها فلم يقدح ذلك عند المسلمين لحفظهم السورة على ما انزلت قبل ذلك ومعرفتهم من حاله صلى الله عليه وسلم ما علم من ذم الاوثان واهانتها وحزن صلى الله عليه وسلم من هذه الاشاعة والقاء الشبهة وهو معنى قوله تعالى وما ارسلنا من قبلك الى قوله ألقى الشيطان فى أمنيته وقوله فينسخ الله ما يلقى الشيطان أى يذهبه ويزيله وقيل انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما قرأ السورة الى قوله افرأيتم اللات الى آخره خاف الكفار ان يأتى بشئ من ذم آلهتهم فشغبوا عليه على عادتهم فى قولهم لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه الى آخره وسبب هذا ان الشيطان حملهم عليه واشاعوا ذلك ونسبوه له فحزن صلى الله عليه وسلم لذلك انتهى وسيأتى تلخيص الجوابين فى كلام المصنف رحمه الله تعالى وقدمنا لك ان هذه القصة لها اصل ثابت فى الجملة لكنها ليس فيها ما ينقص مقامه صلى الله تعالى عليه وسلم فابطالها بالكلية

(ووجه رابع) أي في توهين هذه القصة (ذكر الرواة هذه القصة) وفي نسخة لهذه القضية أي الواقعة في سورة النجم (ان فيها نزلت وان كادوا ليفتنونك) أي ليضلونك (الآيتين) أي عن الذي أوحينا اليك لتفتري علينا غيره واذا لاتخذوك خليلا ولولا ان ثبتناك الآيتين (وهاتان الآيتان تردان الخبر الذي رووه) أي تنافيانه وتعارضانه (لان الله تعالى ذكر انهم كادوا ليفتنونه)

كما قاله المصنف رحمه الله تعالى لا ينبغي كما قاله ابن حجر وقد تقدم ما يغني عن اعادته هنا فتذكره (ووجه رابع) لتضعيف ذلك ما (ذكر الرواة لهذه القصة) المذكورة التي عقد لها هذا الفصل (ان فيها) أي بسببها (نزلت وان كادوا) أي قربوا مما لم يقع (ليفتنونك) أي يوقعونك في الفتنة ويصدونك عن الذي أوحينا اليك (الآيتين) أي اذكر الآيتين المتقدم بيانهما (وهما) أي الآيتان المذكورتان وفي نسخة وهاتان الآيتان (تردان الخبر الذي رووه) لمنافاتهما له الا انه قيل ان الآيتين لم ينزلا في هذه القصة وانما الذي نزل فيه قوله تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته وهاتان الآيتان نزلتا في ثقيف كما تقدم ثم بين وجه منافاتهما له بقوله (لان الله تعالى ذكر انهم كادوا يفتنونه حتى يفتري) على الله بخلطه في القرآن ما لم يوح اليه (وانه) أي الشأن أو الله (لولا ان ثبته) الله على الحق ببيان جبريل عليه السلام له (لكاد يركن) أي قارب الميل (اليهم) بمدح آلهتهم واتباع هواهم ولكنه لم يفعل شيأ من ذلك (فضمون هذا) أي ما تضمنه المذكور في الآيتين (ومفهومه) الذي دل عليه وفهم منه (ان الله عصمه من ان يفتري) عليه ما لم يقله لان يفعل ما أرادوه منه من ان يبدل الوعد وعيدا أو عكسه كما قيل (وثبته حتى لم يركن اليهم قليلا فكيف) يركن اليهم ركونا (كثيرا) وهذا تقرير لمعنى الآيتين بناء على ما ادعاه من سبب النزول وقد علمت انه لم يثبت نقله وقوله حتى لم يركن بيان لحاصل المعنى لان نفي القرب من الركون يدل على نفيه بالطريق الاولى فلا يرد عليه ان المنصوص عليه نفي القرب من الركون القليل لا نفس الركون كما زعمه المصنف رحمه الله تعالى لان الجواب لقد كدت يعني انا أدركناك بعصمتنا عن الميل لهم وما أرادوه بعد ما كادوا يخدعونك بمكرهم وشدة تخيلهم (وهم) أي رواة الحديث مع ذكر الآيتين (يروون في اخبارهم الواهية) أي الشديدة الضعف (انه) صلى الله عليه وسلم (زاد على الركون) الذي هو مجرد الميل بل القرب من الميل الذي هو أبلغ في نزاهته صلى الله عليه وسلم وعصمته (والافتراء) أي الكذب على الله بجعل ما ليس من الوحي منه (بمدح آلهتهم) يعني قولهم تلك الغرانيق العلا الى آخره وحاشاه صلى الله تعالى عليه وسلم من ذلك حماه الله تعالى (وانه قال عليه الصلاة والسلام) حين قال له جبريل ما جئتك بهذا حين عرض عليه السورة كما تقدم فقال في جوابه له (افتريت على الله تعالى وقلت ما لم يقل) عطف تفسير (هذا) الذي رووه في اخبارهم الواهية عنه صلى الله عليه وسلم (ضد مفهوم الآية) التي ذكروا ان هذه القصة سبب نزولها لان عدم ركونهم اليهم قليلا ينافي تصريحه بمدح آلهتهم (وهي) أي الآية بصريح مفهومها (تضعف الحديث) أي تدل على شدة ضعفه (لو صح) نقله وروايته (فكيف) الحال انه (لا صحة له) عند المصنف كما تقدم بيانه وما فيه فاذا ورد في الحديث ما ينافي القرآن ولم يمكن تأويله ولا الجمع بينه وبينه حكم بضعفه وقد علمت ان الحديث رواه مسلم وانهم أجابوا عنه كما بيناه (وهذا) المذكور في هذه الآية مما دل عليه مفهومها (مثل) ما دل عليه (قوله تعالى في الآية الاخرى) وهي قوله عز وجل (ولولا فضل الله عليك ورحمته) بعصمته لك وصرفه عنك ما هموا به من خداعك والمكر بك (لهمت طائفة منهم ان يضلوك) ويصرفوك عن الحق وطريق العدول مع علمه بانك ثابت على ذلك ولا يمكن

أي قاربوا (حتى يفتري) أي فلم يقع شئ (وانه) أي الله سبحانه وتعالى (لولا ان ثبته لكاد) وروي لقد كاد (ان يركن اليهم) أي بعد تثبيته فلم يقرب ان يميل اليهم أدنى ميل فلم يتحقق شئ (فضمون هذا) أي ما ذكر من الآيتين (ومفهومه ان الله تعالى عصمه من ان يفتري وثبته حتى لم يركن) وروي لم يكن يركن (اليهم شيأ قليلا فكيف كثيرا وهم يروون) الواو للحال أي وهم راوون (في أخبارهم الواهية) أي الضعيفة المنكرة (انه زاد على الركون) أي الميل اليهم (والافتراء) أي على الله تعالى بتبديل الوعد والوعيد عليهم (بمدح آلهتهم وانه) أي يروون انه (قال عليه الصلاة والسلام) حين قال له جبريل ما جئتك بهذا (افتريت على الله تعالى وقلت ما لم يقل) أي اعترافا بذنبه وتصديقا لكلام ربه

(وهذا) الذي ذكروه من الرواية (ضد مفهوم الآية) أي من عدم ركونه اليهم بحسب الدراية (وهي) أي الآية بصريح مفهومها (تضعف الحديث) وتدفعه (لو صح) لان دلالة القرآن قطعية ورواية الحديث ظنية (فكيف ولا صحة له) أي لا أصل لهذه القضية (وهذا) أي مفهوم هذه الآية (مثل قوله تعالى في الآية الاخرى ولولا فضل الله عليك ورحمته) أي بالنبوة والعصمة (لهمت طائفة منهم) أي من المنافقين (ان يضلوك) عن القضاء بالحق بين الخلائق

(وما يضلون الا أنفسهم وما يضرونك من شئ) لان وباله من ضلالهم راجع اليهم وضرر شرهم عائد عليهم (وقد روى عن ابن عباس) كما رواه ابن أبي حاتم وغيره (كل ما في القرآن كاد) أي بمعنى قارب (فهو ما لا يكون) بروى ما لم يكن أي اذا كان الكلام موجبا لان نفس المقاربة تدل على عدم المواقعة وفي القاموس كاد يفعله قارب ولم يفعل مجردة تنبئ عن نفي الفعل ومقرونة بالجحد تنبئ عن وقوعه (قال الله تعالى يكاد سنا برقه يذهب بالابصار ولم يذهب) أي بها ويروى لم يذهبها وكذا قوله تعالى يكاد البرق يخطف أبصارهم ولم يخطفها (وقال) أي الله سبحانه (أكاد أخفيها ولم يفعل) وفيه بحث اذ ما أظهرها الله لاحد كما يدل عليه سائر الآيات نحو ان الله عنده علم الساعة وقوله يسئلونك عن الساعة ايان مرساها فيم أنت من ذكراها الى ربك منتهاها وقوله يسئلونك عن الساعة ٩٤

ايان مرساها قل انما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها الا هو نعم قيل في الآية أكاد أخفيها عن نفسي فيصح قوله ولم يفعل لانه لم يتصور وانما ذكره للمبالغة فتدبر أو يقال أكاد أخفي مجيئها فلا أقول هي آتية للمبالغة ارادة اخفائها فيصح قوله ولم يفعل حينئذ أيضا وقد يقال أخفيها بمعنى أظهرها لانه من الاضداد والله سبحانه وتعالى أعلم بما أراده هذا وقال في القاموس وقد يكون كاد بمعنى أراد ومنه قوله أكاد أخفيها أي أريد اخفاءها عن غيري (وقال القشيري القاضي) مر ذكره (ولقد طالبته) بروى ولقد طالبه (قريش) أي كفارهم (وثقيف) أي قبيلتهم من أهل الطائف (اذم بآلهتهم) أي معرضا عنها غير مقبل عليها (ان يقبل بوجهه اليها) ويلتفت ببصره اليها (ووعدوه الايمان به) أي والحال انهم وعدوه الايمان به بسبب اقباله (ان فعل فما فعل) أي الاقبال الصوري في الحال الضروري (وما كان) في نسخة ولا كان أي ما صح منه (ليفعل) أي الاقبال المذكور أو ما كان الله بحسب تقديره ان يفعل بنبيه الرفيع هذا الفعل الشنيع نقلا وعقلا في تصويره فكيف يتصور مدحها في صلاة أو غيرها وادراجها في سورة وآيها (وقال ابن الانباري) وهو الامام الحافظ أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار النحوي كان من أعلم الناس بالادب والنحو ولد سنة احدى وسبعين ومائتين روى عنه الدارقطني وابن حياة والبزار وغيرهم كان صدوقا دينا من أهل السنة صنف التصانيف الكثيرة وصنف في القرآن والغريب والمشكل والوقف والابتداء وروى عنه انه قال احفظ ثلاثة عشر صندوقا وقيل انه كان يحفظ مائة وعشرين تفسيرا باسانيدها وقيل انه يحفظ ثلاثمائة ألف شاهد في القرآن

زلة قدمك عنه بوجه من الوجوه وقيل انها نزلت في بني ظفر (وما يضلون الا أنفسهم) أي لا يقع ما أرادوه بك الا بهم ولا يحيق المكر السيئ الا باهله (وما يضرونك من شئ) انما يضرون الا أنفسهم وتفصيل معنى الآية مذكور في كتب التفاسير وانما المقصود بذكرها التنظير بها لما ذكر قبلها ولنزول هذه الآية سبب ذكره الترمذي والمصنف استشهد بها استشهادا معنويا لما هو بصدده وليس لما حاجة بتفصيل ما ذكر فيها (وقد روى) بالبناء للمجهول والراوي له ابن أبي حاتم وغيره من المحدثين (عن ابن عباس) رضي الله تعالى عنهما انه قال (كل ما) وقع (في القرآن) من لفظ (كاد) وما تصرف منه من مضارع وغيره يدل على ان ما بعده (لا يكون) وفي نسخة فهو ما لا يكون أي لا يقع ويوجد وانما يدل على انه قاربه ولم يقع (قال تعالى يكاد سنا برقه) السنا بالقصر الضوء والنور وبالمد العلو والشرف (يذهب بالابصار) أي يذهب بصر الناظر اليه (ولم تذهب) بالتاء الفوقية والبناء للفاعل وفاعله ضمير الابصار المستتر ويجوز بناؤه للمجهول مع التحتية ونائب فاعله ضمير السنا وفي نسخة ولم يذهبها وهما بمعنى والمقصود انها اشرفت على الذهاب ولم تذهب (و) قال تعالى في أمر الساعة ان الساعة آتية (أكاد أخفيها) ان كان المراد باخفائها انه لا يقول انها آتية فهو كما قال ابن عباس وان كان المراد انها لا يعين زمان وقوعها فكاد بمعناها المشهور وكلامه هنا مبني على الاول واليه أشار بقوله (ولم يفعل) وأشار المصنفون الى هذين المعنيين وخفاء الشئ ستره وعدم اظهاره ويقال خفيته وأخفيته اذا أزلت خفاءه ولا تنافي بين المعنيين لان الله تعالى أخفاها على الناس واطلع عليها بعض خاص أنبيائه (قال القشيري القاضي) وقدمنا الكلام عليه رحمه الله تعالى (ولقد طالبته قريش) قومه أي سألته صلى الله تعالى عليه وسلم وطلبت منه وسبب تسميتهم بذلك مشهور وقد قدمناه (و) طالبته أيضا (ثقيف) قبيلة مشهورة بالطائف (ذم) صلى الله تعالى عليه وسلم (بآلهتهم) أي انصابهم وأصنامهم التي كانوا يعبدونها (ان يقبل بوجهه) الشريف ويتوجه (اليها) وفي نسخة عليها (ووعدوه الايمان به ان فعل) ما سألوه من الاقبال عليها وتعظيمها (فما فعل) ذلك (وما كان ليفعل) مع حرصه صلى الله تعالى عليه وسلم على ايمان العرب وطاعتهم فلم يكترث صلى الله تعالى عليه وسلم بهم ولم يلتفت لمقالتهم مع انهم من أشد الناس شكيمة وعصبية وهذا أمر متعلق بقوله لقد كدت تركن اليهم دال على ما قاله أولا (وقال ابن الانباري) هو الامام في العربية وسائر العلوم

وقد أملى كتاب غريب الحديث قيل انه خمس وأربعون ألف ورقة وكتاب شرح الكافى وهو نحو الف ورقة وكتاب الاضداد وهو كبير جدا وكتاب الجاهليات فى سبعمائة ورقة وكان رأسا فى نحو الكوفيين تو فى ليلة عيد النحر ببغداد سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة

(ماقارب الرسول) أى الركون الى الكفرة (ولاركن) أى ولامال اليهم فيما قصدوه لثبوت تثبيت الله تعالى اياه

العلوم الادبية أبو بكر محمد بن القاسم بن محمد بن بشار النحوى الحافظ المفسر المحدث نادرة لدهر وفريد العصر ولد سنة احدى وتسعين ومائتين وتوفى ليلة عيد النحر ببغداد سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة وله تصانيف جليلة مفيدة مشهورة (ماقارب الرسول) صلى الله تعالى عليه وسلم أى لم يقرب من شئ مما كان عليه الكفرة وأهل الجاهلية (ولاركن) أى مامال الى شئ من أمورهم مما كانوا عليه فضلا عن التلبس بها وماذكره فى كاد هو المشهور والتحقيق فيها ماقاله الجرجانى فى دلائل الاعجاز من ان نفيها يدل على نفى ما فى حيزها على ابلغ وجه لانفى القرب من الشئ الدال على انتفائه لانه بطريق برهانى وقد يكون لوقوع الشئ بعسرة نحو فذبحوها وماكادوا يفعلون (وقد ذكر) بالبناء للمجهول وفى نسخة ذكرت بتاء التأنيث (فى معنى الآية) يعنى قوله وان كادوا ليفتنونك عن الذى أوحينا اليك * ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيأ قليلا (تفاسير أخر) تركها لكونها غير مرضية عنده (ماذكرناه) ما اسم موصول مبتدأ بينه بقوله (من نص الله تعالى على عصمة رسوله) صلى الله تعالى عليه وسلم كما تقدم وخبره قوله (يرد سفسافها) أى التفاسير الحقيرة الرديئة فيها وأصل معنى السفساف ما يطير من غبار الدقيق اذا نخل وكل غبار دقيق كالهباء سفساف ثم عبر به عن كل حقير جدا فلذا قوبل فى الحديث بمعالى الامور تارة وبمكارم الاخلاق أخرى كما قاله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله يحب معالى الامور ويبغض سفسافها وفى حديث آخر ان الله رضى لكم مكارم الاخلاق وكره سفسافها (فلم يبق فى الآية) يعنى قوله وان كادوا ليفتنونك الخ أى لم يبق فيها تفسير يرتضى (الا ان الله امتن على رسوله) صلى الله عليه تعالى وسلم فى هذه الآية أى من عليه وأنعم والمن تعداد نعم سابقة وهو محمود من الله تعالى دون غيره وتكون بمعنى النعمة نفسها (بعصمته) أى حفظه عن ان يصدر منه أمر لا يرضاه فضلا عما ذكر من مدح أوثانهم (وتثبيته) على ما هو عليه من ذم آلهتهم وما هم عليه (مما كاده الكفار) من خداعهم وطلبهم منه صلى الله تعالى عليه وسلم موافقته لهم فى بعض أمورهم التى لا تليق به (وراموا من فتنته) أى ايقاعه فى بلية ومحنة واصل معناها الاختبار ثم عبر بها عما ذكر (ومرادنا من ذلك) الذى ذكرناه (تنزيهه) أى تبرئته وصيانته صلى الله تعالى عليه وسلم واصل معنى النزهة البعد أى بعده عما لا يليق بمقام النبوة (وعصمته صلى الله تعالى عليه وسلم وهو) أى ما أراده (مفهوم الآية) لا ما ذكروه من سفساف التفاسير (وأما المأخذ) أى محل الاخذ والطريق فى بيان ما ذكر وتأويله وهو الوجه (الثانى) فى الكلام على مشكل هذا الحديث الذى هو فيه انه ذكر قوله تلك الغرانيق الخ فى اثناء قراءة سورة النجم كما تقدم (فهو) أى تأويله والجواب عنه (مبنى على تسليم) رواية هذا (الحديث لو صح) نقله من طريق يعتد بها (وقد أعاذنا الله تعالى) بعين مهملة وذال معجمة أى حمانا وحفظنا (من صحته) أى وقوع اعتقاد ما فى صحته ووقوعه منا فضلا عنه واصل معنى العوذ الالتجاء والتعلق فاريد به ما يتسبب عنه لان من التجأ الى الله تعالى حماه وكفاه وحفظه مما لا يرضاه (ولكن على) تقدير صحة (ذلك من حال فقد أجاب عن ذلك) المذكور من مدحه صلى الله تعالى عليه وسلم آلهتهم (أئمة المسلمين) بالهمزة والياء جمع امام وعبر به دون العلماء ونحوه اشارة الى ان مقتضى الاسلام تنزيهه مثله (بأجوبة منها الغث) بغين معجمة ومثلثة أى الضعيف الركيك (والسمين) أى القوى المقبول واصل معنى الغث المهزول لمقابلته بالسمين

المفهوم من لولا الامتناعية فى الآية (وقد ذكرت) بصيغة المجهول فى (معنى الآية) أى آية وان كادوا ليفتنونك (تفاسير أخر) أى ضعيفة سخيفة (ماذكرنا من نص الله تعالى على عصمة رسوله يرد سفسافها) أى رديئها وأصله ما طير من غبار الدقيق اذا نخل والتراب اذا ثير (فلم يبق فى الآية) أى فى معناها (الا ان الله امتن على رسوله بعصمته وتثبيته مما) وفى نسخة بما (كاده به الكفار) أى مكروا (وراموا من فتنته) أى قصدوا بعض محنته وبليته ليفترى على ربه ما يخالف مقتضى نبوته ورسالته (ومرادنا من ذلك) أى ماذكرناه كله (تنزيهه) أى براءة ساحته (وعصمته) أى حمايته بما يجب من الرعاية (وهو مفهوم الآية) عند أرباب العناية واصحاب الهداية (وأما المأخذ الثانى) أى فى الكلام عن مشكل هذا الحديث (فهو مبنى على تسليم الحديث لو صح) أى اسناده (وقد أعاذنا الله تعالى) أى أجارنا (من صحته) أى تصحيحه (ولكن على كل حال) وفى نسخة ولكن على ذلك من حال (فقد أجاب عن ذلك) أى عما نسب اليه من مدح الآلهة وروى على ذلك (أئمة المسلمين بأجوبة منها الغث) بفتح معجمة وتشديد مثلثة أى الضعيف مما لا يجدى نفعا (والسمين) أى القول الذى يدفع الشبهة دفعا

(فنها) أى من الاجوبة (ماروى قتادة ومقاتل) قال الحلبى مقاتل اثنان مفسران الكل منهما تفسير وينقل عنهما فاما الاول فهو مقاتل بن حيان البلخى الخراسانى الخراز أحد الاعلام روى عن الضحاك ومجاهد وعكرمة والشعبى وخلق وعنه ابن المبارك وآخرون عابد كبير القدر صاحب سنة وصدوق وثقه ابن معين وأبو داود وغيرهما وقال النسائى ليس به باس وروى أبو الفتح اليعمرى عن وكيع انه قال ينسب الى الكذب قال الذهبى وأحسبه التبس عليه مقاتل بن حيان بمقاتل بن سليمان قال ابن حيان صدوق قوى الحديث والذى كذبه وكيع فابن سليمان مات قبل الخمسين ومائة أخرج له مسلم والاربعة وأما ابن سليمان فروى عن مجاهد والضحاك قال ابن المبارك ما أحسن تفسيره لو كان ثقة وقال ابن حبان كان يأخذ من اليهود والنصارى من علم القرآن الذى يوافق كتبهم وكان يشبه الرب بالمخلوقات وكان يكذب فى الحديث توفى مقاتل بن سليمان سنة خمسين ومائة انتهى ولا يدرى من أراد القاضى منهما والحاصل ان قتادة ومقاتل ربما (وان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اصابته سنة) بكسرة ففتحة أى نوم وغفلة (عند قراءته هذه السورة) أى النجم (جرى هذا الكلام) أى مدح الآلهة (على لسانه بحكم النوم) أى غلبته عليه (وهذا لا يصح) أى أصلا لا فى النوم ولا فى اليقظة (اذ لا يجوز على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم مثله) أى مثل ما نسب اليه (فى حالة من أحواله) اذ ثبت انه تنام عيناه ولا ينام قلبه وأيضا فان كل اناء يترشح بما فيه فمثل هذا لا يتصور من النبى النبيه (ولا يخلقه الله تعالى على لسانه) مما لا يناسب عظمة شانه (ولا يستولى الشيطان عليه فى نوم) ولذا لم يكن يحتلم (ولا يقظة) بالاولى (لعصمته بذلك صلى الله تعالى عليه وسلم فى هذا الباب) أى باب الكفر والمعصية ولو صورة وقول الانطاكى يريد فيما كان طريقه البلاغ عن الله تعالى (من جميع العمد والسهو) اجماعا (وفى قول الكلبى) وهو محمد بن السائب مات سنة ست وأربعين ومائة وسبق ذكره قريبا (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حدث نفسه) أى خطر فى خاطره (فقال ذلك الشيطان) أى المنى فى نفسه (على لسانه) أى سهوا قال الدلجى وهو باطل اذ لم يجعل الله للشيطان عليه كغيره من الانبياء سبيلا وأقول لا يبعد ان يكون مراد الكلبى ان الشيطان قال ذلك على لسانه وفى صوته وحكايته بيانه (وفى رواية ابن شهاب) أى الامام الازهرى (عن أبى بكر بن عبد الرحمن) أى ابن الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومى أحد الفقهاء السبعة على قول يروى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه وعائشة ولد زمن عمر وكف بصره بآخره ويسمى الراهب أخرج له الائمة الستة توفى سنة أربع وتسعين (قال وسها) أى النبى عليه الصلاة والسلام فيما جرى على لسانه أو سها عن بيان حاله والقاء الشيطان فى مقاله ويؤيده ظاهر قوله

فاستعير لما ذكر كما تقدم (فنها) أى الاجوبة المذكورة (ماروى قتادة) مشهور تقدمت ترجمته (ومقاتل) ابن حيان الخراسانى العابد المفسر الثقة روى عنه أصحاب السنن وغيرهم توفى قبل خمسين ومائة ولهم مقاتل آخر وهو مقاتل بن سليمان وهو محدث مفسر الا انه اتهم بالكذب والظاهر انه الاول (انه صلى الله تعالى عليه وسلم أصابته) أى عرضت له (سنة) وهى فتور مع أوائل النوم قبل الاستغراق فيه المانع عن الحس والادراك وهى قريبة من النعاس كما تقدم بيانه وليسا بمعنى وان قيل به وقوله

وسنان أقصده النعاس فرنقت * فى عينه سنة وليس بنائم

لا دليل فيه (عند قراءته هذه السورة) يعنى سورة النجم (جرى هذا الكلام) أى قوله تلك الغرانيق (على لسانه) ونطق به من غير قصد بل (بحكم النوم) وغلبته حتى يتكلم بما لا يقصده (وهذا) المذكور (لا يصح) صدوره منه (اذ لا يجوز على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) ان يقع منه (مثله فى حالة من أحواله) لا فى يقظة ولا فى منام لانه صلى الله تعالى عليه وسلم وان نامت عيناه لا ينام قلبه (ولا يخلقه الله تعالى) أى لا يوجد جريانه (على لسانه) كما قاله بعضهم بحفظه له سائر أحواله (ولا يستولى الشيطان) أى يتسلط (عليه) لحفظ الله له (فى نوم ولا يقظة) بفتحات ثلاثة ضد النوم وتسكين القاف خطأ الا فى ضرورة الشعر كقول التهامى

فالعيش نوم والمنية يقظة * والمرء بينهما خيال سارى

(لعصمته فى هذا الباب) الذى طريقه البلاغ مما أوحى اليه (من جميع العمد) الذى تقول عليه ما لم يقله (والسهو) فى شئ منه (وفى قول الكلبى) فى الجواب عنه (ان النبى صلى الله عليه وسلم حدث نفسه) أى فكر فيما ذكر وخطر بباله من غير قصد به (فقال ذلك الشيطان على لسانه) أى نطق به محاكيا لصوته ونطقه به فى اثناء قراءته وهو لا يدرى فتوهموا انه صلى الله عليه وسلم قاله وانه أوحى به اليه كما تقدم (و) كذا ما وقع (وفى رواية ابن شهاب) الزهرى وقد تقدمت ترجمته (عن أبى بكر بن عبد الرحمن) وفى نسخة أبو عبد الرحمن وكلاهما صحيح وهو أبو بكر بن عبد الرحمن بن هشام بن المغيرة المخزومى القرشى التابعى الامام أحد الفقهاء السبعة على قول وهو من سادات قريش ويسمى الراهب لزهده قيل اسمه أبو بكر وكنيته أبو عبد الرحمن وقال النووى اسمه محمد وكنيته أبو عبد الرحمن والصحيح ان اسمه كنيته وتوفى سنة أربع وتسعين وقيل غير ذلك (قال) ابن شهاب أو أبو بكر (وسها) صلى الله عليه وسلم فى نطقه

(فلما أخبر بذلك قال انما ذلك من الشيطان) أى من القائه وكان المصنف ذهب الى ان المعنى من وسوسته ولذا قال (وكل هذا) أى جميع ماذكرناه أى بحسب ظاهره (لا يصح ان يقوله عليه الصلاة والسلام لا سهوا ولا قصدا ولا يتقوله الشيطان على لسانه) أى حقيقة (وقيل لعل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قاله اثناء تلاوته على تقدير التقرير) أى التسليم فى صحته أو على تقدير

بذلك (فلما أحس) وفى نسخة أخبر (بذلك) أى عرف سهوه فيما انطق به (قال انما ذلك) الذى جرى على لسانه أوسمع (من الشيطان وكل هذا) المذكور من القول آنفا (لا يصح) رواية ودراية (ان يقوله النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لا سهوا ولا قصدا) لحفظ الله له عن مثله (ولا) يصح أيضا (ان يتقوله الشيطان) بالتشديد أى يفترى به (على لسانه) أى ينطق به محاكيا قوله ونطقه فيلبس الوحى بغيره لمنع الله تعالى له عن تسلطه عليه بمثله فقوله على لسانه صريح فيما أراده فما قيل ان فيه نظر لانه لامانع من ان يتقول الشيطان عليه مالم يقله من غير ان يصدر عنه فكثيرا ما كذب عليه وهذا لاينافى عصمته صلى الله تعالى عليه وسلم غفلة عما عناه المصنف فلا وجه له (وقيل) فى الجواب عما ذكر (لعل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قاله فى أثناء تلاوته) وقراءته لسورة النجم فذكره فى خلال آياته ولعل للترجى من عادة المصنفين استعماله كناية عن ضعف من معه وأثناء جمع ثنى بمعنى مثنى أى ملفوف بعضه على بعض فشبه ماهو فيه ببرد مطوى فى داخله شئ اشتمل عليه (على تقدير التقرير) أى حملهم على الاقرار (والتوبيخ للكفار) أى توبيخهم بعد اقرارهم بعبادة الاصنام فوصفها بالعلو ورجاء شفاعتها على هذا تهكم واستهزاء وقيل المراد حملهم على الاقرار بان المدح بهذه الكلمات انما يليق بمن يضر و ينفع توبيخا وتبكيتا تنبيها على خطئهم ايذانا بانها لاتصلح ان تكون آلهة والتوبيخ على أمر باطل وقع منهم فما قيل انه حرى ان يسمى انكارا ابطاليا تعنت لاداعى له ثم انه قال ليس فى الكلام مايفيد ذلك فلابد من تقدير اداة الاستفهام معه كقوله

طربت وماشوقا الى البيض اطرب * ولالعبا منى وذو الشيب يلعب

أو ذلك معلوم من المقام لان من ذكر أمرا علم ان غيره يكرهه ويصرح بذمه واشتهر منه ذلك فاذا مدحه بما مدحه به اعداؤه علم انه تهكم واستهزاء أو ارخاء لعنان الخصم حتى يقع فى هوة الضلال ولك ان تقول انه عند هذا القائل مفهوم من قوله أفرأيتم وان ماذكر مقدر مفعول ثان لرأيت وهو الاستفهام وهو وان كان غير مستقيم لكن هذا مما يؤيد توهينه فقدبر (كقول ابراهيم) الخليل صلى الله عليه وسلم (هذا ربى) للكواكب التى كان يعبدها قومه فوصفها بالربوبية انما هو توبيخ لهم لانه برىء من مثله كما لايخفى (على أحد التأويلات) التى ذكرها المفسرون فهو على هذا مقدر معه اداة الاستفهام كالآية التى قبله وفيه أقوال أخر مذكورة فى التفسير لاحاجة للتطويل بذكرها (وقوله) أى الخليل عليه الصلاة والسلام فى حق الاصنام (بل فعله كبيرهم هذا) والضمير للاصنام وكانوا يجتمعون فى عيد لهم ثم يرجعون للسجود لها فتخلف ابراهيم عليه السلام عنهم ودخل عليها فكسرها الاصنمها وأكبرها فلما رأوه قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم قال بل فعله كبيرهم كما قصه الله عنه فى هذه الآية وحاصله انه من معاريض الكلام الذى قصد به اقامة الحجة عليهم وان ماعبدوه لايصلح للعبادة (بعد السكت) أى الوقفة الخفيفة بين آيات سورة النجم والحاصل انه لما فرغ صلى الله تعالى عليه وسلم من ذم الاصنام بما أوحى اليه سكت وذكر كلاما وبخهم به كما فعل ابراهيم عليه الصلاة والسلام (والتوبيخ) لهم بذم آلهتهم (و) بعد (بيان الفصل بين الكلامين) أى كلام الله فى ذم الاصنام وكلامه الذى وبخهم به ثم رجع الى تلاوته لبقية السورة وهذا ممكن مع بيان الفصل (وقرينة تدل على المراد وانه) أى ماذكره توبيخا وتقريرا (ليس) من كلام الله (المتلو) لفصله بينه وبينه بالسكت

استفهام الانكار المقصود منه حمل المخاطب على الاقرار بان الذى يضر و ينفع انما هو الاله الواحد القهار (والتوبيخ للكفار كقول ابراهيم عليه الصلاة والسلام هذا ربى) أى أهذا الحقير أوالمخلوق مثل ربى (على أحد التأويلات) فى تلك الحالات (وكقوله بل فعله كبيرهم هذا) أى على وجه التورية التى هى من معاريض الكلام ففيها غنية عن الكذب فى المرام (بعد السكت) وهو وقفة لطيفة على فعله كما اختاره بعض أرباب الوقوف (وبيان الفصل بين الكلامين) أى السابق واللاحق وفى رواية بين الكلمتين اشارة الى ان التقدير بل فعله فاعله مطلقا أوفاعله الذى تعرفونه ثم قال مبتدأ كبيرهم هذا وجعل الدلجى هذا من المتن وقال ماعزى لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم بعد السكت أى بينه

وبين ماتلاه قبله وبيان الفصل بين الكلامين أى كلام الله تعالى وماعزى اليه ويؤيده قوله (ثم رجع الى تلاوته) أى بقية السورة (وهذا) التأويل (ممكن مع بيان الفصل) بين الكلامين (وقرينة) أى ومع قرينة (تدل على المراد) أى من انه انما قاله توبيخا وتقبيحا لقولهم وتقريعا وتسفيها لعقولهم (وانه ليس من المتلو) أى من القرآن

(وهذا) أي التأويل وفي نسخة صحيحة وهو (أحد ما ذكره القاضي أبو بكر) أي الباقلاني أو ابن العربي المالكيان (ولا يعترض على
هذا بما روي أنه كان في الصلاة) أي والكلام مبطل فيها (فقد كان الكلام قبل) أي قبل النهي عنه (فيها غير ممنوع) منه كما قرر في
حديث ذي اليدين حتى نزل قوله تعالى وقوموا لله قانتين أي ساكتين (والذي يظهر ويترجح في تأويله) أي في تأويل
ما عزي إليه صلى الله تعالى عليه وسلم (عنده) أي عند القاضي أبي بكر (وعند غيره من المحققين) أي من سائر العلماء (المجتهدين المدققين على تسليمه) أي فرض وقوعه أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (كان كما أمره ربه) أي بقوله ورتل القرآن ترتيلا (يرتل القرآن ترتيلا) أي يقرأه مترسلا (ويفصل الآي تفصيلا) أي ويبينها تبيينا مبينا (في قراءته) أي من كمال تؤدته (كما رواه الثقات عنه) يروى كما قال الثقات فعن عائشة وقد سئلت عن قراءته لو أراد سامعها أن يعد حروفها لعدها (فيمكن ترصد الشيطان لتلك السكتات) أي جلال تلاوة الآيات (ودسه) أي إدخاله على وجه الخفاء (فيها) أي في السكتات أو في أثناء القراآت (ما اختلقه من تلك الكلمات محاكيا نغمة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي صوته ولهجته (بحيث يسمعه
من السماع أو الإسماع (من دنا إليه أي قرب من الكفار) أي دون (قبل
الأبرار (فظنوها من قول النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأشاعوها) أي أفشوها بينهم (ولم يقدح ذلك عند المسلمين بحفظ السورة)
باللام والباء أي بسبب حفظهم سورة النجم

(وهو) أي ما قيل أنه قاله في أثناء قراءته لما ذكر من التوبيخ والتقرير (أحدهما) أي الأقوال (ذكره القاضي أبو بكر) الباقلاني أو ابن العربي وهما المالكيان تقدم ذكرهما (ولا يعترض على هذا) القول الذي قاله القاضي (بما روي) بالبناء للمجهول فيهما (أنه) صلى الله تعالى عليه وسلم أو هذا الكلام (كان في الصلاة) وهو كلام ليس بقرآن ولا ذكر فيبطلها (فقد كان) في صدر الإسلام وقبل الهجرة (الكلام فيها) أي في الصلاة (قبل) مبني على الضم أي قبل النهي عنه (غير ممنوع) في الشرع وغير مبطل للصلاة وكان الكلام غير محرم لما فرضت الصلاة ثم حرم عليهم قبل الهجرة بثلاث سنين (والذي يظهر ويترجح في تأويله) أي تأويل هذا الحديث وهذا ما اختاره القرافي كما نقلناه أولا (عنده) أي عند القاضي أبي بكر (وعند غيره من المحققين) أي أهل الكلام والتفسير والحديث (على) فرض (تسليمه) أي تسليم وقوعه منه صلى الله تعالى عليه وسلم وأنه ناطق بذلك (أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان كما أمره ربه يرتل القرآن ترتيلا) لقوله تعالى ورتل القرآن ترتيلا والترتيل القراءة بتؤدة من غير استعجال وهو في الأصل مستعار من قولهم ثغر مرتل أي مفلج كالأقحوان وأوراقه ومن لطائف بعض المتأخرين

أفدي الذي جبينه وثغره * طرة صبح تحت أذيال الدجا
مالي به مع قرب داري ملتقى * فهل رأيت ثغره المفلجا

(ويفصل الآي) جمع آية بالمد فيهما (تفصيلا) يفصل بعضها بعضا (في قراءته) وفي نسخة في تلاوته مع سكت خفيف بينهما (كما رواه الثقات عنه) كما قالت عائشة رضي الله تعالى عنها وقد سئلت عن قراءته عليه الصلاة والسلام لو أراد سامع أن يعد حروفه عدها لتأنيه فيها وتجويد حروفها وبيان حركاتها ومدها (فيمكن ترصد الشيطان لتلك السكتات) بالنون أو التاء المثناة الفوقية وترصده ترقبه وانتظاره أي يترقب وقفه وسكتته بين الآيات في ترتيله القراءة (ودسه) بمهملتين مصدر معطوف على ترصد أي إدخاله فيما بين سكتاته خفية يقال دسه دسا إذا أدخله قال الراغب الدس إدخال الشيء في الشيء بضرب من الإكراه وأصل الدس الإخفاء ومنه العرق دساس (فيها) في القراءة (ما اختلقه) أي كذبه وافتراه وما موصولة مفعول دسه (من تلك الكلمات) بيان لما (محاكيا نغمة النبي) صلى الله عليه وسلم في القاموس النغم محركة وتسكن الكلام الخفي والواحدة بهاء ونغم في الغناء كضرب وبصر وسمع انتهى والنغمة هنا بمعنى الكلام الخفي وتكون بمعنى الغناء وليس بمراد هنا وهو المعروف عرفا كقوله

الشرب بغير نغم غم * وبغير دسم سم

والظاهر أنه أريد به هنا الصوت مطلقا (بحيث يسمعه) أي بمكان قريب منه صلى الله تعالى عليه وسلم فيسمعه (من دنا) أي قرب (إليه من الكفار) الحاضرين عنده يستمعون تلاوته صلى الله تعالى عليه وسلم لسورة النجم (فظنوها) أي ظنوا تلك الكلمات التي قالها الشيطان ودسها في تلاوته محاكيا لصوته وهو لا يرى (من قوله) صلى الله تعالى عليه وسلم أي مما تلاه من القرآن وجعلها قوله لنطقه بها أو بناء على اعتقادهم الفاسد (وأشاعوها) أي أظهروها وقالوا أنه مدح آلهتنا ووافق (ولم يقدح ذلك) أي ما دسه الشيطان وأشاعوا أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قاله (عند المسلمين) فلم يغير اعتقادهم ولم يلتبس عليهم القرآن بغيره مما أدخل فيه (لحفظ) المسلمين (السورة) أي سورة النجم فالمصدر مضاف لمفعوله

(قبل ذلك) أي قبل دس الشيطان ماهنالك (على ما أنزلها الله وتحققهم من حال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في ذم الاوثان وعيبها) أي وعيبه اياها (على ماعرف منه) ولا يخفى ان ما بين السكنات لا يتصور فيه جميع تلك الكلمات المختلفة ويبعد كون كل كلمة في حال سكتة فالظاهر انه بعد قراءته عليه الصلاة والسلام وذمته الاصنام بقوله أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى وقع له عليه الصلاة والسلام سكتة طويلة لعارض من نحو شغله أو فكره فانتهز الشيطان الفرصة وألقى تلك الجملة وسمعها الكفار دون الابرار وهذا ليس كما توهم الدلجي ورد قول المحققين بان هذا قول غير مرضي لايذانه بان الشيطان كان له عليه سبيل يتمكنه من دسه خلال تلاوته كلام ربه انتهى هذا ولا يخفى ان شيخ الاسلام خاتمة الحفاظ ابن حجر العسقلاني في شرحه للبخاري أطال في ثبوت هذه القصة وان لها طرقا صحيحة وطرقا آخر كثيرة صريحة تدل على أصل القضية فلابد من تأويلها وهذا أحسن ماقيل في التأويل ان الشيطان ألقى ذلك في سكتة من سكتاته ولم يتفطن له عليه الصلاة والسلام وسمعه غيره فاشاعه بين الانام واما ماذكره

البغوي من ان الاكثرين على انها جرت على لسانه سهوا ونبه عليه وقرره الشيخ أبو الحسن البكري على مانقله عنه شيخنا عطية السلمي انه لا يقدح ذلك في العصمة لكونه من غير قصد كحركة المرتعش فقد رده صاحب المدارك من أئمتنا في تفسيره حيث قال اجراء الشطان ذلك على لسانه صلى الله تعالى عليه وسلم جبرا بحيث لم يقدر على الامتناع عنه ممتنع لان الشيطان لا يقدر على ذلك في حق غيره ففي أولى والقول بانه جرى ذلك على لسانه سهوا وغفلة مردود أيضا لانه لا يجوز مثل هذه الغفلة عليه حال تبليغ الوحي ولو جاز لبطل الاعتماد على قوله ثم اختار ما اختاره العسقلاني قال وكان الشيطان يتكلم في زمن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ويسمع كلامه فقد روى انه نادى يوم أحد الا ان محمدا قد قتل وقال يوم بدر لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم (وقد حكى موسى بن عقبة) أي ابن أبي عياش (في مغازيه نحو هذا) أي نحو ماذكر عن المحققين قال الحلبي هو مولى آل الزبير ويقال مولى أم خالد زوج الزبير روى عنها وعن علقمة بن وقاص وعروة وخلق وعنه مالك والسفيانان وجماعة ثبت ثقة أخرج له الائمة الستة ومغازيه أصح المغازي كما قاله الامام مالك بن أنس وهي مجلدة لطيفة وله أولاد فقهاء محدثون ووقع في بعض النسخ محمد ابن عقبة والاول هو الصواب (وقال ان المسلمين لم يسمعوها وانما ألقى الشيطان ذلك في اسماع المشركين وقلوبهم) أي صدور الشاكين (فيكون ماروي) أي مر (من حزن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لهذه الاشاعة والشبهة

(قبل ذلك) أي قبل اختلاق الشيطان ودسه فيها مادسه (على ما أنزل الله) متعلق بحفظ فعلموا ان ما اشاعوه ليس من الوحي في شيء من عدم مناسبته له لفظا ومعنى (وتحققهم) أي المسلمين (من حال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في ذم الاوثان وعيبها على ماعرف منه) صلى الله تعالى عليه وسلم أو من حاله لانه يذكر ويؤنث وهذا بيان للقرينة القائمة على انه ليس من قوله ولا مما أوحي اليه فاندفع ماقيل من انه ليس للشيطان سبيل حتى يتمكن ان يدخل في كلامه وما تلاه ماليس منه وقد بينا ذلك انه اختاره القراء في الحصة الرواية عنده (وقد حكى) أي روى (موسى بن عقبة) كذا في جل النسخ وفي بعضها محمد بن عقبة (في مغازيه) أي في كتابه الذي ألفه في مغازي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فالاضافة لما بينهما من الملابسة وجحوا النسخة الاولى وصححوها في الحواشي وضربوا على النسخة الثانية وقال الحافظ الحلبي انه مما لا شك فيه وهو موسى بن عقبة ابن أبي عياش مولى آل الزبير وقيل مولى أم خالد روى خلق كثير وهو ثبت ثقة توفي في سنة احدى أو اثنين وأربعين ومائة وأخرج له الستة ومغازيه من أصح المغازي كما قاله مالك ومحمد بن عقبة أخو موسى ولعقبة أولاد كلهم فقهاء محدثون لكل واحد منهم حلقة في مسجد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وتراجمهم مشهورة (نحوه) وفي نسخة نحو هذا أي نحو مانقله من المحققين مما هو بمعناه وفيه ميل ما اليه لنقله عن المحققين وكثرة من تابعهم عليه وان قيل انه لم يرض (وقال) أي موسى بن عقبة (ان المسلمين لم يسمعوها) أي مقالة الشيطان التي دسها (وانما ألقى الشيطان ذلك) القول الذي شاع (في اسماع المشركين) بدليل انهم هم الذين أشاعوه ولم يشع عن غيرهم حتى خفي على كثير منهم وانكروه ولا مانع من ذلك فما قيل من انها دعوى بلا دليل اذ لا قدرة للشيطان لعنه الله تعالى على القائه للمشركين فقط وهم مختلطون معهم في محل واحد غير مسلم وفي نسخة (وملأهم) وهو كما قاله الراغب جماعة مجتمعون على رأي فيملؤن العيون رواء والقلوب جلالة وبهاء ومنه قيل فلان بملء العيون (وقلوبهم) بان يفقهوه ويقبلوه (ويكون ماروي) أي رواية مانقل (من حزن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) بيان لاسم كان وقوله (لهذه الاشاعة) خبرها أي انما حزنه صلى الله تعالى عليه وسلم كائن لمجرد اشاعة ذلك (والشبهة) الحاصلة من تلك الاشاعة لانه كما قيل في المثل من

وسبب هذه الفتنة وقد قال الله تعالى) في هذه تسلية (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الآية) أي الا اذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته أي في أثناء قراءته ما ليس من تلاوته (فمعنى تمنى تلا) أي قرأ والامنية معناها التلاوة (قال الله تعالى لا يعلمون الكتاب الا أماني) وهي جمع أمنية (أي تلاوة) أي مجرد قراءة خالية عن دراية (وقوله) أي في بقية الآية (فينسخ الله ما يلقي الشيطان أي يذهبه) أي يفنيه ويعدم اعتباره (ويزيل اللبس به) بفتح اللام أي خلط الحق بالباطل بسببه (ويحكم آياته) في التنزيل ثم يحكم الله آياته أي يثبتها ويبقيها (وقيل معنى الآية هو ما يقع للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم من السهو) أي الناشئ من النسيان (اذا قرأ فينتبه) من الانتباه أو التنبه أي فيفطن (لذلك) ويتذكر لما هنالك (ويرجع عنه وهذا) التاويل (نحو قول الكلبي في الآية انه حدث نفسه قال اذا تمنى أي حدث نفسه) يعني على طريق السهو (وفي رواية أبي بكر بن عبد الرحمن نحوه) وهذا السهو بطريق النسيان الغالب على الانسان أجمعوا على جوازه منه عليه الصلاة والسلام وقد قال تعالى سنقرئك فلا تنسى الا ما شاء الله (وهذا السهو في القراءة انما يصح) أي صدوره عنه عليه الصلاة والسلام (فيما ليس طريقه تغيير المعاني وتبديل الالفاظ) أي المباني (وزيادة ما ليس من القرآن) أي في وجوه السبع المثاني (بل السهو عن اسقاط آية منه أو كلمة) أو انتقال من كلمة أو آية الى أخرى لا يترتب عليه فساد المعنى (ولكنه) أي مع هذا (لا يقر) بصيغة المجهول وتشديد الراء أي لا يترك (على هذا السهو بل ينبه عليه) من التنبيه من باب التفعيل بصيغة المجهول وكذا قوله (ويذكر به) أي بما وقع له لينتهي عنه (للحين) أي في وقته (على ما سنذكره في حكم ما يجوز عليه

يسمع يخل أي من أجل الاشاعة ومن أجل الشبهة الناشئة منها (و) من (سبب هذه الفتنة) الحادثة من شيوع ما هو بريء منه عليه السلام وهذا جواب عن سؤال مقدر تقديره اذا كان المسلمون لم يسمعوا هذه المقالة فلم حزن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وليس الجواب عن هذه الشبهة ان الشيطان ألجاه لهذه المقالة ولانه سمعها منهم فعلقت بذهنه ثم سها صلى الله عليه وسلم فقالها كما توهم ذلا مناسبة له لذا هنا (وقد قال الله تعالى) في هذه القصة وهذا من تتمة الكلام عليها وليس متعلقا بما قبله (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الآية) الفرق بين الرسول والنبي مشهور والكلام عليه ما شهر من ان يذكر والثاني أعم لانه كل من أوحى الله اليه والرسول أوحى اليه وأمر بالتبليغ وقيل غير ذلك وقوله الآية أي الا اذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم ثم أشار الى تفسير هذه الآية فقال (فمعنى تمنى تلا) لان أصل معناه يفعل من المني بمعنى القدر ومنه قوله تعالى ألم يك نطفة من مني يمنى أي تقدر ومنه المنية ويراد به تقدير شيء في النفس وتصويره ولكون النفس تتصور امورا لا حقيقة لها سمي به الكذب لقوله تعالى لا يعلمون الكتاب الا أماني أي كذبا كما قاله مجاهد وقال غيره تلاوة بلا معرفة للمعنى فاجراه مجرى التمني لما لا وجود له لان التمني كذلك في الاكثر ثم استعمل لمطلق التلاوة واليه أشار بقوله فمعنى تمنى تلا كما قال الشاعر

تمنى كتاب الله أول ليلة ✽ تمنى داود الزبور على رسل

(قال الله تعالى لا يعلمون الكتاب الا أماني أي تلاوة) وقد عرفت وجهه والمراد بالكتاب التورية والاستثناء منقطع لان التلاوة ليست من العلم وقيل انه مصدر بمعنى الكتابة لقوله ومنهم أميون وهي في حق اليهود (وقوله فينسخ الله ما يلقي الشيطان أي يذهبه) لان النسخ لغة كما قاله الراغب ازالة شيء بشيء يعقبه كنسخ الشمس الظل وما يلقيه الشيطان على هذا ما يدسه كما تقدم (ويزيل اللبس) الحاصل (به) وبسببه (ويحكم آياته) أي يتقنها حتى لا تشتبه بغيرها (وقيل معنى) هذه (الآية) أي قوله فينسخ الله ما يلقي الشيطان (هو ما يقع للنبي) صلى الله تعالى عليه وسلم (من السهو اذا قرأ فينتبه لذلك) السهو الصادر عنه بمقتضى البشرية بأدنى تنبيه (ويرجع عنه) أي عما تركه سهوا (وهذا) المذكور هنا (نحو قول الكلبي في الآية) أي آية سورة النجم كما نقل عنه أولا من (انه حدث نفسه) بان خطر بباله قولهم تلك الغرانيق العلا (وقال) الكلبي أيضا معنى (اذا تمنى أي حدث نفسه وفي رواية أبي بكر بن عبد الرحمن) الذي تقدمت ترجمته (نحوه) أي نحو ما ذكر مما هو بمعناه (وهذا السهو) المذكور كائنا (في القراءة انما يصح) وقوعه منه (فيما ليس طريقه) الواقع عليها والآتي فيها (تغيير المعاني) فلا يقع ما يغير معاني الوحي ويخالفها (وتبديل الالفاظ) بالفاظ غيرها (وزيادة ما ليس من القرآن) فيه (بل) الجائز عليه (السهو) الناشي (عن اسقاط آية منه أو) اسقاط (كلمة) منه (ولكنه) صلى الله تعالى عليه وسلم اذا سهاها (لا يقر) بالبناء للمفعول أو الفاعل (على ذلك السهو بل ينبه عليه ويذكر به للحين) أي يبادر به في وقت سهوه لايقاظه لسهوه من غير امهال له فتعريف حين الحضور واللام بمعنى في وقيل بمعنى وقت كقوله فطلقوهن لعدتهن وهذا مبني (على ما سنذكره) مفصلا (في حكم ما يجوز

عليه من السهو ومالا يجوز) أي عليه من السهو (ومما يظهر في تاويله أيضا ان مجاهدا روى هذه القصة والغرانقة العلا) بضم المهملة (فان سلمنا القصة) أي صحتها (قلنا لا يبعدان هذا) أي ماوقع فيها (كان قرآنا) أي ثم نسخ تلاوته (والمراد بالغرانقة العلا وان شفاعتهن لترتجى الملائكة على هذه الرواية) أي رواية مجاهد الغرانقة العلا والايظهر وجه تخصيص هذا التاويل بهذه الرواية اذ يصح على ماتقدم من الروايات أيضا كما لايخفى على ارباب الدراية (وبهذا فسر الكلبي الغرانقة العلا) أي في روايته ولا يلزم منه انه يجوز هذا التفسير لرواية غيره (انها الملائكة وذلك) أي الباعث له على تفسيرها بها هنالك (ان الكفار) أي من قريش وغيرهم (كانوا يعتقدون الاوثان) وفي نسخة ان الاوثان (والملائكة بنات الله تعالى كما حكى الله تعالى عنهم) أي بقوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا الآية وذمهم بقوله افاصفاكم ربكم بالبنين وبقوله واتخذ من الملائكة اناثا انكم لتقولون قولا عظيما و بقوله اصطفى البنات على البنين مالكم كيف تحكمون أفلا تذكرون (ورد عليهم في هذه السورة) وهي النجم (بقوله الكم الذكر وله الانثى فانكر الله كل هذا) أي الذي ذكره (من قولهم ورجاء الشفاعة من الملائكة صحيح) وهذا التاويل وأمثاله يتعين لئلا يلزم كفر صريح وبه يندفع قول الدلجي وهذا التاويل وان كان صحيحا في نفسه فمباين للمقام بابى عن سياق الكلام قلت ويمكن بتاويل سائر الروايات على وجه يحصل به الالتئام على ان التاويل من شانه ان يكون خلاف ظاهر المرام وانما يحتاج اليه للتخلص عما يرد في الكلام من الملام (فلما تاوله المشركون على) حسب غرضهم من فساد عقيدتهم (ان المراد بهذا) وفي نسخة بذلك (الذكر آلهتهم) أي مدح آلهتهم ورجاء شفاعتهم (ولبس) من التلبيس (عليهم الشيطان) أي ابليس (ذلك) أي ماتوهموه (وزينه في قلوبهم وألقاه اليهم) ان المراد به مافهموه مما سمعوه

عليه من السهو ومالا يجوز ومما يظهر في تاويله) أي تاويل ماذكر في سورة النجم ومادس فيها (أيضا) كما ظهر في بعض التاويلات السالفة المتبادرة الى الافهام (ان مجاهدا) رحمه الله تعالى (روى هذه القصة) أي قصة سورة النجم السابقة (والغرانقة العلا) بالعطف على اللات والعزى ومنات الثالثة الأخرى وحينئذ فلا اشكال يرد على ماتقدم (فان سلمنا) وقوع هذه (القصة) وصحة روايتها (قلنا) على هذا التقدير (لا يبعدان هذا) المذكور في هذه الرواية وهو قوله والغرانقة العلا (كان قرآنا) نزل عليه صلى الله تعالى عليه وسلم ثم نسخت تلاوته (والمراد) على هذه الرواية على تقدير انها قراءة منسوخة (بالغرانقة العلاو) المراد (ان شفاعتهن ترتجى) اشارة الى انه على هذه القراءة بفتح همزة ان من قوله وان شفاعتهن ترتجى (الملائكة على هذه الرواية) التي فيها الواو العاطفة وهي جمع غرنوق كزنبور وقنديل وقرطاس وفسرت بالاصنام أيضا وهي في الاصل طير من طيور الماء والشاب الجميل فاستعيرت لماذكر واستعارة الطير للملك اظهر (وبهذا فسر الكلبي الغرانقة انها الملائكة) أنها ابا الفتح بدل من هذا (وذلك) يعني ان الباعث على تفسيرها بماذكر (ان الكفار) أي عبدة الاصنام من قريش وغيرهم (كانوا يعتقدون ان الاوثان والملائكة بنات الله سبحانه) أي تنزيها له عز وجل عما قالوا بجهلهم (كما حكى الله عنهم) ذلك في القرآن في آيات كقوله أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة اناثا * وقوله * أصطفى البنات على البنين * وقوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا * الآية فجعلوها الاحتجابها مخدرات وهو في الملائكة مشهور واما في الاصنام فبناء على مانقله الحليمي في تفسير قوله تعالى * وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا * أي مشركي العرب زعمت في اللات والعزى ومنات انها بنات الله تقربهم له لما كانوا يسمعون تكلمها وانما كان يكلمهم شياطين الجن من أجوافها (ورد الله عليهم) ماقالوه (في هذه السورة) يعني سورة النجم (بقوله) تعالى (ألكم الذكر وله الانثى) أي اختار لكم الذكور دون الاناث لانهم كانوا يقتلونها وهي المؤودة واعتقدوا ان له بنات لم يرتضوها لانفسهم وهي الملائكة والاصنام كما مر ولذا قال * تلك اذن قسمة ضيزى * أي جائرة (فانكر الله كل هذا) الذي ادعوه (من قولهم) اشارة الى ان الاستفهام فيه انكاري تكذيبا لهم فيما قالوا بجهالتهم مما كادت تخر له الجبال هدا فالاستفهام منصب على الجميع وبهذا يرتفع الاشكال على هذه القراءة (ورجاء الشفاعة من الملائكة) في قوله وان شفاعتهن لترتجى (صحيح) على هذه القراءة ولا حاجة لهذا فانه منكر لانصباب الاستفهام الانكاري عليه كما قررناك بناء على فتح همزة ان فيه ولذا قيل هذا التاويل وان كان صحيحا في نفسه مباين للمقام ناء عن سياق الكلام فتدبر (فلما تاوله) أي تاول هذا الكلام بصرفه عن ظاهره (المشركون) حسب اغراضهم الفاسدة (على ان المراد بهذا الذكر) أي المذكور وهو قوله تلك الغرانيق العلا الى آخره (آلهتهم) أي اصنامهم التي عبدوها (ولبس الشيطان عليهم ذلك) بوسوسته لهم وتزيينه لافكارهم (وزينه في قلوبهم) بتحسينه وتزويره (والقاه اليهم) أي

(نسخ الله تعالى ماألقى) ويروى مايلقى (الشيطان) أى ازال ماكان موجبا لالقائه وباعثا لاغوائه (واحكم آياته) أى اثبت بقية آياته (ورفع تلاوة تلك اللفظتين أى احدهما وفى نسخة صحيحة بتينك اللفظتين (اللتين وجد الشيطان بهما) أى بسبب مايتوهم من ظاهرهما (سبيلا) ويروى سببا (للتلبيس) وفى نسخة للالباس أى للشبهة المفتنة للناس والاشتباه والالتباس (كمانسخ كثيرمن القرآن) أى دراسته (ورفعت تلاوته) ١٠٢ أى مع حكمه أو بدونه منها آية الرجم ومنها على ماورد لوكان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى ثالثا ولن يملأ جوف ابن آدم الا التراب ويتوب الله على من تاب (وكان فى انزال الله تعالى لذلك حكمة) وفى نسخة حكم أى له سبحانه وتعالى أيضا (ليضل به من يشاء ويهدى به من يشاء) كما قال الله تعالى يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا (ومايضل به الا الفاسقين) أى الخارجين عن طريق وفاقه الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه (وليجعل) أى ليصير الله تعالى (مايلقى الشيطان) أى عمايلبس به (فتنة للذين فى قلوبهم مرض) أى داء وشك من المنافقين (والقاسية قلوبهم) من المشركين المعاندين (وان الظالمين) من الجنسين (لفى شقاق بعيد) خلاف بعيد عن طريق سديد (وليعلم الذين أوتوا العلم) أى من المؤمنين (انه) أى مانزله ثم نسخه) الحق من ربك فيؤمنوا به) أى زيادة على ايمانهم (فتخبت له قلوبهم) أى تطمئن زيادة على ايقانهم (الآية) أى وان الله لهادى الذين آمنوا بالدين القويم الى صراط مستقيم (وقيل ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لماقرأ هذه السورة) أى النجم (وبلغ ذكر اللات) بالنصب على الحكاية وبالجر على الاعراب (والعزى ومنات الثالثة الأخرى خاف الكفاران يأتى) أى النبى عليه الصلاة والسلام (بشئ من ذمها) أى زيادة على ذمها (فسبقوا الى مدحها بتلك الكلمتين) وفيه ماسبق ان الصواب كمافى نسخة بتينك الكلمتين (ليخلطوا) أى ليمزجوا (به) بالتخليط فى

القى ذلك المعنى الذى فهموه لماسمعوه منه صلى الله تعالى عليه وسلم حقيقة على هذا الوجه الذى استظهره (نسخ الله) من كلامه ماتلى كما تقدم وقوله (ماألقاه الشيطان) المراد به اللفظ أولوح ماألقاه الشيطان فى قلوبهم حتى يلتئم هذا بماقالوه أولا (واحكم آياته) الباقية بعدمانسخه منها (ورفع تلاوة اللفظتين) أى الجملتين يعنى قوله تلك الغرانيق العلا وان شفاعتهن لترتجى وقوله تلك بالافراد لجعلهم كشئ واحد فلاوجه لماقيل صوابه تينك (اللتين وجد الشيطان بهماسبيلا للالباس) أى طريقا لتلبيسه عليهم بهما اذاتليا فى هذه السورة ووقع فى بعض النسخ التى وجد الشيطان بها بالافراد فيهما والصواب ماذكر (كمانسخ) بالبناء للمعلوم أوللمجهول (كثيرا) يجوز رفعه ونصبه وكذا قوله (ورفع تلاوته) مع بقاء حكمه أو بدونه (وكان فى انزال الله لذلك) الذى نسخه بعد ذلك (حكمة) هى كما يعلم ممابعده تبيين من ضل ممن اهتدى (وفى نسخة) برفع تلاوته (حكمة) من خيرأوشر ثم بين تلك الحكمة بنص القرآن فى قوله تعالى (ليضل من يشاء ويهدى من يشاء ومايضل به الا الفاسقين) أى الخارجين عن طاعته بارتكاب المعاصى (و) فى قوله (ليجعل مايلقى الشيطان فتنة) أى بمنزلة الاختبار لاظهاره للناس ماخفى عليهم فكانه اختبار (للذين فى قلوبهم مرض) أى شك أونفاق فاستعار لذلك اسم المرض (والقاسية قلوبهم) من المشركين الذين لم يدخل الايمان فى قلوبهم لشدة قسوتها فشبه قلوبهم بالحجارة الصلبة التى لاتتغير عماهى عليه ولاتلين لقبول الحق (وان الظالمين) أى الكافرين وان الشرك لظلم عظيم واقام الظاهر مقام المضمر تسجيلا عليهم بظلمهم وكفرهم (لفى شقاق) أى عداوة ومباينة للمؤمنين فهو فى شق وهم فى شق (بعيد) عن الحق وقبوله (وليعلم الذين أوتوا العلم) أى الذين آتاهم الله العلم من المؤمنين (انه) ماانزله الله ثم نسخه وازاله لحكمة وليس رجوع الضمير لتمكين الشيطان من الالقاء ثم ازالته بمناسب هنا (الحق من ربك) لعدم اشتباهه عليهم وتمكن الشيطان بتلبيسه عليهم (فيؤمنوا به) أى يصدقوا ويذعنوا المانزل وان نسخ (فتخبت له قلوبهم) أى تنقاد وتذعن وتخضع مطمئنة من غيرشك وتزلزل واصل معنى الخبت مااطمان من الارض وهو السهل ضد الحزن فاستعير لماذكر من الانقياد بخضوع وخشوع (الآية) أى وان الله لهادى الذين آمنوا الى صراط مستقيم ثم ذكر وجها آخر فى هذه القصة اشار الى ضعفه بقوله (وقيل ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لماقرأ هذه السورة) أى شرع فى قراءة سورة النجم (وبلغ) أى وصل فى حال قراءته (ذكر اللات والعزى ومنات الثالثة الأخرى) وصفها بالثالثة الأخرى للتأكيد كطائر يطير بجناحيه أوالأخرى المتأخرة فى الرتبة والاحسن ماقيل ان اللات والعزى كثيراما يذكرونهما معا اذاحلفوا فيقولون واللات والعزى فوصف مناة بالثالثة ليعلم ان منات ثانية وليست واحدة وأكد ذلك بالأخرى اشارة لتأخر رتبتها ومغايرة ماقبلها فهى تأنيث آخر أفعل تفضيل فتامل (خاف الكفار) لماسمعوا ذكرها منه صلى الله تعالى عليه وسلم (ان يأتى بشئ من ذمها) وتنقيصها كما هو كان عادته اذاذكرها (فسبقوا الى مدحها بتلك الكلمتين) أى تلك الغرانيق الى آخره (ليخلطوا

(فى تلاوة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ويشغبوا) بتشديد الغين المعجمة أى يثيروا الشر ويهيجوا الفتنة وفى نسخة يشنعوا من التشنيع أى ليعيبوا ويعيروا (على عادتهم وقولهم) أى وعلى منهج مقالتهم (لا تسمعوا لهذا القرآن) أى مهما قدرتم (والغوا فيه) أى تشاغلوا عند قراءته برفع أصواتكم اذا عجزتم (لعلكم تغلبون) عليه فى قراءته (ونسب هذا الفعل) يعنى الالقاء (الى الشيطان) مع انه فعلهم (لحمله لهم عليه) لانه السبب الداعى اليه (وأشاعوا ذلك) أى ما سبقوا به الى مدحها افتراء منهم (وأذاعوه) أى افشوه فيما بينهم (وان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قاله) أى هو الذى قاله افتراء منهم فى نسبته اليه (فحزن لذلك من كذبهم وافترائهم عليه فسلاه الله تعالى) عن حزنه (بقوله وما أرسلنا من قبلك من رسول الآية) ايماء الى ان هذا من سنة الله التى قد خلت فى عباده واشعارا بان الكفرة من شياطين الانس وانهم من اتباع شياطين الجن (وبين) أى ميز الله تعالى (للناس الحق) المنزل (من ذلك) أى مما ذكره (من الباطل) الملقى (وحفظ القرآن) أى جميع كلماته (وأحكم آياته ودفع ما لدس) بتشديد الموحدة (به العدو) من الاباطيل (كما ضمنه الله تعالى) أى تكفله وتضمن حفظه المفهوم (من قوله تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) أى من زيادة ونقص وتحريف وتبديل ولم يكل حفظه الى غيره بل تولاه بنفسه بخلاف الكتب الالهية المنزلة قبله فانه لم يتول حفظها بل استحفظها الربانيين والاحبار فاختلفوا فيها وحرفوها وبدلوها وهذا لا ينافى ان حفظ القرآن بحسب مبناه ومعناه فرض كفاية لان المعنى انه تعالى تكفل حفظ القرآن به وانه لم يكلهم فى مراعاته الى أنفسهم بل يكون دائما فى عون جملتهم (ومن ذلك) أى من سؤالات بعض الطاعنين فى مراتب النبيين

فى تلاوته) ذكرها بمدحها الصادر منهم (و يشغبوا عليه) بشين وغين مشددة معجمتين من الشغب بالفتح و يجوز تسكينه وهو تهييج الشر مع الصياح به وفى نسخة ويشنعوا بنون وعين مهملة من الشناعة (على عادتهم) اذا حضروا قراءته صلى الله تعالى عليه وسلم انهم يرفعون أصواتهم عنده حتى يلهوه (و) يشغلوا خاطره و يمنعوا من سماعه كما حكى الله تعالى عنهم من (قولهم لا تسمعوا لهذا القرآن) اذا قرأه (والغوا فيه) أى اظهروا اللغو برفع الاصوات تخليطا وتشويشا عليه بما يشغل الخواطر عنه (لعلكم تغلبون) باصوات لغوكم على قراءته من قولهم هذا غالب على هذا اذا كان زائدا عليه فكانوا يوصون بذلك من يحضره منهم كما قال أبو جهل لعنه الله اذا قرأ محمد فصيحوا حتى لا يدرى ما يقول وقيل كان ذلك بالصياح والتصفيق وانهم فعلوا ذلك لما ظهر عجزهم عن معارضته (ونسب هذا الفعل) أى الالقاء (للشيطان) فى قوله ما يلقى الشيطان بطريق المجاز المرسل والنسبة للسبب ما للمسبب (لحمله لهم عليه) أى لان الشيطان هو الذى تسبب فيه حتى فعلوه وهو الباعث عليه والحمل حقيقته جعل شئ فوق شئ ثم تجوز به عما ذكر وصار حقيقة عرفية فيه (واشاعوا ذلك) المذكور (واذاعوه) فى الكفرة والاشاعة والاذاعة بمعجمتين بمعنى وهو جعله مشهورا منتشرا (وان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قاله) بفتح همزة ان لعطفه على المفعول فهو قاله على هذا الوجه وعلى غيره وهو افتراء عليه وبهتان منهم كما يعلم مما تقدم (فحزن لذلك) صلى الله تعالى عليه وسلم وهو جواب عن سؤال تقديره اذ لم يصدر عنه ذلك أو صدر بمعنى آخر فلم حزن صلى الله تعالى عليه وسلم وقوله (من كذبهم وافترائهم عليه) بيان لذلك لتعصبهم لآلهتهم اذا اضلتهم (فسلاه الله تعالى) التسلية ذهاب الحزن بوجه ما أى أزال غمه بما ذكر (بقوله تعالى وما أرسلنا من قبلك الآية) يعنى (من رسول ولا نبى الا اذا تمنى ألقى الشيطان فى امنيته) الى آخرها أى ان ما وقع لك فى هذه القصة سبق مثله لمن قبلك من الرسل فاصبر كما صبروا ولا تحزن وقد تقدم من تفسير هذه الآية ما يغنى عن اعادته (وبين) الله تعالى فى كتابه (للناس الحق من ذلك) أى من الوحى الذى أنزل على لسانه (من الباطل) الذى ألقاه الشيطان فيما تلاه ومن الثانية متعلقة بقوله بين والاولى ظرف مستقر فلا يرد عليه ان الفعل لا يتعدى بحرفين بمعنى واحد (وحفظ) الله عز وجل (القرآن) من التبديل والتغيير بزيادة أو نقص (واحكم) الله (آياته) أى أتقنها فلا يأتى الباطل من بين يديها ولا من خلفها (ودفع ما لبس به العدو) من الكفرة والشياطين (كما ضمنه) بفتح الميم المشددة وتخفيفها مكسورة فتقديره على الاول انه ضمن القرآن أى جعل فى ضمنه ما فهم (من قوله تعالى) الى آخره وعلى الثانى انه تعهد بحفظه اذ قال (انا نحن نزلنا الذكر) أى القرآن لانه من أسمائه (وانا له لحافظون) من التبديل وان يزاد فيه أو ينقص فلم يكل ذلك الى غيره حيث أسنده الى نفسه بضمير العظمة بخلاف غيره من كتب الانبياء عليهم الصلاة والسلام اذ فوض حفظها الاحبارهم كما قال بما استحفظوا من كتاب الله ولذا وقع فيها التحريف والتغيير حكمة بالغة وأتى فى لك بتأكيدات وقدم معمول حافظون للحصر (ومن ذلك) أى من جملة أسئلة الطاعنين

على الرسل عليهم الصلاة والسلام (ما) وقع فيما (روي من قصة يونس) نبي الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو يونس بن متى وقد اختلف في متى هل هو اسم أمه أو اسم أبيه فقيل انه اسم أمه وانه لم ينسب أحد الى أمه غير يونس وعيسى عليهما الصلاة والسلام وورد بما في صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لا ينبغي لاحد أن يقول أنا خير من يونس بن متى ونسبه لابيه فانه يقتضي ان متى اسم أبيه خلافا لمن قال انه اسم امه وهو مروي عن وهب بن منبه وذكره الطبري وابن الاثير في الكامل وأول قول ابن عباس انه كان في روايته يونس بن فلان فرأى ان الراوي كنى عن اسم أبيه بفلان ولم يصرح به وهو السبب في نسبته لامه وقد قيل ان الصحيح الاول وان ماذكر من التأويل بعيد وكان من أهل قرية بالموصل يسمى نينوى كان يتعبد في جبل عندها ثم بعثه الله بالتوحيد لقوم يعبدون الاصنام وكان فيه حدة فلم يصبر على الناس فتركهم ولحق بالجبل ولذا قال تعالى ولا تكن كصاحب الحوت وكان كداود عليه الصلاة والسلام في حسن الصوت اذا قرأ وقفت الوحوش عنده تسمع قراءته وتقدمت ترجمته بابسط من هذا (اذ وعد قومه بالعذاب) مخبرا لهم به (عن ربه) بمجيء العذاب لهم (فلما تابوا) ورجعوا عما كانوا عليه وكانت توبتهم في يوم عاشوراء أو يوم جمعة (كشف) بالبناء للمجهول أي كشف الله (عنهم) ما وعدوا به (فقال) يونس عليه الصلاة والسلام لما رأى تخلف الوعيد (لا أرجع اليهم) أي الى قومه حال كونه (كذابا أبدا فذهب مغاضبا) مفاعلة من الغضب وهو ثوران دم القلب لارادة الانتقام والمفاعلة ظاهرة ان أريد انه مغاضب لقومه وان أريد انه غضب لاجل ربه فهو مثل يخادعون الله وكان أقام في قومه ثلاثين سنة يدعوهم للايمان فلم يؤمن منهم الا رجل فدعا عليهم فقيل له ما أسرع ما فعلت ارجع اليهم وادعهم أربعين ليلة فان لم يجيبوا حل بهم العذاب فدعاهم سبعا وثلاثين ليلة وقام بهم خطيبا وقال ان لم ترجعوا الى ثلاثة أيام حل بكم العذاب وعلامته تغير ألوانكم فلما رأوا التغير وعلم يونس بالعذاب خرج من بينهم وطلبوه فلم يجدوه وألهمهم الله تعالى التوبة فخرجوا الى الصحراء باهليهم وأولادهم ودوابهم وضجوا الى الله تعالى وقالوا آمنا بيونس فقبل الله تعالى توبتهم وكشف عنهم العذاب بعدما غشيهم في سحابة على رؤسهم كما قال تعالى الا قوم يونس الآية والى ذلك أشار بقوله (فاعلم أكرمك الله) بما علمك من براءة ساحة الانبياء عليهم الصلاة والسلام مما توهمه الطاعنون فيهم بمثل هذا السؤال بانه كيف أخبر وهو نبي معصوم بما لم يقع واعترف به (ان ليس في خبر من الاخبار الواردة) في كتاب ولا في سنة صحيحة (في هذا الباب) المتعلق بقصص الانبياء وقصة يونس عليه وعليهم الصلاة والسلام (ان يونس قال لهم) مخبرا عن ربه (ان الله مهلككم) حتى يتأتى ان يقال انه صدر منه الكذب (وانما) الذي ورد (فيه) من الاخبار الصحيحة (انه دعا عليهم بالهلاك) أي بان الله تعالى يهلكهم لعدم اطاعتهم له (والدعاء ليس بخبر) أي كلام خبري بل انشاء وطلب من الله (يعلم صدقه من كذبه) أي يحتمل الصدق والكذب والضمير ان للخبر لا ليونس كما قيل لو كان خبرا أيضا لم يكن كذبا كما توهمه السائلون لانه على تقدير شرط هو ان لم تؤمنوا كما علم من قوله الا قوم يونس لما آمنوا الآية ولا ينافيه قوله لا أرجع اليهم كذابا أبدا لعدم صحته عند المصنف رحمه الله تعالى كما تقدم وروي أو وصفه بالكذب لتضمن كلامه خبرا يحتمل الصدق والكذب وهو ان من لم يجب دعوة الرسل يحل به العذاب (لكنه) أي الشان أو يونس عليه الصلاة والسلام (قال لهم) أي لقومه لما وعظهم (ان العذاب مصبحكم) أي يأتيكم في وقت الصباح (وقت كذا وكذا) أي عند تمام المدة التي بينها لهم كما تقدم (فكان ذلك) أي وقع وتحقق مجيئه لهم في الوقت المعين فانهم لما رأوا سحابة دخان

(ماروي من قصة يونس) وفي نسخة في قصة يونس (عليه الصلاة والسلام انه وعد قومه العذاب من ربه) أي وخرج من عند قومه (فلما تابوا) أي بعد خروجه وظهور مقدمة وعيده (كشف عنهم العذاب) قيل يوم جمعة في عاشوراء (فقال لا أرجع اليهم كذابا أبدا) أي ولو بحسب الصورة استحياء من قومه (فذهب مغاضبا) أي على هيئة الغضبان على قومه أو على قوله وكان عليه أولا ان يصابرهم منتظرا من ربه الاذن له في خروجه وثانيا ان يرجع اليهم حيث تاب الله عليهم (فاعلم أكرمك الله تعالى) بالعقيدة الثانية (انه) أي الشان وفي نسخة ان (ليس في خبر من الاخبار الواردة في هذا الباب) لا في السنة ولا في الكتاب (ان يونس قال لهم انه) أي الله سبحانه وتعالى (مهلكهم) وفي نسخة يهلككم وفي أخرى مهلككم وعلى التسليم فيكون مقيدا بما ان ثبتوا على كفرهم فلا يستقيم ان يقول لا أرجع اليهم كذابا أبدا الا بظاهره (وانما فيه) أي وانما الوارد في حقه من الاخبار (انه دعا عليهم بالهلاك) أي ان أصروا على الاشراك (والدعاء) انما هو انشاء بطلب (ليس بخبر يطلب صدقه من كذبه لكنه) أي يونس (قال لهم ان العذاب مصبحكم وقت كذا وكذا) فيه انه هذا اخبار لا انشاء منهم (فكان ذلك) أي مجيئه لهم فيما هنالك وفي نسخة كذلك أي كما قال فلا يكون كذابا أبدا غايته انه لما أغامت السماء غيما شديد السود

بدخان سود تسطوح بيوتهم لبسوا المسوح وعجوا فى الصراخ مظهرين الايمان والتوبة النصوح (ثم رفع الله عنهم العذاب وتداركهم) برحمته المخصوصة بهم فى هذا الباب (قال الله تعالى فلولا كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها الا قوم يونس) استثناء منقطع من القرى اذ المراد أهلها أى لكن قومه أو متصل من ضمير آمنت والجملة فى معنى النفى أى ما آمنت قرية من القرى المحكوم على أهلها بالهلاك الا قوم يونس (لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزى الآية) أى فى الحياة الدنيا ومتعناهم الى حين (وروى فى الاخبار) أى فى بعض الآثار (انهم رأوا دلائل العذاب ومخايله) أى مظانه جمع مخيلة أى مظنة أو سحابة فيها عقوبة وفى الحديث أنه عليه الصلاة والسلام اذا رأى مخيلة أقبل وأدبر وفى رواية اذا رأى فى السماء اختيالا تغير لونه خشية أن يكون عذابا أرسل كما وقع لقوم هود فاذا أمطرت سرى عنه (قاله ابن مسعود) كما رواه ابن مردويه عنه مرفوعا وابن أبى حاتم موقوفا (وقال سعيد بن جبير غشاهم) أى غطاهم الله تعالى (العذاب كما يغشى الثوب القبر) وفى نسخة كما يغشى السحاب القمر (فان قلت فما معنى ما روى) عن ابن جرير عن عكرمة مولى ابن عباس من (ان عبد الله ابن أبى سرح) بفتح السين المهملة وسكون الراء وفى آخره مهملة أسلم قبل الفتح وهاجر وكتب الوحى ثم ارتد ثم أسلم ومات ساجدا لله (كان يكتب لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم ارتد مشركا) ويروى ارتد كافرا (وسار) وفى نسخة وصار أى رجع (الى قريش) أى (فقال لهم انى كنت أصرف محمدا) أى أغيره (حيث أريد) أى من تعبير كلامه وتغيير مرامه (كان يملى على عزيز حكيم فاقول) أى استفهاما (أعلى حكيم) وفى نسخة فاقول أو عليم حكيم (فيقول نعم

منهم نحو ميل فيها عذاب ودخان اسود فاخلصوا التوبة وآمنوا ولبسوا المسوح وتضرعوا الى الله فقبل توبتهم (ثم رفع عنهم العذاب) الذى تيقنوه حتى كأنه نزل بهم (وتداركهم) أى أنعم عليهم بالخلاص مما خافوه والتدارك بمعنى الاعانة والنعمة كما قاله الراغب أى تداركهم الله برحمته لما تابوا ومتعهم بالحياة الى حين كما (قال الله تعالى الا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا ومتعناهم الى حين) والاستثناء منقطع من قوله تعالى فلولا كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها الى آخره اذ المعنى لولا كانت قرية من القرى التى أهلكناها آمنت الا قوم يونس ويحتمل الاتصال لانه فى معنى ما نجينا قرية أى أهلها الذين عاينوا العذاب الا هؤلاء كما تقرر فى التفاسير وفى كلامه خلل لا يخفى فان محصله جوابان أحدهما المنع وانه ليس بخبر وارد والثانى انه خبر عن وقوع العذاب وقد وقع لانهم عاينوه لكن الله تعالى رفعه عنهم فالاستدراك ليس فى محله لمباينته لما قبله ومقصوده هذا لكنه تسمح فى العبارة وأيضا العذاب لم يحل بهم ولكنه لمعاينته كما تقدم جعل كأنه وقع ولذا عبر بالرفع دون الدفع وهو من خصائص قوم يونس لانه ايمان يأس وهو لا يقبل (وروى فى الاخبار انهم) أى بعد ان أمهلهم أربعين ليلة فلما مضت خمسة أو سبعة وثلاثون كما مر (رأوا دلائل العذاب) فى سحابة دنت منهم كما تقدم (ومخايله) بالخاء المعجمة أى علاماته جمع مخيلة وهى المظنة من خاله بمعنى ظنه وهى فى الاصل موضع التخيل ثم استعير للامارات كقوله الولد مخيلة ومجبنة (قاله ابن مسعود) رضى الله تعالى عنه رواه عنه ابن مردويه مرفوعا وابن أبى حاتم موقوفا (وقال سعيد بن جبير غشاهم العذاب كما يغشى الثوب القبر) يعنى ان السحابة قربت منهم فكانت عليهم كثوب يغطى به قبر وفى التعبير بالقبر اشارة الى انهم كالاموات ولذا عبر فى الآية بالكشف وفى نسخة كما يغشى النوء القمر والنوء بواو ساكنة وهمزة أو بواو مشددة بمعنى النجم الطالع أو الساقط وأراد به هنا السحاب لانه لا يخلو من سحاب ومطر معه وأنواء العرب مشهورة والقمر معروف ثم أورد شيأ مما يتعلق بالاسئلة والطاعن فقال (فان قلت) أيها السائل عما يوهم ما لا يليق بمقام النبوة (فما معنى ما روى) رواه ابن جبير عن عكرمة مولى ابن عباس رضى الله تعالى عنهما (من ان عبد الله ابن أبى سرح) بفتح السين وسكون الراء بالحاء المهملات وهو عبد الله بن سعد ابن أبى سرح بن الحارث العامرى القرشى الصحابى كاتب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أسلم قبل الفتح وهاجر ثم ارتد وأسلم بعد ذلك وحسن اسلامه كما تقدم وولى فى خلافة عثمان فلما قتل اعتزل الناس والتزم العبادة ودعا الله تعالى ان يتوفاه بعد الصلاة فمات بعد تسليمه من صلاة الصبح كما ذكره السهيلى وأشار الى ما ذكر بقوله (وكان يكتب لرسول الله) صلى الله تعالى عليه وسلم ما ينزل عليه من الوحى (ثم ارتد مشركا) أى عاد لما كان عليه من الشرك (وصار الى قريش) أى رجع اليهم بمكة ولحق بهم ووافق على شركهم (وقال لهم) بعد عوده لهم (انى كنت) وأنا أكتب الوحى (أصرف محمدا) من التصريف وهو التغيير والتبديل كما قال تعالى وتصريف الرياح أى أبدل ما يمليه على وهو يسمعه فيوافقنى على ما اختاره (حيث أريد) أى فى كل شئ أريده (كان يملى على عزيز حكيم) فى خواتم الآيات (فاقول) له صلى الله تعالى عليه وسلم (أو عليم حكيم) أى أكتب هذا بدل ذلك (فيقول) لى (نعم) أى اكتب ما قلته بدل ما أمليته

كل صواب) أي في نفس الامر اذ نزل عليه بهذا كتاب فيكون من السبعة الاحرف التي نسخ من كل باب (وفي حديث آخر) كما رواه ابن جرير عن السدي (فيقول له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اكتب كذا) كتابة كان يامره بكتابته في املاء نظرته (فيقول) أي ابن أبي سرح (أكتب كذا) بالف استفهام ملفوظة أو محفوظة وأعرب الدلجي في تقديرانما أكتب كذا (فيقول) أي النبي عليه الصلاة والسلام كما في نسخة (اكتب كيف شئت ويقول له اكتب عليما حكيما فيقول اكتب سميعا بصيرا فيقول له اكتب كيف شئت) وهذا على اطلاقه غير صحيح فقد روى ان اعرابيا سمع قارئا يقرأ فان زللتم من بعد ما جاءتكم البينات فاعلموا ان الله غفور رحيم بدل عزيز حكيم ولم يكن قارئا فانكره وقال ان كان هذا كلام الله فلا يذكر الغفران عند الزلل لانه اغراء عليه بالعمل (وفي الصحيح) أي في البخاري من طريق عبد العزيز وفي مسلم من طريق ثابت كلاهما (عن أنس رضي الله تعالى عنه ان نصرانيا كان يكتب للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي ما أوحي اليه (بعدما أسلم) وقرأ البقرة وآل عمران (ثم ارتد) كافرا فانطلق هاربا حتى لحق باهل الكتاب فاعجبوا به فلبث ان قصم الله عنقه فيهم الحديث (وكان يقول مايدري محمد ما كتبت) أي له كما في نسخة والمعنى مايشعر بكتابتي فيما غيرت سهوا أو قصدا وفي نسخة مايدري محمد الاما كتبت له (فاعلم ثبتنا الله واياك على الحق) أي البين دليلا (ولاجعل للشيطان وتلبيسه الحق) أي تخليطه (بالباطل الينا سبيلا الخفي ان مثل هذه الحكاية) ولو على طريق الرواية (أولا لاتوقع في قلب مؤمن ريبا) أي شكا وشبهة (اذ هي حكاية عن من ارتد وكفر بالله) في حال كفره رواه (ونحن) أي معاشر المحدثين من علماء المسلمين (لانقبل رواية المسلم المتهم) أي في عدالته بالكذب والمعصية (فكيف بكافر) أي مستحق العقوبة (افترى هو ومثله) من الكفرة والفجرة (على الله ورسوله ماهو أعظم من هذا) الافتراء المروي عنهما فلا عبرة بهما (والعجب لسليم العقل) وفي نسخة لسليم القلب (يشغل بمثل هذه الحكاية سره) أي الا بارادة انه يريد بدفع شره

(كل صواب) أي ما أمليته وما قلته أنت من عندك وسيأتي ما فيه (وفي حديث آخر) أي في رواية أخرى لهذا الحديث رواها السدي (فيقول له النبي) صلى الله تعالى عليه وسلم وهو بين يديه (أكتب كذا) كناية عما يامره بكتابته (فيقول) أي ابن أبي سرج (له) صلى الله عليه وسلم (أكتب كذا فيقول) النبي صلى الله عليه وسلم (اكتب كيف شئت) يحتمل الخبر والاستفهام والظاهر الاول (يقول) النبي صلى الله عليه وسلم (اكتب عليما حكيما فيقول) أي ابن أبي سرح (اكتب) بدل هذا (سميعا بصيرا فيقول) صلى الله تعالى عليه وسلم (له) أي لابن أبي سرح (اكتب كيف شئت) وأردت كتابته وسيأتي ما فيه وتاويله على تقدير صحته (وفي الصحيح) أي في الحديث الذي رواه البخاري وتقدم ان الصحيح اذا أطلق يراد به كتابه وحديثه هذا مروي (عن أنس) رضي الله عنه (ان نصرانيا) قال البرهان لا أعرفه باسمه وفي مسلم أنه رجل من بني النجار (كان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم بعد ما يوحي اليه بعد ما أسلم ثم ارتد) عن الاسلام الى الكفر (وكان يقول) بعد ما ارتد (مايدري محمد الا ما كتبته له) يعني انه كان يكتب من نفسه ويزعم ان ما يقرؤه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كلامه ولم يزل لعنه الله على ردته حتى مات فدفنوه فلفظته الارض فقالوا هذا من فعل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأصحابه فحفروا وأعمقوا ودفنوه فلفظته ثانيا فقالوا مثل ذلك ثم وقع ذلك مرة ثالثة فعلموا انه فعل الله فتركوه كما فضحه الله (واعلم) أيها المريد للوقوف على الحق وظهوره (ثبتنا الله واياك على الحق) في هذه القصة وغيرها أي جعلنا ممن علم الحق وعرفه ولم يتغير عما هو عليه وفي هذا الدعاء مناسبة لما قبلها فان فيه ذكر من ارتد بعد اسلامه ممن لم يثبت على الحق بعد ما عاينه (ولا جعل للشيطان ولا) جعل (لتلبيسه) أي خلطه (الحق بالباطل الينا) أي لوصوله الينا (سبيلا) وطريقا يصل منه لنا أي بعده الله عن ساحتنا ولا سلطه علينا (ان مثل هذه الحكاية) أي حكاية ابن أبي سرح والكاتب النصراني (أولا) أي قبل النظر في معناها والبحث عن صحتها وأحوال رواتها (لا توقع في قلب مؤمن ريبا) أي شكا وترددا في حقيقة ما أوحي الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وان الشيطان لا يتسلط عليه (اذ هي حكاية عمن ارتد وكفر) بعد ايمانه يعني ابن أبي سرح والكاتب النصراني كما مر (ونحن) معاشر علماء الدين أو علماء الحديث (لا نقبل خبر المسلم المتهم) أي الذي جرح وطعن فيه المحدثون مما بينوه في باب الجرح والتعديل مع اسلامه وعلمه لا يقبل خبره لعدم عدالته (فكيف بكافر قد افترى هو ومثله) من الكفرة الفجرة أي اتصف بانه كاذب مفتر (على الله) بادعاء شريك وولد ونحوه (ورسله) عليهم السلام بنسبتهم بما لا يليق بمقامهم (ماهو أعظم من هذ) المذكور عنهما وكيف هنا للاستفهام الانكاري التعجبي نحو كيف تكفرون بالله والمصنفون يستعملونه للترقي من أمر لاعظم منه كما هنا (والعجب لسليم العقل) أي انه يتعجب ممن سلم عقله من الآفات والحماقة وشوائب الشك والالتباس (يشغل بمثل هذه الحكاية) يعني حكاية الكاتبين (سره) السر هو الامر

وقدصدرت من عدو كافر مبغض للدين) اسم فاعل من أبغض ضد أحب وروى منغص من التنغيص وهو التكدير وروى بالقاف من النقص (مفتر على الله ورسوله ولم ترو) أى هذه الحكاية (عن أحد من المسلمين ولاذكر أحد من الصحابة انه شاهد) لابرؤية ولا بسماع قضية (ماقاله وافتراه على نبي الله وانما) كان (حقه أن يقول) وقد قال تعالى (انما يفترى الكذب الذين لايؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون) فيه اقتباس من القرآن الكريم اشعارا بانه نزل ردا لقولهم انما يعلمه بشر وانه على الله مفتر (وما وقع من ذكرها فى حديث أنس) ولو فى الصحيح (وظاهر حكايتها) ولو بالتصريح (فليس فيه مايدل على انه) أى أنسا (شاهده) أى الحاكى حال اسلامه وفى نسخة شاهدها أى الحكاية أو القضية (ولعله حكى ماسمع) أى من غيره وهكذا بغير انتهاء أمره الى تحقيق سنده (وقد علل البزار حديثه ذلك) أى لذلك أو لعلة خفية قادحة فى اسناد ذكرهنالك (وقال) أى البزار (رواه ثابت) وفى نسخة عنه أى عن أنس (ولم يتابع عليه) بصيغة المجهول (ورواه حميد) أى الطويل الطول كان فى يده مات وهو قائم يصلى وثقوه على انه كان يدلس (عن أنس رضى الله تعالى عنه قال) أى البزار (وأظن حميدا انه سمعه من ثابت) أى فدلس وروى عن أنس (قال القاضى الامام) الظاهر انه المصنف ويؤيده انه فى نسخة قال القاضى أبو الفضل رحمه الله (ولهذا والله تعالى أعلم) لم يخرج أهل الصحيح وفى نسخة أهل الصحة (حديث ثابت ولا حميد) فيه بحث اذسبق ان حديثهما فى الصحيحين وكانه أراد غير هذا الحديث المتنازع فيه (والصحيح حديث عبد العزيز بن رفيع) وهو تابعى جليل ثقة روى عن ابن عباس وابن عمر وعنه شعبة وأبو بكر بن عياش توفى سنة ثلاث ومائة وأخرج له الائمة الستة

الخفى وأريد به هنا فكره أو قلبه ويشغل بزنة يعلم أى يجعله مشغولا وهذه جملة مستأنفة لبيان وجه التعجب (وقد صدرت من عدو كافر مبغض للدين) مبغض بوزن مصلح من البغض ضد المحبة وروى بتشديد الغين المعجمة وروى بنون وقاف وصاد مهملة من النقص ضد الزيادة (مفتر على الله ورسوله) لانه قال انه صلى الله تعالى عليه وسلم يقرأ قوله وان الله لم يوحه اليه وكل منهما كذب على كل منهما (ولم يرد عن أحد من المسلمين) انه روى ماذكر عن ابن أبى سرح والكاتب النصرانى ولم يصح أحد منهم ماقالاه ولم يثبت قولهما له صلى الله عليه وسلم ماذكر (ولاذكر أحد من الصحابة انه شاهد ماقاله) رسول الله صلى الله عليه وسلم لهما أوماقاله كل واحد منهما له (وافتراه على نبى الله) صلى الله عليه وسلم هذا يؤيد الثانى (وانما يفترى الكذب من لايؤمن بآيات الله) وفى نسخة الذين لايؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون حقيقة لعد كذبهم بالنسبة للكذب على الله ورسوله كالعدم فالفاحشة عنده الزور فكم من كذب يغتفر وحاصله ان مثله مما يشهد العقل بكذبه مما لاينبغى ذكره فانه مما يسود وجوه القراطيس بلافائدة وانما ذكره لازالة الشبهة عن العقول القاصرة وتبيين حاله فلا وجه للانكار على المصنف وايراده له بعدما بين مراده (وماوقع من ذكرها) أى ذكر هذه القصة فافرد لاستوائهما قالتيهما حتى صارتا أمرا واحدا (فى حديث أنس) المروى عنه (و) ماوقع من (ظاهر حكايته لها) بنقلها (فليس فيه) أى فى الحديث ونقله لغيره (مايدل على انه شاهدها) أى أبصرها وحضرها والشاهد عندهم ما يدل على صحة الحديث من روايته من طرق أخر تقويه كالمتابعة والفرق بينه وبين المتابعة مذكور فى مصطلح الحديث (ولعله) أى أنس رضى الله تعالى عنه (حكى ماسمع) من غير جزم به ولا قول بصحته وفى قوله ولعله اشارة الى انه متردد فيه أيضا (وقد علل البزار حديثه) أى حديث أنس رضى الله تعالى عنه (ذلك) المذكور فاشار الى أن فيه علة قادحة فى صحته (وقال) فى بيان ذلك انه (رواه ثابت عنه) أى عن أنس (ولم يتابع عليه) أى لم يرو من طريق آخر يعضده غير طريق ثابت عنه (ورواه حميد) بالتصغير (عن أنس) رضى الله تعالى عنه (قال) أى البزار (وأظن حميدا انما سمعه من ثابت) لامن طريق آخر فلا يكون متابعة وحميد هذا هو حميد بن عبد الرحمن وقيل غير ذلك وهو يروى عن أنس وغيره أو كان له طول فى يديه توفى وهو قائم يصلى سنة اثنين وأربعين ومائة وثقوه وقيل انه مدلس وأخرج له الستة ولايخفى ان حديثه الذى رواه المصنف أخرجه البخارى فقال انه كان رجل نصرانى أسلم وقرأ البقرة وآل عمران وكان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ارتد فانطلق هاربا حتى لحق باهل الكتاب فعجبوا به الحديث وهو حديث صحيح فرد المصنف له غير صحيح والذى ينبغى له أن يقول ان من قاله كذب وافترى ولايقدح فى أصل القصة وصحتها فانها مروية فى الصحيحين كما تقدم (قال القاضى أبو الفضل) عياض المؤلف رحمه الله تعالى (ولهذا) أى لما ذكر مما سمعته آنفا من انه لاشاهد له ولا متابعة (لم يخرج أهل الصحيح حديث ثابت ولا حميد والصحيح حديث عبد العزيز بن رفيع) وهو مما رواه البخارى ومسلم كما تقدم وأخرجه البخارى فى علامات النبوة عن أبى معمر عن

عن أنس الذى خرجه أهل الصحة) أى كلهم (وذكرناه) أى سابقا (وليس فيه عن أنس قول شئ من ذلك) أى مما حكى (من قبل نفسه فى جميع الروايات الامن حكايته عن المرتد النصرانى) على ماتقدم والله تعالى أعلم (ولو) وفى نسخة فلو (كانت) أى تلك الرواية أوالحكاية (صحيحة) أى فرضا وتقديرا (لما كان فيها) أى فى مضمونها (قدح) أى طعن له (ولاتوهيم) أى نسبة الى وهم وفى نسخة ولاتوهين أى نسبة الى وهن وضعف فى ضبطه (للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم فيما أوحى اليه) أى من عند ربه (ولاجواز للنسيان والغلط عليه والتحريف) أى الزيغ والميل (فيما بلغه) أى أوصله من الحق الى الخلق (ولاطعن فى نظم القرآن) أى لامن جهة مبانيه ولا من طريق معانيه (وانه من عند الله تعالى) أى العزيز الحميد (اذليس فيه) أى فيما قاله الكاتب (لوصح) أى قوله (أكثر من ان الكاتب قال له) أى للنبى عليه الصلاة والسلام (عليم حكيم أوكتبه) أى قبل أن يتم النبى عليه الصلاة والسلام كلامه وفى نسخة اذا كتبه (فقال له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كذلك هو) أى مثل ماقلته أو كتبته (فسبقه لسانه أوقلمه لكلمة أوكلمتين مما نزل على الرسول قبل اظهار الرسول لها) أى لتلك الكلمة (اذا كان ماتقدم مما أملاه الرسول يدل عليها) أو يشير اليها (ويقتضى وقوعها) أى فى محلها اللائق بها (بقوة قدرة الكاتب على الكلام) حيث كان من فصحاء الانام (ومعرفته به) أى بالكلام نظما ونثرا فى ترتيب المرام (وجودة حسه) أى ادراكه ودرايته (وفطنته) أى سرعة فهمه عند سماع روايته ونظير ذلك ماوقع لعمر رضى الله تعالى عنه فى موافقته حيث روى انه لما نزل قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين الآية فلما بلغ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فكسونا العظام لحما ثم أنشاناه خلقا آخر قال عمر رضى الله تعالى عنه فتبارك الله أحسن الخالقين فقال له النبى عليه الصلاة والسلام كذلك انزلت (كما يتفق ذلك للعارف) باساليب الكلام (اذا سمع البيت) من الشعر (ان يسبق) فهمه لقوته (الى قافيته) قبل التمام

عبدالوارث بن سعيد عن عبدالعزيز بن رفيع (عن أنس) وعبدالعزيز هذا توفى فى سنة ثلاث ومائة وقوله (الذى خرجه أهل الصحة) صفة حديث وأهل الصحة الذين يروون لاحاديث الصحيحة كالبخارى ومسلم (وذكرناه وليس فيه) أى فى الحديث المذكور فى هذه الرواية (عن أنس قول شئ من ذلك) الذى ذكره السائل من الطاعن (من قبل نفسه) بكسر القاف وفتح الموحدة أى لم يروفيه أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قاله من قبل نفسه لم يوح به اليه (الامن حكايته عن المرتد النصرانى) وهو مفتر على الله ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم وأماماقاله ابن أبى سرح فسياتى بيانه (ولوكانت) القصة (صحيحة) من جهة الرواية (لما كان فيها) أى فى هذه الحكاية التى افتراها النصرانى عدوالله المرتد (قدح) أى عيب ونقص فى مقام النبوة من قدح كمنع اذاطعن فيه (ولاتوهيم) أى نسبته الى الوهم بفتح الهاء وهو الغلط وبسكونها ذهاب الوهم لشئ كما فى الصحاح وفى بعض النسخ توهين بالنون من الوهن وهو الضعف أى نسبته لما يوهن جانبه مما لايرضى له (للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم فيما أوحى اليه) من ربه وليس مثله مما يعتريه (ولاجواز لنسيان والغلط عليه) فيما طريقه البلاغ من الوحى كما توهمه السائل (والتحريف) تفعيل من الانحراف وهو الميل عن الحق والمراد به التغيير والتبديل (فيما بلغه) عن الله تعالى (ولاطعن فى نظم القرآن) بان يقال انه أثبت فيه مالدس منه من كلام الكاتب الكاذب (و) لاطعن فى (انه من عندالله) وانه فيه مالدس منه بتبديل ألفاظه بغيرها (اذليس فيه) أى فيما قاله الكاتب (لوصح) ماقاله (أكثر من ان الكاتب) المذكور (قال له) صلى الله تعالى عليه وسلم (عليم حكيم) مثلا (أوكتبه) أى ماذكره ونحوه وهو يملى ويكتب مايلقيه لفهم خاتمة الكلام من ابتدائه على طريقة الارصاد البديعى وهو أن يورد نظما أونثرا يفهم آخره من أوله قبل تمامه (فقال له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كذلك هو) أى لفظ القرآن مثل ماقلت ومابدر لفهمك لذكائك الذى دلك على مقطع الكلام الدال عليه أوله (فسبقه لسانه أوقلمه) أى سبق النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لسان الكاتب أوقلمه لما سيمليه عليه وتوارد معه (لكلمة) واحدة مثل علم أوحكيم (أوكلمتين) كغفور رحيم لانتقاله من سياق الكلام لذلك (مما نزل على الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم) بالوحى الذى أملاه عليه (قبل اظهار الرسول لها) أى لخاتمة الكلام من كلمة أوكلمتين أوالضمير للكلمة ويعلم منه الكلمتان وماقدمناه أولى (اذا كان ماتقدم مما أملاه الرسول) صلى الله تعالى عليه وسلم بيان لما (يدل عليها) أى على الخاتمة والكلمة (ويقتضى وقوعها) فى آخره وخاتمته (بقوة قدرة الكاتب على الكلام) بيان لسبب سبقه وانه لكونه من صميم العرب الناشئين فى حجر البلاغة المرتضعين لثديها (ومعرفته به) أى بتبليغ الكلام نظما ونثرا وصياغته وصبه فى قالبه (وجودة حسه) المدرك له (وفطنته) أى سرعة انتقاله له قبل اتمامه (كما يتفق ذلك) الانتقال (للعارف) باساليب الكلام (اذا سمع البيت) من الشعر اذا أنشد (أن يسبق) فهمه لقوة ادراكه (الى قافيته)

(أومبتدأ الكلام) أى أو اذا سمع ابتداء الكلام (الحسن) فى النثر فانه يسبق طبعه (الى مايتم به) أى قبل تمام المرام كما فى وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون وفى ان أحسنتم أحسنتم لانفسكم وان أسأتم فلها (ولا يتفق ذلك) التوافق (فى جملة الكلام) أى مما تدل فاتحته على خاتمته (كما لا يتفق ذلك فى آية) أى كاملة (ولا سورة) أى شاملة (وكذلك) أى يؤول (قوله عليه الصلاة والسلام) لعبد الله ابن أبى سرح (كل صواب) أى كل ماقلته أو كتبته (ان صح سنده ويروى ان صحت أى أسانيده فقد يكون هذا فيما) كان (فيه من مقاطع الآى) أى رؤسها وموافقها ويروى الآيات (وجهان) أى جائزان فى صدر الاسلام (وقراءتان) أى متواترتان (أنزلتا جميعا على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) الاان احديهما صارت شاذة (فاملى احديهما وتوصل الكاتب بفطنته) ببركة صحبته وانعكاس مرآته (ومعرفته بمقتضى الكلام) ومايتعلق بفصاحته وبلاغته (الى الاخرى) أى قبل ذكر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لها كما فى نسخة (فذكرها) أى الكاتب (للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم قبل ذكره لها) كما قدمناه على مايشير اليه قوله تعالى يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار نور على نور عند ظهور الايمان يهدى الله لنوره من يشاء كعمر ويضل من يشاء كابن أبى سرح ويضرب الله الامثال للناس ومن لم يجعل الله له نورا فماله من نور بل له نار فى غاية من ظهور الامور ومخبوءة تحت حجب ظلال وستور (فصوبها) أى القراءة الاخرى (له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) بحسب الموافقة (ثم أحكم الله من ذلك) أى مما ذكر من عليم حكيم بدل غفور رحيم ونحوه مما تقدم هنالك (ما أحكم) أى أثبته (ونسخ مانسخ) أى ازاله لحكمة اقتضت هنالك كقوله تعالى الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما وقوله وبلغوا عنا انا لقينا ربنا فرضى عنا نزل فيمن قتل ببئر معونة من القراء ثم نسخ (كما قد وجد ذلك) الاختلاف الآن أيضا (فى بعض مقاطع الآى مثل قوله

أى آخر كلمة منه قبل الوصول اليها (أو) اذا سمع (مبتدأ الكلام) وأوله (الحسن) أى الفصيح المنسجم وقيده به لانه هو يرتبط بعضه ببعض وتتجاذب كلماته فتتعانق وتتلازم بخلاف المتنافر كلماته (الى مايتم به) من خواتمه (ولا يتفق) أى يقع اتفاقا (ذلك) أى سبق الفهم من أول كلام الى آخره (فى جملة الكلام) أى لايقع ذلك فى الكلام بتمامه بان يسبق فهمه الى خطبة أو قصيدة بتمامها فان التوارد فى مثله بعيد جدا كما وقع للصدر ابن الوكيل مع ابن اسرائيل لما ادعى قصيدة له وتحاكما فيها عند ابن الفارض فحكم بها للصدر فقال قائل انه من وقع الحافر على الحافر فقال وقع الحافر على الحافر من الاول الى الآخر فى القصة المشهورة وقيل مراده بجملة الكلام انه ليس كل كلام تدل فاتحته على خاتمته والظاهر الاول لقوله (كما لا يتفق ذلك فى آية ولا سورة) بتمامها من الآيات والسور ثم شرع فى الجواب عن قصة ابن أبى سرح بعدما أجاب عن قصة النصرانى وقدمها لصحتها وظهور جوابها فقال (وكذلك) أى مثل هذه القصة (قوله صلى الله تعالى عليه وسلم) فيما تقدم فى قصة ابن أبى سرح لما قال بعد ردته كنت أصرف محمدا حيث أريد كان يملى على عزيز حكيم فاقول أو عليم حكيم (ان صح) انه كان يقول ذلك (كل صواب) مما أمليته وقلته انت (فقد يكون هذا) الذى وقع له مع ابن أبى سرح (فيما كان فيه من مقاطع الآى) جمع آية وفى نسخة الآيات وضمير فيه لما أوحى اليه من القرآن والمقاطع جمع مقطع وهو آخر الكلام وفواصله (وجهان وقراءتان) علمهما النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بالوحى فاملى عليه احديهما وذكر الكاتب الاخرى فلهذا قال له صلى الله تعالى عليه وسلم كل صواب لانهما (أنزلتا جميعا على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فاملى) صلى الله تعالى عليه وسلم (احديهما) على ذلك الكاتب (وتوصل الكاتب) المذكور لما ذكره (بفطنته ومعرفته) باساليب البلاغة (بمقتضى الكلام) أى بما يقتضيه مقامه ويدل عليه سياقه (الى) القراءة (الاخرى) التى ذكرها الكاتب ظانا انه ابتكرها (فذكرها للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم) أى القراءة الاخرى ذكرها كاتبه تواردامن حيث الغريزة على نظم القرآن النازل على أساليب كلامهم فتوهم ان الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم قرأ كلامه وقوله (قبل ذكر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لها) أى لتلك الكلمة أو الكلمتين (فصوبها) له أى قال له انها صواب لموافقته لما أوحى اليه وهى مقدار لا اعجاز فيه (ثم أحكم الله من ذلك) الذى أنزله على رسوله صلى الله عليه وسلم فاملاه عليه (ما أحكم) أى أثبته وأتقنه (ونسخ مانسخ) أى ما أراد نسخه لفظا ومعنى لامعنى وعكسه كما فصل فى كتاب الناسخ والمنسوخ وحاصله ان ماقاله ابن أبى سرح لاضير فيه فانه سبق النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الكلمات وافق فيها لفظه لفظ القرآن فصوبه النبى صلى الله عليه وسلم وأقره عليها فلما ارتد وأضله الله قال ماقال ثم أسلم عام الفتح وحسن باسلامه حاله بعد ذلك ومحا الله تعالى عنه ما افتراه حال ردته سواء كان ماقاله موافقا لما أملاه عليه أو مخالفا له على انه قراءة أخرى وقد تتخالف القراآت لفظا أو معنى وانما الممنوع فيها التناقض (كما قد وجد ذلك) أى تخالف القراآت (فى بعض مقاطع الآى) وهى فواصلها وأواخرها التى هى فى النثر كالقوافى فى الشعر (مثل قوله تعالى) حكاية عن

ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز) أى القوى القادر على ثوابهم وعقابهم (الحكيم) فى ارادته من تعذيبه واثابته (وهذه قراءة الجمهور) وهم السبعة أو العشرة (وقد قرأ جماعة) أى بطريق شاذة (فانك انت الغفور الرحيم وليست) أى هذه الجملة (فى المصحف وفى نسخة) من المصحف أى فهى متلوة لامكتوبة ولذا صارت شاذة (وكذلك كلمات جاءت على وجهين فى غير المقاطع) بل فى أثناء الآى من المواضع (قرأ بهما معا) أى كليهما (الجمهور وثبتتا فى المصحف) أى فى مصحف الامام أو جنس المصاحف العثمانية (مثل وانظر الى العظام) أى عظام الحمار (كيف ننشرها) بالراء وهى قراءة نافع وابن كثير وأبى عمرو أى نحييها (وننشزها) بالزاى فى قراءة الباقين أى نحركها ونرفع بعضها الى بعض فى تركيبها (ويقض الحق) بضاد معجمة مكسورة فى قراءة أبى عمرو وابن عامر وحمزة والكسائى وحذف ياؤه فى الرسم على خلاف القياس تنزيلا للوقف منزلة الوصل أى يقضى القضاء الحق (ويقص الحق) بضم صاد مهملة مشددة أى يتبعه ويحكيه ويأمر به (وكل هذا) أى ماذكر من الخلاف فى القراءة أو الرواية (لايوجب ريبا) يورث شبهة (ولايسبب) بتشديد الباء الاولى مكسورة أى لايصير سببا وفى نسخة صحيحة لاينسب (للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم غلطا) أى سهوا (ولاوهما) بفتح الهاء وسكونها أى توهما (وقد قيل ان هذا) أى قول ابن أبى سرح لقريش بعد ردته كنت أصرف محمدا كيف أريد (يحتمل ان يكون فيما يكتبه) أى فيما كان يكتبه مكاتيب (عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) أى على لسانه (الى الناس) أى من الملوك وغيرهم (غير القرآن فيصف) أى ابن أبى سرح (الله سبحانه وتعالى بصفات تليق به) من سميع بصير وعليم خبير وعليم حكيم وغفور رحيم حسب مايوافق سجع الكلام ووفق المرام (ويسميه فى ذلك الكتاب) أى المكتوب (كيف شاء) على نهج المطلوب ويروى بما شاء وكثيرا مايقع مثل ذلك الاختلاف بين المملى والمملى عليه ثم يحصل الائتلاف

عيسى عليه الصلاة والسلام (ان تعذبهم فانهم عبادك) تفعل بهم ماتريد (وان تغفر لهم) ذنوبهم وعصيانهم (فانك انت العزيز) القوى القادر على الثواب والعقاب (الحكيم) أى الواقع جميع أفعاله على مقتضى الحكمة لايسئل عما يفعل بحكمته البالغة وان لم يظهر لنا وجهه (وهذه) القراءة (قراءة الجمهور) أى أكثر القراء وهى القراءة المتواترة وقد يتوهم فى بادى النظر ان المناسب للمغفرة الغفور الرحيم بدل العزيز الحكيم (وقد قرأ جماعة) من الصحابة فى الشواذ (فانك انت الغفور الرحيم) بدل قوله فانك انت العزيز الحكيم القراءة المتواترة (وليست هذه) القراءة الشاذة (فى المصحف) العثمانى المسمى بالامام المجمع على القراءة بمافيه وترك ماعداه وظن بعضهم ان القراءة الشاذة هى المناسبة هنا وليس لهذا وجه لمن له معرفة بدقائق البلاغة فان المعنى انك ان غفرت ذنوبهم فليس ذلك عن عجز لانك عزيز غالب على كل من سواك ولاقبح فى فعلك لانك حكيم ولو قال انك انت الغفور الرحيم أوهم الدعاء بالمغفرة لمن مات مشركا وهو غير مستقيم أى ان تبقهم على كفرهم حتى يموتوا وتعذبهم فانهم عبادك وان هديتهم لطاعتك وتغفر لهم فانت العزيز الذى لايمنع عما أراده والحكيم فى أفعاله فيضل من يشاء ويهدى من يشاء فلاوجه للطعن فيها بعدم المناسبة وقال ابن الانبارى هذا والمناسب لان الغفور الرحيم ينفرد بالشرط الثانى والعزيز الحكيم يتعلق بالشرطين أى ان تعذبهم أو تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم فى الامرين التعذيب والمغفرة فهو أليق فتدبر (وكذلك) وقع فى القرآن (كلمات جاءت على وجهين) متواترين (فى غير المقاطع) والاواخر كما جاء فى المقاطع (قرأ بهما الجمهور) من القراء العشرة المتفق على قراءتهم (وثبتتا) أى القراءة بالوجهين (فى المصحف) العثمانى المعمول برسمه (مثل) قوله تعالى (وانظر الى العظام) جمع عظم أى عظم الحمار أو عظم الموتى التى عجب من احيائها (كيف ننشرها) براء مهملة من النشر أى نحييها وبه قرأ أبو عمرو وغيره (وننشزها) بزاى معجمة بقراءة نافع وغيره أى نحركها ونرفع بعضها على بعض من النشز بمعنى المرتفع (و) مثل قوله تعالى (يقضى الحق) بضاد معجمة وتحتية فى قراءة أبى عمرو وغيره أى يقضى القضاء الحق فى كل مايقضيه (ويقص) بصاد مهملة مشددة فى قراءة نافع وغيره أى يتبع الحق فيما يحكم به ويقدره (وكل هذا) المذكور فى هذا الفصل (لايوجب) أى لايستلزم ولايقتضى (ريبا) أى شبهة (ولايسبب) بصيغة المضارع أى يكون سببا (له صلى الله تعالى عليه وسلم غلطا) ينسب اليه فيما طريقه البلاغ (ولاوهما) بسكون الهاء بمعنى الغلط فهو عطف تفسير وقيل انه بفتحها من وهم يهم اذا ذهب وهمه اليه وفيه نظر (وقد قيل ان هذا) الذى وقع فى قصة الكاتبين (يحتمل ان يكون فيما يكتبه عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) فى مكاتبته (الى الناس) يدعوهم الى الاسلام ملوكا وغيرهم (غير القرآن فيصف) له فيه ان (يصف الله تعالى عز وجل) هو أو يأذن لكاتبه فى ذلك (ويسميه فى ذلك الكتاب) الذى يكتبه لانه ليس قرآنا يجب اتباع نظمه (كيف شاء) باى لفظ

(فصل هذا القول) أى الذى تقدم (فيما طريقه البلاغ) أى التبليغ فى باب الرسالة (وأما ما ليس سبيله سبيل البلاغ من الاخبار التى لا مستند لها الى الاحكام) المتعلقة بالامور الدنيوية فى حسن المعاش وتحسين الزاد (ولا اخبار المعاد) بفتح الميم أى أحاديث الاحوال الاخروية فى أبد الآباد (ولا تضاف الى وحى) أى الهى جلى أو خفى (بل فى أمور الدنيا) أى ليس لها تعلق بالاخرى (وأحوال نفسه) أى من حكاية غده وأمسه (فالذى يجب) أى اعتقاده كما فى نسخة (تنزيه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) أى تبرئته (عن ان يقع خبره) أى حديثه (فى شئ من ذلك) أى مما قدمناه ذلك (بخلاف مخبره) بضم الميم وفتح الموحدة أى بضد ما أخبر به (لا عمدا ولا سهوا) أى نسيانا (ولا غلطا) أى خطا (وانه معصوم من ذلك) أى من جميع ما ذكر (فى حال رضاه وسخطه) بفتحتين وبضم فسكون أى كراهته وغضبه (وجده) بكسر الجيم وهو ضد الهزل (ومزحه) فانه كان يمزح ولا يقول الا حقا ومنه قوله لامرأة لا تدخل الجنة عجوز (وصحته ومرضه) أى لسلامة قلبه وصحة لسانه (ودليل ذلك) أى ما ذكر (اتفاق السلف) أى الصحابة والتابعين (واجماعهم عليه) أى على انه لا يصدر شئ منه بخلاف اخباره عنه (وذلك) أى بيانه (انا نعلم من دين الصحابة) أى ديدنهم (وعادتهم مبادرتهم) أى مسارعتهم (الى تصديق جميع أحواله) أى افعاله واقواله (والثقة) أى الاعتماد (بجميع أخباره) أى أحاديثه وآثاره (فى أى باب كانت) من اطواره (وعن أى شئ) وفى نسخة وفى أى شئ (وقعت) أى اخباره (وانه) أى الشان وفى نسخة صحيحة وانهم (لم يكن لهم توقف) أى تلبث وتمكث (ولا تردد فى شئ منها) أى من صحة أقواله وأفعاله وثبوت أحواله (ولا استثبات) أى ولا طلب ثبات نشأ عن تردد بعد نقل ثقاة (عن حاله

كان مما يليق به كما مر ولذا قال صلى الله تعالى عليه وسلم له اكتب كيف شئت وكل صواب

(فصل هذا القول) المذكور فى هذا الفصل الذى قبل هذا من الوحى عن ربه واقع (فيما طريقه البلاغ) أى تبليغ الناس ما أمر بتبليغه عن ربه بالوحى (وأما ما ليس سبيله سبيل البلاغ) مما أمر ببيانه (من الاخبار) بيان لما الثانية وهو بفتح الهمزة جمع خبر (التى لا مستند) أى لا استناد (لها الى الاحكام) الشرعية التى يتعبد بها (ولا) مستند لها (الى أخبار المعاد) بفتح الميم أى أحوال القيامة والآخرة التى لا تعلم الا بالوحى (ولا تضاف) أى تسند وتنسب (الى وحى) أى أمر أوحى به اليه من ربه كاخباره عن بعض المغيبات ونحوها مما يقول انه أوحى به اليه (بل) اضراب انتقالى لبيان ما ليس طريقه البلاغ وليس من الاحكام واخبار المعاد والوحى مما وقع ذكره (فى أحوال الدنيا) وفى نسخة أمور الدنيا (وأحوال نفسه) صلى الله تعالى عليه وسلم المتعلقة بامور نفسه (فالذى يجب) شرعا علينا (اعتقاده) والجزم به (تنزيهه) صلى الله تعالى عليه وسلم وتبرئته (عن ان يقع خبره) الذى أخبر به (فى شئ من ذلك) المذكور من أحوال الدنيا وأحوال نفسه وذاته متلبسا (بخلاف مخبره) بضم الميم وفتح الباء اسم مفعول أى غير مطابق لما أخبر عنه بوجه ما (لا عمدا) لانه يكون كذبا لا يليق بمقامه صلى الله تعالى عليه وسلم (ولا سهوا ولا غلطا) لاعتقاد ما ليس بواقع واقعا (وأنه) بفتح الهمزة معطوف على تنزيهه (معصوم من ذلك) حفظه الله عن صدوره منه فى جميع أحواله (فى حال رضاه) أى كونه غير غضبان ولا مكره على اخباره (وفى حال سخطه) بفتحتين أو بضم فسكون أى كراهته وعدم رضاه (وجدته) بكسر الجيم وهو ضد الهزل والمزح الذى أشار اليه بقوله (ومزحه) أى مزاحه وهزله فانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يمزح أحيانا ولا يقول الا حقا (و) فى حال (صحته) أى صحة مزاجه وسلامته من الامراض (ومرضه) أى عروض بعض الامراض البشرية عليه (ودليل ذلك) المذكور من عصمته فى جميع أخباره وجميع أحواله (اتفاق السلف) أى من تقدم عصره من هذه الامة (واجماعهم عليه) أى على انه لا يصدر عنه خبر بخلاف مخبره أصلا (وذلك انا نعلم) يقينا (من دين الصحابة) رضى الله تعالى عنهم والدين اما بمعنى الديانة أو بمعنى العادة بقوله (وعادتهم) عطف تفسير أى دأبهم الذى استمروا عليه أو الدين بمعنى الطاعة والانقياد له (مبادرتهم) أى اسراعهم من غير توقف وتردد وفى نسخة مبادرين فهو حال مما قبله أى مسارعين (الى تصديقه صلى الله تعالى عليه وسلم) بقبول ما يقوله (فى جميع أحواله) السابقة من جده وما بعده (والثقة) أى الوثوق والاعتماد لتصديقهم (بجميع أخباره فى أى باب) أى نوع من الانواع (كانت) أخباره (وأى شئ) وفى نسخة وعن أى شئ (وقعت) وصدرت منه وبأى سبب فى أى حال من أحواله (وانه) أى الامر والشان (لم يكن لهم توقف) تفعل من الوقوف أريد به الشك والريبة (ولا تردد) هو أيضا حقيقة عرفية فى الشك وعدم الوثوق (فى شئ منها) أى من أخباره بل بمجرد السماع يجزمون بتحقق خبره كأنهم عاينوه فيتلقوه بالقبول وانشراح الصدر (ولا استثبات عن حاله) أى حال خبره أو عن أحواله صلى الله عليه وسلم فى أخباره والاستثبات بسين مهملة

ومثناة فوقية ومثلثة وموحدة ومثناة مجرورة وهو طلب الثبوت بسؤال ونحوه (عند ذلك) أى فى زمان اخباره فلا يخطر ببالهم ولا يقولون (هل وقع فيها سهو أم لا) أى هل صدر اخباره سهوا منه أم عمدا وغيره وهذا بيان لاستثباتهم وهذا دليل على انه لم يقع منه ذلك وأما عدم جوازه عليه وان كنا نعتقده أيضا فليس بمراد فلا وجه لما قيل من انه انما يدل على عدم الوقوع لا على عدم الجواز فللقائل به أن يطالب الدليل على امتناعه (ولما احتج) أى تمسك واستدل (ابن أبى الحقيق) بصيغة التصغير علم لهذا الشخص (اليهودى) وبنو الحقيق طائفة من يهود خيبر له بها حصن منهم كنانة بن الربيع ابن أبى الحقيق زوج صفية بنت حيى بن أخطب أم المؤمنين رضى الله تعالى عنها وله قصة فى السير وليس هو هذا لانه قتل فى زمنه صلى الله تعالى عليه وسلم وأما هذا فلم يذكروا اسمه وهذا الحديث رواه البخارى فى حديث اجلاء يهودى خيبر (على عمر) بن الخطاب رضى الله تعالى عنه متعلق باحتج ويحتمل ان يريد بابن أبى الحقيق جماعتهم كابن آدم للناس لقوله (حين اجلاهم من خيبر) أى أخرجهم وطردهم فى زمن خلافته رضى الله تعالى عنه وهى بلاد بقرب المدينة لليهود علم ممنوع من الصرف والجار متعلق باجلاهم (باقرار) أى جعلهم قارين فيها ساكنين من غير اخراج لهم من (رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لهم) أى لبنى الحقيق متعلق باقرار فجعل فعله صلى الله تعالى عليه وسلم حجة على عمر رضى الله تعالى عنه (واحتج عليه عمر رضى الله عنه) أى اقام الحجة عليه رد الما احتج به (بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم) لذلك اليهودى من بنى الحقيق (فكيف بك اذا أخرجت من بلادك) أى فى أى حال تكون اذا وقع بك ما يصيبك واجتليت من بلادك ونفيت منها فهذا يدل على عدم دوام اقرارهم كما ظن فهو متضمن لخبر صادق منه (فقال له) أى لعمر رضى الله عنه (اليهودى) المذكور رد الما احتج به (كانت) مقالته صلى الله تعالى عليه وسلم كيف بك الى آخره (هزيلة) تصغير هزلة وهى المرة من الهزل ضد الجد كما فى النهاية (من أبى القاسم) هى كنيته صلى الله تعالى عليه وسلم كأبى ابراهيم أى انما قال هذا على طريق الهزل والمزح فلا دليل فيه (فقال) عمر رضى الله تعالى عنه مجيبا (له كذبت يا عدو الله) أى لم يقل صلى الله تعالى عليه وسلم ذلك هزلا ولو كان مزحا أيضا فهو لا يمزح الا بحق وذلك العدو معتقد خلاف ذلك عنادا منه وجهلا بمقام النبوة وتحقيرا له لعنه الله تعالى والصحابة لا يقولون بشئ من ذلك وهذا الحديث رواه الشيخان عن ابن عمر مفصلا فى خطبة لعمر رضى الله تعالى عنه وكان صلى الله تعالى عليه وسلم أقرهم بها على أن يكون ثمارها بينه وبينهم ثم أقرهم أبو بكر رضى الله تعالى عنه على ما أقرهم عليه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم أقرهم عمر رضى الله تعالى عنه فى أول خلافته على ذلك ثم لما ظهر له غدرهم بابن عمر اجلاهم منها وأعطاهم قيمة ما لهم من الثمار والاموال وأخرجهم لتيماء واريحاء من جانب الشام لحديث لا يجتمع بجزيرة العرب دينان كما فصل فى السير والبخارى وشروحه وكانت محاجة اليهودى له عند ذلك كما تقرر (وأيضا) أى مثل ما ذكر فى الدلالة على عصمته صلى الله تعالى عليه وسلم فى جميع أخباره (فان أخباره) المروية عنه صلى الله تعالى عليه وسلم (وآثاره) جمع أثر بمعنى خبر يؤثر وينقل عنه (وسيرة) جمع سيرة وهى الصفة الحميدة (وشمائله) جمع شمال بكسر الشين وهى صفاته الذاتية الحسنة (معتنى بها) نقلا وحفظا اسم مفعول من العناية بمعنى الاشتغال والاهتمام (مستقصى) أى مستوفاة متممة من أولها الى آخرها وأقصاها (بتفاصيلها) أى مفصلة

عندذلك هل وقع فيها سهو اولا) الكمال متابعتهم فى أقواله وموافقتهم لافعاله حتى ورد انه عليه الصلاة والسلام لما خلع نعله فى الصلاة ورمى بها خلعوا نعالهم ورموا بها وكذلك فى طرح الخاتم تبعا له صلى الله تعالى عليه وسلم (ولما احتج ابن أبى الحقيق) بضم المهملة وفتح القاف الاولى وسكون التحتية (اليهودى) من يهود خيبر و(على عمر) فيما رواه البخارى فى حديث اجلاء يهود خيبر (حين اجلاهم) أى أخرجهم عمر (من خيبر) وهو وطنهم ويروى عن خيبر (باقرار رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) متعلق باحتج أى استدل اليهودى بتقريره عليه الصلاة والسلام (لهم) فى ابقائهم فيها (واحتج عليه عمر بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم) أى لابن أبى الحقيق (كيف بك اذا أخرجت من خيبر) بصيغة المجهول المخاطب (فقال اليهودى كانت) أى مقالته عليه الصلاة والسلام (هزيلة) تصغير هزلة وهى المرة من الهزل (من أبى القاسم) كنيته عليه الصلاة والسلام بابنه القاسم (قال له عمر كذبت يا عدو الله) وانما كذبه لنسبته له عليه الصلاة والسلام لما لا يليق به من الهزل وللاشارة الى ان كلامه كله قول فصل وما هو بالهزل فانه كان اخبارا عما سيقع من عزة الاسلام وقوة الاحكام فيكون معجزة جزيلة مبينة لا هزيلة رذيلة (وأيضا فان اخباره وآثاره) أى من أقواله وأفعاله (وسيره) أى سائر أحواله (وشمائله) جمع شمال بالكسر وهو الخلق أى الجبلة من صفات كماله ونعوت جماله (معتنى) أى متهم (بها) وهو بصيغة المجهول وكذا (مستقصى) أو مستوفى (تفاصيلها

ولم يرد) أى وما ورد (فى شئ منها) أى من أقواله وشمائل أحواله (استدراكه صلى الله تعالى عليه وسلم لغلط فى قول قاله أو اعترافه بوهم) أى بوقوع سهو (فى شئ أخبر به ولو كان ذلك) أى ما ذكر من الغلط والوهم واقعا (لنقل) أى الينا (كما نقل) على ما رواه مسلم عن طلحة وأنس ورافع بن خديج (من قصة رجوعه عليه الصلاة والسلام) وفى نسخة فى قصته عليه الصلاة والسلام ورجوعه (عن ما أشار به على الانصار فى تلقيح النخل) أى تأبيرها وهو جعل شئ من النخل الذكر فى الانثى وذلك انه مر بهم وهم يلقحونها فسألهم عن ذلك فاخبروه فقال لعلكم لولم تفعلوا لكان خيرا فتركوا فلم تثمر على العادة فقال لهم أنتم أعلم بدنياكم وقال انما أنا بشر اذا أمرتكم بشئ من دينكم فخذوا به واذا أمرتكم بشئ من رأيى فانما أنا بشر (وكان ذلك) أى قوله عليه الصلاة والسلام للانصار (رأيا) أى من نفسه (لاخبرا) عن وحى من ربه ومن ثمه قال أنتم أعلم بدنياكم وفيه تنبيه نبيه على انه لا يشترط فى حق أرباب النبوة العصمة عن الخطا فى الامور الدنيوية التى لا تعلق لها بالاحكام الدينية والاحوال الاخروية لتعلق هممهم العليا بعلوم العقبى وغيرهم يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا (وغير ذلك من الامور التى ليست من هذا الباب) أى باب تنزيهه عليه الصلاة والسلام عن ان يقع خبره خلاف مخبره وفى فصل الخطاب (كقوله) فيما رواه الشيخان عن أبى موسى الاشعرى قال أرسلنى أصحابى الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اساله الحملان الى غزوة تبوك فقال والله وفى نسخة زيادة انى لا احملكم وما عندى ما احملكم عليه ثم أتى صلى الله تعالى عليه وسلم بذود غر الذرى فاعطاه اياها فقال تغفلنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يمينه فرجع اليه فاخبره فقال ما أنا حملتكم ولكن الله حملكم (والله لا أحلف على يمين) أى على عقد وعزم ونية قال انطاكى أى على شئ مما يحلف عليه وسمى المحلوف عليه يمينا لتلبسه باليمين

مبينة كلها (ولم يرد) عنه (فى شئ منها) أى من الاخبار والآثار والسير (استدراكه) أى تداركه صلى الله تعالى عليه وسلم بالرجوع عما افرط منه للصواب فيه (لغلط فى قول قاله) فيما ذكر من الاخبار وغيرها (أو اعترافه) واقراره (بوهم) أى غلط (فى شئ أخبر به) أحدا من أصحابه (ولو كان) أى وقع منه شئ من (ذلك لنقل) الينا (كما نقل) فيما رواه مسلم عن طلحة وأنس وغيرهما (فى قصة رجوعه صلى الله تعالى عليه وسلم) أى تحوله عن رأيه لغيره (عما أشار به على الانصار فى تلقيح النخل) التلقيح والتأبير جعل شئ من طلع الذكر فى الانثى لتحصيل ثمرها وبلحها وهو بمنزلة النطفة للحمل جرت العادة بحكمة الهية انها لا تثمر بدونه وكان صلى الله تعالى عليه وسلم مر بهم وهم يفعلون ذلك فسألهم عنه فاخبروه فقال لهم دعوه فتركوه امتثالا له صلى الله تعالى عليه وسلم فلم يثمر نخلهم فى ذلك العام فلما أخبروه بذلك قال لهم أنتم أعرف بدنياكم فعدم معرفته صلى الله تعالى عليه وسلم بامر من هذه الامور لا ينافى عصمته وانه لا يخبر بما يخالف الواقع لان جل همته صلى الله تعالى عليه وسلم أمور الآخرة والشرائع وقوانينها وغيره انما جل قصده العلم بظاهر من الحياة الدنيا وهذه القصة رواها مسلم كما علمت بسند صحيح وفيه ان ثمرها اخرج شيصا وهو البسر الذى لا نوى له وقال المصنف هو ردى البسر الذى اذا يبس صار حشفا (وكان ذلك) الامر الذى أشار عليهم به النبى صلى الله عليه وسلم بقوله لولم تفعلوا كان خيرا (رأيا) أشار به عليهم بناء على دأبه صلى الله تعالى عليه وسلم فى ترك الاسباب الظاهرة والنظر لمسببها كما هو دأب الكمل ولو كان اعتقادهم واعتمادهم على الله مثله صلى الله تعالى عليه وسلم لم يتخلف ذلك ولذا فوض لهم صلى الله تعالى عليه وسلم أمر دنياهم نظرا لقلوبهم (لاخبرا) أخبرهم به يكون وقوع خلافه كذبا حماه الله منه ولا غلط فيه لانه اجتهاد تغير بحسب الظاهر فلا نقص ولا يطعن به عليه وفيه أنشدوا

ان الرسول لسان الحق للبشر * بالامر والنهى والاعلام والخبر
هم أذكياء ولكن لا يصدقهم * ذاك الذكاء لما فيه من الضرر
ألا تراهم لتأبير النخيل وما * قد كان فيه على ما فيه من ضرر
هم سالمون من الافكار ان شرعوا * حكما بحل وتحريم على البشر

(وغير ذلك) مما صدر منه صلى الله تعالى عليه وسلم (من الامور التى ليست من هذا الباب) مما ينزه عن الاخبار فيه بما يخالف مخبره من أمر الشرع والمعاد (كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم) فى حديث رواه الشيخان عن أبى موسى الاشعرى رضى الله تعالى عنه فى غزوة تبوك لما ساله صلى الله تعالى عليه وسلم بعض الصحابة أن يحملهم فقال والله ما عندى ما أحملكم عليه فاتى بعد ذلك بابل فاعطاها السائل وقال ما أنا حملتكم ولكن الله تعالى حملكم ثم قال (والله انى لا أحلف) أى أقسم (على يمين) المراد باليمين المستعمل بمعنى القسم هنا والمراد المقسم عليه من فعل أو ترك قال الزمخشرى سمى المحلوف عليه يمينا لتلبسه به وأصله العقد بنية وعزم وأكده اشارة الى انه ليس لغوا لا ينعقد وأصل اليمين اليد اليمنى

(فارى غيرها) أى فعل غير المحلوف عليه يعنى فاعلم ان تركها (خيرامنها) أى من بقائها (الافعلت الذى حلفت عليه) كترك جلائهم

(وكفرت عن يمينى وقوله) فيمارواه الشيخان عن أم سلمة (انكم تختصمون الى الحديث) تمامه ولعل بعضكم الحن بحجته من بعض فن اقتطعت له من حق أخيه شيافكانما اقتطع له قطعة من النار (وقوله عليه الصلاة والسلام) فيما رواه الائمة الستة عن الزبير من أمره عليه الصلاة والسلام للزبير ابن العوام ان يسقى نخله ولا يستوعب ثم يرسل الماء الى جاره من الانصار فقال الانصارى ان كان ابن عمتك فقال صلى الله تعالى عليه وسلم (اسق) بفتح الهمزة (يازبير) أى نخلتك أوحديقتك (حتى يبلغ الماء الجدر) بفتح الجيم وكسرها وسكون الدال المهملة وبالراء لغة فى الجدار والمراد ههنا أصل الحائط كما ذكره النووى وقيل أصول الشجر وقيل جدر المشارب التى يجتمع فيها الماء فى أصول الشجر وفى نسخة الجدر بضمتين وهو جمع الجدار فاستوعب له عليه الصلاة والسلام بعد ان أمره ان يسقى بدون استيعاب رعاية لجاره (كما سنبين كل مافى هذا) أى الذى ذكرناه (من مشكل فى هذا الباب والذى بعده ان شاء الله تعالى مع أشباهها) أى نظائرها وطول

مماوقع فى هذا الكتاب ويروى مع أشباههما (وأيضا فان الكذب متى عرف) أى صدوره (من أحد فى شئ من الاخبار) ولوجزئيا وهو بفتح الهمزة ويروى فى شئ واخبار فهو بكسر الهمزة (بخلاف ماهو) متعلق بعرف حال من ضميره

فسمى به لانهم كانوا يتيماسكون بها اذا حلفوا (فارى غيرها) أى اعلم غير اليمين المحلوف عليها واليمين مؤنث بجميع معانيها فكنى بضميرها عن المحلوف عليه أعنى تركه صلى الله تعالى عليه وسلم حملا لهم لانه سببها (خيرامنها) أى أحسن من فعلها (الافعلت الذى حلفت عليه) أى الامر الذى أقسم على ان لا يفعله كترك حملانهم هنا (وكفرت عن يمينى) بكفارته المعروفة شرعا وليس هذا بغلط فيما طريقه البلاغ ولا خبر لانه انشاء قسم قال أبو موسى رضى الله تعالى عنه وكان صلى الله تعالى عليه وسلم لما حلف ان لا يحملنا ثم أرسل الينا وحملنا فقلنا نسى ما أقسم عليه والله لئن فعلنا ما فيه حنث له صلى الله تعالى عليه وسلم لا نفلح فلنذكره فرجعنا وذكرنا ذلك فقال انطلقوا انما حملكم الله ثم قال والله لا أحلف على يمين الى آخره وبه استدل على ان الحنث بماهو خير يستحب وليس فيه انه حنث فى هذه اليمين وكفر لانه يحتمل انه لم يكن عنده ما يحملهم عليه لما اقسم ويحتمل انه قال ان شاء الله (و) من هذا القبيل (قوله) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه الشيخان عن أم سلمة رضى الله تعالى عنها (انكم) معاشر الامة (لتختصمون) أى تأتون لفصل الخصومة (الى) أى عندى اقرأ (الحديث) الى آخره وتمامه ولعل بعضكم الحن بحجته من بعض أى أفصح فاقضى له على نحو ما أسمع منه فمن اقتطعت له من أخيه شيأ أى ليس حقه فلا يأخذه فكأنما اقتطع له قطعة من النار فليحملها أو يذرها وفيه تنبيه على بشريته صلى الله تعالى عليه وسلم وانه لا يعلم الغيب وانما يحكم بالظاهر وقد كان له صلى الله تعالى عليه وسلم الحكم بالباطن لاطلاع الله له عليه كما ذكره السيوطى ولكن هذا أغلب أحواله صلى الله تعالى عليه وسلم تعليما للامة حتى يقتدوا به (وقوله) صلى الله تعالى عليه وسلم للزبير رضى الله تعالى عنه فى حديث روى فى الكتب الستة من أمره صلى الله تعالى عليه وسلم للزبير ان يسقى نخله ولا يستوعب الماء ثم يرسله لجاره من الانصار فقال له الانصارى ان كان ابن عمتك فقال صلى الله تعالى عليه وسلم (اسق يازبير حتى يبلغ الماء الجدر) اسق بهمزة وصل أمر من سقى وقيل بهمزة قطع من اسقاه والجدر بفتح الجيم وسكون الدال المهملة وقيل بمعجمة يليها راء مهملة وروى بضم الجيم جمع جدار ومعنى الاول مارفع كالجدار لحبس ماء السقى أو هو لغة فى الجدار وقيل أصل الجدار وعلى الاعجام تمام الشرب من جذر الحساب ويجوز كسر جيمه ومعناه الاصل وقيل هو أصل الحائط وحاصل ما يأتى فى ذلك انه كان رجل انصارى خاصم الزبير ابن عمته صلى الله تعالى عليه وسلم فى شراج الحرة فى الماء الذى يسقى به النخل وقال له ارسل الماء الى فترافعاه صلى الله تعالى عليه وسلم فقال له اسق يازبير ثم ارسل لجارك فقال ان كان ابن عمتك فتلون وجهه صلى الله تعالى عليه وسلم فقال اسق يازبير واحبس الماء حتى يبلغ الجدر وفيه نزل (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم) وان الرجل المخاصم قيل هو حاطب بن بلتعة ولا يصح لانه ليس انصاريا وقيل ثابت بن قيس وقيل ثعلبة بن حاطب وقيل حميد وقيل انه بدرى ونقل ابن الملقن رحمه الله تعالى انه منافق من الانصار وسيأتى نقله عن الزجاج (كما سنبين كل مافى هذا الحديث) ومامعه قريب آخر الكتاب (من مشكل مافى هذا الباب و) الباب (الذى بعده) وأتى بقوله (ان شاء الله) للتبرك امتثالا لقوله ولا تقولن لشئ الآية (مع أشباهها) أى أشباه وأمثال مافى الباب وانث باعتبار المعنى أى أشباه هذه المشكلات (وأيضا) أى مثل ماذكر من الجواب (فان الكذب متى عرف من أحد فى شئ من الاخبار بخلاف ماهو) عليه فى الواقع والاولى ترك هذا لان الكذب لا يكون الا كذلك وقد أطنب المصنف رحمه الله تعالى

(على أي وجه كان) من المزاح ونحوه (استريب بخبره) بصيغة المجهول وكذا قوله (واتهم حديثه) وهو تفسير ما قبله قال أبو بكر لعمر رضي الله تعالى عنهما عليك بالراتب من الامور واياك والرائب منها أي الزم الصافي الخالص منها واترك المشتبه منها فالاول من راب اللبن يروب والثاني من رابه يريبه أي أوقعه في الشك ومنه قوله عليه الصلاة والسلام دع ما يريبك الى ما لا يريبك بضم الياء وفتحها (ولم يقع قوله في النفوس موقعا) أي لم يؤثر فيها تأثيرا تقبله وتطمئن به (ولهذا) أي ولكون الكذب

وطول مما لا فائدة فيه وكان يمكن اختصار هذا في كلمات قليلة (على أي وجه كان) سواء كان هزلا أو جدا كالحكوية الذين ينقلون الحكايات الباطلة مع علمهم بها للتلهي بها كما هو معروف الآن (استريب بخبره) أي وقع الناس في ريبة وشك فيما يخبر به حتى لو صدق لم يصدق (واتهم في حديثه) الذي يحدث به الناس (ولم يقع قوله في النفوس موقعا) أي لم يقبل ويلتفت اليه (ولهذا) أي لكون الكذب يوقع في ذلك (ماترك المحدثون) ما زائدة وفي نسخة حذفها وهي أولى (والعلماء) من عطف العام على الخاص أي علماء الحديث والفقهاء وغيرهم من أهل العلم (الحديث) مفعول ترك (عمن عرف بالوهم) بفتح الهاء بمعنى الغلط وهو بسكونها بمعنى الوقوع في القوة الواهمة وفيه تفصيل في كتب اللغة (والغفلة) أي الذهول وعدم معرفة الامور (وسوء الحفظ وكثرة الغلط) عطف تفسير على سوء الحفظ أي كون حفظه سيئا غير قوي (مع ثقته) أي كونه ممن يوثق به لديانته وعدم تعمده الكذب فيما يحدث به ومع ذلك يترك رواية الحديث عنه لانه قد يقع فيه ما لا أصل له لغفلته وقلة حفظه واذا كان هذا المخالف الواقع غير مقبول فما بالك بالكذب ممن عرف به ولا يرد على المصنف رحمه الله تعالى انه اذا حدث من أصل صحيح عنده تقبل روايته منه لا عن ظهر قلبه وحفظه وانه لا يشترط في هذه الاعصار ذلك لابقاء لسلسلة الحديث لانه اذا حدث عن أصل كان الاعتماد عليه لا على حفظه وما ذكره هو الذي عليه علماء الحديث المعتمد عليهم (وأيضا) أي مثل ما ذكر في عدم الاعتماد على من يكذب (فان تعمد الكذب) قصدا والفاء في جواب شرط مقدر نحو ان أحطت بما ذكر خبرا وعلمته (في أمور الدنيا) فضلا عن الحديث والامور الشرعية (معصية) وذنب يذم به عاجلا ويعاقب عليه آجلا ان لم يغفر الله (والاكثار منه كبيرة باجماع) من أئمة الدين وهي كما قالوا مختلف في تعريفها وهل هي محصورة أم لا كما تقرر في كتب الاصول وستأتي الاشارة الى شيء من ذلك (مسقط للمروءة) أي يذهب عدالته والمروءة بهمزة أو واو مشددة مصدر من المرء كالرجولية والانسانية (وكل هذا) المذكور من الكذب وقبائحه (مما ينزه) ويبعد عن مقامه ويبرأ (عنه منصب النبوة) المراد بمنصبها مقامها وهو في اللغة بمعنى الحسب كما في قول أبي تمام * ومنصب نماه والدسما به * وأما استعماله بمعنى الولاية السلطانية فمولد كقول ابن الوردي

نصب المنصب أوهى جلدي * وعنائي من مداراة السفل

كما تقدم (والمرة الواحدة منه) أي من الكذب وفي نسخة منها أي من هذه المعصية (فيما يستبشع) أي يستقبح من البشاعة بموحدة وشين معجمة (ويشاع) أي يشيعه الناس لشناعته وقوله فيما يتعلق بمقدر أي معدود فيما الى آخره وفي نسخة يستشنع بنون من الشناعة وهما بمعنى وفيها أيضا ويشيع بدل ويشاع (مما يخل) من الخلل بعرضه ودينه (بصاحبه) المتصف به (ويزري) أي يعيب وينقص ويحقر (بقائله) أي يجعله متصفا بالخلل والنقص من أزريت عليه ازراء اذا عبته وفي نسخة

يورث الريبة في الخبر والتهمة في الاثر (ترك المحدثون) وفي نسخة ماترك المحدثون على ان ما موصولة وقال الدلجي ما مزيدة لتأكيد معنى الترك وهو غريب (والعلماء) أي المجتهدون فهو أعم مما قبله (الحديث) أي نقله (عمن عرف) أي شهر (بالوهم) بفتح الهاء أي الغلط وبسكونها أي السهو (والغفلة) أي الذهول وعدم اليقظة (وسوء الحفظ) بقلة الضبط (وكثرة الغلط) في المتن والسند (مع ثقته) أي اعتماده في ديانته وأمانته في روايته وقد حكي ان البخاري امتنع عن الرواية ممن أخذ بذيله تحديا للدابة ان في حجره شعيرا ونحوه (وأيضا فان تعمد الكذب في أمور الدنيا معصية) ويروى منقصة أي خصلة تورث المذمة عاجلا والعقوبة آجلا اذ هي

الخروج عن الطاعة (والاكثار منه) أي من تعمد الكذب (كبيرة باجماع) أي من العلماء الاعلام كأبي حنيفة ومالك وغيرهما من غير نزاع (مسقط للمروءة) ومخل بالعدالة (وكل هذا) أي ما ذكر (مما ينزه عنه منصب النبوة) بفتح الميم وكسر الصاد أي ساحة الرسالة (والمرة الواحدة) مبتدأ وصفة مؤكدة له (منه) أي من الكذب (فيما) ويروى عما (يستشنع) بصيغة المجهول من مادة الشناعة وهي القباحة وكذا قوله (ويستبشع) من البشاعة وهي الكراهة وفي نسخة ويشاع من الاشاعة وفي أخرى ويشنع بالياء أو النون من التشنيع أو التشنيع أي فيما يستقبح ويستكره (مما يخل بصاحبها) أي المرة (ويزري بقائلها) أي يعيبه وينقصه ويحقره

(لاحقة بذلك) خبر المبتدأ أى متصلة بما ينزه عنه منصب النبوة (واما فيما لا يقع هذا الموقع) أى من الامر المستبشع كالكذبة الواحدة فى حقيرة من الدنيا (فان عددناها) أى هذه المعصية (من الصغائر فهل تجرى على حكمها) أى حكم المرة الواحدة من الكذب (فى الخلاف فيها) أى قبل البعثة هل يصدر من الانبياء صغيرة أولا (مختلف فيه) وقد سبق بيان الخلاف (والصواب تنزيه النبوة) أى صاحبها أو ذاتها مبالغة (عن قليله) أى الكذب (وكثيره) أى بالاولى (وسهوه وعمده) بخلاف غيرها من الصغائر اذ فيها القولان المشهوران للسلف والخلف (اذ عمدة النبوة) أى مدار أمورها المقرونة بالرسالة (البلاغ) أى تبليغ الاحكام (والاعلام) أى بما يتعلق به حق الانام (والتبيين) أى تبيين ما أنزل اليهم من الابهام (وتصديق ماجاء به النبى) أى فيما جاء به النبى عليه الصلاة والسلام (وتجويز شئ من هذا) أى الذى يخل بمنصب النبوة سواء كان صغيرة أو كبيرة قليلة أو كثيرة (قادح فى ذلك) أى فى العمدة التى هى ابلاغ النبوة (ومشكك فيه) أى وموقع فى الريبة (مناقض للمعجزة) أى التى هى عبارة عن قول الرب صدق عبدى (فلنقطع عن يقين) أى لا عن ظن وتخمين وفى نسخة على يقين (بانه) أى الشان (لا يجوز على الانبياء خلف) أى تخلف كما فى نسخة أى مخالفة وقوع (فى القول) من أقوالهم (فى وجه من الوجوه) أى فى حال من أحوالهم (لا بقصد ولا بغير قصد ولا بتسامح) أى نحن وفى نسخة بصيغة المجهول أى ولا ينبغى ان يتسامح ويتساهل وفى أخرى ولا بتسامح بباء الجر والتنوين (مع من تسامح) بصيغة الماضى وفى نسخة بصيغة المضارع الغائب كلاهما من باب التفاعل وفى نسخة سامح من باب المفاعلة وفى أخرى ولا يتسامح بتسامح على لفظ المصدر (فى تجويز ذلك) أى الخلف فى القول (عليهم) ولو كان (حال السهو مما) وفى نسخة فيما (ليس طريقه البلاغ نعم) كذا فى بعض النسخ المصححة ولم يتعرض له أحد من المحشين ولم يظهر لنا وجهه المستبين (وبانه) أى وكذا نقطع بانه (لا يجوز عليهم الكذب قبل النبوة) أى اظهارها (ولا الاتسام) بتشديد التاء افتعال من الوسم وهو العلامة أى ولا يجوز الاتصاف

صاحبها أو قائلها كما تقدم وقوله والمرة مبتدأ خبره قوله (لاحقة بذلك) أى بما لا يليق بمنصب النبوة أو خبره مما وهى حال (وأما) الكذب (فيما لا يقع هذا الموقع) أى لا يعد مما يستبشع (فان عددناها) أى جعلناها (من الصغائر) دون الكبائر التى يترتب عليها حد أو وعيد على الخلاف فيها (فهل يجرى على حكمها) أى يوافق حكمها حكمها ويتحد (فى الخلاف فيها) أى وقع الخلاف فيما قبلها هل يجوز صدوره من الانبياء عليهم الصلاة والسلام قبل البعثة أم لا فذلك الخلاف هل وقع من أئمة الدين فى هذه أم لا (مختلف فيه) أى وقع خلاف من أئمة الاصول فمنهم من قال اختلف فيها أيضا ومنهم من قال لا خلاف فى عدم وقوعه منهم لانه مما ينفر القلوب عنهم والكذب حرام منه ماهو صغيرة وماهو كبيرة وقد يقترن به ما يصيره كفرا وقد يقترن بالصغيرة ما يصيرها كبيرة لكونها تؤدى الى القتل أو القتال كما قاله الجوينى وليس هذا محل تفصيله (والصواب) من هذه الاقوال (تنزيه) النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ومقام (النبوة عن قليله وكثيره) لاخلاله بعظيم قدرها وشرفها (سهوه) لعصمة الله تعالى له عنه (وعمده) لعلو طبعه عنه (اذ عمدة النبوة) بضم العين ما يعتمد عليه والمراد به المقصود منها بالذات (البلاغ والاعلام) لمن أرسل اليهم ما أوحاه الله تعالى اليه (والتبيين) لهم ما شرعه الله (وتصديق) من أرسل له فى (ماجاء به النبى صلى الله عليه وسلم) من التوحيد والشرائع التى جاء بها عن ربه (وتجويز شئ من هذا) بانواعه على أنبياء الله (قادح فى ذلك) العمدة المقصود من بعثته وبلاغه واعلامه ووجود تصديقه لان من يجوز عليه الكذب فى شئ مالا يجوز عليه فيما بلغه الله وأتى بالاشارة للتقريب فى الكذب تحقيرا له وباشارة البعيد فيما بعده تعظيما له وهو ظاهر (و) تجويزه أيضا (مشكك فيه) أى فيما جاء به لالتباس صدقه الواجب اتباعه بكذبه لو وقع منه ولو سهوا (مناقض للمعجزة) لايجابها تصديقه ولذا اقترنت بها الدعوة (فليقطع) أمر للغائب أى يعتقد قطعا (بانه) أى الامر والشان أو الكذب باقامة الظاهر فى قوله (لا يجوز) بسكون الواو وتشديدها (على الانبياء) كلهم عليهم الصلاة والسلام (خلف) بضم الخاء وفتحها أى كذب (فى القول) الصادر عنهم وفى نسخة فى قوله (بوجه من الوجوه) وفى نسخة فى وجه أى فى أى شئ كان سواء كان من قبيل البلاغ أم لا (لا بقصد ولا بغيره) كالسهو (ولا يتسامح) أى لا يتساهل ويتهاون (مع من تسامح) متبعا لمن تساهل فى حقهم (فى تجويز ذلك) الخلف فى أقوالهم فجوزه (عليهم حالة السهو فيما ليس طريقه البلاغ) عن الله تعالى لعصمة الله تعالى لهم عن وصمته ومنهم بعض الشراح القائل بانه لا دليل على عدم وقوعه منهم نادرا (نعم) جواب سؤال تقديره هل هذا شامل لما قبل النبوة فاجاب بانا نقطع بانه لا يجوز بعد النبوة (وبانه لا يجوز عليهم الكذب) مطلقا (قبل) اظهار (النبوة ولا الاتسام)

(به فى أمورهم) المتعلقة بآخرتهم (وأحوال دنياهم لان ذلك) أى الكذب لوصدر عنهم كان (يزرى) أى يحقرهم (ويريبهم) أى يوقع أممهم فى التهمة فيما جاؤا به عن ربهم (وينفر القلوب عن تصديقهم بعد) أى بعد ارسالهم بما أمروا بتبليغ احوالهم (وأنظر أحوال عصر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من قريش وغيرها من الامم) أى من العرب والعجم (وسؤالهم) بالنصب أو الجر (عن حاله) أى تحول شانه (فى صدق لسانه وما عرفوا به) بتشديد الراء مبنيا للمفعول أو الفاعل مشددا ومخففا أى والذى عرف قريش (من ذلك) أى صدق لسانه (واعترفوا به) حين سئلوا عنه (مما عرف) بصيغة المفعول ويروى واعترفوا بما عرف به أى علم من تحقق شأنه (واتفق النقل) ويروى واتفق أهل النقل (على عصمة نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم منه) أى من الكذب ونحوه (قبل وبعد) أى قبل البعثة وبعدها (وقد ذكرنا من الآثار فيه) أى فيما يتعلق به (فى الباب الثانى أول الكتاب ما يبين لك صحة ما أشرنا اليه) من تنزيه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عن الكذب ونحوه مما يشين لديه ومن جملته قوله تعالى قد نعلم انه ليحزنك الذى يقولون فانهم لا يكذبونك بالتشديد والتخفيف أى لا ينسبونك الى الكذب قبل النبوة ولا بعدها

أى الاتصاف من السمة (به) أى الكذب (فى أمورهم) الخاصة بانفسهم (وأحوال دنياهم) أى الاحوال المتعلقة بالدنيا لهم أو لامهم (لان ذلك) أى الخلف فى القول (كان يزرى) أى يعيب وينقص كما (ويريب) أى يوقع فى ريب وتهمة (بهم) فيوقع الشك والتحقير فى القلوب وهو مما ينزه عنه مقام النبوة (وينفر القلوب) أى قلوب الناس (عن تصديقهم) مما يبغونه لهم (بعد) مبنى على الضم أى بعد ارسالهم وتبليغهم أو بعد العلم باتصافهم بالكذب ثم أيد ذلك بقوله (وأنظر) أمر لكل من له نظر ومعرفة (أحوال أهل عصر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) أى من عاصره فى مدة حياته (من قريش وغيرها) من العرب أنثه باعتبار القبيلة وغيرهم (من الامم) كالروم والعجم والحبش (وسؤالهم) تفتيشا (عن حاله) فى أمورهم وسيرته بعد دعوتهم وقبلها لما شاع صدقه فى الآفاق (فى صدق لسانه) أى صدق كلامه فان اللسان يطلق على الجارحة والكلام وقوله فى صدق الى آخره بيان لحاله أى حاله الكائن فى صدقه (وما عرفوا به من ذلك) بتشديد الراء والبناء للمفعول ويجوز تخفيفها والبناء للفاعل (واعترفوا به مما عرف) هو أيضا كالاول (واتفق) أهل (النقل على عصمة نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم منه) أى من جميع ما ذكر عمدا وسهوا (قبل وبعد) مبنيان على الضم أى قبل البعثة وبعدها والمراد نقل علماء الملة أو نقل الناس بعضهم عن بعض عصرا بعد عصر ثم لم يزالوا ينقلون خلفا عن سلف انه لم يقع منه ذلك وعدم وقوعه يدل على عدم جوازه عليه فالتوقف فيه لا يجوز وتحقيقه كما قال العلامة العلائى فى تأليف أفرده لشرح هذا الحديث من خطه نقلت وعبارته اتفق جميع أهل الملل والشرائع على وجوب عصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام عن تعمد الكذب فيما دلت عليه المعجزة القاطعة على صدقهم فيه وذلك فيما طريقه البلاغ عن الله من دعوى الرسالة وما ينزل عليهم من الكتب الالهية اذ لو جاز ذلك أدى الى ابطال دلالة المعجزة وهو محال وأما السهو والنسيان فقال الآمدى اختلف الناس فيه فذهب أبو اسحق الاسفرائنى وكثير من الائمة الى امتناعه وذهب القاضى أبو بكر الى جوازه وادعى الفخر الرازى فى بعض كتبه الاجماع على امتناعه ونقل الخلاف فيه فى بعضها وحاصل الخلاف يرجع الى ان ذلك داخل تحت دلالة المعجزة على التصديق فمن جعله غير داخل فيها جوزه لعدم انتقاض الدلالة وفى كلام امام الحرمين ان ذلك فيما يتعلق ببيان الشرائع سواء كان قولا أو فعلا نازلا منزلة قوله فى اقتضاء البيان وميل كلامه الى جواز السهو فيه واحتج بقصة ذى اليدين وقال شيخنا الزملكانى ان الذى يظهر ان ما طريقه البلاغ يقطع بدخوله تحت دلالة المعجزة على الصدق فهذا لا نزاع فى أنه لا يجوز فيه التحريف ولا الكذب ولا السهو وما لا يكون كذلك وهو ما طريقه التبليغ وبيان الشرائع فهل يجوز فيه النسيان وهذا محل الخلاف ويحمل اطلاق الفخر الاجماع فيه على الاول وذكره الخلاف على الثانى وكذا كلام الآمدى محمول على هذا التفصيل وقال الباقلانى فى كتاب الانتصار المعجزة تدل على صدق النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فيما يفكر فيه وهو عامد له وذهول النفس وطريان النسيان وبوادر اللسان لا يدخل تحت الصدق الذى هو مدلول المعجزة ومن زعم انه فى تجويز ذلك القدح فى الثقة بتبليغ الانبياء عليهم الصلاة والسلام فليس بشئ فانما يكون ذلك لو جوز تقريرهم عليه وهو ممتنع وأما القاضى عياض فانه نقل الاجماع على عدم جواز السهو والنسيان فى الاقوال البلاغية وخص الخلاف بالافعال وهو يرجع الى اندراجه تحت دلالة المعجزة كما ذكرنا انتهى ثم أشار الى ما يؤيد هذا مما قدمه بقوله (وقد ذكرنا الخ) وأورد سؤالا وجوابا عما يرد على كلامه فقال

(فصل فان قلت فما معنى قوله عليه الصلاة والسلام فى حديث السهو) أى الحديث الدال على السهو على مارواه الشيخان (الذى حدثنا به الفقيه أبو اسحق ابراهيم بن جعفر ثنا القاضى أبو الاصبغ) بفتح الهمزة والموحدة بعدها غين معجمة (ابن سهل) هو القاضى عيسى بن سهل (قال ثنا حاتم بن محمد) تقدم (ثنا أبو عبد الله بن الفخار) بفتح الفاء وتشديد الخاء المعجمة (ثنا أبو عيسى) أى الترمذى على ماصرح به الدلجى وقال الحلبى تقدم انه يحيى بن عبد الله بن يحيى بن كثير الليثى (ثنا عبد الله) قال الحلبى تقدم مرارا انه أبو مروان عبد الله بن يحيى ابن يحيى الليثى (ثنا يحيى) تقدم انه يحيى بن يحيى الليثى (عن مالك) أى ابن أنس الامام (عن داود بن الحصين) بضم الحاء وفتح الصاد المهملتين وثقه جماعة توفى سنة خمس وثلاثين ومائة أخرج له الأئمة الستة (عن أبى سفيان) تابعى ثقة مولى ابن أبى أحمد أخرج له الائمة الستة (انه قال سمعت أبا هريرة رضى الله تعالى عنه) قال الحلبى الحديث أخرجه من الموطا كما ترى وهو فى مسلم والنسائى من رواية أبى سفيان عن أبى هريرة وأخرجاه جميعا عن عقبة عن مالك به فان قلت لم يخرجه القاضى من مسلم فالجواب ان بينه وبين مالك فى الموطا سبعة أشخاص ولو رواه عن مسلم كان كذلك ولكن الموطا عندهم مقدم على غيره أيضا الموطا يقع له فى بعض الطرق أعلى مما ذكره بدرجة فيه علوله على مسلم ولكن لو أخرجه من عند النسائى كان يقع له أعلى من الموطا عن أبى هريرة (يقول صلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم صلاة العصر) وقيل الظهر

(فصل فان قلت فما معنى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث السهو) أى الحديث الذى روى فيه سهوه فى صلاته والفاء الاولى فى جواب شرط مقدر أى اذا علمت تنزهه صلى الله تعالى عليه وسلم عن الخلف عمدا وسهوا فى أقواله فقد تعرض للشبهة وسؤال عما خالفه من هذا الحديث فتقول الى آخره والثانية فى جواب الشرط المذكور ومقول القول بعضه مقدر أى ان قلت انك قررت عصمته صلى الله تعالى عليه وسلم عن السهو فما معنى قوله الى آخره * واعلم ان الراغب قال النسيان ترك الانسان ضبط مااستودع اما عن غفلة واما لضعف قلب واما عن قصد حتى يذهب عن القلب وكل نسيان ذمه الله فهو ما كان عن تعمد نحو فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا وخلافه مرفوع عنه كما فى حديث رفع عن أمتى الى آخره وما نسب الى الله تعالى نحو قوله انا نسيناكم بمعنى الترك كما قاله الزجاج وغيره لانه من لوازمه وأصله عدم الحفظ والله منزه عنه وأما السهو فقد حكى المصنف رحمه الله تعالى فيما يأتى الفرق بينه وبين النسيان معنى وقال ان السهو فى الصلاة جائز على الانبياء عليهم الصلاة والسلام بخلاف النسيان لانه غفلة وآفة والسهو انما هو شغل بال فكان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يسهو فى الصلاة ولا يغفل عنها وكان يشغله عن حركات الصلاة ما فى الصلاة شغلا بها لا غفلة عنها ويأتى شرحه عند ذكره وقال الحافظ العلائى انه ضعيف لغة ومعنى أما الاول فلما فى الصحيحين من قوله صلى الله تعالى عليه وسلم انما أنا بشر أنسى كما تنسون أى كما سيأتى بما فيه وأما الثانى فقد قال الازهرى السهو الغفلة عن الشئ وذهاب القلب عنه وسها فى صلاته غفل وكذا فى الصحاح والمحكم وقال الراغب السهو خطأ عن غفلة وقسمه لقسمين وفى النهاية السهو فى الشئ تركه عن غير علم والسهو عنه تركه مع العلم وهو قريب مما قاله الراغب وسيأتى تتمته قريبا وهذا الحديث رواه الشيخان ومالك والترمذى وغيرهم ولم يره المصنف رحمه الله من طريق الصحيحين بل من طريق غيرهما لما يأتى فقال (الذى حدثنا به الفقيه أبو اسحق بن جعفر) الذى تقدمت ترجمته قال (حدثنا القاضى أبو الاصبغ بن سهل) قال (حدثنا حاتم بن محمد) قال (حدثنا أبو عبد الله بن الفخار) بن عمر بن يوسف المالكى القرطبى عالم الاندلس وزاهدها وكان رحمه الله تعالى مجاب الدعوة توفى سنة سبع عشرة وأربعمائة قال (حدثنا أبو عيسى) يحيى بن يحيى الليثى كما تقدم قال (حدثنا عبيد الله) قال (حدثنا يحيى) تقدم أيضا (عن مالك) امام دار الهجرة المشهور رحمه الله تعالى (عن داود بن الحصين) بحاء مضمومة وصاد مفتوحة مهملتين وياء تصغير ونون وهو مولى عمرو بن عثمان مدنى ثقة يحتج بحديثه وان كان يرى رأى الخوارج لانه لم يكن داعية روى هو عن عكرمة ونافع وغيرهما وروى عنه مالك وغيره وتوفى سنة خمس وثلاثين ومائة (عن أبى سفيان مولى ابن أحمد) اسمه وهب وقيل قزمان وهو ثقة يروى عن أبى هريرة وغيره وأخرج له الستة (انه قال سمعت أبا هريرة) رضى الله تعالى عنه تقدم بيانه واختلف فى اسمه واسم أبيه على ثلاثين قولا أشهرها انه عبد الرحمن بن صخر الدوسى نسبة لدوس قبيلة سميت باسم جدها دوس بن ثابت وكنى بابى هريرة لانه أتى بهرة وحشية لقومه وقيل انه صلى الله عليه وسلم هو الذى كناه بذلك وقد قدمنا انه ممنوع من الصرف كما صرح به سيبويه ولنحاة المغرب فيه كلام بيناه خطاه فى كتاب السوانح (يقول) أى يحدث قائلا (صلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم صلاة العصر)

(فسلم في ركعتين) أي بعد فراغه منهما ومن تشهدهما (فقام ذو اليدين) وسمي به لان في يديه أو أحدهما طولا

في جماعة هذه رواية الامام مالك في موطأه واختارها المصنف رحمه الله تعالى على رواية مسلم وغيره لعلو سنده من طريقه ولترجيح أهل المغرب له (فسلم في ركعتين) أي بعد ما فرغ منهما ومن التشهد وهذه رواية الموطأ وقيل من ثلاث وله طرق مشهورة أشهرها رواية أبي هريرة وقال ابن عبد البر ليس في اخبار الآحاد أكثر طرقا من حديث ذي اليدين وفي طرقه اختلاف في تلك الطرق وفي سلامه هل هو من ركعتين أو ثلاث وهل الصلاة العصر أو غيرها ومن وقعت معه القصة هل هو ذو اليدين أو ذو الشمالين وتفصيله انه رواية مالك عن السختياني عن ابن سيرين عن أبي هريرة وأخرجه البخاري وأبو داود والترمذي والنسائي ورواه الزهري من طرق خالف فيها في تسمية ذي اليدين ذا الشمالين ويأتي ما فيه وفي انه لم يسجد للسهو وفي مسلم انه سجد سجدتين بعد السلام وفي البخاري عن أبي سلمة انه صلى الله تعالى عليه وسلم صلى الظهر أو العصر وسلم على رأس ركعتين وفي رواية على ثلاث وفي رواية انها كانت صلاة المغرب وقد رواها مفصلة الحافظ العلائي باسانيدها ومتابعاتها وليس هذا مما يلزم ايراده هنا (فقام ذو اليدين) من صلاته وسمي ذا اليدين لطول يديه وكان يصلي خلفه صلى الله تعالى عليه وسلم وفي رواية ذو الشمالين قيل وهما اسم رجل واحد وقال العلائي انه غيره على الصحيح وثبت من طرق ان أبا هريرة رضي الله تعالى عنه كان حاضرا في هذه القصة كما صرح به في رواية المصنف رحمه الله تعالى بقوله سمعت أبا هريرة يقول صلى بنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى آخره وفي رواية لمسلم صلى بنا صلاة الظهر وفي أخرى الظهر أو العصر وفي رواية احدى صلاتي العشاء من طرق صحيحة كلها تدل على ان أبا هريرة كان حاضرا بها قال العلائي ولا خلاف في ان اسلام أبي هريرة كان سنة سبع أيام خيبر ولا خلاف بين أهل السير ان ذا الشمالين استشهد ببدر سنة اثنتين قال ابن اسحق هو عمرو بن عبد عمرو بن نضلة بن عمرو بن عتبان بن سليم بن مالك بن اقصى بن خزاعة حليف بني زهرة وقال مسدد ابن ميسر هذا الذي قتل ببدر ذو الشمالين بن عبد عمرو حليف بني زهرة وذو اليدين رجل من العرب بالبادية كان يجيء فيصلي مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فايد قول مسدد ابن عبد البر وقال انه الذي عليه أصحاب السير والفقهاء ولذا روى عن أبي هريرة انه قال فقام رجل من بني سليم وقيل ان ذا اليدين عمر الى خلافة معاوية وتوفي بذي خشب وقول الزهري انه ذو الشمالين بن عبد عمرو وغلط فيه وروايته فيها اضطراب وقيل انه لم ينفرد بتسميته ذو الشمالين ورد المصنف رحمه الله تعالى في الاكمال قول من غلط الزهري واختلفوا أيضا في تسمية ذي اليدين فقيل الخرباق واختاره المصنف والنووي وابن الاثير وقال أبو حاتم بن حبان ان الخرباق غير ذي اليدين وقال ابن عبد البر والقرطبي يحتمل انه غيره وقد جمع بين الروايتين بتعدد الواقعة فاحداهما قبل بدر والمتكلم فيها ذو الشمالين ولم يشهدها أبو هريرة بل أرسل روايتها والثانية حضرها والمتكلم فيها ذو اليدين كما حكاه المصنف رحمه الله تعالى في الاكمال واختاره لما فيه من الجمع بين الروايات ونفي الغلط عن مثل الزهري قال العلائي وفيه نظر لان فيها ما لا يمكن الجمع فيه ولا شك ان ذا اليدين غير ذي الشمالين وقال بعضهم ان القصص ثلاث والكلام فيه طويل لا يسعه هذا المقام فاعرفه (فقال يا رسول الله أقصرت الصلاة) روي كما قال الحافظ العلائي بضم القاف وكسر الصاد بالبناء للمفعول وهي المشهورة وروي بفتح القاف وضم الصاد وهذا الفعل سمع لازما بضم عينه وفتحها وهو متعد كقصرها بالتشديد واقصرها على السواء كما حكاه الازهري ولا يقال ان قصر اذا كان مخففا لا يتعدى الا بحرف الجر كقوله تعالى ان تقصروا من الصلاة لانا نقول تعديه بنفسه ثابت حكاه الجوهري وغيره ومن زائدة عند الاخفش وعند سيبويه تقديره شيئا من الصلاة ومعناه يرجع الى الاختصار والكف ومنه قصر طرفه على كذا (أم نسيت) تقدم ان النسيان

وقيل لانه كان يعمل بكلتا يديه ووهم هنا الزهري مع سعة علمه فقال ذا الشمالين ولا يصح لان ذا الشمالين استشهد ببدر وذو اليدين شهد قصة أبي هريرة واسلام أبي هريرة بعد خيبر بل تأخر موته حتى روى عنه متأخروا التابعين كمطير وقيل انهما واحد وهذا لا يصح لان ذا الشمالين خزاعي وذا اليدين سلمي (فقال يا رسول الله أقصرت الصلاة) على بناء المفعول من القصر ضد الاتمام أو بفتح فضم صاد وتاء تانيث على صيغة الفاعل بمعنى النقص قاله ابن الاثير وقال النووي كلاهما صحيح والاول أشهر وأصح وقال المزي الصحيح بناء قصرت لما لم يسم فاعله من قبل الرواية ومن قبل الدراية لان غيرها قصرها ولموافقة لفظ القرآن ان تقصروا من الصلاة انتهى ولا يخفى ان هذا يشير الى احتمال وجه آخر وهو ان يكون قصرت بفتحتين وتاء الخطاب وحينئذ يطابق قوله (أم نسيت) بفتح فكسر ثم تاء خطاب

(فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي جوابا له (كل ذلك لم يكن) روي بالرفع والنصب فعلى الاول مبتدأ خبره لم يكن وعلى الثاني خبر كان مقدم عليها والمعنى كل ذلك لم يقع من قبلي بل انما كان من عند ربي ليبين الحكم في أمتي من جهتي (وفي الرواية الأخرى ما قصرت) بصيغة الغائبة للفاعل أي الصلاة كما في نسخة (وما نسيت) بصيغة المتكلم وما يحتمل نافية واستفهامية ويؤيد الاول انه في رواية أخرى لم أنس ولم تقصر وفي نسخة ولا نسيت (الحديث بقصته) أي مشهور في روايته (فاخبر بنفي الحالين) أي معا بناء على ما اختاره المصنف من ان ما نافية (وانها لم تكن) أي حالة منهما أي مطلقا أو القضية أصلا وفي رواية انهما لم يكونا أي النقص والنسيان (وقد كان أحد ذلك) أي أحد ما ذكر من الحالتين في الواقع (له قال له) وفي نسخة كما قال ذو اليدين (قد كان بعض ذلك يا رسول الله) فهذا يرجح كون ما نافية

ترك ما لابد منه اما الغفلة أو لضعف قلب حتى يزول بذكره وانه يذم منه ما كان عمدا ويعذر فيما لم يكن سببه منه كقوله رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وانه اذا نسب الى الله تعالى فمعناه الترك كما قال الزجاج وابن سيدة وأم متصلة ولا بد ان يتقدمها استفهام لفظا أو تقديرا مع تساوي ما دخلا عليه سواء كانا اسمين أم لا ويكون بمعنى أي الامرين ويكون للسؤال عن أحد الامرين ليعين كما هنا والكلام عليها مفصل في كتب العربية (فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) جوابا لذي اليدين (كل ذلك لم يكن) لما سلم صلى الله تعالى عليه وسلم واقتصر على ركعتين أو ثلاث دار الامر عند ذي اليدين بين أمرين النسخ أو السهو فسال عن تعيين أحدهما لخفي الجواب تعيين أحدهما لكنه أجاب بنفي كل منهما معينا ونفس الامر لا ينفك عن وجود أحدهما وما ذكره صلى الله تعالى عليه وسلم بحسب ظنه لانه لا يقع الخلف في خباره وذو اليدين تحقق عدم النسخ فتعين وقوع السهو كما سياتي والسؤال المقترن بام لطلب التعيين بعد الاستثبات يجاب بالتعيين لجوابه صلى الله تعالى عليه وسلم على حسب ظنه كما علم ونظيره قول ذي الرمة

تقول عجوز مدرجي متروحا * على بابها من عند أهلي وغاديا
أذو زوجة في المصر أم ذو خصومة * أراك لها بالبصرة العام ثاويا
فقلت لها لا ان أهلي جيرة * لاكثبة الدهنا جميعا وماليا

فالجواب باحدهما انما هو اذا كان فيها أحدهما والا فيجاب بنفيهما وقد يرد بذكر ثالث فيهما وان لم يسال عنه وهذا انما الاشبه تنبيه * فان قلت كيف جوابه صلى الله تعالى عليه وسلم بنفيهما وأحدهما محقق فيلزم الخلف في أقواله وخبره وهو لا يجوز عليه * قلت قد أجيب عنه كما في شرح مسلم بوجوه * أحدها انه نفي الجميع أي لم يكن لا هذا ولا هذا معا وهو لا ينافي وجود أحدهما وقد رده ذا بان تصريحه بقوله لم أنس يأباه فانه مذكور في الحديث في بعض الروايات وكونه مصروفا الى السلام كما قيل لا وجه له أي كما ياتي في كلام المصنف * الثاني انه مبني على الفرق بين السهو والنسيان أي سهوت ولم أنس وهو بعيد لانه وان كان بينهما فرق يستعمل كل منهما بمعنى الآخر * الثالث انه نفي اضافة النسيان اليه وكره اضافته له كما ورد لا يقل أحدكم نسيت فانه انما نسي أي خلق الله فيه النسيان وليس فعلا له وهذا انما قال المصنف رحمه الله تعالى انه اخترعه وهو ضعيف فانه فعله بلا اشتباه وان كان بخلق الله * الرابع انه اخبار عما في ظنه واعتقاده وكأنه قال كل ذلك لم يكن في ظني ولو قال ذلك لم يكن فيه خلف وكذب والمنوي والمقدر كالمذكور كما لو حلف على شيء يعتقده وهو غير واقع يكون يمينه لاغية كما ذهب اليه بعض الفقهاء وانه ليس مما كسبت القلوب وهذا ليس مبنيا على ان الصدق والكذب باعتبار مطابقة الواقع وعدمها مما يخالف مذهب الجمهور فان ظنه ذلك واقع والنفي منصب على القيد فكل ذلك لم يكن لنفي القصر والعلم بالنسيان وهو صحيح واقع وكل ذلك روي كما قاله التلمساني بالرفع والنصب وعليه بني انه لشمول النفي أو لنفي الشمول كما فصله أهل المعاني في قوله

قد أصبحت أم الخيار تدعي * علي ذنبا كله لم أصنع

وهذا المبحث مع طول شهرته تغني عن ذكره فان أردته فانظر الى المطول وحواشيه (وفي الرواية الأخرى) لهذا الحديث (ما قصرت) أي الصلاة بالبناء للمفعول (وما نسيت الحديث بقصته) وفي رواية لم أنس ولم تقصر (فاخبره) أي أخبر صلى الله تعالى عليه وسلم ذا اليدين السائل له (بنفي الحالتين) يعني النسيان والقصر في الروايات كلها (وانها) أي كل حالة منهما (لم تكن) واقعة منه فافرد الضمير المؤنث لتاويله باسم الاشارة وفي نسخة وانهما لم يكونا (و) الحال انه (قد كان أحد ذلك) المذكور وفي اسم الاشارة تنبيه على ما قلناه (كما قال له) صلى الله تعالى عليه وسلم ذو اليدين (قد كان بعض ذلك يا رسول الله)

(فاعلم وفقنا الله واياك ان للعلماء في ذلك أجوبة بعضها بصدد الانصاف) أي متمسك بطريق الانصاف في الرجوع الى الحق (ومنها) أي وبعضها (ماهو بنية التعسف والاعتساف) التعسف هو الخروج عن الجادة وركوب الامر بالمشقة وفي معناه الاعتساف وانما جمع بينهما للمبالغة ورعاية الفاصلة والمراد بالنية القصد والتوجه بالطوية وفي نسخة بتيه بكسر الفوقية فياء ساكنة فهاء وفسره الحلبي بالكبر والاظهر انه بمعنى التحير في تيه الضلالة وبيداء الجهالة ولذا فسره التلمساني بعدم الاهتداء (وها أنا أقول) مبتدأ وخبر قرنا بتنبيه في حق نبي نبيه (أما على القول) أي قول بعضهم (بتجويز الوهم) بفتح الهاء وسكونها أي السهو (والغلط فيما ليس طريقه من القول البلاغ) بالنصب أي الابلاغ وفي نسخة من البلاغ أي من جهة التبليغ (وهو) أي هذا القول هو (الذي زيفناه) أي ضعفناه (من القولين) أعني الجواز وعدمه (فلا اعتراض بهذا الحديث وشبهه) ولا اشكال في تجويز نحوه (وأما على مذهب من يمنع السهو والنسيان في أفعاله) أي الشاملة لاقواله عليه الصلاة والسلام (جملة) أي جميعها مجملة (ويروى انه) أي ويعتقد أنه عليه الصلاة والسلام (في مثل هذا عامد لصورة النسيان) أي كالعامد في هذه الصورة (ليسنه

وهذا بيان لمحل الشبهة لوقوع الخلاف في قوله صلى الله تعالى عليه وسلم كل ذلك لم يكن كما بيناه آنفا وفي قوله بعض ذلك اشارة الى نقيض القضية الاولى التي هي سالبة كلية بالموجبة الجزئية وليس هذا محله كالكلام على تقدم كل على النفي وتأخرها عنه كقول المتنبي * ما كل ما يتمنى المرء يدركه * وقد أطال الكلام فيه في الشرح الجديد وقد تركنا الاطالة خوف الملالة (فاعلم وفقنا الله واياك) جملة دعائية معترضة (ان للعلماء) من المحدثين والفقهاء (في ذلك) السهو الذي وقع له صلى الله تعالى عليه وسلم في هذه القضية (أجوبة بعضها بصدد الانصاف) الصدد معناه القرب هنا أي قريب من الانصاف يقال داره صدد داري أي في مقابلتها ومقاربتها فهو ظرف متصرف والباء بمعنى في والانصاف العدل والاستقامة في الامور (ومنها) أي بعض الاجوبة (ماهو بنية التعسف والاعتساف) روي بنون وتحتية مشددة وهي تكون بمعنى القصد وعقد القلب وبمعنى الجهة التي يذهب فيها وبمعنى البعد كالنوى كما في القاموس وغيره من كتب اللغة وهما شائعان في الاستعمال وروي بمثناة فوقية من تاه يتيه اذا ضل عن الطريق ويكون بمعنى الارض الواسعة التي يضل سالكها كتيه بني اسرائيل والتعسف والاعتساف السير على غير الطريق والجور والظلم هذا حقيقته لغة فعلى الاول يصح انه أريد به انه قصد الجور والتقدير على من خالف من العلماء والتعسف بمعنى انه في حاله ومقاله غير مستقيم والاعتساف بمعنى حمل غيره على ذلك فهو ضال مضل فلا تكرار فيه لاجل السجع كما قيل والاحسن ان يقال انه استعارة تمثيلية بتشبيه مسلكه فيما قاله بمن دخل مسافة ضل فيها لكونها حزنا بعيدا لم يهتد لطريقه وكذا على الثاني التيه بمعنى القفر الواسع أو الضلال وتفسيره بالتكبر بعيد بمراحل عن مقصده فتامل (وها أنا أقول) شروع في بسط ما يرتضيه عدولا عن طريق من تعسف وها للتنبيه وما بعده مبتدأ وخبر والفصيح ان تدخل ها على اسم الاشارة أو على ضمير خبره اسم اشارة نحو هذا وها أنا ذا وهذا أيضا مسموع كما في شرح التسهيل (اما على القول بتجويز الوهم) تقدم انه بفتح الهاء وجوزنا سكونها مع تفسيره بما مر (والغلط) أي الخطأ عمدا لعدم علمه بالصواب ويقال في الحساب غلت بمثناة وقيل انها لغة والفرق بينه وبين النسيان والسهو ظاهر (فيما ليس طريقه) معناه معروف مستعار هنا لنوعه وجنسه (من القول) لا من قبيل الافعال فانها ليست محل الخلاف هنا ومن بيانية مقدمة من تأخير (البلاغ) خبر ليس أي لا يتعلق به حكم أو وحي أو خبر عن أمر المعاد (وهو) أي هذا القول (الذي زيفناه) أي رددناه ولم نرضه مستعار من النقد الزائف المغشوش الذي أبطل السلطان التعامل به (من القولين) المذكورين سابقا وهذا اعتراض بين اما وجوابها تذكيرا لما تقدم (فلا اعتراض) على ما تقرر في عصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام (بهذا الحديث) المذكور في قصة ذي اليدين (وشبهه) مما روي فيه عنه صلى الله تعالى عليه وسلم فيه سهو ونسيان ونحوه لتجويزه على الانبياء عند صاحب هذا القول الذي يقول انه لا يمنع فيما ليس طريقه البلاغ (واما على مذهب من يمنع السهو والنسيان في أفعاله) دون أقواله كغيره من الانبياء عليهم الصلاة والسلام (جملة) أي جميعا وقد استعمله بهذا المعنى كثيرا وهذا القول ذهب اليه كثير من مشايخ الصوفية وبعض المتكلمين وخصه بعضهم بنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم (ويرى) أي يعتقده رأيا (أنه) صلى الله تعالى عليه وسلم (في مثل هذا عامد) وقاصد لكل ما يفعله (لصورة النسيان) فيأتي به على وجه العمد ذاكرا له موهما لغيره انه ناس (ليسن) أي ليعلم الناس سنته في السهو كالسجود له ونحوه من الاحكام وكان حقه ان يذكره لهم

ليعلمهم لكن البيان بالفعل أظهر وفي شرح مسلم شذت طائفة من الباطنية وأرباب القلوب فقالوا لا يجوز النسيان عليه وانما ينسى قصدا أي أتى بما وفي صورة النسيان ليبين حكمه وقال المحقق أبو اسحق الاسفرائني هذا منحى غير سديد وجمع الضد مع الضد مستحيل والاول هو الصحيح فان السهو في الافعال غير مناقض للنبوة ولا قادح فيها بخلاف الاقوال في البلاغ انتهى (فهو) على هذا القول (صادق في خبره) أي قوله لم أنس ولم تقصر ونحوه (لانه لم ينس ولا قصرت) الصلاة (ولكنه على هذا القول) بقصده لصورة النسيان ذاكر اله (تعمد هذا الفعل) أي سلامه مقتصرا على ركعتين (في هذه الصورة) أي صورة الناسي (ليسنه) أي يجعله سنة (لمن اعتراه) أي عرض له ووقع منه (مثله) أي مثل هذا الفعل ناسيا من أمته ليقتدوا بافعاله (وهو قول مرغوب عنه) أي متروك لبعده وضعفه عنده وفي الحواشي التلمسانية عن ابن سيدي الحسن قال سمعت أبي رحمه الله تعالى يقول عن شيوخه السهو في الصلاة يكون عن معصية سبقت منه ولذا صين عنه نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وقد بين وجه كونه مرغوبا عنه كما أشار اليه بقوله (نذكره في موضعه) من هذا الكتاب وقد قال العلامة العلائي ان هذا القول خطأ لانه صلى الله تعالى عليه وسلم أخبر عن نفسه بوقوع النسيان منه في حديث ابن مسعود المتفق عليه انما أنا بشر أنسى كما تنسون وأيضا لو كان هذا عمدا أبطل الصلاة ولا يعلم العمد في صورة النسيان الا اذا بينه بالقول ولم ينقل عنه ذلك (وأما على) القول (باحالة السهو عليه في الاقوال) الصادرة عنه والمراد بالاحالة المنع كما يدل عليه مقابلته بالتجويز في قوله (وتجويز السهو عليه فيما ليس طريقه القول) من الاعمال كسهوه في الصلاة (كما سنذكره ففيه أجوبة منها) أي من الاجوبة عن قول القائل على هذا القول انك قلت انه لا يقع منه صلى الله عليه وسلم سهو في الاقوال وقد وقع منه ذلك في قوله كل ذلك لم يكن مع انه كان بعضه كما تقدم فاجاب عنه بقوله (أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أخبر) بقوله كل ذلك لم يكن (عن اعتقاده وضميره) أي ما أضمره في نفسه وقدره في كلامه من هذا القيد (اما انكاره) صلى الله تعالى عليه وسلم (القصر) أي ان الصلاة الرباعية نسخ كونها رباعية في الحضر فصارت ركعتين ولذا سلم منهما (فحق وصدق) لا شك فيه ولا شبهة (ظاهرا وباطنا) أي انكاره صلى الله تعالى عليه وسلم ذلك وقع منه ظاهر التصريحه به وباطنا لاعتقاده له اذ لم يوح اليه خلافه وما ينطق عن الهوى (وأما النسيان) أي انكاره صدوره منه في فعله مع وقوعه منه ولا يخبر بخلاف الواقع عمدا (فاخبر صلى الله تعالى عليه وسلم عن اعتقاده) ظنا منه لذلك والاعتقاد يطلق على اليقين والظن الراجح عنده فقوله لم أنس المراد به (وانه لم ينس في ظنه فكأنه) صلى الله تعالى عليه وسلم (قصد الخبر بهذا عن ظنه وان لم ينطق به) ولم يقل في اعتقادي وظني لكنه لارادته وتقديره في كلامه واضماره في نفسه كأنه كالملفوظ به المذكور صريحا لان المقدر كالصريح به فيكون كلامه هذا حقا (وهذا صدق) مطابق للواقع لانه في نفس الامر لم يظن انه نسي ولم يخطر ذلك بباله (أيضا) أي كما أن القصر كذلك أو كما أن المنطوق به صدق فلا يتوهم ان كونه صدقا مبني على ان الخبر الصادق ما طابق الاعتقاد والجمهور على خلافه * فان قلت فما بال ذي اليدين رد هذا بقوله بل كان بعض ذلك وهو لم يكن في ظنه واعتقاده * قلت لم يرد ذو اليدين تكذيبه صلى الله تعالى عليه وسلم وانما أراد تنبيهه على ان ظنه غير مطابق للواقع لانه أمر شرعي لا تسامح فيه فلما قال له ذلك شك صلى الله تعالى عليه وسلم في أمره وسأل من عنده من الصحابة فصدقوا ذا اليدين على ما قاله فكأنهم لم يسبقوا ذا اليدين بذلك مهابة له صلى الله تعالى عليه وسلم ولذا شك في أمره لانهم سكتوا عن أمر لا يخفى عليهم وفيهم مثل أبي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما والظاهر ان القول الاول مبني على عدم وقوعه في الاقوال البلاغية والافعال أيضا وخص الثاني بالذكر لانه محل الخلاف وقد وقع لبعضهم هنا خبط أعرضنا عنه لركاكته

فهو صادق في خبره لانه لم ينس ولا قصرت ولكنه على هذا القول تعمد هذا الفعل في هذه الصورة ليسنه لمن اعتراه مثله) أي أصابه نحوه من الائمة فيقتدى به في تدارك الحالة (وهو قول مرغوب عنه) أي مردود لنسبته الى التعمد في القضية (تذكره) وفي نسخة ونذكره (في موضعه) أي مع بيان ضعفه (وأما على احالة السهو) أي على كون السهو محالا (عليه في الاقوال وتجويزه السهو عليه فيما ليس طريقه القول) أي التبليغ (كما سنذكره) أي على القول الاصح (ففيه أجوبة) أي مرضية (منها أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أخبر عن اعتقاده وضميره) أي بحسب ظنه في قوله كل ذلك لم يكن (اما انكار القصر فحق وصدق باطنا وظاهرا) فلا شبهة فيه (وأما النسيان فاخبر صلى الله تعالى عليه وسلم عن اعتقاده) أي وفق اجتهاده (وانه لم ينس في ظنه فكأنه قصد الخبر بهذا) أي بعدم نسيانه (عن ظنه وان لم ينطق به) أي وان لم يصرح به وان لم يقل لم أنس فيما أظن به (وهكذا) ويروى وهو (صدق أيضا) لا ريبة فيه ولا شبهة

(و وجه ثان قوله ولم أنس راجع) أي مقوله (الى السلام أي اني سلمت قصدا او سهوت عن العدد أي لم أنسه في نفس السلام وهذا محتمل) أي من جهة العربية (وفيه بعد) أي عن صحة حمل القضية (ووجه ثالث وهو أبعد) ويروى أبعدها أي من النقل والعقل في تحقيق المعنى (ماذهب اليه بعضهم وان احتمله اللفظ) أي المبنى (من قوله كل ذلك لم يكن أي لم يجتمع القصر والنسيان بل كان أحدهما) وهذا بحسب مفهوم المعنى وهو غير معتبر عند الجمهور (ومفهوم اللفظ) أي المعتبر (خلافه) أي يخالفه لاسيما (مع الرواية الاخرى الصحيحة وهو قوله ماقصرت الصلاة ومانسيت) وفي نسخة ولا نسيت فانه دال على نفي وجودهما كليهما

(ووجه ثان) في الجواب عما ذكر على هذا القول وهو (ان قوله) صلى الله تعالى عليه وسلم في هذا الحديث على احدى الروايات كما تقدم (ولم أنس راجع الى السلام) من الصلاة والاقتصار على ركعتين أو ثلاث منها (أي اني سلمت قصدا) لنفس السلام فليس سبق لسان مني (وسهوت عن العدد) أي عدد الركعات فتوهمت اني أتممتها (أي لم أسه في نفس السلام) لظني اني أكملتها أربعا والمقصود من هذا دفع الخلف عما قاله (وهذا) التاويل (محتمل) بصيغة المفعول أي يجوز حمل الحديث عليه لما ذكرناه (و) لكنه (فيه بعد) لانه خلاف الظاهر وقول ذي اليدين له بلى نسيت كما تقدم في بعض الروايات مبعد له لا مناف ولا حاجة لان يقال ان ذا اليدين لم يفهم مراده وكذا قوله صلى الله تعالى عليه وسلم للصحابة أحق مايقوله ذو اليدين وقد قيل انه يأباه قرينة الحال والمقال وهو الذي عناه المصنف رحمه الله تعالى (ووجه ثالث وهو أبعدها) أي الاجوبة (ماذهب اليه بعضهم وان احتمله اللفظ) أي لفظ الحديث وبينه بقوله (من قوله كل ذلك لم يكن أي لم يجتمع القصر والنسيان) في الانتفاء بان ينتفيا معا (بل كان أحدهما) وهو النسيان لان النفي قد يكون لنفي المجموع وقد يكون لنفي واحد دالا على التعيين (ومفهوم اللفظ خلافه) أي يخالف هذا الجواب ويؤيده مافي بعض الروايات كما أشار اليه بقوله (مع الرواية الاخرى الصحيحة) في هذا الحديث (وهو قوله ماقصرت الصلاة ومانسيت) فان اعادة النفي تقتضي ان كل واحد منهما منفي لا أحدهما فقط يعني ان محصل هذا الجواب ان كل محمولة على الكل المجموعي نحو كل الرجال يحمل هذه الصخرة العظيمة وهذا وان كان صحيحا لكنه خلاف المتبادر لاسيما في النفي وسياق الحديث يأباه وكذا قول ذي اليدين بل كان بعض ذلك فان الموجبة الجزئية انما تنافي السالبة كما فصلوه في كتب المعاني والاصول وكذا ينافيه مافي الرواية التي ذكرها (هذا) المذكور من الاجوبة هو (ما رأيت فيه) أي في الحديث الذي تقدم بيانه رأيته مذكورا (لأئمتنا) أي المحدثين والفقهاء (وكل من هذه الوجوه) التي ذكرها (محتمل للفظ) يعني لفظ الحديث (على بعد بعضها) في الواقع وسياق الحديث (وتعسف الآخر منها) بفتح الخاء أي تكلفه وبعده عن الطريق المستقيم (قال القاضي أبو الفضل) عياض مصنف هذا الكتاب رحمه الله تعالى (والذي أقول) في الجواب عنه (ويظهر لي انه أقرب) الى الصواب (من هذه الوجوه) المذكورة (كلها ان قوله صلى الله تعالى عليه وسلم لم أنس) في الحديث (انكار اللفظ الذي نفاه عن نفسه) بقوله لم أنس بصيغة المتكلم (وأنكره على غيره) يعني كل أحد من أمته (بقوله) صلى الله تعالى عليه وسلم (بئسما لاحدكم) معاشر الملة والمسلمين أي ليس يستقيم لكل أحد من المسلمين (ان يقول نسيت آية كذا وكذا) كناية عن بعض الآيات القرآنية (ولكنه نسي) مبني للمجهول مشددة السين أي أنساه الله لانه فعل الله لا فعله فلا ينبغي اضافته له مع مافيه من الاشعار بتهاونه بالقرآن بمباشرة أسبابه المقتضية لذلك وقيل

سواء تكون نافية أو استفهامية وأيضا لو كان مفهومه ماتقدم لم يقل ذو اليدين قد كان بعض ذلك يارسول الله (هذا) الوجه الثالث (ما رأيت فيه لأئمتنا) أي المالكية أو الاعم فيشير الى انه مما ظهر له والله تعالى أعلم (وكل من هذه الوجوه) أي الثلاثة (محتمل اللفظ) وفي نسخة محتمل للفظ أي للمبنى وان كان الاخيران بعيدين في المعنى (على بعد بعضها) وهو الوجه الثاني (وتعسف الآخر منها) وهو الوجه الثالث (قال القاضي أبو الفضل رحمه الله تعالى) يعني المصنف (والذي أقول) أي واختاره (ويظهر لي انه أقرب من هذه الوجوه كلها ان قوله لم أنس انكار للفظ الذي نفاه عن نفسه) لان أصل النسيان الترك فكره عليه الصلاة والسلام ان يقول تركت باختياري (وأنكره على غيره) جملة حالية أي وقد أنكره عليه الصلاة والسلام فيما رواه الشيخان عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه (بقوله بئسما لاحدكم ان يقول نسيت آية كذا وكذا ولكنه نسي) بضم النون وتشديد السين المكسورة أي انساه الله اياها ولابي عبيد بئسما لاحدكم ان يقول نسيت آية كيت وكيت ليس هو نسي ولكنه نسي وهو أبين من الاول لكن فيه ان ظاهر الحديث يخص النسيان بآي القرآن فلا يعم سائر الاقوال والافعال من الشان ولعله مقتبس من قوله تعالى سنقرئك فلا تنسى الا ماشاء الله أي ما أراد الله تعالى انساءك اياه فينسيكه نعم رعاية عموم الحكم كما نبه عليه المصنف وقال

معنى نسى انه نسخت تلاوته لحكمة فيكون مخصوصا بزمانه صلى الله تعالى عليه وسلم فنهاهم عن ذلك لئلا يتوهم الضياع لمحكم القرآن و بئس من أفعال الذم أصلها بئس بمعنى اصابه البؤس ثم نقلت بغير لفظها ومعناها وفى ما الواقعة بعدها أقوال فقيل انها تامة وقيل موصولة وقيل نكرة فى محل نصب تمييز كما فصله النحاة ونسى مشدد كما روى بالتخفيف فى مسلم وقال المصنف كان الوقشى لا يجيز فيه الا التخفيف والثقيل هو الذى وقع فى جميع روايات البخارى وكذا هو روى وعليه أبو عبيدة وفى النهاية انه صلى الله تعالى عليه وسلم كره نسبة النسيان الى النفس لان الله تعالى هو الفاعل الحقيقى ولان النسيان معناه الترك فكره ان يقول الانسان تركت القرآن لاشعاره بالتهاون به وعلى رواية التخفيف معناه انه ترك وحرم الخير انتهى فاراد ارشادهم الى نسبة الافعال لخالقها واقرارهم بالعبودية والاستسلام وهو أدب أولى لا يمنع نسبتها المكتسبها كما قال موسى ويوشع عليهما الصلاة والسلام نسيت الحوت وقد ينسب للشيطان لانه بوسوسته نحو وما أنسانيه الا الشيطان ونسيان القرآن غير محمود لانه غفلة عنه وتفريط فيه لا ينبغى قيل ويحتمل ان يكون فاعل نسيت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم والمعنى لا يقل أحد عنى انى نسيت آية كذا فانه تعالى نسخها لحكمة كما مر وهذا الحديث رواه الشيخان وغيرهما وبما ذكرناه سقط ما قيل ان هذا الجواب الذى ارتضاه يرده قوله تعالى (واذكر ربك اذا نسيت لانه لو كان أدبا) علمه الله تعالى له لانه هذا اللائق واضافته له لنكتة لم يتفطن بها وقيل انه مخصوص بالقرآن لانه هو الذى علمه له فيكون هو الذى أنساه أيضا فتامل (وبقوله فى بعض روايات الاحاديث) كما فى موطا مالك (لست انسى) بصيغة المتكلم المعلوم المخفف (ولكنى انسى) بالمجهول المشددة أى ينسينى الله لحكمة كالتشريع وتعليم الامة (فلما قال له السائل) أى ذو اليدين (أقصرت الصلاة أم نسيت) يا رسول الله (أنكر قصرها كما كان) أى تحقق فى الواقع حقيقة (و) أنكر أيضا (نسيانه) صلى الله تعالى عليه وسلم لبعضها والمنكر من نسيانه (هو) ما كان (من قبيل نفسه) وفى نسخة قبل أى انه فعل ذلك بكسبه وتعاطى أسبابه من غير ايجاد الله تعالى له فيه وخلقه لما لم يكن فى جبلته كغيره (وانه ان كان جرى شئ من ذلك) النسيان (فقد نسى) بالمجهول وتشديد السين أى أوجده الله تعالى فيه من غير تعاط لاسبابه (حتى سال) صلى الله تعالى عليه وسلم (غيره) من الصحابة الحاضرين عنده (عنه) بقوله أحق ما يقوله ذو اليدين فقالوا نعم وهذا غاية بانه لم يعلم نسيانه لانه لم يقصر فى ذكر الله وطاعته فلهذا استبعد صدور مثله عنه * فان قلت اذا أنساه الله تعالى فلا بد ان ينسى لانه يطاوعه الذى لا ينفك عنه ولازمه الذى لا يفارقه * قلت اللازم وقوع نسيان أوجده الله تعالى فيه لحكمة لا ما صدر بتعاطى أسبابه وتقصيره كغيره (فتحقق انه نسى) بزنة علم أى أنساه الله فنسى لحكمة (وأجرى) الله (عليه ذلك) النسيان (ليسن) أى ليعلم أمته أحكام السهو كالسجود ونحوه (فقوله) صلى الله تعالى عليه وسلم (على هذا) التوجيه الذى استظهره (لم انس ولم تقصر و) قوله فى رواية أخرى (كل ذلك لم يكن حق) مطابق للواقع محقق (وصدق) لا ظن فيه كما توهم ومعناه (لم تقصر) الصلاة حقيقة فى نفس الامر (ولم أنس حقيقة) أى نسيانا صدر منى صدورا حقيقيا وأنا الفاعل له صورة وانما الفاعل له حقيقة هو الله وأنا آلة له نسبته الى كنسبة القطع للسكين كما هو مذهب الاشعرى فى أفعال العباد المضافة لهم وهذا لا ينافى كونه حقيقة لغوية كمات زيد (ولكنه نسى) بالبناء للمجهول والتشديد (ووجه آخر)

(وبقوله فى رواية الحديث الآخر) وفى نسخة فى بعض رواية الحديث الآخر (لست أنسى) بفتح الهمزة والسين (ولكنى) وفى نسخة ولكن (انسى) بصيغة المجهول مشددا ويجوز مخففا (فلما قال له السائل) وهو ذو اليدين (أقصرت الصلاة أم نسيت أنكر قصرها كما كان) أى فى نفس الامر (ونسيانه) أى وانكر نسيانه هو (من قبل نفسه) أى باختياره وتقصير من جانبه (وانه) أى الشان (كان جرى شئ من ذلك فقد نسى) بصيغة المجهول مشددا (حتى سال غيره) أى الصحابة كابى بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما بقوله أحق ما يقول ذو اليدين قالوا نعم (فتحقق انه نسى) بصيغة المجهول مشددا أى أنساه الله (وأجرى عليه ذلك) بالبناء للمفعول وكذا قوله (ليسن) أى ليقتدى وفى نسخة بالبناء للفاعل أى ليجعله سنة تقتدى بها الامة (فقوله على هذا لم أنس ولم تقصر) للبناء للفاعل أو المفعول (وكل ذلك) أى وقوله كل ذلك وفى نسخة اذ كل ذلك (لم يكن صدق) خبر لقوله فقوله (وحق تاكيد لم تقصر) أى كما فى نفس الامر (ولم ينس حقيقة) أى من قبل نفسه (ولكنه نسى) أى انساه الله تعالى اياه فكراهته عليه الصلاة والسلام نسبة النسيان الى النفس انما هى لاستناد الحوادث كلها الى الله تعالى اذ هو المقدر لها وللإشعار الى انه لم يقصد الى نسيانه ولم يكن باختياره فلم ينسب الى تقصيره (ووجه آخر) يؤذن بالفرق بين السهو والنسيان

فى

(استثرته) أى استخرجته من استثار بالمثلثة من باب الافتعال وأصله استثورته ومنه قوله تعالى فاثرن به نقعا والمعنى استنبطته (من كلام بعض المشايخ) أى ماخوذ من متفرقات كلامه فى تحقيق مرامه (وذلك انه) أى بعض المشايخ (قال ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كان يسهو ولا ينسى ولذلك نفى عن نفسه النسيان قال) أى بعض المشايخ (لان النسيان غفلة وآفة) أى بلية ناقصة ولذا قال تعالى فلا تنسى أى باختيارك الا ما شاء الله بان ينسيك من غير تقصير منك (والسهو انما هو شغل) بضم فسكون

وبضمتين وفى نسخة بالاضافة الى بال أى اشغال حال وهو لا ينافى صاحب كمال لانه يتنبه منه بادنى تنبيه فيه (قال) أى ذلك البعض (فكان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يسهو فى صلاته ولا يغفل) بضم الفاء أى ولا يذهل (عنها) بالكلية (وكان يشغله عن حركات الصلاة) أى وسكناتها من قراءتها وركوعها وسجداتها (ما فى الصلاة شغلا بها) أى بتحصيلها وتكميلها من حضور وسرور وخضوع وخشوع وتدبر قراءة فى مبانيها أو معانيها (لا غفلة عنها) بصرف الخاطر الى غيرها من الامور الدنيوية والاحوال الدينية بل لاستغراق وقع له فيها انما لا ينافيها (فهذا) أى القول بهذا المبنى (ان تحقق) بصيغة المفعول أو الفاعل أى ثبت (على هذا المعنى لم يكن فى قوله

ما قصرت) أى هى (وما نسيت) أى أنا (خلف) بضم أى اخلاف (فى قول) لعصمته عليه الصلاة والسلام من الخلف فى الكلام والله تعالى أعلم بحقيقة المرام (وعندى ان قوله صلى الله تعالى عليه وسلم ما قصرت وما نسيت بمعنى الترك الذى هو أحد وجهى النسيان أراد والله تعالى أعلم انى لا أسلم من ركعتين تاركا لاكمال الصلاة ولكنى نسيت ولم يكن ذلك من تلقاء نفسى والدليل على ذلك قوله صلى الله تعالى عليه وسلم فى الحديث الصحيح انى لا أنسى أو أنسى لاسن) وهذا أوضح وأثر التكرار عليه لائح

فى الجواب عما فى هذا الحديث (استثرته) بسين مهملة ومثناة فوقية ومثلثة وراء مهملة وأصله استثورته ومنه فاثرن به نقعا وهو من ثار الغبار يثور اذا انتشر وعلا فشبهه لخفائه بشئ مدفون نبش التراب عنه حتى ظهر له أى استخرجته بفهمى وولدته (من كلام بعض المشايخ) وان لم يصرحوا به وينصوا عليه وهو مبنى على الفرق بين السهو والنسيان (وذلك) الوجه المستخرج (انه) أى بعض المشايخ (قال ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كان يسهو ولا ينسى) لان السهو ما يقع بادنى غفلة ويتنبه له بادنى تنبيه والنسيان ما يزول عن الحافظة بالكلية حتى يحتاج لتذكير كثير (ولذلك نفى عن نفسه النسيان) اذ قال لم أنس (قال لان النسيان غفلة وآفة) أى كالمرض الذى يعرض له ولذا عده الاطباء من الامراض الدماغية المحتاجة للعلاج (والسهو انما هو شغل بال) أى يحصل عندما يعرض من شغل البال بامور ه والنظر لغيره بحيث يتنبه له سريعا (قال فكان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يسهو فى صلاته) كما وقع له مرارا لمراقبته لربه وتوجهه له (ولا يغفل) بضم الفاء (عنها) أى عن صلاته لتنزيهه عن أن يستولى على قلبه الشريف ما يلهيه عن عبادته (وانما كان يشغله عن حركات الصلاة) فى السجود والركوع (ما فى الصلاة) من قرة عينه بمشاهدة تجليات ربه وتدبر آياته (شغلا بها لا غفلة عنها) بغيرها فلذا كان صلى الله تعالى عليه وسلم يسهو ولا ينسى (فهذا) المذكور (ان تحقق) وتصور حقيقة (على هذا الوجه) (المعنى) الذى قرره (لم يكن فى قوله) صلى الله تعالى عليه وسلم (ما قصرت الصلاة وما نسيت) فى الحديث (خلف فى قول) صدر منه حين سئل عنه وقد تقدم ان هذا مخالف لما روى من قوله صلى الله تعالى عليه وسلم انى أنسى كما تنسون وان الفرق بينهما لغة فيه شئ يعلم مما تقدم (ووجه آخر) وفى نسخة وعندى ان فى الجواب وجه آخر وهو (ان قوله) عليه الصلاة والسلام (ما قصرت الصلاة وما نسيت بمعنى الترك وهو أحد وجهى النسيان) أى أحد معنييه الواردين فى كلام الله وغيره كما اذا أسند الى الله تعالى وهو مجاز مشهور ملحق بالحقيقة (أراد) وفى نسخة أراد والله أعلم على هذا التقدير (انى لم أسلم من ركعتين تاركا كمال الصلاة) عن قصد (ولكنى نسيت) أى سهوت عن اتمامها والمنفى فى كلامه الترك عمدا وهو لا ينافى السهو والنسيان (ولم يكن ذلك) أى ترك الاتمام (من تلقاء نفسى) أى من عند نفسه وقصده له (والدليل على) صحة (ذلك قوله صلى الله تعالى عليه وسلم فى الحديث) الآخر (الصحيح انى لا أنسى) أى أترك قصدا (أو أنسى) من غير قصد بل بارادة الله تعالى وايجاده فى ذلك لحكمة أشار اليها بقوله (لاسن) تقدم تفسيره وهذا مبنى على احد التفسيرين فى هذا الحديث وقد تقدم فيه وجه آخر هو أقرب من هذا والمراد به أسهو بما تعاطيت أسبابه من الاشغال أو بدونه لحكمة ربانية وبقى فى هذا الحديث أمور أخر مما يتعلق بانه صلى الله تعالى عليه وسلم وقع منه أفعال وكلام فى أثناء صلاته قبل اتمامها ومثله يبطل الصلاة والكلام فيه طويل الذيل أفرده الحافظ العلائى بتاليف نفيس ولما لم يتعرض المصنف رحمه الله تعالى لذكر الحديث بتمامه أضربنا عنه صفحا فان أردته فخذه من معدنه ولصعوبة الكلام فى هذا المقام ختمه فى بعض النسخ

وأما قصة كلمات ابراهيم عليه السلام المذكورة) أي في الحديث كما في نسخة (انها كذباته) جمع كذبة بفتح فكسر في المفرد والجمع خلافا للتلمساني حيث قال بفتح الذال جمع كذبة بسكونها (الثلاث المنصوصة) أي الصريحة (في القرآن) ففيما رواه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه لم يكذب ابراهيم الا ثلاث كذبات (منها اثنتان قوله اني سقيم) في الصافات فنظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم (وبل فعله كبيرهم هذا) في سورة الانبياء قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا فاسئلوهم ان كانوا ينطقون (وقوله للملك عن زوجته) أي سارة حين أخذها سأله عنها فقال (انها أختي) أي في الاسلام خشية أن يقتلها لو قال انها زوجتي ولقد نجاها الله منه بما اعتراه من الخوف وأخدمها هاجر ام اسمعيل أبي العرب جد نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم أحد الذبيحين على ما ورد قال الحلبي فان قيل ما الحكمة في عدوله عن قوله هذه زوجتي الى هذه اختي وظاهر الحال انه لو قال هذه زوجتي ربما كان الملك لا يتطرق الى امرأة زوجها معها ان كان يعمل بالشرع ولكنه صار كما وصف في الحديث فما يبالي أكانت زوجة أم أختا بخلاف ما اذا قال هذه أختي ربما كان يقول الملك زوجنيها ويكون عدوله عن امرأتي الى أختي ادعى لاخذ الملك لها فالجواب ما قاله بعض مشايخي فيما قرأته عليه عن ابن الجوزي انه وقع له ان القوم كانوا على دين المجوس وفي دينهم ان الاخت اذا كانت مزوجة كان أخوها الذي هو زوجها أحق بها من غيره وكان ابراهيم عليه السلام أراد أن يستعصم من الجبار بذكر الشرع الذي يستعمله فاذا الجبار لا يراعي دينه وقد اعترض على هذا الجواب بان الذي جاء بمذهب المجوس زرادشت وهو متأخر عن ابراهيم عليه السلام وأجيب بان لمذهبهم أصلا قديما ادعاه زرادشت وزاد عليه خرافات أخر انتهى وقيل كان من عادة ذلك الجبار أن لا يتعرض الا لذات الازواج ولذلك قال الخليل لها ان يعلم انك امرأتي يغلبني عليك وحكي ان الملك كان بمصر وأراد ابراهيم أن يجتازها هو ومن المؤمنين وكانوا ثلاثمائة وعشرين رجلا وجمع بينهم احناطه الذي يبيع طعامه وهو الذي وشى بسارة وحملها الى الملك فاهوى اليها بيده مرارا فلم يستطع وابراهيم ينظر اليهم من خارج القصر بعد ان أمر الملك باخراجه ومثل الله تعالى لابراهيم القصر كالقارورة حتى انه ينظر من خارجه كل ما كان في داخله

بقوله (والله الموفق للصواب) أي المقدر على ادراكه والقيام به وهو الحكم المطابق للواقع فيرزقني موافقة ما هو الواقع من ذلك والتوفيق خلق القدرة على الطاعة المقارنة لها وتقدم الكلام عليه في الخطبة (وأما قصة كلمات ابراهيم) الخليل عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام الواردة على ما قدمه من ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام لا يصدر عنهم خلف في أقوالهم وينافيه ما في هذه القصة عن أجل الانبياء بعد نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم (الواردة) في نسخة المذكورة (في الحديث) الصحيح الذي رواه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال انه لم يكذب ابراهيم الا ثلاث كذبات الى آخره واليه أشار المصنف رحمه الله تعالى بقوله (المذكورة انها كذباته) بفتح الهمزة بدل من قصة أو معمولة للمذكورة وكذباته بفتح الكاف والذال المعجمة جمع كذبة بسكونها لان عين فعلة اسما تحرك في الجمع كثمرة وثمرات وركعة وركعات الا اذا كانت صفة أو مضاعفة أو معتلة العين كضخمات وجوزات كما في المغرب وقيل انه يقال بكسرها في المفرد والجمع فهي جمع كذبة اسم جامد (الثلاث المنصوصة) أي المذكورة صريحا (في القرآن منها) أي من تلك الكذبات (اثنتان في قوله تعالى) في سورة الصافات فنظر نظرة في النجوم فقال (اني سقيم) كما سيأتي بيانه (و) قوله تعالى في سورة الانبياء (قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم) قال (بل فعله كبيرهم هذا) فاسئلوهم ان كانوا ينطقون (وقوله) في قصة ابراهيم بهذه هي الثالثة الواردة في الحديث (للملك) بكسر اللام أي سلطان زمانه لما سأل ابراهيم عليه السلام وفي اسم هذا الملك اختلاف فقيل سنان وقيل عمرو وقيل صادون وقيل عمرو بن امرئ القيس ملك مصر (عن زوجته) سارة رضي الله عنها حين أخذها لما وصف له جمالها وسأله عنها فقال (انها أختي) قاله صلى الله تعالى عليه وسلم تقية خشية أن يقتله لو قال انها زوجتي فنجاه الله منه كما سيأتي تفصيله ولما كان هذا واردا على ما قرروه من عصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام عن الكذب عمدا وسهوا أورده على سبيل السؤال ثم أورد الجواب عنه بما سيأتي مفصلا وأورد على الحصر الوارد في الحديث بقوله ما كذب ابراهيم الا ثلاث كذبات ان ثمة رابعة وقوله في الكوكب هذا ربي وقد تعرض لهذا الحافظ ابن حجر في شرح البخاري ولم يجب عنه بما يشفي الغليل والذي يدفعه ان تقديره أهذا ربي على طريق الاستفهام التوبيخي لالزامهم بالحجة كما قرره المفسرون وحاصل قصة سارة ان جبارا من الجبابرة قيل له ان هنا رجلا معه امرأة من أحسن النساء فأرسل اليه وسأله عنها فقال هي اختي ثم قال صلى الله تعالى عليه وسلم لها انه ليس على وجه الارض مؤمن غيري وغيرك الآن يعني انها أخوة الاسلام لا النسب كما قال تعالى (انما المؤمنون اخوة) كما يأتي بيانه

(فاعلم أكرمك الله تعالى ان هذه) أى كلمات ابراهيم عليه الصلاة والسلام (كلها خارجة على الكذب) بفتح فكسر ويجوز كسر
أوله وسكون ثانيه (لا فى القصد ولا فى غيره) أى من السهو والخطا والنسيان (وهى) أى الكلمات الثلاث
(داخلة فى باب المعاريض التى فيها مندوحة عن الكذب) أى سعة وفسحة عنه ومنه قول أم سلمة لعائشة قد جمع ذيلك فلا تندحيه أى لاتوسعيه وتنشريه ارادت قوله تعالى وقرن فى بيوتكن وهذا ماخوذ من حديث أبى عبيد وغيره عن عمران بن حصين يرفعه ان فى المعاريض لمندوحة عن الكذب وهو جمع معراض من التعريض ضد التصريح من القول فهى فى الحقيقة صدق عرض بها ليتوصل الى غرضه من مكايدة قومه والزامهم الحجة فى ذات الله تعالى ومرضاة ربه فمعاريض الكلام ان يتكلم الرجل بكلمة يظهر من نفسه شيا ومراده شئ آخر وقد كان السلف يورون عند الحاجة والضرورة فقد روى عن ابراهيم النخعى انه كان اذا طلبه فى الدار من يكرهه قال للجارية قولى له أطلبه فى المسجد وكان الشعبى اذا طلبه أحد يكرهه يخط دائرة
ويقول للجارية ضعى الاصبع فيها وقولى ليس ههنا (أما قوله انى سقيم فقال الحسن) أى البصرى (وغيره معناه ساسقم) من باب فرح وكرم والاول أفصح

ذلك فلما أتى بها له تناوله بيده فشلت يده فقال لها ادعى الله لى ولا أضرك فدعت له فاطلق ثم فعل مثل ذلك ثانية وثالثة فقال لهم ما أتيتمونى الا بشيطان وقوله انه سقيم لانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان لا ياتى معهم فى أعيادهم لاصنامهم فينظر لنجم طالع فقال هذا يطالع اسقمى كما يأتى وكانوا أهل فلاحة وزراعة ينظرون فى النجوم وأحكامها وكان ذلك مما أوحاه الله لهم فلما حبست الشمس ليوشع عليه الصلاة والسلام أبطله الله تعالى وقال الضحاك انه بقى لزمن عيسى عليه الصلاة والسلام فدعى الله برفعه فرفع وحرم النظر فيه شرعا وفيه بحث وكان ابراهيم عليه الصلاة والسلام حاج عبدة الاصنام فلما عجز عنهم كسرها وجعل فأسه فى عنق صنم أكبرها لم يكسره ليلزمهم الحجة كما قصه الله تعالى فى كتابه الحجة و بينه المفسرون وقد علمت ان قوله أختى المراد به اخوة الاسلام وانه انما قاله ليمتنع الملك من أخذها أولئلا يقتله لانهم كانوا لا ياخذون منكوحة الغير أو كانوا يقتلونه أو قال ذلك ليعلمه غيرته عليها أو أراد انها ليست جارية له فى ملك يمينه فيطلب منه بيعها له وقد علم ان الله طهر حرم الانبياء عن الفواحش فنزههم عما يأباه مقامهم وقوله كلمات ابراهيم دون كذبات فيه أدب لطيف وصرح به بعده اتباعا للحديث وبيانا لنشر السؤال (فاعلم أكرمك الله) دعاء له بالاكرام لاكرامه الانبياء عليهم الصلاة والسلام بمعرفة علو مقاماتهم عما فيه شين لهم (ان هذه) اشارة الى كلمات ابراهيم عليه الصلاة والسلام (كلها خارجة عن الكذب) لان الله تعالى عصمه عنه قبل النبوة وبعدها (لا فى القصد ولا فى غيره) من السهو والنسيان لما مر (وهى) أى الكلمات المذكورة (داخلة فى باب المعاريض) جمع معراض ويقال معرض بكسر الميم وجمعه معارض وهو من التعرض وهو خلاف التصريح والتلويح نوع من الكناية كالتورية بان يتكلم بما يوهم خلاف مراده كقوله أختى المحتمل لمعنيين كما تقدم * فان قلت قوله أختى أدعى لاخذ الملك لها بان يقول له زوجنيها فلا وجه للعدول عن الظاهر * قلت نقل البرهان عن ابن الجوزى رحمه الله تعالى انه عليه الصلاة والسلام علم انهم على دين المجوس ومن دينهم ان الاخت اذا تزوجها أخوها كان أحق بها من غيره فالتجأ لما يعتقده فى دينه فاذا هو جبار لا يراعى دينه وقد ارتضى هذا الجواب غيره واعترض بان المجوسية دين زرادشت وهو بعد ابراهيم عليه الصلاة والسلام وأجيب بانه دين قديم وانما زرادشت أظهره وزاد فيه خرافات فتامل (التى فيها مندوحة) أى فى المعاريض سعة يتخلص بها من الكذب من ندح بمعنى توسع ومندوحة بفتح الميم وضمها لحن وفى كتاب لحن العوام للزبيدى يقال له عن هذا الامر مندوحة ومنتدح والمنتدح المكان الواسع وهو الندح أيضا من انتدحت الغنم فى مراحها وقال أبو عبيدة المندوحة الفسحة والسعة ومنه انداح بطنه اذا انتفخ واندحى لغة فيه وهو غلط من أبى عبيدة لان نونه أصلية وانداح انفعال نونه زائدة واشتقاقه من الدوح وهو السعة انتهى أقول تبعه فيها الجوهرى وخطاه فيه صاحب القاموس (عن الكذب) أى فى سعة القول ما يغنى عن تعمد الكذب فهو صدق لا كذب فيه وقد علمت انه ضمنه معنى التخلص ولذا عداه بعن وفى الحديث أن فى معاريض الكلام مندوحة عن الكذب رواه البخارى فى الادب المفرد مسندا موقوفا على عمران بن حصين رضى الله عنه وأخرجه الطبرانى والبيهقى من طريق آخر عن قتادة مرفوعا وحسنه العراقى فلا عبرة بقول الصاغانى انه موضوع والى بيان هذا الحديث أشار المصنف رحمه الله تعالى بقوله (أما قوله) أى ابراهيم عليه الصلاة والسلام فيما حكاه الله تعالى عنه (انى سقيم فقال الحسن) أى الحسن البصرى الذى تقدمت ترجمته (غيره) من العلماء فى الجواب عنه (معناه) انى (ساسقم) فى

(أي ان كل مخلوق معرض لذلك) بتشديد الراء المفتوحة أي معرض للسقم ومقابل له (فاعتذر لقوله من الخروج) أي تقاعد بأمنه (معهم الى عيدهم) أي محل اجتماعهم (بهذا) التعريض روي انه أرسل اليه ملكهم ان غدا عيدنا فاخرج معنا وقد أراد التخلف عنهم فنظر الى نجم فقال ان هذا النجم ما طلع قط الا أسقم أي مشارف للسقم وهو الطاعون لانه كان أغلب اسقامهم وكانوا يرهبون العدوى فنفروا عنه وتخلصوا منه (وقيل بل سقيم بما قدر على من الموت) أي عرض لهم بان من كان هدفا للبلايا وغرضا للبلايا فهو سقيم بما قدر عليه من الموت كما روي ان رجلا مات فجأة فقيل مات وهو صحيح فقال اعرابي أصحيح وفي عنقه الموت (وقيل بل سقيم القلب بما أشاهده) ويروى بما شاهدته (من كفركم) بالرب الاحد (وعنادكم) بالميل عن طريق الحق والادب (وقيل بل) قال سقيم لانه (كانت الحمى تأخذه عند طلوع نجم معلوم) له أولهم (فلما رآه اعتذر بعبارته) التي تعتريه عند طلوعه وتغيره في حالته (وكل هذا) أي ما ذكر من الاجوبة (ليس فيه كذب) أي صريح (بل خبر صحيح صدق) أي هو قول حق (وقيل بل عرض) بتشديد الراء أي ورى في قوله (بسقم حجته عليهم) أي بعدم نفع موعظته لديهم (وضعف

المستقبل (أي ان كل مخلوق معرض) اسم مفعول مشدد الراء (لذلك) أي للسقم والمرض (فاعتذر لقومه من الخروج معهم الى) محل (عيدهم) أي ذكر عذرا لهم في عدم خروجه معهم لمحل اجتماعهم في أعيادهم عند أصنامهم لما أراد واخروجه معهم اليها وفعيل بمعنى فاعل حقيقة في الحال ويجوز ان يراد به الاتصاف في المستقبل مجازا والقرينة انما يشترط لفهم المخاطب لا للخروج عن الكذب اذا نواه فانه مصدق فيه شرعا كما قيل وفيه بحث لان الفرق بين الكذب والمجاز انما هو بالقرينة وعدمها فما قاله يعود عليه بالضرر والذي ينبغي أن يقال ان سقيم ومريض ملحق بالاسماء الجوامد كمؤمن وكافر فلا يختص بزمان فهو حقيقة فيما ذكر وهو ظاهر كلام الكشاف فانه قال من في عنقه الموت سقيم وفي المثل كفى بالسلامة داء وقال لبيد ودعوت ربي بالسلامة جاهدا * لتصحبني فاذا السلامة داء ومات رجل فجأة فقالوا مات وهو صحيح فقال اعرابي أصحيح من الموت في عنقه ومنه أخذ المتنبي قوله قد استشفيت من داء بداء * فاقتل ما أعلك ما شفاكا فلا يرد عليه ما قيل انه مجاز والاصل الحقيقة والذي غره قوله معناه ساسقم (وهذا) أي الجواب أو الامر هذا كما تقدم وفي نسخة بهذا فهو متعلق باعتذر (وقيل) أي وقد قيل فالجملة حالية بتقدير قد بل (سقيم بما قدر على من الموت) يعني انه أراد بسقيم انه حزين مشغول الفكر بعلمه من انه لا بد من الموت والغم مرض من الامراض القلبية ومن كان كذلك لا يليق به أن يفرح بالاعياد ولا يكون في محال اللهو واللعب ولذا ورد كما تقدم انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان متواصل الاحزان وفي الحديث لو تعلم البهائم من الموت ما تعلمون ما أكلتم منها سمينا فوري عليه الصلاة والسلام عما أراد بهذا (وقيل) معناه (اني سقيم القلب) أي قلبي متألم (بما شاهدته) وفي نسخة أشاهده (من كفركم وعنادكم) في الباطل وعدم قبول الحق (وقيل بل كانت الحمى تأخذه) أي تعرض له عليه الصلاة والسلام وتستولي عليه حتى كأنها أخذته وأسرته (عند طلوع نجم معلوم) له أولهم ولذا قال نظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم (فلما رآه) أي رأى ذلك النجم طالعا (اعتذر) لهم بعدم حضور اعيادهم معهم (بمادته) من السقم الذي يعرض له اذا طلع ذلك النجم وهذا الجواب ذكره النووي أيضا وقال ابن حجر انه بعيد لانه يكون حقيقة وليس من المعاريض والتورية في شئ ورد بان المعاريض أن يذكر ما يدل على معنى قريب ومعنى بعيد فيراد البعيد ويوهم مخاطبه انه أراد القريب وهذا كذلك لان ظاهره انه سقيم بالفعل حالا والمراد انه في زمان مرض وسقم لم يكن والفرق بين هذا وبين الجواب الاول ظاهر لمن تدبر (وكل هذا) على ما ذكره من التأويل الذي صرفه عن ظاهره (ليس فيه كذب) كما يتوهم من ظاهره (بل هو خبر صحيح صدق) أي صادق مطابق للواقع وانما سماه كذبا في الحديث باعتبار ما يتبادر لذهن السامع من ظاهره لا حقيقة فلا اعتراض عليه به (وقيل) في الجواب (بل عرض) أي قاله بطريق التعريض والتورية به وراؤه مشددة من التعريض (بسقم حجته) أي ضعف دليله الذي أقامه (عليهم) متعلق بحجته بمعنى احتجاجه عليهم في عبادة غير الله (وضعف ما أراد بيانه لهم) من توحيد الله ونفي الشريك بدليل عقلي أراد اقامته عليهم (من جهة النجوم) لما رأى كوكبا فقال هذا ربي كما قصه الله تعالى عنه (التي كانوا يشتغلون بها) أي بعبادتها وتعظيمها واسناد الامور اليها (وانه) أي ابراهيم عليه الصلاة والسلام (أثناء نظره في ذلك) أي في خلال

ما أراد بيانه لهم من جهة النجوم التي كانوا يشتغلون بها) أي تعظيما لها اذ عمدة الناظر فيها التخمين وهو لا يجدي نفعا في مقام اليقين قيل كان القوم نجامين أي متعاطين لعلوم النجوم فاوهمهم انه استدل بامارة في علم النجوم على انه سقيم وعرض بسقم حجته وضعف ما أراده من بيان بينته (وانه) أي ابراهيم عليه الصلاة والسلام (كان أثناء نظره في ذلك) اليهم

نظره

(وقبل استقامة حجته عليهم في حال سقم) بفتحتين و بضم فسكون أى تغير (باله ومرض حاله) لديهم فجعل سقم حجته وضعف موعظته سقما مجازا عن تعب القلب (مع انه) أى ابراهيم عليه الصلاة والسلام (لم يشك هو) بل تيقن ايقانه (ولا ضعف ايمانه)
بل قوى كل ساعة برهانه (ولكنه ضعف) أى بيانه (فى استدلاله عليهم وسقم نظره) أى فكره فيما يتوجه اليهم (كما يقال حجة سقيمة ونظر معلول) اللغة الفصيحى معل أو معال فقد قال ابن الصلاح قول الفقهاء والمحدثين معلول مردود عند أهل العربية وقال النووى انه لحن وقال صاحب المحكم والمتكلمون يستعملون لفظة المعلول كثيرا ولست منها على ثقة لان المعروف انما هو أعله فهو معل اللهم الا ان يكون على ماذهب اليه سيبويه فى قولهم مجنون ومسلول من انهما جاآ على جننته وسللته وان لم يستعملا فى الكلام استغناء عنهما بافعلت واذا أردوا جن وسل فانما يقولون حصل فيه الجنون والسله (حتى ألهمه الله باستدلاله) أى الواضح لديهم (وصحة حجته عليهم بالكوكب والقمر والشمس ما نصه الله تعالى) أى ماصرحه وفى نسخة ماقصه أى حكاه حيث ذكر تبيانه (وقدمناه) وفى نسخة وقد قدمنا (بيانه) أى ما يوضح حجته و برهانه (وأما قوله بل فعله كبيرهم هذا الآية) أى فاسالوهم ان كانوا ينطقون (فانه علق خبره) أى بفعل كبيرهم (بشرط نطقه) مع غيره (كأنه قال ان كان ينطق) أى كبيرهم (فهو فعله) مع علمه بانه لا ينطق (فهو على طريق التبكيت) أى التوبيخ والتقريع (لقومه) فى اعتقادهم الفاسد وزعمهم الكاسد فى الوهية كواكب وحجارة لا تضر ولا تنفع وتعظيمهم لها وعبادتهم اياها (وهذا) القول بهذا المعنى (صدق) أى وحق أيضا (ولا خلف فيه) أصلا

نظره وتقدم انه جمع ثنى بمعنى مثنى والنظر بمعنى التفكر والتامل فيما يناظرهم به (وقبل استقامة حجته عليهم) أى اقامة دليل ملزم لهم (فى حال سقم ومرض حال) خبر انه فجعل سقم حجته لعدم فائدتها بمنزلة مرض نفسه و بدنه يعنى انهم كانوا ينسبون التأثيرات للنجوم و يعظمونها و يشتغلون بها لعلمهم بالنجوم وارصادها فاراد ابطال اعتقادهم فيها وان حججهم واهية فلم يقل ذلك لهم ابتداء بل نسبه لنفسه تعريضا بهم كما قال * اياك اعنى فاسمعى ياجارة * وهذا أحسن فى الزام الخصم وتعريفه على وجه لا يغضبه ويهيج حميته لجاهليته (مع انه) أى الخليل صلى الله تعالى عليه وسلم (لم يشك هو) أى لم يقع منه شك فى ربه (ولا ضعف ايمانه) حتى يحتاج الى الادلة الضعيفة (ولكنه ضعف) حاله (فى استدلاله عليهم) لابطال عبادتهم للنجوم والاوثان تبكيتا لهم وزجرا (وسقم نظره) أى مناظرهم به حتى لم تتم حجته التى أقامها عليهم ثم بين صحة اتصاف الدليل بما ذكر لغة فقال (يقال حجة سقيمة) فتوصف بذلك مجازا (ونظر) أى فكر ودليل (معلول) أى ضعيف مدخول وقيل ان هذه العبارة ملحونة وان وقعت فى عبارة المحدثين والصواب معل والمعلول انما هو من العلل وهو الشرب مرة بعد أخرى كقوله * كأنه منهل بالراح معلول * وردبانهم استغنوا بمفعول عن مفعل كما قالوا أحمد الله تعالى فهو محمود وقد صرح به سيبويه وذكره فى المحكم فقول ابن الصلاح والنووى انه لحن مردود وان تبعهما بعض الشراح هنا (حتى ألهمه الله) وألقى فى نفسه ومن عليه (باستدلاله) الباء سببية (وصحة حجته عليهم) أى احتجاجه (بالكواكب والقمر والشمس) متعلق باستدلاله (ما نصه الله) مفعول الهم (وقدمنا بيانه) وايضاحه فى هذا الكتاب والحاصل انه لا يلزم من ضعف الدليل ضعف الايمان بل قد يثلج صدر ذى العقل السليم بيقين لا شبهة فيه عنده وهو لا يقدر على اقامة دليل عليه (وأما قوله) أى الخليل عليه السلام فى الاصنام التى كسرها وترك أكبرها وقد علق الفاس فى عنقه كما مر وقال ما فعلته (بل فعله كبيرهم هذا الآية) والحال انه أى ان كبير الاصنام لم يفعل ولا قدرة له على الفعل فهو مخالف للواقع من جهتين مع انه صلى الله تعالى عليه وسلم معصوم فى أقواله (فانه علق خبره) الذى ذكره (بشرط نطقه) فى قوله فاسئلوهم ان كانوا ينطقون فهو (كانه قال ان كان ينطق فهو فعله) وانما قاله مع علمه بعدم نطقه لغرضه (على طريق التبكيت لقومه) عبدة الاصنام فوبخهم بانكم كيف تعبدون جمادا لا ينطق ولا يقدر على شئ لو قدر ودفعوا عن أنفسهم ففيه تجهيل لهم واستهزاء بهم لتعظيمهم ما لا يضر ولا ينفع وذكر الكواكب هنا لا وجه له (وهذا صدق) أى خبر صادق (أيضا) كما صدق ما قدمه (ولا خلف فيه) بضم الخاء وفتحها الا ان صدق الشرطية بمقدمها ومؤخرها على سبيل الفرض وهو فرض محال بالاضافة صحيح لا غرض محال بالتوصيف وليس هذا مبنيا على ان جملة الجواب جملة خبرية مقيدة بالشرط والجملة المقيدة بقيد صدقها وكذبها بتحقق القيد وعدمه كما هو مسلك أهل العربية وأهل الميزان على خلافه لان الشرطية مجموعها قضية فى قوة الحملية والخبر عنه مجموع الشرط وجوابه كما قيل فان هذا بناء على ما قاله السيد فى حواشى المطول وغيره فان الحق ما قاله السيد وانه لا خلاف بين النحاة والمنطقيين فى هذه المسئلة فان مآلهما واحد كما حققه المدقق فتح الله فى

يكذب ابراهيم فذكره (وقال انك وفي نسخة فانك أختي في الاسلام وهو صدق والله تعالى يقول انما المؤمنون اخوة) وقد روى انها كانت بنت عمه ومثل هذه قد يقال لها الاخت في النسب أيضا (فان قلت هذا) وفي نسخة فهذا (النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قد سماها) أي الكلمات الثلاث (كذبات وقال لم يكذب ابراهيم الا ثلاث كذبات وقال في حديث الشفاعة ويذكر كذباته) على ما رواه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه (فمعناه) أي معنى وصفها بكونها كذبات (انه لم يتكلم بكلام صورته صورة الكذب وان كان حقا في الباطن) أي في نفس الامر (الا هذه الكلمات) أي الثلاث وهي اني سقيم وفعله كبيرهم وهذه أختي (ولما كان مفهوم ظاهرها خلاف باطنها اشفق ابراهيم عليه الصلاة والسلام) أي خاف (من مؤاخذته) وفي نسخة بمؤاخذته (بها) لعلو شان الانبياء عن الكناية بالحق في باب

حواشي التهذيب وليس هذا محله الا انه يقتضي ان قوله فعله كبيرهم جواب الشرط أو دال عليه فهو في معناه وقوله فاسألوهم جملة معترضة مصدرة بالفاء كما في قوله

واعلم فعلم المرء ينفعه * ان سوف يأتي كل ما قدرا

وقد يقال انه بيان لما يفيده الكلام من غير نظر لما ذكر وهو الظاهر يعني ان قصده بنسبة الفعل الصادر منه لكبيرهم الاستهزاء والتهكم به لتبليغ ما قصده من الزامهم الحجة برجوعهم الى أنفسهم ونظرهم لما هم عليه من الباطل الذي لا يقبله عقل سقيم فضلا عن عقل سليم وفي الآية وجوه هذا أولاها وأحسنها ولذا اقتصر عليه المصنف رحمه الله تعالى فان أردت الوقوف عليها فانظر في الكشاف وشروحه (وأما قوله) أي الخليل عليه السلام للجبار الذي أراد أخذ زوجته حين ساله عنها فقال هذه (أختي) لارادة ان يخلصها منه وليس هذا بكذب (فقد بين) بالبناء للمفعول (في الحديث) الذي رواه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه انه لا كذب فيه (وقال فانك أختي في الاسلام) والدين الحق الذي كانا عليه (فهو) على هذا (صدق) أي كلام صادق حق والاخوة تطلق على المشاركة في الصفات مجازا مرسلا أو استعارة من المشاركة في النسب (والله تعالى يقول) في القرآن (انما المؤمنون اخوة) وهذا يدل على صحة اطلاقه وحسنه أي اخوة في الدين وفي الحديث المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله وهو قد شاع حتى قيل انه حقيقة عرفية وقد تقدم تتمة لهذا (فان قلت) انه على هذا ليس فيه شيء من الكذب (فهذا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قد سماها) أي أطلق عليها انها (كذبات وقال لم يكذب ابراهيم عليه الصلاة والسلام الا ثلاث كذبات) وفي مسلم اثنتين في ذات الله وواحدة في شان سارة الحديث قال القرطبي ذات الله وجوده المنزه عما يليق به وفيه دليل على جواز اطلاق الذات على وجوده المقدس فلا يلتفت لمن أنكره من المتقدمين فتامله ثم قال وروى انها أربع والرابعة قوله للكوكب هذا ربي وانما لم يعدها لانه كان في حال الطفولية وعدم التكليف انتهى وتقدم الكلام فيه وهذا ينافي ما قررته وبينته (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم (في حديث الشفاعة) للناس يوم القيامة (ويذكر كذباته) هو مقول القول يشير الى ما في حديث الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه انهم يأتون ابراهيم عليه الصلاة والسلام ويقولون له انت نبي الله وخليله اشفع لنا الى ربك الا ترى ما نحن فيه فيقول لهم ان ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله ولا بعده مثله واني قد كنت كذبت ثلاث كذبات ويذكرهن اذهبوا الى غيري الحديث فقد صرح الخليل نفسه عليه الصلاة والسلام بان هذا وقع كذبا منه فيدل على خلاف ما قدمناه سابقا وجواب الشرط قوله (فمعناه) أي معنى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم لم يكذب ابراهيم الا ثلاث كذبات (انه لم يتكلم بكلام صورته صورة الكذب وان كان حقا في الباطن) المراد به ما أخفاه وأضمره في نفسه أو المراد به ما خفي معناه وخلاف الظاهر (الا هذه الكلمات) المذكورة وهي الثلاث المتقدمة ثم أشار الى الجواب عما وقع في حديث الشفاعة بقوله (ولما كان مفهوم ظاهرها) أي ظاهر الكلمات المذكورة قبل النظر لما قصده منها (خلاف باطنها) المقصود منها فانه صدق كما بيناه سابقا (اشفق) أي خاف (ابراهيم) صلوات الله وسلامه عليه (من مؤاخذته بها) وفي نسخة بمؤاخذته بها أي المعاتبة أو المعاقبة عليها أو ردشفاعته بسببها لانه كان عليه ان يصدع بالحق صريحا من غير تورية وتعريض يقال اشفق وشفق اذا خاف والحاصل انه لم يصدر عنه كذب وانما سمي كذبا باعتبار ظاهر العبارة قبل التامل فيها من سامعها وانما خاف ابراهيم عليه الصلاة والسلام ذلك لجلالة قدره لا لانها معصية صدرت منه وكان ذلك في أول أمره وشدة خوفه في حالة يجوز فيها الكذب فضلا عن التعريض الذي هو من حسنات الابرار (وكذلك) أي مثل ما صدر عن الخليل ما وقع لنبينا صلى الله عليه

الانبياء فيقع ذلك منهم ووقع الكذب من غيرهم فان حسنات الابرار سيئات المقربين الاحرار ولم

(وأما الحديث) أى الذى رواه الشيخان عن كعب بن مالك (كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اذا أراد غزوة) أى ويريد سترها (ورى بغيرها) بتشديد الراء من التورية وهى الاخفاء وكأنه جعل الشئ وراءه وجعل غيره نصب عينه وقيل ورى ستر مقصده وأظهر غيره بان سال عن طريق لا يريده فانه كان عليه الصلاة والسلام يسال عن ناحية وطريقها ويخرج الى غيرها لئلا يأخذ العدو حذره (فليس فيه خلف فى القول وانما هو ستر لمقصده) وفى نسخة ستر مقصده بالاضافة وفى أخرى ستر بصيغة الماضى ونصب مقصده أى أخفى جهة قصده خوفا من اشتهاره (لئلا يأخذ عدوه حذره) بكسر أوله أى احتراسه واحترازه (وكتم وجه ذهابه) بالاضافة وفى نسخة بصيغة الماضى وفى أخرى كتم لوجه ذهابه أى جهة مقصده وطريق مطلبه (بذكر السؤال عن موضع آخر والبحث عن اخباره) أى احوال الموضع الآخر (والتعريض بذكره) أى التلويح به وعدم التصريح بمقصده وقد ورد استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان وفى الصحيح الحرب خدعة (لانه يقول تجهزوا الى غزوة كذا أو وجهتنا) بكسر الواو أى جهة قصدنا (الى موضع كذا بخلاف مقصده) ليكون خلفا (فهذا لم يكن) ولا يتصور ان يكون منه عليه الصلاة والسلام (والاول) وهو التعريض ليس فيه (خبر يدخله الخلف) بضم الخاء أى الاخلاف فيترتب عليه الكذب فى القول (فان قلت فما معنى قول موسى عليه الصلاة والسلام وقد سئل أى الناس أعلم فقال أنا أعلم) بناء على ظنه

وسلم وهو (الحديث) الذى رواه الشيخان عن كعب بن مالك رضى الله تعالى عنه وفى نسخ وأما الحديث فهو انه (كان صلى الله تعالى عليه وسلم) عادته (اذا أراد غزوة) أى سفر الغزوة معينة (ورى بغيرها) عنها والتورية أن يقول ما يظهر منه خلاف مراده ويحتمله احتمالا بعيدا فكأنه جعل ما قصده وراء ما أبداه فكان يسئل عن طريق وناحية ويذهب لغيرها (فليس فيه) أى فيما فعله وقاله (خلف فى القول) أى ليس فى قوله ذلك كذب فى قوله (انما هو ستر) واخفاء (لمقصده) أى لما قصده وتوجه اليه (لئلا يأخذ عدوه حذره) أى لئلا يتاهب لدفع ما يحذره بان يستعد له ويحضر له ما يهمه وأخذ الحذر عبارة عما ذكر كما بين فى قوله تعالى خذوا حذركم وفيه من البلاغة ما لا يخفى (وكتم وجه ذهابه) أى جهة مقصده وهو عطف على قوله ورى وبين التورية والكتم بقوله (بذكر السؤال عن موضع آخر) غير الذى قصده (والبحث عن اخباره) أى اخبار الموضع الآخر بالسؤال عن طريقه وحاله (والتعريض بذكره) له دون غيره ليستر قصده به لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم استعينوا على قضاء الحوائج أو حوائجكم بالكتمان (لانه يقول) لاصحابه (تجهزوا الى غزوة كذا) تصريحا بالواقع أو بخلافه وهو مراد له (أو) يقول (وجهتنا الى موضع كذا) أى توجهنا وقصدنا له (خلاف مقصده) بيان لكذا (فهذا) القول كله (لم يكن) أى لم يقع منه صلى الله تعالى عليه وسلم وانما وقع منه التورية والتعريض دون تصريح به (والاول) أى سؤاله عن غير مقصده (ليس فيه خبر) بتوجهه له ولا أمر لغيره بالتجهز له (يدخله الخلف) أى يعرض له كذب لعدم مطابقته للواقع وانما هو تعريض وابهام لغير مقصده لا ضير فيه والتجهز التاهب باحضار جهازه ولوازمه وقيل معناه احتالوا وهذا هو الاغلب من أحواله وقد يقتضى الحال خلافه كما ورد فى الصحيحين لم يكن صلى الله تعالى عليه وسلم يريد غزوة الا ورى بغيرها حتى كانت غزوة تبوك فى حر شديد الى مكان بعيد وعدو كثير فجلا للمسلمين أمرها ليتاهبوا بها فاخبرهم بوجهه الذى يريد كما فى حديث طويل فيه خبر الثلاثة الذين تخلفوا فهو باعتبار الاكثر فى أول أمره قبل قوة شوكة المسلمين ولذا أخبرهم صلى الله تعالى عليه وسلم انه سائر لمكة فى غزوة الفتح فلا يرد الاعتراض على حديث كان لا يريد غزوة الا ورى بغيرها كما قيل وقوله تجهزوا وان كان انشاء لا يتاتى فيه الخلف كما توهم لانه يتاتى فيه ذلك باعتبار ما تضمنه من الخبر لان قوله تجهزوا الارض كذا معناه المراد منه انى ساغزو أهلها وهو ظاهر ثم أورد سؤالا على عصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام عن الكذب سهوا وعمدا فقال (فان قلت) أيها السائل عما يتوهم عن شبهة ترد على ما قرره (فما معنى قول موسى) الكليم صلى الله عليه وسلم (وقد سئل) أى ساله جماعة من أمته (أى الناس أعلم) على وجه الارض فى هذا العصر وهذا الحديث روى فى الصحيح عن أبى سفيان رضى الله تعالى عنه (فقال) موسى عليه الصلاة والسلام لمن ساله (أنا أعلم) ممن على وجه الارض جميعا لعلمه بانه ليس عليها من الرسل عليهم الصلاة والسلام من هو مثله وفى البخارى بلفظ هل فى الارض أعلم منك وفى رواية ابن اسحق فقال موسى ما أعلم فى الارض خيرا منى قيل وبين الروايتين فرق لان فى رواية أبى سفيان الجزم بانه أعلم وتلك تنفى الاعلمية عن غيره فيبقى احتمال المساواة يعنى بحسب الظاهر والا فقد علمت انه يفيد نفى المساواة كما مر فتدبر وأما ما رواه نوف البكالى عن كعب الاحبار ان موسى المذكور فى هذه القصة ليس هو الكليم الذى هو من أولى العزم بل موسى بن ميشا بن أفراثيم بن يوسف فقد قيل ان ابن عباس رضى الله عنهما

(فعتب الله تعالى عليه ذلك) حيث لم ينتظر الوحي هنالك أولم يفوض (اذلم يرد العلم اليه تعالى) بان يقول الله تعالى أعلم أو يقول انا والله أعلم ومن هنا تادب العلماء في أجوبتهم بقول والله تعالى أعلم (الحديث) رواه الشيخان عن أبي بن كعب مطولا (وفيه قال) أي الله تعالى (بل) وفي رواية بلى (عبدلنا بمجمع البحرين) وهو ملتقى بحر فارس والروم مما يلي المشرق وقال السهيلي هو بحر الاردن و بحر القلزم وقيل غيره (أعلم منك) ١٣٢ أي في بعض العلوم لما في الحديث ياموسى اني على علم علمنيه الله تعالى لا تعلمه وأنت على علم علمك الله لا أعلمه وذكر السهيلي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه ان حكمة الله تعالى في جمع موسى مع الخضر عليهما الصلاة والسلام عند مجمع البحرين انهما بحران أحدهما أعلم بالظاهر أعني علم الشرعيات وما يتعلق بالذات والصفات وهو موسى عليه السلام والآخر أعلم بالباطن واسرار الملكوت من الكائنات وهو الخضر بمجمع البحرين عليه السلام فكان اجتماع البحرين هذا وقد روى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان موسى عليه الصلاة والسلام ذكر الناس يوما حتى فاضت العيون ورقت القلوب فادركه رجل فقال أي رسول الله هل في الارض أحد أعلم منك قال لا فعتب الله تعالى عليه اذلم يرد العلم الى الله تعالى (وهذا) أي قول موسى انا أعلم (خبر قد أنبانا الله تعالى انه ليس كذلك فاعلم انه) أي الشان (وقع) وفي نسخة قد وقع (في هذا والروايات الحديث من بعض طرقه الصحيحة عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما هل تعلم أحدا) أي من الناس (أعلم منك) بنصب أعلم على انه مفعول ثان وفي نسخة برفعه فتقديره هو أعلم منك (فاذا كان جوابه على علمه) أي مبنيا على ما غلب عنده من علمه (فهو) أي قوله أنا أعلم بهذا الوجه (خبر حق وصدق لا خلف فيه ولا شبهة) مؤكدات لكونه خبرا حقا (وعلى الطريق الآخر) أي المروي عن أبي بن كعب كما مر (فحمله على ظنه) أي الغالب (ومعتقده) انه أعلم بحسب علمه

رده وقال لما سمعه كذب عدو الله ويأتي فيه كلام عن الكشاف وغيره وانما قال ذلك لان كعبا تلقاه عن أهل الكتاب وهم أعداء الله لكفرهم أو هو استعارة لانه كذب كقولهم قاتله الله (فعتب الله عليه) ولامه بسبب (ذلك) أي قوله أنا أعلم (اذلم يرد العلم) لذلك أعني أعلم الناس حينئذ (اليه) أي الى الله تعالى بان يقول الله أعلم بذلك ونحوه (الحديث) أي أذكر الحديث الذي رواه الشيخان بتمامه (وفيه) أي في هذا الحديث (فقال) أي الله عز وجل لموسى عليه الصلاة والسلام (بلى) أي فيها من هو أعلم عبدنا خضر وفي رواية (عبدلنا) ووصفه بالعبودية تشريفا له كما في قوله سبحان الذي أسرى بعبده وقوله

لا تدعني الا بيا عبدها * فانه أشرف أسمائي

وللمصنف رحمه الله

ومما زادني شرفا وتيها * وكدت باخمصي اطأ الثريا
دخولي تحت قولك ياعبادي * وجعلك خير خلقك لي نبيا

(بمجمع البحرين أعلم منك) ياموسى ومجمع اسم مكان والبحران كما قاله السهيلي بحر الاردن وبحر القلزم وقيل بحر المغرب وبحر الزقاق وقيل بحر الروم وفارس وعن ابن عباس رضي الله عنهما اجتمع بحر أعلم في مجمع بحرين حقيقتين والعلمان علم الظاهر من الشرعيات وعلم الباطن اللدني (وهذا) أي قول موسى عليه السلام أنا أعلم (خبر) صدر من موسى عليه السلام (قد أنبانا الله) أي أخبرنا كما ورد في هذا الحديث الصحيح (انه ليس كذلك) كما سمعته كذلك فيكون خلافه وهو معصوم عن مثله فيرد على ما قرره وسيأتي الجواب عنه والعتب بمثناة فوقية كالمعاتبة وهو اللوم على ارتكاب ما لا يليق وضمنه معنى العيب بالتحتية ولذا عداه بنفسه دون علم ورد العلم الى الله تعالى تقدم معناه وتفسير ابن بطال بترك الجواب لا ينبغي وكذا لو قال انا والله أعلم كان أولى وهذا هو الاليق الاولى بمقام أدب النبوة اذ مراده فيما أظن وأعلم ولا لائمة فيه وقصته في حمل الحوت في مكتل مفصلة في التفاسير وقد علمت ان مجمع اسم مكان ثم شرع في الجواب بقوله (فاعلم انه وقع في هذا الحديث الصحيح) المروي (عن ابن عباس) ما يدفع السؤال وهو (هل تعلم أحدا أعلم منك) فالسؤال عما يعلمه لا عما في الواقع ومن القواعد المقررة ان السؤال معاد في الجواب (فاذا) يجوز أن يكون اذن بنون مرسومة بالف (كان جوابه) صدر منه (على) حسب (علمه) فكأنه قال لا أعلم أنا أحدا أعلم مني (فهو) أي كلام موسى عليه الصلاة والسلام وجوابه (خبر حق وصدق) مطابق للواقع باعتبار تقييده بانه على حسب علمه واعتقاده (لا خلف فيه) لمخالفته للواقع (ولا شبهة) أي لا شبهة على أحد صدقه فيما قاله وفي الحديث روايات مختلفة يرجع بعضها الى بعض كما سمعته فربما يأول بعضها وهذا تاكيد لما قبله (وعلى الطريق الآخر) التي فيها اطلاق أعلميته من غير تقييد بعلمه واعتقاده المفيد لنفي الاعلمية والمساواة فيها كما تقدم على العموم فانه روى من طرق مختلفة بالفاظ مختلفة وقد أشرنا اليه قبل هذا (فيحمله على) غلبة (ظنه ومعتقده) مصدر ميمي بمعنى اعتقاده أي بجعله مقيدا بهذا تقديرا لانه صرح به في رواية أخرى

(كما وصرح به) أى بظنه ومعتقده أى كان يقول أنا أعلم فيما أظن وأعتقد وإنما ظن ذلك واعتقده لما ذكرهنا لك (لان حاله) أى مرتبته (فى النبوة) المؤيدة بالرسالة (يقتضى ذلك) أى كونه أعلم الناس فى زمانه (فيكون اخباره بذلك أيضا عن اعتقاده وحسبانه) بكسر أوله لا بضم أوله كما وهم الدلجى أى ظنه (صدقا لاخلف فيه) فلا اشكال فيه أصلا (وقد يريد بقوله أنا أعلم) متعلقا

والروايات تفسر بعضها بعضا كالقرآن والمقدر فى حكم المذكور عندهم كما أشار اليه بقوله (كما وصرح به) بالبناء للمفعول أو الفاعل أى صرح به موسى عليه الصلاة والسلام كأنه قال أنا أعلم فى ظنى أو معتقدى ونحوه لا فى نفس الامر ويحمله بلفظ المضارع وفى نسخة فحمله باسم مبتدأ وعلى هذا لا يرد عليه شئ ثم بين وجه قول موسى على هذا بقوله (لان حاله) أى حال موسى عليه الصلاة والسلام كغيره من الرسل أصحاب الشرائع فى عصرهم (فى النبوة والاصطفاء) أى اختار الله له دون غيره من خلقه (يقتضى ذلك) أى إنما اختاره لانه أعلم أهل عصره اذ لو لم يكن كذلك لم يختره لتبليغ رسالته وسياسة خلقه ورجوعهم اليه فى كل أمورهم وهو صلى الله تعالى عليه وسلم كليمه وأمين وحيه ومثله لا يكون دون غيره أو مساويا له فى العلم ويحتمل ان معناه ان نبوته واصطفاءه صلى الله عليه وسلم يقتضيان أى يستلزمان ان لا يقول مقالة غير مطابق للواقع فيحمل كلامه على ما طابقه وان لم يكن فيه ما يدل عليه وهو ظاهر قوله (فيكون اخباره بذلك) أى بقوله أنا أعلم (أيضا) أى كما فى الرواية المصرح فيها بذلك القيد (عن اعتقاده وحسبانه) بضم الحاء المهملة وكسرها بمعنى ظنه (صدقا) خبر يكون وقوله (لاخلف فيه) مفسر له أو مؤكد أى لا شبهة فيه عند سامعه (وقد يريد) موسى على نبينا وعليه السلام (بقوله أنا أعلم) انه أعلم (بما تقتضيه) أى تستلزمه (وظائف النبوة) جمع وظيفة بالظاء المشالة وهى الاحوال التى اقتضاها ذلك المقام من شروطها ولا بد منها لكل نبى رسول (من علوم التوحيد) بيان لعلومه من معرفة الله تعالى وصفاته وانه منفرد فى ذاته وصفاته واستحقاقه للعبادة (وأمور الشريعة) التى أمره الله تعالى بتبليغها (وسياسة الأمة) أى أمته والسياسة ضبط الخلق واجراء أحكام الشرع عليهم بالسلطنة (ويكون الخضر) عليه الصلاة والسلام وفيه لغات فتح الخاء وكسر الضاد المعجمتين وبسكونها مع الفتح والكسر وسيأتى بيانه (أعلم منه) أى من موسى عليه الصلاة والسلام (بامور أخر) غير الشريعة والسياسة والحكومات الظاهرة فيما بين الناس يعنى انه صادق فيها لانه عام مخصوص بما هو المتبادر من علوم أكثر الانبياء وهو العلم بالامور الشرعية والحكم بين الناس كما هو شأن الرسل وعلم الخضر بامور باطنية كشفية فلا تنافى بينهما واعلم انه تقدم ان الخضر انما سمى خضرا لانه كان اذا جلس على أرض نباتها هشيم اخضر وقيل لانه كان اذا صلى اخضر ما حوله وان اسمه ايليا وقيل غير ذلك ويكنى أبا العباس واختلف فيه كما يأتى هل هو ولى أو نبى أو ملك حى الى الآن أم لا وقد أفرد أحواله الحافظ الخيضرى سماه الروض النضر فى أحوال الخضر وقال الثعلبى انه معمر محجوب عن الابصار وهذا وجه ما قيل انه ملك وان كان قولا ضعيفا وروى فى اجتماع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم به حديث ضعيف وتقدم الكلام على تعزيته لاهل البيت (مما لا يعلمه أحد الا باعلام الله من علوم غيبه تعالى كالقصص المذكورة فى خبرهما) الذى قصه الله تعالى فى سورة الكهف (فكان موسى) عليه الصلاة والسلام (أعلم) من أهل عصره مطلقا بالشريعة والتوحيد والسياسة (على الجملة) أى بجميع العلوم المذكورة (بما تقدم) بيانه (وهذا) أى الخضر عليه الصلاة والسلام (أعلم) منه (على الخصوص)

خاصا وهو ما بينه بقوله (بما تقتضيه وظائف النبوة من علوم التوحيد) المتعلقة بالذات والصفات (وأمور الشريعة) أى وظائف العبادات (وسياسة الامة) أى بحدود الزواجر والمنهيات وهو لا ينافى ان يكون غيره أعلم منه فى غيرها كما ورد أنتم أعلم بامور دنياكم وكما عرف فى قضية الهدهد قوله أحطت بما لم تحط به وكما وقع لعمر فى موافقاته فانه قد يكون فى المفضول ما لا يكون فى الفاضل مما لا ينقص فى فضله ومن هنا ورد فى معرفة الانساب علم لا ينفع وجهل لا يضر بل وقد يكون بعض العلوم مضرته أكثر من منفعته فلا محذور حينئذ ان يكون بعض افراد الامة أعلم بوجه من صاحب النبوة (ويكون الخضر أعلم منه) أى من موسى ولو كان من أمته على القول بولايته أو نبوته (بامور أخر) اختص بها (مما لا يعلمه أحد الا باعلام الله تعالى) له اياها (من علوم غيبه) الخاص به وفى نسخة من علوم غيبية (كالقصص المذكورة فى خبرهما) من قضية السفينة والغلام والجدار (فكان موسى أعلم) الناس مطلقا (على الجملة) أى عموما (بما تقدم) من علوم النبوة والرسالة وأمور الشريعة واحكام السياسة (وهذا) أى الخضر عليه الصلاة والسلام (أعلم على الخصوص بما أعلم) بصيغة المجهول أى بما أعلمه سبحانه وتعالى

(ويدل عليه) أي على ان ما أعلمه خاص (قوله تعالى وعلمناه من لدنا) أي مما يختص (علما) بطريق الوحي الجلي والخفي (وعتب الله) بسكون التاء أي ويدل عليه عتابه سبحانه وتعالى (ذلك) أي قوله أنا أعلم (عليه فيما قاله العلماء) أي المحدثون (انكار هذا القول عليه لانه) كما في حديثه (لم يرد العلم اليه كما قالت الملائكة لا علم لنا الا ما علمتنا أولانه) أي الله سبحانه وتعالى (لم يرض قوله) أي لم يستحسن قول موسى عليه

الصلاة والسلام أنا أعلم (شرعا) أي من جهته رعاية لامته والمعنى لم يرض ان يكون قوله شرعا يقتدى به (وذلك) أي وسببه (والله أعلم لئلا يقتدى به فيه من لا يبلغ كماله) أي كمال موسى من جهة مرتبته (في تزكية نفسه) أي طهارة حالته (وعلو درجته من أمته) متعلق بيقتدى (فيهلك) بالنصب أي يضيع من يقتدي به من أمته في قوله أنا أعلم من غير تفويض واستثناء (لما تضمنه) أي قوله أنا أعلم (من مدح الانسان نفسه) أي عند اطلاعه وقد قال الله تعالى فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى (ويورثه ذلك القول وهو أنا أعلم (من الكبر والعجب) الا ان يكون تحدثا بنعمة ربه ظاهرا وباطنا (والتعاطي) الاجتراء على الاعطاء وأخذ الاشياء (والدعوى) الخارجة عن المعنى (وان نزه عن هذه الرذائل) أي المذكورة (الانبياء بشرف مقاماتهم) ورفع درجاتهم وان تفاوتت في الفضائل (أولى) والفواضل وحسن الشمائل (فغيرهم بدرجة) سبيلها بفتح الميم والراء أي مسلك طريقها وفي نسخة سبيلها أي ممرها (ودرك ليلها) بفتح الراء ان يدركه ظلامها وفي أصل التلمساني نيلها بالنون أي يدركه فيصيبه ضررها أو يحصل له خطرها (الامن عصمه الله تعالى) من الاتصاف بها أو التخلص عنها (فالتحفظ منها)

أي بعلم لدني يختص به من الامور الغيبية الكشفية التي يكاشف غيره بعلمها (ويدل عليه) أي على انه أعلم بعلم اختص به (قوله تعالى وعلمناه من لدنا علما) أي من علم الغيب الذي لا يعلمه الا الله تعالى ومن أراده من ارتضاه للعلم به (وعتب الله ذلك عليه) عتب مصدر مبتدأ وقوله ذلك مفعول وهو جواب سؤال تقديره اذا كان أعلم من وجه وهو صادق في قوله هذا فلم عاتبه الله عليه ودله على عبد له أعلم منه (فيما قاله العلماء) أي بينوه ووضحوه بما يدفع اشكاله (انكار هذا القول عليه) أي قوله أنا أعلم (لانه) أي موسى عليه الصلاة والسلام فيما قاله وهو خبر المبتدأ (لم يرد العلم اليه) أي الى الله تعالى تادبا معه (كما قالت الملائكة) لله تعالى لما قال لهم أنبئوني بأسماء هؤلاء فقالوا (لا علم لنا الا ما علمتنا أو) عتبه وانكاره (لانه لم يرض قوله) أنا أعلم أي لم يرضه الله منه ولم يستحسنه (شرعا) لتركه الاولى وان كان صادقا في مقاله هذا (وذلك) أي عدم رضاه بقوله هذا (والله أعلم) بوجهه ولذا أحال في هذا الرد بحقيقة هذه العلة الى علم الله (لئلا يقتدى به فيه) أي في ادعاء الاعلمية جزما من غير رد الى الله (من لم يبلغ كماله) أي من لم يصل الى مرتبته في الكمال في العلم في غير الانبياء (في تزكية نفسه) أي مدحها بجعلها زكية مبرأة زائدة على غيرها فان مدح المرء نفسه غير محمود فان حسن احيانا المقتضى له كما قال تعالى فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى والتزكية التطهير من الاخلاق الردية التي من جملتها العجب (وعلو درجته) بالنصب عطف على كماله ويجوز جره (من أمته) متعلق بقوله يقتدى حال من ضمير يبلغ (فيهلك) أي من يقتدي به من أمته في قوله أنا أعلم (لما تضمنه) أي قوله أنا أعلم (من مدح الانسان نفسه) وهو أمر مذموم (ويورثه) أي يكسبه ويعقبه ما يتصف به شبه ذلك بالميراث (ذلك القول) أي قوله أنا أعلم (من الكبر والعجب) بضم فسكون قال الراغب يقال لمن تروق نفسه فلان معجب بنفسه أي يستحسن افعاله وأموره (والتعاطي) أي الاخذ في تزكية نفسه (والدعوى) الباطلة أي لئلا يروقه اقتداء به في قوله أنا أعلم ما ذكر من الرذائل (وان نزه) بالبناء للمفعول أي برأهم الله وعصمهم (عن هذه الرذائل) أي الصفات الذميمة من الكبر والعجب والتعاطي والدعوى (الانبياء) عليهم الصلاة والسلام لشرفهم وعلو مقامهم (فغيرهم) أي غير الانبياء (بدرجة سبيلها) أي غير الانبياء يتصف بها ولا ينزه عنها لاستعداده لها وقبول طبعه لها والسبيل الطريق والمدرجة اسم مكان بمعنى المدخل والمسلك من درج اذا مشى يقال هو قاعد على طريق كذا اذا كان مستعدا له فهو استعارة وقيل المدرجة الثنية التي يمشي فيها وتسيل منها السيول أي في موضع الرذائل المشبهة بالسيل المهلكة من اتصف بها كالسيل المغرق لما يمر به وفيه تكلف لا يخفى (ودرك ليلها) بسكون الراء ويجوز فتحها بمعنى ادراك الليل مقابل النهار فشبه ما يعارضه من الصفة الذميمة بظلمة الليل التي تغشاه والمراد ما لا بد من آثار تلك الصفات كما قال النابغة

فانك كالليل الذي هو مدركي * وان خلت ان المنتأى عنك واسع

(الا من عصمه الله) أي حفظه عن الاتصاف بها (فالتحفظ) أي الاحتراز (منها) أي من هذه الصفات

أولى لنفسه) قبل وقوعه فيها (وليقتدى به) بصيغة المجهول أي ليقتدي (غيره به ولهذا) أي التحفظ أو الاقتداء (قال صلى الله تعالى عليه وسلم تحفظا من مثل هذا) أي مدح النفس ومايترتب عليه له ولغيره (مما قد علم به) بصيغة المجهول وفي نسخة أعلم به (انا سيد ولد آدم) أي يوم القيامة على ماورواه مسلم وغيره (ولا فخر) أي لا أقوله افتخارا لنفسي بل تحدثا بنعمة ربي (وهذا الحديث) يعني سئل أي الناس أعلم (احدى حجج القائلين بنبوة الخضر لقوله) وفي نسخة بقوله أي الخضر (فيه) أي في حديثه (انه) وفي نسخة انا (أعلم من موسى) وهكذا وقع في كثير من الاصول وهو غير الصواب لان الضمير المضاف اليه القول عائد حينئذ على الخضر والضمير المجرور بفي عائد على الحديث السابق وليس فيه ان الخضر قال انا أعلم من موسى فالصواب مافي ١٣٥ بعض النسخ وهو لقوله فيه انه أعلم

(أولى لنفسه) وأليق فاذا عاتبه على تركه الاولى (وليقتدى به) في التحفظ والسلامة منها (ولذا) أي لكون التحفظ أولى لمن يقتدى به (قال عليه الصلاة والسلام تحفظا من مثل هذا) العجب (أنا سيد ولد آدم) أشرفهم وأعلاهم رتبة وتحفظ عن العجب في مقاله بقوله (ولا فخر) أي لم أقل هذا افتخارا وعجبا وانما هو تحدث بما أنعم الله به عليه أو أنا لا أفخر بهذا فان الله أنعم علي بما هو أجل منه وفي رواية الصحيحين انا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر والسيد يطلق عليه وعلى غيره وعلى الله كما تقدم وهو من يفوق غيره كرما وحلما ويطلق على المالك والشريف والكريم والحليم (وهذا الحديث) المروي في قصة موسى والخضر الذي تقدم (احدى حجج القائلين بنبوة الخضر) عليه الصلاة والسلام وهو احد الاقوال فيه (لقوله فيه) أي في هذا الحديث انه (أعلم من موسى) كما تقدم (ولا يكون الولي أعلم من النبي) ولامساويا له في علمه (واما الانبياء) عليهم الصلاة والسلام (فيتفاضلون في المعارف) أي يكون بعضهم أفضل من بعض ولا محذور فيه (و) استدل على نبوته أيضا (بقوله) أي الخضر عليه الصلاة والسلام فيما حكاه الله عنه في قصته (وما فعلته) أي المذكور من الامور الثلاثة (عن أمري) أي بما أمرته نفسي فليس برأيي واجتهادي (فدل) ماذكر (أنه بوحي) من الله تعالى والوحي لا يكون لغير الانبياء وفيه انه يجوز ان يكون بالهام والالهام وان لم يفد العلم اليقين للغير عند أهل السنة حتى لا يجوز الاستدلال به لكنه قد يقوى في نفسه ويعمل به الملهم دون غيره كما حقق في علم الاصول وفصلوه في محله (ومن قال انه ليس بنبي) بل ولي من أولياء الله تعالى (قال) مجيبا عما ذكر من الدليل الثاني (يحتمل أن يكون فعله بامر نبي آخر) أوحي اليه به في زمانه (وهذا) الجواب (يضعف) أي يحكم بضعفه (لانه) أي الامر والشان (ماعلمنا انه كان في زمن موسى عليه الصلاة والسلام نبي غيره الا أخاه هارون) ولم ينقل ملاقاة هارون للخضر عليهما الصلاة والسلام الا انه قيل ان يوشع كان نبيا في قبل موت موسى وسيأتي عن الشيخ مايؤيده فتدبر (وما نقل أحد من أهل الاخبار) المعتمد على نقلهم (في ذلك) أي وجود نبي غير موسى وأخيه عليهما الصلاة والسلام (ما يعول عليه) لصحة نقله (واذ) وفي نسخة واذا (جعلنا) قول الله لموسى عليه الصلاة والسلام ان لي عبدا (أعلم منك ليس على العموم وانما هو على الخصوص) فتخصيصه بما ليس من الشرائع والعقائد (وفي قضايا معينة) كما تقدم بيانه (لم يحتج الى اثبات نبوة خضر) لان علمه عليه الصلاة والسلام كان بامور معينة غير الشرائع والعقائد وهذا يقتضي انه يجوز الوحي بها لغير الانبياء وانه اذا أطلق عليه نبي بالمعنى اللغوي لا ينافيه كما في قصة خالد بن سنان كما أشار اليه بعض العارفين (ولهذا) أي لكونه علما مخصوصا لا ينافي غيره (قال بعض الشيوخ كان موسى أعلم

من موسى ويكون الضمير المضاف اليه القول عائد الى الله والضمير المنصوب بان عائدا على الخضر وقد سبق ان في الحديث بل عبد لنا بمجمع البحرين أعلم منك (ولا يكون الولي أعلم من النبي) أي جنس الانبياء وفي نسخة من نبي وفيه انه لا يجوز ان يكون الولي أعلم من النبي مطلقا لا كما بينه الخضر مقيدا (وأما الانبياء فيتفاضلون في المعارف) كما قال تعالى ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وكذا في الدرجات كما قال ورفع بعضهم درجات (وبقوله وما فعلته عن أمري) أي من رأيي بل فعلته بامر ربي (فدل) على (انه بوحي) اما بواسطة ملك أو بدونها وأيضا ليس لولي ان يقدم على قتل صبي بمجرد ما ينكشف له باعلام أو الهام انه كافر في علم الله سبحانه وتعالى (ومن قال انه ليس بنبي قال يحتمل ان يكون فعله) للامور الثلاثة أو لقتل الصبي فان غيره لا يحتاج ان يكون (بامر نبي آخر) كان في زمانه (وهذا) القول (يضعف) أي ضعفا ظاهرا (لانه ماعلمنا انه كان في زمن موسى عليه الصلاة والسلام نبي غيره الا أخاه هرون وما نقل أحد من أهل الاخبار) أي الاحاديث (في ذلك) أي في كون نبي غيرهما حينئذ (شيا يعول عليه) أي يعتمد ويستند اليه ويستعان به لديه (واذا جعلنا) أي قول السائل لموسى هل تعلم احدا (أعلم منك ليس على العموم) أي على اطلاقه (وانما هو) أي قوله أعلم محمول (على الخصوص وفي قضايا معينة لم يحتج الى اثبات نبوة الخضر) وفيه انه يشكل قتله الصبي على ما قدمنا فلا بد من القول بنبوته أو بوجود نبي غير موسى وهرون في مدته (ولهذا قال بعض الشيوخ كان موسى أعلم

من الخضر فيما أخذ عن الله) من الشرائع والاحكام ومافى حكمها (والخضر أعلم من موسى) فيما رفع اليه بالبناء للفعول براء مهملة أو بدال مهملة وفاء وعين مهملة أى فيما جعله الله تعالى منوطا به منتهيا اليه علمه مما غيب علمه عن غيره (وقيل انما الجئ موسى عليه الصلاة والسلام) أى اضطره الله وألزمه ان يذهب (الى الخضر للتاديب) أى ليؤدبه الله تعالى حتى لا ينسب لنفسه الاعلمية وان كان صادقا فى مقاله ومناسبا لمقامه (لا للتعليم) لمالم يعلمه مما يلزمه علمه فانه أكمل أهل زمانه ولذا قيل ان هذه القصة يقتضى ان الخضر نبى رسول لئلا يكون العالى أعلم من الاعلى وفى الكشاف ان القصة لا تقتضى ان موسى هذا هو ابن ميشا كما قاله أهل الكتاب لانه لا غضاضة فى أخذ النبى العلم عن نبى مثله اذ يمتنع أخذه ممن هو دونه وفى فتح البارى ان فى كلامه نظر الان المتكلمين اشترطوا فى النبى ان يكون أعلم أهل زمانه على العموم ولو لزم هذا لزم ان لا يجمع الله بين نبيين فى عصر واحد وقد كان مع موسى هارون وشعيب ثم يوشع والحق ان اللازم كونه أعلم ممن ارسل اليه وانه أعلم بالعلم المخصوص به ولذا قال له الخضر عليه الصلاة والسلام انى على علم علمنيه الله لا تعلمه أنت ولم يكن موسى مرسلا الى الخضر فلا ضير فى كونه أعلم منه بعلم لدنى خصه الله تعالى به وقال الامام القرطبى ولننبه هنا على مغلطتين الاولى ان بعضهم قال ان الخضر أعلم من موسى تمسكا بهذه القصة وهذا انما نضر من قصر نظره على هذه القصة ولم ينظر ما خص الله به موسى من توراته التى فيها علم كل شئ وكلامه ودخول أنبياء بنى اسرائيل تحت نبوته ودعوته كما قال تعالى له انى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى والخضر وان كان نبيا ليس برسول بالاتفاق والرسول أفضل من النبى الذى ليس برسول فان قلنا انه ولى فلا اشكال الثانية ان بعض الزنادقة قال قولا يهدم الشريعة وهو ان قصة الخضر تدل على ان أحكام الشرع تختص بالعامة وان خواص الاولياء انما يراد منهم مايقع فى قلوبهم وخواطرهم لصفاء قلوبهم عن الاكدار والاغيار فتتجلى لهم علوم الهية يقفون بها على أسرار الكليات والجزئيات فيستغنون عن أحكام الشريعة كما فى حديث استفت قلبك وهذا كله زندقة وكفر وانكار لما علم من الدين بالضرورة من ان الاحكام انما تؤخذ عن الله بواسطة رسله وسفرائه بينه وبين خلقه فمن ادعى خلافه كفر فيقتل ولا يستتاب وكل هذا كفر صريح والامتحان لموسى اذ اراه الخضر ان قتل الغلام كقتله للقبطى واقامته الجدار كالقاء أمه التابوت فى اليم واقامته الجدار بغير أجرة كسقيه لبنات شعيب قبل استئجاره له وهذا لا يقتضى الانكار على بعض الاولياء فى الامور الكشفية ولا يساء الظن بهم فيما صدر عنهم من بعض المقالات وههنا بحث مهم وهو ان النبى معناه لغة المخبر أو المخبر مطلقا وهو فى العرف العام المخبر عن الله بوحى مطلقا وفى عرف الشرع المخبر عن الله بشريعة خاصة به أو امر بتبليغها غيره فعلى هذا لا يكون الخضر نبيا لانه انما أوحى اليه ببعض الامور الغيبية اذا علمت هذا فخالد بن سنان اذا كان بين نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وبين عيسى عليه الصلاة السلام كما ورد فى الحديث لا ينافى فى الحديث الصحيح من قوله صلى الله تعالى عليه وسلم لا نبى بينى وبين عيسى كما قاله ابن حجر وقال ان الاول لا يقاوم حديث البخارى فهو مردود روايه لان خالدا انما أوحى اليه بكشف أمور البرزخ تاييدا لخبر غيره من الانبياء وتمهيد المايأتى بعده مما يخبر به نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فانه لم يوح اليه بشرع ولا بأمر بحب العلم بتفصيله فليس نبيا بحسب عرف الشرع فتسميته بنبى انما هو باعتبار المعنى العرفى أو اللغوى فلا منافاة بينه وبين الحديث مع انه لم يكشف ما ارسل به كما فى الحديث الآتى انه اضاعه قومه وهو تحقيق حقيق بالقبول واليه أشار فى الفصوص

(فصل واما ما يتعلق بالجوارح) للانبياء عليهم الصلاة والسلام جمع جارحة وهى الاعضاء التى

من الخضر فيما أخذ عن الله تعالى والخضر أعلم) بالرفع أو النصب (فيما رفع اليه) بصيغة المجهول (من موسى) متعلق باعلم وهذا بعينه فى نفس الحديث تقدم (وقال آخر) أى من الشيوخ (انما الجئ) أى اضطر (موسى الى الخضر للتاديب) أى التهذيب (لا للتعليم) ويرده قوله هل أتبعك على ان تعلمنى مما علمت رشدا الآيات

(فصل) (واما ما يتعلق بالجوارح) أى بالاركان

(من الاعمال ولايخرج) بالواو ولا بالفاء كما فى نسخة لان جواب لما سيجىء والجملة فيما بينهما معترضة والتقدير والحال انه لايخرج (من جملتها) ويروى عن جملتها أى الاعمال (القول باللسان فيما) عدا الخبر الذى (وقع فيه الكلام) من قسميه الذى سبيله البلاغ والذى ليس سبيله البلاغ من المرام (والاعتقاد) أى ويخرج من جملتها أيضا الاعتقاد (بالقلب) لان محله الجنان ويروى فى القلب (فيما عدا التوحيد) ومايتبعه من الايمان والاسلام والاحسان ومراتب الايقان والاتقان مما اعتقدت عليه قلوب الانبياء (وما قدمناه من معارفه المختصة به) أى بالقلب وأحواله فانها لاتخرج من جملتها لانها من أعماله (فاجمع المسلمون) أى السلف المعتمدون (على عصمة الانبياء من الفواحش) أى قولا وفعلا وعقدا وهى الذنوب التى فحش قبحها وحرم على هذه الامة ومن قبلها (والكبائر الموبقات) بكسر الموحدة أى المهلكات وهو عطف تفسير ويروى والموبقات والاولى مختصة بارتكاب السيئات والاخرى باجتناب العبادات (ومستند الجمهور) أى أكثر العلماء (فى ذلك) أى فى القول بعصمتهم (الاجماع الذى ذكرناه) من المسلمين المتقدمين (وهو مذهب القاضى أبى بكر) أى ابن الطيب الباقلانى المالكى (ومنعها) أى عصمتهم (غيره) أى غير القاضى (بدليل العقل) لعدم احالته منع عصمتهم لامكانه فى نفسه (مع الاجماع) أى مع تكاثر قيامه عليها (وهو) أى الاجماع (قول الكافة) أى عامة المتأخرين (واختاره الاستاذ) بالدال المهملة أو المعجمة (أبو اسحق) الاسفرائنى الشافعى ولعل هذا الخلاف لفظى والجواز وعدمه عقلى والا فلا خلاف فى عصمة الانبياء عن الكفر قبل النبوة وبعدها وانما الخلاف فيما عداه من الكبائر والصغائر والجمهور على عصمتهم من الكبائر بخلاف ماسيأتى من الخلاف فى الصغائر (وكذلك لاخلاف انهم معصومون من كتمان الرسالة) لقوله تعالى ياأيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك

يكتسب بها الانسان ويعمل ما يريد يقال جرح واجترح بمعنى عمل واكتسب قال الله تعالى ويعلم ماجرحتم بالنهار أى مايتعلق بعصمتهم فى أفعالهم (من الاعمال) بيان لما أى الاعمال الصادرة بواسطتها (فلا يخرج من جملتها القول باللسان) لانه من الاعضاء (فيما عدا الخبر) أى الاخبار بما سبيله البلاغ وغيره (الذى وقع الكلام فيه) قبل هذا كما تقدم (و) لايخرج من جملتها أيضا (الاعتقاد بالقلب) لانه من جملة الاعتقاد وله افعال تصدر عنه وهذا بحسب العرف واللغة واما كون العلم من مقول الكيف أو الانفعال لامن الفعل والعمل فما يحققه الحكماء ولاينظر له علماء الشريعة (فيما عدا التوحيد) والايمان ومايتعلق بالوحى كما تقدم (وماقدمناه من معارفه المختصة به) صلى الله تعالى عليه وسلم من اطلاعه على أحوال الملكوت مما لاينكشف لغيره لما تقدم (فاجمع المسلمون) جواب اما (على عصمة الانبياء) جميعا فيها (من الفواحش) أى المعاصى الصغائر والكبائر القبيحة والفاحش كل ما اشتد قبحه من الاقوال والافعال وقد تختص الفاحشة بالزنا وقال ابن عرفة هى كل مانهى الله تعالى عنه (والكبائر) هى معروفة (الموبقات) أى المهلكات يقال أوبقه اذا أهلكه واهلاكها بايقاعها فى العذاب فى الدنيا بالقتل وفى الآخرة بالعذاب الاليم وحاصله عصمتهم فى أقوالهم وأفعالهم واعتقاداتهم قبل النبوة وبعدها من الكبائر المتوعد عليها (ومستندهم) أى دليلهم الذى اعتمدوا عليه (فى ذلك) أى فى عصمتهم من الكبائر (الاجماع الذى ذكرناه) عن المسلمين فالدليل شرعى وهو الاجماع (وهو مذهب القاضى أبى بكر) الباقلانى الاصولى المالكى (ومنعها) أى الكبائر (غيره) من الائمة (بدليل العقل) فضمير منعها الكبائر الصادرة عنهم وقيل انه راجع لعصمتهم أى منع عصمتهم من الكبائر لعدم استحالتها عقلا وهو وهم لانه يأباه قوله (مع الاجماع) لان الاجماع لم يقم على عدم عصمتهم من الكبائر مع ان كلامه نفسه بعده ينافيه (وهو قول الكافة) أى جميع العلماء وقد تقدم ان بعضهم قال ان كافة يلزم التنكير والنصب على الحالية وقد بينا فى شرح الدرة انه غير صحيح (واختاره الاستاذ أبو اسحق) الاسفرائنى الشافعى لعلو مقامهم عن صدور مثله منهم فذهب الجمهور ان عصمتهم عن الكبائر بدليل سمعى وذهب طائفة الى انه بدليل سمعى وعقلى والمشهور عن الاشاعرة ان العصمة فيماوراء التبليغ غير واجبة عقلا اذ لادلالة للمعجزة عليه واما ماطريقه التبليغ ودعوى الرسالة فالمعجزة دالة على عصمتهم فيه وذهب المعتزلة الى وجوب عصمتهم عن الكبائر عقلا بناء على قاعدتهم فى الحسن والقبح العقليين ووجوب رعاية الاصلح والدليل العقلى من وجوه فصلت فى كتب الاصول منها انا أمرنا باتباعهم فلو صدر عنهم ذلك وجب اتباعهم فيما فعلوه فيلزم اجتماع الحرمة والوجوب وأيضا لو صدر عنهم ذلك كانوا معذبين أشد العذاب لان عليهم وزرهم ووزر من اقتدى بهم وكانت شهادتهم غير مقبولة وقد جعلهم الله شهداء على غيرهم الى غير ذلك مما فصلوه (وكذلك) أى كما انهم معصومون مما مر (لاخلاف فى انهم معصومون عن كتم الرسالة) أى معصومون عن اخفاء رسالتهم عمن ارسلوا

(والتقصير في التبليغ) أي ومن التقصير فيه لقوله فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك (لان ذلك) وفي نسخة لان كل ذلك أي كل واحد من الكتمان والتقصير (يقتضي العصمة) بالنصب (منه المعجزة) بالرفع ويروى مقتضى العصمة منه المعجزة (مع الاجماع على ذلك) أي على ماذكر من ان عصمتهم من قبل الله تعالى باختيارهم وكسبهم واقتدارهم بمعنى انه تعالى لم يخلق فيهم كفرا ولاذنبا كبيرا (من الكافة) أي من جهة عامة العلماء (والجمهور قائل) يروى والجمهور قائلان (بانهم معصومون من ذلك من قبل الله معتصمون باختيارهم وكسبهم الاحسينا النجار) وفي نسخة خلاف للنجار من المعتزلة (فانه قال لاقدرة لهم) يروى لاقوة لهم (على المعاصي أصلا) وهو بنون وجيم مشددة حسين بن محمد واليه ينسب النجارية وهم اتباعه وهم يوافقون القدرية في بعض أصولهم من نفي الرؤية ونفي الحياة والقدرة ويقولون بحدوث الكلام والقدرية يكفرونهم بسبب مخالفتهم اياهم في بعض المسائل وهم أكثر من عشر فرق فيما بينهم كالبرغوثية والزعفرانية والمستدركية وغيرهم وهم فرقة من ثلاث وسبعين فرقة (واما الصغائر فجوزها) أي وجودها ووقوعها (جماعة من السلف وغيرهم) من الخلف كامام الحرمين منا وأبي هاشم من المعتزلة حيث جوزوا الصغائر غير المنفردة (على الانبياء وهو مذهب أبي جعفر الطبري وغيره من الفقهاء) أي المجتهدين (والمحدثين والمتكلمين) أي في أصول الدين والمراد بعض من كل منهم (وسنورد بعد هذا) أي في فصل الرد على (لاختلاف) من اجاز الصغائر على الانبياء (ما احتجوا به) أي ما استدلوا به من الادلة (وذهبت طائفة أخرى الى الوقف) أي التوقف في أمرهم (وقالوا العقل لايحيل وقوعها) أي الصغائر ولا الكبائر (منهم ولم يات في الشرع) أي من الكتاب والسنة (قاطع لاحد الوجهين) أي بجواز صدورها عنهم (وذهبت طائفة أخرى من المحققين من الفقهاء والمتكلمين الى عصمتهم من الصغائر) المختلف في وقوعها منهم (كعصمتهم من الكبائر) أي المتفق على عدم صدورها عنهم (قالوا

اليه لانهم مامورون بالتبليغ وفي أكثر النسخ كتمان الرسالة لقوله يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك ومخالفة الامر معصية كبيرة (و) معصومون عن (التقصير في التبليغ) بترك شئ منه (لان كل ذلك) المذكور من العصمة عن الكتمان والتقصير فيه (يقتضي العصمة منه) مفعول يقتضي وقوله (المعجزة) فاعل أي تدل المعجزة على لزومه (مع) قيام (الاجماع على ذلك) أي على ان الله عصمهم عنه (من الكافة) أي جميع الناس واعلم ان الحريري قال في الدرة ان كافة يلزمها التنكير والنصب على الحالية الا انه غير مسلم فانه سمع غير كافة شاذة وفي توقف مثله على السماع نظر وقد ذكرناه مفصلا في شرح الدرة لنا (والجمهور) أي أكثر الناس ومعظمهم على انهم لايكتمون شيأ من الوحي الذي أمروا بتبليغه وهذا ورد في حديث رواه مسلم عن عائشة رضي الله عنها انها قالت من حدثكم ان محمدا صلى الله عليه وسلم كتم شيأ من الوحي فقد كذب والله يقول يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته ولو كان كاتما شيأ من الوحي لكتم قوله واذ تقول للذي أنعم الله عليه الآية (قائل منهم) أي منهم من قال (بانهم معصومون من ذلك) الكتمان والتقصير (من قبل الله) أي خلق في جبلتهم العصمة فيهم (معتصمون) أي متمسكون (باختيارهم) في تركه (وكسبهم) لا انهم مضطرون لعدم قدرتهم على خلافه (الاحسينا النجار) بفتح النون والجيم المشددة وألف وراء مهملة وهو حسين بن محمد النجار الذي تنسب له الطائفة النجارية وهم فرق من المبتدعة الضالة وافقوا أهل السنة في بعض أصولهم ووافقوا القدرية في نفي الرؤية ووافقوا المعتزلة في بعض المسائل ولهم مقالات كفروا بها والمشهور منهم ثلاث فرق البرغوثية والزعفرانية والمستدركة (فانه) أي النجار (قال لاقدرة لهم على المعاصي أصلا) كالعنين الذي لا يزني فانه قال ان الله تعالى يوجد الافعال كلها من غير اختيار وكسب بل بايجاب الطبع (واما الصغائر فجوزها) على الانبياء عليهم الصلاة والسلام (جماعة من السلف) المتقدمين (وغيرهم) من المتاخرين (على الانبياء وهو مذهب أبي جعفر الطبري) محمد بن جرير بن يزيد ابن كثير بن غالب الطبري البغدادي صاحب التصانيف الجليلة المشهورة ولد سنة أربع وعشرين ومائتين وتوفي سنة عشر وثلثمائة عن ست وثمانين (وغيره من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين وسنورد) أي نذكر (بعد هذا ما احتجوا به) من أدلتهم وما يتعلق بها (وذهبت طائفة) منهم (الى الوقف) أي التوقف وعدم الجزم (وقالوا) لعدم جزمهم بجوازها او امتناعها عليهم ان (العقل) اذا خلي ونفسه (لايحيل وقوعها منهم) أي لايعده محالا (ولم يات في الشرع قاطع) أي نص صريح ودليل قطعي (باحد الوجهين) من الجواز وعدمه في صدور الصغائر منهم (وذهبت طائفة أخرى من المحققين من الفقهاء والمتكلمين) في أصول الدين (الى عصمتهم من الصغائر كعصمتهم من الكبائر وقالوا) أي قال الذاهبون بعصمتهم من جميع المعاصي صغائرها وكبائرها ان ذلك

لاختلاف الناس في الصغائر) أي في تعريفها وتبيينها (وتعينها) أي وعدم تمييزها (من الكبائر واشكال ذلك) أي ولاشتباه تعيينها من بين الكبائر فقال بعضهم هي كل ما يجب فيه حد وقيل ما ورد فيه وعيد وقيل هي أمر نسبي وتوقف بعضهم عن الفرق (وقول ابن عباس رضي الله تعالى عنهما) أي ولقوله (وغيره ان كل ما عصى الله به فهو كبيرة) كما رواه ابن جرير عنه (وانه) بفتح الهمز أي وان الشان (انما سمي منها الصغير باضافته الى ما هو أكبر) كالمس والقبلة والمعانقة والمعالجة بالنسبة الى الجامعة فكل باعتبار ما فوقه صغير وما تحته كبير وكلها معصية حتى الخلوة بالاجنبية (ومخالفة الباري تعالى في أي أمر كان يجب كونها كبيرة) أي من حيث انها مخالفة لصاحب الكبرياء والعظمة والا فلا شبهة في تفاوت مراتب المخالفة ولذا قال تعالى ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وقال عز وجل والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم أي الصغائر وقد أنشد صلى الله تعالى عليه وسلم

ان تغفر اللهم فاغفر جما * وأي عبد لك لا ألما

وعن أبي العالية اللمم ما بين حد الدنيا وحد الآخرة أي بين ما يجب به الحد في الدنيا كشرب الخمر والزنا وبين ما أوعد الله عليه العقاب في العقبى كعقوق الوالدين وأكل الربا وأموال اليتامى ظلما

(لاختلاف الناس في الصغائر) في تعريفها تمييزا حداهما عن الاخرى (وتعينها) هو كالتمييز وزنا ومعنى (من الكبائر) هل هي معدودة أو هي ما توعد عليه بحد ونحوه أو هي أمر نسبي يتميز بما فوقه وتحته (واشكال ذلك) عليهم حتى عسر تمييز أحدهما عن الآخر (وقول ابن عباس وغيره) من السلف (ان كل ما عصى الله به فهو كبيرة) نظرا لجلال الله وعظمته فان من يخالف أمر السلطان ليس كمن يخالف أمر أحد من رعيته (وانه) أي الذنب (انما سمي منها الصغيرة) أي أطلق عليه صغيرة (باضافة) أي نسبة وقياس وفي نسخة بالاضافة (الى ما هو أكبر منه) لا بالنظر له في نفسه ولا نظر لمن عصاه (ومخالفة الباري) عز وجل (في أي أمر كان) كبيرا أو صغيرا (يجب كونه كبيرة) في نفسه وهذا نظر من لم يشاهد شيأ الا شاهد الله معه أو قبله ولذا تفاوتت الذنوب بتفاوت أصحابها فتدبر (قال القاضي أبو محمد عبد الوهاب) المالكي البغدادي الاديب العلامة وهو من شعراء اليتيمة وقصيدته الميمية التي منها

ولو ان أهل العلم صانوه صانهم * ولو عظموه في النفوس لعظما

وله تصانيف في مذهبه جليلة كالتلقين والمعونة وارتحل الى مصر توفي بها ودفن بالقرافة قريبا من الامام الشافعي في سنة اثنين وأربعمائة رابع عشر صفر (لا يمكن ان يقال في معاصي الله) انها (صغيرة الا انها تغفر باجتناب الكبائر ولا يكون لها حكم) أي لا يعتد بها ولا يؤاخذ فاعلها بعقابه عليها كما هو حكم الكبيرة التي حكم الله به (بخلاف الكبائر اذا لم يتب) فاعلها (منها) بالبناء للفاعل أو المفعول والتوبة معناها معروف (فلا يحبطها شئ) أي يمحوها ويذهب حكمها انما يحبط غيرها من أعمال العبد الصالحة (والمشيئة في العفو عنها) موكول (الى) فضل (الله) وسعة رحمته كما قال الله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء (وهو قول القاضي أبو بكر) بن الطيب الباقلاني (وجماعة أئمة الاشعرية وكثير من أئمة الفقهاء) لان الحديث والنص دل عليه دلالة ظاهرة كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم الصلوات الخمس مكفرة لما بينهن ما اجتنبت الكبائر أي ما دام اجتنابه لها وقول

(قال القاضي أبو محمد عبد الوهاب) أي البغدادي المالكي صاحب الرحبة كان فقيها ديناله تصانيف جيدة العبارة منها كتاب المعونة في شرح الرسالة توفي بمصر سنة اثنتين وأربعمائة ودفن بالقرافة الصغرى فيما بين قبة الامام الشافعي وباب القرافة بالقرب من ابن القاسم واشهب (لا يمكن ان يقال في) وفي نسخة ان في (معاصي الله تعالى صغيرة) لما يلزم منه احتقار المعصية (الا على معنى انها تغتفر) وفي نسخة تغفر (باجتناب الكبائر) أي

معها لا بعين اجتنابها فانه مذهب المعتزلة بل بشرط اجتنابها لكن بسبب أعمال حسنة بينها الشارع وعينها (ولا يكون لها) في المؤاخذة بها (حكم مع ذلك) أي مع غفران الله تعالى لها (بخلاف الكبائر اذا لم يتب منها) بصيغة المفعول أو الفاعل (فلا يحبطها) أي لا يذهبها ولا يرفعها أو لا يهدمها ولا يبطلها (شئ) أي من الطاعات وان كان ظاهر قوله تعالى ان الحسنات يذهبن السيئات يشمل الصغائر والكبائر الا ان علماء أهل السنة أجمعوا على ان المكفرات مخصوصة بالصغائر ويجوز ان الله تعالى يعذب عليها ويغفر ما فوقها (والمشيئة في العفو) أي فيما عدا الكفر (الى الله تعالى) كما قال تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وفي نسخة في العفو عنها أي عن الصغائر والكبائر لا عن الصغائر كما هو المتبادر (وهو) أي ما ذهبوا اليه من عصمة الانبياء من الكبائر والصغائر (قول القاضي أبي بكر) أي الباقلاني من المالكية رحمه الله تعالى (وجماعة أئمة الاشعرية) من باب عطف العام على الخاص اذ هو من أكابرهم (وكثير من أئمة الفقهاء) كأتباع الماتريدية

(وقال بعض أئمتنا) أى من أهل السنة أو المالكية (ولا يجب) أى ولا يثبت (على القولين) وهما قول العصمة وعدمها عقلا (ان يختلف) وكان الاظهر ان يقول ويجب على القولين ان لا يختلف (انهم) أى فى ان الانبياء (معصومون من تكرار الصغائر وكثرتها اذ يلحقها ذلك) التكرار (بالكبائر) المختلف فى عصمتهم منها فان من جملة الكبائر الاصرار على الصغائر فقد ورد لا صغيرة مع الاصرار ولا كبيرة مع الاستغفار (ولا فى صغيرة) أى ولا يجب أيضا ان يختلف فى صغيرة (أدت الى ازالة الحشمة) أى المهابة (واسقطت المروءة) بالهمزة ويجوز ابدالها وادغامها وهى الفتوة وكمال الرجولية (وأوجبت الازراء) بتقديم الزاى على الراء أى الحقارة (والخساسة) أى الدناءة (فهذا) أى النوع من الصغائر (أيضا مما يعصم منه) ويروى عنه (الانبياء اجماعا لان مثل هذا يحط منصبه) أى يضع منصب النبى ويروى منصب المتسم أى الموصوف به (ويزدرى) بفتح أوله على ان الباء للتعدية فى قوله (بصاحبه) أى يحقره وينقصه (وينفر) بتشديد الفاء أى يطرد (القلوب عنه) أى عن قبول كلامه وحصول مرامه (والانبياء منزهون عن ذلك بل يلحق بهذا) أى فى التنزه (ما كان من قبيل المباح) الذى لا تبعة على فاعله ولا مذمة (فادى الى مثله) فيحرم أى الى شبهه مما ينزهون عنه (لخروجه بما أدى اليه من اسم المباح الى الحظر) بفتح الحاء المهملة وسكون الظاء المعجمة أى المنع

كل

الله تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك الى آخره والحديث مبين للآية فلا رد عليهم ان الوعيد شامل لها فلا تغفر بمجرد اجتناب الكبائر وهو الحق فان الحق خلافه لقوله تعالى ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم (قال القاضى أبو الفضل) عياض مصنف هذا الكتاب رحمه الله تعالى (قال بعض أئمتنا) يعنى المالكية (ولا يجب على القولين) فى العصمة عن الصغائر وعدمها (ان يختلف) فى (انهم معصومون عن تكرار الصغائر وكثرتها) وكان الظاهر ان يقول لا يجوز لان أحدا لم يقل بوجوب الاختلاف ففى عبارته تسمح (اذ يلحقها ذلك) المذكور من الكثرة والتكرار (بالكبائر) لما فيه من عدم المبالاة بالمعاصى وفى الاحياء الصغيرة تصير بالاصرار كبيرة كما ان المباح يصير بذلك صغيرة قال السبكى اما الاول فظاهر وان الثانى فلا نعرفه وفيه نظر سيأتى وقيل ان المختار المفتى به ان من أكثر من فعل الصغائر سواء كانت من نوع واحد أو من أنواع لا يكون فاسقا ولا مرتكبا الكبيرة ان غلبت طاعاته على معاصيه الا ان يريد بالاكثار الاكثرية بحيث يغلب على الطاعات وفيه ان ما ذكره فى حق غير الانبياء فلا نسلم مساواتهم لغيرهم فيه وهم المقتدى بهم فتدبر (ولا) ينبغى ان يختلف (فى صغيرة أدت الى ازالة الحشمة) أى الحياء من الناس لانها مما يستر ذلو تنقبض النفوس منه وقد ورد بهذا المعنى فى الحديث كقوله * نادجهارا ولا تحتشم * وفى قول عنترة

فارى مغانم لو أشاء حويتها * فيصدنى عنها كثير تحشمى

وقد ورد بهذا قوله فى أدب الكاتب ان الناس يضعون الحشمة موضع الاستحياء وليس كذلك انما هى الغضب ومنه انه يحشمنى وليس كما قال وقد قال حسان رضى الله تعالى عنه

أرسلت نفسى على سجيتها * وقلت ما شئت غير محتشم

ومنه قولهم للمهيب محتشم وقد صرح به السهيلى والبطليوس (واسقطت المروءة) هى كمال الرجولية وفسرها المصنف رحمه الله بقوله (وأوجبت الازراء) أى النقص (والخساسة) أى الدناءة وكونه مزدرا خسيسا فى أعين الناس يقال ازدراه اذا تهاون به وعابه لحقارته عنده كسرقة لقمة وشئ تافه (وهذا أيضا كغيره (مما يعصم منه الانبياء اجماعا) لعلو قدرهم وشرف أنفسهم وهممهم العلية (لان) ارتكاب مثل (هذا يحط منصب) أى مقام (المتسم به) أى الموصوف به أى يجعله سافلا (ويزرى بصاحبه) أى يحقره وينقصه (وينفر القلوب عنه) فينافى مقام الدعوة واتباع الخلق له (والانبياء منزهون) أى مبرؤن (عن ذلك) كله لانه لا يليق بعلى مقامهم (بل يلحق بهذا) المذكور من الصغائر التى عصمهم الله تعالى منها (ما كان من قبيل المباح فادى الى مثله) ضمير مثله يحتمل ان يعود الى ما ينزهون عنه فيكون من قبيل سد الذرائع الذى ذهب اليه مالك فان عنده ان ما أدى الى منهى عنه وان كان مباحا فى نفسه ويحتمل ان يعود الى الازراء والخساسة كالاكل فى السوق لمن ليس من أهله من غير ضرورة والصنائع الرذيلة كالحجامة وليس منها رعاية الغنم الذى فعله الانبياء عليهم الصلاة والسلام فانه ليس بعيب فى الزمن القديم وكلبس ما لا يليق به من الملبوس كما قلت نصيحة لطيفة * قالت بها الاكياس * كل ما اشتهيت والبس * ما يشتهيه الناس * وكادامة الشافعى لعب الشطرنج (لخروجه بما أدى اليه عن اسم المباح الى الحظر) أى المنع منه يعنى الحرمة وهذا صريح فى الاشارة الى سد الذريعة وهذه المسئلة مما نقل على الاطلاق عن الامام مالك رحمه الله تعالى لكنها مشكلة وقال القرافى كما تقدم انها ليست على اطلاقها وللعلماء المالكية فيها كلام طويل لم يحضرنى الآن تفصيله وفى الشرح الجديد ان مراده انه يؤدى الى الازراء بمرتكبه والازراء بالانبياء كفر ففعله يؤدى الى ان يزرى بهم

(وقد ذهب بعضهم الى عصمتهم من مواقعة المكروه) أى فعله أو قوله (قصدا وقد استدل بعضهم على عصمتهم من الصغائر
بالمصير) متعلق باستدل أى بمرجع الامم (الى امتثال أفعالهم) أى أفعال الانبياء (واتباع آثارهم بسيرهم) ويروى

فيحرم عليهم لاحتمال ان يراهم من يجهل مقامهم فيزدرى بهم فيقع فى الشقاء الابدى فتأمله وفى الكبيرة والصغيرة وتعريفهما كلام فى الاصلين لا حاجة للاطالة بذكره (وقد ذهب بعضهم الى عصمتهم) أى الانبياء عليهم السلام (من مواقعة المكروه) أى الوقوع فيه بان يفعله (قصدا) أما سهوا فلا بأس به والمكروه يكون كراهة تحريم وهو نوع من الحرام لكن الفقهاء يطلقون عليه مكروها اذا لم يكن فيه نص اجتنابا من القطع بالحكم به وكراهة تنزيه كترك بعض المندوبات والمراد هذا لان الاول داخل فيما تقدم مما جزموا بامتناعه عليهم والاول شامل بخلاف الاولى وهو مما نهى عنه فى الجملة لانه صلى الله تعالى عليه وسلم مامور باتباعه فلو فعل مكروها تبع فيه الا ان يكون لبيان الجواز والتشريع فانه يكون فى حقه أفضل كغسله أعضاء الوضوء مرة أو مرتين فتركه التثليث لبيان الجواز (وقد استدل بعض الائمة على عصمتهم من الصغائر بالمصير الى امتثال أفعالهم) أى فعل مثلها اقتداء بهم فلو صدر ذلك منهم أو جاز فعله الناس وظنوه مشروعا فاذا منعوه منهم وان كان صغيرة لان ذنب العظيم عظيم وان قل (واتباع آثارهم وسيرهم مطلقا) أى سواء كانت ضرورية أو جبلية كالقيام والقعود والاكل والشرب فانا نتاسى بهم فيه وان كان مباحا لان الاصل فى أفعالهم انها حسنة شرعية فينبغى اتباعهم فى كل ما يصدر منهم لان الاصل ارجح من الظاهر وقد اختلف الشافعية فى اتباعه صلى الله تعالى عليه وسلم فيما علمنا انه ليس تشريعا هل يستحب أم لا كنومه واضطجاعه بين سنة الفجر وفرضه (وجمهور الفقهاء على ذلك) أى استحباب اتباع آثارهم مطلقا ان لم نعلم انه خصوصية لهم (من أصحاب مالك والشافعى وأبى حنيفة) وأصحابه كبار أهل مذهبه (من غير التزام) قيام (قرينة) تدل على انه فعله للتشريع والاقتداء به فيه (بل) يقتدى بفعله (مطلقا) من غير التزام قرينة المشروعية (عند بعضهم وان اختلفوا) بعد القول باتباعه (فى حكم ذلك) فذهب الغزالى الى انه يستحب اتباعه فى الامور الجبلية كغيرها وذهب اليه كثير من الفقهاء والمحدثين وقال غيرهم انه مباح أحسن من غيره وفى قول ضعيف انه واجب (وحكى ابن خويزمنداذ) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الله وقيل أبو بكر تلميذ الابهرى من أئمة المالكية والاصول وله تصانيف فى مذهبه وعلم الخلاف الا ان أقواله مرجوحة عندهم كقوله ان العبيد لا يدخلون فى الخطاب وان خبر الواحد يوجب العلم وخويزمنداذ بضم الخاء المعجمة وفتح الواو المخففة وسكون الياء المثناة التحتية وزاى معجمة ساكنة ومكسورة وميم مفتوحة أو مكسورة وروى بياء موحدة بدلها ثم نون ساكنة فذالين معجمتين بينهما ألف وقيل الاولى مهملة توفى فى حدود الاربعمائة وهو من أهل البصرة كما فى التمهيد لابن عبد البر (وأبو الفرج) عمر بن محمد بن عمر الليثى المالكى صاحب كتاب الحاوى فى فقه مالك توفى سنة ثلاثين أو احدى وثلاثين وثلثمائة (عن) الامام (مالك التزام ذلك) أى اتباع أفعاله وآثاره (وجوبا) أى قال انه يجب اتباعه صلى الله تعالى عليه وسلم فى كل ما يفعله اذا لم يكن أمرا جبليا كالاكل والشرب ولم يعلم انه من خصوصياته اذا لم يعلم حاله من وجوب أو ندب أو اباحة لان أفعاله منحصرة فيها لانه لا يصدر عنه محرم ولا مكروه كما تقدم (وهو قول الابهرى) بفتح الهمزة وسكون الموحدة وفتح الهاء وراء مهملة وياء نسبة نسبة لبلدة عظيمة بين قزوين وزنجان ولهم أخرى باصبهان وهو معرب أبهر بمعنى ماأرجى والابهرى من علماء المالكية اثنان أبو بكر محمد بن عبد الله بن صالح والآخر أبو سعيد عبد الرحمن بن يزيد بن عبد السلام وليس ابن عبد السلام هذا هو الشافعى وهذا أيضا مشهور وعندهم فمحمد الابهرى من علماء المالكية من أهل

سيرتهم أى أحوالهم وأقوالهم (مطلقا) أى من غير قيد ان تقع أفعالهم وأقوالهم قصدا كما قال تعالى أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقال ان كنتم تحبون الله فاتبعونى (وجمهور الفقهاء على ذلك من أصحاب مالك والشافعى وأبى حنيفة) رحمه الله تعالى لم ينصف المصنف فى ترتيب ذكر الائمة لاسيما فى تاخير أبى حنيفة عن الشافعى مع انه مقدم على الكل مدة ورتبة (من غير التزام قرينة) دالة على وقوع قصد وتعمد فى أفعالهم بل مطلقا عند (بعضهم وان اختلفوا فى حكم ذلك) أى فى حكم اتباعهم من وجوب أو ندب هنالك (وحكى أبى خويزمنداذ) بضم الخاء المعجمة وفتح الواو المخففة وسكون التحتية وفتح زاى أو كسرها وكسر ميم وسكون نون فدال مهملة فالف فذال معجمة أو فذالين معجمتين بينهما الف تفقه على الابهرى وهو ضعيف فى الرواية مات فى حدود الاربعمائة (وأبو الفرج) هو المالكى

صاحب كتاب الحاوى مات سنة ثلاثين وثلثمائة (عن مالك التزام ذلك) أى ما صدر عنهم (وجوبا وهو قول الابهرى) بفتح الهمزة والهاء بلد عظيم بين قزوين وزنجان وجبل بالحجاز قال التلمسانى هم جماعة أكبرهم التميمى مات سنة خمس وسبعين وثلثمائة

(وابن القصار) بتشديد الصاد (وأكثر أصحابنا) أى المالكية (وقول أكثر أهل العراق) أى الثورى وأصحاب أبى حنيفة (وأحمد بن سريج) بسين مهملة مضمومة وفى آخره جيم وهو أبو العباس البغدادى أخذ عن الانماطى بلغت مصنفاته أربعمائة توفى سنة ست وثلثمائة وعمره سبع وخمسون سنة قال الشيخ أبو اسحق تفضل على جميع أصحاب الشافعى حتى على المزنى (والاصطخرى) بكسر الهمزة وتفتح وبفتح الطاء وسكون الخاء المعجمة وهو شيخ ابن سريج صنف كتبا كثيرة منها أدب القضاء استحسنه الائمة وكان زاهدا متقللا من الدنيا وكان فى أخلاقه حدة ولاه المقتدر بالله قضاء سجستان ثم حسبته بغداد ولد سنة أربعين ومائتين وتوفى ببغداد سنة ثمان وعشرين وثلثمائة ودفن بباب حرب (وابن خيران) بالخاء المعجمة وسكون التحتية فراء فالف فنون البغدادى مات سنة عشرين وثلثمائة كان اماما جليلا وربما كان يعتب على ابن سريج فى ولايته للقضاء ويقول هذا الامر لم يكن فى أصحابنا انما كان فى أصحاب أبى حنيفة وطلبه الوزير ابن الفرات بامر الخليفة للقضاء فامتنع فوكل ببابه وختم عليه بضعة عشر يوما حتى احتاج الى الماء فلم يقدر عليه الا مناولة بعض الجيران فبلغ الخبر الى الوزير فامر بالافراج عنه وقال ما أردنا بالشيخ أبى على الاخير أردنا ان نعلم ان فى مملكتنا رجلا يعرض عليه قضاء القضاة شرقا وغربا وفعل به مثل هذا وهو لا يقبل (من الشافعية) أى المذكورون هو ومن قبله من علماء الشافعية ذهبوا الى وجوب اتباع أفعال الانبياء (وأكثر الشافعية على ان ذلك ندب وذهبت طائفة) أى منهم أو من غيرهم (الى الاباحة) الا اذا قام دليل على الوجوب أو الندب (وقيد بعضهم الاتباع) أى وجوبا أو ندبا (فيما كان من الامور الدينية وعلم به مقصد القربة) أى التقرب فى الاحوال الاخروية (ومن قال بالاباحة فى أفعاله) أى فى اتباع افعال النبى عليه الصلاة والسلام (لم يقيد) أى اتباعهم بما تقدم (قال) أى ذلك البعض (ولو جوزنا عليهم الصغائر) أى فضلا عن الكبائر (لم يمكن الاقتداء بهم فى أفعالهم) لعدم علمنا بمقاصدهم وأحوالهم (اذ ليس كل فعل أفعاله) أى كغيره منهم ويروى من أفعالهم (يتميز مقصده) بكسر الصاد أى مطلبه أو قصده كما فى نسخة أى نيته ومستور طويته (به) أى بعمله الذى قصده أهو (من القربة) واجبا أو ندبا (أو الاباحة) مما لا يترتب على فعله مدح ولا ذم ولا ثواب ولا عقاب (أو) من (الحظر) أى المنع حراما أو مكروها أو خلاف الاولى

طليطلة ويلقب بابى تمام وهو المراد هنا (وابن القصار) الامام فى فقه مالك (وأكثر أصحابنا) من المالكية (وقول أكثر أهل العراق) من فقهاء المذاهب (وابن سريج) بضم السين وفتح الراء المهملتين ومثناة تحتية ساكنة وجيم وهو أبو العباس أحمد بن عمر بن سريج البغدادى الشافعى حامل لواء المذهب صاحب التصانيف الجليلة كانوا يفضلونه على جميع أصحاب الشافعى ويلقب بالباز الاشهب تولى قضاء شيراز وتوفى فى جمادى الاولى سنة ست وثلاثمائة (والاصطخرى) بكسر الهمزة وفتحها وصاد مهملة ساكنة وطاء مهملة مفتوحة وخاء معجمة ساكنة وراء مهملة يليها ياء النسبة نسبة لاصطخر بلدة عظيمة وهو أبو سعيد الحسن بن أحمد بن زيد بن عيسى الامام المشهور عند الشافعية وكذا تصانيفه توفى سنة أربع وثمانين وثلاثمائة على أحد الاقوال وترجمته مفصلة فى الطبقات والميزان وغيرهما (وابن خيران من الشافعية) راجع للثلاثة وهو علم لمثنى خير وهو أبو الحسين بن صالح بن خيران البغدادى الامام الزاهد الجليل قدره صاحب التصانيف المفيدة فى فقه الشافعى طلبه الوزير ابن الفرات ليوليه القضاء فلم يجبه فسمر بابه عليه أياما فلم يجب فافرج عنه ثم قال انما فعلت ذلك به ليعلم ان ما فى بلدنا مثله توفى رحمه الله تعالى سنة عشرين وثلاثمائة لعشر بقين من ذى الحجة (وأكثر الشافعية على ان ذلك) أى الاتباع له صلى الله تعالى عليه وسلم فيما لم يعلم حاله (ندب) أى مستحب لا واجب ولا مباح كما هو المشهور وبالغ أبو شامة رحمه الله تعالى فى نصرته (وذهبت طائفة) من العلماء (الى الاباحة) أى انه مباح وطائفة الى الوقف (وقيد بعضهم الاتباع) أى اتباعه صلى الله عليه وسلم فى أفعاله وجوبا أو ندبا (فيما كان من الامور الدينية) ليخرج الامور الجبلية كالاكل والنوم (وعلم به مقصد القربة) مصدر ميمى بمعنى القصد أى التقرب الى الله تعالى بالعبادة وهذا مختار الآمدى وابن الحاجب وأبى شامة (ومن قال) بان الاصل فيما لم يعلم من أفعاله صلى الله تعالى عليه وسلم (الاباحة لم يقيد) بما قيد به من قال بالندب أو الوجوب بقيد الدينية وقصد القربة لان التقييد به ينافى الاباحة اذ كل ما قصد به القربة من الديانة طاعة فهو لا يخلو من الوجوب أو الندب قيل هذا حكم ما فعله فى نفسه وبالنسبة اليه صلى الله تعالى عليه وسلم واما بالنسبة لامته فحكمهم مرتب على حكمه الا فيما استثنى فتدبر (قال) المستدل على عصمتهم عليهم الصلاة والسلام من الصغائر بما مر (فلو جوزنا عليهم) فعل (الصغائر لم يمكن الاقتداء بهم فى أفعالهم) مطلقا كما أمرنا به (اذ ليس كل فعل من أفعاله) كغيره منهم (يتميز مقصده به) أى ما قصده (من القربة) بان يكون واجبا أو مندوبا (أو) من (الاباحة) مما لا يترتب عليه ثواب ولا عقاب أو مدح أو ذم (أو) من (الحظر) بالظاء المعجمة أى المنع شرعا لكونه محرما

(أو المعصية) أي المخالفة في الجملة ويروى والمعصية (ولا يصح ان يؤمر المرء بامتثال أمر لعله معصية لاسيما) أي خصوصا (عند من يرى من الاصوليين) أي في الفقه (تقديم الفعل) من الادلة (على القول اذا تعارضا) وجهل المتاخر منهما وهم أصحاب الشافعي فاما عندنا فيرجح القول على الفعل لانه أدل على كونه للقربة لاحتمال ان الفعل وقع وفق ١٤٣ العادة أو بحسب ما يناسب تلك الحالة ولذا قال أصحابنا ان الاعتمار من التنعيم أفضل منه من الجعرانة خلافا للشافعية مع ان عمرة عائشة كانت متاخرة حيث وقعت عام حجة الوداع وعمرة الجعرانة كانت سنة الفتح (ونزيد) أي نحن (هذا) المبحث (حجة) أي نزيل شبهة من زعم عدم امكان الاقتداء بالانبياء لابهام أفعالهم من بين ما سبق من الاشياء (بان نقول من جوز الصغائر ومن نفاها عن نبينا عليه الصلاة والسلام) وكذا عن سائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام (مجمعون على انه) أي كغيره منهم (لا يقر) بضم ياء وفتح قاف وتشديد راء وأخطا الحلبي في قوله يقر بكسر القاف وتبعه غيره من المحشين وقال الانطاكي أي لا يقر غيره على منكر والصواب ما قدمناه وان المعنى لا يبقى ولا يترك (على منكر من قول أو فعل) بل ينبه ويذكر لينتهي عنه ولم يتكرر واختلفوا هل من شرط ذلك الفور أم يصح على التراخي قبل وفاته عليه الصلاة والسلام والصحيح الاول (وانه) أي النبي عليه الصلاة والسلام (متى رأى شيا) أي علم من أمته قولا أو فعلا (فسكت صلى الله تعالى عليه وسلم عنه) أي لم ينكر على فاعله (دل) سكوته (على جوازه) ويسمى مثل هذا تقريرا (فكيف يكون هذا) التقرير (حاله في حق غيره ثم يجوز) مضارع جاز وفي نسخة بصيغة المفعول من التجويز وفي أخرى بصيغة المتكلم منه والمعنى كيف يتصور (وقوعه منه في نفسه وعلى هذا المأخذ) أي المذكور سابقا يجب عصمتهم من مواقعة المكروه كما قيل

محرما أو مكروها أو خلاف الاولى (أو المعصية) الظاهر عطفه بالواو عطف تفسير وعلى هذه النسخة ينبغي ان يفسر الحظر بخلاف الاولى والمكروه وهذا بالحرام (ولا يصح) على تقدير جواز الصغائر عليهم (ان يؤمر المرء بامتثال أمر) من الامور فعله النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وصدر منه (لعله معصية) وقد أمرنا باتباعه لقوله تعالى فاتبعوني يحببكم الله ونحوه فيلزم ان نتبعه في معصية صدرت منه وهو باطل ولما ورد عليه ان الملازمة غير مسلمة لجواز ان تصدر عنه معصية صغيرة ولا يتبع فيها الا انه قال لنا انها محرمة علينا الا انه يبقى ما لم يصرح بتحريمه ملتبسا علينا أو يقال هذا انما يتم لو قلنا القول مقدم على الفعل وليس بمسلم كما أشار اليه بقوله (لاسيما) تقدم الكلام عليها وعلى قول انها للاستثناء مع افادتها أولوية ما بعدها بالحكم وسي بمعنى مثل وما موصولة أو زائدة كما بينه النحاة وقد قدمناه (على) قول (من يرى تقديم الفعل على القول اذا تعارضا) وجهل المتاخر منهما لدلالته على الجواز المستمر مع كونه أقوى في البيان من حيث انه يبين به وقوله (من الاصوليين) أي علماء أصول الفقه وهو بيان لمن بان يفعل فعلا قال انه حرام ولم يعلم المتاخر منهما حتى يكون ناسخا له وقد اختلف فيه فمنهم من قدم الفعل لانه لا احتمال فيه وقيل يعمل بالقول لقوته بالصيغة وانه حجة في نفسه وهو قول الجمهور وقيل لا يرجح أحدهما على الآخر الا بدليل وعلى الاول يقتدى بافعاله مطلقا والمعارضة بمعنى المخالفة ومنافاة أحدهما للآخر وعلى هذا تكون الحجة أقوى (ونزيد هذا) الدليل الذي استدل به بعضهم على عصمتهم من الصغائر وعدم جوازها عليهم ونزيد بنون المضارعة (حجة) أي نزيد هذا الدليل بما يزيل الشبهة في حجته وقوة برهانه (بان نقول من جوز) على الانبياء عليهم الصلاة والسلام وقوع (الصغائر ومن نفاها) أي قال بعدم جوازها (عن نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم مجمعون) ومتفقون في حقه كغيره من الانبياء (على انه) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (لا يقر) بكسر القاف والبناء للفاعل وفاعله ضمير النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أي لا يقر غيره اذا رآه (على) أمر (منكر من قول أو فعل) لان تقريره صلى الله تعالى عليه وسلم بمنزلة قوله له ما فعلته جائز كما قيل ان السفيه اذا لم ينه مامور (وانه) صلى الله تعالى عليه وسلم (متى رأى شيا) منهيا عنه يفعل أو يقال (فسكت) صلى الله تعالى عليه وسلم (عنه دل على جوازه) والسكوت رضى وتقرير لوجوب الثناء عليه (فكيف) تعجب وانكار شديد (يكون هذا حاله في حق غيره) ممن رآه أو سمعه (ثم يجوز وقوعه منه في نفسه) بان يرضى لنفسه مع شرفها وعصمتها ما لا يرضاه لغيره من اتباعه ولذا عدوا تقريره صلى الله تعالى عليه وسلم من الحديث كقوله وفعله ومثل ما رآه وسمعه ما علمه في عصره ولم ينكره فانه يدل على جوازه أي اباحته كما قرره الاصوليون الا انهم شرطوا فيه شروطا منها ان لا يكون بين منعه قبل ذلك كما لو رأى ذميا من أهل الجزية في كنيسة على ما يفعله أهل ملته وان قدر على ازالة ذلك المنكر وفيه نظر لانه مامور بالامر ان خاف مكروها وقتالا وان يعلم ان انكاره يفيد كما قاله بعض المعتزلة وهذا كما كان يقر بعض المنافقين على نفاقهم أحيانا (وعلى هذا المأخذ) الدال على انهم لا يقرون غيرهم على المعاصي فضلا عن أنفسهم (يجب عصمتهم عن موافقة المكروه كما قيل) وقد تقدم قريبا لانه مما نهى الرسول عنه غيره فكيف

اذا الحظر) أى المنع عن ترك الاقتداء على وجه الحرمة وكان الاظهر ان يقول اذا الوجوب (أو الندب على الاقتداء بفعله ينافى الزجر والنهى عن فعل المكروه) أى لغيره (وأيضا فقد علم من دين الصحابة) أى دأبهم وعادتهم (قطعا الاقتداء بافعال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كيف توجهت فى كل فن) وفى نسخة وفى كل فن أى ومن دينهم الاقتداء بافعاله فى كل فن أى نوع من أفعاله قصدا أو سهوا من غير تفرقة بين فعل من أفعاله (كالاقتداء باقواله) أى اتفاقا (فقد نبذوا خواتمهم) أى طرحوها (حين نبذ خاتمه) بكسر التاء وفتحها على ما رواه الشيخان عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما أنه عليه الصلاة والسلام اتخذ له خاتما من ذهب ثم نبذه فاقتدوا به وروى أنه عليه الصلاة والسلام اتخذ خاتما من ذهب ثم نبذه ثم اتخذ خاتما من ورق (وخلعوا نعالهم) كما رواه أحمد وأبو داود (حين خلع صلى الله تعالى عليه وسلم) ويروى خلع نعله ولفظ الحاكم عن أبى سعيد صلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى نعليه ثم نزع فنزع الناس نعالهم وعن أبى سعيد الخدرى قال بينا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يصلى باصحابه اذ خلع نعليه فوضعهما عن يساره فلما رأى القوم ذلك ألقوا نعالهم فلما قضى صلاته قال ما حملكم على القائكم نعالكم قالوا رأيناك ألقيت نعليك فقال ان جبريل أخبرنى ان فيهما قذرا الحديث ويناسب الباب حديث الصلاة الى القبلتين ومتابعة الصحابة له فى الجهتين فقال

يتنزل للاتصاف به كما قيل

لا تنه عن خلق وتأتى مثله * عار عليك اذا فعلت عظيم

ثم أردفه بدليل عن عدم فعله المكروه بقوله (واذا الحظر) بظاء مشالة بمعنى المنع تحريما ومكروها واذ للزمان الماضى أريد بها التعليل هنا وهو معطوف على قوله وعلى هذا المأخذ وفى نسخة الحض بحاء مهملة وضاد معجمة وقال البرهان انه تحريف وفيه نظر (أو الندب) أى الطلب غير الايجابى وضمنه معنى الحث (على الاقتداء بفعله) كما أمر الله تعالى باتباعه فى آيات كثيرة معلومة (ينافى الزجر) أى زجره غيره اذا رآه ارتكب ما لا يرضاه (والنهى) للغير (عن فعل) الامر (المكروه) وفى كلامه هذا حزازة وتوضيحه بما يشفى الغليل انه يجب عصمته صلى الله تعالى عليه وسلم عن المكروه لما مر من انه لا يرضاه لغيره فكيف يتصف به هو من غير مقتض وهذا معنى قوله وعلى هذا المأخذ الى آخره ثم بين وجهه بوجه آخر أشار اليه بقوله واذا الحظر أو الحض كما فى بعض النسخ وهى صحيحة أيضا كما علمت أى اذا رأينا صلى الله تعالى عليه وسلم فعل فعلا لم ندر حكمه فقيل تمتنع مخالفته وقيل يندب اتباعه والى الاول أشار بالحظر والى الثانى بالندب وعلى كل منهما لا يفعل مكروها فاعله مزجور فتدبر (وأيضا) أى مما يدل على عصمته صلى الله تعالى عليه وسلم عن مواقعة المكروه (فقد علم من دين الصحابة) أى من عادتهم لان الدين يكون بمعنى العادة ولو خلى على ظاهره صح وقوله (قطعا) أى علما لا شك فيه (الاقتداء بافعال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كيف توجهت) أى فى أى جهة من جهات الافعال المختلفة (وفى كل فن) أى فى أى نوع كانت من أمور معاشه وحركاته وتكلمه وغير ذلك (كالاقتداء باقواله) فى أوامره ونواهيه فلا يفرقون بين قوله وفعله فى الاتباع فلو فعل مكروها لزم اتباعه فيه وهو لا يصح ثم ذكر أمورا تدل على ان فعله كقوله فقال (فقد نبذوا) بمعجمة أى رموا وطرحوا والضمير للصحابة الذين كانوا تختموا وهو اشارة لحديث رواه الشيخان عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما (خواتيمهم) جمع خاتم على لغة فان بعضهم يشبع الكسرة كما ورد الاعمال بخواتيمها جمع خاتمة بمعنى آخرها وهو مطرد عند الكوفيين وعند غيرهم سماعى أو جمع خاتام وهى لغة فيه من عشر لغات فيه وهذا اشارة الى حديث هو أنه صلى الله تعالى عليه وسلم لما كتب الى الملوك يدعوهم للاسلام قيل له انهم لا يقرؤن كتابا غير مختوم فاتخذ له خاتما من ذهب للختم نقشه محمد رسول الله ثم أوحى اليه بتحريم خواتم الذهب للرجال دون النساء فطرحه وهو على المنبر واتخذ آخر من فضة (حين نبذ خاتمه) فهذا منهم اقتداء بفعله صلى الله تعالى عليه وسلم كما ذكره وقيل ان خاتمه الذهب أهداه له النجاشى رضى الله تعالى عنه ومنه علم تحريم التختم بالذهب وحله بالفضة خلافا لابن حزم فى حلهما وما روى من ان الخاتم الذى نبذه كان من فضة طعن فى رواته كما فصل فى شروح الصحيحين وفى شرح مسلم للقرطبى أنه صلى الله تعالى عليه وسلم نهى ان ينقش أحد خاتمه كنقش خاتمه وان ينقش أحد على خاتمه اسم محمد وان تتختم النساء بالفضة ورواه النووى (و) من اقتدائهم بافعاله صلى الله تعالى عليه وسلم انهم (خلعوا) أى الصحابة (نعالهم) فى الصلاة (حين خلع) صلى الله تعالى عليه وسلم (نعله) وهو يصلى رواه أحمد وأبو داود والحاكم عن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه قال بينا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يصلى باصحابه اذ خلع نعليه ووضعهما عن يساره فلما رأوه ألقوا نعالهم فلما قضى صلاته قال ما حملكم على هذا قالوا رأيناك فعلته

(واحتجاجهم) بالرفع أي ومن دين الصحابة استدلالهم بجواز محاذاة القبلة حال قضاء الحاجة استقبالا واستدبارا (برؤية ابن عمر
اياه) كما في حديث الشيخين عنه قال رقيت يوما على بيت حفصة فرأيت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (جالسا لقضاء حاجته
مستقبلا بيت المقدس) ورواية المصابيح مستدبر القبلة مستقبل الشام مع نهيه صلى الله تعالى عليه وسلم عن الاستقبال والاستدبار
في تلك الحال كما في حديث الشيخين عن أبي أيوب اذا أتيتم الغائط فلا تستقبلوا القبلة ولا تستدبروها ببول ولا غائط ولكن
شرقوا أو غربوا فجمع الشافعي بينهما بحمل رواية ابن عمر على البناء ورواية أبي أيوب على الفضاء وهو عندنا محمول على الضرورة أو
على ماقبل النهي (واحتج غير واحد) من الصحابة أو الائمة أي كثير (منهم في غير شئ) أي واحد بل في أشياء كثيرة و يروى في رؤية
شئ (مما بابه العبادة أو العادة بقوله) أي الصحابي كانس رضي الله تعالى عنه فيما رواه الشيخان انه قدم
من سفر فرؤي على حمار
يصلي لغير القبلة يومي
فقيل له فقال (رأيت
رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم يفعله) ولعله
عليه الصلاة والسلام
كان فعله خارج البلد
فاخذ أنس بجوازه
مطلقا وكذا ابن عمر سئل
عن أشياء فعلها فقا
رأيته صلى الله تعالى
عليه وسلم يفعله (وقال)
أي النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم في حديث
الموطا عن عطاء بن يسار
ان رجلا قبل امرأته
وهو صائم فوجد من
ذلك وجدا شديدا أي
حزن حزنا كبيرا فارسل
امرأته تسال عن ذلك
فدخلت على أم سلمة
فذكرت لها ذلك
فاخبرتها أم سلمة ان
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان يقبل وهو
صائم فاخبرت زوجها فقال لسنا مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم يحل الله لرسوله مايشاء فرجعت امرأته الى أم سلمة فوجدت
عندها النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال مابال هذه المرأة فاخبرته أم سلمة فقال (هلا خبرتيها) بتشديد الموحدة واشباع
كسرة التاء ياء وفي نسخة هلا اخبرتيها أي المرأة التي سالتك (اني أقبل وأنا صائم) فقالت قد أخبرتها فذهبت الى زوجها فاخبرته
فقال لسنا مثل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يحل الله لرسوله مايشاء فغضب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال اني أتقاكم لله
وأعلمكم بحدوده (وقالت عائشة رضي الله تعالى عنها محتجة) أي مستدلة بجواز تقبيل الرجل وهو صائم (كنت أفعله

فقال ان جبريل أخبرني ان بها قذرا ومنه علم ان الصلاة بالنعل اذا علم طهارتها لاتكره أما حديث
خالفوا اليهود فانهم لا يصلون في نعالهم وخفافهم فلا يدل على استحبابه الا اذا قصد مخالفة اليهود
فتأمل (و) مما يدل على استحباب الاقتداء بافعاله صلى الله تعالى عليه وسلم (احتجاجهم) أي استدلال
الصحابة رضي الله تعالى عنهم الوارد في حديث رواه الشيخان عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما استدلوا
به على انه يجوز استقبال القبلة واستدبارها بالبول والغائط أشار اليه بقوله (برؤية ابن عمر) رضي الله
تعالى عنهما (اياه) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (جالسا لقضاء حاجته) أي للبراز وهو يكنى عنه
بقضاء الحاجة تادبا (مستقبلا بيت المقدس) وهو قبلة الانبياء عليهم الصلاة والسلام قال رقيت يوما على
بيت حفصة فرأيته صلى الله تعالى عليه وسلم الخ واستدل بفعله هذا على جوازه و يلزمه لمن كان بالمدينة
استدبار الكعبة أيضا وهذا مناف لحديث أبي أيوب عنه صلى الله تعالى عليه وسلم اذا أتيتم الخلاء فلا
تستقبلوا القبلة ببول ولا غائط ولكن شرقوا أو غربوا فقيل انه منسوخ وجمع بينهما بانه يكره في الخلاء
بلا ساتر دون العمران ولا يكره في البيوت المعدة لذلك واختلفوا في علته فقيل تعظيمها أي القبلة
وقيل لان الصحراء لاتخلو من مصل فيراه والصحيح الاول (واحتج غير واحد منهم) أي ناس كثيرون
من الصحابة (في غير شئ) أي في أشياء كثيرة (مما بابه) أي نوعه (العبادة) أي مما يتعبد به (أو العادة)
أي ما اعتاد والعله (بقوله) أي ابن عمر رضي الله تعالى عنهما (رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم يفعله) ومثله كثير كما قيل لابن عمر رأيناك تلبس النعال السبتية وتصبغ بالصفرة فقال رأيت
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يفعله (و) قوله (قال) صلى الله تعالى عليه وسلم (هلا اخبرتيها اني
أقبل وأنا صائم) اشارة الى حديث في الموطا عن عطاء بن يسار ان رجلا قبل امرأته وهو صائم في
رمضان فخاف وأرسل امرأته تسئل أمهات المؤمنين فسالت أم سلمة فقالت ان رسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم فعله فاتته فاخبرته بما قالت فقال لسنا كرسول الله فاتتها وأخبرتها بما قال زوجها
فوجدت عندها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال ماهذه المرأة فاخبرته أم سلمة فقال لها
رسول الله الا أخبرتيها اني أفعل ذلك فقالت أم سلمة قد أخبرتها فذهبت الى زوجها فاخبرته
فزاده ذلك بشرا الى آخره فقال اني لاتقاكم لله وأعلمكم بحدوده (فقالت عائشة) رضي الله
عنها لما سئلت عن تقبيل الصائم زوجته (محتجة) لجوازه وعدم افساده الصوم (كنت أفعله)

أناورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) لا يعرف مخرجه على ماذكره الدلجي وانما المعروف غسلها مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في اناء واحد على ما رواه الترمذي وكذا في الترمذي عن عائشة اذا جاوز الختان الختان وجب الغسل فعلته أنا ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (وغضب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) كما مر في حديث الموطا (على الذي أخبر) بصيغة المجهول (بمثل هذا) أي تقبيله وهو صائم (عنه) أي عن النبي عليه الصلاة والسلام (فقال يحل الله لرسوله ما يشاء وقال اني لاخشاكم لله وأعلمكم بحدوده) وروى ان رجلا جاء يستفتي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال تدركني الصلاة يعني صلاة الفجر وأنا جنب فاصوم فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأنا تدركني الصلاة وأنا جنب فاصوم فقال الرجل يحل الله لرسوله ما يشاء فغضب عليه الصلاة والسلام وقال اني لاخشاكم لله وأعلمكم بحدوده أي محارمه حيث قال تعالى تلك حدود الله فلا تقربوها مبالغة في الزجر عنها وأما قوله تعالى تلك حدود الله فلا تعتدوها فالمراد منها سهام المواريث المعينة وتزوج الزائدة على الاربع وزيادة الحد على جلد المائة في الزاني والزانية ونحوها من الاحكام المبينة (والآثار) أي الاحاديث والاخبار (في هذا) الباب (أعظم) وفي نسخة أكثر (من ان نحيط) أي نحن (بها) وفي نسخة من ان يحاط عليها (لكنه يعلم من مجموعها على القطع) في مدلولها (اتباعهم) أي الصحابة (أفعاله واقتداؤهم بها ولو جوزوا عليه المخالفة في شيء منها) أي من افعاله (لما اتسق) (الا) أي لما استوى وما انتظم ولا تحقق (هذا) الذي سبق (ولنقل عنهم) أي خلاف ما هنالك (وظهر بحثهم عن ذلك ولما انكر عليه الصلاة والسلام على الآخر قوله واعتذاره بما ذكرناه) بان الله يحل لرسوله ما يشاء (وأما المباحات) ولو على سبيل المشتبهات (فجائز وقوعها منهم) بل متحقق صدورها عنهم (اذ ليس فيها قدح) أي منع (بل هي ماذون فيها وأيديهم كايدي غيرهم من الامم مسلطة عليها) بجواز الامتداد اليها فقد ورد في الحديث ان الله سبحانه أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال تعالى يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا الله ان كنتم اياه تعبدون وقال عز وجل يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا

أي تقبيل الصائم (أناورسول الله صلى الله عليه وسلم وغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم على) الرجل الصحابي (الذي أخبر بمثل هذا عنه) أي اخبرته زوجته بما أفتته به بعض أمهات المؤمنين كما تقدم في حديث الموطا (فقال) الصحابي المخبر بذلك (يحل الله لرسوله ما يشاء) فيجوز ان يكون هذا من خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم فلا يقاس أمر غيره عليه وانما غضب لعلمه بانه أجيب عن هذا ولو كان هذا من خواصه لم يرضه (فقال والله اني لاخشاكم لله) أي أعظم منكم خوف الله (وأعلمكم بحدوده) أي بما حده الله ومنعه من أمور الدين المحرمة عليه صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى أمته كما قال تعالى (تلك حدود الله فلا تعتدوها) وقبلة الصائم لا تبطل صومه وفيها خلاف فقيل مكروهة وقيل مباحة وقيل يفرق بين الشاب الذي لا يملك شهوته والشيخ الذي يملكها كما فصله الفقهاء وهذا كله يدل على اقتدائهم بافعاله صلى الله تعالى عليه وسلم فكيف يفعل مكروها كما تقدم (والآثار المروية) (في هذا) أي في اقتداء الصحابة رضي الله تعالى عنهم بافعاله (أعظم) أي أكثر (من ان نحيط بها) أي أكثر من ان تعد وتحصى (لكنه) مع كثرتها وشهرتها (يعلم من مجموعها على القطع اتباعهم أفعاله واقتداؤهم بها) أي بافعاله عليه الصلاة والسلام (ولو جوزوا عليه المخالفة) لما هو مشروع واجبا أو مستحبا (في شيء منها) أي في بعض منها بمواقعة أمر مكروه ونحوه (لما اتسق) أي انتظم واطرد (هذا) أي اتباعهم أفعاله كلها لجواز كون بعضها منهيا عنه لا يقتدى به ولما بفتح اللام والميم المخففة أي لو قلنا بجواز مخالفة أمر الله في شيء من أفعاله ما اعتاد الصحابة اتباعه فيها (ولنقل عنهم) أي نقل عن الصحابة مخالفة أفعاله أحيانا (وظهر بحثهم عن ذلك) أي فتشوا أفعاله ليقتدوا ببعضها ويتركوا بعضها منها احيانا (ولما) بالتخفيف (أنكر) صلى الله تعالى عليه وسلم (على الآخر قوله) يحل الله لرسوله ما يشاء كما تقدم وان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم غضب لقوله وقال أنا أخشاكم لله وأعلمكم بحدوده (واعتذاره بما ذكرناه) فهذا كله يدل على انه صلى الله تعالى عليه وسلم لا يفعل مكروها (وأما) صدور (المباحات) من الانبياء عليهم الصلاة والسلام والمباح ما يجوز فعله وتركه من غير ترجيح لجانب توسعهم فيه ماخوذ من باحة الدار أي عرصتها وهو حكم شرعي على الاصح (فجائز وقوعها منهم) أي من الانبياء عليهم الصلاة والسلام (اذ ليس فيها قدح) أي نقص وذم حتى تمتنع عليهم (بل هي ماذون فيها) أي لهم اذ لا ضير فيها (وأيديهم كايدي غيرهم مسلطة عليها) أي هم كغيرهم من المكلفين لهم فعلها والاتصاف بها من غير حرج عليهم في فعلها والتصرف فيها فاليد مجاز عن الكسب والتصرف لانها آلة الفعل غالبا كقوله (بيده الملك) أي له وبقبضته التصرف فيها

(الانهم) أى الانبياء وكذا اتباعهم الكمل من الاصفياء (بما خصوا به من رفيع المنزلة) ومنيع الحالة (وشرحت) أى وبما اتسعت (له صدورهم من أنوار المعرفة) أى واسرار الحكمة (واصطفوا) بصيغة المجهول مخففة الفاء من الاصطفاء أى واختيروا (به) فى علو حالهم (من تعلق بالهم) أى قبلهم وتعلق حالهم ويروى من تعلق بالتنوين وبالهم بتشديد الميم (بالله والدار الآخرة) فى ما لهم (لا يأخذون) أى لا يتناولون شيأ (من المباحات الا الضرورات) لزهدهم فى الدنيا وتوجههم الى العقبى وطلبهم رضى المولى فيكتفون بها (مما يتقوون) أى استعانة (به على سلوك طريقهم) فى تقوية أبدانهم وتهيئة زادهم لمعادهم (وصلاح دينهم) والمتوقف على اصلاح شانهم (وضرورة دنياهم) المعينة على أمور اخراهم مما لابد منه ولا

(الانهم بما خصوا به من رفيع المنزلة وبما شرحت له) بالبناء للمفعول أى بسبب ان الله تعالى شرح (صدورهم من أنوار المعرفة) وفى نسخة أنواع (واصطفوا به) أى من اختيار الله تعالى وتقريبه (من تعلق الهمم بالله) أى هممهم وعزمهم الصادق تعلقه بالله (و) بامور (الدار الآخرة) أى بما هو وسيلة لها (لا ياخذون) أى لا يتناولون (من المباحات الا الضرورات) أى ما يضطرون اليه من ضرورة البشرية كل ما به قوام البدن من الاكل والشرب (بما يتقوون به على سلوك طريقهم) من تبليغ امانة ربهم وما ينفع فى المعاش والمعاد (وصلاح دينهم) مما يعين على العبادة ويصلح أمورها كلباس المصلى الساتر له (وضرورة دنياهم) مما لابد منه (وما أخذ على هذه السبيل) من كل أمر ضرورى وما موصولة مبتدأ خبره (التحق طاعة) منصوب بنزع الخافض (وصار قربة) أى أمرا يتقرب به الى الله تعالى أى الامور المباحة كالمأكل والمشرب والملبس اذا أخذ منه مقدار الكفاية وما لابد منه للتقوى على السلوك للآخرة صار عبادة يثاب عليها وهو ظاهر فالمباح بالنظر لذاته ومن حيث هو لا ثواب فيه ولا عقاب اما بالنظر لما يقارنه فانه يصير عبادة والاعمال بالنيات وقد يحصل بالمباح ترك محرم فيصير واجبا وما نقل عن بعض المعتزلة من ان كل مباح واجب لانه ترك محرم رده الامام وهو ظاهر البطلان (كما بينا منه) أى من المباح الذى يصير قربة (أول الكتاب طرفا) بمقدارا قليلا (فى خصال نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم) كما تقدم (فبان لك) بما ذكر من انهم انما ياتون من المباح بمقدار الضرورة وانه بالنسبة لقصدهم تصير عبادة يثاب عليها (عظيم فضل الله على نبينا وعلى سائر الانبياء) عليهم الصلاة والسلام بانعامه عليهم بما وهبهم من الصفات الحميدة كالقناعة فى أمور الدنيا وعدم الشره والتنزل لتعاطيها من غير حاجة ثم توفيقهم لان ينووا بها التقوى على عبادة الله فجميع أمورهم عبادة وطاعة فقوله على نبينا الخ متعلق بفضل ثم بين وجه ذلك بقوله (بان جعل افعالهم) كلها (قربات وطاعات) اذا قصد منها التقوى على العبادة كما بيناه (بعيدة) بسبب ما ذكر (عن وجه المخالفة) وجه بمعنى الجهة والجانب أى بعدت بما ذكر عن مخالفة الطاعة أو مخالفة أمر الله بمواقعة مكروه (ورسم المعصية) بالراء المهملة أى علامتها وأثرها أو بالواو بمعنى السمة والعلامة أيضا والكل ظاهر وما تقدم الى هنا مطلق من غير تقييد ومقيد بما بعد النبوة لقوله

(فصل وقد اختلف فى عصمتهم عن المعاصى قبل النبوة) ومجىء الوحى لهم عليهم الصلاة والسلام (فمنعها قوم وجوزها آخرون والصحيح ان شاء الله) أتى به للتبرك (تنزيههم

محيض عنه (وما أخذ على هذا السبيل) أى وفق الشريعة والطريقة (التحق) ضبط بصيغة المجهول والمعلوم أى انقلب (طاعة وصار قربة) لان استعمال المباحات وافعال العادات اذا اقترنت بتزيين النيات وتحسين الطويات انقلبت طاعات وعبادات كما قد تنقلب بفساد النيات مكروهات بل محرمات وهذا معنى قول سيد السادات ومنبع السعادات انما الاعمال بالنيات (كما بينا منه) أى من بعض تحقيق هذا الكلام وتدقيق هذا المرام (أول الكتاب) أى فى أوله (طرفا) أى نبذا طرفا (فى خصال نبينا عليه الصلاة والسلام فبان لك) أى تبين (عظيم فضل الله على نبينا) أى خصوصا كما قال تعالى وكان فضل الله عليك عظيما (وعلى سائر أنبيائه) يروى الانبياء (عليهم الصلاة والسلام) كما قال تعالى ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض (بان جعل افعالهم قربات وطاعات) أى عبادات وان كانت فى صورة عادات فان عادات السادات سادات العادات (بعيدة عن وجه المخالفة ورسم المعصية) بخلاف المحرومين من هذه المرتبة فان عباداتهم رسوم وعادات وطاعاتهم عين المخالفة فى الحالات كما قال بعض ارباب الحال

من لم يكن للوصال أهلا * فكل طاعاته ذنوب

(فصل وقد اختلف فى عصمتهم) أى الانبياء (من المعاصى) أى جملة المناهى (قبل النبوة) واظهار الرسالة (فمنعها قوم) بناء على عموم العصمة الشاملة للاحوال المتقدمة والمتاخرة (وجوزها آخرون) حيث خصوا العصمة بحال النبوة (والصحيح ان شاء الله تنزيههم

(عن كل عيب) أي سابق ولاحق (وعصمتهم من كل ما يوجب الريب) أي شبهة مخالفة علام الغيب (فكيف) لا يكون الامر كذلك والعجب من ذكر الخلاف هنالك (والمسئلة) أي والحال انها مع ثبوت المخالفة (تصورها كالممتنع) أي المستحيل في الذهن حصولها (فان المعاصي) كالكبائر (والنواهي) كالصغائر (انما تكون) أي في حيز المنع (بعد تقرر الشرع) أي ثبوته من الاصل والفرع (وقد اختلف الناس في حال نبينا عليه الصلاة والسلام قبل أن يوحى اليه هل كان متبعا للشرع) وفي نسخة لشرع قبله أم لا فقال (جماعة لم يكن متبعا لشئ) أي من التكاليف أو الشرع كما في نسخة (وهذا قول الجمهور فالمعاصي على هذا القول) ويروى هذا الوجه (غير موجودة ولا معتبرة في حقه حينئذ اذ الاحكام الشرعية) من الوجوب والمندوب والحرام والمكروه (انما تتعلق بالاوامر والنواهي وتقرير الشريعة) أي باصولها او فروعها كما هي وهذا بالنسبة الى نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم ظاهر لكن يشكل بالنسبة الى أولاد ابراهيم عليه السلام مثلا كاسمعيل واسحق وأولاد يعقوب على القول بنبوتهم فانه لاشك انهم كانوا متبعين شريعة أبيهم أو جدهم وكذا بالنسبة الى سليمان عليه السلام فانه كان على دين أبيه داود بل وكذا داود وسائر أنبياء بني اسرائيل حيث كانوا على شريعة ابراهيم عليه السلام وانما نسخ في التوراة والانجيل بعض الامور وأيضا بنو اسمعيل وهم العرب كانوا يتدينون بدين ابراهيم عليه السلام و يفتخرون به وانما احدث كفرهم بعبادتهم الاصنام واحداث بعض الاحكام من نحو السائبة والحام وتجويز أكل الميتة ونحوها من الحرام وكان في جبلتهم وطريقتهم تحريم الزنا وقتل النفس بغير حق وتقبيح أكل مال اليتيم والسرقة ومذمة الكذب وأمثالها مما اتفق الانبياء القدماء على قبح أفعالها وأقوالها فينبغي أن يرجع الخلاف الى كيفية عبادته لانه عليه الصلاة والسلام كان قبل النبوة في مرتبة اباحته (ثم اختلفت حجج القائلين بهذه المقالة عليها) أي على صحة تلك الحالة أو المقالة (فذهب سيف السنة) أي القاطع في الحجة المبينة (ومقتدى فرق الامة) أي في علم الكلام والمسائل المهمة

من كل عيب وعصمتهم من كل ما يوجب الريب) وهو في الاصل الشك والشبهة وهو غير مناسب هنا فكأنه أريد به ما يحط مقدارهم لان شان النبوة الشرف والعلو فاذا ظهر خلافه ارتاب من عرفهم في نبوتهم وحصلت له شبهة فيهم (فكيف) انكار وتعجب أي لا يتأتى ما ذكر (والمسئلة) أي وقوع الذنب منهم قبل النبوة (تصورها كالممتنع فان المعاصي والنواهي انما تكون بعد تقرر الشرع) يعني أن الانبياء عليهم الصلاة والسلام قبل النبوة معصومون اذا قلنا انهم غير مكلفين بشرع من قبلهم وقلنا ان العقل لا حكم له في تحسين أمر ولا تقبيحه كما هو الحق عند الاشاعرة وأهل السنة خلافا للمعتزلة القائلين بانه يجب الايمان بالله قبل الشرع ولبعض الماتريدية القائلين بان الايمان بالله وتوحيده واجب عقلا دون غيره لئلا يلزم الدور كما تقرر في أصول الدين وما قاله المصنف جار على المذهبين لان مراده بالمعاصي غير الكفر ولما كان الله لم يرسل الى خلقه الا من هو أعقل أهل زمانه وأقواهم فطرة وأحسنهم خلقا وخلقا كانوا معصومين قبل النبوة وبعدها ولم يقع ذلك منهم أصلا وان اختلف في جوازه عقلا فعلى منعه لا يبقى شئ وعند من جوزه قبل البعثة كالباقلاني وان لم يقل بوقوعه كذلك فالكل متفقون على ان الله لم يبعث فاسقا ولا معروفا بالظلم والفجور وعدم الانصاف ولم يبعث الا تقيا ذكيا محبوبا بالقلوب مهيبا في عيونهم له وقع عند كل أحد وهذا بالنسبة للمعاصي التي حدثت بعد نبوتهم وتشريعهم معلوم ضرورة وانما الكلام فيما تقرر قبل ذلك (وقد اختلف الناس في حال نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم قبل أن يوحى اليه هل كان متبعا الشرع قبله أم لا) قيل صوابه أولا لان أم لا تعادل هل وفيه نظر (فقال جماعة لم يكن متبعا لشئ) من الشرائع (وهذا قول الجمهور فالمعاصي على هذا القول) القائل بانه لم يتبع شرع من قبله (غير موجودة) فلم تصدر منه بل لم تجوز عليه (ولا معتبرة في حقه) أي لم يكلف بها ولم يؤاخذ بها (حينئذ) اذ قلنا انه لم يتبعها ولم يكلف بها (اذ الاحكام الشرعية انما تتعلق بالاوامر) تقدم الكلام عليها مرارا وانها جمع أمر أو أمور أو آمرة (والنواهي) من حيث الوجوب والحرمة والكراهة والندب ونحو ذلك (وتقرر الشريعة) أي تحققها وظهورها ولم تكن بعد وجوده وقبل بعثته شريعة مقررة في زمن الفترة حتى يتبعها (ثم اختلف حجج القائلين بهذه المقالة) الذين ارتضوها مذهبا لهم (عليها) متعلق بحجج باعتبار ما فيه من معنى الاستدلال (فذهب سيف السنة) أي عالمها الذي يقيم الادلة لنصرة طريقتهم استعار له السيف لانه يقطع الجدال كما يقطع السيف الابطال والسنة ما ثبت عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (ومقتدى فرق الامة) تعريفها للعهد أي أمة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وفي نسخة الائمة

(القاضي أبو بكر) أي ابن الطيب الباقلاني المالكي (الى طريق العلم بذلك) أي بكونه عليه الصلاة والسلام متبعا للشرع في عبادة ربه هنالك (النقل) أي الينا ووصل لدينا أي فوائد الاثر (وموارد الخبر من طريق السمع) أي الوارد على السنة نقلة يكونون في مرتبة الجمع (وحجته) أي القاضي أبي بكر (انه) أي الشان (لو كان ذلك) أي وقع هنالك (لنقل) أي الينا ووصل لدينا (لما أمكن كتمه وستره في العادة) أي في جرى العادة الغالبة علينا (اذ كان)

أي نقل خبره (من مهم أمره وأولى ما اهتبل به) بضم الفوقية وكسر الموحدة أي اغتنم به في انتظار فرصة لكون تعبده (من سيرته والفخر) بفتح الخاء أي لافتخر (به أهل تلك الشريعة) على أمته (ولاحتجوا به عليه) أي باتباع شريعة قبله بعد ادعاء نبوته (ولم يؤثر) أي لم يرو (شيء من ذلك جملة) في سيرته من سريرته وعلانيته وفيه ان الظاهر المتبادر من حاله عليه الصلاة والسلام انه كان قبل النبوة على دين جده الخليل عليه السلام في أمر التوحيد وحج البيت السعيد وما كان معروفا من ملته وما ألهمه الله سبحانه من معرفته مع انه لا احتجاج لاحد من ارباب الملل اذ كان بعضهم يدعي النبوة بعد متابعة بعض الانبياء السابقة كما وقع لانبياء بنى اسرائيل عليهم الصلاة والسلام (وذهب طائفة الى امتناع ذلك عقلا) حيث لم يجدوا بتصريح القضية نقلا (قالوا انه) أي الشان (يبعد ان يكون متبوعا من عرف) ويروى من كان (تابعا وبنوا هذا على التحسين والتقبيح) العقليين (وهي طريقة غير سديدة) أي غير مستقيمة (واستناد ذلك الى النقل كما تقدم للقاضي أبي بكر أولى وأظهر) وقد قدمنا من بيان النقل ما يبطل ما بنوا عليه اساس العقل ومما يقويه ان موسى عليه السلام لما قتل القبطي قبل النبوة استغفر ربه وعد قتله معصية ولا شك انه كان على دين من قبله من

(القاضي أبو بكر) محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم الباقلاني صاحب التآليف الجليلة وحامل لواء أهل السنة الثقة الذي يضرب المثل بسعة علمه وشدة ذكائه وانتهى له النظر في الاصلين على أصل الاشعري وارسل الى ملك الروم وناظر احبارهم في قصة غريبة له وتوفي في ذي القعدة سنة ثلاث واربعمائة وكانت له جنازة لم ير مثلها وانما مدحه وان كان حقيقا بذلك اشارة الى ترجيح هذا المذهب وانه لا ينبغي العدول عنه وهو أيضا على مذهبه لانه مالكي لا شافعي كما قد يتوهم من اشعريته (الى ان طريق العلم بذلك) أي اتباعه صلى الله تعالى عليه وسلم لشرع نبي قبل نبوته (النقل) لانه لا يعلم بالعقل (وموارد الخبر من طريق السمع) أي يعلم من خبر يرد ونقل يصل من طريق السمع (وحجته انه لو كان ذلك لنقل) الينا تعبده به (ولما أمكن كتمه وستره في العادة) التي جرت بين الناس في مثله من ان من تعبد بشرع يظهره وينقله من اطلع عليه نقلا مستفيضا لا يخفى (اذ كان) نقله وعدم كتمانه (من مهم أمره) أي تعبده بشرع غيره مهم عظيم عند أهل ذلك الدين (وأولى) أي أحق (ما اهتبل به) بهاء وتاء مثناة فوقية وموحدة مبني للمجهول من الاهتبال وهو شدة الاعتناء فهو عندهم (من سيرته) وصفاته المأثورة (والفخر به أهل تلك الشريعة) لان مثل هذا النبي العظيم كان من أهل ملتهم وفيه شرف لهم (ولاحتجوا به عليه) أي استدل أهل تلك الشريعة بكونه عليه الصلاة والسلام كان على شريعتهم اذ كان قبل نبوته تابعا لشرعهم ودينهم فيقولون اذ دعاهم لاتباعه أما كنت على ديننا فلم تنهانا عنه الآن وتأمرنا بترك ما كنت توافقنا فيه (ولم يؤثر) أي لم ينقل (شيء من ذلك) أي احتجاجهم عليه ولا نقل احد انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان متعبدا بشرع احد ممن كان قبله (جملة) أي بالكلية أصلا وكثيرا ما يستعمله بمعنى كافة وعامة وكما اختلفوا في انه صلى الله تعالى عليه وسلم قبل البعثة هل كان على شريعة من قبله أم لا اختلفوا بعد البعثة هل كان يتبع شرع من قبله فيما لم يوح اليه فيه شيء ولم ينسخ وقد قيل ان هذا معلوم بالطريق الاولى كما فصل في كتب الاصول (وذهبت طائفة الى امتناع ذلك) أي تعبده بشرع من قبله (عقلا) أي بدليل عقلي لا دخل النقل فيه (قالوا) أي المدعون للامتناع العقلي (لانه يبعد ان يكون متبوعا) مقتدى به فيما شرعه الله له وأمره بدعوة الناس له (من) كان قبل مصيره متبوعا مبعوثا لغيره (من عرف تابعا) لشرع غيره متعبدا به قبل بعثته على هذا القول (وهذا) القول بامتناعه عقلا مبني (على التحسين والتقبيح) وفي نسخة وبنوا الخ أي على القول بان حسن الشيء وقبحه يعرف ويثبت به وهو قول المعتزلة فالتحسين والتقبيح العقليان عبارة عن تعلق المدح والذم عاجلا والثواب والعقاب آجلا وهو محل النزاع في هذه المسئلة المشهورة في الاصلين وأهل السنة يقولون لا يعرف حسن أمر او قبحه الا من جهة الشرع ولا دخل للعقل فيه (وهي طريقة) أي مذهب (غير سديدة) أي غير صحيحة (واستناد ذلك) أي الاستدلال عليه (الى النقل) عن الآثار وعن أهل الشرع (كما تقدم للقاضي أبي بكر) الباقلاني قريبا (أولى وأظهر) وهو القول الصحيح

أنبياء بني اسرائيل وتابعا ثم صار بعد ذلك متبوعا وانما العقل يمنع في الجملة امتناع كون واحد تابعا ومتبوعا من جهة واحدة لا من جهة مختلفة الا ترى الى قوله تعالى فآمن له لوط فانه كان تابعا لابراهيم عليه السلام في عموم ملته ومتبوعا في خصوص أمته ونظير ذلك كون عيسى عليه السلام متبوعا في أول أمره ويكون تابعا لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم في آخر عصره (وقد قالت طائفة أخرى بالوقت في أمره عليه السلام) أي في شانه قبل بعثته للعجز عن معرفته (وترك قطع الحكم عليه) أي على حاله هنالك (بشئ في ذلك اذ لم يحل) من الاحالة وفي نسخة اذ لا يحيل أي لم يمنع (الوجهين منها العقل ولا استبان عندها) أي تلك الطائفة أو المسئلة (في احدهما) أي احد الوجهين (طريق النقل وهو مذهب أبي المعالي) أي ابن أبي محمد الجويني المعروف بامام الحرمين من اتباع الشافعي وقد وافقه في ذلك الغزالي ولا أدري نصف العلم والعجز عن ادراك الادراك ادراك (وقالت فرقة ثالثة انه) ويروى ومالت فرقة ثالثة الى انه (كان عاملا بشرع من قبله) أي في الجملة لاستحالة ان يكون عليه الصلاة والسلام مباحيا قبل البعثة (ثم اختلفوا) أي الفرقة الثالثه (هل يتعين ذلك الشرع أم لا فوقف بعضهم عن تعيينه) لعدم ما يدل على تبيينه (وأحجم) بتقديم الحاء على الجيم أي تأخر وبعكسه أي تقدم أو تأخر فهو من الاضداد (وجسر بعضهم) أي اجترأ واقتحم ومنه

قول الشاعر

*(من راقب الناس مات غما
وفاز باللذة الجسور)*

والمعنى اقدم (على التعيين وصمم) أي عزم عليه وجزم (ثم اختلفت هذه المعينة) بكسر التحتية صفة الفرقة (فيمكن كان يتبع) من ارباب النبوة قبل البعثة (فقيل نوح) وهو بعيد بحسب الزمان وكذا باعتبار معرفة احكام هذا الشان مع ان دينه منسوخ لظهور نبوة خليل الرحمن (وقيل ابراهيم) وهو الظاهر المتبادر والاظهر انه تابع لاسمعيل فانه كان رسولا بعد الخليل وهو على ملته ولم يعرف تبديل في شريعته (وقيل موسى) وهذا لا يصح اذ ملته نسخت بعيسى (وقيل عيسى) وفيه ان موسى وعيسى انما كانا مبعوثين الى بني اسرائيل ولم يكن نبينا منهم (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فهذا جملة المذاهب في هذه المسئلة) حكى القاضي المؤلف هذه الاقوال الاربعة وبقي قولان احدهما آدم وهذا حكي عن ابن برهان بفتح الموحدة وثانيهما ان جميع الشرائع شرع له حكاه بعض شراح المحصول عن المالكية واظن ان هذا هو الاوجه من الاوجه السابقة واللاحقة وهو المناسب لمقامه عليه الصلاة والسلام من مرتبة الجمع في المرام ولانه كان مظهر الاسم الذات المستجمع لجميع الصفات غايته انه كان قبل البعثة على تلك الحالة الجامعة بطريق الاجمال وبعدها على وجه التفصيل في مراتب الكمل فلا ينافي قوله تعالى ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان وهذا هو غاية الايقان ونهاية الاتقان والله المستعان (والاظهر فيها) أي في المسئلة (ماذهب اليه

المعول عليه (وقالت) طائفة (أخرى بالوقف) أي بالتوقيف من غير تعيين لطرف (في أمره عليه الصلاة والسلام) فقالوا لا نعلم حاله قبل البعث هل كان على شريعة من الشرائع السابقة أم لا (وترك قطع الحكم عليه بشئ في ذلك) الحال المتعلق بعبادته وما كان عليه قبل بعثته (اذ لم يحل أحد الوجهين منها العقل) أي لم يعده محالا لتساويهما عنده في الامكان (ولا استبان) وظهر واتضح (في أحدهما) أي أحد الوجهين (طريق النقل) بان ينقل ما يعينه عمن يوثق به (وهو مذهب أبي المعالي) عبد الملك الجويني المعروف بامام الحرمين شيخ الامام الغزالي وعليه عهدة مذهب الامام الشافعي وهو أظهر من ان يخفى (وقالت فرقة ثالثة انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان عاملا) في أموره وعبادته (بشرع من قبله) من الانبياء عليهم الصلاة والسلام (ثم اختلفوا) بعد القول بانه على شريعة منها (هل يتعين ذلك الشرع) بتعيين صاحبه واحكامه (أم لا) فيقال كان على شرع لم يعلمه (فوقف بعضهم عن تعيينه وأحجم) بحاء مهملة وجيم بمعنى تأخر ونكص فهمه ولم يجسر عليه لعدم دليل قام عنده على تعيينه (وجسر بعضهم) أي تجرأ واقدم (على التعيين وصمم) أي جزم واقدم بلا تردد فيه (ثم اختلف هذه) الفرقة (المعينة فيمن كان يتبع) شريعته من الرسل عليهم الصلاة والسلام الذين تقدموه (فقيل) هو (نوح) لانه أول الرسل أصحاب الدعوة العامة في الجملة كما في البخاري (وقيل ابراهيم) لانه أفضل الرسل غيره بالاتفاق وأبو الانبياء عليهم الصلاة والسلام (وقيل موسى) لان كتابه أجل الكتب قبل القرآن (وقيل عيسى) لانه أقرب الرسل زمانا اليه عليه الصلاة والسلام (فهذه جملة المذاهب) المنقولة (في هذه المسئلة والاظهر) الاقوى دليلا (فيها ماذهب اليه

القاضي

القاضی أبو بكر) الباقلانی (وأبعدها مذهب المعينين) بكسر الياء المشددة (اذلو كان شئ من ذلك لنقل الينا كما قدمناه ولم يخف) أی عن أحد (جملة) أی جميعا هنالك (ولا حجة لهم فی ان عيسى عليه السلام آخر الانبياء) أی أنبياء بنی اسرائيل (فلزمت شريعته من جاء بعدها) وفی نسخة بعده (اذ لم يثبت عموم دعوة عيسى عليه السلام) كما يدل عليه قوله تعالى واذ قال عيسى ابن مريم يا بنی اسرائيل انی رسول الله اليكم (بل الصحيح انه لم يكن لنبی دعوة عامة الا لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم) فان دعوته عامة للجن والانس بل الى الخلق كافة كما بينته فی الصلاة العلية بخلاف دعوة نوح فانه كان مختصا للانس دون الجن وسليمان كان مبعوثا اليهما الا انه مخصوص ببنی اسرائيل والله تعالى أعلم بحقيقة الاقاويل (ولا حجة أيضا للآخر) يروى للآخرين (فی قوله تعالى ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا) لان أمره باتباعها انما كان بعد الوحی اليه والكلام قبله (وللآخر) أی ولا للآخرين (فی قوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا) فانه أيضا بعد الوحی ومع هذا (فحمل هذه الآية) وفی نسخة فحتمل وفی أخرى فتحمل هذه الآية كما قبلها (على اتباعهم فی التوحيد) أی توحيد الذات وتفريد الصفات وما يتعلق به من أمور النبوات والفروع الكليات المجمع عليها فی جميع الحالات لاختلاف

القاضی أبو بكر) الباقلانی وهو القول الاول لما تقدم (وأبعدها مذاهب المعينين) كما تقدم لانه لم ينقل ومثله لا يخفى (اذلو كان شئ من ذلك) أی اتباعه بشرع معين (لنقل كما قدمناه) لكنه لم ينقل فدل على عدمه (ولم يخف جملة) أی لم يستتر عن أحد من جميع الناس (ولا حجة لهم فی ان عيسى) عليه الصلاة والسلام (آخر الانبياء) فهو أقربهم اليه ولا نبی بينهما فهو أولى الرسل به كما ذهب اليه بعضهم (فلزمت شريعته من جاء بعدها) لانه المتبادر بحسب بادی الرأی قبل التأمل فيه فاذا تأمل عرف ان شريعته لا تلزم من جاء بعده لانه انما يلزم ذلك لو عمت دعوته غير بنی اسرائيل من العرب (اذ لم يثبت عموم دعوة عيسى) صلى الله عليه وسلم (بل الصحيح انه لم يكن لنبی) من الانبياء (دعوة عامة) لجميع بنی آدم (الا لنبينا) محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فانها عمت جميع بنی آدم بل جميع المخلوقات من الجن والانس كما تقدم ومن قبله أخذ عليهم الميثاق ان من أدركه يؤمن به وقوله بل الصحيح اشارة الى انه قيل بعموم بعض من قبله كآدم ونوح عليهما الصلاة والسلام لقوله لا تذر على الارض من الكافرين ديارا اذ لو لم يرسل لهم ما استحقوا الهلاك بمخالفته وهذا ان سلم فهو عموم نسبی لا حقيقی كما لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم (ولا حجة أيضا) كما لا حجة لما قبله (للآخرين) القائلين باتباعه لشريعة ابراهيم عليه الصلاة والسلام (فی قوله تعالى ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا) أی مستقيما والملة الشريعة والدين وكانت العرب تقول لمن اتبع ابراهيم انه حنيفی وانما لم يكن فيه حجة لان هذا الامر بعد ما أوحی اليه صلى الله تعالى عليه وسلم والكلام فيه قبل البعثة وانما أمر باتباعه فی التوحيد واقامة الحجة برفق على من خالفه لا فی شريعته المتعلقة بالعبادة وهذا لا يدل على مدعاه ولا على تفضيل ابراهيم لان الافضل قد يتبع الفاضل فيما عرف من هديه وخلقه (ولا) حجة (للآخرين) القائلين بانه صلى الله عليه وسلم كان على شريعة نوح عليه الصلاة والسلام (فی قوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا) الآية فلا حجة فيها لانه فسره بقوله ان أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه فهذا أمر مخصوص باقامة أمر دينهم باتفاق كلمتهم لا بتفاصيل شرع عملی ثم أشار لوجه آخر بقوله (فحمل) بصيغة المصدر وفی بعض النسخ فحمل بهم وفی أخرى فيحمل مضارع (هذه الآية) التی احتجوا بها انما هو (على اتباعهم) فی التوحيد أی الايمان بالله وحده وما يتعلق بالعقائد الحقة مما يشترك فيه جميع الانبياء وليس الكلام فی هذا انما الكلام فيما تعبد به صلى الله تعالى عليه وسلم من الاعمال الصالحة فليس المراد بالاتباع التقليد فيما ذكر وهو محل الخلاف الذی نحن فيه (كقوله تعالى أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده) فالمراد بهداهم ما اتفقوا عليه من التوحيد دون فروع الشرائع فانه لا يضاف للكل وقد قال الله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا فلا دليل فيما ذكر يثبت مدعاهم (وقد سمى الله فيهم) أی ذكر الله فی جملة الانبياء المذكورين فی هذه الآية فی سورة الانعام المشار اليهم بقوله أولئك الذين الخ (من لم يبعث) أی نبيا لم يرسل بشريعة مخصوصة وأمر بدعوة الناس لها (ولم يكن له شريعة) جديدة (تخصه

كل نبی فيما جاء كما قال الله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وهذا (كقوله أولئك) أی المذكورون من الانبياء والاصفياء (الذين هدى الله) أی هداهم واجتباهم واصطفاهم ومن متابعة الهوى زكاهم ونجاهم وعن المعاصی عصمهم ونجاهم (فبهداهم اقتده) بسكون الهاء للسكت وفی قراءة بكسر الهاء وفی رواية باشباعها والضمير الى المصدر فتدبر (وقد سمى الله تعالى فيهم) أی فی الذين هدى الله (من لم يبعث) أی بالنبوة (ولم يكن له شريعة تخصه

كيوسف بن يعقوب على قول من يقول انه) نبي لكنه (ليس برسول) له شريعة أمر بتبليغها ودعوة الخلق اليها فاتفق العلماء على ان يوسف نبي والجمهور أيضا على انه رسول لقوله ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات وانه يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم قال ابن جريج بعثه الله رسولا الى القبط وقيل انه لم يكن رسولا له شرع وانما كان على شريعة أبيه يعقوب أوعلى ملة ابراهيم ويوسف المذكور في الآية هو غير يوسف بن يعقوب بن ابراهيم هو نبي آخر أرسل لبني اسرائيل فقام فيهم اثني عشر سنة يدعوهم وفرعون يوسف قيل انه فرعون موسى أطال الله عمره حتى ملك في زمن موسى عليه الصلاة والسلام (وقدسمى الله جماعة منهم) أي من الانبياء عليهم الصلاة والسلام (في هذه الآية) بسرد أسمائهم على التوالي ثم أمره صلى الله تعالى عليه وسلم باتباعهم بقوله فبهداهم اقتده (وشرائعهم مختلفة لايمكن الجمع بينها) حتى يؤمر باتباعهم جميعا في فروع الشرائع العاملية التعبدية فلا يصح الاستدلال بها على ذلك (فدل) اختلاف أحكام تلك الشرائع المامور بالاقتداء بها على (ان المراد ما اجتمعوا عليه من التوحيد وعبادة الله تعالى) القلبية التي لم يقع فيها اختلاف ونحوه من أصول الدين (وبعد هذا) القول بان المراد ما اتفقوا عليه من العقائد (فهل يلزم من قال بمنع الاتباع) أي اتباع نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم لشرع من شرائع من قبله (هذا القول) أي من يقول بهذا القول أي منع اتباع شريعة من الشرائع السالفة (في سائر الانبياء غير نبينا) صلى الله تعالى عليه وسلم فيقول يمتنع اتباعهم لشرع غيرهم كما امتنع ذلك في حق نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم (أو يخالفون بينهم) أي بين نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وبين غيره من الانبياء عليهم السلام فيقول ان نبينا الشرف قدره لايتبع في عبادته شريعة غيره وغيره يتبع من قبله (اما من منع الاتباع عقلا) أي قال انه أمر اقتضاه الدليل العقلي (فيطرد أصله) أي دليله أو امره الذي قرره ودليله يطرد (في كل رسول) لان الاحالة التي اقتضاها العقل من حيث هو لايختلف في رسول دون غيره (بلا مرية) بكسر الميم وضمها بمعنى شك وشبهة لان الامر العقلي لايختلف باعتبار الاديان والاعصار ومرية براء مهملة وفي نسخة مزية بزاء معجمة أي تفاضل بينهم والمآل واحد (واما من مال الى) الاستدلال والقول بظاهر (النقل) أي قال انه لم ينقل لنا انه صلى الله تعالى عليه وسلم تعبد بشرع من قبله ولو نقل صح لانه أمر سماعي لاعقلي صرف كما ذهب اليه الباقلاني رحمه الله تعالى (فاينما) بمثناة فوقية بعد التحتية ولو قرئ بالنون صح أيضا (تصور له وتقرر) بالبناء للفاعل أو للمفعول أي حيث انه لامقتضى للعقل ولا دخل له فيه فاي شئ نقل من منع أوجواز (اتبعه) ولم يخالفه ولا داعي للخلاف فيه (ومن قال بالوقف) من غير جزم بتعيين أحد الطرفين (فعلى أصله) أي على مذهبه في عدم التعيين في غيرهما التساويهما فيما ذكر اذلا فارق (ومن قال بوجوب الاتباع) لغيره لانه أمر ديني لادخل للرأي فيه (لمن قبله) من الرسل عليهم الصلاة والسلام (يلتزمه) أي القول بالوجوب على غيره لازم له أيضا (بمساق حجته) أي بسبب ما اقتضاه مساق حجته ودليله واجرائه (في كل شئ) لاطراده وصدقه عليه قيل وهذا في غير النبي الذي بعث تحت دعوة كهارون وموسى عليهما الصلاة والسلام فتدبر وقد وقع لبعضهم هنا كلام تركه خير منه والله تعالى أعلم

(فصل هذا) أي ما تقدم من العصمة قبل (حكم ما تكون المخالفة فيه من الاعمال عن قصد) أي تعمد

كيوسف بن يعقوب على قول من يقول انه ليس برسول) وهذا مردود بقوله تعالى ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات الآية نعم لم يعرف له شريعة تخصه وهو ليس من لوازم الرسالة (وقدسمى الله تعالى جماعة منهم) أي من الانبياء (في هذه الآية شرائعهم)

وفي نسخة وشرائعهم (مختلفة لايمكن الجمع بينها) أي في الاحوال المؤتلفة (فدل) أي اختلافهم (ان المراد) بهديهم (ما اجتمعوا عليه من التوحيد وعبادة الله تعالى) بنعت التفريد ولا يبعد ان يكون بعض الشرائع المجمع عليها داخلا في الامر بالاقتداء بجميع افراد الانبياء (وبعد هذا) الذي تقرر وتحرر (فهل يلزم من قال بمنع الاتباع هذا القول) بالرفع (في سائر الانبياء غير نبينا) عليه وعليهم الصلاة والسلام (أو يخالفون بينهم) أي ويفرقون بينه وبينهم ففيه تفصيل مبني على أصولهم (اما من منع الاتباع عقلا فيطرد) بتشديد الطاء أي فيستمر (أصله) ولم يختلف نقله من منعه (في كل رسول) من غير تفرقة (بلامرية) بكسر الميم وبضم أي بغير شك وشبهة (واما من مال الى النقل فاينما تصور له) بصيغة الفاعل وقيل بالمفعول (وتقرر اتبعه) وعمل كما يقتضي أمره

(ومن قال) ويروى من يقول (بالوقف فعلى أصله) من غير مفارقة لفصله (ومن قال بوجوب الاتباع) أي قبل الوحي (لمن قبله) من الانبياء (فيلتزمه) أي القول بوجبه (بمساق حجته في كل شئ) وفي نسخة في كل نبي والمراد

(فصل) (هذا) الذي قدمناه من فصل العصمة (حكم ما تكون المخالفة فيه من الاعمال) المنكرات الصادرة (عن قصد) أي تعمد

(وهو ما يسمى معصية ويدخل تحت التكليف) أي ويؤاخذ به فاعله (وأما ما يكون) أي المخالفة فيه من الأعمال (بغير قصد وتعمد كالسهو) وهو الذهول بالغفلة في الجملة (والنسيان) وهو الذهول بالمرة والكلية (في الوظائف الشرعية) سواء يكون من ارتكاب المنهيات واجتناب المأمورات (مما تقرر الشرع بعدم تعلق الخطاب به وترك المؤاخذة عليه) كالسهو في الصلاة والكلام والنسيان في الصيام وجواب أما قوله (فأحوال الأنبياء في ترك المؤاخذة به وكونه ليس بمعصية لهم مع أممهم سواء) كما يشير اليه قوله تعالى ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا وحديث رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه كما رواه الطبراني عن ثوبان مرفوعا بسند صحيح (ثم ذلك) أي عدم المؤاخذة بالسهو والنسيان (على نوعين) احدهما (ما طريقه البلاغ وتقرير الشرع) فيما يعمل به من الأصل والفرع (وتعلق الأحكام) أمرا ونهيا وحدا وسائر شرائع الإسلام (وتعليم الأمة بالفعل) أي جنسه (وأخذهم باتباعه) ويروى باتباعهم (فيه) أي في ذلك الفعل ونحوه (وما هو) أي وثانيهما ما هو (خارج عن هذا) الذي طريقه البلاغ (مما يختص بنفسه) من واجبات ومندوبات ومباحات ومكروهات ومحرمات (أما الأول) أي من النوعين وهو ما طريقه البلاغ من الأحكام عملا وقولا (فحكمه) أي في المام السهو به (عند جماعة من العلماء حكم السهو في القول في هذا الباب) أي باب ما طريقه البلاغ (وقد ذكرنا الاتفاق) من العلماء (على امتناع ذلك) أي امتناع المخالفة في القول (في حق النبي عليه الصلاة والسلام) أي من الأنبياء (وعصمته من جوازه عليه قصدا أو سهوا) بالأولى (فكذلك) أي فمثل ما قالوا في باب القول بعصمة النبي من امتناع جواز ذلك (قالوا الأفعال في هذا لا يجوز طروه المخالفة) بضم الطاء والراء فواو ساكنة فهمزة وقد تبدل مشددة أي طريانها أو جريانها وحدوثها وعروضها (فيها) أي في الأفعال (لا عمدا ولا سهوا)

والمراد مخالفة الشرع (وهو) أي العمل الذي خولف به عن قصد (ما يسمى) عرفا وشرعا (معصية) لأنه عصى الله به (ويدخل تحت التكليف) أي ما خولف فيه الشارع قصدا وهو من جنس ما كان الله به عباده بحكم والحكم هو خطاب الله المتعلق بأفعال المكلفين من الأحكام الخمسة وفي عبارته تسمح لأن المندرج تحت التكليف ليس هو المعصية بل تركها (وأما ما يكون) من الأعمال المخالفة لأمر الشرع (بغير قصد وتعمد كالسهو) وهو الذهول وغيبة ما عن القوة الحافظة بحيث يتنبه بأدنى تنبيه لبقائه في المدركة (والنسيان) وهو ذهول عما لم يبق صورته في القوة المدركة والحافظة ويحتاج في حصوله لسبب جديد وهذا هو الفرق بين السهو والنسيان على ما قيل وقد تقدم طرف منه (في الوظائف الشرعية) لوظائف جمع وظيفة وهو ما وظف وعين من الأعمال الموقتة كالصلاة والصوم والحج ونحوه من العبادات بخلاف السهو والنسيان (مما تقرر الشرع بعدم تعلق الخطاب به) وفسر عدم تعلق الخطاب به بقوله (وترك المؤاخذة عليه) المؤاخذة بالهمزة وبالواو ومفاعلة من الأخذ والمراد به العقاب أو العتاب وغير المكلف أنواع وهو المجنون والمغمى عليه والنائم والساهي والناسي ومن لم يبلغه الخطاب من الجهة والمخطئ وقد تقدم الكلام على السهو والنسيان والغفلة قريبة من السهو وقد يرد السهو والنسيان بمعنى ومنه السكران وان جرى عليه حكم العمد تغليظا عليه كما قاله النووي وكذا المكره والملجأ وفي الحديث رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه (فأحوال الأنبياء في ترك المؤاخذة به وكونه ليس بمعصية لهم مع أممهم سواء) أي هم وأممهم مستوون في عدم المؤاخذة به لأنهم لم يكلفوا به لا قبل الشروع ولا بعده (ثم ذلك) الذي لم يؤاخذ به من السهو والنسيان (على نوعين) احدهما (ما طريقه البلاغ) أي نوع منهما ما وقع فيما أمر بتبليغه لمن ارسل اليه (وتقرير الشرع) أي ما قرره الشارع ليعمل به (وتعلق الأحكام) به أمرا ونهيا (وتعليم الأمة بالفعل) أي ما علمته الرسل عليهم الصلاة والسلام لأممهم من الأفعال الشرعية (وأخذهم) أي تكليفهم ومؤاخذتهم (باتباعهم فيه) أي بسبب الاتباع وعدمه (وما هو خارج عن هذا) أي ما خرج عن طريقة البلاغ لعدم صدقه عليه واندراجه تحت كنه (مما يختص بنفسه) دون أمته مما يجب أو يمتنع ونحوه مما يختص بالرسل أنفسهم (أما) النوع (الأول) وهو ما طريقه البلاغ ونحوه (فحكمه عند جماعة من العلماء حكم السهو في القول في هذا الباب) أي باب العصمة وحكمها (وقد ذكرنا) قبل هذا (الاتفاق على امتناع ذلك) أي امتناع المخالفة في القول (في حق النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وعصمته) بحفظه (من جوازه عليه) فضلا عن وقوعه منه (قصدا أو سهوا) ونسيانا وتركه لعلمه بالطريق الأولى (فكذلك) أي كما قالوا في الأقوال البلاغية (قالوا في الأفعال في هذا الباب) المذكور (لا يجوز طروء) بتشديد الواو وبالهمزة بعد واو ساكنة كما كحدوث لفظا أي وزنا ومعنى وفي نسخة طرد بدال مهملة بزنة ضرب أي اطراد (المخالفة فيها لا عمدا ولا سهوا)

لانها) أى الافعال منهم (بمعنى القول) الصادر عنهم (من جهة التبليغ والاداء) اذ الامم مامورون بمتابعات الانبياء قولا وفعلا ولا محيص لهم عن الموافقة أصلا (وطروّ هذه العوارض) أى من السهو والخطا والنسيان (عليها) أى على افعال الانبياء (يوجب التشكيك) للامم الموافقة (ويسبب المطاعن) من الطوائف المخالفة والمطاعن جمع مطعن محل الطعن وفى نسخة ويسبب الطاعن اسم فاعل من طعن فيه وعليه اذا عاب وقدح (واعتذروا) أى هؤلاء العلماء (عن احاديث السهو) أى فى بعض صلواته عليه الصلاة والسلام (بتوجيهات نذكرها بعد هذا) فى فصل على حدة (والى هذا) أى منع طرو المخالفة (مال أبو اسحق) أى
١٥٤

الاسفرائنى (وذهب الاكثر من الفقهاء) أى من ارباب الفروع من الاصول (والمتكلمين) أى من أصحاب الاصول (الى ان المخالفة فى الافعال البلاغية والاحكام الشرعية) أى من الامور العلمية والعملية (سهوا) تمييزا ومنصوب بنزع الخفض أى عن سهو (وعن غير قصد) عطف بيان (منه) أى من النبى (جائز عليه) أى وقوعه منه (كما تقرر من احاديث السهو فى الصلاة) أى الثابتة فى الصحيحين وغيرهما من الكتب الستة قال النووى وهذا هو الحق (وفرقوا) أى المجوزون له (بين ذلك) الفعل من الافعال الشرعية (وبين الاقوال البلاغية لقيام المعجزة على الصدق فى القول) أى من حيث شهد الله بان صدق عبدى (ومخالفة ذلك) الصدق ولو سهوا (تناقضها) أى تعارض المعجزة (وأما السهو فى الافعال فغير مناقض لها) أى المعجزة لانه ليس من جنسها (ولا قادح) أى وغير طاعن (فى النبوة) لثبوتها مع وقوعه منها لعدم منافاته لها (بل غلطات الفعل وغفلات القلب من سمات البشر) بكسر السين أى علاماته وذلك لان الانسان مشتق من النسيان وأول الناس أول الناسى فقد قال الله تعالى فى حق آدم عليه الصلاة والسلام فنسى (كما قال عليه الصلاة والسلام انما انا بشر انسى) بفتح أوله (كما تنسون فاذا نسيت فذكرونى) رواه الشيخان عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه

عليه

لانها) أى الافعال (بمعنى القول من جهة التبليغ والاداء وطرو) ضبطه كالذى قبله (هذه العوارض عليها) أى على أفعاله صلى الله تعالى عليه وسلم (يوجب التشكيك) أى يستلزم وقوع الشك فى بقية أفعاله هل فعلها بوحى من الله أو مخالفة للوحى أو سهوا (و) يوجب أيضا (تسبب المطاعن) الطعن القدح بما يورث نقصا فى أفعاله صلى الله تعالى عليه وسلم ولما ورد عليه ان وقوع السهو منه فى أفعاله صلى الله تعالى عليه وسلم مما ثبت فى أحاديث صحيحة لا يمكن انكارها فكيف يسوى بينهما فى الانتفاء أشار الى الجواب عنه بقوله (واعتذروا عن أحاديث السهو) الثابتة فى صلاته صلى الله تعالى عليه وسلم (بتوجيهات نذكرها بعد هذا) كما يأتى عن قريب (والى هذا) المذهب فى امتناع المخالفة ووقوعها عمدا أو سهوا (مال) الامام (أبو اسحق) الاسفرائنى أى رجحه على خلافه وذهب الى اعتقاده (وذهب الاكثر من الفقهاء والمتكلمين الى ان المخالفة فى الافعال البلاغية) التى أمر بتبليغها الامهم (والاحكام الشرعية) علمية وعملية (سهوا وعن غير قصد منه) أى من النبى صلى الله تعالى عليه وسلم نسيانا أو غلطا فهو من عطف العام على الخاص وسهوا تمييزا وحال (جائز عليه) أى على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لانه أمر معفو عنه غير مؤاخذ به (كما تقرر فى احاديث السهو فى الصلاة) الثابت فى الصحيحين وغيرهما كما مر آنفا (وفرقوا) بالتشديد والتخفيف أى ذكروا افرقا (بين) جواز وقوع (ذلك) فى الافعال (وبين الاقوال البلاغية) اذ منعوا المخالفة فيها عمدا وسهوا (لقيام المعجزة) أى لدلالة معجزة كل نبى من الانبياء التى تحدى بها (على الصدق) أى صدقه (فى القول) أى فيما يقوله و يبلغه عن ربه (ومخالفة ذلك) أى مخالفة الصدق فى القول سهوا من غير قصد (تناقضها) أى تناقض معجزته وتنافيها فلا تجتمع المعجزة وعدم صدقه فيما يبلغه عن ربه لامته لان اجراء الله المعجزة على يده فى قوة قوله انه صادق فيما يبلغكم عنى ودلالتها على ذلك دلالة التزامية فى قوة المطابقة كما تقرر فى علم الكلام فالفرق مثل الصبح ظاهر (وأما السهو فى الافعال فغير مناقض لها) أى للمعجزة (ولا قادح فى النبوة) أى لا يضرها بوجه من الوجوه لعدم منافاته لها (بل غلطات الفعل) أى وقوع الغلط فى الافعال (وغفلات القلب) عما يفعله حتى يصدر عنه مالم يرده (من سمات البشر) أى من صفاتهم اللازمة لهم حتى لا يخلو منها انسان كما قيل
وانما سمى انسانا لنسيانه * وأول ناس أول الناس
(كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم) فى حديث رواه الشيخان عن ابن مسعود (انما انا بشر أنسى كما تنسون فاذا نسيت فذكرونى) جملة انسى مستانفة أو خبر بعد خبر لانا أو صفة بشر وضمير المتكلم يربطه وأما كونه يقبح كما فى قوله * انا الذى سمتنى أمى حيدرة * عند المازنى فلانه ليس محل الالتفات لالانه لا يكون رابطا فلو صح هذا لم يجز كونه خبرا أيضا وظاهر الحديث يدل على انه صلى الله تعالى عليه ولم يجوز

(نعم) ليس نسيانه كنسيان غيره من كل وجه (بل حالة النسيان والسهو) أي نسيانه وسهوه (هنا) أي في هذا المحل بخصوصه (في حقه عليه الصلاة والسلام سبب افادة علم) لامته (وتقرير شرع) لملته (كما قال عليه الصلاة والسلام) في حديث الموطا بلاغا لم يعرف وصله (اني لانسى) بفتح الهمزة والسين أي بانسائه سبحانه كما قال تعالى فلا تنسى الا ما شاء الله أن ينسيك اياه (أو انسى) بصيغة المفعول مشددا ويجوز مخففا أي ينسيني الله تعالى (لأسن) بفتح الهمزة وضم السين وتشديد النون أي لابين لكم ما يفعله أحد منكم نسيانا لتأنسوا بي وتقتدوا بفعلي (بل قد روى لست انسى) أي حقيقة (ولكن انسى) بصيغة المجهول كما مر (لأسن) وهذا نظير قوله تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى ايماء الى مقام الجمع (وهذه الحالة) أي من نسيانه لسن (زيادة له في التبليغ) أي تبليغ الرسالة (وتمام عليه في النعمة) حيث أمر الأمة بان يقتدوا به فيما صدر عنه على جهة السهو والغفلة ولعل فيه ايماء الى قوله تعالى ويتم نعمته عليك (بعيدة عن النقص) بالضاد المعجمة أي عن ورود النقص من جواز وجود السهو والخطأ ووجوب الاقتداء

عليه النسيان والسهو مطلقا وحاصل ما أشار اليه أولا وآخرا ان ما أفاده ظاهر الحديث قد منعه بعضهم وجوزه آخرون بشرط ان لا يقر عليه وينبه عليه كما يأتي واختلف هل يجوز تأخير تنبيهه أم لا وضعفوا جواز السهو عليه فيما هو فعل من الامور البلاغية وأما ما ورد من مثله وصححوا الاول وهو الجواز لانه لا ينافي النبوة بل فيه فضيلة البيان وتقرير الاحكام واختلفوا فيما ليس طريقه البلاغ من افعاله فجوزه الجمهور واما في الاقوال البلاغية فجمع على منعه كما اجمعوا على منع تعمده وان السهو في الاقوال المتعلقة بامور الدنيا فيما ليس طريقه البلاغ ولا من الاحكام واخبار المعاد وما لا يضاف لوحي فجوزه بعضهم اذ لا مفسدة فيه وصحح المصنف رحمه الله تعالى منعه على الانبياء في كل خبر عمدا وسهوا والا في صحة ولا في مرض ولا رضى أو غضب ولم يزل الناس يتداولون اخباره صلى الله تعالى عليه وسلم عصرا بعد عصر من غير استدراك أحد اغلاط فيها أو وهم في شيء منها ولو كان لنقل كما نقل في الصلاة ونومه عنها واستدراك رأيه في تلقيح النخل وسهوه في أمور الدنيا غير ممتنع وهذا الحديث رواه الشيخان في باب السهو في الصلاة وانه قاله صلى الله تعالى عليه وسلم وقد صلى الظهر خمسا ثم سجد سجدتين وأقبل بوجهه على الصحابة وقال لو حدث شيء في الصلاة نبأتكم به ولكني انما أنا بشر الى آخره (نعم) العرب كثيرا ما تزيد نعم في كلامهم اذا ألقى لمصغ له وكأنه جواب سؤال مقدر كقول جحدر *نعم وأرى الهلال كما تراه (بل في حالة السهو والنسيان هنا) أي في حالة البلاغية (في حقه صلى الله تعالى عليه وسلم سبب افادة علم) تستفيد منه أمته (وتقرير شرع) أي تحقيقه وتبيينه (كما قال صلى الله عليه وسلم) في حديث رواه في الموطا (اني لانسى أو أنسى) بالهمزة المضمومة والتشديد مبنى للمجهول للعلم بفاعله أي ينسيني الله ويوجد النسيان في (لاسن) أي لاحدث لكم أمرا شرعيا كتعليم سجود السهو ونحوه (بل قد روى هذا الحديث بوجه آخر وهو (لست انسى ولكني أنسى لاسن) الاول بفعل المتكلم المعلوم المخفف والثاني بمجهول مشدد وباني انه لا تنافي بين نسبة النسيان له صلى الله تعالى عليه وسلم في الرواية الاولى ونفيه عنه في الحديث الآخر لان نسبته اليه باعتبار حقيقة اللغة ونفيه عنه باعتبار انه ليس موجداله حقيقة والموجد الحقيقي هو الله كما يقال مات زيد وأماته الله وفرق بين الفاعل الحقيقي بحسب عرف اللغة والفاعل الحقيقي في نفس الامر كما قرره الاصوليون وتحقيقه في شرح العضد للابهري فحيث اثبت له النسيان أراد قيام صفة النسيان به ونفيه باعتبار انه ليس بايجاده ومن مقتضى طبعه والموجد له هو الله وقوله في حديث آخر لا يقولن أحدكم نسيت آية كذا بل هو نسي فكره نسبة النسيان لغير الموجد الحقيقي المقدر لكل شيء أولان أصل النسيان الترك فكره ان يقال ترك القرآن لاشعاره بالتهاون اختيارا وقوله نعم الخ استدراك عما قد يسئل عنه بان نسيانه صلى الله تعالى عليه وسلم ليس كنسيان غيره لما يترتب عليه من الفوائد الجليلة وتسويته بهم في الحديث باعتبار ظاهر الحال واليه أشار بقوله (وهذه الحالة) أي ما يعرض له صلى الله تعالى عليه وسلم من النسيان ليسن (زيادة له) مخصوصة به صلى الله تعالى عليه وسلم (في التبليغ) للناس ولما يحصل لهم من تعلم ما يفعله الساهي في العبادة من أمته (وتمام عليه في النعمة) بتتميم نعمة الرسالة والبلاغ ببيان حال الساهين فيما بلغه لهم من العبادة فهي (بعيدة عن سمات النقص) لان النسيان نقص في الجملة ولذا عده الاطباء من الامراض الدماغية وهي في حقه باعتبار ما فيها من عبارة الارشاد للعباد ولذا قال بعض مشايخنا من الحنفية ان هذه السجدة سجدة سهو للامة وسجدة شكر له صلى الله تعالى عليه وسلم ومدح في حقه وان لم يمدح بها سواه ككونه أميا وتربي يتيما كما قال الابوصيري رحمه الله تعالى

(واعتراض الطعن) أى به وبغيره على ألسنة السفهاء وفى نسخة صحيحة بعيدة عن سمات النقص بالصاد المهملة أى النقصان واغراض الطعن أى على مجرد وقوع السهو والنسيان حيث تبين الحكمة الالهية فى ذلك الشان (فان القائلين بتجويز ذلك يشترطون ان الرسل لا تقر) بضم التاء وفتح القاف وتشديد الراء أى لا تبقى ولا تترك (على السهو والغلط بل ينبهون عليه) لينتبهوا ويتداركوا ما وقع لهم من السهو (ويعرفون) بصيغة المجهول مشدد الراء (حكمه) أى حكم السهو وما يترتب عليه (بالفور) فى الحال من غير تراخ (على قول بعضهم وهو الصحيح وقبل انقراضهم) أو قبل موته (على قول الآخرين واما ما ليس طريقه البلاغ) أى تبليغ شرائع الاسلام (ولا بيان الاحكام من افعاله عليه الصلاة والسلام وما يختص به من أمور دينه) أى أسرار ربه (واذكار قلبه) أى أنوار لبه (ثم ما لم يفعله ليتبع فيه) بل لينتفع به فى زيادة قربه عند ربه (فالاكثر من طبقات علماء الامة) وكذا من طوائف مشايخ الملة (على جواز السهو) أى الذهول والغفلة (والغلط عليه) لغلبة الاستغراق لديه (فيها) أى فى أفعاله حين نزول الواردات اليه ولا يلحقه بذلك معرة ولا منقصة (ولحوق الفترات) أى الزلات بالنسبة الى علو الحالات (والغفلات) لعوارض الحادثات (بقلبه) المستغرق فى بحر حب ربه (وذلك) أى الحال الذى يعتريه هنالك (بما كلفه) بصيغة المجهول أى بما طوقه الحق ويروى بما تكلفه (من مقاساة الخلق) أى مكابدتهم (وسياسة الامة) أى محافظتهم ويروى وسياسات الامة (ومعاناة الاهل) من عاناه قاساه أى ملاحظة أحوالهم ومراعاة أفعالهم رفقابهم وعونالهم (وملاحظة الاعداء) أى مراقبتهم ومحاذرتهم وهذا كله من حيث هو مما يشغل القلب عن تجرده للرب ويوجب فتورا يقتضى فى الجملة قصورا (ولكن ليس) صدور ذلك وظهور ما هنالك (على سبيل التكرار) أى المفضى الى حال الاكثار (ولا الاتصال) أى ولا على سبيل الاتصال فى مقام الانفصال (بل على سبيل الندور) أى القلة فى الانتقال عن مشاهدة جمال ذى الجلال على وجه الكمال (كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم انه) أى الشان (ليغان على قلبى) بصيغة المفعول والمعنى قد يحجب قلبى عن مشاهدة ربى بالاشتغال بامره والانتقال الى امضاء حكمه (فاستغفر الله) أى فى اليوم (سبعين مرة أو مائة مرة) وهذا من قبيل حسنات الابرار سيئات المقربين الاحرار بل كان فى كل وقت وحالة مترقيا الى مقام ومرتبة بعد الحال الاولى بالنسبة الى المرتبة الثانية العليا والمنزلة الاولى تبيئة ومنقصة يحتاج فيها الى الاوبة وطلب المغفرة مما فيه صورة الحوبة كما يشير اليه قوله تعالى وللآخرة خير لك من الاولى

كفاك بالعلم فى الامى معجزة * وبالنزاهة والتأديب فى اليتم

(و) بعيدة عن (اعتراض الطعن) أى ولا يتعرض ولا يطعن فيه بما يعرض له من النسيان علله بقوله (فان القائلين بتجويز ذلك) أى السهو والنسيان على الانبياء عليهم الصلاة والسلام فى الافعال البلاغية (يشترطون) فى جوازه عليهم (ان الرسل لا تقر على السهو والغلط بل ينبهون عليه) اذا عرض لهم (ويعرفون) بالتشديد والبناء للمجهول فيه وفى ينبهون (حكمه) كان الظاهر يعرفونه لانه أخصر وأظهر فكأنه أقحمه اشارة الى انه كما يعرف بصدوره عنه يعرف بحكمه كالسجود فالمعرف هو الله (بالفور) أى ملتبسا بالفور وهو عدم التمهل والبطؤ (على قول بعضهم وهو الصحيح) عند أئمة الاصول (وقبل انقراضهم) أى يمهلون مدة الحياة فانه يلزم التنبيه قبل الموت وهو معنى الانقراض (على قول الآخرين) الذين لا يشترطون الفورية (واما ما ليس طريقه البلاغ) لامته (ولا بيان الاحكام) الشرعية (من أفعاله صلى الله تعالى عليه وسلم) وهو بيان لما (وما يختص به من أمور دينه واذكار قلبه) كتسبيحه وتحميده لربه وتفكره فى معرفته (ثم ما لم يفعله ليتبع فيه) مبنى للمجهول ومشدد التاء (فالاكثر من طبقات علماء الامة) الطبقة علماء كل عصر فهم طبقة بعد طبقة (على جواز السهو والغلط عليه فيها) اذ لا يلحقه صلى الله تعالى عليه وسلم به شئ أصلا (ولحوق الفترات) أى عروضها جمع فترة وهى كما قال الراغب سكون بعد حدة ولين بعد شدة وضعف بعد قوة انتهى (والغفلات بقلبه) بان يغفل عما هو فيه كما هو مقتضى البشرية (وذلك) أى لحوق ما ذكر من الفترة والغفلة لا ضير فيه (بما كلفه من مقاساة الخلق) بنظره صلى الله تعالى عليه وسلم فى أحوالهم وتدبير أمورهم (وسياسات الامة) بتدبير أمورهم والنظر فى عواقبهم (ومعاناة الاهل) من العناية أو العناء بهم ومعناه الاشتغال بهم (وملاحظة الاعداء) بغزوهم والحذر منهم والتجسس عن اخبارهم ثم استدرك فقال (ولكن ليس) نسيانه صلى الله تعالى عليه وسلم وسهوه (على سبيل التكرار) بكثرة وقوعه منه (ولا الاتصال) باستمرار ذلك لان مثله غير محمود عند الطباع السليمة (بل) وقوعه منه صلى الله تعالى عليه وسلم (على سبيل الندور) وقلة الوقوع والنادر لا حكم له وقلما يخلو منه أحد (كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم) فى حديث تقدم (انه ليغان على قلبى فاستغفر الله) تقدم

(وليس فى هذا) أى فيما ذكر (شئ يحط) أى يضع (من رتبته و يناقض معجزته) أى يعارض من كرامته (وذهبت طائفة الى منع السهو والنسيان والغفلات والفترات فى حقه عليه الصلاة والسلام جملة) أى من غير استثناء حالة (وهو مذهب جماعة من المتصوفة) أى متكلفى طريق التصوف ومنتحلى سبيل التعرف (وأصحاب علم القلوب) بالحالات السنية الجلية (والمقامات) البهية العلية ويمكن الجمع بين كلام المثبتين للسهو والنافين الغلط واللهو بان ما وقع من أفعاله عليه الصلاة والسلام فى صورة الغفلات وهيئة الفترات ليست على حقيقتها المترتب عليها نقصان مرتبة من الحالات أو قصور فى رتبة علو المقامات فان سيآت أرباب السعادة حسنات وحسنات أرباب الشقاوة سيآت كما أشار اليه بعضهم بقوله من لم يكن للوصال أهلا * فكل طاعاته ذنوب الحاصل ان ضعف بنية البشر به لا يقوى على مداومة تجليات الالهية فتارة يكون فى حالة الصحو وأخرى فى حالة المحو وكذا تختلف المقامات بتفاوت غلبة الفناء ورجعة البقاء حتى يترتب عليه السكر والشكر والفكر والذكر والترقى والتدلى مع ان مقام جمع الجمع يقتضى ان لا تمنع الكثرة عن الوحدة ولا الوحدة عن الكثرة فلا يتصور فى حق الكمل منهم صدور الغفلة بالمرة فان اتباعهم ببركة اتباعهم وصلوا الى حد لو أرادوا أن يتركوا طاعة أو يغفلوا ساعة لم يقدروا على ذلك عكس حال أرباب الدنيا وأصحاب الحجاب عن المولى فسبحان من أقام العباد فيما أراد وقد علم كل أناس مشربهم وعرف كل حزب مذهبهم (ولهم فى هذه الاحاديث) أى الواردة فى باب السهو (مذاهب نذكرها) وفى نسخة سنذكرها (بعد هذا) أى من غير تراخ فى الفصل الذى يليه (ان شاء الله تعالى) *(فصل فى الكلام على الاحاديث المذكور فيها السهو منه عليه الصلاة والسلام وقد قدمنا فى الفصول)* السابقة ويروى فى الفصل أى الذى تقدم (قبل هذا) الفصل (ما يجوز فيه عليه الصلاة والسلام السهو) من الافعال والاحوال السنية (وما يمتنع) فيه عليه السهو من الافعال البلاغية والاحكام الشرعية (وأحلناه) أى وجعلنا وقوع السهو محالا (فى الاخبار) بفتح الهمزة أو كسرها (جملة أى من غير تفرقة بين كونها دينية) أو دنيوية (وأجزنا وقوعه) أى وجوزنا وقوع السهو (فى الافعال الدينية) لعدم مناقضته حكم المعجزة وعدم مباينته وجه النبوة (قطعا على الوجه الذى رتبناه وأشرنا الى ما ورد فى ذلك) كما بيناه من حكمة ان كونه مع قلته انما يقع سببا لافادة علم لامته وتقرير حكم لملته (ونحن نبسط القول فيه) أى فى هذا الفصل (ونقول الصحيح من الاحاديث الواردة فى سهوه عليه الصلاة والسلام

طرف من الكلام على هذا الحديث وان الغين بمعجمة غيم رقيق وان المراد به ما يعرض له صلى الله تعالى عليه وسلم من الخواطر التى تشغله عما يهمه من أمور الآخرة وهو عبادة أيضا لانه تفكره فى أمور أمته وتدبر أحوالهم وانما استغفر منه لانه شغله عن الاهم عنده فهو بالنسبة لعظم مقامه كأنه ذنب لانه اشتغال بالعالى عن الاعلى فهو حالة كمال لا نقص (وليس فى هذا) السهو الصادر منه صلى الله تعالى عليه وسلم (شئ يحط) أى ينزل قدره الاعلى (من رتبته) وعظمة مقامه (و يناقض معجزته) الدالة على صدقه عليه الصلاة والسلام (وذهبت طائفة) من العلماء أى جعلوا هذا مذهبا أى معتقدا لهم وليس هذا من الذهاب ضد الرجوع وان كان أصل معناه المنقول منه (الى منع) صدور (السهو والنسيان والغفلات والفترات فى حقه صلى الله تعالى عليه وسلم جملة) أى كلها لا يستثنى منها شئ أصلا (وهو مذهب جماعة المتصوفة) أى أهل التصوف (وأصحاب علم القلوب) هو عطف تفسير له وهم الذين صفوا قلوبهم بالمجاهدة لا متكلفوا طريقة التصوف لان هذه الصيغة قد يراد بها المبالغة كالمتوحد فى صفات الله تعالى (والمقامات) أى المراتب التى يعرفها مشايخهم و يقطعونها فى سيرهم الى الله وتقدم الكلام عليهم مبسوطا (ولهم) أى العلماء (فى هذه الاحاديث) المروية فى السهو والنسيان (مذاهب) أى اقوال يعتقدونها (نذكرها بعد هذا ان شاء الله تعالى)

(فصل فى الكلام على الاحاديث المذكور فيها السهو) الواقع (منه عليه الصلاة والسلام) فى أفعاله (وقد قدمنا فى الفصول) السابقة (قبل هذا) الفصل (ما يجوز فيه عليه السهو وما يمتنع وأحلناه) أى جعلناه محالا فيما طريقه البلاغ (فى الاخبار) وما هو من قبيل الاقوال (جملة) من غير استثناء شئ منها (وفى الاقوال الدينية) أى التى ذكر فيها الاحكام الشرعية (قطعا) من غير تردد (واجزنا وقوعه فى الافعال الدينية على الوجه الذى رتبناه) متصلا قبل هذا من انه غير مناقض للمعجزة وعدم قدحه فى النبوة مع ندرته وما يترتب عليه من افادة علم وتقرير حكم (وأشرنا الى ما ورد فى ذلك ونحن نبسط القول فيه) فى هذا الفصل (والصحيح من الاحاديث الواردة فى سهوه) صلى الله عليه وسلم

(في الصلاة ثلاثة أحاديث أولها حديث ذي اليدين) كما رواه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه (في السلام) أي سلامه عليه الصلاة والسلام (من اثنتين) أي ركعتين في احدى صلاتي العشي الظهر أو العصر فقال ذو اليدين يا رسول الله أنسيت أم قصرت الصلاة قال لم أنس ولم تقصر فقال أكما يقول ذو اليدين قالوا نعم ثم سلم ثم كبر وسجد ثم رفع قال ابن سيرين نبئت ان عمران بن حصين قال ثم سلم (الثاني حديث ابن بحينة) بضم موحدة وفتح مهملة وسكون تحتية فنون فتاء وهي أم عبد الله زوج مالك مطلبية قرشية ابن القشب بكسر القاف واسكان الشين المعجمة فوحدة الازدي ويقال الاسدي قال النووي الازد والاسد باسكان الزاي والشين قبيلة واحدة وهما اسمان مترادفان لها وهم ازدشنوءة وعبد الله هذا كان حليفا لبني المطلب بن عبد مناف قال بعض الحفاظ أسلم عبد الله بن مالك هو وأبوه وصحبا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأنكر الدمياطي في حاشيته على صحيح البخاري ان يكون لمالك والد عبد الله هذا صحبة أو رواية أو اسلام وانما ذلك لعبد الله قال الذهبي في تجريده ما لفظه مالك بن بحينة والد عبد الله ورد عنه حديث وصوابه لعبد الله وقال المزي في اطرافه ومن مسند مالك بن بحينة ان كان محفوظا عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حديث أصلي الصبح أربعا وحديث السهو في الصلاة في مسند عبد الله بن مالك ابن بحينة انتهى وفي الكاشف مالك بن بحينة الصحابي له في السهو وعنه ابن حبان قال النسائي هذا خطأ والصواب عبد الله فيه ابن مالك كذا ذكره الحلبي وبهذا تبين خطأ الدلجي حيث جزم بقوله الثاني حديث الشيخين عن مالك بن عبد الله بن بحينة (في القيام) أي قيامه عليه الصلاة والسلام (من اثنتين) أي ركعتين سهوا قال الانطاكي بحديثه في السهو وهو ما رأى عنه ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قام في صلاة الظهر وعليه جلوس وفي رواية قال في الشفع الذي يريد أن يجلس فلما أتم صلاته سجد سجدتين الحديث (الثالث حديث ابن مسعود) في الصحيحين (ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم صلى الظهر خمسا) قال القاضي المصنف في الاكمال قال الامام أحاديث السهو كثيرة الصحيح منها خمسة أحاديث حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه سجد سجدتين وحديث أبي سعيد سجد قبل السلام وحديث ابن مسعود في القيام الى خامسة وحديث ذي اليدين في السلام من اثنتين وحديث ابن بحينة في القيام من اثنتين (وهذه الاحاديث مبنية على السهو في الفعل الذي قررناه) أي لا في الاخبار الذي حررناه (وحكمة الله فيه أي في سهوه في فعله

(في الصلاة ثلاثة أحاديث) فها وهو (أولها حديث ذي اليدين في السلام) قطعا الصلاة (من اثنتين) أي ركعتين من الظهر أو العصر وما قاله ذو اليدين هو المقدم كما تقدم وقال المصنف في الاكمال أحاديث السهو كثيرة الصحيح منها خمسة الخ وقدمنا الكلام على حديث ذي اليدين (الثاني حديث ابن بحينة في القيام من اثنين) بحينة بباء موحدة مضمومة وحاء مهملة وبعدها مثناة تحتية ونون بصيغة التصغير وهو عبد الله بن بحينة وبحينة أمه وهي بحينة زوجة مالك والد عبد الله الازدي وعبد الله هذا حليف بني المطلب أسلم هو وأبوه ولهما صحبة وأنكر الحافظ الدمياطي صحبة مالك والد عبد الله وأن يكون له رواية واسلام وانما ذلك لعبد الله وفي تجريد الذهبي مالك بن بحينة أبو عبد الله روى عنه حديث وصوابه عبد الله الازدي وأمه بحينة قرشية وبحينة أم عبد الله زوج مالك لا أم مالك وفي اطراف المزي من مسند مالك بن بحينة حديث أيصلي الصبح أربعا وحديث السهو في الصلاة في مسند مالك بن بحينة وفي الكاشف مالك بن بحينة الصحابي له في السهو وروى عنه ابن حبان وقال النسائي هذا خطأ وصوابه عبد الله بن مالك (الثالث حديث ابن مسعود) الذي رواه الشيخان عنه مسندا وهو (ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم صلى الظهر خمسا) فقيل له أزيد في الصلاة فقال وما ذاك قالوا صليت خمسا فسجد بعد ما سلم وليس قوله بعد ما سلم في رواية البخاري وأخرج مسلم من حديث الاعمش ومنصور بن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال صلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال ابراهيم زاد أو نقص الشك مني فلما سلم قيل له يا رسول الله أحدث في الصلاة شيء قال وما ذاك قالوا صليت كذا وكذا فثنى رجليه واستقبل القبلة فسجد سجدتين ثم سلم وأقبل علينا بوجهه فقال انه لو حدث في الصلاة شيء أنبأتكم به ولكن انما أنا بشر أنسى كما تنسون فاذا نسيت فذكروني واذا شك أحدكم فليتحر الصواب وليتم ثم ليسجد سجدتين وفي الحديث دليل على تداخل سجود السهو وأما كونه بعد السلام أو قبله فقد وقع فيه اختلاف بين الفقهاء كما اختلفت الرواية فيه وقيل سجود النقص قبل السلام وسجود الزيادة بعده وهو معنى ما قيل القاف بالقاف والدال بالدال (وهذه الاحاديث) التي ذكرها المصنف (مبنية على السهو في الفعل) أي ان ما طرأ فيها وقع في فعله لا في قوله صلى الله تعالى عليه وسلم (الذي قررنا) فيما مر قريبا (وحكمة الله فيه) أي أوجده الله

ليستن به) على بناء المفعول أى ليقتدى به فى أمره (اذ البلاغ بالفعل أجلى) بالجيم أى أظهر وأرفع وفى نسخة بالحاء أى أحسن وأوقع (منه بالقول وارفع للاحتمال) أى ادفع له عند بعضهم خلافا لغيرهم كما قدمناه ولعل الاظهر فى حكمته ان يكون تسلية لامته فى مشاركتهم معه فى سيرته وطريقته وأحوال بشريته كما أشار اليه بقوله انما أنا بشر انسى كما تنسون (وشرطه) أى السهو فى حقه بخصوصه للامر بالاقتداء فى فعله كقوله (انه لا يقر) وفى نسخة لا يقرر بصيغة المجهول فيهما أى لا يبقى ولا يترك (على هذا السهو) أى زمانا يمكن ان يقتدى به فى ذلك الامر (بل يشعر به) بصيغة المفعول أى بل يعرف وينبه (ليرتفع الالتباس وتظهر فائدة الحكمة فيه) للناس (كما قدمناه) فى مقام الايناس (وان النسيان) أى باصله (والسهو) أى المترتب عليه بفرعه (فى الفعل فى حقه عليه الصلاة والسلام غير مضاد للمعجزة ولا قادح فى التصديق) بالرسالة وقدم بيان تحقيق هذه المقالة (وقد قال عليه الصلاة والسلام) فيما رواه الشيخان (انما أنا بشر أنسى كما تنسون) كما يشير اليه قوله تعالى فلا تنسى الا ما شاء الله وقوله عز وجل واذكر ربك اذا نسيت (فاذا نسيت) أى آية (فذكرونى) أو المعنى اذا نسيت وفعلت شيأ غير ما تعرفون من شريعتى فاعلمونى (وقال كما رواه الشيخان عن عائشة رضى الله تعالى عنها) مرفوعا (رحم الله فلانا) كناية عن رجل (لقد أذكرنى كذا وكذا آية كنت أسقطتهن) أى تركتهن نسيانا (ويروى انسيتهن) بصيغة المجهول وذكر التلمسانى عن عائشة رضى الله تعالى عنها ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم سمع رجلا يقرأ من الليل فقال يرحمه الله لقد اذكرنى كذا وكذا آية الحديث انتهى وقال النووى عن الخطيب البغدادى ان فلانا المبهم هنا هو عبد الله بن يزيد الخطمى الانصارى انتهى ووقع بعد هذا الحديث فى البخارى وزاد عباد بن عبد الله عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت تهجد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى بيتى فسمعت صوت عباد فاعلمته وهو عباد بن بشر كما نقله ابن الملقن فى شرح البخارى عن ابن التين قال الحلبى ورأيت فى نسخة صحيحة من شرح البخارى فى الشهادات فسمع صوت عباد بن تميم منسوبة الى العلامة الفربرى

فيه لحكمة ولو شاء صانه عنه وهى انه انما أوجده (ليستن) أى ليبين للامة حكمه شرعا (به) أى بسبب فعله صلى الله تعالى عليه وسلم فالسنة هنا بمعنى الطريقة ثم أشار الى جواب سؤال تقديره ان هذه الحكمة تحصل ببيانه بالقول بان يقول من سها فى صلاته فليفعل كذا من غير وقوع سهو فى فعله فقال (اذ البلاغ بالفعل اجلى) بالجيم افعل تفضيل أى اظهر (منه بالقول) وأظهريته لمشاهدة فعله وكيفيته فى زمن قليل ولو قرره بكلامه احتاج لتفصيل ولا وجه لما قيل ان فيه خللا فى صلاته بزيادة أو نقص بخلاف وجوده بالقول اذ اعصمه الله عنه فالحكمة انما هى لبيان ان هذا السهو انما هو من صفات البشر فاذا وقع من مثله صلى الله تعالى عليه وسلم فغيره أقبل له كما قال لا يضل ربى ولا ينسى وكقولهم سبحان من لا ينسى ولا يغفل وهذا مما استأثر به الله (وارفع للاحتمال) لانه لو قال من سها فليسجد سجدتين فى آخر صلاته احتمل ان يكون أراد من سها فى أمر من أموره سواء كان سهوا فى نفس الصلاة أو فى غيرها (وشرطه) أى شرط جواز السهو على الانبياء عليهم الصلاة والسلام فى أفعالهم البلاغية (ان لا يقر) بالبناء للمفعول (على هذا السهو) أى لا يجعله الله قارا عليه من غير اعلامه بما صدر منه من زيادة أو نقص (بل يشعر به) مجهول أى يعلمه الله به بواسطة المنبه له (ليرتفع الالتباس) أى الالتباس الحاصل لمن يراه هل هو سهو أو نسخ لما كان (وتظهر فائدة الحكمة فيه) ببيان ما يلزم من سها (كما قدمناه) قريبا (فان السهو والنسيان فى الفعل فى حقه) أى بالنسبة اليه صلى الله تعالى عليه وسلم اذا صدر وتحقق منه (غير مضاد) أى ليس ضدا منافيا (للمعجزة) المثبتة لنبوته وأما السهو فى القول البلاغى فينافيها لانها فى قوة قول الله انه صادق فى كل ما يخبركم به عن ربه فينافيها اخباره بما يخالف الواقع ودلالة المعجزة على صدقه فى مقاله دون أفعاله وفى اثبات ذلك كلام فى علم الكلام وشبه لمنكرى النبوات أجيب عنها بما لا يسعه هذا المقام (ولا قادح فى التصديق) أى تصديق من آمن به صلى الله تعالى عليه وسلم من أمته والاول بالنظر للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم نفسه وهذا بالنظر لمن بلغه النبوة (وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم) فى الحديث الذى تقدم بيانه (انما أنا بشر أنسى كما تنسون فاذا نسيت فذكرونى) أى نبهونى على سهوى أو نسيانى وقد تقدم بيانه مفصلا فتذكره (و) قد (قال صلى الله تعالى عليه وسلم) فى حديث رواه الشيخان عن عائشة رضى الله تعالى عنها (رحم الله فلانا) هو كناية عن علم لم يرد التصريح به وهذا الرجل هو عباد بن بشر الصحابى وقيل هو عبد الله ابن يزيد الانصارى رضى الله تعالى عنه قالت عائشة سمع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم صوت قارئ يقرأ فقال من هذا قالوا عبد الله بن يزيد فقال رحمه الله (لقد أذكرنى كذا وكذا آية كنت أسقطتهن) أى تركت تلاوتهن سهوا منى (ويروى أنسيتهن) وهذا تفسير للرواية الاولى ولذا

(وقد قال عليه الصلاة والسلام) كما فى الموطأ بلاغا (انى لانسى) بفتح اللام والهمزة والسين (أوانسى) بصيغة المجهول مشددا ويجوز مخففا (لاسن) بضم سين وتشديد نون أى لابين مايترتب على السهو من الحكم (قيل هذا اللفظ شك من الراوى) فاو للترديد ولا يبعد ان تكون للتنويع فان النسيان قد يكون لغفلة من جانب الانسان وقد يكون (لحكمة من جانب الرحمن وقد روى انى لاأنسى) أى غالبا أو على وجه التقصير (ولكن أنسى) بحسب التقدير (لاسن) فى مقام التقرير (وذهب ابن نافع) بنون فى أوله قال التلمسانى هو عبد الله بن صانع وفى نسخة ابن رافع وفى أخرى ابن قانع (وعيسى بن دينار) هو الطليطلى تفقه بابن القاسم

ذكرهما المصنف رحمه الله تعالى ولم يعين احدى الآيات التى نسيها ولاعددها ولا سورتها الان كذا وكذا فيه خلاف للفقهاء فى باب الاقرار فيما لوقال له على كذا وكذا درهما معطوفا فقيل يلزمه أحد وعشرون وقيل درهمان وليس هذا محله (و) قد (قال صلى الله تعالى عليه وسلم) فى الحديث الذى رواه فى الموطأ كما تقدم (انى لانسى) بزنة التى مخفف معلوم (أوانسى) بالتشديد وبناء المجهول أى ينسينى الله (لاسن) وتقدم بيانه (قيل هذا اللفظ) المذكور هنا معطوفا باو الفاصلة (شك من الراوى) لامن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وغير الشك من معانى أوغير مراد هنا (وقد روى) الحديث (انى لاأنسى) بلا النافية بعد لام التأكيد (ولكن انسى) بصيغة المجهول المشدد (لاسن) قيل نسبة النسيان له صلى الله تعالى عليه وسلم فيما كان بسبب منه ونسبته الى الله فيما لادخل له فيه وهذا لاينافى كون النسيان غفلة لافعل من أفعاله كما توهم (وذهب ابن نافع) بنون وفاء بعد الالف وعين مهملة وهو عبد الله بن الصائغ المالكى وليس هو قانع بقاف ونون وهو تحريف من الناسخ ظنه بعضهم رواية وهو مع أشهب يقال لهما القرينان كما يقال لمطرف وابن الماجشون الاخوان كما قاله ابن مرزوق (وعيسى ابن دينار) الفقيه الزاهد العابد الطليطلى الذى تفقه به أهل الاندلس وأخذ الفقه عن ابن القاسم وتوفى بطليطلة سنة اثنتى عشرة ومائتين (الى انه ليس بشك) من الراوى (فان معناه التقسيم أى أنسى أنا أو ينسينى الله) ليس معناه انه بحسب الظاهر منسوب له وفى الحقيقة فعل الله بل المراد انه قد يكون بسبب تعاطاه أو بدونه لحكمة أرادها الله كما تقدم (قال القاضى أبو الوليد الباجى) بموحدة وجيم كما تقدم (يحتمل) لفظ الحديث (ما قالاه) أى ابن دينار (و) احتمالا آخر وهو (ان يريد انى انسى فى اليقظة) بفتحتين وتسكينها لحن فى غير ضرورة كما مر ضد النوم وهذا معنى النسيان المنسوب اليه بصيغة المضارع المخفف المبنى للمعلوم (وانسى) بصيغة المجهول المشدد (فى النوم) الذى هو حالة تمنع الحس والفعل الاختيارى فاطلق على عدم الادراك فى النوم نسيانا لاشتراكهما فى عدم الادراك ولا يخفى بعده وركاكته وأما كونه صلى الله تعالى عليه وسلم كان اذا نام لاينام قلبه وان نومه ويقظته سواء فلا يأباه كما توهمه بعضهم (أو) المراد بقوله (انسى) بالمعلوم ماهو (على سبيل عادة البشر) المجبول عليها سائرهم (من الذهول عن الشئ) اذا غفل عنه (والسهو) عما هو بصدده لعروض ما يشغل باله عنه (أوانسى) بالمجهول المشدد معناه ذهوله عنه (مع اقباله عليه) بمشاهدته أوتلبسه به (وتفرغه له) باعراضه عن غيره لكن ينسيه الله ماهو فيه بتخليه له عن الشاغل عن ماسواه ثم وضحه وفصله بقوله (فاضاف أحد النسيانين) بقوله انسى المعلوم (الى نفسه) لان تقديره أنسى أنا اذا كان له بعض السبب فيه بمباشرته له او كالسبب المفضى اليه

جمع بين الفقه والزهد قال أبو اسحق فى طبقات الفقهاء صلى أربعين سنة الصبح بوضوء العشاء الآخرة وشيعه ابن القاسم فراسخ عند انصرافه عنه فعوتب فى ذلك فقال أتلوموننى ان شيعت رجلا لم يخلف بعده أفقه منه مات سنة اثنتى عشرة ومائتين (انه) أى حديث لانسى أوانسى (ليس بشك وان معناه التقسيم) يعنى التنويع (أى انسى أنا او ينسينى الله) لورود نسبته عليه الصلاة والسلام النسيان الى نفسه تارة نظرا الى مقام الفرق والى ربه أخرى اشارة مقام الجمع ايماء الى قوله تعالى ومارميت اذ رميت ولكن الله رمى وردا على القدرية والجبرية واثباتا للقدرة الجزئية كما هو مذهب أهل السنة السنية (قال القاضى أبو الوليد الباجى) بالموحدة والجيم (يحتمل ماقالاه) أى ابن نافع وابن دينار (ان يريد أى النبى) (ونفى عليه الصلاة والسلام (انى أنسى) بالبناء للفاعل (فى اليقظة لتنافى السهو فيها اختيارا وانسى) بالبناء للمفعول (فى النوم) لتأتيه قيد اضطرارا وفيه ان قلبه عليه الصلاة والسلام كان لاينام فحاله نوما أو يقظة سواء فى مراتب الاحكام للاحكام (أوانسى) بصيغة الفاعل (على سبيل عادة البشر من الذهول عن الشئ والسهو) أى الغفلة الناشئة عن شغل البال وتشتت الحال (وانسى) بصيغة المفعول (مع اقباله عليه وتفرغه له) أى فراغ خاطره اليه (فاضاف أحد النسيانين الى نفسه اذ كان له بعض السبب فيه) وهو تسبب اختيار بمباشرته فى تحصيل معالجته

(ونفى الآخر عن نفسه) وفى نسخة من نفسه (اذهو فيه) باعتبار مباديه البعيدة ومجاريه (كالمضطر) اليه لانه قدر فى الازل عليه ان
يصدر منه بكسبه لديه فهو مضطر فى صورة مختار وربك يخلق ما يشاء ويختار وفى السنة أهل الحكمة قال الجدار للوتد مالك تشقنى
فقال سل من يدقنى (وذهبت طائفة من أصحاب المعانى) وهم بعض الصوفية من أرباب المعانى (والكلام على الحديث)

(ونفى الآخر عن نفسه) ادلم يسنده له (اذهو فيه) أى فى حال التلبس به (كالمضطر) الملجأ لفعل ما
ولما كانت التنسية نسيانا جعلهما نسيانين وقيل انه تغليب ولا حاجة له مع وجود المعنى الحقيقى
(وذهبت طائفة من أصحاب المعانى) الذين تقيدوا ببيان معانى الحديث وشرحه كالبغوى والخطابى
فقوله (والكلام على الحديث) عطف تفسير لما قبله (الى ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كان
يسهو فى الصلاة ولا ينسى) بناء على الفرق بين السهو والنسيان فان منهم من قال انهما بمعنى
ومنهم من فرق بينهما كما قاله الحافظ العلائى كما مر وقال السهو جائز فى الصلاة على الانبياء عليهم
الصلاة والسلام بخلاف النسيان لان النسيان غفلة وآفة والسهو انما هو شغل بال فكان صلى الله
تعالى عليه وسلم يسهو فى الصلاة ولا يغفل عنها فكان يشغله عن حركات الصلاة ما فى الصلاة كما تقدم
ويأتى بيانه قال وهو ضعيف من جهة المعنى واللغة فالاول ما ثبت فى الصحيحين من قوله صلى الله
تعالى عليه وسلم انما أنا بشر مثلكم أنسى كما تنسون والثانى تسوية أئمة اللغة بينهما اذ فسروهما بالغفلة
وذهاب القلب عنهما كما فى التهذيب والصحاح والمحكم وقال الراغب السهو خطأ عن غفلة وهو على
ضربين ما لا يكون الانسان فيه منسوبا بالتقصير اذ لم يتعاط ما يولده والثانى ما يتعاطى ما يولده كالوسكر
وفعل منكرا بلا قصد وهذا هو المذموم وفى النهاية السهو فى الشئ تركه عن غير علم والسهو عنه تركه
مع العلم وهو فرق حسن يرجع لما قاله الراغب وبه يظهر الفرق بين السهو فى الصلاة الذى وقع منه
صلى الله تعالى عليه وسلم غير مرة والسهو عنه الذى ذم بقوله الذين هم عن صلاتهم ساهون انتهى وقد
تبعه بعض الشراح وأنا أقول اما الفرق بينهما فلا شبهة فان السهو غفلة يسيرة عما هو فى القوة الحافظة
يتنبه له بادنى تنبيه والنسيان زواله عنها بالكلية ولذا عده الاطباء من الامراض دونه الا انهم
يستعملونهما بمعنى تسامحا منهم وأهل اللغة لا يدققون النظر فى التعاريف اللفظية والاسمية (لان
النسيان) كما تقدم (ذهول) أى عدم علم وادراك (وغفلة) أى ان يذهب عن فكره وادراكه بالكلية
(وآفة) أى مرض يصيب القوة المدركة بنقص فيها وفى صاحبها (قال) الفارق بينهما وانه يسهو ولا
ينسى وفى نسخة قالوا (والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم منزه عنها) لانه نقص يخلقه الله تعالى والانبياء
منزهون عنه (والسهو شغل) بامر يمنعه عن ملاحظة ما هو فاعله وهو غير مذموم بل قد يمدح كاشتغال
المصلى بتجليات ربانية (فكان) صلى الله تعالى عليه وسلم (يسهو فى صلاته) ولا ينساها ويذهل عنها
لاشتغاله بغيرها من أمور الدنيا (و) انما (يشغله عن حركات الصلاة) لا عنها (ما فى الصلاة) مما فيه قرة
عينه (شغلا بها) أى بسبب ما فيها من تجليات نورانية (لا غفلة عنها) بالكلية ولذا أقحم حركات أولا
(واحتج) من منع النسيان عليه صلى الله تعالى عليه وسلم (بقوله) صلى الله تعالى عليه وسلم (فى الرواية
الأخرى لهذا الحديث (انى لا أنسى) ولكن أنسى لنفيه النسيان عنه وقد سهى ومن سوى بينهما
يقول انما نفى النسيان ايماء الى ان الفاعل الحقيقى هو الله تعالى أو المراد لا أنسى كما تنسون كما تقدمت
الاشارة اليه (وذهبت طائفة) هم مشايخ الصوفية أصحاب المقامات العلية كما صرح به فى آخر الفصل الذى
قبل هذا (الى منع هذا كله) أى السهو والنسيان (عنه) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لتنزهه عنه
وقالوا ان سهوه) صلى الله تعالى عليه وسلم (كان) صدوره منه (عمدا وقصدا) لا غفلة وسهوا ونسيانا

أى وذوى الكلام على حديث سهوه وما يتعلق به من تحقيق المبانى (الى ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كان يسهو فى الصلاة) فيترك منها ما ليس عن علم به (ولا ينسى) فيها (لان النسيان ذهول وغفلة وآفة) أى عاهة مؤدية الى زوال المدرك من القوة المدركة والحافظة بما يستولى على القلب ويغشاه مما يحجبه عن عبادة الرب (قال) أى ذلك البعض (والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم منزه عنها) أى مبعد عن الغفلة مما يؤدى الى المنقصة (والسهو شغل) بذهول لا ينتهى الى زواله من الحافظة فى أحواله (فكان النبى عليه الصلاة والسلام يسهو فى صلاته) أى لا عنها (ويشغله عن حركات الصلاة ما فى الصلاة شغلا بها لا غفلة عنها) فلا يتركها عن علم فيها غير مبال بها ولا يخرجها عن وقتها بشهادة فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم

 ساهون أى غافلون (واحتج) أى ذلك البعض (بقوله فى الرواية الأخرى انى لا أنسى) بصيغة النفى وفى
نسخة زيادة ولكن أنسى وحاصله ان النسيان المذموم المنتسب الى تقصير الانسان منفى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم بخلاف ما خلقه
تعالى فيه اضطرارا لحكمة الهية كما تقدم والله تعالى أعلم (وذهبت طائفة أخرى) وهم بعض الصوفية (الى منع هذا) أى ما ذكر من
السهو والنسيان (كله) أى عنه كما فى نسخة (وقالوا ان سهوه عليه الصلاة والسلام كان عمدا وقصدا

ليسن) بصيغة الفاعل أو المفعول (وهذا قول مرغوب عنه) أي مردود في الموارد (متناقض المقاصد) لمناقضة السهو للعمد (لا يحلى) بالحاء المهملة على صيغة المفعول أي لا يظفر (منه بطائل) أي بنفع حاصل يقال هذا الامر لم يحل منه بطائل اذا لم يكن فيه فائدة وقد صرح الجوهري بانه لا يتكلم به الا في الجحد وقد أتى به المؤلف في صورة النفي ولعله سوغ أيضا أو وقع سهوا من القلم والله سبحانه وتعالى أعلم (لانه كيف يكون متعمدا ساهيا في حال) أي واحد وزمان متحد (ولا حجة لهم في قولهم انه أمر) أي أمره الله تعالى (بتعمد صورة النسيان) وهو بصيغة المصدر بعد باء التعدية وروي انه يتعمد بصيغة المضارع (ليس لقوله اني لا انسى أو انسى) وفي نسخة زيادة لاسن وهو بالوجهين على ما سبق (وقد أثبت) أي النبي عليه الصلاة والسلام ويروى فقد أثبت (أحد الوصفين) وهو النسيان من قبل نفسه أو الانساء من قبل ربه (ونفي مناقضته) بالاضافة الى الضمير (العمد والقصد) فلا يصح اثبات العمد والقصد له عليه الصلاة والسلام ويروى مناقضة التعمد والقصد (وقال انما أنا بشر مثلكم انسى كما تنسون) وفي رواية فاذا نسيت فذكروني (وقد مال الى هذا) أي القول بانه أمر بتعمد النسيان (عظيم من المحققين من أئمتنا) يعني المالكية (وهو أبو المظفر) ويروى أبو المطهر (الاسفرايني ولم يرتضه) بالضمير أو بهاء السكت أي ولم يختره بالنفي (غيره منهم) أي من المالكية وغيرهم (ولا ارتضيه) يعني أنا أيضا لظهور تناقضه ووضوح تعارضه وقال النووي بعد ما حكى هذا القول عن بعض الصوفية وهذا لم يقل به أحد ممن يقتدى به الا الاستاذ أبو المظفر الاسفرايني فانه مال اليه ورجحه وهو ضعيف متناقض (ولا حجة لهاتين الطائفتين) أي القائلة بانه عليه الصلاة والسلام كان يسهو في صلاته ولا ينسى والقائلة بان سهوه كان عمدا أو قصدا (في قوله اني لا انسى) بصيغة النفي على بناء الفاعل

وانما قصده (ليسن) كما تقدم (وهذا) القول بانه عن قصد دون غفلة (قول مرغوب عنه) لا فيه لانه (متناقض المقاصد) لانه لو فعل في صلاته ما فعل عمدا بطلت وفسدت صلاته فكيف يسن بما لا يجوز وقيل لمناقضة السهو والعمد واستحالة كونه عمدا (لا يحلى منه بطائل) أي ليس فيه فائدة وكبير أمر حتى يرتكب أموره المتخالفة المتناقضة له ويحلى بفتح المثناة التحتية وسكون الحاء المهملة ولام مفتوحة وألف وقول البرهان انه بضم أوله وبالحاء المهملة وهم منه لانه في كتب اللغة كالاساس وافعال السرقسطي وغيره انه يقال ما حليت وما حلوت منه بطائل أي ظفرت ففعله ثلاثي ورد ماضيه كعلم وضرب وكذا هو في شروح التسهيل في الخطبة والطائل بمعنى الفائدة يقال هذا لا طائل تحته أي لا فائدة يعتد بها وهذا الفعل أعني حلي قيل انه يختص بالنفي وهو المشهور وصرح ابن السيد بخلافه ثم بين تناقضه بقوله (لانه كيف يكون) صلى الله تعالى عليه وسلم (متعمدا ساهيا في حال) واحدة لان بينهما من التضاد ما يمنع اجتماعهما (ولا حجة لهم في قولهم انه) صلى الله تعالى عليه وسلم (أمر) أي أمره الله (بتعمد صورة النسيان) وليس بناس (ليسن) لهم ما يترتب عليه (لقوله) صلى الله تعالى عليه وسلم في الحديث الذي تقدم قريبا (اني لا انسى أو أنسى لاسن فقد) وفي نسخة وقد بالواو الحالية (أثبت) في هذا الحديث له صلى الله تعالى عليه وسلم (أحد الوصفين) يعني النسيان والسهو الذي نفاه هؤلاء القائلون بما ذكر وقيل المراد بالوصفين النسيان من قبل نفسه أو من قبل ربه (ونفي مناقضته) باضافته للضمير (التعمد والقصد) مفعول نفي ونفيه يفهم من اثبات ضده الذي لا يجتمع معه (وقال انما أنا بشر مثلكم انسى كما تنسون فاذا نسيت فذكروني) ويجوز أن يكون النفي يفهم من الحصر بانما قيل ما ذكره المصنف رحمه الله تعالى من ابطال هذا القول في غاية الظهور وانه لا يتخيله الا مغرور وكيف يتعمد ما صورته تخل بعبادته مع امكان البيان بالقول انتهى أقول هو كما قال لكن ما تقدم عن السادة الصوفية يمكن توجيهه (وقد مال الى هذا) القول بانه صلى الله تعالى عليه وسلم أمر بتعمد النسيان (عظيم) أي كبير فان العظيم يكون بمعنى الزيادة في القدر والكم كالكثير والمراد الاول (من المحققين من أئمتنا) أي الاشعرية لا الفقهاء المالكية كما قيل فان هذا العظيم الذي ذكره (وهو أبو المظفر الاسفرايني) شافعي كذا في الشرح الجديد بناء على ان أبا المظفر هو أبو اسحق ابراهيم وان المصنف رحمه الله تعالى كناه بذلك بغير كنيته المشهورة والذي يظهر ان الاول هو الصواب وهذه مجازفة من قائلها (ولم يرتضه غيره منهم) أي لم يقل بهذا القول أحد غير أبي المظفر لانه كيف يؤمر بتعمد ما يبطل الصلاة من غير ضرورة (ولا ارتضيه) لانه بعيد عن الصواب بمراحل (ولا حجة لهاتين الطائفتين) القائلين بانه صلى الله تعالى عليه وسلم يسهو ولا ينسى وبان سهوه عمد وقصد (في قوله) في الحديث (اني لا انسى)

(ولكن أنسى) بصيغة المفعول (اذليس فيه نفى حكم النسيان) بالاضافة البيانية (بالجملة) أى بالكلية (وانما فيه نفى لفظه) أى مبناه المشعر بعدم التفاته اليه (وكراهة لقبه) أى وصفه الذى يحمل عليه (كقوله) صلى الله تعالى عليه وسلم (بئسما الاحدكم ان يقول نسيت آية كذا) لاعترافه بدخوله تحت وعيد ظاهر قوله سبحانه كذلك اتتك آياتنا فنسيتها او كذلك اليوم تنسى (ولكنه نسى) مشددا أى أنساه الله من غير تقصير اياه لعارض أومرض و رواه أبو عبيد بلفظ بئسما لاحدكم ان يقول نسيت آية كيت وكيت ليس هونسى ولكنه نسى وهو أبين من الاول وقد رواه أحمد والشيخان والترمذى والنسائى عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه مرفوعا بلفظ بئسما لاحدكم ان يقول نسيت آية كيت وكيت بل هونسى ويمكن انه كره نسبة النسيان الى النفس لانه تعالى هو الذى أنساه لاستناد الحوادث كلها اليه أولان النسيان مبناه الترك فكره له ان يقول تركت القرآن وقصدت الى نسيانه ولم يكن باختياره اياه يقال أنساه الله ونساه والحاصل ان اختلاف النفى والاثبات باعتبار لفظه ومبناه لتفاوت فحوى الكلام ومقتضاه باعتبار معناه (أولنفى الغفلة) عن ربه (وقلة الاهتمام بامر الصلاة عن قلبه لكن شغل بها عنها) أى بالصلاة عن الصلاة يعنى بفعل بعضها عن فعل بعضها (ونسى بعضها ببعضها) أى بعد الصلاة ببعض الغفلة عنها اليبين للساهى فيها ما يجبرها بتركه شيأ منها (كماترك الصلاة) على مارواه الشيخان (يوم الخندق) أى زمان حفر الخندق وهى غزوة الاحزاب وكانت فى السنة الخامسة بعد الهجرة فى شهر شوال منها (حتى خرج وقتها وشغل بالتحرز من العدو عنها) أى عن الصلاة (فشغل بطاعة) أى العليا وهى حراسة المدينة (عن طاعة) وهى اداء الصلاة الوسطى لماورد شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ملأ الله قلوبهم وقبورهم نارا

بالنفى فى احدى الروايتين كما تقدم تفصيله (ولكن أنسى) بالتشديد كما بيناه (اذليس فيه) أى فى الحديث على هذه الرواية نفى حكم النسيان بالجملة) أى جميعه بان لا يصدر منه صلى الله تعالى عليه وسلم نسيان أصلا وكأنه اراد بحكمه معناه بقرينة قوله (وانما فيه نفى لفظه) باطلاق اسناده له وما قيل المراد النسيان الذى هو حكم بمعنى مدلول لفظه والاضافة بيانية تعسف (وكراهة لقبه) هو بمعنى اسمه ولفظه المستعمل فيه وليس المراد به أحد أقسام العلم وهذا على مصطلح الاصوليين (كقوله) صلى الله عليه وسلم فى حديث مشهور (بئس مالاحدكم) و بئس من أفعال الذم فاعله ضمير مستتر مفسره ما وقوله (ان يقول نسيت آية كذا) هو المخصوص بالذم ونسيت مخفف مسند لضمير المتكلم (ولكنه نسى) مجهول مشدد و رواه مسلم نسى مخففا مع ضم النون وكذا روى من طرق فقد روى بتشديد السين وتخفيفها مع البناء للمفعول فيهما فعلى التثقيل انه تعالى خلق فيه النسيان وعلى التخفيف معناه ان ناسى القرآن نسيه الله أى تركه لا يلتفت له كقوله و كذلك اتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى فاشار الى انه لا ينبغى ان ينسب فعلا لنفسه و ينسبه لخالقه تادبا وان جاز لانه كسبه فالذم لهذا فهو عام فى كل فعل أوهو لما فيه من عدم الاعتناء بالقرآن لان نسيانه لتركه تعهد تلاوته فهو مخصوص بالقرآن واختاره القرطبى وقيل النسيان المذموم هنا بمعنى الترك وقيل فاعل نسيت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أى لا يقل أحد عنى انى نسيت آية فان الله هو الذى انسانى ما نسخه ليس بصنعى وقال الخطابى انه مخصوص بعصر النبوة فانهم انما ينسيهم الله ما قدر نسخه (أونفى) مصدر معطوف على نفى لفظه أى انما فيه نفى (الغفلة وقلة الاهتمام) بجره معطوف على الغفلة (بامر الصلاة) فاريد به نفى لازمه (عن قلبه) متعلق بنفى فلا انسى بمعنى لا يغفل قلبى عن عبادة ربى وتوجهى اليه (لكن شغل بها) أى بالصلاة ومافيها من التجليات (عنها) أى عن بعض أعمالها وعدد ركعاتها (ونسى بعضها) من اركانها الظاهرة (ببعضها) مما يشاهده فيها او تدبر ما يتلوه فيها وما قيل ان هذه مرتبة لا تليق بارباب التمكين الذين لا تعوقهم أمورهم الباطنة عن أدب الظاهر كان عليه ان يتادب بتركه ومثله من زخرف الاصطلاحات لا يجرى فى مقامات النبوة (كماترك) صلى الله عليه وسلم (الصلاة) الثابت فى حديث الصحيحين (يوم الخندق حتى خرج وقتها) أى وقت الصلاة المعين لها فى كتب الفقه وهذا نظير لما هو فيه لا مثال له كما بينه بقوله الآتى فشغل بطاعة عن طاعة وهذه تسمى غزوة الخندق وغزوة الاحزاب لانه صنع فيها خندق برأى سلمان الفارسى رضى الله تعالى عنه وتجمع فيها طوائف كثيرة كما هو مشهور فى السير والخندق معرب كنده بمعنى حفير كانت سنة أربع وقيل سنة خمس على ما بيناه واختلفوا فى سبب الاختلاف فيه على اقوال منها انهم لما ارخوا من الهجرة وجعلوا رأس السنة المحرم جعله بعضهم محرم سنة الهجرة و بعضهم المحرم الذى بعده فتفاوت ذلك بسنة (وشغل بالتحرز من العدو عنها) أى عن الصلاة التى دخل وقتها حتى خرج لانه يخشى من هجوم العدو عليهم وهم فى الصلاة غير مستعدين للحرب ولم تكن صلاة الخوف شرعت لهم حينئذ (فشغل بطاعة) وهى حفظ المدينة وارواح المؤمنين من بغتة العدو (عن طاعة) وهى اداء الصلاة فى الوقت وتلك اهم باعتبار حقوق العباد اذ لو فاتت

(وقيل ان الذي ترك يوم الخندق أربع صلوات) بالرفع على انه خبر ان ثم ابدل منه بقوله (الظهر والعصر والمغرب والعشا) وهذا على قول الكوفيين وأما على ماقاله سيبويه فيكون اعمال ترك وهو الثاني فيكون أربع منصوبا ذكره الحلبي ولعل الواقعة تعددت في الغزوة (وبه احتج من ذهب الى جواز تاخير الصلاة) أي الى ان يخرج وقتها (في الخوف اذا لم يتمكن من ادائها الى وقت الامن وهو مذهب الشاميين والصحيح ان حكم صلاة الخوف كان بعد هذا فهو ناسخ له) ولا يبعد ان يقال انما كان ناسخا اذا كان قادرا على التمكن من ادائها بصلاة الخوف بخلاف ما اذا لم يتمكن من ادائها كما اذا كان العدو من كل جانب محاصر الى ماوقع في الاحزاب والله تعالى اعلم بالصواب (فان قلت فما تقول في نومه عليه الصلاة والسلام عن الصلاة يوم الوادي) كما رواه البخاري وقد قيل هو وادي صحبان وهو موضع بجوار مكة وروى عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حين قفل من خيبر سار ليله حتى اذا ادركه الكرى عرس ونام هو وأصحابه فلم يستيقظ احد من أصحابه حتى ضربتهم الشمس فكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أولهم استيقاظا فقال اقتادوا يعني سوقوا رواحلكم فاقتادوا رواحلهم شيئا ثم توضأ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأمر بلالا فاقام الصلاة فصلى بهم الصبح

بالصلاة

لم يكن تداركها بخلاف هذه وهذا نظير لشغل عبادة عن عبادة وان لم تكن منها الا السهو والمنهي عنه اشتغاله عن العبادة حتى ينساها فلا يرد عليه انه يلزمه وقوع سهوه في افعال العباد وهذه واقعة حال قدم فيها الاهم ولم يكن ناسيا اوانه بدأ بدرء المفسدة الذي هو أهم من جلب المصلحة وكان هذا عذرا في تاخير الصلاة قبل مشروعية صلاة الخوف على انه قيل انه سهو وأيضا فعلى هذا لا يتجه عليه شئ (وقيل) القائل له ابن مسعود كما رواه الترمذي والنسائي (ان الذي ترك) بالبناء للفاعل أو المفعول رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (يوم الخندق أربع صلوات) خبر ان (الظهر والعصر والمغرب والعشا) بدل منه وماقيل من انه يجوز نصب أربع لترك على مذهب سيبويه لا وجه له هنا والصحيح مافي الصحيحين من انها صلاة العصر وفي الموطا انه صلى الله تعالى عليه وسلم فاتته صلاتين الظهر والعصر وقال النووي يجمع بين الروايات بالخندق كانت في أيام وتعدد تركه للصلاة فيها وقيل ان تاخرها كان نسيانا واستدل بما رواه أحمد انه صلى الله تعالى عليه وسلم صلى المغرب يوم الاحزاب فلما سلم قال هل علم رجل مسلم اني صليت العصر قالوا لا فصلاه ثم صلى المغرب الا انه ضعف روايته وهذا كان قبل نزول صلاة الخوف كما مر والحديث مروي عن علي رضي الله تعالى عنه لما كان يوم الاحزاب قال النبي ملأ الله بيوتهم وقبورهم نارا كما حبسونا وشغلونا عن الصلاة الوسطى حتى غابت الشمس وبه استدل على ان الصلاة الوسطى صلاة العصر وفيه اختلاف وقد افرد ذلك الحافظ بتاليف نفيس أوصل الاقوال فيه الى نحو عشرة (وبه) أي بتركه صلى الله تعالى عليه وسلم هذه الصلوات (احتج من ذهب الى جواز تاخير الصلاة في الخوف اذا لم يتمكن من ادائها) في وقتها (الى وقت الامن) من خوف العدو (وهو مذهب الشاميين) أي بعض علماء الشام وفقهائها المجتهدين والمحدثين منهم الذين يرون ان صلاة الخوف كانت مشروعة قبل ذلك (والصحيح ان حكم صلاة الخوف) أي فرضيتها (كان بعد هذا) أي بعد غزوة الخندق (فهو ناسخ له) أي لجواز تاخير الصلاة عند الخوف وهو مذهب أبي حنيفة والجمهور وصلاة الخوف على طرقها التي ذكرها الفقهاء مختلف فيها هل كانت مخصوصة بعصره صلى الله تعالى عليه وسلم أو نسخت في حياته فلا تجوز الآن أو حكمها باق الى الآن وهل تختص بالجماعة أم لا والكلام عليه وعلى ادلته مفصل في كتاب الآثار وشرحه للعيني وليس مما يهمنا تفصيله هنا ثم استطرد لما يناسب ماهو فيه من تاخير الصلاة عن وقتها لعذر شرعي وأورد عليه سؤالا فقال (فان قلت فما تقول في نومه صلى الله تعالى عليه وسلم) عن صلاته حتى خرج وقتها كما أشار اليه بقوله (عن الصلاة يوم الوادي) كما رواه البخاري وغيره والصلاة هي صلاة الصبح والوادي بطريق مكة وقيل ببطن تبوك وكان صلى الله تعالى عليه وسلم عرس فيه ووكل بلالا بان يقوم عنده ليوقظه اذا طلع الفجر فاسند ظهره لراحلته فغلبه النوم ولم يوقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى طلعت الشمس وكان أول من استيقظ أبو بكر ثم عمر رضي الله تعالى عنهما وكبر حتى استيقظ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولفظ البخاري عن أبي قتادة رضي الله تعالى عنه قال سرنا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة فقال بعض القوم لو عرست بنا يارسول الله فقال اخاف ان تناموا عن الصلاة فقال بلال انا أوقظكم فاضطجعوا واسند بلال ظهره الى راحلته فغلبته عيناه فاستيقظ النبي وقد طلع حاجب الشمس فقال يا بلال أين ماقلت قال ما القيت على نومة مثلها قط فقال ان الله قبض أرواحكم حين شاء وردها حين شاء يا بلال قم فاذن الناس

(وقد قال) عليه الصلاة والسلام (ان عيني تنامان ولا ينام قلبي) قال النووي هذا من خصائص الانبياء عليهم الصلاة والسلام انتهى والجملة اعتراض بين السؤال وجوابه وردحالا أفاد ان قلبه لا يعروه نوم فكيف نام عن الصلاة حتى خرج وقتها (فاعلم ان للعلماء في ذلك) أي في دفعه وفي نسخة عن ذلك أي عن نومه فيه بالوصف المذكور هنالك (أجوبة) بالنصب على انه اسم ان (منها ان المراد بان هذا) الذي ذكر من اليقظة برية (حكم قلبه عند نومه) أي نوم قلبه (وعينيه) أي وعند نوم عينيه أو المعنى هذا حكم قلبه وعينيه حال اجتماعهما (في غالب الاوقات وقد يندر منه) بضم الدال أي يقع نادرا (غير ذلك) من غفلة قلبه حال نوم عينيه كما يندر (من غيره خلاف عادته) والحاصل انه عليه الصلاة والسلام على ما قيل كان له حالان في المنام أحدهما انه كان تنام عينه ولا ينام قلبه وذلك في غالب أوقاته وثانيهما وهو ان ينام قلبه أيضا وهو نادر فصادف هذا الموضع حاله الثاني ثم اعلم ان في بعض النسخ ضبط غيبته بدل عينيه واختاره الحلبي وقال الغيبة ضد الحضور وهو ظاهر وانما ذكرته لاحتمال ان يشتبه على من لا يعرف فيصحفه بعينيه تثنية عين وهي الجارحة الباصرة قلت هذا لا يصح الا من جهة الاعراب في المبنى ولا من طريق الصواب في المعنى لان غيبته اذا كان عطفا على قلبه لا يستقيم الكلام اذا التقدير هذا حكم قلبه عند نومه وحكم عدم حضوره ولا حقا في قصوره واذا كان عطفا على نومه فيكون التقدير هذا حكم قلبه عند نومه وعند عدم حضوره ولا يخفى ما في هذا أيضا من بعد تصوره (ويصحح هذا التاويل) الذي أفاد ان قلبه لا ينام غالبا وقد ينام نادرا (قوله عليه الصلاة والسلام في هذا الحديث نفسه) أي نفس هذا الحديث المذكور وهو حديث الصلاة في الوادي لا كما توهم الدلجي من انه حديث عيناي تنامان ولا ينام قلبي وقال التلمساني صوابه ما عند ابن مليح في أصله وقول بلال في الحديث نفسه وهو معروف من قول بلال والمحفوظ من قول النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (ان الله قبض أرواحنا) قلت هذا هو المراد وهو الصواب ولا يظهر لقول التلمساني وجه في هذا الباب مع ان رواية البخاري ان الله قبض ارواحكم حين شاء وردها عليكم حين شاء (وقول بلال فيه) أي في حديث صلاة الوادي فما أيقظهم الاحر الشمس فقال صلى الله تعالى عليه وسلم هذا واد به شيطان اقتادوا فاقتادوا رواحلهم حتى خرجوا منه وقضوا صلاة الصبح لا كما توهم الدلجي أيضا وقال أي في حديث ان عيني تنامان جوابا لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم وقد أمره ان يكلأ لهم الفجر فقال عليه الصلاة والسلام أين ما قلت يا بلال فقال والله يا رسول الله (ما ألقيت على من نومة مثلها قط) لشدة تعب السير وقوة نصب السهر ولعل وجه كون قول بلال يصحح التاويل السابق انه وقع له عليه الصلاة والسلام من شدة الحال كما وقع لبلال فنام قلبه عليه الصلاة والسلام من كثرة الكلال

بالصلاة فتوضأ فلما ارتفعت الشمس وابيضت قام النبي فصلى ومثله في مسلم وتقدم أيضا لفظ البخاري في رواية عمران بن حصين (و) استشكل الحديث بانه كيف يتاتى هذا والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم (قد قال) في حديث آخر (ان عيني تنامان ولا ينام قلبي) فكيف نام عن هذه الصلاة حتى قضاها وهذا الحديث في الصحيحين بطوله وفيه ان عائشة رضي الله تعالى عنها قالت تنام يا رسول الله قبل ان توتر فقال تنام عيني ولا ينام قلبي وكذا سائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام كما ورد أيضا ولذا ذهب كثير من أئمة الشافعية الى ان نومه صلى الله تعالى عليه وسلم لا ينقض وضوءه وسياتي الكلام فيه وقيل انه من خصائصه ونقل عن النووي وأجاب عن تعارضهما بقوله (فاعلم ان للعلماء عن ذلك) التعارض (أجوبة منها ان المراد بان هذا) أي تيقظ قلبه في نومه (حكم قلبه) أي حاله وصفته (عند نومه وغيبته) عن الادراك في الجملة (في غالب الاوقات) أي في أكثر أوقات نومه وغيبته بغين معجمة ضد الحضور وقال البرهان وبينته مع ظهوره لئلا يتصحف بعينيه تثنية عين باصرة وورد بانه معنى صحيح لا تحريف فيه فانه حينئذ معطوف على قلبه أي هذا حكم قلبه وحكم عينيه غالبا وهو متجه (وقد يندر) أي يقل والندرة أخص من القلة لانها القلة المفرطة جدا (منه غير ذلك) بان ينام عينه وقلبه كنوم سائر الناس (كما يندر من غيره) أي يقل من غير النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (خلاف عادته) يحتمل انه يريد خلافه لما يعتاده من أموره مطلقا ويحتمل خلاف عادته في نومه بيقظة قلبه كالانبياء عليهم الصلاة والسلام لكنه لا حكم له لندرته وعدم انضباطه (ويصحح هذا التاويل) أي جعله مقيدا بغالب أمره وما اعتاده (قوله صلى الله تعالى عليه وسلم في الحديث) المذكور أولا في قصة الوادي لا حديث ان عيني تنامان كما توهم كما تقدم في الحديث اذ قلنا (نفسه) أكده به لئلا يتوهم ارادة جنس الحديث (ان الله قبض أرواحنا) قبض الارواح غيبوبتها عن الحس لان الروح تفارق البدن كما في الموت ولذا كان النوم أخا الموت (وقول بلال فيه) أي في الحديث المذكور كما مر من انه صلى الله تعالى عليه وسلم أمره ان يوقظه فغلبه نومه ولم يوقظه فلما قال له أين ما قلت يا بلال قال (ما ألقيت على نومة مثلها قط) أي لم ينم نوما ثقيلا مثل نومته هذه فهذا كله يدل

(ولكن مثل هذا) أي النادر الوقوع (انما يكون منه) أي من النبي عليه الصلاة والسلام (لامر يريده الله) عزوجل وفي نسخة يريده من الله (من اثبات حكم) تحته حكم (وتاسيس سنة) أي تاصيل قضية منيعة يبنى عليها فروع شريعة (واظهار شرع) من فرض أو سنة لم يكن مبينا (كما قال) أي النبي عليه الصلاة والسلام (في الحديث الآخر لوشاء الله لايقظنا) أي من منامنا

على انه استغرق في نومه على خلاف معتاده لان قبض الروح يدل على عدم يقظة القلب وما وقع لبلال أيضا مخالف لمعتاده والشاهد فيما قبله أو فيه أيضا قاله والحاصل انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان لنومه حالتان والاغلب الاول ثم بين وجه حاله المخالف لعادته بقوله (ولكن مثل هذا) المخالف لمعتاده (انما يكون منه) أي يقع له بايجاد الله وخلقه (لامر يريده الله) مما يرضاه ويقدره (من اثبات حكم) شرعي يبينه لمن طرأ عليه وهو قضاء الصلاة ووجوبه فورا أو بدونه (وتاسيس سنة) أي طريق من طرق الشرع يقتدى بها ويستمر سلوكها (واظهار شرع) وفي بعض النسخ شرح وهو تصحيف (كما قال) صلى الله تعالى عليه وسلم (في الحديث الآخر) الوارد في النوم عن الصلاة (لوشاء الله) عزوجل (لايقظنا) من منامنا قبل خروج الوقت (ولكن أراد الله) بعدم ايقاظنا (ان تكون) بتاء التانيث والضمير للسنة المفهومة من السياق ان تكون سنة (لمن بعدكم) من هذه الامة يقتدون بها فيقضون ما فاتهم من الصلاة وهذه حكمة ان الله قوى النوم عليه صلى الله تعالى عليه وسلم ونام قلبه على خلاف عادته لتظهر هذه السنة البديعة (الثاني) من الاجوبة عن هذا السؤال ان معنى قوله لاينام قلبي (ان قلبه لايستغرقه النوم) أي لايستولي عليه ولايغطيه عن الادراك بحيث يغيب بالكلية عن احساسه كالغريق والاستغراق في كل شئ بلوغ نهايته (حتى يكون منه) أي من صاحب القلب (الحدث فيه) الضمير للنوم أي يقع منه لشدة نومه حدث لايشعر به من خروج شئ من أحد السبيلين ينقض وضوءه (لما روي انه) صلى الله عليه وسلم (كان محروسا) أي محفوظا في نومه من ان يصدر عنه مثله (وانه) صلى الله عليه وسلم (كان ينام حتى ينفخ) اذ النفخ بخاء معجمة خروج النفس بشدة له صوت يسمع (وحتى يسمع غطيطه) بالبناء للمجهول والغطيط بغين معجمة كالخطيط بخاء معجمة ترديد النائم صوتا متواليا مع نفسه وهو معروف (ثم يصلي ولا يتوضا) أي يقوم من شدة نومه الذي يسمع له فيه خطيط وغطيط ولا يجدد وضوءه فهذا دليل على انه صلى الله تعالى عليه وسلم محروس في نومه عن الحدث الناقض للوضوء اقامة للمظنة فيه مقام المئنة ولولا ذلك لزمه الوضوء فيه كغيره من الناس فعدم نوم قلبه عبارة عن عدم استغراقه في نومه حتى لايشعر بالحدث فليس بيقظة حقيقية كما في الجواب الاول فلا ينافي انه لايشعر بخروج الوقت لافراط نومه (وحديث ابن عباس) رضي الله تعالى عنهما المروي في الصحيحين (المذكور فيه وضوءه) صلى الله تعالى عليه وسلم (عند قيامه من النوم) ليلا مروي (فيه نومه مع أهله) أي احدى زوجاته وهي في هذا الحديث أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث خالة ابن عباس رضي الله تعالى عنهم وأهل أصل معناه الاقارب والاتباع ثم أطلق على الزوجة اطلاقا صار به حقيقة عرفية (فلا يمكن الاحتجاج به) أي بحديث ابن عباس المذكور (على وضوئه بمجرد النوم) أي بسبب النوم وحده لكونه مع أهله (اذ لعل ذلك) الوضوء لنقض وضوئه الاول (لملامسة الاهل) أي مسها من غير حائل (أم لحدث آخر) مما هو عند الشافعي من نواقض الوضوء (فكيف) يظن ان حديث ابن عباس هذا يناقض ما تقدم من ان وضوءه صلى الله عليه وسلم لاينقض بمجرد نومه ليقظة قلبه (وفي آخر) هذا (الحديث نفسه) الذي رواه ابن عباس (ثم نام حتى

ظاهرا او باطنا (ولكن أراد) أي بغلبة النوم علينا (ان يكون) أي سنة (لمن بعدكم) يقتدون بها (الثاني) من الاجوبة (ان قلبه لايستغرقه النوم حتى يكون منه الحدث فيه) أي ناقض الوضوء في نومه (المروي) في صحيح البخاري وغيره (انه كان محروسا) أي محفوظا عن ان يقع منه حدث في حال نومه (وانه كان ينام حتى ينفخ) بضم الفاء (وحتى يسمع) بصيغة المجهول (غطيطه) أي ترديد صوته الخارج مع نفسه (ثم يصلي ولا يتوضا) لعدم نقض وضوئه مع يقظة قلبه أو بناء على حراسة ربه أو لاختصاصه به (وحديث ابن عباس) في الصحيحين (المذكور فيه) أي في حديثه (وضوءه) أي وضوء النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (عند قيامه من النوم) مبتدأ خبره (فيه نومه مع أهله) أي ميمونة بنت الحارث

شمعت

خالة ابن عباس (فلا يمكن الاحتجاج به على وضوئه) أي على كون وضوئه (لمجرد النوم) مع أهله (اذ لعل ذلك) أي وضوءه هنالك (لملامسة الاهل) أي مساسه ويروى لملامسة أهله (أو لحدث آخر) أي وهذا أظهر اذ لم يثبت انه عليه الصلاة والسلام توضأ من لمس امرأة قط فتدبر أو للتجديد المفيد للتنشيط (فكيف) لايكون وضوءه بواحد مما ذكر (وفي آخر الحديث نفسه) أي المروي عن ابن عباس بعينه (ثم نام) أي ثانيا (حتى

(سمعت غطيطه ثم أقيمت الصلاة فصلى ولم يتوضأ) أى اكتفاء بالوضوء الذى تقدم (وقيل لا ينام قلبه من أجل انه يوحى اليه فى النوم) كغيره من الانبياء فانهم يوحى اليهم فيه قال تعالى انى أرى فى المنام انى أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ومن هنا اخطأ محيى الدين بن عربى حيث تاول على سيدنا ابراهيم الخليل وقال انه أخطأ فى التعبير والتاويل وانه كان تاويل منامه انه يذبح كبشا فحمل المنام على ظاهره وقصد ذبح ابنه كما بسطت هذا فى محله (وليس فى قصة الوادى الانوم عينيه عن رؤية الشمس) أى وأثر طلوعها من الفجر فى أفق السماء (وليس هذا من فعل القلب) اذ قد يكون الشخص مستيقظا ولم يكن مطالعا لمطلع الشمس لا سيما اذا كان مغمضا عينيه خصوصا فى بقاء القمر الى آخر الليل وبعده وهذا انما هو على الفرض والتقدير والا فقد صح انه عليه الصلاة والسلام كان حينئذ فى استغراق المنام (وقد قال عليه الصلاة والسلام ان الله قبض أرواحنا) أى المدركة للامور الظاهرة (ولوشاء لردها علينا فى حين غير هذا) وهو قبل هذا الوقت لادراك الوقت ولكن أراد أن نعرف حكم فوت الوقت والحديث مقتبس من قوله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى أجل مسمى ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون (فان قيل فلولا عادته من استغراق النوم لما قال لبلال اكلأ) بكسر همزة وصل فى أوله وفتح لامه وهمزة ساكنة فى آخره أى احفظ (لنا الصبح فقيل فى الجواب انه كان من شانه عليه الصلاة والسلام التغلس بالصبح) لعله فى الاسفار (ومراعاة أول الفجر) أى المختار وهو الاسفار وفى نسخة لمراعاة أول الفجر (فلا يصح ممن نامت عينه) وكذا ممن استغرق فى شهود ربه وعدم التفاته لغيره (اذ هو) أى الصبح (ظاهر) من الامور (يدرك بالجوارح الظاهرة) بل الجارحة الباصرة وكأنه جمع لجميع العيون الحاضرة (فوكل بلالا بمراعاة أوله) حقيقة أو حكما (ليعلمه بذلك)

سمعت غطيطه) تقدم بيانه وانه يقال خطيطه بمعناه (ثم أقيمت الصلاة فصلى ولم يتوضأ) وهو صريح فى عدم نقض النوم للوضوء وحده قيل ولا حاجة لهذا أيضا فان فى هذا الحديث انه صلى الله عليه وسلم قام من نومه لقضاء حاجته فوضوءه لانتقاضه بقضاء الحاجة لا لمجرد النوم فالسؤال ساقط من وجوه عدة (وقيل) فى الجواب أيضا ان معناه (لا ينام قلبه من أجل انه يوحى اليه فى النوم) فانه وسائر الانبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام رؤياهم وحى بلا شبهة فمعنى قوله لا ينام قلبى انه لا ينقطع عنه بنومه الوحى وأمر النبوة وهذا لا ينافى استغراقه فى نومه وخروجه عن هذا العالم ثم أشار لجواب آخر فقال (وليس فى قصة الوادى) ونومه فيه عن صلاته (الانوم عينيه) بانطباق جفنيه (عن رؤية الشمس) وذلك انما يدرك بحاسة البصر وهى نائمة محجوبة عن الحس الظاهر (وليس هذا) أى رؤية الشمس (من فعل القلب) لانه انما يدرك المعقولات دون المحسوسات فلا منافاة بينهما كما مر ولا حاجة الى أن يقال لعله صلى الله تعالى عليه وسلم كان تحت خيمة تمنع الرؤية (وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله قبض أرواحنا) أى فى منامها كما تقدم (ولوشاء لردها الينا) بايقاظنا من نومنا الذى كان قبل (فى حين غير هذا) أى فى وقت لم يوح اليه فيه شئ ولم ير رؤيا التى هى وحى وقوله فى حين الخ متعلق بقال لا من مقول القول كما توهم وقد تقدم ان الروح تقبض فى المنام والممات لكنها ترد فى الاول كما قال تعالى فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى أجل مسمى قال على كرم الله وجهه فما رأته نفس النائم وهى فى السماء هى الرؤيا الصادقة دون غيرها وفى الحديث سئل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أينام أهل الجنة فقال لا النوم أخو الموت (فان قيل فلولا) انه كان (عادته من استغراق النوم) باستيلائه على حواسه وقلبه كغيره (لما قال) عليه الصلاة والسلام (لبلال) كما ذكرناه فى أول الحديث الذى فى نومه بالوادى (اكلأ) بهمزة وصل فى أوله وهمزة ساكنة فى آخره أمر من الكلاءة وهى المراقبة والحفظ (لنا) أى النائمين منهم (الصبح) أى وقت طلوعه لتوقظنا للصلاة فلا تفوتنا كما سمعته قبل هذا فهذا ينافى ما قاله من انه لا يستغرق فى نومه لحد لا يشعر بما يحدث منه فيه من نواقض الوضوء (فقيل فى الجواب) عن هذا السؤال (انه كان من شانه) أى عادته صلى الله تعالى عليه وسلم (التغليس بالصبح) أى التبكير فيه فيصليه بغلس وهو ظلمة تخالط أول ضوء الفجر فى آخر الليل (ومراعاة أول الفجر) أى مراقبته للنظر له فى أوله قبل انتشار الضوء وقرب الشمس من الافق المرئى (لا تصح) ولا تتيسر (ممن نامت عيناه) سواء استغرق أم لا ولو كان قلبه لا ينام (اذ هو) أمر (ظاهر يدرك بالجوارح الظاهرة) ولا دخل للقلب والحواس الباطنة فيه (فوكل) صلى الله تعالى عليه وسلم (بلالا) رضى الله تعالى عنه أى أمره بان لا ينام ويتقيد (بمراعاة أوله) أى مراقبته والنظر اليه (ليعلمه بذلك) أى بطلوع

(كالوشغل بشغل غير النوم) من أي عمل كان (عن مراعاته) أي محافظة أوقاته وقد أغرب التلمساني في عبارته والمعنى أنه عليه الصلاة والسلام كان يؤخر الصلاة الى وقت التغليس من الصبح (فان قيل فما معنى نهيه عليه الصلاة والسلام عن قول نسيت) أي في حديث لا يقولن أحدكم نسيت آية كيت وكيت بل هو نسي بضم النون وتشديد المهملة (وقد قال عليه الصلاة والسلام اني أنسى كما تنسون فاذا نسيت) وفي رواية أنسيت (فذكروني) رواه أبو حنيفة رحمه الله في مسنده (وقال) أي في رواية أخرى (لقد أذكرني) أي فلان (كذا وكذا آية كنت أنسيتها) كذا في النسخ والمناسب للسؤال الوارد نسيتها ليرد الاشكال بين النهي عن نسبة النسيان الى نفسه وبين اتيانه في لفظه تعارض بحسب ظاهره (فاعلم أكرمك الله تعالى انه لا تعارض في هذه الالفاظ) أي عند المحققين من الحفاظ لما سبق من التنبيه على شيء من التوجيه وهو نسبة الفعل الى الله تعالى حقيقة والى العبد مجازا فالاولى صرف القلب الى فعل الرب وأيضا فعل النسيان من حيث انه ظاهر في التقصير والنقصان مذموم بخلاف ما اذا أراد الله امضاءه وقدر عليه بان أنساه اياه ولا يبعد أن يكون قوله أنسيت بالنسبة اليه صلى الله تعالى عليه وسلم معناه أنسانيه الله لقوله تعالى فلا تنسى الا ما شاء الله وأما بالنسبة الى غيره عليه الصلاة والسلام فمعناه انسانيه الشيطان كما قال يوشع وما انسانيه الا الشيطان وكما قال عز وجل فانساه الشيطان ذكر ربه ونتيجة الفرق ان ما يكون مذموما ينسب الى الشيطان وما يكون محمودا ينسب الى الرحمن ومحله ان كل نسيان صدر عن تقصير وتوان فيكون بسبب اغواء الشيطان وكل ما يكون بعارض مرض أو كبر ونحوهما فهو بسبب اختيار الرحمن وأيضا من معاني النسيان الترك فلا ينبغي يتوهم المؤمن ان يقول تركت آية بحيث يتوهم منه ان يكون قصدا ولا يراعي رعاية ومن جملة الاجوبة قوله (أما نهيه عن ان يقال نسيت آية كذا فمحمول على ما نسخ فعله) الظاهر كونه وفي نسخة حفظه (من القرآن أي ان الغفلة في هذا لم تكن منه ولكن الله تعالى اضطره اليها) أي الى نسيانها (ليمحو ما يشاء ويثبت) بالتشديد والتخفيف وهذا أحد معاني قوله تعالى فلا تنسى الا ما شاء الله أي أراد نسخه كما قضاه وأمضاه لكن هذا انما يكون جوابا عن قوله عليه الصلاة والسلام اني لا أنسى ولكن أنسى فلا يصلح أن يكون تاويلا لنهيه عليه الصلاة والسلام للامة أن يقال نسيت آية كذا فلا رابطة بين السؤال والجواب والله تعالى أعلم بالصواب (وما كان من سهو أو غفلة من قبله) أي من جانب العبد (تذكرها) وكذا اذا لم يتذكرها (صلح) بضم اللام وفتحها أي صح (ان يقال فيه أنسى) بفتح الهمزة لا بضمها كما توهم الدلجي فبهذا الاعتبار ورد عنه صلى الله تعالى عليه وسلم اني أنسى كما تنسون فلا تعارض أصلا وقطعا

الفجر (كالوشغل بشغل غير النوم) في يقظته (عن مراعاته) أي مراعاة الفجر وقد قيل ان هذا كله مبني على انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان لا ينام نوم غيبة أصلا وهذا مما لا ينبغي وفي هذا المقام أجوبة كثيرة عن تعارض الحديثين في شروح الصحيحين تركناها خوف الاطالة المورثة الملالة (فان قيل فما معنى نهيه) صلى الله تعالى عليه وسلم (عن قول نسيت) في حديث لا يقولن أحدكم نسيت آية كذا وتقدم هذا الحديث بتمامه والكلام في معناه (وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم) وهي جملة حالية مبنية للسؤال في تعارض نهيه عن قول نسيت مع قوله (اني أنسى كما تنسون فاذا نسيت فذكروني وقال) في حديث آخر قد تقدم وفيه رحم الله فلانا (لقد أذكرني كذا وكذا آية كنت أنسيتها) بضم الهمزة مبني للمجهول من الافعال أي انسانيها الله وتقدم الكلام على هذا الحديث مفصلا (فاعلم أكرمك الله انه لا تعارض في هذه الالفاظ) الواردة في النهي عن ذلك وغيره (اما نهيه عن ان يقال نسيت آية كذا) فليس على ظاهره اذ هو كلام صادق لا مانع منه شرعا (فهو محمول على ما نسخ حفظه) أي لفظه وتلاوته (من القرآن) وفي نسخة نقله بنون وقاف بدل حفظه والمعنى واحد وعلى هذا فمعنى لا يقل أحدكم نسيت تقديره اني نسيت والمسند اليه ضميره صلى الله تعالى عليه وسلم أي اذا سمعتموني تركت في القرآن شيا لا تقولوا النبي نسي آية كذا (أي ان الغفلة في هذا لم تكن) أي توجد فكان تامة (منه) صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يقع ذلك اختيارا (ولكن الله اضطره اليها) أي ان الله عز وجل ألجاه للغفلة (ليمحو ما يشاء) أي ينسخ ما أراد نسخه فينسيه له (ويثبت) ما لم يرد نسخه فلا ينساه فعلى هذا هو مخصوص بالرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وببعض آيات نسخها الله تعالى باذهابها الا بكل ما نسيه ولذا قال (وما كان) تركه (من سهو أو غفلة من قبله) بكسر القاف وفتح الباء الموحدة ولام أي من جانب نفسه صلى الله تعالى عليه وسلم بمقتضى الجبلة البشرية من غير الجاء من الله له (تذكرها) صفة غفلة أي خطرت بباله بعد نسيانها (صلح) أي جاز (ان يقال فيه أنسى) بضم الهمزة مجهول مخفف فانما يمتنع نسبة النسيان له فيما كان من القسم الاول فليس النهي على اطلاقه حتى يعارض الحديث الآخر وهذا النهي خاص بزمنه صلى الله تعالى عليه وسلم حيث كان يقع النسخ فلو قيل فيه ذلك ربما

(وقد قيل) أي في الجواب عن ايراد السؤال المتضمن للاشكال وهو التعارض الظاهر في المقال (ان هـذا) أي نسبة الانساء الى الله تعالى (منه صلى الله تعالى عليه وسلم على طريق الاستحباب ان يضيف الفعل الى خالقـه) وهو تعالى اذ لا خالق له سواه (والآخر) وهو نسبة النسيان الى نفسه (على طريق الجوار لاكتساب العبد فيه) أي بنوع تسبب وتقصير منه (واسقاطه عليه الصلاة والسلام) مبتدأ (لما أسقط من هذه الآيات) حق العبارة لبعض الآيات وهي التي أذكره اياها بعض الامة (جائز عليه)

يتوهم انه أهمل من القرآن شيأ حتى ضاع وصلح بفتح اللام وضمها والاول أفصح (وقد قيـل) في الجواب عما تعارض هنا (ان هذا) يعني نهيه صلى الله تعالى عليه وسلم عن ان يقول نسيت (منه صلى الله تعالى عليه وسلم على طريق الاستحباب) أي تعليما وارشادا لما هو مستحب والنهي ليس نهي تحريم بل للكراهة (ان يضيف الفعل الى خالقـه) عز وجل ولا يضيفه لنفسه فانه الفاعـل الحقيقي وغيره آلة وهذا على مذهب أهل السنة (والآخر) أي الحديث الآخر الذي أضيف فيه النسيان للعبد وقوله نسيت كذا ورد (على طريق الجواز) وخلاف الاولى من غير النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ومنه للتشريع فهو غير مكروه منه وجواز اضافته له (لاكتساب العبد فيـه) ضمنه معنى دخل أي لدخل العبد فيه باكتسابه فهو كالآلة والموجد الحقيقي هو الله عند الاشعري وأهل السنة خلافا للمعتزلة وبهذا جزم ابن بطال فقال انه بالنهي أراد ان يجري على ألسنة العباد نسبة الافعال لخالقها لما فيه من الاقرار بالعبودية والاستسلام للقدرة وهو أولى من نسبتها لمكتسبها مع انه جائز أيضا (واسقاطه صلى الله تعالى عليه وسلم لما أسقط من هذه الآيات) التي قال فيها أنسيت آية كذا وكذا (جائز عليه) سهوا (بعد بلاغ ما أمر ببلاغه وتوصيله الى عباده) أما في حال تبليغه الاول فلا يجوز سهوه فيه وبعده يجوز (ثم يستذكرها) صلى الله تعالى عليه وسلم (من أمته أو من قبل نفسه) لانه لا يقر على نسيانه (الا ما قضى الله نسخه ومحوه من القلوب) فينسيه الله له ولا ينبه عليه فيعلم بذلك انه نسخ لفظه وتلاوته سواء نسخ معناه أم لا (وترك استذكاره) بصيغة المصدر أو الفعل الماضي المجهول ولما فيه من البعد قال (وقد يجوز ان ينسى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ما هذا سبيله) من القرآن بما يراد نسخه (كره) أي حينا ما (ويجوز) أيضا (ان ينسيه منه) أي الله ينسيه من القرآن (قبـل البلاغ) لانه يجوز النسخ قبل البلاغ كفرض الصـلاة خمسين في ليلة المعراج وهذا منه (ما لا يغير نظما) أي نظم القرآن ترتيب كلماته متناسقة على مقتضاها (ولا يخلط حكما) بآخر كحل بحرمة (مما لا يدخل خللا في الخبر) حتى لا يدرى ما يراد به وهو بيان لقوله ما لا يغير الخ (ثم يذكره اياه) أي يذكر الله نبيه صلى الله عليه وسلم ما أنساه مما لا يغير ولا يخلط (ويستحيل دوام نسيانه له) لمنافاته للغرض المقصود منـه (لحفظ الله تعالى كتابه) لقوله تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون كما تقدم (وتكليفه بلاغه) مجرور معطوف على حفظ الله أي كلف الله رسوله صـلى الله تعالى عليه وسلم ان يبلغ كتابه من أرسل اليهم ودوام نسيانه ينافيه أشد المنافاة

(فصل في الرد على من أجاز عليهم الصغائر) أي على الانبياء صـلوات الله وسلامه عليهم أجمعـين (والكلام) بالجر عطف على الرد (على ما احتجوا به في ذلك) أي جواز الصغائر عليهم والصغيرة ما عـدا الكبيرة والكبيرة منهم من عينها بالعد ومنهم من عينها بالحد فقيل هي ما ورد فيه وعيد بنحو غضب الله ولعنته ودخول النار في كتاب أو سنة صحيحة وقيل ما فيه حد وعقوبة معينة والصغائر كالكبائر في توقف العفو عنها على مشيئة الله وكون اجتناب الكبائر مكفرا لها لا ينافي التوقف عليها وجوازها عليهم مطلقا وسهوا مشروط بان لا يكون مشعرة بخسة ورذالة منفرة للطباع (اعلم ان المجوزين للصغائر على

وليس من باب التقصير والسهو في التبليغ (بعد بلاغ ما أمر ببلاغه) أولا (وتوصيله الى عباده) كاملا (ثم يستذكرها) يروى يستدركها (من أمته) ثانيا (أو من قبل نفسه) استحضارا (الا ما قضى الله نسخه) أي رفعه (ومحوه من القلوب) أي من قلبه عليه الصلاة والسلام وقلب سائر الانام (وترك استذكاره) في بقيـة الايام فانه من أنواع نسخ الكلام (وقد يجوز ان ينسى النبي صـلى الله تعالى عليه وسلم) بصيغة المفعول أو الفاعل (ما هذا سبيله) أي المحو وبعـد البلاغ (كرة) أي بالمرة (ويجوز ان ينسيه منـه قبـل البلاغ ما لا يغير نظما ولا يخلط حكما مما لا يدخل خللا في الخـبر) أي في مبناه أو معناه (ثم يذكره اياه) كما يشير اليه قوله سبحانه وتعالى لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم ان علينا بيانه وحاصله بيان عصمته عن ان يقع له خطأ في قراءته عند تبليغ أمته (ويستحيل دوام نسيانه له لحفظ الله تعالى كتابه) بقوله انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون (وتكليفه) ويروى وتكفيله (بلاغه) بقوله يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك

(فصل) (في الرد على من أجاز عليهم الصغائر والكلام على ما احتجوا به في ذلك) أي ما استدلوا به من الظواهر هنالك (اعلم ان المجوزين للصغائر على

الانبياء من الفقهاء والمحدثين ومن شايعهم) أى تابعهم كما فى نسخة (على ذلك من المتكلمين كأبى جعفر الطبرى وغيره احتجوا على ذلك) أى على تجويزها عليهم (بظواهر كثيرة من القرآن) أى القديم (والحديث) أى السنة (ان التزموا ظواهرها) من غير ان يؤولوا أكثرها واتخذوها مذهبا

وطريقة (أفضت بهم) أوصلتهم (الى تجويز الكبائر) عليهم (وخرق الاجماع) أى والى مخالفتهم (ومالا يقول به مسلم) أى من تجويز الكبائر بعد البعثة عمدا فانه لا يقول به الا الحشوية (فكيف) يجوزون الصغائر عليهم (وكل ما احتجوا به مما اختلف المفسرون فى معناه) أى فى تأويل مبناه (وتقابلت الاحتمالات) أو الاحتمالان (فى مقتضاه) أى موجبه ومؤداه ومع وجود الاحتمال لا يصح الاستدلال (وجاءت أقاويل) جمع أقوال جمع قول أى أقوال كثيرة (فى هذا المبحث) وفى نسخة فيها أى فى هذه القضية (للسلف) الصالحين من الصحابة والتابعين (بخلاف ما التزموه) ان بعض الخلف (من ذلك) أى من تجويزها هنالك وفى نسخة فى ذلك (فاذا لم يكن مذهبهم اجماعا) أى بجميع المسلمين (وكان الخلاف فيما احتجوا به قديما) من أيام المتقدمين (وقامت الادلة) أى العقلية (على خطا قولهم وصحة غيره) أى غير مقالهم (وجب تركه) جواب اذا (والمصير الى ما صح) فقد دليله عقلا ونقلا على ان متابعة السلف أولى من موافقة الخلف (وها) تنبيه (نحن ناخذ) أى نشرع (فى النظر فيها) أى فى التأمل والتفكر فى الادلة وما يترتب عليها من حكم المسئلة (ان شاء الله تعالى فمن ذلك قوله تعالى لنبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر) أى ما صدر منه جائز او كان تركه أولى فغفر له بترك عتابه فى مقام خطابه

الانبياء) صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين (من الفقهاء والمحدثين ومن شايعهم) أى تابعهم ووافقهم على اعتقاد ذلك (من المتكلمين) أى علماء الكلام وهو العلم الباحث عن العقائد الدينية وسمى علم الكلام اما لان مسئلة الكلام من أجل مباحثه أو لكثرة دوران الكلام فيه بين السلف والمشايعة من الشيعة وهى فرقة من الناس تتبع غيرها وشيعة الرجل اتباعه وانصاره ولو واحدا وخص فى العرف بالمفضلين لعلى رضى الله عنه وهذه المسئلة من علم الكلام وذكرها فى كتب الفقه والحديث استطرادى وقيل انها من مسائل هذه الفنون بحيثيات متغايرة فالفقيه يبحث عنها من حيث انه يجوز اعتقادها أو يحرم أو يكره والمحدث من حيث انه هل صح رواية صدورها منهم أم لا والمتكلم من حيث اقامة الدليل على عصمتهم وامتناعها وعدمه وليس فى قوله شايعهم ما يخالفه وانما عبر به لانه ليس من كتابه المسائل الكلامية (احتجوا على ذلك) أى تجويزها عليهم (بظواهر كثيرة من القرآن والحديث) أقحم لفظ ظواهر اشارة الى انها ليست بحجة فى الباطن (ان التزموا ظواهرها) ان قالوا يلزم اعتقاد الظاهر منها (أفضت بهم) أى أوصلتهم (الى تجويز الكبائر) عليهم وأصل معنى الافضاء الادخال فى فضاء واسع ثم شاع فيما ذكر (وخرق الاجماع) أى مخالفة ما أجمع الناس عليه وهو من قولهم خرق المفازة اذا قطعها فاريد به لازمه وهو المجاوزة (ومالا يقول به مسلم) أى أفضت به الى رأى لم يقله أحد من المسلمين وهو تجويز الكبائر عليهم عمدا فانه لم يقله الا الحشوية وأما سهوا فجوزه بعضهم واختلفوا فى امتناعه هل هو سمعى أو عقلى كما تقدم (فكيف) استبعاد لتجويز الكبائر عليهم (وكل ما احتجوا به) من الظواهر (مما اختلف المفسرون فى معناه) هل يحمل على ظاهره أو يؤول (وتقابلت الاحتمالات) أى تخالفت وتعارضت الوجوه المحتملة (فى مقتضاه) أى مقتضى ما احتجوا به من تجويز وقوع ما اخرج به عن صلاحية الاحتجاج (وجاءت أقاويل) أى نقل وورد وجوه قالوا بها على خلاف ما التزموه واحتجوا به وأقاويل جمع أقوال جمع قول فهو جمع الجمع (فيها للسلف بخلاف ما التزموه من ذلك) الذى استدلوا به (فاذا لم يكن مذهبهم) فى تجويزها عليهم (اجماعا) أى مجمعا عليه لكثرة من خالفهم فيه (وكان الخلاف فيما احتجوا به قديما) لا حادثا بعد انعقاد الاجماع حتى يكون خلافا لا يعتد به (وقامت الدلائل على خطا قولهم) فى تجويزها عليهم (وصحة غيره) فى عدم الجواز (وجب تركه) جواب اذا (والمصير الى ما صح) من عدم التجويز (وها نحن ناخذ) أى نشرع لانها من أفعال المقاربة وها حرف تنبيه زائد على المبتدأ اذا كان الخبر اسم اشارة فان لم يكن كذلك جاء نادرا كما هنا (فى النظر فيها) أى فى أدلتهم التى احتجوا بظاهرها على تجويزها عليهم (ان شاء الله تعالى فمن ذلك) الذى احتجوا به على تجويزها عليهم (قوله تعالى لنبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر) وجه تمسك من جوز عليهم الصغائر بهذه الآية نسبة ذنب اليه مغفور ولم يسمه فالظاهر انه صغيرة واللام للتعليل والمعلل الفتح أى فتح مكة فى قوله انا فتحنا لك الى آخره أى يسرنا لك فتح مكة ونصرناك على عدوك لنجمع لك عز الدارين فى العاجل والآجل وتحقيقه فى التفاسير قال ابن عبد السلام رحمه الله تعالى لم يخبر الله أحدا من الانبياء عليهم الصلاة والسلام بالمغفرة ولذا قالوا فى الموقف نفسى نفسى اذهبوا الى محمد

فقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تاخر وهذا من خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم * قلت وفيه نكتة ادسوى المتقدم بالمتأخر ايماء الى أنه مثله فى عدم الوقوف واغماه وخلاف الاولى مما عده بالنسبة اليه ذنبا وسياتى تفصيله (وقوله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات) أعاد الجار اشارة لتغايرهما لان الاول ليس بذنب حقيقى كذا قيل ولم يقل ولذنب المؤمنين اشارة لكثرة ذنوبهم حتى كان دأبهم عنده الذنب ووجه الاستدلال مامر (و) مما استدلوا به أيضا (قوله ووضعنا عنك وزرك الذى أنقض ظهرك) الوضع الحط وهو بالعفو والوزر الحمل والثقل فاستعير للذنب استعارة مرشحة وأنقض بمعنى أثقل جعله نقضا وهو ما أتعب الجمل حتى نقض لحمه وقال الازهرى هو من نقيض الرحل وهو صوته لما وضع عليه والكلام عليه كالذى قبله (وقوله عفا الله عنك) كناية عن خطاه فى الاذن فان العفو من روادفه (لم أذنت لهم) بيان لما كنى عنه بالعفو ومعاتبة عليه والمعنى لاى شئ أذنت لهم فى القعود حين استاذنوك واعتلوا باكاذيب وهلا توقفت وذلك فى غزوة تبوك سنة تسع وقد استاذنه من تخلف عنه فاذن لهم لبعد المشقة وشدة الزمان ولذا اصرح صلى الله تعالى عليه وسلم بقصده ولم يورك كما مر فاذن لقوم منافقين اعتذروا له باعذار سمجة وهو على خلاف الاولى لا ذنب حقيقى بل قوله عفا الله عنك ملاطفة له ورعاية لخاطره وقدمه على ماصدر منه حتى لا يبدأه بما يوهم مؤاخذة ما ولذا حطوا على الزمخشرى فيما فسره به من قوله أخطات وبئس ما صنعت لما فيه من تفسيره بغير المراد منه من سوء الادب وخطابه بما لم يخاطبه به رب العزة وجعله كناية عن الجناية والجانى وقدم الكلام فى ذلك مبسوطا صدر الكتاب (و) لما استدلوا به أيضا (قوله لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم) وهذه نزلت فى غزوة بدر وقد أسر صلى الله عليه وسلم من قريش سبعين رجلا منهم العباس عمه صلى الله تعالى عليه وسلم وعقيل فاستشار صلى الله عليه وسلم أصحابه فى ذلك فقال أبو بكر يا رسول الله هؤلاء قومك لعل الله يهديهم بك خذ منهم فدية تتقوى بها وقال عمر اضرب رقابهم وأخذنا رهم فرضى رسول الله ما قال أبو بكر فنزل عليه قوله تعالى (ما كان لنبى أن يكون له اسرى حتى يثخن فى الارض الآية) فجلس رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يبكى وأبو بكر وقال عرض على عذابهم أدنى من هذه الشجرة والكتاب السابق ياتى بيانه ومنه ما قيل هو احلال الغنائم لهم دون الامم السابقة أو انه لا يعذبهم ورسول الله فيهم أو ما وعدهم به من مغفرة ذنوبهم وانه لا يعاقب المخطئ فى اجتهاده (وقوله عبس وتولى الآية) عبس أى قطب وجهه وتولى أعرض والاعمى هو ابن أم مكتوم رضى الله تعالى عنه مؤذنه صلى الله تعالى عليه وسلم واسمه عبد الله أو عمرو على ما ياتى واسم أبيه زائد على ما قاله بعضهم وهو ابن خال خديجة أم المؤمنين رضى الله تعالى عنها وسبب نزولها انه أتاه صلى الله تعالى عليه وسلم وعنده صناديد قريش الوليد بن المغيرة وعتبة وأمية ابن خلف وأبو جهل لعنهم الله وقال له ارشدنى وهو صلى الله تعالى

(وقوله تعالى واستغفر لذنبك) كتقصير فى العبادة أو رؤية الطاعة أو غفلة الساعة أو ملاحظة ماسواه فى مقام أن تعبد الله كانك تراه (وقوله تعالى ووضعنا عنك وزرك) أى ثقل اعباء الرسالة أو مرارة وعناء الكلفة (الذى أنقض ظهرك) أى كسره لولا انه سبحانه وتعالى هون عليه وسهل أمره لديه صلى الله تعالى عليه وسلم (وقوله تعالى عفا الله عنك) أى لو صدر ذنب منك (لم أذنت لهم) أى للمنافقين المتخلفين اعلاما بان أذن لهم كان من باب ترك الاولى كما بينه بقوله حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين ودليل ذلك انه سبحانه وتعالى فوض الاذن اليه فى مقامه هنالك حيث قال فاذا استاذنوك لبعض شانهم فاذن لمن شئت منهم (وقوله تعالى لولا كتاب من الله) أى حكم أزلى ظهر منه وهو (سبق) من أن الغنائم تحل لهذه الامة (لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم) فهذه قضية فرضية لا يتفرع عليها نهى مسئلة فرعية يترتب على تركها خصلة غير مرضية نعم ربما يقال كان الاولى انتظار الوحى الاعلى (وقوله تعالى عبس وتولى) أى كلح وجهه وتغير لونه (ان جاءه الاعمى) أى كراهة مجيئه فى غير محله اللائق به ثم عدم التفاته عليه الصلاة والسلام اليه لسؤاله منه قبل تمام الكلام من حضار مجلسه من الانام (الآية) أى الآيات بعدها مما وقع فيه المعاتبة على اقباله عليه الصلاة والسلام على عباد الاصنام طمعا أن يدخلوا فى الاسلام على اعراضه عمن جاءه ليستفيد منه بعض الاحكام لقوله وما يدريك لعله يزكى أو يذكر فتنفعه الذكرى أما من استغنى فانت له تصدى وما عليك الا يزكى وأما من جاءك يسعى وهو يخشى فانت عنه تلهى والاعمى هو عبد الله بن أم مكتوم العامرى شهد القادسية ومعه اللواء فقتل وقد هاجر الى المدينة وكان مؤذنه عليه الصلاة والسلام واستخلفه على المدينة ثلاث عشرة مرة وقيل مات بالمدينة

(وماقص الله تعالى) أى حكى وفى نسخة مانص أى صرح سبحانه (من قصص غيره) بفتح القاف أى حكاية غيره وفى نسخة بكسرها
أى حكايات غيره صلى الله تعالى عليه وسلم (من الانبياء) عليهم الصلاة والسلام (كقوله وعصى آدم) أى خالف (ربه) باكل الشجرة
نسيانا أو خطأ (فغوى) فضل عن المطلوب وزل عن المحبوب أو عن المنهى عنه أو عن طريق الرحمن حيث اغتر بقول الشيطان أو
خاب حيث طلب الخلد باكل الشجرة من حيث لم يوجد له الثمرة (وقوله تعالى فلما آتاهما) أى الله تعالى

أعطاهما (صالحا) أى
ولدا سويا (جعلا) أى
آدم وحواء (له) أى له
سبحانه وتعالى (شركاء)
وفى قراءة شركا حيث
سمياه عبد الحارث ولم
يدر باما الحارث وهو
اسم للشيطان وقد
وسوس لحواء حين
حملت بانه ما يدريك لعله
بهيمة أو كلب وانى من
الله بمنزلة فان دعوت الله
أن يجعله خلقا مثلك
فسميه عبد الحارث
وكان اسمه حارثا فى
الملكية (الآية) أى
فتعالى الله عما يشركون
وهذا ليس بشرك
حقيقى لانهما مااعتقدا
ان الحارث ربه بل قصدا
انه سبب صلاحه
فسماه الله شركا للتغليظ
فان الذنب من العارفين
المقربين أشد وأعظم
والله أعلم ويكون لفظ
شركاء من اطلاق الجمع
على الواحد أو يقال
انهما فعلا ذلك
اقتدى بهما بعض
الناس فيما هنالك فسموا أولادهم عبد شمس ونحوه كما
فى الجاهلية وكعبد النبى فى الاسلامية (وقوله تعالى) أى حكاية عن آدم وحواء عليهما السلام (ربنا ظلمنا أنفسنا) بوضع الشئ فى
غير موضعه الاولى (الآية) أى وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين أى الخائبين الضائعين فى الدنيا والاخرى اذ لا يستغنى
أحد عن مغفرة ربه لنوع تقصير فى حقه قال تعالى كلا لما يقض ما أمره (وقوله تعالى عن يونس) أى حكاية (سبحانك انى كنت
من الظالمين) أى ولو فى غفلة ساعة أو تقصير طاعة

فرفعه

عليه وسلم بحادثهم استمالة لهم فاعرض عنه صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يجبه لاشتغاله بهم رجاء استمالتهم للاسلام واستمالة من وراءهم قيل وهو باطل من قائله وجهل لان أمية والوليد كانا بمكة وماتا كافرين وابن أم مكتوم كان بالمدينة ولم يحضر معهم فالاولى أن لا يذكر هؤلاء ويقتصر على ابن أم مكتوم وقوم من كفار مكة وتبعه بعض الشراح وارتضاه وقد رده خاتمة المحدثين الشيخ محمد الشامى فى سيرته وقال انه كلام صدر من غير روية وتدبر فان ابن أم مكتوم خال خديجة كما ذكر واسلامه قديم وهو من المهاجرين الاولين هاجر قبل هجرة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل بعده وصحح الاول وسورة عبس مكية بلا خلاف وقد نقل ما ذكر عن جماعة من الصحابة والتابعين فاى مانع منه والعجب من صاحب الزهر اذ لم يناقش القرطبى ومن تبعه فى هذا وكان صلى الله تعالى عليه وسلم بعد ذلك اذا أتاه ابن أم مكتوم يبسط له رداءه ويقول له مرحبا بمن عاتبنى الله فيه ولذا كان صلى الله تعالى عليه وسلم استخلفه على المدينة مرارا لقدم هجرته ولاظهار توقيره وما قيل من ان ضمير عبس وتولى للكافر فى غاية الضعف كما يأتى وهذا مما استدلوا به على مدعاهم فى حق نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم (و) اما فى حق غيره فـ(ماقص) فى القرآن (من قصص غيره من الانبياء كقوله تعالى) فى حق آدم صلى الله تعالى عليه وسلم (وعصى آدم ربه فغوى) بفعل مخالفة ما حذره من أكل الشجرة ضلالا وغواية فهى ذنب صدر عنه ففيه دليل ظاهر لهم والقصة مع جوابها مشروحة فى التفاسير (وقوله تعالى) فى حق آدم مع حواء (فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما الآية) ضمير آتاهما لآدم عليه الصلاة والسلام وحواء المتقدم فى قوله الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها أى آتاهما ولدا صالحا سويا أشركا فيما آتاهما غير الله فسموا عبد العزى وعبد مناف وحكى الزجاج رحمه الله تعالى ان ابليس لعنه الله جاء لحواء فقال أتدرى ما فى بطنك قالت لا قال لعله بهيمة وان دعوت الله أن يجعله انسانا أفتسميه عبد الحارث وابليس لعنه الله اسمه عبد الحارث وقيل كان لا يعيش لها ولد فقال سميه عبد الحارث فسمته به فعاش وهذا من القاء الشيطان وقال ان الضمير لآل قصى من قريش وان القصة فى حقه لا فى حق آدم والكلام عليه فى التفاسير مشهور (وقوله قالا ربنا ظلمنا أنفسنا الآية) أى من الدلائل التى استدل بها من جواز الصغائر على الانبياء عليهم الصلاة والسلام ما حكاه الله فى الآية عن آدم عليه الصلاة والسلام وحواء من اعترافهما بصدور الذنب منهما واتصافهما بما كان سببا لخروجهما من الجنة وفيه دليل على انه يجوز المعاقبة على الصغائر وان لم تغفر خلافا للمعتزلة (و) مما استدلوا به أيضا (قوله تعالى فى قصة يونس عليه الصلاة والسلام سبحانك انى كنت من الظالمين) لما ذهب مغاضبا قومه اذ لم يطيعوه فاعترف بانه ارتكب ظلما ومعصية وما قصه الله تعالى من قصته فى قوله وذا النون اذ ذهب مغاضبا وكان قد ضاق صدره فى حمل اعباء النبوة والمغاضبة لقومه اذ لم يصبر ولم ينتظر توبتهم فخرج من حينه وأظلهم العذاب الذى أخبرهم به فتضرعوا الى الله تعالى وتابوا

(وماذكره من قصة) أي يونس كما سبق (وقصة داود) كما سيأتي (وقوله تعالى وظن داود أنما فتناه) أي ابتليناه (فاستغفر ربه وخر راكعا) أي سقط حال كونه راكعا إلى السجدة شكرا للمغفرة أو عذرا للتقصير في الغفلة (وأناب) أي رجع من الغفلة إلى الحضرة فإن الإنابة أخص من التوبة فإنها من المعصية (إلى قوله مآب) حيث جبر خاطره بقوله فغفرنا له ذلك ما كان في صورة الذنب هنالك وإن له عندنا لزلفى لقربة في الباب وحسن مآب مرجع إلى الجناب (وقوله تعالى ولقد همت به) أي هم الشهوة (وهم بها) أي هم الخطرة (وما قص من قصته مع إخوته) فيوسف ثابت نسبة نبوته ومنزه ساحته ببراءته وأما ما سبق من أمور إخوته فسيأتي بعض أجوبته (وقوله تعالى عن موسى فوكزه موسى) أي ضربه بجمع كفه دفعا له عن ظلمه من غير قصد لقتله (فقضى عليه) أي مات لديه (قال هذا من عمل الشيطان) نسبه إليه لأنه لم يكن أمر بضربه نزل عليه على أن الصحيح أنه كان قبل النبوة (وقول النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في دعائه اللهم اغفر لي ما قدمت) أي من التقصير في العبودية (وما أخرت) أي الطاعة عن الأوقات الأولوية (وما أسررت) من الخواطر النفسانية (وما أعلنت) أي من العوارض الإنسانية (ونحوه من أدعيته عليه الصلاة والسلام) من إظهار التواضع والخضوع والخشوع والمسكنة وبيان المهابة والخشية تعليما للأمة وتكميلا للمرتبة ورفعة للدرجة (وذكر الأنبياء) بالرفع أي وذكر الله تعالى الأنبياء أو بالجر أي ومن ذكر الأنبياء (في الموقف) أي القيامة (ذنوبهم) خوفا من ربهم (في حديث الشفاعة) لمشاهدة الأهوال ومطالعة الأحوال الدالة على كمال غضب ذي الجلال والكبرياء فعدوا تقصيراتهم سيئات توخاه وأعلوها من التبعات

فرفعه الله تعالى عنهم ويونس عليه الصلاة والسلام لم يعلم برفعه عنهم وكان حقه أن لا يذهب إلا بإذن يجدد من الله تعالى عز وجل (و) هذا (ماذكره من قصته و) ماذكره من (قصة داود) عليه الصلاة والسلام (وقوله وظن داود أنما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب الآية) وذلك أنه رأى ما قصه الله من فضائل الأنبياء قبله فسأل ربه ذلك فقال إنهم ابتلوا فصبروا فقال إن ابتليت صبرت فتمثل الشيطان له في صورة حمامة من ذهب عجيبة وكان صلى الله تعالى عليه وسلم في محرابه متخليا بصلاته فأراد أخذها فطارت فذهب خلفها وتبعها حتى أشرف على دار فيها امرأة تغتسل لم ير مثلها فافتتن بها وسأل عنها فإذا هي امرأة أوريا وكان أرسله مع عسكر له فأرسل يقول لرئيسهم ويعلمه أن يقدمه في الحرب وكان سيفا من سيوف الله تعالى فاستشهد وتزوج داود عليه الصلاة والسلام امرأته فأرسل الله تعالى له ملكين في صورة خصمين كما قصه الله تعالى في كتابه وعاتبه عليها وهذا ما عده ذنبا نظرا لظاهر الحال فتاب منه ولم يزل يبكي على ما صدر منه حتى نبت العشب من دموعه (و) من أدلتهم (قوله تعالى) في حق يوسف عليه الصلاة والسلام (ولقد همت به وهم بها وما قص) بالبناء للمعلوم أو المجهول (من قصته) أي يوسف (مع إخوته) وهم أنبياء أيضا على اختلاف سيأتي بيانه وقصته معروفة والشاهد في قوله وهم بها بناء على ما اشتهر من أنه جلس مجلس العاجز وأراد ما يريده أهل الأهواء أو فيه مبالغة وأمور يذكرها عنه القصاص وهو صلى الله تعالى عليه وسلم بريء منها وإنما يتوهم ما يتوهم إن لم يجعل هم بها جواب لولا بحسب المعنى والأولى أن لا يتوهم شيء من ذلك فإن دليل الجواب جواب معنى فيقتضي أنه لم يصدر منه فضلا عما هو أعظم منه مع أن هم النفس له مراتب منها ما هو مقتضى الجبلة البشرية ومثله معفو مغفور (و) من أدلتهم أيضا (قوله تعالى) حكاية (عن موسى) صلى الله عليه وسلم (فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان) ضمير وكزه للقبطي الذي وجده موسى عليه الصلاة والسلام يخاصم رجلا من بني إسرائيل وكان دخل مختفيا نصف النهار فوجد قبطيا من جند فرعون يسخر بعض بني إسرائيل لحمل حطب ونحوه وكان موسى عليه الصلاة والسلام جسيما ذا قوة شديدة فدفعه عنه وضربه فقتله فقال رب إني ظلمت نفسي فهذا اعتراف بصدور ذنب منه وهو المراد هنا ومعنى وكزه ضربه بجمع كفه وقيل ضربه في صدره وقيل دفعه وقوله من عمل الشيطان أي هو شر من جنس أعمالهم ثم ذكر بعض ما استدلوا به من الحديث فقال (وقول النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في دعائه) المأثور عنه (اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت) وهو من دعاء طويل رواه الشيخان كان يقوله صلى الله تعالى عليه وسلم إذا قام يتهجد وطلب المغفرة من الذنوب المذكورة يدل على صدورها منه في الجملة وهو مدعاهم (ونحوه من أدعيته) صلى الله تعالى عليه وسلم المأثورة وقد أفردت بالتأليف كالحصن الحصين وغيره (و) مما استدلوا به أيضا (ذكر الأنبياء) عليهم الصلاة والسلام (في الموقف) يوم القيامة (ذنوبهم في حديث) طلب الناس منهم (الشفاعة) واستغاثتهم بهم من هوله وطوله وحديث الشفاعة مشهور وطويل رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه فلا نطول به ومحل الشاهد فيه أن الناس إذا اشتد عليهم هول الموقف وكربه قالوا اذهب للرسل فيشفعون لنا في الخلاص

(وقوله انه) أي الشأن (ليغان على قلبي) أي فيحجب عن ربي (فاستغفر الله تعالى) من ذنبي على ما تقدم (وفي حديث أبي هريرة اني لاستغفر الله) أي لاطلب مغفرة الذنوب وستر العيوب (واتوب اليه) أي ارجع عن ملاحظة اسرار الخلق الى مطالعة أنوار الحق (في اليوم الواحد أكثر من سبعين مرة) لانه عليه الصلاة والسلام كان بوصف الكائن البائن القريب الغريب العرشي الفرشي (وقوله تعالى عن نوح والا تغفر لي وترحمني الآية) أكن من الخاسرين ومن الذي يستغني عن مغفرة الله تعالى ورحمته ولو كان في أعلى مراتب نبوته ومناقب رسالته (قد كان) أي نوح قبل ذلك (قال الله ولا تخاطبني في الذين ظلموا) أي كفروا (انهم مغرقون) وقد خاطبه نوح في ابنه فعاتبه ربه في أمره (وقال عن ابراهيم والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي) أي خطائي أو ما كان من عمد في صورة ذنب لي (يوم الدين) أي الجزاء وفصل القضاء (وقوله عن موسى تبت اليك) أي رجعت عن سؤال بعد ما اظهرت لك حالي وطابت منك ما لي من منالي (وقوله ولقد فتنا سليمان) أي ابتليناه بالجاه الدنيوي أولا والقينا على كرسيه جسدا ثانيا (الى ما أشبه هذه الظواهر) مع أمثاله من الآيات والروايات (قال القاضي رحمه الله تعالى) يعني المصنف (فاما احتجاجهم) أي استدلال و)
المجوزين للصغائر على الانبياء (بقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر فهذا) الكلام المكنون (قد اختلف فيه المفسرون) أي في تدقيق مبناه وتحقيق معناه (فقيل المراد ما كان قبل النبوة وبعدها) من الحالة المجملة المحتملة فلا يكون فيه دليل على المسئلة (وقيل المراد ما وقع لك من ذنب) سابقا

فيذهبون اليهم فردا فردا وكل يقول لست لها لي ذنب عظيم أخاف منه ودلالته على ما ادعوه غنية عن البيان (و) مما استدلوا به أيضا (قوله صلى الله تعالى عليه وسلم) في الحديث الذي تقدم شرحه (انه ليغان على قلبي فاستغفر الله وفي حديث أبي هريرة) رضي الله تعالى عنه (اني لاستغفر الله واتوب اليه في اليوم أكثر من سبعين مرة) وروى مائة مرة قال السبعين ليست على ظاهرها والمراد بها التكثير وهي فيه كثير حتى قال بعضهم سبع لك الاجر أي كثره فهذا يدل على انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يصدر منه بعض الذنوب والا لم يكن لاستغفاره وجه (وقوله تعالى) حكاية (عن نوح عليه الصلاة والسلام والا تغفر لي وترحمني الآية) فطلبه المغفرة يقتضي سبق ذنب منه فهو حجة لمن جوز عليهم الصغائر وذلك ان الله تعالى نهاه عن أن يشفع في أحد من أهله غير من اذن له في دخول السفينة معه فقال له الله تعالى عز وجل ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون أي قضى الله تعالى بذلك عليهم فشفع في ابنه كنعان وهو ممن قضى بهلاكه ظنا منه انه داخل في أهله فلما قيل له انه ليس من أهلك ندم على عدم استفصاله واستغفر لتركه الاولى لا الذنب ارتكبه واليه أشار بقوله (وقد كان قال الله عز وجل له ولا تخاطبني) أي لا تدع ولا تشفع (في الذين ظلموا) أي كفروا ان الشرك لظلم عظيم (انهم مغرقون) أي لانهم قضى عليهم وحكم بهلاكهم لكفرهم الذي قطع رحمهم وقرابتهم (و) من أدلتهم أيضا انه تعالى (قال) حاكيا (عن ابراهيم) عليه الصلاة والسلام (والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين) يعني يوم القيامة يوم الجزاء فهذا يقتضي صدور ذنب منه وهو ما تقدم من قوله فعله كبيرهم وما معه مما تقدم هو والجواب عنه (وقوله تعالى) حكاية (عن موسى) عليه الصلاة والسلام (اني تبت اليك) قاله بعد ما طلب الرؤية من الله تعالى عيانا فلما تجلى له ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا فلما أفاق قال سبحانك تبت اليك وليس هذا بذنب ولكنه ساله بعد ما قال له لن تراني ولو ترك ذلك كان أولى والكلام على الرؤية وجوازها مفصل في علم الكلام وكذا هذه الآية (و) مما استدلوا به أيضا على جواز الصغائر عليهم (قوله تعالى ولقد فتنا سليمان) الى قوله ثم أناب أي تاب فانه يقتضي صدور ذنب منه وكان الله فتنه أي ابتلاه بامر اختلفوا فيه فقيل انه احتجب عن الناس فعاتبه الله تعالى على ذلك وقيل انه سبا بنت ملك في غاية الجمال تسمى جرادة فاحبها وكان عندها صنم تعبده خفية فاطلع عليه فاحرقه وقد ذكروا في قصته أمورا لا تليق بمقام الانبياء عليهم الصلاة والسلام (الى ما أشبه هذه الظواهر) أي ما ذكرته من الامور التي يدل ظاهرها على ما قالوه وله اشباه ونظائر كثيرة تركت ثم شرع في سرد الجواب عما ذكره من أدلة المجوزين للصغائر عليهم فقال (قال القاضي) عياض المصنف رحمه الله في الجواب عما قالوه وتمسكوا بظاهره قبل تحقيق النظر فيه (فاما احتجاجهم) لتجويز الصغائر عليهم (بقوله ليغفر لك الله ما تقدم) الى آخره (فهذا قد اختلف المفسرون فيه) وفي تأويله (فقيل المراد) بما تقدم (ما كان قبل النبوة و) بما تأخر (ما بعدها) أي بعد النبوة وهو عبارة كني بها عن انه لم يصدر منه ذنب لانه لا تكليف قبل النبوة أصلا والعقل لا يستقل بذلك وقوله ما بعدها ذكر للتعميم كقولك اعط من تراه ومن لم تره (وقيل) معنى ما تقدم (ما وقع لك من ذنب

(ومالم يقع) لاحقا (أعلمه الله انه مغفور له) حقا (وقيل المتقدم ما كان قبل النبوة والمتأخر عصمتك بعدها) والمعنى ليغفر لك الله ما تقدم بمحو السيئة وما تأخر ببركة حراسة العصمة (حكاه أحمد بن نصر وقيل المراد بذلك) أى بخطابه لك ومن ذنبك (أمته عليه الصلاة والسلام) على حذف مضاف (وقيل المراد ما كان عن سهو وغفلة وتأويل) وقع فيه زلة وهذا أحسن ما قيل فى هذه المسئلة (حكاه الطبرى) وهو محمد بن جرير (واختاره القشيرى) وهو عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك امام الشريعة

و) معنى ما تأخر (مالم يقع أعلمه) بما حاصله (انه مغفور له) غير مؤاخذ به لو وقع منه لكنه لم يقع منه ذنب كغيره وانما يصدر عنه نادرا خلاف الاولى (وقيل المتقدم) معنى ما تقدم (ما كان قبل النبوة) مما لا يؤاخذ به لانه لا شريعة يلتزم أحكامها (و) المراد با(لمتأخر عصمتك بعدها) فمغفرته تجوز بها عن العصمة ووجه الشبه بينهما عدم اعتبار الذنب فيهما فان قال ليس هذا من مقتضيات اللفظ مع انه معلوم قبل النبوة لم يفهم مراده (حكاه) أى هذا الوجه (أحمد بن نصر) الخزاعى الزاهد الشهيد قتله الواثق فى محنة خلق القرآن سنة احدى وثلاثين ومائتين (وقيل المراد بذلك) المذكور من المغفرة (أمته) أى يغفر الله لامتك ما صدر ويصدر منها فالمراد بخطابه خطاب أمته فاضافة الذنب له صلى الله تعالى عليه وسلم لادنى ملابسة لانه يسوءه ما يسوءهم وهو الشفيع لهم والمراد ان رحمة الله لهذه الامة أكثر فلا يرد عليه ان مغفرة ما تأخر له شروط كان لا يكون حق عبد ونحوه (وقيل المراد) بما تقدم (ما وقع) منه صلى الله تعالى عليه وسلم (عن سهو وغفلة و) المراد بما تأخر ما كان صادرا عن (تأويل) أى بيان لمعنى يحتمله النص فيحمل عليه باجتهاد منه ثم تبين له ان الصواب أو الاولى غيره لان التأويل بيان ما يؤول اليه فيناسب ما تأخر فلا يرد عليه شئ والمراد انه لم يتم له الاستدلال بالآية (حكاه الطبرى) محمد بن جرير كما تقدم (واختاره القشيرى) عبد الكريم شيخ الصوفية وغيره كما تقدم فى ترجمته (وقيل المراد بما تقدم (ما تقدم لابيك آدم) عليه الصلاة والسلام (و) المراد (بما تأخر من ذنوب أمتك) فاللام للتعليل أى غفر لاجلك ذنوب أبيك آدم لما توسل بك الى الله ويغفر لامتك لانك رحمة لهم (حكاه السمرقندى) وقد مر ترجمته (والسلمى) بضم السين المهملة وفتح اللام وهو الامام أبو عبد الرحمن الصوفى كما تقدم (عن ابن عطاء) شيخ الطريقة كما تقدم وهو مما لا يقال بالرأى وقد نقله مثله هؤلاء وان كان خلاف الظاهر (وبمثله) أى بمثل هذا التأويل (والذى قبله يتأول قوله) تعالى خطابا لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم (واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات) فيقال المراد استغفر لذنب أبيك آدم ولذنوب أمتك أو استغفر عما صدر منك سهوا وغفلة أو بتأويل منك وهذا لقوله لذنبك فقط لا لقوله وللمؤمنين والمؤمنات (قال مكى) تقدمت ترجمته (مخاطبة النبى) أى خطاب الله للنبى (صلى الله عليه وسلم ههنا هى مخاطبته لامته) أى فى قوله ليغفر لك وانما وجه له صلى الله عليه وسلم لتمكنه لكونه بالطريق الاولى والأخرى (وقيل ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لما أمر ان يقول) ما كنت بدعا من الرسل (وما أدرى ما يفعل بى ولا بكم) وهو بتقدير قل فلذا قال أمر (سر بذلك الكفار) أى فرحوا وقالوا واللات والعزى ما أمرنا وأمر محمد عند الله الا واحد وماله علينا مزية ولولا انه ابتدع ما يقول من ذات نفسه لاخبره الذى بعثه بما يفعل به (فأنزل الله) تعالى ردا عليهم (ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر الآية) فقال الصحابة رضى الله تعالى عنهم هنيئا لك يارسول الله قد علمنا ما يفعل الله بك فما يفعل بنا فأنزل الله تعالى (و) أخبر (بما للمؤمنين) أى بما يؤول اليه أمرهم فى الآخرة (فى الآية الأخرى بعدها) أى ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات الآية فأنزل الله وبشر المؤمنين بان

والحقيقة وصاحب الرسالة فى الطريقة (وقيل ما تقدم لابيك آدم وما تأخر من ذنوب أمتك) على ان الاضافة لادنى الملابسة ولك معناه لاجلك (حكاه السمرقندى) وهو الفقيه الامام أبو الليث من أكابر الحنفية (والسلمى) بضم السين وفتح اللام هو أبو عبد الرحمن الصوفى صاحب طبقات الصوفية ومؤلف التفسير فى التصوف (عن ابن عطاء وبمثله والذى قبله) أى وبمثل هذا التأويل والتأويل الذى تقدم قبله (يتأول قوله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات قال مكى مخاطبة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ههنا هى مخاطبة لامته) لادنى الملابسة فى اضافته أو بحذف مضاف عن مرتبته (وقيل ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لما امر ان يقول وما أدرى ما يفعل بى ولا بكم) أى تفصيلا لحالى وحالكم (سر) بضم السين وتشديد الراء أى فرح (بذلك الكفار فأنزل الله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر الآية) أى ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما وينصرك الله نصرا عزيزا (وبما للمؤمنين) وفى نسخة وبمآل المؤمنين بهمزة ممدودة قبل اللام أى بما يؤولون اليه (فى الآية الأخرى بعدها) أى بعد الآية الاولى

(قاله ابن عباس رضي الله تعالى عنه) فالآية الأولى قوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك والآية الأخرى التي أشار اليها هي قوله تعالى ليدخل المؤمنين والمؤمنات الى آخرها وهما على هذا التأويل جواب لقوله وما أدري ما يفعل بي ولا بكم وذلك لما نزلت وما أدري ما يفعل بي ولا بكم فرح المشركون وقالوا واللات والعزى ما أمرنا وأمر محمد عند الله الا واحد وماله علينا مزية زائدة ولولا انه ابتدع ما يقوله من تلقاء نفسه لأخبره الذي بعثه بما يفعل به فأنزل الله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك الآية فقالت الصحابة هنيئا لك يا رسول الله قد علمنا ما يفعل الله بك فماذا يفعل بنا فأنزل الله تعالى ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات الآيات (فقصد الآية) بكسر الصاد أي مرادها (انك مغفور لك غير مؤاخذ بذنب ان لو كان) أي حقيقة أو حكما (قال بعضهم المغفرة ههنا) أي في هذه الآية (تبرئة من العيوب) وتنزيه من الذنوب لأن أصلها الستر فهو كالعصمة في معنى الستر من الحجاب والمنع عن الوزر (واما قوله ووضعنا عنك وزرك الذي أنقض ظهرك فقيل ما سلف من ذنبك قبل النبوة قاله ابن زيد) أي ابن أسلم (والحسن) أي البصري (ومعنى قول قتادة) أي ابن دعامة (وقيل معناه انه حفظ قبل نبوته منها) أي من الذنوب (وعصم) بصيغة المجهول فيهما (ولولا ذلك) أي ما ذكر من الحفظ والعصمة (لأثقلت ظهرك) وفي نسخة ظهره (وطلب حكى معناه السمرقندي) أي أبو الليث (وقيل المراد بذلك ما) أي الذي (أثقل ظهره من اعباء الرسالة) بفتح الهمزة أي أثقالها وتحمل احمالها وتصبر أحوالها (حتى بلغها) الى أهلها (حكاه الماوردي والسلمي وقيل أراد (حططنا) أي وضعنا أو رفعنا (عنك ثقل أيام الجاهلية) أي أثقال آثامهم ومشاهدة أعلامهم المنكرة في الشرائع الاسلامية (حكاه مكي وقيل ثقل شغل سرك) أي خاطرك (وحيرتك) أي تحيرك في باطنك وظاهرك

لهم من الله فضلا كبيرا فبين ما يفعل الله به صلى الله تعالى عليه وسلم وبهم وهذا قول قتادة والحسن وغيرهما وعزاه المصنف رحمه الله تعالى لابن عباس بقوله (قاله ابن عباس) رضي الله تعالى عنهما وانما قاله صلى الله تعالى عليه وسلم أولا قبل ان يعلمه الله بعصمته وعموم مغفرته وهو في عام الحديبية ثم بين محصل جوابه عن استدلالهم (فقصد الآية) أي محصل ما قصد بها (انك مغفور لك غير مؤاخذ) بالهمزة المفتوحة أو الواو المبدلة منها وفتح الخاء المعجمة اسم مفعول (بذنب ان لو كان) أي وجد فهي تامة وان بفتح فسكون زائدة ومثله كثير فهو أمر جاء على طريق الفرض تطمينا له صلى الله تعالى عليه وسلم فلا يقوم بها حجة لتجويز الذنوب عليهم وقريب منه ما (قال بعضهم) المراد بما ذكر من (المغفرة ههنا) أي في آية ليغفر لك الله ونحوه (تبرئة من العيوب) بموحدة بعد التاء الفوقية وراء مهملة قبل الهمزة ولو قرئ بنون وزاي معجمة وياء تحتية ساكنة قبلها جاز والمعنى والرسم متقارب بمعنى لا دليل فيها لهم لانه قد قيل ان المراد منها تنزيه الله له وتبعيده من العيوب أي الذنوب أو ما يؤدي لها فالمغفرة كناية أو مجاز عما ذكر (واما) الجواب عما تقدم من استدلالهم بالآية المتقدمة وهي (قوله تعالى ووضعنا عنك وزرك الذي أنقض ظهرك) كما تقدم (فقيل) معناه (ما سلف) وتقدم (من ذنبك قبل النبوة) أي مما هو في صورة تفريط وان لم يكن ذنبا لانه لم يكن قبل النبوة شرع مخالفته معصية وقد عصمه الله تعالى عما كان عليه الجاهلية من العقائد ونحوها من الديانات (وهو قول ابن زيد) هو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم المفسر الزاهد المتقي المتقن توفي سنة اثنين وثمانين ومائة (والحسن) البصري رحمه الله تعالى وقد تقدمت ترجمته (و) هو أيضا (معنى قول قتادة) أي معنى ما نقله عنه المفسرون في تفسير هذه الآية من انه صدر منه بعض أمور قبل النبوة وان لم يكن ذنبا حقيقة (وقيل معناه) أي معنى وضع وزره عنه (انه حفظ قبل نبوته منها وعصم) أي حفظه الله تعالى عن الاتصاف به رأسا وابتداء وهو وجه حسن يتحمله اللفظ بلا تكلف (ولولا ذلك) أي رفعنا عنه (لأثقلت ظهرك) وفي نسخة ظهره والظاهر انه حقيقة ويجوز ان يكون استعارة كما قدمناه وفيه على هذا تقدير أي لولا انا حفظناك عنها أثقلت ظهرك وهدت قواك (حكى معناه السمرقندي) في تفسيره (وقيل) في تفسيرها مما لا يبقى فيها حجة لهؤلاء (المراد بذلك) المذكور من وضع الوزر الى آخره (ما أثقل ظهره) أي أتعبه وأعياه (من اعباء الرسالة) جمع عبء كحمل لفظا ومعنى كما تقدم (حتى بلغها) غاية لثقل المتحمل حتى يبلغه ويؤدي أمانته فانه ما عليه الا البلاغ (حكاه) أبو الحسن (الماوردي) الشافعي وتقدم بيانه (والسلمي وقيل معناه (حططنا عنك ثقل أيام الجاهلية حكاه مكي) لان أيام الجاهلية كانت خالية عن الدين والامن أيام هرج ومرج فلما بعثه الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالدين القويم سلم هو ومن تبعه وشرح الله تعالى صدورهم بالاسلام وصفاهم من الآثام فخفت ظهورهم وسددت أمورهم (وقيل معناه (ثقل شغل سرك) أي قلبه أو خواطر قلبه (وحيرتك) أي تحيرك في ابتداء أمرك

(وطلب شريعتك) أى طلبك من الله شريعة تعمل بها (حتى شرعنا ذلك لك) بما أوحاه فاطمأن قلبه وذهبت حيرته (حكى معناه القشيرى) فى تفسيره (وقيل معناه) أى معنى وضعنا عنك وزرك الذى أنقض ظهرك (خففنا عنك ماحملت) أى كلفت حمل اثقاله من دعوة الخلق وتبليغ امانة الرسالة التى لم تطلق حملها الجبال (بحفظنا لما استحفظت) يقال استحفظه اذا استرعاه واعطاه امانة أى نحن حفظنا ما أمرناك بحفظه (لحفظ) بحفظه (عليك) مما عسر عليك القيام به وجعلناك جلدا وصبرا صبيرا أثقاله خفيفة عليك (و) لما ورد حينئذ انه اذا خففها عنه لم يكن انقض ظهره أشار لدفعه بقوله و (معنى انقض ظهره) على هذا (أى كاد) أى قرب من انه (ينقضه) أى يعييه ويثقله ولم ينقضه بالفعل ويجوز على هذا ابقاؤه على ظاهره وان انقاضه بالفعل لكنه خفف عنه أى خففنا عنك ماكان انقض وهو راجع لما قاله المصنف رحمه الله تعالى لاوجه آخر كما قيل ثم بين وجه دفع ماذكره لما تمسكوا به تفصيلا فقال (فيكون المعنى) أى معنى وضعنا عنك الى آخره (على) قول (من جعل ذلك) الوضع مصروفا (لما قبل النبوة اهتمام النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) وهو خبر يكون (بامور فعلها قبل نبوته) ونزول وحى فيها أى اعتناؤه ببيان الله لحكمها حتى لا يكون عنده هم وغم ولكنها (حرمت عليه بعد النبوة) ولم يكن مكلفا بها قبلها (فعدها أوزارا) بعدما حرمت عليه وخشى المؤاخذة بها قبل ذلك فاطلاق الوزر عليها باعتبار ما بعد النبوة والتشريع (وثقلت عليه وأشفق) أى خاف (منها) ومن المؤاخذة بها لشدة مراقبته لله وخشيته له فمعنى وضعها على هذا بيان انه غير مؤاخذ بها وانها لم تكن وزرا عليه يخافه (أو يكون الوضع عصمة الله له وكفايته من ذنوب لو كانت) أى لو وجدت وصدرت عنه (لانقضت ظهره) فهو أمر على سبيل الفرض والتقدير لا التحقيق والتقرير كما توهمه ولا يبعده قوله انقض مع هذا كما قيل والوزر مجاز بمعنى الذنب وعلى ما قبله بمعنى الثقل كما فى قوله (أو يكون من ثقل) أمور (الرسالة) عليه وما فى تبليغها من المشقة بجعل المعقول كالمحسوس (أو) معنى الوزر (ما ثقل عليه) وشق (وشغل قلبه من أمور الجاهلية) كما نقله آنفا عن مكى رحمه الله تعالى (واعلام الله تعالى له بحفظ ما استحفظه من وحيه) واسترعاه عليه من امانته كما تقدم ثم أخذ فى دفع شبهة أخرى تمسك بها المجوزون للصغائر فقال (واما قوله عفا الله عنك لم أذنت لهم) فى التخلف عنه فالعفو كالمغفرة يقتضى ثبوت ذنب كما قالوه وليس كذلك (ف) ان ماذكر (أمر لم يتقدم للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم من الله فيه نهى فيعده) أى يجعله ويعتقده (معصية) منه بمخالفة مانهى عنه (ولا عده) وصيره (الله عليه معصية) يستحق اللوم عليها (بل لم يعده أهل العلم) أى احدهم (معاتبة) بفعل خلاف الاولى مما ليس بمعصية (وغلطوا من ذهب الى ذلك) أى عدوا قول من قال من المفسرين غلطا وهو قول منقول عن قتادة وعتب الله على نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم فى بعض مالا يليق وان جاز كما فى قصة ابن أم مكتوم وقوله مرحبا بمن عاتبنى الله فيه ليس بمراد هنا وان كان لامحذور فيه فلا اعتراض على المصنف رحمه الله تعالى كما قيل (قال نفطويه) تقدم الكلام عليه وعلى ضبط اسمه ومعناه (وقد حاشاه الله تعالى) أى برأه الله تعالى ونزهه وأصل معناه جعله الله فى حشا أى جانب (من ذلك) أى فعل ما يستحق عليه العتاب

(وطلب شريعتك) وفق طريقتك (حتى شرعنا ذلك لك) بحسب حقيقة ما هنالك (حكى معناه القشيرى) أى فى تفسيره (وقيل معناه) وفى نسخة المعنى (خففنا) بالتشديد (عليك) وفى نسخة عنك (ماحملت) بضم مهملة فتشديد ميم مكسورة أى كلفت حمله (بحفظنا) أى لك (لما) بكسر اللام وتخفيف الميم أو بالفتح والتشديد (استحفظت) بصيغة المجهول أى استرعيت (وحفظ عليك) أى أمرك لديك (ومعنى انقض أى كاد ينقضه) أى قارب ولم ينقض فهو من باب مجاز المشارفة (فيكون المعنى) أى معنى الانقاض (على من جعل ذلك) أى عند من جعل ذلك الوزر (لما قبل النبوة اهتمام النبى صلى الله عليه وسلم بامور فعلها قبل نبوته وحرمت عليه بعد النبوة فعدها) أى تلك الامور (أوزارا ثقلت عليه) ويروى وثقلت واثقلت (وأشفق منها) أى خاف من غاية خشيته من الله وتصور عظمته (أو يكون الوضع عصمة الله له وكفايته) أى حمايته (من ذنوب لو كانت) أى فرضا وتقديرا (لانقضت ظهره) وأشغلت فكره وشتتت أمره (أو يكون) أى الوضع (من ثقل الرسالة) أى باداثها الى الامة وخلاصه عن الكفالة (أو ما ثقل عليه) أى أمره (وشغل قلبه من أمور الجاهلية واعلام الله تعالى بحفظ ما استحفظه من وحيه وأما قوله عفا الله عنك لما أذنت لهم فامر لم يتقدم للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم فيه من الله تعالى نهى فيعد) بالنصب أى حتى يعد مخالفته (سيئة ولا عده الله تعالى عليه معصية) حيث اذن له بقوله فاذن لمن شئت منهم (بل لم يعده) بفتح الدال المشددة وضمها (أهل العلم معاتبة) على انه فعل خلاف الاولى كما هو ظاهر قوله تعالى حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين (وغلطوا) بتشديد اللام وبالطاء المهملة أى ونسبوا الى الغلط فى معنى الآية (من ذهب الى ذلك) أى على خلاف ما هنالك (قال نفطويه) بكسر نون وسكون فاء وفتح مهملة وواو مفتوحة وتحتية ساكنة وهاء مكسورة (وقد حاشاه الله) أى نزهه (من ذلك) العتاب

فضلا عن ان يجاز به بمعصية ارتكبها (بل كان مخيرا) أى خيره الله تعالى (فى أمرين) وهما انه ان شاء أذن لهم فى التخلف وان شاء لم يأذن قط (قالوا) أى العلماء من السلف (وقد كان له) صلى الله تعالى عليه وسلم كما علم من تتبع أحواله (ان يفعل ماشاء) مما يرى انه مناسب لانه أذن له فى الاجتهاد كما تقرر فى الاصول (فيما لم ينزل عليه فيه شئ) من وحى يبين حكمه (فكيف) انكار لانه معاتب وان لم يخير فى أمور شتى منها مانحن فيه ولا يمكن انكاره (وقد قال الله تعالى له) فى هذه القصة (فاذن لمن شئت منهم) وهذا الامر وتعلقه بالمشيئة صريح فى انه صلى الله تعالى عليه وسلم مخير (فلما أذن لهم) كما أمره الله تعالى (أعلمه الله بما لم يطلع عليه من سرهم) أى مما خفى عليه من أمرهم أو بما أسروه واستتر من ضمائرهم وهو (انه لو لم يأذن لهم) فى القعود والتخلف عنه (لقعدوا) لجزمهم بالقعود ولو أمروا بخلافه (و) اعلمه بما أوحاه اليه فى هذه الآية من (انه لا حرج) لا وزر ولا اثم (عليه فيما فعل) من الاذن لهم كما توهم من ظاهر قوله عفا لانها اشتهرت بمعنى غفر الذنب وأشار الى ذلك بقوله (وليس عفا ههنا) فى هذه الآية (بمعنى غفر) أى ستر وترك المؤاخذة والمعاتبة كما هو معناه المشهور (بل) لها معان أخر منها ما ورد فى الحديث (كما قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) فى حديث رواه أبو داود والترمذى والنسائى عن على كرم الله وجهه ورضى الله تعالى عنه انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال (عفا الله لكم عن صدقة الخيل والرقيق) فهاتوا صدقة الرقية الحديث الان الذى رواه هؤلاء قد عفوت لكم زكاة الخيل والرقيق والمصنف رحمه الله رواه بلفظ آخر وقف عليه ومثله لا يقرع له العصا فاندفع قول من قال لم أقف على هذه الرواية (ولم تجب عليهم قط) لان زكاة الخيل والرقيق لم تجب على مسلم قط حتى يكون العفو معناه اسقاط الوجوب كما انه ترك عقوبة لازمة هنا (أى) فالمعنى انه (لم يلزمكم ذلك) أى زكاة الخيل والرقيق (ونحوه) معزو (للقشيرى) رحمه الله تعالى (قال) أى القشيرى (وانما يقول العفو لا يكون الا عن ذنب) كما هو مشهور متعارف (من لا يعرف كلام العرب) فيقف على معانيه الواردة فى كلامهم كعدم اللزوم الذى سمعته فى الحديث الوارد فى كلام أفصح العرب وأصل معنى العفو الترك وعليه تدور معانيه فيستقيم فى كل مقام ما يناسبه فعفو الذنب ترك العقاب عليه وعدم الزكاة ترك لها (قال ومعنى عفا الله عنك) فى هذه الآية (أى لم يلزمك ذنبا) فيما فعلته من الاذن (قال الداودى) رحمه الله تعالى من أئمة الحديث وتقدم ترجمته (روى انها) أى قوله تعالى عفا الله عنك (كانت تكرمة) من الله فى خطاب نبيه عليه الصلاة والسلام أى تعظيما وتكريما يبدأ به الكلام (و) نحوها (قال مكى هو استفتاح كلام) يوقعونه فى أول خطابهم (مثل أصلحك الله وأعزك) هى جملة دعائية يبدؤن بها الكلام اكراما لمن يخاطبونه وهو عادة أهل الترسل فى مكاتباتهم وهو قريب مما قبله بل معناهما واحد وهو ملاطفة فى المحاورة تدعوا لاستماعه حتى كأنه باستماعه مستحق للدعاء له والقرآن جاء على أساليب كلام العرب فهى جملة دعائية قصد بها اكرام المخاطب (وحكى السمرقندى ان معناه عافاك الله) قيل أخره لضعفه لبعد احدهما عن الآخر لفظا ومعنى وكأنه غلط فى المادة وهو من سوء الفهم لان الراغب قال عفوت عنك قصد به ازالة ذنب وصرفه عنه ومفعوله متروك لانه متعد فى الاصل يقال عفاه واعتفاه وقولهم فى الدعاء اسألك العفو والعاقبة أى ترك العقوبة والسلامة وعفا النبت والشعر زاد انتهى فهذه الجملة اذا قصد بها الدعاء اكراما كان معناه قواك الله حتى تبالى بمن تخلف عنك للدعاء ... ى قواك الله

(بل كان مخيرا فى أمرين) كما فى الكتاب (قالوا وقد كان له ان يفعل ما يشاء فيما لم ينزل عليه) بالبناء للفاعل أو المفعول (فيه وحى) مشتمل على نهى (فكيف وقد قال الله تعالى) أى له كما فى نسخة (فاذن لمن شئت منهم فلما اذن له) أى لبعضهم وهم المنافقون بناء على ظنه انهم مؤمنون وكان الاذن مختصا بالمؤمنين لقوله تعالى واستغفر لهم الله لان الله تعالى لم يامره بالاستغفار للمنافقين (أعلمه الله تعالى بما لم يطلع عليه من سرهم) أى باطنهم يقينا (انه لو لم ياذن لهم لقعدوا وانه لا حرج) أى لا اثم ولا تبعة (عليه فيما فعل) أى من الاذن لهم (وليس عفا ههنا بمعنى غفر بل كما قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عفا الله لكم عن صدقة الخيل والرقيق ولم تجب عليهم قط) جملة حالية (أى لم يلزمكم ذلك) من الالزام الشرعى هنالك (ونحوه عن القشيرى) فى تفسيره (قال) أى القشيرى (وانما يقول العفو لا يكون الا عن ذنب) بطريق الحصر (من لم يعرف كلام العرب) أى مستوفيا (قال ومعنى) ويروى معناه (عفا الله عنك أى لم يلزمك ذنبا) أى وضع عنك شيا لو لم يضعه لكان ذنبا (قال الداودى روى انها تكرمة) أى فى أول الكلام كالتقدمة ويروى انها كانت تكرمة (قال مكى هو استفتاح كلام) لمن يكون من أهل اكرام (مثل أصلحك الله وأعزك الله) لان خطابا للملوك أو الامراء أو سائر العظماء (وحكى السمرقندى ان معناه عافاك الله) من المعافاة وفيه نكتة خفية صوفية أى عافاك عنك وخلصك منك حتى تكون بكليتك لنا وبنا وآخذا عنا (غير متقدم) وآمنا منا متمتعا بما تتمنى من غير ان تتعنى

(واما قوله في أساري بدر ما كان لنبي ان يكون له أسرى الآيتين) يعني حتى يثخن في الارض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة
والله عزيز حكيم لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم روي انه لما كان يوم بدر جيء بالاسارى فقال عليه الصلاة
والسلام ما تقولون في هؤلاء فقال أبو بكر يا رسول الله قومك وأهلك استبقهم واستأن بهم لعل الله ان يتوب عليهم وخذ منهم فداء
يكون لنا قوة على الكفار وقال عمر يا رسول الله كذبوك وأخرجوك قدمهم لتضرب أعناقهم فسكت رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم ثم قال ان مثلك يا أبا بكر مثل ابراهيم قال فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم ومثلك يا عمر مثل نوح قال رب لا تذر
على الارض من الكافرين ديارا قال عمر فهوي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما قال أبو بكر ولم يهو ما قلت فلما كان الغد
جئت فاذا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأبو بكر يبكيان فقلت يا رسول الله أخبرني من أي شيء تبكي فان وجدت بكاء بكيت وان لم أجد بكاء تباكيت فقال ابكي على أصحابك في أخذهم الفداء ولقد عرض علي عذابهم أدنى من هذه الشجرة أشار لشجرة قريبة منه وأنزل الله تعالى ما كان لنبي الآية وقوله أسرى جمع أسير مثل قتلى وقتيل وقوله حتى يثخن في الارض أي يبالغ في قتل المشركين ذكره البغوي وحاصل القضية ان الصديق كان مظهر الجمال كابراهيم وعيسى عليهما السلام في قوله ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم والفاروق
كان مظهر الجلال كنوح وموسى عليهما السلام في قوله ربنا اطمس على أموالهم وكان نبينا محمد عليه الصلاة والسلام مظهر الكمال الا انه يغلب عليه الجمال فلذا مال الى قول الصديق وعلى طبقه أيضا نزل القرآن على التحقيق وفي قوله سبحانه وتعالى لولا كتاب من الله سبق ايماء الى قوله في الحديث القدسي والكلام الانسي سبقت رحمتي غضبي وفي رواية غلبت والله ولي التوفيق فاذا عرفت ما تقدم (فليس فيه الزام) ويروى فليس دليل الزام (ذنب للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم بل فيه بيان ما خص به) من كريم الشيم (وفضل من بين سائر الانبياء) وأمته من بين سائر الامم (فكأنه قال) تعظيما له وامتنانا وتكريما (ما كان هذا لنبي غيرك) لكمال فضلك ورفعة قدرك وطولك (كما قال عليه الصلاة والسلام أحلت لي الغنائم ولم تحل لنبي قبلي) روي لم تحل بضم التاء وفتح الحاء على بناء المجهول وبفتح التاء وكسر الحاء على بناء الفاعل والاولى لمناسبة أحلت هي الاولى

لان القوي لا يكون مريضا وقال الجوهري عافاه الله وأعفاه بمعنى وهو دفاع الله عن العبد ما يكره فسقط ما قيل انه لا يساعده اللغة وكيف يعترض على هذا ولا يعترض على تفسيره باصلحك الله وأعزك فتدبر (واما قوله) أي قول الله تعالى الذي استدل به من جوز الصغائر عليهم (في أساري بدر) أي في حقهم وأساري جمع أسير وهو معروف وبدر اسم محل وقعت فيه تلك الغزوة المشهورة وسميت ببدر ابن قريش وهو الذي احتفر بها بئرا ثم سمي بها مكانها وكان صلى الله تعالى عليه وسلم أسر من كبار قريش نحو سبعين رجلا كالعباس وعقيل كما فصل في السير فاستشار رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيهم الصحابة فاشار عمر رضي الله تعالى عنه بقتلهم كما مر فانه قلما يظفر بمثلهم فتضعف شوكة المسلمين وقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه نأخذ منهم فدية نتقوى بها ونمن باطلاقهم لعل الله يهديهم بعد ذلك فاعجب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم رأيه وعمل به فانزل الله فيهم (ما كان لنبي ان تكون له أسرى الآيتين) والأسير فعيل بمعنى مفعول من الاسر وأصله سير يشد به الاسير ولذا يقال أخذه باسره اذا أخذه جملة ومعنى يثخن في الارض يكثر القتلى وقيل معناه يتمكن في الارض وما كان نفي الكون وجاء بمعنى لا يليق ولا ينبغي كما يأتي وبه فسره المستدل بهذه الآية على ان أخذ الفدية قبل قتل كثير من أعدائه ذنب عاتبه الله عليه وهذه القضية مشهورة في السير والتفاسير فلا حاجة للتطويل بايرادها (فليس فيه) أي فيما ذكر في الآيتين (الزام ذنب له) صلى الله عليه وسلم ومعصية صدرت منه باختيار الفدية التي لم تجز له كما يهمه المستدل بها (بل) ما ذكر (فيه بيان ما خص به) أي جعله الله تعالى من خصائصه تكريما له (وفضل) به (من بين سائر الانبياء) وبقيتهم (فكأنه) عز وجل (قال) لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم (ما كان لنبي غيرك) أي لم يقع هذا الذي خصصت به من أجل أخذك الفدية ممن أسرته لنبي من الانبياء السالفة غيرك فانه أحل لك وخيرك الله فيه بين الفداء والقتل (و) نظيره من خصائصه التي لم تكن لنبي قبله ما بينه بقوله (كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم) في الحديث الصحيح (أحلت لي الغنائم) وروي المغانم (ولم تحل لنبي قبلي) والمستدل به يقول معناه ما كان لنبي أصلا لا أنت ولا غيرك أخذ الفداء قبل كثرة قتل أعداء دينه ففيه مخالفة لما شرعه الله والمصنف رحمه الله تعالى قال ليس معناه هذا حتى يتم الدليل وقال الخطابي من كان قبله صلى الله تعالى عليه وسلم من الانبياء على ضربين منهم من لم يأذن له في الجهاد فلم يكن له غنائم ومنهم من أذن له فيه ولم يحل له الا كل من الغنائم فكانت تنزل عليه من السماء نار تحرقه وكان له صلى الله تعالى عليه وسلم التصرفات فيها وفي

(فان قيل فما معنى قوله تريدون عرض الدنيا) أى تختارونه (الآية) أى والله يريد الآخرة أى يختارها لكم والله عزيز غالب على أمره حكيم فى قضائه وقدره وحكمه (قيل المعنى) بكسر النون وتشديد الياء أى المقصود (بالخطاب) والمراد بالعتاب (من أراد) ويروى المعنى بفتح النون بالخطاب لمن أراد (ذلك منهم) أى من الاصحاب لا لعزة قوة أهل الاسلام فى هذا الباب (وتجرد غرضه لعرض الدنيا) الذى فى صدد الزوال (وحده) أى لا يريد غيره (والاستكثار منها) لنفسه وهم بعض ضعفاء المؤمنين ومع هذا انما كانوا أرادوا الدنيا ليستعينوا بها على العقبى ١٨٠ لكنه مقام أدنى بالاضافة الى تارك الدنيا كما قال عيسى عليه السلام يا طالب الدنيا لتبر بها وتركك الدنيا أبر (وليس المراد بهذا) الخطاب المشتمل على العتاب (النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ولا علية أصحابه) بكسر العين المهملة وسكون اللام وفتح التحتية جمع على مثل صبى وصبية أى اشرافهم ورؤساؤهم ومن هنا قال ابن مسعود ولم أكن أظن أحدا من أصحاب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يحب الدنيا حتى نزل قوله تعالى منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ولما سمع الشبلى رحمه الله تعالى قال آه فاين من يريد الله وأجيب عنه بلسان العبارة ان من يريد الآخرة هو من يريد الله لقوله تعالى والله يريد الآخرة وبيان الاشارة فكأنه سبحانه وتعالى يقول ان من يريد الله فهو ليس منكم بل مناف دنياه وعقباه ومستغرق فينا فى مقام الاحسان المعبر عنه بان تعبد الله كأنك تراه مشتغلا بينه بمولاه عز وجل معرضا عما سواه فانيا عن غيرنا باقيا بنا لا ينتظر الى دنيا ولا الى أخرى وهذا معنى قول بعضهم الدنيا حرام على أهل الآخرة والآخرة حرام على أهل الدنيا وهما حرامان على أهل الله وهذا محمل قوله عليه الصلاة والسلام أكثر أهل الجنة البله وعليون لأولى الالباب والله تعالى أعلم بالصواب (بل قد روى عن الضحاك انها نزلت حين انهزم المشركون يوم بدر واشتغل الناس بالسلب) بفتحتين وهو ما على القتيل من السلاح والثوب

الصدقات كيف شاء الا انه قيل ليس فى الآية ما يدل على ما قاله المصنف رحمه الله بخلاف الحديث وهو مروى فى الصحيحين عن جابر رضى الله تعالى عنه ولك ان تقول ان الفداء فى معنى الغنائم لانه مال ماخوذ من الكفرة وذكره فى الحديث اشارة الى انه مؤيد لهذا التاويل وفى المسائل الاربعين للرازى العتاب وقع هنا على تركه الاولى لان الافضل فى ذلك الوقت الاثخان وترك الفداء قطعا للاطماع ولولا انه من باب الاولى ما فوضه صلى الله تعالى عليه وسلم لاصحابه وقال العراقى فى حاشيته عليه المسماة بالتقييد انه وقع فى الحديث ان عمر رضى الله تعالى عنه دخل عليه صلى الله تعالى عليه وسلم وهو وأبو بكر يبكيان فقال ما يبكيكما فقال صلى الله تعالى عليه وسلم عرض على عذابكم ادنى من هذه الشجرة والاولى لا عذاب فى تركه ولتفويضه للصحابة لان الاجتهاد كما يقع فى الاولى يقع فى الواجب بل لو استدل بهذا على انه أعلى مراتب الوجوب لم يبعد لانه لم يكتف فيه باجتهاد نفسه فالصواب انه فوض له الاجتهاد فى أمر الاسارى ففوضه لاصحابه فافتى عمر رضى الله عنه بالقتل وكان هو المصلحة وهو من احدى موافقاته واجتهد الصحابة بما لم يؤد للمصلحة فخلص عمر ولم يؤاخذ النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لبذل جهده فى اجتهاده فله أجر ولذا قال فيما مر عذابكم دون عذابى لخروجه من موجب العقاب ببذل جهده والى هذا ذهب فحول العلم وجمع بين ظاهر الآية وما يجب لمقامه صلى الله تعالى عليه وسلم من العصمة انتهى وهو حسن جدا وأحسن مما اختاره المصنف (فان قيل فما معنى قوله تريدون عرض الحياة الدنيا الآية) سؤال وارد على ما اختاره من انه أمر اختص به صلى الله تعالى عليه وسلم بانه لو كان كذلك ما عوتب عليه بما ذكر من انهم رجحوا أخذ الفداء وهو مال غاد ورائح وعرض فان لا ينبغى النظر اليه (قيل) فى الجواب عنه (المعنى) بكسر النون وتشديد الياء أى المقصود (بالخطاب) فى قوله تريدون (لمن أراد ذلك) أى عرض الدنيا (منهم) من الصحابة الحاضرين الواقعة (وتجرد) أى خلص وتمحض (غرضه) بمعجمتين أى قصده (لعرض الدنيا) بمهملتين وبينه وبين العرض تجنيس (وحده) أى منفردا عن قصد ثواب الآخرة وهو مؤكد لما قبله (والاستكثار منها) باخذ ما يناله (وليس المراد بهذا) الخطاب (النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) لشرف نفسه عن النظر لها (ولا علية) بكسر العين ولام ساكنة بعدها ياء تحتية جمع على كفتية جمع فتى وصبى وصبية وقيل انه اسم جمع (أصحابه) أى كبار الصحابة كأبى بكر وعمر وغيرهما ممن حضر الوقعة وقد علمت مما قرره القرافى انه صلى الله تعالى عليه وسلم ليس معاتبا ولا مخاطبا هنا أصلا وانه هو التحقيق ثم أيد كون الخطاب ليس لهؤلاء بما روى فى سبب نزوله فقال (بل) اضراب انتقالى (قد روى عن الضحاك انها) أى آية تريدون الخ (نزلت) فى أمر آخر غير الفداء فلا يرد السؤال رأسا وذلك (حين انهزم المشركون يوم بدر فاشتغل الناس) أى بعض منهم (بالسلب) بسين مهملة ولام مفتوحتين ما يستلب أى يؤخذ من القتيل من لباسه وما معه وقد

(وجمع الغنائم عن القتال) أي معرضين عنه في ذلك الحال مخالفين لما كان عليه أرباب الكمال من عدم التفاتهم الى جمع المال (حتى خشي عمر ان يعطف) بكسر الطاء أي يكر (عليهم العدو) ويغلبهم (ثم قال تعالى لولا كتاب) أي مكتوب في اللوح المحفوظ أو حكم في القضاء المحفوظ (من الله سبق) أي في القدر وتحقق الامر بالاثر (واختلف) وفي نسخة فاختلف

بينه الفقهاء واختلفوا فيمن يستحقه ممن له حق في الغنيمة أو القاتل مطلقا أو ان شرطه له الامام كما فصلوه والسلب أيضا شجرة يتخذ منه حبال ولذا سميت الامامة الحبال سلبا كما في بعض كتب اللغة (وجمع الغنائم عن القتال) متعلق باشتغل (حتى خشي عمر) رضي الله تعالى عنه أي خاف على المسلمين (ان يعطف) أي يرجع كارا (عليهم) أي على المشغولين بما ذكر (العدو) الذين انهزموا والعدو يقع على الواحد وغيره وكثيرا ما يقع في العساكر ضرر عظيم بمثل هذا وعمر رضي الله تعالى عنه أدرى بذلك (ثم قال الله تعالى) في هذه الآية والقصة (لولا كتاب من الله سبق) تقدم على هذه القضية وتقدم بيان المراد بالكتاب هنا وسيأتي أيضا (واختلف المفسرون في معنى) هذه (الآية) والمراد منها (فقيل معناها) كما نقله الطبري ما قاله محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (لولا انه سبق مني) أي من الله تعالى فيما أوحاه لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم (اني لا أعذب أحدا الا بعد النهي) وتحريم أخذ فداء (لعذبتكم) على ما فعلتم من أخذ الفداء لانه لو كان منهيا عنه محرما استحق بمخالفته العذاب فالمراد بالكتاب حكم الله الذي كتبه وقدره (فهذا) التفسير (ينفي) ويمنع (أن يكون أمر الاسرى) أي فديتهم (معصية) لانه لم ينه عنه ولم يحرم فلا دليل في الآية لما مر وعلى هذا التفسير تكون هذه الآية مخصصة لنحو اقتلوا المشركين فلا وجه للاعتراض على ما ذكره المصنف (وقيل المعنى) المراد من هذه الآية (لولا ايمانكم بالقرآن وهو) المراد (الكتاب السابق) في قوله لولا كتاب من الله سبق وقدر الايمان في النظم لان ذات الكتاب لا تمنع العذاب الا بالايمان بما تضمنه من هذه الاحكام (فاستوجبتم) أي استحققتم (به الصفح) أي العفو وعدم المؤاخذة (لعوقبتم على) أخذكم (الغنائم) وما هو في حكمها من الفدية وهذا حكاه ابن عطية في تفسيره وليس فيه تحصيل الحاصل كما توهم لما سيأتي (ويزاد) بزاي معجمة فعل مجهول من الزيادة (هذا القول تفسيرا وبيانا) وايضاحا (بان يقال) في تقريره المعنى (لولا ما كنتم مؤمنين بالقرآن) بحقيقته وحقيقة ما فيه من الاحكام وما مصدرية وقوله (وكنتم ممن أحلت لهم الغنائم) معطوف على ما قبله (لعوقبتم كما عوقب من تعدى) بفتح التاء الفوقية والعين والدال المهملتين المشددة داله قبل الالف فعل ماض والكتاب على هذا بمعنى القرآن وسبقه لقدمه في الازل أو لتقدم ما نزل أو حكم الله الذي كتبه وقدره وحاصله انه لولا ان الله أنزل القرآن وما فيه من الاحكام وأحل لكم فيه الغنائم لمسكم العذاب وأحل بكم العقاب كما عوقب من قبلكم من الامم لما تجاوزوا الحد وتعدوا ما نهاهم الله تعالى عنه وهو اما تشريع وامتنان عليهم بما أحله لهم ولم يضيق عليهم كما ضيق على الامم السابقة أو هو ردع لمن اشتغل بالغنائم والسلب وقد روى أبو داود عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه انه لما كان يوم بدر تعجل الناس الى الغنائم فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الغنيمة لا تحل لاحد سود الوجوه غيركم وكان النبي وأصحابه اذا غنموا الغنيمة جمعوها فنزلت نار من السماء فأكلتها فأنزل الله تعالى لولا كتاب من الله سبق الآيتين وأخرجه الترمذي وقال صحيح حسن ووقع في الشرح الجديد هنا مؤاخذة على ما في الكشاف هنا مع ما فيها الامساس لها بالمقام ناشئة من عدم التدبر (وقيل معناه) (لولا انه سبق في) الازل في (اللوح المحفوظ) الذي كتب فيه كل ما هو كائن الى يوم القيامة (انها)

(المفسرون في معنى الآية فقيل معناها لولا انه سبق مني) أي في الازل (اني) وفي نسخة ان (لا أعذب أحدا الا بعد النهي لعذبتكم فهذا) تعليق بالفرض والتقدير (ينفي) وفي نسخة فهذا كله ينفي (أن يكون أمر الاسرى معصية) أي في مقام التحقيق والتقرير (وقيل المعنى لولا ايمانكم بالقرآن وهو الكتاب السابق) أي القديم أو المقدم رتبة على غيره من الكتاب اللاحق (فاستوجبتم به الصفح) أي الاعراض والعفو عن اختياركم الاعراض (لعوقبتم على الغنائم) أي أخذها في جميع الاحوال أو قبل الفراغ من تكميل القتال فيكون تقدير الآية بحسب الاعراب لولا ايمان كتاب عظيم الشان سبق لكم فيما مضى من الزمان لمسكم في المستقبل لاجل ما أخذتم من الغنائم الدنيوية عذاب عظيم مشتمل على الاهوال الاخروية (ويزاد هذا القول تفسيرا وبيانا) أي تعبيرا وبرهانا (بان يقال لولا) وفي نسخة لوما وفي أخرى لولا ما (كنتم مؤمنين بالقرآن وكنتم ممن أحلت لهم الغنائم) في مستقبل الزمان (لعوقبتم كما عوقب من تعدى) أي تجاوز عن الحد في العصيان (وقيل) أي معنى الآية (لولا انه سبق في اللوح المحفوظ انها) أي الغنائم

(حلال لكم لعوتبتم فهذا كله ينفي الذنب والمعصية) من غير شك وشبهة (لان من فعل ما أحل له لم يعص) فيما فعله (قال الله تعالى
فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا) أي خالصا (وقيل بل كان عليه الصلاة والسلام قد خير في ذلك) أي بين القتل وأخذ الفداء وانه عليه
الصلاة والسلام كان من عادته أن يختار أيسر الامرين ويستشير أصحابه في اختيار أحد الحكمين فشاور الشيخين ومال الى رأي
أفضلهما في الحال وأجملهما في المقال وكان أمر الله قدرا مقدورا وفي الازال فيه من الاحوال وزان الآمال في المآل (وقد روي عن
علي رضي الله تعالى عنه قال جاء جبريل عليه الصلاة والسلام يوم بدر الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال خير أصحابك في الاسارى
ان شاؤا القتل) أي قتل الكفار فيها (وان شاؤا الفداء) فيكون (على أن يقتل منهم في العام المقبل) أي في السنة الآتية من غزوة
أحد (مثلهم) أي في عددهم (فقالوا) أي جمهورهم ومنهم الصديق (الفداء) بالرفع أي مختارنا أو

بالنصب أن نختار الفداء (ويقتل منا) عدتهم (ونكون شهداء) فقتل منهم يوم أحد سبعون عدد أسارى بدر قال بعض الفضلاء هذا الحديث مشكل جدا لمخالفته ما دل عليه ظاهر التنزيل ولما صح من الاحاديث في أمر أسارى بدر ان أخذ الفداء كان رأيا رأوه فعوتبوا ولو كان هناك تخيير بوحي سماوي لم تتوجه المعاتبة عليهم وقد أنزل الله تعالى اليهم ما كان لنبي أن يكون له أسرى الى قوله عذاب عظيم وأجيب بأنه لا منافاة بين الحديث والآية وذلك ان التخيير في الحديث وارد على سبيل الاختبار والامتحان ولله أن يمتحن عباده
بما شاء ولعله سبحانه امتحن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأصحابه بين أمرين
القتل والفداء وأنزل جبريل عليه الصلاة والسلام بذلك هل هم يختارون ما فيه رضى الله تعالى من قتل الاعداء أو يؤثرون
الاعراض العاجلة من قبول الفداء فلما اختاروا الثانية عوتبوا على ذلك والله سبحانه وتعالى أعلم بما هنالك والاظهر في الجواب
والله أعلم بالصواب أن يقال انه عليه الصلاة والسلام شاور أولا بعض أصحابه الكرام فاختاروا الفداء ووافقهم أيضا في ذلك المرام
فعوتبوا في ذلك المقام ثم خيروا بين أحد الامرين من البلاء وهو قتل أعداء من الاحياء أو اختيار الفداء بكون سبعين منهم يصيرون
شهداء فاختاروا ما جرى به القلم ومضى به القضاء (وهذا دليل على صحة ما قلناه) أي بوقوع ما قدمناه (وانهم لم يفعلوا الا ما أذن لهم فيه
لكن بعضهم مال الى أضعف الوجهين) أي في نفس الامر وان كان هو أقواهما في رأيه (مما كان (الا

أي الغنائم (حلال لكم) الانتفاع بها والتصرف فيها (لعوتبتم) على أخذها (فهذا) المذكور في التفاسير
كله (ينفي الذنب والمعصية) فيما فعله بأسرى بدر (لان من فعل ما أحل له) على ما وجهه به (لم يعص)
الله تعالى ولم يعد ما صدر منه معصية حتى يستدل بما ذكر فيها على تجويز الصغائر عليهم ومما هو صريح
في حله ما أشار اليه بقوله (قال الله تعالى فكلوا مما غنمتم) أي من غنائمكم (حلالا طيبا) فكلوا بمعنى
انتفعوا به وليس المراد خصوص الاكل وذكره لكثرته وغلبته على غيره من الانتفاع واستدل بهذا
على أن الامر الوارد بعد الحظر للاباحة وعليه الاكثر والقائل بان الاصل فيه الوجوب يجيب عليه كما
فصل في الاصول وفي الكشاف وتبعه القاضي في قوله لولا كتاب من الله سبق الى آخره قيل لولا ما شاء
الله من أن يحل لكم الفدية واعترض عليه بانه يقتضي انه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يعلم بحل الغنائم له
حين ذهب الى بدر والظاهر انه انما قدم على ذلك ورغب فيه بعد علمه بحله له ولم يخرج لبدر الا طالبا
للغنيمة ولولا ذلك لم يأخذ عير قريش وهو وهم منه فانه لا يلزم من علمه بحل الغنيمة علمه بحل الفدية
وان كانت في حكمها وقد أورده على قوله لولا انه سبق في اللوح المحفوظ الخ وهو غير وارد لان المعنى لو لم
تحل لكم الغنيمة وهو يقتضي حل الفدية فتأمل (وقيل بل كان) صلى الله تعالى عليه وسلم (قد خير في
ذلك) أي في أخذ الفدية من الاسرى وفي قتلهم فلما أخذها قيل له كان الاولى خلافه لكن بكاؤهما
السابق ورؤيته صلى الله تعالى عليه وسلم دنو العذاب منهم يأباه كما تقدم (و) يدل على انه مخير في ذلك
انه (قد روي عن علي) رضي الله تعالى عنه انه (قال جاء جبريل) عليه الصلاة والسلام (الى النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم يوم بدر فقال خير أصحابك في الاسارى) ببدر (ان شاؤا القتل وان شاؤا
الفداء) أي أخذ الفدية والمال منهم (على أن يقتل منهم في العام المقبل) والسنة التي تلي هذه
السنة أي ان الله قدر عليهم ان أخذوا الفدية يقتل من الصحابة (مثلهم) أي بعددهم
(فقالوا) نختار (الفداء ويقتل منا) مثلهم رغبة في الشهادة (وهذا) المذكور كله (دليل
على صحة ما قلناه وانهم لم يفعلوا) في وقعة بدر من أخذ الفدية (الا ما أذن لهم فيه) أي جوزه
لهم فلا ذنب ولا معصية (لكن بعضهم) أي بعض الصحابة الذين استشارهم رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم في ذلك (مال الى أضعف الوجهين) من الفدية دون القتل باجتهاد
منه والاجتهاد يجوز زمن الصحابة بحضرته صلى الله تعالى عليه وسلم كما صححه أهل الاصول (مما كان

(الاصلح) للاسلام والمسلمين (غيره) وهو القتل وبينه بقوله (من الاثخان والقتل) الذي هو أعز الوجهين فاختاروا الاذل لما أخبروا (فعوتبوا على ذلك) من اختيار غير الاصلح (وبين لهم ضعف اختيارهم) الفدية (وصوب اختيار غيرهم) وهو ما اختاره الفاروق رضي الله تعالى عنه (وكلهم غير عصاة ولا مذنبين) لان كلا منهم قال ما أداه اليه اجتهاده ظانا ان الخير فيه (والى نحو هذا أشار الطبري) رحمه الله تعالى وانما وبخوا وخوفوا وقوع العذاب بهم لان المخوف منهم من مجرد نظره للكمال في العاجل مثل الصديق رضي الله تعالى عنه ممن فعله شفقته على قومه ورجا ان الله يهديهم للاسلام ويعز بهم الدين في الآجل وقد حقق الله رجاءه فلا اعتراض على هذا بانه لو كان كذلك ما وقع توبيخ شديد ومن طالع السير وما وقع في هذه الغزوة علم هذا وتحققه (وقوله) صلى الله تعالى عليه وسلم (في هذه القصة لو نزل من السماء عذاب ما نجا منه الا عمر) جواب عن سؤال ورد على ما قرره من أنهم غير عصاة ولا مذنبين وهو انه (اشارة الى هذا) المذكور (من تصويب رأيه) أي رأي عمر رضي الله تعالى عنه (ورأي من أخذ بمأخذه) أي وافقه فيما قاله (في اعزاز الدين) وغيظ الكفر بايقاع القتل برؤسهم وارهاب قلوبهم في أول واقعة وقعت بينهم (واظهار كلمته) بان تكون كلمة الله ورسوله هي العليا وتكون ظاهرة شائعة (وابادة عدوه) أي اهلاكه وافناؤه لان الاسراء كانوا اعظماء أئمة الكفر فلو قتلوا لم يكن لهم عود بعده (وان هذه القضية) أي قضية أسرى بدر وأخذ الفدية منهم واطلاقهم (لو استوجبت عذابا) أي اقتضت وقوع العذاب عن فعلها لمخالفتها لامر الله تعالى (نجا منه) أي من العذاب الذي اقتضته (عمر) لانه رضي الله تعالى عنه لم يرض به ولم يره رأيا صحيحا (ومثله) أي ونجا منه مثله ممن كان على رأيه وهو سعد بن معاذ رضي الله تعالى عنه كما ورد في الحديث (وعين عمر) أي خصه بالذكر مع ان جماعة منهم كانوا على رأيه (لانه أول من أشار بقتلهم) جوابا لقول النبي صلى الله تعالى عليه وسلم له كما في صحيح مسلم ما ترى يا ابن الخطاب فقال ما أرى رأي أبي بكر ولكن أرى ان تختار ضرب اعناقهم الحديث (ولكن الله لم يقدر عليهم في ذلك عذابا) في مقابلة رأيهم بالفدية (لحله لهم) أي لان الله أحله لهم وخيرهم (فيما سبق) هذه الواقعة (وقال الداودي) تقدمت ترجمته (والخبر بهذا لم يثبت) أي لم يثبت المنع من أخذ الفدية لا الحديث الذي فيه ما رآه عمر وغيره (ولو ثبت لما جاز أن يظن ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حكم بما لا نص فيه) بوحي نازل عليه (ولا دليل) يدل على ما حكم به مستنبط (من نص) سبق باجتهاده (ولا جعل الامر فيه) من الله مفوض (اليه) فان موقع التفويض اليه صلى الله تعالى عليه وسلم في أمور أذن له بالحكم فيها بما كان صوابه (وقد نزهه الله عن ذلك) بقوله تعالى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى والاجتهاد والتفويض بوحي وحي (وقال القاضي بكر بن العلاء) امام مذهب مالك كما تقدم (أخبر الله نبيه) صلى الله تعالى عليه وسلم (في هذه الآية) النازلة في أسرى بدر

(الاصلح غيره) أي عند غيره (من الاثخان) وهو تكثير القتل في العدو (والقتل) كالتفسير لما قبله (فعوتبوا على ذلك) أي اختار الاضعف فيما هنالك حيث اخطأوا في الاجتهاد واصاب بعضهم في هذا الباب حين وافق رأيه فصل الخطاب كعمر بن الخطاب (وبين لهم) بصيغة المفعول (ضعف اختيارهم) أي الاولين (وتصويب اختيار غيرهم) أي الآخرين (وكلهم غير عصاة ولا مذنبين) لكونهم مجتهدين في أمر الدين (والى نحو هذا) التأويل (أشار الطبري وقوله عليه الصلاة والسلام) مبتدأ في الكلام (في هذه القضية) وفي نسخة في هذه القصة (لو نزل من السماء عذاب ما نجا منه الا عمر) أي ومن تبعه في هذا الامر المقرر (اشارة الى هذا) هذا هو الخبر وفي نسخة أشار الى هذا (من تصويب رأيه) أي رأي عمر (ورأي من أخذ بمأخذه في اعزاز الدين واظهار كلمته وابادة عدوه) أي افنائهم واهلاكهم من أصله وذلك لما ورد في حقه من دعاء النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اللهم أعز الاسلام بعمر كما ورد في بعض الخبر (وان هذه القضية لو استوجبت عذابا) أي بالفرض والتقدير (نجا منه عمر ومثله) أي ومن قال بمثل قوله (وعين عمر) في الخبر (لانه أول من أشار بقتلهم) وتبعه بعض الصحابة في الاثر (ولكن الله تعالى لم يقدر عليهم في ذلك عذابا) أي نازلا يتحقق (لحله لهم فيما سبق وقال الداودي والخبر بهذا) أي التخيير (لا يثبت) الاولى لم يثبت (ولو ثبت) أي فرضا (لما جاز أن يظن) بصيغة المجهول أي يظن أحد (ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حكم بما لا نص فيه ولا دليل من نص ولا جعل الامر اليه فيه وقد نزهه الله تعالى عن ذلك) وكأنه خالف جمهور العلماء الاعلام فيما قرروا وان له عليه الصلاة والسلام أن يجتهد في الاحكام بل وقد فوض اليه كثير من احكام الاسلام أو المعنى انه عليه الصلاة والسلام ما جعل له فعل ذلك من تلقاء نفسه مستبدا برأيه من غير تأويل في أمره (وقال القاضي بكر بن العلاء) أي المالكي (أخبر الله تعالى نبيه في هذه الآية

ان تاويله) أي ما اختاره من الاشياء (وافق ما كتبه له من احلال الغنائم والفداء وقد كان) أي وقع (قبل هذا فادوا) فعل ماض من المفاداة أي فدا بعض أصحابه (في سرية عبد الله بن جحش التي قتل فيها ابن الحضرمي) أخو العلاء من أكابر الصحابة (بالحكم بن كيسان) بفتح الكاف وسكون التحتية فمهملة مولى هشام بن المغيرة المخزومي (وصاحبه) وهو عثمان بن عبد الله أسر ومات كافرا (فعاتب الله تعالى ذلك عليهم) اعلم ان عبد الله بن جحش بفتح الجيم وسكون الحاء المهملة فشين معجمة هو ابن عمة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بعثه عليه الصلاة والسلام في جمادى الآخرة في السنة الثانية من الهجرة قبل بدر بشهر ليترصد عير قريش وبعث معه ثمانية ١٨٤ رهط من المهاجرين ليس فيهم من الانصار أحد وهم سعد بن وقاص وعكاشة بن محصن وعتبة بن غزوان وأبو حذيفة بن عتبة وسهيل ابن بيضاء وعامر بن ربيعة و واقد بن عبد الله وخالد ابن بكير وقيل ان هذه السرية كانت أكثر من ذلك قال ابن سعد بعث عبد الله بن جحش في اثنى عشر رجلا من المهاجرين انتهى وفي هذه السرية سمى عبد الله بن جحش أمير المؤمنين فساروا على بركة الله حتى نزلوا ببطن نخلة بين مكة والطائف فمرت عير لقريش تحمل تجارة من الطائف فيها عمرو بن عبد الله الحضرمي والحكم بن كيسان وعثمان بن عبد الله ونوفل بن عبد الله فرمى واقد بن عبد الله عمرا ابن الحضرمي فقتله فكان أول قتيل من المشركين واستاسروا الحكم وعثمان وكانا أول أسيرين في الاسلام وأفلت نوفل فاعجزهم فاستاقوا العير والاسيرين حتى قدموا على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاسلم الحكم بن كيسان وأقام بالمدينة وحسن اسلامه فقتل يوم بئر معونة وصاحبه عثمان بن عبد الله رجع الى مكة ومات بها كافرا كذا ذكره التلمساني وليس فيه ما يدل على فداء على انه لو ثبت فهذا فداء كافر بمسلم وما نحن فيه فداء كافر بمال فلا يستويان في مآل ثم رأيته ذكر في محل آخر ان الحكم بن كيسان كان ممن أسر في سرية عبد الله بن جحش حين قتل واقد التميمي عمرا ابن الحضرمي أسره المقداد قال فاراد أميرنا ضرب عنقه فقلت له دعه نقدم به على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقدمنا به على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلم وحسن اسلامه انتهى وهذا كما ترى ليس فيه ذكر فداء لا بمال ولا بغيره وانما هو تاخير أمره الى حكم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في حقه وقد صرح الحجازي بان الباء في بالحكم تتعلق بفادوا لا بقتل فان الحكم أسلم وصاحبه لحق بمكة ومات بها كافرا والله سبحانه وتعالى أعلم (وذلك قبل بدر بازيد من

(ان تاويله) الذي قبله من أبي بكر رضي الله تعالى عنه في اختيار عدم القتل (وافق ما كتب له) أي حكم به و جوزه بقوله لولا كتاب من الله سبق في علمه وحكمه (من احلال الغنائم) لهم (و) احلاله لهم أخذ (الفداء و) كيف لا تكون الفدية أحلت لهم قبل هذا و (قد كان) النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأصحابه (قبل هذا) أي قبل غزوة بدر (فادوا) أي أخذوا الفداء من المشركين (في سرية عبد الله ابن جحش التي قتل فيها ابن الحضرمي) لما مرت عير لقريش بتجارة من الطائف ومع العير عمرو بن عبد الله الحضرمي والحكم بن كيسان وعثمان بن عبد الله ونوفل بن عبد الله والسرية فعيلة من السرى وهم ناس مرسلون للعدو من خمسة الى ثلثمائة أو اربعمائة ولم يعين أبو حنيفة عدد الاقل وقال أبو يوسف سبعة فصاعدا وقال الماوردي يطلق على الواحد سرية والظاهر انه مجاز فلا بد من عدد له منعة وعبد الله بن جحش هو ابن رباب بن معمر الاسدي وأمه أميمة بنت عبد المطلب عمته صلى الله تعالى عليه وسلم أسلم قبل دخول النبي صلى الله تعالى عليه وسلم دار الارقم وهو من المهاجرين الاولين واستشهد باحد ودفن عند حمزة رضي الله عنه وسريته كانت في رجب في السنة الثانية أو في جمادى الآخرة ومعه ثمانية من المهاجرين أو اثنى عشر وهو أميرهم ومن ثم سمى أمير المؤمنين و يعرف بالمجدع في الله لجدع أنفه وأذنيه باحد وكان دعا الله تعالى بذلك وكانت السرية قبل بدر بشهر أو أكثر كما سياتي و بعث ليترصد عير قريش فساروا حتى نزلوا ببطن نخلة بين مكة والطائف فرمى واقد بن عبد الله الصحابي عمرو بن الحضرمي فقتله فكان أول قتيل من المشركين واستاسروا الحكم وعثمان وكانا أول أسير في الاسلام وأفلت نوفل فقدموا المدينة بالعير والاسيرين فاسلم الحكم وافتدى صاحبه عثمان بن عبد الله ورجع لمكة فمات بها كافرا وقد فدى نفسه (بالحكم بن كيسان وصاحبه) عثمان بن عبد الله والباء متعلقة بقوله فادوا لا بقوله قتل لان المذكور هنا ان الحكم بن كيسان مولى هشام بن المغيرة المخزومي أسر في هذه السرية أسره المقداد بعد قتل ابن الحضرمي فاراد عبد الله بن جحش ضرب عنقه فقال المقداد دعه يقدم به على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلما قدم به أسلم وحسن اسلامه وقتل ببئر معونة وسياتي تفصيله (فعاتب الله ذلك عليهم) أي على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والصحابة في أخذ الفدية ولو كانت ممتنعة و بخهم الله تعالى على ذلك والمراد بالعتب التوبيخ والانكار مجازا عن لازم معناه اذ معناه لا يليق به تعالى لانه يستعمل فيما بين الاقران وانما عبر به ليشمل خلاف الاولى (فذلك) أي ما وقع من الفداء في تلك السرية (وكان قبل بدر) أي قبل وقعتها (بازيد من عام)

عام) كذا فى النسخ وهو سهو لان بدرا الاولى وقعت فى ربيع الاول بعد ثلاثة عشر شهرا من الهجرة فتكون هذه الوقعة فى سنة اثنين من الهجرة ثم فى رجب بعث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هذه السريه ثم فى رمضان من هذه السنة وقعت غزوة بدر الكبرى فبين هذه السريه وغزوة بدر نحو ثلاثة أشهر فكأن المصنف رحمه الله تعالى توهم ان هذه السنة سنة ثانية وليس كذلك وحاصل قصة هذه السريه انه صلى الله تعالى عليه وسلم بعث عبد الله بن جحش ومعه ثمانية رهط من المهاجرين وكتب له كتابا وأمره ان لا يقرأه حتى يسير يومين وان لا يستكره من أصحابه أحدا ففتحه بعد يومين فاذا فيه اذا نظرت كتابى فامض حتى تنزل بنخلة بين مكة والطائف فترصد بها قريشا وتعلم خبرهم فلما قرأه قال سمعا وطاعة وأعلمهم بما فى كتابه صلى الله تعالى عليه وسلم فلم يخالفوه وسلك الى الحجاز فلما كان بنجران أضل سعد بن أبى وقاص وعتبة بن غزوان بعيرا لهما فتخلفا فى طلبه فضى ابن جحش وأصحابه حتى نزلوا بنخلة فمر بهم عير القريش فيها عمرو بن الحضرمى وعثمان بن المغيرة وأخوه نوفل والحكم بن كيسان مولى هشام بن المغيرة فلما رآهم القوم هابوهم ونزلوا قريبا منهم فاشرف عليهم عكاشة بن محصن وقد حلق رأسه فقالوا عمار ٢ لا بأس عليكم منهم وذلك فى آخر يوم من رجب ثم شاوروا فقالوا ان تركتموهم الليلة دخلوا الحرم فامتنعوا به وان قتلتموهم قتلتموهم فى الشهر الحرام ثم اجتمعوا على قتل من قدروا عليه وأخذ مغنمهم فرمى واقد بن عبد الله التميمى ابن الحضرمى بسهم فقتله واستأسر عثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان وأعجزهم نوفل بن عبد الله وأقبل ابن جحش وأصحابه بالعير والاسيرين على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل ان ابن جحش قال لاصحابه ان لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مما غنمنا الخمس وذلك قبل ان يفرضه الله فقسم ذلك بين الصحابة وقال ابن اسحق انهم لما قدموا عليه صلى الله تعالى عليه وسلم قال ما أمرتكم بقتال فى الشهر الحرام ووقف أمر العير والاسيرين ولم يأخذ من ذلك شيأ فندم المسلمون على ما فعلوا وقالت قريش استحل محمد وأصحابه الشهر الحرام بسفك الدم وأخذ المال والأسر فقال المسلمون بمكة انما وقع ذلك فى شعبان فلما كثر القيل والقال أنزل الله تعالى يسئلونك عن الشهر الحرام قتال فيه ففرح المسلمون بذلك وقبض رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم العير والاسيرين وبعثت قريش فى فداء عثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان فقال صلى الله تعالى عليه وسلم لا نفدى حتى يقدم صاحباى يعنى ابن أبى وقاص وعتبة بن غزوان لخشيته ان يقتلهما قريش بمن قتل منهم فلما قدما فداهما فاما الحكم بن كيسان فاسلم وحسن اسلامه حتى استشهد ببئر معونة واما عثمان فلحق بمكة ومات كافرا كما مر (وهذا) المذكور (كله يدل على ان فعل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى شان الاسرى) من الفداء وما وقع معه (كان على تاويل) باجتهاد منه صلى الله تعالى عليه وسلم ومن الصحابة (وبصيرة) بالنظر الصحيح فى انه فيه اعانة ورجاء لان الله يهديهم فى الآجل الى الاسلام وكان كذلك (و) هو جار (على ما قد تقدم قبل) أى قبل بدر (مثله) من وقوع الفدية فى سريه ابن جحش ولم يعاتبوا عليه (فلم ينكره الله تعالى عليهم) كما بيناه آنفا (لكن الله تعالى أراد) بقوله تعالى ما كان لنبى ان تكون له أسرى (لعظم أمر بدر) وانها انما كسر شوكة المشركين وأرعب قلوبهم فلو زادوا ذلك بقتل من أسروه كان أتم (وكثرة اسراها) الواقعة فيها بما اداه اجتهادهم اليه (اظهار نعمته) مفعول أراد أى ظهورها على المسلمين انهم ولو تركوا الفدية أغناهم الله تعالى عنها (وتاكيد منته) أى نعمته عليهم (بتعريفهم ما كتبه) وقدره (فى اللوح المحفوظ) بقوله لولا كتاب من الله سبق على أحد الوجوه المتقدمة واللوح المحفوظ مبين فى كتب الحديث والتفسير (من حل ذلك لهم) أى كونه حلالا ماذونا فيه لهم (لا على وجه عتاب) أى لم يذكره للومهم بل لبيان شكره ونعمته (وانكار) عليهم فى اختيار الفدية (أو تذنيب) أى نسبتهم لذنب ارتكبوه بما فعلوه

عام) بل كانا فى سنة واحدة فان تلك فى رجب فى السنة الثانية وبدر فى رمضان فيكون قبل بدر بشهر (فهذا كله يدل على ان فعل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى شان الاسرى كان على تاويل وبصيرة) أى اجتهاد صادر عن فكرة (وعلى ما تقدم قبل) مبنى على الضم وقوله (مثله) مرفوع فاعل تقدم (فلم ينكره الله عليهم لكن الله أراد لعظم أمر بدر) ويروى لعظيم أمر بدر (وكثرة اسراها) أى أساراها (والله تعالى أعلم جملة معترضة بين الفعل) ومفعوله أعنى (اظهار نعمته وتاكيد منته بتعريفهم) ويروى بتعريف (ما كتب فى اللوح المحفوظ من حل ذلك لهم لا على وجه عتاب) فضلا عن طريق عقاب (وانكار وتذنيب) أى نسبة الى ذنب

(٢) هكذا وقع فى النسخ كلها وليس له معنى صحيح والصواب فقال عمرو

(هذامعنى كلامه) أى كلام بكر بن العلاء وتمام مرامه (واماقوله تعالى عبس) أى بوجهه (وتولى) أعرض بخده (الآيات) كما قدمناها (فليس فيه اثبات ذنب له عليه الصلاة والسلام) أى يستحق به الملام (بل اعلام الله تعالى) أى له فى ذلك المقام (ان ذلك المتصدى له) بصيغة المجهول أى المتعرض له بالتوجه والاقبال (ممن لا يتزكى) أى لا يتطهر من الشرك فى الاستقبال وان الاشتغال به من جملة تضييع الاحوال وهذا معنى قوله ومايدريك لعله يزكى أى الاعمى أو يذكر فتنفعه الذكرى أما من استغنى فانت له تصدى أى تتعرض وماعليك الا يزكى أى ان لم يؤمن فاعليك الا البلاغ وأما من جاءك يسعى وهو يخشى أى الله تعالى فانت عنه تلهى أى تلهى وتتشاغل عنه وتعرض عن التوجه اليه والاقبال عليه (وان الصواب) فى هذا الباب (والاولى) بالنسبة الى حاله الاعلى (كان لو كشف) وفى نسخة مالو كشف أى بين وظهر (لك) وفى نسخة له (حال الرجلين) من الاعمى فى الظواهر والبصير فى السرائر ومن عكسه وهو البصير صورة والاعمى سيرة بل هو الاعمى حقيقة فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور ومنه قوله تعالى وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون وقوله وما يستوى الاعمى والبصير (لاختار الاقبال على الاعمى) والاعراض عن الآخر من أهل الدنيا الا انه عليه الصلاة والسلام لحرصه على ايمان الايام أدى اجتهاده الى ان التفاته اليه يكون سببا لايمانه بما أنزل عليه (وفعل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لما فعل) أى هنالك (وتصديه) أى تعرضه واقباله (لذلك الكافر) لكونه من الاكابر وايمانه باعث لقومه من الاصاغر (كان طاعة لله تعالى وتبليغا عنه) فى مقام رضاه (واستئلافا له) أى طلب الفته وايواه (كما شرعه الله تعالى له) فيما اقتضاه (لا معصية ولا مخالفة له) فى مؤداه (وماقصه الله تعالى عليه) أى حكاه (من ذلك اعلام بحال الرجلين) أى المؤمن والكافر او الصالح والفاجر أو الفقير الصابر والغنى المكابر مثلا

(هذامعنى كلامه) أى كلام القاضى بكر بن العلاء وهذا الذى اختاره المصنف خلافا لمن قال ان الحق انه عتاب من الله وارتضاه بعض الشراح هنا وقال ان ماذكره تكلف لا ينبغى ارتكابه (واماقوله تعالى عبس) أى كلح وجهه (وتولى) أعرض عنه بوجهه (الآية) أى ما يشعر به ظاهرها من انه صدر عنه صلى الله تعالى عليه وسلم ما استحق عليه العتاب واستدلال بعضهم بهذه الآية والقصة على تجويز الصغائر عليهم كما تقدم اجمالا (فليس فيها اثبات ذنب له) صلى الله تعالى عليه وسلم ولا تجويزه عليه كما توهم من استدل بها على ذلك (بل اعلام له صلى الله تعالى عليه وسلم ان ذلك المتصدى) أى بصيغة اسم المفعول ونائب فاعله قوله (له) أى أقبل عليه وتوجه له وأصله مقابلة الشئ كما يقابله الصدى وهو الصوت الراجع اليه من جبل ونحوه كما قاله الراغب وفى التعبير به نكتة وهى ان كلام هؤلاء غير مؤثر به كما قال المتنبى * أنا الطائر المحكى وغيرى هو الصدى * (ممن لا يتزكى) أى لا يسلم فيطهره الله من دنس الشرك (وأن الصواب والاولى) والاليق به صلى الله تعالى عليه وسلم (مالو كشف لك حال الرجلين) أى ابن أم مكتوم ومن كان عنده من المشركين واقتصر على الاقل والا فالكفرة كانوا جماعة كما تسمعه (الاقبال على الاعمى) دون غيره والاعمى هو عبد الله بن شريح ويقال عمرو بن أم مكتوم واسم امه أم مكتوم عاتكة بنت عامر بن مخزوم وعمرو هذا هو ابن قيس بن زيد بن الاصم والذى تصدى له جماعات من كبار المشركين بمكة اختلفوا فيهم فقال مجاهد كانوا ثلاثة عتبة وشيبة ابنا ربيعة وأبى بن خلف وزاد بعضهم أبا جهل والعباس وأمية بن خلف والوليد بن المغيرة وكان صلى الله عليه وسلم يرجو اسلامهم واسلام غيرهم وقد قدمنا عن القرطبى ان هذا باطل وجهل ممن قاله لان أمية بن خلف والوليد كانا بمكة وابن أم مكتوم كان بالمدينة لم يحضر معهم وماتا كافرين أحدهما مات بمكة والآخر ببدر ولم يأتيا المدينة وتقدم انه شنع على القرطبى فيما قاله فان سورة عبس مكية وابن أم مكتوم اسلم قديما بمكة قبل الهجرة وكان مع النبى صلى الله عليه وسلم بمكة والمدينة وهاجر قبل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم مع مصعب بن عمير رضى الله تعالى عنهما فكيف يجهل من نقل هذه القصة من كبار المفسرين ثم أشار الى ان ما فعله صلى الله تعالى عليه وسلم ليس ذنبا بل فعلا حسنا لانه تبليغ للرسالة ولطف فى الدعوة بالاقبال على من كان من أهل العناد والكبر فاعلمه بحال الفريقين فقال (وفعل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لما فعل) من التصدى وما معه الذى أشار اليه بقوله (وتصديه لذلك الكافر) تقدم وجه افراده (كان طاعة لله وتبليغا عنه) فما فعله صلى الله تعالى عليه وسلم كان أمرا لازما له (واستئلافا له) أى استمالة الكافر وتأليفا له رجاء لاسلامه (كما شرعه الله له) وفرضه عليه بامره بالتبليغ ولين الجانب لمن يدعوه (لا معصية) كما زعمه من تقدم (ومخالفة له) أى لما شرعه الله (وماقصه الله عليه) فى هذه السورة (اعلام بحالة الرجلين) المذكورين

(وتوهين الكافر) أي جنسه وفي نسخة أمر الكافر (والاشارة) الاولى واشارة (الى الاعراض عنه بقوله وما عليك) أي ضرر و وبال (الا يزكى) بعد ما بلغت الرسالة واديت الامانة ونصحت و بلغت النصيحة بقدر الطاقة (وقيل اراد) ويروى المراد (بعبس وتولى) أي بضميره (الكافر الذي كان مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قاله أبو تمام) بتشديد الميم الاولى هو علي بن محمد بن أحمد البصري من أصحاب الابهري وكان حسن الكلام قيل ان أباه كان نصرانيا له كتاب الحماسة ومجموع سماه فحول الشعراء نشا بمصر وقيل انه كان يسقي الماء بالجرة في جامع مصر توفي بالموصل سنة احدى وثلاثين ومائتين وهذا التاويل مخالف لظاهر التنزيل بل كاد في مقام النزاع ان يكون مخالفا للاجماع قال أبو محمد بن عبد السلام في تفسيره الصغير الاعمى عبد الله ابن أم مكتوم وكان ضريرا أتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يستقرئه ويقول علمني مما علمك الله فجعل يناديه ويكرر النداء وهو لا يعلم تشاغله عنه فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم قطعه لكلامه فعبس وأقبل على العباس وأمية وجاء ليسلما وفي تفسير البغوي ان ابن أم مكتوم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يناجي عتبة بن ربيعة وأبا جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب وأبي بن ١٨٧ خلف وأخاه أمية فعلى هذا يكون أل في الكافر للجنس روى انه عليه الصلاة والسلام كان بعده يكرمه ويقول اذا رآه مرحبا بمن عاتبني فيه ربي ويقول هل لك من حاجة (واما قصة آدم عليه الصلاة والسلام) في متفرعات الكلام (وقوله تعالى فاكلا) أي آدم وحواء (منها) أي الشجرة المنهية (بعد قوله) لهما ولا تقربا هذه الشجرة) أي جنسها أو عينها (فتكونا من الظالمين) أي العاصين فيكون النهي للتحريم أو من الواضعين للاشياء في غير وضعها على ان يكون النهي للتنزيه (وقوله ألم أنهكما عن تلكما الشجرة) وهي شجرة الكرم وقيل السنبلة وقيل شجرة العلم عليها معلوم الله من كل لون وطعم وقيل غير ذلك (ونصر بحه تعالى عليه) اصالة وعلى حواء تبعية (بالمعصية بقوله وعصى آدم ربه فغوى أي جهل) مقامه وضل مرامه (وقيل اخطا) أي في اجتهاده حيث ظن ان الاشارة الى الشجرة بعينها والحال ان النهي كان متوجها الى جنسها أو عرف أولا ان المراد جنسها فنسي فحملها على خصوصها وانما أولنا هذه التاويلات كلها (فان الله تعالى قد أخبر) وفي نسخة قد أخبرنا (بعذره بقوله ولقد عهدنا الى آدم) أي أمرا أو عهدا (من قبل) أي قبل خروجه من الجنة أو قبل ظهور الذرية (فنسي) أمرنا بالكلية أو محل نهينا في الجملة (ولم نجد له عزما) على المخالفة أو لم نجد له عزيمة جزما على الموافقة فانه لما اشتبه عليه الحال من ان النهي عن عين تلك الشجرة أو جنسها كانت العزيمة ان يجتنبها بالكلية ولن يعمل بالرخصة في القضية ولذا قيل ان آدم عليه السلام لم يكن من أولي العزم فقد قال تعالى فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل وكذا يونس عليه السلام فقد قال عز وجل فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت

المذكورين (وتوهين أمر الكافر عنده) أي تضعيفه وبيان محاله لانه لا مقدار له يعتد به (واشارة الى الاعراض عنه بقوله وما عليك أن لا يزكى) لان معناه لا باس عليك من أمره فلا تلتفت اليه والضمير في قوله وما يدريك لعله يزكى لابن أم مكتوم وقيل ضمير لعله للكافر يعني انك اذا طمعت في ان يتزكى بالاسلام أو يذكر فتنفعه الذكرى الى قبول الحق وما يدريك أي ما طمعت في ان يتزكى بالاسلام كائن والاول هو الاولى لان ما في القرآن من يدريك فهو مما أعلمه الله به وما فيه من ادراك لم يعلمه به وأيضا فالكافر لم يسبق له ذكر صريحا ولا ضمنا وقوله وما عليك ان لا يزكى يريد انه لا باس عليك بعدم اسلامه فحرصك على اسلامه الحامل لك على الاعراض عن غيره تطييبا لخاطره الاولى تركه لان ما عليك الا البلاغ وقد فعلت وقد تقدم تتمة لهذا فتذكره (وقيل المراد بـ) قوله (عبس وتولى الكافر الذي كان مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) في ذلك المجلس (قاله) أي هذا القول (أبو تمام) الشاعر صاحب كتاب الحماسة على ما ياتي وهو قول في غاية الضعف بعيد من السياق والذي عليه المفسرون انه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وفي القاء الكلام له بدون الخطاب اكرام له صلى الله تعالى عليه وسلم عن ان نواجهه بالعتب لا مبالغة في العتب لان فيه بعض اعراض كما قاله ابن عطية رحمه الله تعالى (واما قصة آدم) عليه الصلاة والسلام والاستدلال بها على تجويز الصغائر على الانبياء عليهم الصلاة والسلام (وقوله فاكلا منها) أي من الشجرة (بعد قوله) له ولزوجته حواء (ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين) المخالفين لامر الله ونهيه (وقوله تعالى ألم أنهكما عن تلكما الشجرة) شجرة الكرم أو التين أو غيرهما كما بينه المفسرون (وتصريحه تعالى) بالحاء المهملة وضمنه معنى النداء وعداه بعلى في قوله (عليه بالمعصية بقوله وعصى آدم ربه فغوى أي) ضل عما بينه له وقيل معناه (جهل وقيل اخطا فان الله تعالى قد أخبر بعذره) جواب اما وهو جواب عما استدلوا به لانه ارتكب معصية وذنبا (بقوله ولقد عهدنا الى آدم) أي أخذنا عليه وبيناله ما يلزمه فتركه (من قبل) أي قبل اكله الشجرة (فنسي) العهد المتقدم (ولم نجد له عزما) ثابتا على ما عهد اليه لان العزم توطين النفس على فعل أو ترك وقريب منه

(قال ابن زيد) أى ابن أسلم وقد تقدم (نسى عداوة ابليس له هذا الشوما عهد الله اليه من ذلك بقوله ان هذا عدولك ولزوجك الآية) أى فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى أى فتتعب انت بالاصالة وزوجك بالتبعية (وقيل نسى ذلك بما أظهر لهما) من النصيحة أى الشيطان على وجه الخديعة وحلفه فى القضية (وقال ابن عباس انما سمى الانسان انسانا لانه عهد اليه) بصيغة المجهول (فنسى) وفيه اشكال لان الظاهر ان حروف أصول ١٨٨ الانسان انس كما يدل عليه قوله تعالى يامعشر الجن والانس وقال فى القاموس

الانس البشر كالانسان والواحد انسى جمعه اناسى وقرأ يحيى بن الحارث واناسى كثيرا وهو مهموز الفاء واما النسيان فمادته ناقصة يسمى معتل اللام فاختلفا مادة اللهم الا ان يقال أصل الانسان انسيان فنقلت حركة الياء الى ماقبلها بعد سلب حركته فحذفت تخفيفا لكثرة استعماله فصح ما يقال أول الناس أول الناسى والله أعلم (وقيل لم يقصدا) أى آدم وحواء (المخالفة استحلالا لها) أى جعلها حلالا فانه لا يصح عنهما اجماعا (ولكنهما) باشرا مكروها الا على قصد مخالفتهما أمر ربهما بل بسبب انهما (اغترا بحلف ابليس لهما انى لكما لمن الناصحين وتوهما ان أحدا لا يحلف بالله حانثا) أى كاذبا كذبا يوجب الحنث أى الاثم (وقد روى عذر آدم بمثل هذا) الاغترار (فى بعض الآثار) ولاشك ان هذا نوع من الاعذار

تفسيره بالصبر الآتى وعلى هذا فالذى نسيه هو نهى الله تعالى له عن الاكل من الشجرة وفعله ناسيا لايكون ذنبا لعدم المؤاخذة به وفيه انه لو كان كذلك لما جازاه الله تعالى باخراجه من الجنة ونزع لباسه وقيل انه ذكر تسلية للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم عن عصيان قومه لان مثل آدم اذا عصى ربه فما بالك بغيره وقال ابن عطية انه ضعيف لان جعل آدم مثلا للكفار لا ينبغى والذى أراه انه ابتداء قصص أوانه لما عهد له صلى الله تعالى عليه وسلم ان لا يعجل بالقرآن فنسى سلاه بانه سبق مثله لآدم فعفى عنه فلا لوم عليه ثم ذكر وجها آخر فقال (قال ابن زيد) هو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم كما تقدم فى ترجمته (نسى عداوة ابليس له) لحسده على جعله تعالى خليفته قيل وكان النسيان يؤاخذ به المكلف ثم عفا الله عنه كما يأتى وبهذا علم الجواب عما تقدم (و) نسى (ماعهد الله اليه من ذلك) أى من كون ابليس عدواله ولزوجته وولده (بقوله ان هذا عدولك ولزوجك الآية) وحذره منه كما قصه فى قصته وبينه المفسرون (قيل نسى ذلك) المذكور من عداوته (بما أظهر لهما) أى لآدم وزوجه من المخادعة ودلاهما بغرور (وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انما سمى الانسان انسانا لانه عهد اليه فنسى) واصله انسيان وزنه افعلان قلبت ياؤه ألفا لتحركها وانفتاح ماقبلها وحذفت الالف لالتقاء الساكنين فالهمزة زائدة ولامه محذوفة وقيل انه من أنس ووزنه فعلان وانما ذكر هذا توجيها للقولين المذكورين فلا وجه لما قيل انه لم يقع موقعه لعدم مناسبته لما قبله ويدل لقول ابن عباس ان تصغيره انيسان ولذا قيل كما تقدم

* وان أول ناس أول الناس * وقالت

ومن لم يكن ينسى الضغائن والذى * تقدم من حقد فليس بناسى

(وقيل) فى توجيه ماصدر من آدم عليه الصلاة والسلام انه (لم يقصد المخالفة) لمانهاه عنه (استحلالا لها) أى لعدها حلالا حتى لايكون ذلك معصية (ولكنهما) أى آدم وزوجته (اغترا بحلف ابليس لهما) أى قسمه وقوله والله (انى لكما لمن الناصحين) فى تحسين الاكل لهما من الشجرة (وتوهما ان أحدا لايحلف بالله حانثا) مخالفا للواقع (وقد روى عذر آدم) أى اعتذاره عما صدر منه (بمثل هذا) المذكور من ظنه صدقه لاقسامه لهما (فى بعض الآثار) المروية عن السلف أو الاحاديث وذلك ان ابليس رآهما فى الجنة ونعيمها فبكى فقالا له ما يبكيك قال رحمة لكما لزوال هذا النعيم عنكما فقالا له فاذا نكون بماذا ما عن زواله فزلهما ٢ بتاويله النهى وقسمه على ماقاله قالوا وهو أول من وقع منه الحسد والكذب فى اليمين (وقال ابن جبير حلف بالله لهما حتى غرهما) وخدعهما بان الاكل ليس فيه مخالفة لما نهى الله تعالى عنه (والمؤمن يخدع) مبنى للمفعول أى من شانه ان ينخدع بتصديق من غره لسلامة صدره وظنه ان احدا لاينافق ولايكذب وليس هذا الغفلة اذ غابه بل لانه لكونه لايفعل ذلك يعتقد ان غيره مثله ولذا قيل * ان الكريم اذا خادعته انخدعا * (وقد قيل) فى توجيه ذلك أيضا (انه نسى ولم ينو المخالفة) للعهد الذى عهده الله له والنسيان مغتفر وفى تفسير الثعلبى ان النسيان كان مؤاخذا به لنشاته عن أسباب اختيارية ثم نسخ ذلك (فلذلك قال) الله تعالى (ولم نجد له) أى لآدم عليه الصلاة والسلام (عزما أى قصدا للمخالفة) لله فيما نهاه فان العزم التصميم على فعل أو ترك وهو يستلزم ماذكر وتقدم

(وقال ابن جبير) وهو سعيد من اجلاء التابعين (حلف بالله تعالى لهما) أى متكررا (حتى غرهما
والمؤمن يخدع) وفى الحديث المؤمن غر كريم والفاجر خب لئيم رواه أبو داود والترمذى والحاكم فى مستدركه عن أبى هريرة (وقد قيل) يروى وقال أى ابن جبير (نسى ولم ينو المخالفة) وهذا ظاهر (فلذلك قال) أى سبحانه وتعالى (ولم نجد له عزما أى قصدا للمخالفة

٢ قوله فزلهما نسخة والاظهر هى الصواب لان زل لازم الا اذا استعمل بمعنى ازل فلا كلام فيه لكنه لايكون الا بثبت اه

(وأكثر المفسرين على ان العزم هنا الحزم) أي الاحتياط في الامر (والصبر أي عن المخالفة) بالتحمل على مرارة الموافقة (وقيل كان) أي آدم (عند أكله سكران) أي من حب المولى كما قيل في آية لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى من حب الدنيا أو من خمر الجنة (وهذا فيه ضعيف لان الله تعالى وصف خمر الجنة انها لا تسكر) وروى انه لا يسكر لان الخمر قد تذكر ويمكن أن يقال

فيه تفاسير أخر (وأكثر المفسرين على ان العزم) معناه المراد منه (هنا الحزم) وهو الاخذ بما فيه سداد بعد النظر التام فيه (والصبر) حتى يتيسر له مراده من غير قلق واضطراب (وقيل كان عند أكله سكران) فلم يخالف قصدا والسكر لم يكن حراما اذ ذاك والجنة ليست دار تكليف أيضا الا انه ورد ان خمر الجنة ليس له سكر ولا خبال كخمور الدنيا ولا يخفى ان هذا الوجه في غاية الضعف والاولى تركه الا انه قول سعيد بن المسيب كما نقله البغوي واما ما ذكره غير مسلم لا سيما ان قلنا ان الجنة ليست هي دار الخلد كما هو أحد أقوال المفسرين فيها ولذا قال المصنف رحمه الله تعالى (وهذا) القول (ضعيف لانه تعالى وصف خمر الجنة بانها لا تسكر) فينافي هذا الجواب وهو اشارة الى قوله تعالى لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون فانه فسر بانها لا تذهب عقولهم من نزف عقله اذا ذهب والكلام عليه مفصل في التفاسير (فاذا كان) آدم عليه الصلاة والسلام (ناسيا) على أحد الوجوه السابقة (لم يكن) ما فعله آدم (معصية) فلا يصح الاستدلال حينئذ بالآية (وكذلك اذا كان ملبسا عليه) يعني تلبيس ابليس الذي غره به وقسمه له بانه ناصح له وانه يريد خلوده في الجنة وعدم زوال نعمته عنه وان نهى الله ليس بتحريم يمي مؤاخذ به كما يؤخذ مما يأتي (غالطا) أي وقع من آدم عليه الصلاة والسلام الغلط بقوله تلبيسه وتقريره بانه لا اثم عليه في أكله (اذ الاتفاق) من أئمة الدين (على خروج الناسي والساهي من حكم التكليف) يعني انه ليس مكلفا بنص القرآن والحديث فلا يكتب عليه ذنب وأيضا انه كان في جنة الخلد وليست دار تكليف الا انه قيل ان السهو والنسيان كان مؤاخذا به شرعا ثم نسخ كما تقدم عن الثعلبي وأيضا قيل ان الجنة انما تصير دار اباحة دون تكليف بعد الحشر وأما قبل فلا على انه فيه بحث اذ المراد به انه ليس فيها تكاليف الدنيا كالصلوات الخمس والزكاة ونحوهما مما علم من الاحكام الشرعية أما اذا قال الله تعالى لاهل الجنة أمرتكم بكذا أو نهيتكم عنه فانه لا يجوز مخالفته بلا شبهة وهذا مما لا ينبغي الغفلة عنه (وقال الشيخ أبو بكر بن فورك) وهو أبو محمد بن الحسين الاصبهاني امام أهل السنة والكلام وكان في عصره أجل من تصدر للوعظ والتدريس والتأليف وله مصنفات جليلة ومناظرات عجيبة وله رحلة للهند وغيره ولما رجع الى نيسابور مات في الطريق سنة ست وأربعمائة فنقل لنيسابور ودفن بها وقبره يزار ويستجاب عنده الدعاء كما ذكره المؤرخون كابن خلكان وفورك بضم الفاء وسكون الواو وفتح الراء وكاف وتقدم في صدر الكتاب التردد في أنه مصروف أو ممنوع من الصرف (وغيره) من العلماء (انه يمكن ان يكون ذلك قبل النبوة) وفي عصمتهم من الصغائر قبلها خلاف وقد جوزه كثير (ودليل ذلك قوله تعالى وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه) أي اختاره لنبوته (فتاب عليه) مما صدر منه قبل النبوة (وهدى) أي هداه الى علمه (فذكر ان الاجتباء والهدى) مصدر بمعنى الهداية وليس على هذا الوزن مصدر الا الهدى والسرى والتقى على كلام فيه في شرح سيبويه (كانا بعد العصيان) لعطفه بثم كما لا يخفى فالمعنى ان الله ارتضاه لنبوته وان لم يصدر عنه ذنب بعد ما ثبت والاجتباء الاختيار من جبيت الماء في الحوض اذا جمعته فالاجتباء جمعه للمعارف والعلوم اللدنية وقد قيل عليه انه في غاية البعد لان ظاهر الحال من سجود الملائكة لآدم واظهار فضله عليهم ومخاطبته في حضرته تمنع هذا

لعلها كانت تسكر ثم سلب الله تعالى سكرها ويناسبه انها كانت حلالا في الدنيا أولا وصارت حراما آخرا والله سبحانه وتعالى وصف خمر الجنة بما يكون نعتها بعد القيامة ويؤيده ان الجنة لا يكون فيها التكليف آخرا وقد صح تكليفهما فيها أولا (واذا) وفي نسخة فاذا (كان) أي أكله (ناسيا لم يكن معصية) وكذلك اذا كان ملبسا بتشديد الموحدة المفتوحة أي مخلطا (عليه غالطا) أي مخطئا (اذ الاتفاق على خروج الناسي والساهي من حكم التكليف) وفيه ان الله سبحانه وتعالى قد صرح بعصيانه فينبغي ان يقال النسيان أو الخطأ لم يكن معفوا حينئذ كما يدل عليه قوله عليه الصلاة والسلام رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه رواه الطبري عن ثوبان (وقال الشيخ أبو بكر بن فورك وغيره انه

يمكن ان يكون ذلك قبل النبوة) بل هو الظاهر من سياق القضية لقوله تعالى قلنا اهبطوا منها جميعا فاما يأتينكم مني هدى الآية (ودليل ذلك قوله تعالى وعصى) آدم ربه (فغوى ثم اجتباه ربه) أي بالنبوة (فتاب عليه) أي فوفقه للتوبة والثبات على الطاعة أو فرجع عليه بقبول التوبة ونزول الرحمة (وهدى) به الامة (فذكر) أي الله سبحانه وتعالى (ان الاجتباء والهدي) وفي نسخة الهداية (كانا) وفي نسخة كان أي كل واحد منهما (بعد العصيان) بدلالة الفاء التعقيبية

(وقيل بل أكلها متأولا) لان المنهى عنه لم يكن مصرحا (وهو لا يعلم انها) أى الشجرة التى أكل منها هى (الشجرة التى نهى عنها) لانه تأول) أى حمل (نهى الله تعالى على شجرة مخصوصة) أى عليها بعينها (لا على الجنس) الشامل لها ولغيرها فأكل مما عداها (ولهذا قيل انما كانت التوبة من ترك التحفظ) وهو التحرز ورعاية الاحوط فى باب الموافقة (لا من المخالفة) أى الصريحة فى الواقعة (وقيل تأول ان الله لم ينهه عنها نهى تحريم) ولم يعلم ان الاصل فى النهى ان يكون للتحريم

الاحتمال اذ لا معنى للنبوة غير هذا فالاستدلال به على نبوته أولى مما استدل به المصنف رحمه الله تعالى (وقيل) فى الجواب عما استدل به على تجويز الصغائر على الانبياء عليهم الصلاة والسلام (بل أكلها متأولا) لحل أكله وانه لا يصدر عنه به معصية واشار لتأويله بقوله (وهو لا يعلم انها الشجرة التى نهى عنها) بالبناء للمفعول أى التى نهاه الله عنها فى الآية (لانه تأول نهى الله تعالى له) بقوله لا تقربا هذه الشجرة أى لا تأكلا من هذه الشجرة بانه انما نهى (عن شجرة مخصوصة) لقوله من هذه الشجرة لان اسم الاشارة موضوع لفرد معين مشاهد (لا على الجنس) أى انه نهى عن جنس هذه الشجرة الشامل لجميع افرادها وبعضهم قال ان اسم الاشارة قد يشار به الى الجنس مجازا وبه صرح النحاة كما فى أول شرح الكتاب والمراد بالجنس الكلى مطلقا فيشمل الجنس والنوع وغيره ولبعض الشراح هنا كلام لا محصل له (ولذا) أى ولاجل انه تأول بما ذكر (قيل انما كانت التوبة من ترك التحفظ) قال الراغب التحفظ قلة الغفلة وحقيقته تكلف الحفظ لضعف القوة الحافظة انتهى والمراد ترك التيقظ والتنبه (وقيل) فى الجواب وبيان تأويله (انه تأول ان الله تعالى لم ينهه عنها نهى تحريم) وانما هو نهى تنزيه عن خلاف الاولى وكونه لا يناسب قوله فتكونا من الظالمين كما قيل سيأتى ما يدفعه فى كلام المصنف (فان قيل فعلى كل حال) مما ذكرته فى توجيه ما صدر من آدم عليه الصلاة والسلام كيف يكون لا معصية فيه وهو مشكل (فقد قال تعالى) فى هذه القصة (وعصى آدم ربه) فاثبت له المعصية بما فعله وأنت قررت خلافه (وقال فتاب عليه) وهدى والتوبة انما تكون عن ذنب (وقوله) أى قول آدم المحكى عنه (فى حديث الشفاعة) فى المحشر للخلق كما تقدم (ويذكر ذنبه) لما طلب الخلق منه أن يشفع لهم فى الخلاص من هول الموقف فقال لهم اذهبوا الى غيرى من الانبياء فيذكر ذنبه وانه يستحيى من ربه (وقال انى نهيت عن أكل الشجرة) أى عن الاكل من شئ منها (فعصيت) بفعلى ما نهى الله تعالى عنه فهذا كله يقتضى انه صدر منه ذنب ومعصية فينافى ما وجهته به (فسيأتى الجواب عنه وعن اشباهه) مما يقتضى ارتكاب الذنوب (مجملا) مختصرا فى (آخر) هذا (الفصل ان شاء الله تعالى وأما قصة يونس) بن متى عليه الصلاة والسلام (فقد سبق) أى مضى (الكلام على بعض منها آنفا) أى قريبا من قولهم استأنفت الشئ اذا ابتدأته وآنف اسم فاعل منه صار بمعنى قريب (وليس فى قصة يونس) المذكور فى القرآن (نص على ذنب) صدر منه حتى يستمسك بها من جوزه عليهم (وانما ذكر (فيها) أى فى قصته انه (أبق) أى فر وهرب وقد يفرق بين الاباق والهرب بعد تخصيصه بالعبد فيخص الاباق بما كان بلا خوف كما فى القاموس وغيره ولذا عبر به لما فيه من المزايا هنا بخلاف الهرب وكان يونس عليه الصلاة والسلام كما تقدم دعا قومه فلم يطيعوه فوعدهم العذاب فلما تأخر عن موعده وخرج من بينهم (وذهب مغاضبا) أى غضبان فغاضب هنا كسافر ليست كغيرها من المفاعلة وغضبه على قومه لا على ربه وان قيل به وأول وقيل انه خشى القتل وقد تقدم تفصيله كما أشار اليه بقوله (وقد تكلمنا عليه) أى تقدم منا الكلام فى يونس وقصته (وقيل

والحاصل انه حمل النهى على التنزيه الذى يوجب للكاف نوعا من التخيير وان كان الاولى هو الانتهاء لاسيما بالنسبة الى الانبياء والاصفياء (فان قيل فعلى كل حال) أى تقدير وتأويل (فقد قال الله تعالى وعصى آدم ربه فغوى) فاثبت له العصيان والغواية (وقال فتاب عليه) والتوبة لم تكن الا عن المخالفة (وقوله فى حديث الشفاعة ويذكر ذنبه) حين يخاف ربه قائلا (وانى نهيت عن أكل الشجرة فعصيت) اعترافا بذنبه وتواضعا لربه (فسيأتى الجواب عنه وعن أشباهه) مما وقع لغير آدم من اخوانه وأمثاله (مجملا) شاملا له ولغيره (آخر الفصل) يعنى فى الفصل الذى يلى آخر هذا الفصل (ان شاء الله تعالى وأما قصة يونس عليه الصلاة والسلام) وقد تقدم بضم الياء والنون أشهر لغاته من تثليث النون مع الهمز وعدمه (فقد مضى الكلام على بعضها آنفا) بمد الهمزة وقصرها وقد قرئ بهما فى السبعة أى قريبا (وليس فى قصة يونس نص على ذنب وانما فيها أبق) أى من مولاه أو من أمته لشكواه أو من تحمل اعباء النبوة ومقتضاه (وذهب مغاضبا) أى على أمته أو على نفسه رجائه من ضيق قلبه وقلة صبره (وقد تكلمنا عليه) بحسب ما ظهر لنا من أمره (وقيل انما

انما نقم الله) بفتح القاف ويكسر أي أنكر (عليه) أي عاب أو كره (خروجه عن قومه) من غير اذن ربه (فارا من نزول العذاب) أي لئلا يشاهد حلول العقاب وحصول الحجاب (وقيل بل لما وعدهم العذاب ثم عفا الله عنهم) برفعه لاسلامهم بعد خروجه ووصول خبرهم اليه (قال والله لا ألقاهم بوجه كذاب) أي صورة (أبدا) حياء من الخلق بمقتضى العادة البشرية وهو بالوصف أو الاضافة (وقيل بل كانوا يقتلون من كذب فخاف ذلك) وفيه ان اخباره بالعذاب كان مبنيا على اصرارهم الكفر الموجب للعقاب واذا لم يقتلوه وهم مشركون كيف يتصوران يقصدوا قتله وهم مؤمنون (وقيل ضعف عن حمل اعباء الرسالة) أي أثقالها وشدائد أهوالها ومكابدة أحوالها (وقد تقدم الكلام انه لم يكذبهم) بفتح أوله أي بل صدق لهم وقد شاهدوا اصدق كلامه بآثار العذاب ومقدمة العقاب فآمنوا فارتفع الحجاب كما أخبر الله تعالى عنه بقوله فلولا كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها الا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي (وهذا) أي الذي ذكرنا (كله) على وجه قررنا (ليس فيه نص على معصية الا على قول مرغوب عنه) لطائفة (وقوله ابق الى الفلك المشحون) أي المملوء (قال المفسرون تباعد) أي عن قومه تباعد المملوك عن مالكه حيث أمره الله تعالى بكونه عندهم وفق أمره وبهذا التقرير لا يضر لو قيل ابق من ربه وسيده لتخلفه عن حكمه بتباعده وفي ابق ايماء الى بقائه على عبوديته وتحت قضاء مولى ربوبيته

انما نقم الله عليه) أي عاب فعله ولامه عليه وكرهه ونقم بكسر القاف وقد تفتح (خروجه عن قومه فارا من نزول العذاب) بهم وهو بين أظهرهم فكان ينبغي له الثبات اعتمادا على ان الله ينجيه كما نجى نوحا وغيره من الانبياء حتى يوحى اليه ما يريد (وقيل بل لما وعدهم) أي قوم يونس (العذاب) استعمل الوعد مع العذاب مع انه يختص بالخير تهكما كقوله فبشرهم بعذاب أليم فلا وجه لما قيل انه عام بحسب الوضع الاصلي (ثم عفا الله عنهم) لانه لما وعدهم العذاب لثلاث ورأوا مقدماته ضجوا الى الله ولبسوا المسوح وفرقوا بين الامهات والاولاد وتابوا وقالوا آمنا بيونس فعفا الله عنهم وهو صلى الله تعالى عليه وسلم لا يعلم بذلك (قال والله لا ألقاهم بوجه كذاب أبدا) لعدم علمه بما عاينوه وخصهم الله تعالى بقبول توبة اليأس كما قال تعالى الا قوم يونس الآية (وقيل بل كانوا) أي كان من عادتهم انهم (يقتلون من كذب فخاف ذلك) أي القتل لتخلف ما وعدهم به (وقيل) قائله وهب (ضعف عن حمل اعباء الرسالة) اعباء بالهمزة جمع عبء كحمل وهو الحمل الثقيل كما تقدم وكان كما قال وهب في خلقه ضيق ولذا أخرجه الله عن أولي العزم بقوله فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ولا تكن كصاحب الحوت (وقد تقدم الكلام على انه لم يكذبهم) فان ما وعدهم به من العذاب نزل بهم حتى رأوا غمامة فيها دخان أظلتهم لكنهم لما تضرعوا الى الله كشفه عنهم (وهذا) المذكور في قصته (كله ليس فيه نص على معصية) صدرت منه حتى يستدل به على ما ادعوه كما تقدم (الا على قول مرغوب عنه) أي متروك لضعفه وهو انه خرج من غير اذن من الله في الخروج وترك القيام حتى يأذن الله له (وقوله) تعالى (اذ أبق الى الفلك المشحون قال المفسرون تباعد) والفلك يكون مفردا وجمعا ومعناه السفينة والمشحون بمعنى المملوء وتفسير ابق بتباعد مذهب المبرد فاشار به الى ان تفسيره بهذا يقتضي انه لم يعص الله ولم يخرج بغير اذنه كالعبد الآبق من سيده ولذا ذكره المصنف رحمه الله تعالى تأييدا لما قبله ومن لم يقف على مراده قال ليس في ذكره هنا كبير فائدة فان كل آبق متباعد من سيده وانما محل الاستدلال قوله فظن أن لن نقدر عليه وقد تقدم الكلام عليه (وأما قوله) عز وجل (اني كنت من الظالمين) فانه يقتضي انه صدر منه ذنب كما أشار اليه بقوله (فالظلم) حقيقته ومعناه (وضع الشئ في غير موضعه) مطلقا فيشمل الذنب وغيره ومن ظلم السقاء اذا شرب به قبل ان يروبه (فهذا) أي جعله من الظالمين (اعتراف منه عند بعضهم بذنبه) لتبادره من الظلم عرفا وشرعا لالغة كما تقدم (فاما أن يكون) ذنبه (الخروج عن قومه بغير اذن ربه) في الخروج له من بينهم على عادة الانبياء اذا أرادوا الهجرة كما وقع لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم لما هاجر الى المدينة وهو مفصل في الصحيحين (أو) ذنبه

(وأما قوله اني كنت من الظالمين فالظلم وضع الشئ في غير موضعه) حتى قيل لمن وضع حب غير ربه في صدره وقلبه هو ظالم لنفسه ومنه قول العارف ابن الفارض

عليك بها صرفا وان شئت مزجها * فعدلك عن ظلم الحبيب هو الظلم

بل عد الصوفية السنية الغفلة عن الله تعالى وارادة ما سواه ظلما بل كفرا أو شركا ولذا قال تعالى ان الشرك لظلم عظيم وقال العارف أيضا

ولو خطرت لي في سواك ارادة * على خاطري سهوا حكمت بردتي

(فهذا اعتراف منه) أي من يونس عليه الصلاة والسلام (عند بعضهم بذنبه فاما أن يكون) فعله ذنبا (الخروج عن قومه بغير اذن ربه أو

لضعفه عما حمله) بصيغة المجهول أي كلفه (أو لدعائه بالعذاب على قومه) بعد يأسه من ايمان قومه (وقد دعا نوح عليه الصلاة والسلام بهلاك قومه فلم يؤاخذ) بذنبه اذ لا يجب على الله تعالى شيء من عفو أو عقوبة وسائر حكمه ويحتمل ان دعاء نوح عليه الصلاة والسلام كان عن اذن من ربه بخلاف يونس عليه الصلاة والسلام في حق قومه وهو الظاهر لعلمه سبحانه وتعالى

(لضعفه عما حمله) عن اعباء الرسالة لضيق صدره كما تقدم (أو لدعائه بالعذاب على قومه) وهو توجيه ضعيف لان الدعاء على الغير اذا رأى منه ما يسوءه لا يعد ذنبا والى هذا أشار بقوله (وقد دعا نوح) عليه الصلاة والسلام (على قومه بالهلاك فلم يؤاخذ) أي لم ينقمه الله تعالى ولم يعاقبه عليه وذلك قوله رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا فدل هذا على ان عده ذنبا لا يتجه (وقال الواسطي) رحمه الله تعالى تقدمت ترجمته (في معناه نزه ربه تعالى عن الظلم) بقوله سبحانك اني كنت من الظالمين ولم يقل سبحانك علا شأنك عن صدور ظلم منك (وأضاف) أي نسب (الظلم الى نفسه اعترافا) ببراءة الله من مثله أو لقصور البشرية حتى يجوز ذلك عليه ولا يبرئ نفسه (واستحقاقا) لذلك وان لم يقع بالفعل فالحاصل انه ذكره هضما وبيانا لاستعداد البشر لمثله وانما يحفظهم الله بلطفه (ومثل هذا) في تنزيه الله و بيان قصور نفسه (قول آدم وحواء ربنا ظلمنا أنفسنا) مع ما تقدم من بيان العذر فيما صدر منهما وانما أضافا الظلم اليهما (اذ كانا) آدم وحوى (السبب في وضعهما غير الموضع الذي أنزلا فيه) أي أنزلهما الله فيه قبل الاكل من الشجرة في الجنة (واخراجهما من الجنة) أي جنة الخلد التي وعدها المؤمنون وقيل انها جنة و بستان آخر في الدنيا على خلاف مشهور فيه للمفسرين (وانزالهما) من الجنة التي هي فوق السماء (الى الارض) الدنيا وقوله وضعهما الى آخره اشارة الى ان الظلم فيه بمعناه اللغوي وهو وضع الشيء في غير موضعه مطلقا كما تقدم آنفا * فان قلت اذا كان دعاء نوح عليه الصلاة والسلام ليس بذنب فلم قال اذا طلب أهل المحشر منه الشفاعة اني دعوت على قومي فخشي ان لا تقبل شفاعته * قلت قد أجابوا عنه بانه ليس بذنب بل لان لكل نبي دعوة عظيمة مستجابة فهو قدمها في الدنيا لما دعا عليهم لا لانه ذنب وقيل غير ذلك وعاتب الله يونس دون نوح عليهما الصلاة والسلام لان يونس لم يصبر وعجل الدعاء ونوح دعاهم ألف سنة حتى مل عن دعوتهم ويئس منهم (وأما قصة داود صلى الله تعالى عليه وسلم فلا يجب) لان الظاهر ان يقول لا يجوز أو لا يصح (ان يلتفت الى ما سطره فيها) أي كتبه في كتبهم (الاخباريون) أي أصحاب القصص ونسب الى الجمع على خلاف القياس لانه أراد به قوما معينين كأنصاري فاشبه العلم كأعاري وعدم الالتفات كناية عن عدم الاعتبار بذكر ذلك واعتقاده فانه لا يليق ببعض الصالحين فضلا عن الانبياء لكنه أراد بعدم الوجوب الامتناع وعدل عن الظاهر لنكتة وقوله (عن) أخبار (أهل الكتاب) متعلق بسطر لتضمنه معنى نقل (الذين بدلوا) أي حرفوا كتبهم (وغيروا) ما فيها وادخالهم ما لا أصل له وهو علة لعدم جواز النقل كما رووه (ونقله بعض المفسرين) في تفاسيرهم وكان ينبغي لهم ان لا ينقلوه وذلك قولهم ان داود صلى الله عليه وسلم كتب الى أيوب قائد جيشه أن ابعث أوريا أي زوج المرأة الحسناء التي رآها داود وهو يصلي في محرابه فتعلق قلبه بها كأمر الى وجه العدو قبل التابوت وكان من يتقدم مع التابوت لا يجوز له ان يرجع حتى يفتح على يديه أو يستشهد فقدمه ففتح على يديه فكتب له ثانيا ابعثه لموضع كذا فأمره بعد مرة حتى قتل فتزوج امرأته (ولم ينص الله تعالى) في قصته في القرآن (على شيء من ذلك) الذي ذكروه في قصصهم (ولا ورد) عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (في حديث صحيح) يعتمد على روايته والمراد بالصحيح هنا ما يشمل الحسن فانه كثيرا ما يستعمله الفقهاء بهذا المعنى (والذي نص الله عليه) في القرآن (قوله تعالى وظن داود

بايمان قومه في آخر أمره (وقال الواسطي) من أكابر الصوفية المتقدمين (في معناه) أي معنى قوله سبحانك اني كنت من الظالمين (نزه ربه عن الظلم) اذ لا يتصور منه (وأضاف الظلم الى نفسه اعترافا) بقصوره (واستحقاقا) لعفوه (ومثل هذا قول آدم وحواء) بالمد فعلاء من الحياة وهي أم بني آدم وسماها آدم حواء حين خلقت من ضلعه فقيل له من هذه فقال امرأة قيل وما اسمها قال حواء قيل ولم ذلك قال لانها خلقت من حي (ربنا ظلمنا أنفسنا اذ كانا السبب في وضعهما) أي في وضعه سبحانه وتعالى اياهما (في غير الموضع الذي أنزلا فيه واخراجهما) أي وكانا السبب في اخراجهما (من الجنة وانزالهما الى الارض) وهي مكان المحنة والمشقة ودار الكلفة (وأما قصة داود عليه الصلاة والسلام قوله تعالى وظن داود

فلا يجب ان يلتفت) الاولى فيجب ان لا يلتفت (الى ما سطره) بتشديد الطاء وتخفف أي كتبه (فيها) أي انما القصة وفي نسخة فيه أي في الامر (الاخباريون) بفتح الهمزة أي الناقلون (عن أهل الكتاب) أي اليهود والنصارى (الذين بدلوا) أي ألفاظ التوراة ومبناها (وغيروا) معناها ومقتضاها (ونقله) عنهم (بعض المفسرين) اعتمادا على اخبارهم عن أخبارهم وقد ورد ان من العلم جهلا (ولم ينص الله على شيء من ذلك ولا ورد في حديث صحيح) موافق لما هنالك (والذي نص الله عليه قوله وظن داود

إنما فتناه) أي ابتليناه وامتحناه (فاستغفر ربه) أي طلب غفران مولاه في دنياه وأخراه (الى قوله وحسن مآب) يعني وخر راكعا أي وسقط للسجود بالخضوع والخشوع حال انتقاله من الركوع وأناب أي رجع من الغفلة الى الحضرة فان الانابة أخص من التوبة فهي الرجوع من المعصية الى الطاعة فغفرنا له ذلك أي ان كان له ذنب هنالك وان له عندنا لزلفى أي لقربى وحسن مآب مرجع الى الجناب (وقوله فيه) أي في حقه واذكر عبدنا داود ذا الايد أي صاحب القوة في الطاعة (انه أواب) كثير الاوبة وهي الرجعة حتى عن الخطرة (فمعنى فتناه اختبرناه) أي امتحناه (وأواب قال قتادة مطيع) أي في كل باب (وهذا التفسير أولى) في حق أولي الالباب (قال ابن عباس وابن مسعود رضي الله تعالى عنهم) لعل تقديم ابن عباس لكونه من ذوي القربى والا فابن مسعود أفقه الصحابة بعد الخلفاء الاربعة بل ابن عباس أخذ عنه التفسير والحديث والقراءة (مازاد داود) أي ان صح عنه (على ان قال للرجل) من أمته تلويحا أو تصريحا (انزل لي عن امرأتك) أي طلقها لاني أريد ان أتزوجها وأكد الامر بقوله (واكفلنيها) أي أعطنيها وحقيقته ضمها الي واجعل كفالتها الذي مؤنتها علي وكان أهل زمان داود

عليه الصلاة والسلام يسئل بعضهم بعضا ان ينزل له عن امرأته فيتزوجها اذا أعجبته وكان ذلك مباحا لهم غير ان الله تعالى لم يرض له بما هنالك (فعاتبه الله تعالى على ذلك ونبهه عليه) كما في الآية (وانكر عليه شغله بالدنيا) وقلة رغبته في الأخرى وازدياد النساء وقد أغناه الله تعالى عنها بما أعطاه من غيرها على ان مثل هذا الاستدعاء ليس محظورا في مذاهب سائر الانبياء كطلب سائر الماليك وباقي الاشياء غير انه لا يستحسن عرفا بين الاحياء (وهذا) التاويل (الذي ينبغي ان يعول عليه من أمره) أي تعتمد عليه لجلالة قدره (وقيل خطبها على خطبته) بكسر أوله أي قبل زواجه وهو مكروه في ملتنا اذا وقع التراضي في قضيته قال التلمساني روى انه كان خطبها أوريا ثم خطبها داود عليه السلام فآثره أهلها فكان ذنبه ان خطبها على خطبة أخيه المؤمن مع كثرة نسائه أي بالشرط الذي قدمناه وهو غير معلوم مما نقلناه (وقيل بل أحب بقلبه) وهذا مما لا يعرفه غيره به (ان يستشهد) أي أوريا ليأخذ امرأته بعده ولعله كان خطرة من غير اصرار عليه والحاصل انه لا ينبغي ان يلتفت الى ما نقله أهل القصص من ان داود تمنى منزلة أبيه ابراهيم واسحق ويعقوب عليهم السلام فقال يارب ان آبائي قد ذهبوا بالخير كله فأوحى الله تعالى اليه انهم ابتلوا بالبلاء فصبروا وعليه قد ابتلي ابراهيم بنمرود واسحق بذبحه ويعقوب بالحزن على يوسف وذهاب بصره فسأل الابتلاء فأوحى الله تعالى اليه انك لتبتلى في يوم كذا فاحترس فلما كان ذلك اليوم دخل محرابه وأغلق بابه وجعل يصلي ويقرأ الزبور فجاء الشيطان في صورة حمامة من ذهب فمد يده ليأخذها لابن له صغير فطارت فوقفت في كوة فتبعها فأبصر امرأة جميلة قد نقضت شعرها فغطى بدنها هي امرأة أوريا وهو من غزاة البلقاء فكتب الى أيوب بن صوريا وهو صاحب البلقاء أن ابعث أوريا وقدمه على التابوت وكان من يتقدم على التابوت

إنما فتناه الى قوله وحسن مآب) فهذا هو الصحيح نصا ثم انه لما ورد عليه ان في هذا النص ما يقتضي أيضا صدور ذنب وفتنة تاب منها فما المراد بها وما الجواب عنها قال (وقوله فيه) أي في هذا النص (أواب) أي كثير الرجوع عما صدر منه الى الله تعالى بالتوبة فهو مثل تواب في ايهام صدور ذنب منه (فمعنى فتناه) في هذه الآية (اختبرناه) أي جربناه وامتحناه والمراد فعلنا به فعل الممتحن ليظهر حاله للناس من فتنت الذهب اذا صفيته من غشه وهذا حقيقته فليست الفتنة هنا بايقاعه فيما يضره من الآثام كما هو المعنى المتداول في عرف اللغة (و) معنى (أواب) هنا كما (قال قتادة) في تفسيره (مطيع) لكثرة رجوعه لامره (وهذا التفسير أولى) من تفسيره بتواب عن الذنوب وهذا التفسير نقله البغوي عن ابن عباس أيضا (وقال ابن عباس وابن مسعود) رضي الله تعالى عنهما في تفسيره لفتنته (مازاد داود على ان قال للرجل) يعني أوريا زوج المرأة الحسناء التي رآها (انزل لي عن امرأتك) أي أفرغ عنها وطلقها لأتزوجها لا انه أرسلها الى المغازي حتى قتل (واكفلنيها) أي ضمها الي بالدخول تحت نكاحي ومنه الكفالة لانها ضم ذمة الى ذمة كما قصه الله تعالى في مرافعة الملكين له وقوله ان هذا أخي الى قوله اكفلنيها وعزني في الخطاب مما ضرب به الله مثلا لما صدر منه (فعاتبه الله على ذلك) الفعل الذي صدر منه (ونبهه عليه) على ما فيه من خلاف الاولى اللائق بمقامه عدمه (وانكر عليه شغله بالدنيا) وما فيها من النكاح ونحوه (وهذا) الذي قاله ابن عباس وابن مسعود هو (الذي ينبغي ان يعول عليه) أي يعتمد عليه فيروى ويعتقد (من أمره) وأمر أمثاله من رسل الله عليهم الصلاة والسلام لا ما نقل عن أهل الكتاب (وقد قيل) انه انما (خطبها) أي طلب تزوجها (على خطبته) بكسر الخاء وهي طلب الزوجة وهي من الخطابة بالضم وكان داود عليه الصلاة والسلام لم يعلم بخطبته فلا ذنب أصلا (وقيل بل) الذي عتب الله عليه انه (أحب بقلبه ان يستشهد) ليتزوج بامرأته لا انه صرح به وباشر أسبابه

لايحل له ان يرجع حتى يفتح الله على يديه أو يستشهد لديه فبعثه وقدمه فسلم وأمر برده مرة أخرى وثالثة حتى قتل فتزوج امرأته وهى أم سليمان فهذا ونحوه مما يقبح ان يتحدث به عن بعض المتسمين بالصلاح من المسلمين فضلا عن بعض أعلام الانبياء والمرسلين فعن على كرم الله وجهه من حدثكم بحديث داود على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين وهو حد الفرية على النبيين (وحكى السمرقندى) وهو الفقيه أبو الليث الحنفى رحمه الله تعالى (ان ذنبه الذى استغفر منه قوله لاحد الخصمين لقد ظلمك فظلمه) بتشديد لامه أى نسبه الى ظلمه (بقول خصمه) أى من غير ان يقر المدعى عليه بذنبه وهذا غير مستفاد من التنزيل لانه ليس فيه دليل على اثباته ولا على نفيه مع انه يحتمل ان لا يكون هذا حكما بان قاله افتاء على تقدير سؤله وقبول خصمه لقوله (وقيل بل لما خشى على نفسه) من الغفلة (وظن من الفتنة) أى من جملة الابتلاء بالمحنة (لما بسط له) أى وسع عليه (من الملك) وهو كمال الجاه الصورى (والدنيا) أى كثرة المال المحتاج اليه فى الحال الضرورى كذا فى بعض النسخ قوله وقيل الى هنا وسيأتى ما فى بعض آخر مؤخرا (والى نفى ما أضيف فى الاخبار) أى عن الاحبار (الى داود) أى ما نسب اليه من ذلك (ذهب) قدم عليه الجار والمجرور المتعلق به لافادة الحصر فيما ذهب اليه (أحمد بن نصر وأبو تمام وغيرهما من المحققين) وذلك لانهم الكفرة الفجرة وقد غيروا أخبار البررة قال عليه الصلاة والسلام لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وهذا اذا لم يكن منافيا لقواعد ملتنا وقوانين شريعتنا والا فلا شك انا نكذبهم فى أخبارهم عن رهبانهم وأحبارهم وعن كتبهم وأسرارهم (وقال الداودى ليس فى قصة داود وأورياء) بفتح الهمزة وقد يضم بسكون الواو وكسر الراء فتحتية فالف ممدودة (خبر

في

كما مر وهو ميل قلبى لا يؤاخذ به لانه خطر بقلبه انه لو استشهد تزوجها لانها أعجبته وعلى هذه الوجوه لا معصية فيه اما طلب النزول عن زوجته فكان جائزا عندهم كما كان فى أول الهجرة بين الانصار والمهاجرين واما الخطبة على الخطبة فانها وان كانت حراما عندنا بغير رضى وفراغ فلعله جائز عندهم أو لم يعلم بما أعلمه الله به فلا حرج عليه واما خطرات القلوب فلا يؤاخذ بها وما عداه لا يجوز نسبته لهم ولا التحدث به ولذا قال على رضى الله تعالى عنه من حدث بقصة داود عليه الصلاة والسلام جلدته مائة وستين وهو حد الفرية على الانبياء عليهم الصلاة والسلام وهذه القصة نظير قصة نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم مع زيد رضى الله تعالى عنه فى زوجته أم المؤمنين زينب بنت جحش كما يأتى ذلك لما رآها الا انه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يطلب من زوجها فراقها بل قال له امسك عليك زوجك حتى زوجها الله تعالى له وفيه منقبة عظيمة له وقد ابتلى الله تعالى بالنساء ثلاثة من الانبياء نبينا وداود ويوسف عليهم الصلاة والسلام ابتلاء لحكم خفية منه وبقية الكلام على هذه القصة مفصل فى التفاسير وكتب الحديث فلا حاجة للتطويل بها هنا وكثرة القيل والقال كما فعل فى الشرح الجديد (وحكى السمرقندى) فى تفسيره وقد قدمنا ترجمته وانه أبو الليث الامام المشهور (ان ذنبه الذى استغفر منه) أى طلب من الله مغفرته والعفو عنه لم يكن ذنبا كما توهموه وانما هو (قوله لاحد الخصمين) أى الملكين اللذين أتياه فى صورة رجلين متخاصمين له (لقد ظلمك) بسؤال نعجتك الى نعاجه (فظلمه) بتشديد اللام أى نسبه للظلم (بقول خصمه) أى بمجرد قوله من غير كشف لحال خصمه وتثبت فى أمره وهو خلاف الاولى وقد قال ابن العربى انه لا يجوز فى ملة من الملل فما قاله السمرقندى لا يجدى هنا وأجيب عنه بانه انما قاله لانه رأى خصمه سلم له مقالته ولم ينكر عليه فظنه رضى بما قاله وكلام الله مبنى على غاية الايجاز فكأنه قال تمهل وعلم بسكوته رضاه أو هو بتقدير ان كان كما تقول فقد ظلمك وقال الحليمى انه سمع قول المتظلم فاستعجل ولم يسأل عن ظلمه ولذا عاتبه ولم يرض فعله والاحسن ما قدمناه (والى نفى ما أضيف فى الاخبار) أى ما نسب فى الاخبار السابقة (الى داود من ذلك) الذى رووه (ذهب أحمد بن نصر) وقد تقدمت ترجمته (وأبو تمام) قال البرهان هو حبيب بن أوس الطائى ونسبه معروف وانه الشاعر المشهور صاحب الديوان وترجمته معروفة وبلاغته ورتبته معروفة فى معرفته باللغة والعربية وهو فى الطبقة العلية من المولدين متقدم العصر والرتبة على المتنبى لكن لم نر من عده من علماء الحديث والتفسير فهو غلط من اشتراك الاسم وقد نقل المصنف رحمه الله تعالى فى هذا الكتاب كثيرا عن محمد الابهرى من علماء المالكية من أهل طليطلة وهو ملقب بابى تمام وهو المراد هنا وما قاله الشراح هنا وأصحاب الحواشى من انه أبو تمام الشاعر خطأ فانا لم نسمع من نقل عن الشاعر شيئا مما يتعلق بالامور الشرعية وانما غرهم الاشتراك اللفظى وهذا مما لا شبهة فيه ويؤيده قوله (وغيرهما من المحققين) فان عد أبى تمام الشاعر محققا مما لا يعرف فهو مؤيد للوهم فيه (وقال الداودى) تقدم الكلام عليه وعلى ترجمته (ليس فى قصة داود صلى الله عليه وسلم وأوريا خبر) رواه المحدثون

يثبت) أى بشروطه المعتبرة عند ارباب الاثر (ولا يظن) بصيغة المجهول أى ولا ينبغى ان يظن (بنبى نحبة قتل مسلم) لحصول أمر دنىء ثم الخصمان قيل جبريل وميكائيل عليهما السلام وقال تسوروا بصيغة الجمع امابناء على اطلاقه على مافوق الواحد أو تعظيما لهما أولاجلهما ومن معهما من الملائكة قال التلمسانى أو حملا على لفظ الخصم اذ كان كلفظ الجمع ومشابها مثل الركب والصحب وفيه انه لو كان حملا على لفظه لافرد ضميره كالفوج والقوم على ماحقق فى قوله تعالى كالذى خاضوا وقوله هذان خصمان اختصموا أى فويان وقد جمع اختصموا بناء على أفراد الفوجين (وقيل ان الخصمين اللذين اختصما اليه) أى الى داود

فى كتبهم المعتمدة (ثبت) بفتح المثلثة وسكون الموحدة وتاء مثناة فوقية أى متلبسا بثبوت النقل فيه واوريا هو ابن حنان زوج المرأة التى تزوجها داود بعده كما تقدم وهى أم سليمان نبى الله عليه الصلاة والسلام واوريا قال الانطاكى فى حواشيه انه بضم الهمزة وسكون الواو وكسر الراء المهملة ومثناة تحتية ومدة تليها همزة وضبطه غيرهم بفتح الهمزة الاولى وقال البرهان لا أعلم فيه نقلا (فلا يظن بنبى محبة قتل مسلم) كما قالوه ولا ينافيه ماقدمه من قوله انه صلى الله تعالى عليه وسلم أحب بقلبه ان يستشهد كما قيل فان المصنف رحمه الله تعالى لم يرتضه بل مرضه بقوله وقيل الى آخر مامر وماقيل من ان كلام الداودى طعن فى الروايات من غير دليل ليس بشئ فان ماروه فيه مالايليق بمقام الانبياء والاقدام عليه من غير رواية صحيحة لايليق والنافى لايطالب منه دليل (وقيل ان الخصمين اللذين اختصما اليه) بان ادعى أحدهما على الآخر (رجلان) حقيقة لاملكان فى صورة رجلين وهما جبرائيل وميكائيل (فى نعاج) جمع نعجة وفى نسخة نتاج (غنم على ظاهر الآية) من غير تاويل بانهما ملكان أتياه فى صورة رجلين ينبهاه على ماصدر منه من خلاف الاولى لا كما قاله أصحاب القصص وهذا وقع فى بعض النسخ وليس فى الام والحاصل ان مااشتهر بين القصاص وأهل الكتاب واغتر به الحشوية لم يثبت والذى قصه الله تعالى عنه ليس فيه ماياباه مقام النبوة (واماقصة يوسف) عليه الصلاة والسلام ومانقله أهل القصص فيها مما يقتضى صدور ذنب منه كما تمسك به من جوز مثله على الانبياء عليهم الصلاة والسلام مما لا أصل له فى نص من القرآن ولا من الاحاديث الصحيحة (واخوته) ابناء يعقوب اثنى عشر من زوجتين له راحيل أم يوسف عليه الصلاة والسلام وبنيامين تزوجها بعد اختها ليا وأسماء أخوته مذكورة فى التفاسير والتواريخ مع اختلاف فى ضبط أسمائهم وأكبرهم اسمه روبيل (فليس على يوسف فيها) أى فى تلك القصة (تعقب) أى اعتراض مما يدل على طعن فيه أو نقص ينسب اليه مما لايناسب مقامه عليه الصلاة والسلام وهو الكريم ابن الكريم وأصل العقب ان يمشى على أثره كانه يطأ عقبه ثم استعمله المصنفون بمعنى الاعتراض فيقال تعقب كلامه اذا أورد عليه ايرادا مانعا فلا اعتراض على يوسف عليه السلام نفسه فيما حكاه عنه كما حكاه المفسرون (واما اخوته) والاعتراض على ماصدر منهم من القاء يوسف فى الجب وكذبهم على أبيهم عليه الصلاة والسلام وعقوقهم له (فلم تثبت نبوتهم) حتى ينافى مافعلوه لانهم غير معصومين وقال السيوطى فى رسالة سماها رفع التعسف عن اخوة يوسف لم ينقل عن احد من الصحابة والتابعين نبوتهم ونقل عن ابن زيد انه قال بنبوتهم وأنكره آخرون والمفسرون منهم من قال انهم أنبياء ومنهم من رده كالقرطبى والرازى وابن كثير ومنهم من حكى القولين بلا ترجيح كابن الجوزى ومنهم من لم يتعرض له وفسر الاسباط باولاد يعقوب فحسبوه قال بنبوتهم وسياتى بيانه (فيلزم) بالنصب فى جواب النفى (الكلام) فاعله (على أفعالهم) وتوجيهها

(رجلان) أى لاملكان وهو مرفوع على خبر ان على ماهو ظاهر وفى حاشية التلمسانى قيل صوابه رجلين نصبا ووجه الالف أما على لغة بنى الحرث فالالف فى الجر والنصب كالف المقصور أو خبر لمحذوف أى هما رجلان وهو بعيد انتهى وخطؤه لايخفى (فى نعاج) وفى نسخة فى نتاج (غنم) متعلق باختصما (على ظاهر الآية) فيكون الاختصام تحقيقيا أى لاتمثيليا وتصويريا لكن يستفاد من الحقيقة أيضا بطريق الاشارة مايراد به من مجاز الطريقة (وقيل) أى علة ذنبه الذى استغفر منه (لماخشى على نفسه وظن) فى باطنه (من الفتنة) أى البلية والمحنة (بما بسط له) أى وسع له (من الملك والدنيا) وأى فتنة أعظم من الدنيا لولا عصمة المولى مع انها سبب لنقصان الدرجة فى الأخرى (واماقصة يوسف عليه السلام) وهو بضم الياء والسين أشهر لغاته من تثليث السين مع الهمز وعدمه (واخوته فليس على يوسف فيها) أى فى قصتهم وفى نسخة منها أى من جهتهم (تعقب) بتشديد القاف أى اعتراض أو تعقب كما فى نسخة أى مطالبة عتاب وملامة (واما اخوته فلم تثبت نبوتهم) أى عند بعض العلماء فلا اشكال فى أحوالهم (فيلزم) بالنصب أى حتى يلزمنا (الكلام على أفعالهم) وتاويلها على تحسين آمالهم

(وذكر الاسباط وعدهم فى القرآن عند ذكر الانبياء) ليس صريحا فى كونهم من أهل الانباء حيث قال تعالى قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وهو جمع سبط بالكسر أولاد يعقوب واحفاد اسمعيل واسحق وسموا بذلك لانه ولد لكل واحد منهم جماعة وسبط الرجل حافده ومنه قيل للحسن والحسين رضى الله تعالى عنهما سبطا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والسبط فى بنى اسرائيل كالقبيلة فى العرب والشعوب من العجم ومنه قوله تعالى وقطعناهم اثنتى عشرة أسباطا أمما وهم اخوة يوسف كلهم بحسب ظاهره ويشير اليه رؤيا يوسف اياهم على هيئة الكواكب ايماء الى ان مراتبهم فى المناقب دون مرتبة الرسالة التى كانت لابيهم ١٩٦ يعقوب على انه يحتمل ان يكون تصوير الكواكب اشعارا بنور الايمان وظهور المناقب (قال المفسرون) أى بعضهم يريد من نبئ من ابناء الاسباط) قال البغوى وكان فى الاسباط انبياء ولذلك قال وما أنزل اليهم وقيل هم بنوا يعقوب من صلبه فصار واكلهم انبياء والله سبحانه وتعالى أعلم (وقد قيل انهم كانوا حين فعلوا بيوسف مافعلوه صغار الاسنان ولهذا لم يميزوا يوسف) أى لم يعرفوه فى مصر (حين اجتمعوا عليه) وفى نسخة به (ولهذا) أى ولكونهم صغارا أيضا (قالوا أرسله معنا غدا نرتع ونلعب) على قراءة النون والظاهر انها محمولة على التغليب لقراءة يرتع ويلعب بصيغة الغيبة والرتع الاكل رغدا ثم كون كلهم صغارا فى غاية البعد علاوة على ان لعب الكبار لا يستبعد شرعا وعرفا (وان ثبتت) يروى فان ثبتت (لهم نبوة فبعد هذا) الامر والقصة وهذا مما لا شك فيه انه قبل البعثة وانما الاشكال فيما وقع لهم من العقوق وقطع الرحم والكذب وبيع الحر وهذه الامور كلها كبائر لا تستقيم الا عند من يجوز ارتكابها على الانبياء قبل البعثة والمحققون على خلاف هذه القصة (واما قول الله تعالى فيه) أى فى حق يوسف عليه السلام (ولقد همت به) أى هم شهوة ومراودة (وهم بها) أى هم مصيبة ومكابدة والباء للسببية فيهما أو هم فكرة وخطرة شفقة عليها وحسرة على قبيح همها لديها وارادتها عدم حفظ الغيب المفوض اليها ويكون بين همت وهم صنعة المجانسة أو طريقة المشاكلة (لولا ان رأى برهان ربه) أى لولا النبوة ولوازمها من العصمة لهم هم الشهوة لكن النبوة موجودة فلم يهم هم المعصية وحذف هم فى جواب لولا لدلالة همت عليه من قبلها

(و) قوله (ذكر الاسباط وعدهم فى القرآن عند ذكر الانبياء) يوهم انهم انبياء وانما أراد ذرية يعقوب لا أولاد صلبه وهم من ولدهم بغير واسطة لحصوله من ماء يخرج من صلب ظهره كما أشار اليه المصنف رحمه الله تعالى بقوله (قال المفسرون يريد من نبئ) ببناء المجهول أى صار نبيا (من ابناء الاسباط) لا أولاده لصلبه كما تقدم وقال ابن كثير لم يقم دليل على نبوتهم وظاهر القرآن يخالفه ومنهم من زعم انهم أوحى اليهم بعد ذلك لقوله تعالى والاسباط ولا دليل فيه لان بطون بنى اسرائيل يقال لهم اسباط كالقبائل فى العرب والشعوب فى العجم فلا يدل على انه أوحى اليهم باعيانهم بل على ان ذرية يعقوب انبياء ولا وجه لتفسير الاسباط باولاد يعقوب لصلبه كما قاله ابن تيمية وأصل السبط الشجرة الملتفة الاغصان ثم أطلق على أولاد يعقوب لكثرتهم والسبط الحافد أيضا كما قيل للحسن والحسين سبطا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقوله اثنى عشر اسباطا أمما صريح فى ان الاسباط الجماعات الكثيرة مطلقا فتخصيصه باولاد الصلب خطأ ولم يكن فيهم نبى قبل موسى عليه السلام غير يوسف وفى الحديث أكرم الناس يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم نبى ابن نبى ابن نبى ابن نبى فلو كان اخوته انبياء شاركوه فى ذلك وما فى قصتهم من العقوق والكذب صريح فى عدم نبوتهم وانما نشأ الغلط من لفظ الاسباط كما قاله ابن تيمية فى رسالة له فى ذلك (وقد قيل) وهو أحد الاقوال الثلاثة كما فصلناه (انهم كانوا حين فعلوا بيوسف مافعلوا) مما حكاه الله تعالى عنهم فى سورة يوسف (صغار الأسنان) جمع سن وهو زمان العمر أى اطفال غير مكلفين (ولهذا لم يميزوا يوسف حين اجتمعوا به) بمصر بعد بعد العهد به أى لم يعرفوه لانهم فارقوه وهم غير مميزين وفى عبارته لطيفة هنا (ولهذا) أى لكونهم حين صدر عنهم ما صدر (قالوا) لابيهم (ارسله معنا غدا نرتع) أى نتجارى ونتسابق (ونلعب) واللعب لا يليق بالرجال (وان ثبتت لهم نبوة فبعد هذا الفعل) على أحد الاقوال المتقدمة (والله أعلم) بحقيقة حالهم وهذه الدلالة بحسب الظاهر المتبادر فان الكبار قد يلعبون ويتسابقون وهو على قراءة نرتع ونلعب بالنون وعلى القراءة الأخرى يرتع ويلعب بالياء المثناة هو بضمير الغيبة ليوسف دونهم فلا دليل فيه وكذا عدم معرفتهم له انما يدل على صغرهم وبعد عهدهم به لان مدة مفارقتهم أربعون سنة أو ثمانون بحسب الظاهر اذ لا يجوز ان لا يعرفوه لتغير زيه وكونه بهيئة الملوك ذوى الهيبة ولعدم قربهم من مجلسه ومثله من الامارات الظنية يكتفى فيه بهذا القدر (واما) ما استدلوا به من وقوع الذنب والمعصية منهم وهو (قوله تعالى ولقد همت به وهم بها لولا ان رأى برهان ربه) ضمير همت لامرأة العزيز وضمير هم ليوسف عليه الصلاة والسلام والهم يكون بمعنى العزم المصمم على أمر وبمعنى ميل طبيعى غير

اختياري وهمها بالمعنى الاول وهو ارادتها الفاحشة وهمه بالمعنى الثاني وهو غير مذموم اذا كف عنه بل ممدوح يؤجر عليه لو سلم فان قلنا بعدم وقوعه لانه في المعنى جواب لولا ان جوز تقديمه عليها على ما يأتي أو قائم مقامه أي لولا رؤية البرهان هم فيدل حينئذ على انه لم يهم بها وما وقع في القصص من حل السراويل وما بعده كذب لا أصل له وبرهان ربه قيل انه رأى يعقوب عليه الصلاة والسلام عاضا على أصبعه وهو يقول اتفعل فعل السفهاء وأنت مكتوب من الانبياء بان تصورت له صورته أو رآه حقيقة وفرج له السقف وقيل ضرب صدره بيده فنزعت منه شهوته وقيل نودي بصوت من وراء الحجاب فقام هاربا ومضت خلفه وقيل انما تمثل له جبريل عليه الصلاة والسلام فصده (فعلى طريق جماعة من الفقهاء والمحدثين ان هم النفس لا يؤاخذ به) مطلقا لانه أمر اضطراري وفسره بقوله (وليس سيئة) أي خطيئة ومعصية (لقوله) صلى الله تعالى عليه وسلم نقلا (عن ربه) يعني في الحديث القدسي الذي رواه مسلم في صحيحه وهو حديث طويل (اذا هم عبدي بسيئة) أي عزم عليها وقصدها (فلم يعملها) بان تركها خوفا من ربه (كتبت له حسنة) لمجاهدته نفسه وصرفها عما تريده (فلا معصية في هذا) أي في هم يوسف عليه الصلاة والسلام (اذن) على هذا القول والتقدير (وأما على مذهب المحققين من الفقهاء والمتكلمين) كأبي بكر الباقلاني الذين رأوا تعارض النصوص فدققوا النظر في التوفيق بينها فانهم فصلوا في ذلك تفصيلا (فان الهم) الذي يخطر بالبال (اذا وطنت عليه النفس) عازمة على الفعل أي صممت وجزمت عليه واصل معناه اتخذه وطنا ثم نقل لما ذكر بعدما كان مجاز العلاقة ظاهرة يقال وطنت نفسي واوطنتها اذا حملتها على أمر فاستمرت (سيئة) تكتب عليه فهو مرفوع خبر ان ونصبه خبر كان مقدرة بعيد (وأما ما لم توطن) بالبناء للمفعول (عليه النفس من همومها) جمع هم بمعنى نية وعزم (وخواطرها) عطف تفسير (فهو المعفو عنه) لا ما قبله (وهذا هو الحق فيكون ان شاء الله هم يوسف من هذا) القبيل المعفو عنه فلا يتم الاستدلال بهذه القصة على تجويز الصغائر والحاصل انه ذهب كثير من العلماء الى ان هم المرء وخاطر نفسه لا يؤاخذ به فلا معصية في ذلك على هذا وذهب بعض الفقهاء والمحدثين الى ان الهم اذا لم توطن عليه النفس معفو عنه واذا وطنت عليه وصممت كتبت سيئة والنصوص فيه مخالفة فما تقدم في حديث مسلم وأحاديث أخر في معناه يدل على انه لا يؤاخذ به وقوله تعالى وان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله وقوله يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم ونحوه يدل على خلافه والتوفيق بينهما ما قاله الغزالي من ان أول ما يرد على القلب كرؤية امرأة على الطريق مالت لها النفس ويسمى حديث النفس وخاطرا والثاني ما يتولد منه من الرغبة واعادة النظر وهو الميل الطبيعي والثالث حكم القلب بانه ينبغي ان يفعل وينبغي اعادة النظر والرابع التصميم على ذلك وترك الصوارف عنه كالحياء والاول لا يؤاخذ به لانه لا يدخل تحت الاختيار وكذا هيجان النفس والميل والشهوة لانها ليست اختيارية وهو المراد بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم عفي عن أمتي ما حدثت به نفوسها وهو الخواطر التي لا يتبعها هم وعزم وأما الاعتقاد وحكم النفس بانه ينبغي ان يفعل فيكون اضطراريا ولا يؤاخذ به واختياريا فيؤاخذ به والرابع يؤاخذ به فان لم يفعل نظر فيه فان تركه خوفا من الله وندما على همه كتبت له حسنة لمجاهدته لنفسه وان تركه لعائق وعذر غير خوف من الله كتبت عليه وفي الحديث ما يدل على هذا التفصيل وهو كلام حسن وهم يوسف عليه الصلاة والسلام كان عزما وتصميما منعه منه خوف ربه فهو حسنة لا معصية ثم أشار الى الجواب عن سؤال مقدر بقوله (ويكون على تقدير انه معفو عنه (قوله وما أبرئ نفسي الآية) معناه وتفسيره الذي بينه بقوله

(فعلى مذهب كثير من الفقهاء والمحدثين ان هم النفس) أي خواطرها (لا يؤاخذ به) أي وان صمم عليه (وليست بسيئة) الا صورة (لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم عن ربه) أي حاكيا عنه في الحديث القدسي والكلام الانسي (اذا هم عبدي بسيئة فلم يعملها) أي وتركها خوفا مني فلم يثبت عليها ظاهرا وباطنا من أجلي (كتبت له حسنة) بصيغة المجهول ويجوز ان يكون بصيغة الفاعل والمعنى أمرت بان يكتب له حسنة (فلا معصية في همه اذا) أي حينئذ (وأما على مذهب المحققين من الفقهاء والمتكلمين فان الهم اذا وطنت) بضم الواو وتشديد الطاء المكسورة أي اذا استقرت (عليه النفس سيئة وأما ما لم توطن عليه النفس من همومها وخواطرها فهو المعفو عنه وهذا) القول الثاني (هو الحق) أي الصواب جملة معترضة بين أما وجوابها (فيكون ان شاء الله تعالى هم يوسف عليه الصلاة والسلام) أي ان كان هم الشهوة (من هذا القبيل) كما هو اللائق بالانبياء من حسن الظن في حوالهم (ويكون قوله وما أبرئ نفسي) أي من التقصير الزلة ولا أزكيها بكمال النظافة والطهارة (الآية) أي ان النفس لامارة بالسوء أي لكثيرة الامر بما يسوء الانسان في جميع الازمان الا ما رحم ربي أي من رحمة ربي أو وقعت رحمة ربي فانه يعصم من خطراتها ووساوسها وتكدراتها وهواجسها ان ربي لغفور لمن فرط في خدمته من عباده رحيم بمن أحسن في طاعته من عباده

(أى ماأبرئها من هـذا الهـم) المورث للغم (أو) وفى نسخة و (يكون ذلك) القول (منـه على طريق التواضـع) فى ساحة الربوبية (والاعتراف بمخالفة النفس) فى زراية العبودية (لما) وفى نسخة بما (زكى قبل و برئ) بصـيغة المجهول فيهما أى لما زكته النسوة و برأته قبل ذلك وشـهدن له بالعصمة هنالك (فـكيف) أى لا يأول على طريق يقول (وقد حكى أبو حاتم) أى الرازى السختيانى الحنظلى وهو الامام الحـافظ الكبير أحد الاعلام ولد سنة تسع وخمسـين ومائة ومات بالبصرة وسمع محمـد بن عبـد الله الانصارى والاصمعى وأبا نعـيم وغيرهم وحـدث عنـه يونس ابن عبـد الاعلى وأبو داود والنسائى وجماعة قال الدارقطنى ثقة وأما ابنه عبد الرحمن فله تفسير جليل وله حال جميـل (عن أبى عبيدة رحمه الله) وهو معمر بن المثنى (ان يوسف لم يهم) اى أصلا وهو بضم الهاء والمـيم و يفتح و يكسر (وان الكلام فيه تقديم وتاخير أى ولقد همت به) أى وتم الكلام به (ولولا ان رأى برهان ربه لهم بها) وانما قال بالتقديم والتاخير لان جواب لولا لم يتقدم عليها فى الاصح (وقد قال الله تعالى عن المـرأة) وهى زليخـا أو راعيل (ولقد راودته عن نفسه) أى طالبتـه أن يجامعنى وقصـدت منه أن يواقعنى (فاستعصم) أى امتنـع وتصمم ولم يقع منه ميل ولا هم (وقال تعالى كذلك لنصرف عنه السوء) أى الصغيرة وهى نحو الهم (والفحشاء) أى الكبيرة وهى الزنا (وقال وغلقت الابواب) اهتماما للاسباب ومبالغة فى الستر والحجاب (وقالت هيت لك) فيه قرا آت مشهورة ومعانى مذكورة فى كتب مسـطورة وحاصلها هلم الى ما أدعوك اليه (قال معاذ الله) أى أعوذ بالله معاذا (انه) أى الله (ربى) أو العزيز مربى وسيدى (أحسن مثواى) أى منزلى ومأواى

(أى ماأبرئها من هـذا الهم) يعـنى ما أنزهها عنه الا انه أمر جبلى لا محذور فيـه (أو يكون ذلك) أى قوله وما أبرئ نفسى صدر (منه على طريق التواضع) باظهار انه غير منزه عما يشـين لان الـكمال لله لا انه صـدر منه مثله حتى يتمسك به (والاعتراف بمخالفة النفس) أى ما أبرئها من الهم بالمعاصى وقد دفعت ولكنى خالفتها وصرفتها عن همها وهو أمر حسن منـه (لما) بكسر اللام وتخفيف المـيم (زكى قبـل و برئ) منه فى الآيات السابقة وهـذا بناء على ان قوله وما أبرئ نفسى من كلام يوسف عليه الصـلاة والسـلام وقد قيل انه من كلام امرأة العزيز متصل بقولها ذلك ليعـلم انى لم أخنـه بالغيب والوجهان مذكوران فى التفاسير وعلى هذا لا يرد السؤال أصلا (فـكيف) تاييد لما هو بصـدده من أنه لا اعتراف بصدور ذنب منه فى كلامه (وقد حكى أبو حاتم) قيل ولعله ابن أبى حاتم فى تفسيره (عن أبى عبيدة) معمر ابن المثنى وقد تقدمت ترجمتـه وأبو حاتم الرازى هو الامام الحافظ الجليل محمـد بن ادريس بن المنـذر الحنظلى أحد الاعلام فى التفسير والحديث ولد سنة خمس وتسـعين ومائة وتوفى فى شعبان سنة سبع وسبعين ومائتين (ان يوسف) عليه الصـلاة والسـلام (لم يهم) أى لم يقع منه هم بعـده معصـية (وان الكلام) أى النظم القرآنى الذى نحن فيه (فيه تقديم وتاخير أى) و بيانه (لقد همت) امرأة العزيز (به) أى بيوسـف وتـكليفه بما ارادته (ولولا ان رأى برهان ربه لهـم بهـا) قال الشريف المرتضى فى كتابه الدرر والغرر انه على هذا يجرى مجرى قولهم قد كنت هلـكت لولا أنى تداركتك أى لولا تداركى هلـكت وان لم يقع هلاك واستشهد له بقوله تعالى ولولا فضـل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهـم ان يضـلوك والهم لم يقع واسـتبعد قوم تقديم جواب لولا عليها وهو أولى من حـذفه وذكر شواهد استشهد بها على جواز تقديمـه ردبها على من قال انه لا يجوز انتهى فـما قيـل ان جواب لولا محـذوف لعـدم جواز تقديمه غـير مرضى وهـذا مذهب الزمخشرى والزجاج لكن المرتضى علم من الائمة فى العربيـة وغيرها فلذا اختير قوله و يقدر بلفظ ما قبله أو لواقع المعصية وامرأة العزيز اسمها راعيل وقيـل زليخا كزيخا بفتح أوله وضمه خطا (وقد قال تعالى) حكاية (عن المرأة) المـذكورة آنفا (ولقـد راودته عن نفسـه فاسـتعصم) واسم زوجها العـزيز قطفير والمراودة الطلب من رادير ود اذا جاء وذهب أى طلبت منه أن يضاجعها ومعنى استعصم امتنع لعصمة الله تعالى له وفيه دليـل على انه لم يقع منه هم بالمعـنى الذى قالوه (و) مما يؤيده انه (قد قال تعالى) فى حقه (كذلك) أى عصمناه (لنصرف عنه السوء والفحشاء) أى لئـلا تميل نفسـه لما أريد منـه من معصـية الله والجار والمجرور فى محـل نصب أو رفع أى بيناه تبيينا كذلك أو أمره كذلك والسـوء الزنا أو الذكر القبيـح أو عقوبة الملك والفحشـاء مواقعـة المـرأة ونحوها مما يقبـح (وقال) تعالى فى هـذه القصـة (وغلقت الابواب) معطوف على قوله راودته وغلق الباب قفـله والتفعيل للتـكثير وقفلها لتخلو به لما ارادته (وقالت هيت لك) هيت اسم فعـل مبـنى عـلى الفتح فاللام للتبيين كما فى سـقيا لك وقال الراغب هيت قريب من هـلم وقرئ هئت لك أى تهيأت لك و يقـال هئت به اذا قلت له هيت لك انتهى (قال معاذ الله انه ربى أحسـن مثواى الآية) أى قال صـلى الله تعالى عليـه وسلم حـين راودته معاذ الله أى أعـوذ بالله منـك ومما أردت ألتجئ الى الله فى دفع ما همت به وهو منصـوب على المصـدرية والمثـوى بمعـنى المقـام من ثوى بالمكان

(قيل ربي) وفي نسخة في ربي أي في معناه (الله) أي وهو المراد به (وقيل الملك) صوابه العزيز أو وزير الملك (وقيل همّ بها أي بزجرها) أي طردها أو ضربها (ووعظها) أي نصحها ومن جملة نصيحتها انها في أثناء مراودتها قامت وسترت على وجه صنم لها فقال لها اذا كنت تستحيين مما لا حياة له ولا بصر ولا نفع ولا ضر فكيف لا أستحيي من ربي المطلع على جميع أمري (وقيل همّ بها) باؤه للتعدية أو مزيدة وفاعله محذوف (أي غمها امتناعه عنها) وقيل همّ بها أي نظر اليها) نظر غضب أو أدب (وقيل همّ بضربها ودفعها) عن نفسه وكفى شرها وهذا كالتكرار لما تقدم والله تعالى أعلم (وقيل هذا كله كان قبل نبوته) أي قبل رسالته اذ المشهور انه نبيّ وهو في الجب كما يشير اليه قوله تعالى فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب وأوحينا اليه لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون ولا يبعد ان الوحي هنا يكون بمعنى الالهام (وقد ذكر بعضهم ما زال النساء يملن) بفتح التاء وكسر الميم (الى يوسف ميل شهوة حتى نبأه الله تعالى فالقى عليه هيبة النبوة فشغل من هيبته كل من رآه عن حسنه) أي صورته (وأما خبر موسى عليه الصلاة والسلام مع قتيله الذي وكزه) أي ضربه بجمعه فقتله (فقد نص الله تعالى انه) وفي نسخة على انه (من عدوه قال) أي أراد ويروى قيل وهي رواية حسنة (كان من القبط) بكسر القاف أمة من أهل مصر (الذين) وفي نسخة الذي أي القوم الذي (كانوا على دين فرعون) وهو الوليد بن مصعب وفرعون لقب لكل ملك مصر كقيصر للروم وكسرى للفرس والنجاشي للحبشة وتبع لليمن وخاقان للترك قيل وكان طباخا لفرعون وقد أراد ان يحمل السبطي الحطب الى مطبخه (ودليل السورة) أي دلالتها (في هذا كله انه قبل نبوة موسى) لانه خرج بعد قتله واجتمع بشعيب وتزوج بنته وكان عنده عشر سنين أو أكثر ثم نبئ وأرسل الى فرعون بدعوة الرسالة

بالمكان اذا أقام به (وقيل في) معنى (ربي) هنا انه (الله تعالى وقيل الملك) بكسر اللام وهو زوج زليخا وضمير انه للشان خبر ربي أحسن مثواي فالرب يطلق على الله وعلى غيره ومعناه المالك والسيد والمربي والمنعم وفي اطلاقه على غير الله تفصيل في التفاسير مشهور وتقدم مرارا والنهي على اطلاقه على غير الله تنزيهي ومعنى أحسن مثواي انه أحسن القيام لي وتعهدني باكرامه لي وانعامه (وقيل) معنى (همّ بها) انه همّ (أي بزجرها) ليمنعها عن مراودته (ووعظها) بتخويفها من الله ولحوق العار بها وقال المفسرون كابن عطية انه وجه ضعيف لمخالفته للظاهر (وقيل) معنى (همّ بها أي غمها امتناعه عنها) أي عن معاملتها بما ارادته فهو من الهمّ بمعنى الغم والباء للتعدية بمعنى أهمها اذا أوقعها في همّ وحزن وهو بعيد وان كان فيه مشاكلة وتجنيس للتعقيد المعنوي فيه وقيل انه بعيد من اللغة لانه بهذا المعنى متعد بنفسه يقال همه الامر اذا أحزنه (وقيل) معنى (همّ بها نظر اليها) وهو في غاية البعد (وقيل) معناه (همّ بضربها ودفعها) حين أمسكته وهذا كله بتقدير مضاف والحاصل بمعناه والحامل على هذه التأويلات صرفه عما لا يليق بمقام النبوة (وقيل هذا كله كان قبل نبوته) بناء على عدم العصمة قبلها وقد تقدم بيانه (وقد ذكر بعضهم) انه (ما زال النساء يملن الى يوسف عليه الصلاة والسلام ميل شهوة) لما جبلت عليه طباعهن (حتى نبأه الله تعالى) أي جعله نبيا (فالقى عليه هيبة النبوة فشغلت هيبته كل من يراه عن) الاشتغال بالنظر الى (حسنه) وجماله ومهابة الانبياء أمر معلوم كما نشاهده في بعض العباد فضلا عن الانبياء عليهم الصلاة والسلام (وأما خبر موسى صلى الله تعالى عليه وسلم) الذي استدل به على جواز صدور الذنب من الانبياء عليهم الصلاة والسلام وما جرى له (مع قتيله الذي وكزه) وهو رجل كافر كان طباخ فرعون لعنه الله تعالى وكان يسخر الناس لحمل الحطب لمطبخ فرعون فسخر رجلا من بني اسرائيل فاستغاث منه بموسى عليه الصلاة والسلام لما كبر وكان موسى قويا في جسمه فنهاه عن تسخيره فلم ينته فضربه بيده لدفع ظلمه فمات والوكز واللكز بمعنى وهو الدفع ومنهم من فرق بينهما بان الاول في الصدر والثاني في الظهر وقيل باطراف الاصابع وقيل غير ذلك وهو أمر سهل (فقد نص الله تعالى) في القرآن (على انه من عدوه) أي كان كافرا من كفرة القبط وموسى موحد قيل من بني اسرائيل أي من قوم بينهم وبين بني اسرائيل عداوة ومحاربة فلا يمتنع عليه قتله لدفع ضرره مع أنه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يقصد بضربه قتله وانما قصد دفعه ودفع ظلمه ومثله لا يحرم وأشار الى ذلك بقوله (وقيل كان من القبط الذين على دين فرعون) أي كان كافرا على ملة أمره بها من عبادته أو غير ذلك والقبط نبط مصر وقوم فرعون وهم جيل من الناس معروفون (ودليل السورة) أي السورة تدل بمنطوقها (في هذا كله) أي فيما اقصه الله تعالى من هذه السورة (انه قبل نبوة موسى) عليه الصلاة والسلام فانه لما قتله فر خائفا فكان ما كان له مع شعيب عليه الصلاة والسلام أي جرى له معه ما جرى وتزوج ابنته ثم تنبأ لما

(وقال قتادة وكزه بالعصا) أى لا بآلة من السلاح (ولم يتعمد قتله) بل أراد دفعه عن الظلم ورده الى الصلاح فكان قتله على وجه الخطا (فعلى هذا لا معصية فى ذلك) مع ان القتيل كان كافرا هنالك الا انه عليه الصلاة والسلام لم يؤمر بقتل من لم يكن من أهل الاسلام ولهذا ندم على فعله (وقوله هذا من عمل الشيطان) محمول عليه أى انه من عمل يحبه الشيطان ولا يبعد أن تكون الاشارة لما جرى بين السبطى والقبطى وما أدى الى معاونته عليه الصلاة والسلام لمحبه على عدوه (وقوله ظلمت نفسى) حيث ضربته من غير ان أكون مأمورا به (فاغفر لى) ما صدر عنى ففى الحديث اللهم اغفر لى ذنبى وخطئى وعمدى وكل ذلك عندى (قال ابن جريج) بجيمين مصغر القرشى مولاهم المكى الفقيه أحد الاعلام يروى عن مجاهد وابن أبى مليكة وعطاء وعنه القطان وغيره قال ابن عيينة سمعته يقول ما دون العلم تدوينى أحد أخرج له الائمة الستة (قال) أى موسى (ذلك) الكلام (من أجل انه لا ينبغى لنبى ان يقتل) أحدا (حتى يؤمر) بقتله ولما أدى ضربه الى قتله استغفر ربه فى تقصير أمره (وقال النقاش) أى الموصلى (لم يقتله عن عمد مريد اللقتل وانما وكزه وكزة يريد بها دفع ظلمه) من أهل وده (قال) أى النقاش (وقد قيل ان هذا) أى القتل مع انه كان خطا (كان قبل النبوة وهو مقتضى التلاوة) لقوله تعالى فخرج منها خائفا يترقب قال رب نجنى من القوم الظالمين ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة الى آخر القصة فان النبوة كانت له بعدها بمدة طويلة (وقوله تعالى فى قضيته) وفى نسخة فى قصته أى حال رفع غصته (وفتناك فتونا أى ابتليناك ابتلاء بعد ابتلاء) أى امتحناك فتونا فقيل أريد ابتلاؤه (فى هذه القصة وما جرى له مع فرعون) حيث ائتمر قومه فى قتله

فارقه كما قصه الله تعالى وقبل النبوة لم يكن معصوما من الخطا فصدر عنه مثل هذا وان لم يكن معصية لانه لم يضربه بآلة جارحة فهو خطا شبه عمد ولم يكن ثمة شرع ولذا قال (وقال قتادة وكزه بالعصا) وليست جارحة بل مثقل (ولم يتعمد) بضربه ويقصد (قتله فعلى هذا لا معصية فى ذلك) أى فيما فعله موسى عليه الصلاة والسلام فى هذه القصة حتى يستدل بها على ما ادعوه (وقوله) أى قول موسى المحكى عنه ومما يقتضى انه ما صدر عنه معصية (هذا من عمل الشيطان) أى هذا الذنب مما ألقاه الشيطان (وقوله ظلمت نفسى) بعملهم قالوا انه معصية ولذا قال (فاغفر لى) ما صدر منى فلولا انه ذنب لم يطلب مغفرة الله تعالى له (قال ابن جريج) بصيغة المصغر وهو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج أبو الوليد أو أبو خالد القرشى مولاهم أحد الاعلام الفقهاء (قال) موسى صلى الله تعالى عليه وسلم (ذلك) المذكور من نسبة عمله للشيطان وطلب مغفرته (من أجل انه لا ينبغى) أى لا يصح ولا يليق (لنبى ان يقتل) أحدا (حتى يؤمر) بالبناء للمفعول أى يأمره الله أو من له الامر ولذا كان صلى الله تعالى عليه وسلم فى أول أمره لم يؤذن له فى القتال ثم أذن له فى ذلك بعد ما هاجر المسلمون الهجرتين فموسى عليه الصلاة والسلام اذا لم يؤذن له فى ذلك فهو غير جائز (وقال النقاش) فى تفسيره (لم يقتله) موسى عليه الصلاة والسلام (عن عمد) حال كونه (مريد اللقتل) والمقصود بالنفى الحال (وانما وكزه وكزة) مفعول مطلق مؤكد (يريد بها دفع ظلمه) للناس وعدم تسخيرهم (وقد قيل ان هذا كان قبل النبوة) اذ لم يكن مأمورا بشرع (وهو مقتضى التلاوة) أى ما يدل عليه نص القرآن المتلو (وقوله تعالى فى قصته) أى فى قصة موسى التى قصها الله تعالى فى القرآن (وفتناك فتونا) قال الراغب أصل الفتن ادخال الذهب النار لتظهر جودته من رداءته ويستعمل فى ادخال الانسان النار قال الله تعالى ذوقوا فتنتكم أى عذابكم وتارة يستعمل فيما يحصل منه العذاب كقوله تعالى الا فى الفتنة سقطوا وتارة فى الاختبار نحو فتناك فتونا وجعلت الفتنة كالبلاء فى انهما يستعملان فيما يدفع اليه الانسان من شدة ورخاء وهو فى الشدة أظهر وأكثر استعمالا انتهى واليه أشار بقوله (أى ابتليناك ابتلاء بعد ابتلاء) اشارة الى ان الفتنة هنا بمعنى الابتلاء أى الاختبار وانه يكون بالخير والشر والشدة وان الفتون جمع فتن أو فتنة على تقدير عدم التاء والاعتداد بها فيدل على التكرار فلذا قال ابتلاء بعد ابتلاء ويجوز أن يكون مصدرا كالقعود فالتكرير غير مراد أو يؤخذ ذلك من السياق (قيل) ذلك الابتلاء (فى هذه القصة) يعنى قتل القبطى (وما جرى) أى وقع واتفق (له) أى لموسى عليه الصلاة والسلام (مع فرعون) وذلك ان فرعون لعنه الله تعالى رأى رؤيا هالته فعبرها المعبرون والكهان بمولود من بنى اسرائيل يكون على يديه زوال ملكه ودينه فامر القوابل بان كل ذكر ولد منهم يأتونه به ويذبحونه ففعلوا ذلك حتى وقع فى بنى اسرائيل موتان عظيمان فقال له القبط نخشى فناء بنى اسرائيل فلا يبقى لنا خدم فنحتاج الى استخدامنا فامر ان يقتل الذكور منهم سنة ويتركون سنة فولد هرون فى سنة العفو ثم ولد موسى فى سنة الذبح فخافت عليه أمه فاوحى اليها وحى الهام وقيل وحيا جاءها فيه جبريل عليه الصلاة والسلام وان لم تكن نبية لان الملك كان يراه غير

(وقيل القاؤه فى التابوت) أولا (واليم) أى البحر ثانيا ووقوعه فى يد فرعون ثالثا (وغير ذلك) مما ابتلى هنالك (وقيل معناه أخلصناك اخلاصا) لان ابتلاءه انماهو للتهذيب لا للتعذيب (قاله ابن جبير) وهو سعيد (ومجاهد) وهو ابن جبير تابعيان جليلان

الانبياء كريم ثم ارتفع ذلك بعد مجىء النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وضعته أمه فى صندوق وألقته فى النيل فدخل بيت فرعون فالتقطه آله واستوهبته امرأته آسية وكان له معه مااشتهر من ذلك وهو المراد بالفتون أى ماوقع له فيه من الشدائد حتى نبأه الله واتخذه كليما وصفيا وسمته آسية حين اتخذته وليدا موسى ومعناه ماء وشجر بالقبطية لانه وجد فى صندوق ملقى فى الماء (وقيل) معنى الفتون على هذا (القاؤه فى التابوت) أى الصندوق الذى اتخذته له أمه من خشب والذى صنعه لها خزقيل وهو مؤمن آل فرعون (واليم) وهو البحر والمراد به النيل (وغير ذلك) مما جرى له معه كما تقدم (وقيل معناه) أى معنى الفتون فى هذه الآية (أخلصناه اخلاصا) أى ابتليناه بامور شاهد بها قدرة الله تعالى ولطفه حتى صار صفوة له خالصا من كل أمر لا يليق برسله عليهم الصلاة والسلام فقربه واصطفاه لان الفتنة أصل معناها ان يذاب الذهب حتى يصفى فتجوزبه عما ذكر كما (قاله ابن جبير ومجاهد) فى تفسير هذه الآية وعلى هذا فهو مستعار (من قولهم فتنت الفضة فى النار اذا) اذبتها و(خلصتها) من الغش فاستعير لخلاصه من الكدورات البشرية والاخلاق الردية حتى اجتباه (وأصل الفتنة) أى حقيقتها التى وضعت لها (الاختبار) أى امتحان الاشياء وتجربتها بما يعلم به حالها (واظهار مابطن) أى خفى عن العيان فى المحسوسات كالذهب والفضة (الا انه استعمل فى عرف الشرع) وهو ماعرف فى تخاطب أهله ومعاملتهم (فى اختبار يؤدى) أى يوصل ويثمر ويفضى (الى مايكره) المخبر بزنة المفعول وان كان عاما فى أصله خص بماذكر كما فصله الراغب وقد سمعته آنفا وعلم بماذكره ان الفتنة هنا ليس فيها مايقتضى ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام يجوز عليهم المعاصى لماعرفته من التاويل المذكور (وكذلك) مثل ماذكر فى تمسك بعضهم بما لا يسلم تمسكهم به (ماروى فى الخبر الصحيح) الذى رواه الشيخان عن أبى هريرة رضى الله عنه كما قاله السيوطى رحمه الله تعالى (من ان ملك الموت) الموكل بقبض الارواح واسمه عزرائيل كما ورد فى بعض الاحاديث (جاءه) أى موسى عليه الصلاة والسلام كما يأتى غيره اذا أمر به (فلطم عينه) أى ضرب وجهه بيده ووقعت ضربته على عينه (ففقأها) أى أخرج حدقته التى بها يبصر بلطمته وهو مهموز وقول العامة مفقوع العين خطأ فى العين (الحديث) بالنصب أى اقرأ الحديث الخ لانه اقتصر على محل الشاهد منه الدال على ان موسى عليه الصلاة والسلام لم يطع الملك الذى أرسله الله اليه ومثله بحسب الظاهر معصية وأجاب عنه المصنف بقوله (ليس فيه) أى فى الحديث المذكور كما قالوه (مايحكم على موسى) عليه الصلاة والسلام (بالتعدى) على الملك ومخالفته فيما أمره الله به (وفعل مالايجب له) بالرفع أو الجر عطفا على ما أو على التعدى وكان الظاهر مالايجوز له وعبر به لنكتة كما مر مثله ثم بين علته ماذكره بقوله (اذ هو ظاهر الامر) أى لاخفاء فيه (بين الوجه) أى توجيهه واضح (جائز الفعل) أى فعله جائز من مثله (لان موسى) عليه الصلاة والسلام (دافع) اسم فاعل مرفوع أو فعل ماض من المدافعة (عن نفسه من اتاه لاتلافها) فهو من قبيل دفع الصائل المتعدى عليه ومثله جائز شرعا (وقد تصور) له الملك وظهر (له فى صورة آدمى) لان الملائكة عليهم الصلاة والسلام أجسام لطيفة مجردة تتصور فى أى صورة أرادت لاقدار الله لها على ذلك كما قال تعالى فتمثل لها بشرا سويا وكما كان جبريل عليه الصلاة والسلام يأتى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى صورة دحية الكلبى رضى الله تعالى عنه وفى تطور الملائكة والجن فى صورة

وهو ماخوذ (من قولهم) أى العرب (فتنت الفضة فى النار اذا أخلصتها) أى أذبتها وأصفيتها من غيرها مما اختلط بها (وأصل الفتنة معنى) بالتنوين أى فى اصطلاح الخاصة (الاختبار) أى الامتحان وهو مرفوع (واظهار مابطن) أى مطلقا ومنه قول بعضهم

عند الامتحان يكرم المرء أو يهان

(الا انه استعمل فى عرف الشرع فى اختبار أدى) ويروى يؤدى (الى مايكره) بصيغة المجهول أى الى أمر مكروه فى الطبع (وكذلك ماروى فى الخبر الصحيح) أى فى صحيح البخارى فى كتاب الانبياء (من ان ملك الموت جاءه) أى موسى مصورا بصورة انسان (فلطم عينه) أى ضربها بباطن راحته (ففقأها) أى أخرجها (الحديث) أى الى آخره (ليس فيه) أى فى الحديث من الدليل (مايحكم على موسى عليه السلام بالتعدى) أى بشئ

 يقضى عليه بالتجاوز عن الحد على ملك الموت حيث لم يعرفه (وفعل مالم) وفى نسخة مالا (يجب له) أى وبفعل شئ لا يجوز له ولم يثبت شرعا ويروى مايحكم التعدى وفعل مالم يجب بالنصب فيهما أى مايمنعهما (اذ هو ظاهر الامر بين الوجه جائز الفعل) بالعقل والنقل (لان موسى دافع عن نفسه من أتاه لاتلافها وقد تصور له فى صورة آدمى) أراد اهلاكها

(ولا يمكن) أى لا يتصور فى حق موسى عليه الصلاة والسلام ولا غيره من سائر الانام (انه حينئذ علم انه ملك الموت) وانه من عند ربه وعن اذنه وأمره (فدافعه) عن نفسه مدافعة أدت الى ذهاب عين تلك الصورة التى تصور له فيها الملك امتحانا من الله تعالى) أى اختبارا لموسى عليه الصلاة والسلام وفى نسخة لهما ولا يظهر وجهه (فلما جاءه) أى الملك (بعد) أى بعد ذهابه الى الله تعالى ورجوعه من عند مولاه (وأعلمه الله تعالى) أى موسى عليه الصلاة والسلام (انه) الملك المصور (رسوله اليه) ليقبض روحه (استسلم) أى انقاد (وللمتقدمين والمتأخرين) من علماء المحدثين والمتكلمين (على هذا) ويروى عن هذا الحديث (أجوبة) أى متعددة

مختلفة كلام لاهل الاصول والحكماء وتعرض له المحدثون فان صورتهم الاصلية عظيمة جدا فاذا برز وابصورة أقل منها فهى صورهم تضامت وتصاغرت كالقطن المنفوش اذا انضام وتضاغط من غير ذهاب شئ منه وهو الظاهر وللامام الشهرستانى فيه تحقيق فى بعض كتبه اذا أفضت اليه النوبة أتينا به مفصلا (ولا يمكن انه) أى موسى عليه الصلاة والسلام (علم حينئذ) أى فى وقت ضربه له (انه ملك الموت) لظنه انه آدمى نظرا لظاهر حاله وعبر بعدم الامكان مبالغة فى نفى العلم بملكيته ومراده انه لم يعلم بذلك فلا يرد عليه ما قيل من أين له عدم الامكان غايته انه ظاهر فيه مع احتمال غيره كما كانوا يتصورون للانبياء عليهم الصلاة والسلام (فدافعه عن نفسه مدافعة أدت الى ذهاب عين تلك الصورة التى تصور له) أى لموسى عليه الصلاة والسلام (فيها الملك امتحانا من الله له) مفعول لاجله تعليل لتصوره بغير صورته أى اختبار الموسى حتى يصدر منه ما يقتضى أمورا فيها حكم خفية (فلما جاءه بعد) أى بعد ما جاءه أولا ولطمه (واعلمه الله) أى أعلم الله موسى عليه الصلاة والسلام حين جاءه ثانيا (انه) أى ملك الموت (رسوله) أى رسول الله من ملائكته أرسله الله (اليه) لامر أمره به (استسلم) جواب لما أى انقاد له وسلم له فيما أراده بعد ما كان دفعه عنه أشد دفع وهو استفعال من السلم والقاد قياده لغيره كالاسلام قال تعالى يحكم بها النبيون الذين أسلموا أى انقادوا للحق (وللمتقدمين والمتأخرين على هذا الحديث أجوبة هذا) الجواب الذى قرره من انه عليه الصلاة والسلام لم يعلم انه ملك الموت امتحانا من الله تعالى له (أسدها عندى) افعل تفضيل من السداد وهو القوة فيما أريد به كما قال الشاعر

أعلمه الرماية كل يوم * فلما استد ساعده رمانى

على رواية استد بسين مهملة أى قوى ورواية اشتد بالمعجمة غير مقبولة عندهم كما بيناه فى شرح الدرة (وهو تأويل شيخنا الامام أبى عبد الله المازرى) وهو الامام الرحلة الفقيه المحدث البارع فى سائر العلوم وهو مالكى المذهب واسمه أبو عبد الله محمد بن على بن عمر التميمى شارح المحصول وله شرح مسلم الذى بنى عليه المصنف رحمه الله تعالى شرحه المسمى بالاكمال وله تآليف كثيرة مفيدة جليلة وهو منسوب الى مازر بفتح الزاء المعجمة وكسرها وهى بلدة بجزيرة صقلية توفى فى ثامن ربيع الاول من سنة ست وثلاثين وخمسمائة وعمره ثلاث وثمانون سنة رحمه الله تعالى (وقد تأوله) أى حمله (قديما) أى قبل شيخه المذكور (ابن عائشة وغيره) فهو مما ارتضاه علماء السلف (على صكه ولطمه بالحجة وفقئ عين حجته) أصل الصك واللطم الضرب بالراحة أو بشئ عريض وجاء بمعنى مطلق الضرب لكنه كما قال النووى فى غاية البعد وان ساعده اللغة وابن عائشة هو عبيد الله محمد بن حفص بن عمر بن موسى بن عبيد الله بن معمر القرشى التميمى البصرى المعروف بالعيشى نسبة لعيشة وهى لغة فى عائشة أو من تغييرات النسب لانه من ولد عائشة

(هذا) الجواب المتقدم (أسدها) عندى بسين مهملة وتشديد ثانيه أى أقواها وأقومها ومنه قول الشاعر

أعلمه الرماية كل يوم
فلما استد ساعده رمانى

وقيل فى البيت انها بالمعجمة (وهو تأويل شيخنا الامام أبى عبد الله المازرى) بفتح الزاى وهو الاكثر وقد تكسر وهو منسوب لمازر بلدة بجزيرة صقلية وقيل قبيلة تسمى بمازر أقى وهو ابن عشرين سنة وهو مشهور بالامام سماه النبى عليه الصلاة والسلام بذلك فى المنام مات بالمدينة سنة ست وثلاثين وخمسمائة وهو (ابن ثلاث وثمانين سنة) واحتمل فى البحر الى المنستير فدفن بها وهو أحد الاعلام المالكية وقد شرح مسلما شرحا جيدا سماه المعلم بفوائد كتاب مسلم وعليه بنى القاضى عياض المصنف كتاب الاكمال وهو تكملة لهذا الكتاب وله كتاب ايضاح المحصول فى برهان الاصول وله فى الادب كتب متعددة مفيدة (وقد تأوله قديما ابن عائشة) وهو عبيد الله ابن محمد بن حفص التيمى القرشى المعروف بالعيشى لانه من ولد عائشة بنت طلحة كان أحد العلماء والاشراف والمحدثين روى عن حماد بن سلمة وغيره وعنه أبو داود والبغوى وخلق وثقه أبو حاتم وأخرج له أبو داود والترمذى والنسائى ومات سنة ثمان وعشرين ومائتين (وغيره) أى من العلماء المتقدمين (على صكه) المعنوى (ولطمه بالحجة وفقئ عين حجته)

عائشة بنت طلحة بن عبد الله وهو أحد العلماء الاشراف المحدثين المحتشمين وهو ثقة روى عنه البغوى وخلق كثير توفى سنة مائتين وثمان وعشرين فهو متقدم على المازرى بزمان كثير فلذا قال المصنف رحمه الله تعالى قديما (وهو كلام مستعمل فى هذا الباب) المراد به الزام الخصم الحجة بعد ابطال حجة الخصم وما ارتضاه من الحجج (فى اللغة) أى لغة العرب (معروف) فى كلامهم مشهور يقولون لطمه وصكه اذا غلبه فى المحاجة وفقأ عينه وعورها اذا افضحه بحجته والزمه الزاما لا يمكنه الجواب عنه بوجه من الوجوه لكن صريح الحديث يأباه فان فيه ما يقتضى انه على ظاهره فان البخارى رحمه الله تعالى روى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال ارسل الله ملك الموت الى موسى فلما جاءه صكه ففقأ عينه فرجع الى ربه وقال يارب أرسلتنى الى عبد لا يريد الموت فرد الله عليه عينه وقال له ارجع وقل له يضع يده على متن ثور وله بكل ما غطت يده من الشعر بكل شعرة سنة فقال له ذلك فقال موسى ثم ماذا قال الموت فقال الآن وسال ربه ان يدنيه من الارض المقدسة مقدار رمية حجر فقال صلى الله تعالى عليه وسلم لو كنت ثمة لأريتكم قبره الى جانب الطريق عند الكثيب الاحمر ونحوه فى مسلم وهو ينافى هذا التاويل وكون العين متخيلة لا فقائها يقتضى ان ما يراه الانبياء عليهم الصلاة والسلام من صور الملائكة لا حقيقة له وهو مذهب السالمية كما قاله القرطبى مع انه لا يجدى نفعا وارتضى القرطبى الجواب بان الله تعالى أخبره بانه لا يموت حتى يخبره الله ويخيره بين الموت والحياة فلما أتاه الملك بغتة ودخل عليه من غير استئذان شق عليه ذلك وكان صلى الله تعالى عليه وسلم سريع الغضب ولذا لما رجع اليه وخيره بين الحياة والموت انقاد له واستسلم قال وهو أصح الوجوه (واما قصة سليمان عليه الصلاة والسلام وما حكى فيها أهل التفسير من ذنبه) أى مما تمسك به القائلون بتجويز صدور الذنوب من الانبياء عليهم الصلاة والسلام (وقوله) عز وجل (ولقد فتنا سليمان) فليس من الفتنة المنهى عنها وانما هى بمعناها اللغوى كما تقدم (فمعناه ابتليناه) أى عاملناه معاملة من يختبر حتى يظهر مما خفى أمره على الناس (وابتلاؤه) المراد منه (ما حكى عن النبى) يعنى به سليمان صلى الله تعالى عليه وسلم (انه) أى سليمان (قال لاطوفن الليلة على مائة امرأة أو تسع وتسعين) امرأة كن فى نكاحه وكان ذلك جائزا فى شريعته وقال التلمسانى يقال أطوفن وأطيفن ثلاثيا ورباعيا من الطواف حول شئ انتهى وهو كناية عن مجامعتهن بدليل قوله (كلهن يأتين) أى تأتى كل واحدة منهن بحمل تحمله ثم تضعه (بفارس) أى راكب فرس (يجاهد فى سبيل الله) أى فى طريقه التى يسلكها القتال اعداء دينه وهو حديث صحيح روى فى الصحيحين وغيرهما من كتب الحديث وقوله الليلة منصوب على الظرفية ووقع اختلاف فى عدة النساء فى البخارى مثل ما ذكره المصنف من انهن مائة أو تسع وتسعون على الشك وفى رواية غيره سبعون بالموحدة وفى رواية تسعون فقط بالمثناة الفوقية وفى رواية للبخارى ستون وفى رواية لوهب بن منبه كان لسليمان عليه الصلاة والسلام ألف امرأة ثلاثمائة مهورة وغيرهن سرارى وجمع بين الروايات بانه عد فى بعضها المهورات والغى السريات وفى بعضها عد الكل وعلى القول بانه لا مفهوم للعدد لا ينافى الاقل الاكثر وان ضعف هذا القول (فقال له صاحبه) أى ملك كان معه أو قرينه أو رجل كان يصحبه وقيل هو خاطره وهو بعيد وقيل هو آصف بن برخيا بفتح الموحدة وسكون الراء المهملة وكسر الخاء المعجمة ومثناة تحتية تليها الف (قل ان شاء الله) فلا تجزم بما قلته فوضه الى مشيئة الله تعالى تبركا وتيمنا حتى يتم (فلم يقل) ذلك الواقع وفى رواية انه نسى أو لم يقله بلسانه اكتفاء بما فى قلبه أو جزم به لانه من قوة رجائه واعتماده على كرم ربه فنبه على انه ينبغى تعريض التمنى

وهو كلام مستعمل فى هذا الباب) فى اللغة ومعروف عند أهلها فانه يقال صكه ضربه مطلقا وضربه بشئ عريض وصكه غلبه بالحجة وكذا يقال لطمه ضربه على الوجه بباطن الراحة ولطمه غلبه بالحجة والظاهر ان المعنى الاول حقيقى والآخر مجازى (واما قصة سليمان عليه الصلاة والسلام وما حكى فيها أهل التفسير من ذنبه فقوله ولقد فتنا سليمان فمعناه ابتليناه) أى امتحناه واختبرناه (وابتلاؤه بما) وفى نسخة ما (حكى) الاولى روى (عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال) أى سليمان عليه الصلاة والسلام فى بعض الايام (لاطوفن) وفى رواية لاطيفن بضم الهمزة أى ادورن والمراد اقعن (الليلة) أى المقبلة (على مائة امرأة أو تسع وتسعين) أى امرأة والشك من الراوى (كلهن يأتين) أى كل واحدة منهن تأتى (بفارس) أى بمولود يكبر ويصير راكب فرس (يجاهد فى سبيل الله تعالى) ولا شك ان هذا نية صالحة يترتب عليها مثوبة كاملة وقد روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه كان فى ظهر سليمان ماء مائة رجل (فقال له صاحبه) أى مخاطبه (وهو الملك) وقيل آدمى وقيل القرين وأبعد من قال خاطره (قل ان شاء الله فلم يقل) حيث شغله عنه شئ وانسياه لما قدره الله وقضاه

(فلم تحمل) بكسر الميم أي فلم تحبل (منهن) أي النساء كلهن (الا امرأة واحدة جاءت بشق رجل) بكسر الشين وتشديد القاف أي بنصفه
وفي صحيح مسلم فولدت له بنصف انسان قال النووي في شرح مسلم عقيب قوله فقال له صاحبه أو الملك قل ان شاء الله تعالى قيل المراد
بصاحبه الملك وهو الظاهر من لفظه ثم حكى القولين الآخرين (قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والذي نفسي بيده لو قال ان شاء الله
لجاهدوا) أي لجاءت كل واحدة بولد وكبروا (وقاتلوا فوق الفرسان في سبيل الله تعالى قال أصحاب المعاني) أي المؤولون
للمباني (والشق هو الجسد الذي ألقي على كرسيه) أي سرير سليمان عليه الصلاة والسلام (حين عرض عليه) أي ولده وذكر في عصمة الانبياء ان الجسد عبارة عن ولد لسليمان ولد له بفرد رجل وهو ميت فوضع في سريره (وهي) أي هذه الحالة (عقوبته) أي بليته (ومحنته) المعبر عنها بفتنته (وقيل بل مات) الولد (فالقي على كرسيه ميتا) وهو الظاهر من اطلاق الجسد والعدول عن الولد وهذا يحتمل ان يكون من أصله نزل ميتا أو كان حيا ثم صار ميتا وروى انه ولد له ابن فقال الشياطين ان عاش لم ننفك من السخرة فسبيلنا ان نقتله فعلم ذلك وكان ينفذه في السحابة فراعه الا ان ألقي على كرسيه ميتا فنبه على خطئه في انه لم يتوكل فيه على ربه فاستغفر ربه واناب ثم يحتمل ان هذا
الابتلاء لاجل ترك الاستثناء على ما هو ظاهر الحديث (وقيل ذنبه حرصه على ذلك) أي
جنس الولد (وتمنيه) أي كثرتهم في البلد ولا ينبغي للكامل ان يطلب من الله سواه (وقيل انه لم يستثن) أي لم يقل ان شاء الله تعالى
(لما استغرقه من الحرص وغلب عليه من التمني) أي فكان سبب نسيان الاستثناء في ذلك التمني (وقيل عقوبته) المعبر عنها
بفتنته (ان سلب ملكه) أي حكمه في رعيته وفي هذا امتحان من الله تعالى لارباب الجاه

فتمثل

كغيره الى الله فليس في تركه المشيئة ذنب بعد عليه كما توهم لاسيما وهو ليس بخبر (فلم تحمل منهن) أي
ممن أطاف بهن (الا امرأة واحدة) دون باقيهن والتي حملت منهن (جاءت بشق رجل) أي بولد غير كامل
كما سيأتي والشق بمعنى النصف أو البعض (قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) عندما ذكر هذا (والذي
نفسي) أي روحي وحياتي (بيده) أي بقبضة قدرته وتصرفه ان شاء أحياها او جدها وان شاء اماتها
وأحياها وهو قسم كان صلى الله تعالى عليه وسلم كثيرا ما يقسم به (لو قال) سليمان عليه الصلاة والسلام
(ان شاء الله) جاؤا فرسانا (لجاهدوا في سبيل الله) كما طلب وفي رواية فرسان أجمعون وقول ان شاء الله
لا يستلزم الوقوع فقد لا يقع ما قارن به كقول موسى للخضر عليهما الصلاة والسلام ستجدني ان شاء الله
صابرا وهو مستحب ويتحلل به مع اليمين وفي الحديث ما يدل على قوة الانبياء عليهم الصلاة والسلام
وقدرتهم على الجماع لكمال بنيتهم ورجوليتهم كما كان لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فكان يطوف
على جميع نسائه في الليلة الواحدة كما تقدم (قال أصحاب المعاني) المراد بهم الذين يفسرون الاحاديث
ويقفون على معانيها المرادة بها (الشق هو الجسد الذي ألقي على كرسيه) الذي كان يجلس عليه لاجراء
أحكام الملك فيه (حين عرض عليه) أي حين اذ عرضته قابلته عليه ثم ألقته على كرسيه (وهي) أي
هذه القصة المذكورة (عقوبته ومحنته) بنون بعد الحاء المهملة المعبر عنها بالفتنة (وقيل بل مات ولده
فالقي على كرسيه ميتا) وهو الشق المذكور وقيل ولد له ولد تام فاجتمعت الشياطين وقالوا ان عاش له
ولد لم ننفك من البلاء والسخرة فقالوا انقتل ولده أو نخبله فعلم بذلك سليمان فامر الريح ان تحمله على
السحاب خوفا من الشياطين فعاتبه الله تعالى بان ألقاه على كرسيه ميتا لخوفه من غير الله وهو معنى قوله
تعالى وألقينا على كرسيه جسدا (وقيل ذنبه حرصه على ذلك وتمنيه) على ان يرزقه الله مائة ولد يجاهدون
في سبيل الله وليس مثله ذنبا حقيقيا كما توهموه (وقيل) عدم تمنيه ذنبا (لانه لم يستثن) أي لم يقل ان شاء
الله في كلامه ومثله يسمى استثناء في اللغة لان حقيقته كما قاله الراغب ايراد لفظ يقتضي رفع ما يوجبه
عموم لفظ متقدم أو رفع حكمه لانه من الثنيا وهي الرجوع ومما يقتضي رفع ما يوجبه اللفظ قولك لافعلن
كذا ان شاء الله تعالى انتهى فليس هذا مجازا ولا يختص بما قاله النحاة فانه اصطلاح حادث خلافا لما وهمه
كلام بعض شراح الكتاب (لما استغرقه من الحرص) هو استفعال من الغرق وهو الرسوب في
الماء وشاع في الشمول وعموم الاوقات (وغلب عليه من التمني) للاولاد المجاهدين وهو اشارة الى الاعتذار
عن فعله وبيان لانه ليس ذنبا حقيقيا كما قيل وانما هو ترك للاولى (وقيل عقوبته ان سلب ملكه) لانه
صلى الله تعالى عليه وسلم غزا جزيرة وأخذ بنتا لملكها كانت في غاية الجمال فاحبها ورآها حزينة فسألها
عن سبب حزنها فاخبرته بانه لمفارقة أبيها فسألته ان يصوره لها الشياطين فصوروا لها صورته فالبستها
لباسه وعممتها فكانت تذهب له تعبده مع جواريها فاخبره آصف بذلك فكسر صورته وندم على ما جوزه
لها ففرش رمادا يسجد عليه ويتضرع الى الله تعالى وكان له امرأة من نسائه يضع خاتم ملكه عندها
اذا دخل الخلاء أو اراد الغسل من جنابة حتى يلبسه على طهارة كاملة وكان ملكه في خاتمه

(وذنبه) أى الذى كان سبب سلب ملكه (ان أحب بقلبه ان يكون الحق لاختانه) بفتح الهمزة جمع الختن أى اصهاره أو كل من كان
من قبل المرأة كالاب والاخ (على خصمهم) ولعل هذا كان على خطرة من لوازم البشرية فلا يعد من المعصية الالكمل فى القضية
وقال الانطاكى فقد ورد عن السدى انه قال كان سبب فتنة سليمان هو انه كانت فى نسائه امرأة يقال لها جرادة وهى آثر نسائه عنده
فقالت له يوما ان أخى بينه و بين فلان خصومة وأنا أحب أن يقضى له اذا جاء فقال نعم ولم يفعل فابتلى بقوله (وقيل ووخذ) مجهول
وأخذ كوورى مجهول وأرى وفى نسخة أوخذ أى عوقب (بذنب قارفه بعض نسائه) أى كسبته من غير اطلاعه وفيه انه تعالى
لا يؤاخذ أحدا بفعل غيره ولعله عوقب لتقصيره فى أمره ومقارفتهن انما تكون من تاخير صلاة أو صوم أو زكاة أو لبس حلية محرمة أو
نياحة مكروهة وأمثالها ولا يجوزان يتوهم فعل فاحشة منهن فقد قال المفسرون فى قوله

سبحانه وتعالى فخانتاهما أى
فى الطاعة لهما والايمان
بهما اذ ما بغت امرأة نبى
قط أى ما زنت و يشير
اليه قوله تعالى الطيبات
للطيبين والطيبون
للطيبات الآيات وأما
ما نقله التلمسانى عن
السهيلى فى قوله تعالى ان
الذين يؤذون الله ورسوله
الآية ان من قذف
أزواج النبى عليه الصلاة
والسلام فقد سبه فمن
أعظم الاذية ان يقول عن
الرجل قرنان واذا سب
النبى بمثل هذا فهو كفر
صراح انتهى فهو معلوم
اذ لا يلزم هذا الا اذا كان
عالما بالفاحشة و راضيا
بها على تقدير وجودها
نعم الآن قذف عائشة
كفر بلا شبهة بناء على انه
انكار للقرآن بخلاف
من سبق له قذفها قبل
نزول آيات البراءة فانه
كان مرتكب كبيرة ولذا احدهم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حد القذف ولم يقتلهم لارتدادهم ولا أمرهم بتجديد الاسلام وسائر
ما يترتب عليه من الاحكام وقال الانطاكى حكى ان سليمان عليه الصلاة والسلام بلغه ان فى بعض الجزائر مدينة عظيمة و بها ملك
عظيم الشان فخرج اليها يحمله الريح حتى أناخ بها بجنوده من الجن والانس فقتل ملكها وأصاب بنتاله من أحسن النساء وجها
فاصطفاها لنفسه وأسلمت فاحبها وكانت لا يرقأ دمعها حزنا على أبيها فامر الشياطين فمثلوا لها صورة أبيها فكستها مثل كسوته وكانت
تغدو اليها وتروح مع ولائدها يسجدون لتلك الصورة فاخبر آصف سليمان بذلك فكسر الصورة وعاقب المرأة ثم خرج وحده الى فلاة
وفرش الرماد فجلس عليه تائبا الى الله تعالى متضرعا الى مولاه (ولا يصح ما نقله الاخباريون من تشبه الشيطان به) أى بصورته وفى
نسخة ما قاله الاخباريون من خرافاتهم عما فعله ومن تشبه الشيطان به (وتسلطه على ملكه) أى سرير دولته (وتصرفه فى أمته) وسائر
رعيته (بالجور فى حكمه

فتمثل لها شيطان يسمى صخرا بصورته وأخذ الخاتم منها وجلس بهيئته على الكرسى أربعين
يوما عدد ما عبد الصنم فى بيته وتغيرت هيئته حتى أنكره الناس ثم وقع الخاتم فى البحر
فابتلعته سمكة فاصطادها سليمان عليه الصلاة والسلام فوجد الخاتم فيها فتختم به وعاد له ملكه
وحبس صخرا وألقاه فى البحر فهو محبوس الى الآن فى صندوق من حديد (وذنبه انه أحب ان
يكون الحق لاختانه على خصمهم) جمع ختن بزنة جبل وهو الصهر أو كل ما يكون من قبل المرأة
كالاب والاخ وذلك كما قيل انه كانت له امرأة يقال لها جرادة وكان مغرما بحبها فقالت له ان فلانا من أهلى
له حق عند آخر وانا أحب ان تحكم له اذا جاءك فاجابها صلى الله تعالى عليه وسلم لذلك ولكنه لم يفعل
فعاقبه الله تعالى على مجرد الميل فكان ما كان من وضع خاتمه عندها وأخذ الشيطان له كما سمعته آنفا
(وقيل أوخذ بذنب قارفه بعض نسائه) هو ما تقدم من تصويرها الصورة أبيها واتخاذها له صنما
تعبده فى داره وهو صلى الله عليه وسلم لا يعلمه حتى أخبره به آصف كما تقدم فليس ذنبا له فى الحقيقة
واصل معنى الاخذ حوز الشئ كما مر فتجوز به عن المجازاة وهو المراد هنا كما قال الله تعالى ولو يؤاخذ الله
الناس بظلمهم فيقال أخذه وآخذه وواخذه لغة فصيحة ولذا وجد فى بعض النسخ أخذ وأوخذ ووخذ
وقارفه بمعنى اكتسبه وفعله فاصل القرف والاقتراف قشر اللحاء عن الشجرة والجلدة عن الجرح
فاستعير لما ذكر (ولا يصح) بحسب الرواية (ما قال الاخباريون) أى أصحاب القصص والتواريخ
وتقدم ان النسبة للجمع على خلاف القياس أو هو كالانصارى كما تقدم لاختصاصه ببعض أنواعه
(من تشبه الشيطان به) أى تمثله بصورته حتى أخذ خاتم ملكه من امرأته وجلس على كرسى ملكه
يحكم وأنكروا سليمان لتغير هيئته كما مر وفى بعض النسخ من خرافاتهم على فعله من تشبهه الخ وهو بضم
الخاء المعجمة وفتح الراء المخففة وفى كشف الكشاف عن الزمخشرى انه سمع فيه خرافات بالتشديد
وجمع على خراريف ولم يسمعه من غيره فالعهدة عليه (وتسلطه على ملكه) وسلطنته (بالتصرف فى
أمته بالجور فى حكمه) وظلمهم قال السيوطى رحمه الله ما قال المصنف انه من خرافات الاخبار بين أخرجه
ابن أبى حاتم بسند صحيح عن ابن عباس موقوفا لكنه مأخوذ من الاسرائيليات كما بينته فى التفسير
انتهى وفيه نظر لان أول كلامه ينافى آخره وخرافات جمع خرافة وهى الكذب كما فى القاموس واصله
اسم رجل من عذرة خطفته الجن فلما تخلص منهم كان يحدث عنهم بعجائب رآها منهم ثم قيل لكل

(لان الشياطين لا يسلطون على مثل هذا وقد عصم الانبياء من مثله) قلت ومما يؤيد هذا قوله عليه الصلاة والسلام ان الشيطان لا يتمثل بي ولا يتصور بصورتي فهذا اذا كان ممنوعا عنه في حال المنام فبالاولى ان لا يقدر على التمثل في حال اليقظة بشكله عليه الصلاة والسلام والظاهر ان سائر الانبياء عليهم السلام يكون أمرهم على هذا النظام فان الانام مأمورون باتباع أوامرهم ونواهيهم والاقتداء باقوالهم وأفعالهم فلو صور الشيطان بصور الانبياء لوقع التشكيك في حقيقة أحوالهم ومن جملة ما نقله الاخباريون في تشبه الشيطان به وتسلطه على ملكه ان سليمان عليه الصلاة والسلام كانت له أم ولد يقال لها أمينة وكان اذا دخل للطهارة أو لاصابة امرأة وضع خاتمه عندها وكان ملكه في خاتمه فوضعه عندها يوما فاتاها الشيطان صاحب البحر واسمه الصخر على صورة سليمان فقال يا أمينة خاتمي فناولته اياه فتختم به وجلس على كرسي سليمان فعكفت عليه الطير والجن والانس وغير سليمان من هيئته فاتى أمينة لطلب الخاتم فانكرته وطردته فكان عليه السلام يدور على البيوت يتكفف واذا قال انا سليمان حثوا عليه التراب وسبوه ثم عمد الى السماكين ينقل لهم السمك ويعطونه كل يوم سمكتين فمكث على ذلك أربعين صباحا عدد ما عبد الوثن في بيته فانكر آصف وعظماء بني اسرائيل حكم الشيطان وسأل آصف نساء سليمان فقلن ما يدع امرأة منا في دمها ولا يغتسل من جنابة ثم طار الشيطان وقذف الخاتم في البحر فابتلعته سمكة ووقعت السمكة في يد سليمان فبقر بطنها فاذا هو بالخاتم فتختم به فوقع ساجدا لله تعالى ورجع اليه ملكه هذه فرية عظيمة بلا مرية ولقد أبى العلماء المحققون قبول هذا النقل تنزيها لنساء الانبياء عما نسب اليهن من الانبياء (وان قيل لم لم يقل سليمان في القصة المذكورة ان شاء الله فعنه أجوبة) متعددة (أحدها) وفي نسخة فعنه جوابان أي مرضيان أحدهما (ما روي في الحديث الصحيح انه نسي أن يقولها وذلك) أي وقوع النسيان (لينفذ مراد الله تعالى) وفق ما قدره وقضاه فهذا كقوله تعالى ولا تقولن لشئ اني فاعل ذلك غدا الا أن يشاء الله (والثاني انه لم يسمع صاحبه) أي كلامه (وشغل عنه) بشئ خالف مرامه (وقوله وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي لم يفعل هذا سليمان) أي لم يصدر عنه هذا القول (غيرة) بفتح الغين بكسر أي حرصا وتهمة (على الدنيا) من مالها وجاهها (ولا

مستملح وأمر غريب خرافة وضرب به ابن الزبعرى مثلا للبعث فقال

حياة ثم موت ثم نشر * حديث خرافة يا أم عمرو

وقوله (لان الشياطين لا يسلطون على هذا) أي لا يقدرهم الله عليه لعصمته تعالى لانبيائه منهم كما قال (فقد عصم الانبياء) صونا لهم (عن مثله) ولانه مناف لامر الرسالة (وان سئل) أي ساله أحد من الناس لاشكاله عليه فقال (لم لم يقل سليمان) عليه الصلاة والسلام (في القصة المذكورة) حين تمنى الاولاد المجاهدين (ان شاء الله فعنه) للعلماء (أجوبة) جمع جواب كغراب وأغربة وفي المصباح يقال في جمع الجواب أجوبة وجوابات الا ان ابن الجوزي نقل في غلط العوام عن العسكري ان العامة تقول في جمع الجواب جوابات وأجوبة وهو خطا مثل الذهاب مصدر وقال سيبويه قولهم جوابات وأجوبة مولد انتهى فليحرر فان صاحب المصباح ثقة فلعله سمع نادرا ولم يقف عليه سيبويه رحمه الله تعالى وفي نسخة جوابان أحدهما الخ وهو الصواب لانه لم يذكر غير جوابين كما أشار لذلك بقوله (أحدها ما روي في الحديث الصحيح انه نسي أن يقولها وذلك) لحكمة أرادها الله تعالى وانه نسي (لينفذ أمر الله تعالى) وفي نسخة مراد الله في ارادته لعدم وقوع ما تمناه امتحانا له لينبهه على الاولى به صلى الله تعالى عليه وسلم (و) الجواب (الثاني انه لم يسمع صاحبه) الذي قال له قل ان شاء الله تعالى (وشغل عنه) بامر شغله أو لشدة توجهه الى الله تعالى وقوة رجائه فيه الا انه قيل عليه ان ترك المشيئة ليست معصية حتى يحتاج لمثل هذا فكان المصنف ذهب الى ان النهي في ولا تقولن لشئ اني فاعل ذلك غدا الا أن يشاء الله نهي تحريم انتهى ولم نر من ذهب لهذا حتى يتبعه المصنف ولا حاجة له فانه خلاف الظاهر لاسيما للانبياء الذين تقتضي مقاماتهم تفويض جميع أمورهم لله تعالى ولذا تاخر الوحي عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اذ لم يقله (وقوله) أي سليمان عليه الصلاة والسلام (وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي) قيل انه جواب سؤال تقديره انك قلت ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام معصومون من سائر الذنوب ومنهم سليمان عليه الصلاة والسلام فكيف هذا مع ما ساله من الله ان يؤتيه ملكا لا يكون لغيره وهذا يقتضي حبه للدنيا وتفرده بملك عظيم لا يتيسر لغيره وفيه حرص حينئذ لا يليق بزهد الانبياء في الدنيا وعدم رغبتهم فيها فاجاب عنه بانه (لم يفعل سليمان هذا) أي طلب لما ذكر (غيرة) بفتح الغين المعجمة وتكسر في لغية والغيرة محبة أمر يابى ان يكون لغيره (على الدنيا) أي على أمور الدنيا كالمال والملك

(ولا نفاسة بها) بفتح النون أي لا رغبة فيها اذ جل رغبته في حضرة المولى ونعمة الاخرى قال تعالى وفي ذلك فليتنافس المتنافسون لان النفاسة رغبة في الشئ النفيس دون الخسيس وقد ورد لو كانت الدنيا تعدل جناح بعوضة لما سقى كافرا منها شربة ماء وانما ابتلى سليمان عليه السلام بهذا الملك الوسيع والجاه الرفيع ليكون حجة على الملوك في القيام بحق العبودية والعمل باحكام الربوبية ومع هذا وقد ورد انه يدخل الجنة بعد سائر الانبياء بخمسمائة عام لتعرف ان الفقير الصابر أفضل من الغني الشاكر ولهذا ورد ان عبد الرحمن بن عوف يدخل الجنة بعد فقراء المهاجرين بخمسمائة عام فكل هذا تزهيد في الدنيا وترغيب في العقبى والحكم فيهما للمولى رزقنا الله العمل بالاولى وبلغنا المقام الاعلى والمرام الاعلى (ولكن مقصده) بكسر الصاد أي مراده بهذا الدعاء (في ذلك) النداء (على ما ذكره المفسرون) أي بعضهم (ان لا يسلط عليه أحد كما سلط عليه الشيطان الذي سلبه اياه مدة امتحانه على قول من قال) ويروى على من قال (ذلك) وقد عرفت ضعف ما هنالك (وقيل بل أراد أن يكون له من الله فضيلة) زائدة (وخاصة) أي مزية خالصة (يختص بها كاختصاص غيره من أنبياء الله ورسله بخواص منه) كالخلة لابراهيم وكالتكليم لموسى ونحوهما فان قيامه على وجه العدالة والاستقامة مع كثرة الرعية من الجن والانس والطير والذرة وتفقدهم بالرعاية والحماية لعله من خواصه لم يكن لغيره ان يقوم مقامه فسبحان من أقام العباد فيما أراد وقد قال تعالى ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه كان بعباده خبيرا بصيرا فمن عباده من يصلح للفقر والعناء ومنهم من يصلح للجاه والغنى وليس أحد يطلع على حقيقة القدر والقضاء (وقيل ليكون ذلك) أي بقاء ملكه حقيقة وحكما (دليلا وحجة على نبوته كالانة الحديد لابيه) أي داود كما في نسخة (واحياء الموتى لعيسى واختصاص محمد صلى الله تعالى عليه وسلم بالشفاعة) أي الكبرى وهي المقام المحمود (ونحو هذا) من اختصاص موسى بنعت الكليم ووصف ابراهيم بالخلة

(ولا نفاسة بها) أي عدها نفيسة عظيمة يضن بها عن الغير هذا مراده وقال الراغب المنافسة مجاهدة النفس للتشبه بالافاضل واللحوق بهم من غير ادخال ضر على غيره قال الله تعالى وفي ذلك فليتنافس المتنافسون انتهى وهو هنا من نفس بكذا اذا رغب فيه وبخل به على غيره لا ما ذكره الراغب (ولكن مقصده في ذلك) أي في سؤال ما ذكر (على ما ذكره المفسرون) أي في معنى هذه الآية (ان لا يسلط عليه) بالبناء للمجهول وقوله (أحد) نائب الفاعل أي ان لا يسلطه الله تعالى عليه وتسليطه عليه بان يمكنه من غلبته عليه (كما سلط عليه الشيطان) وهو صخر كما بيناه (الذي سلبه اياه) أي ملكه وعاد عليه لتقدم ذكره (مدة امتحانه) أي في مدة ابتلاء الله تعالى له بتسليط الشيطان لما أخذ خاتمه عليه الصلاة والسلام من زوجته وظهر بصورته وتصرف في ملكه حتى أنكر الناس سليمان عليه الصلاة والسلام الى ان وجد خاتمه في بطن سمكة اصطادها كما مر الا ان الله تعالى لم يسلطه على زوجاته صلى الله تعالى عليه وسلم كما حكوه تطهير الحرمه (على) قول (من قال ذلك) من أهل القصص والسير وقد علمت انهم أخذوه من الاسرائيليات المنقولة عن أهل الكتاب وفي صحتها كلام للمحدثين (وقيل) في توجيه ما طلب سليمان (بل أراد) بقوله هب لي ملكا الى آخره (أن يكون من الله فضيلة) يفضل بها على أهل زمانه (وخاصية يختص بها) من دون سائر رسل الله تعالى وأنبيائه ويؤيده ما روى عن نبينا صلى الله عليه وسلم من انه جاءه شيطان وهو يصلي أراد ان يقطع صلاته فاراد صلى الله عليه وسلم ان يمسكه ويربطه بسارية من سواري المسجد حتى يصبح ويراه الناس ثم تركه وقال ذكرت قول أخي سليمان هب لي ملكا الى آخره فهذا يقتضي انه خاصية له خصه الله تعالى بها ولذا قال بعض الشراح هنا لا ينبغي للمصنف رحمه الله تعالى ان يمرض هذا ويحكيه بقيل (كاختصاص غيره من أنبياء الله تعالى ورسله) عليهم السلام (بخواص منه) أي من الله تعالى خصه الله بها دون غيره وهذا لا ينافي الافضلية لانه قد يكون في المفضول ما ليس في الفاضل (وقيل) انما طلب هذا (ليكون دليلا وحجة على نبوته) لا رغبة له في الدنيا ومنافسة فيها (كالانة الحديد لابيه) عليه الصلاة والسلام أي جعله لينا كالعجين يصنع منه الزرد ليستعين به على الجهاد (واحياء الموتى لعيسى) ابن مريم عليه الصلاة والسلام (واختصاص محمد صلى الله تعالى عليه وسلم بالشفاعة) يوم القيامة كما تقدم (ونحو هذا) من خصائص أنبياء الله ورسله التي أكرمهم الله تعالى بها وجعلها معجزة دالة على نبوتهم وقد تقرر انه لم يكن لنبي من الانبياء معجزة وخاصة الا ولنبينا صلى الله عليه وسلم مثلها وأعظم منها كما فصله في الخصائص وقد أفردت بالتدوين وأجل ما ألف فيها خصائص الامام الخيضري وفي شرح المواقف طلب سليمان عليه الصلاة والسلام الملك لا يتيسره لغيره لم يكن حسدا منه وضنة بالملك بل لان لكل نبي كان له ما يفتخر به أهل زمانه وكانوا جبابرة يفتخرون بالملك وكثرة الجند والمال وقوة الاعيان فاراد صلى الله عليه وسلم أن يكون له من ذلك

(وأما قصة نوح عليه الصلاة والسلام) وهو منصرف وجوز منع صرفه وقيل اسمه عبد الغفار وسمي نوحا لكثرة بكائه وتضرعه في دعائه (فظاهره العذر) فيما وقع له من الامر (وانه أخذ فيها بالتاويل) وفي نسخة بالتاويل (وظاهر اللفظ لقوله تعالى وأهلك) أي عمومه في الخلاص من هلاكه وكانه صرف الاستثناء الى غير أهله (فطلب مقتضى هذا اللفظ) من عمومه (وأراد

مالا يقدر عليه غيره خلكه الله تعالى ملكا عظيما ولم يجعله شاغلا له عن زهده وعبادته ليعلم الناس ان زخارف الدنيا لا تلهي خلص عباده عن خدمته ولذا قدم الاستغفار على طلبه فقال رب اغفر لي وهب لي ملكا الى آخره وليكون ادعى للاجابة (وأما قصة نوح عليه الصلاة والسلام) ومافيها مما يقتضي انه شك في وعد الله بقوله تعالى انا منجوك أو على ما يأتي ومثله بحسب الظاهر معصية ولم يذكر قصص الانبياء مرتبة بحسب زمان الوقوع لانه راعى فيها ماهو أظهر حجة لمن جوز على أنبياء الله تعالى وقوع الذنب منهم فلا يرد عليه ماقيل انه كان الاحسن ان يذكرها مرتبة فيبدأ بقصة آدم ثم نوح ثم وثم الى آخر القصص (وظاهره) أي ظاهر كلامه وما حكاه الله تعالى عنه وذكر الضمير لتاويله بما ذكر (العذر) أي الاعتذار عن سؤال ماليس له به علم لا الشك في وعد من لا يخلف الميعاد كما يأتي (وانه أخذ) أي تمسك (فيها) أي في قصته (بالتاويل) أي تاويل ماوعده به بان يريد الله باهله مايشمل ابنه (وظاهر اللفظ) بالجر عطفا على التاويل أي أخذ بظاهر تلفظه (بقوله انا منجوك وأهلك) متعلق باللفظ الا انه قيل عليه انه سهو لان ماذكره وقع في قصة لوط في سورة العنكبوت والذي في قصة نوح قوله قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك وكونه حكاية بالمعنى يأباه انه متمسك بلفظه وان ساواه في لفظ الاهل ولذا رأيته ضرب عليه في بعض النسخ (فطلب مقتضى هذا اللفظ) أي لفظ الاهل من غير نظر لحقيقته وقال ان ابني من أهلي وان وعدك الحق (وأراد) بطلبه ذلك (علم ماطوي عنه) أي أخفي عن علمه فهو استعارة من الشئ المطوي عليه لفافة تخفيه قبل ان يظهر مافي داخلها (من ذلك) الامر أي أمر ابنه ومخالفته في ركوب السفينة لا ينافيه كما توهم (لانه) أي نوح عليه الصلاة والسلام (شك في وعد الله) له بنجاة أهله (فبين الله تعالى عليه) بين لا يتعدى بعلى فكانه ضمنه معنى نبه أو بني أو هو تحريف من الناسخ (انه ليس من أهله الذين وعده الله تعالى بنجاتهم) فيه ماتقدم فتذكره (لكفره وعمله الذي هو غير صالح) فان مثله قاطع للقرابة القريبة ولذا منع الارث بالكفر واختلاف الملل وقيل سلمان منا أهل البيت (وقد أعلمه الله انه مغرق الذين ظلموا) بقوله ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون والظلم أطلق على الكفر في القرآن كما قال تعالى ان الشرك لظلم عظيم (ونهاه عن مخاطبته فيهم) أي شفاعته لهم وتكلمه في شانهم بالآية المذكورة وهو اشارة الى ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام لا يسئلون من الله شيئا بغير اذن لهم في الكلام (فاوخذ بهذا التاويل) أي جازاهم الله وآخذهم بتاويلهم الاهل الموعود بنجاتهم كما قال الله تعالى ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم (وعتب عليه) أي عاتبه الله تعالى على مخاطبته له بقوله تعالى اني أعظك أن تكون من الجاهلين فنسبه للجهل زجرا له ولله ان يخاطب خلص عباده بما أراد لانه حين وعده بنجاة أهله استثنى من سبق عليه القول من الناجين لا سيما وابنه كان بمعزل منه ففي دلالة الحال مايغني عن السؤال (وأشفق هو) أي خاف نوح عليه الصلاة والسلام (من اقدامه على ربه بسؤاله) من ربه (مالم يؤذن له في السؤال فيه) حيث لا يتكلم الا من أذن له ثم بين عذره بقوله (وكان نوح) عليه الصلاة والسلام (فيما حكاه النقاش) في تفسيره وهو محمد بن الحسن الموصلي كما تقدم في ترجمته (لا يعلم بكفر ابنه) ولو علم ذلك لم يرج من الله نجاته وقطع رحمه منه (وقيل في الآية غير هذا) التوجيه بما يقتضي تبرئة مقام النبوة مما لا يليق بها وقيل انه لم يكن ابنه وانما كان ابن

علم ماطوي عنه) بصيغة المجهول أي ستر وخفي (من ذلك) خصوصه باخراجه من جملة أهله (لانه) أي نوحا (شك في وعد الله تعالى) بنجاة أهله (فبين الله عليه) أي أظهر لديه وفي نسخة عليه أي بسببه (انه ليس من أهله الذين وعدهم) وفي نسخة وعده (بنجاتهم لكفره وعمله الذي هو غير صالح وقد أعلمه) أي الله تعالى (انه مغرق الذين ظلموا) بالاضافة ودونها (ونهاه عن مخاطبته) اياه (فيهم فاوخذ) بصيغة المجهول من المؤاخذة بالهمزة والواو لغتان وقراءتان وفي نسخة فووخذ بواوين بناء على اللغة الاخيرة فهو كقوله تعالى ماووري والمعنى فعوتب (بهذا التاويل) حيث خالف حقيقة التنزيل (وعتب عليه) عطف تفسير وكان الاظهر وعوتب عليه وفي نسخة وعيب بكسر فسكون تحتية والظاهر انه تصحيف (وأشفق)

أي خاف (هو) أي نوح (من اقدامه على ربه) أي جراءته (لسؤاله) أي لاجله وفي نسخة بسؤاله أي بسببه (مالم يؤذن له) وفي نسخة مالم ياذن (في السؤال فيه) أي في حقه (وكان نوح فيما حكاه النقاش لا يعلم بكفر ابنه) لانه كان منافقا في أمره وتابعا لامه في كفره (وقيل في الآية غير هذا) لبعض العلماء في تفسيره

امرأته

(وكل هذا لا يقضي) أي لا يحكم (على نوح بمعصية) أي كبيرة (سوى ما ذكرناه من تأويله) للمقال (وإقدامه بالسؤال فيمن لم) وفي نسخة فيما لم (يؤذن له فيه ولا نهي عنه وما روي في الصحيح) أي صحيح الأحاديث مما رواه الشيخان وأبو داود والنسائي وابن ماجه عن أبي هريرة (من أن نبيا قرصته نملة) أي عضته (فحرق) بتشديد الراء فأحرق (قرية النمل) أي بيتها وجحرها (فأوحى الله تعالى إليه أن) بفتح الهمزة وسكون النون أي لأن (قرصتك نملة) أي واحدة كما في نسخة (أحرقت أمة من الأمم تسبح) وذلك لقوله تعالى وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم وقوله وإن من شيء إلا يسبح بحمده وقال الزكي المنذري

امرأته وقد قرئ في الشواذ ونادى نوح ابنها ولو القول بأنه ولد على فراشه ولم يكن ابنه وكان لغير رشده مردود بأن فراش الأنبياء منزه عن مثله وأما قوله فخانتاهما فالمراد منه خيانة الأذية والميل لأعدائه وإلا فلا يجوز تنسب زوجات الأنبياء لشيء من ذلك بالاتفاق (وكل هذا) المذكور في قصة نوح عليه الصلاة والسلام والآية المتلوة فيها (لا يقضي) أي لا يحكم ويلزم الحكم (على نوح عليه السلام بمعصية) صدرت منه (سوى ما ذكرناه) هو استثناء منقطع إذ ليس فيما بعده معصية ومعرة تلحقه وتشين مقامه (من تأويله) لما وعده به (وإقدامه بالسؤال فيما لم يؤذن له) في السؤال (فيه ولا نهي عنه) صريحا لأنه لم يتحقق دخوله في الذين ظلموا إذ لو كان كذلك كان معصية (وما ورد في الصحيح) كما رواه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه (أن نبيا قرصته) أي عضته (نملة) وفي رواية البخاري لدغته بدال مهملة وغين معجمة والقرص مخصوص ببعض صغار الحشرات كالنمل والبرغوث ولذا قالوا قولهم أكلوني البراغيث مجاز ولذا عبر عنه بضمير العقلاء وهذا النبي قال الطبري والحكيم الترمذي إنه موسى عليه الصلاة والسلام وقال المنذري إنه عزير وقال البرهان إن في أبي داود مرفوعا لا أدري أعزير نبي أم لا وصححه الحاكم في مسنده عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ولكن ثبت أنه نبي فكان الله أطلعه بعد ذلك على نبوته (فحرق قرية النمل) القرية محل يجتمع فيه بيوت الناس ولا يطلق على مقر غيره من الدواب وغيره قرية إلا مجتمع النمل لأن أصله محل الاجتماع مطلقا من قرى الماء في الحوض إذا جمعه فهو حقيقة لغوية أو مجاز مشهور وفي كتب اللغة تفرقة بين المساكن فقالوا يقال لمقر الإنسان وطن وبلد ومقر الإبل عطن وللأسد عرين وغابة وللظباء كناس وللذئب والضبع وجار وللطائر والزنبور عش ووكر ولليربوع والنمل قرية فهو على هذا حقيقة (فأوحى الله إليه أن قرصتك نملة أحرقت أمة من الأمم) الأمة طائفة وجماعة من جنس واحد من المخلوقات ففيه إشارة إلى أن هذا النبي صدرت منه معصية ففيه دليل لمن جوز على الأنبياء صدور المعاصي منهم لمعاتبة الله له في ذلك وقوله (تسبح) بيان لسبب النهي عما فعله لأنه ما من شيء إلا يسبح بحمده وفي قتله قطع لعبادته وأيضا فإنه لا يجوز الإحراق للحيوان لما ورد من أنه لا يعذب بالنار إلا خالقها وقيل إنما عاتبه الله لأنه أهلك من آذاه وغيره لما في بعض الروايات هلا نملة واحدة وسبب هذه القصة أن موسى عليه الصلاة والسلام مر على قرية أهلك الله أهلها بذنب لهم فقال يا رب أهلكتهم وفيهم صبيان ودواب لم تذنب وفيهم الطائع فأراد الله تعالى أن ينبهه على ما خطر بباله فاشتد عليه الحر ونزل تحت شجرة فنام في ظلها فسلط الله عليه نملة كبيرة من النمل الذي يقال له نمل سليمان وغيره يسمى فراني ففعل بها ما فعل فأوحى الله تعالى إليه بما ظاهره العتاب إرشادا له صلى الله تعالى عليه وسلم وقد قالوا إنه كان جائزا في شرعه وقد قالوا أيضا يجوز

ان هذا النبي جاء من غير وجه أنه عزير انتهى ولا شك أن المبهمين في الأحاديث لا يعرفون إلا من حديث آخر مصرح بتسمية الشخص منهم ويشكل هذا بما في أبي داود مرفوعا لا أدري أعزير نبي أم لا وصححه الحاكم في مستدركه من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه والجواب لعل الله أطلعه على أنه نبي بعد ذلك فأخبره وفي كلام الطبري أن هذا النبي هو موسى عليه الصلاة والسلام ونقله عن الحكيم الترمذي وعن ابن عباس قال نهى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عن قتل أربع من الدواب النملة والنحلة والهدهد والصرد رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه والصرد بضم الصاد المهملة وفتح الراء طائر معروف ضخم الرأس والمنقار له ريش عظيم نصفه أسود ونصفه أبيض قال الخطابي أما نهيه عن قتل النحل فلما فيها من المنفعة وأما الهدهد والصرد فإنما نهى عن قتلهما لتحريم لحمهما وذلك أن الحيوان إذا نهي عن قتله ولم يكن ذلك لحرمة ولا لمضرة كان ذلك لتحريم لحمه انتهى ولعل النهي عن قتل النمل محمول على حال عدم الأذية والمضرة فالمعاتبة على النبي من حيث قتله سائر النمل من غير حصول العلة والله تعالى أعلم بالحقيقة ثم النمل جنس مفرده النملة ويستوي مذكرها ومؤنثها كالحمامة ونحوها وإنما استدل إمامنا الأعظم على أن نملة سليمان عليه الصلاة والسلام كانت أنثى بدليل قوله تعالى قالت لأنها لو كانت ذكرا لقيل قال لا سيما والفعل مقدم والتأنيث غير حقيقي وقد وهم التلمساني ولم يتحقق كلام الإمام الرباني وإذا عرفت حقيقة القضية

(فليس فى هذا الحديث) أى السابق مايقتضى (ان هذا النبى أتى معصية) ووقع فى أصل التلمسانى ان هذا الذى أتى معصية فتكلف له بان الذى موصول وأتى صلته وعائده محذوف لانه منصوب أى أتاه معصية برفعها على خبر ان أو خبر محذوف (بل فعل مارآه مصلحة وصوابا) أى صورة (بقتل من) وفى نسخة صحيحة ما (يؤذى جنسه) ولعل وجهه من ان جنس المؤذى مختلط بين من يعقل ومالا يعقل (ويمنع المنفعة بما أباح الله تعالى) أى من الراحة بالنوم ونحوه (ألا ترى ان هذا النبى كان نازلا تحت الشجرة) وفى نسخة تحت شجرة ولعلها كانت بعيدة عن العمارة

(فلما آذته النملة) أى الواحدة بان عضته (تحول برحله) أى متاعه (عنها مخافة

قتل كل مؤذ من ذوى الارواح اما بالنار فلا يجوز الا قصاصا لمن أحرق بها انسانا على مافيه فليس فيما فعله عليه الصلاة والسلام معصية ولذا قال المصنف رحمه الله تعالى (فليس فى هذا الحديث مايقتضى) ويدل على (انه أتى معصية) وفى نسخة على ان هذا الذى أتى معصية ومعصية خبر ان وعائد الذى محذوف أى الذى أتاه معصية (بل فعل مارآه) أى علمه واعتقده (صوابا بقتل من يؤذى جنسه) أى بنى آدم وقد قال الفقهاء ان قتل النمل جائز لاذيته وعبر عنه بمن لصدور فعل منه يشبه فعل العقلاء كقوله والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين (ويمنع المنفعة) أى الانتفاع (بما أباح الله تعالى) كالاستظلال بهذه الشجرة وافساد ما ادخر من الاطعمة وأوضحه بقوله (ألا ترى) أى تعلم أو تتحقق ماهو كالمرئى المشاهد (ان هذا النبى) المتقدم وصحح القرطبى انه موسى كما تقدم (كان نازلا تحت الشجرة) لينتفع بظلها والنوم فيه (فلما آذته النملة) بقرصها والتاء للوحدة فيشمل المذكر والمؤنث (تحول برحله) من تحت تلك الشجرة (عنها) أى عن الشجرة ورحل الرجل متاعه الذى يأوى اليه ومايوضع على ظهر الدابة ليحمل عليه (مخافة تكرار الاذى عليه) من جنسها (وليس فيما أوحى الله اليه ماوجب) أى يقتضى ويستلزم (عليه معصية) صدرت منه (بل ندبه الى احتمال الصبر) على مايؤذى أى حثه وحرضه من قولهم ندبه الى كذا اذا دعاه اليه (وترك التشفى) تفعل من الشفاء وهو الانتقام بما يشفى غيظه ويبرد صدره (كما قال تعالى) فى مدح الصبر وانه مما يحث عليه (ولئن صبرتم لهو خير للصابرين) نزل فى غزوة أحد وقتل حمزة رضى الله تعالى عنه وقد مثل به وحزن لذلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كما فصل فى السير (اذ ظاهر فعله) أى هذا النبى (انما كان لاجل انها) أى النملة (آذته هو فى خاصته) دون غيره ممن نزل معه (فكان) فعله هذا (انتقاما لنفسه) دون غيره (وقطع مضرة يتوقعها) فى المستقبل (من بقية النمل هناك) بيان لوجه احراق جميع النمل غير المؤذية له (ولم يات) أى لم يفعل ذلك النبى (فى كل هذا أمرا) مفعوله ولو رفع جاز (نهى عنه) بل جائز كما مر وقوله (فيعصى به) بالنصب فى جواب النفى (ولا نص فيما أوحى الله اليه بذلك) أى بانه أتى بمعصية (ولا بالتوبة) من ذنب أتاه (والاستغفار منه) أى طلب مغفرته لذنب أتاه قيل انما قال اذ ظاهر فعله لانه فى الحقيقة انما وقع له ذلك لوما على ماقاله فى القرية التى أهلكها الله تعالى أقول هذا على تقدير تسليمه لاينافى المقصود من انه لامعصية فى هذه القصة وما حكاه أيضا لاذنب فيه لانه انما سأل الله عن ذلك ليبين له حكمة ما فعله (فان قيل فما معنى قوله) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث (مامن أحد الا ألم بذنب أو كاد الا يحيى بن زكريا) وهذا الحديث رواه الامام أحمد عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما مرفوعا بلفظ مامن أحد الا وقد أخطأ أوهم بخطيئة وسنده ضعيف وأخرجه البزار عن ابن عمر مرفوعا كما قاله السيوطى فى مناهل الصفاء أقول ومتابعته تقوية فى الجملة فلا عبرة بمن أنكره وروى الثعالبى أيضا عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال سمعت

تكرار الاذى عليه منها (وليس فيما أوحى الله تعالى اليه) من الملامة (ما وجب عليه معصية بل ندبه) أى دعاه (الى احتمال الصبر) على الاذية (وترك التشفى) أى الانتقام فى القضية (كما قال تعالى ولئن صبرتم لهو خير للصابرين) وفيه ان الصبر على أذى الحيوان ليس كالصبر على مضرة أفراد الانسان كما بينه علماء الاعيان (اذ ظاهر فعله) من الاحراق (انما كان لاجل انها آذته هو فى خاصته) أى خاصة نفسه (فكان انتقاما لنفسه) أى انتصارا لروحه (وقطع مضرة يتوقعها) أى يخشاها أى يمكن حصولها (من بقية النمل هنالك) ولذا توقف فى ذلك (ولم يات) أى لم يفعل النبى (فى كل هذا أمرا نهى عنه فيعصى به) بضم الياء وفتح الصاد المشددة أى حتى ينسب الى المعصية (ولا نص فيما أوحى الله تعالى اليه

رسول

بذلك ولا بالتوبة والاستغفار منه) أى تصريحا والا فيستفاد منه تلويحا فانه وان كان لم يوح اليه نهى أولا فكأنه نسب الى خطا فى اجتهاده ثانيا وهو يستدعى فى الجملة رجوعه الى الاستغفار والتوبة كما هو طريق أرباب النبوة وأصحاب الفتوة هذا وفى حديث رواية الطبرانى عن ابن عمر مرفوعا مامن دابة طائر ولا غيره تقتل بغير حق الا تخاصم يوم القيامة (فان قيل فما معنى قوله عليه الصلاة والسلام مامن أحد الا ألم بذنب) أى نزل به وتنزل بارتكابه (أو كاد) أى قارب ان يلم به (الا يحيى ابن زكريا)

أو كما قال عليه الصلاة والسلام) ماهذا معناه وانما الشك في مبناه وانما قال هذا لان الحديث روي بالفاظ مختلفة منها مارواه القاضي ومنها ما من نبي الا وقد هم أو لم ليس يحيى ابن زكريا ومنها غير ذلك (فالجواب عنه كما تقدم من ذنوب الانبياء التي وقعت من غير قصد وعن سهو وغفلة) ويدل عليه ان اللمم انما يطلق على الصغيرة من الزلة كما قال تعالى الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم واللمم هو ان يلم الرجل بالذنب مرة ثم يتوب ولا يعود اليه كما قاله ابن عباس والمشهور انه الصغيرة من الذنوب وقد قال عليه الصلاة والسلام * ان تغفر اللهم فاغفر جما * وأي عبد لك لا ألما * فهذا الاستثناء الدال على العموم ينافي الحديث المذكور من استثناء يحيى الا أن يحمل على الاغلب ثم الانسب ان يقال ان هذا النعت من خصائص يحيى عليه السلام وانه من صغره الى كبره ماهم بمعصية قط ولا خطر بباله سيئة قبل البعثة فضلا عما بعد النبوة ولذا قيل في قوله تعالى وآتيناه الحكم صبيا أي نبيا في أول أمره ونشأة عمره ولذا امتنع من اللعب مع اقرانه في حال صغره وقد أعطي عيسى عليه الصلاة والسلام أيضا النبوة من أول الوهلة كما يشير اليه قوله تعالى حكاية عنه اني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا وهو يوم القيامة لم يذكر له ذنبا كسائر أولي العزم من الرسل الا انه يتعلل بانه عبد من دون الله وهو بلا شبهة ماكان يريده ويرضاه لكنه يحتمل انه هم ببعض

الذنوب وتركه خشية من الله فحصر الحكم في يحيى يستقيم بهذا التاويل القويم والله تعالى أعلم ثم ان الحديث الذي أورده المصنف ضعيف فلا يجوز الاحتجاج به على ما أجاب عنه النووي والمصنف انما أجاب عنه على تقدير صحته ثم أعلم ان هذا الحديث رواه أبو يعلى الموصلي في مسنده عن زهير عن عفان عن حماد بن سلمة عن علي بن زيد بن جدعان عن يوسف بن مهران عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال ما من أحد من ولد آدم الا وقد اخطأ أو هم بخطيئة ليس يحيى بن زكريا أي الا يحيى ولعل هذا الدعاء زكريا واجعله رب رضيا أي مرضيا وهذا اسناد ضعيف لاجل علي بن زيد بن جدعان وان كان حافظا لكنه ليس بالثبت وقد أخرج له مسلم والاربعة ويوسف بن مهران انفرد عنه علي بن زيد بن جدعان وقد وثقه أبو زرعة وقال أبو حاتم يكتب حديثه ويذاكر به أخرج له البخاري في تاريخه وظاهر هذا الاسناد انه حسن لا ضعيف ولا صحيح والله سبحانه وتعالى أعلم

(فصل) (فان قلت فاذا نفيت عنهم صلوات الله عليهم الذنوب) أي الكبائر (والمعاصي) أي الصغائر (بما ذكرته من اختلاف المفسرين وتاويل المحققين) في الفصل السابق وحاصله ان حسنات الابرار سيئات المقربين (فما معنى قوله تعالى وعصى آدم ربه فغوى) أي جهل حكمه (وما تكرر في القرآن والحديث الصحيح من اعتراف الانبياء بذنوبهم) في الدنيا أو يوم القيامة (وتوبتهم) أي عن تقصيرهم في طاعتهم (واستغفارهم) أي طلب مغفرتهم عن سهوهم وغفلتهم (وبكائهم على ما سلف منهم) في حالتهم كداود اذ قد ورد انه بكى حتى بلت دموعه الارض

رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول كل بني آدم يلقى الله عز وجل بذنب يعذبه عليه أو يرحمه الا يحيى بن زكريا فانه كان سيدا وحصورا ونبيا من الصالحين ثم أهوى صلى الله عليه وسلم الى قذاة من الارض أخذها بيده وقال كان ذكره مثل هذه وقال قتادة وغيره ان الله تعالى أحيى قلبه بالطاعة والنبوة حتى لم يعص ولم يهم بمعصية وهو غير مناف لما رواه الثعالبي وحاصل ماهنا ان هذا الحديث يخالف ما مر من عصمة الانبياء ويلائم ما استدل به المخالفون في ذلك ومعنى الم انه وقع منه ذلك قليلا وكاد يعني قرب منه فهو بمعنى هم في الرواية الاخرى وقوله (أو كما قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) اشارة الى انه وقع فيه روايات مختلفة أشرنا اليه (فالجواب عنه) أي عما وقع في هذا الحديث (كما تقدم من ذنوب الانبياء التي وقعت من غير قصد) منهم (وعن سهو و) عن (غفلة منهم) ومثله لا يؤاخذ به ولا يلزم منه تفضيله على من عداه من الانبياء عليهم الصلاة والسلام وهذا ما وقع في بعض النسخ وسقط من بعضها

(فصل) معقود لدفع شبه نشأت مما قدمه (فان قلت فاذا نفيت عنهم) أي عن الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين (الذنوب والمعاصي) عطف تفسير أو هو من عطف السبب على مسببه لان الذنب الاثم المترتب على المعصية بمخالفة أمر الله تعالى (بما ذكرته) في الفصل الذي قبل هذا (من اختلاف المفسرين) في توجيه ما صدر عنهم (وتاويل المحققين) لما هو معصية بحسب الظاهر (فما معنى قوله تعالى وعصى آدم ربه فغوى) وضل بسبب معصيته (وما) معنى ما (تكرر) في قصص الانبياء الواردة (في القرآن والحديث من اعتراف الانبياء بذنوبهم) كما تقدم من نحو قولهم ربنا ظلمنا أنفسنا (وتوبتهم واستغفارهم) كقول موسى صلى الله تعالى عليه وسلم رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي (وبكائهم على ما سلف منهم) كما روي عن داود عليه الصلاة والسلام انه بكى حتى بلت دموعه الارض

(واشفاقهم) أي من عقوبتهم في عاقبتهم (وهل يشفق) بصيغة المجهول أي يخاف (ويتاب ويستغفر من لاشئ) أي من غير شئ هو باعث وفي نسخة من لاشيء أي لا يذنب على ان الافعال الثلاثة فيما قبله مبنية للفاعل (فاعلم وفقنا الله واياك ان درجة الانبياء في الرفعة والعلو) أي علو الرتبة (والمعرفة بالله) واتصافه بنعوت جلاله وعظمته وكبريائه (وسنته) أي عادته الجارية (في عباده وعظيم سلطانه) وكريم برهانه وعلو شانه وفي نسخة وعام سلطانه (وقوة بطشه) أي أخذه بالقهر والغلبة (عما يحملهم على الخوف منه جل جلاله) وعظم كماله (والاشفاق) أي وعلى الحذر (من المؤاخذة بما لا يؤاخذ به غيرهم) كما يشير اليه قوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وحديث انا أعلمكم بالله واخشاكم له (وانهم في تصرفهم بامور) أي مباحة (لم ينهوا عنها ولا أمروا بها ثم أخذوا) وفي نسخة ووخذوا أي عوقبوا (عليها وعوتبوا بسببها أو حذروا) أي احترسوا وفي نسخة حذروا بتشديد الذال على بناء المجهول أي خوفوا (من المؤاخذة بها واتوها) أي فعلوها (على وجه التاويل أو السهو) أي الخطا والغفلة (أو تزيد) بفتح التاء والزاي وتشديد الياء أي على وجه طلب زيادة (من أمور الدنيا المباحة خائفون) أي وهم مشفقون (وجلون) أي حذرون مضطربون (وهي ذنوب بالاضافة الى على منصبهم) بفتح العين وكسر اللام وتشديد الياء أي علوه (ومعاص بالنسبة الى كمال طاعتهم) وجمال عبادتهم لانها (كل ذنوب غيرهم ومعاصيهم) أي معاصي غيرهم كما ان طاعات الانبياء وايمانهم ليسا كطاعات الامم وايمانهم في مراتب ايقانهم واتقانهم فلا يقاس الملوك بالحداد والصعلوك (فان الذنب ماخوذ من الشئ الدنيء) أي الحقير الخسيس (الرذل) بفتح الراء وسكون الذال المعجمة أي المذموم الرديء (ومنه ذنب

(واشفاقهم) أي خوفهم من الله تعالى (وهل يشفق) ويخاف (ويتاب) بناء المجهول (ويستغفر من لاشئ) أي من غير شئ صدر يخشى منه حتى يفعل ما ذكر (فاعلم) أيها السائل (وفقنا الله واياك) جملة دعائية معترضة (ان درجة الانبياء) عليهم الصلاة والسلام والدرجة في الاصل ما يصعد به لمكان عال ويراد به المنزلة الرفيعة نفسها وهو المراد هنا (في الرفعة) أي علو مقاماتهم حساً ومعنى (والعلو) عطف تفسير (والمعرفة بالله) تعالى فانهم أعرف به من غيرهم (وسنته في عباده) مجرور معطوف على ما قبله أي معرفتهم بعيادة الله في معاملة عباده في سخطه ورضاه (وعظيم سلطانه) أي علو شانه وانه القاهر فوق عباده (وقوة بطشه) أي أخذه القوي الشديد اذا أخذ كل جبار عنيد (مما يحملهم) أي يلجئهم بما يقتضيه اقتضاء تاما (على الخوف منه) فان من كان أعرف بالله كان أشد خوفا منه (جل جلاله) هذا في موقعه مناسب غاية المناسبة أي عظمت عظمته وهو مبالغة في وصفه بالعظمة في ذاته وصفاته والجليل من أسمائه تعالى أبلغ من الكبير والعظيم لانه كمال الذات والصفات واسناده مجازي كجد جده وفيه مبالغة قررت في المعاني (والاشفاق) أي الخوف (من المؤاخذة بما لا يؤاخذ به غيرهم) فانهم لعلو مقامهم عند الله ورفعة شانهم لا يسامحهم بما يسامح به غيرهم لانهم أجل من ان يتهاونوا في شئ من الاشياء ويفرطوا فيه فخوفهم من الله تعالى أقوى من خوف غيرهم لانه خوف اجلال (وانهم في تصرفهم) بافعالهم الصادرة منهم (بامور لم ينهوا عنها ولا أمروا بها) لانها أمور مباحة جائزة (ثم أوخذوا عليها) أي لامهم الله عليها مع انها مباحة جائزة (وعوتبوا بسببها أو حذروا) أي خوفوا (من المؤاخذة بها) أي ان يجازيهم الله عليها كما أخذه صلى الله تعالى عليه وسلم الفدية من أسرى بدر واذنه لمن تخلف عن الغزو كما تقدم وهو أمر جائز لكنه ترك فيه الاولى نظرا لما فيه من الفائدة العائدة للمسلمين والتيسير على الامة (وأتوها) أي فعلوها (على وجه التاويل) لما ورد فيه من نص قبل حمل على محمل غير ما أريد به لامر اقتضاه ومثله يعذر فيه ولا يعد ذنبا (أو السهو) أي أو فعلوها على وجه وقع منهم السهو منهم ومثله معفو عنه غير مؤاخذ به غيرهم كما تقدم بيانه (أو تزيد) أي زيادة (من أمور الدنيا المباحة) لهم ولغيرهم كطلب سليمان عليه الصلاة والسلام ان تحمل جميع نسائه بفرسان تجاهد في سبيل الله كما تقدم فهو طلب زيادة مباحة ولا ضرر فيه (خائفون وجلون) هو خبر ان في قوله انهم في تصرفهم وما بينهما اعتراض والوجل الخوف والاحسن تفسيره هنا بمضطربين ليكون أفيد (وهي) أي الامور المباحة المذكورة (ذنوب بالاضافة الى على منصبهم) أي بالنسبة لهم وان كانت مباحة في أصلها فالمراد بالمنصب مقامهم وليس المنصب هنا بمعناه المتعارف وقد تقدم بيانه (ومعاص بالنسبة الى كمال طاعتهم) لربهم ومراقبتهم له (لانها) ذنوب حقيقة (كذنوب غيرهم ومعاصيهم) من أمتهم ثم بين مناسبة اطلاقها بحسب الاشتقاق فقال (فان الذنب) في أصله ووضع مادته (ماخوذ من الشئ الدنيء) أي الخسيس (الرذل) أي الرديء الحقير والاخذ الاشتقاق البعيد وهو معنى قولهم دائرة الاخذ أوسع من دائرة الاشتقاق (ومنه ذنب

(كل شئ) بفتحتين (أى آخره واذناب الناس رذالهم) بضم أوله وتخفيف ثانية جمع رذل أى خسيسهم وفى نسخة أراذلهم جمع أرذل (وكأن) بتشديد النون وفى نسخة فكان وفى أخرى فكانت (هذه) أى الامور التى تصرفوا فيها (أدنى أفعالهم) أى اردأها (واسوأ مايجرى من أحوالهم) بالاضافة الى أعلى مراتب أفعالهم (لتطهيرهم وتنزيههم) عما لا يليق بهم (وعمارة بواطنهم وظواهرهم بالعمل الصالح) مما أمروا به واجبا أو مندوبا (والكلم الطيب) من تهليل وتسبيح وتكبير واذكار ودعاء واستغفار وفيه اشارة الى قوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وفى الحديث ان الكلم الطيب سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر اذا قالها العبد عرج بها الملك فجىء بها وجه الرحمن فاذا لم يكن له عمل صالح لم تقبل (والذكر الظاهر) أى الجلى (والخفى) أى الباطن وفى الحديث خير الذكر الخفى (والخشية لله) لما تقدم من الآية والحديث (واعظامه فى السر والعلانية) بتحسين (النية) وتزيين الطوية (وغيرهم) من عوام الامة (يتلوث أى يتلطخ بقاذورات الذنوب من الكبائر والقبائح) أى الشاملة للصغائر (والفواحش) أى أعظم الكبائر وهو مايتعلق بحقوق العباد (ما) وكان حقه ان يقول كما فى نسخة بما أى يتلوث غيرهم باشياء (تكون هذه الهنات) بفتح الهاء والنون أى العثرات والزلات وفى نسخة الهيئات بفتح الهاء وسكون الياء وهمزة ممدودة أى الحالات وفى نسخة بالاضافة الى هذه الهنات ويروى بالاضافة اليه هذه الهنات فالهنات بالرفع فاعل تكون والمعنى تكون الهنات التى صدرت عن أصحاب النبوات بالاضافة اليه على ان الضمير فى اليه يعود الى ما أى بالنسبة الى ما يتلوث به ذلك الغير من السيآت (فى حقه) أى فى حق غيرهم (كالحسنات) بل حسنات اذ ليست فى الحقيقة سيآت بل طاعات (كما قيل حسنات الابرار) أى من المؤمنين (سيآت المقربين) من الانبياء والمرسلين

(كل شئ آخره) الذنب بفتحتين معروف (واذناب الناس رذالهم) بضم الراء وهو جمع على فعال جاءت فى كلمات معدودة أى أراذلهم ومنه أرذل العمر لآخره (وكان هذه أدنى أفعالهم) أى احقرها وأخسها وكأن للتشبيه وفى نسخة وكانت هذه أى الامور التى تصرفوا فيها (واسوأ ما يجرى) ويقع (من أحوالهم) لجلالة قدرهم ونزاهة خلقهم وعصمتهم عن سفساف الامور وان حماهم الله عن كل سوء فى ذواتهم وصفاتهم (لتطهيرهم وتنزيههم) عما لا يليق بهم (وعمارة بواطنهم وظواهرهم بالعمل الصالح) فى السر والعلانية (والكلم الطيب) أى الذى شغل به ألسنتهم وجميع أقوالهم من التكلم بالخير والتسبيح والتهليل وحمد الله (والذكر الظاهر) أى ذكر الله جهرا (والخفى) بذكره سرا وجعله دائما مراقبا ملاحظا فى قلوبهم (والخشية) هى الخوف مع الاجلال والتعظيم (لله تعالى واعظامه) حق تعظيمه وقدره حق قدره (فى السر والعلانية) بالتخفيف مصدر كصلاحية وهو مقابل السر بمعنى الخفى من الاعلان فمن كان هذا حاله اذا اشتغل بما لا يعنيه من المباحات كان سيئة بالنسبة لمقامه وماطبع عليه (و) اما (غيرهم) من غير الخواص فهو انما (يتلوث) أى يتدنس يقال تلوث بالدم اذا تلطخ به ويقال به لوثة من جنون قال

وانى على مافى من عنجهيتى * ولوثة اعراسيتى لاديب

(من الكبائر) أى كبائر الذنوب وقد تقدم بيانها (والقبائح) أى ما يقبح شرعا من الذنوب كبائرها وصغائرها (والفواحش) وهو ما ازداد قبحه وقد يراد بالفاحشة الزنا ونحوه وهو اطناب هنا لانه بمعنى الكبائر (ما تكون بالاضافة) أى بالنسبة والقياس (اليه) وفى نسخة الى (هذه) الامور التى صدرت من الانبياء عليهم الصلاة والسلام وما هذه موصولة وقعت بدلا من مجرور من أى غير الانبياء متلوث من أمور هى بالاضافة لما عد ذنبا منهم كالحسنة لغيرهم كما قال المتنبى

انا لفى زمن ترك القبيح به * من أكثر الناس احسان واجمال

فلا وجه لما قيل ان حقه ان يقول بما يكون بالباء الجارة كما وقع فى بعض النسخ أو يقول يلوث باسقاط التاء حتى يتعدى بنفسه (الهنات) جمع هنة وهى خصلة السوء (فى حقه) أى اذا وصف بها غير النبى وقيلت فى حقه (كالحسنات) بالنسبة لقبائحه وقال كالحسنات لان منها مباح ومكروه كراهة تنزيه وجعلها حسنة لا خفاء فيه وما قيل انه لم يعهد ان يكون شئ واحد ذنبا فى حق شخص وغير ذنب فى حق آخر فى شرعنا ليس بشئ بل مثله كثير فكم من شئ وجب على الانبياء وعلى الخلفاء والحكام وهو لا يجب على غيرهم وأجاد فى التعبير بالهنات لانها بفتح الهاء والنون وألف وتاء والهنة فى الاصل مطلق الخصلة ثم خصت بخصلة السوء وقال فى الاساس يقال هناه وهنوات وهنات خصال سوء قال لبيد

اكرمت عرضى أن ينال بنحوه * ان البرىء من الهنات سعيد

وما فى بعض النسخ من الهيئات جمع هيئة بياء ساكنة وهمزة تحريف من الناسخ (كما قيل حسنات الابرار) اتقياء الامة (سيئات المقربين) الى الله وهم الانبياء عليهم الصلاة والسلام وخلص الاولياء وليس هذا بحديث وانما هو من كلام أبى سعيد الخراز من كبار مشايخ الصوفية

(أي يرونها) أي يظنون تلك الحسنات (بالاضافة الى أحوالهم كالسيآت) وهذا كما قيل كان المقربون أشد استعظاما للزلة الصغيرة من الابرار للمعصية الكبيرة وكانوا فيما أحل لهم أزهد من الابرار فيما حرم عليهم وكان الذي لا باس به عند الابرار كالموبقات عند أولئك الاخيار فبين المقامين بون بين (وكذلك العصيان) أي معناه (الترك) أي ترك الموافقة (والمخالفة) في الطاعة الا انه ان كان عن عمد فذنب ومعصية والا فزلة وعثرة

(فعلى مقتضى اللفظة) أي اطلاقها (كيف ما كانت من سهو او تاويل فهي مخالفة

(أي يرونها) و يعتقدونها (بالاضافة الى على أحوالهم كالسيآت) وان لم تكن سيئة حقيقة فجعلها سيآت وحسنات مبالغة ومجاز (وكذلك) أي مثل ما ذكر في معنى الذنب وكونه يكون بالسيئة لمن اتصف به (العصيان) الذي اتصف به بعض المقربين كما في قوله تعالى وعصى آدم ربه فغوى معناه في اللغة (الترك والمخالفة) لامر ما سواء كان واجبا أم لا (فعلى مقتضى) هذه (اللفظة) بحسب معناها التي وضعت له (كيف ما كانت) أي على أي حالة وقعت (من سهو أو تاويل) للامر الذي أمر به (فهي) تسمى (مخالفة وترك) وان لم تكن معصية شرعية مذمومة عقلا وشرعا لانها معفوة مغفورة غير مؤاخذ بها كل أحد فليس كل عاص آثم وترك الطاعة أعم من فعل المعصية وهو سؤال تقديره ان قلتم بعصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام وقد وصف الله تعالى بعضهم بانهم عصاة وجوابه ظاهر قيل هذا مبني على ان فعل الساهي حرام ومعصية لكنها مغفورة وهو مذهب لبعضهم وقيل فعله لا يوصف بشيء من الاحكام كفعل المكره والكلام عليه مفصل في كتب الاصول (وقوله تعالى) في حق آدم عليه الصلاة والسلام (غوى) والغي الضلال والمعصية فاطلاقه يقتضي خلاف ما قررته من عصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام (أي جهل ان تلك الشجرة) التي أكل منها (هي التي نهي عنها والغي) معناه في اللغة (الجهل) فهذا معناه حقيقة ولغة ولو قال لم يعرف كان أحسن وأليق بالادب (وقيل) معناه (اخطا ما طلب من الخلود) بدوام البقاء كما ذكر في الآية (اذ كلها وخابت أمنيته) بضم الهمزة وتشديد الياء اذ لم يصل لما أراده وهي ما يتمناه وجمعها أماني بالتشديد والتخفيف وفسره أهل اللغة بالضلال والجهل والخطا معنى آخر اذ هو تفسير بلازم معناه وقال ابن الاعرابي معنى غوى فسد عيشه بتغير حاله وقد قيل عليه ان ترتيبه بالفاء بقوله عصى آدم ربه فغوى ينافي تفسيره بالخطا والجهل الا أن يكون كان في شريعته غير معفو عنه ثم نسخ وفيه نظر لانه اذا فسر بمعناه اللغوي كما قرره المصنف رحمه الله تعالى لا يرد عليه ما ذكر على انه قصد به التهديد والتشديد باعتبار أسبابه الناشئ عنها ثم استشهد لما قاله بقصة يوسف عليه الصلاة والسلام فقال (وهذا يوسف) جعله كأنه مشاهد لاشتهار قصته (قد أوخذ) أي عوتب وجوزي (بقوله لصاحب السجن) أي لصاحبه في السجن الذي ظن انه ناج فاضافته لادنى ملابسة وفي نسخة لاحد صاحبي السجن (اذكرني عند ربك) أي صف له قصتي وأخبره بحالي فيخلصني من هذه الورطة والمراد به الملك والقضية غنية عن البيان (فانساه الشيطان ذكر ربه) المصدر مضاف لمفعوله الثاني أي أنساه ذكره يوسف لسيده (فلبث في السجن بضع سنين) البضع ما فوق الثلاث الى السبع أو التسع أو العشرة وقيل معناه ان الشيطان أنسى يوسف عليه الصلاة والسلام أن يذكر الله تعالى فابتغى الفرج من غيره تعالى غفلة منه وأشار الى ذلك بقوله (قيل أنسي يوسف ذكر الله تعالى) والمراد به الله والضمير ليوسف عليه الصلاة والسلام (وقيل أنسي صاحبه) الذي كان معه في السجن وقال له اذكرني عند ربك (أن يذكره لسيده) وهو (الملك) أي أنسي الشيطان الشرابي أن يذكر يوسف للملك (قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم)

وترك) أي وترك طاعة اما حقيقة واما صورة (وقوله غوى أي جهل) وكان الاحسن في العبارة ان يقول لم يعرف (ان تلك الشجرة) المأكول منها (هي التي نهي عنها) أي بعينها أو غيرها من جنسها فأكل منها غير عالم انها هي بخصوصها وهذا معنى قوله تعالى فنسي (والغي) الجهل واصل معنى غوى ضل وقد يأتي متعديا فيكون المعنى انه أغوى حواء بان تبعته في الهوى (وقيل) أي في معنى غوى (اخطا) ما طلب من الخلود (اذ كلها) اذ تعليلية والمعنى لانه أكلها (وخابت أمنيته) بضم الهمزة و كسر النون وتشديد التحتية وهي ما يتمنى والجمع أماني مشددا ويخفف (وهذا يوسف عليه السلام قد ووخذ) بواوين وفي نسخة أوخذ أي عوتب (بقوله لاحد صاحبي السجن) أي

في ساكنيه معه وهو الشرابي للملك (اذكرني) أي حالي (عند ربك) أي سيدك ليخلصني من سجني (فانساه الشيطان ذكر ربه) مصدر مضاف الى مفعوله أي انساه ذكر يوسف لسيده (فلبث في السجن) أي مكث في الحبس (بضع سنين) وأكثر ما قيل انه عليه السلام لبث فيه سبع سنين وقيل لبثها سبعا أي بعد قوله اذكرني عند ربك (قيل أنسي يوسف) بصيغة المجهول أي انساه الشيطان (ذكر الله تعالى) حتى استعان بما سواه (وقيل أنسي صاحبه أن يذكره لسيده الملك) كما قدمناه في الجملة (قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم

لولا كلمة يوسف) أي هذه (مالبث في السجن مالبث) أي مدة لبثه وفي رواية رحم الله أخي يوسف لولم يقل اذكرني عند ربك لما لبث في السجن سبعا بعد الخمس على ما بيناه والاستعانة في كشف شدائد البلاء وان كانت محمودة في الجملة لكن لا تليق بمنصب الانبياء والكمل من الاولياء والاصفياء ونظيره ما حكي عن الجنيد انه كان في جنازة فرأى سائلا يسئل فخطر بباله لو اكتسب هذا لكان خيرا له من ان يسئل فرآه في منامه ميتا ويقال له كل منه فقال كيف آكل منه وهو آدمي فقيل له انك اغتبته فقال معاذ الله وانما خطر بباله ذلك فقيل له انا لا نرضى من مثلك بهذا (قال ابن دينار) من اجلاء التابعين واسمه مالك مات سنة اثنتين وثلاثين ومائة وهو من أجل علماء البصرة وزهادهم يروي عن أنس وسعيد بن جبير وثقه النسائي وغيره وقد ذكره ابن حبان في الثقات أخرج له الاربعة وعلق له البخاري وقد رواه ابن أبي حاتم أيضا عن أنس موقوفا (لما قال يوسف) أي اذكرني عند ربك (قيل له) أي بالوحي الجلي أو الخفي وهو الالهام الغيبي (أتخذت من دوني وكيلا) بهمزة الاستفهام الانكاري مقررا أو مقدرا (لاطيلن حبسك) أي عن غيري لتطمئن الى أمري وتسلم لي في قضائي وقدري وتعرف حقيقة تقديري لنفسه كان تهذيبا لا تعذيبا كالاربعين لمريدين تاديبا وتدريبا (فقال) أي يوسف اعتذارا (يا ربي أنسى قلبي كثرة البلوى) النازلة على قلبي من حين ألقيت في جب وفورق بيني وبين أبي وحي (وقال بعضهم يؤاخذ) بصيغة المفعول وفي نسخة بالفاعل وفي أخرى أخذ (الانبياء بمثاقيل الذر) أي من محقرات الامر (لمكانتهم عنده) أي لرفعة مرتبتهم لديه في القدر (ويجاوز) بالوجهين وفي نسخة ويتجاوز وفي أخرى ويجاوزه (عن سائر الخلق لقلة مبالاته بهم) أي لعدم عنايته ورعايته وحمايته فيهم والا لكانوا كلهم أصفياء من أنبياء أو أولياء (في أضعاف ما أتوا به) بقصر الهمزة أي ما فعلوه (من سوء الادب) أي كالجبال في مخالفة أمر الرب (وقد قال المحتج للفرقة الاولى) أي اعترض المستدل الموافق للطائفة السابقة القائلة باثبات المعصية للانبياء بعد البعثة وأورد (على سياق ما قلناه) ولحاق ما أولنا بطريق السؤال لما ظهر له من الاشكال حيث قال

في حديث رواه ابن جرير والطبراني عن ابن عباس وابن مردويه عن أبي هريرة وأبو الشيخ عن أبي الحسن مرسلا وكذا عن عكرمة فهو حديث صحيح (لولا كلمة يوسف) أي قوله لصاحبه في السجن اذكرني عند ربك وطلبه من غير الله للفرج (مالبث) أي مكث وما نافية (في السجن مالبث) أي مدة لبثه فما مصدرية زمانية (وقال) مالك (ابن دينار) أبو يحيى البصري أحد الاعلام الزاهد الثقة أخرج له الاربعة والبخاري تعليقا وتوفي سنة مائة واثنين وثلاثين واسمه محمد بن ابراهيم وله ترجمة في الميزان وهذا رواه الامام البغوي عنه في تفسيره وأخرجه ابن أبي حاتم عن أنس مرفوعا (لما قال ذلك يوسف) أي قوله اذكرني عند ربك (قيل له) أي قال الله تعالى له بوحيه كما يأتي (اتخذت من دوني) أي غيري من عبيدي (وكيلا) أي من تكل اليه أمرك وتعتمد عليه في خلاصك (لاطيلن حبسك) أي مدة مكثك في الحبس (وقال يارب أنسى قلبي كثرة البلوى) والمصائب من حين ألقيت في الجب الى ان دخلت السجن فهذا ذنب عد عليه وعوقب به مع انه ليس بمعصية شرعية لكن على مقامه يقتضي ان لا يذكر في الشدة غير الله ولا يعول على مخلوق وقد قال الخليل عليه الصلاة والسلام لجبريل حين ألقي في النار وقال له ألك حاجة فقال أما اليك فلا حسبي من سؤالي علمه بحالي وقد رووا ان جبريل عليه الصلاة والسلام أتاه في الحبس وبلغه ذلك في حديث طويل نقلوه (وقال بعضهم تؤاخذ الانبياء) لومالهم (بمثاقيل الذر) جمع مثقال وهو وزن كل شئ ومقداره والذر جمع ذرة وهي أصغر النمل ويقال للهباء الذي يرى في شعاع الشمس ولا وزن له أصلا فهو مبالغة في الخفة والمثقال في العرف الدينار وليس بمراد هنا (لمكانتهم) أي لقربهم ورفعتهم (عند ربهم) ومن يحب أحدا ويعتني به لا يسامحه في أدنى شئ يتعلق به ولذا قيل ضرب الحبيب أوجع (ويتجاوز عن سائر الخلق) أي غيرهم وباقيهم (لقلة مبالاته بهم) قال ابن فارس اشبه على اشتقاق لا أبالي حتى رأيت قول ليلى الاخيلية

تبالي رواياهم هبالة بعدما * وردن وحول الماء بالجم ترتمي

وقد قالوا فيه التبالي المبادرة للاستقاء عند قلة الماء فيستقي أحدهم وينتظره غيره فمعنى ذلك لا أبادره ولا أنتظره لعدم اعتدادي به انتهى (في أضعاف ما أتوا به) في تيانهم بما يزيد على ما أتى به المقربون بمثله وأمثاله وضعف الشئ ما يزيد عليه بمثله أو باكثر كما فصله في الكشاف تابعا للازهري في تهذيبه (من سوء الادب) أي في حق خالقهم المتفضل عليهم بالنعم الجليلة التي حقها ان تقابل بطاعته وشكره فعصوه وارتكبوا ما لا ينبغي من المعاصي (وقد قال المحتج) أي الذي أقام الحجة والدليل (للفرقة الاولى) القائلة بان الانبياء عليهم الصلاة والسلام معصومون من جميع الذنوب وان السهو والنسيان لا يؤاخذون به كغيرهم ماشيا في حالهم (على سياق ما قلناه) أي ما قررناه في بيان أمرهم فاشكل عليهم

(اذا كان الانبياء يؤاخذون بهذا) الحال والمنوال (مما لا يؤاخذ به غيرهم من السهو والنسيان) فى الاقوال والافعال (وماذكرته) عن حالهم بانهم يؤاخذون بمثاقيل الذر مما لا يؤاخذ به غيرهم فى مقادير الجبال (وحالهم ارفع) جملة حالية أى والحال انهم ارفع درجة فى نفس الامر (فحالهم اذن) أى حينئذ (فى هذا) أى فى حق المؤاخذة (اسوأ حالا من غيرهم) حيث يعاملون بالمسامحة والمساهلة وهذه من خساقة العلم و رثاثة الفهم اذ لم يهتد الى ان الارفع درجة والاقرب منزلة من ربه لا يسامح بما يسامح البعيد عن مقام قربه كالوزراء والامراء بالنسبة الى الملوك اذا كانوا على بساط الانبساط يخاف عليهم أقوى من الرعايا فى المفازاة البعيدة المشتغلين بانواع النشاط ومن هنا يعلم معنى قوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وحديث انا اخشاكم له واتقاكم اذا عرفت ذلك مجملا (فاعلم) ما سنلقى اليك مفصلا (أكرمك الله انا لا نثبت) بالتشديد والتخفيف (لك) أى مخاطبا لك ومبينا لاجلك (المؤاخذة) أى مؤاخذتهم (فى هذا) الباب (على حد مؤاخذة غيرهم) من حلول العقاب وحصول الحجاب الدنيوى أو الاخروى (بل نقول انهم) أى الانبياء ونحوهم من العلماء (يؤاخذون بذلك فى الدنيا ليكون ذلك) مع كونه كفارة لما صدر عنهم هنالك (زيادة) أى لهم كما فى نسخة (فى درجاتهم) فى العقبى (ويبتلون) بضم الياء وفتح اللام على صيغة المجهول أى ويمتحنون (بذلك) أى بمؤاخذة ربهم (ليكون استغفارهم له) وفى أصل الانطاكى ليكون استشعارهم له أى ليكون وقوع ذلك فى قلوبهم (سببا لمنماة رتبتهم) بفتح الميم الاولى أى لزيادة مراتبهم ومزية مناقبهم (كما قال) عز من قائل فى حق آدم عليه الصلاة والسلام (ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى) وقال فى حق يونس عليه الصلاة والسلام أيضا فاجتباه ربه فجعله من الصالحين أى الكاملين فى الصلاح القائمين بحقوق الله تعالى وحقوق العباد على وجه الفلاح (وقال تعالى لداود) أى فى حقه ولاجله (فغفرنا له ذلك الآية) أى وان له عندنا لزلفى وحسن مآب (وقال بعد قول موسى تبت اليك انى اصطفيتك على الناس) أى برسالاتى وبكلامى

تسمعه

ما قلته آنفا من انهم يؤاخذون بما لا يؤاخذ به غيرهم لعدم المبالاة بهم (اذا كان الانبياء يؤاخذون بهذا) المذكور من مثاقيل الذر (مما لا يؤاخذ به) فلا يعاقب به ولا يعاتب (غيرهم) أى غير الانبياء من أممهم (من السهو والنسيان و) نحوه من (ما ذكرته) من الامور المباحة لهم (وحالهم) أى حال الانبياء المؤاخذين بما ذكر (ارفع) عند ربهم وهذه جملة حالية وما فى بعض النسخ فحالهم بالفاء من تحريف الكتبة (فحالهم) أى حال الانبياء (اذن) أى اذا أوخذوا بها (أشق) حالا فى هذا (من غيرهم) عند الله تعالى لكثرة ما آخذهم به وتشديده عليهم فيما لم يشدد به على غيرهم مع انهم ليسوا كذلك وهذا من سوء الفهم لتوهم قائله ان الاعظم عند ربه لا يؤاخذ بترك الاولى وليس كذلك فان ذلك لحكمة والى جواب هذه الشبهة وبيان الحكمة فيها أشار بقوله (فاعلم) أيها السائل (أكرمك الله تعالى) بهداية تلك الوجه ما ذكر (انا لا نثبت لك المؤاخذة) أى مؤاخذة الانبياء عليهم الصلاة والسلام (فى هذا) الذى آخذهم به دون غيرهم (على حد مؤاخذة) أى على مقدار مؤاخذة (غيرهم) أى مؤاخذة غير الانبياء بما ارتكبوه من الذنوب بمعاقبتهم عليها فى الدنيا والآخرة (بل نقول) فى الفرق بين مؤاخذتهم ومؤاخذة غيرهم وهو اضراب انتقالى من نفى مؤاخذتهم كغيرهم (انهم) أى الانبياء عليهم الصلاة والسلام والمقربين رتبة (يؤاخذون بذلك) المذكور من مثاقيل الذر (فى الدنيا) بما يبتليهم به فيها (ليكون ذلك) المؤاخذ به (زيادة فى درجاتهم) أى فى علو مقاماتهم العلية وجعله فى عين الزيادة وهو سببها مبالغة (ويبتلون بذلك) أى بالمؤاخذة به فى الدنيا على قدر مراتبهم عنده كما ورد أشد الناس بلاء الامثل فالامثل (ليكون استشعارهم له) الاستشعار طلب الشعور والمراد به مقاساته أو هو من الشعار وهو اللباس الملاصق للبدن (سببا لمنماة) مصدر ميمى بمعنى النمو وهو الزيادة أى لزيادة (رتبهم) أى علو مقاماتهم عند الله تعالى ثم استدل لما ذكره بقوله تعالى فقال (كما قال) عز وجل (ثم اجتباه ربه) أى اصطفاه وقربه باعلاء رتبته عنده من جبى يجبى اذا جمع فانه جمع من الصفات الحميدة ما كان سببا لاصطفائه وقربه (فتاب عليه وهدى) أى قبل توبته وأرشده الى الاعتذار عما صدر منه والاستغفار فقال تعالى ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين فالاجتباء بزيادة الرفعة بعد النبوة وعطفه بثم اشارة لمزيد ترقيه حتى كأنه متراخ عنه (وقال) تعالى (لداود عليه السلام فغفرنا له ذلك) أى ما صدر منه فى خطبة امرأة أوريا كما تقدم ذكره (الآية) منصوب أى فاذكر الآية الخ من قوله وان له عندنا لزلفى وحسن مآب وهى صريحة فيما ذكره (وقال) عز وجل (بعد قول موسى) عليه السلام سبحانك (تبت اليك) من سؤال رؤيتك فى الدنيا وأنا أول المؤمنين بعظمتك وجلالك فقال يا موسى (انى اصطفيتك على الناس) أى اخترتك وقدمتك على أهل زمانك برسالاتى وبكلامى لك بغير واسطة وكيفية بكلام

(وقال بعد ذكر فتنة سليمان وانابته فسخرنا له الريح الى وحسن مآب) أى الى قوله وان له عندنا لزلفى وحسن مآب وأمثال ذلك مما ورد فى هذا الباب (وقال بعض المتكلمين) من أرباب الاشارات (زلات الانبياء فى الظاهر زلات) أى عثرات تستوجب ملامات (وفى الحقيقة كرامات وزلف) بضم الزاى وفتح اللام أى قربات ومكرمات (وأشار الى نحو مما قدمناه) من مستحسنات

تسمعه من سائر الجهات (وقال) الله تعالى (بعد ذكر فتنة سليمان) فى القاء الجسد على كرسيه كما تقدم (وانابته) أى رجوعه الى الله تعالى وتوبته (فسخرنا له الريح) تجرى بامره رخاء الآية (الى قوله وحسن مآب) فترتيبه على ذلك مما عدده من النعم يقتضى ان الفتنة التى أناب منها ليست معصية لانها لو كانت كذلك لم يترتب عليها ذلك وقوله زلفى أى قرب من الله تعالى وحسن مآب بمرجعه للجنة وهذا كله زيادة فى درجاته ومنماة لرتبته عند ربه كما لا يخفى (وقال بعض المتكلمين) ما يؤيده ما قرره واقتضاه (زلات الانبياء) جمع زلة من زل اذا سقط ويتجوز بها عن الذنب أى ما عد زلة وذنبا وان لم يكن كذلك (فى الظاهر) أى ظاهر ما تدل عليه العبارة (زلات وهى فى الحقيقة) أى فى نفس الامر وعند التحقيق انما هى (كرامات) أكرمهم الله تعالى بها لانه ابتلاهم بها ليثيبهم عليها (وزلف) بضم وفتح جمع زلفة أى قرب من الله تعالى باعلاء مقاماتهم عنده (وأشار الى نحو مما قدمناه) مما يترتب على ابتلائهم بها من انعام الله تعالى عليهم بنعم لا تحصى وهذا بخصوصه لا يابى كونه مما خصهم الله تعالى به لان مثل هذه النعم الجليلة لا تكون لغيرهم فلا يرد عليه ان المؤمنين مصابون بمصائب الدنيا اذا صبروا عليها ورضوا أو نقول انه أشار لعدم اختصاصهم بذلك بقوله (وأيضا) أى مثل ما ذكر من انه فى الظاهر زلة وهو فى الحقيقة نعمة (فلينبه غيرهم من البشر) أى يوقظه ويعلمه (منهم) أى الانبياء المذكورين (أو ممن ليس فى درجتهم) من الاتقياء الذين ليسوا بانبياء (بمؤاخذتهم بذلك) الباء سببية متعلقة بينتبه أو هى بمعنى على لان نبه يتعدى بعلى أو يضمن معنى يشعر ويعلم وذلك اشارة لما امتحنوا به مما صدر عنهم من خلاف الاولى وليس بذنب (فيستشعروا الحذر) أى يستشعرون بالحذر وهو الخوف من الشعور أو الشعار كما مر آنفا وليس من قولهم ليت شعرى فانه تكلف لا داعى له (ويعتقدوا المحاسبة) على ذلك لان مؤاخذة غير الانبياء تقتضى مؤاخذتهم بالطريق الاولى وان كان ما ارتكبوه مباحا لكنه خلاف الاولى (ليلتزموا الشكر على النعم) المترتبة على ما ابتلوا به كما تقدم أو على كونهم لم يمتحنوا بذلك مع امتحان من هو أعظم منهم (ويعدوا) بضم الياء التحتية وكسر العين وتشديد الدال أى يحضروا ويتهيؤا (الصبر) ليستعينوا به (على المحن) جمع محنة وهى البلية التى يمتحن الله تعالى بها صبره ورضاه كما قيل

لله در النائبات فانها * صدأ اللئام وصيقل الاحرار

ويتذكر ما فى الصبر من الثواب لقوله تعالى انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب والمحنة كالفتنة تصفية المعادن من غشها فنقلت لما ذكر وصارت فيه حقيقة (ويلاحظ ما وقع) من مثل ما وقع وفى نسخة بملاحظة (باهل هذا النصاب) أى المقام (الرفيع) من الانبياء والنصاب بمعنى الاصل والحسب يقال فلان كريم المنصب والنصاب كما فى الاساس ومنه نصاب السكين (المعصوم) المحفوظ من الذنوب (فكيف بمن سواهم) أى غير الانبياء فاذا وقع اللوم لهم فيه فغيرهم بالطريق الاولى لكنه من خلص عباد الله الذين يعتد بهم كما تقدم (ولهذا) أى لما ذكر من الحكمة فى مؤاخذة الانبياء عليهم الصلاة والسلام بما لم يؤاخذ به غيرهم (قال صالح) بن بشير وهو علم منقول من البشير مقابل النذير الواعظ الزاهد توفى سنة اثنين وسبعين ومائة كما قال ابن ماكولا (المرى) بضم الميم وتشديد الراء المهملة نسبة الى مرة قبيلة (ذكر داود) نبى الله صلى الله تعالى عليه وسلم وذكر ان كان مصدرا فهو مبتدأ فقوله (بسطة للتوابين) خبره أى توسعة لمن يتوب ويكثر التوبة والاستغفار لينبهوا على فضلها وان كان فعلا مبنيا

عبارات (وأيضا فلينبه) من التنبيه بصيغة المجهول أو من الانتباه بصيغة المعلوم (غيرهم من البشر) وهم خواص أمتهم وأولياء ملتهم وعلماء شريعتهم (منهم) أى من جهة أحوالهم (أو ممن ليس فى درجتهم) من أهل النبوة لتفاوت مرتبتهم (بمؤاخذتهم بذلك) أى بمعاتبتهم بما فعلوا هنالك (فيستشعر الحذر ويعتقدوا المحاسبة) فيما قل وكثر (ليلتزموا الشكر على النعم) بان سلموا من موجب النقم (ويعدوا) بضم الياء وكسر العين وتشديد الدال ويهيأوا (الصبر على المحن) عند ابتلائهم بالفتن (بملاحظة ما وقع) أى حل (باهل هذا النصاب) أى القدر الكامل من النصب ويروى هذا النمط أى الطريق (الرفيع) فى الرتبة (المعصوم) أى المحفوظ من الفتنة والمحنة (فكيف بمن سواهم) ممن يدعى المحبة والمتابعة فى طريق المودة

(ولهذا قال صالح المرى) بضم الميم وتشديد الراء نسبة الى قبيلة بنى مرة وهو الواعظ الزاهد يروى عن الحسن البصرى وعنه يونس المؤدب يحيى بن يحيى ضعفوه وقال أبو داود لا يكتب حديثه وقال الترمذى له غرائب ينفرد بها ولا يتابع عليها وهو رجل صالح وقد أخرج له الترمذى (ذكر داود) مبتدأ أى ذكر الله تعالى قصة داود خبره (بسطة للتوابين) أى تسلية ونشاط

وسبب انبساط للمذنبين ليتهيأوا للتوبة ولا ييئسوا من الرحمة (قال ابن عطاء) وهو من العلماء الاجلاء (لم يكن مانص الله تعالى من قصة صاحب الحوت) وهو يونس عليه السلام (نقصانه) في المرتبة (ولكن) كان نصه (استزادة من نبينا عليه الصلاة والسلام) في علو الدرجة (وأيضا فيقال لهم) أي للقائلين بجواز صدور المعصية عن أرباب النبوة بعد البعثة بطريق الالزام في القضية (فانكم ومن وافقكم) في هذه العقيدة (تقولون) أي أتقولون (بغفران الصغائر باجتناب الكبائر) أي بمجرد اجتنابها فيلزم منه غفران الكبائر (ولاخلاف) أي بيننا وبينكم (في ٢١٨ عصمة الانبياء من الكبائر فاجوزتم من وقوع الصغائر عليهم) أي بالفرض والتقدير (هي مغفورة على هذا) التقرير (فامعنى المؤاخذه بها اذن) أي حينئذ (عندكم) مع قولكم انهم منزهون عن الكبائر (وخوف الانبياء) أي وما معنى خوف الانبياء من الصغائر وتوبتهم (منها وهي مغفورة لهم) أي لاجتنابهم الكبائر (لو كانت) أي الصغائر موجودة (فما أجابوا به) لنا (فهو جوابنا عن المؤاخذة بافعال السهو والتاويل) وفيه ان مذهب أهل السنة والجماعة انه يجوز العقوبة على الصغائر ولو اجتنب مرتكبها الكبائر لدخولها تحت قوله تعالى ويغفر مادون ذلك لمن يشاء نعم ذهب بعض المعتزلة الى انه اذا اجتنب الكبائر لم يجز تعذيبه بالصغائر لا بمعنى انه يمتنع عقلا بل بمعنى انه لا يجوز ان يقع لقيام الادلة السمعية على انه لا يقع مستدلا بظاهر قوله تعالى ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وأجيب بان الكبيرة المطلقة هي الكفر لانه الكامل في المعصية وجمع الاسم بالنظر الى أنواع الكفر الصادر من اليهود والنصارى والمشركين وان كان الكل ملة واحدة في حكم الكفر أو الى افراده القائمة بافراد المخاطبين فيكون من قبيل مقابلة الجمع بالجمع فيكون التقدير ان تجتنبوا أنواع الكفر نكفر عنكم سيئاتكم السابقة واما اللاحقة فهي تحت المشيئة للآية المتقدمة فالخطاب على هذا للكفرة أو المعنى ان تجتنبوا الكبائر نكفر عنكم الصغائر بالحسنات من الطاعات كالصلاة والزكاة وسائر العبادات والله سبحانه وتعالى أعلم بحقيقة الحالات (وقد قيل ان كثرة استغفار النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وتوبته) أي بوصف كثرته (وغيره من الانبياء) انما كان (على وجه ملازمة الخضوع والعبوديه) ولوازمها من المسكنة والخشوع (والاعتراف بالتقصير) في القيام بحق العبوديه كما يقتضيه كمال الربوبية وجمال الالوهية (شكرا

للعلوم أو المجهول أي ذكره الله فقوله بسطة منصوب مفعول له (قال ابن عطاء) أبو العباس محمد بن سهل ابن عطاء الادبلي شيخ الصوفية وله في فهم القرآن لسان اختص به توفي سنة تسع أو احدى عشرة وأربعمائة (لم يكن مانص الله تعالى عليه) في القرآن (من قصة صاحب الحوت) يونس بن متى نبي الله صلى الله تعالى عليه وسلم (نقصاله) أي تنقيصاله بكونه ولى مغاضبا ولم يصبر حتى ياذن الله تعالى فيما أراد (ولكن) ذكره وقصته (استزادة من نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم) أي طلب منه ان يزيد صبره على قومه وقيل المراد انه زيادة في علمه بما جرى للانبياء عليهم الصلاة والسلام طلبها من ربه والصحيح الاول لانه المناسب لقوله تعالى ولا تكن كصاحب الحوت أي في ضجره وفراق قومه حتى كان ماذكره الله تعالى في قصته (وأيضا فيقال لهم) في الجواب عما ادعوه من تجويز الصغائر على الانبياء لا الزاما لمن سال عن معنى قوله تعالى وعصى آدم ربه ونحوه كما قيل (انكم ومن وافقكم) على هذا القول (تقولون بغفران الصغائر) وان لم يتب منها (باجتناب الكبائر) أي بسبب تركها كما ذهب اليه كثير من أهل السنة تمسكا بظاهر قوله تعالى ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وذهب كثيرون الى انها مقيدة بالمشيئة كغيرها لقوله تعالى ويغفر مادون ذلك لمن يشاء والكلام فيه مشهور في كتب الاصول (ولاخلاف) بين من يعتد به (في عصمة الانبياء من الكبائر فاجوزتم من وقوع الصغائر عليهم) متعلق بجوزتم (هي مغفورة على هذا) القول والجملة خبر قوله ماوهو بمعنى الوقوع لانه بينه به بناء على مذهب الفراء في الاكتفاء بضمير ما يلابس المبتدأ عن ضميره كما قرروه في قوله تعالى والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن الآية أو تجعل ما بمعنى الصغائر (فامعنى المؤاخذة) لانبياء الله تعالى عليهم الصلاة والسلام (بها) أي بالصغائر (اذن) أي مع اجتناب الكبائر (عندكم) أيها القائلون بهذا الرأى (و) مامعنى (خوف الانبياء وتوبتهم منها) أي من الصغائر (وهي مغفورة) بدون توبة منها (لو كانت) أي وجدت منهم (فما أجابوا به) عن هذا (فهو جوابنا عن المؤاخذة بافعال السهو) أي بما فعلوه سهوا ونسيانا (والتاويل) أي مافعلوه لتاويلهم الاوامر والنواهي الواردة فيه كما تقدم وهو جواب الزامي والقول بانفصالهم عن هذا تقدم بعدم القول بذلك في حق الانبياء عليهم الصلاة والسلام لانه في حق غيرهم وانه عليه ان يصح النقل عنهم بالتزامه في حق الانبياء عليهم الصلاة والسلام باباه انه يعلم في حقهم بالطريق الاولى لانه جواب جدلي فتامله (و) قد تقدم ان التوبة لا يلزم ان تكون عن ذنب فتذكره وأشار اليه المصنف رحمه الله تعالى هنا بقوله (قد قيل ان كثرة استغفار النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) حيث استغفر الله سبعين مرة كما مر (وتوبته) أي قوله أستغفر الله العظيم وأتوب اليه (وغيره من الانبياء) عليهم الصلاة والسلام وان كانوا معصومين من سائر الذنوب فذلك انما هو (على وجه) أي على طريق ولاجل (ملازمة الخشوع) أي التذلل باظهار انه مذنب (والعبوديه والاعتراف بالتقصير) في اداء حق مولاه

(شكر الله تعالى على نعمه) أي من احسانه وكرمه (كما قال عليه الصلاة والسلام وقد أمن) بفتح فكسر وفي نسخة بضم فتشديد ميم
مكسور مجهول من باب التفعيل وليس كما قال الانطاكي الظاهر انه غلط اذ البناء المجهول من هذا الباب أومن بالميم المخففة وأصله
أؤمن قلبت الهمزة الثانية واوا لسكونها وانضمام ما قبلها هذا مقتضى القواعد التصريفية انتهى نعم هذا مقتضاها الوارد بمجهول
آمن من باب الافعال والله أعلم بالاحوال أي والحال انه قد أعطى الامن (من المؤاخذة بما تقدم وما تاخر) من ذنبه ومع هذا قام في
التهجد لربه حتى تورمت قدماه من طول قيامه مع علو مقامه وقلة منامه فعاتبه بعض أصحابه اتفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم
من ذنبك وما تاخر فقال في جوابه (أفلا أكون عبدا شكورا) أي كثير الشكر لربي على مغفرة ذنبي وشرح
صدري وقلبي (وقال) في
حديث آخر في جواب
من قال يبيح الله لنبيه
ماشاء من الاشياء (انى
أخشاكم لله) وفي نسخة
لاخشاكم لله أي أكثركم
خشية (وأعلمكم بما
أتقى) أي أحذره فاتركه
من المعصية والمخالفة
ورواه البخاري بلفظ
انى لاتقاكم لله واخشاكم
له وفي رواية ان اخشاكم
واتقاكم لله انا (قال الحارث
ابن أسد) وفي نسخة سويد
والاول هو المعول وهو
المحاسبي العارف الزاهد
المعروف البصري
الاصل صاحب التاليف
منها كتاب الرعاية ومنها
النصائح ومن جملة كلامه
انه لا يعمل بما فيه
خلاف الاولى والمحاسبي
بضم الميم نسبة الى
محاسبة نفسه كما قاله
النووي روى عن يزيد
ابن هرون وغيره وعنه
ابن مسروق ونحوه وهو
ممن اجتمع له علم الظاهر والباطن والشريعة والطريقة والحقيقة ورث من أبيه سبعين ألف درهم فلم ياخذ منها شيأ قل ولا جل لان أباه
كان يقول بالقدر فرأى من الورع ان لا ياخذ من ميراثه ومات وهو محتاج الى درهم واحد وكان اذا مد يده الى طعام فيه شبهة تحرك على
أصبعه عرق فكان يمتنع منه وفي هذا من مناقبه كفاية توفي سنة ثلاث وأربعين ومائتين (خوف الملائكة والانبياء خوف اعظام
وتعبد لله) على وجه اجلال واكرام (لانهم آمنون) من وقوع ايلام (وقيل فعلوا) أي الانبياء (ذلك) أي اظهار التوبة والاستغفار
هنالك (ليقتدي بهم) غيرهم (ويستن بهم) أي يتابعهم (أممهم)

(شكر الله على نعمه) جمع نعمة ونعم الله تعالى لا تحصى كما قال تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها فمن
عرف نعم الله عليه وأظهر العجز عن شكرها فقد شكره تعالى شكرا عظيما فان الشكر كما يكون
باللسان يكون بالاركان كما تقرر عندهم وقد ورد انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يقول في كل مجلس
استغفر الله وأتوب اليه أكثر من مائة مع ما هو عليه من العصمة والعبادة فلا معنى لما قيل انه لا يصح
ايراد ما ذكر هنا على وجه الدليل في محل النزاع (كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم) في الحديث المشهور
المتقدم الذي فيه انه أكثر من قيام الليل حتى تورمت قدماه فقيل له اتفعل هذا يا رسول الله وقد غفر لك
ما تقدم من ذنبك وما تاخر فقال أفلا أكون عبدا شكورا وقد ذكره شاهدا لاظهاره العبودية شكر الله
(وقد أمن) بضم الهمزة وكسر الميم المشددة مبني لما لم يسم فاعله قال البرهان في الصحاح أمنت فلانا فانا
آمن وأمنت غيري من الامن والامان فعلى هذا ينبغي ان يقول أومن انتهى يعني ان أمن بالتشديد
لا يصح ان يكون من الامن والامان وانما هو بمعنى قال آمين وليس كما قال فانه يقال أمنه بهذا المعنى
أيضا وهذه الجملة حالية والمؤمن له هو الله تعالى أو الصحابة الذين قالوا له ان الله غفر لك ما تقدم من ذنبك
وما تاخر (من المؤاخذة بما تقدم وما تاخر) مما صدر منه من ترك خلاف الاولى ونحوه الذي هو كالذنب
بالنسبة لمقامه أو لو وقع وان لم يقع فقال صلى الله تعالى عليه وسلم (أفلا أكون عبدا شكورا) أي كثير
الشكر مبالغا فيه لعظم نعمه وكثرتها على والاستفهام لانكار من ظن ان كثرة عبادته خوفا من الذنوب
وطلبا لمغفرتها فقال وان كان الله عمني برحمته ومغفرته فان اللائق في شكر الله تعالى على ما أولاني
والحديث المذكور في الصحيحين عن المغيرة بن شعبة (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث رواه
البخاري كما تقدم (انى لاخشاكم لله) أي أعظمكم له خشية والخشية الخوف مع المهابة للعظمة (وأعلمكم
بما أتقى) وروى انى لاتقاكم لله واخشاكم له ومن علم ما يتقى وجزاءه وعظمة من يخشاه كان أبعد منه وأحذر
(وقال الحارث بن أسد) هو العالم الرباني الذي فاق أهل عصره في علم الظاهر والباطن وهو المشهور
بالمحاسبي لكثرة ما كان يحاسب نفسه ولزهده لما مات أبوه وخلف له مالا عظيما لم ياخذ منه شيأ مع احتياجه
لان أباه كان قدريا وقال لا يتوارث أهل ملتين وترجمته مفصلة في الميزان توفي سنة ثلاث وأربعين ومائتين
(خوف الملائكة) من الله (والانبياء) عليهم الصلاة والسلام (خوف اعظام) أي اجلالا وتعظيما لله
(وتعبد لله) أي يقصدون به العبادة (لانهم آمنون) من الله لاخباره لهم برضاه عنهم وانه يعطيهم في الدنيا
والآخرة من نعمه ما لا عين رأت ولا اذن سمعت (وقد فعلوا ذلك) أي الاستغفار والتوبة (ليقتدى
بهم) بالبناء للفاعل على التنازع في الفاعل أو هو مبني للمجهول (وتستن بهم أممهم) أي يتخذوه سنة
وعادة وقد قدم المصنف رحمه الله تعالى ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان شديد الخوف من ربه لانه

أعلم به وهو مناسب لما هنا وهو يشهد لما قاله امام أهل السنة أبو الحسن الاشعرى رحمه الله تعالى فى كتاب الايجاز من انه صلى الله عليه وسلم كان يخاف الله بلا خلاف الا انه عند أهل الحق كان قبل ما أمنه الله تعالى من عقابه خائفا من عقابه و بعده من عتابه ولومه فى الدنيا كما فى قصة ابن أم مكتوم وبعد تامينه لا يجوز ان يخاف عقابه مع اخباره بتامينه خلافا للرافضة والقدرية حيث زعموا انه هو وسائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام ماداموا مكلفين فى الدنيا لابد ان يخافوا عقابه سواء أمنهم أم لا لنا انه لا يجوز ان يخاف من شئ الا بعد تجويز وقوعه ومع القطع بعدمه لا يجوز ذلك من عاقل لانه يؤدى الى الشك فى خبره هل هو صادق أم لا وهو باطل بالاتفاق انتهى * أقول فى فتاوى شيخ مشايخنا ابن حجر الهيثمى ما ينافيه كما مر فانه سئل عن الانبياء والملائكة والعشرة المبشرة بالجنة هل كانوا يخافون مكر الله تعالى وعقابه بعد اخبار الله لهم بخلافه فاجاب بان نفى خوف العقاب عن هؤلاء مطلقا باطل مصادم للنصوص بوجوه منها ان حقيقة الخوف كما فى الاحياء ألم القلب لتوقع مكروه وهو اما خوف ضعف القوة عن الوفاء بحقوق الله على ما ينبغى وهذا محقق فى جميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام و يلزمه عدم الامن من مكر الله ولا يامن من هذا أحد والمامون منه الانسلاخ من النبوة والملكية والايمان فى العشرة وان جوز وقوعه والرجاء والخوف متلازمان * فان قلت يلزمه الشك فيما ذكر * قلت حقيقة الخوف ما مر والكل على يقين من خبره تعالى لكنهم لشعورهم بقدرة الله واستغنائهم عن خلقه وانه لا يسئل عما يفعل ولا يجب عليه شئ وخبره تعالى يجوز ان يكون مشروطا بما انطوى عنا علمه وهذا مما أوجب الخوف وقد سئل زيد بن أسلم الشافعى أتدخل الملائكة فى انهم لا يامنون مكر الله فقال نعم لما رواه ابن أبى حاتم انه تعالى قال للملائكة ما هذا الخوف الذى بلغ بكم هذا وقد انزلتكم منزلة لم ينزلها غيركم قالوا ربنا لا يامن مكرك الا القوم الخاسرون وقد ذكر ذلك فى الملائكة والانبياء وقد روى ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وجبريل بكيا فقال الله تعالى لهما لم تبكيان وقد أمنتكما فقالا لا نخشى ان يكون تامينك مكرا بنا وهذا هو الذى قطع قلوب العارفين و يدل لهذا قوله تعالى ما أدرى ما يفعل بى ولا بكم الخ وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم فى دعائه اللهم انى أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وفى ادعيته مثله كثير ولو كان تشريعا قال قولوا اللهم انى والمراد بتامينه الذى فى الحديث الذى مر ان فيه أفلا أكون عبدا شكورا خوفه من أمور الدنيا واستئصال أمته واما من الله فلا انتهى ملخصا أقول هذا مما يشكل على ما قاله المصنف رحمه الله تعالى ومشايخ الصوفية فيما نقله وعلى الاشعرى لكنه موافق لما قاله أئمتنا الحنفية والشافعية كما نقل فى كتب الاصول والفروع من ان الامن من مكر الله واليأس من رحمته كبيرة أو كفر على ما تقرر عندهم فانا لو قلنا بما نقل عن الاشعرى من ان الملائكة والانبياء والعشرة المبشرة آمنون من المكر والمراد به العقاب كان ما قرره الفقهاء غير صحيح على الاطلاق لكون الامن من المكر أمرا محققا بل واجبا فى حق هؤلاء ولو ادعى بعض خلص المتقين الزاهدين انه أشبه هؤلاء فى أمنه لم يكن به باس فضلا عن أن يكون كبيرة أو كفرا الا انه يقتضى على كل حال ان القول بانه كفر غير صحيح وأيضا استدلالهم بقوله عز وجل لا يامن مكر الله الى آخره ولا ييأس من روح الله الى آخره غير صحيح لان معناه انه من صفات الكفار والخاسرين لان من اتصف به كافر او خاسر ومثله يعرفه من يعرف كلام العرب وفى كلام ابن حجر قصور يدركه من له ذوق وفكر سليم وهذا بحث نفيس لم أر من حرره ومن لم يحم حول الحمى هنا قال ما قال مما لا محصل له فعض بالنواجذ على ما سمعته (كما قال) صلى الله عليه وسلم (لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا) فمن علم ان الموت مورده والقيامة موعده والوقوف بين يدى الله مشهده فحقه ان يطول حزنه و يبكى على نفسه وهذا من حديث أخرجه الشيخان وقد تقدم وفيه من أنواع

كما قال عليه الصلاة والسلام لو تعلمون ما أعلم) أى من الاهوال وشدائد الاحوال (لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا) رواه أحمد والشيخان والترمذى والنسائى وابن ماجه عن أنس وروى الحاكم فى مستدركه عن أبى ذر وزاد ولما ساغ لكم الطعام والشراب ورواه الطبرانى والحاكم والبيهقى عن أبى الدرداء وزاد ولخرجتم الى الصعدات بضمتين الى الطرقات تجارون الى الله تعالى لا تدرون تنجون أولا تنجون

(وأيضا فان فى التوبة والاستغفار معنى آخر لطيفا) ومبنى شريفا (أشار اليه بعض العلماء وهو استدعاء محبة الله تعالى) باستقضاء الغيبة عما سواه (قال الله تعالى ان الله يحب التوابين) أى الذين يرجعون الى الله بتوبتهم عن رؤية حولهم وقوتهم أى عن ملاحظة طاعاتهم وعباداتهم (ويحب المتطهرين) عن وجودهم وشهودهم وعن جودهم (فاحداث الرسل والانبياء) أى ايجادهم واظهارهم (الاستغفار) وفى نسخة للاستغفار أى طلب المغفرة على وجه الافتقار وطريق الانكسار (والتوبة) عن الغفلة (والانابة) أى الرجوع من المباح الى الطاعة (والاوبة) أى الانتقال من حال الى حال لطلب الكمال (فى كل حين) من زمان الاستقبال (استدعاء) أى استجلاب (لمحبة الله) بالرجوع الى ما يحبه ويرضاه (والاستغفار فيه معنى التوبة)

كما ان فيها معنى الاستغفار فهما متلازمان فى مقام الاعتبار والحاصل انه لا يلزم من الاستغفار والتوبة مباشرة الذنب والمعصية (وقد قال الله تعالى لنبيه) النبيه (بعد ان غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر) ان كان هنالك ذنب حقيقى يتصور (لقد تاب الله على النبى والمهاجرين والانصار الآية) أى الذين اتبعوه فى ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم انه بهم رؤف رحيم وعلى الثلاثة الذين خلفوا الآية والمعنى انه سبحانه وفقهم للتوبة أو قبل توبتهم أو ثبتهم على التوبة وذكر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم تحسين للتوبة وتزيين للقضية وكذا ذكر المهاجرين والانصار جبر لخواطر أرباب الانكسار من الثلاثة الذين خلفوا وأظهروا التوبة والاستغفار (وقال) أى الله سبحانه وتعالى (فسبح بحمد ربك) أى اجمع فى دعائه بين التسبيح والحمد فى ثنائه المشعر بنفى الصفات السلبية واثبات النعوت الثبوتية (واستغفره) أى اطلب منه المغفرة فى المجاوزة عما يصدر منك من الغفلة أو التقصير والفترة (انه كان توابا) أى كثير الرجوع عليك بالرحمة وكان صلى الله تعالى عليه وسلم كثيرا يقول سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وبحمده أستغفر الله وأتوب اليه وكان نزول هذه الآية الشريفة بعد فتح مكة المنيفة وفيه ايماء الى الارتحال بعد تحصيل الكمال والانتقال الى ما كان له من الحال فالعود أحمد والنهاية هى الرجوع الى البداية فقد روت عائشة رضى الله تعالى عنها انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان قبل موته يكثر ان يقول سبحانك اللهم وبحمدك أستغفرك وأتوب اليك وكان آخر كلامه اللهم الرفيق الاعلى وقد بلغه الله تعالى المقام الاعلى والله تعالى أعلم

البديع الطباق والموازنة (وأيضا) أى مثل ما تقدم فى توجيه استغفار الانبياء عليهم الصلاة والسلام وتوبتهم مع عصمتهم (فان فى التوبة والاستغفار) الصادرين من الانبياء عليهم الصلاة والسلام ومن اقتدى بهم من خلص عباده (معنى آخر لطيفا) فى غاية الحسن (أشار اليه بعض العلماء وهو استدعاء محبة الله) أى طلب ان يريد الله رضاه عنهم ومحبته لهم لما ورد فى الحديث ان الله يفرح بتوبة عبده المؤمن والفرح فى حقه بمعنى الرضاء عنه وانعامه عليه وتوبة الانبياء عليهم الصلاة والسلام مما صدر منهم من ترك الاولى ولما يخطر بقلوبهم من انهم لم يؤدوا عبادته تعالى حقها فاذا فعلوا ذلك مع ما هم عليه من المجاهدة زادت نعمه تعالى عليهم فلا يتوهم انه كيف يتوب من لا ذنب له وكيف يثيبهم الله تعالى على ما أبدوه من خلاف الواقع وقول بعضهم انه كلام فى محل النزاع من غير دليل كلام ركيك تركه خير منه (قال تعالى ان الله يحب التوابين) أى المكثرين من قول أتوب اليك وان لم يكن له ذنب هضما لنفسه لتوهمه قصوره (ويحب المتطهرين) هو اما على ظاهره أو المراد به المحترزين من دنس المعاصى وساقها المصنف رحمه الله تعالى ليكون دليلا على ما قاله قبله (واحداث الرسل والانبياء) أى تجديدهم ايجاد (الاستغفار والتوبة والانابة والاوبة) أى ارجاع أمورهم الى الله تعالى وهى ألفاظ مترادفة ذكرها للتأكيد وللاشارة الى انها وقعت منهم كثيرا بعبارات مختلفة تفننا (فى كل حين) أى فى غالب أوقاتهم وأكثرها كما تقدم (استدعاء) أى طلبا واصل معناه طلب الدعوة أو الدعاء فاستعمل مجازا مرسلا فى مطلق الدعوة ويجوز ان يكون استعارة (لمحبة الله) لهم (والاستغفار فيه معنى التوبة) لانه طلب المغفرة وهى من الغفر وهو الستر أى يستر ذنوبهم بعفوها وبينهما عموم من وجه فمن أقلع عن الذنب نادما عازما على عدم العود اليه من غير دعاء بالمغفرة وتضرع تائب غير مستغفر ومن استغفر ربه من ذنبه مع عدم اقلاعه مستغفر غير تائب ومن جمع بينهما مستغفر تائب (وقد قال الله) فى القرآن (لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم بعد ان غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر) كما تقدم تفسيره وتأويله (لقد تاب الله على النبى والمهاجرين والانصار الآية) وكررها فقال تعالى ثم تاب عليهم انه بهم رؤف رحيم لان التوبة أولى عن اذنه لمن تخلف من المنافقين فى غزوة تبوك والثانية عن ان قلوبهم كادت تزيغ لما قاسوه فى غزوة العسرة أو ذكر الاولى تفضلا منه والثانية عن الذنب المذكور (وقال) عز وجل أيضا (فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا) فأمره باستغفاره وتسبيحه بحمده وقد ذكر انه كان عظيم التوبة عليه والكلام على هذا وانه نعى له نفسه معلوم فى كتب التفسير والحديث

*(فصل قد استبان) * أي ظهر وتبين (لك أيها الناظر) أي المتامل (بما قررناه) من الكلام وحررناه من المرام (ماهو الحق من عصمته عليه الصلاة والسلام) وكذا عصمة سائر الانبياء عليهم السلام وكان الاظهر ان يقول من عصمتهم عليهم السلام (عن الجهل بالله تعالى) أي بذاته (وصفاته) وأفعاله ومصنوعاته (وكونه) وفي نسخة أو كونه أي كون النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بخصوصه أي بجنسه (على حالة تنافي العلم بشيء من ذلك) أي مما ذكر من الذات والصفات (كله) جميعه (جملة) أي اجمالا لا تفصيلا

وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يجتهد في العبادة بعد نزول هذه السورة ويقول كثيرا في ركوعه وسجوده سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي ويقول بهذا أمرت

*(فصل قد استبان لك) * أي تبين لك فيما قبل هذا والسين هنا للتاكيد وليست للطلب هنا لان ماسلب من شأنه أن يناقش فيه وقيل انها للاطالة كما قيل لعمار لو تنفست أي أطلت لان من تنفس يستأنف القول ويسهل عليه الاطالة وفيه ما لا يخفى (أيها الناظر ما قررناه) ما في محل نصب مفعول ناظر وفي نسخة بما قررناه بالباء السببية فاذا تاملت بان لك (ما هو الحق) وما هذه فاعل استبان بمعنى بان لك وظهر الحق والامر المتحقق المقرر مما فصله (من عصمته صلى الله تعالى عليه وسلم) بحفظه وخلقه مبرأ من النقائص لاسيما (من الجهل بـ) معرفة ذات (الله وصفاته) كسائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام فان فطرتهم على التوحيد والعلم به وبصفاته والاقرار بذلك (أو) تبين لك عصمته من (كونه) أي وجوده وخلقه كسائر الانبياء (على حالة تنافي العلم بشيء من ذلك) أي من ذاته وصفاته (كله جملة) فهو لا يجهل شيئا من ذلك أصلا لاسيما (بعد النبوة) ونزول الوحي عليه لقضائه بحيازته جميع الشرف والكمال لانه تعالى لا يصطفي الا من هو كذلك (اجماعا) من كل المسلمين (وعقلا) لاقتضاء العقل السليم له (وقبلها) أي النبوة (سمعا ونقلا) لوروده في الاحاديث الصحيحة ولاتفاق أئمة الدين على عصمته من ذلك قبلها ولو قال من عصمتهم كان أحسن لعدم احتياجه للتقدير والمنصوبان تمييز وسمعا مؤكد لقوله نقلا لحديث البخاري كل مولود يولد على الفطرة حتى يعرب عنه لسانه فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه وهو معنى قوله فطرة الله التي فطر الناس عليها كما تقرر في التفاسير وشروح الحديث وفي المواقف عصمة الانبياء لاسيما نبينا عليه وعليهم السلام من الجهل بالله وصفاته قبل النبوة وبعدها اجماع عقلي لانه كفر والكفر لا يجوز على الانبياء قبل البعثة وبعدها عقلا واجماعا وما وقع لابراهيم عليه الصلاة والسلام لالزام الحجة وليطمئن قلبه لا لشك منه كما تقدم وكذا كل ما يضاهيه من قصص الانبياء عليهم الصلاة والسلام (ولا بشيء) معطوف على قوله بشيء قبله أي ولا كونه على حالة تنافي العلم بشيء (مما قرره من أمور الشرع) الذي أوحي اليه بتبليغه (واداه) أي أوصله وبلغه (من ربه الوحي) المامور بتبليغه لامته (قطعا) أي مقطوعا به متيقنا بلا خلاف (عقلا وشرعا) لانه مناف لارساله به وأمره بتبليغه فكيف يجوز عليه جهل شيء منه لان الانبياء عليهم الصلاة والسلام معصومون من ذلك لدلالة المعجزة على علمهم وصدقهم فيما بلغوه عن الله لانه لو لم يكن كذلك كان افتراء على الله وهو باطل عقلا وشرعا وظاهره انه لا يقع ذلك منهم سهوا ونسيانا أيضا وهو مذهب أبي اسحق الاسفرائني وجوزه القاضي أبو بكر لعدم منافاته للمعجزة فانهم لا يقرون عليه وكلام المصنف رحمه الله تعالى على خلافه (وعصمته عن الكذب) معطوف على عصمته في أول الفصل لما علمته من منافاة المعجزة له (وخلف القول) أي انه صلى الله تعالى عليه وسلم معصوم مما يخالف الواقع من قوله لئلا يتهم في تبليغه (مذ نباه الله تعالى وأرسله)

اذ لا يحيط به أحد علما وهذه العصمة ثابتة له (بعد النبوة عقلا واجماعا وقبلها سمعا ونقلا) كان الاولى بحسب السجع نقلا وسماعا ومؤداهما واحد والمراد بالسماع ما ثبت بالسنة وبالنقل ما نقل عن الائمة وذلك كحديث الصحيحين ما من مولود يولد الا على الفطرة فابواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جدعاء هل تحسون فيها من جدعاء ثم يقول أبو هريرة رضي الله تعالى عنه اقرؤا ان شئتم فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم وحديث كل عبادي خلقت حنفاء فاجتالتهم الشياطين عن دينهم فامروهم أن يشركوا بي غيري ومن المعلوم استثناء الانبياء اذ لم يجعل للشيطان عليهم سبيلا في الاغواء قال تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان فلم

وقوله فاجتالتهم بالجيم أي استخفتهم فجالوا معه في ميدان الضلالة يهيمون وروي بالحاء أي نقلتهم من حال الى حال فهم في طغيانهم يعمهون (ولا بشيء) أي ولا على حالة تنافي العلم بشيء (مما قرره) أي النبي (من أمور الشرع واداه عن ربه عز وجل من الوحي) أي الجلي أو الخفي من الكتاب والسنة (قطعا) أي بلا شبهة (عقلا وشرعا) أي من الجهتين (وعصمته) أي ومن عصمة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (عن التكذيب) في القول مطلقا (وخلف القول) في الاخبار (مذ نباه الله تعالى) أي من ابتداء ما ظهر نبوته خصوصا (وأرسله) الى أمته

(قصدا أو عن غير قصد) أي لا عن عمد ولا عن خطأ (واستحالة ذلك) أي ومن استحالة ما ذكر من الكذب والخلف (عليه شرعا) أي سمعا (واجماعا ونظرا) أي عقلا (وبرهانا) أي بيانا ظاهرا (وتنزيهه عنه) أي عن الكذب (قبل النبوة قطعا) لئلا تقع الامة في الشبهة بعدها أصلا (وتنزيهه عن الكبائر اجماعا) من غير التفات لمن خالف فيه سمعا أو عقلا (وعن الصغائر تحقيقا) لحملها على خلاف الاولى تدقيقا (وعن استدامة السهو والغفلة توفيقا) وقد قيل ياسائلي عن رسول الله كيف سها

فلم يصدر عنه شيء منه وهو مستحيل (قصدا أو غير قصد واستحالة ذلك) أي الكذب والخلف (عليه شرعا واجماعا) من أئمة الدين (ونظرا وبرهانا) أي استحالته شرعا واجماعا عام ما دل عليه النظر والدليل العقلي فهو متحقق عقلا ونقلا وسقطت الواو العاطفة في بعض النسخ قبل قوله نظرا وهو أحسن من ثبوتها في بعضها (وتنزيهه) أي تبرئته (عنه) أي عن الكذب (قبل النبوة قطعا) لتواتره فكان صلى الله تعالى عليه وسلم عندهم يسمى الامين كما لانه مأمون في أقواله وأفعاله (وتنزيهه عن الكبائر اجماعا) لرفعة قدره عنها ولا ينافيه تجويز الحشوية له كما قيل لعدم الاعتداد بخلافهم وقوله اجماعا اشارة لرد قول المعتزلة انه عقلا بنائه على الحسن والقبح العقليين (وعن الصغائر تحقيقا) أي أمرا محققا ولتجويز بعضهم لها لم يقل اجماعا ويجوز ان يريد بقوله تحقيقا قصدا بقرينة قوله (وعن استدامة السهو والغفلة) عطف تفسير للسهو ولبعد ساحة التبليغ عنها فان وقع نبه عليه بسرعة كما وقد قيل

ياسائلي عن رسول الله كيف سهى * والسهو من كل قلب غافل لاه
قد غاب عن كل شيء سره فسها * عما سوى الله فالتعظيم لله

وتقدم كلام مهم فيه وما فيه (و) عن (استمرار الغلط والنسيان عليه) حفظا له صلى الله تعالى عليه وسلم بايقاظ قلبه وتنبهه (فيما شرعه للامة) لان استمراره مناف لتشريعه له (وعصمته) بالجر ويجوز رفعه (في كل حالاته من رضى وغضب وجد) بكسر الجيم ضد الهزل (ومزح) لانه صلى الله تعالى عليه وسلم كما ورد كان يمزح ولا يقول الا حقا كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم لامرأة لا تدخل الجنة عجوز لانهن بعدن لسن الشبوبية (فيجب عليك) أيها الناظر لانه خطاب له بغرضه (ان تتلقاه) أي تاخذه وتعلمه (باليمين) أي بالقبول واليمن والبركة لانهم ياخذون بها ما يعتنون به فانها جهة يسهل العمل بها عادة والعرب تقول لما تتمدح به أخذه بيمينه ولذا قال الشماخ

اذا ما راية رفعت لمجد * تلقاها عرابة باليمين

(وتشد عليه) أي على ما ذكر من تنزيهه صلى الله تعالى عليه وسلم عما ذكر (يد الضنين) بضاد معجمة ونونين كالبخيل وزنا ومعنى من الضنة وهي شدة البخل وهو استعارة تمثيلية بليغة كقول المتنبي
* وقوف شحيح ضاع في الترب خاتمه * أي يحرص على حفظ ما ذكر من تنزيهه قدره عما ذكر كحرص البخيل على ما في يده لشدة بخله به وخوفه من ذهابه منه وفيه مع اليمين مراعاة النظير وقد فسر اليمين بالقوة وهو غير مناسب هنا لما عرفته (وتقدر) بسكون القاف وكسر الدال من القدر وهو المنزلة الرفيعة كما في قوله تعالى وما قدروا الله حق قدره (هذه الفصول) المعقودة لبيان ما يجب اعتقاده في حقه صلى الله تعالى عليه وسلم (حق قدرها) أي تعظمها حق تعظيمها اللائق بها (وتعلم عظيم فائدتها) لانها مما يجب اعتقاده وينال به عند الله مثوبة عظمى (وخطرها) أي شرفها ومزيتها وأصله ما يعطى عند الرهان لمن سبق فاستعير لما ذكر (فان من يجهل ما يجب) اعتقاده (للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم أو يجوز له) مما يصح في اعتقاده (أو يستحيل عليه) أي يمتنع في حقه شرعا وعقلا وعادة (ولا يعرف

والسهو من كل قلب غافل لاه
قد غاب عن كل شيء سره فسها
عما سوى الله فالتعظيم لله

(واستمرار الغلط والنسيان عليه فيما شرعه لامته) من الاحكام واجبا ومندوبا وحراما ومكروها وخلاف الاولى ومباحا (وعصمته) أي ومن عصمته (في كل حالاته من رضى وغضب وجد) بكسر الجيم ضد الهزل والمراد به هنا العزم والجزم (ومزح) فانه كما قال أمزح ولا أقول الا حقا فاذا كان مزحه حقا فكيف لا يكون جده صدقا (فيجب عليك) بروي مما يجب لك (ان تتلقاه) أي تاخذ وتتناول وتقبل ما صدر من مشكاة صدره في أي حالة كانت من أمره (باليمين) أي بالقوة أو بالبركة وقيل باليد اليمين لان اليمين تمد الى كل حسن مرغوب ويتناول بها كل عزيز مطلوب (وتشد عليه يد الضنين) بالضاد المعجمة أي البخيل الممسك للشيء الثمين وهذا نظير ما يقال عضوا عليه بالنواجذ (وتقدر) بكسر الدال وضمها أي تعرف (هذه الفصول حق قدرها) أي حق معرفتها أو تعظمها حق عظمتها كما قيل بالمعنيين في قوله تعالى وما قدروا الله حق قدره (وتعلم عظيم فائدتها وخطرها) بفتحتين وحكى سكون ثانيهما أي منزلتها وقدرها وعائدتها (فان من يجهل ما يجب للنبي أو يجوز أو يستحيل عليه) أي يمتنع عقلا أو نقلا (ولا يعرف

صور أحكامه) أي فرضاً ونفلاً (لايامن) ويروى لايؤمن أي عليه من (ان يعتقد في بعضها) أي المذكورات (خلاف ماهي عليه) من الصواب في القضيات المشهورات (ولا ينزهه) أي النبي (عما لايجب) ويروى عما لايجوز أي لاينبغي (ان يضاف اليه فيهلك من حيث لايدري) مايترتب عليه (ويسقط في هوة الدرك) بضم الهاء وتشديد الواو الوهدة العميقة والدرك بفتح الراء وسكونها ضد الدرج (الاسفل من النار)

أي منازلها وفيه اشعار الى ان من لم يكن في زيادة فهو في نقصان ومن لم يكن في اعتلاء فهو في ارتداء اذ لاتوقف للانسان في مرتبة استواء ومنه قول أبي الفضل التورزي

وتر ولهموا وطامعهموا فالى درك وعلى درج

فالابرار لهم درجات والفجار لهم دركات (اذظن الباطل به) أي بالنبي عليه الصلاة والسلام (واعتقاد مالايجوز عليه يحل) بفتح الياء وضم الحاء ويكسر وبتشديد اللام أي ينزل (بصاحبه) فيدخله (دار البوار) أي الهلاك والخسار (ولهذا) المعنى (ما) أي الامر الذي وقيل مازائدة (احتاط النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي أخذ بالحزم والثقة من جهة الشفقة (على الرجلين) أي من الانصار كما في البخاري وغيره قيل هما أسيد بن حضير وعباد بن بشر (اللذين رأياه ليلا وهو معتكف في المسجد) جملة معترضة (مع صفية) متعلق برأياه (فقال لهما انها صفية) أي احدى أمهات المؤمنين وقد جاءت تزوره في اعتكافه في العشر الاواخر من رمضان فتحدثت معه ساعة ثم قام معها ليقلبها الى بيتها حتى اذا بلغت باب المسجد فرآه فابصراه فسلما على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأسرعا في المشي اما الحياء انهما من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم واما لئلا يستحيي النبي عليه الصلاة والسلام منهما فقال لهما على رسلكما أي اثبتا على مشيكما ولا تسرعا في سيركما انها صفية فقالا سبحان الله تعجبا من قوله ذلك لهما اذ لا يظن مسلم به عليه الصلاة والسلام مالايليق به من قبح المقام

ما

صور وأحكامه) أي الحكم المتصور في حقه من الوجوب والجواز والحرمة (لايامن ان يعتقد في بعضها) أي بعض الصور وأو الاحكام (خلاف ماهي عليه) فيعتقد في حقه مالايجوز اعتقاده (ولا ينزهه عما لايجوز) في حقه وفي بعض النسخ عما لايجب أي لايجوز كذا فسره به بعضهم وفيه نظر (ان يضاف اليه) أي ينسب اليه ويوصف به (فيهلك) أي يقع في أمر يكون سببا للهلاكه في الدنيا والآخرة (من حيث لايدري) لعدم علمه بحقه ومايجب ومايجوز عليه (ويسقط في هوة) بضم الهاء وتشديد الواو هو العميق كالبئر (الدرك) بفتحتين وقد تسكن الراء وهو ماينزل به الى (الاسفل) من دركات المنازل (من النار) التعريف في النار للعهد والمراد نار جهنم التي في الآخرة وهي هنا مجاز عن محلها وهي تستعمل كثيرا بهذا المعنى وهو عبارة عن عقابه أشد العقاب في الآخرة لسبب ماذكر ولذا علله بقوله (اذظن) هو مصدر مبتدأ مضاف لقوله (الباطل به) صلى الله تعالى عليه وسلم أي ظن ماليس صحيحا في حقه (واعتقاده) على طريق الجزم به (مالايجوز) شرعا وعقلا (عليه) صلى الله تعالى عليه وسلم (يحل) بضم الياء وكسر الحاء المهملة وتشديد اللام وفاعله ضمير ماذكر من الظن والاعتقاد أي يحل (صاحبه) أي صاحب ذلك الاعتقاد (دار البوار) أي يجعله حالا في دار البوار يعني جهنم والبوار بفتح الموحدة هو الهلاك وهو من أسمائها وضبط البرهان يحل بفتح أوله وضم ثانيه وصاحبه فاعله على هذا وهو جائز أيضا ولا يتعين الا بروايته كذلك (ولهذا) المذكور كله من عظيم قدره وخطره ووجوب اعتقاد تنزيه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عما ذكر وان اعتقاد خلافه يهلك صاحبه ويخلده في الدرك الاسفل لما يؤدي اليه من الكفر ان أراد تنقيصه بما ذكر (احتاط عليه الصلاة والسلام) وفي بعض النسخ ما احتاط وما زائدة كقوله تعالى فبما نقضهم ميثاقهم والاحتياط افتعال من حاطه اذا اتخذ عليه حائطا ثم استعمل للمبالغة في الصيانة والحفظ وفي الاساس احتاط واستحاط في أمره بالغ في الاحتياط وتفسيره بالتحري في طلب الخير خشية على من ذكر غير لائق هنا (على الرجلين اللذين رأياه ليلا) أي في ظلمة الليل (وهو معتكف في المسجد) يعني مسجده بالمدينة (مع صفية) أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها وكانت جالسة تتحدث معه صلى الله تعالى عليه وسلم ثم قامت فقام معها يشيعها البيتها فرآه وأبصراه فأسرعا وقوله في المسجد قيل انه متعلق برأياه لابمعتكف ومع صفية حال من فاعل رأى أي رأياه حال كونه مع صفية في بعض ازقة المدينة وقد جاءته تزوره لا فاعل معتكف كما قيل والحديث في الصحيحين عن صفية بنت حيي بن الاخطب بن سعية بسين مهملة مفتوحة وعين مهملة ساكنة بعدها مثناة تحتية وهاء أو نون وكانت تحت ابن أبي الحقيق اليهودي فلما قتله النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأسلمت تزوجها وقصتها في السيرة (فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لهما انها) أي التي رأيتماها تتحدث معي (صفية) زوجتي لا أجنبية وفي الحديث أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لهما لما أسرعا على رسلكما أي تمهلا انها صفية فقالا سبحان الله فتعجبا من قوله صلى الله تعالى عليه وسلم

(ثم قال لهما ان الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم) بنفوذه في المنافذ الضيقة للوساوس الخفية وفي النهاية المراد من قوله يجرى مجرى الدم انه يتسلط عليه وتسرى وساوسه في العروق مجرى الدم لا ان يدخل جوفه (وانى خشيت ان يقذف) أي يلقى ويرمى (في قلوبكما شيا) وفي رواية شرا (فتهلكا) قال الخطابي خشي صلى الله تعالى عليه وسلم عليهما الكفر لو ظنا تهمة برؤيته معه امرأة أجنبية فبادر الى اعلامهما بمكانها نصيحة لهما في حق الدين قبل ان يقعا في أمر يهلكان به انتهى وفي هذا ايماء الى عصمة الانبياء عليهم السلام من مفارقة السوء والفحشاء (هذه) أي الفائدة الجلية وهي ماذكر من احتياطه عليه الصلاة والسلام للرجلين في هذه القضية (أكرمك الله) تعالى جملة معترضة بين المبتدأ والخبر وهو (احدى فوائد ما تكلمنا عليه في هذه الفصول) السالفة من تعظيم أرباب النبوة وأصحاب الرسالة تحذيرا من ان يعتقد بهم ما لا يليق بكريم مناقبهم لاجل جهالته بعصمتهم وغفلته عما يجب لهم ويجوز ويمتنع من حالتهم (ولعل جاهلا) أي عن مراتب العلم غافلا (لا يعلم بجهله) أي بجهل كونه جاهلا ويسمى جهلا مركبا (اذا سمع شيا منها) أي من تنزيهات الانبياء عليهم السلام ويروى من هذا أي مما ذكر (برى) أي يظن (ان الكلام فيها) ويروى فيه (جملة) أي بجملتها أو مجملة (من فضول العلم) أي زوائده وهو خبر ان (وان) يروى أو ان (السكوت أولى) من التعرض لذكره (وقد استبان لك انه) أي الكلام في عصمتهم عليهم السلام (متعين) أي واجب معرفته على أهل الاسلام (للفائدة التي ذكرناها) مع فوائد أخر في هذا المقام كما بينه بقوله (وفائدة ثانية يضطر) بصيغة المجهول أي يحتاج (اليها في أصول الفقه ويبتنى عليها مسائل) متفرعة عنها (لا تنعد) لكثرتها وهي لغة رديئة في لا تعد ذكره الدلجي وفي حاشية التلمساني لا تبعد من البعد ومعناه قريبة تبنى عليها المسائل

ماذكر لظنه انهما ظناه ما لا يليق بمقامه صلى الله تعالى عليه وسلم وقد قال الحافظ انهما لم يعرفا ولم ينسبا في شيء من كتب الحديث الا ان ابن العطار تلميذ النووي قال في شرح العمدة زعم بعضهم انهما أسيد بن حضير وعباد بن بشير ووقع في رواية سفيان في البخاري فابصره رجل من الانصار بالافراد وفي أخرى وهما من الانصار فيحتمل تعدد القصة وقال ابن حجر الاصل عدم التعدد فهو محمول على ان أحدهما كان تابعا للآخر فاختص أحدهما بخطاب المشافهة (ثم قال) صلى الله تعالى عليه وسلم (لهما) بعدما قالاه (ان الشيطان يجرى من ابن آدم) بوسوسته له في باطنه (مجرى الدم) وهو داخل في عروقه وفي رواية انى خفت ان تظنا بي ظنا ان الشيطان الى آخره والمراد بابن آدم الجنس فيشمل النساء وجريانه مجرى الدم قيل انه على ظاهره وانه أقدره الله تعالى على الدخول في عروق الناس ويتصل بقلوبهم وقيل تمثيل لشدة اتصاله به ولزومه له (وانى خشيت) عليكما (ان يقذف) أي يلقى ويوقع الشيطان (في قلوبكما شيا) من الظن السيء (فتهلكا) أي فتقعا في اثم يهلككما الله به عما يحل بكما من العقوبة على ذلك الذنب فخشي صلى الله تعالى عليه وسلم عليهما ان يغويهما الشيطان فيلقى في قلوبهم سوء الظن به وانه يتكلم مع أجنبية فيؤديهما ذلك الى تنقيصه عليه الصلاة والسلام وهو كفر يستحقان به دخول النار فيهلكا فبادر لاعلامهما بما ينقذهما من الهلاك والحديث في البخاري وغيره كما مر وفيه جواز خروج المعتكف من المسجد لحاجة والارشاد للاحتراز من محل التهم وانه ينبغي للعالم ان يرشد غيره لما فيه خير له الى ذلك من الفوائد التي لا تحصى (قال القاضي) عياض المؤلف رحمه الله تعالى (هذه) أي معرفة ما يجب اعتقاده فيه صلى الله تعالى عليه وسلم من عصمته من سائر الذنوب لئلا يهلك اذا اعتقد خلافه (أكرمك الله) أي جعلك الله مكرما بما هداك له مما يجب عليك معرفته (احدى فوائد ما تكلمنا عليه) هو خبر هذه المبتدأ وما بينهما من الجملة الدعائية اعتراض (في هذه الفصول) بصاد مهملة جمع فصل أي السابقة في بيان عصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام وما يجب لهم علينا (ولعل جاهلا لا يعلم بجهله) لانه هو الذي يخشى عليه من هذا التوهم ولعل هنا للاشفاق عليه وخوفه من هلاكه (اذا سمع شيا منها) أي من الفصول المعقودة لتنزيه الانبياء عليهم الصلاة والسلام عن النقائص (يرى) ويعتقد (ان الكلام فيها جملة) أي جميعا فهو منصوب على الحال (من فضول العلم) خبر ان جمع فضل غلب على الامر الذي تعد عبثا ومنه الفضولي ولذا نسب للجمع فيه وهو بضاد معجمة بمعنى زيادته (وان السكوت) عن ذكرها (أولى) من ذكرها وهو جهل عظيم منه لانها من أهم الامور (وقد بان لك) مما قررناه (انه) أمر (متعين) واجب ذكره واعتقاده (للفائدة التي ذكرناها) وهي ان فيها النجاة من الهلاك كما ارشد لذلك اليه حديث صفية الذي ذكره (و) فيه (فائدة ثانية) غير الذي قدمه (يضطر) بالبناء للمجهول أي يحتاج (اليها) احتياجا شديدا لانها من ضروريات الدين (في أصول الفقه) أي في القواعد الفقهية في علم أصول الفقه (ويبنى عليها) أي يترتب ويتفرع عليها (مسائل لا تنعد

(من الفقه) وروى لا تتعدد تفعل من العدد ومعناه مسائل كثيرة لا يحصرها العد ومن الفقه على الاول معمول لا تتعدد وهو الاظهر أو مسائل ولا تتعدد صفة وعلى الثاني عامله هو المسائل فقط ولا يصح تتعدد لفساد المعنى (ويتخلص) بصيغة المجهول أي ويحصل الخلاص (بها من تشغيب مختلفي الفقهاء) أي تهييجهم الشر والفتنة والخصومة (في عده منها) أي من المسائل (وهي) أي الفائدة المضطر اليها في أصول الفقه وغيره (الحكم في أقوال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي جنسه أو خصوصه (وأفعاله وهو باب عظيم وأصل كبير من أصول الفقه) لابتناء كثير من أحكام الشريعة عليها وتفرعها عنها (ولا بد من

بنائه) أي الاصل الكبير (على صدق النبي في اخباره) بكسر الهمزة أو فتحها (وبلاغه) أي تبليغه وهذا تخصيص بعد تعميم (وانه لا يجوز عليه السهو فيه) أي في ابلاغ ما أمر بتبليغه (وعصمته من المخالفة في أفعاله عمدا) احتراز من وقوعها سهوا (وبحسب اختلافهم) بفتح السين وابعد الحلبي فقال هنا باسكانها (في وقوع الصغائر) من جواز صدورها وعدمه من الانبياء (وقع خلاف) وفي نسخة اختلاف (في امتثال الفعل) أي مجرد صدوره منهم والحق المصير الى امتثال أفعالهم واتباع سيرهم وآثارهم مطلقا بلا قرينة على ما ذهب اليه أبو حنيفة ومالك وأكثر أصحاب الشافعي (بسط بيانه) بصيغة المصدر وفي نسخة وبسط وهو يحتمل ان يكون مصدرا وان يكون فعلا مجهولا أي وشرح بيان امتثال الفعل (في كتب ذلك العلم) أي علم الاصول في الدين المذكور فيه اختلافهم في وقوع الصغائر منهم أو علم أصول الفقه المذكور فيه اختلافهم في امتثال أفعالهم المقصودة دون أفعالهم بمقتضى العادة (فلا نطول) أي الكلام (فيه) وفي نسخة به أي لا نطول الكتاب بذكره اكتفاء بما هنالك من استيفاء ذلك (وفائدة ثالثة يحتاج اليها الحاكم) قاضيا كان أو غيره (والمفتي) أي مجيب السائل عن مسئلته الحادثة (فيمن أضاف أي نسب الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم شيئا من هذه الامور أو وصفه بها) أي بما يجب له أو يجوز أو يمتنع مما سيأتي تفصيلها (فان لم يعرف ما يجوز) أي له فعله (وما يمتنع عليه) أي وقوعه منه (ماوقع

الاجماع

من الفقه) أي مسائل الدين الشرعية وفروعه أي لا تعد لكثرتها الان انفعال من العد قليل في الاستعمال الا انه كما قيل لغة رديئة لا تكاد تعد (ويتخلص بها) أي يخرج من عهدتها ويسلم (من تشغيب) تفعيل من الشغب بفتح الغين المعجمة وسكونها وهو تهييج الشر والصياح في الخصومة (مختلفي الفقهاء) أي أقوال الفقهاء المختلفة (في عدة منها) أي في عدة مسائل تتعلق بالاعتقاد فيما يجوز على الانبياء عليهم الصلاة والسلام ويجب لهم (وهي) أي الفائدة المضطر اليها (الحكم في أقوال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وافعاله) التي هي معظم سنته الواردة في حديثه لانها صفاته وأقواله وأفعاله وتقريراته في جميع أحواله من الغضب والرضى والصحة والمرض وغير ذلك مما قاله المصنف ولابي شامة رحمه الله تعالى كتاب مستقل في أفعاله صلى الله تعالى عليه وسلم وما يجب الاقتداء به وما يستحب فان منها ما هو تعبد وضرورة وأمور عادية وجبلية اختلفوا في لزوم الاقتداء به فيها واستحبابه فيما لم يعلم انه قصد به التشريع فذهب الباقلاني والغزالي الى انه يندب التأسي به في الامور الجبلية ولابي اسحق فيها وجهان ففيها أقوال ثلاثة بالندب والاباحة والامتناع كذهابه للعيد من طريق ورجوعه من أخرى وهذا كله فيما لم يعلم حكمه بنص منه أو من الصحابة رضي الله تعالى عنهم ولم يعلم انه من خصوصياته صلى الله تعالى عليه وسلم (وهو باب عظيم) شانه (وأصل كبير من أصول الفقه) وقواعده المهمة لابتناء كثير من أحكام الشرع عليه (ولا بد من بنائه) أي جعله مبنيا على أساس وقاعدة يرجع اليها وهي انه متفرع (على صدقه صلى الله عليه وسلم في اخباره وبلاغه) أي ما يبلغه لامته ومن بعث لهدايته وارشاده (وانه لا يجوز عليه السهو فيه) أي فيما بلغه عن ربه لعصمة الله له عنه لمنافاته لكونه صلى الله تعالى عليه وسلم أرسل مشرعا مبينا الامر به (و) على (عصمته من المخالفة في أفعاله) الصادرة عنه (عمدا) فلا يتوهم جوازه عليه ولا اعتقاده (وبحسب) بسكون السين (اختلافهم) على مقداره (في وقوع الصغائر) من الانبياء كلهم عليهم الصلاة والسلام لا سيما منه صلى الله تعالى عليه وسلم (وقع خلاف) بين الفقهاء وفي نسخة اختلاف (في امتثال الفعل) أي اتباعه بمجرد صدوره منه صلى الله تعالى عليه وسلم وعليه أكثر فقهاء المذاهب وقد (بسط) أي نقل وبين وذكر (بيانه في كتب ذلك العلم) يعني الفقه وأصوله (فلا نطول به) الكلام في هذا الكتاب لانهم جزاهم الله خيرا كفونا مؤنته فلا حاجة لاعادته هنا (وفائدة ثالثة يحتاج اليها أحدكم) أي القاضي وغيره (والمفتي) المجيب السائل عن الامور الشرعية من علماء الشرع وأحكامه (فيمن أضاف) بنسبته ووصفه (للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم شيئا من هذه الامور) التي تجوز أو تجب أو يمتنع عليه (ووصفه بها) صريحا أو ضمنا كلا أو بعضا (فان لم يعرف ما يجوز وما يمتنع عليه) من الاوصاف (و) لم يعرف (ماوقع

الاجماع فيه والخلاف) أي ولم يعرف موضع الاتفاق ومحل الاختلاف (كيف) أي على أي حال (يصمم) أي يتمادى عليه ويجزم به ويعزم (في الفتيا) بضم الفاء واما الفتوى فبفتحها وقد يضم وكلاهما اسم للافتاء (في ذلك) أي الذي يجب له أو يجوز أو يمتنع عليه اذا رفع السؤال اليه (ومن أين يدري هل ما قاله) أي الحاكم أو المفتي (فيه) أي في حقه عليه الصلاة والسلام (نقص) أي طعن (أو مدح) حتى يقدم على حكمه ليعمل به واذا لم يعلم وأقدم (فاما ان يجترئ) أي يهجم (على سفك دم مسلم حرام) أي اراقته من غير استحقاقه (أو يسقط حقا) أي أمرا ثابتا (ويضيع حرمة للنبي) وفي نسخة حرمة النبي (صلى الله تعالى عليه وسلم) فيهلك من حيث لا يعلم والثاني أقبح من الاول لانه موجب كفر له ولغيره فتامل (ولسبيل هذا) أي ماذكر من الكلام في عصمة الانبياء عليهم السلام (ما) زائدة أو موصولة (قد اختلف ارباب الاصول) أي أصول الدين وأئمة العلماء من المجتهدين (والمحققين) من المفسرين والمحدثين (في عصمة الملائكة) المقربين والمعتمد انهم كالانبياء والمرسلين في تنزيههم عن المخالفة في أمر الدين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين

(فصل) (في القول في عصمة الملائكة) جمع ملك أصله ملاك حذفت همزته بعد نقل حركتها لكثرة الاستعمال وقيل أصله مألك من الالوكة وهي الرسالة فاخرت ثم جمع وقد تحذف الهاء فيقال ملائك

الاجماع فيه) نفيا واثباتا (و) لم يعرف ماوقع (الخلاف) فيه جوازا او نفيا (كيف يصمم) أي يجزم أو يعزم عليه (في الفتيا في ذلك) أي في أمر الانبياء عليهم الصلاة والسلام منعا وجوازا وفي نسخة الفتوى وفي القاموس أفتى في الامر أبانه والفتيا والفتوى وتفتح ما أفتى به الفقيه انتهى وتفصيله في المصباح كغيره (ومن أين يدري) ويعلم بالعقل والنقل (هل ما قاله) في حق الانبياء عليهم الصلاة والسلام في فتواه أو حكمه (فيه نقص) لهم (أو مدح) لهم حتى يقدم عليه حكما وافتاء (فاما ان يجترئ) اما بكسر الهمزة ومعناها مقرر في كتب العربية والاجتراء افتعال من الجراءة وهي الاقدام على الشئ من غير مبالاة بما فيه من الضرر وبينه وبين الشجاعة عموم وخصوص كما بين ذلك في كتب الاخلاق (على سفك دم مسلم حرام) بان يحكم أو يفتي بكفره وقتله وهو غير مستحق لذلك والسفح والسفك بمعنى الاراقة والصب * (تنبيه) * قال في العقائد العضدية لا نكفر أحدا من أهل القبلة الا بما فيه نفي الصانع المختار أو بما فيه شرك وانكار النبوة وانكار ما علم من الدين بالضرورة أو انكار مجمع عليه قطعا أو استحلال محرم واما غير ذلك فالقائل به مبتدع وليس بكافر انتهى وسياتي بيان ذلك * واعلم ان شيخ والدي الشهاب بن حجر الهيثمي قال في شرح المنهاج نقلا عن الزركشي ان ما وقع في كتب الحنفية وفتاواهم من التكفير بالفاظ كثيرة كالمتورعون من متأخريهم يذكرون أكثرها مخالف لقواعد الاصول أبي حنيفة وعقائدهم فليسوا من أهل الاجتهاد فليحذرها من يراها منا ومنهم لانه يخاف على قائلها ان يدخل في قوله صلى الله تعالى عليه وسلم من كفر مسلما بغير حق فقد كفر انتهى وفي الفتاوى البزازية حكى عن بعض السلف انه قال ما في الفتاوى من التكفير بكذا وكذا فذلك للتخويف والتهويل وهو كلام باطل وحاشا ان يلعب أمناء الله تعالى على الاحكام من الحلال والحرام ويكفر أهل الاسلام بل لا يقولون الا الحق الثابت عن سيد الانام وما أدى اليه اجتهاد الامام أخذ من نص كلام الملك العلام أو حديث سيد الرسل العظام انتهى وهذا يحتمل ان يكون تاييدا لما قاله اعتناء بانهم لا يقولون الا ما نص عليه امام مذهبهم مستندا الى دليل من القرآن أو الحديث الصحيح أو هو اعتراض على الجواب بان المقصود به التخويف والتهديد بانه لا يصح مثله من التاويل الا في الحديث والتنزيل اما في كتب الفقه الموضوعة لبيان الحلال والحرام وتعليم الناس حتى العوام فلا يصح فيها امثاله لما فيه من اللبس (أو يسقط حقا) من حقوق النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بما يوهم نقصا فيه (أو يضيع حرمة للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي أمرا محترما مراعى له صلى الله تعالى عليه وسلم كتجويز المعاصي عليه ونحوه مما لا يليق به فلا يجوز لمسلم ان ينسب لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وغيره من الانبياء عليهم الصلاة والسلام أمرا ينافي عصمتهم عمدا وسهوا قبل النبوة وبعدها وهو الذي ارتضاه كثير من أئمة الدين وأهل الاصول كما مر ثم ان المصنف رحمه الله تعالى شرع في بيان عصمة الملائكة عليهم الصلاة والسلام كما وردت به النصوص فقال (وبسبيل هذا) الباء بمعنى في أي مماجري في طريق هذا وفي نسخة وسبيل هذا بدون باء وهذا اشارة لما ذكر من عصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام (ما قد اختلف ارباب) أي أصحاب (الاصول) أي علماء أصول الدين في العقائد (وأئمة العلماء) أي أكابر علماء الشرع المقتدى بهم (والمحققين) أي أهل التحقيق من أعلامهم (في عصمة الملائكة) عليهم الصلاة والسلام لانهم لا يعصون الله ما أمرهم ولا يفعلون الا ما يؤمرون فهم مثلهم في جريان الخلاف فيما هو لازم لهم والصحيح والصواب فيه

(فصل في) تحرير (القول في عصمة الملائكة) جمع ملك والتاء لتانيث الجمع وفي اشتقاق الملك

(أجمع المسلمون على ان الملائكة كلهم مؤمنون) كاملون (فضلاء) بضم ففتح أي فاضلون في قدرهم عند ربهم (واتفق أئمة المسلمين) من علماء الامة وعظماء الملة (على ان حكم المرسلين منهم) أي من الملائكة المقربين الى الانبياء والمرسلين (حكم النبيين سواء) أي مستوين (في العصمة) وتعظيم الحرمة (مما ذكرنا عصمتهم) أي النبيين (منه) أي من السهو في القول والتبليغ في الفعل (وانهم) أي رسل الملائكة (في حقوق الانبياء والتبليغ اليهم) ما أمرهم الله تعالى به من الانبياء (كالانبياء مع الامم) في هذه الاشياء (واختلفوا) أي العلماء (في غير المرسلين منهم) معصومون هم كمرسليهم أم لا (فذهبت طائفة الى عصمة جميعهم من المعاصي واحتجوا) أي استدلوا وهم الأئمة وفي نسخة واحتجت أي الطائفة أو الفرقة في عصمتهم من جميع المعصية (بقوله تعالى لا يعصون الله ما أمرهم) أي فيما أمرهم به فيما مضى (ويفعلون ما يؤمرون) فيما يستقبل أو لا يمتنعون عن قبول الاوامر والتزامها ويؤدون ما يؤمرون ولا يتثاقلون عن القيام به (وبقوله وما منا) أي معشر الملائكة أحد (الا له مقام معلوم) لعبادته لا يتجاوز الى غير حالته (وانا لنحن الصافون) أقدامنا في الصلاة أو الحافون حول العرش واقفون (وانا لنحن المسبحون) أي المنزهون الله عما يشركون (وبقوله ومن عنده) أي عندية مكانة ومنزلة وهو مبتدأ خبره (لا يستكبرون عن عبادته) تعاظما (ولا

خلاف لاهل اللغة المشهورين من انه من الالوكة وهي الرسالة لانهم رسل الله يرسلهم لما يرى وأصله مالك ثم قلبت بدليل جمعه على ملائكة واختلفوا في حقيقتهم والصحيح انهم أجسام لطيفة قادرة على التشكل وفي تشكلهم كلام ليس هذا محله وليس الجن منهم على الصحيح خلافا لمن ذهب الى انهم جنس واحد وقد بيناه في حواشي التفسير وتقدم الكلام في معنى العصمة قال الجلال الدواني العصمة عندنا ان لا يخلق الله تعالى فيهم ذنبا وعند الفلاسفة ملكة تمنع الفجور انتهى (اتفق المسلمون) وفي نسخة أجمع المسلمون (على ان الملائكة مؤمنون) بالله ورسله وشرائعه كما وصفهم الله تعالى في القرآن (فضلاء) أي ذو قدر معظم مبجل (واتفق أئمة المسلمين) من علماء الملة الاسلامية (على ان حكم المرسلين منهم حكم النبيين) من البشر فهم (سواء) أي مساوون لهم (في العصمة) وتنزيههم عما ينزهون عنه لشرف قدرهم (مما ذكرنا عصمتهم منه) من الكبائر والصغائر كما تقدم تفصيله والجار والمجرور متعلق بالعصمة قال الله تعالى الله يصطفي من الملائكة رسلا قال الواحدي الملائكة منهم رسل كجبرائيل وأسرافيل وميكائيل وعزرائيل ومنهم غير رسل وقال بعضهم كلهم رسل ارسل بعضهم لبعض منهم وبعضهم الى الناس كجبريل والحفظة والمصنف تبع فيما قاله الواحدي وهو المشهور وفي كلامه اشارة الى ان من انكر الملائكة ليس بمسلم كالفلاسفة فانهم ذهبوا الى انها أرواح الفلكيات وعقولها لقولهم انها حية فعالة لا عقول روحانية كما فصل في كتب الحكمة ومطولات الكلام والنصوص القرآنية شاهدة بخلافه (وانهم) أي رسل الملائكة (في حقوق الانبياء) عليهم الصلاة والسلام من حيث الواسطة بين الله تعالى وبينهم (والتبليغ اليهم) فيما أمرهم الله تعالى ان يبلغوه اليهم من الوحي فحالهم معهم (كالانبياء عليهم الصلاة والسلام مع الامم) في تبليغ الاحكام اليهم وبيان المصالح لهم حسبما أمرهم الله تعالى به والمراد بعصمتهم انهم لا يخالفون أمر ربهم فلا ينافي ان الله تعالى لم يخلق لهم شهوة ودواعي كما في الطباع البشرية وهو ظاهر غني عن البيان خلافا لمن تصدى للجواب عنه (واختلفوا في غير المرسلين منهم) أي من الملائكة هل هم مساوون لهم في العصمة مما تقدم وعدمها (فذهبت طائفة) من أئمة الدين (الى عصمة جميعهم) من الرسل وغيرهم (من المعاصي) جميعها لان الله تعالى لم يخلق فيهم شهوة ولا داعية لها (واحتجوا) لعصمتهم من جميعها وفي نسخة احتجت أي الفرقة والاولى أولى (ب) الآيات كـ(قوله لا يعصون الله ما أمرهم) منصوب على نزع الخافض أي فيما أمرهم أو بدل اشتمال من اسم الله تعالى أي أمره (ويفعلون ما يؤمرون) به أي يبادرون بفعله من غير تنقيص ولا تأخير فعلى هذا هو تأسيس وان حمل على ظاهره فهو تأكيد والعطف بالواو يبعده قيل ولا دليل في هذه الآية لما ادعاه من العموم لانه عائد على خزنة النار قبله في قوله عليها ملائكة غلاظ شداد وهم التسعة عشر وبه فسر في الكشاف فكانه لاحظ عدم الفرق بينهم وبين غيرهم ولا يخفى ما فيه (وبقوله وما منا الا له مقام معلوم) لا يتعداه لغيره حسبما أمروا وفيه حذف الموصوف أي ما أحد منا أو معشر أو فريق (وانا لنحن الصافون) أي الواقفون صفوفا كصفوف الصلاة في المقام المعين لنا ولما أمرنا به وتفسيره بالصافين أقدامنا في الصلاة لا وجه له هنا كما قيل (وانا لنحن المسبحون) أي الملازمون لتقديس الله تعالى وتنزيهه عما لا يليق بشأنه وقيل معناه المصلون العابدون كما ورد في الحديث ان لهم صفوفا كصفوفنا (وبقوله ومن عنده) أي الملائكة المقربون مكانة لا مكانا لتنزه الله تعالى عنه (لا يستكبرون عن عبادته) أي يتذللون ويخضعون لعظمة الله تعالى

(ولا يستحسرون) أي لا يعيون ولا يتعبون ولا ينقطعون تفاقما (الآية) أي يسبحون الليل والنهار لا يفترون كما في نسخة أي لا ينقطعون ولا يملون (وبقوله ان الذين عند ربك) أي مقربون (لا يستكبرون عن عبادته) بل يفتخرون بطاعته (الآية) أي ويسبحونه وله يسجدون حقيقة أو ينقادون لحكمه ويتذللون بالخضوع والخشوع لامره (وبقوله) تبارك وتعالى في وصفهم (كرام) أي مكرمين على الله (بررة) أي أتقياء مطيعين في مقام رضاه (ولا يمسه) أي اللوح

المحفوظ أو القرآن المحفوظ

(ولا يستحسرون الآية) أي لا يتعبون ويملون من العبادة التي أمروا بها (وبقوله ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته الآية) لتلذذهم بعبادته (وقوله كرام بررة) صفة سفرة جمع سافر وهو الكاتب وهم الكرام الكاتبون من الملائكة والبررة جمع بار وهو المطيع المتقي ربه وأما البر فجمعه ابرار (وقوله لا يمسه الا المطهرون) هذا على ان المراد به لا يمس القرآن في اللوح المحفوظ أو في غيره الا الملائكة المطهرون من الكدورات الجسمانية والعلائق البشرية وقد فسر بانه لا يجوز ان يمسه من الناس الا من تطهر من الحدث أو لا يمسه الكفرة لنجاسة كفرهم فهو نفي بمعنى النهي ولا شاهد فيه على هذا كما انه لا شاهد في قوله وما منا الا له مقام معلوم اذ فسر بانه ما من أحد من المسلمين الا له مقام في الآخرة أو يوم القيامة وقد قيل أيضا انه لا شاهد فيه على رسل الملائكة اذ لا مخصص فيه وقد أشار الى عمومه في الكشاف (ونحوه) مما هو بمعناه (من السمعيات) أي النصوص القرآنية الواردة في حق الملائكة كقوله تعالى لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون أو ما هو مسموع من الشارع من كتاب أو سنة (وذهبت طائفة) من العلماء (الى ان هذا) أي ما ذكر من أمر العصمة (خصوص) أي مخصوص كما وقع في بعض النسخ (للمرسلين والمقربين منهم) أي من الملائكة دون غيرهم والمقربون هم الكروبيون بتشديد الراء وتخفيفها وأنشد أبو علي * كروبية منهم ركوع وسجد * وكافه مبدلة من القاف أو أصله من كرب بمعنى دنا يقال هو كرب الخلق أي قويه سمواته لقوتهم أو لصبرهم على العبادة أو هو من الكرب لشدة خوفهم من الله تعالى (واحتجوا باشياء ذكرها أهل الاخبار والتفاسير نحن نذكرها ان شاء الله تعالى) وفي نسخة (بعد) بالبناء على الضم (ونبين الوجه فيها) أي القول الموجه المرضي مستعار من الوجه المعروف (والصواب عصمة جميعهم وتنزيه نصابهم) أي كمال مقامهم (الرفيع) العالي منزلته عند الله (عن جميع ما يحط) أي ينقص أو ينزل من حط الحمل اذا نزل من مكان عال الى أسفل منه (من رتبتهم ومنزلتهم) هو مقامهم (عن جليل مقدارهم) أي قدرهم الجليل فهم معصومون عن جميع الذنوب كبيرها وصغيرها ولا يجوز ذلك عليهم ولا يقدرون عليه (ورأيت بعض شيوخنا أشار) أي قال والاشارة تطلق بهذا المعنى كثيرا (الى أن) بفتح الهمزة مخففة من الثقيلة أي انه (لا حاجة بالفقيه) قيل الباء بمعنى اللام أي لا حاجة له (الى الكلام في عصمتهم) قيل اكتفاء بما ورد واشتهر في حقهم ومدحهم من النصوص في القرآن والحديث وقيل انه لكونهم غير مرئيين لنا ولم نؤمر بالاقتداء بهم بخلاف الانبياء عليهم الصلاة والسلام فانا متبعون لاقوالهم وأفعالهم مقتدرون بهم فلا بد من معرفة عصمتهم واعتقادها للوثوق بهم حتى يجب امتثال أوامرهم ونواهيهم للامم وقيل انما أراد انه يجب الكف عن الكلام في جميعهم لانه أمر مشكل لا يتكلم فيه الا بدليل قطعي لانه لا فائدة فيه (وانا أقول ان الكلام في ذلك) أي في عصمة الملائكة لازم (كالكلام في عصمة الانبياء) عليهم السلام وفي نسخة ان الكلام في ذلك ما للكلام في عصمة الانبياء (من الفوائد) الثلاثة

(الا المطهرون) أي الملائكة المتطهرون من أدناس الذنوب واجناس العيوب (ونحوه) أي بامثال ما ذكر (من السمعيات) من الكتاب والسنة (وذهبت طائفة) من العلماء (الى ان هذا) أي ما ذكر من قضية العصمة وعدم المخالفة (خصوص للمرسلين) والمقربين (منهم) أي من الملائكة (واحتجوا باشياء ذكرها أهل الاخبار والتفاسير) المعتمدة على ما نقله فيها عن الرهبان والاحبار (ونحن نذكرها ان شاء الله تعالى بعد) أي بعد ذلك (ونبين الوجه) أي الاوجه (فيها) هنالك (ان شاء الله تعالى) أي أراده وقضاه وما أحسن ما قال الشافعي رحمه الله تعالى

فما شئت كان وان لم اشا · وما لم تشا ان اشا لم يكن

وهو مضمون كلام اتفق عليه السلف والخلف مما ثبت في الحديث ما شاء الله كان وما لم يشا لم يكن (والصواب عصمة جميعهم) أي الملائكة من جنس المعصية (وتنزيه نصابهم) أي تبرئة ساحة منصبهم وقدرهم (الرفيع) عند ربهم (عن جميع ما يحط من رتبتهم) ويروى من رتبهم (ومنزلتهم عن جليل مقدارهم) وجميل درجتهم (ورأيت بعض شيوخنا أشار بان) وفي نسخة مال الى ان أي انه بمعنى الشان (لا حاجة بالفقيه) أي له (الى الكلام في عصمتهم) بل يجوز له السكوت عن تفصيل حالتهم ومرتبتهم (وأنا أقول ان الكلام في ذلك) أي المرام من كثرة الفوائد (ما للكلام) وفي نسخة كالكلام في عصمة الانبياء من الفوائد

(التى ذكرناها) فيما تقدم من الفصول المشتملة على أنواع من الفوائد (سوى فائدة الكلام فى الاقوال والافعال) لعدم اطلاعنا على مايصدر عنهم من قول وفعل مفصلا وانما نعرف أحوالهم مجملا مع انا لسنا مكلفين باتباعهم فيها فلا داعى الى اثبات عصمتهم فيها من طرق مالا يليق بهم فيها عمدا أو سهوا (فهى) أى فائدة الكلام فى أقوالهم وأفعالهم (ساقطة ههنا) أى غير مذكورة فى بيان عصمتهم لعدم احتياجنا اليها فاذا عرفت هذا (فما احتج به من لم يوجب عصمة جميعهم) أى جميع افراد الملائكة بل يوجب عصمة جنسهم الصادق على بعضهم (قصة هاروت وماروت) وهما ملكان نزلا ببابل قرية بالعراق اسمان اعجميان بدلالة منع صرفهما للعلمية والعجمة (وماذكر) عطف على قصة أى وماذكره (فيها) أى فى قصتهما (أهل الاخبار ونقلة المفسرين) عن الاحبار من ان الملائكة عيرت بنى آدم بعصيانهم الله تعالى كما رواه البيهقى فى شعب الايمان عن ابن عمر يارب هؤلاء ما أقل معرفتهم بعظمتك فقال لو كنتم فى مسلاخهم لعصيتمونى قالوا كيف يكون هذا ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال فاختاروا منكم ملكين فاختاروهما فاهبطا الى الارض وركبت فيهما شهوات بنى آدم ومثلت امرأة فما عصما حتى واقعا المعصية فقال الله تعالى لهما اختارا عذاب الدنيا أو عذاب الآخرة فاختارا عذاب الدنيا ٢٣٠ (وماروى) أى عن اسحق بن راهويه وعبد بن حميد وغيرهما (عن على) كرم الله تعالى وجهه (وابن عباس) رضى الله تعالى عنهما (فى خبرهما) أى هاروت وماروت فعن على رضى الله عنه ان هذه الزهرة يسميها العجم اناهيد وكان الملكان يحكمان بين الناس فاتتهما امرأة فارادها كل منهما مخفيا من الآخر فقال أحدهما ياأخى أريد ان أذكر لك مافى نفسى فقال أذكره لعله مافى نفسى فاتفقا فقالت لاامكنكما أو تخبرانى أى حتى تعلمانى بما تصعدان به الى السماء وتهبطان به فقالا باسم الله الاعظم قالت علمانيه فعلماها اياه فتكلمت به فطارت الى السماء فمسخها الله تعالى كوكبا وروى ابن أبى حاتم عن ابن عباس ان ملائكة سماء الدنيا قالوا يا ربنا أهل الارض يعصونك فقيل لهم اختاروا منكم ثلاثة يحكمون فى الارض وجعل فيهم شهوة بنى آدم وأمروا ان لايقترفوا ذنبا فاستقال منهم واحد فاقيل فهبط اثنان فاتتهما امرأة من أحسن النساء فهوياها فاتيا منزلها وأراداها فابت حتى يشربا خمرها ويقتلا ابن جارها ويسجدا لوثنها فابيا الا أن يشربا فشربا ثم قتلا ثم سجدا وقالت أخبرانى بالكلمة التى اذا قلتماها طرتما الى السماء فاخبراها فطارت فمسخت جمرة وهى الزهرة فارسل اليهما سليمان بن داود وقيل ادريس فخيرهما بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختارا عذاب الدنيا فهما مناطان بين السماء والارض قيل معلقان بشعورهما وقيل جعل فى جب ملئت نارا منكوسان يضربان بسياط الحديد (وابتلائهما) أى ماروى من اختبارهما بما ذكر وبالسحر فتنة للناس أى امتحانا لهم فمن تعلمه وعمل به معتقدا حله كفر ومن تجنبه أو تعلمه ليتوقى شره لم يكفر (فاعلم أكرمك الله ان هذه الاخبار لم يرو منها شئ لاسقيم ولا صحيح عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أى وانما رويت عن علماء اليهود والنصارى ممن لايصدق ولا يكذب فى اخبارهم ولا يعتمد على آثارهم لكن يشكل هذا بما رواه الامام أحمد بن حنبل فى مسنده فقال حدثنا يحيى ابن أبى بكير وقال عبد بن حميد

(التى ذكرناها) فانهم وسائط بين الله ورسله ونسبتهم للرسل كنسبة الرسل لاممهم فلو لم يكونوا معصومين لم يحصل الوثوق للرسل بما بلغوه ويسرى ذلك لنا فلا فرق اذن (سوى فائدة الكلام فى الاقوال والافعال) أى الفائدة التى ذكرها فى أقوال الرسل وأفعالهم (فهى ساقط هنا) أى فى حق الملائكة عليهم الصلاة والسلام لعدم اطلاعنا على أقوالهم وأفعالهم ولسنا مكلفين باتباعهم فيها كالانبياء عليهم الصلاة والسلام فلا داعى لعصمتهم فيها عمدا ولا سهوا لعدم طرو مالا يليق (فما احتج به من لم يثبت عصمة جميعهم) وقال بوجوب عصمة الرسل منهم فقط (قصة هاروت وماروت) هما علمان للملكين ببابل ممنوعان من الصرف للعلمية والعجمة ولو كانا عربيين من الهرت والمرت صرفا (وماذكر فيها) أى القصة (أهل الاخبار) وعلماء التاريخ (ونقلة) جمع ناقل مثل كاتب وكتبة مضاف لقوله (المفسرين) أى من اعتمد على النقل من المصحف دون تحقيق وفى نسخة ونقله المفسرون بفعل ماض وفاعل (وماروى عن على وابن عباس فى خبرهما وابتلائهما) بمحبة المرأة وعقابهما على مافعلا كما ستسمعه قريبا مع مافيه ردا وقبولا وماوقع من السحر فتنة للناس وان السحر من اعتقده وعمل به فقد كفر كما يأتى واما من تعلمه ليتوقاه ويتداوى منه فلا كما قيل

عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه * فمن لا يعرف الشر من الخير يقع فيه

وللفقهاء فيه وفى قتل الساحر كلام طويل الذيل ليس هذا محل تفصيله (فاعلم) خطاب عام لكل واقف على هذا الكلام طالب للعلم به (أكرمك الله) بهدايتك للحق (ان هذه الاخبار) المذكورة فى قصة هاروت وماروت (لم يرو منها شئ) عمن يعتد به من المحدثين (لاسقيم) أى ضعيف (ولا صحيح) ثابت (عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) وليس

في مسنده ثنا أبو بكير ابن أبي شيبة قال حدثني ابن أبي بكير ثنا زهير بن محمد عن موسى بن جبير عن نافع مولى عبد الله بن عمر عن عبد الله بن عمر أنه سمع نبي الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول ان آدم عليه الصلاة والسلام لما أهبطه الله تبارك وتعالى الى الارض قالت الملائكة أي رب أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال اني أعلم مالا تعلمون قالوا ربنا نحن أطوع لك من بني آدم قال تعالى للملائكة هلموا ملكين من الملائكة حتى يهبط بهما الى الارض لينظر كيف يعملان قالوا ربنا هاروت وماروت فاهبطا الى الارض ومثلت لهما الزهرة امرأة من أحسن البشر فجاءها فسالاها نفسها فقالت لا والله حتى تكلما بهذه الكلمة من الاشراك فقالا لا والله لا نشرك به أبدا فذهبت عنهما ثم رجعت بصبي تحمله فسالاها نفسها فقالت لا والله حتى تقتلا هذا الصبي فقالا لا والله لا نقتله أبدا فذهبت ثم رجعت بقدح خمر تحمله فسالاها نفسها فقالت لا والله حتى تشربا هذه الخمر فشربا فسكرا فوقعا عليها وقتلا الصبي وتكلما بكلمة الاشراك فلما أفاقا قالت المرأة والله ما تركتما شيأ مما أبيتماه على الا وقد فعلتماه حتى سكرتما فخيرا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختارا عذاب الدنيا انتهى ويحيى ابن أبي بكير شيخ أحمد ثقة أخرج له الائمة الستة وزهير بن أحمد أخرج له أيضا أصحاب الكتب الستة ووثقه أحمد وروى الميموني عن أحمد مقارب الحديث وروى المروزي عن أحمد ما به باس وروى البخاري عن أحمد قال كان زهير الذي روى عنه أهل الشام زهيرا آخر وروى الاشرم عن أحمد قال للشاميين عن زهير مناكير وقال الترمذي في العلل سألت البخاري عن حديث زهير هذا فقال أنا أتقي هذا الشيخ كان حديثه موضوع وليس هذا عندي بزهير بن محمد قال وكان أحمد بن حنبل يضعف هذا الشيخ ويقول هذا الشيخ ينبغي أن يكونوا قلبوا اسمه قال الحلبي وله ترجمة في الميزان وقد ذكر فيها مناكير ولم يذكر هذا منها وأما موسى بن جبير فقد أخرج له أبو داود وابن ماجه وذكره أبو حيان في الثقاة وأما نافع فلا يسئل عنه فيحتاج هذا الحديث الى جواب على وجه صواب قال الحلبي وقد رأيت الحديث في مستدرك الحاكم في تفسير سورة الشورى من طريق ابن عباس وقال في آخره صحيح ولم يتعقبه الذهبي في تلخيصه للمستدرك هذا وذكر في

الميزان في ترجمة سنيد بن داود اسمه الحسين انه حافظ له تفسير وله ما ينكر ثم ساق بسنده الى سنيد ثنا فرج بن فضالة عن معاوية بن صالح عن نافع قال سرت مع ابن عمر فقال طلعت الحمراء قلت لا ثم قال قد طلعت قلت لا قال لا مرحبا بها ولا أهلا قلت سبحان الله نجم ساطع مطيع قال ما قلت الا ما سمعت من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الملائكة قالت يا رب كيف صبرك على بني آدم قال اني قد ابتليتهم وعافيتهم قالوا لو كنا مكانهم ما عصيناك قال فاختاروا ملكين منكم فاختاروا هاروت وماروت فنزلا فالقي عليهما الشهوة فجاءت امرأة يقال لها الزهرة الحديث بطوله ثم قال روى عنه أبو زرعة والاشرم وجماعة وضعفه أبو حاتم وقال أبو داود ولم يكن بذاك وقال النسائي الحسين سنيد بن داود وليس بثقة ثم أخرج الذهبي وفاته انتهى ولا يخفى ان الحديث كما تراه مرفوعا وموقوفا له أصل ثابت في الجملة لتعدد طرقه واختلاف سنده في مسند أحمد وصحيح ابن حبان وتفسير ابن جرير وشعب البيهقي ومسند عبد بن حميد والعقوبات لابن أبي الدنيا وغيرهم مطولا ومن رواية أبي الدرداء في ذم الدنيا لابن أبي الدنيا وموقوفا عن علي وابن عباس كما مر وعن ابن عمر وابن مسعود باسانيد صحيحة وقد قيل لهذه القصة طرق تفيد العلم لصحتها فالجواب الصواب ان الكلام في عصمة الملائكة الكرام وهذان قد خرجا عن صفة الملائكة بالقاء نعت البشرية من الشهوة النفسية عليهما ابتلاء لهما في القضية والتحقيق والله ولي التوفيق ان الملائكة خلقوا للطاعة كما ان الشياطين خلقوا للمعصية وكل من الطائفتين جبلوا بما لهم من القابلية وأما افراد الانسانية فمعجون مركب من الصفات الملكية والنعوت الشيطانية مرتب بين المراتب العلوية والمناقب السفلية فمن مال الى اطوار الملائكة ترقى عنهم ومن مال الى انشاز الشياطين تنزل عنهم فالانسان كالبرزخ بين البحرين الشارب من النهرين جامع بين نعوت الجلال وصفات الجمال وقابل لقبول ما لله من صفات الكمال فقد ورد لو لم تذنبوا لجاء الله بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم ايماء الى نعت الغفور والغفار والحليم والستار ومن هنا يتبين ان الانبياء يتصور منهم المعصية في الجملة بخلاف الملائكة مع ان المعتمد في المعتقد ان رسل البشر أفضل من رسل الملائكة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ولعل العلة انهم مع كون الشهوة فيهم مركبة وقعت أحوالهم مرتبة في رفعة منزلة وعلو مرتبة (وليس هو) أي ما نقل من الاخبار (شيأ يؤخذ بقياس) أي من الآثار في مقام الاعتبار

وليس هو) أي ما تضمنه قصتهما (شيأ يؤخذ) أي يستنبط (بقياس) وفي نسخة بالقياس أي ليس مما يجري فيه القياس على غيره مما ورد من الآيات والاحاديث الصحيحة فلا ينبغي الخوض فيه نفيا واثباتا وهذا الذي ذكره من انه لم يرد فيه حديث ضعيف ولا صحيح ردوه كما نقله السيوطي في مناهل الصفاء في تخريج أحاديث الشفاء بانه ورد من طرق كثيرة منها ما في مسند أحمد عن ابن عمر رضي الله

(والذي منه) أي من خبر قصتهما (في القرآن) أي في سورة البقرة (اختلف المفسرون في معناه) فكل ذهب الى ما اطلع عليه نقلا من جهة مبناه (وأنكر ما قال بعضهم فيه) أي في معناه (كثير من السلف كما سنذكره) فيما سيأتي فلا نطول هنا بذكره (وهذه الاخبار) التي أوردها المفسرون فيه (من كتب اليهود وافترائهم) على أنبياء الله وملائكته من أرباب الشهود (كما نصه الله تعالى) أي صرحه (أول الآيات) أي في أولها (من افترائهم) أي كذب اليهود (بذلك على سليمان وتكفيرهم اياه) في قوله واتبعوا أي اليهود ما تتلوا الشياطين أي كتب السحر والشعوذة التي كانت تقرأها على ملك سليمان أي في زمن ملكه وعهده وذلك ان الشياطين كانوا يسترقون السمع ثم يخلطون بما سمعوا أكاذيب كثيرة ويلقونها الى الكهنة وقد دونوها في الكتب يقرأونها ويعلمونها الناس وفشا ذلك في زمنه حتى قالوا ان الجن تعلم الغيب وكانوا يقولون هذا علم سليمان وما تم له ملكه الا به وما سخر له الجن والانس والطير والريح الا به وما كفر سليمان شهادة من الله وتكذيبا لليهود ودفعا لما بهتت به سليمان من اعتقاد السحر والعمل به ولكن الشياطين كفروا باستعمالهم السحر وتدوينهم يعلمون الناس السحر يقصدون به اغواءهم واضلالهم (وقد انطوت القصة) أي احتوت واشتملت قصة هاروت وماروت (فاختلف (على شنع) بضم المعجمة وفتح النون أي قبائح (عظيمة وها) للتنبيه (نحن نحبر) بضم نون وفتح مهملة وكسر موحدة مشددة أي نحسن (في ذلك) القول من العبارات (ما يكشف غطاء هذه الاشكالات) أي ما يرفع حجابها ويزيل نقابها (ان شاء الله تعالى

تعالى عنهما مرفوعا ورواه ابن حبان والبيهقي وابن جرير وابن حميد في مسنده وابن أبي الدنيا وغيرهم من طرق عديدة وقال ابن حجر في شرح البخاري ان له طرقا تفيد العلم بصحته وكذا في حواشي البرهان الحلبي وذكره مسندا عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أنه سمعه صلى الله تعالى عليه وسلم يقول لما أهبط الله تعالى آدم الى الارض قالت الملائكة أتجعل فيها من يفسد فيها الآية وقالوا ربنا نحن أطوع لك من بني آدم فقال الله تعالى هلما ملكين يهبطان الارض قالوا ربنا هاروت وماروت فاهبطا فتمثلت لهما الزهرة امرأة حسنة من البشر فراوداها عن نفسها فقالت لا والله حتى تتكلما بهذه الكلمة من الشرك فابيا فذهبت وأتت بابن جار لها تحمله فراوداها فقالت لا حتى تقتلا هذا الصبي فقالا لا نفعل فراوداها مرة أخرى فاتت بقدح خمر فقالت لا حتى تشرباه فشرباه وسكرا فتكلما بكلمة الكفر وقتلا الصبي فخيرهما الله تعالى بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختارا عذاب الدنيا فعلقا بين السماء والارض والزهرة بضم الزاي وفتح الهاء وتسكينها لحن ولا مانع منه تخفيفا ويقال لها بالفارسية اناهيد وتخفف ويقال ناهيد وفي رواية ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنزلهما يحكمان بين الناس وان الزهرة قالت لهما أخبراني بما تصعدان به الى السماء فقالا باسم الله الاعظم وعلماها اياه فطارت الى السماء فمسخت كوكبا وقد جمع الجلال السيوطي طرق هذا الحديث في تاليف مستقل فبلغت نيفا وعشرين طريقا (و) قوله و(الذي منه) أي من ذكر هذه القصة (في القرآن) جواب سؤال تقديره انك قلت ان هذه لم تثبت عنه صلى الله تعالى عليه وسلم فما تقول في ذكرها في القرآن في قوله تعالى واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر الآية فاجاب بقوله (اختلف المفسرون في معناه) أي معنى ما ذكر في هذه الآية (فانكر ما قال بعضهم فيه) أي في معناه (كثير من السلف كما سنذكره) فلا حاجة لذكره هنا (وهذه الاخبار) التي ذكرها بعض المفسرين منقولة (من كتب اليهود) في الاسرائيليات (وافترائهم) أي كذبهم على أنبياء الله تعالى وملائكته عليهم الصلاة والسلام (كما قصه الله) أي حكاه (في أول الآيات من افترائهم بذلك على سليمان وتكفيرهم اياه) أي نسبته الى الكفر الذي رده الله تعالى بقوله وما كفر سليمان الخ (وقد انطوت) أي اشتملت واحتوت هذه (القصة على شنع عظيمة) بضم الشين المعجمة وفتح النون وعين مهملة جمع شنعة أي قبيحة شائعة من شنع عليه اذا أشاع قبائحه وذلك كما يأتي بيانه انهم كتبوا سحرا ونيرنجيات على لسان آصف بن برخيا وزير سليمان عليه الصلاة والسلام ودفنوها تحت مصلى سليمان فنزع ملكه ثم لما مات استخرجوها وقالوا انما ملككم بهذه فانكرها صلحاؤهم وأقبل عليها السفلة ورفضوا كتب أنبيائهم ونسبوا سليمان عليه الصلاة والسلام للكفر فبرأه الله تعالى منه (وها نحن نحبر) أي نحرر تحريرا حسنا من حبره بمهملتين بينهما موحدة اذا حسنه وزينه وفيه تورية لانه يقال حبره اذا كتب بالحبر ففيه ايهام لمعنى نكتبه لنبينه (في ذلك) المذكور في قصة هاروت وماروت (ما يكشف غطاء هذه الاشكالات) أي ما يزيل لبسه واشكاله ببيان الحق فيه وفيه استعارة مكنية وتخييلية أو مصرحتان باستعارة الكشف للازالة والغطاء للبس (ان شاء الله) أي ان أراده بيمنه وبركته

فاختلف) أى فاختلفوا (أولا فى هاروت وماروت هل هما ملكان) بفتح اللام وهو الصحيح (أو انسيان) أى منسوبان الى الانس أى آدميان ويمكن الجمع بانهما كانا ملكين وتشكلا بصورة رجلين (وهل هما) أى هاروت وماروت (المراد بالملكين) فى آية وما أنزل على الملكين وهو الصحيح (أم لا) وهذا مما لا يلتفت اليه أصلا (وهل القراءة ملكين) بفتح لامها كما فى القراءة المتواترة التى اتفق عليها القراء السبعة والعشرة (أو ملكين) بكسرها كما فى قراءة شاذة وهما كانا ببابل أنزل عليهما السحر ولا معنى للاختلاف فيهما اذ الرواية الشاذة الغير المعتبرة لا تقاوم القراءة المتواترة على انه يمكن الجمع بينهما بانهما ملكان فى أصلهما نزل على صورة

(فاختلف أولا فى هاروت وماروت) أى فى حقيقتهما وجنسهما الان بيان الحقيقة ينبغى تقديمه على بيان أحوالهما (هل هما ملكان) بفتح اللام أى فى جواب هذا السؤال وهو تفسير لاختلاف وجهته (أو انسيان) نسبة الى الانس خلاف الجن أى من بنى آدم (وهل هما المراد بالملكين) فى قوله وما أنزل على الملكين فى الآية بان يكونا بدلا منه (أم لا وهل القراءة ملكين) بفتح اللام وهى قراءة السبعة (أو ملكين) بكسرها وهى قراءة شاذة منقولة عن الحسن البصرى وغيره كما يأتى (وهل ما فى قوله وما أنزل على الملكين و) فى قوله (ما يعلمان من أحد نافية أو موجبة) أى غير نافية من الايجاب ضد النفى فهى على هذا موصولة أو موصوفة وهو ظاهر وكونهما ملكين بالفتح مذهب الجمهور وقراءته متواترة وعلى قراءة الكسر يلزم كونهما انسيين تصور رادة ورتهما الاصلية لانه المتبادر وكونهما من الملائكة أمرهما الله تعالى بالهبوط للارض والحكم بين الناس كما تقدم فى الحديث فتصورا بصورة البشر لقدرتهما على التشكل بعيد من دلالة اللفظ والاحتمال البعيد لا معول عليه وايراده هنا غير متجه والقائل بانهما ملكين بالكسر استدل بظاهر حديث روته عائشة رضى الله تعالى عنها ان امرأة قالت لها انها رأتهما رجلين معلقين برجليهما وفيه الاحتمال السابق أيضا فالاحتجاج به غير تام فان كانت ما فى ما أنزل نافية كان معطوفا على ما كفر سليمان أى لم يكفر ولم ينزل على الملكين شئ من السحر وهاروت وماروت بدل من الشياطين بدل بعض وما بينهما اعتراض وهو رد على اليهود لعنهم الله تعالى فيما افتروه على الانبياء عليهم الصلاة والسلام والملائكة والا فهى موصولة أو موصوفة وقوله من أحد يأبى كونها غير نافية ولذا قال بعض الشراح انه لم يذكره أحد من المفسرين وان المعنى عليه غير ظاهر والكلام فى ذلك مفصل فى التفاسير (فأكثر المفسرين) يقول (ان الله تعالى امتحن الناس بالملكين) أى ابتلاهم وعاملهم معاملة المختبر لامرهم حتى يظهر حالهم والملكين تثنية ملك بفتح اللام فانزلهما (لتعليم السحر) لهما (وتبيينه وان علمه كفر) وفى نسخة عمله بتقديم الميم على اللام وجعله كفرا مبالغة لانه سببه فهو مجاز كرعينا الغيث والمطر (فمن تعلمه) ويعمل به معتقدا حله (كفر) لاعتقاده ما هو حرام اجماعا حلالا (ومن تركه آمن) أى دام وهو مؤمن على ايمانه اذ الكافر بمجرد تركه السحر لا يصير مؤمنا وهذا مذهب مالك وعزاه المصنف فى شرح مسلم الى سيدنا أحمد بن حنبل فهو عندهما كافر يقتل ولا يستتاب كالزنديق عنده وهو عند الشافعى كبيرة ان لم يكن فيه ما يقتضى الكفر فلا يقتل وتقبل توبته فان قتل بسحره قتل قصاصا عنده وقيل تلزمه الدية والكفارة وعند غير الشافعية فيه خلاف ودليل مالك ما (قال الله) عز وجل (انما نحن فتنة فلا تكفر) فان قولهما له على طريق النصح حتى روى ان تكرره سبع مرات يقتضى انه كفر وما روى من انه لا دليل فيه لاحتمال ان الله تعالى يعاقبه بسلب الايمان منه أى لا تفعله فانه سبب لسوء الخاتمة خلاف الظاهر (وتعليمهما الناس تعليم انذار) مبتدأ وخبر والناس مفعول المصدر

ملكين حاكمين فى عهدهما (وهل ما فى قوله تعالى وانزل) أى على الملكين (وما يعلمان من أحد نافية) فيهما فيكون عطفا على ما كفر أى وما كفر سليمان ولا أنزل على الملكين أى جبريل وميكائيل فان سحرة اليهود زعموا ان السحر أنزل على لسانهما الى سليمان فردهم الله به (أو موجبة) أى ثابتة موصولة معطوفة على السحر على الصحيح والمراد بهما واحد والعطف لتغاير الاعتبار أو يراد به نوع أقوى منه أى ويعلمونهم ما الهما أو معطوفة على ما تتلوا قال البيضاوى وهما ملكان أنزلا لتعليم السحر ابتلاء من الله تعالى للناس وتمييزا بينه وبين المعجزة واذا عرفت هذا الاختلاف اجمالا فاعلم ما يبين لك المصنف تفصيلا (فاكثر المفسرين ان الله تعالى

امتحن الناس بالملكين) بفتح اللام (لتعليم السحر وتبيينه) فى مقام تعيينه (وان علمه) أى تعلمه وفى نسخة عمله (كفر فمن تعلمه كفر ومن تركه آمن) بمد الهمزة أى دام على ايمانه ولم يكفر ولا يبعد ان يكون بفتح الهمزة وكسر الميم أى آمن من الوقوع فى الكفر واعلم ان استعمال السحر كفر عند أبى حنيفة ومالك وأحمد وعند الشافعى استعماله من الكبائر اذا لم يعتقد جوازه ولم يكن فى السحر ما يوجب الكفر وظاهر الآية يؤيد اطلاق قول الائمة الثلاثة حيث (قال الله تعالى خبرا عنهما وما يعلمان من أحد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر وتعليمهما الناس له) مبتدأ خبره (تعليم انذار) أى تخويف وانكار

(أي يقولان لمن جاء يطلب تعلمه منهما لا تفعلوا) وفي نسخة لا تفعل كذا أي لا تتعلمه (فانه يفرق بين المرء وزوجه) أي هو سبب للتفريق بينهما بايجاد الله عنده البغض والنشوز في قلوبهما فالسحر له بنفسه أثر يحدثه الله عند تعاطيه وقد لا يحدثه بدليل قوله تعالى وماهم بضارين به من أحد الا باذن الله (ولا تخيلوا) بخاء معجمة من التخييل وفي نسخة لا تخيلوا من التخييل من باب التفعيل وهو ظن الشئ على خلاف ماهو عليه ومنه قوله تعالى يخيل اليه من سحرهم انها تسعى وفي نسخة لا تحيلوا بالحاء المهملة (بكذا) أي وكذا (فانه سحر فلا تكفروا فعلى هذا) التفسير (فعل الملكين طاعة) بلا شبهة (وتصرفهما فيما أمرا به) بما أنزل عليهما (ليس بمعصية) وفي نسخة معصية أي مخالفة (وهي) أي هذه الحالة (لغيرهما فتنة) أي ابتلاء ومحنة (وروى ابن وهب) وهو عبد الله ابن وهب المصري المعلم وقد تقدم (عن خالد بن أبي عمران) التجيبي التونسي قاضي افريقية يروى عن عروة وجماعة وعنه الليث بن سعد وعده صدوق فقيه عابد ثقة (انه ذكر عنده هاروت وماروت وانهما يعلمان) أي الناس كما في نسخة (السحر فقال نحن ننزههما عن هذا) أي عن تعليم السحر لانه كفر أو كبيرة ويروى عن هذه النقيصة (فقرأ بعضهم وما أنزل على الملكين) بناء على ان ماموصولة وهاروت وماروت بدل منهما فيكون حجة على اثبات لهما (فقال خالد) دفعا لما أورده عليه بقوله وما أنزل معناه انه (لم ينزل عليهما) بناء على كون ما نافية (فهذا خالد على جلالته) أي عظيم رتبته (وعلمه) أي وكثرة معرفته (نزههما عن تعليم السحر الذي قد ذكر غيره انهما مأذون لهما في تعليمه بشريطة ان يبينا انه كفر وانه) أي أمرهما (امتحان من الله تعالى وابتلاء) أي اختبار لخلقه وليس فيه محظور ولا يترتب عليه محذور ويمكن الجمع بان المثبت يحمل أمرهما على انهما مأموران والنافي على ضد ذلك فيرتفع الخلاف هذا الله

الاول وهو جواب عما استدلوا به أي انما علموه لهم ليعرفوه ويحذروا منه فهو انذار وتخويف لهم من وباله ثم وضحه (بقوله أي يقولان) يعني الملكين (لمن جاء يطلب تعلمه) منهما (لا تفعل) أي لا تتعلمه وفي نسخة لا تفعلوا (فانه يفرق بين المرء وزوجه) أي هو سبب لذلك بما يلقيه في قلبهما من البغض الموجب لمفارقة أحدهما الآخر وماهم بضارين به من أحد الا باذن الله أي بتقديره وارادته والسحر له تأثيرات غير ذلك وانما خصه لكثرته والجمهور على ان السحر له حقيقة تحدث عند نطقه ببعض الكلام أو فعل بعض الاشياء بخاصة أوجدها الله تعالى عنده وقيل انه تخييل باطل وانه لا أثر له غير تفريق الزوجين والاول هو الصحيح كما قاله المازري (ولا تحيلوا بكذا) تفعل من الحيلة بالحاء المهملة أي لا تباشروا حيل السحرة التي يفعلونها من التمويه والنفث في العقد ونحوه وروى لا تخيلوا بالخاء المعجمة من التخييل وهو ظن الشئ على خلاف ماهو عليه وأكثرهم على الاول ويؤيده تعديه بالباء أو هي سببية (فانه سحر) أي أمر غير محمود ولا جائز (فلا تكفروا) بفعل هذا لانه كفر أو مؤد اليه كما بيناه (فعلى هذا) أي ان تبيينه وتعليمه لانذار الناس من الوقوع فيه (فعل الملكين) في السحر بعد نهيهما عنه وبيان ضرره وكفر فاعله (طاعة) لما فيه من النهي عن المنكر (وتصرفهما فيما أمرا به) أي أمرهما الله تعالى باظهاره وبيان حاله (ليس بمعصية) يستدل بها على عدم عصمة بعض الملائكة وهو جواب عن سؤال تقديره انما فعلا ماهو غير جائز في نفسه بانه في حقهما جائز كالمفتي والواعظ الذي يتكلم بكلمات الكفر ليجتنب وهو مأمور بذلك فهو في حقه غير ممنوع (وهي لغيرهما فتنة) بلية تهلكه بعقاب الله تعالى له (وروى ابن وهب) هو الامام عبد الله بن وهب المصري وقد تقدمت ترجمته (عن خالد ابن أبي عمران) التجيبي التونسي قاضي افريقية ومحدثها توفي سنة مائة وتسعة وثلاثين وأخرج له أصحاب السنن وثقوه وهو مستجاب الدعوة وله تفسير (انه ذكر عنده هاروت وماروت و) ذكر (انهما يعلمان السحر) من يطلب تعلمه منهما (فقال نحن ننزههما عن هذا) أي تعليم السحر (فقرأ بعضهم) ردا لما قاله بانه مخالف لظاهر قوله تعالى (وما أنزل على الملكين) الآية احتج بها بناء على الظاهر من ان ما موصولة وعلى قراءة الجمهور بفتح اللام (فقال خالد) مجيبا له (لم ينزل عليهما) بالبناء للفاعل أو المفعول وهو انكار لما قاله وانه ليس ما فهمه مراد الله وان لها معنى غير ما ظهر منها لتأويلها وسيأتي ان شاء الله تعالى (فهذا خالد على جلالته) أي عظم قدره وجعله لشهرته كأنه حاضر مشاهد عنده (وعلمه) بالتفسير والحديث (نزههما) أي الملكين (عن تعليم السحر الذي قد ذكر غيره انهما مأذون لهما في تعليمه) لان الله تعالى أمرهما بتعليمه انذارا للناس وليس معصية في حقهما كما سمعته آنفا (بشريطة) بمعنى شرط كما وقع في بعض النسخ أيضا (ان يبينا انه كفر) فيعلماه بما فيه من المحذور (وانه امتحان من الله تعالى وابتلاء) عطف تفسير فغير خالد جعل ما موصولة ايجابية مثبتة لانزال السحر عليهما وهي عنده نافية كما يأتي ولكنه أمر بتعليمه لانذارهم وتحذيرهم

(فكيف لاننزههما عن كبائر المعاصى) من قتل النفس والزنا وشرب الخمر (والكفر) من السجدة للصنم (المذكورة فى تلك الاخبار) المسطورة المشهورة وقد قدمنا دفع الاشكال حيث حملنا حالهما حينئذ على سلب ماهية الملكية عنهما وتركيب الشهوة البشرية فيهما والكلام فى حق الملائكة الثابتة على جبلتهم الاصلية بخلاف الاحوال العارضية (وقول خالد لم ينزل يريد ان ما نافية) كما قدمناه (وهو قول ابن عباس) أى رواية عنه (قال مكى وتقدير الكلام) على قول خالد تبعا لابن عباس ان ما نافية عطفا على قوله تعالى (وما كفر سليمان يريد) أى الله سبحانه وتعالى ان سليمان ما كفر (بالسحر الذى افتعلته عليه) أى افترته عليه (الشياطين واتبعتهم فى ذلك اليهود) فان الشياطين كتبوا السحر ودفنوه تحت كرسيه ثم لما مات سليمان عليه الصلاة والسلام أو نزع منه ملكه استخرجوه وقالوا تسلطه فى الارض بهذا السحر فتعلموه وبعضهم نفوا نبوته وقالوا ما هو الا ساحر فبرأه الله مما قالوا فقال وما كفر سليمان (وما أنزل على الملكين قال مكى هما) يعنى الملكين اللذين لم ينزل عليهما (جبريل وميكائيل ادعى اليهود عليهما المجىء به كما دعوا على سليمان فاكذبهم الله فى ذلك) فان سحرة اليهود زعموا ان السحر أنزل على لسانهما الى سليمان فردهم الله تعالى وعلى هذا فقوله ببابل متعلق بيعلمون وهاروت وماروت اسمان لرجلين صالحين سميا ملكين باعتبار صلاحهما ويؤيده قراءة الملكين بالكسر ابتلاهما الله بالسحر وقعا بدل بعض من الشياطين هذا وعن مجاهد وسعيد ابن جبير وغيرهما ان سليمان أخذ ما فى ايدى الشياطين من السحر ودفنه تحت كرسيه ثم لما مات أخرجه الانس بتعليم الجن وعملوا به وعن الحسن ثلث ما أخرجوا من تحت كرسيه شعر وثلثه سحر وثلثه كهانة (ولكن الشياطين كفروا) قرئ فى السبعة بتشديد لكن وتخفيفها (يعلمون الناس السحر ببابل) قرية بالعراق ومنع صرفه للعلمية والتانيث أو العجمة وعن ابن مسعود لاهل الكوفة أنتم بين الحيرة وبابل وقيل بابل موضع بالمغرب وهو بعيد ولعله اسم مشترك وانما الكلام فى المراد والله تعالى أعلم (هاروت وماروت) سبق انهما ملكان فى أصلهما اوقع منهما ما وقع ثم ابتليا بتعليم السحر للخلق ابتلاء من الحق

وتحذيرهم من مضاره وبيان انه ابتلاء من الله تعالى فكيف لا ينزههما هو مضارع مسند الى خالد أوله مثناة تحتية وقيل انه مبدوء بالنون مسند للمتكلم وغيره أى كيف لا ننزه نحن الملكين (عن الكبائر) كشرب الخمر وقتل النفس والزنا (والكفر) بالتكلم بكلمة الكفر ونحوه (المذكورة فى تلك الاخبار) التى رووها كما سمعته وفصلناه قريبا فتنزيههما من هذا يعلم من تنزيه خالد لهما عن السحر وتعليمه بالشرط المذكور بالطريق الاولى (وقول خالد) الذى نقله المصنف رحمه الله تعالى عنه (لم ينزل عليهما) بالتشديد والتخفيف مبنيا للمجهول الذى دل عليه قوله وما أنزل على الملكين الخ (يريد) بقوله ذلك (ان ما) فى هذه الآية (نافية وهو قول ابن عباس) رضى الله تعالى عنهما وبه اقتدى خالد وهو يقول كما فى بعض الشروح ان المراد بالملكين جبريل وميكائيل وهاروت وماروت بدل من الشياطين بدل بعض وغيره لم يذهب لهذا كما تقدم وهذا القول لم يقل به جمهور المفسرين والمحدثين كما عرفته (قال مكى) فى تفسيره وقد تقدمت ترجمته (وتقدير الكلام) عند ابن عباس وخالد اذا كانت ما نافية وانه معطوف على قوله (وما كفر سليمان) نبى الله صلى الله عليه وسلم (يريد بالسحر الذى افتعلته الشياطين عليه) أى افترته وكذبت فى نسبته اليه قال فى الاساس مفتعل مختلق مصنوع يعنى لا أصل له قال ذو الرمة

غرائب قد عرفن بكل أفق ❊ من الآفاق تفتعل افتعالا

(فاتبعهم فى ذلك اليهود) كما قيل ان الشياطين دفنت كتب السحر تحت كرسيه فلما مات وذهب علماء ملته قالوا ان تحت كرسيه كذا فحفروا ما تحته فوجدوا الكتب فقالوا ان سليمان كان ساحرا فلما انزل القرآن بذكره قالت اليهود انه ساحر فنزلت الآية بتكذيبهم أى تكذيبا لهم كما رواه الطبرى عن ابن جبير بسند صحيح لكن فيه ان الشياطين هى التى كتبت السحر ودفنتها فلما مات استخرجتها وقالوا هذا هو العلم الذى كتمه عن الناس وزاد ابن اسحق انهم نقشوا خاتما كخاتم سليمان وختموا به الكتاب وعنونوا به فقالوا هذا ما كتبه آصف بن برخيا الصديق للملك سليمان بن داود من ذخائر كنوز العلم الذى أنزله الله تعالى على سليمان فاخفاه عنا ثم قرؤا كتب السحر والكفر على الناس (و) قوله (ما انزل على الملكين) أى شئ من السحر وهذا بيان لانها نافية وهو قول ضعيف (قال مكى هما) أى الملكان (جبريل وميكائيل) كما تقدم (ادعى اليهود عليهما المجىء به) أى انهما نزلا بالسحر وتعليمه افتراء عليهما (كما ادعوا على سليمان عليه الصلاة والسلام) انه ساحر اعتقد السحر وعمل به افتراء عليه (فاكذبهم الله) أى بين كذبهم (فى ذلك) كله مما نسبوه لجبرائيل وميكائيل وسليمان (بقوله ولكن الشياطين) اضراب ابطالى (كفروا) بكذبهم على الله وملائكته ورسله وعملهم السحر وتدوينه وهم الذين (يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت) وبابل علم أرض ممنوع من الصرف للعلمية والتانيث

(قيل هما رجلان تعلماه و يؤيده) انه (قال الحسن) أي البصري رحمه الله تعالى (هاروت وماروت علجان) تثنية علج بكسر أوله وقد يفتح وهو الشديد القوى الغليظ الجافي والمعنى انهما كافران من العجم (من أهل بابل وقرأ) أي الحسن (وما أنزل على الملكين بكسر اللام) بناء على انهما كانا من بابل أنزل عليهما السحر ابتلاء من الله تعالى لهما ولغيرهما (وتكون ما) في الآية حينئذ (ايجابا) أي موصولة لا نافية على هذا (ومثله) أي ومثل قراءة الحسن (قراءة عبد الرحمن بن أبزى) بموحدة ساكنة وزاي مقصورا (بكسر اللام) قال صليت خلف النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وكان لا يتم التكبيرات انتهى ونقل الذهبي عن البخاري ان له صحبة وعن ابن أبي حاتم انه صلى خلف النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقال الكلاباذي له صحبة وحدث عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وكذا في الاكمال قال انه صحابي وقال ابن أبي داود انه تابعي وقال ابن قرقول في مطالعه انه لم يدرك النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وفي

سميت بها لتبلبل الالسنة واللغات بها بعد الطوفان وهي بالعراق وما قيل انها بالمغرب فهو قول ضعيف جدا (وقيل هما) أي هاروت وماروت (رجلان) لا ملكان (تعلماه) أي تعلما السحر وهو قول مردود وبابل مضاف لهما على هذا (وقال الحسن) هو الحسن البصري وقد تقدم بيانه (هاروت وماروت علجان من أهل بابل) تثنية علج وهو الغليظ من كفار العجم أي ما عدا العرب ويطلق على كل شديد من الكفار مطلقا من قولهم هو مستعلج الوجه أي غليظه واعتلجوا اضطربوا (وقرأ الحسن وما أنزل على الملكين بكسر اللام) كما تقدم (وتكون ما ايجابا) أي موصولة لا نافية (على هذا) القول والقراءة والمعنى الذي أنزل على هذين الرجلين (وكذلك) أي كما قرأ الحسن (قرأ عبد الرحمن بن أبزى بكسر اللام) وبه قرأ في الشواذ ابن عباس والضحاك وعبد الرحمن هذا صحابي كما جزم به النووي والذهبي واختلف في أبيه فقيل انه صحابي أدرك النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وصلى خلفه وقيل انه تابعي لم يدركه وأبزى بفتح الهمزة وسكون الموحدة وزاي معجمة وألف مقصورة يقال أبزى اذا أوسع خطوه وقد أخرج له الستة وغيرهم كأحمد في مسنده وهو خزاعي (ولكنه قال الملكان هنا) أي في هذه الآية المراد بهما (داود وسليمان عليهما الصلاة والسلام وتكون ما نافيا على ما تقدم) ولا شك انهما معصومان فلا تكون ما موصولة (وقيل كانا ملكين) على انه بكسر اللام في هذه القراءة (من بني اسرائيل) هو لقب يعقوب ومعناه صفوة الله واليه ينسب بنو اسرائيل (فمسخهما الله) بما وقع منهما (حكاه السمرقندي) قيل انه بسكون الراء والنون وتقدم بيانه (والقراءة بكسر اللام شاذة) كما مر والشاذ ما فوق العشرة على الصحيح وقيل ما فوق السبعة والكلام عليه في الاصول وعلم القراآت مشهور (فحمل) بفتح الميم الاولى وكسر الثانية أي ما يحمل عليه ويفسر به (الآية) يعني قوله وما أنزل على الملكين الى آخره (على تقدير أبي محمد مكي) بجعل ما نافية معطوف على ما كفر سليمان (حسن) على القول بانهما لم يؤمرا بتعليمه ابتلاء وامتحانا كما تقدم وحسنه لانه (ينزه الملائكة) عن المعاصي (ويذهب الرجس) أي الاثم وجزاءه (عنهم ويطهرهم تطهيرا) أي يبرئهم عن المعاصي وأوساخها وهو اقتباس استعير فيه الرجس للمعاصي والتطهير للعصمة منها وتحقيقه في الكشاف وشروحه (وقد وصفهم الله) أي وصف الملائكة في القرآن (بانهم مطهرون) من الادناس والعيوب كالمعاصي وهذا بناء على أحد التفاسير فيها كما تقدم (ولا يعصون الله ما أمرهم)

ويفعلون

التجريد للذهبي عده في الصحابة وكذا النووي في التهذيب وقد روى عن أبي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما (ولكنه) أي ابن أبزى (قال الملكان هنا) أي في آية وما أنزل على الملكين (داود وسليمان وتكون ما) على قراءته (نفيا على ما تقدم) عن اليهود انهم كانوا ينسبون انزال السحر تارة الى جبريل وميكائيل وأخرى الى داود وسليمان (وقيل كانا ملكين) أي آخرين (من بني اسرائيل) ساحرين فمسخهما الله حكاه السمرقندي) وهو الفقيه أبو الليث (والقراءة بكسر اللام شاذة) أي ليست متواترة (فحمل الآية) وروى فحمل الآية أي آية وما أنزل على الملكين (على تقدير أبي محمد مكي) بجعل ما نافية عطفا على ما كفر سليمان (حسن) لو قيل انهما لم يؤمرا بتعليم السحر للناس ابتلاء وامتحانا لهم اما على القول بانهما مأموران بما ذكر فلا حاجة الى ارتكاب القول بجعل ما نافية لمخالفته ظاهر الآية ولان فعلهما ذلك حينئذ طاعة (ينزه الملائكة) عن الخروج عن الطاعة بارتكاب المعصية (ويذهب الرجس) أي جنس الذنب (ويطهرهم تطهيرا) بالعصمة عن العيب (وقد وصفهم الله تعالى) أي الملائكة (بانهم مطهرون) من الادناس (وكرام بررة) عند الله تعالى وعند الناس (ولا يعصون الله ما أمرهم) في جميع الانفاس ومجمل الكلام في هذا المقام ان الاصح عند العلماء الكرام في هذه القصة ان الملكين بفتح اللام يراد بهما هاروت وماروت وما موصولة وبكسر اللام يراد بهما داود وسليمان عليهما السلام وما نافية وكذا اذا فسر الملكين بفتح اللام بجبريل وميكائيل يكون ما نافية فارتفع الخلاف في المرام واجتمع نظام الالتئام

(ومايذكرونه) أى الطائفة القائلة بعدم عصمة جميعهم ويستدلون به (قصة ابليس) ويروى من قصة ابليس (وانه كان من الملائكة) على زعمهم (ورئيسافيهم) وفيه انه لايلزم من كونه رئيسافيهم انه فى أصله منهم (ومن خزان الجنة) بضم الخاء وتشديد الزاى أى خزنتها (الى آخرماحكوه) وليس فيه دلالة على ماادعوه (وانه) أى الله سبحانه وتعالى (استثناه من الملائكة بقوله فسجدوا الا ابليس) والاصل فى الاستثناء ان يكون متصلا الا انه قيل بانقطاعه لقوله تعالى كان من الجن ففسق عن أمر ربه وبان الملائكة ليس لهم ذرية وقال تعالى أفتتخذونه وذريته أولياء من دونى وهم لكم عدو والملائكة ليس هم أعداء لنا (وهذا) وزوى وهو أى القول بانه من الملائكة (أيضا) قول طائفة قليلة (لم يتفق عليه) بين العلماء (بل الاكثر منهم ينفون ذلك) القول بانه منهم (وانه أبو الجن) عندهم على الصحيح (كما ان آدم أبو الانس وهو) أى القول بانه أبو الجن (قول الحسن وقتادة وابن زيد) وانما استثنى منهم لانه كان مغمورا بين ألوف منهم فامر بالسجود لآدم معهم ثم استثنى استثناء واحد منهم بقوله فسجدوا الا ابليس والحاصل انه استثناء متصل مجازا أو منقطع حقيقة ولا يبعد ان يقال جمعا بين الاقوال انه كهاروت وماروت كان من جنس الملائكة لكن الله سبحانه وتعالى خلق فى جبلته المعصية فتغير عن حالته الاصلية فخالف الامر الالهى فى السجدة الصوريه فانتقل الى الخلقة الجنية وحصلت منه الذريه (وقال شهر بن حوشب) بفتح الحاء المهملة فواو ساكنة فشين معجمة مفتوحة فوحدة يروى عن مولاته أسماء بنت يزيد وعن ابن عباس وأبى هريرة وعنه مطر الوراق وثابت وثقه ابن معين وأحمد وضعفه شعبة وقال النسائى ليس بالقوى توفى سنة مائة أخرج له الاربعة (كان) أى ابليس (من الجن الذين طردتهم الملائكة من الارض حين أفسدوا) يعنى (والاستثناء) بقوله الا ابليس منقطع لانه من غير الجنس المستثنى هو منه وهو أى الاستثناء من غير الجنس

ويفعلون مايؤمرون وقد تقدم بيانه * واعلم ان ماذكره المصنف رحمه الله تعالى فى قصة هاروت وماروت من انه لا أصل لها بحسب الرواية ولا من جهة الدراية على ماهو الاصح من ملكيتهم لانهم معصومون والملك المعصوم لايليق ان ينسب اليه ماذكر من المعاصى ونحوها مامر مردود اما الاول فلما عرفته فيما مر من انه ورد فى حديث من طرق كثيرة باسانيد صحيحة كما قاله الحافظ ابن حجر والسيوطى قال وجمعت طرقه فى جزء مستقل الى آخر مامر فالتردد فيه لا ينبغى واما ما أنكره من انه نسب للملائكة مالا يليق بهم ولا يصح نسبته لهم فتحقيق الوجه فيه ان الله تعالى لما جعل آدم عليه الصلاة والسلام خليفة والخلافة فى أولاده وقالت الملائكة سؤال استفسار أتجعلهم خلفاء يفسدون فى الارض فقال لو جعلت فيكم مافيهم من الشهوة كنتم مثلهم فتعجبوا من ذلك فامرهم باختيار من يحكمه فى الارض فاختاراهذين الملكين فاودع فيهما جبلة شهوة بشريه وتمثلا بصورتهم فلما أهبطهما ورأيا الزهرة افتتنا بها وكان ماكان مما قصصناه عليك فاذا عرفت هذا سقط هذا الاعتراض لانهما لما حولا عن الملكية وأودع فيهما شهوة البشر لاينكر مثله منهما الان المعصوم الملك مادام على أصل ملكيته فاذا خرج عنها التحق بالبشر فلا ينكر أن يصدر منه مامايصدر منهم وهذا هو الحق الحقيق (ومما يذكرونه) فى الاستدلال على ماادعوه من ان الملائكة غير معصومين والمعصوم منهم الرسل فقط (قصة ابليس) لما عصى الله تعالى وأبى السجود لآدم عليه الصلاة والسلام على القول بانه كان من الملائكة وفيه خلاف مشهور كما أشار اليه بقوله (وانه كان من الملائكة ورئيسافيهم ومن خزان الجنة الى آخرماحكوه) من أحواله وخزان بضم ففتح وتشديد جمع خازن كخزنة من الخزن وهو حفظ الخزائن والمراد به حفظتها وحراسها (وانه استثناه الله من الملائكة بقوله فسجدوا الا ابليس) والاصل فى الاستثناء الاتصال المقتضى لانه منهم ولو لم يكن منهم داخلا فى أمرهم السجود لم يكن مستحقا للطرد وغيره (وهذا أيضا لم يتفق عليه) مبنى للمجهول أى لم يتفق عليه العلماء حتى يتم الاستدلال به مع معارضته لقوله فى آية أخرى كان من الجن وان أوله الذاهبون الى الاول وهو منقول عن ابن عباس والكلام فيه مشهور غنى عن البيان (بل الاكثر) منهم (ينفون ذلك و) يقولون (انه أبو الجن) وهو المسمى بالجان أيضا ومنهم من قال انه أبو الشياطين وان الجن جنس غيرهم الجان أبوهم وان الشياطين لا يسلمون ولا يموتون الا معه والجن منهم مسلم وكافر ويموتون كالبشر ويحشرون ويدخلون النار والجنة (كما ان آدم أبو الانس وهو) أى هذا القول (قول الحسن وقتادة وابن زيد) وهو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وتقدمت تراجم هؤلاء كلهم (وقال شهر بن حوشب) شهر بمعجمة بزنة ضرب وحوشب بفتح الحاء المهملة وسكون الواو وفتح الشين المعجمة وموحدة وهو ممن رووا عنه ووثقوه وضعفه بعضهم وتوفى سنة احدى عشرة ومائة وقيل فى تاريخ موته غير ذلك وله ترجمة فى الميزان (كان من الجن الذين طردتهم الملائكة فى الارض حين أفسدوا) فيها (والاستثناء من غير الجنس) وهو الاستثناء المنقطع

(فى كلام العرب) نظما ونثرا (سائغ) بسين مهملة وغين معجمة أى جائز من ساغ الشراب فى الحلق اذا جاوزه بسهولة وفى نسخة زيادة وشائع بشين معجمة وعين مهملة أى فاش ذائع من شاع الخبر اذا ذاع ومنه كل سر جاوز الاثنين شاع (وقد قال تعالى) تكذيبا لمن زعم قتل عيسى (ما لهم به من علم الا اتباع الظن) لان اتباعه ليس من جنس العلم فهو استثناء منقطع أى ولكنهم اتبعوا فيه ظنهم (ومما رووه) أى الطائفة القائلة بعدم عصمة جنس الملائكة (فى الاخبار) كابن جرير عن ابن عباس وابن أبى حاتم عن يحيى ابن كثير (ان خلقا من الملائكة عصوا الله تعالى فحرقوا) أى احرقوا (وأمروا أن يسجدوا لآدم فابوا فحرقوا ثم آخرون كذلك حتى سجد له) أى لآدم (من ذكر الله) أى جميع الملائكة (الا ابليس فى أخبار لا أصل لها) مما يعتمد عليها (يردها صحاح الاخبار فلا يشتغل) أى فينبغى ان لا يشتغل (بها) ويروى بهذا وفى نسخة بصيغة المتكلم ثم على تقدير صحتها يحمل على ان الله تعالى غير ماهيتهم عن أصل جبلتهم وعصمتهم فوقع فيهم ما أراد الله من معصيتهم وهذا كقضية بلعم بن باعوراء حيث تغير عن جبلته الى صورة كلب وماهيته وعكسه كلب أصحاب الكهف وقد ورد ان بلعم يدخل النار بصورة ذلك الكلب وذلك الكلب يدخل الجنة بصورة بلعم ثم رأيت فى حاشية الانطاكى روى ان الله تعالى لما خلق الارض خلق لها سكانها من بنى الجن من نار فركبت فيهم الشهوة وأمرهم ونهاهم فلما سكنوا فيها أفسدوا وعصوا أمر ربهم وسفكوا الدماء فانزل الله تعالى نارا من السماء فاحرقتهم الا ابليس سأله من الله ملك من الملائكة فوهب له ثم خلق الله ثانيا وثالثا مثلهم ففعلوا ذلك فاهلكهم الله عز وجل (والله أعلم) وفى نسخة والله سبحانه وتعالى الموفق وزيد فى نسخة للصواب

* (الباب الثانى فيما يخصهم) * أى الانبياء (فى الامور الدنيوية ويطرأ عليهم من العوارض البشرية) أى ما يعرض للانسان ويحدث له من الامور الكونية (قد قدمنا انه عليه الصلاة والسلام وسائر الانبياء

(شائع) من شاع الخبر اذا اشتهر بين الناس (فى كلام العرب سائغ) بسين مهملة وغين معجمة آخره ومعناه جائز من ساغ الشراب اذا سهل شربه وطاب أستعير لما ذكر يعنى انه مسموع من أهل اللسان غير ممتنع بحسب العقل والفهم ثم استدل بقوله تعالى (وقال الله تعالى ما لهم به) أى بالذين اختلفوا فى قتل عيسى عليه الصلاة والسلام (من علم الا اتباع الظن) والظن ليس من العلم وكذا اتباعه وقد أخرج منه وليس من جنسه أى لكنهم اتبعوا الظن فيما زعموه وتأولوه مما تسكن اليه النفس يصححه ولا يجعله متصلا كما قيل وأما كون ابليس ملكا أو جنيا أو ان الجن والملك نوع واحد من عنصر واحد والجن من نار مخالط لدخانه والملك من صافى نوره كما قرره البيضاوى والكلام على هذه الاقوال الثلاثة وعلى حقيقة الجن والملك فلا يسعه هذا المقام (ومما رووه من الاخبار) كما رواه ابن جرير عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وابن أبى حاتم عن يحيى بن كثير (ان خلقا) أى طائفة (من الملائكة عصوا الله) فيما أمرهم به وهذا بناء على عدم عصمة جميعهم (فحرفوا) ضبطه بعضهم بالفاء من التحريف أى طردوا وصرفوا عن مقامهم وفى بعض الشروح انه بالقاف من تحريق النار والراء المهملة مشددة فيهما مع بناء المجهول لكن قوله (وأمروا ان يسجدوا لآدم فابوا) السجود له باباه لانه بعد تحريقهم وفنائهم كيف يؤمرون بالسجود الا أن يقدر وآخرون أمروا بالسجود (فحرفوا) هو الذى قبله ولو ضبط الاول بالفاء والثانى بالقاف جاز على انه قصد التجنيس فليحرر (وآخرون كذلك) أى أمروا بالسجود لآدم فابوا فحرفوا (حتى سجد له من ذكر الله) فى قوله تعالى فسجد الملائكة كلهم أجمعون (الا ابليس فى أخبار) أى ما ذكره الله تعالى فى القرآن مع أخبار آخر فى معنى الآية (لا أصل لها) أى لا يعتمد عليها يقال لكل ما لا يصح هذا لا أصل له فيكنى بنفى الاصل عن نفيها (يردها صحيح الاخبار) المنافية لها الدلالتها على عصمة الملائكة كما فى الآيات المتقدمة (فلا يشغل بها والله أعلم)

(الباب الثانى فيما يخصهم من الامور الدنيوية)

التى تختص بالانبياء عليهم الصلاة والسلام من الصفات والسمات التى تكون لهم فى الدنيا سواء كانت واجبة أو مندوبة أو مباحة أولا (و) فيما (يطرأ) أى يحدث ويوجد وهو مهموز الآخر وقد تبدل همزته بحرف علة يقال طرأ عليه كذا اذا عرض له فاذا فسره وبينه بقوله (من العوارض) جمع عارض واصل معناه ما يبدو وعرضه ثم استعمل فيما يعرض ويحدث من سقم وغيره وقوله (البشرية) تخصيص له لان العوارض تعرض للبشر من بنى آدم وغيرهم ولما ذكر فى الفصول التى قبل هذا ما يتعلق بالانبياء من عصمتهم من الكبائر والصغائر وألحقه ببيان عصمة الملائكة مما يتعلق بالامور الاخروية شرع فيما يتعلق بهم من الامور الدنيوية لما بينهما من التقابل فقال (قد قدمنا) فى هذا الكتاب (انه) أى نبينا (صلى الله تعالى عليه وسلم وسائر الانبياء

والرسل

والرسل) أي بقيتهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين (من البشر) أي افراد كاملة من هذا النوع فيجري عليهم ما يجري على غيرهم من لوازم البشرية (وان جسمه وظاهره) الضمير للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم أو للجسم والاول أولى (خالص للبشر) يعني به أنه صلى الله تعالى عليه وسلم فيما يتعلق ببنيته متمحض للبشرية لا يخالف غيره في شيء منها فلذا قال (يجوز عليه) أي يجوز ان يطرأ عليه (من الآفات) جمع آفة كعاهة وزنا ومعنى وهو ما يفسد ما أصابه ويضره قال السرقسطي في أفعاله آف القوم أوفوا اذا دخلت عليهم مشقة وقدر (والتغيرات) أي الانتقال من حال الى حال كالمرض والصحة (والآلام) بالمد جمع ألم وهو كما قال الراغب الوجع الشديد ومنه عذاب أليم أي مؤلم (والاسقام) جمع سقم بفتحتين وسقم بضم فسكون وهو المرض المختص بالبدن لان منها ما هو نفساني ومشترك (وتجرع كأس الحمام) التجرع الشرب تدريجا جرعة بعد جرعة وكأس بهمزة وتبدل ألفا قدح الشراب مادام فيه والا فهو زجاجة وقدح والحمام بكسر الحاء المهملة الموت من حم الامر اذا قضي وقدر لانه بقضائه وقدره وفيه استعارة مكنية مرشحة شبه بالمسكر كما في الحديث ان للموت سكرات لازالته العقل فاثبت له الكأس تخييلا وأثبت التجرع ترشيحا وكون اضافة الكأس كاضافة لجين الماء ركيك وتاخيره عن الاسقام والآلام واقع موقعه (ما يجوز على) غيره من (البشر) لان المساواة في الجسمية تقتضي المساواة في قبول الاعراض كما تقرر في الحكمة وعلم الكلام وما موصولة فاعل ليجوز الاول (وهذا كله) أي ما جوز عليه وعلى سائر الانبياء من جواز ان يطرأ عليهم كغيرهم العوارض البشرية من الآلام وغيرها (ليس بنقيصة فيه) لانه أمور طبيعية غير كسبية لا يعد مثله نقصا الا عند بعض العقول القاصرة كما قالوا مال هذا الرسول ياكل الطعام ويمشي في الاسواق (لان الشيء انما يسمى ناقصا بالاضافة) أي بالنسبة (الى ما هو أتم منه وأكمل من نوعه) كما يتفاوت بعض أفراد الناس ويفوق بعضهم بعضا بالفضائل والاخلاق الحميدة (وقد كتب الله) أي قضى وقدر في الازل قضاء مبرما (على أهل هذه الدار) يعني دار الدنيا انهم (فيها يحيون وفيها يموتون ومنها يخرجون) الى البرزخ ثم الى منازلهم في الآخرة وهذا وقع في القرآن خطابا لآدم وحواء والمراد هما ولهم ولغيرهم ومنه اقتبس المصنف (وخلق جميع البشر بمدرجة الغير) مدرجة بفتح الميم اسم مكان بمعنى الطريق قال الراغب يقال لقارعة الطريق مدرجة وفلان يتدرج أي يتصعد درجة درجة ودرج مشى فهي محال المشي والغير بكسر الغين المعجمة وفتح المثناة التحتية وراء مهملة يقال غير الدهر حوادثه المتغيرة من حال الى حال وهو مفرد بزنة عنب أو جمع غيرة وهي الامر المتعسر والباء بمدرجة بمعنى في أو للملابسة وهذه فقرة بليغة لانه جعل دارهم الدنيا على طريق يمر عليها حوادث الدهر والمراد انهم مستعدون لها لا محالة وفيه اشارة الى ان الدنيا دار ممر لا مقر وفيه استعارة مكنية شبه حوادث الدهر بقوم سالكون في طريق هؤلاء ساكنون فهو في غاية الحسن (فقد مرض صلى الله عليه وسلم) وهذا يحتمل انه اشارة الى ما كان يطرأ عليه من الامراض مطلقا كما رواه البخاري أنه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يتوعك وعكا شديدا وذلك ليزداد أجره ويحتمل انه اشارة الى ما وقع له صلى الله تعالى عليه وسلم في مرض موته والكلام عليه مفصل في كتب الحديث والسير فلا حاجة للتطويل بذكره كما فعله بعضهم هنا وقوله (واشتكى) بمعنى مرض أيضا قيل وانما ذكره اشارة الى انه ورد في الحديث تارة التعبير عنه بانه مرض وتارة بانه اشتكى وليس المراد به معناه المشهور لما يؤثر من صبره صلى الله تعالى عليه وسلم والرضى بما يفعله الله به وروى ان جبريل كان يرقيه صلى الله تعالى عليه وسلم في مرضه فيقول بسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك من شر كل نفس أو عين

والرسل) الكرام (من البشر وان جسمه) أي جسده (وظاهره) أي بدنه (خالص للبشر) أي لعوارضه كغيره (يجوز عليه من الآفات) أي العاهات (والتغيرات) من قبض وبسط وفرح وغم وسائر الحالات (والآلام والاسقام وتجرع كأس الحمام) بكسر الحاء الموت وكل منها لا يخلو عن كلفة والتجرع شرب بمهلة وقيل ابتلاعه بعجلة أو القضاء والقدر والكأس مهموز وقد تبدل (ما يجوز) أي كل ما يجوز وقوعه من الآفات والحالات (على البشر) أي جنس بني آدم (وهذا كله) ويروى وذلك كله (ليس بنقيصة فيه) ولا في غيره من الانبياء (لان الشيء انما يسمى ناقصا بالاضافة الى ما هو أتم منه) أي من جنسه ويروى الى غيره مما هو أتم (وأكمل من نوعه) كافراد الانسان في تفاوت مراتب الاحسان (وقد كتب الله) تعالى أي قدر وقضى (على أهل هذه الدار) أي دار الهموم والاكدار أو أثبت في كتابه (فيها تحيون) أي تعيشون (وفيها تموتون) أي وتقبرون (ومنها تخرجون) بصيغة المجهول في قراءة وبصيغة الفاعل في أخرى (وخلق جميع البشر بمدرجة الغير) بكسر الغين وفتح التحتية الاسم من قولك غيرت الشيء فتغير والمدرجة بفتح الميم وسكون الدال وبالراء والجيم أي في مسلك التغير من حوادث الدهر (فقد مرض عليه الصلاة والسلام واشتكى) الضر تكثيرا للأجر

وقد ورد أشد الناس بلاء الانبياء ثم الامثل فالامثل وفى الحديث قالوا له انك توعك وعكا شديدا قال أجل كما يوعك رجلان منكم (وأصابه الحر والقر) بضم أوله ويفتح البرد مطلقا وقيل برد الشتاء وحر الصيف اذ لم يخص بهما أحد دون أحد وقد يطلقان مجازا على المحنة والنعمة قال عمر لابن مسعود بلغنى انك تفتى ول حارها من تولى قارها كنى بالحر عن الشدة وبالبرد عن الهينة أى ول شرها من تولى خيرها (وأدركه الجوع والعطش) كغيره من البشر حتى ربط ببطنه الحجر (ولحقه الغضب) لله اذا رأى خلاف ما يرضاه (والضجر) بفتحتين أى القلق والملال (وناله الاعياء) أى العجز والكلال (والتعب) أى المشقة والنصب (ومسه الضعف) أى ضعف البدن (والكبر) أى أثره بانواع الغير (وسقط) أى من دابة وفى رواية عن فرس كما رواه الشيخان (فجحش) بضم الجيم وكسر الحاء المهملة فشين معجمة أى خدش (شقه) وقشر جلد بعض أعضائه وفى رواية جانبه الايمن وفى رواية شقه الايسر وفى رواية ساقه أو كتفه فلم يخرج أياما (وشجه الكفار) فى وجهه فادموه والشج فى الاصل ضرب الرأس وكسره وشقه ثم استعمل فى غيره من الاعضاء والمعنى جرح وجهه الكريم ابن قمئة اللئيم يوم أحد (وكسر وار باعيته) بتخفيف التحتية على زنة الثمانية وهى التى بين الثنية والناب وكانت السفلى اليمنى على ماذكره الحلبى وأما قول الدلجى أى احدى ثنايا اسنانه فغير صحيح (وسقى) بصيغة المجهول (السم) بتثليث السين والفتح أفصح ثم الضم وقد تقدم ان زينب بنت الحارث

أخت

حاسد الله يشفيك (وأصابه الحر والقر) والحر بفتح الحاء المهملة وتشديد الراء المهملة وهو شدة سخونة الهواء فى الصيف وضده القر بضم القاف وتشديد الراء وهو شدة البرد ويجوز فتح قافه للازدواج (وأدركه الجوع والعطش) وهو من الله تعالى ليزداد أجره بصبره ومجاهدته تعليم الامة ولو أراد خلافه ملأ الله له الدنيا رزقا ونعما وفى ذلك أيضا رياضة يتصفى بها الذهن وتخف الروح لكنه يظهره فى صورة العجز تادبا مع الله تعالى ومخالفة لاهل الملل فى ذلك لانه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لا رهبانية فى الدين وهذا فى بعض الاحيان وان كان يواصل الصوم ويقول انى لست كاحد كم انى أبيت عند ربى يطعمنى ويسقينى فان لكل مقام حال يخصه وقد حققه المحدثون وابن سيناء فى مقامات العارفين فى آخر الاشارات (ولحقه) فعل ماض بلام وحاء مهملة وقاف (الغضب) وهو ثوران النفس لارادة الانتقام وكان غضبه صلى الله تعالى عليه وسلم لله اذا وقع من غيره مالا يرضاه (والضجر) بضاد معجمة وجيم وراء مهملة بمعنى القلق وقيل انه الملل والسآمة من الحاح بعض الناس من الاعراب والمؤلفة قلوبهم وهذا كله ورد فى الاحاديث الصحيحة (وناله) أى حصل صلى الله تعالى عليه وسلم (الاعياء والتعب) وهو عطف تفسير للاعياء فانهما بمعنى واحد فكان يعرض له هذا كله كما يعرض لغيره من البشر (ومسه الضعف) فى بدنه فى آخر عمره (والكبر) المراد به هرم الشيخوخة وهذه كلها أمور جبلية تحدث لنوع الانسان لا يسلم منها أحد لا نبى ولا غيره ولا يعد ذلك نقصا فكان صلى الله تعالى عليه وسلم يصلى قاعدا فى تهجده كما رواه مسلم ولو قصد السجع لجعلها فقرات رائية قدم الضعف والكبر (وسقط) أى وقع صلى الله تعالى عليه وسلم من فوق فرسه (فجحش) بضم الجيم وكسر الحاء المهملة وشين معجمة مبنى لما لم يسم فاعله أى خدش والخدش والجحش جرح فى الجلد وقال الخليل هو كالخدش أو أكثر (شقه) بكسر الشين المعجمة وتشديد القاف أى جانبه الايمن وهو فى حديث من أحاديث الصحيحين وكان ذلك فى ذى الحجة سنة خمس وفى البخارى عن أنس رضى الله تعالى عنه أنه صلى الله تعالى عليه وسلم سقط عن فرسه فجحشت ساقه أو كتفه (وشجه الكفار) فى وجهه فادموه والشج فى الاصل ان يضرب الرأس فيشق ثم استعمل فى غيره من الاعضاء والذى شجه ابن قمئة فاسند ماوقع من البعض للكل كقولهم بنو فلان قتلوا قتيلا كما تقدم (وكسروا رباعيته) بتخفيف الياء بزنة ثمانية وهى السن التى بين الثنية والناب وتجمع على رباعيات وفى التعبير بالكسر اشارة الى انها ذهبت منها فلقة ولم تسقط من أصلها وكان هذا فى وقعة أحد فشج وجهه الشريف وكسرت رباعيته السفلى وجحشت ركبته وسال الدم على وجهه وهشمت الخوذة التى على رأسه الشريف كما فصل فى السير وهو لا ينافى كون الله عصمه من الناس ان قلنا ان آية العصمة نزلت قبل والا فالعصمة انما هى عن القتل كما مر وقد فصله الامام الخيضرى فى خصائصه (وسقى) بالبناء للمجهول (السم) بسين مثلثة وذلك أنه صلى الله تعالى عليه وسلم بعد فتح خيبر أهدت له زينب بنت الحارث اليهودية شاة مشوية وكانت سالت أى أعضاء الشاة أحب اليه فقالوا الذراع فاكثرت من السم فيه وقدمت اليه فلما مضغه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يسغه وأكل منه بشر بن البراء فمات بعد ذلك وقال صلى الله تعالى عليه وسلم لاصحابه امسكوا فانها مسمومة وقال لها ما حملك على هذا قالت ان كنت نبيا سلمت منه فاعلم بك والا أراح الله الناس منك فاحتجم صلى الله تعالى عليه وسلم على كاهله كما يأتى وروى أنه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يعاقبها وفى رواية انه قتلها قال الواقدى رحمه الله تعالى وهو أنسب وجمع بينهما بانه تركها أولا ثم لما مات بشر بن البراء قتلها وقيل انها

اليهودية سمته في عضد الشاة بخيبر وسبق ما فعل بها وأخبرته العضد بأنها مسمومة (وسحر) وقد تقدم ان لبيد بن أعصم سحره أو بناته (وتداوى) لبعض أوجاعه تشريعا للاتباعه (واحتجم) كما رواه الشيخان وغيرهما من طرق (وتنشر) بتشديد الشين المعجمة وهو من النشر مثل التعويذ والرقية وفي الصحيح من حديث عائشة هلا تنشرت قال أما الله فقد عافاني قال الحلبي والظاهر ان مرادها بالنشرة المعروفة عندهم وهي اغتسال مخصوصة وليس المراد الرقية بالقرآن أو بغيره من الاذكار وذكر الدلجي ان النشرة هي الرقية من سحر ونحوه وقد ورد انه صلى الله تعالى عليه وسلم اشتكى فرقاه جبريل بسم الله أرقيك من كل داء يؤذيك الله يشفيك وقالت عائشة ألا تنشر فقال أما الله فقد شفاني (وتعوذ) كما رواه الترمذي والنسائي عن أبي سعيد بلفظ كان يتعوذ من أعين الجان وأعين الانس فلما نزل المعوذتان أخذ بهما وترك ما سواهما وروى الشيخان عن عائشة رضي الله تعالى عنها انه عليه الصلاة والسلام كان اذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات وذكر التلمساني ان النشرة هي علاج ورقية من مرض أو جنون واختلف في النشرة فقيل يجوز وقيل لا وقال الخطابي ما يؤخذ على كتبها جائز حلال اذا كان باسم الله تعالى وبما يفهم من الكلام واما بغير ذلك فحرام (ثم قضى نحبه) أي نذره أو سيره أو أجله والتحقيق انه كناية عن الموت اذ أصله النذر وكل حي لابد أن يموت فكأنه نذر لازم له فاذا مات فقد قضاه (فتوفي صلى الله تعالى عليه وسلم) بصيغة المفعول أي توفاه

الله تعالى (ولحق بالرفيق الاعلى) كما تمناه من المولى على ما رواه البخاري وغيره عن عائشة اللهم الرفيق الاعلى وفي رواية الحقني بالرفيق الاعلى أي من النبيين والملائكة وقيل هو مرتفق الجنة وقيل الرفيق اسم لكل سماء وأراد الاعلى لان الجنة فوق ذلك وقيل المراد أعلى الجنة وقيل هو الله تعالى وقيل لا يصح انه اسم الله ويرد بانه يقال الله رفيق بعباده وقيل معناه رفق الرفيق وقيل لا يعرف أهل اللغة الرفيق ولعله تصحيف الرفيع وما قدمناه هو الصحيح لقوله تعالى ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا وهو يقع على الواحد والجمع وقيل الرفيق الاعلى جماعة الانبياء الذين يسكنون أعلى عليين (وتخلص من دار الامتحان والبلوى) أي المحنة والبلية (وهذه سمات البشر) بكسر السين

أخت مرحب اليهودي ولذا ترك قتلها أول الامر وتفصيله في السير (وسحر) بالبناء للمجهول والساحر له لبيد بن الاعصم كما ترك ذكره لشهرته أو لخسته أو لعدم تعلق الغرض به وهو يهودي من بني زريق وقيل انه منافق أسلم ظاهرا وارتضاه ابن الجوزي وكان ذلك في مرجعه من الحديبية في ذي الحجة ودخل المحرم سنة سبع وقيل انه كان حليفا في بني زريق يحسن السحر فجعل له اليهود جعلا على ان يسحره صلى الله تعالى عليه وسلم فأثر فيه سحره أربعين ليلة وقيل ستة أشهر وقيل انه مكث سنة ويأتي في رواية يحيى بن يعمر ما يؤيد هذا الاخير وان السهيلي قال انه المعتمد (وتداوى) صلى الله تعالى عليه وسلم كما يتداوى غيره فهو من جملة ما يلحقه من العوارض البشرية فتداوى من لدغة عقرب بماء وملح لما لدغته في أصبعه وهو يصلي كما في مسند ابن أبي شيبة عن ابن مسعود فأتي بماء وملح وجعل فيه أصبعه الشريف (واحتجم) على كتفه لما مضغ من الشاة المسمومة كما تقدم وبالحجامة يخرج السم مع الدم أو يضعف الدم فلا يوصل السم على القلب الا انه لم يزل به صلى الله تعالى عليه وسلم أثره حتى مات لاجل ان يرزقه الله الشهادة وفضلها كما روي في كتب الحديث (وانتشر) انفعال من النشر بنون وشين معجمة وراء مهملة وفي نسخة تنشر والنشرة بمعنى الرقية والتعوذ والتحقيق ان النشرة بالضم أو الفتح ما يقرأ عليه أدعية وتعاويذ ثم يغسل بها من به مرض ونحوه وسميت نشرة لنشر الماء فيها (وتعوذ) بذال معجمة من العوذة وهي الرقية باعوذ بالله ونحوه ثم عمت ورقيته صلى الله تعالى عليه وسلم لنفسه ورقية جبريل له صلى الله تعالى عليه وسلم مروية من طرق كقوله أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة وغيره (ثم) بعد هذا كله (قضى نحبه) كغيره وقضاء النحب كناية عن الموت واصل معنى النحب النذر الواجب فيقال ذلك كأنه لتحتمه كان نذرا في ذمته يقضيه بموته لا يقال قضى أجله واستوفاه وقيل النحب الموت من النحيب وهو البكاء والتحقيق ما قدمناه (فتوفي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي توفاه الله (ولحق بالرفيق الاعلى) وهم الانبياء والملائكة عليهم الصلاة والسلام والرفيق بمعنى المرافق يقع على الواحد وغيره قال تعالى وحسن أولئك رفيقا وقيل الرفيق المراد به الله لرفقه لعباده أو لانه معهم أينما كانوا وعن عائشة رضي الله تعالى عنها انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال عند موته بل الرفيق الاعلى وذلك انه خير بين بقائه في الدنيا وبين ما عند الله فاختار ما عنده (وتخلص) بوفاته (من) الدنيا التي هي (دار المحن) وفي نسخة الامتحان (والبلوى) لما كان يقاسيه من أعداء الدين وتبليغ أمانة الله (وهذه) الامور المذكورة التي كانت تصيبه صلى الله تعالى عليه وسلم من (سمات البشر) أي من صفاتهم وعلاماتهم المختصة بهم من السمة وهي الوسم والعلامة

المهملة جمع سمة أي علامات كون البشر يبتلى بها (التي لا محيص عنها) بكسر الحاء المهملة أي لا معدل ولا محيد ولا مخلص (وأصاب غيره من الانبياء ما هو أعظم منها) أي بحسب الصورة فيها (فقتلوا) بالتشديد للتكثير (تقتيلا) وفي نسخة فقتلوا قتلا بغير حق كيحيى ابن زكريا بجز عنقه وفي حاشية التلمساني وإنما أكد بالمصدر تحقيقا للوقوع وقال ابن سيدي الحسن وجدت بخط شيخنا الامام أبي عبد الله بن مرزوق قال وجدت في بعض كتب أهل التاريخ عن أبي هريرة قال اشتريت غلاما بربريا فرآه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال من هذا فقلت غلام بربري اشتريته فقال بعه ولا تمسكه عندك فان قومه قتلوا أربعين نبيا فأكلوا لحومهم ورموا عظامهم على المزابل فسلط الله عليهم ريحا بددتهم وألقتهم بالمغرب قال الشيخ ولا يخفى ما في أحاديث المؤرخين من الضعف

(ورموا في النار) كابراهيم عليه الصلاة والسلام فكانت عليه بردا وسلاما وقد أحرق جرجيس وطبخ ثم قام سالما (ونشروا بالمناشير) وفي نسخة واشروا بالمآشير جمع مئشار بهمز لغة في المنشار بنون وفيه لغة أخرى وهي المواشير بالواو وقيل المياشير بالياء من وشر والمعنى واحد أي شقق وقطع بالمنشار ونحت به كزكريا عليه الصلاة والسلام نشر بالمنشار جزلتين أي قطعتين (ومنهم من وقاه الله ذلك) أي حفظه هنالك من الآفات والبليات (في بعض الاوقات ومنهم من عصمه) أي الله كما في نسخة أي حفظه ووقاه من القتل كعيسى عليه السلام اذ تمالأت اليهود على قتله فأخبره الله بانه يرفعه اليه ويطهره من صحبتهم ويقربه لديه فقال لبعض أصحابه أيكم يرضى وأنا ان يلقى عليه شبهي فيقتل ويصلب ويدخل الجنة فقال رجل منهم أنا فالقي عليه شبهه فقتل وصلب وعصم عيسى برفع الله اياه (كما عصم بعض الانبياء من الناس) أي من شرهم جميعا وفي أصل الدلجي كما عصم بعد مبنيا على الضم أي بعد عيسى نبينا من الناس لقوله تعالى والله يعصمك من الناس أي من قتلهم اياك وقيل نزلت هذه الآية بعدما وقعت له الجراحة ففي الجملة حصلت له الرعاية والكفاية والصيانة والحماية (فلئن لم يكف نبيا) أي محمدا كما في نسخة (ربه) بالرفع على انه فاعل أي فلئن لم يمنع عنه (يد ابن قمئة) فعلة بكسر القاف وسكون الميم فهمزة وقيل بفتح أوله وكسر ثانيه وزيادة ياء فيه على وزن سفينة وهو الاكثر وهو من قمأ صغر وذل وهو عبد الله بن قمئة الذي جرح وجنة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فدخلت حلقتان من حلق المغفر في وجنته

(التي لا محيص عنها) أي لا يتخلص منها أحد من الخلق نبيا كان أو غيره قال الراغب يقال من محيص وما لنا من محيص من حيص بيص أو من حاص بمعنى حاد عما فيه شدة فهو مكروه (وأصاب غيره من الانبياء عليهم الصلاة والسلام ما هو أعظم منها) أي من الامور التي أصابت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (فقتلوا قتيلا) بغير حق كما وقع ليحيى بن زكريا والقتل وقع لبعض الانبياء كما قال تعالى يقتلون النبيين بغير حق ولبعض رسل الله الا ان الله تعالى عصمهم من القتل حين الدعوى وفي مقاتلة الكفار المأمورين بها كما ذكره علماء التفسير والاخبار والقتل يحيى وانتقام الله ممن قتله بان سلط عليهم بختنصر فقتل منهم سبعين ألفا كما فصله المؤرخون وفي نسخة قتلوا قتيلا والمصدر محقق لتأكيد القتل (ورموا في النار) كابراهيم الخليل صلى الله تعالى عليه وسلم رماه فيها نمرود بمنجنيق من بناء عال فصارت النار عليه بردا وسلاما وكذا جرجيس كما في قصص الانبياء للثعالبي (ونشروا بالمناشير) جمع منشار ويقال ميشار بياء بدل النون ويهمز وهي آلة من حديد معروفة يشق به الخشب وهو مشتق من النشر لتفريقه المنشور قطعا وفي المنشار لغات نشره ووشره وفي جمعه مناشير ومواشير فيصح ضبط ما هنا بالياء وقول ابن قتيبة ان مياشير عامية كما نقل عنه لا أدري ما وجهه والذي نشر هو زكريا عليه الصلاة والسلام لما قتل الملك يحيى فوقع به ما وقع من قتل بنيه اذ سلط الله تعالى عليه عدوا فهرب زكريا من الملك فارسل خلفه من يطلبه وادركه الطلب فانشقت له شجرة فدخل فيها فامسك الشيطان هدب ازاره خارجا من الشجرة فدلهم الشيطان عليه فنشروا الشجرة وزكريا وقيل سببه انهم اتهموه بمريم (ومنهم) أي الانبياء عليهم الصلاة والسلام (من وقاه الله) أي صانه (ذلك) أي القتل والحرق والنشر ووقى بمعنى حفظ وستر يتعدى لمفعولين وفي الحديث يتقي بالصدقة وجهه النار (في بعض الاوقات) كما وقع في يوسف عليه الصلاة والسلام من احراق النار (ومنهم من عصمه) وحفظ من القتل وان وقع له بعض ما يؤذيه (كما عصم بعد) مبني على الضم أي بعدما سلط عليه الاعداء (نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم من الناس) كما قال تعالى والله يعصمك من الناس كما تقدم (فلئن لم يكف) من كفه يكف بالتشديد ويجوز تخفيفه بجزمه بحذف آخره كيرمي وهو الظاهر على النسخة الاولى (نبينا) صلى الله تعالى عليه وسلم وهو مفعول مقدم و(ربه) فاعل مؤخر وفي نسخة عن نبينا (يد ابن قمئة) مفعول ثان وقمئة بالهمز بزنة فعلة من قمي بمعنى صغر وذل وهو عبد الله ابن قمئة الذي جرح وجهه الشريف صلى الله تعالى عليه وسلم لما رماه وقال له خذها

(يوم أحد) وكسر رباعيته وهو الذى قتله مصعب بن عمير كما حكاه الطبرى وقد نطحه تيس فتردى من شاهق جبل كافرا وضبطه الدلجى بكسر أوله وثانيه مشددا بعده همزة (ولاحجبه) أى ولئن لم يحجبه ولم يستره (عن عيون عداه) بكسر أوله ويضم اسم جنس للعدو أى عن أعين اعدائه (عند دعوته أهل الطائف) ويروى عن عيون عداه أهل الطائف عند دعوته ففى الصحيحين من حديث عائشة رضى الله تعالى عنها انها قالت للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم هل أتى عليك يوم أشد من يوم أحد قال لقيت من قومك وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة اذ عرضت نفسى على عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبنى الى ما اردت وانا مهموم على وجهى فلم استفق الا وانا بقرن الثعالب الحديث وكان عبد ياليل من أكابر أهل الطائف وروى انه عليه الصلاة والسلام لما انتهى الى الطائف حين التمس من ثقيف النصرة فلم يفعلوا واغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به ويرمون رجليه بالحجارة فدميتا وطفق يقيهما بثيابه حتى اجتمع عليه الناس وألجؤه الى حائط لابنى ربيعة وهما فيه ورجع عنه من سفهاء ثقيف من كان يتبعه فعمد الى ظل حبلة من عنب فجلس فيه وابنا ربيعة ينظران اليه ويريان مالقى من سفهاء أهل الطائف فتحركت له رحمهما فبعثا له قطف عنب الحديث وروى الطبرانى فى كتاب الدعاء عن عبدالله بن جعفر قال لما توفى أبو طالب خرج النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الى الطائف فدعاهم الى الاسلام فلم يجيبوه فاتى ظل شجره فصلى ركعتين ثم قال اللهم اليك أشكو ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس يا ارحم الراحمين أنت ارحم الراحمين انت رب المستضعفين الى من تكلنى الى عدو بعيد يتجهمنى أى يلقانى بوجه كريه أم الى صديق قريب كلفته أمرى ان لم تكن غضبان على فلا ابالى غير ان عافيتك أوسع لى أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة ان ينزل بى غضبك أو يحل بى سخطك لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة الا بك (فلقد أخذ) أى الله سبحانه وتعالى (على عيون قريش) باخفائه عنها حين أرادوا قتله فخرج عليهم وقرأ وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون ونثر على رأس كل واحد منهم ترابا وذلك (عند خروجه) ويروى فى يوم خروجه (الى ثور) أى الى غار فى جبل ثور عن يمين مكة وهو المراد بقوله تعالى ثانى اثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا ووقع فى أصل التلمسانى جبل أبى ثور ثم قال وروى الى أبى ثور وصوابه الى جبل ثور أو الى يوم ثور ولفظ أبى وهم اذ لا يعرف جبل أبى ثور (وأمسك) أى الله تعالى (عنه) أى عن نبيه (سيف ابن غورث) بالغين المعجمة وهو ابن الحارث الغطفانى وقد تقدم انه أسلم وصحبه صلى الله تعالى عليه وسلم والذى فى البخارى انه عليه الصلاة والسلام نزل بمكان كثير العضاة فعلق سيفه بشجرة ونام فى ظلها فجاء غورث فاخترطه وقال للنبى عليه الصلاة والسلام من يمنعك منى فقال الله فسقط السيف من يده الحديث

وانا ابن قمئة فقال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أقمأك الله أى اذلك فرماه الله من شاهق جبل معروف لما انصرف فتقطع قطعا وقصته فى السير (يوم أحد) اليوم بمعناه الحقيقى أو المراد به غزوتها كقولهم أيام العرب لوقائعهم وهو بهذا المعنى مشهور ومنه وذكرهم بايام الله (ولاحجبه عن عيون عداه) بكسر العين مقصور جمع عدو وفيه كلام فى كتب اللغة والنحو (عند دعوته) للاسلام (أهل الطائف) هى بلاد ثقيف بقرب مكة سميت بها لانها طافت على الماء فى الطوفان أو لان جبريل عليه الصلاة والسلام اقتطعها من الشام وطاف بها البيت وقيل لانه بنى عليها طوف أى حائط وهذا كان سنة عشر من النبوة بعد موت أبى طالب وقد نالت منه صلى الله تعالى عليه وسلم قريش ما نالت فخرج الى الطائف وحده أو معه زيد بن حارثة يلتمس نصرة ثقيف له فقام على ناس من أشرافهم ودعاهم للاسلام فابوا واغروا به سفهاءهم فاطالوا عليه وحصبوه حتى أدموا ساقيه وهو ذاهب ثم كفهم الله تعالى عنه وحجبهم عنه فجلس عند حائط كرم وكان ما فصل فى السير من عرضه نفسه على قبائل العرب (فلقد أخذ) الله عز وجل أى غطى وحجب (على عيون قريش) يقال أخذ على عينه وعلى يده اذا كفه ومنعه فالعيون جمع عين بمعنى الباصرة أو بمعنى الرائية والجاسوس وكان ذلك (عند خروجه) من مكة (الى غار) بجبل (ثور) هذا هو الصحيح وفى نسخة أبى ثور وهى غلط لانه انما عرف بثور وهو جبل معروف على يمين مكة لما تشاور وافى أمره صلى الله تعالى عليه وسلم بدار الندوة ثم أجمعوا على قتله فامر عليا كرم الله وجهه بالنوم على فراشه فخرج صلى الله تعالى عليه وسلم عليهم وهم عند داره وقد أخذ الله تعالى على عيونهم ونثر على رؤسهم ترابا وسمى ثور النزول ثور بن عبد مناف عنده وثور اسم جبل أيضا بالمدينة كما فى القاموس وغيره وأهل المدينة يعرفه فلا عبرة بمن أنكره كابن عبد السلام (وأمسك الله عنه) صلى الله تعالى عليه وسلم (سيف غورث) بن الحارث الاعرابى كما فى البخارى وغورث بغين معجمة على الصحيح وقيل مهملة وواو وراء مهملة وثاء مثلثة وروى مصغرا وهو بزنة جعفر وهو

(وحجر أبي جهل) فرعون هذه الامة أي أمسكه عنه حين أراد أن يرميه به وكان حمل صخرة والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم ساجد ليطرحها عليه فلزقت بيده وتقدمت القصة (وفرس سراقة) بضم أوله باساخة رجليها بالارض فوقاه الله شره وقد أسلم كما أفاده حديث الهجرة (ولئن لم يقه) أي لم يحفظه ولم يمنعه (سحر ابن الاعصم) وفي نسخة من سحر ابن اعصم وهو لبيد اليهودي هلك على كفره وقد سحره في مشط ومشاطة وجف طلعة ذكر كما في رواية البخاري (فلقد وقاه ما هو أعظم) خطرا وأكثر ضررا من سحره (من سم اليهودية) بيان لما وقد سمته بشاة محنوذة بخيبر فأخبره كتفها به فأكل منها وبعض أصحابه فلم يضره فعفا عنها ومات به بشر بن البراء فقتلها به قصاصا كذا روي وفيه خلاف تقدم والله أعلم والحاصل انه سبحانه وتعالى ربى نبيه الذي عظم شأنه تارة بصفة الجلال وأخرى بنعت الجمال ليكون في مقام الكمال حيث مقتضيات اسماء الذات والصفات (وهكذا سائر انبيائه) منهم (مبتلى) كأيوب عليه الصلاة والسلام (و) منهم (معافى) من كثرة الاسقام وشدة الآلام وهم قليل من الانام (وذلك) أي ابتلاؤهم (من تمام حكمته ليظهر) من الاظهار أو الظهور (شرفهم) بصبرهم على البليات (في هذه المقامات) المتفاوتة فيها الحالات (ويبين) وفي نسخة ويتبين (أمرهم) أي رفعة قدرهم لغيرهم (ويتم) من الاتمام أو التمام (كلمته فيهم) باظهار محنته عليهم وآثار بليته لديهم (وليحقق) أي ليثبت لهم ولغيرهم (بامتحانهم) بانواع ابتلائهم (بشريتهم) أي عجز عنصريتهم (ويرفع الالتباس) وفي نسخة ويرتفع الالتباس بعدم معرفة انهما من عوارض اجسام البشر أي الاشتباه (عن

عند الخطيب بكاف بدل المثلثة وقيل اسمه دعثور بن الحارث والظاهر انه غيره في قصة أخرى وكان في بعض غزواته ادركتهم القائلة فنزلوا بواد كثير العضاه فانزل صلى الله تعالى عليه وسلم بظل شجرة علق بها سيفه وتفرقوا عنه ونام وافيعد حين دعاهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فأتوا فاذا اعرابي جالس عنده فقال ان هذا أتاني وانا نائم فاخترط سيفي فاستيقظت وهو في يده صلتا فقال من يمنعك مني قلت الله وها هو جالس ولم يعاقبه وهو من المشركين في الغزوة ذات الرقاع وهو من غطفان ومحارب وكان قال لقومه انا اقتل لكم محمدا وروي ان جبريل عليه الصلاة والسلام دفع صدره فسقط السيف من يده وأسلم هو وذهب لقومه فدعاهم للاسلام وفي هذه نزل قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم الى آخره كما تقدم ذلك كله (و) أمسك الله عنه صلى الله تعالى عليه وسلم (حجر أبي جهل) بن هشام لعنه الله تعالى اذ اراد ان يرميه صلى الله تعالى عليه وسلم به وكان قال لقريش لارضخنه غدا بحجر أحمله لا اكاد أطيق حمله فامنعوني من بني عبد مناف فارتقبه غداة يومه حتى أتى المسجد يصلي فاخذ الحجر ومضى له فلما أراد رميه صلى الله تعالى عليه وسلم يبست عليه يده ثم عاد متغير اللون فسألوا فقال عرض دونه فحل لم أر مثله عظما هم ان يأكلني فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ذاك جبريل لو دنى لاخذه (و) أمسك الله عنه صلى الله تعالى عليه وسلم (فرس سراقة) هو سراقة بن مالك بن جعشم الكناني كان جعل له قريش دية من أخذ من أبي بكر ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لما خرج مستخفيا للهجرة وهو من مدلج القافة وقصته في ذهابه خلفهما فلما أدركهما ساخت قوائم فرسه في الارض وكادت تبتلعه فطلب الامان فامنه ونجا وعاد الى آخر القصة المشهورة وهو شاعر جيد أسلم وحسن اسلامه ومات سنة أربع وعشرين في خلافة عثمان رضي الله تعالى عنه * قلت ولما كف يده عنه ما شرفه الله تعالى بالاسلام والبسه سواري كسرى كما مر بيانه (ولئن لم يقه من سحر ابن الاعصم) لبيد اليهودي كما تقدم (فلقد وقاه ما هو أعظم) خطرا من سحره (من سم اليهودية) في قصتها التي تقدمت قريبا وسيأتي الكلام على سحره وهذا جواب عن سؤال تقديره انك قررت ان الله تعالى ميزه عن سائر الانبياء بوقايته وجعله في حصن صيانته فلم يعصمه من ابن الاعصم فاجاب بانه ابتلاه به تكثيرا لثوابه ونعمه ما صرف عنه من مصابه وقد وقاه بما هو أعظم منه وهو السم القاتل فلا وجه لما قيل من انه لا فائدة فيه وسيأتي بيان فائدته مع انه توطئة لقوله (وهكذا سائر انبيائه) أي عادة الله مع سائر أنبيائه أي بقية انبياء الله تعالى منهم (مبتلى) بالمصائب تكثير الاجورهم (و) منهم (معافى) تكريما لهم وحفظا (وذلك) أي ابتلاؤهم أو كون أحوالهم مختلفة (من تمام حكمته) الجارية في مخلوقاته (ليظهر) بابتلائهم مع صبرهم ورضاهم في السراء والضراء (شرفهم في هذه المقامات) أي أحوالهم المتفاوتة (ويتبين أمرهم) بصبرهم على ما لا يطيقه غيرهم (وتتم كلمته فيهم) يعني أمره لهم بالصبر على الاذى حتى تكون لهم العاقبة الحسنى (وليحقق بامتحانهم) بما ابتلاهم به (بشريتهم) أي انهم من جنس البشر الذين في دار المصائب (ويرتفع) وفي نسخة يرفع أي يزيل (الالتباس) في أمور الدنيا

(عن أهل الضعف) بالضم والفتح في مقام اليقين من الناس ازالة لما يتوهمونه (فيهم) من انهم لا يصيبهم محنة وبلاء ولا يغشاهم شدة وعناء استعظاما لمرتبتهم واستبعادا لمحنتهم (لئلا يضلوا بما يظهر من العجائب) أي من الخوارق للعادات من الغرائب (على أيديهم) كبرد النار لابراهيم الخليل وقلب العصا حية لموسى الكليم وخلق الطير من الطين واحياء الموتى لعيسى وانشقاق القمر لنبينا الاكبر (ضلال النصارى) كضلالتهم (بعيسى) أي ابن مريم كما في نسخة اذ بالغوا في تعظيمه حتى قالوا ان فيه لاهوتية وناسوتية (وليكون في محنتهم) وفي نسخة ومحنهم أي محن الله اياهم (تسلية لامهم) لمشاركتهم بهم اذا اصابهم شيء من

(عن أهل الضعف) أي من ضعف عقله من العوام (فيهم) أي في أنبياء الله تعالى لتوهمهم لضعف عقولهم انهم ليسوا كغيرهم ممن يغشاه البلاء وتعرض له الموت والفناء ولذا ارتد بعض جهلة الاعراب لما توفي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فابتلاهم ليعرف الناس انهم كغيرهم في العوارض البشرية (لئلا يضلوا) بفساد اعتقادهم فيهم (بما يظهر من العجائب) أي خوارق العادات وبدائع المعجزات التي تظهر (على أيديهم) وتصدر منهم بامر الله تعالى تأييدا كانشقاق القمر واحياء الموتى ونحوه فيقولون من يقدر على هذا كيف يمرض أو يسحر ويعرض له ما يعرض لضعفاء الخلق (ضلال) أي ضلالا كضلال (النصارى بعيسى) ابن مريم عليه الصلاة والسلام لما رأوا معجزته جعلوه الها وقالوا ما قالوا لجهلهم وعدم دقة نظرهم والنصارى على فرق يطول الكلام في بيان اعتقاداتهم الباطلة وتزييف ما قالوه وقد ألف في ذلك عدة كتب أجلها كتاب ابن تيمية والقرطبي ومقامنا يضيق عن الكلام عليها اذ المراد شرح ما قاله المصنف رحمه الله تعالى حتى يسهل فهمه على المبتدئين (وليكون في محنتهم) عما ابتلاهم به الله تعالى (تسلية لامهم) فيقتدوا بهم اذا نزلت بهم المصائب ويصبروا كما صبروا (ووفور أجورهم) الوفور الكثرة والزيادة (عند ربهم) اذا رجعوا اليه وجازاهم بما صبروا عليه ليعترفوا بنعمة السلامة والعافية (تماما) أي يتم ذلك بانعامه (على الذي أحسن اليهم) أولا بنعمة الوجود والصحة وغيرهما من النعم الدنيوية فيزيدها بأعظم منها من النعم الاخروية التي لا يعادلها شيء مجازاة لصبرهم وشكرهم (قال بعض المحققين وهذه الطوارئ) جمع طارئ بالهمزة وتبدل ياء وهي ما يطرأ أي يحدث ويتجدد (والتغيرات) أي تغير أحوالهم من صحة لسقم وسعة لضيق ونحوه (المذكورة انما تختص باجسامهم البشرية) دون أرواحهم ونفوسهم القدسية (المقصود بها) والفائدة في ايجادها لهم في أجسادهم (مقاومة البشر) أي ان يكونوا بطباعهم مساوون لامهم فيها حتى يقدروا على القيام باموره (ومعاناة بني آدم) بمباشرتهم ومخالطتهم (لمشاكلة الجنس) أي لمشابهتهم لهم في الخلق والخلق ولذا كانت الرسل من البشر دون الملائكة ولو جعل خلقهم ملكيا لطيفا واشيا مما ذكر كما ترى بعض الناس لا يقدر على عشرة العوام وينفر منهم لمنافرة الطباع (وأما بواطنهم) أي أمورهم التي لا تحس من عقولهم وقواهم الرسالة الروحانية وقلوبهم وحواسهم الباطنة وهو جمع باطن خلاف الظاهر (فمنزهة) أي سالمة مبرأة (عن ذلك غالبا) وقد يعرض لها شيء منه معفو عنه لكنها في غالب أحوالها (معصومة منه) مطهرة مما يشينها كتغير العقل وقد يعرض له أحيانا ما لا يضره كالاغماء الذي وقع له صلى الله تعالى عليه وسلم في مرض موته فبواطنهم (متعلقة بالملأ الاعلى) وفي نسخة بالرفيق الاعلى وقد تقدم ان الرفيق بمعنى فاعل يستوي فيه الواحد وغيره وهم أرواح الانبياء الساكنين في

الآفات والبلايا ونالهم بعض المصيبات والرزايا (ووفور) أي وسبب كثرة (لاجورهم) ويروى في أجورهم (عند ربهم تماما) للكرامة الحاصلة لديهم (على الذي أحسن اليهم قال بعض المحققين وهذه الطوارئ) بالهمز وقد لا يهمز أي العوارض من الآفات (والتغيرات المذكورة) من الحالات المسطورة (انما تختص باجسامهم البشرية المقصود بها) أي التي قصد باجسامهم (مقاومة البشر) أي مداخلتهم (ومعاناة بني آدم) أي مقاساتهم في مخالطتهم (لمشاكلة الجنس) أي لمشابهتهم (وأما بواطنهم فمنزهة غالبا عن ذلك) أي عما ذكر (معصومة منه) أي مبرأة ومبعدة عنه عما لا يجوز طروه عليهم كالجنون ولو منقطعا وقيد الغالبية مشعر بجواز وقوع ما لا يشين عليهم كالاغماء لحظة أو لحظتين كما في حديث البخاري انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال في مرضه الذي توفي فيه هريقوا علي من سبع قرب لم تحلل أوكيتهن فوضع في مخضب وصب عليه منها ثم ذهب ليتوضأ فاغمي عليه وبهذا اندفع ما قال الحلبي من ان المصنف لو حذف لفظة غالبا لكان أحسن اذ حذفها واجب (متعلقة بالملأ الاعلى) من أرواح الانبياء والملائكة المقربين وقيل نوع من الملائكة أعظمهم عند الله رتبة وأعلاهم درجة

(والملائكة) أجمعين (لاخذها) أى لاستفاضة بواطنهم اخبار السماء وغيرها (عنهم وتلقيها الوحى منهم قال) أى بعض المحققين (وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم ان عينى تنامان ولا ينام قلبى) أى غالبا لما سبق فى نوم الوادى وقال انى لست كهيئتكم) أى كصفتكم من جميع الوجوه (انى أبيت يطعمنى ربى ويسقينى) بفتح أوله وضمه يقال سقاه وأسقاه قال تعالى وسقاهم ربهم شرابا طهورا وقال تعالى وأسقيناكم ماء فراتا ولما كان الطعام قوت الابدان والاشباح والمعارف قوت الجنان والارواح جعلت كأنها مطعومة لانه يتقوى بها قلب الانام كما تتقوى الاجساد بانواع الطعام ولما كان الماء يشفى ظما العليل والمعرفة تطفى ظمأ الغليل جعلت كأنها مشروبة لانها تذهب ظما الجهل كما يذهب الماء ظمأ العطش وهذا بناء على ان معناه مجاز للعارف فى حق العارف وقيل هو حقيقة وانه ياكل ويشرب من طعام الجنة وشرابها وقيل المراد منهما النشاط والقوة فى الطاعة والعبادة (وقال) أى النبى عليه الصلاة والسلام (لست أنسى) كسائر الامم (ولكن أنسى ليستن بى) أى ليقتدى بفعلى فى الاحكام (فاخبر) عليه الصلاة والسلام (ان سره وباطنه وروحه بخلاف جسمه وظاهره وان الآفات التى تحل) بضم الحاء وكسرها أى تنزل (ظاهره) أى بظاهره عليه الصلاة والسلام فقط فى (من ضعف) أى ضعف بدن (وجوع وسهر ونوم لا يحل منها) أى من هذه المذكورات (شئ باطنه) أى بباطنه ولا يؤثر فى خاطره (بخلاف غيره من البشر فى حكم الباطن) مع مشاركتهم له فى حكم الظاهر (لان غيره اذا نام استغرق النوم جسمه وقلبه) أى غمرهما وغطاهما (وهو عليه الصلاة والسلام فى نومه) وان استغرق جميع أعضائه فهو (حاضر القلب)

عليين (والملائكة) فهو عطف تفسير على هذا (لاخذها) أى لاخذ البواطن وتلقيها وارجاع ضمير أخذها لاخبار السماء وغيرها بعيد (عنهم) أى الملائكة (وتلقيها الوحى) النازل عليهم لتبليغه ما أرسل به (منهم) أى من الملائكة وما قيل عليه من ان حذف قوله غالبا أحسن بل واجب لا وجه له لما بينا من بيان مراده به (قال) القائل بعض المحققين المحكى عنه ما ذكره الى هنا وهو دليل لما قاله (وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم) فى حديث تقدم بسنده (ان عينى) بتشديد الياء مثنى عين مضافة لياء المتكلم (تنامان) أى يعرض لهما النوم حتى لا يحسان احساسا ظاهرا متعارفا (ولا ينام قلبى) أى لا ينقطع شعوره وادراكه بالكلية وهذا باعتبار الغالب من احواله صلى الله تعالى عليه وسلم اذ قد ينام نوما ينقطع به شعور عينه وقلبه كما تقدم فى حديث الوادى الذى نام فيه حتى فاتته الصلاة وبهذا علمت ان قوله غالبا فى محله كما مر وفيه دليل على ان ظاهره كغيره (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم (انى لست كهيئتكم) أى ليس حالى كحالكم وتقدم المراد بالهيئة هنا (انى أبيت يطعمنى ربى ويسقينى) بضم ياء يطعم وفتح ياء يسقينى ويجوز ضمها يقال سقاه وأسقاه بمعنى وهو فى صومه صوم الوصال على حقيقته أو مؤول بما تقوى به روحه من المعارف الالهية التى تقوم مقام الطعام والشراب فى تقوية الروح التى يسرى للبدن وفيه كلام مشهور تقدم طرف منه (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث آخر (انى لست أنسى ولكن أنسى ليستن بى) تقدم فيه ما يغنى عن الاعادة (فاخبر) صلى الله تعالى عليه وسلم فى هذه الاحاديث (ان سره) أى ما خفى من أمره (وباطنه) عطف تفسير لسره (وروحه) التى بها الحياة وقيام البدن وهذا حقيقتها ولها معان أخر (بخلاف جسمه وظاهره) أى مخالفة لها فيما يعتريها من التغيرات والآلام كغيره من سائر البشر كما قرره فى أول هذا الفصل (وان الآفات) جمع آفة وتقدم بيانها (التى تحل ظاهره) أى ما يشاهد من جسده الشريف فقط وبينه بقوله (من ضعف) بانحطاط القوى لمرض أو كبر (وجوع) لفقد الغذاء وما به قوام البدن من بدل ما يتحلل منه (وسهر) بفقد النوم الذى به راحة البدن واستراحة الحواس (ونوم) يستريح به بدنه وقواه وقال المعرى

وفضيلة النوم الخروج باهله * عن عالم هو بالاذى مجبول

(لا يحل) بضم الحاء المهملة من الحلول (منها) أى من هذه المذكورات كلها من التغيرات (شئ باطنه) أى حواسه الباطنة (بخلاف غيره من البشر) فانه يعرض له تغيرات فى الظاهر والباطن مما يعد بعضه نقصا فيه (فى حكم الباطن) اشارة الى محل المخالفة لتساويهما فى الظاهر كما تقدم ثم وضحه بقوله (لان غيره) من البشر بل سائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام ولم يصرح به لعلمه مما قدمه (اذا نام استغرق النوم) بالرفع فاعل استغرق (جسمه وقلبه) مفعوله أى شغلهما وأثر فيهما تأثيرا تاما يعطل حواسه الظاهرة والباطنة بخلاف الانبياء عليهم الصلاة والسلام فانه يشغل ظاهرهم دون باطنهم فالاول كالميت كما قال ابن عربى رحمه الله تعالى

فيا نائم الليل هنئته * فقبل الممات سكنت القبورا

ولذا قيل النوم أخو الموت (وهو صلى الله تعالى عليه وسلم فى نومه حاضر القلب) لعدم استغراقه

كما هو في يقظته) حاضر مع الرب (حتى قد جاء في بعض الآثار أنه عليه الصلاة والسلام كان محروسا من الحدث في نومه لكون قلبه يقظان) بربه (كما ذكرناه) من قبله من ان عينيه كانتا تنامان ولا ينام قلبه ولعل المراد ببعض الآثار في كلام المصنف ما رواه سعيد بن منصور عن عكرمة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في حديث مبيته عند خالته ميمونة زوجته صلى الله تعالى عليه وسلم وصلاته بالليل معه عليه الصلاة والسلام وفيه ثم وضع رأسه حتى أغفى وسمعت نخيخته وأصله في البخاري ثم جاء بلال فاستيقظ فقام فصلى باصحابه زاد البخاري ولم يتوضأ أي بعد انتباهه من اغفائه أي نومه قال سعيد بن جبير فقلت لابن عباس ما أحسن هذه فقال انها ليست لك ولا لاصحابك أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان يحفظ من الحدث في نومه لكون قلبه يقظان (وكذلك) أي لا يشابهه (غيره) فان غيره (اذا جاع ضعف لذلك) الجوع (جسمه) وانحل جسده (وخارت) بالخاء المعجمة أي فترت (قوته) وذهبت همته (فبطلت بالكلية جملته) أي جميع محاسن حالاته (وهو صلى الله تعالى عليه وسلم قد أخبر) عن نفسه (انه لا يعتريه ذلك) أي لا يغشاه ضعف هنالك (وانه بخلافهم) فانه يلحقهم ويرهقهم (بقوله) أي في حديث البخاري في حال الوصال (اني لست كهيئتكم) أي في ضعف بنيتكم وفتور حالتكم (اني أبيت يطعمني ربي ويسقيني) على ما تقدم (قال القاضي رحمه الله تعالى) يعني المصنف (وكذلك) أي مثل مقول بعض المحققين من ان الطوارئ والتغيرات انما تختص باجسام الانبياء (أقول أنه عليه الصلاة والسلام في هذه الاحوال كالها من وصب) بفتحتين أي ألم وتعب (ومرض وسحر وغضب) للرب

في نومه وحضور القلب مجاز عن ادراكه وشعوره وغيره كأن قلبه فارقه أو أريد به لازمه فهو استعارة أو مجاز مرسل ومثله كثير في استعمالهم فحاله صلى الله تعالى عليه وسلم في نومه (كما هو في يقظته) بفتح القاف وقد تسكن في الشعر كما مر وهي ضد النوم أي حاضر الحواس والمشاعر فيهما كما ذكرناه سابقا وتقدم انه باعتبار غالب أحواله (حتى قد جاء) أي روى (في بعض الآثار) أي الاحاديث والاثر ورد بهذا المعنى وقد يخص بغيره من الاخبار (أنه) صلى الله تعالى عليه وسلم (كان محروسا) أي مصونا محفوظا وأصل الحرس ملازمة من يحفظه من الناس فتجوز به عما ذكر (من الحدث) هو ما ينقض الوضوء وطهارته كما هو معروف في الاستعمال (في) حالة (نومه) لانه انما يحدث لعدم الشعور به كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم العينان وكاء السه (لكون قلبه يقظان كما ذكرناه) والحدث انما يعرض لعدم شعور القلب والحواس الباطنة وقد ذهب الفقهاء الى أن نومه صلى الله تعالى عليه وسلم كان لا ينقض وضوءه وعدوه من خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم وأما نوم غيره فينقض وضوءه مالم يكن جالسا متمكنا بشرطه على الصحيح ومن قال خلافه فليس معتمدا عليه كما بينه الفقهاء في كتبهم وقد روى المحدثون باسانيد صحيحة كما تقدم أنه صلى الله تعالى عليه وسلم كان ينام حتى يسمع خطيطه ثم يقوم فيصلي عن غير تجديد وضوئه وما قيل من ان فيه بحثا لانه اذا كان حاضر القلب فهو يقظان وهو حينئذ ليس مظنة الحدث ونقض الوضوء حتى يجعل غاية لكونه محروسا وتستشهد له بالآثار ليس بشئ لانه اذا نامت حواسه الظاهرة يقتضي ذلك لان الاحكام منوطة بالظاهر دون الباطن (وكذلك) أي كما ان نوم غيره ليس كنومه لكونه غير محروس من الحدث (غيره) أي غير النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (اذا جاع) بترك غذائه أكثر من معتاده (ضعف لذلك) أي لجوعه تضعف بنيته و(جسمه وخارت قوته) بخاء معجمة وراء مهملة أي ارتخت وضعفت من الخور وهو اللين والضعف وقيل معنى خارت ذهبت أو انكسرت (فتعطلت بالكلية جملته) أي جميعه ظاهره وباطنه مخالفا للانبياء عليهم الصلاة والسلام الذين تتعطل ظواهرهم دون بواطنهم (وهو) صلى الله تعالى عليه وسلم (قد أخبر أنه لا يعتريه) أي يعرض له (ذلك) أي تعطل جملته لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم ولا ينام قلبي (وانه) أي حاله (بخلافهم) أي يخالف حال غيره من البشر (لقوله) صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث رواه البخاري في وصاله الصوم ونهى غيره عنه وقولهم له انك تواصل صومك فقال لهم (اني لست كهيئتكم اني أبيت يطعمني ربي ويسقيني) تقدم بيانه قال المصنف رحمه الله تعالى (وكذلك) أي كما قال بعض المحققين ان التغيرات الطارئة على البشر تختص بظواهر الانبياء دون بواطنهم (أقول أنه) صلى الله تعالى عليه وسلم (في هذه الاحوال) البشرية (كالها من وصب) بيان للاحوال والوصب الالم الدائم وقد جاء بمعنى التعب وهو أولى هنا لئلا يتكرر مع قوله (ومرض) وان صح جعله عطف تفسير أو مؤكدا (وضجر) هو قلق واضطراب من بعض الامور (وغضب) تقدم بيانه وأنه صلى الله تعالى عليه وسلم لا يغضب لنفسه

(لم يجر على باطنه ما يخل به) بفتح الياء وكسر الخاء المعجمة أى يضعف بباطنه مما كان يخل به ظاهره (ولا فاض) أى ولا سال ولا حدث وخرج (ومنه) أى مما كان يخل ظاهره (على لسانه وجوارحه مما لا يليق به) من هذيانات المرضى وخرافاتهم واختلاف حالاتهم (كما يعترى غيره من البشر) ممن نزل به شئ منها من شدة الالم وقوة الضرر (مما ناخذ بعد) أى نشرع بعد هذا (فى بيانه) أى فى بيان شانه وتبيين برهانه *(فصل)* (فان قلت فقد) ويروى قد (جاءت الاخبار الصحيحة) والآثار الصريحة (أنه عليه الصلاة والسلام سحر) أى أثر عليه السحر (كما حدثنا الشيخ أبو محمد العتابى) بفتح العين وتشديد المثناة فوق وبعد الالف موحدة فياء نسبة (بقراءتى عليه قال ثنا حاتم بن محمد) وهو الطرابلسى (ثنا أبو الحسن على بن خلف) وهو الحافظ القابسى المعافرى القروى (ثنا محمد بن أحمد) وهو أبو زيد المروزى (ثنا محمد بن يوسف) وهو الفربرى (ثنا البخارى) وهو الامام محمد بن اسمعيل صاحب الصحيح (ثنا عبيد بن اسمعيل) أى الهبارى يروى عن ابن عيينة وطبقته (قال ثنا أبو اسامة) هو الحافظ حماد الكوفى يروى عن الاعمش وغيره وعنه أحمد واسحق وابن معين وكان حجة عالما اخباريا عنده ستمائة حديث عن هشام بن عروة عاش ثمانين سنة وتوفى سنة احدى ومائتين أخرج له الائمة الستة (عن هشام ابن عروة عن أبيه) سبق الكلام عليها (عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت سحر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حتى انه ليخيل اليه انه فعل الشئ) وفى رواية الفعل أى من الجماع وغيره الحديث

(وما فعله) جملة حالية وهذا الحديث ساقه القاضى كما ترى من عند البخارى وقد أخرجه مسلم أيضا فهو حديث متفق عليه كما سياتى قريبا فى كلام المصنف (وفى رواية أخرى حتى كان يخيل اليه انه كان ياتى النساء وما ياتيهن) أى يظن انه واقعهن والحال انه لم يجامعهن (الحديث) قال الحكيم الترمذى ولما سحر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حتى عجز عن نسائه وأخذ بقلبه لبث فى ذلك ستة أشهر فيما روى فى الخبر ثم نزلت المعوذتان انتهى كذا فى تفسير البغوى وسياتى عن عائشة انه لبث سنة قال عبد الرزاق حبس عنها خاصة حتى أنكر بصره قال ابن الملقن فى شرح البخارى فى تفسير قل أعوذ برب الناس ورواية ثلاثة أيام أو أربعة أيام هو أصوب وسنة بعيد أقول ولعله عليه الصلاة والسلام كان سحره شديدا عليه فى تلك الايام ثم خف عنه الى نصف سنة ولم يتعاف منه الا بعد كمال سنة

بل لله اذا خولف أمره (لم يجر) بالجيم مضارع بمعنى وقع وحدث (على باطنه ما يخل) أى يوقع خللا وتشويشا (به) صلى الله تعالى عليه وسلم أو الضمير لباطنه أى لم يسر له من ظاهره ما يخل به (ولا فاض منه) بفاء وضاد معجمة أى ظهر من فاض الاناء بالماء اذا امتلأ منه حتى تدفق من جوانبه (على لسانه وجوارحه) أى أعضائه الظاهرة جمع جارحة بمعنى عضو كما يقع لبعض الناس فى ألمه وغضبه انه يتكلم ويتحرك بحركات مختلفة لانه لا يملك نفسه فى بعض أحواله (ما لا يليق به) أى لا يناسب علو مقامه كهذيان بعض المرضى وخرافاتهم وشتم من غضب عليه (كما يعترى) أى يعرض (لغيره من البشر) اذا ابتلى بشئ من ذلك (مما ناخذ) أى نشرع (بعد) بالبناء على الضم (فى بيانه) أى ما نحن فيه

(فصل فان قلت قد جاءت الاخبار) كما فى حديث رواه البخارى (أنه صلى الله تعالى عليه وسلم سحر) كما تقدم وهذا مما طعن به بعض الملاحدين فى عصمته صلى الله تعالى عليه وسلم من الناس (كما حدثنا) به (الشيخ أبو محمد الغسانى بقراءتى عليه) نسبة لغسان قبيلة باليمن وهو فى الاصل اسم ماء نزلوا عليه فسموا به قال (حدثنا حاتم بن محمد) بن عبد الرحمن بن حاتم كما تقدم قال (حدثنا أبو الحسن على ابن خلف) هو على بن محمد بن خلف الغافرى القروى وهو الحافظ القابسى كما تقدم قال (حدثنا محمد بن أحمد) هو أبو زيد المروزى كما تقدم قال (حدثنا محمد بن يوسف) هو الفربرى وقد تقدم قال (حدثنا البخارى) صاحب الصحيح المشهور وهو غنى عن البيان قال (حدثنا عبيد الله بن اسمعيل) الهبارى توفى سنة مائتين وخمسين قال (حدثنا أبو اسامة) حماد بن اسامة الكوفى توفى سنة احدى ومائتين وعمره ثمانون وأخرج له الستة وترجمته فى الميزان (عن هشام بن عروة عن أبيه) تقدم الكلام عليهما (عن عائشة) أم المؤمنين رضى الله تعالى عنها (قالت سحر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) بالبناء للمجهول وتقدم ان الذى سحره لبيد بن الاعصم وهو يهودى أو منافق كان حليفا لليهود وجمع بينهما بانه كان يخفى اليهودية ويظهر النفاق وكان فى سنة سبع واختلف فى مدة سحره فقيل أربعين يوما وقيل ستة أشهر وقيل سنة كما تقدم واعتمده السهيلى وجمع بينهما بان ذلك باعتبار ظهوره وشدة تاثيره (حتى أنه) صلى الله تعالى عليه وسلم (ليخيل اليه) أى يقع فى خياله توهم ما لا أصل له وليس بمعنى يظن لانه لا يتعدى بالى (انه فعل الشئ وما فعله) لما وقع به من ألم السحر (وفى رواية أخرى) لهذا الحديث (حتى كان يخيل له انه ياتى النساء وما ياتيهن) أى يتوهم انه جامعهن وهو لم يجامعهن وهو المراد بالشئ فى تلك الرواية لكنه لم يصرح به تادبا لا سيما ورواية عائشة فاستحيت من ذكره (الحديث) أى اقرأ

الحديث واذكره بتمامه وتمامه كما هو في الصحيحين عن عائشة كان صلى الله تعالى عليه وسلم ذات يوم أو ذات ليلة وهو عندي دعا ثم قال أشعرت ان الله أفتاني فيما استفتيته فيه أتاني رجلان فقعد أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي فقال أحدهما لصاحبه ما وجعه قال مطبوب أي مسحور قال من طبه قال لبيد بن الاعصم في مشط ومشاطة وجف طلع نخلة ذكر في بئر ذروان فأتاها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في ناس من أصحابه فدفنت ولم يستخرجها والكلام عليه مشهور تقدم بعضه (واذا كان هذا) الامر المذكور (من التباس الامر على المسحور) بتخييل فعل ما لم يفعله (فكيف حال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في ذلك) الالتباس وعلى أي حال وقع له (وكيف جاز عليه) ذلك الامر الذي جاز على غيره من تأثير السحر فيه (وهو معصوم) جملة حالية هي محل انكار السائل الذي توهم ان مثله ينافي عصمته عليه الصلاة والسلام فالاستفهام هنا انكاري لاعتقاده عدم طرو التغيرات الباطنة عليه وهذا مناف له فاجاب عنه بقوله (فاعلم) أيها السائل عن سحره (وفقنا الله واياك) للوقوف على الحق وتحقيقه وهي جملة اعتراضية دعائية اشارة الى ان قصده في كتابه هذا ارشاد طالب الحق له (ان هذا الحديث صحيح متفق عليه) أي مما اتفق على صحته أهل الحديث أو اتفق على روايته الشيخان (وقد طعنت فيه الملحدة) الطعن الضرب برمح ونحوه استعير لاسناد ما لا يليق من النقائص والملحدة الطائفة من أصحاب العقائد الفاسدة من الحد بمعنى حاد عن الطريق وفي للسببية أي طعنوا بسببه في مقام النبوة (وتذرعت به) بذال معجمة وراء مشددة وعين مهملة تين من الذريعة كالوسيلة وزنا ومعنى واصلها شرك الصائد استعير لما ذكر ووجه الشبه ظاهر والباء سببية وقال البرهان في المقتفي انه بدال مهملة أي لبست درعا أي تقوت به وظنته دليلا ينفعهم (لسخف عقولها) بضم السين المهملة بمعنى رقتها وضعفها (وتلبيسها على امثالها) ممن ضعف عقله فرجع عليهم (الى التشكيك في الشرع) أي يوقع بعضهم بعضا في شك من أحكام الشريعة بتوهم انه يخيل عليه فيها والى متعلقة بتذرع وهو يعين انه بذال معجمة (وقد نزه الله الشرع) طهره عما يشينه (والنبي) صلى الله تعالى عليه وسلم (عما يدخل) بضم أوله (في أمره) أي دينه وما يتعلق به (لبسا) أي شيأ يصير أمره ملتبسا بغيره مما لا يليق به (وانما السحر مرض من الامراض) جعله مرضا مبالغة لانه سبب لتغير المزاج وانفعاله فينشأ عنه أمور غير طبيعية كالنسيان وهو معدود من الامراض والامور الروحانية يسري للبدن نفعا وضرا والاطباء يعترفون بذلك (وعارض من العلل) جمع علة والعارض هنا بمعنى العرض وهو عند الاطباء ما يزول بسرعة من الامراض وهو عند المتكلمين والحكماء ما لا يقوم بنفسه (يجوز عليه) تخصيص له لاخراج ما لا يجوز عليه صلى الله عليه وسلم منها كالجنون و(كانواع الامراض) التي جوزها عليه (مما لا ينكر) عروضه له عليه السلام وعلى سائر الانبياء (ولا يقدح) أي لا يعد نقصا وعيبا قادحا (في نبوته) عليه السلام من الامراض كالجذام والبرص وغيره مما صان الله أنبياءه لخلقه لهم على أكمل خلق وأتمه ومزاجه صلى الله عليه وسلم أعدل الامزجة وهذا مبني على ان السحر له حقيقة مؤثرة ينشؤ عنه تغيرات وامراض وهو مذهب الجمهور ويشهد له القرآن والسنة خلافا لمن قال انه تخييل لا حقيقة له واليه ذهب ابن حزم وغيره والسحر عند الجمهور على أنواع منه ما لا حقيقة له وهو شعبذة ومنه ماله حقيقة بمعاونة الشياطين وخواص بعض الامور كما تقدم ويأتي أيضا عن الراغب (واما ما ورد) في الحديث السابق (انه كان يخيل اليه انه فعل الشئ) هو (لا يفعله) كما تقدم بيانه (فليس

(صحيح متفق عليه) لاشبهة لديه (وقد طعنت فيه الملحدة) أي الطائفة الملاحدة الزائغة بالعقيدة الفاسدة (وتذرعت) بذال معجمة من الذريعة أي توسلت (به) الى التشكيكات الكاسدة وفي نسخة بدال مهملة أي تسلحت به لاظهار الحجج الداحضة الشاردة (لسخف عقولها) بضم السين المهملة وسكون الخاء أي رقتها وضعفها (وتلبيسها) أي تخليطها (على أمثالها) أي أشباهها من ضعفاء اليقين في أمر الدين (الى التشكيك) أي ايقاع الشك ويروى التشكك أي قبول الشك (في الشرع) أي في (أمور الشرع المبين وقد نزه الله الشرع) أي الشريف المكرم (والنبي) المعظم صلى الله تعالى عليه وسلم (عما يدخل) أي عن شئ يدخل (في أمره لبسا) بفتح أوله أي خلطا واشتباها (وانما السحر مرض من الامراض وعارض من العلل) أي من جملة الاعراض (يجوز) وقوعه (عليه كانواع الامراض مما لا ينكر) بالاجماع (ولا يقدح في نبوته) من غير النزاع (واما ما ورد انه كان يخيل اليه) أي يقع في خيال باله (انه فعل الشئ) من أفعاله (ولا يفعله) في حاله ويروى وما فعله (فليس

في هذا) التخييل (ما يدخل عليه داخلة) أي ريبة وتهمة (في شيء من تبليغه) أي لامته (أو شريعته) أي بيان أحكام ملته (أو يقدح في صدقه) وفي نسخة في شيء من صدقه (لقيام الدليل) من أنواع المعجزة (والاجماع) من علماء الامة (على عصمته من هذا) أي من ادخال فساد في الحال (وانما هذا) ويروى وانما هو أي التخييل (فيما يجوز طروؤه عليه في) وفي نسخة من (أمر دنياه التي لم يبعث بسببها ولا فضل) على غيره (من أجلها) كما يشير اليه قوله أنتم أعلم بامر دنياكم وانما فضل بالوحي الالهي وما يتعلق بالامر الديني والاخروي كما يومي اليه قوله تعالى قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الي (وهو) صلى الله تعالى عليه وسلم (فيها) أي في أمور دنياه (عرضة للآفات) أي هدف للعاهات (كسائر البشر) في جميع الحالات واذا كان الامر كذلك (فغير بعيد ان يخيل اليه من أمورها ما لا حقيقة له) في صدورها (ثم ينجلي عنه) أي ينكشف الامر (كما كان) على وجه ظهورها كسحابة عارضة مانعة عن شعاع الشمس ونورها (وأيضا فقد فسر هذا الفصل) أي الكلام المجمل (الحديث الآخر) المفصل (من قوله حتى يخيل اليه انه يأتي أهله) من النساء (ولا يأتيهن) فان اتيانهن من جملة أمور دنياه ولا ضرر من هذه الاحوال في دينه وأخراه (وقد قال سفيان) أي الثوري وقال الدلجي الظاهر انه ابن عيينة اذ هو المراد بالاطلاق عند أئمة الحديث وجزم الحلبي وقال هو ابن عيينة لانه المذكور في السند في الصحيح (وهذا) النوع (أشد ما يكون من السحر) والالم يعرض له هذا التخييل ويشير الى كلامه قوله تعالى فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم انها تسعى

في هذا ما) أي أمر (يدخل) بضم أوله مضارع ادخل (عليه) صلى الله تعالى عليه وسلم (داخلة) أي نقيصة وعيبا وفسادا كما يقال أمر مدخول أي معيب (في شيء من تبليغه أو شريعته) قال الراغب الدخول يقتضي الخروج والدخل كناية عن الفساد والعداوة كالدغل ودعوة النسب بفتح الخاء قال تعالى ولا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم (أو يقدح) أي يعيب (في صدقه) فيما بلغه وشرعه كما توهمه الطاعنون به لانه يسري الى ان يقال ان جبريل عليه الصلاة والسلام والملائكة التي كان صلى الله تعالى عليه وسلم يراها أمورا متخيلة وحاشاه من ذلك (لقيام الدليل) المؤيد بمعجزاته (والاجماع) من المسلمين وأئمة الدين (على عصمته) صلى الله تعالى عليه وسلم (من هذا) أي مما يدخل عليه داخلة في شرعه وتبليغه عن ربه وهذا برمته من كلام المازري في المعلم قال أنكر بعض المبتدعة هذا الحديث وزعم انه يحط من منصب النبوة وقالوا كل ما ادى الى ذلك فهو باطل وتجويزه يعدم الثقة بما شرعوه من الشرائع اذ يحتمل على هذا انه صلى الله تعالى عليه وسلم يرى جبريل وليس هو وانه يوحى اليه شيء ولم يوح اليه وهو مردود لان الدليل قام على صدقه صلى الله تعالى عليه وسلم فيما بلغه عن الله عز وجل وعلى عصمته في التبليغ والمعجزات شاهدة بصدقه فتجويز ما قام الدليل على خلافه باطل انتهى (وانما هذا) أي انه يخيل اليه فعل شيء لم يفعله ليس عاما بل في أمور مخصوصة هي (فيما يجوز طروه) بالهمز وتركه أي عروضه (عليه في أمور دنياه التي لم يبعث بسببها) من التوحيد والاحكام المشروعة وفي نسخة أمر مفرد وفي أخرى من أمور أي لا ما يتعلق بشريعته وتبليغه (ولا فضل) بتشديد المعجمة وبناء المجهول (من أجلها) أي من أجل أموره الدنيوية وانما هو برفعه وزيادة أجره (وهو) صلى الله تعالى عليه وسلم (فيها) أي في أمور الدنيا (عرضة) بضم فسكون أي معرض يحدث له فيه مستعد (للآفات) أي التغيرات التي تلحقه (كسائر البشر) يعرض له ما يعرض لهم لحكمة تقدمت (فغير بعيد) أي اذا كان عرضة لها فلا يبعد (ان يخيل اليه) صلى الله تعالى عليه وسلم (من أمورها) أي أمور الدنيا التي لا تتعلق بالتشريع فالفاء فصيحة في جواب شرط مقدر (ما لا حقيقة له) مما يتوهم انه فعله ولم يفعله (ثم ينجلي عنه) أي يزول وينكشف فشبهه بغمام أو صدا ففيه مكنية وتخييلية أو هو حقيقة عرفية فيه (كما كان) متعلق بينجلي أي حاله كما كان عليه قبل ما عرض له أو المراد كما كان حاله وهو مسحور (وأيضا) أي كما وقع ما توهموه بما ذكر يبين بوجه آخر (فقد فسر هذا الفصل) يعني قوله يخيل اليه الشيء (الحديث الآخر) هو فاعل فسر أي بين المراد به روايته الثانية (من قوله) بيان لمفسره وهو (حتى يخيل اليه انه يأتي أهله) يعني زوجاته والاهل ورد بمعنى الزوجة كثيرا (و) الحال انه (لا يأتيهن) بمعنى يتوهم انه جامعهن وهو لم يجامعهن كقوله تعالى فاتوا حرثكم أنى شئتم فهو تصريح بانه من أمور الدنيوية لا الشرعية فلا ضير فيه (وقد قال سفيان) أي ابن عيينة كما صرح به في سنده في البخاري (وهذا) التخييل (أشد ما يكون من السحر) أي غاية ما يؤثره تخييل انه فعل ما لم يفعله ولذا قالت عائشة رضي الله تعالى عنها حتى كان يخيل الى آخره فان حتى للغاية فلا يبلغ أكثر من ذلك كقلب الاعيان ونحوه من تغيير الماهيات وهذا مبني على ان السحر تخييلات لا حقيقة لها كالشعبذة والمحققون على خلافه كما مر وقد قال الراغب انه على أنواع منها هذا وهو المشار اليه بقوله تعالى يخيل اليه من سحرهم انها تسعى وقوله سحروا أعين

(ولم يأت في خبر منها) أي من احاديث سحره عليه الصلاة والسلام أو من الاخبار الصحيحة (انه نقل عنه في ذلك قول بخلاف ما كان أخبر انه فعله ولم يفعله) والمعنى انه لم ينقل عنه انه قال حال سحره فعلت كذا والحال انه لم يفعله لعصمته من الخلف في الاخبار لامته (وانما كانت) هذه السوانح واللوائح (خواطر) أي خطرات (وتخيلات) في صورة تسويلات ويروى بوحدة وتحتية (وقد قيل ان المراد بالحديث) أي حديث حتى يخيل اليه (انه كان يتخيل الشئ) ويروى يتخيل اليه الشئ (انه فعله وما فعله لكنه تخييل لا يعتقد) هو بنفسه (صحته وفي نسخة بصيغة المجهول) أي كل احد يدرك عدم

الناس * والثاني استجلاب أمور بمعاونة الشياطين واليه يشير قوله ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر * والثالث فعل بقوته تتغير الصور والطبائع فيجعل الانسان حمارا ولا حقيقة له عند المحصلين انتهى وقد تقدم ان الاول من جنس الامراض ولذا قال صلى الله تعالى عليه وسلم شفاني الله منه فانه المتبادر من الشفاء ولبعضهم هنا كلام لا طائل فيه (ولم يأت) عن أحد من المحققين (في خبر منها) أي من الاخبار المروية عنه صلى الله تعالى عليه وسلم (انه) صلى الله تعالى عليه وسلم (نقل عنه في ذلك) أي في قصة سحره (قول بخلاف ما كان أخبر به) من (انه) قال (فعله ولم يفعله) أي لم ينقل عنه في حال سحره قول صدر عنه غيره هذا الذي فسر في الحديث (وانما كانت) الامور المنقولة عنه (خواطر وتخيلات) من قبيل الوسوسة التي تعرض للعقلاء كثيرا من غير تاثير في عقولهم وعلمهم بمهمات أمورهم فلا اعتراض عليه في شئ كما توهم (وقد قيل) في الجواب عما استشكلوه (ان المراد بالحديث) المذكور في سحره (انه كان يتخيل) له ويقع في خاطره (الشئ انه فعله وما فعله) بمجرد خطوره بباله (لكنه تخييل لا يعتقد صحته) ليقظة قلبه وسلامة ذهنه التي لا يؤثر فيهما مثل هذه التخيلات وهي سحابة صيف عن قريب تقشع (فتكون اعتقاداته) صلى الله تعالى عليه وسلم (كلها على السداد) بفتح السين بمعنى الاستقامة وأموره كلها مستقيمة كاملة وادراكه كذلك لمعرفته صلى الله تعالى عليه وسلم بان ما عرض له تخييل لا يعتد به واما بكسر السين فهو ما يسد به اسم آلة كحزام وركاب وفيه بيان في شرحنا الدرة الغواص (وأقواله) كلها جارية (على الصحة) فهي كلها صحيحة صادقة اذ لم يقع الخلف في شئ من أقواله وقول عائشة السابق يخيل له فعل ما لم يفعله لا ينافي ما قررناه لان التخييل بمعنى التوهم وكون الخيال قوة باطنية مدركة مما اصطلح عليه الحكماء فهو وما ينبني عليه لا وجه لارادته هنا كما توهم (هذا) المذكور في جواب ما وقع في الحديث (ما وقفت عليه لائمتنا) المحدثين أو الاشعرية أو الفقهاء المالكية (في هذا الحديث) الذي روته عائشة رضي الله تعالى عنها عنه صلى الله تعالى عليه وسلم وفي نسخة عن هذا وفي أخرى على هذا وهو ظاهر (مع ما أوضحناه من معنى كلامهم) في تفسيره (وزدناه بيانا) زاد هنا متعد لمفعولين (من تلويحاتهم) أي من اشاراتهم له من غير تصريح به (وكل وجه منها) أي من الوجوه التي ذكرها الائمة (مقنع) اسم فاعل بوزن مكرم أي كاف ومغن عن غيره لمن كان له قناعة تغنيه عن الوجوه الضعيفة والاقوال الواهية والتكلفات الباردة ويجوز فتح ميمه ونونه مصدر ميمي يقال هو مقنع في الامر بزنة جعفر والاول هو الصواب من غير تكلف (لكنه) الضمير للشان والامر (قد ظهر لي في) هذا (الحديث) المتقدم في السحر (تاويل) وتفسير له (أجلى) أي أظهر من غيره من التاويلات التي ذكروها وتقدم بعض منها (وأبعد من مطاعن ذوي الاضاليل) أي أكثر تبعيدا لمن له عقل سليم عما طعن به أهل الضلال عما تقدم بيانه فالاضاليل جمع لا واحد له كالمذاكير أو جمع

حقيقته كما يستفاد من نفس التخيل وصيغته واشتقاق بنيته (فيكون اعتقاداته كلها) أي سواء تعلقت بامور دنياه أو باحوال أخراه (على السداد) أي الصواب ومنهج الرشاد (وأقواله على الصحة) التي تصلح للاعتماد والاعتقاد (هذا ما وقفت عليه لائمتنا) أي الاشعرية أو المالكية أو أئمة أهل السنة والجماعة (من الاجوبة على) وفي نسخة عن (هذا الحديث) أي حديث سحره عليه الصلاة والسلام (مع ما أوضحناه من معنى كلامهم) وبيناه على مبنى مرامهم (وزدناه بيانا من تلويحاتهم) أي من اشاراتهم من غير تصريح عباراتهم (وكل وجه منها) أي من الوجوه المذكورة (مقنع) بضم الميم وكسر النون ويجوز فتحهما على انه مصدر للمبالغة أو اسم مكان وهو من قنع بالكسر قناعة اذا رضي ويقال فلان مقنع في العلم وغيره على زون جعفر أي مرضي فيه وليس المراد به انه دليل اقناعي وان كان يشير اليه قوله (لكنه قد ظهر لي في الحديث) هذا (تاويل أجلى) بالجيم أي أظهر واوضح من التاويلات السالفة (وأبعد من) وفي نسخة عن (مطاعن ذوي الاضاليل) جمع ضليل مبالغة في الضلال ومنه قول علي رضي الله تعالى عنه وقد سئل عن أشعر الشعراء فقال الملك الضليل يعني امرء القيس وكان يلقب به وقيل هو جمع اضلولة وهو ما يضل من ركبه

(يستفاد) أى ذلك التاويل الاجلى (من نفس الحديث) ويروى من تفسير الحديث (وهو ان عبد الرزاق) وهو الحافظ الصغانى (قد روى هذا الحديث) فى مصنفه عن معمر عن الزهرى (عن ابن المسيب وعروة بن الزبير وقال) أى عبد الرزاق (فيه) أى فى حديثه (عنهما) أى ابن المسيب وعروة (سحر يهود بنى زريق) بضم الزاى وفتح الراء (رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فجعلوه) أى ماسحروه به (فى بئر) وهى بئر ذروان (حتى كاد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أى قارب (ان ينكر بصره) اضعف حدته أولامر تخيله (ثم دله الله تعالى على ماصنعوا) أى اليهود (فاستخرجه) بنفسه أو بمأموره (من البئر وروى نحوه) بصيغة المجهول (عن الواقدى) قاضى العراق وقد سبق ذكره (وعن عبد الرحمن بن كعب) أى ابن مالك السلمى يروى عن أبيه وعائشة وعنه الزهرى وهشام ابن عروة ثقة مكثر أخرج له أصحاب الكتب الستة (وعمر بن الحكم) بفتحتين تابعى جليل (وذكر) بصيغة المجهول (عن عطاء الخراسانى) من اكابر التابعين روى عنه الاوزاعى

ومالك وشعبة قال ابن جابر كنا نغزو معه وكان يحيى الليل صلاة الى نومة السحر أخرج له الائمة الستة (عن يحيى ابن يعمر) بفتح الياء والميم وقد يضم وحكى عن البخارى وهو غير مصروف للعلمية ووزن الفعل قاضى مرو يروى عن عائشة وابن عباس مقرئ ثقة أخرج له الائمة الستة (قال) هارون بن موسى أول من نقط المصاحف يحيى بن يعمر قال الذهبى يقال توفى سنة تسعين وكذا رواه عبد الرزاق عن معمر عن عطاء (حبس رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن عائشة) بصيغة المجهول أى منع من قربانها (سنة فبينما هو نائم اذ أتاه ملكان) وهما جبريل وميكائيل كما فى سيرة الدمياطى

(فقعد أحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه الحديث) أى فقال احدهما ماله فقال الآخر مطبوب قال من طبه قال لبيد بن الاعصم فى جف طلعة ذكر نخل فى بئر ذروان وروى عن ابن عباس وعائشة ان غلاما من اليهود كان يخدم النبى عليه الصلاة والسلام فدنت اليه اليهود فلم يزالوا به حتى أخذ مشاطة رأس النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وعدة اسنان من مشطه فاعطاها اليهود فسحروه فيها فنزلت السورتان فيه وعن عائشة ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم طب أى سحر حتى انه ليخيل اليه انه قد صنع شيئا وماصنعه وانه دعا ربه ثم قال أشعرت ان الله قد أفتانى فيما استفتيته فيه قالت عائشة وما أدراك يارسول الله قال جاءنى رجلان فجلس أحدهما عند رأسى والآخر عند رجلى فقال أحدهما لصاحبه ماوجع الرجل قال الآخر مطبوب قال من طبه قال لبيد بن الاعصم قال فبماذا قال فى مشط ومشاطة وجف طلعة ذكر قال وأين هو قال فى ذروان وذروان بئر فى بنى زريق قالت عائشة فاتاها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم رجع الى عائشة فقال والله لكان ماءها نقاعة الحناء ولكان نخلها رؤس الشياطين قالت فقلت له هلا أخرجته قال اما

لمفرد مقدر أو موجود فقيل جمع ضليل بكسرتين مشدد اللام صيغة مبالغة كشريب ولذا قيل لامرء القيس الملك الضليل وقيل جمع اضلولة بالضم وهو مايضل به مرتكبه ولو قيل انه جمع اضلال على خلاف القياس لم يبعد (يستفاد) ويؤخذ ذلك التاويل الاجلى (من نفس الحديث) أى حديث السحر (وهو ان عبد الرزاق) بن همام الصغانى (قد روى هذا الحديث) أى رواه فى مصنفه عن الزهرى (عن ابن المسيب) واسمه سعيد كما تقدم (و) عن (عروة بن الزبير) تقدم أيضا (وقال فيه) أى فى الحديث الذى رواه (عنهما) أى عن سعيد وعروة (سحر يهود بنى زريق) بالاضافة وبنو زريق بتقديم الزاى المعجمة والتصغير طائفة منهم (رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) مفعول سحر وفاعله يهود وهو بلا ياء علم لهم وقد يذكر وتدخله اللام (فجعلوه) أى السحر (فى بئر) أى بئر ذروان كما تقدم (حتى كاد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أى قرب من (ان ينكر بصره) أى ما أبصره أو ينكر نفس رؤيته لتاثير السحر فيه (ثم دله الله على ماصنعوا) باخبار الملك به وبالمحل الذى وضع فيه (فاستخرجه من البئر) على رواية وقيل انه صلى الله تعالى عليه وسلم أمر بدفنه ولم يخرجه من البئر وكانوا أمروا غلاما من اليهود كان يدخل بيته صلى الله تعالى عليه وسلم فاخذ شعرات من شعر رأسه الشريف وسنا من اسنان مشطه فعقدوا فيه عقدا ودفنوه فى تلك البئر فلما أنزل الله تعالى عليه المعوذتين واستخرج السحر وحلت عقده شفاه الله تعالى والكلام عليه طويل فى شروح الصحيحين فلانطيل به (وذكر عن عطاء الخراسانى عن يحيى بن يعمر) كما رواه عبد الرزاق آنفا ويعمر بفتح الياء التحتية وبالميم المفتوحة وتضم وهو ممنوع من الصرف للعلمية ووزن الفعل ويحيى هو قاضى مرو وهو أول من نقط المصحف وتوفى فى سنة تسعين قال فيه أى فى مصنف عبد الرزاق (حبس رسول الله صلى الله عليه وسلم) ببناء المجهول أى منع (عن عائشة) أى عن جماعها رضى الله تعالى عنها (سنة) هى مدة السحر كما تقدم عن السهيلى (فبينما هو نائم) حقيقة أو مضطجع بين النوم واليقظة كما فى رواية وبينا للمفاجاة كبينما وتضاف وتحتاج لجوابه كما بينه النحاة (أتاه ملكان) هما جبريل وميكائيل (فقعد احدهما عند رأسه والآخر عند رجليه الحديث)

أنا فقد شفاني الله وكرهت ان أثير على الناس منه شرا وروى انه كانت تحت صخرة في البئر فرفعوا الصخرة وأخرجوا جف الطلعة واذا فيه مشاطة رأسه وأسنان مشطه وعن زيد بن أرقم قال سحر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم رجل من اليهود فاشتكى لذلك اياما قال فاتاه جبريل عليه السلام فقال رجل من اليهود سحرك وعقد لك عقدا فارسل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عليا فاستخرجها فجاء بها فجعل كلما حل عقدة وجد لذلك خفة فقام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كأنما انشط من عقال فما ذكر ذلك لليهودي ولا رآه في وجهه قط قال مقاتل والكلبي وكان في وتر عقد احدى عشرة عقدة وقيل وكانت مغروزة بالابر فانزل الله عز وجل هاتين السورتين وهي احدى عشرة آية سورة الفلق خمس آيات وسورة الناس ست آيات كلما قرأ آية انحلت عقدة حتى انحلت العقد كلها فقام النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كأنما انشط من عقال قال البغوي وروى انه لبث فيه ستة أشهر واشتد عليه ثلاث ليال فنزلت المعوذتان (قال عبد الرزاق حبس رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) بعد ان سحر (عن عائشة خاصة) دون غيرها من نسائه (سنة) وطالت المدة (حتى انكر بصره) أي من ضعف بصره أو من تخييل بعض أمره (وروى محمد بن سعد) بفتح وسكون وهو كاتب الواقدي وصاحب الطبقات وكذا رواه البيهقي بسند ضعيف (عن ابن عباس مرض رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فحبس عن النساء) أي منع عنهن وخيل بينه وبينهن (والطعام والشراب) أي وعن تكثيره منهما كما هو عادته فيهما (فهبط) بفتح الموحدة أي نزل (عليه ملكان) أي بصورة رجلين فقعد أحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه (وذكر القصة) أي الى آخرها على ما قدمناه ويروى القضية (فقد استبان لك من مضمون هذه الروايات ان السحر انما تسلط على ظاهره وجوارحه) أي من جهة منع جماعه ونقصان أكله وشربه (لا على قلبه واعتقاده وعقله) وكذا سلم منه آلة لسانه الذي هو عمدة بيانه وزبدة برهانه (وانه انما أثر) أي السحر بعض أثره (في بصره) من ضعف نظره أو تخييل أثره (وحبسه) أي منعه (عن وطئ نسائه وطعامه) أي بعض المنع (وأضعف جسمه وأمرضه ويكون معنى قوله يخيل اليه انه يأتي أهله) أي بعض نسائه (ولا يأتيهن) في نفس الامر (أي يظهر له من نشاطه) أي كمال رغبته

أي أذكره أو اقرأه الى آخره كما تقدم (وقال عبد الرزاق حبس رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي منع عن الجماع (عن عائشة خاصة سنة) على أحد الاقوال السابقة وخص منعه عنها دون غيرها الا انها كانت أحب أزواجه اليه صلى الله تعالى عليه وسلم (حتى أنكر بصره) يعني تغيرت قوته الباصرة عما كانت عليه قبل أن يسحر لا انه فقده بالكلية لما في بعض روايات الحديث السابقة حتى كاد ينكر بصره أي قارب فقده ولم يفقده من قولهم نكرته فتنكر اذا غيرته فتغير كما في الاساس ولم يعده مجازا (وروى البيهقي) صاحب السنن بسند ضعيف (عن محمد بن سعد) هو كاتب الواقدي وصاحب الطبقات كما تقدم (عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما مرض رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وحبس) أي منع (عن النساء) ان أريد به الجنس لم يخالف الرواية التي قبله والا خالفها (والطعام والشراب) فكان لا يشتهي ولا يتناول شيأ منهما لتغير مزاجه كسائر المرضى (فهبط) أي نزل من السماء (عليه ملكان) هما جبرائيل وميكائيل (وذكر القصة) بتمامها وتقدم ان القصة انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لعائشة رضي الله تعالى عنها ان الله أخبرني بدائي ثم بعث عليا والزبير وعمار بن ياسر رضي الله تعالى عنهم فنزحوا ماء البئر فاذا هو مثل نقاعة الحناء ثم رفعوا الراعوثة وهي صخرة في قعر البئر فاخرجوا جفا ومشاطة وهو شعر رأسه الشريف واسنان مشط ووتر معقود فيه احدى عشر عقدة وتمثال صورته من شمع غرز فيه ابر فنزل جبريل عليه الصلاة والسلام بالمعوذتين فكان كلما قرأ آية منهما انحلت عقدة وكلما نزع ابرة وجد لها ألما ثم تعقبه راحة فاعترف لبيد بانه وضعه فعفا عنه (فقد استبان لك) أي تبين وظهر (من مضمون هذه الروايات) أي ما تضمنته واشتملت عليه (ان السحر الذي سحر به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (انما تسلط) من السلاطة وهي التمكن ممن يريد قهره والمراد تأثره (على ظاهره) أي ظاهر بدنه الشريف (وجوارحه) وأعضائه دون باطنه (لا على قلبه واعتقاده وعقله) اذ لم يرفيه نقص أصلا (وانه) أي السحر (انما أثر في بصره) بتغير ما حتى كاد ينكره كما تقدم (وحبسه عن وطئ نسائه و) عن (طعامه فاضعف جسمه فامرضه) فهو كسائر الامراض لا ينكر عروضه للانبياء عليهم الصلاة والسلام (ويكون معنى قوله يخيل اليه انه يأتي أهله ولا يأتيهن أي يظهر له من نشاطه) هذا جواب سؤال تقديره اذا قلت ان السحر لم يؤثر الا في ظاهر بدنه يرد عليك ان تخييل ما لم يقع واقعا يقتضي خللا في الذهن والادراك فهو مناف لما قلته وقوله معنى اسم كان وخبره مقدر يدل عليه ما بعده اذ لا يصح اقتران الخبر باي المفسرة ومثله كثير في كلام المصنفين وفي

(ومتقدم عادته) أي سابقتها في حالته (القدرة على النساء) بالمجامعة (فاذا دنا منهن) أي على قصده واقعتهن (اصابته) أدركته (أخذة السحر) بضم الهمزة وخاء ساكنة فذال معجمة فتاء تانيث وهي رقية كالسحر أو خرزة تؤخذ أي تحبس بها النساء أزواجهن عن النساء دونهن (فلم يقدر على اتيانهن كما يعترى) أي يصيب و يغشى (من أخذ) بضم همز وتشديد خاء أي حبس عن وطئ امرأة لا يصل لجماعها يقال أخذت المرأة زوجها تاخيذا اذا فعلت به ما تقدم من السحر وفي نسخة وخذ وهو في مبناه ومعناه ونظيرهما قوله تعالى واذا الرسل أقتت و وقتت كما قرئ بهما في السبعة واختير التفعيل في التاخيذ للمبالغة في أخذه وحبسه (واعترض) بصيغة المجهول أيضا من العرض بالتحريك وهو ما يعرض للانسان من حوادث الدوران (ولعل) أي الشان و يروى ولعله (لمثل هذا) السحر (أشار سفيان) أي ابن عيينة أو الثوري (بقوله وهذا) النوع (أشد ما يكون من السحر) لانه غالبا يكون سببا للتفريق بين المرء وزوجه (و يكون قول عائشة رضي الله تعالى عنها في الرواية الاخرى انه ليخيل) وفي نسخة يخيل أي يشبه (اليه انه فعل الشيء وما فعله من باب ما اختل من بصره) أي لانه كناية عن جماعه مع أهله كما تقدم (فيظن انه رأى شخصا من بعض أزواجه أو شاهد) أي أو يظن انه رأى (فعلا من غيره ولم يكن) ما ذكر من الشخص والفعل (على ما يخيل اليه) أي موافقا لتخيله (لما أصابه) أي من ضعف (في بصره) وفي نسخة ظاهرا من بصره أي لما أصابه وهن من جهة بصره (وضعف نظره لا لشيء طرأ) بالهمز أي عرض وحدث (عليه في ميزه) بفتح الميم وسكون التحتية وبالزاي أي تمييزه وتفرقته بين الاشياء قال التلمساني وروي في غيره أقول الظاهر انه تصحيف (واذا كان) أي أمره عليه الصلاة والسلام (هذا) الذي ذكرناه في هذا المقام (لم يكن في اصابة السحر) وفي نسخة لم يكن ما ذكر في اصابة السحر (له وتاثيره فيه) أي في ظاهر أمره (ما يدخل عليه لبسا) أي خلطا في باطنه (ولا يجد به الملحد) المائل عن الحق في مقاله (المعترض) بعقله التابع لباطله (أنسا) بضم فسكون أي تبصرا فيما لا يجدي بطائله

* (فصل هذا) الذي ذكرناه في الفصل الذي قدمنا على ما حررنا (حاله) جهة أمراض وأعراض نازلة أو حاصلة له (في جسمه) من ظاهر جسده و باطنه

الاساس رجل نشيط طيب النفس للعمل (ومتقدم عادته) أي ما اعتاده صلى الله تعالى عليه وسلم قبل السحر (القدرة على النساء) فاعل يظهر أي قدرته وقوته على جماعهن (فاذا دنى منهن) أي قرب منهن ليجامعهن (اصابته أخذة السحر) بضم الهمز وسكون الخاء وذال معجمة وهي أمر يتخذه السحرة يحبس المرء على انتشار آلة الجماع تسميه العامة ربطا وهو نوع من السحر و يقال به أخذة من الجن أيضا كأنها أخذت قوته (فلم يقدر على اتيانهن كما يعترى) أي يعرض و يغشى (من أخذ) قيل هو بضم الهمزة وتشديد الخاء المعجمة وذال معجمة من التاخيذ وفي نسخة وخذ بالواو أي منع من الجماع كما قيل والظاهر عليهما أن يفسر بمن صنع له أخذة السحر السابقة (واعترض) ببناء المجهول أي عرض له عارض من معرض ونحوه والظاهر انه من العارض المعروف بين السحرة الذين يدعون الجن وهو المناسب للاخذة (ولعله) الضمير للشان وفي نسخة حذفه (لمثل هذا أشار سفيان) بن عيينة فيما نقله عنه سابقا (بقوله وهذا أشد ما يكون من السحر) أي أعظم أنواعه أن يخيل له فعل ما لم يفعله وقد تقدم ما فيه (و يكون قول عائشة في الرواية الاخرى) من احدى الروايتين في الحديث أعني قولها (انه يخيل له انه فعل الشيء و) هو (ما فعله) والشيء مبهم في روايتها دون الاخرى فيحتمل انه (من باب ما اختل من بصره) أي قوة نظره لا نفس عينه وهو ما أنكره (كما ذكر في الحديث) من انه كان يخيل اليه الى آخره و بينه بقوله (فيظن انه رأى شخصا من بعض أزواجه أو شاهد فعلا من غيره) انه فعله وصدر منه على وجه مخصوص (ولم يكن) صدر منه (على ما يخيل اليه) وذلك (لما أصابه في بصره وضعف نظره) من ألم السحر (لا لشيء طرأ عليه في ميزه) بفتح الميم وسكون الياء المثناة التحتية بمعنى تمييزه والمراد به قوة عقله المميز يقال مازه يميزه ميزا كسار يسير سيرا بمعنى ميزه بين (واذا كان هذا) أي ما ذكر من حاله صلى الله تعالى عليه وسلم على ما قرره (ولم يكن فيما ذكر من اصابة السحر له) في هذه المرتبة من غير زيادة فيه (وتاثيره فيه) بمجرد ضعف بصر غير قار (ما يدخل لبسا) عليه بان يؤثر في عقله وتمييزه أي يسري لباطنه (ولا يجد به الملحد) الزائغ عن الحق بطعنه في الانبياء عليهم الصلاة والسلام (المعترض) به على انه يلزم من تاثير السحر فيه تخيل ما لا حقيقة له بوجه كما في ما يراه من الملائكة كما تقدم (أنسا) أي أمرا يستانس به أوهامه الفاسدة أي يحدث عنده علما ينقص به مقام النبوة من قولهم آنست منه كذا اذا علمته أو أبصرته

(فصل هذه) الامور المذكورة في الفصل المتقدم (حاله) صلى الله تعالى عليه وسلم (في جسمه) الشريف

(فاما أحواله) أى الواردة (فى أمور الدنيا) أى الخارجة عن جسمه (فنحن نسبرها) بنون مفتوحة وسين ساكنة وبموحدة مضمومة فراء من سبرها أو بضم نون فكسر موحدة من أسبرها أى نقيد أحواله ونرزن أفعاله ونوردها (على أسلوبها) ويروى على أسلوبنا (المتقدم) أى طريقها السابق (بالعقد) بمعنى الاعتقاد (والقول والفعل اما العقد منها فقد يعتقد) أى يظن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (فى أمور الدنيا الشئ على وجه) من جواز فعله وتركه فى بادئ رأيه (ويظهر خلافه أو يكون منه على شك) أى تردد لا يترجح أحد طرفيه (أو ظن) يترجح عنده أحد شقيه ويتبين ضده بعده وهذا كله فى أمر الدنيا وما يتعلق به من الفرع (بخلاف أمور الشرع كما) يدل عليه ما (حدثنا أبو بحر) بفتح موحدة وسكون مهملة (سفيان بن العاص) بغير الياء فى آخره (وغير واحد) من المشايخ (سماعا) من بعض (وقراءة) على بعض وهما منصوبان على التمييز أو حالان (قالوا) كلهم (ثنا أبو العباس أحمد بن عمر قال ثنا أبو العباس الرازى ثنا أبو أحمد بن عمرويه) بفتح وسكون فضم وفتح فسكون هاء وفى نسخة ففتح تاء وفى نسخة بفتح الراء والواو وسكون الياء وكسر الهاء (ثنا ابن سفيان) هذا أبو اسحق محمد بن سفيان راوى الصحيح عن مسلم (ثنا مسلم) أى ابن الحجاج الحافظ صاحب الصحيح (ثنا عبد الله) ويقال عبيد الله (بن الرومى) يروى عن ابن عيينة انفرد مسلم بالاخراج له (وعباس العنبرى) منسوب الى بنى العنبر بن عمرو بن تميم من حفاظ البصرة روى عن القطان وعبد الرزاق وعنه مسلم والاربعة والبخارى تعليقا قال النسائى ثقة مامون توفى سنة ست وأربعين ومائتين (وأحمد المعقرى) بفتح الميم وسكون العين المهملة وكسر القاف وفى نسخة بكسر الميم وفتح القاف وفى أخرى بضم الميم وفتح العين وكسر القاف المشددة نسبة الى ناحية من اليمن توفى بعد خمس وخمسين ومائتين كان برازا بزابين بمكة روى عنه مسلم (قالوا) أى كلهم (ثنا النضر بن محمد) هو الجرشى اليمانى يروى عن شعبة وغيره وعنه أحمد العجلى أخرج له الستة الا النسائى (قال حدثنى عكرمة) أى ابن عمار (ثنا أبو النجاشى) هو عطاء بن صهيب روى عنه عكرمة والاوزاعى وجماعة أخرج له الشيخان والنسائى وابن ماجه (ثنا رافع بن خديج) انصارى أوسى حارثى شهد أحدا عاش ستا وثمانين سنة توفى بالمدينة سنة ثلاث وسبعين أخرج له الائمة الستة

ظاهرا او باطنا (وأما أحواله فى أمور الدنيا) أى الامور المتعلقة بها (فنحن نسبرها) بفتح النون وضمها وسكون السين المهملة وضم الباء الموحدة وكسرها وراء مهملة والضمير راجع لامور الدنيا يقال سبره وأسبره اذا اختبره كما فى الصحاح وأصل معناه ان يدس فى الجرح مرود ليعلم عمقه ثم شاع فى ماذكر وهو عند أهل الاصول استقصاء أفراد أمر كلى وأقسامه والمراد هنا تبيينها (على أسلوبنا) أى نوردها على طريقتنا (المتقدم) فى هذا الكتاب والاسلوب بضم الهمزة الفن والطريقة يقال أساليب الكلام الفنون (بالعقد) أى الاعتقاد متعلق بنسبر (والقول والفعل) أى نستوفى أقسامها النظرية واللفظية والعلمية (أما العقد منها) أى ما يتعلق من أحواله صلى الله تعالى عليه وسلم فى أمور الدنيا بالعلم بها والاعتقاد (فقد يعتقد) صلى الله تعالى عليه وسلم (الشئ) من أمور الدنيا (على وجه) أى وقوعه على وجه من الوجوه فى بادئ الرأى (ويظهر خلافه) أى يظهر له انه على خلافه فى الواقع ونفس الامر (أو يكون له منه) أى من الشئ الذى هو من أمور الدنيا (على شك) فيه (أو) يكون منه (على ظن) بان يترجح عنده أحد طرفى الوقوع وعدمه (بخلاف أمور الشرع) فانه صلى الله تعالى عليه وسلم لا يتردد فيه لانه معصوم عن الخطا وان قلنا بجواز اجتهاده فيها لانه مستند للوحى أيضا ثم أورد شاهدا لانه قد يعتقد شيا من أمور الدنيا على خلاف ما هو عليه وهو حديث رواه مسلم تقدمت الاشارة اليه مرارا فقال (كما حدثناه أبو بكر سفيان بن العاص) تقدم بيانه (وغير واحد قراءة وسماعا) اشارة الى انه رواه من طرق (قالوا حدثنا أبو العباس أحمد بن عمر) قال (حدثنا أبو العباس الرازى) قال (حدثنا أبو أحمد بن عمرويه) الكلام فيه كالكلام فى سيبويه فى بنائه على الكسر واعرابه اعراب مالا ينصرف وان المحدثين يضمون ما قبل الياء ويفتحونها كما اشتهر عنهم قال (حدثنا ابن سفيان) ابراهيم بن محمد بن سفيان راوى صحيح مسلم عنه قال (حدثنا مسلم) بن الحجاج صاحب الصحيح المشهور قال (حدثنا عبد الله بن الرومى) بن محمد أو ابن عمر نزيل بغداد ثقة حافظ توفى سنة مائتين وست وثلاثين ولم يخرج له من أصحاب الكتب غير مسلم (وعباس العنبرى) بن عبد الله بن اسمعيل بن نوبة أبو الفضل العنبرى البصرى الحافظ توفى سنة مائتين وست وأربعين (وأحمد المعقرى) هو أحمد بن جعفر والمعقرى بفتح الميم وسكون العين المهملة وكسر القاف وراء مهملة وياء نسبة وقيل بكسر الميم وسكون العين وفتح القاف وقيل بضم الميم وفتح العين وكسر القاف المشددة نسبة لمعقر ناحية باليمن (قالوا حدثنا النضر بن محمد) الجرشى اليمنى وله ترجمة فى الميزان (قال حدثنى عكرمة) بن عمار وقد تقدم قال (حدثنا أبو النجاشى) عطاء بن صهيب الثقة قال (حدثنا رافع بن خديج) بفتح الخاء المعجمة وكسر الدال المهملة

(قال قدم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم المدينة وهم يأبرون) بضم الموحدة وفي نسخة يؤبرون بضم أوله وكسر بائه مشددة وهو
رواية الطبراني يلقحون (النخل) بوضع طلع ذكورها فيها (فقال ما تصنعون قالوا كنا نصنعه) أي شيئا على عادتنا ليكثر فيما يثمر
(قال لعلكم لو لم تفعلوا) أي لو لم تركتم تأبيرها (كان خيرا) من تأبيرها بناء على عدم المعالجة في تدبير لتأثيرها (فتركوه فنفضت) بفتح
النون والفاء والضاد المعجمة أي أسقطت حملها من ثمرها وروى فنقصت بالقاف والصاد المهملة وقيل هو تصحيف وعلى تقدير
صحته اما بمعنى أسقطت واما قلت في الحمل واما قلت في نفسها مع كثرتها أي صارت حشفا وروى نصبت بصاد مهملة

بعدها موحدة وبغين معجمة وصاد مهملة قال القاضي ولا معنى لهما وقيل في معناهما ان نصبت من النصب وهو التعب ومعناه ان ثمرها لم يخرج الا بنكد فصار كأنه تعب وان نغصت من قولهم نغص لم يتم مراده قال ابن قرقول وفي هذه اللفظة روايات كلها تصحيف الا الاول (فذكروا ذلك له) أي من نقصان الثمر (فقال انما أنا بشر اذا أمرتكم بشيء من دينكم) أي ولو برأيي (فخذوا به) لانه عليه الصلاة والسلام مبين لاحكام الاسلام (واذا أمرتكم بشيء من رأيي) وفي رواية من رأي أي في أمر دنياكم مما ليس له تعلق بامر دينكم وآخرتكم (فانما أنا بشر) مثلكم فقد أصيب وقد أخطئ فالامر فيه مخير لكم (وفي حديث أنس) وفي
نسخة رواية أنس أي لمسلم عنه (أنتم أعلم بامر دنياكم) ان أردتم اتبعتموني وان أردتم اخترتم رأيكم أو
(وفي حديث آخر) رواه مسلم عن طلحة (انما ظننت ظنا فلا تؤاخذوني بالظن) اذ لم يكن مطابقة الظن لكم وموافقة رأيكم هذا وعندي
أنه عليه الصلاة والسلام أصاب في ذلك الظن ولو ثبتوا على كلامه لفاقوا في الفن ولارتفع عنهم كلفة المعالجة فانما وقع التغير بحسب
جريان العادة الا ترى ان من تعود باكل شيء أو شربه يتفقده في وقته واذا لم يجده يتغير عن حالته فلو صبروا على نقصان سنة أو سنتين
لرجع النخيل الى حاله الاول وربما انه كان يزيد على قدره المعول وفي القضية اشارة الى التوكل وعدم المبالغة في الاسباب وقد غفل
عنه أرباب المعالجة من الاصحاب والله تعالى أعلم بالصواب

ومثناة تحتية ساكنة وجيم توفي سنة أربع وتسعين من الهجرة وأخرج له الستة وهو انصاري شهد أحدا (قال قدم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم المدينة) لما هاجر من مكة (وهم يأبرون النخل) بضم الباء الموحدة بعد الهمزة الساكنة والجملة حالية وتأبيرها ان يؤخذ من طلع النخلة الذكر ما يوضع في طلع غيرها حين ينشق فتلقح يقال ابرتها وابرتها بالتشديد وروى هنا يؤبرون مشددا والقاحها ان يخرج ثمرتها صالحة لا شيصا (فقال) لهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقد رآهم على رؤس الشجر وهم يأبرون كما في مسلم (ما تصنعون) استفهام تقريري (قالوا) شيء (كنا نصنعه) وهو التأبير ليثمر ثمرا حسنا (فقال) لهم (لو لم تفعلوا كان خيرا) أي لو تركتم التأبير للنخل كان خيرا من تأبيرها وروى ما أظن ذلك يغني شيئا فأخبروا بذلك (فتركوه) أي التأبير (فنقصت) بنون وقاف وصحف بعضهم بنون وفاء قاله ابن قرقول أي ثمرتها أو تغيرت فصارت شيصا غير مستوية (فذكروا ذلك) أي نقصها (له) صلى الله تعالى عليه وسلم (فقال انما أنا بشر) أصيب وأخطئ في أمور الدنيا التي لم يوح الي فيها شيء ولكن (اذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به) أي تمسكوا به ولا تخالفوني فيه (واذا أمرتكم بشيء من رأيي) أي يكون رأيا في أمور الدنيا الصرفة (فانما أنا بشر) مثلكم قد أرى رأيا والامر بخلافه في أمور الدنيا فلا يجب اتباعه (وفي رواية) لمسلم (عن أنس) رضي الله تعالى عنه (أنتم أعلم بامور دنياكم) أي بجميع أحوالها وأصناف الدنيا لهم لانه صلى الله تعالى عليه وسلم لا يريد شيئا منها ولا يلتفت اليه (وفي حديث آخر) رواه مسلم عن طلحة رضي الله تعالى عنه في هذه القصة (انما ظننت) بما قلته لكم (ظنا) مني انه لا يلزم ما فعلتموه (فلا تؤاخذوني بالظن) أي لا تجدوا علي في أنفسكم كدرا فيما ظننته خيرا لكم فتبين خلافه قال ابن رشد في كتاب التحصيل والبيان هذا الحديث روي بالفاظ مختلفة متقاربة معنى كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم ما أنا بزارع ولا صاحب نخل ولا منافاة اذ كل حكى ما سمع وانما نفى الظن بانه لا يلزم لاختصاصه بالحيوان ولم يكن ذلك عن وحي كما قاله الطحاوي وقال أبو الوليد انه صلى الله تعالى عليه وسلم بين انه لا تأثير في الصلاح والافساد لغير الله تعالى الا ان الله قد يجري العادة باسباب لذلك تعلم بالتجربة كالتأبير وهو صلى الله تعالى عليه وسلم لم يسبق له تجربة فيه وقيل عليه ان عدم علمه به بعيد فالاولى ان يقال انه صلى الله تعالى عليه وسلم نبههم على توكل الخواص بترك الاسباب الذي هو من مقامات الانبياء دون غيرهم وقوله لا تؤاخذوني الى آخره المراد انه ظنهم من أهل هذا المقام فلما أخبروه بحالهم ردهم لها وقال لهم أنتم أعلم بحالكم واستدل بهذا على ان الاجماع في أمور الدنيا لا يعتد به لرجوعه صلى الله تعالى عليه وسلم لقولهم كما رجع لهم في منزل بدر وياتي في كلامه قريبا كما في التلويح وقال ابن أبي شريف انه ممنوع وقول الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم حجة في الامور الدنيوية وغيرها لانه اما بوحي

(وفي حديث ابن عباس) رضي الله تعالى عنهما كما رواه البزار بسند حسن (في قصة الخرص) بفتح الخاء المعجمة فراء ساكنة فصاد مهملة هو الحرز والتقدير لما على الشجر من الرطب تمرا ومن العنب زبيبا أي تخمينه ظنا والقصة ما روى عن أبي حميد قال خرجنا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في غزوة تبوك فاتينا وادي القرى على حديقة لامرأة فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أخرصوها فخرصناها وخرص رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عشرة أوسق وقال لها احصيها حتى نرجع اليك ان شاء الله تعالى الى قوله ثم أقبلنا حتى قدمنا وادي القرى فسأل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم المرأة عن حديقتها كم بلغ تمرها قالت عشرة أوسق (فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انما أنا بشر) وفي كلام جنسهم خطر (فما حدثتكم

عن الله تعالى) أي وحيه جليا أو خفيا (فهو حق) أي صواب دائما (وما قلت فيه) أي من أمور الدنيا (من قبل نفسي) أي مما خطر لي (فانما أنا بشر أخطئ وأصيب وهذا) وارد (على ما قررناه) آنفا من انه عليه الصلاة والسلام قد يعتقد الشيء من أمور الدنيا على وجه ويظهر خلافه هذا قرره الدلجي على طبق ما حرره القاضي ولكن فيه انه لم يعتقده بل ظنه كما يدل عليه قوله (فيما قاله من قبل نفسه في أمور الدنيا وظنه من أحوالها) الجارية على منوال أفعال أهلها في منالها (لا ما قاله من قبل نفسه) جزما مع انه جاء مطابقا لما قاله جزما (واجتهاده في شرع شرعه) أي أظهره وبينه عزما (وسنة) وفي نسخة أو سنة (سنها) أي طريقة اخترعها لحديث أبي داود عن المقدام بن معدي كرب قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الا اني أوتيت القرآن ومثله معه يوشك رجل شبعان على أريكته يقول عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فاحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه وان ما حرم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مثل ما حرم الله تعالى ألا لا يحل الحمار الأهلي ولا كل ذي ناب من السباع ولا لقطة معاهد الا ان يستغني عنها صاحبها ومن نزل بقوم فعليهم ان يقروه فان لم يقروه فله ان يعقبهم بمثل قراه (وكما حكى ابن اسحق) وقد رواه البيهقي عن عروة والزهري أيضا انه (صلى الله تعالى عليه وسلم لما نزل بادنى مياه بدر) أي في أبعدها منه

أو باجتهاد لا يقر على الخطأ فيه ومراجعته كانت قبل استقرار اجتهاده والتلقيح من ربط المسبب بالسبب ولو شاء الله صلحت الثمرة بدونه وهو اعتقادنا وقوله أنتم أعلم لا ينافيه وفيه بحث فتدبر (وفي حديث ابن عباس) رضي الله تعالى عنهما الذي رواه البزار بسند حسن (في قصة الخرص) بفتح الخاء المعجمة وسكون الراء وصاد مهملتين وهو الحرز والتخمين لما على النخل والكرم من الرطب والعنب وتفسيره كما قال الترمذي ان الثمار اذا أدركت من الرطب والعنب وجبت الزكاة وبعث السلطان من يخمنها فخمنها وقال يخرج منها كذا وكذا فيبين قدره ومقدار عشره فيثبته عليهم فاذا جاء وقت الجذاذ أخذه وفائدته التوسعة على أرباب الثمار فيتناولوا منه ما أرادوا وهذا كان على عهده صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى عهد الخلفاء ولذا جوزه بعضهم ومنعه بعضهم لانه تخمين وفيه غرر واما الخرص بكسر الخاء فاسم للخروص (فقال صلى الله تعالى عليه وسلم انما أنا بشر) أي أنا مقصور على الصفة البشرية التي تجوز عليها الاصابة وعدمها وقيل هو قصر قلب خلافا لمن يعتقد أو يظن ان الخطأ في الامور الدينية لا يجوز عليه فعكس اعتقادهم فيما لا تعلق له بالشرع والوحي (فما حدثتكم عن الله فهو حق) لا يجوز الخلف فيه (وما قلت فيه) من أمور الدنيا (من قبل نفسي) برأي لا مر خطر على نفسي (فانما أنا بشر أخطئ) تارة (وأصيب) أخرى قيل هذا مما يستدل به على جواز خطأ في اجتهاده وقيل لا دليل فيه لانه لم يقله باجتهاد وانما هو ظن سنح له وقد تقدم ما فيه قريبا (وهذا على ما قررناه) من انه صلى الله تعالى عليه وسلم قد يرى شيأ من أمور الدنيا على وجه يظهر خلافه كما أشار اليه بقوله (فيما قاله من قبل نفسه في أمور الدنيا وظنه من أحوالها الا ما قاله من قبل نفسه واجتهاده في شرع شرعه) بالتخفيف والتشديد أي أظهره وبينه (وسنة سنها) وهذا كله مبني على انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يجتهد في بعض الاحيان وهو الصحيح كما تقرر في الاصول واذا اجتهد لا يخطئ ولا يقر على الخطأ وقد وقع له ذلك ولا حجة لمن منعه في قوله وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى ونحوه لانه اذا أذن له فيه كان وحيا مع انه الهام والهام الانبياء قسم من الوحي والمراد بالسنة الطريقة المحمدية من أقواله وأفعاله وسنها بمعنى جعلها أمرا متبعا وطريقا مهيعا لا ما يقابل الفرض فهي بالمعنى اللغوي وقوله فيما قاله من قبل نفسه تخصيص مفروغ عنه مقرر في مبحث الاجتهاد من كتب أصول الفقه فمن قال انه تخصيص من غير مخصص مع ما أطال فيه من الزوائد وضرب في حديد بارد غني عن الرد (وكما حكى) محمد (بن اسحق) رحمه الله تعالى في كتاب المغازي مما يشابه ما قبله من أمور الدنيا (انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما نزل) في غزوة بدر وبدر اسم ذلك المكان وبئر فيه سميت باسم صاحبها كما مر (بادنى مياه بدر)

أى أبعدها وأقلها ماء وليس محل النزول ونزلت قريش بالعدوة القصوى من الوادى والمسلمون بكثيب اعفر تسوخ فيه الاقدام وسبقهم المشركون الى الماء واحرزوه وحفروا الهم قليبا وأصبح المسلمون وبعضهم على غير طهارة محتاج للماء وأصابهم الظما ولم يصلوا الماء ووسوس الشيطان لبعضهم فى ذلك والفرار عنه فارسل الله عليهم مطرا سال منه الوادى فشربوا واستقوا وتطهروا وثبتت الاقدام و زالت وساوس الشيطان كما قال تعالى * وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به الآية وكان صلى الله تعالى عليه وسلم لما نزل بادنى مياهها (قال له الحباب) بضم الحاء المهملة وموحدتين علم منقول من اسم الثعبان (ابن المنذر رضى الله تعالى عنه) بن جموح بن زيد بن حزبن حرام بن غنم بن كعب بن سلمة الخزرجى الانصارى الصحابى الذى يقال له ذو الرأى توفى كهلا فى خلافة عمر رضى الله تعالى عنه (أهذا) المحل الذى أنزلتنا فيه يا رسول الله (منزل أنزلكه الله) عز وجل أى أمرك بالنزول فيه (ليس لنا ان نتقدمه) وننزل فيما هو أولى منه لانا لانخالف أمر الله بوحيه (أم هو الرأى) أى رأى منك بلا أمر من الله يجب اتباعه وليس تعريفه للاستغراق العرفى الى انه هو الرأى الكامل كما قيل لانه لا يناسب هنا (والحرب) أم هو محل مناسب لمحاربة الاعداء والنصرة فهو مجاز بذكره المسبب وارادة السبب (والمكيدة) أى الكيد والمكر لان الحرب خدعة والمكيدة مصدر ميمى بمعنى الكيد وهو الحيلة لايقاع ما يريده من السوء ويسمى الحرب كيدا كقوله فى الحديث لم يلق كيدا أى حربا (قال) صلى الله تعالى عليه وسلم (مجيبا له) رضى الله تعالى عنه (لا) أى لم يأمرنى الله بنزوله (بل هو الرأى والحرب المكيدة) أى نزلته برأى فيه لما ذكر (فقال) له الحباب (ليس) هذا المحل (بمنزل) مناسب لما ذكر لبعده عن الماء وكثرة رمله (انهض) أى قم من هنا وانتقل (حتى تاتى أدنى) أى أقرب (ماء من القوم) وهم قريش (فننزله) أى ننزل فيه (ثم نغور ما وراءه) أى نسده ونطمه حتى يذهب ماؤه الذى ينتفع به الاعداء وقوله ما وراءه ما موصولة بالظرف مقصورة وروى ماء بالمد ما بعده صفته (من القلب) بضم القاف واللام وقد تسكن وهو جمع قليب وهو البئر الذى لم تطو أى لم تبن أطرافها بالحجارة ونغور بضم النون وتشديد الواو بينهما غين معجمة أو مهملة كما قال فى المقتفى وقال السهيلى انه بضم العين المهملة وسكون الواو وفى حواشى السيرة لابى ذر الخشنى من رواه بغين معجمة معناه نذهبه وندفنه ومن رواه بمهملة معناه نفسده انتهى وفى اهماله مناسبة للعين لاتخفى (فنشرب) أى المسلمون منه (ولا يشربون) أى الكفار (فقال) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم للحباب (أشرت بالرأى) أى بالرأى الصواب الحسن (وفعل) صلى الله تعالى عليه وسلم (ما قاله الحباب) بن المنذر له فنزل على الماء وبنى حوضا يشربون منه الى آخر ما ذكره ابن اسحق فى سيرته وروى ابن سعد ان جبريل نزل عليه صلى الله تعالى عليه وسلم وقال له الرأى ما أشار به الحباب ثم ذكر ما دعاه للمشاورة فقال (وقد قال الله تعالى له صلى الله تعالى عليه وسلم وشاورهم فى الأمر) الأمر للندب لا للوجوب وانما أمره بذلك تطييبا لخاطرهم وقلوبهم ورفعا لقدارهم لان كبراء العرب كانوا اذا لم يشاوروا اشق ذلك على نفوسهم فامره بذلك رعاية لهم وتشريعا لمن بعدهم وان كان صلى الله تعالى عليه وسلم أكمل الناس عقلا وأشدهم رأيا واختلف فى ذلك فقيل كان فيما لم ينزل فيه وحى ليجتهد فيه ويجتهدوا معه فان الاجتهاد

(قال له الحباب بن المنذر) بضم الحاء المهملة وبموحدتين الخزرجى وكان يقال له ذو الرأى توفى فى خلافة عمر كهلا ولم يرو نقلا (هذا منزل أنزلكه الله ليس لنا ان نتقدمه) لابان نتاخر عنه ولا ان نتقدم عليه (أم هو الرأى والحرب والمكيدة) وهى مفعلة من الكيد بمعنى المكر يعنى فلنا المخالفة فان الحرب خدعة والمكيدة بمعنى الخديعة واقعة (قال لا) أى لم ينزلنى الله تعالى فيه ولم يامرنى به وانما وقع نزولى فيه اتفاقا من غير تامل فى أمره وقد أمرنى الله تعالى بقبول قولكم فى مصلحة أمركم حيث قال وشاورهم فى الامر (قال فانه ليس بمنزل) مرضى بحسب العقل (انهض) بفتح الهاء والضاد المعجمة وهو القيام الى الشئ بالسرعة والعجلة أى قم لنا وانتقل بنا (حتى ناتى أدنى ماء) أى أقربه (من القوم) يعنى قريشا (فننزله ثم نغور ما وراءه من القلب) بضمتين جمع قليب وهو البئر ونغور بتشديد الواو المكسورة بعد عين مهملة وقيل معجمة فعلى الاول أى نفسدها عليهم وعلى الثانى نذهبها فى الارض وندفنها لئلا يقدروا على الانتفاع بها وفى رواية السهيلى بضم العين المهملة وسكون الواو وهى لغة فيها (فنشرب ولا يشربون) أى منها (فقال أشرت بالرأى) أى الصحيح (وفعل ماقاله) أى الحباب

بحضرته فى هذا الباب وقد روى ابن سعد انه نزل جبريل عليه السلام على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال الرأى ما أشار به الحباب (وقد قال الله تعالى) أى وأمره عليه الصلاة والسلام بقوله (وشاورهم فى الامر) ومدحهم فى مواضع أخر فقال وأمرهم شورى بينهم وعنه صلى الله تعالى عليه وسلم ما تشاور قوم الاهدوا الارشد أمرهم وقد ورد ما خاب من استخار ولا ندم من استشار

(وأراد) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في غزوة الاحزاب (مصالحة بعض عدوه على ثلث ثمر المدينة) من التمر وغيره وفي نسخة بالتاء الفوقية (فاستشار الانصار) كما رواه البزار عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه بلفظ جاء الحارث الغطفاني الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال يا محمد ناصفنا ثمر المدينة والاملأناها عليك خيلا ورجلا فقال حتى استامر السعود يعني سعد بن عبادة وسعد بن معاذ فشاورهما فقالا لا والله ما أعطينا الدنية من أنفسنا بالجاهلية فكيف وقد جاء الله تعالى بالاسلام وفي رواية ابن اسحق انه عليه الصلاة والسلام أراد في غزوة الخندق ان يقاضي أي يصالح بذلك عيينة بن حصين الفزاري والحارث بن عوف المري وهما قائدا غطفان فاستشار صلى الله تعالى عليه وسلم في ذلك سعد بن معاذ وسعد بن عبادة فقال سعد بن معاذ يا رسول الله قد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله تعالى وعبادة الاوثان لا نعبد الله ولا نعرفه وهم لا يطمعون ان يأكلوا منها ثمرة الاقرى أو بيعا فحين اكرمنا الله تعالى بالاسلام وهدانا له واعزنا بك وبه نعطيهم أموالنا ما لنا بهذا من حاجة والله لا نعطيهم الا السيف حتى يحكم الله تعالى بيننا وبينهم فقال عليه الصلاة والسلام فانت وذاك القصة وهذا معنى قوله (فلما أخبروه برأيهم رجع عنه) أي عن رأيه (فمثل هذا) أي ما ذكر عن الحباب ببدر وعن الانصار في الاحزاب (وأشباهه من أمور الدنيا) مما لم يكن به الاعتناء (وهي التي لا مدخل فيها العلم ديانة ولا اعتقادها ولا تعليمها) أي مما لم يؤمر به بيانا وتعليما وتبيانا (يجوز عليه فيها ما ذكرناه) وفي نسخة ما ذكروا أي من انه صلى الله تعالى عليه وسلم قد يظن شيئا على وجه ويظهر خلافه (اذ ليس في هذا كله نقيصة) أي منقصة (ولا محطة) له عن رفعة مرتبة وعلو منزلة. (وانما هي أمور اعتيادية اعتادها الناس وألفوها (يعرفها من جربها) مرة بعد أخرى (وجعلها همه) أي غاية همه فيها وشغل نفسه بها وعالجها وعاناها (والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم يقول) في دعائه ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا وهو (مشحون القلب) أي مملوء (بمعرفة الربوبية) وما يتعلق بها من آداب العبودية

بحضرته جائز أيضا كما تقرر في الاصول وقيل انه مخصوص بامور الدنيا ومصالح الحرب فانهم جربوها وقاسوا شدائدها وكلام المصنف رحمه الله تعالى يومي لهذا ولذا قال (وأراد) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (مصالحة بعض عدوه على ثلث ثمر المدينة) الحاصل من نخلها وكان ذلك في غزوة الخندق لما بعث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى عيينة بن حصين والى الحارث بن عوف المري وهما قائدا غطفان بان يعطيهما ما ذكر (فاستشار الانصار) رضي الله تعالى عنهم أي شاورهم ليرى رأيهم والمستشار منهم سعد بن معاذ وسعد بن عبادة رضي الله تعالى عنهما (فلما أخبروه برأيهم) في ذلك وهو ما قال له سعد بن معاذ يا رسول الله قد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك وعبادة الاوثان لا نعبد الله ولا نعرفه وهم لا يطمعون ان يأكلوا منها ثمرة الا قرى أو بيعا فحين اكرمنا الله تعالى بالاسلام وهدانا له واعزنا بك وبه نعطيهم أموالنا ما لنا بهذا من حاجة والله لا نعطيهم الا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم (رجع عنه) أي عن رأيه في اعطائهم وقال لسعد أنت وذاك كما ذكره ابن اسحق في مغازيه وساق القصة بتمامها وذلك لما اشتد الامر على المسلمين وظهر من المنافقين ما ظهر بعث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اليهما بذلك وارادان يكتب به صحيفة فلما استشار فيه السعدين وقال له ابن معاذ أمرك الله بهذا قال لا ولكن أردت دفعهم فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم ما ذكرناه آنفا وتناول الصحيفة ومحاها وجرى ما جرى حتى هزم الله الاحزاب وحده وأعز جنده (فمثل هذا) المذكور من قصة الحباب والانصار وغيره (وأشباهه) مما يضاهيه (من أمور الدنيا التي) لا اعتناء له صلى الله تعالى عليه وسلم بها و(لا مدخل فيها العلم ديانة) أي أمور متعلقة بالشرع والدين وأحكامه (ولا اعتقادها ولا تعليمها) بالجر عطف على قوله ديانة أي ليس مما أمر صلى الله تعالى عليه وسلم باعتقاده وتبليغه لامته وتعليمه لهم (يجوز عليه فيه ما ذكرناه) من ان يعتقده على وجه فيظهر له خلافه لانه ليس من مهمات الدين والجملة خبر قوله هذا (اذ ليس في هذا كله نقيصة) له صلى الله عليه وسلم لانه ليس مهما عنده (ولا محطة) بحاء وطاء مهملتين من الحط وهو التنزيل لا سفل أي لا يحط على مقامه ولا يعيبه (وانما هي أمور اعتيادية) أي جارية على عادة الناس فيها الا من العلم والاحكام (يعرفها من جربها) واعتنى بها وهو صلى الله تعالى عليه وسلم لا يعتني بها ولا يخالطها فضلا عن تجربتها (وجعلها همه) أي أمر اهتم به وبتقيده هو صلى الله عليه وسلم لا يلتفت لها (وشغل نفسه بها) أي بامور الدنيا غناها وزوالها (والنبي) صلى الله تعالى عليه وسلم (مشحون القلب) أي قلبه مملوء (بمعرفة الربوبية) وما يتعلق بها من اجلال وتكريم وتنزيه وتعظيم أي لم يبق فيه محل فارغ لغيرها حتى يخطر بباله كما قيل

تملك بعض حبك كل قلبي * فان ترد الزيادة هات قلبا

(ملآن الجوانح) أي الاضلاع وفي نسخة الجوارح (بعلوم الشريعة مقيد البال) أي مربوط القلب في جميع الحال

وقد تقدم ومشحون بمعنى مملوء غير خال منها يقال شحن السفينة اذا ملأها (ملآن الجوانح) جمع جانحة وهي الضلوع التي تلي الصدر وجعل معرفة الله وصفاته ملأ قلبه اشارة الى انها أول ما علمه وانها اعتقادات حقة وهي أول ما يجب كما قيل

أتاني هواها قبل ان أعرف الهوى * فصادف قلبا خاليا فتمكنا

وجعل ما علمه بعده فيما يتعلق (بعلوم الشريعة) ملأ صدره لوروده عليه بعدها وهو في غاية الحسن والاتقان وقيل كني بالجوانح عن نفسه مجازا مرسلا من اطلاق الجزء على الكل ولا يخفى ما فيه (مقيد البال بمصالح الامة الدنيوية والاخروية) والبال هنا بمعنى الخاطر الذي يخطر على النفس لا بمعنى القلب وان ورد بهذا المعنى لانه أراد ان أفكاره صلى الله تعالى عليه وسلم وخواطره بعد معرفة الله تعالى وتلقي ما أوحي اليه لا يشتغل الا بمصالح الامة المذكورة والمراد أمورهم التي بها اصلاح دينهم بتعليمهم ما يجب لهم وعليهم من الطاعات والاعتقادات والمراد بالدنيوية ما يتعلق بدنياهم في معاملاتهم ونحوها من الامور الشرعية ولله دره فيما أتى به من تتابع التفنن في العبارة حيث ذكر ما يتعلق به صلى الله تعالى عليه وسلم أولا من معرفة ربه ملء قلبه ثم ما يتعلق به من تلقي الوحي ملء صدره ثم جعل ما يتعلق بامته وتبليغهم وتعليمهم خواطر وأفكارا فاعرفه (ولكن هذا) أي ما يعتقده ويظهر خلافه (انما يكون) أي يقع له صلى الله تعالى عليه وسلم ويتفق (في بعض الامور) الدنيوية العادية التي تعرف بالتجربة وكثرة المزاولة (و) مع انه أيضا انما (يجوز) صدوره منه بخلاف ما هو عليه (في النادر) أيضا والا فسلامة عقله صلى الله تعالى عليه وسلم وشدة حذقه تقتضي انه أعلم الناس بامور دنياهم أيضا لانه أوفر الناس عقلا وقد أطلعه الله تعالى على أسرار الوجود من مذموم ومحمود وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم أنتم أعلم بامر دنياكم انما أراد به تطييب قلوبهم كما مر وان لا يزكي نفسه الشريفة تواضعا منه صلى الله تعالى عليه وسلم (و) ما ندر منه وقوعه كان (فيما سبيله) أي طريق العلم به (التدقيق) اي تدقيق النظر فيه بتكريره وصرفه (في حراسة الدنيا) أي حفظ أمور الدنيا وصونها (واستثمارها) أي طلب زيادتها ونموها وثمرتها وهو أمر ناشئ عن محبتها والحرص على تحصيلها وهو صلى الله تعالى عليه وسلم لا يريد حرث الدنيا ولا يشتغل بها خاطره ومع ذلك ما وقع منه عدم العلم بها الا نادرا (لا في الكثير) من أمورها (المؤذن) الذي يعلم كثرته من اطلع عليه انه صدر (ب) سبب (البله والغفلة) البله والبلاهة نقص في العقل وهو صلى الله تعالى عليه وسلم أكمل الناس وأرجحهم عقلا والغفلة دون البله وهو كونه لعدم حذقه يغفل عن بعض الامور وما ورد في الحديث من ان أكثر أهل الجنة البله فالمراد بهم كما في النهاية الغافلون عن الشر لانهم مطبوعون على الخير وحسن الظن بالناس لان نقص العقل لا يمدح به ولبعضهم في بعض الحمقاء وقد بني له دارا حسنة

أدارك يا هذا أعدت جنة * وان أهل الجنة البله

(وقد تواتر بالنقل) تواترا معنويا كتواتر كرم حاتم وشجاعة علي كرم الله وجهه عمن لا يمكن تواطئهم على الكذب في الجميع لا في مادة مخصوصة (عنه صلى الله تعالى عليه وسلم) متعلق بتواتر (من المعرفة بامور الدنيا) وأحوالها تفصيلا من غير الامور المشروعة (و) معرفة (دقائق) أي الامور الدقيقة التي تخفى على كثير منهم (مصالحها) أي حاجاتهم التي بها اصلاح العالم في المعاش (وسياسة فرق أهلها) عربا وعجما على اختلاف عقولهم وطباعهم وعاداتهم وألسنتهم والسياسة حكم الناس وضبط أمورهم الجارية بينهم حتى لا يتعدى بعضهم على بعض يقال ساسه يسوسه اذا حكم عليه بما يجعله منقادا (ما هو) ما موصولة أو موصوفة فاعل تواتر (معجز في البشر) أي أمور يعجز البشر عن مثلها والبشر بنو آدم سموا به لظهور بشرتهم أي ظاهر

(بمصالح الامة الدينية والدنيوية) أي التي لها تعلق بالامور الاخروية (ولكن هذا) أي ما يظنه على وجه ويظهر خلافه (انما يكون في بعض الامور) الدنيوية أي التي ليس لها تعلق أصلا بالاحوال الدينية (ويجوز) أي وقوع مثله عنه (في النادر منها وفيما سبيله التدقيق) أي تدقيق النظر وتحرير الفكر (في حراسة الدنيا) بكسر أوله أي محافظتها ومراعاتها (واستثمارها) أي تحصيل ثمرتها ونتيجتها المترتبة عليها (لا في الكثير) من أمورها (المؤذن بالبله) بفتحتين أي المشير الى البلاهة (والغفلة) المؤذنة بقلة شعورها والحاصل انه عليه الصلاة والسلام واتباعه الكرام كانوا على ضد حال الكفار وارباب الكفر اللئام كما قال الله تعالى يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون (وقد تواتر بالنقل من جمع يمتنع من تكذيبهم العقل (عنه صلى الله تعالى عليه وسلم من المعرفة بامور الدنيا) وأحوالها (ودقائق مصالحها وسياسة فرق أهلها ما هو معجز في البشر) حيث لم يقدر أحد ان ياتي بنظام أمور هذا الباب

جلدهم

(مما قد نبهنا عليه في باب معجزاته من هذا الكتاب) * (فصل وأما ما يعتقده) * وفي حاشية الحجازي ويروى بضم أوله وفتح ثالثه والقاف (في أمور أحكام البشر الجارية على يديه) صلى الله تعالى عليه وسلم (وقضاياهم) المرفوعة منهم اليه (ومعرفة الحق منهم من المبطل) وأغرب التلمساني في ضبطهما بصيغة المفعول وتفسيرهما بالحق والباطل وغرابته من جهة المبني والمعنى في هذا المقام مما لا يخفى (وعلم المصلح من المفسد) من يداخل باصلاح أو افساد من العباد في أمور البلاد (فهذا السبيل) أي ما ذكر هنا من معتقده ومعرفته على الوجه الجميل (لقوله عليه الصلاة والسلام) فيما رواه الشيخان وغيرهما عن أم سلمة (انما أنا بشر) وانما يوحى الي أحيانا (وانكم تختصمون) بينكم وترفعون الامر (الي ولعل بعضكم الحن) أي أعرف وأفطن (بحجته) أي خصومته وتبيين بينته وطريق تمشيته ومنه قول عمر بن عبد العزيز عجبت لمن لاحن الناس كيف لا يعرف جوامع الكلم أي فاطنهم (من بعض) لبلاهته أو لصفاء حالته (فاقضي له) أي فاحكم (على نحو) بالتنوين (مما أسمع) أي منه كما في نسخة يعني من كلامه حيث لم أعرف حقيقة مرامه وفي نسخة على نحو ما اسمع بالاضافة (فمن قضيت له من حق أخيه بشئ) فيما ظهر لي على وجه يكون الامر في الواقع بخلافه (فلا يأخذ منه شيأ فانما اقطع له قطعة من النار) لبناء أحكام شريعته على الظاهر وغلبة الظن في قضيته وقد ورد نحن نحكم بالظواهر والله أعلم بالسرائر وانما صدر الحديث بقوله انما أنا بشر مثلكم ايذانا بان السهو والنسيان غير مستبعد من الانسان وان الوضع البشري يقتضي أن لا يدرك من الامور الشرعية الا الظواهر هاتمهيدا للمعذرة فيما عسى يصدر عنه عليه الصلاة والسلام من أمثال تلك الاحكام ولو كان نادرا في الايام وليس هذا من قبيل الخطأ في الحكم فان الحاكم مأمور مكلف بان يحكم بما يسمع من كلام الخصمين وبما تقتضيه البينة لا بما في نفس الامر في القضية حتى لو حكم لمبطل في دعوى بشاهدي زور وفق مدعاه وظن القاضي عدالتهما فهو محق في الحكم وان لم يكن المحكوم به ثابتا في نفس الامر

جلدهم من غير استتار بشعر ووبر كالحيوانات (كما قد نبهنا عليه في باب معجزاته من هذا الكتاب) كما تقدم تفصيله فلا حاجة لاعادته هنا لانه صلى الله تعالى عليه وسلم لما فوض الله تعالى له الامانة العظمى على جميع الخلق والحكم بينهم ودعوتهم لطاعته لزمه أن يعلم جميع أحوال الناس دنيوية ودينية ليتم أمره ويتأتى له ما أمر به فلا يخفى عليه الامور وقليلة لا يضره عدم العلم بها ولذا كان صلى الله تعالى عليه وسلم يحكم بالسلطنة والقضاء والفتوى كما فصلوه وسبق الفرق بين أحكامه فيها

* (فصل) * قال المصنف رحمه الله تعالى (وأما ما يعتقده) صلى الله تعالى عليه وسلم (في أمور أحكام البشر) أي ما يحكم به عليهم في أمورهم التي ترفع اليه من الامور (الجارية على يديه) أي الواقعة عنده فاستعار الجري على يديه لهذا (وقضاياهم) أي أمورهم التي ترفع اليه صلى الله عليه وسلم ليقضي فيها بما أراه الله تعالى (ومعرفة المحق من المبطل) ضمن المعرفة معنى التمييز فعداه بمن والمحق والمبطل أسماء فاعل بمعنى من هو على الحق أو الباطل وكونه اسم مفعول كما قيل ركيك من غير داع له (وعلم المصلح من المفسد) أي أهل الصلاح والفساد (فبهذه السبيل) الباء ظرفية أي جاء في هذه الطريقة السابقة في أمور الدنيا التي قد يظهر له منها الامر بخلافه أحيانا ولا يضره لما سيأتي وهو وان كان لا يخفى في الله تعالى عنه علمه أصلا كما قاله بعض العارفين يظهره الله منه لئلا يضل به بعض أمته اذ يوهمه انه يعلم الغيب فيقعون فيما وقع فيه النصارى فلذا كان يستره كما قال الابوصيري رحمه الله تعالى

لم يمتحنا بما تعيى العقول به * حرصا علينا فلم نرتب ولم نهم

(لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم) في حديث رواه الشيخان مسندا وأبو داود وعنه رواه المصنف رحمه الله تعالى لعلو سنده فيه كما مر وتقدمت الاشارة اليه مرارا (انما أنا بشر) لا أعلم الغيب (وانكم تختصمون الي) في أموركم عندي وتردون حكمها الي (ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض) أي أعرف بقيام الحجة وأفصح في بيانها ممن يخاصمه وأصل معنى اللحن الميل عن الاستقامة ومنه اللحن في الاعراب لميله عن الصواب واللحن الطرب ومنه الحان القراءة وفي الاساس لحن بحجته فطن لها فيصرفها لما يشاء وفلان ألحن بحجته من صاحبه انتهى أي أفصح منه وأقدر على اقامة الحجة (فاقضي له) واحكم (على نحو) بالتنوين أي على نوع وضرب (مما أسمع) من كلامه بحسب الظاهر منه (فمن قضيت له من حق أخيه بشئ) ولو قليلا أي حكمت له بشئ ليس له حق فيه وانما هو حق لخصمه وعبر بالاخ عن الخصم كقوله تعالى ان هذا أخي له تسع وتسعون نعجة للاستعطاف والحث على عدم الحيف (فلا يأخذ منه شيأ) ليس حقه (فانما أقطع له) بما أعطيه من حق غيره (قطعة من النار) فجعل ما يأخذه بغير حق قطعة من نار جهنم مبالغة في حرمته عليه واستحقاقه للعذاب تنزيله منزلة عذابه حقيقة كما في قوله تعالى ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا وحاصله ان حكم الحاكم بحسب الظاهر صحيح نافذ ولكنه ان خالف الواقع لا يحل حراما ولا يحرم حلالا

(حدثنا الفقيه أبو الوليد رحمه الله تعالى) أى الباجى وهو هشام بن أحمد وهو ابن العواد (حدثنا الحسين بن محمد الحافظ) هو أبو على الغسانى (ثنا أبو عمر) أى ابن عبد البر حافظ المغرب (ثنا أبو محمد) هو عبد الله بن محمد بن عبد القرطبى من قدماء شيوخ ابن عبد البر كان تاجرا صدوقا (ثنا أبو بكر) وهو ابن داسة راوى السنن عن أبى داود (ثنا أبو داود) وهو حافظ العصر صاحب السنن (ثنا محمد بن كثير) بفتح الكاف وكسر المثلثة العبدى البصرى يروى عن شعبة والثورى عاش تسعين سنة أخرج له الأئمة الستة (أخبرنا سفيان) قال الحلبى الظاهر انه الثورى ومستندى فى هذا ان الحافظ عبد الغنى ذكر الثورى فيمن روى عنه محمد بن كثير ولم يذكر ابن عيينة وفى التهذيب قال روى عن سفيان وأطلق فحملت المطلق على المقيد قلت وكلاهما امامان جايلان فى مقامهما فلا اشكال فى ابهامها (عن هشام بن عروة عن أبيه) سبق الكلام عليهما (عن زينب بنت أم سلمة) ربيبة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم صحابية أخرج لها الأئمة الستة لها الرواية عنه صلى الله تعالى عليه وسلم أيضا وكان اسمها برة بفتح الموحدة فقال صلى الله تعالى عليه وسلم فلا تزكوا أنفسكم الله أعلم باهل البر منكم فسماها زينب (عن أم سلمة) احدى أمهات المؤمنين (قالت قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الحديث) كما تقدم وسبق انه رواه الشيخان وغيرهما (وفى رواية الزهرى) وهو الامام العالم (عن عروة) وقد تقدم (فلعل بعضكم أن يكون ابلغ من بعض) أى افصح أو اكثر بلاغا يقال بالغ يبالغ مبالغة وبلاغا اذا اجتهد فى الامر أى اجهد نفسه فى ايصال كلامه الى يغلب ذهن سامعه انتصر الدلجى عليه وفيه انه لا يبنى افعل من غير الثلاثى المجرد الا بتقويه بأشد ونحوه فلو أريد هذا المعنى لقيل أكثر تبليغا أو أشد بلاغا ونحوهما (فاحسب انه صادق) أى أظن انه فى قوله لما فى نفس الامر موافق (فاقضى له) بما أظنه انه يستحقه (ويجرى) من الاجراء أى يمضى (أحكامه عليه الصلاة والسلام) وفى نسخة يجرى من الجريان أى وتقع أحكامه عليه الصلاة والسلام ويروى أحكامهم (على الظاهر) من الامور واحوال الانام (وموجب) بفتح الجيم أى ومقتضى غلبات الظن جمع باعتبار جمع القضايا (بشهادة الشاهد) أى جنسه تارة (ويمين الحالف) أخرى عند انكاره وعدم البينة على خلافه

نحكم بالظاهر وعند الله تعالى علم السرائر وهذا فى الاموال والدماء وغيرهما فالحكم ينفذ بحسب الظاهر ويبقى الباطن فى الآخرة وقد وقع الخلاف بين الفقهاء فى بعض أحكام الفروع كما شهد شاهدا زور على رجل انه طلق امرأته وحكم الحاكم بالفرقة بينهما وهو لم يقع منه طلاق فى نفس الامر فهل يجوز له أن ينكحها بعد الحاكم المذكور أم لا فيه قولان كما فى كتب الفروع (حدثنا الفقيه أبو الوليد) رحمه الله تعالى تقدم بيانه قال (حدثنا الحسين بن محمد) هو الحافظ أبو على الغسانى وقد تقدم قال (حدثنا أبو عمر) هو ابن عبد البر وقد تقدم قال (حدثنا أبو محمد) عبد الله بن محمد بن عبد المؤمن القرطبى كان ممن لقى ابن داسة وأخذ عنه وترجمه الذهبى قال (حدثنا أبو بكر) هو ابن داسة راوى سنن أبى داود كما تقدم قال (حدثنا أبو داود) الامام المشهور صاحب السنن وقد تقدم قال (حدثنا محمد ابن كثير) بكاف مفتوحة ومثلثة مكسورة وتحتية ساكنة وهو ابن كثير العبدى البصرى الامام المشهور أخرج له الستة توفى سنة مائتين وثلاث وعشرين وعمره تسعون سنة وترجمته فى الميزان قال (حدثنا) وفى نسخة أخبرنا (سفيان) أى الثورى لا ابن عيينة لانه الذى يروى عنه ابن كثير وبه صرح عبد الغنى فيحمل المطلق عليه (عن هشام بن عروة عن أبيه) عروة وقد تقدم الكلام عليهما (عن زينب بنت أم سلمة) أم المؤمنين رضى الله تعالى عنها و زينب هذه بنت أبى سلمة ربيبة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهى صحابية تزوجها عبد الله بن زمعة توفيت بنت ثلاث وسبعين (عن أم سلمة) أم المؤمنين المذكورة واسمها هند وقيل رملة كما تقدم (قالت قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الحديث) المذكور يعنى انما أنا بشر الى آخره وقدم المتن على السند هنا وهو جائز لانه مبين لما عقد له الفصل كالترجمة له وعدل فيه عن رواية الصحيحين لعل سنده فى سنن أبى داود أولانه ضمه لما هو مشهور معلوم تقوية له (وفى رواية الزهرى) ابن شهاب الامام المشهور (عن عروة) تقدمت ترجمته (فلعل بعضكم) وقع فى هذه الرواية بالفاء التفريعية وفيه (أبلغ من بعض) مكان الحن فهو من البلاغة ليوافق معنى الرواية الاخرى وما قيل من انه من البلوغ وهو الوصول أى أسرع وصولا للحجة مع انه غير مناسب مخالف للظاهر فلا حاجة لتكلفه وقيل انه من المبالغة والزيادة فى اجتهاده بترويج حجته (فاحسب انه صادق) فيما ادعاه بحسب الظاهر وان وما بعده سادمسد مفعولى احسب (فاقضى له) أى أحكم له بما أظنه حقه (و) هو صلى الله تعالى عليه وسلم (تجرى) بمثناة فوقية (أحكامه) مرفوع نائب مناب فاعله أو بتحتية مضمومة وأحكامه منصوب مفعوله (على الظاهر) من الامور وما يقتضيه (و) يجرى على (موجب) بضم الميم وفتح الجيم أى ما يقتضيه (غلبات الظن) أى ما يغلب تحقيقه فى ظنه بحسب ظاهر الحال وجمع غلبات باعتبار تعدد الخصوم ومات ثم بين سبب غلبة ظنه بما قضى به فقال (بشهادة الشاهدين) أى بسبب ذلك (ويمين الحالف) اذا حلف فانه

(ومراعاة الاشبه) مما يظنه حقا وقال التلمساني يعني في الحكم بالقائف أقول وهذه مسئلة مختلف فيها (ومعرفة العفاص) بكسر العين والصاد المهملتين بينهما فاء بعدها الف الوعاء الذي يكون فيه الشئ (والوكاء) بكسر أوله ممدودا خيط الوعاء والمراد كل ما يربط من صرة وغيرها والمعنى أنه عليه الصلاة والسلام بنى أمره في الاحكام على الامور الظاهرة من الشهادة واليمين والشبه ومعرفة الوعاء والوكاء في اللقطة من الاشياء وقد أغرب الدلجي حيث قال كني بالعفاص والوعاء عما يظهر له من فحوى كلام الخصمين مما يظن به حقيقة ما ادعى به (مع مقتضى حكمة الله تعالى في ذلك فانه تعالى لوشاء

لاطلعه) أي نبيه (على سرائر

يغلب على الظن صدقه والمراد اليمين الذي يقتضيه الشرع في محله ولذا قال الحالف من غير تعيين فلا وجه لصرفه للعان من غير ما يشعر به في العبارة وظن بعضهم ان يمين الحالف المراد بها اليمين مع شاهد واحد الذي حكم به بعض الائمة ولا حاجة تدعو له (ومراعاة الاشبه) أي ما هو أكثر شبها بالحق بما فيه من القرائن وظن بعضهم ان الاشبه المراد به شبه الولد في الملاعنة (و) مما حكم فيه بالظاهر اللقطة وما فيها من (معرفة العفاص) وهو بكسر العين المهملة وفاء مفتوحة مخففة قبل الالف وصاد مهملة وهو وعاء من جلد ونحوه يوجد فيه ما التقط (والوكاء) بكسر الواو ما يربط به فاذا عرفها وجاء طالبها يسأل عن اماراتها فاذا بينها تدفع له لغلبة الظن بانه صاحبها وهو اشارة لما ورد في الحديث الصحيح وعرفها سنة ثم احفظ عفاصها ووكاءها وان جاء أحد يخبرك بها والا فانفقها (مع مقتضى حكمة الله تعالى في ذلك) أي له اقتضت حكمة الله تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام ان يحكم بالظاهر ليقتدى به من بعده من حكام أمته ولو أراد ان يطلعه الله تعالى في كل قصة على حقيقتها فعل ولكنه لا يتيسر لمن بعده اتباعه في أحكامه وهذه الاحكام وان خالفت الواقع لا خطأ فيها لانه مأمور بالحكم به وليس من قبيل اجتهاده حتى يقال انه لا يخطئ فيه ولا يقر على الخطأ فيما في ما تقدم وهو ظاهر جدا (فانه) صلى الله تعالى عليه وسلم (لو شاء لاطلعه الله تعالى على أسرار عباده) أي ما خفي منها فاراد الله تعالى ان لا يطلعه وانه اذا أطلعه لا يظهر لهذه الحكمة (ومخبآت ضمائر أمته) أي ما أضمروه وأخفوه من أنفسهم مما لا يطلع عليه الا الله تعالى عالم الغيب وهي جمع مخبأة اسم مفعول مشدد الباء أي مكنونة غير ظاهرة وخبايا الارض في الحديث الزرع لاستتاره اذا بذر وفي الحديث ابتغوا الرزق في خبايا الارض وقال الشاعر

تتبع خبايا الارض وادع مليكها * لعلك يوما ان تجاب وترزقا

(فتولى الحكم بينهم بمجرد يقينه وعلمه) يعني لو أطلعه الله على السرائر ليحكم بها كان يحكم بعلمه فيها (دون حاجة) له في حكمه (الى اعتراف) أي اقرار من الخصم (أو بينة) تشهد عليه (أو يمين) تتوجه على المنكر (أو شبهة) أي مشابهة في الامر للحق كما تقدم والامر بخلافه (ولكن لما أمر الله تعالى أمته في اتباعه) في أحكامه التي شرعها لهم (والاقتداء به في أفعاله) المشروعة (وأحواله وقضاياه) أي أحكامه صلى الله تعالى عليه وسلم في غزواته وغيرها (فكان هذا) الامر الذي أمر باتباعه (لو كان مما يختص) صلى الله تعالى عليه وسلم (بعلمه) أي أعلمه الله تعالى به مما خفي على غيره (ويؤثره الله تعالى به) أي يخصه صلى الله تعالى عليه وسلم به دون أمته لانه وحي أو الهام له (لم يكن للامة سبيل) أي طريق لهم (للاقتداء به في شئ من ذلك) لعدم علمهم به لانه مما آثره الله تعالى به (ولا قامت حجة) بعده صلى الله تعالى عليه وسلم (بقضية من قضاياه) في أمر من الامور الدينية (لاحد) من أحكام أمته وخلفائه (في شريعته) وأحكامه (لانا لا نعلم ما اطلع عليه) باطلاع الله تعالى له على ما خفي منه (هو في تلك القضية لحكمه هو اذن في ذلك بالمكنون) أي الخفي (من اعلام الله تعالى له بما أطلعه الله تعالى عليه من سرائرهم) التي

عباده) من أهل ملته (ومخبآت) أي مخفيات (ضمائر أمته فتولى الحكم بينهم بمجرد يقينه وعلمه) حينئذ (دون حاجة) أي من غير افتقار له (الى اعتراف) من أحد المتخاصمين بالحق (أو بينة أو يمين أو شبهة) أي مشابهة ومناسبة ترجح الحكم لاحد وكل ذلك على تقدير مشيئة الله تعالى اطلاعه عليه الصلاة والسلام في القضايا (ولكن لما أمر الله تعالى أمته باتباعه) في قواعد شريعته (والاقتداء به في أفعاله وأحواله وقضاياه وسيره) أي طريقته (وكان هذا) أي ما أمر الله تعالى أمته باتباعه في جميع سيرته (لو كان مما يختص) أي النبي عليه الصلاة والسلام (بعلمه ويؤثره الله تعالى به) أي بانفراده واختصاصه (لم يكن للامة سبيل الى الاقتداء به في شئ من ذلك) لعدم اطلاعهم على حقيقته ووقوع ما هنالك (ولاقامت) بعده (حجة) على من خالف أمرا من أمور دينه (بقضية من قضاياه لاحد) من حكام ملته (في شريعته) على أحد من أمته (لانا لا نعلم مما اطلع) من الاطلاع أو الاطلاع أي مما أوثر به (هو في تلك القضية) المرفوعة اليه (لحكمه هو اذن) أي حينئذ (في ذلك) أي في وقت ورودها هنالك (بالمكنون) أي المستور (من اعلام الله تعالى له بما أطلعه عليه من سرائرهم) أي ضمائرهم

(وهـذا) الامر المكنون والسر المصون (مما لا تعلمه الامة) اذ لا يطلع على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول وأما الاولياء وان كان قد ينكشف لهم بعض الاشياء لكن علمهم لا يكون لهم (يقينا والهامهم لا يفيد الا أمرا ظنيا وبهذا المقال يندفع ما يرد على الحصر في الآية من نوع الاشكال والله تعالى أعلم بالاحوال ثم الاولياء من أرباب الكشوف لا يوجدون في كل زمان ومكان أيضا وربما يدعي كل أحد انه في مرتبة الولاية العلية (أجرى الله تعالى أحكامه الشرعية على ظواهرهم) في القضية (التي يستوي فيها هو) أي النبي عليه الصلاة والسلام (وغيره من البشر) في زمنه وبعده من الايام (ليتم) من الائتمام أو التمام أي ليعم (اقتداء أمته به في تعيين قضاياه) أي أحكام ملته (وتنزيل أحكامه) على أمته وفق قواعد شريعته (ويأتون ما أتوا به من ذلك) أي يفعلون ما فعلوا من الحكم بطريقته (عن علم ويقين من سنته اذ البيان بالفعل أوقع منه بالقول) أي وحده على خلاف فيه (وارفع) أي ادفع كما روى (لاحتمال اللفظ وتأويل المتاول) وفيه ان الاحكام منه عليه الصلاة والسلام كانت جامعة بين الفعل والقول والا ففي قضية الحال كلام لاهل المقال (فكان حكمه على الظاهر أجلى) أي أظهر لكل أحد (في البيان) في ميدان العيان (وأوضع) فكلاهما أي أبين (في وجوه الاحكام) لظهور المرام (وأكثر فائدة لموجبات التشاجر) أي التخالف والتنازع (والخصام) أي التخاصم في الاحكام (وليقتدى بذلك كله) أي بقضاياه وفق شريعته (حكام أمته) وعلماء ملته (ويستوثق) عطف على ليقتدى أي يستمسك وليس بتصحيف كما ظنه الانطاكي وفي نسخة يستوسق بالسين بدل المثلثة أي يجتمع وينتظم (بما يؤثر عنه) أي يروى من بيان قواعد طريقته

أخفاها عن غيره من الامة (وهذا مما لا يعلمه الامة) لانه تعالى لا يظهر على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول (فاجرى الله تعالى أحكامه) الشرعية (على ظواهرهم التي يستوي فيها هو) صلى الله عليه وسلم (وغيره من البشر) من أمته في زمنه وبعده وهذا باعتبار أكثر أحواله والا فمن خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم انه يجوز له ان يحكم بعلمه وقد أطلعه الله تعالى على كثير من السرائر والمضمرات لكنه لم يؤمر بالحكم بها للحكمة المذكورة وقد أمر بعض الانبياء بالحكم بالامور الباطنة كالخضر على القول بنبوته وهو الاصح كما مر لكنه لم يكن له أمة تقتدي به وكذا أنكر عليه موسى عليه الصلاة والسلام قبل اطلاعه على انه اذن له فيه فلما علمه سلمه له وللسيوطي رسالة في ان نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم كان له الحكم بالباطن أيضا اذا لم يخش من التهم وساق وامنها اقتضايا لا انطيل بها هنا وحكمه على الظاهر كان تارة بالقضايا وتارة بالسياسة والسلطنة أي الامامة العظمى وتارة بالفتوى كما فصله ابن السبكي في قواعده مع الفرق بينهما فارجع اليه ان أردته (ليتم اقتداء أمته به في تعيين قضاياه) التي وقعت في أحكامه بين الناس ويتم بضم التحتية وفاعله ضمير يعود الى الله تعالى عز وجل واقتداء أمته بالنصب مفعوله ويجوز فتحها ورفع اقتداء على الفاعلية (وتنزيل أحكامه) على قواعد شرعه واجرائها في جزئياتها (ويأتوا ما أتوا) بقصر الهمزة أي يفعلوا ما فعلوا (من ذلك) أي من قضاياه وتنزيل أحكامه (على علم ويقين من سنته) أي طريقته في شريعته التي بينها الامته (اذ البيان بالفعل) الذي فعله في أحكامه (أوقع) في النفوس وأثبت طمانينة (منه) أي من البيان (بالقول وارفع لاحتمال اللفظ) للتاويل والتجوز (وتاويل المتاول) بخلاف الفعل فانه لا يجري مثله مع توافقه للظاهر فلا خفاء فيه (فكان حكمه) أي الفعل لا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كما قيل (على الظاهر أجلى) بالجيم أفعل تفضيل أي أظهر (وأوضح) عطف تفسير (في البيان) لكل أحد يشاهده (في وجوه الاحكام) جمع وجه وهو ما يتوجه منه ويحمل عليه كما يقال في هذا وجهان أي توجيهان وجعله من قبيل لجين الماء أو الاستعارة المكنية والتخييلية كما قيل صرف له عن الظاهر من غير داع له (وأكثر فائدة لموجبات) بفتح الجيم أي ما يقتضيه (التشاجر) وهو ضم الجيم مصدر بمعنى (الخصام) الواقع في المنازعات والدعاوى من شجر بينهم كذا اذا وقع وجرى وفي الحديث اياكم وما شجر بين أصحابي أي وقع بينهم من أمور اقتضاها الاجتهاد وانما كان الفعل أظهر لانه مشاهد محسوس وفي الحديث ليس الخبر كالمعاينة فان الله أخبر موسى بما فعل قومه بعده فلم يلق الالواح فلما عاين ذلك ألقاها رواه الطبراني رحمه الله تعالى وغيره وهو حديث صحيح وزعم بعضهم ان القول أقوى لان الفعل قد يطول فيتاخر البيان ورد بان القول قد يطول أيضا (وليقتدى بذلك) الفعل الصادر عنه (حكام أمته) بعده (ويستوثق) أي يتمسك (بما يؤثر عنه) أي بما روي أو ينتظم وينضبط على القواعد الشرعية وفيه روايتان احداهما أنه مبني للمعلوم بسين مهملة بمعنى انتظم وهو استفعال من الاتساق قال الله تعالى والقمر اذا اتسق والثانية أنه روي بمثلثة بعد الواو ومبني للمجهول أي يتمسك بما يؤثر عنه أي ينقل نقلا صحيحا شائعا وفي بعض الحواشي انه تصحيف وليس كما قال لان المستعمل من الاول الاتساق دون الاستفعال

فكلاهما صحيح خلافا لمن رد الثانى (وينضبط قانون شريعته) وهى القضايا الكلية المنطبقة على جزئياتها فيتعرف منها أحكامها حلا وحرمة وغيرهما ثم أجاب عن سؤال مقدر فقال (وطى ذلك عنه) أى اخفاؤه مستعار من طوى المتاع فى صوان له وفيه اشارة لجلالته ونفاسته وانما اخفاه لانه (من علم الغيب) المغيب عن غيره (الذى استأثر) أى تفرد واختص (به عالم الغيب) عز وجل (فلا يظهر على غيبه أحدا) من خلقه (الا من ارتضى) لعلمه (من رسول) بيان للمرتضى (فيعلمه منه) أى يطلعه على بعضه (بما شاء) بوحى أو الهام أو فراسة ليكون معجزة له أو كرامة أكرمه الله تعالى بها (ويستأثر) أى يختص (بما شاء) مما طوى علمه عن غيره فانه لا يعلم جميع المغيبات الا الله والرسول فى الآية من البشر أو رسل الملائكة وفيه كلام ذكرناه فى حواشى القاضى وقد أطلع الله رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم على كثير من المغيبات وحديث حذيفة بن اليمان فى الفتن التى تحدث الى آخر الزمان حديث طويل مشهور وخطبته صلى الله تعالى عليه وسلم التى ذكر فيها ما سيقع لامته مذكورة فى بعض كتب الحديث وقد فصله ابن كثير فى كتاب الفتن (ولا يقدح هذا) أى عدم اطلاعه على بعض المغيبات (فى نبوته) صلى الله تعالى عليه وسلم وكونه مرتضى للرسالة (ولا يفصم) بالفاء والصاد المهملة قالوا هو الكسر من غير ابانة وفسر بالكسر والحل الثانى أنسب بقوله (عروة من عصمته) والعروة ما يدخل فيه الزر وما يعقد به شبه عصمته وحفظه بلباس ساتر له عرى وازرار يمسكه بطريق الاستعارة المكنية التخييلية لان للعصمة جهات يتمسك بها وهو دفع لشبهة وردت وهى انه صلى الله تعالى عليه وسلم اذا حكم بظاهر يخالف الواقع توهم انه مخالف لعصمته وليس كذلك لانه مامور به لحكمة تقدمت

(فصل واما أقواله) صلى الله تعالى عليه وسلم (الدنيوية) أى المتعلقة بامور الدنيا التى لا تعلق لها بالشرع (من أخباره عن أحواله) التى لها تعلق به صلى الله تعالى عليه وسلم فى نفسه وسائر أموره (و) اخباره عن (أحوال غيره) الدنيوية (وما يفعله) هو فى المستقبل (أو فعله) فيما مضى مما صدر منه صلى الله تعالى عليه وسلم (فقد قدمنا ان الخلف) هو بضم الخاء وسكون اللام أعم من الكذب لانه يكون فى الامور التى يعبر عنها بجملة انشائية (فيها ممتنع عليه) صلى الله تعالى عليه وسلم فلا يصدر عنه أمر يخالف ما فى نفس الامر لانه معصوم فى أقواله وأفعاله (فى كل حال) من أحواله البشرية (وعلى أى وجه) من وجوه أحواله التى يقع عليها وبينه بقوله (من عمد أو سهو أو صحة أو مرض أو رضى أو غضب فانه صلى الله تعالى عليه وسلم معصوم منه) أى محفوظ من الله تعالى عن ان يصدر عنه خلف فى شئ من اخباره (هذا) الامر الذى عصم فيه من أقواله (فيما طريقه الخبر المحض) أى طريقه التى ورد فيها قوله وخبره اذ كان من الخبر المحض أى الصريح الذى ليس من قبيل المعاريض التى يراد بها التورية (مما يدخله الصدق والكذب) يعنى الخبر فانه ما يحتمل الصدق والكذب فى حد ذاته بقطع النظر عن عوارضه (فاما المعاريض) جمع معراض من التعريض خلاف الصريح وهو النص الذى لا يحتمل التاويل من القول يقال عرفته فى معراض كلامه ومعرضه بغير ألف وفى الحديث ان فى المعاريض لمندوحة عن الكذب (الموهم ظاهرها) وهو صريح لفظها الموضوع له (خلاف باطنها) أى ما خفى منها

(وينضبط قانون شريعته) المشتملة على كليات أصولية تبنى عليها جزئيات فرعية (وطى ذلك) أى عدم اطلاع ما هنالك (عنه) عليه الصلاة والسلام فيما تتعلق به القضايا والاحكام (من علم الغيب الذى استأثر) أى انفرد (به عالم الغيب) أى ما غاب عن غيره (فلا يظهر على غيبه أحدا) من خلقه (الا من ارتضى من رسول) أى من ملك أو بشر (فيعلمه منه) أى بعضه لا كله (بما يشاء) أى بشئ يشاء أو بقدر يشاء (ويستأثر) أى وينفرد (بما يشاء) وفى نسخة فى الموضعين بما شاء (ولا يقدح هذا) أى عدم اطلاعه ببعض قضية (فى نبوته) من رفعة مرتبته (ولا يفصم) بفتح الياء فسكون الفاء وكسر الصاد أى لا يكسر أو لا يحل (عروة) أى عقدة (من عصمته) أى نزاهته من طهارته

(فصل)

(واما أقواله الدنيوية) أى الصادرة منه فى غير الامور الأخروية (من اخباره) بكسر أوله أى اعلامه (عن أحواله وأحوال غيره وما يفعله أو فعله) مستقبلا أو ماضيا (فقد قدمنا ان الخلف) أى التخلف أو صدور الخلاف أو الاختلاف وفسر بالكذب (فيها) أى فى تلك الاقوال وفى نسخة فى هذا أى هذا النوع (ممتنع عليه) ولا يجوز ان ينسب شئ منه اليه لعصمته فى اخباره (فى كل حال) يكون عليها (وعلى أى وجه) يتصور فيها (من عمد أو سهو أو صحة أو مرض أو رضى أو غضب) أى فرح أو حزن (وانه) وفى نسخة فانه (عليه الصلاة والسلام معصوم منه) أى من الخلف فى اخباره فى جميع أحواله وأسراره (هذا) أى ما ذكر (فيما طريقه الخبر المحض) الذى ليس فيه تورية لمصلحة (مما يدخله الصدق والكذب) أى بالنسبة الى غيره (فاما المعاريض الموهم ظاهرها خلاف باطنها) صفة كاشفة

(فجائز وروده منه) أي من النبي عليه الصلاة والسلام (في الامور الدنيويه لاسيما) أي خصوصا (لقصد المصلحة) المتعلقة بالاحوال الاخرويه (كتوريته عن وجه مغازيه) حيث كان اذا أراد غزاة ورى بغيرها أي سترها وأوهم انه يريد غيرها وأصله من الوراء أي ألقى البيان وراء ظهره (لئلا يأخذ العدو حذره) أي احترازه واحتراسه بعد بلوغ خبره وفي الحديث ان في المعاريض لمندوحة عن الكذب (وكما) عطف على كتوريته وقال الدلجي أي ومثل توريته ما (روى من ممازحته ودعابته) بضم داله المهملة أي ملاعبته ومنه قوله لجابر هلا بكرا تداعبها وفيه اشارة الى ملاعبة صغارهم فعن أنس انه عليه الصلاة والسلام دخل على أم سليم

فرأى أبا عمير حزينا فقال يا أم سليم ما بال أبي عمير حزينا قالت يا رسول الله مات نغيره الذي كان يلعب به فقال عليه الصلاة والسلام أبا عمير ما فعل النغير رواه الترمذي أو المراد بها ممازحته ومطايبته ومنه قول عمر وقد ذكر عنده على للخلافة ولا دعابة فيه فتحصل ان الدعابة أعم من الممازحة (لبسط أمته معه) أي لانبساطهم معه أو لانبساطه معهم وانشراح صدر وطيب خاطر فيما بينهم تانسالهم ببشاشة ملاقاة وطلاقة وجه وحلاوة مكالمة (وتطييب قلوب المؤمنين من صحابته) قال الدلجي من بيانية لاتبعيضية وأقول الاظهر الثاني لان مزاحه عليه الصلاة والسلام لم يكن مع جميع أصحابه الكرام (وتاكيدا في تحبيبهم) ويروى في تحببهم أي في محبتهم فيه وميلهم اليه (ومسرة نفوسهم) أي فرحها حال حضورهم لديه صلى الله تعالى عليه وسلم (كقوله) لبعض أصحابه على ما رواه أبو داود والترمذي وصححه عن أنس رضي الله تعالى عنه (لاحملنك على ابن الناقة) ولفظ الترمذي ان رجلا استحمل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال اني حاملك على ولد الناقة وروى ابن سعد باسناده ان أم أيمن جاءت الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقالت احملني فقال أحملك على ولد الناقة فقالت انه لا يطيقني فقال لا أحملك الا على ولد الناقة والابل كلها ولد النوق فدل على تعدد الواقعة فقال يا رسول الله ما أصنع بولد الناقة فقال عليه الصلاة والسلام وهل تلد الابل الا النوق

ما يؤول به لقصد التورية (فجائز وروده) بالتلفظ بها ويقصد غير ظاهرها (منه) صلى الله تعالى عليه وسلم (في الامور الدنيويه) دون الامور الشرعية (لاسيما) تقدم الكلام عليها وانها استثناء عند النحاة يكون ما بعدها أولى بالحكم مما قبلها (لقصد المصلحة) أي اذا كان في اخفاء المعاريض مصلحة ومنفعة (كتوريته صلى الله تعالى عليه وسلم عن وجه مغازيه) أي جهته صلى الله تعالى عليه وسلم التي يتوجه اليها في غزواته فان فيها مصلحة والتورية عندهم ان يكون اللفظ له معنيان قريب وبعيد فيقصد البعيد وهي تفعلة من الوراء كأنه وراه لستر المراد منه بايهام غيره (لئلا يأخذ) أي يتأهب (العدو) الذي قصد غزوه (حذره) بكسر الحاء المهملة وسكون الذال المعجمة قبل راء مهملة أي يتيقظ لما يحذره ويخافه فلا يفرط فيه وفي البخاري لم يكن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يريد غزوة الا ورى بغيرها وفي قوله يأخذ حذره دون يحذر كلام في الكشاف وشروحه (وكما) أي مثل توريته ومعاريضه في غزواته ما (روى) عنه صلى الله تعالى عليه وسلم (من ممازحته) المزاح معروف ويسمى احماضا (ودعابته) بضم الدال وبالعين المهملة وموحدة وهي بمعنى الممازحة وذكرها لورودها في الحديث كان فيه صلى الله تعالى عليه وسلم دعابة وقيل في على كرم الله وجهه أيضا ولا دعابة فيه وانما كان يفعله احيانا (لبسط أمته) أي ليسرهم ويشرح صدورهم وقد ورد البسط بهذا في اللغة على طريق التجوز لان المعبس يعقد أسارير وجهه وعند الفرح يبسطها فيتسع وفي أمثال العامة البسط صدف وهو البشاشة وطلاقة الوجه (وتطييب قلوب المؤمنين من أصحابه) رضي الله تعالى عنهم وفي نسخة من صحابته من بيانية أو تبعيضية أي جعلها طيبة مسرورة (وتاكيدا في محبتهم) وفي نسخة تحبيبهم لان المرء انما يمازح من يحبه بطرح التكلف بينه وبينه (ومسرة نفوسهم كقوله) صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث رواه أبو داود والترمذي عن أنس رضي الله تعالى عنه وصححاه (لاحملنك على ابن الناقة) وروى عن أبي هريرة أيضا وهو انه صلى الله عليه وسلم قال له رجل كان فيه بله يا رسول الله احملني فباسطه صلى الله تعالى عليه وسلم بما عساه ان يكون ثم قال له أنا أحملك على ابن الناقة فسبق لخاطره من لفظ النبوة استصغاره فقال يا رسول الله ما يغني عني ابن الناقة فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم ويلك وهل يلد الجمل الا الناقة وانما كان صلى الله تعالى عليه وسلم يفعل معهم اذهابا لوحشتهم ولما يعلمه صلى الله تعالى عليه وسلم من مهابته في نفوسهم فيأنسهم بذلك وليعلم الناس حسن الخلق في المعاشرة وما ورد من النهي عن المزح انما هو عن كثرته المفرطة واستعماله مع كل أحد في غير محله فكان صلى الله تعالى عليه وسلم يلاعب الاطفال ويمج الماء في وجوههم وأفواههم والاخبار في هذا الباب مبسوطة في كتب الحديث وأموره

صلى

(وقوله) فيما رواه ابن أبى حاتم وغيره من حديث عبد الله بن سهم الفهرى (للمرأة التى سالته عن زوجها أهو الذى بعينه بياض وهذا) أى ماقاله عليه الصلاة والسلام مداعبة (كله صدق لان كل جمل) صغيرا كان أو كبيرا هو (ابن ناقة وكل انسان بعينه بياض) أى قليل غالبا (وقد قال عليه الصلاة والسلام) أى حين قالوا يارسول الله انك تداعبنا (انى لامزح ولا أقول الا حقا) رواه الترمذى وقال العلماء المباح من المزاح هو الذى يفعل على الندرة لمصلحة تطييب نفس المخاطب وهذا القدر هو المستحب وهو الذى كان يفعل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واما الذى فيه افراط مما يورث الضحك وقسوة القلب والشغل عن ذكر الله تعالى وأمور الدين ويؤل فى كثير من الاوقات الى الايذاء ويورث الاحقاد فهو منهى عنه (هذا) أى مزاحه (كله فيما بابه الخبر) بمعنى الاخبار (فاما ما بابه غير الخبر مما صورته صورة الامر) باللام أو بالصيغة (والنهى) صورة النهى للغائب أو الحاضر ولو (فى الامور الدنيوية فلا يصح) القول بصدوره (منه أيضا ولا يجوز عليه ان يامر احدا بشئ أو ينهاه عنه وهو يبطن) أى يضمر (خلافه) جملة حالية (وقد قال عليه الصلاة والسلام ما كان) أى ماصح وما استقام (لنبى ان تكون له خائنة الاعين) أى ايماؤه بها على وجه الخيانة وقد قال تعالى يعلم خائنة الاعين وماتخفى الصدور أى مايسترق من النظر الى مالا يحل وقيل هو النظر لريبة وماتخفى الصدور من خبث النية وفساد الطوية والخائنة اسم فاعل أو مصدر بمعنى الخيانة أى مايخان به كالعافية بمعنى المعافاة وعن الشيخ أبى الحسن الشاذلى خائنة الاعين النظر لمحاسن المرأة وماتخفى الصدور حب مواقعتها وفى بعض الكتب المنزلة من قول الله عز وجل انا مرصاد الهم انا العالم بمجال الفكر وكسر الجفون أى من البصر وسبب ورود الحديث انه عليه الصلاة والسلام لما كان يوم فتح مكة آمن الناس الا جماعة منهم عبد الله ابن أبى سرح فاختبأ عند عثمان رضى الله تعالى عنه وكان أخاه لامه فلما دعا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الناس الى البيعة جاء به حتى أوقفه على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال يانبى الله بايع عبد الله فرفع رأسه فنظر اليه ثلاثا كل ذلك يابى فبايعه بعد ذلك ثم أقبل على أصحابه فقال اما كان فيكم رجل رشيد يقوم الى هذا حيث رآنى كففت يدى عن مبايعته فيقتله فقالوا ماندرى يارسول الله مافى نفسك الا أومات الينا بعينك قال انه لا ينبغى أن يكون لنبى خائنة الاعين رواه أبو داود والنسائى من حديث سعد بن أبى وقاص واختلف فى المراد بخائنة الاعين كما قاله ابن الصلاح فى مشكله فقيل هى الايماء بالعين وقيل مسارقة النظر وعبارة الرافعى هو الايماء الى غير مباح من ضرب أو قتل على خلاف ما يظهر ويشعر به الحال وانما قيل لها خائنة الاعين تشبيها بالخيانة من حيث انه يخفى خلاف ما يظهر واختاره النووى وقال كان يحرم ذلك عليه صلى الله تعالى عليه وسلم ولا يحرم على غيره الا فى محظور وقال صاحب التلخيص من الشافعية لم يكن له عليه الصلاة والسلام ان يخدع فى الحرب مستدلا بهذا الحديث وخالفه الجمهور وعلله الرافعى بانه اشتهر انه عليه السلام كان اذا أراد سفرا ورى بغيره وهو فى الصحيحين من

صلى الله تعالى عليه وسلم مع البدوى الذى كان يسمى زهيرا مشهورة (وقوله) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه ابن أبى حاتم وغيره (للمرأة التى سالته عن زوجها) كما أخرجه ابن أبى الدنيا عن زيد بن أسلم ان امرأة يقال لها أم أيمن جاءت الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقالت له زوجى يدعوك فقال لها ومن هو (أهو الذى بعينه بياض) فقالت له والله مابعينه بياض فقال لها صلى الله تعالى عليه وسلم مامن أحد الا بعينه بياض يعنى به البياض المحيط بالحدقة وهى توهمته غشاوة على حدقته مضرة بالبصر واللفظ يحتملهما والاستفهام تقريرى ثم اشار الى بيان ذلك بقوله (وهذا) الذى قال له صلى الله تعالى عليه وسلم مداعبة (كله صدق لان كل جمل ابن ناقة) لصدق الابن على الصغير والكبير وان تبادر منه صغره عرفا (وكل انسان بعينه بياض) يحيط بحدقته (وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم) فى حديث رواه أحمد والترمذى والطبرانى عن ابن عمر وأبى هريرة رضى الله تعالى عنهم بسند حسن (انى لامزح ولا أقول الاحقا) ولفظ الحديث انهم قالوا يارسول الله انك تداعبنا فقال انى اذا داعبتكم لا أقول الاحقا فالنهى عنه فى قوله لا تمار أخاك ولا تمازحه وفى قول عمر رضى الله تعالى عنه من مزح استخف به وقول ابن العاصى يابنى لا تمازح الشريف فيحقد عليك ولا الدنى فيجترئ عليك محمول على الكثرة منه فى غير محله وعلى غير سنته صلى الله تعالى عليه وسلم فانه مذموم منهى عنه (هذا كله) أى ماصدر من ممازحته على وجه الحقيقة وغيره (فيما بابه) أى نوعه الوارد فيه (الخبر) أى الاخبار بماله نسبة خارجية كما مر (فاما ما بابه غير الخبر) من الانشاآت (مما صورته صورة الامر والنهى) المعروفين عند أهل العربية (فى الامور الدنيوية فلا يصح منه أيضا) القول بصدوره منه لعصمته (ولا يجوز عليه) صلى الله تعالى عليه وسلم (ان يامر أحدا بشئ أو ينهى أحدا عن شئ وهو) صلى الله تعالى عليه وسلم (يبطن خلافه) جملة حالية لبراءته من الامر والنهى بخلاف ماعنده (وقد قال) صلى الله تعالى عليه وسلم (ما كان لنبى ان تكون له خائنة الاعين

حديث كعب بن مالك وصح انه عليه الصلاة والسلام قال الحرب خدعة وهو بفتح الخاء لغة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وفيها لغات أخر والفرق لهم ان الرمز يزري بالرامز بخلاف الابهام في الامور العظام وعبد الله هذا كان كاتبه عليه الصلاة والسلام فارتد ثم أسلم وحسن اسلامه ومات ساجدا والحاصل انه عليه الصلاة والسلام اذا لم يكن له خيانة الاعين في الامر الظاهر (فكيف ان تكون له خيانة القلب) وهو بيت الرب الطيب الطاهر ويروى خائنة القلب (فان قلت فما معنى قوله تعالى في قصة زيد) أي ابن حارثة الكلبي مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يسم في القرآن أحد من الصحابة باسمه الا زيد هذا قيل وسر ذلك انه عليه الصلاة والسلام كان تبناه وكان يدعى زيد بن محمد فلما نزل ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله أي أعدل وأقوم قيل زيد بن حارثة فلما فاته شرافة عظيمة ونسبة وسيمة أبدله الله من ذلك ان سماه في كتابه هنالك اشعارا بانه سماه في أزله فيصير رفعة لمحله حيث جعل اسمه في كتابه المسطور المحفوظ في الصدور وقد قتل في غزوة مؤتة شهيدا بعد ان عاش مدة مديدة في خدمته عليه الصلاة والسلام سعيدا وكان عليه الصلاة والسلام خطب زينب بنت جحش الاسدية بنت عمة النبي عليه الصلاة والسلام لمولاه زيد بن حارثة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتراه في الجاهلية فاعتقه وتبناه فلما خطب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم زينب رضيت وظنت انه يخطبها لنفسه فلما علمت انه يخطبها لزيد أبت وقالت انا ابنة عمتك يا رسول الله فلا ارضاه لنفسي وكانت بيضاء جميلة فيها حدة وكذلك كره أخوها عبد الله بن جحش فنزل قوله تعالى وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن تكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا فلما سمعا ذلك رضيا بما هنالك وجعلت بيد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكذلك أخوها فانكحها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم زيدا فدخل بها وساق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اليها عشرة دنانير وستين درهما وخمارا ودرعا وازارا وملحفة وخمسين مدا من طعام وثلاثين صاعا من تمر وكان معها فرآها عليه الصلاة والسلام مرة فوقعت في نفسه عليه الصلاة والسلام فقال سبحان الله مقلب القلوب فسمعت تسبيحه فذكرته لزيد ففطن له ثم كره صحبتها ورغب عنها لاجله عليه الصلاة والسلام فقال أريد ان افارقها فقال أرابك منها شيء قال لا والله ولكنها تتعاظم على بشرفها وتؤذيني بلسانها ثم طلقها فلما انقضت عدتها قال له عليه الصلاة والسلام ما أجد أحدا أوثق في نفسي منك أخطب لي زينب قال فانطلقت اليها فاذا هي تخمر عجينها قال فلما رأيتها عظمت في نفسي فلم استطع النظر اليها لرغبة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في نكاحها فوليتها ظهري وقلت يا زينب أبشري ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يخطبك ففرحت وقالت انا بصانعة شيأ حتى أوامر ربي فقامت الى مسجدها ونزل

فكيف ان تكون له خائنة القلب) أن يكون فاعل فعل أي ينبغي ان يكون الى آخره هذا هو الظاهر وكونه مبتدأ تكلف لا داعي له وخائنة مصدر بمعنى خيانة كالعافية وخائنة الاعين ان يضمر في نفسه خلاف ما يظهره فاذا أراد اظهاره أومأ بعينه ولظهوره من العين نسب لها قال الله تعالى يعلم خائنة الاعين أي ما تخون فيه بمسارقة النظر والغمز وخائنة القلب خيانته واذا لم يجز له ان يشير بطرفه لخلاف ما في قلبه فكيف بهذا قالوا وهذا من خصائص الانبياء عليهم الصلاة والسلام انهم لا يجوز لهم هذا لما فيه من ارتكاب ما لا يليق بهم وهذا من حديث رواه الحاكم والنسائي وأبو داود وهو انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما فتح مكة أمرهم ان لا يقاتلوا الا من قاتلهم الا نفرا سماهم وأمر بقتلهم وان وجدوا تحت استار الكعبة منهم عبد الله بن سعد بن أبي سرح العامري وكان ممن أسلم وهاجر وصار كاتب الوحي ثم ارتد وذهب لقريش وقال ما بلغه صلى الله تعالى عليه وسلم من انه كان يكتب في الوحي بعض كلام له كما مر وكان أخا لعثمان من الرضاع فغيبه ثم أتى به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بعد ما اطمأن الناس فاستأمنه من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فسكت طويلا ثم قال نعم فلما انصرف قال صلى الله تعالى عليه وسلم ما سكت الا ليقوم أحد ليضرب عنقه فقال رجل من الانصار هلا أومأت الينا يا رسول الله فقال ما كان لنبي الى آخره ثم حسن اسلامه وهو احد النجباء الكرماء العقلاء (فان قلت فما معنى قوله تعالى في قصة زيد) بن حارثة بن شرحبيل الكلبي كانت خديجة رضي الله تعالى عنها اشترته ووهبته لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قبل النبوة بمكة وهو أسن من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بعشر أو عشرين سنة فتبناه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حتى كان يقال له ابن محمد حتى نزل عليه قوله تعالى ادعوهم لآبائهم وكان قدم أبوه وعمه لفدائه فقالوا لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يا ابن عبد المطلب أنتم أهل حرم الله وجيرانه وقد جئناك في ابن لنا عندك فقال من هو قالوا زيد قال فهلا غير ذلك قالوا ما هو قال أخيره فان اختاركم فهو لكم وان اختارني فهو لي فدعاه

وخيره

وخيره فاختار رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال انت مكان الاب والعم فقالوا ويحك تختار العبودية على الفدية والحرية قال نعم قد رأيت منه مالا اختار عليه أحدا غيره فقال رسول صلى الله تعالى عليه وسلم لمن حضره أشهدوا انه ابنى يرثنى وأرثه الى آخر ماذكر فى السير (واذ تقول للذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه الآية) وهذا السؤال وارد على قوله انه صلى الله تعالى عليه وسلم لا يامر بخلاف مافى نفسه ولم يصدر عنه خائنة قلت لان قوله أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفى فى نفسك ماالله مبديه وتخشى الناس والله أحق ان تخشاه مناف له بحسب الظاهر وانعام الله عليه بهدايته للاسلام وماوسع عليه فى الدارين وانعام الرسول عليه باعتاقه وتقريبه ومحبته له وكانت زوجته زينب بنت عمته عليه الصلاة والسلام أميمة بنت عبد المطلب وكانت من أجمل النساء وأشرفهن فاتى صلى الله تعالى عليه وسلم زيدا لحاجة فلم يجده فوقع نظره عليها فاعجبه حسنها ووقعت فى قلبه أعظم موقع فقال سبحان مقلب القلوب وانصرف فلما جاء زيد أخبرته بذلك ففطن زيد لوقوعها فى قلبه وألقى الله تعالى فى نفسه كراهيتها فقال يارسول الله انى أريد مفارقة زوجتى فقال له مارابك منها قال مارابنى منها شئ ومارابنى منها الاخيرا ولكنها تتعظم على وتؤذينى بلسانها فقال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أمسك عليك زوجك واتق الله فى أمرها فابى وطلقها فاجاب عنه المصنف رحمه الله تعالى بقوله (فاعلم) أيها السائل عن هذه القصة (أكرمك الله عز وجل) كما أكرمت مقام النبوة ونزهته عما لا يليق به (ولا تسترب) أى لا تقع فى ريبة وشك فى شئ من أموره صلى الله تعالى عليه وسلم واصل الريب قلق النفس واضطرابها ثم نقل للشك وفى الحديث الشك ريبة والصدق طمانينة أى لا يشك (فى تنزيه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عن هذا الظاهر) من الآية انه صلى الله تعالى عليه وسلم أخفى فى نفسه أمر الخشية طعن الناس فيه بحبها وارادة طلاقها وأمره بامساكها وهو يريد خلافه كما قال (وان يامر زيدا بامساكها) فى عقد نكاحه ولا يفارقها (وهو) صلى الله تعالى عليه وسلم (يحب تطليقه اياها) ليتزوجها (كما ذكره جماعة من المفسرين) بانه أظهر خلاف مافى نفسه وأمره بما لم يرده وانه خشى مقالة الناس فيه كما نقل بعضهم عن قتادة وابن عباس رضى الله عنهما وهو غير لائق بمقامه صلى الله عليه وسلم (وأصح ما) قيل (فى هذا) الامر المذكور فى هذه الآية (ماحكاه بعض أهل التفسير) وفى نسخة رواه أهل التفسير (عن) زين العابدين (على بن حسين) بن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهم وقيل المراد بعلى بن الحسين ابن طلحة ابن أبى طالب أحد السبعة (ان الله كان) قبل وقوع هذه القصة (أعلم نبيه) صلى الله تعالى عليه وسلم (ان زينب) بنت جحش (ستكون من أزواجه) أمهات المؤمنين بعد ماتزوجها زيد وهى تحت نكاحه (فلما شكاها اليه زيد) بانها تتعظم عليه لشرفها وهو من الموالى (قال له أمسك عليك زوجك) لانه فهم من شكايته انه يستاذنه فى طلاقها (واتق الله) فلا تؤذها بوصفها بالتكبر وطلاقها بلا سبب (وأخفى منه) أى من زيد (فى نفسه) لم يصرح له به حياء منه أن يطلع الناس على انه سيتزوجها وان لم يكن فيه أمر مستقبح وانما كتم سره و(ما أعلمه الله تعالى به من انه سيتزوجها) وفى نسخة سيزوجها الله له (مما الله تعالى مبديه ومظهره) بابرازه فى الخارج (بتمام التزويج وطلاق زيد

(واذ تقول للذى أنعم الله عليه) بالاسلام الذى هو أجل أنواع الانعام (وأنعمت عليه) بالعتق والتبنى المنبئ عن كمال الاكرام (أمسك عليك زوجك) أى أصبر عليها (الآية) أى واتق الله أى لا تطلقها فان الطلاق أبغض الحلال الى الله الملك المتعال وتخفى فى نفسك ماالله مبديه أى شئ الله تعالى مظهره وتخشى الناس فى مقالتهم باطلاق ألسنتهم وقال ابن عباس والحسن تستحى منهم والله أحق أن تخشاه وان لا تلتفت الى ماسواه (فاعلم أكرمك الله تعالى ولا تسترب) أى لا تكسب ريبة ولا تشك (فى تنزيه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) أى تبرئته (عن هذا الظاهر) كما بينه بقوله (وان يامر زيدا بامساكها وهو) أى والحال انه (يحب تطليقه اياها كما ذكر عن جماعة من المفسرين وأصح مافى هذا المعنى ماحكاه أهل التفسير) كالبغوى وغيره (عن على بن الحسين) أى ابن على ابن أبى طالب وهو الامام زين العابدين (ان الله تعالى كان أعلم نبيه عليه الصلاة والسلام ان زينب ستكون من أزواجه فلما شكاها اليه زيد قال أمسك عليك زوجك واتق الله وأخفى منه) وفى نسخة عنه فى نفسه أى فى باطنه استحياء منه مع كونه مباحا (ما أعلمه الله تعالى به من انه سيتزوجها مما الله مبديه) أى مبينه (ومظهره بتمام التزويج وطلاق زيد

(لها) مصلحة لعباده وحكمة في مراده المبين بقوله لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج ادعيائهم اذا قضوا منهن وطرا وكان أمر الله مفعولا ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له وتوضيح هذا الكلام وصحيح هذا المرام ماذكره البغوى في تفسيره انه روى سفيان بن عيينة عن على بن زيد بن جدعان قال سألني على بن الحسين زين العابدين ما يقول أبو الحسن في قوله تعالى وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه قلت لما ان جاء زيد الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال يا نبي الله أريد ان أطلق زينب فاعجبه ذلك قال أمسك عليك زوجك واتق الله فقال على بن الحسين ليس كذلك فان الله قد أعلمه انها ستكون من أزواجه وان زيدا سيطلقها فلما جاء زيد قال انى أريد ان أطلقها قال أمسك عليك زوجك فعاتبه الله تعالى فقال لم قلت أمسك عليك زوجك وقد أعلمتك انها ستكون من أزواجك وهذا هو الاولى والاليق بحال الانبياء وهو مطابق للتلاوة لان الله تعالى أعلمه انه يبدي ويظهر ما أخفاه ولم يظهر غير تزويجها منه فقال زوجناكها فلو كان الذى أضمره رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم محبتها أو طلاقها لكان يظهر ذلك لانه لا يجوز أن يخبر انه يظهره ثم يكتمه فلا يظهره فدل على انه انما عوتب على اخفاء ما أعلمه الله تعالى انها ستكون زوجة له وانما أخفاه استحياء ان يقول لزيد ان التى تحتك في نكاحك ستكون امرأتى قال البغوى وهذا قول حسن مرضى وان كان القول الآخر وهو انه أخفى محبتها أو نكاحها لو طلقها لا يقدح في حال الانبياء لان العبد غير ملوم على ما يقع في قلبه من مثل هذه الاشياء ما لم يقصد فيه المأثم لان الود وميل النفس من طبع البشر وقوله أمسك عليك زوجك واتق الله أمر بالمعروف وهو حسنة لا اثم فيه وقوله والله أحق أن تخشاه لم يرد به انه لم يكن يخشى الله فيما سبق فانه عليه الصلاة والسلام قال انا أخشاكم لله وأتقاكم له ولكنه تعالى لما ذكر الخشية من الناس ذكر ان الله تعالى أحق بالخشية في عموم الاحوال وفي جميع الاشياء هذا وزين العابدين أحد النظراء السبعة وهم كلهم مدنيون هو وعلى ابن عبد الله بن العباس وأبان ابن عثمان بن عفان وسالم بن عبد الله بن عمر وأبو سلمة ابن عبد الرحمن ابن عوف وأبو بكر ابن محمد بن عمرو ابن حزم وعبد الله بن هرمز الاعرج (وروى) وفي نسخة وذكر (نحوه عن عمرو بن فائد) بالفاء في أوله ودال مهملة في آخره وهو أبو على الاسوارى قال الدارقطني متروك وقال ابن عدى منكر الحديث وقال العقيلي كان يذهب الى القدر والاعتزال ولا يقيم الحديث (عن الزهرى) هو ابن شهاب تابعي جليل (قال نزل جبريل عليه الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم يعلمه ان الله تعالى يزوجه زينب بنت جحش فذلك) أي تزوجها (الذى أخفى في نفسه) وأعلمه ان في أزواجه عليه الصلاة والسلام زينب أخرى هي بنت خزيمة بن الحارث تسمى أم المساكين تزوجها عليه الصلاة والسلام في شهر رمضان على رأس أحد وثلاثين شهرا من الهجرة ومكثت عنده ثمانية أشهر وتوفيت على رأس تسعة وثلاثين شهرا من الهجرة وصلى عليها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ودفنها بالبقيع ولذا قيد زينب في الاصل بقوله بنت جحش فان الآية نزلت فيها (ويصحح هذا) المروى عن الزهرى (قول المفسرين في قوله تعالى بعد هذا وكان أمر الله مفعولا أي لا بد لك أن تتزوجها ويوضح هذا) أي يصحح (ان الله تعالى لم يبد من أمره) أي لم يظهر من شانه

(لها) كما قال الله تعالى لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج ادعيائهم الآية قال ابن العربي * فان قلت فلم قال له أمسك عليك بعدما أخبره الله تعالى بانه سيزوجها له * قلت ليعلمه ما لم يعلمه من كراهة زيد لها ورغبته في طلاقها حتى لا يبقى في نفسه شئ منها وعلى هذا التفسير لم يبق في القصة اشكال أصلا (وروى نحوه عن عمرو بن فائد) بفاء وألف وهمزة ودال مهملة وفي الاكمال انه بالفاء والقاف وذكره الذهبي فقال عمرو بن فائد الاسوارى وقال الدارقطني وغيره انه ضعيف متروك الحديث معتزلي قدرى لا يقيم الحديث وهو بصرى يكنى أبا على قال البرهان وهو في النسخ التى وقفت عليها بالقاف وفيه نظر (عن الزهرى) ابن شهاب كما تقدم (قال نزل جبريل على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يعلمه) مضارع من الاعلام (ان الله يزوجه زينب بنت جحش) رضى الله عنها وقيدها ببنت جحش ليخرج غيرها فان من أمهات المؤمنين زينب أخرى هي بنت خزيمة أم المساكين (فذلك) هو الامر (الذى أخفى في نفسه) لاستحيائه من اظهاره (ويصحح هذا) الذى رواه الزهرى (قول المفسرين في قوله تعالى بعد هذا) في آخر الآية (وكان أمر الله مفعولا) لافادته انه أمر أراده قبل ذلك وفي نفي عنه الحرج في تزويج منكوحة من تبناه لانه ليس كالولد الحقيقي (أي لا بد لك أن تتزوجها) لانه قدره أولا وانما تزوجها لحكمة رتب عليها احكاما شرعية (ويوضح هذا) الامر الذى قرره المفسرون (ان الله لم يبد) أي لم يظهر (من أمره) أي من شانه صلى الله عليه وسلم في هذه القصة

(معها غير زواجه لها فدل أنه الذى أخفاه عليه الصلاة والسلام مما كان أعلمه به تعالى) أى لا غيره (وقوله) أى ويوضح هذا أيضا قوله (تعالى فى القصة) هذه (ما كان على النبى من حرج فيما فرض الله) أى قدره (له) وقضاه وأوجبه وأمضاه (سنة الله) أى سن سنة مؤكدة وقضية مؤيدة (الآية) أى فى الذين خلوا من قبل أى مضوا من قبله من أرباب النبوة وأصحاب الرسالة

القصة (معها) أى مع زينب رضى الله تعالى عنها (غير زواجه لها) أى تزويجه اياها (فدل) ما أبداه الله تعالى من أمره على (انه) أى تزويجها له بامر الله هو (الذى أخفاه) صلى الله تعالى عليه وسلم فى نفسه لانه أخفى فى نفسه غير ما أمره الله به وانما الذى أخفاه شئ (مما أعلمه الله به) لا غيره مما توهموه فانه تعالى لم يبد شيأ غير زواجه بها فدل على انه هو الذى أخفاه كما تقرر ولو كان أمرا آخر أبداه وما فى الكشاف من قوله * فان قلت فاذا أراد الله تعالى منه ان يقول حين قال له زيد أريد ان أفارقها وكان من الهجنة ان يقول له افعل فانى أريد نكاحها * قلت الذى أراده الله تعالى منه ان يصمت أو يقول له أنت أعلم بشانك انتهى نزعة اعتزالية فى تخلف الارادة فاحذرها (وقوله تعالى فى القصة) أى قصة زينب المذكورة (ما كان على النبى من حرج الآية) فيما فرض الله له سنة الله والحرج فى الاصل الضيق وأريد به الاثم أى لا اثم عليك فيما قدره لك ووسع عليك فى أمر النكاح وسنة الله منصوب على الاغراء أو هو مصدر لفعل علم من السياق أى سن ذلك سنة وطريقة شرعية كانت لمن قبلك من الانبياء فى تزوج من تريد أو فى تعدد المنكوحات وكثرتها كما وقع لداود وسليمان وغيرهما من الرسل عليهم الصلاة والسلام وفرض الله بمعنى قضى وقدر لا من الفرض مقابل السنة ففى ذكره مع السنة تورية وطباق بليغ فيه من اللطف ما لا يخفى حسنه (فدل) ما ذكر فى قوله ما كان على النبى من حرج على (انه لم يكن عليه) صلى الله تعالى عليه وسلم (حرج) أى تضييق ولا اثم يقتضى العتاب عليه (فى الامر) الذى فعله وقد قدره الله تعالى له وأعلمه به (وقال الطبرى) محمد بن جرير وقد تقدمت ترجمته (ما كان الله) أى ما فعل وقدر (ان يؤثم نبيه عليه الصلاة والسلام) أى يوقعه فى اثم وذنب (فيما أحل له مثال فعله) أى أحل مثله (لمن قبله من الرسل) عليهم الصلاة والسلام يعنى ان الآية دالة على ان ما فعله لا اثم فيه لانه (قال الله تعالى سنة الله فى الذين خلوا من قبل) أى مضوا وتقدموا (أى) من قبلك (من النبيين فيما أحل لهم) فلما قال ان ما فعلته من سنن الانبياء الذين قبلك دل على انه أمر مشروع لا اثم فيه فدلت الآية على بطلان غير ما قيل لدلالة الآية عليه تصريحا ظاهرا (ولو كان) الامر على خلاف ما ذكر وتفسير ما أخفاه بما ذهب اليه غيره (على ما روى فى حديث) عبد بن حميد عن (قتادة) وقوله فيما نقل عنه (من وقوعها) أى زينب رضى الله تعالى عنها (فى قلب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) أى انه لما رآها وقعت فى قلبه موقعا عظيما الشغفه بها (عندما أعجبته) بحسنها الذى رآه (و) من (محبته طلاق زيد لها) أى ليتزوجها التعلق قلبه بمحبتها (لكان فيه أعظم الحرج) أى الاثم غير اللائق به والتضييق على زيد بارادته مفارقة منكوحته وحاشاه صلى الله عليه وسلم من مثله (و) لكان أيضا فيه (ما لا يليق به) أى لا يحسن صدوره منه ولا ينبغى له (من مدعينيه الى ما نهى عنه) أى عن طلبه وتمنيه ومد العين اطالة النظر حتى لا يرده لاستحسانه له فهو بتقدير مضاف أو تجوز فى العين وهو كناية عن تطلب الامر وارادته ارادة قوية وبين المنهى عنه بقوله (من زهرة الحياة الدنيا) أى زينتها أو زخرفها أو بهجتها وهذا اشارة الى ان ما وقع فى القرآن العظيم تمثل به لانه نزل لما وردت سبع قوافل من بصرى فيها طيب وأمتعة نفيسة فقال المسلمون لو كان لنا هذا تقوينا به وأنفقناه فى سبيل الله تعالى فانزل الله

حيث أباح لهم كثرة النساء فكان لداود مائة امرأة وثلثمائة سرية ولسليمان ثلثمائة امرأة وتسعمائة سرية وكان أمر الله قدرا مقدورا أى قضاء مقضيا وأمرا مقطوعا (فدل) أى قوله ما كان على النبى من حرج (انه) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (لم يكن عليه حرج) أى ضيق واثم (فى الامر) أى المفروض له مما لا اثم بتركه (قال الطبرى) وهو الامام محمد بن جرير (ما كان الله ليؤثم بتشديد المثلثة) أى ينسب الى الاثم (نبيه فيما أحل له مثال فعله) أى مثل فعل الله (لمن قبله من الرسل قال الله تعالى سنة الله) أى شرع طريقته وأظهر شريعته (فى الذين خلوا) أى مضوا (من قبل) أى من قبلك (أى من النبيين فيما أحل لهم) من نكاح وغيره (ولو كان) أى ما أخفاه (على ما روى فى حديث قتادة) كما رواه عبد بن حميد عنه (من وقوعها) أى من وقوع محبة زينب (من قلب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) أى فى خاطره (عندما أعجبته) أى رؤيتها (ومحبته) أى ومن محبته (طلاق زيد لها لكان فيه أعظم الحرج) وهذا يندفع بما سبق وبما سياتى بعد أيضا (ولا يليق) أى ولكان فيه ما لا ينبغى (له من مدعينيه) أى طمحها وفى نسخة من مدعينه (لما نهى عنه) وفى رواية الى ما نهى عنه (من زهرة الحياة الدنيا) وفيه بحث اذ المراد بها زينتها المذمومة وبهجتها الملومة

(ولكان هذا نفس الحسد المذموم الذى لا يرضاه ولا يتسم) أى لا يتصف (به الانبياء فكيف سيد الانبياء) أقول هذا ليس بحسد أصلا لانه عليه الصلاة والسلام هو الذى اختارها له أولا ثم لما قدره الله وقضاه وقلب قلب نبيه بما كتب عليه وأمضاه حين رآها وأعجبته أدار عنها وجهه وقال سبحان مقلب القلوب تعجبا مما وقع له فى صورة ما يعد صدوره عن غيره من الذنوب وخطر بباله ان زيدا لو طلقها لادخلها فى حباله ومع هذا جاهد نفسه ولم يظهر باطن حاله وأمره بامساك امرأته فى استقباله رعاية لحسن مآله ولكنه سبحانه وتعالى كما انه قلب قلب حبيبه الى محبتها قلب قلب صاحبه الى كراهتها ليقضى الله أمرا كان مفعولا (قال القشيرى) وهو الامام المفسر صاحب الرسالة وغيرها (وهذا) أى القول بوقوعها من قلبه ومحبة طلاق زيد لها (اقدام عظيم) أى جراءة كبيرة (من قائله وقلة معرفته بحق النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وبفضله فكيف يقال رآها فاعجبته وهى بنت عمته) أى أميمة بنت عبد المطلب (ولم يزل) أى دائما (يراها منذ ولدت) أى من ابتداء ما ولدت الى انتهاء ما كبرت (ولا كان النساء يحتجبن منه صلى الله تعالى عليه وسلم) أى قبل زواجها فقد روى ان آية الحجاب نزلت حين تزوج زينب وأولم فلما طعموا جلس ثلاثة منهم متحدثين فخرج عليه الصلاة والسلام من منزله ثم رجع ليدخل وهم جلوس وكان عليه الصلاة والسلام شديد الحياء والحديث مروى فى الصحيحين (وهو زوجها لزيد) وفيه بحث اذ لا مانع من انه كان يراها وما تعجبه ثم رآها فاعجبته ليقضى الله أمرا كان مفعولا وهذا لا ينافى قوله (وانما جعل الله طلاق زيد لها وتزويج النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اياها لازالة حرمة التبنى) بفوقية فموحدة مفتوحة فنون مكسورة مشددة (وابطال سببه) بموحدتين وفى نسخة سنته بنون ففوقية أى طريقته حسب عادته وقال

تعالى عليه ولقد آتيناك سبعا من المثانى الآية أى هذه خير لكم من القوافل السبع فلا تمدوا أعينكم نحوها وكل هذا لا يليق بمقامه عليه الصلاة والسلام وزهده فى الدنيا فما قيل من ان مجرد وقوعها فى قلبه صلى الله تعالى عليه وسلم من غير ان يبدو منه شئ لا اثم فيه وكذا محبته وميله لطلاقها من غير تكلم فيه لا اثم فيه فكيف أعظم الحرج فيه نظر (ولكان هذا) أى لو كان ما أخفاه صلى الله تعالى عليه وسلم فى نفسه بعدما أعجبته زينب وأراد ان يطلقها أى لو صح هذا كان (من الحسد المذموم) لان الزوجة الحسناء نعمة من الله تعالى بها فهو بذلك يريد زوالها عنه وقيد بالمذموم لان الغبطة حسد غير مذموم لان معناها ان يتمنى أن يكون له نعمة كنعمة غيره من غير تمنى زوالها وهذا فى أمور الدنيا لا فى الدين وأقبح الحسد تمنى زوال نعمة لغيره لا تحصل له (الذى لا يرضاه) صفة للحسد (ولا يتسم به) أى لا يتصف به من الوسم وهى العلامة وأصلها أن يكون بكى ونحوه كما مر (الانبياء) تنازعه يرضى ويتسم (فكيف بسيد الانبياء) الذى هو أعظمهم وأشرفهم نفسا صلى الله تعالى عليه وسلم والاستفهام تعجبى انكارى والمراد به استبعاد صدور الحسد منه ومنهم صلى الله تعالى عليهم وسلم (قال القشيرى) عبد الكريم بن هوازن صاحب الرسالة الامام المفسر الزاهد شيخ الصوفية ورأس الشافعية المشهور (وهذا) المنقول عن قتادة من أنه صلى الله تعالى عليه وسلم رآها فاعجبته وأراد طلاقها (اقدام عظيم من قائله) أو لا دون حاكيه عنه أى جرأة على مقام النبوة (وقلة معرفته) بل عدم معرفة (بحق النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) الذى يجب ان يعتقد فيه (وبفضله) أى زيادته على غيره فى الشرف وعلو المرتبة عن أمور الدنيا (وكيف يقال) أنه صلى الله تعالى عليه وسلم (رآها فاعجبته) مما يقتضى انه لم يرها قبل ولا يعرفها (وهى بنت عمته) عليه الصلاة والسلام لانها بنت أميمة بنت عبد المطلب كما مر (ولم يزل يراها منذ ولدت) الى ان بلغت فهو صلى الله تعالى عليه وسلم يعرفها ويعرف جمالها (و) كيف لا يعرفها و (لا كان النساء) ولو أجنبيات (يحتجبن منه) صلى الله تعالى عليه وسلم لمعرفتهن بعفته وعصمته (وهو) الذى (زوجها لزيد) مولاه رضى الله تعالى عنه (وانما جعل الله طلاق زيد لها) أى لزينب بعدما زوجها له (وتزويج النبى) صلى الله عليه وسلم (اياها) بما قدره وأمره به كما تقدم لحكمة ولهذا لم يتزوجها قبل زيد ليعلمهم حكما شرعيا وهو ما أشار اليه بقوله (لازالة حرمة التبنى) أى اتخاذ ابن غيره ابنا له لئلا يظن الناس انه يحرم تزوج حليلة من تبناه كما يحرم بين الاب وابنه الحقيقى حليلة كل على الآخر (وابطال سنته) أى الطريقة الجارية بين الناس فى جعل التبنى ابنا حقيقة يحرم منه ما يحرم منه كما كان فى الجاهلية وما قيل من ان القول الذى رده المصنف رحمه الله تعالى ثابت بالنقول الصحيحة ثم فسره بما ارتضاه المصنف رحمه الله تعالى تخليط لا حاجة للاطالة به الا ان الائمة الشافعية قالوا انه من خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم انه يجوز له النكاح بغير الرضى وانه اذا رغب فى نكاح امرأة لزم اجابته وحرم على غيرها خطبتها فان كانت تحت زوج وجب عليه طلاقها لانه يجب على كل أحد أن يكون رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أحب اليه من نفسه وأهله وولده كما قاله العراقى

(كما قال ما كان محمد أبا أحد من رجالكم) أى حقيقة (وقال) أى وقع ماوقع (لكيلا يكون على المؤمنين حرج) أى شك وشبهة وضيق وتهمة (فى أزواج أدعيائهم) جمع دعى وهو المدعو بالابن وفى معناه المدعو بالاب والاخ والجد والام والاخت والبنت فانه لا يحرم شيأ (ونحوه لابن فورك وقال أبو الليث السمرقندى فان قيل فما الفائدة فى أمر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لزيد بامساكها فهو) أى فجوابه وفى نسخة نهى أى فائدة أمره بالامساك (ان الله تعالى أعلم نبيه انها زوجته) أى فى آخر الامر (فنهاه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عن طلاقها اذ لم يكن بينهما) أى بين زيد و زوجته (الفة) الظاهر ان اذ تعليلية وحينئذ لم يتبين وجهه وكذا اذا كانت ظرفية فالاولى ان يحمل نهيه عن طلاقها لكونه عليه الصلاة والسلام شارعا وقد قال أبغض الحلال الى الله الطلاق فلا يناسبه ان يامره بالفراق ولا يبعد ان يقدر أمسك عليك زوجك بمعروف أو سرحها بمعروف كما قال الله تعالى فامسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف ولعله كان يرجو ان الله تعالى يصلح بينهما وان يقلب قلبه عليه الصلاة والسلام عن محبتها وارادة تزوجها ــ لا ينافى ماقررنا قوله (وأخفى فى نفسه ما أعلمه الله تعالى به) من انها ستصير زوجته ان شاء الله وأيضا لو أمره بطلاقها لصارت سنة لمن بعده فى من تبناه بالنسبة الى زوجته أو مطلقا لكل خليفة أو قاض ونحوهما ولا يخفى ما يتفرع عليه من الفساد ويفوت طريق السداد (فلما طلقها زيد خشى قول الناس) أى استحيى منه أو خاف تزلزل أمر الأمة على الاطلاق أو كلام أهل النفاق (يتزوج امرأة ابنه فامره الله تعالى بزواجها) ويروى تزويجها بل زوجها الله تعالى كما قال فلما قضى زيد منها وطرا أى حاجة بحيث ملها ولم يبق له حاجة فيها وطلقها وانقضت عدتها زوجناكها (ليباح مثل ذلك لامته كما قال تعالى لكيلا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم اذا قضوا منهن وطرا) أى دخلوا عليهن يعنى لئلا يظن ان حكم الادعياء حكم الابناء فانه جاز ان يتزوج موطوءة دعيه بخلاف موطوءة ابنه والظاهر انه لمسها لكن روى عن زينب انها قالت ما كنت أمتنع عنه غير ان الله تعالى منعنى منه

وقال ابن حجر فى شرح البخارى الذى صح بالادلة القوية ان من خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم جواز الخلوة بالاجنبية والنظر اليها كما كان يدخل على أم حرام وينام عندها ويغسل رأسه وهى أجنبية منه وكان صلى الله تعالى عليه وسلم زوج زيدا زينب كما مر وساق مهرها من عنده وكانت هى وأخوها يأبيان ذلك لشرف النسب وقرابة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وكانت لها رضى الله تعالى عنها حدة وشهامة (كما قال تعالى) فى بيان هذه القصة وما فيها من الحكم (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم) أى ليس أبا حقيقيا لاحد منهم فانه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يعش له ولد ذكر وابنه ابراهيم مات صغيرا لم يبلغ سن الرجولية ومن جوز ان يقال له أب المؤمنين كما يقال لنسائه أمهات المؤمنين فانما هى أبوة شفقة وتعظيم وكان زيد رضى الله عنه يقال له ابن محمد فلما نزلت الآية لم يقل له ذلك فعوضه الله عنه بذكر اسمه فى القرآن المتلو فى المحاريب ولم يقع هذا لغيره من الامة واما الحسن والحسين رضى الله تعالى عنهما فليست بنوتهما حقيقية كما لا يخفى فلا يثبت لاحد حكم البنوة الحقيقية منه صلى الله تعالى عليه وسلم (و) اذا (قال) الله عز وجل فى هذه الآية (لكيلا يكون على المؤمنين حرج) أى تضييق فى أمر النكاح وهو تعليل لقوله زوجناكها أى شرعنا لك ذلك توسيعا على الامة لا خاصية لك (فى أزواج أدعيائهم) جمع دعى بمعنى مدعو وهو من يلصق نسبه بنسب غيره وليس بينهما بنوة حقيقية وقوله اذا قضوا منهن وطرا بالتزوج والنكاح (ونحوه) أى مثل ما ذكر وبمعناه معزو (لابن فورك) تقدمت ترجمته (وقال أبو الليث السمرقندى) تقدم بيانه أيضا (فان قيل) اذا كان الله قدر له صلى الله تعالى عليه وسلم تزوجها ورضيه له (فما فائدة أمر النبى) صلى الله تعالى عليه وسلم (زيدا بامساكها) بقوله امسك عليك زوجك (فهو ان الله تعالى أعلم نبيه) صلى الله تعالى عليه وسلم (انها زوجته) صلى الله تعالى عليه وسلم (فنهاه) أى نهى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم زيدا (عن طلاقها) واخراجها من زوجيته (اذ لم يكن بينهما) أى بين زينب و زيد وهو تعليل لنهيه (الفة) أى محبة لانها لم ترض نكاحه لشرفها وكانت تطيل لسانها عليه فالقى الله فى قلبه كراهتها حتى أحب فراقها ليقضى الله أمرا كان مفعولا (وأخفى فى نفسه ما أعلمه الله به) من انه قدر لها نكاحها له وأمره به (فلما طلقها زيد خشى) صلى الله تعالى عليه وسلم (قول الناس) باعتبار ما اعتادوه فى الجاهلية انه (يتزوج امرأة ابنه) لتوهمهم ان التبنى كالبنوة الحقيقية وانما خشيه وهو لا اثم فيه كراهة القيل لمن لا يعرف حقيقة الحال كما هو حقيقة حال الاشراف (فامره بزواجها) ازالة لما يخشاه (ليباح ذلك لامته) اقتداء به صلى الله تعالى عليه وسلم توسعة عليهم (كما قال تعالى لكيلا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم) فنفى عنهم الحرج لينفيه عنه

(وقدقيل كان أمره لزيدبامساكها قمعاللشهوة) أى منعها (وردالنفس عن هواها) وانتظارالرفع هذا الخاطر عنها (وهذا) القيل انمايعتبر (اذاجوزنا عليه) أى حملنا أمره على (انه رآها فجأة) بفتح فسكون فهمزة و بضم ففتح فالف بعدها همزة لغتان وقيل الاول مصدر للمرة والثانى مصدر فجاة اذاجاءه بغتة (واستحسنها) أى وأحبها (ومثل هذا) أى ماذكر من رؤيته اياها فجأة واستحسانها بغتة (لانكرة فيه) بضم نون فسكون كاف كذافى النسخ وقال الدلجى بالتحريك اسم من الانكار كالنفقة من الانفاق وهو كذلك فى القاموس وفيه أيضا ان النكر بالضم و بالضمتين المنكر انتهى وقدقرئ لقد جئت شيأ نكرا بهما فى السبعة (لما طبع عليه ابن آدم) أى خلق وجبل (من استحسانه للحسن) بفتحتين أو بضم فسكون أى ميل طبعه الى الامر المستحسن (ونظرة الفجاة معفو عنها) جملة حالية (ثم قمع نفسه عنها) أى عن رؤيتها قصدا (وأمر زيدا بامساكها) لزيادة تقواها أولانتظار رفعها (وانما تنكر تلك الزيادات التى) ذكرها بعض المفسرين (فى القصة) من انه عليه الصلاة والسلام أخفى عنه تعلق قلبه بها وارادته مفارقته لها (والتعويل) أى المعول عليه (والاولى) مما ينسب اليه (ماذكرناه) وفى نسخة والتعويل على ماذكرناه (عن على بن الحسين) على ماحررناه (وحكاه) أى ومارواه (السمرقندى) كماسبق عنه (وهوقول ابن عطاء وصححه) وفى نسخة واستحسنه (القاضى القشيرى) سبق انه غيرالامام القشيرى (وعليه عول) أى وعلى ماذكر اعتمد (أبو بكر ابن فورك وقال انه) أى ماعول عليه ابن فورك (معنى ذلك عند المحققين من أهل التفسير قال) أى ابن فورك (والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم منزه) أى مبرأ (عن استعمال النفاق فى ذلك) باخفائه خلاف مايعلن (واظهاره خلاف مافى نفسه) هنالك

مستبشعة

بالطريق الاولى تطييبا لنفسه صلى الله تعالى عليه وسلم وازالة لطعن الجهلة وحاصله تاويل ماوقع فى هذه القصة مما يخالف ظاهره مايقتضيه مقامه لامره بسائر بدخلافه ومحبته لها وهى تحت نكاح غيره فاشار الى الجواب عماذكر (وقدقيل كان أمره) صلى الله تعالى عليه وسلم (لزيدبامساكها قمعاللشهوة) أى منعها وزجرها يقال قمعه فانقمع اذا كفه وذلله والشهوة ميل النفس لماتستلذه (وردالنفس عن هواها) أى عماتهواه من الصور الجميلة وحكاه بقيل اشارة الى انه غير مرضى عنده فلا وجه لاستحسانه لانه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يكن فى نفسه هوى وحاشاه من مثله (وهذا اذاجوزناعليه) صلى الله تعالى عليه وسلم (انه رآها فجاة واستحسنها) لاسيما وقدمرانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان رآها قبل وكان يعرفها ويعرف جمالها الاانه ليس بمنكر ولذاقال (ومثل هذا) القيل على مافيه (لانكرة فيه) أى لاينكر صحته فى الجملة والنكرة ضد المعرفة فى اصطلاح النحاة وأصلها كل مالايعرف فنقل وخص (لماطبع عليه ابن آدم من استحسانه الحسن) من الصور وغيرها مما يشاهد وغيره (ونظرة الفجاة) أى النظر الذى وقع بغتة من غير قصد والفجاة بضم الفاء والمد ويجوز قصره بضم وسكون والفجاة بالفتح المرة منه (معفوعنها) أى لاحرج فيها ولااثم لانها لم تقصد وهو جواب عن سؤال تقديره كيف نظر صلى الله تعالى عليه وسلم لغير محرم مشتهى (ثم قمع نفسه عنها) بصيغة الماضى ويجوز ان يكون مصدرا وكذافى قوله (وأمر زيدابامساكها) فى نكاحه وتقوى الله فيها بعدم ذكرمايعيبها (وانما ينكر تلك الزيادات التى) ذكرها بعض المفسرين (فى القصة) من انه تعلق قلبه صلى الله تعالى عليه وسلم بها وأراد ان يطلقها وأخفى ذلك فى نفسه ونحوه ممالايليق بنزاهته (والتعويل) أى المعول عليه المعتمد فى هذه القصة على ماذكرناه وهو القول الذى ارتضاه والقول بانه لاباس فيما قالوه لاوجه له (و) هو (الاولى) وان جاز غيره لكنه لايناسب مقامه وان كان جائزا فتنبه (ماذكرناه عن على بن الحسين) وهو الامام زين العابدين كما تقدم (وحكاه السمرقندى) فى تفسيره كما تقدم (وهوقول ابن عطاء) رحمه الله وتقدمت ترجمته (وصححه) أى جزم بانه القول الصحيح (واستحسنه القاضى القشيرى) لمافيه من صيانته مقام النبوة عمالايليق واعتمده (وعليه عول أبو بكر بن فورك) تقدم ضبطه فى ترجمته مع مافيه (وقال انه) أى هذا القول الذى اعتمده (معنى ذلك) أى المذكور فى هذه الآية والقصة (عند المحققين من أهل التفسير قال) ابن فورك رحمه الله تعالى (والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم منزه عن استعمال النفاق فى ذلك) أى عن ان يظهر أمرا فى نفسه خلافه وان كان أمرا جائزا له والنفاق فى الاصل معناه الاخفاء ماخوذ من نافقاء اليربوع وهو مخرجه الذى يخفيه ثم نقل فى الشرع لاخفاء الكفر واظهار الاسلام واستعمل بعد ذلك استعمالا شائعا لاخفاء كل أمر لايرتضى ومنه الحديث ثلاث من كن فيه فهو منافق وعد منها الكذب وغيره كماصرحوا به فلذاقال (واظهار خلاف مافى نفسه) فهو عطف تفسير موضح لما أراده فلاوجه لماقيل انها عبارة

(وقد نزهه الله عن ذلك بقوله تعالى ما كان على النبي من حرج) أي باس بل له سعة (فيما فرض الله له) أي قدره وقضاه أو أوجب عليه فعله وامضاه (وقال) أي ابن فورك (ومن ظن ذلك) أي ارادة مفارقتها (بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقد اخطأ خطأ بينا) وفيه بحث لانه عليه الصلاة والسلام اذا أعلمه الله تعالى بالوحي أو الالهام انها ستصير زوجته في بقية الايام فلا مانع من ان يريد مفارقتها وفق ارادة الملك العلام (وليس معنى الخشية هنا) أي في قوله تعالى وتخشى الناس (الخوف) أي من ملامتهم لعدم مبالاته بهم (وانما معناه) أي اللفظ أو ما ذكر وروى معناها أي اللفظة أو الخشية (الاستحياء)

أي ان يستحيي منهم ان يقولوا تزوج زوجة ابنه بعد نهيه عن نكاح حلائل الابناء جهلا منهم ان المراد بالابناء ابناء الاصلاب كما بينه تعالى بقوله وحلائل ابنائكم الذين من أصلابكم (وان) أي وانما معناه أيضا ان (خشيته عليه الصلاة والسلام من الناس كانت) أي حذرا (من ارجاف المنافقين واليهود) أي اخبار سوء وتزلزل (وتشغيبهم) أي بايقاع شر وفتنة (على المسلمين) بقولهم تزوج زوجة ابنه بعد نهيه عن نكاح حلائل الابناء كما كان (فعتبه الله تعالى على هذا) أي على استحيائه منهم (ونزهه عن الالتفات اليهم فيما أحله له) من نكاح زوجة دعيه (كما عتبه على مراعاة رضى أزواجه في سورة التحريم بقوله لم تحرم ما أحل الله لك الآية) أي تبتغي مرضاة أزواجك والله غفور رحيم وقد ورد انه عليه الصلاة والسلام شرب عسلا عند زينب فتواطأت عائشة وحفصة فقالتا له انا نشم منك رائحة مغافير فقال انما شربت عند زينب عسلا فقالتا جرست نحلة العرفط فحرم شربه فلاطفه ربه بقوله يا أيها النبي لم تحرم الآية (وكذلك قوله هنا) ملاطفة له على منعه من مراعاة الناس والتفاته اليهم

مستبشعة الى آخر ما أطال فيه من غير طائل نعم لو تركها كان أحسن لكنه حكاها عن غيره فلا عهدة عليه فيها ولو مراد ابن فورك التغليظ على قائل هذه العبارة وتغليظه بان من يجوز عليه صلى الله تعالى عليه وسلم مثل هذا مثل من جوز عليه الكفر والنفاق والمعترض لم يقف على مراده (وقد نزهه الله عز وجل عن ذلك) الذي قاله بعض المفسرين (بقوله تعالى ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له) أي قضى وقدر من تزويجه صلى الله تعالى عليه وسلم زينب فهذا صريح في رد ما قاله بعض المفسرين وصريح فيما ارتضاه (قال) ابن فورك (ومن ظن ذلك بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي انه وقع في قلبه محبتها وارادته ان زيدا يفارقها وأخفى ذلك في نفسه (فقد أخطأ) خطأ فاحشا فلذا جعل نسبته له كنسبة النفاق له صلى الله تعالى عليه وسلم فالتعبير به للتشنيع على قائله وبعد تنزيهه عنه كيف يعترض عليه كما قيل * وما آفة الاخبار الا رواتها (قال) ابن فورك (وليس معنى الخشية هنا) يعني في قوله وتخشى الناس والله احق ان تخشاه (الخوف بل معناه) المقصود هنا وفي نسخة معناها أي الخشية وعلى الاولى الضمير للفظ المذكور (الاستحياء أي يستحيي منهم) أي من الناس (ان يقولوا تزوج زوجة ابنه) أي من تبناه وهو زيد وهذا أعني قوله وعليه عول ابن فورك الى هنا ساقط من بعض النسخ واستحياؤه لشرفه المقتضي ان لا يسمع مقالة من احد وان لم يضره شرعا و يدنس عرضه (وان خشيته) أي استحياؤه (صلى الله تعالى عليه وسلم انما كان من ارجاف المنافقين واليهود) أي اشاعة ما هو مكروه بزعمهم وأصل الرجف الاضطراب وايقاعه اما بالفعل واما بالقول ويقال الاراجيف ملاقيح الفتن كما قلت

ألسن الناس اذا ما انطلقت * فهو بذر للبلايا والمحن
فاحذر الالسن مهما انطلقت * فالاراجيف ملاقيح الفتن

(وتشغيبهم) من الشغب بغين معجمة ساكنة وهو ما يؤدي الى الشر من الاكاذيب (على المسلمين) بذكر ما ينقص نبيهم صلى الله تعالى عليه وسلم فان ما يسوءه يسوءهم (بقولهم تزوج زوجة ابنه) لزعمهم انه غير جائز كالابن الصلبي جهلا منهم وتعصبا (بعد نهيه) أي تحريمه (عن نكاح حلائل الابناء) جمع حليلة وهي الزوجة المنكوحة تلبيسا منهم بجعل المتبنى كالابن الحقيقي وقد قال تعالى وحلائل ابنائكم الذين من أصلابكم (كما كان) أي وقع من أراجيفهم وتشغيبهم (فعتبه الله على هذا) عتب محبة وتسلية لعدم قبحه (ونزهه عن الالتفات اليهم) والاعتداد بمقالتهم (فيما أحله له) وقدره من هذا النكاح من غير حرج فيه وهذا العتاب (كما عتبه على مراعاة رضاء أزواجه) النازل ذلك العتب (في سورة التحريم بقوله يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك الآية) تبتغي مرضات ازواجك والله غفور رحيم (كذلك قوله هنا وتخشى الناس والله احق ان تخشاه) فيما أخفيته مما الله مبديه ومجوزه لك بلا حرج أي انه مثله في أنه عتب ملاطفة وتسلية على ما استحيى منه لشرف مقامه صلى الله تعالى عليه وسلم عن ان يصل اليه غبار

(وقد روى) كما فى جامع الترمذى وقد رواه ابن جرير وغيره أيضا (عن الحسن) أى البصرى رحمه الله تعالى فانه المراد عند المحدثين حال اطلاقه (وعائشة) كان المستحسن تقديم عائشة على الحسن (لو كتم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم شيئا من الوحى) أى مما يوحى اليه (لكتم هذه الآية) أى قوله تعالى وتخفى فى نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق ان تخشاه (لما فيها من عتبه) أى عتابه عليه (وابداء ما اخفاه) أى واظهار ما كتمه اليه

(فصل) (فان قلت قد تقررت عصمته عليه الصلاة والسلام فى اقواله وفى جميع أحواله) المشتملة على افعاله (وانه لا يصح منه فيها خلاف) لقوله من كذب (ولا اضطراب) أى تردد من ريب (فى عمد) أى قصد (ولا سهو) أى خطا ونسيان نشا عن ذهول وغفلة (ولا صحة) أى فى حال عافية (ولا مرض) أى علة (ولا جد) بكسر الجيم ضد الهزل (ولا مزح ولا رضى)

أى حال شرح وفرح (ولا غضب) أى حال ضيق خلق وكراهية نفس وكره لا تاكيد النفى ماذكر من انفراد كل من ذلك كما يقتضيه عصمته هنالك (ولكن مامعنى الحديث) الذى رواه الشيخان والنسائى أيضا (فى وصيته عليه الصلاة والسلام الذى حدثنا به القاضى الشهيد أبو على رحمه الله تعالى) وهو ابن سكرة (قال ثنا القاضى أبو الوليد) أى الباجى (ثنا أبو ذر) الهروى (ثنا أبو محمد) أى ابن حمويه السرخسى (وأبو الهيثم) أى الكشميهنى (وأبو اسحق) أى المستملى (قالوا) ثلاثتهم (ثنا محمد بن يوسف) أى الفربرى (ثنا محمد ابن اسمعيل) أى الامام البخارى (ثنا على ابن عبدالله) أى ابن جعفر بن نجيح ابن المدينى الحافظ قال شيخه ابن مهدى على بن المدينى أعلم الناس بحديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وخاصة بحديث ابن عيينة وقال ابن عيينة تلوموننى على حب بن المدينى والله لا تعلم منه أكثر مما تعلم منى وكذا قال يحيى بن القطان فيه وقال امام هذه الصناعة البخارى ما استصغرت نفسى الا بين يدى على قال النسائى كان الله خلقه لهذا الشان مات بسامرا سنة أربع وثلاثين ومائتين وله ثلاث وسبعون سنة والمدينى نسبة الى مدينة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقال ابن الاثير فى كتابه والاكثر فيمن ينسب الى المدينة مدنى والاول مدينى واما المدينى فنسبة الى اماكن وساق سبعة اماكن وفى الصحاح المدنى نسبة الى مدينة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم واما المدينى فنسبة الى المدينة التى بناها المنصور وعن ابن صلاح ابن المدينى نسبة الى مدينة اصبهان نحو

الاوهام (وقد روى عن الحسن) البصرى رضى الله تعالى عنه أى رواه الترمذى وصححه وقدمه على قوله (وعائشة) رضى الله تعالى عنها لانه هو الذى رواه عنها فقدمه على عادة الاسانيد فلا يقال كان ينبغى تقديمها عليه (لو كتم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم شيئا) مما أوحى به ما تدته (لكتم هذه الآية) أى آية التحريم لا آية زيد وزينب رضى الله تعالى عنهما كما قيل (لما فيها) علة للكتم (من عتبه) صريحا (وابداء) أى اظهار (ما أخفاه) مما جرى بينه وبين ازواجه فيها وهذا الحديث فيه انه صلى الله عليه وسلم كان يحب العسل والحلوى فدخل على حفصة رضى الله عنها ومكث عندها أكثر من عادته فسأل عنه عليه السلام فقيل أهدى لها عكة عسل فسقته منه فاتفقن على ان يقلن له نجد منك رائحة المغافير وهو شئ كريه الرائحة اذا رعته النحل أثر فى عسلها فقال لا أعود له بعد هذا والقصة مفصلة فى كتب التفسير والحديث

(فصل) فيما وقع له صلى الله تعالى عليه وسلم فى مرض موته مخالفا لما قدمه (فان قلت) سائلا عما يخالف ماقررته (قد تقررت عصمته صلى الله تعالى عليه وسلم فى أقواله وفى جميع أحواله) واوقاته (وانه لا يقع منه فيها) أى فى أقواله (خلف) أى مخالف للواقع (ولا اضطراب) أى اختلاف وتناف فهى كلها متساوية لا تختلف (فى عمد) وقصد (ولا سهو) ونسيان (ولا صحة) فى بدنه (ولا مرض) بتغير مزاجه الشريف (ولا جد) هو ضد الهزل (ولا مزح) كما تقدم (ولا رضى) على غيره (ولا غضب) لوقوع مالا يرضاه الله (فما معنى الحديث) الذى روى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم فى الصحيحين (فى وصيته) لاصحابه رضى الله عنهم فى مرض موته (الذى حدثنا به الشهيد أبو على) ابن سكرة كما تقدم قال (حدثنا القاضى أبو الوليد) الباجى تقدمت ترجمته أيضا قال (حدثنا أبو ذر) الهروى وقد تقدم أيضا قال (حدثنا أبو محمد) ابن حمويه السرخسى (وأبو الهيثم) الكشميهنى كما تقدم أيضا (وأبو اسحق) المستملى وقد تقدم (قالوا حدثنا محمد بن يوسف) هو الفربرى وقد تقدم قال (حدثنا محمد بن اسمعيل) هو الامام البخارى قال (حدثنا على بن عبد الله) أبو الحسن على بن عبدالله بن جعفر بن نجيح بن المدينى الحافظ الامام العظيم روى عنه أصحاب السنن وغيرهم وتوفى فى سنة أربع وثلاثين ومائتين وعمره ثلاث وسبعون والمدينى بالياء نسبة لمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم قال ابن الاثير وهو فى الاكثر يقال مدنى والنسبة لمدائن أخر

(ثنا عبد الرزاق عن همام عن معمر) قال الحلبي هكذا في كثير من النسخ والصواب ما في بعضها وهو عبد الرزاق ابن همام أو عبد الرزاق عن معمر لان عبد الرزاق لا يروى عن همام واسم أبيه همام ويروى عن معمر وهو بفتح الميمين وسكون العين المهملة ابن راشد (عن الزهرى) أى ابن شهاب (عن عبيد الله بن عبد الله) أى ابن عتبة الفقيه الاعمى يروى عن عائشة وأبى هريرة وجماعة وهو معلم عمر بن عبد العزيز وكان من بحور العلم مات سنة ثمان وتسعين وعبيد الله هذا أحد الفقهاء السبعة (عن ابن عباس قال لما حضر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) بصيغة المفعول أى احتضر والمعنى قرب أجله (وفى البيت رجال) أى من قرابته وصحابته جملة حالية (قال هلموا) أى تعالوا وهو لغة أهل نجد وتميم فانهم يثنون ويجمعون ويؤنثون وأما أهل الحجاز فيستوى الكل عندهم ومنه قوله تعالى والقائلين لاخوانهم هلم الينا (أكتب) بصيغة المتكلم مجزوما على جواب الامر وفى نسخة بالرفع أى أنا أكتب (لكم كتابا) يعنى آمر ان يكتب أحد لكم مكتوبا فيه بيان مهمات الدين للامة أو محل الخلافة دفعا للمنازعة وفيه ان هذا غير محتاج الى الكتابة (لن تضلوا بعده) أى بعد العمل به ويروى بعدى (فقال بعضهم) وهو عمر رضى الله تعالى عنه (ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قد غلبه الوجع الحديث) أى وعندنا كتاب الله تعالى حسبنا كتاب ربنا وهو بسكون السين أى كافينا (وفى رواية ائتونى) أى احضروني (أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعدى) وفى نسخة بعده (أبدا فتنازعوا فقالوا) أى بعضهم كما فى البخارى (ماله أهجر) ويروى فقالوا أهجر وهو بفتحات على ان الهمزة للاستفهام الانكارى من الهجر بضم الهاء بمعنى الهذيان فى حال المرض والغشيان على من توقف فى امتثال أمره عليه الصلاة والسلام بالكتابة والمعنى لم يختلف كلامه ولم يتغير من الوجع مرامه كما يقع للمرضى ممن لا يرتبط نظامه

نحو سبعة وفى الصحاح المدنى نسبة لمدينة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم والمدينى نسبة للمدينة التى بناها المنصور وقال ابن الصلاح فى المسلسل المدينى نسبة الى مدينة اصبهان المسماة بجى انتهى وقد تقدم الكلام فيه أيضا والمدينى هذا له ترجمة فى الميزان كما قاله البرهان قال (حدثنا عبد الرزاق ابن همام) الحافظ وقد تقدم (عن معمر) بن راشد بفتح الميمين كما تقدم وهذا هو الصواب وما فى بعض النسخ من قوله عبد الرزاق عن همام خطا لان عبد الرزاق لا يروى عن همام واسم أبيه همام ويروى عن معمر (عن الزهرى) محمد بن شهاب كما تقدم (عن عبيد الله بن عبد الله) بحر العلم ابن عتبة الاعمى أحد الفقهاء السبعة مشهور توفى سنة ثمان ومائة (عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال لما احتضر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) احتضر بالبناء للمفعول بمعنى حضره الموت وظهور علاماته وهو محتضر اسم مفعول بمعنى دنى موته وهو المراد ويقال لمن به مس من الجن وكان هذا يوم الخميس قبل وفاته صلى الله تعالى عليه وسلم بايام والحديث صحيح رواه البخارى وغيره واحتضر يكون متعديا ولازما فيقال احتضره بمعنى حضره وفى نسخة حضر والصحيح الاول (وفى البيت) يعنى بيته صلى الله تعالى عليه وسلم (رجال) من كبار الصحابة وقرابته رضى الله تعالى عنهم (فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم هلموا) أى أقبلوا على واصل معناه تعالوا وهذا على لغة من يلحق به الضمائر من تميم وأهل الحجاز يستعملونه مفردا مبنيا على الفتح للواحد المذكر وغيره قال الله تعالى والقائلين لاخوانهم هلم الينا (أكتب لكم كتابا) لبيان ما يهمكم فى دينكم ودنياكم حتى لا يقع بينهم اختلاف بعده والمراد أمر بكتابته وجوز بعضهم حمله على ظاهره وانه صلى الله تعالى عليه وسلم يكتب بيده وذلك معجزة له وتقدم ما فيه مرارا (لئلا تضلوا) أى لا يقع منكم أمر تضلون به (بعده) أى بعد كتابته والعلم بما فيه والعمل به (فقال بعضهم) هو عمر رضى الله تعالى عنه كما سيأتى (ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قد غلبه) أى اشتد وقوى عليه (الوجع) أى ألم مرضه وهذا هو محل الشبهة والسؤال لانه يقتضى انه صلى الله تعالى عليه وسلم فى حال مرضه قد يصدر عنه ما يخالف الواقع وقد تقدم انه صلى الله تعالى عليه وسلم معصوم فى مرضه وصحته وسائر أحواله (الحديث وفى رواية) أخرى لهذا الحديث (آتونى) أى احضروا ما يكتب فيه (أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبدا) وهذه آكد من الاولى لقوله فيها لن وأبدا (فتنازعوا) أى وقع بينهم نزاع واختلاف فى مجلسه صلى الله تعالى عليه وسلم هل يكتبون أم لا (فقالوا) كما فى البخارى (ماله اهجر) من الهجر بالضم وسيأتى بيانه قيل انه ظهر لعمر رضى الله تعالى عنه ان ما أراد كتابته ما فيه ارشادهم للاصلاح وما لم يجب لانه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يترك له مما يجب تبليغه شيا وقد قال تعالى ما فرطنا فى الكتاب من شئ وقيل انه أراد كتابة أمور شرعية على وجه يرفع الخلاف بينهم وقال سفيان أراد أن يبين أمر الخلافة بعده حتى لا يختلفوا فيها ويأتى فى كلام المصنف

رحمه الله تعالى حكايته غير منسوب ويؤيده ما رواه مسلم انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال في أول مرضه لعائشة أدعي لي أباك وأخاك أكتب كتابا فاني أخاف أن يتمنى متمن ويقول قائل ويأبى الله عز وجل والمؤمنين الا أبا بكر وأيد الاول بقول عمر رضي الله تعالى عنه حسبنا كتاب الله وهو شاهد لهذا أيضا وقال الخطابي انما ذهب عمر الى انه لو مضى على شئ أو أشياء بطلت أقوال العلماء والاجتهاد ورده ابن الجوزي بانه لا يلزم ماذكر لان الحوادث لا تنحصر وقال انما أراد عمر رضي الله تعالى عنه ان ما يكتب في المرض ربما يجد المنافقون سبيلا للكلام فيه وما قيل من انه صلى الله تعالى عليه وسلم أوتي جوامع الكلم فيجوز أن يكتب ما يشمل جميع الاحكام ويستخرج منه بسهولة حتى لا يحتاج لاجتهاد مجتهد وتخريج عالم وهو صلى الله تعالى عليه وسلم معصوم من ان يقول في مرضه ما يطعن فيه طاعن لاستقامة ذهنه في سائر أحواله لا وجه له ولفظ الحديث كما في البخاري لما احتضر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وفي البيت رجال فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هلموا أكتب لكم كتابا لا تضلون بعده فقال بعضهم ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قد غلبه المرض وعندنا القرآن حسبنا كتاب الله فاختلف أهل البيت واختصموا فمنهم من يقول قربوا يكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده ومنهم من يقول غير ذلك فلما كثر اللغو والاختلاف قال قوموا وكان ابن عباس رضي الله تعالى عنهما يقول ان الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وبين ان يكتب لاختلافهم ولغطهم وقال الشهرستاني انه أول اختلاف وقع في الاسلام (استفهموه) أي قولهم أهجر بهمزة الاستفهام الانكاري الهجر بضم الهاء استفهموا من توقف في امتثال أمره بالكتابة أي أيصدر عنه هجر وهو الهذيان وما يقبح من القول وهو صلى الله تعالى عليه وسلم معصوم منزه عن مثله في سائر أحواله وقال الراغب يقال هجر وأهجر اذا تكلم من غير قصد وقيل المراد استخبروه عما أراد أتركه أولى أم لا (فقال) صلى الله تعالى عليه وسلم (دعوني) أي أتركوا النزاع عندي واللغط فانه لا ينبغي أن يقع مثله عند نبي من أمته (فان الذي أنا فيه) من مراقبة الله والتأهب للقائه وانتظار رسله الداعين لي للرفيق الاعلى (خير) من الاشتغال باموركم واستماع كلامكم ولغطكم (وفي بعض طرقه) أي طرق هذا الحديث المروية عنه فقال عمر (ان النبي) صلى الله عليه وسلم (يهجر) بفتح أوله وضم ثالثه أي يأتي بهجر من القول وهو على تقدير الاستفهام الانكاري وليس من الهجر بمعنى ترك الكتابة والاعراض عنها كما قيل وهذه رواية الاسمعيلي من طريق ابن خلاد عن سفيان (وفي رواية) كما في البخاري (هجر) ماض بدون استفهام (ويروى أهجر) بالاستفهام والمصدر المرفوع (ويروى أهجرا) بالاستفهام ونصب المصدر أي أيهجر هجرا بضم الهاء والروايات كلها تدل على انه استفهام ملفوظ أو مقدر لكنهم اختلفوا في هائه أهي مضمومة أو مفتوحة والاول هو المشهور ولابن قرقول فيه كلام وقد أفرد بعضهم هذا بتأليف مستقل وفي بعض الحواشي ما يدل على انه يجوز في هاء الهجر الضم أو الفتح وليس ببعيد ان ساعدته الرواية وفي كلام المصنف ما يوافقه (وفيه) أي في هذا الحديث (فقال عمر) رضي الله عنه (ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قد اشتد به الوجع وعندنا كتاب الله حسبنا) بالبناء على الضم أي كافينا عن غيره مصدر بمعنى اسم الفاعل أي يحسب وكاف لنا

(استفهموا) بكسر الهاء أي استخبروا والقائل بمنعه أو النبي عليه الصلاة والسلام عما أراده أفعله أولى أم تركه (فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم دعوني) أي أتركوني في حالي وترك مقالي (فالذي أنا فيه) من مراقبة ربي ومحاسبة قلبي (خير) مما أنتم فيه من تنازع وضجر ولعله عليه الصلاة والسلام ظهر له في رأيه أو أوحي اليه أولا ان الخير في كتابته فهم بها ثم تبين له أو أوحي اليه ان الخير في تركها فتركها (وفي بعض طرقه) كما في مستخرج الاسمعيلي من طريق ابن خلاد عن سفيان (فقال) أي قائل (ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يهجر) بكسر الجيم مع فتح أوله بتقدير استفهام انكار (وفي رواية) كما في البخاري (هجر) أي أهجر قال ابن الاثير أي هل تغير كلامه واختلط لاجل ما به من المرض مرامه وهذا أحسن ما قيل ولا يصح ان يجعل اخبارا فيكون من الفحش والهذيان والقائل كان عمر رضي الله تعالى عنه ولا يظن به ذلك انتهى (ويروى أهجر) بهمزة الاستفهام وضبط في نسخة بضم الهاء وكسر الجيم أي أترك أمر كتابته وفي أخرى بفتح الهمزة وسكون الهاء وفتح الجيم يقال أهجر في منطقه إذا أفحش وأكثر في كلامه فالاستفهام مقدر في الكلام (ويروى أهجرا) بهمزة الاستفهام وضم هاء وسكون جيم منصوبا والتقدير أيهجر هجرا يعني لا وقد أفرد ابن دحية تأليفا في اختلاف الرواة في هذه اللفظة (وفيه) أي وفي الحديث من بعض طرقه وفي (فقال عمر رضي الله عنه ان النبي صلي الله تعالى عليه وسلم قد اشتد به الوجع وعندنا كتاب الله حسبنا

وكثر اللغط) بفتحتين وهو اختلاف الاصوات في الكلام بحيث لم يتميز فيه الصواب عن الغلط (فقال قوموا عني وفي رواية واختلاف أهل البيت) أي حاضروه من أهل البيت وغيرهم (واختصموا) أي تنازعوا واختلفوا (فمنهم من يقول قربوا) أي كاتبا (يكتب لكم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي يملي لاجلكم (كتابا) فيه ذكركم (ومنهم من يقول ما قال عمر) أي عندنا كتاب الله حسبنا مقتبسا من قوله تعالى أولم يكفهم انا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم وهذا من عمر مؤذن بحسن نظره وصحة فكره ولذا وافقه عليه الصلاة والسلام واعرض عن كلام غيره من الانام ولا يعارضه قول ابن عباس ان الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وبين ان يكتب لان عمر كان أفقه من ابن عباس لعلمه بان الله تعالى

قد أكمل دينه ورسوله قد بلغ أمره ثم الخير فيما اختاره الله وقدره (قال أئمتنا) أي المالكية أو الاشعرية أو أهل السنة والجماعة (في هذا الحديث) أي حديث ابن عباس (أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم غير معصوم من الامراض) أي العارضة على ظاهره دون باطنه كغيره من الانبياء (وما يكون من عوارضها من شدة وجع وغشي) بفتح وسكون أي اغماء (ونحوه) أي ما ذكر (مما يطرأ) أي يقع ويحدث (على جسمه) أي ظاهر جسده (معصوم أن يكون منه) أي يصدر عنه (من القول) مما لا ينبغي (أثناء ذلك) أي في خلال ذلك المرض العارض هنالك (ما) موصولة أو موصوفة (يطعن في معجزته ويؤدي الى فساد شريعته من هذيان) بفتحتين أي كلام مهجور في حال منام (أو اختلال) بنقصان أو اختلاف (في كلام وعلى هذا) القول لعصمته عما ذكر في حال نبوته (لا يصح ظاهر رواية من روى في هذا الحديث هجر) بصيغة الاخبار الا اذا قدر له استفهام الانكار (اذ معناه هذى) أي أكثر كلامه بلا جدوى (يقال هجر هجرا) بفتح فسكون اذا هذى (وأهجر) بفتح فسكون (هجرا) بضم فسكون (اذا أفحش) أي أتى بكلام يقبح ذكره (وأهجر) بفتح الهمزة وسكون الهاء (تعدية هجر) وهذا وهم من المصنف والصواب انهما لغتان في معناهما متقاربان وانهما لازمان لا يتعديان وقد قرئ بهما في السبعة قوله تعالى سامرا تهجرون فالجمهور بفتح أوله وضم جيمه على انه بمعنى الهذيان ومنه الهجر بالضم الفحش وقرأ نافع بضم أوله وكسر جيمه من أهجر اذا أفحش للمبالغة فزيادة المبنى لزيادة المعنى

وفي نسخة حسبنا أي هو كافينا (وكثر اللغط) وهو ارتفاع الاصوات واختلاطها حتى لا تكاد تفهم (فقال) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لهم (قوموا) وابعدوا (عني) أراد اذهابهم من مجلسه حتى لا يشتغل بهم عما هو فيه (وفي رواية) في الصحيح أيضا (واختلف أهل البيت) أي من كان في بيته صلى الله تعالى عليه وسلم من الصحابة رضي الله تعالى عنهم اذ ذاك أو أقرباؤه منهم كابن عباس رضي الله عنهما (واختصموا) أي نازع بعضهم بعضا (فمنهم من يقول قربوا) الكاتب أو الكتاب (يكتب لكم) بالرفع والجزم (رسول الله) صلى الله تعالى عليه وسلم (كتابا) تمسكوا به وتهتدوا أي بأمر الكتابة (ومنهم من يقول ما قال عمر) رضي الله تعالى عنه من قوله حسبنا كتاب الله شفقة وحكمة علمها ولذا لم ينكر عليه قوله كما سيأتي (قال أئمتنا) المالكية أو الاشعرية أو أئمة الحديث بقرينة المقام (في هذا الحديث) المروي عن ابن عباس (أن النبي) صلى الله تعالى عليه وسلم (غير معصوم من الامراض) التي تطرأ عليه في ظاهر جسمه دون باطنه اذ لم تكن منفرة (وما يكون من عوارضها) أي ما يعرض معها من الآلام والتغيرات (من شدة وجع) يؤلمه (وغشي) أي اغماء خفيف (ونحوه مما يعرض على جسمه) وهو (معصوم من أن يكون) أي يوجد (منه من القول أثناء ذلك) أي في خلاله ويتخلل منه وهو جمع ثني كما تقدم (ما يطعن في معجزته) أي يقدح فيها من مخالفتها للواقع (ويؤدي الى فساد في شريعته) لتطرقه للشك في أخباره وأحكامه (من هذيان) أي كلام غير مفيد (أو اختلال في كلام) كتناقضه ومخالفته الواقع والعقل لنزاهته صلى الله تعالى عليه وسلم وعصمته وكماله في جميع حالاته كما شوهد منه في مرضه الى ان سلم روحه الشريفة الى مالكها (وعلى هذا) الامر الذي قررناه من عصمته في أقواله ونزاهته (لا يصح رواية من روى هجر) بدون استفهام من الهجر بالضم والفتح (اذ معناه هذى) تكلم بكلام كثير لا فائدة فيه والانتظام فقائله ممن لا يعرف قدره عليه الصلاة والسلام لخلل في دينه أو عقله أو لقرب عهده بالاسلام فتوهم أنه يعرض له صلى الله تعالى عليه وسلم من المرض ما يعرض لغيره من تخليطه في كلامه لخلل في عقله وحاشاه من مثله (يقال هجر يهجر) كنصر ينصر (هجرا) بفتح أوله وسكون ثانيه كما في بعض الشروح وسيأتي ما فيه (اذا هذى) بالذال المعجمة من الهذيان (وأهجر) مزيد كاكرم (هجرا) بضم أوله بوزن قفل وهو اسم مصدر ومصدره الاهجار (اذا أفحش) أي تكلم بكلام قبيح عن قصد والاول بغير قصد (وأهجر) بفتح الهمزة مزيد هجر كاكرم وما في بعض الشروح أنه بضم أوله وسكون ثانيه سهو من الناسخ وصوابه بفتح أوله (وتعدية هجر) أي ثلاثيه معدى بالهمزة وقد قيل عليه ان

(وانما الاصح والاولى) أى فى هذا المقام الاعلى (أهجر على طريق الانكار) بزيادة الاستفهام اخراجا له من صيغة الاخبار ومحط الانكار (على من قال لا يكتب) أى لا يحتاج الى الكتابة لتمام علم الامة بامر الديانة حتى قضية الامارة بامارة نصب الامامة (وهكذا) أى لفظ أهجر مع الاستفهام (رويناه فيه) أى فى الحديث المروى (فى صحيح البخارى من رواية جميع الرواة) أى رواة هذا الحديث من الطرق الواقعة (فى حديث الزهرى المتقدم) أى المروى فى صحيح البخارى (وفى حديث محمد بن سلام) بتخفيف اللام وقد تشدد وهو البيكندى الحافظ شيخ البخارى (عن ابن عيينة) وهو سفيان والا فابن عيينة عشرة منهم خمسة لهم رواية وأجلهم فى العلم سفيان فهو المراد به عند الاطلاق لانه الفرد الاكمل فتامل (وكذا) أى أهجر بفتحات مع همزة انكار (ضبطه الاصيلى) وهو بفتح الهمز وكسر الصاد (بخطه فى كتابه) أى لا بهمز وسكون هاء كما ضبطه غيره وان أراد ان الاستفهام مقدر لكن الاول هو الاظهر فتدبر (وغيره) أى وكذا ضبطه غير الاصيلى من الرواة (من هذه الطرق) ويروى من هذا الطريق أى من أهل هذا الاسناد المنتهى الى الزهرى المروى فى صحيح البخارى (وكذا) أى بفتحات وهمزة انكار (رويناه) وفى نسخة بصيغة المجهول مخففا وفى أخرى مشددا وفى أخرى روايتنا (عن مسلم فى حديث سفيان) أى ابن عيينة (وعن غيره) أى وكذا رويناه عن غير مسلم فهو أصح من رواية هجر على ظاهر الاخبار وكذا أصح من رواية أهجر بفتح الهمزة وسكون الهاء لان كلا منهما يحتاج الى تقدير همزة الانكار على من قال لا يكتب أى كيف يترك أمره فى مرامه ويجعل كمن هجر فى كلامه وهو محفوظ فى أعلى مقامه وأما قول عمر عندنا كتاب الله تعالى حسبنا فهو انما كان ردا على من نازعه لا ردا لامره صلى الله تعالى عليه وسلم والحاصل أنه رضى الله تعالى عنه كان فى حزب يقولون لا احتياج الى الكتابة والله أعلم (وقد يحمل عليه) أى على لفظ أهجر انكارا (رواية من رواه هجر) اخبارا (على

هجر واهجر لازمان وصوابه هجر واهجر بمعنى سواء الا ان يريد بتعديه تعديه عن الحذف فيه وتجاوزه وهو بعيد انتهى وماذكره هو الذى يقتضيه كلام أهل اللغة (وانما الاصح) اشارة الى رد ما قبله وقد قيل عليه انه غير مسلم لانه ان أراد رده بحسب الرواية فهو غير صحيح لانه ثابت فى صحيح البخارى وان أراد بحسب المعنى فكذلك لانه يقدر فيه همزة الاستفهام وحذفها كثير فى كلامهم كقوله تعالى وتلك نعمة تمنها على أى أو تلك نعمة الى آخره وقول الشاعر

فوالله ما أدرى وان كنت داريا * بسبع رمين الجمر أم بثمان

ولك ان تجيب عنه بان مراده انه غير صحيح ان لم تقدر الهمزة وقوله (والاولى) أى ان قدرت لان الاصل خلافه ولولا هذا لم يصادف قوله الاصح والاولى محزه (أهجر) يعنى بهمزة الاستفهام الانكارى حتى لا ينسب له مالا يليق بمقامه وقائله قاله (على طريق الانكار على من قال لا نكتب) ما أمرنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بكتابته لانه لا تجوز مخالفته كما تقدم فى كلام ابن عباس ردا على من أباه وعلله بشدة وجعه وهو صلى الله تعالى عليه وسلم معصوم فى مرضه وصحته والقائل لا نكتب عمر رضى الله تعالى عنه والراد عليه بقوله أهجر بعض الصحابة ووجه ما قاله عمر ما تقدم وسياتى تتمته (وهكذا رويناه فى صحيح البخارى) أى ثبت عنده روايته بهمزة الاستفهام ملفوظة عن مشايخه ثابتة (من جميع الرواة فى حديث الزهرى المتقدم) ذكره قبل (وفى حديث محمد بن سلام) هو الامام الحافظ الذى روى عنه البخارى وغيره وتوفى سنة خمس وعشرين وثلثمائة وسلام بتخفيف اللام عند الاكثر كما قاله الذهبى والمزى وغيرهما وجوز بعضهم تشديدها أيضا وعند بعضهم انهما اثنان فالكبير منهما بالتخفيف والصغير بالتشديد وهو محمد بن سلام بن السكن البيكندى وعلى كل حال فالاصح فى هذا عندهم التخفيف (عن ابن عيينة) يعنى به سفيان لان أولاد عيينة عشرة منهم خمسة اشتهروا بالعلم والحديث وخمسة لم يشتهروا بذلك ولذا قال ابن الصلاح انهم خمسة وأكبرهم وأشهرهم سفيان (وكذا ضبطه الاصيلى) بهمزة وفتحات (بخطه فى كتابه) يعنى به صحيح البخارى الذى رواه وضبطه بقلمه كما ذكر والاصيلى تقدم بيانه وأصيل بلد بالاندلس (و) كذا ضبطه بخطه (غيره) أى غير الاصيلى ممن روى البخارى وكتبه ممن يعتمد عليه (من هذه الطرق) أى طريق الزهرى وغيره (وكذا رويناه عن مسلم) كما رواه البخارى (فى حديث سفيان) ابن عيينة يعنى فى روايته (و) رويناه أيضا (عن غيره) أى غير مسلم فصح عنده من طرق بثبوت الهمزة فيه ردا وانكارا على من أبى الكتابة أى أتجعله كغيره ممن يصدر عنه وهو صلى الله عليه وسلم معصوم منزه عنه وقول عمر رضى الله تعالى عنه انما هو رد على من نازعه لا ردا على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كما يعلم مما ياتى (وقد يحمل عليه) أى على هذه بجعله بمعناه (رواية من رواه هجر) بدون همزة فيجعل

(على حذف ألف الاستفهام) جمعا بين الروايتين فى مقام المرام (والتقدير أهجر) بفتحات وكذا أهجر (أوان يحمل قول القائل هجر) بفتحات (أوأهجر) بفتح فسكون على ظاهره من الخبر الا انه وقع ذلك (دهشة) أى وحشة أو غفلة (من قائل ذلك وحيرة) توجبها هيبة لعظيم ماشاهد (من حال الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم) فى مرضه (وشدة وجعه) وخصول غشيانه الموهم لوقوع هذيانه (وهول المقام الذى اختلف فيه عليه) بامتثاله وامتناعه تهو ينا له به مع تسليم الحكم اليه (والامر) أى وهول الامر (الذى هم) أى اهتم (بالكتاب فيه حتى لم يضبط هذا القائل لفظه) أى فى كلام نفسه (وأجرى الهجر بالضم الفحش) و بالفتح الهذيان (مجرى) بضم الميم ويفتح أى موضع (شدة الوجع) فى مرضه (لانه) أى القائل (اعتقد انه يجوز عليه الهجر) بالضم أو الفتح (كما حملهم الاشفاق على حراسته) أى محافظته و رعايته (والله تعالى) أى والحال انه سبحانه وتعالى (يقول والله يعصمك من الناس) أى ولو لم يحفظك الناس فانهم كانوا يعدون تلك الحراسة عبادة وطاعة و يغتنمون الحضور بين يديه ولو ساعة (ونحو هذا) من اشفاقهم عليه حين وقوع غضب واعراض لديه تم يم انه لو سكت مع كمال ميلهم اليه (واما رواية أهجرا) ويروى واما على رواية أهجرا وهو بفتح الهمزة وضم الهاء وهو بالنصب منونا على ان يكون مصدرا لهجر يهجر أو اسما من الاهجار (وهى رواية أبى اسحق المستملى) بميم مضمومة فسين مهملة ساكنة أحد رواة البخارى (فى الصحيح فى حديث ابن جبير) وهو سعيد (عن ابن عباس رضى الله تعالى عنه من رواية قتيبة) أى ابن سعيد أحد شيوخ البخارى (فقد يكون هذا) أى قوله أهجرا (راجعا الى المختلفين) ويروى على المختلفين (عنده صلى الله تعالى عليه وسلم ومخاطبة لهم من بعضهم) انكارا عليهم (أى جئتم باختلافكم على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم و بين يديه) أى والحال انكم بين يديه (هجرا) أى ما يجب عليكم ان تهجروه (ومنكرا من القول) أى ما ينبغى لكم ان تتركوه

(على حذف ألف الاستفهام) يعنى الهمزة لانه يطلق عليها ألف كما فى المغنى وغيره (والتقدير) على هذا (أهجر) وحذفها وتقديرها جائز كما تقدم والقرينة على حذفها عقلية للعلم بعدم اتصافه صلى الله تعالى عليه وسلم بمعناه (أوان يحمل) ويوجه (قول القائل هجر) بغير استفهام (أوأهجر) بالهمزة والاستفهام عما لا يتوهم فيه اذا ثبتت هذه الروايات فانما صدرت منه (دهشة) أى حيرة تذهل من أمر عظيم يبغته (من قائل ذلك) أى قول هجر ونحوه (وحيرة) تشغله عما يقوله (لعظيم ماشاهد من حال الرسول) صلى الله تعالى عليه وسلم مما يشق عليه فيذهله عما يقول (وشدة وجعه) وألمه المؤثر فى قلوب محبيه (وهول المقام الذى اختلف فيه عليه) أى شق عليه أى مخالفتهم له فيما أمر به (و) هول (الامر الذى هم) صلى الله تعالى عليه وسلم (بالكتابة فيه) أى هم بان يكتب فى شانه فانه انما يهم فى حال ألمه بكتابة أمر الا وهو أمر عظيم لم يظهر الى الآن فربما شق عليهم أو خشى منه ومن عواقبه كأمر الخلافة مثلا (حتى) ان القائل لشدة دهشته (لم يضبط لفظه) بالتحرى ومراعاة حسن تعبيره وفى نسخة حتى لم يضبط هذا القائل لفظه وأجرى الى آخره بدل قوله (أو) يحمل قوله على انه (أجرى الهجر) بضم الهاء (مجرى) بضم الميم ويجوز فتحها ولا يتعين الاول كما توهم (شدة الوجع) أى استعمله مجازا فى لازم معناه ولم يرد حقيقته لانه صلى الله تعالى عليه وسلم كما ورد فى الحديث كان يوعك كما توعك الرجلان وزيادة ألمه للطف بنيته وكثرة ثوابه (لانه) أى القائل (اعتقد انه يجوز عليه الهجر) بالضم أى الهذيان (كما حملهم) أى دعاهم وحركهم (الاشفاق) أى الخوف عليه صلى الله تعالى عليه وسلم لشفقتهم ومحبتهم له (على حراسته) حذرا عليه من ان يصيبه مكروه أو عدو (والله يقول) جملة حالية (والله يعصمك من الناس) فمع هذا لا حاجة لحراستهم له لكن شدة محبتهم دعتهم لذلك كما قيل ان المحب بسوء ظن مولع (ونحو هذا) مما فعلوه احتراسا من غير حاجة له (واما على رواية أهجرا) بهمزة الاستفهام وضم الها منصوبا منونا ويجوز فتحها وقيل انه الصواب وفيه نظر (وهى رواية أبى اسحق المستملى فى الصحيح) أى صحيح البخارى لانه أحد رواته وفى نسخة السلمى ولم يبينوه والمعروف انما هو الاول والظاهر انه تحريف من النساخ (فى حديث ابن جبير عن ابن عباس) رضى الله تعالى عنهما (من رواية قتيبة فقد يكون هذا) أى الوصف بالهجر (راجعا الى المختلفين عنده) صلى الله تعالى عليه وسلم (ومخاطبة لهم من بعضهم) فيكون بعض الصحابة قاله لبعض منهم لما وقع بينهم نزاع بعد طلبه صلى الله تعالى عليه وسلم من يكتب فهو على هذا مفعول فعل مقدر وتقديره (أى جئتم باختلافكم) أى بسبب الاختلاف واللغط (على رسول صلى الله تعالى عليه وسلم) متعلق باختلاف (وبين يديه) أى فى حضوره (هجرا) بضم فسكون (ومنكرا من القول) عطف

(والهجر بضم الهاء الفحش فى المنطق) ولا يتصور ان أحدا من الصحابة يخاطبه عليه الصلاة والسلام بمثل هذا الكلام فى مقام الملام وهذا ما يتعلق بالفاظ هذا الحديث ومبناه ومجمل ما يتعلق بفحواه ومقتضاه (وقد اختلف العلماء فى معنى هذا الحديث) أى حديث هلموا أكتب لكم (وكيف اختلفوا بعد أمره لهم ان ياتوه بالكتاب) الموصوف بانهم لن يضلوا بعده فى هذا الباب (فقال بعضهم) أى بعض العلماء (أوامر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يفهم ايجابها من ندبها) تارة و (من اباحتها) أخرى (بقرائن) قالية أوحالية يدركها أربابها (فلعله) أى الشان (قد ظهر من قرائن قوله عليه الصلاة والسلام لبعضهم) أى من الصحابة الحاضرين (ما فهموا انه لم يكن منه) أى من جانبه (عزمة) أى أمر عزيمة (بل أمر) أى على وجه خبر (رده الى اختيارهم) ولا يبعد انه كان لظهور أمرهم فى مقام امتحانهم واختبارهم (وبعضهم لم يفهم ذلك) لقصور فهمه ادراك حقيقة ما هنالك (فقال) أى ذلك البعض لبعض منهم (استفهموه) أى استخبروه حتى يتبين لكم ما تستبهمونه (فلما اختلفوا) أى كلهم ولم يستقر على شئ رأيهم (كف عنه) أى أعرض عن أمره (اذ لم يكن عزمة) فى حكمه اذ لو كان عزيمة لما تركها (ولما) أى ولاجل ما (رأوه) أى كلهم أوأكثرهم ومنهم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (من صواب رأى عمر ثم هؤلاء) أى العلماء (قالوا ويكون امتناع عمر) على وجه حكمه يظهر (اما اشفاقا على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) أى خوفا عليه (من تكليفه) أى تحمله (فى تلك الحال املاء الكتاب) أى كلفته ومحنته (وان يدخل) بصيغة الفاعل أو المفعول مذكرا أو مؤنثا أى يحمل (عليه مشقة من ذلك) الاملاء للكتابة (كما قال) أى عمر (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اشتد به الوجع) فلا ينبغى ان يكلف املاء كتاب لنا كتاب الله حسبنا (وقيل خشى عمر ان يكتب أمورا) أى أحكاما (يعجزون عنها) أى عن القيام بها (فيحصلون فى الحرج بالمخالفة) أى فيقعون فى الاثم بترك الموافقة (ورأى) أى عمر (ان الاوفق) وفى نسخة الارفق (بالامة فى تلك الامور) أى المجملة المقدرة

تفسير وضحه بقوله (والهجر بالضم الفحش فى المنطق) أى التكلم بما يقبح ولا يليق بحضرة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم (وقد اختلف العلماء فى هذا الحديث) أى فى معناه المراد به (وكيف اختلفوا بعد أمره) صلى الله تعالى عليه وسلم (لهم ان ياتوا بالكتاب) ليكتب فيه ما لا يضلون بعده (فقال بعضهم) أى بعض المختلفين فى بيانه وتاويله (أوامر) النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وتقدم انه جمع أمر أو أمور فهو جمع الجمع وما فيه (يفهم ايجابها) أى ما أريد به الايجاب منها (من ندبها) أى مندوبها (من اباحتها) أى مباحها والعاطف فيه محذوف (بقرائن قوية) أى بالقرائن اللائحة من سياقه وان كان أصله الايجاب وليس هذا مبنيا على ان الامر مشترك بين هذه المعانى الثلاثة ولا يتعين لاحدها بدون قرينة ماه وقول لبعض أهل الاصول مع ما فيه وما عليه فلا نطول به (فلعله قد ظهر من قرائن قوله) عليه السلام (لبعضهم) حين سمعه منه (ما فهموا) من ظاهره وهو فاعل ظهر (انه) أى أمره عليه السلام بقوله هلموا (لم يكن) ذلك الامر (منه عزمة) أى أمر عزم عليه عزما مصمما فيجب امتثاله (بل) هو (أمر رده الى اختيارهم) فهو مشاورة مخير افيه ولذا اختلفوا فيه وراجعوه (وبعضهم) أى بعض الصحابة (لم يفهم ذلك) فظنه واجبا لا تجوز مخالفته فانكر على من خالف فيه (فقال استفهموه) أى استخبروه صلى الله تعالى عليه وسلم عما أراده بامره (فلما اختلفوا) فيما بينهم (كف عنه) صلى الله تعالى عليه وسلم فقال قوموا عنى أو كف القائل عن طلب الاستفهام منه (اذ لم يكن) بالياء والتاء أى يوجد أوهى ناقصة (عزمة) واجبة الامتثال بالرفع والنصب (ولما رأى) صلى الله تعالى عليه وسلم أو الكاف ولما بكسر اللام وتخفيف الميم ولا يجوز الفتح والتشديد وفى نسخة ولما رأوه (من صواب رأى عمر) رضى الله تعالى عنه فى تركه لما عرفوه من شدة رأيه وموافقاته رضى الله تعالى عنه (ثم هؤلاء) القائلون بهذا الوجه (قالوا) على هذا (يكون امتناع عمر) رضى الله تعالى عنه من كتابة ذلك الكتاب (اشفاقا) وحذرا (على النبى) صلى الله تعالى عليه وسلم (من تكليفه فى تلك الحال) أى حال وجعه وألمه (املاء الكتاب أو) اشفاقه من (ان يدخل عليه مشقة من ذلك) الاملاء (كما) يشهد له انه (قال ان النبى) صلى الله تعالى عليه وسلم (اشتد به الوجع) فهذا صريح فى شفقته عليه من التعب وتألمه مع علمه بانه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يدع شيأ الا أعلمهم به بكتاب الله وسنته ولم يكن صلى الله تعالى عليه وسلم ليؤخر بيان أمر من مهمات الدين وقد قال الله تعالى اليوم أكملت لكم دينكم (وقيل خشى عمر) رضى الله تعالى عنه وخاف (ان يكتب أمورا يعجزون عنها) ولا يوفونها حقها (فيحصلون) أى يقعون (فى الحرج) أى ما يضيق عليهم من الآثام (بالمخالفة) لما أمرهم به (ورأى عمر) رضى الله تعالى عنه برأيه هذا أيضا (ان الارفق بالامة) أى الاسهل والاكثر رفقا بهم (فى تلك الامور) التى

أراد

(سعة الاجتهاد وحكم النظر) أي التامل في ظهور المراد (وطلب الصواب فيكون المصيب) للحكم الشرعي (والمخطئ) بعد مراعاة شرعه المرعي (ماجورا) فللمصيب أجران وللمخطئ أجر واحد (وقد علم عمر تقرر الشرع) أي شرع هذه الامة ويروى الشريعة (وتاسيس الملة) برسوخ قواعده وثبوت دعائمه (وان الله تعالى قال اليوم أكملت لكم دينكم) وأتممت عليكم نعمتي وهذا معنى قوله حسبنا كتاب ربنا (وقوله) أي وعلم أيضا قوله عليه الصلاة والسلام (أوصيكم بكتاب الله تعالى) أي بما

اراد كتابتها لهم (سعة الاجتهاد) أي ما يتوسعون فيه باجتهادهم واستنباطهم من النصوص المتالفة (وحكم النظر) أي نظر من يجتهد في المقدمات التي يريد الاستنباط منها نظرا صحيحا مقرونا بشرائطه (وطلب الصواب) بالنظر في الادلة والنصوص ومقتضياتها وموانعها (فيكون) المجتهد (المصيب و المجتهد المخطئ) في الحكم الشرعي (ماجورا) مثابا اما الاول فله أجران أجر اجتهاده واصابته الحق والثاني له أجر اجتهاده فقط لبذله جهده في طلب الصواب والحق وهذا بناء على ان المصيب واحد منهما والقول بان كل مجتهد مصيب ليس مرضيا كما بين في كتب الاصول وأجر المخطئ انما هو على سعيه وطلبه للحق لا على خطئه لكنه لا اثم عليه في اجتهاده اذا كان من أهله على الصحيح وتفصيله في كتب الاصول (وقد علم عمر) رضي الله تعالى عنه (تقرر الشريعة) أي انه صلى الله تعالى عليه وسلم قررها لهم وبينها قبل مرضه ولم يترك شيئا مما يحتاجون اليه (وتاسيس الملة) أي أحكام قواعدها وما ينبني عليه أحكامها المحكمة التي لم يهمل منها شئ (و) علم (ان الله تعالى قال) في آخر ما أنزله (اليوم) المراد به الوقت الحاضر في آخر عمره صلى الله تعالى عليه وسلم (أكملت لكم دينكم) فلم يترك شيئا مما يحتاجون اليه لم يبينه لهم صريحا أو ضمنا ولم يرشدهم لطرق استنباطه فلذا ترك ما أراد كتابته لحكمة هداه الله تعالى لها وهذه الآية نزلت يوم جمعة أو ليلتها بعرفة في الحج الاكبر ولما قرأها صلى الله تعالى عليه وسلم بكى عمر رضي الله تعالى عنه لان التمام يدل على انقضاء أمر الوحي (و) علم عمر أيضا (قوله) صلى الله تعالى عليه وسلم (أوصيكم) بالتمسك (بكتاب الله) بامتثال أوامره ونواهيه والتادب بآدابه وما فيه من مكارم الاخلاق (وعترتي) بكسر العين ومثناة فوقية بين أولاهما ساكنة بينهما راء مهملة مفتوحة وهم أهل بيته صلى الله تعالى عليه وسلم الذين تحرم عليهم الزكاة من بني هاشم وبني عبد المطلب وهذا حديث صحيح رواه مسلم في خطبة خطبها صلى الله تعالى عليه وسلم وسماهما فيه ثقلين كما ياتي تعظيما لشانهما فقال اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وأهل بيتي لن يفترقا حتى يردا على الحوض وفي النهاية عترة الرجل أخص أقاربه وعترته صلى الله تعالى عليه وسلم بنو عبد المطلب وقيل أهل بيته الاقربون وهم أولاد علي رضي الله تعالى عنه وقيل عترته الاقربون والابعدون من قريش والمشهور انهم أهل بيته الذين تحرم عليهم الزكاة انتهى وما قيل من ان هذا يقتضي ان ما أمر به النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لا فائدة فيه وهو بعيد وغير لائق ليس بشئ لما علمته فتنبه (وقول عمر) رضي الله تعالى عنه (حسبنا كتاب الله) تعالى لكفايته عما عداه (رد على من نازعه) أي نازع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أو عمر في أمر الكتاب (لا) رد من عمر رضي الله تعالى عنه (على أمر رسول الله) صلى الله تعالى عليه وسلم ان يأتوا بمن يكتب لهم كتابا وقد استبعد هذا من السياق جدا فالحق ما سياتي وليس فيه شين لعمر وشبهة تحتاج للرفع بهذا (وقد قيل) في الجواب عن قول عمر لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على تقدير تسليمه انه انما (خشي عمر) رضي الله عنه من (تطرق المنافقين) أي وصولهم من طريق نفاقهم (و) من وصول (من في قلبه مرض) لحقده على الاسلام وأهله كاليهود (لما كتب في ذلك) أي بسبب (الكتاب في الخلوة وان يتقولوا

فيه مما يتعلق باعتقاده وباوامره ونواهيه ومعرفة حلاله وحرامه وما يترتب على اجتهاده (وعترتي) أي أهل بيتي كما في رواية والمراد به أقاربه من عشيرته وأهل بيته من ازواجه وذريته وقيل المراد بعترته من يتبع اخباره وآثاره من سيره وسيرته فكأنه قال أوصيكم بالكتاب والسنة ولعل تخصيص العترة لانهم أقرب الى مشاهدة أفعاله في الجلوة والخلوة واما على التفسير الاول فالعمل بالسنة يؤخذ من الكتاب أيضا لقوله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وقوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني وقوله من يطع الرسول فقد أطاع الله (وقول عمر) مبتدأ مقول (حسبنا كتاب الله) أي كافينا خبره (رد على من نازعه) أي خالفه في أمر الكتاب على ما رآه عمر ان تركه هو الصواب في مقام

فصل الخطاب (لا رد منه) أي من ابن الخطاب (على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) انه لا يتصور منه مثله في هذا الباب (وقد قيل خشي عمر تطرق المنافقين) أي توصلهم (ومن في قلبه مرض) أي شك وترددا وحقد وحسد (لما كتب) أي حين كتب أو لاجل ما كتب (ذلك) وفي نسخة في ذلك (الكتاب) أي المكتوب (في الخلوة) أي في الحجرة الشريفة (ان يتقولوا) أي يتكلفوا

(في ذلك) أي في جملة ذلك الكتاب (الاقاويل) الباطلة افتراء من عند أنفسهم المنهمكة في الضلالة (كادعاء الرافضة الوصية) بالخلافة لعلى كرم الله وجهه قدحا في اكابر الصحابة بل في على نفسه اذ لم يقم بالامر الموصى به (وغير ذلك) مما لا اطلاع لنا على ماهنالك (وقيل انه) أي قوله لهم هلموا (كان من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم على طريق المشورة) بفتح فسكون ففتح وفي نسخة بضم ثانيه وسكون واوه وقيل لا يصح هذا أي المشاورة (والاختبار) أي الامتحان ليظهر منهم حسن الاختيار (هل يتفقون على ذلك فيكتب لهم (أم يختلفون) فيتركه (فلما اختلفوا تركه) ويروى تركهم ولا يبعد ان يكون الامتحان ليعلم انهم الى الآن محتاجون الى الكتاب والبيان أوهم متيقنون في أحكام الاديان ولا يفتقرون الى زيادة التبيان فلما تبين من كلام عمر ومن تبعه انهم في مقام العيان وفي غاية من كمال الايمان وجمال الايقان والاتقان من منازل الاحسان ترك ما أراد كتابته مجملا لظهور أمرهم مفصلا (وقالت طائفة أخرى ان معنى الحديث) المذكور (ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان مجيبا في هذا الكتاب) أي في قصده أو أمره (لما طلب منه) ببيان القال أو بلسان الحال (لانه ابتدأ بالامر به) من غير السؤال (بل اقتضاه) أي طلبه واستدعاه (منه بعض أصحابه) أي المخصوصين من أقاربه واحبابه (واجاب رغبتهم) واطاب طلبتهم (وكره ذلك غيرهم للعلل التي ذكرناها) عن عمر وغيره مما اقتضت حكمتهم فلما تعارضا تساقطا (واستدل) بصيغة المجهول وفي نسخة بصيغة الفاعل أي استدل القائل (في مثل هذه القصة) المشتملة على القصة (بقول العباس لعلى رضي الله تعالى عنهما انطلق بنا) أهل البيت أو معشر بني هاشم الذين هم أفضل من سائر قريش وقد ورد ان الخلافة في قريش (الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فان كان الامر) أي أمر الخلافة بعده (فينا) خصوصا (علمناه) ولا ينازعنا فيه احد (وكراهة على هذا) القول من عمه العباس (وقوله) لعمه (والله لا أفعل الحديث) كما في البخاري

في ذلك الاقاويل) أي ان يكذبوا باسنادهم ما دس فيه له وأصل معنى التقول تكلف القول وفسر بما ذكر قوله تعالى ولو تقول علينا بعض الاقاويل وجمع الاقاويل تحقير الما يقولونه أو انه خشى ان يتأولوا ما يكتب فيه بتاويلات باطلة كما وقع من بعض الزنادقة (كادعاء الرافضة الوصية) أي ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أوصى لعلى كرم الله وجهه وتسميتهم له الوصي لذلك وان بعض الصحابة كتب ذلك (وغير ذلك) مما افتراه الرافضة على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقد ادعوا ان الكتاب الذي أراد النبي صلى الله عليه وسلم كتابته كان فيه الوصية بخلافة على فلما منع منه عمر وهو كذب منهم عليه وسموا رافضة من الرفض وهو الترك لرفضهم زيد بن على لامر رفضوه لها وقيل غير ذلك وهم فرق يطول ذكرهم (وقيل) في توجيهه (انه) أي أمره (كان من النبي) صلى الله عليه وسلم أمر (على طريق المشورة) والتخيير تطييبا لقلوبهم لا أمر ايجاب لا تجوز مخالفته والمشورة بفتح الميم وضم الشين وسكون الواو بزنة مثوبة في الافصح ويجوز سكون الشين وفتح الواو وقول الحريري في الدرة انه خطأ خطأ منه كما فصلناه في شرحها وهي أي المشورة من شرت العسل اذا اجتنيته (والاختيار) أي التخيير لا الايجاب (و) لينظر (هل يختلفون على ذلك) الامر الذي أراد ان يكتب (أم يتفقون) عليه (فلما اختلفوا) فيه وتنازعوا (تركه) وكف عنهم لانهم عصوا وفرطوا في أمر لا بد منه (وقالت طائفة أخرى) في معنى الحديث (ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان مجيبا لما طلب منه) أي كانوا سالوه ان يعهد اليهم بما يكتبونه عنه فاجابهم بقوله هلموا الى آخره (لانه ابتدأ بالامر به) حتى يقال لا ينبغي مخالفته فيه (بل اقتضاه) أي طلبه (منه بعض أصحابه) ممن كان عنده (فاجاب رغبتهم) أي ما رغبوه منه (وكره ذلك غيرهم) أي غير من طلبه كعمر رضي الله تعالى عنه لثقله صلى الله تعالى عليه وسلم في مرضه شفقة منه (للعلل التي ذكرناها) سابقا (واستدل) بالبناء للمجهول أي على صحة هذا التاويل (في مثل هذه القصة) أي قصة الكتاب المذكور (بقول العباس) رضي الله تعالى عنه في حديث رواه البخاري (لعلى) بن أبي طالب كرم الله وجهه (انطلق بنا الى رسول الله) صلى الله تعالى عليه وسلم نسأله عن الخلافة بعده (فان كان الامر) أي الخلافة بعده صلى الله تعالى عليه وسلم (فينا) أهل البيت (علمناه) فلا ينازع فيه احد وان كان لغيرنا لم نطلبه ولم نرجه (وكراهة على رضي الله تعالى عنه هذا) أي ما قاله العباس رضي الله تعالى عنه له (وقوله) لعمه العباس (والله لا أفعل) أي لا انطلق ولا اسئل (الحديث) رواه البخاري مسندا وفيه ان عليا خرج من عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في مرضه الذي توفي فيه فقال له العباس كيف أصبح رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال أصبح بحمد الله بارئا فاخذ بيده وقال له أنت بعد ثلاث عبد العصا واني والله أراه متوفيا في مرضه هذا واني لاعرف وجوه بني عبد المطلب عند الموت

(واستدل) كما تقدم واغرب الدلجى حيث قال واستدل على (بقوله دعونى) أى اتركونى (فان الذى انا فيه خير) أى ان الذى انا فيه من الاعراض عن الدنيا والاقبال على العقبى والتوجه الى المولى خير وأبقى مما تدعوننى اليه (من ارسال الامر) بلا كتابة (وتركم) أى وخير من تركى اياكم (وكتاب الله) أى معه اذر بما أخلفتم فيه كما اختلف من قبلكم (وان تدعونى) بفتح الدال

اذهب بنا اليه نسئله فيمن هذا الامر بعده فان كان فينا علمنا ذلك وان كان فى غيرنا أوصاه بنا فقال انا والله لا أسئله ولو كان فينا أعطيناه للناس بعده (و) استدل أيضا المذاكر من انه كان مجيبا لا آمرا فخالفوه أمره (بقوله) صلى الله تعالى عليه وسلم فى هذا الحديث (دعونى فان الذى أنا فيه خير) من ان يكتب الكتاب فانه لو كان أمرا فيه بواجب لم يقل ان تركه خير منه (أى الذى انا فيه خير من ارسال الامر) أى اهماله وتركه (و) خير من (تركم) أى تركى لكم أو تركم كتاب الوصية ومن بيان لما هو فيه (وكتاب الله) بالنصب مفعول معه أى مصاحبين بكتاب الله والتمسك به فانه حسبكم فاياكم أن تختلفوا فيه فتهلكوا كمن قبلكم من الامم وتفشلوا ان تنازعتم فيه وقد قيل انه كان مراده صلى الله تعالى عليه وسلم كتابة هذا اشفقة عليهم (وان تدعونى) ان شرطية والجملة معطوفة على جملة دعونى (مما طلبتم) أى من كتابة الكتاب الذى طلبتموه فاجبتكم والجواب مقدر أى فهو خير لكم ويجوز فتحها (وذكر) ببناء المجهول (ان الذى طلب كتابته) لهم (أمر الخلافة بعده وتعيين ذلك) أى تعيين من يكون خليفة بعده * واعلم ان هذا هو الصواب كما قاله ابن تيمية فى كتاب الرد على الروافض وانه ورد مفسرا به فى الحديث المروى فى الصحيحين كما مر فى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم لعائشة ادعى لى أباك وأخاك ولا يجوز غيره لانه لا يخلو من ان يكون أمرا واجبا أوحى اليه به قبل مرضه أو أوحى اليه به فى مرضه والاول لا يصح لان فيه تاخير البيان عن وقت الحاجة وهو غير جائز والثانى لو كان بلغه من غير طلب كتاب ونحوه وحينئذ فانما قال عمر رضى الله تعالى عنه ما قاله لانه علمه وعلمه غيره كعائشة رضى الله تعالى عنها وغيرها من كبار الصحابة ولو ذكره لذكر بعده عمر فربما اشمأزت منه بعض النفوس القاصرة وقد علم ان الله منجزه وان اخفاءه فى حياته أولى وما سوى هذا القول لا وجه له فلذا اختم به هذا الفصل وكرر ذكره فيه والقول بانه بعيد لا وجه له أيضا

(فصل) فى ذكر شبهة أخرى فيما قرره من عصمته صلى الله تعالى عليه وسلم فى رضاه وغضبه (فان قيل فما وجه حديثه) الذى رواه مسلم أى توجيهه بما يوافق ما قرره ورواه المصنف من طريقه مسندا (أيضا) أى المماثل للحديث الذى قدمه (الذى حدثناه الفقيه أبو محمد الخشنى بقراءتى عليه) قال (حدثنا أبو على الطبرى) قال (حدثنا عبد الغافر الفارسى) قال (حدثنا أبو أحمد الجلودى) قال (حدثنا ابراهيم بن سفيان) تقدم بيان رجال هذا السند كلهم قال (حدثنا مسلم بن الحجاج) صاحب الصحيح المشهور قال (حدثنا قتيبة) بن سعيد كما تقدم قال (حدثنا الليث عن سعيد) هو المقبرى وقد تقدم (ابن أبى سعيد) اسمه كيسان كما تقدم (عن سالم مولى النصريين) بنون وصاد مهملة وهو ابن عبد الله النصرى روى له أصحاب الكتب الاربعة نسبة لجماعة نسبوا النصر كما بين فى أسماء الرجال (قال سمعت أبا هريرة رضى الله تعالى عنه يقول) تقدم الكلام على أبى هريرة وعلى هذا التركيب من جهة العربية (سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم انما محمد بشر) الحصر فيه اضافى ادعائى أى ليست أحواله الا من جنس أحوال البشر الذى يطرأ عليهم ما يطرأ عليهم من العوارض البشرية وليس مبرأ منها فهو (يغضب) أحيانا لله لا لنفسه (كما يغضب البشر) وعدل عن التكلم الى الغيبة بذكر اسمه تواضعا منه صلى الله تعالى عليه وسلم لربه ففيه التفات على رأى (وانى اتخذت) افتعال

قال الدلجى عطف على دعونى والظاهر انه عطف على تركم أى وان تركم لى (مما طلبتم) ويروى من الذى طلبتم منى من كتابتى لكم كتابا خير أيضا هذا (وذكر) أى روى (ان الذى طلب) أى المطلوب (كتابته) خبر ان وقوله (أمر الخلافة) منصوب على المفعولية (بعده) وكذا قوله (وتعيين ذلك) أى أمر الخلافة وفى نسخة كتابة أمر الخلافة بالاضافة وفى نسخة كفاية بدل كتابة فهى مرفوعة على انها اسم ان وكذا تعيين بالعطف عليها

*(فصل فان قيل فما وجه حديثه أيضا الذى حدثناه الفقيه أبو محمد الخشنى) بضم الخاء وفتح الشين المعجمة (بقراءتى عليه ثنا أبو على الطبرى ثنا عبد الغافر الفارسى) بكسر الراء (ثنا أبو أحمد الجلودى) بضم الجيم واللام (ثنا ابراهيم بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج) صاحب الصحيح (ثنا قتيبة) أى ابن سعيد (ثنا ليث) وهو ابن سعد (عن سعيد ابن أبى سعيد) هو المقبرى (عن سالم مولى النصريين) بالنون والصاد المهملة أى ابن عبد الله النصرى (قال سمعت أبا هريرة رضى الله تعالى عنه يقول سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول انما محمد) وفى نسخة ان محمدا (بشر يغضب كما يغضب البشر) وان كان غضبه لله بخلاف من سواه (وانى قد اتخذت)

(عندك عهدا) يحتمل ان يكون اخبارا وان يكون ابتداء انشاء (لن تخلفنيه) أى أبدا فاسئلك الوفاء بعهدك (فايما مؤمن آذيته) بنوع من الاذى (أوسببته) بلسانى (أوجلدته) أى ضربته بيدى أوبامرى (فاجعلها) أى تلك الاذية أو الامور

المذكورة (له كفارة) لذنبه كيلا يقع فى الندامة (وقربة تقربه بها اليك يوم القيامة) أى قربة ورتبة ومكانة (وفى رواية) أى عن أنس كما صرح به الحلبى فكان ينبغى من جهة الصناعة ان يقول وفى رواية لانس (فايما أحد دعوت عليه دعوة) أى الى آخره (وفى رواية ليس) وأى المدعو عليه (لها باهل) أى مستحق (وفى رواية فايما رجل من المسلمين سببته) أى شتمته (أولعنته) بلسانى أو طردته عن مكانى (أوجلدته) أى ضربته بالجلد وغيره (فاجعلها له زكاة) أى طهارة من سيئته أوبركة فى معيشته (وصلاة) أى ووصلة لقربه (ورحمة) ينشا منها نعمة (وكيف) أى على أى حال (يصح أن يلعن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من لايستحق اللعن) أى عمدا وقصدا (ويسب من لايستحق السب ويجلد من لايستحق الجلد أو يفعل مثل ذلك عند الغضب وهو معصوم) بعناية الرب (فمن هذا) الذى ذكر (كله فاعلم شرح الله تعالى صدرك ان قوله عليه الصلاة والسلام أولا ليس لها باهل أى عندك يارب فى باطن أمره فان حكمه عليه الصلاة والسلام على الظاهر) من حاله (كما قال) فيما ورد عنه عليه الصلاة والسلام نحن نحكم بالظاهر والله تعالى يتولى السرائر

(والحكمة

من الاخذ فتاؤه مبدلة لا أصلية كما بين فى العربية (عندك عهدا) يعنى انه صلى الله تعالى عليه وسلم عاهد الله عهدا فيما بينه وبينه (لن تخلفنيه) يعنى وانك وعدتنى بانجاز عهدى وانك لاتخلف الميعاد وفى قوله اتخذت التفات من الغيبة للتكلم لبيان انه متلذذ بمناجاته مترقب الاجابته ثم فسر العهد الذى عهده بقوله (فايما مؤمن آذيته) أى فعلت معه شيا يؤذيه وهو مستحق له كحد وتعزير اقتضاه فانه صلى الله عليه وسلم على خلق عظيم لا يؤذى أحدا لا يستحق الاذية كما لايخفى (أوسببته أوجلدته) هذا من جملة الاذية فينبغى تخصيصها بغير ما ذكر لان الخاص لايعطف على العام باو (فاجعلها) أنثه باعتبار المذكورات والفاء فى جواب أيما لتضمنها معنى الشرط (كفارة له) أى مكفرة لذنوبه وفيه اشارة الى ان ما فعله فى مقابلة ذنب صدر منه لا لحظ نفسه وهو صيغة مبالغة ملحقة باسماء الاجناس (وقربة) أى فعلة مقربة له (تقربه بها اليك) أى تثيبه بها ثوابا ترفعه بها منزلة عندك لانه تعالى منزه عن الجهة والقرب المكانى لانه من صفة الاجسام (يوم القيامة) حين تعرض الاعمال ويحاسب العباد (وفى رواية) أخرى لهذا الحديث (فايما أحد) بالجر وما مزيدة ويجوز رفعه (دعوت عليه دعوة) فى حال الغضب عليه قال فى المقتفى وفيه نظر لان هذا ليس من حديث أبى هريرة وانما هو حديث آخر عن أنس رضى الله تعالى عنه فمقتضى الظاهر ان يقول وفى رواية أنس ونحوه يعنى ان سياقه يقتضى انه من رواية أبى هريرة التى مرت وليس كذلك * قلت الامر فيه سهل وذكر الرواية وتنكيرها يقتضى مخالفتها لما قبلها اسنادا ومتنا وهو ظاهر فلا وجه لما قاله (وفى رواية) أخرى (وليس) أى المدعو عليه أو المذكور (لها باهل) أى مستحق لها أى لهذه الغفلة وهذا هو المشكل لانه صلى الله تعالى عليه وسلم لا يفعل فعلا باحد الا ويستحقه وسيأتى توجيهه (وفى رواية) أخرى (فايما رجل من المسلمين سببته) وشتمته (أولعنته) أى دعوت عليه دعوة باللعنة واصل معناها الطرد والابعاد مطلقا (أوجلدته فاجعلها) أى المذكورات له (زكاة) أى طهارة من ذنوبه أو زيادة فى حسناته لان الزكاة تكون بمعنى الطهارة والنماء فاستعيرت لما ذكر (وصلاة ورحمة) عطف تفسير أو تفسر الصلاة بالعطف والرأفة فيتغايرا وهو مفصل فى تفسير قوله تعالى أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة ثم بين وجه الشبهة والسؤال بقوله (وكيف يصح) ويجوز الاستفهام انكارى (ان يلعن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من لا يستحق اللعن) فعلى أى حال يصح صدوره منه عنه (ويسب من لا يستحق السب) لقوله فى رواية ليس لها باهل (ويجلد من لا يستحق الجلد) وقوله (أو) بسكون الواو وفتحها وهمزة الاستفهام (يفعل مثل ذلك) الامر المذكور (عند الغضب) أى فى حال غضبه (وهو) صلى الله عليه وسلم (معصوم) فى جميع أحواله كما تقدم والجملة حالية (من هذا كله) فى جميع أحواله (فاعلم شرح الله صدرك) أى فسح فيه ووسعه لقبول الحق فيما نحن فيه ونوره بمعرفته والجملة دعائية معترضة لتعرف الحق فى هذا (ان قوله صلى الله عليه وسلم) فى بعض الروايات (أولا) فيما تقدم (ليس لها باهل) أى ليس مستحقا لما فعله به (أى عندك يارب) أى فى علمك مما هو (باطن أمره) أى حقيقته التى تخفى على غيره وعند الله فى القرآن تكون تارة بمعنى علمه وتارة بمعنى حكمه والمراد هنا الاول كما بيناه فى حواشى القاضى البيضاوى (فان حكمه) صلى الله عليه وسلم بين أمته كما تقدم (على الظاهر) من الحال غالبا (كما قال) صلى الله تعالى عليه وسلم من انه انما يحكم بالظاهر كما تقدم به

(والحكمة التي ذكرناها) من أن أحكامه إنما كانت جارية على موجبات غلبات ظنه لتقتدي به أمته في حكمه (فحكم عليه الصلاة والسلام) فيما ظهر له من قرائن المقام (بجلده أو أدبه بسببه) أي بشتمه (أو لعنه) بصيغة المصدر أو الخبر (بما اقتضاه) من جواز ذلك (عنده حال ظاهره) بالرفع على أنه فاعل لاقتضاه أو بالنصب على الظرفية وفي نسخة عند حال ظاهره (ثم دعا عليه الصلاة والسلام) على وجه الابهام (اشفقته على أمته ورأفته ورحمته للمؤمنين) أي شدة رأفته لخاصتهم وإرادة نعمته لعامتهم (التي وصفه الله بها) أي في قوله سبحانه وتعالى بالمؤمنين رؤف رحيم (وحذره) أي ولاحترازه (ان يتقبل الله تعالى فيما دعا عليه دعوته) أي في دعوته عليه وفي نسخة فيمن دعا عليه دعوته على انها مفعول يتقبل وقوله (ان يجعل) متعلق بقوله فيما سبق ثم دعا له أي بدل ما دعا (عليه ان يجعل دعائه) أي عليه (ولعنه له رحمة) نازلة عليه وواصلة اليه وحاصله لديه (فهو معنى قوله) عليه الصلاة والسلام (ليس) أي المدعو عليه (لها باهل) ولذا ورد في دعائه اللهم ما لعنت من لعن فعلى من لعنت وما صليت من صلاة فعلى من صليت أنت ولي في الدنيا والآخرة (لأنه عليه الصلاة والسلام) يحمله الغضب أي يبعثه (ويستفزه) بتشديد الزاي أي ويستخفه (الضجر) بفتحتين ضيق الصدر وعدم الصبر (لان يفعل مثل هذا) الذي ذكر من اللعن والضرب والشتم (بمن) وفي نسخة لمن أي لاجل من لا يستحقه (من مسلم وهذا معنى صحيح) وفي المدعى صريح لا ينبغي ان يفهم منه غيره (ولا يفهم من قوله أغضب كما يغضب البشر ان الغضب) الذي يعتري ابن آدم من ثوران الدم وهو من خصال تذم (حمله على ما يجب) أي لا ينبغي ان يفعله (بل يجوز أن يكون المراد بهذا) الذي ذكر من قوله أغضب كما يغضب البشر (ان الغضب لله تعالى) هو الذي (حمله على معاقبته بلعنه أو سبه) أي ضربه أذورد كما مر انه ما انتقم رسول الله لنفسه قط الا ان تنتهك حرمة الله تعالى فينتقم له وقد قال له صحابي أوصني يا رسول الله فقال لا تغضب وكلما أعاد السؤال أجاب له بهذا الجواب فلا يتصور وانه ينهى آحاد أمته عن الغضب وهو على منوالهم يغضب (وانه) أي غضبه عليه الصلاة والسلام (مما كان يحتمل) تحمله من الخلق تواضعا مع الحق واختيار الصفة الحلم الناشئ عن كمال العلم (ويجوز عفوه) عليه الصلاة والسلام (عنه) أي عن من عاقبه بلعن أو غيره من الايلام (أو كان) ذنب المغضوب عليه (مما خير بين المعاقبة فيه والعفو

(والحكمة التي ذكرناها) من انه لتقتدي به أمته ولو أوحي اليه ما في نفس الامر وحكم به لم يمكن أمته الاقتداء به في أحكامه بعده (فحكم) صلى الله تعالى عليه وسلم بمقتضى الظاهر (بجلده أو أدبه بسببه أو لعنه) أي دعا عليه باللعنة أو طرده (بما اقتضاه عنده) أي في حضوره أو في علمه (حال ظاهره) الذي ظهر له ولغيره والدعاء باللعن شرعا انما يجوز على من كان غير معين كافرا كان أو غير كافر كلعنة الله على الظالم أو على معين مات على كفره واما على معين كافرا كان أولا فلا يجوز لجواز ان يسلم فلا يكون ملعونا أي مطرودا عن رحمة الله الا انه قيل انه كان جائزا للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم ولو على غير الكافرين فهو اما من خصائصه أو منسوخ (ثم دعاه) صلى الله تعالى عليه وسلم لمن دعا عليه بقوله اللهم اجعله كفارة له (لشفقته على أمته ورأفته ورحمته للمؤمنين التي وصفه الله بها) بقوله تعالى بالمؤمنين رؤف رحيم وما أرسلناك الا رحمة للعالمين ونحوه (وحذره) بالجر عطف على شفقته أي خوفه (ان يتقبل الله تعالى (فيمن دعا عليه دعوته) بقوله اللهم اجعل الخ (ان يجعل) الله هو مفعول دعا (دعاءه) عليه (ولعنه له رحمة) لمن دعا عليه (فهو معنى قوله ليس لها) أي المدعو عليه ليس في علم الله (أهلا) أي مستحقا لما دعا به عليه (لأنه) صلى الله تعالى عليه وسلم (يحمله الغضب) لله بمقتضى البشرية أي يدعوه ويبعثه (ويستفزه الضجر) أي القلق وضيق الصدر ممن عصى الله وخالفه أي يحركه بسرعة (لان يفعل مثل هذا) الدعاء من السب وأخويه (بمن لا يستحقه) في الباطن وان استحقه بحسب الظاهر (من مسلم) صدر منه ذلك (وهذا معنى) فسر به الحديث وهو (صحيح) مستقيم مقبول لا يمنعه شئ (ولا يفهم من قوله صلى الله عليه وسلم) في هذا الحديث (أغضب كما يغضب البشر ان الغضب حمله) وبعثه (على ما لا يجب فعله) اذ هو صلى الله تعالى عليه وسلم منزه عن مثله (بل يجوز أن يكون المراد) بقوله (هذا ان الغضب) لله هو الذي (حمله على معاقبته بلعنه أو سبه) كما ورد في الحديث أنه صلى الله تعالى عليه وسلم ما انتقم لنفسه قط الا ان تنتهك حرمة الله تعالى فينتقم لله (أو) يجاب بجواب آخر هو (انه) أي الذنب الذي عاقبه عليه وفي نسخ وانه بالواو (كان مما يحتمل ويجوز) عطف تفسير ليحتمل (عفوه) صلى الله تعالى عليه وسلم (عنه) وترك المعاقبة عليه بالسب ونحوه (أو كان) ذلك الذنب (مما خير) بالبناء للمجهول أي خيره الله تعالى (بين المعاقبة فيه والعفو

عنه) وفي نسخة أو العفو عنه ولكنه كان قد اختار المعاقبة لما رأى فيها من الحكمة والمصلحة (وقد يحتمل) أي دعاؤه عليه الصلاة والسلام لمن عاقبه (انه خرج مخرج الاشفاق أي اظهار الشفقة) أو الخوف على من عاقبه بلعن أو غيره (وتعليم أمته الخوف والحذر من تعدي حدود الله تعالى) شفقة منه عليهم ان يعاقب أحد منهم واحتراسا لهم عما يصدر عنهم (وقد يحمل ماورد من دعائه هنا) أي في مواضع المعاقبة ومقام الغضب طلبا لرضى الرب (ومن دعواته على غير واحد) أي على كثيرين (في غير موطن) أي في مواضع كثيرة (على غير العقد) أي عقد القلب بالعزم (والقصد) أي قصد المعاقبة بالجزم (بل) كانت صادرة منه من غير الغضب (بما جرت) أي على وفق ما جرت (به عادة العرب)

حيث لا يريدون وقوع الامر وانما يقصدون به الادب أو الملاحظة في مقام الطلب اذ قد يشنعون اللفظ وكله ودونه ويشفونه وما من فعله بد يقولون للشيء اذا مدحوه قاتله الله تعالى ولا أب له ولا أم له ولا يريدون به الذم وفي الحديث ويل أمه مسعر حرب فلك ان تنظر الى القول وقائله والقرينة الدالة على حاله ومآله بحسب اختلاف شمائله فان كان وليا فهو الولاء وان خشن وان كان عدوا فهو البلاء وان حسن فضرب الحبيب حلو كالزبيب بخلاف دعاء الرقيب (وليس المراد بها) أي بدعواته عليه الصلاة والسلام على غير واحد من الصحابة الكرام (الاجابة كقوله عليه الصلاة والسلام) فيما رواه الشيخان لعائشة وفي رواية لام سلمة (تربت يمينك) بكسر الراء أي خسرت

عنه) وفي نسخة أو العفو والصواب عطفه بالواو ولاقتضاء التخيير لشيئين ولا حاجة لجعل أو بمعنى الواو وهذا الجواب قريب مما قبله (وقد يحمل) الدعاء الوارد في هذا الحديث (على انه خرج مخرج الاشفاق) والخوف منه صلى الله تعالى عليه وسلم على أمته (وتعليم أمته الخوف) من الله تعالى ومعاصيه من الصغائر (والحذر من تعدي) وتجاوز (حدود الله) أي ما حده الله تعالى مما لا يجوز الخروج عنه (وقد يحمل ما ورد من دعائه هنا و) ما ورد (من دعواته على غير واحد) أي على كثير من الناس (في غير موطن) أي في مواطن ومحال كثيرة صدر فيها الدعاء عليهم (على) ما صدر من (غير العقد) أي العزم وتصميم القلب (والقصد) منه للدعاء عليهم (بل) دعوات صدرت منه (بما جرت به عادة العرب) في محاوراتهم يدعون على مخاطبهم بنحو قاتله الله وويل أمه ولا أب له لمن قصد مدحه وتحسين فعله وهو مشهور في غير لسان العرب أيضا (وليس المراد بها) أي بهذه الدعوات (الاجابة) أي دعاء عليه يطلبون استجابته فيهم بوقوع ما دعوا به (كقوله) صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث رواه الشيخان (تربت يمينك) قال في النهاية ترب الرجل اذا افتقر كأنه التصق بالتراب وأترب اذا استغنى اما على همزة السلب أو على معنى صار ماله كالتراب كثرة وقد ورد كل منهما بمعنى الآخر وروي يدك ويداك ونسب لليد لان بها الكسب وليس المراد به الدعاء عليه وقد صدر هذا منه صلى الله تعالى عليه وسلم مرارا فمرة لام المؤمنين أم سلمة رضي الله تعالى عنها كما رواه البخاري انها قالت لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله لا يستحيي من الحق هل على المرأة من غسل اذا هي احتلمت فقال نعم اذا رأت الماء فغطت وجهها وقالت أو تحتلم المرأة قال نعم تربت يمينك فيم يشبهها ولدها (و) وقع في أحاديث أخر أيضا كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث رواه مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما (لا أشبع الله بطنك) قاله صلى الله تعالى عليه وسلم لمعاوية رضي الله عنه ولكن الذي رواه مسلم لا أشبع الله بطنه قال البيهقي فما شبع بعدها أبدا وكان رضي الله عنه مشهورا بالبطنة حتى قالوا اللاكول كان في امعائه معاوية والحديث قد علمت انه عن ابن عباس ولفظه قال كنت مع الصبيان فجاء رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فتواريت خلف الباب فقال اذهب فادع لي معاوية قال فجئته وقلت هو يأكل فقال ثانيا اذهب فادعه فجئته وقلت هو يأكل فأمرني فجئته وقلت هو يأكل فقال صلى الله تعالى عليه وسلم لا أشبع الله بطنه فحينئذ في ما قاله المصنف شيء لان الله تعالى استجاب دعاءه فيه فليس هذا من الباب الذي به العادة من غير قصد (و) قوله صلى الله تعالى عليه وسلم لصفية في حديث رواه مسلم عن عائشة رضي الله تعالى عنها (عقرى حلقى) وهذا قاله صلى الله تعالى عليه وسلم لصفية بنت حيي أم المؤمنين رضي الله

وقيل امتلأت ترابا وقيل استغنت والظاهر ان أتربت بمعنى استغنت على ان الهمزة للسلب وروي يدك ويداك (ولا أشبع الله بطنك) قاله لمعاوية لكن بلفظ لا أشبع الله أي بطنه كما في نسخة هنا وهو في مسلم في كتاب الادب من حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنه قال كنت ألعب مع الصبيان فجاء رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فتواريت خلف باب فجاء فحطأني حطأة وقال اذهب فادع لي معاوية قال فجئت فقلت هو يأكل قال ثم قال لي اذهب فادع لي معاوية قال فجئت فقلت هو يأكل فقال لا أشبع الله تعالى بطنه زاد البيهقي في الدلائل فما شبع بطنه أبدا وهذا يشير الى انه كان دعاء عليه وقد استجاب الله تعالى لديه (وعقرى حلقى) قاله لصفية بنت حيي بن أخطب في حجة الوداع كما رواه الشيخان أي عقرها الله تعالى وحلقها أي عقر

الله تعالى جسدها وأصابها بوجع في حلقها وقيل وقد جعلها الله تعالى كذلك كذا رواه المحدثون غير منون لجريانه على مؤنث كغضبى والمعروف في اللغة التنوين لانه من مصادر حذفت أفعالها لفظا أي عقرها الله تعالى عقرا وحلقها حلقا ويقال للامر المتعجب منه عقرا حلقا وكذا للمرأة المؤذية المشومة وقيل يقال لطويلة اللسان وقيل عقرى عاقر لا تلد وقيل عقرا حلقا مصطران أو الالف للتأنيث وقد روت عائشة ان صفية حاضت ليلة النفر فقالت ما أراني الا حابستكم قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عقرى حلقى أطافت يوم النحر قيل نعم قال فانفري (وغيرها من دعواته) مما لا يريد هو وغيره اجابته كقول بعضهم أنعم صباحا تربت يداك فانه دعاء له بقرينة ما قبله

(وقد ورد في صفته) أي نعته (في غير حديث) أي في أحاديث كثيرة من شمائله (انه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يكن فحاشا) أي منسوبا الى قول الفحش وفعله بل كان أقواله وأفعاله كلها مستحسنة (وقال أنس) كما رواه البخاري (لم يكن سبابا) أي كثير السب والشتم (ولا فحاشا) وفي نسخة صحيحة ولا فاحشا وهو أولى صيانة لساحة رفيع جنابه ان يوجد نوع من الفحش في بابه (ولا لعانا) أي كثير اللعن (وكان يقول لاحدنا عند المعتبة) بفتح الفوقية ويكسر أي عند العتب في مقام الادب (ماله) وفي نسخة ما باله (ترب جبينه) وفي العدول عن الخطاب التفات حسن في الآداب وقد قيل أراد به دعاء له بكثرة السجود وتواضعه للرب المعبود وقيل يسقط في الارض فيترب جبينه واما قوله لبعض أصحابه ترب نحرك فقتل شهيدا فدعاء له لا عليه كما وهم الدلجي وقال فهو محمول على ظاهره وأغرب منه قوله (فيكون حمل الحديث) أي حديث ترب جبينه (على هذا المعنى) من ان يقتل والصواب ان قوله فيكون حمل الحديث أي حديث تربت يمينك على هذا المعنى أي على معنى ترب جبينه اذ قوله ترب نحرك ليس مذكورا في كلام المصنف فكيف يحمل عليه المعنى من غير ذكر المبنى ولا يبعد ان يراد بتربت يمينه وترب جبينه اختيار غاية الفقر ونهاية المسكنة لصاحبه كما يشير اليه قوله تعالى أو مسكينا ذا متربة فيكون في الحقيقة دعاء له لا عليه (ثم) أي مع هذا كله (أشفق عليه الصلاة والسلام) أي خاف على من جرى في شانه هذا الكلام (من موافقة أمثالها وفي نسخة) موافقة أمثالها أي الدعوات التي لم يرد بها وقوعها (اجابة) مفعول أشفق أي ان يجيبها الله في الدنيا والآخرى فتداركه

الله عنها في حجة الوداع وهو في البخاري بسنده عن عائشة قالت خرجنا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم للحج فلما كانت ليلة النفر حاضت صفية فقال صلى الله تعالى عليه وسلم ما أراها الا حابستكم الى آخره وهذا يقال للتعجب بدون قصد الدعاء وأصله صفة للمرأة المؤذية المشؤمة واختلف في لفظه ومعناه فقيل معنى حلقى أصابها وجع في حلقها وقيل معناه تحلقهم أي تستأصلهم كما يستأصل الحالق الشعر وعقرى من العقر وهو عرقبة الدواب أو من العقرة وهو رفع الصوت ويجوز تنوينهما وعدمه على ان ألفه للتأنيث كسكرى وعلى جعلها للتأنيث فكل منهما صواب ومحلهما رفع خبر أو نصب على المصدرية والمحدثون يروونه غير منون والمعروف عند اللغويين تنوينه (وغيرها) أي غير الدعوات المذكورة (من) المروي من (دعواته) صلى الله تعالى عليه وسلم التي لم يرد بها الدعاء على من خاطبه وانما يراد المدح أو التعجب على عادة العرب في مخاطباتهم ووجهه كما قالوا في نحو قاتله الله انه يقصد به دفع العين عنه بجعله كالمذموم المدعو عليه فهو من قبيل الذم الذي يراد به المدح (وقد ورد في صفته) صلى الله تعالى عليه وسلم (في غير حديث) أي في أحاديث كثيرة تقدم بعضها منها مارواه وهو في صحيح البخاري وغيره (انه) صلى الله تعالى عليه وسلم (لم يكن فحاشا) صيغة مبالغة من الفحش وهو القبيح والوقاحة في كلامه ومخاطباته وقد كان صلى الله تعالى عليه وسلم يكني عن كل ما يستحيي منه (وقال أنس) رضي الله تعالى عنه فيما رواه عنه البخاري أيضا (لم يكن) صلى الله تعالى عليه وسلم (سبابا) أي لا يقول ما هو سب وشتم (ولا فحاشا) أي لا يتكلم بما يقبح التصريح به (ولا لعانا) أي لا يقول اللعنة لاحد (وكان) عادته صلى الله تعالى عليه وسلم انه (يقول لاحدنا عند المعتبة) مصدر ميمي من العتاب وهو بالتاء المثناة من فوق مفتوحة ومكسورة من عتب عليه عند الغضب اذا لامه (ماله) أي أي شئ اقتضى ما فعله (ترب جبينه) الجبين واحد الجبينين وهما جانبا الجبهة وفي نسخة تربت يمينه بالتأنيث لانه عضو مثنى أو المراد به الجبهة لانه ورد بمعناها في قول زهير

يقيني بالجبين ومنكبيه * وانصره بمطرد الكعوب

كما في شرح ديوانه فلا وجه لتخطئة المتنبي في استعماله بهذا المعنى وترب دعاء في الاصل بمعنى كبه الله تعالى على وجهه ولم يرد به الدعاء كقولهم تربت يداه (فيكون حمل الحديث) برفع حمل والمراد بالحديث ما ذكره أولا أو هذا (على هذا المعنى) أي انه جاء على عادة العرب في ملاطفاتهم وقيل معنى ترب جبينه كثر سجوده فلا يكون دعاء عليه وهذا يقتضي ان المراد به الجبهة (ثم أشفق) أي خاف صلى الله تعالى عليه وسلم (من موافقة أمثالها) أي الدعوات الصادرة (اجابة) أي ان يستجاب دعاؤه عليه بحسب ظاهره كما

(فعاهد ربه كما قال فى الحديث) السابق (ان يجعل ذلك) الدعاء (للمقول له زكاة) أى طهارة (ورحمة) عليه (وقربة) تقربه اليه (وقد يكون ذلك) الدعاء (اشفاقا على المدعو عليه وتانيساله) أى تلطفا بحاله وتداركا لمقاله (لئلا يلحقه) أى المدعو عليه (من استشعار الخوف) أى ادراكه من الله تعالى (والحذر من لعن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم له وتقبل دعائه) فى حقه (ما يحمله على اليأس) من رحمة الله تعالى فى الدنيا (والقنوط) فى العقبى وهو بضم القاف أشد اليأس (وقد يكون ذلك) الدعاء (سؤالا منه) أى من النبى عليه الصلاة والسلام (لربه) جل جلاله وعز كماله (لمن جلده) أى ضربه (أوسبه) أى شتمه أولعنه (على حق) أى أمر يستحقه (بوجه صحيح) وفق شرعه (ان يجعل ذلك) الجلد ونحوه (كفارة لما أصابه) من الذنوب (وتمحية) مصدر محى مشدد للمبالغة أى وكثرة محو (لما اجترم) أى اكتسبه من العيوب وفيه انه يأباه ظاهر رواية ليس لها بأهل اللهم الا ان يقال ليس للعقوبة بأهل على جهة الدوام بان يكون من أهل الاسلام (وان تكون عقوبته له فى الدنيا سبب العفو) عن تقصيراته (والغفران) لسيئاته فى العقبى (كما جاء فى الحديث الآخر) مما رواه الشيخان عن عبادة ابن الصامت رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة العقبة بايعونى على ان لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ولا تعصونى فى معروف فمن وفى منكم بذلك فاجره على الله (ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب به) أى بجزى به فى الدنيا (فهو كفارة له وفى نسخة فهو له) كفارة أى فى العقبى وتمام الحديث ومن أصاب من ذلك شيئا فستره الله فهو الى الله ان شاء عاقبه وان شاء عفا عنه (فان قلت فما معنى حديث الزبير) أى ابن العوام أحد العشرة المبشرة (وقول النبى) أى وما معنى قوله (صلى الله تعالى عليه وسلم له) أى للزبير (حين تخاصمه) بصيغة المصدر أى وقت تنازعه واختلافه (مع الانصارى) أى المنسوب الى الانصار فانه قيل انه كان منافقا فهو من نسبهم لا من حسبهم وقيل غير ذلك واختلف فى تعيينه قاله هنالك

وقيل

قال بعضهم ترب نحرك فقتل شهيدا فخاف من مثله (فعاهد ربه كما قال فى الحديث) السابق ذكره اللهم من دعوت عليه (ان يجعل ذلك للمقول له) ما مر من سب ونحوه فهو بمعنى القول أو الشخص (زكاة ورحمة وقربة) كما تقدم بيانه مفصلا (وقد يكون ذلك) المذكور من دعائه لمن سبه (اشفاقا على المدعو) أى شفقة ورحمة بجعل دعائه (عليه) رحمة له (وتانيساله) أى تاليفا له ليطمئن قلبه (لئلا يلحقه) بما يقع فى قلبه (من استشعار الخوف) الشعور بادراكه (والحذر) أى الوقوع فيما يحذره (من لعن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) له (و) من (تقبل دعائه) أى يخاف قبول دعائه عليه بلعنه وابعاده من رحمة الله تعالى (ما يحمله على اليأس والقنوط) من رحمة الله وهما بمعنى جمع بينهما تاكيدا وقيل القنوط شدة اليأس واليأس من رحمة الله كبيرة وقيل انه كفر وفيه كلام فى الاصول كما فصلناه فى رسالتها وتقدمت الاشارة الى شئ منه وهذا تاويل رابع فى غاية الحسن (وقد يكون ذلك منه) صلى الله تعالى عليه وسلم (سؤالا لربه) عز وجل أى قوله اللهم اجعله رحمة الخ (لمن جلده أو سبه) متعلق بسؤال (على حق وبوجه صحيح) لانه صلى الله تعالى عليه وسلم لا يفعل شيئا بغير وجه شرعى (ان يجعل ذلك) أى دعاءه عليه (له كفارة لما أصابه) أى فعله من الذنوب التى استحق بها السب (وتمحية) مصدر محى بالتشديد يمحيه من محاه اذا أزاله (لما اجترمه) أى فعله واكتسبه (وان يكون له عقوبة فى الدنيا) خبر يكون قوله (سبب العفو والغفران) لانه تعزير له بالقول الذى يسوءه (كما جاء فى الحديث الآخر) الذى رواه الشيخان عن عبادة بن الصامت رضى الله تعالى عنه انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة العقبة للانصار بايعونى على ان لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تاتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ولا تعصونى فى معروف فمن وفى بذلك فاجره على الله (ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب به فى الدنيا فهو كفارة له) ومن أصاب من ذلك شيئا فستره الله عليه فهو الى الله ان شاء عاقبه وان شاء عفا عنه وذلك فى الحديث اشارة الى ما سبق فى الحديث من الذنوب التى بايعهم على تركها مما بعد الشرك أو هو عام مخصوص وهذا يدل على ان الحدود كفارة فهو بعد قوله فى حديث آخر لا أدرى الحدود كفارة لاهلها أولا فهذا كان قبل ان تعلمه الله بانها مكفرة وفيه كلام فى شروح الصحيحين ولا يلزمه ان يكون قوله فى الدعاء هنا بان يجعلها كفارة تحصيلا للحاصل أيضا كما توهم ثم أورد شبهة أخرى على ما قرره ودفعها فقال (فان قلت فما معنى حديث الزبير) بن العوام الصحابى المشهور وحديثه هذا رواه البخارى (وقول النبى صلى الله تعالى عليه وسلم له حين تخاصمه) وتنازعه (مع الانصارى) الآتى ذكره وحين مضافة لمصدر تخاصم وتخاصمه كان مع بعض الانصار الذين شهدوا بدرا كما فى بعض كتب الحديث فقال ابن بشكوال انه حاطب بن أبى بلتعة

وقيل ثابت بن قيس بن شماس الانصاري الا انه لا شاهد عليه وقال النووي هو حاطب وقيل ثعلبة بن حاطب وقيل حميد والقول بانه حاطب بن ابي بلتعة لا تصح لانه ليس انصاريا وقد ثبت في البخاري انه انصاري بدري وكذا ثابت لانه ليس بدريا وقال الزجاج الخصم من قبيلة الانصاري منافق ليس من المؤمنين منهم وفيه نظر لانه بدري وقد شهد صلى الله تعالى عليه وسلم لاهل بدر بالجنة وثعلبة بن حاطب ليس بمعروف في الصحابة وقوله (في شراج الحرة) هو المتخاصم فيه والشراج بكسر الشين المعجمة وراء مهملة وألف بعدها جيم مسيل صغير في السهل أو الى السهل كما في النهاية للماء كالقناة جمع شرجة أو شرج والحرة بفتح الحاء وتشديد الراء المهملتين ارض صلبة تعلوها حجارة سود وهي مكان معروف بطيبة كان فيها وقعة يزيد المشهورة (اسق يا زبير) أي بستانك من هذا الماء وقول المصنف رحمه الله تعالى هنا (حتى يبلغ) الماء السائل (الكعبين) سهو منه كما قيل لانه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يقله ابتداء وانما قاله بعد غضبه من كلام الانصاري وكان قال له أولا لما ترافعا اليه أسق يا زبير فقط فامره بمقدار من السقي من غير استيفاء لحقه بتمامه كما صرح به البخاري وقال فامره بالمعروف وكان أراد الانصاري ان يرسل الماء لارضه من غير حبس له أصلا مع انه يمر على أرضه أولا وله فيه حق شرب تام فابى الانصاري فامره صلى الله تعالى عليه وسلم بمجرد السقي وقال أسق فقط أي افعل السقي من غير استيفاء لحقك ثم ارسل الماء لجارك وأمره بالمعروف بمعنى الجميل من الاحسان أو العادة المعروفة ورعاية الجار أو المراد به الوسط المعتدل (فقال له) أي قال لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (الانصاري) الذي ذكرناه لما قال اسق الى آخره (ان كان ابن عمتك يا رسول الله) بفتح الهمزة أي حكمت له لانه ابن عمتك لانه ابن صفية بنت عبد المطلب لان ان المخففة يطرد معها تقدير حرف الجر ولو في صدر الكلام كما يطرد مع المشددة كقوله تعالى ان كان ذا مال وبنين وحكى الكرماني فيه كسر الهمزة على انها شرطية مقدرة الجواب وفي فتح الباري انه غير معروف في الرواية لكنه يؤيده ما في رواية ابن اسحق وان كان ابن عمتك وهمزة الاستفهام على هذا مقدرة وبمد الهمزة ان ذكرت كما ذكره المصنف والقرطبي ان كان ابن عمتك نحو قوله الله أذن لكم وهي رواية عندهما من غير هذه الطريق وفي رواية ابن معمر انه ابن عمتك فقال ابن مالك في توضيحه يجوز في هذه الرواية فتح همزة انه وكسرها فاذا فتحت قدرت قبلها اللام جارة واذا كسرت قدرت قبلها ألف استفهام لانها وقعت بعد كلام معلل بمضمون ما بعدها كقوله تعالى ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وقد روي بهما (فتلون وجه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي عرض له لون غير لونه الذي كان له من حمرة الغضب لقول الانصاري المذكور وعلم انه ساءه وقيل انه كناية عن الغضب وانما سامحه صلى الله تعالى عليه وسلم في مقاله هذا ولو صدر من غيره الآن وجب قتله لانه كان من المنافقين المؤلفة قلوبهم وكان له صلى الله تعالى عليه وسلم ان يعفو عن مثله كما قال لئلا يتحدث الناس ان محمدا يقتل أصحابه وهو خاص به وبعده يقتل قائله كما قاله النووي (ثم قال) صلى الله عليه وسلم بعدما غضب من قوله وكونه لم يرض بما هو أكثر من حقه وقد حكم له صلى الله تعالى عليه وسلم بالعدل والحق فلم يرض بحكمه طمعا وبغيا منه (أسق يا زبير) حديقة نخلك (ثم احبس) الماء بسد مجراه (حتى يبلغ) الماء الذي حبسته (الجدر الحديث) أي الى آخره المروي في البخاري والموطا وغيرهما وهذه رواية وفي الرواية الأخرى هنا حتى يبلغ الكعبين وهما بمعنى وتقديم المصنف رحمه الله تعالى لها ليس في محله كما تقدم وفي رواية الموطا حتى يرفع الى الجدر وهو بفتح الجيم وسكون الدال وبالراء المهملتين بمعنى الجدار وروي بضم الجيم جمع جدار وروي بفتح الجيم وكسرها

في شراج الحرة) بكسر الشين المعجمة جمع شرجة وهي مسيل الماء الى السهل من الحرة وهي موضع من المدينة فيه حجارة سود (أسق) أي حديقتك وهو بكسر همزة الوصل أو بفتح همزة القطع يا زبير حتى يبلغ الكعبين فقال له الانصاري ان) وفي نسخة انه (كان ابن عمتك يا رسول الله) وهو علة لقوله أسق أي حكمت للزبير لاجل ان كان ابن عمتك وهي صفية بنت عبد المطلب وقيل الرواية بمد الهمزة بناء على انه بهمزتين والثانية منهما مبدلة ممدودة وهو وجه من الوجوه في اجتماع الهمزتين للقراء السبعة ورواتهم (فتلون) أي فتغير حيث احمر وأصفر (وجه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) غضبا لله وتنزيها لرسوله صلى الله تعالى عليه وسلم عما نسب اليه (ثم قال أسق يا زبير) أي حديقتك كما ذكر (ثم أحبس) الماء وأمنعه عن غيرها أو أصبر على جريانه (حتى يبلغ الجدر) أي جدر الحديقة أو أصول الكرم وهو بفتح الجيم وسكون الدال المهملة وروي بضم أوله جمع جدار وبذال معجمة من جذر الحساب بالفتح أو الكسر أراد به مبلغ تمام السقي استيفاء لحق الزبير رضي الله تعالى عنه (الحديث) بطوله والمقصود حل مشكله

(فالجواب ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم منزه ان) وفي نسخة عن ان (يقع بنفس مسلم) أي في خاطره (منه) أي من جهة أمره عليه الصلاة والسلام (في هذه القضية) وفي نسخة القصة (أمر يريب) بضم أوله وفتحه أي شيء يوقع في الريبة والشك والتهمة (ولكنه صلى الله تعالى عليه وسلم ندب) أي الزبير كما في نسخة أي أمره أمر ندب واحسان ودعاء (أولا) أي في أول أمره حيث أشار (الى الاقتصار) للزبير على بعض حقه (على طريق التوسط) أي مراعاة الجانبين (والصلح) الذي هو موجب صلاح العباد وفلاح البلاد (فلما لم يرض بذلك الآخر ولج) بتشديد الجيم أي وبالغ في طلب الحكم المقرر (وقال مالا يجب) أي مالا ينبغي في ذلك المقر (استوفى) جواب لما أي أخذ (النبي صلى الله تعالى عليه وسلم للزبير حقه) وافيا ثانيا (ولهذا ترجم البخاري) أي عنون في صحيحه (على هذا الحديث باب اذا) بالاضافة منصوبا على انه مفعول ترجم وضبط باب بالرفع منونا فيكون محكيا والنصب محليا أو التقدير هذا باب فيما اذا (أشار الامام بالصلح فابى) أي الخصم به (حكم عليه) بالبناء للمفعول أو الفاعل (بالحكم) أي البين كما في البخاري وتركه المصنف لوضوحه (وذكر) أي البخاري (في آخر الحديث فاستوعى) يهودي أي استوفى كما في نسخة أي استوعب (رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حينئذ للزبير حقه) ووقع في أصل الحلبي والتلمساني حقه للزبير فقالا فيه تقديم وتأخير او التقدير استوعى حق الزبير للزبير يعني وقد سبق في الحديث ذكر الزبير فالمرجع موجود وقال الحلبي وكذا في نسخة صحيحة عندي بالبخاري

وذال معجمة من جذر الحساب وجذر كل شيء أصله والمراد به الحائط ولما كان ذلك مختلفا قدروه بما يبلغ الكعبين وبه قضى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في غير هذه القصة وقيل المراد به ما يجعل من التراب حول الزرع وهو الظاهر والمعنى واحد كما تقدم وحاصل السؤال انه صلى الله تعالى عليه وسلم حكم أولا بحكم ثم رجع عنه وهو ينافي العصمة في أقواله الذي قررتموه ولذا قيل انه يدل على ان الحاكم يجوز له نقض حكمه ولا دليل فيه لما سيأتي (فالجواب) عما ذكر (انه) صلى الله تعالى عليه وسلم (منزه) أي مبعد ومبرء من (ان يقع بنفس مسلم) أي فكره وذهنه (منه) صلى الله تعالى عليه وسلم (في هذه القصة) التي قضى فيها وحكم بها على غيره (أمر يريب) أي يوقع سامعه في ريب وشك في أقواله ويظن انه صلى الله تعالى عليه وسلم يصدر منه قول من غير تامل وتثبت ثم يرجع عنه (ولكنه صلى الله تعالى عليه وسلم ندب الزبير) أي دعاه وطلب منه (أولا) حين قال له اسق (الى الاقتصار على بعض حقه على طريق التوسط) أي الاعتدال على غير افراط ولا تفريط (و) على وجه (الصلح) بينه وبين الانصاري لانه كان مستحقا لغير ذلك (فلما لم يرض بذلك) أي بما قاله رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واعطائه فوق حقه (الآخر) أي الرجل الآخر المخاصم وهو الانصاري (ولج) أي ابدا اللجاج عنادا منه في خصومته للزبير رضي الله تعالى عنه (وقال مالا يجب) ان كان هذا بضم المثناة التحتية وكسر الحاء المهملة وتشديد الباء الموحدة من المحبة فهو ظاهر وان بفتحها وكسر الجيم فالحق ان يقول مالا يجوز لكن مثله كثير في عباراتهم وقد سبق مثله فالمراد به مالا يجوز أيضا لان غير الواجب يصدق على الحرام والمباح والمندوب فاريد به بعض أفراده ايماء الى انه يقتصر في حقه على الواجب له فما بالك بحرام يقتضي الردة وما قيل من ان الوجوب بمعناه اللغوي وهو السقوط كقوله تعالى وجبت جنوبها أي مالا يسقط عن قائله حرمته حتى يجدد اسلامه ويتوب عنه تكلف لا تؤديه العبارة بلا قرينة (استوفى) أي وفى وكمل صلى الله تعالى عليه وسلم (للزبير حقه) من الشرب من غير مسامحة (وقد ترجم البخاري) رحمه الله تعالى (على هذا الحديث) المذكور في هذه القضية والترجمة في الاصل كما تقدم تفسير لغة باخرى فيكون بمعنى ايصال الكلام لمن لم يسمعه كما في قوله ان الثمانين وبلغتها * قد أحوجت سمعي الى ترجمان وفي عرف المصنفين رحمهم الله تعالى عنوان الكلام بذكره اجمالا مع لفظ الباب ونحوه وهو المراد هنا بقوله رحمه الله تعالى (باب) بالتنوين (اذا أشار الامام بالصلح) بين خصمين (فابى) أي امتنع أحدهما مما أشار به (حكم) الحاكم (عليه) أي على من أبى الحكم (وبالحكم) الحق الذي أتانا هو أكثر من حقه فالالف واللام في الحكم للعهد وهو الحكم البين فلا يقال انه سقط منه لفظ البين المروي فيه كما قيل (وذكر) البخاري (في) آخر (هذا الحديث) المذكور (فاستوعى رسول الله صلى الله عليه وسلم حينئذ حقه للزبير) أي استكمله وأصل معناه جعله في الوعاء فتجوز به عن لازم معناه والضمير للحكم أو للرسول لادنى ملابسة أو للانصاري على زعمه تهكما به ولو رجع للزبير في عبارته رم عوده على متاخر وروي انهما لما خرجا من عنده صلى الله تعالى عليه وسلم مرا على المقداد فقال لمن كان القضاء قال الانصاري لابن عمته ولوى شدقيه ففطن له

(وقد جعل المسلمون هذا الحديث) أى حديث الزبير مع الانصارى (أصلا فى قضيته) أى فى مثل حكم الزبير (وفيه) أى وفى الحديث (الاقتداء) أى أخذ الاقتداء والاهتداء (به صلى الله تعالى عليه وسلم فى كل مافعله فى حال غضبه و رضاه وانه) عليه الصلاة والسلام (وان نهى) فيما رواه الشيخان عن أبى بكرة (ان يقضى القاضى وهو غضبان) جملة حالية افادت ان غيره من القضاة غير معصوم فلا يقضى حال غضبه بخلافه عليه الصلاة والسلام (فانه فى حكمه فى حال الغضب والرضى سواء لكونه فيهما) أى فى الغضب والرضى وفى نسخة فيها أى فى حالهما (معصوما) من الخطأ فى القضاء (وغضب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى هذا) أى فى أمر الزبير مع خصمه (انما كان لله تعالى لا لنفسه كما جاء فى الحديث الصحيح) من أنه لم يكن يغضب لنفسه وانما كان يغضب لربه هذا ولو صدر مثل هذا الكلام الذى خاطبه عليه الصلاة والسلام به من انسان اليوم من نسبته عليه الصلاة والسلام الى هوى وغرض فى الاحكام كان ارتدادا عن الاسلام فيجب قتله بشرطه المعتبر عند الاعلام وقد قال العلماء انما تركه عليه الصلاة والسلام لانه كان فى أول الاسلام يتالف الناس فى الكلام و يدفع بالتى هى أحسن فى ذلك المقام و يصبر على أذى المنافقين فى تلك الايام وهذا كقول الآخر هذه قسمة ما أريد بها وجه الله تعالى فانه نسب الغرض فى العطية اليه عليه الصلاة والسلام ولم يامر بقتله فاقرب أمره ان يكون منافقا أو حديث عهد بجاهلية أو بدويا فى غلظة طبعهم و جهالة شانهم و جفاوة لسانهم (وكذلك الحديث) الذى ورد فى الحلية لابى نعيم عن ابن عباس رضى الله عنهما (فى اقادته) بالقاف من القود أى فى قصاصه (عكاشة) بضم العين وتشديد الكاف وتخفف وهو ابن محصن الاسدى صحابى جليل رضى الله تعالى عنه والمعنى ان يقتص لنفسه (من نفسه) عليه الصلاة والسلام

يهودى كان مع المقداد فقال قاتل الله هؤلاء يشهدون انه رسول الله ثم يتهمونه فى قضاء يقضى به بينهم وأيم الله لقد أذنبنا ذنبا مرة فى حياة موسى عليه الصلاة والسلام فدعانا الى التوبة فقال أقتلوا أنفسكم فبلغ قتلانا سبعين ألفا فى طاعة ربنا حتى رضى عنا فقال ثابت بن قيس بن شماس ان الله يعلم منى الصدق ولو أمرنى محمد ان أقتل نفسى لفعلت (وقد جعل المسلمون) المراد بهم العلماء الفقهاء وعبر بهذا لان المسلمين فى العصر الاول أكثرهم علماء مجتهدون (هذا الحديث أصلا) أى قضية كلية وقاعدة مضبوطة (فى قضيته) أى قضية الزبير فى منازعته مع الانصارى والمراد بالاصل المأخوذ من هذه القضية انه يسقى حائطه حتى يبلغ الماء فيه الكعبين من القائم ثم يرسله كله لمن يليه أو يرسل مازاد على حاجته له كما فى التمهيد لابن عبد البر وقيل المراد انه اذا تحاكم خصمان فللحاكم أن يصالحهما على أمر فيه رفق وتوسعة فان انتفيا أو أحدهما أمضى حكم الله عليهما (وفيه) أى فى هذا الحديث مايؤخذ منه و يستنبط (الاقتداء به صلى الله تعالى عليه وسلم فى كل مافعله) مالم يعلم انه من خصائصه (فى حال غضبه ورضاه) أما الرضاء فظاهر وأما الغضب فلعصمته صلى الله تعالى عليه وسلم ولانه لم يكن يغضب لنفسه وانما يغضب لانتهاك حرمات الله تعالى كما فى هذه القضية (وانه صلى الله تعالى عليه وسلم (وان نهى) فى حديث رواه الشيخان (ان يقضى القاضى وهو غضبان) لانه غير معصوم فربما حمله الغضب على أمر لا يرضى والجملة حالية بخلاف النبى صلى الله تعالى عليه وسلم والنهى فيه محمول على الكراهية كما صرحوا به (فانه فى حكمه فى حالى الغضب والرضاء سواء لكونه فيهما) أى فى الغضب والرضاء (معصوما) حفظه الله تعالى عن أن يصدر منه فيهما مايخالف أمر ربه (وغضب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى هذا) الامر الذى صدر من الانصارى (انما كان لله تعالى) لنسبة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم للهوى الذى جاء منه مما يقتضى الردة والقتل ولكنه عفا عنه لما مر (لا لنفسه) فانه لا يتبعها (كما جاء فى الحديث الصحيح) الذى قدمنا ذكره من انه انما كان يغضب لله وانتهاك حرماته ومثل الغضب فى كراهة حكم الحاكم فيه كل مايشوش الفكر من جوع ومرض وذهب بعضهم الى ان من غضب لله لا يمتنع من الحكم أيضا لانه متق فلا يرتكب أمرا يخالف أمر ربه قياسا عليه صلى الله تعالى عليه وسلم وظاهر الحديث يقتضيه والمفتى قيل انه مثل القاضى أيضا وقد يفرق بينهما (وكذلك) أى مثل ماذكر مارواه أبو نعيم فى الحلية وهو (الحديث فى اقادته عكاشة) الاقادة افعال من القود للدابة مقابل السوق ثم استعمل فى الاقتصاص بالنفس وغيرها لان الجانى يقاد ليستوفى منه غالبا فاريد به لازم معناه وصار حقيقة فيه والمصدر مضاف لفاعله وعكاشة معروف من الصحابة وعينه مضمومة وكافه مخففة ومشددة وهو علم منقول واصله العنكبوت وفى كتاب ليس لابن خالويه عكاشة صاحب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وأهل الحديث يخففونه وانما هو مشدد وعكاشة اسم موضع انتهى (من نفسه) الشريفة صلى الله تعالى عليه وسلم فى قصة وقعت قبيل وفاته صلى الله تعالى عليه وسلم لما نزل عليه اذا جاء نصر الله

(لم يكن) أي ضربه عليه الصلاة والسلام له (لتعمد) بتشديد الدال أي لتجاوز حد وفي نسخة صحيحة لتعمد أي لقصد (حمله الغضب عليه) أي على ضربه (بل وقع في الحديث) أي في حديث قود عكاشة (نفسه ان عكاشة قال له) عليه الصلاة والسلام (وضربتني بالقضيب) أي بالعصا (فلا أدري أعمدا) كان ضربك لي (أم أردت ضرب الناقة) فوقع علي (فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أعيذك بالله) أي اجعلك في حفظه (ان يتعمدك رسول الله) وفي نسخة ان يتعمدك نبيك (صلى الله تعالى عليه وسلم)

وحاصل الجواب انه وقع منه خطأ وهو جواب حسن صواب يصلح ان يكون جوابا عن الاشكال الاول في الحديث الآخر أيضا وهو أيما مؤمن آذيته أو سببته أو جلدته يعني ضربته أو شتمته سهوا أو خطأ والله تعالى أعلم هذا وفي حاشية الحلبي ان حديث عكاشة في اقادة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وانه عليه الصلاة والسلام دفع القضيب الى عكاشة ليقتص منه ذكره ابن الجوزي في موضوعاته مطولا وقال في آخره هذا حديث موضوع لا محالة كافأ الله تعالى من وضعه وقبح من شين الشريعة بمثل هذا التخليط البارد والكلام الذي لا يليق بالرسول ولا بالصحابة والمتهم عبد المنعم بن ادريس قال أحمد بن حنبل كان يكذب على وهب وقال يحيى كذاب خبيث وقال ابن المديني وأبو داود ليس بثقة وقال ابن حبان لا يحل الاحتجاج به وقال الدارقطني في ميزانه فيه مشهور قصاص ليس من يعتمد عليه تركه غير واحد ثم ذكر كلام أحمد فيه وقال قال البخاري ذاهب الحديث ثم قال وله عن أبيه عن وهب عن جابر وابن عباس رضي الله تعالى عنهم ما خبر اقادة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم طويل وانه دفع القضيب الى عكاشة ليقتص منه وقال قال ابن حبان كان يضع الحديث على أبيه وعلى غيره (وكذلك) الكلام (في حديثه الآخر) قال الدلجي لا أعرف من رواه (مع الاعرابي) قال الحلبي هذا الاعرابي لا أعرفه (حين طلب عليه الصلاة والسلام الاقتصاص منه) أي من نفسه الشريفة للاعرابي

الى آخره قال لجبريل قد نعيت فقال له الآخرة خير لك من الاولى ولسوف يعطيك ربك فترضى فامر بلالا ان ينادي الصلاة جامعة فاجتمع الصحابة في مسجده صلى الله تعالى عليه وسلم فصلى بالناس وصعد المنبر وخطب خطبة وجلت منها القلوب فقال أيها الناس أي نبي كنت لكم فقالوا جزاك الله عنا خيرا فلقد كنت لنا كالاب الرحيم والاخ الشفيق أديت رسالة الله وبلغت وحيه فجزاك الله عنا أفضل ما جزى نبيا فقال معاشر المسلمين أنشدكم بالله عز وجل من كانت له على مظلمة فليقم فليقتص مني وكرره فقام شيخ يقال له عكاشة فتخطى المسلمين حتى وقف بين يديه صلى الله عليه وسلم فقال لولا أمرك ما كنت لاقدم على شيء لما انصرفنا من الفتح حازت ناقتي ناقتك فرفعت القضيب فضربت خاصرتي ولا أدري أعمدا كان ذلك أم لا فطلب صلى الله تعالى عليه وسلم قضيبه ودفعه لعكاشة وقال له اضرب ان كنت ضاربا فقال ضربتني وأنا حاسر عن بطني فكشف له صلى الله تعالى عليه وسلم عن بطنه فقبله وقال له فداك أبي وأمي من يطيق ان يقتص منك فقال له اما أن تضرب أو تعفو فقال قد عفوت رجاء ان يعفو الله عني في القيامة فقال صلى الله تعالى عليه وسلم من سره ان ينظر الى رفيقي في الجنة فلينظر لهذا فجعلوا يقبلون بين عينيه ويهنونه بذلك وهو حديث طويل ذكره ابن الجوزي في الموضوعات وقال السيوطي انه أخرجه أبو نعيم في الحلية ولم يقل انه موضوع فهو تعقب له وعلى هذا اعتمد المصنف رحمه الله تعالى (لم يكن) ما صدر منه صلى الله عليه وسلم في ضرب عكاشة (لتعمد) أي عن عمد منه (حمله الغضب عليه) أي على فعله بغير حق (بل وقع في هذا الحديث نفسه) لا في حديث آخر (ان عكاشة قال له) صلى الله تعالى عليه وسلم حين أراد القود منه وكان تعلق بزمام ناقته صلى الله تعالى عليه وسلم فنهاه ثلاث مرات (وضربتني بالقضيب) وهو عصا كان في يده الشريفة (فلا أدري) ضربك هذا كان (عمدا) تعمدا منك لضربي (أم) اصابته لي خطأ وقد (أردت) غيره وهو انك (ضرب الناقة) فاصابني ذلك (فقال له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أعيذك بالله) أي اجعلك في حفظه (يا عكاشة ان يتعمدك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) بضرب لم تستحقه وفيه التفات من التكلم الى الغيبة واصله ان أتعمدك فاتى باسمه الظاهر اشارة لعصمته صلى الله تعالى عليه وسلم مما قاله عكاشة لان من هو رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا يصدر منه مثله وعكاشة هذا هو ابن محصن صحابي بدري وهو الذي قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين ذكر ان سبعين ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ادع الله لي أن يجعلني منهم فقال أنت منهم فقال آخر مثله فقال له سبقك بها عكاشة فضرب مثلا كما في الاصابة (وكذلك) أي مثل ما وقع لعكاشة ما وقع (في حديثه) صلى الله تعالى عليه وسلم (الآخر مع الاعرابي) وهذا الحديث لا يعرف من رواه ويحتمل انه حديث عكاشة بعينه (حين طلب الاقتصاص منه) صلى الله تعالى عليه وسلم لضربه له فلما قال له اقتص مني ومكنه

من نفسه (فقال الاعرابي قد عفوت عنك) أي تركت ذلك برضى مني (وكان) صلى الله تعالى عليه وسلم (قد ضربه بالسوط لتعلقه بزمام ناقته مرة بعد أخرى) ففيه ترك أدب يستحق به الضرب تعزيرا فلم يكن ذلك الا بحق فلا يستحق به الاقتصاص ولكنه صلى الله تعالى عليه وسلم فعله كرما منه وتطييبا لقلبه من غير حق له مضى فكان تاديبا وتشريعا لامته حقا للحمد لا للعفو (والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم ينهاه) عن تعلقه بزمام الناقة وسوء أدبه وعبر بالمضارع حكاية للحال السابقة استحضارا لصورتها كما في قوله (ويقول له) أي للاعرابي (تدرك حاجتك) أي أقضيها لك وتصل اليها فدع الزمام (وهو يابى) من ارسال زمام ناقته الحاحا منه (فضربه بعد) نهيه (ثلاث مرات) حلما منه صلى الله تعالى عليه وسلم وتحملا لابرامه عليه ثم بين الوجه في هذا وانه غير مناف لما قرره من عصمته في غضبه ورضاه فقال (وهذا) الذي وقع (منه صلى الله تعالى عليه وسلم لمن لم يقف عند نهيه) لعدم امتثاله فجعل امتثاله كالوقوف ففيه استعارة وكذا في قوله عند نهيه فهي مكنية تخييلية (صواب) لا جور وخطا يستحق به القود (وموضع أدب) في الحضور وعنده يستحق من لم يتادب فيه التاديب والحكم فيه مفوض له صلى الله تعالى عليه وسلم (لكنه) صلى الله تعالى عليه وسلم (أشفق) أي أرحم من ترك الادب عنده بعد ضربه بحق (اذ كان حق نفسه) علة لاشفاقه مع استحقاقه للتادب (من الامر) أي من الحال الذي وقعت فيه هذه القصة (حتى عفا عنه) صلى الله تعالى عليه وسلم وان كان ما فعله من ضربه تاديبا له وزجرا عما فعله من سوء الادب بعد تكرار نهيه له كما تقدم فلم يقع منه لغضبه أمر يخالف عصمته ومراد المصنف رحمه الله تعالى بقوله حق نفسه انه أمر يتعلق به صلى الله تعالى عليه وسلم وبذاته لعدم امتثاله نهيه اللازم له شرعا وليس المراد انما فعله انتقاما لحظ نفسه وهواها * واعلم ان العلامة ابن القيم قال في كتاب المعالم ان الشافعية والحنفية والمالكية والحنابلة قالوا ان الضربة واللطمة لا قصاص فيهما شرعا وانما فيها التعزير وادعى بعضهم فيه الاجماع الا ان لبعضهم فيه خلافا جرى فيه على خلاف القياس الا انه مقتضى النصوص وعليه عمل الصحابة رضي الله تعالى عنهم لقوله تعالى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ولا ريب ان لطمة بلطمة وضربة بضربة أقرب الى المماثلة من التعزير بغير جنس أعدائه وهو هدى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والخلفاء الراشدين حتى عقد له المحدثون بابا ترجموه بباب القصاص في الضربة واللطمة ورووا فيه آثارا انتهى أقول الظاهر ما عليه الفقهاء وهو مقتضى القياس لانه لا يمكن ضبطه وقد يوجد فيه تفاوت فاحش كمن ضرب شخصا على عينه ولم يضر بصره فربما تخرج عينه بضربة القصاص وانما فعله الصحابة رضي الله تعالى عنهم لوثوقهم بعدم تجاوز أفعالهم فلا تقاس أنفسنا عليهم فلا وجه لما قاله ابن القيم رحمه الله تعالى (وأما حديث سواد بن عمرو) رضي الله تعالى عنه عن عطية الانصاري الذي رواه أبو القاسم في معجم الصحابة وابن سعد وعبد الرزاق في جامعه عن الحسن وسواد بن عمر وهذا انصاري صحابي وليس هو سواد بن غزية الا انه وقع نقل مثل هذه القصة عنه وانه صلى الله تعالى عليه وسلم طعنه بالعصا في خاصرته لكن لا على هذا الوجه كما يأتي وما وقع في بعض النسخ عمرو بن سواد غلط من الناسخ وقال ابن الملقن في شرح البخاري بعد ما نقل

(فقال الاعرابي قد عفوت عنك وكان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قد ضربه) أي الاعرابي (بالسوط لتعلقه بزمام ناقته) بكسر الزاي أي بخطامها (مرة بعد أخرى) علة لضربه (والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم ينهاه) كل مرة عن تعلقه بزمامها (ويقول له تدرك حاجتك وهو يابى) قبول قوله ذلك له (فضربه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بعد ثلاث مرات) من نهيه وابائه عن قبوله ووقع في أصل الدلجي فضربه ثلاث مرات بعد وقال ظرف غائي قطع عما أضيف هو اليه منويا أي بعد نهيه له وهذا خطأ فاحش لان الضرب لم يقع ثلاث مرات بل مرة واحدة بعد نهيه ثلاث مرات ثم لا يتوهم ان ضربه له كان انتقاما لنفسه بل كان تاديبا وتشريعا له ولغيره للاجتناب عن مثل ذلك لقبحه (وهذا) أي ضربه الذي وقع عليه (منه عليه الصلاة والسلام لمن لم يقف عند نهيه) ولم ينزجر بردعه (صواب وموضع أدب) وهما خبران لقوله وهذا وقد وهم الدلجي حيث قال وروى انه صواب وموضع أدب يقتبس منه ويستضاء به (لكنه عليه الصلاة والسلام أشفق) أي خاف مقام ربه (اذا كان حظ نفسه) وفي نسخة حق نفسه والجملة تعليلية اعتراضية بين أشفق ومتعلقه أعني (من الامر) أي لاجل أمر ضربه (حتى عفا عنه) الاعرابي غاية لطلبه الاقتصاص منه والحاصل ان اقتصاصه انما كان لكمال خوفه من ربه حيث كان ظاهر ضربه على صورة حظ نفسه مع ما يتضمنه من تعليم أمته عدم المسامحة والمساهلة في حقوق العباد قبل يوم الميعاد (وأما حديث سواد) بفتح السين المهملة وتخفيف الواو (ابن عمرو) أي ابن عطية الانصاري الذي رواه أبو القاسم البغوي في معجم الصحابة وابن سعد وعبد الرزاق في جامعه عن الحسن

(أتيت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) وقال ابن عبد البر سوادة بزيادة تاء ابن عمرو الانصاري ويقال سواد بن عمرو وحديثه أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أقاده من نفسه روى عنه الحسن ومحمد بن سيرين انه قال أتيت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (وأنا متخلق) أي متلطخ بالخلوق من الطيب يقال خلقه تخليقا طيبه فتخلق كما في القاموس (فقال عليه الصلاة والسلام ورس ورس) وهو نبت أصفر يصبغ به ومعناه التهديد في النهي عن لبسه أو تطيبه وكرر للتاكيد كقوله (حط حط) بضم الحاء وتشديد الطاء المهملتين أي ضع عنك هذا بلبس غيره أو بغسله ويجوز في طائه الحركات الثلاث لانه أمر مضاعف كمد فيجوز الفتح للخفة والضم للاتباع والكسر للاصل في تحريك الساكن أما قول الحلبي الظاهر ان هذا أمر بالحط وكذا رأيته مضبوطا بالحط باسكان الطاء فسهو قلم منه فانه اذا كان الامر بالحط فالاسكان خطأ في الحط هذا وقال التلمساني وروى بسكون شين ورس وفتح طاء حط ساكنين وروى بتنوين السين وسكون الطاء انتهى وخلله مما لا يخفى نعم وجه السكون هو الوقوف ومحله الرفع على انه خبر مبتدأ مقدر أي أهذا ورس أو بفعل محذوف أي أبفعل ورس يعني يصبغ به ويلبس واما على التنوين فظاهر إعرابهما قال التلمساني ولعله كان محرما فنهاه عنه لانه لا يلبسه المحرم أقول لبس الاصفر والاحمر مكروه عندنا مطلقا وكذا التطيب بطيب فيه لون لانه تشبه بالنساء وقال الدلجي الخلوق طيب مركب من زعفران وغيره وقد ورد الخبر باباحته والنهي عنه وهو أكثر والظاهر انه ناسخ لاباحته لانه من طيب النساء وهن أكثر استعمالا له (وغشيني) وفي نسخة فغشيني أي فلحقني (بقضيب في يده) أي موقعا ضربه (في بطني فاوجعني) ولعله كان

بالقود

بعد امتناعه عن امتثال الامر واجتناب النهي ثم رأيت في حاشية الشمني أنه روى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه نهى عن الخلوق مرتين أو ثلاثا وانه رآه متخلقا فطعنه في بطنه بجريدة في يده (قلت القصاص) بالنصب مفعول لمحذوف نحو أسئلك أو أطلب منك (يارسول الله) ولعله ظن أنه عليه الصلاة والسلام ضربه بغير ما يستحقه من الآثام (فكشف لي عن بطنه) تواضعا له وتنزلا لقومه (انما) جواب اما فحقه أن يقول فانما (كان ضربه اياه) وفي نسخة انما ضربه النبي عليه الصلاة والسلام (لمنكر رآه به) وفي نسخة رآه عليه وقد نهاه عنه وهو على حاله (ولعله لم يرد بضربه بالقضيب الا تنبيهه) بضرب لطيف في مقام التاديب (فلما كان منه ايجاع) أي حقيقة أو اظهار وجع حيلة (لم يقصده) بضربه (طلب التحلل منه) أي في قدر الزائد على ما يستحقه

ما في الشفاء هذا لم يدرك النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فانه صاحب ابن وهب فان ثبت هذا فلعله صحابي آخر وافق اسمه واسم أبيه لكن القصة معروفة بسواد بن عمرو والظاهر انه انقلب عليه انتهى وذكر ابن عبد البر رحمه الله تعالى انه سوادة بزيادة الهاء قال سواد (أتيت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأنا متخلق) أي متضمخ بالخلوق وهو نوع من الطيب يخلط بالزعفران ولونه بين الحمرة والصفرة وقد ورد في بعض الاحاديث النهي عنه وفي بعضها اباحته والنهي قيل انه متاخر ناسخ لاباحته لانه معتاد في النساء والتشبه بهن غير جائز ولذا ذهب شيخ والدي الشيخ شهاب الدين أحمد بن حجر الهيثمي الى حرمة الحناء على الرجال لغير التداوي يعني في غير اللحية (فقال ورس ورس حط حط) الورس نبت أصفر باليمن يصبغ به ويتعطر فهو منهي عنه كالخلوق والحناء وحكمه حكمه وهو حرام للنهي عنه في الحديث وذكر وكرر للانكار عليه وورس بوزن ضرب وحط أمر له كررتا كيدا أيضا وتقديره أعليك ورس فيجوز رفعه على انه مبتدأ أو خبر مبتدأ مقدر وسكون السين للوقف وطاء حط ساكنة أو مفتوحة كما يجوز في كل أمر مشدد الآخر كرد وأصله أردد واحطط ويجوز ان لا يقدر فيه شيء ويقصد به ما مر أيضا فتدبر وهو من طيب النساء أيضا (وغشيني) بمعجمتين بمعنى ضربني وهو استعارة معروفة كما يقال جلله وقنعه بالسوط ومثله قوله تعالى فصب عليهم ربك سوط عذاب (بقضيب) أي عصا كان عادته صلى الله عليه وسلم حمله (في يده في بطني) أي عليها وجعله لتمكنه منه كأنه فيها (وأوجعني) ضربه أو هو بضربه (فقلت القصاص يارسول الله) أي أسئلك أو أطلبه منك (فكشف لي عن بطنه) لاضربه اقتصاصا كما فعل بي و(انما ضربه صلى الله تعالى عليه وسلم لمنكر رآه عليه) وهو تطيبه لما فيه تشبه بالنساء يستحق التعزير عليه وقيل انه كان محرما فيمتنع عليه الطيب فما فعله صلى الله عليه وسلم به أمر مشروع له زجرا لفاعله بالفعل بعد القول ولكنه أجابه بالقود تواضعا ولطفا ورحمة منه كما تقدم وقد كان المضروب يعلم انه منهي عنه (ولعله) صلى الله عليه وسلم (لم يرد بضربه الا تنبيهه) على ما رآه منه مما لا يليق فاراد الاشارة اليه بقضيب في يده لينزعه ولم يرد ضربه أو لا نخسه بشدة ولم يقصد ضربه (فلما كان) أي وجد (منه ايجاع) مؤلم له وهو (لم يقصده) بضربه اياه (طلب التحلل منه)

(على ماقدمناه) من نظير ماوقع له مع غيره قال ابن عبد البر وهذه القصة لسواد بن عمرو لا لسواد بن غزية وقد رويت لسواد بن غزية انتهى ويقال سواد بن غزيه مشدد الواو وسواد في الانصار غيره مخففة وقال ابن اسحق حدثني حبان بن واسع عن أشياخ من قومه ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عدل صفوف أصحابه يوم بدر ومعه قدح يعدل به القوم فمر بسواد بن غزية حليف بنى عدى بن النجار وهو مستنتل من الصف قال ابن هشام ويقال متنصل من الصف فطعن في بطنه بالقدح وقال استو ياسواد قال يارسول الله أوجعتنى وقد بعثك الله تعالى بالحق والعدل فاقدنى قال فكشف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن بطنه وقال استقد قال فاعتنقه وقبل بطنه قال ماحملك على هذا ياسواد قال يارسول الله حضر ماترى فاردت أن يكون آخر العهد بك ان يمس جلدى جلدك الشريف فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بخير انتهى وقال الحلبي واما ماوقع في بعض النسخ انه عمرو بن سواد فغلط وعلى الخطأ نقله شيخنا ابن الملقن في شرح البخاري ثم تعقبه لكنه لم ينبه على انه مقلوب

(فصل)

(واما أفعاله عليه الصلاة والسلام الدنيوية) أى المجردة عن الاحكام الأخروية (فحكمه) مبتدأ (فيها) أى في أفعاله الدنيوية (من توقى المعاصى والمكروهات) بيان لحكمه أى من تحفظه عنهما (ماقدمناه) وفي نسخة ماقد قدمناه وهو خبر المبتدأ واما ماصدر عنه من فعل بعض المكروهات كشربه وبوله قائما بعد نهيه عنهما فانه كان لعذر لديه أو لبيان الجواز مما كان واجبا عليه (ومن) أى وحكمه من (جواز السهو والغلط في بعضها) أى أفعاله كتسليمه من ركعتى احدى صلاتى العشى سهوا (ماذكرناه) في حديث ذى اليدين (وكله غير قادح في النبوة) المبنية على صفة العصمة (بل) وفي نسخة بلى (ان هذا) أى صدور السهو (فيها على الندور اذ عامة أفعاله) أى غالبها بل كلها (على السداد) أى الاستقامة والاقتصاد (والصواب) في الاجتهاد (بل أكثرها أو كلها) أى أفعاله الصادرة عن وفق العادات (جارية مجرى العبادات والقرب) بضم ففتح أى القربات (على مابينا) من ان الاعمال بالنيات وان المباحات بها تنقلب طاعات (اذ كان عليه الصلاة والسلام لا يأخذ منها) من أفعاله الدنيوية (لنفسه الاضرورته) أى حاجته المعينة على أحواله الأخروية من القيام بالعبودية وفق مقتضى الربوبية وفي نسخة الاضروريته أى الامور الضرورية التى لا تستغنى عنها افراد البشرية

بالقود حتى لا يبقى له عليه حق فدفع الشبهة بوجهين أحدهما انه تعزير مشروع له لكنه تكرم باجابته لماعلم انه لم يقصد قوده وانما قصد تقبيل جسده الشريف والثانى انه خطأ معفو عنه وفعله صلى الله تعالى عليه وسلم تعليما للامة وهذا جار (على ماقدمناه) في قصة عكاشة رضى الله تعالى عنه وذكر ابن اسحق انه صلى الله تعالى عليه وسلم عدل صفوف أصحابه يوم بدر وفي يده قدح يعدل به فمر بسواد بن غزية متنصلا من الصف فطعنه في بطنه بالقدح وقال له استو ياسواد فقال له أوجعتنى يارسول الله وقد بعثك الله بالعدل فاقدنى فكشف له عن بطنه وقال له استقد فقبل بطنه واعتنقه فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم ماحملك على هذا قال حضر ماترى فاردت ان يكون آخر العهد بمس جلدك فدعا له صلى الله تعالى عليه وسلم وشرف وكرم بخير

(فصل قال القاضى رحمه الله تعالى واما أفعاله صلى الله عليه وسلم الدنيوية) أى المتعلقة بامور دنياه لا بالعبادة والعقائد (فحكمه فيها من توقى المعاصى) أى اجتناب المحرمات شرعا (والمكروهات) كراهة تنزيه بقرينة مقابلة المعاصى (ماقدمناه) خبر قوله حكمه المبتدأ أى انه صلى الله تعالى عليه وسلم معصوم منها فان وقع منه مكروه لبيان الجواز كشربه قائما فهو لتعليم أمته فلا يكون مكروها في حقه وماقيل هنا من انه غير منهى عنه فلا حاجة لذكره لغو من الكلام لا حاجة للاطالة بمثله (ومن جواز السهو والغلط في بعضها ماذكرناه) فانه جوزه في العبادات فيعلم جوازه في هذا بالطريق الاولى (وكله) أى كل ماذكر من السهو ومابعده (غير قادح) وغير ضار (في النبوة) بل حسن منه صلى الله تعالى عليه وسلم لمافيه من التشريع (بل ان هذا) مع انه غير مذموم صدوره (فيها) أى في أفعاله (على الندور) أى قليل جدا والنادر ماقل وقوعه ولا حكم له (اذ عامة أفعاله) أى أكثرها واقع (على السداد) بفتح السين المهملة أى الاعتدال والقصد ويجوز ان يريد بالعامة الكل بجعل غيرها كالعدم (والصواب) وعدم الخطأ (بل أكثرها) أى أفعاله صلى الله تعالى عليه وسلم (أو كلها جارية مجرى العبادات والقرب) بضم وفتح جمع قربة وهى العمل الصالح الذى يتقرب به الى الله تعالى (على مابينا) فيما تقدم اما ان أكثرها كذلك فلان منها مباحات كالاكل والشرب ونحوه واما كون كلها عبادة فلانه محتو على تعليم الاباحة وتقوية الجسد للطاعة ونحوه مما يجعل العادة عبادة (اذ كان صلى الله تعالى عليه وسلم لا يأخذ منها) أى من الدنيا وأفعالها (الاضرورته) أى مقدار مايضطر اليه ويحتاج له

(ومايقيم رمق جسمه) أي مادة قوته وقوته من أكله وشربه ونومه التي بها قيام بنيته ونظام صحته على قدر قربته (وفيه مصلحة ذاته) ومايتبعه من صفاته (التي بها يعبد ربه ويقيم شريعته) ببيان أحكامها (ويسوس أمته) أي يراعيهم ويؤدبهم بما فيه نظامها وهذا كله فيما بينه وبين ربه (وماكان فيما بينه وبين الناس من ذلك) أي مما ذكر من أفعاله الدنيوية (فبين معروف يصنعه) بين ظرف ومعروف مجرور ومنون مضاف

اليه أي فأمره دائر بين فعل معروف يصنعه اليهم (أو بر) أي انعام

(ومايقيم رمق جسمه) أي ما به قوام حياته أي بقيته وقوته والرمق معناه بقية الروح والحياة والقليل من العيش الذي يسد الرمق (وفيه مصلحة ذاته) أي ما يصلحها كما يدفع الحر والبرد ويدخل فيه طعامه ودوابه وخدمه ونساؤه ومؤنتهم (التي بها يعبد ربه ويقيم شريعته ويسوس أمته) أي يضبطهم ويحكم عليهم لانه معنى السياسة لغة قال * وكنا نسوس الناس والامر أمرنا * وهذا بيان لجهة العبادة المقصودة بما قبله يقال ساس الرعية اذا حفظها وأقام أمرها (و) اما (ماكان بينه وبين الناس من ذلك) أي أموره الدنيوية الجارية منه في معاملة أمته وصحبتهم (فبين معروف) أي أمر جميل حسن لان المعروف يراد به هذا وبين هنا للتقسيم كما يقال أمري بين كذا وكذا (يصنعه) أي يوصله ويفعله لهم من احسانه وتكرمه عليهم (أو بر) أي مبرة وعطاء (يوسعه) عليهم باعطاء ما يغنيهم (أو كلام حسن يقوله) لهم مما يلطف به ويلين قلوبهم ويعظهم ونحوه (أو يسمعه) بفتح أوله وثالثه أي يسمعه من غيره ويصغي له أو بضم أوله وكسر ثالثه كما قيل وما قبله أولى لانه حينئذ لا فرق بينه وبين ما قبله الا بتكلف (أو تألف شارد) أي نافر عن طاعة الله ورسوله كجفاة الاعراب المؤلفة قلوبهم بالعطاء وجهات البر واللطف حتى يذيقه الله حلاوة الايمان ويهديه الله (أو قهر معاند) فيردعه ويزجره حتى يرجع قهرا عليه لما يريد (أو مداراة حاسد) بملاطفته وتحمل اذاه والاغضاء عن قبائحه كما كان يفعله صلى الله تعالى عليه وسلم مع المنافقين وأهل الكتاب وقال صلى الله تعالى عليه وسلم رأس العقل بعد الايمان مداراة الناس (وكل هذا) الامر الذي كان بينه وبين الناس (لاحق بصالح أعماله) أي ملحق بعباداته ومعدود منها ويثاب عليه لما فيه من المنافع والمزايا الدينية (منتظم في زاكي وظائف عباداته) أي معدود من عباداته الموظفة اللازمة كالصلاة فهذا لشدة حسن منافعه كانه من نفائسها المعدودة منها وفي سلكها ففيه استعارة تخييلية وزاكي بمعنى نامي (وقد كان) صلى الله تعالى عليه وسلم (يخالف في أفعاله الدنيوية) أي يخالف غيره فيما يخصه منها (بحسب اختلاف الاحوال) التي تعرض له فتقتضي المخالفة لحال آخر له (ويعد) بضم أوله وكسر ثانيه وتشديد داله أي يهيء ويقدم بتدارك منه (للامور) التي تستقبل (أشباهها) أي ما يناسبها ويشابهها (فيركب في تصرفه) أي حركته من مكان لآخر (لما قرب) أي لمكان آخر قريب حال اقامته (الحمار) بسهولة ركوبه مع ما فيه من عدم التكبر وكان له صلى الله تعالى عليه وسلم حمار يسمى يعفور مذكور في السير (و) يركب (في أسفاره) البعيدة (الراحلة) وهو من الابل ما يقوى على الحمل ذكرا كان أو أنثى وهاؤه للمبالغة لتحمله الرحيل فركوبه في السفر مناسب لتلك الحال لقوته وصبره وكان له صلى الله تعالى عليه وسلم عدة ابل مذكورة في السير (وقد ركب) صلى الله تعالى عليه وسلم أحيانا قليلة (البغلة في معارك الحرب) أي في مواضع أو أوقات وقع فيها المعاركة والمقاتلة في حروبه وذلك لقوة قلبه صلى الله تعالى عليه وسلم وشدة بأسه وعدم خوفه من عدوه وكان ذلك بحنين وقد اشتد البأس وبغلته التي ركبها هي دلدل وكانت شهباء ذكرا أهداها له المقوقس وله بغلة أخرى والكلام عليه في السير (دليلا على الثبات)

(يوسعه) عليهم (أو كلام حسن يقوله) ويلقيه لديهم (أو يسمعه) بضم الياء وكسر الميم أي يرويه لهم وفي نسخة بفتحهما أي يسمعه منهم فيما صدر عنهم (أو تألف شارد) أي نافر بطبعه مارد فيداريه بالاحكام ليثبت قلبه على الاسلام (أو قهر معاند) أي منكر جاحد (أو مداراة حاسد) أي مدافعته وهو من الدرء بالهمز وهو الدفع وقد يخفف همزه ومنه قولهم

ودارهم ما دمت في دارهم

(وكل هذا لاحق بصالح أعماله) وفي نسخة بصالح أعماله (منتظم في زاكي وظائف عباداته) أي ظاهرها أو زائدها في مقام فوائدها (وقد كان يخالف في أفعاله الدنيوية بحسب اختلاف الاحوال) العارضة من الامور الأخروية (ويعد) بضم الياء وكسر العين وتشديد الدال أي ويهيء (للامور أشباهها) وانه المناسبة لانفعالها (فيركب في تصرفه) وتوجهه (لما) أي لسير (قرب) من البلد (الحمار) اذ لا كلفة في ركوبه مع الايذان بعدم التكبر مع جلالة مقامه (وفي أسفاره) أي البعيدة (الراحلة) لصبرها على شدة السير ومشقة الزاملة (ويركب البغلة في معارك الحرب دليلا على الثبات) الى الوفاة واشعارا بقوة شجاعته وشدة قلبه مع كونها لا تصلح للكر والفر وقال علي كرم الله تعالى وجهه اذا اشتد البأس اتقينا برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أي جعلناه وقاية من الناس

(ويركب الخيل ويعدها) من اعداى يهيئها (ليوم الفزع) أى وقت الاغاثة والاعانة (واجابة الصارخ) أى الصائح

وانه لايمكنه ان يفر ولا يريده اذ لو اراده ركب الخيل ونصب دليلا على انه مفعول له أو حال ولا يرد على الاول شئ لاتحاد فاعل العلة والمعلل لانه الراكب والدال وكان صلى الله تعالى عليه وسلم كما ترى أشجع الناس وقال على كرم الله تعالى وجهه كنا اذا اشتد البأس اتقينا برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيوم حنين لما رأى شدة العدو وان من أصحابه من يفر ركب بغلته قصدا منه حتى لا يقال فر ويشجع غيره لان البغل لايصلح للكر والفر فانظر هذا ففيه معجزات له تعلم مما في السير (و) كان صلى الله تعالى عليه وسلم (يركب الخيل) أيضا (ويعدها) أى يهيؤها (ليوم الفزع) أصل معنى الفزع الخوف ثم كني به عن خروج الناس بسرعة لدفع عدو ونحوه اذا جاءهم بغتة وصار حقيقة فيه كما في كامل المبرد فليس هو استعارة كما قيل (واغاثة الصارخ) هو المصوت للاعلام بامر يطلب من يغيثه فهو معطوف على يوم أو الفزع وفيه اشارة لما وقع له صلى الله تعالى عليه وسلم بالمدينة من سماعه صراخا ظنه عدوا هجم على المدينة فركب فرسا لابي طلحة كان قطوفا أى غير سريع المشي وذهب وحده فلم ير عدوا ورجع فلقي من خرج خلفه راجعا فقال لهم لن تراعوا أى لاتخافوا فقيل له كيف وجدت الفرس فقال وجدته بحرا أى واسع الخطو فلم يسبقه فرس بعد قوله ذلك ويقال للفرس الواسع الخطو بحر لان أصل معنى البحر السعة (وكذلك) أى كما ان ما بينه وبين الناس كان على أحسن نظام كان حاله (في لباسه) أى ملبوسه (وسائر أحواله وافعاله) كلها متناسبة من غير تكلف فيها وتصنع فكان يضع كل شئ في محله وهو معنى قوله السابق بعد للامور أشباهها كما قيل

فاقسم لكل محل ما يليق به * فان للرجل حليا ليس للعنق

(بحسب اعتبار مصالحه) الخاصة به في نفسه (ومصالح أمته وكذلك) كان (يفعل الفعل من أمور الدنيا) وان لم يكن له فيه رغبة (مساعدة) أى معاونة (لامته) فهو منصوب مفعول له (وسياسة) أى قد يفعله لاجل سياستهم أى حفظهم (وكراهية لخلافها) بتخفيف الياء مصدر والضمير للامة أى يفعل مالم يرده احيانا جبرا للقلوبهم وتانيسا بعدم مخالفتهم فيما يجوز (وانه كان قد يرى غيره) كتركه أو فعل أمر يخالفه (خيرا منه) لانه أحب اليه (كما يترك الفعل لهذا) وقد يرى فعله خيرا منه (وقد يفعل هذا) أى ما يرى تركه خيرا من فعله (في الامور الدينية) كما تقدم في أمور الدنيا (مما) كان (له الخيرة) بكسر الخاء وفتح المثناة التحتية كما في المقتفى وقال غيره انه بكسر الخاء وسكون المثناة اسم من خار الله في كذا وما قيل انه بفتحها ليس بوجه أقول لا وجه لهذا فان فعلة بكسر ففتح مما ثبت في المصادر كخيرة وطيرة وفي الاسماء كعبرة كما صرح به النحاة (في أحد وجهيه) دون الآخر أى مما خيره الله تعالى في فعله وتركه ولولا ذلك لم يجز مثله في الامور الدينية ثم مثل له بقوله (كخروجه) صلى الله تعالى عليه وسلم باصحابه (من المدينة لاحد) اسم لجبل معروف كانت عنده الوقعة المذكورة في السير فخرج لمحاربة أبي سفيان وقريش (وكان) اذ ذاك (مذهبه) أى رأيه صلى الله تعالى عليه وسلم المختار عنده والمذهب يطلق على هذا المعنى كما قال أبو نواس

ومن مذهبي حب الديار لاهلها * وللناس فيما يعشقون مذاهب

(التحصن بها) أى عدم الخروج منها وذلك لان بعض الصحابة رضى الله تعالى عنهم الذين لم يحضروا غزوة بدر احبوا خروجه صلى الله تعالى عليه وسلم من المدينة للقتال وكان صلى الله تعالى عليه وسلم رأى رؤيا تدل على قتل بعض أصحابه وأمور أخر فقصها عليهم وأولها لهم كما في السير واراد ترك الخروج فرغبوه فيه فدخل منزله فلبس درعه ولامة حربه فندموا على مخالفته وقالوا له لما خرج الرأى لك فقال

للاعلام بالحادثة الواقعة (وكذلك) كان يفعل (في لباسه وسائر احواله) وفي نسخة افعاله أى من أكله وشربه وفراشه ومنامه وقيامه وافطاره وصيامه وسكوته وكلامه (بحسب اعتبار مصالحه) أى مهمات ذاته (ومصالح أمته) أى مراعاة أهل ملته ليقدر كل احد في الجملة على متابعته على ما بيناه في جمع الوسائل لشرح الشمائل (وكذلك يفعل الفعل من أمور الدنيا مساعدة لامته) على أحوال العقبى (وسياسة) لبعضهم (وكراهية لخلافها وان كان قد يرى غيره خيرا منه) أى من حيثية أخرى (كما) كان (يترك الفعل) أى فعل الخير (لهذا) أى لحكمة نفسه أو لمصلحة أمته (وقد يرى فعله خيرا منه) أى من تركه في نفس الامر اشعارا بجوازه (وقد يفعل هذا) أى ما يرى تركه خيرا منه (في الامور الدينية مما له الخيرة) بكسر الخاء وفتح الياء ويسكن اسم من خار بمعنى اختار أى ما هو مخير (في أحد وجهيه) أى في فعلهما (كخروجه) باصحابه (من المدينة لاحد) حين محاربة أبي سفيان وقومه (وكان مذهبه) أى عادته (التحصن بها) وعدم الخروج منها

(وتركه) أي وكتركه عليه الصلاة والسلام (قتل المنافقين وهو على يقين من أمرهم) غير شاك في كفرهم وفي نسخة من أمورهم
والغاء تركهم (مؤلفة لغيرهم ورعاية) أي ومراعاة (للمؤمنين) المخلصين (من قرابتهم وكراهة) وفي نسخة وكراهية (لان
يقول الناس ان محمدا يقتل أصحابه كما جاءت في الحديث) المناسب لبابه وهو ما رواه البخاري وغيره في قصة رئيس أهل النفاق
عبد الله بن أبي وقوله في غزوة بني المصطلق لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل واراد بالاعز
نفسه وبالاذل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فسمعه زيد بن ارقم وهو حدث فقال له أنت والله الاذل المبغض في قومه ومحمد هو الاعز بر بهوقومه ثم أخبر رسول الله بقوله فقال عمر دعني أضرب عنق هذا المنافق يا رسول الله فقال اذن ترعد انف كبيرة يثرب قال فان كرهت ان يقتله مهاجري فر انصاريا قال فكيف اذا تحدث الناس ان محمدا يقتل أصحابه (وتركه) وكتركه عليه الصلاة والسلام (بناء الكعبة على قواعد ابراهيم مراعاة لقلوب قريش) حيث كانوا قريب عهد بالاسلام ولم يتمكنوا في قبول الاحكام (وتعظيمهم لتغيرها) وفي نسخة لتغييرها أي الكعبة بيت الله الحرام عما المامن ظاهر النظام (وحذرا من نفار قلوبهم) بكسر النون أي تنافرها (لذلك) أي لتغيرها (وتحريك متقدم عداوتهم للدين وأهله) (الى
بالارتداد ونحوه (فقال لعائشة) كما رواه الشيخان (لولا حدثان قومك) بكسر الحاء أي قرب عهدهم (بالكفر) ويروى حداثة قومك
(لاتممت البيت على قواعد ابراهيم) أي أسست أو بنيت أو عليت أو أتممته بادخال الحجر وقد بناه ابن الزبير كما عناه وغير الحجاج
بعض ما بناه وعلى ذلك البناء بقي الى وقتنا (ويفعل الفعل) أي احيانا (ثم يتركه) بعده (لكون غيره خيرا منه) حينئذ (كانتقاله من
أدنى مياه بدر) أي من ادناها الى بدر

ما كان لنبي اذا لبس لامته ان يضعها حتى يحكم الله بينه وبين عدوه ومضى فكان ما كان من جراحته وقتل حمزة وغيره فهذه قصة دينية ترك فيها ما أحبه لما رآه أصحابه وكلاهما أمر جائز (و) من ذلك (تركه قتل المنافقين) وهم المظهرون للاسلام مع اخفاء الكفر وهو لفظ اسلامي لا تعرفه العرب قديما ماخوذ من نافقاء اليربوع وهو مخرج يستره في جحره ليخرج منه اذا أحس بصائده ويطلق على كل من خالف ظاهره باطنه كما تقدم بيان ذلك كله (وهو) صلى الله تعالى عليه وسلم (على يقين من أمرهم) باخبار الله تعالى له به وبما يظهر من أحوالهم من ايذائه وما يبلغه عنهم بما لو ظهر الآن اقتضى كفرهم وزندقتهم وقتلهم ولكنه صلى الله تعالى عليه وسلم حكم بظاهر حالهم (مؤلفة لغيرهم) ممن يرجى اسلامه أو خلوص ايمان من قرب عهده بالاسلام (ورعاية للمؤمنين من قرابتهم) اسم جمع بمعنى الاقرباء كالصحابة كما قاله ابن مالك ولا يحتاج لتأويل أو تقدير كما وهم وبذلك يسرون وتطمئن قلوبهم وهما مفعولان له (وكراهة لان يقول الناس) من اعدائه قدحا على زعمهم (ان محمدا يقتل أصحابه) يصدون به من يريد الاسلام عنه (كما جاء في الحديث) الذي رواه البخاري في عبد الله ابن أبي بن سلول لما قال في غزوة بني قينقاع ليخرجن الاعز منها الاذل وبلغه صلى الله تعالى عليه وسلم ذلك فقال بعض الصحابة نقتله لنفاقه فقال صلى الله تعالى عليه وسلم فكيف اذا تحدث الناس ان محمدا يقتل أصحابه والحديث مشهور (و) مما كان يرتكب فيه احد الجائزين تطييبا للخواطر (تركه بناء الكعبة على قواعد ابراهيم) حين بناها مع اسمعيل عليهما الصلاة والسلام وكان مقدار أذرع من الحجر ستة أو سبعة أو خمسة داخل فيها ولها بابان ملصقان بالارض فلما بنتها قريش قبل البعثة لم تف نفقتهم ببنائها كذلك فاخرجوا بعض الحجر منها وجعلوا لها بابا واحدا مرتفعا والكلام على ذلك وكم بنيت وامتناعه وجوازه مفصل في محله وللسيد السمهودي فيه تاليف مستقل نفيس (مراعاة لقلوب قريش) مفعول لاجله فانها لا ترضى بذلك وتعده تغيير المآثرهم للتفرد بفخره عنهم (وتعظيمهم لتغييرها) عما بنته آباؤهم ولخوفهم من هدمها (وحذرا من نفار قلوبهم) عنه صلى الله تعالى عليه وسلم لمن لم يقو ايمانه ومن به بقية من الجاهلية (و) تركه حذرا من (تحريك متقدم عداوتهم للدين) أي دين الاسلام (وأهله فقال) صلى الله تعالى عليه وسلم (لعائشة في الحديث الصحيح) الذي رواه الشيخان وغيرهما (لولا حدثان قومك) بكسر فسكون مصدر بمعنى الحدوث ضد القدم أي تجدده وعدم رسوخه والمراد به هنا القرب أي لولا قرب عهدهم (بالكفر) والشرك (لاتممت البيت) أي لبنيته على تمامه وكماله (على قواعد ابراهيم) التي كان بناؤه عليها وعلى هيئته الاولى بادخال بعض الحجر الخارج منه فيه والصاق بابيه بالارض وجعل ارتفاعه على ما كان عليه (و) من تركه أحد الجائزين ما يقاربه ويشبهه انه صلى الله تعالى عليه وسلم (كان يفعل الفعل) الذي صدر منه (ثم يتركه لكون غيره خيرا منه) وان كانا جائزين له (كانتقاله من أدنى) آبار (مياه بدر) وهي ارض معروفة أي قيامه برحله في منزله عنده وقد أشار عليه الحباب بن المنذر به كما تقدم

(الى اقربها للعدو من قريش) برأى الحباب ابن المنذر كما سبق (وقوله) في حجة الوداع على ما رواه الشيخان (لو استقبلت من أمري ما استدبرت) أي الامر الذي استدبرته (ما) وفي نسخة لما (سقت الهدى) اذ بفعله ذلك لزمها ان لا يحل حتى ينحر ولا يجوز نحره الا يوم النحر فلا يجوز له فسخ الحج بعمرة كما أمر بذلك أصحابه ليخرج عن خاطرهم ما اشتهر في الجاهلية من ان العمرة في أشهر الحج من أفجر الفجور وانما أمر بذلك من لم يكن معه هدى اذ يكون له فسخه هنالك وانما قال ذلك على وجه الاعتذار تطييبا لقلوب أصحابه وحذرا من أن يشق عليهم أن يحلوا وهو محرم وليعلموا ان قبول ما دعاهم اليه من فسخه بها أفضل وانه لولا الهدى لفعله ثم هذا الفسخ منسوخ عند الائمة الا أحمد بن حنبل (ويبسط وجهه للكافر والعدو) من المنافق (رجاء استئلافه) طمعا في الفته وحذرا من نفرته (ويصبر للجاهل) فيما يصدر عنه حال فترته (ويقول) كما رواه الشيخان عن عائشة (ان من شرار الناس) وفي نسخة من شر الناس (من اتقاه الناس) أي خافوه وحذروه واحترسوا منه (لشره ويبذل له) بضم الذال المعجمة أي يعطى من ذكر وامثاله (الرغائب) أي النفائس من ماله (ليحبب اليه شريعته) أي احكام ملته (ودين ربه) أي من طاعته وعبادته (ويتولى في منزله ما يتولى به) أي يقوم فيه بما يقوم وفي نسخة ما يتولاه (الخادم من مهنته) بفتح الميم هو الرواية وقد يكسر وقيل خطأ أي خدمة

(الى اقربها للعدو) وذلك العدو (من) كفار (قريش) الذين وقعت معهم غزوتها او تغويره ما استغنى عنه من العيون تضييقا عليهم لعتوهم وكفرهم وكان نزل أولا على غير الماء فقال له الحباب بن المنذر أبوحي هذا أم رأي قال رأي فاشار عليه بما ذكر ونزل عليه جبريل وقال الرأي ما اشار به الحباب كما تقدم (وكقوله) صلى الله تعالى عليه وسلم في حجة الوداع كما رواه الشيخان (لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما سقت الهدى) الى آخر الحديث والهدى بفتح فسكون وياء مخففة ويجوز كسر ثانيه وتشديد الياء وبهما قرئ وهو ما يساق من الابل لينحر في الحرم ويتصدق بلحمه وهو انه صلى الله تعالى عليه وسلم أحرم بالحج مفردا وساق معه هديا فلم يحل له أن يلبس ويحل من احرامه حتى يبلغ الهدى محله يوم النحر وكان أصحابه رضي الله تعالى عنهم تمتعوا بالعمرة وفكوا احرامهم فلما علموا انه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يتمتع كرهوا تمتعهم بلباسهم ونسائهم خلاف رسول الله فقال لهم صلى الله تعالى عليه وسلم لو استقبلت الخ أي وددت اني مثلكم أتمتع لولم يمنعني سوق الهدى وعقد النية وهذان أمران جائزان فعل أحدهما والآخر أحب اليه بيانا للجواز واختلف أيهما أفضل كما ذكر في كتب الفقه وقوله استقبلت من أمري المراد من أمر احرامه ومعناه لولم يصدر مني ما صدر مما يمنع موافقتكم وهو سوق الهدى واستقباله كناية عن عدم وقوعه وتقدمه واستدباره كناية عن وقوعه لان ما وقع ومضى كأنه خلفك وما لم تفعله قدامك موجود ولو للتمني أي وددت ان ما صدر مني من سوق الهدى كأنه لم يكن حتى أوافقكم والشاهد فيه لما ذكر ظاهر (و) كان صلى الله تعالى عليه وسلم (يبسط وجهه للكافر والعدو) ممن هو من أعدائه (رجاء استئلافه) أي ان يؤلف بينه وبين المسلمين بهدايته للاسلام وعدم نفرته لما يراه من لطف الله تعالى به واظهاره له ما يحبه وتقدم ان بسط الوجه عبارة عن البشاشة واظهار المسرة لان غيره يقطب وجهه ويجعد أسارير جبهته (و) كان صلى الله تعالى عليه وسلم (يصبر للجاهل) المراد به هنا غير متعارفهم فانه في كلامهم بمعنى ذي العتو والغلاظة والتكبر الحامل على تجاوزه كقوله

* ونجهل فوق جهل الجاهلينا *

أي يصغي (ويقول) صلى الله تعالى عليه وسلم اذا بدا من مثله ما لا يريده وسئل عنه كما ورد في حديث رواه الشيخان عن عائشة رضي الله تعالى عنها (ان من شر الناس) شر مخفف أشر اسم تفضيل أي أخبثهم وأكثرهم شرا (من اتقاه الناس) أي توقوا منه وتجنبوه وسالموه وراعوه خوفا منه (لشره) أي من أجله فان مثله يخشى منه (ويبذل) بموحدة وذال معجمة أي يعطي (له الرغائب) جمع رغيبة وهي ما يرغب فيه كالعطايا الكثيرة ونحوها (ليحبب اليه شريعته) فان الجاهل ميله للدنيا فاذا رآها منه أحبه وأطاعه فيما يأمره به من الشرع (ودين ربه) من دانه اذا ساسه وقهره والفرق بين الدين والشرع يعقه مشهور (ويتولى) أي كان صلى الله تعالى عليه وسلم يباشر ويفعل بنفسه (في منزله) أي داخل بيته مع أهله (ما يتولاه) ويفعله (الخادم) تواضعا منه صلى الله تعالى عليه وسلم (من مهنته) الضمير للنزل أوله وهي بفتح الميم وسكون الهاء وبالنون قبل تاء التأنيث والضمير وهي بمعنى الخدمة وأصلها الابتذال والمسموع فيها الفتح والكسر خطأ وان كان هو القياس كالخدمة والجلسة كما نقله الزمخشري عن الاصمعي وفي القاموس المهنة بالكسر والفتح وككلمة الخدمة والعمل وعن عائشة رضي الله تعالى عنها كان صلى الله تعالى عليه وسلم يخصف نعله ويخيط ثوبه ويعمل في بيته كما يعمل أحدكم في بيته ويقم بيته ويحلب شاته ويأكل مع الخادم ويعجن ويحمل حاجته من السوق كله

منزله (ويتسمت) بتشديد الميم من السمت وهو الهيئة الحسنة أي يظهر السمت الحسن ويقصد الطريق المستحسن (فى ملاءته) بضم الميم ممدودا وقيل مقصور مهموز وغلط أي فى ازاره كذا قالوا والظاهر فى ملابسه اذ الملاآت جمع ملاءة وهى الملحفة ويقال لها الريطة اذا كانت قطعة واحدة ولم تكن لفقين يشتمل بها وروى فى ملائه بفتحتين مقصورا أي جماعته وقومه (حتى لا يبدو) أي لا يظهر (منه شئ من أطرافه) ٣٠٢ أي أعضائه من ساق وقدم وساعد ونحوها من كمال أدبه ووقاره وجمال حيائه وانكساره وتواضعه لربه وافتقاره ليتادب أصحابه بشعاره ودثاره (حتى كأنّ) بتشديد النون (على رؤس جلسائه الطير) من كمال سكوتهم وسكونهم ووقارهم فى قرارهم لان الطير لا يقع الا على ساكن (ويتحدث مع جلسائه بحديث أولهم) أي بحكاية أوائلهم وما جرى لهم تانسا بمقالهم وتلطفا بحالهم أو بحديث أول متكلم منهم فيبنى عليه كلامه الى أن ينتهى مرامه أو يتحدث مع آخرهم بحديث أولهم من جهة النشاط وطريق الانبساط من غير انقباض عن بعضهم وملالة وكلالة فى آخر أمرهم ولفظ الترمذى حديثهم عنده كحديث أولهم (ويتعجب مما يتعجبون منه) استجلابا لخواطرهم (ويضحك مما يضحكون منه) فى عجائب اخبارهم وغرائب آثارهم (وقد وسع الناس) أي جميعهم (بشره) بكسر فسكون أي طلاقة وجهه وبشاشة حديثه (وعدله) أي وكذا وسعهم عدله فى حكمهم أو اعتداله فى أمرهم (لا يستفزه الغضب) أي لا يستخفه ولا يزعجه ولا يخرجه عن مقام (الادب مع ان غضبه كان للرب ولا يقصر عن الحق) بل يقوم به غاية القيام (ولا يبطن) بضم الياء وكسر الطاء أي لا يضمر (على جلسائه) خلاف ما يظهره (يقول) شاهد الامره (ما كان لنبى ان تكون له خائنة الاعين) وقد تقدم ما يتعلق به مبنى ومعنى وتفصيل هذه الفضائل ذكرته فى شرح الشمائل

ان

للتواضع وتعليمه للامة وهو من سنن الانبياء عليه الصلاة والسلام (ويتسمت) بفتح الياء المضارعة تفعل من السمت وهو التلبس بالهيئة الحسنة والسمت بسين مهملة وهو القصد الحسن وقيل الهيئة والمنظر الحسن فى نفسه ولباسه وفى القاموس السمت الطريق وهيئة أهل الخير والسير على الطريق والقصد انتهى وأهل المعقول يستعملونه بمعنى المقابل للشئ والجهة وهو قريب منه (فى ملاءته) فى بعض النسخ بفتح الميم واللام وكسر الهمزة قبل الضمير وعليه اقتصر الشارح الجديد وهو أنسب بما قبله من قوله فى منزله أي كان صلى الله تعالى عليه وسلم فى منزله على نهج الخادم فى خدمته وغيرها فاذا برز للملأ من أصحابه وجلسائه من الاشراف برز على هيئة حسنة مستترا بازاره لشدة حيائه وآدابه وقال البرهان وغيره انه فى ملائه بضم الميم والمد جمع ملاءة وهى الملحفة وفى المطالع لابن قرقول انه مقصور مهموز ونقله النووى عن المشارق للمصنف قال وهو غلط من الناسخ بلا شك والملأ جماعة يملؤن العيون مهابة وجلالة والاول أنسب أيضا بقوله وحتى الخ وقال التلمسانى انهما روايتان أعنى ملاءه وملائه (حتى لا يبدو) أي لا يظهر (منه شئ) بكشفه (من اطرافه) أي اطراف بدنه كساقه واقدامه كما هو عادة الاشراف المحتشمين فى الخلوة والنادى (حتى كأن على رؤس جلسائه الطير) أي لمهابته ونهاية ذلك لا يرفع أحد رأسه ولا يطيل نظره اليه توقيرا له وتكريما لرزانة عقولهم لان الطير لا يقع الا على ساكن من جذع وحائط ونحوه فشبهوا بذلك ووجه الشبه ظاهر كما قلت فى مقصورتى فى مدحه صلى الله تعالى عليه وسلم وشرف وكرم

كانما الطير على رؤسهم * من كل غصن فى ربا المجد نما

(ويتحدث مع جلسائه بحديث أولهم) أي بما كان لمن قبله من أوائلهم بحكاية ما كان قبل الاسلام من حروبهم كيوم بعاث وغيرها كحلف الفضول وقيل المراد انه يتكلم بحديث أول متكلم منهم أي بما يناسبه لانه يعيده لهم (ويتعجب مما يتعجبون منه) لخفاء سببه ولا يعارضهم ولا ينكر عليهم تانيسا لهم وجبرا لخواطرهم لكمال خلقه ولطفه (ويضحك) معهم (مما يضحكون منه) مما يقتضيه حديثهم فلا يعبس كالجبابرة الا ان ضحكه صلى الله تعالى عليه وسلم على عادة التبسم بلا قهقهة وبلا ابداء داخل الفم فلا ينافى قول عائشة رضى الله تعالى عنها ما رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مستجمعا ضاحكا أي ضاحكا بجميع فمه حتى تبدو لهواته (قد وسع الناس) أي عم جميع من عنده (بشره) أي طلاقة وجهه وبشاشته فى وجوههم (و) وسعهم (عدله) وتسويته بين جلسائه ولا يحيف ويجور أحدا عنده أو على أحد من الخلق أصلا (لا يستفزه) أي لا يقلقه (الغضب) أي اذا صدر من أحد ما يغضبه لوقاره وشدة صبره على الاذى من بعض المنافقين وجفاة الاعراب الواردين عليه قال تعالى واستفزز من استطعت أي أزعجه وهو من الفز بمعنى الخفة (و) مع حلمه (لا يقصر عن الحق) فيوفيه حقه ولا يترك منه شيئا (ولا يبطن) أي لا يخفى فى باطن أمره (على جلسائه) ممن هو عنده شيئا مما يريده (ويقول) لاعلامهم بانه لا يخفى عليهم أمرا (ما كان) أي لا ينبغى ولا يليق ولا يصح وما كان جاءت لهذه المعانى (لنبى ان تكون له خائنة الاعين) أي ليس له أن يغمز ويشير بطرف عينيه لاحد

(فان قلت فـامعناقوله لعائشة) كمارواه الشيخان (فى الداخل عليه) وهوعيينة بن حصين الفزارى قبل ان يسلم أومخرمة بن نوفـل القرشى ولايبعـد تعددالقضـية (بئس ابن العشـيرة) وفى نسخة هو وفى رواية أوأخوالعشيرة كمافى رواية الترمذى على الشـك وأمارواية البخارى بئس ابن العشيرة وأخوالعشيرة أى انمـاقاله حين استاذن فى الدخول عليه (فلما

ان يفعل شيأأخفاه ولم يتكلم به وقد تقدم ذلك فى حديث الفتح وارادته صلى الله تعـالى عليه وسلم قتـل ابن أبى سرح لماتوقف عن مبايعته ليقوم له من يضرب عنقه لانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان أهدر دمه فلما بايعه ومضى قال هلاقام اليه من يضرب عنقه فقيل له هلاأومأت الينا يارسول الله فقال ماكان لنبى الخ وحرمة ذلك عليه عدت من خصـائص الانبياء عليهم الصـلاة والسلام كمامر وفى النهاية خائنة الاعين ان يضمر فى نفسه مالايظهره بلسانه فيومى له بعينه وهو خيانه والخائنة مصدر بمعنى الخيانة أوأصـله الاعين الخائنة وقد تقدم (فان قلت فـامعنى قوله) صلى الله تعالى عليه وسلم (لعائشـة) رضى الله تعالى عنها فى حديث رواه الشيخان وغيرهما عنها (فى الداخل عليها) وهو عيينة بن حصين الفزارى وقيـل هو مخرمة بن نوفل القرشى وقيل انهما واقعتان تعـددتا (بئس ابن العشيرة هو) والعشـيرة بنوالاب الأدنون أوالقبيلة (فلمادخل ألان له القول) أى تلطف بعدماقاله فى حقه (وضحك معـه) لمقاله الدال على حمقه (فلماسالته) صلى الله عليه وسلم (عائشة عن ذلك) الذى فعله معه بعـدماقاله (قال ان من شر الناس من اتقاه الناس لشره) تقدم تفسيره قريبا (وكيف جاز) منه صلى الله عليه وسـلم (ان يظهر له خلاف مايبطن) أى يخفيـه عنـه أومطلقا (ويقول فى ظهره) أى فى غيبته بعـدماذهب وولى ظهره (ماقال) فى حقه بئس ابن العشيرة بعدالانة القول له وضحكه فى وجهه وقدمر ان عيينة هذا من المؤلفة قلوبهم وكان قبل اسلامه دخل بغيراذن على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسـلم وعنده عائشة فقال له بلااذن فقال مااستاذنت على أحدمن مضر أى لانه كان رئيسا فى قومه ويقال له الاحمق المطاع فى قومه ثم قال له ماهذه الحميراء فقال أم المؤمنين فقال ألاأنزل لك عن أجمل منها فقالت يارسول الله من هذا قال هوالاحمق المطاع فى قومه وهو على ماترى سيد قومه ثم أسلم وله ترجمة فيها بعض أموره قيل وفى الحديث دليل على غيبة الكافر والفاسق المجاهر ويأتى مافيه وما فعله رسول الله صلى الله تعالى عليه وسـلم مداراة لامداهنة والفرق بينهما مشهور ويأتى عن قريب وقد قيل لوذكر المصنف هذا فى الفصـل الذى قبله كان أولى (فالجواب) عمـاذكر (ان فعله صـلى الله تعالى عليهم وسلم) لمـاذكر (كان استئلافا لمثله) من اجلاف العرب واشرارهم رجاء لاسلامهم ودفعهم بالتى هى أحسـن حتى يلين قلبه ويحسن اسلامه وقد وقع وكان معه من قومه أكثر من عشرة آلاف أوالمراد بمثله من هو سيد مطاع كثير الاتباع وهو أنسب بمابعده وقول القرطبى رحمه الله تعالى ان هذا الحديث يدل على ان عيينة كان له سوء الخاتمة لجعـله فى لحديث شر الناس لاوجه له لان الحـديث عام غير مخصوص بالمذكور حتى يدل على ماقاله فهو شامل لكل متصف بهذه الصفة (وتطييبا لنفسـه) حتى يذعن للاسلام فيهديه الله تعالى له حتى يشاهد معجزاته صلى الله تعـالى عليه وسلم ويشرق عليه من نوره ماينشرح به صدره (ليتمكن ايمـانه) أى يقر ويثبت فى قلبه بحيث لايقبل الزوال (ويدخل بسببه) لانه كان رئيسا كثير الاتباع كمامر (فى الاسلام اتباعـه) لانقيادهم له وكونه معهم كظل لايفارقه (ويراه) اذا أسلم وأطاع (مثـله) من ساداة العرب والجبـابرة منهم (فينجذب) أى ينقاد مذعنا (الى الاسلام) لمـايراه من اتباع غيره له من الرؤساء (ومثل هـذا) أى من قوله لاحد من الناس فى وجهه شيأ وذكره خلافه بعد ذهابه (على هذا الوجه) يخرج فيقال انه فى حق

دخـل عليـه ألان له القـول) أى لـين له الكلام (وضحك معه) فى المقام وفى رواية البخارى تطلق فى وجهه وانبسـط اليـه (فلما خرج سالته) أى عائشة (عـن ذلك) ولفظ الترمـذى فلـما خرج قلت يارسـول الله قلت ماقلت ثم ألنت له القول (فقال) ياعائشـة متى عهدتنى فحاشا (ان من شر النـاس) وفى رواية ان شر الناس عنـد الله تعالى منزلة يوم القيامة (من اتقاه الناس لشره) وفى رواية مـن تركه النـاس اتقـاء فحشـه وفى رواية اتقـاء شره (وكيف جاز ان يظهـر له خـلاف ما يبطن) أى يضـمر (ويقـول فى ظهـره) أى فى غيبتـه قبـل ان يدخـل فى حضرته (ماقال) فى مواجهتـه (فالجـواب ان فعـله عليه الصلاة والسلام) أى ضـحكه والانة قوله له (كان استئلافا) أى مـداراة له وتالفـا (لمثـله) من اجـلاف العـرب وعتاتهـم فى مقـام الادب (وتطييبا لنفسـه ليتمكن ايمـانه) فى باطن قلبـه (يدخـل فى الاسـلام بسببه) أى بسـبب اتبـاعه (اتبـاعه) أى قومـه واشياعه (ويراه مثـله) فى الجفاوة والقسـاوة (فينجذب) أى ينقـاد (بذلك الى الاسـلام) وقبول الاحكام (ومثل هذا) الاتقاء (على هذا الوجـه) أى وجه الاستئلاف

(قد خرج من حد مداراة الدنيا) أى مداراة الامور الدنيوية (الى السياسة الدينية) أى انتقل منها اليها باالمقاصد الاخروية (وقد كان يتالفهم) وفى نسخة يستالفهم (باموال الله العريضة) أى باعطاء الاموال الكثيرة (فكيف) لا يتالفهم (بالكلمة اللينة) فانها أولى ان تقع فانها فى المرتبة الهينة (قال صفوان) أى ابن أمية ابن وهب الجمحى أسلم بعد حنين وكان

أحد الاشراف والفصحاء وفى الصحابة ممن يقال له صفوان ستة عشر غير ما تقدم (والله تعالى أعلم لقد أعطانى) أى رسول الله تعالى كما فى نسخة (وهو أبغض الخلق الى فما زال يعطينى) أى الاموال عفوا من غير السؤال (حتى صار أحب الخلق الى) فان الانسان عبد الاحسان (وقوله) عليه الصلاة والسلام (فيه) أى فى حق الرجل المذكور (بئس ابن العشيرة هو غير غيبة) بكسر الغين وهى ان تذكر أخاك المسلم بما يكرهه (بل هو تعريف) أى اعلام (بما علمه منه) وفى نسخة تعريف ما علمه منه (لمن لم يعلم) بحاله (ليحذر حاله ويحترز منه ولا يوثق) أى لا يعتمد وفى نسخة لا يثق (بجانبه كل الثقة لا) وفى نسخة ولا (سيما وقد كان مطاعا) بضم الميم يفسره (متبوعا) أى لقومه لا يخرجون

من تحمل غيبته وانه لتاليف القلوب لما ذكر من الفوائد (قد خرج) لهذا (عن حد مداراة الدنيا) أى عن المداراة التى هى لاجل أمور الدنيا (الى السياسة الدينية) أى التدبير بتاليف القلوب الداعى لدخول الناس فى الاسلام من غير ضرر وتعب فهو من جملة مصالح الدين ومهماته (وقد كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يستالفهم) أى يطلب تالف قلوبهم للاسلام (ببذل أموال الله) من الغنائم (العريضة) أى الكثيرة جدا والعرض مقابل الطول يستعار لما ذكر كثيرا فيقال له مال وغنى عريض ووجه الشبه ظاهر واختياره على الطول أدخل فى المبالغة لانه اذا عظم عرضه علم عظمة طوله التزاما كما لا يخفى وهذا نحو ما وقع له صلى الله تعالى عليه وسلم انه أعطى بعضهم واديا مملوأ بالغنم فاسلم وأسلم قومه لما قال لهم يا قوم انه يعطى عطاء من لا يخاف الفقر (فكيف) لا يتالفهم مع تالفهم بالاموال العريضة (بالكلمة اللينة) فانه يعلم بالطريق الاولى ويبعد عدمه جدا والاستفهام انكارى يفيد الاستبعاد كقوله تعالى كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فاحياكم وعطاياه صلى الله تعالى عليه وسلم وكثرتها للمؤلفة قلوبهم لا تحصى وهو مداراة حسنة وقربة عظيمة والفرق بينها وبين المداهنة ان المداهنة ما فيه رضى بامر غير مشروع لغرض فاسد والمداراة ما فيه لطف بامر مشروع محمود ولمصلحة محمودة (قال صفوان) بن أمية ابن وهب الجمحى الصحابى أحد الاشراف الفصحاء الاجواد أسلم بعد حنين وتوفى سنة اثنين وأربعين رضى الله تعالى عنه وأخرج له أصحاب السنن وفى الصحابة من اسمه صفوان غيره ستة عشر (لقد أعطانى) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (وهو أبغض الخلق الى) لما كان فى قلبه من عداوته له صلى الله تعالى عليه وسلم (فما زال يعطينى) من مواهبه الجزيلة من غير سؤال (حتى صار أحب الخلق الى) لما رآه من احسانه له من غير امتنان وعطف على ما كان منه فى الكفر والعدوان ثم أشار الى جواب سؤال تقديره أنت قلت ان قوله بئس ابن العشيرة لم يقله فى وجهه والذى خالفه قاله ليؤلفه وهذا غيبة محرمة شرعا فكيف صدر منه صلى الله تعالى عليه وسلم ما حرمه الله تعالى بقوله (وقوله) صلى الله تعالى عليه وسلم (فيه) أى فى حق عيينة بن حصن الداخل عليه بغير اذن كما مر (بئس ابن العشيرة هو) فى حقه (غير غيبة) منهى عنها (بل هو تعريف ما علمه منه) من خصاله القبيحة المذمومة (لمن لم يعلم) حاله فعرفه ذلك (ليحذر حاله ويحترز منه) باجتنابه ليسلم من شره (ولا يوثق بجانبه) أى بما يكون من جهته من قول وفعل (كل الثقة) أى وثوقا كليا لما علم من حمقه وجاهليته (لا سيما وقد كان مطاعا) أى سيدا مهابا بين العرب يطاع أمره (متبوعا) أى له اتباع كثيرة من العرب اذا أمرهم أطاعوه فيخشى من شره (ومثل هذا) الذى صدر منه صلى الله تعالى عليه وسلم من ذمه له مع لين قوله له (اذا كان لضرورة) اقتضاها الحال من دفع شره بلا ضرر عاجل منه للمسلمين يشق دفعه (ودفع مضرة) أى ازالة ضرره (لم يكن) ذلك (بغيبة) منهى عنها شرعا حتى يعترض ويقال كيف يصدر مثله منه صلى الله تعالى عليه وسلم وهو معصوم ثم انتقل على طريق الترقى فى تنزيه مقام النبوة فقال (بل كان جائزا) منه لتعريف حاله من غير قصد ذمه (بل) كان (واجبا) عليه صلى الله تعالى عليه وسلم ان يبين بعض عيوب أمته اذا اخشى من لا يعرفها (فى بعض الاحيان) جمع حين والمراد زمان توقع الضرر فلا يجوز تاخير بيانه عن وقت الحاجة اليه (كعادة المحدثين) أى علماء الحديث النبوى (فى تجريح الرواة) بذكر عيوبهم لئلا يعمل بما رووه

عن رأيه (ومثل هذا اذا كان لضرورة ودفع مضرة) وكذا لحصول منفعة وظهور كفلان
مصلحة (لم يكن بغيبة بل كان جائزا) بلا شبهة (بل) قد يكون (واجبا فى بعض الاحيان كعادة بعض المحدثين فى تجريح الرواة) بكذب أو سوء حفظ أو قلة ديانة ونحوها

(والمزكين) بكسر الكاف عطف على المحدثين وفى نسخة بفتحها على انه عطف على الرواة (فى الشهود) قال التلمسانى بسكون الياء
جمع مزكى هذا قول البصريين واجراه الكوفيون كالصحيح (فان قيل فامعنى المعضل) بكسر الضاد المعجمة أى الداء

كفلان كذاب أو غير ثقة أو اختل عقله أو دينه والجرح معروف استعير لذكر العيوب كقوله
* ولا يلتام ماجرح اللسان * وصار حقيقة فيه (و) كعادة (المزكين فى) تجريحهم (الشهود) اذا سألهم
الحاكم عنهم ليقبل شهادتهم أولا فيجب عليهم ذكر ما يعلمون من حالهم خيرا او شرا وسمى مزكيا وأصله
من تطهر بدفع المعايب ونفيها اشارة الى ان حق الانسان ان يتصف بالخير وشاع فى المعنى العام وكان
هذا واجبا لما فيه من دفع الفساد عن الاحكام الشرعية وصيانة حقوق الناس وقد استثنوا من الغيبة
مع ماذكر أمورا أخر فى صورستة ذكرناها فى غير هذا المحل وجمعها بعضهم أيضا فى قوله

القدح ليس بغيبة فى ستة * متظلم ومعرف ومحذر
والمظهر فسقا ومستفت ومن * طلب الاعانة فى ازالة منكر

فقول المصنف انها ليست بغيبة يجوز بقاؤه على ظاهره ان قلنا هذه لا تعد غيبة شرعا لجوازها أيضا أو
وجوبها فان قلنا انها ذكر المرء بما يكره فى غيبته مطلقا نقيده بقيد مقدر أى ليست بغيبة يأثم قائلها
وتمتنع عليه شرعا فلا يرد عليه شئ (فان قيل فما معنى المعضل) اسم فاعل من أعضل الامر اذا أشكل
وأعيى وكان هذا مشكلا لما سيأتى وليس المراد بالمعضل هنا مصطلح أهل الحديث وأصل الاعضال
عسر الولادة فاريد به ماذكر ووقع فى نسخة الفصل بفاء وصاد مهملة (الوارد فى حديث بريرة رضى الله
تعالى عنها) الذى رواه الشيخان وبريرة فعيلة بمعنى فاعلة أو مفعولة وكانت مملوكة لبعض الانصار أو
بنى هلال أولهما وقيل كانت لعتبة بن أبى لهب وقيل لبعض بنى كاهل وكانت تخدم عائشة رضى الله
تعالى عنها قبل عتقها وتوفيت فى زمن معاوية رضى الله تعالى عنه واختلف فى جنس بريرة فقيل كانت
قبطية غير سوداء وقيل حبشية سوداء (من قوله صلى الله تعالى عليه وسلم) بيان للحديث المعضل
(لعائشة) رضى الله تعالى عنها (وقد أخبرته ان موالى بريرة) أى المالكين لها (أبوا بيعها) أى امتنعوا
من بيعها واختلف فى المخبر له صلى الله تعالى عليه وسلم هل هو عائشة أو بريرة أو غيرهما كما وقع فى
روايات الحديث (الا ان يكون لهم الولاء) أى ولاء العتاقة وهو معروف فى كتب الفقه فانهم كانوا
كاتبوها فعجزت واستعانت بعائشة رضى الله تعالى عنها فقالت لها ان أراد أهلك دفعت لهم ثمنك
واعتقتك ويكون ولاؤك لى فابوا ذلك وكانوا كاتبوها على تسعة أواق فى كل سنة وللفقهاء اختلاف فى
صحة بيع المكاتب مطلقا أو اذا عجز كما بينوه (فقال صلى الله تعالى عليه وسلم لها) أى عائشة لما أخبرته
بقولهم (اشتريها) منهم (واشترطى لهم الولاء) كما أرادوا (ففعلت) أى اشترتها بشرط ان الولاء لهم اذا
أعتقتها والولاء عصوبة شرعية معروفة لحديث الولاء لحمة كلحمة النسب (ثم قام) صلى الله عليه وسلم
على منبره (خطيبا) على عادته فيما اذا أراد بيان أمر للناس (فقال) صلى الله عليه وسلم فى خطبته (ما بال
أقوام) أى ما شأنهم وحالهم وكان عادته عليه الصلاة والسلام ابهام من صدر عنه ما لا يرضاه فلم يقل ما بال
فلان والاستفهام انكارى (يشترطون شروطا) غير جائزة (ليست فى كتاب الله) ولم يشرعها لهم من أمور
الجاهلية (كل شرط ليس فى كتاب الله) ولا فى حديث نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم الذى هو حكمه (فهو
باطل) كشرط الولاء هنا لهم والشرط على أقسام جائز وممتنع ولغو وباطل وتفصيله فى كتب الفقه لا حاجة
للتطويل به هنا ثم بين وجه الاشكال فى الحديث بقوله (والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم
قد أمرها) أى عائشة رضى الله تعالى عنها بشرائها (بالشرط لهم) أى بشرط الولاء لهم

العضال المشكل الذى أعيى الفضلاء والحكماء فى باب الدواء وفى نسخة الفصل واحد الفصول بدل المعضل (الوارد فى حديث بريرة) براءين على زنة فعيلة وهى بنت صفوان مولاة عائشة وهى حبشية أو قبطية (من قوله عليه الصلاة والسلام لعائشة) كما فى الصحيحين (وقد أخبرته) أى عائشة (ان موالى بريرة أبوا بيعها) أى امتنعوا عنه (الا ان يكون لهم الولاء) بفتح الواو أى ولاء عتقها فانهم كاتبوها فعجزت فاتت عائشة تستعين بها فقالت ان أراد أهلك دفعت لهم ثمنك وأعتقتك ويكون ولاؤك لى فابوا (فقال لها عليه الصلاة والسلام اشتريها واشترطى لهم الولاء) هذا هو المعضل من الداء الذى تحير فى معالجته العلماء (ففعلت) اشترتها وشرطت لهم الولاء واعتقتها (ثم قام خطيبا) أى واعظا (فقال ما بال أقوام) أى ما حالهم وشأنهم (يشترطون شروطا ليست فى كتاب

الله تعالى) أى مما لم يرد بشرعيتها أحكام ليعمل بها (كل شرط ليس فى كتاب الله) أى
ولا فى سنة رسول الله (فهو باطل) ليس تحته طائل وفى بعض النسخ زيادة قوله شرط الله تعالى أوثق وقضاؤه أحق (والنبى صلى الله
تعالى عليه وسلم قد أمرها بالشرط لهم) وهذا مشكل

(وعليه باعوا) وهذا معضل (ولولاه) أي ولولا شرط عائشة لولائهم (والله تعالى أعلم) جملة معترضة (لما باعوها) أي بريرة (من عائشة كما لم يبيعوها قبل) أي قبل قبول عائشة شرطهم (حتى شرطوا ذلك عليها) أي على عائشة (ثم أبطله عليه الصلاة والسلام وهو قد حرم الغش) بقوله من غشنا فليس منا كما رواه الترمذي (والخديعة) أي وكذا حرم المكر والمكيدة بقوله تعالى ولا يحيق المكر السيئ الا باهله فهذا مشكل من وجوه فيحتاج الى جواب شاف كاف (فاعلم أكرمك الله تعالى ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مبرأ) أي منزه (عما يقع في بال الجاهل) أي قلب الغافل (من هذا) المقام الكامل (ولتنزيه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) عن ذلك وعدم ظهور تأويل ذلك لهم فيما هنالك (ما زائدة ٣٠٦ أو موصولة قد أنكر قوم) من المحدثين منهم يحيى بن أكثم (هذه الزيادة) أعني (قوله

أي وهي قوله (اشترطي لهم الولاء اذ ليست) هذه الزيادة (في أكثر طرق الحديث) أي حديث بريرة فلا اشكال في بقية الافادة وقد اعتل بتفرد مالك بها عن هشام بن عروة وانه لم يتابع عليه لكن الصحيح انه تابعه عليه أبو اسامة وجرير في طرق متعددة (ومع ثباتها) أي ومع صحة هذه الزيادة وهو المعتمد لان زيادة الثقة مقبولة بلا شبهة (فلا اعتراض بها اذ تقع لهم بمعنى عليهم) فان حروف الجر يستعار بعضها لبعض كما هو مقرر في محله من المغني ونحوه (قال الله تعالى أولئك لهم اللعنة) أي عليهم والاظهر ان اللام فيه للاختصاص أي اللعنة حاصلة لهم دون غيرهم (وقال وان أسأتم فلها) أي فعليها او عدل

من

عنها للمشاكلة أو للاختصاص كما قدمناه (فعلى هذا) القول بان اللام بمعنى على فالمراد (اشترطي عليهم الولاء لك) فانما هو لمن أعتق وهذا بعيد جدا من جهة المبنى والمعنى اما الاول فلأنه لا يصلح كون لهم هنا بمعنى عليهم وان صح في غيره لان اللام لا تكون كعلى الا حيث لا لبس فانه يقال اشترط له واشترط عليه كما يقال دعا له ودعا عليه وشهد له وشهد عليه وقضى له وعليه فلا ينوب أحدهما مناب الآخر فتدبر واما الثاني فلما قدمه المصنف من ان موالي بريرة لم يرضوا الا ان يكون ولاؤها لهم فلو رضوا لما وقع العتب في الخطبة عليه وان تكلف المصنف في دفعه بقوله (ويكون قيام النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ووعظه لما سلف لهم

اذا أعتقتها (وعليه باعوها) أي على هذا الشرط وقع بيعهم لها (ولولاه) أي شرط الولاء بضمير متصل وهو جائز والافصح انفصاله نحو لولا أنتم وبيانه في كتب النحو (والله أعلم) جملة معترضة بتفويض علمه لله تعالى تأدبا (ما باعوها من عائشة) رضي الله تعالى عنها لانهم أبوا البيع بدونه كما تقدم (كما انهم لم يبيعوها قبل) مبني على الضم أي قبل شرط الولاء لهم (حتى شرطوا ذلك) أي كون الولاء لهم (ثم أبطله) صلى الله عليه وسلم (وهو) أي والحال انه صلى الله عليه وسلم (قد حرم الغش) أي التلبيس واخفاء ما يضر مقابل النصح (والخديعة) فقال من غشنا فليس منا ولا خلابة أي لا خداع في المعاملة فكيف أمر صلى الله عليه وسلم عائشة بقول ما لا يجوز ولولاه ما باعوها ففيه غش وخديعة فدفعه بقوله (فاعلم أكرمك الله) كما أكرمت مقام النبوة بتنزيهه عما لا يليق به والجملة دعائية معترضة لدفع الاعتراض (ان النبي صلى الله عليه وسلم منزه) أي مبرأ ومبعد (عما يقع في بال الجاهل) بالحديث ومقام النبوة أي في فكره أو قلبه أو خاطره لا شأنه وحاله (من هذا الامر) الذي يتوهم انه غش وخديعة (ول) أجل (تنزيه النبي) صلى الله تعالى عليه وسلم (عن ذلك) الذي يتوهمه جاهل بما ذكر (ما قد أنكر قوم هذه الزيادة قوله) صلى الله تعالى عليه وسلم وهو بدل من الزيادة (اشترطي لهم الولاء) وانما أنكروها (اذ ليست في أكثر طرق الحديث) هذا ما ذهب اليه الخطابي وقيل ان الشافعي ذكره في الأم وانه وقع في طريق لم يتابع عليها وهو مردود وقد علمت ان الواقع في النسخ تنزيه بصيغة المصدر فما زائدة وهو ظاهر ورواه بعضهم ينزهه مضارع فاعرب فاعلا له والظاهر انه من تحريف الناسخ وعدم تثبت القائل (ومع ثباتها) وصحة روايتها وهو الذي عليه الاكثر ورواه الثقات من طرق متعددة صحيحة فلا وجه لانكارها لكنه اختلف في توجيهه بوجوه تأتي وحينئذ (فلا اعتراض بها) على هذا التقدير لان ثبوت هذه الرواية هو الذي ذكره الجمهور وقالوا انه ورد من طرق صحت وما قيل انها لم ترد الا من طريق واحد لم يتابع عليه مردود كما في شروح الصحيحين والحامل عليه ما ذكر من الاشكال وهو مدفوع بوجوه منها ما أشار اليه بقوله (اذ يقع) لفظ (لهم بمعنى عليهم) على ان اللام بمعنى على في كلام العرب كعكسه والشاهد عليه ما (قال الله تعالى أولئك لهم اللعنة) أي عليهم (وقال تعالى وان أسأتم فلها) أي فعليها كقوله ولهم سوء الدار (فعلى هذا) التأويل بجعل اللام بمعنى على كما في الآيتين يكون معنى الحديث (فاشترطي عليهم الولاء لك) يا عائشة فان الولاء لمن اعتق لا لمن باع (ويكون) على هذا التقدير (قيام النبي) صلى الله تعالى عليه وسلم على منبره (ووعظ) بقوله ما بال أقوام الى آخره انكارا وزجرا (لما سلف منهم) أي لما تقدم

من شرط الولاء لانفسهم قبل ذلك) فعلى هذا معنى قوله عليه الصلاة والسلام لعائشة اشترطي أظهري شرط الولاء لك وقيل معناه الوعيد الذي ظاهره الامر وباطنه النهي قاله محمد بن شجاع ومنه قوله تعالى اعملوا ما شئتم ومعناه التهديد على عمله ان عملوه لان صعوده على المنبر ونهيه دليل ذلك فتدبر (ووجه ثان) من وجوه الاجوبه (ان قوله) عليه الصلاة والسلام (اشترطي لهم الولاء ليس على معنى الامر) المجزوم به للتاكيد ولا للتهديد (لكن على معنى التسوية والاعلام بان شرطه لهم لا ينفعهم بعد بيان النبي صلى الله عليه وسلم لهم قبل) أي قبل ذلك والمعنى قبل قوله لها اشترطيه لهم (ان الولاء لمن اعتق فكأنه قال اشترطي أولا تشترطي) فهذه يكون من باب الاكتفاء والمعنى وان تشترطي (فانه شرط غير نافع والى هذا ذهب الداودي وغيره) من العلماء قاله الدلجي ويؤيده انه قد ورد في بعض طرقه اشترطي أولا تشترطي فانما الولاء لمن اعتق وفيه بحث اذ المراد به ان الولاء لمن اعتق سواء اشترط عند شرائه الولاء لنفسه أو لم يشترط بان أطلق الشراء وانما الكلام فيما اذا لم يرض البائع الا بشرط الولاء لنفسه نعم يرد عليه اذا علم ان هذا الشرط باطل في الشريعة فاراد صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله لها اشترطي ان شرطك لا يضرك هنالك بل يضرهم ذلك (وتوبيخ النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لهم وتقريعهم على ذلك) أي تصميمهم على شرطهم وامتناعهم من بيعها الا ان يكون لهم الولاء (يدل على علمهم به) بان شرطه لهم غير نافع (قبل هذا) التوبيخ والتقريع (الوجه الثالث) كأنه تفنن في العبارة (ان معنى قوله اشترطي لهم الولاء أظهري لهم حكمه) أي شريعته (وبيني عندهم سنته) أي طريقته وهو (ان الولاء انما هو لمن اعتق وان شرط لغيره فشرط الله تعالى أوثق وقضاؤه أحق ثم

من مواليها (من شرط الولاء لانفسهم) على بريرة بنت صفوان (قبل ذلك) أي قبل وعظه تاديبا لهم وارشادا لمن خالف كتاب الله وشريعته وهذا التوجيه منقول عن المزني واسنده البيهقي الى الشافعي رضي الله تعالى عنه وجزم به الخطابي وصححه وانكره غيره وقال النووي انه ضعيف لانه صلى الله تعالى عليه وسلم انكر اشتراطهم ذلك ولو كانت اللام بمعنى على لم ينكره وكون انكاره لارادتهم الاشتراط لهم أولا يأباه سياق الحديث وقال ابن دقيق العيد رحمه الله تعالى اللام تدل على اختصاص أمر ما ضارا كان أو نافعا كما تقول العقاب لزيد فلا حاجة لجعلها بمعنى على حيث لا لبس وعلى كل حال فضعف هذا الجواب ظاهر (ووجه ثان) عما استشكلوه في هذا الحديث بعد ثبوت روايته هكذا (ان قوله) صلى الله تعالى عليه وسلم في هذه الرواية لعائشة (اشترطي لهم الولاء ليس) صادرا منه صلى الله تعالى عليه وسلم (على معنى الامر) فان صيغة الامر ترد لمعان كثيرة نحو قوله تعالى كن فيكون كما بين في الاصول وان كان حقيقته المتبادرة منه الامر الطلبي ثم استدرك ببيان المراد به على هذا فقال (لكن) انما ورد منه أمر اشترطي (على معنى التسوية) أي تسوية الاشتراط وعدمه وأصله اشترطي أولا تشترطي كما يأتي وهذا المعنى يرجع الى الاباحة والتسوية من معاني أو وقد يضاف للامر أيضا وجمع بينهما بانه يفهم من قرينة السياق فيصح نسبته لكل منهما ويؤيده هذا وان قيل انه ضعيف جدا انه ورد في بعض طرق اشترطي أولا تشترطي فانما الولاء لمن اعتق ولما كان هذا يتوقف على ان الموالي كانوا يعلمون ان هذا الشرط شرعا غير معتبر اشار الى ذلك بقوله (والاعلام) بالجر عطف على التسوية (بان شرطه لهم) أي شرط الولاء للموالي المذكورين (لا ينفعهم) ولا يفيدهم شيئا منه لعدم وروده مما يجوزه (بعد بيان النبي) صلى الله تعالى عليه وسلم (قبل) مبني على الضم أي قبل وقوع هذه القصة (ان الولاء) انما هو (لمن اعتق فكأنه) صلى الله تعالى عليه وسلم على هذا التقدير (قال لها) أي لعائشة رضي الله عنها (اشترطي أولا تشترطي) فالاشتراط وعدمه سواء ويؤيده انه روي هكذا كما مر وانما استوى هو وعدمه (فانه شرط غير نافع) لانه لغو لا يفيدهم انتقال الولاء لهم (والى هذا) التوجيه (ذهب الداودي) وهو الامام أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد بن المظفر بن داود المعروف بالداودي كما تقدم في ترجمته (وغيره) من العلماء (وتوبيخ النبي صلى الله عليه وسلم لهم) أي تعييرهم بتقبيح فعلهم على منبره (وتقريعهم) بلومهم بين الناس (على ذلك) أي على امتناعهم بدون اشتراط الولاء لهم (يدل على علمهم به) أي بعدم نفع اشتراطهم (قبل هذا) أي قبل ما قاله صلى الله تعالى عليه وسلم لهم لانهم يكونون معذورين بجهلهم لهذا غير مستحقين للتقريع والتوبيخ فسقط ما قيل انه مخالف للظاهر متوقف على ثبوت علمهم بهذا الحكم قبل خطبته صلى الله تعالى عليه وسلم (الوجه الثالث) في الجواب عن هذا الاشكال (ان معنى قوله اشترطي لهم الولاء) خبر ان مقدر تقديره صحيح ونحوه اذ لا يصح اقتران الخبر بأي في قوله (أي أظهري لهم حكمه) من انه لمن اعتق لا يتخطاه لغيره وان شرطه له (وبيني) لهم (عندهم سنته) أي طريقته وما شرعه فهي بالمعنى اللغوي لا لمقابل الفرض (ان الولاء انما هو لمن اعتق) بفتح الهمزة والتشديد بدل من قوله سنته (ثم بعد هذا)

قام) أي هو كما في نسخة (صلى الله تعالى عليه وسلم) أي خطيبا واعظا (مبينا ذلك) لتعم الفائدة هنالك (وموبخا) لهم (على مخالفة ما تقدم منه فيه) وفي نسخة وموبخا على مخالفه بالاضافة هذا ومن قصة بريرة انها لما اعتقت وهي منكوحة مغيث اختارت نفسها ولم تقبل شفاعة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في زوجها فقد قيل انما فعلت ذلك ايثارا لخدمة النبي عليه الصلاة والسلام على خدمة زوجها وهو حسن مستحسن وذكر الغزالي في الاحياء وجها آخر وهو انه عليه الصلاة والسلام لبس يوما واحدا ثوبا من سندس ثم نزعه وحرم لبس الحرير وكانه انما لبسه أولا لتاكيد التحريم كما لبس خاتما من ذهب يوما ثم نزعه فحرم لبسه على الرجال وكما قال لعائشة رضي الله عنها في شان بريرة اشترطي لاهلها الولاء فلما اشترطته صعد المنبر فحرمه وكما اباح المتعة ثلاثة أيام ثم حرمها للتاكيد

الذي ذكره من عدم فائدة الشرط (قام هو صلى الله عليه وسلم) في خطبته (مبينا ذلك) الحكم (وموبخا) لهم (على مخالفة ما تقدم منه) صلى الله تعالى عليه وسلم من ان هذا الشرط لا يجدي نفعا وفيه اشارة لما قدمه من ان لهم علما بهذا الحكم قبل خطبته (فيه) أي في الولاء أو في أمر بريرة ولا يخفى ما في هذا الوجه من الاغلاق فان اراد قائله ان أمر اشترطي ليس على ظاهره وانما هو مجاز عن معنى أظهري لهم حكم الاشتراط وبيني لهم حكم الله فيه وطريق النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وشريعته في انه انما هو لمن اعتق فوجه المجاز فيه وعلاقته غير بينة وقد قيل في بيانه ان هذا الامر للتهديد لهم كقوله تعالى اعملوا فسيرى الله عملكم لانه سبق بيانه وكان أمر اعملوا ما لهم ولغيرهم فطلبهم له بعد ذلك أمر منكر مستحق للتوبيخ وقال الشافعي في الام انهم لما عصوا الله باشتراط ما قضى بخلافه أمرها ان تشترط لهم بحسب الظاهر حتى يزجرهم ويردعهم لان توبيخ من ارتكب المعصية بعد ارتكابها أقوى من زجره قبله وأعظم في النهي عنه فقال لها اشترطيه ليتأتى ردعه وقال بعضهم هذا الامر لترك المخالفة والنزاع والامر مجاز عن التخلية بينهم وبين ما ارادوا اظهارا لعدم امتثالهم للنهي السابق وهو ابلغ زجرا لا اباحة وهذا ما قرره المفسرون في قوله تعالى وما هم بضارين به من أحد الا باذن الله فعبر عن التخلية بينهم وبين الاضرار مجازا وقال النووي انه حكم خاص بعائشة رضي الله عنها وفيه نظر ثم استطرد ببعض ما وقع لغيره صلى الله عليه وسلم من الانبياء مخالفا لما قرره من براءتهم عما تقدم فقال (فان قيل فما معنى فعل يوسف) بن يعقوب نبي الله عليهما السلام (باخيه) شقيقه بنيامين (اذ جعل السقاية) هي اناء من فضة أو ذهب مرصع أو زبرجد وفيه أقوال أخر كان يشرب أولا منه ثم جعل صاعا يكال به ولها قيمة عظيمة فدسها يوسف أو امر باخفائها (في رحله) بين أمتعة أخيه ليأخذه بها وكان من شرعهم أخذ من سرق والرحل رحل البعير وأمتعة المسافر التي تحمل عليه (وأخذه) أي أخذ يوسف أخاه (باسم سرقته) أي بسبب نسبته لسرقة الصاع وأقحم اسم اشارة الى انها تهمة لا أصل لها كما يقولون ما لفلان من الامر الا اسمه (ما جرى على اخوته في ذلك) أي ما كان بينهم في تلك القصة كما بينه المفسرون والمؤرخون (وقوله) أي يوسف صلى الله تعالى عليه وسلم (انكم لسارقون ولم يسرقوا) فكيف يقول ما لا أصل له وهو نبي معصوم ففيه اشكال يشبه ما في قصة بريرة (فاعلم) علما يزيل عنك الشبه (اكرمك الله) بما من الله به عليك من العلم (ان الآية) التي في قصة يوسف عليه السلام (تدل) بظاهر النظم (على ان فعل يوسف) مع اخوته (كان عن أمر الله تعالى) له بوحي يقول فيه قل لهم كذا وافعل معهم كذا فلا يرد عليه اعتراض لانه بامر الله وبحكمه (لقوله تعالى كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك الا ان يشاء الله

أمر النكاح انتهى وفيه بحث لا يخفى اذ يقتضي هذا ان الاشتراط أولا كان حلالا ثم صار حراما فينبغي ان يكون العقد الاول بشرطه صحيحا وليس كذلك بل العقد صحيح والشرط باطل فرجع الاشكال بان فيه غررا بظاهر الحال (فان قيل فما معنى فعل يوسف عليه السلام باخيه) أي شقيقه بنيامين (اذ جعل السقاية) أي الصاع الذي كان يسقى فيه ويكال به أيضا لعزة الغلة في وقته وقد قيل كانت من زبرجد أو من ذهب أو فضة مرصعة (في رحله) أي وسط متاع أخيه (وأخذه) أي وأخذ يوسف أخاه وحبسه عنده (باسم سرقتها) أي بعنوان سرقته السقاية (وما جرى على أخوته في ذلك) بعمومهم (وقوله تعالى) حكاية عن المنادي ومن معه خطابا بالاخوة يوسف (انكم لسارقون ولم يسرقوا) جملة حالية (فاعلم اكرمك الله ان الآية) تدل على ان فعل يوسف عليه السلام كان) صادرا (عن أمر الله لقوله تعالى كذلك) أي مثل ذلك الكيد (كدنا ليوسف) أي بينا الكيد له بان أوحينا اليه ليأخذ أخاه في دين أبيه لانه أولى من حكم غيره وقيل الكيد هنا جزاء الكيد يعني كما فعلوا بيوسف في الابتداء فعلنا بهم حال الانتهاء حتى ضم يوسف أخاه الى نفسه وحال بينه وبين اخوته (ما كان ليأخذ أخاه) فيضمه الى نفسه في مثواه (في دين الملك) أي حكمه اذ كان من دينه ضرب السارق وتغريمه مثلي ما سرقه دون الاسترقاق (الا ان يشاء الله) بان يجعل ذلك الحكم حكم ملك مصر فالاستثناء من أعم الاحوال ويجوز ان يكون منقطعا أي لكن أخذه بمشيئة الله تعالى واذنه

(الآية) أي نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذي علم عليم والحاصل ان يوسف لم يكن ليتمكن من حبس أخيه في حكم الملك لولا ما كدناله بلطفنا حتى وجد السبيل الى ذلك وهو ما أجرى على ألسنة الاخوة ان جزاء السراق الاسترقاق فحصل مراد يوسف بمشيئة الخلاق (فاذا كان) الامر (كذلك فلا اعتراض به) أي فيه هنالك (كان فيه ما فيه) بدل من قوله فلا اعتراض به جواب لاذا أي والذي فيه هو انه كيف يجوز ان يأمر الله تعالى به ولا يبعد ان يكون التقدير فاذا كان ذلك باذن الله تعالى وتعليمه هنالك فلا اعتراض به على أي وجه كان فيه مما وقع فيه ثم رأيت الانطاكي قال يعني أي شئ كان بعد ان يكون ذلك بامر الله سبحانه وتعالى لان الملك ملكه وما فيه عبيده واماؤه وللمالك ان يتصرف في ملكه ما يشاء (وأيضا) يمكن ان يقال في دفع الاشكال (فان يوسف عليه السلام لما كان أعلم أخاه باني أنا أخوك فلا تبتئس) أي لا تحزن (بما كانوا يعملون) بنا فيما مضى فان الله تعالى قد أحسن الينا وجمعنا بخير تفضل علينا ونعم ما قيل

كما أحسن الله فيما مضى
كذلك يحسن فيما بقي

وروى انه قال ليوسف بعدما أعلمه أنا أخوك فانا لا أفارقك فقال لقد علمت اغتمام والدي بي فاذا حبستك ازداد غمه ثم لا سبيل الى ذلك الا ان أنسبك الى ما لا يجمل في حقك فقال لا أبالي فافعل ما بدا لك قال فاني أدس صاعي في رحلك ثم يقال انك سرقته ليتأتى لي ردك الى بعد تسريحك معهم قال فافعل ولله در القائل

فليس لي في سوى حظ
فكيف ما شئت فاختبرني

(الآية فاذا كان كذلك) أي ما فعله بامر الله تعالى وتعليمه واذنه له فيه (فلا اعتراض به) عليه فيما قاله وفعله وبما وقع من تكلمه بخلاف الواقع لانه يجب عليه امتثال أمر ربه ولو كان ما أمر به مخالفا لشريعته فانه لا يسئل عما يفعل وقد يأمر بعض أنبيائه ان يحكم بالباطن لحكمة كما في قصة الخضر مع موسى عليهما الصلاة والسلام وبه استدل من ذهب من الائمة الى جواز الحيل كأبي حنيفة وأصحابه خلافا للشافعية فان لهم فيها خلافا فمعنى كدنا ليوسف علمناه ما يكيد به اخوته حتى يأخذ أخاه منهم والكيد قريب من المكر وهو اظهار ما يخالف الباطن للتحيل على أمر يريده ودين الملك بمعنى طاعته ابقائه بمصر أو ما كان من دينه من أخذ من سرق وقوله الا أن يشاء الله يدل على ان فعله بارادته ورضاه وبهذا سقطت الشبهة المذكورة (وان كان فيه ما فيه) أي وان وقع فيه ما ذكر مما يخالف ظاهر الواقع ويقتضي الخديعة مما يليق بمقام النبوة (وأيضا) مما يجاب به عن هذه الشبهة (فان يوسف كان أعلم أخاه) بنيامين حين أخذه من اخوته بكيده وتدبيره فقال له سرا وهم لا يعلمون (باني أنا أخوك فلا تبتئس) أي لا تحزن فيكون عندك بؤس وشدة حين أسند لك السرقة وأخذك عندي وأمره ان لا يعلمهم بما قاله له فرضي وقال اذن لا أفارقك (بما كانوا يعملون) مما يقولون ويخافون (وكان ما جرى عليه) أي على أخي يوسف (بعد هذا) أي بعد اعلامه بما ذكر (من وفقه) بفاء وقاف أي من اتفاق جرى بينهما سرا (ورغبته) في الاقامة معه وانه لا عقوق فيه لابيه (وعلى يقين من عقبى الخير له به) أي لتيقنه ان هذه القصة يعقبها خير لهم ولابيهم لاجتماع شملهم وتعفو عما سلف منهم عاجلا (وازاحة) أي ازالة (السوء والمضرة عنه) أي عن أخيه (بذلك) أي بما علمه مما سيكون بعد رغبته في اقامته عنده وان لم يعلم اخوته به (وأما قوله) عز وجل في حكاية القصة (أيتها العير) أي اصحاب هذه الدواب والابل الحاملة لكم من عار بمعنى ذهب وجاء (انكم لسارقون) للصاع وهم لم يسرقون حقيقة فهو افتراء غير لائق (فليس من قول يوسف) عليه الصلاة والسلام وانما قاله غيره ممن لم يقف على حقيقة الحال (فيلزم) هو مرتب على النفي فهو منفي أيضا أي فلا يلزم (عليه جواب لحل شبهة) ترد عليه لانه كذب حقيقة وقوله لحل بلام جارة وفي نسخة بالباء وفي أخرى مضارع والكل صحيح متقارب المعنى الا انه قيل عليه انه محتاج للجواب عن اقرار يوسف قائله على أمر قبيح والاقرار على القبيح قبيح كفعله فان كان يوسف لم يسمعه لم يحتج لذلك (ولعل قائله) الذي هو غير يوسف (ان حسن) ببناء المجهول من التحسين (له التاويل) أي تاويل اسناد السرقة لهم (كائنا من كان) غير يوسف لعدم عصمته ونزاهته بخلافه هو (ظن

(كان ما جرى عليه بعد هذا من وفقه) أي وفق مرافقته وفي نسخة وفقته (ورغبته) أي ميله في اقامته (وعلى) أي وكان على (يقين من عقبى الخير له به) أي لبنيامين بسبب يوسف (وازاحة السوء) بضم السين وفتحها والازاحة بالزاي أي ازالة الشر (والمضرة عنه بذلك) التوفق (وأما قوله سبحانه وتعالى) حكاية (أيتها العير) أي اصحاب الابل ذات الاحمال من الطعام والاثقال (انكم لسارقون) أي في ظننا (فليس من قول يوسف) بل من مناديه (فيلزم) أي فلا يلزم (عليه جواب يحل شبهه) أي يزيلها وفي نسخة لحل شبهه أي لفك عقده (ولعل قائله ان حسن له التاويل) بصيغة المجهول مشدد السين أي ان صحح (كائنا من كان) أي بامر يوسف أو غيره (ظن

(على صورة الحال ذلك) أى رأى ظاهر حالهم كحال السارق لوجود ما ليس لهم بين أمتعتهم فظن سرقتهم له وان جاز ان يكون غفلة وسهوا أو وضعه فيها غيرهم (وقد قيل) فى الجواب أيضا ان كان القائل يوسف فهو (قال ذلك) نظرا (لفعلهم قبل) أى قبل هذه الحالة الواقعة (بيوسف و بيعهم له) من السيارة فانه فى معنى السرقة وهذا بناء على انهم باعوه بانفسهم لا من اخرجه من البئر أو لانهم لم يسرقوه وانما ذهبوا به باذن أبيهم ولم يبيعوه وانما ألقوه فى الجب لكنهم فى فعلهم هذا وما كان سببا له كمن سرق سرا و باعه فلا يرد عليه اعتراض بما ذكر (ولا يلزم) لنا (ان نقول) بضم النون للمتكلم مع غيره وفتح القاف وتشديد الواو المكسورة وفاعله نحن مستتر ومفعوله (الانبياء ما) أى ننسب لهم قولا (لم يأت) أى لم يرو وهو غير لائق بمقامهم (انهم قالوه) مع انه يجوز ان يكون القائل غيرهم كما ذكره آنفا (حتى يطلب الخلاص منه) بتأويله وصرفه عن ظاهره (ولا يلزم) أحدا من العلماء (الاعتذار عن زلات غيرهم) أى غير الانبياء عليهم الصلاة والسلام لعدم عصمتهم وجواز صدوره ومثله منهم

* (فصل) * فى بيان حكمة ابتلاء بعض الانبياء بالامراض ذكره بعدما قرر عصمتهم ونزاهة ذواتهم وصفاتهم واقوالهم وأفعالهم عن كل نقص لانه ربما يتوهم جاهل ان الابتلاء بمثله غير لائق بهم أيضا فقال (فان قيل) مقوله مقدر تقديره هم معصومون عن النقائص (فالحكمة) جواب الشرط (فى اجراء) الله (الامراض) والاسقام المؤلمة لابدانهم اللطيفة (وشدتها عليه) صلى الله تعالى عليه وسلم (وعلى غيره من الانبياء) صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وكانت امراضه صلى الله تعالى عليه وسلم أشد من غيره كما سيأتى وسئل عنه فقال انا كذلك يشدد علينا و يضاعف لنا الاجر وهو حديث صحيح رواه ابن ماجة و يأتى عن عائشة رضى الله تعالى عنها ما رأيت أحدا كان أشد عليه الوجع من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأيضا بدنه الشريف ألطف من غيره واللطيف يتأثر أكثر من تأثر الكثيف (وما الوجه فيما ابتلاهم الله) أى الانبياء (به من البلاء) بيان للضمير والوجه يكون بمعنى السبب الذى يوجه به يقال ما وجهه أى ما حكمته وسببه (وامتحانهم بما امتحنوا به) أى معاملتهم به معاملة المختبر ليظهر صبرهم ورضاهم والمراد بالمحن غير الامراض من المصائب كما سيأتى (كايوب) عليه الصلاة والسلام اذ ابتلاه بامراض شديدة (و يعقوب) عليه الصلاة والسلام فى حزنه وشدة بكائه حتى ضعف بصره (و يحيى) عليه الصلاة والسلام هذا امثال المحن لقتله (وزكريا) عليه الصلاة والسلام ابتلى بالقتل أيضا كما مر (وعيسى) عليه الصلاة والسلام ابتلاه باليهود وكيدهم (وابراهيم) عليه الصلاة والسلام ابتلى

(على صورة الحال ذلك) كما يقتضى المقال هنالك (وقد قيل قال ذلك) بامر يوسف هنالك (لفعلهم قبل) أى قبل ذلك (بيوسف) فانه كان سرقة فى المعنى من أبيه ومكيدة فى حق ابنه (و بيعهم له) حيث قال تعالى وشروه بثمن بخس دراهم معدودة أى باعه اخوته أو اشتراه السيارة من اخوته قولان للمفسرين وقد أغرب الدلجى حيث قال بعد قوله و بيعهم له وفيه ما فيه لانهم لم يسرقوا بل ذهبوا به باذن أبيهم ولم يبيعوه بل القوه فى غيابة الجب و رجعوا (وقيل غير هذا) من الاجوبة وفيما ذكرنا الكفاية (ولا يلزم ان نقول الانبياء) بتشديد الواو المكسورة أى ننسب اليهم (مالم يأت انهم قالوه حتى يطلب الخلاص منه) وانما يطلب الخلاص عما ثبت انه قولهم أو فعلهم وفى أصل الانطاكى ضبط يقول بالبناء للمجهول (ولا يلزم الاعتذار عن زلات غيرهم) ولو كانوا من أقاربهم وكان الشيخ المصنف ذهب الى ان اخوة يوسف ماوصلوا الى مرتبة النبوة وقد تقدم ذكر الخلاف فى هذه القضية فلا ينبغى الجزم لا بالاثبات ولا بالنفى كما هو طريق الجزم والله تعالى أعلم * (فصل فان قيل فالحكمة فى اجراء الامراض) أى انواع العلة (وشدتها عليه) أى على نبينا (وعلى غيره من الانبياء) الشامل للرسل وغيرهم على جميعهم السلام والتحية والاكرام (وما الوجه) أى التوجيه الوجيه (فيما ابتلاهم الله تعالى به من البلاء وامتحانهم) بانواع العناء (فيما) وفى نسخة بما (امتحنوا به) من الضراء فصبروا وكما شكروا على السراء (كايوب) وكانت تحته رحمة من نسل يعقوب وقضيته معروفة مشهورة وفى كتب التفسير وغيره مسطورة (و يعقوب) ابتلاه بالقاء

بفقد ولده وذهاب بصره (ودانيال) بكسر النون وكان عالما بتعبير الرؤيا حكى انه دخل بلاد الغرب وقيل قبره بالسوس و يقال انه نبى غير مرسل وكان فى أيام بخت نصر وهو أكرم الناس عنده فحسدته المجوس فوشوا اليه وقالوا ان دانيال وأصحابه لا يعبدون الملك ولا يأكلون ذبيحتك فسألهم فقالوا أجل فامر بخد فخد لهم فالقوا فيه وهم ستة وألقى معهم سبع ضارى ليأكلهم ثم راحوا من الغد فوجدوهم جلوسا والسبع مفترش ذراعيه لم يضرهم فآمن بخت نصر وقيل لم يؤمن والله سبحانه وتعالى أعلم (ويحيى) ابتلاه الله تعالى بذبحه (وذكريا) ابتلاه الله تعالى بنشره (وابراهيم) ابتلاه الله تعالى بالقائه فى النار

(ويوسف) ابتلاه الله تعالى بفراق أبيه وغيره (وغيرهم) من الأنبياء (صلوات الله تعالى عليهم) وفى نسخة على جميعهم (وهم) أى والحال (انهم خيرته) بكسر الخاء وسكون الياء وتفتح أى مختاره (من خلقه وأحباؤه وأصفياؤه) أى اجتباهم من بينهم لشرف ما بهم وكرم ما بهم (فاعلم وفقنا الله تعالى وإياك ان أفعال الله تعالى كلها عدل) كما ورد بالله المحمود فى كل فعاله (وكلماته) أى أحكامه (جميعا صدق) لا خلاف فى وعده ووعيده قال تعالى وتمت كلمت ربك صدقا وعدلا (لا مبدل لكلماته) أى لاحكامه (يبتلى عباده) أى يمتحنهم بما أراده تارة بمنحهم وأخرى بمحنهم لقوله ونبلوكم بالشر والخير فتنة (كما قال تعالى لهم) أى فى ضمن غيرهم ثم جعلناكم خلائف فى الارض من بعدهم (لننظر كيف تعملون) من الشر والخير فتجازون وفق أعمالكم واختلاف أحوالكم والابتلاء من الله تعالى ان يظهر من العبد ما كان يعلم منه فى الغيب (وليبلوكم) أى وقال خطابا عاما الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أى ليعاملكم معاملة الممتحن (أيكم أحسن عملا) أى أصوبه وأخلصه وقد ورد مرفوعا أحسن عقلا وأسرع الى طاعة الله تعالى وأورع عن محارمه وقيل أكثركم ذكر الموت واستعدادا لما بعده قبل الفوت وقيل أزهدكم فى الدنيا وأجهدكم فى العقبى وقال الله تعالى أيضا (وليعلم الله الذين آمنوا) عطف على علة مقدرة أى نداول الايام بين الانام لتتعظوا وليعلم الله يذانا بان الحكمة فيه كثيرة وان ما يصيب المؤمن من المصالح مما لا يعلمه غيره أو التقدير فعلنا ذلك ليتميز الثابتون على الايمان من المنحرفين عنه وهم المنافقون أم حسبتم ان تدخلوا الجنة (ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم) أى ما يتعلق علمه سبحانه وتعالى بجهادكم (ويعلم الصابرين) بالنصب على اضمار ان والواو للجمع أى لم يتعلق علمه بصبركم على اجتهادكم والقصد فى أمثاله ليس الى اثبات علمه ونفيه بل الى اثبات المعلوم ونفيه على طريق البرهان فى أمره فان علمه تعالى اذا تعلق بشئ لزم وجوده كما ان عدم تعلقه به ينافى شهوده وقال أيضا (ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم) قرئ فى السبعة بالنون والياء فى الافعال الثلاثة (فامتحانه) أى الله سبحانه وتعالى

بالقائهم وذله بالنار (ويوسف) عليه الصلاة والسلام ابتلى بفراق أبيه له والقائه فى السجن والجب (ودانيال) عليه الصلاة والسلام ويقال دانال أيضا وهم اسم أعجمى غير مصروف بدال مهملة وما فى بعض الكتب من انه يجوز اعجامها لا أصل له وقيل معناه الحكم لله وهو نبى غير مرسل كان فى زمن بخت نصر وكان من أعز الناس عنده فوشوا به له فالقاه وأصحابه فى الاخدود وهذا ما ابتلى به وقصصهم مفصلة يطول ذكرها (وغيرهم) من الانبياء كنوح وغيره ممن ذكر الله تعالى فى القرآن وبينه المفسرون (وهم خيرته من خلقه) حال مبينة لوجه ورود السؤال والخيرة المختار المجتبى بسكون الياء وقد تحرك والاول اسم والثانى مصدر وقيل الوجهان فيهما وقيل بالعكس والاول هو المعروف (وأحباؤه وأصفياؤه) أى الذين يحبهم ويحبونه وهم الذين اصطفاهم الله تعالى واختارهم لرسالته وقربه (فاعلم وفقنا الله وإياك) للوقوف على الحكمة فى أفعاله (ان أفعال الله تعالى كلها عدل) فلا يظلم أحدا من خلقه وان كان لا يجب عليه شئ وله ان يعذب كل من أراد لانه ملكه يتصرف فيه كما يشاء كما فصل فى الكلام (وكلماته) أى أخباره ووعده (صدق) أى صادقة كلها (لا مبدل لكلماته) أى لا يمكن أحدا ان يغير شيأ مما أخبر به وهذا اقتباس من قوله تعالى وتمت كلمات ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم فله ان (يبتلى عباده كما قال) عز وجل (لهم) ثم جعلناكم خلائف فى الارض من بعدهم (لننظر كيف تعملون) أى ليظهر للناس أعمالكم فيعلموا استحقاقكم لما أنعم به عليكم ويجازيكم عليه أعظم جزاء (و) قال لهم أيضا الذى خلق الموت والحياة (ليبلوكم أيكم أحسن عملا) أى أودع فيكم اذ أحياكم بالعقل والاحساس الذى صح فيه تكليف الاحكام وان يعاملكم معاملة المختبر فيجازيكم بما تستحقونه ولتضمن يبلو بمعنى يختبر العلم علق عن جملة أيكم الى آخره أو فيه تقدير يعلم كما فصله المفسرون وفيه كلام مشهور فى المغنى وشروح الكشاف (و) قال لهم أيضا أم حسبتم ان تدخلوا الجنة و(لما يعلم الله الذين جاهدوا منكم) نفى العلم والمراد نفى المعلوم الذى هو الجهاد ولما نافية جازمة بمعنى لم مع زيادة توقع المنفى فى الماضى فيما يستقبل (ويعلم الصابرين) منصوب بان مقدرة وقرئ بالرفع (و) قال لهم أيضا ولنبلونكم بالجهاد والتكاليف (حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين) على هذه المشاق (ونبلو أخباركم) أى ما يخبر به من أعمالكم وأحوالكم ساق المصنف هذه الآيات لبيان حكمة الابتلاء وقوله لنعلم ولننظر وما فى معناه مع تقدم علمه القديم وأفعاله تعالى لا تعلل بالاغراض عند بعضهم لبيان ما تعلق به علمه وانه حكم تترتب عليه كالاغراض الباعثة على الافعال والآيات دالة على انه تعالى يبتلى بعض عباده ليظهر صبره فيجازيهم أعظم جزاء ففيه تسلية لهم وحث على الرضى بما قدره لهم (وامتحانه)

(اياهم) أي الانبياء واتباعهم من الاولياء (بضروب المحن) وفنون البلاء والفتن (زيادة في مكانتهم) أي منزلتهم (ورفعة في درجاتهم) أي مراتبهم العالية حسا ورتبة (وأسباب لاستخراج حالات الصبر) على البلاء والجهاد مع الاعداء (والرضى) منهم بما قضى عليهم من السراء والضراء (والشكر) على النعماء والآلاء (والتسليم) في الامور (والتوكل) في الصدور (والتفويض) أي الاعتماد على رب العباد فيما

أراد (والدعاء) في البلاء والرخاء (والتضرع منهم) حال الاستدعاء والاستكفاء

عز وجل (لهم) أي لانبيائه عليهم الصلاة والسلام المذكورون في هذه الآيات (بضروب) وأنواع (من المحن) والمصائب التي ابتلاهم بها (زيادة) بالنصب مفعول لاجله (في مكانتهم) أي منزلتهم العالية بالشرف عنده وكذا قوله (ورفعة في درجاتهم) أي مراتبهم العالية حسا ومعنى (و) لاجل أن يكون (أسبابا لاستخراج) أي لاظهار (حالات الصبر) المركوزة في طباعهم من القوة الى الفعل حتى يعلمها الناس وفي نسخة رفع أسباب وما عطف عليه على انه خبر مبتدأ مقدر أي وهي أسباب الى آخره (والرضاء) في السراء والضراء بما قدره الله تعالى (والشكر) على كل حال لما يترتب عليه من الثواب الجزيل (والتسليم) بقبول كل ما فعل (والتوكل) على الله تعالى (والتفويض) بجعل أمرهم مفوضا اليه (والدعاء والتضرع منهم) أي اظهار التذلل والخضوع لله تعالى على كل حال (وتاكيدا) بالنصب والرفع وفي نسخة توكيدا وهي لغة فيه (لبصائرهم) جمع بصيرة وهي القوة المدركة للمعاني كالباصرة في المحسوسات فهم على بصيرة فيما ذكر ولكن الابتلاء ليبين بهم لما ذكر مقو ومؤكد ومبين لبصائرهم (في رحمة الممتحنين) اسم مفعول وهم من حلت بهم المحن والبلايا غيرهم (والشفقة على المبتلين) بفتح اللام جمع مبتلى اسم مفعول وهو من حلت به مثل بليتهم فانه لا يعرف الخطب الا من يقاسيه (وتذكرة لغيرهم وموعظة لسواهم) اذ السعيد من بغيره اتعظ فانهم مع جلالة قدرهم اذا لم يسلموا منها فكيف غيرهم ممن هو دونهم (ليتاسوا) أي يقتدوا بهم ويكون لهم بهم اسوة (في البلاء) الذي نزل بهم ويتسلوا أي يكون لهم سلوة تذهب حزنهم (في المحن) والمصائب (بما جرى عليهم) ووقع بهم (ويقتدوا بهم في الصبر) على ما أصابهم فيقولون اذا كانت أنبياء الله وأحباؤه ابتلوا بمثل هذا فما بالنا نحن (و) من جملة الحكم في ابتلائهم (محو الهنات) جمع الهنة وهي الهفوة اليسيرة ويكنى بها عن القبائح لكن وباقي ما في هذه اللفظة فالمعنى انها كفارة للصغائر وما يصدر عنهم سهوا وأمور تعد سيآت بالنسبة لهم اذا (فرطت منهم) أي وقعت بسبب تفريط يسير منهم تطهيرا لهم ورفعا لهم عن مثلها وان كانت جائزة (أو غفلات) بفتحات جمع غفلة وغفلتهم لاشتغال قلوبهم بامور أممهم (سلفت لهم) وتقدمت منهم وقد غفرت (ليلقوا الله) بعد ابتلائهم وجعل مصائبهم مكفرة لما صدر عنهم (طيبين) مبرئين من خبائث الذنوب ودنسها (مهذبين) أي خالصين مما يشينهم من التهذيب وأصله تنقية الاشجار بقطع الاطراف التي تزيدها عوا (وليكون أجرهم) أعظم عند الله و (أكمل) فان ما يصيب المؤمن حتى الشوكة يؤجر عليه كما سياتي (وثوابهم أوفر) أي أكثر (وأجزل) أي أعظم فيزيد كما وكيفا والاجر والثواب بمعنى وقد يفرق بينهما بان الاجر ما كان في مقابلة العمل كالاجرة والثواب ما كان تفضلا واحسانا من الله تعالى ويستعمل كل منهما بمعنى الآخر ثم ان المصنف رحمه الله تعالى استشهد على كونه صلى الله تعالى عليه وسلم أشد الناس بلاء بحديث رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه والحاكم فقال (حدثنا القاضي أبو علي الحافظ) هو شيخه ابن سكرة كما تقدم (قال حدثنا) وفي نسخة أخبرنا (أبو الحسين) مصغرا وما في بعض النسخ مكبرا غير صواب (الصيرفي) وقد تقدمت ترجمته (وأبو الفضل بن خيرون) تقدم أيضا (قالا

(وتاكيد) بالرفع وهو الظاهر وفي نسخة وتاكيدا (لبصائرهم في رحمة الممتحنين) بفتح الحاء (والشفقة على المبتلين) بفتح اللام وهو كالتفسير لما قبله (وتذكرة) أي تنبيه وتبصرة (لغيرهم) من أممهم (وموعظة لسواهم ليتاسوا) بتشديد السين أي ليقتدوا (في البلاء بهم ويتسلوا في المحن بما جرى عليهم ويقتدوا بهم في الصبر) على الاحوال كلها فانه كما قيل

هو المهرب المنجي لمن أحدقت به
مكاره دهر ليس منهن مذهب

(ومحو) بالرفع وفي نسخة ومحوا أي سبب عفو (الهنات) بفتح هاء وتخفيف نون أي زلات (فرطت منهم) أي صدرت عنهم وقد قال الشراح ان نسبة الهنات وهي الخصال السوء لا تليق الى الانبياء وان ذكره المصنف فالكل عالم هفوة (أو غفلات سلفت لهم) أي سبقت منهم (ليلقوا الله طيبين مهذبين) ظاهرا وباطنا مؤدبين (وليكون أجرهم أكمل) أي أكثر وأجمل (وثوابهم أوفر وأجزل) أي أتم وأعظم والله أعلم (حدثنا القاضي أبو علي الحافظ) أي ابن سكرة (ثنا أبو الحسين) بالتصغير هو الصحيح (الصيرفي وأبو الفضل بن خيرون) بفتح فسكون فهم يصرف ولا يصرف (قالا) أي كلاهما

حدثنا

(ثنا أبو على البغدادى) بدال مهملة ثم معجمة هو الرواية المعتمدة من الوجوه الاربعة المحتملة (قال ثنا أبو على السنجى) بكسر أوله (ثنا محمد بن محبوب) وهو راوى جامع الترمذى عنه (حدثنا أبو عيسى الترمذى) صاحب الجامع (ثنا قتيبة) أى ابن سعيد (ثنا حماد ابن زيد عن عاصم بن بهدلة) بسكون بين فتحتين أوله موحدة قيل هى أمه واسم أبيه عبد وهو أبو بكر ابن عاصم ابن أبى النجم وبهدلة مولى بنى أسد أحد القراء السبعة قرأ على السلمى وذر وحدث عنهما وعن جماعة وعنه شعبة والحمادان والسفيانان ثبت امام فى القرا آت قال الذهبى هو حسن الحديث قال وقال أبو زرعة وأحمد ثقة أخرج له البخارى ومسلم مقرونا لا أصلا وأخرج له الائمة الاربعة فلا يلتفت الى ماقال يحيى القطان ماوجدت رجلا اسمه عاصم الاوجدته ردىء الحفظ فانه منقوض بالامام عاصم هذا فانه حافظ الكتاب والسنة مات بالكوفة سنة ثمان أو سبع وعشرين ومائة (عن مصعب بن سعد) كنيته أبو زرارة روى عن على وطلحة ثقة نزل الكوفة وأخرج له الائمة الستة (عن أبيه) وهو سعد ابن أبى وقاص أحد العشرة المبشرة (قال قلت يارسول الله أى الناس أشد بلاء قال الانبياء ثم الامثل فالامثل) أى الاشبه فالاشبه من العلماء والاصفياء والافضل فالافضل من الصلحاء والاولياء (يبتلى الرجل على حسب دينه) بفتح السين أى على قدر يقينه (فما يبرح) أى فما يزال (البلاء) متعلقا (بالعبد) يطهر من الذنوب (حتى يتركه يمشى على الارض) أى ماشيا عليها (ماعليه خطيئة) ينسب اليها ويؤاخذ لديها والحديث رواه الترمذى وقال حسن صحيح وروى النسائى وابن ماجه والحاكم نحوه (وكما قال الله تعالى وكأين) وفى قراءة وكائن أى وكم (من نبى قتل) وفى قراءة قاتل (معه ربيون كثير) واحدها ربى أى جماعات كبيرة ويقال هم سادات كبيرة والربى منسوب الى الربة أى الجماعة وجمع للمبالغة وقيل منسوب الى الرب والكسر من تغييرات النسب أى علماء أو عابدون لربهم أتقياء (الآيات الثلاث) وهى قوله فما وهنوا أى ماجبنوا وما فتروا وما انكسروا لما أصابهم فى سبيل الله من قتل نبيهم أو بعض أكابرهم وما ضعفوا عن دينهم وما تغيروا عن يقينهم وما استكانوا ما خضعوا الاعدائهم والله يحب الصابرين على بلائهم وأمر ربهم وطاعة نبيهم وما كان قولهم الا أن قالوا أى الاقولهم ربنا اغفر لنا ذنوبنا أى سيئاتنا واسرافنا فى أمرنا التقصير فى طاعتنا وانصرنا على القوم الكافرين فى مجاهدتنا فآتاهم الله ثواب الدنيا من عزة ونصرة وغنيمة وحسن ثواب الآخرة

حدثنا أبو يعلى البغدادى) المعروف بزوج الحرة كما تقدم قال (حدثنا أبو على السنجى) تقدم بيان نسبته قال (حدثنا محمد بن محبوب) راوى سنن الترمذى كما تقدم قال (حدثنا أبو عيسى الترمذى) صاحب السنن المشهورة قال (حدثنا قتيبة) بن سعيد كما تقدم قال (حدثنا حماد بن زيد) تقدم وفى بعض نسخ الترمذى شريك بدل حماد (عن عاصم بن بهدلة) هو عاصم بن أبى النجود بن بهدلة مولى بنى أسد أحد القراء السبعة قال الذهبى هو ثقة فى الحديث والقرا آت توفى سنة ثمان وعشرين ومائة وله ترجمة فى الميزان وبهدلة بفتح الباء الموحدة وسكون الهاء وفتح الدال المهملة واللام وبعدها هاء ساكنة اسم أمه فيرسم بالالف ومعناه الخفة واسراع المشى وعوام مصر تستعمله بمعنى الاهانة فكأنه مجاز للزومه للخفة والنجود بفتح النون وضم الجيم وسكون الواو وبعدها دال وهى الحمارة الوحشية التى لا تحمل ويقال هى المشرفة قيل وكل عاصم فى المحدثين ردىء الحفظ هذا استقراء من الذهبى عن ابن القطان (عن مصعب بن سعد عن أبيه) هو سعد بن أبى وقاص مالك بن أهيب أحد العشرة المبشرة بالجنة وهو ثقة نزل بالكوفة وتوفى فى سنة ثلاث عشر ومائة وأخرج له الستة (قال) سعد (قلت يارسول الله أى الناس أشد بلاء) بالامراض وغيرها (قال الانبياء) عليهم الصلاة والسلام أشد الناس بلاء (ثم) يليهم فى شدة البلاء (الامثل فالامثل) الفاء للترتيب فى الشدة والامثلية بمعنى الافضلية يقال هو أمثل بنى فلان وأماثل القوم رؤساؤهم من المثالة وهى الفضيلة قال العباس

أبلغ لغير بنى شهاب كلهم * وذوى المثالة من بنى عتاب

وقال الراغب الامثل يعبر به عن الاشبه بالافضل والاقرب الى الخير وأماثل القوم خيارهم قال تعالى اذ يقول أمثلهم طريقة وطريقة مثلى حسنة (يبتلى الرجل على حسب دينه) الدين هنا بمعنى الطاعة أى بقدر طاعته وتقواه قوة وضعفا تكون بليته فلا تأتى أشدو أكثر بلاء (فما يبرح البلاء) أى لا يزال نازلا (بالعبد) المؤمن (حتى يتركه يمشى على الارض) وهو كناية عن وجوده أو صحته أى بصيره كذلك فان ترك يكون بمعناه كتركه جزر السباع وهو حقيقة أو مجاز من تركه بمعنى أبقاه كذلك (وما عليه خطيئة) ظاهره ان نفس الامراض والمصائب تكفر السيئات وانها تكفر الصغائر والكبائر لاطلاق هذا الحديث وما جاء بمعناه وقيل انما يكفر الصغائر ونفسها لا تكفر وانما يكفر الصبر عليها او احتسابها واليه ذهب ابن عبد السلام وسيأتى بيانه (وكما قال تعالى) كما يدل على ما دل عليه الحديث (وكأين من نبى قاتل معه ربيون كثير الآيات) يعنى فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب

من زيادة مثوبة ورفعة درجة وعلو رتبة والله يحب المحسنين فى كل حالة (وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه) أى مرفوعا كما رواه الترمذى وصححه (مازال البلاء بالمؤمن فى نفسه وولده وماله) يكفر عنه ذنوبه (حتى يلقى الله تعالى) أى يموت (وما عليه خطيئة) يؤاخذ بها (وعن أنس) كما رواه الترمذى أيضا وحسنه (عنه عليه الصلاة والسلام اذا أراد الله تعالى بعبده الخير) أى الكامل فى العقبى (عجل له العقوبة) أى بما يكون كفارة له (فى الدنيا واذا أراد الله تعالى بعبده الشر) أى السوء الكامل فى العقبى (امسك عنه بذنبه) أى من غير أن يكفره بشئ يكون بسببه (حتى يوافى) بكسر الفاء وفتحها أى حتى يأتى أو يؤتى (به) أى بذنبه وافيا والمعنى

الصابرين وما كان قولهم الا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا فى أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين ففى هذه الآيات مايدل على ابتلاء الانبياء وصبرهم وكثرة ثوابهم عليه وكأين بمعنى كم كما بينه النحاة ومن نبى تمييز لها والربيون جمع ربى منسوب الى الرب وفيه تغيير كتغييرات النسب وواحده ربى بكسر الراء وقيل انه نسبة للربة بمعنى الجماعة الكثيرة ويجوز اسناد قتل للنبى وقال الحسن البصرى وابن جبير لم يقتل نبى فى حرب أصلا وهنوا بمعنى فروا واستكانوا بمعنى ضعفوا وأصله استكنوا أو استكونوا من الكون وهذا تعريض لما أصابهم من الارجاف بقتل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم باحد وانه لو كان حيا كان مثل ماوقع لغيرهم وانهم مع شدة جهادهم وصبرهم مذعنون بمغفرة ربهم وان لم يصدر منهم ذنب تواضعا وخشية (وعن أبى هريرة) رضى الله تعالى عنه فى حديث رواه الترمذى وصححه (مازال البلاء) واقعا (بالمؤمن فى نفسه وولده وماله حتى يلقى الله) اذا مات أو حشر (وما عليه خطيئة) لان ما أصابه يكفر سيئاته كبيرة كانت أو صغيرة كما تقدم (وعن أنس) بن مالك رضى الله تعالى عنه (عنه صلى الله تعالى عليه وسلم) فى حديث رواه الترمذى أيضا وحسنه واسناده هذا للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم يشعر بان ماقبله موقوف الا أن له حكم الرفع لان مثله لا يقال بالرأى (اذا أراد الله بعبده الخير) فى آخرته (عجل له العقوبة فى الدنيا) بما يبتليه به فيها بما يمحو عنه الذنوب (واذا أراد بعبده الشر) فى عقباه (امسك عنه) مصائب الدنيا استدراجا له فلا يعاقبه ويبتليه بل يتركه (بذنبه) والباء للملابسة ومفعول امسك مقدر أى البلايا بدفعها عنه (حتى يوافى) ربه ويلقاه (به) أى بذنبه (يوم القيامة) فيجازيه عليه ان لم يرد العفو عنه ويوافى بفاء مكسورة مبنى للفاعل ومن فتحها وبناه للمجهول فقد تعسف (وفى حديث آخر) رواه الديلمى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه (اذا أحب الله عبدا ابتلاه ليسمع تضرعه) أى دعاءه متذللا له لمحبته لكلامه ومراجعته والتضرع بمعنى الدعاء ورد كثيرا وبه فسر لانه لازم فمن فسره بالتذلل والخضوع وفسر يسمع بمعنى يعلم لانه غير مسموع لم يصب (وحكى السمرقندى) رحمه الله تعالى (ان كل من كان أكرم على الله) وأحب اليه (كان بلاؤه) فى الدنيا (أشد) وأقوى من بلاء غيره فيها (كى يتبين فضله) فى الآخر أو فى الدنيا لمن لم يصبره (ويستوجب الثواب) أى يستحقه تفضلا من الله لوعده به (كما روى عن لقمان) الحكيم (انه قال) لابنه اذ وصاه (يابنى الذهب والفضة يختبران) ببناء المجهول أى يعلم خلوصهما وعدمه اذا أذيبا (بالنار) علم هل فيهما خبث أم لا (والمؤمن يختبر) ايمانه وقوته (بالبلاء) أى باصابته وصبره عليه وتضجره منه (وقد حكى ان ابتلاء يعقوب) بمفارقته (بيوسف) عليهما الصلاة والسلام وحزنه عليه (كان سببه التفاته اليه) أى الى يوسف (فى صلاته ويوسف نائم) عنده والتفاته (محبة له) منصوب أى لاجل محبته له فلما اقطع التوجه لله قطعه الله تعالى

يجاوى به (يوم القيامة) وسبب وروده ان رجلا أصاب ذنبا من قبله أو غيره فاتبع بصره الشخص فاصابه حائط فى وجهه فاقبل وهو ينضح دما فقال له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اذا أراد الله تعالى الحديث (وفى حديث آخر) رواه الديلمى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه (اذا أحب الله تعالى عبدا ابتلاه ليسمع تضرعه) أى تذلله فى أنينه وشكواه وخضوعه وبكاه (وحكى السمرقندى) أى أبو الليث (ان كل من كان أكرم على الله تعالى كان بلاؤه أشد) من بلاء غيره كى يتبين أى ليظهر (فضله) على غيره (ويستوجب الثواب) بقدره (كما روى عن لقمان) واختلف فى نبوته (انه قال لابنه) واختلف فى اسمه (يابنى) بفتح الياء وكسرها لغتان وقراءتان (الذهب والفضة يختبران) بصيغة المجهول أى يمتحنان (بالنار) فينظفان من وسخهما (والمؤمن يختبر بالبلاء) فيظهر من دنسه وخبثه (وقد حكى ان ابتلاء يعقوب بيوسف) أى بفقده (كان سببه التفاته فى صلاته اليه وهو) أى يوسف كما فى نسخة (نائم) لديه (محبة له) أى غيرة الهية عليه وأغرب الدلجى فى قوله ولا أقول بان هذا سببه لنزاهته عليه الصلاة والسلام عن قطع كمال اقباله على ربه فيها انتهى وغرابته لا تخفى وروى فى سبب ابتلائه عليه الصلاة والسلام ان الله تعالى أوحى اليه أتدرى لم فرقة

بينك وبين ولدك يوسف قال لا قال لقولك لاخوته اني اخاف ان يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون لم خفت عليه الذئب ولم ترجني ولم نظرت الى غفلة اخوته ولم تنظر الى حفظي (وقيل بل اجتمع) أي يعقوب (يوما هو وابنه يوسف) وأغرب الدلجي بقوله يوسف مفعول معه (على أكل حمل) بفتح المهملة والميم وهو الجذع من الضان له سنة أو أقل (مشوي وهما يضحكان) جملة حالية أي والحال انهما منشرحان منبسطان (وكان لهما جار يتيم فشم ريحه واشتهاه وبكى و بكت جدة له عجوز لبكائه) شفقة منها عليه (و بينهما جدار ولا علم عند يعقوب وابنه) بجارهما ولعله وقع لتقصير يعقوب في تفحص حالهما في جميع أوقاته فاندفع اعتراض الدلجي على المصنف بان الانسان لا يؤاخذ بما لم يعلم سيما اذا لم يجب عليه (فعوقب) أي يعقوب كما في نسخة (بالبكاء أسفا) بفتحتين أي للحزن والتأسف (على يوسف) في جميع أوقاته (الى ان سالت حدقتاه وابيضت عيناه من الحزن) اعترض الدلجي بان قوله وابيضت عيناه يدفع قوله سالت حدقتاه وهو وهم فاحش إذ الحدقة محركة سواد العين كما في القاموس (فلما علم بذلك) أي ببكائهما (كان بقية حياته يأمر مناديا ينادي على سطحه) أي فوق بيته (ألا) للتنبيه (من كان مفطرا) فقيرا أو غنيا (فليتغد) بالدال المهملة المشددة من الغداء وهو طعام أول النهار ويؤيده قوله مفطرا قال الحلبي وفي نسخة المعتمدة بالذال المعجمة وهو أبلغ منه بالمهملة انتهى وفيه ما تقدم (عند آل يعقوب) أي بنيه وأهل بيته أو عند نفسه وآل مقحم تفخيما لشانه وهذا كقوله تعالى مما ترك آل موسى وآل هارون (وعوقب يوسف بالمحنة) بنون بعد الحاء المهملة كذا ضبطوه احترازا عن تصحيفه بالمحبة بالموحدة (التي نص الله تعالى علينا) فيه اشكال اذ هو كان صغيرا دون البلوغ حينئذ لكن الله سبحانه وتعالى يفعل ما يشاء ولعل هذا من الحكم المجهولة عندنا كايلام الاطفال والله تعالى أعلم بالاحوال (و روى عن الليث) أي ابن سعد (ان سبب بلاء أيوب انه دخل مع أهل قريته على ملكهم فكلموه في ظلمه واغلظوا عليه في القول له الا أيوب فانه رفق به) بفتح الفاء من الرفق أي ألطف معه في كلامه رجاء ان يرتدع عن ظلمه ولا مانع من ان يكون رفقه به (مخافة على زرعه فعاقبه الله تعالى ببلائه) وجملة الكلام في هذا المقام على تقدير صحة نقل هؤلاء الاعلام ان لله ان يبتلي من شاء بما شاء من العمل اذ لا يسئل عما يفعل (ومحنة سليمان) أي وسبب بلائه (لما ذكرناه) فيما سبق

تعالى عنه بفرقته وهذا رواه القرطبي في تفسيره غير مسند (وقيل بل) سببه ان يعقوب (اجتمع يوما هو وابنه يوسف على أكل (حمل) بفتح الحاء المهملة والميم وهو الصغير من الضان لسنة أو أقل (مشوي وهما يضحكان) جملة حالية (وكان لهم جار) صغير (يتيم فشم ريحه) أي رائحة الحمل المشوي (واشتهاه) أي أحب الاكل منه (وبكى) على عادة الاطفال اذا ارادوا ما ليس عندهم (وبكت جدة له عجوز) رحمة (لبكائه وبينهما) أي بين يعقوب واليتيم (جدار) حائل بينهما (ولا علم عند يعقوب وابنه) يوسف عليهما الصلاة والسلام للحائل المانع عنه (فعوقب يعقوب) بسبب بكاء اليتيم والعجوز (بالبكاء اسفا) تأسفا وحزنا (على يوسف) عليه الصلاة والسلام لفقده (الى ان سالت) وخرجت (حدقتاه) والحدقة سواد العين وبياضها (وابيضت عيناه من الحزن فلما علم) يعقوب ببكاء اليتيم وجدته (كان بقية حياته) منصوب على الظرفية أي عمره كله بعد ذلك (يأمر مناديا ينادي) باعلى صوته (على سطحه) والنداء على المكان المرتفع يصل الى بعيد منه و يقول في ندائه (الا من كان) من الناس كلهم (مفطرا) غير صائم (فليتغد) بدال مهملة مشددة من الغداء و روي بمعجمة أيضا (عند آل يعقوب) أي أهل بيته وآل مقحم أي عنده وفي هذا الخبر ومن كان صائما فليفطر عندهم (وعوقب يوسف بالمحنة) أي البلية (التي قص الله علينا) في القرآن من السجن وغيره وحكى هذا عن المصنف الدميري رحمه الله تعالى في حياة الحيوان وقال لا ينبغي له ذكره فانه لا صحة له وان رواه الطبراني عن أنس عن شيخه ابن جهضم الباهلي وهو ضعيف الرواية جدا ورواه البيهقي في الشعب ومما يدل على عدم صحته ان قوله سالت حدقتاه لا أصل له وانه مع قوله لا علم لهما كيف يصح ان يعاقبا على ما لم يعلما كان قوله ابيضت عيناه بعد قوله سالت حدقتاه كلام متناقض وجعله تفسير السيلان تعسف بارد والصحيح انه لم يعم فان العمى لا يجوز على الانبياء عليهم الصلاة والسلام وفي الشرح الجديد ههنا كلام طويل بغير طائل (وروى عن الليث) ابن سعد الامام وقد تقدم (ان سبب بلاء أيوب) عليه الصلاة والسلام (انه دخل مع أهل قريته على ملكهم فكلموه في ظلمه) أي سببه (فاغلظوا عليه) بشدة لومهم له موعظة (الا أيوب) عليه الصلاة والسلام (فانه) لم يغلظ عليه لانه (رفق به) أي كلمه برفق ولين رجاء ان يثمر كلامه لتجبره كما قال تعالى لموسى عليه السلام فقولا له قولا لينا الى آخره (مخافة على زرعه) الذي في مملكته (فعاقبه الله ببلائه) الذي ابتلاه به من الامراض وهذا لا ينبغي ان يقال في حق الانبياء عليهم الصلاة والسلام فليت المصنف رحمه الله تعالى تركه (ومحنة سليمان عليه الصلاة والسلام لما ذكرناه) فيما مر وان المحنة كالمصيبة كما تقدم

(من نيته) أى خطورطويته (فى كون الحق فى جنب أصهاره) بفتح الجيم والنون أى جهة اصهاره كما فى نسخة (أوللعمل بالمعصية فى داره ولا علم عنده) كما تقدم بيانه فى أخباره (وهذه) أى الامور المرتبة على المحنة والبلية من الكفارة فى بعض القضية أورفع الدرجة العلية وفى نسخة وهذا (فائدة شدة المرض) من الحمى وغيرها (والوجع) من الصداع ونحوه (بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم قالت عائشة رضى الله تعالى عنها) كما فى الصحيحين (مارأيت الوجع على أحد أشد منه) أى من الوجع (على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعن عبدالله) كما رواه الشيخان وهو ابن مسعود فانه المراد اذا أطلق عند المحدثين فلا وجه لقول الدلجى لعله ابن مسعود أى ابن عمر مع انه لا وجه فيما يحصره اذ يحتمل ابن عباس وابن عمر وابن الزبير وغيرهم اذ فى الصحابة من يقال له عبدالله كثير قال الحلبى عبدالله هذا هو ابن مسعود انما نبهت عليه لان فى الصحابة من يقال له عبدالله فوق الاربعمائة وقال ابن الصلاح انهم نحو مائتين وعشرين قيل وثلاثين وقيل هم ثلثمائة واربعة وستون وهذا الاختلاف فى عددهم انما وقع لان منهم من كرر الاختلاف فى اسم أبيه أو فى اسمه هو ومنهم من لم يصح له صحبة عند هذا وصح له عند غيره والله تعالى أعلم أقول والاظهر ان يحمل على زيادة تتبع بعضهم (رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى مرضه يوعك) بصيغة المجهول (وعكا شديدا) بسكون العين المهملة وتحرك أى شدة الحمى وحدتها فى وجعها (فقلت انك توعك وعكا شديدا قال أجل) أى نعم (انى لاوعك) وفى نسخة أوعك (كما يوعك رجلان منكم قلت ذلك ان لك) وفى نسخة ان ذلك (الاجر مرتين قال أجل ذلك) الامر (كذلك) والاظهر لذلك باللام أى أجل ذلك لاجل ذلك (وفى حديث أبى سعيد رضى الله تعالى عنه) رواه ابن ماجه والحاكم (ان رجلا) يحتمل الراوى وغيره والاول أولى لرواية ابن ماجه ان أبا سعيد هو الذى وضع يده لكن لا يبعد أن يكون غيره أيضا (وضع يده على النبى صلى الله

تعالى

(من نيته من كون الحق فى جنبة أصهاره) بفتح الجيم والنون و بسكونها أيضا وموحدة بمعنى الجانب والناحية وفى نسخة جهة وفى أخرى حنة بنقطة فوق وهو تحريف من الناسخ كما فى المقتفى قال الراغب الصهر الختن وأهل بيت المرأة يقال لهم أصهار كما قاله الخليل وكل محرم (أو) بليته انما كانت (للعمل بالمعصية فى داره ولا علم عنده) بما صدر منهم من المعاصى بما اقترفته اليهود من انه عليه الصلاة والسلام قتل ملكا له بنت جميلة تسمى جرادة فكانت عنده وأسلمت ثم كانت تبكى على أبيها فامر الشياطين ان يمثلوا لها صورة أبيها ففعلوا فكسته واعدت له بيتا فكانت تذهب اليه وتسجد لصورته وهو لا يعلم واستمر ذلك مدة اربعين يوما فسلبه الله تعالى ملكه وابتلاه بما ابتلاه به وهو ما أشار اليه بالجواب الثانى وقوله من كون الحق جواب آخر وهو ان جرادة بنت صيدون الملك التى تزوجها سليمان عليه الصلاة والسلام وأحبها تخاصم عنده ناس مع آخرين من أقارب امرأته فحكم بالحق لغيرهم وتمنى ان يكون الحق لهم وهو وان لم يكن حراما فى شرعنا وغيره لكنه بالنسبة لمقامه يعد ذنبا وفى كتب القصص أسباب أخر لا ينبغى ذكرها (وهذه) الامور المذكورة التى ابتلى بها الانبياء عليهم الصلاة والسلام ليزداد ثوابهم وغيره مما مر (فائدة شدة المرض والوجع) النازل (بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم) فكان يوعك كما يوعك الرجلان كما (قالت عائشة) رضى الله تعالى عنها فى حديث رواه الشيخان عنها (مارأيت الوجع) فى الامراض (على أحد) من الناس (اشد منه على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) لما تقدم من حكمته (وعن عبدالله) أى ابن مسعود رضى الله تعالى عنه لا ابن عمر رضى الله تعالى عنهما كما قيل (رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى مرضه) الذى كان يعرض له (وهو) أى والحال انه (يوعك) بضم أوله وفتح عينه المهملة المخففة (وعكا) بفتح العين وسكونها (شديدا) أى أشد مما من غيره اذا أصابه مثله (فقلت له) يارسول الله (انك لتوعك وعكا شديدا قال أجل) بفتحتين بمعنى نعم فهو جواب له (انى أوعك كما يوعك) أى أحم كما يحم (رجلان منكم) أيها المسلمون أو الصحابة أو الناس قال عبدالله بن مسعود (قلت ذلك) أى شدة وجعك وكونه كوجع رجلين (ان) بفتح وتشديد أى لان لك (أجرك) وفى نسخة الاجر (مرتين) أى ليضاعف لك الثواب وفى رواية ان لك أجرين (قال أجل) نعم (ذلك) التضاعف (كذلك) أى هو كما قلت أمر محقق وجهه وحكمته كما مر وأصل معنى الوعك الحر الشديد ويراد به الحمى وألمها وحرارتها وقد يراد به المرض الخفيف والمراد الاول هنا كما تقرر وما ذكر لا ينافى ما مر من قول الملكين انه صلى الله تعالى عليه وسلم لو وزن باهل الارض رجح عليهم كما توهم لان ذلك فى الفضل والكمال وهذا فى العلة والمرض فخروج زيادته عن الحد غير مناسب فلا حاجة لما ارتكب فى الجواب عنه من التعسف الذى لا داعى له (وفى حديث) رواه ابن ماجة والحاكم عن (أبى سعيد) بن مالك بن سنان الخدرى وقد تقدم (ان رجلا وضع يده على) جسد (النبى صلى الله

تعالى عليه وسلم) ليختبر حماه أشديدة هي أم خفيفة (فقال والله ما أطيق أضع) وفي نسخة ان أضع (يدي عليك من شدة حماك)
فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انا معشر الانبياء) بالنصب على الاختصاص أو المدح أي جماعتهم (يضاعف لنا البلاء) على
مقدار ما لنا من الولاء (ان) مخففة من الثقيلة أي انه أي الشان (كان النبي) أي فرد من افراد هذا الجنس (ليبتلى بالقمل حتى يقتله)
لكثرته وما ذاك الا لرفعة مرتبة النبي وعلو درجته (وان كان النبي ليبتلى بالفقر) أي الجوع حتى يقتله (وان كانوا) أي الانبياء
(ليفرحون بالبلاء كما تفرحون) أي انتم (بالرخاء) المتضمن للنعماء لقوة يقينهم

في أمر دينهم وتسليم أمرهم عند حكم ربهم وفي العدول عن الغيبة الى الخطاب ايماء الى انهم لا يفرحون بالرخاء وقد أورد المصنف في الباب الثاني من القسم الاول حديثا يقرب من معنى هذا الحديث وهو انه عليه الصلاة والسلام قال لقد كان الانبياء قبلي يبتلى أحدهم بالفقر والقمل وكان ذلك أحب اليهم من العطاء اليكم (وعن أنس) كما رواه الترمذي وحسنه (عنه صلى الله تعالى عليه وسلم ان عظم الجزاء مع عظم البلاء) بكسر العين وفتح الظاء ويجوز ضمها مع سكون الظاء أي فمن كان بلاؤه أكثر وأكبر فجزاؤه أتم وأوفر (وان الله تعالى اذا أحب قوما ابتلاهم فمن رضي) بالقضاء (فله الرضى) من الله تعالى وجزيل الثواب وجميل المآب

تعالى عليه وسلم) كما يفعله العواد للمريض ليعلموا حرارة جسده أشديدة هي أم لا (فقال والله ما أطيق) أي ما أقدر ولا أستطيع مبالغة في شدة حرارته (أضع يدي عليك) وأمس جسدك (من شدة حماك) بضم الحاء المهملة وفتح الميم المشددة أي حرارتها ويقال حمى وحمة والافصح الاول (فقال) صلى الله تعالى عليه وسلم له (انا معشر الانبياء) بنصب معشر على الاختصاص والمدح كما بينه النحاة في بابه (يضاعف لنا البلاء) أي يزاد وضعف الشيء مثله أو مثلاه على كلام فيه في كتب اللغة (ان كان النبي) من الانبياء المتقدمين بكسر الهمزة من ان المخففة من الثقيلة بشهادة اللام في خبرها في قوله (ليبتلى) واسمها ضمير شان مقدر (بالقمل) بفتح فسكون أو بضم فتشديد وهو معروف (حتى يقتله) أي يموت من شدة ألمه وفي سنن ابن ماجة ان الرجل الذي وضع يده على جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن سعيد أيضا والمصنف رحمه الله رواه من طريق آخر لم يصرح فيها باسمه فلا وجه للقول بانه سبق من قلم الناسخ (وان كان النبي) من الانبياء (ليبتلى بالفقر) الشديد وهو بحسب ظاهر حالهم وانما تركهم الدنيا زهدا منهم (وان كانوا) أي الانبياء وان هذه كالتي قبلها أي عادتهم وجبلتهم (ليفرحون بالبلاء) أي يسرون بمصائب الدنيا لما يعلمون من انها رفعة لقدرهم وزيادة لاجرهم كما تقدم فالبلاء بمعنى ما ابتلوا به في الدنيا من الامراض وغيرها (كما يفرحون) بالتحتية أو بتاء الخطاب (بالرخاء) وهو سعة المعيشة وحسن الحال والمراد به مقابل البلاء وذلك لشدة يقينهم بربهم وعلمهم بما ادخره لهم في مقابلة ما نزل بهم وهذا بعد وقوعه فلا ينافي الدعاء بالعفو والعافية المعينة لهم على الطاعة والقيام بما أمروا به ولكل مقام مقال فلا تعارض بينهما فان الامور بمقاصدها ولا ينافيه أيضا ما مر من انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان متواصل الاحزان كما تقدم (وعن أنس) بن مالك رضي الله تعالى عنه في حديث رواه الترمذي وحسنه (ان عظم الجزاء) أي الثواب (مع عظم البلاء) أي لا ينفك عنه مضاعفة كما مر وعظم بضم العين المهملة واسكان الظاء المعجمة أو بكسر ففتح أي من كان بلاؤه أعظم كان جزاؤه أعظم عند ربه (وان الله اذا أحب قوما ابتلاهم فمن رضي) من الله عز وجل بما ابتلاه الله تعالى به (فله الرضى) من الله تعالى عنه بجزيل ثوابه (ومن سخط) أي كره قضاء الله ولم يرض به (فله السخط) أي غضب الله تعالى عليه وعقابه له فاذا صبر ولم يجزع بما أصابه رضاء بقضائه كان ذلك له مثوبة وأجرا فلا يتوهم انه ليس أمرا اختياريا له فان ما ذكر من الصبر وعدم الشكوى أمر اختياري اما حزنه من غير جزع ولا ضجر فلا يضره كما في الحديث ان القلب ليحزن وان العين لتدمع (وقد قال المفسرون في قوله تعالى من يعمل سوءا يجز به) عاجلا وذلك (ان المسلم يجزى بمصائب الدنيا فتكون كفارة له) أي لذنوبه ان كانت وزيادة في ثواب غير المذنب (و) هذا التفسير يروى عن أبي بكر رضي الله تعالى عنه قال المصنف انه (روي مثل هذا عن عائشة) رضي الله تعالى عنها وهو الذي رواه الحاكم (و) عن (أبي و) عن (مجاهد)

(ومن سخط) بكسر الخاء أي كره (فله السخط) بفتحتين أي الغضب وأليم العذاب ودوام الحجاب (وقال) وفي نسخة وقد قال (المفسرون في قوله تعالى من يعمل سوءا يجز به ان المسلم يجزى بمصائب الدنيا فتكون له كفارة) حتى لا يعذب في العقبى (وروي هذا) أي قول المفسرين في نسخة وروي مثل هذا (عن عائشة وأبي) أي ابن كعب (ومجاهد) كما رواه أحمد والحاكم عنهم ومثل هذا ما يقال بالرأي فهذا الموقوف في حكم المرفوع وقد ذكر البغوي في تفسيره باسناده عن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه قال كنت عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فانزلت عليه هذه الآية من يعمل سوءا يجز به فقال عليه الصلاة والسلام يا أبا بكر ألا

اقرئك آية انزلت علي قال قلت بلى يارسول الله فاقرأنيها قال ولا أعلم اني وجدت انفصاما في ظهري حتى تمطيت لها فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مالك يا أبابكر فقلت يارسول الله بابي أنت وأمي وأينا لم يعمل سوأ وانا لمجزيون بكل سوء عملناه فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اما أنت يا أبا بكر وأصحابك المؤمنون فيجزون بذلك في الدنيا حتى تلقوا الله تعالى وليست لكم ذنوب وأما الآخرون فيجتمع ذلك لهم حتى يجزوا يوم القيامة وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنه لما نزلت هذه الآية شقت على المسلمين وقالوا يارسول الله وأينا لم يعمل سوأ غيرك فكيف الجزاء قال منه ما يكون في الدنيا فمن يعمل حسنة فله عشر حسنات ومن جوزي بالسيئة نقصت واحدة من عشره وبقيت له تسع حسنات فويل لمن غلب آحاده عشراته وأما ما كان جزاء في الآخرة فيقابل بين حسناته وسيئاته فتلقى مكان كل سيئة حسنة وينظر في الفضل فيعطى الجزاء في الجنة فيؤتى كل ذي فضل فضله وفي رواية عن أبي بكر حين نزلت الآية فمن ينجو مع هذا يارسول الله قال لاتحزن اماتمرض واما تصيبك اللأواء قال بلى يارسول الله قال هو ذاك (وقال أبو هريرة رضي الله تعالى عنه عليه الصلاة والسلام) كما في صحيح البخاري (من يرد الله تعالى به خيرا يصب منه) بضم أوله وكسر صاده ويفتح أي ينزل به مكروها ليثاب عليه (وقال) أي النبي عليه الصلاة والسلام كما في صحيح مسلم (من رواية عائشة مامن مصيبة تصيب المسلم) أي من الامر المكروه (الا كفر) وفي نسخة الا يكفر (الله تعالى بها عنه) أي ذنوبه (حتى الشوكة) بالحركات الثلاث والاظهر الجر على ان حتى عاطفة أو بمعنى الى أو الرفع على ان الشوكة مبتدأ والخبر قوله (يشاكها) بضم الياء والضمير القائم مقام الفاعل عائد الى المؤمن والتقدير يشاك المؤمن تلك الشوكة والمراد شوكة العضاة وأبعد التلمساني في تجويزه ان الشوكة ذات الجنب أي تصيبه فيمرض منها قال فعلى الاول غاية في الضعف وعلى الثاني غاية في القوة انتهى والاولى أولى كما لايخفى

أيضا (وقال أبو هريرة) رضي الله تعالى عنه في حديث رواه البخاري (عنه) صلى الله تعالى عليه وسلم (من يرد الله به خيرا يصب منه) روي ببناء الفاعل والمفعول أي ينزل به مكروها ومصيبة في الدنيا يثاب عليها واختلف في أي الروايتين ارجح فقال ابن الجوزي الثاني وقال ابن حجر الاول والكل وجهة لان الاول فيه أدب لعدم اسناد المصائب لله والثاني فيه تسليم بجعل كل شئ منه واليه وماذكر في الآية هو أحد وجهين فيها فيكون في حق المؤمنين وثوابهم على مصائبهم كما ورد في الحديث وقيل انها في حق الكفار ومعناها كمعنى قوله تعالى وهل يجازى الا الكفور وهو مروي عن الحسن ويؤيده قوله بعدها ولا يجدله من دون الله وليا ولا نصيرا وتتمته في كتب التفسير وشروح البخاري (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث رواه الشيخان (في رواية عائشة) رضي الله تعالى عنها فيه (مامن مصيبة تصيب المسلم) أي مصيبة كانت قليلة أو كثيرة وفيه التجانس المغاير اذا حذى كلمتي المادة اسم والاخرى فعل ومثله أزفة الآزفة (الا يكفر الله بها عنه) أي من ذنوبه أو يزيد بها في حسناته (حتى الشوكة يشاكها) في بدنه فانها مع قلتها يكفر بها عنه تفضلا منه والمصيبة واحدة المصائب كل ما يصيب الانسان من خير أو شر وخصها العرف بالثاني وقيل الاول من صوب المطر والثاني من اصابة السهم وأجمعت العرب على همزة المصائب وأصله الواو وكأنهم شبهوا الاصلي بالزائد ويجمع على مصاوب وهو الاصل وقوله حتى الشوكة يجوز جرها بحتى بمعنى الى ورفعها على انها ابتدائية وجوز نصبها بمقدر أي حتى تجد الشوكة وهو بعيد ويشاكها بضم أوله أي تدخل في جلده بنفسها أو بادخال الغير أي يشوك غيره بها ففيه وصل الفعل لان الاصل يشاك بها وجوز بعضهم فتح ياء يشاك التحتية ونسب للجوهري ولا وجه له لانه مضارع شاك الرجل اذا كان له شوكة وقوة وهو معنى آخر والشوكة معروفة وهي في غاية القلة وكونها بمعنى ذات الجنب وهو غاية في الشدة تعسف وروى * الاحط الله بها عنه خطيئة أو كتب له بها حسنة أو رفع له بها درجة * واعلم ان العز بن عبد السلام قال ظن بعض الجهلة ان المرء يؤجر على نفس المصائب وليس كذلك فان الثواب انما يكون على ما يفعله باختياره ولا دخل له في ذلك فثوابه انما هو على صبره ورضائه بما قدره الله تعالى وعدم شكايته ورده السخاوي بانه مخالف للنصوص من غير بيان لوجهه وقال القرافي لايجوز ان يقال للمصاب جعل الله ذلك كفارة للث لان الشارع جعله كفارة فهو تحصيل للحاصل. وسوء أدب وأنا أقول ما قاله العز لاوجه له ولا يليق صدور مثله منه فانه تعالى له أن يثيبه ابتداء وان يجعل ما اتفق له بغير فعله سببا لذلك ومثله من خطاب الوضع ألا ترى ان من قتل قتيلا واستحق وارثه الدية حصل له نفع دنيوي بغير فعله فهذا أيضا مما جعله الله سببا لثواب عبده المؤمن رحمة له وتحننا عليه كما ترى بعض كرام الناس اذا أذى أحدا ينعم عليه جبرا لخاطره فكيف ينكر مثله من الله عز وجل ويزيد في ثوابه اذا صبر ورضي وفي كلام شيخ والدي ابن حجر

الهيثمي

الهيثمى نص الشافعى فى الام بما يصرح بان نفس المصيبة يثاب عليها التصريحه بان كلا من المجنون والمريض المغلوب على عقله ماجور ومثاب يكفر عنه بالمرض فحكم بالاجر مع انتفاء العقل المستلزم لانتفاء الصبر وحمل النص على مريض صبر عند ابتداء مرضه ثم استمر صبره الى زوال عقله يرده انه سوى بين المريض والمجنون فى الثواب ومثل ذلك لا يتصور فى المجنون فالحمل المذكور غلط منشاه الغفلة عما ذكروه فى المجنون والحاصل ان من أصيب وصبر حصل له ثوابان غير التكفير لنفس المصيبة وللصبر عليها ومثله كتابة مثل ما كان يعمله من الخير وغير ذلك مما ورد فى السنة وان من انتفى صبره فان كان لعذر كجنون فهو كذلك أو لنحو جزع لم يحصل له من ذينك الثوابين شئ انتهى ملخصا وما قاله القرافى ليس بشئ أيضا فانه قد تقصد الدعاء به وحاصل لزيادته أو تنبيه سامعه وغيره ولو قيل به له لم تجز الصلاة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم والدعاء له بالوسيلة والدرجات العالية وهى محققة له وقد أمرنا بالدعاء بها كما تقرر فى محله (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه الشيخان (فى رواية أبى سعيد) الخدرى رضى الله عنه (ما يصيب المؤمن من نصب) بفتحتين أى تعب يناله من سعيه فى بعض أموره الجائزة له (ولا وصب) أى وجع أو لزومه أو فتور فى بدنه وقد فسر بهذه فى اللغة (ولا هم) بفتح الهاء وتشديد الميم وهو قريب من الغم معنى وقد يفرق بينهما بان الهم يكون لما لم يقع والغم على ما وقع كما مر (ولا حزن) بفتحتين وبضم فسكون وهما من أمراض الباطن ولذلك ساغ عطفهما على الوصب (ولا أذى) يلحقه من تعدى الغير عليه (ولا غم) وأصله ما يمنع خروج النفس وأريد به ما ذكر (حتى الشوكة يشاكها) تقدم بيانه (الا كفر الله بها من خطاياه) من زائدة أو تبعيضية لان بعضها لا يكفر بها كحقوق العباد (وفى حديث ابن مسعود) رضى الله تعالى عنه الذى رواه الشيخان (ما من مسلم يصيبه أذى) أى أمر يؤذيه فى بدنه أو نفسه (الا حات الله عنه خطاياه) بالحاء المهملة المفتوحة بعدها ألف وتاء مشددة وأصله حاتت فادغم وحات وحت بمعنى أزال يقال حت المنى من الثوب اذا فركه ليزيله والورق تحات اذا تناثر وتساقط منه (كما تحات) وفى نسخة كما تحت (ورق الشجر) هو كناية عن اذهاب الخطايا فشبه سقوط ذنوبه بعفوها بتناثر أوراق الشجر منها وفى حديث عائشة رضى الله تعالى عنها عند الطبرانى فى الاوسط بسند جيد من وجه آخر ما ضرب على امرئ عرق الا حط الله به عنه خطاياه وكتب له به حسنة ورفع له درجة وفى حديثها عند الامام أحمد أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم طرقه وجع فجعل يتقلب على فراشه ويشتكى فقالت له عائشة لو صنع هذا بعضنا لوجدت عليه فقال ان الصالحين يشدد عليهم الحديث وفى هذه الاحاديث بشرى عظيمة لكل مؤمن لان الآدمى لا ينفك غالبا من ألم بسبب مرض أو هم أو نحو ذلك * (فائدة) * الصبر يكون على ثلاثة أقسام صبر على المعصية فلا يرتكبها وصبر على الطاعة حتى يؤديها وصبر على البلية فلا يشكو ربه فيها وعن على رضى الله تعالى عنه من اجلال الله ومعرفة حقه ان لا تشكو وجعك ولا تذكر مصيبتك لغيره وقيل ذهبت عين الاحنف منذ أربعين سنة ما ذكرها وقال شقيق البلخى من شكى ما نزل به لغير الله لم يجد لطاعة الله فى قلبه حلاوة وما أحسن قول ابن عطاء

ما اصبر كى ترضى وأتلف حسرة * وحسبى ان ترضى ويتلفنى صبرى

وسئل على رضى الله تعالى عنه أى خصال المؤمن خير فقال ما اعانى امرئ شيا أعظم من الصبر والرضى والتسليم للقضاء فذلك خير دنيا وأخرى وسئل أيضا ما رأس العلم والعمل فقال الحلم والتواضع فمن تركهما كان علمه وبالا عليه وأرشد من أنشد

فوحقه لا سلمن لامره * فى كل ضائقة وشد خناق

(وقال) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كما فى الصحيحين (من رواية أبى سعيد) أى الخدرى (ما يصيب المؤمن من نصب) بفتحتين أى تعب (ولا وصب) بفتحتين أى وجع (ولا هم) أى غم يذيب الانسان (ولا حزن) بضم فسكون وبفتحتين أى غم فوت شئ (ولا أذى ولا غم) يغم فؤاد صاحبه وقيل الهم من الامر السابق والغم من اللاحق (حتى الشوكة يشاكها الا كفر الله تعالى بها من خطاياه) أى بعض ذنوبه وقيل من زائدة (وفى حديث ابن مسعود) كما رواه الشيخان (ما من مسلم يصيبه أذى) أى ما يتاذى به ولو قطع شراك نعل أو انطفاء سراج (الا حات) بتشديد الفوقية من باب المغالبة للمبالغة أى أسقط (الله تعالى عنه خطيئاته) وفى نسخة خطاياه (كما يحت) أى الله تعالى (ورق الشجر) وفى نسخة بصيغة المجهول وفى نسخة تحات بصيغة الماضى من باب التفاعل وفى أخرى بصيغة المضارع على انه حذف منه احدى التائين وفى رواية تحاتت عنه ذنوبه أى تساقطت

وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما حمى يوم كفارة ثلاثين سنة

موسى وابراهيم لما سلما * سلما من الاغراق والاحراق

(وحكمة أخرى) في ابتلاء الانبياء عليهم الصلاة والسلام ونحوهم بالامراض والمصائب (أودعها الله تعالى) أي جعلها لهم كالوديعة (في الامراض) المصيبة (لاجسامهم) دون بواطنهم وحواسهم (وتعاقب الاوجاع عليها) أي على أجسامهم بتكرارها ومجيء بعضها عقب بعض (وشدتها) عليهم كما ر (عند مماتهم) أي يبتليهم الله بذلك اذا قرب موتهم (لتضعف قوى نفوسهم) الروحانية بكثرة أمراضهم وشدتها واذا وقع هذا (فيسهل خروجها) أي خروج أرواحهم ومفارقتها الابدانهم (عند قبضهم) أي قبض أرواحهم ووفاتهم فان ضعف البدن وقواه يعجز عن امساكها فيسهل ذلك عليهم (وتخف عليه مؤنة النزع) أي اخراج الروح من البدن ومؤنة بميم مفتوحة وهمزة مضمومة قبل واو ونون (وشدة السكرات) يعني سكرات الموت وغمرات شدائده وما يلحق الميت من الغشي الشبيه بالسكر في غيبة الحس (بتقدم المرض) على الموت والاحتضار (وضعف الجسم والنفس بذلك) أي بسبب ذلك المذكور ولو وقيت شق عليها وصعب فكان أشد عليه (بخلاف موت الفجاة) بضم الفاء والمد وبفتحها والقصر وهو الموت بغتة من غير مرض يقال فجاه الامر يفجا اذا أتاه على غفلة منه (وأخذه) له دفعة من غير انتظار لاجل فهو أشد عليه لشدة قواه المانعة عن تسليم الروح بسهولة ولذا كرهه بعض العلماء كما يأتي قريبا وقال انه مذموم وفي الحديث موت الفجاة أخذة أسف أي غضب وقهر من الله كما يأتي وروي آسف بالمد اسم فاعل لكنهم قالوا انما يكره لعدم التاهب له بالوصية ونحوها فمن لم يحتج لذلك يكون في حقه رحمة وهو الصحيح لحديث موت الفجاة راحة للمؤمن وآسف على الفاجر وبه جمع بينهما (كما يشاهد من اختلاف أحوال الموتى في الشدة واللين والصعوبة والسهولة) عطف تفسير لما قبله فبعضهم يعسر عليه ويشدد عليه وبعضهم يسهل عليه حالة النزع * فان قلت اذا كان توالي الامراض لتخفيف الموت وسكراته فكيف قال صلى الله تعالى عليه وسلم ان للموت سكرات حتى ذكر والحكمة وكيف يكون موت الفجاة لبعض الكفرة والفجرة * قلت تالمه صلى الله تعالى عليه وسلم بسكرات موته لا ينافي انها أخف من سكرات غيره وموت الفجاة وان لم يكن فيه سكرات أشد من غيره لكونه ككبير شجرة قوية كما تقرر بعدمع ما فيه من الموت على الغضب (وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم) في حديث رواه الشيخان عن كعب بن مالك وجابر رضي الله تعالى عنهما (مثل المؤمن) أي حاله وصفته العجيبة (مثل خامة الزرع) الخامة بخاء معجمة وميم العود اللين الذي ليس بغليظ والقصبة الطرية وقال الخليل هي أول ما ينبت على ساق واحد وألفها منقلبة عن واو ونقل عن الفراء انها بالحاء مهملة وفاء وفسرها بطاقة الزرع وعن أحمد مثل المؤمن مثل السنبلة تستقيم مرة وتنحني أخرى وروي يحمر مرة ويصفر أخرى (تفيئها الريح) بضم التاء الفوقية وكسر الفاء تليها مثناة تحتية ساكنة ثم همزة والمشهور تشديد الياء التحتية وروي بياء تحتية في أوله أي تميلها (هكذا وهكذا) أي للينها تميل يمينا وشمالا ولا تنكسر كما قال ابن خفاجة

اني وان كنت هضبة جلدا * أهتز للحسن قامة غصنا

كأنني غصن بانة خضل * تعطفه الريح ههنا وهنا

(وفي) صحيح مسلم من (رواية أبي هريرة) رضي الله تعالى عنه (من حيث) أي من أي جانب

قوى أنفسهم (فيسهل خروجها) أي انتقال أرواحهم (عند قبضهم) أي وفاتهم (فتخفف عليهم مؤنة النزع) أي ثقل نزع أرواحهم ومشقة اخراجها من أشباحهم (وشدة السكرات) وغلبة الغمرات (بتقدم المرض وضعف الجسم والنفس لذلك) أي لما تقدم من الحكمة هنالك وهذا (خلاف موت الفجاة) بفتح فسكون مقصورا وبضم ممدودا أي موت البغتة (وأخذه) بالغفلة وان ورد في الحديث موت الفجاة راحة للمؤمن وأخذة أسف للفاجر على ما رواه أحمد والبيهقي عن عائشة (كما يشاهد) بصيغة المجهول (من اختلاف أحوال الموتى) أي الذين على شرف الموت وقربه (من الشدة واللين) أي الهينة (والصعوبة والسهولة وقد قال عليه الصلاة والسلام) كما في الصحيحين عن كعب بن مالك وجابر (مثل المؤمن مثل خامة الزرع) بالخاء المعجمة وتخفيف الميم أي

طاقته اللينة عطفها أو ضعفها (تفيؤها) بضم أوله ففاء مفتوحة وتحتية مشددة مكسورة فهمزة مضمومة وأما قول (أنتها) التلمساني وروي تفيئها بدون ياء فخطأ فاحش أي تحركها وتميلها (الريح) أي جنس الرياح (هكذا) مرة عن يمينها (وهكذا) مرة عن يسارها والمعنى تميلها من جانب الى جانب (وفي رواية أبي هريرة رضي الله تعالى عنه) وفي نسخة لابي هريرة كما في صحيح مسلم (من حيث

أتتها الريح تكفاها) بفتح الفاء وتكسر أى تقلبها (فاذا سكنت) أى الريح (اعتدلت) أى قامت قامة الخامة على ساقها معتدلة غير مائلة (وكذلك المؤمن يكفأ) بصيغة المجهول أى يقلب ويغير حاله (بالبلاء) عما كان عليه فى النعماء (ومثل الكافر) وفى معناه الفاجر (كمثل الارزة) بسكون الراء وفتحها شجرة الارزة وهو خشب معروف وقيل الصنوبر وقال بعضهم الآرزة بوزن فاعلة ومعناها الثابتة فى الارض وأنكرها أبو عبيد كذا فى النهاية (صماء) أى صلبة يابسة (معتدلة) أى مستوية ثابتة (حتى يقصمه الله تعالى) بكسر الصاد بعد سكون القاف أى يكسره (ويهلكه) ويأخذه بغتة من غير تقدم بلية فى غالب قضية وعن أنس رضى الله تعالى عنه ان الله تعالى خلق عباده منهم صحيح وسقيم وغنى وفقير فمنهم من لو أسقمه لافسده ذلك ومنهم من لو أصحه لافسده ذلك ومنهم من لو أغناه لافسده ذلك ومنهم من لو أفقره لافسده ذلك والله تعالى أعلم بمصالح عباده وفق مراده أقول وقد يستفاد هذا المعنى من قوله تعالى ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه كان بعباده خبيرا بصيرا وفى الجملة كما ورد المؤمن مكفر على ما رواه الحاكم عن سعد (معناه) أى الحديث السابق (ان المؤمن مرزأ) بتشديد الزاى المفتوحة وفى نسخة بتخفيفها أى مبتلى بالرزايا (مصاب بالبلاء) أى بانواع البلايا كموت أعزته وفوت أحبته (والامراض) وفى معناها فقد الاغراض (راض بتصريفه) أى بتغيير أحواله وتغير آماله فى حاله وما له وجاهه وماله (بين أقدار الله تعالى) أى أنواع قضائه من بلائه ونعمائه (مطاع) وفى نسخة منطاع أى منقاد (لذلك) الذى أصيب به هنالك (لين الجانب) أى متواضع له به متلبس (برضاه) وفق ما قدر له وقضاه (وقلة تسخطه) أى وعدم كراهته ابتلاءه (كطاعة خامة الزرع وانقيادها للرياح) حال تقلبها يمنة ويسرة فى الصباح والرواح (وتمايلها لهبوبها) المختلفة فى الشدة واللينة (وترنحها) بنون مشددة مضمومة بعد راء مفتوحة أى دورانها فى تغيير شأنها وعن يزيد الرقاشى المريض يرنح والعرق من جبينه يرشح (من حيث ما أتتها) أى جاءتها رياح البلايا والرزايا (فاذا أزاح الله تعالى) بالزاى أى أزال (عن المؤمن رياح البلاء) وأبدل منها رياح النعماء

(أتتها الريح تكفاها) بفتح أوله وثالثه وسكون ثانيه وهمزة أى تصلها والمراد تميلها ايضا (فاذا سكنت الريح ولم تهب (تعدلت) أى انتصبت لانها لا تنكسر للينها وعدم غلظها وفى نسخة اعتدلت (وكذلك المؤمن يكفأ) بضم فسكون وفتح وهمزة أى ينقلب من صحته لمرضه كثيرا ثم يبرأ فلاعتياده الامراض لا تغنيه ويهلك (بالبلاء) من حيث أتاه ووجه الشبه ظاهر وفيه من البلاغة واللطف ما لا يخفى (ومثل الكافر) والفاجر العتل الغليظ (كمثل الارزة) لا تزال قائمة حتى تنقصف أى تنقصف من أصلها والارزة بفتح الهمزة وسكون الراء المهملة وزاى معجمة وروى فتحها وهو شجر الارز المعروف وقيل هو الصنوبر وقيل انه آزرة بالمد بزنة فاعلة وأنكره أبو عبيدة رحمه الله تعالى (صماء) أى صعبة شديدة اليبس والقوة (معتدلة) أى قائمة منتصبة لا تميل لغلظها ويبسها (حتى يقصمه الله) بقاف وصاد مهملة قبل الميم أى يأخذه بغتة من غير تقدم بلاء والقصم بالقاف الكسر مع الابانة والفصم بفاء بدونها وفى العقد لابن عبد ربه قالت الحكماء من تعرض للسلطان ازدراه ومن تطامن له تخطاه وشبهوه فى ذلك بالريح العاصفة التى لا تضر ما لان من الشجر ومال معها من الحشيش واما ما استهدف لها من الدوح العظيم فقصفته ولابى تمام

ان الرياح اذا ما أعصفت قصمت * عيدان نجد ولم يعبأن بالرتم

بنات نعش ونعش لا كسوف لها * والشمس والبدر منه الدهر فى الرقم

وفى كليلة ودمنة الريح لا تقلع عودا نابتا * وتقلع الدوح العظيم الثابتا

(معناه) أى هذا الحديث (ان المؤمن مرزأ) بالتشديد والهمز أى لا يزال تصيبه الرزايا وهو من رزأ الشئ اذا نقصه (مصاب بالبلاء) بالمد أى تنزل به المصائب (والامراض راض بتصريفه) أى بتغيير أحواله وقيل بتصريف الله فيه وله وتقلبه (بين أقدار الله) التى قدرها الله عليه من صحة ومرض وغيره (منطاع لذلك) أى منقاد مذعن مطيع مسلم وأتى بصيغة الانفعال بالنون للدلالة على انه مطاوع (لين الجانب برضاه) أى لين جانبه يقبل كل ما يرضاه الله كالشئ اللين الذى ينطبع بكل ما يختم به كما قيل * ان المحب لمن يحب مطيع * ووقع هنا فى بعض الشروح برمضاء بميم بعد الراء من رمض النار وحرارتها أى ما يصيبه من آلام يزيده لينا لكن قوله بعده (وقلة سخطه) يقتضى الاول ويأباه وأظنه من تحريف الناسخ (كطاعة خامة الزرع وانقيادها للرياح) عطف تفسير (وتمايلها) من غير ان تنكسر (لهبوبها وترنحها) براء وحاء مهملتين بينهما نون من ترنح السكران اذا تمايل وفيه كلام فى شرح مقامات الزمخشرى (من حيث ما أتتها) أى من أى جهة كانت جنوبا وشمالا للينها (فاذا أزاح الله) عز وجل بزاى معجمة أى أزال (عن المؤمن رياح البلايا) استعارة مفسرة لما فى الحديث كأنه لما

(واعتدل صحيحا) واستقام صريحا (كما اعتدلت خامة الزرع عند سكون رياح الجو) بفتح الجيم وتشديد الواو أى هواء جو السماء (رجع) المؤمن من مقام صبره (الى شكر ربه ومعرفة نعمته عليه برفع بلائه) أى بدفع محنته (منتظر ارحمته وثوابه) أى مثوبته (عليه) أى على شكر ربه فى حاليه (فاذا كان) أى المؤمن (بهذه السبيل) أى بهذه المثابة من تحمل توارد الرزايا وترادف البلايا (لم يصعب عليه مرض الموت ولا نزوله) أى حلوله وحصوله فى وقت من أوقات الفوت (ولا اشتدت) أى وخفت (عليه سكراته ونزعه) حين صعبت غمراته (لعادته) أى تعوده (لما) وفى نسخة بما (تقدم) وفى نسخة تقدمه (من الآلام) أى تحملها فى ضمن الاسقام (ومعرفة ماله فيها من الاجر) أى الثواب التام يوم القيام (وتوطينه) أى ولتثبيته وتمكينه (نفسه على المصائب) أى اصابتها (ورقتها وضعفها بتوالى المرض) ولو مع خفته (أوشدته) وان لم يتوال فى مدته (والكافر) أى شانه وحاله (بخلاف هذا) المؤمن فى حاله ومآله (فهو) وكذا الفاجر (معافى فى غالب حاله ممتع بصحة جسمه) وكثرة ماله وسعة مناله (كالارزة الصماء) أى الشجرة القوية (حتى اذا أراد الله هلاكه قصمه) أى كسره وأهلكه (لحينه) بكسر الحاء أى فى وقته فورا (على غرة) بكسر غين وتشديد راء أى على حين غرور وغفلة (وأخذه) أى أماته (بغتة) أى فجاة (من غير لطف ولا رفق) بل بعنف وشدة تضرب الملائكة وجهه بجيم
ودبره بسياط من نار (فكان موته أشد عليه حسرة) أى تاسفا وكآبة (ومقاساة نزعه) أى معاناة خروج روحه (مع قوة نفسه وصحة جسمه أشد ألما وعذابا) عند قبضه (ولعذاب الآخرة أشد) أى أقوى (وأبقى) وفى نسخة زيد لو كانوا يعلمون أى لآمنوا (كانجعاف الارزة) بالنون والجيم أى انقلاعها من أصلها وقال التلمسانى وروى انخعاف بخاء معجمة أى ضعف واسترخاء

شبهه بالخامة شبه ما يطرؤ عليه بالرياح المعتورة عليه تميله هنا وهنا (فاعتدل) أى برأ من مرض ونحوه شبه صحته باعتدال الخامة اذا سكنت الريح واليه أشار بقوله (صحيحا) وهو حال أو تمييز (كما اعتدلت خامة الزرع عند سكون رياح الجو) بفتح الجيم وتشديد الواو وهو ما بين السماء والارض من مهب الرياح وأصل معناه الداخل من كل شئ ومنه الجوانى مقابل البرانى (رجع) أى المؤمن (الى شكر ربه) على ما أنعم به عليه من السلامة (ومعرفة نعمه) اذا أنعم (عليه) بالخلاص مما يكره ويخشى (برفع بلائه) عنه ونجاته عنه (منتظر ارحمته) له راجيا احسانه (وثوابه عليه) أى على ما ابتلاه ووفقه لشكره وصبره لقوله تعالى وبشر الصابرين الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون (فاذا كان) المؤمن (بهذه السبيل) أى على هذه الحالة من اصابته بالبلايا والامراض (لم يصعب) ويشق (عليه مرض الموت) أى المرض الذى كان سبب موته منه لائتلافه بالامراض المتوالية عليه (ولا نزوله) أى حلول الموت به (ولا اشتدت عليه سكراته ونزعه) أى نزع الروح منه عند الموت لضعف قوة نفسه الدافعة له وهذا لا ينافى ما تقدم فى حق الانبياء عليهم الصلاة والسلام من انهم أشد الناس بلاء لانه فى حالة أخرى وهى نزول المصائب بهم قبل حضور الموت (لعادته) أى اعتياده (بما تقدمه من الآلام) ومقاساتها (ومعرفة ماله فيها) أى المصائب التى تصيبه قبل موته (من الاجر) والثواب فانه لعلمه بذلك تهون عليه (وتوطينه نفسه على المصائب) اذا أصابته أى اطمئنان نفسه لعالمه بانه لابدله منها فيرضى ولا ينزعج ويقلق فالتوطين أصله اتخاذ الوطن ثم تجوز به عن عدم القلق والضجر قال

ولا خير فيمن لا يوطن نفسه * على نائبات الدهر حين تنوب

(و) على (رقتها وضعفها) الضمير للنفس والرقة براء مهملة وقاف مشددة المراد به الضعف فهو عطف تفسير ويجوز عود الضمائر للمصائب أيضا (بتوالى المرض) أى دوامه أو تكرره (أوشدته) أى قوته وألمه فهذا حال المؤمن فى حياته (والكافر) حاله (بخلاف هذا) الحال الذى اعتاده المؤمن فهو (معافا) من الامراض والبلايا (فى غالب حاله) أى فى حاله الغالب عليه وأكثر أوقاته (ممتع) أى منتفع ومنعم عليه ظاهرا (بصحة جسمه) لعدم ابتلائه بالامراض استدراجا له حتى يغفل عن آخرته (كالارزة الصماء) أى القوية التى هى غير مجوفة ولا يزال كذلك (حتى اذا أراد الله هلاكه) بحضور أجله وانقراض عمره (قصمه) أى كسره (لحينه) أى لوقته الذى حضر فيه أجله (على غرة) بكسر أوله وهو الغين المعجمة وراء مهملة مشددة وتاء تانيث أى على غفلة وفى الاساس لم يزل يطلب غرته حتى أصابها أى يترقب غفلته ليهجم عليه ويتمكن منه (وأخذه بغتة) وفجأة (من غير لطف ولا رفق) به بل بشدة وعنف تضربه الملائكة (فكان موته أشد عليه حسرة) تمييز وذلك لعدم تأهبه له (ومقاساة نزعه) أى نزع روحه منه وقبضها (مع قوة نفسه وصحة جسمه) لعدم ما يعتريه من الاسقام والآلام (أشد ألما وعذابا) له فى الدنيا (والعذاب الآخرة أشد) عليه مما قاساه فى الدنيا فى حال نزعه (كانجعاف الارزة) هو انفعال من الجعف

(وكما قال تعالى فأخذناهم بغتة وهم لا يشعرون) قبل ذلك امارة وعلامة وقد ورد الحمى رائد الموت أي بريده ونذيره (وكذلك عادة الله في اعدائه) أي معهم خلاف عادته مع احبائه (كما قال تعالى فكلا) من اعدائنا ممن كذب باصفيائنا (أخذنا بذنبه) بغتة فاذاهم مبلسون أي متحيرون آيسون (فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا) أي ريحا عاصفة تحصبهم كقوم لوط (ومنهم من أخذته الصيحة) كثمود فاصبحوا في ديارهم جاثمين (الآية) أي ومنهم من خسفنا به الارض كقارون ومنهم من اغرقنا كفرعون وقوم نوح وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون (ففجا) أي ففاجأ الله (جميعهم) حيث أخذهم كلهم (بالموت ٣٢٣ على حال عتو) أي فرط تكبر وتجبر (وغفلة) عما خلقوا له من الموت والبعث في العاقبة (وصبحهم به) بتشديد الموحدة أي وجاءهم بالموت (على غير استعداد) حال كونه (بغتة ولهذا ما) كذا في نسخة فقيل هي زائدة أو موصولة كره السلف الفجاة (ومنه حديث ابراهيم) أي النخعي كما صرح به ابن الاثير في نهايته فلا وجه لقول الدلجي النخعي أو التيمي وكذا القول غيره انه ابن ادهم ولا يبعد التعدد والله أعلم (كانوا) أي الصحابة والتابعون (يكرهون أخذه كاخذة الاسف) رواه سعيد بن منصور في سننه وابن أبي الدنيا في ذكر الموت والاسف بفتحتين (أي الغضب) الموجب لكثرة التاسف وشدة التلهف وفي نسخة بكسر السين أي الغضبان المتاسف (يريد) أي ابراهيم وفي نسخة يريدون أي السلف بهذه الأخذة (موت الفجاة وحكمة ثالثة) في اعتراء أنواع البلاء على الانبياء والاصفياء (ان الامراض) أي كلها (نذير الممات) وفي نسخة نذير الموت أي منذر الموت ومخوف الوفاة كما ورد الحمى رائد الموت لانها تنبئ عن قرب الفوت (وبقدر شدتها) أي قوة الامراض وقلتها (شدة الخوف) أي خوف الفوت (من نزول الموت فيستعد) للموت (من أصابته) تلك الامراض قبل الفوت (وعلم) أي المؤمن (تعاهده اله) أي تفقد الامراض وتعاودها له استعدادا تاما (للقاء ربه عز وجل ويعرض عن الدنيا الكثيرة الانكاد) أي الكدورات وما أحسن قول ابن عطاء في حكمه ما دمت في هذه الدار * لا تستغرب وقوع الاكدار

بجيم وعين مهملة وفاء وهو القلع بشدة وفي نسخة بتقديم العين على الجيم (وكما قال الله تعالى) في حق الكفار (فأخذناهم بغتة وهم لا يشعرون) أي غافلون لاشتغالهم بامور دنياهم وعدم ما ينبههم على عاقبتهم (وكذلك عادة الله في اعدائه) من القوم الكفرة جارية على أخذهم بغتة (كما قال) الله عز وجل (فكلا) من القوم الكفرة (أخذنا بذنبه فمنهم من ارسلنا) أي أنزلنا (عليه حاصبا) وهم قوم لوط عليه الصلاة والسلام والحاصب ريح تاتي بالحصباء وهي حجارة كما قال تعالى وامطرنا عليهم حجارة من سجيل وخسف ارضهم كما بينه المفسرون (ومنهم من أخذته الصيحة) وهم قوم صالح وشعيب عليهما الصلاة والسلام أتتهم صيحة وأصوات هائلة وصواعق فاهلكتهم (الآية) ومنهم من خسفنا به الارض ومنهم من أغرقنا (ففجا جميعهم) ماض بمعنى أتاهم فجاة (بالموت على حال عتو) بضم العين المهملة ومثناة فوقية وواو مشددة أي تكبر وتمرد وتجبر منهم (وغفلة) عما حل بهم (وصبحهم) أي أتاهم في الصباح (به) أي بالهلاك (على غير استعداد) أي تهيؤ لما سيحل بهم لاستدراجهم (بغتة ولهذا) للامر الذي ياتي غفلة وكونه من شان الكفرة (ذكر عن السلف) من العلماء والصالحين (انهم كانوا يكرهون موت الفجاة) لحيثه على غير استعداد له بوصية ونحوها من المرض المكفر للذنوب وفي نسخة ولهذا ما كره السلف موت الفجاة ومما يؤيد صحة الاولى قوله (ومنه) أي مما ذكر عن السلف ما روي (في حديث ابراهيم) وهو النخعي كما في النهاية وقد تقدمت ترجمته (كانوا يكرهون أخذه كاخذة الاسف أي الغضب) لان من غضب على أحد ياخذه بغتة بعنف وموت الفجاة يشبهه (يريد) باخذة الاسف (موت الفجاة) كما تقدم وتقدم انه ليس على اطلاقه وانه قد يكون راحة للمؤمن (وحكمة ثالثة) من مصائب الانبياء عليهم الصلاة والسلام والصالحين (ان الامراض نذير الموت) بنون وذال معجمة أي منذرة به ومنبهة لمن يحل به وفي نسخة نذير الممات وفي أخرى بريد بموحدة وراء ودال مهملتين بينهما مثناة تحتية ساكنة أي رسول يجيء من الموت يخبر بانه سيقدم وهو استعارة حسنة والبريد فارسي معرب بريده دم أي بغل مقطوع الذنب كان يعد في المنازل لرسل الملوك وما قيل من انه لو قال ينذر بالموت كان أحسن ليس بشيء (وبقدر شدتها) أي شدة الامراض (شدة الخوف من نزول الموت) لانذارها بما هو أشد منها (فيستعد من أصابته) الامراض أي يتهيا بالاعمال الصالحة وزهده في الدنيا الفانية (وعلم تعاهدها له) أي مجيئها مرة بعد أخرى يقال صديقي من يتعاهدني بسؤاله عني وبره لي كأنه يذكر عهدا بينه وبينه وفيه استعارة لطيفة كما قال بعض العرب

اذا الرجال كبرت أولادها * وجعلت امراضها تعتادها * فتلك زرع قد دنا حصادها

(للقاء ربه) عز وجل ولقاء الله تعالى كناية عن الانتقال للدار الآخرة والموت (ويعرض عن دار الدنيا) بترك أمورها (الكثيرة الانكاد) جمع نكد وهو ما يغم المرء ويسوءه وهو من شانها ولا راحة لمؤمن فيها

(ويكون قلبه متعلقا بالمعاد) ويكون متهيئا لتحصيل الزاد ليوم التناد (فينفصل) من باب التفعل وفى نسخة فينفصل من باب الانفعال أى يتخلص وينفصل (من كل مايخشى تباعته) بكسر أوله لا بفتحه كما وهم الحلبى بمعنى تبعته ومؤاخذته (من قبل الله تعالى) وهو أهون (وقبل العباد) وهو أقوى (ويؤدى الحقوق) المتعلقة به جميعها (الى أهلها) بقدر امكان ادائها (وينظر) أى يتامل (فيما يحتاج اليه من وصية) بما تركه الى من يثق به (فيمن يخلفه) بتشديد اللام المكسورة أى فيمن يعقبه من ولد وعبد (أو أمر يعهده) الى من يريده (وهذا نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم المغفور له) أى ما تقدم من ذنبه وما تاخر كما فى نسخة (قد طلب التنصل) أى التخلص (فى مرضه ممن كان له عليه مال) دينا أو قرضا (أو حق فى بدن) يورث قصاصا أو ارشا (وأقاد من نفسه وماله) أى أعطى القود منهما مستحقه (وامكن من القصاص منه) أى من نفسه (على ما ورد فى حديث الفضل) أى ابن عمه العباس كما مر وفيه انه صلى الله تعالى عليه وسلم ضرب اعرابيا بعود كان بيده فقال يارسول الله القصاص غير مريد له فكشف له عن بطنه فالتزمه تبركا به وفى حديث الوفاة كما تقدم والله تعالى أعلم (واوصى بالثقلين بعده كتاب الله تعالى) بالجر بدل مما قبله ويجوز رفعه ونصبه (وعترته) بكسر أوله أى اقاربه وأهل بيته وسميا بالثقلين اما لثقلهما على نفوس كارهيهما أو لكثرة حقوقهما فهما شاقان أو لعظم قدرهما أو لشدة الاخذ بهما أو لثقلهما فى الميزان من قبل ما أمر به فيهما أو لان عمارة الدين بهما كما عمرت الدنيا بالانس والجن المسميين بالثقلين فى قوله تعالى سنفرغ لكم أيها الثقلان

وفى القاموس النكد الضيق والشدة (ويكون قلبه) أى فكره (معلقا) أى مشغولا مهتما (بالمعاد) أى الآخرة وما بعد الموت وتعلق القلب عبارة عن كثرة الشغل والتقييد (فينتصل) بنون وصاد مهملة أى يخرج (عن كل ما يخشى) ويخاف (تباعته) بكسر التاء الفوقية والذى فى الصحاح فتحها وهو التبعة وما يترتب على الامر ويعقبه من المؤاخذات والضرر (من قبل الله) أى حقوقه التى هى من جانبه (و) من (قبل العباد) أى حقوقهم فيخرج عن عهدتها بادائها لئلا يعاقب عليها (ويؤدى الحقوق) التى فى ذمته (الى أهلها) أى أصحابها بايصالها لهم وايفاء كل ذى حق حقه (وينظر) أى يتفكر ويتدبر (فيما يحتاج اليه من وصية فيمن خلفه) فعل ماض أو ظرف بسكون اللام أى ما بقى بعده من مال وولد ونحوه وفى نسخة فيمن يخلفه (أو) ينظر فى (أمر يعهده) أى يعرفه فيوصى به كالدين أو يعاهد ورثته عليه وهذا قلما يخلو منه أحد وما قيل من انه انما يليق باهل الدنيا الغافلين واما الانبياء عليهم الصلاة والسلام فهم غير محتاجين لمثله ليس بشئ ولو سلم فهو بالنسبة لبعض المؤمنين ويؤيد الاول قوله (وهذا نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم المغفور له ما تقدم من ذنبه وما تاخر) اشارة لما فى أول سورة الفتح أى لو كان منك ذنب سابق أو يكون فهو مغفور لا تؤاخذ به أو ما بعد ذنبا من مثلك مغفور لك وفى الآية كلام فى كتب التفسير مشهور ومر انها انزلت عليه صلى الله تعالى عليه وسلم فى مرجعه من الحديبية بعد بيعة الشجرة وما وقع فيها (قد طلب التنصل) أى التخلص والخروج من عهدة ما فى ذمته (فى مرضه) أى مرض موته وعده فى مرضه لقربه ثم لانه كما تقدم وقع فى خطبة خطبها قبل مرضه بايام قليلة (ممن كان له عليه مال أو حق فى بدن) كضرب وقع منه صلى الله تعالى عليه وسلم لبعض أصحابه نحو عكاشة والاعرابى وتقدمت قصتهما (واقاد من نفسه وماله) أى مكن من له حق فى بدنه من القود منه بفعل مثل ما فعل (وأمكن من القصاص منه) وان لم يكن عليه حق فى نفس الامر كما بيناه (على ما ورد فى حديث) مروى عن (الفضل) بن العباس رضى الله تعالى عنهما عمه صلى الله تعالى عليه وسلم من انه صلى الله تعالى عليه وسلم ضرب اعرابيا بقضيبه فلما خطب الناس وقال من كان له على حق فليطلبه فقام الاعرابى وقال يارسول الله القصاص فلما كشف له عن بطنه الشريف التزمه وقبله وقال انما أردت هذا (و) كما ورد فى السير (فى حديث الوفاة) أى وفاته صلى الله تعالى عليه وسلم فانهم رووا فيه انه صلى الله تعالى عليه وسلم قبيله استحل الناس فيما لهم عليه من الحقوق كما مر وما قيل من ان هذا ليس فى موقعه لان التنصل من الحقوق مطلوب من أدنى المؤمنين فكيف باعلاهم عند وفاته ناشئ من عدم الفهم لانه صلى الله عليه وسلم لم يكن لامته عليه ما يجب عليه التنصل منه ولو كان فهو مغفو ر ومع ذلك تنصل منه رعاية لظاهر الحال ورعاية للمؤمنين وهذه أعلى المراتب (واوصى) صلى الله تعالى عليه وسلم فى مرض موته (بالثقلين بعده) وقوله (كتاب الله وعترته) بدل من الثقلين أو عطف بيان مبين للمراد بهما والثقلين تثنية ثقل وهو ما يثقل من الثقل ضد الخفة وهما الانس والجن فسماهما ثقلين تعظيما لشانهما وان عمارة الدنيا بهما كما تعمر بالانس والجن ولرجحان قدرهما لان الرجحان فى الميزان يثقل ما فيها أو لانه يثقل رعاية حقوقهما

(وبالانصار عيبته) بفتح العين المهملة وسكون التحتية فباء موحدة أى لانهم موضع سره وامانته ومحل رعايته وعنايته وحراسته ووقايته كعيبة الثياب التى يضع الشخص فيها متاعه النفيس (ودعا) أى اصحابه فى مرض موته (الى كتب كتابه) أى كتابة مكتوبة (لئلا تضل أمته بعده) اذا عملوا بكتابته فاختلفوا فى ذلك وتنازعوا هنالك فقال دعونى فانه لا ينبغى التنازع عند نبى وذلك الكتاب (وأما فى النص على الخلافة) وفيه ان الوصية بالخلافة لا تحتاج الى أمر الكتابة مع انه قد اشار اليه بنصب الامامة (والله تعالى أعلم بمراده) مما خطر بباله نصيحة لخلق الله تعالى وعباده (ثم رأى الامساك عنه أفضل وخيرا) من الكتابة وأجمل (وهكذا سيرة عباد الله المؤمنين وأوليائه المتقين) من الابتلاء بانواع البلاء المذكورة لحال الفناء المهيئة للاستعداد ليوم اللقاء فى دار البقاء (وهكذا كله) أى ماذكر من حال أنبيائه وأوليائه الابرار (يحرمه) بصيغة المجهول أى يحرم منه (غالبا الكفار) وكذا الفجار (لاملاء الله تعالى لهم) أى امهالهم الى انصرام آجالهم (ليزدادوا اثما) ويستزيدوا ظلما ليكون لهم عذاب مهين فيما اكتسبوا واجرموا (وليستدرجهم) أى ليستدنيهم الله درجة درجة فى مراتبهم الى مايهلكهم باشد عقبهم (من حيث لا يعلمون) مايراد بهم من تواتر نعمه سبحانه وتعالى عليهم منهمكين فى غيهم وضلالاتهم كلما جدد لهم نعمة زادوا فى طغيانهم وعصيانهم ظنا منهم ان تواتر النعماء عليهم تقريب واسعاد وانما هو تطرد بدوا بعاد (قال تعالى ماينظرون) أى ماينتظرون (الا صيحة واحدة) وهى النفخة الاولى (تأخذهم) بغتة وتهلكهم فجاة غافلين عنها لا يخطر ببالهم أمرها (وهم يخصمون) بفتح الخاء وكسرها واختلاسها أى والحال انهم يختصمون فى معاملاتهم وفى قراءة بسكون الخاء وكسر الصاد من خصم اذا اختصم وفى الحديث لتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما يتبايعانه فلا يطويانه ولتقومن الساعة وقد رفع الرجل أكلته الى فيه فلا يطعمها (فلا يستطيعون) أى حينئذ (توصية) فى أمرهم (ولا الى أهلهم يرجعون) أى ولا يقدرون ان يرجعوا الى قومهم بل يموتون فجاة كلهم (ولذلك) أى لكون موت الفجاة مذموما فى الجملة

والعترة بمثناة فوقية الاقارب الادنون وأهل البيت واختلف فى المراد بهم فقيل من تحرم عليه الزكاة وقيل بنو عبد المطلب وقيل غير ذلك وحديث الوصية رواه مسلم وفيه انه صلى الله تعالى عليه وسلم خطبهم وقال أيها الناس انما أنا بشر مثلكم يوشك ان يأتينى رسول ربى فاجيبه وانى تارك فيكم الثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فتمسكوا به وحث على ذلك ثم قال وأهل بيتى أذكركم الله فى أهل بيتى ثلاثا والكلام عليه مستوفى فى شروحه (و) أوصى (بالانصار عيبته) والعيبة بعين مهملة مفتوحة وياء ساكنة وموحدة ما يجعل المرء فيه نفيس متاعه وفى حديث البخارى الانصار كرشى وعيبتى ولما كان الكرش مقر الغذاء من الحيوان كالمعدة للانسان تجوز به عن موضع اسراره التى تخفى وعبر بالعيبة عن مقر ما يظهر من مهماته وهو أبلغ كلام وأوجزه الذى لم يسبق اليه كما قاله ابن دريد وقد تقدم الكلام عليه مبسوطا وهذا أيضا مما قاله صلى الله تعالى عليه وسلم فى خطبته التى لم يخطب بعدها وبقيته وقد قضوا الذى عليهم وبقى الذى لهم فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم (ودعا) أى طلب صلى الله تعالى عليه وسلم من الصحابة فى مرض موته (الى كتب كتاب لئلا تضل أمته بعده) كما تقدم بيانه وما فيه وانه (اما فى النص على الخلافة) لمن هى بعده وهو الاصح كما مر (أوما الله أعلم بمراده) الذى أراد ان يكتب (ثم رأى) صلى الله تعالى عليه وسلم رأيا جزم به وهو (الامساك عنه) وتركه (أفضل وخيرا) من كتابته لانهم خالفوه وامتنعوا مما أراده كما تقدم تفصيله (وهكذا) أى مثل ما وقع له صلى الله تعالى عليه وسلم فى آخر عمره من التنصل والوصية (سيرة عباد الله المؤمنين وأوليائه المتقين) أى دأبهم وطريقتهم ان يتنصلوا من الحقوق ويوصوا عند الموت تاسيا به صلى الله تعالى عليه وسلم (وهذا) المذكور (كله) مما يفعل عند حلول الاجل (يحرمه غالبا الكفار) وقد يقع لبعضهم ولا يفيدهم شيئا وانما حرموا هذا (لاملاء الله) أى امهاله (لهم) حتى تنصرم أعمارهم وانما أملى لهم (ليزدادوا اثما) بكفرهم ومعاصيهم وغفلتهم عن حقوق الله وحقوق عباده (واستدراجهم) أى تقريبهم من الهلاك درجة بعد درجة (من حيث لا يعلمون) لغفلتهم عما هم مشغولون به من أمور الدنيا منهمكين فى غيهم متقلبين فى نعم الله الدنيوية التى توهموا استحقاقها وانما هى لقطع معذرتهم ومزيد عذابهم بالكفر وكفران النعم حتى يأخذهم بغتة على غرة كما (قال الله تعالى ما ينظرون الا صيحة واحدة الآية) تأخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا الى أهلهم يرجعون * والمراد بالصيحة النفخة فى الصور الاولى والاخذ الاهلاك بغتة وهم يخصمون يعنى يختصمون فى معاملاتهم وقد ورد ان الساعة تقوم على الناس وهم فى الاسواق وهم يتعاملون ويخصمون بفتح الخاء المعجمة وفيه كلام طويل فى كتب القراآت والعربية (ولذلك) أى لكون عادة

(قال عليه الصلاة والسلام) كما رواه أبو يعلى وابن أبي الدنيا عن أنس (في رجل مات فجاءة) أي في حقه (سبحان الله) تعجبا من شأنه (كأنه على غضب) أي وقع على سبب غضب يقتضي موته كذلك (المحروم من حرم وصيته) تلويح بالحث على الوصية لئلا يموت الواحد فجاءة لحديث ماحق امرئ يبيت ليلتين الا ووصيته عنده وكأنه عليه الصلاة والسلام كشف له ان الرجل كان واجبا عليه الوصية في شيء من الاحكام فلا ينافي ما ورد عنه صلى الله تعالى عليه وسلم خلافه كما بينه المصنف بقوله (وقال) أي النبي عليه الصلاة والسلام كما في حديث أحمد عن عائشة بسند صحيح (موت الفجاءة راحة للمؤمن وأخذه أسف) أي غضب (للكافر أو الفاجر) قال الدلجي شك من أحد رواته ٣٢٦ وأقول الاظهر انه للتنويع والمراد بالفاجر المنافق أو الفاسق (وذلك) أي كون موت الفجاءة مختلفا هنالك (ان الموت) وفي نسخة لان الموت (يأتي المؤمن وهو غالبا مستعد له) أي لوصوله (منتظر لحلوله) متهيئ لنزوله (فهان أمره) أي سهل (عليه كيفما جاءه) حال حصوله (وأفضى) أي أوصله (الى راحته) من نصب الدنيا (وأذاها) أي تعبها وأذيتها (كما قال عليه الصلاة والسلام) فيما رواه الشيخان عن أبي قتادة حين مر بجنازة (مستريح) أي الميت مستريح (ومستراح منه) أي أو مستراح منه وفي نسخة يستريح ويستراح منه قيل من هما يا رسول الله قال أما المستريح فالمؤمن يموت فيستريح من تعب الدنيا وأما المستراح منه فالظالم يموت فيستريح منه العباد والبلاد والشجر والدواب قال النووي اما استراحة العباد منه فاندفاع أذاه عنهم واستراحة الدواب منه أي فكذلك لانه يؤذيها بالضرب والاجاع وتحميل مالا تطيقه واستراحة البلاد والشجر لانها تمنع القطر بمعصيته (ويأتي الكافر والفاجر) بالواو أي الفاسق أو الظالم (منيته) بتشديد تحتية أو موته (على غير استعداد) المعاد (ولا أهبة) بضم فسكون أي تهيئة زاد (ولا مقدمات) بكسر الدال وتفتح أي مؤذنات سابقة ومخوفات لاحقة (منذرة) أي مخوفة (مزعجة) أي مقلقة محركة (بل تأتيهم المنية (بغتة) فجاءة (فتبهتهم) أي تحيرهم بتدهشهم (فلا يستطيعون ردها) أي صرفها (ولاهم ينظرون) أي لا يمهلون حينئذ وان كانوا من قبله ليمهلون (فكان الموت أشد شيء عليه وفراق الدنيا أفظع) بالفاء والظاء المعجمة أي أهيب وأصعب وأشنع وأمر

الاتقياء التنصل من الحقوق والوصية عند الموت (قال صلى الله تعالى عليه وسلم) في حديث تقدم وروى عن أنس رضي الله تعالى عنه (في رجل مات فجاءة سبحان الله) المقصود منها التعجب كما تقدم بيانه والتعجب من موته فجاءة (كأنه) مات (على غضب) من الله تعالى ثم اشار الى ان المراد بالغضب عليه انه محروم من الثواب ولطف العزيز الوهاب فقال (المحروم من حرم وصيته) فانها مستحبة وذهب بعضهم الى وجوبها وقيل انها كانت واجبة أولا لقوله تعالى كتب عليكم اذا حضر أحدكم الموت حين الوصية الى آخرها ثم نسخت (وقال) صلى الله عليه وسلم في حديث صحيح رواه أحمد عن عائشة رضي الله عنها (موت الفجاءة راحة للمؤمن) الذي ليس عليه تبعة يحتاج الوصية بها لراحته من سكرات الموت (وأخذة أسف) بغير مد بمعنى غضب وبه بمعنى غضبان ومنه فلما آسفونا انتقمنا منهم (للكافر أو الفاجر) أي المنهمك في المعاصي وأو للشك من الراوي وجوز بعضهم كونها من الحديث والمراد بالفاجر المنافق فتامل (وذلك) أي كون موت الفجاءة كذلك (لان الموت يأتي المؤمن وهو غالبا) أي في أكثر أحواله وأوقاته أو غالب المؤمنين يأتيه الموت حالة كونه (مستعدا له) أي متهيئا الاعمال الصالحة ووصيته وتنصله (منتظر الحلوله) به غير غافل عنه وفي نسخة برفعهما (فهان أمره) أي الموت (عليه كيف ماجاءه) أي في حال حل به (وأفضى) أي أوصل (الى راحته من نصب) وتعب (الدنيا) ولو ترك أو وأفضى كان أوضح (وأذاها) من انكادها واكدارها كما قيل

خلقت على كدر وأنت تريدها ❊ صفوا من الاقذاء والاكدار

(كما قال عليه الصلاة والسلام) في حديث رواه الشيخان عن أبي قتادة رضي الله عنه في جنازة مرت به فقال تقسيما للموتى عند موتهم ان منهم (مستريح) من أذى الدنيا وتعبها اذ لا راحة للمؤمن دون لقاء ربه (و) منهم من هو (مستراح) أي تستريح من ظلمه وأذاه العباد والبلاد والشجر والدواب وقد ورد تفسير النبي صلى الله تعالى عليه وسلم له بهذا أو بشآمته قد يمنع القطر ويحل البلاء (ويأتي الكافر والفاجر منيته على غير استعداد) لها والمنية الموت من منى بمعنى قدر لانها مقدرة في وقت مخصوص (ولا أهبة) بضم الهمزة بمعنى التاهب والاستعداد (ولا مقدمات) بفتح الدال وكسرها من قدم بمعنى تقدم أو من المتعدي وهو قدمه أي ما تقدمه من امراض ونحوها (منذرة) من الانذار وهو الاعلام بما يخاف منه (مزعجة) أي محركة على تدارك ما يلزمه (بل تأتيهم بغتة) وفجاءة (فتبهتهم) أي تدهشهم وتذهب عقولهم لحيرتهم (فلا يستطيعون ردها) بدفعها (ولاهم ينظرون) أي لا يمهلون بعد مجيئها ولا يؤخرون ساعة بعد امهالهم الاول وهو اقتباس من الآية (فكان الموت أشد شيء عليه) لذلك (وفراق الدنيا أفظع) بظاء معجمة وعين مهملة

(أمر) لديه من حال (صدمه) أي أصابه مما هجمه (وأكره شئ له) أي أصعب شئ أرهقه وأصابه (والى هذا المعنى أشار عليه الصلاة والسلام بقوله) كما في الصحيحين عن عبادة بن الصامت (من أحب لقاء الله) أي رؤية الله تعالى له عند موته ما أعده له في الجنة (أحب الله لقائه) أي أراد مصيره اليه ومنحه ما لديه (ومن كره لقاء الله) تعالى برؤيته له عند موته ما أعد له من سخطه كما ورد في الحديث تفسيره بذلك (كره الله لقائه) فلم يظفر بمطلوب ولم يظهر بمرغوب وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان أهل البيت ليتنافسون في الخير المعروف فيدخلون الجنة كلهم حتى ما يفقدوا خادمهم وان أهل البيت ليتنافسون في الشر فيدخلون النار كلهم حتى ما يفقدوا خادمهم وقد يقتبس هذا المعنى منطوقا ومفهوما من قوله تعالى جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم وروى الترمذي عن سالم بن عمر قال لقيت عليا رضي الله تعالى عنه وهو منصرف من مسجد القبلتين فقال يا ابن عمر اني كنت آنفا عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فأخبرني بكلمات أخبره بهن جبريل عن الله عز وجل وانا نخبرك بهن وأنت لذلك أهل أخبرني رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال قال جبريل عليه الصلاة والسلام ما من قوم يكونون في حبرة الا ستتبعهم عبرة وكل نعيم زائل الا نعيم الجنة وكل هم منقطع الا هم أهل النار واذا عملت سيئة فاتبعها حسنة تمحها سريعا واكثر من صنائع المعروف توق مصارع السوء وما من عمل بعد الفرائض أحب الى الله من ادخال السرور على المؤمن ثم قال دونكهن يا ابن عمر قال فشرح الله بهن صدري مرتين كذا ذكره التلمساني والله سبحانه وتعالى أعلم

(القسم الرابع)

(في تصرف وجوه الاحكام فيمن تنقصه أو سبه عليه الصلاة والسلام قال القاضي أبو الفضل رضي الله تعالى عنه) يعني المصنف (قد تقدم من الكتاب والسنة واجماع الامة ما يجب من الحقوق للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي مجملا (وما يتعين له من بر) أي طاعة أو احسان (وتوقير) أي تبجيل (وتعظيم واكرام) وأمثال ذلك مفصلا (وبحسب هذا) بفتح السين أي على قدر ما يجب له ويتعين في حقه (حرم

أي أشق وأكره وأشنع (أمر صدمه) أصابه بشدة وهو غافل عنه (وأكره شئ له) لانه كما ورد أيضا ان المؤمن اذا مات كان كالغائب يقدم على أهله يسرهم قدومه وغيره كالعبد الآبق يرد على سيده (والى هذا المعنى) المذكور (أشار) صلى الله عليه وسلم (بقوله) في حديث رواه الشيخان عن عبادة بن الصامت رضي الله تعالى عنه (من أحب لقاء الله) بقدومه عليه عند موته (أحب الله لقاءه) باكرامه له في جواره للملأ الاعلى (ومن كره لقاء الله) بسخطه وعدم رضاه بقبض روحه (كره الله لقاءه) لانه كفر نعمته وعصاه ومن فيه شرطية أو موصولة ويؤيده رواية اذا أحب الله الى آخره واحتمال الظرفية خلاف الظاهر وعلى الشرطية قال الكرماني يحتاج للتأويل لان الشرط ليس سببا للجزاء فالمعنى أخبر واعلم بمحبة لقائه اذ محبة الله قديمة سابقة فالمراد ظهورها له وهو كلام حسن لا يرد عليه شئ مما قاله ابن حجر وأقام الظاهر مقام الضمير تنويها بالشأنه ومشاكلة *(تتمة)* اعلم ان العز بن عبد السلام قال في كتاب فوائد المصائب ان لها فوائد تختلف باختلاف الناس كمعرفة الربوبية وقهرها ومعرفة العبودية وذلها واليه أشار بقوله الذين اذا أصابتهم مصيبة الى آخرها أي اعترفوا بانهم عبيده وملكه ومرجعهم لحكمه وقضائه لا محيد لهم عنه ومنها الاخلاص لله اذ لا يكشفها الا هو كما قال وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو والتضرع والدعاء قال الله تعالى واذا مس الانسان ضر دعانا ومنها الصبر والحلم والعفو عمن جناها والفرح بها لاعتياد الثواب والشكر على العافية ومحو السيآت بها ورحمة المصاب بها غيره ومعرفة قدر النعمة لزائلة عنه وترقب منافع خفية بها كما قيل كم نعمة مطوية كدفين أثناء المصائب ومنعها من التكبر والخيلاء والرضى بما قدره الله فلذا كان أشد الناس بلاء الامثل فالامثل الى آخر ما فصله

(القسم الرابع)

من هذا الكتاب (في تصريف وجوه الاحكام) وفي نسخة تصرف والمراد بيان وجوهها وأسباب الاختلاف فيها الذي أوجب تغييرها من قول الى آخر (فيمن تنقصه) صلى الله عليه وسلم بذكر ما فيه تحقير له وغض من على مقامه (أو سبه) أي بذكر ما فيه سب وشتم له صلى الله عليه وسلم (قال القاضي أبو الفضل) عياض المصنف رحمه الله (قد تقدم) في هذا الكتاب (من الكتاب والسنة واجماع الامة ما يجب من الحقوق للنبي صلى الله عليه وسلم) أي التي يستحقها لذاته (وما يتعين له) على أمته بل الناس كافة (من بر) أي احسان قول وفعل يتعلق به صلى الله عليه وسلم (وتوقير) أي تعظيم وتبجيل (وتعظيم واكرام) لاحترام مقامه (وبحسب هذا) بفتح السين أي بمقدار اعتبار ما يجب ويتعين له (حرم

الله تعالى أذاه فى كتابه) و بين حرمته فى فصل خطابه (وأجمعت الامة على قتل متنقصه) بنوع من تحقيره خلاف ما يجب من توقيره (من المسلمين) بخلاف الكافرين (وسابه) أى شاتمه بطريق الاولى فى حقه ففى قاضيخان لو عاب الرجل النبي فى شئ كان كافرا وكذا قال بعض العلماء لو قال لشعر النبي شعير فقد كفر وعن أبى حفص الكبير من عاب النبي بشعرة من شعراته الكريمة فقد كفر وذكر فى الاصل ان شتم النبي كفر ولو قال جن النبي ذكر فى نوادر الصلاة انه كفر و يجوز ان يقال أغمى على النبي وهذا حكم المؤمن به وأما الكافر اذا تنقصه أو سبه قال بعضهم يقتل وقال بعضهم ينتقض عهده و يخرج من بلده فيبلغ مامنه (قال الله تعالى ان الذين يؤذون الله و رسوله لعنهم الله) أى أبعدهم عن الرحمة (فى الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا) وحجابا مبينا قال ابن عباس هم اليهود والنصارى والمشركون فاما اليهود فقالوا عزير ابن الله و يد الله مغلولة و قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء وأما النصارى فقالوا المسيح ابن الله وثالث ثلاثة وأما المشركون فقالوا الملائكة بنات الله والاصنام شركاؤه قال البغوى وروينا عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال يقول الله يؤذيني ابن آدم بسب الدهر وأنا الدهر بيدى الامر أقلب الليل والنهار وأما ايذاء الرسول فقال ابن عباس هو انه شج فى وجهه وكسرت رباعيته وقيل ساحر شاعر معلم مجنون (وقال تعالى والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم) أى مؤلم بفتح اللام وكسرها وصدر الآية ومنهم الذين يؤذون النبي و يقولون هو اذن نزلت فى جماعة من المنافقين كانوا يؤذون النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقالوا ما لا ينبغى فقال بعضهم لا تفعلوا فانا نخاف ان يبلغه فيوقع بنا فقال الجلاس بن سويد منهم بل نقول ما شئنا ثم نأتيه وننكر ما قلنا ونحلف فيصدقنا فانما محمد اذن أى اذن سامعة فقال تعالى قل اذن خير لكم يؤمن بالله و يؤمن للمؤمنين و رحمة للذين آمنوا منكم الآية (وقال تعالى وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله) بنوع من الاذى لا فى حياته ولا بعد مماته (ولا ان تنكحوا أزواجه من بعده أبدا) أى لا بعد وفاته ولا بعد فراقه لها دخل بها أم لا تعظيما لقدره وتفخيما لامره (ان ذلكم) أى الاذى من قبلكم (كان عند الله عظيما) أى ذنبا جسيما نزلت فى رجل من أصحاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال لئن قبض رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لانكحن عائشة قال مقاتل بن سليمان هو طلحة بن عبيد الله فاخبر الله عز وجل ان ذلك محرم و روى معمر عن الزهرى ان العالية بنت ظبيان التى طلقها النبي صلى الله تعالى عليه وسلم تزوجت رجلا و ولدت له و ذلك تحريم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وفى تفسير البغوى انه نزل فيمن أضمر نكاح عائشة بعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان تبدوا شيأ أو تخفوه فان الله كان بكل شئ عليما

الله أذاه فى كتابه) كما سياتى بيانه وهذه قرينتها (وأجمعت الامة على قتل متنقصه وسابه من المسلمين) وقيده بالمسلمين لاختلافهم فى الفاعل لذلك من الكفار هل يقتل أو ينتقض عهده و يبلغ مأمنه و يأتى ذلك مبسوطا فى فصل معقود له وقد قيل ان فى دعواه الاجماع فى المسلم نظر لان مذهب الشافعى ان من تنقصه صلى الله تعالى عليه وسلم بغير قذف من المسلمين وكذا سائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام يستتاب فان تاب لم يقتل ومن قذفه فيه خلاف أيضا فقيل يقتل لان حد قاذف الانبياء القتل فلا يستتاب وقيل ان تاب فورا وأسلم بعد الردة فيحد حد القذف ولا يقتل كما حكى عن كثير منهم فلا ينبغى دعوى الاجماع فيه الا ان يريد اجماع أهل مذهبه من المالكية أو عدم الاعتداد بالمخالف فيه وأقول ان مراده الاجماع على وجود موجب القتل فيه لكفره و ردته فان تاب وقبلت توبته خرج عما استوجبه الاجماع ولو صرح به كان أظهر الا ان هذه العبارة عبر بها السلف كلهم كما نقله السبكى فى كتابه السيف المسلول على من سب الرسول وأشار الى ان الاجماع على كفره و ردته الموجبة لقتله اجماعا وان عرض ما يمنعه بعده وقال انه لم يخالفه فيه أحد الا ابن حزم القائل بعدم كفر من استخف به صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يتبعه أحد عليه ولا عبرة به فالمعترض لم يقف على مراد القاضى رحمه الله تعالى ولم يفرق بين الوجوب والوقوع وسياتى ان شاء الله تعالى بيانه ثم ذكر ما يؤيده ما قاله من الآيات فقال (قال الله تعالى ان الذين يؤذون الله و رسوله لعنهم الله فى الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا) فيه استئناس لما ذكره لان من لعن فى الدنيا والآخرة وأعد له العذاب لا يكون الا كافرا وقرن أذيته صلى الله تعالى عليه وسلم بأذيته تعالى للدلالة على ان من آذى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقد آذى الله فما قيل من انه لا يدل على مدعاه من الاجماع كلام ناشئ من عدم العلم بمراده (وقال تعالى والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم) يعنى فى الدنيا بالقتل وفى الآخرة بخلود العذاب (وقال تعالى وما كان لكم) أى لا يجوز ولا يصح كما مر (ان تؤذوا رسول الله) بكل ما يكرهه قولا وفعلا (ولا) كان لكم (ان تنكحوا أزواجه من بعده) أى بعد موته (أبدا) لحرمتهن عليهم مؤبدة لانهن أمهات المؤمنين (ان ذلكم) المذكور من الاذية والنكاح (كان عند الله عظيما) لقبحه ومنعه شرعا واستحقاق فاعله الخزى فى الدنيا والآخرة

(وقال تعالى في تحريم التعريض له) أي التلويح بما يسوءه من غير التصريح (يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا) فانه أمر بالمراعاة في مقام التصريح لكنه متضمن لمعنى الرعونة في مقام التلويح (وقولوا) أي بدله (انظرنا) أي انظر الينا وراقبنا أو انتظرنا وتأن بنا حتى نفهم كلامك ونعلم مرامك (واسمعوا) أي سماع قبول (الآية) وللكافرين عذاب أليم وفيه وعيد شديد وتهديد أكيد (وذلك) أي سبب نزول الآية هنالك (ان اليهود كانوا يقولون راعنا يا محمد أي ارعنا سمعك) بفتح الهمزة وكسر العين والمعنى راعنا بسمعك وألقه الينا (واسمع منا) ولا تغفل عنا (ويعرضون) بتشديد الراء المكسورة

أي ويلوحون (بالكلمة) التي هي سبة عندهم (يريدون الرعونة) وهي بضم الراء الحماقة ويضحكون فيما بينهم فسمعها سعد بن معاذ ففطن لها فقال لليهود والله لئن سمعتها من أحد منكم يقولها لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لاضربن عنقه فقالوا أو لستم تقولونها (فنهى الله المؤمنين عن التشبه بهم ولو في الصورة وقطع الذريعة) أي الوسيلة وسد باب الفساد (بنهي المؤمنين عنها) أي عن كلمة راعنا (لئلا يتوصل بها الكافر والمنافق الى سبه) أي طعنه (والاستهزاء به وقيل بل لما فيها) أي في كلمة راعنا (من مشاركة اللفظ) أي المبنى ومشابهة المعنى (لانها عند اليهود بمعنى اسمع لا سمعت) دعاء عليه كما قال تعالى اخبارا عنهم من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا ليا بألسنتهم وطعنا في الدين ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا واسمع وانظرنا لكان خيرا لهم وأقوم ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا وبهذا تبين انه ما يصح كون كلمة راعنا بمعنى اسمع بل بينهما مغايرة (وقيل بل لما فيها) أي في كلمة راعنا (من قلة الادب وعدم توقير النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي تبجيله

(وقال تعالى في تحريم التعريض له صلى الله تعالى عليه وسلم) بما يؤذيه من غير تصريح به (يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا الآية) وذكر ما يدل على المنع عن التعريض بعد ما يكون صريحا ترتيب حسن فالنهي عن أذيته صلى الله عليه وسلم صريحا وتعريضا فيه دلالة على ما ادعاه بالطريق الأولى والاقوى فالاعتراض بانه غير دال على ما ادعاه لا وجه له غير قلة التدبر واراد المصنف رحمه الله تعالى بالتعريض الابهام والتورية بما يوهم ذلك وذلك ان المؤمنين كانوا يقولون لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا كلمهم بما لا يدرون راعنا أي أرع جانبنا وتمهل علينا حتى نفهم ما تقول فلما سمعهم اليهود يقولون ذلك انتهزوا الفرصة في تنقيص مقام النبوة فكانوا يقولون له صلى الله تعالى عليه وسلم ذلك بقصد سبه اما لانها كلمة سب بلغتهم بالعبرانية أو يقصدون بها وصفه بالرعونة وهي الحمق فتفطن لذلك بعض الصحابة فقال لهم لئن لم تنتهوا عن مخاطبته صلى الله تعالى عليه وسلم بهذا لاخبرنه بما قصدتم فقالوا ألستم تقولونها فانزل الله هذه الآية نهيا للمؤمنين ان يقولوا ما يتوصل به اليهود لسبه صلى الله تعالى عليه وسلم كما أشار اليه المصنف رحمه الله تعالى بقوله (وذلك) المذكور من التعريض وجهه (ان اليهود) لعنهم الله تعالى (كانوا يقولون) لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (راعنا يا محمد أي ارعنا سمعك) أي أرع جانبنا بتوجهك الينا وألق سمعك نحونا (واسمع منا) ما نتكلم به عندك (ويعرضون بالكلمة) بقصدهم معنى غير ظاهرها (يريدون الرعونة) أي يقصدون بها اسم فاعل من الرعونة وهي خفة العقل فينصبونه بمقدر نحو كن أو صرت راعنا أي ذا رعونة (فنهى الله المؤمنين) في هذه الآية (عن التشبه بهم) بقول مثل مقالتهم له صلى الله تعالى عليه وسلم والمراد بالتشبه فعل ما يشبهه من غير قصد وأمروا ان يقولوا ما يؤدي معناها من غير ابهام وهو انظرنا واسمع منا أي انتظر فهمنا (وقطع الذريعة بنهي المؤمنين عنها) أي عن هذه الكلمة الموهمة أو الضمير للذريعة وقطع مصدر أو فعل ماض أي قطع الله تعالى الذريعة وسد بابها بهذا النهي والذريعة هي الوسيلة الموصلة لامر غير محمود وسد باب الذريعة قاعدة عند الامام مالك مشهورة تقدم الكلام عليها (لئلا يتوصل بها الكافر والمنافق الى سبه) صلى الله تعالى عليه وسلم (والاستهزاء به) فانهم كانوا يقولونها ويتغامزون (وقيل بل) نهى المؤمنون عنها (لما فيها من مشاركة اللفظ) أي كونه مشتركا بين معنيين (لانها) أي هذه الكلمة (عند اليهود) في لغتهم (بمعنى اسمع لا سمعت) دعاء عليه قال الراغب كان ذلك قولا يقولونه للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم على سبيل التهكم يقصدون به وصفه بالرعونة ويوهمون انهم يقولون راعنا أي احفظنا انتهى ومعناها الدعاء عليه كاسمع غير مسمع وهي عبرانية كانوا يتسابون بها وأصلها راعنا وانظرنا بمعنى انظر الينا بالحذف والايصال أو انتظرنا وتأن حتى نفهم ما تقول (وقيل بل) نهوا عنها (لما فيها من قلة الادب وعدم توقير النبي) صلى الله تعالى عليه وسلم

(وتعظيمه لانها في لغة الانصار) وفي نسخة لغة النصارى ولا وجه للتقييد باحدهما اذهي على وفق اللغة الجادة فان المراعاة مفاعلة من باب المغالبة فيكون (بمعنى أرعنا) بوصل همزة وفتح عين أمر من الرعاية (نرعك) أي حتى نرعاك فحذف الالف للجزم في جواب الامر وحيث كان يؤذن بان رعايتهم له مشروطة برعايته لهم (فنهوا عن ذلك اذ مضمنه) بفتح الميم الثانية المشددة أي مضمونه (انهم لايرعونه الابرعايته لهم وهو) عليه الصلاة والسلام واجب الرعاية بكل حال) سواء راعاهم أولم يراعهم (وهذا هو عليه الصلاة والسلام قدنهى) الحاضرين من أمته (عن التكني بكنيته) وهي أبو القاسم امابابنه القاسم وهو الظاهر أو كناه الله تعالى بذلك لقوله أنا قاسم بينكم وله كنية أخرى وهي أبو ابراهيم لابنه الآخر (فقال سموا) وفي نسخة تسموا (باسمي) أو محمدا وأحمد (ولا تكنوا) من كنى مخففا أومشددا وروى ولا تكتنوا (بكنيتي) بضم الكاف ويكسر وفيه ايماء الى ان محط النهي هو الجمع بين الاسم والكنية لانهما موجبان للشبهة (صيانة لنفسه) أي الكريمة كما في نسخة (وحماية عن اذاه) اذا أحد به غيره ناداه ولعل وجه النهي عن الكنية دون الاسم كونهم متادبين معه حيث لاينادونه باسمه لاسيما بعد نهيهم عنه بقوله تعالى لاتجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا أي لاتقولوا له يامحمد ياأحمد بل قولوا يانبي الله يارسول الله واما ماثبت من حديث أنس ان رجلا من أهل البادية قال يامحمد الحديث فلعله كان قبل النهي أو قبل بلوغه ونقل عن عز الدين بن عبد السلام انه يجوز ذلك في الادعية وكانوا ينادونه بالكنية لما فيه من نوع التعظيم في الجملة بحسب العرف والعادة ولما كان فيه شبهة المشاركة نهاهم عن ذلك ليكونوا متادبين هنالك (اذ كان صلى الله تعالى عليه وسلم) كما رواه الشيخان عن أنس (استجاب) أي أجاب (لرجل نادى) غيره (ياأبا القاسم فقال لم أعنك) بفتح فسكون فكسر أي لم أدرك بهذا النداء (انما دعوت هذا) وأشار الى رجل آخر وهو ابن القاسم الانصاري مذكور في الصحابة (فنهى حينئذ عن التكني بكنيته لئلا يتاذى باجابة دعوة غيره) وفي نسخة باجابة دعوته غيره الصادرة (ممن لم يدعه ويجد بذلك المنافقون المستهزؤن ذريعة) أي وسيلة (الى اذاه) أي أذيته (والازراء به) أي الاستحقار بدعوته والانتقاص في حالته (فينادونه) قصداله (فاذا التفت

(وتعظيمه لانها في لغة الانصار بمعنى ارعنا نرعك) أي ان راعيتنا راعيناك لانها صيغة مفاعلة من الجانبين وسوء الادب فيها ظاهر (فنهوا عن ذلك) لما فيه من ترك الادب معه صلى الله تعالى عليه وسلم (اذ مضمونها) أي مدلولها عندهم (انهم) أي القائلين (لايرعونه) ويحفظون حقه (الابرعايته) صلى الله تعالى عليه وسلم (لهم) وهذا النهي مخصوص بزمان النبوة كما قاله الواحدي في الوسيط (وهو) صلى الله تعالى عليه وسلم (واجب الرعاية) على كل أحد (بكل حال) أي في كل حال سواء راعى غيره أم لا والجواب الثاني قريب من الاول الا انه قيل ان الثالث فيه نسبة مالايليق بالصحابة رضي الله تعالى عنهم لهم فانهم أعرف بمقام النبوة وأجل عن وقوع تقصير منهم في التادب معه (وهو) صلى الله تعالى عليه وسلم (قدنهى) الناس في الحديث المشهور (عن التكني بكنيته) الشريفة وهي أبو القاسم كني باسم بعض أولاده وتقدم ان القاسم أكبر أولاده ولذا كني به واختلف هل مات قبل البعثة أو بعدها والكنية ماصدرت باب أوأم واللقب ماأشعر بمدح أوذم والعلم أعم منهما واختلفوا فيها هل تتداخل أم لا (فقال تسموا باسمي) أراد به محمدا لانه أشهر أسمائه صلى الله تعالى عليه وسلم وأشرفها والتسمية به مستحبة متيمنة ورد فيها أحاديث كثيرة مشهورة وبركتها معروفة (ولا تكنوا بكنيتي) بفتح التاء الفوقية والكاف وتشديد النون وأصله تتكنوا فحذف احدى التائين تخفيفا قياسيا وقيل أصله تتكانوا حذفت ألفه لالتقاء الساكنين وهو تكلف من غير داع له وقيل انه روى تكنوا مخففا مسكن الكاف والاول أشهر وأظهر وروى لاتكتنوا أيضا (صيانة لنفسه) عن ان يشاركه غيره في كنيته المنوهة برفعة قدره وهو ومابعده مفعول له منصوب (وحماية) أي حفظا (عن اذاه) أي ان يؤذيه غيره ثم بين علة المنع وتأذيه بذلك بما وقع في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم بقوله (اذا كان صلى الله تعالى عليه وسلم استجاب) أي أجاب والتفت (لرجل نادى ياأبا القاسم) من خلفه وهو في السوق (فقال) له الرجل الذي نادى (لم أعنك) أي لم أقصدك بندائي هذا (انما دعوت هذا) يشير لرجل ثمة وأبو القاسم المذكور قيل انه رجل من الانصار (فنهى) صلى الله تعالى عليه وسلم (حينئذ) أي حين اذ وقعت هذه القصة (عن التكني بكنيته) بضم الكاف وقد تكسر من كنيته وكنوته وأصل الكناية الستر (لئلا يتاذى باجابة دعوة غيره) الصادرة (ممن لم يدعه) اذ ظنه دعاه والتفت نحوه (ويجد بذلك المنافقون والمستهزؤن) من الكفرة (ذريعة) أي وسيلة وطريقا (الى اذاه) بنداء غيره ابهاما النداءه واسماعاله (والازراء به) أي الاستخفاف تحقيرا به (فينادونه بكنيته فاذا التفت) صلى الله تعالى عليه وسلم لمن

ينادي

قالوا انما أردناهذا) لواقف ونحوه (لسواه) أى لغيره عليه الصلاة والسلام (تعنيتاله) تفعيل من العنت بفتحتين وهو المشقة ادخالا للتعب عليه فى أمره وتنقيصا لقدره (واستخفافا بحقه على عادة المجان) بضم الميم وفتح الجيم المشددة جمع الماجن وهو الذى لايبالى بما صنع (والمستهزئين فحمى عليه السلام حمى اذاه) بفتح الحاء فى الاول وكسره فى الثانى أى صان حريم ساحته عن أذى يلحقه فى حالته (بكل وجه) فى شريعته وطريقته (فحمل محققوا العلماء نهيه عن

هذا) أى التكنى بكنيته (على مدة

ينادى (قالوا) له حين أجابهم (انما أردنا هذا) مشيرين لغيره قصدا (لسواه) ممن تكنى بكنيته (تعنيتاله) أى ايقاعاله فى العنت وهو الامر الشاق فهو بعين مهملة ونون ومثناة فوقية (واستخفافا بحقه) أى تهاونا وتحقيرا بالعدول عن توقيره (على عادة المجان) والمجان بضم الميم وتشديد الجيم قبل ألف ونون جمع ماجن من المجون وهو الهزل والسخرية (والمستهزئين فحمى صلى الله تعالى عليه وسلم حمى اذاه) أى منع منه منعا تاما فان من حام حول الحمى يوشك ان يقع فيه (بكل وجه) يفضى اليه فاذا منع من المشاركة فى كنيته فيعلم منه المنع مما نوهم معنى قبيحا بالطريق الاولى كقولهم راعنا ونحوه ثم شرع فى بيان حكم التكنى بكنيته شرعا فقال (فحمل محققوا العلماء نهيه) أى حملوا حكمه فى المنع ونهيه (عن هذا) المذكور من التكنى بكنيته (على مدة حياته) لان علة تاذيه بسماعه انما تتصور فى حياته (واجازوه بعد وفاته لارتفاع العلة) المذكورة بموته صلى الله تعالى عليه وسلم والشئ قد يرتفع بارتفاع ماعال به وينتهى بانتهائه فلا يقال ان عموم لفظه يأباه (وللناس) من العلماء (فى هذا الحديث) يعنى حديث تسموا باسمى ولا تكنوا بكنيتى (مذاهب ليس هذا موضعها) الذى تذكر فيه مفصلة لطولها (وما ذكرناه) من تخصيصه بحياته لما تقدم (هو مذهب الجمهور) أى أكثر الفقهاء والمحدثين (و) هو (الصواب ان شاء الله) من الاقوال وهى كثيرة * أحدها المنع مطلقا سواء كان اسمه محمدا أم لا وروى عن الشافعى رضى الله عنه * والثانى الجواز مطلقا * والثالث لايجوز لمن اسمه محمد ويجوز لغيره وعليه عمل السلف وصححه الرافعى وبالغ بعضهم فقال لايجوز ان يسمى احد ابنه القاسم لئلا يكنى بابى القاسم * والرابع منع التسمية بمحمد مطلقا والتكنى بابى القاسم مطلقا واستدل بما يأتى قريبا ان عمر رضى الله عنه غير اسماء جماعة سموا بمحمد من أولاد الصحابة ونهى أيضا عن التسمية باسماء الانبياء اعظاما لهم عن ان يسبوا فيسرى لسبهم لكنه صح كما يأتى انه رجع عن هذا لما بلغه ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم سمى به بعض من ولد فى حياته * والخامس المنع مطلقا فى حياته والتفصيل بعده بين من اسمه محمدا واحمد فيمنع أو يجوز فى غيره * والسادس انه يجوز فى حياته لمن سماه بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وكناه لما يأتى من انه روى عن على كرم الله وجهه ورضى الله تعالى عنه انه قال له يارسول الله ان ولد لى ولد اسميه باسمك وأكنيه بكنيتك قال نعم وهو محمد بن الحنفية المكنى بابى القاسم ولذا قيل الاصح ان النهى مخصوص بحياته صلى الله تعالى عليه وسلم الا من أذن له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فيه والظاهر ماقاله المصنف رحمه الله تعالى لدلالة الحديث عليه دلالة ظاهرة ولبعضهم فى بعض ذلك

فى كنية بقاسم خلف وقع * فالشافعى مطلقا لها منع
ومالك جوز والنهى حمل * على الحياة والنواوى جعل
هذا هو الاقرب اما الرافعى * يمنع من سمى محمدافع

وان ذلك) المنع انما جاء فى حياته بكنيته فقط لانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان لاينادى باسمه تادبا (على طريق توقيره وتعظيمه) فى عدم المشاركة فى كنيته ولان القاسم من يقسم ارزاق الناس ونحوه مما لايليق

حياته واجازوه بعد وفاته لارتفاع العلة) وهى ايذاؤه فى تلك الحالة ولما سيأتى أيضا من الادلة وقد أغرب الدلجى بقوله حملوا بلا دليل شرعى مع ترجيح ولا مرجح له وليس ارتفاع العلة بكاف فى تجويزه بعدها مع صراحة عموم النهى المطلق عنه الشامل لما قبلها ومابعدها كيف وقد غير عمر فى خلافته اسماء كثيرة من أولاد الصحابة ممن كان اسمه محمدا بغيره كاسم ابن أخيه غيره بعبد الرحمن مع اذنه صلى الله تعالى عليه وسلم فى التسمية به فلأن يمنع من التكنية بكنيته مع النهى عنها أولى وممن منعه بها مطلقا الشافعى انتهى وسيأتى الجواب عن تغيير عمر مع انه بظاهره حجة عليه لانه غير موافق لمذهبه واما قول الشافعى ليس لاحد ان يكنى بابى القاسم سواء كان اسمه محمدا أولا لظاهر النهى فيرد عليه بان الناس مازالوا يكتنون به فى سائر الاعصار من غير انكار وذلك منهم بمنزلة الاجماع ولا تجتمع الامة على الضلالة على ماقاله الانطاكى وتبعه التلمسانى (وللناس فى هذا الحديث مذاهب) أى كثيرة (ليس هذا موضعها) وسيأتى بعضها (وما) وفى نسخة والذى (ذكرناه) من تقييد النهى بحياته (هو مذهب الجمهور والصواب ان شاء الله) عارضه الدلجى بقوله بل الصواب المنع مطلقا وقد سمعت الجواب محققا (ان ذلك على طريق تعظيمه وتوقيره

على سبيل الندب والاستحباب لا على التحريم) وتعقبه الدلجي بان هذا دعوى مجردة عن البينة لصدوره على خلاف الاصل من ان نهيه انما كان للايذاء المؤذن بوجوب الكف عن التكني بها اذ الاصل حمل لفظ النهي على حقيقته من التحريم حتى يقوم ما يصرفه عنها انتهى واعلم ان القول الذي هو فصل الخطاب في هذا الباب ان حديث تسموا باسمي ولا تكتنوا بكنيتي أخرجه البخاري ومسلم من رواية جماعة من الصحابة منهم جابر وأبو هريرة وغيرهما فقال الشافعي ليس لاحد ان يكتني بابي القاسم سواء كان اسمه محمدا أم لا قال الرافعي ومنهم من حمله على كراهية الجمع بين الاسم والكنية وجواز الافراد قال ويشبه ان يكون هو الاظهر لان الناس ما زالوا يكتنون به في سائر الاعصار من غير انكار قال النووي في الروضة وهذا التاويل والاستدلال ضعيف والاقرب مذهب مالك وهو جواز التكني بابي القاسم مطلقا لمن اسمه محمد ولغيره والنهي مختص بحياته عليه الصلاة والسلام لان سبب النهي ان اليهود تكنوا به وكانوا ينادون يا أبا القاسم فاذا التفت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قالوا لم نعنك اظهارا للايذاء وقد زال ذلك المعنى وهذا نقله الغزالي في الاحياء عن العلماء (ولذلك لم ينه ٣٣٢ عن اسمه لانه) أي الشان (قد كان منع الله من ندائه به) أي باسمه (بقوله لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم) أي نداءه باسمه (كدعاء بعضكم بعضا) باسمائكم (وانما كان المسلمون يدعونه) أي ينادونه (يا رسول الله يا نبي الله وقد يدعونه) هو بصيغة الجمع على الصواب وروي يدعوه بالافراد قيل ووجهه يدعوه الداعي (بكنيته) يعني (أبا القاسم) أو فيقولون أبا القاسم أي يا أبا القاسم وفي نسخة أبي القاسم فلا اشكال (بعضهم) بدل من ضمير يدعونه أو فاعل يدعوه على حقيقة الافراد وليس بعضهم وفي نسخة (في بعض الاحوال) لما استقر عندهم من ان الدعاء بالكنية اشعار بالتعظيم والاجلال وذكر الحلبي عن بعض مشايخه ان قول النووي في الروضة ما ذكره الرافعي انه ضعيف وكذا قوله في الاذكار ان فيه مخالفة لاصل الحديث فيه نظر لان فيه موافقة لحديث صحيح رواه أحمد وأبو داود والترمذي من حديث أبي الزبير عن جابر رفعه من تسمى باسمي فلا يكتني بكنيتي ومن تكنى بكنيتي فلا يتسمى باسمي قال الترمذي حسن غريب وقال البيهقي في شعب الايمان بعد ان أخرجه هذا حديث صحيح وصححه ابن حبان وابن السكن وهو مذهب أبي حاتم وشذ آخرون فمنعوا التسمية باسم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم جملة كيف ما كان حكاه المنذري قال وذهب آخرون الى ان النهي في ذلك منسوخ انتهى وما ذكره المنذري من المنع عن التسمية باسمه عليه الصلاة والسلام حكاه النووي في شرح مسلم فقال التسمية بمحمد ممنوعة مطلقا سواء كان له كنية أم لا قال وجاء في حديث عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يسمون أولادهم ثم يلعنونهم وهذا معنى قوله (وقد روى أنس) كما رواه الحاكم والبزار وأبو يعلى بسند حسن (عنه عليه الصلاة والسلام ما يدل على كراهة التسمي باسمه وتنزيهه) أي تبعيد اسمه (عن ذلك) أي عن ان يتسمى به غيره (اذا لم يوقر) أي لم يعظم حق تعظيمه (فقال تسمون أولادكم محمدا ثم

بغيره (و) انه أيضا انما منع (على سبيل الندب والاستحباب) الندب آكد من الاستحباب لانه الاولى (لا على التحريم) لانه لا يلزمه التاذي به حين يقال كيف لا يحرم ما فيه أذية له صلى الله تعالى عليه وسلم (ولذلك) أي كونه ندبا لا وجوبا (لم ينه عن) التسمية بـ(اسمه) مع وجود العلة فيه لكنه دفع ذلك المحذور بقوله (لانه قد كان الله منع عن ندائه به) وحده لما فيه من ترك الادب (بقوله لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا) أي كما ينادي احدكم غيره باسمه فهو مصدر مضاف للمفعول أو الفاعل أي كما كان يدعوكم باسمائكم فانه جائز له صلى الله تعالى عليه وسلم ويجب اجابته مطلقا حتى ذهب بعض الشافعية الى انه يجب اجابته في الصلاة كسائر الانبياء ولا تبطل بها الصلاة لانها بالنسبة له صلى الله تعالى عليه وسلم (وانما كان المسلمون يدعونه) أي ينادونه ويخاطبونه بقولهم (يا رسول الله ويا نبي الله) ولا يقولون يا محمد وكذا يقولون يا أبا القاسم لما في الكنية من التعظيم وتوقف فيه صاحب الامتاع كما قدمناه وليس محل توقف ولذا قال المصنف رحمه الله تعالى (وقد يدعوه) بياء الغيبة لاسناده لظاهر وفي نسخة يدعونه فالظاهر بدل منه (بكنيته) يعني (أبا القاسم) لما فيها من الادب وشعار التعظيم (بعضهم) فاعل أو بدل بعض كما تقرر (في بعض الاحوال) وهو لا ينافي النهي عن التكني بها كما توهم بل يناسبه أتم مناسبة الا انه نقل عن الشافعي انه حرم نداؤه صلى الله تعالى عليه وسلم بكنيته كما حرم نداؤه باسمه فسوى بينهما لدخولهما تحت قوله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا لانهم كانوا يتداعون بينهم بالكنى وقد يفرق بينهما فكان هذا هو الداعي لتوقف صاحب الامتاع وفي الشرح لم أقف على ان أحدا ناداه صلى الله تعالى عليه وسلم بكنيته بعد هذا النهي الا أن يكون حديث عهد بالاسلام (وقد روي) في حديث رواه الحاكم والبزار وأبو يعلى وحسنه (عن أنس) رضي الله تعالى عنه (عنه صلى الله تعالى عليه وسلم ما يدل على كراهة التسمي باسمه) العلم وهو محمد وما يشمله غيره (وتنزيهه) أي تبعيد اسمه (عن ذلك) أي عن تسمية غيره به تكريما له والكراهة تنزيه لا تحريم (اذا لم يوقر) اسمه أو المسمى به أي يعظم (فقال تسمون أولادكم محمدا ثم تلعنونهم)

(تلعنونهم) بتقدير الاستفهام الانكاري أي التوبيخي ومحط الانكار الجملة الثانية كقوله تعالى أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم (وروى ان عمر كتب الى أهل الكوفة لا يسمى أحد) بصيغة المجهول ويجوز كونه للفاعل (باسم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) والمراد به محمد لانه أشهر أسمائه أو الجنس ليشمل أحمد أيضا ويؤيده انه في نسخة صحيحة باسمي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (حكاه أبو جعفر الطبري) وهو محمد بن جرير (وحكى محمد بن سعد) كاتب الواقدي وصاحب الطبقات عن عبد الرحمن ابن أبي ليلى (انه) أي عمر رضي الله تعالى عنه (نظر الى رجل) قيل هو ابن أخيه أبو عبد الحميد بن زيد بن الخطاب (اسمه محمد ورجل يسبه) اي يشتمه (ويقول) أي له كما في نسخة (فعل الله بك يا محمد وصنع) الله

(فقال عمر رضي الله تعالى عنه) عند ذلك

تلعنونهم) واصله أتسمعون بالاستفهام الانكاري الدال على كراهته لمن اعتاد سب أولاده باسمائهم وقال الحافظ ابن حجر انه حديث ضعيف ولا دليل فيه للكراهة مطلقا (و) قد (روى عن عمر رضي الله تعالى عنه انه كتب الى أهل الكوفة لا يسمى) بالبناء للمفعول أو الفاعل (أحد باسم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) توقيرا له وخوفا أن يسب بما يوهم سب مسماه مطلقا (حكاه) عنه (أبو جعفر) محمد بن جرير (الطبري) الا انه رجع عنه لما روى له ما يأتي انه صلى الله تعالى عليه وسلم سمى ابن أبي طلحة محمدا وغيره فقال لا سبيل اليكم يعني في المنع وروى سعيد بن المسيب أحب الاسماء الى الله تعالى أسماء الانبياء قال وانما كرهه عمر رضي الله تعالى عنه لئلا يسب المسمى به فيسرى لذلك (وحكى عن محمد بن سعد) الواقدي الامام المشهور وقد تقدمت ترجمته (انه) أي عمر رضي الله تعالى عنه (نظر الى رجل) هو ابن أخيه أبو عبد الله الحميدي بن زيد بن الخطاب (اسمه محمد ورجل يسبه) ويشتمه (ويقول فعل الله بك يا محمد وصنع) هو كناية عما أشتمه به كما يقال فلان الفاعل الصانع (فقال عمر) لما سمع شتمه باسمه (لابن أخيه محمد بن زيد الخطاب لا أرى محمدا) عليه الصلاة والسلام (يسب بك) أي يسب بسبب اسمك لما فيه من الايهام وألا كلمة تنبيه مركبة من همزة الاستفهام الانكاري ولا النافية الا ان الاستفهام الانكاري ازال النفي وحقق ما بعدها ولذا تتلقى بما يتلقى به القسم كان (والله لا تدعى) أي لا تسمى انت (محمدا ما دمت) انا (حيا) أي في مدة حياتي توقيرا له صلى الله تعالى عليه وسلم وتعظيما لاسمه ان يقترن بسب اسمه فغير اسمه محمدا (وسماه) أي سمى عمر رضي الله تعالى عنه ابن أخيه الذي هو محمد (عبد الرحمن) فهو عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب العدوي وأمه بنت أبي لبابة ولد في عهد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وسمى محمدا فغير عمر اسمه (وأراد) عمر رضي الله تعالى عنه في زمن خلافته (أن يمنع الناس ان يسمى أحد باسماء الانبياء) صلى الله تعالى وسلم عليهم أجمعين (اكراما لهم) أي للانبياء (بذلك) أي بمنع التسمية باسمائهم لئلا يسبوا ويسب أبوهم ذلك (وغير أسماء جماعة تسموا باسماء الانبياء ثم أمسك) أي كف ورجع عن منع التسمية لما مر وسيأتي (والصواب جواز هذا كله) أي التسمية باسمه مع الكنية وبدونها وكذا التسمية باسماء الانبياء والملائكة كما مر خلافا لمن منعه أو كرهه (بعده) أي بعد حياته صلى الله تعالى عليه وسلم لان وجه التأذي بندائه وهو غير متصور بعده (بدليل اطباق الصحابة) رضي الله تعالى عنهم (على ذلك) أي على التسمية بما ذكر وجوازه (وقد سمى جماعة منهم) أي من الصحابة (ابنه محمد أو كناه بأبي القاسم) فجمع

(لابن أخيه محمد بن زيد ابن الخطاب ألا أرى) لا نافية لا الا منبهة كما تصحف على الدلجي أي لا أرضى (محمدا عليه الصلاة والسلام يسب بك) أي في ضمن سبك أو بسبب سبك تصريحا (والله لا تدعى محمدا ما دمت) أنا وانت (حيا وسماه عبد الرحمن) ثم أرسل الى بني طلحة ابن عبيد الله وهم سبعة أكبرهم وسيدهم اسمه محمد فاراد أن يغير اسمه فقال محمد بن طلحة نوالله يا أمير المؤمنين ان من سماني محمدا لمحمد فقال قوموا فلا سبيل الى تغيير شئ سماه رسول الله وروى ان من الصحابة من اسمه محمد بضعة وثمانون انسانا (وأراد أن يمنع لهذا) السبب وهو تنزيه الاسم عن السب

(ان يسمى أحد باسماء الانبياء اكراما لهم بذلك) أي بتغيير أسمائهم هنالك (وغير أسمائهم) أي أسماء بعض من تسمى باسماء الانبياء وفي نسخة وغير أسماء جماعة تسموا باسماء الانبياء فقد روى ابن سعد قال دخل عبد الرحمن بن سعد بن زيد بن عمرو بن نفيل العدوي على عمر وكان اسمه موسى فسماه عبد الرحمن وروى ان عبد الرحمن بن الحارث بن هشام كان اسمه ابراهيم فسماه عبد الرحمن (وقال لا تسموا) أي أولادكم ويجوز ان يكون بفتح التاء والميم أي لا تتسموا (باسماء الانبياء ثم أمسك) أي عمر عن منعهم وفي شرح مسلم ان المذاهب في هذه المسئلة ستة الاول النهي عن التكني بابي القاسم مطلقا الثاني انه خاص بحياته الثالث انه على الادب الرابع انما يحرم الجمع الخامس التسمي بقاسم السادس المنع من التسمي بمحمد (والصواب جواز هذا كله بعده عليه الصلاة والسلام بدليل اطباق الصحابة على ذلك وقد سمى جماعة منهم) أي من الصحابة (ابنه محمدا) لقوله عليه الصلاة والسلام تسموا باسمي (وكناه بابي قاسم) كما يشير اليه قوله

(وروى ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اذن في ذلك) أي في تسمية ولده محمدا وتكنيته بابي القاسم (لعلي رضي الله تعالى عنه) اذنا خاصا أو عاما فقد رواه أبو داود والترمذي من حديث محمد ابن الحنفية عن علي بلفظ قال أي علي يا رسول الله أرأيت ان ولد لي بعدك اسميه محمدا أو أكنيه بكنيتك قال نعم ويروى انه عليه الصلاة والسلام قال لعلي سيولد لك بعدي غلام وقد نحلته اسمي وكنيتي ولا يحل لاحد من أمتي بعده (وقد أخبر عليه الصلاة والسلام ان ذلك) أي مجموع محمد وأبي القاسم (اسم المهدي) من أهل بيته في آخر الزمان (وكنيته) رواه أبو داود والترمذي وغيرهما عن ابن مسعود بلفظ المهدي يواطئ اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي ولم يعرف من زاد الكنية في روايته (وقد سمي به) أي باسمه محمد (النبي عليه الصلاة والسلام محمد بن طلحة) ابن عبيد الله التيمي على ما تقدم قيل وكناه بكنيته وقد مسح رأسه وهو المعروف بالسجاد أمه حمنة بنت جحش أخت زينب قتل يوم الجمل مع أبيه سنة ست وثلاثين وكان هواه فيما ذكر مع علي بن أبي طالب وكان علي قد نهى عن قتله في ذلك اليوم وقال اياكم وصاحب البرنس وروى ان عليا مر به وهو قتيل يوم الجمل فقال هذا السجاد ورب الكعبة هذا الذي قتله بره بابيه يعني ان أباه أكرهه على الخروج في ذلك اليوم (ومحمد بن عمرو بن حزم) الانصاري النجاري ولد سنة ست عشرة بنجران وقيل بالحرة وكان فقيها قتل يوم الحرة سنة ثلاث وستين من الهجرة (ومحمد بن ثابت بن قيس) ابن شماس الانصاري الخزرجي المدني أتى به أبوه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فسماه محمدا وحنكه بريقه قتل يوم الحرة (وغير واحد) أي وكثيرا منهم سماه عليه الصلاة والسلام محمدا كمحمد بن خليفة قال الذهبي وكان اسمه عبد مناف ومحمد بن نبيط بن جابر ولد في زمنه صلى الله تعالى عليه وسلم ومحمد بن هلال بن العلاء

بين الاسم والكنية ولم ينكره أحد منهم مع كثرة الصحابة اذ ذاك فهذا كله يدل على انه غير ممتنع شرعا والاطباق بمعنى الاجماع هنا من المطابقة وهي الموافقة مستعار من الاطباق بمعنى جعل شئ فوق شئ بقدره ومنه طابقت النعل ثم شاع وصار حقيقة عرفية وانما جاز هذا القصد التبرك المستلزم للتعظيم ولما ورد في حديث رواه ابن وهب تسموا باسماء الانبياء وأحب الاسماء الى الله عبد الله وعبد الرحمن وسمى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ابنه ابراهيم (وروى) في حديث رواه أبو داود والترمذي عن علي رضي الله تعالى عنه (ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اذن لعلي) بن أبي طالب (في ذلك) أي في الجمع بين الاسم والكنية وذلك انه قال له يا رسول الله ان ولد لي ولد بعدك اسميه باسمك وأكنيه بكنيتك فقال له نعم فهذا دليل على ان المنع مخصوص بزمانه صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا الحديث رواه أصحاب السنن وصححوه كما قاله البرهان الا انه قال حفظته عن مشايخي انه روى انه عليه الصلاة والسلام قال لعلي رضي الله عنه سيولد لك ولد بعدي وقد نحلته اسمي وكنيتي ولا يحل لاحد من أمتي بعده انتهى فعلى هذا لا شاهد فيه الا ان كبار الصحابة كأبي بكر وابن عوف فعلوا ذلك وناهيك به حجة وذلك الموعود به كما مر هو محمد بن الحنفية بن علي بن أبي طالب المشهور (وقد أخبر صلى الله تعالى عليه وسلم) في حديث روي عنه (ان ذلك) أي محمد وأبو القاسم (اسم المهدي وكنيته) الذي يظهر في آخر الزمان بعدما يظهر الفساد والجور فيملأ الارض عدلا وهذا ورد في حديث رواه أبو سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يصيب هذه الامة بلاء حتى لا يجد الرجل ملجأ يلجأ اليه من الظلم فيبعث الله رجلا من عترتي وفي رواية من أهل بيتي يوافق اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي وكنيته كنيتي فيملأ الارض عدلا وقسطا ويكثر المطر والنبات ويعيش سبع سنين أو ثمان أو تسع وفيه أحاديث كثيرة أفردت بالتاليف ليس هذا محلها وقيل انه من ولد العباس رضي الله تعالى عنه وقيل غير ذلك والشاهد فيما ذكر انه لو لم يكن جائزا بعده لما أخبر به الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وتسمى به من هو أصلح الناس وأعلمهم وأعدلهم في عصره (و) مما يدل على جواز التسمية باسمه انه (قد سمي به النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) جماعة منهم (محمد بن طلحة) التيمي جيء به له صلى الله تعالى عليه وسلم فمسح رأسه وسماه باسمه وكناه بكنيته وهو المعروف بالسجاد قتل في وقعة الجمل (ومحمد بن عمرو بن حزم) ابن زيد بن لوذان الانصاري ولد سنة عشر وقتل في وقعة الحرة سنة ثلاث وستين وهو من الفقهاء وروى عنه أحاديث في السنن (ومحمد بن ثابت بن قيس) ابن شماس الخزرجي أتى به أبوه للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم فحنكه وسماه محمدا وهو ممن قتل بالحرة أيضا وروى عنه أحاديث في السنن (وغير واحد) أي كثيرون سماهم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم باسمه من أولاد الصحابة وكانوا اذا ولد لهم ولد يأتون به للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم تبركا به فيمسح رأسه ويسميه وقد يحنكه بتمر وقد ذكر منهم جماعة الحافظ الذهبي ونقلهم

(وقال) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (ماضر أحدكم أن يكون في بيته محمد ومحمدان) وفي نسخة صحيحة وثلاثة (وقد فصلت الكلام) أي فيما ابتنت فيه المرام (في هذا القسم) أي الرابع من الكتاب (على بابين كما قدمناه) * (الباب الاول) *

(في بيان ماهو في حقه صلى الله تعالى عليه وسلم سب أو نقص من تعريض أو نص) أي تلويح أو تصريح من شتم أو ذم (اعلم) وفي نسخة فاعلم (وفقنا الله وإياك ان جميع من سب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي شتمه (أو عابه) أي ذمه (أو ألحق به نقصا في نفسه) أي ذاته أو صفاته (أو نسبه) بفتحتين (أو دينه) أي شريعته وسيرته

وحكوماته (أو خصلة من خصاله) أي حالة من حالاته أو كلمة من مقالاته سواء صرح به (أو عرض به) بتشديد الراء أي لوح فيه (أو شبهه بشيء على طريق السب له أو الازراء عليه) أي احتقارا به واستخفافا بحقه (أو التصغير لشانه) أي الاحتقار لعظيم قدره (أو الغض منه) أي الخفض والنقص من أمره (أو العيب له) في حكمه (فهو) بكل واحد مما ذكر (ساب له والحكم فيه حكم الساب يقتل) أي اجماعا (كما نبينه) تفصيلا (ولا نستثني فصلا من فصول هذا الباب) أي نوعا من أنواع كلام الساب (على هذا المقصد) بكسر الصاد أي الذي قصدناه من صوب الصواب (ولا نمتري فيه) أي ولا نشك في قتل هذا الساب (تصريحا كان أو تلويحا) في هذا الباب اذ يستويان في الحكم عند أولي الالباب (وكذلك) بالطريق الاولى (من لعنه أو دعا عليه) عليه السلام (أو تمنى مضرة له) كانت تحصل لديه (أو نسب اليه مالا يليق بمنصبه) بكسر الصاد أي بمقامه الشريف ومكانه المنيف (على طريق الذم) لعله احتراز من الخطأ أو السهو (أو عبث) بفتح العين المهملة وكسر الموحدة أي لعب ومزح أي خلط (في جهته العزيزة) أي جانبه الكريم وهو براءين وفي نسخة بغين معجمة وراء ثم زاي أي الطبيعة (بسخف) بضم السين وسكون المعجمة أي برفقة قبيحة (من الكلام وهجر) بضم فسكون أي فحش في المنطق (ومنكر من القول) أي تنكره الشريعة (وزور) أي كذب وافتراء أمر منحرف عن الحق

البرهان (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم لاصحابه (ماضر أحدكم أن يكون في بيته) من أولاده الذكور (محمد ومحمدان) اثنان (و) في نسخة و (ثلاثة) وأراد بنفي الضر النفع ولكنه لم يصرح به احترازا من التمدح ومثل هذه العبارة يكنى به عن كثرة النفع كثيرا (وقد فصلنا الكلام في هذا القسم) الرابع (على بابين كما قدمناه) في بيان التراجم أول الكتاب

* (الباب الاول في بيان ماهو) *

اذا قيل (في حقه عليه الصلاة والسلام) أي بالنسبة اليه (سب) وشتم (أو نقص) مما لا يليق به وان لم يكن سبا (من تعريض) بطريق الكناية والايماء (أو نص) أي صريح لا يحتمل التأويل (قال القاضي أبو الفضل) عياض المؤلف رحمه الله تعالى (اعلم وفقنا الله وإياك) لمعرفة حق النبوة وما يجب له صلى الله تعالى عليه وسلم (ان جميع من سب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) بشتمه (أو عابه) هو أعم من السب فان من قال فلان أعلم منه صلى الله تعالى عليه وسلم فقد عابه ونقصه ولم يسبه (أو ألحق به نقصا في نفسه) وذاما يتعلق بخلقه وخلقته (أو نسبه) كأن يفضل أحدا على قومه وأصوله وكأن يقول انه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يكن قرشيا فانه كفر كما صرح به الفقهاء ويأتي أيضا في محله وليس من تنقيص النسب ما وقع من الاختلاف في اسلام أبويه كما هو ظاهر (أو دينه) أي نقص شريعته أو نسبه لقصوره فيما يجب منها (أو خصلة من خصاله) وصفة من صفاته كشجاعته وكرمه (أو عرض به) أي قال في حقه صلى الله تعالى عليه وسلم مالا يليق تعريضا لا تصريحا (أو شبهه بشيء) غير حسن (على طريق السب له) بتنقيصه كما سيأتي (أو الازراء عليه) أي التنقيص له وان لم يكن قصد السب (أو التصغير لشانه) أي تحقيره كتصغير اسمه أو صفة من صفاته (أو الغض منه) بمعنى أقل تنقيص وهو بغين وضاد معجمتين وأصل الغض نقص في الصوت أو الطرف كما قاله الراغب فاريد به مطلق النقص القليل (أو العيب له فهو ساب) أي كالساب معنى وفي نسخة والعيب بالواو (والحكم فيه حكم الساب) الآتي من غير فرق بينهما من انه (يقتل كما نبينه ولا نستثني) بنون المضارعة أي لا نخرج منه (فصلا) أي قسما وصورة كما يقال المسئلة على فصول لفصل بعضها من بعض (من فصول هذا الباب على هذا المقصد) بجميع أقسامه (ولا نمتري) بنون أيضا أي لا نشك ولا نتردد (فيه تصريحا كان) السب (أو تلويحا) أي كناية وتعريضا (وكذلك من لعنه) والعياذ بالله (أو دعا عليه أو تمنى مضرة له أو نسب اليه مالا يليق بمنصبه) أي بأصله وحسبه وهذا هو حقيقة المنصب كما قدمناه لا ما اشتهر بين العوام (على طريق الذم) له حاشاه منه (أو عبث) أي قاله على طريق الهزل والمجون (في جهته العزيزة) أي بشيء له تعلق بجانبه الشريف (بسخف من الكلام) أي أمر سخيف رذل (وهجر) بضم الهاء وفتحها وهو الفحش والقبيح (ومنكر من القول وزور) بالكذب عليه مما ليس لائقا بجنابه الشريف

(أوعيره بشيء) بعين مهملة و ياء تحتية مشددة أي نسب له صلى الله تعالى عليه وسلم ما فيه عار عليه (مما جرى من البلاء والمحنة عليه) لذكر ما اتفق له صلى الله تعالى عليه وسلم مع العرب في ابتداء دعوتهم كما فصل في السير (أو غمصه) بغين معجمة وميم وصاد مهملة أي نقص من قدره صلى الله تعالى عليه وسلم (ببعض العوارض البشرية الجائزة) عليه كالامراض ونحوها مما تقدم (والمعهودة لديه) أي المعتادة بينه و بين سائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام (وهذا كله) غير جائز موجب للعقاب في الدارين (اجماع من العلماء وأئمة الفتوى) من فقهاء المذاهب معروف متواتر بينهم (من لدن) عصر (الصحابة رضوان الله تعالى عليهم الى هلم جرا) أي الى آخر الزمان وانقضاء الدوران عصرا بعد عصر وقرنا بعد قرن بلا خلاف فيه وحكاية ابن حزم الخلاف فيه لا يعول عليها كما يأتي وقد تقدم بيان الاجماع فيه وان من اعترض على المصنف لم يفهم مراده وان هذه العبارة منقولة عن الائمة كلهم كما في السيف المسلول على من سب الرسول للسبكي وفي نسخة من الصحابة وأصحابه وهو سهو من الناسخ حمل بعض المحشين على التكلف في توجيهها وقوله هجر بمعنى هذيان وتخليط لا يرد عليه ما مر من قول عمر رضي الله تعالى عنه في مرض موته صلى الله عليه وسلم هجر فانه استفهام انكاري على الاصح فهو لم يصفه صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك حتى يقال كيف يعد كفرا وقد صدر من مثله ولا حاجة الى الجواب بانه لم يقصد تنقيصه به ومثله ممنوع حتى قال الزركشي كالسبكي انه لا يجوز ان يقال له صلى الله تعالى عليه وسلم فقير أو مسكين وهو أغنى الناس بالله لاسيما بعد قوله ووجدك عائلا فاغنى وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم اللهم أحيني مسكينا أراد به المسكنة القلبية بالخشوع والفقر فخري باطل لا أصل له كما قال الحافظ ابن حجر العسقلاني وقوله وزور وقد علمت ان المراد به الكذب عليه صلى الله تعالى عليه وسلم بتعمد وصفه بما لا يليق به وأما الكذب عليه بنقل ما لم يقله فليس داخلا فيه لانه معصية لا كفر وقول الجويني رحمه الله تعالى من الشافعية ان تعمد الكذب عليه مطلقا كفر لانه قد يؤدي الى استحلال الحرام وهو كفر قول شاذ مردود بما علل به واه جدا وقوله هلم جرا هلم كلمة مركبة من هاء التنبيه ولم فعل ماض ثم جعلت بمعنى أقبل وفيها لغتان احداهما أن تكون اسم فعل يستوي فيه الواحد المذكر وغيره والثانية ان تستعمل استعمال الافعال باتصال الضمائر وقد تتعدى باللام وجرا منصوب على الحال أو التمييز أو المصدر به أي وجر جرا وأصلها ان يرسل الابل للرعي وهي سائرة ثم جعلت كالمثل فصارت بمعنى استدامة الامر واتصاله فيقال كان كذا في عام كذا وهلم جرا الى اليوم وأصل معناه سيروا على هينتكم من غير استعجال وحث لكن في كلامه شيء لم ينبهوا عليه وهي ادخال الى على هلم جرا مقابلة لمن الابتدائية الداخلة على لدن وهو غير مسموع بل غير صحيح لانه فعل في الحال أو الاصل على اللغتين فكأنه حذف مجرورها وأصله الى وقتنا هذا وهلم جرا وهو أيضا غير جار على وفق كلامهم (وقال أبو بكر بن المنذر) تقدمت ترجمته وانه محمد بن ابراهيم النيسابوري (أجمع عوام أهل العلم) هو جمع عامة بمعنى جماعة كثيرة والمتقدمون كالشافعي رضي الله تعالى عنه يعبرون بهذه العبارة للعموم وليس المراد العامي فانه غير صحيح اذ لا عبرة بهم وباجماعهم وأهل العلم مناد عليه لان العامي لا يكون أهل علم (على ان سب النبي) صلى الله تعالى عليه وسلم (يقتل) مطلقا (وممن قال ذلك) أي حكم بقتله مطلقا (مالك بن أنس والليث بن سعد) المصري الامام المجتهد المشهور (وأحمد) بن حنبل (واسحق) بن ابراهيم بن راهويه المشهور (وهو مذهب) الامام (الشافعي) المنقول عنه في الاشهر (قال القاضي أبو الفضل) عياض المصنف رحمه الله تعالى و رضي عنه (وهو مقتضى

(أوعيره) بعين مهملة وتحتية مشددة أي عابه (بشيء مما جرى من البلاء والمحنة عليه) كالفقر والكسر وغيرهما (أو غمصه) بغين معجمة وصاد مهملة أي حقره (ببعض العوارض البشرية الجائزة) جريانها (عليه المعهودة لديه) كالجوع والاغماء ونحوهما (وهذا) الذي ذكرناه (كله اجماع العلماء) من المفسرين والمحدثين (وأئمة الفتوى) من المجتهدين من لدن الصحابة رضي الله عنهم أجمعين الى هلم جرا) أي الى يومنا وهلم جرا كما في نسخة وهو من الجر بمعنى السحب والمعنى استمر الاجماع واتصل من عصرهم الى الآن وكذا الى ما بعده من الزمان وانتصب جرا على المصدر أو الحال أو التمييز (قال) القاضي (أبو بكر بن المنذر) محمد ابن ابراهيم النيسابوري (أجمع عوام أهل العلم) أي كلهم (على ان من سب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يقتل) صونا لقدره وتعظيما لامره ونعم ما قيل من المبنى في هذا المعنى

لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى
حتى يراق على جوانبه الدم

(وممن قال ذلك) أي القتل بسببه (مالك بن أنس) امام المذهب (والليث) أي ابن سعد (وأحمد) أي ابن حنبل (واسحق) أي ابن راهويه (وهو مذهب الشافعي قال القاضي أبو الفضل رحمه الله) تعالى يعني المصنف (وهو مقتضى

قول

قول أبي بكر الصديق) رضي الله تعالى عنه ولم يقل وهو وقول الصديق مع انه أظهر وأخصر لما ذا يذكره وعبر بالمقتضى لانه نقل عنه ما يدل عليه في عهد خلافته وسيأتي ما يوضحه (ولا تقبل توبته عند هؤلاء) القائلين بوجوب قتله مطلقا صونا لمقام النبوة كما قال المتنبي

لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى * حتى يراق على جوانبه الدم

(وبمثله) أي بمثل قول هؤلاء بوجوب القتل وعدم قبول التوبة (قال أبو حنيفة وأصحابه) محمد وأبو يوسف وزفر وأهل مذهبه (والثوري) سفيان بن سعيد الكوفي الفقيه سيد أهل عصره وأمير المؤمنين في الحديث والتقوى لم ير احفظ منه ولا أجل ولم ير هو أيضا مثل نفسه وهو منسوب لثور وهي قبيلة توفي سنة احدى وستين ومائة (وأهل الكوفة) من عطف العام على الخاص لان الثوري وأبا حنيفة كوفيان (والاوزاعي) عبد الرحمن بن عمرو الامام الجليل في الحديث والفقه والترسل والزهد والعبادة خير هذه الامة في جمادى سنة سبع وخمسين ومائة ونسبته للاوزاع لقب لابي بطن من حمدان (في المسلم) خاصة دون الكافر وفي نسخة المسلمين (ولكنهم قالوا هي ردة) أي يرتد صاحبها او يكفر بسبه وأنث الضمير لتأنيث الخبر على القاعدة وعلى هذا يستتاب كالمرتد وقيل انه يمهل ثلاثة أيام ونقل هذا عن عمر رضي الله تعالى عنه واذا قتل يضرب وقال الماوردي يضرب بالخشب ولا يحرق ولا يدفن في مقابر المسلمين ولا المشركين (وروى مثله الوليد بن مسلم) أبو العباس الدمشقي مولى بني أمية عالم أهل الشام كما تقدم وانه ولد سنة عشر ومائة وتوفي سنة خمس أو اربع وتسعين ومائة في المحرم ويقال له ابن أبي مسلم كما في نسخ والاول أصح (عن مالك) في احدى الروايتين عنه (وحكى الطبري) محمد بن جرير وقد تقدم (مثله عن أبي حنيفة وأصحابه فيمن تنقصه) أي نسب له صلى الله تعالى عليه وسلم نقصا دون السب (أو برئ منه أو كذبه) فهو مرتد يجري فيه ما تقدم من حكم المرتد وقبول توبته (وقال سحنون) هذا ممنوع من الصرف للعلمية وشبه العجمة كما قاله المعري في كتاب ذكرى حبيب وقال ابن حجر في لسان الميزان هو عبد السلام بن سعيد بن حبيب بن حسان بن هلال بن بكار بن ربيعة التنوخي أبو سعيد الفقيه المالكي غلب عليه لقبه وسمع من ابن وهب وابن القاسم وأشهب وغيرهم وقول أبي يعلى لم يرض أهل الحديث حفظه خالفوه فيه فقالوا انه انتشرت امامته وسلم له أهل عصره وأجمعوا على فضله وتقدمه وانه اجتمع فيه خصال لم يجتمع في غيره من العفة والورع والزهد والسماحة ولد في رمضان سنة ستين أو احدى وستين ومائة توفي سنة أربعين ومائتين لتسع خلون من رجب وهو ابن ثمانين سنة (فيمن سبه ذلك) أي سبه (ردة) له حكمها (كالزندقة) مصدر تزندق وهو مأخوذ من الزنديق وهو لفظ معرب في أصله اختلاف وهو يطلق على معان فيقال على الثنوي القائل بالنور والظلمة كالمانوية وعلى من لا يؤمن بالآخرة أو الربوبية وهو أشهر معانيه وعلى من يبطن الكفر ويظهر الايمان والفرق بينه وبين المنافق مشكل وعلى من لا ينتحل دينا وهو مشهور أيضا والفرق بين هذا القول

قول أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه ولا تقبل توبته عند هؤلاء المذكورين) من العلماء (وبمثله) أي بمثل قول من ذكر بقتل من سبه لا بعدم قبول توبته كما وهم الدلجي اذ يرده قول المصنف لكنهم قالوا هي ردة (قال أبو حنيفة رحمه الله تعالى) أي نصا منه (وأصحابه) واتفقوا معه فيه (والثوري) أي سفيان بن سعيد (وأهل الكوفة) أي جميعهم (والاوزاعي) وهو امام جليل أخذ عنه مالك والثوري (في المسلمين) وفي نسخة في المسلم احترازا عمن وقع له سب وهو من المعاهدين لا لاختلاف فيه على ما تقدم (لكنهم قالوا) أي العلماء المتأخرون من أبي حنيفة ومن بعده في الذكر وان كانوا هم المتقدمين في الرتبة والعمر (هي) أي سبه وأنثه باعتبار خبره وهي (ردة) أي ارتداد وسيجيء بيان حكم المرتد من انه يستتاب فان أبى يقتل على الجواب الصواب (وروى مثله) أي مثل قول هؤلاء انه ردة (الوليد بن مسلم) أحد الاعلام من أهل الشام مات سنة خمس وتسعين وروى ابن أبي مسلم والاول أصح (عن مالك) الامام فيكون عنه روايتان (وحكى الطبري مثله) أي مثل القول بأنه ردة (عن أبي حنيفة وأصحابه فيمن تنقصه) بشيء ينقصه (صلى الله تعالى عليه وسلم أو برئ منه) أي تبرأ منه بأن قطع مودته ومحبته عليه الصلاة والسلام (أو كذبه) في قول من أقواله (وقال سحنون فيمن سبه ذلك ردة كالزندقة) من الثنوية القائلين بتناسخ الارواح ودوام الدهر والاشباح ذكره الدلجي تبعا للجوهري في صحاحه ان الزنديق من الثنوية وهو معرب والجمع الزنادقة وقد تزندق والاسم الزندقة انتهى وقال ابن قمر قول الزنادقة من لا تعتقد ملة من الملل المعروفة ثم استعمل في كل من عطل الاديان وأنكر الشرائع وفيمن أظهر الاسلام وأسر غيره وقال الرافعي هو الذي يظهر الاسلام ويخفي الكفر والاصح عند الشافعية انه الذي لا ينتحل دينا وقيل هو المباحي الذي لا يتدين بدين ولا ينتمي الى شريعة ولا يؤمن بالبعث والنشور والزندقة بالفتح عقيدته

(وعلى هذا) أى القول بكونه ردة مطلقة كالزندقة (وقع الخلاف فى استتابته وتكفيره) أى خروجه من الاسلام الى كفره لانه لم يعرف له دين فى أمره فلا يستتاب لعدم الاعتماد على تغيره (وهل قتله) أى بعد توبته (حد) أى سياسة (أو كفر) حقيقة (كما سنبينه فى الباب الثانى ان شاء الله تعالى) والحاصل ان الخلاف محصور فيما ذكرنا (ولا نعلم خلافا فى استباحة دمه بين علماء الامصار وسلف الأئمة) من صلحاء الكبار (وقد ذكر غير واحد) أى كثير من الاخيار (الاجماع على قتله وتكفيره وأشار بعض الظاهرية وهو أبو محمد على بن أحمد) أى ابن سعيد بن حزم اليزيدى القرطبى الظاهرى (الفارسى) الاصل مات سنة سبع وخمسين وأربعمائة صاحب التصانيف وله كتاب نوادر الاخبار ويسمى بنقط العروس وكان شافعيا ثم صار مجتهدا ظاهريا وصنف كتبا كثيرة (الى الخلاف فى تكفير المستخف به) ولعله محمول على عدم تعمده (والمعروف ما قدمناه) من تكفيره وقتله (قال محمد بن سحنون أجمع العلماء) أى علماء الاعصار فى جميع الامصار (على ان شاتم النبى) صلى الله تعالى عليه وسلم (المتنقص له) صفة كاشفة وكان الاولى ان يؤتى بعاطفة (كافر والوعيد جار عليه بعذاب الله تعالى له) فى الدارين (وحكمه) فى الدنيا فى (عند الامة) أى جميع الأئمة (القتل ومن شك فى كفره) فى الدنيا (وعذابه) فى العقبى (كفر) ولحق به وفى نسخة فقد كفر (واحتج ابراهيم بن حسين بن خالد الفقيه) بالرفع نعت لابراهيم والمعنى استدل

وبين القول بانه ردة عند أبى حنيفة انه يؤخذ منه الجزية لانه يقبل توبته قبل الاخذ كما قاله قاضيخان لانهم باطنية يخفون خلاف ما يظهرون وعند الشافعى فيه قولان فقيل تقبل توبته وقيل لا تقبل وتفصيله مع أدلته فى كتب الفروع وليس هذا محل تفصيله وتأتى الاشارة الى شئ منه (و) بناء (على هذا) المذكور من قول سحنون وغيره انه (وقع الخلاف فى استتابته) هل هى لازمة أم لا (وتكفيره) أى فى الحكم بكفره يقال كفره وأكفره على الصحيح خلافا لمن جعل الاول من الكفارة وهو غلط مشهور (و) وقع الخلاف أيضا فى قتله (هل قتله حد) لانه لمن قذف الانبياء وسبهم جزاء عليه كسائر الحدود (أم هو) (كفر) لانه كقتل المرتد بردته (كما سنبينه فى الباب الثانى) من القسم الرابع ونحن ان شاء الله نبين مافيه تفصيلا مع الفرق بينهما ومافيه ولا نتلقى الركبان هنا (ولا نعلم خلافا) بين علماء الاسلام (فى استباحة دمه) أى انه هدر لاستحقاقه القتل بسبه صلى الله عليه وسلم (بين علماء الامصار) أى البلاد العظيمة كمكة والمدينة وبغداد ومصر وعلماؤها أعظم وأعلم من غيرهم (وسلف الامة) المتقدمين من الصحابة والتابعين ومن تبعهم باحسان (وقد ذكر غير واحد) هو كناية عن الكثرة عندهم (الاجماع على قتله وتكفيره) أى عده كافرا مستحقا للقتل (وأشار بعض الظاهرية) وهم قوم على مذهب داود الظاهرى الذى كان يرى وجوب الاخذ بظاهر الحديث والنصوص من غير تاويل (وهو) أى هذا البعض (أبو محمد على بن أحمد الفارسى) وهو الامام العالم العلامة المتبحر الحافظ المعروف بابن حزم بن غالب ويتصل نسبه بابى سفيان بن حرب رضى الله عنه فهو فارسى أموى الاصل قرطبى ظاهرى كتابه فى مذهب داود المسمى بالمحلى كبير وقفت عليه فى مجلدات ضخمة ولد بقرطبة سنة أربع وثمانين وثلاثمائة وترجمته وتصانيفه مفصلة فى التاريخ وقيل لسان ابن حزم وسيف الحجاج شقيقان (الى الخلاف فى تكفير المستخف به) صلى الله تعالى عليه وسلم بتصغير شانه أو شئ متعلق به من غير سب صريح وهو قول مردود عليه (والمعروف ما قدمناه) من تكفيره وفيه اشارة الى عدم الاعتداد باقوال الظاهرية النافين للقياس وفيه خلاف هل يجوز العمل بقولهم أم لا والصحيح عدم الجواز وما ذهب اليه ابن حزم دليله انه وقع ذلك فى عهده صلى الله تعالى عليه وسلم الكثير من الاعراب ومن غيرهم كالحكم ولم يقتلهم صلى الله تعالى عليه وسلم وجوابه ظاهر ولا يقاس حالنا اليوم عليه لانه فى بدء الاسلام كان يتألف القلوب ويسامح اما اليوم فلا (وقال محمد بن) الامام (سحنون) الذى سبق بيانه قريبا وابنه هذا أيضا من أجلة المالكية والمحدثين وله مصنفات عدة وتفقه على أبيه وكان مفتى القيروان بعده وهو عظيم القدر قوى المناظرة (أجمع العلماء) على (ان شاتم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم المتنقص له) لو عطفه كان أحسن (كافر) مرتد بسببه (والوعيد) الذى مر فى الآيات (جار عليه) لشموله له (بعذاب الله له) لقوله تعالى لهم عذاب أليم فى الآية (وحكمه عند الأمة) أى أمة الاجابة (القتل ومن شك فى كفره وعذابه كفر) لان الرضى بالكفر كفر ولتكذيبه للقرآن فى قوله تعالى والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم قال ابن حجر وما صرح به من كفر الساب والشاك فى كفره هو ما عليه أئمتنا وغيرهم لكنه عندنا كالمرتد فيستتاب وجوبا فورا فان أصر قتل ولو امرأة فان أسلم صح اسلامه وترك ويأتى ذلك فى محله قيل وفى جزمه بكفره بعد نقل الخلاف فيه نظر وكيف يصح قوله من شك فى كفره وعذابه كفر مع ذكر الخلاف فيه أولا فليتامل (واحتج ابراهيم بن حسين بن خالد الفقيه

(في مثل هذا) أي تنقصه عليه الصلاة والسلام (بقتل خالد بن الوليد) أي ابن المغيرة (مالك) بالنصب على انه مفعول قتل (ابن نويرة) بضم النون وفتح الواو وسكون التحتية وفتح الراء على انه تصغير نار او نورة وهو التميمي اليربوعي كان فارسا شاعرا مطاعا في قومه قدم على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم واسلم واستعمله عليه الصلاة والسلام على صدقات قومه بني يربوع (لقوله) أي لاجل قول ابن نويرة وفي نسخة بقوله أي بسبب نقله (عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم صاحبكم) وسبب ذلك انه منع الزكاة زمن أبي بكر رضي الله تعالى عنه فارسل اليه خالد بن الوليد في منع الزكاة فقال مالك انا آتي بالصلاة دون الزكاة فقال خالد اما علمت ان الصلاة والزكاة لا تقبل واحدة دون الاخرى فقال مالك قد كان صاحبكم يقول ذلك فقال خالد وما تراه لك صاحبا والله لقد هممت ان اضرب عنقك ثم تجادلا في الكلام فقال خالد اني قاتلك قال أو بذلك أمرك صاحبك قال وهذه بعد تلك وكان عبد الله بن عمر وأبو قتادة الانصاري حاضرين فكلما خالدا في أمره فكره كلامهما فقال مالك

ياخالد ابعثنا الى أبي بكر فيكون هو الذي يحكم فينا فقال خالد لا اقالني الله ان أقلتك فامر ضرار بن الازور بضرب عنقه فالتفت مالك الى زوجته وكانت في غاية من الجمال فقال لخالد هذه هي التي قتلتني فقال خالد بل الله قتلك برجوعك عن الاسلام فقال مالك انا على الاسلام فقال خالد ياضرار اضرب عنقه وجعل رأسه اثفية لقدره وقبض خالد امرأته قيل انه اشتراها من الفيء وتزوجها وقيل انها اعتدت بثلاث حيض وتزوج بها وقال لابن عمر وأبي قتادة احضرا النكاح فابيا وقال له ابن عمر نكتب الى أبي بكر ونعلمه بامرها وتتزوج بها فابى وتزوجها ولما بلغ ذلك أبا بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما قال عمر لابي بكر ان خالدا قد زنى فارجمه قال ما كنت ارجمه انه تاول فاخطأ قال لانه قد قتل مسلما فاقتله قال ما كنت أقتله انه تاول قال فاعزله قال ما كنت اغمد سيفا سله الله تعالى على المشركين وفي رواية لا اعزل واليا ولاه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقد رثاه أخوه متمم بن نويرة بمراثي كثيرة وكان اعور ويبكي عليه حتى تبكي عينه العوراء وقد يكون قتله خالد بن الوليد مع أهل الردة حين قتل مسيلمة وغيره وقد اختلف في مالك هذا فقيل انه قتل مسلما بسبب كلام سمعه خالد منه وبظن ظنه به وانكر عليه أبو قتادة قتله وخالفه في ذلك واقسم انه لا يقاتل تحت رايته ابدا وقيل بل قتل كافرا وفي الروض للسهيلي ان مالك بن نويرة ارتد ثم رجع الى الاسلام ولم يظهر ذلك لخالد في مقام الاحكام وشهد عنده رجال من الصحابة برجوعه الى الاسلام فلم يقبلها انتهى ما ذكره التلمساني عن الحلبي والقضية غير صافية عما يرد عليه من بعض الاشكال والله تعالى أعلم بالاحوال فلا يصح احتجاج الفقيه بهذا مع وجود الاحتمال

(في مثل هذا) وفي نسخة على مثل هذا (بقتل خالد بن الوليد) رضي الله تعالى عنه (مالك بن نويرة) علم من تصغير نار (لقوله عن النبي صلى الله عليه وسلم صاحبكم) يعني به النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وفيه تنقيص له بتعبيره عنه بصاحبكم دون رسول الله ونحوه واضافته لهم دونه المشعر ذلك بالتبري من صحبته صلى الله تعالى عليه وسلم واتباعه واستنكافه وهو في غاية الظهور ومالك بن نويرة هذا كان له وفادة على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكان شجاعا شاعرا سيدا مطاعا في قومه بني تميم فولاه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عليهم وعلى أخذ زكاتهم فمنعوها بعده صلى الله تعالى عليه وسلم فارسل أبو بكر رضي الله تعالى عنه خالد بن الوليد لطلبها فقال له مالك بن نويرة أنا آتي الصلاة دون الزكاة فقال له لا تقبل احداهما دون الاخرى فقال قد كان صاحبكم يقول ذلك فقال خالد اما تراه صاحبا لك لقد هممت بضرب عنقك فقال مالك ابذلك أمر صاحبك فقال له أهذه بعد تلك ينكر عليه خالد تكرير قول صاحبكم بعدما وعده عليه ثم أمر ضرار بن الازور فضرب عنقه لانكاره قوله صاحبكم مرتين استصغارا له صلى الله تعالى عليه وسلم وهو الذي رثاه أخوه متمم بالقصيدة العينية التي منها

فلما تفرقنا كأني ومالكا * لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

وهي قصيدة بليغة مشهورة وفيما ذكره المصنف رحمه الله تعالى اشارة الى رد ما قيل ان مالكا لما قدم للقتل قال لزوجته ما قتلني الا هذه يعني ان خالدا اعجبه حسنها فقتله ليتزوجها ولما قتله جعل رأسه اثفية قدره ثم بعد ذلك تزوج بها خالد رضي الله عنه فقال أبو حنة السعدي فيه شعرا منه

قضى خالد بغيا عليه لعرسه * وكان له فيها هوى قبل ذلك

ولما انكروا عليه ذلك عند أبي بكر رضي الله تعالى عنه وقالوا له أعزله قال انه تاول في ذلك * وما كنت لاغمد سيفا سله الله عليهم أي فهو مذهب صحابي وممن شدد النكير عليه عمر رضي الله تعالى عنه وودى القتيل من بيت المال ورأى ان قتله غير صواب لكن خالد رضي الله تعالى عنه لما رأى جاهليته وانكاره فرض الزكاة وقد قال له لا تقل هذا فانك ان قلته قتلتك فلم ينته واعاد مقالته حكم بقتله وأبو بكر رضي الله تعالى عنه اقتدى برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيما فعله لانه وقع له مثله في قصة بني جذيمة لما قتلهم خالد مع اسلامهم كما هو مذكور في

(قال أبو سليمان الخطابي لا أعلم احدا من المسلمين اختلف في وجوب قتله اذا كان مسلما) أي بخلاف ما اذا كان كافرا (وقال ابن القاسم) المصري صاحب مالك (عن مالك في كتاب ابن سحنون) بالانصراف وعدمه (والمبسوط) أي وفيه وهو كتاب للمالكية (وفي العتبية) بضم فسكون فكسر فتشديد وهو كتاب آخر لهم (وحكاه) أي ما قاله ابن القاسم عن مالك (مطرف عن) خاله (مالك في كتاب ابن حبيب من سب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من المسلمين قتل) أي حدا قولا واحدا (ولم يستتب) وهذا عندهم في قواعد المذهب (وقال ابن القاسم في العتبية من سبه أو شتمه أو عابه أو تنقصه) أي احتقره (فانه يقتل) أي ولم يستتب (وحكمه عند الائمة) أي الجماعة الائمة من المالكية (القتل كالزنديق) عندهم من غير الاستتابة (وقد فرض الله تعالى له علينا (توقيره وبره) أي طاعته لدينا (كما قال تعالى لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وفي المبسوط عن عثمان بن كنانة) بكسر الكاف مات سنة ست وثمانين ومائة بعد وفاة مالك بسنتين (من شتم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من المسلمين قتل) أي ذبحا (أو صلب حيا) أي وطعن أو ترك الى ان يصير ميتا (ويستتب) أي ولم تقبل توبته على ما هو عندهم من المذهب (والامام مخير في صلبه حيا أو قتله) أي لا ترتب في حكمه (ومن رواية أبي المصعب) بضم الميم وفتح العين وهو الزهري العوفي قاضي المدينة وعالمها سمع مالكا وغيره وعنه أصحاب الكتب الستة الا النسائي فانه بالواسطة (وابن أبي أوس) بفتح فسكون وهو ابن أخت مالك قالا (سمعنا مالكا يقول من سب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أو شتمه أو عابه أو تنقصه قتل مسلما كان أو كافرا ولا يستتاب) لان حده القتل وان تاب فهذه الرواية مطلقة بخلاف ما سبق من الروايات حيث كانت بالمسلمين مقيدة (وفي كتاب محمد) أي ابن ابراهيم ابن المواز (انا) أي أخبرنا كما في نسخة

(أصحاب

السير فسقط ما قيل انه لا دليل في هذه القصة لما نحن بصدده لانه أمر منكر يحتاج للتأويل (وقال أبو سليمان الخطابي) هو حمد بن محمد بن ابراهيم بن الخطاب وله نسب وقيل انه من نسل زيد بن الخطاب أخو عمر رضي الله تعالى عنه وهو بستي وبها توفي سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة وهو امام جليل له تصانيف جليلة كمعالم السنن وغيره (لا أعلم احدا من المسلمين اختلف في وجوب قتله اذا كان مسلما) وانما الخلاف في الكافر كما تقدم وقد قيل انه مقيد بعدم التوبة فانه محل الاجماع وانه لا يخلو من نظر وقد قدمنا لك ما يعلم منه الجواب عنه (وقال ابن القاسم) الامام عبد الرحمن المصري صاحب الامام مالك رحمه الله تعالى (عن مالك في كتاب) محمد (بن سحنون) الذي تقدم ترجمته قريبا (والمبسوط والعتبية) تقدم انهما من أجل الكتب وبيانهما (وحكاه) عبد الله (ابن مطرف) وهو ابن أخت الامام مالك كما قدمناه في ترجمته (في كتاب ابن حبيب) الذي تقدم بيانه أيضا (من سب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من المسلمين قتل) حدا (ولم يستتب) ولا تقبل توبته (وقال ابن القاسم في العتبية) تقدم انها اسم كتاب منسوب لمحمد بن أحمد بن عبد العزيز بن عتبة الاموي القرطبي الفقيه احد اعلام أئمة الاندلس (من سبه أو شتمه) معطوف على سبه والمراد بالسب ذكر ما فيه تحقير له من الامور الذميمة وشتمه بنسبة ما لا يليق به صلى الله تعالى عليه وسلم في ذاته مما لا يحقره ككونه جبارا قهارا ونحوهما الا ان المترادفين يعطف احدهما على الآخر كما مر او هي للتقسيم هنا (أو عابه أو تنقصه) أي نسب له نقصا وان لم يكن شتما كقوله غيره أعلم منه أو أعقل كما مر (فانه يقتل) حدا (وحكمه عند الامة) أي في اعتقاد جميع المسلمين (القتل) وجوبا بلا تردد (كالزنديق) أي كما يقتل الزنديق كما تقدم (وقد فرض الله) على كل احد (توقيره) أي تعظيمه صلى الله عليه وسلم (وبره) برعاية حقه الواجب على أمته فمن خالف ما فرض الله تعالى عليه مما علم من الدين بالضرورة كان زنديقا يجب قتله ولا تقبل توبته (وفي المبسوط) وفي نسخة المبسوطة (عن عثمان بن كنانة) بكسر الكاف ونونين بينهما ألف وهاء تانيث وهو أبو عمر اسم رجل من أئمة المالكية له كتاب اسمه المبسوطة لم يشتهر توفي سنة ست وثمانين ومائة بعد مالك بسنتين وقيل ثلاث وستين وهو احد الرواة عن مالك (من شتم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من المسلمين قتل أو صلب حيا) على جذع الى ان يموت تشهيرا له (ولم يستتب) أي لم تقبل توبته (والامام مخير في صلبه حيا أو قتله) بضرب عنقه (وفي رواية أبي المصعب) عن مالك ومصعب بزنة اسم المفعول وهو أحمد ابن أبي بكر أبو مصعب الزهري العوفي قاضي المدينة وعالمها الثقة المحدث روى عن مالك وغيره توفي سنة اثنين واربعين ومائتين وله ترجمة في الميزان (وابن أبي أويس) اسمعيل بن عبد الله ابن أبي أويس ابن أخت مالك كما تقدم (سمعنا مالكا يقول من سب رسول الله صلى الله عليه وسلم) باي نوع كان (أو شتمه أو عابه أو تنقصه) بنسبة نقص ماله حماه الله تعالى منه (قتل مسلما كان) القائل (أو كافرا ولا يستتاب) لانه حد لا يسقط بالتوبة عنده قيل قوله ولا يستتاب قيد للمسلم اما الكافر اذا تاب وتوبته اسلامه فتقبل توبته ولا يقتل لان الاسلام يجب ما قبله وقال تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وسياتي ما فيه (وفي كتاب محمد) بن ابراهيم المعروف بابن المواز من أئمة المالكية المشهورين (أخبرنا

(أصحاب مالك انه) أى مالكا (قال من سب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أوغيره من النبيين من مسلم أو كافر قتل ولم يستتب) قال الدلجى بشهادة حديث من وقعة الكعب بن الاشرف فانه قد آذى الله ورسوله فقتله جماعة باذنه عليه الصلاة والسلام فيحتاج من قال لا يقتل الكافر بسبه الى الجواب عن هذا الحديث انتهى ولعل الجواب ان الكلام فى الذمى لا الحربى والله تعالى أعلم بالصواب على انه ليس فيه دلالة على انه لم تقبل توبته اذا تاب * وقال أصبغ * بفتح الهمزة والموحدة وآخره معجمة

(أصحاب مالك) رحمهم الله تعالى (انه قال من سب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أوغيره من الانبياء من مسلم أو كافر قتل ولم يستتب وقال أصبغ) ابن الفرج الطائى الاندلسى المالكى مفتى قرطبة الامام المعروف توفى سنة سبع وتسعين وثلاثمائة كما تقدم (يقتل على كل حال) كما بينه بقوله (أسر ذلك) أى اخفاه عن بعض الناس (أو اظهره) وجهر به (ولا يستتاب لان توبته لا تعرف) هل هى كائنة باخلاص أوهى تقية لخوف القتل (وقال عبد الله بن الحكم) بفتحتين ابن أعين الفقيه المصرى ثقة روى عن مالك والليث وغيرهما توفى سنة أربع عشرة ومائتين (من سب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من مسلم أو كافر قتل ولم يستتب وحكى الطبرى) الامام المشهور محمد بن جرير (مثله عن أشهب عن مالك) رحمه الله تعالى وأشهب هذا هو عبد العزيز بن داود بن ابراهيم أبو عمرو العبسى العامرى المصرى الفقيه قيل اسمه مسكين وأشهب لقبه روى عن مالك والليث وغيرهما وهو ثقة توفى سنة أربع ومائتين وعمره أربع وستون سنة (وروى ابن وهب عن مالك) رحمه الله تعالى وابن وهب هو أبو محمد بن وهب بن مسلم الفهرى المصرى أحد الاعلام روى عن مالك والليث والسفيانين وعن كثير بن طلب للقضاء فاختفى وانقطع فى بيته وكان من الزهد والعبادة وكثرة حفظ الحديث بمرتبة لم يبلغها غيره حتى بلغ حديثه ثمانين ألف حديث وله تصانيف كثيرة جليلة توفى سنة سبع وتسعين ومائة فى شعبان وولد سنة خمس وعشرين ومائة (من قال ان رداء النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ويروى زر النبي) صلى الله تعالى عليه وسلم (وسخ) الوسخ والدنس معروف فان (اراد به عيبه) أى قصد تنقيصه والازراء به (قتل) فان لم يقصد ذلك لم يقتل كما قال بعضهم رأيت عصابته صلى الله عليه وسلم دسمة أى مسودة من دنس العرق لانه يريد بذلك عدم مبالاته صلى الله تعالى عليه وسلم بلباسه وزينته والمراد يعلم من سياق الكلام كما قيل

اذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه * فكل رداء يرتديه جميل

الا انه لا ينبغى ذكر مثله وروايته عند العوام ولذا أفتى بعض علماء العصر فيمن قال انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يدهن حتى كان ثيابه ثياب زيات مع انه مروى فى الشمائل وكذا كل أذية بانه لا تكون كفرا الا اذا قصد بها الاذية له صلى الله تعالى عليه وسلم ولذا لم يكفر الخائضون فى الافك مع انه أذية له صلى الله تعالى عليه وسلم بنص القرآن كما صرح به السبكى فى السيف المسلول وسيأتى تفصيله قال ابن حجر الهيثمى بعد سياقه كلام المصنف ويؤخذ منه انه لو أطلق ذلك أو قصد الاخبار عن تواضعه صلى الله تعالى عليه وسلم لا يكفر وهو ظاهر فى ارادة التواضع ومحتمل عند الاطلاق لانه ليس صريحا فى النقص واذا قلنا بعدم الكفر فظاهر انه يعزر التعزير البليغ لذكره ما يوهم نقصا واختلفوا فيما لو قال كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم طويل الظفر والذى يظهر انه لو قال ذلك احتقارا له صلى الله تعالى عليه وسلم أو استهزاء به أو على جهة نسبة النقص اليه كفر والا فلا بل يعزر التعزير الشديد انتهى ملخصا (وقال بعض علمائنا) يعنى المالكية (أجمع العلماء) تقدم الكلام فى الاجماع

وهو ابن الفرج الفقيه المصرى (يقتل) أى من سب نبيا (على كل حال أسر ذلك) أى اخفاه وثبت عليه بالبينة (أو أظهره) باقراره (ولا يستتاب) أى لا تعرض عليه التوبة اذ لا تقبل توبته فى الدنيا (لان توبته لا تعرف) أى صحتها باطنا وفيه انا نحكم بالظاهر والله تعالى أعلم بالضمائر كما فى حق الكافر والفاجر (وقال عبد الله بن عبد الحكم) فقيه المالكية بمصر يروى عن مالك والليث وثقه أبو زرعة (من سب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من مسلم أو كافر) أى ولو ذميا وفيه خلاف (قتل ولم يستتب) أى كالزنديق عندهم (وحكى الطبرى مثله عن أشهب) أى ابن عبد العزيز المصرى (عن مالك) صاحب المذهب (وروى ابن وهب) وهو عبد الله المصرى (عن مالك) وهو الامام (من قال ان رداء النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أى مثلا وكذا حكم ازاره وسائر دثاره وشعاره واعضائه وأبشاره (ويروى) أى بدل ان رداء (ان زر النبي) صلى الله تعالى عليه وسلم وهو بكسر الزاى وتشديد الراء ما يشد به اطراف الجيب (وسخ) أى كان وسخا بفتح فكسر أى دنسا (أراد به عيبه) أى نقصه وطعنه لا بيان الواقع فى نفس أمره اذ ثبت فى الشمائل انه عليه الصلاة والسلام كان يكثر القناع حتى كان ثوبه ثوب زيات وانه خطب الناس وعليه عصابة دسماء أى ملطخة بدسومة شعره أو عرقه والدسماء فى الاصل الوسخة وهى ضد النظيفة (وقال بعض علمائنا) أى المالكية (أجمع العلماء) لعل المراد علماء المالكية فكان حقه ان يقول اتفق العلماء

(على من دعا على نبي من الانبياء بالويل) أي الهلاك أو العذاب ونحوه (أو بشيء من المكروه) في حقه (انه يقتل بلا استتابة) أي من غير مطالبة بتوبة ولا التفات الى قبولها (وأفتى أبو الحسن القابسي) بكسر الموحدة وهو المعافري القروي الحافظ (فيمن قال في النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الجمال) أي انه الجمال بفتح الجيم وتشديد الميم وفي نسخة بالحاء المهملة (يتيم أبي طالب بالقتل لظهور استهانته) واستحقاره (بذلك) أي بكونه

يتيما بقرينة الجمال هنالك والا فهو في نفس الامر كذلك وقد قال تعالى ألم يجدك يتيما فآوى أي قد وجدك ولعل الجمع بين الوصفين مطابق للواقع في السؤال والافكل واحد منهما يكفي في تكفير صاحب المقال (وأفتى أبو محمد بن أبي زيد) أي القرواني (بقتل رجل سمع قوما) أي جمعا (يتذاكرون صفة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اذمر بهم رجل قبيح الوجه واللحية فقال) أي الذي أفتى ابن أبي زيد بقتله (تريدون تعرفون صفته) أي أتريدون ان تعرفوا صفة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (هي) أي صفته (صفة هذا المار) وفي نسخة هي في صفة هذا المار (في خلقه) أي خلقته في طلعته (ولحيته قال) أي ابن أبي زيد (ولا نقبل توبته) أي وان تاب (وقد كذب لعنه الله) فان شمائله معروفة بالحسن والجمال ونهاية الكمال وغاية الاعتدال في الاحوال (وليس يخرج) أي ولا يظهر ما قاله هذا القائل بالبهتان (من قلب سليم الايمان وقال أحمد بن أبي سليمان صاحب سحنون من قال ان النبي صلى الله عليه وسلم اسود يقتل) لانه عليه الصلاة والسلام كان أبيض كأنما صيغ من فضة على ما روى الترمذي في الشمائل عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه وفي رواية مسلم والترمذي عن أبي الطفيل كان أبيض مليحا مقصدا وفي رواية البيهقي عن علي كان بياضه مشربا بحمرة وفي رواية الشيخين عن البراء كان أحسن الناس وجها وفي رواية مسلم عن أنس كان أزهر اللون هذا ولم يكن تكفير هذا القائل بكذبه اذا كان جاهلا بامره وانما يكفر بقصده استحقاره

في هذه المسئلة (على ان من دعا على نبي من الانبياء بالويل) فقال ويلاله وهي كلمة يدعى بها ومعناها الهلاك أو البلاء أو المصيبة والعذاب والمشقة (أو) دعا عليه (بشيء من المكروه) مما يكرهه الناس ويشق عليهم (انه يقتل بلا استتابة) أي لا تطلب توبته ولا تقبل وقال ابن حجر الهيثمي في فتاويه من خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم ان من زنا بحضرته كفر ونظر فيه في الروضة وأجيب بانه ظاهر في الاستخفاف فكان كفرا فيؤخذ منه ان غيره من الانبياء كذلك (وأفتى القابسي) أبو الحسن علي ابن محمد بن خلف المعافري القير واني شيخ الحديث وفقه مالك الضرير الزاهد العابد صاحب التصانيف الجليلة في الفقه والاصول عديم النظير توفي سنة ثلاث وأربعمائة (فيمن قال في النبي صلى الله عليه وسلم الجمال) بفتح الحاء المهملة وتشديد الميم قبل ألف ولام وذلك لانه صلى الله عليه وسلم كان اذا اشترى شيئا من السوق حمله بنفسه فاذا لقيه من أراد يحمله قال رب المتاع أولى بحمله كما روى في كتب الحديث (يتيم أبي طالب) لانه رباه بعد موت أبيه وجده عبد المطلب (بالقتل) لما فيه من الاستخفاف والتحقير وقصد قائله ذلك لقيام قرينة عليه كما سيأتي قال ابن حجر والظاهر ان مذهبنا لا يأبى ذلك لما في عبارته من الدلالة على الازراء فان ذكر يتيم أبي طالب فقط لم يكن صريحا في ذلك فيما يظهر نعم ان كان السياق يدل على الازراء كان كالوجمع بين اللفظين (وأفتى) الشيخ (أبو محمد بن أبي زيد) عبد الله القير واني المالكي الذي انتهت اليه رئاسة مذهب مالك بالمغرب ورحل اليه من الاقطار وكثر الآخذون عنه وقال المصنف رحمه الله تعالى في حقه انه حاز رئاسة الدين والدنيا حتى سمي مالك الاصغر توفي في نصف شعبان سنة تسع وثمانين وثلاثمائة (بقتل رجل سمع قوما يتذاكرون) أي يتحدثون ويذكر بعضهم لبعض (صفة النبي صلى الله عليه وسلم) يعني حليته الشريفة التي مر الكلام عليها (اذمر عليهم) أي في حال تحدثهم (رجل قبيح الوجه واللحية) على غير هيئة مستحسنة (فقال لهم) أي لهؤلاء الجماعة الذين يتحدثون (تريدون تعرفون صفته) صلى الله عليه وسلم وخلقته فقالوا له نعم فقال (هي في) مثل (صفة هذا المار في خلقه) بفتح فسكون (و) هيئة (لحيته) وكانت هيئة ذلك المار مستقبحة كما تقرر (قال ولا تقبل توبته) لكفره وعظم جرمه قال ابن حجر ومذهبنا قاض بذلك (وقد كذب) هذا الرجل في مقالته هذه (لعنه الله) وأخزاه وقبح وجهه (وليس يخرج) ما قاله هذا الملعون (من قلب سليم الايمان) بل عديم العقل والايمان (وقال أحمد بن أبي سليمان) هو من علماء المالكية المعمرين عندهم (صاحب سحنون من قال ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) كان لون وجهه وظاهر بدنه (اسود يقتل) لانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان من الحسن وبياض الوجه بصفة لا يخفى كما مر فهذا القائل قد كذب وافترى ووصفه صلى الله تعالى عليه وسلم بما فيه اشعار بالتحقير لعنه الله وسود وجهه يوم تبيض وجوه وتسود وجوه وهذا مما صرح به الفقهاء وعللوه بانه قصد

الكذب

(وقال) أى ابن أبى سليمان (فى رجل قيل له) أى رداً لما قاله (لا وحق رسول الله قال فعل الله برسول الله كذا وكذا وذكر كلاماً قبيحاً)
أى لا ينبغى ان يذكر صريحاً (فقيل له) انكاراً عليه (ما تقول يا عدو الله فى حق رسول الله فقال أشد) أى كلاماً أقبح (من كلامه
الاول ثم قال انما أردت برسول الله العقرب) فانه أرسل من عند الحق وسلط على الخلق تأويلاً للرسالة العرفية بالارادة اللغوية
وهو مردود عند القواعد الشرعية (فقال ابن أبى سليمان للذى سأله) أى استفتاه (اشهد عليه) أى اثبت

الامر لديه (وأنا شريكك) أى فى الاجر المنسوب اليه (يريد) أى ابن أبى سليمان مشاركته (فى قتله وثواب ذلك) وأجر ما يترتب على ما هنالك (قال حبيب بن الربيع) أى ابن يحيى بن حبيب القروى (لان ادعاءه التأويل فى لفظ صراح) بضم أوله ويكسر مبالغة صريح كعجاب وعجيب ومعناه خالص لا لبس فيه ولا قرينة تنافيه فيكون دعوى مجردة خالية عن علامة (لا يقبل) أى ادعاؤه (لانه امتهان) أى احتقار له صلى الله تعالى عليه وسلم (وهو) أى والحال ان صاحب هذا المقال (غير معزر) بكسر الزاى قبل الراء أى غير مبجل (لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولا موقر له) أى ولا معظم لشأنه حيث غير

وصفه الخاص به وأراد به حيواناً استحق مهانة (فوجبت اباحة دمه) لتقصيره فى توقيره وقد قال تعالى لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه
وتوقروه (وأفتى أبو عبد الله بن عتاب) بتشديد الفوقية (فى عشار) أى مكاس فى ظلم الناس (قال لرجل أد) بفتح همزة وتشديد دال
مهملة مكسورة أمر من التأدية أى اعط (المكس واشك) بضم الكاف ويكسر أى وأظهر الشكوى (الى النبى صلى الله تعالى عليه
وسلم) بانى أخذت منك والمعنى انى ما أبالى باطلاعه على ذلك وكان العشار جار على ذلك الرجل فى أخذ المكس فتضرر الرجل وقال
أشكوك الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال له ما قال (وقال) أى العشار أيضاً بعد ذلك

الكذب استخفافاً فهو كما لو قال لم يكن صلى الله عليه وسلم قرشياً (وقال) ابن أبى سليمان أيضاً (فى رجل
قيل له) وقد تكلم بشئ بجماعة لم يقبلوه (لا) رداً لما قاله (وحق رسول الله) أى عظمته وجلالة قدره
عند الله وهو قسم مؤكد لما قبله ومثل هذا اليمين المؤكد به والاستعطاف ليس يميناً شرعياً وانما جاء على
عرف التخاطب فالبحث عنه هنا لا وجه له (فقال) الرجل المخاطب بعد ما ذكر (فعل الله برسول الله
كذا وكذا) كناية عن كلام قبيح وصف به رسول الله صلى الله عليه وسلم تركه لاستهجانه كما ذكره بقوله
(وذكر كلاماً قبيحاً) لا يليق ذكره (فقيل له) انكاراً لمقالته (ما تقول يا عدو الله) جعله عدو الله لتحقيره
رسوله صلى الله عليه وسلم (فقال له) أى لمن أنكر كلامه كلاماً فى قبحه (أشد من كلامه الاول) الذى
سبق منه (ثم قال) يوجه كلامه القبيح ويؤوله (انما أردت) بقولى (برسول الله) الذى وصفته بصفات
أنكروها (العقرب) لان الله هو الذى أرسلها وساقها كما فى قوله تعالى ويرسل الصواعق وهذا
حقيقة معنى الارسال وهذا مما لا شك فى معناه وانكاره مكابرة لكنه لا يقبل من قائله وادعاؤه انه مراده
لان رسول الله صار فى كلامهم لا يراد به الا الانبياء عليهم الصلاة والسلام ولا يخطر غيره ببال أحد فلذا لم
يقبل تأويله قال ابن حجر رحمه الله تعالى ومذهبنا لا يأبى ذلك (فقال ابن أبى سليمان للذى سأله)
مستفتياً عنه (أشهد عليه) أمر له بان يشهد به عند حاكم يجرى عليه ما يستحقه (وأنا شريكك) معطوف
على مقدر تقديره فاذا قتل فلك أجر عظيم (يريد فى قتله وثواب ذلك) فهو ما وقع فيه الشركة (قال حبيب
ابن الربيع) هو يحيى بن حبيب وقد تقدم موجه القول ابن أبى سليمان وفتواه بقتله (لان ادعاءه
التأويل) بصرف اللفظ عن ظاهره وما دل عليه (فى لفظ صراح) بمهملات مضموم الاول وهو بمعنى
صريح وأبلغ منه فالتأويل (لا يقبل) لبعده غاية البعد وصرف اللفظ عن ظاهره لا يقبل كما لو قال أنت
طالق وقال أردت محلولة غير مربوطة لا يلتفت لمثله ويعد هذياناً (لانه امتهان) أى ابتذال وتحقير من
المهنة وهى الذلة أى فيه تحقير لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بحسب صريحه ومدلوله المعروف
(وهو) أى قائله (غير معزر لرسول الله صلى الله عليه وسلم) بزاى معجمة فى أوله وراء مهملة فى آخره
أو معجمة أى غير معظم (ولا موقر له) لعدم تأدبه (فوجب) بسبب هذا (اباحة دمه) بجعله هدراً
لوجوب قتله وتأويله لا يسمع منه (وأفتى أبو عبد الله بن عتاب) من فقهاء المالكية (فى عشار)
بالتشديد وهو من يأخذ العشر وهو المكاس (قال لرجل) طلب منه المكس فامتنع وقال له انه ظلم لا يرضى
به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال له المكاس (أد) بفتح الهمزة وتشديد الدال المهملة أمر بمعنى
اعط ما طلب منك (واشك الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) منى ومن ظلمى لك ومثله تحقير للنبى
صلى الله تعالى عليه وسلم والشريعة كأنه يقول لا قدرة له على دفعه لو كان حياً موجوداً الآن فلذا أفتى
فيه بوجوب القتل واشك أمر من الشكاية وكان المتضرر باخذ المكس قال له أشكوك للنبى صلى الله
تعالى عليه وسلم (وقال) أى العشار لذلك الرجل ويحتمل ان القائل ابن عتاب فهو فتوى أخرى فيمن

(ان سالت) أى طلبت المال (أو جهلت) بعض الحال (فقد جهل) أى النبى أيضا (وسال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) أى من الله مالم يعلم (بالقتل) متعلق بافتى أى بقتله للكلام الذى صدر عنه من كمال جهله ويؤيده أنه روى عن مالك بن عناهية قال سمعت رسول الله صلى الله

تعالى عليه وسلم يقول اذا لقيتم عشارا فاقتلوه لان الغالب عليهم ان

قال (ان سالت) بضم التاء (أو جهلت) انا أمرا أسئل عنه (فقد جهل) النبى بعض الامور لان علم جميع الامور انما هو لله (وسال) عما لم يعلمه (النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) فافتى فى هذا أيضا (بالقتل) لما فيه من الاستخفاف برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لتسويته بينه وبينه واسناد السؤال والجهل له فهذا مع ماقبله كلام واحد أو كلامان كما أشرنا اليه قال ابن حجر ومذهبنا قاض بذلك أيضا بل الذى يظهر ان مجرد قوله أدواشك الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بقصد عدم المبالاة كفر أيضا (وأفتى فقهاء الاندلس) بفتح الهمزة والدال المهملة وضم اللام كما مر علم أرض بالمغرب كان بها من كبار العلماء مالا يحصى وهو الآن بيد النصارى وفى دخول أل عليها كلام وهى معربة (بقتل ابن حاتم المتفقه) أى الذى كان يدعى علمه بالفقه والتبحر فيه وهو رجل من أهل الاندلس لم أقف على ترجمته (الطليطلى) بضم الطاء المهملة وفتح لام قبل مثناة تحتية ساكنة وطاء مهملة مكسورة ولام وياء نسبة لطليطلة وهى مدينة مشهورة بالاندلس (وصلبه) على جذع مرتفع الى ان يموت أو ينزل فيقتل تشهيرا له وتخويفا للعامة من الجراءة على مثله (بما شهد) ببناء المجهول (عليه به من استخفافه بحق النبى) أى بتكلمه بكلام يشعر بتحقيره أى برفعة قدره الذى هو حق ثابت له على كل أحد من أمته (وتسميته اياه) أى تسمية ذلك الملعون (أثناء مناظرته) النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (باليتيم) أى قوله انه يتيم أبى طالب كما كان يقوله الكفرة استخفافا به وازراء ومثل هذا اذا سبق مشعرا بتحقير كان كفرا فان لم يشعر به جاز كما فى قول الابوصيرى رحمه الله تعالى فى البردة

كفاك بالعلم فى الامى معجزة * فى الجاهلية والتاديب فى اليتم

واليتيم من الآدمى ولد صغير لا أب له ومن الحيوان مالا أم له ومن الطير مالا أم له ولا أب وقيل لبعضهم لم كان صلى الله تعالى عليه وسلم يتيما فقال لئلا يكون لمخلوق عليه منة وحكمة أخرى ظهرت فى هذا البيت لان اليتيم من شانه عدم الادب وعزة النفس وقد تربى صلى الله تعالى عليه وسلم يتيما مع مافيه الآداب وعزة النفس التى لا يصل اليها أحد من البشر ولذا قال صلى الله تعالى عليه وسلم أدبنى ربى فاحسن تاديبى كما رواه السمعانى ومر انه مات أبوه وهو حمل على الاصح وقيل ابن شهرين وقيل ابن سبعة وقيل ثمانية وقيل ثمانية وعشرين شهرا فكان فى كفالة عمه أبى طالب بعد جده وهو فى البيت مدح كما فى قوله عز وجل ألم يجدك يتيما فآوى فما قيل انه كان على الناظم ان يجتنبه لا وجه له وتاويله بانه مفرد كالدرة اليتيمة مع عدم الحاجة اليه لا ينافى البيت وليس بمراد له (وختن حيدرة) أى قال الطليطلى انه ختن حيدرة أى أبو زوجته يعنى فاطمة الزهراء فعبر به عنه صلى الله تعالى عليه وسلم استخفافا به فحكموا بقتله وقتل وهو من أهل الاندلس أيضا والختن كل قريب لامرأة رجل كاب وأخ والعامة تطلقه على زوج البنت كما فى الصحاح وحيدرة معناه الاسد وهو هنا اسم رجل اندلسى وهو لقب على رضى الله تعالى عنه لشدة خلقه وكانت أمه سمته أسد الغيبة أبيه لما ولد باسم أبيها لانها فاطمة بنت أسد فلما قدم أبوه من سفره سماه عليا ولذا قال * أنا الذى سمتنى أمى حيدرة * (وزعمه) بتثليث الزاى المعجمة بمعنى الظن وغلب استعماله فى الباطل كما هنا ولذا قيل زعم مطية الكذب

يستحلوه ويقدموا أمر مالكهم على حكم نبيهم (وأفتى فقهاء الاندلس) بفتح الهمزة وضمها وفتح الدال وضم اللام (بقتل ابن حاتم المتفقه الطليطلى) بضم الطائين المهملتين وفتح اللام الاولى وسكون التحتية وكسر اللام الثانية بعدها ياء النسبة (وصلبه) بفتح الصاد أى بجعله على جذع مع مدباعه (بما شهد عليه) بصيغة المجهول (به من استخفافه بحق النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) ولعل تفسيره قوله (وتسميته اياه أثناء مناظرته) أى فى خلال مجادلته فى علم الكلام ومباحثته (باليتيم) احتقارا له (وختن حيدرة) بفتحتين أى أبى فاطمة زوج على فان حيدرة بدال مهملة لقب على كرم الله تعالى وجهه وهو

اسم الاسد فى أصله وكان اسم على قبل ذلك أسدا سمته أمه فاطمة بنت أسد باسم أبيها فى أول ولادته وأبوه غائب فلما قدم من غيبته سماه عليا ايماء الى رفعته وقيل حيدرة لقب له لحدارته وشدة حرارته وفى صحيح مسلم من انشاده على حين بارز مرحبا يوم خيبر * أنا الذى سمتنى أمى حيدرة * (وزعمه) أى ظن ابن حاتم ووهمه والضمير

(ان زهده عليه الصلاة والسلام لم يكن قصدا) أي اختيارا بل كان عجزا واضطرارا (ولو قدر) بفتح الدال ويكسر أي لو تمكن (على الطيبات أكلها) وهذا جهل منه بحاله عليه الصلاة والسلام وبكماله في هذا المقام حيث خير بين ان يكون نبيا ملكا وبين ان يكون نبيا عبدا فاختار الفقر وقال أجوع يوما فاصبر وأشبع يوما فاشكر ليكون مظهرا لنعت الجلال ووصف الجمال على ان اختيار الله لعبده خير من اختيار العبد لنفسه وقد أكل الطيبات بلا شبهة كما يشير اليه قوله تعالى يا ايها الرسل كلوا من الطيبات وانما أراد الملعون الطعن في زهده والقدح في فقره مع انه محل فخره تواضعا لربه وانكسارا في أمره (الى اشباه لهذا) الاستخفاف

والضمير للطليطلي (ان زهده) صلى الله تعالى عليه وسلم بترك الدنيا (لم يكن قصدا) منه واختيارا بل عجزا واضطرارا (و) قال (لو قدر على الطيبات أكلها) وضم ماقاله من الهذيان (الى اشباه لهذا) أي كلمات أخر تشبهها في السخافة والقبح الذي كفر به وهذا جهل منه بالله تعالى وقدرته وبالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وعزته ولو أراد صلى الله تعالى عليه وسلم ان تكون جبال مكة ذهبا كانت وقد عرض عليه ذلك فاباه صلى الله تعالى عليه وسلم كما قال الابوصيري رحمه الله تعالى

وكيف تدعو الى الدنيا ضرورة من * لولاه لم تخرج الدنيا من العدم

وهو غني عن البيان قال ابن حجر ومذهبنا لا ينافي ذلك بل زعمه ماذكر في الزهد ينبغي ان يكون كافيا في كفره وهو ظاهر لنسبة النقص اليه صلى الله عليه وسلم (وأفتى فقهاء القيروان) كابن أبي زيد صاحب الرسالة والقيروان مدينة عظيمة بالاندلس وهو لفظ معرب كاربان بمعنى القافلة العظيمة لا الجيش كما توهم وراءها تضم وتفتح وينسب اليها قيرواني وقروي على خلاف القياس (و) كذا أفتى (أصحاب سحنون بقتل ابراهيم الفزاري) نسبة لفزارة قبيلة مشهورة (وكان شاعرا) جيد الشعر فصيحا (متفننا) أي ذو فنون في كثير (من العلوم) الفلسفية وغيرها ولكن من يضلل الله فلا هادي له فعلومه رأس مال لجهله بما يجب العلم به (وكان ممن يحضر مجلس القاضي أبي العباس ابن طالب للمناظرة) أي للمباحثة في العلوم وهي مفاعلة من النظر بمعنى الفكر في اقامة الادلة (فرفعت) أي نقلت عنه كما يقال حديث مرفوع وضمنه معنى شنع فعداه بعلى بقوله (عليه أمور منكرة) ينكرها عليه علماء الشريعة وأهل الدين (من هذا الباب) أي من نوع الكفر القبيح (في الاستهزاء بالله تعالى وأنبيائه ونبينا عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام فاحضر له) بمجلس الحكم (القاضي يحيى بن عمر) وهو قاضي القيروان وعالمها (وغيره من الفقهاء) المالكية في عصره (وأمر بقتله) بعد ما حكم بكفره بما ثبت عليه في ملأ الناس (وصلبه فطعن بالسكين) ليقتل (وصلب) على جذع (منكسا) رجلاه أعلى ورأسه أسفل تحقيرا له وتشهيرا (ثم أنزل) من جذعه المصلوب عليه (وأحرق بالنار) بعد موته وهذا انما أجازه العلماء كما ذكره السبكي في كتابه السيف المسلول على من سب الرسول (وحكى بعض المؤرخين) أي العلماء بعلم التاريخ وأخبار من سلف (انه) أي ابراهيم الفزاري المصلوب (لما رفعت خشبته) التي صلب عليها (وزالت عنها الايدي) التي رفعتها او ذكره ليعلم ان ذلك الامر ليس لفعلهم وانما هو أمر الهي (استدارت) لجانب آخر غير ما كان موجها له (وحولته عن القبلة) بعد ما كان موجها لها بيانا لانه غير مسلم وليس من أهل القبلة (فكان ذلك) أي تحوله عن القبلة (آية) أي علامة وعبرة (للجميع) أي جميع من حضر أو جميع من كان على نهجه في الزندقة (وكبر الناس) أي صاحوا الله أكبر

والاستحقار في حقه مما يكفي أمر واحد منها في تكفيره وقتله (وأفتى فقهاء القيروان) بفتح القاف والراء بلد معروف ومنهم أبو زيد (وأصحاب سحنون) بفتح السين وتضم ويصرف ولا يصرف (بقتل ابراهيم الفزاري) بفتح الفاء والزاي (وكان شاعرا متفننا) أي ماهرا (في كثير من العلوم) أدبية وعقلية لا شرعية ونقلية ولذا وقع في بلية جلية (وكان ممن يحضر مجلس القاضي أبو العباس ابن طالب للمناظرة) في العلوم والمباحثة (فرفعت) أي أنهيت (عليه أمور منكرة من هذا الباب) أي باب الاستخفاف بعلي الجناب (في الاستهزاء بالله) أي بكتابه وأنبائه (وأنبيائه) في مقام الحائه (ونبينا صلى الله تعالى عليه وسلم) من عظمائه (فاحضره) أي لاجل ابراهيم الفزاري (القاضي) وهو أبو العباس المذكور (يحيى بن عمر وغيره) بالنصب على المفعولية (من الفقهاء وأمر) أي أبو العباس (بقتله وصلبه فطعن) بصيغة المجهول أي فضرب في بطنه (بالسكين) حتى هلك (وصلب منكسا) رأسه لاسفل مدة (ثم أنزل) من صلبه (وأحرق بالنار) في الدنيا قبل عذاب العقبى لزيادة السياسة (وحكى بعض المؤرخين انه) أي ابراهيم الفزاري المصلوب بعد قتله (لما رفعت خشبته) التي صلب عليها (وزالت عنها الايدي) الممدودة اليها (استدارت) أي الخشبة (وحولته عن القبلة) أي عن جهة الكعبة الى غيرها (فكان) تحويلها له عنها (آية للجميع) من الحاضرين (وكبر الناس) عليه من الاولين والآخرين

(وجاء كلب) في عقبه (فولغ) بفتح اللام وتكسر (في دمه) أي شرب بلسانه منه لعظم جرمه (فقال) أي القاضي (يحيى بن عمرو صدق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وذكر حديثا عنه عليه الصلاة والسلام انه قال لا يلغ الكلب في دم مسلم) قال الحلبي يقال ولغ الكلب والسبع بفتح اللام في الماضي وبكسرها والظاهر ان اللام في المضارع مفتوحة في اللغتين انتهى وفي القاموس ولغ الكلب في الاناء وفي الشراب ومنه وبه يلغ كيهب وولغ كورث ووجل شرب ما فيه باطراف لسانه انتهى ولا يخفى انه اذا كان من باب ورث يقع مضارعه بكسر اللام كيرث فيجوز الوجهان والله تعالى أعلم هذا وقال الدلجي الحديث لا أعلم من رواه والظاهر انه لا أصل له مع ما فيه من ركاكة التركيب انتهى ولا يخفى انه لا ركاكة فيه من جهة المبنى لان الولوغ يتعدى بفي ومن والباء على ما تقدم واما من جهة المعنى فلعله استدل بثبوته على وقوعه في قضيته كما حكى عن محيي الدين ابن عربي انه قال بلغني عن النبي

صلى الله تعالى عليه وسلم انه من قال لا اله الا الله سبعين ألف مرة غفر له وكنت ذكرت هذا العدد وما عينته لاحد حتى اجتمعت في ضيافة مع شاب مشتهر بالمكاشفة فبكا اثناء أكله فسألته عن حاله فقال أرى أمي وأبي يعذبان فقلت في نفسي وهبت ثواب التهليل الجليل لميت هذا الرجل الجميل فضحك فسألته فقال ارتفع عنهما العذاب فعرفت صحة الحديث بكشفه وصحة كشفه بثبوت الحديث وأصله (وقال القاضي أبو عبد الله المرابط) بصيغة الفاعل وهو محمد ابن خلف بن سعيد بن وهب مات بعد الثمانين وأربعمائة (من قال ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم هزم) بصيغة المجهول (يستتاب) يطلب منه رجعته (فان تاب قبلت توبته والا) أي والله وان لم يتب (قتل) لما اقتضته ردته (لانه) أي قوله هزم (تنقص) في مرتبته (اذ لا يجوز ذلك) أي وقوع هزيمته (عليه في خاصته) أي خاصة نفسه كما في نسخة (عليه الصلاة والسلام) لبراءة ساحته من الهزيمة عن مقام طاعته (اذ هو على بصيرة من أمره ويقين من عصمته) ففي حديث مسلم عن أبي اسحق قال رجل للبراء بن عازب يا أبا عمارة فررتم يوم حنين قال لا والله ما ولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولكنه خرج شبان أصحابه وأخفاؤهم وهم حسر ليس عليهم سلاح أو سلاح كثير فلقوا قوما رماة لا يكاد يسقط لهم سهم فاقبلوا هنالك الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على بغلته البيضاء الحديث وكذا رواه البخاري وزاد عن أبي اسحق قال البراء كنا اذا احمر الباس نتقي به وان الشجاع منا للذي يحاذيه أي يقابله عليه الصلاة والسلام وكذا روى

تعجبا مما شاهدوه (وجاء كلب فولغ في دمه) الذي جرى منه حين طعن بالسكين يقال ولغ الكلب والسبع اذا لعق ما ثعا بلسانه ولا يقال ولغ لغير ذلك (فقال يحيى بن عمر) القاضي حين رأى ولوغ الكلب من دمه (صدق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) بين ما صدقه بان (ذكر حديثا عنه) صلى الله تعالى عليه وسلم ثبت عنده (انه) صلى الله تعالى عليه وسلم (قال لا يلغ) بفتح اللام وكسرها والثاني هو القياس (الكلب في دم مسلم) تكرمة له الا انه قيل لا يعرفه الحفاظ فالظاهر انه لا أصل له لانه لم ينقله الثقات ونقل عن ابن حجر أيضا انه قال لا أصل له ونقل المصنف له عن القاضي المذكور لعدم وقوفه عليه في كلام غيره (وقال القاضي أبو عبد الرحمن بن المرابط) هو من يقيم بالثغور الاسلامية لحراستها وله فضائل عظيمة مذكورة في كتاب الجهاد وابن المرابط هذا هو أبو مصعب ويقال المصعب كما ابن محمد بن خلف بن سعيد بن وهب توفي بعد ثمانين وأربعمائة وهو من أجل أئمة المالكية بالمغرب (من قال ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم هزم يستتاب) أي يطلب منه ان يتوب مما قاله ويرجع عنه وهزم بزاي معجمة مبني للمجهول من الهزيمة وهي الفرار من الزحف وهي كبيرة الا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة كما في الآية وبيانه في التفسير وكتب الفقه فمن قال انه صلى الله تعالى عليه وسلم فر من عدو خوفا وجبنا في وقعة هوازن بحنين فقد كذب ونسب اليه ما هو نقص وعار قال ابن حجر وقضية مذهبنا انه لا يكفر بذلك الا ان قاله على قصد التنقيص لانه ليس صريحا فيه لان الهزيمة قد تكون من الجبلات البشرية فان لم يقصد ذلك لم يكفر بل يعزر التعزير الشديد انتهى ولو قيل ان الفرار مما لا يطاق من سنن الانبياء عليهم الصلاة والسلام كما فر موسى حين هم به القبط لم يبعد (فان تاب) قبلت توبته (والا) أي وان لم يتب (قتل لانه تنقيص) له صلى الله تعالى عليه وسلم واستهانة به وهو كفر وهذا مخالف لما قدمه من ان منتقصه صلى الله تعالى عليه وسلم يقتل ولا يستتاب فاما ان يكون ابن المرابط خالف مذهبه في هذا أو يقول انه مما ظنه كثير من الناس فان تاب اندرأ عنه الحد لما فيه من الشبهة وانه لا تنقيص فيه مع كثرة العدو وقوته وقوله (اذ لا يجوز ذلك) أي هزيمته صلى الله تعالى عليه وسلم (عليه في خاصته) أي في الهزيمة منه ممتنعة لا مرخصه الله تعالى به وجبله عليه لالقاء الرعب منه في قلوب أعدائه وتثبيت الله تعالى له بقوة قلبه (اذ هو) صلى الله عليه وسلم طبعه الله (على بصيرة) من أمره يعرف بهذا ان أحدا لا يقدر على اصابته بسوء (ويقين من عصمته) أي عصمة الله له بحفظه لقوله تعالى

عن علي كرم الله وجهه وامامر وجه عليه الصلاة والسلام من البلد الحرام فانما كان بامر الله سبحانه بالهجرة الى دار السلام بل قيل انه فرض عليه الجهاد ولو لم يوافقه احد من العباد في البلاد كما يشير اليه قوله تعالى يا أيها النبي جاهد الكفار والله سبحانه وتعالى أعلم بالاسرار وقال الحلبي واذا كان قوله هزم تنقصا فينبغي ان يقتل حدا عندهم وان تاب لان هذا هو المعروف من مذهبهم ولعل هذا اختيار لابن المرابط (وقال حبيب بن ربيع القروي) بفتح القاف والراء نسبة الى القرية أو الى القيروان على غير قياس (مذهب مالك وأصحابه ان من قال فيه) أي في حقه عليه الصلاة والسلام (ما فيه نقص) أي قدح وطعن (قتل دون استتابة وقال ابن عتاب الكتاب والسنة موجبان ان من قصد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم باذى أو نقص معرضا) أي ملوحا (أو مصرحا وان قل) الاذى وان كثر بالاولى (فقتله واجب فهذا الباب) أي باب ما يؤذي ذلك الجناب (كله مما عده العلماء سبا) أي شتما وطعنا (ونقصا) أي قدحا وفي نسخة أو تنقصا أي اظهار نقص في كماله (يجب قتل قائله لم يختلف في ذلك متقدمهم ولا متأخرهم) أي من المالكية (وان اختلفوا في حكم قتله على ما أشرنا اليه) انه هل يستتاب أولا وهل اذا تاب يترك أو يقتل حدا أولا يستتاب ويقتل كالزنديق والله تعالى ولي التوفيق (ونبينه بعد) أي نظهر تفصيله بعد ذلك على وجه التحقيق ثم

والله يعصمك من الناس ومر ما فيه من الكلام فلو انهزم كان شاكا فيما أخبره الله به ومر انه كان صلى الله تعالى عليه وسلم في حرب هوازن وقد حمي الوطيس على بغلته البيضاء وكان أبو سفيان بن الحارث آخذا بزمامها وهو يقول * انا النبي لا كذب * انا ابن عبد المطلب * كما في البخاري فركب البغلة وهي لا تصلح للكر والفر ونادى باسمه اعلاما للاعداء بمكانه ليقصدوه فاي ثبات وشجاعة أقوى من هذا وقد فر كثير من الصحابة لما نضحوهم بالسهام (وقال حبيب بن ربيع) من أئمة مذهب مالك كما تقدم (القروي) منسوب لقرية أو للقيروان على خلاف القياس كما تقدم (مذهب مالك وأصحابه ان من قال فيه) أي في حقه صلى الله تعالى عليه وسلم (ما فيه نقص) لمقامه العظيم (قتل دون استتابة) هذا تعقيب على ما قاله ابن المرابط لمخالفته لمذهبه وقد عرفت ما فيه (وقال ابن عتاب) من المالكية أيضا (نص الكتاب والسنة) من الاحاديث الصحيحة وطريقة السلف (موجبان ان من قصد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم باذى) أي بما يؤذيه ويسوءه (أو نقص) أي ما فيه تنقيص له وتحقير سواء كان (معرضا أو مصرحا وان قل) فقليله وكثيره سواء والتعريض الاتيان بما يوهم ذلك والتصريح بخلافه (فقتله واجب) على كل حاكم رفع اليه أمره لان من آذاه صلى الله تعالى عليه وسلم فقد آذى الله وقد وقع وعيده في آيات عديدة مشهورة مر بعضها ويأتي بعضها أيضا (وهذا كله) أي كل ما ذكر في هذا الباب مما فيه أذية أو تنقيص له صلى الله تعالى عليه وسلم (مما عده العلماء سبا أو تنقيصا يجب قتل قائله لم يختلف في ذلك متقدمهم ولا متأخرهم وان اختلفوا في حكم قتله على ما أشرنا اليه) فيما تقدم من هذا الكتاب (ونبينه) تفصيلا (بعد) أي بعد هذا فهو مبني على

اعلم ان فصل الخطاب في هذا الباب ان هذا كله اذا صدر عنه تعمدا ولو هزلا بخلاف ما اذا جرى على لسانه سهوا أو خطأ أو اكراها لقوله عليه الصلاة والسلام رفع عن امتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه وقد صرح قاضيخان من أئمتنا في فتاواه بان الخاطئ اذا جرى على لسانه كلمة الكفر خطأ لم يكن ذلك كفرا عند الكل بخلاف الهازل لانه يقول قصدا انتهى ثم انه لا يعذر بالجهل عند عامة أهل العلم خلافا لبعضهم ثم اعلم ان المرتد يعرض عليه الاسلام عند علمائنا الاعلام على سبيل الندب دون الوجوب لان الدعوة بلغته وهو قول مالك والشافعي واحمد ويكشف من شبهته فان طلب ان يمهل في مدته حبس ثلاثة أيام لانها مدة ضربت لاجل الاعذار فان تاب قبل والا قتل وفي النوادر عن أبي حنيفة وأبي يوسف رحمهما الله يستحب ان يمهل ثلاثة أيام طلب ذلك أو لم يطلب وفي أصح قولي الشافعي انه يستتاب في الحال والا قتل وهو اختيار ابن المنذر وقال الثوري يستتاب ما رجي عوده وفي المبسوط من كتب مذهبنا انه ان ارتد ثانيا وثالثا فكذلك يستتاب وهو قول أكثر أهل العلم ويشير اليه قوله تعالى والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم الى ان قال ولم يصروا على ما فعلوا ويدل عليه قوله صلى الله تعالى عليه وسلم ما أصر من استغفر ولو عاد في اليوم سبعين مرة فان الحكم في المعصية الصغرى والكبرى واحد فقد قال عليه الصلاة والسلام التائب من الذنب كمن لا ذنب له وقال مالك واحمد لا يستتاب من تكرر منه كالزنديق ولعلهم تعلقوا بظاهر قوله تعالى ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم واوله المحققون بكونهم لا يتوبون أو بكون توبتهم لا تكون الا نفاقا لا ارتدادهم وزيادة كفرهم ولذلك لم يدخل الفاء في لن تقبل توبتهم فان المبتدأ لا يكون سببا للخبر بل النفاق سببه وقيل لن تقبل توبتهم اذا أشرفوا على الموت ففيه الحث على التوبة قبل الفوت وقيل نزل فيمن مات منهم كافرا كما بينه بعده بقوله ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار الآية أو الآية السابقة مختصة بالزنديق والله ولي التوفيق ثم لنا في الزنديق

روايتان رواية لاتقبل توبته كقول مالك وفي رواية تقبل وهو قول الشافعي وهذا في حق احكام الدنيا واما فيما بينه وبين الله تعالى فتقبل بلا خلاف وعن أبي يوسف اذا تكرر منه الارتداد يقتل من غير عرض الاسلام عليه لاستخفافه بالدين الواجب اكرامه اليه (وكذلك أقول حكم من غمصه) أي عابه (أوعيره) بتشديد الياء أي احتقره (برعاية الغنم) أي برعيها بالاجرة وسيأتي تفصيل هذه القصة (أو السهو والنسيان) مع انهما ثابتان عنه الا انه انما يذكر لاجل التعيير وسبب التحقير (أو السحر) أي بالسحر وهو ظاهر في الكفر (أو ما أصابه) أي وبما نابه (من جرح) بضم الجيم ويفتح أي جراحة مع انه عليه الصلاة والسلام كسرت رباعيته وشج وجهه فكفر القائل انما هو لتعييره به وتنقيصه بسببه وكذا قوله (أوهزيمة لبعض جيوشه) فانه هزم بعض أصحابه في أحد وحنين (أو اذى من عدوه أو شدة من زمنه) أي على وجه التعيير به (أو بالميل الى نسائه) ففي المعالم في قوله تعالى أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله قال ابن عباس والحسن ومجاهد وجماعة المراد بالناس رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وحده حسدوه على ما أحل الله له من النساء وقالوا ماله هم الا النكاح قال تعالى فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما كداود وسليمان فانه كان لسليمان ألف امرأة ثلاثمائة مهرية وسبعمائة سرية وكان لداود عليه السلام مائة امرأة ولم يكن يومئذ لرسول   والعمل
الله صلى الله تعالى عليه وسلم الا تسع نسوة انتهى وقد صرح بعض علمائنا ان من تزوج اربعا وتسرى الفا وغيره احد وذمه به يكفر لانه بمنزلة تحريم ما أحل الله سبحانه وتعالى (فحكم هذا كله لمن قصد به نقصه القتل وقد مضى من مذاهب العلماء في ذلك) أي من اختلافهم هنالك هل يستتاب أم لا (ويأتي ما يدل عليه) من الجواب على وجه الصواب

الضم (وكذلك) أي مثل ما تقدم عن أئمة الدين (أقول حكم من غمصه) بغين معجمة وميم وصاد مهملة أي حقره وعابه بما لا يليق به (أوعيره) بتشديد الياء التحتية أي نسبه صلى الله تعالى عليه وسلم لما فيه عار وهو متعد بنفسه في الفصيح وقد يتعدى بالباء وانكار الحريري له في درة الغواص لا وجه له كما فصلناه في شرح جامع شواهده ومنه قوله (برعاية الغنم) قال السيوطي في كتابه تنزيه الانبياء عن تسفيه الاغبياء وهو كتاب جليل ينبغي الوقوف عليه ان رجلا سب آخر بانه راعي فقال له ما من نبي الا رعى الغنم بجمع من العامة فقال قاضي القضاة المالكي لو رفع لي هذا ضربته بالسياط فلما سألت عنه أجبت بانه يعزر ابلغ تعزير لانه لا ينبغي ضرب آحاد الناس مثلا لنفسه بالانبياء والمستدل بمثله قد يكون في مقام التدريس والافتاء والتصنيف وبيان العلم لاهله لا ينكر عليه اما في مقام الخصام والتبري عن معرة نقص نسب له أو لغيره فهو محل الانكار والتاديب لاسيما بحضرة العوام وفي الاسواق فهو سب وقذف ولكل مقام مقال يناسبه وسئل الحافظ ابن حجر عما يقع في الموالد من الوعاظ بين العوام من ذكر الانبياء عليهم الصلاة والسلام بما يخل بالتعظيم حتى يحصل لسامعه رقة وحزن كقولهم ان المراضع لم تاخذه صلى الله تعالى عليه وسلم لعدم ماله حتى أخذته حليمة شفقة عليه ويقولون انه كان يرعى غنما وينشدون في ذلك

باغنامه سار الحبيب لكي يرعى * فيا حب ذا راع فؤادي له يرعى

فاجاب بانه ينبغي ان يحذف من الخبر ما يوهم نقصا وان لم يضره بل يجب ذلك انتهى (أو) وصفه (بالسهو أو النسيان أو السحر) اما الاخير فلانه لا شبهة في امتناعه واستحقاق قائله ما مر واما الاولان فما صدر عنه صلى الله تعالى عليه وسلم نادرا كما تقدم لكنه لا يجوز وصفه في سياق يوهم تنقيص المقام لانه يصدر منه نادرا للتشريع (أو) أي ولا يجوز أيضا ذكر (ما أصابه من حرج) بالحاء والراء المهملتين المفتوحتين والجيم مؤخرة أي ضيق وشدة من اعدائه احيانا كما وقع له صلى الله تعالى عليه وسلم باحد من كسر رباعيته وجرحه وفي بعض النسخ أو جرح بالجيم المضمومة مقدمة وسكون الراء (أوهزيمة لبعض جيوشه) فلا يجوز ذكره وان لم يكن في ذاته كما تقدم لان اهانة أصحابه اهانة له وذكر ما يؤذيه (أو اذى من عدوه) له أو لجنده (أو شدة من زمنه) تصيبه أو تصيب أصحابه كقلة المعيشة وضيق الحال وخوف العدو (أو) وصفه (بالميل الى نسائه) فلا يجوز وان كان جائزا عليه لما فيه من النقص بالنسبة لجليل قدره (فحكم هذا) المذكور (كله) وان كان فيه ما هو جائز عليه كالسهو (لمن قصد به نقصه القتل) فان لم يقصده لم يمتنع كما تقدم في كلام السيوطي وغيره قال ابن حجر وما ذكره المصنف ظاهر لقصده النقص وهو كفر كما مر (وقد مضى) في هذا الكتاب (من مذاهب العلماء في ذلك ويأتي ما يدل عليه) وبينه وما موصولة أو موصوفة تنازعها مضى ويأتي قال السبكي رحمه الله تعالى بعد ما ذكر ما هنا في هذا الفصل ان كان هذا عن سوء عقيدة فلا اشكال فيه اما اذا صدر عن مؤمن وقلنا الايمان هو التصديق فقط والكفر الجحود فكيف يكون هذا كافرا وأجاب نقلا عن امام الحرمين ان المسلمين اجمعوا على تكفيره فكأنه لانه تعالى قضى بانه لا يصدر مثله الا ممن قضى الله تعالى بانتزاع معرفة الله تعالى من قلبه

(فصل فى الحجة فى ايجاب قتل من سبه أو عابه عليه الصلاة والسلام) من الكتاب والسنة واجماع الامة (فمن القرآن لعنه تعالى) أى لعن الله كما فى نسخة (لمؤذيه) أى لمؤذى نبيه (فى الدنيا والآخرة) ظرف لعنه (وقرانه تعالى) أى وجمعه سبحانه (أذاه) أى أذى رسوله (بأذاه) أى بأذى نفسه (ولا خلاف فى قتل من سب الله) أى عمدا من غير خطأ وا كراه وانما الخلاف فى أنه هل يستتاب أم لا (وان اللعن) أى الطرد الكلى من رحمة الله تعالى (انما يستوجبه من هو كافر) وأما ما ورد من لعن أصحاب الكبائر وارباب الصغائر كقوله عليه الصلاة والسلام لعن الله آكل الربا ونحوه ولعن الله المحلل والمحلل له وأمثاله فهو لعن دون لعن والحاصل ان اللعن المطلق ينصرف الى الفرد الاكمل وأغرب الدلجى فى هذا المحل حيث قال بخلاف المؤمن فان لعنه كقتله كما ورد وفى رواية لعنه فسوق اذ ليس الكلام فيمن لعن مؤمنا بل الكلام فيما اذا وقع لعن الله على أحد فانه ان لم يكن مؤمنا فهو كافر وأما اذا وقع على مؤمن فالمراد زجره (وحكم الكافر القتل) اذ لم يكن معصوم الدم (فقال) أى الله تعالى (ان الذين يؤذون الله ورسوله) وقد سبق بيان أذاه وقيل ذكر الله تعالى تعظيم وتمهيد لذكره عليه الصلاة والسلام (الآية) أى لعنهم الله فى الدنيا والآخرة أى أبعدهم من رحمته الخاصة فيهما وأعد لهم عذابا مهينا وحجابا مبينا (وقال) أى الله تعالى (فى قاتل المؤمن مثل ذلك) أى نظير ما هنالك حيث قال تعالى ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما لكن اللعن الموجب للكفر انما يكون اذا استحل قتل المؤمن أو قتله لكونه مؤمنا والا فهو محمول على الزجر كما ان خالدا مؤول بمدة مديدة (فمن لعنته فى الدنيا القتل) اما قصاصا واما حدا (قال الله تعالى) لئن لم ينته المنافقون والذين فى قلوبهم مرض أى شك وشبهة والمرجفون فى المدينة بالاخبار السيئة لنغرينك بهم أى لنسلطنك عليهم ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا أى زمانا قليلا فهددهم بالبعد عن حضرة حبيبه وعدم المجاورة فى مكان قربه الموجب للبعد عن رحمته والطرد من جنته وهذا معنى قوله (ملعونين) بالنصب على الحال (أينما ثقفوا) أى وجدوا وأدركوا (أخذوا) أى أمسكوا (وقتلوا تقتيلا) أى أشد أنواع القتل وأفظعها ليعتبر غيرهم و يقوموا بحق النبى كما يجب له توقيرا وتبجيلا (وقال) أى الله (فى المحاربين) أى قطاع الطريق على سيارة المسلمين

والعمل وان لم يكن ركن الايمان فالاقرار والانقياد والاذعان بترك الاستكبار عن امتثال أوامره لا بد منه ولذا كفر ابليس بالاستكبار والحاصل ان الايمان بمعنى التصديق لا بد ان يقترن به أمر آخر هو طمانينة القلب لقبول الاوامر والنواهى والانقياد لها بقلبه وهو بمعنى الطمانينة فمن استخف واستهان به ضاد ذلك فانتفى تصديقه الموجود صورة بانتفاء أثره فصار ذلك كالعدم فالكفر كفران كفر جهل وجحود ككفر النصارى وكفر مع التصديق والمعرفة لوجود ما يعارضه و يصيره كالعدم ككفر ابليس واليهود فاذا نفى عنه التصديق فهو نفى للمعتد به منه وكفر الساب والمنتقص من هذا القبيل فهو كفر جهل استحل أم لا فمن توقف فى التكفير من الفقهاء لمن لم يستحل خفى عليه مأخذه انتهى وهو نفيس جدا ينبغى التنبيه له فى تكفير الفقهاء لبعض الناس فتدبر

(فصل فى الحجة) أى فى بيان الدليل (فى ايجاب قتل من سبه أو عابه صلى الله تعالى عليه وسلم) بذكر ما فيه تنقيص له (فمن) آيات (القرآن لعنه تعالى لمؤذيه فى الدنيا والآخرة) كما مر ولا يطرد فى الدارين عن رحمته تعالى الا الكافر المستحق للقتل (وقرانه تعالى أذاه بأذاه) بجعل ما يؤذى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يؤذيه (و) وجه الدلالة انه (لا خلاف فى قتل من سب الله تعالى) فانه كفر بالاتفاق كما يأتى (و) لا خلاف فى (ان اللعن) أى الطرد من رحمة الله تعالى فى الدارين (انما يستوجبه) أى يستحقه وجوبا (من هو كافر) وهذه مقدمة من برهان منطقى على الحكم بقتله (و) المقدمة الاخرى (حكم الكافر القتل) لانه غير معصوم الدم بالذات وان عرض له ما يمنع من قتله ومن كفر بسبه أشد من الكافر الاصلى كما سمعته آنفا (وقال الله تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والآخرة) وأذية الله تعالى لا تمكن لانها ايصال مكروه له وهو لا يتصور فى حقه فذكره تمهيد للاذية الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فان من يؤذيه كمن يؤذى الله واللعن الطرد من رحمة الله تعالى وهو انما يكون فى الدارين للكافر كما تقرر (وقال) الله تعالى فى القرآن (فى قاتل المؤمن) عمدا بغير حق (مثل ذلك) أى مثل ما قال فى حق من يؤذى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فوصفه باللعنة (فمن لعنته فى الدنيا القتل) أى لعنة القاتل فى الدنيا بقتله قصاصا والذى يدل على ان اللعنة فى الدنيا القتل ما (قال الله تعالى) لئن لم ينته المنافقون والذين فى قلوبهم مرض والمرجفون فى المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا (ملعونين أينما ثقفوا) نصب ملعونين عن الشتم أو الحال أى لا يجاورونك فى المدينة الا ملعونين وثقفوا بمعنى وجدوا وقد ظفرتم بهم (أخذوا وقتلوا تقتيلا) والآية تدل على ان معنى لعنة الدنيا هى القتل فتدل على قتل من آذاه لان الله تعالى لعنه فى الدنيا والآخرة (وقال) الله عز وجل (فى المحاربين) أى الذين حاربوا الله ورسوله انما جزاء الذين

(وذكر عقوبتهم) بقوله انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الارض فسادا ان يقتلوا ان اقتصروا على القتل أو يصلبوا ان جمعوا بين أخذ المال وقتل النفس أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف ان اقتصروا على أخذ المال أو ينفو من الارض بالاخراج أو الحبس ان اقتصروا على الاخافة (ذلك) أى ماذكر من قتل وغيره (لهم خزى) أى ذل وفضيحة (فى الدنيا) ولهم فى الآخرة عذاب عظيم الا الذين تابوا من قبل ٣٥٠ ان تقدروا عليهم فاعلموا ان الله غفور رحيم وحاصله ان اللعن قد يجيء بمعنى القتل على ان صاحب اللعن يستحق القتل (وقد يقع القتل بمعنى اللعن قال الله تعالى قتل الخراصون) أى لعن الكذابون المقدرون المفترون (وقاتلهم الله) أى اليهود والنصارى وأمثالهم (انى يؤفكون) أى كيف يصرفون عن الحق مع ظهور أمره وعلو نوره (أى لعنهم الله تعالى) أى أبعدهم عن مقام حضوره (ولانه) أى الله تعالى (فرق بين أذاهما) والتقدير لان الله سبحانه وتعالى فرق بين أذاهما أى أذى الله ورسوله بان فى أذاهما الكفر والقتل وفى أذى المؤمنين القتل والضرب بحسب اختلاف الاذى حيث قال تعالى والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا (وفى أذى المؤمنين مادون القتل) أى ان لم يكن الاذى بالقتل ونحوه مما يستحق القتل (من الضرب والنكال) أى العقوبة التى هى العبرة لغيره فى الاستقبال (فكان حكم مؤذى الله ونبيه بخصوصه أو عموم جنسه (أشد من ذلك) أذى المؤمنين (وهو) أى حكمه الاشد (القتل) لمؤذيهما والكفر فى متنقصيهما (وقال تعالى فلا) أى فليس الامر كما يزعمون (وربك لا يؤمنون حتى يحكموك) أى يجعلوك حكما (فيما شجر بينهم) أى فيما اختلفوا فيما بينهم (ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا الآية) أى ضيقا وشكا مما قضيت أى حكمت بينهم سواء لهم أو عليهم ويسلموا تسليما أى ينقادوا انقيادا تاما لحكمك ظاهرا وباطنا دائما

كما

يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الارض فسادا اذ المراد بهم قطاع الطريق جعل محاربتهم للمسلمين محاربة لله ولرسوله لخروجهم عن أمرهما وحكمهم مذكور فى كتب الفقه وانما ذكر المصنف هذا دليلا على ان اللعنة جاءت بمعنى القتل وقوله (وذكر عقوبتهم) يعنى فى الدنيا بقوله تعالى ان يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الارض والجملة حالية أو معترضة ومقول قال (ذلك لهم خزى فى الدنيا) ولهم فى الآخرة عذاب عظيم وذلك اشارة للقتل وما بعده والخزى الذل والفضيحة وهو استدلال معنوى لان الخزى فى الدنيا بمعنى اللعنة فما قيل من انه قليل الجدوى هنا ناشئ من عدم التدبر وقد ذكر هنا كلاما طويلا لا بغير طائل (وقد يقع) فى القرآن (القتل بمعنى اللعن) عكس ما تقدم فوقوع كل منهما فى موقع الآخر يدل على ان المراد بهما معنى واحد (قال الله تعالى قتل الخراصون) أى الكذابون الذين يقولون ما لا يصح تخمينا وتقديرا من أنفسهم فالقتل بمعنى الاهلاك جرى مجرى اللعن والقبح فى الدعاء وغيره (وقاتلهم الله) فى الدعاء كلعنهم الله تعالى وقد يرد هذا للتعجب ممن فعل فعلا قريبا ولو فى مقام المدح وقد يرد على ظاهره كقوله تعالى قاتلهم الله أنى يؤفكون أى يصرفون عن الحق (أى لعنهم الله) فوقع موقعه فى الدعاء والمعنى المجازى كالحقيقى (ولانه لا فرق بين أذاهما) أى أذية الله تعالى وأذية رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم (وأذى المؤمنين) لان أذاهم بسوء رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ويؤذيه فى أمته وأذيته أذية الله كما تقدم وعدم الفرق فى مطلق الاذى وان كان بين أذاهما وأذى المؤمنين فرق بحسب الجزاء واليه اشار بقوله (وفى أذى المؤمنين مادون القتل) أى أقل منه (من الضرب) حدا وتعزيرا (والنكال) أى العقوبة بغير قتل كقطع يد ونحوه قال تعالى والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا (فكان حكم مؤذى الله تعالى ونبيه صلى الله تعالى عليه وسلم أشد من ذلك) أى من جزاء أذية المؤمنين التى تكون بضرب ونحوه وقوله (وهو القتل) راجع لحكم الاشد وحاصله الاستدلال على ان من سبه صلى الله تعالى عليه وسلم يقتل (و) الدليل عليه أيضا انه (قال تعالى فلا وربك) أى فوربك (لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم) أى وقع بينهم من الاختلاف والمخاصمة وحتى غاية متعلقة بقوله لا يؤمنون أى ينتفى عنهم الايمان الى هذه الغاية وهى تحكيمك وعدم وجدانهم الحرج وتسليمهم لامرك (الآية) يعنى قوله تعالى ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما وتقدم ان سبب نزول هذه الآية كما فى البخارى ان الزبير بن العوام رضى الله تعالى عنه خاصم رجلا من الانصار بدريا فى أمر الماء الذى بشرج الحرة فاغضب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كما تقدم فنزلت هذه الآية ولا مزيدة لتأكيد النفى فى جواب القسم لا لظاهر لا فى قوله لا يؤمنون لانها تزاد أيضا فى الاثبات كقوله تعالى لا أقسم بهذا البلد وقيل ان لا الثانية زائدة والقسم معترض بين حرفى النفى والمنفى وكان التقدير فلا لا يؤمنون وربك فنفى الايمان عمن لم يرض حكمه لما فيه من الاذية له صلى الله تعالى عليه وسلم

(فسلب) أي نفى الله (اسم الايمان عمن وجد في صدره حرجا من قضائه) بعدم انقياده ولم يسلم له أمره باذعانه وفق مراده (ومن تنقصه فقد ناقض هذا) أي عارض ما يجب عليه من انه لم يجد من نفسه حرجا من قضائه كيف ما جاء واسعا أو ضيقا (وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي) تعظيما لقدره

وتكريما لامره ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض (الى قوله ان تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون) ومن المعلوم ان مجرد رفع الصوت فوق صوته لا يبطل العمل فان المعاصي سواء الكبائر والصغائر لا تبطل الحسنات عند أهل السنة والجماعة وانما يبطلها الكفر وهو لا يكون الا اذا تضمن رفع الصوت خفض حرمة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم واستخفاف منصبه وهذا معنى قوله (ولا يحبط العمل الا الكفر) بمجرد تحققه ولو رجع الى الاسلام عند أكثر علماء الاعلام (والكافر يقتل بالارتداد بعد استتابته) أي بدونها على خلاف لارباب الاجتهاد (وقال تعالى واذا جاؤك) أي اليهود والمنافقون (حيوك) أي سلموا عليك (بما لم يحيك به الله) أي بلفظ لم يأمر الله تعالى به فيقولون السام عليك والسام الموت ويقولون في أنفسهم أي في صدورهم أو فيما بينهم من حجورهم لولا يعذبنا الله بما نقول وأقول قد عذبهم الله تعالى بين المقول وان لم يدركوه بالعقول (ثم قال حسبهم جهنم) أي كافيهم عذابها في العقبى ولو أمهلناهم لحكمة في الدنيا (يصلونها) أي يدخلونها او يحرقون بها او يخلدون فيها (فبئس المصير) أي المرجع هي لهم ولأمثالهم في مآلهم

كما أشار اليه بقوله (فسلب) الله تعالى ونفى (اسم الايمان عمن وجد في صدره) أي قلبه الذي فيه ونفسه واسم على ظاهره أي لا تسمه مؤمنا أو هو مقحم مزيد للمبالغة في نفيه عنه (حرجا) أي ضيقا عن قبول حكمه أو قلقا اشارة لقوله ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت (من قضائه) وحكمه (ولم يسلم له) أي لم ينقد ولم يذعن لحكمه صلى الله تعالى عليه وسلم اشارة لقوله ويسلموا تسليما أورد على هذا بعض الشراح كلاما طويلا وزعم ان المفسرين لم يعبروا به وحاصله انها ان كانت في اليهود والمنافقين ممن ليس بمؤمن فلا يجعل سلب ايمانهم غاية لعدم الرضى بحكمه صلى الله تعالى عليه وسلم وان كانت في الزبير رضي الله عنه فهو مؤمن قبل الحكم وبعده فان كانت عامة فالحرج كاف فلا حاجة لقوله يحكموك الخ وهو يقتضي ان مجرد الرضى بحكمه يكفي في ثبوت الايمان ولا قائل به الى آخر ما ذكره مما يدل على ضيق العطن بل قلة الفطن لان المراد من لم يرض بحكمه صلى الله تعالى عليه وسلم ولم ينقد لنهيه وأمره شاك في دينه غير متحل بيقينه ومثله مؤذ له مغضب له صلى الله تعالى عليه وسلم كما مر في سبب النزول وأذيته كفر حقيقة أو مؤدية اليه ففيه احث على اجتناب ما يكره والخوف من عاقبته فأي حاجة لدندنته بما لا محصل له ولولا خوف الاطالة أوردناه وبينا ما فيه (ومن تنقصه) أي صدر عنه ما فيه نقص له صلى الله تعالى عليه وسلم (فقد ناقض هذا) المذكور في هذه الآية من الحرج وعدم التسليم مما يجر الى نفي الايمان (وقال) الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي الى قوله ان تحبط أعمالكم) ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض فنهى الله المؤمنين عن رفع الصوت في مخاطبته وان ينادوه باسمه صلى الله تعالى عليه وسلم بخفض أصواتهم تعظيما له وتأدبا وحبوط الاعمال سقوطها حتى لا يثاب عليها من حبطت الدابة اذا أكثرت أكلها حتى انتفخت وماتت (ولا يحبط الاعمال) بسقوطها عن ان يعتد بها ورفع ثوابها (الا الكفر) لان الاعمال انما تتقبل من المؤمن لان العمل المقبول ثمرة الايمان وهذا مذهب أهل السنة من ان المحبط كفر أصلي أو طارئ بردة والمعتزلة يقولون يحبط بالكبائر والخلاف مشهور في الاصول (والكافر يقتل) أي يستحق القتل شرعا أو جبه والمراد النهي عن المؤذي ورفع الصوت فوق صوته صلى الله تعالى عليه وسلم فيه أذية له وهذا مخصوص بمن قصد اهانته وتحقيره صلى الله تعالى عليه وسلم فان لم يقصده كان خلاف الاولى فالقول بان اطلاقها لا يوافق مدعاه غير ظاهر لعدوله عن الظاهر وكان الصحابة بعد نزول هذه الآية لا يكلمونه صلى الله تعالى عليه وسلم الا كأخي السرار كما مر وقال ابن العربي رحمه الله تعالى هذا كما هو في حياته صلى الله تعالى عليه وسلم متحتم بعد مماته حتى لا ينبغي رفع الصوت عند قبره الشريف ولا عند قراءة حديثه ولا عند أحد من العلماء الذين ورثوا مقامه صلى الله تعالى عليه وسلم فهذا كله مكروه وأشد كراهة ومع قصد الاهانة حرام وقد علم هذا كله مما مر (وقال) الله تعالى (واذا جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله) يعني اليهود والمنافقين لما كانوا يقولون السام عليك يعنون الدعاء بالموت ويحرفون تحية الله التي هي السلام ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول (ثم قال) عز وجل بعد قولهم هذا (حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير) أي يكفي في جزائهم ما أعد الله لهم من عذاب الآخرة الذي يصير لهم

(وقال تعالى ومنهم) أي من المنافقين (الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن) بضمتين وبسكون ثانيه الجارحة المعروفة والمراد به هنا المستمع القائل لما يقول له كل أحد قال تعالى رداً عليهم قل أذن خير لكم أي نعم هو أذن ولكن نعم الأذن هو يؤمن بالله أي بوجوده يؤمن للمؤمنين أي يقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم ورحمة للذين آمنوا منكم خاصة وللخلق عامة (ثم قال والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم) وعقاب مقيم (وقال تعالى ولئن سألتهم) أي المنافقين وهم سائرون معه في غزوة تبوك عن قولهم في حقه انظروا هذا الرجل يريد ان يفتتح قصور الشام وحصونه بالتمام هيهات هيهات من هذا المرام (ليقولن) في مقام الانكار على وجه الاعتذار (انما كنا نخوض ونلعب) فيما يخوض فيه الركب ليقصر السفر ويخف التعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن لا تعتذروا باعتذاراتكم الكاذبة (الى قوله قد كفرتم) سرا (بعد ايمانكم) ظاهرا (قال أهل التفسير كفرتم بقولكم في رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) مالا يليق بجنابه المكرم (وأما الاجماع فقد ذكرناه) وهو أقوى الحجج في مقام النزاع

وقد علمت ان ضمير جاؤك لليهود والمنافقين الذين كانوا يتناجون ويتغامزون حتى شكاهم الانصار لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فنهاهم فلم ينتهوا فنزلت فيهم هذه الآية وقيل نزلت في اليهود لما كانوا اذا جاؤه قالوا السام عليك ثم يقولون لو كان نبيا ما أمهلنا الله تعالى مع استخفافنا فاذا نهوا عن هذا وجاء وعيدهم به فالسب يعلم بالطريق الاولى (وقال تعالى ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن) أي يسمع كل ما يقال له ويقبله من كل أحد فجعل ذاته كلها أذنا تسمية للكل باسم جزئه كما سمي الربيئة عينا فهو مجاز مرسل والقائلون هم المنافقون قالوا نقول له ما نريد ثم نأتيه فننكر ونحلف فيصدقنا ظنوه غفلة منه وانما هو حلم منه صلى الله تعالى عليه وسلم عليهم فرد الله عليهم مقالهم بقوله (قل) هو (أذن خير لكم) أي نعم هو أذن ولكنه أذن خير وصلاح لعفوه وصفحه وهو مع ذلك (يؤمن بالله) بتصديقه لما جاء به (ويؤمن للمؤمنين) يصدقهم ويجعلهم في أمان بقبوله من محسنهم وتجاوزه عن مسيئهم وعداه باللام لتضمنه معنى يستمع قولهم مصدقا له وفيه تعريض لهم بانه لا يقبل قولهم وانما يستر كذبهم بحلمه عليهم كما قال (ورحمة للذين آمنوا منكم) أي أظهروا الايمان ولذا عبر بالفعل وسمى غيرهم بالمؤمنين (وقد قال) وفي نسخة ثم قال (والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم) أي مؤلم وفيه مجاز عقلي (وقال) الله تعالى (ولئن سألتهم) أي المنافقين الذين قالوا وهو صلى الله تعالى عليه وسلم ذاهب لتبوك انظروا لهذا الرجل يريد فتح حصون الشام هيهات فأعلمه الله بذلك فلما أخبرهم بما قالوه قالوا كما أخبر الله تعالى عنهم بقوله (ليقولن انما كنا نخوض) أي نتحدث لنقطع السفر بالتلهي بالحديث (ونلعب) تلهيا منا (قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن) استفهام تقريري لتنزيلهم منزلة المعترفين توبيخا وتفضيحا لهم (لا تعتذروا قد كفرتم) باستهزائكم (بعد ايمانكم) بحسب الظاهر أي لا تعتذروا باعتذار غير مقبول لكذبكم والقائل ذلك وديعة بن ثابت لا ابن سلول كما قاله النقاش لانه لم يشهد تبوك فهو خطأ وقوله ان نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة كانوا ثلاثة تكلم اثنان وضحك الثالث وهو المعفو عنه واختلف هل هو مخشي بفتح الميم وسكون الخاء المعجمة وشين معجمة مكسورة وياء بنقطتين من تحت مشددة أو ابن مخشي أو خاس بن حمير بحاء مهملة مضمومة وميم مفتوحة وياء مشددة وراء مهملة تصغير حمار الاشجعي وهو مسلم وقيل منافق لكنه تاب وحسن اسلامه وسأل الله تعالى الشهادة فقتل باليمامة وطلبه الشهادة لندامته على ضحكه رحمه الله تعالى ورضي عنه (قال أهل التفسير) في تفسير هذه الآية معنى (كفرتم بقولكم في رسول الله) صلى الله تعالى عليه وسلم هو أذن فهو دليل على ان أذيته صلى الله تعالى عليه وسلم كفر وهذا قول المفسرين في كفره (وأما الاجماع) على كفره (فقد ذكرناه) فيما تقدم وقد بيناه أتم تبيين (وأما الآثار) أي الاحاديث المسندة المروية فيه فمنها ما ذكره المصنف ورواه الطبراني والدارقطني عن علي رضي الله تعالى عنه وقدم الاجماع لانه أقوى في الدلالة على ما أراده لاحتمال الاحاديث التأويل والتهويل بقوله (فحدثنا الشيخ أبو عبد الله أحمد ابن محمد بن غلبون) الخولاني القرطبي الاشبيلي الزاهد العلامة في جميع الفنون الثقة العابد توفي سنة ثمان وخمسمائة وله تسعون سنة (عن الشيخ أبي ذر الهروي) وهو عبد الله بن محمد بن عبد الله الانصاري الهروي الحافظ الفقيه المالكي نزيل مكة وله معجم كبير وعاش سبعا وأربعين سنة وهو

(وأما الآثار) أي الاحاديث والاخبار (فحدثنا الشيخ أبو عبد الله أحمد بن محمد بن غلبون) بفتح معجمة وسكون لام وهو منصرف وقد يمنع على مذهب أبي علي الفارسي كما قدمناه (عن الشيخ أبي ذر الهروي) بفتح الهاء وبكسر

ثقة

(اجازة قال حدثنا أبو الحسن الدارقطني وأبو عمر بن حيويه) بمهملة مفتوحة وتشديد تحتية مضمومة فواو ساكنة فتحتية وفي نسخة حيوة بفتحتين بينهما ساكن وهو أبو عمر محمد بن زكريا الخزاز بزايين لعمله الخز (قالا) كلاهما (ثنا محمد بن نوح ثنا عبد العزيز بن محمد بن الحسن بن زبالة) بفتح الزاي وتخفيف الموحدة المدني من أئمة الحديث ومصنفيهم قال ابن حبان يأتي عن المدنيين بالاشياء المعضلات فبطل الاحتجاج به ذكره الذهبي في الميزان على ما قاله الحلبي (ثنا عبد الله بن موسى بن جعفر) قال الحلبي يحتمل ان يكون هذا عبد الله بن موسى الهاشمي فان كان هو يروي عن الحسن بن الطيب والبغوي وطبقتهما وعنه أبو محمد الخلال والتنوخي قال ابن أبي الفوارس فيه تساهل شديد وقال البرقاني أبو العباس الهاشمي ضعيف وله أصول رديئة وقال أبو الحسن ابن الفرات ثقة مات سنة أربع وسبعين وثلثمائة كذا ذكره الذهبي في الميزان فان كان هذا هو فهو لم يدرك علي بن موسى يعرف ذلك بالنظر في تاريخ موتهما فيكون الحديث منقطعا قال وان لم يكن هو فلا أعرفه والله أعلم (عن علي بن موسى) هو الرضى العلوي يروي

ثقة عابد حافظ عارف بالفقه وأخذ الاصول عن الباقلاني وتوفي سنة أربع وثلاثين وأربعمائة (اجازة) تقدم معناها والاجازة لغة فيها كلام في ابن الصلاح وحواشيه (قال حدثنا أبو الحسن الدارقطني) علي بن عمر بن أحمد البغدادي الحافظ المشهور صاحب التصانيف الجليلة يروي عن البغوي وطبقته كما قاله الحاكم وكان أوحد عصره في الحفظ والفهم والورع وانتهت معرفة الحديث والعلل له وكذا أسماء الرجال مع الصدق وصحة الاعتقاد والاطلاع على علوم كثيرة غير الحديث كالقراآت والفقه والادب والشعر وهو لم ير مثل نفسه وقيل انه كان أمير المؤمنين في الحديث توفي سنة خمس وثمانين وثلاثمائة وسنه ثمانون وهو منسوب بدار القطن محلة ببغداد (وأبو عمر بن حيويه) الامام الحجة محمد بن العباس ابن محمد بن زكريا البغدادي وهو امام ثقة توفي سنة اثنين وثمانين وثلثمائة عن سبع وثمانين سنة وحيويه بفتح الحاء المهملة وسكون الياء المثناة التحتية وفتح الواو وبعدها ياء مشددة نسبة لحيوة وهو علم على خلاف القياس لان مقتضاه قلب الواو ياء وادغامها لكن الاعلام ارتكبوا فيها خلاف القياس احيانا كما ذكره النحاة (قالا حدثنا محمد بن نوح قال حدثنا عبد العزيز بن محمد بن الحسن بن زبالة) بفتح الزاي المعجمة وتخفيف الموحدة ولام قبلها وهو من أئمة الحديث المشهورين وله فيه كتاب متداول الان فيه أمور اتوقف فيها المحدثون قال (حدثنا عبد الله بن موسى بن جعفر) هو عبد الله بن موسى الهاشمي وفيه كلام فقيل ضعيف وقيل ثقة توفي سنة أربع وسبعين وثلاثمائة (عن علي بن موسى) المعروف بالرضى العلوي وهو في الاكثر يروي (عن أبيه) موسى الكاظم بن جعفر الصادق توفي بطوس سنة ثلاث ومائتين وله خمسون سنة قال وبسنده أمور لا أصل لها كما روى عن جعفر الصادق ولا يتهما وانما الكلام فيمن نقل عنهما (عن جده) جعفر الصادق (عن محمد بن علي بن الحسين عن أبيه) وهو أبو جعفر الباقر وأبوه زين العابدين (عن الحسين بن علي) بن أبي طالب (عن أبيه) علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ورضي الله تعالى عنه (ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال من سب نبيا فاقتلوه ومن سب أصحابي فاضربوه) أي حد القذف وهذا الحديث تقدم من رواه لكنهم قالوا ان سنده ضعيف

عن أبيه وعمه وعنه أبو عثمان المازني وعبد السلام ابن صالح وعدة مات بطرسوس سنة ثلاث ومائتين وله خمسون سنة أخرج له ابن ماجه فقط تكلموا فيه قال ابن طاهر يأتي عن أبيه بعجائب قال الذهبي انما الشان في ثبوت السند والا فالرجل قد كذب عليه ووضع نسخة سائرة كما كذب على جده جعفر الصادق (عن أبيه) أبوه هو موسى بن جعفر بن محمد العلوي الكاظم روى عن أبيه وعبد الله ابن دينار ولم يدركه وعنه ابنه علي الرضى واخواه علي ومحمد وبنوه ابراهيم واسمعيل وحسين

وصالح قال أبو حاتم ثقة امام توفي في حبس الرشيد ولد سنة ثمان وعشرين ومائة ومات سنة ثلاث وثمانين ومائة أخرج له الترمذي وابن ماجه وكان من الاجواد الحكماء ومن العباد الاتقياء وله مشهد معروف ببغداد وحديثه قليل جدا (عن جده) وهو جعفر الصادق (عن محمد بن علي بن الحسين) هو أبو جعفر الباقر (عن أبيه) أي علي بن الحسين زين العابدين (عن الحسين بن علي) أي ابن أبي طالب (عن أبيه) أمير المؤمنين (ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال من سب نبيا فاقتلوه ومن سب أصحابي فاضربوه) قال الحلبي الحديث هذا ليس في الكتب الستة قلت الحديث قد ساقه القاضي بسنده من طريق الدارقطني وهو امام جليل من أهل السنة وقد رواه الطبراني في الكبير أيضا لكنه بسند ضعيف عن علي رضي الله تعالى عنه من سب الانبياء قتل ومن سب أصحابي جلد ورواه أيضا عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما من سب أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين وروى أحمد والحاكم في مستدركه من سب عليا فقد سبني ومن سبني فقد سب الله تعالى وفي حاشية التلمساني عن علي رضي الله تعالى عنه قال لا أوتى بمن فضلني على أبي بكر وعمر الاجلدته جلد المفتري

(وفي الحديث الصحيح) الذي رواه البخاري وغيره (ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أمر بقتل كعب بن الاشرف) من يهود خيبر
(وقوله) بالرفع عطف على ان النبي أي وفي الحديث الصحيح قوله عليه الصلاة والسلام وفي أصل الدلجي وفي الحديث الصحيح أمر النبي بصيغة المصدر فقال وقوله عطف على أمر النبي (من لكعب ابن الاشرف) أي من يتصدى لقتله (فانه) كما رواه الشيخان عن جابر (يؤذي) وفي رواية لهما آذى (الله ورسوله ووجه) بتشديد الجيم أي ارسل (اليه من قتله) وهو محمد ابن مسلمة وقد خرج معه سلمان بن سلامة وعباد ابن بشر والحارث بن أوس وأبو عيسى بن جبير وهؤلاء الخمسة كلهم من الاوس وكان خروجهم اليه لاربع عشرة ليلة مضت من شهر الربيع الاول على رأس خمسة وعشرين شهرا من مهاجره عليه الصلاة والسلام (وكان قتله غيلة) بكسر المعجمة أي خفية ومخادعة وحيلة والقضية مشهورة وفي كتب السير مسطورة (دون دعوة) واستتابة لسبق الدعوة وعدم المنفعة (بخلاف غيره) أي غير كعب (من المشركين) فان قتله كان بعد دعوته له الى الاسلام وجاء ان يرجع الى طريق دار السلام (وعلل) أي النبي عليه الصلاة والسلام في قتله (باذاه له) كما تقدم (فدل ان قتله اياه لغير الاشراك الشراب
بل للاذى) وفيه ان ذلك الاذى كان نوعا من الاشراك اذ لم يثبت له ايمان سابق وأذى لاحق ليكون دليلا على ما نحن فيه فانه لعنه الله قد جمع بين الكفر بالله والقدح في أمر رسول الله فتقدير كلام المصنف لغير الاشراك وحده بل للاذى معه

ولم يروه أصحاب الكتب لكنه اعتضد بالاجماع وقول ابن الصلاح ان حديثه لا يعرف مردود عليه بروايته مسندا (وفي الحديث الصحيح) الذي رواه البخاري وغيره مسندا (أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتل كعب بن الاشرف) وهو يهودي من يهود خيبر مشهور (وقوله) صلى الله تعالى عليه وسلم في هذا الحديث (من لكعب بن الاشرف) جملة اسمية معطوفة على جملة أمر الفعلية أي قوله هذا ثابت ومن استفهامية أي من يقوم له ليقتله وهو حث وحض على الانصار بالانتقام كما تقول من لي بفلان في الاستغاثة وطلب الاعانة ثم علل الطلب بقوله (فانه) يعني كعبا لعنه الله (آذى الله ورسوله) وروى يؤذي الى آخره لانه أعلن بسب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهجاه ورثى قتلى المشركين ببدر وذهب لمكة ليحرض أهلها على حربه وأخذ الثار فلما رجع وبلغ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما فعله قال من لي بابن الاشرف الخ وروى ابن جرير عن ابن اسحق بسند ضعيف ان كعبا صنع وليمة جمع فيها اليهود ودعا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيها وقال لليهود اذا حضر فاقتلوه فلما أتاه لدعوته نزل عليه جبريل صلى الله تعالى عليهما وسلم فستره بجناحه وخرج وهم لا يرونه فلما فقدوه تفرقوا وكعب هذا كان من بني نبهان بطن من طي وكان شاعرا فصيحا وكان أبوه أصاب دما في الجاهلية فاتى بني النضير وتزوج منهم عقيلة بنت الحقيق فولدت له كعبا وكان وجيها جسيما فرأس فيهم ثم اشتد اذاه وهجوه على المسلمين ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يأمرهم بالصبر فاشار سعد بن معاذ بقتله فقتله في السنة الثالثة في ربيع الاول كما فصلت قصته في السير (و) ذلك انه صلى الله تعالى عليه وسلم (وجه اليه) أي الى كعب أي ارسل له وأصله الارسال لجهة (من قتله غيلة) بكسر الغين المعجمة وسكون المثناة التحتية ولام وهاء أي خفية من غير شعور أحد من الاغتيال وهو الخداع والاختفاء القتل (دون دعوة) للاسلام والرجوع عن الكفر (بخلاف غيره من المشركين) من مطلق الكفرة فانه انما يقتل بعد الدعوة والانذار (وعلل) صلى الله تعالى عليه وسلم (قتله) أي بين علة قتله (باذاه له) كما مر بقوله في الحديث فانه يؤذي الله ورسوله (فدل) تعليله على (ان قتله اياه انما كان لغير الاشراك) أي مطلق الكفر لانه من أهل الكتاب والاشراك ورد بهذا المعنى أيضا (بل) كان قتله (للاذى) لله ولرسوله فدلت هذه القصة على ان من سب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وآذاه من الكفار يقتل * واعلم ان محصل قصة كعب كما انه لما آذى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهجاه وحث أعداءه عليه وقال له سعد بن معاذ الرأي فيه ان يقتل فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من يقوم لقتله فقام من الانصار لذلك خمسة رجال فيهم محمد بن مسلمة رضي الله تعالى عنه فقال أنا لك به يا رسول الله فسكت ثم قال له افعل وشاور سعد بن معاذ فشاوره فاشار عليه برأي سديد فقال ابن مسلمة اني سأقول له شيئا أفيك يا رسول الله فقال قل ما تريد يريد انه يقول في صورة الذم ما يخدعه به فتوجه اليه وكان بينهما صداقة وشكى اليه الحاجة وطلب منه ان يقرضه وسقا أو وسقين من الطعام لعياله ومعه أبو نائلة وكان أخاه من الرضاع وشكياه من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقالا له انه عنانا باخذ الصدقة منا وصار بلاء علينا فقال فاتربا فيه فقال الا انا نريد ان نخذله ولكنا نتربص حتى نرى ما يؤول اليه أمره فقال قد سررتني بهذا الايمان الكم ان تعرفوا ما أنتم عليه من الباطل ثم طلب رهنا منه فقال ما نرهن قال نساءكم قال انك رجل جميل الوجه تشرب

الشراب نخشى من فتنة النساء بك قال أولادكم قال نخشى العار فيهم بان يقال هذا رهن وسق أو وسقين ولكن نرهنك السلاح واللامة يعنى الدروع فقبل وواعدهم ان يأتوه ليلا فاتاه ليلا سرا حتى لا يدرى أحد وكان رأيا الثلاثا مرتاب اذا رآهم مسلحين فلما خرجوا اليه شيعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لبقيع الفرقد وقال انطلقوا على اسم الله اللهم أعنهم عليه فلما أتوه نادوه وهو مع امرأته فى حصنه فقالت له لا تخرج فى مثل هذه الساعة انى لاسمع صوتا يقطر منه الدم وهى فراسة عجيبة منها فقال انما هما صديقى وأخى والكريم اذا دعى ولو الى الطعن ليلا لأجاب وهو بلامة وكل بنطقه ثم نزل فوجدهما فى نفر من الاوس وهو يفوح منه الطيب فقال لهم ابن مسلمة انى سأشم طيب رأسه فاذا رأيتمونى أمسكت رأسه فاضربوه فلما أتاهم متوشحا قال له ابن مسلمة ما رأيت كاليوم طيبا فقال عندى أطيب العرب وأجملهم فقال أتاذن لى ان أشم فقال نعم فشم هو وأصحابه ثم قال له ائذن لى فى الشم ثانيا فقال نعم فامسك رأسه ثم قال اضربوه فضربوه وقتل لعنه الله تعالى وأصابه طرف سيف الحارث بن أوس فجرح فلما جاء الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم تفل على جرحه والصقه فالتحم لوقته ولما ضرب اللعين صاح فذهب لهم اليهود فى طريق آخر فلم يجدوهم فاتوا النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهو يصلى فكبروا فقال لهم أفلحت الوجوه فقالوا أفلح وجهك يا رسول الله ورموا رأسه بين يديه صلى الله عليه وسلم فلما أصبح اليهود أتوه وقالوا قتلت سيدنا غيلة فقال اما علمتم صنيعه وأذيته للمسلمين فلم ينطقوا بحرف خوفا منه صلى الله تعالى عليه وسلم فدل هذا على جواز قتل الكافر المعاهد اذا سب الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم خلافا لابى حنيفة رحمه الله تعالى ولذا قال السبكى ان هذه القصة تشكل على مذهب أبى حنيفة الا ان البخارى ترجم لهذه القصة بقتل أهل الحرب فكأنه يشير الى ان اعلانه به وتحريك الفتنة نقض للعهد يصير به فى حكم المحارب فلا اشكال وفى هذه القصة اشكالان أحدهما هذا والثانى هو ما أورده ابن المنير رحمه الله تعالى من ان الطعن فى النبى صلى الله عليه وسلم بلا اكراه كفر فكيف رخص لهم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ينقمه عليهم وهو اشكال قوى وقد أجاب عنه ابن القيم بانه لما اشتد أذاه وتحريضه على قتالهم المؤدى للقتل وفى قتله خلاص منه كان كالاكراه والالجاء على النطق بما ذكر للظفر به وهو غير قوى الا ان ابن السبكى ارتضاه فى قواعده وقال لبس زى الكفار والتكلم بالكفر من غير اكراه كفر الا المصلحة مهمة فاذا اشتدت الحاجة له صار كالاكراه وقد اتفق للسلطان صلاح الدين رحمه الله تعالى انه لما اشتد عليه أمر ملك صيدا أمر اثنين من المسلمين ان يلبسا لبس الرهبان ويتكلما بكلامهم ليغراه ففعلا ولم ينكر العلماء عليه والذى ارتضاه الامام محمد فى كتاب السير وتبعه كثيرون على جواز ذلك وقال السرخسى فى شرحه يعنى ان كلامهم انما كان تعريضا وتورية ومثله لا يعد كفرا اذا قصد غير ظاهره وفى رواية انه لما قال ابن مسلمة انا لك به مكث اياما لا يأكل ولا يشرب فدعاه صلى الله تعالى عليه وسلم وقال له لم تركت الطعام والشراب فقال القول قلته لا ادرى أفى به أم لا فقال انما عليك الجهد وهكذا ينبغى لمن عزم على شئ ثم قالوا يا رسول الله نحن نقتله فاذن لنا ان نقول فيك ما لا بد منه أى لنخدعه بالمعاريض باظهار التخلى منك فاذن فخرج اليه أبو نائلة فتحدث معه وتناشدوا الاشعار ثم قال كان قدوم هذا الرجل يعنى النبى صلى الله عليه وسلم علينا من البلاء واراد به النعمة فانه ما يبتلى به من نعمة أو نقمة قال تعالى وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم أى النجاة من آل فرعون ثم قال حاربتنا العرب ورمتنا عن قوس واحدة وتقطعت السبل عنا حتى جهدت الابدان وضاعت العيال وأخذنا بالصدقة ونحن لا نجد ما ناكله فقال كعب قد كنت احدثك بهذا وان الامر سيصير له فقال معى رجال من أصحابى على رأيى سآتيك بهم لتبتاع لهم طعاما أو تمرا ثم ذكر شيأ مما تقدم بمعناه وقيل ان ذلك حقه صلى الله عليه

(وكذلك) أي ومثل ما قتل كعبا في الجملة (قتل أبا رافع) أي الاعور سلام بتخفيف اللام وقيل بتشديدها وهو ابن أبي الحقيق وكان يهوديا بخيبر قاله البخاري في صحيحه وزاد وقيل هو حصن بارض الحجاز (قال البراء) أي ابن عازب (وكان) أي أبو رافع (يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعين) أي اعداءه (عليه) روي انه استاذن نفر من الخزرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في قتل أبي رافع فاذن فخرج خمسة نفر عبد الله بن عتيك ومسعود بن سنان وعبد الله بن أنيس وأبو قتادة بن ربعي وخزاعي ابن أسود وحليف لهم من أسلم وأمر عليهم ابن عتيك وذلك في شهر رمضان سنة ست (وكذلك أمره يوم الفتح) أي فتح مكة (بقتل ابن خطل) بفتح المعجمة والمهملة واختلف في اسمه رواه ابن أبي اسحق والبيهقي عن عبد الله بن أبي بكر بن عمرو بن حزم مرسلا ورواه الشيخان عن أنس بلفظ أمر بقتل ابن خطل وفي الترمذي وهو متعلق باستار الكعبة واختلف في قاتله والظاهر اشتراكهم في قتله (وجاريتيه اللتين كانتا تغنيان بسبه عليه الصلاة والسلام) وهما سارة وفرتنا بالفاء والتاء والنون وأسلمت فرتنا وآمنت سارة وعاشت الى زمن عمر رضي الله تعالى عنه ثم وطئها فرس فقتلها ذكره السهيلي وقال أبو الفتح اليعمري وأما قينتا ابن خطل فقتلت احداهما واستامنت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الاخرى فامنها فعاشت مدة ثم ماتت في حياة النبي عليه الصلاة والسلام ذكره الحلبي فحيث ما صح قتلهما ولا قتل احداهما الاختلاف وقع فيه ما فلا يرد على أبي حنيفة انه لم يحكم بقتل المرتدة

وسلم فله ان يرخص فيه (وكذلك) أي مثل قصة كعب وقتله غيلة ما رواه البخاري من انه صلى الله عليه وسلم (قتل أبا رافع) وفي نسخة بالاضافة لابي (قال البراء) بن عازب رضي الله تعالى عنه (وكان) أبو رافع من يهود المدينة (يؤذي) أيضا (رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) بسبه (ويعين عليه) اعداءه بتحريضهم على قتاله وأبو رافع اسمه عبد الله أو سلام بن أبي الحقيق وكان الاوس والخزرج يتناظران في الفخر فلما قتل الاوس كعبا قالوا انقتل رجلا ممن يعادي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لئلا تفضلنا الاوس فذكروا ابن أبي الحقيق بخيبر وكان ذلك في سنة ست في رمضان وقيل في ذي الحجة سنة خمس أو اربع أو في رجب سنة ثلاث بعث له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من الخزرج عبد الله ابن عتيك وعبد الله بن عتبة ومسعود بن سنان وعبد الله بن أنيس وأبو قتادة وابن الاسود وكان أبو رافع يعين بالمال مشركي العرب وكان له حصن فلما دنوا منه وقد غربت الشمس وراح الناس بسرحهم وقال ابن عتيك لاصحابه امكثوا لانطلق وأتلطف بالبواب فاتى الباب وتقنع بثوبه كانه يقضي حاجة والناس داخلون فقال له البواب يا عبد الله ان كنت داخلا فادخل فاني أغلق الباب فدخلت وأغلقت المغاليق فقمت وأخذت المفاتيح وكان أبو رافع يسمر في علالي له فلما ذهب عنه سماره صعدت وجعلت كلما فتحت بابا أغلقته على من به حتى لا يلحقني أحد منهم بعد قتله فانتهيت اليه وهو في بيت مظلم مع أهله لا يدري من هو وأين هو فقلت يا أبا رافع فقال من هذا فاهويت نحو الصوت وانا دهش وضربته فما أصبت شيئا فخرجت ثم عدت وقلت ما هذا الصوت يا أبا رافع فقال لامك الويل ان رجلا ضربني بسيف فاهويت نحوه فضربته حتى أثخنته ولم أقتله ثم أتيت اليه فوضعت السيف في بطنه حتى نفذ من ظهره فقتلته ثم فتحت الابواب بابا بابا ونزلت حتى انتهيت الى درجة ظننتها الارض فاذا هي ليست كذلك فوقعت وانكسر ساقي فوقفت عند الباب لاتحقق الخبر وانه مات فلما صاح الديك قام ناع على السور ينادي انعى أبا رافع تاجر الحجاز فانطلقت لاصحابي وقلت النجاة النجاة وقتل الله أبا رافع ثم انتهيت لرسول الله صلى الله عليه وسلم وحدثته الحديث فقال أمدد رجلك فمددتها فمسحها بيده الشريفة فكأني لم أشكها قط (وكذلك) أي مثل أمره صلى الله تعالى عليه وسلم بقتل من ذكر من الكفرة (أمره) بقتل بعضهم (يوم الفتح) أي يوم فتح مكة كامره (بقتل ابن خطل) فانه صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة أمن الناس الا اربعة رجال وامرأتين أمر بقتلهم ولو دخلوا تحت استار الكعبة مستجيرين بها لانهم كانوا أظهروا اعداوته وأكثروا من ذمه وهجوه صلى الله عليه وسلم وكان لابن خطل قينتان تغنيان بهجوه كما ذكره المصنف وهو في السير كما في الصحيحين باسانيد وابن خطل بفتح الخاء المعجمة والطاء المهملة اختلفوا في اسمه وقاتله فقيل اسمه عبد الله وقيل هلال وقيل عبد العزيز وقيل غالب وخطل بن عبد مناف بن اسعد بن جابر بن كثير بن تيم بن غالب قاله ابن الكلبي وقتله سعيد بن حريث المخزومي وقيل ابن حريث وأبو برزة الاسلمي وقيل ابن الزبير وفي مناسك الطبري انه عبد العزى ابن زيد فيحتمل انهم اشتركوا في قتله والاقوال في قاتله خمسة (و) أمر صلى الله تعالى عليه وسلم يوم الفتح أيضا بقتل (جاريتيه) أي جاريتي ابن خطل وهما المرأتان اللتان أمر بقتلهما (اللتين كانتا) بمكة (تغنيان بسبه) وهجوه صلى الله تعالى عليه وسلم واسمهما فرتنا وقريبة قال

مع انهما لم يعرف اسلام سابق لهما وروى أبو داود والبيهقي عن سعد ابن أبي وقاص لما كان يوم فتح مكة أمن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الناس الا أربعة وامرأتين ذكره الدلجي ولم يبين انهما ماقتلتا أم لا ولعلهما الجاريتان والله تعالى أعلم (وفى حديث آخر) قال الدلجي لا أدرى من رواه (ان رجلا كان يسبه عليه الصلاة والسلام) قال الحلبي هذا الرجل لا أعرف اسمه وقال التلمساني هو الحويرث بن نقيذ وهو الذى نخس بزينب ابنته عليه الصلاة والسلام حين أدركها فسقطت من دابتها وألقت جنينها (فقال من يكفيني عدوى) أى شره وفى أصل التلمساني يكفني على ان من شرطية قال وروى يكفيني بالرفع أى باثبات الياء وهو واما على لغة ألم يأتيك والانباء تنمي وقيل اشباع وقيل من موصولة فيها معنى الشرط (فقال خالد انا فبعثه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقتله وكذلك أمر بقتل جماعة) وقد تصحف على الحلبي بقوله وكذا لم يقل بضم المثناة

تحت أوله ثم قاف مكسورة وهذا ظاهر انتهى وهو خطأ ظاهر كما لا يخفى وقد تبعه الانطاكي والدلجي ضبطه بضم أوله وكسر ثانيه من أقال عثرته أى هالكه وتبعهما التلمساني فى ضبط مبناه وقال معناه انه لم يترك جماعة انتهى ولا يخفى انه لم يثبت عن أحد من الجماعة انه رجع ولم يقبل عليه الصلاة والسلام رجعته حتى يصح نفي الاقالة فتأمل ولا يغرك كثرة القائلين الغافلين بل أمر بقتل جماعة غير تائبة (ممن كان يؤذيه من الكفار ويسبه كالنضر بن الحارث) وهو القائل من كمال تعصبه فى مذهبه وحماقته فى مشربه اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم وهو النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي القرشي العبدري أخذ أسيرا ببدر وبالصفراء أمر عليه الصلاة والسلام عليا فقتله وهذا هو الصواب واما ابن منده وأبو نعيم فغلطا فيه غلطين أحدهما انهما قالا فى نسبته كلدة بن علقمة وانما هو بالعكس ذكره الزبير بن بكار وابن الكلبي وخلائق وثانيهما انهما قالا ان النضر بن الحارث شهد حنينا معه عليه الصلاة والسلام وأعطاه مائة من الابل وكان مسلما من المؤلفة وعزوا ذلك الى ابن اسحق وهذا غلط باجماع أهل المغازي والسير وقد أطنب ابن الاثير فى تعليقهما والرد عليهما انتهى وقد ذكر ذلك الشيخ محيي الدين عنه وكذا الذهبي فى التجريد يدل على ما قاله الحلبي والله سبحانه وتعالى أعلم (وعقبة ابن أبي معيط) بضم الميم وفتح العين المهملة وسكون التحتية وطاء مهملة وهو أبان بن ذكوان بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي أسره عبد الله بن سلمة بكسر اللام يوم بدر فلما انصرف

ابن سيد الناس قتلت أحدهما وقال السهيلي اسمهما سارة وفرتنا وأسلمت الاخرى فأمنت فعاشت الى زمن عمر رضى الله تعالى عنه حتى وطئها فرس فماتت وفرتنا بفاء مفتوحة وراء مهملة ساكنة ومثناة فوقية ونون وألف وقرينة بضم القاف كمصغر قربة بالموحدة وقيل بفتح القاف بزنة فعلية وكان ابن خطل أسلم أولا فبعثه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مصدقا ومعه رجل من الانصار وولى مسلما يخدمه فنزل وأمر غلامه الخادم ان يذبح له و يصنع طعاما فنام ولم يصنع شيأ فقتله ثم ارتد مشركا فكانت قينتان تغنيان له بهجو النبي صلى الله عليه وسلم (وفى حديث آخر) لا يعرف من رواه (ان رجلا كان يسبه) صلى الله عليه وسلم (فقال) صلى الله تعالى عليه وسلم (من يكفيني) فى قتل (عدوى) الذى أظهر عداوته بسبه له أى من يكون كافيا فى قتله (فقال خالد) بن الوليد رضى الله تعالى عنه (أنا) أكفيك ما أهمك من قتله (فبعثه النبي صلى الله عليه وسلم) له (فقتله) باعانة الله له عليه (وكذلك) أى مثل ما ذكر فى قتل من سبه صلى الله عليه وسلم (لم يقل) من الاقالة وهى الترك يقال أقال عثرته اذا عفا عنه فهو بضم أوله وكسر ثانيه أو فتحه ان بنى للمفعول وفاعله ضمير النبي و (جماعة) مفعوله أو مرفوع نائب الفاعل (ممن كان يؤذيه) صلى الله تعالى عليه وسلم (من الكفار ويسبه) فدل هذا على انه لا فرق بين المسلم والكافر فى وجوب قتله بالسب خلافا لما روى عن أبى حنيفة وغيره من عدم قتل الكافر لان كفره أشد منه كما يأتى (كالنضر بن الحارث) بفتح النون وسكون الضاد المعجمة وراء مهملة وهو النضر بن الحارث بن كلدة بن علقمة القرشي من بنى عبد الدار وكان شديد العداوة والاذى لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقتله صلى الله تعالى عليه وسلم ببدر وهو الذى قالت أخته للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم بعد قتله له أبياتا فيها منها

ما كان ضرك لو مننت وربما * من الفتى وهو المغيظ المحنق

وذكر بعض المحدثين كابن مندة وأبى نعيم عن ابن اسحق رحمهم الله تعالى ان النضر هذا له صحبة وشهد حنينا وكان من المؤلفة قلوبهم وهو غلط فاحش باتفاق الحفاظ والذى له صحبة أخاه وعلقمة بن كلدة كما ذكره الزبير وابن الكلبي وغيرهما فغلطا لاشتراك كل منهما فى انه ابن كلدة والظاهر انه قال النضير بالتصغير وهو أخو النضر بن الحارث المذكور وهو ممن أسلم وهاجر وقيل انه من مسلمة الفتح فالغلط بسببه وهو سهل (وعقبة بن أبى معيط) بعين وطاء مهملتين بصيغة التصغير وكان أسر ببدر

عليه الصلاة والسلام من بدر وكان بعرق الظبية أمر بقتله عاصم بن ثابت الانصارى وقيل عليا فقال حين قتله من للصبية يا محمد قال النار أو قال الى من الصبية يا محمد قال الى النار (وعهد) أى وصى (بقتل جماعة منهم) أى ممن كان يؤذيه (قبل الفتح وبعده فقتلوا) أى من عهد بقتله (الامن بادر باسلامه قبل القدرة عليه) مثل كعب بن زهير ابن أبى سلمى بضم السين صاحب قصيدة بانت سعاد وقصته معروفة (وقد روى البزار) بسند ضعيف (عن ابن عباس ان عقبة بن أبى معيط نادى باعلى صوته

يامعاشر قريش) وروى يامعشر قريش وهم ولد النضر بن كنانة سموا قريشا باسم دابة فى البحر تاكل حيوانه وقد قيل فيها

وقريش هى التى تسكن البحر
بها سميت قريش قريشا
تاكل الغث والسمين ولاتترك
وما لذى جناحين ريشا

(مالى أقتل) بصيغة المجهول (من بينكم صبرا) أى محبوسا وماخوذا من غير محاربة فى المعركة (فقال له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بكفرك) أى أولا (وافترائك على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) ثانيا اهانة له واحتقارا (وذكر عبد الرزاق) فى جامعه عن عكرمة مولى ابن عباس مرسلا (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم سبه رجل فقال من يكفينى عدوى) بدفع شره عنى (فقال الزبير أنا فبارزه) أى الزبير أو هو (فقتله الزبير) وروى أيضا منا
فى جامعه عن عروة عن رجل من اليمن (ان امرأة كانت تسبه عليه الصلاة والسلام فقال من يكفينى عدوتى فخرج اليها خالد بن الوليد فقتلها) وروى ابن أبى شيبة عن الشعبى ان رجلا من المسلمين كان ياوى الى امرأة يهودية تطعمه وتسقيه وتحسن اليه ولا تزال تؤذيه فى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقتلها فى ليلة من الليالى خنقا فرفع ذلك له عليه الصلاة والسلام فاخبر الرجل بانها كانت تؤذيه فيه وتسبه وتقع فيه فقتلها لذلك فاهدر صلى الله تعالى عليه وسلم دمها

فقتله النبى صلى الله تعالى عليه وسلم منصرفه من بدر بمحل يقال له عرق الظبية فقال يا عاصم اضرب عنقه فضرب عنقه ولما قدم للقتل الآتى فى كلام المصنف رحمه الله قال لم تقتلنى يا محمد فقال بعداوتك لله ولرسوله فقال من للصبية قال النار فلما ضربت عنقه قال صلى الله تعالى عليه وسلم الحمد لله الذى قتلك وأقر عينى منك أى لانه كان أشد الناس عداوة وأذى لرسول الله صلى الله عليه وسلم (وعهد) صلى الله عليه وسلم أى وصى الصحابة رضى الله تعالى عنهم عند قدومه للفتح (بقتل جماعة منهم) أى من الكفار الذين كانوا يؤذونه صلى الله عليه وسلم ويحضون على مقاتلته (قبل الفتح) أى قبل فتح مكة وهو وقادم له (وبعده) حين قدم لشدة عداوتهم له صلى الله تعالى عليه وسلم وعلمه بانهم لا ينتهون ولا يرجى خيرهم واسلامهم (فقتلوا) وأراح الله تعالى منهم المسلمين (الامن بادر) أى أسرع وتقدم (باسلامه قبل القدرة عليه) باخذه وأسره كابن أبى سرح وكعب بن زهير رضى الله تعالى عنهما (وقد روى البزار) من أئمة الحديث كما تقدم لكن رواه بسند فيه ضعف (عن ابن عباس) رضى الله تعالى عنهما (ان عقبة بن أبى معيط) لما تقدم ليقتل (نادى) رافعا صوته (يامعشر) وفى نسخة يامعاشر جمع معشر وهم الجماعة الذين لهم عشرة واختلاط (قريش) هم القبيلة المعروفة من ولد النضر بن كنانة وانما ذكرها بيانا لحجته فى عدم الفرق بينه وبين غيره أو ليعطف عليه المسلمون منهم (مالى أقتل من بينكم) استفهام انكارى أى دون غيرى منكم ومثله يستعمل للاختصاص كما يقال أعطاه من بين أهله (صبرا) الصبر أصل معناه الحبس ويقال ان قتل فى غير حرب ودون غفلة منه بان يقدم ليقتل قتل فلان صبرا (فقال له النبى صلى الله عليه وسلم) تقتل صبرا (بكفرك وافترائك) أى تعمدك الكذب (على رسول الله) صلى الله عليه وسلم وهو أحد المستهزئين وهو الذى ألقى سلاء الجزور عليه صلى الله عليه وسلم وهو يصلى فدعا عليهم فالقوا بلعنة الله فى قليب بدر كما هو مشهور فى السير وهو من بنى أمية بن عبد شمس (وذكر عبد الرزاق) بن همام الحافظ أبو بكر الصغانى صاحب التصانيف الجليلة وقد تقدمت ترجمته فى جامعه (ان النبى صلى الله عليه وسلم سبه رجل) من اجلاف العرب (فقال من يكفينى عدوى) الذى أظهر عداوته بسبه له (فقال الزبير) بن العوام (أنا) أكفيك بقتله (فبادره فقتله) الزبير والمبادرة أن يخرج رجل من طائفتين تقابلتا وينادى من يبرز لى من الصف ليقاتله فيعلم أينا أقوى وأشجع وأينا القاتل والمقتول وهذا انما يفعله من زادت قوة قلبه وشجاعته (وروى) عبد الرزاق فى جامعه عن عكرمة (أيضا) كما روى ما قبله (ان امرأة) مشركة (كانت تسبه عليه الصلاة والسلام فقال من يكفينى عدوتى) بقتلها (فخرج اليها خالد بن الوليد) رضى الله تعالى عنه (فقتلها) ووقع بتونس ان رجلا قال لآخر انا عدوك وعدو نبيك فعقد له مجلس فافتى بعض أئمة المالكية بانه مرتد يستتاب وأخذ كفره من قوله تعالى من كان عدوا لله الآية وأفتى بعضهم بان كفره كفر تنقيص فلا يستتاب وأخذ ذلك من كلام المصنف رحمه الله

هنا في هذه المرأة السابة ومن قضية خالد رضي الله تعالى عنه السابقة ومن افتاء ابن عتاب رحمه الله تعالى السابق واعترضه بعض أئمتهم ممن مال الى الاول بانه نص في ان كل ساب عدو ولا شك فيه وانما الكلام في عكس هذه القضية وهي لا تنعكس كنفسها بل قوله أنا عدوك وعدو نبيك ربما أشعر بترفيع المقول له ذلك لانا نجد الوضعاء يجعلون لانفسهم منزلة بذلك يقول الواحد منهم أنا عدو الامير والامير عدو لي وقصده به رفع نفسه لانه في نسبة من يعادي الامير وبان قتل خالد رضي الله عنه المرأة المذكورة مذهب صحابي وافتاء ابن عتاب رحمه الله انما هو لان ماذكر في قصته صريح في التنقيص فالمتحقق ان قائل ما مر مرتد لا منقص هذا كله على قواعدهم من التفرقة بينهما اما على قواعدنا فالذي يظهر انه ردة قاله ابن حجر في الاعلام ملخصا (ويروى) رواه عبد الرزاق في جامعه أيضا عن سعيد بن جبير رضي الله تعالى عنه (ان رجلا كذب على النبي) صلى الله تعالى عليه وسلم والمراد انه أسند أقاويل فيها تنقيص له والا فمجرد الكذب عليه صلى الله تعالى عليه وسلم لا يوجب القتل كمن روى حديثا وضعه (فبعث عليا والزبير اليه ليقتلاه) لم يقل قتلاه لانه اشارة لما رواه البيهقي عن ابن جبير ان رجلا أتى قرية من قرى الانصار فقال ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أرسلني وأمر ان تزوجوني فلانة فبلغ ذلك النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فارسل عليا والزبير فقال اذهبا الى فلان فان ادركتماه فاقتلاه ولا أراكما تدركانه فذهبا فوجداه قد لدغته حية فقتلته وورواه متصلا من وجه آخر وسمى الرجل الذي كذلك جدجدا الجندعي فان كان المصنف أراد هذا فهو مشكل لان مجرد الكذب عليه عليه الصلاة والسلام ليس موجبا للقتل والكفر وانما هو اذا نسب اليه افتراء فيه نقص له ككونه ساحرا اونحوه وشذ الجويني كما مر فذهب الى ان كل كذب عليه كفر ولم يقله غيره ولعله صلى الله تعالى عليه وسلم كان علم منه أمرا آخر افتراه كما علم قتل الحية له أولعله مخصوص به لما فيه من جنايته من افساد أمر الدين وأما قول الكرامية انه يجوز وضع الحديث عليه صلى الله تعالى عليه وسلم لمصلحة دينية فهو قول باطل ورده الخطابي بعدما أطال بذكر أدلتهم ككونه كذبا له لا عليه وهو غني عن الرد لظهور فساده (وروى ابن قانع) هو الامام الحافظ عبد الباقي بن قانع بن مرزوق بن واثق أبو الحسين الاموي كما تقدم وقانع منقول من اسم فاعل القنع بقاف ونون (ان رجلا) من الصحابة رضي الله تعالى عنهم (جاء الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال يا رسول الله اني سمعت أبي يقول فيك قولا قبيحا) لما فيه من ذمه والطعن فيه (فقتلته فلم يشق ذلك على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي لم يصعب عليه لكراهته له ولولم يكن قتله مشروعا كان أكبر كبيرة بعد الكفر لما فيه من القتل والعقوق قيل وهذا الرجل هو أبو عبيدة بن الجراح ولست على ثقة منه فان الحافظ الحلبي قال لا أعرفه كالمرأة التي تقدم ان خالد بن الوليد قتلها وسيأتي ما يشبه قصتها (و) في أثر رواه ابن سعد وابن عساكر فيه انه (بلغ المهاجر بن أبي أمية) المهاجر بزنة اسم الفاعل اسمه حذيفة على الصحيح وقيل سهيل وقيل هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم كان اسمه الوليد فكرهه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وسماه المهاجر فالتسمية به مكروهة لانه اسم فرعون مصر وهو اخو ام المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها أرسله رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى اليمن الى الحارث بن عبد كلال الحميري واستعمله على الصدقات ثم بعثه أبو بكر رضي الله عنه في خلافته الى قتال المرتدين باليمن ففتح الفتوح وله آثار عظيمة باليمن فكان رضي الله عنه (أمير اليمن) منصوب (لابي بكر) اقرارا له على مافعله رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (ان امرأة هنالك) أي باليمن (في الردة) أي في زمن ردة

(وروى) كما في جامع عبد الرزاق (ان رجلا كذب على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فبعث عليا والزبير اليه ليقتلاه) كذا روى مختصرا وروى البيهقي عن سعيد بن جبير قال جاء رجل الى قرية من قرى الانصار فقال ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أمرني ان تزوجوني فلانة فبلغ ذلك النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فارسل عليا والزبير فقال اذهبا فان أدركتماه فاقتلاه ولا أراكما تدركانه فذهبا فوجداه قد لدغته حية فقتلته ثم رواه من وجه آخر موصولا عن عطاء بن السائب عن عبد الله بن الحارث وسمي الرجل الذي كذب جدجد الجندعي كذا ذكره الدلجي وقال الحلبي هذا الرجل لا أعرف اسمه أقول من حفظ حجة على من لم يحفظ (وروى ابن قانع) بقاف ونون وهو عبد الباقي بن قانع بن مرزوق بن واثق الحافظ أبو الحسين الاموي (ان رجلا جاء الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال يا رسول الله سمعت أبي يقول فيك قولا قبيحا فقتلته فلم يشق ذلك) أي لم يصعب أمره (على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) قال الحلبي هذا الرجل وأبوه لا أعرفهما (وبلغ المهاجر) بالنصب (ابن أبي أمية أمير اليمن) نيابة (لابي بكر رضي الله تعالى عنه) والمعنى وصله (ان امرأة) وفي نسخة بتشديد لام بلغ ورفع المهاجر أي أوصل لابي بكر ان امرأة (هنالك) أي في اليمن (في الردة) أي في حالها أو لاجلها

(غنت) بتشديد النون أي تغنت وتنغمت (بسب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقطع) أي المهاجر (يدها) وفي نسخة يديها وفي نسخة ثديها (ونزع ثنيتها) وكان الانسب قطع لسانها أو قمع وجودها وشأنها (فبلغ ذلك أبا بكر فقال له لولا ما فعلت لامرتك بقتلها لان حد الانبياء) أي تعزير تنقصهم (ليس يشبه الحدود) المترتبة على أسبابها بالنسبة الى غيرهم فان القتل متعين الا في المرأة لاختلاف فيها والحديث رواه ابن سعد وابن عساكر والمهاجر وابن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم المخزومي كان اسمه الوليد فكرهه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وسماه المهاجر وهو اخو ام سلمة أم المؤمنين أرسله رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى اليمن الى الحارث بن عبد كلال الحميري باليمن ثم استعمله على صدقات كندة فتوفي صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يسر اليها فبعثه أبو بكر الى قتال من باليمن من المرتدين

فاذا فرغ سار الى عمله فسار الى ما أمره به أبو بكر وهو الذي فتح حصن النجير بحضرموت زمن أبي بكر مع زياد بن لبيد الانصاري وله في قتال المرتدين باليمن آثار كثيرة رضي الله تعالى عنه (وعن ابن عباس) قال الدلجي لا أعرف من رواه (هجت امرأة من خطمة) بفتح معجمة وسكون مهملة قبيلة والمرأة عصماء بنت مروان بن أبي أمية ابن زيد (النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال من لي بها) أي من يقوم لاجلي بقتلها (فقال رجل من قومها أنا يارسول الله فنهض) أي فقام (فقتلها) وهو عمير ابن عدي بن خرشة الخطمي (فاخبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) بصيغة المجهول (فقال عليه الصلاة والسلام لا ينتطح فيها عنزان) بفتح مهملة وسكون نون فزاي وهو تثنية عنز أي لا يجري فيها خلاف ولا نزاع كنطاح التيوس والكباش وهذا من الكلام الذي لم يسبق اليه أحد من الانام وصار هذا مثلا في تحقير الامر وانه لا يكون فيه مكر وهوان قيل ومعناه ان أمرها هين لا يتكلم فيها ولا يطلب دمها لفعلها القبيح الدال على كفرها الصريح أو معناه انه لا يحصل في قتلها ما يثير فتنة من قبلها وان أيسر الاشياء ان ينتطح عنزان وهو في قتلها غير موجود وقيل العنزان لا ينتطحان وانما ينتطح التيسان والمعنى لا توجد فيها فتنة البتة وروي ان قاتلها صلى الفجر بالمدينة بعد قتلها فقال عليه الصلاة والسلام قتلت ابنة مروان قال نعم فهل علي في ذلك شيء فقال عليه الصلاة والسلام لا ينتطح فيها عنزان وأرسلته العرب مثلا يضرب في أمر هين لا يكون له تغيير ولا نكير قال الحافظ وأول من تكلم به النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قاله حين قتل عمير بن عدي عصماء

بعض أهل اليمن في خلافة الصديق (غنت بسب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) وهجوه أي بشعر فيه ذلك (فقطع) مهاجر (يدها ونزع ثنيتها) هي السن المتقدمة (فبلغ أبا بكر ذلك) أي قطعه يدها ونزع ثنيتها (فقال) أبو بكر رضي الله عنه (لولا ما فعلت) بالمرأة (لامرتك بقتلها لان حد) قذف (الانبياء ليس يشبه الحدود) وهذا مبني على انه لا يجب قتل الساب من الكفرة وانما هو مفوض الى الامام فله ان يغلظ ويزيد فيه بتنكيل أو قتل فلما سبق من مهاجر تنكيله بها لم ير أبو بكر رضي الله تعالى عنه ان يجمع فيه بين حدين وهذا مذهب نقله ابن تيمية في السيف المسلول لان أبا بكر رضي الله تعالى عنه كره ما فعله لما فيه من زيادة التعذيب لانه ليس أشد من القتل قال ابن تيمية هذا هو الذي تسميه الفقهاء سياسة وهو الحد الذي رخص للامام في تغليظه اذا اقتضاه الحال ومن لم يقف على هذا قال انه مشكل لان المثلة منهي عنها وهي اما أن تكون ثابتة وقلنا بقبول توبة الساب أولا فاما ان تترك أو تقتل وما قاله أبو بكر رضي الله تعالى عنه يقتضي الاجتهاد في الحدود وقوله لان حد الانبياء الخ لا يلتئم معه وأطال فيه من غير طائل (وعن ابن عباس) رضي الله تعالى عنهما انه (قال هجت امرأة من خطمة) بكسر الخاء المعجمة وفتح الطاء المهملة وميم وهاء اسم قبيلة وفي القاموس في طي خطمة وخطيمة كجهينة ابنا سعد بن ثعلبة وخطمة من الانصار بنو عبد الله بن مالك بن أوس (النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال) صلى الله تعالى عليه وسلم (من لي بها) أي من يقوم لاجلي حتى علي بقتلها (فقال رجل من قومها) أي من قبيلتها (أنا) أقتلها (يا رسول الله فنهض) أي قام بسرعة بعد مقاله فأتاها (فقتلها فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك) أي بقتلها (فقال لا ينتطح فيها عنزان) أي ذهب دمها هدرا من غير مبالاة أحد به وهو مثل ضرب به النبي صلى الله تعالى عليه وسلم للامر الذي يقع من غير خلاف فيه ولا نزاع لان العنزين لا ينتطحان وانما يتشاما ويفترقا والنطاح انما يكون بين التيوس والكباش وأول من تكلم به صلى الله تعالى عليه وسلم كما تقدم وهذه المرأة عصماء بنت مروان من بني أمية بن زيد زوجة يزيد بن حصين الخطمي وكانت شاعرة تؤذي المسلمين وتهجو رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وتحرض عليه والذي قتلها عمير بن عدي بن خراشة بن أمية الخطمي فلما سمع قولها وهو ببدر معه صلى الله تعالى عليه وسلم نذر ان رجع الى المدينة ليقتلها وقال ابن عبد البر رحمه الله تعالى انها

انتهى

(وعن ابن عباس) كما رواه أبو داود والحاكم وصححه والبيهقي في سننه عنه (ان أعمى كانت له أم ولد تسب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فيزجرها) أي ينهاها الاعمى (فلا تنزجر) بقوله لها (فلما كانت ذات ليلة) أي ساعة من ساعاتها (جعلت) أي أخذت وشرعت (تقع في النبي) أي في عرضه (صلى الله تعالى عليه وسلم وتشتمه) بكسر العين وضمها أي تسبه كما في نسخة (فقتلها وأعلم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك فاهدر دمها) قال الحلبي وهذه المرأة وزوجها الاعمى لا أعرفهما الآن وفي الصحابة جماعة عميان غير ان الامام السهيلي في أواخر روضه في مقتل عصماء بنت مروان قال وكانت تسب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقتلها بعلها على ذلك الى ان قال ووقع في مصنف حماد بن سلمة انها كانت يهودية وكانت تطرح المحائض في مسجد بني خطمة فاهدر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم دمها قال ولم ينتطح فيها عنزان انتهى وقد ذكر ابن سعد في سيرته ان عصماء بنت مروان من بني أمية بن زيد كانت عند يزيد بن فريد بن حصن الخطمي وكانت تعيب الاسلام وتؤذي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وتحرض عليه الانام وتقول الشعر فيه من نظام الكلام فجاءها عمير بن عدي في جوف الليل حتى دخل عليها بيتها وحولها نفر من ولدها نيام ومنهم من ترضعه في صدرها فجسها بيده ونحى الصبي عنها ووضع سيفه على صدرها حتى أنفذه من ظهرها وكان ضرير البصر الى آخر القصة فعمير ليس بزوجها وزوجها يزيد بن فريد بن حصن صحابي ولا أعلمه في العميان (وفي حديث أبي برزة) بفتح الموحدة فسكون راء فزاي (الاسلمي) على ما رواه أبو داود وصححه الحاكم ورواه البيهقي في سننه (قال كنت يوما جالسا عند أبي بكر الصديق) رضي الله تعالى عنه (فغضب على رجل من المسلمين) أي ممن أغضبه عليه بسب أو بسبب آخر (وحكى القاضي اسمعيل) أي ابن اسحق بن حماد بن زيد المالكي البغدادي الحافظ (وغير واحد من الائمة في هذا الحديث) أي في سبب ورود حديث أبي برزة (انه) أي الرجل

أختمه وقيل أمه وكان أعمى وهو امام قومه وقارئهم فدخل عليها في جوف الليل وهي ترضع ولدها فنحاه عنها ووضع سيفه في بطنها حتى نفذ من ظهرها ثم خرج وصلى الصبح خلف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فنظر له وقال أقتلت بنت مروان قال نعم ثم خشي ان يكون عليه شئ فقال يا رسول الله أعلى شئ فقال له لا ينتطح الخ ثم قال صلى الله تعالى عليه وسلم ان أردتم النظر الى رجل نصر الله ورسوله فانظروا العمير وسماه البصير والقصة بطولها في السير ومن فقهها انه يستحب ان يقال للضرير البصير وهذه المرأة قيل انها كانت يهودية وهو الظاهر من سبها فعصماء غير معصومة الدم لكفرها واظهار سبها ولبعضهم هنا كلام لا فائدة فيه مع كثرة تخبطه فيه (وعن ابن عباس) رضي الله تعالى عنهما فيما رواه أبو داود والحاكم والبيهقي وصححه (ان) شخصا (أعمى كانت له أم ولد) لم تسلم وكانت (تسب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فيزجرها) أي يمنعها وينهاها بزجره منه (فلا تنزجر) ولا ترجع عما هي فيه لشقاوتها وكان له منها ابنان مثل اللؤلؤتين (فلما كان ذات ليلة) يجوز رفع ذات ونصبه على الظرفية وكذا ضبط أي ساعة من ليلة كذات يوم وهو مبين في النحو وقيل معناه ليلة من الليالي (جعلت) أي شرعت واستمرت (تقع في النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وتسبه) وفي نسخة تشتمه وهو عطف تفسير لتقع لانه يقال وقع فيه اذا ذمه وهو مجاز مشهور (فقتلها) سيدها وفي رواية فما صبر ان قام الى معول فوضعه في بطنها ثم اتكأ عليه حتى أنفذه (وأعلم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك) أي بقتلها وفي رواية عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما فلما أصبح قيل ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقام الاعمى فقال يا رسول الله أنا صاحبها كانت تشتمك وتقع فيك فانهاها فلا تنتهي وأزجرها فلا تنزجر ولي منها ابنان مثل اللؤلؤتين وكانت رفيقة بي فلما كانت البارحة جعلت تشتمك وتقع فيك فقتلتها (فاهدر صلى الله تعالى عليه وسلم دمها) أي قال له انه هدر لا اثم فيه ولا عقوبة ولا شئ يخشى منه في الرواية السابقة فقال صلى الله تعالى عليه وسلم ألا اشهدوا ان دمها هدر وقوله أم ولد صريح في انها جارية مملوكة له لا منكوحة حتى يقال انها مشركة وكيف حلت له وهو مسلم ونحوه مما لا حاجة في ذكره من غير داع (وفي حديث أبي برزة الاسلمي) نسبة لاسلم قبيلة وهو نضلة بن عبيد بن الحارث أسلم قديما وشهد مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم المشاهد وتوفي بالبصرة سنة أربع وستين وهذا الاثر رواه أبو داود والحاكم والبيهقي وصححوه (قال كنت يوما جالسا عند أبي بكر الصديق) في زمن خلافته (فغضب) أبو بكر رضي الله عنه (على رجل من المسلمين) صدر عنه ما أغضبه ثم بين هذا بقوله (وحكى القاضي اسمعيل) بن اسحق بن اسمعيل بن حماد بن زيد البغدادي الحافظ وقد تقدمت ترجمته (وغير واحد) هو كناية عن الكثرة (من الائمة في هذا الحديث) المراد بالحديث أثر الصحابي لان له حكم المرفوع هنا (انه

(سب أبابكر و رواه النسائى) وهو أحد الائمة الستة (أتيت أبابكر وقد أغلظ لرجل) أى فى القول (فرد) أى الرجل (عليه) أى على أبى بكر (قال) أى قال أبو برزة (فقلت ياخليفة رسول الله دعنى) أى اتركنى (أضرب) بالجزم وقيل بالرفع (عنقه) أى بسبه لك كما فى نسخة وكانه قام مهتما بامره (فقال اجلس فليس ذلك) أى قتل مثله لاحد (الا لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) وكاخوته من الانبياء لاشتراكهم فى نعت النبوة وصفة الرسالة بخلاف غيرهم من آحاد الامة ولو كانوا من أكابر الائمة هذا والحديث رواه النسائى من طرق بالفاظ متعددة منها ما تقدم ومنها تغيظ أبو بكر على رجل ومنها مررت على أبى بكر وهو متغيظ على رجل من الصحابة ومنها غضب أبو بكر على رجل غضبا شديدا حتى تغير لونه ومنها كنا عند أبى بكر الصديق فغضب على رجل من المسلمين فاشتد غضبه عليه جدا ورواه أبو داود أيضا ولفظه عن أبى برزة كنت عند أبى بكر فتغيظ على رجل فاشتد عليه (قال القاضى أبو محمد بن نصر) ومن كلامه فى أيامه حال ضيق مرامه

بالهف قلبى على شيئين لو جمعا * عندى لكنت اذن من أسعد البشر
كفاف عيش يقينى ذل مسئلة ٣٦٢ * وخدمة العلم حتى ينقضى عمرى

(ولم يخالف عليه أحد) يعنى فصار اجماعا انه لا يقتل مسلم بسب صحابى و ينبغى ان لا يكون فيه خلاف اذ لو قتل أحد أبابكر لم يكفر اتفاقا فكيف اذا سبه أحد ومن المعلوم ان جناية السب دون جناية القتل وانما جوز بعض أصحابنا الحنفية قتل من سب أكابر الصحابة على وجه الزجر والسياسة واما مانقلوه فيه من حديث سب الشيخين كفر فلا أصل له وعلى تقدير صحة ثبوته فيجب تاويله كحديث من ترك صلاة متعمدا فقد كفر أى قارب الكفر أو يخشى عليه الكفر أو كفر النعمة أو محمول على استحلال المعصية أو عدسبهم عبادة وأمثال ذلك والله تعالى أعلم بحقيقة ماهنالك (واستدل) وفى نسخة فاستدل (الائمة) أى علماء الأمة (بهذا الحديث) المروى عن أبى برزة المنتهى الى أبى بكر الصديق (على قتل من أغضب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بكل ما أغضبه أو أذاه أو سبه ومن ذلك كتاب عمر بن عبد العزيز الى عامله بالكوفة) قال الحلبى هذا الرجل لا أعرفه وقال التلمسانى هو عبد الحميد ابن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب (وقد استشاره) أى ذلك العامل عمر بن عبد العزيز (فى قتل رجل سب عمر رضى الله تعالى عنه) الظاهر ان المراد به ابن الخطاب لانه الفرد الاكمل فى هذا الباب ولا يبعد ان يراد به عمر بن عبد العزيز (فكتب اليه عمر) أى ابن عبد العزيز (انه لا يحل قتل امرئ مسلم بسب أحد من الناس) ولو بلا موجب وسبب (الا رجلا سب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فمن سبه فقد حل دمه) أى اجماعا وذلك لخروجه عن دينه قطعا (وسال الرشيد) وهو هارون بن محمد المهدى ابن أبى جعفر المنصور ابن محمد بن على بن عبد الله بن عباس وقد بويع له سنة سبعين ومائة فى الليلة التى مات فيها أخوه الهادى لاثنتى عشرة ليلة بقيت

سب أبابكر) رضى الله عنه سبا فاحشا (ورواه) أيضا (النسائى) أبو عبد الرحمن شعيب الحافظ أحد الائمة الستة كما تقدم ولفظه عن أبى برزة قال (أتيت أبابكر وقد أغلظ لرجل) أى شدد نكيره عليه لغضبه منه (فرد عليه) كلامه بغلظة منه (قال) أبو برزة (فقلت ياخليفة رسول الله دعنى) أى اتركنى ولا تمنعنى من ان (أضرب عنقه) لسوء أدبه على أعظم الخلفاء (بسبه اياك) وقام لضرب عنقه (فقال) له أبو بكر (اجلس) ولا تفعل (فليس ذلك) أى قتل من سب أحدا (لأحد الا لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أى الالمن سبه كما تقدم (قال القاضى أبو محمد بن نصر) هو القاضى عبد الوهاب المالكى البغدادى الاديب وهو من شعراء اليتيمة له الاشعار الفائقة والفضائل الباهرة وقد ذكره الثعالبى وأثنى عليه وذكر من اشعاره جملة (ولم يخالف عليه أحد) أى ان أبابكر رضى الله تعالى عنه لما ذكر هذا بمحضر من الصحابة لم يخالفه فيه أحد منهم فدل على ان قتل من سب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اتفقت عليه الصحابة كما تقدم (فاستدل الائمة بهذا الحديث) الذى قاله أبو بكر ولم ينكره أحد من الصحابة الحاضرين عنده (على من قتل من أغضب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بكل ما أغضبه) من قول أو فعل قل أو كثر (أو آذاه أو سبه) بما فيه تنقيص لقدره وتشنيع ما صدر منه كما تقدم لا مطلقا (ومن ذلك) القبيل والمعنى الذى أفاده كلام أبى بكر رضى الله تعالى عنه (كتاب عمر بن عبد العزيز) بن مروان الخليفة العادل (الى عامله بالكوفة) وهو عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب (وقد استشاره) ليهديه للحكم (فى قتل رجل سب عمر) بن الخطاب رضى الله تعالى عنه (فكتب اليه عمر) بن عبد العزيز جوابا لعامله (انه لا يحل قتل امرئ مسلم بسب أحد من الناس) من حيث هو سب له فان اقتضى كفرا فلأمر آخر (الا رجلا سب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فمن سبه) صلى الله تعالى عليه وسلم (فقد حل دمه) أى حل اراقة دمه وهو كناية عن قتله وكذا حكم سائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام كما يأتى (وسأل) هارون (الرشيد) الخليفة العباسى

من الربيع الاول وهو ابن احدى وعشرين سنة وشهرين وحج بالناس ست حجات ولم يزل واليا الى ان مات بطوس من خراسان وهناك قبره وذلك ليلة السبت لثلاث خلون من جمادى الآخرة سنة ثلاث وتسعين ومائة وهو ابن سبع واربعين سنة وكانت ولايته ثلاثا وعشرين سنة وشهرين وسبعة عشر يوما وكان يحج عاما ويغزو عاما وهو آخر خليفة حج في خلافته وحج بعده كثير من قبل ولا يتهم والحاصل انه سال (مالكا) امام المذهب ما تقول (في رجل شتم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) بخصوصه أو واحدا من جنسه (وذكر له) أي الرشيد (ان فقهاء العراق) أي الكوفة أو البصرة أو فقهاء العجم (افتوه) اذ سالهم عنه اجابوه (بجلده) أي بضربه حدا لشتمه (فغضب مالك) لفتواهم بذلك (وقال يا أمير المؤمنين ما بقاء الامة) على الجادة (بعد شتم نبيها) بهذه المثابة من عدم التفرقة بينه و بين غيره في تفاوت الرتبة (من شتم الانبياء قتل ومن شتم أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم)

احدا منهم (جلد) أي ضرب جلد الفرية (وقال القاضي أبو الفضل رحمه الله تعالى) أي المصنف (كذا وقع في هذه الحكاية) أي ان فقهاء العراق افتوا الرشيد بجلده (رواه غير واحد من أصحاب مناقب مالك) ممن اعتنى بجمعها وفي نسخة ممن ذكر مناقب مالك (ومؤلفي اخباره وغيرهم) من رواة سيره وآثاره (ولا أدري من هؤلاء الفقهاء بالعراق الذين افتوا للرشيد بما ذكر) من انه يجلد ولا يقتل (وقد ذكرنا مذهب العراقيين) وفي نسخة مذاهب العراقيين (بقتله ولعلهم) أي من افتاه بجلده دون قتله (ممن لم يشتهر) وفي نسخة ممن لم يشتهر (بعلم)

وهذا بعيد جدا وكذا قوله (أو ممن) وفي نسخة أو من (لا يوثق بفتواه أو يميل به هواه) فان مثل هؤلاء لا ينقل الرشيد عنهم فيتعين قوله (أو يكون ما قاله) أي نقله الرشيد (يحمل على غير السب) الموجب لقتله (فيكون الخلاف) جاريا فيه (هل هو سب) فيقتل (أو غير سب) فيجلد (أو يكون) أي الساب (رجع وتاب عن سبه) وفي نسخة من سبه وهذا هو الاظهر لانه الموافق لمذهب الكوفيين على ما تقرر (فلم يقله) أي لم ينقله الرشيد (لمالك) فلم يقله مالك (على أصله) أي حقيقة وفرعه (والا فالاجماع على قتل من سبه) أي في الجملة (كما قدمناه) وان كان منهم من قال فان تاب قبلت توبته بل يجب أو يستحب ان يستتاب والله أعلم بالصواب

العباسي المشهور (مالكا) امام دار الهجرة وكان الرشيد أخذ عنه الحديث واجله بما هو حقه (في رجل شتم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وذكر له) أي الرشيد لمالك حين سؤاله عما ذكر (ان فقهاء العراق) استفتاهم و(افتوه بجلده) حد القذف (فغضب مالك) على من نقل عنه ذلك حمية وصيانة لمقام النبوة (وقال يا أمير المؤمنين ما بقاء الامة بعد شتم نبيها) أي ان شتم نبيها فلا بقاء لها وهلاك فلا يحل لاحد سمعه الا قتل قائله و بذل روحه في جهاده ثم بين مالك له الحكم فيه فقال (من شتم الانبياء قتل) لان ذلك حد شاتمهم (ومن شتم أصحاب النبي جلد) حد القذف وهذا مذهبه من غير فرق بين كافر ومسلم و بين التائب وغيره (قال القاضي أبو الفضل) عياض المصنف رحمه الله تعالى (كذا وقع في هذه الحكاية) الواقعة بين الرشيد والامام مالك (رواه غير واحد ممن ذكر مناقب) الامام (مالك) وفي نسخة من أصحاب مناقب مالك أي ممن اعتنوا بمناقبه ودونوها (ومؤلفي اخباره وغيرهم) من أصحاب التواريخ (ولا ادري من هؤلاء الفقهاء بالعراق الذين افتوا الرشيد بما ذكر) من جلده وحده كحد غيره مما لم يذهب اليه أحد من أصحاب المذاهب لاسيما اذا حمل على ظاهر اطلاقه (وقد ذكرنا) فيما تقدم (مذاهب عراقيين) وقولهم (بقتله ولعلهم ممن لم يشتهر بعلم) للاحكام الشرعية وأتى بلعل لبعد استفتاء الخليفة من مثله (أو ممن لا يوثق بفتواه) ممن لا علم عنده (أو يميل به هواه) الباطل ممن هو من أصحاب البدع والزندقة والهوى ما يجيء من غير تحقيق ونظر للحق قال الله تعالى وما ينطق عن الهوى وضبطه بعضهم بمهواه بميم في أوله وقال هو مفعل من الهوى وهو الغي والضلال ولذا قالوا اذا كان في المسئلة قولان يجوز للمفتي ان يفتي العامة بالتشديد والخاصة بالتخفيف فانه خيانة للشريعة (أو يكون ما قاله) مفتي العراقيين (يحمل على غير السب) الموجب للقتل بذكر أمر ما من غير عمد في حقه أو يمكن حمله على وجه سديد (فيكون الخلاف) الواقع فيه بين المفتيين محصله ومآله (هل هو سب) لتنقيصه له (أم غير سب) لعدم تنقيصه له (أو يكون) المستفتى فيه (رجع وتاب عن سبه) وهؤلاء يقولون توبة مثله مقبولة في مذهبهم فيصح كلامهم في الجملة (فلم يقله) أي لم ينقله الرشيد (لمالك) حين ساله عنه (على أصله) أي على الوجه الذي ورد ووقع عليه واستفتى فيه فاجيب بما قالوه (والا) أي وان لم يكن شيء من هذه الاحتمالات لا يصح ما نقله الرشيد (فالاجماع) منعقد (على قتل من سبه كما قدمناه) مفصلا في أول هذا المبحث فكيف يفتي بخلاف ما اجمع عليه وقوله رجع وتاب بناء على ان من تاب لا يقتل فلا ينافي ما تقدم وما قدمه يدل

(و يدل على قتله من جهة النظر) أى نظر العقل (والاعتبار) أى طريق القياس (ان من سبه أو تنقصه عليه الصلاة والسلام) كغيره من الانبياء الكرام (فقد ظهرت علامة مرض قلبه) أى من سوء اعتقاده بربه (و برهان شر طويته) أى ودليل خبث باطنه وفى نسخة و برهان لسوء طويته أى فساد نيته (و كفره ولهذا ما حكم له كثير من العلماء بالردة) الصواب ما قاله التلمسانى ان ما زائدة أو موصولة بخلاف قول الدلجى حيث جعلها نافية وقال لعدم قطعهم بكفره وان حكم به ظاهرا انتهى وهو خلاف مذهبهم لانهم قالوا بكفره قطعا الا انهم يقبلون التوبة منه خلافا لمالك على ما تقدم و يدل عليه قوله (وهى) أى الردة (رواية الشاميين عن مالك والاوزاعى وقول الثورى وأبى حنيفة والكوفيين) أى وسائرهم (والقول الآخر) أى الرواية الأخرى عن مالك (انه) أى سبه (دليل على الكفر) أى بحسب ظاهر الامر (فيقتل حدا وان لم يحكم له بالكفر) قطعا وقال التلمسانى ومعناه انه مسلم انتهى فيتفرع عليه انه يغسل و يصلى عليه و يدفن فى مقابر المسلمين ونحو ذلك (الا ان يكون متماديا) أى مصرا مستمرا (على قوله غير منكر له) أى لمضمونه (ولا مقلع عنه) بتركه (فهذا كافر) وفى نسخة كفر أى بلا خلاف فقتله يكون كفرا كالزنديق لا حدا كالمرتد عنده (وقوله) أى الذى تمادى منه (اما صريح كفر كالتكذيب به) عليه الصلاة والسلام أو بما جاء به عن ربه (ونحوه) كنسبة ابليس ربه تعالى الى الجور والظلم اذ أمره بالسجود لآدم عليه الصلاة والسلام زاعما انه خير من آدم (أو من كلمات الاستهزاء والذم) عماه وغير صريح كفر فى مقام الفهم (فاعترافه بها وترك توبته عنها دليل استحلاله لذلك وهو) أى استحلال المعصية (كفر أيضا فهذا) المستحل القائل

على قول السلف والاجماع على قتله (و يدل) أيضا (على قتله من جهة النظر) أى التفكر فيما يدل عليه عقلا (والاعتبار) أى التامل فى موجبات القتل شرعا يعلم من تتبعها ان النظر والعقل السليم يدل عليه والمراد به هنا القياس اردف به ما تقدم من الآيات والاحاديث واجماع الامة ليفيد انه ثابت بجميع الادلة والقياس يسمى اعتبارا فى القرآن فى قوله تعالى فاعتبروا يا أولى الابصار فان الاصوليين اثبتوه بهذه الآية واليها نظر المصنف رحمه الله تعالى من طرف خفى (ان من سبه أو تنقصه صلى الله تعالى عليه وسلم) عمدا وكذا سائر الانبياء كما مر (فقد ظهرت علامة مرض قلبه) أى سوء عقيدته وكفره المضمر لان المؤمن يحبه و يجله صلى الله تعالى عليه وسلم فخلاف ذلك يدل على عدمه كما عرفته فيما نقلناه عن السبكى (و) ظهر من تنقيصه أيضا (برهان) ودليل محقق على (سوء طويته) أى ما اخفاه فى نفسه واضمره فى قلبه والطوية يعبر بها عما اخفى كانه شئ طوى ولف عليه ما يستره فهو استعارة شاعت وصارت حقيقة فيما ذكر وفيه ترق من العلامة وهى ظنية الى البرهان القطعى فلا يرد عليه ان حقيقة الايمان التصديق القلبى عند الجمهور وهذا لا ينافيه كما قيل (وكفره) لانه ردة عندهم (ولهذا) المذكور من دلالته على ما أسره فى نفسه (ما حكم له) أى على الساب والمنقص وما زائدة واللام بمعنى على أو موصوفة واللام تعليلية أى حكم لاجله (كثير من العلماء بالردة) وهى الخروج من الاسلام بقول أو فعل أو اعتقاد قام عليه دليل وهذا اذا كان مسلما الا كافرا أصليا كما لا يخفى (وهى رواية الشاميين) أى علماء الشام الآخذين (عن مالك) فان لمذهبه طرقا متعددة (و) هى أيضا رواية الشاميين عن (الاوزاعى) عبد الرحمن أبو عمرو وهو صاحب مذهب كما تقدم فى ترجمته (وبه) أى بهذا القول فى ردته وقتله (قال الثورى) سليمان بن سعيد كما تقدم (وأبو حنيفة) فانه ذهب اليه فى المسلم فقط (والكوفيون) من عطف العام على الخاص (والقول الآخر) فى رواية عن هؤلاء (انه) أى السب والتنقيص (دليل على الكفر) المضمر فليس نفسه كفرا يرتد به وانما هو علامة عليه (فيقتل) على هذا (حدا) لانه حد من قذف الانبياء كما ورد فى الحديث المتقدم (وان لم يحكم له) أى عليه (بالكفر) حقيقة (الا ان يكون) الساب (متماديا) أى مستمرا فى مدى ومدة طويلة (على قوله) الذى سب به (غير منكر) لما قاله (ولا مقلع) أى راجع (عنه فهذا كفر) محقق منه مستوجب لقتله كفرا فان زجر واعلم بانه كفر ولم ينزجر كان راضيا به مقرا بكفره وهو كفر بلا شبهة وهذا مستثنى من قوله لم يحكم له بالكفر فمعناه انه حينئذ يحكم بكفره ثم فصل قوله المطلق فقال (وقوله) الصادر منه (اما صريح كفر كالتكذيب) له صلى الله تعالى عليه وسلم بانكار نبوته أو انكار ما جاء به للافتراء عليه (ونحوه) مما هو فى معنى التكذيب الصريح (أو من كلمات الاستهزاء) به بتحقيره (والذم) بسب أو هجو له (فاعترافه بها) أى بكلمات الاستهزاء (وترك توبته) برجوعه (عنها دليل استحلاله) أى عده حلالا (لذلك) الاستهزاء والذم (وهو) أى الاستحلال من حيث هو استحلال لما لا يحل (كفر أيضا) كما ان ما قاله كفر (فهذا)

(كافر بلا خلاف) أي اذا لم يتب وفيه دليل على انه ممن يستتاب في مذهب مالك أيضا فعنه روايات والله تعالى أعلم بالصواب وقال الائمة اذا كان في المسئلة قولان أحدهما فيه تشديد والآخر فيه تخفيف فلا يجوز للمفتي أن يفتي العامة بالتشديد والخواص من ولاة الامر بالتخفيف وذلك قريب من الفسوق والخيانة في الدين والتلاعب بالمسلمين والحاكم كالمفتي سواء وكذلك لا يأخذ في أمر نفسه بالتخفيف ويشدد على الناس بل الاولى له العكس وروي ان العبد يسئل عن فتواه هل أفتى بعلم أو جهل وهل فتواه نصيحة أو خذلان وهل أراد وجه الله تعالى أو الرياسة كذا ذكره التلمساني وقال بعض علمائنا اذا وجدت رواية واحدة بعدم تكفير مسلم وتسع وتسعون رواية بتكفيره فينبغي للمفتي أن يختار تلك

الرواية لان ابقاء ألف كافر في الدنيا أهون من افناء مسلم في أمر العقبى (قال الله تعالى في مثله) أي مثل هذا المعترف بكلمات الاستهزاء والذم (يحلفون) أي المنافقون (بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم) أي اظهروا كفرهم بعد اظهار اسلامهم (قال أهل التفسير هي) أي كلمة الكفر (ان كان ما يقول محمد) من انه سيفتح قصور الشام (حقا) أي صدقا (لنحن) أي واشرافنا المتخلفون (شر من الحمير) والقائل الجلاس ابن سويد فسمعه عامر ابن قيس الانصاري فقال أجل والله ان محمدا صادق وأنت شر من الحمار فبلغ ذلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فحلف بالله ما قال فصدقه النبي عليه الصلاة والسلام فجعل عامر يدعو ويقول اللهم أنزل على نبيك من الصادق منا فنزلت فتاب وحسنت توبته (وقيل بل) هي (قول بعضهم) وهو علم النفاق ورأس أهل الشقاق عبد الله بن أبي بن سلول اذ لقي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بني المصطلق بالمريسيع ماء لهم فهزمهم وقتل منهم وازدحم جهجاه بن سعد أجير عمر بن الخطاب وسنان حليف بن أبي واقتتلا فصاح جهجاه بالمهاجرين وسنان بالانصار فاعان جهجاها جعال من فقراء المهاجرين ولطم سنانا فقال ابن أبي لجعال وأنت هناك أي انت في تلك المنزلة بحيث تلطم حليفي ثم قال ما صحبنا محمدا الا لنلطم (ما مثلنا ومثل محمد الا قول القائل) في المثل السائر يضرب لمن يحسن الى أحد فيسيء اليه (سمن كلبك يأكلك) وقال لاصحابه لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا فأفرده الله تعالى بقوله ولله خزائن السموات والارض ولكن المنافقين لا يفقهون

القائل المستحل معنى (كافر بلا خلاف) بين المسلمين وأئمة الدين في كفره وهذا بناء على انه فرق بين قتل المرتد وقتل الحد المذكور وقد قال السبكي في السيف المسلول على من سب الرسول المرتد يقتل بالنص والاجماع وتوبته مقبولة عند الاكثر وان لم يكن زنديقا وليس قتله كقتل الكافر الاصلي كما فصله الفقهاء فعلم من هذا ان علة قتله ليس مطلق الكفر بل خصوص مطلق الردة ولذا جعلها الغزالي من الجنايات الموجبة للعقوبة كالبغي والسرقة وحكوه عن غيره وقالوا قتل المرتد حد يسقط بالاسلام وهو التحقيق ومن ظن ان من سماه حدا فهو عنده لا يسقط بالاسلام فهو مخطئ والحد هو العقوبة المقدرة من جهة الشارع وهل المعاقب عليه في الردة خصوص الكفر بعد الاسلام أو قطع الاسلام بالكفر وهو معنى غير الاول فالساب المسلم مرتد فقتله حد وكذا الكافر فالخلاف في قتله هل هو حد أو كفر لفظي لم يظهر له فائدة انتهى ما قاله ملخصا (قال الله تعالى في مثله) أي مثل المعترف بالاستهزاء والذم (يحلفون) أي المنافقون (بالله ما قالوا) الاستهزاء الذي قالوه في غزوة تبوك من أن من يزعم انه سيفتح قصور الشام وحصونه شر من الحمير هيهات هيهات (ولقد قالوا كلمة الكفر) وهي هذه الكلمة المذكورة (وكفروا) أي أظهروا كفرهم (بعد اسلامهم) الذي أظهروه ولبعض من هذا أشار بقوله (قال أهل التفسير) في هذه الآية (ان كان ما يقول محمد) من فتح حصون الشام (حقا) محقق الوقوع (لنحن شر من الحمير) أي أجن منها لحمقنا وبلادتنا فان الحمير توصف بذلك وكان القائل ذلك الجلاس بن سويد أو وديعة بن ثابت فقال له عامر بن قيس الانصاري أجل والله ان محمدا الصادق مصدق وأنت شر من الحمير فبلغ ذلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وجاء الجلاس فحلف بالله عند منبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه ما قال وان عامرا الكاذب وحلف عامر لقد قال وقال اللهم أنزل على نبيك الصادق شيئا يصدقني فنزلت الآية فتاب الجلاس وحسنت توبته وفي الذي سمعه أقوال أخر فقيل حذيفة وقيل عاصم بن عدي وقيل ولد امرأته عمير بن سعد وانه هم بقتله كما فصل في التفسير والسير وهذا تمثيل لما هو فيه لان من ذكر ليس معترفا مصرا فلا يرد عليه ما قيل بانه ليس مناسبا هنا (وقيل بل) انما هذه الآية في (قول بعضهم) وهو رئيس المنافقين عبد الله ابن أبي بن سلول (ما مثلنا) أي حالنا وصفتنا (ومثل محمد) أي حاله وصفته (الا) كحال من وقع فيه (قول القائل) في مثل قديم يضرب لمن يحسن لاحد فيسيء اليه (سمن كلبك يأكلك) لان الكلب اذا شبع واستغنى عن صاحبه قد يتجرأ عليه كالاسد الضاري

(و) قال أيضا (لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز) يريد نفسه (منها الاذل) يريد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فرده الله تعالى عليه بقوله ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون روى انه قال لقومه ماذا فعلتم بانفسكم أنزلتموهم بلادكم وقاسمتموهم أموالكم اما والله لو أمسكتم عن جعال وذويه فضل طعامكم لم يركبوا رقابكم ولا وشكوا ان يتحولوا عنكم فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من حول محمد فسمع ذلك زيد بن أرقم فقال والله أنت الذليل المبغض في قومه ومحمد في عز من الرحمن وقوة من أصحابه فقال له ابن أبي انما كنت العب فاخبر زيد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال عمر دعني يا رسول الله اضرب عنق هذا المنافق فقال اذن ترعد أنف كثيرة بيثرب قال فان كرهت ان يقتله مهاجري فامر انصاريا فقال فكيف اذن يتحدث الناس ان محمدا يقتل أصحابه ثم قال عليه الصلاة والسلام لابن أبي انت صاحب الكلام الذي بلغني قال والله الذي أنزل عليك الكتاب ما قلت شيأ من ذلك الباب وان زيدا الكاذب فقال من حضر شيخنا وكبيرنا لا نصدق عليه قول غلام عسى ان يكون قد وهم فلما انزلت تكذيبا لابن أبي لحق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم زيدا فعرك اذنه وقال
له وفت اذنك يا غلام ان الله قد صدقك وكذب المنافق ولما أراد ان يدخل المدينة قال له ابنه وكان مؤمنا مخلصا وراءك يا منافق والله لا تدخلها حتى تقول رسول الله هو الاعز وانا الاذل فلم يزل به حتى قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خله يدخل وقيل قال له ابنه لئن لم تقر لله ولرسوله بالعزة لاضربن عنقك فقال ويحك أفاعل انت قال نعم فلما رأى منه الجد قال أشهد ان العزة لله ولرسوله وللمؤمنين فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لابنه جزاك الله عن رسوله وعن المؤمنين خيرا (وقد قيل ان قائل مثل هذا) القول مما يشبه قول ابن أبي واضرابه وفي نسخة ويدل عليه أيضا ان قائل هذا (ان كان مستترا به) من الاستتار وفي نسخة مستسرا من الستر فهما ماخوذان من الستر ومعناهما مختفيا قال التلمساني وروى مستسرا من السر وهو خلاف العلانية (ان حكمه حكم الزنديق يقتل) أي كفر الالحاد ولا يستتاب أصلا قال التلمساني وقد استدل من قال بقبول توبة المستسر بكفره بما جاء في الصحيح من حديث ابن عمر ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال أمرت ان أقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فاذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم الا بحق الاسلام وحسابهم على الله قال الخطابي قوله وحسابهم على الله يعني فيما يستسرون به قال ففيه دليل على ان الكافر المستسر بكفره لا يتعرض له اذا كان ظاهر حاله الاسلام وان توبته مقبولة واذا أظهر الانابة من كفر علم باقراره انه كان يعتقده قبل قال وهو مقول أكثر العلماء وقال مالك لا تقبل توبة المستسر بكفره (ولانه قد غير دينه) فصار مرتدا (وقد قال عليه الصلاة والسلام

(ولئن رجعنا) من سفرنا هذا الى المدينة (ليخرجن الاعز) يعني نفسه الخبيثة (منها) أي من المدينة (الاذل) يعني المؤمنين كلهم وكان هذا في بعض غزواته عليه الصلاة والسلام تبوك أو بني المصطلق واختلف فيمن بلغ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هذه المقالة والمشهور انه زيد بن أرقم وكان سبب هذه المقالة ان رجلا من المهاجرين ورجلا من الانصار جرى بينهما أمر فصاح الانصاري باللانصار والمهاجري بالمهاجرين فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم دعوها فانها جاهلية منتقذرة فقال ابن أبي أو فعلوها ثم قال لقومه ماذا فعلتم بانفسكم أنزلتموهم بلادكم وقاسمتموهم أموالكم وطعامكم أما والله لو أمسكتم عنهم لم يركبوا رقابكم وأوشكوا ان يتحولوا عن محمد فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا عنه الى آخر ما حكاه الله فلما بلغ زيد رضي الله تعالى عنه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مقاله أنكر وحلف لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فصدقه وحزن زيد حتى نزل القرآن بتصديقه فقال عمر رضي الله تعالى عنه دعني أضرب عنقه فابى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وتكرم بكفه عنه لاجل ولده فلما أراد دخول المدينة منعه ابنه رضي الله تعالى عنه وقال لا تدخلها حتى تقول انك الاذل ويأذن لك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والا ضربت عنقك فقال ويحك أفاعل انت قال نعم فلما رأى الجد منه قال أشهد ان العزة لله ولرسوله وللمؤمنين فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم جزاك الله عن رسوله وعن المؤمنين خيرا (وقد قيل ان قائل مثل هذا) الذي قاله ابن أبي وغيره (ان كان مستترا به) عن المسلمين بحيث لم يظهره لهم ويسمعوه منه ورواية مستسر استفعال من السر أي مختفيا حين قاله عن المسلمين والسر خلاف العلانية (ان حكمه حكم الزنديق) وهو انه (يقتل) لانه مثله في اخفائه الكفر واظهاره الايمان بفيه فيقتل لذلك (ولانه قد غير دينه) بما قاله فصار كالمرتد (وقد قال) صلى الله تعالى عليه وسلم (من

من غير دينه فاضربوا عنقه) رواه أحمد والبخاري والاربعة بلفظ من بدل دينه فاقتلوه فلعله نقل بالمعنى أو رواية بالمبنى (ولان) الشان (لحكم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في الحرمة) أي الاحترام والعظمة (مزية) أي زيادة رتبة (على أمته وساب الحر) أي من يسب حرا (من أمته) ذكرا أو أنثى (يحد) أي يعزر على ما هو المقرر الا أن يكون قذفا فيحد (فكانت العقوبة لمن سبه عليه الصلاة والسلام القتل) وهذا أمر مجمع عليه في عقوبته وانما الخلاف في قبول توبته وذلك (لعظيم قدره) أي علو رتبته عن أمته (وشفوف منزلته) أي زيادتها (على غيره) من خلق الله سبحانه وتعالى والشفوف بضم الشين المعجمة والفاء الاولى من الشف بالكسر وهو الزيادة

(فصل) (فان قلت فلم لم يقتل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اليهودي الذي قال له) أي للنبي وحده أوله ولمن معه (السام عليكم) أي الموت أو الملل والمعنى متم أو مللتم (وهذا دعاء عليه) أي بالموت أو الملل وهو السآمة من الطاعة أو الملالة من الحياة والراحة والحديث رواه البخاري وغيره ولقد فطنت عائشة اذ كانت اليهود يمرون به فيقولون السام عليك يا أبا القاسم فقالت عليكم السام والذام واللعنة ومن ثمة قال صلى الله تعالى عليه وسلم اذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا وعليكم يعني الذي يقولونه لكم ردوه عليهم قال الخطابي عامة المحدثين يروون وعليكم بواو العطف وكان ابن عيينة يرويه بغير واو وهو الصواب لانه اذا رد ما قالوه عليهم خاصة واثباتها يؤذن بالاشتراك فيه لانه المطلق الجمع انتهى ولا يخفى أن في ترجيح الرواية الشاذة وتخطئة الجمهور من الرواة ليس على الصواب وانما يتعين تأويل روايتهم بان المراد بالعاطفة هي المشاركة في الموت لانه مشترك بين العباد في جميع البلاد اذ كل نفس ذائقة الموت فكانه قيل وعليكم ما قلتم أيضا فهو جواب دعاء عليهم معاقبة لديهم مع احتمال انهم قالوا السلام باللام ولذا لم يصرح لهم بقول عليكم السام بالواو العاطفة أو بدونها وفيه ايماء الى قوله تعالى واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها أو ردوها هذا والذي دخل عليه عليه الصلاة والسلام وقال السام عليكم جاء في رواية انه يهودي وفي أخرى انه رهط من اليهود وفي رواية اناس وفي أخرى ناس ولعلهما قضيتان وقد يجمع بان دخل عليه رهط من اليهود وسلم واحد منهم والله أعلم

(من غير دينه) باظهار ما يخالفه (فاضربوا عنقه) ان لم يتب وقيل بقبول توبته برجوعه لدينه واستدل بهذا الحديث على قتل الزنديق من غير استتابة وقال الشافعي تقبل توبته مطلقا كالمرتد وعن أبي حنيفة فيه روايتان وقيل كمالك واستدل القائل بقبول توبة من أخفى كفره بحديث ابن عمر رضي الله تعالى عنهما في الصحيح الآتي في كلام المصنف مع ان الكلام عليه أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال أمرت ان أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله محمد رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فاذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم الا بحق الاسلام وحسابهم على الله يعني فيما يسترون به ففيه دليل على ان من ظاهر حاله الاسلام لا يتعرض له وتقبل توبته قالوا وعليه أكثر العلماء الا مالك وأحمد ابن حنبل فانهما لم يقبلا توبته وهذا هو الزنديق على القول بانه من يظهر الاسلام ويبطن الكفر لا من ينتحل دينا فقد اختلفوا فيه كما مر على أقوال منها ما ذكر ونقله قاضيخان كما تقدم والكلام عليه مفصل في الفقه (ولان لحكم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في الحرمة) أي احترامه وتوقيره وصيانة جانبه (مزية) بفتح الميم وكسر الزاي المعجمة وتشديد الياء التحتية وهي زيادة الفضيلة وقال العلامة لا يبنى منه فعل لكن تقدم عن الاساس تميز عليه مزاد (على أمته) فلا يسوى بينه وبينهم فيما يخصه فيزاد في جزاء من سبه على حد غيره لرفعة محله (وساب الحر) لا العبد (من أمته يحد) حد قذف بشروطه ان استحقه والا يعزر وأطلقه لظهوره أو تسمح فادخل التعزير في الحد وفي نسخة جد بجيم ولا أدري ما معناه والظاهر انه تحريف من النساخ (فكانت العقوبة لمن سبه صلى الله عليه وسلم) أو سب غيره من الانبياء عليهم الصلاة والسلام (القتل) رعاية (لعظيم قدره) فبعظمه يعظم الذنب فيه (وشفوف منزلته على غيره) بشين معجمة وفاءين أي زيادتها يقال شف عليه اذا زاد قال ابن القطاع وهو بمعنى النقص أيضا من الاضداد والقرينة مانعة منه هنا أي لزيادة مرتبته العالية بشرفه صلى الله عليه وسلم تسليما وزاده تشريفا وتعظيما وهذا أعظم الجزاء لاعظم الخلق واحتمال ان يزاد بدون القتل لا يرد عليه كما قيل

(فصل) في دفع الشبهة الواردة على ما قدمه في هذا الفصل (فان قلت) اذا كان سبه صلى الله عليه وسلم وتنقيصه مقتضيا للقتل (فلم لم يقتل النبي صلى الله عليه وسلم اليهودي الذي قال له السام عليكم وهذا دعاء عليه) وأذية له ولم يعاقب قائله فيرد على ما قرره أولا والسام بمعنى الموت فيوهمون انهم قالوا السلام وانما أرادوا الدعاء عليه بموته ومثله مما يؤذيه وهذا رواه البخاري وغيره وقالوا ان

(ولا اقتل الآخر) جملة حالية أو عطف بالمعنى على ما قبله أي ولم ما قتل الكافر الآخر (الذي قال له) كما رواه البخاري في قسمة قسمها (ان هذه لقسمة) وفي نسخة قسمة (ما أريد بها وجه الله تعالى) قال الدلجي هو ذو الخويصرة وهو وهم منه فقد قال الحلبي هذا الآخر لا أعرفه غير انه وقع في صحيح البخاري انه من الانصار وقد قال بعض الفضلاء انه مغيث بن قشير وأما الذي قال له اعدل فذاك ذو الخويصرة يعني بالتصغير كذا صرح به في صحيح مسلم من رواية أبي سعيد الخدري وهو تميمي قتل في الخوارج يوم النهروان وهو رأس الخوارج ولهم ذو الخويصرة رجل آخر يماني يروى في حديث مرسل انه هو الذي بال في المسجد ولا ثالث لهما في الصحابة ووقع في صحيح البخاري في باب من ترك قتال الخوارج للتالف في كتاب استتابة المرتدين ما لفظه جاء عبد الله ابن ذي الخويصرة التميمي فقال اعدل انتهى قال الحلبي والصحيح انه ذو الخويصرة ويحتمل انه مرة نسب القول الى أبيه ونسبه تارة اليه لانهما قالاه والله تعالى أعلم أقول ولا يبعد ان عبد الله هو ذو الخويصرة وانه لقبه ولقب أبيه أيضا والله تعالى أعلم وكان قول هذا القائل يوم حنين لما آثر عليه الصلاة والسلام اناسا في القسمة لمصلحة رآها فاعطى الاقرع ابن حابس مائة من الابل وأعطى عيينة ابن حصين مثل ذلك على ما قدمناه (وقد تاذى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من ذلك) ولكنه من كمال حلمه أو لتالفه في جاهلية تحمل منه هنالك (وقد أوذي موسى باكثر من هذا فصبر) على ما آذاه به بنو اسرائيل كحمل قارون المومسة بالرشوة على قذفه بنفسها واتهامهم له بقتل أخيه هارون اذ ذهب معه الى الطور فمات هنالك فحملته الملائكة فمرت بهم فعرفوا انه لم يقتله ورميهم بعيب في جسده من برص وادرة به قال تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها (ولا اقتل المنافقين الذين كانوا يؤذونه في أكثر الاحيان) ويعظمونه في قليل من الزمان وفي نسخة في كل الاحيان أي غالب الازمان (فاعلم وفقنا الله وإياك أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان في أول

عائشة رضي الله تعالى عنها تفطنت له فكانوا اذا قالوا السام عليك يا أبا القاسم قالت عليكم السام والذام واللعنة ولذا قال صلى الله عليه وسلم اذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا وعليكم ردا لمقالتهم عليهم الا ان الخطابي قال انه روي بالواو ورواه ابن عيينة بدونها وهو الصواب لان الواو التي لمطلق الجمع بالاشتراك بينهما قلت لا محذور فيه لانه صلى الله عليه وسلم قصد الاشتراك في معنى غير الذي قصدوه أي الموت مقدر علينا وعليكم كما يأتي بيانه فيكون من القول بالموجب البديعي كقوله

وقالت أنت عندي مثل عيني * فقلت نعم ولكن في السقام

ولذا ذهب كثير الى جواز اثبات الواو وحذفها وان الخطابي رجع عما قاله والسام معتل بمعنى الموت ويجوز أن يكون مهموزا من السآمة والذام بالمعجمة بمعنى الذم والعيب ويجوز اهماله بمعنى الدوام والقائل جماعة من اليهود وقيل واحد منهم اسمه ثعلبة بن الحارث وجمع بين الروايتين بتعدد القصة أو بان الداخل جماعة والقائل منهم واحد (ولا اقتل) الرجل (الآخر) وهو ذو الخويصرة الذي سبق ذكره ويأتي وانه (الذي قال له) صلى الله عليه وسلم في قسمة قسمها من مال الغنائم (ان هذه القسمة) التي قسمتها بين الغزاة وفي نسخة ان هذه القسمة (ما أريد بها وجه الله) أي خالصة لله جارية على العدل كما فرضه الله تعالى وهذا في حديث رواه البخاري أيضا فلم يقتله صلى الله عليه وسلم (و) الحال أنه صلى الله عليه وسلم (قد تاذى من ذلك) أي من قوله الذي قاله ونسبه فيه الى الجور وهو أذية مسلم له وافتراء عليه فيقتضي قتله فلم يأمر بقتله وقال الحافظ الذهبي هذا الآخر لا أعرفه وفي الصحيح انه من الانصار وقال انه مغيث بن بشير والذي قال له اعدل ذو الخويصرة التميمي الخارجي الذي قتل يوم النهروان ويقال له حرقوص وكانت هذه القسمة يوم حنين زاد فيها بعضهم لمصلحة وهو تاليفهم (و) مع ذلك فلم يقتلهم صلى الله عليه وسلم حين آذوه بل (قال قد أوذي موسى) من قومه (باكثر من هذا) الذي أوذيته (فصبر) على أذيتهم ولم يقتل أحدا ممن آذوه فلي به اسوة وأذية موسى انهم رموه بالبرص والادرة واتهموه بقتل أخيه هارون وخالفوه في أمور كثيرة قصها الله تعالى في القرآن عنهم (ولا اقتل المنافقين الذين كانوا يؤذونه في أكثر الاحيان) وروي في كل الاحيان والاولى أظهر وأشهر وأذية المنافقين له تقدم بعضها قريبا فهذا كله يدل على ان من آذاه أو ذمه أو ذم غيره من الانبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام لا يستحق القتل فكيف هذا مع ما تقدم من الادلة والاجماع الذي حكاه ثم شرع المصنف رحمه الله في الجواب عن هذا الاشكال بقوله (فاعلم) أيها السائل مما أشكل عليك (وفقنا الله تعالى وإياك) لعلم ما لم نعلم وهي جملة دعائية معترضة (أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان أول

(الاسلام)

الاسلام) أى فى أول ظهوره عليه الصلاة والسلام (يتألف عليه الناس) أى يطلب ائتلافهم ويقصد تألفهم قال المزى المستعمل يتالف (ويميل) بالتشديد أو التخفيف من الامالة أى يحول (قلوبهم اليه ويحبب اليهم الايمان ويزينه فى قلوبهم) باللطف والاحسان (ويداريهم) أى ويسامحهم ويدافعهم فهو من الدرء مهموز وقد يخفف فقول الحلبى غير مهموز وقديهمز ليس فى محله المخفف قولهم

فدارهم مادمت فى دارهم * وأرضهم مادمت فى أرضهم

(ويقول لاصحابه انما بعثتم) تغليبا لهم لكثرتهم على نفسه الشريفة تواضعا معهم ٣٦٩ أو بعثتم بمعنى أرسلتم بعدى الى من بعدكم (ميسرين) بكسر السين أى مسهلين (ولم تبعثوا منفرين) بتشديد الفاء المكسورة أى مشددين رواه الترمذى عن أبى هريرة ولفظه انما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين ولعل المصنف وجد فى رواية قوله منفرين أونقله بالمعنى وقد أغرب التلمسانى حيث اعترض على المصنف فقال وصوابه معسرين من العسر لمطابقة الظاهر ولكنه راعى الطباق الخفى لان التيسير لازم السكون كما ان التنفير لازم العسر (ويقول يسروا ولا تعسروا) أى هونوا ولا تشددوا (وسكنوا) أى قروا (ولا تنفروا) رواه أحمد والشيخان والنسائى عن أنس رضى الله عنه بلفظ يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا (ويقول) أى فى الاعتذار عن عدم قتل المنافقين (لا يتحدث الناس) أى لا يقول بعضهم لبعض (ان محمدا يقتل أصحابه) فيكون تنفيرا لمن أراد ان يأتى الى بابه (وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يدارئ) بالهمز وابداله أى يدافع (الكفار والمنافقين) ويلاطفهم وقد ورد رأس العقل بعد الايمان بالله التحبب الى الناس رواه الطبرانى فى الأوسط عن على كرم الله وجهه ورواه البزار والبيهقى عن أبى هريرة بلفظ التودد بدل التحبب ورواه البيهقى عن على أيضا رأس العقل بعد الدين التودد الى الناس واصطناع الخير الى كل بر وفاجر وزاد البيهقى عن أبى هريرة فى روايته وأهل التودد فى الدنيا لهم درجة فى الجنة وفى رواية له عنه رأس العقل المداراة

الاسلام) أول منصوب على الظرفية أى فى ابتدائه (يتالف عليه الناس) أى يطلب الفتهم وتأنيسهم لقرب عهدهم بالاسلام وفيهم الاعراب الجفاة حتى يثبتهم على الاسلام فيداوى أمراض قلوبهم بعفوه وكرمه ولم يقل أول الهجرة لان هذا كان بالمدينة بعد هجرته لان ابتداء التاليف ببعض أنواعه كان قبلها واستمر ذلك الى الهجرة كما يومئ اليه قوله كان الدالة على الاستمرار فلا غبار عليه كما قيل لو قال أول الهجرة كان أولى وفى نسخة فيه يستانف بسين مهملة ساكنة بين الياء والتاء (و) أشار لبيان ذلك بقوله (يميل قلوبهم اليه) أى الى الاسلام وخلوص الايمان بمحبته والاذعان له وياؤه الثانية مخففة مضارع امال ويجوز تشديدها والاول أولى (ويحبب اليهم الايمان) ليتمكن فى نفوسهم (ويزينه فى قلوبهم) أى يحسنه بترغيبهم فيه (ويداريهم) بموحدة قبل الهاء أى يعاملهم بملاطفتهم ورفقه بهم (ويقول لاصحابه) أى خلصهم الذين سبق ايمانهم وعلم اخلاصهم (انما بعثتم) فيه تغليب أى انما بعثت معكم أو هو مجاز عن أمرتم وعلمتم أو هو بمعناه اللغوى أى جئتم لدار الهجرة وأرسلتم لها لتكونوا (ميسرين) بسين وراء مهملتين أى مسهلين مسامحين لا معسرين مشددين على من قرب عهده بالاسلام (ولم تبعثوا) وترسلوا (منفرين) للناس عن الاسلام أى بشدة وغلاظة تحمل الناس على نفورهم عنكم بمفارقتهم وتشتتهم عنكم وكان الظاهر ان يقول معسرين ليطابق قوله ميسرين لكنه عدل للمطابقة الخفية لانها أبلغ لان التيسير يقتضى تالفهم وعدم نفرتهم عنهم فاتى بلازم المقابل لانه أبلغ وأكثر كما فى قول المتنبى * كأنك مستقيم فى محال * اذ لم يقل فى اعوجاج وليس هذا لاجل القافية كما قيل ونحوه لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا (و) كان صلى الله عليه وسلم (يقول) لاصحابه أيضا (بشروا) الناس بكل خير (ولا تعسروا) أى لا تشددوا وتغلظوا عليهم (وسكنوا) أى أقروا الناس على ما هم عليه ولا تكلفوهم بما لم يألفوه (ولا تنفروا) الناس عنكم فينفروا ويفروا أى لا تثقلوا عليهم وتلحوا فيملوا منكم وهذا فيما لم يجب عليهم والا فانه لا يسامح فيه (و) كان صلى الله تعالى عليه وسلم (يقول) لاصحابه كما فى قصة أبى بن سلول والمنافقين لما بلغه ما قالوه فقالوا له دعنا نضرب عنقه فابى (لا يتحدث الناس) فيما بينهم فيقولوا (ان محمدا يقتل أصحابه) وهذا اذا شاع عنه صلى الله تعالى عليه وسلم منع بعض الكفرة من الدخول فى الاسلام وجعله المشركون واعداء الدين وسيلة للطعن فيهم ومثله مما ينبغى الاحتراز عنه لما فيه من المفاسد وهذا قاله صلى الله تعالى عليه وسلم لعمر رضى الله تعالى عنه لما قال فى قصة أبى بن سلول دعنى أضرب عنقه كما تقدم مفصلا (وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يدارى الكفار والمنافقين) بتلطفه بهم واحسانه وعفوه عنهم والفرق بين المداراة والمداهنة مشهور وتقدم مرارا أيضا فالمداراة اللطف ولين القول لدفع الضرر وجلب النفع له أو لمن داراه كامره بنصح ورفق وبيان ما فى حاله من محذور وسوء عاقبة والمداهنة تحسين القبيح وقوله له ما هو باطل وكذب مما يغره ويحثه على ارتكاب

(ويجمل صحبتهم) من أجمل بالجيم أي يحسن أو من أجمل جمع بعد تفرقة وفي نسخة بالحاء المهملة من حمل أي يتحمل كلفة صحبتهم (ويغضي عنهم) من الاغضاء بالغين والضاد المعجمتين أي يغمض عينه عن عيبهم وفي نسخة عليهم أي يخفي عليهم ذنبهم (ويحتمل من أذاهم) من تبعيضية أو زائدة ويدل عليه انه في نسخة صحيحة ويحتمل أذاهم أي يتحمل على ايذائهم (ويصبر على جفائهم) وهذا كله لقوله تعالى يا أيها النبي انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا وبشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا أي دع مكافاة أذيتهم اياك فانا كفيناك والحاصل انه كان يجوز له (ما لا يجوز لنا اليوم الصبر لهم) اى للمنافقين ونحوهم (عليه) اى على ما صدر من فعلهم وقولهم لانا مامورون بزجرهم على كفرهم وبعدم اكرامهم في مرامهم (وكان يرفقهم) بفتح الياء وكسر الفاء من الرفق ضد العنف وهو لين الجانب وبضم الياء من الارفاق يقال رفق به يرفق وحكى ابو زيد ارفقت به وارفقته بمعنى اى يلطف بهم (بالعطاء) لهم (والاحسان) اليهم تفاديا من نفرتهم عن حضرته وامتناعه عن قبول ملته (وبذلك امره الله تعالى فقال ولا تزال) اى دائما (تطلع على خائنة منهم) اى خيانة تبدر وجناية تصدر عنهم كما هو دأبهم وديدنهم اقتداء بمن قبلهم (الا قليل منهم) وهو من آمن منهم او كان مقتصدا فيهم (فاعف عنهم واصفح) اى واعرض عنهم (ان الله يحب المحسنين) معهم ومع غيرهم تخلقا باخلاق الله فيهم حيث يرزقهم ويعافيهم فقيل هذا قبل امره بقتالهم وقيل اعف عن مؤمنيهم ولا تؤاخذهم بما سلف منهم (وقال الله تعالى ادفع) اى السيئة التي وردت عليك منهم بالحسد والعداوة (بالتي) اى بالحسنة التي (هي احسن) من اختها وهي العقوبة والمكافاة بمثلها او المجازاة بنحوها او بان تحسن اليه باساءته اليك (فاذا الذي بينك وبينه عداوة) اى بسبب مدافعة السيئة بالحسنة (كأنه ولي) تصير لك مائل اليك (حميم) قريب مشفق عليك

الفواحش والاول محمود شرعا والثاني مذموم غير جائز (ويجمل صحبتهم) بضم المثناة التحتية وسكون الجيم وكسر الميم ثم لام من الجميل الحسن قولا وفعلا وقيل يحمل بمعنى يجمع بعد تفرقه وهو بعيد ركيك (ويغضي عنهم) الاغضاء العفو والتجاوز والسكوت وغض البصر عما لا يليق وحمله على تغضي البصر أو راعى ما فيه من العفو فعداه بعن وهو متعد بعلى وفي المصباح أغضى الرجل قارب بين جفنيه ثم استعمل في الحلم (ويحتمل من أذاهم) أي يتحمله ويعفو عنه قال في المصباح حمل الشئ واحتمله بمعنى عفا عنه وهو في اصطلاح الفقهاء يستعمل بمعنى الوهم والجواز فيكون لازما وبمعنى الاغضاء والتمني فيتعدى ومن زائدة أو تبعيضية وسيأتي ما فيه (ويصبر على جفائهم) أي غلظة طباعهم المقتضية لعدم الادب في الاقوال والافعال ويقال لاهل البادية أهل الجفاء (ما لا يجوز لنا اليوم الصبر عليه) ما موصولة مفعول يحتمل فمن بيانية مقدمة على المبين وقد جوزه النحاة والمراد باليوم ما بعد عصره عليه السلام وابتداء الاسلام وقواعد الاسلام لم تكن على ما هي عليه الآن من القوة التي لا يتسامح فيها الاحد ما كان يتسامح فيه الرسول عليه السلام لمصلحة تمت بذهاب أسبابها فما فعله عليه السلام من عدم قتل بعض لا يجوز لنا الآن المسامحة فيه أصلا كما يأتي في قوله فاما استقراء الخ وهذا هو الجواب عن السؤال مع انه حق له صلى الله تعالى عليه وسلم يجوز له العفو عنه لانه يمتنع علينا الاغضاء عن اهانته صلى الله عليه وسلم (و) كان صلى الله عليه وسلم (يرفقهم) أي يصلهم وينفعهم (بالعطاء) تكرما عليهم (والاحسان) اليهم لكرمه ولين قوله ليؤلف قلوبهم ومحبتهم لان النفوس جبلت على حب من أحسن اليها فيرفق بزنة يقصد مضارع رفق أو بوزن يكرم مضارع ارفق وفي الصحاح الرفق ضد العنف وقد رفق به يرفق وحكى أبو زيد رفقت به وارتفقت بمعنى ترفقت به ويقال أرفقته بمعنى نفعته وقال ابن القطاع رفقته رفقا وارفقته نفعته ومن الرفق كذلك فهو ثلاثي ورباعي (وبذلك) المذكور من مداراتهم وعطائهم ورفقه بهم (أمره الله تعالى فقال ولا تزال تطلع على خائنة منهم) أي على طائفة خائنة أو خيانة تصدر منهم في حقك كما صدر من اسلافهم مع رسلهم فلا يحزنك اساءتهم لك أو المراد فعلة خائنة أو نفس خائنة ويقال في المبالغة رجل خائنة كراوية وقرئ على خيانة (الا قليلا منهم) لم يخن (فاعف عنهم واصفح ان الله يحب المحسنين) الذين يجزون السيئة بالحسنة ويتجاوزون عما سلف وهذه الآية نزلت في اليهود الذين كانوا في زمن نبينا صلى الله عليه وسلم بيانا لانهم من شانهم الخيانة وانه موروث آبائهم وأمره بالعفو عنهم بشرط المعاهدة أو نحوها أو هذه الآية منسوخة والقليل المستثنى من آمن به صلى الله عليه وسلم منهم كابن سلام (وقال) الله تعالى آمرا نبيه عليه السلام بما مر (ادفع) ما تراه من السيئات (بالتي هي أحسن) وهي الاحسان لمن أساء واللطف به (فاذا الذي بينك وبينه عداوة) من الكفار (كانه ولي حميم)

(وذلك) أى ما أمره الله به من المداراة وعدم المجازاة (لحاجة الناس) أى همومهم (للتألف) وفى نسخة فى التألف أى طلب الألفة
وعدم النفرة (أول الاسلام) فى أوائل الهجرة الى مدينة السلام (وجمع الكلمة عليه) أى ولاجتماع كلمة الامة لديه (فلما استقر)
أمره وثبت حكمه وعلا قدره وأعلى نوره (واظهره الله على الدين) أى انواعه (كله) أى جميعه حسب ما وعده له بقوله هو الذى ارسل
رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله (قتل من قدر عليه) ممن عاداه (واشتهر أمره) فيمن باداه (كفعله) عليه الصلاة والسلام
(بابن خطل) وهو متعلق باستار بيت الله الحرام (ومن عهد بقتله) أى

كفعله بقتل من أوصى بقتله (يوم الفتح) من بعض الرجال والنساء فمنهم من قتل وذهب الى جهنم ومنهم من تاب وأسلم (ومن) أى وقتل من (أمكنه قتله غيلة) بكسر المعجمة أى خفية أو غفلة (من يهود) كابن أبى الحقيق وابن الاشرف (وغيرهم) أى وغير يهود على ما ذكرهم (أو غلبة) بفتحتين أى أو قتله شهرة وعلانية كالنضر ابن الحارث وعقبة ابن أبى معيط (ممن لم ينظمه) بكسر الظاء المعجمة أى لم يشمله (قبل) أى قبل قتله (سلك صحبته) أى خيط محبته وخياطة مودته وحيازة معرفته (والانخراط) أى ولم ينظمه الدخول والاختلاط (فى جملة مظهرى الايمان به ممن كان يؤذيه) بلسانه ويطعن فى شانه (كابن الاشرف) المحروم عن الشرف (وأبى رافع)
الذى نسبه له غير نافع (والنضر بن الحارث) بالضاد المعجمة وهو الذى لم يحصل له النضر (وعقبة ابن أبى معيط) بضم العين وسكون
القاف الذى دخل فى عقبة النار وعقبى الفجار فى دار البوار (وكذلك هدر) بفتح الهاء والدال المهملة والراء أى ابطل (دم جماعة)
وفى أصل الدلجى ندر بالدال أى أسقط واهدر انتهى وفى القاموس الهدر محركة ما يبطل من دم وغيره هدر يهدر ويهدر هدرا
وهدرا وهدرته لازم ومتعد واهدرته فعل وافعل بمعنى وندر الشئ ندورا سقط من جوف شئ أو من بين أشياء انتهى فظهر انه لم يات
بمعنى اسقط واهدر نعم فيه ان اندر الشئ اسقطه وهو كذا فى أصل الانطاكى ولكن ليس فيه تصريح بانه بمعنى اهدره وقال التلمسانى

أى لا يزال احسانك اليه حتى يصيره كالصديق الذى بينك وبينه مصافاة وموالاة والولى من يوالى
ويتابع والحميم الصديق المصافى نزلت فيمن كان يعادى رسول الله صلى الله عليه وسلم كابى سفيان
وقيل المراد بالتى هى أحسن المسامحة والمصافحة وهى مستحبة وقيل هذه نسخت بآية السيف (وذلك)
أى ماذكر من مداراته صلى الله تعالى عليه وسلم كان منه (لحاجة الناس للتألف) لقلوبهم وجلبها له فى
(أول الاسلام) ومبادى الهجرة (و) الحاجة فى أول الامر الى (جمع الكلمة) باتفاق رأيهم معه صلى الله
عليه وسلم وعدم مخالفتهم له فانه يحصل بالملاطفة والملاينة مالا يحصل بغيرها (فلما استقر) فيه ضمير
مستتر للاسلام أى لما قوى وثبت (وأظهره) أى أظهر الله دين الاسلام أى أعلاه ورفعه (على الدين
كله) أى على كل دين وملة بحيث غلب أهله وقهرهم والدين فى الاصل مصدر يستوى فيه الواحد وغيره
(قتل من قدر عليه) ممن اظهر عداوته صلى الله تعالى عليه وسلم طعن فيه وفى دينه اذ لم تبق حاجة للمداراة
التى كانت لمصلحة أعماها الله (واشتهر امره كفعله) صلى الله تعالى عليه وسلم (بابن خطل) يوم الفتح
حين أمر بقتله يوم فتح مكة ولو وجد متعلقا باستار الكعبة (و) قتل أيضا امره بذلك (من عهد) أى
أوصى المسلمين (بقتله يوم الفتح) يوم فتح مكة كما تقدم مفصلا (و) قتل أيضا (من أمكنه قتله غيلة)
بكسر الغين المعجمة وهو القتل خفية ومخادعة كابن الاشرف وابن أبى الحقيق (من يهود) هو اسم
للطائفة المعلومة (وغيرهم) أى غير اليهود من الكفرة (أو غلبة) أى وقتل أيضا من امكنه قتله من غير
اخفاء أى بطريق الغلبة والقهر كابى عزة الجمحى كما مر (ممن لم ينظمه قبل) أى لم يدخل قبل قتله (سلك
صحبته) صلى الله تعالى عليه وسلم باسلامه ومتابعته له صلى الله عليه وسلم والسلك خيط ينظم فيه اللؤلؤ
ونحوه والنظم ادخاله فيه فاستعير للجمع وجعل محل الجمع أو ما يقتضيه بمنزلة السلك وسلك صحبته
كلجين الماء أو هو استعارة أيضا (والانخراط فى جملة مظهرى الايمان به) من الصحابة رضى الله عنهم
أجمعين وقد فسر الانخراط بالدخول يقال انخرط فى السلك اذا انتظم وقد وقع ذلك فى كلام الفصحاء
الثقات كالسكاكى والزمخشرى وفسر بما ذكر الا انى لم أجده فى كلام العرب قديما ولا فى كتب اللغة بهذا
المعنى بل الموجود خلافه كخرط القتاد واخترط السيف سله ففتشت عنه فلم اظفر به وغاية ما يمكن فى
توجيهه انه من اخترطه اذا جعله فى الخريطة وهى الكيس فتجوز به عن جعله فى العقد قال ابن عباد فى
محيط اللغة الخريطة مثل الكيس يشرج من ادم أو خرق ويقال أخرطت الخريطة اخراطا انتهى
وتقدم التنبيه على ذلك أيضا وقوله (ممن كان يؤذيه) من الكفرة بيان لمن الذى تقدم (كابن الاشرف
وأبى رافع) تقدم بيانهما مفصلا (والنضر) بن الحارث الذى تقدم بيانه (وعقبة) بن أبى معيط وتقدم
أيضا وهذا تمثيل لمن قتله صلى الله تعالى عليه وسلم مطلقا غيلة وغلبة فلا وجه لما قيل ان فى ذكر
ابن الاشرف مع من قتله غلبة نظرا لقتله غيلة (وكذلك) أى مثل قصة من ذكر ممن قتله (ندر دم جماعة)

نذر بفتح الذال المعجمة أي التزم قتلهم ويجوز أن يكون معناه أباح لأنه لما التزم قتله كان كأنه أباح للقاتل ويجوز أن يكون نذر بالكسر أي أعلم والمعنى أعلم بإباحة دمائهم والرواية بالفتح ويجوز نذر بالمهملة أي أهدر دمه وأسقطه وقد روي فأهدر دماءهم (سواهم) أي ما عدا المذكورين (ككعب بن زهير) بالتصغير المزني كان قد خرج هو وأخوه بجير بضم الموحدة وفتح الجيم فتحتية ساكنة فراء إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فتقدم بجير ليكشف أمر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ويأتي كعبا ويخبره فلما جاءه بجير عرض عليه الإسلام فأسلم فبلغ ذلك كعبا فأنشد أبياتا ينكر فيها على أخيه إسلامه ويتعرض لغيره من أبي بكر الصديق ونحوه بقوله

ألا أبلغا عني بجيرا رسالة * على أي شيء ويب غيرك دلكا

على خلق لم تلف أما ولا أبا * عليه ولم تدرك عليه أخا لكا

فقال عليه الصلاة والسلام نعم لم يلف عليه أمه ولا أباه فأهدر عليه الصلاة والسلام دمه وقال من لقيه فليقتله فبعث إليه أخوه يعلمه بذلك وأنه عليه الصلاة والسلام لا يأتيه أحد فيسلم إلا قبل منه الإسلام وأسقط ما كان قبله من الآثام فإذا أتاك كتابي هذا فاقبل وأسلم فجاء كعب إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأنشد القصيدة المشهورة أولها

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول

فلما بلغ

إن الرسول لسيف يستضاء به

مهند من سيوف الله مسلول

أو

٢٧٢

من الكفار (سواهم) أي سوى من ذكر من كعب وأضرابه ونذر بنون وذال معجمة وراء مهملة أي أوجب قتله على من عنده من أصحابه قال في الأساس نذر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كذا أوجبه على نفسه وهو من كلام أهل الحجاز انتهى فقول بعض الشراح إنه بدال مهملة بمعنى أسقط وأهدر ليس بشيء (ككعب بن زهير) ابن أبي سلمى بضم السين وسكون اللام ربيعة بن رياح بكسر الراء وبالمثناة التحتية ابن قرط المزني وهو وأخوه شاعران مجيدان غير مكثرين وأخوه أسلم قبله وكان كعب قال بعد إسلام أخيه شعرا يعرض فيه بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم فكتب إليه أخوه كتابا يقول فيه إن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أهدر دماء قوم كهبيرة ابن أبي وهب وابن الزبعرى فإن كان لك حاجة في نفسك فطر إليه فإنه صلى الله تعالى عليه وسلم يقبل من أتاه تائبا فضاقت الأرض عليه وأرجف الناس بأنه مقتول فأتى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو يصلي الصبح فلما فرغ جلس بين يديه ووضع يده في يده وقال يا رسول الله إن كعبا جاء تائبا مسلما أتقبله قال نعم وهو لا يعرفه فقال أنا كعب فوثب عليه رجل من الأنصار وقال يا رسول الله دعني أضرب عنقه فقال دعه فإنه جاء تائبا فغضب كعب على الأنصاري لأنه لم يقل فيه أحد من المهاجرين إلا خيرا وأنشده صلى الله عليه وسلم قصيدته المشهورة وألبسه بردته التي يتوارثها الخلفاء بعده وكان معاوية رضي الله تعالى عنه طلبها منه فقال ما كنت لأوثر أحدا بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما مات أخذها من أولاده بعشرين أو بثلاثين ألف درهم فضة وفقه هذه القصة أن من سنة الرسول صلى الله عليه وسلم العفو عمن سبه من الكفرة وأن إجازة الشعراء مسنونة من مكارم الأخلاق كما قال الغزي

جحود فضيلة الشعراء غي * وتحسين المديح من الرشاد

محت بانت سعاد ذنوب كعب * وأعلت كعبه في كل ناد

وما احتاج النبي إلى مديح * وتشبيب بشيء من سعاد

ولكن سن إسداء الأيادي * وكان إلى المكارم خير هاد

(وابن الزبعرى) هو عبد الله بن الزبعرى بن سعيد بن سهم القرشي وهو بكسر الزاي المعجمة

أنبئت أن رسول الله أوعدني * والعفو عند رسول الله مأمول

أشار رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إلى من معه اسمعوا وأجازه عليه الصلاة والسلام على هذه القصيدة وأعطاه بردة قيل إن معاوية ابن أبي سفيان طلب البردة منه بعشرة آلاف درهم فقال ما كنت لأوثر بثوب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أحدا فلما مات كعب بعث معاوية إلى أولاده بعشرين ألف درهم وأخذ البردة ولم تزل في خزائن بني أمية تنتقل من واحد إلى واحد قيل اشتراها منه معاوية بثلاثين ألفا ويقال إنها البرد الذي توارثه خلفاء بني العباس وكان قدومه وإسلامه بعد انصرافه عليه الصلاة والسلام من الطائف وكعب بن زهير من فحول الشعراء وأبوه وجده وكذلك ابنه عقبة وابن عقبة أيضا وأشعرهم زهير ثم كعب وقد هلك زهير قبل المبعث (وابن الزبعرى) بكسر الزاي والموحدة فعين ساكنة مهملة فراء مقصورا القرشي السهمي الشاعر المشهور

كان من أشد الناس على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأصحابه بلسانه ويده قبل اسلامه ثم أسلم بعد الفتح وحسن اسلامه
واعتذر عن زلاته حين أتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقد انقرض ولده ومن مدحه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
مضت العداوة فانقضت أسبابها * ودعت أواصر بيننا وحلوم   فاغفر فدى لك والداى كلاهما * زللى فانك راحم مرحوم
وعليك من علم المليك علامة * يوم أغر وخاتم مختوم   وغيرهما من آذاه)   بالسنتهم (حتى ألقوا) أنفسهم

أو فتحها وكسر الباء الموحدة وسكون العين المهملة مقصور علم منقول من سيئ الخلق أو كثيف الشعر
وكان شاعرا مجيدا شجاعا من أشد الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم بطول لسانه وسفهه ولا
عقب له أسلم بعد الفتح وحسن اسلامه وكان فر هو وزوجته أم هانئ بنت أبي طالب الى نجران فقالوا له
ما وراءك فقال ان محمدا قتل قريشا وفتح مكة وأراه سائر الكم فاصلح بني الحارث وكعب منهم هارب من
حصنهم وجمع ماشيته فارسل له حسان رضي الله تعالى عنه شعرا يقول فيه

غضب الاله على الزبعرى وابنه * وعذاب سوء في الحياة مقيم

فلما بلغه فقال مالي وبني الحارث وترك داري وقومي ثم أتى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في
أصحابه فلما رآه قال هذا ابن الزبعرى في وجهه نور الاسلام فوقف عنده وقال السلام عليكم اني أشهد أن
لا اله الا الله وأن محمدا عبد الله ورسوله والحمد لله الذي هدانا للاسلام وقد اجلبت على عداوتك حتى
هربت الى نجران وأنا أريد ان لا أقرب الاسلام أبدا ثم أراد الله بي خيرا فالقاه في قلبي وحببه الي وكره
ما كنت فيه من الضلالة واتباع ما لا ينفع ولا يعقل من حجر يعبد ويذبح له فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم الحمد لله الذي هداك للاسلام ان الاسلام يجب ما قبله وقلت في ذلك

رأيت اسلام قوم يجب ما كان قبله * وكم حصر أراه بالكفر في شرملة

(وغيرهما) أي غير كعب وابن الزبعرى (ممن آذاه) صلى الله تعالى عليه وسلم وهجاه وسبه نثرا ونظما
ثم تاب باسلامه فقبلت توبته وعفا عنه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كما في السير (حتى ألقوا
بايديهم) أي انقادوا له صلى الله تعالى عليه وسلم وسلموا وهو مجاز عما ذكر واصله وضع يده في يد
غيره ممن يمسكه الانقياده أتم انقياد وقبض يد غيره عنه (ولقوه) عليه الصلاة والسلام (مسلمين) فعفا
عنهم وأمنهم وأحسن اليهم (و) اما من نافقه ف (بواطن المنافقين) وما فيها من الكفر (مستترة) غير
معلومة لغيرهم (وحكمه صلى الله تعالى عليه وسلم) انما كان (على الظاهر) وهو الاسلام المانع
من قتلهم وهذا الاجل التشريع لامته بعده وان أطلعه الله على سرائرهم (و) مع ذلك (أكثر تلك
الكلمات) التي قصد المنافقون بها تنقيصه صلى الله تعالى عليه وسلم وذمه (انما كان يقولها
القائل منهم) أي المنافقين (خفية مع أمثاله) من المنافقين ولا يقف عليها النبي صلى الله عليه وسلم
والمسلمون وخفية بضم أوله وكسره وفي نسخة زيادة واو قبل مع (ويحلفون عليها) أي يحلفون انهم
ما قالوا ما نسب اليهم وهذا مما يعلم مما سيأتي وقدم هذا في قصة ابن أبي وابن سويد من المنافقين (اذا
نميت) اليهم أي نقلت وبلغت لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عنهم من نمى الحديث بالتخفيف
والتشديد والمشهور ما قاله أبو عبيدة من انه بالتخفيف ما نقل على وجه الاصلاح والتشديد ما كان على
وجه الافساد وهو النميمة وكذا قاله ابن قتيبة وغيره لكن رواية أكثر المحدثين بالتخفيف هنا تدل على
خلافه (وينكرونها) أي هذه المقالة (ويحلفون بالله ما قالوا) ما نقل عنهم (ولقد قالوا كلمة الكفر) أي
الكلمة التي يكفر بها قائلها أو التي انما تصدر عن الكفرة واعداء الدين مما نقلناه سابقا (و) كان صلى الله

بايديهم (بين يديه) وهو
كناية عن اسلامهم
واستسلامهم لديه (ولقوه
مسلمين) منقادين مخلصين
متوجهين اليه صلى الله
تعالى عليه وسلم (وبواطن
المنافقين مستترة
وحكمه عليه الصلاة
والسلام على الظاهر)
أي واحكامه على
ظواهرهم مستقرة
مستمرة في العلانية
(وأكثر تلك الكلمات)
المؤذية (انما كان يقولها
القائل منهم خفية) بضم
أوله وكسره (ومع أمثاله)
أي من يهودي أو منافق
كما قال تعالى واذا خلوا الى
شياطينهم قالوا انا معكم
انما نحن مستهزؤن
(ويحلفون عليها)
انكارا لها (اذا نميت)
بصيغة المجهول مخففا
أي رفعت اليه
(وينكرونها) اذا وصلت
لديه (ويحلفون بالله
ما قالوا) كما أخبر الله تعالى
عنهم وأكذبهم بقوله
(ولقد قالوا كلمة الكفر)
وكفروا بعد اسلامهم

وهموا بما لم ينالوا في مرامهم من قتل الرسول وهو ان خمسة عشر منهم توافقوا واعتدم جهه من تبوك أن يدفعوه عن راحلته
الى الوادي اذا تسنم العقبة بالليل أي علاها فيه فاخذ عمار بن ياسر بخطام راحلته يقودها وحذيفة خلفها يسوقها فبينما هما
كذلك اذ سمع حذيفة بوقع اخفاف الابل وقعقعة السلاح فقال اليكم اليكم يا أعداء الله فهربوا (وكان) عليه الصلاة والسلام
لكونه رحمة للعالمين

تعالى عليه وسلم (مع هذا) أى مع ماقالوه من كلمة الكفر (يطمع فى فئتهم) بكسر الفاء وفتح الهمزة قبل التاء الفوقية أى جماعتهم وروى فيئهم بفتح الفاء قبل ياء ساكنة قبل الهمزة من فاء اليه اذا رجع ومنه ألفىء للظل بعد الزوال (ورجوعهم الى الاسلام) عطف تفسير أى دخولهم فيه فهم مجاز مرسل من اطلاق المقيد على المطلق كقوله تعالى وان عدتم عدنا (وتوبتهم) من نفاقهم وكفرهم الخفى (فيصبر صلى الله عليه وسلم على) أذيتهم ونفاقهم وذمهم الذى علمه منهم وبلغه عنهم وعلى (هناتهم) بفتح الهاء والنون الخفيفة وفى المصباح الهن خفيف النون كناية عن كل اسم جنس والانثى هنة بالتخفيف ولامها محذوفة ففى لغة هى هاء فتصغيرها هنيهة ومنه مكث هنيهة أى ساعة لطيفة وفى لغة هى واو فتصغيرها فى المؤنث على هنية بتشديد الياء والهمز خطا اذلا وجه له وجمعها هنوات وربما جمعت على هنات مثل جمات والمذكر هن وبه سمى وكنى به عن الفرج انتهى وهو أحد الاسماء أخوات أب وأخ وكنى به هنا أيضا عن قبائحهم (و) كان صلى الله تعالى عليه وسلم يصبر أيضا على (جفوتهم) أى ماصدر عنهم من الاقوال والافعال القبيحة لغلاظ طباعهم وسوء أدبهم (كما صبر اولو العزم من الرسل) وهم الذين كانوا ذوى عزيمة قوية وثبات فى دعوة الناس الى الدين ومر انه قد اختلف فيهم فمنهم من قال هم خمسة نوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وقيل هم المذكورون على التوالى فى الشعراء والاعراف وهم نوح وهود وصالح وسليمان ولوط وموسى لصبرهم على أذى قومهم وما ابتلوا به ومنهم من عد منهم اسمعيل ويعقوب وأيوب وقيل كل من أمر بالجهاد والقتال وقيل ثمانية عشر ذكروا فى الانعام وعقبهم الله بقوله أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقيل كل الرسل وقيل الا يونس لقوله تعالى ولا تكن كصاحب الحوت فهؤلاء صبروا على أذى الناس ومواجهتهم بما يكرهون وقد أمر صلى الله عليه وسلم بالاقتداء بهم فى الصبر على الاذى والعفو فلم يزل يفعله فى ابتداء الهجرة (حتى فاء كثير منهم باطنا) أى رجع عن نفاقه فخلص ايمانه فى قلبه (كما فاء ظاهرا) أى كما كان ظاهره فى الرجوع الى الايمان بعد الكفر (واخلص) ايمانه بالله ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم (سرا) فيما أسروه واخفاه فى قلبه وبينه وبين قومه (كما اخلص جهرا) أى فيما جاهرهم به من مقاله فتواطأ باطنه وظاهره وسره وجهره (ونفع الله بعد بكثير منهم) أى نفع بهم بعد اخلاصهم وهداية الله لهم (وقام منهم) أى من هؤلاء الذين تالفهم وعفا عنهم (للدين) وأهله (وزراء واعوان) عطف تفسير لان الوزير من الوزر وهو المعاونة والنصرة فتقوى وتعاضد بهم أهل الاسلام (وحماة وانصار) فهم حامون للدين وناصرون لاهله (كما جاءت به الاخبار) الثابتة فكم من منافق وكافر حبب الله له الايمان وأعزه الله به وهو مذكور فى كتب الحديث غنى عن البيان (وبهذا) الجواب المذكور (أجاب بعض أئمتنا) المالكية رحمهم الله تعالى (عن هذا السؤال) السابق عن قول اليهود السام عليكم وعنه أجوبة أربعة ذكرها فى السيف المسلول بعد ماذكر فى حقهم واذا جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله ويقولون فى أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير فاخبر الله عنهم بانهم كانوا يحيونه بتحية منكرة ويقولون لو كان نبيا عذبنا الله بقولنا له السام عليكم واشار الى انه لا حاجة لعذابهم فى الدنيا لانه يكفى من لم يتب منهم عذابه فى الآخرة فاجاب عن السؤال الذى تقدم من انه لم يقتلهم ونهى

(مع هذا) أى مافعلوه وقالوه (يطمع فى فيئتهم) بفتح الفاء ويكسر وسكون التحتية تفسيره قوله (ورجوعهم الى الاسلام وتوبتهم) من الآثام (فيصبر عليه الصلاة والسلام على هناتهم) أى زلاتهم فى مقالاتهم (وهفوتهم) أى وسقطاتهم وفى نسخة وجفوتهم أى وغلظتهم فى حالاتهم (كما صبر أولوا العزم) أى أصحاب الجد والحزم (من الرسل) قيل من بيانية والاصح انها تبعيضية وانهم محمد ونوح وابراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام وقيل غير ذلك وقال البغوى هم الذين ذكرهم الله تعالى على التخصيص فى قوله واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وفى قوله شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا والذى أوحينا اليك وماوصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان أقيموا الدين ولا تفرقوا انتهى وقدم النبى عليه الصلاة والسلام فى الآية الاولى للايماء الى انه فى المرتبة الاعلى وانه أول موجود فى عالم الوجود وان كان آخرا فى مقام الشهود (حتى فاء) أى رجع الى الاسلام (كثير منهم باطنا) فى الآخر (كما فاء ظاهرا) فى الاول (واخلص سرا) فى الاستقبال (كما أظهر جهرا) فى أول الحال (ونفع الله بعد) أى بعد ذلك من اخلاصهم هنالك (بكثير منهم) فى أمر الجهاد وغيره (وقام منهم للدين وزراء واعوان) أى امراء (وحماة) بضم الحاء وتخفيف الميم أى قضاة (وانصار) للدين ولو بنقل علوم اليقين (كما جاءت به الاخبار) التى ذكرها أرباب السير من المحدثين (وبهذا) الجواب (أجاب بعض أئمتنا) أى المالكية وغيرهم (رحمهم الله تعالى عن هذا السؤال) المشتمل على ماسبق من الاشكال (عائشة

(وقال) ايضاحا لهذا المقال (لعله) أي الشان (لم يثبت عنده عليه الصلاة والسلام من أقوالهم ما رفع اليه) وحكي لديه ويشكل هذا بقول بعضهم اعدل واتق الله (وانما نقله الواحد) القائل اذ قوله دفع و رد عليه (ومن لم يصل) أي لم يبلغ قوله أو قائله (رتبة الشهادة) أي الكاملة من العدد المعتبر في الشرع المقرر (في هذا الباب) بخصوصه المقدر فيما يوجب قتل من سب نبينا كما تحرر (من صبي) كزيد بن أرقم (أو عبد أو امرأة) كعائشة أو جارية مملوكة أو بنت صغيرة أو كافر (والدماء لا تستباح) اراقتها (الا بعدلين) لكن يشكل هذا بتكذيب الله تعالى لهم في قوله ولقد قالوا كلمة الكفر وكذا في شهادة ابن أرقم والله تعالى أعلم (وعلى هذا) الاحتمال (يحمل أمر اليهود) أي كلامهم (في السلام) وفي نسخة في السام (وانهم) على دأبهم وعادتهم (لووا به ألسنتهم) بتشديد الواو الاولى وتخفيفها أي عطفوها وأما لوها والمعنى انهم حرفوه ولم يبينوه الا ترى كيف نبهت النبي عليه الصلاة والسلام (عائشة رضي الله تعالى عنها) أي على ظن أنه عليه الصلاة والسلام ما تفطن لقولهم السام (ولو كان) أي المنافق أو اليهودي (صرح بذلك لم تنفرد) عائشة من بين الصحابة (بعلمه) روى انها قالت لهم عليكم السام والذام وفي رواية واللعنة فقال مهلا يا عائشة ألم تسمعي ما أقول لهم فان الله يستجيب لي فيهم ولا يستجيب لهم في (ولهذا) أي لتنبيه عائشة (نبه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم على فعلهم) وكذا على كذبهم في قولهم (وقلة صدقهم) المتين المبين (في سلامهم) لعدم اسلامهم (وخيانتهم في ذلك) أي في مقام كلامهم (ليا بالسنتهم) أي تحريفا بها (وطعنا

عائشة رضي الله عنها عن قولها بل عليكم السام والذام واللعنة كما مر فقال لها مهلا فان الله يحب الرفق في الامر كله وحاصله انه كان لحكمة وهو انه وقع والاسلام لم يقو القوة البالغة فصبر لعل الله يهديهم و يقوى بهم الدين وقد وقع ذلك لكثير منهم وكان الصبر عليهم والعفو عنهم جائز له صلى الله تعالى عليه وسلم والجواب الثاني عنه انهم كانوا يخفونه و يتكلمون به بعجلة وخفض صوت ولا يطلع الناس عليه والعقاب على الكفر انما يكون على الظاهر دون الخفي (وقال) بعض الائمة المجيب بهذا وفي نسخة وقيل (لعله) أي قولهم السام للدعاء عليه (لم يثبت عنده صلى الله تعالى عليه وسلم من أقوالهم) أي اليهود (ما رفع) بالبناء للمجهول من رفع الكلام بمعنى أوصله و بلغه (وانما نقله) له صلى الله تعالى عليه وسلم (الواحد) الذي لم يتم به نصاب الشهادة (ومن لم يصل) أي لم يبلغ (رتبة) قبول (الشهادة في هذا الباب) أي النوع المقتضي للقتل (من صبي) صغير لا تسمع شهادته شرعا (أو عبد) مملوك (أو امرأة) شهادتها غير مسموعة في مثله مما يندرئ و يدفع بالشبهات وهو الحدود (والدماء لا تستباح الا) بعد الثبوت (بعدلين) ذكرين حرين واعلام الله تعالى له بعد حكمه بالظاهر ونفوذ حكمه لا يخالفه فما قيل من انه عجيب من المصنف رحمه الله تعالى مع تكذيب الله لهؤلاء واعلامه بحالهم في القرآن ليس بشيء لاسيما وهو ناقل ثقة وما على الرسول الا البلاغ (وعلى هذا) الذي ذكره بعضهم في الجواب (يحمل أمر اليهود) وفي نسخة اليهودي (في السلام) وفي نسخة في السام وهما بمعنى لان المراد بالسلام سلام اليهودي وهو قولهم السام (وانهم لووا به) بواوين مخففتين والتشديد وان صح غير متأت هنا لانه للمبالغة ولم تقصد هنا واللي فتل الالسنة ولفتها بسرعة حتى يخفى و يظن انهم قالوا السلام (ألسنتهم) جمع لسان وهو الجارحة المعروفة (ولم يبينوه) أي سلامهم وهو تفسير للمراد بلي الالسنة (ألا ترى) ما يحقق ما قيل و يوضحه (كيف نبهت عليه) أي على قولهم هذا (عائشة) رضي الله تعالى عنها حيث ردته عليهم بقولها المتقدم عليكم السام والذام واللعنة ونهاها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأمرها بالرفق وقال اني أرد عليهم فيستجاب لي ولا يستجاب لهم لكن قال ابن تيمية أن قوله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا سلم عليكم أهل الكتاب فقالوا وعليكم أي ردوا الذي يقولونه لكم عليهم وتقرير الصحابة رضي الله تعالى عنهم له بعده يدل على عدم اختصاصه باول الامر و بدء الاسلام وانه لم يخف عليه فتامل (ولو كان) اليهودي الذي قال للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم السام عليك (صرح بذلك) من غير اخفاء ولي السنة (لم تنفرد) بتاء فوقية أي عائشة رضي الله تعالى عنها (بعلمه) دونه صلى الله تعالى عليه وسلم (ولهذا) أي لكونهم لم يصرحوا بما يعلمه كل أحد أو لكون اليهودي لم يصرح بالسام بل أضمره خبثا ولامة (نبه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أصحابه على فعلهم) أي فعل اليهود القبيح الذي أتوا به بقولهم السام عليك (وقلة صدقهم) في كلامهم و جعل قولهم السام موهمين انهم قالوا السلام كذبا لجعلهم ما ليس بتحية تحية فهو باعتبار خبر تضمنه كذب مخالف للواقع (وخيانتهم في ذلك) لله ولرسوله صلى الله تعالى عليه وسلم (ليا بالسنتهم) بتحريف مقالتهم وكذبهم وعدولهم عن سنن الصواب (وطعنا

فى الدين فقال أما اليهود اذا سلم أحدهم) أى على المسلمين (فانما يقول السام عليكم) أى الموت (فقولوا عليكم) أو وعليكم كما تقدم والله تعالى أعلم وفيه ان الله سبحانه أخبر عنهم بقوله واذا جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله ويقولون فى أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير فهذا ثبت بشهادة الله تعالى فى حقهم فليس الحكم السابق مبنيا على أخبار عائشة فقط (وكذلك) أى مثل هذا المقول المرضى عند المصنف (قال بعض أصحابنا) أى من المالكية (البغداديون) بالرفع على انه نعت بعض والبغداديين بالجر على انه نعت أصحاب كالقاضى عبد الوهاب وابن خويز منداد وابن الجلاب (أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لم يقتل المنافقين بعلمه فيهم) أى بمجرد علمه فى حقهم (ولم يات) أى فى حديث من الاخبار ورواية من الآثار (انه قامت بينة) أى ثبتت حجة (على نفاقهم) أى بخصوصهم وما ورد فى الكتاب انما هو مذكور لعمومهم سترا من الله فى أسرارهم وكتما فى أخبارهم وآثارهم ولذلك تركهم احياء على أحوالهم فى ديارهم فاندفع به ما اعترض الدلجى على المصنف بقوله وكفاك بينة عليه ما وردت به سورة المنافقين وبراءة من البحث عن أسرارهم واظهار نفاقهم وأخبارهم (وأيضا) يقال فى دفع الاشكال (فان الامر كان سرا وباطنا) أى بالاخفاء والكتمان (وظاهرهم الاسلام والايمان وان كان) أحدهم (من أهل الذمة بالعهد والجوار) بكسر الجيم وتضم أى الامان فهو من الجار بمعنى المجاور والذى أجرته من ان يظلم (والناس قريب عهدهم بالاسلام

فى الدين) أى دين الاسلام وأهله وفيه اشارة الى الآية أعنى قوله عز وجل ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب الآية وهى نزلت فى حق اليهود وقولهم راعنا واسمع لكن لما كانا من قبيل واحد فى التحريف والعدول عن الظاهر اقتبسها المصنف هنا وانما كان هذا طعنا فى الدين لانهم قالوا لو كان نبيا علم بمقالتنا وعذبنا الله عليها كما مر فلا يتوهم انه كيف يكون هذا طعنا فى الدين بمجرد ذكر السام بمعنى السلام (فقال) صلى الله تعالى عليه وسلم لاصحابه منبها لهم (ان اليهود اذا سلم أحدهم فانما يقول السام عليكم فقولوا) فى رد سلامهم (عليكم) وفى رواية وعليكم بالواو وقد تقدم الكلام عليه مفصلا وقد قال الفقهاء لا يبدؤ بالسلام الكفرة وانما يرد سلامهم بقول وعليكم وفى رواية عن الشافعى جوازه (وكذلك قال بعض أصحابنا البغداديين) كالقاضى عبد الوهاب البغدادى المالكى وقد تقدم بيانه (أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لم يقتل المنافقين بعلمه فيهم) وبما فى نفوسهم مع انه عالم بهم وأطلعه الله تعالى على سريرة نفاقهم وان كان له صلى الله تعالى عليه وسلم ان يقضى بعلمه بل اختلف الفقهاء فى القاضى هل له ان يقضى بعلمه فى زمان قضائه أو فى مجلس حكمه وانما المانع عنه أنه صلى الله تعالى عليه وسلم أمر بالعمل بالظاهر فى أكثر أحواله تشريعا لامته وكان ذلك فى ابتداء الاسلام تاليفا للقلوب حتى يهديهم الله ولا تنفر قلوب من يريد الدخول فى الاسلام وتكف ألسنة الطاعنين بقولهم أنه صلى الله تعالى عليه وسلم يقتل أصحابه والحكم يتعاضد والمصالح لا تتزاحم فلا تعارض بين الاحاديث كما توهم (ولم يات) أى لم ينقل فى الاحاديث (انه قامت بينة) عنده صلى الله تعالى عليه وسلم (على نفاقهم فلهذا) أى لكونه لم تقم عنده بينة على نفاقهم وهو مامور فى أكثر الاحكام ان يحكم بالظاهر وبالصبر كما صبر اخوانه أولو العزم (تركهم) من غير ان يقتلهم ولم يحكم بعلمه وان أعلمه الله به فى سورة المنافقين وسورة براءة اجمالا من غير ذكر لهم باعيانهم فمن قال كفاك ما فيهما من تفضيحهم بينة لم يصب وهذا مبنى على ان الحاكم لا يجوز له ان يحكم بعلمه مطلقا أو فى الحدود أو فى حقوق الله وفيه كلام الفقهاء ليس هذا محله واقامة البينة على النفاق تتصور بان يشهد على اقراره والا فما فى قلبه لا يمكن الاطلاع عليه لغير علام الغيوب (وأيضا) مما يقتضى عدم قتلهم (فان الامر) أى نفاقهم (كان سرا وباطنا) خفى على الناس فكيف تقوم عليهم بينة (وظاهرهم الاسلام والايمان) هما بمعنى وقد يفرق بينهما بحسب المفهوم وان اتحدا فيما صدقا عليه والامر فيه معلوم (وان كان) المذكور والذى لم يحكم بقتله (من أهل الذمة) بكسر الذال المعجمة هى العهد والامان هنا قال فى المصباح الذمة تفسر بالعهد والامان وسمى المعاهد ذميا نسبة الى الذمة بمعنى العهد وقولهم فى ذمتى كذا معناه فى ضمانى انتهى كما أشار اليه بقوله (بالعهد) وهو الميثاق بان لا يغدر به (والجوار) بكسر الجيم وتضم وهو الامان من جاره يجيره اذا أمنه بعهد بينهما والامان يكون لمعين وغيره كاهل بلدة واقليم فان كان بغاية معينة فهى الهدنة وان لم يكن فهو الجزية وهم أهل ذمة أى أمان وهذان يختصان بالامان بخلاف مطلق الامان لزمن قريب فلا يختص به لحديث المسلمون يسعى بذمتهم أدناهم (والناس قريب عهدهم بالاسلام) أى دخولهم فى الاسلام كان قريبا فى ابتداء الاسلام

والهجرة

لم يتميز بعد) أى بعد مضى ثلاث الأيام (الخبيث من الطيب) أى المرائى من المخلص فى مقام الكلام (وقد شاع) أى فشا وذاع (عن المذكورين فى العرب) بحيث ملأ الأسماع (كون من يتهم بالنفاق من جملة المؤمنين وصحابة سيد المرسلين) المفاد من عموم حديث البخارى أنا سيد الأولين والآخرين (وأنصار الدين بحكم ظاهرهم) انهم من المسلمين (فلو قتلهم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لنفاقهم ومايبدر) بضم الدال المهملة بعد الموحدة أى يسرع للناس (منهم) وفى أصل الدلجى يبدو بالواو أى يظهر منهم (وعلمه) أى لمجرد علمه (بما أسروا فى أنفسهم) من النفاق والشقاق وجواب لو (لوجد المنفر) بتشديد الفاء المكسورة (مايقول) فى تنفيره (ولارتاب الشارد) فى تغييره (وارجف المعاند) بصيغة المفعول أو الفاعل والمعاند بكسر النون هو المنكر الجاحد الحائد ومنه قوله تعالى لئن لم ينته المنافقون والذين فى قلوبهم مرض والمرجفون فى المدينة الآية المرجف هو الذى يرجف قلوب الناس بالاخبار المتزلزلة التى لا أصل لها من الرجفة وهى الزلزلة والمعنى خاص فى أمر الفتنة والاخبار السيئة (وارتاع) أى وخاف (من صحبة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم والدخول فى الاسلام غير واحد) أى كثير من الأنام ممن ضعف دينه وسقم يقينه وجهل ان الداخلين فى الاسلام وهم مخلصون أولئك لهم الأمن وهم مهتدون (ولزعم الزاعم وظن العدو الظالم) وفى نسخة الفذ بفتح الفاء وتشديد الذال المعجمة المنفرد الواهم (ان القتل) للمنافقين (انما كان للعداوة) الباطنية المتعلقة بالأمور الدنيوية

والهجرة (لم يتميز بعد) بالضم أى بعد قرب عهدهم (الخبيث من الطيب) منهم أى لم يعلم من أخلص اسلامه فطابت سريرته أو لم يخلص ايمانه ففيه بقية من خبث الكفر لم تظهر لغيره (وقد شاع) أى سمع واشتهر بين الناس (عن المذكورين) أى من كان منافقا يظهر اسلامه (فى العرب) المجاورين لهم المشاهدين لهم (كون من يتهم بالنفاق) أى يتهمه خلص المؤمنين المهاجرين الذين نور الله بصائرهم (من جملة المؤمنين) أى عده منهم بالنظر لظاهر حالهم ومن متعلقة بشاع (وصحابة) بفتح الصاد اسم جمع لصاحب وهو فى الاصل مصدر كالقرابة (سيد المرسلين) لكونهم بعده تابعين له عليه السلام (و) شاع أيضا انهم من جملة (أنصار الدين) الذين نصروا رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم على أعدائه ظاهرا وهذا انما هو (بحكم ظاهرهم) أى مايظهر من حالهم لانا لانطلع على سرائرهم فلاجل هذا لم يقتلهم صلى الله تعالى عليه وسلم وقال لعمر وغيره ممن قال فى بعضهم دعنى أضرب عنقه لئلا يتحدث الناس بان محمدا يقتل أصحابه كما تقدم فعدوا من أصحابه نظرا لظاهر حالهم (فلو قتلهم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) لما علمه من حالهم (لنفاقهم) الذى أطلعه الله تعالى عليه دون غيره (ومايبدر منهم) بفتح المثناة التحتية وسكون الباء الموحدة وضم الدال والراء المهملتين بمعنى يسرع ويخرج منهم بعجلة وفى نسخة يبدو بالواو بدل الراء وفى نسخة يندر بالنون مع الراء وهى صحيحة أيضا وان خالفت رواية الشراح قال فى المصباح ندر من قومه اذا خرج ومنه النادر لخروجه عن أمثاله فتسميته نادرا لمخالفته ظاهر حالهم وهو الاكثر منها فلا بعد فيه (وعلمه) مجرور معطوف على نفاقهم أى علم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (بما أسروا) أى أخفوا من الكفر (فى نفوسهم) من النفاق (لوجد المنفر) جواب لو أى لوجد الذى يقصد تنفير الناس وصدهم عن الدخول فى الاسلام من المشركين وأعداء الدين (مايقول) أى أمرا يقوله لمن يريد الدخول فى الاسلام بان يقول له انه سفاك يقتل أصحابه اذا خالفوه والمرء لايخلو من زلة (ولارتاب الشارد) أى وقع فى ريبة لخوفه من القتل من كان شاردا عن الدين ضالا من الجاهلية والاعراب اباة الضيم من شرد البعير اذا نفر وذهب فى الارض وفى الحديث لتدخلن الجنة الا من شرد على الله أى خرج عن طاعته تعالى وفارق الجماعة وهو فى الاصل استعارة (وارجف المعاند) أى أتى بالاقوال الكاذبة التى يقصد بها التشنيع على الاسلام من كفر عنادا كبعض المشركين الذين كانوا يحبون اشاعة مثله (وارتاع) أى خاف من يسمع الاراجيف وعلم بالقتل من الروع وهو الخوف (من صحبة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم و) ارتاع أيضا من (الدخول فى الاسلام) خوفا من ان يقتل كمن قتله (غير واحد) أى كثير ممن يريد الاسلام ممن ضعف قلبه ولم ينظر ببصيرة صادقة ممن أضله الله (ولزعم الزاعم) أى وجد وصلة لكذبه من أراد الافتراء على الله ورسوله (وظن العدو) للاسلام وأهله (الظالم) لنفسه وغيره من صده عن سبيل الله وسعادة الدارين وهذا بناء على انه بعين مهملة من العداوة وقال البرهان انه فى الاصل الفذ بفاء وذال معجمة مشددة بمعنى المنفرد والاول صحح فى الهامش انتهى والمعنى ان هذا انما هو فرد من الناس أو ظالم (ان القتل) الذى أوقعه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم باهل النفاق والشقاق المقتولين بالاستحقاق (انما كان للعداوة) من رسول الله صلى الله تعالى

(وطلب أخذ الترة) بكسر التاء الفوقية أي النقص والتبعة الكامنة في الطباع البشرية من مطالبة دماء القتيل الواقع في الجاهلية (وقد رأيت معنى ما حررته منسوبا إلى مالك بن أنس رحمه الله تعالى) أي الامام وفق ما قررته (ولهذا قال عليه الصلاة والسلام لا يتحدث الناس ان محمدا يقتل أصحابه) وقدمر عليه الكلام (وقال) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لكن لا يعرف من رواه من المخرجين الكرام (أولئك الذين نهاني الله عن قتلهم) وعلى تقدير صحته يحمل على أول أمره وحالته من قوله فاعف عنهم واصفح بخلاف آخره لقوله تعالى يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم (وهذا) أي عدم اجراء أحكامه عليهم

من حيث بواطنهم المستورة لديه (بخلاف اجراء الاحكام الظاهرة عليهم من حدود الزنا) أي جلدا ورجما وهو بالقصر وقديمد (والقتل) قودا وحدا (وشبهه) كحد السرقة والقذف وشرب الخمر (لظهورها) أي لوضوح أمرها (واستواء الناس في علمها) أي واشتراك الناس في حكمها (وقد قال ابن المواز) بفتح الميم وتشديد الواو ثم زاي (لو أظهر المنافقون نفاقهم) أي كفرهم وشقاقهم (لقتلهم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي بخصوصهم فلا ينافي ما أظهر الله من حالهم بعمومهم كما توهمه الدلجي واعترض به على القاضي وذلك لان المنافق اذا أظهر النفاق خرج عن كونه منافقا (وقال) يعني وقال به أيضا (القاضي أبو الحسن بن القصار) بفتح القاف وتشديد الصاد وتصحف في أصل الدلجي بالصفار (وقال قتادة في تفسير قوله تعالى لئن لم ينته المنافقون) أي عن نفاقهم (والذين في قلوبهم مرض) أي شك عن ترددهم وشقاقهم (والمرجفون في المدينة) عن ارجافهم باخبار سوء من عند أنفسهم عن سراياه عليه الصلاة والسلام بقولهم هزموا وقتلوا وجرى عليهم كذا وكذا يؤذون المؤمنين ويغمونهم (لنغرينك بهم) لنسلطنك عليهم بان تفعل بهم ما يكون عبرة لغيرهم

عليه وسلم لمن قتله (وطلب أخذ الترة) أي أخذ ثاره عند من قتله من العرب وهو بكسر المثناة الفوقية وفتح الراء المهملة والهاء كالعدة والهاء عوض عن الفاء المحذوفة من الوتر وهي تبعة وأمر كان أولا انتقم منه والوتر قتل من له عنده دم فهو وقتل القاتل واما الثأر بمثلثة وهمزة يخفف بيدله الفاء فهو بمعناه أيضا وان كان من مادة أخرى وقولهم بثارات فلان حثا على طلب الدم ممن هو عنده فهو بمثلثة ومثناة أيضا والمعنى واحد فلا معارضة بين ما في القاموس والنهاية الاثيرية كما توهم وكم من لفظ من مادتين بمعنى مثله فلا حاجة للتطويل بمثله (وقد رأيت معنى ما حررته) أي هذبته من ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ترك قتل المنافقين الذين علم نفاقهم لحكمه بالظاهر تشريعا للامة ولهذه المصالح من تاليف القلوب ودفع طعن الطاعنين ليدخل الناس في دين الله أفواجا (منسوبا الى مالك بن أنس) امام دار الهجرة رحمه الله تعالى (ولهذا) المعنى الذي ذكره وحرره (قال صلى الله تعالى عليه وسلم) في الحديث الذي تقدم لمن قال دعني أضرب عنقه كما مر (لا يتحدث الناس) في مجالسهم ويشيعون (ان محمدا) صلى الله تعالى عليه وسلم وذكره باسمه حكاية لما يقولونه (يقتل أصحابه) لغرض آخر من ترة وأمر سابق لا لنفاقهم يقصدون بذلك افساد الناس وصدهم عنه كما كان عادة المشركين (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث آخر لم يخرجوه (أولئك) المنافقون (الذين) لم أقتلهم مع العلم بنفاقهم (نهاني الله عن قتلهم) لحكمة علمها وفائدة عظيمة من مصالح الدين والحديث الذي قبل هذا في الصحيحين كما علم مما مر (وهذا) المذكور من عدم القتل بالنفاق المضمر (بخلاف اجراء الأحكام الظاهرة عليهم) أي المنافقين أو الناس (من) بيانية لما بعدها (حدود الزنا) جمعها لتعدده من زنا أو تعددها برجم وجلد وتغريب والزنا يمد ويقصر بمعنى وهما لغتان وقيل الممدود فعل اثنين والمقصور من واحد وقيل انه حقيقة في الرجل لانه فعل صدر منه دون المرأة قاله المعري والقصر أفصح (والقتل) قصاصا ونحوه (وشبهه) كحد القذف وشرب الخمر والسرقة (لظهورها) بالشهادة الشرعية (واستواء الناس في علمها) لانها من الامور الباطنة (وقال محمد بن المواز) بفتح الميم وتشديد الواو وألف وزاي معجمة وهو مشهور من أئمة المالكية كما تقدم (لو أظهر المنافقون نفاقهم لقتلهم النبي صلى الله عليه وسلم) هذا توضيح لما قبله فلا يرد عليه ما قيل انهم اذا أظهروه يكون كفرا وردة لا نفاقا وفيه نظر (وقاله) أيضا (القاضي أبو الحسن بن القصار) المالكي الذي تقدمت ترجمته (وقال قتادة في تفسير قوله) عز وجل (لئن لم ينته المنافقون) من النفاق المعروف وهو لفظ حدث في الاسلام من نافقاء الضب وهي خرق يخفيه اذا أريد صيده خرج منه وفر وقيل انه ماخوذ من النفق وهو السرب (والذين في قلوبهم مرض) أي فساد حقيقة سماه مرضا استعارة (والمرجفون في المدينة) من الارجاف وهو اشاعة الافتراء والكذب بالافتراء واغراء الاعداء (لنغرينك بهم) أي نامرك بقتلهم ونكالهم من الاغراء وهو الحث والتحريض

(ثم لا يجاورونك فيها) بان نضطرهم الى الجلاء عن المدينة السكينة فلا يساكنونك فيها (الا قليلا) من الزمان ريثما يخرجون بعيالهم ثم يرتحلون أو الا قليلا منهم وهو الذى ينتهى عما ذكر من المنهى (ملعونين) نصب على الحال أى حال كونهم مبعدين عن رحمة الله العظيم ورحمة رسوله الكريم (اينما ثقفوا) أى وجدوا بعد ذلك (أخذوا) أى امسكوا (وقتلوا تقتيلا) أى وبولغ فى قتلهم تنكيلا (سنة الله) أى سن الله سنته وأجرى عادته (الآية) أى فى الذين خلوا من قبل أى مضوا قبلكم من الانبياء وأممهم وان تجد لسنة الله تبديلا أى تغييرا وتحويلا (قال) أى قتادة (معناه) أى معنى قوله لئن لم ينته المنافقون (اذا أظهروا النفاق) الذى فى باطنهم من الشقاق (وحكى محمد بن مسلمة فى المبسوط عن زيد بن أسلم) وهو من فقهاء التابعين بالمدينة (ان قوله تعالى يا أيها النبى جاهد الكفار) أى بالسيف (والمنافقين) أى بالحجة (واغلظ عليهم) جميعا فى محاربتهم ومحاجتهم فعن الحسن وقتادة ومجاهدة المنافقين باقامة الحدود عليهم وعن مجاهد بالوعيد وقيل بافشاء اسرارهم واظهار اخبارهم والاظهر ان المعنى جاهد الكفار والمنافقين اذا أظهروا كفرهم واعلنوا سرهم وبهذا التقدير (نسخت) هذه الآية (ما كان قبلها) من المسالمة والمسامحة وفى كثير من النسخ نسخها ما كان قبلها أى نسخ هذا الحكم ما كان قبله من العفو والصفح عنهم (وقال بعض مشايخنا) من المالكية والاشعرية أو علماء أهل السنة (لعل القائل) وهو واحد من الانصار كما فى صحيح البخارى أو معتب بن قشير كما قاله بعضهم لا ذو الخويصرة كما توهم الدلجى (هذه قسمة ما اريد بها وجه الله وقوله اعدل) أى قبل ذلك أو بعده هنالك كذا حرره الدلجى وقال الحلبى قائل اعدل هو ذو الخويصرة وكلام القاضى فى عطفه بقوله وقوله اعدل ظاهر فى ان الكلامين قالهما واحد وفيه نظر فانما هما اثنان ولو قال وقول الآخر اعدل لكان حسنا

والتحريض على سبيل الاستعجال (ثم لا يجاورونك فيها) أى لا يتيسر لهم الاقامة بها لقتلهم أو طردهم وهو عطف على لنغرينك الجواب للقسم (الا قليلا) أى زمانا قليلا لوقوع ما اغرينا بهم من القتل أو الاجلاء (ملعونين) نصب على الشتم أو الحال أى مطرودين ومبعدين عن رحمة الله تعالى فى الدنيا (أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا سنة الله) فى مواضع (الآية) مصدر مؤكد أى سن الله فى الذين خلوا من قبل ممن كان قبلهم ينافق الانبياء ان يقتلوا أينما وجدوا فاظفر بهم وان تجد لسنة الله تبديلا بل هى جارية على سنن واحد فى جميع الامم (قال) أى قتادة (معناه) أى معنى ما ذكر من الآية (اذا أظهروا النفاق) لانه صلى الله عليه وسلم أمر بجهاد المنافقين وهو انما يكون اذا أظهروه ولانهم قبل اظهاره مسلمين دماؤهم معصومة ومعنى ثقفوا أخذوا لكن منهم اذا وجدوا والذين فى قلوبهم مرض هم المنافقون والمرض ما يعرض للبدن فيخرجه عن الاعتدال يوجب اختلال افعاله فتجوز به عن الاغراض النفسانية المانعة لكماله كالجهل وسوء العقيدة والمرجفون هم المنافقون لانهم كانوا يشيعون اخبار اسوء المؤمنين كقوة عدوهم واصابة بعض سراياهم وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما اشاعة الكذب التماسا للفتن وهو من الرجفان وهو الاضطراب بزلزلة ونحوها فاستعير لما ذكر وقيل ما قاله قتادة مخالف للظاهر وانما المراد نهيهم عن اذية رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والمؤمنين يعنى ان جهادهم لا يظهر لما مر ولذا قال الثعلبى فى تفسيره ان ابن مسعود قال جهاد المنافقين الانكار عليهم والتعبيس فى وجوههم وترك الرفق بهم وقيل انها نسخت العفو عنهم ولذا قال (وحكى محمد بن مسلمة) تقدمت ترجمته (فى المبسوط) اسم كتاب له (عن زيد بن أسلم) تقدم بيانه أيضا (ان معنى قوله تعالى يا أيها النبى جاهد الكفار والمنافقين نسخ ما كان قبلها) أى قبل نزولها من العفو والصفح عن أذيتهم له صلى الله عليه وسلم الذى كان قبل فى قوله تعالى فاعرض عنهم وتوكل على الله فانه نهى أولا عن قتل المنافقين فنسخ بهذه الآية كما قاله الواحدى فى سورة النساء ومجاهدة المنافقين عند الحسن وقتادة اقامة الحدود عليهم وعن مجاهد بالوعيد وافشاء اسرارهم ومن ذكر هذا وقال لا نسلم انها منسوخة لم يصب لانه منع للنقل وهو خطأ ويؤيد تأويل الجهاد فى الآية قوله واغلظ عليهم أى شدد وعيدهم وانهم اجمعوا على ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لم يقتل احدا من المنافقين الى ان توفاه الله تعالى (وقال بعض مشايخنا) من الفقهاء المالكية وقيل من متكلمى الاشعرية (لعل القائل) لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقد قسم بعض الغنائم (هذه قسمة ما أريد بها وجه الله) أى لم تقع على وجه العدل بين الغزاة يعنى انها قسمة جائرة (و) لعل (القائل له اعدل) أى سو بين المسلمين فى القسمة قال البرهان الحلبى ظاهره ان قائلهما واحد وليس كذلك وكان ينبغى ان يقول وقول الآخر والاول هو ذو الخويصرة كما فى مسلم ويقال له حرقوص بضم الحاء المهملة وبراء وصاد مهملتين أيضا بينهما قاف مضمومة كما تقدم وهو ذو الثدية رأس الخوارج ولهم ذو الخويصرة التميمى وهو البائل فى المسجد ولهم ثالث أيضا

(لم يفهم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي منه كما في نسخة أي من قوله (الطعن عليه) أي على فعل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (والتهمة له) أي لديه ونسبة التقصير اليه (واغمارآها) أي القسمة أو تلك الحالة (من وجه الغلط في الرأي) أي بناء على رأي ناقصه (وأمور الدنيا) أي في أمورها (والاجتهاد في مصالح أهلها) ظنا منه ان هذا من قبيل أنتم أعلم بامور دنياكم (فلم ير) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (ذلك) الكلام (سبا) بتشديد الموحدة أي طعنا ومذمة وفي نسخة شيئا أي من الملامة مما يستحق عليه العقوبة (ورأى انه من الاذى الذي) يجوز (له العفو) عنه (والصبر عليه) فلذلك لم يعاقبه والصواب انه عليه الصلاة والسلام فهم من الخطاب ما يستحق عليه العقاب لكنه كان مامورا بالاعراض عنهم في مقام العتاب والا فكيف لا يفهم الطعن من قوله هذه قسمة ما اريد بها وجه الله نعم قوله اعدل قد يقال انه اراد به التسوية اللغوية والعدالة العرفية ولكنه عليه الصلاة والسلام فهم انه اراد العدالة الشرعية فقال له ويلك من يعدل ان لم اعدل وقال في آخر الحديث يخرج من ضئضئ هذا قوم يقرؤن القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين الحديث فكان كما أخبره عليه الصلاة والسلام وقتل على يد علي في النهروان وهو رئيس الخوارج وأهل الخذلان (وكذلك) أي وكما قيل فيمن تقدم من الاعتذار (يقال في اليهود اذ قالوا) بدل السلام (السام) أي عليكم كما في نسخة (ليس فيه صريح) وفي نسخة تصريح (سب) أي شتم (ولا دعاء) أي عليه بذم (الا) أي لكن دعاءه عليه (بما لابد منه من الموت الذي لابد) أي لا محالة ولا مفارقة (من لحاقه جميع البشر) بل كل ذي روح من الخلق كما صح في الخبر وفيه ان مثل هذا يسمى من باب الدعاء على المقول فيه بحسب العرف والعادة لانه يراد به الانشاء لا الاخبار بما سيقع من الحالة وهذا المعنى الذي فهمته عائشة رضي الله تعالى عنها وهي من الفصحاء والبلغاء ومن أهل بيت الفهم والحذاقة والعلم والفطانة (وقيل بل المراد به تساموني دينكم) أي تملونه وتتركونه (والسام) بهمزة ساكنة (والسآمة) بهمزة ممدودة (الملال والملالة) قال الدلجي والرواية بلا همزة لاختلاف صيغتيهما واوا وهمزة انتهى واراد انه لا يصح هذا المعنى من ذلك المبنى والصواب انه لا مخالفة بين الرواية والدراية لان الهمزة الساكنة كثيرا ما تبدل ألفا

(لم يفهم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم منه) أي من قوله هذا (الطعن عليه) في قسمته أي لم يقصد به ذمه وتنقيصه (و) لا (التهمة له) فيها أي لم يظن به سوأ قال في المصباح التهمة بسكون الهاء وفتحها الشك والريبة وأصلها الواو لانها من الوهم انتهى (واغمارآها) أي فهم من كلامه هذه انها صدرت (من وجه الغلاظة) أي صدرت منه لغلاظة طبعه وعدم أدبه كما هو عادة الاعراب وفي نسخة الغلط (في الرأي) الذي يراه جفاة العرب كما هو رأى امثالهم (في أمور الدنيا) لحرصهم عليها (والاجتهاد في مصالح أهلها) الذين يرون ان تغليظ المقال يحصلها كما يقال الابرام يحصل المرام ويعدون الوقاحة سلاحالهم (فلم ير ذلك) الكلام الذي واجهه به (سبا) وتنقيصا له فهو بسين مهملة وباء موحدة مشددة وروى بشين معجمة ومثناة تحتية مشددة أو خفيفة بعدها همزة قال البرهان والاول أصوب وعلى الثاني لم يره شيئا يعتد به أو ينقصه قيل ويبعد هذا انه تغير وجهه الشريف وقال يرحم الله أخي موسى لقد أوذى باكثر من هذا فصبر كما تقدم (فلذلك لم يعاقبه) صلى الله تعالى عليه وسلم وفي نسخ ذكر هذا بعد قوله الآتي والصبر عليه وقيل انه انما لم يعاقبه لئلا يقول الناس انه يقتل أصحابه كما صرح به الحديث المار والماقيل انه حقه صلى الله تعالى عليه وسلم له العفو عنه واليه اشار بقوله (ورأى انه من الاذى) هو الشر القليل كما فسره به السبكي فيما ياتي (الذي له العفو عنه) لقلته أو لانه حقه وهو لا ينتقم لنفسه (والصبر عليه) تاليفا لقلوب الناس وقد عدا بن تيمية هذا جوابا آخر في كتابه السيف المسلول (وكذلك) أي كما قيل في الجواب عما ذكر (يقال في اليهود اذ قالوا) له في الحديث السابق (السام عليكم) للدعاء عليه صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى أصحابه (ليس فيه صريح سب) يوجب عقابهم عليه (ولا دعاء) عليه (بما) لا يصح من أحد بشيء من الاشياء (الا) أي (بما) أي بامر (لابد منه) أي لا يسلم منه أحد (من الموت الذي) كتبه الله على العباد وقدره و(لابد من لحاقه جميع البشر) لان كل نفس ذائقة الموت فالسام على هذا معناه الموت فهو معتل العين كما مر (وقيل بل المراد) والمعنى الذي قصدوه (انكم تسامون دينكم) أي تضجرون من مشاقه فتملونه وتتركونه فيما دعاء به هذا أو دخل وطعن في الدين لا اعتذار عنهم أي عن اليهود أيضا في قولهم السام عليكم كما توهم ثم بين وجهه بحسب اللغة بقوله (والسام) بفتح السين والهمزة (والسآمة) بمد الهمزة بزنة القباحة (الملال) وهو الضجر والقلق المؤدى للترك فهو على هذا مهموز العين أبدلت همزته ألفا لانه من سئم مهموز اذا قيل الرواية بلا همزة

لاختلاف

(وهذا دعاء على سآمة الدين) أى فى قلوب المؤمنين (وليس بصريح سب) أى شتم لكنه متضمن لعيب وذم (ولهذا) أى ولكونه ليس بصريح سب (ترجم البخارى على هذا الحديث باب) بالرفع منونا (اذا عرض) بتشديد الراء أى لوح (الذمى أوغيره) وفى نسخة وغيره أى المستأمن (بسب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) أى ولم يصرح به قال ابن المنير كأن البخارى كان على مذهب الكوفيين فى هذه المسئلة وهو ان الذمى اذا سب يعزر ولا يقتل (قال بعض علمائنا وليس هذا) أى قول اليهود السام عليكم (بتعريض بالسب) أى الشتم (وانما هو تعريض بالاذى) ولكنه موصوف بالذم (قال القاضى أبو الفضل) يعنى المصنف

لاختلاف صيغتهما واواو همزة ليس بشئ (وهذا) أى هذا القول (دعاء على سآمة الدين) سآمة بالمصدر أو بدونه جمع سائم نحو كتبة جمع كاتب ولعل هذا أنسب بقوله (ليس فيه صريح سب) له صلى الله تعالى عليه وسلم فلذا لم يعاقب قائله (ولهذا) أى لاجل كونه ليس بسب صريح (ترجم البخارى) فى صحيحه (على هذا الحديث) بقوله (باب) بالتنوين وتركه (اذا عرض) أى ذكر بطريق التعريض دون التصريح فهو مشدد الراء (الذمى أوغيره) من المسلمين والمستأمنين من أهل الحرب (بسب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) والترجمة الباب والعنوان فى اصطلاح المصنفين واصله ذكر لفظ بلغة أخرى أو ابلاغ كلام الغير لمن لم يسمعه كما فى قوله

ان الثمانين وبلغتها * قد احوجت سمعى الى ترجمان

فتجوز به عما ذكر لانه اجمال يفيد ما بعده كما تقدم وقد قيل ان السام غير عربى وهو على هذا تعريض بالنقص لا بالسب وقد تقدم ان التعريض له حكم الصريح ولذا عقبه بقوله (قال بعض علمائنا) المالكية (وليس هذا) الذى قاله اليهود (بتعريض بالسب) لانه الذم بصفات النقص التى لا تليق (وانما هو تعريض بالاذى) أى بما يؤذى ويؤلم وقال السبكى الاذى الشر الخفيف فان زاد فهو ضرر كما قاله الخطابى وغيره انتهى لان الموت والملل من لوازم البشرية لا تنقيص لكن ذكره عمن لا يقصد به حقيقته يؤذى ويؤلم (قال القاضى أبو الفضل) عياض المصنف رحمه الله تعالى (قد قدمنا فى هذا الباب (ان الاذى والسب فى حقه) ووصفه (صلى الله تعالى عليه وسلم) بشئ منهما (سواء) فى الحكم من قتل ونحوه (و) قد (قال القاضى أبو محمد بن نصر) الذى قد قدمنا ترجمته (مجيبا عن هذا الحديث) فى قصة سلام اليهودى عليه (ببعض ما تقدم) من الاجوبة (ثم قال) ابن نصر (ولم يذكر فى الحديث) المذكور (هل كان هذا اليهودى) الذى صدر عنه ما ذكر (من أهل العهد) أى ممن وقع بينه وبين النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عهد وهو الهدنة كما تقدم (والذمة) هى أمان كما تقدم (أو الحرب) أى من المحاربين واعداء الدين الذين لا عهد ولا ذمة لهم فينتقض عهده أو يهدر دمه (ولا يترك موجب الادلة) الدالة على تعين قتل من سب مطلقا (للامر) الذى علم من قصة هؤلاء اليهود (المحتمل) الذى لم يعلم منه انهم معاهدون أو محاربون والامر الذى فيه احتمال لا يتم به الاستدلال وتعارض الادلة اليقينية (والاولى) فى الجواب عن تركه صلى الله عليه وسلم قتل من سبه وأذاه مع انه لازم (فى ذلك كله) أى توجيه ما ورد مما يخالفه كله (والاظهر من هذه الوجوه) التى وجه بها ما ذكر مما أشكل على الائمة (مقصد الاستئلاف) أى لاجل انه قصد الاستئلاف لهم أى قصد تأنيسهم وتأليف قلوبهم (والمداراة على الدين لعلهم) أى انه باستمالتهم بالعفو عنهم يرجو انهم (يؤمنون به) صلى الله عليه وسلم ويدخلون فى دينه (ولذلك) أى لبيان ذلك وانه انما فعله للمداراة لا لانه غير جائز (ترجم البخارى) أى

(وقد قدمنا ان الاذى) بعمومه (والسب) بخصوصه (فى حقه عليه الصلاة والسلام سواء) لاستوائهما فى تنقصه والخروج عن دينه الموجب لتكفيره بخلاف غيره فانه يفرق بينهما باختلاف تعزيره حسب تقريره وفيه ان جميع مراتب الايذاء لا تكون مع السب فى حالة السواء فانه عليه الصلاة والسلام كان يتأذى من أصحابه الكرام اذا صدر عنهم ما يوجب شيئا من الآثام (وقال القاضى أبو محمد بن نصر) بصاد مهملة (مجيبا عن هذا الحديث) أى حديث السام (ببعض ما تقدم) من الكلام (ثم قال ولم يذكر فى الحديث هل كان هذا اليهودى من أهل العهد) أى الجزية (والذمة) أى الامان فينتقض عهده ويبلغ مامنه (أو الحرب) أى

أهل الحرب فيهدر دمه (ولا يترك موجب الادلة) بفتح الجيم أى مقتضاها من القتل بشتم أو ذم (للامر المحتمل) لواحد منهما وفيه ان ذلك اليهودى اما كان منافقا واما مستأمنا والا فما كان عليه الصلاة والسلام وأصحابه الكرام يتحملون من الحربى نوعا من الكلام ولا كانوا يتركونه فى ذلك المقام بعد الامر بقتال من لم يذعن للاسلام نعم كما قال هو وغيره (والاولى فى ذلك) وفى نسخة فى هذا (كله والاظهر من هذه الوجوه) فى حكمه (مقصد الاستئلاف) بفتح الصاد وكسرها أى لمحض طلب الالفة ورفع الكلفة عن الامة (والمداراة على الدين لعلهم يؤمنون) على وجه اليقين (ولذلك ترجم البخارى

جعل الامام البخاري في صحيحه عنوان الباب الذي ذكر فيه هذا منبها (على حديث القسمة) أي الحديث الذي ذكر فيه قسمة الغنائم وقد قال له صلى الله تعالى عليه وسلم بعض المنافقين أعدل ما هذه قسمة أريد بها وجه الله كما تقدم (و) الحديث الذي فيه ذكر (الخوارج) كذي الخويصرة وأصحابه فجعل ترجمته (باب من ترك قتل الخوارج للتاليف) أي لاجل أن يؤلفهم ليثبتوا على الاسلام (ولئلا ينفر الناس عنه) اذا رأوه يقتل من أذاه (و) ترك قتلهم أيضا (لما) بكسر اللام وتخفيف الميم (ذكرنا معناه عن) الامام (مالك) من انه تركه لئلا يرجف الناس و يرتاعوا ولئلا يجد الطاعن في الدين طريقا لطعنه فيه (وقررناه قبل) أي قبل هذا كما سمعته آنفا وقبل مبني على الضم والخوارج جمع خارج على خلاف القياس أو خارجة بمعنى طائفة خارجة سموا بذلك لانهم خرجوا على علي كرم الله وجهه وقصتهم معه بعد وقعة الجمل مشهورة وليس المراد بهم الذين خرجوا على عثمان رضي الله تعالى عنه حتى قتل كما ذكره الرافعي في شرح الوجيز ولم يكن خروجهم في حياته صلى الله تعالى عليه وسلم لكن المذكورون في حديث القسمة ذو الثدية كان رئيسهم وأشار صلى الله تعالى عليه وسلم لقصته في هذا فهو من معجزاته في أخباره بالمغيبات وقصة الخوارج مفصلة في التواريخ ولهم عقائد باطلة وكان المعترض على قسمة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هو ذو الثدية ولما قال ما قاله قال عمر رضي الله تعالى عنه دعني أضرب عنقه فقال دعه فان له أصحابا يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية وفيه نزل قوله تعالى ومنهم من يلمزك في الصدقات الآية (وقد صبر صلى الله تعالى عليه وسلم) على أعظم من السب والاذى فصبر (لهم على سحره) الذي فعله اليهود كما مر (وسمه) أي سم المرأة اليهودية له صلى الله تعالى عليه وسلم في ذراع شاة اكل منها وقصة السحر والسم تقدمت وهي لشهرتها غنية عن البيان (وهو) أي ما صبر عليه مما ذكر (أعظم) في الاذية له (من سبه) أي سب اليهود له تعريضا كما مر (حتى نصره الله عليهم واذن) الله (له) صلى الله تعالى عليه وسلم بعدما أمره بالعفو والصفح عنهم (في قتل من عينه منهم) أي ممن سبه وأذاه من المنافقين واليهود وعينه بفتح العين المهملة وتشديد الياء المثناة التحتية ونون وهاء الضمير أي بين عينه وشخصه مثل كعب بن الاشرف وفي نسخة حينه بحاء مهملة مكان العين أي قتله وأهلكه من الحين بفتح الحاء وهو الهلاك وفي أخرى خيبه بخاء معجمة وموحدة مكان النون أي اظهر انه خائب خاسر بافتضاحه ونكاله في الدارين (وأنزلهم من صياصيهم) أي أخرجهم من حصونهم وقلاعهم ومساكنهم العالية بها وكل ما يتحصن به من الاعداء يسمى صيصية بصادين مهملتين مكسورتين ومثناتين تحتيتين أوليهما ساكنة والثانية مفتوحة خفيفة و يقال لقرن البقر وشوكة الديك كما قاله الراغب والذين أنزلهم من حصونهم بنو قريظة كانوا عاهدوه صلى الله تعالى عليه وسلم ان لا يقاتلوه ولا يعينوا عليه عدوا فلما تجمعت الاحزاب نقضوا العهد وكان ابن أخطب من بني النضير اتى كعب بن أسد القرظي رئيس قريظة الذي عاهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلما أتاه ابن أخطب قفل باب حصنه فناداه افتح فقال اذهب فانك مشؤم وقد عاهدت محمدا عهدا لا أنقضه وانه يفي بعهده فلم يزل يحتال عليه حتى أدخله حصنه ولم يزل يفتل في الذروة والغارب حتى نقض عهده فلما بلغ ذلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بعث السعدين مع جماعة لينظروا هل نقضوا عهدهم أم لا فلما أتوهم وقالوا لهم نبذتم عهد رسول الله قالوا من رسول الله وشاتموهم فاتوه عليه الصلاة والسلام فاخبروه بخبرهم وانهم ظاهروا أبا سفيان فاتاه جبريل عليهما الصلاة والسلام وقال له انهض لبني قريظة فاني تركتهم في زلزال و بلبال فاتاهم ونازلهم وناداهم يا اخوة القردة والخنازير كما يأتي فقالوا يا أبا القاسم ما كنت فحاشا ثم نزلوا عن حكم سعد بن معاذ رضي الله تعالى عنه لحلف

باب) بالتنوين وفي نسخة بالاضافة الى قوله (من ترك قتال الخوارج) أي مقاتلتهم وفي نسخة قتل الخوارج وهم طائفة مشهورة من أهل البدعة يبغضون أهل بيت النبوة (للتالف) أي طلب الالفة ليثبتوا على الملة (ولئلا ينفر الناس) بكسر الفاء من النفر وفي نسخة من التنفير عنه أي ولدفع النفرة عن قبول الدعوة (ولما ذكرنا معناه عن مالك وقررناه قبل) أي قبل ذلك (وقد صبر لهم عليه الصلاة والسلام على سحره) بكسر السين أي ما سحر به وفي نسخة بفتحها وهو المصدر (وسمه) أي وعلى تسميه (وهو أعظم من سبه) وفيه ان من سمه علله بانه اختبره على انه ان كان نبيا فلا يضره والا فيندفع به شره ولذا لم يقتلها أولا ثم قتلها قصاصا بعدما مات بشر بن البراء من أصحابه (الى ان نصره الله عليهم) وأظهر أمره لديهم (وأذن له في قتل من حينه منهم) بمهملة فتحتية مشددة فنون مفتوحات أي أهلكه من الحين وهو الهلاك وقيل من حينه أي انتظر وقته وروي بالخاء المعجمة من الخيانة ويحتمل خيبه بالباء الموحدة أي نسبه الى الخيبة وفي نسخة أخرى عيبه بالموحدة أو النون وهذا كله في بني قريظة واضرابهم (وانزالهم) وفي نسخة وأنزلهم (من صياصيهم) بفتح أوله أي حصونهم

(وقذف) أى والحال انه سبحانه وتعالى ألقى (فى قلوبهم الرعب) بسكون العين وضمها أى الخوف الشديد (وكتب على من يشاء منهم) كبنى النضير واخرابهم (الجلاء) بفتح الجيم ويكسر والمد أى الاخراج عن وطنهم ومالوف بدنهم وكربة الغربة وسائر محنهم (وأخرجهم من ديارهم) ومدار آثارهم (وخرب بيوتهم) من دارهم (بايديهم) أى أنفسهم (وأيدى المؤمنين) بالنقض والهدم حتى لا يبقى منهم فى المدينة آثار دار ولا ديار (وكاشفهم) أى ظاهرهم وشافههم (بالسب) أى الطعن والتعيير (فقال يا اخوة القردة والخنازير) خطابا لشبانهم وشايخهم وفيه ايماء الى قوله تعالى وجعل منهم القردة والخنازير فهم اخوتهم من حيث وقوع المسخ فى طائفتهم وقيل القردة فى أصحاب السبت من اليهود والخنازير فى أصحاب المائدة من النصارى وهم من قوم واحد يجمعهم بنو اسرائيل (وحكم فيهم سيوف المسلمين) بتشديد الكاف اشارة الى قتل بنى قريظة ونزولهم من حصونهم بحكم سعد بن معاذ (واجلاهم) أى أخرجهم (من جوارهم) بكسر الجيم ويضم أى مجاورتهم ومحاورتهم (وأورثهم) أى الله سبحانه وتعالى (أرضهم وديارهم) أى مساكنهم (وأموالهم) كبنى النضير وهذا كله (لتكون كلمة الله هى العليا وكلمة الذين كفروا السفلى) فى الدنيا والآخرة قال ابن اسحق كان اجلاء بنى النضير عند مرجع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من أحد وفتح بنى قريظة عند مرجعه من الاحزاب وبينهما سنتان ومجمل قصتهما ان بنى النضير كانوا صالحوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على ان لا يقاتلوه ولا يقاتلوا معه ولما غزا أحدا وهزم المسلمون نقضوا العهد فركب كعب بن الاشرف فى أربعين راكبا من اليهود الى مكة فاتوا قريشا وعاقدوهم بان تكون كلمتهم واحدة على محمد ثم رجع كعب وأصحابه الى المدينة فنزل جبريل عليه السلام فاخبر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك فامر رسول الله بقتل كعب بن الاشرف وأمر الناس بالمسير الى بنى النضير وكانوا بقرية قدس المنافقون اليهم ان لا يخرجوا من الحصن فان قاتلوكم فنحن معكم ولننصرنكم ولئن خرجتم لنخرجن معكم فحاصرهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم احدى وعشرين ليلة وقذف الله فى قلوبهم الرعب وآيسوا من نصر المنافقين فسالوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الصلح فابى عليهم الا ان يخرجوا من المدينة ولهم ما أقلت الابل أى حملت من أموالهم ولنبى الله ما بقى ففعلوا ذلك وخرجوا من المدينة الى أذرعات وأريحاء من أرض الشام وذلك قوله تعالى هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر أى فى أول حشرهم من جزيرة العرب اذ لم يصبهم قبل ذلك هذا الذل والتعب أو فى أول حشرهم من اجلائه عليه الصلاة والسلام الى الشام وآخر حشرهم اجلاء عمر رضى الله عنه اياهم من خيبر الى ذلك المقام وقيل آخر حشرهم يوم القيامة فانهم كغيرهم يحشرون اليه عند قيام الساعة وأما قضية بنى قريظة فروى أن رسول الله صلى

كان بينه وبينهم فظنوه يتلطف بهم فحكم فيهم بقتل المقاتلة منهم وسبى الذرية وان يعطى عقارهم المهاجرين دون الانصار لانهم لا عقار لهم اذ ذاك فقال صلى الله تعالى عليه وسلم قضى فيهم بحكم الله فاتى بهم سوق المدينة وضرب أعناقهم وهم قريب من تسعمائة (وقذف فى قلوبهم الرعب) أى ألقى الله فى قلوبهم الخوف من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لانه مما نصره الله تعالى به فقال نصرت بالرعب (وكتب) أى قدر الله (على من شاء منهم الجلاء) بفتح الجيم ممدود أى خروجهم من بلادهم وأصله بمعنى الكشف الظاهر يقال جليت القوم من منازلهم فجلوا أى أبرزتهم ونفيتهم فقوله (وأخرجهم من ديارهم) عطف تفسير والذين أجلاهم بنو النضير لما نقضوا العهد بهمهم ان يلقوا على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حجرا فاخبره جبريل بذلك فقام من عندهم كما مر ثم رجع لهم وحاصرهم أياما ثم ألقى الله تعالى فى قلوبهم الرعب فسالوه صلى الله تعالى عليه وسلم ان يجليهم ويبيح لهم مقدار ما يحملوه معهم فاجابهم وفيهم نزلت سورة الحشر فكان أحدهم يخرب بيته بيده كما قال (وخرب بيوتهم) التى سكنوها (بايديهم وأيدى المؤمنين) بهدمها وقطع أشجارها وهدم حصونهم حتى لم يبق منهم باطراف المدينة دار ولا ديار وهذا كله من الآيات النازلة فى حق يهود خيبر ومن قرب منهم (وكاشفهم) أى واجههم (بالسب) أى بسب صريح تذليلا لهم وكذا باللعن الوارد بالقرآن والحديث تذليلا لهم أيضا (فقال لهم يا اخوة القردة والخنازير) أى المشابهين لها فى الخسة وقبح المنظر وان منهم من مسخ قردا وخنزيرا كما قال تعالى وجعل منهم القردة والخنازير (وحكم فيهم) بالتشديد مجاز بمعنى سلط عليهم (سيوف المسلمين) أى سلط المسلمين بسيوفهم على من قتل من بنى قريظة (واجلاهم) أى أخرجهم والجلاء اخراج جماعة مع أهلهم كما علم مما مر (من جوارهم) لان أرضهم كانت مجاورة للمدينة الشريفة (وأورثهم) أى المسلمين (أرضهم) من مزارعهم وحدائقهم أى ملكها لهم كما مر (وديارهم) أى مساكنهم وأوطانهم (وأموالهم) أى أمتعتهم ودوابهم وكل منقول معهم (لتكون كلمة الله) أى دينه وأمره فيما تصرف فيه (وهى العليا) أى نافذة (وكلمة الذين كفروا السفلى) أى ملغاة مهملة فكانها

الله تعالى عليه وسلم لما رجع من منصرف الاحزاب الى المدينة أتاه جبريل عليه السلام فقال وضعت السلاح يا رسول الله قال نعم قال ان الله يامرك بالسير الى بنى قريظة وكانوا قد عاونوا الاحزاب على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فامر النبي عليه الصلاة والسلام مناديا أذن من كان سامعا مطيعا فلا يصلين العصر الا فى بنى قريظة وقدم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عليا بن أبى طالب كرم الله وجهه برايته اليهم فسار على حتى اذا دنا من الحصون سمع مقالة قبيحة لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فرجع حتى أتاه فقال يا رسول الله لا عليك ان تدنو من هؤلاء الاخابيث قال لم أظنك سمعت فى منهم أذى قال نعم يا رسول الله قال لو رأونى لم يقولوا من ذلك شيأ فلما دنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من حصونهم قال يا اخوة القردة والخنازير هل أخزاكم الله وأنزل بكم نقمة قالوا يا أبا القاسم ما كنت جهولا قال فحاصرهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خمسا وعشرين ليلة

حتى جهدهم الحصار وقذف الله فى قلوبهم الرعب فنزلوا على حكم سعد بن معاذ قال سعد فانى أحكم فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة بان يقتل مقاتلهم ويسبى ذراريهم فحبسهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى دار بنت الحارث امرأة من بنى النجار ثم خرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى سوق المدينة فخندق بها خندقا ثم بعث اليهم فضربت أعناقهم فى تلك الخنادق وكانوا على ما قيل ستمائة أو سبعمائة وقسم الاموال والنساء والذرارى وذلك قوله تعالى وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب أى عاونوا الاحزاب على حرب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (فان قلت فقد جاء فى الحديث الصحيح) من رواية البخارى وغيره (عن عائشة رضى الله تعالى عنها أنه صلى الله تعالى عليه وسلم ما انتقم لنفسه فى شئ يؤتى اليه) أى لم يعاقب أحدا على مكروه يقع عليه (قط) أى أبدا فى حال من أحواله (الا ان تنتهك) بصيغة المجهول أو الفاعل أى تنتقص أو تنتقض (حرمة الله تعالى) أى احترامه وعزته (فينتقم لله) أى حينئذ مع انتقامه لنفسه انتقاما لحرمة ربه (فاعلم ان هذا الحديث (لا يقتضى) مضمونه (انه لم ينتقم ممن سبه أو آذاه) أى بقوله أو فعله (أو كذبه فان هذه) المذكورات (من حرمات الله التى انتقم لها) وفى نسخة منها أى من أجلها ابتغاء لوجه الله تعالى كما تقدم من قتل أبى رافع وكعب بن الاشرف وغيرهما (وانما يكون مالا ينتقم) أى منه كما فى نسخة (له) أى لاجل نفسه (فيما يتعلق بسوء أدب) من اجلاف العرب (أو معاملة) مع أحد منهم (من القول والفعل فى النفس) وفى نسخة بالنفس (والمال

مرمية على الارض (فان قلت) كيف يقتل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من أذاه (فقد جاء فى الحديث الصحيح) الذى رواه البخارى وغيره (عن عائشة) أم المؤمنين رضى الله تعالى عنها انها قالت فيه (أنه عليه الصلاة والسلام ما انتقم) من أحد (لنفسه) أى لاجل حق له صلى الله تعالى عليه وسلم فى نفسه (فى شئ يؤتى اليه) مبنى للمجهول أى ياتى اليه أحد و يفعله و يواجهه به فلم يعاقب أحدا على مكروه فعله (قط الا أن) يكون ما فعلوه وأتوه أمرا (تنتهك) فيه (حرمة الله) هى ما يحترم و يراعى من حدوده وأحكامه أى تهان و يفعل منها مالا يجوز وفى المصباح نهك الشئ نهكا بالغ فيه ونهكه السلطان عقوبة أى بالغ فيها وانهكه لغة فيه وانتهك الحرمة تناولها بمالا يحل انتهى فان وقع من أحد تعدى حدود الله (فينتقم) منه صلى الله تعالى عليه وسلم (لله) أى لاجل الله لا لنفسه فهذا الحديث يقتضى أنه صلى الله تعالى عليه وسلم لا ينتقم ممن آذاه أو سبه وهو مناف لما تقدم (فاعلم) أيها السائل (ان هذا) المذكور فى الحديث من انه لا ينتقم لنفسه (لا يقتضى) أى لا يدل دلالة لازمة (انه لا ينتقم ممن سبه أو آذاه أو كذبه) أى نسبه للكذب وقد قدمنا بيانه مفصلا وما المراد بالكذب فيه (فان هذه) الامور المذكورة من سبه صلى الله تعالى عليه وسلم وأذيته وتكذيبه (من حرمات الله) لان أذية رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أذية لله بمعنى انه لا يحبها كما ان طاعته طاعة لله ومحبته محبة لله بالنص فهو حق مشترك بين الله و رسوله صلى الله عليه وسلم وانتقام رسول الله تارة رعاية لحق الله وعفوه تارة رعاية لحق نفسه وهكذا الحقوق الشرعية منها ما هو حق العبد ومنها ما هو حق الله ومنها ما هو مشترك وهو على قسمين ما الارجح فيه حق العبد وما الارجح فيه حق الله ور بما يتساويان ولكل أحكام ليس هذا محل تفصيلها فالمراد بقوله ان هذه من حرمات الله انه مما راعى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم حق الله دون حق نفسه فلا يرد عليه انه مشترك كما قيل ولا يرد عليه النصوص الناهية عن أذيته صلى الله تعالى عليه وسلم كما أشار اليه بقوله (التى انتقم لها) ممن صدرت منه لانه رأى رعاية حق الله تعالى فيها أرجح عنده كما فى قصة كعب بن الاشرف ونحوه (وانما يكون ما) أى الامر الذى (لا ينتقم له فيما تعلق بسوء أدب أو) سوء (معاملة) معه لانه حقه فله العفو عنه و بينه بقوله (من القول) الذى يخاطب به (أو الفعل) الذى يفعلونه مما يتعلق به و يكون (فى النفس) أى فى نفسه وذاته الشريفة (والمال) الذى يعطيه لهم من الغنائم كما تقدم

عمالم يقصد فاعله به اذاه) أي اذى النبي عليه الصلاة والسلام (لكن) أي الا انه صدر (عما) وروي بما أي بسبب ما (جبلت عليه الاعراب) أي من الاخلاق أو من الطباع التي خلقت وطبعت وتعودت عليها (من الجفاء) بفتح الجيم ومد الفاء وهو غلظ الطبع (والجهل) بآداب الشرع كما قال تعالى الاعراب أشد كفرا ونفاقا وأجدر ان لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله (أو جبل عليه البشر) أي جنس بني آدم كلهم (من الغفلة) أي الغيبة عن مقام الحضرة وروي من السهو وهو الخفة وقلة المبالاة بالعمل (كجبذ الاعرابي) بجيم فباء موحدة فذال معجمة أي جذبه بعنف وشدة (رداءه) وفي نسخة برداثه فالباء للتقوية أو لتأكيد التعدية وفي بعض النسخ بازاره وهو خطأ فاحش كما يدل عليه (حتى أثر) أي أثر جبذة (في عنقه) اللهم الا ان يحمل الازار على

في القسمة (عما لم يقصد فاعله) وقائله (به) صلى الله تعالى عليه وسلم أو بالفعل (اذاه) وأدخل القول في الفعل اختصارا لانه فعل اللسان (لكن) صدوره عنه لجهل منه وغلظة طبع (عما جبلت) وطبعت (عليه الاعراب) سكان البوادي الذين لا أدب لهم (من الجفاء) أي غلظة الطباع (والجهل) بحقوق الله وحقوق رسوله صلى الله عليه وسلم وعدم معرفتهم بآداب الصحبة (أو جبل عليه البشر) كلهم (من الغفلة) عما يجب عليهم فان الناس قلما يخلو عنها وفي نسخة من السفه (كجبذ الاعرابي برداثه) صلى الله تعالى عليه وسلم وفي نسخة بازاره والمعنى واحد وجبذ وجذب بمعنى وقيل جبذ مقلوب من جذب وقيل الصواب برواية رداثه وهو ما يكون على العاتق والظاهر والازار ما يكون تحته في وسطه الاسفل وجذبه يفضي لكشف العورة وصحة هذه الرواية يقتضي انه مجاز مرسل بمعنى الرداء ومطلق اللباس فالتخطئة خطأ من قائله وقوله (حتى أثر) جذبه (في عنقه) الشريف قرينة ظاهرة عليه وقد ورد أيضا بهذا المعنى في كتب اللغة وكان بردا نجرانيا غليظا وروي انه انشق من شدة جذبه (وكرفع صوت الاعرابي (الآخر عنده) حين ناداه أو حين كان يكلمه وهو ثابت بن قيس بن شماس كان جهير الصوت كما تقدم فلما نزل قوله تعالى لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي لزم منزله فافتقده صلى الله تعالى عليه وسلم فقال سعد بن معاذ أنا أعلم علته وهو خوفه من الله لذلك وقيل انما هي في وفد بني تميم لما نادوه من وراء حجراته صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل هو الاقرع بن حابس وقيل غير ذلك (وكجحد الاعرابي) أي انكاره (شراءه) صلى الله تعالى عليه وسلم (منه) أي من الاعرابي (فرسه التي شهد فيها) له انه اشتراها (خزيمة) والاعرابي هو سواد بن قيس المحاربي كما قاله الذهبي وقال الخطيب انه سواد بن الحارث وفي السير ان تلك الفرس فرسه صلى الله تعالى عليه وسلم البيضاء واسمها المرتجز أو الظرف أو النجيب فامضى رسول الله صلى الله عليه وسلم شهادة خزيمة وحده وجعلها بشهادتين كاملتين وليس هذا قضاء بعلمه لعصمته صلى الله تعالى عليه وسلم لان قوله في الحديث من شهد له خزيمة فهو حسبه يبعده وهو من خصائصه وخزيمة هو ابن ثابت الانصاري ابن عمارة وهذا الحديث رواه البخاري وغيره وفيه انه تبعه ليقضيه حقه وجعل الناس يساومونه فقال ان كنت مبتاعا فاشتري والا بعته فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم أوليس قد ابتعته منك فقال هلم بشاهد فقال خزيمة أنا أشهد فقال بم تشهد قال بتصديقك يا رسول الله فجعل شهادته بشهادة رجلين وتمسك به بعض المبتدعة في قبول شهادة من عرف صدقه مطلقا كما بينه الخطابي وردوه هؤلاء هم الخطابية فرقة من الرافضة (وكما كان من تظاهر زوجتيه عليه) صلى الله تعالى عليه وسلم وهما عائشة وحفصة أو غيرهما كما تقدم والتظاهر الاتفاق على معاونة

المحفة وهو كل ما ستر وقد قال الاعرابي كما في البخاري مر لي من مال الله الذي عندك (وكرفع صوت الآخر) أي الاعرابي أو غيره (عنده) قال الحلبي يحتمل انه يريد ثابت بن قيس بن شماس فقد روى أنس ابن مالك رضي الله تعالى عنه ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم افتقد ثابت بن قيس فقال رجل يا رسول الله أنا أعلم لك الحديث في خوفه من رفع صوته عند النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عند نزول قوله تعالى لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي الآية ويحتمل انه يريد غيره قلت المتعين ان يكون غيره لان قصته من محامد مناقبه لا في مذامه من مراتبه واما قول الدلجي ان الذي قال هذه قسمة ما اريد بها وجه الله فوقوف على

ثبوت كون مقوله هذا واقعا برفع صوته وقد عينه التلمساني بالاعرابي الذي طالبه عليه الصلاة والسلام في دينه وأراد أصحابه الكرام منعه فقال عليه الصلاة والسلام دعوه فان لصاحب الحق مقالا (وكجحد الاعرابي) أي له كما في نسخة يعني وكانكاره للنبي عليه الصلاة والسلام (شراءه منه) أي الاعرابي وهو سواد بن قيس المحاربي وقيل سواد بن الحارث (فرسه) المسمى بالمرتجز وكان أبيض وقيل النجيب (التي شهد فيها خزيمة) انه اشتراها منه فجعل صلى الله تعالى عليه وسلم شهادته بشهادتين والحديث رواه البخاري (وما) وفي نسخة وكما (كان من تظاهر زوجيه) وفي نسخة زوجتيه وهي لغة والاول أفصح أي تعاونهما (عليه) فيما

يسوؤه من فرط الغيرة بالنسبة اليه وهما عائشة وحفصة (واشباه هذا) الذى ذكرهنا (مما يحسن الصفح عنه) أى يستحسن الاعراض عنه وعدم الالتفات نحوه وقد قال بعض علمائنا ان أذى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حرام لايجوز بفعل مباح ولا غيره واما غيره من الناس فيجوز بفعل مباح مالايجوز للانسان فعله وان تاذى به غيره واحتج بعموم قوله تعالى ان الذين يؤذون الله و رسوله وبقوله صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث فاطمة رضى الله تعالى عنها انها بضعة منى يؤذينى ما آذاها ألا وانى لاأحرم ما أحل الله ولكن لاتجتمع ابنة رسول الله وابنة عدوّ الله عند رجل أبدا (أو يكون هذا) الحديث المتقدم ذكره (مما آذاه به كافر) صريح (وجاء بعد ذلك اسلامه) كذا فى النسخ المصححة وجاء بالواو وقال الحلبي رأيت فى بعض النسخ بالراء من الرجاء وهذه ينبغى ان تكون الصواب وتلك التى تقدمت تصحيف قلت اذا كان المبنى صحيح رواية ودراية فلا يقال فيه انه تحريف فلا يلزم ما ادعاه على ما سياتى دعواه (كعفوه عن اليهودى الذى سحره وعن الاعرابى الذى أراد قتله) وهو غورث بن الحارث (وعن اليهودية التى سمته وقد قيل قتلها) أى آخر اقصاصا ببشر ابن البراء بعد ما عفا عنها أولا لاسلامها أو اعتذارها فى كلامها هذا وقال الحلبي المفهوم من عبارة القاضى المؤلف هنا ان هؤلاء الثلاثة قد أسلموا لكن الذى سحره وهو لبيد بن الاعصم لم يسلم بلا خلاف فيما أعرفه واما الاعرابى الذى أراد قتله وهو غورث أو دعثور على ما تقدم فقد أسلم بلا خلاف واما اليهودية التى سمته فانها زينب بنت الحارث فقيل انها لم تسلم وقتلها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعن الزهرى كما رواه معمر بن راشد فى جامعه انها أسلمت فتركها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وبيان وجه الخلاف والجمع قد تقدم والله تعالى أعلم (ومثل هذا مما يبلغه) أى بعض ما يصل اليه (من أذى

أهل

كل منهما الاخرى بتصديقها فيما يقوله وهو من الظهر لاستناد كل منهما للاخرى وكان مكثه صلى الله تعالى عليه وسلم عند زينب بنت جحش فسقته عسلا فاتفقتا على انه اذا جاء قالت له أجد منك ريح مغافير وهو بقل أو صمغ كريه الرائحة وكان صلى الله عليه وسلم لايحب الرائحة الكريهة للقائه للملك فلما سمعه صلى الله عليه وسلم قال لا أعود كما فصل فى التفسير والسير (واشباه هذا) المذكور (مما يحسن الصفح عنه) أى العفو وأصله ان يميل صفحة وجهه لجانب آخر فكنى به عما ذكر لانه أمر معفو عنه ولم ينشا عن تهاون وقصد تنقيص له وانما كان لامر آخر (وقد قال بعض علمائنا) أى المالكية أو أهل العلم مطلقا (ان أذى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حرام لايجوز بفعل مباح ولا غيره واما غيره فيجوز بفعل مباح مالايجوز للانسان فعله وان تاذى به غيره واحتج بعموم قوله تعالى) كما تقدم الكلام عليه (ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والآخرة) استدل باطلاق ما يؤذى ولعنة فاعله فى الدارين على انه كبيرة ومثل للمباح بقول بعض زوجاته له صلى الله تعالى عليه وسلم كما مر وقد كان الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة من هم بالاهداء فى بيت غيرها فقال صلى الله تعالى عليه وسلم لاتؤذونى فى عائشة فان الوحى ما نزل على فى لحاف امرأة غيرها فلما علمن تاذيه تركن ذلك فهو مقيد بمن لم يعلم تاذيه بالمباح فان علم فهو حرام كغيره وهو ظاهر ثم ذكر المصنف هنا فى بعض النسخ حديث البخارى لما أراد على رضى الله تعالى عنه ان يتزوج بنت أبى جهل على فاطمة الزهراء رضى الله تعالى عنها فصعد صلى الله عليه وسلم المنبر وذكر ما ياتى بقوله (و بقوله صلى الله عليه وسلم فى حديث فاطمة انها بضعة منى) بكسر الباء أى قطعة لحم منى أى كقطعة من بدنى (يؤذينى ما يؤذيها) هذا مرشح للاستعارة لان البدن كله يتالم بما يؤلم بعضه وفى نسخة ما آذاها (ألا وانى لا أحرم ما أحل الله ولكن لاتجتمع ابنة رسول الله وابنة عدوّ الله) وهى بنت أبى جهل واسمها جويرية وقيل غير ذلك (عند رجل أبدا) فلا ينبغى نكاحها على بنت حبيب الله والحديث يدل على ان أذية غيره اذا آذته تحرم أيضا كأذية فاطمة رضى الله تعالى عنها وكذا أذية أحد من أولادها والكلام عليه مفصل فى شروح البخارى وفضائل أهل البيت رضى الله تعالى عنهم (أو يكون هذا) المذكور وان قصد به الاذى (مما آذاه به كافر رجا) صلى الله تعالى عليه وسلم بصيغة الماضى أو مصدر منصوب وفى نسخة وجاء وسياتى ما فيها (بعد ذلك) الذى صدر منه من الاذية (اسلامه) فيعفو عنه استمالة له حتى يدخل فى دين الاسلام فاذا علم ذلك جاز له صلى الله تعالى عليه وسلم العفو عنه (كعفوه عن اليهودى الذى سحره) فى قصته التى تقدم تفصيلها وانه لبيد بن الاعصم فكان يرجو اسلامه (وعن الاعرابى الذى أراد قتله) صلى الله تعالى عليه وسلم وهو نازل تحت شجرة فى بعض أسفاره كما تقدم وتقدم انه أسلم (و) كعفوه (عن اليهودية التى سمته) الا انه اختلف فى قتلها (وقد قيل انه قتلها) ببشر بن البراء الذى مات من سمها (ومثل هذا) المذكور مما أوذى به (مما بلغه) وفى نسخة يبلغه (من أذية

أهل الكتاب والمنافقين) من ارباب الحجاب (وصفح عنهم) جملة حالية وفي نسخة فصفح عنهم أي اعرض عن اذاهم وتركهم على هواهم (رجاء استئلافهم) أي تألف أنفسهم (واستئلاف غيرهم بهم كما قررناه قبل) أي قبل ذلك على وجه التحقيق (وبالله التوفيق)

*(فصل) * (قال القاضي تقدم الكلام في قتل القاصد لسبه) أي المتعمد في شتمه (والازراء به) وفي نسخة والازدراء وهو بمعنى الاحتقار (وغمصه) بمعجمة ومهملة بينهما ميم ساكنة أي عيبه (باي وجه كان من ممكن وجوده (أو محال) بضم الميم أي ممتنع شهوده (فهذا وجه بين) أي ظاهر مكشوف (لا اشكال فيه) ولا توقف في قتل متعاطيه (الوجه الثاني لاحق به) أي ملحق بالوجه الاول (في البيان والجلاء) أي في الظهور وعدم الخفاء (وهو أن يكون القائل لما قال) من الكلام (في جهته عليه الصلاة والسلام غير قاصد للسب) أي للشتم على وجه الجفاء (والازراء) وفي نسخة الازدراء أي الاستحقار والاستخفاف والاستهزاء (ولا معتقد) بالجر وفي نسخة ولا معتقدا (له) أي لمضمون كلامه (ولكنه تكلم في جهته عليه الصلاة والسلام بكلمة الكفر) وفي نسخة بكلمة من الكفر أي من الفاظه كما بينه بقوله (من لعنه أو سبه أو كذبه أو اضافه ما لا يجوز عليه) أي نسبته اليه (أو نفي ما يجب) أي ثبوته (له مما هو في حقه عليه الصلاة والسلام نقيصة) أي منقصة ومذمة (مثل) بالرفع ويجوز نصبه أي نحو (ان ينسب اليه اتيان كبيرة) بصيغة المجهول والاظهر ان يكون بصيغة الفاعل أي ينسب القائل اليه اتيان كبيرة أي صدورها من قول أو فعل بخلاف صغيرة للاختلاف في جواز صدورها عنه (أو مداهنة) بالجر او النصب أي مصانعة

أهل الكتاب) من اليهود (والمنافقين) الذين جاوروه بالمدينة كابن سلول (فصفح عنهم) وعفا تكرما منه (رجاء استئلافهم) باستمالتهم للاسلام (واستئلاف غيرهم) أي بسبب ما يبلغه من كرمه صلى الله عليه وسلم وعفوه (كما قررناه قبل) أي قبل هذا فيما سبق في هذا الكتاب (وبالله التوفيق) هذا اما دعاء لنفسه في ختم كلامه كما هو عادة المصنفين أو هو تتمة لما قبله أي وما توفيق هؤلاء للايمان واستئلافهم الا بقدرة الله تعالى ولطفه أو هما مرادان معا * واعلم انه وقع في بعض النسخ بدل قوله رجا اسلامه وجاء بواو عاطفة بعدها جاء فعل ماض من المجيء فقال البرهان وتبعه بعض الشراح ان ظاهر عبارته تقتضي ان هؤلاء الثلاثة اسلموا اما الذي سحره صلى الله تعالى عليه وسلم وهو لبيد بن الاعصم فلا استحضر خلافا في انه لم يسلم ولم يعلم من قاله الا ماهنا واما الاعرابي الذي أراد قتله صلى الله تعالى عليه وسلم فهو غورث بن الحارث ولم يذكره أحد في الصحابة وقد قيل انه دعثور وقد تقدم ما فيه واما اليهودية التي سمته صلى الله تعالى عليه وسلم فهي زينب بنت الحارث ولم يذكرها احد في الصحابة وذكر شيخي الحافظ أبو جعفر الانصاري ان معمر بن راشد قال في جامعه عن الزهري انه قال انها أسلمت فتركها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال معمر كذا قال الزهري والناس يقولون انه قتلها ولم تسلم لكن رأيت في بعض النسخ رجا بعد ذلك اسلامه بالراء وهو الصواب والتي تقدمت تصحيف انتهى

*(فصل قال القاضي أبو الفضل) * عياض المصنف رحمه الله تعالى (تقدم الكلام في قتل القاصد لسبه) أي في حكمه واذيته فلا يحتاج لاعادته (والازدراء به) بتنقيصه (وغمصه) بغين معجمة مفتوحة وسكون الميم وصاد مهملة يليه ضميره صلى الله تعالى عليه وسلم والازدراء افتعال من ازدرى به اذا احتقره وعابه فابدلت تاؤه دالا لمجاورتها الزاي المعجمة كما بين في علم التصريف وقيل الازدراء العيب القليل وأكثر أهل اللغة فسروه بالعيب مطلقا (باي وجه كان) وباي طريق وقع في حقه (من ممكن وجوده (أو محال) ممتنع عادة أو عقلا أو شرعا والاول كبعض العوارض البشرية والثاني كنسبة الكذب ونحوه مما يمتنع شرعا بدلالة المعجزة على صدقه صلى الله تعالى عليه وسلم (فهذا) المذكور (وجه بين) مما قدمه و(لا اشكال فيه) ولا في حكمه من قتل متعاطيه (الوجه الثاني) في أمور تتعلق بما هو فيه (لاحق به) أي بما في الوجه الاول لكونه قريبا منه لمشابهته له (في البيان) أي الظهور (والجلاء) بكسر الجيم وفتحها أي الوضوح (وهو أن يكون القائل لما قال) ما فيه نقص ما (في جهته عليه الصلاة والسلام) أراد في حقه وعبر بالجهة اشارة لنزاهته عن الاتصال به فلله دره (غير قاصد) بما قاله (للسب والازدراء) أي الانتقاص والاستخفاف (ولا معتقد له) ولصحته (ولكنه تكلم في جهته صلى الله تعالى عليه وسلم بكلمة الكفر) التي يكفر بها (من لعنه أو سبه أو تكذيبه) في شيء مما جاء به (أو اضافة ما لا يجوز عليه) من نحو ما ذكر (أو نفي ما يجب له) على أمته من حقوقه وذلك كله (مما هو في حقه صلى الله تعالى عليه وسلم نقيصة مثل ان ينسب اليه اتيان كبيرة) وقد عصمه الله تعالى منها وعن سائر النقائص (أو مداهنة) أي مداراة للكفرة

(في تبليغ الرسالة) كما نفاها الله عنه بقوله فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك وضائق به صدرك ان يقولوا لولا انزل عليه كنز او جاء معه ملك (أو) مسامحة أو مساهلة (في حكم بين الناس) كما نفاها عنه في قوله تعالى انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله (أو يغض) بضم الغين وتشديد الضاد المعجمتين أي يخفض و ينقص (من مرتبته) العلية (أو شرف نسبه) الى آبائه واجداده الجلية من العيوب العرفية لا من الذنوب الشرعية فان عبد المطلب من اجداده مات في الجهالة بالاجماع وكذا جزم أبو حنيفة بان والدي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ماتا في الجهالة وكذا أبو ابراهيم عليه السلام من أهل الكفر اجماعا خلافا للشيعة وشرذمة قليلة من أهل السنة وقد كتبت في هذه المسألة رسالة مستقلة (أو وفور علمه) أي كثرته (أو زهده) من غير ضرورته (أو يكذب بما اشتهر به من أمور واخبر بها عليه الصلاة والسلام وتواتر الخبر بها) عنه (عن قصد لرد خبره) اذ لو انكر خبرا متواترا كفر بخلاف ما اذا انكر حديثا آحادا فان انكره فسق

ففي المحيط من انكر الاخبار المتواترة في الشريعة كفر مثل حرمة لبس الحرير على الرجال ومن انكر أصل الوتر وأصل الاضحية كفر وفي الخلاصة من رد حديثا قال بعض مشايخنا يكفر وقال المتأخرون ان كان متواترا كفر أقول وهذا هو الصحيح الا اذا كان رد حديث الآحاد من الاخبار على وجه الاستخفاف والاستحقار واما انكار الحديث المشهور فالجمهور من أصحابنا على انه يكفر الا عيسى بن ابان فان عنده يضلل ولا يكفر وهو الصحيح (أو يأتي بسفه من القول) أي بسفاهة في عبارة (أو بقبيح من الكلام) ولو باشارة (ونوع من السب) وما فيه من قلة الادب (في جهته) عليه الصلاة والسلام (وان ظهر بدليل (ولا) حاله) أي حال قائله (انه لم يعمد) أي لم يرد (ذمه) عليه الصلاة والسلام في مقاله (ولم يقصد سبه) لاعتقاده كماله لكن صدر عنه مقاله (اما الجهالة) بنعوت جماله (حملته على ما قاله أو لضجر) بفتحتين أي قلق من أمر غم ناله (أو منكر) محرم أو غيره (أو قلة مراقبة) في شانه (وضبط) أي وقلة ضبط (للسانه وعجرفة) أي مجازفة وقلة مبالاة في بيانه (وتهور في كلامه) أي سرعة في خلقه وجراءة في نطقه (فحكم هذا الوجه) الثاني (حكم الوجه الاول) وهو (القتل) أي قولا واحدا (دون تلعثم) أي توقف في بابه (اذ لا يعذر احد في الكفر بالجهالة) اذ معرفة ذات الله تعالى وصفاته وما يتعلق بانبيائه فرض عين مجملا في مقام الاجمال ومفصلا في مقام الاكمال نعم اذا تكلم بكلمة عالما بمبناها ولا يعتقد معناها يمكن ان صدرت عنه من غير اكراه بل مع طواعيته في تاديته فانه يحكم عليه بالكفر بناء على القول المختار عند بعضهم من ان الايمان هو مجموع التصديق والاقرار فباجرائها يتبدل الاقرار بالانكار اما اذا تكلم بكلمة ولم يدر انها كلمة كفر ففي فتاوي قاضيخان حكاية خلاف من غير ترجيح حيث قال قيل لا يكفر لعذره بالجهل وقيل يكفر ولا يعذر بالجهل أقول

(في تبليغ الرسالة أو) مداهنة للناس وهو (في حكم بين الناس أو يغض) بغين وضاد مشددة معجمتين أي ينقص نقصا قليلا (من مرتبته) أي شريف مقامه صلى الله عليه وسلم (أو) يغض و يطعن في شيء من (شرف نسبه) وهو كما قيل

لنسب كان عليه من شمس الضحى * نورا ومن فلق الصباح عمودا

(أو) يغض من (وفور علمه) أي كثرته وزيادته (أو من زهده) في الدنيا وأمورها (أو يكذب بما اشتهر من أمور أخبر بها) صلى الله تعالى عليه وسلم (وتواتر الخبر بها عنه) بحيث يحصل اليقين بها فيتكلم بخلافها (عن قصد لرد خبره) صلى الله تعالى عليه وسلم المتواتر قال ابن حجر وقوله وتواتر الخبر بها عنه أي لفظا وهو موجود خلافا لمن زعم نفيه أو معنى ولا ينظر في ذلك خلافا لمن زعمه (أو يأتي بسفه) أي خفة عقل وسوء أدب (من القول أو قبيح من الكلام ونوع من السب في جهته) أي في حقه صلى الله تعالى عليه وسلم (وان ظهر) لمن سمعه (بدليل) ظاهر (حاله انه لم يعتمد) أي لم يقصد (ذمه) بما قاله (ولم يقصد سبه) ولما كان مخالفة الظاهر غير ظاهرة قال (اما الجهالة) أي لشدة جهل قائله (حملته) أي جهالته لما صدر منه ما لا يعرفه لقرب عهده بالاسلام ونحوه (أو لضجر) أو قلق وضيق صدر حمله على مقالته (أو سكر اضطره اليه) وغيبة عقل فلا يعرف هذا بابه (أو قلة مراقبة) لله لكونه من أهل الخلاعة والفجور المعتاد لبذاءة اللسان (و) عدم (ضبط للسانه) اذا تكلم فجرى على عادته وسبقه لسانه لما قاله (وعجرفة) أي مجازفة وتكلم من غير تامل كما نشاهده من كثير من الجهلة (وتهور في كلامه) التهور الخروج عن الاعتدال بحدة لغضب ونحوه وكل شيء له مراتب ثلاثة المحمود منها أوسطها المشهور وهو الاعتدال وما نقص منه تفريط وما زاد تهور واصله هدم البناء حتى ينهار و يقع (فحكم هذا الوجه) الذي يلزم شرعا (حكم الوجه الاول) وحكمه كما تقدم (القتل دون) أي من غير (تلعثم) بمثناة في أوله ولام مفتوحتين وعين مهملة ساكنة ومثلثة مضمومة وميم أي توقف وتردد في وجوب قتله شرعا يقال تلعثم في الامر اذا مكث وتراخى وقد يقال تلعذم بذال معجمة بدلا أو أصلا أي يتبادر له بلا تامل فيه (اذ لا يعذر احد في الكفر بالجهالة) فانه يجب عليه علم أمور دينه وتعلمها

والاظهر الاول الااذا كان من قبيل مايعلم من الدين بالضرورة فانه حينئذ يكفر ولا يعذر بالجهل أقول وفي الخلاصة من قال انا ملحد كفر وفي المحيط والحاوي لان الملحد كافر ولو قال ماعلمت انه كفر لا يعذر بهذا أي في قضاء الظاهر والله أعلم بالسرائر (ولا بدعوى زلل اللسان) فيه ان الخطأ والنسيان وما استكره عليه الانسان عذر في معرض البيان (ولا بشيء مما ذكرناه) مما يظن انه يكون عذرا (اذ) وفي نسخة اذا (كان عقله في فطرته) أي خلقته وجبلته (سليما) بان لا يكون مجنونا ولا خرفا سقيما (الامن أكره وقلبه مطمئن بالايمان) كما هو مبين في القرآن (وبهذا) الوجه الثاني (أفتى الاندلسيون) بفتح الهمزة وضم الدال واللام وبفتحهما أي المالكيون من علماء الاندلس وهو اقليم معروف من المغرب (على بن حاتم) أي الطليطلي (في نفيه الزهد) أي الاختياري (عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الذي قدمناه) أي ذكره وأمره (وقال محمد بن سحنون) بفتح أوله ويضم ويصرف ولا يصرف (في الماسور) بايدي الكفار (يسب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) جملة حالية (في أيدي العدو) أي في تصرفهم أو فيما بينهم (يقتل الا ان يعلم تنصره) أي حدوث دخوله في مذهب النصارى (أو اكراهه) اما الثاني فظاهر ويدل عليه قوله تعالى من كفر بالله من بعد ايمانه الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم روى ان بني المغيرة أخذوا عمارا وغطوه في بئر ميمون وقالوا له اكفر بمحمد فتابعهم على ذلك وقلبه كاره فاتى عمار رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو يبكي فقال عليه الصلاة والسلام ماوراءك قال شر يارسول الله نلت منك وذكره قال كيف وجدت قلبك قال مطمئنا بالايمان فجعل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يمسح عينيه ويقول ان عادوا لك فعدلهم بما قلت واما الاول فقد قال الحلبي هذا الكلام ينبغي ان يسال عنه المالكية وقال الانطاكي أي الاان يكون معروفا بالبصارة تمنعه بصارته ومعرفته عن الحوم حول الحمى المنيع بالامر الشنيع انتهى وفيه ان السب هنالك من غير ان يكره عليه في ذلك مناف للتبصر سواء يكون معروفا به أم لا وقال التلمساني وكان النسخة عندهما بالباء الموحدة وانما هي والله أعلم بالنون أي الاان يعلم تنصره ولاشك ان المالكية يقولون اذا تنصر طوعا ثم وقع منه سب أو لعن أو كلام يعيب به النبي أو قذفه أو استخف بحقه أو غير صفته أو الحق به نقصا ثم راجع الاسلام أقول هنا بياض في الاصل ولم يعلم ان الحكم يقتل أو لا يقتل وعلى كل تقدير فيه اشكال اما على الاول فلانه ينافي الاستثناء وسياتي صريحا في كلام القاضي انه يجب قتله واما على الثاني فلانه قد تقدم ان من سب النبي يقتل مسلما كان أو كافرا والذي يظهر لي ان المعنى الاان يعلم تنصره قبل ذلك وانه ماصح ايمانه هنالك بان كان منافقا أو مزورا أو مرائيا أو جاسوسا ثم لما أسر أظهر سبه عليه الصلاة والسلام ثم رجع الى الاسلام فانه حينئذ لا يقتل ففي مختصر

(ولا) يعذر أيضا (بدعوى زلل اللسان) وخطيئة في مقاله (ولا) يعذر (بشيء مما ذكرناه) من الضجر والتهور والسكر ونحوه كما سمعته آنفا (اذا كان عقله في فطرته) أي ابتداء خلقه وجبلته التي ولد عليها (سليما) من الآفات وعنده من العلم مايمنعه من الوقوع في الكفر فلذا لم يعذر (الامن اكره) على الكفر فنطق به (وقلبه مطمئن بالايمان) أي قادر عليه مذعن منقاد مصدق يقينا من غير ريبة فيه وتردد والاكراه حمل الغير على مالا يريده وهو ملجئ وغير ملجئ والكلام عليه مفصل في كتب الفقه والاصول فاذا تكلم بكلمة كفر مكرها لم يكفر وهذه رخصة من الله تعالى من بها على عباده المؤمنين وقوله اذ لا يعذر بالجهالة مقيد بمن نشا مسلما في دار الاسلام فلو كان قريب عهد به أو نشا ببادية لم يخالط غيره عذر لانه يخفى عليه علم ذلك ولذا قال ابن حجر بعد سياق كلام المصنف وماذكره ظاهر موافق لقواعد مذهبنا اذ المدار في الحكم بالكفر على الظواهر ولا نظر للمقصود والنيات ولا نظر لقرائن حاله نعم يعذر مدعي الجهل ان عذر لقرب عهده بالاسلام أو بعده عن العلماء كما يعلم من كلام الروضة انتهى وأقحم لفظ دعوى في قوله دعوى زلل اللسان لان مراده انه اذا تكلم بذلك وشهد ظاهر حاله على قصده ثم قال انما قلته زللا لا يقبل منه قوله فلا يرد عليه انه رفع عن هذه الامة الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه كما في الآية والحديث الصحيح وكذا يقيد انكار ماتواتر بان يكون مما يعلم ضرورة من الدين كانكار وجوب الصلاة بخلاف مالو جحد احدى زوجاته صلى الله تعالى عليه وسلم ونحوه (وبهذا أفتى) من العلماء المالكية (الاندلسيون) نسبة الى الاندلس بفتح الهمزة والدال وضمها اقليم معروف تقدم بيانه (على بن حاتم) مفعول أفتى وتقدم بيان حاله (في نفيه الزهد عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) وأفتوا بقتل قائله (الذي قدمناه) في هذا الباب (وقال محمد بن سحنون) تقدم بيانه وبيان أبيه أيضا (في الماسور) الذي أسره الكفار بدار الحرب (يسب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) في حال أسره (في أيدي العدو) الكفار أي وفي دارهم وتصرفهم (يقتل) هذا مقول ابن سحنون ولا يعذر بكونه أسيرا (الاان يعلم تنصره) بنون وصاد مهملة أي انه ارتد ودخل في دين النصارى (أو اكراهه) أي يعلم

العلامة خليل المالكي الا ان يسلم الكافر قال شارحه المشهور بحلولو واختلف في الذمي اذا سب أحدا من الانبياء ثم أسلم هل يدرأ عنه القتل باسلامه فقال مالك في الواضحة والمبسوط وابن القاسم وابن الماجشون وابن عبد الحكم وأصبغ ان أسلم ترك قال أصبغ وسحنون لا يقال له أسلم ولكن ان أسلم فذلك له توبة وحكى القاضي أبو محمد في ذلك روايتين انتهى واما على نسخة تبصره بالموحدة فلا يبعد ان يراد به الفرق بين المتبصر بالدين من العلماء المتقين وبين الفسقة والجهلة بمراتب اليقين فان الثاني يحتاج الى العلم باكراهه ببينة أو قرينة بخلاف الاول فان الظن به في مقام يقينه ان لا يقع له سب الا بعد تحقق اكراهه فيقبل قوله ويتفرع عليه ابانة امرأته منه وعدمها والله سبحانه وتعالى أعلم ومن فروع هذه المسئلة عندنا لو قالت زوجة أسير تخلص انه ارتد عن الاسلام وبنت منه فقال الاسير اكرهني ملكهم بالقتل على الكفر بالله تعالى ففعلت مكرها فالقول لها ولا يصدق الاسير الا بالبينة (وعن محمد بن زيد لا يعذر أحد بدعوى زلل اللسان في مثل هذا) الشان ولعل وجهه سد الذريعة لفساد أهل الزمان (وأفتى أبو الحسن القابسي) بكسر الموحدة (فيمن شتم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في سكره يقتل لانه يظن به انه يعتقد هذا أو يفعله) أي ويقول مثله (في صحوه) فان كل اناء يترشح بما فيه وهذا بناء على سوء الظن به مع انه لا يلزمه اذ السكران قد يقصد أمه وبنته ونحوهما في حال سكره مع انه لا يظن به انه يفعله حال صحوه (وأيضا فانه حد لا يسقطه السكر كالقذف والقتل وسائر الحدود) الفارقة بين الحلال والحرام المانعة من قربان الحرام كالزنا والمرتب عليه كالرجم (لانه أدخله على نفسه) باجترائه على نبيه ما لا يليق به (لان من شرب الخمر على علم) أي مع علمه بما يترتب عليها (من زوال عقله بها واتيان ما ينكر) صدوره (منه بسببها فهو كالعامد لما يكون بسببه) القتل (وعلى هذا ألزمناه الطلاق) على خلاف فيه بين علمائنا والصحيح وقوعه تأكيدا للزجر (والعتاق والقصاص والحدود) كالقطع بالسرقة

انهم اكرهوه على السب فقوله يقتل أي من غير ان يستتاب فان ارتد ثم سب لا يقتل البتة بل يستتاب فان تاب ترك والا قتل وكذا الو علم اكراهه لم يقتل أيضا فان لم يعلم ذلك وقال كنت مكرها ففيه خلاف (تنبيه) قال البرهان رحمه الله تعالى في قوله الا ان يعلم تنصره الخ هذا كلام ينبغي ان يسئل عنه المالكية وينص عليه ليسئل وهو محل الاخفاء فيه وشديه انه وقع عنده تبصره بالباء الموحدة فظن ان معناه يعرف بالبصارة فلا يحوم حول الحمى المنيع بامر شنيع وانما هو بالنون فانه عند المالكية ان الاسير اذا ارتد وسب وقذف ثم رجع للاسلام فهو في حكم المرتد كما بينا ولو قيل انما مراده ان تفصيل هذه المسئلة لم يحضره وحسن الظن به كان أليق الا ان يقال ان له رواية فيه وهو بعيد (وعن أبي محمد بن أبي زيد) صاحب الرسالة الامام المالكي المشهور (لا يعذر أحد بدعوى زلل اللسان) بكفر نطق به كما تقدم بيانه آنفا (في مثل هذا) أي قذف النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقد يعذر في غيره وقال ابن حجر بعد ما مر عنه ويعذر أيضا فيما يظهر بدعوى سبق اللسان بالنسبة لدرء القتل عنه وان لم يعذر فيه بالنسبة لوقوع طلاقه وعتقه والفرق ان ذلك حق الله تعالى وهو مبني على المسامحة بخلاف هذين (وأفتى أبو الحسن القابسي) تقدم بيانه (فيمن شتم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في سكره) وغيبة عقله بانه (يقتل لانه يظن به انه يعتقد هذا ويفعله في) حال (صحوه) الصحو عبارة عن حضور العقل وعدم غيبته بسكر وغيره وصحو السماء خلوها من الغيم المانع لظهور الشمس والكواكب وهذا مثله لستر السكر بالابخرة المتصاعدة للرأس باثارة الحرارة لما عقله والمراد اذا سكر غاب فلا يستر ما يضمره ويخفيه عن غيره من خير أو شر كما قيل

الراح كالريح ان مرت على عطر * طابت وتخبث ان مرت على الجيف

والى هذا أشار المصنف بقوله (وأيضا فانه حد لا يسقطه السكر) لانه متعد بسببه فلا يعذر به (كالقتل والقذف وسائر الحدود) لا تسقط بالسكر كما هو مقرر في الفروع (لانه أدخله على نفسه) أي هو الذي شرب باختياره فسكر سكرا أوجبه فلا يعذر كمن أغمي عليه أو جن فهذا لانه لم يصبه باختياره فيؤاخذ به (لان من شرب الخمر على علم) أي تيقن ذلك حتى كأنه مستقل عليه ففيه استعارة تبعية كقوله تعالى على هدى (من زوال عقله) بسبب سكره (بها) أي بالخمر فانها مؤنثة سماعا (واتيان ما ينكر منه) من الافعال القبيحة (فهو كالعامد) القاصد لفعله بعد سكره لتعمده الشرب الذي يعلم انه سببه وتعمد السبب لتعمد مسببه (لما يكون بسببه) من كل جناية وأمر منكر فلذا يؤاخذ به شرعا (وعلى هذا) أي ولاجل هذا المذكور أو على هذا القول (ألزمناه الطلاق) فيقع طلاق السكران (والعتاق) أي عتقه في سكره (والقصاص) اذا قتل في سكره (و) ألزمناه سائر (الحدود) كحد القذف والزنا والسرقة قيل عليه ان ظاهره ان غير الحدود ساقط عنه وليس كذلك فانه مؤاخذ بجميع أقواله وأفعاله وليس كما قال فان بعض تصرفاته غير صحيحة ولا يلزم من مؤاخذته ان يكون مكلفا وان نقل عن الشافعي فيه خلاف فان الصحيح كما قرره ابن الحاجب في أصوله انه غير مكلف ولا يرد على قوله تعالى لا

(ولا يعترض على هذا) الذى ذكره من ان السكران يؤاخذ بما صدر عنه حال سكره (بحديث حمزة) أى ابن عبد المطلب الذى رواه الشيخان عن على رضى الله تعالى عنه ان حمزة قبل ان تحرم الخمر كان فى شرب و بفناء الدار شارفان لعلى أراد ان ياتى عليهما باذخر يبيعه ليستعين بثمنه على تزوج فاطمة رضى الله تعالى عنهم وعند حمزة وأصحابه جارية تغنيهم فقالت

* ألا ياحمز بالشرف النواء * فخرج اليهما فبقر خواصرهما وجب اسنمتهما فاخبر على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فجاءه فلما رآه حمزة صعد نظره اليه وخاطبه بما لا يليق لديه كما بين المصنف بعضه بقوله (وقوله) أى و بقوله حمزة (للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أى ومن معه كعلى (وهل أنتم الاعبيد لابى فعرف النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه) وفى نسخة انما هو (ثمل) بفتح المثلثة وكسر الميم أى سكران (فانصرف) عنه ولم يؤاخذه بما صدر منه (لان الخمر كانت حينئذ غير محرمة) بل كان هذا سببا لتحريمها (فلم يكن فى جناياتها اثم وكان حكم مايحدث منها) من سكر من شرب منها (معفوا عنه كما يحدث من النوم وشرب الدواء المامون) العاقبة ولهذا لما أم على رضى الله تعالى عنه فى حال سكره وقد قرأ أعبد ما تعبدون سومح فى أمره

(فصل) (الوجه الثالث ان يقصد) أى أحد من الانام (الى تكذيبه عليه الصلاة والسلام فيما قال) أى فيما تواتر عنه من الكلام (أو أتى به) أى من أحكام اسلام التى أجمع عليها الاعلام (أو ينفى نبوته) مطلقا (أو رسالته) الى غير العرب مثلا (أو وجوده) فى عالم شهوده (أو يكفر به) أى يتبرأ منه سواء (انتقل بقوله ذلك) وخروجه عن الاسلام هنالك

لاتقربوا الصلاة وأنتم سكارى انه مكلف بالصلاة ومنهى عنها فان نهيه انما هو عن سكره وهو أمر بازالة ما يمنعه منها كما يؤمر من عليه نجاسة أو حدث بها لاستلزامه ازالة ما نعها فهو كقوله تعالى ولا تموتن الا وأنتم مسلمون وهذا ليس خطاب تكليف وانما هو خطاب وضع كما قاله ابن الحاجب فلا اشكال فيه أصلا ولا حاجة لما قيل عليه (ولا يعترض على هذا) المذكور من ان السكران يؤاخذ بما صدر عنه حال سكره لتعديه بتعاطى سببه (بـ) ما رواه البخارى ومسلم وغيرهما من (حديث حمزة) بن عبد المطلب عم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وسيد الشهداء (وقوله) أى حمزة رضى الله تعالى عنه وهو سكران (للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم) وقد جلس يشرب وعند داره ناقتان لعلى يريد ان يحمل عليهما اذخرا لحاجة له وعنده قينة تغنيه * ألا ياحمز بالشرف النواء * فخرج ونحرهما وجب سنامهما ليأكلوه على شرابهم فاخبر على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك فجاءه فلما رآه حمزة رضى الله تعالى عنه صعد نظره اليه وقال له (هل أنتم) معاشر قريش (الا عبيد لابى) فكل مالكم يحل لى وهذا فيه ما ينكر فى حق النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (قال فعرف النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه) أى حمزة (ثمل) بفتح الثاء المثلثة وميم مكسورة قبل لام أى سكران زائل العقل ولذا فعل ما فعل وقال ما قال (فانصرف) صلى الله تعالى عليه وسلم عنه ولم يؤاخذه بما قاله فى سكره وهذا ينافى ما قدمه (لان الخمر كانت حينئذ) أى حين شربها حمزة (غير محرمة) على المسلمين حتى نزلت الآية فيها (فلم يكن فى جنايتها) أى فيما يجنيه شاربها (اثم) لعدم تعديه بتعاطى سبب محرم (وكان حكم مايحدث عنها) أى عن شربها والسكر منها (معفوا عنه) لحل سببه (كما يحدث) من بعض الجنايات الحادثة (من النوم) أى بسبب النوم (وشرب الدواء) المزيل للعقل وما يحدث عنه من الجنايات (المامون) أى الذى يأمن شاربه من ضرره وازالة عقله اذا أزال عقله من غير علم بانه يزيله فانه اذا أزاله فوقع منه أمر من الامور لم يترتب عليه ما لم يكلف بالنهى عنه بخطاب الوضع فلا فرق بينه و بين النائم فى أنه غير مكلف بضمان و جناية أصلا وقيده بالمامون لان ما يعلم ضرره لا يجوز تناوله فان غاب به عقله فحكمه حكم السكران أصلا وقد قيل عليه ان كلامه يقتضى ان علة عدم المؤاخذة كونه غير محرم دون غيبوبة العقل الذى هو مناط التكليف وكونه من خطاب الوضع لا بد له من دليل وهو كلام لا طائل تحته كما يعرفه من له أدنى تامل وما قيل من ان الخمر وان لم تحرم حينئذ فالسكر حرام فقد قيل انه لم يصح نقله وان اشتهر فيه تامل وكون حمزة رضى الله تعالى عنه ضمن لعلى ثمن ناقتيه أو لم يضمن لا يهمنا هنا والقصة مفصلة فى الشروح

(فصل الوجه الثالث) فيما وقع من سبه صلى الله تعالى عليه وسلم أو أذيته وتنقيصه (ان يقصد) أحد من الناس (الى تكذيبه) صلى الله تعالى عليه وسلم ان يتعمد نسبته الى الكذب (فيما قاله) وقصد يتعدى بنفسه وباللام والى كما فى القاموس (أو) يقصد تكذيبه (فيما اتى به) أى أوحى اليه وأمر بتبليغه للناس (أو ينفى نبوته) أى يقول أنه صلى الله عليه وسلم ليس بنبى (أو) ينفى (رسالته) بان يقول ليس برسول من الله (أو وجوده) فى زمن من الازمنة (أو يكفر به) سواء (انتقل بقوله ذلك)

(الى دين آخر) من التهود أو التنصر أو التمجس (غير ملته) استثناء لمجرد تأكيد فى قضيته (أم لا) أى أم لم ينتقل الى دين بان صار ملحدا أو زنديقا أو دهريا أو تناسخيا مما لا يسمى دينا عرفيا وان كان ماذكر دينا لغويا (فهذا كافر بالاجماع يجب قتله) من غير النزاع (ثم ينظر) أى فى أمره هنالك (فان كان مصرحا بذلك) أى معلنا غير مستتر (كان حكمه أشبه بحكم المرتد وقوى الخلاف) أى خلاف أصحاب مالك (فى استتابته) أى قبول توبته (وعلى القول الآخر) بكسر الخاء أى المعتبر الناسخ للقول الاول (لا تسقط القتل عنه توبته) فيقتل حدا (لحق النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان كان) الملعون (ذكره) عليه الصلاة والسلام

الذى كفر به (الى دين آخر) بان تهود أو تنصر (غير ملته أم لا) أى لم ينتقل لملة أخرى (فهذا كافر باجماع) من المسلمين وأصحاب المذاهب (يجب قتله) من غير خلاف وانما الكلام فى توبته فلذا قال (ثم ينظر) فى حاله ومقاله (فان كان مصرحا بذلك) الامر الذى كفر به (كان حكمه) الجارى عليه شرعا (أشبه بحكم المرتد) وانما جعله أشبه بالمرتد لانه لم يتعين أمره (وقوى الخلاف فى استتابته) أى فى انه هل يستتاب وتقبل توبته أم لا كما تقدم (وعلى القول الآخر) القائل بانه يستتاب (لا يسقط القتل عنه بتوبته) لانه حد لا يسقط بالتوبة كالقذف والسرقة لكنه يثبت له حكم المسلمين فى ميراثه ودفنه فى مقابر المسلمين (لحق النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) لان حق العبد لا يسقط بالتوبة وانما يسقط بها حق الله تعالى (ان كان ذكره بنقيصة) أى بنسبته لامر فيه نقص له صلى الله تعالى عليه وسلم وهو أكمل الخلق وأعظمهم (فيما قاله) هذا المذكور (من كذب أو غيره) مما نسبه له (وان كان مستترا بذلك) أى بما قاله من تنقيصه أى مخفيا لما قاله فهو افتعال من الستر وفى نسخة مستسرا افتعال من السر والاسرار المقابل للاعلان كما هو مقابل هنا للتصريح فى كلامه ومن فسره بالسر ورأى داسر ور فقد حرف وأخطأ (فحكمه حكم الزنديق) الذى يظهر الاسلام ويبطن الكفر بخلاف المرتد (لا يسقط قتله التوبة عندنا) أى فى مذهب مالك رحمه الله تعالى (كما سنبينه) ونوضحه تفصيلا لاحكامه وهذا مذهب مالك وفيه خلاف لغيره مفصل فى كتب الفقه (وقال أبو حنيفة وأصحابه) كالامام محمد وأبى يوسف وغيرهما (من برئ) بزنة علم مهموز من التبرى أى من تبرأ (من محمد) صلى الله عليه وسلم بان قال أنا برىء منه أى تارك له ولدينه غير معترف به ولا متبع ولا ممتثل لامره ونهيه (أو كذبه) أى قال انه كاذب فيما ادعاه وفى نسخ أو كذب به (فهو مرتد) عن دينه بمقالته هذه (حلال الدم) أى دمه هدر حلال اراقته وهو عبارة عن لزوم قتله شرعا (الا ان يرجع) عما قاله فيتوب ويعترف بخلاف ما كان قاله أولا فهو عنده حكمه حكم المرتد فتقبل توبته لقوله تعالى ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف ولحديث اذا قالوا عصموا منى دماءهم وأموالهم الآتى وأحكام المرتد عندنا مفصلة فى كتب الفقه غنية عن البيان (وقال ابن القاسم) عبد الرحمن المصرى الامام المشهور صاحب مالك (فى المسلم) أى فى حق الرجل المسلم (اذا قال ان محمدا) صلى الله عليه وسلم (ليس بنبى أو لم يرسل) من الله للناس كافة (أو لم ينزل عليه قرآن) ووحى من الله (وانما هو شئ تقوله) أى شئ وأمر افتراه على الله تعالى وهو صلى الله عليه وسلم جاءه الله منه وما ينطق عن الهوى وقد أتى بملته البيضاء النقية فمن قال مثل هذا يستحق ان (يقتل) ويلعن فى الدارين (قال) أى ابن القاسم (ومن كفر برسول الله) بانكار نبوته ورسالته صلى الله تعالى عليه وسلم (وأنكره من المسلمين) بان أنكر وجوده كما تقدم وأما الكفار فحكمهم سيأتى وقيده به لقوله (فهو) فى أحكامه (بمنزلة المرتد) يقتل ان لم يتب (وكذلك) الحكم فى

(بنقيصة فيما قاله) هذا المنتقص (من كذب) فى حقه (أو غيره) بتغيير فى نعته وأمره (وان كان مستترا) من التستر تفعل مأخوذ من الستر ضد الاخفاء وفى نسخة مستسرا بتشديد الراء من الاستسرار استفعال من السر ضد الكتم لا من السرور كما وهم الدلجى (فحكمه حكم الزنديق) أى الاصلى (لا تسقط قتله التوبة عندنا) أى معشر المالكية قولا واحدا (كما سنبينه) أى قريبا (قال أبو حنيفة وأصحابه من برئ من محمد) أى تبرأ منه واعرض عنه (أو كذبه) أى فى نبوته وفى نسخة أو كذب به أى بوجوده أو بكرمه وجوده وظهور نور شهوده (فهو مرتد حلال الدم) أى قبل توبته (الا ان يرجع) عن براءته ولو بعد استتابته (وقال ابن القاسم) أى المصرى صاحب مالك (فى المسلم اذا قال ان محمدا ليس بنبى (من أو لم يرسل) الى الثقلين كافة (أو لم ينزل عليه قرآن وانما هو شئ تقوله) أى افتراه واختلقه (يقتل) وهذا مجمع عليه (قال) أى ابن القاسم (ومن كفر برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأنكره) الواو بمعنى أو (من المسلمين) أى أحد منهم ولا يبعد أن يكون المعنى وأنكر كونه من المسلمين (فهو بمنزلة المرتد) أى يقتل ان لم يتب وكان الاولى ان يقول فهو مرتد او فيجرى عليه حكم المرتد وهذا اذا كان معلنا لا مخفيا (وكذلك

من أعلن بتكذيبه) أي أظهره جهرا (انه كالمرتد يستتاب) فان تاب والاقتل وهذا مما الاخلاف فيه الاعند بعض المالكية (وكذلك قال) أي ابن القاسم (فيمن تنبا) أي ادعى انه نبي (وزعم انه يوحى اليه) انه كالمرتد يستتاب (وقاله) أي مثل مقال ابن القاسم (سحنون) وهو بفتح السين وضمها وأغرب الدلجي بقوله وقد يكسر ثم هو فعلون ولذا صرف وقد يمنع بناء على مذهب الفارسي في جعل مطلق المزيدتين علة (قال ابن القاسم دعا الى ذلك) أي الى انه نبي (سرا أو جهرا) فانه يكون كالمرتد وكان مقتضى ما سبق انه اذا دعا سرا يكون كالزنديق فيحتاج الى فرق في مقام جمع التحقيق والله ولي التوفيق (وقال اصبغ) أي ابن الفرج (وهو) أي من زعم انه غير نبي (كالمرتد لانه قد كفر بكتاب الله تعالى) حيث قال تعالى في حق نبينا عليه الصلاة والسلام انه خاتم النبيين (مع الفرية) بكسر الفاء أي الافتراء (على الله تعالى) قال تعالى ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحي الي ولم يوح اليه شئ (وقال اشهب) أي ابن عبد العزيز المصري (في يهودي) أي مثلا (تنبا) أي ادعى انه نبي في حق نفسه (أو زعم انه أرسل الى الناس) في أمره ونهيه (أو قال بعد نبيكم نبي) أي يوجد بان يولد أو نبي ناسخ لدين محمد لئلا يشكل بعيسى عليه الصلاة والسلام ولكن اليهودي لم يقصد ذلك وانما يتصور من النصراني هنالك (انه يستتاب ان كان معلنا بذلك) بخلاف ما اذا كان مخفيا فانه معتقده هنالك (فان تاب) من اعلان مثل هذا المقال (والاقتل) في الحال (وذلك) أي قتله (لانه مكذب للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم في قوله) كما رواه الثقات (لا نبي بعدي) الاولى ان يستدل بقوله تعالى ولكن رسول الله وخاتم النبيين لان الحديث ما ثبت متواترا ليفيد اليقين ولا مشهورا عند المحدثين وان كان مشتهرا على ألسنة المؤمنين (مفترعلى الله تعالى في دعواه عليه الرسالة والنبوة) أي احداهما (وقال محمد بن سحنون من شك في حرف) أي من تردد في صحة حرف في القرآن (مما جاء به محمد صلى الله تعالى عليه وسلم عن الله) أي وثبت مجيئه به متواترا (فهو كافر جاحد) أي معاند ملحد وكان الاظهر ان يقول من أنكر لان من توقف في بعض الحروف المختلفة بين القراء السبعة وان كانت كلها متواترة ولم يدر جزما بانه مما جاء به عن الله تعالى أم لا لا يحكم بكفره فان كثيرا من الناس اذا ترددوا في كلمة يراجعون القراء العارفين بالقراءة ولا يقال مراده بالحرف هو المجمع عليه فان الاشكال باق

(من أعلن بتكذيبه) أي أظهره جهرا (فهو كالمرتد يستتاب) أي تقبل توبته فان لم يتب قتل (وكذلك قال) ابن القاسم (فيمن تنبا وزعم انه) نبي (يوحى اليه) أي يقتل ان لم يتب ومحل ذلك اذا زعم انه يوحى اليه بنزول الملك عليه والافالذي ينبغي انه لا يكفر كما قاله ابن حجر (وقاله) أي ذهب الى مثله من أئمة المالكية (سحنون) تقدم بيانه وان المشهور فيه ضم أوله وقد قيل انها تفتح وتكسر فهو مثلث فعلون أو فعلول من السحنة وهي بشرة الوجه ولونه وهيئته وانه ممنوع من الصرف للعلمية وشبه العجمة كما قاله أبو العلاء المعري في شرح ديوان البحتري (وقال ابن القاسم) فيمن تنبا انه كالمرتد سواء كان (دعا الى ذلك) أي الى متابعة نبوته (سرا) كان (أو جهرا) كمسيلمة لعنه الله (وقال أصبغ) بن الفرج (هو) أي من زعم انه نبي يوحى اليه (كالمرتد) في أحكامه (لانه قد كفر بكتاب الله) لانه كذبه صلى الله تعالى عليه وسلم في قوله انه خاتم النبيين ولا نبي بعده (مع الفرية على الله) بكسر الفاء أي الكذب عليه بقوله ان الله أوحى الي وأرسلني (وقال أشهب في) حق (يهودي تنبا) أي زعم انه نبي (وزعم انه أرسل) من الله (الى الناس) ليبلغهم عن الله (أو قال) وزعم (ان بعد نبيكم نبي) سيأتي من الله بشريعة فقال انه (يستتاب) كالمرتد (ان كان معلنا بذلك) أي مظهرا له لا اذا أخفاه (فان تاب) ورجع عما قاله (والاقتل) ان لم يتب (وذلك) أي قتله (لانه مكذب للنبي صلى الله عليه وسلم في قوله) الذي نقله عنه الثقات (لا نبي بعدي) أي لا ينبا أحد بعد نبوتي (مفتر) متعمد للكذب فيما زعمه (على الله في دعواه الرسالة والنبوة) لانه بقوله ان الله أوحى اليه دخل في قوله تعالى ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا وهذا الحديث رواه البخاري رحمه الله تعالى وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم لعلي لما استخلفه على المدينة في غزوة تبوك وقال له أتتركني في النساء والصبيان اما ترضى ان تكون مني بمنزلة هارون من موسى الا انه لا نبي بعدي اما عيسى ابن مريم عليه السلام فلم ينبا بعده وانما يجيء تابعا له صلى الله عليه وسلم ومؤيدا لدينه حاكما بشرعه في آخر الزمان أربعين سنة * فان قلت ما تقول في قول الغزالي في كتاب الانتصار ان بعضهم أول قوله خاتم النبيين بان معناه خاتم أولي العزم منهم ويكفي نقل القرطبي له قلت * قالوا في الجواب عنه ان كتابه هذا عقده لبيان أقوال الملحدين فذكر هذا لينبه على فساده وانه مما لا يلتفت له نعم تركه أولى من ذكره فان تعبيره بالنبيين دون المرسلين مناف له (وقال محمد بن سحنون) تقدم بيانه (من شك في حرف مما جاء به النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عن الله) أي في شئ مما أوحي به اليه وعبر بالحرف مبالغة (فهو كافر جاحد) لشكه في الوحي المتواتر والجحد الانكار لما يعلمه عنادا وعتوا ولا يرد على هذا من أنكر البسملة في أول السورة فانه لا ينكر قرآنيتها أو المراد انكار ما لم

يختلف فيه واما ما ينقل عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه من ان المعوذتين ليستا من القرآن فهو غير صحيح بالاتفاق وانما غلط واقيه لعدم كتابتهما في مصحفه اعتمادا على شهرتهما * فان قلت فهل هنالك جواب على تقدير الصحة * قلت الجواب عنه انه لم يستقر الاجماع عنده انكاره على كونهما قرآنا واما الآن فقد استقر وصارت قرآنيتهما معلومة من الدين بالضرورة فيكفر نافيهما عاميا كان أو مخالطا للمسلمين وسيأتي آخر الكتاب عن محمد بن سحنون هذا فيمن قال المعوذتان ليستا من كتاب الله انه يضرب عنقه الا ان يتوب مع الكلام عليه بابسط مما هنا (وقال) أي ابن سحنون (من كذب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي نسبه للكذب أو أنكر شيئا مما جاء به (كان حكمه عند الامة القتل وقال أحمد ابن أبي سليمان صاحب سحنون) الذي تقدمت ترجمته (من قال ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) كان لونه (أسود قتل) لكذبه على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولون السواد يزري ففيه تحقير واهانة له أيضا (اذ لم يكن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أسود) وانما كان أزهر اللون موردا كما تقدم في حديث الحلية الطويل وقال بعض المتأخرين كلامه يوهم ان مجرد الكذب عليه في صفة من صفاته كفر يوجب القتل وليس كذلك بل لا بد من ضميمة ما يشعر بنقص في ذلك كما في مسئلتنا هذا لان الاسود لون مفضول انتهى وقد علمت انه لا فرق لان اثبات صفة له صلى الله تعالى عليه وسلم غير صفته لا تكون الا مشعرة بنقص لان صفاته لا يتصور أكمل منها بل كل ما أثبت له غيرها كان نقصا بالنسبة لها فالاعتراض حينئذ ليس في محله (وقال نحوه) أي مثل هذا (أبو عثمان الحداد) كان أولا مالكيا ثم صار شافعيا وهذا لقبه واسمه سعيد (قال لو قال) أحد (انه) صلى الله تعالى عليه وسلم (مات قبل ان يلتحي) صغيرا (أو انه كان) مقره ومسكنه (بتاهرت) الباء جارة بعدها مثناة فوقية وألف وهاء مضمومة أو مفتوحة وراء مهملة ساكنة وتاء مثناة فوقية أخرى وهو اسم فلاة أو مدينة بنواحي تلمسان منها بكر بن حماد التاهرتي وهي بالمغرب بها قوم من العرب نزلوها كما ذكره المسعودي في أخبار الزمان وقيل انها نهاية المعمورة من المغرب (و) قال انه صلى الله تعالى عليه وسلم (لم يكن بتهامة) بكسر التاء اسم لكل ما نزل عن نجد من بلاد الحجاز وقال ابن قرقول انها ماخوذة من التهم بفتح التاء والهاء وهو شدة الحر وركود الريح أو بمعنى التغير من تهم الدهن اذا تغير ريحه سميت بذلك لتغير هوائها (قتل) من قال انه مات قبل ان يلتحي أو لم يكن بتهامة من الحجاز (لان هذا) المذكور وان لم يتعين انه سب لكن هو (نفي) لوجود النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لنفيه صفته المعروفة قال ابن حجر وما قاله متجه وأبعد الدلجي حيث قال أي ابن أبي سليمان

على حاله اذ لا يخلو قارئ عن تردد في حرف من حروفه نعم من شك في حرف مع علمه بأنه من القرآن فلا شك انه كافر (وقال) أي ابن سحنون (من كذب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي مطلقا (كان حكمه عند الأمة) أي جميعهم (القتل) وانما الخلاف في انه هل يستتاب ولو بالاستمهال أم لا بل يقتل في الحال (وقال أحمد ابن أبي سليمان صاحب سحنون من قال ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أسود قتل لم يكن عليه الصلاة والسلام بأسود) بل كان أبيض كأنما صيغ من فضة رواه الترمذي في الشمائل عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه وفي رواية مسلم والترمذي عن أبي الطفيل كان أبيض مليحا وفي رواية البيهقي في الدلائل عن علي رضي الله تعالى عنه كان أبيض مشربا بالحمرة يعني لا انه أبيض أمهق وهو البياض المشبه بالجص المكر وعند أكثر الطباع السليمة والحاصل ان بياض لونه ثابت في الاخبار الصحيحة والآثار الصريحة مختلفة في المبنى متواترة في المعنى فمن قال في حقه انه كان أسود يكفر حيث وصفه بغير نعته الموجب لنفيه وتكذيبه لكن قد يعذر قائله اذا كان جاهلا بوصفه عليه الصلاة والسلام لاسيما اذا كان من العوام الا اذا أراد به تنقيصه واستهانته عليه الصلاة والسلام وهذا يختلف باختلاف العرف بين الأنام اذ السواد مرغوب بين الحبشة والهنود كما ان البياض مطلوب عند العرب والاعجام والاروام (وقال نحوه) أي مثل مقال ابن أبي سليمان (أبو عثمان الحداد قال) أي أبو عثمان (لو قال) أي أحد من المسلمين (انه مات) قبل ان يلتحي أي قبل ان تنبت لحيته (أو انه كان بتاهرت) وفي نسخة بتهرت وهو بمثناة فوقية في أوله وآخره وبفتح الهاء وسكون الراء مكان بأقصى المغرب قيل هو آخر العمارة (ولم يكن بتهامة) بكسر أوله أي مكة أو أرض الحجاز (قتل لان هذا نفي) متضمن لوجوده وظهور كرمه وجوده ثم القولان كلاهما مخالف للكتاب والسنة المشهورة اما بطلان القول الاول فيستفاد من قوله تعالى قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله أفلا تعقلون واما بطلان القول الثاني فيستفاد من قوله تعالى لتنذر أم القرى ومن حولها والمراد بأم القرى مكة بالاجماع واما بطلانهما من الحديث فقد ثبت انه عليه الصلاة والسلام بعث على رأس أربعين سنة فأقام بمكة ثلاث عشرة وبالمدينة عشرا وتوفي وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء

(قال حبيب بن ربيع تبديل صفته) أى المشهورة (ومواضعه) أى المأثورة بغيرهما (كفر) به ونفى لوجوده (والمظهر له) أى لتبديلهما (كافر) أى ابتداء أو مرتد أى انتهاء (وفيه الاستتابة) أى قبول التوبة (والمسرله) أى المخفى لهذا الاعتقاد الفاسد والكاتم لهذا القول الكاسد (زنديق يقتل دون استتابة) أى فى مذهب مالك *(فصل)* الوجه الرابع ان يأتى من الكلام بمجمل) مشتمل على تعدد معنى محتمل (أو يلفظ) بكسر الفاء أى أو ينطق (من القول بمشكل) باللام فى آخره أى بمعضل وتصحف على الدلجى بكافين فقال أى بما يوقع متأمله فى الشك (يمكن حمله) أى يجوز اطلاق ماذكر من المجمل (على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أو غيره أو يتردد فى المراد به) أى بالمشكل (من سلامته من المكروه أو شره) أى من ملامته فهو عطف على سلامته لا على المكروه كما توهم الدلجى وقال أى سلامته من شره فههنا) من المقامين (متردد النظر) بفتح الدال الاولى مشددة أى محل تردد للتامل فى المقالين (وحيرة العبر) توهم الانطاكى فقال العبر بكسر العين وفتح الموحدة جمع عبرة بفتح وسكون الموحدة وهى الدمعة وحيرتها اجتماعها من قولهم تحير الماء أى اجتمع انتهى والصواب فى هذا المقام انه جمع عبرة بكسر فسكون وهى اسم من الاعتبار ومنه قوله تعالى فاعتبروا يا أولى الابصار واستدل به النظار فى صحة القياس أى وتحير فى الاقيسة المتعارضة المنافية للقول اليقين (ومظنة اختلاف المجتهدين) بكسر الظاء أى موضع الشئ وما له الذى يظن كونه فيه (ووقفة استبراء المقلدين) أى وتوقف لطلب براءة العلماء العاملين من القضاة والمفتين وهو بكسر اللام لانه فى مقابلة المجتهدين وضبطه التلمسانى بفتح لامه (ليهلك من هلك عن بينة) أى ليضل من ضل عن حجة واضحة (ويحيى من حى) وفى قراءة من حيى أى يهتدى من اهتدى (عن بينة) أى دلالة لائحة

متجه لكن محله كما يعلم من آخر كلامه فيمن طالت صحبته للمسلمين حتى ظن به علم ذلك ويوبه يعلم رد ما نقله العز بن عبد السلام عن أبى حنيفة وأقره من ان من قال أومن بالنبى وأشك فى انه المدفون بالمدينة أو الذى نشأ بمكة لا يكفر لانه وان كان معلوما بالضرورة الا انه ليس من الدين لانا لم نتعبد به فيكون جاحده كجاحد بغداد ومصر انتهى ووجه رده ان الشك فى ذلك من المخالط للمسلمين يستلزم تضليل الامة وغير ذلك من العظائم فى الدين (وقال حبيب بن ربيع) من أئمة المالكية (تبديل صفته) المشهورة كوصفه بلون غير لونه (ومواضعه) التى كان مقره بها كتهامة ومكة والمدينة (كفر) قال ابن حجر وهذا يشمل انكار الهجرة وكونه كان أولا بمكة وآخرا بالمدينة وغير ذلك مما يشا كله وهو متجه (والمظهر له كافر) لعله اذا قصده من لم يعذر فى جهله به (وفيه) أى فى الكفر بما ذكر (الاستتابة) أى انه تقبل توبته (والمسرله) أى لا يظهره لغيره (زنديق) أى حكمه كالزنديق (يقتل دون استتابة) لانه باخفائه يدل على قصده نفى وجوده بنفى صفاته المعلومة تواتر الكل احد

(فصل) معقود لذكر بعض أنواع ما نحن بصدده (الوجه الرابع) من أقسام هذه المسئلة (ان يأتى) من تكلم به (من الكلام بمجمل) اسم مفعول من الاجمال وهو فى اللغة مقابل للتفصيل ومنه جملة العدد وفى اصطلاح أهل الاصول ما لم تتضح دلالته على مراد من تكلم به وهو المراد هنا والمناسب لقوله (و) ان يأتى (بلفظ من القول مشكل) وفى نسخة ويلفظ من القول بمشكل والمشكل فى الاصل ماله اشكال أى اشباه ونظائر وهو أيضا ما لا يظهر معناه قال الراغب المشاكلة فى الهيئة والصورة والند فى الجنسية والشبه فى الكيفية والشئ اذا كان له اشكال يلتبس فالمراد ما فيه التباس بغيره (يمكن حمله) بما يفهم منه (على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى غيره) ممن يمكن حمله عليه (أو يتردد) أى يشك (فى المراد به) أى ما قصده المتكلم به (من سلامته من المكروه أو) سلامته من (شره) الذى لا يليق به صلى الله تعالى عليه وسلم وهو معطوف على سلامته (فههنا) أى فى المقام الذى يورد فيه ما يحتمل قصده وعدمه (متردد النظر) بزنة المفعول اسم مكان أى محل التردد فى حكمه أى نظر الحاكم فيه (وحيرة العبر) بزنة عنب بعين مهملة وموحدة جمع عبرة وهو ما يعتبر ليستدل به على غيره (ومظنة) بكسر الظاء المشالة أى محل الظن الذى يظن فيه أمرا يقتضى (اختلاف المجتهدين) فى حكمه لاحتمال انه فى حقه فيجرى عليه حكم من ينقصه أو فى حق غيره فلا يكون مقتضيا القتل قائله فهو محل تامل ونظر (ووقفة) معطوف على متردد (استبراء) بالمد أى طلب براءة (المقلدين) لهؤلاء المجتهدين يعنى ان المجتهدين يعملون النظر فى استخراج حكمه ويتحيرون فيه لاشكاله عليهم والمقلد لهم يقف حتى يعلم حال من قلده فيتبعه ويبرأ من عهدته (ليهلك من هلك عن بينة) أى ليكون من حكم بكفره بمقاله قتله بدليل واضح لان اراقة الدماء لا يجازف فيها (ويحيى من حى) أصله حيى فادغم (عن بينة) أى يكون حياة من لم يقتل بدليل ظاهر لانه لا ينبغى المسامحة فيما يتعلق بمقام النبوة وحمايتها من طعن الطاعنين

(فمنهم من غلب) بتشديد اللام أي قدم (حرمة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وحمى حمى) بفتح الحاء الاولى وكسر الثانية أي وصان ساحة (عرضه) ان تنقصه في طوله وعرضه (فجسر على القتل) أي أقدم واجترأ على قتل قائله من غير استتابة (ومنهم من عظم حرمة الدم) المعصوم في أصله (ودرأ الحد) أي ودفع القتل (بالشبهة) على الناظر فيه (لاحتمال القول) أي قوله ان يراد به الذم أو خلافه وهذا هو الاولى لقوله عليه الصلاة والسلام ادرؤا الحدود بالشبهات كما رواه جماعة من الثقاة وزاد ابن عدي وأقيلوا الكرام عثراتهم الا في حد من حدود الله تعالى وروى ابن أبي شيبة والترمذي والحاكم والبيهقي عن عائشة رضي الله عنها مرفوعا ادرؤا الحدود عن المسلمين ما استطعتم فان وجدتم للمسلم مخرجا فخلوا سبيله فان الامام لان يخطئ في العفو خير من ان يخطئ في العقوبة ورواه ابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ولفظه ادفعوا الحدود عن عباد الله تعالى ما وجدتم له مدفعا هذا وفيما نحن فيه يمكن الجمع بين حمى العرض وبين الدرء بعرض التوبة عليه فان تاب والا قتل فيرتفع حينئذ الاشكال ويزول الاحتمال بالجواب والسؤال والله تعالى أعلم بالحال (وقد اختلف أئمتنا) أي المالكية (في رجل أغضبه غريمه) أي طالب دينه (فقال له) غريمه (صل على النبي محمد فقال له الطالب) أي غريمه (لا صلى الله على من صلى عليه فقيل لسحنون هل هو كمن شتم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي منتقصا له (أو شتم

(إنما

فيه وهو اقتباس لبيان علة التردد والتوقف في أمور المشكلة (فمنهم) من المجتهدين في مثل هذا (من غلب حرمة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي احترامه وصيانته (وحمى حمى عرضه) أي صان عرضه وحمى الاول ماض كدعا والثاني بكسر الحاء اسم وهو ما يجب حمايته ورعايته والعرض كل ما يلزم رعايته من الصفات ويولم ضده ويكون بمعنى الجانب والذات أيضا وفيه كلام لاهل اللغة طويل لا حاجة لنا به هنا أي منع ان يهجم أحد على مقام النبوة ولو بالاحتمال فان من حام حول الحمى يوشك ان يقع فيه (فجسر) أي أقدم من غير مبالاة (على القتل) أي الحكم بقتله وان احتمل كلامه (ومنهم من عظم حرمة الدم) فلم يجسر على القتل (ودرأ) بدال وراء مهملتين مفتوحتين وهمزة كدفع وزنا ومعنى (الحد) وهو هنا القتل (بالشبهة) فيما قاله لاحتمال عدم قصده لما أوجبه وهو اشارة لقوله صلى الله عليه وسلم ادرؤا الحدود بالشبهات وهو حديث ورد بمعناه كحديث ابن ماجة ادفعوا الحدود ما استطعتم وكذا هو في الترمذي وغيره واما هذا اللفظ بعينه ففيه كلام في تخريج احاديث الهداية لابن حجر وبين الشبهة بقوله (لاحتمال القول) الصادر منه لامرين أحدهما يقتضيه والآخر يمنعه فعمل بالثاني احتياطا والشبهة على أنواع ذكرت في كتب الفقه والاصول وفي بعض النسخ (وقتل الرجل المؤمن من الموبقات) أي المهلكات للقائل في الدنيا والآخرة لما ورد في الحديث الصحيح انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لزوال الدنيا أهون على الله من قتل مؤمن بغير حق (وقد اختلف أئمتنا) يعني الفقهاء المالكية (في رجل اغضبه غريمه) يعني من له عليه حق طالبه به (فقال له) غريمه في حال غضبه ومخاصمته له (صل) أمر بالصلاة (على محمد) يريد به دفع غضبه بذكره صلى الله تعالى عليه وسلم (فقال له) أي لغريمه الذي أمره بالصلاة على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (الطالب) من غريمه حقه الذي خاصمه لاجله (لا صلى الله على من صلى عليه) لتهوره وعدم تدبره (فقيل لسحنون) أي استفتي في هذا القائل (هل هو كمن شتم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) صريحا في غير حال الغضب لنفيه رحمة الله تعالى وصلاته عمن صلى عليه (أو شتم الملائكة الذين يصلون عليه) لدخولهم في قوله من صلى عليه (قال) سحنون لمن سأله (لا) أي ليس هو كمن شتم هؤلاء (اذا كان) هذا القائل كائنا (على ما وصفت) أي ما ذكرته وحكيته عنه وتاء وصفت مفتوحة ضمير المخاطب (من الغضب) الذي أغضبه به غريمه لان الحدة تحمل المرء على ان يصدر منه ما لا يرضاه (لانه لم يكن مضمرا) أي ناويا ومريدا (للسب) وفي نسخة الشتم لاحد مما ذكر وانما سبق لسانه له من غير فكر وقد جرت عادة الناس انهم يقولون عند الغضب صل على النبي ونحوه (وقال أبو اسحق البرقي) بالموحدة المفتوحة وسكون الراء المهملة والقاف ابراهيم بن عبد الرحمن بن عمرة بن أبي الفياض وتوفي سنة خمس وأربعين ومائة (وأصبغ بن الفرج) تقدم بيانه (لا يقتل) هذا القائل (لانه

الملائكة الذين يصلون عليه) صفة كاشفة وظاهره انه شتم لله وملائكته منطوقا ولرسوله ضمنا ومفهوما فان الله تعالى قال ان الله وملائكته يصلون على النبي وكان المصنف اقتصر على ذكر الملائكة لقوله لا صلى الله فان الظاهر منه المغايرة (قال) سحنون (لا) أي لا شتم هنا مطلقا (اذا كان) أي حال قائله (على ما وصفت) أنت (من الغضب) أي من غضبه على مديونه (لانه لم يكن) حينئذ (مضمرا للشتم) أي لا للنبي ولا لغيره من الملائكة وغيرهم بل المراد به امتناعه حينئذ من الصلاة المشعر ذكرها بالمساهلة في المعاملة كما في العرف والعادة حال المجادلة (وقال أبو اسحق البرقي) بفتح الموحدة (وأصبغ بن الفرج) بالجيم (لا يقتل لانه

(انما شتم الناس) أى بظاهره لا اراد غيرهم بل أراد منهم بحسب لفظة الناس الموجودين لا الآتين والماضين لئلا يكون شتما للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأصحابه الكرام والعلماء العظام والمشايخ الكرام والتعبير بالشتم فيه مسامحة لغوية اذ كلامه جملة دعائية وهذا قريب من اللغو فى العبارات العرفية (وهذا) الذى ذكرعنهما (نحو قول سحنون) لانه يغايرهما او يعارضهما (لانه) أى سحنون (لم يعذره) بكسر الذال أى لم يسامحه (بالغضب فى شتم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أى ضمنا ولا فى شتم الملائكة ظاهرا (ولكنه) أى الشان (لما احتمل الكلام عنده) أى احتمالين فاحتاج الى قرينة مرجحة لاحد الحالين (ولم تكن معه) أى مع كلامه (قرينة تدل على شتم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أو شتم الملائكة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ولا مقدمة) أى سابقة من قرائن المقال أو الحال (يحمل عليها كلامه بل القرينة) الحالية (تدل على ان مراده الناس من غير هؤلاء) أى النبي والملائكة ففيه نوع تغليب وقد تصحف على الدلجى وتحرف فى أصله غيرها أى غير الملائكة (ولاجل) أى ولا مقدمة لاجل (قول الآخر) والصواب ان التقدير وهذه القرينة الحالية لاجل قول الآخر وهو غريمه (له صلى على النبي حمل قوله وسبه) أى دعاؤه عليه (لمن يصلى عليه الآن لاجل أمر الآخر له بهذا عند غضبه) وهذا نظير ما قال علماؤنا فى يمين الفور من انها محمولة على وقت اليمين دون ما بعده على ان هنا احتمالا آخر وهو ان يكون تقدير كلامه لا أصلى عليه انا فى هذه الحال صلى الله على من صلى عليه فى الماضى والاستقبال (هذا معنى قول سحنون وهو مطابق لعلة صاحبيه) أى لدليل البرقى وأصبغ على ما تقدم (وذهب الحارث بن مسكين القاضى) قال الحلبي هذا فقيه مشهور أموى مولى مروان مصرى أخذ عن ابن عيينة وابن وهب وابن القاسم وسأل الليث وعنه أبو داود والنسائى وجماعة ثقة حجة عاش نيفا وتسعين سنة قال الخطيب كان ثبتا فى الحديث فقيها على مذهب مالك حمله المامون الى بغداد أيام المحنة لانه لم يجب الى القول بخلق القرآن فلم يزل محبوسا الى ان ولى المتوكل فاطلقه فحدث ببغداد ورجع الى مصر وكتب اليه المتوكل بعهده على قضاء مصر (وغيره) أى من العلماء المالكية (فى مثل هذا) القول وهو لا صلى الله (الى القتل) لشموله ظاهرا شتم كل من صلى عليه من ملائكة وغيرهم (وتوقف أبو الحسن القابسى فى قتل رجل قال كل صاحب فندق) وهو بضم الفاء وسكون النون وداله المهملة تضم وتفتح الخان فى عرف أهل مصر وهو موضع يأوى اليه الغرباء كالتجار من المسافرين ومن ليس له قريب من المجاورين

(انما شتم الناس) لا النبي ولا الملائكة لان من وان عم يخص باعتبار متعارف الناس فى قصد جنسهم دون غيرهم ممن لا يخطر بباله فى عرف التخاطب وليس ثمة قرينة تصرف الشتم له صلى الله تعالى عليه وسلم ولا الى الملائكة الذين يصلون عليه كما يأتى وقد يقال ان المتبادر من قوله من صلى عليه الآمر له أو نفسه ان صلى عليه لتسكين غضبه فكأنه قال ان صليت أنا وانت لدفع الغضب فلا صلى الله عليك أو على وهو فى غاية الظهور (وهذا) الذى أجاب به البرقى وأصبغ (نحو قول سحنون) الذى ذكره يعنى مرادهما واحد (لانه) أى سحنون فى قوله اذا كان الخ (لم يعذره بالغضب) أى بسببه (فى شتم النبي صلى الله عليه وسلم) فانه لا عذر فيه لاحد (ولكنه لما احتمل الكلام) المذكور (عنده) أى عند سحنون فى اعتقاده لشتم الناس وما يوهمه من خلافه (ولم يكن معه قرينة) فيما قاله وفى حاله (تدل على شتم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أو شتم الملائكة) بدخولهم تحت من (ولا مقدمة) أى أمر مقدم على كلامه (يحمل عليها كلامه) أى قرينة وأمر بانه قصد النبي أو الملائكة (بل القرينة) الحالية فى خصامه (تدل على ان مراده الناس) الذى خصامه وكلامه معهم كما تقول العامة أين الملائكة والحدادين (غير هؤلاء) أى الملائكة ونحوهم (لاجل قول الآخر) وأمره (له صل على النبي) فرد عليه بما يفيد ان قصده بقوله لا صلى الله على من صلى عليه أى عليك أو على من عندى ممن يعارضنى ويريد دفع غضبى من غير استيفاء حقى منه (فحمل قوله وسبه لمن يصلى عليه الآن لاجل أمر الآخر له بهذا عند غضبه) فمن أين يخطر بباله عند المصنف النبي أو الملائكة وهو فى غاية الظهور فى عرف الناس (هذا) التأويل (معنى قول سحنون) الذى تقدم (وهو موافق) بحسب المعنى (لقول صاحبيه) البرقى وأصبغ (وذهب الحارث بن مسكين القاضى) هو أبو عمرو المصرى مولى مروان الثقة الحجة المحدث المالكى أخرج له أصحاب السنن وحمل لبغداد فى محنة خلق القرآن فحبس الى ان تولى المتوكل فاطلقه وولاه قضاء مصر فلم يزل قاضيا بها الى ان توفى فى سنة مائتين وخمسين وعمره يزيد على تسعين سنة (و) كذا ذهب (غيره فى مثل هذا) القائل لا صلى الله الخ (الى القتل) لشموله من ذكر من النبي والملائكة قال ابن حجر واللائق بقواعدنا الاول لان اللفظ ليس صريحا فى شتم الملائكة ولا الذات المقدسة وانما هو ظاهر فى شتم نفسه ان صلى أو غيره ممن الناس ومع عدم التكفير يعزر التعزير البليغ (وتوقف أبو الحسن القابسى فى قتل رجل قال كل صاحب فندق) بضم الفاء وتفتح وهو لفظ

(قرنان) بفتح القاف فعلان وهو نعت سوء في الرجل وهو الذي يتغافل عن فجور امرأته وابنته وأخته وقرابته وهو المسمى بالدوث وقيل المراد به القواد (ولو كان نبيا مرسلا) ولعل وجه توقفه انه حمل كلامه على قصد المبالغة العرفية الشاملة للامور الحالية (فامر) أي القابسي (بشده) أي ربطه (بالقيود) أي الوثيقة (والتضييق عليه) بالانكال الثقيلة (حتى يستفهم البينة) أي يستخبر ما بين أمره ويعين حاله الصادرة (عن جملة ألفاظه) أي كلماته في محاورته (وما يدل على مقصده) أي ارادته (هل أراد أصحاب الفنادق الآن) أي في ذلك الزمان (فمعلوم انه ليس فيهم نبي مرسل فيكون أمره أخف) اذ يمكن حمله على المبالغة وارادة اعتقاده انه من المحال فتعزيره أخف في مقام التنكيل ويمكن حمله على انه يجوز كون نبي مرسل يظهر بعد نبينا عليه الصلاة والسلام فيكون أمره أشد ولهذا قال بعض علمائنا ان من ادعى النبوة فقال له قائل أظهر المعجزة كفر (قال) أي القابسي (ولكن ظاهر لفظه العموم لكل صاحب فندق من المتقدمين والمتأخرين وقد كان فيمن تقدم من الانبياء والرسل من اكتسب المال) وفيه ان بعض الانبياء والرسل وان كانوا من أصحاب الاموال لكنهم لم تعرف مساكنهم في الخانات وعلى تقدير التنزل فالكلام انما هو في تجويز صدور مثل هذا الفعل الشنيع والعمل الفظيع من النبي المرسل فتامل فانه من مواضع الزلل ولقد زل قلم الدلجي في قوله هنا فلعل أحدا منهم بني فندقا لله تعالى تنزله المارة انتهى وفيه ان الكلام ليس فيمن بنى المقام وانما المراد بصاحب الخان خادم أهله وحافظ جمعه وحاشا مقام الرسل والانبياء عن مثل هذه الاشياء (قال) القابسي (ودم المسلم لا يقدم عليه) أي على سفكه (الا بامر بين) كما قال عليه الصلاة والسلام لا يحل دم امرئ مسلم الا باحدى ثلاث الثيب الزاني والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة رواه الشيخان وفي الجواهر من كتب أصحابنا من قال قتل فلان حلال أو مباح قبل ان يعلم منه ردة أو قتل نفس بآلة جارحة عمدا على غير حق أو يعلم منه زنى بعد احصان (وما ترد اليه التأويلات) أي وما يتصور فيه الاحتمالات (لا بد من امعان) وروى انعام (النظر) أي اعماق التأمل والتفكر (فيه) أي في أمره ليظهر الوجه المرجح في حقه (هذا معنى كلامه) أي كلام القابسي لا لفظه ومبناه وقال التلمساني ما ذكره القاضي من ان الانبياء كانوا ذوي أموال قلنا ان أراد به صاحب المال فبين وان أراد به الحافظ والامين فلا يوجد نبي فعل ذلك لانه من أعظم النقائص فيكون معنى ذلك انه مثل كذا فهو كالاول لانه عيب ووصم في سائر الناس فما بالك بالانبياء فيقتل قائل ذلك لانه شبه الكامل بالناقص وفي تشبيه الكامل بالناقص نقص ولم يبق الا سائر الناس فعليه في ذلك الادب الشديد لان فيهم عالما وولياء واذايه سائر المسلمين توجب العقوبة والتعزير على قدر القائل والقول والمقول فيه بمعناه

معرب معناه الخان الذي ينزله ابناء السبيل والتجار والغرباء والنون زائدة أو أصلية وفي عباب الصاغاني فندق جبل شجر كالبندق وهو أيضا بلغة أهل الشام خان من هذه الخانات التي ينزلها الناس وبينيه أصحاب الدول من أهل الخيرات (قرنان) بفتح أوله وزنه فعلان أو فعالة وهو ذم بمعنى الديوث وهو الذي يجمع الرجال الاجانب مع زوجته أو بعض محارمه كأخته وبنته ونحوهن وقال الزبيدي هو الذي يدخل الرجال على امرأته وقال الجوهري هو الذي لا غيرة له وهي متقاربة والقواد من يجمع بين الرجال والنساء مطلقا جمعا حراما وكذا من يجمع بينهم وبين المرد والقرطبان ويقال قلتبان الذي يعرف من يجتمع بزوجته ويسكت وفي معناها محارمه ونحوهن وصاحب الفندق أي الخان كل من يجمع المال سواء كان له خان أم لا (ولو كان) أي كل صاحب فندق (نبيا مرسلا فامر بشده بالقيود والتضييق عليه) ليمسك ويحبس (حتى) ينظر أمره (ويستفهم البينة) أي يسألهم عما قاله (عن جملة ألفاظه) أي بجميعها ليفهم منه مراده (وما يدل على مقصده) وما أراده (هل أراد أصحاب الفنادق الآن) أي الموجودين في زمنه (فمعلوم انه ليس فيهم نبي مرسل الآن) (فيكون أمره أخف) من ان يقصد عمومه للموجودين وغيرهم ممن تقدمه (قال) القابسي (ولكن) ارادة الموجودين الآن بعيد لان (ظاهر لفظه العموم) لان لفظ كل يقتضيه فهو عام (لكل صاحب فندق من المتقدمين والمتأخرين) من الموجودين ومن بعدهم ونوره بقوله (وقد كان فيمن تقدم من الانبياء والرسل) صلى الله تعالى عليهم أجمعين (من اكتسب المال) وقد علمت ان صاحب الفندق كناية عمن له مال كثير اكتسبه لانه لا يبنيه ويملكه الا من هو كذلك فهو كقولهم طويل النجاد بمعنى طويل القامة (قال) القابسي (ودم المسلم) المعصوم (لا يقدم عليه الا بامر بين) فكيف بالانبياء عليهم الصلاة والسلام وكيف يتجرأ على الحكم بالقتل (وما ترد اليه التأويلات) أي تأويل ما يخالف الظاهر (لا بد من امعان النظر فيه) وفي نسخة انعام وهما بمعنى والمراد تدقيق النظر واطالة التدبر والتفكر يقال أمعن النظر وأنعمه وأصله من امعن في الطريق اذا أبعد وسار سيرا طويلا (هذا معنى كلامه) في هذه المسئلة رواه

(أو حكى عن أبي محمد بن أبي زيد رحمه الله تعالى) وفي نسخة عن ابن أبي زيد وهو أبو محمد القيرواني (فيمن قال لعن الله العرب ولعن الله بني اسرائيل ولعن الله بني آدم) أي قال أحد هذه الاقوال (وذكر انه لم يرد الانبياء) لامن العرب ولا من بني اسرائيل ولا من غيرهم بل ولا العلماء والاتقياء (وانما أردت الظالمين منهم) والفاسقين فيهم (ان عليه الادب) أي التعزير (بقدر اجتهاد السلطان) أي الوالي والقاضي قال الدلجي ظاهره وان أدى الى التلف وفيه انه ينافي الادب

بمعناه دون لفظه وكأنه يريد بهذا انه غير ظاهر لانه أحال علمه على ارادته وهو أمر لا يطلع عليه وتفصيله بين ارادة العموم وارادة أهل زمانه فيه مالا يخفى ولذا قال ابن حجر بعده والظاهر ان لفظه ليس صريحا في ذم الانبياء ولا سبهم فلا يكفر بمجرد هذا اللفظ بل يعزر التعزير الشديد (وحكى عن) الشيخ (أبي محمد بن أبي زيد) القيرواني وقد تقدم مرارا (فيمن قال لعن الله العرب ولعن الله بني اسرائيل ولعن الله بني آدم) من غير تعيين لاحد منهم واسرائيل لقب يعقوب عليه السلام معناه عبد الله أو صفوة الله (وذكر انه لم يرد الانبياء) منهم وقال لما أنكر ذلك عليه (وانما أردت الظالمين منهم) دون الصالحين والانبياء والرسل منهم فقال ابن أبي زيد انه يحكم بـ(ان عليه الادب) أي التعزير والزجر لما في كلامه من الايهام (بقدر اجتهاد السلطان) أي بقدر ما يؤدي اليه اجتهاده من ضرب وغيره دون القتل وهذا مبني على قاعدة هي ان العام اذا ذكر من غير قرينة على الخصوص هل يصدق في قوله أردت الخصوص فقيل يصدق اذا غلب على الظن انه لم يرده وفيه كلام في الاصول ليس هذا محله (وكذلك أفتى) ابن أبي زيد أي كما أفتى في المسئلة السابقة أفتى أيضا (فيمن قال لعن الله من حرم المسكر) وهذا بظاهره يقتضي الكفر والقتل لان الذي حرمه هو الشارع وهو النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (وقال لم أعلم من حرمه) وسيأتي حكمه مع ما بعده وهو قوله (و) أفتى ابن أبي زيد (فيمن لعن حديث لا يبع) نهي (حاضر) معناه المقيم وهو يكون مفردا واسم جمع كالسامر (لباد) وهو من يأتي من البادية كالبدوي ولعن الحديث لا معنى له الا لعن قائله أو راويه (ولعن من جاء به) أي بالنهي عن بيعه والذي جاء به قائله أولا أو راويه وهذا انما اختلف فيه فقيل انه حرام لتغرير صاحبه فانه يأخذه منه بثمن قليل ثم يبيعه تدريجا بأكثر وقيل انه نسخ وقيل الكراهة تنزيهية ومن ذهب الى حرمته كبعض الشافعية شرط فيه شروطا من علمه بالنهي وكون المتاع مما تعم الحاجة اليه وان لم يكن مأكولا والمعنى في التحريم التضييق على الناس والحديث في الصحيحين وغيرهما مع اختلاف في بعض ألفاظه ففي رواية لا يبيع حاضر لباد وان كان أخاه أو أباه دعوا الناس يرزق الله بعضهم من بعض (انه ان كان يعذر بالجهل) لقرب عهده بالاسلام وقد علمت انه شرط عند القائل بحرمته (وعدم معرفة السنن) جمع سنة أي الاحاديث المأثورة عنه صلى الله تعالى عليه وسلم (فعليه الادب الوجيع) الادب بمعنى التاديب وهو التعزير والوجيع بمعنى الموجع واسناده مجاز عقلي (وذلك ان هذا لم يقصد بظاهر حاله) أي بسبب ظاهر حاله وما يظهر من كلامه ونحوه (سب الله) لانه هو الذي حكم به وأوحاه (ولا سب رسوله) صلى الله تعالى عليه وسلم لانه الذي جاء به وبلغه للناس (وانما لعن من حرمه من الناس) أي العلماء المجتهدين الذين أفتوا بحرمته لما صح عندهم من الحديث فهو (على نحو فتوى سحنون وأصحابه) من المالكية (في المسئلة المتقدمة) في قول القائل لا صلى الله على من صلى عليه كما مر آنفا قال ابن حجر بعد كلام المصنف وهو ظاهر ولا بد من تقييده للاعن محرم المسكر بان يكون ممن يجهل ذلك أيضا ويعذر

وهذا ما حكى عن ابن أبي زيد (وكذلك أفتى) أي ابن أبي زيد ولا يبعد أن يكون مندرجا تحت قوله وحكى (فيمن قال لعن الله من حرم المسكر وقال) أي وفيمن قال أو والحال انه قال (لا أعلم من حرمه) ان عليه الادب بقدر اجتهاد السلطان وسيأتي الكلام عليه (وفي) أي وأفتى أيضا في (من لعن حديث لا يبع حاضر لباد) أي سوقي لبدوي (ولعن) أي وفيمن لعن (ما جاء به) من النهي عن بيعه له وفي نسخة صحيحة ولعن من جاء به وهذا مشكل جدا (انه) أي وأفتى بانه (كان) وفي نسخة وهي ظاهرة ان كان (يعذر بالجهل وعدم معرفة السنن) أي المأثورة (فعليه الادب الوجيع وذلك) يحتمل أن يكون من كلام القاضي المؤلف أو من كلام ابن أبي زيد في توجيه افتائه (ان هذا) أي لان قائله

أو وسببه ذلك انه (لم يقصد بظاهر حاله) من اسلامه (سب الله ولا سب رسوله وانما لعن من حرمه من الناس) وفيه ان الذي حرمه من الناس هو النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو سب على تقدير جهله وظنه ان المحرم انما هو بعض الناس من العلماء فمقتضى مذهبنا انه يكفر ففي الجواهر لو قال من يقدر على ان يعمل بما أمر العلماء به كفر وذلك لانه يلزم منه تكذيب العلماء على الانبياء اللهم الا ان يحمل من حرمه على من تسبب بتحريمه (على نحو فتوى سحنون وأصحابه في المسئلة المتقدمة) وهي من قال لا صلى الله الخ ولكن بينهما فرق بين يمنع صحة المقايسة

(ومثل هذا) أولى ونظير هذا الذى تقدم (ما) زائدة أو موصولة وفى أصل الدلجى كثيرا ما (يجرى فى كلام سفهاء الناس من قول بعضهم لبعض يا ابن ألف خنزير ويا ابن مائة كلب وشبهه من هجر القول) بضم الهاء وسكون الجيم أى فحشه وأغرب الدلجى بان أدخل فيه قول بعضهم لبعض الاطفال يا ولد الزنا مع انه قذف صريح (ولا شك انه يدخل فى مثل هذا العدد) وفى نسخة فى هذين العددين (من آبائه واجداده جماعة من الانبياء) وفيه ان الظاهر من مقاله وقرينة حاله انه أراد به الكثرة لا حقيقة العدد وعلى سبيل التنزل فلا يدخل فيه جماعة من الانبياء لان الناس فى زماننا كلهم من نسل نوح عليه السلام ويتصور فى غير بنى ابراهيم عليه السلام انه لا يدخل أحد من الانبياء فى آبائه وأجداده بل وفى بنى اسرائيل أيضا يجئ هذا البحث من المائة بل من الالف وانما التوقف فى السادة الاشراف مع انه قد يقال انه يريد خلقته من نطفة جمع فساق اجتمعوا على وطئ أمه فحينئذ يكون قذفا الا انه لاجل حصول الاحتمال يدرأ عنه الحد فى الحال (ولعل بعض هذا العدد منقطع) أى منفصل وفى نسخة ينقطع عند نسبه (الى آدم) بل الى نوح بل الى ابراهيم عليهم السلام وأولاده فلا محذور وحينئذ فى كلامه وقد أغرب الدلجى بقوله أى متصل به من انقطع اليه ولم يركن الى غيره ومن ثم عداه بالى وليس بمعنى منفصل اذ لو كان بمعناه لعداه بعن وأنت خبير بانه تعلق بتصحيح مبناه وغفل عن تصريح معناه فالوجه ما بيناه على ما قدمناه (فينبغى) الاطلاق

أى فيجب مع هذا (الزجر وتبيين ما جهل قائله منه) وفى نسخة بتبيين جهل قائله (وشدة الادب) أى التاديب (فيه ولو علم) بالبناء للفعول أى ولو عرف (انه قصد سب من فى آبائه أحد من الانبياء) بالعدد الذى ذكره (على علم) منه به (لقتل) به وهذا أوضح (وقد ضيق القول فى نحو هذا) المقول (لو قال أحد لرجل هاشمى) أى من بنى هاشم بن عبد مناف بن قصى جد عبد الله أبى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (لعن الله بنى هاشم وقال أردت الظالمين منهم) وهذا اذا كان لم يتصور وجود مائة أب أو ألف قبل وصولهم

بالجهل به بان يكون قريب عهد بالاسلام ولم يكن مخالطا للمسلمين والا فتحريمه معلوم من الدين بالضرورة ولو كان لعنه من جاء بالحديث المذكور بعد قول أحد له هذا قاله النبى صلى الله عليه وسلم ونحو ذلك كان ذلك كفرا ولا يقبل قوله ما أردته لان لفظه ظاهر فى تكذيبه فليتب والا فيقتل (ومثل هذا) المذكور فى حكم هذه المسئلة (ما يجرى) أى يصدر ويقع (فى كلام سفهاء الناس) ممن لا تدبر عنده فى أموره (من قول بعضهم) فى مخاطبته (لبعض) فيما يقع فى مخاصماتهم (يا ابن ألف خنزير) وأراد بالخنزير من تقدم من آبائه واجداده بطريق الاستعارة (ويا ابن مائة كلب) أى رجل خسيس دنئ كالكلب (وشبهه) مما يصدر عن سفهاء العوام (من هجر القول) بضم فسكون معناه الفحش فى المنطق والقبح كما تقدم ومراده بالالف والمائة التكثير دون العدد (فلا شك انه يدخل فى مثل هذين العددين) أى الالف والمائة وفى نسخة العدد (من آبائه واجداده جماعة من الانبياء) كنوح واسمعيل ويعقوب عليهم الصلاة والسلام (ولعل بعض هذا العدد) المذكور وهو الالف والمائة (منقطع الى آدم) الظاهر ان معنى منقطع منتهى قال فى المصباح منقطع الشئ بصيغة البناء للمفعول حيث ينتهى اليه طرفه نحو منقطع الوادى والرمل والطريق والمنقطع بالكسر الشئ نفسه فهو اسم عين والمفتوح اسم معنى انتهى فقول بعضهم انه بمعنى متصل من انقطع اليه ولم يركن الى غيره ومن ثمه عداه بالى وليس بمعنى منفصل اذ لو كان بمعناه عداه بعن انتهى تكلف لا تساعده اللغة والحامل له عليه ما رواه من عدم صحة معناه بحسب الظاهر والصواب ما سمعته أولا (فينبغى) لما ذكر من احتمال دخول بعض الانبياء فيه وان الحامل على ذكره سفاهة قائله (الزجر عنه) وهو المنع بعنف ولوم (وتبيين ما جهله قائله منه) ليزول عذره فيقال له انه يدخل فى كلامك بعض الانبياء عليهم السلام فتب عنه ولا تعد لمثله (وشدة الادب فيه) أى تاديب قائله بلومه وتقريعه أو تعزيره (ولو علم) بالبناء للفعول أى علم الحاكم (انه) أى القائل (قصد سب من فى آبائه) فى سلسلة نسبه (من الانبياء على علم) أى علم قائله بان فيهم أنبياء قصد دخولهم فى عموم كلامه (لقتل) لردته أو حدا كما هو حكم ساب الانبياء واللام داخلة فى جواب لو وحاصل ما ذكره انه لا يكفر بهذا اللفظ فان شمل جماعة من الانبياء ما لم يعلم قصد سبهم وما ذكره فيه نظاهر لان ظاهر هذا اللفظ المبالغة فى سب المخاطب دون غيره لكن يعزر ويبالغ فى تعزيره كما مر (وقد يضيق القول فى نحو هذا) أى يزاد فى التشديد على قائله فيما (لو قال) أحد من الناس (لرجل هاشمى) أى من بنى هاشم ابن عبد مناف بن قصى جد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لقب به واسمه عمرو لهشمه رجلا أو لانه كان يهشم الثريد لاطعام قومه كما فصل فى السير (لعن الله بنى هاشم) ضيق فيه لدخول النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وأهل بيته فيه دخولا متبادرا صريحا فليس كالذى قبله ولذا اشدد على قائله (وقال أردت الظالمين منهم) والكفرة كابى لهب وأبى جهل ولا قرينة منه على تخصيصه بعد

الى اسمعيل عليه السلام والا فلا يعرف هاشمي قبل الاسلام الا ظالم ثم يظهر قيد الهاشمي لان القرشي بل وغيرهم من العرب كلهم من نسل اسمعيل عليه السلام وحاصل كلام المصنف انه يؤدب ويجل الدلجي على انه من قبيل قول ابن أبي زيد فيمن قال لعن الله العرب أو لعن بني اسرائيل وقال أردت الظالمين منهم دون الانبياء لان نبينا عليه الصلاة والسلام من المنسوبين الى هاشم وكذا علي والحسن والحسين وحمزة وجعفر والعباس وغيرهم اللهم الا ان أرادوا أولاد هاشم من صلبه (أو قال) أي ويضيق الامر اذا قال أحد (لرجل) معروف النسب (من ذرية النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قولا قبيحا في آبائه أو من) موصولة أي فيمن (نسله

الاطلاق ولا قرينة تشهد له في دعوى الخصوص فلو ظهرت القرينة ككون المخاطب من ظلمتهم درئ عنه الحد بالشبهة فلا يقال انه مناف لما تقدم (أو قال لرجل من ذرية النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أو من نسله) أي من ولده من فاطمة رضي الله عنها (أو ولده) من السادة الأشراف وينبغي تخصيص الولد بمن قرب نسبه منه صلى الله تعالى عليه وسلم كالحسن والحسين والنسل بمن بعدهم فان عطف المترادفين بأو غير صحيح خلافا لابن مالك في تجويزه كقوله عز وجل ومن يكسب خطيئة أو اثما ووقع في بعض النسخ وولده بالواو ولا اشكال فيه (على علم منه) أي وهو يعلم ويتحقق (انه من ذرية النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ولم تكن قرينة) قائمة (في المسئلتين) أي مسئلة بني هاشم ومسئلة الذرية (تقتضي تخصيص بعض آبائه) بما ذكره من السب (واخراج النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ممن سبه منهم) بلفظ يخصه أو نحوه من توجيه خطابه قال ابن حجر وظاهر كلامه انه لا يقبل تخصيصه بارادة غير النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من غير قرينة وهو محتمل لعموم لفظه لكن الاقرب الى قواعدنا قبوله مطلقا لان اللفظ بوضعه لا ينافي تلك الارادة لكن يبالغ في التعزير (وقد رأيت لابي موسى عيسى بن مناس) بفتح الميم والنون المخففة وألف وسين مهملة وما في بعض النسخ من كسر ميمه لم يثبت وهو من أصحاب سحنون ومن أهل قيروان ويقال مياس بمثناة تحتية (فيمن قال لرجل) يخاصمه ويشاتمه (لعنك الله) وآباءك (الى آدم انه ان ثبت عليه ذلك) القول (قتل) لدخول بعض الانبياء كنوح عليه السلام قيل الظاهر انه يؤدب ولا يقتل لاحتمال ان يريد ان اللعنة تستمر عليه الى ان يلقى آدم لا سيما ودخول الغاية غير متعين فتدبر وقال ابن حجر بعد كلام المصنف رحمه الله وقضية قواعدنا خلافه لما قدمته من ان لفظه ليس صريحا في سب نبي لاحتماله الى ان يلقى آدم في القيامة بل لو قال لعن الله آبائه الى آدم كان عدم التكفير أقرب أيضا ان ادعى ارادة غير الانبياء منهم لاحتمال ما ادعاه وعدم صريح يدل على خلافه ولا يقال كلامه يتناول آدم للخلاف المشهور في دخول الغاية انتهى (قال القاضي أبو الفضل) عياض المؤلف رحمه الله تعالى (وقد كان اختلف شيوخنا) من علماء المغرب المالكية (فيمن قال لشاهد شهد عليه بشيء) من الحقوق ادعى به عليه (ثم قال) ذلك الشاهد (له) أي للمدعى عليه وقد اتهمه في شهادته (تتهمني) بحذف همزة الاستفهام أي أتتهمني أي تنسب لي سوءا أمرا يقتضي عدم قبول شهادتي والتهمة سوء ظن كما تقدم (فقال له الآخر) المشهود عليه بحق (الانبياء يتهمون) بناء المجهول أي يسند لهم التهمات وهذا مقول القول (فكيف أنت) أي أنت أولى بان تتهم لبعد مقامك عنهم فكيف استفهام انكاري استبعادي نحو كيف تكفرون بالله (فكان شيخنا) الامام (أبو اسحق ابراهيم بن جعفر) تقدمت ترجمته (يرى قتله) أي يعتقد وجوبه (لبشاعة ظاهر اللفظ) أي قباحته

أو ولده) بتخفيف السين واللام وقد يشددان المعنى فيمن يذره أو ولده ومن بمعنى الذي وفي نسخة من بكسر الميم على انه حرف جر دخل على نسله بسكون السين وولده بفتحتين أو بضم فسكون (على علم منه) حال من ضمير قال والمعنى انه غير جاهل (انه من ذرية النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ولم تكن قرينة في المسئلتين) المتعلقتين بالقول القبيح في آبائه ونسله وفي نسخة في المسئلة أي المتقدمة (تقتضي تخصيص بعض آبائه) أي دون بعض (واخراج النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ممن سبه منهم) والمعنى انه لا يوجد هنا قرينة دالة على قصد عمومهم ومن اللطائف ان بعض الاشراف قال لمن يخاصمه ويعاديه كيف تخالفنا وقد أمرت

 بالصلاة علينا فقال له خرج منها أمثالكم بقولي وعلى آله الطيبين الطاهرين وقد رأيت لابي موسى ابن مناس فيمن قال لرجل لعنك الله الى آدم انه ان ثبت عليه ذلك قتل قال القاضي رضي الله تعالى عنه (وقد كان) أي في سابق الزمان (اختلف شيوخنا) أي المالكية (فيمن قال لشاهد شهد عليه بشيء) جملة حالية ولا يبعد أن يكون نعتا لما قبله (ثم قال) أي الشاهد له (تتهمني) أي أتتهمني في شهادتي أو غيرها (فقال الآخر) أي المشهود عليه (الانبياء متهمون) ان أراد بالكذب فهذا كفر صريح وان أراد بعض المعاصي فلا لكن السياق قرينة للاول فتأمل (فكيف أنت) أي أنت أولى بان تتهم (فكان شيخنا أبو اسحق ابن جعفر يرى قتله لبشاعة ظاهر اللفظ) أي لكراهته وفي نسخة لشناعة بشين وعين أي لقبحه وان كان يمكن صرفه عن ظاهره بانهم متهمون

بعض المعاصي (وكان القاضي أبو محمد بن منصور) اللخمي ولد سنة ثمان وخمسين وأربعمائة (يتوقف عن القتل) أي احتياطا (لاحتمال اللفظ عنده) أي احتمالا بعيدا (أن يكون خبرا عن اتهمهم من الكفار) أي بالكذب في الاخبار (وأفتى فيها) أي في المسألة هذه (قاضي قرطبة) بضم القاف والطاء المهملة (أبو عبدالله بن الحاج) أي التجيبي قتل بجامع قرطبة يوم الجمعة ظلما وهو ساجد وقتله رجل معتوه وقتلته العامة في الموضع الذي قتله فيه وقد ضرب رحمه الله تعالى بسكين في خاصرته وقيل قتل يوم الجمعة سادس عشر شهر رمضان سنة تسع وعشرين وخمسمائة ودفن بعد صلاة العصر قال الدلجي هو غير ابن الحاج صاحب المدخل (بنحو من هذا) أي توقف ابن منصور وفي نسخة بنحو هذا (وشدد القاضي أبو محمد) أي ابن منصور (تصفيده) أي توثيقه وتقييده (وأطال سجنه ثم استخلفه بعد) أي حلفه بعد أن فعل به ذلك (على تكذيب ما شهد به عليه) من الحق (اذ دخل في شهادة بعض من شهد عليه وهن) أي نوع طعن يوجب ضعف اعتماد وقلة اعتقاد (ثم أطلقه) أي من القيد وتركه وفيه ان هذا التحليف ليس له دخل في أصل المقصود من المسألة في تهمة بعض الشهود وانما الكلام في نسبة التهمة الى أرباب النبوة اللهم الا أن يقال انه كان منكرا لهذه المقالة وثبت عليه بالبينة في تلك الحالة الآن بعض الشهود لم يكونوا مزكين (وشاهدت شيخنا القاضي أبا عبدالله) اسمه محمد (ابن عيسى) ذكره أي ابن حسين التيمي ولد سنة تسع وعشرين وأربعمائة وقد تفقه المصنف به (أيام قضائه أتى برجل هاتر رجلا اسمه محمد) أي قال له سفها من القول يقال هتر العرض أي مزقه وقال ابن الاثير ومن قبله الهروي في الغريبين واللفظ للثاني المستبان شيطانان يتهاتران ويتكاذبان أي يتقاولان ويتفاحشان في القول (ثم قصد الى كلب) هذا الأثر زيادة على ذلك (فضربه برجله وقال له قم يا محمد

بحسب الظاهر المقتضي لانهم وقع منهم ما يقتضي سوء الظن بهم وبشاعة بموحدة وشين معجمة وروى شناعة بمعجمة ونون وهما متقاربان قيل وتعبيره بالمضارع في يتهمون الدال على الاستمرار التجددي هو المستبشع ولو عبر بالماضي لم يكن فيه كبير استبشاع لانه قد وقع اتهامهم من جهلة الكفرة والفجرة وان احتمل انه حكاية الحال الماضية من اتهامهم بالكذب والسحر وغيره (وكان القاضي أبو محمد بن منصور) اسمه عبدالله بن محمد بن منصور ومنصور جده عبدالله بن محمد بن منصور بن ابراهيم بن قاسم ابن منصور اللخمي ولد سنة ثمان وخمسين وأربعمائة وتوفي في شعبان سنة ثلاث عشرة وخمسمائة وهو امام محدث مالكي المذهب (يتوقف) أي يتردد (عن القتل) فلا يقدم على الحكم به (لاحتمال اللفظ المذكور (عنده ان يكون خبرا عن اتهم من الكفار) الذين اتهموهم بما لا يليق بهم لكن كذبوهم وهذا انما وقع وقائله لا يعتقد ما قالوا قال ابن حجر وهذا الثاني هو الاوجه (وأفتى فيها) أي في هذه المسألة المتقدمة (قاضي قرطبة أبو عبدالله بن الحاج بنحو هذا) الذي أفتى به ابن منصور من التوقف فيه وهو محمد بن أحمد بن خلف بن ابراهيم التجيبي المالكي العلامة المحدث الشهيد ولد سنة ثمان وخمسين وأربعمائة وقتل وهو ساجد بجامع قرطبة قتله رجل مجنون يقال انه ضربه بسكين في خاصرته فقتله وقتله العامة في الموضع الذي قتله فيه سادس عشرين من شهر رمضان ودفن بعد العصر في مشهد عظيم وليس ابن الحاج هذا صاحب المدخل (وشدد القاضي أبو محمد) ابن منصور المذكور آنفا (تصفيده) أي جعله في صفد وهو القيد يقال صفدته وصفدته بالتشديد اذا قيدته واصفدته اذا أعطاه ففرق بين المعنيين وقيل الصفد في العطية مأخوذ من القيد كما قيل * ومن وجد الاحسان قيدا تقيدا * وفيه كلام فصلناه في حواشي البيضاوي (وأطال سجنه) بفتح السين مصدر ويجوز كسرها بتقدير مدة سجنه (ثم استحلفه بعد) بالضم أي بعد تصفيده وسجنه حلفه يمينا (على تكذيب ما شهد به عليه) أي أمره ان يحلف على انه ما قال ما نسب اليه (اذ دخل في شهادة بعض من شهد عليه) بصدور هذا القول منه (وهن) أي ضعف في حلفه وهذا احتياط في حق النبوة والا فكونه اخبارا عما وقع من الكفرة من غير اعتقاد لما قالوه هو أمر واقع يكفي في عدم استحقاقه للقتل (ثم أطلقه) لحكمه ببراءته مما نسب اليه (وشاهدت شيخنا) أي عاينت وأنا حاضر عنده (أبا عبدالله محمد بن عيسى) بن حسين التميمي ولد سنة تسع وعشرين وأربعمائة وتوفي سنة خمسين وخمسمائة صبيحة يوم السبت لعشر بقين من جمادى الآخرة كما تقدم (أيام قضائه أتي برجل) ادعى عليه عنده (هاتر) وفي نسخة تهاتر والمهاترة السفاة في القول يقال تهاتر الفتيان اذا تفاحشا في القول من الهتر بفتح الهاء وكسرها وهو الباطل والسقط من الكلام وهاتر وهتر اذا لم يبال ما صنع وما قال وقيل هو بالفتح تمزيق العرض وبالكسر السقط من الكلام والتهاتر نوع من الحمق والجهل وهو أيضا العجب والداهية (رجلا اسمه محمد) والمراد انه خاصمه (ثم قصد) أي توجه (الى كلب) كان قريبا منه (فضربه برجله وقال له قم يا محمد) وقصد بذلك تحقير خصمه المسمى بهذا الاسم لكن لمشاركته له صلى الله تعالى عليه وسلم في الاسم لا ينبغي

فانكر الرجل ان يكون قال ذلك وشهد عليه لفيف) أي جمع كثير (من الناس) أي من قبائل شتى ومنه قوله تعالى جئنا بكم لفيفا أي مجتمعين مختلطين (فامر به الى السجن) بكسر السين أي الى ادخاله فيه وفي نسخة بفتحها أي الى حبسه (وتقصى) بقاف وصاد مهملة مشددة أي استقصى وبالغ في التفحص والبحث (عن حاله) ليظهر منه حقيقة مقاله (وهل يصحب من يستراب بدينه) أي يشك في اسلامه من ذمي ونحوه (فلما لم يجد) أي ابن عيسى (عليه ما يقوي الريبة) أي التهمة والشبهة (باعتقاده ضربه بالسوط) وفي نسخة بالسياط تعزيرا له حيث خاطب الكاتب بالاسم الشريف ولم يظهر منه ما يدل على انه أراد الاهانة بالنبي المنيف (واطلقه) ولم يقتله

(فصل) (الوجه الخامس ان لا يقصد) أي في مجمل قوله (نقصا) لنبيه (ولا يذكر عيبا) في أمره (ولا سبا) أي شتما أوذما في حقه (لكنه) في محتمل كلامه (ينزع) أي يميل وينجذب (بذكر بعض أوصافه) عليه الصلاة والسلام الى ما يصرفه عن ان يفهم منه نقص أوذم في أثناء الكلام (أو يستشهد) في بعض ما قاله (ببعض احواله عليه الصلاة والسلام الجائزة عليه في الدنيا) مما سبق بيانه وتقدم برهانه (على طريق ضرب المثل) متعلق بيستشهد (والحجة لنفسه أولغيره على التشبه به) أي في قوله عليه الصلاة والسلام أوفعله (أوعنده ضيمة) أي نقيصة عظيمة (نالته) أي اصابته (أوغضاضة) بالغين والضاد المعجمتين أي مذلة وحقارة (لحقته) حصلت له عليه الصلاة والسلام (ليس على طريق التاسي) أي الاقتداء به (وطريق التحقيق) أي الاهتداء به (بل على مقصد الترفيع) بالفاء أي على جهة اعلائه (لنفسه) في ابتلائه (أولغيره) من نحو آبائه أوابنائه (أوعلى سبيل التمثيل) أي التشبيه لنفسه أولغيره به عليه الصلاة والسلام (وعدم التوقير) أي التبجيل والتعظيم في تمثيله (لنبيه عليه الصلاة والسلام أوقصد الهزل) بصيغة الماضي أوالمصدر المضاف (والتندير) مصدر ندر بدال مهملة مشددة ومعناه الاسقاط أي أوقصد الساقط من القول أوالفعل (بقوله) ويجوز ان يكون من مادة الندور وهو الشذوذ فالمراد الاتيان بنادر من قول أوفعل بشيء غريب والحاصل انه خلاف التشهير مما يقتضي التعظيم والتوقير ووقع في أصل الدلجي بالموحدة والذال المعجمة والظاهر انه تصحيف في المبنى وتحريف في المعنى حيث قال أي الاعلام بقوله وقال التلمساني وعند الشارح التنديد بالدال أي في آخره قال وهو كالغيبة يقال ندد بفلان اذا قال فيه كلمة سوء وقال

ذكره لا يهامه ما لا يليق (فانكر ان يكون قال ذلك) الذي نقل عنه (وشهد عليه) باثبات ما انكره (لفيف من الناس) أي جماعة اجتمعوا ليشهدوا عليه بما وقع منه قال تعالى وجئنا بكم لفيفا أي منضما بعضكم الى بعض من لفه اذا طواه (فامر) القاضي ان يمضى (به الى السجن) ليحبس فيه (وتقصى) بفتح التاء الفوقية والقاف والصاد المهملة المشددة قبل ألف أي سال (عن حاله) في دينه والتقصي هو البحث والتفتيش الشديد كانه أبلغ قصاه قال أبو تمام * ياصاحبي تقصيا نظريكما * (و) انه (هل يصحب) احدا من (من يستراب بدينه) أي من للناس ريبة وشك في دينه ممن يتهم بالالحاد فان المرء على دين خليله فان كان كذلك يعلم انه قصد بكلامه حقيقة فاكثر السؤال عنه وعمن يخالطه (فلما لم يجد ما يقوى الريبة) من حاله وحال أصحابه ممن يتهم (باعتقاده ضربه بالسوط) تعزيرا له وزجرا عن العود لمثله (واطلقه) قال ابن حجر وما دل عليه كلامه من عدم كفره بذلك هو الصواب

(فصل الوجه الخامس) من اقسام ما نحن بصدده (ان لا يقصد) بكلامه الذي أتى به (نقصا) أي ما يدل على أمر ينقصه (ولا يذكر عيبا) أي امرا معيبا قبيحا (ولا سبا) أي ما يسب به (ولكنه ينزع) أي يميل ويلمح من قوله نزع الى وطنه يقال نازعته نفسه الى كذا أي مالت له ميلا شديدا كما قاله الراغب وغيره (بذكر بعض أوصافه) صلى الله تعالى عليه وسلم (أو يستشهد ببعض أحواله) التي كانت له صلى الله تعالى عليه وسلم أي ان ياتي بها شاهدا أي نظير الامر وقع له (الجائزة عليه في الدنيا) قيده به لان ما لا يجوز عليه نقص له (على طريق ضرب المثل) بحاله وتمثيله به ليقاس عليه غيره (أو الحجة لنفسه أولغيره) ليتاسى به لقوله تعالى لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة (أوعلى) طريق (التشبه به) صلى الله تعالى عليه وسلم * ان التشبه بالكرام فلاح * (أوعنده ضيمة) وفي نسخة عظيمة أي واقعة عظيمة والضيمة من الضيم وأصله كما قال الراغب تدخ مائيه رخاوة ثم استعير للظلم والجور قال تعالى فلا يخاف ظلما ولا هضما أي مظلمة (نالته) أي اصابته (أوغضاضة لحقته) أي تنقيص يقال غض منه اذا نقصه (ليس على سبيل) طريق (التاسي) أي الاقتداء به في مثله (و) لا على (طريق التحقيق) لاتصاف النبي صلى الله تعالى عليه وسلم به (على مقصد الترفيع) أي التعظيم (لنفسه) ان كان ذلك وقع له (أولغيره) ممن وقع له (أو) يذكره على (سبيل التمثيل) بوجعله مثله فيما اتفق له (وعدم التوقير لنبيه) صلى الله تعالى عليه وسلم لتشبيه نفسه به وأين الثريا وأين الثرى (أوعلى قصد الهزل) واللعب سفاهة منه (والتندير بقوله) بمثناة فوقية ونون فدال وراء مهملتين أي الاتيان

الجوهري يقال ندد به أي شهره وسمع به ومعناهما متقارب انتهى ولا يخفى انه تصحيف أيضا لان هذا وقع سجعا في مقابلة قوله التوقير فيتعين ان يكون براء في آخره والله تعالى أعلم بباطنه وظاهره (كقول القائل ان قيل في) بتشديد الياء أي ان ذكر في حق (السوء) بفتح السين وضمها كما قرئ بهما في السبعة قوله تعالى عليهم دائرة السوء وروى هنا بال وبدونها (فقد قيل في النبي) أي السوء بمثل ما يسوءه ويحزنه (أوان كذبت) بتشديد الدال مجهولا (فقد كذب الانبياء) وهذا وما قبله له محمل حسن اذ ظاهر انه أراد به التسلية بهم في مقام الاقتداء ومرام الاهتداء بالصبر على أقوال الاعداء ورميهم للناس بالاشياء من الاسواء واما قوله (أوان اذنبت فقد اذنبوا) ففيه خطر عظيم لعصمة الانبياء لاسيما وقد غفر لهم ما كان في صورة المعصية وظهر منهم الاوبة في مقام التوبة فلا يذكر الذنب المعفو بالاشبه في مقابلة الذي هو حقيقة المعصية وان تاب صاحبه عنه فهو تحت المشيئة لعدم صحة شرائط التوبة فلا يقاس الصعلوك بالملوك (أوانا) أي وانا (أسلم من ألسنة الناس) أي من ان ينسبوا الى مالم أفعله (ولم تسلم منهم انبياء الله ورسله) كما قال قائل

ولا احد من ألسن الناس سالم
ولو انه ذاك النبي المطهر

(أو قد صبرت كما صبر اولوا العزم) وهذا خطأ فاحش عند أولي الحزم بل يوهم انه فضل نفسه على بعض الانبياء الذين قيل في حقهم انهم ليسوا من أولي العزم كآدم عليه الصلاة والسلام لقوله تعالى فنسي ولم نجد له عزما وكيونس عليه الصلاة والسلام لقوله تعالى فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت (أو كصبر أيوب) وهذا كذب ومجازفة في القول (أو قد صبر نبي الله عن عداه) بكسر العين اسم جمع لعدو أي عن اعدائه ويروى أبو
على عداه (وحلم) بضم اللام أي تحمل (على أكثر مما صبرت) أي تحملت عليه (وكقول المتنبي) وهو أبو الطيب الجعفي الكوفي الشاعر الاديب المجيد الاريب صاحب الديوان المعروف وله من بدائع الشعر وحكمه أشياء عجيبة مشتملة على آداب وغيرها من أمور غريبة ولد بالكوفة سنة ثلاث وثلثمائة ونشأ بالشام والبادية وقال الشعر في صغره واعتنى الفضلاء بشرح ديوان شعره قال السمعاني في انسابه انما قيل له المتنبي لانه ادعى النبوة في بادية السماوة وتبعه كثير من بني كلب وغيرهم فخرج اليه لؤلؤ أمير حمص بالاخشيدية فاسره وفرق أصحابه وسجنه طويلا ثم أشهد عليه انه تاب وكذب نفسه فيما ادعاه فاطلقه ثم طلب الشعر

بامر نادر شاذ وقوعه فيذكره على سبيل الشذوذ لا التشهير والترفيع وقيل معناه الاسقاط أي اسقاط حرمة مقامه وقيل انه بمعجمة بمعنى التكلم بما فيه تعييب وتشهير وفيه نظر والظاهر انه براء موحدة وذال معجمة تجوز به عن السفاهة والتلفظ بما لا يليق به (كقول القائل ان قيل في السوء فقد قيل في النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) وفيه سوء أدب لا يخفى (أوان كذبت) أي نسب لي الكذب (فقد كذب الانبياء) وهذا فيه تسوية لنفسه بهم (وان أذنبت) أي وقع مني ذنب وخطيئة (فقد اذنبوا) وهذا سوء أدب منهم فانهم عليهم الصلاة والسلام معصومون ولو قيل بتجويزه على غير الصحيح فذنوبهم حسنات بالنسبة لغيرهم فهذا جهل من قائله (أوانا اسلم من ألسنة الناس) أي من طعن ألسنتهم وغيبتهم (ولم تسلم منهم أنبياء الله ورسله) فكيف بغيرهم (أو قد صبرت) على ما ابتليت به (كما صبر اولوا العزم من الرسل) تقدم بيانهم قريبا وانا حقيق بالصبر (أو) اني صبرت (كصبر أيوب) عليه الصلاة والسلام وقد تقدم بيان ما صبر عليه (أو قد صبر نبي الله على عداه) بكسر العين جمع عدو (وحلم) بزنة علم من الحلم أي عاملهم مع ما وقع منهم بالحلم والعفو عنهم (على أكثر مما صبرت) انا عليه ففي كل هذا من ترك الادب ما لا يخفى قال ابن حجر قضية كلامه بل صريحه عدم الكفر في هذه المسائل وهل يحرم ذلك الذي يظهر انه ان قصد به الترفع وانه شاركهم في أصل هذه الفضائل كان حراما شديد التحريم وان قصد هضم نفسه على طريق المبالغة بمعنى انه لا نسبة لي باتباعهم وقد وقع لهم ذلك فوقوعه لي أولى لم يكن حراما وعلى هذا يحمل ما وقع لبعض الاكابر من استشهادهم على ما حصل لهم بنحو هذه الكلمات في خطب كتبهم وغيرها نعم قوله ان اذنبت فقد اذنبوا شديد التحريم لا يجوز الاستشهاد به بحال وقال بعض المالكية من قال ان كان قيل في حقي أو حق فلان أوان جرى له كذا فقد قيل في حق الانبياء عليهم الصلاة والسلام أو جرى لهم حرم عليه اطلاق ذلك لان ما انتقص به يضيفه للانبياء فيؤدب وفهم بعضهم من كلام المصنف رحمه الله تعالى هنا انه يكفر بذلك وليس كما فهم وليس في مذهبنا ما يوافق القول بالتكفير لا تصريحا ولا تلويحا وليس لمن قال به دليل وتعليله بان القصد التشبيه والانتقاص فاسد اذ لا يقصد ذلك من في قلبه اسلام بل المراد كيف لا يتكلم في حقير مثلي وقد تكلم في الاكابر قال بعض المتأخرين بل اطلاق التحريم في ذلك بحسب مذهبنا منظور فيه انتهى والوجه عدم التحريم حيث كان المراد ماذكر واطلق انتهى ملخصا ثم استطرد بما وقع من هذا القبيل لبعض الشعراء فقال (وكقول المتنبي)

وقاله فاجاد وفاق أهل عصره فى حسن شعره واتصل بسيف الدولة بن حمدان فاكثر مدحه ثم سار الى عضد الدولة بفارس ومدحه وعاد الى بغداد فقتل فى طريقه بالقرب من النعمانية فى شهر رمضان سنة أربع وخمسين وثلثمائة وقيل انما قيل له المتنبى لانه قال (أنا فى أمة تداركها الله * غريب كصالح فى ثمود) وفيه انه لا يلزم من هذا التشبيه دعوة النبوة والرسالة فى مقام التنبيه وجملة تداركها الله دعائية معترضة وقبله ما مقامى بارض نخلة الا * كمقام المسيح بين اليهود (ونحوه) بالرفع أى ومثل شعره ويجوز جره أى وكقول نحوه (من اشعار المتعجرفين) أى المتجازفين المفرطين فى المدح بحيث لم يبالوا فى كلامهم ولم يهموا بموافى أدبانهم وعقائدهم (فى القول المتساهلين فى الكلام كقول المعرى) بفتح الميم والعين المهملة وتشديد الراء وهو أبو العلاء

أبو الطيب أحمد بن الحسين الشاعر المشهور وشهرته تغنى عن ذكره وترجمته مستوفاة فى التواريخ (أنا فى أمة تداركها الله * غريب كصالح فى ثمود) الامة اقوام فى أزمان نبى بعث اليهم ويكون بمعنى الجماعة مطلقا ومعنى تداركها الله بلطفه أو بهلاكه فهو دعاء لهم أو عليهم وصالح نبى الله وثمود أمته والغربة الخروج عن الاهل والوطن فاستعارها لعدم المناسبة والالفة كما يقال الكريم غريب بين أهله وهو على طريقة الشعراء فى الادعاء قال ابن حجر وكلامه محتمل لقصده تشبيه حاله فى الغربة بحال صالح عليه السلام فيكون من تصدد الترفع أو تشبيه حال من هو فيهم بحال ثمود من المشاقة وعدم الطواعية له فيكون مستلزما للترفع وصريحا فى سبهم وعلى كل فهو غير كافر والبيت من قصيدة له وقيل انه لقب بالمتنبى لهذا البيت وفيه اقوال أخر (ونحوه) أى قول المتنبى هذا وما فى معناه مما وقع (فى اشعار المتعجرفين فى القول) الذى يقولونه والعجرفة تجاوز الحد والخروج عنه وهى أيضا ارتكاب ما لا يليق من غير مبالاة به وروى فى النول بدل القول بضم النون ثم واو وكاف أى الحماقة (المتساهلين فى الكلام) يقال تساهل وتسامح اذا لم يتدبر ويتامل ما فيه ضر لدينه أو عرضه كأنه يعد الصعب سهلا (كقول أبى العلاء (المعرى) نسبة لمعرة النعمان البلدة المشهورة وهو أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخى الشاعر المشهور وهو عفا الله عنه كان أعمى من بيت علم وعرافة ومرتبته فى الذكاء وسعة العلم بالعربية وغيرها وفصاحته فى النظم والنثر أشهر من قفا نبك الا انه ممن أضله الله على علم كان متهما بالزندقة وكلامه فى ديوانه لزوم ما لا يلزم شاهد عليه لا يتردد فيه فكما أعمى الله بصره أعمى بصيرته ولولا خوف الاطالة أوردت لك من كلامه دررا وغررا (كنت موسى وافته بنت شعيب * غير ان ليس فيكما من فقير) وهو من قصيدة له فى سقط الزند أولها ابق فى نعمة بقاء الدهور * نافذ الامر فى جميع الامور يشير لقوله تعالى رب انى لما أنزلت الى من خير فقير وتوفى سنة تسع وأربعمائة ومما ينسب له يسلى به نفسه عن العمى لو أبصرت عيناك هذا الورى * لم ير انسانك انسانا والانبياء عليهم السلام لا يوصفون بالفقر ولا يجوز ان يقال لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فقير وقولهم عنه * الفقر فخرى * لا أصل له كما تقدم (على ان آخر) هذا (البيت شديد) فى جراءته (عند تدبره وداخل فى باب الازراء والتحقير) لانه لم يرض لممدوحه ان يكون مثل نبى الله اذ مراده لولا هذا شبهتك به (وتفضيل حال غيره عليه) كما يعرفه من له المام بالادب قال ابن حجر ولا يستنكر قوله هذا الدال على الازراء والتحقير لموسى صلى الله وسلم على نبينا وعليه فانه كان زنديقا كافرا وقد أتى فى كثير من شعره بصرائح الكفر وقد نحا نحوه فى زيادة القبح والتصريح بالكفر فى شعره

اللغوى الشاعر المشهور كان متضلعا من فنون الادب وله من النظم لزوم ما لا يلزم فى خمس مجلدات وذكر ان له كتابا سماه الايك والغصون يقارب مائة جزء فى الادب أيضا ومكث مدة خمس وأربعين سنة لا يأكل اللحم تدينا لانه كان يرى رأى الحكماء توفى ليلة الجمعة ثالث شهر الربيع الاول سنة تسع وأربعين وأربعمائة بالمعرة وكان مرضه فى ثلاثة أيام وقبره فى ساحة من دور أهله ذكره ابن خلكان وذكره الذهبى فى الميزان فقال روى جزأ عن يحيى بن مسعر عن أبى عروبة الحرانى وله شعر يدل على الزندقة سقت أخباره فى تاريخى الكبير انتهى وفى حاشية التلمسانى قال القراوى فى كتاب اقتراح السميرى فى شرح مقامات الحريرى يزعمون انه منتحل لمذهب البراهمة مدمن على اعتقاده وفى اشعاره واسمائه ما يدخل القلب منه ريبا منها قوله (كنت) بالخطاب (موسى وافته) أى من الموافاة أى أتته (بنت شعيب) واختلف فى اسمها (غير ان ليس فيكما من فقير) فانه شبه فيه ممدوحه وزوجته بموسى عليه السلام وامرأته وهى بنت نبى جهلا منه برفيع شانهم وبديع مكانهم (على ان آخر البيت) أى مع ان عجزه (شديد) فى القبح عند تدبره لان مضمونه التعبير لموسى بفقره (وداخل فى باب الازراء) أى الاحتقار والانتقاص (والتحقير بالنبى) أى الكليم (عليه الصلاة والسلام وتفضيل حال غيره) من الامراء الاغنياء (عليه) وسبب هذا كله التوصل للاغراض الدنية والاعراض الفانية والاعراض عن الدار الباقية بما يخفض الانبياء ويرفع السخفاء

(وكذلك) أي ومثل هذا الازراء في حق الانبياء (قوله) أي شعر أبي العلاء المعري المعري عن مقام الثناء (لولا انقطاع الوحي بعد محمد قلنا محمد) بالضم (من أبيه بديل) لغة في بدل كمثل ومثيل وشبه وشبيه (هو مثله في الفضل الا انه * لم يأته برسالة جبريل) قال التلمساني اجتراء على الله ورسوله في قوله من أبيه فاثبت له أبوة والله تعالى يقول ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين فكذب كتاب الله

وجعل الفضل متساويا وهو كما قال الغزالي شبه الملائكة بالحدادين من شبه من ليس بشئ

ابن هانئ الاندلسي كما يأتي (وكذلك قوله) أي المعري الذي ليس صريحا في الكفر في قصيدة أخرى (لولا انقطاع الوحي بعد محمد * قلنا محمد من أبيه بديل) وهو من قصيدة له في سقط الزند مدح بها علويا اسمه محمد أولها ليس التحمل من دارك حلول * والسير عن حلب لدي رحيل ومنع صرف محمد الثاني للضرورة وقال صدر الافاضل انه على مذهب الكوفيين في تجويز منع الصرف بالعلمية وحدها كقوله * يفوقان مرداس في مجمع (هو مثله في الفضل الا انه * لم يأته برسالة جبريل) وفيه من ترك الادب مالا يخفى (فصدر البيت الثاني) وهو نصفه الاول (من هذا الفصل شديد لتشبيهه غير النبي في فضله بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم) وحاشاه من ان يرضى به من له اسلام أوذوق فانه كفر بغير لذة (والعجز محتمل) لانه أخف من صدره (لوجهين أحدهما ان هذه الفضيلة) أي اتيان جبريل له بالوحي (نقصت الممدوح) عن درجة المشبه به فكأنه قال لولا هذا قلت له انه مثله (و) الوجه (الآخر استغناؤه عنها) هذا ان قصد انه مثله وان كان كذبا فان قصد هذا (فهذه أشد) في كفره وعجرفته وما كان أغناه عن مثل هذا الهذيان ولحن ابن حجر فقال وانما لم يكن كفرا الان ظاهر قوله الا انه الخ ان الممدوح نقص لفقد ذلك فان أراد انه استغنى عن ذلك فلا يحتاج اليه في المماثلة كان أقرب الى الكفر بل كفرا (ونحو منه) أي مثل ما ذكر (قول الآخر) في الكفر (واذا مارفعت راياته * خفقت بين جناحي جبرين) هو من قصيدة للاديب زيد بن عبد الرحمن بن معانا الأسيوفي المغربي من شعراء الذخيرة قال هو من شعراء غربنا المشاهير ينبئ عن أدب غزير تصرف فيه تصرف المطبوع عن المجندين في عنفوان شبابه وابتداء حاله ثم تراجع طبعه عند كماله وهو من قصيدة له في ابن حمودة تداولها القوالون لعذوبة الفاظها وسلاستها

البرق لائح من اندرين * ذرفت عيناك بالدمع المعين
ولصوت الرعد زجر وحنين * ولقلبي زفرات وانين
ملك ذوهيبة لكنه * خاشع لله رب العالمين
واذا مارفعت راياته * خفقت بين جناحي جبرين
واذا اشكل خطب معضل * صدع الشك بمفتاح اليقين

والنون فيه ساكنة لانه يلزم اختلاف حركات الروي لوقوع بعضها مرفوعا ومنصوبا ومجرورا ولولا ذلك جاز تحريكها لانه أحد ضروبه وقوله خفقت أي تحركت واضطربت وهكذا رواه ابن بسام وفي نسخة مصححة ضعفت فهو رواية أخرى حسنة وفيه انه ليس فيه ذكره صلى الله تعالى عليه وسلم وما قيل من انه فيه اجتراء على ملك معظم فيه أيضا انه ان قصد انها رايات رفعت للجهاد ونصرة للدين فصحبة جبرائيل لها ليس فيه تحقير له وجبرين لغة في جبريل وفيه لغات منها هذه ومن العجب ما قيل انه ان أراد تثنية جبريل ففيه مالا يخفى وان أراد افراده فهو في غالب النسخ بيائين انتهى وهو خلط وخبط عجيب منه (وقول الآخر من) شعراء (أهل العصر

برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بل جعله مساويا له وهو محمد بن الرشيد العباسي (فصدر البيت الثاني من هذا الفصل) بالصاد المهملة أي النوع من الكلام (شديد) أي في مقام قبح المرام وشدة الملام (لتشبيهه غير النبي في فضله بالنبي والعجز) أي وآخر البيت الثاني (محتمل لوجهين) وفي نسخة محتمل الوجهين وفي أخرى يحتمل الوجهين أي أحدهما أقبح من الآخر (أحدهما ان هذه الفضيلة نقصت الممدوح) بتشديد القاف أي خفضته عن رفيع مقام النبي (والآخر استغناؤه عنها) أي عن رسالة جبريل عليه الصلاة والسلام (وهذه) الارادة (أشد) كفرا من الاحتمال الاول فتأمل وان كان الاحتمال الاول هو الاظهر فتدبر (ونحو منه قول الآخر) قال الحلبي لا أعرفه وقال التلمساني هو للمعري انتهى والاول اظهر والاقال قوله الآخر (واذا مارفعت راياته * صفقت بين جناحي جبريل) فر

وفي نسخة جبرئين بالنون وهو لغة كما يقال في اسرائيل واسمعيل ونحوهما وما زائدة ورفعت مبني للمجهول والرايات جمع راية وهي العلم وصفقت بتشديد الفاء من التصفيق بمعنى التصويت والتضعيف للتكثير وفي نسخة خفقت والمعنى اضطربت برياح النصر وهذا اجتراء على هذا الملك العظيم (وقول الآخر من أهل العصر) أي زمن المصنف قال الحلبي لا أعرفه

(فر من الخلد واستجار بنا * فصبر الله قلب رضوان) بكسر الراء وضمها أى خازن الجنة قال الدلجى أى على فراقه اذ لم يجاوره فيه وهذه عجرفة كاذبة وقال التلمسانى استجار من الجوار أى لجأ اليه وساله الاستنقاذ انتهى ومع هذا كله لم يتبين خلاصة المعنى من هذا المبنى حتى يتفرع عليه مذمة من كفر أو فسق على مالا يخفى (وكقول حسان) يصرف ولا يصرف (المصيصى) نسبة الى مصيصة كسفينة بلد بالشام ولا يشدد كذا فى القاموس وقال التلمسانى بكسر الميم يخفف ويشدد وقيل لا يصح التشديد وقيل ان كسر شدد وان فتح خفف وقيل بكسر الميم و يخفف و يفتح و يخفف وهو موضع من ثغور الشام (من شعراء الاندلس) بفتح الهمزة وسكون النون وفتح الدال ويضم وضم اللام وفى نسخة شعار الاندلس على انه مبالغة شاعر (فى محمد بن عباد) بتشديد الموحدة وكنيته أبو القاسم من ملوك الاندلس (المعروف بالمعتمد) بكسر الميم الثانية أى المعتمد بالله تعالى توفى فى السجن سنة ثمان وثمانين وأربعمائة له قصة عجيبة مذكورة فى تاريخ ابن خلكان (ووزيره) أى وفى وزيره ومشيره (أبى بكر بن زيدون) يصرف ويمنع (كان أبو بكر الرضى * وحسان حسان وأنت محمد) أى كان وزيرك أيها الممدوح أبا بكر بن زيدون أبو بكر الصديق وشاعرك حسان المصيصى حسان ابن ثابت شاعر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وكأنك أنت الممدوح محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وقد أطال الشراح تبعا للمصنف على هذا المقال لكن لا يخلو عن نوع من الاشكال فانه لا يلزم من التشبيه التسوية فى الكمال بل من القاعدة المقررة ان المشبه به أقوى فى جميع الاحوال كما هو مقرر فى زيد الاسد الذى هو أبلغ من زيد كالاسد ومنه قولهم أبو يوسف أبو حنيفة ويقال وجه فلان كالبدر أو الشمس أو القمر وأمثال ذلك فتدبر وكان المصنف رحمه الله تعالى أراد سد باب الذريعة ليحذر الناس عن المقالات الشنيعة (الى أمثال هذا) أى الذى ذكرناه من المتعجرفين (وانما كثرنا) بتشديد المثلثة وفى نسخة أكثرنا (بشاهدها مع استثقالنا حكايتها) أى روايتها على ان نقل الكفر ليس بكفر لكن صيانة الالسنة عنه أولى الا لضرورة داعية

فر من الخلد واستجار بنا * فصبر الله قلب رضوان) فيه عجرفة لجعله رضوان وهو من الملائكة المقربين كأنه يهوى هذا الممدوح بحيث لا يقدر على فراقه ومثله قول ابن النبيه

ساق سها رضوان عن حفظه * ففر من جملة حور الجنان

وقوله

فى حسن يوسف الا انه ملك * فلا يباع ببخس النقد معدود

والمراد المبالغة فى وصفهم بالحسن لانه يقال لمن وصف بالحسن انه حورى وملك ومنه قوله تعالى ان هذا الا ملك كريم (وكقول حسان المصيصى) بصادين مخففتين مهملتين نسبة لمصيصة بلدة بالاندلس وقيل يجوز فيه فتح الميم وكسرها وتشديد الصاد وتخفيفها وانها مصيص ثغر من الثغور الشامية قال ابن بسام فى الذخيرة هو الوزير الكاتب أبو الوليد حسان بن المصيصى رفيق الوزير ابن عمار من عظماء الدولة العبادية وله أشعار بديعة أكثر قصائده فى مدائح المعتمد وله تصانيف جليلة ومعان رائقة كقوله

اذا المرء لم يزهد وقد صبغت له * بعصفره الدنيا فليس بزاهد

(من شعراء الاندلس) تقدم انه اقليم وضبط لفظه (فى محمد بن عباد المعروف بالمعتمد على الله) على عادة الخلفاء فى الالقاب وقد تولى الخلافة بعد ان كان قاضيا قال فى الذخيرة القاضى ابن عباد هو القاسم بن محمد ابن ذى الوزارتين ابن الوليد بن محمد بن اسمعيل بن محمد بن اسمعيل بن عمرو بن عطاف بن نعيم وعطاف هو الداخل الى الاندلس وكان من أهل حمص وكان عباد يلقب بالمعتضد وابنه يلقب بالمعتمد وحده ثم تغلب وتولى بعد ذلك الخلافة وله وقائع وأمور غريبة (وفى وزيره أبى بكر بن زيدون وابن زيدون) هو ذو الوزارتين والشاعر البليغ وكان مع ابن عمار فرسى رهان (كان أبا بكر أبو بكر الرضاء * وحسان حسان وأنت محمد) أى كان وزيرك أيها الممدوح أبو بكر بن زيدون أبا بكر الصديق وكان شاعرك حسان المصيصى حسان بن ثابت شاعر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا من جهله بمقام النبوة وبمجازفته وان كان المشبه دون المشبه به كما قيل

ظلمناك فى تشبيه صدغيك بالمسك * فمن عادة التشبيه نقصان ما يحكى

لكن لا وجه للتشبيه بمن ليس له شبيه وللشراح هنا كلام تركه خير من ذكره فلذا ضربنا عنه صفحا (الى أمثال هذا) المذكور من الكلام (وانما أكثرنا) أى أتينا بكثير منها (بشاهدها) المراد ما يشهد لما ادعاه من ان الناس يتساهلون فى أمثالها بما لا ينبغى وأما كون الشاهد ما يذكر لاثبات حكم والمثال ما يذكر لايضاحه فكان عليه أن يقول بمثالها فأمر اصطلح عليه أهل العربية وليس مراده هنا فليس ماذكر مشيا (مع استثقالنا حكايتها) أى عده ثقيلا لما فيه من ذكر الانبياء عليهم الصلاة والسلام

(لتعريف أمثالها) وفي أصل التلمساني لتعرف بها أمثالها وروى لتعرف أمثلتها أو لتعريف أمثلتها (وتساهل كثير من الناس) أي من الشعراء وغيرهم (في ولوج هذا الباب الضنك) بفتح الضاد المعجمة وسكون النون أي دخول هذا الطريق الضيق في المعيشة وغيرها ومنه قوله تعالى ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا وقيل الطريق المظلم ويلائمه قوله تعالى ونحشره يوم القيامة أعمى (واستخفافهم فادح هذا العبء) بكسر العين المهملة وسكون الموحدة بعدها همزة الحمل والفادح بالفاء وكسر الدال والحاء المهملتين الثقل أي وعد الناس ثقل هذا الحمل خفيفا (وقلة علمهم بعظيم ما فيه من الوزر) أي الإثم الثقيل (وكلامهم منه بما) وفي نسخة وكلامهم فيه مما (ليس لهم به علم ويحسبونه هينا وهو عند الله عظيم) وهذا مقتبس من قوله تعالى إذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا أي صغيرة وهو عند الله عظيم أي كبيرة وقد جزع بعض الأكابر عند موته فقيل له لم جزعت فقال أخاف ذنبا لم يكن مني على بال قلت ونعم ما قيل وجنودك ذنب لا يقاس به ذنب (لا سيما الشعراء) الذين ورد في حقهم والشعراء يتبعهم الغاوون إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون قال التلمساني

لا سيما يشدد ويلزمه الواو وقيل لا ويخفف ولا واو وقيل بالواو وبدونها يخفف ويشدد ويقال لا سواها وما بعد لا سيما معرفة فيجر ويرفع وينصب وقيل النصب فيه لا يصح ونكرة فالثلاثة والمختار أن ما زائدة وسي مضاف لما بعده والرفع خبر لمحذوف وما موصولة أو نكرة موصوفة وهو ضعيف في المعرفة قيل وينصب المعرفة ووجهه أن ما كافة ولا سيما كذلك في الاستثناء وهو ضعيف لأن الاستثناء إخراج وهذا فيه إدخال هذا وقد قيل الشعراء أمراء الكلام يصرفونه حيث شاؤوا وجاز لهم ما لا يجوز لغيرهم من إطلاق المعنى وتقييده ومد مقصوره وقصر ممدوده والجمع بين لغاته والتأنق في صفاته وقيل الاقتصاد محمود إلا منهم والكذب مذموم إلا منهم وقيل إياكم والشاعر فإنه يطلب على الكذب مثوبة ويقرع جليسه بأدنى زلة ولذا قيل فيهم

الكلب والشاعر في رتبة * يا ليت أني لم أكن شاعرا

أقول بل الكلب أحسن منه كما أشار إليه الشاطبي بقوله

وقد قيل كن كالكلب يقصيه أهله * وما يأتلي في نصحهم متبذلا

والمشهور أن فيه عشر خصال من خصال رجال الأبدال ما أظن أن واحدة منها توجد في شاعر الحال (وأشدهم فيه تصريحا وللسانه تسريحا) أي إرسالا وإطلاقا من غير أن يكون تلويحا (ابن هانئ) بكسر النون فهمزة وقد يسهل (الأندلسي) قال الحلبي هو أبو القاسم محمد الأزدي وكان أبوه هانئ من قرية من قرى المهدية ولد بمدينة أشبيلية ونشأ بها واشتغل وحصل له حظ وافر من الأدب وعمل الشعر فمهر فيه وكان حافظا لأشعار العرب وأخبارهم وكان متهما بمذهب الفلاسفة توجه إلى مصر ثم عاد إلى المغرب فلما كان ببرقة أضافه شخص فأقام عنده أياما فعربدوا عليه فقتلوه وقيل بل وجد مخنوقا وقيل بل نام فوجد ميتا وذلك سنة اثنتين وستين وثلثمائة وهو في المغرب كالمتنبي في المشرق وكانا متعاصرين ذكره ابن خلكان

بما لا يليق بهم أي روايتها وذكرها (لتعريف) الناس (أمثلتها) أي أمثالها مما يقع من أمثالهم (وتساهل كثير من الناس) في التكلم بمثله فذكرها رحمه الله ليحذر الناس من مثلها كما قيل

عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه * ومن لم يعرف الشر من الناس يقع فيه

(في ولوج) أي دخول (هذا الباب الضنك) أي الضيق الذي لا ينبغي دخوله لمن له دين (واستخفافهم فادح هذا العبء) أي عدهم له ثقيلا والفادح بفاء ودال وحاء مهملتين هو الثقيل والعبء بوزن الحمل ومعناه مهموز الآخر (وقلة علمهم بعظيم ما فيه من الوزر) أي الإثم والخطيئة والمراد بالقلة العدم (وكلامهم) بالجر معطوف على تساهل أي تكلمهم (فيه) أي في هذا الباب (فيما ليس لهم به علم) من حقوق الرسل والملائكة عليهم الصلاة والسلام (ويحسبونه هينا) سهلا عند الله (وهو عند الله عظيم) لأنه من الكبائر وهو اقتباس من قصة الإفك وقد أكثر الناس منه (لا سيما الشعراء) فإنهم ظنوه مبالغة في مدائحهم وتغزلاتهم وهو قبيح جدا (وأشدهم فيه تصريحا) أي الإتيان به صريحا مخالفة دينه (وللسانه تسريحا) أي إطلاقا وإرسالا قال تعالى أو تسريح بإحسان أي طلقوهن ومنه تسريح الشعر بالمشط ولذا قال ابن نباتة فيمن يسرح لحيته

فليس يمسك إمساكا بمعرفة * ولا يسرح تسريحا بإحسان

وفي التسريح والتصريح تجنيس (ابن هانئ) بزنة فاعل مهموز (الأندلسي) وصفه به لأن أبا نواس يقال له ابن هانئ أيضا وهو أبو الحسن أو أبو القاسم محمد بن هانئ الأندلسي الإشبيلي ولد بمدينة أشبيلية ونشأ بها واشتغل بعلوم الأدب والعربية ففاق فيها أهل عصره إلا أنه كان يميل لمذهب الفلاسفة ومن هنا له وقع ما وقع حتى طعن فيه وديوانه مشهور في غاية البلاغة لكنه لا يخلو من تكلف كالمعري وقد كتب عليه

(وابن سليمان) وفي نسخة وأبو سليمان (المعري بل قد خرج كثير من كلامهما الى حد الاستخفاف بالدين والنقص) بالنبي (وصريح الكفر) بالله (وقد أجبنا عنه) أي عن كلامهما وما يترتب على مقامهما فيما مضى وفي هذا تنبيه نبيه على انه يحرم سماع شعرهما وأمثالهما كما يحرم مطالعة كتب ابن عربي بل ومطالعة الكشاف ونحوهما حذرا من دسهما في كلامهما ما يبعد من سمهما في دسمهما (كما ألفت) في كفريات ابن عربي مما يتعلق بتوحيد الله تعالى أو نقص النبي رسالة مستقلة (وغرضنا الآن) هو (الكلام في هذا الفصل الذي سقنا أمثلته) نظما ونثرا (فان هذه) الامثلة (كلها وان لم تتضمن سبا) أي ذما صريحا (ولا أضافت الى الملائكة والانبياء نقصا) أي عيبا قبيحا (ولست أعني) أي أريد بهذا النفي (عجزي بيتي المعري) فانه كفر واضح والحال لائح واما قول الدلجي ولست أعني عجزي بيتي المعري فقط بل جميع ما ذكرناه من الامثلة فغلط فاحش من جهة لزوم التسوية ثم الجملة حالية معترضة بين المتعاطفين مما قبلها وما بعدها وهو قوله (ولا قصد قائلها ازراء) أي احتقارا (وغضا) أي انتقاصا كالمعري لكن مع ذلك ما قام بحق الكلام فيما هنالك (فما وقر النبوة) أي ما بجلها ولا صاحبها (ولا عظم الرسالة) ولا رسلها (ولا عزر) بتشديد الزاي وفي آخره راء أي ولا قوى (حرمة الاصطفاء ولا عزز) بتشديد الزاي الاولى (حظوة الكرامة) بضم الحاء المهملة وبكسر وسكون الظاء المعجمة أي المرتبة المكرمة والمنزلة المعظمة (حتى شبه) من الممدوحين من الامراء والوزراء (من شبه) بما ذكر من الانبياء والاصفياء (في كرامة نالها) أي لاجل جائزة أصابها من ممدوحه (أو معرة) أي مصيبة أو منقصة أو مشقة (قصد الانتفاء منها) والتبري عنها (أو ضرب مثل) لكشف المراد (لتطييب مجلسه) أي لتطييب مجلس القائل والمقول له ترغيبا في مجالسته ومخالطته ومصاحبته ومكالمته (أو اعلاء) بعين مهملة أي رفع ومبالغة وبغين معجمة أي مغالاة ومجاوزة في مقالات (في وصف لتحسين كلامه) وتزيين مرامه (بمن عظم الله خطره) بفتح الخاء المعجمة والطاء المهملة أي منزلته (وشرف قدره) أي مرتبته من أنبيائه وأصفيائه (والزم) كل أحد (توقيره) أي تعظيمه (وبره) بطاعته له وانقياده اكتسابا واجتنابا بقوله أطيعوا الله وأطيعوا الرسول (ونهى

عليه التيفاشي كتابا سماه الديباج الخسرواني في شعر ابن هانئ وارتحل لمصر ثم عاد منها فلما نزل ببرقة وجد ميتا لم يعرف من قتله وكان ذلك في يوم الاربعاء لسبع بقين من رجب سنة اثنين وسبعين وثلاثمائة وسنه اثنين وأربعين أو ست وثلاثين وهانئ جده من أهل افريقية من نسل أبي صفرة الازدي (و) أبو العلا (ابن سليمان المعري) الذي تقدم قريبا بيانه وسليمان جده وهم ينسبون الى الجد اذا اشتهر كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم أنا ابن عبد المطلب (بل قد خرج كثير من كلامهما الى حد الاستخفاف والنقص) أي تنقيص من هو كامل والاستخفاف بتجوزه عن التحقير (وصريح الكفر) لخوضهم في حق الانبياء ونحوهم (وقد أجبنا عنه) كما بينه فيما تقدم (وغرضنا) أي قصدنا (الكلام في هذا الفصل) فيما وقع للشعراء ونحوهم (الذي سقنا أمثلته) قريبا بضم شئ منه له (فان هذه) الامثلة (كلها وان لم تتضمن سبا ولا أضافت الى الملائكة والانبياء نقصا) أي ما ينقص مقامهم (ولست أعني) بكلامي هذا (عجزي بيتي المعري) فقط بل جميع ما ذكر من الامثلة (ولا قصد) ماض معطوف على قوله أضافت (قائلها ازراء) أي ازدراء (و) لا (غضا) أي نقصا لانه انما ضرب به المثل لامور ذكرها قبل هذا (فما وقر) بالقاف أي عظم (النبوة ولا عظم الرسالة) أي مقدارهما ومقامهما ووصف النبوة بالتوقير والرسالة بالتعظيم تفننا واشارة الى ان مقام الرسالة لظهوره لهم أليق بالتعظيم (ولا غزر حرمة الاصطفاء) غزر بمعجمتين وراء مهملة بمعنى كثر وقوى حرمتها واحترامها والاصطفاء اختيار الله لهم لرسالته واداء أمانته (ولا عزز حظوة الكرامة) بمهملة ومعجمتين أي جعلها عزيزة محترمة والحظوة بضم الحاء المهملة وكسرها وسكون الظاء المعجمة بمعنى القرب أي قربهم من الله بسبب كونهم مكرمين عنده بالرسالة (حتى شبه من شبه) أي شبه أحد الشعراء من شبهه بالممدوحين له (في كرامة) أي بسبب كرامة (نالها) أي أمر وصل له مما يكرمه عند مادحه (أو) شبه بسبب (معرة) أي أمر يشق عليه ويكرهه (قصد الانتفاء منها) صفة معرفة أي أراد التخلص والتبري منها (أو) شبه ممدوحه بما لا يليق به (ضرب مثل) ببعض الانبياء أو الملائكة (لتطييب مجلسه) أي لتطييب المجلس أو المجالسة والمحاورة معه (أو) بقصد بما شبه (اغلاء) بالمعجمة أي غلو ومبالغة (في وصفه) لممدوحه أو لغيره ويريد بغلوه انه وسيلة (بتحسين كلامه بمن عظم الله خطره) بفتح الخاء المعجمة وطاء وراء مهملتين وهو القدر والمنزلة (وشرف قدره) كانبيائه وملائكته وهو عطف تفسير (والزم) أي أوجب (توقيره) أي تعظيمه والتادب معه (وبره) أي صلته بزيارة قبره والدعاء له ورعاية من نسب له ونحوه (ونهى) من

من جهر القول له) بقوله سبحانه وتعالى ولا تجهر واله بالقول (ورفع الصوت عنده) أي حيا وميتا بقوله عز وجل لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي قال الدلجي أي نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وهو موهم ان هذا مختص به وليس كذلك فانه يشمله وغيره فمن أدرك عيسى عليه الصلاة والسلام فيجب عليه ان يكون معه كذلك في مقام الاكرام بل ويؤخذ منه التادب مع العلماء الاعلام والمشايخ الكرام والقضاة الفخام بل مع الوالدين وسائر صلحاء الانام (فحق هذا) القائل الذي لم يقصد بقوله نقصا ولم يذكر عيبا ولا سبا لكن كلامه بذكر بعض أوصافه ينزع الى ما يصرفه عن ان تفهم منه سبا أو نقصا (ان درئ) أي دفع (عنه القتل) أي احتياطا (الادب) بضرب وجيع وتوبيخ فظيع (والسجن) أي في مكان شنيع بحسب حاله (وقوة تعزيره) أي شدة تاديبه وتشهيره (بحسب شنعة مقاله) بضم فسكون نون أي نكارته (ومقتضى قبح ما نطق به ومالوف عادته) أي دأبه (لمثله) أي لمثل ما نطق به (أو ندوره) بضمتين أي مخلوف عادته (وقرينة كلامه) حالية أو مقالية (أو ندمة) أي بحسب ظهور ندامته (على ما سبق منه) وصدر عنه (ولم يزل المتقدمون) من العلماء والامراء ٤١٠ (ينكرون مثل هذا) المدح الموهم للقدح (ممن جاء به) من الشعراء (وقد أنكر الرشيد) وهو هارون من احفاد العباس (على أبي نواس) بضم النون فهمزة ؤ بيدل كان والده مولى الجراح ابن عبد الله الحكمي والي خراسان ولد بالبصرة ونشا بها ثم خرج الى الكوفة ثم صار الى بغداد ديوانه معروف توفي سنة خمس وتسعين ومائة ببغداد ودفن في مقابر الشونيزية ومن جيد شعره قوله في نعت النرجس

تأمل في نبات الارض وانظر * الى آثار ما صنع المليك

عيون من لجين جاريات * على أطرافها الذهب السبيك

على قضب الزبرجد شاهدات * بأن الله ليس له شريك

وقال اسحق التمار رأيت أبا نواس فيما يرى النائم فقلت له ما فعل الله بك قال غفر لي فانكرت ذلك فقلت ألست أبا نواس قال نعم غفر لي ربي بابيات قلتها وهي في البيت تحت رأسي فقال فبكرت الى ابنه فسالته عن الرقعة فادخلني الدار فرفعت الحصير فاذا رقعة مكتوب فيها بخطه

يا رب ان عظمت ذنوبي كثرة * فلقد علمت بان عفوك أعظم

ان كان لا يرجوك الا محسن * فمن الذي يدعو ويرجو المجرم

مالي اليك وسيلة الا الرجا * وجميل ظني ثم اني مسلم

أدعوك رب كما أمرت تضرعا * فاذا رددت يدي فمن ذا يرحم

هذا وانما أنكر الرشيد (قوله

فان يك باقي سحر فرعون فيكموا * فان عصا موسى بكف خصيب)

بخاء معجمة وصاد مهملة اي رحيب الجانب كريم على الاقارب والاجانب قال التلمساني وعند الشارح ان المراد بخصيب عامل لبعض الملوك العباسيين وهو المامون بن الرشيد وروي خضيب بالخاء والضاد المعجمتين يقال كف خضيب

رآه (من جهر القول له) بقوله تعالى لا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض (ورفع الصوت عنده) أي اعلاء لما فيه من قلة الادب وعدم المهابة (فحق هذا) القائل من غير قصد لسب وتنقيص لقدره بل لامر مما ذكر (ان درئ) بضم الدال وكسر الراء المهملتين قبل همزة مبني للمفعول أي دفع (عنه القتل) فلم يقتل (الادب) أي التاديب بضرب أو لوم وزجر (والسجن) أي الحبس مدة بفتح السين وكسرها (وقوة تعزيره بحسب) بفتح السين أي بمقدار (شنعة مقاله) أي قباحته (ومقتضى قبح ما نطق به) أي بقدر قباحة لفظه الذي قاله فيقدر بقدره برأي الحاكم فيه (ومالوف عادته لمثله) أي ان ألفه واعتاده بتكرر صدوره منه كأبي العلاء المعري (أو ندوره) أي وقوعه نادرا قليلا فكثرته تدل على سوء اعتقاده وعدم مبالاته به وقلته تدل على انه خطأ وغفلة من غير اعتقاد له (أو قرينة كلامه) القائمة على قصده لاستخفاف ونحوه أولا (أو ندمه) الذي يظهره (على ما سبق منه) في كلامه من غير قصد لتحقير واستخفاف (ولم يزل المتقدمون) من السلف وكبار الأئمة (ينكرون مثل هذا) الكلام (ممن جاء به) وقاله عندهم فليحذر الشاعر وغيره من ارتكاب هذه القبائح الشديدة الوزر العظيمة الاثم فانها ربما جرت الى الكفر نعوذ بالله من ذلك (وقد أنكر الرشيد) هارون بن المهدي محمد بن منصور بن عبد الله بن عباس الخليفة المشهور (على أبي نواس) الحسن بن هانئ بن عبد الاول ابن الصباح الحكمي الشاعر المشهور بالفصاحة والخلاعة ولد بالبصرة ونشا بها ثم ارتحل لبغداد واتصل بالخلفاء ومدحهم وتوفي بعد تسعين ومائة سنة خمس وقيل ست أو ثمان ووقائعه وأحواله أعرف من ان توصف ونواس بضم النون وفتح الواو ولا يهمز لانه يسمى به لانه كانت له ذؤابتان تنوسان على رأسه أي تتحركان (في قوله) في قصيدة مدح الرشيد بها ومنها (فان يك باقي سحر فرعون فيكم * فان عصى موسى بكف خصيب) هذا بيت

من

مختضب بالحناء أي ان يكن في مملكتكم ارض مصر بقية من سحر فرعون فلا هي مجدي نفعا مع وجود عصا موسى بكف أميرها
خصيب تلقف ما يأفكون ولا شبهة انه انما أراد به اثبات النبوة لممدوحه الا انه في كلامه استعارة نوع من الموهمة في ظاهر العبارة
هذا لك فو بحه بذلك (وقال له يا ابن اللخناء) بفتح اللام وسكون الخاء المعجمة فنون فالف ممدودة من اللخن وهو النتن أي يا ابن
المنتنة (انت المستهزئ) أي المستحقر (بعصا موسى) بجعلك اياها بكف خصيب (وأمر باخراجه عن

من قصيدة له في المديح أولها وخصيب عبد للرشيد ولاه مصر وقيل في سبب توليته لها انه قرأ يوما ما حكاه
الله تعالى عن فرعون أليس لي ملك مصر الآية فقال ما افتخر به فرعون لاعطينه عبدا من عبيدي
فولاه مصر وكان لابي نواس فيه مدائح كقصيدته هذه وقصائد أخر منها قصيدة أولها

أنت الخصيب وهذه مصر * فتدفقا فكلاكما بحر

وفي هذا البيت حكاية طويلة ذكرها في قلائد العقيان والخصيب بخاء معجمة وصاد مهملة من الخصب
بكسر الخاء ضد الجدب لقب به وهو معروف مشهور ومعنى البيت انه خاطب أهل مصر لما تولى عليهم
فقال يا أهل مصر ان كان عندكم بقية من سحر فرعون فقد ولي عليكم أمير المؤمنين من يبطله فاستعار
سحر فرعون لكيدهم وتجبرهم على حكامهم وعصا موسى لسياسة حاكمهم وقمع ظلمتهم ففيه
استعارة وتشبيه وتمثيل بديع لكن فيه سوء أدب لما فيه من جعل العصا التي هي معجزة لرسول بكف
عبد من عبيد الخلفاء وجعل ذلك العبد كرسول من أولي العزم ومما يتعجب منه قول من لم يعرف معنى
البيت ولم يقف على كتب الادباء ودواوينهم ان المراد بخصيب رجل كثير الخير وانه هنا عبارة عن
الرشيد نفسه وقال معناه ان اعداء أمير المؤمنين الكفرة الذين عندهم بقية قليلة من سحر فرعون
سحروا بها جيش أمير المؤمنين الجواد الكثير خيره ستلقف جنوده ما صنعوا ويلقى كيدهم في
نحورهم ثم اطال بذكر عصا موسى وما كان فيها من معجزاته فخبط بها هشيم معان لا وجه لها وزاد في
الطنبور نغمة من قال كف منون وخصيب صفته وترك تنوينه لكثرة الاستعمال وتشبيه النون
بحرف العلة وانه روي خضيب بمعجمتين وأعجب منه قول القائل انه بخاء وضاد معجمتين والكف
الخضيب اسم نجم وكذا عصا موسى وهذا كله مما يقضى منه العجب ومثله في كلام البرهان أيضا
ولولا ان من السكوت ما هو بلاغة لذكرنا كلامهم وكررنا عليه بالابطال لكني خشيت من السآمة
والملال (وقال له) أي الرشيد لابي نواس لما أنشده البيت (يا ابن اللخنا) هذا مما تشتم به العرب واللخنا
هنا أمه من اللخن وهو النتن فاستعير للفاحشة أو للمرأة التي لم تختن أي يا دنيء الاصل ولئيم الام (أتستهزئ
بعصا موسى) بجعلها في كف عبد من العبيد وهي معجزة نبي عظيم (وأمر باخراجه) وطرده (من عسكره
من ليلته) التي أنشده فيها قصيدته أي أمره بالمبادرة اطرده من غير امهاله الى الصباح صونا لمقام النبوة
ولكن أبو نواس لم يقصد بما ذكر سبا وتنقيصا واتبع الناس في قولهم لكل فرعون موسى (قال القتبي)
يعني عبد الله بن مسلم بن قتيبة وقد قدمنا ترجمته (ان مما أخذ) أي ذكر وعد (عليه) أي على أبي نواس
(وكفر فيه) أي نسب فيه الى الكفر (أو قارب) أي قرب من الكفر وان لم يكن كفر الشدة قبحه (قوله
في) قصيدة في مدح (محمد الامين) أي ابن هارون الرشيد الذي استخلف بعد موت أبيه سنة ثلاث
وتسعين ومائة وقصته مفصلة في التواريخ وكذا قصة خلعه (وتشبيهه اياه) أي تشبيه أبي نواس الامين
(بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم) في قوله في قصيدة طويلة مدحه بها وفيها (تنازع الاحمدان الشبه فاشتبها

عسكره في ليلته) وفي
نسخة من ليلته (وذكر
القتبي) بضم القاف
وفتح الفوقية قال
الحلبي انه عبد الله بن
مسلم ابن قتيبة وفي نسخة
بضم العين المهملة
وسكون الفوقية (ان
مما أخذ عليه) أي
انكر على أبي نواس
(وكفر فيه) وفي نسخة
بتشديد الفاء مجهولا
وفي نسخة به أي نسبه
(أو قارب) أي قرب ان
يكفر أو يكفر (قوله في
محمد الامين) أي ابن
هارون الرشيد بن المهدي
وتوفي الرشيد سنة ثلاث
وتسعين ومائة فبايع
للامين بالخلافة في
عسكر الرشيد صبيحة
الليلة التي توفي فيها
الرشيد وكان المامون
حينئذ بمرو وكتب صالح
ابن الرشيد الى أخيه
الامين بوفاة الرشيد مع
رجاء الخادم فارسل معه
خاتم الخليفة والبردة
والقضيب ولما وصل
الى الامين ببغداد
أجريت له البيعة ببغداد وتحول الى قصر الخلافة ثم قدمت عليه زبيدة أمه من الرقة ومعها خزائن الرشيد فتلقاها ابنها الامين
بالاقبال ومعه جميع وجوه بغداد وقضايا مشهورة قتل سنة ثمان وتسعين ومائة وكانت خلافته اربع سنين وثمانية اشهر وكسرا
(وتشبيهه) أي أبي نواس (اياه) أي محمد الامين (بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم حيث قال) وفي نسخة في الشعر (تنازع الاحمدان
الشبه فاشتبها) أي تشابها

(خلقا وخلقا كما قد الشراكان) الشبه بكسر الشين وسكون الموحدة لغة فى شبه بفتحتين والخلق بفتح أوله ظاهر الخلقة وبضمه باطنها واراد بهما الصورة والسيرة يقال هذا شبهه وشبهه أى شبيهه وقد بضم القاف وتشديد الدال المهملة أى قطع وقد والشراك بكسر الشين سير النعل واراد المبالغة فى استوائهما فى الفضل وهذا كفر صريح ليس له تاويل صحيح الا ان يدعى انه أراد بالاحمد غير محمد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكانه عدل عن المحمدين الى الاحمدين ليستقيم الوزن ولعله اراد بالسير صفة الامانة لكن بين الامينين بون بين وانما حمله على مقاله صورة موافقة الاسمين والوصفين (وقد انكروا) أى العلماء أو الامراء أو هما جميعا (أيضا عليه قوله) أى على أبى نواس وفى نسخة على الآخر وهو أصل التلمسانى وقال هكذا روى وصوابه عليه لانه قوله وقال الحلبى وفى نسخة على الآخر وفى نسخة عليه وهو الصحيح اذ قد صرح السهيلى فى روضه بانه من قول أبى نواس (كيف لا يدنيك من أمل) أى كيف لا يقرب بك من رجائك (من رسول الله من نفره) بفتح الميم الاولى وكسر الثانية أى رهطه وعشيرته وقرابته واما اطلاق النفر على الخادم فحادث وانما انكروا عليه (لان حق الرسول) أى رسول الله (وموجب تعظيمه) بفتح الجيم أى مقتضى تكريمه وأبعد الدلجى فقال بكسر الجيم أى ما يوجب ترغيبا فى تعظيمه (وانافة منزلته) أى رفعة مرتبته (ان يضاف) أى ينسب غيره (اليه) أى الى شرف نسبه وكريم حسبه (ولا يضاف) أى هو الى احد وفى نسخة الى غيره والا فالاضافة النسبية وغيرها كلها تشبيه وقد يعذر قائله بصيغة القلب كما فى قولهم عرضت الناقة على الحوض لاسيما فى ضرورة الشعر الا انه فى حقه عليه الصلاة والسلام لا يعذر بمثل هذا الكلام وحكى عن على ابن الاصفر وكان من رواة أبى نواس قال لما عمل أبو نواس قصيدة أيها المنتاب عن عفره انشدنيها فلما بلغ قوله

كيف لا يدنيك من أملى * من رسول الله من نفره

اليه

وقع لى انه كلام مستهجن فى غير موضعه اذ كان حق رسول الله ان يضاف اليه ولا يضاف هو الى احد فقلت له اعرفت عيب هذا البيت قال ما يعيبه الا جاهل بكلام العرب انما أردت ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من القبيل الذى هو الممدوح منه * اما سمعت قول حسان بن ثابت شاعر دين الاسلام

وما زال فى الاسلام من دين هاشم * دعائم عز لا ترام ومفخر
بهاليل منهم جعفر وابن أمه * على ومنهم أحمد المتخير

قال الحلبى نقلا عن السهيلى ان البهاليل جمع بهلول وهو الوضئ الوجه مع طول وقوله ومنهم أحمد المتخير قد عابه بعض الناس لما اضاف أحمد المتخير اليهم وليس بعيب لانهم البيت باضافة تعريف وانما هو تشريف لهم حيث كان منهم وانما ظهر العيب فى قول أبى نواس كيف لا يدنيك البيت لانه ذكر واحدا واضاف اليه قال التلمسانى وانما اراد التخلص بحجة ما فى روايه أقول ما قيل الغريق يتعلق بكل حشيش واما قول الانطاكى ويستند أيضا بقول حسان هذا على جواز التقديم والتاخير فى الواو فانه بدأ فى اللفظ بجعفر ثم جاء بعده بعلى ثم بالنبى عليه الصلاة والسلام وهو المقدم فى الحقيقة ففيه ان هذا من قبيل الترقى لا التدلى

خلقا وخلقا كما قد الشراكان) شبه تشابههما فى الخلقة والاخلاق ببرد أو متاع تنازعاه أى جذبه كل واحد منهما أو طلبه وهو عبارة عن شدة الشبه بينهما والاحمدان مثنى أحمد يعنى كثير الحمد وهما بزعمه الفاسد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والامين واراد ان يقول المحمدين فلم يساعده النظم وقيل انه تغليب ولا وجه له ثم اكد شدة تشابههما بقوله كما قد الشراكان فجعلهما كشراكين أى سيرين قطعا من جلد أديم واحد بقدر واحد فهما كشئ واحد لا يتميز احدهما عن الآخر وهذا كقولهم هما كركبتى البعير وكالحلقة المفرغة وفيه من سوء الادب ما لا يخفى لتشبيهه رجلا فاسقا سخيف العقل باكمل الخلق وأجلهم عليه الصلاة والسلام وفى جعلهما كالشراكين وهما يوضعان فى النعال كفر على كفر وشبه بكسر فسكون بمعنى شبه بفتحتين قال ابن حجر وهو وان كان فى غاية القبح الا انه لا يكون كفرا على قضية مذهبنا الا ان قصد المشابهة المطلقة (وقد انكروا عليه أيضا) أى على أبى نواس كما انكروا ما قبله (قوله) فى قصيدة أخرى هى من غرر قصائده أولها

أيها المنتاب عن عفره * لست من ليلى ولا سمره

ومنها (كيف لا يدنيك من أمل * من رسول الله من نفره)

خاطب نفسه على طريق التجريد أى كيف لا يقرب بك ما ترجيه وتامله كريم منسوب الى اكرم الخلق وهو معنى حسن الا انه اساء فى العبارة (لان حق الرسول) أى رسول الله عليه السلام على من يذكر أمته (وموجب تعظيمه) بفتح الجيم ويجوز كسرها أى ما يوجب الترغيب فى تعظيمه (وانافة منزلته) أى رفعها على غيرها (ان يضاف) غيره (اليه) فيقال هو من نفر رسول الله (ولا يضاف هو لغيره) كما فعل أبو نواس قال ابن عبد ربه فى العقد قالوا من حق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان يضاف

(فالحكم فى امثال هـذا) الذى أوردناه وفى نسخة فى مثـل هذا قال التلمسانى هو أنسب (مابسـطناه) أى ما فصلناه وبيناه (من) وفى نسخة فى (طريق الفتيا) بضم الفاء لغة فى الفتوى بفتحها وهما مشهورتان كما ذكره النووى يعنى ان كلا يقضى عليه بحسب ما ظهر منه وصدر عنه (وعلى هذا المنهج) الذى سلكناه والمعنى على طبقه ووفقه (جاءت فتيا امام مذهبنا مالك بن أنس وأصحابه) أى اتباعه ممن ادركه وغيره (فى النوادر من رواية ابن أبى مريم) أى الجمحى البصرى أبو محمد الحافظ يروى عن الليث وطائفة وعنه ابن معين وأبو حاتم وجماعة ثقة أخرج له الائمة الستة (عنه) أى عن مالك (فى رجل عير رجلا بالفقر فقال تعيرنى) أى بالفقر كما فى نسخة أى أتعيرنى به (وقد رعى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الغنم) قال الدلجى على قراريط لقريش والمحققون انه عليه الصلاة والسلام لم يرع لاحد بالاجرة وانما رعى غنم نفسه وهذا لم يكن عيبا فى قومه كما يعرف من رعى بنات شعيب ورعى موسى عليهما السلام بل قيل كل نبى رعى الغنم والله تعالى أعلم ليتدرب على رعاية الامة بوجه الترحم كما أشار اليه بقوله كلكم راع وكلكم مسؤل عن رعيته فالامام راع وهو مسؤل عن رعيته والرجل راع فى أهله وهو مسؤل عن رعيته والمرأة راعية فى بيت زوجها وهى مسؤلة عن رعيتها والخادم راع فى مال سيده وهو مسؤل عن رعيته والرجل راع فى مال أبيه وهو مسؤل عن رعيته فكلكم مسؤل عن رعيته رواه أحمد والبخارى ومسلم وأبو داود والترمذى عن ابن عمر وسيأتى زيادة الكلام على هذا المرام وقد حكى ان موسى عليه الصلاة والسلام رأى شاة شاردة فتبعها ليردها فزادت فى شرادها وتنفرها حتى بعدت عن قطيعها فلحقها فحملها على كتفه رحمة لها فنودى فى الملكوت بين المقربين أيصلح هذا العبد ان يكون من الانبياء والمرسلين فقالوا نعم يارب العالمين ويا أرحم الراحمين وهذا وامارواية رعى بقراريط فقالوا انه اسم موضع (فقال مالك قد عرض) بتشديد الراء أى لوح

اليه ولا يضاف هو لغيره ولو اتسع متسع لكان له مجاز حسن وذلك لانه كقول القائل من بنى هاشم لغيره من ابناء قريش منا رسول الله يريد انه من القبيلة التى نحن منها كقول حسان رضى الله تعالى عنه

وما زال فى الاسلام من آل هاشم * دعائم عز لاترام ومفخر
بهاليل منهم جعفر وابن أمه * على ومنهم أحمد المتخير

فقال من آل هاشم كما قال هذا من نفره انتهى * أقول يعنى ان اللوم انما جاءه من قوله من نفره لنفرة السمع عنها لكن من عرف نهج أبى نواس فى الباس كلامه ديباج كلام غيره من القدماء عرف انه لافرق بينه وبين قول حسان المذكور وانما نفروا من نفره لانه بمعنى التابع والخادم وهو فى كلام القدماء من يفتخر به من المنافرة وهى المفاخرة والعرب تفتخر بالآباء والقبائل وافتخارهم باحدهم أمدح عندهم فهو لم يقصد ما نحوا نحوه لكنه كما قيل * اساء سمعا فاساء جابه * وقال ابن هلال فى كتاب الصنعتين انه تبع قول حسان رضى الله عنه

أكرم بقوم رسول الله شيعتهم * اذا تفرقت الاهواء والشيع

(تنبيه) قال السهيلى فى الروض الانف فى رسالة المهلهل بن المزرع قال على بن الاصفر وكان من رواة أبى نواس لما عمل أبو نواس هذه القصيدة وأتى بهذا البيت وقع لى انه كلام مستهجن اذ حق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان يضاف اليه ولا يضاف الى أحد فقلت له اعرفت هذا البيت فقال ما يعيبه الاجاهل بكلام العرب انما أردت ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من القبيل الذى هذا الممدوح منه اما سمعت قول حسان أكرم الخ وليس هذا بعيب لانها اضافة تشريف لاتعريف بخلاف قول أبى نواس لانه ذكر واحدا واضاف اليه انتهى وقد عرفت ما فيه وقيل انه أراد بنفره منافرته وفخره وروى ذو نفره والاولى ترك مثله (فالحكم فى) مثل (هذا) أى فى أمثاله وفى نسخة فى امثال هذا (ما بسطناه) أى بيناه مفصلا مبسوطا (فى طريق الفتيا) أى يفتى فيه بما يستحقه على قدر شناعة قوله قال فى المصباح الفتوى بالواو بفتح الفاء وبالياء فتضم اسم من أفتى اذا بين الحكم واستفتيته سألته بيانه وهو من الفتى وهو الشاب القوى وجمعه فتاوى بكسر الواو وعلى الاصل ويجوز فتحها للتخفيف (وعلى هذا المنهج) أى المسلك الذى سلكه (جاءت فتيا امام مذهبنا مالك بن أنس وأصحابه) هو مجاز عن أفتوا به فى مذهبه (فى النوادر) اسم كتاب فى فقه مالك (من رواية ابن أبى مريم) هو أبو بكر سعيد بن الحكم بن أبى مريم الجمحى البصرى الحافظ الثقة وروى عنه البخارى والستة توفى سنة أربع وعشرين ومائتين (عنه) أى روايته عن مالك (فى رجل عير) أى عاب ونسب للعار (رجلا بالفقر فقال) الرجل (تعيرنى بالفقر) بحذف الهمزة أى أتعيرنى بهذا (وقد رعى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الغنم) باجرة لاحتياجه (فقال مالك) رحمه الله تعالى مجيبا لمن ساله (قد عرض) أى نقص

(بذكر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في غير موضعه) اللائق به (أرى أن يؤدب) قال الانطاكي روى أنه عليه الصلاة والسلام قال يوم حنين لذلك المنافق الذي قال الاترون صاحبكم يقسم صدقاتكم في رعاة الغنم و يزعم أنه يعدل و يلك اما كان موسى راعيا اما كان داود راعيا والحديث في الكشاف وفيه دليل على جواز اطلاق اسم الراعي على الانبياء وان ذلك لا يستوجب التاديب اذا لم يقصد القائل بمنقصة ولعل هذا الحديث لم يبلغ مالكا أو لم يصح عنده انتهى ولا يخفى ان الحديث اذا لم يصح عنده كيف يخفى عليه ان موسى عليه السلام رعى الغنم (قال) أي مالك (ولا ينبغي لاهل الذنوب اذا عوتبوا) فيما صدر عنهم خطا في قول أو فعل (ان يقولوا) في جواب العتاب (قد أخطات الانبياء قبلنا) فان هذا خطأ من وجوه اذ لا يقاس الحدادون بالملائكة فان خطا الانبياء ما كانت الا زلات نادرة في بعض أوقات تسمى صغائر بل خلاف الاولى بل حسنات بالنسبة الى سيآت غيرهم وهي مع هذا ممحوة بتوبة عقيبها وتحقق قبولها كما أخبر الله بها بخلاف ذنوب الامم فانها شاملة للكبائر وغيرها عمدا وخطا واستمرارا وعلى تقدير توبتهم لا يعرف تحقق شروط صحتها وقبولها بل ولا يدري خاتمة أمر صاحبها بخلاف الانبياء فانهم معصومون من الاصرار على المعصية ومامونون من سوء الخاتمة فلا تصح هذه المقايسة (وقال عمر بن عبد العزيز لرجل أنظر لنا كاتبا يكون أبوه عربيا فقال كاتب له قد كان أبو النبي عليه السلام كافرا فقال جعلت هذا مثلا فعزله وقال لا تكتب لي أبدا) وهذا يوافق ما قال امامنا في الفقه الاكبر ان والدي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ماتا على الكفر وقد كتبت في هذه المسئلة رسالة مستقلة ودفعت فيها ما ذكره السيوطي من الادلة على خلاف ذلك في رسائله الثلاث لكن لا يجوز ان يذكر مثل هذا في مقام المعيرة (وقد كره سحنون

تعريضا (بذكر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في غير موضعه) لتمثيله له بحال عير بها (أرى ان يؤدب) أي يعزر لينزجر غيره عن مثله (قال) مالك (ولا ينبغي لاهل الذنوب) أي من صدر منهم ذنب (اذا عوقبوا) على ذنوبهم بمقدارها (ان يقولوا) اعتذارا عما صدر منهم (قد اخطات الانبياء قبلنا) فشبه نفسه بالانبياء ونسب الانبياء لصدور الذنوب منهم وكلاهما مما لا يليق التكلم به وقد يؤدي الى القتل لانه ردة وهم معصومون من الذنوب كبائرها وصغائرها كما مر وما نسب اليهم حسنات لغيرهم ولو سلم فهو مغفور فكيف يجعل ذنوب غيرهم كذنوبهم فمثله لا يصدر ممن يعرف مقامهم (وقال عمر بن عبد العزيز) الخليفة الاموي العادل الذي تقدمت ترجمته (لرجل أنظر لي كاتبا يكون أبوه عربيا) أنظر هنا بمعنى ائتني به وعلى هذا جرى الاستعمال فهو مجاز أو كناية ومراده كاتب يكتب في الديوان وشرط ان يكون عربيا ليكتب كتابة صحيحة و يعرف احوال الناس (فقال له كاتب له قد كان أبو النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كافرا) انما أجابه بهذا وهو لم يقل له مسلما لان الكتبة في العصر الاول كانوا من الروم والعجم نصارى وصابئة لمعرفتهم بالحساب لانهم أهل كتاب (فقال) عمر (له) أي للكاتب الذي أجابه بهذا (جعلت هذا) الذي قلته (مثلا) أي جعلت كفر أبي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مثلا وشاهدا لك على انه لا يشترط في الكاتب العربية والاسلام وتحقير أبي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ولو سلم كفره ففيه تعريض باذية النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فسقط ما قيل انه حماقة وجهالة اذ لا مناسبة بين عربية الكاتب وكفر أبي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (فعزله) من كتابته (وقال لا تكتب لي أبدا) وهذا تاديب له وتعزير حتى ينزجر امثاله عن امثال هذه المقالة وفي ذلك اشارة الى اسلام أبويه صلى الله تعالى عليه وسلم قال ابن حجر وهذا هو الحق بل في حديث صححه غير واحد من الحفاظ ولم يلتفتوا لمن طعن فيه ان الله تعالى أحياهما له فآمنا به خصوصية لهما وكرامة له صلى الله تعالى عليه وسلم فقول ابن دحية يرده القرآن والاجماع ليس في محله لان ذلك ممكن شرعا وعقلا على جهة الكرامة والخصوصية فلا يرده قرآن ولا اجماع وكون الايمان به لا ينفع بعد الموت محله في غير الخصوصية والكرامة وما أحسن قول بعض المتوقفين في هذه المسئلة الحذر الحذر من ذكرهما بنقص فان ذلك قد يؤذيه صلى الله تعالى عليه وسلم لحديث الطبراني لا تؤذوا الاحياء بسب الاموات انتهى وحديث مسلم قال رجل يا رسول الله أين أبي قال في النار فلما مضى وولى دعاه فقال ان أبي وأباك في النار يتعين تاويله واظهر تاويله عندي انه أراد بابيه عمه أبا طالب لان العرب تسمي العم أبا فانه عمه الذي كفله بعد موت جده عبد المطلب وانه صلى الله عليه وسلم انما قصد بذلك ان يطيب خاطر ذلك الرجل خشية ان يرتد لو وقع سمعه أولا ان أباه في النار بدليل انه قال له ذلك بعد ان ولى أو كان ذلك قبل ان ينزل عليه قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا كما وقع له صلى الله تعالى عليه وسلم انه سئل عن اطفال المشركين فقال هم مع آبائهم ثم سئل عنهم فذكر انهم في الجنة انتهى ملخصا (وقد كره سحنون) تقدم انه فقيه

ان يصلى على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عند التعجب الاعلى طريق الثواب) أى قصده (والاحتساب) أى طلب الاجر (توقيراله وتعظيما كما أمرنا الله) بقوله صلوا عليه وسلموا تسليما (وسئل القابسى عن رجل قال لرجل قبيح) أى صورته (كأنه وجه نكير) هو أحد ملكى سؤال القبر والآخر منكر وانما سميا بذلك لانهما يأتيان العبد بهيئة منكرة وصورة مغيرة امتحانا من الله لعبده فى المقبرة (ولرجل) أى أوقال رجل لرجل (عبوس) أى وجهه وجبينه (كأنه) أى وجهه (وجه مالك الغضبان) على أهل العصيان وهو خازن النار قال تعالى ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال انكم ماكثون وروى مالك

مذهب الامام مالك عبد السلام التنوخى الامام الزاهد المحدث تلميذ ابن وهب وأشهب وانه توفى لتسع خلون من رجب سنة أربعين ومائتين وهو ابن ثمان وثمانين سنة (أن يصلى على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عند التعجب) من أمر مستحسن تعجب منه كما هو عادة العوام (الاعلى طريق) ان يقصد بصلاته عليه (الثواب والاحتساب) أى ان يقوله امتثالا لامر الله بقوله تعالى صلوا عليه فيفعله (توقيرا له) صلى الله تعالى عليه وسلم (وتعظيما كما أمرنا الله تعالى) لا لقصد التعجب ولا لدفع العين عما تعجب منه فانه ليس محلا لذلك وقد تقدم الكلام عليه وان فيه كلاما للفقهاء (وسئل القابسى) تقدم بيانه (عن رجل قال لرجل قبيح الوجه كأنه) أى كأن وجهه (وجه نكير) أى نكير ومنكر الملكان المعروفان اللذان يسألان الميت فى قبره حين يدفن عن اعتقاده (و) سئل عن رجل قال (لرجل عبوس) تقدم ان العبوس أن يقطب الرجل وجهه ولا يبدى بشاشته (كأنه) أى كأن وجهه (وجه مالك الغضبان) مالك اسم ملك خازن النار ويوصف بالغضب لانه موكل بمن غضب الله تعالى عليه فيتلقاهم بصورة الغضب (فقال) القابسى فى جوابه (أى شئ أراد) القائل (بهذا) الكلام الذى قاله (ونكير) اسم (أحد فتانى القبر وهما ملكان) خلقهما الله تعالى للسؤال فالفتانان هما ملكا السؤال سميا فتانين فى الحديث من الفتنة وأصل معناها الامتحان والاختبار لانهما يختبران مافى قلب الميت من عقيدته وايمانه (فالذى أراد) القائل به (أروع) أى خوف وفزع (دخل عليه) أى وقع فى قلبه (حين رآه) لشدة قبحه (من وجهه) متعلق بدخل أو بروع أى من رؤية وجهه (أم عاف النظر اليه) بعين مهملة وفاء أى كرهه واستقذر منظره فكره النظر اليه (لدمامة) بدال مهملة وميمين بينهما ألف بوزن قباحة ومعناها وهو المراد والذمامة بالمعجمة من الذم وذكر المعايب وهو جائز هنا أيضا يقال رجل دميم وذميم بمعنى قبيح ومذموم (خلقه) بفتح فسكون أى خلقته (فان كان هذا) المذكور من انه عافه وكرهه (فهو شديد) فى القبح بما قاله (لانه جرى مجرى التحقير والتهوير) بمثناة فوقية وهاء وواو ومثناة تحتية ساكنة وراء مهملة الوقوع فى أمر بغير مبالاة به وفى نسخة بنون بدل الراء وهى غير مناسبة لانه حينئذ يكون من الاهانة لكن فى ورود التهوير بهذا المعنى نظر فهو مجاز وفى نسخة التوهين بتقديم الواو على الهاء ومعناه التضعيف من الوهن وعلى كل حال فيه ركاكة لاتخفى (فهو أشد عقوبة) عن أراد انه حصل له فزع منه لما فيه من تحقيره لملك من الملائكة (وليس فيه تصريح بالسب للملك) وانما شبهه به فى انه كرهه ولا شك ان كل أحد يكره الموت ومامعه بالطبع فى أكثر العوام وليس فى مثل هذه الكراهة تحقير (وانما السب واقع على) الرجل (المخاطب) بهذا الكلام لا على الملك وليس فى قوله كان وجهه واجهه بالخطاب فاما أن يكون قال له كأنه وجهك فحكى القابسى معناه أو المصنف تجوز بعبارة الكلام الملقى فى حق غيره مقام من يصلح للخطاب

مدون الالف وصوابهما أن يكونا بالتنوين وغضبان نعتهما (فقال) أى القابسى (أى شئ) بالرفع ويجوز نصبه أى ما الذى (أراد بهذا) الكلام (ونكير أحد فتانى القبر) بتشديد الفوقية أى أحد الممتحنين فى القبر والجملة معترضة حالية وكذا قوله (وهما) أى نكير ومنكر أو نكير ومالك (ملكان) من جملة الملائكة المقربين ولما طال الفصل بالجملتين أعاد الكلام بقوله (فالذى أراد أروع) بفتح الراء أى أخوف وأفزع (دخل عليه) أى على القائل (حين رآه) أى المقول له وفى نسخة اذرآه (من وجهه) متعلق بدخل أى من جهة هيئة وجهه (أم عاف النظر اليه) أى كره رؤيته لديه ووقوع بصره عليه وفى نسخة عاب بدل عاف (لدمامة خلقه) بالدال المهملة وقيل بالمعجمة أى حقارة صورته (فان كان) مراده (هذا) أى القصد الثانى (فهو شديد) فى التنكير (لانه جرى مجرى التحقير والتهوين) الذى يوجب التكفير وفى نسخة التوهين (فهو) أى هذا القائل بهذا المعنى وفى نسخة فهذا (أشد عقوبة) أى يستحق أن يعاقب أشد عقوبة من القائل بالمعنى الاول (وليس فيه تصريح السب للملك) والا فكان موجبا القتل (وانما السب واقع على المخاطب) الا انه يستحق التاديب لما فى تشبيهه من قلة الادب

(وفي الادب بالسوط) أي بالضرب به (والسجن) أي حبسه (نكال) أي عبرة (للسفهاء) وعقوبة تمنعهم عن مثل هذه الاشياء فان السجن قبر الاحياء ومن أحسن ماقيل في باب السجن قول بعضهم

خرجنا من الدنيا ونحن من أهلها * فلسنا من الاحياء فيها ولا الموتى * اذا جاءنا السجان يوما لحاجة

فرحنا وقلنا جاء هذا من الدنيا * ونفرح بالدنيا فجل حديثنا * اذا نحن أصبحنا الحديث عن الرؤيا

ثم من ألفاظ الكفر رجل قال لغيره رؤيتك عندي كرؤية ملك الموت وقد اختلف علماؤنا فيه فقال أكثرهم يكون كفرا وقال بعضهم ان قال ذلك لعداوة ملك الموت يصير كافرا وان قال ذلك لكراهة الموت لا يصير كافرا كذا في فتاوى قاضيخان وهذا الاخير هو الصحيح ودليله قوله تعالى من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فان الله عدو للكافرين (قال) أي القابسي (وأما ذكره لمالك خازن النار فقد جفا الذي ذكره) أي غلظ طبعه وقل أدبه حيث تفوه بقوله وجه مالك الغضبان وضبطه الدلجي بالهمزة وفسره برمى (عندما أنكر حاله) وفي نسخة عندما رأى (من عبوس الآخر) وهو المقول له (الا أن يكون

المعبس) بتشديد الموحدة المكسورة (ممن له يد) أي تصرف سلطنة وقدرة عقوبة (فيرهب) بصيغة المجهول مخففا ومشددا أي فيخاف وقال الحلبي يرهب رباعي مبني للفاعل أي يخيف والاظهر انه ثلاثي بصيغة الفاعل أي فيخاف ويفزع (بعبسته) بفتحتين وفي نسخة بضم فسكون وفي نسخة بعبوسه (فيشبهه) وفي نسخة فشبهه (القائل على طريق الذم) أو المدح أو الخوف أو المزح (لهذا) الذي له يد (في فعله) أي من اظهار سوء خلقه (ولزومه في ظلمه صفة مالك) أي خازن النار (الملك) المعظم المطاع (المطيع لربه في فعله) اذ هو ممن قال فيهم عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون (فيقول كأنه لله يغضب غضب مالك) خازن النار فيه حينئذ لا يظهر وجه الذم (فيكون) قوله ذلك حينئذ (أخف) مما قبله (وما كان ينبغي مع ذلك له التعريض) وفي نسخة التعرض (بمثل هذا) التشبيه وهو قوله كأنه وجه مالك الغضبان (ولو كان) هذا القائل (أثنى على العبوس بعبسته واحتج بصفة مالك) خازن النار (كان) قوله ذلك (أشد) من ذلك الاخف (ويعاقب) عليه (المعاقبة الشديدة) وفيه بحث حيث جعل مقام الثناء والمدح أشد من مقال الذم والقدح (وليس في هذا) الذي ذكرناه من تاويل ماقررناه (ذم للملك) أي أصلا (ولو قصد ذمه لقتل) لانه كفر به واخطأ الدلجي في قوله قتل حدا لا كفرا لان كفره وقتله مجمع عليه وانما يكون قتله حدا عند المالكية اذا تاب والله تعالى أعلم بالصواب

(وفي الادب) أي التاديب بمعنى التعزير (بالسوط) أي الضرب به (والسجن) بفتح السين وكسرها كما مر أي الحبس (نكال السفهاء) فهو على أنواع مفوضة للحاكم والنكال العقوبة والسفهاء جمع سفيه من السفه وهو الخفة ممن عقله سخيف (قال) القابسي (وأما ذاكر مالك خازن النار) بما تقدم وذاكر اسم فاعل من الذكر بمعنى قائل ماتقدم من تشبيه المعبس وجهه به (فقد جفا) أي غلظ طبعه وقل أدبه أو هو من جفات القدر اذا رمت زبدها وسخها أي رمى الملك (الذي ذكره) بما قاله من ان وجهه كوجه مالك الغضبان (عندما أنكر حاله من عبوس) الرجل (الآخر) المقول له مامر (الا أن يكون) الرجل (المعبس له يد) أي قدرة وتسلط بالقهر كالسلطان (فيرهب) بالبناء للفاعل أو المفعول (بعبسته) وفي نسخة بعبوسه أي يخاف منه اذا عبس (فيشبهه القائل) كأن وجهه وفي نسخة فشبهه (على طريق الذم لهذا) الذي له يد أو لهذا الامر لان شر الناس من يخاف الناس شره (في فعله ولزومه في ظلمه) وفي نسخة في صفته والظاهر انها هي الصواب لان الظلم لا يناسب قوله انه أثنى عليه (صفة مالك الملك) خازن النار (المطيع لربه في فعله) لان الملائكة كلهم لا يعصون الله تعالى ولا يفعلون الا ما يؤمرون (فيقول) اذا عصاه أحد (كأنه لله يغضب غضب مالك) أي كغضب مالك فانه لا يغضب الا على من غضب الله عليه وأراد عقابه (فيكون) اذا قصد هذا ماقاله (أخف) وأقل وزرا من غيره ولما استشعر انه اذا أراد ان يغضب لله لا قبح فيه أصلا أجاب بقوله (وما كان ينبغي له التعرض لمثل هذا) وفي نسخة التعريض لمثل هذا والذي ينبغي تركه التشبيه بالملائكة لآحاد الناس (ولو كان هذا القائل) (أثنى على العبوس) بفتح العين صيغة مبالغة كجهول بعبسه (واحتج بصفة مالك) وهي عبوسه (كان) قوله هذا (أشد) مما قبله (ويعاقب عليه المعاقبة الشديدة) لجرمه الشديد (وليس في هذا) الكلام مطلقا أو فيما أتى به احتجاجا بصفة الملك (ذم للملك) وقصده ذم من خاطبه لا غيره (ولو قصد ذمه) أي ذم الملك (لقتل) هذا مذهب مالك وعند غيره يؤدب ويستتاب فان تاب والا قتل ولا يخفى ما في كلام المصنف رحمه الله تعالى هنا وانه كلام مشوش محتاج للتنقيح والتهذيب بان يقول

(وقال أبو الحسن) أي القابسي (أيضا في شاب معروف بالخير) أي الصلاح (قال لرجل شيا) من الكلام (فقال الرجل) أي له (اسكت) زجراله عما قال (فانك أمي) أي مغفل لا تفرق بين الخير والشر أو عامي ما قرأت شيا من العلم وعند الفقهاء هو من لا يحسن الفاتحة ومن معانيه منسوب الى الام أي على أصل ولادته من غير اكتساب في قراءته وكتابته أو منسوب الى أم القرى وهي مكة وما حولها أو منسوب الى الامة بمعنى الجماعة (فقال أليس كان النبي أميا فشنع

عليه) بصيغة المجهول مشددا

وعن القابسي فيمن قال لقبيح كأنه وجه نكير ولعبوس كأنه وجه مالك الغضبان انه لا يكفر اذ لا تصريح فيه بسب الملك وانما السب فيه للمخاطب بل يعاقب العقاب الشديد فان قصد ذم الملك قتل وما ذكره ظاهر ويؤخذ من كلامه هنا ان ذم بعض الملائكة وتنقيصه كذم الانبياء وتنقيصهم وهو ظاهر وصرح به آخر الكتاب (وقال أبو الحسن) القابسي (أيضا) كما قال في المسئلة المذكورة (في شاب معروف بالخير) أي الصلاح والدين وصفه بهذا بيانا للواقع وانه لم يقصد تحقير النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله الآتي (قال لرجل شيا) يتعلق بالعلم والدين (فقال له الرجل اسكت) زجرا له عن قوله فيما لا يعلمه الا العلماء (فانك أمي) بضم الهمزة وقد تكسر وتقدم انه هو الذي لا يكتب ولا يقرأ الخط نسبة الى أمة العرب لاشتهارهم بذلك أو الى الام كأنه خرج من بطن أمه (فقال الشاب أليس كان النبي صلى الله عليه وسلم أميا) وهو أعلم الناس والاستفهام فيه تقريري (فشنع) ببناء المعلوم وفاعله ضمير الرجل أو الناس على التنازع أو المجهول أي قبح وذم (مقاله) انه أمي (وكفره الناس) بمقاله هذا جهلا منهم بما أطلقوه (وأشفق الشاب) أي خاف على نفسه ودينه لانه كان صالحا دينا (مما قاله وأظهر الندم عليه) أي على صدور هذا المقال منه خوفا مما يترتب عليه في الدنيا والآخرة (فقال أبو الحسن القابسي) لما سئل عنه (اما اطلاق) القول (الكفر عليه فخطأ) لان الله وصفه صلى الله عليه وسلم به في قوله الذين يتبعون الرسول النبي الامي الآية وهو لم يقصد بذلك ذما ولا تنقيصا (لكنه مخطئ في استشهاده) أي اتيانه بشاهد أي نظير لحاله (بصفة النبي صلى الله عليه وسلم) وهو كونه أميا مثله في صفته وبينهما من الفرق ما بين السماء والارض فلذا قال (وكون النبي صلى الله عليه وسلم أميا آية له) أي معجزة باهرة وفضيلة ظاهرة (وكون هذا) الشاب المذكور (أميا نقيصة فيه) أي صفة نقيصة بجهله (وجهالة) لعدم علمه وقراءته ويأتي بيانه مبسوطا ولو كان كاملا فاضلا قرأ أو كتب فكيف شبه صفته الناقصة بصفة النبي صلى الله عليه وسلم الكاملة (ومن جهالته) الظاهرة استشهاده وتمثيله و (احتجاجه) على حسن أميته وعدم منافاتها للخوض في العلوم (بصفة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) وكيف تستوي أميته بامية غيره وقد أتى بعلوم لا تحصى وأخبر عما سلف من أحوال الامم وعما هو آت وهو أمة أمية ولم يخرج من بينهم ولا تعلم من أحد ولذا كان ذلك من أعظم معجزاته صلى الله عليه وسلم كما قال الابوصيري
كفاك بالعلم في الامي معجزة * في الجاهلية والتاديب في اليتم
وتقدم ما فيه فاستشهاده بذلك لجهله فهو معذور لا يكفر بقوله هذا (لكنه اذا استغفر) الله لعلمه بانه مذنب (وتاب) بندمه وعزمه على ان لا يعود لمثله (واعترف) بذنبه وانه مخطئ (ولجأ) أي استند ورجع (الى الله) هاربا وفارا للحق (فيترك) ولا يؤاخذ ولا يعاقب ويزجر (لان قوله) هذا ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان أميا من غير قصد تنقيص (لا ينتهي) ويصل (الى حد) العقوبة بالقتل (وما طريقه الادب) أي ما يستحق فاعله التاديب دون القتل (فطوع) أي يتطوع (فاعله بالندم عليه) مبادرا

أي قبح وذم (مقاله وكفره الناس) أي عامتهم فتغير له الحال (وأشفق الشاب) أي خاف على نفسه ودينه (مما قال وأظهر الندم) أي الندامة والتوبة (عليه) من ذلك لسوء المقال (فقال أبو الحسن القابسي اما اطلاق الكفر عليه فخطأ لكنه مخطئ في استشهاده) أي استدلاله بكونه أميا (بصفة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) حيث لم يفرق بين الاميين كما بينه المصنف بقوله (وكون النبي أميا آية له) أي معجزة وكرامة كما قال تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون (وكون هذا) الشاب وغيره (أميا نقيصة فيه وجهالة) أي في حقه وقال الدلجي وجهالة برفيع محله عليه الصلاة والسلام (ومن جهالته

احتجاجه بصفة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) دفع جهالته عن نفسه (لكنه اذا استغفر وتاب واعترف) بانه مخطئ في هذا الباب (ولجأ الى الله تعالى) على طريق الاضطراب (فيترك) عن العقاب وفي نسخة ترك (لان قوله) أليس كان النبي أميا (لا ينتهي الى حد القتل) أي الى حد يوجب القتل وانما يوجب التعزير والتاديب (وما طريقه) أي موجبه (الادب فطوع فاعله) أي فانقياد فاعله الاعم من قائله (بالندم عليه يوجب الكف عنه) أي بعدم التعرض له بسوء وفي الخلاصة روي عن أبي يوسف انه قيل بحضرة الخليفة ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم

كان يحب القرع فقال رجل أنا لا أحبه فامر أبو يوسف باحضار النطع والسيف فقال الرجل أستغفر الله مما ذكرته ومن جميع ما يوجب الكفر أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله فتركه ولم يقتله وتاويل هذا انه قال بطريق الاستخفاف والا فالكراهة الطبيعية ليست داخلة تحت الاعمال الاختيارية ولا يكلف بها أحد في القواعد الشرعية (ونزلت أيضا مسئلة) أي وردت (استفتى فيها) أي طلب الجواب عنها (بعض قضاة الاندلس) وفي نسخة بعد أي بعد هذه القضية فيرفع قضاة الاندلس لانه فاعل والمفعول على كل تقدير (شيخنا القاضي أبا محمد بن منصور رحمه الله في رجل تنقصه رجل آخر بشئ) من الكلام وفي أصل الدلجي بشئ من القول (فقال له انما تريد نقصي بقولك) لي ذلك (وأنا بشر وجميع البشر يلحقهم النقص) أي البشرى (حتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) بالرفع ويجوز نصبه وجره (فافتاه باطالة سجنه) أي حبسه مدة طويلة (وايجاع أدبه) حال حاضر به (اذلم يقصد السب) والا فيحكم بقتله لكفره (وكان بعض فقهاء الاندلس أفتى بقتله) أخذا له بظاهر قوله زجرا له ولغيره ولعل هذا كله مبني على السياسة وسد باب الذريعة والا فالمخلوق من حيث هو مخلوق خرج من العدم الى الوجود وفي صدد الزوال عن عالم الشهود ناقص الحال بالاضافة الى كمال الملك المتعال لاسيما ولا يخلو أحد عن تقصير في مقام العبودية عما يجب عليه من قضاء حقوق الربوبية كما أومأ اليه صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله لا أحصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك وكما اشار اليه سبحانه وتعالى بقوله كلا لما يقض ما امره قال البيضاوي لم يقض الانسان من لدن آدم عليه الصلاة والسلام الى هذه الغاية ما أمر الله تعالى باسره اذ لا يخلو أحد من تقصير ما ولو كان عظيما في قدره

(فصل)

(الوجه السادس ان يقول القائل ذلك) القول الذي فيه نقص من قدره (حاكيا عن غيره وآثرا) بهمزة ممدودة وكسر مثلثة أي راو يا وناقلا (عن سواه) وفي نسخة واثرا بفتحتين أي رواية والاظهر انه مصدر بمعنى فاعل ليلائم المعطوف عليه (فهذا) الناقل (ينظر) من جهة قرائن روايته (في صورة حكايته وقرينة مقالته) ودلالة حالته المؤذنة بغرضه الباعث له على روايته (ويختلف الحكم) المقضي عليه به فيه (باختلاف ذلك) مما يظهر من صورة حكايته وقرينة حالته هنالك (على أربعة وجوه) من الاحكام (الوجوب) بالجر ويجوز اختاه (والندب والكراهة والتحريم) بدل بعض من كل أو كل من كل بان يكون الربط بعد العطف وهذا ذكره اجمالا واما بيانه تفصيلا (فان كان) أي ناقله (أخبر به على وجه الشهادة) لاحد أو عليه نفيا واثباتا (والتعريف بقائله) حالا وصفة (والانكار) أي عليه كما في نسخة (والاعلام بقوله) ليعلم ما يترتب عليه من قتل وتعزير وتوبيخ ونحو ذلك (والتنفير منه) أي بالاحتراس والاحتراز عنه (والتجريح له) بتقديم الجيم على الحاء المهملة يقال جرحه بالتخفيف والتشديد أي ذكر عيبه ونقصه وهو في الشهادة والخبر ويروى بتقديم الحاء ومعناه التاثيم والتضييق يقال حرجه نسبه للحرج وهو الاثم والضيق (فهذا) القول على هذا المنوال

معترفا بخطئه والتوبة والندامة (يوجب الكف عنه) وتركه من غير معاقبة له (ونزلت) أي وقعت والنوازل الحوادث التي تطرأ (أيضا) كهذه (مسئلة استفتى فيها بعض قضاة الاندلس شيخنا القاضي أبا محمد بن منصور) الذي تقدمت ترجمته (في رجل تنقصه آخر بشئ) أي عابه وذمه به (فقال له انما تريد نقصي بذلك) الذي قلته (وأنا بشر وجميع البشر يلحقهم النقص حتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) فانه بشر يلحقه ما يلحقهم والكمال المنزه عن النقص انما هو لله عز وجل (فافتاه) أي أفتى في هذا القائل (باطالة) حبسه في (سجنه) زجرا له ولامثاله (وايجاع أدبه) اضافة الايجاع وهو الايلام بضرب به تعزيرا له الى أدبه بمعنى تاديبه من اضافة المصدر لفاعله أو هو من اضافة الخاص للعام (اذلم يقصد) بما قاله (السب) لكنه أخطأ في استشهاده كما مر (وكان بعض فقهاء الاندلس أفتى بقتله) فخالفه وردفتواه

(فصل الوجه السادس) من وجوه ذكر ما فيه تنقيص له صلى الله عليه وسلم (ان يقول القائل ذلك حاكيا) له (عن غيره وآثرا) بمد الهمزة ومثلثة مكسورة وراء مهملة أي ناقلا له (عن سواه) من قولهم آثرت الحديث اذا رويته ونقلته (فهذا) الحاكي الناقل (ينظر في صورة حكايته) الظاهرة من سياقه (وقرينة مقالته) القائمة على قصده عند نقله (ويختلف الحكم) الذي يحكم به (باختلاف ذلك) باختلاف الصور والقرائن (على أربعة وجوه) من الاحكام (الوجوب والندب والكراهة والتحريم) وهو بدل مما قبله بدل بعض أو كل ويجوز رفعه ونصبه وهذا اجمال فصله بقوله (فان كان) هذا الناقل (أخبر به على وجه الشهادة) اثباتا أو نفيا (والتعريف) حال (قائله) وصفته (والانكار) عليه فيما قاله (والاعلام بقوله) ليحكم عليه بما يقتضيه (والتنفير منه) حتى يجتنب و يطرد (والتجريح له) بالطعن فيه وبيان عيوبه وروى التحريج بتقديم الحاء المهملة على الجيم أي التضييق والتاثيم (فهذا) أي النقل

على

(مما ينبغي امتثاله) ويقبل مقاله (ويحمد فاعله) أي ناقله (وكذلك الحكم (ان حكاه في كتاب) أي تصنيف (أو في مجلس) لوعظ أو تدريس (على طريق الرد) أي دفعه وفي نسخة على جهة الرد (له والنقض) أي ابطاله (على قائله والفتيا بما يلزمه) أي الافتاء بما يوجبه من قتل ونحوه (وهذا) الرد (منه) أي بعضه (ما يجب) بيان حكمه (ومنه ما يستحب بحسب حالات الحاكي لذلك) الذي حكاه ردا (والمحكي عنه) أي كذا بحسب حالاته في مقالاته (فان كان القائل لذلك) الذي حكاه (ممن تصدى) أي تعرض وتصدر (لان يؤخذ عنه العلم) الشريف (أو رواية الحديث) المنيف (أو يقطع بحكمه) أي لان يجزم ويلزم بحكمه لكونه أميرا أو قاضيا (أو شهادته) لعدالته (أو فتياه) في الحقوق لعلمه وحلمه (وجب على سامعه) أي سامع قوله حكما أو فتيا (الاشادة) أي الافشاء والاشاعة (بما سمع منه والتنفير للناس عنه) تحذيرا منه (والشهادة عليه بما قاله) ليجتنب عنه (ووجب على من بلغه ذلك) الذي صدر عنه ولو لم يحضر هنالك (من أئمة المسلمين انكاره وبيان كفره) ان صدر ما يوجبه (وفساد قوله) على تقدير خطئه في تقديره (لقطع ضرره عن المسلمين وقياما بحق سيد المرسلين) ومراعاة لحماية الدين على مقتضى قواعد المجتهدين (وكذلك ان كان) هذا القائل (ممن يعظ العامة) ويزجرهم عن الامور المحرمة ويزهدهم في الدنيا ويرغبهم في الاخرى ويبين لهم مراتب درجات العقبى ويفتح لهم أبواب العوارف أو يذكر لهم أصحاب المعارف لاسيما اذا كان يتكلم في علم التوحيد ومقام التفريد ويدعي الشهود ويتفوه بمسئلة الوجود فانه مقام خطر من الوقوع في الحلول والاتحاد والاتصال والالحاد في مجمع من العباد المجتمعين من أطراف البلاد وقد وضعت رسالة مستقلة في الفرق بين الوجودية من الموحدين والوجودية من الملحدين خذلهم الله أجمعين (أو يؤدب الصبيان) بتعليم القرآن أو العلوم الادبية من النحو والصرف واللغة والقواعد العربية كما ذكر الزمخشري في ربيع الابرار في باب اللطافة والاسرار ان ولدا قرأ وان عليك لعنتي قال الفقيه الى يوم الدين وقال بعض الفضلاء سمعت معربا يعرب لتلميذه قوله تعالى الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما فقال قيما صفة لعوج فقلت له ياهذا كيف يكون العوج قيما (فان من هذه) الاخلاق (سريرته لا يؤمن على القاء ذلك في قلوبهم) وتأثيره في صدورهم

على هذه الوجوه المذكورة (مما ينبغي امتثاله) أي الانقياد له وقبول نقله (ويحمد فاعله) أي يعد محمودا ناقله (وكذلك) حكمه (ان حكاه في كتاب) الفه أو ارسله لغيره (أو) حكاه (في مجلس) بحضر من الناس (على جهة الرد له) ببيان انه مخطئ فيه قائل لما لا ينبغي (والنقض على قائله) بضاد معجمة أي الابطال لمقاله بالحجج (أو) ذكره (للفتيا بما يلزمه) بيانه شرعا (وهذا) المذكور للرد والنقض والافتاء بما يلزمه بيانه (منه ما يجب) ذكره وبيان حكمه (ومنه ما يستحب) بيانه (بحسب) بفتح السين أي على قدر (حالات الحاكي لذلك) فيما يحكيه (والمحكي عنه) بحسب ما يعلم من حاله وقرائن مقاله وهذا الى هنا اجمال للحالات الاربعة وهي معلومة منه وما قيل من انه لا يعلم منه الوجوب صريحا وقوله حكاه في كتاب أو مجلس لا يساعده كلام واه غني عن الرد ثم فصله بقوله (فان كان القائل) ممن حكاه أو حكي عنه وفسره بعضهم بالحاكي وآخر بالمحكي عنه والاولى تعميمه لهما كما يقتضيه ما بعده (لذلك) القول المذكور (ممن تصدى) أي انتصب وتقيد (لان يؤخذ عنه العلم) لانه من أهله الذين يتلقى عنهم لكونه شيخا أو مفتيا (أو رواية الحديث) عنه لاخذه له عن أهله (أو يقطع بحكمه) لانه حاكم مفوض اليه الحكومة (أو شهادته) لشهرة عدالته (أو فتياه في الحقوق) لفقاهته وتصدره للافتاء بحق (وجب على سامعه) اذا سمع مقاله حكما أو افتاء (الاشادة بما سمعه منه) برفع ذكره والاشادة بكسر الهمزة وشين معجمة ودال مهملة أي الاشتهار بذكره وتسبيحه بين الناس وأصل الاشادة رفع البناء ثم استعير لرفع الصوت وتوسع فيه فاريد به الشهرة مطلقا فسقط ما قيل من انه ينبغي أن يقول الاعلام الذي هو أعم من الاشادة (وتنفير الناس عنه) تحذيرا منه (والشهادة عليه بما قاله) ليجتنب أو يجرى عليه أحكامه (ووجب على من بلغه ذلك) الذي سمعه منه (من أئمة المسلمين انكاره وبيان كفره) بسبب مقاله (وفساد قوله) لبطلانه وينقل هذا ويشاع (لقطع ضرره عن المسلمين) بزجره وغيره مما يستحقه (وقياما بحق سيد المرسلين) للانتصار له والانتقام ممن قصر في حقه (وكذلك) يجب ما ذكره (ان كان) قائله ومبلغه (ممن يعظ العامة) ويذكرهم بنصحه لهم (أو يؤدب الصبيان) بتعليمهم القرآن ونحوه (فان من هذه) الخصلة التي تتعرض بها (سريرته) أي ما يضمره في نفسه فيرشح بها كلماته وكل اناء بالذي فيه يرشح (لا يؤمن على القاء) مثل (ذلك في قلوبهم) أي قلوب من ذكر من العامة أو الصبيان الذين يقبلون ما يلقى اليهم لعدم معرفتهم ونقد بصيرتهم فاذا كان من صدر عنه هذا حاله

(فيما كد في هؤلاء) أي في حقهم (الايجاب) بالانكار (لحق النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) ان كان الامر متعلقا (ولحق شريعته) (ان تعلق بطعن) في قربته (ولحق الله) ان تعلق بمسئلة ذاته وصفاته ومصنوعاته هذا وفي مجمع الفتاوى لو تكلم بكلمة الكفر مذكر وقيل القوم ذلك منه كفروا حيث لم يعذروا بالجهل وزاد في المحيط وقيل اذا سكت القوم عن المذكر وجلسوا عنده بعد تكلمه بكلمة الكفر كفروا يعني اذا علموا أنه كفر به أو اعتقدوا كلامه (وان لم يكن القائل بهذه السبيل) الذي يؤخذ عنه العلم (فالقيام بحق النبي صلى الله تعالى عليه وسلم واجب وحماية عرضه) أي وصيانته عن طعن ونقص فيه (متعين) لا يجوز التهاون به والعرض بكسر أوله النسب والحسب (أنصرته عن الاذى) أي عما يتاذى به وروى على الاذى (حيا وميتا) كما يدل عليه قوله تعالى وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا (مستحق) بفتح الحاء أي فرض عين (على كل مؤمن) ليصح ايمانه (لكنه) أي القيام بحقه فرض كفاية وفي نسخة لكن (اذا قام بهذا من ظهر) أي علا (به الحق وفصلت به) بضم الفاء وكسر الصاد المهملة أي انفصلت به (القضية) بالحكومة الشرعية (وبان به الامر) أي ظهر الحق وتبين الصدق (سقط عن الباقي الفرض) المتعلق بذمة كل أحد فلو سكتوا كلهم أثموا جميعهم (وبقي الاستحباب) بالنسبة الى غير من قام بالحق من الدعوى والشهادة والحكم والقتل ونحوه (في تكثير الشهادة) عليه للتقوية والتشهير للقضية (وعضد التحذير منه) بفتح العين المهملة وسكون الضاد المعجمة أي نصرته ومساعدته في الاحتراز عنه (وقد أجمع السلف على بيان حال المتهم في الحديث) أي في روايته بذكر جرحه وطعنه وعدالته وديانته حتى روي ان يحيى بن معين مع جلالته روي طائفا بالبيت المكرم يقول فلان كذاب فلان وضاع في روايته (فكيف بمثل هذا) المقام الذي يجب فيه القيام وقد قال الجويني في قوله عليه الصلاة والسلام من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار ان الكذب عليه عمدا كفر وهو حديث مشهور بل قيل انه متواتر (وقد سئل أبو محمد بن أبي زيد عن الشاهد) الواحد (يسمع مثل هذا) الكلام المترتب عليه الملام (في حق الله تعالى) أو حق نبيه عليه الصلاة والسلام (أيسعه أن لا يؤدي شهادته) عند حاكم ليؤدبه بحسب ما تقتضي حالته ومقالته (قال) أي ابن أبي زيد (ان رجا) أي السامع بمعنى انه ترجح عنده ان (نفاذ الحكم) بفتح النون والفاء وبالذال المعجمة أي تنفيذه وروى انفاذ الحكم أي اجراؤه وامضاؤه (بشهادته فليشهد) أي وجوبا (وكذلك ان علم ان الحاكم لا يرى القتل بما شهد به) هذا السامع

(فيما كدمن هؤلاء الايجاب) أي ايجاب انكاره واشاعة فساده (لحق النبي صلى الله عليه وسلم) على كل أحد لاسيما الحكام (ولحق شريعته) التي يجب الذب عنها وحمايتها أما امكن (وان لم يكن القائل بهذه السبيل) أي لم يكن ممن يؤخذ عنه العلم والحديث والفتوى (فالقيام بحق النبي صلى الله تعالى عليه وسلم واجب) ذباعن مقام النبوة وعظيم منزلتها (وحماية عرضه) الشريف (متعين) لا يتهاون فيه مسلم (ونصرته) ضمنه معنى حمايته فلذا قال (عن الاذى) أي ما يؤذيه (حيا وميتا) أي في حال حياته وموته (مستحق) بصيغة المفعول أي واجب (على كل مؤمن) فهو فرض على كل من بلغه خلافه (لكن اذا قام بهذا) المذكور من الحماية والذب عنه (من ظهر به الحق) بقدرته على اجراء حكمه فيه (وفصلت به القضية) أي وقع له حكم فاصل بين الحق والباطل بقوته (وبان به الامر) أي ظهر ما يستحقه وأقيم عليه ما يستوجبه (سقط عن الباقي) أي عن بقية الناس (الفرض) الذي وجب عليهم لانه فرض كفاية لا فرض عين (وبقي الاستحباب في تكثير الشهادة عليه) على من صدر عنه مثله مما لا يليق (وعضد) بسكون الضاد المعجمة من عضده اذا قواه ونصره (التحذير منه) أي من قائله وقوله وهذا أحد الاقوال في فرض الكفاية اذا قام به البعض سقط عن غيره وسقط عنه الوجوب وهل يبقى استحبابه وندبه أو اباحته وجوازه ففيه خلاف وهذا مبني على انه هل يجب على الجميع ابتداء أو على بعض غير معين والكلام فيه مقرر في كتب أصول الفقه ليس هذا محل تفصيله (وقد أجمع السلف) المتقدمون من العلماء المحدثين (على بيان حال المتهم) بالكذب (في الحديث) النبوي من رواته (فكيف بمثل هذا) المتهم بالغض عن مقام النبوة وتنقيصها فالاعتناء بذاته الشريفة صلى الله عليه وسلم ألزم منه بحديثه (وقد سئل الشيخ (أبو محمد بن أبي زيد) تقدمت ترجمته (عن الشاهد) أي من تقبل شهادته (يسمع مثل هذا) الكلام الذي يستحق قائله ما مر (في حق الله تعالى أيسعه) أي أيحل له ويجوز فهو مجاز بتشبيه قوله (ان لا يؤدي شهادته) بمحل ذا سعة أي ان لا يقيم الشاهد عليه عند حاكم يقضي عليه بما يستحقه (قال) ابن أبي زيد (ان رجا) أي ظن ظنا راجحا أو علم (نفاذ الحكم) أي ان يمضي الحاكم (بشهادته) عليه (فليشهد) أي يلزمه الشهادة بما سمعه (وكذلك) يلزمه الشهادة (ان علم ان الحاكم) الذي تقام عنده الشهادة (لا يرى القتل بما شهد به) أي مذهبه ان القائل لا يستحق القتل

(ويرى الاستتابة) أى قبول توبته (والادب) أى مع ذلك كما فى مذهب مالك (فليشهد) هنالك (ويلزمه) على سبيل الوجوب (ذلك واما الاباحة لحكاية قوله) المشتمل على كفره (لغير هذين المقصدين) المتقدمين (فلا أرى لها) أى للحكاية (مدخلا فى الباب) على سبيل الاباحة (فليس التفكه) أى التفوه من غير غرض شرعى (بعرض رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والتمضمض) بالضادين المعجمتين أى التحرك والتكثير (بسوء ذكره لاحد) واما قول التلمسانى ومن معانى التمضمض الاكثار وهو بعيد لان الاكثار والاقلال فى هذا سواء فمدفوع لان الاقلال لما يترتب عليه الحكم من القتل والتعزير والجرح والتحذير متعين كما تقدم وانما الاكثار الذى لا يترتب عليه فائدة هو الممنوع (لا ذاكرا) أى لفظه مطلقا (ولا آثرا) أى حاكيا وناقلا اتفاقا (لغير غرض شرعى بمباح) خبر ليس بل انه حرام أو مكروه (واما للاغراض المتقدمة) كالشهادة والرد والنقض (فمتردد) بفتح الدال الاولى مشددة أى فموضع تردد (بين الايجاب والاستحباب) والاول أولى والله تعالى أعلم بالصواب (وقد حكى الله تعالى مقالات المفترين عليه) أى الكذابين على الله (وعلى رسوله فى كتابه) بالانكار على وجه الانكار لقولهم) أى لمقول الكفار (والتحذير) أى ولتحذير غيرهم (من كفرهم والوعيد عليه) أى على أمرهم (والرد عليهم بما تلاه الله علينا) فى لسان رسوله المعظم (فى محكم كتابه) المكرم (وكذلك وقع من أمثاله) أى امثال ما تلى علينا بالعبارة الصريحة (فى أحاديث النبى الصحيحة على الوجوه المتقدمة) من الانكار والتحذير والوعيد وغيرها (وأجمع السلف) المتقدمون (والخلف) المتأخرون (من أئمة الهدى) وهم العلماء العاملون (على حكايات مقالات الكفرة والملحدين) أى على ذكرها (فى كتبهم وفى مجالسهم) حال التدريس والوعظ (ليبينوها للناس) مما خفى لديهم (وينقضوا شبهها عليهم) جمع شبهة بمعنى شك وريبة (وان كان ورد

القتل عنده (ويرى) انه انما يستحق (الاستتابة) أى طلب التوبة منه (والادب) أى التعزير دون القتل وقوله (فليشهد ويلزمه ذلك) تاكيد لما فهم من قوله كذلك وهذا مذهب الامام مالك ومذهب غيره انه يلزمه الشهادة مطلقا وان لم يكن يدعى عليه لانه لا يلزم طلب الشهادة فى حقوق الله وما ورد من الذم فى حق من شهد ولم يستشهد محمول على حقوق العباد (واما الاباحة لحكاية قوله) الذى فيه سب وتحقير للانبياء عليهم الصلاة والسلام أى جوازها وحلها (لغير هذين المقصدين) من الانكار والتنفير عنه والتجريح والنقض والافتاء كما تقدم (فلا أرى) واعتقد (لها مدخلا فى الباب) الذى يجب به صيانة مقام النبوة (فليس التفكه) أى التحدث على طريق التلهى به واجراؤه لما عاجبه مستعار من تناول الفاكهة ولا يأباه وروده بمعنى التعجب والتندم وان سلم عدم ثبوته بهذا المعنى فلا وجه لما قيل انه ينبغى ان يقول الفكاهة بالضم لا بالفتح كما فى المصباح (بعرض النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) والعرض ما ينبغى صيانته من كل أحد (والتمضمض) أى اجراؤه على فمه ولسانه مستعار من تمضمض بالماء اذا غسل به داخل فمه فشبه الكلام بالماء وادارته فى فمه بالمضمضة وهو أحسن من قول العرب تمضمضت عنه بالنعاس كما فى الاساس (بسوء ذكره) أى بما فيه سوء (لاحد) متعلق بمقدار أى جائزا لاحد لانه يجب تعظيمه واحترام مقامه حماه الله عن كل سوء (لا ذاكرا) له بلفظه (ولا آثرا) أى ناقلا وراويا له عن غيره (لغير غرض شرعى) كالرد والتنفير ونحوه مما تقدم (بمباح) وجائز وهو متعلق بذاكر والخبر لاحد أو هو خبر والباء زائدة لتاكيد النفى وهذا أولى (واما) ذكره (للاغراض المتقدمة) من الشهادة عليه عند الحاكم والانكار ونحوه مما تقدم بيانه (فمتردد) أى دائر ومنقسم (بين) أمرين (الايجاب) أى كونه واجبا عليه (والاستحباب) أى كونه مستحبا لعدم قصد قائله أو قيام غيره به ودخل فيه الكراهة لانها تعلم من الاباحة بالطريق الاولى فلا يتوهم انه لم يستوف الاقسام الاربعة التى ذكرها ثم استدل على ما ذكره فقال (وقد حكى الله تعالى مقالات المفترين) الذين كذبوا (عليه وعلى رسله فى كتابه) الكريم فى مواطن كثيرة (على وجه الانكار لقولهم) الذى اختلقوه (و) على وجه (التحذير من كفرهم) منه ومن مثله (و) على وجه (الوعيد عليه) بعقابهم فى الدارين (و) على وجه (الرد عليهم) بابطاله ونقضه (بما تلاه) أى ذكره (سبحانه) تنزيها ولا يخفى موقعه هنا (علينا فى محكم كتابه) أى كتابه المحكم الذى لا يقبل التغيير والتحريف وذكره هنا لانه لا يقبل النسخ كالقصص (وكذلك) أى كما وقع فى القرآن (وقع من أمثاله) وفى نسخة فى أمثاله (فى أحاديث النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الصحيحة) اسنادا ومتنا (على الوجوه المتقدمة) منها الانكار والتحذير ونحوه أو الوجوب واخواته (وأجمع السلف والخلف من أئمة الهدى) الذين هدوا واهتدوا (على حكايات مقالات الكفرة والملحدين) المائلين عن الحق من الزنادقة والمنافقين (فى كتبهم) أى كتب الائمة التى (صنفوها وفى مجالسهم) أى مجالس وعظهم ومحادثتهم (ليبينوها) حتى يعلموا ما فيها من الفساد فيجتنبوها (وينقضوا) أى يبطلوا (شبهها) جمع شبهة ويردوها (عليهم وان كان ورد) أى نقل ما يخالفه

(لاحمد بن حنبل انكار لبعض هذا) الذى ذكر (على الحارث بن أسد) المحاسبى بما حكاه فى كتاب الرعاية (فقد صنع أحمد مثله فى رده على الجهمية) طائفة من أصحاب جهم بن صفوان من المبتدعة بل من الكفرة المخترعة واصله من سمرقند ومن مذهبه القول بان الجنة والنار يفنيان وان الايمان هو المعرفة فقط دون الاقرار وسائر الطاعات وانه لافعل لاحد غير الله وان العباد فيما ينسب اليهم من الافعال كالشجرة تحركها الرياح باختلاف الاحوال فالانسان عنده لايقدر على كسب شئ من أعماله وانما هو مجبر فى أفعاله لاقدرة له ولا ارادة ولا اختيار فى الحسنات والسيئات وانما يخلق الله تعالى فيه الافعال على حسب مايخلق فى الجمادات ادرك صغار التابعين قال الذهبى ماعلمته روى شيا لكنه زرع شرا عظيما انتهى وأخذ ذلك عن السمنية وهم دهرية ولما شككوه فى أمره ترك الصلاة أربعين يوما وقال لاأعبد من لاأعرف (والقائلين) أى وعلى القائلين (بالمخلوق) أى بالقرآن المخلوق وهو قول المعتزلة أو بالعمل المخلوق للانسان أى هو يخلقه وهو قول المعتزلة والقدرية أو بالمخلوق القديم على ان المخلوق بمعنى الخلق ومعناه انه قديم وهو قول الفلاسفة والدهرية والاقوال الثلاثة كلها باطلة اما قدم العالم فهو بين اعدام الموجد وبين الشركة وكلاهما كفر بالاجماع واما خلق الافعال فهو كقول المجوس فى ان خالق الضوء غير خالق الظلمة لكنه يغاير قولهم بانهم من الثنوية وهؤلاء من أرباب التوحيد فى الالوهية واما خلق القرآن فانهم لما انكروا الكلام النفسى قالوا ذلك ففى التحقيق لاخلاف هنالك وانما ابتدعوا من حيث انكار الكلام النفسى والا فالقرآن من حيث انه مكتوب بايدينا ومقروء بالسنتنا ومحفوظ بصدورنا فلاشك انه مخلوق بحسب اللفظ والمبنى الا انه يجب أيضا صيانته عن ان يقال انه مخلوق بهذا المعنى واما ماذكره العلامة التفتازانى فى شرح العقائد من حديث القرآن كلام الله غير مخلوق ومن قال انه مخلوق فهو كافر بالله العظيم فقد قال الصغانى هو موضوع وقال السخاوى وهذا الحديث من جميع طرقه باطل هذا ولا يبعد ان يجمع بين صنيع أحمد وانكاره على المحاسبى بان المحاسبى ذكر أدلة المبتدعة ثم ردهم بادلة أهل السنة بخلاف أحمد حيث لم يلتفت الى شبهاتهم بل ردعليهم بالادلة العقلية والنقلية بطلان عقيداتهم (وفى هذه الوجوه) المتقدمة (السائغة) بالسين المهملة والغين المعجمة أى الجائزة وهى مرفوعة (الحكاية) بالجر والرفع أى الرواية (عنها) (ومقالاتهم) من مقالات الكفرة والفجرة ومن نحا نحوها (فاماذكرها على غير هذا) النمط (من حكاية سبه والازراء) وروى الازدراء (بمنصبه على وجه الحكايات) فى المحاورات أو الاسفار (والاسمار) جمع سمر بفتحتين ويسكن وهو حديث الليل واصله فى ظل القمر ويجوز كسر همزه على انه مصدر اسمر اذا تحدث بالليل مطلقا فهو تخصيص بعد تعميم (والطرف) بضم المهملة وفتح الراء وفى آخره الفاء جمع طرفة وهو مايستطرف ويستجاد من المقال والمال (وأحاديث الناس) أى كلماتهم المتحدث بها للاستئناس

(ل) الامام (أحمد بن حنبل أيضا) أى كما نقل عن غيره (انكار لبعض هذا) أى انكار حكاية هذا المذكور عن الكفرة وأمثالهم مطلقا مما أجازه غيره (على الحارث بن أسد) وهو المعروف بالمحاسبى صاحب التآليف المشهورة وقد قدمنا ترجمته (فقد صنع) الامام (أحمد مثله) أى ذكر مثل ماصنع المحاسبى من ذكر مقالات هؤلاء فى كتاب الرعاية له (فى رده) أى الامام أحمد (على الجهمية) وهو الجهم بن صفوان واصحابه من المبتدعة واصحاب المذاهب الباطلة والعقائد الفاسدة وجهم هذا هلك فى آخر عصر التابعين قال الذهبى فى الميزان ماعلمته روى شيأ لكنه زرع شرا عظيما وجهم يلقب بابى محرز وهو سمرقندى وكان جبريا يرى ان الانسان لايقدر على شئ ولا استطاعة له ولا اختيار وافعاله يخلقها فيه وتنسب اليه مجازا ويقول ان الجنة والنار يفنيان (و) على (القائلين بالخالق) وفى نسخة بان القرآن مخلوق من المعتزلة وفى كثير من النسخ وبالمخلوق وذكر فيها التلمسانى احتمالات منها مخلوقية القرآن ومنها ان يراد ان المخلوق قديم وهو قول الفلاسفة والظاهر ان المراد خلق افعال العباد من غير كسب وهو الجبر (و) ماذكره المحاسبى فى (هذه الوجوه السائغة) بسين مهملة وغين معجمة أى الجائزة (الحكاية عنها) هو مرفوع فاعل السائغة كمقالات الكفرة ولا وجه لانكار هذه الحكاية (فاماذكرها) أى الاقوال السائغة (على غير هذا) الوجه من الرد والابطال ونحوه مما مر (من حكاية سبه) صلى الله تعالى عليه وسلم ممن وقع منه (والازراء) أى الاحتقار (بمنصبه العلى) ومقامه الرفيع (على وجه الحكايات) أى القصص التى يقصها عوام الناس (والاسمار) أى التلهى بها جمع سمر وهو الحديث ليلا للمنادمة والمحاورة واصله ظل القمر لانهم كانوا يتحدثون فيه وجوز بعضهم كسر همزته مصدرا لانه يقال سمر واسمر بمعنى (والطرف) بطاء وراء مهملتين وفاء بوزن غرف جمع طرفة وهى الامر المستطرف أى المستحسن المستجاد وهو حقيقة فى الكلام مجاز فى غيره كالمال المستفاد مما لم يسبق مثله وقيل انه بفتحتين بمعنى طلاقة اللسان وهو تحريف (وأحاديث الناس) جمع احدوثة وهو مايتحدث على طريق ويكون جمع حديث على خلاف القياس والمناسب هنا الاول

(ومقالاتهم) بحسب اختلاف حالاتهم (في الغث) بفتح المعجمة وتشديد المثلثة أي المزيل (والسمين) وهما كنايتان عن الضعيف والقوي أو الباطل والصحيح ومنه قول ابن عباس لابنه على الحق بابن عمك يعني عبد الملك بن مروان فغثك خير من سمين غيرك (ومضاحك المجان) بضم الميم وتشديد الجيم جمع ماجن وهو من لا يبالي بكلامه في اللهو والسخرية (ونوادر السخفاء) جمع سخيف وهو رقيق العقل وروي السفهاء جمع سفيه وهو الجاهل أو خفيف العقل (والخوض) أي الشروع بالمبالغة من غير الملاحظة (في قيل وقال) بفتح لاميهما على انهما فعلان محكيان وبجرهما منونين على انهما اسمان معربان لانهما مصدران وفي النهاية في حديث نهى عن قيل وقال أي نهى عن فضول ما يتحدث به المتجالسون من قولهم قيل كذا وقال كذا وبناؤهما على كونهما فعلين ماضيين متضمنين للضمير والاعراب على اجرائهما مجرى الاسماء خاليين من الضمير قال

(ومقالاتهم في الغث والسمين) أي في المعتد به وغيره وأصل الغث بفتح الغين المعجمة وتشديد المثلثة معناه المهزول ضد السمين فاستعير لما ذكر وفي كلام ابن عباس رضي الله تعالى عنهما غثك خير من سمين غيرك قاله لابنه حين قال له اذهب لابن عمك عبد الملك وهو الكلام الجامع لاختلاف الدلالات حسنا وقبحا اذ الغث الهزيل كامر (ومضاحك المجان) جمع ماجن وهو الذي يعتاد الهزل والسخرية من غير مبالاة وأصل المجون غلظ الوجه ومضاحك جمع مضحكة وهو ما يضحك منه (ونوادر السخفاء) جمع نادرة أو نادر وهو الامر المستغرب لقلة وقوعه والسخفاء بخاء معجمة وفاء جمع سخيف وهو الرقيق العقل والدين (والخوض في قيل وقال) وفسره بقوله (وما لا يعني) بفتح أوله أي ما لا يهم ويعتنى به وفي الحديث من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه قال في النهاية في الحديث نهى عن قيل وقال أي عما يتحدث به فيقال قال كذا وقيل كذا منقولان من فعلين ماضيين فيحكى على انه فعل مع الضمير ويعرب فتدخل عليه الالف واللام ومعناه كثرة الحديث بما لا يعني وقيل قال الابتداء وقيل الجواب والمعنى ما لا يعلم ولا حقيقة له وقيل هما مصدران يقال قال قولا وقيلا يعني فهما اسمان وفيه كلام في المطالع فيجوز فتحها وجرهما منونين والخوض أصله دخول الماء فاستعير بمعنى مطلق الدخول (فكل هذا) المحكي من السب وما بعده (ممنوع) غير جائز شرعا (وبعضه أشد في المنع والعقوبة من بعض) باعتبار شدة قباحته بتفاوت مقاماته (فما كان من قائله الحاكي له) عن غيره (على غير قصد) به للسب (و) غير (معرفة بمقدار ما حكاه) في قباحته شدة واشدية (أو لم تكن عادته) حكايته وانما وقع منه نادرا (أو لم يكن الكلام) الذي حكاه (من البشاعة) بباء موحدة أي القبح (حيث هو) حيث هنا مضافة لجملة خبرها محذوف أي هو كريه ومستقبح وحيث ظرف مكان ولا يضاف الى الجملة من ظروف المكان غيره أي يكون في مقام لا يقتضي بشاعته للعلم بانه لم يقصد به ازراء وان كان ظاهره كذلك (ولم يظهر على حاكيه استحسانه) وانما ذكر لانكاره والتنفير عنه (واستصوابه) أي عده صوابا يعتقده فاذا كان كذلك (زجر) وبخ حاكيه (عن ذلك) أي حكايته له (ونهي عن العود اليه) وان لا يتلفظ به مرة أخرى صونا لمقام النبوة (وان قوم) مشدد الواو مبني للمجهول أي أرشد للاستقامة فيما يحكيه (ببعض الادب) أي بتعزير خفيف يليق بغير الزجر (فهو مستوجب) أي مستحق (له) أي

فيكون المنهي عن القول بما لا يصح ولا يعلم حقيقته فأما من حكى ما يصح روايته ويعرف حقيقته وأسنده الى ثقة صادق فلا وجه للنهي عنه ولا ذم منه وقيل أراد به حكاية أقوال الناس والبحث على ما لا يجدي عليه ضرا ولا نفعا ولا يعنيه أمره انتهى ولذا عطف عليه المصنف عطف تفسير بقوله (وما لا يعني) أي ما لا ينفعهم في دينهم ودنياهم فقد ورد من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه وفي أصل الدلجي بالغين المعجمة فيكون بضم أوله أي ما لا يغني الخائض فيه شيا ولا يجد به نفعا

(فكل هذا) نوع (وبعضه أشد في المنع والعقوبة) للدفع (من بعض فما كان من قائله الحاكي له على غير قصد) به شيا (أو معرفة) أي أو على غير معرفة (بمقدار ما حكاه) من الشدة والاشدية وفي نسخة بقدره (أو لم تكن) تلك المقالة أو الحكاية (عادته) فبعد عشرته وذلته (اذ لم يكن الكلام) المحكي (من البشاعة) بتقديم الموحدة أي الفضاحة وفي أصل التلمساني بسبق الشين بعدها النون وفسر بالقباحة (حيث هو) أي الى الغاية في انه بشيع أو شنيع أي كريه وفظيع (ولم يظهر على حاكيه) في نسخة على حكايته (استحسانه) أي جعله حسنا عنده (واستصوابه) أي عده صوابا لديه والمعنى انه لم يظهر منه اعتقاد كونه حسنا ولا صوابا بل ظنه مباحا (زجر عن ذلك) بصيغة المجهول وكذا قوله (ونهي عن العودة) وفي نسخة عن العود أي الرجوع (اليه) أي الى مقاله هنالك (وان قوم) بضم القاف وكسر الواو المشددة أي ان قوبل ناقله على سبيل الحكاية من غير منفعة مترتبة على الرواية روي وان قيم (ببعض الادب فهو مستوجب له) أي مستحق

(وان كان لفظه) أى لفظ الحاكى أو المحكى (من البشاعة) أو الشناعة (حيث هو) أى بلغ غايته (كان الادب أشد) ممن لم يكن محكيه حيث هو (وقد حكى أن رجلا سال مالكا عمن يقول القرآن مخلوق فقال) مالك (اقتلوه) أى السائل أو القائل على طريق الحكاية (فقال) أى السائل (انما حكيته عن غيرى) أى لا أنا الذى أقوله (فقال مالك انما سمعناه منك) قال الدلجى وأمر مالك بقتل السائل بمجرد اتهامه انه القائل بمخلوقيته بدون اثبات اعتقاد مخلوقيته عجب مع انه ممن يقول لا نكفر أحدا من أهل القبلة قال المصنف (وهذا من مالك على طريق الزجر) أى الردع للكف عن السؤال عنه قال الدلجى وهذا أيضا عجيب بل أعجب لان القتل زجرا عن السؤال لم يقل به أحد (والتغليظ) للزجر (بدليل انه) أى مالكا (لم ينفذ قتله) أى لم يبالغ فى الامر بقتله وهو بتشديد الفاء المكسورة وبالذال المعجمة أى لم يمض الامر فى قتله أو لم يمض فيه حكم القتل ذكره التلمسانى قال الدلجى وهذا العذر عنه بعيد يرده تكفير مالك له وأمره انما كان

بعد تكفيره اياه أقول ليس فى كلام مالك تكفيره وانما أراد بهذا القول تعزيره أى اضربوه ضربا شديدا ولو قتل تحت ضربه تاكيد لزجره عن مثل هذا السؤال لظهور أمره ولعله فهم من السائل انه متردد فى حكمه ولذا لما سئل مالك عن الاستواء قال الاستواء معلوم والكيف مجهول والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة ولا شك ان المبتدع يزجر فتدبر والقائل به لعله كان غائبا أو ميتا فلهذا لم يتعرض الامام لتعزيره فى ذلك المقام وأما القول بانا لا نكفر أحدا من أهل القبلة فليس على اطلاقه بل فيه تفصيل مقرر كما بينته فى شرح الفقه الاكبر (فان) وفى نسخة وان (أتهم هذا الحاكى فيما حكاه انه) أى بانه (اختلقه) أى اخترعه من عنده وافتراه من نفسه (ونسبه الى غيره أو كانت تلك) المسئلة (عادة له) يسئلها دائما و يظهرها دائبا (أو ظهر استحسانه) وفى نسخة أظهر استحسانه (لذلك) السؤال أو المقال (أو كان مولعا) بفتح اللام أى مكثرا (بمثله والاستخفاف له) أى الاستهجان بذكره وعدم المبالاة بنقله وأغرب الدلجى حيث فسر الاستخفاف بسرعة التوجه (أو التحفظ لمثله) أى طلب حفظ أمثاله مما يتحير العامة فى اشكاله (وطلبه) أى وطلب مثله ليضمه الى نقله (ورواية أشعار هجوه عليه الصلاة والسلام وسبه) فى نثر الكلام (فحكم هذا حكم الساب نفسه) أى بعينه (يؤاخذ بقوله ولا ينفعه نسبة الى غيره) وان حكاه عن غيره فان الامارات المتقدمة قرائن حالية أو مقالية على كفره فان الاناء يترشح بما فيه وقد قال تعالى ولتعرفنهم فى لحن القول وقال ان فى ذلك لآيات للمتوسمين أى المتفرسين وتقدم ورد اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله عز وجل رواه البخارى فى تاريخه والترمذى فى جامعه عن أبى سعيد الخدرى (فيبادر بقتله ويعجل) بتشديد الجيم أى ويسارع به (الى الهاوية

للتاديب لتكلمه بما لا يليق بمنصب النبوة وان كان حاكيا عن غيره (وان كان لفظه من البشاعة حيث هو كان الادب أشد وقد حكى ان رجلا سأل مالكا) رحمه الله تعالى (عمن يقول القرآن مخلوق) وهو بمعنى الالفاظ المتلوة عند الاشعرى كذلك لكنه يوهم انه من الاختلاق بمعنى الافتراء (فقال الامام مالك) قائله (كافر فاقتلوه) وقد نهى عن هذا السلف لان ظاهره انه ليس بكلام الله ففيه تعريض بتكذيب النبى صلى الله عليه وسلم والكلام فى هذه المسئلة لشهرته غنى عن البيان ويأتى الكلام عليه أيضا فى الباب الثالث عند ذكر المصنف لكلام مالك جازما به (فقال) ذلك القائل (انما حكيته عن غيرى) وحاكى الكفر ليس بكافر (فقال مالك انما سمعناه منك) فانت متلبس بالحكاية لما لا يليق يحتمل انك تظهر به سريرتك (وهذا) المذكور (من مالك رحمه الله تعالى على طريق الزجر والتغليظ) أى التشديد فى الانكار عليه (بدليل انه لم ينفذ) بالمعجمة (قتله) أى لم يحكم به حكما قطعيا فان المذهب انه لا يقتل مثله وانما يقتل من أنكر أمرا معلوما من الدين بالضرورة وما روى من حديث من قال القرآن مخلوق فهو كافر لم يثبت مع انه لو ثبت فهو مؤول عندهم (وان أتهم هذا الحاكى فيما حكاه بانه اختلقه) أى اخترعه ولم يقله غيره فيحكى عنه وهو يعتقده (ونسبه الى غيره) بحكايته عنه خوفا من المؤاخذة به (أو كانت تلك عادة له) بان يكثر من ذكره و يزعم انه حاك له (أو ظهر) حال نقله (استحسانه لذلك) وانه لا محذور فيه (أو كان مولعا بمثله) بفتح اللام اسم مفعول الولع بالشئ الاكثار منه مع اظهار الميل له وانه يحبه (والاستخفاف له) أى عده هينا عنده لا محذور فيه (أو التحفظ) أى حفظه كثيرا (لمثله) مما هو قبيح كريه (أو طلبه) ممن يعرفه حرصا عليه (و) كثرة (رواية أشعار هجوه صلى الله عليه وسلم) الذى هجاه به المشركون مما ذكره أهل السير (وسبه) المنقول عن المشركين (فحكم هذا الحاكى (حكم الساب) من غير حكاية له (نفسه) لا حكم الحاكى وحكمه انه (يؤاخذ بقوله) مما يستحقه الساب (ولا تنفعه نسبته) لقوله ما حكاه (فيبادر بقتله) كالساب قال ابن حجر وما ذكره من المبادرة بقتله أى ان لم يتب (ويعجل الى الهاوية) أى يعجل بدخوله النار والهاوية من أسماء جهنم و يقال

هوت

أمه) بالجر بدلا أى ماواه ومصيره كما ان الام ماوى الولد ومفزعه ايماء الى قوله تعالى فامه هاويه وما أدراك ماهيه نار حامية (وقد قال أبو عبيد القاسم بن سلام) بتشديد اللام (فيمن حفظ شطر بيت) أى نصفه أو بعضه فاندفع به قول التلمسانى كان أحسن منه لو قال كلمة أو شطر كلمة (مما هجى به النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فهو كفر) أى اذا قصد حفظه أو أراد نشره (وقد ذكر بعض من ألف) بلام مشددة من التاليف بمعنى التصنيف قال التلمسانى وفى بعض النسخ بلامين ولا أدرى ماوجهه وكذلك فى أصل المؤلف قلت ووجهه انه اتصل الالف باللام فانتقل من التاليف الى التصحيف والتحريف قال الانطاكى ولعل بعض من ألف هذا هو ابن حزم والله تعالى أعلم هذا وقيل الانسان فى فسحة من عقله وفى سلامة من أفواه الناس فى فعله مالم يضع كتابا أو لم يقل شعرا من قوله وقيل من وضع كتابا فقد استشرف للمدح والذم لابناء آدم فان أحسن فقد استهدف للحسد والغيبة وان أساء فقد تعرض للشتم والمذمة وهو معنى قولهم من صنف قد استهدف وقيل من صنف فقد جعل عقله على طبق يعرض على الناس نقله ومنه قول

الشاعر

لا تعرضن على الرواة قصيدة
مالم تبالغ بعد فى تهذيبها
فاذا عرضت الشعر غير مهذب
عدوه منك وساوس تهذى بها

هذا وأبى الله الا ان يصح كتابه كما أشار اليه بقوله ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا واما هذا الكتاب فلكونه من عند الله ماوجدوا فيه اختلافا يسيرا وروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنه ان كل أحد يقبل قوله ويرد الا النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فانه معصوم على الوجه

هوت امه فى الدعاء بالهلاك وقوله (امه) بها اقوال فقيل معناه ماواه لانها كالام التى يأوى اليها وقيل رأسها لانها أم دماغه وهمزته مضمومة وتكسر وهو نائب الفاعل مرفوع أو مجرور بدل من الهاوية (وقد قال أبو عبيد القاسم بن سلام) بتشديد اللام وقد تقدمت ترجمته (من حفظ شطر بيت) أى نصفه (مما هجى به النبى صلى الله عليه وسلم فهو كفر) أى هجوه كفر فالضمير راجع لما علم من هجى أو كفر بمعنى كافر مبالغة وماذكره من الكفر ظاهر عند الرضى بذلك أو استحسانه لا ان قصد به غير ذلك قاله ابن حجر (وقد ذكر بعض من ألف فى الاجماع) أى الف مؤلفا جمع فيه ماوقع عليه الاجماع من المجتهدين أئمة الدين (اجماع المسلمين على تحريم رواية ماهجى به النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وكتابته وقراءته) وحده أو مع غيره (وتركه متى وجد) معطوف على رواية أى تحرم ان لا تمحى فيترك (دون محو) أى ازالته مما كتب بمحو ونحوه كاحراقه وماذكر من الاجماع محله فى روايته لغير غرض مسوغ بذلك (ورحم الله أسلافنا المتقين المتحرزين) أى الذين يحذرون مثله خوفا منه فهم صائنون (لدينهم) أى يحفظونه (فقد اسقطوا من أحاديث المغازى والسير ماكان هذا سبيله) أى الاشعار التى وردت على هذا الطريق أى متضمنة لهجوه كما فى سيرة ابن اسحق وغيره من المتقدمين (وتركوا روايته) صونا لالسنتهم من النطق بمثله وكتابته (الا أشياء ذكروها يسيرة) أى قليلة (وغير مستبشعة) أى لاقبح فيها ولاسب ولا هضم المقامه كما فى سيرة ابن هشام وفى نسخة مستشنعة بنون بعد الشين المعجمة (على نحو الوجوه الاول) أى ذكرت حتى ينفر ويحذر من قائلها كما تقدم أولا (ليروا نقمة الله تعالى) بضم الياء التحتية والراء أى ليظهروا ويماذكر معها انتقام الله (من قائلها) كاصحاب القليب وغيرهم (وأخذه) أى أخذ الله بهلاكه (المفترى عليه) كما فى هجائه (بذنبه) وهو هجوه وذكره بما لا يليق قال بعض المتأخرين يخرج من كلامه ان ذكر الاحوال المدخولة حكاية كانت أو استشهادا غير ممتنع اذا اقترن بالذكر قصد جميل كالتاسى والتحقيق فى الاستشهاد والرد وتبيين ماالله عز وجل فى ذلك من الحكمة فى الحكاية انتهى (وهذا ابو عبيد القاسم بن سلام) جعله كالحاضر لشهرة كتبه فاشار اليه بقوله

الاتم (اجماع المسلمين على تحريم روايه ماهجى به النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) من نظمه ونثره (وكتابه) أى وكتابته كما فى نسخة (وقراءته) اى ولو من غير روايته (وتركه متى وجد دون محو) ونحوه ولو من كتاب غيره وحصول ضرره فانه ينفعه من جهة دينه (ورحم الله تعالى أسلافنا المتقين المتحرزين) أى المحترسين (لدينهم) المحتاطين فى أمر يقينهم وتصحف المتحرزين المتجردين فى أصل الدلجى (فقد أسقطوا) ولذلك تركوا (من أحاديث المغازى والسير) كثيرا من الخبر والاثر (ما كان هذا سبيله) من هجوه فى شعر اوغيره (وتركوا روايته) لوجوز حكايته (الا أشياء ذكروها يسيرة) أى قليلة (وغير مستبشعة) بفتح الشين أى غير مكروهة وفى نسخة وغير مستشنعة أى مستقبحة (على نحو هذه الوجوه الاول) بضم الهمزة وتخفيف الواو جمع الاولى أى الوجوه السابقة من الوجوب والندب والتحريم والكراهة (ليروا) أى الناس ويعتبروا ويجوز ان يكون بضم الياء والراء أى ليظهروا (نقمة الله) أى عقوبته (من قائلها وأخذه المفترى عليه) أى بطشته (بذنبه) ولو من ناقلها وفى أصل الدلجى وأخذه بالضمير أى ليروا أخذه سبحانه وتعالى (وهذا أبو عبيد القاسم بن سلام) بتشديد اللام

(قد تحرى) أى اجتهد واحتاط (فيما اضطر) أى ألجئ واحتيج (الى الاستشهاد به) من الدلائل فى اثبات بعض المسائل توضيحا لوسائل فى معرفة كل طالب وسائل (من أهاجى أشعار العرب) على شعار أرباب الادب (فى كتبه) متعلق (فكنى عن اسم المهجو بوزن اسمه) ولم يصرح به تفاديا عن ذكر ذمه (استبراء لدينه) أى استبقاء لامر يقينه (وتحفظا من المشاركة فى ذم أحد) من المسلمين (بروايته أو بنشره) بحكايته (فكيف بما يتطرق) أى يتوصل به الى الحاكى له (الى عرض سيد البشر) أى بنى آدم بل سيد العالم (صلى الله تعالى عليه وسلم) قال التلمسانى اعلم ان هذا التحرى انما يظهر فى الهاجى المسلم لمثله واما ان كانا كافرين أو المهجو كافرا فذكر مساويه أعظم نكاية فيستحب روايته وحكايته ولو كان الهاجى كافرا أو مسلما والمهجو مسلما فالاولى ان لا يذكره أو يغيره كما فعل ابن هشام فى سيرته مما يدل على حسن سريرته ومن هذا قول أبى الاسود الدؤلى

جزى ربه عنى عدى بن حاتم
جزاء الكلاب العاويات وقد فعل

أبدله بعض الائمة بقوله

جزاء الرجال الصالحين وقد فعل

وذلك لان عدى بن حاتم الطائى من أكابر الصحابة رضى الله تعالى عنهم أجمعين

(فصل) (الوجه السابع) (وسيرته

ان يذكر ما يجوز) أى اطلاقه (على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أو يختلف) بصيغة المجهول (فى جوازه عليه وما يطرأ) أى يحدث ويعرض عليه (من الامور البشرية) والاحوال الطبيعية (به) أى فيه (ويمكن اضافتها اليه أو يذكر) أى أحد (ما امتحن به) أى ابتلى عليه الصلاة والسلام (وصبر فى ذات الله تعالى على شدته) أى قوة بلائه (من مقاساة أعدائه وأذاهم له ومعرفة ابتداء حاله

(قد تحرى) بالحاء المهملة أى تثبت (فيما اضطر الى الاستشهاد به) أى التجا اليه للضرورة المقتضية لذكره لتوقف أمر عليه فيما يقصده (من أهاجى) جمع أهجية وهو ما هجى به من القصائد (أشعار العرب فى كتبه) التى ألفها والمراد غير هجو النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (فكنى عن اسم المهجو) ليس المراد بالكناية هنا مصطلح أهل المعانى ولا التورية عنه كما توهم بل عادتهم كما فى شعر المتنبى وغيره انه يعبر عمن عتبه مثلا بفعله الذى هو ميزانه التصريفى وهو كثير فى الشعر يعرفه من له المام بالادب فالكناية بمعناها اللغوى وقد ذكره الرضى فى باب الضمائر فلهذا قال (بوزن اسمه) كقول المتنبى

كأن فعلة لم تملأ مواكبها * ديار بكر ولم تخلع ولم تهب

أراد بفعلة خولة (استبراء لدينه) أى طلبا لان يكون دينه بريئا من تنقيص أحد والخوض فى عرضه بالتعيين (وتحفظا) أى حفظا وصيانة لنفسه (من المشاركة فى ذم أحد) ممن هجا (بروايته) لما هجا به (أو نشره) أى اشاعة ذكره وهذا فى حق آحاد الناس (فكيف بما يتطرق الى عرض سيد البشر) المبرأ من دنس النقائص (صلى الله عليه وسلم) وشرف وكرم وهذا كما يقال سبك من بلغك والحاكى أحد الشاتمين

(فصل الوجه السابع ان يذكر ما يجوز على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) مما ليس فيه نقص له (أو) ما (يختلف فى جوازه عليه) من بعض العوارض البشرية كما قال (وهو ما يطرأ) أى يحدث عروضه له (من الامور البشرية به ويمكن اضافته) أى وصفه ونسبته (اليه) على وجه يليق به وفى نسخة اضافتها (أو يذكر ما امتحن به) أى ابتلى به من أمور الدنيا زيادة لأجره (وصبر فى ذات الله) أى لاجل الله ابتغاء لرضاه لا لعجز منه ولا لغرض آخر هذا معنى هذا اللفظ والمراد به هنا وتحقيقه ان ذات فى أصل وضعه مؤنث ذو بمعنى صاحب ثم توسع فصحاء العرب فيه قديما فاستعملوه بمعنى الجهة والجانب الذى يقصد ويتوجه اليه كأنه صاحب القصد لتعلقه به ثم شاع فى كل ما يتعلق بشئ ما * ومنه الحديث الوارد فى حق ابراهيم الخليل المتقدم لم يكذب ابراهيم الا ثلاث كذبات فى ذات الله أى فيما يتعلق بالرب جل وعلا ولاجله فجاءها من هنا معنى التعليل * ومنه قول خبيب رضى الله تعالى عنه الذى رواه البخارى فى صحيحه وغيره رحمهم الله تعالى

ولست أبالى حين أقتل مسلما * على أى شق كان لله مصرعى
وذلك فى ذات الاله وان يشا * يبارك على أوصال شلو ممزع

كذا حققه ابن السيد وغيره من أئمة اللغة وهو المعول عليه واما استعماله فى النفس والحقيقة فلم يصح عن العرب ولذا قيل انه غير صحيح واطلاقه على الله مع انه مؤنث غير جائز وقولهم فى النسبة اليه ذاتى لحن كقولهم صفاتى وهو من اصطلاح المتكلمين وغلطهم وقول ثعلب فى قوله تعالى ذات بينكم معناه عند الكوفيين حالة بينكم وقال الزجاج حقيقة وصلكم لا دليل فيه لما استعمله المتكلمون فلا يصلح للرد على من خطأهم فيه كما توهم وتفسيره به هنا غير مستقيم ومن فسره بطاعة الله وانقياده لما يريده لم يبعد عن الصواب (على شدته من مقاساة أعدائه) اى صبر على شدائد قاسيته من اعداء الدين (واذاهم له) اى شدة اذيتهم له صلى الله تعالى عليه وسلم (ومعرفة ابتداء حاله) حين بعث ودعا الناس الى الله

وسيرته) أى فى أفعاله وأقواله (وما لقيه من بؤس زمنه) بضم موحدة فهمز ساكن و يبدل أى شدة فى وقته (ومر عليه من معاناة عيشته) أى مقاساة فى أمر معيشته (كل ذلك على طريق الرواية) وسبيل الحكاية (ومذاكرة العلم) لتحصيل الدراية (ومعرفة ما صحت منه العصمة للانبياء) أى عموما (وما يجوز عليهم) من بين سائر البشر خصوصا (فهذا) أى فما ذكرهنا (فن) أى نوع (خارج عن هذه الفنون الستة) المذكورة فى الفصول السابقة (اذ ليس فيه) أى فى هذا الفن (غمص) بفتح معجمة وسكون ميم فمهملة أى عيب (ولا نقص ولا ازراء) أى استحقار (ولا استخفاف) أى استهزاء (لا فى ظاهر اللفظ) من جهة مبناه (ولا فى مقصد اللافظ) من جهة معناه (لكن يجب ان يكون الكلام فيه مع أهل العلم) اليقين (وفهماء طلبة الدين) بضم الفاء وفتح الهاء جمع فهيم أو فهم وهو الفطن الذكى (ممن يفهم مقاصده ويحققون فوائده) افرد وجمع باعتبار لفظ من ومعناه (ويجنب) بتشديد النون المفتوحة اى يصان عن (ذلك) الكلام (من عساه لا يفقه) وروى لا يتفقه وروى لا يفهمه (أو يخشى به) وروى فيه ان يخاف عليه (فتنته) أى وقوعه فى محنته (فقد كره بعض السلف تعليم النساء سورة يوسف لما انطوت عليه من تلك القصص) كيد النساء بسبب الابتلاء (اضعف معرفتهن ونقص عقولهن وادراكهن) فى أصل فطرتهن (فقد قال عليه الصلاة والسلام مخبرا عن نفسه) ما وقع له فى سابق الايام (باستئجاره) قال الدلجى لقريش وأقول لعله لبعض أهلها ان صح الاستئجار فى فعله كما وقع لموسى عليه الصلاة والسلام (لرعاية الغنم فى ابتداء حاله وقال) كما رواه الشيخان عن جابر والبخارى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه (ما من نبي الا وقد رعى الغنم وأخبرنا الله بذلك

(وسيرته وما لقيه من بؤس زمانه) أى شدائده (ومر عليه من معاناة) أى عناه وتعبه فى (معيشته) أو معاناته بمعنى ملابسته ومباشرته والمعيشة ما يعاش به يعنى تحمله وصبره على لأوائها وضيقها (كل ذلك) أى فيذكر هذا (على طريق الرواية ومذاكرة العلم) ليقتدى به ويعلم شرف نفسه (ومعرفة ما) أى أمر (صحت منه العصمة للانبياء) لحفظ الله لهم عن كل سوء وتبرئتهم من كل نقص والعصمة تقدم انها خلق ما يمنعه عن المعصية باختياره لا بالجائه ولذا قال الماتريدى انها لا تزيل المحنة أى الابتلاء فانها مجرد لطف من الله كما فصل فى علم الكلام (وما يجوز عليهم) فيذكر لمعرفته لا للازراء به عليهم (فهذا) المذكور هنا (فن خارج عن هذه الفنون الستة) التى ذكرت قبله والفن بمعنى النوع (اذ ليس فيه غمص ولا نقص) تفسير للغمص بغين معجمة وميم ساكنة وصاد مهملة أى شين وعيب (ولا ازراء ولا استخفاف) أى اهانة وتحقير (لا فى ظاهر اللفظ) الذى قاله (ولا فى مقصد اللافظ) به على الوجه الذى بينه (لكن يجب ان يكون الكلام فيه) أى فى ذكر ما قاساه صلى الله تعالى عليه وسلم من الشدة والبؤس فى ابتداء أمره (مع أهل العلم) الراسخين فيه بحيث لا تزلزلهم الشبه (وفهماء طلبة الدين) بزنة علماء جمع فهم أو فهيم أى شديد الفهم الذى يعرف حكمة ذلك وانه لا ضير عليهم لعلمهم بمقاصد الدين القويم (ممن يفهم مقاصده) مما قصد منه من الحكم (ويحقق فوائده) أى يتحققها لانه على بصيرة فى مقامات الانبياء وجلالة قدرهم (ويجنب) بناء المفعول أى يبعد ويقصيه عن ذكر (ذلك) الذى من أحوال الانبياء عليهم الصلاة والسلام (من عساه لا يفهمه) أقحم عسى لاستبعاد فهمه ومن موصولة (أو يخشى به) أى بذكره له (فتنته) بوقوعه فيما لا يرضى فى حق رسل الله عليهم السلام قال ابن حجر وما اقتضاه كلامه من حرمة ذكر ما مر للعوام ظاهر ان ظن بقرينة حالهم تولد فتنة لهم منه أو استخفاف أو نحوهما والا فالذى ينبغى الكراهة ثم وضحه بقوله (فقد كره بعض السلف تعليم النساء سورة يوسف لما انطوت) أى اشتملت (عليه من تلك القصص) جمع قصة أى ما فيها من ذكر شغف النساء بالصور الجميلة ومراودتهن والتحيل منهن للمواصلة لمن يحب (لضعف معرفتهن) بالامور وما يترتب عليها (ونقص عقولهن وادراكهن) أى وصولهن للمدركات وقد ورد فى الحديث انهن ناقصات عقل ودين ثم بين جواز ذكره لغير العوام فقال (فقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم) فى حديث صحيح سيأتى (مخبرا عن نفسه) حال من فاعل قال (باستئجاره) أى ايجاره نفسه لقريش فى صغره (لرعاية الغنم) أى أخذها للسرح فى المرعى (فى ابتداء حاله) أى صغر سنه (وقال) صلى الله عليه وسلم فى حديث رواه الشيخان (ما من نبي الا وقد رعى الغنم) فذكر هذا لاصحابه العارفين بنور الايمان الحكم فيما ذكر وعلمهم بقدره شرفه دليل لما قدمه وبقية الحديث فقال له أصحابه أنت يا رسول الله فقال نعم كنت ارعاها على قراريط لاهل مكة وقراريط جمع قيراط جزء من الدراهم وقيل اسم مكان وتقدم ما فى ذلك وتفصيله فى شروح الصحيحين (وأخبرنا الله) فى القرآن (بذلك) أى رعى الانبياء عليهم الصلاة

والسلام للغنم (عن موسى عليه الصلاة والسلام) فى رعيه لشعيب عليه الصلاة والسلام فى قوله انى اريد ان انكحك احدى ابنتى هاتين الآية وقصته مفصلة فى كتب التفسير (وهذا لاغضاضة فيه) أى فيما ذكر من الرعاية للغنم وهى بمعجمات مفتوحات بمعنى النقص وهو مستعار من غض البصر وكفه مطرقا فكنى به عماذكر لانه انما يكون عما يستحى منه صاحبه (جملة واحدة) أى ليس فى شئ منه أصلا غضاضة (لمن ذكره على وجهه) من مذاكرة أهل العلم المار (بخلاف من قصد به الغضاضة والتحقير) هو عطف تفسير (بل كانت) رعاية الغنم (عادة جميع العرب) حتى أولاد أشرافهم وقد نشا صلى الله عليه وسلم بينهم غير مخالف لاحوالهم المباحة تواضعا منه وتاسيا باخلاقهم فيما لا يضر ثم استشعر سؤالا مقدرا كانه قيل ما حكمة وقوع ذلك وتقدير الله له فاجاب (نعم فى ذلك للانبياء حكمة بالغة) عظيمة قوية ظاهرة فنعم جواب السؤال المقدر وكثيرا ما تقحمه العرب لتاكيد الكلام فى ابتدائه كقول جحدر

أليس الله يجمع أم عمرو * وايانا وذاك بنا تدانى

نعم وارى الهلال كما تراه * ويعلوها النهار كما علانى

والبلوغ الوصول الى أقصى الامر ومنتهاه وقوله تعالى أم لكم ايمان علينا بالغة أى فى غاية التوكيد قاله الراغب فكانها بلغت غاية الصواب ومنتهاه (وتدريج لله تعالى لهم الى كرامته) أى اكرامهم بالنبوة والرسالة وهو وما بعده تفصيل للحكمة ولذا عطفه كانه يغايرها (وتدريب) بمهملتين أى تعويد له فيكون له دربة وخبرة (برعايتها السياسة أممهم) أى ضبط أمورهم وحفظها (من خليقته) فيسوس الامم كما يسوس الغنم (بما سبق لهم) أى للانبياء عليهم الصلاة والسلام (من الكرامة) باصطفائهم للرسالة (فى الازل ومتقدم العلم) أى علم الله تعالى فانه أعلم بمن يجتبيه كما فى الآية الله أعلم حيث يجعل رسالاته قال ابن حجر رحمه الله تعالى فى شرح البخارى حصل لهم عليهم الصلاة والسلام التمرن برعيها على ما يكلف به من القيام بامر الامة والشفقة عليهم كما يصبر الراعى على سوق غنمه وجمعها اذا تفرقت وحفظها عن سبع وذئب وسارق وسوقها الى ما فيه نفعها فى مرعاه وتفرده بامورها منقطعا عن الناس غير مشارك فى أمره ولا متوان فيقيس أمور الناس بعد الرسالة على هذا المنوال ولذا قال كلكم راع ومسؤل عن رعيته مع ما فيه تواضعه وكسبه فهذا مثل فعلى ضربه له (وكذلك) أى مثل ما ذكر الله تعالى عن موسى الرعاية من غير تنقيص فيه (قد ذكر الله) عز وجل (يتمه) أى كونه تربى بغير أبوين صغيرا ومرت حكمته (وعيلته) أى كونه فى القيام على أهله وعائلته فى قلة معيشة قال تعالى

عن موسى عليه الصلاة والسلام) وقد ورد عنه صلى الله تعالى عليه وسلم ان موسى قضى اقصى الاجلين وهو العشر هذا وقال الحلبى اعلم ان فى الحديث الصحيح كنت ارعاها على قراريط لاهل مكة وفى سنن ابن ماجه هذا الحديث وفى آخره قال سويد بن سعيد وهو راوى الحديث كل شاة بقيراط انتهى والقيراط جزء من اجزاء الدينار وهو نصف عشره فى أكثر البلاد واهل الشام يجعلونه جزأ من أربعة وعشرين جزأ والياء فيه بدل من الراء فان أصله قراط هذا لفظ النهاية وفى الصحاح القيراط نصف دانق وهو سدس درهم وقد رأيت فى حاشية على سنن ابن ماجة أصلنا وهو أصل صحيح معتمد قال محمد بن ناصر اخطا سويد فى تفسيره القيراط بالذهب والفضة اذلم يرع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لاحد باجرة قط وانما كان يرعى غنم أهله والصحيح ما فسره به ابراهيم بن اسحق الحربى الامام فى الحديث واللغة وغيرهما ان قراريط اسم مكان فى نواحى مكة وكان ذلك منه وسنه نحو العشرين فيما استقرئ من كلام ابن اسحق والواقدى وغيرهما انتهى وهذا يرد ما قاله القاضى وكذا ما بوب عليه البخارى فى صحيحه فى كتاب الاجارة باب رعى الغنم على قراريط انتهى وفى القاموس القيراط يختلف وزنه بحسب البلاد فبمكة ربع سدس دينار وبالعراق نصف عشره (فهذا) أى رعى الغنم ولو باجرة (لاغضاضة فيه) أى لامنقصة (جملة واحدة) أى من حيث هو ولانه من جملة كسب المال على وجه الحلال (بخلاف من قصد به الغضاضة) أى النقص (والتحقير بل كانت) أى الرعاية بالاجرة وغيرها (عادة جميع العرب) أى طوائفهم وقبائلهم ومثل هذا يختلف باختلاف العرف فى الزمان والمكان بل كان عادة غير العرب أيضا كما يستفاد من قصة موسى وشعيب عليهما السلام فانهما من بنى اسرائيل وهم الاعجام فان قيل فهل لرعى الانبياء للغنم من فائدة فيقال (نعم فى ذلك) أى رعى الغنم (للانبياء حكمة بالغة) لا يدركها الا الاصفياء (وتدريج لله) وفى نسخة وتدريج الله تعالى (لهم الى كرامته وتدريب) أى تعويد (برعايتها السياسة أممهم من خليقته بما سبق لهم من الكرامة) بالنبوة والرسالة والامامة والامارة (فى الازل ومتقدم العلم) بكسر الدال أى سابقه الذى ظهر فى القلم الاول (وكذلك قد ذكر الله يتمه) لموت أبيه جنينا قد أتت عليه ستة أشهر فكفله جده عبد المطلب ثم عمه أبو طالب اذ كان شقيق أبيه فاحسن انر بيته فيه قال تعالى ألم يجدك يتيما فآوى ووجدك ضالا أى جاهلا بتفصيل الايمان فهدى ووجدك عائلا فقيرا فاغنى وهذا معنى قول المصنف (وعيلته) أى وذكر الله فقره وحاجته

ألم

(على طريق المنة عليه) بانواثه واغناثه (والتعريف بكرامته له) أى بهدايته وهداية غيره به ورسالته (فذكر الذاكر) أى المخبر (لها) أى لحالته من يتمه وعيلته (على وجه تعريف حاله) المتضمن اكرامه (والخبر عن مبتدئه) أى ابتداء أمره وظهوره وقدره (والتعجب من منح الله) بكسر الميم وفتح النون جمع منحة أى نعمة (قبله) بقاف مكسورة فموحدة مفتوحة أى فى جهته (وعظيم منته) وفى نسخة بنونين وفى نسخة منن الله (عنده ليس فيه) على ماذكر به (غضاضة) أى مايؤدى الى منقصته (بل فيه دلالة على نبوته وصحة دعوته) لجميع أمته (اذاظهره الله تعالى بعدهذا) أى اطلعه وغلبه وعلاه (على صناديد العرب) أى أكابرهم (ومن ناواه) مفاعلة من النوء وهو النهوض فاصله الهمز وابدال أى عاداه (من أشرافهم شيافشيا) أى سنة فسنة ساعة فساعة وفى أصل التلمسانى فيما فشا من الفشو وهو الكثرة والظهور والنمو وما موصولة واقعة على الخبر وفى بمعنى على أى على ماانشا وشاع وذاع من من الخبر أى ان أمره فى ذلك ليس بخفى بل هو ظاهر جلى أوفى على أصلها أى فى فاشى الخبر وظاهر الاثر (ونمى) بتشديد الميم أى زكى (أمره) وعلا قدره وفى نسخة بتخفيف الميم (حتى قهرهم) أى غلبهم فنهاهم وأمرهم كما روى انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال يوم فتح مكة من دخل دار أبى سفيان فهو آمن ومن دخل داره واغلق بابه فهو آمن وقال للاسراء منهم ما كنتم تقولون فى انى فاعل بكم فقالوا أخ كريم وابن أخ كريم فقال اذهبوا فانتم الطلقاء

(وتمكن من ملك مقاليدهم) جمع مقلاد بمعنى المفتاح أى مما ملكوه من البلاد واستولوا عليه بالانقياد أو بمعنى الخزانة أى مما خزنوه وجعلوه ذخيرة للنوائب وأعدوه عدة للمصائب فقد ملكه النبى عليه الصلاة والسلام وحواه (واستباحة ممالك كثير من الامم) أى محال ملكهم ومواضع ملكهم وفى أصل التلمسانى مماليك بالياء فهو جمع مملوك (غيرهم) أى غير صناديد العرب ونحوهم (باظهار الله تعالى له) أى باعلاء كلمته فى الدين (وتاييد) أى تقويته (بنصره) أى باعانته من عنده (وبالمؤمنين) اى وبجعلهم أسبابا لنصره (وألف بين قلوبهم) حتى صاروا اخوانا مسلمين وهذا كله مقتبس من قوله سبحانه وتعالى وهو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم لوأنفقت مافى الارض جميعا ماألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم انه عزيز حكيم ومن قوله عز وعلا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته إخوانا

الم يجدك يتيما فاوى الآية (على طريق المنة عليه) أى تعداد النعمة عليه لا لتحقيره صلى الله تعالى عليه وسلم (والتعريف) للناس (بكرامته له) أى باكرامه وتشريفه واليتيم فى أصله بمعنى الانفراد وهو فى الآدمى من لا أب له وفى الحيوان من لا أم له وفى الطير من لا أم ولا أب له كما مر ووجهه ظاهر ومر ان أب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم مات وهو جنين أو فى المهد وان أمه ماتت وهو ابن ثمان وقيل اليتيم بمعنى منفرد لا نظير له كالدرة اليتيمة والعائل الذى لا مال له يقال عال يعيل عيلة اذا افتقر قال أحيحة

فما يدر الفقير متى غناه * وما يدر الغنى متى يعيل

أى يفتقر والعيلة الفقر (فذكر الذاكر لها) أى لما مر من أحوال نبينا وكذلك الانبياء عليهم الصلاة والسلام الجائزة عليهم (على وجه) وطريق (تعريف حاله) فى ابتداء أمره (والخبر عن مبتداه) بالمذاكرة به للعلماء (والتعجب من منح الله تعالى) جمع منحة وهى العطية (قبله) بكسر وفتح أى عليه وفى جانبه (وعظيم منته عنده) مما أفاضه عليه بعدما كان عليه (ليس فيه) على هذا الوجه (غضاضة) نقص من مقامه وتنقيص له واهانة لعدم قصده لذلك (بل فيه دلالة على نبوته وصحة دعوته) لما أكرمه الله به بعد عدمه وكسبه له (اذاظهره الله تعالى) فقواه ونشر ذكره (بعد هذا) الذى كان عليه فى ابتداء أمره (على صناديد العرب) جمع صنديد وهو السيد الشريف فى قومه الجامع بين الشجاعة والحماسة والجود الغالب لمن عداه وعارضه (ومن ناواه) أى عاداه واصله الهمز من النوء وهو النهوض (من اشرافهم شيافشيا) أى بطريق التدريج حتى أظفره الله بهم وذللهم وأباد من اصر على عدواته وفتح ديارهم ومن عليهم كما وقع له صلى الله تعالى عليه وسلم فى فتح مكة وهو متعلق بقوله أظهره الله (ونمى) أى زاد واشتهر (أمره) أى شان نبوته (حتى قهرهم) وأذلهم فانقادوا خاضعين له (وتمكن) أى وصل (من ملك مقاليدهم) جمع مقلاد بكسر الميم وهو المفتاح وملكها كناية عن حيازة ممالكهم والتصرف فيها كما يريد (واستباحة ممالك كثير من الامم غيرهم) أى غير العرب كالروم والعجم جمع مملكة وهى الاقاليم المملوكة أى جعلها مباحة مفوضة له صلى الله تعالى عليه وسلم ولاصحابه جميع مافيها (باظهار الله تعالى له) واعلاء كلمته ودينه (وتاييده) وتقويته (بنصره) وما النصر الا من عند الله تعالى (وبالمؤمنين) الذين اتبعوه وجاهدوا فى سبيله (والف بين قلوبهم) بمحبة بعضهم لبعض وزوال ما كان بينهم فى الجاهلية من التباغض والعصبية ولا يقدر على تاليف القلوب غير الله كما قال تعالى واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم

(وامداده بالملائكة المسومين) بكسر الواو وفتحها كما قرئ بهما فى السبعة قوله تعالى بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمدد كم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين أى معلمين بسيماء خاصة أى علامة مختصة وهى اما بالملائكة وهى عمائم صفر وقيل كانت عمائم الملائكة يومئذ بيضا وعمامة جبريل صفراء وروى انه عليه الصلاة والسلام قال لاصحابه الكرام يوم بدر تسوموا فان الملائكة قد تسومت بالصوف الابيض فى قلانسهم ومغافرهم واما بخيولهم فانهم كانوا على خيل بلق مجزوزة الآذان والاعراف معلمة النواصى والاذناب بالصوف والعهن والمعنى اعلموا خيلهم واعلموا أنفسهم (ولوكان) أى محمد (ابن ملك) بكسر اللام (أوذا اشياع) أى صاحب اتباع (متقدمين) عليه فى الزمان (لحسب كثير من الجهال ان ذلك) أى ماذكر (موجب ظهوره ومقتضى علوه ولهذا قال هرقل) بكسر الهاء وفتح الراء وسكون القاف ويجوز اسكان ثانيه وكسر ثالثه وهو منصرف والمراد به عظيم الروم (حين سال أباسفيان) أى ابن حرب وهو بايليا (عنه) أى عن احوال النبى عليه الصلاة والسلام كما رواه البخارى (هل فى آبائه من ملك) بكسر الميم على انها جارة الا انها زائدة لا بيانية ولا تبعيضية كما ذكره التلمسانى أى من سلطان وروى من ملك بالفتح فيهما فمن موصولة لا شرطية كما وهم التلمسانى (فقال) أى أبوسفيان (لا ثم قال) أى هرقل (ولوكان فى آبائه ملك) أى أحد من الملوك (لقلنا) فى حقه هذا (رجل يطلب ملك أبيه واذ) الظاهر انها ظرفية والاولى ان تكون تعليلية أى ولان (اليتم) وفى نسخة وان اليتم وهو بضم أوله واصله الانفراد ومنه الدر اليتيم لما لا نظير له فى مقام التقويم ثم استعمل فى فقد الاب قبل بلوغ ولده (من صفته واحدى علاماته فى الكتب المتقدمه) كالتوراة والانجيل (واخبار الامم السالفة) باللام والفاء أى السابقة الماضية (وكذا) أى نعت اليتم (وقع ذكره فى كتاب أرميا) بفتح الهمزة وسكون الراء وكسر الميم فتحتية فالف مقصورة وروى ممدودة قال التلمسانى وهو ابن حلقيا وقال الدلجى كأنه من أنبياء بنى اسرائيل وفى القاموس أرميا بالكسر نبى للصاغانى (وبهذا) أى نعت اليتم (وصفه ابن ذى يزن) بفتح الياء والزاى غير منصرف واسمه سيف وهو ملك اليمن

(وامداده) أى ارساله مددا يوم بدر وغيره (بالملائكة المسومين) أى الذين لهم سمة وعلامة تميزهم عن غيرهم وذلك كان بعمائم صفر مرخية بين اكتافهم وفى نواصى خيلهم واذنابها صوفا أبيض وهو بكسر الواو وفتحها الان لهم سمة وقد سوموا خيولهم بعمائم وغيره (ولوكان صلى الله تعالى عليه وسلم ابن ملك) بكسر اللام أى سلطان (أوذا اشياع) أى صاحب جنود واتباع جمع شيعة وهى الفرقة العظيمة من الناس (متقدمين) على زمن ظهوره بان كانوا اتباعه من أبيه وجده (لحسب) أى ظن (كثير من الجهال) ومن لا بصيرة لهم (ان ذلك) أى ملك أبيه واشياعه (سبب ظهوره) على غيره (ومقتضى) اسم فاعل أى موجب (علوه) فى شانه وقدره كغيره (ولهذا) أى لاجل ماذكر من انه لو كان كذلك ظن الجهلة فيه ما تقدم (قال هرقل) ملك الروم لما سال عنه لما بلغه خبره وهو بكسر أوله وفتح ثانيه وسكون ثالثه كدمشق ويجوز اسكان ثانيه وكسر ثالثه كخندق والاول أظهر هو المشهور والثانى حكاه الجوهرى وغيره ولقبه قيصر وهو أول من ضرب الدنانير وملك الروم احدى وثلاثين سنة وفى ملكه توفى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (حين سال أباسفيان) رضى الله تعالى عنه ومر انه بتثليث السين يكنى أباحنظلة وان اسمه صخر بالمهملة ثم المعجمة ابن حرب بالمهملة المفتوحة والراء الساكنة ثم الموحدة ابن أمية ولد قبل الفيل بعشر سنين وأسلم ليلة الفتح وشهد الطائف وحنينا وفقئت احدى عينيه فى الاولى والاخرى يوم اليرموك توفى بالمدينة سنة احدى اوأربع وثلاثين وهو ابن ثمان وثمانين سنة وصلى عليه عثمان رضى الله عنهما (عنه) صلى الله تعالى عليه وسلم بايلياء وقال له (هل) كان (فى آبائه من ملك) من الجبارة الملك بكسر اللام صفة مشبهة فى الاصل أومن موصولة وملك ماض بفتحها صلتها (ثم قال) هرقل له بعد جوابه (ولوكان فى آبائه ملك قلنا رجل يطلب) بظهوره وعلوه (ملك أبيه) كعادة ابناء الملوك وقال أبيه دون آبائه ليكون أعذر فى طلب الملك أو المراد بالاب ماهو أعم من حقيقته ومجازه والحديث فى الصحيحين وهو مشهور (واذا اليتم) بضم أوله وسكون ثانيه وتقدم تفسيره (من صفته صلى الله تعالى عليه وسلم فى الكتب المتقدمة) كالتوراة والانجيل (واخبار الامم السالفة) المتقدمة التى تلقوها عن أنبيائهم كما فى قصة تبع (وكذا) وصفه باليتم (وقع ذكره) بهذه الصفة (فى كتاب أرميا) بن حلقيا نبى الله وكان له صحف الهية وهو من بنى اسرائيل ذكره مفصل فى التواريخ وهو بفتح الهمزة وجوز كسرها وسكون الراء المهملة ومثناة تحتية وألف مقصورة كذا فى الحواشى وفى مرآة الزمان ان أرميا بضم الهمزة كما قراته على شيخى أبى منصور اللغوى يعنى الجواليقى وقال ان أرميا كان من ابناء الملوك وانه أوحى اليه فلما أنذر قومه حبسوه فسلط الله تعالى عليهم بخت نصر وساق قصة طويلة له (وبهذا) أى اليتم (وصفه ابن ذى يزن) ملك اليمن ويزن ممنوع من الصرف وفيه كلام

(لعبد المطلب) على ما تقدم من انه يموت أبوه وأمه ويكفله جده وعمه (وبحيرا) بفتح الموحدة وكسر الحاء المهملة وسكون التحتية فراء بعدها ألف مقصورة وممدودة وهو الراهب الذى أبصره بارض الشام وقد عده من الصحابة عند بعض الاعلام والمقصد انه أيضا كذا ذكره (لابى طالب) فى ذلك المقام فروى انه نزل من صومعته وأخذ بيده عليه الصلاة والسلام وذلك حين خرج مع عمه أبى طالب الى الشام فقال لعمه ما هذا الغلام منك فقال ابنى فقال بحيرا ما هو بابنك وما ينبغى لهذا الغلام أن يكون أبوه حيا قال فانه ابن أخى قال فما فعل أبوه قال مات وأمه حبلى به قال صدقت وتقدمت هذه القصة فى فصل دلائل النبوة (وكذلك اذا وصف بانه أمى كما وصفه الله به) بقوله فآمنوا بالله ورسوله النبى الامى وقوله الذين يتبعون الرسول النبى الامى (فهى) أى صفة الامية (مدحة له) بكسر الميم أى منقبة له وان كانت منقصة لغيره (وفضيلة ثابتة فيه) أى فى حقه بخصوصه (وقاعدة معجزته) أى أساس كرامته فى خرق عادته الدالة على تحقق رسالته (اذ معجزته العظمى) بضم العين أى العظيمة فى الغاية (من القرآن العظيم انما هى متعلقة بطريق المعارف) أى العلوم الجزئية (والعلوم) الكلية من الاخبار السابقة والآثار اللاحقة والاصول الدينية والفروع الشرعية والاحكام والحدود فى السياسات العرفية مع قطع النظر عن جمال بلاغته وكمال فصاحته (مع ما منح) أى أعطى (صلى الله تعالى عليه وسلم) من الفضائل وحسن الشمائل هنالك (وفضل) بصيغة المفعول مشددا أو مخففا أى وميز (به) عن غيره (من ذلك) أى من أجل كمالات ذاته وكمالات صفاته (كما قدمناه من القسم الاول) وفى نسخة فى القسم الاول أى من الباب الرابع (ووجود مثل ذلك) الكتاب الجامع للابواب كما قال فى مدحه بعض أولى الالباب

جميع العلم فى القرآن لكن * تقاصر عنه افهام الرجال

والمعنى ان ظهوره (من رجل لم يقرأ ولم يكتب ولم يدارس) الممارس (ولا لقن) فى المدارس (مقتضى العجب) فى عالم الفكر (ومنتهى العبر ومعجزة البشر وليس) أى فيه كما فى نسخة (ذلك) الوصف بالامى (نقيصة اذ المطلوب) بالذات (من الكتابة والقراءة المعرفة وانما هى) أى القراءة ونحوها (آلة لها) أى للمعرفة (وواسطة موصلة اليها غير مرادة فى نفسها فاذا حصلت الثمرة والمطلوب) كان الانسب ان يقال المطلب ليكون مسجعا مع قوله (استغنى عن الواسطة) كالشجرة (والسبب والامية فى غيره نقيصة لانها سبب الجهالة وعنوان

للصاغانى فى الذيل والصلة (لعبد المطلب) جده حين ذهب اليه مع أشراف قريش ليهنوه باخذ ملكه من الحبشة فاختلى به وبشره بقدوم نبى عظيم وانه لا أب له وانما يكفله جده وعمه وقد تقدم طرف من قصته معه واكرامه له (و) كذا وصفه (بحيرا) الراهب (لابى طالب) حين ذهب معه للشام كما تقدم وفى كلامه يموت أبوه وأمه ويكفله جده وبحيرا بفتح الموحدة وكسر الحاء المهملة يمد ويقصر ويقال بحير بلا ألف وفى خبره ان الراهب ساله عنه لما رأى السحاب تظله فقال له انه ابنى فقال انه لا ينبغى أن يكون له أب كما نجده فى كتبنا فاخبره بموت أبيه فصدقه (وكذلك) أى كوصفه باليتم وصفه (اذا وصف بانه أمى) لا يقرأ ولا يكتب (كما وصفه الله تعالى به) فى قوله فآمنوا بالله ورسوله النبى الامى الآية (فهو مدحة له وفضيلة ثابتة فيه) لما سيأتى (وقاعدة معجزته) أى مثبتة ومقوية كالاساس للبنيان (اذ معجزته العظمى) الفائقة لسائر المعجزات (من القرآن العظيم) واعجازه (انما هى متعلقة بطريق المعارف والعلوم) التى وصلت اليه مما لم يتفق ولا يمكن لغيره (مع ما منح) أى أعطى (صلى الله تعالى عليه وسلم وفضل به) على سائر الخلق (من ذلك) أى من علومه ومعارفه التى لا تصل اليها عقول البشر (كما قدمناه فى القسم الاول ووجود مثل ذلك من رجل لم يقرأ) الخط (ولم يكتب) فى عمره حرفا (ولم يدارس) أى لم يقارن أحدا يدرس عنده ما يتعلمه من الافواه (ولا لقن) أى لم يلق عليه أحد شيأ منه (مقتضى العجب) أى موجب له (ومنتهى العبر) أى غاية ما فيه عبرة لمن يقف عليه (ومعجزة البشر) التى أعجزتهم عن مثله واذا كان كذلك (فليس فى ذلك) أى كونه أميا (نقيصة) له صلى الله تعالى عليه وسلم بل فيه من الشرف والفخر ما يعجز عنه الوصف (اذ المطلوب) المقصود (من) تعلم (الكتابة والقراءة المعرفة) بما يحتاج اليه من العلوم والمعارف فليست مقصودة لذاتها (وانما هى) أى القراءة والكتابة (آلة لها وواسطة موصلة اليها غير مرادة فى نفسها) اذ لا فائدة لها فى نفسها (فاذا حصلت الثمرة والمطلوب) بالذات والثمرة فاكهة أشجار تجوز بها عن كل فائدة مترتبة على أمر من الامور (استغنى عن الواسطة والسبب) الذى لا يراد لاجلها فهى فيه كمال وفضيلة (والامية فى غيره) ممن لم يصل الى العلوم (نقيصة) معيبة فيه (لانها) حينئذ (سبب الجهالة) بالعلوم والمعارف (وعنوان) أى

الغباوة) أي ومقدمة الضلالة والعنوان بضم أوله ويكسر ما يكتب على ظاهر الكتب ليعلم مجمل ما في باطنها وبهذا يعرف ان كشف
العوارف وظهور المعارف في بعض الاميين من هذه الامة يكون من جملة الكرامة كما أشار اليه قوله سبحانه وتعالى وعلمناه من لدنا
علما فان العلم اللدني في العرف اللغوي ما يحصل للامي من غير كسب ظاهر في الآدمي (فسبحان من باين أمره) أي غاير أمر النبي
(من أمر غيره وجعل شرفه فيما فيه محطة سواه) أي محل خفض قدر غيره (وجعل حياته فيما فيه هلاك من
عداه) أي من سواه من أرباب الارواح وأصحاب الاشباح (وهذا شق قلبه) أي صدره مرة بعد مرة في حقه (واخراج حشوته) بضم الحاء المهملة وتكسر وسكون الشين المعجمة وأصله ما في جوف الشيء مما هو محشو به كالامعاء والكرش وسائر الاشياء والمراد بها هنا علقة سوداء كما رواه البخاري كانت حظا للشيطان وتعلقاله بها في مقام وسوسة الانسان لان شقه واخراجها (كان تمام حياته) ونظام صفاته (وغاية قوة نفسه) ونهاية قوة أنسه (وثبات روعه) بضم الراء أي قلبه حال خوفه وروعه ولله در من قال
اقتلوني يا ثقاتي
ان في موتي حياتي
ولبعض أرباب الحال موتوا قبل ان تموتوا (وهو) على ما في نسخة أي شقه واخراجها (فيمن سواه منتهى
هلاكه) أي غاية أسباب هلاكه (وحتم موته) بالحاء المهملة أي وجوب وقوعه (وفنائه) والمعنى انه نهاية علة موته وافنائه (وهلم جرا) أي وهكذا الامر مستمرا (الى سائر ما روي من أخباره وسيره) المؤذنة بآثاره وأسراره (وما آثره) أي مفاخره ومكارمه التي تؤثر عنه (وتقلله) أي طلب قلته وروي تبلغه أي طلب بلاغه وزاده الى معاده (من الدنيا) زهدا فيها لا اضطرارا عنها (ومن الملبس) الناعم (والمطعم) اللذيذ والمركب)

دليل ظاهر على (الغباوة) بغين معجمة وموحدة وهي عدم الفطنة والذكاء كالبلادة والحماقة والعنوان
ما يكتب على ظهر الكتاب ليعلم لمن هو وما هو فاريد به كل ما يدل على فعل خفي وعينه تضم وتكسر لانه
يعلم من أميته انه لبلادته لم يقدر على التعلم وقد علم مما قبله انه مخصوص بمن يظهر علمه فلا حاجة الى ان
يقول الا من خصه الله بعلم دونهم كما قيل وفي العنوان لغات يقال عنوان وعلوان وفيه كلام في شرح
الفصيح (فسبحان من باين أمره صلى الله تعالى عليه وسلم) أي فصله وميزه وبعده (من أمر غيره)
من الناس فجعله في أعلى مراتب من الكمال لا يحتاج لوسائط وآلات وجعله ما به يمدح في غيره يعاب
وينقص وهذا أمر عجيب فلذا قال سبحان وهي تنزيه لله تستعمل للتعجب كثيرا كان هذا الامر
العجيب لا يقدر عليه سواه (وجعل شرفه) أي علو مقامه وقدره (فيما فيه محطة سواه) الحط تنزيل شيء
من علو لسفل ومحط مصدر ميمي والمراد ان بعض ما زاد به شرفه صلى الله تعالى عليه وسلم فيه نقص
وتنزيل لغيره وهو اشارة لما قدمه من يتمه الذي بين به ان ربه أدبه فاحسن تاديبه ورباه من غير منة
لمخلوق عليه فكان صلى الله تعالى عليه وسلم بهذا مباينا لغيره ممن تربى يتيما وجعله ذاعيلة ليعلم انه غني
بالله وانه لم يتبعه من تبعه لامر دنيوي وجعله أميا ليعلم ان علمه لدني وهذا غاية الشرف وهو في غيره
نقص وشين (و) جعل (حياته فيما فيه هلاك من عداه) هذا أقوى مما قبله لانه قد يتيسر لبعض
الخواص وأما (هذا) وهو (شق قلبه) فان الحكماء متفقون على ان القلب به قوام الحياة والادراك
وهو رئيس الاعضاء ولا يحتمل جراحة ولا جرحا من محله فكيف يعيش من يخرج قلبه ويشق
وقد وقع له صلى الله تعالى عليه وسلم مرارا أولها وهو صغير عند مرضعته كما تقدم بيانه (واخراج حشوته)
بضم الحاء المهملة وكسرها وسكون الشين المعجمة والمراد ما في داخله من العلقة السوداء كما تقدم
وبيان حكمته وأصل الحشوة الامعاء والكرش والمراد به هنا ما ذكرناه تجوزا (كان) ما فيه هلاك
غيره (تمام حياته) لانه أخرج منه ما يتعلق به وسوسة الشيطان وملئ علما وحكمة ففيه تمام الخلقة
الحقيقية بازالة منشئ السوداء والمعنوية بالعلم الذي له بمنزلة الروح (وغاية قوة نفسه) لان قلبه نظف
وأودع ما قواه على تلقي الوحي ورؤية الملائكة وشدة الاذعان والفطنة (وثبات روعه) بضم الراء
المهملة قبل واو ساكنة وعين مهملة وهو القلب والادراك فاريد بشقه ان يجعل فيه ما يثبته على تلقي
الوحي وملاقاة الملائكة كما ورد في الحديث ان روح القدس نفث في روعي أي قلبي وخلدي وبه فسر
(وهو) أي شق القلب اذا وقع (فيمن سواه) من الناس كان (منتهى) أي غاية قصوى ومن أقوى
أسباب (هلاكه) باخراج روحه سريعا (وحتم) بفتح الحاء المهملة وسكون المثناة الفوقية وميم أي
وجوبه بحسب العادة بمعنى معينه قطعا (موته) أي ذهاب حياته (وفنائه) بذهاب روحه وما يتبعه
وحديث الشق وتعدده رواه الشيخان وغيرهما وتفصيله في شروحهما (وهلم جرا) تقدم الكلام عليها
مبسوطا أي وغير ذلك مما خالف فيه غيره مما يضاف (الى سائر ما روي من أخباره وسيره) في كتب
الحديث مما يباين حال غيره (وتقلله من) أمور (الدنيا) في جميع أحواله كما تقدم (ومن الملبس والمطعم

(والمركب) المزين (وتواضعه) مع الخلق مع كمال ترفعه عند الحق عملا بقوله من تواضع لله رفعه الله رواه أبو نعيم في الحلية عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه (ومهنته) بفتح الميم وتكسر على ما ذكره التلمساني وأبو زيد فلا يلتفت الى نفي الاصمعي والزمخشري فان من حفظ حجة على من لم يحفظ أي خدمته (نفسه في أموره) المحتاج اليها (وخدمة بيته) تهوينا على أهله وخدمه (زهدا) في الملك والمال والجاه المعد للهلاك وقد سئل الزهري عن الزهد وقال هو ان لا يغلب الحلال شكره ولا الحرام صبره (ورغبة عن الدنيا) أي اعراضا عنها لسرعة فنائها وقلة بقائها وكثرة عنائها وخسة شركائها وقد ورد لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة لما سقى كافرا منها شربة ماء رواه الترمذي عن سهل بن سعد (وتسوية بين حقيرها وخطيرها) أي عظيمها من قليلها وكثيرها (لسرعة فناء أمورها) وبقاء شرورها (وتقلب أحوالها) وتغير أرباب أموالها ونعم المقول

فلا تدوم على حال تكون بها * كما تلون في أثوابها الغول

(كل هذا) الذي ذكرناه (من فضائله) أي بعض شمائله (وما ثره) أي مكارمه

التي تؤثر وتروى من مفاخره (وشرفه) أي طرفه وتحفه (كما ذكرناه) فيما سبق من محله ومجمل الكلام ما ورد عنه عليه الصلاة والسلام بعثت لاتمم مكارم الاخلاق (فمن أورد منها شيا مورده) أي ذكر في محله اللائق به (وقصد به مقصده) من تعظيم قدره وتبجيل أمره (كان حسنا) أي مستحسنا عند الله وخلقه (ومن أورد ذلك على غير وجهه) يتساهل في حقه (وقد علم منه) أي من ايراده ذلك (سوء قصده) من تنقص به (لحق بالفصول الستة التي قدمناها) فيقتل أو يعزر أو يحبس كما قدرناها (وكذلك ما ورد

من أخباره) من أفعاله وأقواله وآثاره (واخبار سائر الانبياء عليهم السلام في أحاديث) وفي نسخة في الاحاديث (مما في ظاهره اشكال) كحديث لم يكذب ابراهيم الا ثلاث كذبات (يقتضي أمورا لا تليق بهم بحال) من أحوالهم (ويحتاج الى تاويل) يصرفها الى تحسين مقالهم (وتردد احتمال) من نقصان في جمال كمالهم (فلا يجب) أي فلا ينبغي (ان يتحدث منها) بل يجب ان يسكت عنها ولا يوثق بشيء منها (الا بالصحيح) الثابت فيها (ولا يروى منها الا المعلوم) في الرواية (الثابت) في الدراية (ورحم الله مالكا فلقد كره التحدث بمثل ذلك من الاحاديث الموهمة للتشبيه) المحتاجة الى التاويل المقتضي للتنزيه (والمشكلة المعنى) المبينة على استعارة في المبنى كحديث البخاري وغيره ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة الى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الاخير فيقول هل من داع فاستجيب له هل من سائل فاعطيه هل من مستغفر فاغفر له فان نزوله سبحانه وتعالى كناية عن تنزلات رحمته وموجبات اجابة دعوته واسباب مغفرته أو يقال انه سبحانه وتعالى له نزول يليق بشأنه مع اعتقاد التنزيه له عن

(والمركب) تفصيل لامور الدنيا التي تصنع فيها (وتواضعه) للخلق مع علو قدره وشرفه (ومهنته) بفتح الميم وكسرها وذهب الزمخشري تبعا للاصمعي انها لا تكسر كما مر وهو مصدر بمعنى الابتذال والخدمة وقوله (نفسه) مفعول (في أموره) الدنيوية كخصف نعله (وخدمة بيته) بنفسه وانما كان ذلك منه (زهدا) في أمور الدنيا بتركها (ورغبة عن الدنيا) لا فيها (وتسوية بين حقيرها وخطيرها) أي عظيمها عند غيره لشرف نفسه عنها (لسرعة فناء أمورها) وعدم بقائها (وتقلب احوالها) من حال الى حال بحيث لا تدوم على حال أبدا (وكل هذا) المذكور (من فضائله) التي فضله الله بها على غيره (وما ثره) جمع مأثرة بالضم وهي ما يستأثر به أي اختص به من الشرف والمكارم مما يؤثر عنه (وشرفه كما ذكرناه) فيما تقدم من هذا الكتاب (فمن أورد) أي ذكر (شيا منها مورده) أي في محله الذي ينبغي واصله من ورد الماء اذا ذهب ليستقي منه فاستعير لما ذكر (وقصد بها مقصده) الذي يليق بقدره وشرفه (كان حسنا) يمدح به ويثاب عليه عند الله (ومن أورد ذلك على غير وجهه) اللائق به لايهامه تحقيرا وتنقيصا له (وعلم منه بذلك الايراد له على غير وجهه (سوء قصده) بتنقيص وشين (لحق بالفصول) الستة المتقدمة جمع فصل بصاد مهملة (التي قدمناها) في هذا الباب (وكذلك) أي مثل هذا ما ورد على غير وجهه (ما ورد من اخباره) صلى الله تعالى عليه وسلم (واخبار سائر الانبياء) صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين (في الاحاديث) التي يرويها القصاص (مما ظاهره اشكال) أي مشكل لمخالفته لما تقرر من أحوال عصمتهم عنها (مما يقتضي أمورا) منقصة لهم و (لا تليق بهم بحال) من الاحوال (ويحتاج الى تاويل) لما يصرفها عن ظاهرها (وتردد احتمال) أي تردد سامعها لاحتماله الوجوه أخر (فلا يجب) أي يجوز كما مر (ان يتحدث منها) بنقلها وروايتها (الا بالصحيح) رواية عن الثقات (ولا يروى منها الا المعلوم) معناه (الثابت) نقله عن الائمة (ورحم الله) عز وجل (مالكا) امام دار الهجرة (فلقد كره التحدث بمثل ذلك) الذي فيه اشكال يحوج لتاويله (من الاحاديث الموهمة) أي الموقعة في فهم سامعها وهمه (للتشبيه) أي تشبيه الله بغيره وهو ما يذكره المجسمة كحديث ان الله خلق آدم على صورته (والمشكلة المعنى) كحديث ينزل ربنا كل ليلة

الانتقال وتغير و وجوده بكان وزمان في ذاته وكذا الحكم في الآيات المتشابهات وسائر الاحاديث المشكلات فللسلف والخلف مذهبان فالمتقدمون على التسليم والتوكيل ومنهم أبو حنيفة ومالك وأحمد بن حنبل والمتأخرون على التأويل والكل قائلون بالتنزيه ومانعون عن التشبيه وبالغ الامام مالك حتى منع السؤال عن ذلك كما صرح به في قوله المجيب عن سؤاله الاستواء معلوم والكيف مجهول والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة (وقال) أي مالك (ما يدعو الناس) أي أي شيء يلجئ العامة ويسوقهم (الى التحدث بمثل هذا) كحديث خلق الله آدم على صورته وكحديث اذا كان أحدكم يصلي فلا يبصقن قبل وجهه فان الله بينه وبين القبلة (فقيل له ان ابن عجلان) بفتح أوله (يحدث بها فقال لم يكن) أي ابن عجلان (من الفقهاء) مع انه كان شيخ مالك ومن اعلام التابعين بالمدينة وروى عن أبيه وأنس بن مالك وغيرهما وعنه شعبة ويحيى بن سعيد القطان ونحوهما وثقه أحمد وابن معين وقال غيرهما سيئ الحفظ روى انه حملت به أمه ثلاثة أعوام فشق بطنها لما ماتت فاخرج وقد نبتت اسنانه وفي الميزان للذهبي قال عبدالرحمن بن القاسم قيل لمالك ان ناسا من أهل العلم يحدثون قال من هم فقيل له ابن عجلان فقال لم يكن ابن عجلان يعرف هذه الاشياء ولم يكن عالما قال الذهبي قلت قال مالك هذا لما بلغه ان ابن عجلان حدث بحديث خلق الله آدم على صورته ولابن عجلان فيه متابعون وخرج في الصحيح انتهى فمعناه لم يكن يفقه ما ينشا عن هذا من الفساد للعباد والخوض في الباطل لاهل الفساد أو لم يكن من الفقهاء الذين يتأولون الاخبار بل ممن يبقى على ظاهره ما ورد من الآثار والحاصل انه كره التحديث مالك بامثال ذلك في مجالس العامة لا التحديث المطلق المرتب عليه كتم العلم بالخاصة كما بسطنا هذه القضية في الخطبة قال القاضي المؤلف (وليت الناس وافقوه) أي مالكا (على ترك الحديث بها و) ساعدوه على طيها) أي عاونوه على طي ذكرها في مجلس العامة (فاكثرها ليس تحته عمل) يحتاج اليه جمهور الخلق وحمله الدلجي على كراهة مطلق التحديث بها رواية وكتابة فقال هذه دعوى بلا بينة ومن ثم لم يوافقه أحد على كراهة التحديث بها اذ لم يقله عليه الصلاة والسلام لاصحابه عبثا ولا أخبر به عن ربه ليترك سدى مع انه يلزم من كراهة التحديث بها كراهة تعليم الناس متشابه القرآن والتلاوة مع أمره عليه الصلاة والسلام بقوله بلغوا عني ولو آية وانما ورد في الكتاب والسنة بعض المتشابهات ابتلاء للراسخين في العلم على قدم الثبات قلت اختار مالك سد باب الذريعة للهالك العامة في ذلك كما وقع لسيدنا عمر رضي الله تعالى عنه مع أبي هريرة حيث أمره صلى الله تعالى عليه وسلم بان يروي عنه عليه الصلاة والسلام ان من يشهد ان لا اله الا الله حرمه الله على النار ومنعه عمر لئلا يتكل الناس ويتركوا عمل الابرار بسماع هذه الاخبار ووافقه سيد الاخيار وقال دعهم يعملوا هذا ولم يرد عن أحد من الائمة جواز روايته مثل هذه الاحاديث في مجالس الجهلاء والسفهاء فلم يخالف مالك في هذه المسئلة أحدا من العلماء بل ثبت عنهم منع العامة عن علم الكلام ودقائق الصوفية الكرام خوفا عليهم من تزلزل عقائدهم وعدم الانتفاع بفوائدهم

الى سماء الدنيا في الثلث الاخير ونحوه مما ذكره الامام ابن فورك في كتاب المشكل له الآتي بيانه وهو كتاب جليل (وقال) الامام مالك (ما يدعو الناس) أي ما يقتضي نقل مثله (الى التحدث بمثل هذا) الموهم المشكل معناه (فقيل له ان ابن عجلان يحدث بها) ويرويها للناس وهو الامام الثقة المحدث أبو عبدالله محمد بن عجلان الفقيه المدني أخرج له مسلم وغيره روى عن أبيه وعن أنس وغيرهما لكن اخراج مسلم له انما هو في الشواهد وتوفي سنة ثمان وأربعين ومائة وقيل ان أمه حملت به ثلاثة أعوام فشق بطنها وأخرج وقد نبتت اسنانه وله ترجمة في الميزان وكان مالك لا يرى التكلم في المتشابهات وهذا محمول على نقلها عند العوام الذين لا يعرفون مثلها فلا وجه للاشكال بانه كيف يجوز ان يكتم ما صح عنه صلى الله تعالى عليه وسلم من غير نهي عن نقله ولو كان مما يجب تركه لم يحدث به أصحابه الى آخر ما طال فيه بغير طائل (فقال) مالك (لم يكن) ابن عجلان (من الفقهاء) الذين يعرفون ما في الحديث من الاحكام والدقائق وكان يحدث الناس بحديث ان الله خلق آدم على صورته وهو من المتشابه المشكل وفيه تأويلات فقيل ان الضمير لمن ضرب على وجهه لا لله وقيل ان الصورة لها معان كالحقيقة والصفة كما يقال صورة المسئلة كذا وفيه كلام لهم مشهور (وليت الناس وافقوه) أي وافقوا الامام مالكا (على ترك الحديث) أي ترك التحدث (بها) أي بالمتشابهات المشكلة (وساعدوه) المساعدة المعاونة والمراد بها هنا الموافقة (على طيها) أي على رأيه في تركها وعدم ذكرها رأسا (فاكثرها) أي الاحاديث المتشابهة المشكلة (ليس تحتها عمل) أي ليس مدلولها جعلها تحت الالفاظ لخفائها كما يقال ليس تحت هذا الامر فائدة لانها ليس فيها أحكام شرعية وقد علمت ان هذا مذهب لمالك في كراهة الكلام على متشابه الحديث كما ذهب اليه بعضهم في متشابه القرآن وقد قيل انه لم يوافقه عليه أحد فانه لو كان كذلك لم يحدث بها النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أصحابه ولم يقل بلغوا عني وانما هو ابتلاء الراسخين في العلم ليتعبوا أفكارهم ويعملوا انظارهم فيها حتى يطبقونها على المحكم

(وقد حكى) بصيغة المجهول أي روى مثل ذلك (عن جماعة من السلف بل عنهم) أي عن السلف (على الجملة) أي من حيث مجموعهم لا جميعهم (انهم كانوا يكرهون الكلام) أي مع العوام (فيما ليس تحته عمل) من الاحكام مما يؤخذ منه حكم شرعي ينتفع به الانام (والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم أوردها) أي أحاديثه (على قوم عرب) في كمال أدب (يفهمون كلام العرب على وجهه) بدون صرفه عن ظاهر عبارته الا لموجب يدعو اليه من حمله على اشارته (وتصرفاتهم في حقيقته) باستعمال اللفظ فيما وضع له بحسب أصله (ومجازه) باستعماله في غير ما وضع له بقرينة عقلية أو حالية (واستعارته) باستعارة حرف كما في قوله تعالى ولاصلبنكم في جذوع النخل أي عليها أو فعل كما في ولما سكت عن موسى الغضب أي سكن وذهب (وبليغه) أي وبلاغته مما يطابق مقتضى الحال من فصاحته (وايجازه) الجامع لقلة مبانيه وكثرة معانيه (فلم تكن في حقهم مشكلة) أي لم توجد في الاحاديث بالنسبة اليهم كلمة مشكلة وجملة معضلة أولم تكن هذه الاشياء المتقدمة في حقهم مشكلة موهمة لمعرفتهم بأساليب كلامهم وقوة ادراكهم وسرعة افهامهم وفق مرامهم وهذا كله ببركة مجالسة نبي الامة وكاشف الغمة (ثم جاء من غلبت عليه العجمة) بضم أوله أي اللكنة العجمية (وداخلته الامية) أي النسبة الجهولية والحالة الطفولية (فلا يكاد يفهم من مقاصد العرب) في مراصد الادب (الانصها) أي ظاهرها الا تلويحها (وصريحها) وفي نسخة تصريحها (ولا يتحقق) باشارتها وفي نسخة اشاراتها (الى غرض الايجاز) أي الاقتصار والاختصار ميلا الى الاطناب في عباراتها (ووحيها) أي خفي كلامها (وتبليغها) وفي نسخة صحيحة وبليغها وهو الابلغ أي الاقوال المتضمنة لبلاغتها (وتلويحها) أي اشارتها الى تحسين عبارتها بحسب فصاحتها (فتفرقوا) أي من غلبت عليه العجمة حقيقة أو طبعية (في تأويلها) أي الاحاديث الموهمة للشبهات المشكلة (أوحملها على ظاهرها) من غير تنزيه في باطنها (شذر مذر) بفتح أولهما وكسره فمعجمتين اسمان جعلا اسما واحدا للتأكيد فبنيا على الفتح كخمسة عشر ومحلهما نصب على الحال أي تفرقوا في كل وجه بحيث لا يرجى اجتماعهم بوجه ولا يقال في الاقبال وهذا في الامثال مثل قولهم تفرقوا أيدي سبا وتمزقوا كل ممزق (فمنهم من آمن) حق ايمانه من التنزيه

وقد فعلوا جزاهم الله كل خير (وقد حكى عن جماعة من السلف) المتقدمين من الصحابة والتابعين (بل) حكى (عنهم) أي السلف (على الجملة) أي جميعهم (انهم كانوا يكرهون) كراهة تنزيه (الكلام على ما ليس تحته عمل) مما لا يشتمل على الاحكام الشرعية ثم أشار الى جواب سؤال مقدر فقال (والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم أوردها) أي حدث بها ورد لها (على قوم) من الصحابة فهو جواب عما أشرنا اليه من انها لو كانت كذلك ما حدث بها (عرب) بوزن قفل وحجر أي صميم العرب وأهل اللسان فهم (يفهمون كلام العرب) يعني ومن جملة ذلك كلامه صلى الله تعالى عليه وسلم (على وجهه) الذي أريد به من غير التباس (وتصرفاتهم) بالجر والنصب (في حقيقته) وما وضع له (ومجازه) الذي تجوز به عنه مجازا لغويا أو عقليا (واستعارته) من عطف الخاص على العام لانه مجاز علاقته المشابهة (وبليغه) أي ما يورد من فصيحه على مقتضى الحال والمقام (وايجازه) أي ايراد معانيه الكثيرة بالفاظ قليلة (فلم تكن) تلك الاحاديث (في حقهم مشكلة) لانها لا تخفى عليهم مقاصدهم (ثم جاء بعدهم) من هذه الامة (من غلبت عليه العجمة) لمخالطته العجم ودخول غير لسان العرب فقل ما تجد عربيا فصيحا بين أظهرهم والعجمة عدم الفصاحة (وداخلته الامية) أي الجهل بلسان العرب فليس المراد به الامي بالمعنى المشهور (فلا يكاد يفهم من مقاصد العرب) في كلامهم العربي (الانصها أو) يعني به (صريحها) دون دقائق رموزها فهو عطف تفسير (ولا يتحقق اشارتها) أي لا يفهم دقائقها وتلويحاتها (الى غرض الايجاز) المقصود منه ومن عدم بسطه (ووحيها) بحاء مهملة وأصل معناه الرمز قال
وحي الملاحظ خيفة الرقباء (و) غرض (تبليغها) لسامعها بلا تصريح (وتلويحها) التلويح هو التعريض والاشارة (فتفرقوا في تأويلها) أي صاروا فرقا مختلفة لما ذكر في خفاء المراد منها فذهبت طائفة الى بيانها وتأويلها بما يتضح به معناها (أوحملها على ظاهرها) من غير تأويل لها (شذر مذر) اسمان ركبا وبنيا على الفتح كخمسة عشر بشين وذال معجمتين وراءين مهملتين مع فتح أولهما وكسرهما وابدال ميمه باء وقيل هو الاصل من التبذير وهو التفريق ومعناه مبددة متفرقة أي ذهبوا في المتشابه الى مذاهب وجهات فمن قائل نؤوله ومن قائل نبقيه على ظاهره ومن قائل نؤمن به من غير تعرض لمعناه وكشف قناع وجهه (فمنهم) أي ممن تفرق شذر مذر (من آمن به) أي صدق به وبانه حق ونزهه عن أن يراد به ظاهره ويفوض معناه الى الله تعالى فيقف على قوله الا الله وهم كثير من السلف وهو أسلم ومنهم من أوله بما يليق به وهو أعلم كحديث ينزل ربنا الى السماء الدنيا والقلوب

(ومنهم من كفر) بحمله على التشبيه وهذا كله في الأحاديث الصحيحة والروايات الصريحة كحديث ان قلوب بني آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب رجل واحد يصرفه كيف يشاء رواه أحمد ومسلم عن عمرو (فأما ما لا يصح من هذه الأحاديث) الذي اشتهرت على ألسنة العوام أو ذكرت في كتب بعض العلماء الاعلام (فواجب أن لا يذكر منها شئ) لا سيما الوارد منها (في حق الله تعالى ولا في حق أنبيائه عليهم الصلاة والسلام ولا يتحدث بها) أي بألفاظها ومعانيها (ولا يتكلف الكلام على معانيها والصواب طرحها) أي حذفها وعدم ذكرها (وترك الشغل) وروى الاشتغال (بها الا أن تذكر على وجه التعريف بأنها ضعيفة المقاد) بفتح الميم والقاف أي ضعيفة الرجال

(واهية الاسناد) في المقال (وقد أنكر الاشياخ) جمع الشيوخ من العلماء (على أبي بكر بن فورك) بضم الفاء وفتح الراء غير منصرف للعجمة والعلمية وقد يصرف لعدم ثبوت العجمة (تكلفه في مشكله) كأنه اسم كتابه (الكلام) بالنصب على أنه مفعول تكلفه وفي أصل الدلجي في مشكل الكلام (على أحاديث ضعيفة) اسنادا أو متنا (موضوعة لا أصل لها) لا موقوفة ولا مرفوعة وكان الأولى أن يقال ضعيفة أو موضوعة للفرق بينهما عند أرباب الأصول فان الحديث الضعيف يعمل به في فضائل الأعمال اتفاقا (أو منقولة عن أهل الكتاب) من اليهود والنصارى وغيرهم (الذين يلبسون الحق بالباطل) كما أخبر الله به عنهم (كان) وفي نسخة وكان أي ابن فورك (يكفيه) أي ابن فورك (طرحها) أي نبذها وراء ظهره بعد التفات الى ذكرها (ويغنيه عن الكلام عليها) من جهة معانيها (التنبيه على ضعفها) ووضعها ليجتنب عن التعلق بها (اذ المقصود بالكلام على مشكل ما فيها ازالة اللبس) أي الخلط الكائن (بها واجتثاثها) مبتدأ أي اقتطاعها (من أصلها وطرحها) وتركها في فصلها (اكشف) أي أبين (للبس وأشفى للنفس) وفيه بحث اذ الحكم على الحديث بأنه ضعيف أو موضوع ليس بمقطوع لاختلاف المحدثين في رجال الاسناد بحيث لم يبق الاعتماد اذ قل حديث صحيح لم يقل بضعفه وعلته وقل حديث ضعيف بل موضوع لم يقل بصحته أو بثبوته فكأنه رحمه الله تعالى أتى بالتأويل في معناه على تقدير صحة مبناه ليزول الاشكال على جميع الاحتمال من الاحوال والله تعالى أعلم بمقاصد الرجال

منه

بين أصبعين من أصابع الرحمن (ومنهم من كفر) بسببه الخوض فيه بما لا يصح ابتغاء للفتنة واضلال الناس وفيه لف ونشر فمن آمن راجع للتأويل ومن كفر للحمل على الظاهر ونفي مذهب الوقف وهو معلوم مما تقدم * واعلم ان الكلام على المتشابه من الكتاب والسنة وقع هنا استطرادا إذ ليس مما نحن فيه لانه بصدد وصف النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بما يجوز أو لا يجوز وليس من المتشابه في شئ لكنه يشبهه في تأويل بعضه ومنع الخوض فيه لبعضهم (فأما ما لا يصح) لعدم صحة سنده (من هذه الأحاديث) المشكلة (فواجب أن لا يذكر منها شئ) لعدم صحتها وعدم صحة معانيها سواء كانت في حقه تعالى أو في حق أنبيائه كما قال (في حق الله تعالى ولا في حق أنبيائه ولا يتحدث بها) رواية ونقلا لانها اما كذب فيحرم نقله الا لبيان انه كذب وموضوع (ولا يتكلف) بعد نقلها (الكلام على معانيها) بتفسيرها وتوجيه تأويلها (والصواب طرحها) أي تركها (وترك الشغل بها) أي الاشتغال بذكرها وتأويلها والشغل بفتح الشين وضمها وسكون غينه وضمها اتباعا (الا أن تذكر على وجه التعريف) والتبيين ان لا يعرفها (بأنها ضعيفة المقاد) بفتح الميم والقاف وألف ودال مهملة من قادت الدابة في سيرها وهو اسم مكان منه استعير لطرق روايته وفي نسخة المقالة (واهية الاسناد) أي اسنادها شديد الضعف ساقط عن درجة الاعتبار من وهى بمعنى وهن وضعف وقيل انه من وهى الثوب اذا تخرق (وقد أنكر الاشياخ) جمع شيخ بمعنى العالم المفيد (على) الامام (أبي بكر بن فورك) وهو الامام محمد بن الحسن بن فورك الشافعي المحدث الاصولي وفورك بضم الفاء وراء مهملة واختلف في صرفه وعدمه كما تقدم توفي سنة ست وأربعمائة ودفن بنيسابور (تكلفه) مفعول أنكر (في مشكله) أي في كتابه الذي سماه مشكل الحديث في المتشابه (الكلام) مفعول تكلفه أي التكلم (على أحاديث ضعيفة موضوعة) الظاهر أو موضوعة (لا أصل لها) أي لا نقل لها ولا سند صحيح يقال كلام لا أصل له أي كذب (أو منقولة عن أهل الكتاب) أي اليهود والنصارى كبعض قصص الانبياء (الذين يلبسون) بتخفيف الباء الموحدة وتشديدها أي يخلطون (الحق بالباطل) الذي اختلقوه وافتروه (كان يكفيه طرحها) أي ترك ذكرها (ويغنيه عن الكلام عليها) بتأويلها وتوجيهها (التنبيه على ضعفها) وأن رواتها لم تنقل عمن يعتد به (اذ المقصود من الكلام على مشكل ما فيها) مما يخالف ظاهره الصواب (ازالة اللبس بها) أي التباسها على من لا علم عنده (واجتثاثها) أي قلعها وقطعها بجيم ومثناة فوقية وثائين وأصلها اقطع اصول الشجر فاستعير لما ذكر وقوله (من اصلها) ترشيح فيه تورية (وطرحها) أي تركها رأسا (اكشف) أي أظهر وأبين (للبس) من ذكرها وتأويلها (وأشفى للنفس) أي أكثر شفاء من تأويلها وهذا تحامل

*(فصل ومما يجب على المتكلم فيما يجوز على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وما لا يجوز) * أي اطلاقه عليه (والذاكر من حالاته) أي صفاته ومقالاته (ما قدمناه في الفصل قبل هذا) الفصل (على طريق المذاكرة والتعليم ان يلتزم) أي المتكلم (في كلامه عند ذكره عليه الصلاة والسلام وذكر تلك الاحوال الواجب) بالنصب على المفعولية من الضمير المستكن في يلتزم وتقدير الكلام ومما يجب على المتكلم في كذا وكذا ان يلتزم في كلامه الواجب ومن في قوله (من توقيره وتعظيمه) للبيان وفي بعض النسخ الواجبة بالتاء ايقاعا لها صفة الاحوال وخطؤه ظاهر الا ان يتكلف ويؤول بالثابتة في الفصول الستة (ويراقب) أي وان يراعي (حال لسانه) بعظيم شانه (ولا يهمله) أي يتركه ولا يرسله من غير بيانه (ويظهر عليه) أي على المتكلم (علامات الادب عند ذكره) خوفا من الريب ونظيره ما قاله القراء ان الواجب على القارئ اذا قرأ آية فيها فعل الكفر كقوله تعالى لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء ان يخفض صوته عند المقول وان يخضع في مقام الخوف والنزول

ويتذكر قوله تعالى لعيسى عليه الصلاة والسلام في الجمع العام ءانت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله فان مقتضى العقل الباهر والدين الظاهر انه سبحانه وتعالى لولا انه ذكره في كتابه وقرره في خطابه لكان واجبا ان لا يتحدث أحد عنهم بهذا الكلام تعظيما للملك العلام وتامل قول ابن دينار لولا ان الله أنزل في الفاتحة اياك نعبد واياك نستعين وأوجب علينا قراءته لما تلفظت بهذه الجملة لعدم اتصافي بهذه الخصلة (فاذا ذكر) المتكلم (ما قاساه) أي كابده عليه الصلاة والسلام (من الشدائد) من جهة الخلق (ظهر عليه الاشفاق) أي الشفقة والرحمة (والارتماض) بالضاد المعجمة أي شدة الاحتراق واصله القلق والشدة وهو من الرمض شدة الحر أو شدة الغيظ ومعناه انه يتوقد له ويتغيظ به ويود لو كان في ذلك الوقت لا وقع وعامل ذلك ما قدر من آثار المقت وهذا معنى قوله (والغيظ على عدوه) والغيظ بالظاء المعجمة الغضب أو شدته أو أوله وسورته وأغرب التلمساني بقوله والغيظ بالظاء والضاد وهي لغة (ومودة الفداء) وهو بكسر الفاء ممدودا ومقصورا أو بفتحها مقصورا أي ويحب ان يفدي بروحه وأبيه وأمه (للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم) فيما أصابه (لو قدر عليه) أي على الفداء (والنصر له لو أمكنته) لديه ونظيره في قراءة القرآن اذا قرأ آية الرحمة ينبسط ويطلبها واذا قرأ آية العقوبة ينقبض ويستعيذ منها (واذا أخذ في أبواب العصمة) وفي نسخة العظمة والظاهر انه تصحيف وتحريف والمعنى اذا شرع المتكلم في أبواب حفظ الله اياه في أحواله (وتكلم في مجاري أعماله واقواله عليه السلام والسلام تحرى) بالحاء المهملة والراء المشددة أي اجتهد في تاديته ويطلب ويقصد (أحسن اللفظ وآدب العبارة) بهمزة ممدودة أي أولاها (ما أمكنه) أي قدر ما قدر عليه

منه فانها بعد شيوعها لا بد من بيانها حتى لا يغتر بها الجهلة وفي كتاب ابن فورك فوائد جليلة ومعان بديعة يعرفها من وقف عليه مع ان في كتابه أحاديث منها ما هو صحيح كحديث نزول الرحمن ومنها ما هو ضعيف نبه على ضعفه كما ذكره في كتابه

* (فصل ومما يجب على المتكلم على ما يجوز على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وما لا يجوز عليه) * كما تقدم بيانه (والذاكر من حالاته ما قدمناه في الفصل) الذي ذكر (قبل هذا على طريق المذاكرة) مع اقرانه (والتعليم) لمن هو دونه من طلبة العلم (ان يلتزم) فاعل يجب أي يلازم من غير ترك (في كلامه عند ذكره صلى الله تعالى عليه وسلم وذكر تلك الاحوال) التي وقعت له (الواجب من توقيره وتعظيمه) بما يليق به (ويراقب) المتكلم في كلامه الصادر منه (حال لسانه) بتعبيره بعبارة حسنة (ولا يهمله) أي لا يترك توقيره (ويظهر) بتحتية مضمومة أو فوقية مفتوحة (علامات الادب) يجوز نصب علامات ورفعها (عند ذكره) حالا ومقالا (فاذا ذكر ما قاساه من الشدائد) كما وقع له صلى الله تعالى عليه وسلم في ابتداء دعوته وأذية المشركين له (ظهر عليه الاشفاق) عليه صلى الله تعالى عليه وسلم باظهار شفقته عليه مما أصابه (والارتماض) أي احتراقه ولوعته وهو بالضاد المعجمة يقال ارتمض الرجل من كذا اذا اشتد عليه وأقلقه (والغيظ على عدوه) باظهار غضبه وعداوته لعدوه (و) ظهر عليه (مودة) أي تمني (الفداء للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم لو قدر عليه) أي على ان يكون فدية له بنفسه وأهله وماله من جميع المكاره أي ان يسلم ويحل به ما حل به عوضا عنه والفداء اذا كسر مد وقصر وقد ينون اذا جاورته اللام بنحو فداك كما في الصحاح فاذا فتح قصر وينصب ويرفع وهو دعاء له ومن الله تعظيم وتوقير لتنزهه عن معناه (والنصرة له) صلى الله تعالى عليه وسلم (لو أمكنه) نصره وكان معه (واذا أخذ) أي شرع في التكلم (في أبواب العصمة) أي انواع ما عصمه الله منه وصانه (وتكلم على مجاري) أي ما جرى من (أعماله) الصادرة عنه (واقواله) المأثورة عنه صلى الله تعالى عليه وسلم (تحرى) بمهملتين أي قصد (أحسن اللفظ وآدب) بهمزة ممدودة قبل دال مهملة وموحدة افعل تفضيل (العبارة) التي يعبر بها أي اكثرها أدبا وتوقيرا (ما أمكنه) أي بقدر امكانه في بذل جهده وقدرته

(واجتنب بشيع ذلك) أى كريهه (وهجر) أى ترك (من العبارة ما يقبح) ظاهره (كلفظة الجهل والكذب والمعصية) والمعنى لا ينسب شيأ منها وامثالها اليه والى غيره من الانبياء عليهم السلام ولا يستند الى ما ورد فى حقهم من قوله تعالى ووجدك ضالا فهدى أى جاهلا بتفاصيل الايمان كما ينبئ عنه قوله تعالى ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ومن قوله عليه الصلاة والسلام لم يكذب ابراهيم الا ثلاث كذبات ومفهومه انه كذب ومن قوله تعالى وعصى آدم ربه فغوى فان الله ورسوله ان يعبر ابما شاء فى حق من شاء (فاذا تكلم) أى المتكلم (فى الاقوال قال هل يجوز عليه الخلف فى القول والاخبار) بكسر الهمزة لا يقول أيجوز عليه الكذب فى قول أو خبر (بخلاف ما وقع سهوا) فى لسانه (أو غلطا) فى بيانه (ونحوه من العبارات) كالنسيان فى شانه فانه لا لوم عليه ولا اعتراض لديه لحديث رفع عن أمتى الخطا والنسيان (ويتجنب لفظة الكذب) أى اطلاقها عليه (جملة واحدة) أى بالكلية (واذا تكلم على العلم) أى علمه عليه الصلاة والسلام (قال هل يجوز ان لا يعلم الا ما علم) كما يشير اليه قوله تعالى وعلمك ما لم تكن تعلم (وهل يمكن ان لا يكون عنده علم من بعض الاشياء حتى يوحى اليه) لقوله تعالى ولا يحيطون به علما أى بذاته وقوله تعالى قل الروح من أمر ربى وقوله قل لا يعلم من فى السموات والارض الغيب الا الله وفى الحديث مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهن الا الله ان الله عنده علم الساعة الآية وفى حديث جبريل ما المسؤل عنها باعلم من السائل وقد قال تعالى ان الساعة آتية أكاد أخفيها أى عن نفسى لو كان أمكن فضلا عن غيرى والحاصل ان الانبياء لم يعلموا المغيبات من الاشياء الا ما أعلمهم الله تعالى أحيانا وقد صرح علماؤنا الحنفية بتكفير من اعتقد ان النبى يعلم الغيب لمعارضة قوله تعالى قل لا يعلم من فى السموات والارض الغيب الا الله كذا فى المسايرة للامام ابن الهمام (ولا يقول بجهل) النبى (لقبح اللفظ وبشاعته) بل يقول لا يدرى مثلا وقت مجىء الساعة فان حسن العبارة معتبر عند ارباب الاشارة كما حكى انه كان معبران لبعض الامراء وجعل وظيفة أحدهما ألفا والآخر نصفه وعجز ندماؤه وجلساؤه عن سبب وجه الفرق بينهما لاتحادهما فى مراتب العلم والصلاح والادب فسالوه عن ذلك وعن تمييزهما بما هنالك فقال رأيت فى النوم ان اسنانى سقطت فصاحب الالف عبر بانك تعيش بعد اقوامك كلهم وعبر الآخر بانهم يموتون قدامك جميعهم فانظروا الفرق بين العبارتين مع ان مؤداهما واحد فى الاشارتين (واذا تكلم) المتكلم (فى الافعال) الصادرة عنه عليه الصلاة والسلام (قال هل يجوز منه المخالفة فى بعض الاوامر والنواهى) ولا يعبر عنها بالكبائر والمعاصى (ومواقعة الصغائر) بل الاولى ان يعبر عنها بالزلات والمكروهات بل وخلاف الاولى (فهو) أى ما ذكر من العبارات (أولى وآدب) بمد الهمزة أى اكثر تادبا (من قوله هل يجوز ان يعصى أو يذنب أو يفعل كذا وكذا من أنواع المعاصى) المشتملة على الصغائر والكبائر (فهذا)

(واجتنب) أى ترك فى جانبه (بشيع ذلك) بباء موحدة وشين معجمة أى ما فيه بشاعة وقباحة يمجها السمع (وهجر) أى ترك (من العبارة ما يقبح كلفظة الجهل والكذب والمعصية) فلا يتكلم بمثلها ولو حكاية صونا لمقامه المصون ثم وضح هذا وبينه بقوله (فاذا تكلم فى الاقوال) أى فيما يتعلق باقواله صلى الله تعالى عليه وسلم (قال هل يجوز عليه) صلى الله تعالى عليه وسلم (الخلف فى القول والاخبار) بكسر الهمزة مصدر أخبر (بخلاف ما وقع سهوا أو غلطا) سبق به لسانه (ونحوه من العبارة) من غير تعمد وقصد لانه لا يؤاخذ به وتقدم ان الخلف المخالفة فى الوعد قال تعالى ما اخلفنا موعدك بملكنا والمراد به تخلف القول مطلقا (و) لا يقول هل يجوز عليه الكذب بل (يتجنب لفظ الكذب جملة واحدة) أى بجميع ألفاظه من مصدر وفعل واسم فاعل وكذا مرادفه كمين (واذا تكلم على العلم) وما يتعلق به فى وصفه به نفيا واثباتا (قال) فى حقه صلى الله تعالى عليه وسلم (هل يجوز عليه ان لا يعلم الا ما علم) بالتشديد وبناء المجهول أى ما علمه الله عز وجل (وهل يمكن ان لا يكون عنده) أى فى نفسه وعلمه كقوله تعالى أولئك عند الله هم الكاذبون (علم ببعض الاشياء) التى يمكن علمها (حتى يوحى اليه) بها (ولا يقول) فى التعبير عن هذا (بجهل) وان كان الجهل عدم العلم (لقبح) هذا (اللفظ وبشاعته) أى استهجانه فى السمع قال الباقلانى يجوز عقلا كون النبى غير عالم ببعض شرائع من قبله وببعض المسائل التى يفرعها الفقهاء والمتكلمون اذا لم يخل بمعرفة التوحيد وكونه غير عالم بلغات غير قومه وبعض أمور الدنيا كالحرف والصنائع وقيده ابن الهمام بما لم تخطر ببالهم فان خطرت ببالهم فلا بد من علمهم بها ولو اجتهادا بناء على ان لهم الاجتهاد وانهم لا يقرون على خطا فيه فتامل (واذا تكلم فى) أمر (الافعال) أى افعاله صلى الله تعالى عليه وسلم (هل يجوز فى بعض الاوامر) التى أمره الله بها (والنواهى) التى نهاه الله عنها (ومواقعة) أى وقوع (بعض الصغائر) منه (فهو أولى وآدب) بالمد أى اكثر أدبا (من قوله هل يجوز ان يعصى أو يذنب أو يفعل كذا وكذا) كناية تادبا عما يكون (من انواع المعاصى فهذا) أى ترك الالفاظ القبيحة والتعبير بغيرها

الذى قدمناه (من حق توقيره) وفى نسخة زيادة برّه أى طاعته أو اكرامه عليه الصلاة والسلام (ومايجب له من تعزير) أى تبجيل
(واعظام وقد رأيت) ويروى ورأيت (بعض العلماء لم يتحفظ من هذا) الذى ذكرناه ويروى فى هذا (فقبح منه) ماصدر عنه (ولم
استصوب عبارته فيه) ولذا اكتفيت بذكر اشارته (ووجدت) وروى رأيت (بعض الجائرين) بالجيم من الجور أى المائلين عن
الاقتصاد فى القول وفى رواية بالحاء المهملة من الحيرة وهو التردد أى من المتحيرين فى سبيل الرشاد غير متمكنين على طريق السداد
(قوله) بتشديد الواو أى نسبه الى الخطا فى قوله الخاص به (لاجل ترك تحفظه فى العبارة مالم يقله) والمعنى زعم لاجل ترك تحفظه انه
قال مالم يقله (وشنع) ذلك البعض (عليه) أى على من لم يتحفظ (بما يأباه) كلامه (ويكفر قائله واذا كان مثل هذا)

(من توقيره) صلى الله عليه وسلم وتعظيمه (ومايجب له من تعزير) بزاى معجمة وراء مهملة أى تعظيم فى نفسه (واعظام) عند غيره زاده الله شرفا وتعظيما وفى قوله من توقيره اشارة الى ان كل تعظيمه لايمكن ان تحيط به العبارة قيل وليته أتى به فى تسمية كتابه فقال الشفاء فى بعض حقوق المصطفى وفيه نظر (وقد رأيت بعض العلماء لم يتحفظ من هذا) أى لم يتركه (فقبح) بالتشديد ويجوز تخفيفه (ولم استصوب عبارته فيه) مما يتحفظ منه أى لم أعده صوابا (ورأيت بعض الجائرين) بالجيم أى المائلين عن الانصاف وجوز بعضهم اهماله من الحيرة (قوله) بتشديد الواو من التقول وهو تكلف القول والافتراء عليه (لاجل ترك التحفظ فى العبارة) باتيانه بعبارة قبيحة (مالم يقله) مصدر لقوله قوله من معناه أى قولا لم يقله (وشنع) ذلك البعض (عليه) أى على من لم يتحفظ (بما يأباه) أى يمنعه فى حقه صلى الله تعالى عليه وسلم (ويكفر قائله) أى ينسبه للكفر جورا منه عليه (واذا كان مثل هذا) من رعاية الادب جاريا (بين الناس) فى محاوراتهم ومصاحبتهم (مستعمل فى آدابهم) فى مخاطباتهم ومكالماتهم (وحسن معاشرتهم) أى اختلاط بعضهم ببعض كالعشائر (وخطابهم) الجارى بينهم (فاستعماله فى حقه صلى الله تعالى عليه وسلم أوجب) أى أحق وأولى وحمله بعضهم على ظاهره فقال انه فرض ثم ذكر هنا الخلاف بين الشافعية والحنفية فى الفرق بين الفرض والواجب والقول بترادفهما وليس هذا محله وماذكره ينافى ظاهر كلام المصنف رحمه الله تعالى فى عده من الآداب (والتزامه آكد) بالمد افعل تفضيل من التوكيد أو التأكيد بابدال همزته ألفا (فجودة العبارة) بفتح الجيم مصدر جاد الشئ فهو جيد كانه لم يدخر شيأ من حسنه الا أبداه (تقبح الشئ) أى تجعل الحسن قبيحا بحسن العبارة (أو تحسنه) أى تجعله حسنا وان اتحد معناهما وهذا ماذكره أهل المعانى والبلاغة كما قيل فى العسل

تقول هذا مجاج الشهد تمدحه * وان تعبه تقل قئ الزنابير

ويسميه أهل المنطق المعانى الشعرية والشعر عندهم الامر المبنى على التخييل نحو الخمر جوهرة مذابة كما بينه ابن هلال فى كتاب الصناعتين (وتحريرها) أى جعل العبارة محررة منقحة (وتهذيبها) أى تخليصها مما لايحسن قوله (يعظم الامر) أى يصيره عظيما وان كان هينا (أو يهونه) أى يجعله هينا وان كان عظيما فى نفسه كمدح الموت أو القتل الواقع فى كلام شجعان العرب فكم حمل الجبان على الالقاء فى التهلكة وأبذل المال للشحيح عليه وللثعالبى والجاحظ كتاب فى مدح كل شئ وذمه وهو معروف بين أهل الادب (ولهذا) أى لاجل ان جودة العبارة تحسن القبيح وتقبح الحسن (قال صلى الله تعالى عليه وسلم) فى الحديث الصحيح (ان من البيان لسحرا) البيان بمعنى الفصاحة واللسن ممن

الاستعمال بالتحفظ فى الاقوال (بين الناس مستعملا فى آدابهم وحسن معاشراتهم وخطابهم فاستعماله فى حقه عليه الصلاة والسلام أوجب) أى ألزم (والتزامه آكد) بمد الهمزة أى أوثق وأتم قال الدلجى قوله أوجب أى وجوب فرض لاوجوب تأكيد وهما عندنا امامنا الشافعى مترادفان سواء ثبتت بدليل قطعى أو ظنى وفرق أبو حنيفة بان ماثبت بقطعى ففرض وماثبت بظنى فواجب لان التفاوت بين الكتاب وخبر الآحاد يوجب التفاوت بين مدلوليهما لكنهم خالفوا قاعدتهم من اطلاقهم الفرض على ماثبت بظنى كقولهم الوتر فرض والزكاة واجبة انتهى ولا يخفى انه

الفرق بينهما انما هو بحسب الاعتقاد دون العمل فان كلاهما فرض بهذا الاعتبار لكن ثواب الفرض أكثر وعقاب ترك الواجب
أقل ومما يفيد الفرق ان منكر الفرض كافر بخلاف منكر الواجب وهذا هو بحسب أصل الاصطلاح الشرعى وقد يستعار أحد
اللفظين مقام الآخر فى الاستعمال اللغوى ولم يميز بين الدليل القطعى والظنى فلا كلام معه لامن جهة النقل ولا من جهة العقل على ان
الشافعية اضطروا الى الفرق بينهما فى أحكام الحج فهذا حجة عليهم ثم هذا المبحث لم يكن فى محله ولكنه لما أبدى هذا المقال أوجب
لنا حل عقال هذا الاشكال على ان قوله وجوب فرض لاوجوب تأكيد لاطائل تحته (فجودة العبارة تقبح الشئ) الواحد (أو تحسنه) كما
قدمناه فى حكاية المعبرين (وتحريرها وتهذيبها يعظم الامر أو يهونه ولهذا قال صلى الله تعالى عليه وسلم ان من البيان لسحرا) رواه مالك

وأحمد البخاري وأبو داود والترمذي عن ابن عمر إن من البيان لسحرا فصاحة اللسان والسحر صرف الشيء عن وجهه والحديث يحتمل المدح والذم اما على الاول فمعناه انه يستميل النفوس ويأخذ بها لحسنه عندها من بلاغته وفصاحته وحسن تاليفه في عبارته واشارته وتزيين مبانيه وتحسين معانيه بحيث يرتضي به الساخط ويستذل به الصعب كما يفعل السحر من الامر العجب ولذلك قالوا فيه السحر الحلال ويؤيده ان في نفس الحديث زيادة رواية وان من الشعر لحكمة واما على الثاني فمعناه في المتشدق الذي يمدح من

له ذكاء وفطنة وقيل هو الكلام المنقح القريب الى الافهام المبين له أحسن تبيين وأقرب به والسحر كما قال الراغب يطلق على معان أحدها خداع وتخييلات لا حقيقة لها كالشعبذة قال الله تعالى يخيل اليه من سحرهم أنها تسعى ومنها ما يكون بمعانة الشيطان وما قيل من انه يغير الصور والطبائع لا أصل له وقيل انه ثابت واما في الحديث فهو استعارة أي كالسحر في الدقة وصرف العقول والاسماع ولذا قيل فيه هنا انه يحتمل المدح والذم فقال ابن قرقول انه أورده مورد الذم لشبهه بعمل السحر في قلب القلوب وجلب الافئدة وتحسين القبيح وتقبيح الحسن وأصله في كلام العرب الصرف يقال سحره اذا صرفه وصيره لكن سحر له ويشهد له قوله في الحديث لعل بعضكم يكون ألحن بحجته من بعض فيكسب به من الاثم ما يكسبه الساحر بعمله فهو ذم وقيل انه ورده ورد المدح أي يميل به القلوب ويرضي به الساخط ويستذل به الصعب ولذا قيل له السحر الحلال ويشهد له قوله ان من الشعر لحكمة وقد أدخل مالك الحديث في باب ما يكره من الكلام والظاهر انه في الحديث محتمل للامرين وبه يحسن سياق المصنف رحمه الله تعالى ويقع في محزه * واعلم ان ما ذكره المصنف باب عظيم من أبواب البلاغة وهو ان الكلام المتحد المعنى باختلاف العبارة كما حكي عن الرشيد انه رأى في منامه ان أسنانه كلها وقعت وتعبيره ذهاب الاعوان والانصار فطلب معبرا يعبر رؤياه فاتى له برجل عابر فقال يموت أولادك وأحباؤك وترى مصيبتهم فامر بقلع أسنانه كلها ثم أتى بآخر فقال عمرك أطول من عمر أهلك وحواشيك وأحبائك فامر ان يحشى فاه درا وله نظائر كثيرة في كتب البلاغة ولكل لفظ موقع لا يقع فيه مرادفه كما بينه الثعالبي في كتاب فقه اللغة (فاما ما أورده) أي المتكلم في حقه صلى الله تعالى عليه وسلم مما لا يجوز عليه (على جهة النفي عنه) أي ان يكون منفيا عنه (والتنزيه له) بنفيه عنه (فلا حرج) أي لا ضرر ولا تضييق فيه مع نفيه (في تصريح العبارة) أي اطلاقها من غير احتراز (وتصريحها فيه كقوله لا يجوز عليه الكذب جملة) أي في جميع أحواله وأقواله فذكر الكذب مع النفي لا منع فيه (ولا اتيان الكبائر بوجه) من وجوهها فذكر الكبائر مع النفي لا ينافي الادب (ولا) يصدر عنه (الجور في الحكم على حال) من الاحوال كالرضى والغضب (ولكن مع هذا) أي تجويز مثله (يجب ظهور توقيره وتعظيمه وتعزيره عند) ذكر مثل هذا الكلام في النفي وقد وجب توقيره (مع ذكره مجردا) من صفات لا تليق به فكيف بهذا فيعلم بالطريق الاولى (وقد كان السلف يظهر منهم حالات شديدة عند مجرد ذكره) صلى الله تعالى عليه وسلم من بكاء ورعدة لمهابته وتغير لون وتواجد (كما قدمنا في القسم الثاني وكان بعضهم يلتزم مثل ذلك) التوقير والتعظيم (عند تلاوة آي) بالمد جمع آية (من القرآن حكى الله فيها مقال عداه) الضمير لله تعالى فهو تنظير لا تمثيل ويحتمل عوده للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم أي ما ذكر فيه أعداء رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ووقائعه فهو تمثيل لما نحن بصدده (و) ذكر (من كفر بآياته) أي آيات الله تعالى عز وجل أو معجزات رسله فالضمير له أيضا (وافترى عليه الكذب) أي اخترعه واختلقه

لا يمدح في الفعل ويطنب فيما لا يحل من القول ويحسن القبيح من ذلك ويقبح الحسن هنالك وان فعل ذلك حرام كالسحر ويكتسب صاحبه من الاثم في قوله ما يكتسبه الساحر بعمله وقد أورد مالك رحمه الله تعالى الحديث في الموطا في باب ما يكره من الكلام ولعله اختار القول الثاني في هذا المقام والله تعالى أعلم بالمرام (فاما ما أورده) المتكلم (على جهة النفي عنه والتنزيه له عليه الصلاة والسلام عنه (فلا حرج في تصريح العبارة) أي ارسالها واطلاقها (وتصريحها فيه) أي في حقه عليه الصلاة والسلام (كقوله لا يجوز عليه الكذب جملة) أي مجملا ومطلقا أو جميع أنواعه (ولا اتيان الكبائر بوجه) أي لا عمدا ولا سهوا (ولا الجور) أي الميل والظلم (في الحكم) بين الناس

(على حال) من الغضب والرضى (ولكن مع هذا يجب ظهور توقيره وتعظيمه وتعزيره) (فكان أي تجليه (عند ذكره مجردا) عن اثبات وصف أو نفيه (فكيف عند ذكر مثل هذا) الكلام المشتمل على نعته على جهة النفي أو ثبوته (وقد كان السلف) من أئمة الدين كزين العابدين وجعفر الصادق ومحمد بن المنكدر (تظهر عليهم حالات شديدة) من تغير لون وبكاء ورعدة (عند مجرد ذكره كما قدمناه في القسم الثاني وكان بعضهم يلتزم مثل ذلك) من ظهور التوقير (عند تلاوة آي من القرآن حكى الله فيها مقالة عداه) بكسر أوله أي أعدائه من اليهود والنصارى (ومن كفر بآياته وافترى عليه الكذب

فكان يخفض بها صوته فى) تلاوته (اعظاما لربه واجلالا له) أى لقدره وأمره (واشفاقا) على نفسه حذرا (من التشبه بمن كفر به سبحانه لا اله الا هو العلى العظيم) ومن ابراهيم النخعى انه كان اذا قرأ قوله تعالى وقالت اليهود يد الله مغلولة يخفض بها صوته أى بقولهم وأمثال ذلك من كفر باتهم *(الباب الثانى)* (فى حكم سابه) أى شاتمه (وشانئه) أى مبغضه اذا ظهر عليه أثره (ومتنقصه) أى طالب نقصه (ومؤذيه) أى بقوله أوفعله (وعقوبته) أى وفى عقوبة من ذكر (وذكر استتابته) من طلب توبته أوقبول رجعته وفى نسخة والصلاة عليه (ووراثته) فى تركته بعد موته (قد قدمنا ماهو سب وأذى فى حقه عليه الصلاة والسلام وذكرنا اجماع العلماء على قتل فاعل ذلك وقائله) أى ان لم يرجع الى الاسلام (وتخيير الامام) وفى نسخة أو ولا وجه له وفى نسخة وبخير الامام أى وذكرنا كونه مخيرا (فى قتله أوصلبه على ما ذكرناه) أى تفصيل صور أمثلته (وقررنا الحجج عليه) باظهار أدلته (وبعد) أى بعد ذلك (فاعلم ان مشهور مذهب مالك وأصحابه وأقوال السلف) أى بعضهم (وجمهور العلماء) أى المالكية لما سيأتى ان الجمهور على خلاف قول مالك المشهور (قتله حدا لا كفرا ان أظهر التوبة منه) أى من عند نفسه أومن قوله أوفعله (ولهذا) أى ولكونه يقتل حدا لا كفرا (لاتقبل عندهم توبته) أى منه كما فى نسخة (ولاتنفعه) أى فى دفع قتله (استقالته ولافيئته) بفتح الفاء وتكسر فتحتية ساكنة فهمزة أى رجوعه عنه (كما قدمناه قبل) أى قبل ذلك (وحكمه) أى فى حتم القتل (حكم الزنديق) الذى توبته عندهم لاتقبل وهو الذى لايتدين بدين (ومسر الكفر) ومظهر الايمان (فى هذا القول) المشهور من مذهب مالك وقال غيره تقبل توبته ولايقتل (وسواء كانت توبته على هذا) القول المشهور (بعد القدرة عليه) أى على أخذه (والشهادة على قوله) المؤدى الى قتله (أو جاء تائبا من قبل نفسه) أى من عنده بدون استتابته (لانه) أى قتله (حد وجب) عندهم (لاتسقطه التوبة كسائر

(فكان يخفض بها صوته) فى الآيات التى حكى فيها ذلك كانه خائف من اظهاره (اعظاما لربه واجلالا له) بتوقيره (واشفاقا) أى خوفا على نفسه وحذرا (من التشبه بمن كفر به) فى اجراء ماذكر على لسانه أو تلبسه بما تلبسوا به وفى نسخة (سبحانه لا اله الا هو العلى العظيم) المتعالى عما يقوله الجاحدون علوا كبيرا وخفض الصوت المذكور محكى عن ابراهيم النخعى رحمه الله تعالى كما فى التبيان وماقيل من ان سلب العيب يقتضى قابليته وانه من شانه مما لا ينبغى ذكره كما لايخفى

(الباب الثانى)

من هذا القسم الرابع (فى حكم سابه) شرعا (وشانئه) أى مبغضه والمراد من يعيبه لبغضه وعداوته له (ومتنقصه) أى ذاكر مافيه نقص له صلى الله تعالى عليه وسلم (ومؤذيه و) فى ذكر (عقوبته) التى يستحقها (وذكر استتابته) أى هل تقبل توبته أم لا (ووراثته) هل تورث أمواله أم لا (قال القاضى أبو الفضل) عياض المؤلف رضى الله عنه (قد قدمنا) فى هذا الكتاب (ماهو سب واذى فى حقه عليه السلام وذكرنا) فيما تقدم أيضا (اجماع العلماء على قتل فاعل ذلك) المذكور من السب والاذية وتقدم أيضا الكلام على هذا الاجماع (وقائله) أى من يقوله ويتكلم به (وتخيير الامام فى قتله بالسيف (أوصلبه) تشهيرا له بين الناس (على) منوال (ماذكرناه) مفصلا (وقررنا) أى ذكرنا (الحجج) أى الادلة من الكتاب والسنة القائمة (عليه وبعد) مبنى على الضم أى بعدما ذكرناه (فاعلم) أيها المخاطب بما ذكرناه من كل من يقف عليه (ان المشهور من مذهب) الامام (مالك وأصحابه) من أهل مذهبه (وقول السلف) من الصحابة والتابعين (وجمهور العلماء) أى أكثرهم (قتله) خبر ان وهى ومابعدها سادة مسد مفعولى أعلم (حدا) لانه حد قذف مخصوص بالانبياء كما تقدم (لا كفرا) أى لا يقتل بسبب كفره لانه ردة (ان أظهر التوبة منه) أى مما قاله لانه ان أصر عليه يكون كافرا (ولهذا) أى لكون قتله حدا (لاتقبل توبته عندهم) لان الحدود لاتسقط بالتوبة وانما تنفعه توبته فى الآخرة ان أخلص فيها ولم تكن تقيه (ولاتنفعه استقالته) أى طلبه الاقالة من ذنبه وماقاله وهى فى معنى التوبة (ولافيئته) بالفاء والهمزة المفتوحتين بينهما ياء ساكنة وتاء التانيث أى رجوعه عما صدر منه (كما قدمناه قبل) أى قبل هذا (وحكمه) شرعا (حكم الزنديق و) هو مظهر الاسلام و (مسر الكفر) أى مبطنه ومخفيه فى سره وباطنه (فى هذا القول) الذى قاله من السب وقيل المراد به القول المشهور عن مالك وأصحابه ومن وافقهم عليه وغيرهم يقول تقبل توبته ولا يقتل (وسواء كانت توبته على هذا) القول المشهور عن مالك بقتله حدا (بعد القدرة عليه) باخذه من جانب الحاكم (والشهادة) عنده (على) ثبوت (قوله) الذى استحق به القتل (أو جاء تائبا من قبل نفسه) بدون أخذه وقبل بكسر القاف وفتح الباء الموحدة بمعنى جهة (لانه حد وجب عليه) شرعا بسبب قذفه والحد (لاتسقطه التوبة كسائر

الحدود) من الزنا وقتل النفس ونحوهما اتفاقا وفيه انه قياس مع الفارق فان هذه الحدود عامة ثابتة بالكتاب والسنة واما من كفر بسبب سب ثم تاب فلا يعرف له حد فى هذا الباب اذ كثير من ارتد عن الاسلام بهجاه عليه الصلاة والسلام ثم تاب وقبل منه توبته ورفعت عنه ردته هذا وقد صح عنه عليه الصلاة والسلام ان الاسلام يجب ماقبله وهو يشمل الاسلام السابق واللاحق وفى الحدود تفصيل فى مذهبنا هو المحمود (قال الشيخ أبو الحسن القابسى رحمه الله اذا أقر بالسب) أى له أو لغيره من الانبياء عليهم السلام (وتاب منه وأظهر التوبة) أى آثرها قبلت منه و (قتل بالسب لانه هو) أى القتل (حده وقال أبو محمد بن أبى زيد مثله) أى يقتل لانه حده وفى نسخة فى مثله أى فى نظيره (واما ما بينه و بين الله فتوبته تنفعه) اجماعا (وقال ابن سحنون) بفتح أوله و يضم

الحدود) مثل حد الزنا والسرقة وكون الحدود لا تسقط بالتوبة ليس على اطلاقه متفقا عليه وانما هو فيما اذا كان محض حق الآدمى اما ما هو حق الله ففيه خلاف وسيأتى تفصيل هذا الحكم ان شاء الله تعالى (قال الشيخ أبو الحسن القابسى) الذى قدمنا ترجمته (اذا أقر بالسب) له صلى الله تعالى عليه وسلم أو لغيره من الانبياء عليهم الصلاة والسلام (وتاب منه) برجوعه عنه وندمه (وأظهر التوبة) وقبلت منه (قتل بالسب) أو بسببه صلى الله تعالى عليه وسلم لا بالكفر (اذ هو حده) أى حد هذا السب المخصوص بالانبياء (وقال) الشيخ (أبو محمد بن أبى زيد) رحمه الله تعالى القير وانى المالكى شيخ المذهب كما تقدم فى ترجمته (مثله) أى مثل قول القابسى (واما ما بينه و بين الله تعالى) فى الآخرة اذا أخلص فى توبته (فتوبته تنفعه) عند الله تفضلا منه فانه يقبل التوبة من عباده (وقال ابن سحنون) تقدم بيانه أيضا (من شتم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) بذكر ما فيه نقص لمقامه الشريف (من الموحدين) المراد بهم المسلمون فيخرج أهل الكتاب (ثم تاب عن ذلك) و رجع عنه (لم تزل) بضم أوله مضارع أزال (التوبة عنه) أى عن فاعله (القتل) لانه حده كما تقدم (و كذلك) أى كما اختلف فيمن سب (قد اختلف فى الزنديق اذا جاء تائبا) من نفسه قبل الاخذ (فحكى القاضى أبو الحسن بن القصار) تقدمت ترجمته (فى ذلك) الذى جاء تائبا (قولين) فى مذهب مالك (قال) ابن القصار (من شيوخنا) وفى نسخة منهم أى من أصحاب مالك (من قال أقتله) وجوبا (باقراره) بسبه أو بانه زنديق (لانه) قبل اقراره (كان يقدر على ستر نفسه) باخفاء حاله ومقاله (فلما اعترف خفنا انه خشى الظهور عليه) بالاطلاع على حاله (فبادر) أى أسرع قبل أخذه (لذلك) الاعتراف تقية لا رجوعا وندما على ما صدر منه (ومنهم) أى من مشايخنا من أئمة المالكية (من قال أقبل توبته لانى أستدل) حكاية للفظ هؤلاء (على صحتها) أى توبته (بمجيئه) بنفسه من غير طلب (فكأننا وقفنا) بظاهر حاله (على باطنه) وما أسره فى قلبه (بخلاف من أسرته البينة) أى شهدت عليه وألزمته حتى كأنه أسير شد فى وثاق (قال القاضى أبو الفضل) عياض المؤلف رحمه الله تعالى (وهذا) القول الثانى (قول أصبغ) من المالكية (ومسئلة ساب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أقوى) فى حكم القتل من مسئلة الزنديق لانه حق الله وهذا ترجيح منه للقول الثانى لتسوية الاول بينهما (لا يتصور فيها الخلاف) الذى فى الزنديق (على الاصل) والقاعدة الفقهية من المشاحة فى حقوق الآدمى (المتقدم) بيانه (لانه) أى سب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (حق متعلق للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم و) حق (لامته بسببه) لانهم كورثته

و يصرفه و يمنع (من شتم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) وكذا غيره من الانبياء عليهم السلام (من الموحدين) أى المسلمين (لم تزل) من الازالة أى لم ترفع (توبته عنه القتل) وهو معنى قول القابسى وابن أبى زيد (وكذلك اختلف) أى اختلف المالكية (فى الزنديق اذا جاء تائبا) من قبل نفسه من غير استتابة والجاء اليها (فحكى القاضى أبو الحسن ابن القصار فى ذلك) أى فى مجيئه تائبا (قولين قال) أى ابن القصار (من شيوخنا من قال أقتله) أى احكم بقتله (باقراره) انه كان زنديقا أو شاتما ثم جاء تائبا (لانه كان يقدر على ستر نفسه فلما اعترف خفنا) أى ظننا ومنه قوله تعالى الا ان يخافا ان لا يقيما (انه خشى الظهور) فى

أى الاطلاع (عليه) بان يجدوا الزندقة لديه (فبادر) لذلك بالتوبة وهذا له وجه فى الجملة اذا كان لبعض الناس اطلاع على حاله (ومنهم من قال أقبل توبته لانى أستدل على صحتها) أى صحة توبته (بمجيئه) تائبا من قبل نفسه (فكأننا وقفنا على باطنه بخلاف من أسرته البينة) أى أخذته وقيدته (قال القاضى أبو الفضل هذا) القول الاخير (قول أصبغ) أى ابن الفرج فقيه مصر من شيوخ البخارى (ومسئلة ساب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أقوى) أى أشد من مسئلة الزنديق فانهما من حق الله تعالى وهو مبنى على المسامحة ففيه الخلاف فى الجملة بخلاف الساب فانه (لا يتصور فيه الخلاف) فى مذهب مالك (على الاصل المتقدم) على ذلك (لانه) أى سبه (حق متعلق للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم ولامته بسببه

لاتسقطه التوبة كسائر حقوق الآدميين) وفيه ان حق الله هنا أيضا متعلق للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وجميع أمته (والزنديق) وهو الثنوى أو القائل ببقاء الدهر أو المسر للكفر وهذا المعروف عند الفقهاء (اذا تاب بعد القدرة عليه فعند مالك والليث) أى ابن سعد (واسحق) أى ابن راهويه (وأحمد) أى ابن حنبل (لاتقبل توبته) أى ظاهرا فلا تسقط عنه القتل وعند الشافعى (تقبل) توبته ولا يقتل (واختلف القول فيه عن أبى حنيفة) وهو الامام الهمام (وأبو يوسف) أحد اتباعه من الاعلام والمعتمد ما فى قاضيخان واما الزنادقة فاخذ الجزية منهم بناء على قبول التوبة من الزنادقة فانهم قالوا ان جاء الزنديق قبل ان يؤخذ فاقر انه زنديق فتاب من ذلك قبلت توبته وان أخذ ثم تاب لاتقبل توبته ويقتل لانهم باطنية يظهرون شيأ ويعتقدون فى الباطن خلاف ذلك ويقتلون ولا تؤخذ منهم الجزية ولاتقبل توبتهم انتهى وأبو حنيفة ترجمته كثيرة ومناقبه شهيرة وأما أبو يوسف فهو يعقوب بن ابراهيم بن حبيب بن خنيس بن سعد بن حبتة بحاء مهملة مفتوحة فوحدة ساكنة ومثناة فوقية مفتوحة وهى أمه وهو سعد بن بحير بفتح الموحدة وكسر الحاء المهملة وقيل سعد بن بجير بضم الموحدة وفتح الجيم وذكر القولين الامير فى اكماله وقال الذهبى سعد بن بحير البجلى حليف الانصارى روى أنه قاتل يوم الخندق وأن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم مسح رأسه وقال أسعد الله جدك ومن ولده القاضى أبو يوسف صاحب أبى حنيفة وقد روى عن عطاء بن السائب وهشام بن عروة وغيرهما وكان أبو يوسف من أهل الكوفة فقيها عالما روى عن محمد بن الحسن الشيبانى وبشر بن الوليد الكندى وعلى بن الجعد وأحمد بن حنبل وابن معين وغيرهم وقد روى الشافعى عن محمد عن أبى يوسف وكان قد سكن ببغداد وتولى القضاء بها الثلاثة من الخلفاء المهدى وابنه الهادى ثم هارون الرشيد وكان الرشيد يكرمه ويجله قال ابن خلكان هو أول من دعى بقاضى القضاة ويقال انه أول من غير لباس العلماء الى هذه الهيئة التى هم عليها الآن وكان ملبوس الناس قبل ذلك شيأ واحدا لا يتميز أحد عن أحد بلباس قال ولم يختلف يحيى بن معين وأحمد بن حنبل وعلى بن المدينى فى ثقته فى النقل وكان كثير الحديث انتهى ولد سنة ثلاث عشرة ومائة وتوفى يوم الخميس أول وقت الظهر لخمس خلون من شهر الربيع الاول سنة اثنتين وثمانين ومائة ببغداد وابنه يوسف الذى يكنى به ولى القضاء فى حياة أبيه ومات سنة اثنتين وتسعين ومائة وبلغ من العمر تسعا وستين سنة وأما قول التلمسانى قالوا أبو يوسف أبو حنيفة أى يسد مسده ويغنى عنه فلبس فى محله لان أبا يوسف حسنة من حسنات أبى حنيفة وفضله وانما هو تشبيه بليغ كما يقال زيد أسد أى كأسد فالمعنى ان أبا يوسف كأبى حنيفة ومن المعلوم ان المشبه به أقوى من المشبه ولا يلزم من التشبيه المساواة من جميع الشبه ثم المعتمد فى المذهب انه تقبل توبته ولا يقتل واما قوله تعالى ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا كاليهود كفروا بعيسى والانجيل بعد الايمان بموسى والتوراة ثم ازدادوا كفرا بمحمد عليه الصلاة والسلام والقرآن المجيد أو كفروا بمحمد قبل مبعثه ثم ازدادوا كفرا بالاصرار والعناد والطعن فيه أو لقوم ارتدوا ولحقوا بمكة ثم ازدادوا كفرا بقولهم نتربص به ريب المنون لن تقبل توبتهم يتوبون أولا يتوبون الا اذا أشرفوا على الهلاك فكنى عن عدم توبتهم بعدم قبولها وذلك لما سبق فى قوله تعالى كيف يهدى الله قوما كفروا بعد ايمانهم وشهدوا ان الرسول حق الى ان قال الا الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا فان الله غفور رحيم وعن ابن عباس ان قوما أسلموا ثم ارتدوا ثم أسلموا ثم ارتدوا فارسلوا الى قومهم يسالون فنزلت رواه البزار وقال ابن كثير اسناده جيد (وحكى ابن المنذر) وهو الامام الحافظ المشهور (عن على ابن أبى طالب رضى الله عنه يستتاب) أى الزنديق (قال محمد بن سحنون ولم يزل) بفتح أوله وضم ثانية أى لم يرتفع (القتل عن المسلم بالتوبة من سبه عليه الصلاة والسلام لانه لم ينتقل من دين) هو حق (الى غيره) وهو دين باطل وهذا غريب من قائله اذ لاشبهة انه انتقل بسبه عليه الصلاة والسلام من دين الإسلام وما عداه باطل باجماع الاعلام

فى ارث حقوقه (لاتسقطه التوبة كسائر حقوق الآدميين) التى لاتسقط الا برضى الخصم (والزنديق) حكمه (اذا تاب بعد القدرة عليه) باخذه بعد العلم بانه زنديق (فعند مالك والليث) بن سعد (واسحق) بن راهويه (وأحمد) بن حنبل (لاتقبل توبته) ولا يسقط بها قتله (وعند الشافعى تقبل) توبته ومانقله المصنف عن الشافعى هو الصحيح من أقوال خمسة مفصلة فى كتب الفقه (واختلف) أى اختلف النقل (فيه عن أبى حنيفة وأبى يوسف) من أصحابه وترجمته مشهورة لاحاجة للتطويل بها (وحكى) أبو بكر (بن المنذر) الامام الحافظ المشهور كما تقدم (عن على بن أبى طالب) كرم الله وجهه (انه) أى الزنديق (يستتاب) أى تقبل توبته ان تاب بعد القدرة عليه والا قتل (وقال محمد بن سحنون ولم يزل) بفتح أوله وضم ثانيه مبنيا للفاعل مضارع من الزوال أى لم يذهب ويسقط (القتل عن المسلم) الذى سب النبى صلى الله عليه وسلم (بالتوبة) والرجوع (من سبه) بعد صدوره منه (لانه لم ينتقل من دين) هو حق (الى غيره)

/

(وانما فعل شيا حده عندنا القتل ولا عفو فيه لاحد كالزنديق لانه لم ينتقل من ظاهر الى ظاهر) أى بل الى باطن وفساد هذا التعليل
أيضا ظاهر (وقال القاضى أبو محمد) أى عبد الوهاب (ابن نصر) أى البغدادى المالكى (محتجا لسقوط اعتبار توبته) أى توبة من
سبه عليه الصلاة والسلام (والفرق بينه وبين من سب الله تعالى على مشهور القول باستتابته) أى استتابة من سبه تعالى (ان النبى
صلى الله عليه وسلم بشر والبشر جنس تلحقه المعرة) بتشديد الراء أى الكراهة والمشقة (الا من اكرمه الله بنبوته) هذا استثناء غريب
لا يظهر وجه اتصاله ولا انفصاله اللهم الا ان يراد بالمعرة المنقصة ويلائمه قوله (والبارئ تعالى منزه عن جميع المعائب
قطعا) مما لا خلاف فيه
اجماعا (وليس) أى الله
سبحانه وتعالى (من جنس
تلحقه المعرة) فى هذه
العبارة مزلة لنزاهة ساحة
عزته عن ان يكون من
جنس تلحقه معرة أولا
تلحقه فلا يصح اطلاق
النوعية والجنسية عليه
كما لا يصح سؤال الماهية
والكيفية بالنسبة اليه
وفيه ان مقتضى قياس
العقل ان من سب الله
سبحانه وتعالى يكون
أشد كفرا ممن سب النبى
عليه الصلاة والسلام
لوضوع قبحه عند جميع
الانام (وليس سبه عليه
الصلاة والسلام كالارتداد)
أى المجرد (المقبول فيه
التوبة) ولو كانت ردته
بسب الله سبحانه وعز
شانه وفيه بحث سياتى
بيانه (لان الارتداد معنى
ينفرد به المرتد) وهو
كفره فقط (لا حق فيه
لغيره من الآدميين
فقبلت توبته) وفيه أن
من سب الله تعالى يتعلق به خلقه من النبى وغيره ومن غضب بسب نفسه ولم يغضب بسب ربه
فهو ليس بآدمى ومما يدلك على ذلك انه كان عليه الصلاة والسلام لا يسامح عن المرتد فكيف من يسب الله سبحانه وتعالى و كان
يساهل من يسبه عليه الصلاة والسلام و يطعن فيه من المنافقين وغيرهم فيتعين ان سب الله تعالى أقبح من سب غيره والحاصل ان
سبه سبحانه وتعالى وسب أنبيائه كفر يستتاب وتقبل توبته عند الجمهور وأما سب سائر الآدميين فليس بكفر فيعزر بشروطه
المعتبرة (ومن سب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم تعلق به) وفى نسخة فيه (حق

هو دين باطل فليس مرتدا وانما هو على دين الاسلام لكنه صدر عنه ما يوجب الحد عليه (وانما فعل
شيا) وهو السب الموجب للحد و(حده عندنا القتل) والحدود لا تسقط بالتوبة كما تقدم (لا عفو فيه
لاحد) لان حدود الله لا يسامح فيها أحد ومن هذا الوجه (كالزنديق) المظهر للاسلام (لانه) أى الزنديق
(لم ينتقل من ظاهر) فى الحقيقة (الى ظاهر) فى الباطلية غيره لبقاء ظاهر اسلامه على حاله قيل فى تعليله
هذا نظر لانه ان أراد انه لم ينتقل لدين نبى آخر كموسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام يرد عليه انه
لو صار مشركا تقبل توبته وظاهره ان من لم ينتقل لدين لا تقبل توبته وفيه نظر وحكم الزنديق مفصل فى
الفروع والمصنف لم يفصل فى السب بين القذف وغيره والشافعية لهم فيه تفصيل وفرقوا بينهما الا ان
المصنف نقل ما فى مذهبه وهو ثقة فيه لا يعترض عليه بمذهب غيره وسنفصله فى آخر هذا الباب بما يشفى
الصدور (وقال القاضى أبو محمد بن نصر) تقدم بيانه (محتجا لسقوط اعتبار توبته) أى توبة من سب
النبى صلى الله عليه وسلم فانه تقبل توبته (والفرق بينه وبين من سب الله تعالى) وكان الظاهر خلافه
لانه أشد والله تعالى أجل وأعظم وقد ذهب الاكثر الى قبول توبة من سبه (على مشهور القول
باستتابته) وقبول توبته والفرق على هذا (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بشر والبشر جنس) من
شانه فى الجملة انهم (تلحقهم المعرة) وهى النقيصة التى يلحق صاحبها عار قال فى المصباح المعرة المساءة
والاثم من قولهم عره بالشر يعره من باب قتل كطبخه أو هو من العر بمعنى الجرب فاستعير لما ذكر فهذا
يجوز ان يلحق بعض البشر (الا من أكرمه الله بنبوته) فانه وان كان من البشر لكن الله عصمه وحفظه
عن ان تلحقه معرة ونقص كغيره من البشر (والبارى) بمعنى الخالق وهو الله (تعالى منزه) ومبرؤ (عن
جميع المعائب قطعا) أى بدليل عقلى لا يتردد فيه عاقل (وليس من جنس) أى ليس له جنس يكون
منه لانه واحد أحد فى ذاته وصفاته ليس كمثله شئ ولا ماهية له ولا يحد فلا يكون من جنس (تلحق
المعرة جنسه) بلحوق بعض افراده المعرة فيتوهم نسبة نقص له فلكونه معلوم الانتفاء لم ينظر اليه وجاز
قبول توبة من سبه بخلاف البشر وليس هذا لكون سب الله أهون من سب غيره وهو مناف لقوله فى
نسبة الولد له تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض كما توهم بل لانه لظهوره بقدسه وتنزهه
لا يلحقه بكلام بعض من لا عقل له نقص ولو عند العقول القاصرة فلا يبالى بمثله وهو ضرب من
الهذيان وهذا مكابرة فيما قرره الفقهاء ناشئ من عدم الاذعان وهو ان هذا حق الله أكرم الاكرمين
وحقوق الله تقبل العفو (وليس سبه صلى الله تعالى عليه وسلم كالارتداد المقبول فيه التوبة) وسبه
لا تقبل فيه التوبة على قول كما تقدم (لان الارتداد) بخروجه عن دينه (معنى ينفرد به المرتد) أى
يختص به فى نفسه (لا حق فيه لغيره من الآدميين) يتوقف قبوله على رضاه (فقبلت توبته)
أى المرتد لهذا (ومن سب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم تعلق فيه) أى بسبب سبه (حق

(لآدمى)

(لآدمي) وهو نفسه عليه الصلاة والسلام أو أمته الكرام ولا شك انه يتعلق به حقه تعالى أيضا بلا كلام وفي نسخة تعلق فيه حق للآدميين قال التلمساني فعلى الاول معناه ان ما وجب من حق النبي عليه الصلاة والسلام فقد تعلق بالناس كافة فوجب عليهم القيام به وعلى الثاني بان الامر وجب له ونحن ناخذ به وليس حقه كحق غيره (فكان كالمرتد) بل هو مرتد مالم يتب واذا تاب لامعنى له انه كالمرتد (يقتل) أي مسلما (حين ارتداده أو يقذف) أي محصنة (فان توبته) وان قبلت من حيث ارتداده (لاتسقط عنه حق القتل) وفي نسخة حد القتل والقذف وحاصله انه تقبل توبته من ارتداده بالنسبة الى تعلق حق الله به ولا تقبل توبته بالنسبة الى تعلق حق غيره به (وأيضا فان توبة المرتد اذا قبلت لاتسقط ذنوبه) التي اقترفها زمن ردته (من زنى وسرقة وغيرهما) كقتل وشرب خمر (ولم يقتل ساب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لكفره) أي بعد توبته واما قول الدلجي لانه لم يبق له اسلام فلا وجه لعلته (لكن يقتل لمعنى يرجع الى تعظيم حرمته) في مقام نبوته (و زوال المعرة به) أي بقتله (وذلك) المعنى (لاتسقطه التوبة قال القاضي أبو الفضل رحمه الله تعالى) أي المصنف (يريد) القائل (والله أعلم لان سبه لم يكن بكلمة تقتضي الكفر) أي في نفس الامر (ولكن بمعنى الازراء والاستخفاف)

وهذا غريب فان الطعن في نبوته والقدح في نعته مناقض للاقرار برسالته وقبول دعوته وقد سبق ان سبه كفر بالاجماع وانما قبول توبته في الدنيا محل النزاع (أولانه) أي الشان (بتوبته واظهار انابته) أي رجوعه (ارتفع عنه اسم الكفر ظاهرا) وهو ظاهر (والله تعالى أعلم بسريرته) وهذا حكم كل كافر أو مرتد يدخل في دين الاسلام فانا نحكم عليه بالظاهر ونكل سريرته الى عالم السرائر كما اشير اليه قوله عليه الصلاة والسلام أمرت ان أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله وحسابهم على الله (وبقي حكم السب عليه) عند المالكية فيقتل حدا لا كفرا واما عند غيرهم فحكم السب هو الكفر وارتفع بتوبته ورجوعه الى شريعته (قال أبو عمران القابسي

(لآدمي) وهو النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (فكان) من سب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (كالمرتد يقتل) ببناء الفاعل أي يقتل المرتد رجلا آخر (حين ارتداده) وفي نسخة حال ارتداده فحينئذ يتعين قتله لحق الآدمي الذي قتله قصاصا (أو يقذف) أي المرتد الذي يقذف حال ردته فلا بد من اقامة الحد عليه لتعلق حد الآدمي به حينئذ (فان توبته) أي توبة المرتد الذي قتل أو قذف حين ردته (لاتسقط) توبته (عنه حد القتل والقذف) لانه حق آدمي غيره وهذا هو الاصح في المرتد انه لابد في استتابته والكلام عليه مفصل في الفروع وفيه خلاف لبعضهم (وأيضا) مما يدل على الفرق بين المرتد والساب (فان توبة المرتد اذا قبلت) فاسقطت قتله من حيث هو مرتد (لاتسقط توبته ذنوبه) من غير الردة (من زنا أو سرقة أو غيرها) من حقوق الآدميين وانما تثبت اسلامه (ولم يقتل ساب النبي صلى الله عليه وسلم لكفره) أي فيكون ردة كما قيل (لكن لمعنى يرجع) و يعود (الى تعظيم حرمته) وحفظ مقامه باحترامه وتوقيره (و) يرجع الى (زوال المعرة) والنقص اللاحق (به وذلك لاتسقطه التوبة) لانه متعلق بعرضه فهو حق له كحقوق الآدميين وهذا هو القول الصحيح عند أبي حنيفة والشافعي وغيرهما وفي قول انها تسقط أيضا لقوله في الزنا فان تابا وأصلحا فاعرضوا عنهما وفي السرقة فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فان الله يتوب عليه ولاخلاف في سقوطها فيما بينه و بين الله بعدم مؤاخذته بها وعليه يحمل ماذكر وقال النووي في الروضة سقوط الحدود بالتوبة قول ضعيف (قال القاضي أبو الفضل) عياض المصنف رحمه الله تقييد لما تقدم من ان سبه صلى الله تعالى عليه وسلم ليس بكفر (يريد والله أعلم لان سبه) صلى الله تعالى عليه وسلم (لم يكن بكلمة تقتضي الكفر) كانكار نبوته ونحوه فهذا ليس محل الخلاف وعليه يحمل ما ورد من الحكم بكفره واما قوله صلى الله تعالى عليه وسلم لايؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من نفسه فمعناه لا يكمل اسلامه كغيره من النصوص فمن توهم منافاته لماذكره المصنف رحمه الله فقد قصر فالسب له مراتب تختلف بها احكامه (ولكن) المراد بالسب المذكور ما يكون (بمعنى الازراء والاستخفاف) أي يذكر فيه تنقيص لمقداره وأذية غير شديدة (أولان) من صدر عنه ذلك القول بانه كفر (بتوبته) ورجوعه عما قاله (وانابته) أي رجوعه الى الحق (ارتفع عنه اسم الكفر) كالمرتد اذا أسلم لايسمى كافرا (ظاهرا) ونحن انما نحكم بالظاهر (والله تعالى أعلم بسريرته) فان الله تعالى عز وجل هو العالم بالسرائر (وبقي حكم السب عليه) لم يرتفع فيقتل حدا فلو أصر فهو كافر وفي قوله ازراء واستخفاف نظر لان الازراء به صلى الله تعالى عليه وسلم والاستخفاف به كفر بل من أعظم الكفر فاستدراكه ليس في محله ثم انه قيل انه اذا كان حدا كيف يترك والحدود لايتسامح فيها كما تقدم وقد ترك النبي صلى الله عليه وسلم قتل بعض من سبه وآذاه الا ان يقال انه من خصائصه جواز تركه اذا كان له فيه حق الا ان هذا يعود على الدليل بالنقض فلا يتم الجواب به ولا يلزم ان يكون مقتولا بالكفر الباطن وهؤلاء يحكم به كما قيل (وقال أبو عمران القابسي) وفي نسخة

من سب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ثم ارتد عن الاسلام قتل ولم يستتب لان السب حق آدمي يسقط عن المرتد) ولا يستتاب لردته كذا قال والاولى على مقتضى مذهبهم أيضا القول باستتابته لتنفعه توبته عند ربه وان كان يقتل حدا ان تاب عندهم (وكلام شيوخنا هؤلاء) المالكية المذكورين (مبنى على القول بقتله حدا لا كفرا وهو يحتاج الى تفصيل) فان من سبه بما لا يقتضى كفرا قتل حدا وكذا ان سبه بما يقتضيه وتاب والا قتل كفرا كذا ذكره الدلجى وهو خطأ فاحش لان سبه بما لا يقتضى كفرا لا يتصور أصلا فان مطلق سبه كفر قطعا (واما على رواية الوليد بن

مسلم عن مالك ومن وافقه) أي مالكا أو الوليد (على ذلك بما ذكرناه) فيما مر (وقال به أهل العلم) أي كثيرون (فقد صرحوا بانه) أي سبه عليه الصلاة والسلام (ردة قالوا ويستتاب منها فان تاب نكل) بصيغة المجهول أي عوقب عبرة لغيره اذ النكال العقوبة التى تنكل الناس أي تمنعهم عن فعل ما جعلت له جزاء وهذا عندهم أيضا (وان أبى) أي امتنع عن التوبة (قتل) اجماعا (فحكم له) أي مالك للساب (بحكم المرتد مطلقا) بوجوب استتابته وقبولها مطلقا (فى هذا الوجه) الذى رواه الوليد عن مالك ووافقه عليه غيره ووقع فى أصل الدلجى الزنديق بدل المرتد والظاهر انه خطأ (والوجه الاول أشهر) من رواية الوليد (وأظهر لما قدمناه) من انه يقتل حدا لا كفرا ان تاب وأخطأ الدلجى فى قوله هنا وان تاب لان مفهومه انه اذا لم يتب يقتل حدا لا كفرا وهو خلاف الاجماع (ونحن نبسط الكلام فيه) أي فى سبه عليه الصلاة والسلام (وغير (فنقول من لم يره ردة) أي ارتدادا عن الاسلام وهو بعيد عن مقام النظام (فهو يوجب القتل فيه) أي به (حدا) أي لا كفرا (انما نقول ذلك) أي كونه ليس بردة (مع فصلين) أي فى محلين (اما مع انكاره ما شهد عليه به) بصيغة المجهول (أو اظهاره الاقلاع) أي التحول والارتحال (والتوبة) أي واظهارها (عنه فنقتله حدا لثبات كلمة الكفر عليه) اما بالبينة أو بالتوبة (فى حق النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وتحقيره) أي سابه (ما عظم الله تعالى من حقه وأجرينا حكمه فى ميراثه

الفاسى وقد تقدم بيانه (من سب النبي عليه السلام ثم ارتد عن الاسلام) باظهار خروجه منه (قتل ولم يستتب) أي لم تطلب توبته ولم تقبل (لان السب من حقوق الآدميين التى لا تسقط عن المرتد) وان تاب لكن توبته ان أظهرها واخلص فيها نفعته فى الآخرة (وكلام شيوخنا) المالكية (هؤلاء) المنقول عنهم آنفا وغيرهم (مبنى على القول بقتله) أي الساب (حدا) فى قذف الانبياء (لا كفرا) بردته الا ان مجرد هذا لا يكفى فى تحقيق ما قالوه (وهو يحتاج الى تفصيل) أكثر مما قالوه وهذا مبنى على عدم كفره والفرق بين القتل حدا أو كفرا وكلاهما مشكل وقال السبكى فى السيف المسلول ان قتل المرتد عقوبة خاصة رتبها الشرع على خصوص الردة كالرجم على الزنا فقتل المرتد حد وسقوطه بالتوبة لا ينافيه فان الرجم حد بالاتفاق مع الاختلاف فى سقوطه بالتوبة ومن ظن ان من سماه حدا لا يسقط بالاسلام فهو غالط فالساب المسلم مرتد والكلام فيه كالكلام فى المرتد وان قتل كقتله حدا انتهى ومنه يعلم ما فى كلام المصنف فى هذا الفصل وانه فرق بين الحد وقتل الكفر وهو غير مسلم أيضا واما استشكاله بانه كيف يكون حدا مع انه صلى الله تعالى عليه وسلم ترك قتل بعض الناس ممن سبه والحدود لا يمكن تركها فغير مسلم على اطلاقه فان ما لا يعفى عنه منها ما هو حق الغير واما حق نفسه صلى الله تعالى عليه وسلم فليس كذلك كما مر (واما على رواية الوليد بن مسلم) الذى قدمنا ترجمته (عن مالك ومن وافقه على ذلك) ضمير وافقه لمالك أو للوليد (ممن ذكرناه) فيما تقدم (وقال به من أهل العلم فقد صرحوا بانه) أي سب الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم (ردة) وكفر (قالوا ويستتاب منها) فتقبل توبته كغيره ممن ارتد (فان تاب نكل) ببناء المجهول مشددا أي عوقب بتعزيره وضربه ونحوه (وان أبى) التوبة فلم يتب (قتل فحكم له بحكم المرتد مطلقا) أي باى وجه كانت الردة فحكمه ما ذكر (فى هذا الوجه) على هذا القول الذى رواه الوليد عن مالك (والوجه الاول) من انه يقتل حدا لا كفرا (أشهر وأظهر لما قدمناه) فى توجيهه (ونحن نبسط الكلام) أي نفصله ونوضحه (فيه) أي فى سبه صلى الله تعالى عليه وسلم (فنقول من لم يره) أي من لم يعتقد ويذهب الى انه (ردة) وكفر (فهو يوجب القتل فيه حدا) لا كفرا (وانما يقول ذلك مع فصلين) أي فى وجهين وصورتين مخصوصتين نفصله ونميزه عن غيره (اما مع انكاره مما شهد به عليه) من سبه صلى الله تعالى عليه وسلم ولاجل انكاره لم يحكم بكفره لكن قامت البينة العادلة عليه (أو) مع (اظهاره الاقلاع) افعال من القلع وهو النزع أريد به الترك بالكلية والرجوع عنه (والتوبة) عنه وهو عطف تفسير (فنقتله حدا) كما تقدم (لثبات كلمة الكفر عليه) بشهادة امضاها الحاكم عليه (فى حق النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) بسببه له فيحد حد قاذف الانبياء وهو القتل (وتحقيره ما عظم الله من حقه) الذى أوجبه على عباده (وأجرينا حكمه) أي حكم الساب المنكر ذلك (فى ميراثه) فورثنا ورثته منه لظاهر اسلامه

وغير ذلك) مما له من الحقوق (حكم الزنديق اذا ظهر عليه وأنكر) زندقته (أو تاب) عنها (فان قيل وكيف) وفي نسخة صحيحة فكيف (تثبتون عليه الكفر) باقراره (ويشهد عليه) بالبناء للمفعول (بكلمة الكفر ولا تحكمون عليه بحكمه من الاستتابة وتوابعها) أي من القبول ورفع القتل عنه كما عليه جمهور السلف والخلف وعامة الأئمة (قلنا نحن) المالكية (وان

(وغير ذلك) من حقوق المسلمين (حكم الزنديق اذا ظهر عليه وانكر أو تاب) ثم استشعر سؤالا بانه كيف لا يحكم بكفره بعد ثبوت تكلمه بكلمة الكفر وأجاب عنه بقوله (فان قيل كيف تثبتون عليه الكفر ويشهد) ببناء المفعول أي يشهد الشهود وفي نسخة ويشهدون (عليه) بما قاله من تلفظه (بكلمة الكفر) في سبه للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم (ولا تحكمون عليه بحكمه) أي بحكم الكافر المرتد (من الاستتابة وتوابعها) من ترك قتله اذا تاب ونحوه (قلنا) في الجواب عن هذا السؤال (نحن وان أثبتنا له حكم الكافر في القتل) أي في قتله كالمرتد (فلا نقطع) أي نجزم بالحكم (عليه بذلك) أي بكفره (لاقراره بالتوحيد) واتيانه بكلمته (و) اقراره بـ(النبوة) أي بان محمدا نبي الله ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم (وانكاره ما شهد به عليه) من السب والتحقير (أو زعمه) بتثليث أوله أي ادعائه (ان ذلك) الذي صدر منه (كان منه وهلا) أي خطأ وذهولا منه وهو بفتحتين من وهل الى الشيء يهل بالكسر كيعد اذا ذهب وهمه اليه أو من وهل بالكسر يوهل اذا غلط وسهى (ومعصية) أي زعمه انه معصية لما سبق اليه وهمه من غير تعمد منه (وانه مقلع عن ذلك) أي راجع عنه (نادم عليه) أي على ما صدر عنه وأجاب عن سؤاله تقديره فكيف يثبت له أحكام الكفر مع اسلامه بقوله (ولا يمتنع) شرعا (اثبات بعض أحكام الكفر) كالقتل (على بعض الأشخاص وان لم تثبت له خصائصه) أي ما يختص بالكفر في ميراثه وغيره (كقتل تارك الصلاة) عند القائل به كالشافعي رضي الله تعالى عنه وهذا اذا تركها كسلا وتهاونا لا جحدا فانه كفر بالاتفاق وعلى ما تقرر من مذهب الشافعي قال السبكي في طبقاته للمزني فيه اشكال صعب فان هذا لا يتصور لانه اما أن يكون على ترك صلاة مضت أو لم تأت والاول باطل لان المقضية لا يقتل تاركها والثاني كذلك لان له التأخير ما لم يخرج الوقت فعلى م يقتل تاركها وقد أجيب عنه بوجوه الاول انه وارد في التعزير والضرب فالجواب الجواب وهو جدلي الثاني انه على الماضية لانه تركها بلا عذر ورد بان القضاء لا يجب على الفور وبان الشافعي لا يقتل بالمقضية مطلقا ومذهب أصحابه انه لا يقتل بالامتناع عن القضاء الثالث انه يقتل بالمؤداة في آخر وقتها ويلزمه ان المبادرة الى القتل لتارك الصلاة أحق منها الى المرتد اذ يستتاب وهذا لا يستتاب ولا يمهل اذ لو أمهل صارت مقضية وقدر ما فيه انتهى أقول قد يقال مراده من اعتاد ذلك بقطع النظر عن كونها اداء أو قضاء لما فيه من تهاونه لما هو عماد الاسلام والمعترض فرضها في صلاة واحدة معينة فتدبر (وأما من علم انه سبه) صلى الله عليه وسلم (معتقدا استحلاله) أي وهو يعتقد ان سبه يحل له مع حرمته اجماعا (فلا يشك في كفره بذلك) أي باعتقاده حل ما حرمه الله وما ذكره من ان سبه انما يكون كفرا اذا استحله صحح بعضهم خلافه وقال الصحيح انه يكفر مطلقا وهو أظهر (وكذلك) لا يشك في كفره (ان كان سبه في نفسه كفرا) أي ما سبه به فان أنواع السب متفاوتة (كتكذيبه) أي ادعاء كذبه في ما بلغه عن ربه (أو تكفيره) أي قوله انه صدر منه كفر (ونحوه) فانه متضمن لعدم الايمان به صلى الله تعالى عليه وسلم وهو عين الكفر (فهذا مما لا اشكال فيه) أي في الحكم بكفره لما عرفته (ويقتل) ان لم يتب بل (وان تاب منه) لكن قتله مع عدم توبته لردته به (لانا لا نقبل توبته) فهو لا يدفع عنه القتل (ونقتله بعد التوبة حدا) لا كفرا لرجوعه عنه وانما نقتله (لقوله) الذي صدر منه (ومتقدم كفره) قبل توبته

أثبتنا له حكم الكافر في القتل فلا نقطع بالجزم عليه بذلك) الكفر (لاقراره بالتوحيد والنبوة وانكاره ما شهد به عليه أو زعمه) بضم الزاي وفتحها أي أو لدعواه (ان ذلك) كان (منه وهلا) بفتح الهاء وسكونها أي غلطا وسهوا ويروى وهما وهو بسكون الهاء وتحرك (ومعصية) خطأ (وانه مقلع) معرض (عن ذلك) الصادر منه هنا للنادم عليه (أي على ما ينسب اليه ولا يمتنع اثبات بعض أحكام الكفر) كالقتل (على بعض الأشخاص) من المسلمين (وان لم تثبت له خصائصه) أي جميع خصائصه الموجبة للحكم عليه به (كقتل تارك الصلاة) كسلا أو تهاونا لا جحدا الا كفرا عند من قال به وهو خلاف ظواهر الادلة وقواعد الائمة بخلاف من تركها جحدا أو استحلالا فانه

كفر اجماعا (وأما من علم سبه معتقد الاستحلاله فلا شك في كفره بذلك) أي باعتقاد استحلاله مع الاجماع على حرمته (وكذلك ان كان سبه في نفسه) مع قطع النظر عن استخفافه واستحلاله (كفرا كتكذيبه أو تكفيره ونحوه) كالشك في نبوته أو رسالته (فهذا مما لا اشكال فيه) بالحكم عليه بالكفر (ويقتل) حدا (وان تاب منه لانا) معشر المالكية (لا نقبل توبته) لرفع القتل (عنه ونقتله بعد التوبة حدا) لا كفرا (لقوله) الذي ظهر منه (ومتقدم كفره) أي الذي صدر عنه

(وأمره بعده) أي بعد توبته وقتله (الى الله تعالى المطلع على صحة اقلاعه العالم بسره) أي بباطن حاله (وكذلك) يقتل بل هو أولى هنالك (من لم يظهر التوبة واعترف بما شهد به عليه وصمم عليه) بان عزم وجزم على مالديه (فهذا كافر) بلا خلاف (بقوله و باستحلاله هتك حرمة الله تعالى وحرمة نبيه يقتل كافرا بلا خلاف فعلى هذه التفصيلات خذ كلام العلماء) وفي أصل الدلجي آخذ ولكنه لايلائمه قوله (وانزل مختلف عباراتهم) لان المناسب أن يكون كلاهما بصيغة الامر وضبط التلمساني بحاء مهملة مضمومة ودال مهملة مشددة أمر من حد الشيء ميزه أومن حده صرفه ورتبه وفي نسخة عباراتهم بصيغة الجمع والمعنى أنزل

عباراتهم المختلفة التي مآلها واحد (والاحتجاج) بقتله (عليها) أي على التفصيلات (واجر) أي امض (اختلافهم في الموارثة) وروى الوراثة (وغيرها) من اجراء أحكام الاسلام على من تاب وان حكم بقتله من الصلاة عليه ودفنه في مقابر المسلمين (على ترتيبها يتضح لك مقاصدهم ان شاء الله تعالى)

(فصل)

(اذا قلنا بالاستتابة حيث تصح) منه على رواية الوليد بن مسلم عن مالك (فالاختلاف فيها) أي في الاستتابة (محمول على الاختلاف في توبة المرتد اذ لافرق بينهما) عند مالك على الرواية السابقة (وقد اختلف السلف في وجوبها) أي الاستتابة (وصورتها) أي كيفيتها

صيانة لمقام النبوة

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى * حتى يراق على جوانبه الدم

وهذا أحد المذهبين فيه عند الشافعي والآخر انه اذا قبلت توبته واقلاعه لا يقتل وهذا حكمه في الدنيا (وأمره بعده) أي بعد قبول توبته في الآخرة مفوض (الى الله المطلع على صحة اقلاعه) واخلاص طويته في توبته (العالم بسره) وما أضمره في قلبه من عقيدته (وكذلك من) شبهه و(لم يظهر التوبة واعترف بما شهد به عليه وصمم) أي بقي ثابتا ملازما لقوله (عليه فهذا كافر) بلا خلاف في كفره وقتله (بقوله) الصادر عنه (واستحلاله هتك حرمة الله وحرمة نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم) والحرمة ما يجب احترامه وتوقيره وهتكها بتركها واطها ومايخالفها (يقتل كافرا بلا خلاف) في كفره وقتله (فعلى هذه التفصيلات) المذكورة (خذ كلام العلماء) أي اعلم واعتقد ما نقل عن علماء الامة من أصحاب المذاهب على الاصح عندهم فهو ومابعده أمر بخاء وذال معجمتين من الاخذ وقيل انه بحاء مضمومة ودال مهملتين مشددة أي اعتبر حدودهم (ونزل) أي احمل (مختلف عباراتهم) المنقول عنهم في كتبهم (في الاحتجاج عليها) فعدم القتل ينزل على بعض الصور ووجوبه ينزل على بعض آخر مما فصله (واجر اختلافهم) المنقول عنهم (في الموازنة) أي تعيين أحكامها وتطبيق بعضها على بعض كما تعلم المقادير بوزنها وفي نسخة في الوزان (وغيرها) بمخالفة البعض لغيره (على ترتيبها) أي ترتيب التفصيلات المتقدمة (يتضح لك مقاصدهم) نفيا واثباتا بالتوفيق بينها (ان شاء الله) تعالى

(فصل اذا قلنا بالاستتابة) لمن سب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وسائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام (حيث تصح) أي في محل حكم بصحتها فيه الفقهاء (فالاختلاف فيها) أي الاستتابة (على الاختلاف في توبة المرتد) لاشتراكهما في الكفر بعد الاسلام (لافرق بينهما) عند مالك وأصحابه ولو قال استتابة المرتد كان أحسن لانه اذا جاء تائبا من نفسه لم يجر فيه هذا الخلاف (وقد اختلف السلف في وجوبها وصورتها) أي كيفية الاستتابة على أي وجه تكون (ومدتها) التي يمهل فيها (فذهب جمهور العلماء) أي أكثرهم (الى ان المرتد يستتاب) أي يطلب منه التوبة عند ردته (وحكى ابن القصار) من أئمة المالكية وقد تقدمت ترجمته (انه اجماع من الصحابة) في زمنهم رضي الله تعالى عنهم أجمعين ثم بين الاجماع بانهم اتفقوا (على تصويب قول عمر) بن الخطاب رضي الله تعالى عنه (في الاستتابة) حين حكم بها (ولم ينكره واحد منهم) ولم يخالفه فيه أحد (وهو قول عثمان) بن عفان رضي الله تعالى عنه (وعلي) بن أبي طالب كرم الله وجهه (وابن مسعود) من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ثم ذكر من تابع الصحابة عليه من كبار التابعين ولذا غير أسلوبه فقال (وبه قال) أي أفتى واعتقد (عطاء بن أبي رباح) كما تقدم (و) ابراهيم (النخعي) بفتح الخاء المعجمة وسكنها بعضهم تخفيفا (و) سفيان (الثوري

(ومدتها فذهب جمهور أهل العلم الى ان المرتد يستتاب) وجوبا أوندبا

ومالك

(وحكى ابن القصار انه) أي قول الجمهور (اجماع من الصحابة على تصويب قول عمر في الاستتابة) سواء يكون ايجابا أو استحبابا (ولم ينكره) أي قول عمر (واحد منهم) فيكون اجماعا سكوتيا بالنسبة الى بعضهم (وهو قول عثمان وعلي وابن مسعود) أي مختارهم المنصوص عنهم (وبه) أي وبقول من تقدم من الصحابة (قال عطاء ابن أبي رباح) بفتح الراء وهو من أجلاء التابعين من أهل مكة (والنخعي) بفتح النون والخاء المعجمة وبسكن تابعي كوفي (والثوري

ومالك وأصحابه والاوزاعي) منسوب الى قبيلة من همدان (والشافعي وأحمد واسحق) أي ابن راهويه (وأصحاب الرأي) أي الثاقب الذي هو أسنى المناقب قال النووي المراد بأصحاب الرأي الفقهاء الحنفية وهذا عرف أهل خراسان (وذهب طاوس) يكتب بواو واحدة كداود وهو ابن كيسان اليمني و زيد في نسخة ومحمد بن الحسن وهو من أصحاب أبي حنيفة (وعبيد بن عمير) بالتصغير فيهما وهو أبو قتادة الليثي يروي عن أبي وعمر وعائشة وعنه ابنه وابن أبي مليكة وعمرو بن دينار وآخرون قال الذهبي ذكر ثابت البناني انه قص على عهد عمر وهذا بعيد انتهى وثقه أبو زرعة وجماعة توفي سنة أربع وسبعين وأخرج له الأئمة الستة (الحسن) أي البصري (في احدى الروايتين) عنه انه لا يستتاب (أي وجوبا) الا انه لو تاب تقبل توبته ولا يقتل (وقاله) أي وقال له (عبد العزيز ابن أبي سلمة) أي الماجشون بكسر الجيم كان اماما معظما ولدته أمه على ماقيل

لاربع سنين توفي سنة أربع وستين ومائة أخرج له الأئمة الستة روى عن الزهري وابن المنكدر ولم يدرك نافعا وليس بالمكثر أجازه المهدي بعشرة آلاف دينار قال أبو الوليد كان يصلح للوزارة (وذكره عن معاذ) أي ابن جبل الانصاري (وأنكره) أي نقله (سحنون عن معاذ وحكاه الطحاوي عن أبي يوسف وهو) أي القول بعدم وجوب الاستتابة (قول أهل الظاهر) وهم داود بن محمد الظاهري وأتباعه (قالوا) أي القائلون بعدم وجوب الاستتابة أو علماء المالكية أو العلماء أجمعون (وتنفعه توبته عند الله ولكن لاندرأ القتل) أي لاندفعه (عنه) نحن معاشر المالكية (لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم) فيما رواه أحمد

والبخاري والاربعة عن ابن عباس (من بدل دينه) أي غيره (فاقتلوه) أي ان لم يتب ولا يصح حمله على اطلاقه لمخالفة الاجماع على ان المرتد اذا تاب قبلت توبته ولم يقتل واما تخصيص حكم الساب فمذهب حادث من مالك وأصحابه (وحكى أيضا عن عطاء انه ان كان) أي المرتد (ممن ولد في الاسلام) أي ولد مسلما (لم يستتب) أي لا وجوبا ولا استحبابا وليس في كلامه ما يدل على عدم قبول توبته (ويستتاب الاسلامي) أي المنسوب الى الاسلام بالدخول عليه ولعل الفرق مبني على زجر الاول وعدم عذره فتامل (وجمهور العلماء على ان المرتد والمرتدة في ذلك) أي في القتل لا في الوجوب الاستتابة كما توهم الدلجي (سواء) لعموم الحديث السابق (وروى) كما في مصنف ابن أبي شيبة (عن علي) موقوفا عليه لكنه في حكم المرفوع (لا تقتل المرتدة وتسترق) كما لو أسرت الكافرة (وقاله عطاء) أي وافقه (وقتادة وروى عن ابن عباس لا تقتل النساء في الردة) وأغرب الدلجي بقوله ولعله أراد زمن ردة العرب بعد وفاة النبي

ومالك وأصحابه والاوزاعي) نسبة للاوزاع قبيلة كما تقدم (والشافعي وأحمد بن حنبل واسحاق) بن ابراهيم بن راهويه (وأصحاب الرأي) قال النووي المراد بأصحاب الرأي في عرف أهل خراسان من الشافعية أبو حنيفة وأصحابه وهي عبارة غير لائقة ان قصدوا بها انهم يتبعون آراءهم ولا يتقيدون بنصوص الاحاديث فان أريد بها شدة ذكائهم في استنباط الاحكام كما قال المتنبي

الرأي قبل شجاعة الشجعان * هو أول وهي المحل الثاني

فلا بأس به (وذهب طاوس) بن كيسان اليمني (ومحمد بن الحسن وعبيد بن عمير) بن قتادة بن سعد الليثي وهو ثقة أخرج له الستة وتوفي سنة أربع وتسعين ومائة (والحسن في احدى الروايتين عنه) والأخرى موافقة الجمهور فيه (الى انه لا يستتاب) فيقتل (وقاله عبد العزيز بن أبي سلمة) بفتحتين وهو المعروف بالماجشون كما تقدم وهو امام معظم مشهور توفي سنة أربع وعشرين ومائة وليس هو عبد العزيز بن أبي سلمة العمري (وذكره عن معاذ) بن جبل الانصاري الصحابي أي رواه عنه (وأنكره سحنون عن معاذ) أي أنكر روايته عنه (وحكاه الطحاوي عن أبي يوسف وهو قول أهل الظاهر) أي من مذهبهم الاخذ بظاهر الادلة وهو مذهب داود بن محمد الظاهر ومن تبعه كابن حزم (قالوا) ان لم يستتب (تنفعه توبته عند الله) في الآخرة لانه ليس بكافر (ولكن توبته (لاتدرأ) أي تدفع وترفع (عنه القتل) عند الحاكمين بقتله حدا (لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم) في حديث رواه الشيخان عن ابن عباس (من بدل دينه فاقتلوه) وظاهره يقتضي المبادرة لقتله من غير استتابة والقائل بخلافه يقول ان لم يتب لقوله تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف الى غير ذلك من الادلة (وحكى أيضا عن عطاء) ابن أبي رباح (انه ان كان) المرتد والساب (ممن ولد في الاسلام) بان ولد مسلما وكان بين أظهر المسلمين (لم يستتب) لانه غير معذور في مثله (ويستتاب الاسلامي) أي من ولد كافرا ثم طرأ عليه الاسلام لقيام شبهة عنده بما كان في طبعه من الكفر فيعذر ويتألف (وجمهور العلماء على ان المرتد و) المرأة (المرتدة في ذلك) أي في القتل بالردة (سواء) لا فرق بينهما (وروى عن علي) رضي الله تعالى عنه موقوفا عليه وهو مذهبه (لا تقتل المرتدة وتسترق) أو تحبس لما ورد في الحديث من النهي عن قتل النساء (وقاله عطاء وقتادة وروى عن ابن عباس لا تقتل النساء في الردة) أي بسببها ولا لاجلها

صلى الله تعالى عليه وسلم (وبه قال أبو حنيفة) ويؤيده ما ورد من النهي عن قتل النساء في الصحيحين عن ابن عمر نهى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن قتل النساء والصبيان وان خصه بعضهم بحال الغزاة واعلم ان المرتدة لاتقتل عندنا ولكنها تحبس أبدا الى ان تتوب ويجوز استرقاق المرتدة بعد ما لحقت بدار الحرب ولعل قول علي محمول على ذلك (قال مالك والحر والعبد والذكر والأنثى في ذلك) أي في قتل كل منهم بالردة (سواء) أخذا بظاهر الحديث الذي تقدم والله تعالى أعلم (واما مدتها) أي مدة الاستتابة وجوبا واستحبابا (فذهب الجمهور) من العلماء (وروى عن عمر انه يستتاب ثلاثة أيام يحبس فيها) فان تاب والاقتل (وقد اختلف فيه) أي في مذهب الجمهور المروى (عن عمر) انه يستتاب ثلاثة أيام (وهو) أي ماروى عن عمر (أحد قولي الشافعي) قال الدلجي والصحيح من مذهبه انه

يستتاب في الحال فان تاب والاقتل (وقول أحمد واسحق واستحسنه) أي ذلك (مالك وقال لاياتي الاستظهار) أي التثبت والانتظار (الا بخير) يرجى (وليس عليه) أي على التاني في الامور (جماعة الناس) لاستعجالهم فيها (قال الشيخ أبو محمد ابن أبي زيد يريد به) يعني مالكا بقوله وليس عليه جماعة الناس في الاستيناء أي في الاستمهال (ثلاثا وقال مالك أيضا الذي آخذ) أي أقول (به في المرتد قول عمر رضي الله تعالى عنه يحبس ثلاثة أيام ويعرض عليه) أي الاسلام (كل يوم فان تاب) قبلت توبته (والا قتل وقال أبو الحسن بن القصار في تاخيره) أي المرتد (ثلاثا روايتان عن مالك هل ذلك واجب أومستحب) فظاهر مذهبه كما في شرح المختصر لبهرام الوجوب وروى عنه الاستحباب والله تعالى أعلم بالصواب (واستحسن الاستتابة) أي نفسها (والاستيناء) أي الاستمهال (ثلاثا أصحاب الرأي) حيث ثبت عن الصحابة ولم يثبت الوجوب في الرواية ولا القتل بعد التوبة (وروى عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه انه استتاب امرأة) (فلم تتب فقتلها) أي مرة أو مرات ولعل قتلها لكونها رئيسة لقومها أو كانت داعية الى طريقها من كفر بدعوى النبوة أو غيرها قيل كانت المرأة من فزارة على مارواه البيهقي وفي رواية انها أم فرقة وفي فتاوى قاضيخان واذا دخل أهل الاسلام دار الحرب مغيرين لاينبغي لهم ان يقتلوا النساء الا اذا قاتلت المرأة أو كانت ملكة أو كانت ذات رأي في الحرب واذا قاتلت فاخذها المسلمين لاباس بقتلها وان أمكن سبيها (وقال الشافعي مرة) أي يستتاب في الحال (وان لم يتب مكانه قتل

(وبه) أي بهذا المذهب (قال أبو حنيفة وروى عن مالك) أيضا القول به وفي نسخة وقال مالك رحمه الله تعالى وقد علمت ان مذهب أبي حنيفة انها لاتقتل بل تحبس ودليله ما ورد في الحديث من النهي عن قتل النساء وغيره حمله على الكافرة الاصلية لان قتل الكافر لدفع ضرره ونكايته والمرأة لاتخشى نكايتها وغيره يقول العلة الكفر (والحر والعبد والذكر والانثى في ذلك) الحكم (سواء) فيقتلون جميعا (واما مدتها) أي مدة الاستتابة عند القائلين بها (فذهب الجمهور) من العلماء فيها (وروى عن عمر) بن الخطاب رضي الله تعالى عنه في تقدير المدة (انه يستتاب ثلاثة أيام ويحبس فيها) فان تاب أطلق والاقتل (وقد اختلف فيه) أي في هذا المذهب المروى (عن عمر) في المدة المذكورة (وهو أحد قول الشافعي) والقول الآخر انه يستتاب في الحال فان تاب والاقتل (و) هو (قول أحمد) بن حنبل (واسحق) ابن راهويه أيضا (واستحسنه) الامام (مالك) بن أنس (وقال) مالك في استحسانه لرجحانه عنده (لاياتي الاستظهار) أي الاحتياط بالتاخير والتثبت حتى يظهر الاولى (الا بخير) أي التاني وعدم العجلة خير في مثل هذا (وليس عليه) أي على هذا القول بالتاخير والتاني (جماعة الناس) أي فالجمهور على خلاف هذا القول (قال الشيخ أبو محمد بن أبي زيد) من المالكية وقد قدمنا ترجمته (يريد في الاستيناء) أي التاخير وهو استفعال من التاني والأناء وأصله من الآن وهو الزمان كما قال تعالى ألم يان للذين آمنوا (ثلاثا) من الايام كما تقدم (وقال مالك أيضا الذي أخذ به) أي عمل به واتخذه مذهبا (في حكم (المرتد قول عمر) رضي الله تعالى عنه وهو انه (يحبس ثلاثة أيام ويعرض عليه كل يوم) التوبة والرجوع بوعظه ونصيحته (فان تاب) اطلق (والاقتل وقال أبو الحسن بن القصار) من المالكية كما تقدم (في تاخيره ثلاثا روايتان عن مالك هل ذلك) التاخير (واجب) على الحاكم فلا تجوز المبادرة لقتله (أو مستحب) فيجوز قتله قبلها (واستحسن الاستتابة والاستيناء) بالمد أي التاخير (ثلاثا أهل الرأي) أي القياس والمراد أبو حنيفة وأصحابه كما مر فيه (وروى عن أبي بكر الصديق) رضي الله تعالى عنه (انه استتاب امرأة) أي طلب توبة امرأة ارتدت واسمها أم قرفة وهي من بني فزارة (فلم تتب فقتلها) فانه لافرق عنده بين الذكر والأنثى (وقال الشافعي مرة) أي يستتاب مرة واحدة (فقال ان لم يتب قتل مكانه) أي في محله الذي عرض عليه التوبة فيه (واستحسنه المزني)

واستحسنه

المزني) المصري منسوب الى مزينة قبيلة كان ورعا زاهدا مجاب الدعوة متقللا من الدنيا وكان معظما بين أصحاب الشافعي قال الشافعي في حقه لو ناظر الشيطان لغلبه وصنف المبسوط والمختصر والمنثور والمسائل المعتبرة والترغيب في العلم وكتاب الرائق والاقارب توفي سنة أربع ومائتين ودفن بالقرافة بالقرب من قبر الشافعي (وقال الزهري يدعى الى الاسلام ثلاث مرات) أي ولو في يوم واحد (فان أبى قتل) وأغرب الدلجي في قوله ولو في ساعة (وروى على رضي الله تعالى عنه يستتاب شهرين وقال النخعي يستتاب أبدا وبه أخذ الثوري ما رجيت توبته) وهو قيد لقول النخعي وجملة وبه أخذ الثوري معترضة وأغرب الدلجي في قوله وبه أخذ وزاد ما رجيت توبته ووجه غرابته انه لم يتصور من الامام النخعي ان يقول يستتاب أبدا سواء رجيت توبته أو لم ترج (وحكى ابن القصار) أي المالكي (عن أبي حنيفة انه يستتاب ثلاث مرات في ثلاثة أيام أو ثلاث جمع في كل يوم) على الاول مرة (أو جمعة) أي كل جمعة (مرة) قال الدلجي يحتمل أن يكون تخييرا من أبي حنيفة أو شكا من ابن القصار أو من المصنف قلت والمعتمد في مذهبنا ماذكره قاضيخان في فتاواه من ان المرتد يعرض عليه الاسلام في الحال فان أسلم والا قتل الا أن يطلب التأجيل فيؤجل ثلاثة أيام لينظر في أمره ولا يؤجل أكثر من ذلك ويعرض عليه الاسلام في كل يوم من أيام التأجيل فان أسلم سقط عنه القتل وان أبى يقتل وجحود الردة يكون عودا الى الاسلام ثم ردة الرجل تبطل عصمة نفسه حتى لو قتله قاتل بغير أمر القاضي عمدا أو خطأ وبغير أمر السلطان أو اتلف عضوا من اعضائه لا شئ عليه (وفي كتاب محمد) أي ابن المواز (عن ابن القاسم) أي ابن خالد المصري (يدعى المرتد الى الاسلام ثلاث مرات) أي في يوم أو أيام كما هو المشهور من مذهب مالك (فان أبى ضربت عنقه واختلف على هذا) القول باستتابته (هل يهدد) بقتل وضرب وغيرهما (أو يشدد عليه الايام الاستتابة) بجوع أو عطش ونحوهما (ليتوب) أي ولو بكره (أم لا) يهدد ولا يشدد (فقال مالك ما علمت في الاستتابة تجويعا ولا تعطيشا ويؤتى له) أي يعطى (من الطعام مالا يضره) رجاء رجوعه (وقال أصبغ يخوف أيام الاستتابة بالقتل) والتنكيل الوبيل (وفي كتاب أبي الحسن) ويقال أبو الحسين (الطابثي) بطاء مهملة ثم موحدة مكسورة فمثلثة فياء نسبة الى قرية بالبصرة (يوعظ في تلك الايام) أي أيام الاستتابة (ويذكر بالجنة) ونعيمها (ويخوف) أي ينذر (بالنار) وأليمها (قال أصبغ وأي المواضع حبس فيها من السجون مع الناس) المحبوسين (أو وحده) أي مفردا عنهم (اذا استوثق منه) بصيغة المجهول (سواء) لان المقصود حفظه كي يرجع الى الاسلام أو يقتل عبرة للانام (ويوقف ماله) أي يحفظ

المزني) من أئمة الشافعية وهو القول الاصح في مذهبهم (وقال) الامام أبو بكر محمد بن مسلم بن شهاب (الزهري يدعى الى الاسلام ثلاث مرات) في وقت واحد أو في يوم واحد ويحتمل انه في ثلاث أيام وهو خلاف الظاهر (فان أبى) التوبة (قتل وروى عن على انه يستتاب شهرين) فان أبى قتل (وقال النخعي يستتاب أبدا) المراد به زمنا طويلا (وبه أخذ) سفيان (الثوري) الا انه قال زيادة (ما رجيت توبته) فزاد قيدا فسر به كلام النخعي بان المراد بالابد ما دامت التوبة ترتجى منه وربما يكون كلام ابن وهب الآتي عن مالك مفسرا لهذا (وحكى ابن القصار عن أبي حنيفة انه يستتاب ثلاث مرات في ثلاثة أيام أو ثلاث جمع) جمع جمعة (في كل يوم أو) في كل (جمعة مرة) هذا اما تخيير من أبي حنيفة أو شك من ابن القصار أو من المصنف (وفي كتاب محمد) المعروف بابن المواز من المالكية (عن أبي القاسم) واسمه عبد الرحمن كما تقدم (يدعى المرتد الى الاسلام ثلاث مرات) في ثلاثة أيام كما هو مذهب مالك (فان أبى) الرجوع (ضربت عنقه) بعد دعوته (واختلف على هذا) باستتابته وتأخير قتله (هل يهدد) بزجره ووعيده بالقتل ونحوه (أو يشدد عليه) بتضييق حبسه ووضعه في الاغلال ونحوه في مدة (أيام الاستتابة ليتوب) بسبب تهديده والتشديد عليه (أم لا) فيكتفى بحبسه (فقال مالك ما علمت ان في) زمن (الاستتابة تجويعا) بعدم ايصال الطعام (ولا تعطيشا) بترك سقيه الماء (ويؤتى من الطعام بما لا يضره) فلا يؤتى ما هو شديد المرارة أو مستقذرا يكرهه (وقال أصبغ يخوف أيام الاستتابة بالقتل) ليرجع (ويعرض عليه الاسلام) فيقال له أسلم تسلم (وفي كتاب أبي الحسن الطابثي) بفتح الطاء المهملة وألف بعدها باء موحدة ثم ثاء مثلثة وياء نسبة لطابث وهي قرية قريبة من البصرة وهذا من جملة العلماء المشهورين وفي نسخة أبي الحسين انه (يوعظ في تلك الايام) أمهل بها (ويذكر بالجنة) ودخولها اذا تاب (ويخوف بالنار) وعذابها ان لم يتب ويرجع عما هو عليه (وقال أصبغ وأي المواضع حبس فيها من السجون مع الناس) المحبوسين فيها بسبب ما (أو) حبس (وحده) في سجن مخصوص به (اذا استوثق منه) وفي نسخة اذا أوثق أي حفظ حتى لا يفر اذ المقصود حفظه حتى يتبين حاله فكل سجن في حقه (سواء) لحصول المراد به (ويوقف مع ذلك ماله) أي كل شئ يملكه يجعل محفوظا بيد غيره ويجوز

(اذا خيف تلفه على المسلمين) فاندفع قول الدلجي لم ادر ما محترزه بالظرف المؤذن بانه اذا لم يخف تلفه لم يوقف بل هو موقوف بسبب ردته مطلقا فان لم يتب تبين زوال ملكه عنه وكان فيئا انتهى وسياتى الكلام عليه وانما نشأ عدم درايته من حمل الموقوف على حكمه لا على حفظه عن ضياع ملكه (ويطعم منه ويسقى وكذلك يستتاب أبدا كلما رجع) الى الاسلام (وارتد بعده) من الايام (وقد استتاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم نبهان) بنون مفتوحة وسكون موحدة وهو أحد ثلاثة من الصحابة كل منهم كان اسمه نبهان لا يعلم أيهم (الذى ارتد) منهم (أربع مرات أو خمسا) شك من الراوى وقد رواه البيهقى بسند مرسل وقال استتاب رجلا ارتد اربع مرات اسمه نبهان قال الحلبي فى الصحابة نبهان التمار أبو مقبل ونبهان أبو سعد ونبهان الانصارى انتهى ولم يذكر أبو عمر نبهان فى كتابه قيل ولم يذكر ابن الجوزى من اسمه نبهان فى الصحابة الا الاول وبه جزم التلمسانى حيث قال ونبهان هو التمار

روى انه أتته امرأة حسناء تبتاع منه تمرا فقال لها ان هذا التمر ليس بجيد وفى البيت أجود منه فذهب بها الى البيت فضمها الى نفسه وقبلها فقالت له اتق الله فتركها وندم فاتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فاخبره فنزل والذين اذا فعلوا فاحشة الآية (قال ابن وهب) أى المصرى (وعن مالك يستتاب أبدا كلما رجع) الى الردة (وهو قول لشافعى واحمد وقاله ابن القاسم) المصرى الفقيه المالكى (وقال اسحق) أى ابن راهويه (يقتل فى الاربعة) بدون استتابة (وقال أصحاب الرأى ان لم يتب فى الاربعة) أى من مرات الردة (قتل دون

جعلها الموصولة وله جار ومجرور وصلة لها (خيفة) بالنصب مفعول له وفى نسخة اذا خيف (ان يتلفه على المسلمين) أى لئلا يتلفه عليهم وهذه علة لا يلزم اطرادها فلا وجه للاعتراض بانه يقتضى انه لا يوقف ان لم يخش اتلافه لان وقفه لاجل انه فى ردته (ويطعم منه) أى من ماله (ويسقى) أى ينفق عليه مدة حبسه من ماله يعنى ان ماله موقوف ولم يزل ملكه عنه فان أسلم تبين انه باق على ملكه والا كان فيئا كغيره من أموال الكفرة فيوضع فى بيت المال والكلام عليه مفصل فى كتب الفقه (وكذلك) أى مثل ما تقدم من المدة تفصيلا (يستتاب كلما رجع وارتد) لردته ثم تاب أى اذا تكرر ردته (ابدا) ثم استدل بقوله (وقد استتاب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم نبهان) بفتح النون وسكون الباء الموحدة وهاء وهو فعلان من نبه وينبه وفى الصحابة من اسمه نبهان ثلاثة أحدهم نبهان التمار وكنيته ابو مقبل وسمى تمارا لان امرأة جميلة ابتاعت منه تمرا فقال فى بيتى أجود منه فذهبت معه فضمها وقبلها فقالت له اتق الله فتركها ثم ندم وأخبر بذلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فنزل فيه والذين اذا فعلوا فاحشة الآية وقال البرهان فى الصحابة ثلاثة اسم كل منهم نبهان لا أعلم (الذى ارتد) منهم (أربع مرات أو خمسا) أهو أبو مقبل التمار الذى روى عنه مقاتل وغيره أو نبهان الذى ذكره ابن شاهين وروى عنه ابنه والثالث نبهان الانصارى قال الذهبى ولعله أحد هذين وذكر البيهقى من ارتدوا ان اسمه نبهان ولم يعينه ولم يذكر ابن الجوزى من اسمه نبهان من الصحابة غير الاول (وقال ابن وهب) المصرى المالكى وقد تقدم (عن مالك يستتاب أبدا كلما رجع) الى ردته وتكررت منه (وهو قول الشافعى وأحمد) بن حنبل (وقاله ابن القاسم وقال اسحق) بن راهويه (يقتل فى) الردة (الرابعة) دون استتابة لانه علم بها عدم ثباته على الاسلام (وقال أصحاب الرأى) يعنى الحنفية (ان لم يتب فى) الردة (الرابعة) من نفسه من غير استتابة (قتل دون استتابة) أى لا تطلب توبته منه ولا عرضها عليه (وان تاب) بنفسه فى الرابعة (ضرب ضربا وجيعا) شديدا مؤلما زجرا له على تكرر ردته (ولم يخرج من السجن حتى يظهر عليه خشوع التوبة) بانكساره وندمه وتذلله وهذا لا يخالف قوله تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف لانه فى حق الكافر الاصلى مع انه لا ينافى مغفرة الله أصلا (قال) أبو بكر محمد (ابن المنذر) الذى تقدمت ترجمته (ولا نعلم أحدا) ممن يعتد به من العلماء (أوجب على المرتد فى المرة الاولى) من ردته المتكررة (أدبا)

استتابة وان تاب ضرب ضربا وجيعا ولم يخرج من السجن حتى يظهر عليه خشوع التوبة) أى آثار صحتها أى

وأنوار ندامتها قال الدلجي وهو عجيب لمخالفته قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف انتهى ولا يخفى ان ليس فى الآية نص على خلاف ذلك وانما هى مطلقة قابلة للتقييد اذا وجد دليل مخصص يظهر للمجتهد وكفى باسحق اماما مجتهدا واما ما نسب الى أصحاب أبى حنيفة رحمه الله تعالى فهو غير مشهور وعنهم فى قاضيخان رجل ارتد مرارا وجدد الاسلام فى كل مرة وجدد النكاح فعلى قول أبى حنيفة تحل له امرأته من غير اصابة الزوج الثانى لان عنده الردة لا تكون طلاقا واباء الزوج عن الاسلام يكون طلاقا وعلى قول أبى يوسف ردته واباؤه لا يكون طلاقا وعند محمد كلاهما طلاق وردة المرأة واباؤها لا يكون طلاقا وتقع الفرقة عند عامة العلماء بردتها وعند البعض لا تقع وأجمع أصحابنا ان الردة تبطل النكاح فتقع الفرقة بينهما بنفس الردة وعند الشافعى لا تقع الفرقة الا بقضاء القاضى (وقال ابن المنذر ولا نعلم أحدا) من العلماء (أوجب على المرتد فى المرة الاولى) من ردته (أدبا)

اذا رجع) بنفسه عنها الى الاسلام (وهو) أى عدم وجوب الادب على المرتد اذا رجع مبنى على (مذهب مالك والشافعى والكوفى) يعنى به أبا حنيفة لانه الفرد الاكمل لاسيما من علماء الكوفة *(فصل هذا حكم من ثبت عليه ذلك)* الكفر (بما يجب ثبوته) أى يعتبر وجوده (من اقرار) ممن صدر عنه (أو عدول) أى شهادة عدلين أو أكثر (لم يدفع فيهم) أى لم يطعن فى حقهم (واما) وفى نسخة فاما (من لم تتم الشهادة عليه) لنقص كمية أو صفة (بما شهد عليه الواحد)

أى تاديبا بضرب وسجن (اذا رجع) عنها بنفسه الى الاسلام (وهو مذهب مالك والشافعى و) أبى حنيفة (الكوفى) نسبة الى الكوفة مدينة معروفة وفى تقييده بالاولى اشارة الى ان فى غيرها خلافا كالثالثة

(فصل قال القاضى أبو الفضل) عياض المصنف رحمه الله تعالى (هذا) المذكور كله (حكم من ثبت عليه ذلك) الذى قدمه من السب والردة (بما يجب) ويتحقق (ثبوته) شرعا (من اقرار) واعتراف بما صدر منه (أو عدول) أى شهادة شهود عدول (لم يدفع فيهم) بنباء المجهول أى لم يطعن بتهمة فى عدالتهم (فاما من لم يتم الشهادة عليه) أى نصابها ولم تقبل (بما شهد عليه الواحد) فقط (أو اللفيف) أى الجماعة والطائفة الملتفين (من الناس) الذين لم تقبل شهادتهم وقيل المراد باللفيف اشخاص مختلفة لم عليه جمية وعصبية أو أهل التزوير (أو ثبت قوله) الصادر عنه (لكن احتمل) معنى آخر لا يقتضى الكفر (ولم يكن صريحا) فى السب أو الكفر (وكذلك) أى مثل ما لم يتم من الشهادة (ان تاب) ورجع بنفسه (على القول بقبول توبته) كما تقدم نقله (فهذا يدرأ) أى يدفع ويمنع (عنه القتل ويتسلط) أى يمضى (عليه اجتهاد الامام) فيفعل ما يقتضيه رأيه من زجر وضرب ونحوه (بقدر شهرة حاله) قبل ذلك بشهرة ديانته وحفظ لسانه ونحوه مما علم منه (وقوة الشهادة عليه) ككونهم غير معروفين بالكذب والغفلة ونحوها (وضعفها) بكونهم على خلاف ذلك (وكثرة السماع عنه) بكثرة ما عزى اليه (وصورة حاله) أى ظاهره (من التهمة فى الدين) أى كونه متهما فى دينه معروفا بالفسق والتهاون (والنبز) بفتح النون وسكون الباء الموحدة وزاى معجمة أى وصفه بين الناس وشهرة ذكره (بالسفه) أى الخفة فى العقل والدين وكثرة لغطه بما لا يعنى (والمجون) أى سخريته وهزله وعدم مبالاته بما يتكلم به واصل النبز اللقب المذموم قال تعالى ولا تنابزوا بالالقاب يقال نبز ونزب اذا دعى غيره بسوء فاريد به هنا شهرة اتصافه به حتى كأنه صار علما والسفه أصله لغة الخفة كما علم والمجون غلظ الوجه فاريد به ما مر ولا يرد على هذا انه اذا لم يتم انتفى حكمه فكيف يتسلط عليه حكم الحاكم لانه أمر يرجع لاجتهاد الحاكم صيانة لامر الدين (فمن قوى أمره) بظهور ما نسب اليه مما يقتضى الكفر لكونه معروفا بقلة دينه وكثرة صدور ما يشتبه منه (اذاقه) أى فعل به الحاكم ما يقتضيه حاله (من شديد النكال) أى العقوبة الشديدة المانعة له عما فعله والاذاقة فى الطعام استعيرت لمس الآلام كما تقرر عندهم (من التضييق) عليه بحبس (فى السجن) ونحوه وهو بيان النكال (والشد) أى الربط (فى القيود الى الغاية) والنهاية (التى هى منتهى طاقته) أى ما يطيقه ولا ينكله بشئ (مما) أى من أمور من أنواع الشد والتضييق بحيث (لا يمنعه القيام لضرورته) أى فعل أموره الضرورية التى لابد له منها فى وجوده (ولا يقعده عن صلاته) أى يعوقه عنها أو عن اداء أركانها على التمام فليس القعود عنها ضد القيام بل العوق عنها مجازا وفيه

ولو عدلا (أو اللفيف) أى الطائفة الملتفة أو الجماعة المختلفة (من الناس) المتهمين فى العدالة (أو ثبت قوله) باقراره أو بشهادة مقبولة (لكن احتمل) قوله تاويلا (ولم يكن صريحا) فى كونه كفرا (وكذلك) الحكم أى مطلقا لا حكم من لم تتم الشهادة عليه كما توهم الدلجى لانه يدفعه قوله (ان تاب على القول) المنقول عن مالك برواية الوليد بن مسلم (بقبول توبته) كما عليه الجمهور (فهذا) ما ذكر من الشخصين (يدرأ عنه القتل) يحتمل كونه مبنيا للفاعل أو المفعول أى يدفع عنه (ويتسلط عليه اجتهاد الامام) فى تعزيره وتشهيره (بقدر شهرة حاله وقوة الشهادة عليه) أى على مقالته (وضعفها وكثرة السماع عنه) لما صدر منه (وصورة حاله من التهمة فى الدين والنبز) بفتح النون وسكون الموحدة فزاى أى ومن دعائه ونداءه بلقب السوء (بالسفه) أى بخفة العقل (والمجون) بضمتين أى وبعدم الموالاة فى أمور الديانات وفى نسخة الفجور فان المعاصى تزيد الكفر (فمن قوى أمره) أى وضعف قدره (اذاقه) الامام (من شديد) وروى من شر (النكال) بفتح النون أى العقوبة والوبال (من التضييق فى السجن والشد) أى التشديد (فى القيود) وروى فى القيد (الى الغاية التى هى منتهى طاقته مما لا يمنعه القيام لضرورته) من قضاء حاجته (ولا يقعده) أى لا يمنعه (عن صلاته) من شروطها وأركانها فى طاعته

(وهو) أى اذاقة شديد العقوبة (حكم كل من وجب عليه القتل لكن وقف) بصيغة المجهول أى توقف (عن قتله لمعنى أو جبه وتربص به) على بناء المفعول أى انتظر لاشكال وعائق) أى مانع شرعى أو عرفى (اقتضاه أمره وحالات الشدة) أى عليه كما فى نسخة (فى نكاله تختلف) قوة وضعفا (بحسب اختلاف حاله وقد روى الوليد) أى ابن مسلم (عن مالك والاوزاعى انها) أى مقالته الغير الصريحة (ردة فاذا تاب نكل) أى تنكيلا شديدا (ولمالك فى العتبية) اسم كتاب (وكتاب محمد) أى ابن المواز (من رواية أشهب اذا تاب المرتد فلا عقوبة عليه) وهو الموافق لقول السلف والخلف لقوله تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف (وأفتى أبو عبد الله ابن عتاب) بتشديد الفوقية (فيمن سب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فشهد عليه شاهدان عدل أحدهما) بضم العين وتشديد الدال أى زكى أحدهما دون الآخر (بالادب الوجيع) متعلق بافتى (والتنكيل) الرادع (والسجن) المانع (الطويل) زمانا الضيق مكانا حتى تظهر توبته وقال القابسى (فى مثل هذا) الذى ذكر (ومن كان أقصى أمره القتل فعاق عائق) أى صرف صارف (أشكله) أى جعله مشكلا (فى القتل) أى فى امضائه (لم ينبغ أن يطلق من السجن ولكن يستطال سجنه ولو كان فيه) أى فى السجن (من المدة) بيان مقدم لقوله (ماعسى أن يقيم) أى يطول فيه (ويحمل عليه من القيد ما يطيق وقال) القابسى (فى مثله ممن أشكل أمره يشد فى القيود شدا ويضيق عليه فى السجن) أبدا (حتى ينظر فيما يجب عليه) آخرا (وقال فى مسئلة أخرى مثلها) لعلها ما سبق فى فصل الوجه الخامس من ان القابسى سئل عن رجل قال لرجل قبيح كأنه وجه نكير الى آخره فانه أفتى هناك بنظير ما أفتى به هنا (ولا تهراق) بضم أوله وسكون ثانيه و بفتح أى ولا تصب (الدماء

ايهام وتورية لجواز ارادة أن يصلى قاعدا لكنه غير مراد (وهو) أى النكال المذكور (حكم كل من وجب عليه القتل) بوجه من الوجوه (لكن وقف) ببناء المجهول أى يوقف الحاكم (عن قتله) بعدم المبادرة له (لمعنى) أى سبب عن وقصد (أو جبه) أى التوقف فى قتله (وتربص به) ببناء المجهول أى أخر وانتظر فى أمره (لاشكال) أى لامر أوجب التردد فيه (وعائق) أى أمر عاق عنه (اقتضاه) أى اقتضى التربص والتأخير (أمره) أى حاله وشانه (وحالات الشدة عليه فى نكاله) وعقابه (تختلف) شدة وضعفا (بحسب اختلاف حاله) فى الظهور والقوة وعدمها (وقد روى الوليد) بن مسلم كما تقدم (عن مالك والاوزاعى انها) أى مقالته غير الصريحة (ردة فاذا تاب) ورجع عنها (نكل) ببناء المجهول والتشديد أى عوقب (ولمالك فى العتبية) اسم كتاب كما تقدم (وكتاب محمد) بن المواز كما تقدم (من رواية أشهب) عن الامام مالك (اذا تاب المرتد فلا عقوبة عليه) بقتل وغيره (وقاله سحنون) رحمه الله تعالى (وأفتى أبو عبد الله بن عتاب) من المالكية (فيمن سب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فشهد عليه شاهدان) بانه سب لكن (عدل أحدهما) دون الآخر (بالادب) أى أفتى بتاديبه فهو متعلق بافتى وما بينهما اعتراض (الموجع) المؤلم (والتنكيل) بعقوبته (والسجن الطويل) زمانه (حتى يظهر) عليه (توبته) أى علاماتها (وقال القابسى مثل هذا) الذى قال ابن عتاب بعينه (ومن كان أقصى) أى غاية (أمره) فى الحكم عليه (القتل فعاق عائق) عن قتله كامر (اشكل) صفة عائق (فى القتل) متعلق بهما على التنازع وقوله (لم ينبغ) لم يضبطه أحد ممن تكلم عليه هنا الا انه وقع فى النسخ بنون بعدها موحدة وغين معجمة وهو بكسر الغين مجزوم واصله ينبغى ولو قيل انه بسكون الغين صح لكنه بعيد من نبغ وهو اذا أسند لغير العقلاء كان بمعنى ظهر يقال نبغ الامر اذا ظهر فهو ظاهر هنا وان لم يؤلف استعماله و يقال نبغ فلان اذا قال الشعر و به سمى النابغة (ان يطلق من السجن) أى لا يظهر اطلاقه منه بل يبقى فيه مدة (و) لكن (يستطال سجنه) وفى نسخة ولا يستطال سجنه و ينبغى ان يعطف على يطلق أى لا ينبغى ان لا يستطال سجنه ليتفق معناهما (ولو كان فيه) أى فى السجن (من المدة) الطويلة (ماعسى ان يقيم) فى السجن أى ولو طال جدا (و يحمل عليه من القيد ما يطيق) أى غاية ما يطيقه ولا يكلف فوق طاقته وتحمله وكل هذا تعزير له برأى الحاكم لتهمته وان لم يثبت عليه ذلك ومثله كثير فى الاحكام الشرعية فلا وجه لانكاره والقول بانه لا يلزم من عدم ثبوت ما يوجب القتل ثبوت ما يوجب التعزير لاسيما على مذهب مالك فى سد الذرائع لا وجه له فالدندنة بمثله والاطالة فيه من ضيق العطن وقلة الفطن وقد كرره وحسبه شيأ منه تفرديه (وقال) القابسى (فى مثله من أشكل أمره) ولم يظهر حاله (يشد فى القيود شدا) وثيقا (ويضيق عليه فى السجن) أى ضيق عليه بسجنه أو بضيق سجنه (حتى ينظر) أى يعلم أمره (فيما يجب عليه) من تنكيل أو قتل أو اطلاق (وقال) القابسى (فى مسئلة أخرى مثلها) مشابهة لها (ولا تهراق الدماء) أى تصب من الاراقة والهاء مزيدة فيه وفيه كلام مفصل فى كتب العربية واللغة

والله أعلم ليس هذا محله (الا بالامر الواضح) الذي لا اشكال فيه لان الدماء مصونة شرعا حتى يظهر ما يقتضيها (وفي الادب) أي التاديب بالضرب (بالسوط و) الادب (بالسجن نكال للسفهاء) رادع لهم عن التكلم بما لا يليق مغن عن اراقة الدماء والجرأة على الحدود المدرأة بالشبهات (ويعاقب عقوبة شديدة) تردعه عما جناه مقاله (فاما ان لم يشهد عليه سوى شاهدين) لانحصار الشهادة فيهما (فاثبت) المشهود عليه (من عداوتهما) أي أثبت ان بينه وبينهما عداوة تقتضي ان لا يقبل قولهما في حقه والمراد بالعداوة العداوة الظاهرة الدنيوية بحيث يسر مما يسوءه ويتمنى له المكروه ويعلم انه لو قدر على ايصال ضرر له كما بين في كتب الفقه (أو جرحتهما) أي بيان الجرح (ما أسقطهما) أي أسقط شهادتهما وعدم قبولها كفسق وزور عرفا عند الناس فاسقط قبول شهادتهما (عنه ولم يسمع ذلك) الامر الذي شهدا به (من غيرهما) من تقبل شهادتهما (فامره أخف) في المسامحة في أمره وترك قتله (لسقوط الحكم عنه) بعدم قبول الشهادة عليه شرعا (وكأنه لم يشهد عليه) شاهد أصلا لان الشاهد اذا سقطت شهادته كالعدم (الا أن يكون) المشهود عليه (ممن يليق به ذلك) الامر الذي نسبه الشهود اليه لانه معروف بعدم الديانة والاستخفاف بالدين فيكون مظنة لما شهدوا به (ويكون الشاهدان) عليه اللذان أثبت عداوتهما وجرحتهما (من أهل التبريز) من برز اذا فاق أقرانه أي يكونان معروفين بالعدالة والصدق ولم يعهد لهما اهانة أحد من الناس ولو كان عدوا لهما (فاسقطهما) أي أسقط شهادتهما بالطعن (بعداوة) معروفة بينهما قبل (فهو) أي المشهود عليه أو الامر والشان (وان لم ينفذ الحكم عليه) بموجب ما شهدا به من سب ونحوه مما يوجب القتل (بشهادتهما) لثبوت العداوة المانعة لقبول الشهادة (فلا يدفع الظن) القوي (بصدقهما) فيما شهدا عليه لظهور عدالتهما والجملة الجزائية في قوله فلا يدفع لكونها منفية يجوز دخول الفاء عليها وهي فعلية وقيل انها بتقدير مبتدأ أي فهو لا يدفع الخ كقوله ومن عاد فينتقم الله منه وفيه نظر (وللحاكم هنا) في هذه المسئلة الجارية على هذا المنوال (في تنكيله) أي عقوبته بغير القتل من التعزير الشديد (موضع اجتهاد والله ولي الارشاد) فيفعل به ما يقتضيه اجتهاده من غير ابطال للحكم بالكلية قيل انه شبه تنكيله بمكان له رحب فاستعار له وفيه نظر والتعزير ومراتبه مشهورة في كتب الفروع فلا حاجة للاطالة بها هنا ولا غبار على عبارة المصنف رحمه الله كما توهم فاعرفه * ولما فرغ من بيان حال من سب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من المسلمين شرع في بيان حال غيره فقال

* (فصل قال القاضي أبو الفضل) * عياض المصنف رحمه الله تعالى (هذا) المذكور قبل (حكم المسلم) اذا سب الانبياء عليهم الصلاة والسلام (فاما الذمي) أي الكافر الذي ليس حربيا والذمة هي الاحترام لان دمه وولده وماله محترم لادائه الجزية (اذا صرح بسبه) صلى الله تعالى عليه وسلم (أو عرض) أي قاله بطريق التعريض والايهام بلا تصريح به (أو استخف) أي اهان وحقر (بقدره) الرفيع العلي (أو وصفه) صلى الله تعالى عليه وسلم (ب) امر (غير الوجه الذي كفر به) أي غير الذي كان كافرا بسببه كانكار بعثته أو عموم دعوته بان وصفه بشيء مما مر (فلا خلاف عندنا) أي عند المالكية (في قتله ان لم يسلم) فاذا أسلم لا يقتل عند الامام مالك لان الاسلام يجب ما قبله (لانا) معاشر المسلمين (لم نعطه الذمة) مراده بالذمة العقد الذي عقد عليه في دار الاسلام وضرب عليه صونا لدمه

الا بالامر الواضح) لحديث لا يحل دم امرئ مسلم الا لثلاث ردة أو قتل نفس أو زنا محصن (وفي الادب) أي التاديب (بالسوط) أي الضرب به (والسجن نكال) أي زجر وردع (للسفهاء ويعاقب عقوبة شديدة) أي مدة مديدة (فان لم يشهد عليه سوى شاهدين فاثبت) للدفع عن نفسه (من عداوتهما) في أمر الدنيا (أو جرحتهما) بضم الجيم أي طعنهما من جهة الدين (ما أسقطهما) أي دفع شهادتهما عنه وروى ما أسقطها (ولم يسمع ذلك) الامر (من غيرهما) بان انحصرت الشهادة فيهما (فامره أخف) ممن قبله (لسقوط الحكم) من قتل ونكال (عنه وكأنه لم يشهد عليه) بصيغة المجهول (الا أن يكون ممن يليق به ذلك) النكال حيث يظن منه صدور ذلك المقال (ويكون الشاهدان من أهل التبريز) من البروز وهو الظهور أي بان أمرهما في عدالتهما (فاسقطهما بعداوة فهو وان لم ينفذ الحكم) المترتب عليه (بشهادتهما) المجروحة (فلا يدفع الظن صدقهما) فيما برز منهما وظهر عنهما وللحاكم في تنكيله (هنا) موضع (اجتهاد والله ولي الارشاد) وروى الرشاد وهو الصواب والسداد

(فصل)

(هذا) الذي قدمناه (حكم المسلم) الذي ارتد (فاما الذمي اذا صرح بسبه) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (أو عرض) أي لوح (أو استخف بقدره أو وصفه بغير الوجه الذي كفر به) أي الذمي وكان يتعين التصريح بذكره وهو في نسخة بصيغة المجهول مشددا وليس على ما ينبغي ثم الوجه اعتقاد عدم نبوته أو رسالته وغير وجهه كقوله ليس بذي تقوى (فلا خلاف عندنا) أئمة المالكية (في قتله ان لم يسلم لانا لم نعطه الذمة) أي بالجزية

(أو العهد) بالمصالحة والامان (على هذا) الذى صدر عنه من السب ونحوه (وهو) أى قتله بشرطه (قول عامة العلماء) أى جميعهم (الا أبا حنيفة والثورى واتباعهما من أهل الكوفة) أى فقهائهم (فانهم قالوا) أى جميعهم (لا يقتل) الذمى بذلك وعللوه بقولهم (لان ما هو عليه من الشرك أعظم) مما صدر من سبه صلى الله تعالى عليه وسلم (ولكن يؤدب و يعزر) بقدر مقاله وقوة حاله (واستدل بعض شيوخنا) المالكية (على قتله) أى الذمى المذكور (بقوله تعالى وان نكثوا ايمانهم) أى نقضوا ما بايعوا عليه من الايمان (من بعد عهدهم) المؤكد بها (وطعنوا فى دينكم) أى عابوه (الآية) أى فقاتلوا أئمة الكفر لانهم لا أيمان لهم بفتح الهمزة جمع يمين أثبتها لهم ثم نفاها عنهم لانها فى الحقيقة كلا ايمان وبه أخذ أبو حنيفة ان يمين الكافر كلا يمين وعن الشافعى هى يمين ومعنى لا ايمان لهم لا يوفون بها وفى قراءة ابن عامر بكسر الهمزة وقوله لعلهم ينتهون متعلق بقاتلوا قال التلمسانى وفى بعض الاصول فاقتلوا أئمة الكفر الآية والتلاوة فقاتلوا أئمة الكفر ولا دليل على القتل بهذا النص لان المقاتلة غير القتل ولو استدل بقوله قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم الآية لكان أقرب انتهى ولا يخفى ان الآيتين فى المصالحة مع الحربى والكلام فى الذمى وقد قال تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله و رسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يدوهم صاغرون فظاهر الآية ان بعد اعطاء الجزية يرتفع عنهم القتل (ويستدل أيضا عليه) أى على قتل الذمى الذام (بقتل النبى عليه الصلاة والسلام لابن الاشرف واشباهه) قال الدلجى كأبى رافع من اليهود وأبى وأمية ابنى خلف من قريش انتهى ولا يخفى ان ابن الاشرف واليهودى الآخر لم يكونا من أهل الذمة وأما ابنا خلف فهم من أهل الحرب (ولانا لم نعاهدهم ولم نعطهم الذمة (وعلى

وأهله وماله فالذمة أى احترام ما ذكر (والعهد) الذى عوهد عليه حين عقد له الذمة يشير الى ما وقع من عمر رضى الله تعالى عنه من الشروط التى شرطها على أهل الذمة وهى مشهورة وسنذكرها ان شاء الله تعالى وفى نسخة أو العهد باو الفاصلة والاولى أولى و يحتمل ان المراد به المستأمن المعاهد ان قلنا حكمه حكم الذمى أو هى للتقسيم أو بمعنى الواو (على هذا) أى لم نرخص له حين عاهدناه فى سب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أو الاستخفاف به (وهو قول عامة العلماء) أى جميعهم أو أكثرهم (الا أبا حنيفة) النعمان بن ثابت (والثورى) سفيان بن سعيد وهو صاحب مذهب مجتهد (وأتباعهما) يعنى من قلدهما واتبع مذهبهما (من أهل الكوفة فانهم قالوا لا يقتل) بسبب ما ذكر لان (ما هو عليه) مرتكب له (من الشرك) المراد به مطلق الكفر فانه استعمل بهذا المعنى أيضا (أعظم) مما صدر منه من السب (و) قالوا (لكن يعزر و يؤدب) تعزيرا دون الحد حتى ينزجر ولا يعود لمثل ما صدر منه وما ذكره من مذهب أبى حنيفة هو المشهور وقد خالفه بعض المتأخرين منه وقال ابن تيمية فى كتابه السيف المسلول على من سب الرسول قال أبو حنيفة وأصحابه لا ينتقض العهد بالسب ولا يقتل الذمى به لكن يعزر وحكاه الطحاوى عن الثورى ومن أصولهم ان ما لا قتل فيه عندهم للامام ان يقتل فاعله و يزيد على الحد المقدر اذا رأى المصلحة فى ذلك و يحملون ما جاء عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وأصحابه من القتل فى مثله على ذلك و يسمون هذا القتل سياسة كتغليظ الحد فى الجرائم اذا تكررت وشرعوا القتل من جنسها وبهذا أفتى أكثرهم فقالوا يقتل من أكثر من سب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم سياسة وهو متجه على أصولهم انتهى وهو كلام حسن (واستدل بعض شيوخنا) من أئمة المالكية (على قتله) أى الذمى اذا سب (لقوله تعالى وان نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم) أى نقضوا ما عاهدناهم عليه (وطعنوا فى دينكم) أى عابوه وذموه (فقاتلوا أئمة الكفر) أى كبار الكفرة ورؤساءهم (الآية) انهم لا ايمان لهم لعلهم ينتهون وفى الاستدلال بهذه الآية بحث لانه معلق بنقض العهد وأبو حنيفة على قوله المشهور عنه لا يرى السب نقضا للعهد لا سيما والآية نزلت فى كفار قريش لما نقضوا ما عاهدهم عليه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عام الحديبية فى القصة المشهورة وفى هذه الآية كلام طويل الذيل وتخصيص المقاتلة بائمة الكفر ناظر لهذا والقول بان غيرهم يعلم بالطريق الاولى محل تامل فليحرر (ويستدل أيضا) أى كما استدل بالآية (عليه) أى على قتل من سب يستدل (بقتل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لابن الاشرف) اليهودى وقد تقدمت قصته مفصلة (واشباهه) من الكفرة المعاهدين الذين قتلهم صلى الله تعالى عليه وسلم بسبهم له وفى الاستدلال بهذه القضية نظر لان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم صالحه وغيره من اليهود فنقض ابن الاشرف عهده ومضى لكفار مكة وحثهم على قتال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهجا النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وآذى المسلمين أشد الاذى فليس قتله بمجرد سبه (ولانا لم نعاهدهم) أى أهل الذمة واشباههم (ولم نعطهم الذمة) أى العقود والعهود

على هذا ولا يجوز لنا ان نفعل ذلك معهم) فينبغي ان يشترط عليهم ذلك حال معاهدتهم (فاذا أتوا ما لم يعطوا عليه العهد ولا الذمة فقد نقضوا ذمتهم وصاروا كفارا) أي حربيين وفي نسخة وصاروا وأهل حرب وجمع بينهما الدلجي في أصله (يقتلون بكفرهم) وفي نسخة لكفرهم على ان الباء سببية واللام تعليلية (وأيضا فان ذمتهم لا تسقط حدود الاسلام عنهم) وروى عليهم (من القطع في سرقه أموالهم) أي أموال المسلمين (والقتل لمن قتلوه منهم) أي من المؤمنين (وان كان ذلك) الذي ذكر من السرقة والقتل (حلالا عندهم) واما تمثيل الدلجي بحد الزنا جلدا أو رجما فليس في محله فانه لم يختلف أحدنا ومنهم في تحريمه (فكذلك سبهم للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم يقتلون به) وفيه انه نوع كفر مندرج في جنس كفرهم لانه فرع من جملة الاحكام المختصة بهم أو الشاملة لهم ولغيرهم (ووردت لاصحابنا) المالكية (ظواهر تقتضي الخلاف) في قتل الذمي وعدمه (اذا ذكره) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (بالوجه الذي كفر به) الذمي كتكذيبه النبوة أو الرسالة العامة (ستقف عليها) أي على تلك الظواهر (من كلام ابن القاسم وابن سحنون بعد) أي بعد ذلك (وحكى أبو المصعب) بصيغة المعلوم (الخلاف فيها) أي في الظواهر قاله الدلجي والصواب في المسئلة (عن أصحابه المدنيين) قال الحلبي هو أحمد ابن أبي بكر القاسم ابن الحارث ابن زرارة بن مصعب بن عبد الرحمن بن عوف أبو مصعب بن الزهري المدني الفقيه قاضي المدينة يروي عن مالك (واختلفوا) أي المالكية (اذا سبه) أي الذمي (ثم أسلم فقيل يسقط اسلامه قتله لان الاسلام يجب ما قبله) كما في حديث صحيح ان يقطع ويمحو ما كان قبله من كفر ومعصية وفي رواية الاسلام يهدم ما قبله قالوا معناه يهدم الاسلام ما كان قبله على الاطلاق مظلمة كانت أو غيرها كذا ذكره الانطاكي (بخلاف المسلم اذا سبه ثم تاب) فانا نقتله حدا لا كفرا (لانا لا نعلم باطنة الكافر) أي معتقده قال الحجازي وروى الكفر أقول ولا وجه له (في بغضه وتنقصه بقلبه لكنا منعناه) أي الذمي (من اظهاره فلم يزدنا ما أظهره) من السب وغيره (الا مخالفة للامر ونقضا للعهد فاذا رجع عن دينه الاول

(على هذا) أي سب الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فلم نرخص لهم في مثله (ولا يجوز لنا) معاشر المسلمين (ان نفعل ذلك) أي المذكور من المعاهدة على ترك المؤاخذة بمثله (معهم) فيما بيننا وبينهم (فاذا أتوا) أي فعلوا (ما لم يعطوا عليه العهد ولا الذمة) بفعل ما نهيناهم (فقد نقضوا ذمتهم) وابطلوا عهدهم (وصاروا أهل حرب) أي مثلهم في انهم (يقتلون بكفرهم وأيضا فان ذمتهم) وعهدهم وان لم ينتقض (لا تسقط حدود الاسلام عنهم) أي الحدود الشرعية وهذا حد قذف الانبياء وهو القتل فلا يسقط كسائر الحدود (من القطع في سرقة أموالهم) أي أموال المسلمين (والقتل لمن قتلوه منهم وان كان ذلك حلالا عندهم) أي في اعتقادهم الباطل باباحة أموال المسلمين ودمائهم لانا مأمورون باجراء أحكام شرعنا عليهم (فكذلك سبهم للنبي صلى الله عليه وسلم يقتلون به) حدا لا كفرا وهذا جواب عن قولهم ما هم عليه من الكفر أعظم فان كونه أعظم لا ينافي اجراء حكم غيره عليهم (ووردت) أي نقلت (لاصحابنا) من المالكية (ظواهر) أي أمور تدل بحسب الظاهر على ما (تقتضي الخلاف) في قتل الذمي بسبه للنبي صلى الله عليه وسلم (اذا ذكره الذمي بالوجه الذي كفر به) كانكار بعثته ونبوته (ستقف عليها) في هذا الكتاب فتعرفها (من كلام ابن القاسم وابن سحنون بعد) أي بعد هذا فيما سيأتي (وحكى أبو المصعب) الزهري أحمد ابن أبي بكر القاسم بن الحارث بن زرارة بن مصعب بن عبد الرحمن بن عوف المدني الفقيه قاضي المدينة كما تقدم (الخلاف فيها) أي في مسئلة القتل بما كفر به (عن أصحابه) من أهل مذهبه المالكية (المدنيين) أي فقهاء المدينة (واختلفوا) في الذمي (اذا سبه) صلى الله تعالى عليه وسلم (ثم أسلم فقيل يسقط) بضم أوله أي يمنع (اسلامه قتله لان الاسلام يجب ما وقع (قبله) أي يقطع ويبطل حكم ما قبله من سائر المعاصي وهذا ورد عنه صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث صحيح تقدم (بخلاف المسلم اذا سبه) صلى الله تعالى عليه وسلم (ثم تاب) فان توبته لا تمنع قتله كاسلام الكافر كما تقدم والخلاف مبني على ان قتله حد أو لنقض العهد وفي سقوط بعض الحدود بالاسلام كالزنا خلاف لبعض الشافعية وجب الاسلام ما قبله انما هو في حقوق الله خاصة كما مر وانما منع الاسلام قتله (لانا نعلم باطنة الكافر) الذي في قلبه كفره (في بغضه) وعداوته الدينية (له) صلى الله تعالى عليه وسلم (وتنقصه) له (بقلبه) لانه شأن كل كافر كما قيل

كل العداوة قد ترجى مودتها * الا عداوة من عاداك في الدين

(لكنا منعناه من اظهاره) أي اظهار ما في قلبه لكونه مقهورا مذللا بين أظهرنا (فلم يزدنا ما أظهره) من كفره بسب ونحوه علمنا بحاله (الا مخالفة للامر) أي لامرنا له حقيقة أو حكما بكتم كفره (و) لم يزدنا علما الا (نقضا للعهد) الذي عقد عليه عقد الذمة (فاذا رجع) باسلامه (عن دينه الاول) وهو الكفر

الى الاسلام سقط ماقبله) مما كان يلام (قال الله تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ماقد سلف والمسلم بخلافه اذا كان ظننا بباطنه حكم ظاهره وخلاف مابدا) بالالف أى ظهر (عنه الآن فلم تقبل بعد) أى بعد ذلك (رجوعه) بالتوبة وفيه ان كفره ساعة كيف يكون أشد من كفر سنين مع انه لاعبرة بظننا اذ يحتمل انه كان كافرا او يستتر وماصح له الايمان المعتبر ولهذا قال بعض العارفين الايمان اذا دخل القلب أمن السلب وقال بعضهم الذى رجع مارجع الامن الطريق و يشير اليه قوله تعالى فمن يكفر بالطاغوت و يؤمن بالله فقد استمسك بالعروة

الوثقى لا انفصام لها أى لا انقطاع (ولا استامنا) أى لم يظهر لنا الامن (الى باطنه) وفى بعض النسخ ولا استئمنا أى مااطماننا الى باطنه يقال استئام اليه أى سكن واستانس فاندفع قول الانطاكى انه لامعنى له ولعله تصحيف وقال الدلجى أى ولا ارتفعنا الى ذروة سنام باطنه ولا اطلعنا عليه قلت وكذلك الحال بالنسبة الى الكافر الاصلى اذا أسلم اذ يحتمل ان يكون منافقا أولم يوجد فيه شرط من شروط صحة الايمان والله المستعان (اذ قد بدت سرائره) أى ظهرت ضمائره بخلاف ظننا به (وماثبت عليه) أى على المسلم (من الاحكام باقية عليه لم يسقطها شئ) قلت فينبغى ان يكون أقرب الى القبول من الكافر الاصلى (وقيل لا يسقط اسلام الذمى الساب قتله لانه حق للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وجب عليه) أى على الذمى (لانتهاكه حرمته) أى تناوله لما (قال لايحل له (وقصده الحاق النقيصة) وفى نسخة الحاقه النقيصة أى المنقصة (والمعرة) أى المشقة بالمذمة (فلم يكن رجوعه الى الاسلام بالذى) أى بالوجه الذى (يسقطه) وفيه ان كل الصيد فى جوف الفرا وجنس الكفر يشمل أنواعه كما ترى ولا يظهر قياسه بقوله (كما وجب عليه) أى الذمى (من حقوق المسلمين من قتل وقذف واذا قلنا لا تقبل توبة المسلم) أى الساب لدفع قتله (فان لا تقبل توبة الكافر) أى الذمى (أولى) بل الاولى كما تقبل توبة الحربى ان تقبل توبة الذمى والمسلم لانهما أقرب الى الدين وقد قبل النبى عليه الصلاة والسلام توبة المرتدين واليهود بعد شتمهم للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم والله سبحانه وتعالى أعلم

وفى نسخة ذنبه بمعجمة ونون وموحدة (الى الاسلام سقط ماقبله) من الكفر وحكمه (قال الله تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ماقد سلف) أمره الله تعالى ان يقول لهم هذه المقالة بهذا اللفظ أو بغيره فالغيبة لانهم ليسوا المخاطبين فيما أمره به ويجوز الخطاب على حكاية مايقوله لهم لذلك وقرأ ابن مسعود بالخطاب وماقد سلف الكفر وماوقع معه من المعاصى (والمسلم) حاله (بخلافه) أى بخلاف حال الكافر (اذ كان ظننا بباطنه) ومافى قلبه أمر مطابق (حكم ظاهره) وهو الاسلام ظاهرا وباطنا (وخلاف مابدا) بالالف أى ظهر او بالهمزة بمعنى حدث وابتدأ (منه) بما صدر عنه مما يقتضى كفره ومخالفة باطنه لظاهره (الآن) حين ظهر حاله (فلم تقبل بعد رجوعه) ماظهر من توبته وبعد مضمومة ورجوعه مرفوع نائب الفاعل ويجوز الفتح والاضافة (ولا استئمنا) بسين مهملة ساكنة بعد الهمزة ومثناة فوقية قبل نون ساكنة قبل ميم مفتوحة ونون مشددة أى اطماننا فهو استفعال من النوم أى لم نطمئن ونانس ونركن (الى باطنه) فالسين والتاء زائدتان أو هو من السنام أى أشرفنا وعلونا عليه لنقف على حاله وروى استامنا أى طلبنا الامن منه لسوء الظن به (اذ قد بدت سرائره) بظهور ماأخفاه فى قلبه على خلاف ظننا فيه (وماثبت عليه) أى على المسلم (من الاحكام) اللازمة شرعا (باقية) أنثه باعتبار معنى ما (عليه لا يسقطها شئ) لتعديه بما يخالف اسلامه بانتهاك حرمة النبوة وحاصله الفرق بين المسلم والكافر وهو ظاهر (وقيل لا يسقط اسلام الذمى الساب) له صلى الله عليه وسلم (قتله لانه حق للنبى صلى الله عليه وسلم) فهو من حقوق الآدميين وهى لا تسقط بالاسلام كما تقدم كما انه لا يسقط بتوبة المسلم (وجب عليه) لانه حد من حدود الله (لانتهاكه) أى الساب (حرمته) ومعناه تناوله بما لا يحل بحال (وقصده الحاق النقيصة) قصده بالجر ويجوز رفعه ورفع الحاق والجملة حالية وفى نسخة الحاقه النقيصة بنصب النقيصة (والمعرة به) أى المذمة والعيب به صلى الله تعالى عليه وسلم وحاشاه منها (فلم يكن رجوعه الى الاسلام بالذى يسقطه) عنه لجراءته (كما وجب عليه من حقوق المسلمين قبل اسلامه من قتل وقذف) بيان لما وجب فلا يسقط باسلامه القصاص وحد القذف وقوله كما الخ خبره مبتدأ مقدر أى وهو كما الخ فلا وجه لاستشكاله (واذا كنا لا نقبل توبة المسلم) اذا سبه صلى الله تعالى عليه وسلم (فان لانقبل توبة الكافر أولى) الا ان ماقاله غير متجه لان الاسلام يجب ماقبله بنص الحديث المار فالفرق بينه وبين توبة المسلم فى غاية الظهور عن البيان بل قالوا انه يثاب على كل مافعله من الحسنات حال كفره اذا أسلم وسبه صلى الله عليه وسلم فيه حق لله وللآدمى فيغلب الاول اذا اعتضد باسلامه وفى نسخة واذن كنا الخ واذن هذه قيل انها اذا الشرطية حذفت الجملة المضاف اليها وعوض عنها التنوين وهذه وان لم تشتهر فان الزركشى نقلها فى البرهان وقد رأيت غيره صرح بها أيضا

(قال مالك فى كتاب ابن حبيب) وهو صاحب الواضحة (والمبسوط) أى وفيه (وابن القاسم) أى وفى كتابه (وابن الماجشون) بكسر الجيم على صورة الجمع وأل لا تفارقه وقال النووى الماجشون لفظ أعجمى وهو من أصحاب مالك (وابن عبد الحكم) قال التلمسانى هو اذا أطلق عند الفقهاء فهو محمد بن عبد الله بن عبد الحكم بن عبد الله بن عثمان (وأصبغ فيمن شتم نبينا صلى الله عليه وسلم من أهل النمة أو احدا من الانبياء قتل الا أن يسلم وقاله ابن القاسم فى العتبية) بضم أوله ٤٥٩ (وعند محمد) أى ابن المواز (وابن

(قال مالك) فيما انقل عنه (فى كتاب ابن حبيب) وهو واحد من روى عنه وكتابه يسمى الواضحة (والمبسوط) اسم كتاب فى الفقه (و) قال عبد الرحمن (ابن القاسم) أحد أصحاب مالك كما تقدم (وابن الماجشون) عبد الملك بن عبد العزيز بن عبد الله ابن أبى سلمة الماجشون التميمى الفقيه صاحب مالك توفى سنة اثنين أو اربع عشرة ومائتين وأخرج له الستة والماجشون معناه الابيض المشرب بحمرة وهو معرب ماه كون ومعناه لون القمر وله تفصيل فى كتب أسماء الرجال واسمه ميمون أو يعقوب وهو مدنى (وابن عبد الحكم) وهو محمد بن عبد الله بن عبد الحكم بن عبد الله بن عثمان أو اعين بن الليث توفى فى ذى القعدة سنة ثمان أو تسع وستين ومائتين وهو امام جليل وله أخوة ثلاثة من العلماء (وأصبغ) بن الفرج كما تقدم (فيمن شتم نبينا) صلى الله تعالى عليه وسلم (من أهل الذمة أو احدا من الانبياء) غيره عليهم الصلاة والسلام (قتل الا ان يسلم) فلا يقتل لما مر (وقاله) أى قال قول مالك هذا (ابن القاسم فى العتبية) الكتاب المشهور فى فقه مالك (وعند محمد) بن المواز (وابن سحنون وقال سحنون وأصبغ لا يقال له أسلم ولا لا تسلم) المراد انه لا يكلف بشئ يتعلق بالاسلام اذ لا يقال له لا تسلم (ولكن ان أسلم) من قبل نفسه بلا تكليف له (فذلك) أى اسلامه يكون (له توبة) مقبولة تدرأ الحد عنه وقد قيل هنا ان ما وقع من مخالفة أصحاب مالك له مع انهم مقلدون له بناء على اعتبار المصالح المرسلة عنده على ما تقرر فى علم الاصول فان المصلحة اذا اقتضت أمرا رجع اليه وفيه تفصيل لا حاجة لنا بالاطالة به هنا فان أردته فارجع الى ما فى كتاب ابن الحاجب وشروحه (وفى كتاب محمد) بن المواز المالكى (أخبرنا أصحاب مالك انه قال من سب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أو غيره من النبيين من مسلم أو كافر قتل ولم يستتب) أى ما طلب منه توبة ولم تقبل لو تاب هذا مراده فلا وجه للتردد فيه وقوله من مسلم أو كافر اما المسلم فعدم قبول توبته هو الصحيح واما الكافر فالصحيح قبول توبته باسلامه ويدل له قوله (وروى) بالبناء للمجهول (لنا عن مالك الا أن يسلم الكافر) فلا يقتل على الصحيح وصحح بعضهم ان المسلم تقبل توبته وقد تقدم (وقد روى بن وهب) واسمه عبد الله كما تقدم (عن ابن عمر) رضى الله تعالى عنهما (ان راهبا) وهو العابد المنقطع عن الناس من النصارى (تناول النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) وتقدم ان التناول معناه الاخذ باليد تجوز به عن الكلام فى حقه صلى الله تعالى عليه وسلم بما لا يليق فهو استعارة (فقال ابن عمر فهلا) حرف معناه التندم على فوت ما يحض عليه (قتلتموه) ولم يذكر فيه استتابته (وروى عيسى) بن ابراهيم الغافقى الامام الفقيه المحدث توفى سنة احدى وستين ومائتين (عن ابن القاسم) عبد الرحمن المصرى الفقيه كما تقدم (فى ذمى قال ان محمدا) صلى الله عليه وسلم (لم يرسل الينا) يعنى أهل الكتاب (انما أرسل اليكم) اراد العرب فانكر عموم رسالته صلى الله عليه وسلم (وانما نبينا) الذى يجب علينا اتباعه (موسى أو عيسى) عليهما الصلاة والسلام (ونحو هذا) من انكار عموم الرسالة (لا شئ عليه) من قتل وغيره وفى نسخة لا شئ عليهم ويوافقه قوله (لان الله تعالى أقرهم على مثله) من الكفر بضرب الجزية اذا لم يحاربوا كما هو مذكور فى سورة براءة (واما ان سبه فقال) تفسير لسبه هذا (ليس بنبى أو لم يرسل) الى أحد وهو تكذيب له (أو لم ينزل

سحنون وقال سحنون وأصبغ لا يقال له أسلم) أقول وما المانع من ذلك (ولا لا تسلم) وهذا أغرب من الاول اذ كيف يجوز لمسلم ان يقول لكافر لا تسلم وكأن مراده انه لا يعتبر قول احد له أسلم أو لا تسلم والمعنى انه لا يجب ان يعرض عليه الاسلام (ولكن ان أسلم وحده) أى باختياره (فذلك له توبة وفى كتاب محمد) أى ابن المواز (أخبرنا أصحاب مالك انه قال من سب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أو غيره من النبيين من مسلم أو كافر) أى ذمى اذ يبعد اطلاقه (قتل ولم يستتب) اى لم تقبل توبته (وروى) بصيغة المجهول (لنا عن مالك) كما فى كتاب ابن حبيب وغيره زيادة بعد قوله فاقتلوه (الا أن يسلم الكافر) ذميا أو غيره (وقد روى ابن وهب عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما ان راهبا تناول النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال ابن عمر فهلا قتلتموه) ليس فيه أنه أسلم وأمر بقتله (وروى عيسى) ابن معين (عن ابن القاسم) الفقيه المصرى (فى ذمى قال ان محمدا لم يرسل الينا) معشر بنى اسرائيل (انما ارسل اليكم) أيها العرب (وانما نبينا موسى أو عيسى) على وجه التنويع (ونحو هذا لا شئ عليهم) ويروى عليه أى من القتل أو الضرب (لان الله أقرهم على مثله) اذا قبلوا الجزية (واما ان سبه) ذمى (فقال ليس بنبى) أى مطلقا (أو لم يرسل) الى أحد (أو لم ينزل

عليه قرآن وانما هو) أي القرآن (شيء تقوله) افتراه (أو نحو هذا فيقتل) أي ان لم يسلم (وقال ابن القاسم اذا قال النصراني) وكذا اليهودي
(ديننا خير من دينكم) هذا ليس عليه شيء (انما دينكم دين الحمير ونحو هذا من القبيح) أي قبيح الكلام مما هو طعن في دين
الاسلام (أو سمع المؤذن يقول أشهد أن محمدا رسول الله فقال كذلك يعطيكم الله) يعني الرسالة أو يجعل لكم مثله رسلا (ففي هذا الادب
الموجع) الرادع (والسجن الطويل) الوازع اذ ليس فيه تلويح الى […] رسالته ولا تصريح (قال) أي ابن القاسم (واما ان) وفي نسخة
(من شتم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم شتما يعرف) تصريحا لا يكون تلويحا (يقتل الا أن يسلم قال مالك غير مرة) أي كثيرا (ولم يقل
يستتاب) أي يعرض عليه الاسلام (قال ابن القاسم ويحمل قوله) أي قول مالك الا أن يسلم (عندي ان أسلم طائعا)

أي من غير ان يقال له أسلم والا تقتل (وقال ابن سحنون في سؤالات سليمان بن سالم في اليهودي يقول للمؤذن اذا تشهد) أي بالرسالة (كذبت يعاقب العقوبة الموجعة مع السجن الطويل) وفيه انه مخالف لما سبق من ان الذمي لو نفى النبوة أو الرسالة يقتل اللهم الا ان يقال هذا تلويح لا تصريح اذ الخطاب مع المؤذن فيحتمل ان يراد تكذيبه وانما قيدنا الشهادة بالرسالة لانه لو كذب التوحيد يصير حربيا فيقتل الا أن يسلم (وفي النوادر) لابن أبي زيد (من رواية سحنون عنه) أي عن مالك (من شتم الانبياء من اليهود والنصارى بغير الوجه الذي كفروا) أي به فاندفع قول الحلبي لو قال

عليه قرآن) ووحي (وانما هو) أي القرآن (شيء تقوله) من عنده ويخترعه (أو نحو هذا) من عموم الانكار بجحده لما جاء به صلى الله تعالى عليه وسلم (فيقتل) لان هذا الملعون كذب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم (وقال ابن القاسم واذا قال النصراني ديننا خير من دينكم وانما دينكم دين الحمير) عنى بذلك ما قاله الله ولعنه انه انما يتبعه أحمق لا عقل له (أو نحو هذا من) الكلام (القبيح أو سمع المؤذن يقول أشهد ان محمدا رسول الله فقال كذلك يعطيكم الله) استهزاء منه بما من الله علينا به في ان جعله رسولنا صلى الله تعالى عليه وسلم يعني انه مناسب لمثلكم (ففي هذا) الكلام وما يشبهه عند ابن القاسم يستحق قائله (الادب) أي التأديب بالضرب (الموجع) وفي نسخة الوجيع (والسجن الطويل) مدته زجرا له ولامثاله لانه ليس صريحا في الشتم (قال واما ان شتم) ذمي (النبي صلى الله تعالى عليه وسلم شتما يعرف) انه شتم صريح (فانه يقتل الا أن يسلم قاله مالك غير مرة) أي مرارا عديدة ولم ينقل عنه فيه غيره (ولم يقل يستتاب) بل أطلقه فيحتمل انه ان تاب لم يقتل ولذا (قال ابن القاسم ويحمل قوله) أي مالك (عندي ان أسلم) بنفسه (طائعا) من غير اكراه له وهو مخالف لما تقدم في غير هذه الرواية وهذا بناء على انه لا يصح اكراهه على الاسلام وعند الشافعي يصح اكراه الحربي عليه دون الذمي وفي قول يصح اكراه الذمي هنا لانه بشتمه صلى الله تعالى عليه وسلم نقض العهد فيصير حربيا والكلام عليه مفصل في كتب الفقه (وقال ابن سحنون في) جواب (سؤالات سليمان بن سالم في اليهودي) وفي نسخة حذف في فهو مبتدأ خبره قوله (يقول للمؤذن اذا تشهد) أي قال في اذانه أشهد أن محمدا رسول الله (كذبت) انكارا للرسالة (يعاقب العقوبة الوجيعة) بالضرب الشديد (والسجن الطويل) ولا يقتل لانه مما كفر به (وفي النوادر) اسم كتاب لابن أبي زيد صاحب الرسالة المالكي (من رواية سحنون عنه) أي عن مالك (من شتم الانبياء) عليهم الصلاة والسلام (من اليهود والنصارى بغير الوجه الذي به كفر واضربت عنقه) كامر (الا أن يسلم) فلا يقتل لان اسلامه توبة مقبولة والاسلام يجب ما قبله (قال محمد بن سحنون فان قيل لم قتلته) أي الذمي (في سب النبي) أي بسبب سبه له صلى الله عليه وسلم (ومن دينه) أي اعتقاده وعادته (سبه وتكذيبه) بانكار بعثته صلى الله عليه وسلم وهذا انما كفر به (قيل) في جوابه (لانا لم نعطهم العهد على ذلك) اذا ضربت عليهم الجزية بشروط منها ان لا يطعنوا في ديننا فهو نقض عهد منه (ولا) أي لم نعطهم العهد (على قتلنا) أي قتل أحدنا (و) لم نعطهم العهد على (أخذ أموالنا فاذا قتل واحدا منا قتلناه وان كان من دينه استحلاله) أي استحلال قتلنا وأخذ أموالنا (فكذلك) ينقض عهده (اظهاره لسب نبينا)

كفر لكان أولى ثم لا يخفى ان من مفرد مبنى وجمع معنى فليس أحد من الاستعمالين أولى قال الله تعالى ومن صلى
الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين (ضربت عنقه) بصيغة المجهول (الا أن يسلم قال محمد بن سحنون فان قيل فلم
قتلته) أي امرت بقتل الذمي (في سب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ومن دينه سبه وتكذيبه) جملة حالية (قيل) أي في جوابه (لانا لم
نعطهم العهد) أي الذمة والامان (على ذلك) أي على اظهاره (ولا على قتلنا وأخذ أموالنا) بل على الكف عن ذلك وبذل الجزية مع
المذلة هنالك (فاذا قتل) ذمي (واحدا) أي منا كما في نسخة (قتلناه) أو أخذ لامنا أخذناه منه (وان كان من دينه استحلاله) أي عدم
حلاله (فكذلك اظهاره لسب نبينا) صلى الله تعالى عليه وسلم موجب لقتله وان كان معتقدا لحله

صلى الله عليه وسلم فانا شرطنا عليهم ان لا يطعنوا فى الدين والا لا يظهروا كفرهم لما فيه من نكاية أهل الاسلام وان كان ذلك من اعتقادهم الباطل (قال سحنون) حال هذا فى الحكم (كما لو بذل لنا أهل الحرب) أى أعطونا بعد امتناعهم ومحاربتهم لنا (الجزية على) شرط (اقرارهم على سبه) أى على ان نقرهم ولا نغنمهم من سبه صلى الله تعالى عليه وسلم (لم يجز لنا ذلك) أى أخذ الجزية وتقريرهم على سبه (فى قول قائل) أى لم يقل بهذا أحد من المسلمين وأئمة الدين وان كانوا استحلوه لكنا لا نقرهم على اظهاره وهذا انما يوضح انا لم نعطهم العهد على اظهار مثله (كذلك) أى كما انه لا يجوز مصالحة الحربى واقراره على السب (ينتقض عهد من سب منهم) أى من أهل الذمة (ويحل لنا دمه) أى قتله لانه لانتقاض عهده صار حربيا مباح الدم (وكما لم يحصن) أى يصون ويحفظ (الاسلام من سبه) من المسلمين (من القتل كذلك لا تحصنه الذمة) فكيف يقر على مثله الكافر وسمى الحصن حصنا لصيانته لمن فيه وفى هذه المقدمة أمر لا يخفى فان الاسلام يعدم بالسب لانه مخالف لدينه وكفر منه واما الذمى الكافر وان خالفه اظهاره السب عقد الذمة وعهدها فهو موافق لاعتقاده فالقياس مع الفرق الجلى غير ظاهر فكأنه أمر اقناعى ومقدمة جدلية على طريق التمثيل وفيه ما فيه وكونه أولى غير مسلم (قال القاضى أبو الفضل) عياض المؤلف رحمه الله تعالى (ما ذكره ابن سحنون عن نفسه وعن أبيه) سحنون من أنه يقتل بمثل ما ذكر مما كفر به واستحله فى دينه (مخالف لقول ابن القاسم) الذى تقدم نقله عنه (فيما خفف عقوبتهم فيه) أى أفتى فيه بعقوبة خفيفة غير القتل (مما به) أى بسببه (كفروا) أى ثبت كفرهم به عندنا وعلمناه حين ضربنا عليهم الجزية ودرئ عنهم الحد (فتامل) وجه التامل الذى أمر به على عادة المصنفين فى ذكره فيما يمكن توجيهه انا انما أقررناهم على كفرهم بشرط عدم اظهار ما فيه طعن فى الدين وكيد للمسلمين بمواجهتهم باهانة نبينا سيد المرسلين والمخالفة بينهما ان ابن القاسم فيما نقله المصنف رحمه الله تعالى عنه يقول ان من سب أحدا من الانبياء يقتل الا أن يسلم ولم يفرق بين ما كفر به وغيره وسحنون فى جواب سليمان ألزمه العقوبة والسجن لانه مما كفر به وقيل المخالفة بينهما فى قول ابن القاسم انه قال فيمن قال دينكم دين الحمير انه يؤدب بالموجع والسجن الطويل تخفيف فى العقوبة وسحنون وابنه قال فى تكذيب اليهودى للمؤذن انه يعاقب وهو بالعقوبة الموجعة والسجن الطويل وليس بشئ (ويدل انه) أى ما قاله سحنون وابنه وقيل الضمير راجع لقول ابن القاسم والصواب الاول وهو الذى عليه الشراح (خلاف ما روى عن المدنيين) أى اصحاب مالك من أهل المدينة وهم أعرف بمذهبه (فى ذلك) المذكور مما اختلفوا فى قتله وعدمه وقيل المراد بالمدنيين علماء المدينة وأهلها مطلقا وهو ما قاله مالك من احتجاجه بعمل أهل المدينة لانها قبة الاسلام ومهبط الوحى ومستقر الدين وفى هذه المسئلة كلام لاهل الاصول ولابن حزم فى كتاب الاحكام كلام لا يسعه هذا المقام (فحكى أبو المصعب الزهرى) ابن أحمد بن أبى بكر القاسم بن الحارث بن زرارة بن مصعب بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى المدنى الفقيه قاضى المدينة كما تقدم وفى نسخة ما حكى بدل قوله فحكى وهو الصواب كما نبه عليه التلمسانى (قال) أبو مصعب (أتيت) بضم الهمزة وبناء المجهول (بنصرانى قال والذى اصطفى) أى اختار وفضل (عيسى على محمد) عليهما الصلاة والسلام (فاختلف) بيناء المجهول (على فيه) أى اختلف كلام الناس فيه أو اختلف رأيى فيه واضطرب ثم ظهر فى أمره وحكمه (فضربته حتى قتلته) بشدة الضرب من حينه (أو عاش يوما وليلة) بعد ضربه ومات (وأمرت من جر) أى جره وسحبه

(الجزية على اقرارهم على سبه لم يجز لنا ذلك فى قول قائل) من العلماء (كذلك ينتقض عهد من سب منهم ويحل لنا دمه) الظاهر انه اذا أخذ عليه العهد بعدم سبه حتى يصح قوله ينتقض (وكما لم يحصن الاسلام سبه من القتل كذلك لا تحصنه الذمة) وهذا قياس مع الفارق ولذا لم يقل به جمهور الامة وأغرب الدلجى بقوله بل أولى هذا (قال القاضى أبو الفضل) أى المصنف (ما ذكره ابن سحنون عن نفسه) أى أولا (وعن أبيه) ثانيا (مخالف لقول ابن القاسم فيما خفف) وفى نسخة يخفف (عقوبتهم فيه مما به كفروا فتامل) ليظهر لك ترجيح أحد الوجهين (ويدل على انه) أى ما قاله ابن سحنون عنه وعن أبيه (خلاف ما روى عن المدنيين) من أصحاب مالك (فى ذلك فحكى) قال التلمسانى صوابه كما فى نسخة ما حكى (أبو المصعب الزهرى قال أتيت) بضم الهمزة وتاء المتكلم (بنصرانى قال والذى اصطفى عيسى على محمد فاختلف) أى الرأى (على) أى عندى (فيه) أى فى أمره (فضربته) أى ضربا وجيعا (حتى قتلته أو عاش) بعد ضربه (يوما وليلة وأمرت من جره

(برجله) بعدموته (فطرح على مزبلة) بفتح الميم والموحدة وقد يضم الثاني ويكسر وهو المحل الذي يكون فيه الزبل أي السرجين يلقى فيه واما ما في بعض النسخ من كسر الميم وفتح الباء فغير معروف الا في الآلة (فاكلته الكلاب) وفي قتله محل بحث اذ قوله مشتمل على اقراره باصطفائهما بالنبوة والرسالة غايته انه فضل نبيه على نبينا وهو مقتضى دينه بل انه ليس مما كفر به اذ أصل التفضيل قطعي لقوله تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض واما تفضيل خصوص بعض الانبياء فظني وعلى التنزل فليس مما علم من الدين بالضرورة لاسيما وقد ثبت انه عليه الصلاة والسلام قال لا تفضلوا بين الانبياء وفي رواية لا تخير وني على موسى مع ان سبب وروده ان يهوديا قال والذي اصطفى موسى على محمد فلطمه مسلم (وسئل أبو المصعب عن نصراني قال عيسى خلق محمدا فقال يقتل) وهذا ظاهر لانه كفر صريح بل يخرج عن كونه كتابيا ويصير حربيا بل ولا يقول أحد مثل هذا القول في جميع الاديان قال تعالى ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله فالله خالق كل شئ باجماع الاولين والآخرين واما قوله تعالى واذ تخلق من الطين كهيئة الطير فخلق مجازي متوقف على وجود تراب وماء وتصوير من مخلوق آخر وان الله صانع كل شئ وصنعته كما في حديث (وقال ابن القاسم سالناما لكا عن نصراني بمصر) أي القاهرة (شهد عليه) بصيغة المجهول (انه قال مسكين) بالرفع منونا وفي نسخة بالسكون قال التلمساني وقد يفتح ميمه (محمد يخبركم انه في الجنة) أي الآن وفي نسخة فهو الآن في الجنة قاله استهزاء (فماله لم ينفع نفسه اذا كانت الكلاب تاكل ساقيه) وهذا افتراء عليه (لوقتلوه) أي الناس (استراح الناس منه قال مالك أرى ان تضرب عنقه) ويغرى على جيفته الكلاب (قال) أي مالك (ولقد كدت) أي قاربت (ان لا أتكلم فيها) أي في مسئلة ابن القاسم عن هذا الكلب النصراني يعني بشئ كما في نسخة (ثم رأيت انه لا يسعني) أي لا يجوز لي (الصمت) أي السكوت وفي نسخة لا يسعني الصمت أي لا ينفعني (قال ابن كنانة) بكسر الكاف (في المبسوط) وفي نسخة في المبسوطة (من شتم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من اليهود والنصارى فاري للامام

ممن

(برجله) من محله الذي مات فيه (وطرح) ببناء المجهول (على مزبلة) أي محل بفناء البلدة يطرح فيه الزبل والقاذورات ومزبلة بفتح الميم لا كسرها كما قيل وباؤه مثلث اسم للمكان المذكور (فاكلته الكلاب) لانه لم يدفن حتى أكلته كما تاكل سائر الجيف وهذا مما كفر به فهو مخالف لما تقدم وعدم دفن من قتل من الكفرة مما لا يشرع فكأن هذا كله مما أدى اليه اجتهاده وتشدده في دينه (وسئل أبو المصعب) السابق ذكره (عن نصراني قال عيسى خلق محمدا) لزعمه الفاسد في ادعاء الوهيته (فقال) مجيبا للسائل انه (يقتل) لاختلاقه الكذب على الله وجعله عيسى عليه الصلاة والسلام أفضل من نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وقصده تنقيصه وليس مما كفر به (وقال ابن القاسم) من أصحاب مالك كما مر (سالناما لكا عن نصراني بمصر شهد عليه انه قال مسكين محمد) أراد بذلك تحقيره صلى الله تعالى عليه وسلم واهانته لا تحننا ورأفة عليه وميم مسكين مكسورة وقد تفتح في غير الفصيح وهل ميمه أصلية أو زائدة فيه كلام في التصريف (يخبركم انه في الجنة) أي يقول انه سيدخل الجنة وانه يتحقق له دخولها (ماله لم ينفع نفسه) هو كناية عن انه لا يقدر على نفع نفسه في الدنيا (اذ كانت الكلاب تاكل ساقيه لوقتلوه استراح منه الناس) هذا بناء على اعتقاده الفاسد قاتله الله أي حصل لهم منه بزعمه الباطل انه اتعبهم بكثرة أعدائه الذين اتعبوا المسلمين بقتالهم وأنه اتعب الكفرة بقتالهم لهم وقوله لوقتلوه متعلق بما بعده معنى ويجوز تعلقه بما قبله وما بعده ويسميه أهل البديع التجاذب وقد أشبعنا الكلام عليه في السوانح (قال مالك أرى ان تضرب عنقه) وترمى جيفته حتى تاكله الكلاب جزاء له بما قاله (قال) مالك (ولقد كدت) أي قاربت (ان لا أتكلم فيها) أي قربت من ترك الكلام في هذه المسئلة التي سئل عنها (ثم رأيت) أي بدا لي رأي اقتضاه الدليل (انه لا يسعني) أي لا يجوز لي ولا يحل (الصمت) السكوت عن هذه المسئلة وعدم التكلم فيها بالحق الذي يستحقه هذا الخبيث فشبه الصمت بمكان فيه سعة تضييق على من صمت فكأنه لا يدخله لما وجب عليه من اظهار الحق فسكت عن المشبه به ودل عليه بروادفه تخييلا ففيه تخييلية ومكنية وانما كان مالك رحمه الله أراد السكوت عن هذا لانه كذب لا يروج على أحد في حق من عصمه الله وحماه عن ان تصل اليه يد أحد ممن يؤذيه وكأنه تلميح لما وقع له صلى الله تعالى عليه وسلم حين عرض نفسه على القبائل فرجموه حتى أدموا ساقيه وكان ذلك من أولاد عبد يا ليل كما فصل في السير أو لما وقع له صلى الله تعالى عليه وسلم باحد وهو مشهور أيضا (قال ابن كنانة) تقدمت ترجمته (في المبسوط) اسم كتاب كما تقدم (من شتم النبي) صلى الله تعالى عليه وسلم بسبه صريحا (من اليهود والنصارى) بيان لمن (فاري) أي اعتقد وأفتى (للامام) أي للسلطان لانه أحد معانيه وكذا المنصوب من جانبه

أن يحرقه) من الاحراق أو التحريق (بالنار) أي ابتداء (وان شاء) أي الامام (قتله ثم حرق جثته) بضم الجيم وتشديد المثلثة أي جيفته (وان شاء أحرقه بالنار حيا اذ تهافتوا في سبه) أي تساقطوا وتكرر منهم وتبالغوا ولعل التحريق حيا من باب السياسة والا فقد ورد لا يعذب بالنار الا الله مثل تهافت الفراش في النار وفي رواية لا تعذبوا بعذاب الله تعالى رواه أبو داود والترمذي والحاكم في مستدركه وصححه عن ابن عباس مرفوعا قال ابن كنانة (ولقد كتب) بصيغة المجهول (الى مالك من مصر وذكر) أي ابن كنانة (مسئلة ابن القاسم المتقدمة) في النصراني بمصر (قال) ابن القاسم (فامرني مالك) أن أكتب الجواب

ممن له تنفيذ الاحكام (أن يحرقه بالنار) أي يلقيه فيها وهو حي وهذا مما لم يجزه علماء الشرع لما ورد في الحديث انه لا يعذب بالنار الا الله أو خالقها ولذا قال (وان شاء) أي الامام (قتله) بضرب عنقه (ثم حرقت) بالتشديد وفي نسخة حرق بحذف التاء (جثته) أي أحرق بدنه بتمامه بعد موته (وان شاء) الامام (أحرقه بالنار أحياء) وفي نسخة وان شاء أحرقه بالنار حيا وهذا مذهب مالك في جواز احراق من استحق القتل وغيره من العلماء اباه وهو مثلة ومذهب الشافعي انه لا يجوز الا قصاصا الحديث من حرق حرقناه ومن غرق غرقناه واستدل مالك لما قاله بان عليا كرم الله وجهه فعله وبقوله عليه السلام في حق من ارتد ان وجدتموه فاحرقوه وغيره يقول انه منسوخ كما نسخت المثلة لقوله تعالى فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به وهو مذهب أبي حنيفة (اذ تهافتوا في سبه) أي وقعوا فيه والمراد انهم أكثروا منه علنا وأصل التهافت السقوط شيأ فشيأ ثم استعير لما ذكر وهو لا يستعمل الا في الشر القبيح وفيه اشارة الى انه مثله لشدة ردعهم يقال تهافت في كذا اذا انهمك فيه وبالغ (و) قال ابن كنانة و (لقد كتب) بناء المجهول (الى مالك من مصر) يستفتونه (وذكر) ابن كنانة (مسئلة ابن القاسم المتقدمة) آنفا التي سئل عنها في نصراني شهد عليه انه قال مسكين محمد الخ كما مر (قال) ابن القاسم (فامرني مالك فكتبت اليه بان يقتل و) ان (تضرب عنقه) ضرب العنق كرمي الرأس عبارة عن قتل مخصوص والاولى في التعبير ان يقول فامرني مالك أن أكتب بدليل قوله (فكتبت) ما قاله مالك لارسله للسائل (ثم قلت له) أي لمالك (يا أبا عبد الله) هي كنيته (وأكتب) بعد ما قلته (ثم يحرق) بعد قتله (بالنار فقال) مالك (انه لحقيق بذلك) أي احراقه بالنار عنوان لخلوده فيها (وما أولاه) أفعل تفضيل بمعنى أحق (به) أي بالاحراق (فكتبته) أي ذلك الذي قلته (بيدي) تأكيد لرفع توهم التجوز به (بين يديه) أي عنده في مجلسه وهو كناية عن ذلك (فما أنكره) أي ما قلته من احراقه بعد قتله (ولا عابه) عليه لانه ارتضاه (ونفذت) بناء المجهول والتشديد والذال المعجمة أي أرسلت (الصحيفة) وهي الورقة التي كتب فيها جواب السائل (بذلك) الذي قاله مالك (فقتل وحرق) عملا بما قاله الامام مالك رضي الله تعالى عنه (وأفتى) من أئمة المالكية (عبيد الله) بالتصغير يحيي (بن يحيي) المكني بابي مروان الليثي فقيه ثقة عمدة في مذهب مالك وهذا هو يحيي بن يحيي الذي روى عنه الموطأ كما تقدم (وابن لبابة) بضم اللام وبائين موحدتين مخففتين بينهما ألف وهو محمد بن يحيي بن عمر بن لبابة القرطبي ولد سنة خمس وعشرين ومائتين ومات ليلة الاثنين لاربع بقين من شعبان سنة أربع عشر وثلثمائة ولهم أيضا ابن لبابة آخر وهو محمد بن يحيي بن لبابة أبو عبد الله وآخر وهو أحمد بن محمد بن عمر بن لبابة أبو محمد القرطبي توفي في نصف صفر سنة خمس وعشرين والمراد هنا الاول (في جماعة سلف أصحابنا) يعني المالكية

(فكتبت بان يقتل و يضرب عنقه) تفسير لما قبله فيفيد انه لا يصلب حيا ولا يقطع اربا اربا وغير ذلك من أنواع القتل لقوله عليه الصلاة والسلام اذا قتلتم فاحسنوا القتلة بالكسر أي النوع منه (فكتبت) أي فرغت من كتابته (ثم قلت) أي لمالك (يا أبا عبد الله واكتب ثم يحرق بالنار فقال انه لحقيق بذلك وما أولاه به) أي ما أحقه بان يحرق بعد ضرب عنقه (فكتبته بيدي) احتراس بديعي يدفع به ما يتوهم من المجاز كقولهم رأيت بعيني وسمعت باذني ونحو ذلك ومنه قوله تعالى ولا طائر يطير بجناحيه (بين يديه) أي قدام مالك وقدرآه (فما أنكره ولا عابه)

وفيه ايماء الى أن التحرير في باب الفتوى أقوى من التقرير (ونفذت الصحيفة) بالنون والفاء والذال المعجمة المفتوحات أي ذهبت وفي نسخة بضم النون وتشديد الفاء المكسورة وفي أخرى بصيغة الفاعل أي وأرسلتها الى مصر (بذلك) أي بما أمر به مالك (فقتل) النصراني (وحرق) أي بعد قتله (وأفتى عبد الله بن يحيي) الليثي صاحب رواية الموطأ عن أبيه عن مالك (وابن لبابة) بضم اللام وبموحدتين وهو محمد بن يحيي بن عمر بن لبابة القرطبي (وجماعة سلف أصحابنا) بالاضافتين وفي نسخة في جماعة سلف أصحابنا

(الاندلسيين بقتل نصرانية استهلت) أي رفعت صوتها يعني أظهرت (بنفي الربوبية وبنوة عيسى) أي لله كما في نسخة أي وأعلنت بكونه ابنا له وبينهما تناقض كما لا يخفى وفي نسخة بتقديم النون على الباء والظاهر انه تصحيف (وتكذيب محمد في النبوة) أي في أصلها لا في عموم الرسالة لانه مقتضى مذهبهم وكذا القول بالابنية كما أخبر الله عنهم بقوله لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم وانما أمر بقتلها بالانكار الربوبية فانها به صارت حربية وخرجت عن كونها ذمية كتابية اذ ليس هذا من مقتضى دينهم بل ولا دين غيرهم لقوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله (ولقبول اسلامها ودرء القتل عنها) وهذا مخالف لما سبق من ان الذمي اذا طعن في نبوة نبينا يقتل ولم يقبل اسلامه (به) وفي نسخة وبه أي وبهذا الافتاء (قال غير واحد من المتأخرين) أي من المالكية (منهم القابسي وابن الكاتب) وهو أبو القاسم عبد الرحمن بن علي بن محمد (وقال أبو القاسم ابن الجلاب) بفتح الجيم وتشديد اللام بصري مات سنة ثمان وتسعين وثلثمائة (في كتابه من سب الله ورسوله من مسلم أو كافر) أي ذمي (قتل ولا يستتاب أي) أي لا تقبل توبته وهذا مخالف للجمهور وأغرب الدلجي حيث قال تمسكا بالآية والحديث والحال انه لا دلالة آية ولا اشارة رواية على ذلك بل تقبل توبة المرتد والكافر بشروطه هنالك (وحكى القاضي أبو محمد) عبد الوهاب المالكي (في الذمي يسب الله ثم يسلم روايتين) عن مالك (في درء القتل عنه) أي وعدمه (باسلامه وقال ابن سحنون وحد القذف) والمشهور انه مختص برمي الزنا (وشبهه) وهو السب ونحوه (من حقوق العباد لا يسقطه عن الذمي اسلامه) لابتنائها على المشاحة (وانما يسقط عنه باسلامه حدود الله) لانها مبنية على المسامحة (وأما حد القذف فحق للعباد كان ذلك لنبي أو غيره) من العباد المحترمين (فاوجب) أي الله ورسوله قال الدلجي وفيه بحث سيجيء (على الذمي اذا قذف صلى الله تعالى عليه وسلم حد القذف) وفيه انه لم يعرف من كتاب ولا سنة حد القذف بالقتل على كافر أسلم

وفي هنا بمعنى مع استعارة تبعية لتمكنه بينهم (الاندلسيين) تقدم ضبطه واتفاقهم في المذهب دون الزمان فافتى هؤلاء كلهم (بقتل) امرأة (نصرانية استهلت) أي صرخت رافعة صوتها من قولهم استهل المولود اذا صرخ والمراد انها أعلنت وأظهرت (بنفي الربوبية) بضم الراء مصدر كالخصوصية وياء النسبة للتأكيد (وبنوة عيسى لله) تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وبنوة بتقديم الباء الموحدة على النون مصدر أيضا أي أعلنت بنفي بنوة عيسى أي انه ليس ابنا لله بل هو الله أو هو معطوف على نفي أي نفت الربوبية وقالت ان عيسى ابن الله فالمراد بنفي الربوبية نفي الوحدة والانفراد بها وحرف بعضهم البنوة بالنبوة بتقديم النون على الموحدة وقال فيه قلاقة لان نفي الربوبية يقتضي نفي فروعها من النبوة والرسالة ثم ان البنوة والولادة تستلزم نفي الربوبية وهو خبط عجيب منه وأوله ينافي آخره (و) استهلت أيضا (بتكذيب محمد صلى الله تعالى عليه وسلم في) دعواه (النبوة و) أفتى أيضا (بقبول اسلامها) اذا أسلمت بعد قولها هذا (ودرأ القتل عنها به) أي بالاسلام لانه يجب ما قبله (وبه قال غير واحد من) فقهاء المالكية (المتأخرين منهم القابسي) وتقدمت ترجمته (وابن الكاتب) أبو القاسم عبد الرحمن ابن علي بن محمد الامام المالكي الجليل عرف بابن الكاتب وفي نسخة وبقبول الخ بدل قال غير واحد (وقال أبو القاسم بن الجلاب) بفتح الجيم وتشديد اللام وباء موحدة بعد ألف وهو امام جليل اشتهر بكنيته وفي اسمه أقوال أذكر منها قولين وهو صاحب القاضي أبي بكر الابهري وله تآليف جليلة وتوفي سنة ثمان وسبعين وثلثمائة وهو عبيد الله أو عبد الرحمن بن الحسين البصري (في كتابه) الذي صنفه في فقه مالك رحمه الله تعالى (من سب الله تعالى أو) سب (رسوله) صلى الله تعالى عليه وسلم (من مسلم أو كافر) بيان لمن وتعميم (قتل ولا يستتاب) أي لا تطلب منه توبة ولا تقبل وهو على أحد الاقوال في الكافر (وحكى القاضي أبو محمد) المعروف بابن نصر وهو عبد الوهاب كما تقدم (في الذمي يسب ثم يسلم روايتين) عن مالك (في درء) أي دفع (القتل عنه باسلامه) اذا أسلم وهو توبته فيقبل اسلامه ولا يقتل وفي أخرى عنه يقتل حدا واليه أشار بقوله (وقال ابن سحنون) في وجه قتله انه حد (وحد القذف وشبهه) من الحدود كحد السرقة والزنا (من حقوق العباد لا يسقط عن الذمي باسلامه) (وانما يسقط عنه باسلامه حدود الله تعالى) لانها مبنية على المسامحة لكرم الله وعفوه بحلمه (فاما حد القذف فحق للعباد) لا يسقط بالتوبة سواء (كان ذلك لنبي أو غيره) ممن يحترم بصيانة عرضه (فاوجب) الله عز وجل أو ابن سحنون (على الذمي اذا قذف النبي صلى الله عليه وسلم ثم أسلم) بعد قذفه (حد القذف) ولم تسقطه عنه توبته واسلامه وقذف الانبياء حده القتل كما تقدم ومن غفل عن هذا قال حد القذف ثابت بالكتاب ولم يجعل الله فيه القتل الى آخر ما قاله مما لا فائدة فيه وكيف يخفى عليه هذا مع قول المصنف رحمه الله

ولكن أنظر ماذا يجب عليه هل حد القذف في حق النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو القتل لزيادة حرمة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) بالعصمة ونحوها (على غيره أم هل يسقط القتل باسلامه ويحد ثمانين فتامله) الى حين يتبين لك علم اليقين في مسئلة الدين قال التلمساني الظاهر القتل لانه أذاه ومن أذاه يقتل قلت اسلامه باباه وكم من مؤذله عليه الصلاة والسلام أسلم وقبل منه الاسلام ولم يقتل لما صدر له قبل ذلك من الكلام

* (فصل) * (في ميراث من قتل بسبب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وغسله والصلاة عليه) اعلم ان المرتد عندنا لا يرث من مسلم ولا من كافر يوافقه في الملة ولا من مرتد آخر ويرث المسلم من المرتد ما اكتسبه في حالة الاسلام وعند الشافعي يوضع ذلك في بيت مال المسلمين وأما ما اكتسبه في حال الردة فعند أبي حنيفة هو بمنزلة الفيء ويوضع ذلك في بيت المال وقال صاحباه يكون ذلك ميراثا للورثة المسلمين (اختلف العلماء) أي المالكية (في ميراث من قتل بسب النبي فذهب سحنون الى انه) أي ميراثه (لجماعة المسلمين) كالفيء فيوضع في بيت المال (من قبل) بكسر القاف وفتح الموحدة أي من جهة (ان شتم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كفر يشبه كفر الزنديق) والظاهر ان بينهما التفرقة (وقال أصبغ ميراثه لورثته من المسلمين ان كان مستترا) وفي نسخة

الله تعالى (ولكن أنظر) أمر لكل من يتاتى منه النظر والفكر في المسائل الشرعية (ماذا يجب عليه) أي على من قذف الانبياء (هل حد القذف في حق النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) خاصة (وهو القتل) لا الجلد كحد غيره (لزيادة حرمة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي احترامه وتوقيره (على غيره) من أمته لا غيره من الانبياء واليه ذهب بعض الشافعية فان الحدود قد تتفاوت كما قال تعالى في أمهات المؤمنين من يات منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين (أم هل يسقط القتل) عنه (باسلامه ويحد ثمانين) حد القذف (فتامله) أمر بالتامل لما فيه من الشبهة وقوة الخلاف فيه فذهبه كمذهب الشافعية قال امام الحرمين من قذف النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كفر بالاتفاق وقال أبو بكر الفارسي لو تاب لا يسقط عنه القتل لانه حد قذف النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وحد القذف له لا يسقط بالتوبة وحكى فيه الاجماع وخالفه الصيدلاني وغيره وقال يحد ثمانين اذا أسلم وذكر فيه الامام مباحث طويلة وقال ان ماقاله الفارسي مع بعده حسن وهذا ما جنح اليه المصنف رحمه الله تعالى ومن لم يقف عليه مقال ما قال لعدم وقوفه على حقيقة الحال

* (فصل في) * حكم (ميراث من قتل بسب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) وغيره من الانبياء (وغسله والصلاة عليه) كغيره (اختلف العلماء) من أئمة الدين (في ميراث من قتل بـ) سبب (سب النبي) صلى الله تعالى عليه وسلم (فذهب سحنون) من المالكية (الى انه) أي ميراثه في حق (لجماعة المسلمين) يوضع في بيت المال كالفيء (من قبل) بكسر القاف وفتح الباء الموحدة تعليل أي من جهة (ان شتم النبي) صلى الله عليه وسلم (كفر يشبه كفر الزنديق) لظاهر اسلامه وخفي كفره الذي دل عليه شتمه فميراثه كميراث الزنديق عنده وشبه بوزن مثل ومعناه وفي نسخة يشبه مضارع وليس بزنديق حقيقة لما مر من معنى الزنديق وانما هو يشبهه فحكمه كحكمه عنده (وقال) من أئمة المالكية (أصبغ) بن الفرج كما تقدم (ميراثه) حق (لورثته من المسلمين) كغيره (ان كان مستسرا) أي مخفيا من السر وهو الخفي وفي نسخة مستترا (بذلك) المقال الذي قاله بان لم يظهره علنا (وان كان مظهرا له) أي لسبه وشتمه (ومستهلا) أي معلنا (به) لا يكتمه وأصل معنى الاستهلال الصراخ كما مر بيانه (فميراثه للمسلمين) كالفيء كما تقدم (ويقتل على كل حال) أي سواء تاب أم لا (ولا يستتاب) أي لا تطلب منه توبة ولا تقبل وليس المراد بالسر ان يخفيه في قلبه لانه لا يطلع عليه وانما المراد انه يقوله في خلوته لمن لا يفشي سره لعامة الناس حتى لا يطلع عليه الحكام وهذا كله في المسلم فمن توهمه عاما له وللكفرة فقد غفل (وقال أبو الحسن القابسي) تقدمت ترجمته (ان قتل وهو منكر للشهادة عليه) أي لما شهدوا به عليه من السب (فالحكم في ميراثه) شرعا (على ما أظهر من اقراره يعني انه) أي ميراثه (لورثته) المسلمين لان انكاره لما شهدوا به عليه اقرار بانه مسلم معظم لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلا تلغى الشهادة ولا الاقرار (والقتل) انما هو (حد) أي لقذف الانبياء لا لكفره وردته (ثبت عليه) الحد وحكمه (فليس من الميراث في شئ) فلا يمنعه (وكذلك) أي مثل ما قاله القابسي في هذه المسئلة (لو أقر بالسب) أي سبه

مستسرا أي مسرا يعني مخفيا (بذلك) السب (وان كان مظهرا له مستهلا) أي معلنا (به) أي بشتمه (فميراثه للمسلمين) أي فيئا (ويقتل على كل حال) سواء كان مسرا أو مجاهرا (ولا يستتاب) أي لا تقبل توبته (قال أبو الحسن القابسي ان قتل وهو منكر للشهادة عليه) بانه شتمه (فالحكم في ميراثه على ما أظهر من اقراره يعني) أي القابسي ان ميراثه (لورثته والقتل حد ثبت عليه) لا يدرأ عنه بتوبته (ليس) أي القتل (من الميراث في شئ وكذلك) أي مثل ما قاله القابسي (لو أقر بالسب

وأظهر التوبة يقتل اذهو) أى القتل (حده وحكمه) أى هذا المقتول بسببه (فى ميراثه وسائر أحكامه حكم الاسلام) من صلاة خلفه حيا وعليه ميتا وغسله وتكفينه ودفنه فى قبورنا وكذا ما وقع له معاملة ومناكحة وانفاقا (ولو أقر بالسب وتمادى) أى استمر مدة وأصر (عليه وأبى التوبة منه فقتل على ذلك كان كافرا) بالاجماع (وميراثه للمسلمين) وفيه ما قدمنا من النزاع (ولا يغسل ولا يصلى عليه ولا يكفن ويستر عورته ويوارى) جيفته (كما يفعل بالكفار) من دفنهم فى حفرة (وقول الشيخ أبى الحسن) القابسى (فى المجاهر المتمادى بين) أى ظاهر (لا يمكن الخلاف فيه لانه كافر مرتد غير تائب) مما وقع فيه (ولا مقلع) عن تماديه (وهو) أى قول القابسى (مثل قول أصبغ وكذلك) أى مثل قول أصبغ (فى كتاب ابن سحنون فى الزنديق يتمادى على قوله) من غير رجوعه وفيه ان الزنديق اذا تمادى على كفره خرج عن كونه زنديقا لانه خلاف مشربه (ومثله لابن القاسم فى العتبية ولجماعة من أصحاب مالك فى كتاب ابن حبيب) واسمه عبد الملك (فيمن أعلن كفره مثله قال ابن القاسم وحكمه) أى حكم الساب (حكم المرتد) أى اذا لم يسلما (لا ترثه ورثته من المسلمين ولا من أهل الدين الذى ارتد اليه ولا يجوز وصاياه ولا عتقه) حينئذ لخروج ماله بردته عن ملكه موقوفا (وقاله أصبغ) أى ما قاله ابن القاسم (قتل على ذلك أو مات عليه وقال أبو محمد ابن أبى زيد وانما يختلف فى ميراث الزنديق الذى يستهل بالتوبة) أى يظهرها مع انه يضمر عقائد باطلة (فلا تقبل منه) توبته ظاهرا وان نفعته عند الله تعالى لو كان صادقا وهذا موافق لمذهبنا ونقل الدلجى عن الشافعى انها تقبل وتدفع عنه لحديث هل لا شققت عن قلبه انتهى وفيه ان الحديث لم يرد فى حق الزنديق والله ولى التوفيق (وأما المتمادى الباطل

صلى الله عليه وسلم (وأظهر التوبة لقتل) جواب لو (اذهو) أى القتل (حده) أى حد سب الانبياء كما تقدم (وحكمه) أى المقتول حد الاردة وكفرا (فى ميراثه) فيعطى لورثته (و) فى (أسبابه و) فى (سائر أحكامه) من غسله والصلاة عليه (حكم الاسلام) لانه مسلم كسائر المسلمين (ولو أقر بالسب) للنبى صلى الله عليه وسلم (وتمادى عليه) أى استمر فى مدى بعيد فهو استعارة وبهذا خالف ما قبله (وأبى التوبة) أى امتنع من أن يتوب (منه) أى من السب (فقتل على ذلك) المذكور من السب الذى استمر عليه (كان) المستمر على سبه (كافرا) مرتدا (وميراثه) كالفىء حق (للمسلمين) لا لورثته لان الكفر من موانع الارث (ولا يغسل ولا يصلى عليه ولا يكفن) كفنا تاما كالمسلمين (و) انما (تستر عورته ويوارى) أى يدفن ويستر جثته بالتراب (كما يفعل بالكفار) أى بغيره من الكفار الاصليين فلا يدفن فى مقابر المسلمين وجوز الشافعية غسله وتكفينه كما روى أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أمر عليا لما مات أبوه طالب أن يغسله ويكفنه ويدفنه وقد ضعفه البيهقى ولا يصلى عليه اجماعا وأما صلاته صلى الله تعالى عليه وسلم على ابن سلول فلانه منافق مع أنه نهى عن ذلك بعده بقوله ولا تصل على أحد منهم مات أبدا (وقول الشيخ أبو الحسن) القابسى (فى المجاهر) أى المعلن المظهر للسب (المتمادى) أى المستمر على اظهاره من قبله وكون ميراثه فيئا (بين) أى ظاهر (لا يمكن الخلاف فيه) ولا شبهة (لانه كافر مرتد غير تائب ولا مقلع) أى غير راجع عن كفره وردته (وهو مثل قول أصبغ) ابن الفرج فى المظهر المستهل المتمادى كما تقدم (وكذلك) أى مثل قول أصبغ هذا وقع (فى كتاب ابن سحنون) الذى قاله (فى الزنديق) الذى (يتمادى) ويستمر (على قوله) الصادر عنه مما كفر به (ومثله) أى مثل قول أصبغ وابن سحنون قول (لابن القاسم فى العتبية) الكتاب المشهور (و) كذا هو قول (لجماعة من أصحاب مالك) يعنى من علماء المالكية (فى كتاب) عبد الملك (ابن حبيب فيمن أعلن كفره) أى أظهره (مثله) أى ما ذكر (وقال ابن القاسم) فى المذكور (حكمه حكم المرتد) فى انه (لا ترثه ورثته من المسلمين) لانه كافر (ولا) ترثه أيضا ورثته (من أهل الدين الذى ارتد) عن الاسلام (اليه) أى الى دين آخر كاليهودية والنصرانية لانه فارقهم للدين الحق فتعلق به حق أهله فلا يعود اليهم بعوده لانه لا يقر عليه ومع له صار فيئا يستحقه المسلمون (ولا تجوز وصاياه) لان ماله خرج من ملكه بردته وصار موقوفا (ولا) ينفذ (عتقه) أيضا لما ذكر وكذا سائر تصرفاته كبيع وهبة ووقف وغيره فانه محجور عليه لما ذكر وهذا كله مذهب الامام مالك وأما مذهب غيره فالكلام عليه مفصل فى كتب الفقه وليس هذا محل تفصيله (وقاله) أى قال ما قاله ابن القاسم (أصبغ) بن الفرج من أن حكمه حكم المرتد لا يورث سواء (قتل على ذلك أو مات عليه) أى على اعلانه الكفر (وقال) الشيخ (أبو محمد بن أبى زيد) صاحب الرسالة المالكى الامام المشهور (وانما يختلف فى ميراث الزنديق) الذى يبطن الكفر ويظهر الاسلام وفيه كلام تقدم (الذى يستهل بالتوبة) أى يظهرها وأصل معناها الصياح كما تقدم فكنى به عما ذكر (فلا تقبل منه) توبته لان توبته لخوف القتل وهذا مذهب مالك وذهب غيره الى قبول توبته وانه تجرى عليه أحكام الاسلام فى الميراث وغيره (فاما المتمادى) أى المستمر على زندقته واعتقاده

فلا خلاف انه لا يورث وقاله أبو محمد) أي ابن أبي زيد (فيمن سب الله تعالى) أي مثلا (ثم مات ولم تعدل) بتشديد الدال المفتوحة أي لم تقم (عليه بينة أو لم تقبل) لعدم عدالة أو وجود عداوة وضبطه الحجازي بالفوقية بعد القاف أي أو عدلت فمات ولم يحكم بقتله (انه يصلى عليه) يعني احتياطا (وروى أصبغ عن ابن القاسم في كتاب ابن حبيب فيمن كذب برسول الله) بتشديد الذال أي كذب برسالته (صلى الله تعالى عليه وسلم) أي بعد الايمان كما يدل عليه السياق من السباق واللحاق (أو أعلن دينا مما يفارق به الاسلام ان ميراثه للمسلمين) أي فيئا (وقال بقول مالك ان ميراث المرتد للمسلمين ولا ترثه ورثته

ربيعة) فقيه المدينة المشهور

الباطل (فلا خلاف) في (انه لا يورث) عنه (وقال أبو محمد) هو ابن أبي زيد رحمه الله المذكور آنفا (فيمن سب الله تعالى ثم مات ولم تعدل) ببناء المجهول وتشديد الدال المهملة أي لم تقم (عليه بينة) زكيت وعدلت (أو لم تقبل) أي أو أقيمت عليه بينة ولم تقبل أو ثبتت زندقته باقراره لكنه لم يقبل (انه يصلى عليه) ويرثه المسلمون ويدفن في مقابرهم فتجري عليه أحكام المسلمين لانه لم يحكم بكفره (وروى أصبغ عن ابن القاسم في كتاب ابن حبيب فيمن كذب برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي نسبه الى الكذب في شيء مما أوحي اليه وهو من المسلمين لان الكلام فيهم وفي نسخة فيمن كذب برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (أو أعلن) أي أظهر (دينا) أي اعتقادا ونحلة (مما يفارق به الاسلام) لكفره به والذي في نسختنا مما بما الموصولة وفي نسخة الشرح الجديد بمن يفارق به بمن الموصولة فقال انه أوقع من على ما لا يعقل من غير تجوز وتغليب ولا يجوزه أهل العربية غير قطرب وهو قول ضعيف وكأنه تبعه فيه ولك أن تقول ان صحت هذه الرواية فالمعنى مندرجا ومتلقيا الدين ممن يفارق الاسلام (ان ميراثه) أي ما يورث من ماله وغيره فيء يوضع في بيت المال ويصرف (للمسلمين وقال بقول مالك) أي وافقه في قوله (ان ميراث المرتد) فيء يصرف (للمسلمين ولا ترثه ورثته) من أهل الاسلام (ربيعة) بن أبي عبد الرحمن بن فروخ فقيه المدينة ومحدثها الذي روى عنه مالك والليث وغيرهما وأخرج له الستة ووثقه أحمد وغيره توفي سنة ست وثلاثين ومائة (و) قال بقوله أيضا الامام (الشافعي وأبو ثور) ابراهيم بن خالد الكلبي البغدادي أحد المجتهدين الثقة المحدث روى عنه خلق كثير وأخرج له أصحاب السنن وتوفي في صفر سنة أربعين ومائتين (وابن أبي ليلى) وهو القاضي أبو عبد الرحمن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى الانصاري أحد أعلام الدين في الفقه والحديث وأخرج عنه أربعة من أصحاب السنن ووثقوه وقال بعضهم أنه سيئ الحفظ توفي سنة ثمان وأربعين ومائة وله ترجمة في الميزان واسمه يسار بمثناة تحتية والمراد انه وافق اجتهادهم اجتهاده لا انهم قلدوه اذ المجتهد لا يقلد غيره وهذا معنى قولهم في أمثاله كالشافعي في الفرائض مع زيد (واختلف فيه) أي القول به الرواية (عن أحمد ابن حنبل فقيل قال به وقيل لم يقل به (و) اما مذهب الصحابة فيه ف(قال علي بن أبي طالب وابن مسعود و) مذهب غيرهم من أهل العصر الاول مثل سعيد (ابن المسيب والشعبي والحسن) البصري (وعمر ابن عبد العزيز) بن مروان بن الحكم الاموي الامام المشهور (والحكم) بفتحتين ابن عتيبة مصغر عتبة بمثناة فوقية الكندي فقيه الكوفة الامام العابد الزاهد توفي سنة خمس عشرة ومائة وأخرج له الستة ويوافقه في اسمه واسم أبيه دون جده الحكم قاضي الكوفة وليس من رواة الحديث ووهم البخاري في تاريخه فجعلهما واحدا كما ذكره الحلبي (والاوزاعي والليث) بن سعد (واسحق) بن راهويه (وأبو حنيفة) النعمان (ترثه ورثته

بربيعة الرأي روى عن السائب بن يزيد وأنس وابن المسيب وجماعة وعنه مالك والليث وطائفة ووثقه أحمد وغيره قال مالك رحمه الله تعالى ذهبت حلاوة الفقه مذ مات ربيعة كان له حلقة في مسجد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكان أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين وابنه محمد يجلسان في حلقته استقدمه أبو العباس السفاح الى الانبار لتولية القضاء فلم يفعل توفي سنة ست وثلاثين ومائة (والشافعي وأبو ثور) البغدادي أحد المجتهدين روى عن ابن عيينة وغيره وعنه أبو داود وابن ماجه (وابن أبي ليلى) وهو القاضي الانصاري أحد الاعلام روى عن الشعبي وعنه شعبة قال أحمد سيئ الحفظ وقال أبو حاتم محل الصدق (واختلف) أي القول (فيه عن أحمد

وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وابن مسعود رضي الله تعالى عنه وابن المسيب والحسن) أي البصري وكلاهما من افاضل التابعين (والشعبي وعمر بن عبد العزيز والحكم) بفتحتين وهو ابن عتيبة بضم عين مهملة وبمثناة فوق مفتوحة فياء تصغير فوحدة مفتوحة فقيه الكوفة أخذ عنه شعبة وغيره كان عابدا قانتا لله قال الحلبي ويتفق مع هذا في اسمه واسم أبيه الحكم بن عتيبة بن نهاس ويفترقان في الجد كان قاضيا بالكوفة وليس من رواة الحديث قال وقد جعل البخاري هذا والامام المتقدم ذكره واحدا فعد هذا من أوهامه (والاوزاعي والليث) أي ابن سعد (واسحق) أي ابن راهويه (وأبو حنيفة يرثه ورثته

من المسلمين) أى على تفصيل تقدم عنه (وقيل ذلك فيما كسبه قبل ارتداده وما كسبه فى ارتداده) أى فى أيامه (فللمسلمين) على ماقدمناه قال القاضى (وتفصيل أبى الحسن) القابسى (فى باقى جوابه حسن بين) أى ظاهر (وهو على رأى أصبغ وخلاف قول سحنون واختلافهما) أى أصبغ وسحنون (على قول مالك فى ميراث الزنديق فرة ورثه) بتشديد الراء أى جعل وارثه ورثة (من المسلمين قامت) أى سواء ثبتت

(عليه بذلك) أى بكونه زنديقا (بينة) أى شهود عدل (فانكرها أو اعترف بذلك وأظهر التوبة وقاله) أى به (أصبغ ومحمد بن مسلمة وغير واحد من أصحابه) أى أصحاب مالك (لانه مظهر للاسلام بانكاره أو توبته وحكمه حكم المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) حيث كانوا يظهرون الاسلام و يضمرون الكفر كان يرثهم ورثتهم من المسلمين كعبدالله بن أبى بن سلول وغيره (و روى ابن نافع) الصائغ المدنى قال البخارى فى حفظه شئ وقال ابن معين ثقة وكان يلازم مالكا لزوما شديدا وكان لا يقدم عليه أحدا قال ابن عدى روى عن مالك غرائب وهو مستقيم الحديث (عنه) أى عن مالك (فى العتبية وكتاب محمد) أى ابن المواز (ان ميراثه لجماعة المسلمين) أى فيئا (لان ماله تبع لدمه) و به يغاير كونه كالمنافقين لانه ماقتل أحد منهم لمجرد نفاقه لا باقراره ولا باثبات بينة عليه (وقال به أيضا جماعة من أصحابه) أى أصحاب مالك (وقاله أشهب والمغيرة) بضم الميم و يكسر للاتباع (وعبد الملك) من أى ابن الماجشون أو ابن حبيب (ومحمد) أى ابن المواز (وسحنون وذهب ابن القاسم فى العتبية الى انه) أى الزنديق لا المرتد كما قاله الدلجى (ان اعترف بما شهد به عليه وتاب فقتل فلا يورث) قال الدلجى وهذا عجيب كيف لا يورث وقد تاب قلت لان توبة الزنديق لا تقبل على وجه الصواب (وان لم يقر حتى قتل أو مات ورث) لان الاصل بقاؤه على الايمان (قال) أى ابن القاسم (وكذلك) الحكم

من المسلمين) لتعلق حقهم به قبل موته (وقيل) مذهب أبى حنيفة فى (ذلك) الميراث التفصيل فترثه ورثته منهم (فيما كسبه قبل ارتداده) لتعلق حقهم به (وما يكسبه فى الارتداد) أى فى زمن ارتداده (فىء للمسلمين) لانه مال كافر والكلام عليه وعلى أدلته مفصل فى شروح الهداية وغيرها (قال القاضى أبو الفضل) عياض المصنف رحمه الله (وتفصيل أبى الحسن) القابسى فى هذه المسئلة (فى باقى جوابه) كما مر آنفا (حسن بين) ظاهر واضح وهو قوله ان قتل وهو منكر للشهادة فالحكم فى ميراثه على ماظهر من اقراره الخ (وهو على رأى أصبغ) فى ان ميراثه للمسلمين ان كان مسرا فان أعلن فهو فىء (و خلاف قول سحنون) بانه للمسلمين كالزنديق (واختلافهما) أى أصبغ وسحنون مبنى (على قول مالك فى ميراث الزنديق) هل ينظر لظاهر حاله أو لباطنه لان الله رداه برداء سريرته (فمرة ورثه ورثته من المسلمين) سواء (قامت عليه بذلك) المقال الذى قاله (بينة فانكرها أو اعترف بذلك) مع البينة أو بدونها (وأظهر التوبة) عما صدر منه (وقاله أصبغ) بن الفرج المصرى (ومحمد بن مسلمة) قد قدمنا ترجمته (وغير واحد من أصحابه) أى كثير من أصحاب الامام مالك ودليله ماقاله بقوله (لانه مظهر للاسلام بانكاره أو توبته) بعد اعترافه ونحن انما نحكم بالظاهر (وحكمه حكم المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أى فى زمنه أو المراد انهم على ماعاهدوه عليه من الاسلام فالعهد على الاول بمعنى الزمان المعهود المعلوم فانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يعامل المنافقين معاملة المسلمين فى ميراثهم وغيره تاليفا لقلوبهم وقلوب من قرب عهده بالاسلام لئلا يقول الاعداء انه يقتل أصحابه حتى أعلمه الله بذلك فكان لا يصلى على بعضهم لان صلاته صلى الله تعالى عليه وسلم شفاعة لهم وأشهر لحذيفة أمرهم فكان عمر رضى الله تعالى عنه يصلى على من مات منهم اذا صلى عليه حذيفة واجراء أحكام الاسلام عليهم نظر الظاهر حالهم (وروى ابن نافع عنه فى العتبية) الكتاب المشهور وهو عبدالله ابن نافع الصائغ المدنى المحدث مولى بنى مخزوم وهو ثقة وقيل فى حفظه شئ و وثقه ابن معين وهو صاحبه الذى كان يلازمه و روى عنه كثيرا وأخرج له أصحاب السنن وترجمه فى الميزان توفى سنة ست ومائتين (وكتاب محمد) ابن المواز (ان ميراثه) فىء يصرف (لجماعة المسلمين لان ماله تبع لدمه) ودمه هدر فماله غنيمة وفىء (وقال به) أى بهذا القول (جماعة من أصحابه) أى أصحاب مالك (وقاله) من اتباعه أيضا (أشهب والمغيرة) بضم ميمه وكسرها اتباعا وهو المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن عياش بمثناة تحتية وشين معجمة توفى يوم الاربعاء سنة ثمان وثمانين ومائة وولد سنة اربع وعشرين (وعبد الملك) بن حبيب أو المعروف بابن الماجشون (ومحمد) بن المواز (وسحنون وذهب ابن القاسم فى العتبية الى انه) أى المرتد أو الزنديق (ان اعترف بما شهد به عليه وتاب) ولم تقبل توبته (فقتل فلا يورث) لانه حكم بكفره وقتل فلا يبقى لتوبته حكم فى الدنيا فلا وجه لما قيل انه عجيب كيف لا يورث وقد تاب ولا وجه لما قيل انه كيف لا يعمل بمقتضى الشهادة (وان لم يقر) وقد شهد عليه (حتى قتل أو مات) حتف أنفه (ورث) و رثته المسلمون وهو مخفف أو مشدد لان الاصل بقاؤه على الاسلام (قال) ابن القاسم (وكذلك) أى مثل

(كل من أسر كفرا) ولم يظهره حتى قتل أومات (فانهم يتوارثون بوراثة الاسلام) كما كان المنافقون فى زمنه عليه الصلاة والسلام
(وسئل أبو القاسم ابن الكاتب عن النصرانى يسب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فيقتل هل يرثه أهل دينه أم المسلمون فاجاب انه) أى ماله (للمسلمين) فيئا (ليس) أى ماله لهم (على جهة التوارث لانه لا توارث بين أهل ملتين) كما ورد به الحديث (ولكن) ماله لهم (لانه من فيئهم لنقضه العهد هذا) أى الذى ذكر (معنى قوله) أى ابن الكاتب (واختصاره) بالرفع أى واختصار قوله

(الباب الثالث)

(فى حكم من سب الله تعالى وملائكته وأنبيائه وكتبه وآل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وأزواجه وصحبه لاخلاف ان ساب الله تعالى) بنسبة الكذب أو العجز اليه ونحو ذلك (من المسلمين كافر) قلت ومن الذميين أيضا كافر حربى (حلال الدم) بل واجب السفك (واختلف فى استتابته) أى قبول توبته (فقال ابن القاسم فى المبسوط) وفى نسخة المبسوطة (وفى كتاب ابن سحنون ومحمد) أى ابن المواز (ورواه ابن القاسم عن مالك فى كتاب اسحق بن يحيى من سب الله تعالى من المسلمين قتل ولم يستتب الا ان يكون) أى هو (افترى) وفى نسخة الا ان يكون أى سبه افتراء (على اقتصار ترداده) أى مصحوبا به (الى دين) غير دين الاسلام (دان به) أى اتخذه دينا وفيه انه لا يتصور دين يجوز سبه سبحانه فيه (وأظهره) أى دينه

من لم يقر حتى قتل أومات (كل من أسر) أى أخفى (كفرا) باى وجه يكون ولم يظهره حتى مات (فانهم يتوارثون بوراثة الاسلام) فتجرى عليهم أحكام الاسلام نظرا الظاهر حالهم (وسئل أبو القاسم بن الكاتب) تقدم بيانه (عن النصرانى يسب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فيقتل) بذلك (هل يرثه أهل دينه) النصارى (أم المسلمون فاجاب بانه) أى ميراثه فى ءبصرف (للمسلمين) لانه طعن فى الدين ونقض للعهد فماله كمال الحربى عندهم (ليس) ما أخذه المسلمون (على جهة الميراث لانه) لا توارث بين مسلم وكافر اذ (لا توارث بين أهل ملتين) كما ورد فى الحديث الصحيح (ولكن لانه) أى ماله (من فيئهم) الذى أفاءه الله عليهم (لنقضه العهد) بسبه له صلى الله تعالى عليه وسلم لانه طعن فى الدين وليس مما كفر به و (هذا معنى قوله) أى قول ابن الكاتب (واختصاره) أى ايراده بعبارة أخصر من عبارته ولذا لم ينقل لفظه بعينه وحكمه وحكم تصرفاته مفصل فى كتب الفقه

(الباب الثالث)

من هذا القسم (فى حكم من سب الله) بذكر ما هو عز وجل منزه عنه (و) حكم من سب (ملائكته وأنبيائه) عليهم الصلاة والسلام (وكتبه) المنزلة على رسله عليهم الصلاة والسلام (و) سب (آل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وأزواجه وصحبه) رضى الله تعالى عنهم أجمعين اما الملائكة فجمع ملك وأصله مالك من الالوكة وهى الرسالة فقلب وخفف كما مر وحقيقتهم عند المتكلمين أجسام لطيفة قادرة على التشكل باشكال مختلفة والفلاسفة وأوائل المعتزلة لا ينكرونها لكنهم أثبتوا جواهر روحانية غير جسمانية سموها عقولا وأهل الشرع سموها ملائكة وأثبتوا لها تصرفا فى العالم ومثلها الجن وأنكر الفلاسفة وبعض المعتزلة الملائكة والجن بالمعنى الذى فسرهما به المتكلمون من أنها أجسام من النور أو الريح قادرة على التشكل كما قاله الامام فى المحصل لانها ان كانت لطيفة كالهواء لم تقدر على الافعال القوية وان كانت كثيفة لزم ان تشاهد والا لزم ان يجوز وجود جبال شاهقة عندنا لا نشاهدها وقالوا الجن الارواح البشرية المفارقة لابدانها فهم لا ينكرونها أصلا ورأسا كما يتوهمه بعض الناس فيقول انه مخالف لنص القرآن والحديث وأجيب عما قالوه كما ذكره الكاتبى فى شرح المحصل بان اللطيف له معنيان ما لا لون له كالبلور وما هو رقيق القوام كالريح فجاز ارادة الاول فيقوى على الاعمال الشاقة ولا يرى أو الثانى ولا يرى لانها شفافة والشفاف لا يرى أو لان للرؤية شروطا وموانع أو لان الله لم يخلق رؤيتها لغيرها وقيل الجن والملائكة جنس واحد والكلام على هذا مفصل فى كتب الحكمة وقد تقدم الكلام على الآل وهم الاقارب والصحب اسم جمع لصاحب وهو معروف (قال القاضى أبو الفضل) عياض المؤلف رحمه الله تعالى (لاخلاف) فى (ان ساب الله تعالى كافر حلال الدم) أى مستحق للقتل شرعا فهو كناية عما ذكر بقرينة ان الحل والحرمة من صفات الافعال دون الذوات والمراد اذا سبه بما لم يكفر به كاثبات الولد والشريك فانه لا يقتل به الا اذا أظهره فانه نقض للعهد والظاهر ان المراد بالسب ما هو سب عندهم فيخرج هذا عنه فلا حاجة للجواب كما قيل (واختلف فى استتابته) أى طلب التوبة منه وقبولها (فقال ابن القاسم) رحمه الله تعالى (فى) كتابه الذى سماه (المبسوط وفى كتاب ابن سحنون ومحمد) بن المواز (ورواه ابن القاسم عن مالك فى كتاب اسحق بن يحيى من سب الله تعالى من المسلمين قتل ولم يستتب) أى لا تقبل توبته ولعظم جرمه لا تطلب منه توبة لانه قد يتوب فيتردد فى قتله (الا ان يكون) سبه (افتراء على الله بارتداده الى دين) غير الاسلام (دان به) أى اتخذه دينا أطاعه (وأظهره) ولم يخفه

(فيستتاب وان لم يظهره لم يستتب) أى وقتل لانه لو استتيب لاظهر التوبة وأخفى الكفر كالزنديق (وقال فى المبسوطة مطرف) أى ابن عبد الله وهو ابن أخت مالك (وعبد الملك) أى ابن حبيب أو الماجشون (مثله) مامر من التفصيل وفى نسخة قال مطرف وعبد الملك فى المبسوطة مثله وهو أولى كما لا يخفى (وقال المخزومى ومحمد بن مسلمة وابن أبى حازم) مات يوم الجمعة وهو ساجد فى مسجد النبى عليه الصلاة والسلام سنة أربع وثمانين ومائة (ولا يقتل المسلم بالسب) أى مطلقا أظهر أو لم يظهر (حتى يستتاب) أى على طريق الوجوب أو الاستحباب كما عليه الجمهور فى هذا الباب (وكذلك اليهودى والنصرانى فان تابوا اقبل منهم) توبتهم (وان لم يتوبوا قتلوا ولا بد من الاستتابة) فيه ايماء الى وجوبها (وذلك كله كالردة وهو) أى هذا التفصيل هو (الذى حكاه القاضى ابن نصر عن المذهب) أى مذهب مالك (وأفتى أبو محمد ابن أبى زيد فيما حكى عنه) بصيغة المجهول (فى رجل لعن رجلا ولعن الله عز وجل فقال) أى اللاعن (انما أردت ان ألعن الشيطان فزل لسانى) أى زلق (فقال) أى ابن أبى زيد (يقتل بظاهر كفره ولا يقبل عذره) لاحتمال كذبه مع ظهور كفره (واما فيما بينه وبين الله فمعذور) استصحابا لايمانه مع جزمه به وأقول الصواب انه ان استغفر وتاب لا يقتل لقوله عليه الصلاة والسلام رفع عن أمتى الخطا والنسيان (واختلف فقهاء قرطبة) بضم القاف والطاء بينهما راء ساكنة فموحدة بلد بالمغرب (فى مسئلة هارون بن حبيب أخى عبد الملك الفقيه وكان) أى هارون (ضيق الصدر) أى سيئ الخلق (كثير التبرم) أى الضجر وقلة الصبر (وكان قد شهد عليه بشهادات) متعددة فى حقه (منها) ولعلها أعظمها (انه قال عند استقلاله) أى قيامه (من مرض) عرض له (لقيت فى مرضى هذا ما لو قتلت أبا بكر وعمر لم استوجب هذا) أى المرض الشديد (كله فافتى

ابراهيم

(فيستتاب) أى يؤمر بالتوبة ورجوعه للاسلام (وان) ارتد لدين (لم يظهره لم يستتب) وقتل لانه زنديق لا يوثق بتوبته والافتراء الكذب عمدا وسمى فعله هذا افتراء مجازا أو لاستلزامه له (وقال فى المبسوطة مطرف) مشدد بزنة الفاعل وهو ابن أخت الامام مالك كما تقدم (وعبد الملك) بن حبيب أو ابن الماجشون (مثله) بالنصب أى مثل مامر تفصيله (وقال المخزومى ومحمد بن مسلمة) تقدم بيانه (وابن أبى حازم) بحاء مهملة وزاى معجمة وهو عبد العزيز بن سلمة بن دينار بن أبى حازم توفى سنة اربع أو خمس أو ست وثمانين ومائة وهو ساجد فى مسجد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (لا يقتل المسلم بالسب) أى سب الله الذى كفر به (حتى يستتاب) فان تاب والا قتل واليه ذهب الشافعى وغيره (وكذلك اليهودى والنصرانى) اذا سب الله تعالى واحد منهما لا يقتل حتى يستتاب (فان تابوا اقبل منهم) الاتيان بالتوبة (وان لم يتوبوا اقتلوا ولا بد من الاستتابة) قبل قتلهم وهذا حكمهم الآن اذ قويت شوكة الاسلام بخلاف زمنه صلى الله تعالى عليه وسلم اذ لم يقتل اليهود الذين قالوا يد الله مغلولة لما نزل أقرضوا الله قرضا حسنا فلم يستتبهم دفعا للفتنة (وذلك) أى ما تقدم من سب الله (كله كالردة) فى حكم الاستتابة (وهو) أى حكمه المذكور (الذى حكاه القاضى ابن نصر) تقدمت ترجمته (عن المذهب) أى مذهب الامام مالك ولبعض الشراح هنا كلام طويل بلا طائل وكيف يسوغ له البحث فى مسائل الفقه التى ينقلها مثل المصنف رحمه الله تعالى عن مذهبه (وأفتى الشيخ (أبو محمد بن أبى زيد) امام مذهب مالك المشهور (فيما حكى) ببناء المجهول (عنه فى رجل لعن رجلا) أى دعا عليه باللعنة (ولعن الله تعالى) عز وجل (فقال) معتذرا عما قاله (انما أردت ان ألعن الشيطان فزل لسانى) سبق خطا ما قلته (فقال) ابن أبى زيد رحمه الله تعالى فى فتواه (يقتل بظاهر كفره) بما قاله (ولا يقبل عذره) لمخالفته للظاهر (واما) حاله فى الآخرة (فيما بينه وبين الله فمعذور) ان صدق وترك هذا القيد لظهوره فلا اعتراض عليه وبهذا أفتى الشافعية لان مخالفة الظاهر الصريح لا تعتبر بدون قرينة وهى قاعدة مقررة عند الفقهاء هذا وفى كلام ابن حجر بعد قول المصنف رحمه الله تعالى ولا يقبل عذره وقضية مذهبنا قبوله (وأفتى فقهاء قرطبة) مدينة بالاندلس معروفة بضم القاف والطاء المهملة وموحدة (فى مسئلة هارون بن حبيب أخى عبد الملك الفقيه) الذى تقدمت ترجمته وأخوه هارون لا يعد من العلماء بل من الامراء (وكان ضيق الصدر) أى فى نفسه ضيق ونزق (كثير التبرم) أى الضجر والقلق مما يصيبه كما فسر به فى الصحاح (وكان) هارون (قد شهد) ببنائه المجهول (عليه بشهادات) فى أمور تقتضى تكفيره (منها انه قال فى استقلاله) أى فى زمن افاقته وقيامه (من مرض) أصابه من قولهم استقل اذا ارتفع والمراد انه برئ منه فقال برئ منه (لقيت فى مرضى هذا ما) أى أمرا (لو) كنت (قتلت أبا بكر وعمر) رضى الله تعالى عنهما وفى نسخة ما قد لو قتلت الخ (ما استوجبت) أى استحقيت (هذا) الذى لقيته (كله فافتى

ابراهيم بن حسين) وفى نسخة حسن (ابن خالد) مات سنة سبع ومائتين فى رمضان (بقتله لانه) وفى نسخة وان (مضمن قوله) بتشديد الميم الثانية المفتوحة أى مضمونه (تجوير الله تعالى) أى نسبته الى الجور وهو ضد العدل (وتظلم) أى واظهار ظلم (منه) سبحانه وتعالى (والتعريض فيه) أى فى وصفه تعالى (كالتصريح وأفتى أخوه عبد الملك بن حبيب وابراهيم بن حسن) وفى نسخة حسين (ابن عاصم) مات سنة ثمان وخمسين ومائتين (ومنصور) وفى نسخة سعيد (ابن سليمان) القاضى (بطرح القتل) أى بتركه ووضعه (عنه) بمعنى انه لا يتحتم قتله (الا ان القاضى) وهو سعيد بن سليمان (رأى عليه التثقيل) أى التضييق والتنكيل (فى الحبس) كمية وكيفية (والشدة فى الادب) بكثرة الضرب (لاحتمال كلامه الكفر) الموجب لقتله (وصرفه) أى واحتمال صرفه (الى التشكى) وهو اظهار الشكاية من الخالق الى المخلوق وهو احتمال بعيد كما لا يخفى ولعل المراد به المبالغة فى بيان شدة مرضه وله تاويل آخر كما سياتى وهو اظهر فكان الصواب انه يستتاب هذا وقد حكى النووى فى الروضة ما أفتوا به ولم يرجح منه رأيا لكن قوله وقد حكى القاضى عياض جملة من الالفاظ المكفرة يقتضى ترجيح رأى من أفتى بقتله (فوجه من قال فى ساب الله بالاستتابة) كالمخزومى وغيره هو (انه) أى سبه تعالى (كفر وردة محضة لم يتعلق بها حق لغير الله تعالى) أى من عباده وفيه بحث اذ عباده مماليكه وحق المولى حق للموالى فيجب ان يقوموا بحقهم كما يجب على الامة ان يقوموا بحق رسولهم والصواب فى المسئلتين ان يستتاب لقوله تعالى الا من تاب (فاشبه قصد الكفر بغير سب الله تعالى واظهار) أى وأشبه اظهار (الانتقال الى دين آخر من الأديان المخالفة لدين الاسلام) وفيه انه لا يعرف دين جوز فيه سب الله سبحانه وتعالى حتى عبدة الاصنام يقولون ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى فهو لاشك انه أعظم من سب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم والله سبحانه وتعالى أعلم (ووجه ترك استتابته) كما قاله ابن القاسم وغيره

ابراهيم بن حسين بن خالد) من اجلاء فقهاء المالكية بقرطبة توفى فى سنة ثمان وخمسين ومائتين (بقتله لان مضمن قوله) هو بالتشديد بزنة اسم المفعول أى ما تضمنه (تجوير الله) بجيم وراء مهملة أى نسبته للجور (والتظلم منه) أى القول بانه ظالمه بما فعله (والتعريض فيه) أى فى نسبة الله تعالى لما لا يليق به (كالتصريح) أى كحكمه فى التكفير وايجاب القتل ومعنى التعريض ما يقابل التصريح وهو من الكناية وليس هذا محل بيانه وقول المصنف رحمه الله تعالى التعريض كالتصريح وهو نقل عن أئمة مذهبه فلا وجه للاعتراض عليه بان الفقهاء قالوا فى كتب الفقه ليس حكمه حكم الصريح ونقله عن الشافعية (وأفتى أخوه عبد الملك بن حبيب) الذى تقدمت ترجمته (وابراهيم بن حسن بن عاصم) وصحح فى بعض النسخ حسين بالتصغير بدله وهو الفقيه الجليل القرطبى توفى فى رمضان سنة سبع ومائتين (وسعيد بن سليمان القاضى بطرح القتل عنه) أى دفعه وأصل معنى الطرح الرمى للحقرات ففى التعبير به ايماء الى ان قتله جائز ولكنه درئ عنه (الا ان القاضى رأى عليه التثقيل) بوضع القيود والاغلال (فى الحبس والشدة) أى التشديد (فى الادب) والنكال (لاحتمال كلامه) لما ذكر من نسبة الله تعالى للجور والظلم (وصرفه الى التشكى) من المرض لتالمه به لا الشكاية من الله ولهذا الاحتمال دفع عنه القتل وذكر النووى القولين فى الروضة من غير ترجيح وقال شيخ الاسلام زكريا فى شرح الروض الذى رجحه المحب الطبرى انه لا يكفر قال ابن حجر والذى عندى ان يفصل فيقال ان أراد بذلك ان الله شدد عليه ذلك لذنوب سبقت له أو نحو ذلك لم يكفر وان أراد انه لم يفعل معه الاصلح فى حقه فان كان مع اعتقاد ان ما فعله معه جور كفر أو انه تعالى لا يجب عليه الاصلح أو اطلق لم يكفر انتهى وليس ما ذكر مبنى على مسئلة وجوب الاصلح على الله وعدم وجوبه على الخلاف المذكور فى الاصل كما توهم * واعلم ان ابن مفلح قال فى كتاب الآداب الشرعية ان ابن عقيل رحمه الله قال الرضاء بقضاء الله فى الامراض ونحوها من المصائب واجب وقال الشيخ تقى الدين انه ليس بواجب على الاصح وانما الواجب الصبر وفيه كلام أطال فيه والحاصل ان المصائب والامراض ليست بذنب سبق من العبد وانما هى ابتلاء من الله يثيب عبده عليه كما ورد فى الاحاديث وقد تقدم شئ منه فيما يصيب الانبياء وقول هذا القائل يقتضى انه يعتقد انها تصيبه بذنوب سلفت منه وهذا جهل منه (فوجه) قول (من قال فى ساب الله بالاستتابة) أى انه يطلب منه التوبة فان تاب والا قتل (انه) أى السب (كفر وردة محضة) أى خالصة ظاهرة (لم يتعلق بها حق لغير الله تعالى) من عباده وحق الله تعالى لكرمه وغناه مبنى على المسامحة (فاشبه) السب (قصد الكفر بغير سب الله) فى ان كلا منهما ردة (و) أشبه (اظهار الانتقال) عن دين الاسلام (الى دين آخر من الأديان) كالنصرانية (المخالفة للاسلام) سواء أظهره أم لا (ووجه) قول (من قال بترك استتابته) كما تقدم نقله عن بعض أئمة المالكية وفى نسخة ووجه

(انه) أى الساب (لما) وفى نسخة اذا (ظهر منه ذلك) أى سب مولاه سبحانه وتعالى (بعد اظهار الاسلام) وقبول الاحكام (قبل) أى قبل اظهاره السب (اتهمناه) بتشديد التاء أى أوقعناه فى التهمة بالكفر (وظننا ان لسانه لم ينطق به الا وهو معتقد له اذ لا يتساهل فى هذا) السب (أحد) بان ينطق به بدون اعتقاده (فحكمه) أى لقائله (بحكم الزنديق ولم تقبل توبته) اذ قد يتمادى على اخفاء كفره واظهار ايمانه وهذا كالمنافق لكن فيه ان الزنديق من تحقق كفره باطنا وايمانه ظاهرا وهذا ليس كذلك وأيضا الزنديق فى التحقيق من لا ينتحل دينا وبهذا يفارق

المنافق لثبوته على عقيدة واحدة فاسدة (واذا انتقل من دين الى دين آخر فاظهر السب بمعنى الارتداد) وفيه انه لا يوجد دين يجوز فيه سبه سبحانه كما قدمناه (فهذا) المنتقل (قد أعلم) بصيغة المجهول أى من حاله وفى نسخة قد علم (انه خلع ربقة الاسلام) بكسر الراء فوحدة ساكنة فقاف مفتوحة أى قيده وتعلقه (من عنقه) فيستتاب فان تاب والا قتل وفى الحديث من فارق الجماعة قدر شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه (بخلاف الاول المتمسك) وفى نسخة المستمسك (به) أى بالاسلام فانه بمجرد سبه تعالى لم يعلم انه خلع ربقته من عنقه لتمسكه به ظاهرا كذا ذكره الدلجى وفساده ظاهر لا يخفى (وحكم هذا) المنتقل (حكم المرتد يستتاب على مشهور مذهب) وفى نسخة مذاهب (العلماء) وفى نسخة مذاهب أكثر أهل العلم وتحقيق كأبى حنيفة والشافعى وأحمد (وهو مذهب مالك وأصحابه على ما بيناه قبل) أى قبل ذلك فى أوائل الباب (وذكرنا الخلاف فى فصوله) بسبب الاختلاف فى بعض أصوله وأغرب الدلجى فى قوله أى فى فصوله الآتية بعد

* (فصل) * (واما من أضاف الى الله تعالى ما لا يليق به ليس على طريق السب) حال من الضمير قبله (ولا الردة) وفى نسخة ولا على الردة (وقصد الكفر ولكن ذلك) المضاف (على طريق التاويل) الفاسد (والاجتهاد) الكاسد (والخطا المفضى) وفى نسخة واجتهاد الخطا المفضى أى الموصل (الى الهوى) أى هوى النفس

ترك استتابته (انه لما ظهر منه ذلك) السب المقتضى للكفر (بعد اظهار الاسلام قبل) غاية مبنى على الضم أى سب الذى صدر منه (اتهمناه) جواب لما أى صار له تهمة فى الكفر (وظننا ان لسانه لم ينطق به الا وهو معتقد) له مصمم عليه بقلبه لفساد عقيدته (اذ لا يتساهل) أى بعد سهلا هنا يتكلم به من غير تدبر (فى هذا) أى سب الله تعالى شانه (أحد) له عقل ودين (فحكمه بحكم الزنديق) لان ظاهره الاسلام وباطنه مضمر لخلافه بدليل ما صدر منه والزنديق لا يستتاب فلما أشبهه حكم له بحكمه وهذا لا يقتضى ان سب الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ليس ردة محضة حتى يشكل جريان الخلاف فيه كما قيل بل لان حق الله له حكم يخصه كما تقرر عنه الفقهاء (ولم تقبل توبته) لاخفائه الكفر فالظاهر استمراره عليه وان توبته انما هى ليخلص من القتل وهذا ظاهر فى ان معنى الزنديق من يظهر الاسلام ويخفى الكفر كالمنافق وقيل هو من لا ينتحل دينا كما تقدم (واذا انتقل من دين الى دين آخر وأظهر السب بمعنى الارتداد) أى بمعنى يقتضى انه صار مرتدا (فهذا) المنتقل من دين لآخر بسبب ردته (قد علم) بفعله هذا (انه خلع ربقة الاسلام من عنقه) أى خرج من الاسلام خروجا ظاهرا الى الكفر وهو استعارة لان الربقة عروة فى حبل تربط بها البهائم وتشد فاذا خلعتها أى رمتها من عنقها شردت وذهبت نافرة فجعل أحكام الدين وحدوده المانعة بالتزامها من المعاصى والكفر كالحبل الذى يربط به وفيه اشارة الى انه ملحق بالحيوانات العجم ان هم الا كالانعام بل هم أضل وهو مقتبس من الحديث الآتى من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه والجماعة أهل السنة والربقة بكسر فسكون وجمعه رباق (بخلاف الاول المتمسك به) أى بالاسلام فانه بمجرد سبه الله تعالى شانه لم يعلم انه خلع ربقة الاسلام لتمسكه به ظاهرا فاشبه من قصد الكفر بغير سب (وحكم هذا) الذى انتقل من دين الى آخر وأظهر السب (حكم المرتد) الذى خلع ربقة الاسلام من عنقه (يستتاب) فان تاب قبلت توبته والا قتل (على مشهور مذهب أكثر أهل العلم) من أكثر علماء الحنفية والشافعية والحنبلية (وهو مذهب مالك وأصحابه) فى كتبهم (على ما بيناه قبل) فى الباب الاول (وذكرنا الخلاف) مفصلا (فى فصوله) الآتية بعد

* (فصل واما من أضاف الى الله تعالى) * أى نسب اليه (ما لا يليق به) أى لا ينبغى ان يعتقده أحد فى حقه (ليس على طريق السب) أى لم يذكر قائله بقصد السب فجعل ما قصد به أمر كمن جلس فى طريق يمر به ذلك الامر فهو مجاز أو كناية عما ذكر (ولا الردة) أى ليس ذكره له على طريق الردة أى على وجه يقتضيها (وقصد الكفر) أى قصد ما يعد كفرا (ولكن) كان ذكره لما لا يليق (على طريق التاويل) أى قصد غير ما يظهر منه (والاجتهاد) أى يقوله اجتهادا برأيه فيه (والخطا) فى اجتهاده (المفضى) بفاء وضاد معجمة (الى الهوى) أى قوله المؤدى الى أمر من هوى نفسه من غير نظر للحق

(والبدعة) من بدع الضلالة الناشئة عن الجهالة بتحقيق الكتاب والسنة (من تشبيه) بيان لما لا يليق به سبحانه كتشبيه المجسمة سبحانه وتعالى من انه على صورة شاب فى جهة العلو مماسا للعرش أو محاذيا له (أو نعت بجارحة كالوجه والعين) واليد واليمين والقبضة والجنب والاستواء والنزول ونحوها من حملها على ظاهرها من غير تنزيه ولا تاويل (أو نفى صفة كمال) كنفى المعتزلة صفاته القديمة الذاتية حذرا من تعدد القدماء وأما ما ذهب اليه بعض الحكماء من أنه تعالى يعلم الكليات دون الجزئيات فليس فى كفر قائله خلاف للعلماء (فهذا) الذى أضيف اليه تعالى على التاويل فى التنزيل (مما اختلف السلف والخلف فى تكفير قائله ومعتقده) والحق عند الاشعرى وأكثر أصحابه وأكثر الفقهاء كأبى حنيفة لا يكفر و بعدم تكفيره يشعر قول الشافعى لا أرد شهادة أهل الاهواء الا الخطابية لاستحلالهم الكذب فى الشهادة بناء على غلبة الظن وقد أوضحت هذا المبحث فى شرح الفقه الاكبر (واختلف قول مالك وأصحابه فى ذلك) أى هل يكفر معتقده أم لا وسيأتى قريبا (ولم يختلفوا) أى أصحاب مالك أو سائر العلماء لذلك (فى قتالهم اذا تحيزوا) أى انفردوا (فئة) أى جماعة مجتمعة بمكان معين منعزلين عن أهل الحق لاشعار ذلك بمخالفتهم ومناواتهم واظهار معاداتهم كالخوارج فى زمن على كرم الله وجهه والروافض فى زماننا خذلهم الله سبحانه وتعالى (وانهم يستتابون فان تابوا والا قتلوا وانما اختلفوا) أى أصحاب مالك (فى المنفرد منهم فأكثر قول مالك) أى المنقول عنه (وأصحابه ترك القول بتكفيرهم وترك قتالهم) بالرفع (والمبالغة) بالرفع (فى عقوبتهم واطالة سجنهم حتى يظهر اقلاعهم) أى اعراضهم عنه ورجوعهم منه (وتستبين توبتهم) الا أن الرافضة القائلين بالتقية لا تتحقق منهم التوبة بالباطنية (كما فعل عمر رضى الله تعالى عنه بصبيغ) بفتح مهملة وكسر موحدة فتحتية ساكنة فغين معجمة تميمى بصرى خارجى الراى وكان يتبع مشكل القرآن و يسال الناس عنه وكان كما أخبر الله به فى كتابه فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تاويله فقدم على عمر رضى الله عنه وكان أعدله جرائد ليضربه بهن فلما جلس بين يدى عمر قال له من أنت قال له أنا عبد الله صبيغ فقال له عمر وأنا عبد الله عمر فضربه عمر حتى شجه بتلك العراجين فجعل الدم يسيل على وجهه فقال حسبك يا أمير المؤمنين فقد والله ذهب ما كنت أجده فى رأسى وفى رواية ضربه عمر حتى صار ظهره كالبردعة ثم سجنه حتى قارب البرء

وتحقيق له. (والبدعة) أى اختراع أمر لم يسبق اليه ولم يرد فى الشرع والمراد البدعة التى هى ضلالة فان البدعة قد تستحسن لعدم مخالفتها الشرع وقد تكون واجبة كما فصل فى محله ومقصوده بهذا الفصل بيان حكم من خالف أهل السنة من الفرق الذين لهم مذاهب مذكورة فى الاصول كالمعتزلة ومن ضاهاهم (من تشبيه) أى تشبيه الله تعالى بغيره كاثبات يد له وجسم وهذا بيان لما لا يليق (أو نعت) أى وصف الله سبحانه وتعالى (بجارحة) أى باثبات جارحة له والجارحة العضو من اجترح وجرح بمعنى اكتسب قال الله تعالى و يعلم ما جرحتم كاليد والعين والوجه ونحوه مما ورد فى القرآن والاحاديث ولم يقصد ظاهره كالاستواء على العرش مما هو مصروف عن ظاهره كما سياتى بيانه (أو نفى صفة كمال) كنفى المعتزلة للصفات فرارا من تعدد القدماء والمحذور انما هو فى اثبات ذوات قدماء لا ذات وصفات واحترز بقوله كمال عن الصفات السلبية فلا وجه لما قيل انه لم يحترز به عن شئ لان صفاته كلها كمال (فهذا) المضاف اليه تعالى مع تاويله (مما اختلف السلف) المتقدمون (والخلف) المتاخرون (فى تكفير قائله ومعتقده) اى جمله كافرا فذهب الاشعرى الى عدم تكفير أهل الاهواء والمذاهب المردودة وعلى ذلك أكثر الفقهاء من الحنفية والشافعية وليس على اطلاقه كما ستراه (واختلف قول مالك وأصحابه فى ذلك) أى فى تكفير أهل الاهواء (ولم يختلفوا فى قتالهم اذا تحيزوا فئة) أى فارقوا أهل السنة وانفردوا بمكان مختص بهم لاظهارهم المخالفة وخشية اضلال العامة والخروج اذا قويت شوكتهم (و) لم يختلفوا أيضا فى (انهم يستتابون) أى نطلب توبتهم ورجوعهم عما قالوه واعتقدوه (فان تابوا) ورجعوا عما هم عليه قبلت توبتهم (والا قتلوا) دفعا لشرهم واضلالهم لغيرهم (وانما اختلفوا) أى مالك وأصحابه (فى المنفرد) الذى ليس معه جماعة يتحيز بها عن غيره (منهم) أى ممن نسب لله ما ذكر (فأكثر قول مالك وأصحابه ترك القول بتكفيرهم) للنهى عن تكفير أهل القبلة (وترك قتالهم) لتاويلهم ورجاء توبتهم ورجوعهم ولعدم ضررهم لغير أنفسهم وفى نسخة وترك قتلهم (والمبالغة فى عقوبتهم) أى تشديد عقوبتهم (واطالة سجنهم) بفتح السين أى حبسهم مدة طويلة (حتى يظهر اقلاعهم) أى رجوعهم عما هم فيه من القلع بمعنى النزع والازالة أريد به ما ذكر (وتستبين) أى تظهر (توبتهم) ورجوعهم للحق (كما فعل عمر) بن الخطاب رضى الله تعالى عنه (بصبيغ) بفتح الصاد المهملة وكسر

ثم ضربه كذلك ثم سجنه فقال له ان أردت قتلي فاقتلني والا فقد شفيتني شفاك الله فارسله عمر ونهى أن يجالس فكان بالبصرة لا يكلمه أحد ولا يجالسه ولا يرد في حلقة الا قاموا وتركوه وكان مع ذلك وافر الشعر لا يحلق رأسه (وهذا) أي القول بالمبالغة في عقوبتهم (قول محمد بن المواز في الخوارج) وهم فرق شتى متفقون على ان من أذنب صغيرة أو كبيرة فقد كفر وهم يكفرون عثمان وعليا وطلحة والزبير وعائشة ويعظمون أبابكر وعمر ذكره فخر الدين الرازي (وعبد الملك بن الماجشون) بالجر أي وقوله (وقول سحنون) بالرفع أي وكذا قوله (في جميع أهل الاهواء) كالرافضة وغيرهم من المبتدعة كالقدرية والمرجئة ممن خالف الكتاب والسنة واجماع الامة وهم اثنتان وسبعون والناجية منها أهل السنة وبها ثلاث وسبعون وقد تكلم عليها بالتعيين في جميعها أبو اسحق الشاطبي في الحوادث والبدع مما يؤدي ذكره الى طوله والله الموفق للحق بفضله وقد قال تعالى ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء انما أمرهم الى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون وفي الحديث ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلهم في النار الا واحدة قالوا وماهي

يارسول الله قال ماانا عليه وأصحابي (وبه) أي بالقول بالمبالغة في عقوبتهم (فسر قول مالك) بصيغة المجهول (في الموطا ومارواه عمر) عطف تفسير لما قبله وفي نسخة عن عمر وفي أصل الدلجي مارواه على انه بدل من قول مالك أي فسر بعض أصحابه ماقاله روايه عن عمر (ابن عبد العزيز وجده) أي مروان بن الحكم (وعمه) عبد الملك بن مروان (من قولهم في القدرية) بفتح الدال ويسكن (يستتابون فان تابوا والا قتلوا) وهم طائفة ينكرون ان الله تعالى قدر الاشياء في القدم وعلم سبحانه وتعالى في الازل انها ستقع في أوقات معلومة وعلى صفة مخصوصة بحسب ماقدره سبحانه وتعالى وعظم شانه وسموا بذلك لانكارهم القدر واسنادهم افعال العباد الى قدرتهم قال النووي وقد انقرضوا باجمعهم ولم يبق أحد من أهل القبلة على ذلك ولله الحمد انتهى وصارت القدرية في هذا الزمان الذين يعتقدون الخير من الله والشر من غيره كالمعتزلة ومن تبعهم كما سيأتي (وقال عيسى) قال الحلبي لعله ابن ابراهيم بن مثرود وقال الدلجي لعله أبو موسى الغافقي (عن ابن القاسم في أهل الاهواء) أي البدع المختلفة الآراء (من الاباضية) بكسر الهمزة فوحدة مخففة بعدها ألف فضاد معجمة فياء نسبة طائفة من الخوارج أصحاب عبد الله بن عياض التميمي ظهر في زمان مروان بن محمد آخر ملوك بني أمية وقتل آخر الامر كانوا يزعمون أن مخالفيهم من أهل القبلة كفار غير مشركين ومناكحتهم جائزة وغنيمة سلاحهم وكراعهم عند الحرب دون غيرهم ودارهم دار الاسلام الا معسكر سلطانهم وتقبل شهادة مخالفيهم عليهم

بالباء الموحدة وسكون المثناة التحتية وغين معجمة وهو رجل من بني يربوع اسمه صبيغ بن شريك ابن عسل بكسر العين وسكون السين المهملتين قال ابن ماكولا كان يتتبع مشكل القرآن ومتشابهه فامر عمر رضي الله تعالى عنه بضربه ومنع الناس من مجالسته (وهذا قول محمد بن المواز في الخوارج وعبد الملك بن الماجشون) وهم جماعة كانوا مع علي كرم الله وجهه في صفين ثم خالفوه وخرجوا عليه لانكارهم التحكيم وقولهم لاحكم الا لله ولهم عقائد مخالفة للسنة كتكفير مرتكب الكبيرة ووجوب الخروج على الامام اذا خالف السنة ومع ذلك كان لهم من العبادة والشجاعة والتصلب فيما يعتقدونه أمور عجيبة وقد أخبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بهم قبل ظهورهم وقصتهم مع علي رضي الله تعالى عنه وقتاله لهم مشهور في التواريخ (و) هو أيضا (قول سحنون في جميع أهل الاهواء) من الفرق الضالة المضلة المفصلة في محالها فتشدد عقوبتهم ولا نقتلهم بل نطيل سجنهم حتى يتوبوا (وبه) أي بما ذكر (فسر قول مالك في الموطا) كتابه المشهور وفسر قول مالك بقوله (ومارواه) مالك وفي نسخة ماروا بدون واو بدل من قول مالك أي فسر بعض أصحابه ماقاله رواية (عن عمر بن عبد العزيز عن جده) مروان بن الحكم (وعمه) عبد الملك بن مروان (من قولهم) بيان لما (في القدرية يستتابون فان تابوا) تركوا (والا قتلوا) لكفرهم عامر وهؤلاء طائفة قالوا بنفي القدر وان الامر أنف لم يسبق تقديره فنسبتهم للقدر للملابسة السلبية وقد ورد في الحديث انهم مجوس هذه الامة شبههم بهم لاضافتهم الامر لغير الله من النور والظلمة والكلام عليهم وعلى عقائدهم مفصل في كتب الاصول وهم أصحاب واصل بن عطاء الغزال وهم يقولون يقع في ملكه مالا يريده تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا (وقال عيسى) ابن ابراهيم كما تقدم وقيل هو أبو موسى الغافقي (عن ابن القاسم) تقدم بيانه (في أهل الاهواء) أي الآراء الفاسدة الذين اتبعوا فيها أهواءهم الفاسدة (من الاباضية) بكسر الهمزة وبالباء الموحدة والضاد المعجمة

(والقدرية وهم) اتباع واصل بن عطا سموا قدرية لانكارهم القدر وان العبد يخلق فعله الشر دون الخير ومنهم المعتزلة والزيدية والرافضة وقد قال عليه الصلاة والسلام القدرية مجوس هذه الامة لمشاركتهم المجوس في اثبات خالق للخير وخالق للشر (تنبيه) قالت القدرية لسنا بقدرية بل انتم يعنون أهل الحق القدرية لاعتقادكم ثبات القدر وأجيب بان هذا تمويه منهم فان أهل الحق يفوضون أمورهم الى الله سبحانه وتعالى ويضيفون خلق الافعال السيئة الى قدرته سبحانه وتعالى وهؤلاء يضيفونها الى أنفسهم ومدعي الشئ لنفسه ومضيفه اليه أولى بان ينسب اليه ممن يعتقده لغيره وينفيه

عن نفسه هذا وقد ورد في الاحاديث أوصاف القدرية بحيث ترتفع هذه الشبهة بالكلية (وشبههم) بفتحتين وبكسر فسكون أي وأمثالهم (ممن خالف الجماعة) الذين هم أهل البدع) أي المخترعين عقائد الضلالة التي لم يخرج بها عن الاسلام وأما قول الدلجي كالنصيرية فخطأ فاحش فانهم طائفة يعبدون عليا فهم كفرة ومشركون اجماعا (والتحريف لتاويل كتاب الله تعالى) بتاويل باطل ظاهر راعي مقتضى آرائهم الفاسدة وأهوائهم الكاسدة (يستتابون) أي مطلقا سواء (أظهروا ذلك) أي معتقدهم (أو أسروه فان تابوا قبلت توبتهم (والاقتلوا وميراثهم لورثتهم) اجماعا الا ان قتلهم انما هو لارتكابهم البدعة زجرا لهم عنها على طريق السياسة (وقال مثله) أي مثل قول عيسى (أيضا ابن القاسم في كتاب محمد) أي ابن المواز (في أهل القدر وغيرهم) من المبتدعة مخالفي أهل السنة (قال) أي ابن القاسم أو محمد (عنه واستتابتهم ان يقال لهم اتركوا ما أنتم عليه) من الاعتقاد الفاسد والعمل الكاسد فان تابوا فبها ونعمت والا قتلوا حدا وميراثهم لورثتهم وفيه ان المبتدعة لا توبة لهم الا اذا أظهروها من عند أنفسهم (ومثله) أي مثل ما قال ابن القاسم في كتاب محمد (له في المبسوط في الاباضية والقدرية وسائر أهل البدع) من انهم يستتابون (قال) أي ابن القاسم (وهم مسلمون) أي داخلون في فرق أهل الاسلام والتوارث قائم بينهم (وانما قتلوا لرأيهم السوء) حدا للسياسة زجرا عن البدعة (وبهذا) أي ويقول ابن القاسم (عمل عمر بن عبد العزيز قال ابن القاسم من قال ان الله لم يكلم موسى تكليما استتيب

المعجمة جماعة من الخوارج أصحاب عبد الله بن أباض ظهروا في خلافة مروان بن محمد آخر بني أمية زعموا أن من خالفهم كافر غير مشرك يجوز مناكحته (والقدرية وشبههم) في عقائدهم الباطلة (ممن خالف الجماعة) أي أهل السنة فان الجماعة عند الاطلاق ينصرف لهم لاجتماعهم على الحق (من أهل البدع) أي الضلالة كالنصيرية والاسمعيلية وغيرهم ممن فصل في كتاب الملل والنحل (والتحريف لتاويل كتاب الله تعالى) بتفسيره وتاويله بالتاويلات الباطلة (يستتابون) أي تطلب منهم توبتهم ورجوعهم عن اعتقاداتهم الفاسدة سواء (أظهروا ذلك) الاعتقاد حتى أطلعنا عليه (أو أسروه) أي اخفوه بحيث لا يطلع عليه الا من هو منهم (فان تابوا) قبلت توبتهم وعفي عنهم (والا) أي ان لم يتوبوا (قتلوا وميراثهم لورثتهم) من المسلمين لانهم يقولون انهم على الاسلام ويتاولون النصوص الدالة على خلافهم وانما قتلوا لاصرارهم على البدع المخالفة للحق كما يقتل تارك الصلاة لا للحكم بكفرهم فلا يرد عليه ما قيل انهم اذا قتلوا لكفرهم كيف يرثهم المسلمون مع ما فيهم من مانع الارث ولا فرق بينه وبين المرتد والفرق مثل الصبح ظاهر (وقال مثله) أي مثل قول عيسى (أيضا) تاكيد لمثله (ابن القاسم في كتاب محمد) بن المواز (في أهل القدر وغيرهم) من أهل البدع المخالفين في العقائد لاهل السنة (قال) أي ابن القاسم أو محمد (واستتابتهم) معناها (ان يقال لهم اتركوا ما أنتم عليه) من العقائد الباطلة فان لم يتركوا قتلوا وورثهم ورثتهم كما تقدم (ومثله) أي مثل قول ابن القاسم في كتاب محمد المنسوب (له في) كتاب (المبسوط) في حق (الاباضية والقدرية) الذين بيناهم (وسائر أهل البدع) من الفرق الضالة فيستتابوا والا قتلوا (قال) ابن القاسم (وهم مسلمون) لاظهارهم الاسلام وشعائره (وانما قتلوا) جواب سؤال مقدر تقديره لم قتلوا مع كونهم مسلمين فقال في جوابه (لرأيهم) أي ما رأوه من العقيدة (السوء) بفتح فسكون أي السيئ المخالف لجماعة السنة وأهل الحق (وبهذا) أي بما وافق ما قاله ابن القاسم (عمل) الخليفة الراشد (عمر بن عبد العزيز) بن مروان بن الحكم أي عمل به وحكم في زمان خلافته به وقد استشكل بعض الشراح كلام المصنف فيما نقله عن ابن القاسم بان القدرية اطلقوا تارة على من ينفي القدر كله ويقول ان الامور أنفة أي مستانفة ليس فيها لله قدرة ولا علم بها وهؤلاء كفرة كما في الحديث المار انهم مجوس هذه الامة وهذه الطائفة كانت في آخر الدولة الاموية وانقرضوا فان فسروا بهم فلا يصح قوله وهم مسلمون وتارة على المعتزلة القائلين بان الشر ليس بارادة الله تعالى وتقديره وهؤلاء لا يحكم بكفرهم قلت اذا حمل على هذا فلا اشكال فيما قاله ابن القاسم وان كان هو لم يبين مراده لانهم لكونهم انقرضوا كان كلامه منصرفا اليهم بقرينة خارجية (وقال ابن القاسم من قال ان الله تعالى لم يكلم موسى تكليما) مصدر مؤكد لنفي احتمال التجوز فيه (استتيب) بطلب توبته ورجوعه

فان تاب والاقتل) لكفره اجماعا بانكاره تكليمه مع وروده فى القرآن وكلم الله موسى تكليما قال الانطاكى ونحو قول ابن القاسم هذا عن أحمد بن حنبل فانه روى عنه انه قال من زعم ان الله لم يكلم موسى فهو كافر اقول ولا يتصور ان يكون فيه خلاف وتحقيق بحث الكلام محله علم الكلام (وابن حبيب) مبتدأ (وغيره من أصحابنا) المالكية (يرى تكفيرهم) أهل البدع (وتكفير أمثالهم) أى من التابعين لاقوالهم (من الخوارج والقدرية والمرجئة) بالهمزة والياء اسم فاعل وهم فرقة يزعمون انه لا يضر مع الايمان معصية كما انه لا ينفع مع الكفر طاعة وان الله تعالى لا يعذب الفسقة من هذه الامة سموا بذلك لاعتقادهم انه ارجا تعذيبهم من العاصى أى أخره عنهم يقال ارجات الامر وارجيته أى أخرته ومنه قوله تعالى حكاية ارجه وأخاه فيه ست قرا آت فى السبعة هذا وفى المنتقى من كتب أصحابنا عن أبى حنيفة لا نكفر أحدا من أهل القبلة وعليه أكثر الفقهاء ومن أصحابنا من قال بكفر المخالفين وقالت قدماء المعتزلة بكفر القائل بالصفات القديمة وبخلق الافعال وقال الاستاذ أبو اسحق نكفر من يكفرنا ومن لا فلا ولعل من كفر لاحظ التغليظ والزجر والسياسة ومن امتنع راعى الاحتياط فى حرمة أهل القبلة وهذا أسلم والله تعالى أعلم (وقد روى أيضا عن سحنون مثله) أى مثل قول ابن حبيب وغيره بتكفير من ذكر (فيمن قال ليس لله كلام) أى لا نفسى ولا غيره (انه كافر) وهذا الاخلاف فيه لانكاره مانص الله به فى كتابه (واختلفت الروايات عن مالك) أى فى تكفير المبتدعة من أهل القبلة (فاطلق فى رواية الشاميين أبى مسهر) الغسانى وفى نسخة أبو مسهر بتعزيرهم (ومروان بن محمد الطاطرى) بفتح الطاء الثانية من المهملتين كان يبيع ثيابا بيضا يقال لها الطاطرية روى عن مالك وعنه الدارمى وغيره امام قانت لله (الكفر عليهم) مفعول أطلق ولعله أراد التغليظ للزجر فيهم

عما اعتقده (فان تاب) ورجع عن انكاره لكلام الله تعالى قبلت توبته (والاقتل) لانكاره لما أخبر الله به فى كلامه الكريم المتواتر فان أراد ابن القاسم انه يكفر لانكاره القرآن وتكذيبه لما قاله أصدق القائلين من غير تفصيل فيه فله وجه وان أراد ان ماذهب اليه المعتزلة من ان ماسمعه موسى عليه الصلاة والسلام خلقه الله تعالى فى الشجرة لانه صوت وحروف حادثة صدرت منه لان ذاته لا تقوم بها الحوادث والكلام النفسى لا يسمع عندهم فتكفيرهم بهذا غير مسلم والكلام على مسئلة الكلام مفصل فى كتب الاصول لا يسع تفصيله هذا المقام وقد أفردوه بالتاليف (وابن حبيب وغيره من أصحابنا) المالكية فعنى صحبته موافقتهم مذهبا لا صحبة حقيقة (يرى) أى يعتقد (تكفيرهم) أى انهم كفروا باعتقاداتهم هذه (و) يرى (تكفير أمثالهم) من أهل البدع والعقائد الفاسدة (من الخوارج) بيان لامثالهم وقد تقدم بيان الخوارج (والقدرية) الذين تقدم ذكرهم (والمرجئة) مهموز بزنة اسم فاعل من الارجاء وهو التاخير والامهال وهم فرق خمس ذهبوا الى انه لا تضر معصية مع الايمان كما لا تنفع طاعة مع الكفر وتكفيرهم لانكارهم النصوص المتواترة وما علم من الدين بالضرورة وقيل كان ينبغى ان يسموا المتركة لدلالته على انه لا عذاب أصلا مع موافقته لقولهم الغفلة التركة وهو كلام فى غاية الركاكة واللغة لا تعلل والتاخير يراد به الترك كثيرا وقد علمت ان المرجئة بالهمزة وتبدل ياء والقدرية بفتح الدال ويجوز تسكينها (وقد روى أيضا عن سحنون مثله) أى مثل قول ابن حبيب فى التكفير (فيمن قال ليس لله كلام انه كافر) لانكاره ماثبت بالتواتر وما يلزمه من تكذيب الله ورسله فتكفيره بناء على ظاهر كلامه واطلاقه صيانة للشرع لئلا يخرق السياج فلو قال أردت بذلك انه ليس له كلام بحروف وأصوات حادثة كالبشر لتنزهه عن قيام الحوادث به عند غير الكرامية وهم من الفرق الضالة فهذا ماذهب اليه كثير من أهل السنة كالاشعرى المثبت للكلام النفسى فلا يكفر قائله وان ذهب الى قدم الالفاظ كثير من السلف كالحنابلة واول الشهرستانى كلام الاشعرى فى رسالة له لخصها الشريف فى شرح المواقف والكلام فيه مشهور بين العلماء وفيه تاليف مستقل (واختلفت الروايات عن مالك) فى أهل البدع والاهواء (فاطلق) القول بتكفيرهم عن مالك (فى رواية الشاميين) أى من أتبع مذهب مالك من أهل الشام (أبى مسهر) بزنة اسم فاعل بسين ساكنة وراء مهملتين بينهما هاء مكسورة بدل من الشاميين وهو عبد الله بن مسهر الغسانى المالكى كما تقدم (ومروان بن محمد الطاطرى) الدمشقى والطاطرى بطائين مهملتين مفتوحتين وراء مهملة نسبة الى ثياب بيض كان يبيعها وهى تعرف بالطاطرية فى مصر والشام وهو امام محدث ثقة أخرج له مسلم وغيره وله ترجمة فى الميزان وهو من زهاد العلماء توفى سنة ست عشر ومائتين (الكفر عليهم) أى قال بكفرهم مطلقا أو سماهم كفرة وأطلق اسم الكفر عليهم

(وقد شوور) أي مالك وهو مجهول شاور (في زواج القدري فقال لا تزوجه) يحتمل ان يكون على وجه الكراهة أو الحرمة وهذا
مجمع عليه خوفا على المرأة لقلة عقلها ان تميل الى مذهب زوجها ويحتمل ان يكون لنفي الصحة بناء على تكفيره وقوله

(وقد شوور) ببناء المجهول أي شاور مالكا واستشاره بعض الناس (في تزويج القدري) أي عقد النكاح له من نساء أهل السنة (فقال لا) أجيزان (تزوجه) لانه كافر عنده ومثله لا يحل تزويجه مسلمة وقد (قال الله تعالى ولعبد مؤمن خير من مشرك) ولو أعجبكم أي العبد المؤمن وان كان فقيرا خير من المشرك وان كان غنيا وفيه ترغيب وترهيب وفي الآية كلام في كتب التفسير (وروى عنه) أي عن مالك (أيضا) أي كما روى عنه فيما مر انه قال (أهل الاهواء) أي البدع والعقائد المخالفة لاهل السنة (كلهم كفار) لعقائدهم الباطلة (وقال) مالك أيضا (من وصف شيأ من ذات الله) اطلاق الذات بمعنى النفس على الله مشهور وفيه كلام تقدم (واشار) حال وصفه له (الى شيء من) أعضاء (جسده يد) بدل من جسده بدل بعض من كل (أو سمع أو بصر) أو نحوه (قطع ذلك) العضو (منه) الذي أشار له حال وصفه واشارته كناية عن ان ما ذكر من الاعضاء حقيقي كالمحسوس المشار اليه وانما عوقب ذلك (لانه شبه) بشين معجمة من التشبيه فهو باشارته شبه (الله بنفسه) في اثبات الاعضاء والتجسيم له ومثله من المتشابه وللسلف فيه خلاف فبعضهم نهى عن الخوض فيه وتاويله لانه مما يستحيل في حقه وذهب بعضهم الى تاويله بما يصح في حقه كتفسير اليد بالقدرة والتصرف ونحوه ومنهم من قال انها صفات له لا يعلم حقائقها وسماها الصفات السمعية وعلى كل حال فالتشبيه غير صحيح ليس كمثله شيء وهو السميع البصير وقيل ان مالكا قصد بكلامه هذا الزجر الشديد لا القطع حقيقة لانه عقوبة لم ترد في الشرع وأراد الدعاء عليه بذلك فانه أجل من ان يقول مثله حقيقة انتهى ولا يخفى ان ما قاله خلاف الظاهر واذا كان عنده هذا كفرا وهو مستحق للقتل فاي مانع من عقوبته بمثل ما ذكر وما وجه استبعاده (وقال) مالك (فيمن قال القرآن مخلوق هو كافر فاقتلوه) اعلم ان هذه المسئلة مما ابتلي بها السلف حتى اختار بعضهم السجن والضرب ولم يرضوا بان يقولوا ذلك ومن ألغز ووري في كلامه فقال لفظي بالقرآن مخلوق وقال بعضهم التوراة والانجيل والزبور والفرقان وعدها باصابعه وقال هذه الاربعة مخلوقة الى غير ذلك والقرآن يطلق على الكلام النفسي والصفة المعنوية القائمة بذات الله تعالى وعلى الكلام القائم بذاته عند من قال بقدم الالفاظ كالحنابلة والشهرستاني وعلى ما يقرؤه الناس ويكتبونه والاولان قديمان والثالث محدث مخلوق لكنه منع من قوله تادبا وتنزيلا للصورة منزلة ذيها ولئلا يوهم معنى الاختلاق الذي هو بمعنى الافتراء والكذب قال ابن طلحة في كتاب آداب حملة القرآن أول من قاله الوليد بن المغيرة وقد فسر قوله تعالى قرآنا عربيا غير ذي عوج بغير مخلوق وورد في الحديث القرآن كلام الله ليس بمخلوق وعليه انعقد الاجماع قبل ظهور المعتزلة وحكم من قاله انه يؤدب ثم يستفصل فان قال أردت الحروف والاصوات ترك ولا يقتل وان قال أردت المعنى القائم بالذات قتل مطلقا أو ان لم يتب قولان وهل يعذر لجهله أم لا فيه خلاف وموسى سمع كلام الله من غير صوت ولا حرف كما نرى الله في الجنة من غير جهة وتجسم ولا تجوز التورية عنه كما مر الا اضطرارا انتهى وهذه الرواية عن مالك بناء على انه يجوز التعزير بالقتل وهو الذي يسميه بعض الفقهاء سياسة لا ما يفهمه الناس من انه ما أمر بفعله الامام على خلاف الشرع وبه صرح ابن تيمية في السيف المسلول كما مر وعليه حمل ما مر من قتل أهل الاهواء فلا اشكال فيه كما قيل (وقال أيضا) الامام مالك (في رواية ابن نافع) عن مالك انه (يجلد ويوجع ضربا ويحبس حتى يتوب) وهذا هو الصحيح وابن نافع تقدمت ترجمته (وفي رواية بشر) عن مالك وهو بكسر الموحدة وسكون الشين المعجمة وراء مهملة (ابن بكر التنيسي)

في الاستشهاد (قال الله تعالى ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم) يحتمل احتمالين في الاعتضاد لاتساع باب الاجتهاد (وروي عنه) أي عن مالك (أيضا أهل الاهواء) أي البدع في الآراء (كلهم كفار) أي حقيقة أو كفرا دون كفر أي مجازا (وقال من وصف شيأ من ذات الله تعالى واشار) في وصفه (الى شيء من جسد أو يد أو بصر) أي ونحوها من اذن أو لسان أو رجل وغيرها (قطع ذلك) العضو (منه) أي سياسة جزاء وفاقا (لانه شبه الله تعالى بنفسه) وهو سبحانه ليس كمثله شيء (وقال فيمن قال القرآن مخلوق كافر فاقتلوه) وروى التفتازاني هنا حديثا وتقدم انه موضوع والمحققون على انه لم يكفر لقوله تعالى قرآنا عربيا ولكونه مقروءا بالسنتنا ومكتوبا بايدينا وانما الكلام في الكلام النفسي ولهذا قال بعضهم من قال كلام الله مخلوق فهو كافر وهو ظاهر (وقال) أي مالك (أيضا في رواية ابن نافع يجلد ويوجع ضربا ويحبس حتى يتوب وفي رواية بشر بن بكر التنيسي) بكسر الفوقية والنون المشددة فتحتية ساكنة وسين مهملة فياء نسبة الى موضع قرب دمياط أكله البحر المالح وصار بحيرة ما روي عن الاوزاعي وغيره وعنه الشافعي ونحوه

(عنه) أي عن مالك (يقتل ولا تقبل توبته) وهذا غريب جدا (وقال القاضي أبو عبد الله البرنكاني) بموحدة مفتوحة فراء ساكنة فنون مفتوحة نسبة الى ضرب من الاكسية (والقاضي أبو عبد الله التستري) بضم أوله وبفتح ثانيه وبضم وقيل بفتح أوله وبضم ثانيه (من أئمة العراقيين) أي من المالكية وفي نسخة بزيادة من أصحابنا (جوابه) أي جواب مالك فيمن قال القرآن مخلوق (مختلف يقتل) وفي نسخة فقال يقتل وهو مضارع مجهول وقال التلمساني مصدر دخل عليه حرف جر (المستبصر) أي الذي له خبرة بأمور شريعته وهو معجب بضلالته وجهالته (الداعية) أي الذي يدعو غيره الى بدعته والتاء للمبالغة أو بتأويل الفرقة أو الطائفة بناء على ان المراد بالمستبصر جنسه

(وعلى هذا الخلاف) الذي ذكره القاضيان (اختلف قوله في اعادة الصلاة) أي التي صليت (خلفهم) فقال مرة تعاد ومرة لا تعاد ويمكن الجمع بينهما أيضا بان يقال تعاد احتياطا ولا تعاد وجوبا والاظهر على مقتضى مذهبه انه لا تجوز الصلاة خلف الفاسق انه تجب الاعادة ولعل الخلاف محمول على انه لم يعلم بحاله أولا ثم تبين بدعته ثانيا وقد نقل الشيخ أبو حامد الاسفرايني والماوردي عن نص الشافعي ان من صلى خلف من ظنه مسلما فبان مرتدا أو زنديقا وجوب الاعادة وعدمه وجهان عامة أصحابه (وحكى ابن المنذر عن الشافعي لا يستتاب القدري) وفي نسخة القدرية وهو مناف لما سبق عنه انه لا نكفر أحدا من أهل القبلة (وأكثر أقوال السلف) أي علماء المتقدمين (تكفيرهم) لاثباتهم خالقين على ما مر

بكسر التاء المثناة الفوقية وتشديد النون المكسورة ومثناة تحتية وسين مهملة وتنيس قرية كانت بقرب دمياط ينسج فيها ثياب مشهورة بغاية الجودة وهي في جزيرة صغيرة تسمى تونة أكلها البحر وتاؤها مكسورة على الصحيح وجوز بعضهم فتحها وبشر بن بكر هذا امام محدث جليل ثقة أخرج له أصحاب السنن وتوفي سنة خمس ومائتين وله ترجمة في الميزان (عنه) أي عن مالك (انه يقتل ولا تقبل توبته) والصحيح ما تقدم (وقال القاضي أبو عبد الله البرنكاني) بزنة الزعفراني بباء موحدة وراء مهملة ومثناة فوقية وكاف ونون بعد الالف وياء نسبة الى نوع من الاكسية (والقاضي أبو عبد الله التستري) من أصحاب مالك نسبة لتستر بتاءين مثناتين فوقيتين كما تقدم (من أئمة) المالكية (العراقيين) نسبة لعراق العجم أقليم معروف (جوابه) أي جواب مالك في هذه المسئلة (مختلف) روايته عنه في القتل وعدمه (يقتل المستنصر) هو بسين ساكنة وصاد وراء مهملات قبلهما مثناة ونون أي من له اعوان ينصرونه وقيل انه بباء موحدة أي من له بصيرة في اقامة الادلة على مراده كذا في الشروح والاول أنسب بقوله (الداعية) بدال وعين مهملتين الذي يدعو الناس لمذهبه ويطلب ظهوره والتاء للمبالغة لا للتأنيث كعلامة فهذا أشد فتنة فلذا رأى مالك قتله دفعا لغائلته بخلاف غيره (و) بناء (على هذا الخلاف) في الرواية عن مالك المبني على انه كان داعية أم لا انه (اختلف قوله) أي مالك (في اعادة الصلاة) اذا صليت (خلفهم) اقتداء بامامهم فتارة قال يعيد وتارة قال لا يعيد وهو مبني على ان الامام داعية أم لا أي المبني على التكفير وعدمه ومذهب أبي حنيفة والشافعي صحة الاقتداء باهل البدع والاهواء مطلقا والادلة مفصلة في كتب الفقه (وحكى) أبو بكر (ابن المنذر) هو امام جليل ادعى الاجتهاد وعد في أصحاب الشافعي وهو حافظ ثقة كما تقدم رواية (عن الشافعي) رضي الله تعالى عنه (لا يستتاب القدري) لكفرهم ونفيهم تقدير الله كما مر (وأكثر أقوال السلف تكفيرهم) أي جاءت بالحكم بتكفيرهم وفيه خلاف (وممن قال به) أي اعتقد كفرهم (الليث وابن عيينة وابن لهيعة) بفتح فكسر وهؤلاء كلهم تقدمت تراجمهم و (روى عنهم) أي عمن ذكر من السلف (ذلك) أي تكفيرهم كما روى عنهم (فيمن قال بخلق القرآن) وقد سمعت ما فيه (وقال ابن المبارك) اسمه عبد الله كما تقدم (والاودي) بفتح الهمزة وسكون الواو وكسر الدال المهملة منسوب للاود قبيلة وهو عثمان بن الحكم (ووكيع) أبو سفيان بن الجراح الرواسي كما تقدم (وحفص ابن غياث) بكسر الغين المعجمة وفتح الياء التحتية المخففة وألف تليها مثلثة أبو عمرو النخعي قاضي الكوفة الامام الحافظ أخرج له الستة وترجمته في الميزان توفي سنة أربع عشر ومائة (وأبو اسحق الفزاري) ابراهيم بن الحارث بن أسماء بن خارجة الفزاري

(وممن قال به) أي بتكفيرهم (الليث) ابن سعد (وابن عيينة وابن لهيعة) بفتح اللام وكسر الهاء والعين مهملة وهو ضعيف (روي عنهم) أي عن السلف ومن تبعهم من المذكورين (ذلك) أي تكفيرهم (فيمن قال بخلق القرآن وقاله) أي وقال بتكفير من قال بخلق القرآن (ابن المبارك) وهو عبد الله المروزي من أصحاب أبي حنيفة ممن جمع بين الحديث والفقه والزهد والورع والاجتهاد والجهاد (والاودي) بفتح الهمزة وسكون الواو ومنسوب الى قبيلة أود وهو عثمان بن حكيم (ووكيع) أي ابن الجراح أبو سفيان الرواسي (وحفص بن غياث) بكسر معجمة فتحتية مخففة فالف فمثلثة وهو أبو عمرو النخعي قاضي الكوفة روى عن الاعمش وغيره وعنه أحمد وغيره (وأبو اسحق الفزاري) بفتح الفاء والزاي ثقة غير واحد

(وهشيم) بفتح الهاء وكسر الشين المعجمة وضبطه التلمسانى مصغرا وهو ابن بشير يكنى أبامعاوية السلمى الواسطى حافظ بغداد روى عن عمرو بن دينار وغيره وعنه أحمد وابن معين ثقة مدلس (وعلى بن عاصم) أى الواسطى يروى عن يحيى البكاء وعطاء بن السائب وعنه ابن حنبل وغيره ضعفوه وكان عنده مائة ألف حديث مات وله بضع وتسعون سنة (فى آخرين) أى من المجتهدين والمعنى مندرجين فيهم أى متوافقين معهم (وهو) أى ماقاله هؤلاء الائمة (من قول أكثر المحدثين والفقهاء والمتكلمين) أى من علماء أصول الدين (فيهم) أى فيمن ذكر من المبتدعة (وفى الخوارج والقدرية وأهل الاهواء المضلة) كالرافضة وهو اسم فاعل أو مفعول أى الجامعين بين الضلال والاضلال (وأصحاب البدع المتاولين وهو قول أحمد بن حنبل وكذلك قالوا) أى هؤلاء الائمة (فى حق الواقفة) أى ليسوا متاولين ذكره الدلجى والاظهر ماقاله التلمسانى من انهم قوم توقفوا اذ ليس عندهم جواب امالجهلهم أو لتعارض الادلة عندهم وتوقفهم يوجب لهم مايوجب لاصحابهم من المبتدعة والخوارج وغيرهم انتهى وفيه ان التوقف لتعارض الادلة لا يوجب التكفير كما لا يخفى لان الايمان الاجمالى معتبر اجماعا (والشاكة) أى المترددة (فى هذه الاصول) أثابتة هى أم ضعيفة أو أحقة هى أم باطلة قال التلمسانى هم قوم وقع لهم الشك فى القرآن هل هو مخلوق أم لا (وعمن روى عنه معنى القول الآخر بترك تكفيرهم) أى الفرق المذكورة وفى نسخة بتكفيرهم وهو خطا اذ لم يقل بتكفيرهم (على بن أبى طالب) كرم الله وجهه (وابن عمر) رضى الله تعالى عنهما (والحسن البصرى وهو رأى جماعة من الفقهاء النظار) بضم النون وتشديد الظاء جمع الناظر من النظر بمعنى التامل والفكر ومنه المناظرة كأبى حنيفة والشافعى واتباعهما (والمتكلمين) أى علماء الكلام وسموا به لان جل مباحثهم معرفة الكلام (واحتجوا) أى هؤلاء الائمة (بتوريث الصحابة والتابعين ورثة أهل حروراء) بحاء مهملة مفتوحة وضم الراء الاولى يمد ويقصر موضع بالعراق على ميلين من الكوفة اجتمع بها الخوارج وتعاقدوا بها على رأيهم فنسبوا اليها وهم الذين ثاروا على على كرم الله وجهه بعد وقعة الجمل وكان زعيمهم ابن الكواء تعاقدوا واجتمعوا على قتال على ثم مضوا الى النهروان فقاتلهم على كرم الله وجهه وهم ثلاثون الفا فتفرقت منهم عشرة فذهب رجلان الى عمان ورجلان الى سجستان ورجلان الى اليمن ورجلان الى الجزيرة ورجلان الى تل مروان وظهرت مذاهب الخوارج بهذه المواضع قال التلمسانى ومذهبهم ان الامام لا يختص بآل الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم بل كل من اجتمع فيه زهد وعلم وشجاعة فهو إمام اذا بويع وخرج وان كان من العبيد والموالى وتفاصيل اعتقاداتهم فى الصحابة ومرتكبى الكبيرة مذكورة فى كتب الكلام

الفزارى أحد العلماء الاعلام أخرج له أيضا الستة وتوفى سنة ست أو ثمان وثمانين ومائة (وهشيم) بن بشير السلمى الواسطى الحافظ الثقة توفى سنة ثلاث وثمانين ومائة وأخرج له الستة وترجمته فى الميزان (وعلى بن عاصم) بن صهيب الواسطى أحد الائمة الاعلام الذى أخرج له أصحاب السنن كما فى ترجمته فى الميزان وتوفى سنة احدى ومائة وعمره سبع وتسعون (فى آخرين) من الائمة الذاهبين لهذا (وهو) أى ماقاله هؤلاء (من قول أكثر المحدثين) أى أئمة علم الحديث (والفقهاء والمتكلمين فيهم) متعلق بقول أى فى المبتدعة (وفى الخوارج والقدرية وأهل الاهواء) أى المتبعين لهوى أنفسهم فى العقائد الفاسدة (المضلة) بزنة اسم الفاعل ويجوز كونه اسم مفعول أيضا (وأصحاب البدع المتاولين) للنصوص بتاويلات باطلة (وهو قول أحمد بن حنبل) فى هؤلاء (وكذلك) أى مثل هذا القول (قالوا) أى قال من الائمة الذاهبين للتكفير (فى) الفرقة (الواقفة) بالقاف والفاء وفى نسخة الواقفية بياء النسبة (و) فى الفرقة (الشاكة فى هذه الاصول) متعلق بالواقفة والشاكة على التنازع أو التجاذب والمراد بالواقفة قوم توقفوا فى اتباع البدعة أو السنة لجهلهم أو لتعارض الادلة عليهم فلم يقولوا القرآن مخلوق أو غير مخلوق وكذا الشاكة فرقة شكوا فى ذلك وقال بعض الشراح ليس المراد بهم كل من توقف أو شك بل هم طائفة من الامامية لهم اعتقادات فاسدة وتوقفوا فى كثير من أحكام الدين وأخرجوها عن أصوله وأقوالهم فى الامامة وانها لأولاد على وقالوا بالرجعة بعد الموت فى الدنيا وغيبة الامام فى جبل رضوى ويجوز ارادة كل من شك ولم يتبع الحق ولم ينظر فى أصول أهل السنة عنادا منه والحادا (وعمن روى) بالبناء للمجهول (عنه معنى القول الآخر) المخالف لهذا القول (بترك تكفيرهم) أى تكفير أهل البدع والاهواء من الفرق المذكورة (على) بن أبى طالب (و) عبد الله (ابن عمر) بن الخطاب (والحسن البصرى وهو) أى القول بترك تكفيرهم (رأى جماعة من الفقهاء) كالشافعى لقوله رضى الله تعالى عنه لا أكفر أحدا من أهل القبلة الا الخطابية كما حكاه النووى فى الروضة (النظار) جمع ناظر ككفار جمع كافر أى أصحاب النظر والمعرفة بالادلة والقادرين على المناظرة (والمتكلمين) من علماء أصول الدين (واحتجوا) أى استدلوا على عدم التكفير (بتوريث الصحابة والتابعين) أى بحكمهم بتوريث (ورثة أهل حروراء) من آبائهم وأقاربهم وحروراء بفتح الحاء المهملة وراء مهملة مضمومة

انتهى ولا يخفى ان مذهب أهل السنة أيضا ان الامام لا يختص بآله عليه الصلاة والسلام بل يختص بقريش لقوله عليه الصلاة والسلام الائمة من قريش وبه ثبت خلافة الشيخين وانما الشيعة يقولون باختصاص الامامة لاهل بيت النبوة (ومن عرف بالقدر) بصيغة المجهول وهو معطوف على أهل حروراء (ممن مات منهم) أي جميعهم (ودفنهم في مقابر المسلمين وجرى أحكام الاسلام) من اعتاقهم وتنفيذ وصاياهم وسائر الاحكام (عليهم قال اسمعيل القاضي وانما قال مالك في القدرية وسائر أهل البدع يستتابون فان تابوا والا قتلوا لانه) أي لان ابتداعهم نوع (من الفساد كما قال) أي مالك أو الله تعالى (في المحارب) أي قاطع الطريق حيث قال تعالى انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا ان يقتلوا أي ان قتلوا أو يصلبوا ان قتلوا ونهبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف ان نهبوا أو ينفوا من الارض بالاخراج أو الحبس ان أخافوا فقط فأو في الآية للتنويع والحكم مرتب عليهم عند الجمهور وعند مالك أو للتخيير كما يشير اليه قوله (ان رأى الامام قتله) أي حدا (وان لم يقتل) أي أحدا وان وصلية (قتله) أي الامام لكونه مخيرا في قتله وهذا من باب قياس الاولى كما بينه بقوله (وفساد المحارب انما هو في الاموال) أي في حقها وبسببها يحصل سفك الدماء (ومصالح الدنيا) أي في جهتها من حفظ الاموال والدماء (وان كان) أي الفساد (أيضا قد يدخل في أمور الدنيا) بالتبعية (من سبيل الحج والجهاد وفساد أهل البدع معظمه) أي أكثره واقع (على الدين) وان كان يتفرع عليه أيضا فساد في الدنيا كما بينه بقوله (وقد يدخل) أي الفساد (في أمر الدنيا بما يلقون) بضم الياء والقاف أي يغرون (بين المسلمين من العداوة) والبغضاء وقد حرم الله الخمر والميسر لهذه العلة

بالمقاتلة

قبل واو وأخرى مهملة بعدها ألف ممدودة وهمزة ويجوز قصره علم قرية على ميلين من الكوفة اجتمع فيها الخوارج الذين اجتمعوا على حرب علي رضي الله تعالى عنه وتعاقدوا على آرائهم الفاسدة وعلى قتاله فنسبوا اليها وأحوالهم وآراؤهم واعتقاداتهم مفصلة في المبسوطات (و) ورثوا (من عرف بالقدر) وكان من القدرية وورثته (ممن مات منهم) أي من الخوارج والقدرية (ودفنهم في مقابر المسلمين) لعدم كفرهم (وجرى) مصدر مجرور مضاف لقوله (أحكام الاسلام عليهم) بصيانة دمائهم وأموالهم وغير ذلك (قال اسمعيل القاضي) هو اسمعيل بن اسحق الحافظ كما تقدم في ترجمته (وانما قال مالك في القدرية وسائر أهل البدع) جواب عن مخالفة قول مالك لمذهب هؤلاء مع قوته وذهاب السلف اليه من الصحابة والتابعين وعلماء الدين وأهل الاصول فقول مالك انهم (يستتابون) أي تطلب منهم التوبة (فان تابوا) قبلت توبتهم (والا) أي ان لم يتوبوا (قتلوا) فحكمه بقتلهم ليس لكفرهم بل (لانه) أي اعتقادهم الباطل (من الفساد في الارض) وهو مما يجب دفعه فان لم يندفع الا بالمقاتلة والقتل قتلوا لما يلزمه من اضلال الناس وافساد عقائدهم (كما قال) مالك (في المحارب) من البغاة الخارجين عن السلطان وعقائدهم غير باطلة (ان رأى الامام قتله) مصلحة لدفع فساده (وان لم يقتل) ذلك المحارب أحدا (قتله) وليس قتله لكفره بل لدفع فساده (وفساد المحارب انما هو في الاموال) التي يأخذها أو يفسدها (ومصالح الدنيا) التي يعود نفعها بتغلبه على البلاد وأهلها لقوله تعالى انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا الآية فالساعي بالفساد يستحق القتل فليس كل قتل للكفر فمذهب مالك يخالف قول غيره في قتل أهل البدع لانه يوافقهم في عدم تكفيرهم وفي شرح المواقف اعلم ان عدم تكفير أهل القبلة موافق لكلام الاشعري والفقهاء لكن اذا فتشنا عقائدهم وجدنا فيها ما يوجب الكفر قطعا مما يقدح في الالوهية أو النبوة انتهى قيل فعلى هذا لا ينبغي اطلاق القول بالتكفير وعدمه وفيه بحث وما قيل من ان ما قاله القاضي غير مستقيم لانه ان قيد بالكفر في حكمه كفر والا فلا حاجة للالحاق مع انه يقتضي استحقاق كل من ظهر فساده للقتل كلام لا وجه له لمن له أدنى تأمل وقول المصنف رحمه الله تعالى (وان كان) افساد الساعي بالفساد (قد يدخل أيضا) أي كما يفسد الدنيا معناه انه قد يؤول فساده للدخول (في أمر الدين) أي قد يؤول فساد الدنيا الى الافساد في الدين فلذا منعه مالك بناء على قواعده في الذريعة وسدها وبين ذلك بقوله (من سبيل الحج والجهاد) أي بفساده يفسد سبيل الحج والجهاد بما يمنعه فلهذا أجاز قتله لئلا يسري فساده للدين (وفساد أهل البدع معظمه) أي أكثره وجودا راجع وعائد (على الدين) لعقائدهم الفاسدة التي يضلون بها الناس (وقد يدخل في أمور الدنيا) فحالهم عكس حال المحارب الذي معظم فساده في الدنيا وقد يدخل في أمور الدين فيعلم جواز قتله بالطريق الاولى وبين دخوله في الدنيا بقوله (بما يلقون) بضم أوله مضارع ألقى بمعنى رمى وطرح وهو كناية عن ظهوره (بين المسلمين من العداوة) الدينية التي تسري لدنياهم

كما قال تعالى انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر فالعلة مركبة مفيدة لقتل أهل البدعة ولكن المرتبة المعتمدة لما صدر عن على امام الائمة وتبعه جمهور علماء الامة انهم يقتلون حال المحاربة أو وقت خروجهم للدعوة وأما اذا أخذوا أو كانوا منفردين غير مجتمعين على الفساد فلا يقتل أحد منهم وهذا جمع حسن وهو أسلم والله سبحانه وتعالى أعلم

بالمقاتلة والمحاربة ونهب الاموال وتخريب الديار (والله الموفق للصواب) من اتباع الحق وترك الباطل وكسر شوكته وهذا بناء على عدم تكفير الخوارج وفيه خلاف مشهور وسيأتى بيانه والبغاة أمرهم مفصل فى كتب الفقه والله أعلم

(فصل) ذيل به ما قبله (فى تحقيق القول فى اكفار المتاولين) من أصحاب البدع والاهواء الذين أولوا عقائدهم الباطلة بما يجعلها صحيحة وأولوا بعض النصوص المشكل ظاهرها (فقد ذكرنا) فى الفصل الذى قبل هذا (مذاهب السلف) من الصحابة والتابعين ومن تبعهم من المتقدمين (فى اكفار أصحاب البدع والاهواء) من الفرق الضالة (المتاولين) لمقالاتهم الباطلة حتى لا يقتلوا (عمن قال قولا يؤديه) بضم التحتية وفتح الهمزة وتشديد الدال المهملة أى يوصل ويفضى (مساقه) مصدر ميمى أى سوقه وسوق الكلام وسياقه ما يدل عليه بواسطة ما ذكر معه (الى كفر) متعلق بيؤديه أى يؤدى اليه كقول المعتزلة انه لا يفعل القبيح ولا يريده وانه يؤدى الى ما لا يليق من عدم القدرة ونحوه وهم يؤولونه بانه بتمكينه وخلق القدرة ويقولون فعل القبيح قبيح والكلام عليه مفصل فى كتب الاصول (وهو) أى القائل (اذا وقف عليه) أى على ما يؤدى اليه كلامه (لا يقول) أى لا يعتقد اعتقادا جازما (بما يؤديه قوله اليه) من الكفر ومقدماته وقوله وقف عليه كناية عن الاطلاع عليه والعلم به وليس تعديه بعلى لهذا كما قيل فانه يتعدى بها كما يقال وقف على الارض (و) بناء (على اختلافهم) أى السلف (اختلف الفقهاء والمتكلمون فى ذلك) أى فى تكفيرهم وعدمه بناء على مسئلة أصولية وهى ان لازم المذهب هل هو مذهب أم لا (فنهم) أى الفقهاء والمتكلمين (من صوب) بتشديد الواو أى عده صوابا صحيحا والتصويب ضد التخطئة (التكفير) أى القول بكفرهم (الذى قال به الجمهور ومن السلف) أى أكثرهم نظر الما يؤدى اليه صونا لحظائر القدس وحماية لجانب الربوبية والتكفير والاكفار بمعنى ومن قال الاول انما هو من الكفارة فقد أخطأ كما فى المغرب وغيره من كتب اللغة (ومنهم من أباه) أى منع تكفيرهم بمثله (ولم ير اخراجهم) أى اخراج هؤلاء القائلين بما ذكر (من سواد المسلمين) وفى نسخ المؤمنين صونا لاهل القبلة للاحاديث الواردة فى النهى عنه كالحديث الآتى قريبا أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم ونحوه من الاحاديث الصحيحة والسواد هنا بمعنى الجماعة قال فى الاساس سواد المدينة ما حولها والسواد الاعظم جماعة المسلمين ويقال كثرت سواد القوم بسوادى أى جماعتهم بشخصى وقلت لما تغلب سواد الخصيان على أرض مصر فى الدولة الابراهيمية النمرودية

سواد وجوه الملك سود عبيده * بشؤم يده دون البرية سودها

فقد غلط الدهر الدنى بفعله * فظن سواد المسلمين عبيدها

وورد سواد الناس بمعنى عامتهم وليس بمراد هنا وان جاز على بعد (وهو قول أكثر الفقهاء والمتكلمين) وقد علمت أنه بناء على الظاهر والاكثر وليس على اطلاقه وذلك لانه يتعلقه بذلك من مسائل الكلام

اختلاف مقالهم (واكفار أصحاب البدع) الفاسدة (والاهواء) الكاسدة (والمتاولين) للكتاب والسنة (عمن قال) أى بعض المبتدعة (قولا يؤديه) بهمز ويبدل أى يوصله (مساقه) أى مرجعه ومآله (الى كفر هو) أى المبتدع (اذا وقف عليه) بصيغة المجهول أى اذا اطلع على حقيقة أمره (لا يقول بما يؤديه قوله اليه) وذلك لانه بحسب اجتهاده وقع عليه وذلك كما اذا قال المعتزلى ان الله عالم ولكن لا علم له فقيل له قولك هذا يؤدى الى نفى أن يكون الله عالما اذ لا يوصف بعالم الا من له علم يقول هو نحن لا نقول انه ليس بعالم فانه كفر وقولنا لا يؤدى الى ذلك على ما هو أصلنا وكقول من قال منهم ان الله لا يريد الفحشاء وقوله بان ارادة القبائح قبيحة ويجاب بانه سبحانه منزه عن أن يقع فى ملكه الا ما شاء (وعلى اختلافهم) أى على اختلاف مراتب المبتدعة وتفاوت المسئلة المخترعة وقال الدلجى أى على اختلاف السلف (اختلف الفقهاء والمتكلمون فى ذلك) أى فى تكفيرهم (فنهم من صوب التكفير الذى قال به الجمهور ومن السلف ومنهم من أباه) أى التكفير (ولم ير اخراجهم من سواد المسلمين) أى عمومهم (وهو قول أكثر الفقهاء) كأبى حنيفة والشافعى وغيرهما (والمتكلمين) أى أكثرهم من الاشعرية والماتريدية

(وقالوا) أى الجمهور من الطائفتين وفى نسخة وقال أى من أباه ومابينهما معترضة (هم) أى المبتدعة (فساق) بعملهم وهو بضم الفاء وتشديد السين جمع فاسق (عصاة) باعتقادهم وهو جمع عاص (ضلال) فى اجتهادهم وهو بضم فتشديد جمع ضال (ونوارثهم) بالنون وفى نسخة بالياء (من المسلمين) قال التلمسانى وروى توارثهم مصدرا أقول والظاهر انه تحريف وتصحيف (ونحكم لهم) بالوجهين وفى نسخة بصيغة المجهول الغائب (باحكامهم) أى باحكام سائر المؤمنين من لهم وعليهم فى أمور الدنيا والدين وفى قوله نوارثهم ونحكم لهم ايماء الى صحة القول الاخير وهو عدم التكفير (ولهذا قال سحنون لا اعادة على من) وفى نسخة لمن (صلى خلفهم قال) أى سحنون (وهو) أى هذا القول بعدم الاعادة (قول جميع أصحاب مالك) كلهم (المغيرة وابن كنانة وأشهب قال) أى مالك أو كل واحد من أصحابه (لانه) أى المبتدع (مسلم) أى من أصله المنسحب عليه فى حاله (وذنبه) أى بابتداعه (لم يخرجه من الاسلام) وان كان بدعته كبيرة (واضطرب آخرون) أى من أصحاب مالك (فى ذلك) التكفير (ووقفوا) أى توقفوا (عن القول بالتكفير أو ضده) وهو عدم التكفير (واختلاف قولى مالك) وفى نسخة قول مالك (فى ذلك) أى فيما ذكر من التكفير وعدمه (وتوقفه) أى وفى توقفه والاظهر انه مرفوع أى وتوقف مالك (عن اعادة الصلاة خلفهم) أى عقب المبتدعين (منه) أى من قبيل ما اضطرب فيه الآخرون (والى نحو من هذا) الاختلاف فى ذلك والتوقف من مالك (ذهب القاضى أبو بكر) أى الباقلانى (امام أهل التحقيق) أى فى مقام التدقيق (والحق) أى وامام أهل الحق المزيل للباطل (وقال) أى الباقلانى (انها) أى مسئلة القول بالتكفير (من المعوصات) بضم الميم وكسر الواو المخففة أى المشكلات (اذ القوم) أى المبتدعة (لم يصرحوا باسم الكفر وانما قالوا قولا يؤدى اليه) ولا بد من الفرق بينهما فى مقام التحقيق والله ولى التوفيق والحاصل ان مقتضى الاشكال وهو ان المعتزلى انما قال مثلا ان الله عالم ولكن لا علم له فهل يقول ان نفيه للعلم له سبحانه وتعالى نفى أن يكون الله عالما وذلك كفر بالاجماع أو يقول قد اعترف بانه تعالى عالم وانكاره العلم لا يكفره وان كان يؤدى الى انه ليس بعالم والله سبحانه وتعالى أعلم

من وجه ومسائل الفقه من وجه (وقالوا هم) أى أهل البدع (فساق) ككفار جمع فاسق (عصاة) لارتكابهم كبائر من فساد العقائد والاعمال (ضلال) بضم الضاد المعجمة وتشديد اللام جمع ضال (ونوارثهم) مضارع بنون العظمة أو الجماعة (من المسلمين) أقاربهم أى نحكم بارث المسلمين لهم ومنهم (ونحكم لهم باحكامهم) فيما لهم وعليهم لعدم تكفيرهم (ولهذا) القول (قال سحنون لا اعادة) للصلاة (على من صلى خلفهم) لصحة الاقتداء بهم وصحة صلاتهم وفى بعض النسخ (فى وقت) واحد (ولا فى أكثر) أى أوقات وذكره دفعا لتوهم انه قد تسقط الاعادة فى الاوقات الكثيرة دون غيرها للمشقة فيها (قال) سحنون (وهو) أى هذا القول أو عدم اعادة الصلاة (قول جميع أصحاب مالك كلهم) وفى نسخة (منهم المغيرة وابن كنانة وأشهب) وقد تقدمت تراجمهم (قال) سحنون (لانه) أى المبتدع (مسلم وذنبه) الذى ارتكبه من بدعته (لم يخرجه من الاسلام) لتصديقه بالله ورسوله والتزام أحكام الدين فى ظاهر حاله (واضطرب) أى تردد وشك (آخرون فى ذلك) الحكم من تكفيرهم وعدمه (ووقفوا) عن أحد الطرفين فلم يحكموا باسلامهم ولا بعدمه (عن القول بالتكفير وضده) وهو الاسلام وقول رابع وهو التفصيل كما تقدم (واختلف قول مالك فى ذلك) فله قول بتكفيرهم وقول بخلافه فلذا اضطرب بعضهم وتوقف آخرون فيهم وفى نسخة واختلاف قولى مالك (وتوقفه عن اعادة الصلاة خلفهم منه) أى من هذا القبيل الذى اختلف فيه قوله فتارة قال يعيد وتارة قال لا يعيد (والى نحو من هذا) التوقف المنقول عن مالك (ذهب القاضى أبو بكر) الباقلانى من أئمة أهل الاصول (امام أهل التحقيق والحق) ومقتداهم فى الاصول والفروع ولا يلزم من توقفهم اثبات منزلة بين المنزلتين كالمعتزلة كما توهم وقيل انه أشكل لتعطيل كثير من الاحكام فان أمرهم فى الآخرة الى الله وقد قيل من قال لا أدرى فقد أفتى وكم توقف المجتهدون فى مسائل من أمور الدين لم تضرهم ولا غيرهم والقاضى أبو بكر الباقلانى اشتهر أنه شافعى وقيل أنه مالكى وصححه بعضهم وسيصرح به المصنف رحمه الله تعالى فهو الاصح (وقال) القاضى أبو بكر المذكور (انها) أى هذه المسئلة (من المسائل المعوصات) أى الصعبة المشكلة لقوة الآراء المتعارضة فيها وهو بضم وسكون العين المهملة وكسر الواو المخففة وصاد مهملة وضبطه بعضهم بفتح العين وتشديد الواو وهو من قولهم اعتاص اذا التوى والعويص ما لا يفهم من الشعر وغيره ويصعب استخراجه (اذ القوم) ممن ارتكب البدعة (لم يصرحوا بالكفر) فى شئ مما قالوه (وانما قالوا ما يؤدى اليه) أى ما يلزمه الكفر وظن بعضهم ان القوم هم علماء

السلف

(واضطرب قوله) أي قول القاضي أبي بكر (في المسئلة) أي هذه أيضا (على نحو اضطراب قول امامه مالك بن أنس) كان الاولى حذف امامه (حتى قال) أي الباقلاني (في بعض كلامه انهم) أهل البدع (على رأي من كفرهم بالتاويل لايحل) أي لاحد منا أهل السنة (مناكحتهم ولا اكل ذبائحهم ولا الصلاة على ميتهم) لموته في اعتقاد من يكفرهم على الكفر (ويختلف في موارثهم) بصيغة المجهول (على الخلاف في ميراث المرتد) على ما مر عن ابن القاسم وغيره (وقال) الباقلاني (أيضا نورث) بتشديد الراء المكسورة (ميتهم) وفي نسخة منهم (ورثتهم من المسلمين ولانورثهم) أي المبتدعة (من المسلمين وأكثر ميله) أي الباقلاني (الى ترك التكفير بالمآل وكذلك اضطرب فيه) أي في القول بتكفيرهم (قول شيخه) أي في الطريقة (أبي الحسن الاشعري وأكثر قوله) المنقول عنه (ترك التكفير وأن الكفر خصلة واحدة وهو الجهل بوجود الباري) أي وما يتعلق به من التوحيد والنبوة (وقال) أي الاشعري (مرة من اعتقد ان الله جسم) أي له جسم كالاجسام (أو المسيح) أي انه عيسى (أو بعض من يلقاه في الطريق) كما تصور ابليس فوق عرش بين السماء والارض وصور في خاطر بعض المريدين انه الاله فوق عرشه واعتقده حتى بلغه الحديث المشهور في ذلك فتاب الى الله وقضى صلواته المتقدمة هنالك ولا يبعد أن يكون مراده ان القول بان الله جسم أو المسيح أو بعض من يلقى في الطريق مستوى في حد كفره (فليس بعارف به) أي بوجوده سبحانه وتعالى (وهو كافر) حيث لم يفرق بين وجود واجب الوجود وبين وجود الحادث في مقام الشهود ومن هنا كفر ارباب الحلول والاتحاد والوجودية من أهل الالحاد الذين ضرر فسادهم على العباد أكثر من سائر أهل الكفر والعناد (ولمثل هذا) المقال المروي عن الاشعري من عدم تكفير المبتدعة من أهل القبلة (ذهب أبو المعالي) وهو امام الحرمين رحمه الله تعالى وهو من اكابر الشافعية (في اجوبته لابي محمد عبد الحق) أي الاشبيلي ذكره الدلجي وقال الحلبي هذا ليس الاشبيلي الحافظ صاحب الاحكام بل آخر غيره ولد سنة عشر وخمسمائة ومات سنة احدى وثمانين وخمسمائة وولد امام الحرمين سنة تسع عشرة واربعمائة ومات بنيسابور سنة ثمان وسبعين واربعمائة فالامام توفي قبل مولد عبد الحق الحافظ صاحب الاحكام بما ترى قال ورأيت في نسخة ما لفظه ولمثل هذا ذهب أبو الوليد سليمان رحمه الله في اجوبته لابي محمد عبد الحق وهذا أيضا لا يصح أن يكون عبد الحق الحافظ الاشبيلي وذلك لان أبا الوليد سليمان بن خالد الباجي توفي سنة أربع وسبعين واربعمائة وعبد الحق ولد سنة عشر وخمسمائة وقيل سنة أربع عشرة فلا يصح ذلك والله تعالى أعلم وعبد الحق الذي جاوبه أبو المعالي لم أعرفه الى

السلف والمراد انهم لم يطلقوا عليهم اسم الكفر وما بعده يأباه (واضطرب قوله) أي قول القاضي (في المسئلة) فهو مختلف (على نحو اضطراب قول امامه مالك بن أنس) وهذا صريح في انه مالكي المذهب وبه صرح الزناتي في طبقاته فقال أبو بكر محمد بن الطيب المعروف بابن الباقلاني الاصولي الاشعري المالكي مجدد الدين على رأس المائة الرابعة على الصحيح انتهى الا انه يحتمل ان يراد به أبو بكر بن العربي المالكي الا أن في العبارة ما يأباه ظاهرا فتدبر تدر (حتى قال) القاضي أبو بكر (في بعض كلامه انهم على رأي من كفرهم بالتاويل) في أقوالهم (لاتحل مناكحتهم) أي تزوجهم المسلمات (ولا أكل ذبائحهم) كالمشركين (ولا الصلاة على ميتهم) لانهم كفرة عنده (ويختلف في موارثهم على الخلاف) المتقدم (في ميراث المرتد وقال) القاضي (أيضا نورث) بالتشديد والتخفيف (ميتهم) أي نعطي ميراث من مات منهم (ورثتهم من المسلمين) تقديما على بيت المال لعلاقة الاسلام السابقة (ولا نورثهم) أي لانعطيهم ميراث من مات من أقاربهم (من المسلمين) لانقطاع علاقة الارث بينهم عند استحقاق الارث (وأكثر ميله) أي القاضي (الى ترك التكفير) لاهل البدع (بالمآل) أي بما يؤول اليه كلامهم لان لازم المذهب ليس بمذهب عندهم (وكذلك) أي مثل ما اضطرب قول القاضي (اضطرب فيه قول شيخه أبي الحسن الاشعري) وهو شيخه في الاصول وقدوته وهو لم يره وانما روى عنه بواسطة كذا قيل (وأكثر قوله) أي ما نقل عنه (ترك التكفير) لهم (وان الكفر) انما يلزم (خصلة) أي صفة (واحدة وهو) ذكره نظرا المعنى الوصف (الجهل بوجود الباري) تقدس تعالى لقوله في الحديث حتى يقولوا لا اله الا الله كما تقدم بان لا يعرف الله ولا يقر به لا بوحدانيته (وقال) الاشعري أو القاضي (مرة من اعتقد ان الله تعالى جسم) كالمجسمة والنصارى (أو المسيح) بالرفع أي قال ان الله هو المسيح عينه أو حل فيه (أو) قال ان الله (بعض من يلقاه في الطرق فليس بعارف به) أي جاهل بالله لا يعرفه لقوله لمن ليس باله هو الله وهو أعظم جهل به (وهو) بسبب ما قاله (كافر) لان كل من لم يعرف الله كافر كما قدمه (ولمثل هذا) القول الذي قاله الاشعري (ذهب أبو المعالي) عبد الملك بن يوسف امام الحرمين كما تقدم (في اجوبته لابي محمد عبد الحق) لما ساله عنه قال الحافظ الحلبي ليس هو

الآن انتهى وقال التلمساني هو عبد الحق بن محمد بن هارون السهمي مات سنة ست وستين وار بعمائة (وكان) أي والحال ان أبا محمد (ساله عن المسئلة) التي ميل الاشعري فيها الى عدم التكفير أكثر (فاعتذر له بان الغلط فيها) أي في المسئلة بالقول بالتكفير وعدمه (يصعب) أي يعسر جدا (لان ادخال كافر في الملة) الاسلامية (أو اخراج مسلم عنها عظيم في الدين) والثاني أصعب من الاول فتامل ولعله عليه الصلاة والسلام من أجل هذا قال أجرؤكم على الفتيا أجرؤكم على النار (وقال غيرهما) أي الاشعري وأبي المعالي (من المحققين الذي) مبتدأ أي القول الذي (يجب) ان يقال هو (الاحتراز من التكفير في أهل التاويل) وان كان تاويلهم خطا في فهم التنزيل (فان استباحة دماء) المصلين (الموحدين) الصائمين المزكين القارئين للكتاب التابعين للسنة في جميع الابواب (خطر) بفتحتين أي ذو خطر ويجوز ان يكون بفتح فكسر (والخطا في ترك ألف كافر أهون من الخطا في سفك محجمة) بكسر الميم الاولى وهي آلة الحجامة (من مسلم) وفي نسخة من دم مسلم (واحد) وقد قال علماؤنا اذا وجد تسعة وتسعون وجها تشير الى تكفير مسلم ووجه واحد الى ابقائه على اسلامه فينبغي للمفتي والقاضي ان يعملا بذلك الوجه وهو مستفاد من قوله عليه السلام ادرؤا الحدود عن المسلمين ما استطعتم فان وجدتم للمسلم مخرجا فخلوا سبيله فان الامام لأن يخطئ في العفو خير له من ان يخطئ في العقوبة رواه الترمذي وغيره والحاكم وصححه (وقد قال عليه الصلاة والسلام) كما رواه الشيخان عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فاذا فعلوا ذلك وفي رواية فاذا قالوها يعني الشهادة) أي جنسها (عصموا) بفتح الصاد أي حفظوا

الحافظ عبد الحق الاشبيلي صاحب كتاب الاحكام وغيره لانه من أهل المائة الخامسة وامام الحرمين من أهل الرابعة فليس من أهل عصره وفي بعض النسخ ذهب أبو الوليد سليمان في اجوبته لابي محمد عبد الحق وهو لا يصح أيضا لاختلاف عصريهما وقال التلمساني هو عبد الحق بن محمد بن هارون السهمي توفي سنة ست وتسعين وار بعمائة ومن العجب ما قيل ان عبد الحق هذا هو الاشبيلي والسهمي واللام في قوله لابي محمد ليست متعلقة باجوبته فانه هو السائل بل المراد في اجوبته الكائنة لابي محمد أي الذي جمعها وصنفها كما يقال اجوبة مالك لابن سحنون والجار والمجرور ليس لغوا وهو تعسف لا معنى له ولا يخطر ببال (وكان) أبو محمد بن عبد الحق (ساله عن المسئلة) المذكورة في أهل البدع (فاعتذر له) عن ترك الجواب له (بان الغلط فيها) أي في هذه المسئلة (يصعب) ويشكل على من خاف ان يقول في الشرع ما ليس منه (لان ادخال كافر في الملة) أي ملة الاسلام وهو ليس من أهله لكفره (أو اخراج مسلم منها) أي من ملة الاسلام أمر مشكل (عظيم في الدين) لما فيه من خطر الجانبين فلذا لم يجبه في هذه المسئلة لخوفه من الله تعالى واعلم ان الاشعرية قالوا ان المجسمة منهم من قال انه جسم بلا كيف أي ليس جسما كالاجسام في المادة وهذا مذهب الحنابلة وبه صرح ابن سمعة وقال معنى قولنا جسم انه ليس بعرض وهذا هو البلكفة وهؤلاء ليسوا بكفار عندهم بل هم مبتدعون ومنهم من أثبت له الجسمية بلوازمها وهؤلاء كفار كما صرح به الرافعي في الشرح وقيل ليسوا بكفار مطلقا والاصح الاول ومن لقي رجلا في الطريق فقال هو الله هم بعض الجهلة من الحلولية وليس منهم مشايخ الصوفية كابن عربي وابن الفارض نفعنا الله ببركاتهم وصانهم عما نسب اليهم ولا يغتر بمن تعصب عليهم من ظاهرية الفقهاء (وقال غيرهما) أي غير الاشعري وأبي المعالي (من المحققين الذي يجب) الموصول مبتدأ خبره (الاحتراز) أي الحذر والوقوع (من التكفير في) أهل القبلة من (أهل التاويل) الذين أولوا مقالاتهم بما يوافق الشرع وان لم يقبل تاويلهم (فان استباحة دماء المسلمين) وفي نسخة بدله المصلين (الموحدين خطر) أي أمر عظيم يخشى منه غضب الله (والخطا في ترك) قتل (ألف كافر أهون) أي أخف وأقل عند الله (من الخطا في سفك) أي اراقة (محجمة) بكسر الميم اسم آلة يؤخذ فيها دم الحجامة المعروفة (من دم مسلم واحد) بحسب الظاهر لم يحكم بكفره وحاله عند الله وفيه مبالغة لانه كناية عن قلة القتل وتوهم ان نفس اراقة دم محجمة واحدة بالحجامة لا القتل أهون من قتل ألف كافر وليس بمراد (وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم) في حديث صحيح رواه البخاري وغيره أمرت ان أقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة (فاذا قالوها يعني) صلى الله تعالى عليه وسلم (كلمة الشهادة) بوحدانية الله وبرسالة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يقل وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة لان من قالها التزم أحكام الاسلام فدل عليه بالالتزام ولذا أدخله بعضهم فيه ولانه لا يقاتل وان جاز قتله غالبا (عصموا) أي

حفظوا

حفظوا وصانوا (منى دماءهم) جمع دم أى لم يقتلوا (وأموالهم) عن أخذها منهم كالفيء والغنيمة (الا بحقها) استثناء مفرغ أى بكل سبب الا بسبب حق يقتل قتلا أو أخذ مال كقتل أو غصب (وحسابهم) عما عملوا فى الآخرة (على الله) أى حسابهم مفوض الى الله تعالى المطلع على أعمالهم وسرائرهم وما فى قلوبهم من كفر ونفاق وغيره وأما النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فانما أمر ان يحكم بالظاهر والله يتولى السرائر فعلى ليست تدل على الايجاب لانها بمعنى الى خلافا للمعتزلة القائلين بوجوب الاصلح على الله أو نقول هى على ظاهرها على طريق تنزيله منزلة الواجب عليه لعدم تخلف ما سبق فى علمه وتقديره أولا ونه وعدمنه وهو لا يخاف الميعاد فصار كالواجب شرعا ولا معنى للايجاب على الله عند تدقيق النظر الا هذا كما ذكره الجلال الدوانى فى شرح العقائد العضدية وظاهر الخبر يقتضى ان التلفظ بكلمتى الشهادة لا يتحقق الايمان بدونه كما ذهب اليه بعض أهل السنة وذهب الاشعرى وبعض الماتريدية الى انه انما هو لازم لاجراء أحكام الشرع عليه فى الدنيا وكف القتل عنه فمن آمن بقلبه ولم يلفظ بها فهو مؤمن عندهم بدليل قوله تعالى أولئك كتب فى قلوبهم الايمان ولما يدخل الايمان فى قلوبكم ونحوه والخلاف فيمن لم يأب اللفظ بهما وهو قادر لكن العاجز مؤمن اجماعا والقادر الآبى المصر على الترك كافر اجماعا لدلالة ذلك على عدم خلوص سريرته (فالعصمة) للدماء والاموال (مقطوع بها مع) الاتيان بـ(الشهادة) بتلفظه بانه لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وهذا عام مخصوص بغير أهل الذمة والمعاهد والمستأمن بما نطق به من الآيات والاحاديث وهل هو ناسخ للعموم أو مقيد خلاف لفظى مذكور فى أصول الفقه (ولا ترتفع) العصمة أى تزول (ويستباح خلافها) من دم أو مال (الا بـ)دليل (قاطع) يرفع ما قطع به (ولا قاطع) فى حق المبتدعة (من شرع) ورد به فى كتاب أو سنة (ولا قياس) جلى (عليه) أى على القاطع الشرعى (وألفاظ الاحاديث الواردة فى) هذا (الباب) الدالة على تكفير أهل البدع والاهواء الذى تمسك بها من ذهب الى تكفيرهم وهو جواب عن سؤال تقديره كيف لا تقول بتكفيرهم وانه لم يقم عليه دليل ولا قياس وقد وردوا ما يدل على خلافه فقال انها (معرضة) بزنة اسم المفعول مشددة الراء وفى نسخة عرضة أى انها قابلة (للتاويل) فلا تعارض الادلة القاطعة بخلافه فشبهها بهدف يوضع لاصابة سهام التاويل ففيه استعارة مكنية تخيلية وذلك لعدم صراحتها (فما جاء منها) أى من الاحاديث الدالة على كفرهم (فى التصريح بكفر القدرية) وانهم مجوس هذه الامة كما تقدم (وقوله) صلى الله تعالى عليه وسلم (لا سهم لهم) أى للقدرية (فى الاسلام) والسهم اما ان يراد به ما هو من سهام الغنائم لانه انما هو للمسلمين أو بمعنى النصيب والمعنى لا اسلام لهم كقول ابن الفارض

على نفسه فليبك من ضاع عمره * وليس له منها نصيب ولا سهم

(وتسميته) الضمير له صلى الله تعالى عليه وسلم (الرافضة بالشرك) أى اطلاقه عليهم انهم مشركون قيل وهذا لا نعرف روايته وسيأتى رده قريبا (واطلاق اللعنة) أى الطرد والبعد من رحمة الله (عليهم) أى على الرافضة بقوله انهم ملعونون وانما يلعن الكافر (وكذلك ما ورد (فى) حق (الخوارج) الذين خرجوا على على رضى الله عنه (وغيرهم من أهل

(منى دماءهم وأموالهم الا بحقها) أى بحق الشهادة بما يتعلق بها وفى رواية الا بحق الاسلام (وحسابهم على الله) أى نحن نحكم بالظواهر والله تعالى أعلم بالسرائر وورد ما أمرت ان أشق عن قلوب الناس وصح انه قال لاسامة هلا شققت عن قلبه وظاهر هذه الاحاديث على انه تقبل توبة المرتد والزنديق والجاحد مجمع عليه وجوبا كالصلاة ونحوها والله ولى التوفيق (فالعصمة) للدماء والاموال (مقطوع بها مع الشهادة) بالوحدانية والرسالة (ولا ترتفع) أى العصمة (ويستباح خلافها) أى من دم أو مال (الا بقاطع) من الادلة (ولا قاطع من شرع) الا قوله عليه الصلاة والسلام لا يحل دم امرئ مسلم الا باحدى ثلاث وهى الردة وقتل مسلم وزنى محصن (ولا قياس عليه) صحيح حتى يمال اليه (وألفاظ الاحاديث الواردة فى هذا الباب) أى فى باب مذمة المبتدعة (معرضة) بتشديد الراء المفتوحة وروى عرضة أى قابلة (للتاويل فما جاء منها فى التصريح بكفر القدرية) كقوله عليه الصلاة والسلام القدرية مجوس هذه الامة ان مرضوا فلا تعودوهم وان ماتوا فلا تشهدوهم كما رواه أبو داود والحاكم وصححه عن ابن عمر وقوله عليه الصلاة والسلام من لم يؤمن بالقدر خيره وشره فانا منه برىء رواه أبو يعلى فى مسنده (وقوله) بالرفع عطفا على ما أى وقول النبى عليه الصلاة والسلام (لا سهم لهم فى الاسلام) أى لا نصيب للقدرية مطلقا أو كاملا فى سهام الاسلام (وتسميته) عليه الصلاة والسلام (الرافضة بالشرك) هذه رواية غير معروفة ولعله نقل المراد بهم غلاتهم القائلون بالالهية على ويسمون النصيرية ولا شبهة فى كفرهم اجماعا (واطلاق اللعنة) وفى نسخة واطلاقه اللعنة (عليهم) أى على القدرية والرافضة وكذلك الخوارج وغيرهم من أهل

(الاهواء) فروى الدارقطني في العلل عن علي كرم الله وجهه لعنت القدرية على لسان سبعين نبيا وروى الطبراني عن ابن عمر لعن الله من سب أصحابي وروى الطبراني أيضا عن ابن عباس من سب أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين وروى أحمد والحاكم عن أم سلمة من سب عليا فقد سبني ومن سبني فقد سب الله (فقد يحتج بها) أي بظاهرها (من يقول بالتكفير وقد يجيب الآخر) وهو القائل بعدم التكفير (بانه) أي الشان قد ورد مثل هذه الالفاظ (في الحديث) النبوي (في

غير الكفرة على طريق التغليظ) كقوله عليه الصلاة والسلام من أتى عرافا أو كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد رواه أحمد والحاكم عن أبي هريرة وفي رواية من أتى كاهنا فصدقه بما يقول أو أتى امرأة حائضا أو امرأة في دبرها فقد برئ مما أنزل على محمد وفي رواية ملعون من أتى امرأة في دبرها (وكفر) أي وبانه كفر أي كفران (دون كفر) أي صريح (واشراك) أي خفي (دون اشراك) أي جلي كقوله عليه الصلاة والسلام من حلف بغير الله فقد أشرك رواه أحمد والترمذي والحاكم عن ابن عمر (وقد ورد مثله) أي في انه شرك دون شرك (في الرياء) كقوله عليه الصلاة والسلام الشرك الخفي ان يعمل الرجل لمكان الرجل رواه الحاكم عن أبي سعيد وقد قال تعالى

الاهواء) أي الآراء الفاسدة كالشيعة (فقد يحتج بها) أي بهذه الاحاديث (من يقول بالتكفير) لهؤلاء بناء على ظاهرها (وقد يجيب) عنها (الآخر) الذاهب لعدم تكفيرهم فلذا قال انها قابلة للتاويل (بانه) متعلق بيجيب والضمير للشان (قد ورد) عنهم وروداشائعا متعارفا فيما بينهم لا ينكره الا جاهل بل قد ورد (في الاحاديث مثل هذه الالفاظ) المذكور فيها الكفر واللعنة (في) حق (غير الكفرة) من عصاة المسلمين مع القطع بعدم كفرهم اجماعا (على طريق التغليظ) أي المبالغة والتشديد في الزجر تخويفا لهم فهو مجاز أو كناية بانهم مستحقون لعذاب الكفرة ومتصفون بصفات تليق بالكفرة ومثله كثير في الآيات والاحاديث (وكفر دون كفر) أي اهون منه (واشراك دون اشراك) أخف منه واهون لتفاوت مراتبه وبعض الشر أهون من بعض وظلم دون ظلم كما في الاثر يعني انه صلى الله تعالى عليه وسلم كما سمى الطاعات ايمانا سمى بعض المعاصي كفرا وشركا وسمى الله الكفر في القرآن ظلما كقوله ولم يلبسوا ايمانهم بظلم وقال ان الشرك لظلم عظيم وخلص المؤمنين يرون التوحيد أي لا يرى في الوجود غير الله ولا يرى لغير الله شيئا من الامر ويعدون غير هذا شركا خفيا بل ظاهرا كما قال ابن عطاء الله كلك شرك خفي وكما قال بعض مهنئا بعيد

عيدي شهودي وعيدي انت باعيني * والعيد عندي دوام المحو عن عيني
اثبات غيرك شرك في عقيدتنا * ترك السوى ديننا يا قرة العين

وصاحب البرقان يرى الدنيا كالها صفراء وهذا مقام شهود وكشف يعرفه من ذاق حلاوة الايمان ومنكره مريض القلب الذي يتوهم العسل مر العدم صحة ذوقه اللهم ارزقنا من الشوق للقائك ما يحلو به الصبر على مر بلائك واعلم ان البيهقي روى في الدلائل عن علي رضي الله عنه وكرم الله وجهه عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه يكون في أمتي قوم في آخر الزمان يسمون الرافضة يرفضون الاسلام ورواه من طرق عدة وقوله في أمتي فيه ايماء للتاويل وانه محمل على انهم في عدادهم وبينهم أو المراد بالامة أمة الدعوة وأما الاحاديث في الخوارج فصحيحة في مسلم وغيره وفيه معجزة له صلى الله تعالى عليه وسلم لاخباره بالغيب وسياتي في كلام المصنف الاشارة لها وسنذكره هنالك فمن قال حديث الرافضة لا يعلم من رواه فقد قصر (وقد ورد مثله) أي مثل الحديث الوارد في تكفير الرافضة وغيرهم من أهل البدع (في الرياء) براء مهملة وياء مثناة تحتية ممدودة وهو فعل العبادة ونحوها لاجل الناس هكذا ضبطه الحافظ الحلبي والاحاديث في الرياء مشهورة وكذا اطلاق الشرك عليه فانه يقال له الشرك الخفي وهو أنسب بقوله السابق شرك دون شرك وفي الشرح الجديد ان الربا بالقصر وباء موحدة ويكتب بالف وواو وياء وهو فضل أحد المتجانسين على الآخر بالمعيار الشرعي من كيل ووزن ونحوه والكلام فيه معروف غني عن البيان وهو اشارة لما في حديث مسلم لعن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهده وفي نسخة الزنا بزاي معجمة ونون فهو اشارة لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن وعليه بعض

فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا أي بان يرائيه أو يطلب منه أجرا وعنه عليه الصلاة والسلام اتقوا الشرك الاصغر قيل وما الشرك الاصغر قال الرياء وفي نسخة الزنى بالزاي والنون كحديث لا يزني زان حين يزني وهو مؤمن ولا يبعد ان يكون الربا بالراء والموحدة لقوله عليه السلام لعن الله الربا آكله وموكله وكاتبه وشاهده وهم يعلمون رواه الطبراني عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه

(وعقوق الوالدين) كحديث من أدركه أبواه أو أحدهما فلم يدخلاه الجنة لم يرح رائحة الجنة (والزور) أى شهادة الزور وهى المعادلة للشرك فى قوله فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور وروى بدله والزوج كقوله عليه الصلاة والسلام لعن الله المسوفات التى يدعوها زوجها الى فراشه فتقول سوف حتى تغلبه عيناه رواه الطبرانى عن ابن عمر (وغير معصية) أى وفى غير معصية أى متفق عليها كقوله عليه الصلاة والسلام ملعون من لعب بالشطرنج رواه ابن حزم وغيره وكقوله عليه الصلاة والسلام لعن الله المحلل والمحلل له رواه أحمد والاربعة عن على كرم الله وجهه (واذا كان) الحديث الوارد فى الآحاد (محتملا للامرين) من كفر وغيره (فلا يقطع) أى الحكم بالجزم (على أحدهما الا بدليل قاطع) وأغرب الدلجى بقوله أو غير قاطع وكأنه قاس على مسائل الفروع حيث لا فرق عند امامهم بين القطعى والظنى فى أحكامها وغفل عن انه لابد فى مسائل الاصول من الادلة القطعية (وقوله) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كما رواه مسلم عن أبى ذر وروى لانه قال (فى الخوارج هم من شر البرية) بالهمز والتشديد أى الخليقة (وهذه صفة الكفار) كما فى سورة البينة (وقال عليه الصلاة والسلام) كما رواه البيهقى فى حقهم (هم شر قتيل) فعيل يستوى فيه الواحد والجمع وفى رواية شر قتلى جمع قتيل وروى شر قبيل بالموحدة أى جمع قبيلة (تحت أديم السماء) أى ماظهر منها (طوبى) فعلى من الطيب وأصلها طيبى وقد يقال به قلبت ياؤه واوا لسكونها وانضمام ماقبلها وهى الحالة الطيبة أو الجنة أو شجرة عظيمة فيها (لمن قتلهم) وقد قتلهم على كرم الله وجهه يوم النهروان (أو لمن قتلوه) لفوزه بالسعادة المترتبة على الشهادة (وقال) فيما رواه الشيخان عن أبى سعيد الخدرى

الشراح والكل صحيح (وعقوق الوالدين) الاب والام وان عليا وهو من الكبائر أيضا والعقوق من عقه بمعنى قطع وشق وهو فعل كل مايؤذيهما او يسوءهما او يترك صلتهما ضده البر وقد جمعه الله تعالى بابلغ لفظ فى قوله ولا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما ومن أحسن قول السراج الوراق فى بر ولده له

بنى اقتدى بالكتاب العزيز * فزدت سرورا وزادابتهاجا
وما قال لى أف فى عمره * لكونى أبا ولكونى سراجا

وفى العقوق أحاديث كثيرة تدل على ماقاله المصنف (والزوج) أى ومخالفة المرأة زوجها وفى الحديث من باتت زوجها ساخطا عليها لم ترح رائحة الجنة وهذا من صفة الكفار وفى بعض النسخ والزور أى الكذب سمى به لميله عن الحق ومنه تزاور عن كهفهم (وغير معصية) واحدة أى جاء فى حق معاص كثيرة وصفها فى الحديث بانها كفر وشرك مع علم كل أحد بان فاعلها لا يكفر فدل هذا على ان المراد تغليظ زجره لا انه كفر حقيقة فما ورد من تكفير المبتدعة وأهل الاهواء مثله (واذا كان) أى ماورد فى حقهم من الكفر (محتملا للامرين) أى كونه على ظاهره وكونه مبالغة فى زجرهم وتخويفهم (فلا يقطع على أحدهما) أى أحد الامرين الكفر وعدمه (الا بدليل قاطع) لصعوبة اخراج أحد من الاسلام وادخاله فى الكفر كما تقدم وعدى يقطع بعلى لتضمينه معنى يقول ويعتمد لانه يتعدى بالباء يقال قطع به اذا جزم (وقوله صلى الله عليه وسلم فى الخوارج هم من شر البرية) أى الخلق من برأ بمعنى خلق فخفف وشر افعل تفضيل مخفف أشر كما سمع نادرا وبه قرئ فى قراءة شاذة لابى قلابة وكذا خير والخوارج جمع خارج أو خارجى كما مر (وهذه) الصفة وهى شر البرية (صفة الكفار) وصفهم الله بها فى القرآن فى قوله ان الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين الى قوله أولئك هم شر البرية فوصفهم بصفتهم يقتضى كفرهم ان لم نقل المراد دوام هذه الصفة وانها لا تليق بمسلم وهذه العبارة فى حديث فى الصحيحين وغيرهما ورواه أحمد عن عائشة بلفظ الخوارج شرار أمتى يقتلهم خيار أمتى وفى مسلم هم أبغض الخلق ونحوه (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم فى الخوارج فى الحديث (شر قبيل) بفتح القاف وباء موحدة ومثناة تحتية ولام وهم الجماعة والقبيلة جماعة لاب واحد وبعضهم ضبطه بمثناة فوقية (تحت أديم السماء) الاديم الجلد والنطع منه وهو تشبيه لها بجلد ممدود أى تحت السماء وهو يستعار للارض أيضا وفى الاساس أديم السماء ما تحتها ومن العجب ماقيل انه مشكل لان أديم السماء الارض قال الجوهرى سمى وجه الارض أديما فظاهره انه تحت الارض وما آفة الاخبار الا رواتها (طوبى لمن قتلهم أو قتلوه) أى طوبى لمن قتلوه لانه شهيد وهى كلمة مدح وقد يقصد بها التبشير بالجنة والسعادة لانها اسم الجنة أو شجرة فيها ويقال طوبى له فى طوباه وهى فعلى من الطيب وفى الحديث طوبى لاهل الشام لان الملائكة باسطة أجنحتها عليها وفى الحديث بدا الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدا وطوبى للغرباء وقد قتلهم على كرم الله وجهه يوم النهروان (وقال صلى الله تعالى عليه وسلم) فى حديث رواه الشيخان عن

(فاذا وجدتموهم) أي مجتمعين (فاقتلوهم قتل عاد) أي كقتل عاد في الشدة أو المعنى أهلكوهم اهلاكا مستأصلا والافهم أهلكوا بريح صرصر عاتية (وروى ثمود) وهو ابن عم عاد (وظاهر هذا) القول (الكفر) أي كفرهم بناء على صدر الحديث (لاسيما مع التشبيه) أي لهم وفي نسخة مع تشبيههم (بعاد) قوم هود (فيحتج به من يرى تكفيرهم فيقول له الآخر) ممن لا يرى تكفيرهم (انما ذلك) التغليظ (من قتلهم) أي جهة قتلهم لا من جهة كفرهم (لخروجهم على المسلمين وبغيهم) أي ظلمهم وتعديهم (عليهم) أي على المؤمنين (بدليله) أي دليل خروجهم وبغيهم عليهم المستفاد (من الحديث نفسه) وروى بدليل من الحديث وهو قوله عليه الصلاة والسلام (يقتلون أهل الاسلام فقتلهم ههنا حد) أي قصاص للعباد أو دفع لفساد (لا كفر) على وجه العناد (وذكر عاد) وروى وقتل عاد (تشبيه للقتل) في الشدة والاستئصال (وحله) أي وكونه الحلال (لا) تشبيه (للمقتول) من الخوارج بالمقتول من عاد حتى يلزم الكفر مع انه لا يلزم من التشبيه تسوية المشبه والمشبه به من جميع الوجوه (وليس كل من حكم بقتله يحكم بكفره) كما يعرف في باب القصاص والرجم (ويعارض) الآخر (بقول خالد) بن الوليد سيف الله (في الحديث) كما رواه الشيخان عن أبي سعيد (دعني) أي اتركني (اضرب) بالجزم أو الرفع (عنقه) أي ذي الخويصرة (يا رسول الله قال لعله يصلي) يعني وهو مؤمن وقد روى الطبراني عن أنس مرفوعا نهيت عن المصلين أي عن قتلهم هذا وفي صحيح البخاري أيضا انه سئل قتله عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ولا منع من الجمع (فان احتجوا) أي من يرى تكفيرهم (بقوله عليه الصلاة والسلام يقرؤن القرآن لا يجاوز حناجرهم) جمع حنجرة وهي الحلقوم (فاخبر) أي بهذا (ان الايمان) المستفاد من القرآن (لا يدخل في قلوبهم) والاظهر ان المعنى لا تقبل قراءتهم ولا تصعد الى السماء تلاوتهم واما نفي الايمان فلا يستفاد من حالتهم (وكذلك قوله) أي في حقهم (يمرقون)

أبي سعيد الخدري (فاذا وجدتموهم فاقتلوهم قتل عاد) وفي رواية ثمود وهم كفرة كما في القرآن (فظاهر هذا) الحديث (الكفر) أي كفر الخوارج ولذا ذهب اليه أكثر العلماء كالطبري والسبكي (لاسيما) أي انه يدل على الكفر دلالة واضحة (مع تشبيههم بعاد) اشارة الى ان في الكلام معنى التشبيه اذ المعنى اقتلوهم قتلا كقتل عاد والمراد تشبيههم بهم في افنائهم واستئصالهم بحيث لا يبقى لهم أثر ومن هذا الوجه دل على المبالغة فلا يرد عليه ما قيل ان عادا أهلكوا بريح صرصر لا بسيف ونحوه ففي التشبيه اشكال فانه ناشئ من قلة التدبر (فيحتج به) أي بالحديث أو بالتشبيه (من يرى تكفيرهم) لامره صلى الله عليه وسلم بقتلهم وتشبيههم بالكفرة (فيقول له الآخر) الذي لا يرى تكفيرهم مجيبا له (انما ذلك) المذكور في الحديث (من قتلهم لخروجهم على المسلمين وبغيهم عليهم) أي جورهم وتعديهم على المسلمين كالبغاة ومن في قوله من قتلهم قيل انها تعليلية أي من أجل قتلهم لانهم قتلوا المسلمين لما خرجوا على ما في القصة المشهورة ويتمسك (بدليله) وفي نسخة ودليله الذي استدل به (من الحديث نفسه) من غير حاجة لدليل آخر كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم فيه (يقتلون أهل الاسلام) فانه يدل على انهم انما قتلوا لقتلهم لا لكفرهم كما قال (فقتلهم) أي الخوارج (ههنا حد) وقصاص دفعا لشرهم (لا كفر) كما فهمه القائل به ثم استشعر سؤالا بانه حينئذ لم شبههم بعاد فقال (وذكر) وفي نسخة وقتل (عاد تشبيه للقتل وحله) أي القتل (لا للمقتول) بخصوصه من الخوارج وقوم عاد ثم وضحه بقوله (وليس كل من حكم بقتله) شرعا (حكم بكفره) كالقاتل وتارك الصلاة عند الشافعي وقطاع الطريق وقتل علي كرم الله وجهه للخوارج ذهب كثير الى انه لانهم بغاة كما ذهب بعضهم الى انه لكفرهم (ويعارضه بقول خالد) ابن الوليد رضي الله تعالى عنه والمعارضة اقامة دليل يدل على خلاف ما قاله ويبين أرجحيته على ما قاله (في الحديث) الذي رواه الشيخان عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه في حق رجل أخبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بانه سيصدر عنه شيء من أمر الخوارج (دعني) أي اتركني وهو كناية عن الاذن له فيما ذكر (أضرب عنقه) أي اقتله وهو مجزوم في جواب الامر (يا رسول الله فقال) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (لعله يصلي) فجعل الصلاة واظهار شعائر الاسلام مانعة من التكفير والقتل لسببه ولعل للتعليل أو للترجي وهو في كلام الله ورسوله للتحقيق ووقع في رواية ان القائل في هذه القصة عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه وجمع بينهما بان القول وقع منهما والرجل الذي أريد قتله ذو الخويصرة (فان احتجوا) أي القائلون بكفرهم (بقوله) صلى الله تعالى عليه وسلم في الحديث الذي رواه البخاري في حق الخوارج وقوله فيه انهم (يقرؤن القرآن لا يجاوز حناجرهم) أي لا يتعداها ويذهب منها جمع حنجرة وهي رأس الحلق الخارج منه الكلام وهي الحلقوم ومجرى النفس وطرف المرى مما يليه والمراد انه لا يصل الى قلوبهم لعدم العمل والعلم بما فيه من الايمان والعقائد ويفسره رواية مسلم لا يجاوز ايمانهم حلاقيمهم فهم مؤمنون باللسان دون القلب ولهذا عقبه بقوله (فاخبر ان الايمان لم يدخل قلوبهم وكذلك قوله) صلى الله تعالى عليه وسلم

(ويمرقون) بضم الراء أى يخرجون بسرعة (من الدين مروق السهم) أى نفوذه (من الرمية) فعيلة بمعنى مفعولة أى مرمية مما يرمى يمرق منه السهم من صيد أو غيره (ثم لا يعودون اليه) أى الى الدين (حتى يعود السهم الى فوقه) بضم الفاء وهو موضع الوتر من السهم وهذا تعليق بالمحال كقوله تعالى لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط فما فى بعض النسخ حتى لا يعود خطأ فاحش (وبقوله) وفى نسخة وقوله أى فى الصحيحين عن أبى سعيد وروى وكذلك قوله (سبق) أى السهم بمروقه سريعا (الفرث) وهو ما فى الكرش (والدم) والمعنى مر سريعا فى الرمية وخرج منها لم يعلق منها بشئ من فرثها ودمها لسرعته شبه به خروجهم من الدين لسرعة (يدل على انه) أى الخارجى (لم يتعلق من الاسلام بشئ) من سهام الاحكام (أجابه الآخرون) الذين لا يكفرونهم (ان معنى لا يجاوز حناجرهم لا يفهمون) وروى لا يفقهون (معانيه بقلوبهم ولا تنشرح له صدورهم ولا تعمل به جوارحهم) أى لا يمتثلون أوامره ولا يجتنبون زواجره (وعارضوهم) الاولون (بقوله) عليه السلام (ويتمارى) بصيغة المجهول أى يشك أو يجادل (فى الفوق) أى فى السهم هل فيه أثر علق به شئ من الفرث والدم أم لا وفى نسخة بصيغة الفاعل للخطاب وفى أخرى بالغيبة أى يجادل ظنه ونفسه فيما يشك فيه (وهذا يقتضى التشكك) ويروى الشك أى التردد فى حاله أيحكم بكفره أم لا (وان احتجوا) أى من يرى تكفيرهم (بقول أبى سعيد الخدرى فى هذا الحديث سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول يخرج فى هذه الامة) قوم يقرؤن القرآن لا يجاوز حناجرهم (ولم يقل من هذه) أى الامة كما فى نسخة (وتحرير أبى سعيد الرواية) أى وبتحريره (واتقانه اللفظ) الدال على تحقيقه فى الدراية اذ قال فى دون من وهذا مؤذن بانهم كفرة ليسوا من أمة الاجابة وهذا فى غاية من البعد كيف وهم يقرؤن القرآن ويصلون ويصومون ويبالغون فى الزجر عن المعاصى حيث يكفرون مرتكب الكبيرة وأما تعبيره بفى دون من فقد

(يمرقون) أى يخرجون (من الدين) فالمروق الخروج بسرعة مروقا مثل (مروق السهم من الرمية) قيل هى فعيلة بمعنى مفعولة أى ما يرمى من صيد ونحوه كذا فسره هنا كلهم والظاهر ان المراد به القوس أو الوتر وما يرمى به لقوله بعده (ثم لا يعودون اليه) أى الى الدين (حتى يعود السهم الى فوقه) بضم الفاء وواو ساكنة وقاف وهو موضع السهم من الوتر فان الظاهر انه شبه خروجهم بخروج السهم من قوس راميه الذى لا يمكن رجوعه حين يرميه وهكذا هو فى أمثال الناس يقولون لما لا يعود سهم رمى ويؤيده تنبيه الا انى لم أره اللهم الا أن يقال السهم الذى يخرج مما رمى به لا يعود لقوسه أيضا وهو أبلغ فى المعنى المراد وهذا هو المراد كما سيأتى والحديث كما فى البخارى انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال يخرج ناس من قبل المشرق يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ثم لا يعودون اليه حتى يعود السهم الى الرمية الى آخره وفيه ان سيماهم انهم يحلقون رؤسهم لان حلق شعر الرأس فى عهده صلى الله تعالى عليه وسلم انما كانوا يفعلونه لنسك أو حاجة أما الآن فصار عادة لا تكره وهذا من معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم لما فيه من الاخبار عن المغيبات (و) كذلك يحتجون بـ(قوله) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه الشيخان وفى نسخة وكذلك قوله (سبق) أى السهم بخروجه سريعا (الفرث والدم) قال الراغب الفرث ما فى الكرش ويقال فرث كبده أى فتتها وأفرث فلان أصحابه أوقعهم فى بلية جارية مجرى الفرث انتهى يعنى انه لا تعلق لهم بالاسلام ايماء لسرعة خروجهم منه كما ان السم النافذ من حيوان رمى به يخرج قبل ما فى باطنه من الفرث والدم فانه يخرج بعده (وهذا) المذكور فى الحديث (يدل على انه) أى الخارجى (لم يتعلق من الاسلام بشئ) كالسهم السريع النفوذ وقوله (أجابه) جواب قوله فان احتجوا الى آخره أى فان عارضوهم به أجابهم (الآخرون) القائلون بعدم كفرهم بـ(ان معنى) قوله فى الحديث (لا يجاوز حناجرهم) الذين تمسكوا به انهم (لا يفهمون معانيه بقلوبهم) فلا يمتثلون أوامره ونواهيه فهم عصاة لا كفار (ولا تنشرح له صدورهم) كغيرهم من المتقين (ولا تعمل به جوارحهم) أى أعضاؤهم الظاهرة فهم لا يتدبرون القرآن وان واظبوا على تلاوته وحسنوا به أصواتهم وبالغوا فى عباداتهم (وعارضوهم) معطوف على اجابه (بقوله) صلى الله تعالى عليه وسلم (ويتمارى) أى يتردد السهم فى موضعه من الوتر (فى الفوق) بضبطه السابق (فهذا التشبيه (يقتضى التشكك فى حاله) وانه لا يحكم بكفره وفيه كلام فى شرح البخارى (وان احتجوا) أى المكفرون (بقول أبى سعيد الخدرى) رضى الله تعالى عنه (فى هذا الحديث) ومقوله قوله (سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول يخرج) أى يظهر (فى هذه الامة) فجعلهم فيها لا منهم (ولم يقل يخرج (من هذه الامة) فانه يقتضى انهم منهم لا مفارقتهم بمخالفة دينهم ورجحوا هذه الرواية بقوله (وتحرير أبى سعيد) أى تهذيبه وتنقيحه (الرواية واتقانه اللفظ) بقوله فى دون من وهو يدل على دقة

(أجابهم الآخرون) ممن لا يرى تكفيرهم (بان العبارة بفي لا تقتضي تصريحا بكونهم) وروي صريحا كونهم (من غير الامة) أي أمة الاجابة بل هم من أمة الدعوة (بخلاف لفظة من التي هي للتبعيض) وكونهم من الامة مع انه قد روى (عن أبي ذر) أي الغفاري (وعلي) أي ابن أبي طالب (وأبي امامة) سهل بن حنيف كذا قاله الدلجي وقال الحلبي تقدم انه صدي بن عجلان الباهلي (وغيرهم في هذا الحديث) أي حديث الخوارج (يخرج من أمتي وسيكون من أمتي) ونحوهما مما هو ظاهر في كونهم منهم (وحروف المعاني مشتركة) في معانيها ينوب بعضها عن بعض في مبانيها فاذا كانت مشتركة (فلا تعويل) أي لا اعتماد (على اخراجهم من الامة بفي ولا على ادخالهم فيها بمن) أي بمجردهما لاحتمال كل منهما انها وقعت في موضع أختها فقوله تعالى اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة أي فيه ويقال هذا ذراع في أرض كذا أي منها (لكن أبا سعيد رضي الله تعالى عنه أجاد ماشاء) أي فيما أفاد (في التنبيه الذي نبه عليه) أي

على اخراجهم من الامة بظاهر في دون من لانهم ليسوا منهم (وهذا) التعبير بفي دون من من أبي سعيد (مما يدل على سعة فقه الصحابة وتحقيقهم للمعاني) بايراد ألفاظها الدالة عليها بدون احتمال الى غيرها (واستنباطها) أي اخراجها من القوة الى الفعل من الالفاظ الموضوعة لها الدالة عليها (وتحريرهم لها وتوقيهم في الرواية) وفيه ان هذا يوهم ان الصحابي له التصرف في ألفاظ النبوة من الرواية فيعبر بها كما يظهر له من الدراية وقد اختلف أرباب الاصول في نقل الحديث بالمعنى والتصرف في المبنى والمحتاطون منعوه بالكلية والمحققون جوزوه عند الضرورة بغير بالنسيان في أصل الرواية على ان أبا سعيد وقع شاذا في هذه الرواية بالنسبة الى بقية الصحابة الذين هم أقوى منه في باب الدراية لاسيما عليا كرم الله وجهه المبتلى بمقاتلتهم ومحاربتهم ومباغضتهم (هذه المذاهب المعروفة لاهل السنة ولغيرهم من الفرق) المختلفة كالمعتزلة والشيعة (فيها) وفي نسخة عليها (مقالات كثيرة مضطربة) أي مختلة مختلفة (سخيفة) أي خفيفة ضعيفة (أقربها قول جهم) أي ابن صفوان من المعتزلة (ومحمد بن شبيب) بفتح الشين المعجمة وكسر الموحدة الاولى وهو منهم أيضا على ماذكره الدلجي قال التلمساني وهو الخارجي من المرجئة ممن جمع بين الارجاء في الايمان وبين القول في القدر (ان الكفر بالله هو الجهل به لا يكفر أحد

نظره رضي الله تعالى عنه وهذا بحسب الظاهر اذ يجوز ارجاع كل منهما الى الآخر لان حروف الجر يقوم بعضها مقام بعض والامة تحتمل أمة الدعوة والاجابة كما مر وأشار الى الجواب بقوله (أجابهم الآخرون) الذين لا يرون تكفيرهم (بان العبارة) أي التعبير (بفي لا تقتضي) وتستلزم (تصريحا بكونهم من غير الامة) لان بعضهم فيهم وان كان خلاف الظاهر لتخصيص الامة وتأويلها (بخلاف لفظة من التي هي للتبعيض) المصرحة (وبكونهم من الامة) ولا يخفى ما فيه (مع انه قد روي عن أبي ذر وعلي وأبي أمامة وغيرهم) ممن رواه (في هذا الحديث يخرج من أمتي وسيكون من أمتي) بلفظ من وهو صريح في أنهم منهم وان الروايتين متوافقتين معنى (وحروف المعاني) كحروف الجر لا المباني (مشتركة) أي لها معان متعددة وضعت لها ويجوز نيابة بعضها عن بعض بتضمين ونحوه واذا كان كذلك (فلا تعويل) أي لا اعتماد (على اخراجهم من الامة) بتكفيرهم (بفي) أي بسبب قوله في (ولا على ادخالهم فيها) لاجل تعبيره (بمن) لاحتمال غيره (لكن) بالتشديد (أباسعيد) الخدري رضي الله تعالى عنه في روايته هذه (اجاد ماشاء) أي جودة عظيمة (في التنبيه الذي نبه عليه) باتيانه بفي الدالة على اخراجهم وهذه العبارة معروفة في المبالغة كأنه يقدر على الجودة في كل ما يريد وما مصدرية أو موصولة (وهذا) أي تحرير العبارة وجودتها رعاية للمعاني المرادة (مما يدل على سعة فقه الصحابة) رضي الله تعالى عنهم أجمعين أي شدة فهمهم لمقاصد الكلام ودقة نظرهم (وتحقيقهم المعاني) بما يناسبها من حسن لباسها (واستنباطها) أي استخراجها (من الالفاظ) الدالة عليها وضعا (وتحريرهم لها) بتهذيبها (وتوقيهم) أي احترازهم واجتنابهم (في الرواية) عما لا يليق وروايته من وفي كلاهما في الصحيحين (هذه المذاهب المعروفة) في هذه المسئلة (لاهل السنة و) اما (لغيرهم من الفرق) كالمعتزلة والشيعة فورد عنهما (فيها مقالات) أي أقوال (مضطربة) متعارضة غير محررة (سخيفة) أي ركيكة صعبة لا يعول عليها و(أقربها) أي أقرب اقوال غير أهل السنة (قول جهم) بن صفوان من المعتزلة (ومحمد بن شبيب) هو من المعتزلة أيضا وقيل مرجئ قدري (ان الكفر بالله) معناه (الجهل به) بان لا يعلم الله ووجوده وسياتي بسط هذا مع رده عن القاضي أبي بكر الباقلاني (ولا يكفر أحد

بغير ذلك) أي بغير الجهل به وجود اذكره الدلجي وفيه انه يلزم منه ان لا يوجد في الكون كافر الا الدهرية فقد قال تعالى في
حق عبدة الاصنام ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله وما جاء الانبياء الا للتوحيد لا لمجرد اثبات وجوده
تعالى ولهذا أمروا الخلق بان يقولوا لا اله الا الله لا بمجرد ان الله موجود ومع هذا من أتى بالتوحيد ولم يقر بالانبياء أو أقر
ببعض الانبياء ولم يقر بنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم ورسالته كاهل الكتاب فلا شك انه كافر بالاجماع فكيف
قائله يكون من المبتدعة وان هذا أقرب أقوالهم (وقال أبو الهذيل) بالتصغير وهو

بغير ذلك) أي بغير الجهل بالله وهذا قول غير صحيح ان حمل على ظاهره لانه يقتضي ان من عرف الله ووحده وأنكر نبوة محمد صلى الله عليه وسلم أو انكر شريعته وكتابه المنزل عليه لا يكفر فان أراد الجهل بالله وما يستلزمه لم يكن مخالفا لغيره وكأن مراد القائل انه يلزمه تكفير سائر الفرق الضالة فان لم يرد هذا فلا وجه له (وقال أبو الهذيل) ابن أحمد بن العلاف شيخ المعتزلة أخذ عن عثمان بن خالد الطويل عن واصل بن عطاء رئيس المعتزلة وهو القائل بفناء مقدورات الله تعالى وان الجنة والنار يفنيان لانهما حادثان وما ليس له آخر قديم عنده كما ان ما ليس له أول قديم أيضا توفي سنة ست وعشرين ومائتين وقد أربى على المائة وهو بصري (ان كل متاول) بتشديد الواو المكسورة اسم فاعل ولا وجه لفتحها كما صحح في بعض النسخ لانه يأباه ما بعده (كان تاويله تشبيها لله بخلقه) بان يثبت له جسما وصورة وجهة ونحوه مما هو من صفات الخلق المحدث فان أراد هذا فهو صحيح لكن الفقهاء لهم خلاف فيه في تكفيرهم وعدم صحة الصلاة خلفهم كما تقدم وما قيل من ان مراده من قال بتاويل المتشابهات من أهل السنة غير ظاهر من هذه العبارات وان طال فيه بغير طائل (وتجويرا له) تفعيل من الجور بجيم وراء مهملة ضد العدل وأصله الميل عن الاستقامة وضميره لله أي نسبة الله الى الجور في تاويله وقد قيل مراده أيضا الرد على أهل السنة في قولهم ان الله يريد الخير والشر والمعاصي لان ارادته المعاصي وعقاب فاعلها جور عندهم تعالى سبحانه عنه ورده والكلام عليه مفصل في محله وعندهم الرضا والارادة بمعنى (وتكذيبا لخبره) أراد قوله تعالى وما الله يريد ظلما للعباد وقد نسبه للجور كما سمعته آنفا فيلزمه تكذيبه في قوله هذا (فهو كافر) بالتشبيه ونسبته للجور وتكذيب خبره وهذا حق أريد به باطل فاقر بيته بحسب ظاهره فتامل (وقال) أبو الهذيل (كل من أثبت شيئا قديما لا يقال له الله فهو كافر) وهو رد أيضا على أهل السنة في قولهم بقدم الصفات فرارا من عدمها وقيام الحوادث بذاته وهم ينفون الصفات هربا من تعدد القدماء وعندنا الممنوع تعدد ذوات قدماء لا ذات وصفات كما بين في الاصول وليس هذا محل تفصيله (وقول بعض المتكلمين ان كان) المتاول (ممن عرف الاصل وبني عليه) أي علم أصول الدين وفرع عليه تاويله الذي يقتضي ما تقدم من التشبيه وما بعده (وكان تاويله (فيما هو من أوصاف الله) التي لا تليق به (فهو كافر) لانه قال ما قاله عن علم به (وان لم يكن من هذا الباب) أي لم يكن ما أوله من أوصاف الله (ف) هو (فاسق) غير طائع لله لارتكابه كبيرة باعتقاد ما ليس بحق (الا أن يكون ممن لم يعرف الاصل) أي الاصول الدينية وانما قال ما قاله لجهله (فهو مخطئ غير كافر) أي غير مصيب للحق لذهابه لغير الحق من غير بنائه على أصل من أصول الدين وهذا كله من كلام المعتزلة ودسائسهم مما يوهم ظاهره الخير وهو شر محض (وذهب عبيد الله) بالتصغير (بن الحسن

العلاف البصري شيخ المعتزلة توفي سنة ست وعشرين ومائتين وقد نيف على المائة (ان كل متاول كان تاويله تشبيها لله بخلقه) كبعض المجسمة (وتجويرا) أي ظلما له (في فعله) على خلقه (وتكذيبا لخبره فهو كافر وكل من أثبت شيئا قديما) كالارواح وعنصر الاشياء وقدم العالم كقول الحكماء (لا يقال له الله) ولعله احترز به عن صفات الذات فانه يطلق عليه انه الله قال تعالى قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى (فهو كافر) فاندفع قول الدلجي بان هذا مؤذن بكفر من قال بقدم صفاته الثبوتية كالعلم والقدرة كما
هو مذهب أهل السنة خلافا للمعتزلة (وقال) وروي وقول (بعض المتكلمين ان كان) المتاول (ممن عرف الاصل) أي
من الكتاب والسنة (وبني عليه) قوله (وكان) أي تاويله (فيما هو من أوصاف الله فهو كافر) لان الجهل بذاته وصفاته
كفر ولا عذر له في تاويله (وان لم يكن) تاويله (من هذا الباب) أي باب ما يؤدي الى كفره (ففاسق) في فعله وقوله بتاويله ومبتدع في
اعتقاده (الا أن يكون ممن لم يعرف الاصل) وبنى تاويله على غير أساس منه فيما لم يعرفه من صفاته سبحانه وتعالى (فهو مخطئ)
في تاويله لعدم اصابته الحق يحكم عليه بالاثم والفسق (غير كافر) لقيام عذره بجهله (وذهب عبيد الله بن الحسن) أي ابن الحصين بن
مالك بن الخشخاش

(العنبرى) منسوب لبنى العنبر ومالك والخشخاش صحابيان وكان قاضى البصرة بعد سوار بن عبد الله روى عن عبد الرحمن بن مهدى ومحمد بن عبد الله الانصارى قال ابن سعد كان محمدا ثقة عاقلا وقال النسائى فقيه ثقة أخرج له مسلم توفى سنة ثمان وستين ومائة ومن غرائبه مانقلوه عنه انه يجوز التقليد فى العقائد والعقليات وخالف فى ذلك العلماء كافة ذكره الحلبى وتبعه الانطاكى وسكت عنه التلمسانى وفيه ان ايمان المقلد مقبول عند جمهور العلماء وقال الدلجى انه من المعتزلة وقد ذهب (الى تصويب أقوال المجتهدين) أجمعين (فى أصول الدين) ولو كانوا من المبتدعين (فيما كان عرضة للتأويل) أى قابلا له مما لم يرد فيه نص صريح كتأويل المعتزلة انه تعالى متكلم بخلقه الكلام فى جسم متمسكين بشجرة موسى عليه الصلاة والسلام (وفارق) العنبرى (فى ذلك) القول (فرق الامة) أى طوائفها من الناجية وغيرها (اذا جمعوا سواه على ان الحق فى أصول الدين واحد والمخطئ فيه آثم عاص فاسق وانما الخلاف فى تكفيره) على ما سبق بعض تحريره واما فروع الدين فالمخطئ فيها معذور بل ماجور باجر واحد والمصيب له أجران كما فى حديث ورد بذلك (وقد حكى القاضى أبو بكر الباقلانى) ابن الطيب المالكى (مثل قول عبيد الله) أى العنبرى (عن داود) أى ابن خلف (الاصبهانى) وفى نسخة الاصفهانى وهو امام أهل الظاهر وكان زاهدا ورعا متقللا ناسكا أخذ العلم عن اسحق ابن راهويه وأبى ثور انتهت اليه رئاسة العلم ببغداد قيل كان يحضر مجلسه اربعمائة صاحب طيلسان أخضر سمع من سليمان بن حرب والقعنبى ومسدد وطبقتهم وفى كتبه حديث كثير لكن الرواية عنه عزيزة وقد اختلف العلماء صاحب

فى نفاة القياس مثل داود وشبهه هل يعتبر قوله فى الاجماع أم لا فعن طائفة من الشافعية انه لا اعتبار لخلاف نفاة القياس فى الفروع ويعتبر خلافهم فى الاصول وقال امام الحرمين والذى ذهب اليه أهل التحقيق ان منكرى القياس لا يعدون من علماء الامة وحملة الشريعة وقال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح والذى اختاره الاستاذ أبو منصور البغدادى من الشافعية ان الصحيح من المذهب انه يعتبر خلاف داود وقال الشيخ وهو الذى استقر عليه الامر آخرا فان الائمة المتاخرين أوردوا مذهب داود فى مصنفاتهم قال والذى أجيب به ان داود يعتبر قوله ويعتد فى الاجماع لا فيما خالف فيه القياس الجلى وما أجمع عليه القياسيون وبناه على أصوله التى قام الدليل القاطع على بطلانها فاتفاق من سواه على خلافه اجماع منعقد وقول المخالف حينئذ خارج من الاجماع وذكر الذهبى فى الميزان ان داود أراد الدخول على الامام أحمد فمنعه وقال كتب الى محمد بن يحيى فى أمره انه زعم ان القرآن محدث فلا يقربنى فقيل يا أبا عبد الله انه ينتفى من هذا وينكره فقال محمد بن يحيى أصدق منه

العنبرى) منسوب لبنى العنبر قوم من تميم ويقال لهم فى غير النسب بلعنبر وهو عبيد الله بن الحسن ابن الحسين بن مالك بن الخشخاش بمعجمات ومالك والخشخاش صحابيان وللخشخاش رواية دون مالك وعبيد الله فقيه بصرى تولى قضاء البصرة بعد سوار بن عبد الله وكان عالما ثقة روى عنه غير واحد وأخرج له مسلم توفى سنة ثمان وستين ومائة وكان يرى جواز التقليد فى العقائد والعقليات وخالف فى ذلك العلماء وذهب (الى تصويب أقوال المجتهدين) أى القول بانها صواب (فى أصول الدين) مما يتعلق بالاعتقاد كالاجتهاد فى الفروع (فيما كان عرضة) أى قابلا (للتأويل) وفى الاساس فرس عرضة للسباق أى قوية عليه مطيقة له انتهى كأنه لقابليته تعرض له (وفارق) أى خالف العنبرى (فى ذلك) القول الذى قاله فى تجويزه الاجتهاد فى أصول الدين وفارق (فرق الامة) من علماء الشرع والسنة والمتكلمين فانها أمور سمعية لابد فيها من نقل صحيح (اذا جمعوا) أى علماء الامة (سواه) أى غير العنبرى (على ان الحق فى أصول الدين) والعقائد (فى واحد) لا يقبل التعدد لبراهينه القطعية فليس كالفروع التى هى محل الاجتهاد وذهب بعضهم الى ان كل مجتهد فيها مصيب وفى نسخة فى الواحد (والمخطئ فيه) الذى لم يصادف الحق الواحد (آثم عاص فاسق) لعدوله عن الحق برأيه (وانما الخلاف فى تكفيره) باجتهاده المخطئ فيما ليس محل الاجتهاد وانما محله الفروع العملية فهو مثاب فى اجتهاده سواء قلنا المصيب واحد أم لا على ما اشتهر فى الاصول اما فى أصول الدين فالمصيب واحد قطعا فلا وجه للاجتهاد فيها وان بذل وسعه وجهده وذهب الجاحظ كما يأتى والعنبرى الى جواز الاجتهاد فيها وانه اذا اخطأ لا يأثم لكنه مقيد بالاسلام على الصحيح قالوا لان قصدهم تعظيم الله وتنزيهه ولذا لم يبحث الصحابة عن الالفاظ الموهمة للتشبيه وهو كلام واه غير سديد (وقد حكى القاضى أبو بكر) بن الطيب المالكى (الباقلانى مثل قول عبيد الله) العنبرى فى جواز الاجتهاد فى الاصول (عن داود الاصبهانى) يقال بالباء والفاء اسم بلدة مشهورة وهو فارسى معرب وداود هذا هو ابن على بن خلف أبو سليمان الاصفهانى البغدادى وطنا

(وقال) أى الباقلانى (وحكى قوم عنهما) أى عن داودوالعنبرى (انهما قالاذلك) أى تصويب المجتهدين فى أصول الدين (فى كل من علم الله من حاله استفراغ الوسع) أى بذل طاقته واجتهاده (فى طلب الحق) وان اخطا (من أهل ملتنا أومن غيرهم) هذا باطل قطعا لان غيرأهل ملتنا كل منهم يدعى من حاله استفراغ الوسع فى طلب الحق وكماله لاسيما أهل الكتاب وقدأخبر الله انهم وغيرهم أجمعون كل حزب بمالديهم فرحون (وقال بنحوهذا القول) المنسوب اليهما (الجاحظ وثمامة) بضم المثلثة وكلاهمامن المعتزلة قال الحلبى أماالجاحظ فهوالكنانى الليثى البصرى العالم المشهورصاحب التصانيف المشهورة فى كل فن قال المسعودى لانعلم أحدامن الرواة وأهل العلم أكثر كتبامنه وله مقالة فى أصول الدين واليه تنسب الفرقة الجاحظية من المعتزلة وكان تلميذ أبى اسحق ابراهيم بن يسار البلخى المتكلم المشهورومن أحسن تصانيفه كتاب حياة ٤٩٣ الحيوان الكبير فقدجمع فيه كل غريبة وكتاب البيان والتبيين وهوكبير جدا وكتاب فى اللصوصية يعلم فيه الشخص كيف يسرق وينقب ويتسلق ويدخل البيوت فى مجاذ وكتاب فى مدح البخل بحيث الناظرفيه يجلس اليوم واليومين لاياكل شيا ويبقى أياما لاتطيب نفسه باخراج شئ وكان الجاحظ مع فضله مشوه الخلق قيل له الجاحظ لان عينيه كانتاجاحظتين والجحوظ النتوء واصابه فى آخر عمره فالج فكان يطلى شقه الايمن بالصندل والكافور من شدة الحرارة وشقه الآخر لوقرض بالمقاريض لما أحس به واصابه الحصى وعسر البول توفى سنة خمس وخمسين ومائتين بالبصرة وقد نيف على التسعين واماثمامة فهوابن أشرس النميرى قال الذهبى فى الميزان من كبار المعتزلة ومن رؤس الضلالة كان له اتصال بالرشيد ثم بالمامون وكان ذانوادر وملح قال ابن حزم كان ثمامة يقول ان العالم فضله الله بطباعه لان المقلدين من أهل الكتاب وعباد الاصنام لايدخلون النار بل يصيرون ترابا وان من مات مصراعلى كبيرة خلد فى النار وان اطفال المؤمنين يصيرون ترابا انتهى ولايخفى انه بقوله صاحب الكبيرة مخلد فى النار مبتدع موافق للخوارج والمعتزلة وبقوله المقلد للكفار لايدخل النار داخل فى جملة الكفرة (فى أن كثيرامن العامة) أى الجهلة (والنساء والبله) بضم الباء جمع ابله أى المغفلون عن الشر المطبوعون على الخير كأنه أراد بهم من لم يكن لهم عقل الآخرة بخلاف حديث أكثر أهل الجنة البله فان المراد بهم من ليس لهم عقل الدنيا ولهم اقبال كلي على العقبى (ومقلدة النصارى واليهود وغيرهم لاحجة لله عليهم اذا) وفى نسخة اذ (لم يكن لهم

صاحب مذهب الظاهرية ولد سنة مائتين أواثنتين ومائتين وتوفى سنة سبعين وكان اماماجليلا زاهدا ورعاقلد الشافعى رضى الله تعالى عنه أولاثم صارصاحب مذهب مستقل وكان صدرا رحلة فى عصره حتى رجح على بعض المجتهدين واختلفوا فى أنه هل يعتد بخلافه أم لاعلى اقوال فى الاصول ومن أجل أتباعه ابن حزم (قال وحكى قوم عنهما) أى عن داودوالعنبرى (انهماقالاذلك) أى جوازالاجتهاد فى الاصول الدينية (فى كل من) أى رجل (علم الله من حاله) ومايظهر من أمره (استفراغ الوسع) بضم فسكون أى بذل قدرجهده وطاقته وهوفى الاصل استعارة بتشبيه قريحته ببئر ومايستخرج بكفره بماينزح منهاثم صارحقيقة عرفية فيماذكر (فى طلب الحق) الذى قصده وان أخطا فى الواقع (من أهل ملتنا) المسلمين (أومن غيرهم) من الكفرة (وقال بنحوهذا القول الجاحظ) عمروبن بحربن محبوب أبوعثمان الكنانى الليثى البصرى العالم المشهورصاحب التصانيف الجليلة وجامع العلوم الغريبة وهومعتزلى صاحب مذهب فى أصول الدين ومن أجل تصانيفه كتاب التبيان وكتاب الحيوان لقب بالجاحظ لجحوظ عينيه أى لنتوهما واصابه فى آخر عمره وقدناهز التسعين فالج وحصر بول ومنه توفى سنة خمس وخمسين ومائتين بالبصرة (وثمامة) بضم المثلثة بوزن كناسة وهوثمامة بن أشرس بن معن النميرى كان من كبار المعتزلة ورؤس الضلالة كماقال الذهبى وله نوادر وملح واتصل بالرشيد والمامون ومن مذهبه ان المقلدين من أهل الكتاب وعباد الاصنام لايدخلون النار وانهم يصيرون ترابا وان الاطفال كذلك يصيرون وهوأحد الاقوال العشرة فى أطفال المشركين (فى أن كثيرا من العامة) أى عوام الناس وجهلتهم (والنساء) ذكرهن لان أكثرهن يغلب عليها الجهل (والبله) بضم فسكون جمع ابله المراد به من قل فهمه وغلب عليه الغفلة وقلة العلم ومافى الحديث من أن اكثرأهل الجنة البله فالمراد بهم من غلب عليه سلامة الصدروحسن الظن للناس فاغفلوا أمردنياهم وأقبلوا على آخرتهم وقريب منه قول الزبرقان خيرأولادنا الابله العقول أراد انه مع عقله لشدة حيائه كالابله (ومقلدة النصارى واليهود) الذين كفرواتقليدامن غيرمعرفة دليل وحجة (وغيرهم) من جهلة الكفرة المقلدين لرؤسائهم (لاحجة لله عليهم) لانه عندهم لم يؤتهم نظرا فى الحجة والادلة مما اذاخالفوه بعد العلم به عنادا كانوا أهل ضلال كفارايستحقون العقاب (اذلم تكن لهم) وفى نسخة اذا أى لم توجد بخلق الله فيهم

(طباع يمكن معها الاستدلال) وهذا كلام باطل لاقتدارهم في الجملة على معرفة أوائل الادلة ولقوله تعالى قل فلله الحجة البالغة فلوشاء لهداكم أجمعين ففيه ايماء الى ان المدار على المشيئة الالهية لا بالادلة العقلية ولا النقلية (وقد نحا) أى مال (الغزالي) بتشديد الزاى وتخفيفها نسبة الى غزالة قرية من قرى طوس أو الى بنت كعب الاحبار فانها جدته وقيل كان والده غزالا يغزل

(طباع) بزنة رجال مفرد بمعنى طبيعة أو جمع طبع وهما قولان لاهل اللغة فهو مؤنث وقيل انه اسم مؤنث على وزن مثال لا جمع طبع وهو مصدر وهو كلام متناقض والتحقيق ماذكرناه كما في شرح أدب الكاتب (يمكن) لهم (معها) أى مع وجودها فيهم (الاستدلال) أى اقامة دليل وحجة توصلهم لمطلوبهم فاذن هم معذورون ولا حجة لله عليهم يعاقبهم بها وهو قول باطل لانهم مكلفون عقلا لاسيما من نشا بدار الاسلام وعلى كل حال فهم متمكنون من النظر ومعرفة الادلة والتفكر في خلق السموات والارض وقد قرع اسماعهم ما تواتر من ارسال الله رسله وما ظهر من المعجزات الباهرة الظاهرة ظهور الشمس لمن له عينان فاى عذر لهم تدحض به حجة الله عليهم (وقد نحى الغزالي) رحمه الله تعالى (قريبا من هذا المنحى) نحى وانتحى بمعنى ذهب وقصد أى قال قولا قريبا بحسب المعنى من هذا القول وهو الامام العلامة الزاهد العابد أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد الغزالي الطوسي صاحب المؤلفات الجليلة الذي على كاهله فقه الشافعي والاصلان ولد بطوس سنة خمسين وأربعمائة واشتغل بها ثم جال في البلاد لاخذ العلم ودخل بغداد فصار مدرسا بالنظامية واقام بدمشق بجامعها بالمنارة الغربية عشر سنين بعدما أخذ العلم عن امام الحرمين وأخذ عن الشيخ نصر المقدسي بزاويته المعروفة بالغزالية ثم انتقل لمصر والاسكندرية ثم رجع لبغداد وعقد بها مجلس وعظ وتوفي يوم الاثنين رابع عشر جمادى الآخرة سنة خمس وخمسمائة عن خمس وخمسين سنة ودفن بطوس وقيل بقصبة طابران وقال ابن تيمية بضاعته في الحديث مزجاة ولذا أكثر من ايراد الموضوعات في كتبه وأكثر في كتبه من مقالات الفلاسفة حتى قال صاحبه أبو بكر ابن العربي مع شدة تعظيمه له شيخنا أبو حامد دخل في بطن الفلسفة ثم أراد أن يخرج منها فما قدر وقلت كتاب التهافت والاحياء يناديان على خلافه وهو بتشديد الزاى المعجمة في المشهور واصله الغزال بغير نسبة فزادوا فيه ياء النسبة تأكيدا كالعصاري على عادة أهل جرجان وخوارزم وقيل نسب لغزالة بنت كعب الاحبار جدته وقيل نسب انه بتخفيف الزاى نسبة لغزالة قرية من قرى طوس كما ذكره النووي في التبيان وأنكر ابن الاثير تخفيفه قال ابن العربي لقيته في الطواف وعليه مرقعة فقلت له أولى لك من هذا غير هذا * فانت صدر بك يقتدى * وبنورك الى معالم المعارف يهتدى * فقال هيهات لما طلع قمر السعادة * في فلك الارادة * أشرقت شموس الافول * على مصابيح الاصول * فتبين الحالي لارباب الالباب والبصائر * اذ كل لما طبع عليه راجع وصائر * وانشد يقول

تركت هوى ليلى واني بمعزل * وصرت الى مصحوب أول منزل
ونادتني الاكوان حتى أجبتها * ألا أيها الساري رويدك فانزل
فعرست في دار الندى بعزيمة * قلوب ذوي التعريف عنها بمعزل
غزلت لهم غزلا رقيقا فلم أجد * لغزلي نساجا فكسرت مغزل

واذا سمعت هذا كيف يظن به اتباع خرافات الفلاسفة وقد رأى بعض المشايخ الغزالي بين يدي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يشكو من شخص طعن فيه فامر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بضربه بالسياط فانتبه وبه أثر الضرب بوألمه (في كتاب التفرقة)

الصوف ويبيعه (قريبا) وروى الى قريب (من هذا المنحى) أى المسلك (في كتاب التفرقة) وهو صاحب المؤلفات الفائقة وهو الامام حجة الاسلام ولد بطوس بلد بخراسان لا بالعراق كما قاله التلمساني سنة خمسين وأربعمائة وتفقه ببلده على أحمد بن محمد الرادكاني ثم سافر الى جرجان الى أبي نصر الاسماعيلي فكتب عنه التعليقة ثم خرج الى طوس ثم ارتحل الى امام الحرمين بنيسابور فاشتغل عليه ولزمه وصار اماما في مذهب الشافعي فلما انقضت أيام الامام خرج من نيسابور رجال في أقطار خراسان مدة وقدم بغداد سنة أربع وثمانين فولي تدريس النظامية بها ثم حج واستناب أخاه في التدريس ورجع الى دمشق واستوطنها عشر سنين بجامعها بالمنارة الغربية منه واجتمع بالشيخ نصر المقدسي في زاويته التي تعرف اليوم بالغزالية وأخذ في العبادة والتصنيف ويقال انه صنف الاحياء (اسم) وعدة من الكتب هنالك ثم انتقل الى القدس ثم سار الى مصر والاسكندرية ثم رجع الى بغداد وعقد بها مجالس الوعظ وترجمته كثيرة ومرتبته شهيرة توفي في سنة خمس وخمسمائة عن خمس وخمسين سنة بطوس لا ببغداد كما ذكره الحلبي وغيره وعن الشيخ تقي الدين ابن تيمية انه ذكر في شرح العقيدة الاصفهانية كان أبو حامد مزجي البضاعة في الحديث ولهذا يوجد في كتبه من الاحاديث الموضوعة

مالا يعتمد عليه من له علم بالآثار ويوجد فيها من مقالات المتفلسفة ما نقده عليه علماء الاسلام حتى قال صاحبه أبو بكر ابن العربي مع شدة تعظيمه له شيخنا أبو حامد دخل في بطن الفلاسفة ثم أراد ان يخرج منها فما قدر انتهى وقال أبو بكر ابن العربي لقيت أبا حامد وهو يطوف وعليه مرقعة فقلت يا شيخ العلم والتدريس أولى لك من هذا اذ بك يقتدى وبحكمك الى معالم المعارف يهتدى فقال هيهات لما طلع قمر السعادة في فلك الارادة أشرقت شموس الافول على مصابيح الاصول فتبين الخالق لارباب الالباب وذوي البصائر اذ كل لما طبع عليه راجع وصائر وانشد

تركت هوى ليلى وانى بمعزل
وصرت الى مصحوب أول منزل
ونادتني الاكوان حتى أجبتها
ألا أيها السارى رويدك فانزل
فعرست في دار الندا بعزيمة
قلوب ذوي التعريف عنها بمعزل
غزلت لهم غزلا رقيقا فلم أجد
لغزلى نساجا فكسرت مغزلى

وهى أبيات لرومية (وقائل هذا كله) كالجاحظ وثمامة (كافر بالاجماع على كفر من لم يكفر أحدا من النصارى واليهود) يعنى المقلدين منهم وكذا المجوس على ما يلوح كلام بعضهم

وان نار بالتنزيل محراب مسجد * فما نار بالانجيل هيكل بيعة
وان عبد النار المجوس وما انطفت * كما جاء في الاخبار عن ألف حجة
فما عبدوا غيرى وما كان قصدهم * سواى وان لم يظهروا عقد نية

نعم لاشك ان الكل يزعمون انهم يعبدون الله ويطلبون رضاه كما أخبر الله عن بعضهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله لكنهم أضلهم الله وأبعدهم عن طريق الحق الموصل الى الله وكل حزب بما لديهم وأكثرهم في طغيانهم يعمهون صم بكم عمى فهم لا يرجعون (وكل) أى والاجماع على كفر كل (من فارق دين المسلمين) بردة قولا وفعلا

اسم كتاب له في الاصول قال ابن حجر وما نسبه المصنف رحمه الله تعالى للغزالى صرح الغزالى في كتابه الاقتصاد بما يرده وعبارته التى أشار اليها المصنف رحمه الله تعالى على تقدير كونها عبارته والا فقد دس عليه في كتبه عبارات حسدا لا تفيد ما فهمه المصنف رحمه الله تعالى ولا تقرب مما ذكره وعبارته وصنف بلغهم اسم محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يبلغهم مبعثه ولا صفته بل سمعوا ان كذابا يقال له فلان ادعى النبوة فهؤلاء عندى من الصنف الاول أى من الذين لم يسمعوا اسمه أصلا فانهم لم يسمعوا ما يحرك داعية النظر انتهى فانظر كلامه تجده انما عذرهم لعدم بلوغ دعوته صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا لا ينحو منحى ما ذكره المصنف رحمه الله تعالى وقد قال ابن السبكي وغيره لا يبغض الغزالى الا حاسد أو زنديق انتهى وفي الشرح الجديد بعد ما ذكر المصنف رحمه الله تعالى هذا كلام غير سديد الغزالى برىء من مثله والذى في كتاب التفرقة خلافه فانه قال فيه من لم يبلغه اسم محمد معذور وكذا ان سمع ضد أوصافه وفي معناه مدعى النبوة كذبا فاسماع مثله يمنع دواعى النظر والطلب وكذا من قرع سمعه بعثته ومعجزاته المتواترة وأدركه الموت قبل التحقيق فهو مغفور له تشمله الرحمة الواسعة وقال في المستصفى ذهب الجاحظ الى ان مخالف ملة الاسلام من اليهود وغيرهم وذريتهم ان كان معاندا فيما يخالف اعتقاده فهو آثم وان نظر فعجز عن درك الحق فهو معذور غير آثم وان لم ينظر لكونه يعرف وجوب النظر فهو معذور غير آثم وانما الآثم المعذب المعاند فقط ولا يكلف الله نفسا الا وسعها وهؤلاء عجزوا عن درك الحق فلازموا عقائدهم خوفا من الله اذ لا ينسد عليهم طرق المعرفة وما ذكره ليس بمحال عقلا لو ورد الشرع به فهو جائز لو ورد التعبد بذلك لكن الواقع خلافه وما ذكره العنبرى باطل بادلة سمعية ضرورية فانا كما نعلم أمره صلى الله عليه وسلم بالصلاة ونحوها ضرورة نعلم أمر اليهود وغيرهم بالايمان واتباعه وذمهم وقتالهم وتعذيبهم ونعلم قطعا ان المعاند تقليد الآبائه مع الآيات التى لا تحصى الدالة على خلافه وفي القرآن التصريح به وقول العنبرى كلفهم ما لا يطيقون ضرورة قائمة على انه أقدرهم بما رزقهم من العقل ونصب لهم من الادلة وبعث الرسل المؤيدة بالمعجزات حتى لم يبق لهم حجة عليه وقوله كل مجتهد في العقليات مصيب كالفروع باطل لان الحرمة والحل تختلف بخلاف العقائد وقد أنكره أصحابه وقالوا انه أقبح من مذهب الجاحظ الى آخر ما فصله فيه وزيف به مذهب هؤلاء فكيف مع هذا يقول المصنف انه نحى نحوهم وحاشاه منه وانما أوهمه ذلك قوله انه جائز عقلا ولا يلزم من مجرد الجواز العقلى قبل النظر في الادلة واستماع ما قاله الله ورسوله انه يجوز شرعا فكم من جائز عقلا ممتنع شرعا ونقلا وأى محذور في مثله وانما ذكره بيانا لمنشأ غلطهم الذى أضل عقولهم في بوادى الجهالة وهو كلام حق لا يرتاب فيه عاقل فضلا عن فاضل (وقائل هذا كله كافر بالاجماع على كفر) متعلق بالاجماع (من لم يكفر أحدا من النصارى واليهود) كما ذكره الجاحظ (و) لم يكفر (كل من فارق دين المسلمين) كارباب الملل من المجوس وغيرهم ومفارقته مخالفته لهم قولا

(أو وقف) أي توقف في تكفيرهم أو في الدين (أوشك) أي تردد فيه (قال القاضي أبو بكر) أي الباقلاني (لان التوقيف) أي بالسماع من الله ورسوله (والاجماع اتفقا على كفرهم فمن وقف في ذلك فقد كذب النص) أي نص الكتاب (والتوقيف) به من السنة على الصواب (أوشك فيه والتكذيب والشك فيه) أي في كفرهم (لايقع) كل منهما (الامن كافر) ومن

وفعلا (أو وقف في تكفيرهم) أي احجم عنه وتركه نفيا واثباتا (أوشك) فيه فجوز وجوده وعدمه وفي نسخة توقف وقيل الوقوف والتوقف كالتردد بحيث لايرجع أحد الجانبين والشك ان يجوزه تجويزا جازما وكلاهما كفر لانه يقتضي التردد في دين الاسلام وهو كفر بلاشك (قال القاضي أبو بكر) الباقلاني في بيان كونه كفرا (لان التوقيف) في كفرهم (و) الحال ان (الاجماع) منعقد (على كفرهم) فيه خبر مقدر وتقديره ولايصح بدليل قوله (فمن وقف في ذلك) أي في كفر اليهود وأمثالهم (فقد كذب النص) الوارد من الله ورسوله بكفرهم من الآيات الناطقة به وقيل ان قوله على كفرهم ظرف مستقر خبر ان لالغو ومتعلق بالاجماع (و) كذب (التوقيف أوشك فيه) وهو ظاهر (والتكذيب) لما ذكر (أوالشك فيه لايقع الامن كافر) لانه أمر مشهور معلوم من الدين بالضرورة فلا يرد عليه انه ليس كل توقف فيما جاء به نص يقتضي الكفر وفي عبارته ركاكة واغلاق يندفع بالتامل

(فصل في بيان ماهو من المقالات كفر) جمع مقالة بمعنى قول مصدر ميمي (ومايتوقف) في كونه كفرا أم لا (أو يختلف فيه) أقوال العلماء (وماليس بكفر) من غير توقف واختلاف (اعلم) أيها الواقف على ماسياتي من كل من يصلح للخطاب (ان تحقيق هذا الفصل) أي الوقوف على ماهو الحق فيه (وكشف اللبس فيه) أي ازالة مايلتبس على سامعه بشبهة بغطاء يكشف (مورده الشرع) أي ماطلب ويعلم منه انما هو الشرع والشرع ماشرعه الله تعالى لعباده وبينه من الاعتقاد والعمل والمورد محل الورود وهو أخذ الماء ليشرب فشبهه بما يشفي الظما وشبه مايفيده بوضعه استعارة مكنية تخييلية (ولامجال) أي سعة وأصله محل الجولان والحركة (للعقل فيه) أي العقل بانفراده لايكفي فيه بل لابد من تلقيه من الشارع (والفصل) أي الفاصل المميز له عن غيره (البين) أي الظاهر الذي لااشكال فيه ولامجال لرده (في هذا) الامر الذي نحن بصدده (ان كل مقالة) أي قول صدر عن أحد (صرحت بنفي الربوبية) أي دلت دلالة ظاهرة على ذلك وان الله غير موجود (أو) صرحت بنفي (الوحدانية) هي توحده وانفراده من غير شريك في ألوهيته وصفاته وهو على خلاف القياس وقد أثبتها في الاساس وفي الحديث من شرار أمتي الوحداني أي المفارق للجماعة (أو) صرحت (بعبادة أحد غير الله تعالى) وحده (أو) صرحت بعبادة أحد كعيسى والكواكب (مع الله فهي) أي هذه المقالة (كفر) أي يقتضي كفر من قالها (كمقالة الدهرية) بفتح الدال نسبة للدهر وهو الزمان كما يشير اليه قوله

ان دهرا يلف شملي بسعدي * لزمان يهم بالاحسان

ويقال للمسن أو الحاذق أو المحسن دهري بضم الدال على خلاف القياس وكثيرا مايقع التغيير في النسب كما ذكره النحاة والدهرية طائفة من الملحدين المعطلين ينسبون الامور للدهر كالطبائعية وفي العرب منهم كثيرون ولذا تراهم في اشعارهم كثيرا مايشكون منه ويذمونه ولذا قال صلى الله تعالى عليه وسلم لاتسبوا الدهر فان الدهر هو الله وروى فان الله هو الدهر أي لاتسبوا الصانع فانه هو الله الجالب للخير والشر وقال الشهرستاني في كتاب الملل والنحل لست أرى ان صاحب هذه المقالة ينكر الصانع وانما هو تخيل سبب وجود العالم على الاتفاق احترازا عن التعليل وكذا لم أقم برهانا على بطلان مقالته

هنا قال العلامة ابن المقري في متن الارشاد من شك ان طائفة ابن عربي شر من اليهود والنصارى فقد كفر

(فصل) (في بيان ماهو من المقالات كفر ومايتوقف أو يختلف فيه وماليس بكفر) وهذا فصل مهم يتعين معرفته على كل من له فضل ليكون اعتقاده على أساس أصل يوصله الى كمال الوصل (اعلم ان تحقيق هذا الفصل وكشف اللبس) أي ازالة الخلط والشبهة (فيه مورده الشرع) أي النقل من الكتاب والسنة (ولامجال) أي لامدخل (للعقل) والطبع (فيه) من الادلة الكاسدة والاقيسة الفاسدة (والفصل البين) أي الفرق الواضح (في هذا) الفصل (ان كل مقالة صرحت بنفي الربوبية) كالمعطلة (أوالوحدانية) كالوثنية (أوعبادة أحد غير الله) كالاتحادية (أومع الله) كالحلولية (فهي كفر) أي مقالة كفر (كمقالة الدهرية) بنفي الالوهية كما أشار اليه قوله تعالى وقالوا ماهي الاحياتنا الدنيا نموت ونحيي ومايهلكنا الا الدهر وهو الزمان الطويل ولم يعلموا ان المتصرف في الامر هو الله لا الدهر ولهذا قال عليه الصلاة والسلام لاتسبوا الدهر فان الدهر هو الله وفي رواية فان الله هو الدهر ردا لاعتقادهم نسبة الخير والشر الى الدهر لان

(وسائر فرق أصحاب الاثنين) أى القائلين بان خالق الخير غير خالق الشر وقد قال الله تعالى لا تتخذوا الهين اثنين انما هو اله واحد فاياى فارهبون وقد بينهم المصنف بقوله (من الديصانية) بكسر الدال المهملة وتفتح وهم يقولون النور حى والظلمة ميت (والمانويه) بفتح الميم فسكون الهمزة و يبدل وفتح النون وفى أصل الحجازى المنانية بفتح الميم وتشديد النون وفى نسخة المانية منسوب الى مانى زنديق مشهور ظهر فى زمان شابور بن أردشير وادعى النبوة وقال ان للعالم أصلين قديمين نور هو مبدأ الخير وظلمة هو مبدأ الشر فصدقه فلما تولى بهرام سلخه وحشا جلده تبنا وقتل أصحابه الا من هرب الى الصين ودعا الى دينه وأهل الصين الى زماننا هذا على مذهبه كذا ذكره بعضهم فاجيب وقد كذبهم المتنبى فى شعره فقال ٤٩٧ وكم لظلام الليل عندى من يد * تخبر ان المانوية تكذب قال وللمانية مذهبان منهم من يقول ان النور والخير والروح خلقه الله والشر والظلمة والجسد خلقه اله وهم ثنوية ومنهم من يقول الخير كله فى النور والشر كله فى الظلمة والفرق بينهم و بين الديصانية انهم يقولون النور والظلمة حيان وفى أصل التلمسانى المنانية بفتح الميم والنون المشددة والظاهر انه تصحيف (واشباههم) أى ممن عبد غير الله تعالى (من الصابئين) بالهمز ودونه من صبا اذا خرج من دين الى دين اخر وهم فرقة عدلوا عن اليهودية والنصرانية وعبدوا الملائكة لاعتقادهم تاثيرها فى عالم العناصر مدبرة للامور قديمة شفعاء للعباد عند الله مقربة لهم

لان الفطرة السليمة شاهدة بوجود صانعها (وسائر فرق أصحاب الاثنين) أى القائلين بالهين اثنين كالمانوية القائلين بالنور والظلمة وان خالق الخير غير خالق الشر وكالفلاسفة القائلين بان الواحد بالذات لا يصدر عنه الا الواحد ونحوهم من الفرق الضالة فالظاهر ان المراد بالاثنين مطلق التعدد كقوله تعالى ثم ارجع البصر كرتين (والديصانية) بكسر الدال المهملة ومثناة تحتية ساكنة وصاد مهملة بعدها ألف ونون وياء نسبة اسم رجل من المجوس نسب له هذا المذهب من القول بالنور والظلمة وخالق الخير والشر الا انه يقول ان الظلمة ميت والنور حى (و) هم قوم من (المانوية) وهم أصحاب مانى الحكيم الذى ظهر فى زمن شابور بن اردشير بعد عيسى عليه السلام وقبله بهرام بن هرمز زعم ان موجد العالم اثنان النور خالق الخير والظلمة خالق الشر وانهما أزليان حيان دراكان ونحوه من الخرافات وفى نسخة المانية والصحيح الاول قال المتنبى

وكم لظلام الليل عندى من يد * تخبر ان المانوية تكذب

(واشباههم) من أصحاب الملل الباطنة (من الصابئين) وفى نسخة الصابئة وهو من صبا مهموز الآخر والصابئ كل من خرج من دين الى آخر ثم خص بطائفة عبدوا الملائكة أو عبدوا الكواكب وهو المراد هنا (و) تطلق على فرقة من (النصارى) وهم اتباع المسيح ودينهم معروف والكلام على فرقهم واتباعهم واعتقادهم مشهور وقد أفرده ابن تيمية بكتاب ضخم فيه فوائد جليلة وكذا الامام القرطبى له كتاب فى بيان فرقهم والرد عليهم فلا حاجة لنا هنا بايراد ما قيل فيهم (والمجوس) عبدة النار أو القائلون بالهين يزدان واهرمن أى النور والظلمة الخالقين للخير والشر (والذين أشركوا) أى أثبتوا لله شريكا (بعبادة الاوثان) جمع وثن وهو الصنم وحجارة تعبد وهو من قولهم وثنته اذا أجلت عطيته وقيل الفرق بينهما ان الوثن ماله جثة من جنس الارض أو من خشب أو من حجارة بصورة الآدمى بخلاف الصنم ومنهم من لم يفرق بينهما وأول من أتى بهما لمكة عمرو بن لحى فصارت العرب فى ذلك أصنافا (أو الملائكة) جمع ملك وقد تقدم الكلام عليهم وقد عبدها قوم من أوائل العرب وسموها بنات الله قال تعالى وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه بل عباد مكرمون (أو الشياطين) وهم مردة الجن جمع شيطان وهم قوم عبدوها حقيقة أو عبدوا الاصنام التى حل بها الشياطين أو هم سولوا لهم عبادتها فكانهم عبدوها كما قال الخليل عليه الصلاة والسلام يا أبت لا تعبد الشيطان الآية فهم وان عبدوا الاصنام ظاهرا عبادتهم انما هى للشياطين (أو الشمس أو القمر أو النجوم) عبدوها

(٦٣ شفا غ) اليه زلفى ويزعمون انهم على دين نوح عليه السلام (والنصارى) وهم طوائف ثلاث مشهورة يقولون تدرع الناسوت باللاهوت بطريق الامتزاج كالخمر بالماء عند الملكائية و بطريق الاشراق كالشمس فى كوة بلور عند النسطورية و بطريق الانقلاب لحما ودما بحيث صار الاله هو المسيح عند اليعقوبية (والمجوس) القائلين بخالقين يزدان وهو مبدأ الخير واهرمن وهو الشيطان مبدأ الشر وهم يعبدون النار لحبتهم فى النور وفى الحديث القدرية مجوس هذه الامة قيل لمشابهتهم فى قولهم باصلين نور وظلمة فالخير من فعل النور والشر من فعل الظلمة وكذا القدرية يضيفون الخير الى الله والشر الى الانسان أو الشيطان (والذين أشركوا بعبادة الاوثان) أى الاصنام (والملائكة أو الشياطين) أى الجن فان ابليس لم يعبد قط وأما قوله تعالى لا تعبدوا الشيطان فمعناه لا تطيعوه فيما يامركم بالعصيان (أو الشمس) وكذا القمر (أو النجوم) أى جنسها أو نجم خاص منها

كالشعرى (أو النار) فيه نوع من التكرار (أو أحد غير الله من مشركى العرب وأهل الهند) وهم الهنود (والصين) مملكة بالمشرق فيها الترك من الكفرة (والسودان) بضم أوله جمع اسود وهم كثيرون قيل معمور الارض مسافة مائة سنة منها لياجوج وماجوج ثمانون سنة ومنها للسودان ست عشرة سنة وقيل ثمانى عشرة ومنها الاولادسام ما بقى (وغيرهم ممن لا يرجع الى كتاب) أو يرجع اليه لكن لا على طريق صواب (وكذلك القرامطة) وهم الاسماعيلية لاثباتهم الامامة لاسمعيل بن جعفر الصادق وأصل دعوتهم الى بطلان

الشرائع لان طائفة من المجوس عند استيلاء الاسلام وغلبة أهله الكرام راموا تاويلها على وجوه تعود الى قواعد أسلافهم يستدرجون بها ضعفاء المسلمين وأهل غفلتهم استدراجا يورثهم اختلافا واضطرابا فى شريعتهم ورئيسهم حمدان من قرمط قرية من قرى واسط فلقبوا بالقرامطة وتبعوا فى الدعوة الى ذلك مهملات باطلة ابتدعوها وخرافات عاطلة اخترعوها منها اباحة المحرمات والترغيب فى اللذات كقولهم الوضوء موالاة الامام الذى هو الحجة والتيمم الاخذ عما دونه فى غيبته والصلاة الوصول والزكاة تزكية النفس بمعرفة ما هو عليه من الدين والاحتلام افشاء شئ من أسرارهم الى من ليس من أهله بلا قصد والغسل تجديد العهد والجنة راحة الابدان من التكاليف والنار مشقتها بمزاولة فى التكاليف وأمثال ذلك مما يقتضى تكفيرهم هنالك ولهم ألقاب سبعة (وأصحاب الحلول) من النصارى والباطنية والوجودية والنصيرية يزعمون ان الله حل فى على وأولاده (والتناسخ) القائلين بانتقال الارواح من أبدانها الى أبدان أخر فى الدنيا

قوم من الاوائل وأثبتوا لها عقولا وأرواحا وجعلوا لها هيا كل عندهم زعموا انها تقربهم لها كما فى الملل والنحل (أو النار) وهم طائفة من المجوس ببلاد الهند لاعتقادهم ان النور سلطان الله الاعظم وان ذاته نور ليس كالانوار فكل نار شرارة من نوره وقد بنوا لها كنائس عظيمة بالهند يحجون اليها حتى ان بعضهم يختار احراقه بالنار ليصل لربه وهى عقول أصلها بارئها (أو) من أشرك بعبادة (أحد) أى مخلوق اتخذه معبودا (غير الله من مشركى العرب) جمع مشرك سقطت نونه للاضافة وهو من اضافة الصفة للموصوف وهم عبدة الاصنام منهم (وأهل الهند والصين) وهما أقليمان مشهوران أكثر أهل الاقاليم وفيهم ملل مختلفة كالبراهمة وغيرهم (والسودان) جمع اسود وهم قوم وأجناس لا يحصون من أولاد يافث بن نوح عليه الصلاة والسلام يغلب عليهم الكفر والجهل ومنهم من يعبد الشجر ومنهم من يعبد الماء ومنهم قوم مسلمون (وغيرهم) أى غير من ذكر من أهل الملل (ممن لا يرجع الى كتاب) هو كناية عن الدين الباطل لان من له دين حق لابدله من شرع وكتاب يعمل به فهو يرجع برأيه الى أحكامه (وكذلك) أى مثل من مقالتهم كفر (القرامطة) وهم الاسماعيلية المثبتون لامامة اسمعيل بن جعفر الصادق وغرضهم ابطال الشرع لانهم فى الاصل يهود أو مجوس لما ظهر الاسلام اشتد عليهم ذلك وضعفوا عن دفعه فذهبوا الى تاويلات ووجوه على ضعفاء العقول فارادوا بها هدم قواعد الاسلام ورأسهم حمدان بن قرمط من قرية من قرى واسط فلذا سموا قرامطة فرتبوا لهم دعاة يدعون لخرافات زينوها وكان ظهوره فى سنة سبعين ومائتين بقرية من سواد الكوفة وكان أحمر البشرة والعينين فسمى كرميتة بالكاف العجمية ومعناه بالفارسية السفلة فخففوه وحرفوه وقالوا قرمط وقيل انه عربى من قرمط البعير اذا تقارب خطوه فزعم ان النبى صلى الله عليه وسلم بشر به وأظهر زهدا وصلاحا فاجتمع عليه خلق كثير وقال انه الامام المنتظر فابتدع مقالات فى كتابه فقال انه الكلمة والمهدى وجعل الصلاة ركعتين فى الصبح وركعتين فى المغرب والصوم يومان يوم المهرجان والنوروز والقبلة لبيت المقدس وبعث دعاة وخلقا فكان لهم حروب عظيمة مذكورة فى التواريخ فظهر منهم سليمان بن الحسن فى البلاد حتى أتى مكة يوم التروية فاخذ كسوة الكعبة وقلع بابها وقتل الحجاج ورماهم بزمزم وذلك فى سنة سبع عشرة وثلثمائة فى خلافة المقتدر وأخذ الحجر الاسود فبقى عندهم اثنان وعشرون سنة فبذل لهم خمسون ألف دينار ليردوه فابوا ثم ردوه مكسورا فوضع فى مكانه وتغلبوا على مصر والشام وكانت مدة دولتهم نيفا وثمانين سنة ثم أبادهم الله وأهلكهم (وأصحاب الحلول) من النصارى والباطنية وبعض جهلة المتصوفة يقولون ان الله حل فى بعض الاجسام وهو أمر لا يعقل (والتناسخ) وهم القائلون بان الارواح اذا فارقت الابدان تحل فى غيرها وهو مذهب بعض الحكماء والكلام عليه وعلى بطلانه مفصل

(من الباطنية) وهم الاسماعيلية وهذا من ألقابهم السبعة ولقبوا به لقولهم بباطن القرآن دون ظاهر المفهوم منه لغة ويدعون انه هو المراد منه وان نسبته اليه كنسبة اللب الى القشر فظاهره عذاب بمشقة التكاليف وباطنه مؤدى الى تركها وتمسكوا فيه بقوله تعالى فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب وهذا مذهب المنصورية أيضا فان قيل المبتدعة وهذه الطائفة المخترعة يتمسكون بالقرآن وكذلك أهل السنة والجماعة فالجواب أنه تعالى قال يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا فان القرآن كالنيل ماء للمحبوبين ودماء للمحجوبين كما أشار اليه قوله تعالى وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا وبهذا يعلم ان الفرقة الناجية هم الذين على ما عليه النبي وأصحابه الكرام وان معالم القرآن لا تنكشف حقيقة الا ببيان النبي عليه الصلاة والسلام ما فيه من الاحكام النازلة على طريق الابهام كما يدل عليه قوله عز وجل لتبين للناس ما نزل اليهم فاضل قلم من ضل ولا زل قدم من زل الا من ترك علم الحديث من صريح النقل وتبع أهواءه وآراءه الناشئة من أثر الجهل والخيالات الفاسدة والتصورات الكاسدة الكائنة من مجرد العقل فالجمع بين النقل والعقل نور على نور ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور ثم هنا دقيقة يترتب عليها حقيقة وهى ان الواجب على السالك أن يجعل العقل تابعا للنقل لا بالعكس لئلا يقع فى المهالك هذا ومن التناسخية طائفة الخطابية وهم أتباع أبى الخطاب محمد بن أبى وهب كان يزعم أن عليا الاله الاكبر وجعفر بن محمد الصادق الاله الاصغر يقولون بالتناسخ يزعمون ان الله حل فى على ثم فى الحسن ثم فى الحسين ثم فى زين العابدين ثم فى الباقر ثم فى الصادق حكى ذلك عنهم فخر الدين الرازى فى مختصره فى الملل والنحل قلت وأنجس منهم

وأنجس من النصارى أيضا طائفة ابن عربى حيث يقولون فى قوله تعالى لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم انما كفروا لحصرهم الالوهية فى ابن مريم بناء على أصلهم الفاسدة ان الله عين الاشياء وضررهم على المسلمين أكثر من ضرر جميع الكفرة والمبتدعين فان كثيرا من الناس يعظمونهم ويسمعون كلامهم ويطالعون كتبهم ويتبعون مرامهم ويسمون رئيسهم بالشيخ الاكبر الذى يدعى انه خاتم الاولياء وانه يستفيض منه خاتم الانبياء وشبه نفسه بلبنة ذهب وشبه سيد البشر بلبنة فضة ونحو ذلك كما بينته فى رسالة مستقلة قال التلمسانى ومن الباطنية طائفة ينسبون الى التصوف يتظاهرون بالاسلام وان لم يكونوا مسلمين فى الاحكام والفساد اللازم من هؤلاء على الدين الحنيفى أكبر من الفساد اللازم عليه من جميع الكفار فانهم يصرفون ألفاظ الشرع عن ظواهرها المفهومة الى أمور باطنة لا يسبق منها الى الافهام شئ كقول بعضهم فى تأويل قوله تعالى اذهب الى فرعون انه طغى اشارة الى قلبه وقال هو المراد بفرعون وهو الطاغى على كل انسان وفى قوله تعالى الق عصاك أى كل ما يعتمد عليه ما سوى الله وفى قوله عليه الصلاة والسلام تسحروا فان فى السحور بركة أراد به الاستغفار فى الاسحار انتهى والحق انهم أرادوا بذلك ابطال ظواهر الكتاب والسنة فهم كفرة وان أرادوا بذلك ان للكتاب والسنة عبارات واضحات واشارات لائحات فهذا نور على نور وسرور على سرور ويشير اليه قول مالك من تصوف ولم يتفقه فقد تزندق ومن تفقه ولم يتصوف فقد تفسق ومن جمع بينهما فقد تحقق وأنا بحمد الله وحسن توفيقه وبركة متابعة سيد الانبياء جمعت تفسيرا جامعا بين عبارات الاصفياء واشارات الاولياء (والطيارة من الروافض) ويسمون الجناحية وهم أصحاب عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ذى الجناحين قالوا الارواح تتناسخ وروح الله كانت فى آدم ثم فى شيث ثم فى الانبياء والائمة حتى انتهت الى على وأولاده الثلاثة ثم الى عبد الله بن معاوية المذكور وهو فى جبل باصبهان وسيخرج وأنكروا القيامة وأحلوا المحرمات

فى كتب الحكمة (من الباطنية) هم قوم من الملاحدة ذهبوا الى ان القرآن له ظاهر وباطن هو المراد منه وان للشريعة مقاصد غير ما فهمه الناس (والطيارة من الروافض) وفى نسخة الطيارية بياء النسبة (و) منهم كما فى بعض النسخ (الجناحية) هم قوم من الغلاة نسبوا لعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر الطيار ذى الجناحين لقب بذلك لانه لما أخذ الراية بمؤتة قطعت يداه واستشهد فلما بلغ ذلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان الله أبدله بهما جناحين يطير بهما فى الجنة (والبيانية) نسبة لبيان ابن سمعان اليمنى يقولون روح الله حلت فى على كرم الله وجهه ثم فى ابنه محمد بن الحنفية ثم فى ابنه هاشم ثم فى بيان وكذا الطيارة والجناحية يقولون روح الله حلت فى الانبياء نبيا بعد نبى ولم تزل تنتقل حتى وصلت لعلى وأولاده رضى الله تعالى عنهم (والغرابية) قوم يقولون أن جبريل عليه الصلاة والسلام نزل بالرسالة من عند الله لعلى فأعطاها لمحمد غلطا منه لانه يشبهه كما يشبه الغراب الغراب كما ذكره المصنف رحمه الله تعالى فيما يأتى وفى التبصرة لابى المظفر انهم قوم يقال لهم المفوضة قالوا فوض خلق العالم لمحمد

(وكذلك من اعترف بالهية الله ووحدانيته ولكنه اعتقد انه غير حي أو غير قديم وانه محدث) أي موجود بعد عدم (أو مصور) بصورة كالهشامية أصحاب هشام بن الحكم وهشام بن سالم فانهم اتفقوا على انه سبحانه وتعالى جسد وهو كسبيكة بيضاء صافية يتلألأ من جانب وله لون وطعم ورائحة وليست هذه الصفات غيره ويقوم ويقعد وله مشابهة بالاجسام ويعلم ما تحت الثرى بشعاع ينفصل منه اليه وهو سبعة أشبار باشبار نفسه مماس للعرش بلا تفاوت بينهما وارادته حركته لا عينه ولا غيره والائمة معصومون دون الانبياء لانهم يوحى اليهم ويتقربون اليه بخلافهم لا يوحى اليهم فوجب أن يكون الامام معصوما وقال ابن سالم هو على صورة انسان له يد ورجل وحواس خمس وأنف وأذن وعين وفم وفرة سوداء نصفه الاعلى مجوف والاسفل مصمت ليس بلحم ولادم انتهى وأبطله كله قوله تعالى ليس كمثله شيء ولعل الحكمة في عدم تجويز رؤيته تعالى في الدنيا أن لا يدعي كل مبطل اني رأيته على هذه الصورة سبحانه وتعالى (أو ادعى له ولدا) أي ابنا كاليهود والنصارى أو بنات كبعض العرب (أو صاحبة) أي زوجة كالنصارى (أو والدا) أي بان يكون له أصل أو عنصر أو منبع أو معدن أو مصدر بحسب ذاته وجليل صفاته (أو انه متولد من شيء) هو كالتفسير لما قبله وكذا قوله (أو كائن) أي حادث (عنه) أي عن شيء قديم أو حادث والحاصل انه ليس بحادث ولا بمحل للحوادث كما أشار الى ذلك كله قوله تعالى قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد (أو ان معه في الازل شيئا قديما) أي فضلا عن حادث اذ لا يتصور (غيره) أي غير ذاته وصفاته وأما ما ذكر بعض شراح النصوص من قدم الارواح مطلقا أو قدم الارواح الكمل فباطل قطعا وكفر اجماعا (أو ان ثم صانعا للعالم سواه) أي سوى الله كالدهرية وأما قول الدلجي كمشركي العرب فليس في محله لقوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى (أو مدبرا غيره) كما يقول المنجمون من ان النجوم مدبرات والله سبحانه وتعالى يقول انها مسخرات (فلذلك كله كفر باجماع المسلمين كقول الالهيين من الفلاسفة) القائلين بالوجود المطلق وكذا اتباعهم الوجودية الملحدة طائفة ابن عربي وقال التلمساني هم قوم من حكماء الهند يدعون قدم الطينة ويزعمون ان العالم قديم وينكرون حشر الاجساد

وهم شر النصارى والفرق كثيرة أفردت بالتاليف ولا حاجة لنا بايراد خرافاتهم (وكذلك) أي مثل هؤلاء الذين حكم بكفرهم (كل من اعترف بالهية الله تعالى ووحدانيته) أي قال انه اله متوحد في ذاته وصفاته (ولكنه اعتقد انه) عز وجل (غير حي) الحياة في غير الله الاعتدال المزاجي أو قوة توجب الحس والحركة وفي حقه تعالى صفة توجب صحة العلم والقدرة وهي ثابتة له بالاجماع عقلا ونقلا فمن نفاها فقد كفر (أو غير قديم) القديم هو الذي لا أول لوجوده ولا آخر لوجوب وجوده وسرمديته ووجوده ذاتي لا يقبل العدم اجماعا وخلافه كفر وهذه المقالة لعمر بن عباد السلمي نقل عنه انه أنكر القول بانه تعالى قديم لانه بمعنى التقادم وهو يشعر بتقدم زماني والله منزه عنه كذا قيل وعلى هذا لا كفر فيه لانه انما يتحاشى عن اطلاق هذا اللفظ لايهامه الحدوث كالعرجون القديم ولذا قال الراغب رحمه الله تعالى ورد في وصف الله يا قديم الاحسان ولم يرد في القرآن والآثار الصحيحة القديم في وصف الله تعالى والمتكلمون يستعملونه ويصفونه به وأكثر ما يستعمل القديم باعتبار الزمان انتهى (وانه محدث) بصيغة المفعول تفسير لقوله غير قديم وانما ذكره لانه لو لم يقصد هذا لم يكن كفرا كما بيناه وليس تنبيها على مذهب الفلاسفة في القدماء كما قيل (أو مصور) اسم مفعول أي جسم ذو صورة كما ذهب اليه الهشامية أصحاب هشام الذين ذهبوا الى ان له طولا وعرضا وأعضاء على صورة انسان الا انه مصمت لا لحم له ولا دم تعالى وتقدس سبحانه عما قالوه (أو ادعى له ولدا أو صاحبة) أي زوجة كالنصارى (أو والدا) هذا لم يقله بشر (أو انه متولد من شيء أو كائن عنه) عطف تفسير لان التولد هنا ليس بمعنى الولادة وانما هو بمعنى التكون من شيء الى آخر كتولد الطبائع الناشئ عنها وهو كفر بلا شك الا ان هذه المقالة لا يعرف لها قائل ويقرب منه قول بعض النصارى ان عيسى اله انقلبت الكلمة فيه لحما ودما (أو ادعى (ان معه في الازل شيئا قديما غيره) أي غير ذاته وصفاته اشارة الى ما ذهب اليه الفلاسفة من قدم العالم والعقول والازل القدم وانه لم يزل (أو ان ثمه) بفتح وتشديد أي في الوجود (صانعا للعالم سواه) كالمشركين وبعض الثنوية القائلين بالنور والظلمة والفلاسفة الذين يقولون بان الواحد بالذات لا يصدر عنه الا الواحد كما هو مقرر في كتاب التهافت (أو مدبرا غيره) سبحانه وتعالى والتدبير اصلاح الامور مع العلم بها والمراد بها هنا خلق ما يصلحها الايجاد بايصاله والارشاد له فانه لا مانع من ثبوته لغيره كالملائكة قال تعالى فالمدبرات أمرا (فذلك) المذكور أو المدعى (كله كفر) ومعتقده كافر لما مر (باجماع المسلمين كقول الالهيين من الفلاسفة) الفلاسفة لفظة يونانية معناها محبة الحكمة والقائم به هو الفيلسوف

(والمنجمين) الباحثين عن النجوم وأحوالها قيل للاسكندر الرومي كنا عند منجم في بستانه فارانا النجوم نهارا واحدا واحدا برهانه فوقع في بئر فيه وهو لا يدري فقال من تعاطى علم ما فوقه جهل علم ما تحته وقال التلمساني من نسب التدبير الى النجوم واعتقد انها فعالة فهو كافر لانه جعل مع الله شريكا ولقوله عليه الصلاة والسلام في الحديث القدسي أصبح من عبادي مؤمن وكافر الحديث فقائله تجري عليه أحكام المرتد وان كان يقول عادة الله بان يخلق عندها فقيل كافر وقيل فاسق والاول أولى سدا للذريعة وقال بعضهم الافلاكية يقولون بالهية الكواكب وما يقوله المنجم من كسوف وغيره هو بالحساب ولكن فيه فتنة ضعفاء العقول فيؤدب على ذلك واما من يحكم بالكواكب في مولد أو وفاة أو غلاء أو رخص أو دولة أو زوالها فهو من أصول الكفر وروي ان النجوم انما خلقها الله زينة للسماء الدنيا ورجوما للشياطين وهداية في البر والبحر (والطبائعين) القائلين بتأثير الطبيعة في الايجاد والتدبير في أمر البدن على ما عليه الاطباء التابعين للحكماء المعتقدين الهية الحرارة

والبرودة والرطوبة واليبوسة وقيل هم الذين يقولون ان النار بطبعها محرقة وان الماء بطبعه مغرق وان الطعام والشراب بنفسهما مشبع ومزيل للعطش وقد أبطلها الله سبحانه وتعالى بقوله يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم وبتنجية موسى وقومه واغراق فرعون وجنده وبعلة جوع البقر ومرض الاستسقاء ونحن نقول يقع ذلك الاحراق والاغراق ونحوهما عند وجود أسبابها بخلق الله عز وجل فيها لا بمجرد وجودها لاحتمال انقلابها (وكذلك من ادعى مجالسة الله والعروج اليه ومكالمته) وكذا من ادعى رؤيته سبحانه وتعالى في الدنيا بعينه كما بينته في شرح الفقه الاكبر (أو حلوله في بعض الاشخاص) كعلي ونحوه مما سبق بيانه أو في جميع الاشخاص والاشياء (كقول بعض المتصوفة) أي المتشبهة بالصوفية من الحلولية والوجودية والاتحادية كابن سبعين والعفيف التلمساني والشمس التبريزي زعموا ان السالك اذا أمعن في سلوكه وخاض في لجة وصوله واستغرق في بحر حضوره فربما حل فيه سبحانه وتعالى كالنار في الفحم فيرتفع الامر والنهي ويظهر من العجائب والغرائب ما لا يتصور من البشر وعن بعض متصوفة أهل مصر انه كان يقول لاصحابه طوفوا ببيت الرب يعني قلبه فيدورون حوله (والباطنية والنصارى والقرامطة) وقد سبق الكلام عليهم (وكذلك نقطع) أي القول (على كفر من قال بقدم العالم) أي جميعه أو بعضه (أو بقائه) أي بذاته سواء يبقى أو يفنى كما يشير اليه قوله تعالى كل شيء هالك الا وجهه أي قابل للهلاك والفناء الا الله سبحانه وتعالى فانه بذاته دائم البقاء (أو شك في ذلك) أي في كونه قديما (على مذهب بعض الفلاسفة والدهرية) القائلين باسناد الحوادث الى الدهر

الفيلسوف والحكمة عندهم أقسام الهي وطبيعي ورياضي فالالهي ما يبحث فيه عن المجردات وذات واجب الوجود على ما بين واشتهر عندهم (والمنجمين) الباحثين عن النجوم واحكامها القائلين بانها مؤثرة في الكون اما القائلون بانها علامات الهية جعلها الله بحكمته وبينها لبعض خليقته والمؤثر هو الله فلا محذور فيه عند أهل الشرع كما صرحوا به وقد قال الغزالي انها علمت بوحي من الله لبعض انبيائه عليهم الصلاة والسلام (والطبائعيين) القائلين بان الطبيعة هي المؤثرة في الايجاد والتدبير (وكذلك من ادعى مجالسة الله) فانه مجسم مجازف وهذا لم يذهب اليه أحد (أو العروج اليه) أي الصعود والذهاب للعلو وفوق (ومكالمته) في الدنيا من لا يليق به (أو) ادعى (حلوله في أحد الاشخاص كقول بعض المتصوفة والباطنية والنصارى والقرامطة) يعني هؤلاء كلهم ذهبوا الى ان الله يحل في غيره اما النصارى والقرامطة فقوم ملحدون ادعوا الحلول واولوا القرآن بتاويلات فاسدة لا حاجة لذكرها واما المتصوفة فقد نسب لبعضهم أمورا وعبارات تقتضي في بادي النظر ذلك وهي ماولة بما يوافق الحق وأجلة مشايخهم بريئون مما نسب اليهم فان ما هم عليه من الزهد والعبادة وما يظهر منهم من الكرامات يقتضي انهم على قدم النبوة فما نقل عنهم اما دسيسة من بعض الملاحدة أو كلام على اصطلاحاتهم يعرفه أهله وهذا هو الذي نعتقده فيهم نفعنا الله ببركاتهم وكفاك ما في قصة الخضر شاهدا له فلذا أعرضنا عما في الشروح هنا (وكذلك نقطع بكفر) وفي بعض النسخ على كفر بتضمينه معنى يتفق أو يعزم ونحوه مما يتعدى بعلى (من قال بقدم العالم) من الحكماء والمراد الزماني بمعنى عدم سبق العدم لا القدم الذاتي فانه مخصوص بالله (أو بقائه) بمعنى انه باق أبدا لا يقبل الفناء والمراد قدم نوعه وبقاؤه لما يشاهد فيه من تغير بعض أجزائه وعدمها (أو شك في ذلك) أي البقاء والقدم (على مذهب بعض الفلاسفة) ومنهم من ذهب لغيره وادلتهم مع الجواب عنها مذكورة في كتب الكلام والحكمة وقد كفرهم أهل الشرع بهذا لما فيه من تكذيب الله ورسله وكتبه (والدهرية) الذين اسندوا الحوادث

(أوقال بتناسخ الارواح) وانتقالها من الاشباح (أبد الآباد) جمع بينهما للتأكيد أي دائما في الدنيا (في الاشخاص) من بدن الى بدن آخر (وتعذيبها أوتنعيمها فيها) أي في الاشخاص (بحسب زكائها) بالهمزة أي طيب عنصرها (وخبثها) بضم أوله أي خبث أصلها (وكذلك من اعترف بالالهية والواحدانية ولكنه جحد النبوة من أصلها عموما) كأن يقول ما نبأ الله أحدا من خلقه (أو جحد نبوة نبينا خصوصا) وكذا اذا أقر بنبوته ونفى رسالته عموما (أو احد) أي جحد نبوة أحد (من الانبياء الذين نص الله عليهم) بانه نبي (بعد علمه بذلك) أي بانه نبي (فهو كافر بلاريب) أي من غير شك وشبهة (كالبراهمة) وهم قوم بارض الهند لايجيزون

كلها للدهر وقالوا ما يهلكنا الا الدهر وهم كفرة لانكارهم الحشر والنشر والآخرة (أوقال بتناسخ الارواح وانتقالها ابد الآباد في الاشخاص) أي تخرج من بدن لآخر من جنسه أو غيره لان النسخ معناه الازالة والنقل قال الراغب الابد مدة الزمان الممتد الذي لايتجزئ ويقال ابد آبد وأبيد أي دائم وحقه ان لايثنى ولايجمع ولكنه جمع هنا لانه أريد به بعض مايتناول وقيل آباد مولد ليس من كلام العرب (و) زعم هؤلاء المتناسخة ان (تعذيبها أوتنعيمها فيها) أي في الاشخاص التي تنتقل اليها (بحسب) أي مقدار (زكائها) أي طيبها وطهارتها (وخبثها) أي كونها خبيثة غير طيبة مزكاة يعني انها ان كانت طيبة تنتقل لصورة حسنة مجملة منعمة وان كانت خبيثة تنتقل لصورة كريهة معذبة كصورة كلب أو حمار أو ثور وحوانية هذا كله في الدنيا (وكذلك) يكفر (من اعترف بالالهية والوحدانية) فاقر بان له الها منفردا عما سواه في ذاته وصفاته (ولكنه جحد النبوة) أي نفاها وأنكرها (من أصلها) أي لم يقل بوجودها (عموما) فلم يقل بنبوة نبي من الانبياء (أو) قال بها ولكنه انكر (نبوة نبينا) محمد صلى الله تعالى عليه وسلم (خصوصا) مع قوله بنبوة غيره كاهل الكتاب (أو) انكر نبوة (أحد من الانبياء) أي نبي كان كانكار اليهود نبوة عيسى عليه الصلاة والسلام (الذين نص الله عليهم) في كتابه الكريم كاولي العزم فمن أنكر واحدا منهم كان مكذبا بالله ولرسوله (بعد علمه بذلك فهو كافر بلاريب) اما اذا لم يعلمه فهو معذور بجهله (كالبراهمة) هم قوم من الكفرة ذهبوا الى ابطال وجود النبوات عقلا لعدم عقلهم قالوا لان مايجئ به النبي اما ان يقبله العقل أولا والاول النقل يدل عليه فالحاجة لغيره والثاني مردود باطل وهو المدعي ورد بانه وان كان يقبله العقل لكنه قد يخفى فيحتاج الى مرشد فان ظهر تايد به وسلم عما ينافيه وغيرهم من العقلاء النقل يدل على انها لابد منها والبراهمة نسبة الى رجل يقال له برهام وهو موسس فسادهم ومذهبهم لا الى ابراهيم النبي عليه السلام كما قيل لانكارهم النبوات الا أن يقال ان منهم طائفة تنكر غير نبوة ابراهيم عليه السلام ثم سموا به مطلقا (ومعظم اليهود) أي أكثرهم لان منهم من قال بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم لكنه خصه بالعرب (والاروسية) بفتح الهمزة وراء مهملة مضمومة وواو وسين مهملة وياء نسبة وهاء قوم (من النصارى) قيل هم رهط هرقل وقيل منسوبون لرجل اسمه اريس فغير أو اروس ومعناه ملاك أو عشار أو صاحب الزراعة أو أصله ارنوس فعرب وغير وهو صاحب مذهب في النصرانية لانهم على فرق مختلفة قيل انه زعم ان لله روحا أكبر من سائر الارواح واسطة بين الاب والابن تؤدي الوحي وان المسيح ابتدئ جوهر الطيفا روحانيا خالصا غير مركب ولاممزوج بالطبائع (و) قوله (الغرابية من الروافض) تقدم بيانه واليه أشار بقوله (الزاعمين ان عليا) كرم الله وجهه (كان) هو (المبعوث اليه جبريل) عليه الصلاة والسلام ارسله الله اليه برسالته فغلط فبلغها محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم

على الله بعثة الرسل (ومعظم اليهود) ينكرون نبوة عيسى مطلقا وعموم رسالة نبينا عليهما الصلاة والسلام (والاروسية) بضمتين أو بفتح أوله وفي آخره ياء نسبة ويقال ارسية (من النصارى) قيل هم فرقة من رهط هرقل وقيل هم اتباع عبدالله بن أريس كان في الزمن الاول قتلوا نبيا بعث اليهم (والغرابية من الروافض الزاعمين ان عليا كان) أي هو (المبعوث اليه جبريل) وسموا بذلك لقولهم على أشبه بمحمد من الغراب بالغراب فغلط جبريل حين بعث الى علي لشبه النبي به وهذا كذب وبهتان لان عليا ماكان شبيها بالنبي عليه الصلاة والسلام كما يعلم من شمائلهما الكرام وقد سبق في أول الكتاب بيان شمائله عليه الصلاة والسلام واما شمائل علي كرم الله وجهه فانه كان

لشبهه

آدم شديد الادمة عظيم العينين أقرب الى القصر من الطول ذا بطن كثير الشعر عريض اللحية أصلع أبيض الرأس واللحية كذا في أسماء رجال المشكاة لمصنفه بل أقول ولم يوجد أحد يشبهه من جميع الوجوه نعم كان الحسن يشبهه بالنصف الاعلى والحسين بالنصف الاسفل لكن لاشباهة تورث الشبهة انما هي شباهة في الجملة وقد قال الصديق الاكبر حين حمل احدهما أنت شبيه بالنبي دون أبيك ولا يخفى وجوه كفرهم من انكار النبوة لمحمد واثباتها لعلي وتخطئة جبريل وتجهيل الرب الجليل ونقل انهم يلعنون صاحب الريش ويعنون جبريل عليه الصلاة والسلام

(وكالمعطلة) أى للوجود بنفى صانعه كالدهرية أو النافية لحقيقة الأشياء القائلة بان الأشياء كلها خيالات بمموهات كالمنامات وهم السوفسطائية (والقرامطة) وهم الملاحدة الذين قتلوا أهل مكة حتى دفنوا ببئر زمزم موتاهم وصعد واحد منهم فوق باب الكعبة وقال ألم تقولوا ان الله قال ومن دخله كان آمنا فأى أمن لكم مع هذا القتل فيكم فاجابه قائل بان معناه ومن دخله آمنوه ولا تتعرضوا له وحاصله انه ليس بخبر حتى يلزم الخلف فى قوله وانما هو حكم ولا يلزم من تخلف الحكم نقصان فى الحاكم وهم الذين أخذوا الحجر الاسود معهم قيل ومات تحته سبعون جملا وقد أعطاهم أمراء المسلمين مالا كثيرا لتخليص الحجر الاسود فما رضوا حتى وقع فيهم الوباء والغلاء وأنواع البلاء فارسلوه قيل جاء به جمل واحد بعون الله سبحانه وتعالى وفيه ايماء الى استثقاله الخروج من مكة واستخفافه اشتياقا الى الكعبة (والاسماعيلية) وهم هم وانما اختلف ألقابهم كذا قاله الدلجى وقال التلمسانى الاسماعيلية من الباطنية وهم قوم أثبتوا امامة اسمعيل بن جعفر الصادق وقيل لان رئيسهم ينسب لمحمد بن اسمعيل بن جعفر وهو الصادق وقيل فرقة من الامامية من الرافضة ينسبون الى اسمعيل بن جعفر الصادق حيث يزعمون ان الامام بعد جعفر الصادق اسمعيل بن جعفر ولكن لما مات اسمعيل فى حال حياة أخيه عادت الامامة الى أخيه قال تقى الدين أبو العباس ابن تيمية ان الاسماعيلية من القرامطة الباطنية اتباع الحاكم الذى كان بمصر وكان دينهم دين أصحاب رسائل اخوان الصفا من أئمة منافقى الامم الذين ليسوا مسلمين ولا يهودا ولا نصارى انتهى وكأنه أشار الى طائفة ابن عربى والله سبحانه وتعالى أعلم (والعنبرية من الرافضة) وهم المنسوبون الى عبيد الله بن الحسن العنبرى قاضى البصرة الذى جوز التقليد فى العقائد والعقليات وقد تقدم فى الفصل قبله كذا ذكره التلمسانى وقد سبق ان ايمان المقلد صحيح عند عامة العلماء وفى نسخة صحيحة والعبيدية وهم من بنى عبيد بن بنت القداح اليهودى أسلمت أمه فتزوجها شريف فزعم عبيد انه ابنه ودعا الناس الى ان بايعوه بالخلافة فطلب فلحق بالمغرب وبويع له بها وتولى من بنيه بمصر أربعة عشر خليفة ثم أخذها منهم نور الدين الشهيد (وان كان بعض هؤلاء) الطوائف المذكورين (قد اشركوا) بصيغة الفاعل أو المفعول ويروى اشتركوا (فى كفر آخر مع من قبلهم) ككفر بعض الرافضة بتكفيرهم الصحابة وقذف عائشة مع مشاركتهم من قال بالمهين فى كفره باعتقادهم آلهية على أو أولاده أو حلوله سبحانه فيهم (وكذلك من دان بالوحدانية وصحة النبوة) أى نبوة الانبياء جميعهم (ونبوة نبينا عليه الصلاة والسلام) أى ورسالته عامة (ولكن جوز على الانبياء الكذب فيما أتوا به ادعى فى ذلك الكذب المصلحة بزعمه أولم يدعها) فهو كافر باجماع (بلا نزاع كالمتفلسفين) من الحكماء (وبعض الباطنية) كالوجودية والروافض أى وبعضهم (وغلاة المتصوفة) أى من الجهلة (وأصحاب الاباحة) وهم الملاحدة وفى نسخة الاباحية وهم فرقة من غلاة المتصوفة وجهلتهم ويقال لهم المباحية يدعون محبة الله وليس لهم من المحبة حبة يخالفون الشريعة ويزعمون ان العبد اذا بلغ فى الحب غاية المحبة سقط عنه التكاليف ويكون عبادته بعد ذلك التفكر وهؤلاء شر الطوائف وكأنهم استندوا فى معتقدهم الى قوله تعالى

لشبهه بعلى شبه الغراب بالغراب (وكالمعطلة) الذين جحدوا الالوهية والرسالة والاحكام (والقرامطة) تقدم بيانهم أيضا وانهم سعوا فى ابطال الشريعة فحللوا المحرمات وأباحوا الفروج والخمور (والاسمعيلية) هم قوم من الملاحدة المعطلة وهم باطنية يؤولون النصوص ويقولون لها معنى غير ظاهرها (والعنبرية من الرافضة) وهم اتباع عبد الله بن الحسن العنبرى منسوب لبنى العنبر قبيلة (و) فى نسخة (العبيدية) تصغير عبد وهم اتباع عبيد الله المعروف من بنى عبيد بن بنت القداح الذين ملكوا مصر والكلام فى نسبتهم معروف فى نسب الفاطميين (من الشيعة) الذين فضلوا عليا وهم بحسب الظاهر شيعة وفى الباطن باطنية (وان كان بعض هؤلاء) الطوائف المذكورة (قد اشتركوا) وفى نسخة قد أشركوا بابنائه المجهول (فى كفر آخر مع من قبلهم) من الطوائف المذكورة (وكذلك) أى مثل من ذكر فى تكفيرهم (من دان) أى اعتقد واتخذ دينا وقيل من أقر وخضع (بالوحدانية) أى بالله الواحد الاحد (وصحة النبوة) أى بوجودها وحقيقتها (و) أقر أيضا (بـ) ـصحة (نبوة نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم ولكن جوز على الانبياء) كلهم (الكذب فيما أتوا به) أى فيما بلغوه عن الله سواء (ادعى فى ذلك) أى فى الكذب الذى صدر عنهم (المصلحة بزعمه) أى زعم ان كذبهم كان لمصلحة اقتضته (أولم يدعها) أى لم يدع ان فى ذلك الكذب مصلحة (فهو كافر) بنسبته الكذب لرسل الله عليهم الصلاة والسلام وهم منزهون عن مثله (باجماع) من علماء الدين المعتد بهم وان قيل فيه مصلحة بزعمه (كالمتفلسفين) أى أصحاب علم الفلسفة (وبعض الباطنية) الذين زعموا ان لنصوص الشريعة باطن غير ظاهرها (والروافض) وهم طائفة رفضوا أهل السنة فسموا رافضة وهم فرق مختلفة مذكورة فى المفصلات (وغلاة المتصوفة) الذين لهم غلو فى اعتقادات لهم (وأصحاب الاباحة) أى الذين ذهبوا الاباحة

واعبد ربك حتى يأتيك اليقين وقد أجمع المفسرون على ان المراد باليقين الموت هنا لان عين اليقين متوقف على ذلك الحين فالمعنى أعبد ربك بالعلم اليقين حتى يأتيك عين اليقين وقد يقال ان العادة حال اليقين أولى وأعلى كما يشير اليه قوله عليه السلام الاحسان ان تعبد الله كأنك تراه وقد قيل له عليه الصلاة والسلام حين تورمت قدماه فى القيام بعد المنام أتتكلف هذا وقد غفر الله لك ذنبك فقال أفلا أكون عبدا شكورا (فان هؤلاء زعموا ان ظواهر الشرع وأكثر ما جاءت به الرسل من الاخبار) بكسر أوله أى الانباء (عما كان ويكون من أمور الآخرة) كعذاب القبر (والحشر) أى الجمع وكذا النشر (والقيامة) الى مواقفها من الميزان والحوض والصراط (والجنة والنار ليس منها شئ على مقتضى لفظها) الظاهر (ومفهوم خطابها) الباهر (وانما خاطبوا) أى الرسل (بها) أى بالاشياء المذكورة (الخلق) أى الامة (على جهة المصلحة لهم) اذ لم يمكنهم التصريح لتحقيق مرامهم لقصور افهامهم (فضمن مقالاتهم) بضم الميم الاولى وفتح الثانية المشددة أى مضمونها (ابطال الشرائع) بهذه الذرائع (وتعطيل الاوامر والنواهى) بهذه المذيانات الداعية الى الملاهى (وتكذيب الرسل) تلويحا (والارتياب) أى الايقاع فى الشك (فيما أتوا به) أى الانبياء تصريحا المفعول (وكذلك من أضاف الى نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم تعمد الكذب فيما بلغه) بتشديد اللام أى أوصله عن ربه (وأخبر به) أحدا من أمته (أوشك فى صدقه) تهمة منه فى حقه (أوسبه) أى شتمه أو تنقصه (أوقال انه لم يبلغ) جميع ما أنزل عليه وقد قال تعالى يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته وقال فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك وأراد نفيه عنه

المحرمات وان من كمل نفسه وصل لمرتبة لاتضره المعاصى ثم بين مراده بالكذب الذى جوزه هؤلاء فانه ليس المقصود به ظاهره فقال (فان هؤلاء) الفرق المذكورة (زعموا ان ظواهر الشرع) أى ما يدل عليه صريح نصوصهم مما يتعلق بالمعاد وغيره (وأكثر ما جاءت به الرسل) مما أوحى به اليهم (من الاخبار عما كان) فى الامم السالفة والازمان الماضية (ومايكون) فى المستقبل (من أمور الآخرة) المبينة بقوله (و) من (الحشر) أى جمع الناس بعد اخراجهم من القبور (والقيامة) أى قيام من حشر ليقضى بينهم ويحاسبون (والجنة والنار) أى دار النعيم والعذاب فذكر الحال وأريد المحل (ليس منها شئ على مقتضى) ظاهر من (لفظها) الذى بلغه الرسل عليهم الصلاة والسلام لاممهم (ومفهوم خطابها) أى ما يدل عليه من معناها المتبادر منها وليس المراد بالمفهوم ما اصطلح عليه أهل الاصول (وانما خاطبوا) أى خاطب الرسل أممهم بما أتوا به (بها) أى بالامور التى أتوا بها عن الله (الخلق) الذين أرسلوا اليهم (على جهة المصلحة لهم) ليتبعوهم ويكفوا عما لا يليق بهم مما يكمل أنفسهم البشرية (اذ لم يمكنهم) أى رسل الله (التصريح) بكشف حقيقة الحال لهم (لقصور أفهامهم) أى قصور أفهام الخلق عن ادراك حقيقة ما يريدونه وهذا الذى ادعاه هؤلاء الفلاسفة باطل (فضمن) بضم الميم الاولى وفتح الضاد المعجمة وفتح الميم الثانية المشددة اسم مفعول أى ما دل عليه مضمون (مقالاتهم) هذه التى زعموا انهم لم يريدوا بكلامهم ظاهره الدال عليه صراحة (ابطال الشرائع) التى جاء بها رسل الله عليهم الصلاة والسلام لان ظاهرها غير مراد لهم (وتعطيل الاوامر والنواهى) أى جعل أمرهم ونهيهم معطلا غير لازم امتثاله قال القرافى فى شرح المحصول فى كلام الاصوليين ان الامر بمعنى القول المخصوص يجمع على أوامر وبمعنى الفعل والبيان يجمع على أمور ولم يوافقهم عليه من أهل اللغة أحد الا الجوهرى واما الازهرى فقال الامر ضد النهى يجمع على أمور وكذا قال ابن سيده فى المحكم ولم تذكر النحاة ان فعلا يجمع على فواعل وفى شرح البرهان ان قول الجوهرى غير معروف وان الاوامر اما جمع آمر بزنة اسم الفاعل بمعنى الامر مجازا أو جمع على فواعل لانه اسم أو صفة لما لا يعقل ويأباه قولهم انه جمع آمر أو جمع آمرة مجازا عن الصيغة لان الآمر الشخص نفسه أو مصدر كالعافية أو هو جمع الجمع فجمع على أفعل ككلب ثم على فواعل ورد بانه ليس فاعل بل فواعل وقال الاصفهانى انه لا يتم فى النواهى لان كونه جمع ناهية مجازا ومثله تكلف اذ لم يسمع ناهية وقد تقدم هذا مرارا (و) لان مآله (تكذيب الرسل) أى تكذيب رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم لان ما أتوا به لا يطابق الواقع لانهم لم يريدوا ظاهره وليس بكذب حقيقى لتأوله عندهم (والارتياب) أى الشك والتردد (فيما أتوا به) هل المراد به ظاهر ما أتوا به أم لا لتأويله بغير ظاهره (وكذلك) أى مثل ما ذكروا فى انه كفر (من أضاف) أى نسب (الى نبينا) محمد صلى الله تعالى عليه وسلم (تعمد الكذب) أى قصده وذكره عن قصد منه (فيما بلغه) صلى الله تعالى عليه وسلم عن الله من وحيه (وأخبر به) عن ربه (أوشك فى صدقه) للاجماع على انه صلى الله تعالى عليه وسلم معصوم عن الكذب فيما طريقه البلاغ وكذا سائر الانبياء (أوسبه) فانه يكفر وذكره هنا وان تقدم لان تكذيبه سب له (أوقال انه لم يبلغ) ما أوحى اليه وكتمه وحذف

(أواستخف) أى احتقر واستهزأ (به أو باحد من الانبياء أو ازرى) أى عاب (عليهم) أى جميعهم أو بعضهم (أو آذاهم أوقتل نبيا أو حاربه فهو كافر باجماع) من علماء المسلمين (وكذلك نكفر من ذهب مذهب بعض القدماء) من الحكماء (ان فى كل جنس من الحيوان نذيرا) أى رسولا منذرا (ونبيا) غير مامور بالتبليغ (من القردة والخنازير والدواب والدود وغير ذلك) كالحيوانات المائية والطيور الهوائية (ويحتج بقوله تعالى وان من امة الاخلا فيها نذير) أى مضى ويحمل الامة أعم لقوله تعالى ومامن دابة فى الارض ولاطائر يطير بجناحيه الأامم أمثالكم (اذذلك) الذى زعمه غير ثابت بالنقل الصريح ويدل على بطلانه العقل الصحيح لانه (يؤدى الى أن يوصف أنبياء هذه الاجناس بصفاتهم المذمومة وفيه) أى وفى كل جنس من صور بشيعة وسير شنيعة (من الازراء) اى العيب والمنقصة (على أهل هذا المنصب) بكسر الصاد أى منصب النبوة (المنيف) بضم الميم أى الرفيع الشريف (مافيه) مما لايليق بعلو شانهم وسطوع برهانهم (مع اجماع المسلمين على خلافه و) على (تكذيب قائله) ولعل سند الاجماع قوله تعالى وما أرسلنا من قبلك الا رجالا أى لا نساء ولا جنا وانما الخلاف فى انه

(٦٤ شفا ع) هل كان فى الجن رسول من جنسهم أم لا فالجمهور على ان الرسل من الانس خاصة وتعلق قوم بظاهر قوله تعالى يامعشر الجن والانس ألم يأتكم رسل منكم وأجيب بان الآية من قوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وهما يخرجان من الملح دون العذب وقيل المراد رسل من الجن أرسلهم الرسل من البشر لينذروهم ويدعوهم الى الايمان فيصدق عليه انه أتى الجن رسل

المفعول اختصار العلم به لانه افتراء عليه لقوله تعالى يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس وقد تقدم الكلام عليه وان عائشة رضى الله تعالى عنها قالت لو كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كاتما شيا مما أوحى اليه لكتم قوله تعالى اذ تقول للذى أنعم الله عليه الآية النازلة فى قصة زيد (أو استخف به) أى استهزأ به وذكر مافيه ازراء بقدره الشريف (أو ب) قدر (أحد من الانبياء) غيره صلى الله تعالى عليه وسلم وعليهم أجمعين (أو أزرى عليهم) الازراء الاحتقار أى ذكر مافيه تحقير واهانة لهم (أو آذاهم) أى ذكر مافيه أذية لهم فى حياتهم ومماتهم كاذية بعض ذريته وأقاربه صلى الله تعالى عليه وسلم * ولاجل عين ألف عين تكرم * (أو قتل نبيا) من الانبياء كما وقع لبنى اسرائيل (أو حاربه) أى بارزه بحرب ومقاتلة كما وقع لقريش وغيرهم (فهو كافر باجماع) من المسلمين بل من علماء الملل كلهم وليس من هذا ماوقع من بعض الصحابة فى بعض معارضتهم له صلى الله تعالى عليه وسلم فى بعض الامور كما وقع فى امارة اسامة وفى قصة الحديبية وكتابة الكتاب الذى أراد أن يكتبه فى مرض موته كما مر فانما ذلك لخلوص قلوبهم ومحبتهم لله ورسوله كما قيل

ما نا صحتك خبايا الود من رجل * مالم ينلك بمكروه من العذل

وكذلك أى مثل ماتقدم فى تكفير من ذكر (نكفر من ذهب مذهب بعض القدماء) من الفلاسفة والحكماء الخارجين عن ملة الاسلام فيما اعتقدوه وذهبوا اليه من (ان فى كل جنس من الحيوانات) غير بنى آدم (نذيرا) أى رسلا أرسلت اليهم من نوعهم لانذارهم (أو نبيا) أرسله الله اليهم ونوعه أمته (من القردة والخنازير والدواب) جمع دابة وهى كل ذى روح دب أى تحرك باختياره ثم خص فى العرف أى عرف اللغة بذوات الاربع (والدود وغير ذلك) مما يمشى على بطنه ويزحف من دواب البر والبحر (ويحتج) أى يستدل هذا القائل بان فى كل جنس نبيا (بقوله تعالى وان من أمة الاخلا) أى مضى وتقدم (فيها نذير) أى رسول من جنسها ينذرها والامة الجماعة فحملها على العموم لسائر الحيوانات كقوله الأامم أمثالكم وجعلها أمة دعوة وقال الراغب الامة كل جماعة يجمعها أمر واحد امادين واحد أو زمان واحد أو مكان واحد سواء كان الامر الجامع تسخيرا أو اختيارا فان كل نوع منها على طريقة قد سخرها عليها بالطبع فهى بين ناسجة كالعنكبوت وبانية كالسرفة ومدخرة كالنمل ومعتمدة على قوت وقت كالعصفور والحمام الى غير ذلك من الطبائع التى يختص بها نوع نوع انتهى (اذ ذلك) أى القول بان للحيوان رسلا وأنبياء (يؤدى) أى يستلزم وأصل معناه يوصل (الى أن توصف أنبياء هذه الاجناس) من الحيوانات وفى نسخة الاشياء (بصفاتهم المذمومة) أى القبيحة من الصور والافعال المستكرهة وهو ظاهر ولم يقل بصفاتها لوصفهم بما حقه أن يصدر عن العقلاء كقوله تعالى والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين (وفيه) أى فيما ذكره من صفاتهم القبيحة (من الازراء) أى التحقير والاهانة (على هذا المنصب) أى المقام (المنيف) أى العالى الشريف وهو مقام النبوة والمنصب تقدم بيانه (مافيه) أى أمر ظاهر فيه من التحقير والاهانة فما موصوفة أو موصوفة لنسبة أمور غير لائقة بالانبياء لمن زعم وانهم أنبياء (مع اجماع المسلمين) بل العقلاء (على خلافه) أى خلاف مادعوه (وتكذيب قائله) الذاهب اليه فان كل أحد نعلم انه لافائدة فى تكليف غير العقلاء وأما الجن

لكن لا من الله بل من الانبياء ويؤيده قوله تعالى واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا انصتوا فلما قضى ولوا الى قومهم منذرين الآيتين (وكذلك نكفر من اعترف من الاصول الصحيحة بما تقدم) من الالوهية والوحدانية والنبوة مطلقا (وبنبوة نبينا عليه الصلاة والسلام) أي ورسالته الى عامة الانام (ولكن قال كان اسود) وينبغي ان يقيد هذا بما اذا أراد احتقاره به وأما اذا قال عن جهل بشمائله فتكفيره ليس في محله لان العلم بكونه عليه الصلاة والسلام أبيض ليس قطعيا ولانه مما علم من الدين بالضرورة والسواد لا ينافي النبوة فقد قال جمع بنبوة لقمان عليه السلام (أومات قبل ان يلتحى) فانه كذب في نفس الامر لكن انما يكفر اذا كان استخفافا أو استهزاء أو تكذيبا لنبوته (أوليس الذى كان بمكة والحجاز) الشامل لها وللمدينة يحتمل أن يكون جهلا وان يكون تكذيبا (أوليس بقرشي) وفيه ان العلم بكونه قرشيا ليس ضروريا فغايته انه يكون كاذبا به جاهلا بوصفه ولا يلزم منه كونه مكذبا به وأغرب الدلجي حيث قال لانه كذبه عليه الصلاة والسلام في قوله أنا أفصح من نطق بالضاد بيد أني من قريش فان الحفاظ أجمعوا على انه حديث موضوع والحاصل انه يكفر بهذا كله اذا أراد نفي نبوته عليه الصلاة والسلام كما يشير اليه قوله (لان وصفه بغير صفاته المعلومة) عند كل واحد (نفي له) اي لوجوده (وتكذيب به) أي بشهوده وسيأتي ان الجهل ببعض صفات صلى الباري سبحانه وتعالى لا يخرجه عن الايمان كما عليه أكثر علماء الاعيان فكيف الجهل ببعض صفاته عليه الصلاة والسلام لاسيما ولم يتعلق به حكم من شرائع الاسلام (وكذلك من ادعى نبوة أحد مع نبينا عليه الصلاة والسلام) كاصحاب مسيلمة والاسود العبسي (أو بعده

فعقلاء مكلفون ولكن اختلف هل بعث لهم منهم رسول أم لا وفي الايجاز لابي الحسن الاشعري مسئلة فرائض الله انما تجب على العقلاء خلافا لاهل التناسخ حيث قالوا ان فرائضه تجب على جميع الحيوانات فان جميع الحيوان مكلفون بفرائضه وانه بعث لكل جنس رسولا منهم وخلافا لمن قال منهم ان جميع ما خلق الله من الاجسام حتى الجماد مكلف بالفرائض وقد حكى اجماع الصحابة والتابعين وغيرهم قبل ان نظهر المخالف على ان البهائم والجماد غير مكلفين انتهى ومنه يعلم ان هذا المذهب مبني على التناسخ وان أرواح المكلفين لما انتقلت لغيرهم بقيت على تكاليفها ❊ واعلم ان الشيخ الشعراوى قال في كتابه ارشاد الطالبين ان بعض أهل الكشف ذهب الى ان لجميع الحيوانات تكاليفا الهيا برسول منهم لا يشعر به الا بعض الاولياء فانه تعالى له الحجة على جميع خلقه فلا يعذب أحدا الا بجزائه وتطهيره وهذا من الاسرار قال تعالى وان من أمة الا خلا فيها نذير وكل جنس موجود أمة وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم وورد في الحديث الكلاب والنمل أمة فعمت الرسالة الالهية جميع الامم ودخلوا تحت الخطاب على لسان نذير بعث لها حتى الدود ❊ قلت الجمهور على خلافه وانه يكفر من زعمه ❊ واعلم ان في الملل والنحل لابن حزم ان صاحب هذا المذهب أحمد بن حابط البصري تلميذ النظام وأحمد بن مانوس واتباعه يقال لهم الحابطية ومذهبه كفر لما فيه من الطعن في النبوة وله آراء فاسدة واهية واستدل بما ذكر من الآيتين السابقتين ولا دليل في ذلك لان الامة القبيلة والجماعة من الناس وأما تسبيح الحصى وكلام الحجارة للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم فلا دليل فيه لانه من المعجزات الخارقة للعادة كحنين الجذع وكلام الهدهد والنملة وقوله وان من شيء الا يسبح بحمده الآية معناها انها فيها من بديع الصنعة تدل على صانع قدير قديم ولذا قال ولكن لا تفقهون دون تسمعون ومن الغريب ان ماذهب اليه ابن خويز منداد من المالكية ان من الحجارة ماله ادراك وتمييز وعما قلته في ابن حابط هذا واتباعه

قل لابن حابط الحمار ومن غدا ❊ أشقى الورى ان صح ما يتقول ❊ اخشى الاله فكم نبي مرسل من قبل في كل حين يقتل ❊ والشبه منجذب لما هو شبهه ❊ فلذلك الحشرات أنت تفضل

(وكذلك) أي مثل تكفير من تقدم (نكفر من اعترف من الاصول الصحيحة) بيان لقوله (بما تقدم) أي اعترف بالالوهية والوحدانية (و) اعترف (بنبوة نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم ولكن قال) في وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم وخلقته انه (كان اسود) اللون والمتواتر من حليته انه كان أبيض مشربا بحمرة كما تقدم (أومات) صغيرا (قبل ان يلتحي) أي قبل أن تنبت له لحيته (أو) قال ان نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم (ليس الذى كان بمكة) أي نشأ بها قبل هجرته الى المدينة (و) ليس الذى كان بـ(الحجاز) هو أرض معروفة من الحجز والمنع والفصل سمي به لكونه حاجزا بين نجد وتهامة (أو) قال (ليس بقرشي) أي ليس من قريش وهم ولد النضر بن كنانة وفي وجه تسميتهم بذلك وجوه مشهورة تقدمت فكل هذا كفر (لان وصفه) صلى الله تعالى عليه وسلم (بغير صفاته المعلومة) سلبا واثباتا (نفي له) أي لوجوده لا لوصفه (وتكذيب به) أي تكذيب لمن أثبته وعلم وجوده (وكذلك) نكفر (من ادعى نبوة أحد مع نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم) ان في زمنه كمسيلمة الكذاب والاسود العبسي (أو) ادعى نبوة أحد (بعده) فانه خاتم النبيين بنص القرآن والحديث فهذا تكذيب لله ورسوله

(كالعيسوية) أصحاب عيسى بن اسحق بن يعقوب الاصبهاني كان موجودا في خلافة المنصور وهو (من اليهود) لا انه خالفهم في أشياء منها انه حرم الذبائح (القائلين بتخصيص رسالته) أي نبينا (الى العرب) خاصة (وكالخرمية) بضم الخاء المعجمة وتشديد الراء المفتوحة لانهم تبعوا بابك الخرمي فنسبوا اليه قال الجوهري هم أصحاب

التناسخ والاباحة وفي نسخة بجيم

صلى الله تعالى عليه وسلم (كالعيسوية) وهم طائفة (من اليهود) نسبوا العيسى بن اسحق بن يعقوب الاصبهاني اليهودي وقيل في اسمه غير ذلك وكان في زمن بني مروان وادعى النبوة في زمن مروان الحمار وتبعه كثير من اليهود وكان من مذهبه تجويز حدوث النبوة بعد نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم ولولا ذلك ما ادعاها (القائلين بتخصيص رسالته) أي رسالة نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم (الى العرب) فهو مع تجويزه نبوة نبينا بعده منكر لعموم رسالته وخالف دين موسى عليه الصلاة والسلام في أمور كثيرة وادعى اتباعه له معجزات ثم انه قتل في أول الدولة العباسية وقيل مات حتف أنفه (وكالجرمية) اختلفوا في ضبط لفظ هذه الكلمة فقيل انه بجيم مفتوحة وراء مهملة وميم وياء نسبة وهم قوم من أهل الكفر (القائلين بتواتر الرسل) أي تتابعها وتكررها وانها لا تنقطع وانه يحدث في كل زمان رسول يوحى اليه وهذا الضبط لم يرتضه البرهان الحلبي وارتضى انهم الخرمية بضم الخاء المعجمة وفتح الراء المهملة المشددة وميم نسبة لرأس ضلالهم ومعناه بالفارسية الفرج والسرور وهم على فرق مزدكية وبابكية وماذيارية وكلهم يستحلون المحرمات ويبيحون الفروج وظهروا في دولة بني العباس بنواحي اذربيجان نحو عشرين سنة في جموع وعساكر كثيرة جدا حتى أسر بابك وصلب بسامرا في أيام المعتصم وقيل انه الحرمية بحاء مكسورة وراء ساكنة مهملتين وهم قوم من القرامطة سموا به لانهم أباحوا المحرمات وزعموا ان النبوة تدرك بالرياضية وتصفية الباطن وترك الشهوات المعبر عنهما كتساب النبوة الآتي وان النور القدسي انتقل من آدم للانبياء الى ان وصل لمحمد وعلي وأولاده ثم تم النور المحمدي فيهم وانتقلت شريعته لغيره وقال التلمساني انه يقال لهم الخرمانية بضم الخاء المعجمة وسكون الراء وفتحها مشددة والخرمان الكذب يخفف ويشدد (وكاكثر الرافضة القائلين بمشاركة علي في الرسالة للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وبعده وكذلك) يقولون ويعتقدون (كل امام) أي خليفة قرشي (عند هؤلاء) الفرقة من الرافضة (يقوم مقامه في النبوة) فتنتقل النبوة بعده لغيره عند هؤلاء (و) في (الحجة) على الخلق بتبليغ الاحكام وهؤلاء من غلاة الرافضة ولهم مقالات في الكفر والضلال ولا حاجة لذكرها كما في المثل يكفيك من الشر سماعه والحق أبلج (وكالبزيغية والبيانية منهم القائلين بنبوة بزيغ وبيان) هؤلاء طائفتان من غلاة الرافضة يزعمون ان النبوة بل الالهية تحل في بعض أئمتهم وتنتقل اليهم وهم أكفر من النصارى وأشد ضررا منهم لانهم بحسب الصورة مسلمون ويلتبس أمرهم على العوام لكن في ضبط أسمائهم اختلاف فقال البرهان الحلبي ان بزيغ بموحدة مفتوحة وزاي معجمة مكسورة ومثناة تحتية وغين معجمة علم شخص نسبوا اليه وقيل انه بموحدة وزاي معجمة ومثناة وعين مهملة وقيل فيه غير ذلك وبيان بموحدة مفتوحة وتحتية مثناة وألف ونون وقيل انما هو بنونين وهو بيان بن اسمعيل النهدي وهو يزعم ان الله عز وجل حل في علي وأولاده ويقولون بنبوة بعض أئمتهم وقيل ان الثاني غلط والصواب انه بيان بن سمعان النهدي وقيل غير ذلك (واشباه هؤلاء) من أهل الضلال (أو من ادعى النبوة لنفسه) بعد نبينا صلى الله عليه وسلم كالمختار بن أبي عبيد الثقفي وغيره قال ابن حجر ويظهر كفر كل من طلب منه معجزة لانه بطلبه منه مجوز لصدقه مع استحالته المعلومة من الدين بالضرورة نعم ان أراد بذلك تسفيهه وبيان كذبه فلا كفر به انتهى (أو جوز اكتسابها) من يقول ان النبوة صفة تكتسب بالرياضة والزهد وتصفية الباطن وأهل الحق يقولون انها وهبية لمن اصطفاه الله

مفتوحة فراء ساكنة قال التلمساني ويجوز كسر الحاء المهملة وسكون الراء لقولهم ما حرم حلال لانهم أباحوا المحرمات (القائلين بتواتر الرسل) أي لا ينقطعون مادامت الدنيا (وكاكثر الرافضة القائلين بمشاركة علي في الرسالة للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي حال وجوده (وبعده) أي وبعد فقد شهوده (وكذلك كل امام) أي من الائمة الاثني عشر (عند هؤلاء) الرافضة (يقوم مقامه في النبوة والحجة) يعني ان أرادوا بها الحقيقة والا فالمنزلة المجازية لا توجب الكفر ولا البدعة (وكالبزيغية) بموحدة مفتوحة وزاي مكسورة فتحتية ساكنة فمعجمة أو مهملة (والبيانية) بفتح موحدة فتحتية بعدها ألف فنون وقيل الصواب بموحدة مضمومة ونونين بينهما ألف (منهم) أي من الرافضة لا من البزيغية كما توهم الدلجي (القائلين بنبوة بزيغ) رجل غير معروف (وبيان) أي ابن اسمعيل النهدي من غلاة الروافض وقد تقدم ان اعتقادهم ان الله تعالى حل في علي وأولاده كذا ذكره الحلبي وقال التلمساني بنان بن سمعان التميمي (أومن ادعى النبوة لنفسه) كالمختار ابن أبي عبيد الثقفي (أو جوز اكتسابها) أي تحصيل النبوة بالمجاهدة والرياضة

(والبلوغ بصفاء القلب الى مرتبتها) أى منزلة النبوة باخذ الفيض من جهة القلب عن الرب عز وجل (كالفلاسفة) أى الحكماء ومنهم أبو على ابن سينا صاحب الشفاء الذى يورث مرض الشقاء (وغلاة المتصوفة) أى الجهلاء وأجلهم ابن عربى حيث جعل نفسه خاتم الاولياء وزعم انه كان يستفيض منه خاتم الانبياء (وكذلك من ادعى منهم) وكذا من غيرهم (انه يوحى اليه) أى وحيا جليا لا الهاما يسمى وحيا خفيا كما يحصل لبعض أرباب المكاشفة وأصحاب الفراسة كما يشير اليه قوله تعالى ان فى ذلك لآيات للتوسمين أى المتفرسين وقوله عليه الصلاة والسلام اتقوا فراسة المؤمن وقوله فى أمتى محدثون أى ملهمون (وان لم يدع النبوة) كعبد الله ابن أبى سرح من قريش كان يكتب الوحى لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلما نزل ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين عجب من تفصيل خلق الانسان فقال تبارك الله أحسن الخالقين فقال عليه الصلاة والسلام اكتبها كذلك نزلت فشك وقال لئن كان محمد صادقا لقد أوحى الى كما أوحى اليه أو كاذبا لقد قلت كما قال والتحق بمكة مرتدا فاهدر النبى عليه الصلاة والسلام دمه فاخذ له عثمان عام الفتح أمانا فاسلم وحسن اسلامه وكان أخاه لامه وولاه زمن خلافته مصر (أوانه) أى أو يدعى انه حال اليقظة (يصعد الى السماء ويدخل الجنة وياكل من ثمرتها ويعانق الحور العين) أى البيض الواسعة الاعين وفيه ان هذا كله يقتضى الكذب لا الكفر كما لا يخفى (فهؤلاء) الطوائف الا (كلهم كفار) أى فانهم (مكذبون للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم لانه أخبر) عن نفسه (انه خاتم النبيين لا نبى بعده) أى ينبأ فلا يرد عيسى لانه نبى قبله وينزل بعده ويحكم بشريعته ويصلى الى قبلته ويكون من جملة أمته (وأخبر عن الله تعالى انه خاتم النبيين) وهذا أقوى دليلا مما قبله فتامل (وانه أرسل كافة) أى رسالة جامعة (للناس) لقوله تعالى وما أرسلناك الا كافة للناس أى اصالة وللجن تبعا

من عباده كما قال تعالى أعلم حيث يجعل رسالاته (والبلوغ بصفاء القلب) أى تصفيته من الكدورات البشرية بالرياضة (الى مرتبتها كالفلاسفة) وقدماء الحكماء (وغلاة المتصوفة) جمع غال وهو المبالغ المتجاوز للحد لكن لم نر من ذهب الى هذا من الصوفية والذى نقل فيه انما هو عن الفلاسفة وقدماء الحكماء كما علم (وكذلك من ادعى منهم) أى من الفلاسفة والغلاة (انه يوحى اليه) أى ياتيه الملك من الله تعالى ببعض الاوامر الالهية مما تزينه له الشياطين (وان لم يدع النبوة) فلا يقول مع ذلك انا نبى (أو) ادعى (انه يصعد الى السماء ويدخل الجنة) بجسده يقظة وهو حى (وياكل من ثمارها ويعانق الحور العين) التى فى الجنة معدة للمؤمنين فيها قال ابن حجر الظاهر ان زعمه دخول الجنة ماضيا أو حالا أو مستقبلا قبل موته مرة أو أكثر سواء ضم الى ذلك الاكل والمعانقة المذكورين أم لا يكون كفرا وان كان ربما يتوهم من كلام المصنف خلاف ذلك وفى الانوار ويكفر من قال انه يرى الله عيانا فى الدنيا ويكلمه شفاها والله يحل فى الصور الحسان أو قال ان الحق يطعمه ويسقيه وأسقط عنه التمييز بين الحلال والحرام وانه ياكل من الغيب وياخذ منه أو قال دع الصلاة والزكاة والصوم والقرآن وان سماع الغناء من الدين فانه أنفع للقلوب من القرآن قال ابن حجر ولا يشترط فى كفر من زعم انه يرى الله عيانا فى الدنيا ويكلمه شفاها اجتماع هذين خلافا لمن توهمه عبارة الانوار بل يكفر زاعم أحدهما ثم رأيت الكواشى صرح فى تفسيره بكفر معتقد الرؤية بالعين وهو صريح فيما ذكرت لكن عندى فى اطلاق ذلك نظر والذى يتجه حمله على رؤية أو كلام متضمن للاحاطة بذلك تعالى لما مر ان الاصح ان لا نكفر الجهوية ولا المجسمة الا ان صرحوا باعتقادهم للوازم قولهم كالحدوث أو ما هو نص فيه كاللون والتركيب والاحتياج ثم قال ابن حجر وكذا يكفر زاعم اسقاط التمييز عنه بين الحلال والحرام وان الله يطعمه أو يسقيه أو انه ياكل من الغيب وياخذ منه ولا يشترط اجتماع هذه الثلاثة خلافا لما توهمه كلام الانوار أيضا وكذا يقال فى بقية كلامه (فهؤلاء) المذكورون (كلهم كفار) محكوم بكفرهم لانهم (مكذبون للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم) لادعائهم خلاف ما قاله (لانه صلى الله تعالى عليه وسلم أخبر انه خاتم النبيين) كما أعلمه الله به فيما أوحاه اليه (و) أخبر أيضا انه (لا نبى بعده) وما روى عنه فى ذلك من الاحاديث الصحيحة ذكر ما يخالفها تكذيب له معنى واما ما روى عنه من انه قال لا نبى بعده الا ما شاء الله فقال ابن الجوزى فى كشف المشكل ان هذه الزيادة لا أصل لها ورد على ابن عبد البر فى قوله ان المراد بها الرؤيا الصالحة لانها جزء من النبوة وأنكر عليه ذلك كما فصله فلا يغرنك من ذكره لعدم وقوفه عليه ومر انه لا يرد عليه عيسى عليه الصلاة والسلام حين ينزل لانه لم ينبأ بعده ولانه يكون من أمته وعلى شريعته ولا الخضر أيضا مع انه اختلف فى نبوته كما تقدم (وأخبر) صلى الله تعالى عليه وسلم (عن الله انه خاتم النبيين) فى قوله تعالى ولكن رسول الله وخاتم النبيين (و) أخبر أيضا عن الله (انه أرسل) صلى الله تعالى عليه وسلم (كافة للناس) أى الى الناس كلهم بل والى الملائكة كلهم بل والى الجن وهذا مما خصه الله به ولا يرد عليه آدم ونوح كما تقدم قال الله تعالى وما أرسلناك

(وأجمعت الامة على حمل هذا الكلام) الذي صدر عنه عليه الصلاة والسلام (على ظاهره) اذ لم صارف عنه (وان مفهوم المراد به) هو المقصود منه (دون تاويل) في ظاهره (ولا تخصيص) في عمومه (فلا شك في كفر هؤلاء الطوائف كلها) أي لتكذيبهم الله ورسوله (قطعا) أي بلا شبهة (اجماعا) بلا مخالفة (وسمعا) أي وسماعا من الكتاب والسنة ما يدل على كفرهم بلا مرية (وكذلك وقع الاجماع على تكفير كل من دافع نص الكتاب) القديم وحمله على خلاف ما ورد به من المعنى القويم كحمل ابن عربي قوله تعالى في قوم نوح مما خطيئاتهم أغرقوا فادخلوا نارا على ما حاصله أغرقوا في بحر المحبة فادخلوا نارها ووجدوا الله دون غيره أنصارهم وكذلك قوله في قوله تعالى واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله الله أعلم حيث يجعل رسالاته ان الكلام تم في أوتي وان رسل الله مبتدأ وخبره الله واعلم خبر مبتدأ محذوف وأمثال ذلك مما صدر عنه وعن غيره هنالك (أو نص حديث) أي أو دافع صريح حديث (مجمع على نقله مقطوع به) أي بصحته (مجمع على ظاهره) من غير تاويله وفي نسخة أو حمله حديثا مجمعا على نقله من جهة مبناه وحمله على ظاهره من جهة معناه (كتكفير الخوارج بابطال الرجم) بالجيم للمحصن الثيب ولم يشترط الشافعي الاسلام في الرجم لظاهر حديث الموطأ وغيره ان اليهود أتوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم برجل وامرأة من اليهود قد زنيا فرجمهما وشرطه أبو حنيفة ومالك لحديث من أشرك بالله فليس بمحصن ثم أعلم ان العلماء أجمعوا على وجوب جلد الزاني البكر مائة وهو الثابت بالآية ورجم المحصن الثيب المأخوذ من الآية المنسوخة تلاوة لا حكما وهو قوله تعالى (الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم) وقد عمل بها صلى الله تعالى عليه وسلم في حال حياته وكذا الصحابة بعد وفاته ولم يخالف في هذا أحد من أهل القبلة الا ما حكوه عن الخوارج وبعض المعتزلة كالنظام وأصحابه فانهم لم يقولوا بالرجم ومن مذهبهم ان الاجماع ليس بحجة ويرده قوله تعالى ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين وقوله عليه الصلاة والسلام ان الله لا يجمع أمتي على الضلالة وبالاجماع على ان الاجماع حجة بل أقوى الحجة وان كان سندهم من الكتاب والسنة (ولهذا) أي ولقولنا بتكفير الخوارج بما ذكر كذا ذكره الدلجي وكان الاولى للمصنف رحمه الله تعالى ان يقول وكذا (نكفر من دان) أي تدين (بغير ملة المسلمين من الملل) أي الخارجة عن ملتهم (أو وافق فيهم) أي ولو في بعض الاحكام أي مع بقائه على ملة الاسلام وفي أصل الدلجي أو وقف فيهم أي توقف في تكفير من ذكر (أو شك) أي تردد (أو صحح مذهبهم) بدليل عقلي أو نقلي

الا كافة للناس أي ارسالة عامة محيطة بهم تكف عن ان يخرج منها أحد وقال الزجاج معناه جامعا للناس في الانذار والابلاغ فجعله حالا من الكاف وتاؤه للمبالغة كعلامة لا حالا من المجرور ولامتناع تقدمه عليه وفيه تفصيل في العربية وخص الناس لانهم محل النزاع وقيل ان الناس يطلق على جميع من ذكر كما ذهب اليه بعضهم في الكلام عليه المعوذتين وارتضاه السبكي (وأجمعت الامة) أي أمته صلى الله تعالى عليه وسلم (على ان هذا الكلام) المذكور من الآية والحديث وانه أرسل لجميع الناس (على ظاهره) من نفي النبوة بعده وعموم الرسالة (وان مفهومه) أي مدلوله الذي فهم منه (المراد منه) صفة مفهومه (دون تاويل) أي لم يؤول بما يصرفه عن ظاهره (ولا تخصيص) لبعض افراده (فلا شك) عند من يعتد به من الامة (في كفر هؤلاء الطوائف كلها) الذاهبين لما يخالف اجماع المسلمين (قطعا) أي جزما من غير تردد فيه (اجماعا) أي بالاجماع (وسمعا) من الله ورسوله وكتابه وسنته فلا عبرة بمن خالفه من الفرق الضالة ولا بمن نازع في حجية الاجماع كما سياتي (وكذلك وقع الاجماع) من علماء الدين (على تكفير كل من دافع نص الكتاب) أي منع ونازع فيما جاء صريحا في القرآن كبعض الباطنية الذين يدعون لها معاني أخر غير ظاهرها وكبعض جهلة الصوفية واما ما يروى عن بعض كبار المشايخ فليس تفسيرا له وانما هو اشارة لبعض نكت يلوح له الا انه امعناه وضعا كما قاله العز بن عبد السلام (أو خص حديثا) عاما منطوقه (مجمعا على نقله) عن ثقات الرواة (مقطوعا به) في دلالته على صريحه (مجمعا) من العلماء والفقهاء (على حمله على ظاهره) من غير تاويل ولا تخصيص ولا نسخ فانه تلاعب مؤد للفساد (كتكفير الخوارج) تقدم بيانهم (بابطال الرجم) للزاني والزانية المحصنين فانه مجمع عليه صار معلوما من الدين بالضرورة (ولهذا) أي للقول بكفر من خالف ظاهر النصوص والمجمع عليه (نكفر من لم يكفر من دان بغير ملة الاسلام) أي اتخذه دينا (من) أهل (الملل) جمع ملة وهي الدين وبينهما فرق بحسب المفهوم (أو وقف فيهم) أي توقف وتردد في تكفيرهم (أو شك) في كفرهم (أو صحح مذهبهم) أي اعتقد صحته كما تقدم عن بعضهم ان الايمان انما هو عدم جحد وحدانية الله وقد تقدم بيانه وابطاله والفرق بين التوقف والشك ان التوقف ان لا يميل الى شئ من الطرفين والشك

(وان أظهر مع ذلك) التوقف أو الشك أو التصحيح (الاسلام) أى الايمان وانقياد ما فيه من الاحكام (واعتقد) أى الاسلام (واعتقد ابطال كل مذهب سواه) أى فى باطنه وفيه ان توقفه أو شكه ينافيه (فهو كافر باظهاره ما أظهر من خلاف ذلك) ففى الفتاوى الصغرى من شبه نفسه باليهود أو النصارى على طريق المزح والهزل كفر (وكذلك نقطع بتكفير كل قائل) وروى كل من (قال قولا يتوصل به الى تضليل الامة) المرحومة (وتكفير جميع الصحابة) وهذا للاجماع ولقوله تعالى رضى الله عنهم ورضوا عنه وكذلك تكفير بعض الصحابة عند أهل السنة والجماعة بخلاف الخوارج والروافض (كقول الكميلية من الروافض) قيل والصواب كما قال الامام الرازى من غلاة الروافض الكامليه اتباع أبى كامل وقيل ولعل الكميل تصغير الكامل ايماء الى تحقير شانه واتباعه القائلين (بتكفير جميع الصحابة بعد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اذلم تقدم) أى الصحابة (عليا) للخلافة بل قدمت أبا بكر كما قدمه عليه الصلاة والسلام للامامة (وكفرت عليا اذلم يتقدم ويطلب) أى ولم يطلب (حقه) من الخلافة (فى التقديم) الموجب لزيادة التكريم (فهؤلاء) الكميلية (قد كفروا من وجوه لانهم أبطلوا الشريعة) أى أمرها (باسرها) أى جميعها (اذ قد انقطع نقلها ونقل القرآن معها) أى عندهم (اذ ناقلوه كفرة على زعمهم والى هذا) الوجه (والله أعلم) جملة معترضة للاحتياط (أشار مالك فى أحد قوليه يقتل من كفر الصحابة) أى جميعهم أو بعضهم فليس كما قال الدلجى بناء على كفر من قال لمسلم يا كافر وفيه ان هذا شتم ليس بكفر الا ان اعتقد كفره حقيقة وهذا معنى قوله عليه الصلاة والسلام من قال لاخيه يا كافر فقد باء به أحدهما أى ان كان كما قال والا رجع عليه ما قال (وقوله الآخر لا يقتل) لانه كبيرة لم يخرج عن أصل الايمان أقول والاظهر ان هذين القولين له فيمن كفر بعض الصحابة واما من كفر جميعهم فلا ينبغى ان يشك فى كفره لمخالفة نص القرآن من قوله سبحانه وتعالى والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار وقوله لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة وبيانه ان هذه الآيات نص قطعى فلا يبطله قول عموه لا أصل له من جهة النقل ولا من طريق العقل على ان أمر الخلافة ليس من أركان الايمان ثم هو لا يتعلق الا ببعض من أهل الحل والعقد فلا وجه أصلا لتكفير الكل قطعا

الميل مع الترجيح للمخالف (وان أظهر الاسلام) باعتقاده والتزام أحكامه (واعتقده) بقلبه (واعتقد ابطال كل مذهب سواه) أى غير الاسلام بان يقول انه منسوخ باطل فى الواقع غير مقبول عند الله ولكن يزعم ان من أقر بالالوهية والتوحيد غير كافر كما تقدم من مذهب الجاحظ وقيل قول المصنف وان أظهر الخ لابد له من تاويل لتضمنه الاقلاع عن الصحيح ظاهرا او باطنا فما معنى الحكم عليه بالكفر مع اظهاره الصحيح ويكون مع ذلك اظهاره الاسلام واعتقاده ابطال ما سواه رجوعا والا يلزم ان لا يكون مقبول الاسلام بعد الكفر وهو قول من لم يصل الى العنقود (فهو) أى من لم يكفر وما بعده (كافر باظهار ما أظهر من خلاف ذلك) أى ما يخالف الاسلام لانه طعن فى الدين وتكذيب لما ورد عنه من خلافه (وكذلك) أى كتكفير هؤلاء (يقطع) ويجزم (بتكفير كل من قال قولا) صدر عنه (يتوصل به الى تضليل الامة) أى كونهم فى ضلال عن الدين والصراط المستقيم (و) يؤدى الى (تكفير جميع الصحابة كقول) الطائفة (الكميلية) سياتى بيانهم وانهم قوم (من) غلاة (الرافضة بتكفير جميع الامة بعد موت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) لانهم قالوا بالتناسخ والحلول وان النبوة نور ينتقل من رجل لآخر وانه حق على كرم الله وجهه وان الصحابة كفروا لما بايعوا أبا بكر وعلى كفر لما ترك حقه ولم يقاتل والنبى كذلك لما نص على امامة على وقد كفر بعده ومثله من الخرافات ولا شك فى كفرهم الا انه قيل الصواب ان يقول المصنف الكاملية لانهم نسبوا الى كامل رئيسهم المؤسس لكفرهم كما نص عليه الامام الرازى ووفق بينهما بانهم صغروا كاملا على كميل ونسب اليه على خلاف القياس تصغير تحقير فهو بضم أوله وقيل انه بفتحها نسبة لكميل بزنة قبيل بمعنى كامل وهو بعيد ثم بين مقالتهم وسبب كفرهم وتكفيرهم للصحابة بقوله (اذلم تقدم) بتاء فوقية أى الامة وفى نسخة اذلم يقدموا (عليا) أى يجعلوه خليفة (وكفرت) هذه الطائفة (عليا) أيضا (اذلم يتقدم) بنفسه على أبى بكر رضى الله عنهما (ويطلب حقه) من الامة (فى التقديم) على أبى بكر (فهؤلاء) الطائفة الكميلية (قد كفروا من وجوه لانهم) بما قالوه (أبطلوا الشريعة) أى شريعة الاسلام (باسرها) أى جميع أحكامها (اذ) لزم من قولهم بكفر الصحابة انه (قد انقطع نقلها) لانه لم ينقلها الا الصحابة رضى الله عنهم وهم عندهم بزعمهم كفرة والكافر لا يقبل نقله (ونقل القرآن) لانه لم ينقله الا الصحابة (اذ ناقلوه) وهم الصحابة (كفرة على زعمهم) الفاسد والزعم مثلث الزاى القول الباطل كما مر والكافر لا يقبل قوله (والى هذا) القول بتكفير هؤلاء وأمثالهم (والله أعلم) بما أراد (أشار) أى الامام (مالك فى أحد قوليه) المرويين عنه (بقتل من كفر الصحابة) أى كلهم أو واحدا منهم لان من كفر مسلما بغير حق فقد كفر فما بالك بالصحابة وهم رضى الله عنهم أساس الاسلام

وعماده

وعناده (ثم كفروا) أى هؤلاء أصحاب هذه المقالة الشنيعة (من وجه آخر) غير المتقدم بما لزم مقالتهم هذه (بسبهم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم على مقتضى قولهم وزعمهم أى ما يستلزمه قولهم هذا (انه عهد الى على رضى الله عنه) أى أوصى له بالخلافة بعده على زعمهم (وهو يعلم انه يكفر بعده) بترك طلب حقه والكافر لا يكون خليفة فيكون ما عهده كذب وهذا سب يكفر من قاله (على قولهم) بالعهد وكفره وهو مقالة متناقضة باطلة وكفر من وجوه (لعنة الله عليهم أجمعين) الى يوم الدين (وصلى الله تعالى وسلم على رسوله وعلى آله وصحبه) وشرفهم وكرمهم عما يقول الكافرون (وكذلك) أى كما كفرنا هؤلاء (نكفر) بنون الجماعة وبناء المفعول أو بالتحتية وبناء المجهول (بكل فعل) فعله شخص مسلم (أجمع المسلمون على انه) أى ذلك الفعل (لا يصدر الا من كافر) حقيقة لانه من جنس أفعالهم (وان كان صاحبه) أى من صدر منه مسلما (مصرحا بالاسلام) حقيقة أو حكما بشهادة ظاهر حاله (مع فعله ذلك الفعل) الذى هو من افعال الكفرة (كالسجود للصنم) وهو الوثن وهو ما يتخذ الها يعبد أو الصنم المجسم والوثن الصورة كما تقدم الكلام عليه (و) كالسجود (للشمس والقمر) باتخاذهما كالمعبود حقيقة (والصليب) وأصله الخشبة التى يصلب عليها ثم نقل الى ما يجعله النصارى لعنهم الله على صورة الخشبة والمصلوب بعود معترض على آخر لزعمهم انه هيئة ما صلب عليه عيسى عليه الصلاة والسلام فيعظمونه بالسجود له (و) كالسجود (للنار) التى يسجد لها المجوس سواء كان فى دار الحرب أم دار الاسلام بشرط ان تقوم قرينة على عدم استهزائه أو عذره وما فى الحلية عن القاضى عن النص ان المسلم لو سجد للصنم فى دار الحرب لم يحكم بردته ضعيف وواضح ان الكلام فى المختار واستشكل الفرق بين السجود للصنم وبين ما لو سجد الولد لوالده على جهة التعظيم حيث لا يكفر مع انه كما يقصد به التقرب الى الله قد يقصد بالسجود للصنم ولا يمكن ان يقال ان الله تعالى شرع ذلك للعلماء والآباء دون الاصنام وأجيب بان الوالد وردت الشريعة بتعظيمه بل ورد شرع غيرنا بالسجود له فهذا الجنس ثبت له السجود ولو فى زمن من الازمان وشريعة من الشرائع فكان شبهة دارئة الكفر فاعله بخلاف السجود لنحو الصنم أو الشمس فانه لم يرد هو ولا ما يشابهه فى التعظيم فى شريعة من الشرائع فلم يكن لفاعل ذلك شبهة لا ضعيفة ولا قوية فكان كافرا ولا نظر لقصد التقرب فيما لم ترد الشريعة بتعظيمه بخلاف من وردت بتعظيمه وما تقرر من ان العلماء كالوالد فى ذلك هو ما دل عليه كلام النووى فى الروضة آخر سجود التلاوة وعبارته وسواء فى هذا الخلاف وفى تحريم السجود ما يفعل بعد صلاة وغيرها وليس من هذا ما يفعله كثير من الجهلة من السجود بين يدى المشايخ فان ذلك حرام قطعا بكل حال سواء كان للقبلة أو لغيرها وسواء قصد السجود لله أو غفل وفى بعض صوره ما يقتضى الكفر عافانا الله من ذلك انتهى فافهم انه قد يكون كفرا بان قصد به عبادة مخلوق أو التقرب اليه وقد يكون حراما بان قصد به تعظيمه أو أطلق وكذا يقال فى الوالد لا يقال ما ذكر فى الولد لا يأتى فى العلماء لانه لم ينقل صورة السجود لهم لانا نقول بل يأتى فيهم لان تعظيمهم وردبه الشرع على انه ثبت لجنسهم السجود فى قوله تعالى واذ قلنا للملائكة أسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس وآدم عليه الصلاة والسلام كان بالنسبة للملائكة هو العالم الاكبر فثبت لجنس العلماء السجود فكان شبهة (وكالسعى) أى الذهاب (الى الكنائس) جمع كنيسة (والبيع) بكسر الباء الموحدة وفتح المثناة التحتية قبل عين مهملة جمع بيعة بكسر فسكون (مع أهلها) متعلق بالسعى أى يمشى معهم لمعابدهم وهو يقتضى موافقتهم فى كفرهم وهو كالتصريح بالكفر فهو كفر وقيده بقوله مع أهلها لان المراد به انه يذهب معهم فى وقت ذهابهم للعبادة فيها كما يسعى المسلمون للصلاة فى المساجد اذا نودى للصلاة على هيئة تدل على موافقته لهم والا فمجرد الذهاب للكنيسة والدخول

(ثم كفروا) أى الكميلية (من وجه) وفى نسخة من وجه آخر (بسبهم النبى) أى لطعنهم فيه (صلى الله تعالى عليه وسلم على مقتضى قولهم وزعمهم انه عهد الى على) بالخلافة بعده (وهو) أى النبى عليه الصلاة والسلام (يعلم انه) أى عليا (يكفر بعده) أى بعد النبى عليه الصلاة والسلام (على قولهم) أى بزعمهم والجملة حالية (لعنة الله عليهم وصلى الله على رسوله وآله) الشامل لاصحابه وأحبابه (وكذلك نكفر بكل فعل أجمع المسلمون على انه لا يصدر الا من كافر وان كان صاحبه مصرحا بالاسلام مع فعله ذلك الفعل) الذى لا يصدر الا عن كافر (كالسجود للصنم أو للشمس والقمر والصليب) الذى للنصارى (والنار) بخلاف السجود للسلطان ونحوه بدون قصد العبادة بل بارادة التعظيم فى التحية فانه حرام لا كفر وقيل كفر (والسعى الى الكنائس) جمع الكنيسة معبد اليهود (والبيع) بكسرة ففتح جمع بيعة معبد النصارى (مع أهلها) احترازمن سعيه اليهما منفردا عنهم لقصد التفرج دون العبادة

(والتزيي بزيهم) أي بكسوتهم وهيئتهم بخلاف من سعى اليهما معهم لكن بخلاف صورتهم وانما كفر وابزيهم لان الظاهر عنوان الباطن ولا يتجانس الا مجنون (من شد الزنانير) جمع زنار بكسر أوله ما يشد به النصارى أوساطهم (وفحص الرؤس) بفتح الفاء وسكون الحاء وبالصاد المهملتين قال الجوهري وفي الحديث فحصوا عن رؤسهم كانهم حلقوا وسطها

لها اليس بكفر وانما هو مكروه ان كان لغير غرض صحيح وقيل لا يجوز اذا كان ثمة صور ونحوه مما لا يقر ون على اظهاره والكنيسة والبيعة يقالان لمعبد اليهود والنصارى وقيل الاول لليهود والثاني للنصارى وقيل الاول عام والثاني مخصوص بالنصارى وهو المشهور وهما معربان وقيل الثاني عربي قال الراغب فان كان عربيا في الاصل فهو كقوله ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم أي كانهم يبيعون أنفسهم لمعبودهم (والتزيي بزيهم) وفي نسخة والزي بزيهم وهو بكسر الزاي المعجمة وياء مثناة تحتية مشددة أي التحلي بحليتهم والتلبس بها وهو من زوى بمعنى جمع في الاصل وفي الاساس انه يأتي والزي الهيئة الظاهرة بلباس ونحوه وفي نسخة بهيئتهم وبينه بقوله (من شد) أي ربط (الزنانير) جمع زنار أو زنارة بضم أوله وهو حزام للنصارى يشدونه في أوساطهم وقيل انه بكسر أوله والمعروف الاول وهو كالغيار كما ذكره الفقهاء وهو أمر يختص بهم ويشترط عليهم ليتميزوا به عن المسلمين وقد كان ذلك معروفا في الصدر الاول فحيث لبس زي الكفار سواء دخل دار الحرب أولا بنية الرضا بدينهم أو الميل اليه أو تهاونا بالاسلام كفر والا فلا واعترض ما ذكر في مسئلة زي الكفار بما نقل من الشافعي رضي الله عنه انه لو سجد لصنم في دار الحرب لم يحكم بردته وان لبس زي الكفار في دار الاسلام حكم بردته وأجيب بحمل هذا الاطلاق على التفصيل المذكور واختلفوا فيمن وضع قلنسوة المجوس على رأسه والصحيح انه يكفر ولو شد على وسطه حبلا فسال عنه فقال هذا زنار مثلا فالاكثرون على انه يكفر ولو شد على وسطه زنارا ودخل دار الحرب للتجارة كفر وان دخل لتخليص الاسرى لم يكفر قال الاذرعي واعلم ان أكثر العامة يسمون ما يشد به الانسان وسطه من حبل ونحوه زنارا ولا يتخيل في اطلاق هذا منهم كفر انتهى (وفحص رؤسهم) بفتح الفاء وحاء مهملة ساكنة قبل صاد مهملة من فحص الارض اذا كشفها أي حلق أوساطها وتركها كمفاحص القطا هيئتها وهو من شعارهم المعروفة في ذلك الزمان وفي الخبر ستلقون أقواما في رؤسهم مفاحص فالقوها بالسيوف أي طير وها وهو عبارة عن ذلك وفيه مبالغة وبلاغة عظيمة وتلميح لقول العرب فرخ الشيطان وعشش في قلبه وهو زي عبادهم فالتشبيه بهم قصدا كفر وهي رهبانية ابتدعوها كما حكاه الله عنهم (فقد أجمع المسلمون) قاطبة (على ان هذا الفعل) وهو التلبس بهيئة مخصوصة بالكفرة (لا يوجد) ويصدر فعله (الامن كافر) حقيقة أو حكما (وان هذه الافعال علامة على الكفر) المضمر في قلوبهم (وان صرح فاعلها بالاسلام) لانه تلاعب بالدين لكنه ان كان مخلصا بقلبه نفعه ذلك فيما بينه وبين الله فمن صدق ما جاء به النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ومع ذلك سجد للشمس كان غير مؤمن بالاجماع لان سجوده لها يدل بظاهره على انه ليس بمصدق ونحن نحكم بالظاهر فلذلك حكمنا بعدم ايمانه لان عدم السجود لغير الله داخل في حقيقة الايمان حتى لو علم انه لم يسجد لها على سبيل التعظيم واعتقاد الالوهية بل سجد لها وقلبه مطمئن بالتصديق لم يحكم بكفره فيما بينه وبين الله وان أجرى عليه حكم الكافر في الظاهر (وكذلك) أي كما حكم بكفر هؤلاء (قد أجمع المسلمون على تكفير كل من استحل القتل) أي قال انه حلال له أو لغيره لمسلم ظلما (أو) استحل (شرب الخمر أو الزنا) بزاي معجمة ونون ونحوه (مما حرم الله) ولا بد ان يكون استحلاله له (بعد علمه

وتركوها مثل افاحيص القطا انتهى وفي المجمل لابن فارس نحوه وقال الهروي في غريبه في حديث أبي بكر انه قال لعامله انك ستجد أقواما يعني بالشام قد فحصوا رؤسهم فاضربوا بالسيف ما فحصوا عنه أي حلقوا مواضع منها كافحوص القطا وهم الشمامسة انتهى وفي حديث انه عليه الصلاة والسلام قال لامراء جيش مؤتة ستجدون آخرين للشيطان في رؤسهم مفاحص فافلقوها بالسيوف والمعنى ان الشيطان استوطن في رؤسهم كما استوطن القطا مفاحصها ومنه الحديث من بنى لله مسجدا ولو كمفحص قطاة بنى الله له بيتا في الجنة (فقد أجمع المسلمون ان هذا) الذي ذكر من الافعال (لا يوجد الا من كافر وان هذه الافعال علامة على الكفر وان صرح فاعلها) وروى صاحبها (بالاسلام) ولعل فحص الرأس كان شعار الكفرة قبل ذلك واما الآن فقد كثر في المسلمين فلا يعد كفرا (وكذلك أجمع المسلمون على كفر من استحل القتل لمسلم) أي ظلما (أو شرب الخمر) أي طوعا (أو الزنا) بالزاي والنون وفي معناه الربا والرياء أو اشياء أخر (مما حرم الله بعد

علمه بتحريمه) وفيه ايماء الى ان جهله عذر ولعل هذا بالنسبة الى حديث عهد بالاسلام أو البلوغ فان انكار ما علم من الدين بالضرورة كفر اجماعا (كأصحاب الاباحة من القرامطة) يحتمل أن تكون من بيانية أو تبعيضية (وبعض غلاة المتصوفة) الزاعمين انهم وصلوا الى الله فرفع عنهم التكاليف قال الدلجى وقد أدركت بعضا منهم يقول أسقط الله عنى التكاليف فاستباح فطر رمضان والخلوة بالاجنبيات من النساء ونحو ذلك من الفحشاء (وكذلك نقطع بتكفير كل كذب) أى باصل من أصول الدين (وأنكر قاعدة من قواعد الشرع) المبين مما بنى عليه كما بينه عليه الصلاة والسلام بنى الاسلام على خمس شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان والحج (وماعرف ٥١٣ يقينا بالنقل المتواتر من فعل الرسول

علمه بتحريمه) أى بان الله حرمه شرعا (كأصحاب الاباحة من القرامطة) الذين تقدم بيانهم من الاباحية الذين يعتقدون حل ما حرم الله (وبعض غلاة المتصوفة) الذين يزعمون ان الواصل الى الله يرفع عنه التكاليف ولم يؤاخذه بما يرتكبه من المحرمات ثم ماذكر فى استحلال الخمر استبعده امام الحرمين بانا لا نكفر من رد أصل الاجماع ثم أول ماذكروه بما اذا صدق المجمعين على ان التحريم ثابت فى الشرع ثم حلله فانه يكون ردا للشرع قال الرافعى وهذا ان صح فليجر مثله فى سائر ما حصل الاجماع على افتراضه أو تحريمه فنفاه وأجاب عنه أبو القاسم الزنجانى بان ملحظ التكفير ليس مخالفة الاجماع بل استباحة ما علم تحريمه من الدين ضرورة وسيأتى لهذا تتمة عند ذكر المصنف له (وكذلك يقطع) جزما بلا تردد (بتكفير كل من كذب) بآيات الله أو سنة رسوله المعلومة (أو أنكر قاعدة من قواعد الشريعة) وفى نسخة الشرع والمراد بالقواعد ما بنى عليه الاسلام كاقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان والحج فليس المراد بالقاعدة مصطلح أصحاب المعقول فلذا فسره بقوله (وماعرف يقينا بالنقل المتواتر) الذى يمتنع كذب قائله (من فعل الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم) أو كان مشهورا عنه كحل البيع مثلا قيل ان المصنف أطلق هذا وهو مقيد بان يكون مجمعا عليه معلوما من الدين بالضرورة لانه يصير كأنه جاحد مكذب للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ومعنى علمه بالضرورة استوى العامة والخاصة فى معرفته حتى يصير كالضرورى والمشهور فى حكمه على الصحيح عندهم فلو كان لا يعلمه كل أحد ككون بنت الابن سهمها كذا فيعذر منكره واحترز بقوله يقينا عن حكم الاجماع الظنى وقد يقال ان قوله (ووقع الاجماع) الخ مقيد له فلا حاجة لما ذكر وقوله (المتصل) أى الذى لم يتخلله عدم اجماع يقطعه وقوله (عليه) متعلق بالاجماع (كمن أنكر وجوب الصلاة الخمس) من حيث هى (أو) أنكر (عدد ركعاتها وسجداتها) فيكفر بانكار ما أجمعوا عليه يقينا (ويقول) فى وجه انكاره (انما أوجب الله علينا فى كتابه) القرآن (الصلاة على الجملة) أى اجمالا من غير بيان عدد وقوله ذلك حكاية لصورة الحال الماضية لاستغراقها (وكونها خمسا وعلى هذه الصفات والشروط لا أعلمه) وعلل قوله المذكور بقوله (اذلم يرد به فى القرآن نص جلى) أى مفصل فى غاية الظهور والاجلاء وانما ورد مجملا كقوله أقم الصلاة وغيرها من الآيات وأراد بالنص الجلى ضد الخفى وهو المتواتر ولما كان هذا مبينا بالسنة أشار لدفعه بقوله (والخبر به) أى الحديث الوارد (عن الرسول) أى رسول الله محمد (صلى الله تعالى عليه وسلم به) أى ببيان اجماله باظهره وجلائه (خبر واحد) لا متواتر فلا يفيد القطع واليقين وقد أجيب عنه انه

وقطع الاجماع المتصل) الذى لم يتخلله عدم اجماع (عليه) مما علم من الدين بالضرورة عند الخاص والعام (كمن أنكر وجوب الصلوات الخمس) أى جميعها أو احداهما (وعدد ركعاتها) المختصة بها (وسجداتها) المكررة فيها (ويقول) أى مدعيا (انما أوجب الله علينا فى كتابه الصلاة على الجملة) أى اجمالا من غير بيان نحو كونها خمسا وتعيين عدد ركعاتها وسجداتها (وكونها) أى ويقول كونها (خمسا أو على هذه الصفات) أى من الاركان المقررة (والشروط) المعتبرة من طهارة وسترعورة ودخول وقت واستقبال قبلة ونية (لا أعلمه)

(٦٥ شفا ع) يقينا (اذلم يرد فيه) فى كل منها (فى القرآن نص جلى) على وجوبها وان اشتملت على بعضها اجمالا كآية أقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل وقرآن الفجر وآية أقم الصلاة طرفى النهار وزلفا من الليل وقوله تعالى ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا أى فرضا موقتا وقوله وقوموا لله قانتين وقوله فاقرؤا ما تيسر منه وقوله يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا ونحو ذلك من الآيات المجملة التى وقع بيانها بالاحاديث الموصلة (والخبر) أى ويقول الحديث الوارد (به عن الرسول خبر واحد) لا يفيد القطع اذا لم يكن متواترا عنه قلنا نعم لكن يجب العمل به اجماعا لقوله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا أو لانه عليه الصلاة والسلام مبين لمجمل الكتاب بفصل الخطاب كما قال تعالى لتبين للناس ما نزل اليهم وأيضا قد أخبر به أصحابه وعمل به وتبعه اتباعهم وهلم جرا الينا فى بيان الشروط والاركان الثابتة لدينا ووقع الاجماع عليه فيكفر جاحده

متواتر معنى وقد أوجب علينا العمل به اجماعا لقوله وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وقوله فليحذر الذين يخالفون عن أمره الآية وفي الانوار أنه لو أنكر السنن الراتبة أو صلاة العيدين كفر قال ابن حجر والذي يتجه كفر من أنكر سنة راتبة مجمعا عليها معلومة من الدين بالضرورة كما يدل عليه قوله أو صلاة العيدين لكن انكار احداهما كذلك خلافا لما يوهمه قوله السنن الراتبة وقوله العيدين بل يكفي في الكفر انكار سنة واحدة بالشروط المذكورة (وكذلك أجمع) أي أجمع المسلمون (على كفر من قال من الخوارج ان الصلاة) الواجبة (طرفي النهار) فقط والمراد بطرفي النهار أوله وآخره فكانوا يجمعون الصلاة في وقتين من غير عذر وهذا لا يجوز عند أحد من فقهاء المذاهب الاربعة وفي صحيح مسلم وسنن أبي داود عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال جمع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بين الظهر والعصر وبين المغرب والعشاء بغير عذر ولا مطر بالمدينة في غير خوف وقال ابن عباس أراد ان لا يخرج أمته وحمله بعضهم على المرض وأخذه من نفي الحرج وعلى كل حال ففيه نظر قال بعضهم ومن قال الكفر خير مما يفعل ان أراد به ان في الكفر خيرا ولو بوجه ما كان كافرا والا فلا ومن قال أطيب الحلال ان لا أصلي الظاهر انه يكفر به لانه جعل ترك الصلاة من حيث هي من الحلال بل أطيبه وهذا كفر بلا نزاع لان فيه انكار وجوب الصلاة الشاملة للخمس وذلك كفر (و) أجمعوا أيضا (على تكفير الباطنية) وهم الاسمعيلية والقرامطة القائلون بان للنصوص باطنا غير ظاهرها الذي يفهمه الناس وهو معنى قوله (في قولهم ان الفرائض) كالصلاة وغيرها مما جاءت به النصوص القطعية (أسماء رجال أمروا بولايتهم) بكسر الواو وفتحها مصدر كالدلالة والدلالة أي نصرتهم واتباعهم فيقولون الصلاة الرسول والوضوء والاة الامام ونحوه من الخرافات التي فصلها النويري في تاريخه (و) فسروا (الخبائث والمحارم) جمع محرمة ومحرمة وهي الحرمة فالمراد بها المحرمات (أسماء رجال أمروا بالبراءة منهم) أي بالتبري منهم والبعد عنهم بعداوتهم ومخالفتهم (وقول بعض) الملاحدة من (المتصوفة) الذين يظهرون الزهد والصلاح (ان العبادة) كالصوم والصلاة (وطول المجاهدة) أي مخالفة النفس وملازمة الطاعة فانه الجهاد الاكبر (اذا صفت) بتشديد الفاء (نفوسهم) أي نفوس أصحابها أي خلصت من الكدورات الشهوانية (أفضت بهم) أي أوصلت نفوسهم وأصله الادخال في فضاء واسع (الى اسقاطها) أي اسقاط الفرائض والتكاليف عنهم (واباحة كل شيء) من المحرمات (لهم ورفع عهدة الشرائع عنهم) أي ما عهده الله من التكاليف وانما ذهب الى هذا بعض الزنادقة وقال انه روي اذا أحب الله عبدا لم يضره الذنب وهذا لم يقله أحد ولو صح فهو مؤول بان يحفظه عن ارتكاب الذنوب فمعنى لا يضره الذنب انه لا يفعل ذنبا حتى يضره كما ان معنى قول بعضهم رفع عنه التكاليف انه يلتذ بها حتى لا يعدها تكليفا أو انه يغلب عليه محبة الله حتى يخرج عن العقل فيصير مجنونا غير مكلف فهو من عقلاء المجانين كما يشاهد في بعض المجاذيب فان ادعى رفع التكليف عمن لم يخرج من دائرة العقل فهو كافر بالاتفاق (وكذلك) يحكم بكفره (ان أنكر مكة أو البيت) وهو الكعبة والبلدة المعروفة (أو المسجد الحرام) وهو مسجد مكة (أو) أنكر (صفة الحج) التي ذكرها الفقهاء من واجباته وأركانه ونحوها (أو قال الحج واجب في القرآن) بقوله تعالى ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ونحوه (واستقبال القبلة كذلك) أي واجب في القرآن بقوله فول وجهك شطر المسجد الحرام الآية (ولكن كونه) أي المذكور من الحج والاستقبال (على هذه الهيئة

(وكذلك أجمع) بصيغة المجهول وفي نسخة أجمع المسلمون (على تكفير من قال من الخوارج ان الصلاة طرفي النهار) أي بكرة وعشية فقط كما كان في صدر الاسلام ويسمون الاطرافية (وعلى تكفير الباطنية في قولهم ان الفرائض أسماء رجال أمروا بولايتهم) من الائمة (والخبائث والمحارم أسماء رجال أمروا بالبراءة منهم وقول بعض المتصوفة) أي وفي قولهم (ان العبادة) المورثة للمشاهدة (وطول المجاهدة) المفضي الى المراقبة (اذا صفت نفوسهم) عن الكدورات (أفضت بهم) أي أوصلتهم (الى اسقاطها) أي المكلفات (واباحة كل شيء لهم) من المحرمات (ورفع عهد الشرائع) بضم العين وفتح الهاء جمع عهدة وهي في نسخة بدل جمعها (وكذلك ان أنكر منكر مكة) أي وجودها (أو البيت أو المسجد الحرام) لان انكارها انكار المنصوص عليها في الكتاب والسنة واجماع الامة (أو صفة الحج أو قال الحج واجب في القرآن) لقوله تعالى ولله على الناس حج البيت (واستقبال القبلة كذلك) واجب في القرآن لقوله تعالى فول وجهك شطر المسجد الحرام (ولكن كونه) أي كل من الحج والاستقبال (على هذه الهيئة المتعارفة)

المتعارفة) عند الناس (وان تلك البقعة) أى المامور بالحج اليها (هى مكة والبيت والمسجد الحرام) الوارد بها ان أول بيت وضع للناس للذى بمكة والمسجد الحرام الذى جعلناه للناس (لا أدرى هل هى) أى مكة والبيت والمسجد الحرام (تلك) الامكنة المتعارفة (أم غيرها ولعل الناقلين ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فسرها بهذه التفاسير غلطوا) بكسر اللام أى اخطئوا (و وهموا) بكسر الهاء أى توهموا انها هى تلك الامكنة (فهذا) المنكر لما ذكر (ومثله) فى غيره (لا مرية) بكسر الميم وتضم اى لاشك ولاشبهة (فى تكفيره ان كان ممن يظن به علم ذلك) الذى ذكر من أسماء الامكنة ومع ذلك ينكرها أو يتردد فيها عنادا (وممن خالط المسلمين) أى ليس من أهل البادية لقوله تعالى الاعراب أشد كفرا ونفاقا وأجدر ان لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله (وامتدت صحبته لهم) واشتدت مخالطته بهم لان الغالب انهم ذكروها له (الا ان يكون حديث عهد بالاسلام فيقال له سبيلك) الذى يوردك معرفتها (ان تسال عن هذا الذى لم تعلمه بعد) أى بعد اسلامك الى الآن (كافة المسلمين) بالنصب على انه معمول تسال (فلا تجد فيهم) أى فيما بينهم (خلافا) أصلا (كافة عن كافة) أى حال كونهم جماعة راوية عن جماعة من كل طائفة فى كل قرن وأمة (الى معاصر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان هذه الامور) المذكورة هى هى (كما قيل لك ان تلك البقعة) المشهورة (هى مكة) المعمورة (والبيت الذى) هو (فيها هو) وفى نسخة هى (الكعبة) المسماة بها لعلوها حسا ومعنى كما قيل

ان الذى سمك السماء بنى لنا * بيتا دعائمه أعز وأطول

والمعنى ان بيت العز والشرف هو الكعبة (والقبلة التى صلى اليها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والمسلمون) من أهل مكة وغيرهم (وحجوا اليها) من كل فج عميق (وطافوا بها) وهى البيت العتيق (وان تلك الافعال) المتعلقة بالحج من الاحرام والطواف والسعى والوقوف والحلق والرمى (هى صفات عبادة الحج والمراد به) فى قوله تعالى ولله على الناس حج البيت وقوله عليه الصلاة والسلام حجوا بيت ربكم (وهى) أى الصفات المذكورة والافعال المسطورة هى (التى فعلها النبى صلى الله تعالى عليه وسلم والمسلمون) معه فى

المتعارفة) شرعا عند سائر الناس (وان تلك البقعة) المعروفة (هى مكة والبيت والمسجد الحرام لا أدرى) واعلم (هل هى تلك أو) بقعة وأرض (غيرها و) قال أيضا (لعل الناقلين ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فسرها) و بينها الناس (بهذه التفاسير) المعلومة (غلطوا) فى نقلها (و وهموا) اى وقع فى أوهامهم ماليس كذلك (فهذا) القائل ماذكر (ومثله) ممن يشكك فى معانى النصوص المتواترة (لا مرية) بكسر الميم وقد تضم أى لاشك (فى تكفيره) أى الحكم بكفره لانكاره ما علم من الدين بالضرورة وابطاله الشرع وتكذيبه لله ورسوله (ان كان ممن يظن به علم ذلك) وذكر الظن لان العلم يعلم بالطريق الاولى (و) كان (ممن يخالط المسلمين) فى دار الاسلام (وامتدت صحبته لهم) أى للمسلمين بين أظهرهم فى ديارهم (الا ان يكون) ذلك القائل (حديث عهد) أى قريب جديد تلبسه (باسلام) بان أسلم بعد كفره فى غير دار الاسلام فهو معذور لجهله بما ذكر كمن نشأ فى بادية أو جزيرة ولم يسمع أحكام الاسلام (فيقال) تعليما (له) ارشادك و (سبيلك) أى طريقك الذى يجب عليك سلوكه (ان تسال) من الناس (عن هذا الذى لم تعلمه) مما ذكر كله (بعد) ظرف مبنى على الضم أى بعدما كنت الى الآن (كافة المسلمين) مفعول تسال أى جميعهم (فلا تجد بينهم خلافا) أى لا تجد منهم من يخالف فى تحقيق ما ذكر لعلمه له بمشاهدة أو تواتر (كافة عن كافة) أى يعرفه جميع أهل عصر بلغوه عن جميع أهل عصر قبلهم بحيث لا يخفى ذلك على أحد منهم وفى دخول الجار كافة على مع قول النحاة انها تلزم النصب على الحالية تفصيل بيناه فى شرح الدرة وعن بمعنى بعد كما يقال كابرا عن كابر أى جميع القرون قرنا بعد قرن حتى ينتهى (الى معاصر الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم) أى من كان فى عصره وزمنه (ان هذه الامور) التى سالتهم عنها (كما قيل لك) أى على هذه الهيئة التى ذكروها لك وعلموها لك (و) هو (ان تلك البقعة) المعينة بسماتها (هى مكة) بلد الله الامين (والبيت الذى هو) مبنى (فيها هو الكعبة) سميت بها لعلوها وارتفاعها أو لكونها مكعبة أى مربعة (والقبلة) التى يستقبلها الناس بوجوههم

كأنما هو مغناطيس أنفسنا * فحيثما كان دارت نحوه الصور

(التى صلى اليها النبى صلى الله تعالى عليه وسلم و) صلى اليها (المسلمون) كلهم بعدما حولت القبلة عن بيت المقدس من سائر نواحى الارض (وحجوا اليها) أى قصدوها من كل فج عميق (وطافوا بها) تعبدا كما أمرهم الله (وان الافعال) التى تفعلها الحجاج من الاحرام والطواف والسعى والحلق ورمى الجمار وغيره (هى صفات عبادة الحج) المامور بها (و) انما هى أيضا (المراد به) فى النصوص المنقولة لنا (وهى) أى تلك الافعال المذكورة (التى فعلها النبى صلى الله تعالى عليه وسلم و) فعلها (المسلمون)

زمانه وروى انهم مائة وعشرون ألفا وكذا فيما بعده · اقفرنا وهلم جرا الينا (وان صفات الصلوات) الخمس (المذكورة) فى الاحاديث الصحيحة المشهورة من التحريمة والقيام والقراءة والركوع والسجود والقعدة (هى التى فعلها النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وشرح) أى فسر وبين (مراد الله بذلك) الاجمال (وابان حدودها) أى وأظهر أوقاتها وشرائطها وأركانها (فيقع لك العلم) آخرا (كما وقع لهم) أولا فان العلم بالتعلم وقد قال تعالى فاسئلوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون وقال عليه الصلاة والسلام طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة وقد ورد انما شفاء العى السؤال (ولا ترتاب بذلك) أى لا يقع لك فيها شك ولا تردد (بعد) بالبناء على الضم أى بعدما علمته بسؤالك منهم وهذا حال من يعذر بجهله (والمرتاب فى ذلك) أى الشاك فيما ذكر (والمنكر بعد البحث) ظرف لهما أى بعد الفحص عنها وحضور المعرفة بها (وصحبة المسلمين) أى وبعد مخالطتهم الدالين عليه والهادين اليه (كافر باتفاق) للائمة والامة (لا يعذر بقوله لا أدرى ولا يصدق فيه) أى قوله المنسوب الى جهله (بل ظاهره التستر عن التكذيب) على وجه التصريح اكتفاء بالتلويح فان كل اناء يترشح بما فيه (اذ لا يمكن انه لا يدرى) بعد البحث والسؤال من المؤمنين أو مخالطة المسلمين وهو عاقل ليس من المجانين (وأيضا) يلزم منه فساد آخر (فانه اذا جوز) هذا المنكر (على جميع الامة الوهم) أى السهو (والغلط) أى الخطأ ولو بلغوا فى الكثرة حد التواتر الذى يحيل العقل تواطئهم على الكذب (فيما نقلوه من الانهار ذلك) الذى تقدم (وأجمعوا انه قول الرسول) عليه الصلاة والسلام (وفعله تفسير مراد الله به أدخل الاسترابة) أى الشك والشبهة (فى جميع الشريعة) قولا وفعلا ولا يخفى فساد هذه الذريعة (اذهم الناقلون لها) أى للشريعة المستفادة من السنة (وللقرآن) الينا بالطرق المواترة (وانحلت عرى الدين) أى انفتحت عقده وعهده (كرة) أى دفعة واحدة ولم يبق منها عروة وثيقة ولا عرى كامة (ومن قال هذا) القول وأمثاله (كافر) فى حاله ومآله بسوء مقاله (وكذلك من أنكر القرآن) أى جميعه (أو حرفا منه) أى مما تواتر فيه (أو غير شيئا منه) بان نقص منه شيئا (أو زاد فيه) من تلقاء نفسه من غير قراءة متواترة أو رواية شاذة

بعده قرنا بعد قرن (وان صفات الصلاة المذكورة) المشهورة المنصوص عليها فى القرآن (هى التى فعل) ها (النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وشرح مراد الله بذلك) أى بين المراد منها بفعله ليقتدى به (وأبان حدودها) أى عرفنا حقيقتها وأوقاتها الموقتة لادائها (فيقع لك) بسؤالك عما لم تعلمه (العلم) عما ذكر وصفته (كما وقع لهم) العلم بذلك (ولا ترتاب بذلك) أى لا يقع لك فيها شك وتردد (بعد) بالبناء على الضم أى بعدما علمته بسؤالك منهم وهذا حال من يعذر بجهله (والمرتاب فى ذلك) المعلوم من الدين بالضرورة (والمنكر) لذلك (بعد البحث) عنه ومعرفته بالسؤال عنه (وصحبة المسلمين كافر با) لا (تفاق ولا يعذر بقوله لا أدرى) المراد بذلك (ولا يصدق فيه) أى فى قوله لا أدرى (بل ظاهره التستر) باظهار جهله (عن التكذيب) لله ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم فيما نقل عنه (اذ لا يمكن انه لا يدرى) ذلك مع تواتره وثبوت صفاته وقد قيل عليه ان ظاهره متناقض لانه قال أولا ان القائل ماذكر كافر الا أن يكون قريب عهد باسلام وقال هنا انه لا يعذر وليس بشئ لانه لا يكفر اذا كان حديث عهد قبل تعلمه وهنا انه يكفر بعد التعليم كما يكفر غيره (وأيضا فانه) أى المنكر (اذا جوز على جميع الامة الوهم والغلط فيما نقلوه) عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (من ذلك) المذكور من أمور الحج والصلاة (وأجمعوا) على (انه قول الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم) المروى عنه برواية صحيحة (وفعله) الذى فعله ليقتدى به (وتفسيره) صلى الله تعالى عليه وسلم لما جاءه عن الله أى وأجمعوا أيضا على ان فعله هذا تفسير وبيان (مراد الله تعالى به) أى بما دل عليه ما أجمعوا على انه قول الرسول الذى بلغه عن ربه من الصلاة والحج فبين بفعله صفة ادائه ووجوبه وغير ذلك مما مر فقوله هذا مع علمه أو بعد تعلمه (أدخل الاسترابة) استفعال من الريبة وهى الشك وهو جواب اذا أى أوقعها (فى جميع) أحكام (الشريعة) لانها انما تعلم بنقل الامة فاذا طعن فيهم فى بعضها سرى ذلك لجميعها (اذهم الناقلون لها وللقرآن) بروايتها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (و) اذا وقعت ريبة فى نقلهم (انحلت عرى الدين) جمع عروة وهو ما يتمسك به من الحبل وقد استعير الحبل للدين والقرآن فانه يتوصل به الى الله فعروته الادلة التى فيه فانحلالها سقوط الاستدلال بها فهو استعارة أخرى تصريحية أو تخييلية والعروة فى الاصل ما له أصل ثابت من الكلأ والدواب ترعاه اذا لم تجد غيره فاستعمل لكل ما يعتصم به وقوله (كرة) هى فى الاصل مصدر من الكر وهو العطف على الشئ بالذات أو بالفعل ويقال للحبل المفتول كر كما قاله الراغب أى دفعة واحدة وجملة (ومن) موصول مبتدأ صلته (قال هذا) أى انكار ما أجمعوا عليه (كافر) بانكاره المجمع عليه (وكذلك) أى كما كفرنا هذا نكفر (من أنكر القرآن) كله (أو) أنكر (حرفا منه) أو كلمة (أو غير شيئا منه) بابدال أو زيادة أو نقص فيه (أو زاد فيه) كلاما ليس منه والمراد ان ما زاد أو نقص ولم يكن برواية صحيحة ونقل معتمد فلا تدخل القراآت كقراءة تجرى تحتها

(كفعل الباطنية) و يروى كقول الباطنية (والاسماعيلية) أى من التغيير أو الزيادة وهذا غير معروف عنهم اللهم ان كان المراد بالتغيير تغيير المعنى دون المبنى كما قال تعالى فى ذم أهل الكتاب يحرفون الكلم عن مواضعه أى يؤولونها على ما يشتهونها او يميلون اليها عما أراد الله سبحانه وتعالى بها (أو زعم انه) أى القرآن (ليس بحجة للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم) خاصة (أو ليس فيه حجة) لاحد (ولا) أى هو فى نفسه (معجزة) أى لا مبنى ولا معنى (كقول هشام الفوطى) بضم الفاء أو الباء وسكون الواو أو فتحها والطاء مهملة (ومعمر) بسكون عين مهملة بين ميمين مفتوحتين (الصيمرى) بفتح الصاد المهملة أو المعجمة وسكون التحتية وفتح الميم فراء بعدها ياء نسبة الى بلدة أو قبيلة قال الدلجى أنهما من المعتزلة أى فى الصورة ومن الكفرة فى السيرة (انه) أى القرآن (لا يدل على الله) أى على طريق رضاه (ولا حجة فيه لرسوله) أى على صحة مقوله (ولا يدل على ثواب ولا عقاب ولا حكم) من حلال وحرام وآداب وهذا كله مكابرة أو عناد وفتح باب فساد والحاد (ولا محالة) بفتح الميم وتضم أى لا شك وفى نسخة ولا مخالفة (فى كفرهما بذلك القول) وفى نسخة بهذا (وكذلك تكفيرهما) وفى نسخة نكفرهما (بانكارهما ان يكون فى سائر معجزات النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) أى باقيها باسرها (حجة له) قاطعة وبينة ساطعة (وفى خلق السموات والارض دليل على الله) أى وجوده سبحانه وتعالى مع انه قال تعالى لآيات لأولى الالباب

الانهار مع قراءة من تحتها وكالبسملة فى الفاتحة عند الشافعى وغيره ولظهوره لم يقيد المصنف رحمه الله تعالى كلامه هنا فلا معنى للاعتراض به فان سياقه صريح فيه لمن عنده أدنى بصيرة (كفعل الباطنية والاسمعيلية) هم فرقة واحدة سموا تارة باطنية لزعمهم ان للنصوص ظاهرا هو تكليف ومشقة و باطن بخلافه فهو رحمة والاول قشر لانام والثانى لب لخواص الانام وفسروا به قوله تعالى فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب وسموا اسمعيلية لانتسابهم لاسمعيل بن جعفر بن محمد الباقر وقالوا هو الامام المعصوم المنصوص على امامته بعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولهم خرافات و مجازفات قصدهم بها ابطال الشريعة لالحادهم لا حاجة لنا بها فان بطلانها غير محتاج لدليل ومنهم القرامطة كما مر (أو زعم انه) أى القرآن (ليس بحجة) أى لا يحتج به لما فيه من الاحكام لان ظاهره غير مراد منه فلا حجة فيه (للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم أو) زعم انه (ليس فيه حجة) لاثبات حكم أو نفيه (ولا) هو أيضا (معجزة) دالة على نبوته صلى الله تعالى عليه وسلم لانه ينكر اعجاز القرآن و يزعم ان البشر لهم قدرة على مثله واليه ذهب بعض غلاة الرافضة كالمرداريه وهو مكابرة تكفل الحس بابطالها وقال ابن حجر بعد كلام المصنف رحمه الله تعالى يحتمل ان يريد به ما يشمل ما ليس بمعجز بذاته فمن قال ليس بمعجز بذاته وانما هو لكون الله صرف القوى عن معارضته كفر والتصريح بكفره مشى عليه الحنابلة وكلام المصنف رحمه الله تعالى هذا الذى أقره عليه النووى قد يؤيده والذى يظهر لى عدم كفره لان هذا لا يترتب عليه طعن فى الدين ولا تكذيب لضرورى من ضرورياته بخلاف منكر الاعجاز من أصله ثم رأيت بعض المتكلمين على الشفاء حكى ذلك قولا فى مغنى الاعجاز وحينئذ فتكفير قائل ذلك بعيد وجزم ابن عقيل بان من امتهن القرآن أو غمصه أو طلب أن يناقضه أو ادعى انه مختلف فيه أو مختلق أو مقدور على مثله لكن الله منع قدرتهم كفر بل هو معجز بنفسه والعجز شمل الخلق انتهى (كقول هشام الفوطى) قال فى التبصرة هشام ابن عمرو الفوطى من القدرية وزاد فى مذهبهم أمورا باطلة وقال لجهله انه لا يسمى الله الوكيل ولم يعرف انه بمعنى الكافى والحفيظ وأنكر المعجزات وهو بضم الفاء وقيل الباء الموحدة وسكون الواو وطاء مهملة قبل ياء النسبة (ومعمر) بميمين مفتوحتين بينهما عين مهملة ساكنة وهو من المعتزلة (الصيمرى) بفتح الصاد المهملة ومثناة تحتية ساكنة وفتح الميم وراء مهملة منسوب لصيمر موضع أو بلدة وفى نسخة الضمرى بفتح الضاد المعجمة منسوب لضمرة قبيلة كما قال التلمسانى وفى التبصرة معمر بن عباد تنسب له المعمرية ونسبت له خرافات يأباها السمع (انه) أى القرآن (لا يدل على الله) وانما كفر بذلك لانه أنكر الكلام واثباته لله وقال بعدم اعجاز القرآن (ولا حجة فيه لرسوله) صلى الله تعالى عليه وسلم لانكاره اعجاز القرآن (ولا يدل على ثواب ولا عقاب) ولا حلال ولا حرام لانه يقول انه ليس لله كلام ولا أمر ولا نهى كما فى التبصرة (ولا حكم) فيه لله (ولا محالة فى كفرهما) أى لا بد من تكفيرهما (بذلك القول) الذى قالاه كما سمعته آنفا (وكذلك نكفرهما بانكارهما ان يكون فى سائر معجزات النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حجة له) أى معجزة تصدقه فى دعواه (أو) بانكارهما ان يكون (فى خلق السموات والارض دليل على الله) لدلالة مصنوعاته سبحانه وتعالى عليه من غير شك

وفى كل شئ له آية * تدل على انه واحد

لانه كما فى التبصرة قال ان الله لم يخلق شيأ من الاعراض وان الاجسام تفعلها بطبائعها الى غير ذلك مما

ينبغي تطهير الالسنة عن مثله (لمخالفتهم الاجماع والنقل المتواتر عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم باحتجاجه) متعلق بالمتواتر والضمير له صلى الله تعالى عليه وسلم (بهذا كله) أي القرآن والمعجزات وخلق السموات والارض دليل على وجود صانعها وعلى رسالته فانها حجج قاطعة (وتصريح القرآن به) أي بكون ماذكر حجة ومعجزة كقوله تعالى فاتوا بسورة من مثله وكقوله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله وانما الله اله واحد ونحوه (وكذلك) نحكم بكفر (من أنكر شيأ مانص القرآن فيه) كالقيامة وفي نسخة مما نص في القرآن (بعد علمه انه من القرآن) حتى لا يعذر بجهله (الذي في أيدي الناس ومصاحف المسلمين) يقرأ في كل زمان (ولم يكن جاهلا به) تاكيد لما قبله (ولا قريب عهد بالاسلام) حتى يجهل ذلك (واحتج لانكاره) شيأ من القرآن (اما) ان يحتج (بانه لم يصح النقل) أي نقل القرآن الينا (عنده) أي في اعتقاده (ولا بلغه) أي وصل اليه (العلم به أو) اما (لتجويزه الوهم) أي الخطا (على ناقليه فنكفر) بالتخفيف وبناء الفاعل أو بالتشديد وبناء المجهول أي نحكم بكفر هذا القائل لما ذكر (بالطريقين المتقدمين) أي مخالفة الاجماع والنقل الصحيح عنه صلى الله تعالى عليه وسلم (لانه مكذب للقرآن) بانكاره أو انكار ما نص عليه فيه (مكذب للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم) بانكار معجزاته التي جاء بها (لكنه تستر بدعواه) التي لا يعذر بها (وكذلك نكفر من أنكر الجنة والنار) نفسهما أو محلهما وهو جهنم مثلا أي أنكر ايجادهما يوم القيامة وأما من أنكر وجودهما الآن كبعض المعتزلة فانه خطأ أيضا لكنه قيل انه لا يكفر به لاقراره بهما وان كانت النصوص دالة على بطلان ما قال كما بين في كتب الاصول (أو البعث) وكذلك نكفر من أنكر البعث أي احياء الله الموتى وبعثهم أي اخراجهم من قبورهم (أو) أنكر (الحساب) أي كون الله يحاسب عباده ويسئلهم عن أعمالهم يوم القيامة لاقامة الحجة عليهم واظهار حالهم وان كان الله عالما بذلك (أو) أنكر (القيامة) أي قيامهم في الحشر بين يديه سبحانه وتعالى بعد احيائهم واخراجهم من القبور (فهو كافر باجماع للنص عليه) في القرآن كقوله تعالى ونفخ في الصور فاذاهم من الاجداث الى ربهم ينسلون يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا ونسوق المجرمين الى جهنم وردا ونضع الموازين القسط ليوم القيامة يوم يقوم الحساب وغيره من النصوص وحديث الشفاعة العظمى شاهد له (واجماع الامة) أي أمة الاجابة المسلمين (على صحة نقله) أي النص به (متواترا) بحيث لا يمكن النزاع فيه (وكذلك) نكفر (من اعترف بذلك) أي الجنة والنار والبعث والحساب والقيامة (ولكنه قال ان المراد بالجنة والنار والحشر) أي جمع الناس في الموقف (والنشر) أي خروجهم من القبور منتشرين (و) المراد (بالثواب والعقاب) المذكور في القرآن والنصوص (معنى غير ظاهره) المتبادر منها (وانها) أي الامور المذكورة كلها (لذات) وآلام ففيها اكتفاء (روحانية) بضم الراء وفتحها نسبة الى الروح وهو ما به الحياة ويزاد الالف والنون فيهما على خلاف القياس وتطلق الروحانيون على الملائكة والمراد هنا أمر يتعلق بالروح من اللذة والالم والروحاني يكون بمعنى الطيب (ومعاني) تدرك بالعقل دون الحس (باطنة) غير محسوسة (كقول النصارى والفلاسفة

(لمخالفتهم الاجماع والنقل المتواتر عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم باحتجاجه بهذا) الذي ذكر (كله وتصريح القرآن به) بقوله وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله (وكذلك من أنكر شيأ مما نص فيه القرآن) به كوجود الملائكة ومجيء القيامة (بعد علمه انه من القرآن الذي في أيدي الناس) أي من الحفاظ الماهرين (ومصاحف المسلمين ولم يكن جاهلا به) أي بانه منه (ولا قريب عهد) وفي نسخة ولا حديث عهد أي جديد زمان (بالاسلام واحتج) الواو فيه وكذا الواوان فيما قبله للحال أي تعلق (لانكاره اما بانه لم يصح النقل) للقرآن (عنده ولا بلغه العلم به) من غيره (أو لتجويز الوهم على ناقليه فنكفره بالطريقين المتقدمين) وهما الاجماع والنقل المتواتر (لانه مكذب للقرآن) الثابت تواترا قطعا (ومكذب للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم) المحقق اجماعا (لكنه تستر بدعواه) الجهل فيما ادعاه (وكذلك من أنكر الجنة أو النار) أي وجودهما بالكلية فان أهل السنة على انهما موجودتان والمعتزلة على انهما ستوجدان (والبعث) في القبور (والحساب) الموجب للثواب والعقاب بخلاف انكار الميزان والصراط فانه من عقائد المعتزلة (والقيامة فهو كافر باجماع) وفي نسخة بالاجماع (للنص عليه) في الكتاب (واجماع الامة على صحة نقله متواترا وكذلك) أي أقول كما روى (من اعترف بذلك) في الجملة (ولكنه قال ان المراد بالجنة والنار والحشر) أي الجمع في الموقف (والنشر) أي النشور وهو الخروج من القبور أو التفرق الى الجنة والنار (والثواب) على الحسنات (والعقاب) على السيئات (معنى غير ظاهره) وفي نسخة معنى على غير ظاهره (وانها لذات) وعقوبات (روحانية) بفتح الراء ويجوز ضمها الجسمانية (ومعان باطنة كقول النصاري) لعل هذا قول بعضهم (والفلاسفة) من الحكماء الجاهلية والباطنية

(والباطنية وبعض المتصوفة) كالوجودية القائلة بالعينية (وزعم ان معنى القيامة الموت) ولم يدر ان الموت مقدمة القيامة ولذا ورد من مات فقد قامت قيامته (أوفناء محض) أي عدم ليس بعده وجود وبقاء أو زعم ان المراد بالقيامة الفناء عن السوى والثبات على البقاء كما يتوهم جهالة المتصوفة متمسكين بظاهر ماروى موتوا قبل ان تموتوا مع انه ليس بحديث (وانتقاض هيئة) وروى بنية (الافلاك) أي انهدامها وتغيرها وانتقالها من أوضاعها بالكلية (وتحليل العالم) أي فساده وخروجه عن نظام هيئته الاولية (كقول بعض الفلاسفة) بذلك ممن ينكر البعث هنا الكل والا فالتغيير والتبديل ثابتان في

التنزيل كقوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات واذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت واذا الجبال سيرت (وكذلك نقطع بتكفير غلاة الرافضة في قولهم ان الائمة) المعصومين (أفضل من الانبياء) والمرسلين وهذا كفر صريح تستفاد من قوله تعالى الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس وفي هذا المحل مباحث ذكرتها في شرح الفقه الاكبر (واما) وفي نسخة فاما (من أنكر ماعرف بالتواتر من الاخبار والسير) أي الآثار المتعلقة بالغزوات والشمائل في الصفات كقتل عمار بصفين مما ورد انه تقتله الفئة الباغية (والبلاد) النائية كالعراق وخراسان (التي لا يرجع) أي انكارها (الى ابطال الشريعة ولا يفضي الى انكار قاعدة من الدين كانكار غزوة تبوك) المذكور في سورة التوبة وهي ارض بين الشام والمدينة (أو موتة) بضم الميم وسكون همزة وتبدل مكان بادنى البلقاء من ارض الشام (أو وجود أبي بكر) وفيه ان بعض العلماء قال من أنكر صحبته للنبي عليه الصلاة والسلام كفر لمخالفة النص وهو قوله تعالى ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا حيث أجمع المفسرون على انه أبو بكر ولا يبعد أن يفرق بين من أنكر وجوده وبين من انكر صحبته بناء على ان دلالة الآية على صحبته اجمالية وروايه كونها له خاصة غير قطعية فلا يكفر من أنكر وجوده (وعمر) مع شهرته (أو قتل عثمان أو خلافة علي مما علم بالنقل ضرورة وليس في انكاره جحد شريعة فلا سبيل الى تكفيره

والباطنية وبعض المتصوفة) الزاهدين الى ان الحشر غير جسماني بل روحاني (وزعمهم) الفاسد في تاويلهم النصوص فقالوا (ان معنى القيامة الموت) الذي هو ضد الحياة (أوفناء محض) أي عدم محض خالص (وانتقاض) بضاد معجمة أي تغير (هيئة الافلاك) التي هي عليها الآن (وتحليل العالم) بمثناة فوقية وحاء مهملة أي حل تركيب وابانة بعضه من بعض (كقول بعض الفلاسفة) المنكرين للقيامة والبعث وماذكره المصنف رحمه الله تعالى عن بعض المتصوفة مرادهم الزنادقة الملحدون المتسمون بسمتهم واما مشايخ الصوفية فحاشاهم من مثله ولا ينبغي تسميتهم متصوفة بل هم صوفية حقيقة (وكذلك) كما كفرنا هؤلاء (نقطع بتكفير غلاة الرافضة) جمع غال وهو المتجاوز حده في الغلو والمبالغة في أمره (في قولهم ان الائمة) هم عندهم علي وأولاده رضي الله تعالى عنهم الذين يقولون بان الامامة حقهم (أفضل من الانبياء) كما قدمناه في هذا الباب وهؤلاء الطائفة تسمى نصيرية يبالغون في أئمتهم بزعمهم الباطل حتى ادعى بعضهم انهم الهة وهؤلاء أشد كفرا من النصارى (فاما من أنكر) من هؤلاء (ماعرف بالتواتر من الاخبار) جمع خبر المنقولة عن الصحابة (والسير) بزنة عنب جمع سيرة وهو مايتعلق بغزواتهم وأسفارهم (و) انكار (البلاد) البعيدة كخراسان والعراق (التي لا يرجع) انكارها (الى ابطال شريعة) مما شرعه الله لعباده (ولا يفضي) أي يوصل (الى انكار قاعدة من) قواعد (الدين) لعدم تعلقه به (كانكار غزوة تبوك أو) غزوة (مؤتة) اما تبوك فاسم عين ماء وسمي به موضعها وهو من ارض الشام بقرب مدين وهي ماخوذة من باك الحمار الاتان اذا نزى عليها أو من باكت الناقة اذا سمنت وسميت بها لانه صلى الله تعالى عليه وسلم غزاها في رجب سنة تسع فصالح أهلها على الجزية من غير قتال فاشبهت الناقة السمينة في خيرها وقيل لان رجلين سبقا الماء وماؤها يبض لقلته فجعلا يدخلان فيها سهمهما ليكثر ماؤها فقال لهما صلى الله تعالى عليه وسلم مازلتما تبوكانها منذ اليوم ومؤتة بضم الميم وهمزة ساكنة وتبدل واوا وتاء مثناة فوقية قرية من ارض البلقاء بطرف الشام قريبة من الكرك على مرحلتين من القدس كان بها تلك الغزوة لانهم قتلوا رسولا ارسله رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فجهز اليهم جيشا في سنة ثمان وقيل سبع فقتل بها جماعة من المسلمين ثم فتحها خالد بن الوليد وقصتها مفصلة في السير وتقدم في ذلك مافيه الكفاية وانما لم يكفر لمنكرهما لانه لا يترتب على انكاره أمر ديني (أو) كما لا نكفر من أنكر (وجود أبي بكر) الصديق رضي الله تعالى عنه (أو وجود (عمر) بن الخطاب رضي الله تعالى عنه (أو) انكر (قتل عثمان) رضي الله تعالى عنه في قصة الدار المتواترة (أو) انكر (خلافة علي) بن أبي طالب كرم الله وجهه ونحوه (مما علم) وجوده (بالنقل ضرورة) لان التواتر يحصل به علم ضروري يقيني لا تشك فيه (وليس في انكاره) لذلك (حجة شرعية) أي لا أمر شرعي متعلق بالدين (فلا سبيل الى تكفيره) أي المنكر لما ذكر

(بجحد ذلك) ونفى وجوده (وانكاره وقوع العلم له) أى أن يكون عنده علم به (اذ ليس فى ذلك) الانكار والجحد أمر يقبح (أكثر من المباهتة) هى مفاعلة من البهتان وهو الافتراء والكذب ومثله لا يعد كفرا وهى المفاجاة بالتكذيب حتى يبهته ويحيره قال تعالى فبهت الذى كفر أى سكت لحيرته وهذا كله ظاهر فما قيل من انه يلزمه تكذيب نقلة الحديث فى الغزوات لا وجه له لانه لا يعد كفرا وكذا ما قيل من ان انكار وجود أبى بكر فيه تكذيب للقرآن فى قوله تعالى ثانى اثنين اذ هما فى الغار الآية لان انكار ذاته ليس بكفر من حيث هو فان عرفه وأنكر صحبته التى فى القرآن فهو كفر واما انكار صحبة غيره فصريح كلامهم انه لا يكون كفرا لكن اختار بعضهم ان انكار صحبة غيره المجمع عليها المعلومة من الدين بالضرورة كفر ويجاب بان شرط انكار المجمع عليه الضرورى ان يرجع الى تكذيب أمر يتعلق بالشرع بخلاف ما لا يتعلق بذلك وانكار صحبة غير أبى بكر لا يتعلق به ذلك بخلاف انكار صحبته لان فيها تكذيب القرآن فتدبر (كانكار هشام) الفوطى الذى تقدم انه من غلاة الرافضة (وعباد) الصيمرى الذى تقدم أيضا (وقعة الجمل) التى كانت بالبصرة بين على ومعاويه رضى الله تعالى عنهما فخرجت عائشة أم المؤمنين رضى الله تعالى عنها على جمل لها للتصالح بين الفئتين فكان ما كان من ذلك الحرب العظيم ولذا سميت وقعة الجمل ونسبة انكار هذه الوقعة لابن حزم كما قاله مغلطاى غلط وكانت الوقعة سنة ست وثلاثين ووقعة صفين سنة تسع وثلاثين وكانت عائشة على جمل يسمى عسكر وفيها قتل جماعة من الصحابة والقصة مشهورة فى التواريخ (و) انكار (محاربة على) رضى الله تعالى عنه (من خالفه) من الخوارج الذين كانوا بايعوه أولا ثم لما جرى أمر التحكيم انكروه وقالوا لا حكم الا لله وهى كلمة حق أريد بها باطل وتفرقوا فرقا ولهم اعتقادات مخالفة لاهل السنة وكانت بينهم حروب عظيمة قد اشتهرت حتى أفردت بالتآليف وفرقهم واعتقاداتهم مفصلة فى كتاب التبصرة لا يهمنا ذكره هنا (فاما ان ضعف) المنكر لما ذكر مع تواتره وضعف مشدد مبنى للفاعل أو للمفعول (ذلك) المتواتر من أجل الاخبار التى لا تعود لامر شرعى (من أجل تهمة الناقلين) أى لاجل اتهامهم بالكذب (ووهم) ماض مشدد معطوف على ضعف أو مصدر بزنة ضرب معطوف على تهمته (المسلمين أجمع) أى قال ان جميع المسلمين مخطئون فى نقلهم (فنكفره بذلك) الذى اخطاه من خطا جميع المسلمين واتفاقهم على الكذب (لسريانه) أى افضائه وتعديه (الى ابطال الشريعة) المحمدية لانها انما تعلم بنقل المسلمين فاذا جوز اتفاقهم على الكذب لم يوثق بنقلهم فى شئ أصلا وتكفيره لانكاره اجماع المسلمين وهو كفر (فامامن انكر الاجماع) أى اجماع المسلمين (المجرد) وفسر المجرد بقوله (الذى ليس طريقه) أى ما يستند اليه (النقل المواتر عن الشارع) المراد بالمتواتر ما من شانه التواتر وقيل المراد بالمجرد ما تجرد عن القرائن التى تجعله قطعيا (فاكثر المتكلمين) المراد بهم هنا العلماء ولذا بينهم بقوله (من الفقهاء والنظار) جمع ناظر (فى هذا الباب) أى فى هذه المسائل المتعلقة بالتكفير (قالوا) أى اعتقدوا وجزموا (بتكفير كل من خالف الاجماع الصحيح) أى المستجمع لشروطه المذكورة فى كتب الاصول كما بينه بقوله (الجامع لشروط الاجماع المتفق عليه عموما) فى كل اجماع * واعلم ان حقيقة الاجماع العزم قال تعالى فاجمعوا

بجحد ذلك وانكار وقوع العلم له) بما هنالك (اذ ليس فى ذلك أكثر من المباهتة) مفاعلة من البهتان أى الكذب والمعاندة يقال باهته اذا قال عليه ما لم يقل (كانكار هشام) أى الفوطى (وعباد) بفتح مهملة فتشديد موحدة وهو الصيمرى (وقعة الجمل) وهى كانت فى أول خلافة على ونقل مغلطاى فى سيرته ان ابن حزم انكرها وفيما قاله نظر اذ قد تواتر نقلها وهى ان جماعة من الصحابة خرجوا مع عائشة فى هودج على جمل آخذا بخطامه كعب بن المسور بن مخرمة الى البصرة للصلح بين على ومعاويه وتسكين الفتنة فنشبت بينهم الحرب فلتة من غير قصد وكانت سنة ست وثلاثين واما وقعة صفين كسجين وهو موضع قرب الرقة بشاطئ الفرات كانت الواقعة العظيمة بين على ومعاويه غرة صفر سنة سبع وثلاثين فمن ثمة احترز الناس السفر فى صفر ذكره فى القاموس (ومحاربة على من خالفه) كمعاويه والخوارج فيما تقدم والله تعالى أعلم (واما ان ضعف) بتشديد العين أى نسب الى الضعف (ذلك) النقل المجمع عليه (من أجل تهمة الناقلين ووهم المسلمين أجمع) بتشديد الهاء أى نسبهم الى الوهم أجمعين (فنكفره بذلك) الاتهام (لسريانه) أى افضائه وروى لسرايته (الى ابطال الشريعة) فكأنه جعل هذا التوهيم لالحاده نوعا من الذريعة (فامامن) وفى نسخة ان (أنكر الاجماع المجرد) أى المنقول عن بعض الائمة (الذى ليس طريقه النقل المتواتر عن الشارع) المفيد كونه قطعيا بل طريقه الآحاد المقتضى كونه ظنيا (فاكثر المتكلمين والفقهاء والنظار) بضم النون وتشديد الظاء المعجمة جمع ناظر بمعنى المناظر اسم فاعل من المناظرة (قالوا بتكفير كل من خالف الاجماع الصحيح الجامع لشروط الاجماع) كما هو مبين فى أصول الفقه (المتفق عليه عموما) لانه حجة اجماعا وان كان طريقه آحادا

أمركم

(وحجتهم) فى تكفيره بمخالفة الاجماع (قوله تعالى ومن يشاقق الرسول) أى يخالفه (من بعدما تبين له الهدى) أى طريق الحق (الآية) أى ويتبع غير سبيل المؤمنين الذين هم عليه من الدين لايذانه بانه حجة لاتجوز مخالفته كما لاتجوز مخالفة الكتاب والسنة بدلالة جمعه بين المشاقة واتباع غير سبيل المؤمنين فى الشرط وجعل جزاءه الوعيد

الشديد المفاد بقوله تعالى نوله ماتولى

أمركم ثم شاع فى الاتفاق وهو من الجمع وهو حقيقة فى الاجتماع مجاز مشهور فى المعانى ومعناه اتفاق مجتهدى هذه الامة وقال البغوى هو نوعان عام كاجماع الامة على الصلاة وعدد ركعاتها مما يعرفه العامة والخاصة فانكاره كفر الا أن يكون منكره حديث عهد بالاسلام وخاص وهو مايعرفه الخاصة كبطلان نكاح المتعة ولا يكفر جاحده وانما يحكم بخطئه وكذا كل اجماع لايعرفه الا العلماء كحرمة نكاح المرأة على عمتها والاجماع واقع ويمكن الاطلاع عليه على الصحيح وحجة واختلفوا فى حجيته هل هى قطعية أو ظنية عقلية أو سمعية أو مركبة منهما ولم يخالف فى حجيته الا من يعتد به كالنظام وبعض الشيعة كما يأتى (وحجتهم) التى استدلوا بها (قول الله تعالى ومن يشاقق الرسول) أى يخالفه ويعاديه فيكون فى شق والرسول فى شق آخر (من بعدما تبين له الهدى الآية) وتمامها ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ماتولى ونصله جهنم وساءت مصيرا وسبيل المؤمنين طريقهم التى اتفقوا عليها فوعيده عليه يقتضى انه دخل طريقا غير طريق المسلمين وهو الكفر (و) حجتهم من السنة (قوله صلى الله تعالى عليه وسلم) كما رواه أبو داود فى سننه وصححه (من فارق الجماعة) أى المسلمين وأهل الحق وروى من فارق الجماعة بترك السنة واداء الحقوق واتباع البدعة والبغاة والمحاربين (قيد شبر) بكسر القاف وسكون المثناة التحتية والدال المهملة والقيد والقاد بمعنى القدر وشبر بكسر الشين المعجمة وسكون الموحدة وراء مهملة ما بين طرفى الخنصر والابهام مفرجا اذا قيس به وهو كناية عن القلة (فقد خلع ربقة) بكسر الراء المهملة وسكون الموحدة وقاف وهى حبل يقاد به وقد تقدم أى نزع عقد (الاسلام من عنقه) فهو كناية عن مفارقة الاسلام وتركه بالكلية تشبيها له بحيوان يقاد بحبل فترك الحبل وهرب من قائده وفيه اشارة الى انه كالانعام بل هم أضل والربقة فى الاصل عروة تجعل فى يد البهيمة أو عنقها تمسك بها فشبه الاسلام بمنع المجاوزة لما لا ينبغى بها واضافتها اليه على طريق التشبيه المؤكد أى خلع الاسلام المانع له كالعروة المانعة لها من الضياع أو شبه ما يلزمه من أحكام حدوده وأوامره ونواهيه المانعة له بالربقة المانعة لها على طريق الاستعارة التحقيقية وأثبت لها الخلع ترشيحا (وحكوا) أى الفقهاء والنظار فى ذلك (الاجماع على تكفير من خالف الاجماع) لما فى الآية المذكورة من الوعيد لمن لم يتبع سبيل المؤمنين وهو الاجماع ومثله يكون للكفرة وحكاية المصنف رحمه الله تعالى فى تكفير من جحد الاجماع مناف لما ذكره بعده من التوقف فيه بقوله (وذهب آخرون) من أهل الاصول (الى الوقوف) أى التوقف فيه من غير قطع بتكفير وعدمه وقد وقع فى نسخة التوقف (عن القطع) أى الجزم (بتكفير من خالف الاجماع الذى يختص بنقله العلماء) فلم يقطعوا بتكفير ولا عدمه وقيده بهذا ليخرج الاجماع فيما يتعلق بالصنائع لكنه يدخل فيه اجماع أهل العربية وفيه كلام فى شرح المغنى ظاهره انه غير معتد به ومثله فى خصائص ابن جنى ولنا فيه بحث ذكرناه فى السوانح (وذهب) قوم (آخرون) من العلماء (الى التوقف) أى عدم الجزم (فى تكفير من خالف الاجماع الكائن عن نظر) كالقياس الحاصل باجتهاد لابد له من مستند (كتكفير النظام) بفتح النون وتشديد الظاء المعجمة وهو ابراهيم بن شيار أو ابن شيبان بمعجمة وموحدة بعد الياء المثناة التحتية وألف ونون أبو اسحق مولى بنى الحارث بن قيس بن ثعلبة أحد فرسان المتكلمين من المعتزلة

أى نجعله واليا لما تولاه وندعه وما اختاره من متابعة هواه مما لا يرضاه الله وهذا فى الدنيا ونصله جهنم أى ندخله ونحرقه وساءت مصيرا أى مرجعا ومسيرا فى العقبى (وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم من خالف الجماعة) أى جماعة المسلمين وفى نسخة كما فى رواية من فارق الجماعة أى بترك السنة واتباع البدعة (قيد شبر) بقاف مكسورة فتحتية ساكنة ونصبه على المصدر أى قدر شبر يعنى ولو مقدرا يسيرا أو أمرا حقيرا (فقد خلع) أى نزع (ربقة الاسلام) بكسر الراء وسكون الموحدة أى عقدته وعهدته (من عنقه) أى رقبته وذمته وقد روى الترمذى عن ابن عمر ان الله تعالى لايجمع أمتى على ضلالة ويد الله على الجماعة من شذ شذ فى النار (وحكوا) اى الفقهاء ومن معهم (الاجماع على تكفير من خالف الاجماع وذهب آخرون الى الوقوف) أى التوقف (عن القطع بتكفير من خالف الاجماع

الذى يختص بنقله العلماء) اى مطلقا سواء كان نظريا أم لا وفى نسخة الذى يختص نقله بالعلماء (وذهب آخرون الى الوقف) وفى نسخة التوقف (فى تكفير من خالف الاجماع الكائن عن نظر) أى تامل وفكر كالقياس لان الاجتهاد الماخوذ فى تعريفه لابد له من مستند اما من كتاب أو سنة فنكره منكر لاحدهما (كتكفير النظام) بفتح النون وتشديد الظاء المعجمة كان أحد فرسان المتكلمين من المعتزلة وكان فى دولة المعتصم

وله احاطة بالفنون العقلية وله شعر دقيق كان فى دولة المعتصم (بانكاره الاجماع) كما أنكر القياس وحجيتهما (لانه بقوله هذا مخالف اجماع السلف على احتجاجهم به) أى بالاجماع (خارق للاجماع) أى مخالف للاجماع منهم ومن غيرهم والخرق كما قال الراغب القطع على سبيل الفساد من غير تدبر وهو ضد الخلق الذى هو فعل بتقدير ورفق وباعتبار القطع قيل خرق الثوب وخرق المفازة ومنه الخرق والمخرقة كما فصله فى مفرداته فعبر فى الاجماع بالخرق لانه قطعه من غير تدبر وحكم بخلافه قال تعالى وخرقوا له بنين وبنات بغير علم * (تنبيه) * قال شيخ والدى رحمه الله تعالى الشيخ أحمد بن حجر الهيثمى فى الفتاوى والاعلام قال ابن دقيق العيد مسائل الاجماع ان صحبها التواتر كالصلاة كفر منكرها لمخالفة المتواتر لا لمخالفة الاجماع وان لم يصحبها التواتر فلا يكفر نافيها وفرق الزركشى بين تكفير منكر المجمع عليه وعدم تكفير منكر أصل الاجماع بان منكر الحكم موافق على كون الاجماع حجة ثم أنكر أثره المترتب عليه فكفرناه بخلاف منكر الاصل فانه لم يوافق على شئ البتة وفى فرقه نظر لاقتضائه ان منكر الحكم لا بد ان يسبق منه اعتراف بحجية الاجماع وهو مخالف لاطلاقهم فالذى يتجه ان ملحظ التكفير انكار الضرورى سواء سبق أعترافه بحجية الاجماع أم لا * فان قلت هل بقى فرق بين انكار أصل الاجماع حيث لم يكن كفرا وانكار الحكم المجمع عليه الضرورى حيث كان كفرا * قلت نعم وتقدم قبله مقدمة وهى ان النظام وغيره انما أنكروا كون الاجماع حجة زعما منهم انه لا يستحيل الخطا على أهل الاجماع وانه لا دليل على عصمتهم قطعا اذ ما استدل به على ذلك يحتمل التاويل فالاجماع الذى أنكروه هو تطابق العلماء مع تفرقهم وكثرتهم على رأى نظرى وهذا ليس كانكار الضرورى الذى هو تطابقهم على الاخبار عن محسوس على نقل التواتر وذلك قطعى لحصول العلم الضرورى به والقطع فيه يسرى الى ابطال الشريعة من أصلها فتطابق العلماء على رأى واحد نظرى لا يوجب العلم القطعى الا من جهة الشرع فلم يكن انكار كونه من أصله حجة ولا انكار افادته القطع مع الاعتراف بحجيته مكفرا على الاصح بخلاف انكار الضرورى فانه يجر الى ابطال الشريعة بل الشرائع كلها فمن ثمة كان كفرا كما تقرر فاتضح الفرق بين انكار أصل الاجماع أو كونه حجة قطعية وبين انكار الضرورية وبما قررته يعلم رد تنظير الغزالى فى كفر جاحد المجمع عليه بان النظام أنكر كون الاجماع حجة فيصير مختلفا فيه ووجه رده ان النظام لا ينكر الحكم كما مر وعلى التنزل فهو بهذا انكار مبتدع ضال فلا نظر لانكاره ولا لخلافه * فان قلت نافى حكم الاجماع أخف حالا من المجمع عليه لان الاول ليس معه اعتقاد مخالف بخلاف الثانى فان الجحد يقتضى سبق الاعتراف والاعتقاد * قلت اذا تاملت ماسبق من التقرير علمت ان الملحظ فى التكفير انما هو انكار الضرورى المستلزم لانكار الاجماع بخلاف انكار الاجماع من أصله أو حجيته أو المجمع عليه الغير الضرورى فانه لا يكون كفرا خلافا لما يوهمه كلام بعض المتاخرين فاذا تدبرت هذا الذى قررته واستحضرت قواعدهم ظهر لك انه أحق بالاعتماد والتصويب مما ذكره بعض المتاخرين هنا انتهى ملخصا (قال القاضى أبو بكر) البلاقلانى (القول) المعتمد (عندى ان الكفر بالله تعالى) حقيقة معناه شرعا (الجهل بوجوده) عز وجل (وان الايمان) الذى هو ضد الكفر (بالله تعالى) معناه (العلم بوجوده وانه) أى الشان (لا يكفر أحد بقول) يقوله (ولا رأى) يعتقده (الا أن يكون) ذلك المذكور من قول أو رأى (هو الجهل بالله تعالى) فنكفره بعدم العلم به وانكار وجوده وهذا القول نقله عنه فى سراج العقول وتقدم أيضا وذلك انما حقيقة الجهل أوما يستلزمه كما أشار اليه بقوله (فان عصى) الله ورسوله (بقول أوفعل نص الله تعالى ورسوله) أى ذكره صريحا فى كتاب أو سنة (أو أجمع المسلمون) على (انه لا يوجد) بالجيم أى لا يصدر ولا يقع (الا من كافر) كانكار الشرع أو رسالة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم (أو يقوم دليل على ذلك) أى على انه لا يوجد الا من كافر (فقد كفر وليس)

بل جعلوه أقوى الحجة (خارق الاجماع) وفى نسخة خارق للاجماع (قال القاضى أبو بكر) أى الباقلانى (القول) المعول (عندى) أى فى رأيى (ان الكفر بالله هو الجهل بوجوده) وشهود كرمه وجوده (والايمان بالله هو العلم بوجوده) ومايتعلق به من توحيد ذاته وتفريد صفاته واثبات كلامه المشتمل على سائر المؤمن به من ملائكته ورسله والا فمجرد العلم بوجوده حاصل لعامة خلقه كما قال الله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله وانما أنكر وجوده سبحانه وتعالى طائفة من الدهرية والمعطلة (وانه) أى الشان (لا يكفر أحد بقول ولا رأى) أى اعتقاد مما يكفر به (الا أن يكون هو الجهل بالله فان عصى الله) ورسوله (بقوله أوفعل نص الله ورسوله) صلى الله تعالى عليه وسلم (أو أجمع المسلمون على انه لا يوجد الا من كافر أو يقوم دليل آخر) نقلا أوعقلا (على ذلك) أى على انه لا يوجد الا من كافر لكونه من شعارهم

(فقد كفر) لكن (ليس) الحكم بكفره

كفره

(لاجل قوله أوفعله) الذى لا يوجد الامن كافر (بل لما قارنه) أى قوله أوفعله (من الكفر فالكفر بالله لا يكون الا باحد ثلاثة أمور أحدها هو الجهل بالله) أى بوجوده وهو الاصل فى باب التكفير (والثانى ان يأتى فعلا أو يقول قولا يخبر الله و رسوله أو يجمع المسلمين على ان ذلك) الفعل أو القول (لا يكون الا من كافر كالسجود للصنم أو المشى الى الكنائس) أى فى زيهم (بالتزام الزنار) مشدا به وسطه غير مكره فيه وروى الزنانير وهو بفتح الزاى جمع الزنار بضمها (مع أصحابها فى أعيادهم) أوغيرها (أو يكون ذلك القول أو الفعل لا يمكن) أى لا يتصور (معه العلم بالله) كانكار فرض مجمع عليه والقاء مصحف فى قاذورة (فهذان الضربان) أى النوعان من اتيان الفعل أو القول الموصوفين وقول الدلجى فهذان أى الجهل والاتيان مردود بقوله (وان لم يكونا جهلا بالله تعالى فهما علم) بفتحتين أى علامة وفى أصل التلمسانى علم بكسر أوله وسكون ثانيه أى دليل (ان فاعلهما كافر) فى الاصل (أو منسلخ من الايمان) أى خارج عنه (فامامن نفى صفة من صفات الله تعالى الذاتية) من الحياة والعلم والقدرة والارادة والسمع والبصر والكلام (أو جحدها) أى أنكرها بعد ما اعترف بها (مستبصرا) أى متيقنا غير شاك (فى ذلك) أى فى جحدها (كقوله ليس بعالم ولا قادر ولا مريد ولا متكلم) كان الاولى ان يأتى باو بدل ولا (وشبه ذلك من صفات الكمال الواجبة له تعالى) كقوله ليس سميعا أو بصيرا أو حيا (فقد نص أئمتنا) المالكية (على الاجماع على كفر من نفى عنه تعالى الوصف بها واعراه عنها) أى أخلاه منها بلا وصفه بها وهذا قول الباقلانى ولا أعرف خلافا فى ذلك لانه سبحانه وتعالى وصف ذاته بهذه الصفات فى كلامه القديم الذى يستفاد منه الدين القويم فمن أنكر شيأ من ذلك فقد أنكر القرآن العظيم قال المصنف (وعلى هذا) القول بنفى الوصف (حمل قول سحنون من قال ليس لله

كفره والحكم به (لاجل قوله أوفعله) الذى لا يصدر الامن كافر (لكن) يكفر (لما) علم مما (يقارنه) باستلزامه له (من الكفر) بالجهل بالله ثم فصله بقوله (فالكفر بالله تعالى لا يكون) أى يوجد و يتحقق (الا بثلاثة أمور أحدها) أى الامور الثلاثة (الجهل بالله تعالى) ووجوده (الثانى ان يأتى) و يفعل (فعلا) يصدر عنه (أو يقول قولا يخبر الله و) يخبر (رسوله) صلى الله تعالى عليه وسلم أى أخبر وعبر بالمضارع لحكاية الحال الماضية (أو يجمع المسلمون) على (ان ذلك لا يكون الا من كافر) وقد تنازع فى قوله ان ذلك يخبر ويجمع (كالسجود للصنم والمشى الى الكنائس) أى معابد النصارى واليهود كما تقدم فالمشى الذهاب معهم على هيئاتهم (بالتزام الزنار) وهو ما يشد بالوسط على هيئة مخصوصة بالكفرة (مع أصحابها) أى أصحاب الكنائس والزنانير (فى أعيادهم) المعروفة بينهم وهما حالان متداخلان (أو يكون ذلك القول) الذى قاله (أو الفعل) الذى فعله (لا يمكن معه) أى مع ذلك القول أو الفعل (العلم بالله تعالى قال) أى أبو بكر الباقلانى (فهذان الضربان) أى الجهل بالله واتيان فعل أو قول لا يكون الا من كافر (وان لم يكونا جهلا بالله تعالى) أى ان لم يقتض قوله وفعله المذكور ان جهلا بالله تعالى (فهما علم) بفتحتين أى علامة وأمارة (على ان فاعلهما كافر منسلخ) خارج (من الايمان) بالله تعالى لان الايمان عند الاشاعرة تصديق النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فيما علم مجيئه به ضرورة ومما جاء به الاقرار بالله ورسله و كتبه فالكفر حينئذ جحد ذلك وقد جعل الشرع بعض الامور علامة على ذلك واما سجود الملائكة لآدم عليه السلام وسجود اخوة يوسف له فليس على طريق العبادة لانه كان تحية جائزة عندهم ثم نسخ ذلك وأبدل بالسلام فانه تحية الاسلام وقال ابن الهمام الايمان نقل شرعا من معناه اللغوى وهو التصديق الى مجموع أمور اعتبرت فى وضعه شرعا والتصديق جزء منها وهو عند الباقلانى ثلاثة ثم فصلها كما فصل المصنف رحمه الله تعالى ثم قال (فامامن نفى صفة من صفات الله تعالى الذاتية) القديمة الثبوتية بان قال انه لا يتصف بها (أو جحدها) أى أنكرها مع العلم بها والنفى المراد به ان يعتقد عدم ثبوتها له فهو مغاير للجحود ولذا عطفه باو (مستبصرا) أى على بصيرة (فى ذلك) دون سهو او سبق لسان فهو قيد للنفى والجحود فقط وتفسيره حينئذ بمتيقنا غير متوجه وكذا تفسيره الجحد بمطلق الانكار لا وجه له مع عطفه باو كما قيل (كقوله ليس بعالم ولا قادر ولا مريد ولا متكلم وشبه ذلك) نحو ليس سميعا ولا بصيرا ونحوه (من صفات الكمال الواجبة له) عز وجل (فقد نص أئمتنا) أى صرح به علماء المالكية (على الاجماع) أى اتفاق المالكية (على كفر من نفى عنه تعالى الوصف بها واعراه) أى جعل ذاته عارية عنه غير متصفة به (عنها) أى عن الصفات الذاتية وهذا مذهب بعض الفلاسفة ولا يدخل فى هذا المعتزلة الذين قالوا الاصفات له زائدة على ذاته وانما هو عين ذاته ولا يدخل فيه أيضا بعض الصفات التى فيها اختلاف بين الاشاعرة والماتريدية (وعلى هذا) القول المذكور (حمل قول سحنون من قال ليس لله تعالى

كلام فهو كافر) لانكاره صفة ثابتة بالنص كقوله تعالى حتى يسمع كلام الله ونحوه (وهو) أي سحنون (لا يكفر المتاولين) أي الذين يتاولون النصوص ومن جملتهم المعتزلة النافون للكلام فانهم يقولون معنى كلم الله موسى انه خلق كلاما في الشجرة أسمعه موسى لان الكلام أصوات وحروف حادثة لا تقوم بذاته فخالف كلامه هنا قاعدته (كما قدمناه) في عدم تكفيره لمن يؤول (فامامن جهل صفة من هذه الصفات) الذاتية كالعلم والقدرة ولم ينفها مستبصرا أي مستندا الدليل ولا جحده اعنادا (فاختلف العلماء ههنا) أي في تكفيره وعدمه لعذره بجهله (فكفره بعضهم) ولم يجعل الجهل عذرا له لوجوب النظر عليه (وحكى ذلك) أي تكفيره (عن أبي جعفر) محمد بن جرير (الطبري) العلامة المفسر كما تقدم في ترجمته (وغيره) من العلماء (وقال به) أي ذهب الى مثل رأيه في التكفير (أبو الحسن الاشعري) امام أهل السنة وقوله (مرة) اشارة الى انه أحد قولين له في هذه المسئلة (وذهبت طائفة) من أهل السنة (الى ان هذا) أي جهله بصفة من صفاته تعالى الذاتية (لا يخرجه عن اسم الايمان) يعني انه مؤمن غير كافر فيطلق عليه اسم ماخوذ من الايمان أو اسم مقحم هنا كقوله

* الى الحول ثم اسم السلام عليكما * (واليه) أي الى هذا القول بعدم تكفيره (رجع الاشعري) عن قوله الاول لترجحه عنده وقيام الدليل عليه (قال) الاشعري انما لم نكفره (لانه) أي النافي لصفة جهلها (لم يعتقد ذلك) أي انتفاء تلك الصفة الذاتية (اعتقادا يقطع بصوابه) لقيام دليل عنده كالفلاسفة وانما قاله لجهله فهو معذور (ويراه دينا وشرعا) أي يعتقده برأيه كذلك وانما قاله توهما وجهلا (وانما يكفر من اعتقد ان مقاله) وفي نسخة ماقاله أي قوله (حق) صواب موافق للبرهان ومطابق للواقع (واحتج هؤلاء) الذاهبون لعدم تكفيره (بحديث) المرأة والجارية (السوداء) الذي رواه أبو داود في سننه وهو ان رجلا ظاهر من زوجته ولزمه عتق رقبة فاتى بجارية نوبية وقال يا رسول الله أعتق هذه فقال لا تجزيك الان تكون مؤمنة فقال سلها يا رسول الله فقال لها أين الله فاشارت الى السماء وقال لها من أنا فقالت رسول الله فقال له اعتقها فانها مؤمنة وكون هذا العتق كفارة ظهار قاله التلمساني والذي في سنن أبي داود ان معاوية بن الحكم السلمي قال يا رسول الله لي جارية صككتها فعظم ذلك على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قلت له أفلا أعتقها قال ائتني بها فجئت بها فقال لها أين الله الخ فعتقها انما هو كفارة الضرب لها واما كون الكفارة لا تجزي فيها الا رقبة مؤمنة فمختلف فيه فعند الشافعي ومالك والاوزاعي اشتراط الايمان فيها وعند أبي حنيفة انه تجزئ بغير المؤمنة الا في كفارة القتل قيل وفيه اشكال لقوله أين الله واقرار الرسول لقولها في السماء واشارتها وليس كقوله تعالى وهو الذي في السماء اله ولم يجب عنه وقد أجاب عنه ابن فورك في كتاب كشف المشكل فقال أين موضوعة للسؤال عن المكان وتوسعوا فيها فقالوا أين فلان من فلان لبعد الرتبة المعنوية فقوله لها أين الله استعلام عن منزلته في قلبها فاشارت الى السماء أي هو رفيع الشان عظيم المقدار كما يقال هو في السماء لعلى الرتبة وكانت خرساء فلذا اكتفى باشارتها ومن أصحابنا من قال ان قول القائل الله في السماء يريد به انه فوق السماء من طريق الصفة لا من طريق الجهة على حد قوله ءأمنتم من في السماء ينكر عليه ذلك واما قوله انها مؤمنة فيحتمل انه صلى الله عليه وسلم علمه بوحي وجعل اشارتها علامة ايمانها أو سماها مؤمنة نظرا الظاهر حالها لانه يكفي في المطلوب وقال ابن اللبان في كتاب المتشابه كلا ثنه تعالى باسمائه وصفاته محيطة بدوا وبين السموات والارض وفي تصرفها وسائط سفلية وعلوية هي مظاهر تجلياته فتقرير الجارية انه في السماء ووصفها بالايمان لم يعتبر فيه ظاهر لفظها فانه لا يفيد التوحيد مع القول بالجهة وعدمه اما الثاني فظاهر واما الاول فلانهم موافقون على عبادة الملائكة والكواكب وليس في

قدمها أو زيادتها على ذاته القائلين بانه تعالى خالق الكلام في الشجرة وكلم موسى وبخلق القرآن وحدوثه وانه مركب من حروف وأصوات تفاديا من تعدد القدماء (كما قدمناه فامامن جهل صفة من هذه الصفات) أي ونفاها غير مستبصر فيها (فاختلف العلماء هنا) أي في مقام تكفيره (فكفره بعضهم وحكى ذلك) أي تكفيره (عن أبي جعفر الطبري) الشافعي (وغيره وقال به أبو الحسن الاشعري مرة) أي هو أحد قوليه (وذهبت طائفة الى ان هذا) الجهل للمؤمن (لا يخرجه عن اسم الايمان) أي أصله وان كان يخرجه عن كمال الايقان (واليه) أي هذا المذهب (رجع الاشعري) فهو المعتمد في المعتقد (قال لانه لم يعتقد ذلك) النفي مع الجهل (اعتقادا يقطع بصوابه ويراه دينا) متينا (وشرعا) مبينا بل انما يظنه ظنا وقع خطأ (وانما يكفر من اعتقد ان مقاله حق واحتج هؤلاء) المتاخرون (بحديث السوداء) أي الجارية

(وان النبي صلى الله عليه وسلم انما طلب منها التوحيد) أي توحيد الذات (لا غير) أي لا غير ذلك من تحقيق الصفات وهو ابن أم ابن سويد الشريد الثقفي أوصته ان يعتق عنها رقبة مؤمنة وعندي جارية سوداء نوبية فذكره نحوه يعني هذا الحديث الآتي وهو حديث معاوية بن الحاكم السلمي فذكر الحديث الى ان قال أين الله قالت في السماء قال من انا قالت أنت رسول الله قال اعتقها فانها مؤمنة أخرجه أبو داود في الايمان بفتح الهمزة والنسائي في الوصايا وحديث معاوية بن الحكم السلمي أخرجه مسلم في الصلاة والطب وأخرجه أبو داود في الصلاة والنسائي في اماكن من مسنده انتهى كلام الحلبي وذكر التلمساني ان حديث السوداء هو ان رجلا ظاهر فلزمه الظهار فاتى بامة سوداء فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لا يجزئك حتى تعرف انها مؤمنة قال سلها يا رسول الله فسألها فقال لها أين الله فاشارت الى السماء فقال اعتقها فانها مؤمنة هو حديث رواه أبو داود والنسائي ومالك انتهى وكان اشارتها الى السماء ايماء بان الله خالقها أو انه ليس بجهة الارض أو هو الموصوف بانه الذي في السماء أي ٥٢٥ معبود فيها فاكتفى بهذا التوحيد الاجمالي على كونها مؤمنة لكن يشكل بسؤاله عليه الصلاة والسلام حيث قال أين الله ولعله كوشف له عليه الصلاة والسلام بانها لا تعرف الاله الا بهذا الوصف ولعل القائلين بجهة العلو لله سبحانه تمسكوا بظاهر هذا الحديث وأمثاله والمحققون انه تعالى منزه عن المكان والزمان واما قوله تعالى وهو الله في السموات وفي الارض فمعناه انه هو المستحق لان يعبد فيهما لا غير كقوله تعالى وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله (وبحديث القائل لئن قدر الله علي) بتخفيف الدال وجاء في صحيح البخاري ان قائله كان نباشا من كلام عقبة بن عمر الصحابي والحديث رواه الشيخان عن أبي هريرة من قول القائل لبنيه عند موته أحرقوني ثم انظروا يوما راحا أي ذا ريح شديدة فذروني فيه فوالله لئن قدر الله علي والرواية بتخفيف الدال من القدرة لا كما قال التلمساني قدر يشدد من التقدير ويخفف بمعنى ضيق فانه لو كان المروي لذلك لما كان اشكال هنالك (وفي رواية عنه) أي عن القائل وفي نسخة فيه أي في الحديث وهو كذا في تفسير ابن أبي حاتم (لعل أضل الله) بفتح الهمز والضاد وبكسر ورفع اللام المشددة أي أفوته ويخفى عليه مكاني وقيل لعلي أغيب من عذاب الله تعالى من ضللت الشيء وضللته اذا جعلته في مكان ولم تدر أين هو وضل الناسي اذا غاب عنه حفظ الشيء ومنه قوله تعالى أئذا ضللنا في الارض أي خفينا وغبنا والمعنى أضل عنه أي أخفى وأغيب منه على انه من باب نزع الخافض وايصال الفعل فيكون جاهلا بكمال علمه سبحانه

اللفظ ما يخرجها فيقتضي الايمان فالاقرب ان الجارية أشرق عليها نور التوحيد في الآفاق السماوية لقوله تعالى سنريهم آياتنا في الآفاق فقولها في السماء أي ظهور نور توحيده فيها فقال انها مؤمنة دون مسلمة لان الايمان من القلب انتهى وقال الشيخ الاكبر في الفتوحات ثبت في لسان الشارع اطلاق الاينية على الله ولا يتعدى ما ورد منها ولا يقاس عليه كما في حديث السوداء في قبول اشارتها وقوله انها مؤمنة واعتقها والسائل بالاينية اعلم الناس وتاويل ذلك وقبوله منها بانه لكون الآلهة المعبودة في الارض وهو تاويل جاهل فان من العرب من عبد الشعرى انتهى (وان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انما طلب منها) أي من السوداء النوبية (التوحيد) فاكتفى باشارتها الدالة على معرفة ذات الله ولم يكلفها بشيء من الصفات فدل على ان الجهل بالصفات لا ينافي الايمان لعذرها بالخرس والجهل وكونها خرسا وقع في بعض الروايات ما يخالفه وقوله (لا غير) مبني على الضم لحذف المضاف وتقديره وقال ابن هشام تبعا للسيرافي غير تلزم الاضافة وتقطع عنها وتبنى ان تقدمت عليها كلمة ليس وقولهم لا غير لحن ورد بانه سمع من كلام العرب في قوله

جوابا به تنجو اعتمد فوربنا * لعن عمل أسلفت لا غير تسئل

وقد استعمله المصنف رحمه الله تعالى في مواضع عديدة وفيه كلام في شروح الكتاب (وحديث القائل) الذي رواه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه وهذا القائل كان نباشا الا أنه لم يذكر اسمه وكان أوصى لبنيه فقال أحرقوني وانظروا يوما شديد الريح فذروني فيه فوالله (لئن قدر الله علي) بتخفيف الدال من القدرة وتشديدها بمعنى ضيق علي في الحساب والعقاب على ما ياتي (وفي رواية) رواها ابن أبي حاتم عن الشعبي في تفسيره (لعلي أضل الله) مضارع بفتح أوله وكسر ثانيه من قولهم ضلني فلان فلم أقدر عليه أي لم أجده وخفي علي لذهابه عني وفي النهاية لعلي أضل الله أي أفوته ويخفى عليه مكاني وقيل معناه لعلي أغيب عن عذابه يقال أضللت الشيء وضللته اذا لم تدر في أي مكان هو وأضللته اذا ضيعته وضل الناس للشيء اذا غاب عنه حفظه ويقال أضللته اذا وجدته ضالا كاحمدته اذا وجدته محمودا انتهى وفيه كلام لابن قرقول وهذا مؤذن بنفي القدرة عليه وهو محل الشاهد لانه صفة من صفات الله

(ثم قال) أى النبى عليه الصلاة والسلام (فغفر الله له) أى مع كون كلامه مشعرا بنفى القدرة فى الصورة المقدرة والمعنى فغفر الله له لعذره بجهله على ان قدر جاء بمعنى ضيق كما فى قوله تعالى فظن ان لن نقدر عليه ومعنى الرواية الثانية أغيب عن عذاب الله لكن لا يخفى بعد هذه التاويلات عن قوله أحرقونى وسائر المقالات والله أعلم بالحالات وتمام الحديث على ما فى الصحيح قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أسرف رجل على نفسه فلما حضره الموت أوصى بنيه اذا مات فحرقوه ثم اذروا نصفه فى البر ونصفه فى البحر فوالله لئن قدر الله عليه ليعذبنه عذابا لا يعذبه أحدا من العالمين فلما مات فعلوا ما أمرهم فامر الله البحر فجمع ما فيه وأمر البر فجمع ما فيه ثم قال لم فعلت قال من خشيتك يارب وأنت أعلم فغفر له (قالوا) أى هؤلاء العلماء (ولو بوحث أكثر الناس عن الصفات) أى فتشوا عن معرفتها (وكوشفوا عنها) أى طلب منهم الكشف عن بيانها (لما وجدوا من يعلمها الا الاقل) من القليل (وقد أجاب الآخر) أى من العلماء الاولين (عن هذا الحديث بوجوه) خمسة (منها ان قدر) مخففا (بمعنى قدر) مشددا أى حكم وقضى (ولا) وفى نسخة فلا (يكون شكه فى القدرة على احيائه بل فى نفس البعث الذى لم يعلم الا بشرع) دون عقل وطبع (ولعله لم يكن ورد عندهم به شرع يقطع عليه فيكون الشك فيه حينئذ كفر) وفيه انه لو كان شاكا فى بعثه لما أوصى بما يدل على كمال خوفه (فاما ما لم يرد به شرع

والحديث عن حذيفة بن اليمان قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان رجلا حضره الموت فلما يئس من الحياة أوصى أهله اذا أنا مت فاجمعوا لى حطبا كثيرا واوقدوا فيه نارا حتى اذا أكلت لحمى وخلصت الى عظمى فامتحشت فخذوها فاطحنوها ثم انظروا يوما راحا فاذروها فى اليم ففعلوا فجمعه الله عز وجل وقال له لم فعلت ذلك فقال من خشيتك (ثم قال فغفر الله عز وجل له) وروى من طرق أخر فيها اختلاف وهذا انما قاله على سبيل الجزع وشدة الخوف والا فالله لا يخفى عليه شئ قيل وهذا يدل على ان القائل كان مسلما وفيه ما لا يخفى وفى الشرح الجديد قال ابن عقيل الحنبلى هذا أخبار عما سيقع له يوم القيامة لانه خاطب روحه لانه لا يناسب قوله فى الحديث فجمعه الله بعد ما تفرق فانه انما هو فى الجسد والرجل المذكور غلب على طبعه الامور العادية بمقتضى طبعه وصار شعاره الله مع انه مؤمن بان الله قادر على كل شئ فظن انه يعجز الله عنه وما ذكره ابن عقيل من انه اخبار عما سيقع له يوم القيامة عدول عن الظاهر من غير مانع عنه فى الدنيا فانظره فانه كلام يحتاج الى التنقيح وأى الرجال المهذب (قالوا) أى أئمة الدين (ولو بوحث) مجهول باحث بموحدة وحاء مهملة ومثلثة أى فتش (أكثر الناس) المسلمين عما يعلمون ويعتقدون أى (عن) معرفتهم (الصفات) أى صفات الله (وكوشفوا عنها) أى طلب كشف ما فى قلوبهم باظهاره فانه قيل اظهاره كالشئ المستور فان القلوب صناديق مقفلة (لما وجد) جواب لو (من يعلمها الا القليل) وفى نسخة الاقل وهم الخواص وغيرهم من الجهلة المقلدين غافلون عنها (وقد أجاب) الفريق (الآخر) الذاهب الى تكفير من نفى صفة من صفات الله ولو جاهلا (عن هذا الحديث) أى حديث القائل لئن قدره الله على آخره (بوجوه منها ان قدر) بالتخفيف فى رواية (بمعنى قدر) بالتشديد من تقدير الله لا من القدرة (ولا يكون شكه فى القدرة على احيائه) ليجازيه على عمله أى على هذا التقدير لا يشك فى قدرة الله (بل فى نفس البعث) أى احياء الموتى وحشرهم (الذى لا يعلم) كغيره من أمور الآخرة التى لا تعلم (الا بشرع) بوحيه الله لرسله (ولعله) أى البعث لم يرد فى زمن الرجل القائل لذلك لان رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبر به عن أحوال الامم السالفة بوحى من الله و(لم يكن ورد عندهم به شرع يقطع) به (عليه) أى يقتضى علما يقينيا قطعيا (فيكون الشك فيه) أى فى البعث (حينئذ) أى قبل ورود الشرع لهم به (كفرا) أى يقتضى كفر الشاك فيه (فاما ما لم يرد به شرع فهو) أى البعث (من مجوزات) بضم الميم وفتح الجيم والواو المشددة أى ما هو جائز عقلا من غير سماع له من صاحب شريعة يجب اتباعه بل هو مما تجوزه (العقول) جمع عقل وهو القوة المدركة وهذا بناء على ما يأتى انه من أهل الفترة أو هو من قوم لم تبلغهم دعوة النبى بناء على ما عليه المحققون من انهم غير مكلفين لقوله عز وجل وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا والكلام فيه مفصل فى محله من التفاسير والاصلين (أو يكون قدر) مخففا (بمعنى ضيق) كقوله تعالى ومن قدر عليه رزقه (ويكون ما فعله) هذا الرجل (بنفسه) من توصية بنيه باحراقه

كالبعث (فهو من مجوزات العقول) بتشديد الواو المفتوحة فلا كفر بالشك فيه لعدم العلم به وهذا لا يخفى بعده لاطباق الانبياء والرسل على وجوب الايمان باليوم الآخر ووعد الثواب ووعيد العقاب حتى قال تعالى لآدم ومن معه فاما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون نعم قد يقال انه آمن ايمانا اجماليا وتقليدا عرفيا وما بلغه تفاصيل المؤمن به فوقع له الشك فى وقوعه أو التوهم بدفع العذاب عنه على تقدير تصوره (أو يكون قدر بمعنى ضيق ويكون ما فعله بنفسه) من وصية بنيه باحراقه

وأمرهم

(أزراء عليها) أى اهانة وتنقيصا بها (وغضبا) عليها (لعصيانها) أوظن انه يتخلص بعذاب الدنيا من عقاب العقبى (وقيل انما قال ماقاله) وهو قوله لئن قدر الله على (وهو غير عاقل الكلامه ولاضابط للفظه) أى لمؤدى مرامه (أى مما استولى عليه من الجزع) أى غلب عليه من شدة الفزع (والخشية التى أذهلت) وفى نسخة اذهبت (لبه) أى اغفلت قلبه وشغلت

وأمرهم بتذرية في الهواء اذا صار رمادا (ازراء عليها) أى تنقيصا وتحقيرا واهانة لها (وغضبا) على نفسه العاصية لله (لعصيانها) بكثرة الفسق والمعاصى لاشكا فى قدرة الله على اعادة ماتفرق من أجزائه فلايحكم بكفره لذلك (وقيل) فى الجواب أيضا انه (انما قال ماقاله) مما أوصى به بنيه (وهو غير عاقل الكلامه) أى وقد اختبل عقله فهو غير مكلف (ولاضابط للفظه) أى لايعرف مايلفظ به لانه هذيان منه كـكلام النائم والساهى (مما استولى) أى غلب (عليه مما من الجزع) من الموت على هذه الحالة (والخشية) أى شدة الخوف من الله وعقابه (التى أذهلت لبه) أى عقله (فلم يؤاخذ به) لانه غير مكلف (وقيل كان هذا) الصادر عنه هذا القول (فى زمن الفترة) أى انقطاع الوحى وطول الزمان الذى اندرست فيها الشرائع (وحيث ينفع) فى الآخرة بنجاة صاحبه من النار (مجرد التوحيد) أى معرفة ذات الله دون غيرها من أمور الشرائع فانهم معذورون بجهلهم وهذا يقتضى ان الجواب الذى سبق بتقدير انهم ليسوا من أهل الفترة فيشكل حينئذ فتدبر وهذا يقتضى ان أهل الفترة كانوا مكلفين بالتوحيد وهى مسئلة أصولية قال الامام الرازى فى المحصل وجوب النظر سمعى خلافا للمعتزلة و بعض الفقهاء من الشافعية والحنفية لنا قوله تعالى وما كنا معذبين الآية ولان فائدة الوجوب الثواب والعقاب ولم يقبح منه تعالى شئ من أفعاله فلا يمكن القطع بالثواب والعقاب من جهة العقل بالوجوب احتجوا بانه لولم يثبت الوجوب الذى لايعلم صحته الا بالنظر فللمخاطب ان يقول لاأنظر حتى أعرف كون السمع صدقا وذلك حتى يقتضى افحام الانبياء الجواب هذا لازم أيضا لان وجوب النظر وان كان عندكم عقليا لكنه غير معلوم بضرورة العقل لما ان العلم بوجوب النظر عند المعتزلة يتوقف على العلم بوجوب معرفة الله والنظر طريق اليها الاطريق لها سواه ومالايتم الواجب الابه واجب وكل هذه المقدمات نظرية والوقوف على النظرى نظرى فكان العلم بالوجوب عندهم نظريا فللمخاطب ان يقول لاأنظر حتى أعرف وجوب النظر ثم الجواب لايتوقف على العلم بالوجوب والالزم الدور بل يكفى الامكان وهو حاصل فى الجملة انتهى والكلام عليه مفصل فى شروحه وانما أوردناه ليعلم ان توقف بعض الشراح هنا فى كلام المصنف رحمه الله تعالى لاوجه له (وقيل) ليست هذه الاجوبة مرضية (بل هذا) أى قوله لئن قدر الله على (من مجاز كلام العرب) المراد بالمجاز هنا ليس معناه الاصطلاحى بل المراد انه من طرقهم فى الكلام التى يتوسعون فيها ويجوز ارادة حقيقته عند أهل المعانى و يناسبه ظاهر قوله (الذى صورته الشك) هو عبارة عما يظهر من فحواه (ومعناه التحقيق) أى أمر آخر محقق عنده (وهو) أى هذا النوع من الكلام (يسمى) عند أهل المعانى (تجاهل العارف) وهو نوع من البديع يساق فيه المعلوم مساق المجهول لنكتة كقوله

أيا شجر الخابور ومالك مورقا * كأنك لم تجزع على ابن طريف

وكره بعضهم تسميته بهذا وسماه مساق المعلوم مساق غيره لانه وقع فى كلام الله عز و جل ولايليق ان يقال فى حقه التجاهل والمصنف رحمه الله تعالى جرى على متعارفهم فيه وتسميته به انما هو فى كلام الناس واليه اشار بعضهم بقوله وقد يسمى فان قد للتقليل الجزئية (وله أمثلة فى كلامهم) فاذا وقع فى

عقله (فلم يؤاخذ به) فيعد من خطئه فى خطابه كقول من قال لربه فى غاية من الفرح انت عبدى وانا ربك (وقيل كان هذا) القائل (فى زمن الفترة) أى انقطاع الرسالة كما بين عيسى ونبينا عليهما الصلاة والسلام فقيل ستمائة سنة وقيل خمسمائة وستون وقيل أربعون (وحيث ينفع مجرد التوحيد) كما فى زمن الجاهلية وهو مابين اسماعيل ونبينا عليهما الصلاة والسلام ولا يبعد ان يكون ممن نشا بعيدا عن الخلق ولم تبلغه دعوة رسول الحق وعرف الله بعقله أو بالنظر فى آيات الله من خلقه (وقيل بل هذا القول (من مجاز كلام العرب) من أهل التدقيق (الذى صورته الشك ومعناه التحقيق) و يقال له مزج الشك باليقين وعدمنه قوله ولكن ليطمئن قلبى واشار الى ذلك العارف ابن الفارض بقوله

عليك بها صرفا وان شئت مزجها * فعدلك عن ظلم الحبيب هو الظلم

(وهو يسمى) بصيغة المجهول مشددا ومخففا أى يدعى (تجاهل العارف وله أمثلة فى كلامهم) أى العرب كقول بعضهم

بالله ياظبيات القاع قلن لنا * ليلاى منكن أم ليلى من البشر

وكقولهم أو جهلك هذا أم بدر مع علمهم بان الوجه غير البدر للمبالغة فى تحسين القدر والمعروف ان هذه الدلالة على شدة الشبه بين المتناسبين فان خلاصة سؤاله عما يعلمه من الشبه لم يكن تجاهلا كما فى وما تلك بيمينك ياموسى بل هو استفهام تقريرى اى حمل المخاطب على اقرار وتحرير نعم قد يحمل عليه قول النسوة ماهذا بشرا ان هذا الا ملك كريم اى كالملك فى الصورة والعصمة على وجه المبالغة (كقوله تعالى) اى المنزل على وفاقهم اذهبا الى فرعون انه طغى فقولا له قولا لينا (لعله يتذكر او يخشى) والمحققون على ان معناه لكى يتذكر او كونا على رجاء ان يتذكر (وقوله) قل من يرزقكم من السماء والارض قل الله (وانا او اياكم لعلى

كلام الله (كقوله) عز وجل (لعله يتذكر او يخشى وقوله وانا او اياكم لعلى هدى او فى ضلال مبين) وتعريفه بانه ان يسال عارف عما يعلمه فيه قصور لعدم صدقه على الآيتين فالصواب ان يعرف بما قدمناه وله فى كل مقام نكتة يدركها من ذاق حلاوة المعانى فالنكتة فى البيت اظهار شدة الحزن بالمصاب الذى ينبغى ان يجزع منه كل شئ حتى الجماد وفى الآية ان قلنا ان لعل للترجى بن الله لا للتعليل ولا للترجى من موسى وهارون مع علم الله بان فرعون لا يتذكر ولا يخشى ولكنه اراد القسامة حجر الملامة بعدم معذرته وعلى الوجهين الآخرين ليس مما نحن فيه فمن مشى عليه لم يات بشئ وقوله انا او اياكم الخ أبهم فيه الفريق المهتدى مع انه علم من سياق الآية ان المؤمنين هم المهتدون فان قوله قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة فى السموات ولا فى الارض ومالهم فيهما من شرك وماله منهم من ظهير ثم قال قل من يرزقكم من السموات والارض يعلم منه ان خالق هذه المخلوقات العظيمة الرازق لمن فيهما هو الحقيق بالعبادة والوحدانية وان من يعبده هو المهتدى فابهامه انما هو لاقامة الحجة عليهم وهو كقول حسان رضى الله تعالى عنه

أتهجوه ولست له بكفؤ * فشركما لخيركما الفداء

فليس فى كلامه تهاون بالادب كما توهم (فامامن أثبت الوصف) اى وصف الله بصفاته الذاتية (ونفى الصفة) القائمة بذاته وهم المعتزلة وبعض الفلاسفة القائلين بان صفاته عين ذاته لئلا يلزم تعدد القدماء أو قيام الحادث بذاته وأهل السنة أثبتوها وقالوا لا محذور فى ذلك لانه انما يمتنع تعدد ذوات قدماء لا ذات وصفات كما تقدم والكلام عليه مفروغ منه فى علم الكلام وأشهر من قفا نبك والفرق بين الوصف والصفة ان الوصف معنى مصدرى قائم بالواصف والصفة معنى قائم بالموصوف كالكسر والانكسار وهما فى الاصل بمعنى واحد وقد يستعمل كل منهما استعمال الآخر (فقال أقول) ان الله عز وجل (عالم) بكل شئ من الكليات والجزئيات (ولكن لا علم له) زائد على ذاته كعلم البشر فعلمه عين ذاته لما تقدم (ومتكلم) بكلام نفسى أو بكلام حقيقى (ولكن لا كلام له) خارج عن ذاته (وهكذا) يقول المعتزلى ومن وافقه على هذا القول (فى سائر الصفات) فيقول مريد بلا ارادة وقادر بلا قدرة زائدة على ذاته فهو عنده عين ذاته (على مذهب المعتزلة) فى نفيهم الصفات دون الوصف بها ولذا لم يكفروا لانهم مثبتون لها فى الجملة وهذا اذا نظرنا لظاهر كلامهم (فمن قال) من أهل السنة (بالمآل) اى بما يؤول ويرجع اليه كلام المعتزلة والمراد لازم مذهبهم وكلامهم الذى قالوه (لما يؤديه اليه قوله) انه عالم بغير علم وقادر بغير قدرة ومتكلم بغير كلام (ويسوقه اليه مذهبه) من انه يلزم

هدى أو فى ضلال مبين) والمحققون على ان هذا من ارخاء العنان مع الخصم فى ميدان البيان ليتامل ويتفكر حتى يظهر له البرهان فى عالم العيان والافكان صلى الله تعالى عليه وسلم يتيقن انه على هداية والمخاطبون على ضلالة ونظيره قول حسان بن ثابت الانصارى لابى سفيان ابن حرب قبل اسلامه

أتهجوه ولست له بكفؤ
فشركما لخيركما فداء

فانه لا شبهة انه يريد بخيرهما رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هذا وفى تمثيله بما أورده من الكتاب مع تسميته له بتجاهل العارف نوع تهاون فى الآداب مع رب الارباب ولو قال كما فى المفتاح للسكاكى ويسمى مساق المعلوم مساق غيره لنكتة لكان أقرب الى صوب الصواب (فامامن أثبت الوصف ونفى الصفة) كالمعتزلة من

(فقال أقول عالم ولكن لا علم له ومتكلم ولكن لا كلام له وهكذا فى سائر الصفات) كقادر ولا قدرة له ومريد ولا ارادة له وحى ولا حياة له وسميع ولا سمع له وبصير ولا بصر له (على مذهب المعتزلة) تحرزا عن تعدد القدماء فانه كفر وهو مردود بان الكفر انما هو تعدد ذوات قدماء لا ذات واحدة مع صفات متعددة على أن مذهب أهل السنة والجماعة ان الصفات لا عين الذات ولا غيرها (فمن قال بالمآل) اى باخذهم بالمرجع (لما يؤديه اليه قوله) اى قول نافيها عالم ولا علم له (ويسوقه اليه مذهبه) من انه يلزم من نفى العلم نفى الوصف بعالم على وجه برهانى كما سياتى بيانه

(كفر) بتشديد الفاء أى كفره كما فى نسخة وأما ما ضبط فى بعض النسخ بفتح الكاف وتخفيف الفاء وكذا بصيغة المصدر فتصحيف واما ما فى بعض النسخ ممن بدل فمن فتحريف والصواب فمن جواب اما لا قوله فقال كما يتوهم والله أعلم (لانه اذا نفى العلم انتفى وصف عالم) عن موصوفه ضرورة انتفاء الوصف بالمشتق بانتفاء المشتق منه (اذلا يوصف بعالم الامن له علم) اذلا يعقل مثلا من العالم الامن له العلم وله معلوم يتعلق به علمه ولا تنافى بين كون العلم قديما وكون المعلوم حادثا كما قرر فى محله اللائق به (فكأنهم) أى المعتزلة (صرحوا عنده) أى عند القائل بالمآل (بما أدى اليه قوله) من لزوم نفى الوصف بالمشتق لنفى المشتق منه (وهكذا) الحكم (عند هذا) القائل بالمآل (سائر فرق أهل التاويل من المشبهة والقدرية وغيرهم ومن لم ير أخذهم بمآل قولهم) أى بما يؤول اليه آخر مقولهم (ولا الزمهم موجب مذهبهم) بفتح الجيم أى مقتضى مافهم من فحوى كلامهم (لم ير اكفارهم) أى تكفيرهم (قال) أى من لم يرما سبق (لانهم اذا وقفوا) بصيغة المجهول مشددا أو مخففا أى اطلعوا (على هذا) الذى ذكرنا من ان مآل قولهم عالم ولكن لا علم له نفى علمه تعالى (قالوا لا نقول) على أصلنا (ليس بعالم) سلبا معطلا له تعالى عن العلم بل هو كما قال أبو الهذيل العلاف شيخ

من نفى الصفة نفى الوصف بطريق برهانى قطعى عنده (كفره) أى كفر القائل بهذا المقال لما يلزمه وهذا مبنى على ان لازم المذهب مذهب وفيه خلاف فى كتب أصول الفقه (لانه اذا انتفى العلم) أى صفة العلم الزائدة على الذات (انتفى) بحسب الظاهر (وصف عالم) لان معنى عالم من قام به صفة العلم وهم ينفونها (اذلا يوصف به) لفظ (عالم الامن) ثبت (له علم) أى صفة غير ذاته هى العلم للزوم نفى الوصف المسبوق بانتفاء المشتق منه اذلا معنى له حقيقة غير ثبوته له (فكأنهم) أى المعتزلة النافين للصفة المستلزمة لنفى الوصف بعالم ونحوه (صرحوا عنده) أى عند المكفر لهم (بما أدى) أى أوصل للزومه له بما أدى (اليه قولهم وهكذا عنده هذا) المكفر لان لازم المذهب عنده مذهب فيكفر (سائر فرق أهل التاويل من المشبهة) المثبتين لله صفات تشبه صفات عباده كما تقدم (والقدرية) بالمعنى الذى بيناه (وغيرهم) من الفرق الضالة المبتدعة (ومن لم ير) أى لم يعتقد (أخذهم) أى مؤاخذتهم (بمآل قولهم) ولازم مذهبهم وفى نسخة ومن لم يؤاخذهم الخ (ولا الزمهم موجب مذهبهم) الدال عليه فحوى ماذهبوا اليه مما لا يليق برب العزة (لم ير اكفارهم) ولم يحكم بكفرهم لشمول معنى الايمان لهم بحسب الظاهر و (قال لانهم) أى اصحاب هذا المقال (اذا وقفوا على هذا) أى اطلعوا على ما لزم مذهبهم فوقفوا مبنى للمعلوم مخفف أو مبنى للمجهول مشدد أى اطلعهم من كفرهم على ما كفرهم به وفى نسخة اذا ووقوا بواوين (قالوا) مجيبين له نحن (لا نقول) لله انه (ليس بعالم) يريد به مافهموه من السلب المعطل لله عن العلم بل هو عالم بعلم هو عين ذاته وهكذا سائر الصفات عند أبى الهذيل العلاف (ونحن) معاشر المعتزلة (وأنتم) أهل السنة (ننتفى) افتعال من النفى ضمن معنى نتبرأ ولذا أسنده للعقلاء والانتفاء صفة المعنى (من القول بالمآل الذى ألزمتموه لنا) معاشر المعتزلة والفلاسفة (ونعتقد نحن وأنتم انه كفر) ان حمل على ظاهره ومايفهم من فحواه من نفى العلم عنه عز وجل (بل نقول) قولا أسلم من هذا (ان قولنا) الذى اشتهر عن مقالتنا هذه (لا يؤول اليه) أى الى ما قلتم ان كلامنا يؤدى اليه (على ما أصلناه) بتشديد الصاد المهملة أى اتخذناه أصلا وقاعدة بنينا عليها النفى فانه لا محذور فيه اذ المحذور فى القول بانه لا علم له ونحن لا نقول به بل نقول يعلم بعلم هو عين ذاته وهكذا سائر الصفات والمشبهة عندنا هم المجسمة الذين يأخذون بظواهر النصوص المتشابهة وغيرهم من أهل السنة يقولون نؤمن بظاهرها ونفوض علم باطنها الى الله تعالى اذ لم يكلف بمعرفتها والمعتزلة يقولون لاهل السنة مشبهة كما قال الزمخشرى عفى الله تعالى عنه

وجماعة سموا هواهم سنة * فهم لعمرى كالحمير الموكفة
قد شبهوه بخلقه وتخوفوا * شنع الورى فتستروا بالبلكفة

وهما فرقتان كما تقدم (فعلى هذين المأخذين) من النظر لمآل كلامهم والنظر لما أصلوه من تاويلهم (اختلف الناس) من علماء الملة وأهل السنة (فى اكفار أهل التاويل) بلازم مذهبهم وعدمه بالنظر لمرادهم (واذا فهمته) أى فهمت المذكور من منشأ الخلاف فى تكفيرهم وعدمه

(٦٧ شفا ع) المعتزلة عالم بعلم هو ذاته حى بحياة هى ذاته مريد بارادة هى ذاته لا عالم بعلم ومتكلم بكلام وحى بحياة زائدات على ذاته وهكذا فى بقية صفاته (ونحن ننتفى من القول بالمآل الذى ألزمتموه لنا ونعتقد نحن) معشر المعتزلة (وأنتم) أهل السنة (انه) أى مآل اليه القول (كفر بل نقول ان قولنا) مثلا عالم ولكن لا علم له (لا يؤول اليه) أى انتفاء علمه سبحانه وتعالى أصلا (على ما أصلناه) بتشديد الصاد أى جعلناه أصلا وقاعدة فالخلاف لفظى فى المآل والله تعالى أعلم بحقيقة الحال (فعلى هذين المأخذين) أى عن رأى أخذهم بالمآل ومن لم ير أخذهم (اختلف الناس فى اكفار أهل التاويل واذا فهمته) أى التاويل على نسق ما مر من الاقاويل

(اتضح لك الموجب) أي الباعث (والسبب لاختلاف الناس في ذلك) التكفير لاختلافهم في مقام التقرير (والصواب ترك اكفارهم) كما عليه الجمهور من الائمة (والاعراض عن الحتم) أي حكم الجزم (عليهم بالخسران) المبين (واجراء أحكام الاسلام عليهم) كسائر المسلمين من حرمة ايذاء وعصمة دم ومال الا بحق الاسلام (في قصاصهم) لهم ومنهم وحدهم شربا وسرقة وجلدا ورجما وتعزيرا لهم ومنهم (ووراثاتهم ومناكحاتهم ودياتهم) في جراحاتهم منهم ولهم (والصلاة عليهم) اذا ماتوا وخلفهم اذا أموا (ودفنهم في مقابر المسلمين وسائر معاملاتهم) في الدنيا والدين (لكنهم يغلظ عليهم) تعزيرا لهم (بوجيع الادب) ضربا وحبسا (وشديد الزجر) من الطرد (والهجر حتى يرجعوا عن بدعتهم) وينزجر غيرهم بعبرتهم (وهذه) الحالات (كانت سيرة الصدر الاول) من صلحاء الامة (فيهم) أي في حق أهل البدعة (فقد كان نشا) بالنون أي ظهر وانتشا وابتدأ وفشا (على زمان

الصحابة وبعدهم في التابعين من قال بهذه الاقوال من القدر) وهو رأي المعتزلة كعبد الله الجهني ومن قال كما في صحيح مسلم به وواصل ابن عطاء وعمرو بن عبيد (ورأي الخوارج) عن خروجهم على علي وتكفيرهم له وافترائهم عليه لقولهم أنزل الله فيه ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام وفي ابن ملجم ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله حتى قال فيه كلبهم عمر بن خطان اذ قتل عليا

ماضربة من تقي ما أراد بها * الا ليبلغ من ذي العرش رضوانا
اني لاذكره يوما فاحسبه * أوفى البرية عند الله ميزانا

وعارضه بعض أهل السنة بقوله

ياضربة من شقي لم يزل أبدا * بها عليه اله الحق غضبانا
اني لاعلم ان الله جاعله * أوفى البرية عند الله خسرانا

(اتضح) وظهر (لك الموجب) اسم فاعل بمعنى المقتضي (لاختلاف الناس في ذلك) التكفير وعدمه (والصواب) عند المحققين من الفقهاء وأهل الكلام (ترك اكفارهم) أي ترك الحكم بكفرهم (والاعراض عن الحتم) بحاء مهملة ومثناة فوقية بمعنى القطع والجزم (عليهم بالخسران) أي بانهم خسروا بسبب كفرهم فانه هو الخسران العظيم (واجراء حكم الاسلام عليهم) في الدنيا لاعتقادنا انهم مسلمون لهم مالنا وعليهم ماعلينا (في قصاصهم) أي القصاص لهم ومنهم كسائر المسلمين (ووراثاتهم ومناكحاتهم ودياتهم والصلاة عليهم ودفنهم في مقابر المسلمين وسائر معاملاتهم) من المبايعة وأكل ذبائحهم وغير ذلك التي بينها بقوله ووراثاتهم ومابعده من غير فرق بيننا وبينهم لصدق اسم الايمان والاسلام عليهم (لكنهم يغلظ عليهم) بزجرهم وتعزيرهم (بوجيع الادب) من القيد والضرب والحبس (وشديد الزجر) بنهرهم وقهرهم (والهجر) أي ترك مجالستهم ومعاشرتهم ونحوه مما يشق عليهم من أنواع الاهانة (حتى يرجعوا) أو يتركوا متباعدين (عن بدعهم) المخالفة لاهل السنة ويتفاوت ذلك ضعفا وقوة نظرا لحالهم عما هم عليه وهذا ليس على اطلاقه كما يعلم مما تقدم فان فيهم من حكموا بكفره وليس الكلام فيه (وهذه) الامور المذكورة (كانت سيرة) أي الطريقة التي كان عليها (الصدر الاول) المراد بهم أهل العصر الاول من الصحابة والتابعين ومن قرب منهم وهو مستعار من صدر الشيء بمعنى أعلاه وأوله (فيهم) أي في معاملتهم والحكم عليهم بما ذكر (فقد كان نشا) أي وجد وظهر (على زمان الصحابة وبعدهم في التابعين) على بمعنى في (من قال بهذه الاقوال) المذكورة (من القدر) أي الاعتزال كواصل بن عطاء وعمرو بن عبيد ومعبد الجهني واضرابهم (ورأي الخوارج) الذين خرجوا على علي وجرى بينه وبينهم ماجرى وهم فرق مختلفة لهم اعتقادات باطلة واحوالهم ومذاهبهم مفصلة في المطولات (و) اصحاب (الاعتزال) ومذاهبهم مذكورة في كتب الكلام (فما أزاحوا) بزاي معجمة وحاء مهملة أي أزالوا (لهم قبرا) في الصدر الاول (ولاقطعوا) أي منعوا (لاحد منهم ميراثا) يرثونه من غيرهم أو يرثه غيرهم منهم كسائر مواريث المسلمين (لكنهم هجروهم) بترك مخالطتهم (وأدبوهم بالضرب والنفي) تعزيرا لهم باخراجهم من ديارهم (والقتل) هذا على رأي من يجوز التعزير بالقتل برأي الامام لاقتل من استحق القتل منهم بسبب آخر كما قيل فانه لايناسب قوله (على قدر أحوالهم)

(والاعتزال) لعل المراد به طائفة خاصة من المعتزلة (فما أزاحوا) بالزاي والحاء المهملة أي فما أزال الصدر الاول ماهاجرهم (لهم قبرا) متبعدا منفردا متميزا عن مقابر المسلمين وفي نسخة قبورا (ولاقطعوا لاحد منهم ميراثا) أي من موروثه مبتدعا أو غيره (لكنهم هجروهم) في الكلام والسلام والمقام والطعام (وأدبوهم بالضرب والنفي) أي الاخراج من بلادهم أو الحبس لدفع فسادهم (والقتل) لارباب عتوهم وعنادهم (على قدر

أحوالهم) واختلاف أقوالهم (لانهم) باعتقادهم ما يخالف الحق مما لا يكفرون به (فساق) لخروجهم عن طاعة الله (ضلال) عن الحق لعدم قبولهم (عصاة) أى أهل فساد وبغاة (أصحاب كبائر عند المحققين) من المجتهدين (وأهل السنة) من علماء الدين (ممن لم يقل بكفرهم) أى بكفر ارباب الآراء الكاسدة وأصحاب التاويلات الفاسدة (منهم) أى من العلماء المتقدمين (خلافا لمن رأى غير ذلك) من عدم هجرهم أو لمن رأى اكفارهم وتحتم قتلهم (والله الموفق للصواب قال القاضى أبو بكر) الباقلانى (واما مسائل الوعد والوعيد) فى قول المعتزلة انه يجب عليه سبحانه وتعالى اثابة المطيع وتعذيب العاصى مع انه سبحانه وتعالى يقول يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء وقولهم يجوز خلف الوعيد لانه محض كرم مع انه تعالى قال ان الله لا يخلف الميعاد وقد جمعت فى هذه المسئلة رسالة مستقلة مسماة بالقول السديد فى خلف الوعيد ردا على بعض أهل السنة حيث وافق المعتزلة (والرؤية) أى رؤية الله سبحانه وتعالى فى الدار الآخرة انكرها المعتزلة (والمخلوق) أى الخلق كالمقول بمعنى العقل أى خلق القرآن ومعناه ان القرآن مخلوق كما قالوه وقال الدلجى أى وانكر مخلوقيته له تعالى كالمفوضة اذ قالوا ان الله خلق محمدا وفوض اليه خلق الدنيا فهو الخالق لها بما فيها ومثالهم من أنكر مخلوقية الشر له تعالى وأثبتها للشيطان أو غيره انتهى ولا يخفى ان هذا المعنى لا يلائم لانه كفر وزندقة والكلام فى

أحوالهم) الموجبة لتاديبهم (لانهم) بسبب بدعهم (فساق) كغيرهم من الفسقة غير الكفرة (ضلال) أهل ضلال وبدع (عصاة أصحاب كبائر) عطف بيان مفسر لما قبله (عند المحققين) الذين لا يكفرون أحدا من أهل القبلة (وأهل السنة) عطف تفسير (ممن لم يحكم بكفرهم منهم) أى لم يحكم بكفر أصحاب الآراء الباطلة لتاويلهم (خلافا لمن رأى غير ذلك) من تكفيرهم ولم يكتف بتاديبهم بما تقدم وبما ذكرناه علم ان من قال المراد بالقتل التاديب لا ازهاق الروح لم يصب وكذا قول من قال انه يدخل فى كلامه القرامطة ونحوهم ممن حكم بكفره فالاحسن ان يعبر باهل القبلة وفى كلام المصنف رحمه الله تعالى لف ونشر فان مذهب القدرية والخوارج كان فى زمن الصحابة والاعتزال انما فشى فى زمن التابعين وذكر من التاديب أنواعا منها الهجر وقد ورد فى الحديث النهى عن هجر المسلم فوق ثلاث الا انه محمول على غير المبتدع والمتجاهر بالظلم أو الفسق أو المحذور يعذر به شرعا وعليه يحمل ما رواه ابن الصلاح من ان سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه هجر عمار بن ياسر حتى مات وكذا عائشة هجرت حفصة وعثمان بن عفان رضى الله عنه هجر عبد الرحمن بن عوف وكذا ما وقع لغيرهم واما الضرب فهو مفصل فى باب التعزير من كتب الفقه والنفى تعزير عندنا ويكون حدا عند الشافعى فى الزنا على كلام وهل يكون دون الحول أو هو مفوض لرأى الامام فيه خلاف واما القتل فيكون تعزيرا عند مالك دون غيره وقال ابن تيمية انه ذهب له غيره أيضا وسموه سياسة قيل وفى بعض النسخ القتل بقاف ومثناة فوقية فتامله (والله الموافق للصواب) ضد الخطا (قال القاضى أبو بكر) الباقلانى (واما مسائل الوعد والوعيد) وانه لا يجوز تخلفه عند المعتزلة لقولهم بانه يجب على الله تعذيب العاصى واثابة الطائع على ما قرروه فى قواعدهم ومن فسر الوعد والوعيد بسؤال القبر وعذابه لم يصب (والرؤية) أى انكار المعتزلة لرؤية الله فى الآخرة (والمخلوق) أى قول المعتزلة ان العبد يخلق أفعاله لا قول المفوضة ان الله فوض خلق الناس لمحمد صلى الله عليه وسلم كما قيل فانه كفر ليس موافقا لما بعده (وخلق الافعال) أى قول المعتزلة ان افعال العباد مخلوقة لهم كما ذهب اليه الجبائى واتباعه فهو كالتفسير لما قبله (وبقاء الاعراض) وهى جمع عرض بفتحتين وهو ما لا يقوم بنفسه كالالوان وهذا على مذهب الاشعرى من ان الاعراض لا تبقى وهو مما ذهب الى خلافه كثير من أهل السنة حتى قال السعد فى شرح المقاصد انه مكابرة فى المحسوس وأغرب منه ما قاله الشيخ الاكبر فى الفصوص من ان الاجسام لا تبقى زمانين أيضا وفسر به قوله تعالى بل هم فى لبس من خلق جديد وهو مما خفى على كثير من المحققين وقد أفردت بيانه بتعليقة وتحقيقه انا نقول ان ما سوى الله وصفاته فان حالا عند ارباب الكشف وهو معنى قوله كل شئ هالك الا وجهه كما أشار اليه البيضاوى فى تفسيره لانها من ابتداء خلقها الى ظهور فنائها فى تبدل وتغير الا انه لنقصه نقصانا فى غاية لا يدركه الحس الا اذا اجتمع منه مقدار يدرك الا ترى الى الشمعة التى تذهب اجزاؤها ولا يحس نقصها فى كل آن حتى يفنى مقدار منها له قدر كثير وهو أمر محسوس الا انه كان على

اعتقادات أهل البدعة (وخلق الافعال) كالجبائى وأشياعه حيث اثبتوها للعباد (وبقاء الاعراض) بانواعها وهو جمع عرض بفتحتين وهو فى اصطلاح المتكلمين ما لا بقاء له كالالوان والاشكال والحركة والسكون والحق ما عليه الاشعرى واتباعه انه لا يبقى أكثر من زمن واحد لانها كلها على التقضى والتجدد كالحركات والازمنة والاصوات وبقاؤها عبارة عن تجدد أمثالها كلما انقضى واحد تجدد مثله بمجرد ارادته تعالى بوقته الذى خلقه فيه وقد قال ابن عربى بنفى بقاء الذات أيضا وان بقاءها فى نظر الناظر انما هو بتجدد أمثالها بسر يعافى ادبارها وأقبالها حتى تختفى حقيقة حالها وما آلها

(والتولد) الذى قالته المعتزلة وهو ان حركة النظر مثلا فى الدليل تولد العلم بالنتيجة عقبها كحركة اليد تولد حركة المفتاح للفتح وقيل ان الآثار التى توجد عقيب افعال العباد بمجرى العادة كالالم عقيب الضرب والانكسار عقيب الكسر تسميها المعتزلة المتولدة بفتح اللام على صيغة المجهول و يزعمون انها حاصلة بايجاد العبد لا صنع لله تعالى فيها وقال أهل الحق انها حاصلة بايجاد الله تعالى واحداثه لا بفعل العبد وا كتسابه والمسئلة معروفة فى أصول الكلام (وشبهها من الدقائق) التى يتوهمون انها من الحقائق كالقول بقيام العرض بالعرض وأمثال ذلك مما أخذوها من كلام الفلاسفة والحكماء (فالمنع من اكفار المتاولين فيها أوضح) أى أظهر وأصح من القول باكفارهم (اذ ليس فى

الجهل بشئ منها جهل بالله تعالى) أى بذاته وصفاته وفيه بحث اذ الوعد والوعيد والرؤية والكلام والخلق من جملة العلوم المتعلقة بصفاته ولعله أراد انه ليس جهلا بوجوده على ما سبق فى كلامه أو ليس جهلا عظيما مما لا يسامح ولا يساهل فيه ويشير اليه قوله (ولا أجمع المسلمون على اكفار من جهل شيأ منها) انتهى ما نقله عن القاضى أبى بكر ثم قال المصنف (وقد قدمنا فى الفصل قبله من الكلام وصورة الخلاف فى هذا) المرام (ما أغنى عن اعادته) فى هذا المقام (بحول الله تعالى) ذى الجلال والاكرام

(فصل) (هذا) الذى ذكر سابقا (حكم المسلم الساب) أى المنتقص (لله تعالى واما الذمى) وهو الكتاب الذى يعطى الجزية

المصنف رحمه الله تعالى ان لا يذكره لخفائه (والتولد) الذى ذهب اليه المعتزلة والحكماء كتولد العلم من الدليل وحصوله عقبه كحركة المفتاح بحركة اليد وهذا أيضا مما ينبغى تركه هنا (وشبهها من الدقائق) الفلسفية التى ادخلها المعتزلة فى الكلام (فالمنع فى اكفار المتاولين فيها أوضح) من القول باكفارهم لانها لا يترتب عليها أمر دينى (اذ ليس فى الجهل بشئ منها جهل بالله) حتى يكفر الذاهب اليها (ولا أجمع المسلمون على اكفار من جهل شيئا منها) كما تقدم فى تفسير الكفر عنده (وقد قدمنا فى الفصل) الذى ذكر (قبله من الكلام وصورة الخلاف) ومعناه الذى قرره (فى هذا) النوع (ما أغنى عن اعادته) لظهوره وقرب العهد به (بحول الله تعالى) وحمايته عن مخالفة الحق فيه وفى غيره و بقية اعتقادات المعتزلة مذكورة فى الكلام فلا حاجة لتكثير السواد بها هنا كما فى بعض الشروح

(فصل هذا) اشارة لما ذكره سابقا (حكم المسلم الساب لله تعالى) وما بعده سبا أو غيره مما فصله قبل هذا وسمى ما قدمه من ألفاظ الكفر سبا مع انه امثلة فى ذكر ما لا يليق بجلال الله أو لانها تستلزم تكذيبه وهو سب وتسمية الساب مسلما باعتبار ظاهر حاله وما كان عليه فلا اشكال فيه (واما الذمى) الكافر الذى له ذمة وامان (فروى عن عبد الله بن عمر) رضى الله تعالى عنهما ولم يذكر أحد هذا من رواه عنه (فى ذمى تناول من حرمة الله تعالى) أى تكلم فى حق الله بما لا يجوز وأصل التناول الأخذ باليد فتجوز به عما ذكر والحرمة ما يجب احترامه وترك الخوض فيه (غير ما هو عليه) أى ما استقر عليه مما كفر (من دينه) أى بما اعتاده أو اعتقده دين له فانه يسمى دينا كما قال تعالى لكم دينكم ولى دين (وحاج فيه) وجادل فيه وخاصم أو اقام ما هو حجة بزعمه (فخرج ابن عمر) رضى الله تعالى عنهما من داخل بيته (عليه بالسيف) يريد قتله فكان سمعه يتكلم خارج بيته (فطلبه) أى قصده ليضربه بسيفه (فهرب) منه لخوفه على نفسه (وقال مالك) فيما روى عنه (فى كتاب ابن حبيب) اسمه عبد الملك كما تقدم (و) فى (المبسوطة) اسم كتاب (وابن القاسم فى المبسوط) كتاب أيضا (وكتاب محمد بن سحنون) رحمه الله فى فقه مذهب مالك (من شتم الله تعالى) عز وجل (من اليهود والنصارى بغير الوجه الذى به كفروا) كادعاء الولد والشريك كما يأتى (قتل ولم يستتب) أى لم يكلف التوبة ولم تطلب منه (وقال ابن القاسم) انه يقتل من غير استتابة (الا أن يسلم قال فى المبسوطة طوعا) باختيار من غير اكراه فان اسلام المكره غير مقبول فى صحته خلاف الفقهاء وفرق بعض الشافعية بين الحربى والذمى فيصح من الاول دون الثانى (قال أصبغ) تقدم انه ابن الفرج (لان الوجه) أى الامر من قول أو فعل

(الذى

(فروى عن عبد الله بن عمر فى ذمى تناول) أى تكلم بما لا يجوز اقدامه عليه (من حرمة الله تعالى) أى بما لا يحل الوقوع فيه (غير ما هو عليه من دينه) أى من الكفر كقولهم عزير ابن الله والمسيح ابن الله ونحوه (وحاج) أى جادل (فيه فخرج ابن عمر عليه بالسيف فطلبه فهرب) وهذا اوضح لانه بتناوله ذلك خرج عن كونه ذميا هنالك (وقال مالك فى كتاب ابن حبيب والمبسوطة) بالتاء (وابن القاسم فى المبسوط وكتاب محمد) أى ابن المواز (وابن سحنون من شتم الله من اليهود) سموا بذلك لقولهم هدنا اليك فيهود بمعنى يتوب وقيل لانهم نسبوا الى يهوذا بن يعقوب وهو بذال معجمة وعرب بالمهملة (والنصارى) سموا بذلك لقولهم نحن انصار الله وقيل لناصرية اسم قرية (بغير الوجه

الذى به كفروا) وفى نسخة كفر أى من اثبات الولد والصاحبة والتثليث (قتل ولم يستتب) أى لم تطلب منه التوبة بالاسلام (قال ابن قاسم الا أن يسلم) أى بنفسه فلا يقتل على ماسبق فى كلامه (قال فى المبسوطة طوعا) أى الا أن يسلم اختيارا لا اجبارا (قال أصبغ) انما يقتل اذا لم يسلم مع انه ذمى (لان الوجه الذى به كفروا هو دينهم وعليه عوهدوا) أى اعطوا العهد والذمة (من دعوى الصاحبة والشريك) للنصارى (والولد) لليهود والنصارى وفى أصل الدلجى وغيرها كشرب الخمر وبيعها وضرب الناقوس انتهى ولا يخفى انها ليست مما كفروا بها (وأما غير هذا) الذى عوهدوا عليه (من الفرية) على الله (والشتم) أى الانتقاص فى حقه سبحانه وتعالى (فلم يعاهدوا عليه فهو) أى صدوره منهم (نقض للعهد) الذى عاهدوا (قال ابن القاسم فى كتاب محمد) أى

(الذى به) أى بسببه (كفروا وهو دينهم) أى عادتهم ومعتقدهم ولعله ممنهم ومشاهدته سمى وجها (وعليه عوهدوا) أى أخذت عليهم العهود مع استقرارهم عليه لانهم أخذ عليهم العهد فى نفسه فانا لا نرضاه أو هو متضمن معنى الاقرار فاندفع ماقيل من انه كان ينبغى له أن يقول تركوا عليه لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم اتركوهم ومايدينون لان العهد يكون على ماشرط عليهم وقوله أكره أن أقول أقررناهم وانما أقول تركناهم غير مسلم (من دعوى الصاحبة والشريك والولد) بيان لما كفروا به (وأما غير هذا من الفرية) أى الكذب والاختلاق على الله فى غير ما كفروا به (والشتم) كما قال تعالى فيسبوا الله عدوا بغير علم (فلم يعاهدوا عليه) أى لا يقروا عليه (فهو نقض للعهد) الذى عاهد الامام عليه أهل الذمة ومن انتقض عهده منهم يخير فيه الامام بين القتل والرق والمن عليه وعند بعضهم يتعين القتل (قال ابن القاسم فى كتاب محمد) بن سحنون وقيل هو محمد بن ابراهيم بن المواز قيل انه نسبة للوز وهو ولد فى رجب سنة ثمانين ومائة ومات سنة احدى وثمانين ومائتين وقيل سنة سبع ومائتين بدمشق واختلف فى لقائه لابن القاسم والصحيح انه روى عنه بواسطة (ومن شتم الله تعالى من غير أهل الاديان) أى غير المسلمين بدليل قوله بعده (بغير الوجه الذى ذكر فى كتابه) فانه صريح فى انهم من أهل الكتاب ولابد ان يراد بقوله فى كتابه كتابه الذى حرف لان الكتب الالهية ليس فيها كفر فهو على زعمهم أو المراد كتب أحكامهم التى وضعوها باتفاقهم كما وقع لهم فى زمن قسطنطين من اجتماعهم على آراء دونوها كما فصل فى الملل والنحل وهذا بناء على ان الكفر ليس ملة واحدة ولذا جمع الاديان أو المراد بالكتاب ما كتبوه من عند أنفسهم أو اتفقوا عليه تسامحا فلم الجواب عما قيل ان فى عبارته تناقضا وان قوله من غير أهل الاديان يقتضى انه لا كتاب وقوله فى كتابه يخالفه والكفر كله ملة واحدة (قتل الا ان يسلم) فلا يقتل فان الاسلام يجب ماقبله وهذا كله مذهب مالك رحمه الله تعالى ومذهب الشافعى والحنفية فيه ما يخالفه (وقال المخزومى فى المبسوطة ومحمد بن مسلمة وابن أبى حازم لا يقتل) من سب الله (حتى يستتاب) أى تعرض عليه التوبة (مسلما كان) الذى سب (أو كافرا فان تاب) ورجع عما صدر منه فذاك (والا قتل) لنقض عهده (وقال مطرف) بن عبد الله كما تقدم (وعبد الملك) هو ابن الماجشون (مثل قول مالك وقال) الشيخ (أبو محمد بن أبى زيد) صاحب الرسالة وقد تقدم ولا يخفى ان هذا خلاف ماتقدم عنه فهو قول آخر (من سب الله تعالى بغير الوجه الذى به كفر قتل الا أن يسلم وقد ذكرنا قول ابن الجلاب قبل) أى قبل هذا وقد تقدم ان ابن الجلاب البغدادى الضرير وانه بفتح الجيم واللام المشددة وآخره موحدة (وذكرنا قول عبيد الله) بن يحيى (وابن لبابة) بضم اللام كما تقدم (وشيوخ الاندلسيين)

ابن المواز وقال الدلجى لعله ابن سحنون وقال التلمسانى وهو ابن المواز فقال نسبة للوز واختلف هل لقى ابن القاسم وابن وهب أولا والصحيح انه روى عنه بواسطة (ومن شتم من غير أهل الاديان) الذى أعطى لهم الامان (الله تعالى بغير الوجه الذى ذكر فى كتابه قتل الا أن يسلم) أى طوعا عند المالكية ومطلقا عند الجمهور وبه قال بعضهم كما تقدم (وقال المخزومى فى المبسوطة ومحمد بن مسلمة) بفتح الميم الاولى واللام (وابن أبى حازم) وهم من أصحاب مالك ورواة مذهبه (لا يقتل) أى من شتم الله (حتى يستتاب مسلما كان أو كافرا فان تاب والا قتل)

وهذا أوفق لقاعدتهم من ان حق الله تعالى مما يسامح بخلاف حق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (وقال مطرف) أى ابن عبد الله الفقيه (وعبد الملك) وهو ابن الماجشون (مثل قول مالك) أى فى كتاب ابن حبيب وغيره عما هنالك من انه يقتل ولا يستتاب (وقال أبو محمد ابن أبى زيد) أى القيروانى (من سب الله تعالى بغير الوجه الذى به كفر قتل الا أن يسلم) كما قال ابن القاسم (وقد ذكرنا قول ابن الجلاب) بفتح الجيم وتشديد اللام وفى آخره موحدة وهو البغدادى الضرير (قبل) أى قبل ذلك (وذكرنا قول عبيد الله) أى ابن يحيى (وابن لبابة) بضم أوله (وشيوخ الاندلسيين) بفتح الهمزة وضم الدال ويفتح ويضمها

(فى النصرانية وفتياهم بقتلها بسبها بالوجه الذى كفرت به لله ولرسوله) متعلق بسبها ولعل المراد به اعلانها (واجماعهم على ذلك) أى على قتلها بفتياهم (وهو) أى اجماعهم المذكور (نحو قول الآخر فيمن سب النبى عليه الصلاة والسلام) أى اعلانا به (منهم) أى من الكفار (بالوجه الذى كفر به) فانه يقتل الا أن يسلم طوعا (ولا فرق فى ذلك) أى فى قتله بالوجه الذى كفر به (بين سب الله وسبه نبيه لانا عاهدناهم على أن لا يظهر والناشيا من كفرهم ولا يسمعونا شيا من ذلك فتى فعلوا شيأ منه فهو نقض لعهدهم) وموجب لقتلهم فيظهر ان منشا

الخلاف بين الاقوال هو العهد به وعدمه فى الاحوال (واختلف العلماء فى الذمى اذا تزندق) باظهار دينه مبطنا عقيدة باطلة هى كفر اتفاقا (فقال مالك ومطرف وابن عبد الحكم واصبغ لا يقتل لانه خرج من كفر الى كفر فقال عبد الملك ابن الماجشون) صاحب مالك (يقتل لانه) أى ما أضمره عما هو كفر اتفاقا (دين لا يقر عليه أحد) وينبغى أن يكون هذا هو المعتمد (ولا يؤخذ عليه جزية) كمن انتقل من دين باطل الى مثله وفى شرح الدلجى قال الشافعى ولا يقر عليه فان لم يسلم بلغ المامن وصار حربيا انتهى وهو فرع غريب والصواب انه حيث ترندق يقتل ولم يقبل توبته كمسلم ترندق بل هو أولى كما لا يخفى (قال ابن حبيب ولا أعلم من قاله غيره) من العلماء ان الذمى اذا تزندق يقتل مع ان وجهه ظاهر جدا لانه بتزندقه خرج عن كونه ذميا وصار حربيا بل أدون منه لانه يقبل اسلام الحربى اجماعا ولم يقبل توبة الزنديق عند كثير من العلماء

(فصل) (هذا) الذى قدمنا (حكم من صرح بسبه واضافة ما لا يليق بجلاله والهيته) عظم شانه (فاما مفترى الكذب عليه سبحانه وتعالى بادعاء الالهية) لنفسه أو لغيره (أو الرسالة) وكذا النبوة (أو النافى أن يكون الله خالقه) أو خالق غيره (أو ربه) أى مربيه فى عالم ظهوره ومدبر جميع أموره (أو قال ليس لى) أو لغيرى (رب أو المتكلم بما لا يعقل من ذلك) الذى ذكرناه كله (فى سكره) أى حال ذهاب عقله (أو غمرة جنونه) أى شدته

من علماء المالكية (فى) المرأة (النصرانية وفتياهم بقتلها بسبها بالوجه الذى كفرت به) لتصريحها بما لا تقر على مثله (لله) متعلق بسبها الا ان تسلم ونبه عليه اشارة الى ان فى المسئلة غير الذى ذكره (و) فتياهم بقتل الساب (للنبى) صلى الله تعالى عليه وسلم (واجماعهم) فى فقهاء الاندلس (على ذلك) أى قتل من سب بما كفر به (وهو) أى هذا القول الذى أجمعوا عليه (نحو القول الآخر) فى هذه المسئلة (فيمن سب منهم) أى من أهل الذمة (النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بالوجه الذى كفر به) كانكار نبوته فيقتل الا أن يسلم طوعا (ولا فرق فى ذلك) أى بما كفر به (بين سب الله) سبحانه وتعالى (وسب نبيه) صلى الله تعالى عليه وسلم (لانا عاهدناهم) حين عقدت لهم الذمة (على أن لا يظهروا لنا شيا من كفرهم) وتركناهم على ماهم عليه فيما بينهم (وان لا يسمعونا شيا من ذلك) الكفر الذى كفروا به بأى طريق كان (فتى فعلوا شيا منه) من ذلك (فهو نقض منهم لعهدهم) لمخالفته لعهدهم وهذا كله اشارة الى ما فى العهود العمرية التى وقعت حين فتح المسلمون بلادهم فكل ما شرط الامام مخالفته نقض عهد موجب للقتل (واختلف العلماء) من السلف (فى الذمى اذا تزندق) لظهور علامات تدل على انه مبطن لما يخالف دينه ويخالف دين الاسلام فلم يبق على دين أصلا (فقال مالك ومطرف وابن عبد الحكم وأصبغ لا يقتل لانه خرج من كفر الى كفر) يعنى الزندقة (وقال عبد الملك بن الماجشون يقتل لانه دين لا يقر عليه أحد) يعنى من المسلمين فاذا اقتل به المسلم فغيره بالطريق الاولى وتسميته دينا تسامح فانه لادين له (ولا يؤخذ عليه جزية) كمن انتقل من اليهودية للنصرانية مثلا وقد شذ فى قوله هذا كما (قال ابن حبيب ولا أعلم من قاله غيره) اذ لم يقله أحد من المالكية ودليله فى غاية الضعف وعند الشافعى انه لا يقر عليه والصحيح عنده انه لا يقبل منه الا الاسلام وقيل يقبل منه كل دين يساوى دينه واذا انتقل الذمى لدين آخر فيه خلاف عنده مبنى على ان الكفر ملة واحدة أو ملل متعددة

(فصل هذا) المذكور (فى الفصل الذى قدمه (حكم من صرح بسبه) عز وجل (واضافة) أى نسبة اليه (ما لا يليق بجلاله) أى عظمته (والهيته) أى كونه الها والاضافة ضم شئ الى شئ (فاما مفترى الكذب عليه تبارك وتعالى) الافتراء تعمد الكذب فهو وأخص منه (بادعاء الالهية) أى انه اله كفرعون لعنه الله (أو الرسالة) كمسيلمة الكذاب (أو النافى أن يكون الله خالقه أو) نفى أن يكون الله (ربه) بل رب غيره (أو قال ليس لى رب) بانكاره خلقه وهو فى معنى ما تقدم لكنه أراد تعديد ألفاظ الكفر (أو المتكلم بما لا يعقل) بالبناء للمجهول (من ذلك) من ادعاء الالوهية أو الرسالة أو نفى الخالقية أو الربوبية (فى) حال (سكره) وغيبة عقله (أو غمرة جنونه) أى شدة أذهبت عقله وهى بفتح الغين المعجمة وسكون الميم قبل راء مهملة من غمره الماء اذا غطاه ثم استعير لكل شدة فيقال غمرة الموت وغمرة الفتنة

(فلاخلاف فى كفر قائل ذلك ومدعيه مع سلامة عقله) وهذا يناقض قوله غمرة جنونه الا أن يحمل على غاية حماقته وسوء خلقه وسيجيء مزيد تحقيق لذلك فى كلامه (كما قدمناه لكنه تقبل توبته على المشهور) من مذهب مالك الموافق للجمهور (وتنفعه انابته) أى رجوعه وتوبته (وتنجيه من القتل فيئته) بفتح الفاء وتكسر أى عودته وزواله عن عادته وسوء حالته (لكنه لا يسلم من عظيم النكال) بفتح النون أى العقوبة الشديدة فى الدنيا (ولا يرفه) بفتح الفاء المشددة أى لا يخفف غمه ولا ينفس كربه (من) وفى نسخة عن (شديد العقاب) فى مذهب مالك (ليكون ذلك زجرا لمثله عن قوله وله عن العود لكفره) مع علمه (أو جهله الا من تكرر ذلك منه وعرف استهانته) أى عدم مبالاته (بما أتى به) فى حالاته (فهو دليل على سوء طويته) أى ضميره وفساد نيته (وكذب توبته وصار كالزنديق الذى لا يؤمن باطنه) لانقلابه (ولا يقبل رجوعه) لعدم ثباته (وحكم السكران) فى هذا الباب (حكم الصاحى) زجرا عليه قياسا على صحة طلاقه (وأما المجنون) وهو المسلوب العقل وفى الحديث انه مر على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم رجل فقالوا هذا مجنون فقال عليه الصلاة والسلام لا تقولوا مجنون انما المجنون المقيم على المعصية ولكن قولوا رجل مصاب قال التلمسانى وقيل صوابه لو قال المصاب الذى مس من جنون (والمعتوه) أى المصاب بعقله المخبط فى قوله وفعله الناقص فى شعوره (فاعلم انه قاله من ذلك فى حال غمرته) أى اغمائه (وذهاب ميزه) أى تمييزه (بالكلية فلا نظر فيه) أى بحكم

الفتنة (فلاخلاف فى كفر قائل ذلك) أى شئ منه (ومدعيه) أى الذى يقول ويدعى حقيقته (مع سلامة عقله) لافترائه الكذب على الله قال تعالى (انما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله * ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة) وسيأتى حكم من زال عقله (كما قدمناه) أى القول بكفره وبيان وجهه (لكنه تقبل توبته على) القول (المشهور وتنفعه انابته) أى رجوعه الى الله وهى عبارة عن التوبة وعبر بها تفننا (وتنجيه) من النجاة مضارع بضم أوله أى تخلصه (من القتل فيئته) بفتح فاء فقبل ياء مثناة ساكنة وهمزة مفتوحة وتاء موحدة مصدر فاء بمعنى رجع وكله تفنن وذكر هذه الفقرات اشارة الى أنه بعد انابته الا يبقى عليه عهدة فى الدنيا ولا فى الآخرة لا للاعتناء به ولذا قال (لكنه لا يسلم) فى الدنيا (من عظيم النكال) أى العقوبة من النكل وهو القيد (ولا يرفه) أى ينفس عنه و يخفف وهو بضم أوله وتشديد فائه (عن شديد العقاب ليكون ذلك) النكال والعقاب (زجرا) أى ردعا ما نعا (لمثله) ممن يتوقع منه قول مثل قوله (عن قوله) أى مثل قول ذلك المفترى على الله (و) زجرا (له) أى لذلك القائل أولا (عن العودة) لما تاب عنه (لكفره) بما قاله افتراء على الله تعالى مع علمه بما فيه من المحذور (أو جهله) بسفاهة منه لتوهمه انه أمر واقع (الا من تكرر) أى وقع (ذلك) الافتراء (منه) مرارا (وعرف استهانته) أى عده هينا واهانته لعدم مبالاته به (بما أتى به) بما كفر به (فهو دليل على سوء طويته) أى ما أخفاه من سوء الاعتقاد وسمى المضمر طوية تشبيها بما طوى فى داخل غطاء يغطيه (و) دليل على (كذب توبته) وانه انما تاب خوفا من العقوبة (وصار) بما ذكر (كالزنديق) الذى يظهر الاسلام ويخفى الكفر (الذى لا نامن) مع ما ذكر (باطنه) مما أخفاه من كفره فقد يضمر فيه شيأ من ذلك (ولا نقبل رجوعه) لما علم من سوء عقيدته وما أخفاه مما اذا وجد فرصة عاد اليه (وحكم السكران) فى عقوبته وتكفيره (حكم الصاحى) فى مؤاخذته بما صدر منه لتعديه بسكره فيغلظ عليه والسكر غيبة العقل بما تعاطاه من الخمر وللفقهاء فيه حدود كلها ترجع للعرف والعادة وهو بديهى غير محتاج لتعريف وللسكر حالات فاوله نشاة وفرح وأوسطه فوق ذلك فهو تراخ فى الاعضاء وآخره زوال العقل وسقوط الحركة ولذا اختلفوا فيه هل هو مكلف أم لا على أقوال ثلاثة ثالثها ان تعدى بسكره يجرى عليه أحكام التكليف من طلاقه وضمانه وكفره واسلامه فان لم يتعد كأن أكره أو شرب لتداو أو اضطرار لاساغة لقمة أو شدة عطش لم يكلف وينزل عليه قول المصنف رحمه الله تعالى حكمه حكم الصاحى (وأما المجنون) وهو الذى زال عقله بالكلية وهو معلوم (والمعتوه) من العته وهو اختلال فى العقل دون الجنون بحيث يكثر ذهوله ونسيانه و يختلط كلامه احيانا حتى يشبه المجنون لكن يتنبه بتنبيه غيره له وتختل أفعال معاشه (فاعلم انه قاله من ذلك) السب ونحوه (فى حال غمرته) بغين معجمة مفتوحة وميم ساكنة أى ذهاب عقله بالكلية وقد سمعت تحقيق معنى الغمرة قريبا (وذهاب ميزه) بفتح الميم وسكون المثناة التحتية وزاى معجمة أى تمييزه وادراكه (بالكلية) بحيث لا يعقل أصلا ولا يفهم شيأ (فلا ينظر فيه) أى لا يتعرض له ولا يحكم عليه بكفر ولا غيره لانه غير مكلف فلا يؤاخذ بما يصدر عنه (وما فعله من ذلك) السب ونحوه (فى حال ميزه) أى

(وما فعله من ذلك في حال تمييزه وان لم يكن معه عقله) كملا (وسقط تكليفه) بنقصان عقله (أدب على ذلك لينزجر عنه) أي عن عوده هنالك (كما يؤدب على قبائح الافعال ويوالى أدبه) أي يتابع مرارا (على ذلك حتى ينكف عنه) أي ينزجر منه (كما تؤدب البهيمة على سوء الخلق) من جموح وعض ونحوهما (حتى تراض) بصيغة المجهول أي حتى يستقيم طبعها (وقد أحرق على بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه من ادعى له الالهية) وهو عبد الله بن سبا واتباعه اذ قال له أنت الاله حقا فنفاه

تمييزه لما يصدر عنه وهو من جنونه متقطع غير منطبق وقوله (وان لم يكن معه عقله) اما أن يريد به انه لم يكن عقله مستمر التقطع جنونه أو يريد عقله الكامل بان يدرك أمرا دون أمر والا يتناقض كلامه لان من لا عقل له لا تمييز له (وسقط تكليفه) لجنونه وان كان له تمييز ما (أدب) مبني للمجهول أي بضرب ونحوه (على ذلك) القول (وزجر عنه) أي منع بنهره وتخويفه كما ترى بعض المجانين يخاف من الضرب والزجر وفي نسخة لينزجر عنه (كما يؤدب على قبائح الافعال) غير ذلك اذا صدر عنه (ويوالى) مبني للمجهول أي يكرر (أدبه) مرارا لان التكرار له شدة تأثير حتى في البهائم وغيرها كما قال

أما ترى الحبل بتكراره * في الصخرة الصماء قد أثرا

(كما تؤدب البهيمة) التي لا تعقل كالفرس والحمار (على سوء الخلق) كحران ورفس وغير ذلك (حتى تراض) أي تنقاد وتستقيم أفعالها من الرياضة في الامور (وقد أحرق على بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه من ادعى له الالهية) بان قال له أنت اله أي أحرقه بالنار لكفره وهو كما في تاريخ الصفدي نصير مولى على رضي الله عنه لما قال له أنت اله فحرقه بالنار فقال وهو يحترق لولم تكن الها لم تعذب بالنار واليه تنسب الفرقة النصيرية وهم فرق منهم ادعوا ان في على جزأ وأولاده جزأ من الالهية وقالوا ظهور الروحاني بالجسماني أمر معقول كظهور جبريل في صورة البشر الى آخر ما حكاه عنهم وقول الدلجي وهو عبد الله بن سبا واتباعه قالوا له أنت الاله حقا فنفاه الى المدائن كلام متناقض الا أن يريد نفي أتباعه ولا قرينة تدل على هذا فهو سبق قلم ثم ان التحريق بالنار لا يجوز لحديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه لا يعذب بالنار الا خالقها وكان أمر بتحريق ناس ثم نهى عنه فهو منسوخ فان كان قتلهم ثم أحرقهم تمثيلا بهم فهو مذهب له لان الصحابة مجتهدون ومن أحرق رجلا في القصاص بمثل فعله عن مالك وايتان وما روى عن بعض الصحابة من التحريق فيه كلام ليس هذا محله فالصحيح المنع منه (وقد قتل عبد الملك بن مروان) هو أحد الملوك من بني مروان وترجمته معروفة مشهورة في التواريخ (الحارث المتنبي وصلبه) أي الذي ادعى النبوة وهو الحارث بن سعيد الكذاب وله ترجمة في الميزان وتاريخ الذهبي وعبد الملك ليس ممن يستدل باقواله وأفعاله فلعله استأنس به لانه في عصر السلف ولم ينكروا عليه ذلك كما يشير اليه قوله (وفعل ذلك غير واحد من الخلفاء والملوك باشباههم) ممن قال مثل قولهم (وأجمع علماء وقتهم على صواب فعلهم) أي تصويبه أو هو من اضافة الصفة للموصوف وذلك لكذبهم على الله بانه نباهم وتكذيب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في أنه خاتم الرسل وانه لا نبي بعده (و) أجمعوا أيضا على ان (المخالف في ذلك) أي تكفيرهم بما ادعوه (من كفرهم) هو مفعول المخالف أي من خالف مكفرهم في تكفيرهم فقال لا يكفرون (كافر) لانه رضي بكفرهم وتكذيبهم الله ورسوله (وأجمع فقهاء بغداد أيام المقتدر) بالله أبو الفضل جعفر بن المعتضد بالله أبو العباس أحمد بن طلحة الموفق بن جعفر المتوكل بن محمد المعتصم

الى المدائن وزعم ان ابن ملجم لم يقتله وانما قتل شيطانا تصور بصورته وهو في السحاب سوطه البرق وصوته الرعد واذا سمعوه قالوا السلام عليك يا أمير المؤمنين قالوا وسينزل ويملأ الارض عدلا انتهى ما ذكره الدلجي ولا يخفى المناقضة بين نقله وكلام المصنف وقال التلمساني من ادعى له الالوهية فرقة من غلاة الروافض وهم من اتباع عبد الله ابن سبا وكان يزعم ان عليا هو الله وقد أحرق على رضي الله تعالى عنه منهم جماعة زاد الانطاكي وقال على رضي الله تعالى عنه

اني اذا رأيت أمرا منكرا
أججت نارا ودعوت قنبرا

(وقد قتل عبد الملك بن مروان) أي ابن الحكم ابن أبي العاص بن أبي أمية كان معاوية جعله على ديوان المدينة وهو ابن ست عشرة سنة وولاه أبوه مروان هجر ثم جعله خليفة بعده وكانت خلافته بعد أبيه سنة خمس وستين ابن ابن

توفي عبد الملك بدمشق سنة ست وثمانين (الحارث) أي ابن سعيد (المتنبي) الكذاب (وصلبه وفعل ذلك) أي مثل ذلك (غير واحد من الخلفاء) أي من بني أمية والعباسيين (والملوك) المتغلبين من الامراء والسلاطين (باشباههم) من الشياطين (وأجمع علماء وقتهم على تصويب فعلهم والمخالف في ذلك) الفعل (من كفرهم) أي من جهته (كافر) لجحده كفرهم (وأجمع فقهاء بغداد أيام المقتدر بالله) جعفر بن المعتضد بالله أبي العباس أحمد بن طلحة الموفق بن جعفر المتوكل بن محمد المعتصم بن هارون الرشيد

(من المالكية) بيان لمن أجمع من فقهاء بغداد (وقاضي قضاتها أبو عمر المالكي على قتل الحلاج) وهو حسين بن منصور الحلاج المشهور من أهل البيضاء بلدة بفارس ونشا بواسط والعراق وصحب أبا القاسم الجنيد وغيره (وصلبه لدعواه الالهية والقول بالحلول) كغيره من المتصوفة المتصفة بسمة الاسلام من الوجودية وغيرهم قالوا ان السالك اذا وصل فربما حل الله فيه كالماء في العود الأخضر بحيث لا تمايز ولا تغاير ولا اثنينية وصح ان يقول هو أنا وأناه هو ومع امتناعه حقيقة لصيرورة أحد شيئين بعينه الآخر والآخر بعينه هو كحكم العقل ضرورة بدون احتياج الى حجة ولا يمتنع مجازا بان يكون بطريق واحدة اما اتصالية كجمع ماءين في اناء واحد واجتماعية كامتزاج ماء وتراب حتى صار طينا واما طريق كون وفساد كصيرورة ماء بالغيلان هواء واحدا واستحالة أي تغير كصيرورة جسم بعد كونه سوادا بياضا أو عكسه وهذا كله في حق الله تعالى محال لتنزهه عن الحلول والاتصال والانفصال وما للتراب ورب الارباب وانما هو انعكاس نور من أنواره وسر من أسراره و يلمع في قلب السالك المتصف بالتخلية والتحلية وكمال التصفية فقد يتوهم انه حل فيه كما يتوهم الطفل انه يرى الشمس في الماء (وقوله أنا الحق مع تمسكه في الظاهر) من حاله (بالشريعة) في سائر أقواله وأفعاله حتى قيل انه كعادته كل ليلة يصلي ألف ركعة في الحبس (ولم يقبلوا توبته) بمقتضى مذهب المالكية مع ان قوله أنا الحق ليس بظاهر في دعوى الالوهية لان الحق يأتي بمعنى الثابت وضد الباطل هذا وقد اعتذر الغزالي في مشكاة الانوار عن الالفاظ التي كانت تصدر منه قبل ضرب الحلاج بامر المقتدر ألف سوط وقطعت أطرافه وجز رأسه وأحرقت جثته وكان ذلك نهار الثلاثاء لسبع بقين من ذي القعدة سنة تسع وثلاثمائة قيل انه لما صلب جرى دمه في الارض و ينتقش الله الله قال القطب الرباني الشيخ عبد القادر الجيلاني عثر الحلاج فلم يجد من يأخذ بيده ولو ادركته لاخذت بيده و يقال انه قال يوما للجنيد أنا الحق فقال له الجنيد أنت بالحق أي خشبة تفسد فكوشف فيه لما يؤول حاله من الصلب قال بعضهم والدليل على صحة باطنه انه كان يقطع يداه ورجلاه وهو يقول حسب الواحد بافراد الواحد وقد زار قبره بعض أهل الكشف فرأى نورا ساطعا من قبره الى السماء فقال يا رب بما الفرق بين قوله و بين قول فرعون أنا ربكم الأعلى فالهم ان فرعون رأى نفسه وغاب عنا وهذا رآنا وغاب عن نفسه واستدل بعضهم على كفره بما حكى عنه انه كان يقول من هذب نفسه بالطاعة وصبر عن اللذة والشهوة وصفا حتى لا يبقى فيه شائبة من البشرية حل فيه روح الاله كما حل في عيسى عليه السلام قيل ولا يريد بذلك ما يعتقده النصارى في عيسى والله أعلم وانما أراد ان تكون أفعاله كلها فعل الله تعالى كما يشير اليه الحديث القدسي والكلام الانسي لا يزال العبد يتقرب الي بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه و بصره و يده الحديث هذا وان صحت توبته فلا شك انه عاش سعيدا ومات شهيدا واما ما ذكره التلمساني من انه وجد له كتاب كتبه الى أتباعه عنوانه من هو رب الارباب الى عبده فلان وأتباعه كانوا يكتبون اليه يا ذات الذات ومنتهى غاية اللذات نشهد انك تتصور فيما شئت من الصور وانك الآن متصور في صورة الحسين بن منصور ونحن نستجير بك ونرجو رحمتك يا علام الغيوب فلو صح هذا النقل لم يبق مجلا وقد أفرد ابن الجوزي ترجمته بالتاليف في كراسين أو أكثر

ابن هارون الرشيد الخليفة العباسي (من المالكية وقاضي قضاتها أبو عمر المالكي) محمد بن يوسف ابن يعقوب بن اسماعيل بن حماد بن زيد (على قتل الحلاج) الحسين بن منصور المشهور وتاتي ترجمته وسمي حلاجا لانه جلس يوما على حانوت حلاج واستقضاه حاجة فقال له الحلاج أنا مشتغل بالحلاج فقال له اقض لي حاجتي حتى أحلج لك فمضى الحلاج في حاجته فلما عاد وجد قطنه كله محلوجا وكان لا يحلجه عشرة رجال في أيام متعددة فمن ثمة قيل له الحلاج (وصلبه) أي صلب الحلاج بعد قتله لينزجر أمثاله وأتباعه (لدعواه الالهية) أي قوله أنا الله كما هو مشهور عنه (ودعواه الحلول) أي ان الله يحل في بعض الناس و يظهر بصورته كما ظهر جبريل عليه الصلاة والسلام بصورة دحية رضي الله تعالى عنه أو يسري فيه سريان الماء في العود الاخضر كما قال بعض الملحدين وهو أمر باطل زينه لهم الشيطان وليس هذا وحدة الوجود التي ذهب اليها الصوفية كما بينه السيد الشريف في شرح التجريد (وقوله) أي الحلاج (أنا الحق) يريد أنا الله لان الحق من أسمائه تعالى (مع تمسكه في الظاهر) من أحواله وأموره (بالشريعة ولم يقبلوا توبته) لتكرر ذلك منه * واعلم ان الحارث المتقدم قيل انه ابن عبد الرحمن مولى أبي الجلاس العبدري نزل دمشق وأظهر الزهد والعبادة ثم خلي به و زين له الشيطان أعمالا أضل الناس بها فكان ياتي المسجد و ينقر رخامة به فتسبح أبلغ تسبيح حتى يصبح الحاضرون فيأخذ عليهم العهود وان يكتموا أمره و يطعم أصحابه في الشتاء فاكهة الصيف وفي الصيف فاكهة الشتاء و يرى

الناس أشباحا على خيول و يقول هم الملائكة وادعى النبوة وكثر أتباعه وشاع أمره فطلبه عبد الملك فاختفى وذهب الى القدس فركب اليه الخليفة وأتى برجل ممن يجتمع به فاعلمه أين هو فارسل معه طائفة من الجند وكتب لنائبه بالقدس ان يطع أمره وأخذ معه جماعة معهم شموع وقال اذا أمرتكم أوقدوها فى الطرق ثم أتى داره ليلا وقال لبوابه استاذن لى على نبى الله فقال ليس هذا وقت اذن فصاح على من معه حتى أوقدوا شموعهم وصار الليل كالنهار فهجم عليه فنزل سردابا أعده واختفى فيه فقال أصحابه انه رفع للسماء فهيهات ان تصلوا اليه فدخل سردابه وأخرجه وسلمه للجند فاخذوه وقيدوه وشدوه فى سلاسل فكانت تسقط وهو يقول أتقتلون رجلان يقول ربى الله فلما أتوا به عبد الملك صلبه ومثل هذه القصة قصة المقنع وغيره مما ظهر فى صدر الاسلام * واما المقتدر بالله فهو كما علمت أبو الفضل جعفر بن المعتضد العباسى توفى مقتولا فى شوال سنة عشرين وثلثمائة * واما أبو عمر قاضى القضاة فى زمن المقتدر فهو محمد بن يوسف بن يعقوب بن اسمعيل كامل الازدى البغدادى كان من خيار القضاة جلالة وعلما وعقلا وذكاء وصلاحا وروى عنه وهو من الثقات توفى سنة عشرين وثلاثمائة فى رمضان * واما الحلاج فهو كما علمت الحسين بن منصور وقيل كان أبوه من مجوس فارس والحلاج فى أول أمره صحب الجنيد والسرى والمشايخ مع الزهد ولزوم العبادة التامة ببغداد واختلف فى أمره ومن خرافات بعض الناس انه ذهب فى سياحته للهند وخراسان وتعلم السحر وأظهره فى صورة الكرامات وأضل به الناس وسكن بغداد وبنى بها دارا واتخذ بها أملاكا كثيرة وصار يدعو الناس حتى شاع أمره وذاع فوقع بينه وبين الشبلى وداود الظاهرى والوزير على بن عيسى لما شاع عنه من الاخبار بالمغيبات واظهار الامور الخارقة فقيل انه ساحر ذو شعبذة ومخرقة وله معرفة بالطب والكيمياء وغير ذلك من علوم الحكماء فقيل انه ادعى الالوهية وأظهر الزندقة وكتب عليه محضر بذلك فقتل وأحرقت جثته فى يوم الثلاثاء لسبع بقين من ذى القعدة سنة سبع وثلاثمائة بامر المقتدر بالله وحكى عنه انه طلع المؤذن يؤذن فسمعه فقال للمؤذن كذبت فاستفتى عليه فقالوا برمى عنقه ويحرق فقال لاخته اذا أنا رمى عنقى وصلبت فخذى بعد الحرق فالقى من رمادى على الدجلة ببغداد ثم انها فعلت ماقال لها فاشرفت بغداد على الغرق ولما ان رمى عنقه صارت رأسه تنطق وتقول الله الله والناس ينظرون اليها وقيل انه قبل ذلك وضع بالسجن فصور فى حائط المحبس صورة مركب وقال للمحبوسين قوموا باذكر الله تعالى ثم انهم فعلوا ذلك حتى غابوا عن الحس فاذا هو وهم دخلوا فى المركب المصورة ونجوا جميعا وقيل انه حفر حفرة وأوقد فيها بالنار ووضع فيها هاونا ثم انه بقى كالجمر وقال لاهل المدينة وللاولياء كل من كان صادقا بالله فيتقدم ويقف على الهاون داخل النار فلم يقدر أحد ثم انه تقدم ووقف عليه فذاب تحت أقدامه حتى صار كالماء وذهب كثير من المشايخ الى انه من أولياء الله منهم الغزالى واعتذر عما صدر منه فى كتاب مشكاة الانوار وأفرد ابن الجوزى ترجمته بتاليف مستقل وصح عن الشبلى انه قال كنت أنا والحلاج شيأ واحدا الا انه أظهر وكتمت وقد شهد بولايته كثير من كبار المشايخ وقالوا انه عالم ربانى منهم الشيخ عبد القادر الجيلانى وقال عثر الحلاج ولم يكن له من يأخذ بيده ولو أدركت زمانه لاخذت بيده وقال ان قوله أنا الحق انما قاله لما غلب عليه شوقه وسكر من كأس محبته حتى عاين قدرته فى كل شئ

فكل شئ رآه ظنه قدحا * وكل شخص رآه ظنه الساقى

وهو مقام الجمع عندهم لكن أهل الشرع حفظوا حمى الشريعة ولذا سكت عن حاله بعضهم وقال تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم والاعتقاد خير من الانتقاد والكف أسلم قال الشاذلى اضطجعت فى المسجد الاقصى فى وسط الحرم فدخل خلق كثير أفواجا فقلت ماهذا الجمع قالوا جمع الانبياء والرسل

(وكذلك حكموا) أى فقهاء بغداد من المالكية (فى ابن أبى العزاقر) بمهملة فزاى وبعد الالف قاف فراء وفى نسخة بزيادة تحتية ساكنة بين القاف والياء وفى أصل التلمسانى بغين معجمة وراء فالف فقاف فياء فدال مهملة قال؛ روى العزاقيد بعين مهملة وزاى وآخره دال مهملة (كان على نحو مذهب الحلاج بعد هذا) أى متأخرا عنه وفعل به مثل ما فعل بالحلاج واسمه أبو جعفر محمد بن على يقال له السمعانى نسبة الى قرية بنواحى واسط وكان ظهوره سنة اثنين وعشرين وثلثمائة احدث مذهبا فى الرفض ببغداد ثم قال بالتناسخ وحلول الالهية فيه وأضل جماعة فقبض عليه الوزير ابن مقلة (أيام الراضى) بالله أبو العباس أحمد بن المقتدر بالله أبى الفضل جعفر (وقاضى قضاة بغداد يومئذ) وروى اذذاك (أبو الحسين بن أبى عمر المالكى) وهو محمد بن يوسف المذكور قبل فاحضر الملعون فى مجلس الخلافة بحضرة القضاة والعلماء وحكم باباحة دمه واحراقه (وقال ابن عبد الحكم فى المبسوط من تنبأ قتل وقال أبو حنيفة وأصحابه من جحد ان الله خالقه أو ربه أو قال ليس رب فهو مرتد) أى لا زنديق فيستتاب فان تاب والا قتل (وقال ابن القاسم فى كتاب ابن حبيب ومحمد) أى قال (فى العتبية فيمن تنبأ يستتاب أسر ذلك أو اعلنه فهو كالمرتد وقاله) أى مثل مقاله (سحنون وغيره وقال) أى مثل ذلك (أشهب فى يهودى تنبأ) ولم يدع الرسالة (أو ادعى انه رسول الينا) أو الى غيرنا (ان كان معلنا بذلك استتيب فان تاب والا قتل) ومفهومه انه ان كان مسرا لا يستتاب ويقتل لكونه زنديقا (وقال أبو محمد بن أبى زيد

قد حضروا ليشفعوا فى حسين الحلاج عند محمد عليه الصلاة والسلام فى اساءة أدب وقعت منه فنظرت الى التخت فاذا نبينا عليه الصلاة والسلام جالس عليه بانفراده وجميع الانبياء على الارض جالسون مثل ابراهيم وموسى وعيسى ونوح فوقفت انظر واسمع كلامهم فخاطب موسى محمدا عليهما الصلاة والسلام فقال له انك قلت علماء أمتى كانبياء بنى اسرائيل فارنى منهم واحدا فقال هذا واشار الى الغزالى فساله موسى سؤالا فاجابه بعشرة اجوبة فاعترض عليه موسى بان السؤال ينبغى ان يطابق الجواب والسؤال واحد والجواب عشرة فقال له الغزالى هذا الاعتراض وارد عليك أيضا حين سالت وما تلك بيمينك يا موسى وكان الجواب هى عصاى فعددت لها صفات كثيرة قال فبينما انا متفكر فى جلالة قدر محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وكونه جالسا على التخت بانفراده والبقية على الارض اذ رفسنى شخص برجله رفسة مزعجة فانتبهت فاذا بقيم يشعل قناديل الاقصى فقال لا تعجب فان الكل خلقوا من نوره فخررت مغشيا فلما أقاموا الصلاة أفقت وطلبت القيم فلم أجده الى يومى هذا ومن هنا قال صاحب البردة

فانسب الى ذاته ما شئت من شرف * وانسب الى قدره ما شئت من عظم

كذا فى المحاضرات (وكذلك) أى كما حكموا فى الحلاج (حكموا فى ابن أبى الغراقيد) وفى بعض النسخ بغين معجمة وراء مهملة وألف بعدها قاف وياء مثناة تحتية ودال مهملة وروى بزاى معجمة بدل الراء وبياء مثناة وبدونها وقيل انه أصوب وقال البرهان انه قيل ان صوابه ابن أبى العراقب والصواب الاول وانه جمع غرقد ومنه بقيع الغرقد وهى مقبرة المدينة والغرقد شجر معروف والمذكور هو محمد بن على ابن أبى الغراقيد وكان شاع أمره ببغداد وادعى الالوهية وانه يحيى الموتى وادعى التناسخ والحلول فشاع وكثر اتباعه وضل به ناس كثير فطلبه الراضى فهرب وغاب سنين ثم عاد فهجم عليه ابن مقلة وامسكه فاثبت كفره وكتب عليه القضاة وافتوا بقتله فقتل وأحرقت جثته فى سنة اثنين وعشرين وثلثمائة وتبعه على حاله المذكور ابن أبى عون صاحب كتاب التنبيه فقتل معه (وكان) ابن أبى الغراقيد (على نحو مذهب الحلاج) فيما ادعاه مما نسب اليه وقد علمت ما فيه (بعد هذا) أى قتل الحلاج وصلبه (أيام الراضى بالله) بن المقتدر بالله وله ترجمة تقدم بعض منها قريبا (وقاضى قضاة بغداد اذذاك) يومئذ (أبو الحسين بن أبى عمر المالكى) بن يوسف بن يعقوب الازدى الذى تقدم ذكره قريبا (وقال) محمد بن عبد الله (بن عبد الحكم فى المبسوط من تنبأ) بهمزة تبدل الفاء فى الاكثر أى ادعى النبوة (قتل) لما تقدم كما تقدم (وقال أبو حنيفة وأصحابه من جحد) أى تعمد الكذب ونفى (ان الله خالقه أو ربه أو قال ليس لى رب) خلقنى (فهو مرتد) فله حكم المرتد المشهور فى كتب الفقه (وقال ابن القاسم فى كتاب ابن حبيب) المعروف عند المالكية (و) فى كتاب (محمد) و فى (العتبية) وهو محمد بن سحنون أو ابن المواز (فيمن تنبأ) وادعى النبوة (يستتاب) تطلب توبته سواء (أسر ذلك) أى أخفاه (أو أعلنه) أى أظهره (وهو كالمرتد) فى أحكامه (وقاله سحنون وغيره وقاله أشهب فى) حق رجل (يهودى تنبأ وادعى انه رسول) من الله أرسله (الينا ان كان معلنا بذلك) أى مظهر المقاله (استتيب فان تاب) فذاك (والا قتل) لانه أظهر أمرا غيرما كفر به (وقال) الشيخ (أبو محمد بن أبى زيد) صاحب الرسالة المشهورة

فيمن لعن بارئه) أى خالقه خاقابر ثامن التفاوت (وادعى ان لسانه زل) أى زلق و اخطا (وانما أراد لعن الشيطان يقتل بكفره ولا يقبل عذره) وهذا خلاف ماسبق من القول ولهذا قال (وهذا) أى الذى ذكرناه مبنى (على القول الآخر) بفتح الخاء أو كسره (من انه لاتقبل توبته وقال أبو الحسن القابسى فى سكران) ... ف ويمنع (قال انا الله انا الله ان تاب أدب) ولم يقتل (فان عاد الى مثل قوله طولب مطالبة الزنديق لان هذا كفر المتلاعبين) المستترين للكفر فى لباس منكر فيقتل ولاتقبل توبته والله ولى التوفيق

(فصل واما من تكلم من سقط القول) بفتح السين والقاف أى رديئه (وسخف اللفظ) بضم أوله أى دنيئه (ممن لا يضبط كلامه) لجهله (وأهل لسانه) لخفة عقله (بما يقتضى الاستخفاف) أى التهاون (بعظمة الله) أى ذاته (وجلالة مولاه) من جهة صفاته (أو تمثل فى بعض الاشياء) أى بجعله مثلا أو شبها (ببعض ماعظم الله من ملكوته) كقول قائل

لبيت فلان كعبة الجود قائضا
يطوف به العافون يبغون نائله

(أونزع) بفتح الزاى أخذ (من الكلام لمخلوق) وخاطبه (بما لايليق الا فى حق خالقه) كقول قائل لعظيم من الانام ياذا الجلال والاكرام وكما لو ناداه رجل باسمه فاجابه بقوله لبيك اللهم لبيك (غ قاصد للكفر والاستخفاف) أى الاستهانة بربه (ولا عامد للالحاد) من فساد الاعتقاد المقتضى للحلول أو الاتحاد (تكرر هذا منه وعرف به) بانه يصدر عنه

(فيمن لعن بارئه) بهمزة تبدل ياء من برأ الخلق اذا أوجدهم بغير مثال (وادعى ان لسانه زل) أى اخطا ولم يردان يقول ذلك (وانما أراد) ان يقول (لعن الشيطان) فلا يصدق بل (يقتل بكفره ولا يقبل عذره) بقوله ان لسانى زل خطا لما علم من كذب اليهود وحيلهم (وهذا على القول الآخر) من أحد القولين فى مذهب مالك (من انه لاتقبل توبته) وفيما ذكره عن ابن أبى زيد من ان الخطا وسبق اللسان لا يقبل نظر لما فى مسلم ان رجلا أراد ان يقول اللهم أنت ربى وانا عبدك فقال أنت عبدى وانا ربك لدهشته وسبق لسانه اليه ولم يؤاخذ به ولاشك ان مثله معفو فلعله لم يقم قرينة على مدعاه وظهور لم يصر حوابه فلا يرد عليه اعتراض كما توهم فانه أجل من ان يخفى عليه مثله وقد تقدمت هذه المسئلة فى كلامه ولذا خص القائل بانه يهودى اذ المسلم لا يؤاخذ بمثله (وقال أبو حسن القابسى) الذى تقدمت ترجمته (فى سكران قال) فى حال سكره (انا الله انا الله) فتكراره يدل على تعمده فيما قاله (ان تاب) عن مقاله وادعى عدم قصده (أدب) بنباء المجهول بضربه و زجره ونحوه مما يراه ولسكره وغيبة عقله ومبادرته لم يقتل فلا وجه لما قيل انه مخالف لما قيل فى الحلاج واضرابه كما لايخفى (فان عاد الى مثل قوله) انا الله مكررا (طولب مطالبة الزنديق) لانا لانامن باطنه وخبث طويته (لان هذا) لعوده وتكرره (كفر) ككفر (المتلاعبين) بالدين المستخفين المتهاونين كما هو دأب الزناديق الذين لايدينون بدين أصلا وهذا بناء على ماتقدم من انه يعامل معاملة الصاحى كما تقدم وهذا مذهب مالك وعند غيره فيه خلاف مبسوط فى كتب الفقه

(فصل واما من تكلم) بشئ (من سقط القول) السقط بفتحتين الخطا والامر الذى لايعتد به حتى يستحق ان يسقط ويطرح و بمعنى الفضيحة والوهم فى الكلام (وسخف اللفظ) السخف بضم فسكون بسين مهملة وخاء معجمة وفاء قلة العقل والمراد به ماينشا منه من الالفاظ السخيفة الركيكة (ممن لم يضبط كلامه وأهمل لسانه) أى أطلقه فى الكلام فيتكلم من غير تدبر وفكر فشبهه بدابة تهمل ولا تربط والاصل فى الضبط انه بمعنى الامساك باليد والمراد انه لم يصن ولم يحفظ لسانه فهو من الكناية (بما يقتضى الاستخفاف) أى الاهانة والتحقير من غير مبالات وأصله عد الشئ خفيفا فعبر به عما ذكر وهو متعلق بتكلم أو باهمل بمعنى أطلق (بعظمة ربه) والشئ العظيم لايكون خفيفا فهو هنا فى موقع حسن أى ماقدر الله حق قدره وحيث استخف بمن هو أعظم من كل عظيم فهو سخف وحماقة (وجلالة مولاه) أى سيده والعبد الذليل اذا استخف بسيده الجليل حقيق بكل تذليل (أو يمثل) مضارع مثل المشدد (بعض) مفعوله وفى نسخة تمثل بمثناة ماض (الاشياء) أى الامور غير ذات الله وصفاته (ببعض ماعظم الله من ملكوته) تقدم ان الملكوت مبالغة فى الملك ويراد به عالم الامر وهو ما كان مغيبا عنا من الملائكة والسموات والعرش ونحوه أى جعله مثله كأن يشبه ممدوحاله بجبريل أو عدواله بملك الموت ونحوه مما يدل على سخافة عقله ودينه أو يقول قصر الملك كعبة يطوف بها (أونزع) بنون وزاى معجمة مفتوحة وعين مهملة أى أخذ وذهب فى وصفه (من الكلام لمخلوق بما لا يليق) أى لايحق ويناسب (الا فى حق خالقه) كأن يقول ياذا الجلال والاكرام ونحوه كعز وجل (غير قاصد) بما قاله (للكفر والاستخفاف) أى الاهانة (ولا عامد) أى متعمد (للالحاد) أى الميل عن الحق أو الشرك بالله فانه أحد معانيه كما فى الغريبين وأصل معناه الميل فانما صدر عنه لجهالته وسخافة عقله (فان تكرر هذا) القول (منه وعرف به)

(دل على تلاعبه بدينه واستخفافه بحرمة ربه) وقلة يقينه (وجهله بعظيم عزته) أي غاية ربه ونهايته (وكبريائه وهذا) الذي دل على تلاعبه (كفر لا مرية فيه) لتماديه أصراره على مقالة (ولذلك ان كان ما أورده يوجب) وفي نسخة يقتضي (الاستخفاف والتنقص) وروى التنقيص (لربه وقد أفتى ابن حبيب) قال الحلبي الظاهر ابن عبد الملك ابن حبيب القرطبي وقد تقدم (وأصبغ) بفتح الهمزة والموحدة وفي آخره معجمة (ابن خليل) يروى عن يحيى بن يحيى الليثي ذكره الذهبي في الميزان فقال متهم بالكذب مات سنة ثلاث وسبعين ومائتين قال وحدثني شيخ المالكية أبو عمر والمسعدي انه بلغه ان أصبغ هذا قال ان يكون في كني رأس خنزير أحب الي من ان يكون فيها مصنف أبي بكر بن أبي شيبة أو كما قال وروى أصبغ ابن خليل هذا عن المغازي بن قيس عن سلمة بن وردان عن ابن شهاب عن الربيع بن خيثم عن ابن مسعود قال صليت خلف النبي صلى الله عليه وسلم وخلف أبي بكر وعمر ثنتي عشرة سنة وخلف عثمان ثنتي عشرة سنة وخلف علي بالكوفة خمس سنين فلم يرفع أحد منهم يديه الا في تكبيرة الافتتاح وحدها قال القاضي عياض في المدارك فوقع في خطا عظيم بين من وجوه منها ان سلمة بن وردان لم يرو عن الزهري ومنها ان الزهري لم يرو عن الربيع ابن خيثم ومنها قوله عن ابن مسعود صليت خلف علي بالكوفة خمس سنين وقد مات ابن مسعود في خلافة عثمان بالاجماع (من فقهاء قرطبة بقتل المعروف بابن أخي عجب) وفي نسخة بابن من أخته عجب وعجب لا ينصرف للعلمية والتانيث المعنوي لانه اسم عمه المعروف المذكور واسمه يحيى بن زكريا وقد تجبر وعتا (وكان خرج يوما فاخذه المطر فقال بدا) بالالف أي ظهر وفي نسخة بالهمز أي ابتدأ (الخراز) بخاء معجمة وراء مشددة وفي آخره زاي (يرش) بضم الراء وتشديد المعجمة (جلوده) وفي نسخة بحرف جر وما بعده بصيغة المصدر المضاف الى جلوده (وكان بعض الفقهاء بها) أي بقرطبة (أبو زيد) كان الظاهر أبا زيد ليكون خبر كان وكان بعض الفقهاء في قوة من الفقهاء وهو محمد بن زيد بن عبد الرحمن بن زيد بن خارجة ولا يبعد ان يكون أبو زيد بدل بعض من بعض الفقهاء وخبر كان قوله (صاحب الثمانية) بمثلثة مضمومة وياء مشددة واعلها بلدة أو قرية وكان أميرا عليها أو أبو زيد خبر مبتدأ محذوف أي هو يعني ذلك البعض أبو زيد (وعبد الاعلى بن وهب) مات سنة احدى وستين ومائتين (وأبان ابن عيسى) فعال أو افعل فيصرف أو يمنع والاكثر منعه (قد توقفوا عن سفك دمه) فلم يقدموا على شيء من قتل وعدمه (وأشاروا الى انه) أي مقوله (عبث من القول) أي لعب ومزح في تشبيهه

أي اشتهر بين الناس قوله لمثله (دل) تكرر صدوره منه (على تلاعبه بدينه) أي عدم مبالاته به كاللعب واللهو فان من تقيد بدينه لا يقدم على مثله (واستخفافه بحرمة ربه) أي ما يلزمه احترامه وصيانته (و) دل أيضا على (جهله بعظيم عزته وكبريائه) هو بالمد بمعنى غاية العظمة في شانه (سبحانه وتعالى) أي تنزه وعلا جناب عزته عن مخلوقاته (وهذا) المذكور (كفر لا مرية فيه) أي لا شك في كونه كفرا وتقدم ان ميمه مكسورة وتضم (وكذلك) يكفر (ان كان ما أورده) مما صدر عنه (يوجب) وفي نسخة يقتضي (الاستخفاف) والاهانة وتجرئه أي جسارته على عظيم عزته (والتنقص لربه) أي التنقيص لكماله باهانته (وقد أفتى) عبد الملك (بن حبيب) وقد تقدمت ترجمته (وأصبغ بن خليل) أبو القاسم (من فقهاء قرطبة) ذكره الذهبي في الميزان وقال انه كان يتهم بالكذب توفي سنة ثلاث وسبعين وقيل سنة ست وخمسين ومائتين (بقتل) الرجل (المعروف بابن أخي) ويروى أخت (عجب) بفتحتين علم زوجة عبد الرحمن الاموي أمير قرطبة ممنوع من الصرف للعلمية والتانيث المعنوي وهي عمة الرجل المذكور كما يأتي (وكان) هذا الرجل (خرج يوما) من منزله (فاخذه المطر) أي وقع عليه بشدة حتى كان أخذه وعاقه عن مقصده (فقال بدأ) بهمزة آخره أي شرع وابتدأ (الخراز) بفتح الخاء المعجمة وتشديد الراء المهملة وألف وزاي معجمة من الخرز وهو ثقب الجلود للخياطة كالخفاف والقرب وهي تبل ويرش عليها الماء عند خرزها لتلين (يرش جلوده) جمع جلد وهو معروف ويرش مضارع غائب من رشه يرشه اذا بله بالماء ويروى يرش بماء الجر فشبه أديم السماء بجلد واه يخاط حتى يمسك الماء فكان المطر نزل عليه من قربة بالية ترقع وفيه سخافة لا تخفى فاراد بالخراز قيوم السموات أو ملائكته وعلى كل حال فهو تلاعب (وكان بعض الفقهاء بها) أي بقرطبة في ذلك الزمن (أبو زيد صاحب الثمانية) بوزن العدد المعروف وقيل انه ضبط بضم المثلثة وميم وألف ونون مكسورة بعدها ياء مشددة ولم يفسروه (وعبد الاعلى بن وهب وأبان بن عيسى قد توقفوا) أي لم يحكموا وأحجموا (عن سفك دمه) أي قتله لعدم ما يقتضيه لانه لم يصرح باسم الله وانما شبه السحاب بشن بال ومثله لا يعد كفرا (وأشاروا) أي قالوا برأيهم فيه (الى انه) أي ما قاله (عبث من القول) أي كلام لا معنى له يعتقد به كهزل من اعتاد الهزل والعبث بما لا يفيد

(يكفي فيه الادب وأفتى بمثله) أي بمثل ما أشار وابه (القاضي موسى بن زياد فقال ابن حبيب دمه في عنقي) أي في قتله متعلق بذمتي وفي عهدتي أطالب به يوم القيامة (أيشتم رب) وفي نسخة ربا (عبدناه ثم لا ننتصر له) أي لا ننتقم لاجل رضاه (انا اذا) بالتنوين أي ان لم ننصره (لعبيد سوء وما نحن

له بعابدين) حق عبادته في أمر الدين (وبكى) بكاء الحزين قال الدلجي وان تعجب

(يكفي فيه الادب) أي التاديب والتعزير دون القتل (وأفتى بمثله) أي انه عبث يؤدب قائله (القاضي حينئذ) أي حين اذ وقعت هذه القصة وهو (موسى بن زياد) قاضي قرطبة (فقال ابن حبيب دمه في عنقي) أي انا أحكم بقتله واراقة دمه فان كان فيه وزر فقتله وعلي وزره وجزاؤه في الدنيا والآخرة والعنق عضو معروف ويقال اثم كذا في عنقه اذا لزمه كما قال تعالى ألزمناه طائره في عنقه فهو كناية أو استعارة (أيشتم) بالبناء للمجهول (رب) نائب فاعله وجعله شتما بناء على انه أراد بالخراز الله عز وجل (عبدناه) كناية عن عظمته وانه أهل للعبادة والخضوع فكيف يشتم (ثم لا ننتصر له) أي نغار لما يخالف حقه وما يجب له (انا اذن) أي ان لم ننصره (لعبيد سوء) اذ لم يقوموا بحق سيدهم وربهم (وما نحن له بعابدين) له حق عبادته لرضانا بما قيل فيه (وبكى) لغيرته وخوفه من الله (ورفع المجلس) أي ذكر وأعلم بهذه الواقعة أي خبره وما وقع فيه فاطلق عليه كقوله * واستب بعدك يا كليب المجلس (الى الامير بها) بالاندلس وحاكمها (عبد الرحمن بن الحكم الاموي) بضم الهمزة وفتحها نسبة لامية وهو عبد الرحمن بن الحكم بن هشام صاحب الاندلس وكان عادلا متقيا مجاهدا توفي سنة ثمان وثلاثين ومائتين وعمره ستون وذكر وان عبد الملك مفتي الاندلس وعالمها صاحب الواضحة في مذهب مالك توفي في تلك السنة أيضا وكان أخذ عن أصحاب مالك (وكانت عجب) أي المرأة المذكورة (عمة هذا الرجل (المطلوب) بما قاله وقيل خالته (من خطاياه) أي من زوجات عبد الرحمن أمير الاندلس جمع حظية كهيئة وهي المرأة التي تحظى عند زوجها أي تقرب وتكرم لشدة محبته لها وذكره اشارة الى شدة دين الامير وزوجته اذ لم يسامح الاقرباء والتابع لها مع شدة محبته لها وقرب الرجل منها (وأعلم) الامير وهو مبني للمجهول (باختلاف الفقهاء) في قتله (فخرج الاذن من عنده) لشرطته ونوابه (بالاخذ بقول ابن حبيب) في قتله (وصاحبه) أصبغ بن خليل (وأمر بقتله فقتل وصلب بحضرة الفقيهين) ابن حبيب وأصبغ بن خليل (وعزل القاضي) موسى بن زياد الذي قال يؤدب (لتهمته بالمداهنة في هذه القصة) المذكورة أي المسامحة في حدود الله لقرب الرجل من حظية الامير مع انه قول وتقدم انه يستتاب في قول آخر رجحه بعض الشراح هنا والفرق بين المداهنة والمداراة فان الاولى مذمومة والثانية ممدوحة لان المداهنة استحسان ما لا يجوز لغرض فاسد والمداراة معاملة بعض الناس بلين ورفق حتى يدفع به الضرر أو يحصل به نفع ديني باعتبار وان كان الظاهر يخالفه (ووبخ بقية الفقهاء وسبهم) لعدم حكمهم بقتله وهذا حكم من عرف بذلك وتكرر وقوعه منه (وأما من صدرت عنه من ذلك) القول الدال على الاستخفاف أي وجدت ووقعت منه (الهنة الواحدة) أي قباحة وقعت منه نادرا يقال فيه هنة وهناة وهنوات خصال سوء قال لبيد

أكرمت عرضي ان ينال بنحوه * ان البريء من الهناة سعيد

كذا في الاساس وفيه كلام في كتب اللغة والنحو وقد تقدم الكلام على شيء منه في أول الباب الاول من القسم الرابع (والفلتة) من الامر الذي يقع بغتة من غير تدبر وفاؤه تضم وتفتح والثاني أعلى وأصح (الشاردة) من شردت البهيمة اذا ندت من صاحبها فاستعارها للزلة الصادرة بغتة أو النادرة المنفردة التي لا تستقر فكأنها شاردة وليس معناه السائرة من قولهم قافية شاردة أي سائرة في البلاد لانها اذا سارت

فعجب من ابن حبيب اذ أفتى حين شهد على أخيه حين قال كما لقيت في مرضي هذا لو قتلت أبا بكر وعمر لم استوجب هذا كله بعدم قتله مع ما يضمنه قوله من نسبة الجور والظلم اليه تعالى فكأنه قال غاية أمري لو قتلتهما ما قتلت بهما ولم استوجب ما عاقبني الله به في مرضي هذا (ورفع المجلس) المنعقد لهذا القول (الى الامير بها) أي بقرطبة (عبد الرحمن بن الحكم الاموي) بفتح الهمزة وتضم نسبة الى بني أمية (وكانت عجب عمة هذا المطلوب) للقتل أو التعزير (من خطاياه) بالظاء المعجمة أي من أقرب حلائله منه وأسعدهن به (وأعلم) بصيغة المجهول (باختلاف الفقهاء فخرج الاذن من عنده بالاخذ بقول ابن حبيب وصاحبه) أصبغ بن خليل (وأمر بقتله فقتل وصلب بحضرة) وفي نسخة بحضر (الفقيهين) أي ابن حبيب وخليل (وعزل القاضي) موسى بن زياد (لتهمته بالمداهنة) أي المصانعة والملاينة (في هذه القصة) وفي نسخة القضية (ووبخ) بتشديد الموحدة فخاء معجمة أي هدد (بقية الفقهاء وسبهم) لتوقفهم عن سفك دمه مع وضوح كفره (وأما من صدرت عنه) وفي نسخة منه (الهنة) بتخفيف النون أي المقالة القبيحة (الواحدة والفلتة الشاردة) بفتح الفاء أي الزلة الصادرة النادرة

اشتهرت

(مالم يكن تنقصا أو ازراء) أى احتقارا (فيعاقب عليها ويؤدب بقدر مقتضاها وشنعة معناها) بضم أوله أى شناعة مبناها وبشاعة معناها (وصورة حال قائلها وشرح سببها) الباعث عليها وفى نسخة سببها أى طريقها (ومقارنها) الذى جر الكلام اليها (وقد سئل ابن القاسم رحمه الله تعالى عن رجل نادى رجلا باسمه فاجابه لبيك اللهم لبيك قال فان كان جاهلا) بتفصيل معتقده (أو قاله على وجه سفه) أى خطأ لا عن اعتقاد (فلا شئ عليه) أى من القتل ونحوه وفيه بحث فان ظاهره الكفر ولعله حمل الكلام على انه قابل أن يكون لبيك الاول جوابا له ثم قوله اللهم لبيك قاله اتفاقا كما يقول كثير من الجهلة والعامة عند استلام الحجر اللهم صل على نبى قبلك وسببه انه سمع اللهم صل على نبى من قبلك وكذا صلى الله على نبى من قبله وكلاهما صحيح فلعق هذا القائل بين الكلامين من غير فرق لجهله بين المقامين والحاصل انه لابد من ان يردع ويزجر هنالك ليكف عن ذلك (قال القاضى أبو الفضل) أى المصنف (وشرح قوله) أى لا شئ عليه (انه لاقتل عليه) لانه لا يؤدب ولا يضرب بقدر مايليق اليه (اذ الجاهل يزجر) عن عوده (ويعلم) ما يجهله (والسفيه) أى القليل العقل (يؤدب ولو قالها) أى المجيب كلمة لبيك اللهم لبيك (على اعتقاد انزاله) أى المجاب (منزلة ربه) الذى هو رب الارباب ورب العالمين من جميع الابواب (لكفر هذا) الحكم بكفره (مقتضى قوله) بحسب ظاهره

اشتهرت وانتشرت (مالم تكن تنقصا او ازراء) أى اهانة وتنقيصا (فيعاقب عليها ويؤدب) بزجر وتعزير دون قتل (بقدر مقتضاها) أى بحسب ماتقتضيه (وشنعة) أى قباحة (معناها وصورة حال قائلها) بحسب مايليق بحاله (وشرح سببها) فان بمعرفة سببها الباعث عليها يعلم مراد من صدرت عنه (ومقارنها) من أحوال قائلها المؤذنة بانه يستحق مقدارا من توبيخ أو ضرب وجيع أو حبس مديد لانه تعزير تتفاوت مراتبه بحسب صاحبه بخلاف الحدود كما بينه الفقهاء (وقد سئل ابن القاسم) رحمه الله تعالى (عن رجل نادى رجلا باسمه) نحو يازيد ويا عمرو (فاجابه) بقوله (لبيك اللهم لبيك) فقوله اللهم بمعنى يا الله فى جواب من ناداه باسمه ومعنى لبيك المثنى اجابة بعد اجابة من لب وألب بمعنى أقام بمكان وتفصيله مشهور غنى عن ذكره هنا (فقال) ابن القاسم (ان كان جاهلا) بمعناه (أو قاله على وجه سفه) أى خفة وطيش من غير تامل وفكر (فلا شئ عليه قال القاضى أبو الفضل) عياض المؤلف فى تفسيره (وشرح قوله) لاشئ عليه معناه (انه لاقتل) يترتب (عليه) فيما صدر منه ثم بين ما يستحقه اذا لم يقتل فقال (والجاهل يزجر) حتى ينتهى عما قاله (ويعلم) ماجهله (والسفيه) الذى لا يضبط لسانه لخفته (يؤدب) بضرب وحبس ونحوه * واعلم ان المراد بالسفيه هنا من فى عقله خفة ونقص لا الذى عرفه الفقهاء بالمبذر (ولو قالها) أى قال لبيك اللهم لبيك لمن ناداه باسمه (على اعتقاد انزاله) أى مناديه (منزلة ربه تعالى) بجعله الها (لكفر) ووجهه ظاهر (هذا) الذى فصله (مقتضى قوله) أى قول ابن القاسم فى هذه المسئلة وهذا هو الحكم فيما ذكر عند المالكية وغيرهم ممن خالفهم فيها وقال لا يعذر الاقريب عهد باسلام أو مجنون كذا قيل وقد ينزل عليه كلام المصنف رحمه الله تعالى فتدبر (وقد أسرف كثير) أى تجاوز الحد فى قباحته وترك أدبه وهو مستعار هنا من اسراف المال لا اسراف المقال (من سخفاء الشعراء) أى من سخف عقله وقل دينه كالمعرى فى ديوانه الكبير كما يعرفه من رآه (ومتهميهم) جمع متهم وهو من اتهم بالزندقة والالحاد كابن عون (فى هذا الباب) أى ذكر رب العزة بما لا يليق به (واستخفوا عظيم هذه الحرمة) أى احترام الله واجلاله أى عدوه خفيفا هينا لا يبالى به (فاتوا) فى أشعارهم (من ذلك) النوع (بما ننزه) أى نصون (كتابنا) هذا فانه داء لاشفاء له (ولساننا واقلامنا عن ذكره) وكتابته ففيها اكتفاء بذلك لقبحه فلا يسود به وجه قرطاس ثم أجاب عن ذكره لبعض الالفاظ التى فيها سب لله ولرسوله صلى الله تعالى عليه وسلم كما تقدم فقال (ولولا انا قصدنا نص مسائل حكيناها) عن الائمة فى كتبهم ونص بالنون وفى نسخة قص بالقاف والاولى أحسن (لما) حكينا

وقيل هذا مقتضى قول ابن القاسم وقد بلغنى عن بعض الوجودية انه سمع نباح كلب فقال لبيك اللهم لبيك فهذا كفر صريح ليس له تاويل صحيح فان المستحب أن يقال الانسان نادى أحدا فى جوابه لبيك كما ورد فى السنة بخلاف ما اذا سمع الانسان صوت كلب فانه يستحب له أن يتعوذ بالله فانه انما ينبح اذا رأى شيطانا كما ثبت فى الحديث (وقد أسرف) أى تجاوز عن الحد (كثير من سخفاء الشعراء) أى جهلائهم (ومتهميهم فى هذا الباب) أى باب الديانة لكثرة ماوقع منهم من التهاون فى الامور والخفة (واستخفوا) أى استهانوا (عظيم هذه الحرمة) أى حرمة الله سبحانه وتعالى (فاتوا) أى سخفاء الشعراء (من ذلك) النوع من الكلام (بما تنزه كتابنا ولساننا وأقلامنا) وكذا اسماعنا وافهامنا (عن ذكره) الشناعة مبناه وبشاعة معناه (ولولا انا قصدنا) أى أردنا (نص مسائل) أى صريحها وفى نسخة قص مسائل أى حكايتها وروايتها (حكيناها) لبيان ما تعلق به من روايتها (لما

ذكرنا شيا منها) اعراضا عنها (مما يثقل ذكره علينا مما حكيناه في هذه الفصول) المتقدمة (وأما ما ورد في هذا) الباب (من أهل الجهالة) بمنطق الصواب (وأغاليط اللسان) في ميدان البيان (كقول بعض الاعراب) مما لا يجوز نسبته الى رب الارباب (* رب العباد) بالنصب على حذف حرف النداء (ما لنا وما لكا *) أي لك والالف للاشباع وما فيه للاستفهام وهو محل الجهالة في الكلام لانه من كلام الاكفاء لاسيما وفيه قبح أشنع من الاول هو ان ما استفهام انكار وهو مقام الاقوياء على الضعفاء (* قد كنت تسقينا) بفتح أوله وضمه (فما بدا لكا *) أي فما ظهر لك الآن حتى ما تسقينا كدأبك معناه وهذا أيضا موضع الجهالة ومحل الضلالة لان البداء عيب في الحال وهو على الله من المحال لانه في أصله أن يفعل الانسان فعلا ثم يظهر له ما هو أفضل منه وهذا يتصور ومن البشر لا من خالق القوى والقدر ولم يقل بالبداء الا اليهود قاتلهم الله أنى يؤفكون (* أنزل علينا الغيث لا أبا لكا *) قال ابن الاثير هو أكثر ما يستعمل في المدح أي لا كافي لك غير نفسك وقد يذكر ذلك في معرض الذم وقد يذكر في معرض التعجب ودفعا للعين انتهى وحاصله انه ليس بكفر صريح في المبنى قال وسمع سليمان بن عبد الملك رجلا من الاعراب في سنة مجدبة يقول رب العباد فذكره الى آخره فحمله سليمان على أحسن محمل وقال أشهد أن لا أباله ولا صاحبة ولا ولد انتهى وفيه ايماء الى انه من باب الاكتفاء قال التلمساني ووقع في كثير من كلام خيار المسلمين من الصحابة والتابعين ما هو على أصل لغة الحجاز في استعمال المجاز ومنه قول أبي عامر الاشعري وروى لعبد الله بن رواحة الفداء

* فاغفر فداء لك ما اقتفينا * ووجه ذلك ان الفداء انما يكون فيمن تلحقه القدرة والله سبحانه وتعالى منزه عنه فيحاشى منه واختلف فقيل على مجاز كلام العرب ومبناه ولا يلتفت الى حقيقة معناه وقيل أراد بالتفدية التعظيم لان الانسان لا يفدي الا من يعظم فيكون فيه معنى التجريد أو معناه أبذل نفسي ومن يعز علي في رضاك وقيل وروى فاغفر لنا فداك ما اقتفينا وهو بين ويحتمل ان قوله فاغفر البيت ليس من الكلام الاول وانما هو للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم ومعناه انه سأل النبي عليه السلام أن يغفر له ما قصر في حقه والقيام به والتفدية عليه صحيحة ومنه فان أبي ووالده وعرضي * لعرض محمد منكم فداء (في أشباه لهذا) الشعر (من كلام الجهال) نثرا ونظما

و(ذكرنا شيا مما يثقل) بالمثلثة (ذكره علينا) أي يعد ثقيلا لشدة قباحته لما فيه من الازراء بمقام الربوبية والنبوة (مما حكيناه في هذه الفصول) التي تقدمت (فاما ما ورد في مثل هذا) الامر الثقيل (من أهل الجهالة) أي جهلة الاعراب وأهل البادية الذين لا يعرفون الله ورسوله حق معرفته ولا يعرفون أمر الدين والشريعة لعدم مخالطة أهل الاسلام لجفاهم وغلظ طباعهم (وأغاليط اللسان) أي الذين اعتادت أنفسهم الغلط في وصفهم لله ورسوله وهو جمع أغلوطة كاعجوبة وهو الغلط الفاحش الذي تنفر عنه الطباع السليمة (كقول بعض الاعراب) جمع اعرابي وهو من يسكن البادية من العرب وكان قاله في سنة مجدبة (رب العباد ما لنا وما لكا * قد كنت تسقينا فما بدا لكا * أنزل علينا الغيث لا أبا لكا * في أشباه لهذا من كلام الجهال) رب العباد منادى مضاف منصوب أي يا رب العباد وحرف النداء محذوف وهو جائز كثير والعباد جمع عبد كالعبيد وقيل ان الاول في القرآن للمؤمنين والثاني للكفار بالاستقراء والعباد دائما لله والعبيد له ولغيره ولا يختص بغيره كما قيل وقوله ما لنا وما لكا استفهام وألف لكا للاطلاق يزاد زيادة مطردة في الشعر أي أي شئ كان لك وأي شان من شؤونك اقتضى منع ما عودتنا من احسانك وبين هذا بقوله قد كنت تسقينا الخ أي عودتنا بانعامك وانزال المطر فما سبب تغير الحال وتسقينا بفتح تاء المضارعة وضمها يقال سقاه وأسقاه بمعنى وقيل سقاه أعطاه الماء وأسقاه دل عليه وقوله فما بدا لك بمعنى ما ظهر لك منا حتى غضبت علينا ومنعت عوائد فضلك يقال هذا في السؤال ثم جعل عبارة عن تغير الرأي والرجوع عنه والندامة عليه كقوله

ولو انني أضمرت في القلب توبة * وأبصرت هذا في المنام بداليا

ومنه البداء الذي قاله اليهود ولا يجوز على الله فان كان قصد هذا وكان الاستفهام فيه وفيما قبله انكاريا فهو جهل منه والسؤال من أصله منكر فانه تعالى لا يسئل عما يفعل وما لي وما لك تستعمله الناس في التبري ويقوله القوي للضعيف وأنزل أمر والمراد به الدعاء والغيث المطر الا ان الاول يختص بالخير لانه يغاث به الناس وقوله لا أبا لك جاء في كلامهم كثيرا للمدح والذم وأصله دعاء وهو على خلاف القياس لاعرابه بالحرف وشرطه وقياسه لا أباك وقد سمع فيه لا أبالك ولا أبك أيضا وخرج الاول على ان اللام أقحمت بين المضاف والمضاف اليه فاذا مدح به فمعناه أنت شريف بنفسك من غير حاجة لانتساب وقد روى أن سليمان بن عبد الملك لما سمع هذا حمله على محمل حسن فقال أشهد أن الله لا أب له ولا صاحبة ولا والد ولا ولد وهذا الذي قاله الاعرابي على عادتهم في مخاطباتهم ولم يقصد ظاهره ان كان مسلما فانه لم يعرف حاله وقريب قول ابن رواحة رضي الله عنه * فاغفر فداء لك ما اقتفينا * فان

(ومن) أى ومن كلام من (لم يقومه) أى يعدله (ثقاف تاديب الشريعة) بكسر المثلثة وبالقاف أى مايسوى ويقوم به الرماح ثم استعير للزواجر التى وردبها الشرع (والعلم فى هذا الباب) المتعلق بتعظيم رب الارباب (فقلما يصدر) مثل ذلك (الا عن جاهل يجب تعليمه) على الناس كما يجب عليه تعلمه (وزجره والاغلاظ له عن العودة الى مثله) وهذا التاديب على نسق الترتيب كما يشير اليه قوله سبحانه وتعالى ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن (قال أبو سليمان الخطابى وهذا تهور من القول) أى مبالغة فى المجاوزة عن الاستقامة (والله تعالى منزه عن هذه الامور) لانه سبحانه وتعالى كما ورد يحب معالى الامور ويبغض سفاسفها (وقد روينا) بصيغة الفاعل أو المفعول مخففا وقيل مشددا (عن عون بن عبد الله) بن عتبة الهذلى الكوفى الزاهد (انه قال ليعظم أحدكم ربه أن يذكر اسمه فى كل شئ) من طيب وخبيث بل يخصه بالطيب فان الله طيب يحب الطيب وقد قال تعالى الطيبات للطيبين والطيبون للطيبات (حتى لا يقول أخزى الله الكلب وفعل) أى الله (به كذا وكذا) من المكروهات (وكان بعض من أدركناه من مشايخنا) المالكية (قلما يذكر اسم الله تعالى) ما مصدريه لا نافية كافة كما اختاره التلمسانى (الا فيما يتصل بطاعته وكان) أى ذلك البعض (يقول للانسان) اذا دعاله (جزيت خيرا) بصيغة المجهول (وقلما يقول جزاك الله خيرا اعظاما لاسمه تعالى ان يمتهن) أى يستعمل بكثرة (فى غير قربة) ولا يخفى ان الدعوة للاخ المسلم قربة وقد ورد من صنع اليه معروف فقال لفاعله جزاك الله

الفداء لا يتصور فى حق الله أو الكلام ثم عند الغيث وهذا خطاب لمن معه كما قيل فى كلام ابن رواحة ويقال لا أبالك للتعجب كما يقال للمدح والذم وفيه كلام فى كتب النحو وقيل انه مبنى على الفتح والفه اشباع اجراء للوصل مجرى الوقف وليس هذا محل تفصيله. والحاصل انه خاطب الله بما لا يليق به مما هو بحسب ظاهره كفر لكنه ناشئ عن غلظ طبعه وجاهليته ان كان مسلما فان كان كافرا فحاله معلوم وجهال جمع جاهل (و) من كلام (من لم يقومه) أى يجعله مستقيما (ثقاف) بكسر المثلثة وقاف وألف وفاء والثقاف فى الاصل تقويم الرماح والخشب المعوج بالنار ونحوها يقال رمح مثقف ثم استعمل فى غيره مجازا كقوله

غمرت من الليالى صعدتلم * يقوم ذوها غصن الثقاف

فاستعير لما يؤثر هنا ولما يقيم الانسان (تاديب الشريعة والعلم) أى تاديبه بتعليمه وارشاده لما يجب عليه ومنه قول عائشة فى أبيها رضى الله تعالى عنهما أقام أوده بثقافه أى أصلح أمور المسلمين تدبيره (فى هذا الباب) أى باب السخافة والتهاون والامور المتعلقة بالله والاول أنسب بقوله (فقل ما يصدر) هذا الكلام السخيف (الا من جاهل) بمقام الربوبية وقوله قل ما الخ مافيها كافة ولذا دخلت على الفعل وهى على أصلها أو بمعنى النفى وفيه كلام مشهور وفيه عذر بجهله لقرب عهده بالاسلام وكونه من أهل البوادى الذين لم يخالطوا المسلمين فـ(يجب تعليمه) ما يجب عليه (وزجره والاغلاظ له) بتوبيخه أشد توبيخ (عن العود لمثله) أى لينتهى عنه فان لم ينته بعد التعليم قتل (قال أبو سليمان الخطابى وهذا) الكلام الصادر عن السخفاء (تهور من القول) التهور مجاوزة الحد بالوقوع من غير مبالاة فى منكر عظيم من قولهم هار البناء اذا سقط وانهار قال تعالى فانهار به فى نار جهنم (والله) جل جلاله (منزه عن هذه الامور) السخيفة التى تقدم ذكرها (وقد روينا عن عون بن عبد الله بن عتبة الهذلى الكوفى الزاهد الفقيه المحدث التابعى توفى فى حدود العشرين ومائة (انه قال ليعظم) بلام الامر المكسورة (أحدكم ربه) فينزهه عن (أن يذكر اسمه فى كل شئ) يذكره مقترنا به (حتى يقول أخزى الله الكلب وفعل به) أى بالكلب (كذا وكذا) من قتل ونحوه فان اقتران الاسم بهذه المحقرات لا يليق وان كان ذلك بحسب المعنى صحيحا وكذا اسم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كقول العامة ذلك فى بيع أمور حقيرة كما نبه عليه بعض الفقهاء (قال وكان) عادة (بعض من أدركنا من مشايخنا) المالكية بالمغرب (قلما يذكر اسم الله تعالى) فى شئ من الاشياء التى لم يذكرها (الا فيما يتصل بطاعته) من أمور الدين والشريعة والعبادة ولذا لم يضيفوا اليه الشر والقبائح وخلق المحقرات تادبا وان كان خالقا وفاعلا لكل أمر فلا يقال خالق الكلاب والقاذورات كما صرحوا به وكان الشبلى رضى الله تعالى عنه ينشد اذا سئل عن هذا وينشد

ويقبح من سواك الفعل عندى * وتفعله فيحسن منك ذاكا

(وكان) بعض مشايخه (يقول للانسان) اذا دعاله (جزيت) ببناء المجهول (خيرا) دون جزاك الله خيرا صونا لاسم الله عن الابتذال كما بين ذلك بقوله (وقلما يقول جزاك الله خيرا) مصرحا باسم الله تعالى (اعظاما لاسمه تعالى) عن ذكره فى غير طاعة كالصلاة والاوراد والذكر (ان يمتهن) افتعال من المهانة وهى الابتذال والحقارة وعد كثرة ذكره حقارة (فى غير قربة) أى فى غير أمر يتقرب به الى الله من عبادة

خيرافقد أبلغ في الثناء رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه عن أسامه ونظير هذا ماذكره التلمساني عن ابن عرفة في تفسيره ان بعضهم كان يكره أن يقال للسائل يفتح الله تنزيها لاسم الله تعالى أن يذكر لمن يكره سماعه وانما يقول ماحضر لك في الوقت شئ أونحوه أقول السائل لم يكره سماع اسم ربه نعم انما يكره حرمانه وهو يحصل باى مقال يقال في جوابه فالدعاء أولى له فانه ربما يفرح به بدعائه أكثر من عطائه ثم قيل لابن عرفة قال المفسرون في قوله تعالى واما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا ان القول الميسور أن يقول لهم رزقنا الله واياكم من فضله فقال ابن عرفة الكراهة لاتنافي الاباحة انتهى وفساده ظاهر لايخفى لان الامر في الآية للاستخفاف والكراهة غير ثابتة في هذا الباب (وحدثنا الثقة) أي بعض من أثق به في الرواية (أن الامام أبابكر الشاشي) قال الحلبي الظاهر انه محمد بن علي بن اسمعيل القفال الكبير الشافعي والشاش مدينة بما وراء النهر قال العبادي فيه أفصح الاصحاب قلما وأثبتهم في دقائق العلوم قدما وأسرعهم بيانا وأثبتهم جنانا وأعلاهم اسنادا وأرفعهم عمادا توفى سنة خمس وستين وثلثمائة (كان يعيب على أهل الكلام) أي علماء أصول الدين (كثرة خوضهم فيه) أي في ذاته (تعالى وفي ذكر صفاته اجلالا لاسمه تعالى ويقول هؤلاء) أي أهل الكلام (يتمندلون بالله) أي يتداولونه و يتناولونه كالمنديل بكثرة تداول ألسنتهم له في الاقاويل (جل) أي جلاله (وعز) كماله وهذا مخالف للكتاب والسنة حيث قال الله تعالى ياأيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وقال والذاكرين الله كثيرا والذاكرات وفي الحديث أكثروا ذكر الله تعالى حتى يقولوا مجنون رواه أحمد في مسنده وأبو يعلى الموصلي وابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدركه والبيهقي في شعبه عن أبي سعيد وفي روايه لاحمد أكثروا ذكر الله تعالى حتى يقول المنافقون انكم مراؤن وقد ورد من أحب شيأ أكثر ذكره رواه الديلمي عن عائشة رضي الله تعالى عنها والاحاديث في هذا أكثر من أن تذكر وقد صح عن رئيس أهل التحقيق أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه ليتني كنت أخرس الا عن ذكر الله ولله در القائل

أعد ذكر نعمان لنا ان ذكره * هو المسك ما كررته يتضوع

هذا وعن بعض التابعين انه كانت له بضاعة يتجر فيها فقيل له في ذلك فقال لولاها التمندل بي بنو العباس اي لابتذلوني بالتردد اليهم لطلب ما لديهم وأغرب منه قوله (وينزل) أي الشاشي (الكلام) وفي نسخة بصيغة المجهول (في هذا الباب) أي باب كثرة الكلام في اسمه سبحانه وتعالى

كما تقدم والدعاء للسائلين وان كان عبادة لكنه ليس من الطاعات التي فيها تعظيم لله وتعظيم لذكره ونية اسمه المقدر في الدعاء يكفي في وجوده وكونه عبادة فلا يرد عليه ماقيل ان الدعاء للمؤمن على خير فعله طاعة مندوبة لقوله تعالى هل جزاء الاحسان الا الاحسان والقربة أخص من الطاعة فذكر الله في الدعاء وان كان فيه تعظيم له أيضا الا أن ذكره في الصلاة ونحوها أكثر تعظيما الا انه لايخلو من شئ ولذا قيل انه مخالف للسنة المأثورة من التصريح باسمه تعالى في الدعاء وفي الايمان وقوله في الشروع في الافعال وعقب الطعام والشراب الحمد لله فكيف يستدل بفعل بعض مشايخه على مايخالف السنة فتدبر (وحدثنا الثقة) أي الموثوق به وهذا توثيق لمجهول فلا فائدة فيه وقيل ان تعريفه للعهد وانظر للامام أبي بكر بن العربي وسيبويه في كتابه يقول قال لي الثقة يعني أباز يد وماذكر عمن ياتي ليس حدثنا بنويا يقدح فيه جهل راويه وتقدم في استعمال لفظ الثقة تفصيل للشافعي رضي الله تعالى عنه (ان الامام أبابكر الشاشي) هو وحيد دهره الامام أبو بكر محمد بن علي بن اسمعيل القفال الشاشي نسبة لشاش مدينة فيما وراء النهر وهو امام عظيم له تاليفات جليلة وهو عمدة في مذهبه واختلف في وفاته فقيل سنة ست وستين وثلثمائة وقيل سنة ست وثلاثين وقيل انه كان في أول أمره معتزليا ثم رجع عن الاعتزال (كان يعيب على أهل الكلام) وهو علم أصول الدين (كثرة خوضهم فيه تعالى) أي في البحث عن ذات الله تعالى أي يعده عيبا أي ينهى عنه ومر ان أصل معنى الخوض الشروع في دخول الماء ثم استعير للشروع في الامور ويقال تخاوضوا في الحديث اذا تفاوضوا فيه وأكثر ماورد في القرآن فيما يذم شرعا (وفي ذكر صفاته) أي ذكر حقيقة صفات الله تعالى والبحث عنها (اجلالا لاسمه تعالى ويقول هؤلاء) الباحثون عن ذات الله وصفاته (يتمندلون بالله عز وجل) تفعل من المنديل وهو خرقة يمسح بها الايدي وجمعه مناديل ومنه اشتق فعل فيقال تمندلت وتمندلت وأنكر بعضهم الثانية وقال انها مولدة غير فصيحة وهو هنا استعارة للابتذال والامتهان وقد يقال ان مراده ذكر مالاحاجة اليه من المباحث الكلامية والا فكيف ينكر علم الكلام وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم ستفترق أمتي ثلاثا وسبعين فرقة فهذه الفرق الضالة لها اعتقادات باطلة قد يظهرونها ويذكرون لها أدلة فقابلتهم وابطال أدلتهم واجب فكيف يمنع منه مطلقا فكلام المصنف رحمه الله تعالى ليس على اطلاقه وقد يقال ان في قوله يتمندلون التقييد له فافهمه (وينزل الكلام في هذا الباب) الذي

(تنزيله في باب ساب) وفي نسخة سب (النبي صلى الله تعالى عليه وسلم على الوجوه التي فصلناها) من قتله وصلبه وحبسه وضربه وفيه انه لا فرق بين من تمندل بالله ومن سب نبيه نعم يلزم على زعم هذا القائل ان المحدثين لكثرة خوضهم في ذكر سيد المرسلين ينزلون في باب سب النبي وحاشاهم من ذلك لعلو مرتبتهم هنالك بل هذا القائل هو الاحق بان يلحق بمن سب الحق عند المحقق (والله الموفق) نعم ذلك ذم السلف الكرام أهل الكلام من حيث انهم يتعلقون بذات الله تعالى وصفاته العلية بالادلة العقلية والقواعد الفلسفية وقد قال الله تعالى ولا يحيطون به علما وورد عنه عليه الصلاة والسلام لا تتفكروا في ذات الله وتفكروا في مصنوعاته وقد بسطت الكلام على هذا المرام في شرح الفقه الاكبر فتأمل وتدبر

(فصل وحكم من سب سائر أنبياء الله تعالى وملائكته) أي جميعهم (واستخف بهم أو كذبهم فيما أتوا به) من وحيهم وفعلهم (أو أنكرهم) أي وجودهم (وجحدهم) أي نزولهم كقول مالك بن الصيف ما أنزل الله على بشر من شيء حين قال له النبي عليه الصلاة والسلام أليس في التوراة ان الله يبغض الحبر السمين قال نعم قال فانت الحبر السمين فمن صدر منه شيء من ذلك فحكمه (حكم نبينا على مساق ماقدمناه) أي نهجه وسبيله في وجوب قتله كفرا ان لم يتب وحدا ان تاب كما هو مذهب مالك في هذا الباب (قال الله تعالى ان الذين يكفرون بالله ورسله) بشرا وملكا (ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله) ايمانا وكفرا (ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض) كاليهود كفروا بعيسى ومحمد وكالنصارى كفروا بمحمد (الآية) أي ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا متوسطا بين الايمان والكفر أولئك هم الكافرون حقا وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا (وقال تعالى) بالخطاب العام (قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا) أي من القرآن (وما أنزل) أي من الصحف (الى ابراهيم الآية) واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط أي أولادهم وأحفادهم من الانبياء وما أوتي موسى وعيسى من التوراة والانجيل وما أوتي النبيون من ربهم كالزبور لداود (الى قوله لا نفرق بين أحد منهم) في الايمان لا في التفضيل (وقال) أي الله تعالى آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون (كل) أي كلهم أو كل واحد منهم (آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله) ايمانا اجماليا قائلين (لا نفرق بين أحد من رسله) بل نؤمن بكلهم ونعتقد ان بعضهم أفضل من بعض وان نجهل تفضيل بعضهم (قاله) وفي نسخة قال (مالك في كتاب ابن حبيب ومحمد) هو ابن المواز كما جزم به الحلبي وقال الدلجي لعله ابن سحنون (وقاله ابن القاسم وابن الماجشون وابن عبد الحكم) وفي نسخة وابن عبد الملك (وأصبغ) أي ابن الفرج (وسحنون فيمن شتم الانبياء) أي عموما (أو أحدا منهم) أي خصوصا

وقع فيه مثل ما تقدم في حق الله عز وجل (تنزيله في باب ساب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) فيجعل أحكام هذا كأحكامه (على الوجوه) السابقة في المسائل (التي فصلناها) في هذا الكتاب كما تقدم (والله الموفق) للصواب

(فصل وحكم من سب سائر أنبياء الله تعالى) عز وجل (وملائكته واستخف بهم) أي ذكر ما فيه تحقير واهانة لهم (أو كذبهم) أي نسبهم الى الكذب (فيما أتوا به) عن الله من وحيه (أو أنكرهم) أي اعتقد عدم وجودهم أو أنكر وجود النبوة والرسالة (وجحدهم) أي انكر وجودهم عنادا مع علمه به لبعض اليهود والنصارى (حكم) من سب (نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم) وقد تقدم تفصيله وحكم الاول مبتدأ وهذا خبره (على مساق) أي على الحكم الذي سقناه على تفصيل (ماقدمناه) عن أئمة الدين في هذا الكتاب كما سمعته ثم استدل على ان حكم سائر الانبياء كحكم نبينا فقال (قال الله تعالى) عز وجل في كتابه الكريم (ان الذين يكفرون بالله ورسله) من رسل البشر ورسل الملائكة (ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله) ايمانا وكفرا لقوله (ويقولون نؤمن ببعض) منهم (ونكفر ببعض) كاليهود كفروا بعيسى ومحمد عليهما السلام والانجيل والقرآن والنصارى كفروا بمحمد عليه الصلاة والسلام والقرآن (الآية) أي اذكر الآية أو اقرأها الى آخرها يعني ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا أولئك هم الكافرون حقا فهذه الآية وما بعدها تدل على ان الايمان لا يكون ايمانا مخلصا من الخلود في النار الا اذا آمنوا بالله عز وجل وبجميع رسله وكتبه وما جاءهم من الوحي من عند الله فمن آمن ببعض وكفر ببعض كمن لم يؤمن بشيء أصلا (وقال تعالى) عز وجل (قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا) من القرآن وغيره من الاحكام (وما أنزل الى ابراهيم) من الصحف وغيرها (الآية) من قوله واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم (وقال كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله) فهذه الآية صريحة فيما قاله (قال مالك في كتاب) عبد الملك (ابن حبيب ومحمد) بن سحنون (وقال ابن القاسم وابن الماجشون وابن عبد الحكم وأصبغ وسحنون) تقدمت تراجم هؤلاء (فيمن شتم الانبياء أو أحدا منهم)

(أو تنقصه قتل ولم يستتب) أي اذا كان مسلما (ومن سبهم من أهل الذمة قتل الا أنه يسلم) وروى سحنون عن ابن قاسم من سب الانبياء من اليهود والنصارى بغير الوجه الذي كفروا به) وفيه انه ليس سب الانبياء في وجه من الوجوه التي كفروا بها فلا يحتاج الى هذا القيد الزائد على ماقبله (ضرب عنقه الا أن يسلم) وفي المبسوطة قيده بقوله طوعا (وقد تقدم الخلاف في هذا الاصل) أي فيمن سب الله تعالى بغير هذا الوجه فقال ابن القاسم في كتاب محمد الا أن يسلم كما هنا وقال المخزومي وفي المبسوطة ومحمد بن سلمة وابن خازم لا يقتل حتى يستتاب مسلما أو كافرا فان تاب والا قتل وهذا هو الصواب ولكن لا يخفى ان الذمي

صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين (أو انتقصه) أي نسب أحدا منهم لشيء من النقص مما لا يليق به (قتل ولم يستتب) فان تاب لم تنفعه توبته لان حده القتل (ومن سبهم) أي الانبياء أو أحدا منهم (من أهل الذمة) كاليهود والنصارى (قتل الا أن يسلم) فلا يقتل لان الاسلام يجب ماقبله وفيه تالف لغيره (وروى سحنون عن ابن القاسم من سب الانبياء) صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين (من اليهود والنصارى بغير الوجه الذي به كفر) ككون المسيح ابن الله والعزير ابن الله (ضربت عنقه) ولا يستتاب لانه لم يعاهد عليه (الا أن يسلم) طوعا منه كما قيده في المبسوطة (وقد تقدم الخلاف) بين أئمة الدين (في هذا الاصل) أي من سب الله بغير الوجه الذي به كفر هل يستتاب أم لا (وقال القاضي بقرطبة سعيد بن سليمان في بعض أجوبته) عن هذه المسألة (من سب الله تعالى) عز وجل (وملائكته قتل) لجرأته على الله وملائكته (وقال سحنون من شتم ملكا من الملائكة فعليه القتل) لانهم عباد مكرمون بررة مبرؤن من النقائص (وفي) كتاب (النوادر) لابن أبي زيد رحمه الله تعالى (عن مالك) بن أنس (فيمن قال ان جبريل) عليه الصلاة والسلام (اخطا بالوحي) الذي أتى به لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم فوضعه في غير محله وقال (وانما النبي) الذي أمر جبريل عليه الصلاة والسلام بانزال الوحي عليه (علي بن أبي طالب) كرم الله وجهه لا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم (استتيب) أي عرضت عليه التوبة مما قاله (فان تاب لم يقتل (والا) أي ان لم يتب (قتل) لكذبه على جبريل ونسبته للخطا وهو لا يفعل الا ما يؤمر به (ونحوه عن سحنون) أي مثل ما في النوادر روي عن سحنون (وهذا) أي نسبة الخطا لجبريل (قول الغرابية) هم طائفة من الرافضة قالوا علي أشبه بمحمد من الغراب بالغراب كما بينه بقوله (من الروافض سموا بذلك) أي بالغرابية (لقولهم كان النبي) صلى الله عليه وسلم (أشبه بعلي) أي أشد شبها (من الغراب بالغراب) والذباب بالذباب فلذا غلط جبريل عليه السلام في تبليغ الرسالة لعلي الى محمد صلى الله عليه وسلم ويسمون جبريل ذا الريش قيل وهذا مقيد بغير اليهود فانهم صرحوا بعداوة جبريل كما رواه الترمذي عنه صلى الله عليه وسلم ان اليهود قالوا له لكل نبي من الانبياء ملك ياتيه برسالة ربه فمن صاحبك حتى نتبعك قال جبريل فقالوا هو ينزل بالحروب والقتال وهو عدونا فلو قلت ميكائيل الذي ياتي بالقطر والرحمة أتبعناك فانزل الله قل من كان عدوا لجبريل الآية (وقال أبو حنيفة وأصحابه) ومن هو على مذهبه كمحمد وغيره بناء (على أصلهم) أي قاعدة مذهبهم (من كذب باحد من الانبياء) أي قال بانه كذب لا أصل له وجحده (أو تنقص أحدا منهم) أي نسب له ما فيه نقص له (أو برئ منه) أي من محبته والايمان به (أو شك في شيء من ذلك) فقال لا أتحققه (فهو مرتد) فحكمه حكم المرتد في مذهبه وقد تقدم (وقال أبو الحسن القابسي) الذي قدمنا ترجمته (في) الرجل (الذي قال لآخر) ممن يكرهه (كأنه) أي كان وجهه (وجه مالك) خازن النار (الغضبان) الذي

بسب الله أو أحد من أنبيائه يخرج عن كونه ذميا ويصير حربيا فان أسلم سلم والا قتل فليس قوله تاب على ظاهره من التوبة عن سبه مع بقائه على ذمته (قال القاضي بقرطبة) بضم القاف والطاء (سعيد بن سليمان) وفي نسخة ابن عبد الرحمن (في بعض أجوبته) لبعض أسئلته (من سب الله أو ملائكته أو أنبيائه قتل) أي مطلقا الا أن يسلم (قال سحنون من شتم ملكا من الملائكة) معينا أو مبهما (فعليه القتل) واجب (وفي النوادر) لابن أبي زيد (عن مالك فيمن قال ان جبريل اخطا بالوحي) بتاديته الى محمد (وانما كان النبي علي ابن أبي طالب استتيب فان تاب والا قتل) لكفره باجترائه على أمين الوحي وتجهيله الله سبحانه وتعالى وانكار نبوة محمد واثبات نبوة علي (ونحوه عن سحنون) منقول

(وهذا) القول بتخطئة جبريل (قول الغرابية من الروافض سموا بذلك لقولهم كان النبي أشبه بعلي من الغراب بالغراب) والذباب بالذباب وقد أبطلنا قولهم فيما سبق من باب الكتاب (وقال أبو حنيفة وأصحابه على أصلهم) المعتمد عندهم وجمهور أهل العلم (من كذب باحد من الانبياء أو تنقص أحدا منهم أو برئ منه) أي تبرأ من أحد منهم (فهو مرتد) يقتل ان لم يتب (وقال القابسي في الذي قال لآخر كأنه) أي وجهه (وجه مالك) أي خازن النار وفي نسخة وجه مالك (الغضبان

يظهر

لوعرف) من قرائن قاله أو حاله (انه قصد ذم الملك قتل) بخلاف ما اذا أراد تشبيهه به من حيث الهيبة والخشية (قال القاضي أبو الفضل) أي المصنف (وهذا كله فيمن تكلم فيهم) أي في الانبياء والملائكة (بما قلناه على جملة الملائكة والنبيين) أي عموما أو اجمالا بان شتم نبيا أو ملكا غير معين (أو على معين ممن حققنا كونه من الملائكة والنبيين مما نص الله تعالى عليه) أي على كونه نبيا أو ملكا (في كتابه أو حققنا علمه بالخبر المتواتر والمشتهر) بفتح الهاء وكسرها ٥٤٩ أي المشهور عند أئمة الحديث (المتفق عليه) أي على صحته (بالاجماع) الظاهر أو بالاجماع (القاطع) أي مما لا خلاف فيه انه منهم (كجبريل وميكائيل) قال الله تعالى من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال وفيهما قراآت معروفة (ومالك) في قوله تعالى ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك (وخزنة الجنة وجهنم) في قوله تعالى وقال لهم خزنتها سلام عليكم وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم (والزبانية) في قوله تعالى فليدع ناديه سندع الزبانية من الزبن وهو الدفع (وحملة العرش) في قوله تعالى الذين يحملون العرش وهم ثمانية فقيل صفوف وقيل ألوف وقيل صنوف وقيل ثمانية أنفس وقيل هم الآن أربعة وتزيد يوم القيامة أربعة وهو ظاهر قوله تعالى ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية (المذكورين في القرآن) كما حررنا مواضعها في البيان (من الملائكة) المسطورين (ومن سمي فيه من الانبياء) أي كآدم وادريس ونوح وهود وصالح ولوط وابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب ويوسف وموسى وهارون وشعيب وداود وسليمان وأيوب وزكريا ويحيى وعيسى ويونس والياس واليسع وذي الكفل ومحمد عليهم الصلاة والسلام وكذا شيث بن آدم كما هو مشهور (وكعزرائيل) المعبر عنه في القرآن بملك الموت في قوله تعالى قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم وهو بفتح أوله ممدود او يقال عزرائيل بكسر العين وكسر الراء

يظهر الغضب والعبوس وانما تشبيهه به في لزوم الغضب وهذا تخيل فاسد والافهو منشرح للقيام بما أمره الله به وقيل انه أطلق اسم البعض على الكل مبالغة (لوعرف) من حال القائل (انه قصد ذم الملك قتل) فان لم يعلم ذلك لم يقتل لتصوره ان غضبه امتثالا لامر ربه في معاملة أهل جهنم بذلك كالسجان المشدد على من في سجنه بامر الملك وهذا مذهب مالك وأبو حنيفة واما عند الشافعي ففيه خلاف في كتبهم (قال القاضي أبو الفضل) عياض مصنف هذا الكتاب رحمه الله تعالى (وهذا كله) أي ما ذكر في هذه المسائل (فيمن تكلم فيهم) أي في الانبياء والملائكة (بما قلناه) فيما تقدم (على جملة الملائكة والنبيين) أي مجموعهم لا جميعهم (أو) تكلم بما قلناه (على) واحد (معين) منهم (ممن حققنا) أي بينا وأثبتنا فيما تقدم (كونه من الملائكة والنبيين ممن نص الله عليه في كتابه) بذكر اسمه صريحا في القرآن (أو حققنا علمه) بانه منهم (بالخبر المتواتر) الذي لا يقبل الكذب (والاجماع القاطع) بوجوده (و) الخبر (المشتهر المتفق عليه) ممن يعتد به من رواة الحديث وعلماء الدين وفي نسخة المشهور وهو ما رواه جمع كثير لم يبلغوا حد التواتر (كجبريل وميكائيل) هما من رسل الملائكة وايل اسم من أسماء الله تعالى بالعبرانية ومعنى جبريل عبد الله فجبريل موكل بالوحي وتبليغ أسرار الملكوت وميكائيل موكل بالامطار والارزاق كما مر وأحوال الملائكة فصلها السيوطي في كتاب مستقل سماه الحبائك في أخبار الملائك وهو كتاب جليل (ومالك) اسم الملك الموكل بالنار وهو ثابت بالتواتر (وخزنة الجنة) جمع خازن كحافظ وحفظة وزنا ومعنى وهم الملائكة الموكلون بحفظ الجنة وأهلها (و) خزنة (جهنم والزبانية وحملة العرش) وهذا انما علم بنص القرآن والتواتر اما جبريل وميكائيل فلكان عظيمان مشهوران وفي حديث رواه الحاكم وزيراي من أهل السماء جبريل وميكائيل ومن أهل الارض أبو بكر وعمر ومالك خازن النار ذكره الله في قوله ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك وخزنة الجنة ورد ذكرهم في أحاديث كثيرة وخزنة جهنم ذكرهم الله تعالى في قوله عليها ملائكة غلاظ شداد وهم تسعة عشر قال تعالى عليها تسعة عشر وما جعلنا أصحاب النار الا ملائكة وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا وقال القرطبي التسعة عشر رؤساؤهم وعدة الخزنة لا يعلمها الا الله وجهنم علم لدار العذاب ممنوع من الصرف للعلمية والتانيث والزبانية ملائكة العذاب ورد في الحديث رأس احدهم في السماء ورجله في الارض وهم أعظم من الناس خلقا وأشدهم من زبنه اذا دفعه لانهم يدفعون الكفار بايديهم وارجلهم وواحده زبنية كعفرية أو زبني كجني وقال قتادة هم الشرط في كلام العرب وحملة العرش جمع حامل كخزنة وهم ثمانية قال الله تعالى ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية وورد في صفتهم وتسبيحهم أحاديث كثيرة ولم يسم منهم غير اسرافيل (المذكورين) باسمائهم (في القرآن من الملائكة) الذين تقدم ذكرهم وذكر الآيات التي فيها أسماء الملائكة وفيه ملائكة كثيرة ذكروا باصفاتهم دون أعلامهم (ومن سمي فيه) أي في القرآن (من الانبياء) كآدم ونوح وابراهيم وغيرهم (وكعزرائيل) وهو ملك

الموت ولم يذكر في القرآن باسمه وذكر فيه ملك الموت (واسرافيل) لم يصرح باسمه في القرآن وذكر بصفته (ورضوان) بكسر الراء وضمها وبهما قرئ في القرآن ومنه نقل علم خازن الجنة سمي به لانه خازن محل الرضوان وروى ابن عساكر وغيره في أسباب النزول ان المشركين لما عيروا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بالفاقة وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام الآية حزن لذلك فنزل عليه جبريل وقال ربك يقرئك السلام ويقول لك وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون في الاسواق فبينما هو ومعه رآه ذاب من خوفه فقال فتح باب من أبواب السماء لم يفتح قبل ثم عاد لحاله فقال له ابشر هذا رضوان خازن الجنان فسلم رضوان عليه ومعه سفط من نور يتلألأ فقال يا محمد ربك يقرئك السلام ويقول لك هذه مفاتيح خزائن الدنيا ان شئت خذها ولا ينقص لك منها مقدار جناح بعوضة فنظر لجبريل كالمستشير له فقال له تواضع لله فقال يا رضوان لا حاجة لي بها فقال له أصبت أصاب الله بك ويروى ان رضوان نزل بهذه الآية تبارك الذي ان شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجري من تحتها الانهار ويجعل لك قصورا وفيه ان من الآيات ما نزل به غير جبريل من الملائكة وهي فائدة غريبة (والحفظة) بزنة كتبة جمع حافظ وهم الكرام الكاتبون قال الله تعالى وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون وآيات أخر وهما ملكان أحدهما يكتب الحسنات والآخر يكتب السيئات وروى انه وكل بالانسان خمسة ملكان بالليل وملكان بالنهار وآخر لا يفارقه ويجتمعون في صلاة الفجر والعصر فيسألهم الله كيف تركتم عبادي فيقولون تركناهم يصلون وأخرج الطبري من طريق كنانة العدوي ان عثمان رضي الله عنه سال النبي صلى الله عليه وسلم عن عدد الملائكة الموكلين بالآدمي فقال لكل آدمي عشرة بالليل وعشرة بالنهار واحد عن يمينه وآخر عن شماله واثنان من بين يديه ومن خلفه واثنان على جبينه وآخر قابض على ناصيته فان تواضع رفعه وان تكبر وضعه واثنان على شفتيه ليس يحفظان عليه الا الصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم والعاشر يحرسه من الحية ان تدخل فاه يعني اذا نام والاحاديث في ذلك كثيرة استوفاها الجلال السيوطي في كتبه فجزاه الله خيرا (ومنكر) بضم الميم وفتح الكاف وكسرها خطأ (ونكير) بفتح النون وكسر الكاف وهما ملكا السؤال اللذان يأتيان الميت ليسألاه في قبره كما ورد في الصحيحين وقال السيوطي ان حديث ملكي السؤال متواتر وذكر من رواه وطرقه وذكر بعضهم ان اللذين يأتيان المؤمن يسميان مبشرا وبشيرا وذكر القرطبي انه روى ان السائل ملك وان السؤال قبل انصراف الناس وهو معارض لما روى انهما ملكان وسؤالهما بعد انصراف الناس وجمع بينهما بانهما باعتبار الاشخاص فمنهم من يأتيه اثنان ومنهم من يأتيه واحد ومنهم من يسئل والناس عند قبره حتى لا يستوحش ومنهم من هو بخلافه أو اثنان والسائل له أحدهما قال السيوطي وهو الصواب فان ذكر الملكين هو الوارد في غالب الاحاديث وله في هذين الملكين تأليف مستقل فيه فوائد جمة لا يستغني عنها طالب علم ذلك (من الملائكة المتفق) بين المحدثين (على قبول الخبر بهما) بما ورد في كتب السنة المعتمد عليها (فاما من لم يثبت الاخبار بتعيينه) باسمه معينا (ولا وقع الاجماع) من الامة (على كونه من الملائكة أو) لم يقع الاجماع على كونه من (الانبياء) والمرسلين (كهاروت وماروت في الملائكة) وهما علمان أعجميان وقيل انهما مشتقان من الهرت والمرت وهو المفازة والاول أصح لمنع الصرف واختلف هل هما ملكان بفتح اللام أو بكسرها سميا ملكين لحسن صورتهما وسيرتهما أو صورتهما فلا تنافي بين القراءتين والجمع بغيره أقرب وفي الحديث أشرفت الملائكة على الارض فرأوا بني آدم يعصون فقالوا ما أجهل هؤلاء بعظمتك يا رب فقال الله لهم لو كنتم مثلهم عصيتم فقالوا كيف هذا ونحن لا نفتر عن عبادتك فقال اختاروا ملكين فاختاروا هاروت وماروت فركب

(واسرافيل) وهو صاحب الصور المكني عنه بقوله تعالى ونفخ في الصور (ورضوان) بكسر الراء وضمها أي خازن الجنة (والحفظة) المعبر عنهم بقوله سبحانه وتعالى كراما كاتبين (ومنكر) بفتح الكاف واما كسره فنكر (ونكير) الفتانان في القبر من الملائكة (المتفق) على وجودهم عند العلماء بناء (على قبول الخبر بهما) لاجل كثرة طرقه التي كادت أن تكون متواترة وفي نسخة بهما وفي أخرى بهم (فاما من) وفي نسخة ما (لم يثبت الاخبار بتعيينه) انه نبي أو ملك (ولا وقع الاجماع على كونه من الملائكة أو الانبياء كهاروت وماروت) المعدودين (في الملائكة) على خلاف فيهما هل هما ملكان بالفتح أو ملكان بالكسر بناء على القراءتين والاظهر انهما من الملائكة

(والخضر) اختلف فى كونه ولياأونبيا والاظهر الثانى (ولقمان) قيل كان نبيا وقيل حكيما وهو الاظهر وكان عبدا حبشيا وقيل نوبيا وقيل كان ابن أخت داود وقيل ابن خالته (وذى القرنين) فقيل رجل صالح وهو قول على وقيل نبى وروى عن عمر وقيل انه ملك بكسر اللام وسمى بذلك لانه بلغ قرنى الدنيا وهما المشرق والمغرب وقيل كان له قرنان صغيران تواريهما عمامته وقيل لانه دعا قومه الى الله فضربوه على قرنه فمات ثم حيى ثم دعاهم فضربوه على قرنه الآخر فمات وقيل لانه كريم الطرفين من أبيه وأمه وقيل كان يقاتل بيده وركابه وقيل علم علما باطنا وظاهرا وقيل دخل الظلمة والنور وقيل لانه عاش مضى قرنين روى انه عليه الصلاة والسلام سئل عنه أنبى كان أم لا فقال لا أدرى رواه الحاكم فى مستدركه وكذا قال عليه الصلاة والسلام فى عزير على مارواه أبو داود والحاكم وكذا دانيال مختلف فى نبوته (ومريم) ابنة عمران لقوله تعالى اذ قالت الملائكة يامريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين ونحو ذلك وكذا أم موسى ويشير الى نبوتها قوله تعالى وأوحينا الى أم موسى والمحققون على ان المعنى ألهمنا لقوله تعالى وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم وفيه بحث على مذهب من فرق بين النبوة والرسالة (وآسية) ابنة مزاحم امرأة فرعون وابنة عمه وقيل هى عمة موسى عليه الصلاة والسلام لكن لا أعرف أحدا قال بنبوتها ولا دليلا على ثبوت نسبتها (وخالد بن سنان) بسين مكسورة وهو العبسى بموحدة منسوب لبنى عبس قوم من العرب وكان بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما كان خالد بن سنان نبى بنى عبس

فيهما شهوة بنى آدم واهبطهما الى الارض ومثلت لهما الزهرة امرأة حسناء فعشقاها ولم يزالا حتى واقعاها فخيرهما الله بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختارا عذاب الدنيا لانقطاعه وهما المذكوران وأنكر بعضهم هذا الحديث لعصمة الملائكة وقال الحافظ ابن حجر والسيوطى كما تقدم انه روى من طرق أكثر من عشرين فبلغ الحديث مرتبة الحسن وقد أفردوه بالتاليف فلا وجه لانكاره وتبعهما ابن حجر الهيثمى فقال فى الاعلام بعد سياق كلام المصنف برمته وهو ظاهر جلى وبه يعلم خطا من قال ان ما يحكيه المفسرون فى قصة هاروت وماروت فى آيتهما فى سورة البقرة كفر وليس كما زعم ولقد وقع بذلك فى ورطة عظيمة وان كان جاهلا فقد حكى هذه القصة أكابر المفسرون كابن جرير الطبرى والامام البغوى وغيرهما ومن ثمة انتصر لهم بعض المتاخرين من المحدثين وخرج هذه القصة باسانيد صحيحة ورد على من خالف فى ذلك فجزاه الله على ذلك خيرا انتهى واما عصمة الملائكة فذهب بعض أهل الاصول كما مر الى ان المعصوم انما هو رسلهم لا غيرهم كرسل البشر وعليه حمل قوله تعالى لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ولك ان تقول انه لا يرد ولو قلنا بعصمة الجميع لانه بتركيب الشهوة فيهم انسلخوا من الملائكة الى البشرية فصار حكمهم حكمهم فى التكليف وغلبة الشهوة البشرية ولا مانع فى قدرة الله تعالى ان يصير نوعا النوع آخر (و) فى الانبياء (كالخضر) تقدم الكلام عليه مفصلا (ولقمان) الحكيم لا لقمان بن عاد وهو من أهل ايلة ولد بعد عشر خلت من ملك داود وفى اسم أبيه خلاف فقيل باعور وقيل عفار وكان اسود اللون نزع له عرق من أمهاته ولم يكن عبدا وقيل كان عبدا حبشيا أو نوبيا الرجل قصار من بنى اسرائيل اشتراه وقيل كان نجارا واختلف هل كان نبيا أو رجلا صالحا غير نبى وقال سعيد بن المسيب كان نبيا خياطا والاكثر على خلافه وقال حذيفة بن اليمان من الله عليه بالحكمة وخزن عنه النبوة وله كلمات كثيرة فى الحكمة ذكرها فى مرآة الزمان (وذى القرنين) كان فى زمن الخليل عليه الصلاة والسلام من ولد يافث ابن نوح وقيل من ولد سلم بن سام ولقى الخليل صلى الله عليه وسلم فاوصاه بوصايا واختلفوا فى اسمه على أقوال فقيل عبد الله وقيل اسكندر وقيل وهب وقيل الصعب واختلف فيه هل كان نبيا أم لا والاكثر انه رجل صالح على دين ابراهيم وفى تسميته بذى القرنين عشرة أقوال فقيل لانه ضربه قومه على جانبى رأسه وهما يسميان قرنين فهلك وقيل لانه سار لقرنى الارض وهما المغرب والمشرق وقيل لان جانبى رأسه كالنحاس وقيل لانه رأى فى منامه انه أخذ بقرنى الشمس فقصه على قومه فسموه به وقيل لانه كانت له ضفيرتا شعر فى رأسه والضفيرة تسمى قرنا وقيل غير ذلك وقصته مفصلة فى مرآة الزمان وقيل انه ملك بفتح اللام والاصح انه رجل صالح (ومريم) ابنة عمران التى قص الله قصتها فى القرآن واختلف فى نبوتها والمشهور ان النبى لا يكون الا رجلا ذكرا ورجح بعض علماء المغاربة انها كانت نبية وان الذكورة انما تشترط فى الرسول دون النبى لانه قد لا يؤمر بالتبليغ ورجحه القرطبى وابن السيد البطليوسى وليس ببعيد والذى ذهب لنبوتها استدل بكلام الملائكة لها وهو غير مسلم ومريم علم عبرانى وقيل انه عربى واختلف فى وزنه هل هو فعيل أو فعال (وآسية) بالمد قبل سين مهملة ومثناة تحتية وهى امرأة فرعون وكانت امرأة مؤمنة صالحة ولم تكن نبية على الصحيح (وخالد بن سنان

فبشر ابرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال و ردت ابنة له عجوز قد عمرت على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فتلقاها بخير وأكرمها وأسلمت فقال لها مرحبا بابنة نبي ضيعه أهله وسمعته صلى الله تعالى عليه وسلم يقرأ قل هو الله أحد فقالت كان أبي يقولها (المذكور انه نبي أهل الرس) بتشديد السين المهملة أي البئر غير المطوي قيل كذبوه ورسوه أي دسوه فيها حتى مات وقيل نبيهم حنظلة ابن صفوان وكانوا مبتلين بالعنقاء أعظم طير كأنها سميت عنقاء لطول عنقها وكانت تسكن جبلهم وتخطف صبيانهم اذا أعوزها الصيد فدعا عليها حنظلة فأخذتها صاعقة فقتلوه فأهلكوا

المشهور عند الجمهور ان أصحاب الرس المذكور في القرآن قوم كانوا يعبدون الاصنام فبعث الله اليهم شعيبا فكذبوه فبينما هم حول الرس فانهارت فخسف بهم وبديارهم واما قوم تبع فقال قتادة هو تبع الحميري كان سار بالجيوش حتى حير الحيرة وبنى سمرقند وكان من ملوك اليمن سمي تبعا لكثرة أتباعه وكان هذا يعبد النار فاسلم ودعا قومه الى الاسلام فكذبوه وله قصة طويلة ذكرها البغوي في المعالم وهو أول من كسا البيت وقد آمن بمحمد عليه الصلاة والسلام قبل ان يبعث بسبعمائة عام وقد ثبت حديث في مسند أحمد عن سهل بن سعد مرفوعا لا تسبوا تبعا فانه قد كان أسلم وحديث آخر برواية ابن أبي شيبة عن أبي هريرة مرفوعا ما أدري تبع كان نبيا أو غير نبي وفيما ورد من الاحاديث الواردة عنه صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل في حق بعضهم ما أدري أهو نبي أو غير نبي دليل جليل على صحة الايمان الاجمالي وايماء الى تحقيق ما ورد من ان لا أدري نصف العلم ومتمسك للمجتهدين في توقفهم في بعض مسائل الدين (وزرادشت) بزاي مفتوحة وتضم فراء فالف فدال مهملة مضمومة وقيل معجمة مفتوحة فشين معجمة ساكنة ففوقية ممنوع وهو صاحب كتاب المجوس (الذي تدعي المجوس والمؤرخون نبوته) وينسبون اليه أصولهم الفاسدة وقواعدهم الكاسدة وقيل انه كان نبيا وان أتباعه غيروا شريعته كاليهود والنصارى فغيروا شرائعهم وأبدعوا بدائعهم

المذكور) في التواريخ و بعض التفاسير (انه نبي أهل الرس) كان هو وقومه يسكنون عدن فخرجت بها نار عظيمة أهلكت الضرع والزرع فالتجأ اليه قومه في دفعها فأخذ عصاه وطردها حتى أدخلها مغارة وأطفاها وأمر قومه ان يدعوه ثلاثة أيام بالمغارة فانهم ان نادوه قبلها يخرج اليهم ويموت وان تركوه خرج اليهم وكشف لهم أحوال البرزخ وكان أوحى اليه انه سيطلعه عليها ان مكث بالمغارة ثلاثة أيام فاستزلهم الشيطان حتى نادوه قبلها وصاحوا فخرج اليهم ورأسه متألمة من صياحهم وقال لهم أضعتموني اذ لم تعملوا بوصيتي وأخبرهم بموته وأمرهم ان يتركوه أربعين يوما حتى يروا قطيع غنم يؤمها حمار أبتر الذنب أي مقطوعه فاذا رأوا ذلك نبشوا قبره ليخرج اليهم ويخبرهم باحوال البرزخ فلما تم ميقاته رأوا القطيع فارادوا ان ينبش قبره ليخبر بالبرزخ فأبى أولاده نبش قبره مخافة ان تعيرهم العرب بذلك وتسميهم أولاد المنبوش فضيعوا وصيته لغيرة جاهلية منهم فلما بعث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم جاءته ابنته وأخبرته بانها ابنته فقال لها مرحبا بابنة نبي ضيعه قومه وهو من بني عبس وقد اختلف في قصته هذه فذكرها الراغب وابن عربي في فصوصه وغير واحد من المحدثين وقيل انه لا أصل لها واستدل بما رواه البخاري في صحيحه انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم والانبياء أولاد علات ولا نبي بيني وبينه فهذا الحديث الصحيح ينافيه وهو أرجح منه الا ان ابن حجر قال ان حديث خالد رواه الحاكم في مستدركه وله طرق أخر تقتضي انه غير موضوع كما قيل وجمع بينهما بان قوله لا نبي بيني وبينه المراد به نبي صاحب شريعة وأقرب منه ان يقال انه كان وعد بالنبوة لو تم أمره الذي وصى به قومه ولم يتم فلم يكن نبيا كما يشير اليه قوله في الحديث ضيعه قومه

* فان قلت فما فائدة هذا الوعد حينئذ * قلت فائدته اعلامهم بحقية أمر البرزخ والارهاص ببعثة نبينا الذي كشف بعض أحواله والرس براء مفتوحة وسين مشددة مهملتين وهي بئر لم تطو أي لم تبن بالحجارة وعن كعب الاحبار ان نبي أهل الرس هو المذكور في سورة يس القائل ياليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين وان قومه قتلوه وطرحوه في بئر يقال لها الرس بانطاكية وهو حبيب النجار على القول بنبوته وعن علي كرم الله وجهه انهم قوم كانوا يعبدون شجرة صنوبر فدعا عليهم نبيهم وكان من أولاد يهوذا فيبست الشجرة فقتلوه ودسوه في بئر فاظلتهم سحابة سوداء أحرقتهم وقيل انه كان باذربيجان وفي أصحاب الرس أقوال أخر في التفاسير ومثل الكلام في خالد بن سنان الكلام في حنظلة بن صفوان (وزرادشت الذي تدعي المجوس ويذكر المؤرخون نبوته) قال البرهان زرادشت بزاي معجمة مفتوحة وراء مهملة وألف ودال مهملة مفتوحة وشين معجمة ساكنة وتاء مثناة فوقية هو صاحب كتاب المجوس هذا هو المحفوظ وقيل الزاي المعجمة في أوله مضمومة انتهى

(فليس الحكم في سابهم أو الكافر بهم) لكون الخلاف في نبوتهم (كالحكم فيمن قدمناه) ممن اتفق على نبوتهم

وقيل ذاله مضمومة وقيل انها معجمة وقيل انه كان نبيا حرفوا شريعته والمجوس تزعم انه نبي وهم قوم من الكفار الذين قالوا بالنور والظلمة ومنهم المانوية ولهم أصول فاسدة وكان زرادشت حكيما ظهر في زمن مستاسف بن مهران واختلف في المجوس هل لهم شريعة وكتاب أم لا والكلام فيهم وفي أخذ الجزية منهم مفصل في كتب الفقه * تنبيه قال نجم الدين الطوفي الحنبلي في تفسيره بعدما ذكر كلام المصنف رحمه الله تعالى زرادشت متفق على عدم نبوته وهو من طبقته ماني ومزدك فلا شئ في سبه ولعنه بهذا اماوهم من القاضي أو رأى غريب جدا انتهى أقول قال الشهرستاني في الملل والنحل زرادشت حكيم مجوسي ظهر في زمن موسى عليه الصلاة والسلام من اذربيجان وهو كما تزعم الصابئة نبي مرسل دينه عبادة الله والكفر بالشيطان والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والخبائث وقال النور والظلمة أصلان متضادان كيزدان واهرمن وهما مبدأ موجودات العالم حدثت التراكيب من امتزاجهما والباري خلق النور والظلمة وانما حدثت الشرور والخبائث من امتزاجهما وهو أي مزجهما الحكمة وهو واحد لاشريك له وله كتاب سماه زندرستا صنفه وقيل انه نزل عليه انتهى ومنه تعلم انه من قوم من الصابئة لكنه أقرب الى الحق من بقيتهم وترك سبه أولى لانه موحد ولعل المجوس حرفوا مانقلوه عنه وفي كلام المصنف رحمه الله تعالى ايماء لهذا ثم رأيت ماذكره القاضي في كتب ساداتنا الشافعية وانه كان أنزل عليه كتاب ثم رفع ومنه يعلم صحة مافي الشفاء وان ماقاله الطوفي غير مسلم وما كل داء يعالجه الطبيب فاعرفه (فليس الحكم في سابهم) أي من سب هؤلاء المختلف في نبوتهم وملكيتهم (والكافر بهم) أي من أنكرهم أو أنكر نبوتهم وملكيتهم (كالحكم فيمن قدمناه) ممن اتفق على انه نبي أو ملك (اذلم يثبت لهم) أي لهؤلاء المختلف فيهم (تلك الحرمة) أي الاحترام لرفعة مقامهم ووجوب تعظيمهم وتوقيرهم (ولكن يزجر) أي يمنع بزجر وتغليظ المقال له (من تنقصهم) أي من ذكر مافيه ذم ونقص لهم (وآذاهم) أي ذكر مافيه أذية لهم (ويؤدب) أي يعزر بما يليق به من ضرب وحبس ونحوه من أنواع الاهانة (بقدر حال المقول فيهم) على قدر مراتبهم في الشرف يكون مقدار الزجر والتاديب مفوضا لرأي الحاكم (لاسيما) أي أحق بذلك وأولى من تكلم في حق (من عرفت صديقته) والكلام على سيما تقدم وشهرته تغني عن اعادته والصديقية بكسر الصاد وتشديد الدال المهملتين وياء تحتية ساكنة وقاف تليها ياء نسبة وهي صيغة مبالغة من الصدق ضد الكذب وهو معروف قال الراغب الصديق من كثر منه الصدق وقيل هو من صدق بقوله واعتقاده وحقق صدقه بفعله قال تعالى في حق ابراهيم عليه الصلاة والسلام انه كان صديقا نبيا وقال تعالى فاولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين فهم فوق دون الانبياء في الفضيلة انتهى أي من عرف معظم تصديقه بالله وآياته وشرائعه (و) من عرف (فضله منهم) أي ممن ذكر آنفا (وان لم تثبت نبوته) أي كونه نبيا بنص معلوم لكنه علم فضله وصديقيته فانها كافية في لزوم توقيره كمريم وآسية (وأما انكار نبوته) أي نبوة من لم يتفقوا على انه نبي (أو) انكار (كون الآخر من الملائكة) المتفق على ملكيتهم كجبريل مثلا وفي هذا تفصيل (فان كان المتكلم في ذلك) المقول في حقهم ماتقدم من تنقيص أو انكار (من أهل العلم) العالمين بما قاله علماء السلف الثقات (فلا حرج) أي لا اثم عليه ولا تضييق عليه لعلمه بما يقوله نقلا عنهم (لاختلاف العلماء) المجتهدين والمؤلفين المعول عليهم (في ذلك) المذكور من كونهم أنبياء أو ملائكة أو لا (وان كان) الذي ذكرهم بما تقدم من انكار ونحوه (من عوام الناس) الذين لم يعلموا ذلك ولم يتلقوه عن أهله (زجر) وردع بمنعه (عن الخوض في مثل هذا) أي التكلم والمحادثة به وأصله المشي في الماء غير العميق فاستعير للتلبس بالامر والتصرف فيه

أو رسالتهم (اذلم تثبت لهم تلك الحرمة) قطعا بل ظنا (ولكن يزجر من تنقصهم) وآذاهم بلسانه (ويؤدب بقدر حال المقول فيه) وفي نسخة فيهم أي ضعفا وقوة من جهة الادلة (لاسيما من عرفت صديقته) أي ولايته (وفضله) أي صلاحه منهم وان لم تثبت نبوته) بدليل قاطع (وأما انكار نبوتهم) لكون الخلاف في نبوتهم (أو كون الآخر) كهاروت وماروت (من الملائكة) أم لا فاسمع جوابه مفصلا (فان كان المتكلم في ذلك من أهل العلم) أي علم الشريعة من الكتاب والسنة اذلا عبرة بغيرهم في هذه المسئلة (فلا حرج عليه) أي في انكاره ونفيه عن علم ودليل أو نقل (لاختلاف العلماء في ذلك) لكن لا يخفى ان الاحوط في حقه أن لا ينفيه ولا يثبته لئلا يدخل في الانبياء من ليس بنبي ولا يخرج نبي منهم فانه في خطر عظيم بل ينبغي أن ينقل الخلاف ويرجح ماظهر عنده أو عند غيره (وان كان المتكلم في ذلك من عوام الناس زجر عن الخوض في مثل هذا) الكلام

(فان عاد أدب اذ ليس له الكلام في مثل هذا) الكلام لئلا ينجر الى ما يرد عليه من الملام (وقد كره السلف) الكرام (الكلام في مثل هذا) المقام (مما ليس تحته عمل لاهل العلم فكيف للعامة) وفيه بحث لان العلماء هم الذين يبينون مراتب الانبياء وعلمهم كله عمل بل خير عمل كما يدل عليه قوله عليه الصلاة والسلام فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم فالعلم اما فرض عين أو كفاية فهو أفضل من عبادة نافلة ولكون نفع هذا قاصرا ونفع الاول متعديا وأما العامة فينبغي لهم السكوت عما لا يدرون

(فصل) (واعلم ان من استخف بالقرآن) أي بمبناه أو معناه أو باهله الوارد في حقهم ان أهل القرآن أهل الله وخاصته (أو المصحف) بضم الميم وكسرها والاول أشهر وفي القاموس بتثليث الميم من أصحف بالضم اذا جعلت فيه الصحف انتهى ولعل الكسر على انه آلة والفتح على انه اسم مكان والضم على انه اسم مفعول وقد كفر الوليد بسبب اهانة المصحف فانه روى انه فتحه يوما وتفاءل فوقع بصره على قوله تعالى واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد فامر بالمصحف فنصب غرضا ورماه بالنبل حتى تمزق وانشد

أتوعد كل جبار عنيد فها أنا ذاك جبار عنيد
اذا ما جئت ربك يوم حشر فقل يا رب مزقني الوليد

والوليد هذا هو الذي ورد فيه انه فرعون هذه الامة ونزلت آيات كثيرة في حقه من المذمة (أو بشيء منه) كورق أو لوح أو درهم مسطور فيه (أو سبهما أو جحده) أي أنكر القرآن كله (أو حرفا منه) في القراآت السبع (أو آية) ولو كانت حرفا (أو كذب به) أي بالقرآن جميعه (أو بشيء منه أو كذب بشيء مما صرح به) أي بذلك الشيء (فيه) أي في القرآن (من حكم) كأمر ونهي

أي نهي ومنع عنه وعن المجادلة فيه وهو التكلم فيما لا يعنيه وهو الامر الذي فيه خلاف من غير علم به لانه ليس أهلا له فقد يقع في ورطة تحيره لما يصعب عليه الخلاص منه ولذا استعار له الخوض الذي هو المشي في الماء على سبيل الكناية والتخييل فان الخائض في الماء لا يرى ما يمشي عليه من الارض فربما صادف ماء عميقا بغتة فيغرق ولذا اختصت هذه الاستعارة بما لا يحمد من الكلام كما مر (فان عاد) للتكلم ولم ينته بالزجر (أدب) بضرب ونحوه لان اصراره على التكلم في مثله دليل على انه متهاون بمن لا يليق به الا تعظيمه ويكون تاديبه بحسب المقول فيه كما مر (اذ ليس لهم) أي للعوام (الكلام في مثل هذا) لعدم أهليتهم واحتياج الناس لكلامهم (وقد كره السلف) أي من تقدم من أئمة الدين الاعلام (الكلام في مثل هذا) الامر الذي اختلف فيه (مما ليس تحته) أي في معناه وما يدل عليه فكأنه أمر يجب ستره (عمل) من أعمال العبادة والطاعة فتركه لا يفوت به شيء وذكره لا يترتب عليه أمر من الطاعة (لاهل العلم) متعلق بقوله كره (فكيف بالعامة) الذين لا علم عندهم فهم أحق بالكراهة والمنع من الخوض في مثله والتكلم فيه فمن حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه ولذا قال صلى الله تعالى عليه وسلم لمعاذ من قال لا اله الا الله محمد رسول الله صادقا حرمه الله على النار فقال معاذ أبشر الناس بهذا فقال لا اذن يتكلوا أي يتركوا العمل والعبادة لامنهم من العذاب فليس للوعاظ والعلماء الا كثار من الترغيبات في العفو ومنه الحكمة المسكوت عنها التي ذكرها المشايخ

(فصل اعلم ان من استخف بالقرآن) أي تهاون بتعظيمه وتوقيره (أو المصحف) بضم الميم وكسرها ونقل فيه التثليث وهو مجمع الصحف من أصحف اذا جمع وهو مخصوص بالقرآن (أو) استخف (بشيء منه) كبعض أجزائه قال ابن حجر ومن الاستخفاف به القاؤه في القاذورات لغير عذر ولا قرينة تدل على عدم الاستهزاء وان ضعفت والمراد بها النجاسات مطلقا بل والقذر الطاهر أيضا كما صرح به بعضهم وكالقاء المصحف بالقذر ونحوه تلطيخ الكعبة وغيرها من المساجد بنجس ولو وقيل ان تلطيخ الكعبة بالقذر الطاهر كذلك لم يبعد الا ان كلامهم ربما يأباه والقاء المصحف في المكان القذر كالقائه في القاذورات انتهى ملخصا (أو سبهما) أي سب القرآن أو شيئا منه والمراد به ألفاظه والمراد بالمصحف صور ألفاظه المرسومة وما كتبت فيه (أو كذب به) أي كذب بالقرآن بتكذيب ما فيه (أو جحده) أي أنكره بغيا وعنادا والفرق بين التكذيب والجحد ان الاول مطلق الانكار والثاني الانكار لما يعلم حقيقته عنادا (أو جزأ منه) أو كذب أو جحد جزأ من القرآن كانكار سورة منه (أو آية) أي أنكر آية منه ومر انه لا ترد الزيادة أو النقص الواقع في القراآت فانه وقع زيادة بعض حروف وكلمات فيها بل آيات كالبسملة في الفاتحة فانه ليس زيادة ونقصا من القارئ لتواتره فان ما بين دفتي المصحف متواتر (أو كذب به) أي بجزء منه ملفوظ أو مكتوب (أو كذب (بشيء منه) أي مما تضمنه من الاحكام وغيرها (أو كذب بشيء مما صرح به كبعض الرسل المصرح بهم (فيه من حكم) من أحكامه الشرعية كالصلاة والزكاة والحج

(أوخبر)عن سابق أولاحق (أواثبت مانفاه أونفى ما أثبته على علم منه بذلك) أى دون نسيان أوخطا (أوشك فى شئ من ذلك فهو كافر عند أهل العلم) قاطبة (باجماع) لاخلاف فيه (قال الله تعالى وانه لكتاب عزيز) أى بديع أو منيع (لاياتيه الباطل) أى الناسخ الذى يبطله أو يدفعه (من بين يديه) أى من قدامه (ولامن خلفه تنزيل) منزل (من حكيم) أى ذى حكمة فى أحكامه وأقواله (حميد) محمود فى ذاته وصفاته وافعاله (حدثنا الفقيه أبو الوليد هشام بن أحمد رحمه الله تعالى ثنا أبو على) الغسانى (ثنا ابن عبد البر) حافظ الغرب (ثنا عبد المؤمن) القرطبى (ثنا ابن داسة) راوى سنن أبى داود عنه (ثنا أبو داود) السجستانى صاحب السنن ومحدث العصر (ثنا أحمد ابن حنبل) امام أهل السنة (ثنا يزيد بن هارون) هو أبو خالد السلمى ٥٥٥ الواسطى أحد الاعلام (ثنا محمد بن عمرو) أى ابن علقمة بن وقاص الليثى يروى عن أبيه وعن أبى سلمة وطائفة وعنه شعبة ومالك ومحمد ابن عبد الله الانصارى وجماعة (عن أبى سلمة) أحد الفقهاء السبعة عند أكثر علماء الحجاز (عن أبى هريرة) قال الحلبى وفى كلام بعض متأخرى الحنفية المصريين انه عبد الرحمن بن صخر على الاصح من نحو ثلاثة وار بعين قولا (عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال المراء) بكسر الميم مصدر بمعنى المماراة (فى القرآن كفر) ورواه الحاكم أيضا وفى رواية لاتماروا فى القرآن فان المراء فيه كفر (تؤول) بصيغة المجهول أى فسر المراء (بمعنى الشك) ومنه قوله تعالى فلاتك فى مرية (وبمعنى الجدال) ومنه قوله تعالى فلاتمار فيهم الامراء ظاهرا وقد قال تعالى مايجادل فى آيات الله الا الذين كفروا وقال ابن الاثير تبعا للهروى المماراة المجادلة على مذهب الشك والريبة ويقال للمناظرة مماراة لان كل واحد يستخرج ماعند صاحبه ويمتريه كما يمترى الحالب اللبن من الضرع قال أبو عبيد ليس وجه الحديث عندنا على الاختلاف فى التاويل ولكنه على الاختلاف فى اللفظ وهو ان يقرأ الرجل على حرف فيقول الآخر ليس هو كذا ولكنه على خلافه وكلاهما منزل مقروء بهما فاذا جحد كل واحد قراءة صاحبه لم يامن ان يكون ذلك يخرجه الى الكفر لانه نفى حرفا أنزله الله على نبيه ثم التنكير فى مراء ايذان بان شيئا منه كفر فضلا عمازاد عليه وقيل انما جاء هذا فى الجدال والمراء فى الآيات التى فيها ذكر القدر ونحوه من المعانى على مذهب أهل الكلام وأصحاب الاهواء والآراء دون ماتضمنته

والحج والعمرة (أوخبر) مما أخبر به كاباء ابليس السجود لآدم عليه الصلاة والسلام وغيره (أواثبت مانفاه) القرآن (أونفى ما أثبته) كنفى بعض الخوارج سورة يوسف وقولهم انها ليست قرآنا (على علم منه بذلك) المذكور من النفى والاثبات بخلاف ما أثبته أونفاه على غير علم (أوشك فى شئ من ذلك) المذكور كله (فهو كافر) بسبب ماصدر منه (عند أهل العلم باجماع) من أهل العلم المعتد بهم ثم استدل على ماذكر فقال (قال الله تعالى وانه) أى القرآن المذكور فى قوله ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم (لكتاب عزيز) أى منيع محمى بحماية الله كما قال انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون (لاياتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه تنزيل من حكيم حميد) هو مثل ضربه الله لنفى تعلق الابطال وانه لايتوصل اليه فلا يجد طاعن اليه سبيلا لانه فى غاية الاحكام والرصانة فلا يتطرق الباطل له من جهة من الجهات فقوله من بين يديه ولامن خلفه كناية عن سائر الجهات كما فى الكشاف وتحقيقه فى شرحه والباطل فسر هنا بالشيطان والسحر (ثنا) اختصار حدثنا وقد يكتفى برسم نا كما بين فى مصطلح الحديث وهو أشهر من ان يذكر (الفقيه أبو الوليد هشام بن أحمد) تقدم بيانه قال (حدثنا أبو على) الحافظ الغسانى الثقة وقد تقدم قال (حدثنا ابن عبد البر) النمرى الحافظ امام أهل المغرب بل الدنيا كما تقدم قال (حدثنا ابن عبد المؤمن) هو عبد الله بن محمد بن عبد المؤمن القرطبى وله ترجمة مفصلة فى الميزان قال (حدثنا ابن داسة) بمهملتين مفتوحتين الامام أبو بكر راوى سنن أبى داود عنه كما تقدم تفصيله قال (حدثنا أبو داود) سليمان بن الاشعث السجستانى صاحب السنن وقد قدمنا ترجمته قال (حدثنا أحمد ابن حنبل) امام أهل السنة كما تقدم قال (حدثنا يزيد بن هارون) أبو خالد السلمى الواسطى أحد الاعلام كما تقدم قال (حدثنا محمد بن عمرو) بن علقمة بن أبى وقاص الليثى أخرج له الشيخان وغيرهما توفى سنة مائة وار بعة وار بعين (عن أبى سلمة) احد الفقهاء السبعة عند بعضهم وفى اسمه اختلاف تقدم فى ترجمته (عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) فى حديث صحيح رواه أبو داود وأحمد فى مسنده (قال) صلى الله تعالى عليه وسلم (المراء) بكسر الميم وراء مهملة قبل مد مصدر ماراه يماريه مراء من المرية قال الراغب هى التردد فى الامر وهى أخص من الشك قال تعالى فلا تكن فى مرية من لقائه والامتراء والمماراة المحاجة فيما فيه مرية قال تعالى ماكانوا فيه يمترون وقال تعالى (فلاتمار فيهم الامراء ظاهرا) وأصله من مريت الناقة اذا مسحت ضرعها للحلب انتهى (فى القرآن كفر) وفى رواية أبى داود لاتماروا فى القرآن فان المراء فيه كفر (تاول) بضم المثناة الفوقية والهمزة وبواو مشددة ولام مجهول تاوله أى فسره بعضهم (بمعنى الشك و) فسره آخرون (بمعنى الجدال) الشك معلوم

من الاحكام وأبواب الحلال والحرام فان ذلك قد جرى بين الصحابة الكرام فمن بعدهم من العلماء الاعلام وذلك فيما يكون الغرض منه والباعث عليه ظهور الحق ليتبع دون الغلبة والتعجيز (وعن ابن عباس) كما رواه ابن ماجه (عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من جحد آية من كتاب الله من المسلمين فقد حل ضرب عنقه وكذلك ان جحد التوراة الانجيل) أي اجمالا لا آية منهما لاحتمال كونها محرفة أولا تكون فيهما أصلا وذلك لقوله تعالى وانزل التوراة والانجيل من قبل هدى للناس وانزل الفرقان وكان حقه ان يقول والزبور لقوله تعالى وآتينا داود زبورا وفسر به القرآن أيضا وكذا صحف ابراهيم مذكورة بالخصوص (وكتب الله المنزلة) أي بعمومها (الواجب الايمان مجملا بتمامها أو كفر بها) أي كلها أو بعضها (أولعنها) أي شتمها (أوسبها) أي عابها (أواستخف بها) أي اهانها (فهو كافر) وأما لوجحد آية من التوراة أو الانجيل ففيه خطر لاحتمال كونها منهما فيكفر أولا تكون منهما لما وقع من التحريف فيها فلا يكفر ولذا قال عليه الصلاة والسلام لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقد قال تعالى ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هي أحسن الا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أنزل الينا وأنزل اليكم والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون أي منقادون للحق تابعون للصدق (وقد أجمع المسلمون ان القرآن المتلو) على السنة أهل الايمان (في جميع أقطار الارض) أي أطرافها واكنافها (المكتوب في المصحف) أي جنسه من المصاحف (بايدي المسلمين) احتراز عما قد يوجد في ايدي غيرهم من الملحدين فربما يزيدون أو ينقصون في أمر الدين (مما جمعه الدفتان) بتشديد الفاء وهما ما يضمه من جانبيه (من أول الحمد لله رب العالمين) برفع الحمد على الحكاية ويجر بالكسر على الاعراب (الى آخر قل أعوذ برب الناس آية

والجدال من الجدل وهو النزاع والمغالبة من جدلت الحبل اذا أحكمت فتله كأن كل واحد يفتل صاحبه عن رأيه أي يصرفه وقيل أصله الصراع لاسقاط كل انسان صاحبه على الجدالة وهي الارض الصلبة قال تعالى قالوا يا نوح قد جادلتنا فاكثرت جدالنا ونحوه قال الراغب وفي نهاية ابن الاثير تبعا للهروي المراء الجدال والتماري والممارة المجادلة على مذهب الشك والمرية ويقال للمناظرة مماراة لان كل واحد يستخرج ما عند صاحبه ويمتريه كما يمتري الحالب اللبن من الضرع وقال أبو عبيد ليس وجه الحديث عندنا على الاختلاف في التاويل بل على الاختلاف في اللفظ وهو ان يقرأ شخص على حرف فيقول الآخر ليس هو هكذا ولكنه على خلافه وكلاهما منزل مقروء به فاذا جحد كل واحد قراءة صاحبه لم يؤمن ان يكون ذلك أخرجه الى الكفر لانه نفى حرفا أنزله الله على نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم وفي تنكير لفظ مراء في رواية أبي داود ايذانا بان شيأ منه كفر فضلا عما زاد عليه وقيل انما جاء هذا في الجدال والمراء في الآيات التي فيها ذكر القدر ونحوه مما هو على مذهب أهل الكلام والاهواء والآراء دون ما تضمن الاحكام من الحلال والحرام فانه مما جرى بين الصحابة والعلماء من بعدهم والغرض الباعث عليه ظهور الحق ليتبع دون الغلبة والتعجيز انتهى وقيل الاظهر ان المراد بالمراء الاختلاف في القراآت المتواترة كما في البخاري ولا يخفى انه القول الاول بعينه فلا وجه لعده وجها آخر (وعن ابن عباس) رضي الله تعالى عنهما في حديث رواه ابن ماجة (عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) انه قال (من جحد) أي أنكر (آية من كتاب الله من المسلمين) الذي لم يقرب عهد اسلامهم (فقد حل ضرب عنقه) أي قتله لتكذيبه لله ولرسوله (وكذلك) أي مثل من جحد آية من القرآن فاوجب ذلك قتله (ان جحد التوراة والانجيل و) سائر (الكتب الله المنزلة) بجملتها اجمالا (أو كفر بها) بانكار نزول الوحي على الرسل (أو لعنها أو سبها) بكل ما ينقصها (أو استخف بها) أي أهانها وحقرها (فهو كافر) لانها كلها كلام الله تعالى سواء قلنا بالكلام النفسي أو بقدم الالفاظ على مذهب السلف والشهرستاني صاحب الملل والنحل على ما نقله عنه في المواقف وارتضاه المحققون (وقد أجمع المسلمون على ان القرآن المتلو) أي المقروء بالسنتنا (في جميع اقطار الارض) أي نواحيها وجهاتها المعمورة جمع قطر بضم فسكون بمعنى ناحية وجانب (المكتوب في المصحف) وفي نسخة في المصاحف (بايدي المسلمين مما جمعه الدفتان) مثنى دفة بفتح الدال المهملة وضمها وهو جانب الشئ الذي يقيه من جلد وخشب ونحوه ومنه دفة السفينة لسكانها وروي فيه الدفات بالجمع مكان التثنية (من أول الحمد لله رب العالمين الى آخر قل أعوذ برب الناس) أي من أول هذه السورة فانه علم لها بالغلبة يقال قراءة الحمد لله أي هذه السورة فهو شامل لمن قال ان البسملة آية منها ولمن قال بخلافه على الخلاف المشهور فيها وهذا كما قيل في حديث كانوا يفتتحون القراءة بالحمد لله رب العالمين انه اسم من أسماء سورة الفاتحة أي كانوا يفتتحون السورة المسماة بالحمد لله الخ فلا حجة فيه على ان البسملة ليست

انه كلام الله تعالى ووحيه المنزل على نبيه محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) وفيه ايماء الى ان تنكيس القرآن ليس سنة بل بدعة ولعله لم يذكر البسملة لانها ليست من القرآن في مذهب مالك لكنه لاشك انها مما بين الدفتين للاجماع على ان الصحابة كتبوا البسملة في أوائل كل السور الا براءة ولهذا ذهب المحققون من أئمة الحنفية انها آية من القرآن أنزلت للفصل ولا يدع ان يراد بالحمد لله رب العالمين سورة الفاتحة فتشمل البسملة الفاتحة ولكن يأباه ان الكلام في التكفير فالقدر المتعلق به هو الذي بينه

آية منها ومثله عبارة المصنف فلا وجه لما قيل من انه بناء على مذهب مالك على ان البسملة ليست آية منها فان العبارة جارية على المذهبين ويجوز في قوله الحمد لله رب بالجر والرفع على الحكاية وكذا النصب على حكاية قراءة شاذة فيه قيل ويجوز كون كسر الدال اتباعا للام (انه كلام الله تعالى ووحيه المنزل) به جبريل عليه الصلاة والسلام (على نبيه محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وان جميع ما فيه حق) أي ثابت لا ريب فيه لفظا ومعنى من أمر ونهي وخبر ومواعظ (وان من نقص منه حرفا قاصدا لذلك) فان لم يقصده لنسيان ونحوه فلا حرج فيه (أو بدله بحرف آخر مكانه) هو كناية عن انه أسقط ذلك وأثبت هذا (أو زاد فيه حرفا) لم يقرأ به (مما لم يشتمل عليه المصحف) العثماني المسمى بالامام (الذي وقع الاجماع) من الصحابة (عليه وأجمع) ببناء المجهول وقيل أجمع مبني للفاعل بمعنى قصد وعزم (على انه ليس من القرآن) أي ما زاد فيه ولو حرفا (عامدا) بالقصد (لكل هذا انه كافر) * فان قلت ما بين الدفتين يشمل البسملة في أول كل سورة فانها ثابتة في المصحف العثماني وبها قرأ بعض القراء السبعة فصلا ووصلا فيلزم تكفير من قال انها ليست قرآنا في أوائل السور * قلت المراد بما بين الدفتين ما أثبت فيه متفقا على قرآنيته وهذا ليس كذلك فهو كأسماء السور وهذا معلوم من قوله الذي وقع الاجماع عليه فخرج ما ذكر والمراد بتبديل القرآن بغيره تبديله مع اعتقاد انه قرآن فلا يدخل فيه من يترجم القرآن بالفارسية ويصلي به لعجزه عن التكلم بالعربية كما في رواية عن أبي حنيفة فان المترجم لا يقول ان كلامه قرآن وكلام الله تعالى وهذا مع ظهوره خفي على بعض الشراح حتى أجاب بان أبا حنيفة رجع عن هذا القول وهو مما يقتضي منه العجب ولو كان كذلك كان حكما بكفر قائله قبل الرجوع فتدبر (ولهذا) أي لاجل ان جميع ما في المصحف حق وان من زاد فيه أو نقص كافر (رأى) الامام (مالك قتل من سب عائشة) أم المؤمنين رضي الله عنها (بالفرية) بكسر الفاء مصدر أي الافتراء والكذب عليها بما قاله المنافقون في قصة الافك المشهورة وتعريف الفرية للعهد (لانه خالف القرآن) الذي أثبت فيه براءتها من تلك الفرية (ومن خالف القرآن) عمدا (قتل أي لانه كذب بما فيه) فكذب الله ورسوله مع اثبات ما ينقص مقام النبوة كما لا يخفى وقد اعترض على هذا المنقول عن مالك في حق عائشة فانه لا يتم مدعى ودليلا بانه ان أراد بتكذيب القرآن فيه انه كذبه حيث قذف عائشة فلا نص فيه على ذلك لان خصوص السبب غير معتبر في تخصيص الحكم وان أراد ان مخالفة القرآن بارتكاب ما صرح به فيه من النهي فيلزم تكفير كل من ارتكب كبيرة ورد في القرآن النهي عنها وليس كذلك الا ان يستحل ما ارتكبه بعد العلم به مع انه قد صرح في الآية بانه يجلد على انه لو سلم انه كفر يكون حكمه حكم المرتد فان أسلم لا يقتل وجوابه ان هذا مخصوص بعائشة عند مالك قال القرطبي من سب عائشة رضي الله تعالى عنها مطلقا كفر لقوله عز وجل يعظكم الله ان تعودوا لمثله أبدا ان كنتم مؤمنين لان فيه أذية لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بهتك عرض زوجاته فهو كفر قال هشام بن عمار سمعت هذا من مالك وقال أبو بكر بن العربي قال أصحاب الشافعي من سب عائشة أدب كسائر المؤمنات وقوله ان كنتم مؤمنين

في مقام التقرير والاحاديث في باب البسملة متعارضة مع كونها آحادا فلا تفيد القطع وانما توجب الظن ولهذا اختلف العلماء في مسئلة البسملة والله سبحانه وتعالى أعلم (وان جميع ما فيه حق) أي ثابت وصدق (وان من نقص منه حرفا قاصدا لذلك) النقص (أو بدله بحرف آخر مكانه) ولو لم يغير شأنه (أو زاد فيه حرفا مما لم يشتمل عليه المصحف) الذي وقع (عليه الاجماع) أي كتابة وقراءة (وأجمع) بصيغة المجهول وفي نسخة بصيغة الفاعل أي وجزم وعزم (على انه ليس من القرآن عامدا) أي لا سهوا ولا نسيانا (لكل هذا) الذي ذكر من النقصان والزيادة (انه كافر) الا القراآت الشاذة التي ثبتت في الجملة بحسب الرواية بشرط ان لا يلحقها بالمصاحف في الكتابة

(ولهذا) الذي ذكرنا من ان جميع ما في القرآن حق (رأى مالك قتل من سب عائشة رضي الله عنها بالفرية) أي الافك (لانه خالف القرآن) أي بعضه النازل في براءة ساحة عائشة ان تكون فاحشة (ومن خالف القرآن) أي اعتقادا لا عملا (قتل لانه كذب بما فيه) من آيات دالة على براءتها وانما اكتفى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بحد القذف على قاذفيها لما صدر عنهم قبل براءة ساحتها فحينئذ لا وجه لتخصيص مالك فان اجماع العلماء على ذلك

(وقال ابن القاسم من قال ان الله تعالى لم يكلم موسى تكليما يقتل) لتكذيبه قوله تعالى فيه وكلم الله موسى تكليما وهذا مجمع عليه وانما الكلام في معنى الكلام من النفسي وغيره بين أهل السنة والمعتزلة (وقاله) أي قال به ونص عليه أيضا (عبد الرحمن بن مهدي) من أصحاب الشافعي قال التلمساني مهدي مفعول وكره مالك التسمية بمهدي قال وما علمه بانه مهدي وأباح التسمية بالهادي وقال لان الهادي هو الذي يهدي الطريق انتهى ولا يخفى ان المهدي أيضا هو الذي يهدي الى الطريق وما علمه بانه هاد وليس بمهدي ومن أين له حمل المهدي على الهداية الشرعية وحمل الهادي على الدلالة اللغوية أو العرفية على ان الاسماء كلها تسمى على جهة التفاؤل والتبرك و الا لما كان يصح لاحد ان يسمى محمودا ومحمدا وأحمد ولا عليا ولا فاطمة ولا عائشة وأمثال ذلك (وقال محمد بن سحنون فيمن قال المعوذتان) بكسر الواو وتفتح وهما سورة الفلق والناس (ليستا من كتاب الله يضرب عنقه الا ان يتوب) لنفيهما منه مع ثبوتهما في المصاحف العثمانية التي وقع عليها اجماع الامة قال النووي في شرح المهذب أجمع المسلمون على ان المعوذتين والفاتحة وسائر السور المكتوبة في المصحف قرآن وان من جحد شيأ منها كفر وما نقل عن ابن مسعود في الفاتحة والمعوذتين باطل ليس بصحيح عنه قال ابن حزم في أول كتابه المحلى هذا كذب على ابن مسعود وانما صح عنه قراءة عاصم عن زر بن حبيش عن عبد الله بن مسعود وفيها الفاتحة والمعوذتان انتهى واما ما روى عن عبد الله بن أحمد في زوائد المسند ان ابن مسعود كان يحك المعوذتين من مصاحفه ويقول انهما ليستا من كتاب الله فالجواب على وجه الصواب ما قال ابن الباقلاني انه لم ينكر ابن مسعود كونهما من القرآن انما أنكر اثباتهما في المصحف لانه كانت السنة عنده ان لا يثبت الا ما أمر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم باثباته ولم يبلغه أمره به وهذا تأويل منه وليس جحدا لكونهما قرآنا وأجيب أيضا بانه كان يقول ذلك فلما رأى المصاحف التي كتبت في زمن عثمان وفيها اثباتهما رجع عن ذلك و يؤيد هذا ما سبق عن ابن حزم واما ما أجاب بعضهم عنه بان عاصم ابن بهدلة المذكور في المسند وان قرنه البخاري بغيره فهو في الحديث دون الثبت ثقة في القراءة فغير مستقيم لانه راوي القراءة عن ابن مسعود وهذه الرواية من متعلقات القراءة هذا وفي جواهر الفقه من أنكر والمعوذتين من القرآن غير مؤول كفر انتهى وقال بعض المتأخرين كفر ولو أول والاول هو المعول

لا يقتضي كونه كفرا حقيقة كحديث لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولنا ان أهل الافك رموا عائشة المطهرة بفاحشة برأها الله منها ومن سب من برأه الله بما برأه منه فقد كذبه ومن كذب الله فهو كافر وهذا طريق قول مالك وقيل عليه ان ما نقله ابن العربي عن الشافعية ليس كذلك فانه صرح في شرح الروض بخلافه وان مذهبهم كمذهب مالك في خصوص عائشة وقال في الكافي أيضا ولو قذف عائشة بالزنا صار كافرا بخلاف غيرها من الزوجات لان القرآن العظيم نزل ببراءتها وسيأتي أيضا حكم قذف غيرها في كلام المصنف رحمه الله تعالى نقلا عن ابن شعبان (وقال ابن القاسم) من أئمة المالكية (من قال ان الله تعالى لم يكلم موسى تكليما يقتل) لانه كذب الله في قوله و كلم الله موسى تكليما وأتى بالمصدر المؤكد تلميحا للآية وايماء الى انه نص فيه بما يمنع عن تأويله وحمله على التجوز فيه وهذه المسألة تقدمت في نفي صفات الله تعالى فلا تكرار في كلامه (وقاله) أي ما ذكر من نفي تكليم الله لموسى (عبد الرحمن بن مهدي) ابن حسان أبو سعيد البصري اللؤلؤي الحافظ أحد الاعلام في الحديث قال ابن المديني كان أعلم الناس بالحديث ولد في سنة خمس وثلاثين ومائة وتوفي في سنة ثمان وتسعين ومائة وأخرج له الستة (وقال محمد بن سحنون فيمن قال المعوذتان) بكسر الواو المشددة وهما سورة قل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس سميتا بأولهما (ليستا) أي السورتان (من كتاب الله) أي القرآن (يضرب عنقه) أي يقتل (الا ان يتوب) فيرجع عما قاله وهذا اشارة الى ما اشتهر عن ابن مسعود من ان المعوذتين ليستا من القرآن وانهما دعاءآن كان يتعوذ بهما النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كقوله تعالى أعوذ بكلمات الله التامة من كل هامة ولامة وقد قال ابن حزم انه افتراء عليه وكيف يتوهم في مثله من أهل اللسان من عدم الفرق بين الكلام المعجز وغيره وسبب الغلط انه لم يكتبهما في مصحفه اكتفاء بحفظه وانه كتب مصحفه قبل نزولهما وكان لكل أحد من كبار الصحابة مصحف يخصه فلما كتب المصحف العثماني بمعرفة الصحابة تركت تلك المصاحف كلها وفي الانوار من كتب الشافعية وانه لو قال ليست المعوذتان من القرآن اختلف في كفره وقال بعضهم ان كان عاميا كفر أو عالما فلا قال ابن حجر في الاعلام والوجه كفر منكر المعوذتين اذا كان مخالطا المسلمين لان ذلك لا يخفى على أحد منهم وقال في فتاويه وكذا يكفر من أنكر آية أو حرفا من القرآن مجمع عليه كالمعوذتين بخلاف البسملة * فان قلت قد أنكر ابن مسعود كون المعوذتين قرآنا * قلت قال النووي يشبه انه كذب عليه * فان قلت هل من جواب على تقدير

الصحة

(وكذلك) أى كفر (من كذب بحرف منه) أى من القرآن فيقتل الا أن يتوب (قال) أى ابن سحنون (وكذلك ان شهد شاهد) أى واحد (على من قال ان الله لم يكلم موسى تكليما وشهد آخر عليه) أى على من قال (ان الله لم يتخذ ابراهيم خليلا) فان مؤداهما واحد وهو تكذيب بعض القرآن وهذا التعليل أولى من قوله (لانهما اجتمعا على انه كذب النبى) وفى

الصحة التى انتصر لها شيخ الاسلام ابن حجر وبين انه جاء من طرق صحيحة * قلت الجواب عنه انه لم يستقر الاجماع عند انكاره على كونهما قرآنا أما الآن فقرآنيتهما معلومة من الدين بالضرورة يكفر منكرهما على ان ما روى من انكاره انما هو انكار رسمهما فى مصحفه لا كونهما قرآنا كما قاله الباقلانى وغيره لانه لم يثبت فى المصحف الذى عنده الا ما أمر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم باثباته وهو لم يجده مكتوبا عنده ولا سمع أمر به (وكذلك كل من كذب بحرف منه) أى يضرب عنقه الا أن يتوب (قال) سحنون (وكذلك) أى يقتل ان لم يتب (ان شهد شاهد عدل على من قال ان الله تعالى لم يكلم موسى تكليما) كما مر (وشهد آخر عليه) أى على من قال ذلك القول (انه قال) أيضا (ان الله تعالى لم يتخذ ابراهيم خليلا) يقتل لانه ينفى ما أثبته الله فهو تكذيب لله ورسوله (لانهما) بما شهدا به عليه (اجتمعا على انه كذب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) فيما جاء به من الوحى من ورود تكليمه واتخاذه خليلا فى القرآن مصرحا به وفى هذا اشارة الى مسئلة ذكرها الفقهاء وهى تلفيق الشهادة بان يشهد كل منهما على شئ غير ما شهد عليه الآخر بحسب العبارة لكن المعنى المقصود منهما واحد فهل ينظر للاول فلا تقبل الشهادة أو للثانى فتقبل كأن شهد شاهد على انه وكله فى أموره وشهد آخر على انه جعله وصيا له فى حياته أو وكله فى بيع هذه الجارية وآخر انه وكله فى بيعها وبيع عبد آخر معها ويسمى تلفيقا وتواردا عند الفقهاء وله نظائر كثيرة وللفقهاء فيه خلاف مفصل فى كتب الفقه (وقال أبو عثمان بن الحداد) القاضى المصرى الشافعى الكنانى صاحب التآليف البديعة والآثار العجيبة توفى سنة أربع وأربعين وثلثمائة وترجمته فى التواريخ غنية عن الاعادة كذا فى بعض الشروح ولست على ثقة منه (جميع من ينتحل التوحيد) أى ادعاه وانتسب اليه ويستعمل كثيرا بمعنى الزعم والنحلة العطية والهبة أيضا وهو بحاء مهملة كناية هنا عن أهل الاسلام الموحدين وما قيل من انه عبر به هنا لانه تصديق وكيفية نفسانية يخلقها الله عز وجل من غير دخل للعبد فيها وانما هو يدعيها لنفسه وهو يتشبث بها تكلف ركيك (متفقون على ان الجحد لحرف من التنزيل) أى القرآن المنزل على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (كفر) وعداه بالباء وهو متعد بنفسه لواحد ولاثنين أو باللام كما وقع فى بعض النسخ للتقوية لتضمنه للكفر لقوله بعده كفر (وكان أبو العالية) تقدم فى ترجمته ان أبا العالية متعدد ولا ندرى المراد به هنا منهما (اذا قرأ عنده رجل) بقراءة غير التى قرأ بها (لم يقل له) أى لمن قرأ عنده انه (ليس كما قرأت) لئلا ينكر شيأ من القرآن (ويقول) للقارئ (أما أنا فاقرأ كذا) تفاديا عن الانكار صريحا (فبلغ ذلك) أى قول أبى العالية (ابراهيم) الظاهر انه النخعى لشهرته كما تقدم فى ترجمته ويحتمل انه التيمى (فقال) ابراهيم (أراه) بضم الهمزة أى أظنه ويجوز فتحها (سمع انه من) بدل من الضمير أى ان من (كفر بحرف منه فقد كفر بكله) أى القرآن (وقال عبد الله بن مسعود) رضى الله عنه فيما رواه عبد الرزاق عنه (من كفر بآية من القرآن فقد كفر به كله) لانه تكذيب لقائلها عز وجل (وقال أصبغ بن الفرج) بالجيم المصرى (من كذب) بالتشديد (ببعض القرآن فقد كذب به كله ومن كذب به) كله (فقد كفر به ومن كفر به فقد كفر بالله سبحانه وقد سئل) أبو الحسن (القابسى) الحافظ وقدمنا ترجمته (عمن خاصم يهوديا فحلف) اليهودى

نسخة تكذيب للنبى (صلى الله تعالى عليه وسلم) أى فيما نقله عن الله سبحانه وتعالى (وقال أبو عثمان الحداد) قال الانطاكى وقد يقع فى بعض النسخ أبو عثمان ابن الحداد بزيادة ابن والصواب والله تعالى أعلم سقوطه (جميع من ينتحل التوحيد) أى ينتسب اليه ويدعى اعتقاده (متفقون على ان الجحد بحرف من التنزيل) أى القرآن الكريم والفرقان القديم (كفر وكان أبو العالية) أحد أئمة القراآت (اذا قرأ عنده رجل) أى بقراءة لم يعرفها (لم يقل له ليس كما قرأت ويقول أما أنا فاقرأ كذا) وهذا من كمال احتياطه فى ورعه (فبلغ ذلك) القول من أبى العالية (ابراهيم) النخعى أو التيمى (فقال أراه) بضم الهمزة أى أظنه (سمع انه) أى الشان (من كفر) أى جحد (بحرف منه فقد كفر به كله) لان الكفر ببعضه يؤذن

بالكفر بكله بخلاف الايمان ببعضه فانه لا يقوم مقام الايمان بكله (وقال عبد الله بن مسعود) كما فى مصنف عبد الرزاق (من كفر بآية من القرآن فقد كفر به كله) وهذا كمن كفر برسول فقد كفر بالرسل كلهم (وقال أصبغ بن الفرج) المصرى (من كذب ببعض القرآن فقد كذب به كله ومن كذب به فقد كفر به ومن كفر به فقد كفر بالله) أى بكلامه (وقد سئل القابسى عمن خاصم يهوديا فحلف) اليهودى

(له بالتوراة فقال الآخر لعن الله التوراة فشهد عليه بذلك شاهد) أى واحد (ثم شهد آخر انه) أى الآخر (ساله) أى من خاصم (عن القضية) فى الكيفية (فقال) اللاعن الملعون (انما لعنت توراة اليهود) التى يتدارسونها بينهم (فقال أبو الحسن) القابسى (الشاهد الواحد لا يوجب القتل) أى ولو حمل على اطلاقه ولم يقبل قصده (والثانى علق الامر بصفة) أى خاصة ناشئة عن الاضافة (يحتمل التاويل) لهذا القيل (اذ لعله لا يرى اليهود متمسكين بشئ من عند الله لتبديلهم وتحريفهم) وفيه ان الظاهر من هذه الاضافة اختصاصهم بها وأما كونهم لا يتمسكون بها أولا دخل له فيما نحن فيه من انه أهان كتاب الله وقد سمى الله سبحانه كتابهم مع علمه بتحريفهم وتغييرهم كتاب الله فى قوله ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون فلو فرض ان بعض هذه الامة المحفوظة الحافظة للكتاب والسنة حرفوا بعض القرآن وغيروه فقال أحد الشاهدين لعن القرآن وقال آخر لعن قرآن المسلمين فلا تشك انه كافر على ان الاحكام مبنية على الاكثر فتامل وتدبر مع ان اليهود كلهم ما غيروا التوراة ولا بدلوها وانما كان بعض علمائهم نقلوا عنها ما لم يثبت فيها أو تصرفوا فى معانيها دون مبانيها (ولو اتفق الشاهدان على لعن التوراة مجردا) أى عن التعليق (لضاق التاويل) الاولى لما احتمل التاويل والله ولى التوفيق (وقد اتفق فقهاء بغداد على استتابة ابن شنبوذ) بمعجمة مفتوحة ونون ساكنة كما صرح به الحلبى والتلمسانى وقيل بفتحها فموحدة مضمومة وذال معجمة وهو غير منصرف للعجمة والعلمية كما جزم به الحلبى وأغرب التلمسانى فى قوله يجرى ولا يجرى وهو اسم أعجمى وضبطه الدلجى بنون مشددة وفى القاموس محمد بن أحمد بن شنبوذ بفتح الشين المعجمة والنون مجاب الدعوة وعلى ابن شنبوذ وكلاهما من القراء انتهى والمراد به هنا ما ذكره الحلبى وتبعه التلمسانى من انه أبو الحسن محمد بن أحمد بن أيوب بن الصلت بن شنبوذ (المقرى أحد الائمة المقرئين المتصدرين بها) أى ببغداد (مع ابن مجاهد) متعلق باتفق وهو امام جليل فى علم القراءة (بقراءته) أى ابن شنبوذ بنفسه (واقرائه) أى لغيره (بشواذ   جـع

(له بالتوراة فقال له الآخر) الذى خاصمه (لعن الله التوراة فشهد عليه شاهد) واحد (بذلك) الذى قاله (ثم شهد آخر انه ساله عن القضية) التى جرت بينهما (فقال) اللاعن (انما لعنت توراة اليهود) المحرفة التى يقرؤنها بينهم (فقال أبو الحسن) القابسى المسؤل منه (الشاهد الواحد لا يوجب القتل) لعدم تمام نصاب الشهادة عليه (و) الشاهد (الثانى علق الامر) الذى شهد به (بصفة) هى توراة اليهود التى يتدارسونها بينهم وتلك الصفة التى (تحتمل التاويل) فى كلام اللاعن لان توراة اليهود تحتمل التى نزلت على نبيهم وتحتمل التى حرفوها وانها توراتهم لا توراة نبيهم وكلام الله (اذ لعله) أى القائل لعن الله التوراة (لا يرى) أى لا يعتقد ان (اليهود متمسكين بشئ من عند الله) مما أوحى به لموسى صلى الله تعالى عليه وسلم (لتبديلهم وتحريفهم) التوراة التى أتى بها موسى عليه الصلاة والسلام بتبديل بعض ألفاظها وتاويل بعض بما لم يرده الله (ولو اتفق الشاهدان) فى شهادتهما (على لعن التوراة) لعنا (مجردا) عما قاله ثانيا من تعليقه بامر وتقييده بصفة تحتمل اضافتها لليهود (لضاق التاويل) عن صرفه عن ظاهره لامر آخر ونقل ابن حزم ان بعضهم أنكر تحريف التوراة وقال انها وصلت اليهم تواترا وانما اخطؤا فى تفسيرها وهذا لا ينبغى لمسلم ان يعتقده بعد قوله تعالى يحرفون الكلم من بعد مواضعه والقرآن والاحاديث شاهدة بخلافه فلا حاجة لنا بالاشتغال بمثله وعمل التاويل فتعريف التوراة فى كلامه للعهد أى نسخها المحرفة المبدلة (وقد اتفق فقهاء بغداد) المدينة المعروفة وهى فارسية معربة وفيها لغات فدالها تهمل وتعجم وتبدل الاخيرة نونا (على استتابة ابن شنبوذ) أى على انه طلب منه التوبة عما صدر منه مما سياتى (المقرئ) اسم فاعل بزنة مكرم مهموز الآخر وهو العالم بعلم القراآت ووجوهها من كيفية الاداء المعروفة وابن شنبوذ هو أبو الحسن محمد بن أحمد بن أيوب بن صلت بن شنبوذ بفتح الشين المعجمة وسكون النون وضم الباء الموحدة وواو ساكنة وذال معجمة علم أعجمى ممنوع من الصرف وقول التلمسانى انه يجرى ولا يجرى أى يصرف ويمنع من الصرف لا وجه وهو (أحد أئمة المقرئين المتصدرين) للاقراء (بها) أى ببغداد (مع ابن مجاهد) أحمد ابن موسى بن العباس بن مجاهد التميمى الاستاذ أبو بكر البغدادى رئيس القراء وهو أول من جمع القراآت ولد سنة خمس وأربعين ومائتين وابن شنبوذ من مشاهير علماء القراآت من اقران ابن مجاهد وكان بينهما منافسة ومخاصمة وكان من اعيان العلماء الرؤساء مع غفلة فيه ولما تصدر للاقراء فى القراآت أنكروها عليه فعقد له مجلس وأثبت عليه ذلك وأغلظ عليه القول فضرب بالسياط وخشى من غلو الناس عليه فاخرج للمدائن أو للبصرة ثم عاد لبغداد وكتب عليه محضر بعد استتابته ان لا يقرئ بما كان يقرؤ به فى الصلاة وغيرها من الشواذ كما قال المصنف رحمه الله تعالى (لقراءته واقرائه بشواذ)

من الحروف) أى من القرا آت التى لم يثبت تواترها ومع هذا (مما ليس فى المصحف) وهو أحد أركان القراءة والثانى موافقة العربية والثالث وهو الاصل المعتمد المدار عليه وهو نقل المتواتر قال التلمسانى كان امامادينا لا ينكر موضعه من العلم وكان فيه سلامة الصدر وممن يرى جواز القراءة بالاختيار مما يجوز فى العربية وان لم ينقل ذلك عن السلف وكان يقرأ بها فى المحراب ويقربها بعض الاصحاب (وعقدوا) أى الفقهاء مع ابن مجاهد مجلسا (بالحكم عليه بالرجوع عنه) أى عن فعله من القراءة والاقراء بالشواذ (والتوبة منه) فيما بقى من عمره وهذا لا ينافى جواز رواية الشاذة فان الفرق بين القراءة والرواية واضح عند أرباب الدراية (سجلا) أى وسجلوا عليه (انه أشهد فيه بذلك على نفسه) بالرجوع عنه وبالتوبة منه (فى مجلس الوزير أبى على بن مقلة) بضم الميم (سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة) قال ابن خلكان كان ابن شنبوذ من مشاهير القراء وأعيانهم قيل كان كثير اللحن قليل العلم تفرد بقرا آت من الشواذ فانكرت عليه وبلغ أمره الوزير محمد بن مقلة الكاتب فاعتقله بداره واستحضره هو والقاضى أبا الحسين عمر بن محمد وأبا بكر أحمد ابن موسى بن مجاهد المقرى وجماعة من أهل القرا آت فاغلظ القول عليهم فامر الوزير بضربه فضرب سبع درر فدعا على الوزير أن يقطع الله يده ويشتت شمله وكان الامر كذلك ثم كتب محضر بما كان يقرؤه واستتيب أن لا يقرأ الا بمصحف أمير المؤمنين عثمان وكتب خطه فى آخره وأطلق فخشى عليه من العامة فاخرج الى المدائن ثم عاد الى بغداد سرا ولم يزل بها الى أن توفى سنة ثمان وعشرين وثلثمائة (وكان فيمن أفتى عليه) مع فقهاء بغداد (بذلك) أى بالرجوع (أبو بكر الابهرى) المالكى وهو بفتح الهمزة وسكون الموحدة وفتح الهاء وقيل بفتحتين وسكون الهاء نسبة الى بلد عظيم بين قزوين وزنجان وبليدة بنواحى أصفهان وجبل بالحجاز (وغيره) من العلماء المالكية أو غيرهم (وأفتى أبو محمد بن أبى زيد) القيروانى (بالادب فيمن قال لصبى) يتعلم القرآن (لعن الله معلمك

جمع شاذ وهو ما لم يتواتر (من الحروف) جمع حرف بمعنى الوجه واللغة وهو أ[...] لوجوه فى حديث أنزل القرآن على سبعة أحرف كلها كاف شاف والمصا[...] ن تنازعا[...] [...]سواذ (مما ليس فى المصحف) تعريفه للعهد والمراد به مصحف عثمان بن عفان المسمى [با]لامام والذى ذكره ابن الانبارى فى طبقات النحاة انه كان يرى القراءة بالرأى فيما وافق العربية واليه[...] كلام الزمخشرى والر[...] الذى شدد عليه النكير الوزير ابن مقلة الآتى ذكره فدعا عليه ابن شنبوذ أن يقطع الله يده ويشتت شمله فاستجاب الله دعاءه فيه وتوفى سنة ثمان وعشرين وثلثمائة يوم الاثنين لثلاث خلون من صفر وكان مجاب الدعوة وفى القاموس انه أحمد بن أحمد بن شنبوذ وهو مخالف[...] [لم]ا فى التواريخ (وعقدوا عليه) العقد أصل معناه الربط مقابل الحل والمراد به ما يعين من غير متردد فيه والعهد أيضا (بالرجوع عنه) أى عما كان يذهب اليه من الاقراء بما ليس فى المصحف العثمانى مما تقدم (والتوبة منه) باعترافه بخطئه وندمه مع العزم على عدم الرجوع اليه (سجلا) بكسر السين والجيم وتشديد اللام وهى فى الاصل اسم لما يكتب فيه قال تعالى كطى السجل للكتب أى كطيه لما كتب فيه حفظا له ثم اختص فى العرف بما يكتب فيه حجة شرعية ووثيقة وهو المراد هنا (أ[شهد] فيه) ببناء الفاعل أى رضى شهادة من حضر (بذلك) أى برجوعه وتوبته (على نفسه فى مجلس الوزير أبى على ابن مقلة سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة) من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام والوزير الكاتب المشهور استوزره الخليفة المقتدر بالله سنة عشرة وثلثمائة ثم قبض عليه سنة ثمان عشرة وصادره ونفاه لفارس ثم استوزره القاهر بالله واتهمه بامر فاستعفاه من الوزارة فلما تولى الراضى بالله سنة اثنين وعشرين استوزره ثم غضب عليه وقطع يده وسجنه فقال وهو مسجون

خرجنا من الدنيا ونحن من أهلها * فلسنا من الاحياء فيها ولا الموتى * اذا جاءنا السجان يوما لحاجة فرحنا وقلنا جاء هذا [م]ن الدنيا * ونفرح بالرؤيا فجل حديثنا * اذا نحن أصبحنا الحديث عن الرؤيا

ومن الحكمة السجن قبر الاحياء والوزير وكيل السلطان فى تصرفاته واختلف فى اشتقاقه هل هو من الوزر بالسكون أو التحريك أو من الازر بالهمز لكونه يشد أزره أو يتحمل ثقله وأوزاره واليه أشار الغزى بقوله

هو الوزير ولا أزر يشد به * مثل العروض له بحر بلا ماء

(وكان فيمن أفتى عليه بذلك) أى بما لزمه (أبو بكر الابهرى) المالكى أحد فقهاء بغداد المشهورين بها وأبهر بفتح الهمزة والباء الموحدة وسكون الهاء قبل راء مهملة مدينة مشهورة وقيل باؤه ساكنة وهاؤه مفتوحة (و) كذا (غيره) من العلماء بها (وأفتى) الشيخ (أبو محمد ابن أبى زيد) القيروانى وقد قدمنا ترجمته (بالادب) أى بالتاديب والتعزير بما يليق به (فيمن قال لصبى) يتعلم القرآن (لعن الله معلمك) أى الذى علمك القرآن وأقرأكه (وما علمك) أى ولعن ما علمك وهذا هو الذى يخشى عليه منه لان الذى علمه معلوم لا يجوز الاستخفاف به فضلا عن لعنه فهو بحسب الظاهر منكر جدا

وقال) أى اللاعن (أردت سوء الادب) أى فى الاداء (ولم أرد القرآن) وفى التسامح عنه نظر اذ قوله وما علمك بعيد عن هذا التأويل بل ظاهر فى طعن التنزيل فينبغي أن يستتاب الان ثبت لحن فقيه الكتاب والله تعالى اعلم بالصواب (قال أبو محمد) أى ابن أبى زيد (أما من لعن المصحف) أى صريحا (فانه يقتل) أى اجماعا * (فصل) * (وسب آل بيته) وفى نسخة آل النبى وفى نسخة أهل بيته أى أقاربه (وأزواجه وأصحابه عليه الصلاة والسلام وتنقصهم حرام ملعون فاعله) أى مذموم وملام قائله (حدثنا القاضى الشهيد أبو على رحمه الله تعالى) وهو الحافظ ابن سكرة (ثنا أبو الحسين الصيرفى وأبو الفضل العدل) وهو ابن خيرون (ثنا أبو يعلى) المعروف بابن زوج الحرة (ثنا أبو على السنجى) بكسر السين المروزى (ثنا ابن محبوب) هو أبو العباس المحبوبى راوى

الجامع عن الترمذى وشارح القدورى على ما ذكره الانطاكى (ثنا الترمذى) هو الحافظ أبو عيسى صاحب الجامع (ثنا محمد بن يحيى) الظاهر انه الذهلى أبو عبد الله النيسابورى (ثنا يعقوب بن ابراهيم ثنا عبيدة) وفى نسخة بالتصغير (ابن أبى رائطة) بالهمز قبل الطاء المهملة قال الحلبي هو بفتح العين وكسر الموحدة نص عليه غير واحد من الحفاظ منهم ابن ماكولا فى اكماله والذهبي وضبط فى بعض النسخ بضم العين وهو خطأ انتهى وقال التلمساني فى أصل المؤلف عبيدة بالتصغير وصوابه عبيدة بالفتح وبه ذكره الدارقطني وهو كوفى نزل البصرة يروى عن عاصم ابن أبى النجود وغيره عن عبد الرحمن بن زياد قال المزى فى الاطراف يقال انه أخو عبيد الله بن زياد (عن عبد الله بن مغفل) بضم الميم وفتح الغين المعجمة وتشديد الفاء المفتوحة (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الله الله) بنصبهما وكرر للتاكيد أى اتقوه أو راعوه أو راقبوه أو احفظوا عهده أو احذروا عقابه (فى أصحابه) أى من جهتهم (الله الله فى أصحابى) وهذا تاكيد بعد تاكيد ووضع الظاهر موضع الضمير للمبالغة فى التحذير وكان الخطاب لمن بعدهم من القرون أو لبعضهم من المنافقين أو للعامة والمراد بأصحابه الخاصة كما يشير اليه ياء الاضافة (لا تتخذوهم غرضا) أى هدفا للعن أو الطعن (بعدى) أى فى غيبتى أو بعد موتى

فان أوله (وقال) اللاعن (أردت) بما المذكورة الصادقة على المقروء وصفته التي وقع عليها وهو (سوء الادب) فى حال قراءته وعدم تعظيم ما قرأه ووقوعه على حال غير مستحسنة فان للقارى آدابا ذكروها من خالفها ساء أدبه (ولم أرد) بما فى كلامى (القرآن) الذى تعلمه (قال أبو محمد) بن أبى زيد (وأما من لعن المصحف) وفى نسخة من لعن القرآن (فانه يقتل) لجرأته على الله تعالى وعلى كلامه ولعنته عائدة عليه والمراد انه يكفر ويستحق القتل

* (فصل وسب آل بيته وأزواجه أمهات المؤمنين وأصحابه) * صلى الله تعالى عليه وسلم وعليهم أجمعين السب الشتم كما مر وآل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم للفقهاء فيهم اختلاف مذكور فى كتب الفروع فذهب الشافعى الى انهم على وفاطمة وولديهما والعباس وجعفر وعقيل وآلهم وهم من لا تحل لهم الزكاة من بنى عبد المطلب لحديث نحن وبنو المطلب شئ واحد لم نفترق فى جاهلية ولا اسلام وشبك بين أصابعه وبقية الكلام عليه مفصل فى محله وأزواجه جمع زوج أو زوجة وهى المنكوحة وأصحاب جمع صاحب وهو من لقيه صلى الله تعالى عليه وسلم مسلما (وتنقصهم حرام) شرعا لكرامتهم عند ربهم وثناء الله عليهم فى كتابه العزيز فى آيات عديدة (ملعون) مطرود مبعد من رحمة الله (فاعله) ومن يصدر منه قصدا اثم أوضحه بحديث صحيح رواه الترمذى فقال (حدثنا القاضى الشهيد أبو على) هو الحسين بن محمد بن فيرة الصدفى المعروف بابن سكرة كما تقدم قال (حدثنا أبو الحسين الصيرفى) تقدم أيضا (وأبو الفضل العدل) هو أحمد بن حسين بن خيرون الحافظ كما تقدم (قالا حدثنا أبو يعلى) أحمد بن عبد الواحد المعروف بزوج الحرة كما تقدم قال (حدثنا أبو على السنجى) أحمد بن محمد المروزى كما تقدم قال (حدثنا ابن محبوب) قال (حدثنا الترمذى) صاحب السنن وقد تقدمت ترجمته قال (حدثنا محمد بن يحيى) بن عبد الله بن خالد بن فارس أبو عبد الله الذهلى توفى سنة خمسة وخمسين ومائتين قال (حدثنا يعقوب بن ابراهيم) بن سعد الزهرى توفى سنة مائتين وثمان وأخرج له الستة كما تقدم قال (حدثنا عبيدة بن أبى رابطة) بفتح العين المهملة تليها موحدة مكسورة عند الحفاظ كما قاله ابن ماكولا والذهبي وضم عينه كما فى بعض النسخ خطأ من الناسخ كما قاله السبكى وتبعه البرهان الحلبي وهو ثقة أخرج له أصحاب السنن (عن عبد الرحمن بن زياد) أخو عبيد الله بن زياد وهو غير معروف (عن عبد الله بن مغفل) بزنة اسم المفعول مفتوح الغين المعجمة مشدد الفاء (قال) ابن مغفل رضى الله عنه (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله الله) بنصبهما بما تحذيرا وكرره ووضع الظاهر موضع الضمير مبالغة فى التحذير وتاكيدا فى تفخيم أمرهم وشانهم أى اتقوا الله (فى) حق (أصحابى لا تتخذوهم غرضا بعدى) أى بعد

موتى

(فمن أحبهم فبحبي) أي فبسبب محبته اياي (أحبهم) أي بسبب محبتي اياهم ويؤيد الاول قوله (ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم) ولا يخفى ان المرتد تبطل صحبته بردته ولو صحت توبتهم (ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله) أي خالفه فكأنه آذاه (ومن آذى الله يوشك ان يأخذه) أي يعاقبه في الدنيا أو العقبى (وقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا تسبوا أصحابي) المشتملين على أقاربي وأزواجي وأحبابي (فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفا) أي توبة ونافلة (ولا عدلا) أي فدية أو فريضة وقد روى الطبراني عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما مرفوعا من سب أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين وروى أحمد والحاكم عن أم سلمة من سب عليا فقد سبني ومن سبني فقد سب الله تعالى (وقال عليه الصلاة والسلام لا تسبوا أصحابي فانه يجيء قوم) وروى (أقوام في آخر الزمان يسبوا أصحابي فلا تصلوا عليهم) أن ماتوا للعبرة وهذا محمول على ما اذا قام بها البعض (ولا تصلوا معهم) ان صلوا اماما فانهم أهل بدعة (ولا تناكحوهم) أي ديانة (ولا تجالسوهم) أي من غير ضرورة (وان مرضوا فلا تعودوهم) مبالغة في الاهانة والظاهر ان النهي في هذا الحديث للتنزيه

موتي لانهم في حياته صلى الله عليه وسلم لم يصبهم ما يخصهم من ضرر وفيه اخبار بالغيب فانهم بعد موته صلى الله عليه وسلم حل بهم أمور عظيمة كقصة الدار وصفين وقتل الفاروق وتقدم ان الغرض هو الهدف الذي ينصب ليرمى بالسهام وشبه به من يذم ويطعن فيه ويلزمه تشبيه كلامه بالسهام التي ترمى كقوله

سهم أصاب وراميه بذي سلم * من بالعراق لقد أبعدت مرماك

وعليه قول العارف ابن الفارض نفعنا الله به * عرضت نفسك للبلا فاستهدف * وهو هنا استعارة وقيل انه تشبيه بليغ وليس هذا محل تفصيله والعامل هنا مقدر يجوز اظهاره وقيل لا يجوز اظهاره اذا تكرر لان الثاني قائم مقام العامل وقيل اظهاره أيضا جائز مع قبحه كما تقدم عن الجزولي وا لكلام عليه مفصل في كتب النحو وقال ابن حجر في الزواجر أكد التحذير من ذلك بقوله الله الله أي احذروا الله على حد قوله ويحذركم الله نفسه كما تقول لمن تراه مشرفا على وقوعه في نار عظيمة النار النار (فمن أحبهم فبحبي) أي بسبب حبي لهم على مراتبهم عندي (أحبهم) لا لغرض آخر من أمور الدنيا (ومن أبغضهم فببغضي) أي بسبب عداوتي كعداوة المشركين (أبغضهم) لا لشيء آخر قال ابن حجر بعد ما تقدم فتأمل عظيم فضائلهم ومناقبهم التي نوه بها حيث جعل محبتهم محبة له وبغضهم بغضا له وناهيك بذلك جلالا وشرفا لحبهم وبغضهم عنوان محبته وبغضه ومن ثمه كان حب الانصار من الايمان وبغضهم من النفاق يبذلهم الاموال والانفس في محبته ونصرته (ومن آذاهم فقد آذاني) لان الحب المخلص يسوءه ما يسوء حبيبه ويسره ما يسره وتأخير الاذية عن البغضاء في محزه لترتبها عليها (ومن آذاني) حقيقة بفعل ما يسوءه في نفسه وأتباعه (فقد آذى الله) تقدم ان الاذية ايصال الضرر فهي مجاز عن مخالفة أمره ونهيه اذ لا تتصور الاذية في حقه عز وجل (ومن آذى الله) أي عصاه (يوشك) بزنة يكرم أي يقرب من (ان يأخذه) أي يهلكه يقال وشك وأوشك ان يخرج أي قرب اسراعه للخروج قال

وصار على الاذنين كلا وأوشكت * صلاة ذوي القربى له ان تنكرا

والاخذ كما قال الراغب حوز الشيء وتحصيله ونحو ذلك فتارة يكون بالتناول نحو ومعاذ الله ان نأخذ الا من وجدنا متاعنا عنده وتارة بالقهر كقوله تعالى لا تأخذه سنة ولا نوم والمؤاخذة المجازاة انتهى وقد تقدم هذا أيضا فيأخذه هنا بمعنى يقهره أو يجازيه على أذيته وفي هذا الحديث اشارة الى شدة قربهم منه صلى الله تعالى عليه وسلم وتنزيلهم منزلة نفسه حتى كان أذيتهم أذية له واقعة عليه ثم أظهر ذلك على وجه أكده بقوله فقد آذى الله اذ لا يضر الله شيء فهو ايماء لشدة قربه صلى الله تعالى عليه وسلم من الله فهو مجاز بهذا الاعتبار المجازي أيضا (وقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا تسبوا أصحابي فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين) تأكيد للعموم (لا يقبل الله منه صرفا) أي توبة أو طاعة تصرف وجهه لجانب الله (ولا عدلا) أي فدية أو فريضة وقد تقدم الكلام على هذا الحديث فتذكره (وقال صلى الله تعالى عليه وسلم لا تسبوا أصحابي فانه يجيء قوم) أي ناس من المسلمين وضمير انه ضمير شان (في آخر الزمان يسبونهم) أي يسبون الاصحاب (فلا تصلوا عليهم) بعد موتهم (ولا تصلوا معهم) أي لا تقتدوا بهم والنهي كما قيل تنزيهي لجواز الاقتداء بالمبتدع والصلاة خلف كل بر وفاجر (ولا تناكحوهم) أي لا تزوجوهم ولا تتزوجوا منهم (ولا تجالسوهم) أي لا تعاشروهم ولا تخالطوهم (وان مرضوا) أي انقطعوا في بيوتهم لمرض أصابهم (فلا تعودوهم) أي لا تذهبوا لعيادتهم وهو مبالغة في اهانتهم وتركهم بالكلية زجرا لهم باظهار عداوتهم وهذا كله مما خرج مخرج التغليظ عليهم وقيل انه يحتمل انه كشف له صلى الله تعالى عليه وسلم عن سرائرهم وانهم كفرة باطنا ولا يخفى انه غير صحيح فانه

في قوم غير معينين والحكم بالامر الباطني لا يجوز لامته كما تقدم فكيف يامر به غيره وظاهر هذا الحديث ان سب الصحابة كفر مطلقا وليس كذلك فان فيه تفصيلا ياتي فاما ان يحمل على المبالغة والتغليظ في الزجر او يقال انه من معجزاته صلى الله عليه وسلم بان يكون من الاخبار عن المغيبات فاخبر عن بعض من وقع منه ما هو كفر كبعض الرافضة كما ورد التصريح به في بعض الاحاديث كالحديث الذي رواه البيهقي في دلائل النبوة بسند حسن عنه صلى الله عليه وسلم انه قال يخرج قبل قيام الساعة قوم يقال لهم الرافضة يرفضون الاسلام فاقتلوهم فانهم مشركون ولذلك أشار الصرصري في قصيدته النونية في قوله

وكذاك أخبر ان سب أصحابه * ما للمصر عليه من غفران

علما بقوم يجهرون بسبهم * من كل غمر فاحش لعان

وقد قيل من أبغض الصحابة من حيث هم صحابة فقد أبغضه صلى الله تعالى عليه وسلم وآذاه وأيضا منهم قوم صرحوا بما هو كفر وهم كفرة تستروا بالرفض وحب أهل البيت فما في الحديث صريح في كفرهم من ترك الصلاة عليهم ومناكحتهم ومجالستهم وهم يرون ترك الجمعة والجماعة وغير ذلك مما هو كفر (وعنه صلى الله تعالى عليه وسلم) في حديث آخر (من سب أصحابي فاضربوه) تعزيرا له واهانة لما ابتدع هو وأمثاله وفي الحديث أيضا من سب أصحابي فاجلدوه كما ياتي (وقد أعلم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان سبهم وآذاهم) من عطف العام على الخاص (يؤذيه وايذاء النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حرام) بالاتفاق وايذاء مصدر آذاه وقوله في القاموس لا تقل ايذاء غلط فانه مصدر قياسي وقد سمع أيضا وقدم التنبيه على ذلك أيضا وفي نسخة وأذى (فقال لا تؤذوني في أصحابي ومن آذاهم فقد آذاني) وقد تقدم ما فيه وفي الانوار لو استحل ايذاء أحد من الصحابة كفر وفي الاعلام واستحلال ايذاء غير الصحابة مكفر أيضا كما هو ظاهر ومحل تكفير المستحل ايذاء صحابي ما لم يكن عن تاويل ولو خطأ لانه ظني فله شبهة تمنع الكفر (تنبيه) الحديث الذي تقدم ورواه الترمذي وقال انه صحيح حسن لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو ان أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه فيه سؤال مشهور وهو ان المخاطب به الصحابة والحديث هنا يقتضي خلافه وأجيب بان مراده باصحابي من أسلم قبل الفتح من السابقين الاولين والمخاطب من أسلم بعده ويشير اليه قوله مثل أحد لقوله تعالى لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح الآية فالمراد بالخطاب غيرهم وان شملت الصحبة الجميع قاله السبكي وقال سمعت ابن عطاء الله يقول في وعظه للنبي صلى الله عليه وسلم تجليات يرى فيها من بعده ويخاطبه ومنه خطابه هذا وهو منزع صوفي وعليه فالحديث شامل لجميع الصحابة وعلى غيره مخصوص بالمتقدمين ويدخل من بعدهم في حكمهم وعليهما الحرمة ثابتة للجميع والكلام في سب بعضهم معينا أو غير معين اما سب الجميع فقيل انه كفر بلا شك كسب الصحابي من حيث انه صحابي فانه تعريض بسب النبي صلى الله عليه وسلم وعليه حمل قول الطحاوي بغضهم كفر فان سب صحابيا لا من حيث كونه صحابيا كان ممن تحققت فضيلته بان كان ممن أسلم قبل الفتح كالروافض الذين يسبون الشيخين وهما السمع والبصر منه صلى الله تعالى عليه وسلم كما ورد في الحديث ففيه وجهان فانه قد يكون لامر آخر دنيوي غير الصحبة وليس بكفر لانه لتقديم علي واعتقادهم لجهلهم انهما ظلماه وهما بريئان من ذلك وفي كتب الحنفية ان سبهما وانكار امامتهما كفر وفي صحة الصلاة خلفهم خلاف مبني على هذا هذا زبدة ما قاله السبكي في فتاويه ونقلت من خط البقاعي وقد سئل عن هذا الحديث فاجاب بانه جاء في الحديث انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال ياتي على الناس زمان للعامل فيه أجر خمسين فقال الصحابة رضي الله تعالى عنهم أجمعين منهم فقال بل منكم فيحمل الاول على الاتفاق خاصة والثاني على كلمة الحق الآن لدلالته على كمال الايمان لتوقع الضرر بقتل ونحوه

(وعنه عليه الصلاة والسلام من سب أصحابي فاضربوه) روى الطبراني عن علي كرم الله تعالى وجهه من سب الانبياء قتل ومن سب أصحابي جلد أي ضرب وهذا فرق حسن بين الانبياء والصحابة وفي معناهم العلماء والاولياء وهو قول الجمهور واما قتل من سب الصحابة كما قال به بعضهم فانما يحمل على السياسة في الشريعة وسد باب الذريعة على ما بينته في رسالة مستقلة ولما كان فيها بعض الاطالة اختصرتها وسميتها السلالة (وقد أعلم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان من سبهم وآذاهم يؤذيه وأذى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حرام) بل كفر (فقال لا تؤذوني في أصحابي) أي لاجل آذاهم (ومن آذاهم فقد آذاني) أي فكانه آذاني

(وقال لاتؤذوني في عائشة) أي خصوصا فانها أحب الزوجات وقال الانطاكي قوله لاتؤذوني في عائشة الخطاب لام سلمة وتمام الحديث فان الوحي لم يأتني وانا في ثوب امرأة الا عائشة (وقال في فاطمة) لانها أحب البنات بضعة مني بفتح الموحدة وتكسر أي قطعة منفصلة مني (يؤذيني ما آذاها) وروى البخاري عن المسور فاطمة بضعة مني فمن أغضبها أغضبني (وقد اختلف العلماء في هذا) أي ساب الصحابة (فشهور مذهب مالك) رحمه الله الموافق للجمهور (في ذلك الاجتهاد) في ايقاع النكال لدفع الفساد (والادب الموجع) لاصلاح العباد (قال مالك رحمه الله تعالى من شتم النبي) أي جنس الانبياء (قتل ومن شتم أصحابه أدب) أي جلد وضرب وقد تقدم الحديث بذلك (وقال) أي مالك (أيضا من شتم أحدا من أصحاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أبا بكر أو عمر أو عثمان أو عليا أو معاوية أو عمرو بن العاص) وسقط أو عليا من أصل الدلجي فقال ولم يذكر المصنف عليا لان محبيه كثيرون انتهى ولايخفى ان الكثرة انما هي بالنسبة الى معاوية وعمرو ابن العاص لا بالاضافة الى من قبله فقد اختلفت المبتدعة في حب علي كالروافض وبغضه كالخوارج (فان قال) شاتمهم (كانوا) أي الصحابة كلهم (على ضلال وكفر) عطف تفسير (قتل) لتكذيبه القرآن فيما أثنى الله عليهم لقوله تعالى رضي الله عنهم وحديث أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم وحديث لو انفق احدكم مثل احد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه أي نصفه (وان شتمهم) أي كلهم أو بعضهم (بغير هذا) الذي ذكر (من مشاتمة الناس نكل) بصيغة المجهول مشددا ومخففا أي ردع وزجر وعوقب (نكالا شديدا وقال ابن حبيب من غلا) أي تجاوز عن الحد وتعدى (من الشيعة) أو الخوارج

لغلبة أهل الفساد والطغيان وعدم الانصار والاعوان وههنا دقيقة وهي ان قوله تعالى لا يستوي منكم الآية نص في ان أبا بكر رضي الله عنه أفضل من جميع الصحابة فالخلافة حقه بلا شبهة وفي الانوار من أنكر خلافة الصديق رضي الله عنه مبتدع لا كافر ومن سب الصحابة أو عائشة من غير استحلال فاسق واختلفوا في من سب أبا بكر وعمر قال غيره وفي كفر من سب الختنين وجهان (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث آخر (لاتؤذوني في عائشة) الظاهر انه مخصوص بها رضي الله تعالى عنها ويحتمل انه شامل لجميع أمهات المؤمنين رضي الله تعالى عنهن ويدل للظاهر الاول ما روي عن ابن عباس انها قالت أعطيت عشر خصال لم يعطهن ذات خمار قبلي صورت لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قبل ان أصور في رحم أمي ولم يتزوج بكرا غيري وكان ينزل عليه الوحي وكان بين سحري ونحري وتوفي بين سحري ونحري ونزلت براءتي من السماء في سبع آيات وكنت أحب النساء اليه وأبي أحب الرجال اليه وخيرهم وخير رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو بين حاقنتي وذاقنتي وتوفي في يومي ودفن في بيتي قال ابن المنير ومن خصائص عائشة انها ولدت مسلمة باسلام أبيها قبل ولادتها قال وهذا لازم لاهل السير والتواريخ فيما نقلوه ولم أر أحدا انتزعه قبل ذلك وفضائلها لا تحصى (وقال) صلى الله عليه وسلم (في حق فاطمة) الزهراء رضي الله عنها هي (بضعة مني) قال في مختصر النهاية البضعة بالفتح القطعة من اللحم وقد تكسر وفاطمة بضعة مني أي جزء مني كما ان البضعة قطعة من اللحم انتهى والكسر فيها أشهر على الالسنة لانها متكونة من مائه صلى الله تعالى عليه وسلم الذي هو جزء منه وفيه فضيلة لها لا يساويها غيرها وبهذا الاعتبار يجوز تفضيلها على غير من سواها الا ان التفضيل قد يكون من وجه وهو لا ينافي تفضيل غيره عليه من وجه فلا تعارض في مثله لمن له بصيرة (يؤذيني ما آذاها) فيه من أحكام البلاغة مرتبة علية فان الجسد كله يتألم بما يتألم به بعضه فمن ضربت يده تألم بالمها البدن كله فكونها بضعة علة لما بعده فتدبر وحديث فاطمة في الصحيحين (وقد اختلف العلماء في هذا) أي فيما يستحقه من صدر عنه مثله (فشهور مذهب مالك في ذلك) النكال الذي يستحقه (الاجتهاد) للحاكم فيفوض لرأيه وما يقتضيه (والادب الموجع) بضرب ونحوه (قال مالك) رحمه الله تعالى (من شتم النبي صلى الله عليه وسلم قتل) حدا أو كفرا كما تقدم (ومن شتم أصحابه أدب) بما يستحقه من تعزير وقذف كغيره (وقال أيضا) مالك رحمه الله (من شتم أحدا من أصحاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أبا بكر أو عمر أو عثمان أو عليا أو معاوية أو عمرو بن العاص) ابن وائل السهمي (فان قال كانوا على ضلال وكفر قتل) ولم يؤوله بان قال أردت قبل اسلامهم فان فيه تكذيبا لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولجميع الامة وهذا مذهب مالك ولم يذكر استتابته هنا (وان شتمهم) أي شتم الصحابة (بغير هذا) المذكور من الضلال والكفر بل شتمهم بما هو (من) جنس (مشاتمة الناس) بعضهم لبعض فيما يجري بينهم (نكل) أي عوقب (نكالا شديدا) بما يوجعه من ضربه ثم ونحوه (وقال ابن حبيب) المالكي (من غلا) أي بالغ في غلوه (من الشيعة) المفرطين في محبة علي واعتقاد أفضليته وان الخلافة حقه وهم فرق مشهورة ولهم مذاهب

(الى بغض عثمان والبراءة منه) أي والى التبري من محبته (أدب أدبا شديدا ومن زاد) أي الى ذلك كما في نسخة أي ضم اليه (بغض أبي بكر وعمر فالعقوبة عليه أشد) أي كمية وكيفية (ويكرر ضربه) بقدر زيادة بغض صحبه عليه الصلاة والسلام وحزبه (ويطال سجنه) أي مدة حبسه (حتى يموت ولا يبلغ به) أي فيه (القتل الا في سب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) والا في انكار صحبة أبي بكر وكذا في صحة خلافته المجمع عليهما ولا عبرة بمخالفة الشيعة فيهما وكذا اذا قيل له قل رضي الله تعالى عنهم فأبى فانه كالانكار لما في القرآن (وقال سحنون من كفر أحدا من أصحاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عليا أو عثمان أو غيرهما) كمعاوية وعمرو بن العاص (يوجع) بصيغة المجهول مخففا أو مشددا (ضربا) بالنصب على التمييز وانما خص عليا وعثمان بالذكر لان الخوارج قالوا بتكفيرهما بناء على قواعدهم الفاسدة وأصولهم الكاسدة ولم يختلفوا في تعظيم الشيخين للاجماع على خلافتهما وعدم ما يقتضي هتك حرمتهما فمن كفرهما كفر خلافا للروافض ولا عبرة بقولهم المناقض بل التحقيق ان أصل مذهب الشيعة ليس تكفيرهما بل ينسبونهما الى المخالفة في أمر الخلافة بناء على انهم يفضلون عليا عليهما وانما اللعن والتكفير صدر

من غلاتهم ولعل هذا معنى ما روي من ان سب الشيخين كفر المفهوم منه ان سب غيرهما ليس كذلك لتفاوت رتبتهما هنالك واما معاوية واتباعه فيجوز نسبتهم الى الخطا والبغي والخروج والفساد واما لعنهم فلا يجوز أصلا بخلاف يزيد وابن زياد وأمثالهما فان بعض العلماء جوزوا لعنهما بل الامام أحمد بن حنبل قال بكفر يزيد لكن جمهور أهل السنة لا يجوزون لعنه حيث لم يثبت كفره عندهم وعلى التنزل فلعله مات تائبا ولهذا قالوا لا يجوز لعن كافر بعينه الا اذا ثبت كفره وقوله عليه بدليل قطعي من كتاب أو سنة كفرعون كما وأبي لهب وأبي جهل وأمثالهم والله تعالى أعلم وبما قررنا اندفع اعتراض الدلجي بان هذا مخالف لما مر عن مالك انه اذا قال كانوا أي الصحابة على ضلال وكفر قتل فان المراد بهم اما جميعهم أو أكابرهم (وحكى أبو محمد بن أبي زيد عن سحنون فيمن قال في أبي بكر وعمر وعثمان وعلي انهم) أي كلهم (كانوا في ضلال وكفر قتل ومن شتم غيرهم) أي غير الخلفاء الاربعة (من الصحابة) كمعاوية وغيره (بمثل هذا) القول (نكل النكال الشديد وروي عن مالك من سب أبا بكر جلد ومن سب عائشة) أي قذفها (قتل قيل له) أي لمالك (لم) أي لاي شيء يقتل بسبها وقد قلت في أبيها يجلد من سبه وهو بالاجماع أفضل منها (قال) أي مالك (من رماها) أي قذفها (فقد خالف القرآن) النازل ببراءة ساحتها فعلم بهذا انه لو شتمها أحد بغير القذف لم يجب قتله وهذا اذا سب أبا بكر مع اقراره بصحبته فانه لو انكرها لكفر لانكاره القرآن على ما سبق به البيان واما اذا قذف احدى سائر الازواج الطيبات فلا يكفر لعدم ورود براءتهن في الآيات (وقال ابن شعبان عنه) أي عن مالك (لان الله يقول يعظكم الله) أي تحذيرا من (ان تعودوا لمثله أبدا ان كنتم مؤمنين فمن عاد لمثله فقد كفر) وفيه ايماء الى ان من قذفها قبل الوعظ لم يكفر وانما حد حد القاذف

وانتهى في غلوه (الى) بغض (عثمان) بن عفان رضي الله تعالى عنه بالوقوع في حقه (والبراءة منه) وانه لم يكن خليفة بحق وعلى حق (أدب أدبا شديدا) حتى ينزجر هو وأمثاله بضرب ونحوه (ومن زاد في ذلك) أي في غلوه في حق الصحابة رضي الله عنهم (الى بغض أبي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما فالعقوبة عليه أشد) لزيادة حرمتهما (ويكرر ضربه ويطال سجنه) بفتح السين ويجوز كسرها كما مر (حتى يموت) في السجن ليتعظ به غيره (ولا يبلغ به) في عقوبته (القتل الا في سب النبي صلى الله عليه وسلم وقال سحنون من كفر أحدا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عليا أو عثمان أو غيرهما) من الصحابة رضي الله تعالى عنهم (يوجع ضربا) وهذا المذكور عن مذهب مالك مخالف لما تقدم عن مالك من ان من قال انهم كانوا على ضلال وكفر قتل ولذا عقبه بقوله (وحكى) الشيخ (أبو محمد بن أبي زيد عن سحنون فيمن قال في أبي بكر وعمر وعثمان وعلي) رضي الله تعالى عنهم (انهم كانوا على ضلال وكفر قتل) كما تقدم عن مالك وذكره لما فيه من رد قوله (ومن شتم غيرهم من الصحابة بمثل هذا) بنسبتهم للضلال والكفر (نكل) أي عوقب (النكال الشديد) بلا قتل للفرق بين كبار الصحابة وغيرهم (وروي عن مالك) في قول آخر له (من سب أبا بكر جلد) تعزيرا له ونكالا (ومن سب عائشة) رضي الله تعالى عنها (قتل قيل له) أي سأل مالك عن وجه الفرق فيما قاله فقيل له (لم) قلت هذا (قال من رماها) أي سبها وافترى عليها بما برأها الله منه والرمي يستعار لما ذكر تشبيها له بالرجم قال

رماني بامر كنت منه ووالدي * بريئا ومن أجل الطوى رماني

(فقد خالف القرآن) لان الله برأها فيه من كل عيب في قصة الافك (وقال ابن شعبان) تقدمت ترجمته (عنه) أي عن مالك في رواية عنه (لان الله يقول) في القائلين في حق عائشة رضي الله تعالى عنها (يعظكم الله ان تعودوا لمثله أبدا ان كنتم مؤمنين فمن عاد لمثله فقد كفر) لقوله ان كنتم مؤمنين فمن عاد ليس بمؤمن

كما يدل على ذلك المفهوم لتذكيرهم بما يخلو به الايمان المانع لهم من العود عما صدر عنهم من القبائح تهييجا الغيرتهم الحاملة لهم على الاتعاظ وقد قيل على ذلك ان فيه بحثا لان السب أعم من الرمى ومطلق مخالفة القرآن لا تقتضى الكفر كما تقدم الا انه ضم الى المخالفة مفهوم الشرط فى قوله تعالى ان كنتم مؤمنين الخ كما بينه ابن شعبان وخطاب المشافهة فى الآية مختص باصحاب الافك وحكم غيرهم استفيد مما تقدم وقوله ان تعودوا لمثله يعنى فى عائشة بعينها أوهى ومن فى مرتبتها من أمهات المؤمنين لما فيه من أذية النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى عرضه وأهله وقوله روى ببناء المجهول رواية هشام بن عمار فانه نقل عنه انه قال سمعت مالكا الخ وساق ماذكر برمته انتهى وليس بشئ اما قوله السب عام فمسلم ولكنه مخصوص هنا بقرينة المقام وقوله مخالفة القرآن لا تقتضى الكفر هو كذلك لو بقى على اطلاقه اما اذا انضم اليه انه تكذيب لله ورسوله فهو كفر كما بينه ابن شعبان وتقدم عن ابن العربى المالكى قريبا انه قال ان أصحاب الشافعى قالوا ان من سب عائشة أدب كما فى سائر المؤمنين وقوله تعالى ان كنتم مؤمنين لا يقتضى انه كفر لانه تغليظ فى الزجر كقوله لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن وانه أجاب بان مالكا سئل عمن رمى عائشة بالافك فقال ليس هو كرمى غيرها لان الله برأها مما قالوه فراميها مكذب لله فيما أخبر به من براءتها وهو ملحظ آخر لا تعلق له بمفهوم الشرط وتقدم ما فيه ويؤيده قول ابن عباس من أذنب ثم تاب قبلت توبته الا من خاض فى الافك وفى كون النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حد أصحاب الافك أم لا روايتان ذكرهما الماوردى والكلام عليه مذكور فى التفاسير والسير والكلام السابق فى سب أبى بكر رضى الله تعالى عنه مقيد بغير انكار صحبته أما هو فانه كفر عند الشافعية وبعض الفقهاء لانه ثابت بالنص ومجمع عليه كما مر بسطه (وحكى أبو الحسن الصقلى) نسبة الى صقلية بفتح الصاد المهملة وفتح القاف وكسر اللام المشددة وهى جزيرة من جزائر المغرب معروفة هذا هو المشهور على الالسنة قال بعض شعرائها ذكرت صقلية والأسى ✽ فشبهت دمعى بانهارها

وذكر البرهان الحلبى ان صادها مكسورة وقيل صادها وقافها وكذا رأيته فى نسخة المجمع للصاغانى الا انه ضبط قلم لا يعول عليه (ان القاضى أبابكر بن الطيب) هو الامام الباقلانى كما تقدم فى ترجمته (قال ان الله تعالى اذا ذكر فى القرآن ما نسبه اليه المشركون سبح) أى نزه وبرأ (نفسه) أى ذاته المقدسة (بنفسه) أى قاله ابتداء من غير اسناده لغيره (كقوله تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه) بل عباد مكرمون نزلت فى خزاعة اذ قالوا الملائكة عليهم الصلاة والسلام بنات الله (فى آى) بالمد جمع آية أو اسم جنس جمعى كتمر وتمرة أى هذا مذكور فى القرآن فى آيات أخر (كثيرة) كقوله وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه (وذكر تعالى) فى القرآن (نسبه المنافقون الى عائشة) رضى الله تعالى عنها فى قصة الافك (فقال ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا) أى لا يجوز ولا يصح لان ما يكون ولا ينبغى ورد فى القرآن لمعان منها هذا كما مر ولولا بمعنى هلا وقدم الظرف لانه هو الاهم بالانكار على سماع مثله (ان نتكلم بهذا) أى نتلفظ به فضلا عن اشاعته واعتقاده (سبحانك) منصوب على المصدرية والاصل فيه التعجب من صنعه ثم شاع فى مطلق التعجب وهو مصدر كالغفران وتقدم الكلام عليه مفصلا (هذا بهتان عظيم) أى افتراء عظيم لا يليق بعاقل التكلم به لانه كيف تكون زوجته صلى الله تعالى عليه وسلم منسوبة لمثله والبهتان فى الأصل كذب وبهتان يبهت سامعه تحيرا من افتراء مثله فكأنه قال تعجبوا أيها السامعون منه ويجوز ان يكون على أصله بان نزه الله بان يوجد مثل هذا السوء ويقر عليه أكرم خلقه عليه الصلاة والسلام واليه أشار بقوله (سبح نفسه) أى برأها ونزهها مبالغة (فى تنزيهها) أى تنزيه عائشة وفى نسخة تبرئتها (من السوء) أى الامر السيئ القبيح (كما سبح نفسه فى تنزيهه) أى تنزيه الله تعالى لذاته وفى نسخة لتبرئته (من السوء)

(وحكى أبو الحسين الصقلى) بفتح أوله ويكسر وبسكون القاف قال الحلبى نسبة الى صقلية جزيرة بالمغرب وقال الدلجى بفتح المهملة والقاف وقال التلمسانى بكسر الصاد والقاف واللام مشددة وبفتح الصاد والقاف واللام مشددة (ان القاضى أبا بكر ابن الطيب) أى الباقلانى المالكى امام المتكلمين (قال ان الله تعالى اذا ذكر ما نسب اليه المشركون) من الشريك والولد والصاحبة والبنات (سبح نفسه لنفسه) وفى نسخة بنفسه (كقوله تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه فى آى كثيرة) كقوله تعالى ويجعلون لله البنات سبحانه وقوله وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه (وذكر تعالى ما نسبه المنافقون) فيه تغليب اذ الذى تولى كبره هو ابن أبى بن سلول رئيس المنافقين وقد تبعه بعض المؤمنين كحسان ومسطح وحمنة وغيرهم (فقال ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا ان نتكلم بهذا) المأفوك عليها (سبحانك سبح نفسه فى تبرئتها من السوء) المنسوب اليها (كما سبح نفسه فى تبرئته من السوء) وماذاك الا لجلالة مقامها العلى فى رفيع صحبة النبى

(وهذا) القول من الباقلاني (يشهد لقول مالك) ولا أعرف أحدا يخالفه في ذلك (في قتل من سب عائشة) أي قذفها (ومعنى هذا)
القول بقتل من قذفها (والله تعالى أعلم) جملة معترضة (ان الله لما عظم سبها) أي بالافتراء عليها المسمى بالافك (كما عظم سبه تعالى)
بالافتراء عليه حيث قال ألا انهم من افكهم ليقولون ولد الله وانهم لكاذبون (وكان سبها سبا لنبيه) فيه بحث

وضع الظاهر موضع الضمير تقبيحا لشأنه وتلويحا لوجوب التنزيه منه وفيه تنويه بقدرها ورفعة مقامها حيث جعل ما لا يليق بالله لا يليق بها رضي الله تعالى عنها وهو في غاية الظهور (وهذا) الذي ذكره الباقلاني من تنزيهها عما نزه الله عنه ذاته (يشهد) أي يدل دلالة ظاهرة كأنها مشاهدة (لقول مالك) المذكور آنفا (في قتل من سب عائشة) رضي الله تعالى عنها لتهويله وجعله كسب الله بطريق التلويح واشارة النص المعلومة من عرف الاستعمالات القرآنية فلا وجه لما أورد عليه من انها وردت لمطلق التعجب كما وقع في الحديث سبحان الله ان المؤمن لا ينجس واليه أشار في الكشاف وانما نشأ هذا من عدم التنبه لما أراده ولذا وضحه بقوله (ومعنى هذا) الذي قاله الباقلاني وقيل الاشارة لقول مالك انه يقتل من سبها (ان الله تعالى لما عظم سبها) أي جعله عظيما في قبحه (كما عظم سبه) باستعماله فيه ما استعمله في حق نفسه من التنزيه تنويها بقدرها كما تقدم (وكان سبها) بما نسب لها (سبا لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم) لان نسبة أهله لمثل ذلك يشين عرضه ويؤذيه كما لا يخفى (و) الله عز وجل (قرن سب نبيه) صلى الله تعالى عليه وسلم (وأذاه بأذاه تعالى) أي أذى الله في نفسه كقوله تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة (وكان حكم مؤذيه تعالى) شرعا (القتل كان حكم مؤذي نبيه) صلى الله تعالى عليه وسلم (كذلك) أي القتل لتسويته بينهما وجعلهما في قرن واحد (كما قدمنا) في هذا الكتاب مرارا في حكم سب الله وأورد عليه انه على ما قاله ليس قتله لسب عائشة رضي الله عنها بل لازمه من سبه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأيضا لو سلم هذا لزم قتل أصحاب الافك ولم يقع وأيضا قد تقدم الفرق بين من سب الله وسب رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم على أقوال تقدمت وأيضا يلزمه ذلك في سب الصحابة مطلقا لانه يؤذيه صلى الله تعالى عليه وسلم وليس بشئ لما علمته من ان المراد به أذية عظيمة لما فيه من الشين الذي لا يرضاه أحد في نسبة أهله للزنا والرضا به وأما عدم قتل أهل الافك المنافقين في حياته صلى الله تعالى عليه وسلم فلحكمة اقتضته من اثارة الفتن وصد من ضعف اسلامه عنه باشاعة انه يقتل أصحابه كما تقدم (وشتم رجل عائشة كرمها الله بالكوفة) هذا الرجل غير معروف وقوله كرمها الله أي جعلها مكرمة منزهة عن النقائص فقد صادف محزه والكوفة أحد المصرين المعروفين بانها محط رجال الفضلاء ويقال لها كوفة الجند أي مجتمعهم سميت بذلك لان سعدا رضي الله تعالى عنه لما أراد ان يبنيها قال لهم تكوفوا بهذا المكان أي اجتمعوا فيه فسميت كوفة لذلك ولزمته اللام أو الاضافة لانه علم بالغلبة وقيل كان اسمها قديما كوفان (فقدم الى موسى بن عيسى العباسي) منسوب الى عباس بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم والذي في التواريخ انه عيسى ابن موسى بن علي بن عبد الله بن العباس وأول من ولي الخلافة من بني العباس السفاح وجعل ولي العهد بعده أخاه المنصور وبعده عيسى بن موسى حين خلع نفسه كرها وقيل عوضه عشرة آلاف درهم وجعل ابنه المهدي بعده وبعده عيسى بن موسى فمات قبل المهدي سنة ثمان وستين ومائة ومات المهدي بعده بسنة (فقال) عيسى بن موسى لما ادعى عليه بما صدر منه (من حضره هذا) الرجل

لا يخفى على النبيه لان سبها ليس سبا لنبيه في حقيقة الكلام ولا يلزم من قذفها قذفه عليه الصلاة والسلام ولهذا لم يقتل من قذفها قبل نزول براءتها بل جعل قذفها حينئذ كقذف سائر أهل الاسلام في عموم الاحكام فالكفر الموجب للقتل انما هو لمخالفة القرآن ولهذا اختصت عائشة الصديقة بهذا الاجلال في الطريقة وبهذا علم معنى بقية كلامه من قوله (وأذاه) أي وقرن أذى نبيه بأذاه (سبحانه وتعالى) أي في قوله ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة (وكان حكم مؤذيه تعالى القتل كان مؤذي نبيه كذلك كما قدمناه) ولا يخفى ان ذلك لو أجرى على حقيقته لكان سب كل أحد من أهل بيته كفرا موجبا للقتل هنالك والامر على خلاف ذلك لانه لم يقصد بذلك لما أذاه صلى الله تعالى عليه وسلم
وفرق بين ان يقع شئ أصالة وقصدا وبين ان يقع تبعية وضمنا في مقام التحقيق والله ولي التوفيق (وشتم رجل عائشة) أي بغير القذف (بالكوفة فقدم) أي فاحضر الشاتم (الى موسى بن عيسى العباسي فقال من حضره هذا) المجلس أهذا الرجل حين شتم
بقال التلمساني ويروى من خصم

لماقال ذلك الشتم أومن سمع هذا الكلام منه (فقال ابن أبي ليلى انا) كنت حاضرا سامعا لمقاله وابن أبي ليلى هو محمد بن عبد الرحمن الانصارى الفقيه المشهور كان صاحب قرآن وعنه أخذ حمزة أحد القراء السبعة وكان أفقه أهل عصره وأعلمهم بالسنة حتى وصل لمرتبة الاجتهاد والشتم المراد به هنا القذف وكأنه يذكر قصة الافك بدليل قوله (فجلده ثمانين) لانه حد القذف ولعله شهد معه شهود أخر واقتصر على ذكر ابن أبي ليلى لجلالة قدره ولو كان الرجل أقر لم يحتج للسؤال عمن سمع منه ذلك (وحلق رأسه) لان هذا كان تعزيرا فى العصر الاول لان العرب كانت لاتحلق الرؤس الا فى نسك وكان الاسير اذا حلق رأسه عدوه عارا عليه وورد فى الحديث ان الخوارج شعارهم حلق رؤسهم وجمع له بين الحد والتعزير لانه لايجوز الجمع بينهما عند الشافعى فى مسائل ذكروها وللامام أونائبه استيفاء حد القذف عن ميت لاوارث له معروف وعائشة رضى الله تعالى عنها لم يكن لها وارثا حاضرا فى هذه القضية ويحتمل أن لها وارثا تممه والمصنف رحمه الله تعالى اقتصر من القضية على محل الشاهد منها فلا اشكال فى كلام المصنف رحمه الله تعالى كما قيل (وأسلمه للحجامين) تسليمه لهم اما لحبس عندهم أو ليخرجوا منه دما يضعفه أو ليكون معهم فى خطتهم فهو نفى له أو هوان له يسقط قبول شهادته برذالة صنعته وهذا أظهر (وروى أبوذر) الغفارى المشهور رضى الله عنه وهذا مانقله الخطيب وابن عساكر فى التاريخ (عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه نذر قطع لسان عبيدالله) بضم العين (بن عمر اذ شتم المقداد بن الاسود) الصحابى المشهور رضى الله عنه والمراد بالنذر هنا الزام نفسه جزما بفعله لا النذر الشرعى أوهو نذر شرعى لانه علق على شئ لقصد المنع ويسميه الفقهاء نذر اللجاج والغضب وهو مخير فيه بين الفعل وكفارة اليمين والنذر على أقسام ذكرها الفقهاء (فكلم) بالبناء للمجهول (فى ذلك) أى كلمه الناس بالشفاعة فيه والعفو عنه (فقال) عمر رضى الله تعالى عنه لمن كلمه فى شأنه (دعونى أقطع لسانه) أى اتركونى أفعل ذلك ولاتمنعونى منه (حتى لايشتم أحد) من الناس (بعد) مبنى على الضم أى بعد هذا (أصحاب) النبى (محمد صلى الله عليه وسلم) وعبيدالله بن عمر بن الخطاب بالتصغير كما علمت وله أخ من أبويه اسمه زيد الاصغر وأمهما مليكة بنت جرول وتكنى أم كلثوم وهى بنت لعلى بن أبى طالب من فاطمة رضى الله تعالى عنهما مات هو وأمه فى وقت واحد فلم يورث أحدهما من الآخر وقيل رمى بحجر فى حرب بين حيين فمات والمقداد رباه يتيما الاسود وهو عبد حبشى وتبناه فنسب له وأبوه عمرو بفتح العين ابن ثعلبة النهروانى أو الحضرمى ولذلك قال بعضهم ان ابن هنا وأمثاله يكتب بالالف لانه ليس واقعا بين علمين ورد بان القاعدة انه اذا وصف العلم بابن متصل كفى فى حذف الالف من ابن خطه سواء كان العلم الذى أضيف اليه ابن علما لابى الاول حقيقة أم لا كما اقتضاه اطلاقهم وكون الابوة حقيقة لم يتعرضوا لاشتراطه الا انه قد يقال الاب حقيقة فى أب الولادة فيحمل اطلاقهم عليه لانه الاصل والتبنى لايدفع صورة الواقع من كون الابن وقع بين علمين وشهد المقداد بدرا لما تقدم مسلما ومابعدها ومات ببلده فحمل للمدينة ودفن بها وصلى عليه عثمان سنة ثلاث وثلاثين وهو ابن سبعين وقطع اللسان من المذكور تعزير له لاحد فانه لاتجوز الشفاعة فيه بخلاف التعزير وللامام أن يغلظ فى الحد بما أراد فلا يقال ان قطع اللسان لم يرد فى الشرع ثم ان التعزير فيه حق لله للامام أن يستوفيه بغير طلب والمقداد من كبار الصحابة رضى الله تعالى عنهم فلذا أغضب ذلك عمر رضى الله تعالى عنه (وروى أبوذر الهروى) هو عبدالله بن أحمد بن محمد بن عبدالله الهروى الحافظ كما تقدم (ان عمر بن الخطاب أتى باعرابى يهجو الانصار فقال لولا ان له صحبة) أى لولم يكن من أصحاب رسول الله

(فقال ابن أبي ليلى أنا) وهو أحد المجتهدين وقد تولى القضاء ولعل هذا هو الموجب للاكتفاء (فجلده) أى الشاتم (ثمانين) جلدة (وحلق رأسه) أى تعزيرا (وأسلمه) أى تركه وفى نسخة وسلمه (للحجامين) يعذبونه باخراج دمه لزيادة سياسة فى أمره (وروى) كما فى تاريخ الخطيب وابن عساكر (عن عمر بن الخطاب انه نذر قطع لسان ابنه عبيدالله) بالتصغير (ابن عمر اذ شتم المقداد) بكسر الميم (ابن الاسود) تبنيا فان أباه غيره (فكلم) بصيغة المجهول أى فشفع عمر (فى ذلك فقال دعونى أقطع لسانه حتى لايشتم أحد بعد) أى بعد ذلك (من أصحاب محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) وحيث منعوه ولم يقروه حتى يفعل لايكون اجماعا فلا يجوز قطع لسان من سب صحابيا وانما أراد عمر تخويفه أو السياسة (وروى أبوذر الهروى ان عمر بن الخطاب أتى باعرابى يهجو الانصار فقال) أى عمر (لولا ان له) أى للاعرابى (صحبة) أى سابقة له عليه الصلاة والسلام

(لكفيتكموه) من شره بما يليق بامره ورواه أيضا محمد بن قدامة المروزى فى كتاب الخوارج عن أبى سعيد الخدرى بسند رجاله ثقاة ذكره الدلجى (وقال مالك من انتقص أحدا من أصحاب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) أى ذكر بعض معائبهم وغفل عن جملة مناقبهم ولم يعرف انهم السابقون فى الايمان ولم يعمهم بالاستغفار والرضوان فليس له فى هذا الفىء) الذى يعم المسلمون (حق) أى حصة ونصيب لانه (قد قسم الله الفىء فى ثلاثة أصناف فقال للفقراء) بدلا من لذى القربى ومابعده وان المبدل منه فى حكم الطرح أو الشامل لهم ولغيرهم (المهاجرين) الى المدينة (الآية) الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون أى فى ايمانهم ومعرفتهم أو فى تصحيح نية هجرتهم (ثم قال والذين) عطفا على للفقراء (تبوؤا الدار) أى سكنوا المدينة واتخذوها دار الوطن والقرار (والايمان) أى واختاروا واخلصوا (من قبلهم) أى قبل هجرة أهل الاسلام اليهم (الآية) أى يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة أى ضرورة ومجاعة (وهؤلاء هم الانصار ثم قال والذين جاؤا من بعدهم) أى من التابعين وأتباعهم الى يوم الدين (يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان) من المهاجرين والانصار خصوصا (الآية) أى ولا تجعل فى قلوبنا غلا أى حقدا وحسدا للذين آمنوا عموما ربنا انك رؤف رحيم فى الدنيا والآخرة (فمن تنقصهم فلا حق له فى فىء المسلمين) بل يخرج عن دائرة المؤمنين لحصرهم فى الاصناف المذكورين (وفى كتاب ابن شعبان من قال فى واحد) وفى نسخة أحد (منهم) اى من الصحابة (انه ابن زانية وأمه مسلمة) جملة حالية (حد عند بعض أصحابنا) المالكية (حدين حدا له وحد الامه) لعله أراد بالاول التعزير مبالغة فى التحذير (ولا أجعله كقاذف الجماعة فى كلمة) نحو يا أولاد الزوانى ويا أبناء الزانيات لغيرهم حيث تتداخل الحدود جملة وذلك الفرق (لفضل) هذا الصحابى (على غيره

صلى الله عليه وسلم (لكفيتكموه) الخطاب لمن عنده من الانصار أو لمن حضره أى لقتلته وكفيتكم شره وهجوه ولكن لشرف صحبته عفى عنه وهذا لم يكن بلغ مرتبة حد القذف ومر ان هذا بناء على ان الامام له أن يبلغ باجتهاده فى التعزير القتل وهو الذى يسميه الفقهاء سياسة وهذا رواه ابن قدامة عن أبى سعيد الخدرى بسند رجاله ثقات (قال) الامام (مالك) وفى نسخة وقال مالك فى رواية عنه (من انتقص أحدا من أصحاب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) أى ذكرهم بما فيه نقص لهم (فليس له فى هذا الفىء حق) وسهم منه أى لا نصيب له فى مال يؤخذ فيئا من الكفار واستدل عليه بقوله (قد قسم الله الفىء فى ثلاثة أصناف) من المسلمين (فقال) فى قسم منه (للفقراء) من المسلمين (المهاجرين الآية) أى الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون أى الذين هاجروا من ديارهم للمدينة لنصرة نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم وابتغاء فضل الله ورضوانه (ثم قال) فى القسم الثانى (والذين تبوؤا الدار والايمان الآية) من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة (وهؤلاء هم الانصار) الذين آووا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ونصروه (ثم قال) فى القسم الثالث (والذين جاؤا من بعدهم) للاسلام من غير المهاجرين والانصار (يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان والآية) ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤف رحيم فهؤلاء يدعون لهم ويستغفرون لهم ويعظمونهم بسبقهم للسعادة فى الدارين (فمن تنقصهم فلا حق له فى فىء المسلمين) لخروجهم عن الاصناف الثلاثة وهذا بناء على ان قوله للفقراء الخ بدل من قوله لذى القربى ومابعده والمبدل منه فى حكم الطرح لا متعلقا بمحذوف أى اعجبوا لهم فى تركهم أموالهم وأهلهم وديارهم لرجاء فضل الله ونصرة دينه ومدح الله لهم بالصدق فى ذلك وللذين تبوؤا الدار والايمان وايثارهم على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة وللذين جاؤا من بعدهم داعين للسابقين وهو على مذهبه من أن الفىء لا يخمس كالغنيمة وعند بعضهم يخمس والكلام فيه مفصل فى كتب الفقه والتفسير والفىء ما أخذ من الكفار من غير قتال فيدخل فيه الخراج والعشر والغنيمة وفيه خلاف هل يخمس أم لا والخمس الذى كان لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يصرفه فى مصالحه اختلف فيه بعد موته على ما فصله الفقهاء (وفى كتاب ابن شعبان من قال فى واحد منهم) أى الصحابة رضى الله تعالى عنهم (انه ابن زانية وأمه مسلمة حد عند بعض أصحابنا) حد القذف (حدين حدا له وحد الامه) قيل فيه تغليب والمراد انه يحد لامه لان الحد حق لها وعزر له وفيه نظر لان قوله (ولا أجعله كقاذف الجماعة فى كلمة) يأباه (لفضل هذا على غيره) أى لزيادة جرمه فالفضل بمعناه اللغوى ومن قذف جماعة بكلمة واحدة حد حدا واحدا عند الاكثر

وللشافعى

ولقوله صلى الله تعالى عليه وسلم من سب أ صحابى فاجلدوه) أى فاضربوه كما فى رواية تقدمت (قال) أى ابن شعبان (ومن قذف أم أحدهم وهى كافرة حد حد الفرية) أى الكذب (لانه) أى قذف أم أحدهم ولو كانت كافرة (سب له) أى لولدها الكريم فيستحق به التاديب الاليم (فان كان أحد من ولد هذا الصحابى) أى أولاده واحفاده (حيا) وأبوه ميتا (قام) مقامه (فيما يجب له) من استيفاء الحد (والا فمن قام به من المسلمين) حسبة فى مرامه (كان على الامام) أونائبه (قبول قيامه قال) أى ابن شعبان (وليس هذا) الحكم المذكور (كحقوق غير الصحابة لحرمة هؤلاء) الصحابة (بنبيهم صلى الله تعالى عليه وسلم) أحياء وأمواتا (ولو سمعه الامام) أى السلطان أو نائبه (وأشهد عليه كان) أى الامام (ولى القيام به) أى بالحد (قال) أى ابن شعبان (ومن سب غير عائشة من أزواج النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) أى بقذف احداهن (ففيها) أى ففى المسئلة أو ففى حقها (قولان أحدهما يقتل لانه سب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لسبه حليلته) وفى نسخة بسبب حليلته وهى زوجته من الحلول وهو النزول لانها تحل معه حيث حل أو هو يحل بها حيث حلت وقيل من الحلال ضد الحرام فيشمل السرية (والآخر انها) أى حليلته (كسائر الصحابة) رجالهم ونسائهم (يجلد حد الفرية) وفى نسخة حد المفترى (قال) أى ابن شعبان (وبالاول) وهو القول بالقتل (أقول) وهذا بعيد عن الاصول فتامل فانه يلزم منه عدم الفرق بين عائشة المبرأة بالكتاب وبين غيرها والله تعالى أعلم بالصواب (وروى أبو مصعب عن مالك فيمن سب من انتسب الى بيت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) من جهة القرابة والنسب المعروف وفى بعض النسخ عن مالك من انتسب الى بيت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أى الى أولاده وظهر انه ليس منهم (يضرب ضربا وجيعا ويشهر) من الشهرة وهو الظهور ومعناه يطاف به فى الاسواق (ويحبس طويلا) من الزمان (حتى تظهر توبته) أى آثارها عند الاعيان (لانه استخفاف بحق الرسول عليه الصلاة والسلام

وللشافعى فيه خلاف (ولقوله صلى الله تعالى عليه وسلم من سب أصحابى فاجلدوه قال) ابن شعبان (ومن قذف أم واحد منهم وهى كافرة حد حد الفرية) أى الكذب لا القذف بناء على انه يشترط فى وجوبه الاسلام (لانه سب له فان كان أحد من ولد هذا الصحابى) الذى سبه (حيا) وقد مات أبوه (قام) مقام أبيه (بما يجب له) أى بطلب حقه الواجب لسبه لانه وارثه فى ماله وحقوقه فليس لغيره حق فى هذه الدعوى (والا) أى وان لم يكن له ولد حى (فمن قام به) أى بطلب حقه ودعواه (من المسلمين) لان لهم طلب مثله (كان) واجبا (على الامام) أونائبه (قبول قيامه) باستماع دعواه والحكم بمقتضاه معاونة ونصرة له (قال) ابن شعبان (وليس هذا) أى استحقاق غير الولد من المسلمين للدعوى بالحد والتعزير (كحقوق غير الصحابة) فانه لا يستحقها غير الوارث (لحرمة هؤلاء) أى الصحابة (بنبيهم صلى الله تعالى عليه وسلم) ففيه حق من حقوق الله يستحقه كل أحد من هذه الامة (ولو سمعه) أى سمع قوله (الامام) أونائبه (وأشهد عليه كان) الامام أونائبه (ولى القيام به) أى كان يتولى الحد واستيفاءه (قال ومن سب غير عائشة من أزواج النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ففيه قولان أحدهما يقتل) كما يقتل من سب عائشة (لانه) بسب زوجه أم المؤمنين (سب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) لتعدى عارهن له (لسبه حليلته) أى زوجته وهى من الحلال لحلها له أو من الحلول لانها تحل حيث حل (و) القول (الآخر) فى غير عائشة (انه) أى سب غيرها (كسائر الصحابة) فيلزمه أن (يجلد جلد المفترى) بناء على ان سبهم فيه ذلك وقتل ساب عائشة لتكذيبه الله ورسوله وللقرآن كما مر (قال) ابن شعبان (و) القول (الاول) وهو القتل (أقول) لاختياره له وقوة دليله عنده (وروى أبو مصعب) أحمد بن أبى بكر القاسم ابن الحارث بن زرارة بن مصعب بن عبد الرحمن الزهرى المدنى القاضى قاضى المدينة كما تقدم (عن مالك فى) حق (من انتسب الى آل بيت النبى صلى الله عليه وسلم) بقرابة أو ولاء وقيل أو صحبة (يضرب ضربا وجيعا) نكالا له وردعا لامثاله منهم (ويشهر) بالتخفيف أى يطاف به فى الاسواق ليعلم الناس حاله ويشتهر ضلاله لئلا يقتدى به غيره (ويحبس) حبسا (طويلا) مدته (حتى تظهر توبته) فاذا ظهرت أطلق (لانه) أى ما فعله (استخفاف بحق الرسول صلى الله عليه وسلم) فيجب عقوبته لذلك وحاصل قوله من انتسب الى هنا ان من ادعى انه من أهل البيت وهو ليس منهم وأثبت له انتسابا لهم يستحق النكال والتشهير وقد ورد فى الحديث أنه صلى الله عليه وسلم قال أيما رجل دعى الى غير أبيه فقد كفر وهذا يدل على عظيم هذا وانه يشدد فيه وقد كثر هذا فى زماننا هذا وتساهل الناس فيه ودخلوا فى هذا النسب الطاهر وادعاه كثير من الاشرار وتسارع القضاة بذلك الى اثبات الانساب وجعلوا له علامة كما قيل

جعلوا الابناء الرسول علامة ✻ ان العلامة شان من لم يشهر

وأفتى أبو المطرف الشعبي فقيه مالقة) بفتح اللام والقاف وقال التلمسانى فاعلة بلدة بالعدوة أعادها الله تعالى دار اسلام (فى رجل أنكر تحليف امرأة) وجه عليها يمين وأريد تحليفها (بالليل) لكونها مخدرة فامتنع الرجل عن تحليفها بالليل (وقال لو كانت بنت أبى بكر الصديق) أى فرضا وتقديرا (ماحلفت) وفى نسخة بصيغة المجهول (الا بالنهار وصوبه بعض المتسمين

بالفقه) أى المتصفين به نظرا الى انه أراد المبالغة فى النفى لا الاهانة كما ورد عنه صلى الله تعالى عليه وسلم فيمن شفع لسارقة حيث قال له لو كانت فاطمة لقطعت يدها وذلك لانه سبحانه وتعالى عم الحكم بين الخاص والعام فى قوله تعالى والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما ولا تجوز الشفاعة فى الحدود (فقال أبو المطرف ذكر هذا) الكلام (لابنة أبى بكر فى مثل هذا) المقام (يجب عليه) به (الضرب الشديد والسجن الطويل) أى الحبس المديد (والفقيه الذى صوب فتواه أحق باسم الفسق من اسم الفقه فيتقدم اليه فى ذلك ويزجر) وفى نسخة ولا يؤخر (ولا تقبل فتواه ولا شهادته) وهذا من المجازفة فى الكلام فان غايته انه أخطأ فى فتواه والمجتهد قد يخطئ ولا يفسق ولا ترد شهادته بالاجماع (وهى) أى فتواه (جرحة) بضم الجيم فيه أى طعنة (ثابتة فيه ويبغض فى الله) أى لاجل رضاه وهذا كله نشأ من خطأ نفس أبى المطرف ومتابعة هواه ومن عدم الاطلاع على الحديث الذى قدمناه

نور النبوة فى كريم وجوههم * يغنى الشريف عن الطراز الاخضر

(وأفتى أبو المطرف) بضم الميم وفتح الطاء وكسر الراء المشددة المهملتين وفاء (الشعبى) بفتح الشين المعجمة وسكون العين المهملة وباء موحدة وياء نسبة مشددة (فقيه مالقة) بزنة فاعلة اسم فاعل بلدة مشهورة بالمغرب بيد النصارى الآن أعادها الله للاسلام (فى رجل أنكر) على بعض القضاة (تحليف امرأة) مخدرة ادعى عليها بحق شرعى فامرها أن تحلف عنده (بالليل) سترا لها (وقال) من أنكر تحليفها ليلا (لو كانت) المرأة (بنت أبى بكر الصديق) رضى الله تعالى عنه (ما حلفت الا بالنهار) حتى يسوى بينها وبين غيرها (وصوب) ماض مشدد الواو أى عد (قوله) هذا صوابا وهو انكاره تحليف النساء المخدرات ليلا (بعض المتسمين) أى المتصفين (بـ) معرفة (الفقه فقال أبو المطرف) فقيه مالقة (ذكر هذا) المنكر تحليف النساء ليلا (لابنة أبى بكر) الصديق رضى الله تعالى عنهما (فى مثل هذا) الامر الذى سوى بها غيرها من النساء (يوجب عليه) شرعا التعزير البليغ و(الضرب الشديد والسجن الطويل) لجرأته على بنت خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأم المؤمنين فان المتبادر منها عند الاطلاق عائشة رضى الله تعالى عنها وان كان له غيرها (والفقيه الذى صوب قوله) فى الانكار المذكور (هو أحق) وأولى (باسم الفسق) أى وصفه بانه فاسق وجعل فقهه الذى ادعاه فسقا أحق بالقبول (من) اطلاق (اسم الفقه) عليه (فيتقدم اليه) أى يبرز لمخالفته وتفسيقه بما قاله (فى ذلك) المقال الذى قاله (ويزجر) ويوبخ على ما قاله (ولا تقبل فتواه) التى أفتى بها (ولا شهادته) بتصويب ما قاله ذلك الفاسق الذى ظنوا فقهه فقيها (وهى) أى فتواه لتصويبه لمقالته هذه (جرحة) فعلة بالضم من الجرح المقابل للتعديل أى قوله هذا جارح له مسقط له من العدالة فلا يقبل ما قاله (ثابتة فيه) مسجلة عليه الجرح وعدم العدالة (ويبغض) مضارع بزنة يكرم المجهول بغين وضاد معجمتين معطوف على قوله يتقدم أى نظهر بغضه وعداوته (فى الله تعالى) عز وجل اهانة له وتركا لمقاله وهذا آخر كلام أبى المطرف كما نقله عنه السبكى فى فتاويه وقال الغرض من هذا كله انه فاسق مرتكب لكبيرة عظيمة لا مخلص له منها بسبيل الى العدالة ومن كان بهذه الصفة لا تقبل شهادته قطعا ومن تخيل ان لقبول شاب الصحابة وجها وتأويلا فليعلم ان هذا وان كان فاسدا فالشيخان خارجان عن ذلك اذ تأويلهم انما هو فيمن خاض الفتن ولابس قتل عثمان وقاتل عليا والشيخان بريئان من ذلك قطعا ولذلك جرى الخلاف فى تكفير سابهما وساب عثمان وعلى دون غيرهم من الصحابة انتهى واذا عرفت ان ما ذكره المصنف رحمه الله تعالى عبارة أبى المطرف فالمقصود منه ان السلف كانوا يحافظون على مقام الصحابة ويمنعون الجرأة عليهم ولذا نقله السبكى ولم يتعقبه فما قيل عليه من انه غير مسلم لان انكاره التحليف ليلا له وجه لان اليمين قد يقصد تغليظها ومن تغليظها اظهارها بين الناس حتى قيل قد تحلف بعد عصر الجمعة فالاخفاء لم يعهد شرعا وأيضا قوله لو كانت بنت أبى بكر ليس فيه ذكر لعائشة فله بنت أخرى وفيه أسماء ولو سلم تبادرها فليس فيه تحقير لها بل هو تعظيم لها لادعاء انها فى أعظم مراتب الشرف حتى لو كانت هذه مرتبتها لم تحلف والعرف قاض بهذا وبه أفتى بعض الفقهاء كالسبكى وابن أبى شريف فقال السبكى وغيره لو قال لو جاءنى لهذا الامر جبريل أو رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما فعلته انه تغليظ

فيه تعظيم للمشبه به وان له مرتبة لا يصل اليها أحد ولو وصل لها هذا حكم عليه أيضا لان الاحكام لا تختلف
بشريف ولا وضيع ومثله ما ورد في الحديث لو سرقت فاطمة بنت محمد قطعتها وقد علمت الجواب عنه
وكون مثله للتعظيم يعلم من السياق واذا كان كذلك فقد يؤخذ من السياق غيره ولذا قال المصنف (وقال
أبو عمران في رجل قال لو شهد علي أبو بكر) حذف الجواب لظهوره وعدم القصد له هنا (انه) أي الشان
أو القول المذكور (ان كان) مراده ان شهادته (في مثل هذا لا تجوز) ولا تكفي وحدها (بهذا الشاهد
الواحد) لان شهادة رجل واحد لا تقبل مطلقا وما في قصة خزيمة مؤول كما تقدم (فلا شئ عليه) من تعزير
وغيره لانه لا يشعر باهانة ولا تنقيص (وان أراد غير هذا) مما يقتضي الاهانة بقرينة سوق الكلام
(فيضرب ضربا) بليغا (يبلغ به حد الموت) أي يوصله ذلك الضرب الى مرتبة الموت لذكره من هو أفضل
الخلق بعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في مقام لا يليق به فهذا اشعر بان مثل هذه العبارة قد
يكون فيها نوع من الاهانة والحقارة (وذكروها رواية) وكون الشاهد الواحد لا يقبل ليس على اطلاقه
فقد ذكر الفقهاء مسائل تقبل فيها شهادة واحد ليس محل تفصيلها هنا كما وقع في بعض الشروح فانه
تكثير للسواد ليس في محله * (تنبيه) * في الخصائص الكبرى للسيوطي أخرج الطبراني عن أبي امامة
انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال أربعة يؤتون أجرهم مرتين أزواجه أمهات المؤمنين فقيل في الآخرة
وقيل أحدهما في الدنيا والآخر في الآخرة واختلف في مضاعفة عذابهن فقيل عقاب في الدنيا وعقاب
في الآخرة وغيرهن اذا عوقب في الدنيا لا يعاقب في الآخرة لان الحدود كفارات وقال مقاتل هذان في
الدنيا وقال ابن جبير وكذا عذاب من قذفهن يضاعف في الدنيا فيجلد مائة وستين وفي الشفاء انه خاص
بغير عائشة لانه بها يقتل وقيل يقتل من قذف واحدة من سائرهن وقال في التلخيص قال تعالى لئن
أشركت ليحبطن عملك وعمل غيره انما يحبط بالموت على الكفر انتهى وقد تقدم الكلام عليه وعلى
ما في كلام أبي عمران وكذا يعطى أجره مرتين من توضأ مرتين ومن قرأ القرآن وهو عليه شاق والمجتهد
اذا أصاب والمتصدق على قريبه والمرأة على زوجها ومن عمر جانب المسجد الايسر لقلة أهله والغني
الشاكر ومن سن سنة حسنة ومن صلى بالتيمم ثم وجد الماء فأعاد والجبان ومن اشترى أمة فادبها
فاحسن تاديبها ثم أعتقها وتزوجها وكتابي آمن بنبيه ثم بمحمد صلى الله عليه وسلم ومن صلى في الصف
الثاني أو الثالث مخافة ان يؤذي مسلما والامام والمؤذن ومن طلب علما فادركه الموت ومن أسبغ
الوضوء في البرد الشديد ومن دنى من الخطيب فاستمع وانصت ومن غسل يوم الجمعة واغتسل ومن
قتله أهل الكتاب وشهيد البحر ومن حافظ على صلاة العصر ومن استمع لقراءة القرآن وسرية
خرجت للغزو فرجعت وقد أخفقت أي رجعت ولم تغنم ومن قتله سلاحه ومن توضأ بعد الطعام ومن
يعمل العمل سرا فاذا اطلع عليه أعجبه قال الترمذي فسره بعض أهل العلم بان يعجبه ثناء الناس عليه
بالخير لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم أنتم شهداء الله في الارض لا للاكرام والتعظيم وقال بعضهم اذا
اطلع عليه فاعجبه رجاء ان يعمل بعمله فيكون له مثل أجورهم ومن كان موفقا في وقت الفساد ومن
تصدق في يوم الجمعة ومن عمل فيه خيرا مطلقا ومن أتى الى الجمعة ماشيا ومن تبع الجنازة ماشيا ومن
صلى على جنازة وتبعها حياء من أهلها فيحصل له أجر صلاته على أخيه وأجر صلاته للحي ومن قرأ في
المصحف ومن قرأ القرآن فاعربه والمراد باعرابه معرفة معاني ألفاظه وليس المراد بذلك المصطلح
عليه في النحو وهو ما يقابل اللحن لان القراءة مع فقده ليست قراءة ولا ثواب فيها ومن سارع الى خير
ماشيا حافيا ثم ختم المصنف رحمه الله كتابه بقوله (قال القاضي أبو الفضل) عياض مصنف هذا الكتاب
رحمه الله تعالى (هنا انتهى) أي تم وبلغ نهايته (القول بنا) أي القول المتعلق بنا فيما قصدناه من هذا

(وقال أبو عمران) أي القابسي (في رجل قال لو شهد علي أبو بكر الصديق) حذف سببه وجوابه لظهورهما عنده (انه) أي الشان (ان كان) أي القائل (أراد ان شهادته) في مثل هذا الحكم) وفي نسخة في مثل ما أي حكم أو الحكم (لا يجوز فيه الشاهد الواحد فلا شئ عليه) وهو ظاهر كلامه ومرامه من المبالغة (وان كان اراد غير هذا) المعنى الذي ذكر مما يقتضي اهانته فرضا (فيضرب ضربا) اي شديدا (يبلغ به) بصيغة المجهول اي يوصل بضربه (حد الموت) او يبلغ هو بالضرب الموت وفي أصل الدلجي وذكروها أي مقالة أبي عمران روايه عن مالك أو غيره من أصحابه وهذا رد على أبي المطرف في شدة جوابه (قال القاضي ابو الفضل) وهو المؤلف (هنا انتهى القول بنا

فيماحررناه) أي قدمناه وقررناه (وانتجز) بالنون والجيم والزاي اى تم (وانقضى الغرض الذى انتحيناه) بالحاء المهملة أى قصدناه وملنانحوه واعتمدناه (واستوفى) بصيغة المجهول أى استكمل (الشرط الذى شرطناه) فيما اوردناه من الاقسام الاربعة التى اردناها (مما ارجو ان يكون) وفى نسخة ان بتشديد النون اى الشان (فى كل قسم منه للمريد) اى لمن يريده (مقنع) يقنع به ويرضاه ويكتفى به عما سواه (وفى كل باب منهج) اى طريق واسع (الى بغيته) بكسر اوله ويضم اى طلبته وحاجته (ومنزع) اى حجة لمن يحتج به فى قضيته (وقد سفرت) بفتح الفاء للمتكلم اى كشفت واوضحت فيه (عن نكت) جمع نكتة وهى حكمة دقيقة (تستغرب وتستبدع) اى تعد غريبا وبديعا عجيبا لقلة استعمالها ودقة احوالها (وكرعت) اى وشربت شربا خاصا حيث تناولت من الحوض شربا بما حصل لى من التوفيق (فى مشارب من التحقيق) اى التحرير بالتدقيق (لم يورد لها قبل) أى لم يذكر لها قبل ذلك (فى أكثر التصانيف مشرع) أى مورد به ينتفع (وأودعته) أى ضمنته (غير ما فصل) ما صلة للمبالغة فى الكثرة والمعنى أودعته فى فصول كثيرة وأغرب الانطاكى (يفيدنيه) فى قوله أى غير فصل واحد وهذا الفصل هو الذى حكى القاضى المؤلف فيه ما وقع من الزنادقة وأهل الاهواء الضالة بعض الالفاظ الشنيعة (وددت) بكسر الدال الاولى أى أحببت وتمنيت (لو وجدت من بسط قبلى والكلام فيه أو مقتدى) وفى نسخة أو مفيدا

التاليف (فيما حررناه) أى كتبناه محررا مهذبا من الباعث على هذا التاليف (وأنجزنا) أى تممنا من انجاز الوعد الذى وعدنا بتمامه فى أول الكتاب وفى نسخة انتجزنا افتعال من النجاز وهو التمام (الغرض) بمعجمتين أى المطلوب (الذى انتحيناه) بحاء مهملة أى قصدناه فى تاليفنا هذا فى ذكر حقوق المصطفى كما تقدم فى التراجم وأتى بصيغة التفعل لزيادة قصده والغرض أصله كما تقدم الذى يرمى له السهام ثم عبر به عن كل مقصود وبينه وبين الفائدة عموم وخصوص مطلق وصوب بعضهم انه وجهى فتنفرد الفائدة فى ثمرات أفعال الله بناء على انها لا تسمى غرضا وينفرد الغرض فيما لو قصد بامر ما لا يترتب عليه خطا واجتماعهما ظاهر غنى عن البيان (واستوفى) أى كمله وأتى به وافيا (الشرط الذى شرطناه) فيما بينه أول الكتاب واستوفى مبنى للفاعل وجوز كونه للمفعول والضمائر لما (مما أرجو) أى أؤمل من الرجاء بمعنى الامل ويكون فى غير هذا المحل بمعنى الخوف أيضا مع النفى كقوله لا ترجون لله وقارا (ان يكون فى كل قسم منه) أى مما حررته (للمريد) الطالب لهذه المقاصد (مقنع) مفعل بالفتح من القناعة أى كفاية وهو اسم مكان أو مصدر ميمى والمراد بالمريد من يطلب الوقوف على معرفة مقدار النبوة وحقوقها وعبر بالمقنع اشارة الى انه لا يمكن الوصول الى حقيقتها المغنية والا فالطالب يقنع بمقدار منها فلله دره (وفى كل باب) من أبوابه أى كل جملة ونوع من أنواعه وهو فى العرف جملة من المسائل يرتبط بعضها ببعض بحيث تعد أمرا واحدا (منهج) هو كالمنهاج الطريق الواضح (الى بغيته) بكسر الباء وضمها وغين معجمة وهى المطلوب (ومنزع) بفتح الميم والزاى المعجمة بينهما نون ساكنة محل النزع أو النزاع فهو اما بمعنى مخرج يخرج اليه أو محل أحبابه الذى يشتاق اليه من نزع الى أهله ووطنه اذا اشتاقه أو من نزع السهم اذا جذبه ليرميه فالمقصود انه يجد مايرومه طلبه فيه (وقد سفرت فيه) أى كشفت وبينت فى هذا الكتاب بما حررته وجمعته فيه وأزلت الحجاب (عن نكت) جمع نكتة وهى الامر الدقيق المستخرج بالفكر (تستغرب) أى تعد غريبة نادرة (وتستبدع) أى تعد بديعة غير مسبوقة بالمثل فى جنسها ولو اقتصر على قوله تستغرب ربما يتوهم ان غرابتها لعدم ألف الطباع لها اذ ليس كل مستغرب مستبدع فلله دره (وكرعت) أى احتوت بدخولها ووصولها (فى مشارب) أى مطالب ومقاصد (من التحقيق) أى بيان الحق المتيقن المتقن الثابت (لم يورد) بناء المجهول أى يذكر (لها قبل) أى قبل هذا الكتاب (فى أكثر التصانيف) التى صنفت فى هذا الباب (مشرع) أى محل يستفاد منه مثلها هذا هو المراد وتحقيقه ان الكرع فى الاصل شرب الدواب بفيها من الماء لانها تدخل أكارعها فيه والورود والذهاب للشرب ضد الصدر والمشرع محل الماء المورود كالمنهل والمورد والشريعة النهر ونحوه فالكل هنا استعارة تمثيلية بتشبيه المسائل المطلوبة بما ينتفع به العطاش وتشبيههم ثانيا بسبيل لهم حاجة له وتشبيه الصحف بموارد أنهار يحط عندها الرحال وهذا أبلغ من جعلها استعارات تصريحية أو مكنية مخيلة مرشحة ولكل وجهة فلله دره (وأودعته) أى جعلته فيه كأنه وديعة (غير ما فصل) أى فصولا كثيرة وما مزيدة لتاكيد الكثرة (وددت) أى تمنيت من الود وهو المحبة والصداقة ثم استعير للتمنى وهو المراد كقوله ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين (لو وجدت من بسط) أى بين وشرح من غير اختصار فيه (قبلى الكلام فيه) أى فى بيانه مستوفى (أو وجدت (مقتدى) أى أحدا من أئمة العلماء المتقدمين وفى نسخة مفيدا بالفاء من الفائدة

(يفيدنيه) أي استفيده منه اما (عن كتابه) الذي صنفه في هذا الغرض (أوفيه) أي أسمعه من تقريره لي بفيه (لاكتفي بما أرويه عما أرويه) أرويه الاول مضارع بفتح الهمزة وسكون الراء المهملة وكسر الواو المخففة ثم ياء مثناة تحتية وفاعله ضمير مستتر للمتكلم والثاني بضم الهمزة وكسر الواو المشددة بعد راء مهملة مفتوحة أي أروي ما سمعته من فيه أو آخذ من كتابه ومعنى الثاني أجل غيري على روايته عني أي اكتفي بالاول عن الثاني وفيه تجنيس بديع وقوله يفيدنيه باتصال الضميرين جواز او ظاهر كلام سيبويه ان الاتصال في مثله لازم واختار ابن مالك الاول كما بين في كتب النحو يعني ان بيان حق المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم وما يجب له أمر واجب لم أر من وفاه حقه فوجب على بيانه ولله دره رحمه الله فانه قام بامر عظيم لم يقم به غيره وفسر بعضهم أرويه المشدد بافكر فيه وأعمل برويتي فيه من رويت في كذا وترويت اذا أعملت النظر والفكر فيه وما ذكرناه هو المروي وجوز بعضهم في أرويه الثاني ضم الهمزة وسكون الراء المهملة من أرواه المزيد وهو بمعنى حمله على الرواية أيضا (والى الله تعالى) وحده لا الى غيره كما يفيده تقديم الجار على متعلقه (جزيل الضراعة) الضراعة بمعنى التذلل والخضوع والجزيل الكثير القوي وهو صفة معنى الضراعة الجزيلة وهو دعاء (في المنة) أي الانعام والاحسان (بقبول ما) حصل (منه) بفضله وكرمه (لوجهه) الكريم أي ما فعله خالصا لله لا رياء للناس كما أشار اليه بقوله (والعفو) معطوف على المنة أي وفي العفو (عما تخلله) أي وقع في خلال كلامه وبين أجزائه في أثناء فصوله التي ذكرها في كتابه هذا (من تزين) أي اظهار ما فيه زينة وحلية (وتصنع) أي تكلف صنعة في كلامه كالسجع والالفاظ التي قصد تحسينها مما يخشى ان يكون ذلك رياء منه بقصد التبجح بقدرته على الكلام البليغ (لغيره) أي لغير الله بل لاجل من يمدحه من الناس وهو دعاء طلب به من الله أن يرزقه الاخلاص في تاليف هذا الكتاب وان يصونه عن الرياء فيما حسنه من كلامه وزينه من عباراته (وان يهب لنا ذلك) أي ما وقع فيه التزين والتصنع مما فيه شائبة رياء وهبته مجاز عن التجاوز عن المؤاخذة به لئلا يحبط ما صنعه (بجميل كرمه وعفوه) عنه ان وقع رياء لغيره (لما أودعناه) أي عفوه عما ذكر لاجل ما أوردفي كتابه هذا (من شرف مصطفاه) أي رسوله الذي اختاره لرسالته وتبليغ أمانته (وأمين وحيه) الذي ائتمنه على تبليغه لخلقه فان الحسنات يذهبن السيآت وحاصله انه خشي من أن يخالط عمله رياء يحبطه فرجا من الله أن يعفو عنه ان كان والرياء اذا خالط العمل هل يحبطه أم لا فيه خلاف وصحح بعضهم انه ينظر فيه للباعث عليه والاغلب فيه فان غلب اخلاصه وكان هو الباعث له لم يحبط شئ من عمله والا حبط وهذا هو الذي عليه المحققون وله تفصيل في كتب القرافي والعز بن عبد السلام هذا محصله (و) أن يغفر لنا ذلك لاجل ما قاسيناه في تحصيله وتاليفه و (أسهرنا به) أي تركنا النوم والراحة فلم نغمض (جفوننا) جمع جفن وهو غطاء العين أضاف له السهر لتوقفه عليه (لتتبع فضائله) التتبع هو التبقية أريد به التفتيش والبحث عن فضائل المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم من كتب القوم واعمال الفكر فيها (وأعملنا) أي شغلنا وأتعبنا (فيه خواطرنا) جمع خاطر وهو كما في الاساس ما يتحرك في القلب من رأي أو معنى يقال خطر على بالي وببالي (من ابراز) أي اظهار (خصائصه) أي ما خصه الله به دون غيره مما يجب أو يباح أو يحرم (ووسائله) أي ما يتوسل به الى الله مما قربه اليه أو ما أكرمه به يوم القيامة كالشفاعة العظمى والحوض ولواء الحمد وغيره مما تقدم تفصيله والكلام عليه (ويحمي) أي يصون (اعراضنا) جمع عرض وهو بكسر فسكون وضاد معجمة والمراد به أبداننا فان العرض يطلق على هذا وعلى ما يصونه ويحميه من صفاته وادعى بعض أهل اللغة انه حقيقة في الاول دون الثاني وفيه كلام في كتب اللغة (عن ناره الموقدة) التي يعاقب بها من عصاه (بحمايتنا)

المركب والمتشابه (لاكتفي بما أرويه) من الرواية أي أخبره (عما أرويه) من التروية وهو تجنيس محرف وأغرب الانطاكي في قوله هو من رويت الحبل اذا غلظت قواه وهو كناية عن بسط الكلام فيه (والى الله تعالى) لا الى غيره (جزيل الضراعة) أي كثير الخضوع والخشوع والاستكانة (في المنة) أي في طلبها أو قبولها (بقبول ما منه) أي بقبول شئ وقع من عنده لطفا (لوجهه) فضلا (والعفو) بالرفع (عما تخلله) أي تداخل في خلاله مما يخل بكماله (من تزين) أي تكلف (وتصنع لغيره) أي لغير وجهه سبحانه من رياء أو سمعة أو حظ نفس وشهوة (وان يهب لنا ذلك) أي على تقدير تقصير هنالك (بجميل كرمه وعفوه لما أودعناه) أي لاجل ما أوردناه فيه وبيناه (من شرف مصطفاه وأمين وحيه وما) أي ولاجل ما (أسهرنا به) أي بسببه (جفوننا) أي عيوننا (لتتبع فضائله) ونشر شمائله (وأعملنا) أي أتعبنا وعالجنا (فيه خواطرنا) أي عقولنا وسرائرنا (من ابراز خصائصه) أي اظهارها (ووسائله) التي يتوسل بها الى أغراضنا (وأن يحمي أغراضنا) أي أرواحنا وأشباحنا الموجدة (عن ناره الموقدة) التي تطلع على الافئدة (بحمايتنا

أي صيانتنا (كريم عرضه) أي عرضه الكريم أي المكرم المحترم عند كل مسلم والعرض هنا بمعناه المعروف (ويجعلنا ممن لا يذاد) بضم المثناة التحتية وذال معجمة وألف بعدها دال مهملة أي يطرد (إذا ذيد) مبني للمجهول بذال معجمة مكسورة ودال مهملة بينهما تحتية ساكنة أي طرد وصد (المبدل) أي الذي بدل دينه بردة ونحوها (عن حوضه) المورود يوم القيامة يوم الحسرة والندامة وهو تلميح وإشارة لما ورد في الحديث من أنه صلى الله تعالى عليه وسلم ينادي بعض العطاش في القيامة من القيامة فيمنعون عنه فيقول ما بالهم طردوا فيقال له إنك لا تدري ما فعلوا بعدك إنهم بدلوا دينهم وبه استدل بعض الرافضة على تكفيرهم لبعض الصحابة فطلب من الله أن يحميه عما يبدل دينه حتى لا يكون من المطرودين عن الحوض وهذا الحديث في صحيح مسلم وغيره ولفظ الذي في مسلم أنه صلى الله تعالى عليه وسلم أغفى إغفاءة ثم رفع رأسه متبسما فقال أنزل علي الليلة سورة وقرأ إنا أعطيناك الكوثر الخ وقال هل تدرون ما الكوثر قلنا الله ورسوله أعلم قال نهر أعطانيه ربي عليه خير كثير ترده أمتي يوم القيامة تختلج العبد منهم أي تجذبه الملائكة وتدفعه فأقول يا رب إنه من أمتي فيقال إنك لا تدري ما أحدث بعدك وفي رواية ما زالوا بعدك مرتدين على أعقابهم قال القرطبي رحمه الله تعالى قالوا كل من ارتد أو أحدث ما لا يرضاه الله فهو من المطرودين عن الحوض وأشدهم طردا من خالف جماعة المسلمين كالخوارج والظلمة وأهل الجور فهذا صريح في أن طردهم عن الحوض على ظاهره وقول ابن حجر رحمه الله تعالى إنهم طردوا ليرشد كل أحد إلى حوض نبيه يأباه ما صرح به في الروايات الأخرى وهذا غير مناف لما ورد من أنه صلى الله تعالى عليه وسلم تعرض عليه أعمال أمته في البرزخ لأنه قد ينسى أو يراد إظهار ما عملوه على رؤوس الأشهاد ونحو ذلك (ويجعله لنا) يعني نفسه ومن أخذ عنه (ولمن تهمم) أي اعتنى وتقيد (باكتتابه) أي كتابته (واكتسابه) أي تحصيله بأي طريق كان (سببا) أي وسيلة موصلة (يصلنا بأسبابه) أي طرقا موصلا للأمور الموصلة لقرب الله ورضاه (وذخيرة) أي أمرا مدخرا وعدة (نجدها يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا) أي تجد أعمالها حاضرة عندها وهو تجوز عن حضور صحفها أو ظهورها بشهادة الأعضاء ونحوها لأن الأعمال أعراض لا تعاد وتجسم وذهب بعضهم إلى أن الأعمال تتجسم حتى تشاهد وإليه ذهب بعض العلماء وللجلال السيوطي فيه رسالة أقام فيها أدلة على ذلك والله على كل شيء قدير وعبر باسم المفعول لأن الفاعل معلوم إذ لا يحضرها إلا الله (نحوز بها) أي نحصل بالأعمال الصالحة إذا أحضرت (رضاه وجزيل ثوابه) كما وعده من لا يخلف الميعاد (ويخصنا) أي يميزنا بما عملناه من العمل الصالح (بخصيصى زمرة نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وجماعته) أي أتباعه من أمته وخص يتعدى بالباء وتدخل على المأخوذ كما هنا وعلى المتروك والكلام فيه مشهور والزمرة والجماعة متقاربان وخصيصى بكسر الخاء المعجمة وكسر الصاد المهملة المشددة ثم مثناة تحتية وصاد مهملة وألف مقصورة وتمد كما في القاموس وغيره وهو مصدر بمعنى الاختصاص وهو الذي جزم به السيوطي وقيل إنه مثنى خصيص بوزن صديق وإليه ذهب السخاوي وغيره وفسره بأبي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما ولما قرأه بالتثنية الشيخ برهان الدين النعماني في الدرس بين يدي المحيي الكافيجي بالشيخونية والجلال حاضر رده وقال إنه خطأ فلم يقبله وقال إنه هو الصواب فكتب إليه بعد ذلك ما صورته بعد البسملة الحمد لله الذي محن العلماء والأشراف بمعاندة الجهال والأطراف والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه أولي الفضل والإنصاف وبعد فقد قرأ بعض العوام في آخر كتاب الشفاء قوله ويخصنا بخصيصى الخ بسكون الياء بصيغة التثنية المحذوفة النون

(كريم عرضه عليه السلام) من الكلام المترتب عليه السلام (ويجعلنا) أي الله سبحانه وتعالى (ممن لا يذاد) بضم أوله من الذود وهو الصرد أي ممن لا يدفع ولا يمنع (إذا ذيد) مجهول ذاد أي طرد (المبدل) لدينه بعد موت نبيه (عن حوضه ويجعله) أي وأن يجعل هذا المؤلف وما يتبعه من المصنف (لنا) معشر المسلمين الحاضرين (ولمن تهمم) أي اعتنى واهتم (باكتتابه واكتسابه) ولو بشرائه (سببا) أي وسيلة (يصلنا بأسبابه) التي لا انفصام لها في بابه (وذخيرة) أي نتيجة مدخرة محفوظة عنده سبحانه وتعالى (نجدها) حاضرة (يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا) ينفعها في يوم الجمع محضرا (نحوز) أي نظفر ونفوز (بها رضاه وجزيل ثوابه) الذي هو اقاه (ويخصنا بخصيصى) بكسر الخاء وتشديد الصاد المكسورة وفي آخره ألف مقصورة قال التلمساني ويمد وهو غلطا مصدر بمعنى الخصوصية وقيل اسم مبالغة في التخصيص أي بمن هو من خواص (زمرة نبينا وجماعته

فقلنا

فقلنا له انما هي خصيصي بالف التانيث المقصورة واقمنا له العذر في ذلك بكونه رآها مرسومة بالياء فظن انها ياء وادعى انها رواية وكذب في ذلك وادعى ان ذلك هو الصواب وان المراد بالخصيصين أبو بكر وعمر رضي الله عنهما وأقول ما ادعاه باطل رواية ولغة ومعنى اما الرواية فان الذي تلقيناه من المعتبرين وضبطه من يرجع اليه في النقل انه بالف لاغير كما نبه عليه البرهان الحافظ الحلبي في شرحه للشفاء وشيخنا الامام تقي الدين الشمني في حاشيته عليه وكذلك قرأناه عليه وسمعناه من غيره واما اللغة فقال الجوهري في الصحاح والقاموس والمجمل خصه بالشئ خصا وخصوصا وخصوصية بالفتح وخصيصى ويمد فهؤلاء أئمة اللغة قالوا خصيصي بالالف المقصورة مصدر خصه ولم يقل أحد منهم ان خصيص سمع مصدرا ولا صفة وأصرح منه ما في ديوان الادب للفارابي في باب فعيل انه سمع فيه خمسة ألفاظ شرير صاحب شر جدا وقسيس ورجل ضليل ضال جدا وتنين ضرب من الحيات ورجل عنين ثم ذكر خصيصي وأخواته ولم يذكر خصيص وبابه سماعي لا يقاس عليه كما هو مقرر عند أهل العربية واما بطلانه معنى فلان المقصود من الكلام المصدر لا الوصف والمراد ان يخصنا بهذه الخصوصية وهو أن يكون من جملة الجماعة المنسوبين الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والزمرة الداخلين تحت لوائه وليس المراد الاختصاص بالذوات وهذا لا يخفى الا على جاهل بليد وايضا لو كان خصيصي مثنى مضافا وجب ان يضاف الى اثنين متغايرين وليس بعده الا زمرة وهي جماعة بمعنى واحد وما فسر به كلام مغلط صراح يضحك منه السامع ويفرح به العدو ويغتم الصديق وأي معنى لقوله ويخصنا بابي بكر وعمر والاختصاص منه انما يكون بالمعنى لا بالذوات فليتامل المنصف هذا الكلام فانه لا يساوي مثقال ذرة والله أعلم انتهى ما قاله السيوطي ملخصا وارسله لعلماء عصره واستفتاهم وطلب منهم بيان الصواب فقال السخاوي في فتاويه في الحديث ان ممن استفتاه العلامة الاميني الاقصري فكتب بتصويب ما قاله البرهان وقال ان انكاره بغير موجب ومعناه صحيح فلا وجه لانكاره وكتب الشمس البامي ان الذي سمعناه من مشايخنا قديما وحديثا وقرئ عليهم ان هذه اللفظة مثناة والمعنى عليها فلا يحل لاحد انكارها فمن أنكرها وصوب غيرها في الحقيقة مسيء على القاضي عياض فيؤدب على اساءته على العلماء وكتب الفخري عثمان الديمي مثله وكذا الشيخ قاسم الحنفي وقال ان التثنية لا تمتنع رواية ودراية اما الرواية فلانها الثابتة في الاصل المعتمد المقابل مع الحافظ الذي صححه عبد الحميد اليمني في حاشيته عليه وقرئ ذلك على ابن حجر وناهيك به فمن نسب قائله الى الكذب فهو كذاب يستحق التاديب كذا قال السخاوي في فتاويه ثم قال انه سئل عنه مرة أخرى فاجاب بان التثنية ثبتت دون غيرها كما قاله التاج اليمني وشهد له تاج الدين السبكي بانه الذي يروي فيروي كل ظمآن ويبدي فوائد شجرة الايمان وهو الثابت في الاصول المعتمد عليها ومما يتعجب منه انه استدل بما في ديوان الادب لاقتصاره في فعيل على خمسة ألفاظ مع وجود ألفاظ غيرها واذا تقرر هذا فالتثنية في كلام القاضي بالنظر لشيئين وهما الزمرة الشاملة لجميع من أتبع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من الصحابة وغيرهم الى يوم القيامة والجماعة الذين هم الصحابة خصهم بعد دخولهم في العموم لشرفهم فكأنه سأل الله ان يخصه باقتفاء طريق الخواص من أصحاب نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم ومن سائر أمته وهو كقول القائل هب لنا ما وهبته لاوليائك وأحبابك ويجوز أن يكون سال ان يخص بخصيصي هذه الامة وهما أبو بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما حسبما ورد في حديث ضعيف رواه الطبراني في الكبير عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان لكل نبي خاصة من أصحابه وان خاصتي أبو بكر وعمر رضي الله عنهما أخرجه البيهقي رحمه الله تعالى في الفضائل ولا يكون من خواصهما

وان يحشرنا فى) وفى نسخة مع (الزغيل) أى الجمع (الاول) من أهل السعادة فى الازل وهم علماء أهل السنة والجماعة وقيل هم الزمرة
الاولى التى تدخل الجنة بغير حساب فيكون قوله (وأهل الباب الايمن) الذى هو الاحسن والازين (من أهل شفاعته) من قبيل
عطف التفسير فقد ورد فى حديث الشفاعة ادخل من أمتك من لا حساب عليه من الباب الايمن من أبواب الجنة جعلنا الله منهم من كمل
الفضل والمنة (ونحمده) أى نثنى عليه بما يوافى نعمه ويكافى كرمه (على ماهدى) أى دلنا (اليه من
جمعه وألهم) من عزمه
(وفتح البصيرة) الباطنية
(لدرك) بسكون الراء
وفتحها أى لادراك
(حقائق ما أودعنا وفهم)
دقائق ما بيناه وعيناه مما
يتعلق بمصطفاه
(ونستعيذه) أى نعوذ به
ونلوذ (جل اسمه)
كمسماه (من دعاء
لا يسمع) أى لا يقبل
(وعلم لا ينفع) أى غير
نافع صاحبه (وعمل
لا يرفع) أى لا يصعد بل
يرد على وجه كاسبه
وورد زيادة ونفس
لا تشبع ومن هؤلاء
الاربع اجمالا بعد
تفصيل اكمالا (فهو
الجواد) بفتح الجيم
وتخفيف الواو وقد ورد
فى الحديث غير انى جواد
ماجد أى صاحب الجود
والعظمة فى مقام الشهود
(الذى لا يخيب) بفتح
الياء وتضم وكسر الخاء
المعجمة وفى نسخة بضم
الياء الاولى وتشديد
الثانية أى لا يضيع
ولا يخسر (من أمله) بتشديد الميم أى قصده بجاه
وزجاه (ولا ينتصر) على عدوه (من خذله) أى ترك نصرته ومنع حرمته (ولا يرد دعوة القاصدين) لقوله تعالى ادعونى أستجب لكم
ولحديث ان الله ليستحى ان يرد عبده صفرا اذا رفعها اليه (ولا يصلح عمل المفسدين) لامر الدين (وهو حسبنا) أى كافينا فى كل
قليل وجليل (ونعم الوكيل) أى الموكول اليه والمعتمد عليه وهى كلمة قالها ابراهيم الخليل لما ألقى فى النار ومحمد الجليل وصحبه
الجليل لما قيل ان الناس قد جمعوا لكم وروى انه من خشى عدوه فليقل حسبى الله ونعم الوكيل * وقيل لما ألقى يوسف عليه السلام فى

الابس لوك طريقهما واقتفاء سنتهما وعلى تقدير التنزل فى كون الزمرة والجماعة واحدا فليس يمتنع
الاتيان بلفظ التثنية مع اضافة لفظ الواحد بل يقال زيد وعمرو عالما البلد انتهى باختصار لما أطال به
مكررا فحذفنا منه مالا حاجة لنا به * وأنا أقول ان السخاوى رحمه الله تعالى أطال لسانه على السيوطى
رحمه الله تعالى وادعى ان علماء عصره كلهم وافقوه وكتبوا خطوطهم بنصرته ولم أر ماقاله فى كتاب غير
فتواه والحق أحق بالقبول فان الذى يقبله الطبع ماقاله السيوطى وهو ان خصيصى مصدر فان النقل
والعقل شاهدان له اما الاول فان الموجود فى كتب اللغة كما ذكر خصيصى وقول السخاوى انه
لا حصر فى كلامهم مسلم لكنه لا يفيد اثبات كلمة لم يذكرها أهل اللغة ولم تسمع فى كلام أحد من العرب
واما الثانى فان معناه فى غاية الظهور وكونه مثنى مرادا به العمرين لم يدل عليه سياق ولا سباق الا أن قول
الجلال انه لا يضاف الا الى اثنين لا وجه له كما قاله السخاوى (ويحشرنا) أى يجمعنا فى الحشر (فى الرعيل
الاول) الرغيل والرعل القطعة من الخيل وجماعة منها والرعيل الاول السابقون من الفرسان ثم كنى به
عن كل سابق للخير والفعل الحسن يتمدح به كما قال حسان رضى الله تعالى عنه
* شم الانوف من الرعيل الاول * فالمراد به هنا من يبادر لفعل الخير ممن يكرمه الله بدخول الجنة قبل
غيره وهم بعد الانبياء عليهم الصلاة والسلام العلماء العاملون (وأهل الباب الايمن) أى أصحاب اليمين
النيرات وجوههم ممن يؤتى كتابه بيمينه (من أهل شفاعته) وتقدم الكلام على ذلك (ونحمده تعالى
على ماهدى اليه من جمعه) أى جمع مافيه مما يتعلق بغرضه (وألهم) الالهام القاء الخير فى القلب
(وفتح البصيرة) أى قوة النفس المدركة فى الباطن بمنزلة البصر فى الظاهر وجعلها كالعين تخييلا قال
(لدرك) بفتح فسكون أى ادراك (حقائق ما أودعناه وفهم ونستعيذه) أى نلجأ اليه (جل اسمه)
وعز ذاته (من دعاء لا يسمع) أى لا يجاب ولا يقبل كقوله سمع الله لمن حمده (وعلم لا ينفع) لعدم العمل به
والاخلاص فيه (وعمل لا يرفع) أى لا يقبل ولا يعتد به قال تعالى والعمل الصالح يرفعه وقال ان كتاب
الابرار لفى عليين (فهو الجواد) بتخفيف الواو بمعنى الكريم الكثير الجود أى الاعطاء وهو من أسماء
الله تعالى كما ذكره ابن حجر وقد ثبت فى حديث صحيح ذكره النووى كالترمذى فى جامعه والبيهقى فى
الاسماء والصفات واعتضد بسند وبالاجماع خلافا لمن انكره (الذى لا يخيب من أمله) يخيب بوزن
يزيد أى لا يحرم من قصده ويجوز تشديده فان الكريم لا يخيب من قصده (ولا ينتصر من خذله)
الخذلان ضد النصرة ومن خذله الله لا يقدر أحد أن ينصره ولا هادى لمن أضله (ولا يرد دعوة القاصدين)
لسؤاله الراغبين لما عنده وفى الحديث ان الله يستحى ان يرد عبده صفرا اذا رفعها (ولا يصلح عمل
المفسدين) فيمحقه ويبطله (وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله تعالى على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى
آله وصحبه أجمعين وسلم تسليما كثيرا) ولما تم بفضل الله تعالى وتوفيقه هذا الشرح المبارك * قلت
مؤرخاله وراجيا قبوله وعود بركته على وعلى أحبابى وجميع المسلمين آمين آمين

الجب قال حسبي الله ونعم الوكيل فعذب نماؤها بعدما كان ماالحافهو سبحانه وتعالى حسبنا ونعم الوكيل ربنا ونعم الشفيع نبينا ونسال الله دوام العافية وتوفيق تمام الطاعة وحسن الخاتمة والحمد لله أولا وآخرا وباطنا وظاهرا على جميع ما أنعم من النعم ما علمت منها ومالم أعلم والصلاة والسلام على خاتم النبيين وسيد الاولين والآخرين وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين ربنا توفنا مسلمين وألحقنا بالصالحين وادخلنا الجنة آمين برحمتك يا أرحم الراحمين آمين ٥٧٩ فرغ مؤلفه رحمه هو وسلفه أواسط رمضان المبارك عام أحد عشر بعد الالف من الهجرة النبوية الى المدينة السكينية وذلك بمكة المكرمة الامنية وأنا الفقير الى ربه البارى على ابن سلطان محمد القارى الحنفى عاملهما الله بلطفه الخفى وكرمه الوفى ومن أحسن ما نظم فى تحسين هذا الكتاب ماقاله بعض أولى الالباب من الاصحاب

بجاه النبي الكريم الاجل * ومن قد كسى المجد أسنى الحلل
توسلت لله ربي الذى * به لايخيب من قد سأل
فان الشفاء ومافيه من * مناقبه للامانى كفل
وقد تم شرح به ارتجى * بان يشرح الله صدر العمل
ببره السقام ومحو الذى * جناه الصبا من عظيم الزلل
فياسيد الرسل يامن ترى * مواطئه أثمدا للمقل
تقبل هديته انها * هدية عبد لمولى أجل
فآمال فالى قد أرخته * بتم الشفاء وصح الامل
فصل وسلم ربي على * مقام به نوره ماأفل
فلازال مطلع شمس الهدى * وروضته قبلة للقبل

(قال مؤلفه وتم يوم الجمعة ثامن عشرى ربيع الثانى سنة ثمان وخمسين بعد الالف)
(على يد أضعف العباد أحمد شهاب الدين الخفاجى المصرى)

(تقريض)

ان الشهاب شهاب يستضاء به * فى العلم والحلم والآداب والحكم
سقى الخفاجى غيثا كلما بقيت * هدى المصابيح فى الاوراق والكلم

(تقريض)

ان أظلم الكون فقد الشهاب * فليس بالبدع ولابالعجاب
أو كسفت شمس الضحى بعده * كان قليلا عند ذاك المصاب
طود علت للجو أكنافه * حتى اذا كادت تمس السحاب
تدكدكت بالموت أرجاؤها * فاعتبروا كيف تدك الهضاب
ياعالما علمنا دفنه * كيف تغيب الشمس تحت التراب
متعنا منه بشمس الهدى * حتى توارت شمسه بالحجاب
لما أتى السنة من بابها * جاءت له السنة من كل باب
لاتعجبوا منه فشرح الشفا * مما ارتوى من ضرع أم الكتاب
رقت حواشيه وذقت معا * وهى لعمرى من لباب اللباب
قريضه تعجز عنه الرقى * وفضله تعنوا اليه الرقاب
ودرة الغواص مالها * الافتى غاص عليها العباب
قام بامر الله فى دينه * مستوى السير مهيبا مهاب
ولم تزل تحمد آثاره * حتى لقى الله حميد المآب
أنزله دار كراماته * جريا على عاداته فى الثواب
والله من أوصافه انه * مؤمل العفو سريع الحساب
أجزل له اللهم حسن الجزاء * واختم لنا منك بحسن المتاب
وصل يارب على المصطفى * وآله الغر وجمع الصحاب

(نظم)

شفى داء النفوس لنا الشفاء * أضاء النور منه والثناء
ونال محبه كل الامانى * وزال به عن القلب الصداء
تلألأ نوره أبدا علينا * ظلام الليل عاد لنا ضياء
جواهر نظمه درر وأبهى * من الياقوت حقا لاامراء
حوى حكما وموعظة وحكما * فصاحة من له شهدت ظباء
فصاحة خير رسل الله فيه * ومدح الله فيه والثناء
فصاحة منطق وبليغ لفظ * وحكمة حاكم وله العطاء
واخبار به تبلى علينا * كلام جامع فيه الهداء
فدخل الشفاء بناشفينا * وزال البؤس عنا والشقاء
أثاب الله جامعه عياضا * جنان الخلد فيه له الجزاء
وزاد محبه شرفا وفضلا * وبلغه المهيمن مايشاء

وصلى الله على من لانبي بعده وعلى آله وصحبه أجمعين

﴿يقول الفقير الى الله تعالى خادم التصحيح ابراهيم الطاهرى الحنفى﴾

الحمد لله الذى أرسل رسوله بالهدى والدين القويم وأيده بكتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم عليم وخرق له خوارق الوجود بمعجزات بهرت العقول وصرح من على صفاته بما لا يستطاع اليه الوصول وأسطع على عالم الشهود بدر وجوده فى أفق السعود وأفاض به على الكائنات فائض الكرم والجود وأوجب على كافة الامة غاية تعظيمه ببيان أوصافه الشريفة وذكر عظيم مناقبه ولطيف سيره ومآثره المنيفة والصلاة والسلام على من أشرق من مطلع الفجر الهداية وأنار منار الهدى ومحى ظلمات الضلالة سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين المنعوت بمكارم الاخلاق فى الكتب الالهية ولاسيما فى القرآن المبين وعلى آله وأصحابه الذين كانوا مشمرين عن ساق الجد فى تعظيمه فى كل حين أما بعد فان الله جل اسمه أوجب تبجيل رسوله على سائر البرية وقيض له فى كل عصر من الاعصار حماة وأنصارا وذوى العزائم السنية فلذلك ذهب الناس فى هذا الفن الى كل مذهب لابراز شريف شمائله وسجاياه وقاموا بتعظيمه نظما ونثرا سرا وجهرا لاظهار كريم فضائله ومزاياه فتفننوا فى أداء ذلك الحق الواجب لينالوا به غدا أعلى المآرب وأسنى المطالب ومن أبلغ ما ألف فى هذا الشان كتاب الشفا فى حقوق المصطفى للامام الهمام الذى لا يدرك شأوه اذا فاض عين أعيان الاندلس العلامة القاضى عياض نور الله مرقده وعطر ضريحه وحيث انه صار من أيام تأليفه الى يومنا هذا وصل الى قريب من ثمانمائة سنة يتداوله جهابذة العلماء جيلا بعد جيل واعتنى كثير من الفحول بشرحه خدمة لحضرة الرسول النبيل وأعظم شروحه وأنفعها الكتابان الموجودان بالصلب والهامش أما الاول فهو الشرح المسمى بنسيم الرياض فى الشفاء للقاضى عياض للعلامة المحقق وشهاب العلوم الحبر البحر المدقق مولانا الهمام الناجى أحمد شهاب الدين الخفاجى رحمه الله تعالى ما دام الداعى ارباب الغفران والراجى وأما الثانى فهو للكامل الفاضل المولع بكرم ربه الرؤف البارى المشتهر بين العلماء بعلى بن محمد القارى جامله المولى حسن سعيه بتديبج لطفه وجزيل كرمه وعطفه فانه رحمه الله قد أودع فيه فوائد جمة تشفى العليل وتحقيقات مهمة يرتاح لها قلب الغليل الا أن النسخ المتداولة منها المطبوعة وغيرها لكثرة الغلط فيها لا يوجد منها ما هو مستقيم جدا بل لا تعد لتحريفها جهة مخالفة بعض لبعضها فى مواضع كثيرة عدا ولذلك قد صرفنا نحن فلله الحمد فى تصحيحه ما هو المجهود والتزمنا تصحيحه من نحو أربع نسخ لمحو الغلط المردود بحيث أتعبنا الفكر فى نقد غثه من الثمين وتمييز المستقيم من السقيم المستبين فجاء بحمد الله مطبوعا مهذبا منقحا لم يوجد فيه ما يخالف الاصل المرغوب ويختبل به أذهان مطالعيه لاخذ المطلوب وهذا أيضا من جملة ما وفقنا الله سبحانه وتعالى لتصحيحه بفضله العميم ولطفه الجسيم فنسأل جل اسمه أن يوفقنا لتصحيح أمثاله من الكتب الدينية ويجعل هذه الخدمة الشريفة مقبولة لدى الحضرة النبوية وذخرا لنا يوم الحشر والندامة فى عرصات القيامة وقد تصادف ختام طبعه وكمال ينعه بالمطبعة الازهرية المصرية الكائن محلها بجوار الرياض الازهرية ادارة راجى التعطفات الالهية أكبر العائلة المهدية (وشركاه) فى أواخر شهر ذى القعدة سنة ألف وثلثمائة وسبعة وعشرين هجريه على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحيه

(فهرس المجلد الرابع من شرح الشفاء للشهاب)

صحيفه

٢ فصل فى حكم عقد قلب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم

٣٨ فصل واما عصمتهم من هذا الفن قبل النبوة فللناس فيه خلاف

٥٥ فصل قال القاضى أبو الفضل قد بان بما قدمناه عقود الانبياء فى التوحيد

٦٢ فصل واعلم ان الامة مجمعة على عصمة النبى عليه السلام من الشيطان الى آخره

٧٨ فصل واما أقواله صلى الله عليه وسلم فقامت الدلائل الخ

٩٠ فصل فى احياء الموتى و كلامهم

١١١ فصل هذا القول فيما طريقه البلاغ

١١٨ فصل فان قلت فما معنى قوله عليه السلام فى حديث السهو الذى حدثنا به الفقيه أبو اسحق ابراهيم بن جعفر

١٣٦ فصل واما ما يتعلق بالجوارح

١٤٧ فصل وقد اختلف فى عصمتهم من المعاصى

١٥٢ فصل هذا حكم ما تكون المخالفة فيه من الاعمال عن قصد

١٥٧ فصل فى الكلام على الاحاديث المذكور فيها السهو الخ

١٦٩ فصل فى الرد على من أجاز عليهم الصغائر

١٩٢ واما قصة داود صلى الله تعالى عليه وسلم فلا يجب ان يلتفت الى ما سطره منها الاخباريون

٢١١ فصل فاذا نفيت عنهم صلوات الله عليهم الذنوب والمعاصى

٢٢٢ فصل قد استبان لك أيها الناظر فيما قررناه ما هو الحق من عصمته عليه السلام الخ

٢٢٧ فصل فى القول فى عصمة الملائكة أجمع المسلمون الى آخره

٢٣٨ الباب الثانى فيما يخصهم فى الامور الدنيوية

صحيفة

٢٤٨ فصل فان قلت قد جاءت الاخبار الصحيحة انه عليه الصلاة والسلام سحر

٢٥٤ فصل هذا حاله فى جسمه

٢٦١ فصل واما ما يعتقده فى أمور أحكام البشر الخ

٢٦٥ فصل واما أقواله الدنيوية من أخباره عن أحواله الخ

٢٧٦ فصل فان قلت قد تقررت عصمته عليه السلام

٢٨٥ فصل فان قيل فما وجه حديثه الذى حدثناه الفقيه أبو محمد الخشنى الخ

٢٩٧ فصل واما أفعاله عليه الصلاة والسلام الدنيوية

٣١٠ فصل فان قيل فما الحكمة فى اجراء الاعراض وشدتها عليه الى آخره

٣٢٧ القسم الرابع فى تصرف وجوه الاحكام

٣٣٥ الباب الاول فى بيان ما هو فى حقه عليه السلام سب أو نقص

٣٤٩ فصل فى الحجة فى ايجاب قتل من سبه أو عابه عليه السلام

٣٦٧ فصل فان قلت فلم يقتل النبى صلى الله عليه وسلم اليهودى الذى قال الخ

٣٨٧ فصل تقدم الكلام فى قتل القاصد لسبه عليه السلام

٣٩١ فصل الوجه الثالث ان يقصد الى تكذيبه فيما قاله الخ

٣٩٥ فصل الوجه الرابع ان يأتى من الكلام بمجمل الخ

٤٠٣ فصل الوجه الخامس ان لا يقصد نقصا ولا يذكر عيبا ولا سبا لكنه ينزع الخ

٤١٨ فصل الوجه السادس ان يقول القائل ذلك حاكيا عن غيره

٤٢٦ فصل الوجه السابع ان يذكر ما يجوز على

صحيفة
النبي صلى الله عليه وسلم أو يختلف
٤٣٧ فصل ومما يجب على المتكلم فيما يجوز على النبي وما لا يجوز
٤٤١ الباب الثاني في حكم سابه وشانئه ومنتقصه ومؤذيه الخ
٤٤٨ فصل اذا قلنا بالاستتابة حيث تصح منه
٤٥٣ فصل هذا حكم من ثبت عليه ذلك
٤٥٥ فصل هذا حكم المسلم
٤٦٥ فصل في ميراث من قتل بسب النبي صلى الله عليه وسلم وغسله والصلاة عليه
٤٦٩ الباب الثالث في حكم من سب الله تعالى وملائكته الخ
٤٧٢ فصل واما من أضاف الى الله تعالى ما يليق به ليس على طريق السب
٤٨١ فصل في تحقيق القول في اكفار المتاولين

صحيفه
قد ذكرنا مذاهب السلف في اكفار أصحاب البدع والاهواء
٤٩٧ فصل في بيان ما هو من المقالات كفر وما يتوقف
٥٣٢ فصل هذا حكم المسلم الساب لله تعالى واما الذمي الخ
٥٣٤ فصل هذا حكم من صرح بسبه واضافة ما لا يليق بجلاله
٥٤٠ فصل واما من تكلم من سقط القول
٥٤٧ فصل وحكم من سب سائر أنبياء الله تعالى وملائكته واستخف بهم الخ
٥٥٤ فصل واعلم ان من استخف بالقرآن أو المصحف الخ
٥٦٢ فصل وسب آل بيته وأزواجه وأصحابه وتنقصهم حرام ملعون فاعله الخ

(تمت)

(فهرست الجزء الثانى من شرح الشفاء للشهاب)

صحيفه

٢ فصل اما أصل فروعها

٨ فصل واما الحلم

٣٢ فصل واما الجود

٤٢ فصل واما الشجاعة والنجدة

٥٥ فصل واما الحياء

٦٠ فصل واما حسن عشرته

٧٣ فصل واما الشفقة والرأفة والرحمة لجميع الخلق فقد قال الله تعالى فيه الخ

٨٤ فصل واما خلقه صلى الله عليه وسلم فى الوفاء

٩٣ فصل واما تواضعه صلى الله عليه وسلم

١٠٦ فصل واما عدله صلى الله عليه وسلم

١١٥ فصل واما وقاره صلى الله تعالى عليه وسلم

١٤٢ فصل واما زهده صلى الله عليه وسلم فى الدنيا

١٤٥ فصل واما خوفه ربه

١٤٦ فصل اعلم وفقنا الله واياك ان صفات جميع الانبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام

١٦٣ فصل قد أتينالك أكرمك الله من ذكر الاخلاق الحميدة الخ

١٨٩ فصل فى تفسير غريب هذا الحديث ومشكله

١٩٦ الباب الثالث فيما ورد من صحيح الاخبار ومشهورها بعظيم قدره عند ربه

١٩٨ الفصل الاول فيما ورد من ذكر مكانته

٢٣٠ فصل فى تفضيله صلى الله عليه وسلم بما تضمنته كرامة الاسراء الخ

٢٦٠ فصل ثم اختلف السلف والعلماء هل كان اسراء بروحه أو جسده

٢٧٦ فصل فى ابطال حجج من قال انها نوم الخ

٢٨٥ فصل وأما رؤيته صلى الله عليه وسلم لربه عز وجل

٣٠٣ فصل وأما ماورد فى هذه القصة من مناجاته

٣٠٨ فصل وأما ماورد فى حديث الاسراء وظاهر الآية من الدنو والقرب

٣١٤ فصل فى ذكر تفضيله فى القيامة بخصوص الكرامة

صحيفه

٣٢٥ فصل فى تفضيله بالمحبة والخلة

٣٤٢ فصل فى تفضيله بالشفاعة

٣٦٦ فصل فى تفضيله فى الجنة بالوسيلة

٣٧٠ فصل فان قلت اذا تقرر من دليل القرآن وصحيح الاثر الخ

٣٨٠ فصل فى أسمائه صلى الله عليه وسلم وما تضمنته من فضيلته

٤١٠ فصل فى تشريف الله تعالى له بأسمائه قال القاضى أبو الفضل رحمه الله تعالى ما أحرى هذا الفصل الخ

٤٣٤ فصل قال القاضى أبو الفضل وههنا نكتة أذيل بها

٤٤٠ الباب الرابع فيما أظهره الله تعالى على يديه من المعجزات وشرفه به من الخصائص والكرامات

٤٤٩ فصل اعلم أن الله عز وجل اسمه قادر على خلق المعرفة فى قلوب عباده

٤٥٨ فصل اعلم ان معنى تسميتنا ماجاءت به الانبياء معجزة الخ

٤٧٣ فصل فى اعجاز القرآن

٤٩٥ فصل الوجه الثانى من اعجازه صورة نظمه العجيب والاسلوب الغريب

٥٠٧ فصل الوجه الثالث من الاعجاز ما انطوى عليه من الاخبار

٥١٣ فصل الوجه الرابع ما أنبأ به من أخبار القرون السالفة الخ

٥١٩ فصل هذه الوجوه الاربعة من اعجازه بينة لانزاع فيها ولامرية

٥٢٣ فصل ومنها الروعة

٥٢٩ فصل ومن وجوه اعجازه المعدودة كونه آية باقية لاتعدم مادامت الدنيا

٥٣١ فصل وقد عد جماعة من الائمة ومقلدى الامة فى اعجازه وجوها كثيرة

(تمت)